

ربيع الأول ١٤٠٣هـ - يناير (كانون ٢) ١٩٨٣

- المصير الفلسطيني : ملف خاص
- أسطورتان عن الحاكم والمحكوم
- المستقبل العربي مهدد بالإغتيال

مع العدد هدية : خريطة القضية الفلسطينية
والعربي الصغير « مجلة ابناء العرب »

रुपया

1 RUPEE 1952

١٤٠٢-١٩٨٢

خلال ثلاثين عاماً شاهدنا الكثير من التطوّرات

يوم بدأنا أعمالنا، كانت الروبية هي العملة السارية، وفي عام ١٩٦١، أي بعد تسع سنوات، ساهم بنك الكويت الوطني في استبدال الروبية بالدينار الكويتي.

تأسس بنك الكويت الوطني بمرسوم أميري في ١٩ مايو، ١٩٥٢، فكان أول بنك كويتي تؤسسه مجموعة من الفعاليات الإقتصادية عندما كانت الكويت بحاجة ماسة لمؤسسة مالية باستطاعتها خدمة متطلباتها المحلية.

ومنذ تأسيسه، ركّز بنك الكويت الوطني جهده في نشر الوعي المصرفي وتوفير خدماته في كافة أنحاء البلاد، عاكساً بذلك تطوّر الكويت تجارياً وصناعياً واجتماعياً.

يوجد لدينا اليوم أكثر من ٤٠ فرعاً منتشرة في كافة أنحاء الكويت بالإضافة إلى أكثر من ٧٠٠ بنك مراسل في العالم، ومكتبي تمثيل في لندن وسنغافورة.

للمزيد من المعلومات عن بنك الكويت الوطني وعن الخدمات التي يقدمها إتصل بنا اليوم.



رائد البنوك الكويتية.

عزيزي القارئ

يصدر هذا العدد الممتاز من العربي في بداية عام هو بالنسبة لنا ذو دلالة لها اهميتها . فهو العام الذي تبلغ فيه المجلة - مع نهايته - عامها الخامس والعشرين أي ربع قرن بالتمام والكمال ، عايشت خلاله أهم وأخطر التحولات السياسية والثقافية التي مر بها الواقع العربي . والمجلة اذ تبلغ هذا العمر الذي أصبحت في ظله جزءا فاعلا في البنية الثقافية في وطننا الكبير ، فانها أيضا تستشعر مسئولية أكبر تجاه العقل العربي .

وفي هذا العدد قد يلحظ القارىء انعكاسا لهذا الجهد ، تمثل في محاولات للاضافة والتبديل والتعميق ، هي مجرد خطوات على الطريق الطويل.

قد يلحظ القارىء أن هناك اطلالة جديدة على واقعنا ، فيما أسميناه « الحياة العربية » ، وقد يلحظ أننا حاولنا أن نوسع القاعدة الثقافية التي تتحرك المجلة على أرضيتها في « موسوعة العربي » . وقد يلحظ أننا طرقنا باب القراءة الجديدة للتراث ، وبابا آخر للتعريف بالمنظمات العربية التي ترمز الى واحد من أحلامنا العزيزة في الوحدة . وغير هذا وذاك فقد يستوقفه الملف الخاص بالقضية الفلسطينية التي مرت في هذا العام الذي انقضى بأكثر من منعطف هام ، سواء من جراء غزو بيروت والخروج الفلسطيني الرابع الذي أسفر عنه ، أو بعد قرارات مؤتمر فاس التي طرحت موقفا عربيا جديدا لحل القضية . ولانريد أن نسترسل في سرد الاضافات الأخرى على موضوعات المجلة - فضلا عن شكلها - تاركين الامر لملاحظة القارىء ومتابعته ، واثقين أنه لن تفوته - مثلا - تلك الاضافات التي أدخلت على نزهة العقل الذكي مثل المسابقة الجديدة وزاوية الشطرنج ، أو ذلك التغيير الشامل الذي جدّ على العربي الصغير ، في حجمه ومادته .

ان هذه الخطى ماكانت لتتم لولا تضافر جهود الفريق الذي ظل يعمل في صمت خلال الأشهر الاربعة الماضية ، وهو الفريق الذي يضم - فضلا عن هيئة تحرير المجلة - عددا من الجنود المجهولين في الاخراج والطباعة . وماكان لهذا الجهد أن يبلغ مابلغه بغير دفعة الحماس والتشجيع والرعاية ، التي تلقاها المجلة من جانب الشيخ صباح الأحمد الجابر ، نائب رئيس الوزراء وزير الخارجية ووزير الاعلام ، والشيخ ناصر محمد الأحمد - وكيل الوزارة.

ومع ذلك كله نذكر ونكرر : أنها خطى على الطريق الطويل ، وأن آمالنا تظل أكبر وأبعد بكثير مما بلغناه - وكل عام وانتم بخير .

« المحـــرر »

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

رئيس التحرير: الدكتور محمد الرميحي

مدير التحرير: فهمي هويدي

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت للوطن العربي وكل قارىء للعربية في العالم . الوزارة غير مسؤولة عما ينشر فيها من آراء . والمجلة غير ملتزمة باعادة أي مادة تتلقاها للنشر .

ثمن العدد . بالكويت ٢٠٠ فلس ، السعودية ٤ ريالات ، العراق ٢٠٠ فلس ، الأردن ٢٠٠ فلس ، سوريا ٢٠٠ قرش لبنان ٢٠٠ قرش ، مصر ١٥٠ مليما ، السودان ١٥٠ مليما ، المغرب ٣ دراهم ، تونس ٣٥٠ مليما ، الجزائر ٣ دنانير ، البحرين ٣٠٠ فلس ، قطر ٤ ريالات ، الامارات العربية المتحدة ٤ دراهم ، اليمن الشمالي ٣ ريالات ، اليمن الجنوبي ٢٥٠ فلسا ، ليبيا ٢٥٠ درهما .

الاعلانات : يتفق عليها مع الادارة - قسم الاعلانات

المراسلات : باسم رئيس التحرير

عنوان المجلة بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ - تلفون ٤٢٧١٤١ ٤٦٨٢٤٢

تلغرافيا « العربي »

الاشتراكات

ترسل الطلبات الى :

قسم الاشتراكات

المكتب الفني - وزارة الاعلام

ص . ب (١٩٣) - دولة الكويت

على طالب الاشتراك تحويل قيمة الاشتراك بموجب حوالة مصرفية أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الاعلام ، طبقا لما يلي :

- الوطن العربي ٥٠٠/٢ (ديناران ونصف)
- وطن غير عربي ٥٠٠/٣ (ثلاثة دنانير ونصف)

العربي - العدد ٢٩٠ - يناير ١٩٨٣

AL — ARABI, No. — 290 — JANUARY, 1983 P . O.Box, 748 — KUWAIT

محتويات

العدد



جارسيا : الفائز بجائزة نوبل

قفز اسم جابريل جارسيا ماركيز على سطح الحياة الادبية منذ راج كتابه الشهير « مائة عام من العزلة » ، وقال عنه بابلونيرودا « ان اهم الاعمال التي كتبت بالاسبانية دون كيشوت سرفانتس في القرن التاسع عشر » ، وظل نجم جابريل جارسيا يسطع كلما صدر له كتاب جديد ، حتى نال مؤخرا جائزة نوبل للادب .. اقرأ قصته الكاملة (ص ٢٨) .

صورة الغلاف



○ في يوم واحد شاهدت بعثة العربي كل فنون الأطلس في أكبر مهرجان شهدته منطقة جبال الأطلس المغربية ، حيث توسط الفرسان الساحة . وحولها اصطفت فرق الفنون الشعبية واخذت كل الفرق تقدم عروضها في وقت واحد . . انظر استطلاع الشهر في جبال الأطلس (ص ١٠٠) .

قضايا عامة



الفلسطينيون : الحاضر والمستقبل

منذ مائة عام قدم الى فلسطين اول فوج من المهاجرين الصهاينة على السفينة « اصلان » وفي العام الذى انقضى شهد مسار القضية الفلسطينية تحولات بالغة الأهمية ، ابرزها غزو لبنان وتوزيع المقاتلين الفلسطينيين على ٧ دول عربية . . ومع بداية العام الجديد تواجه القضية الفلسطينية والفلسطينيون مستقبلا حافلا بالتساؤلات . التي تسهم قراءة الخارطة الفلسطينية في الاجابة عليها . . وفي هذا العدد ملف خاص محوره هو هذا الموضوع الحيوي ، شارك في كتابته عدد من ابرز الباحثين في العالم العربي . . اقرأوا الملف من (ص ٣٧) الى (ص ٧٥) .

عروبة واسلام

طب وعلوم

آداب وفنون



حامد آخر الخطاطين العظام

دفعه الشوق الى الخط والتقليد لان يكتب آيات القرآن الكريم على هامش المصحف ، مما عرضه لتوبيخ استاذه وعقابه بالضرب .. وقد قدر لهذا الشغوف بالخط أن يصبح آخر الخطاطين العظام . ودخل « حامد » تاريخ الخط العربي من اوسع الابواب . اقرأ مقال الدكتور محمد حرب عن حامد (ص ٧٦) .

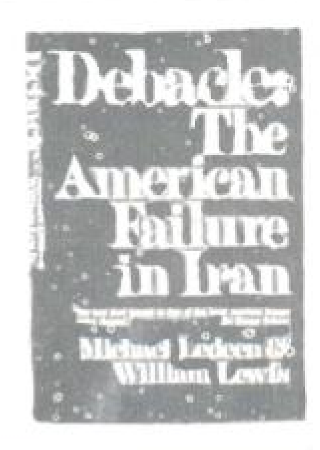
استطلاعات مصورة

ابواب ثابتة



اذكياء فيماوراء الارض

« هناك بحوث جادة اجريت وتجرى على قطاعات خاصة من نجوم المجرة . ولقد تنصت عليها العلماء بواسطة اجهزتهم سنين طويلة ، فلم تصلهم اية اشارة تنبىء عن وجود عقلاء في السماء ، وقد عيل صبر بعضهم ، لكن البعض الاخر من الصابرين المتفائلين كون فرقة بحث اطلق عليها « البحث عن اذكياء فيما وراء الارض » ... ماذا حقق هؤلاء ؟ .. يجيب الدكتور عبد المحسن صالح عن السؤال في دراسته لها من (ص ٩٣) .



الفشل الامريكي في ايران

تظل علاقات الولايات المتحدة الامريكية بنظام شاه ايران موضوعا خصبا بشكل معينا لا ينضب للكتاب والباحثين . واذا كانت وجهات النظر التي يمكن ان تطرح حول هذا الموضوع فالثابت ان هذه العلاقة انتهت الى فشل امريكي ذريع .. وكتاب الشهر الذي اختار له مؤلفاه عنوان « الكارثة الكاملة » يدور حول هذا الموضوع ، اقرأ عرض الدكتور امين العيوطي للكتاب (ص ١٧٢)



حديث الشهر

بقلم

دكتور محمد الرميحي

التراث

تتفاعل قضية التراث العربي والاسلامي منذ امد على الساحة الثقافية والسياسية العربية ، وتثار تساؤلات كثيرة حول اتخاذ قرار باستخدامه او تحييده والبحث في معوقاته واشكاليات منهجه وعلاقته بالسياسة العربية .

هذه القضية اخذت في السنوات الاخيرة حيزا ضخما من مساحة النقاش الفكري والايديولوجي العربي .

من أهم أسباب البحث في هذا الموضوع واقعنا اليوم ، وهو ان الانسان العربي المعاصر انسان متأزم ، كما ان الواقع العربي المعاصر محير ، فهو ضعيف ومشتت ، ومغلوب على امره ، لذلك يجري البحث في التراث على انه بحث عن الهوية العربية المعاصرة .

وانشغل قطاع عريض من المفكرين والاجتماعيين والسياسيين العرب والمسلمين في بحث قضية التراث ، ليس من حيث جمعه وتصنيفه ، ولكن من حيث استخدامه سلبا او ايجابا واصبحت هذه القضية ـ احياء التراث او تجديده او تجاوزه ـ من اكثر القضايا الفكرية

والتحديات العربية المعاصرة

حيوية بين المثقفين العرب والمسلمين الى درجة ان تعقد لدراسة الموضوع ندوة خاصة في العاصمة المغربية (الرباط) في اواخر شهر نوفمبر (تشرين الثاني) من السنة الفارطة .*

وبما ان الاشكالية التراثية ليست من الاشكاليات الفكرية التي يسهل فك رموزها والغازها ، فقد كان موقف المشاركين فيه هو موقف السجال والنقاش ، حتى يكاد يخيل للمرء ان هذا الشنآن الذي يقع بين مختلف الاجتهادات المتعارضة هو تزيف فكري يؤدي الى الابتعاد عن الحزم بدل ان يقرب وجهات النظر في القضية المطروحه اساسا ، وهي تلمس طريق أفضل للنهضة العربية المبتغاه .

البحث عن منهجية شاملة

كل ذلك انعكاس موضوعي لما تموج به الساحة العربية الفكرية من وجهات نظر متعددة بشأن هذه القضية ، واختلاف وجهات النظر ناتج

* عقدت الندوة في الرباط بدعوة من منتدى الفكر والحوار في الفترة ما بين ٢٥ ـ٢٧ نوفمبر ١٩٨٢ تحت عنوان « التراث والعمل السياسي »



من اختلاف الكيفية التي يرادبها توظيف التراث في المشـروع العربي المستقبلي .

ويبدو ان هناك عقبات كبيرة في الوصول الى حسم تجاه اعادة قراءة التراث وتوظيفه لخدمة المشروع العربي المستقبلي باتجاهاته المتعددة ، وتكمن هذه العقبات في المنهجية الجزئية والانتقائية التي اتبعت في قراءة التراث ودراسته حتى الآن ، وقد خلفت هذه المنهجية الجزئية حوارا ساخنا على مستوى الواقع ، وأثارت تساؤلات عميقة منها : ما الجزء التراثي الذي نحافظ عليه وما الجزء التراثى الذي نستغني عنه ؟

لقد انزل البعض قضية التراث الى سفح الممارسات الظرفية القائمة على المصالح والصراعات التي تعج بها الساحة العربية اليوم ، وبالتالي اصبحت التقويمات تتجه لتلوي ذراع الحقائق ، لتناسب ماهو متخيل في الماضي او متوقع في المستقبل .

اصول هذا المنهج هو الذي اوقعنا جزئيا في هذا الخلاف الشديد ، والمطلوب في دراسة التراث التوجه الى منهجية شاملة ، المراد منها توظيف هذا التراث كي يصبح عامل تأصيل وخصوصية حضارية في المشروع التاريخي الحضاري المستقبلي للامة العربية .

الاكثر اثارة من ذلك المنهج الانتقائي الجزئي هو مافشـل فيه علم الاجتماع العربي المعاصر ، من الالمام بمشكلات الوضع العـربي ، وطرح المقولات والمفهومات التي تشكـل بداية تكوين اطـار نظري ومنهجي متكامل يفسر الواقع ، وينبئنا بخطوط مساره المستقبلية .

جزء من المعضلة

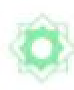
جزء من معضلة فهمنا للتراث وجزء من صعوبة تفسير ذاتنا العربية المتأزمة ، هو الارتباك الحضاري ـ ونحن واقعون فيه ـ والذي يظهر في قطاع منه ان نشاطنا المعرفي مازال عالة على الآخرين ، نستعير منهم المنهج والوسائل ، لنصل الى اقتناع تلقائي بما يفسره هذا المنهج وتلك

الوسائل لمظاهر واقعنا العربي ، دونما استيعاب من جانبنا لتاريخ الوطن وتطوره ، ونحن نقبل دون نقاش اطروحات العلم السياسي والاقتصادي الغربي ونتبناها دون مراعاة لخصوصيتنا .

فاذا لم ننجز أيا من أهدافنا القومية حسبنا ذلك نقصا في مقومات وحدتنا ، وطفقنا نبحث عن المبررات التي يقدمها العلم الاقتصادي الغربي من منظور تاريخي مخالف ، ونحسبها مبررات اكيدة لتعطيل مسار مسيرتنا القومية .

واذا لم نعرف بنجاح ذاتنا التراثية والحضارية بحثنا في مناهج غيرنا عن التبريرات التي تؤدي الى طمس تراثنا والحاقه بتراث آخر ، وادعى بعضنا ، فوق ذلك،بأنه ليس هناك حدود فاصلة بيننا وبينهم - الاخرين - ثم أهلنا على شخصيتنا الانسانية التراثية الكثير من التراب ، فالارتباك الحضاري هو الشطط ، اما في القبول بالمحو الكامل للشخصية التراثية العربية ، او التمسك الشديد والقاطع بكل ماهو ماضوي ، هذا الارتباك جعل من مشروعنا المستقبلي العربي مشروعا غير محدد المعالم ونحن في الخمس الاخير من القرن العشرين .

لقد استعصى علينا حتى الان كعرب الانخراط في الايقاع الحضاري والثقافي المعاصر ، فعلى الرغم من نيلنا الاستقلال من المستعمر ، كما حدث لكثير من البلدان والشعوب الاخرى ، مازالت تحديات العصر تضربنا بقوة من خلال التسلط الصهيوني الشرس على مقدراتنا ، وفرض ارادته علينا بكل الاشكال ، كما ان وحدتنا - حتى في خطوطها العريضة - مازالت مشروعا غير محتمل الحدوث في المدى المنظور ، وعلى العكس من ذلك فان الاطماع الاجنبية على اختلاف انواعها تأمل في ابقاء وطننا العربي على ماهو عليه من تشرذم ، طمعا في استغلال ثرواته وابقائه في حالة من التبعية لاانفكاك منها ، كما ان اعمق التحديات جميعا تلك الاشكال الاجتماعية والسياسية التي افرزها واقع التجزئة ولقد تقولبت النظرة الى الحياة العربية اليوم ، نتيجة لذلك ، بقوالب خاصة نابعة من ذلك الواقع السلبي مما أفرزه من علاقات



وممارسات بين الانسان العربي ومحيطه الطبيعي والاجتماعي ، نظرة ملؤها التشاؤم والسلبية ومليئة بعناصر الزجر .

قراءة التراث فى ضوء العصر

لم يعد هناك بديل ثالث بين النهضة والتقدم للامة وبين الانحطاط والانقراض ، فاذا كانت شروط الاخيرة معروفة فما هي شروط الاولى ، خاصة من وجهة نظر الاستعانة بالتراث.والمعادلة لاشك صعبة ، فالمحافظة على الموروث بسلبياته والنفور من التجديد ظاهرة عامة ومشتركة بين شعوب الارض ، لهذا كانت الدعوات الجديدة في كل مجتمع تجد اشد العناء والتصب فى اقناع اتباعها بالتجديد والانتقاء من الموروث ، سواء أكان هذا الموروث سياسة ام علما ام ثقافة ، فالمعارضة والمقاومة التي طابعها التصدي والصد لتجديد التراث هي طابع المعارضة لهذا التجديد في وطننا العربي .

ان الدعوة لاعادة تفسير التراث طبقا لحاجات العصر هي الدعوة العلمية والصحيحة ، واذا جاز للأولين ان يُعملوا العقل لمواجهة القضايا التي اعترضتهم ، فقد جاز لنا ان نقوم بذلك ، فما يعترض حياتنا في هذا الزمن من المتغيرات الاجتماعية والتكنولوجية من الكم والنوع يجعلنا نحتاج فيه الى إعمال العقل اكثر من اي وقت مضى .

ومن المهم ، ونحن نقف على ابواب سنة جديدة ، أن نتجه الى مفكرينا ، وان نطالبهم بالانتقال من تلك المعركة الدائرة فى بقاع كثيرة من الوطن العربي ، لتدور بين الفكر والواقع ، بدلاً من أن نستهلك طاقاتنا الفكرية فى اذكاء روح العراك بين الفكر ونفسه . . لكى يكون انخراطنا فى الايقاع الحضارى والثقافى المعاصر انخراطاً وارتباطاً حقيقياً ينطلق بنا نحو المستقبل ولا يخلعنا من الماضي . ○

د . محمد الرميحي .





■ نحن الضحية التى جربت فيها كل انواع القتل منذ صراع قابيل وهابيل حتى احدث الاسلحة الامريكية .. لكننا الضحية الاعجوبة التى لا تموت ، ولا تستطيع ان تموت .

الشاعر محمود درويش

■ وجهات النظر بين بون وواشنطن متطابقة كليا وفي مختلف المجالات .

هلموت كول

المستشار الالماني الغربي الجديد



■ لم اوقع شيئا ، ولم اعد السلطات البولندية باى شىء .

الزعيم العمالي البولندى

ليش فاليسا

■ ياسر عرفات اصبح اكثر اعتدالا من منظمة التحرير التى هي في الاصل اكثر اعتدالا من الرأي العام الفلسطيني .

الصحفي البريطاني

ديفيد هيرست



■ حياد لبنان نوع من الصلح يفتح كل الابواب لاسرائيل .

الزعيم الماروني اللبناني

ريمون اده



■ الغرب يبذل الآن جهدا لم يسبق له مثيل لاختراق حجب العالم الاسلامى وفهم ما يجرى داخله .

المعلق البريطاني

باتريك سيل



■ لو أرادت أمريكا وروسيا انهاء الحرب العراقية الايرانية لفعلتا أكثر مما فعلتا حتى الآن .

الرئيس صدام حسين

الاحتياط العربي من السكر لا يكفي الا عشرة اسابيع .

موسى عوض بلال

الامين العام للاتحاد العربي للسكر



■ حطمت عبودية الناس للصوت البشرى فتعلقوا بالموسيقى .

الموسيقار محمد عبد الوهاب

■ ايام كنت في القصر كنت أحلم بمنتصف ليل ٥ سبتمبر ٨٢ ، حيث أخرج من سجن القصر الى الحرية .

ـ الرئيس اللبناني السابق

الياس سركيس

اسطورتان.. عن الحاكم والأعوان

بقلم الدكتور : فؤاد زكريا

ثمة اساطير ذاعت بين الناس ، تعكس قدرا كبيرا من قصور الوعي السياسي ، وتكشف بوضوح عن نسيان الانسان العادي لأبسط مبادىء الديمقراطية . من هذه الاساطير اثنتان هما :

أسطورة «الحاكم الذي لايعرف» :

في مشهد من فيلم « نيكولاس وألكسندرا » ، يتوجه العمال التعساء الى مقر قيصر روسيا ، في مسيرة سلمية أقنعهم بها قسيس يكره العنف ، وهم يحملون عريضة يشكون بها الى الحاكم سوء أحوالهم . ويسير الموكب في هدوء ، وعلى رأسه القس الذي يصيح طوال الوقت : انا أتيناكم مسالمين » . وفي الطرف الآخر يقف الجنود ببنادقهم ، وعند نقطة معينة يطلقون النار فجأة على المسيرة السلمية ، وبذلك وقعت « مذبحة قصر الشتاء » الشهيرة في عام ١٩٠٤ . وفي نهاية المشهد وقف القس المشدوه يرقب القتلى والدماء الغزيرة ويصيح : « نيكولاس ، أيها السفاح الشرير ! » ونتنقل بعد ذلك مباشرة الى مشهد آخر في القصر ، حيث نجد القيصر واقفا يسأل رئيس وزرائه بكل غضب : « لماذا لم تقولوا لي ؟ من الذي أمر باطلاق النار ؟ لماذا قتلتم الناس ؟ من المسئول عن هذه المذبحة ؟ » فيجيب رئيس الوزراء بحكمة : « هل كنت ستستجيب لمطالب هؤلاء الناس لو وصلوا اليك ؟ » وعندما يأتيه الرد ـ كما هو متوقع ـ بالنفي ، يقول « وبعد ذلك تسأل من المسئول ؟ » .

في هذه اللقطات تُعرض علينا مشكلة أساسية في الحكم الفردى الدكتاتورى من زواياها الثلاث : ١ ـ الشعب ينظر الى الحاكم على أنه طاغية ٢ ـ أما الحاكم فيرى نفسه بريئا لأنه لم يكن يعرف ، ويلقي اللوم على المحيطين به ٣ ـ وأخيرا فان صوت الحكمة يقول ان الحاكم ، بمبادئه وأساليبه في الحكم ، هو المسئول الحقيقي ، بغض النظر عن التفاصيل ، وعمن يكون المذنب عند ارتكاب هذا الخطأ الجزئي أو ذاك .

في بلاد العالم الثالث ، حيث الحكم الفردي هو القاعدة العامة التي لاتوجد لها الا استثناءات قليلة ، تنتشر أسطورة « الحاكم الذي لايعرف » ، وفي أغلب الأحيان يروجها النظام ذاته ، أو المتعاطفون معه ، كما أن الحاكم ذاته قد يلجأ اليها في نهاية المطاف ، حين لايعود في الامكان كتمان فضائح مالية ، أو جرائم لا انسانية ، أو تصرفات قمعية ارهابية . عندئذ تعلو الأصوات قائلة : ان الحاكم نفسه رجل رحيم ، تجيش نفسه بالانسانية والوطنية وحب العدل ، ولا يفكر الا في مصلحة شعبه ، ولكن العيب كله في المحيطين به . وعادة يصور هؤلاء المحيطون بأنهم ، في غالبيتهم ، مجموعة من الأشرار الذين لايكتفون بارتكاب جرائمهم ، بل يخفونها عن الحاكم ، ويصورون له الأحوال دائما بصورة وردية . وماداموا هم وحدهم الذين يستطيعون الوصول الى الحاكم ، فان هذا الأخير يظل على



نيقولاس والكسندرا .

غير علم بممارساتهم التي تشوه صورته أمام الناس دون قصد منه . وهكذا يساء الى الحاكم الانسان نتيجة لشرور الأعوان .

وتنتشر أسطورة « الحاكم الذي لايعرف » عندما يضطر أنصار الحاكم الفرد الى الاعتراف بوجود تناقض صارخ في تصرفاته ، ويعجزون عن تفسير هذا التناقض . فهو من جهة يبدو حاكما وطنيا صامدا في وجه أعداء الوطن ، يتبع سياسة تستهدف مصالح « الشعب » ، وبخاصة فئاته الكادحة ، ولكنه من جهة أخرى يسجن بلا حساب ، ويعتقل بلا دليل ، ويقمع كل معارض ، ولايسمح لصوت بأن يرتفع الا صوته وصوت أذنابه ـ أي أنه ، باختصار ، يقضي على أي تأثير ممكن لانجازاته الايجابية عن طريق فرض هذه الانجازات على الناس من أعلى ، بدلا من أن يدعها تنبثق من رأيهم الحر وتجد لنفسها الحماية والرعاية في ظل موافقتهم واقتناعهم .

فكيف يمكن تفسير هذا التناقض ؟ ان النصير المتحمس للحاكم الفرد لايجد وسيلة للتفسير سوى أن يلجأ الى « أسطورة الحاكم الذي لايعرف » ، فيؤكد أن الايجابيات من صنعه هو ، أما السلبيات فمن صنع المحيطين به ، وهو لايعلم عنها شيئا ، ولو كان يعلم لما سمح بها . وعلى هذا النحو يظل النصير المتحمس محتفظا بمثله الأعلى نقيا من كل شائبة ، بينما يعزو الى غيره كل الآثام والنقائص والانحرافات . وتظل صورة الحاكم الفرد ، في نظر معبوده ، أشبه باله لا يصدر عنه الا الخير بينما الشر كله من صنع « الشيطان » .

وربما حُوِّرت الأسطورة قليلا ، فلا يعود الحاكم هو الذي « لايعرف » بل يصبح هو الذي « لايقدر » . وفي هذه الصيغة المعدلة ، تكون رغبة الحاكم أيضا متجهة دائما الى الخير ، غير أن الذين يحيطون به يفرضون عليه اجراءات ظالمة لايكون هو ذاته راضيا عنها ، ولكن لامفر من ذلك من أجل مراعاة « توازن القوى » في الحكم ، وضمان ارضاء كافة الأطراف ذات الوزن بين الفئة الحاكمة ، حتى تسير الدفة بأكبر قدر ممكن من الهدوء والانسياب . وهكذا يضطر الحاكم ، برغم قوته وجبروته الى توزيع بعض سلطاته على الأعوان الذين يملكون بدورهم قدرا من القوة ، ويترك لكل منهم الحرية في « قطاعه » الخاص ، فاذا أساء أحدهم التصرف فان الحاكم لايمكن أن يكون مسئولا عما فعل ، بل هو مضطر

الى المضي في « لعبة التوازن » بلا توقف ، لأن سلامة الحكم وتماسكه تحتم ذلك .

أسطورة الحاكم الذي لايتنازل :

في مقابل هذه الأسطورة ، تظهر في بلاد العالم الثالث ، وضمنها بلادنا العربية بالطبع ، أسطورة أخرى تسير في الاتجاه المضاد ، ولكنها تنطوي في نهاية المطاف على نفس الآفات التي تكشف عنها الأسطورة السابقة . والهدف هذه المرة ليس الدفاع عن الحاكم المطلق عن طريق نسبة كل أخطائه الى الأعوان ، وانما هو الدفاع عن هؤلاء الأعوان عن طريق تأكيد أن الحاكم لم يترك له شيئا يتنازل عنه فالحاكم هنا هو الذي يمسك زمام كل شيء ، والتابع ـ حتى لو كان الرجل الثاني لايملك الا أن ينظر الى مايحدث في صمت ، لأن رأيه غير مطلوب ، واذا طلب فهو غير مسموع . فاذا سألت هذا التابع : ألا ترى كل هذه المظالم ؟ ألست أنت أيضا مسئولا عنها ؟ كان رده : انني مغلوب على أمري . « فالرجل الكبير » هو الذي يفعل كل شيء ، وما على الا أن أرقب الأمور صامتا .

هنا تنسب السلبيات كلها الى الحاكم ، الذي تكون له قدرة كاملة ، ومعرفة شاملة ، أما الأعوان فانهم عاجزون كل العجز ، وحتى لو كانوا من الفضلاء فان محاربة الفساد تفوق طاقتهم ، لأن القرارات كلها تصدر عن سلطة واحدة لاتترك لغيرها شيئا . وواضح ان هذه الأسطورة تقلب اتجاه الأسطورة السابقة : ففي الحالة الأولى كان الحاكم هو الطرف الصالح دائما ، على حين أن الفساد كله يأتي من الأعوان ، وكان الحاكم لايعلم عن السلبيات شيئا ، بينما الأعوان يعرفون عنها كل شيء لأنهم هم الذين يرتكبونها ، وكان الحاكم لايهتم الا بالعموميات والقرارات الحاسمة ، ويترك التفاصيل للأعوان الذين يسيئون استخدامها . أما في الحالة الثانية فان الحاكم وحده هو صاحب القرار وصاحب القدرة ، وأقوى أعوانه لايملك الى جانبه شيئا ، ولايستطيع أن يغير من الأمر كثيرا أو قليلا ، حتى في التفاصيل والجزئيات .

ولكن الأمر الذي يدعو الى الدهشة هو أن الأسطورتين ، على الرغم من تناقضهما ، كثيرا ما تطلقان على حاكم واحد . فأنصارها يروجون الأسطورة الاولى ، وربما اعتنقوها عن ايمان . فيلتمسون له العذر عن أخطائه المنسوبة دائما الى المحيطين به ، وخصومه ينشرون الأسطورة الثانية ، ويلتمسون العذر لأنفسهم



شاه ايران

لأن الحاكم لم يكن يقبل « التنازل » عن شيء فهل يعقل ان يكون الحاكم نفسه عارفا بكل شيء ، وغير عارف بالكثير ؟ وهل يعقل أن يكون في آن واحد ، خيرا وشريرا ، رحيما وطاغية ، مشاركا للغير ومستحوذا على كل شيء ؟

ولكن المشكلة الحقيقية في الأسطورتين لاتكمن في تناقضها فحسب ، بل انها تمثلان وهما كبيرا وقعت فيه شعوبنا ومازالت معرضة للوقوع فيه . والأدهى من ذلك أن الأسطورتين أصبحتا تقدمان وكأنها من طبائع الأشياء ومن ضرورات السياسة ، وترددان وكأنها محاولة لتفسير ظواهر تبدو غير قابلة للتفسير على أي نحو آخر ، وأعني بها :

كيف يكون الحاكم وطنيا وطاغية في الوقت ذاته ؟ وكيف يكون التابع فاضلا وشاهدا على الظلم ؟

ولكن ، هل تستطيع الأسطورتان ، حقا ، تفسير أي شيء ؟

تبديد الوهم :

لقد اطلقنا اسم « الأسطورة » على هذه التفسيرات التي تشيع في نظم الحكم الفردية التسلطية لأنها لاتعدو بالفعل أن تكون وهما كبيرا تسلط على العقول وشوه نظرتها الى عملية الحكم وعلاقة الحاكم بأعوانه وبالمجتمع الذي يحكمه . فنحن نخدع أنفسنا ونكشف عن قصور تفكيرنا في كل مرة نبرر فيها أخطاء الحاكم بأنها وقعت لأنه لم يكن يعرف ، ونحصر مسئولية الأخطاء في التابعين والمعاونين ، أو نلتمس فيها العذر لتابع الحاكم على اساس أنه كان مغلول اليد ، ونحصر مسئولية الأخطاء في الحاكم الفرد الذي لايتنازل عن شيء .



هتلر :

ان أبسط تفكير يقنعنا بأن الحاكم الانسان ، الوطني ، الرحيم ، الذي تحيط به مجموعة من الأشرار ، انما هو خرافة لامكان لها الا في عقول السذج . فالحاكم - الذي يكون في هذا النمط من الحكم فرديا متسلطا - هو الذي يختار معاونيه ، وهو الذي يملك قدرة تغييرهم . ولولا أنه يرتاح لعملهم ولأسلوبهم في التعاون معه ، لما بقوا في مناصبهم لحظة واحدة . ومعاونوه هؤلاء اما أن يكونوا على شاكلته ، واما أن يكونوا مكملين له في عملية توزيع للأدوار يعهد فيها اليهم بالأعمال التي لاتتناسب مع مكانته أو مشاغله . والصورة ، التي يتخيلها البعض ، في أنظمة الحكم التسلطية ، عن حاكم خير يحيط به معاونون أشرار هي ، ببساطة ، صورة تتنافر أجزاؤها ويستحيل أن تتجمع عناصرها ، اذ أن السلطة المطلقة للحاكم تحتم عليه الا يعمل الا من خلال أشباهه أو المتكاملين معه . ولوجاز للمرء أن يحور كلمات حكمة شائعة ، فنقف في هذا الصدد: «قل لي من يعاونك ، أقل لك من أنت ! » .

والنظرة الواقعية الى الأمور تثبت أن الحاكم المتسلط كثيرا « ما يعرف » كل شيء عن معاونيه المحيطين به ، وعن جرائمهم التي تسمى في لغتنا التي اعتادت التهذيب المنافق « انحرافات » أو حتى « تجاوزات » ، ولكنه يغض الطرف عنهم ماداموا يسايرونه ويخدمون أهدافه . أما اذا خالفوا أوامره فان الملفات المحفوظة تخرج من الأدراج ، وتبدأ الفضائح . وهكذا فان الحاكم هنا « يعرف » ، ولكنه لايستخدم معرفته لمنع الضرر عن الشعب ، بل يوظفها من أجل احكام سيطرته وضمان طاعة معاونيه ، أي من أجل تحقيق مصالحه الخاصة في نهاية الأمر .

ولكن ، لنفرض جدلا أنه لم يكن يعرف ، فهل يعفيه هذا من المسئولية ؟ هذا هو السؤال الأكبر ، الذي يجيب عنه التفكير السياسي الساذج بالايجاب . ولكن حقيقة الأمر هي ان الحاكم مسئول عن عدم معرفته ، ومن ثم فهو مسئول عن كل مايترتب على ذلك من أضرار .

● أسطورتان .. عن الحاكم والأعوان

ان نظم الحكم التسلطية تضع أساليب لتوصيل المعلومات الى الحاكم تؤدي حتما الى التشويه والانحراف . فمعرفة الحاكم بأوضاع البلاد لاتتم الا من خلال تقارير المعاونين والمحيطين ، والأجهزة السرية والأمنية . وهكذا يقضي النظام الفردي الدكتاتوري على الحاكم بأن يعيش حبيس جدران ارهابه ، وهي جدران صماء ، نوافذها الوحيدة التي توصلها الى العالم الرحب الفسيح هي التقارير السرية ، التي يضعها المعاونون . هذا هو النظام الذي وضعه هو ، ارتضاه ، وارتاح الى العمل به ، ومن ثم فهو مسئول عما يترتب عليه مسئولية كاملة . ولقد كان في وسعه ، لو شاء ، أن يفتح الأبواب والنوافذ على مصاريعها ، عن طريق السماح بحرية الكلام والنقد والمعارضة ، وعندئذ يستطيع أن « يعرف » كل مايدور حوله بالطرق والقنوات الطبيعية ، من صحافة حرة واجتماعات حزبية ولقاءات مع المعرفة الشوهاء ، بمحض ارادته ، فكيف تدافع عنه بعد ذلك بحجة أنه لم يكن يعرف ؟

هل سمعتم يوما عن حاكم لدولة ديمقراطية اعتذر عن أخطاء حدثت في حكمه على أساس أنه لم يكن يعرف ، وهل سمعتم عن شعب في دولة ديمقراطية اقتنع يوما بمثل هذا العذر ؟ ان النظام الديمقراطي يفترض في الحاكم أن يعرف ، وأن يضع من ضمانات الحرية ومن نظم توصيل المعلومات مايضمن له معرفة طبيعية منتظمة بما يدور حوله من ايجابيات وسلبيات . فاذا تبين يوما ما أن تقصيره في معرفة مايحدث قد ترتبت عليه نتائج خطيرة ، وجب عليه أن يتنحى على الفور ، ويترك الحكم لمن هو أقدر منه .

لقد قيل عن شاه ايران انه لم يكن يصدق ماكان يجري من مظاهرات عارمة في بلاده خلال الشهور الأخيرة من حكمه . وقيل انه عندما سمع بوجود معارضة قوية أرسل خادمه العجوز ليستطلع مايجري في الشوارع ، بعد ان تزعزعت ثقته في التقارير التي كان يرفعها اليه « السافاك » . وحين قام بجولة بالطائرة الهليكوبتر ووجد في الشوارع مظاهرات عارمة ، سأل طياره بدهشة : « هل هؤلاء الناس يتظاهرون ضدي ؟ » (انظر : محمد حسنين هيكل : « مدافع آيات الله » المقال رقم ١١ - جريدة الوطن الكويتية في ٢/١١/١٩٨١) .

تأمل معي ، أيها القارىء ، كم من الدلالات والعبر توجد في هذه السطور القليلة : قنوات التوصيل الطبيعية ، في نظر الحاكم الفرد ، هي تقارير أجهزة المخابرات (السافاك) . واذا فقد الحاكم الثقة في هذه التقارير فانه يرسل « خادمه العجوز » لكي يعرف من خلاله نبض الشارع ، ومدى استياء الشعب . واذا لم



يفلح هذا ولاذاك فانه يطير بالهليكوبتر ، رمز الاستعلاء والنظر الى الأرض التي يعيش عليها الناس نظرة فوقية مترفعة ، تضمن عدم الاحتكاك بالجماهير أو الاقتراب من مشاعرهم اقترابا مباشرا . ومن سماء الهليكوبتر الأثيرية يحاول الحاكم الفرد ان يتأمل مايحدث على الأرض ، ولكنه يظل طوال الوقت « محلقا » ، تفصله عن أحاسيس الناس طبقات وطبقات .

وأخيرا ، وبعد سنوات طويلة من المعرفة المشوهة التي تأتي عن غير قنوات المعلومات الطبيعية ، وبعد ان أفلت الزمام ووقع الحاكم الفرد في شراك أخطائه ، يأتي السؤال المأساوي : « هل كل هؤلاء يتظاهرون ضدي ؟ » انه نفس سؤال القيصر « نيقولا » الذي بدأنا به هذا المقال : « لماذا لم تقولوا لي ؟ » ، وهو نفس سؤال كل حاكم متسلط يضع هو ذاته النظام الذي يحجب عنه معرفة الواقع ويمارس من خلاله كل ضروب القمع والارهاب ، وفي النهاية يتضح أنه كان يمارس طغيانه هذا على نفسه مثلما مارسه على الآخرين ، وتتكشف الحقيقة بوضوح عندما يردد هو ذاته في النهاية ـ دائما في النهاية ـ أسطورة الحاكم الذي لايعرف .

القضية سلطة الفرد المطلقة

وعلى هذا النحو تتكشف طبيعة الصيغة الأخرى لهذه الأسطورة ، التي يكون فيها الحاكم عارفا ولكنه « لايقدر » . ذلك لأن الحاكم الفرد هو الذي ارتضى نظاما من شأنه أن يكون الحكم صراعا للقوى ، يتحقق في نهايته توازن يفرض على الحاكم أن يرضي هذه القوة بمركز للنفوذ ، ويسكت تلك القوة بالتغاضي عن جرائمها ، ويهدىء قوة ثالثة باعطائها حق التصرف في ميدانها بلا حساب . « النظام » الذي وضعه الحاكم هنا هو الذي جعل من الحكم غابة يتصارع فيها الوحوش ، ولايعيشون معا في هدوء إلا لأن كلا منهم قد أكل وشبع . فهل يحق لملك الوحوش ، في مثل هذه الحالة ، أن يعتذر أمام ضحايا الغابة بأنه كان يعرف وحشية النمور والفهود ، ولكنه كان مضطرا الى ترك الضحايا لها حتى تشبع وتهدأ وتدعه يحكم في سلام ؟

أما الأسطورة الأخرى ، أسطورة التابع المغلوب على أمره ، لأن الحاكم يمسك بيده زمام كل شيء ولا يريد أن يتنازل ، فهي بدورها ظاهرة لاتقوم الا في ظل نظام تسلطي يجعل من التابعين أذنابا طائعين ، أو شهودا صامتين . وأبسط فهم لطبيعة المشاركة في عملية الحكم يقنعنا بأن التابع يظل مسئولا ، حتى لو كان يقف متفرجا ولا يشارك في الجرائم أو الانحرافات ، لمجرد أنه قبل البقاء في السلطة . ففي الأنظمة التي تعترف بسلطة الشعب ، يتعين على المرءوس ـ وخاصة اذا كان في موقع المسئولية ـ أن يتخلى عن مكانه فورا اذا لم يقتنع بممارسات رئيسه .

لقد لجأ المحيطون بهتلر جميعا ، في محاكمات نورمبرج ، التي أجريت بعد الحرب العالمية الثانية واندحار النازية ، الى أسطورة « الحاكم الذي لايتنازل » ، ودافعوا عن أنفسهم بأن هتلر كان يتخذ كافة القرارات ، ولم يكن يترك لهم سوى التنفيذ . ولكن المحكمة ـ وهي محكمة ضمير عالمية ـ أدانتهم ، وقضت على رءوسهم بالاعدام ، لأن مجرد قبول المشاركة في حكم مايعني الموافقة على جميع ممارساته .

ان الأسطورتين ، برغم تناقضهما الظاهري ، تفترضان أن الحاكم يمارس حكمه بسلطة فردية مطلقة ، اما عن طريق اختياره للأعوان ولأساليب توصيل المعلومات في الحالة الأولى ، واما عن طريق امساك كل الخيوط في يديه مباشرة في الحالة الثانية . وأقل وعي سياسي ، وأبسط فهم لطبيعة المشاركة في الحكم ، يحتم علينا أن نكف عن التماس العذر للحاكم الفرد بحجة أنه لم يكن يعرف الأخطاء ، وأن المحيطين به هم الذين ارتكبوها ، أو تبرير سلبية التابع بحجة أن الحاكم كان يرفض أن يتنازل عن شيء .

ان ذيوع هذه الأساطير ، بين جموع شعبية هائلة ، انما يعكس قصور الوعي السياسي ، الذي هو حصيلة عقود غير قليلة من الحكم الفردي التسلطي . وهو يكشف بوضوح عن نسيان الانسان العادي ، في أحيان كثيرة ، لأبسط مبادىء الديمقراطية ، ومعنى مسئولية الحكم ـ وهو نسيان لايمكن أن يعد هذا الانسان ذاته مسئولا عنه ، وانما هو نتيجة تربية سياسية تراكمت أخطاؤها على مدى عشرات السنين . وكل مايهدف اليه هذا المقال هو القاء الضوء على بعض مفاهيم الفكر السياسي وايضاح لبعض الجوانب المجهولة في معنى الديمقراطية . ومن هنا فاني لا أود أن اختتم مقالي هذا الا بعد أن أوجه الى القارىء العربي تنبيها مماثلا لما نجده في مقدمة بعض القصص والأفلام التي هي عادة أقرب من غيرها الى التعبير عن حقائق الواقع المرير . هذا التنبيه هو أن أي تشابه قد يجده القارىء بين مضمون هذا المقال وبين حالة هذا البلد العربي أو ذاك ، لم يأت الا بمحض الصدفة !

د . فؤاد زكريا

بين السبت والأحد*

للدكتور حسان حتحوت

جمعت صدفة من الصدفات بنقيضين في جميع الصفات
ذاك كهل لا يستقيم وهذا مستقيم القوام صلب القناة
كوكب مشرق تلالأ نورا التقى غاربا الى الظلمات
همس الشيخ يا بني أعنيّ فلقد فلّت السنون شباتي
خذ بيدي أعبر الطريق فإني معتم الطرف زائغ الخطوات
وزكاة الشباب عونك للشيخ فلا تغف عن اداء الزكاة
قبس منك يا بني بديل عن افول المصباح في مشكاتي
واتكائي عليك يرفع نير السّنّ حتى تفك اسري وفاتي
فتوقف وأعط سمحا ولا تندم على ما بذلت من لحظات
ثم يمم الى هنالك يلقو ك بعطر الورود والبسمات
وتحس جيبا به خاتم الخطبة اعددته لزين البنات
لم يفتني ميعادك الحلو والآ مال تهفو لأمتع الحفلات
فأنا عالم بوجهتك الآ ن وما بعدها من الخطوات
عقدت دهشة لسان الفتى حتى احالت كلامه نظرات
ايها الشيخ كيف تعلم عن فكري وعن نيتي ودرب حياتي
قال فانظر الي يا بني مليا ثم حقق في صفحة المرآة
ليس فيها رويت غيب وسحر فأنا انت لي الزمان الاتي

---

* بمناسبة انتهاء عام المسنين

صوت من الماضي

بقلم : عبد الله زكريا الانصاري

يقول الشاعر العربي القديم :-

إذا همَّ ألقَى بين عينيهِ عزمَه
ونكّبَ عن ذكرِ العواقبِ جانبا
ولم يستشر في رأيه غيرَ نفسه
ولم يرضَ إلا قائمَ السيفِ صاحبا

هذا هو الشاعر يصور حياة العربي على حقيقتها ، إنه شجاع مقدام ، لايهاب الموت ، ولا يتشبث بالحياة إلا بقدر ما توفر له من حرية وكرامة ، يأبى الضيم ، ويأنف الذل ، ويزدرى النفاق ، ولا يتحمل الاهانة ، مهما كانت ، ومن أية جهة أتت ، ولو من ملك عظيم . يحارب الظلم ، ويلقي نفسه في أتون الحرب إن دعاه الداعي ، وداعي الحرب هو هذه الأمور مجتمعة أو فرادى .

يقول المتنبي العظيم :

لا يسلمُ الشرفُ الرفيعُ من الأذى
حتى يُراقَ على جوانبه الدمُ

والشرف الرفيع هو هذا الذى جعل العربي يقتحم كل الأخطار ، ولا يبالي بالعواقب ، وما هي العواقب التى يبالي بها ؟ إنها لا تزيد عن حياة الذل والعبودية والاضطهاد ، فهل يرضى العربي الحر بها ؟ بل إن الانسان الحر العاقل هو الذي ينكب عن ذكر العواقب جانبا وهو في معمعان الذود عن الكرامة وعن الشرف ، ذلك أن الذين يخافون العواقب وهم في معمعان الذود عن الشرف والكرامة لا يحققون النصر ، وقد يستسلمون والاستسلام هو الهزيمة بعينها ، وهو الانحدار الذى لا يعقب إلا الذل والعار والدمار . الماضي يعطينا عبرا ومواعظ ، ويرسم لنا طريق الحياة اللاحب السليم ، والشاعر يصور هذه العبر بأسلوب مشرق ، وبحروف بارزة ، وكلمات ناطقة . وشعر قوي الحركة ، بالغ الحيوية ، شديد الحرارة ، إنه ماض يعج به التراث ، وتمتلىء به كتب الأدب ويسجله التاريخ بأحرف من نور مشعة مضيئة ساطعة .

إن نظرة عميقة إلى هذين البيتين ، ترينا كيف كان العربي يعالج أموره بنفسه إذا لم يجد أمامه مسلكا يسلكه لرد الأذى عنه وعن عشيرته وقومه ، واذا لم يجد مناصا من إراقة الدماء على جوانب شرفه الرفيع ، وعلى كرامته وحريته ، وليس هناك مساومة أمام حرية الانسان وكرامته وشرفه الرفيع ، ولا مجال أمامه في هذا الحال في التردد ، واستشارة الآخرين ، الذين قد لايؤمنون بالحرية بقدر إيمانه بها ، واعتزازه بشرفه وكرامته .

أما الذين ينظرون إلى هذين البيتين نظرة سطحيه ، فيقولون إنها وحي عاطفة جامحة ، فكيف يجوز للانسان أن يقتحم الخطوب ولايحسب للعواقب حسابها ؟ وكيف يجوزله أيضا أن لا يستشير إلانفسه ، ولا يستشير أهل الفكر والعقل ؟

هؤلاء هم الذين لاينفذون بأفكارهم إلى لب الموضوع ، ولا يبصرون ببصائرهم عواقب العواقب التي لا يحسبون حسابها ، والعواقب التي تأخذ لبابهم هي المصالح التي تتغلب على الكرامة ، وتستهين بالشرف ، ولا تؤمن بحرية الانسان ، ذلك الايمان الراسخ المتين .

كم في الحياة من مفارقات ، وكم فيها من أمور تدعو للحيرة والعجب ، والعربي في حريته التي يتشبث بها في حياته حسم هذه الحيرة ، ولم يترك للآخرين أي عجب ، وبت بالمفارقات ولم يدعها تفسد حياته .

العربي هذا هو العربي الذي نقرأ اليوم تاريخه ، وتاريخ حياته ، وممارسة أموره اليوميه ، ومعاملته مع أعدائه حتى ولوكان عدوه نفسه ، فهو في حرب مع نفسه إن وقفت حائلا دون حريته وكرامته ، بل لعله يهم همة قوية ليقضي عليها إن لم يَرْبدًا من ذلك ، وإذا ما تعذر عليه إبقاؤها في حالة عز وكرامة ، وهو يرى أنه في هذا الحال انتصر على عدوه الذي هو نفسه ، وثأر لحريته ، وانتقم لكرامته . أي أنه بالمعنى الواضح العريض يفضل الموت على الحياة ، إذا كانت حياة ذليلة ، مسلوبة الكرامة ، مهانة الشرف ، منتقصة أمام الآخرين .

فهل أخذ العربي اليوم من الحياة ما أخذه عربي الأمس ؟ وهل استفاد من تاريخه في تقويم نفسه ، وتقويم حياته اليومية واشباعها بلبان المقومات الخالية من كل انحراف ، والبعيدة عن الشوائب ؟ وما هي الأسباب والمسببات التي جعلت الفرد العربي ينطوي على نفسه في حال يختلف عن حال آبائه وأجداده ؟ بل علينا أن نتساءل ، هل حقا أن الفرد العربي اليوم اختلف عن الفرد العربي بالأمس ؟ أم أن هناك أمورا اختلفت وفرضت عليه هذا النمط من العيش ، وهذا المستوى من التفكير ، وهذا النوع من الحياة التابعة الوادعة الذليلة ؟

قد يقول قائل ان حياة العربي في الماضي أشبه بحياة البداوة . وحياة البداوة منطلقة من قيود كثيرة لا تحد من حركتها ، ولا تقيد حريتها ، بينما حياة الحضر مقيدة ، محددة في حركتها وحريتها ، لكن هل نؤمن بمثل هذا القول ، وهل نسلم بوجاهته ؟ اننا لابد أن نرفض مثل هذا القول ، فالكرامة والحرية والشرف ، لا تختلف في حياة الحضر عنها في حياة البداوة ، فالانسان لابد أن يحافظ على هذه المميزات في حياته ، وان فقدها فقد قيمة حياته الانسانية ، وهذا حال لا يرضاه إلا المغلوب على أمره ، والمهزوم في نفسيته ، والدليل أننا نشاهد في هذا العصر الذي نعيشه أفرادا وأمما لا يبالون بالعواقب إذا ما رأوا حريتهم وكرامتهم وشرفهم تتعرض للأخطار ، ولا يحسبون حسابا للقيود التي يتحدث عنها القائل ، بل نراهم يضحون بمدنهم ومنشآتهم ومصانعهم ، ويعرضونها للدمار والخراب في سبيل الحفاظ على الحرية والكرامة ويقولون مثل ما قاله الشاعر العربي القديم :

إذا همَّ ألقَى بين عينيه عزمه
ونكّب عن ذكر العواقب جانبا
ولم يستشر في رأيه غير نفسه
ولم يرض الا قائم السيف صاحبا

واذا كانت أداة العربي هي السيف في الماضي ،فإن الأداة اليوم هي المدفع والدبابة والطائرة ، بل والصواريخ التي تحمل رؤوسا نووية .

إن الحرية والكرامة هما أساس الحياة وقوامها ، وبدونها تصبح الحياة فراغا في فراغ ، وهذا ما دعا الفرد والأمم أن تضحي بكل شيء في سبيلها وقد تسأل إذن علام العربي يصيح ويضج ويمتنع عن تعريض ممتلكاته اليوم ومنشآته للأخطار ، وفي نفس الوقت يضحي بحريته وبكرامته وبشرفه في سبيل المحافظة على منشآته وممتلكاته ؟

إن سألت هذا السؤال قلت لك ان في الأمر شيئا ، وأن الفرد العربي مازال يتحسس ويستشف ، ويتألم أيضا للحال الذي وقع فيها ، أو الحال الذي أوقع فيها ، أي أنه أصبح مسيرا لا مخيرا وهو يرى المصائب تنصب عليه انصبابا ، ويرى الاهانات تُوَجّه إليه من أعدائه ويجد نفسه غير قادر على عمل شيء ذي بال ، ويبصر بذويه وأهل بيته المتنفذين عليه يقبلون بهزيمة النفس ، وذل الأعداء ، ولا تحركهم الاهانات الموجهة إليهم ،بل إنه يبصرهم يبصبصون للأعداء ويسترضونهم ولايجرأون على الوقوف امامهم وقفة شرف وكرامة ، ومع ذلك يعملون على جره إليهم ، وإرغامه على السير في ركابهم في هذا الطريق المحفوف بكل المخاطر ، ويحاولون غسل مخه لتقبل الهزيمة كما تقبلوها ، والتسليم للعدو كما سلموا ، كل ذلك في سبيل المحافظة على المميزات التي يتمتعون بها وحدهم ، وهو يدرك بايمانه البعيد عن المغريات ، بأنهم إنما يسعون إلى حتفهم الذي يؤدي إلى حتفه ، أي حتف الأمة كلها وما علموا أنهم ضحايا لهذه المميزات التي سيأتي

اليوم الذي يؤدي بالأعداء إلى سحبها من تحت أقدامهم ، ومن ثم تعريتهم ، ثم القضاء عليهم ، ثم الاستيلاء على كل المميزات التي يستمتعون بها وحدهم اليوم .

إن الفرد العربي وهو يعيش اليوم واقعه المؤلم الذي قاده إليه حفنة من قادته وأهله وذويه ، لازال يتطلع إلى رد ما استلبه منه قادته وذووه وأهله ، وأي شيء يساوي الحرية في حياته ؟ وما هي قيمة الحياة بدون حرية ؟

إن العربي في قبره مازال صوته ينطلق من الماضي قويا معبرا مناديا بالحياة الحرة الشريفة ، والعربي اليوم مازال يردد صوت شاعره الذي كان يتغنى بالحرية ويبذل في سبيلها النفس والنفيس ، ومازال يتغنى بأغنيته التي حفرها على صفحات الزمن . يتغنى بها ولا يبالي بما يفعل به قادته ، وذووه وأهله ، الذين غرتهم الحياة وفتنتهم بزينتها ، والذين أخذوا كل شيء منها ولم يتركوا له إلا الذل والهوان . .

إن الذل والهوان كما يعرفهما العربي المتململ اليوم والمتطلع إلى حياة الحرية ، هما الحياة التي يحياها الحفنة من قادته ، وهما الفتنة التي غرتهم بزينتها ، وهو اذ يقبع مجردا من كل سلاح ، فإنما يرقب ما تسفر عنه الأحداث الحبلى بالعجائب والمفاجآت . إنه منطو على نفسه التي تغلي ويتفاعل في داخلها الغيظ والألم حتى تحين ساعة الانفجار فتنفجر وتدمر كل شيء باطل لتبنى على أنقاضه البناء القوي المتين المحصن بالحرية والقائم على ركائز الشرف والكرامة ، وحينئذ يتغنى بأغنية شاعره العربي القديم :

إذا همّ ألقى بين عينيه عزمه
ونكّب عن ذكر العواقب جانبا
ولم يستشر في رأيه غير نفسه
ولم يرض إلا قائم السيف صاحبا

○

عبد الله زكريا الانصاري

مـــا الحيـــاة ؟

● سئل مارك توين : ما الحياة ؟

فقال : الحياة صورة اذا عرفنا كيف نرى الوجه الجميل فيها فقد عشنا ، واذا لم نره ، فخير لنا أن نبحث لانفسنا عن حياة أخرى في كوكب آخر !

نوبة نـــدم !

● قال برناردشو : أنا لست عدوا للمرأة كما يزعمون . . كل ما في الأمر أن « شكلي » لم يكن يعجب النساء كثيرا . . وعندما كنت أحس بما تقوله نظراتهن كنت أبتعد . . ومن موقعي الجديد في هذا البعد كنت أهاجم المرأة أحيانا ثم لا ألبث أن اعتذر لها . . وفي احدي نوبات « الندم » التي كانت تنتابني بعد كل مرة أوجه فيها حرابي اليها ، عرفت شارلوت واحببتها وتزوجتها وكتبت « قيصر وكليوباترا » . . أبعد هذا تسمونني « عدو المرأة » !

خمسة معوقات تهدد باغتيال المستقبل العربي

بقلم الدكتور أحمد كمال أبوالمجد

منذ شهد الفكر القومى مده الكبير فى عالمنا العربى مع انتصاف هذا القرن العشرين والحديث لا ينقطع عن الثقافة العربية المشتركة التى تخلق الشعور بالانتماء المتبادل بين أبناء الأمة العربية .. وتجاوز الأمر مرحلة الحديث المرسل عن أهمية تلك الثقافة .. لتبدأ مرحلة أخرى - لا تزال قائمة - من العمل المنظم للمحافظة على « الهوية الثقافية » للأمة العربية .. ومن الجهود المتصلة للتعرف على التراث العربى والاسلامى ، وتوثيقه وتحقيقه ، ثم توظيفه لخدمة أهداف الأمة العربية فى اصلاح حاضرها وتدارك مافاتها ، وتحقيق انبعاث ثقافى تستأنف به عطاءها الموصول للحضارة الانسانية ..

ولا أريد هنا أن أخوض فى تحديد المقصود بالثقافة ، أو تحديد المضامين الاساسية التى تتفرد بها الثقافة العربية .. والوسائل العملية للمحافظة على عناصر تميزها الذاتى ، والانطلاق بها فى عملية نمو عضوى تجدد به نفسها ، دون أن تتردى فى مأزق الجمود والانغلاق ، أو تنزلق الى الضياع والفناء فى « حضارة الآخرين » .. فلذلك كله - على أهميته الكبيرة - موضعه المناسب فى غير هذه الصفحات ..

وإنما الدعوى التى أدعيها أن مسيرتنا على هذا الطريق بشقيه ، تحديد الهوية ، والانطلاق على طريق مرسوم ، تواجه أزمة حقيقية .. وأن ظواهر هذه الأزمة تتمثل فى



معوقات رئيسية تكاد تلازم منهجنا في التفكير .. ولن يبلغ بي الطموح أن أتصدى ـ في مقال واحد ـ للبحث عن أسباب نشأة هذه المعوقات .. ووسائل الخلاص منها .. وانما حسبي أن أشير اليها في صراحة ووضوح .. لعل في هذه الاشارة ما يحفز الى تسليط الأضواء عليها وادارة الحوار حولها ، وايجاد الحافز للتخلص منها والوعي بالمشاكل ـ على أي حال ـ هو أول الخطى على طريق الخلاص منها ..

المعوق الأول : تبسيط التجارب

ان كثيرا من مثقفينا ، والمتصدين لمناقشة حياتنا الثقافية ، واتخاذ المواقف في أخصر جوانب حياتنا الحضارية يميلون ميلا جامحا الى « تبسيط » التجارب الثقافية والحضارية .. لنا ولغيرنا .. ويتجهون الى تصور الحياة كلها تصورا « مقولبا » جاهزا .. أو « معلبا » كما تقول .. فالتراث ـ على سبيل المثال ـ ينظر اليه ، عبر مكوناته المختلفة ، وعبر امتداده الزمني العميق .. كما لو كان « شيئا » واحدا ، أو « معطى » جاهزا .. موجودا هناك .. في مكان ما .. وكل ما يحتاجه منا هو أن « تكشف عنه الغطاء .. » ، وتنفض عنه الغبار كما يقول الكثيرون .. ثم نمد أيدينا « فنأخذه » أخذا .. أو نرفضه ، فنتكره ونشيح بوجوهنا عنه ، ثم نبحث عن غيره .. ان من عجائب نظرتنا الى التراث أننا في عملية « التعليب » هذه تسقط جميع الأبعاد التي من شأنها أن تزود تراثنا بمعناه الحقيقي وقيمته التاريخية أو المعاصرة .. اننا على سبيل المثال نستل منه حتى عنصر التتابع الزمني الذي يؤكد فيه معنى التطور والنمو .. ففي وجداننا يعيش عمر ابن الخطاب وعمر بن عبد العزيز وطارق بن زياد وصلاح الدين جنبا الى جنب كما لو كانوا أبناء جيل واحد وبلد واحد .. كما يعيش امرؤ القيس والمتنبي وشوقي وطه حسين بدورهم جنبا الى جنب ، لأن « التعليب » جردهم من زمانهم ومكانهم وظروفهم وحولهم الى شخوص رمزية في منظومة تراثية واحدة صنعها خيالنا التاريخي .

وليس هذا الاسلوب مقصورا على التعامل مع « التراث » (كما يتصور البعض) ولا هو بالضرورة جزء من منهج « الرجوع » الى الماضي وحده .. بل اننا كثيرا ما نقف من حضارات الآخرين نفس الموقف .. فنحن نتحدث على سبيل المثال ، عن « الحضارة الغربية » كما لو كانت هي الأخرى كيانا واحدا معلبا .. نتجاهل في تصورنا له ، اختلافات المكان .. وتنوع المكونات ، وامتداد الزمن وتعاقب عصوره .. ناسين على سبيل المثال أن الحضارة الغربية التي قدمت محاكم التفتيش ، وظلامات العصور الوسطى ، ووحشية حروب الابادة ، ومظالم استعمار الشعوب واستغلالها .. هي التي قدمت الموجات المتلاحقة من تيارات التنوير العقلي ، وضمانات حرية الانسان ، وديمقراطية الحكم ، وفنون الابداع الجمالي .. وفي ظلها تابع الانسان مسيرته الموفقة للسيطرة على الطبيعة بسلطان العقل والمعرفة والعمل المتواصل .. ومع ذلك كله تظل تلك الحضارة ، في عقل الكثيرين منا ووجدانهم « معطى » واحدا ثابتا لايتغير ولا يختلف .. ويظل السؤال العقيم مطروحا على الفكر العربي « هل نأخذ بالحضارة الغربية أم نرفضها ؟؟ .. »

ويمتد منهج « التعليب » الى المذاهب السياسية والاجتماعية ، والى الحلول البديلة التي يدافع عنها أنصارها .. فالذين يطالبون ـ على سبيل المثال ـ بالعودة الى الاسلام ، وتطبيق الشريعة الاسلامية ، يتصورونها هي الأخرى كيانا ثابتا جاهزا معدا للتطبيق الفوري الكامل ، ولايمتد خيال كثير منهم لرؤية العمليات الاجتهادية العديدة التي لابد أن تصاحب تطبيق مبادىء الشريعة على واقع متغير متطور ، وعلى علاقات لم يكن لبعضها أشباه في عهد نشأة الفقه الاسلامي وتطوره والذين ينادون بتطبيق مذهب او نظام سياسي أو اقتصادي عرفوه في الغرب أو الشرق .. ينظرون اليه بدورهم من خلال منظار التعليب الذي يرى في تلك النظم كيانات نهائية ثابتة .. ويتجاهل ما يقوم بين مؤسسيها وأتباعها من خلافات في التصور والتفسير والفهم .. كما يتجاهل ما تتعرض له النظم في تطبيقها .. وفي نقلها من بيئتها من تغيير وتبديل في كثير من مكوناتها ، ان من الأسباب الرئيسية لهذا الميل نحو « تعليب » الظواهر « وتثبيتها » ، احساس داخلي بالعجز عن مواجهة تحديات الحاضر مواجهة جديدة تقوم على استكناه التراث باعتباره ذاكرة « الذات الحضارية » وسجل رصيدها ..

ثم تحليل قيم هذه الحضارة ، وتحديد ما ينفع منها وما لا ينفع ، ثم معرفة الواقع القائم ، معرفة احاطة بالدقائق ..

وأخيرا صياغة منهج حركة الى المستقبل .. يوظف التراث كما يوظف معطيات الحاضر المحلي والعالمي لخدمة أهداف الحضارة ..

(ان الاحساس بتعقيد هذا المنهج ، وصعوبة

ممارسته ، هو الذي يغري بالاتجاه الى « الحلول » الجاهزة ، كما يغري أحيانا بالاصرار على أن تلك الحلول لا تقبل التطعيم بغيرها .. وهو اصرار قد يصدر بدوره عن رغبة خفية في تجنب أعباء ومشقات عمليات التطعيم والتوفيق بين معطيات الثقافات المختلفة ..)

المعوق الثاني : أحادية التفكير

ان العلاقة بين بعض مكونات « الحضارة العربية المعاصرة » ، كما تقوم في فكر ووجدان العربي المعاصر ، علاقة صراع وخصومة لا علاقة تنوع واثراء متبادل .. والجيل المعاصر مشغول بهذه الصراعات ، مشدود اليها ، مذهول بها عن قضاياه الحقيقية ومشاكله الملحة .. ان ما نسميه « الحضارة العربية المعاصرة » هو نتاج مركب ساهمت في صنعه شعوب عربية متعددة ، وأجيال عربية متعاقبة .. كما اتصل في عصوره المختلفة بثقافات وحضارات شعوب أخرى أخذ منها كما أعطاها .. وفي أفكارنا العربية القائمة آثار عديدة لذلك كله تتمثل في اختلاف اللهجات ، واختلاف بعض العادات ، وتنوع صور الابداع في شتى جوانب النتاج الحضاري ..

وقد كان يمكن لهذا التنوع الطبيعي أن يكون مصدر ثراء يستلهمه الجيل العربي المعاصر وهو يتوجه للقاء مستقبله بكل ما يحمله من تحديات ومهمات وآمال .. ولكن هذا الجيل انقسم على نفسه .. فانحاز فريق منه لبعض مكونات ثقافته وانحاز غيره لبعضها الآخر .. حتى ان ثقافتنا المعاصرة لا تزال حبيسة حروبها الأهلية الداخلية التي يمتد بعضها قرونا .. ولا نرى لبعضها الآخر نهاية منظورة .. هناك المتحازون للماضي على اختلاف عصوره ، وعلى تنوع ما وصل الينا من محتواه الثقافي .. وهناك المتحازون للحاضر وحده .. الرافضون - في اصرار مطلق - لكل ما تركه لنا الماضون عبر الزمان المتحرك .. ومن غرائب سلوكنا الحضاري أن كثيرا من مثقفينا يصرون على هذه « الواحدية » في علاقتهم مع الزمان .. (فمنهم من تشده الى الماضي كل وشائج المودة والرضا والالتزام .. ثم هو يريد بعد ذلك أن يحمل هذا الماضي بأثقاله كلها على كتفيه وأن يفرضه - هكذا - فرضا على الحاضر والمستقبل جميعا .. ومنا من يختلج كيانه كله غضبا وكراهية اذا ذكر الماضي وأهله وتجاربه .. كأنما هو قادر على أن يخوض رحلته الى المستقبل « منقطعا » عن جذوره وأصوله ورصيده كله) .. ان هذه « الواحدية » في علاقتنا بالزمان تحتاج - ولا شك - الى تفسير ..

ولكنها - فيما أرى - قائمة في حياتنا الثقافية كلها حتى صارت المقابلة بين « السلفية » و« التجديد » مقابلة بين شقي الأمة في انحيازهما الغريب لهذين البعدين من أبعاد الزمان .

ومن هذه المواقف الحدية المتصلة بمصادر الثقافة تتبع مواقف أخرى من بعض عناصر الحياة الثقافية ..

فالغناء .. والرسم .. والنحت .. والتصوير .. والموسيقى لا تزال موضعا لجدل طويل .. وحروب باردة وساخنة بين أنصار يدافعون عنها .. وخصوم يحاربونها انطلاقا من رؤية دينية صارمة ..

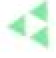
ان الخطر الحقيقي في هذا الصراع يكمن في أمرين ..

أولهما .. أنه يحول دون تكوين « اتفاق اجتماعي »حول العديد من القيم الاساسية التي تتناول الحياة اليومية للجيل كله .. وفي هذا ما فيه من تمزيق لوحدة النفس .. ووحدة المجتمع على السواء .. وهو تمزيق يصيب « الهوية الثقافية » بالقلق والتذبذب والغموض ..

الثاني .. أنه يستغرق العقول والنفوس ويصرفها التوجه للقضايا الكبرى التي يتوقف عليها مستقبل الحضارة العربية كلها .. ان المعوقات التي نتحدث عنها تتحول الى كارثة حقيقية حين تحول الجيل كله الى جيل يجتر مشاكله ، ويدور حول نفسه ولا يحرث - حين يحرث - الا في البحر .. ان تصفية هذه المعوقات - فيما نؤمن به - ينبغي أن تكون المهمة المقدسة لرواد الثقافة والفكر .. وبغيرها .. سيكون الأمل في اللحاق بالعصر وهما كبيرا .. يبتعد أفقه ولا يقترب ..

المعوق الثالث : غياب الابداع

ذلك أننا أمة مسبوقة في ثقافتنا المعاصرة ولحاقنا بحضارة العصر ضرورة « حياة » .. وبغير الابداع في مجالات العلم والثقافة سيظل مكاننا - في أحسن الفروض - مكان التابع والمقلد .. ومن القول المعاد أن تؤكد العلاقة بين الابداع والحرية .. فالابداع عطاء خيال حر .. وعقل تتفتح له الآفاق وارادة تملك الاختيار .. وواقعنا العربي لا يوفر شيئا من ذلك .. نعم ان حياتنا العملية والثقافية لم تخل أبدا من مبدعين .. ولكنهم « فلتات » فردية تشق طريقها وسط ركام هائل من أنظمة القمع والقهر وتجريم



الابداع والمبدعين .. ولا أتحدث هنا عن الأنظمة السياسية وحدها .. وانما أتحدث عن الأنظمة السياسية والاجتماعية والتربوية .. عن البيت والمدرسة والمصنع والنادي وديوان العمل .. عن «مجتمعات» لاتقبل الا التوافق الكامل مع المجموع، والانصياع المطلق للمسلمات والمقررات والمألوفات .. وتعتبر المخالفة ـ ولو الى الأفضل والأمثل والأجمل ـ هرطقة وخروجا وانشقاقا .. نعم .. ان تراث الانسانية في العلم يصنعه الجهد المنظم الدءوب، وتتصل فيه حلقات ذلك الجهد متنقلة من جيل الى جيل .. ولكن المبدعين ـ لهم مع ذلك مكانهم الرائد في نقل هذا العلم من مرحلة الى مرحلة .. ومن أفق الى أفق جديد .. ولو أنصف الساسة والمربون وعلماء النفس والاجتماع لمضوا ينقبون ويفتشون ـ بحثا عن المواهب الكامنة وراء الحجب .. وطاقات الابداع المكبوتة تحت وطأة قيم لاتشجع الا «الموافقة» و«الانصياع» فهؤلاء «المبدعون المرتقبون» هم رسل جيلنا الى المستقبل .. وأمله المعقود في تعويض سنوات الجمود والخمول والعجز والضياع في حروب الكلمات ..

ان غياب هذا الابداع قد فتح الباب على مصراعيه أمام الرتابة والفجاجة والسطحية .. وجاءت موجات مختلفة الأشكال من الهزات الاجتماعية أوقعت الثقافة في أيدي حفنات قليلة من المتاجرين بها، الخارجين ـ من حيث الفكر والانتماء ـ من قاع المجتمع وأدنى ما فيه .. فسدوا الطرق كلها أمام الانتاج المتميز الرفيع، وروجوا بكل ما أوتوا من قوة ومال ـ لفيض من الأعمال الأدبية والفنية بالغة الهبوط .. لاتحرك فكرا ولا تستثير خيالا .. ولا تخدم قيمة نافعة .. تقتل وقت الجيل ولا تستخدمه .. وتسطح الواقع ولا تجسمه أو تتأمل عناصره .. انها باختصار نتاج تعس يقدمه محرومون من الثقافة .. يستخدمون في تقديمه ـ مع الأسف ـ أرفع أدوات الثقافة وأكثرها تأثيرا وفاعلية ..

المعوق الرابع : الفجوة العلمية

والثقافة العلمية التي أتحدث عنها هنا هي ثقافة الرياضيات والعلوم الطبيعية . هي المعرفة بالقوانين الداخلية للعلوم الاساسية . وبالأنظمة الخاصة لأدوات الحضارة الحديثة في مجالات علوم الطبيعة .. والفضاء .. والكيمياء .. واختزان المعلومات .. وطي المسافات . ان من الحديث المعاد أن ننبه الى الآثار الخطيرة للثورة العلمية والتكنولوجية ذات الحلقات المتصلة على صورة التوازن بين الأمم والشعوب .. ان القيادة في عصرنا والعصور القادمة معقودة ـ بغير نزاع ـ للذين يحوزون هذه المعرفة، ويقدرون على استخدام تلك الأدوات . ولقد تأخر شعبنا العربي طويلا في الالتفات الى هذه الحقيقة . وتأخرت نظمنا التعليمية في أخذها بالحسبان ولا يزال كثير من مثقفينا يتسكعون في أروقة الجدل العقيم حول قضايا لاتنفع .. ذاهلين عن الحقيقة الكبرى التي لا مفر من مواجهتها .. وهي أن استيراد «ثمرات هذه الثورة العلمية والتقنية» قد يكون علامة من علامات الثراء .. ولكنه لن يمنحنا الحق في عضوية هذا النادي .. نادي عصر تنقسم فيه الشعوب على أساس جديد .. ولا يقبل فيه الا الذين أتقنوا لغة هذه الأدوات الحضارية الجديدة، وفهموا قوانينها الداخلية، وصاروا قادرين على صنعها وتطويرها واستخدامها .. أما الذين اختاروا البقاء خارج اسوار هذا النادي الجديد .. فأغلب الظن أن يقضوا بقية عمرهم الحضاري مستقبلين لحضارة الآخرين .. ونفوذهم .. ولن ينفعهم بعد ذلك أن يتغنوا بالتراث .. أو يتحدثوا عن أمجاد .. أو يعرضوا بضاعة ثقافية يتكلم أهل العصر لغة غير لغتها .. ويعيشون قضايا غير قضاياها .. ان الثورة العلمية والتكنولوجية تتحرك وتنطلق بسرعة هائلة تأخذ شكل المتوالية الهندسية ..

ولذلك فان الفجوة بيننا ـ نحن العرب ـ وبين العالم المتقدم .. توشك أن تتسع هي الأخرى بنفس السرعة الهائلة .. وحينئذ يكون الحديث عن عبورها وتجاوزها خيال شعراء .. لا تخطيط علماء ..

المعوق الخامس : غياب الأهداف

ان حركة الفكر الانساني في ميادين الثقافة والحضارة لا يمكن أن توصف بالنمو أو التقدم الا بمقدار اقترابها من أهداف معينة حددها الناس لأنفسهم أو حددت لهم .. بل ان جوهر «المسألة الثقافية» فيما نرى هو تأمين خدمة هذه الغايات من خلال الابداع الفكري والوجدان .. ودون تهويم لا آخر له وراء دراسات أخلاقية وفلسفية تتصل بغايات الوجود الانساني .. تشير ـ في غير مواربة ـ

الى أزمة القيم التى يعيشها عالمنا العربى . . وكما تلتقى فى نسيج مجتمعنا العربى مواريث الثقافة لماض متصل الحلقات مع نتاجات حضارات أخرى وافدة من الغرب أو الشرق . . فان القيم التى تحيا فى نسيج هذا المجتمع هى بدورها خليط من قيم العصور المختلفة ، والحضارات المختلفة . . واذا كان الاسلام - فى عقيدة كاتب هذه السطور - هو المالىء الأكبر لتاريخنا وحاضرنا الثقافى فان مهمة الانسان فى التصور الاسلامى مهمة مزدوجة . . شقها الأول السيطرة على الطبيعة وتعمير الكون بقوانين العلم . . وشقها الثانى ترشيد العلاقات الانسانية بإشاعة العدل ، والحرية ، والسلام ، والاخوة الحميمة بين الناس . .

واذا كان التخلف - بدرجاته المختلفة - يهدد الشق الأول من مهمة الانسان ، فان التقدم المادى - بدرجاته المختلفة - يمكن أن يهدد شقها الثانى . . وفى مجتمعاتنا العربية التي يلتقي فيها الفقر الفاحش بالثراء الفاحش . . . وحيث يستقر التخلف الشديد جنبا الى جنب مع ومضات قليلة من التقدم الشديد . . تحتاج الثقافة التي نبنيها الى نوعين من القيم . .

قيم الحركة والنمو والتقدم المادى ، وقيم الرشد الحافظة لنوعية العلاقات ونوعية الحياة كلها . .

والفكر الذى لا يخدم قيم العمل ، واحترام الوقت ، واتقان الأداء ، والاعتماد على المنهج العقلى النقدى . . فكر متخلف . . لايخدم الثقافة . . ولا يعين على تحقيق مهام اللحاق . .

وكذلك فان الانتاج الثقافى الذى يسقط من حسابه قضايا الحرية ، والعدل ، واشاعة الأخوة بين الناس فكر يهدد الحضارة فى صميمها . . ويسقط من حركة الثقافة والتنمية عنصر الرشد الذى هو معيارها وركنها الركين . .

وبعد . . فليس هذا حديثا مرسلا من أحاديث الثقافة التى تمتلىء بها أروقة الفكر والمفكرين فى عالمنا العربى . ولكنه نداء وصرخة . . يدفع اليها احساس بأن هذه المعوقات الخمسة هى أسلحة جريمة « الاغتيال » التى يتعرض لها مستقبلنا كله . . الفكرى والسياسى والحضارى على السواء .

○

د . أحمد كمال أبو المجد

فولتير على فراش المرض !

● الفيلسوف والكاتب الفرنسي الكبير فولتير الذي مهدت كتاباته للثورة الفرنسية ولو أنه لم يعش ليرى ثمار فكره ، لم يترك ناحية من نواحي الحياة ، الا وقال فيها رأيا . عندما اشتد عليه المرض يوما ، عاده اصدقاؤه ، فسأله احدهم : هل نستطيع أن نقدم لك شيئا . أن نقوم بعمل شيء يخفف آلامك ؟

قال : نعم . . أن تحاولوا اعادة الابتسامة الى قلبي !

جابرييل جارسيا ماركيز

الفائز بجائزة نوبل للأدب

بقلم : محمود قاسم

لم يكن فوز جابرييل جارسيا ماركيز بجائزة نوبل فى الأدب مفاجئا قط . . فهو أحد الكتاب الذين أعادوا للكلمة المكتوبة هيبتها بعد انتهاء جيل عظماء الأدب فى العالم . . وهو أحد كتاب عديدين وقفوا بشموخ ضد سياسات بلادهم الديكتاتورية . . وخاصة فى أمريكا الجنوبية التى أفرزت كلا من بابلو نيرودا وجورج أمادو وجورج لويس بورجس وما ريو فارجاس للوزا .

لقد استطاع ماركيز فى أقل من خمسة عشر عاما أن يتصدر قائمة كتاب الرواية فى العالم . . بالرغم من أن رواياته محدودة العدد قياسا إلى ماكتبه العديد من الروائيين فى العالم . الا أن هذه الأعمال كانت كفيلة أن تضع ماركيز فى مصاف كبار الروائيين فى القرن العشرين .

يقول جان فرانسو فوجيل فى مجلة « لوبوان » « من النادر أن يصبح كتاب عملا كلاسيكيا حيا مثلما حدث منذ أن صدرت رواية « مائة عام من العزلة » عام ١٩٦٨ . قال عنه بابلو نيرودا الفائز بجائزة نوبل محييا « انه أهم الأعمال الهامة التى كتبت بالأسبانية منذ دون كيشوت سرفانتس فى بداية القرن السابع عشر . وقد توج النجاح التجارى هذا البحث الأدبى . لكن جارسيا ماركيز حطم الأسطورة التى مفاد ها أن الكاتب ليس كتابا واحدا . »

يعيش ماركيز فى المكسيك منذ عدة أعوام . لكنه ولد فى اركاتا بكولومبيا عام ١٩٢٨ . . . ويتحدث عنها لكلود كوتون الذى ترجم كل رواياته الى اللغة الفرنسية قائلا : فى اركاتا تكسو الشمس الكنائس بالضوء الأصفر والأزرق وتبدو رائعة وهى تطل أخشاب المنازل المبرقشة بسقوفها . وبأعمدتها المزدانة . هناك دائما فرسان ذوو عيون ناعمة يعودون كى يراقبوا هذا « الغريب » القادم لرؤية بلاد جارسيا ماركيز الذى لايعرف بلدا سوى اركاتا التى عمدها فى رواياته »

كان يفضل الهندسة

يتحدث جارسيا عن أبيه البيجو جارسيا » : كان عامل تلغراف فى اركاتا . فى ذلك الزمن الذى غزت فيه الأشجار ساحل المحيط الأطلسى لكولومبيا . يحلم الناس أن يصنعوا ثروة من الذهب الأخضر . هناك تسمع كل اللغات . فى هذه البلاد يعمل الرجال صباحا ويرقصون مساء . هناك تعرف أبى على أمى لويزا سانتاتيجا ابنة الكولونيل ماركيز ايجوران الذى أصيب فى معركة الألف يوم . . تلك الحرب الأهلية التى استمرت بين عامى ١٨٩٩، ١٩٠٢ . تزوجا رغم أنف أجدادى الذين كانوا يعيشون فى ريوهاشا . ولدت فى اركاتا . رحلا بعد الولادة . وافتتحا حانوتا فى بارانكو ميللا وأعطيانى لأجدادى كى يقوموا بتربيتى . »

وفى أحاديثه يقول ماركيز ان الموت كان يطارد أفراد أسرته دائما . وأنه عاش مع أجداده ثمانى سنوات شبه يتيم لايعرف أين أبواه اللذان تكلم عنهما فى أولى رواياته التى نشرها عام ١٩٥٥ بعنوان « غرباء الموز » والذى يتكلم فيها

عن أمه قائلا :

« عادت ذات يوم . سمعت صفير القطار الذى يقلها . رأيتها . كانت جميلة . ترتدى قبعة من القش ورداء فاخرا . أعجبتنى بشدة لكننى لم أحبها كثيرا . مثلما أفعل لجدى . عانقتنى . . . لن أنسى عطرها » .

يشب الطفل فيصبح غلاما فى الثالثة عشرة . يتقن الرسم لكنه كان ينال أقل الدرجات فى حصص الاملاء . يسافر فوق سفينة خارج كولومبيا . تستغرق الرحلات من ثمانية أيام الى ستة عشر يوما . عندما ترسو السفينة يتجمع الطلبة يغنون ويرقصون . وبعد الظهيرة يجرون مثل الجياد ويقفون على المحطات يبيعون البطاطس والخضروات . . وقد تأثر ماركيز بهذه الأجواء ونقلها بدقة بالغة فى روايته « خريف البطريرك » .

فى عام ١٩٤٦ أنهى ماركيز دراسته الثانوية والتحق بكلية الحقوق بمدينة بوجوتاه كنت أفضل دراسة الهندسة الميكانيكية . لايهم . لكننى اخترت المهنة الوحيدة التى تجعلنى حرا بعد الظهر وتمكننى من كسب حياتى . فى الجامعة تعرفت على كاميلو تورس أحد الثوار فى البلاد »

وفى عام ١٩٤٧ كتب جارسيا ماركيز قصة قصيرة بعنوان« الاستقالة الثالثة » وذلك على سبيل التحدى للكاتب الروائى ادوارد زالاميا بوردا الذى صرح أن الجيل الجديد لايحمل أية موهبة . وقد اعترف بوردا بخطئه فى كتاب نشره بعد ذلك بخمس سنوات .

وفى العام التالى عاد جارسيا الى أبويه بعد أن أغلقت الجامعة أبوابها فترة طويلة عقب مصرع الزعيم الليبرالى خورج خيتان والذى نتجت عن مصرعه صفحة من العنف الدامى فى البلاد . وقد ظل ماركيز فى صحبة والديه الى أن عاد مع أمه الى اركاتا عام ١٩٥٠ كى يبيعا منزل العائلة وبدأ يمارس العمل الصحفى ثم بدأ يكتب أولى رواياته « غرباء الموز » التى تحدث عنها فيما بعد قائلا : « يعيش الكاتب دائما فى ظروف مشابهة . يعمل فى الصباح . وفى المساء يتجه الى حيث أماكن التسلية » . . وقد شغفت عاهرات المدينة بالحديث مع الكاتب الذى يناقشهن عندما يعود الى منزله قرابة الفجر وهو يحمل معه كتب كافكا وجويس وهيمنجواى وفرجينيا وولف .

تدور أحداث هذه الرواية فى قرية صغيرة ، يحضر ثلاثة من الأبناء جنازة أمهم . هناك الكولونيل السابق الذى يعيش حياته الخاصة وابنته ايزابيلا التى تبناها منذ عشر سنوات . . كل القرية تجله وتحترمه » انها أول مرة أرى فيها جثة . كان ذلك يوم أربعاء . انه يوم نحس . لماذا لاأذهب الى المدرسة . هناك أشعر بالضوء الاخضر ينساب الى نفسى » . . فى القرية هناك طبيب وصيدلية ومستشفى وطاحونة . وهناك شاب أشبه بماركيز يتحدث حول أمه وأبيه اللذين تركا ابنهما ورحلا الى مدينة أخرى يمارسان التجارة ويكسبان النقود .

لاخطابات هناك

فى عام ١٩٥٥ أرسلته صحيفة « اسبكتا دور » الى جنيف كى يحضر مؤتمر الأربعة الكبار . ثم سافر الى روما وباريس وبعض مدن أوربا . لم يكن الشاب يعرف أية لغة غير اللغة الأسبانية . . وبعد أن عاد الى بلاده أغلقت الصحيفة أبوابها . فوجد نفسه فى فراغ ممل دفعه الى كتابة روايته « لايجد الكولونيل من يكاتبه » الذى يتكلم عنها قائلا : « استلهمتها من قصة جدى الذى قضى شيخوخته منتظرا معاشه كجندى سابق . قالت جدتى عندما مات : المعاش الذى ستأخذه يخص أبناءك » ولم يصلنى المعاش قط . ألهمنى هذا الأمر موضوعا طيبا . فأنا بعد أوقات الطعام أخرج وريقةأو اثنتين فوق المائدة حيث أتناول طعامى فى مطعم بأحد أركان الشارع . وأمارس الكتابة كان لدى الوقت كى أرسل التحذيرات الى أصدقائى . وأن أعيش بدورى مغامرة جدى . أصعد كل صباح الى شقتى على أجد بعض الرسائل . لكن لاخطابات هناك . أعود الى المطعم كى أضيف صفحة الى روايتى . وأروى مايحدث أمامى . كنت أعى أن الرسائل لاتصل قط . وأن الأصدقاء لايردون ، ومن هنا استقيت روايتى »

فى نفس العام بلغ توزيع روايته « غرباء الموز »ثلاثين ألف نسخة مما دفع بالكاتب أن يقدم روايته الثالثة « ساعة نحس »التى يتكلم عن ظروف كتابتها بأنه استلهمها من الاعلانات المنتشرة فى الشوارع . وفى عام ١٩٥٧ سافر الى موسكو لحضور مهرجان الشباب . وفى نفس العام نالت روايته الثالثة جائزة الأدب الكولومبى وقيمتها ثلاثة آلاف دولار .

يتعرض ماركيز فى روايته « لايجد الكولونيل من يكاتبه » لنفس المدينة الصغيرة التى عاش بها والتى سوف نراها مجسدة فى أكثر رواياته . . بل سوف نرى نفس الأجواء التى يبدو مشغوفا بها . . الارهاب السياسى والاعتقالات والدمار . . هناك كولونيل سابق اقترب من المائة من عمره يقرأ الصحف اليومية القادمة من دول أوربا ويقارن أخبارها بالأخبار التى توردها الصحف المحلية . .

ويقوم بتدريب ديكه على صراع الديكة .. انتظارا للمباراة الضخمة التى ستقام يوما فى المدينة وسيكسب منها مبلغا طيبا .. لكن الكولونيل يعود بعد المباراةمهزوما مع ديكه ويعلل هذه الهزيمة بقول أشبه بما نقوله نحن العرب « رب ضارة نافعة » .

وقد بدا تأثر ماركيز فى روايته هذه بنفس الأجواء التى صنعها وليم فوكنر فى رواياته .. بل إنه قدم ثلاثية أشبه بثلاثيته « الصخب والعنف » ـ سارتورس ـ الضوء فى أغسطس ـ وذلك من خلال رواياته التى سنتناولها فيما بعد .

لم يذع صيت الكاتب ولم يدخل فى عداد عظماء الرواية الا ـ بعد أن نشرت روايته الشهيرة « مائة عام من العزلة » عام ١٩٦٨ . والتى عنها يتحدث قائلا : « كتبت روايتى فى المكسيك بين عامى ١٩٦٥ , ١٩٦٧ ابان زمن عسير لم نكن نمتلك فيه نقودا .. ولهذا كنت أكتب بسرعة القطار . وعندما كنت أرى روايتى تنساب دون توقف أقول لزوجتى مرسيدس : « سوف تهتمين وحدك بكل شئون المنزل » . كنت أشعر أننى أكثر الرجال حرارة فى العالم . وبالرغم من هذا فقد ظللت محبوسا فى غرفتى لمدة ثمانية عشر شهرا . أوربالأ حرى لم أخرج سوى مرة واحدة . أخبرتنى زوجتى أننا قد وصلنا الى حد الكفاف .. ركبت سيارتى وأتيت لها بنقود من الناشر تكفينا ثلاثة أشهر . وبدأت أستكمل كتابة الرواية .. كنت قد أكملت نصف الرواية حين طلب المالك من زوجتى : « يجب أن تدفعوا أجرة ثلاثة أشهر » مرسيدس طرقت بيدها على صدرها وقالت : « كم يلزمك من وقت لانهاء هذا الكتاب ؟ » .. فأجبتها : « ستة أشهر » .

وانتهى من روايته كى يسدد ديونه .. وأرسل النسخة الى الناشر بالأرجنتين الذى قام بوزنها فوق الميزان كأنها قطعة من اللحم .. طبعت الرواية وبيع منها فى الثلاثة أيام الأولى عشرة آلاف نسخة فى بيونس ايرس .. ثم توالى نجاحها .. فبيع منها ثلاثة ملايين نسخة من الطبعة الأسبانية .. ثم ترجمت الى أكثر من عشرين لغة وأتت بالثروة لكاتبها الذى يتحدث دائما أن رواياته تأتى له بشيئين هامين .. النجاح التجارى والمجد الأدبى .

يوتوبيا جديدة

تبدو هذه الرواية فى بدايتها أشبه بصورة فوتوغرافية واقعية حول أسرة باندیا فی ماكاندو .. تلك المدينة الواقعة فى الأراضى الواطئة .. هناك دائما الرواد الأوائل الذين جاءوا لاستيطان المدينة الواقعة تحت سفوح الجبال .. هناك باندیا وزوجته أرسولا التى هى فى نفس الوقت ابنة عمه والتى تشاركه كل ساعات السعد والشقاء .. وسرعان ما يجعلان من المدينة واحة رائعة وغابة أشبه بحديقة .. انها يوتوبيا جديدة حيث لايوجد موت ولا جريمة ولا قضاء .. الزوار الوحيدون هم قبائل الغجر الذين يدهشون المواطنين باعمالهم السحرية وأسنانهم الصناعية .. والثلوج المتساقطة والسجاد الطائر .. »

فجأة تندلع الحرب الأهلية فى نفس الوقت الذى تمتد فيه خطوط السكك الحديدية القادمة من الولايات المتحدة كى تحول البلاد الى مزرعة كبيرة وتقضى على عزلة المدينة وتفتح أمامها مجالات التوسع والرواج .

تمر ستة أجيال من أبناء خوسيه اركاديوبوئنديا .. يعيشون الحب الخيالى .. تولد الأجيال وتموت محاطة بأساليب العنف .. يتم القضاء على مزارع أثمرت بعد سيول استمرت خمس سنوات . لم يعد هناك نشاط سوى فى المركز المضاء باللون الأحمر . ثم يحدث اعصار شديد لايمكن تفسير أسبابه فيهدم العديد من بيوت المدينة ويموت العديد من أفراد الأسرة .

لكن هذا الاعصار يعلم الناس الحماس .. يدفعهم الى العمل مرة أخرى .. يزداد نشاط خوسيه ويعود الى ممارسة الكيمياء البدائية التى تبحث فى تحويل الرصاص الى ذهب . ويحاول أن يستخدم الآنه كى يتمكن من محادثة الراقص المجهول فى البيانولا .. يصبح أحد أبنائه قائدا ثوريا ينضم اليه اثنان وثلاثون شابا صغيرا يناضلون ضد الحكومة الديكتاتورية .. يفقد رجاله الواحد تلو الآخر ومع ذلك يكسب الحرب لكنه يفقد كل سلام بينه وبين الحكومة .

أما الابن الآخر أورلياندو فقد ساعد المهاجرين الجدد فى الاستيطان .. ينهمك معهم فى مناقشات لا تنتهى . ويعمل الجميع على جعل مدينتهم يوتوبيا تخصهم وحدهم .

والمرأة عند ماركيز أشبه بنساء شتاينبك « أعناب الغضب » فهن جامدات يتمسكن بديهن ويفتخرن باصلهن وجذورهن . ويناضلن كى يجعلن رجالهن أكثر تعقلا وثورية .. لعل ارسولا هى أبرز هؤلاء النسوة ... لقد بلغت المائة من عمرها وأصبحت ضريرة ولكنها لاتكف عن النشاط والعمل وتدفع زوجها وأبناءها

وأحفادها الى العمل من أجل غد أفضل .

الرواية وفن اللصق

دفع نجاح هذه الرواية ماركيز الى العمل المتواصل فبدأ يكتب أكثر .. وهجر عالم الصحافة . وبدأ يكتب المسلسلات التليفزيونية وبعض قصص الأفلام السينمائية .. قدم روايات مثل « حكاية بحار غريق » و « قصة موت معلن » .. وانتهى في الشهر الماضي من كتابة أحدث رواياته « آثار دمائك فوق الثلوج » .

تعد رواية « خريف البطريك » بمثابة تكريم للشاعر الكولومبي بن داريو الذي تأثر بالشعراء الفرنسيين مثل بول فيرلين وفيكتور هيجو .. وهو رجل عاصر كبار الطغاة في أمريكا اللاتينية .. أما روايته « قصة موت معلن » .. فتتناول نفس القرية وهي جزء ثالث في الثلاثية .. وقد استمدها الكاتب من قصة واقعية حدثت في مدينته : « استلهمت هذا الكتاب من جريمة ارتكبت منذ ثلاثين عاما في مدينة تقع على المحيط الأطلنطي .. لن أقول أكثر من هذا .. قلت ان هذه الرواية قد استلهمتها من وقائع حقيقية .. لكنني لن أتكلم عن أسماء أبطالها .. أنت تعرف ماذا دار ابان اللقاء المشهور بين هيمنجواي وجورج بلمبتون مندوب مجلة « في باريس ريفيو » الذي ألح أن يعرف الأسماء الحقيقية في رواياته اتهمه هيمنجواي أنه يود أن يحول الرواية الى نافورة فاسدة .. ارتبطت روايتي بمحام قبل نشرها حتى يتولى الدفاع عن أية قضية ترفع ضدها .. أعتقد أن الكتابة هي الآلام الاكثر عبئا بالنسبة للكاتب .. والكاتب الجاد لايكشف عن كل كوامنه الشخصية .. فليست الرواية هي الشيء الوحيد الخاص .. انها نوع من فن اللصق .. وتمزج بين شخصيات متعددة يعرفها الكاتب » ..

ويقول الكاتب في معرض حديث له انه « ليست هذه الرواية وحدها التي استمدها من أحداث حقيقية .. ولكنه فعل ذلك أيضا مع بقية رواياته وخاصة « مائة عام من العزلة » التي تحكي القصة الحقيقية لرجل يدعى ريمدوس لابلا .. أما « ايراندورا الرقيقة » فهي أيضا شخصية حقيقية لاتزال تعيش في كولومبيا ..

و « ايراندورا الرقيقة » هي عنوان احدى القصص القصيرة التي كتبها في الخمسينات وجمعها أخيرا في كتاب يحمل نفس الاسم ، نشرت ترجمته الانجليزية عام ١٩٨٠ .. وايرندورا هي نموذج مضاد من سندريللا .. فهي نموذج للبراءة التي تعيش وسط مجتمع لايعرف سوى لغة القهر والطمع والخيال والعظمة .. انها ضحية لهؤلاء الأوغاد والأشرار .. ويصور الكاتب كيف انتقلت الفتاة من مرحلة البراءة والنقاء الى أن غدت عاهرة .. ويكتب بعض الأبيات الشعرية حول العلاقة بين ايراندورا وجدتها :

« رتبي كل الملابس قبل أن تذهبي الى الفراش .

كي تنامي بضمير مستريح

ـ سمعا وطاعة ياجدتي .

ـ وافحصي الملابس بعناية .

لأن الحشرات يشتد نهمها في ليالي الريح الشديدة .

ـ سمعا وطاعة ياجدتي .

ـ فاذا حان وقت رحيلك .

فلتأخذي الزهور معك كي يمكنها أن تتنفس هواء جديدا .

ـ سمعا وطاعة ياجدتي .

ـ ثم قدمي الطعام الى النعامة . »

لكن الفتاة تصبح شيئا مختلفا .. فتتحول من سيء الى أسوأ بعد أن تغدو عاهرة .. تجوب الطرقات مع جدتها .. ذات يوم يقابلها أمير يتمتع بالكثير من الجاذبية .. يحاول أن يخلص الفتاة من الطريق الذي تسير فيه .. لكن سندريللا دائما شريرة ... وايراندورا لايمكن أن تتخلص من آثامها بسهولة .. فيفشل الأمير في مهمته .. وتعود الفتاة الى مهنتها الأزلية ..

وجابرييل جارسيا ماركيز يعيش في المكسيك منذ عام ١٩٦٥ مع أسرته وذلك في منفاه الذي اختاره بنفسه .. وعن عودته الى بلاده .. تحدث الى مجلة لوبوان في ١٦ نوفمبر (تشرين ثان) عام ١٩٨١ قائلا : « كان يجب أن أعود الى بلادي في مارس الماضي .. لكنني شعرت أن سفري سيكون مهددا .. وبالرغم أنني أعرف أنه يمكنني العودة الا أنني قررت ألا أفعل في آخر لحظة .. فاذا وقعت في الأسر فسوف تحدث فضيحة عالية لحكومة بلادي .. وعلى كل فلن أقدم لهذه الحكومة العسكرية هدية بأن توقعني في أسرها .. حقا أنني أفتقد كولومبيا .. وقد رحلت عنها منذ زمن طويل لكنها بلادي .. وهي أجمل من كل منفى عشت به »

○

محمود قاسم

القومية في القرآن حقيقة مؤكدة

بقلم : الدكتور محمد جابر الأنصاري

ما يتبادر إلى الذهن لأول وهلة ، وما يشيع لدى عامة الناس وبعض خاصتهم ، أن القرآن الكريم من حيث هو كتاب دين ودعوة سماوية عالمية شاملة ، يقف تجاه « القومية » على طرفي نقيض ، وأنه يدحضها ويحذر منها ويمنع دعواها . ولكن ما أبعد هذا الظن عن الحقيقة القرآنية .

وما كان للقرآن وهو الذي شمل الظواهر الكونية والتاريخية والاجتماعية أن يتنكر لظاهرة تاريخية اجتماعية إنسانية كالقومية . لها جذور متأصلة في واقع البشر وتاريخهم وتكوينهم وطبيعتهم .

وأعتقد أن النصوص القرآنية الواضحة والقاطعة بهذا الصدد هي التي يمكن أن تحسم الجدل حول هذا الموضوع ، الذي دار حوله خلاف كبير وخطير في الحياة العربية والاسلامية وما زال يثير الخلافات والمشكلات ويعرقل سير هذه الأمة في طريق التطور السليم .

فلنبق إذن مع النصوص القرآنية حول هذا الموضوع ولنسر معها في مقاربتها لهذه الحقيقة الانسانية لتتبين حقيقة الموقف الاسلامي من المسألة القومية .

النهج الواقعي في القرآن

ينطلق القرآن بمنهجه الواقعي في النظر الى الشئون الكونية والطبيعية والانسانية ، من حقيقة تقرير التنوع والتعدد والاختلاف في واقع البشر فيقول :

ـ (ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم ، إن في ذلك لآيات للعالمين) « سورة الروم / ٢٢ »

إذن فمن آيات الله البينات التي لا بد للمسلم أن يتقبلها ويؤمن بها آية اختلاف ألسنة البشر وألوانهم . واختلاف الألسنة يعني بطبيعة الحال اختلاف اللغات ، وبالتالي اختلاف الثقافات والآداب والفنون والفلسفات ، باعتبار اللغة هي الوعاء الحاوي لذلك كله والمؤثر فيه تأثيرا نوعيا وعضويا ، فاللغة ليست مجرد ألفاظ ـ كما أثبتت الدراسات اللغوية الحديثة ـ وانما هي حقيقة نفسية وعقلية تسم كل ما يكتب بها بميسمها وتطبعه بطابعها . والقرآن الكريم ذاته يقرر مدى عمق البعد اللغوي عندما يكرر في آياته الكثيرة صفته « العربية » ، حيث يقول في إحدى هذه الآيات : « ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون ، قرآنا عربيا غير ذي عوج ، لعلهم يتقون » ـ سورة الزمر / ٢٧ ـ ٢٨ .

لنتأمل في صفتي القرآن هنا والترابط بينهما ، أي بين

هاتين الصفتين : « عربيا غير ذي عوج » .

فلقد اختار الله ، من بين كل اللغات والألسنة ، اللغة العربية لتكون الوعاء الأمين الذي يحمل الحقيقة الالهية الكونية القرآنية إلى الانسانية كلها . ولا بد أن ذلك تم لحكمة تتصل بطبيعة الرباط الوثيق بين الحقيقة القرآنية والحقيقة اللغوية العربية . ومدى تقبل لغة العرب لحقائق القرآن وإعجازه وقدرتها على تجسيد هذا الاعجاز وحدها بين مختلف لغات البشر وألسنتهم بحيث جاء القرآن بحكم الاندماج العضوي بين حقيقته الآلهية وصفته العربية قرآنا « غير ذي عوج » بل « قرآنا عربيا غير ذي عوج » بحيث جاءت صفته العربية ، وكأنها طبيعة ثانية له ، بعد طبيعته الالهية المطلقة وأصبح وصفه بالكمال (غير ذي عوج) مقترنا بوصفه العربي . بل إن هذا الوصف العربي يأتي ملتصقا بالقرآن قبل وصف الكمال - ولوضع كل كلمة في الاعجاز القرآني حكمة وغاية - وكأن العربية كصفة من صفات القرآن الجوهرية ، جزء مكمل لكماله . وإذا كان الوحي ، أو الروح القدس . هو الوسيلة الالهية التي أوصلت القرآن من الله إلى الرسول ، فان العربية ، ستبقى بعد توقف الوحي وختام النبوة ، هي الوسيلة الالهية التاريخية الدائمة والمستمرة لتوصيل الحقيقة إلى سائر البشر . فهي تواصل الآن ، في توصيلها القرآن وتعاليمه إلى كل عقل بشري ، مهمة الوحي الأولى التي تمت بتوقف الوحي وختام النبوة ووفاة النبي العربي وهذا مصداق قوله تعالى « إنا انزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون » سورة يوسف / ٢ .

فالعربية إذن - هي واسطة القرآن إلى كل عقل ، واسطته الباقية ببقائه والخالدة بخلوده وهذه حقيقة ملزمة لكل مسلم صادق مؤمن مخلص ، عربيا كان أم غير عربي ، إذ لا يمكنه أن يتقبل القرآن من حيث هو كتاب إلهي ويصد عنه من حيث هو قرآن عربي ، فهذه الصفة الثابتة نص قرآني ملزم لاعتقاد المسلم ، أيا كانت لغته ، وقوميته ، بحيث يصدق الحكم القائل إن مودة المسلمين للعرب من دلائل حسن إسلامهم ، وكرههم للعرب مدعاة للظن في صدق ما يعلنون من إسلام . وهذه حقيقة يؤكدها التاريخ العربي - الاسلامي على ضوء التيارات الشعوبية التي بدأت بالطعن في العرب وانتهت بالزندقة في الاسلام وتشويهه إذ كان ذلك هدفها البعيد في نهاية المطاف .

واختلاف الألوان

أردنا من هذا الاستطراد تبيان الصلة العضوية الوثقى بين الحقيقة واللغة التي تتجسد فيها تلك الحقيقة ، سواء كانت حقيقة كونية إلهية أو حقيقة إنسانية قومية ، من منطلق الاشارة القرآنية إلى اختلاف الألسنة ، وتطبيق ذلك على الآيات القرآنية المتكررة بشأن صفة القرآن العربية ومدى عمقها ومغزاها من حيث انصباب الوحي القرآني في اللسان العربي دون سائر الألسنة .

أما « اختلاف الألوان » فهو تقرير لحقيقة وجود العروق والأجناس التي يتكون منها الجنس البشري .ومن العروق والأجناس تتفرع القوميات المختلفة بألسنتها المتعددة ، فكل قومية في التحليل النهائي هي جنس معين بلغة معينة وهذا ما عنته الآية بعبارة : « واختلاف ألسنتكم وألوانكم » .

ويجدر بنا أن نلاحظ أن هذا « الاختلاف » في الآية المذكورة من سورة الروم ، يوازي في أهميته آية خلق السماوات والأرض التي هي من أعظم آيات الله ، وأكثرها استمرارا وديمومة وأعظمها في التدليل على براعة الخالق ، حيث يسير التقرير القرآني على النحو الآتي : « ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم . . . » « الآية » .

فهذا (الاختلاف اللساني القومي) إذن ليس بالظاهرة اليسيرة التي نمر بها مر الكرام ونغفلها أو ننكرها . وكيف نستطيع وهي تلي آية خلق السماوات والأرض - في صلب المنطوق القرآني الالهي - وتستمد منها أهميتها ، بل وبقاءها واستمرارها في واقع البشر ما دامت السماء وما دامت الأرض .

وهذه اللمحة القرآنية تتوافق إلى حد بعيد مع ما قاله مفكرو القومية المحدثون من أن القومية ليست مرحلة عابرة في التاريخ ، وانما هي ظاهرة من ظواهره الباقية كيف لا وهي في مفهوم القرآن الكريم آية كآية خلق السماوات والأرض ، يدعو الله البشر جميعا إلى التأمل فيها حيث يتبع ذكرها بقوله : « إن في ذلك لآيات للعالمين » وهذا ما يدعو للتعمق في تقديرها كغيرها من حقائق الخلق .



فكيف يستطيع منكرو الحقيقة القومية من المؤمنين بالدين اغفال هذه الدعوة القرآنية الصريحة والاصرار على رفض القومية باعتبارها منافية للدين ؟ وأي دين هذا الذي ينكر الحقائق البشرية الأساسية ولا يتعاطى معها ؟

إنه ليس الاسلام قطعا . . . فالاسلام اعترف بالحقيقة الجنسية لدى الذكر والأنثى ووضع من التشريعات والأخلاق ما ينظمها لا ما ينكرها ويرفضها كما فعلت الرهبنة المسيحية .

ولقد اعترف بنزوع النفس البشرية إلى التملك ، فنظم الملكية في حدود المنفعة العامة ولم ينكرها كما فعلت الشيوعية . .

ولقد شجع الاسلام ظاهرة الترابط والتكافل العائلي فرعى الأسرة كظاهرة اجتماعية وإنسانية إيجابية ، ولم يدع قط إلى التحلل منها كما فعلت الأفلاطونية والبوهيمية .

فاذن على ضوء تعاطي الاسلام الايجابي مع كل هذه الظاهرات الفردية والجماعية لماذا يصر البعض على القول بأن الاسلام يرفض الظاهرة القومية ؟

أليست الظاهرة القومية حقيقة اجتماعية أكبر من حقيقة العائلة والعشيرة ؟ فكيف يرفض الاسلام الظاهرة الأكبر ويقبل الظاهرة الأصغر ؟ أليس انتماء الانسان إلى قوم يوازي أهمية انتمائه إلى اسرة ؟ ثم كيف يعترف الاسلام بملكية الانسان لمال وعقار ويراعي ميله النفسي لهذه الملكية ، ولا يعترف بملكية الانسان لوطن قومي ولا يراعي ميله النفسي للانتماء إلى أهل لسانه ولونه في حدود هذا الانتماء وأبعاده النفسية والاجتماعية والثقافية ؟

الاجابة على هذه الأسئلة لا يتركها القرآن معلقة ، بل نجد تواترها في آيات كريمة أخرى ، كلها تربط الحقيقة القومية بحقائق الحياة الكبرى والدائمة والثابتة .

قال تعالى : « يا ايها الناس ، إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم » ـ سورة الحجرات / ١٣ .

موطن الخطأ

فحقيقة انقسام البشر إلى « شعوب وقبائل » أي حقيقة الرابطة الاجتماعية تتوازى في هذه الآية مع حقيقة انقسام الجنس البشري إلى ذكور وا[illegible] الجنسية التناسلية العائلية . وكما أن الله خلق « [illegible] » [illegible] والأنثى لحفظ النوع البشري من خلال التزاوج والتناسل ، فانه خلق « التعددية » بين الشعوب والقبائل لتيسير غاية الانتماء الفردي للانسان الى جماعة طبيعية تحميه وتنمي شخصيته ، ثم لتحقيق غاية « التعارف » بين مختلف الجماعات في إطار الرابطة الانسانية والرابطة الالهية حيث يتقرر التمايز والتفاضل بين جماعة وأخرى بمدى اقترابها من المثل العليا . فيكون الخالق قد أوجد تعددية الشعوب والقبائل ، بحكمة منه ـ وفعل « جعلناكم » فعل إلهي لا راد له ـ لتحقيق التعاون الانساني (تعارفوا) ، ثم التنافس ، بدل الحروب والنزاعات ـ في الهدف السامي ، هدف السبق إلى المثل العليا . (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) .

وهنا أيضا نجد الاتفاق تاما بين هذا التصور القرآني للعلاقات القومية وللتعامل بين القوميات ، وبين التصور القومي الانساني الذي يدعو إلى أن تكون العلاقات بين القوميات إنسانية وتعاونية وتنافسية في مجال الخير والقيم ، وهذا ما تدعو إليه القومية العربية انسجاما مع جوهرها الروحي السماوي ، بعكس بعض الدعوات القومية الاستعلائية والعدوانية التي تدينها مختلف الأديان والفلسفات ، والتي يحق للمؤمنين بالدين أن يرفضوها وحدها ، بشرط ألا يعمموا هذا الرفض على النوع الآخر من القومية الذي تشير اليه الآية الكريمة التي استشهدنا بها من سورة الحجرات . ولعل مرجع الإشكال القائم بين الدينيين والقوميين ، وعندنا بالذات بين الاسلاميين والعروبيين ، أن بعض مفكري القومية تحدثوا عنها باعتبارها « عقيدة » ، فقالوا « العقيدة القومية » . وهنا موطن الخطأ . فالقومية ليست عقيدة لا بالمعنى الديني ولا الفلسفي ، وانما هي حقيقة اجتماعية تعبر عن ظاهرة جماعية لمجموعة من البشر تربطهم اللغة والثقافة والأرض والمصلحة والشعور والماضي المشترك والمستقبل الواحد .

والاقرار بوجود هذه الجماعة وحقها في العيش المشترك هو بمثابة التسليم بحقائق الأشياء في الحياة البشرية كحقيقة الجنس ، وحقيقة التملك والعائلة . . الخ ، ولا يمثل « عقيدة » ترقى إلى مستوى الدين والفلسفة .

ومن حق كل جماعة قومية ، بعد الاقرار بوجودها ، أن تعتنق من العقائد والفلسفات والنظم ما تراه حقا ومتلائما مع روحها وطبيعتها .

بين القومية والعقيدة

والدليل على الفارق بين « القومية » و « العقيدة » في التاريخ ، أن قوميات عديدة غيرت عقائدها من وثنية إلى سماوية ، ومن رأسمالية إلى اشتراكية ، ومن روحية إلى مادية دون أن تفقد صفتها القومية ، وإن تشبعت بروح العقيدة .

فالأمة اليونانية هي الأمة اليونانية في عهدها الوثني والفلسفي وفي عهدها المسيحي ، والأمة الألمانية هي الأمة الألمانية في قسمها الشيوعي وشطرها الرأسمالي ، لا يلغي التقسيم العقائدي القائم حاليا حقيقتها القومية الثابتة . والأمة الروسية هي .. هي في عهدها المسيحي القيصري وفي عهدها المادي الماركسي .. الخ .

ومن ناحية أخرى فان انتشار عقيدة عالمية بين قوميات مختلفة لا يصهرها في بوتقته فالأمة الأمريكية مسيحية والأمة الحبشية مسيحية ، ومن الصينيين بوذيون ومن الهنود بوذيون . ولماذا نذهب بعيدا : هل استعربت تركيا وايران وباكستان واندونيسيا وألبانيا باعتناقها الاسلام ؟ أم هل قاربت العقيدة الماركسية بين القومية الروسية والقومية الصينية والحال بينهما على نراه من مجابهة ونزاع ؟

وأصحاب الرأي الذي ينكر كل هذه الحقائق ، ويرى أن الاسلام ينفرد بين الأديان والدعوات بالعمل على خلق « أمة » إسلامية واحدة تصهر القوميات وتلغيها ، يستشهدون بالآية : « إن هذه أمتكم أمة واحدة ، وأنا ربكم فاعبدون » ـ سورة الانبياء / ٩٢ .

ولمناقشة هذ الأمر ، يتطلب البحث دراسة أخرى ، للتمييز بين ثلاثة مفهومات للأمة وردت في القرآن الكريم مختلفة ومتباينة ، لا يسع تفصيلها المجال المحدد لهذه المقالة .

ويكفي أن نلاحظ أن القرآن الكريم استخدم تعبير « أمة » حتى بالنسبة لجماعات الحيوان والطير حيث قال : « وما من دابة في الأرض ، ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ، ما فرطنا في الكتاب من شيء » ـ سورة الأنعام / ٣٨ .

وهذا يدل على مدى خصوبة المفهوم القرآني لمصطلح « أمة » ولا يقصره على فهم واحد بعينه لمدلولها كما يذهب دعاة الاممية الدينية .

ومن تأمل في هذه الآية يرى أن تعدد الأنواع حقيقة ثابتة يؤكدها القرآن ليس على صعيد البشر فحسب ، وانما في الطبيعة أيضا ، ، مما جعل التعدد القومي امتدادا لتعدد طبيعي وكوني أشمل . وإلى مزيد من الحوار ○

محمد جابر الأنصاري

شارلي .. بلا تهريج !

شارلي شابلن الممثل الكوميدي العبقري الفيلسوف يقول عن سر نجاحه : لابد للمرء أن يكون واثقا من نفسه .. هذا هو السر .. حتى عندما كنت أعيش في ملجأ الايتام ، وحتى عندما كنت أهيم على وجهي في الشوارع والأزقة باحثا عن لقمة خبز أملا بها معدتي الجائعة حتى في هذه الظروف القاسية كنت أعتبر نفسي أعظم ممثل في العالم .. كنت أشعر بالحماس الشديد يملأ صدري لمجرد أنني كنت أثق في نفسي .. ولولا هذه الثقة لكنت قد ذهبت مع النفايات الى بالوعة الفشل !

مقالات في كلمات

■ المرأة أحلى هدية خص بها الله الرجل .

(جوبار)

■ المرأة كاهنة القضاء والقدر . . . .

(بيك نسفيلد)

■ المرأة . . هي مكونة المجتمع ، فلها عليه تمام السلطة . . لا يعمل فيه شيء الا بها ولأجلها .

(أناتول فرانس)

■ المرأة . . . هي المنبع الفياض بما في هذه الحياة الانسانية من حب هو : أساس النظام والعدل والسعادة . .

(نجيبة حسين)

■ المرأة لا تستطيع أن تعيش في عزلة عن الدنيا . . الا اذا كانت أمامها جميع احلامها ، أو خلفها جميع ذكرياتها .

(ابراهيم المصري)

■ المرأة مخلوق بسيط لا غموض في خلقه ، وبنظرة واحدة الى وجهها يستطيع الرجل الذكي أو متوسط الذكاء أن يتبين ما يعتمل في قلبها من أحاسيس .

(أمينة السعيد)

■ متى أحبت المرأة حبا صادقا . . تهذبت وسمت . واستحال عليها أن تتصور نفسها ملكا لغير الرجل الذي تحب . . فلا المال ولا العواطف ولا أروع مفاتن الترف . يمكن ان تؤثر فيها وتدفعها الى خيانة حبيبها .

(ابراهيم المصري)

■ كل اهتمام قوي . . وشيك أن ينقلب في نفس المرأة الى حب . . حتى الاهتمام بالاحتقار .

(عباس محمود العقاد)

■ لدى النساء يختلط الحب بالمحافظة على الصبا . . فهن يسعين اليه كالصحة . والحب داء بدونه لاتكون في صحة جيدة .

(مرجريت جريبيون)

الفلسطينيون:
الحاضر والمستقبل

جزء خاص



عن
الاهرام
القاهرية

في ذكرى مرور مائة سنة على وصول أول دفعة من المهاجرين الصهاينة الى أرض فلسطين حدثت هذه المفارقة المدهشة : انتقل اليهود من الشتات المزعوم وتمكنوا من أرض فلسطين ، وزحفوا يلتهمون ما حولها ، ثم كتب على الفلسطينيين ان يتوزعوا في شتات جديد ، بعدما خرج رجالهم من لبنان الى سبع دول عربية .

وهكذا يظل عام ١٩٨٢ نقطة تحول في مسار القضية الفلسطينية والنضال الفلسطيني عامة ،

وهذه الملابسات تطرح في طياتها العديد من علامات الاستفهام التي باتت تحيط بالمستقبل الفلسطيني ، وتلك تجر وراءها العديد من التحليلات والرؤى التي ينبغي استحضارها والقاء الضوء عليها في المرحلة الدقيقة التي تمر بها .

وهذا الجزء الخاص من العربي يحاول ان يفتح الملف الفلسطيني ، في قراءة جديدة تستوعب الواقع وتفتح الباب لرؤى المستقبل .

ويشترك في كتابة هذا الجزء مجموعة من المتخصصين من ذوي الخبرات العريضة ، واسماؤهم هي ، بترتيب تتابع الموضوعات :

الدكتور شاكر مصطفى ـ الاستاذ جميل مطر ـ الدكتور عاطف قبرصي ـ الدكتور باسم سرحان ـ الدكتور عبد الوهاب المسيري ـ الدكتور اسعد عبد الرحمن ـ الاستاذ عجاج نويهض .

.. وللأساطير أيضاً ثمنها الباهظ جداً

بقلم : الدكتور شاكر مصطفى

« في الخامس من أغسطس (آب) سنة ١٨٨٢ رست في ميناء يافا السفينة أصلان ، تحمل أول المهاجرين من اليهود من حركة (بيلو) الصهيونية إلى فلسطين . كانوا ثلاثة عشر رجلا وامرأة واحدة . . . »

« اكذب ! اكذب دائما ، فلا بد أن يبقى من كذبك شيء » هذه القاعدة « الذهبية » التي وصفها جويلز ، داعية النازية المعروف ، أشك في أن يكون أحد في الدنيا ـ إلا أن يكون الشيطان ـ قد طبقها أكمل التطبيق ، واستغلها حتى النهاية كالحركة الصهيونية . تاريخها من أوله إلى آخره برهان على أنه لا حاجة لأن يكون لك حق لتصل إلى ما تريد . يكفي أن يكون لك ، مع العمل والقوة ، بوق دعاية ! واكذب ما شئت فليس ثمة إلا عدد محدود من العارفين بالحقيقة يعارضك . فإن رفع بعضهم الصوت تكفل بالتغطية عليه سيل الدعاية الجارف . وإذا ذهب ملايين البشر ، في القديم ، ضحية الأساطير ، واغتصبت الارضون أو ذبحت في صليبيات الأوهام فما زالت الأسطورة ـ فيما يبدو ـ سيدة الموقف . . حتى في أواخر القرن العشرين يوم أضحى في إمكان الانسان النزول على القمر والتحقق من حجارته !

وفلسطين ، ومعها الشرق العربي ، ومصائر أهله ، ليست ضحية اسطورة واحدة ولكنها ضحية سلسلة مركبة من الأساطير ، كقنابل الدخان « العنقودية » التي تعمي العيون ثم تعود لتعميها كرة أخرى ، ثم أخرى . . أطلقت ثم كررت ثم كرست حقائق ونحن بمشقة نتلمس الطريق لمعرفة أبعادها . ولم تأت كلها معا ، لأنها كانت أساطير مرحلية ، لكل مرحلة من الصليبية الصهيونية شعاراتها المناسبة ، وأكذوبتها المبرمجة . هكذا مثلا أطلقت مقولة « أرض بلا شعب لشعب بلا أرض » ، وأطلقت قصة اللاسامية وإبادة ستة ملايين يهودي في أفران الغاز . ومن مثل ذلك أن اليهود شعب مسكين مسالم يريد العرب أن يذبحوه ، وأن اليهود هم الشعب الوحيد المضطهد في التاريخ الانساني ، وأنهم شعب واحد مستمر الوجود منذ ثلاثة آلاف سنة إلى اليوم ،وأنهم « شعب الله المختار » ، وشعب العبقريات ، وأن فلسطين هي أرض

الميعاد ، والرب « يهوه » هو الذي وعدهم بها ، وأنهم أيضا وأيضا هم أصحاب فلسطين الأولون . .

تكرار هذه الاساطير ، شعارات ومقولات مطلقة ، أدخلها بين الحقائق والبديهيات ، حتى لدى بعض العرب ، وحتى صار دفعها بالحق والحجة والوقائع ضربا من العبث إن لم يكن مدعاة للملل واليأس ، بعد أن تجاوزتها المراحل ، صار الحديث فيها لغوا من اللغو لا ينتهي إلى نتيجة . وفرض الأمر الواقع والقوة والزمن والظروف وقائع جديدة طرحت لها بدورها أساطير أخرى جديدة ، كاسطورة إعمار فلسطين الموات ، وهي عامرة قبل وجودهم في الدهر ، وأسطورة الأمن التي تبرر الاستيلاء المتسلسل على الأرض والتوسع في حلقات متصلة يظل الامن دائما مهددا من بعدها دون نهاية . ولاأمن للاخرين ، وأسطورة الجيش القوي الضارب ، ولولا الحبل السري الذي يربطه بالترسانة الأمريكية لما كان . . ولما كانت إسرائيل .

بين صورتين

مائة سنة مرت على مسلسل الأساطير هذا ونحن ندفع الثمن ، وهو يمتد فصولا ودماء وافتراس أطفال .

إنهم يسمون هذا بعملية التنظير . يضعون النظرية أولا لكل مرحلة ، ثم ينحون عليها بالعمل والتنفيذ وصراخ الأبواق . الاستراتيجية هاهنا متكاملة : نظرية تخطيط استراتيجي ، أعمال مرحلية ، ونظريات فرعية متممة نتائج ، ثم نظرية أخرى تلائم النتائج والمكتسبات . وهكذا دواليك . وتدور الناعورة على النيام .

استعرض إن شئت تاريخ هذه الصليبية ما بين أول صورها وآخر الصور لترى كم دفعنا ونحن وحدنا ـ ثمن تلك النظريات ـ الأساطير .

الصورة الأولى كانت بالضبط منذ مائة سنة (١٨٨٢) سفينة تافهة اسمها اصلان ترسو في الخامس من آب (اغسطس) في ميناء حيفا بعد أن أبحرت خمسة ايام من رومانيا ، وعليها بضاعة من البشر لم يأبه لها أحد : ثلاثة عشر رجلا وامرأة واحدة من حركة لم يسمع بها أحد ، من الشرق العربي على الاقل أحباء صهيون (البيلو) نزلوا مهاجرين فاسسوا أول مستعمرة زراعة أجنبية عند عيون « قارة » ، جنوبي يافا هي التي عرفت فيما بعد باسم ريشون لوسيون (الأول في صهيون) . . .

قبل ذلك باربع سنوات كان نفر من يهود القدس المتدينين قد خرجوا لحراثة الارض فاسسوا أول جماعة يهودية زراعية في بلدة ملبس العربية التي صارت فيما بعد « بتاح تكفا » (عتبة الامل) . الممول لهذه الحركة كان الرأسمالي اليهودي ـ الاخطبوط البارون روتشيلد . الوسيط هو الرأسمالية الاستعمارية ، خلال خمسين سنة بعد ذلك ظل يدفع لهذه الهجرة . وظف في هذه الحركة الاستثمارية (حتى موته سنة ١٩٣٤) ، ما مقداره ١٥٠ مليون من الفرنكات الذهبية .

الصورة الاخيرة : في آب (اغسطس) ١٩٨٢ ، ما تزال طرية فاجعة على العيون ، ربع مليون جندي صهيوني يحتلون نصف لبنان بآلات الدمار الأمريكية . يطوقون بيروت ويدمرونها بالآف الأطنان من القنابل ، ثم يذبحون الألوف ممن طردوهم ، هم أنفسهم من ديارهم ، لا يريدون أن يسمعوا أن على الارض شيئا اسمه فلسطين أو فلسطينيون . ويدخرون للغد العربي القنابل الذرية . الرجال الثلاثة عشر الأول المسالمون صاروا أربعة ملايين قاتل .

ومستعمرة ريشون لوسيون صارت تمتد من شرم الشيخ إلى جبل الشيخ ومن القنيطرة إلى القنطرة ، وتفترس ، فيما تفترس ، الصخرة المباركة ، (المسجد الذي باركنا حوله) وقبر السيد المسيح ، ومهده ، وبغرور قطاع الطرق في الغرب الأمريكي تتحدى وتشتم كل البشر . .

بين الصورتين الأولى والثانية تمتد ملحمة المائة سنة الماضية في انتظار الآتي ، يمتد قرن الآلام العربية الذي بدأ بثلاثة عشر رجلا وامرأة واحدة يحملون أسطورة ذات ثلاث شعب : الأولى أن فلسطين أرض بلا شعب ، الثانية أن الله وعدهم بها . . والثالثة أنها أرض يهودية في التاريخ ، وإذا كانت وقائع قرن كامل قد كذبت الأولى وكان الجنون التوراتي الصهيوني هو الأعمى الوحيد الذي لا يريد أن يرى الوجود الفلسطيني الثوري والبشري وهو يتضخم كل يوم ، فان الشعبتين الأخريين ، الوعد ويهودية الارض ، ما تزالان من بضاعة السوق . .



الوعد المزعوم *

.. ويسألهم الناس ، ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ، فيشيرون إلى نص توراتي مما حاكته أحبارهم بعد أيام موسى بست مائة سنة أو تزيد ، وتنسبوه إليه زورا يقول النص ، قطع الرب مع إبرام ، ، ابراهيم ، ميثاقا : لنسلك أعطي هذه الارض من نهر مصر الى النهر الكبير ، نهر الفرات ، القينين والقنزيين والقدمونيين والحثيين والفرزيين والرفائين والأموريين والكنعانيين والجرجاشيين واليبوسيين ،

وإذا كان واضحا أن اقتطاع جزء من النص دون ما يتصل به هو أشبه بقضية ، ويل للمصلين ، ، فمن الواضح أيضا أن الحبر الذي كتب النص كان يقصد حكم الشعوب المذكورة في النص بدليل تفصيلها الدقيق بعده . وإذا كان الوعد حقا فانه أعطى الأرض لنسل ابراهيم . ونسل ابراهيم هم العرب . اما هؤلاء الاشكنازيم ، فتعرف الدنيا أنهم من نسل الخزر ولا شأن لهم بابراهيم ونسله كما تعرف الدنيا أن الدين ليس تناسلا ودما موروثا ولكنه فكر .. لادم له ولا أجناس .

.. ويسأل صاحبي وهو يحاورني : هل كانت فلسطين لهم حقا في التاريخ ؟ وهل كانوا هم المالكين ؟ يا بؤسى للتاريخ كم يحملون عليه من الاكاذيب ؟ وكم يحمل من أوزار الأساطير . هل نعود مرة أخرى للتاريخ ؟ إنسان هذه الارض الفلسطينية عاش عليها مئات القرون ، ومع ذلك يأبى العمى الصهيوني أن يرى منها أكثر من قرن واحد ، قرن واحد فقط ، دعنا إن شئت ، من ، إنسان فلسطين ، القديم الذي كان مرحلة متطورة من مراحل انسان ، النيندرتال ، ، إن له ملفه الطويل وآثاره وحضارته في ملفات ما قبل التاريخ .

دعنا مما قبل التاريخ كله ، وادخل منطقة التاريخ قبل خمسين أو ستين قرنا . أقدم من نعرف على هذه الأرض بشكل عام هم الشعب ، الذي قامته مثل قامة الارز وهو قوي كالبلوط ، . هذا الشعب الذي يعود انتشاره إلى أوائل الألف الثالث قبل الميلاد والذي استمر حتى مطالع الألف الأول ق . م هو قسم من الشعب العموري (السامي - العربي) عرفه التاريخ باسم الكنعانيين . حتى التوراة تسمي فلسطين (أرض كنعان ، هؤلاء الكنعانيون هم الذين زرعوا ارضها ألفي سنة ، بالمدن . أريحا ، مجدو ، بيت شان ، عكو (عكا) ، يافو (يافا) ، اورشليم (يبوس) غزة ، عسقلون (عسقلان) ، اشدود ، بئر السبع ، بيت لحم ... كلها من بنائهم ، .

جماعتهم الساحلية التي امتدت على البحر هم من نعرفهم بالفينيقيين أصحاب صور وصيدا وجبيل وعرقة واوغاريت . والكنعانيون هم الذين منحوا البلاد ثقافتها التاريخية الأولى من لغة وعلم ودين وكتابة ونظم اجتماعية وفن وبناء وقيم حضارة .

بعد الكنعانيين كان التغلغل البشري في الشام للجماعة (السامية - العربية) الثانية للآراميين ، هم الذين منذ اواسط الالف الثاني قبل الميلاد ، جددوا الدماء التليدة في المنطقة ، وأعطوها كرة أخرى مدنا جديدة ، وحقولا خضراء «تفيض لبنا وعسلا ، حسب قول التوراة ذاتها ، وضربوا فيها للثقافة (العربية السامية) الجذور والأبعاد .

هؤلاء بدورهم كانت لهم البلاد ألفي سنة .

ويوم جاء عرب الاسلام بعد ذلك ، في القرن السابع للميلاد ، وجدوهم هناك ينتظرون الخلاص (السياسي والديني والاقتصادي على السواء) . واندمج الشعبان الأخوان بسرعة اندماج اللبن والماء ...

لم يعمر فلسطين سوى العرب

ويقول صاحبي : يبقى سؤالان

الاول : أين نسيت الفراعنة وآشور ؟ وأين الفرس واليونان والرومان والروم في هذه الجولة الصاروخية ؟

الثاني والاهم : أين العبرانية والعبرانيون ؟ وسليمان وداوود وقوم يهود من هذا كله ؟ وأقول لصاحبي : إنما

---

* نص الوعد موجود في سفر التكوين الاصحاح ١٥ الايات ١٨ - ٢١ ومن الاكاذيب التي يشيعها الصهيونيون انهم يجعلون صورته كما يلي : « وهبتك يا اسرائيل ما بين دجلة والنيل » .

ذكرت الأسس والجذور الراسخة ، وعناصر الدماء المسيطرة والثقافة الباقية . ذكرت سفر التكوين البشري - الثقافي لهذه الارض . أما الموجات العابرة التي لم تترك فيها سوى الألوان وجروح الجلد فقد كانت تعبر السطح ، ولا تتصل أبدا بالاعماق . التاريخ السياسي لهذه المنطقة تلون . اضطرب . تنوع . عرف انواعا من عروش الحكام . أما التاريخ الحضاري المتجذر فبقي على الصمود . جاء الفراعنة فاتجهوا إلى فلسطين أكثر من مرة (ما بين القرن ٢٤ والقرن ١٢ ق . م) ولكنهم انحسروا دون أثر ، ووصل الاشوريون (القرن ٨ - ٦ ق م) فدمروا ما دمروا ، ثم اختنقوا بالدماء التي سفحوها وجاء الفرس فلم يبقوا . وجاء الاسكندر وخلفاؤه (من سلوقيين وبطالمة ، ما بين أواخر القرن الرابع حتى أواسط القرن الأول ق . م) وجاؤوا في استعمار استيطاني ، لكنهم بقوا غرباء (كما بقي الصليبيون من بعدهم غرباء) . حتى مساكنهم ولغتهم وأحياؤهم والمدن واللغة والثقافة بقيت معزولة . ثم تسلطت الآلة العسكرية الرومانية على البلاد ، حرثتها بالسنابك وأقدام الجنود ، ولكنها بدورها بقيت مجرد طبقة حاكمة ، لا تفاعل بينها وبين الناس والأرض والثقافة الدهرية للمنطقة ، بل أخذت منها أكثر بكثير مما أعطتها . ورثتها بيزنطة فكانت أكثر غربة ، حتى نصرانيتها كانت غير نصرانية الناس في هذه الأرض . وتلك الآلاء من الآثار الجبارة والأعمال الفكرية (من قانون وشعر وفلسفة وفن وبناء) التي تنسبها للرومان والبيزنطيين ضلالا منا وخسران رأي إنما قام بها وصاغها وبناها وأثلها أبناء هذه الارض بأيديهم وجباههم وما يبدعون . هي منهم ولهم وإن حملت القوالب الاغريقية - الرومانية من شكل وأسلوب . ومن هذه المنطقة كان يذهب المعلمون في الفلسفة والقانون والرياضيات والبناء والفكر والشعر إلى روما وأثينة . بل منها أيضا خرج « المعلم السيد المسيح جوابا على كل ذلك الغزو العسكري » ، وكل تلك الهيمنة السياسية الزائلة . إنما اتكلم عن الباقيات الصالحات . « والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير مردا » . إنها هي الانسان .

أما العبرانية وقوم يهود فلهم بدورهم مثل هذا الحديث مع فلسطين لا بد من رد الأمور معهم إلى حجمها الطبيعي في الزمن ، وفي الأرض ، وإلى حقائقها في الأحداث ومداها التافه في التاريخ ، وأسسها الثقافية والمستعارة . .

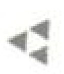
إنهم في الزمن التاريخي (ولنعتبر هذا الزمن خمسين قرنا) لم يمروا في تلك الأرض إلا حوالي ستة قرون (بين القرن ١٢ والقرن ٦ ق . م ولم يظهروا إلا على بعض أجزائها (الشمالية والوسطى فقط) .

ولم يكن لهم من ملك ودولة موحدة في تلك الأجزاء إلا أقل من قرن واحد فقط (بين القرنين الحادي عشر والعاشر ق . م) حين ملك شاول (حوالي سنة ١٠٣٠ ق . م) ثم داوود (١٠٠٦ - ٩٧٢ ق . م) ثم سليمان (٩٧٢ - ٩٣٢ ق . م وتمزقت بعد ذلك دولة سليمان [1] إلى دويلتين صغيرتين ، استمرت الأولى (اسرائيل وعاصمتها السامرة) في شمال فلسطين حتى محيت على يد الاشوريين (٧٢٠ ق . م) واستمرت الثانية (يهودا وعاصمتها اورشليم) في الوسط حتى استباحها وخربها وخرب الهيكل معا نبوخذ نصر (سنة ٥٩٢ ق . م في السبي البابلي المعروف . وبدأ عصر الشقاق اليهودي (الدياسبورا) منذ ذلك الوقت . وبلغ أوجه بالطرد النهائي لكل ظل يهودي في فلسطين سنة ١٣٥ م . على يد الرومان .

لا يوجد عرق يهودي

في فترة الأسر البابلي كتبت في التوراة قصة الوعد الابراهيمي وأرض الميعاد [2] هذا في الزمن ، أما في التكوين العرقي فليس ثمة عرق يهودي أبدا ، ولا عبراني ولا إسرائيلي ولا ما يزيفون بأي معنى من معاني القوم العرقية .

الجماعة البشرية التي آمنت باليهودية كانت مجموعة خلائط عرقية . التاريخ القديم عرف الأولين منها باسم حابيرو ، أو عبيرو . وكثير منها كان من قطاع الطرق ومن



---

(١) (العربي) كانت دولة سليمان - مع اقتصارها على جزء من فلسطين تحت الحماية المصرية .

(٢) هذه القصة ليس لها سند تاريخي ، بل لفقها الكهنة العائدون من السبي البابلي في العراق (العربي)

التجمعات البدوية التي لا أرض لها . وقد انضووا جميعا ، بعد أن استقروا في جوانب من شمال ووسط فلسطين ، في إطار العبادة الدينية التي كانت تمارسها الجماعات المختلطة الذين خرجوا مع النبي موسى ، من مصر . هذه الاخلاط العرقية والامشاج المتفرقة قضت أكثر من اربعة قرون وهي تجتمع في نطاق عقيدة الرب (يهوه) قبل أن تجبرها الظروف على الاتحاد مع غيرها من القبائل أيضا تحت حكم شاول ثم داوود . يبقى أن نضيف إلى هذا أن هذه الجماعات لم تكن المجموعة السياسية الوحيدة في أيامها في فلسطين . كان هناك الكنعانيون ، والفلسطينيون (من شعوب البحر) [٣] ، والادوميون ، وممالك آرام (بيت عموري) والمؤابيون ، والعمونيون ، والمديَنيون واليبوسيون . .

وتلك الأحداث التي صورت في التوراة ، على أنها أحداث كبرى واضفت عليها الهالة القدسية أبعادا غير طبيعية وادخلتها في الأدب الديني والفكري ـ ليست أكثر من أحداث متواضعة جدا لشعب صغير ، تضخم تاريخه الخاص في ذاكرته الشعبية بمقدار ما كان يشعر به من صغر وضعف أمام القوى الكبرى . فتح أريحا لم يكن أكثر من انتصار مسكين على قرية محصنة جرى أعظم منه وجرى مثله ألف مرة في التاريخ القديم ، وما كان ملك داوود وسليمان أوسع من ولاية من الولايات التابعة لمصر او للأشوريين أو الحثيين أو البابليين أو الفرس . . وأعمال الجماعة العبرية في سفر الملوك أو القضاة قد تكرر مثله وأروع منه مئات المرات في تواريخ مختلف الشعوب وفي مختلف العصور .

العهد القديم » لو حوى قصص الشعوب الأخرى تلك لما كان ثمة مكان فيه لكل تلك القصص الأسطورية بحوارياتها وتفاصيلها وما تفضح أحيانا كثيرة من عمل مخجل !

وأما في الجانب الثقافي فيكفي أن تعلم أنه لم يكن للجماعات العبرانية من لغة مشتركة ، ولا صلة بين اسرائيل القديمة واليهودية .

بعد موسى اصطنع العبرانيون الآلهة الوثنية المحلية بجانب الرب يهوه . حتى سليمان ! حسب نصوص التوراة الموجودة بين الأيدي ـ عبد آلهة زوجاته الوثنيات جميعا . أما اليهودية التي لليهود اليوم فقد تبلورت وتكونت ، على أيدي الحاخامين بعد سقوط إسرائيل ، وبخاصة بعد السبي البابلي في القرن السادس ق . م . . .

ويقول صاحبي : إذا كانت هذه هي حقائق التاريخ فلماذا لم تفضح أو لا تفضح هذا كله ؟ أليس من واجب العلم أن يرجع الحق إلى نصابه ؟

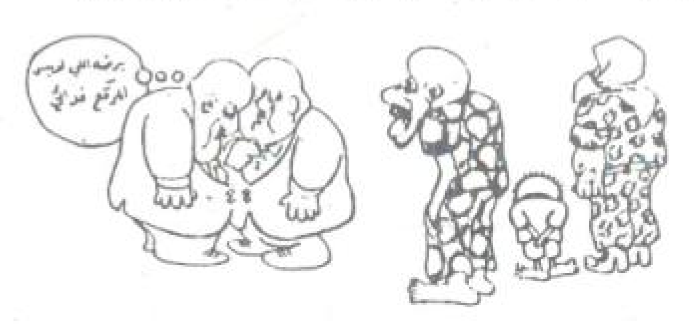
واقول لصاحبي : كل هذا ليس أكثر من بعض اللغو ، من الحديث البائد ، من الصراخ الضائع في الفضاء . إن للاساطير أيضا ثمنها الباهظ جدا ، ولقد فات الأوان على نقضها . وليس بالهام أن تزلزل الأسطورة ، ولكن أن تدمر الآلة والمصالح التي تختبيء وراءها . الهام أن نفهم أن الاسطورة مثلها كمثل الحقيقة سواء بسواء ، أشبه بالكيس الفارغ لا يقوم بذاته ، ولكن بما يمتليء به من قوة . والتاريخ إنما يصنعه ويكتبه الأقوياء . . . . ام ان الاية الكريمة « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » قد انزلت في غيرنا ، ولغيرنا ؟

○

د . شاكر مصطفى

---

(٣) هؤلاء الذين سموا « الفلسطينيين » وبهم سميت الأرض بعد وفودهم اليها هم جماعة قدموا من بحر « إيجة » وأصلهم من البلاد العربية هاجروا إلى هناك ثم عادوا إلى الشام فسكنوا فلسطين (العربي)



مسار القضية الفلسطينية في المجال الدولي

بقلم : جميل مطر

يزخر أدب القضية الفلسطينية بالعديد من الاطروحات التي تناقش وتتبع مسار القضية الفلسطينية في المحافل والساحات الدولية . ومن خلال استعراض الكثير مما نشر يبدو ان قناعات محدده قد تكونت حول أبعاد رئيسية من أبعاد القضية ومساراتها الدولية . ومانطرحه هذه الورقة الموجزة قد يتناقض مع بعض هذه القناعات ، وأتمنى ان يثير من النقاش ماقد يفيد في تصحيح مسار القضية الفلسطينية في المجالين الدولي والعربي .

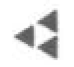
التباس واضح

يوجد التباس واضح في معظم الأدب المنشور عن مسارات القضية الفلسطينية حول موقع « فلسطين » من القضية الفلسطينية . هذا الالتباس مشتق من الالتباس القائم بالفعل داخل المحافل الدولية والذي ترتب عليه عمليا تجميد موضوع « فلسطين » وتنشيط ماتعارفت عليه دبلوماسية المحافل الدولية بالقضية الفلسطينية . وسواء كان الالتباس مقصودا أو أفرزته الأوضاع العربية أو الدولية فانه قد تسبب في وضع آخر مرجعية معينة ونتائج مأساوية نعيشها الآن .

قد يكون من الصعب العثور على نقطة البداية في هذا الوضع . اذا لاشك ان مزيجا من الأحداث والتطورات ساهم في نشأته وتطوره فالمعروف والمتعارف عليه ان المنطقة العربية ـ خلافا لأي منطقة سكانية أو جغرافية أخرى في العالم ـ تشكل نظاما اقليميا قوميا ، أنشأته شبكة من التفاعلات سابقة على استقلال الدول أعضاء هذا النظام . فالمنطقة توحدت طويلاً في خضوعها للحكم العثماني ، ثم للحكم الاستعماري الاوروبي . ونشطت فيها حركة قومية لاتعترف بالحدود السياسية الاستعمارية . وقد تعامل الاستعمار مع الحركات الوطنية العربية بأسلوبين مختلفين ، أحدهما كان يركز على خصوصية كل حركة وطنية وعزلها داخل الحدود السياسية لمشروع الدولة . واتبع هذا الاسلوب في مختلف المناطق العربية وخاصة في مصر وسوريا والعراق ومع حركات شمال أفريقيا ، أما الاسلوب الثاني فقد خصصه للحركة الوطنية الفلسطينية حين عمل منذ البداية على « تعريب » قضية الاستقلال الوطني الفلسطيني ، بتشجيعه لاشتراك حكومات وأحزاب عربية في مؤتمرات ومباحثات حول مستقبل فلسطين .

نتيجة لهذا الوضع الذي ساد المنطقة العربية قبل استقلال معظم دولها ، ونتيجة لاساليب الاستعمار الاوروبي ، تحقق أمران على درجة كبيرة الأهمية . فمن ناحية حدث ارتباط قوي بين الحركة القومية العربية وقضية استقلال فلسطين ، ونشأت في نفس الوقت مصلحة خاصة للحكومات العربية المستقلة وغير المستقلة على حد سواء في مواصلة التدخل في هذه القضية . ومن ناحية أخرى تعرضت قضية استقلال فلسطين لتعقيدات ناشئة عن هذا الارتباط بسبب تناقض مصالح الحكومات العربية وبسبب استمرار خضوعها بشكل أو بآخر للدول الاستعمارية ، بذلك نشأت وتطورت قضية استقلال فلسطين كقضية « شاذة » بين قضايا التحرر في العالم الثالث ، واتخذ هذا الشذوذ مظاهر متعددة ، وتسبب في وضع معالم بارزة أثرت أعمق التأثير على مساراتها العربية والدولية حتى يومنا هذا .

فقضية الاستقلال الوطني الفلسطيني هي القضية التي تتعدد فيها ارادات أطرافها أكثر من أي قضية أخرى ، بل هي القضية التي احتلت الارادة الاصلية مكانة أقل نسبيا من بقية الارادات المشتركة فيها . من جهة ثانية أدى تعدد الارادات في مرحلة أو أخرى الى جذب دوائر دولية أخرى الى محيط دائرة هذه القضية . ومن جهة ثالثة وفي ظل « تعريب » قضية الاستقلال الوطني الفلسطيني ظهر الطرف الصهيوني في هذه القضية أمام العالم ضعيفا ومغبونا



في مواجهة اطراف متعددة ومن جهة رابعة وجدت الحركة القومية العربية في قضية الاستقلال الوطني الفلسطيني مجالا للعمل وفرصة لبث وتعميق أفكارها لدى الجماهير العربية. ومن جهة خامسة وجدت الحكومات العربية في هذا الاتجاه من جانب الحركة القومية مايشغل هذه الحركة عنها، بل وفرصة لمسايرتها للتعبير عن عدم تعارض سياسات الانظمة العربية الحاكمة مع أهم منطلقات الحركة القومية وهو التأييد لفلسطين.

في هذا الاطار تنشأ الازدواج في مسار القضية الفلسطينية، وكان هذا الازدواج على حساب فلسطين. فالمشاركة العربية «الحكومية» قطرية أو جماعية نقلت القضية شكلا الى مصاف القضايا الدولية المتنوعة الأبعاد الصراعية، فاضعفت بذلك منطق القضية كقضية شعب يخضع للاستعمار ويسعى للتحرر والاستقلال، وهو منطق جميع قضايا التحرر في العالم الثالث. كذلك فان قيام الدول العربية - عن طريق جامعتها - بتحمل مسؤولية فلسطين أدى بشكل مباشر وغير مباشر الى اتباع معايير وأساليب في معالجة القضية تختلف عن المعايير والأساليب التي تعارفت فيها سياسات التحرر الوطني، وأدى أيضا الى تفريغ القضية في مراحل هامة من قياداتها الوطنية والى اضعاف وشل الانفعالات والتفاعلات الوطنية داخل الأرض الفلسطينية. وبالتالي فقدت القضية صفة التحرر الوطني وتعددت تعاريفها. ويلفت النظر انه من علامات اكتساب قضية فلسطين لطبيعة خاصة، بل ولعلها من علامات خصوصية الوطن العربي وبصفة عامة أنه ليست فلسطين وحدها هي التي تم تقسيمها بين فلسطين ويهود، بل أن «قضية» فلسطين نفسها جرى أيضا تقسيمها بين عرب وعرب نتيجة أوضاع دولية وعربية معروفة - اذ أنه حين صارت القضية جزءا من شرعية النظم الحاكمة في الوطن العربي، أصبحت «القضية الفلسطينية» أهم من فلسطين. لأن الاهتمام بفلسطين كان يتطلب تعبئة لامكانات تتجاوز قدرة احتمال معظم الحكومات العربية في مواجهة نتائج هذه التعبئة. بينما كان - ولايزال - الاهتمام «بالقضية الفلسطينية» لا يتطلب سوى العمل الدبلوماسي والحركة الجاده أو غير الجاده في المحافل العربية والدولية وشبكة العلاقات العالمية. بالاضافة الى ذلك فان الاهتمام بالقضية يوفر قدراً من الشرعية الداخلية ويسهم في حركة «التوازنات» والتحالفات السياسية والايديولوجية داخل النظام الأقليمي العربي لذلك جرى تقسيم القضية عربيا، بمعنى انه جرى التنافس بين الأطراف العربية على أيها أقدر على سحب القضية في اتجاه دول معين، أو على التحكم في مساراتها الوطنية والدولية وعلى حركة القيادات الفلسطينية الايديولوجية السياسية

وواقعنا الراهن يبين بوضوح ان «فلسطين» كانت الخاسر الوحيد في عملية الفصل بينها وبين ماسمي «بالقضية الفلسطينية».

ان الاستهانة باختلاف المسميات في هذا الموضوع بالذات أمر خطير فقضية فلسطين بمفهوم قضايا التحرر الوطني تختلف في كل شيء تقريبا عن «القضية الفلسطينية» بمفهوم مجمل المسار الدولي العربي «لقضية فلسطين». وكلاهما يختلف عن المقصود بالصراع العربي الاسرائيلي (الامريكي). فالصراع العربي - «الاسرائيلي» هو في حقيقته صراع أحد طرفيه النظام القومي العربي بكل ما في هذا النظام من مقومات ومكونات حتى وان بدت متناقضة والطرف الآخر هو تلك القوة العظمى التي لاتريد - كمرب - حتى الآن أن تعلن هويتها ومسئوليتها. انها القوة الاكثر استفادة من عدم حل قضية استقلال فلسطين، أي انها القوة الاكثر استفادة من مسار القضية الفلسطينية، ومن توسيع نطاق الصراع العربي - الاسرائيلي الى اقصى حد يمكن من خلاله ممارسة السيطرة على كل مجريات الاحداث في النظام القومي العربي بهدف تفتيته ثم بعثرته.

لذلك كان من الضروري أن يوجد وجه آخر للصراع العربي - الامريكي وهو «القضية الفلسطينية». فالاعتراف بوجود صراع عربي - اسرائيلي (امريكي)، يفرض على الطرف العربي في هذا الصراع أن يحدد هوية هذه القوة الهائلة التي تهيمن - أو تسعى للهيمنة - باسرائيل على المنطقة، وأن يعترف بانه طرف في هذا الصراع، أي أنه مهدد بالخطر، وبالتالي فانه يستعد لمواجهة هذا الخطر. اذان فالاعتراف بالصراع الاكبر يتطلب رؤية مختلفة بل ومناقضة للرؤية الحالية. أما التمسك بأن المشكلة الدولية الراهنة في الشرق الاوسط هي «القضية الفلسطينية» فهو يعفي اجزاء الطرف العربي من مواجهة الواقع والخطر، ويسمح لهذه الاجزاء بأن تلعب مطمئنة دور التأييد «للقضية الفلسطينية» دون أن تضطر للمواجهة حول «تحرير فلسطين» أو الصراع الاكبر العربي الاسرائيلي (الامريكي) ولذلك نلاحظ مثلا أنه في معظم الاحوال حين يتعرض عضو عربي في النظام القومي العربي لغزو أو تصلب اسرائيلي أو لاهانة امريكية يزداد تمسك هذا العضو بتأييد «القضية الفلسطينية»، أي بتأييد وسائل الحل السلمية والدولية وخاصة الامريكية. ومن أجل هذا أصبح جوهر «القضية الفلسطينية» هو قضية الحد الادنى والحق الأدنى، ومن أجل هذا أيضا بدأنا نفهم خطورة التركيز على «القضية الفلسطينية» ليس فقط على حساب «فلسطين» بل على حساب عروبة واستقلال هذه الامة العربية. خلاصة القول أن «القضية الفلسطينية»

كما عرفناها من خلال اتجاهات وسياسات الدول الاستعمارية التقليدية وغير التقليدية ، ومن خلال وصاية الدول العربية لم تنفع « قضية فلسطين » كقضية تحرر وطني بدليل الواقع المأساوي الذي تعيشه الآن بعد أكثر من اربعين عاما من ممارسة « القضية الفلسطينية » فضلا عن أنها عطلت الفهم والادراك العربي لمختلف أبعاد الصراع العربي الاسرائيلي (الامريكي) كصراع كلي متكامل وكصراع على الوجود . والنتيجة أن الاستمرار في التمسك بأسلوب « القضية الفلسطينية » نجح في قمع الفهم لحقيقة اهداف الصراع العربي الاسرائيلي (الامريكي) ، دون أن يخطو خطوة واحدة نحو تحقيق تحرير فلسطين .

ان الدرس المستخلص من مسار قضية « فلسطين » (والصراع العربي الاسرائيلي في الساحة العربية والساحات الدولية هو ضرورة العمل في القضيتين بالتوازي ، أي اولا العودة الى احياء قضية تحرير فلسطين . والخطوة الأولى في هذا السبيل تكون بتحرير ممثلي الشعب الفلسطيني من الاحضان والقيود العربية ، وبتحرير « قضية التحرير » من الوصاية المعتدلة أو المتطرفة على حد سواء . وثانيا البدء في التعامل مع الصراع العربي الاسرائيلي تعاملا واقعيا أي بتعريف اطرافه تعريفا واضحا والاعلان عن اهدافه التي هي تفريغ الارض العربية من الوجود القومي وبعثرة هذا الوطن . لقد أثبت مسار « القضية الفلسطينية » في الساحات العربية والدولية أن المساحة التي تفصل بين الرفض العربي للاعتراف بالصراع العربي الاسرائيلي (الامريكي) كصراع مصير ووجود ورفض مواجهته ، وبين الوصاية العربية الدائمة سياسيا والمتقطعة في نواحي اخرى على ماسمي بالقضية الفلسطينية . وهي المساحة التي استكملت اسرائيل من خلالها احتلال بقية فلسطين وتهويد معظمها ، وهي نفس المساحة التي تنفذت من خلالها قوة دولية ضخمة لاحكام سيطرتها على المنطقة العربية بأسرها .

لقد تحقق خلال مسار « القضية الفلسطينية » تكبير قضية تحرير فلسطين وداخل ماسمي « بالقضية الفلسطينية » لمنع حلها وللاستفادة من هذا التكبير لتحقيق اهداف الصراع العربي الاسرائيلي (الامريكي) . والآن وبعد أن تحقق تقليص قضية تحرير فلسطين الى حدود المقدمة الدنيا أو اللاحقوق ، قد تبدأ بعد فترة وجيزة ، عملية تفتيت « القضية الفلسطينية » أي فك التعريب والانتقال الى جني ثمار أهداف الصراع العربي الاسرائيلي (الامريكي) .

فلسطين والصراع الدولي على القمة

سادت قناعات مفادها أن « القضية الفلسطينية » ـ كقضية معربة لاكقضية تحرير وطني قضية دولية وبؤرة من بؤر الصراع الحاد الناشب بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة ـ ولاشك ان هيمنة هذه القناعات قد رتبت آثارا وعواقب كثيرة في السياسات الخارجية العربية والنشاط الفلسطيني .

وأزعم ان هذه القناعات لاتتوافر أدلة كافية على صحتها . فلأسباب مختلفة وأخرى متطابقة اتفق القطبان الاعظم في مرحلة مبكرة من مراحل قضية تحرير فلسطين على قيام ودعم الكيان الصهيوني في فلسطين ومنذ ذلك الحين احتكرت الولايات المتحدة العمل في تحديد مسار هذه القضية محليا ، ولكنها تناقشت مع الاتحاد السوفيتي على بعض أساليب العمل في هذا المسار خارجيا ، أي في أطار مسار القضية الفلسطينية كقضية عربية . وحين أقول ان الولايات المتحدة احتكرت العمل الدولي محليا ، أعني بذلك أنها فرضت منذ البدايةسياسة النهض ضد تحرير فلسطين أي الحل لصالح الفلسطينيين ـ وتحكمت في المصير الفلسطيني عبر عدة عوامل ، أهمها اختراق شبكة التفاعلات العربية والسياسات الخارجية العربية اما بمعاداة بعض الحكومات العربية ومصادقة بعض آخر أو بأسلوب صدمات متلاحقه والدعم الكامل لاسرائيل ومحاربة ظهور وتوحد كيان أو جهاز ممثل للفلسطينيين أوناطق باسمهم .

ولم يحدث في أي مرحلة ان انتقلت العلاقات الامريكية السوفيتية الى حد الصراع الدولي حول فلسطين ، وكانت احدى ادوات المنافسة هي النفوذ في محيط قضية فلسطين وليس داخل القضية ذاتها . ولذلك يلاحظ ان القطبين الدوليين اشترطا بشكل أو بآخر على الدول العربية اعضاء هذا المحيط أن لاتفهم احداها تأييد أي من القطبين على أنه تأييد لتحرير فلسطين . وكان الشرط الدائم هو ان السلاح الذي تتزود به الدول العربية لايستخدم لتحرير فلسطين ، ولكن يمكن استخدامه في اطر « تحريك القضية الفلسطينية » أو لحروب أخرى ـ عربية أو عربية ـ دولية . اذن فقضية فلسطين لم تكن مطروحة في أية لحظة كقضية صراعية بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة . ولكن ماكان مطروحا ـ ومازال ـ هو التنافس داخل مسار « القضية الفلسطينية » في المجال العربي والدولي .

وتبرز خطورة الاقتناع بأن فلسطين عانت ماعانته بسبب كونها بؤرة ساخنة من بؤر الصراع الدولي من الاضطراب الذي ساد ويسود الفكر السياسي العربي تجاه الدولتين الاعظم ، والتعثر الذي أصاب مسار قضية تحرير

فلسطين . اذا انقسم العرب ـ والفلسطينيون ـ في مراحل كثيرة فريقين :
فريق يلقي اللوم على الذين أطمأنوا الى التأييد العسكري والسياسي السوفيتي ويحملهم مسؤولية ماحدث ، ويحدث في فلسطين ، وأنه لولا هذا الاطمئنان والاقتراب من الاتحاد السوفيتي لقامت الولايات المتحدة بحل القضية منذ وقت طويل .

وفريق يلوم الآخرين الذين عقدوا الأمل على الولايات المتحدة لتمارس ضغوطها على اسرائيل وفي كثير من الاحيان تبادل اللوم الى صراعات حقيقية وانقسامات خطيرة . ولكن الاخطر من هذه الانقسامات ان قضية فلسطين أخذت تحتل مركزا ثانويا في اهتمامات الدول العربية بسبب تنافس هذه الدول على القطين وبسبب تركيز الجهد العربي حول جذب القيادة التي تمثل الشعب الفلسطيني الى هذا الجانب الدولي أو ذاك وهو الامر الذي أنهك القيادة الفلسطينية وأضاف الى متاعبها ومشاكلها عربيا ودوليا . اذا اختلطت الحقوق والمطالب الفلسطينية كقضية تحرر وطني مع مصالح وأهداف حكومات عربية والتزاماتها تجاه تحالفاتها السياسية والدولية والنتيجة الطبيعية لهذا الاختلاط أن تكون على حساب حقوق فلسطين ومطالبها .

ان النظرة الموضوعية الى مسار القضية الفلسطينية دوليا تكشف عن حقيقة ان العنصر الدولي الرئيسي على طول هذا المسار كان ومايزال الولايات المتحدة الامريكية وليس الصراع الامريكي السوفيتي . فالصراع في حد ذاته لم يخلق دولة اسرائيل ولم يعطل أو يعجل بالتسوية السلمية أو العسكرية . أما الصراع الحقيقي فهو الصراع ـ وحيد الطرف ـ القائم بين الولايات المتحدة والعرب وأقول وحيد لان الطرف العربي يرفض باصرار التعمق في فهم الاهداف الامريكية في فلسطين وفي الوطن العربي . ان الولايات المتحدة لوكانت راغبة في تسوية هذه القضية لصالح الفلسطينيين لامكنها ذلك في مناخ حرب باردة أو وفاق دولي . ولكنها لم تفعل . والسبب هو ان الولايات المتحدة لم تضع في خياراتها السياسية في أي وقت خيار تحرير فلسطين أو جزء منها . وانما الهدف الثابت هو السيطرة على كل تفاعلات وقدرات الوطن العربي والقضية الفلسطينية هي اداة هذه السيطرة ومنع تكامل التفاعلات العربية وتفكيك أسس الحركة القومية عن طريق عزل أو اضعاف القوى الفاعلة في النظام القومي العربي ونشر اليأس والفساد بين الجماهير العربية .

وربما لاتوجد للولايات المتحدة اطماع اقليمية في أراضي العرب ، ولكن المؤكد أنها أوجدت اطماعا اقليمية لاسرائيل وشجعتها على التوسع وتهديد الدول العربية .

وبهذا التهديد المتواصل امكن للولايات المتحدة ان تفصل بين القدرات العربية المنفردة والكلية وبين قضية تحرير فلسطين ، وتحقق لها في نهاية الأمر ان يصبح « الكل العربي » مجموع اجزاء منفصلة ، وليس « الكل الذي هو أهم وأكبر من مجموع اجزائه . وصار من الممكن احتضان الاجزاء . ومع كل زيادة في درجة هذا الاحتضان يزداد احتضان هذه الاجزاء للقيادة الفلسطينية فتتقلص بدائل العمل الفلسطيني ، ولا يتبقى سوى خيار واحد وهو تأكيد التفويض الممنوح كاملا الى الولايات المتحدة .

ان العقدة الكبرى في مسار القضية الفلسطينية لم تزل الموقف العربي من الولايات المتحدة . اذ بينما يزداد عدد المؤمنين العرب بأن أكثر أو كل أوراق القضية في أيدي الولايات المتحدة ، لم يحدث أن اعترف العرب بدوافع هذا الايمان المتزايد والنتائج المترتبة عليه . والدافع الرئيسي الذي لم يعترف به العرب هو أن الولايات المتحدة مسؤولة مسؤولية كاملة ومباشرة عن ضياع فلسطين وعن بقية المشكلات المتفرعة عن وجود اسرائيل بهذه القوة والتفوق في المنطقة فالولايات المتحدة لايمكن أن نعتبرها مالكة لكل الأوراق أو أكثرها الا اذا اعتبرناها في نفس الوقت الطرف الأساسي في الصراع وغير راغبة في تحرير فلسطين أو جزء منها . ولكن الاعتراف بوجود هذا الصراع بهذا الشكل وبأنه موجه أساسا ضد الامة العربية بأسرها يعني وجود طرف آخر فيه يتعين عليه اتخاذ موقع المواجهة . والمواجهة تعني تعبئة امكانات الامة العربية سياسيا ودبلوماسيا واقتصاديا وبشريا ، أي المشاركة كطرف في الصراع بهدف انتزاع بعض الاوراق لتكون اوراقا عربية ولصيانة الوجود العربي أما عدم الاعتراف بوجود طرفين رئيسيين في الصراع الناشب في الشرق الأوسط والاقتصار بل الاصرار على تحجيم الطرف الآخر وجعله اسرائيل فقط فانه يعني في حقيقة الأمر نزع جميع القدرات العربية وتفويض الولايات المتحدة تفويضا كاملا لحل القضية ، أي يصبح الهدف العربي استعجال وقوع المصير الذي تريده امريكا للطرف العربي مع الأمل بأن تكون رحيمة .

ان خلاصة مسار القضية الفلسطينية في تشابك العلاقات الدولية تكمن في حقيقة ان الدول العربية بددت أرصدة هائلة في علاقاتها الدولية سعيا وراء زج القضية في شبكة صراعات القمة الدولية وفشلت ولكنها فضلت اقناع نفسها بأن القضية صارت داخل هذه الشبكة ، وفشلت في ادارة الصراع برفضها المستمر تحديد هوية الطرف الآخر فيه أو حق الاعتراف بوجوده . ○

جميل مطر

الاخضاع الاقتصادي في الضفة والقطاع

بقلم الدكتور : عاطف قبرصي

يتناول المقال المخطط الاسرائيلي للسيطرة على الضفة والقطاع في الجانب الاقتصادي . .

يواجه الاقتصاد الاسرائيلي اليوم أزمة اقتصادية حادة ووضعا حرجا . وليست هذه الأزمة بأمر جديد على اقتصاد إسرائيل المزيل والاصطناعي ، فالمعضلات الاقتصادية في إسرائيل مزمنة ومتأصلة في جوهر هذا النظام وتركيبه ونتيجة طبيعية لنزع فلسطين عن محيطها الطبيعي ولاعتماد إسرائيل بالتالي على أسواق تبعد عنها مسافات طويلة ، أصبحت أكثر بعدا بعد ارتفاع أسعار الطاقة والنقل ولأنها غير قادرة على المنافسة في هذه الأسواق من جراء تخصصها بتصدير بضائع لاتتمتع بأفضلية ، حتى النسبية منه ، في إنتاجها ولكثرة المنافسين الأكثر كفاءة والأقرب منها إلى الأسواق المستوردة . زد على ذلك أن إسرائيل باتت ترزح تحت أعباء ميزانية عسكرية لاتقوى على تحملها ، حتى بعد المساعدات الهائلة التي تحصل عليها من أميركا وغيرها من الدول الغربية . فقد بات واضحا أن هذه المساعدات أسفرت أخيرا عن ارتفاع معدلات التضخم في إسرائيل (التي تزيد عن ١٣٧٪ سنويا)وساهمت في رفع الطلب الاستهلاكي من دون زيادة مقابلة في جملة العرض .

أما الوضع الصناعي في إسرائيل فهو لايختلف كثيرا عما هو عليه في معظم الدول النامية ، إذ أن روابط التشابك التكنولوجية بين القطاعات هي إما معدومة وإما محدودة . كما أن معظم الصناعات الاسرائيلية ذات أحجام صغيرة لاتمكنها من الاستفادة في اقتصاديات الحجم الكبيرة فضلا عن أن الصناعات الاسرائيلية قد شتتت جغرافيا بغية تحقيق أهداف عسكرية كانت على حساب الجدوى الاقتصادية لهذه الصناعات . لهذا يبدو واضحا وجليا أن مستقبل إحياء اقتصاد إسرائيل مرتبط ارتباطا وثيقا بالمنطقة المحيطة بها وبقدرته على فرض نفسه عليها . فعناصر اللعبة الاقتصادية الاسرائيلية في الأراضي المحتلة وعلى رغم تعقيداتها ، محبكة الأوصال وواضحة الأهداف وجزء من مخطط كامل تجرى تجربته حاليا في المناطق المحتلة من فلسطين ولبنان ويهدف في النهاية إلى إخضاع المنطقة العربية بأسرها . أما أهم عناصر هذه اللعبة فتتألف من الأهداف التالية :

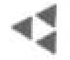
أولا : السيطرة المطلقة على أسواق الضفة والقطاع والاستئثار بها ودمجها في الاقتصاد الاسرائيلي دمجا مبرما غير قابل للتغيير .

ثانيا : احتكار الموارد الطبيعية والبشرية وقمع المحاولات في استعمال هذه الموارد والاستفادة منها .

ثالثا : إفراغ المناطق المحتلة من الخبرات والقدرات المحلية ونزع الفلاحين عن أرضهم وتحويلهم إلى « بروليتارية » يومية تعمل في إسرائيل حسب حاجات وإرادة إسرائيل وبالشروط والأسعار التي يحددها العدو .

رابعا : استعمال الأقنية الاقتصادية في الضفة والقطاع كمصارف لفائض الإنتاج الاسرائيلي في الأسواق العربية .

أما الوسائل الرئيسية لتحقيق هذه الأهداف فتتضمن السيطرة على المياه وفرض القيود على الواردات من البلاد الأخرى ومحق الادارة السياسية المحلية وأجهزتها المستقلة ، وتقنين استعمال الأراضي أومصادرتها ، وتغيير هيكلية الانتاج وحل المؤسسات المالية والتعاونيات القادرة على تحويل مشاريع الانتاج ، ومنع إنشاء دور البحث والتكنولوجيا وإغلاق الجامعات المحلية وفرض التداول



بالليرة الاسرائيلية وتعريض الاقتصاد المحلي للاقتصاد الاسرائيلي بأكلافه العالية والمدعم حكوميا في جميع عملياته الانتاجية .

أما نتائج هذه اللعبة على المناطق المحتلة فكانت فادحة وآنية . فتقنين المياه في الضفة عطل الانتاج الزراعي وغير تركيبة العرض فنتج عنه زيادة مطردة في أعداد الفلاحين العاطلين عن العمل ، فمنهم من نزح عن المناطق المحتلة واضطر الآخرون للعمل في إسرائيل باجور زهيدة .

إن العلاقة بين انحسار النشاط الزراعي في الضفة والقطاع والزيادة المطردة في عدد الفلسطينيين العاملين في إسرائيل لهي علاقة مباشرة سببية وليست مجرد صدفة اقتصادية عابرة .

أما تغيير تركيبة الانتاج فمن شأنه جعل المناطق المحتلة أكثر اعتمادا على إسرائيل لتزويدها بالأغذية . فالانتاج الحالي موجه إلى إشباع المتطلبات الاسرائيلية وهو تكملة لتركيبة الانتاج والطلب في إسرائيل .

فقد تضاءل إنتاج البطيخ والقمح والشعير والخضروات بعد الاحتلال في حين ازداد انتاج الحمضيات ، (راجع دراسة المؤلف « الآثار الاقتصادية لاتفاق كامب ديفيد » . مؤسسة الدراسات الفلسطينية . بيروت ، ١٩٨٢ ، صفحة ٨٦) . حتى الحلقات التدريبية والاستشارات العلمية التي قدمتها إسرائيل في المناطق المحتلة فكانت على لسان الاسرائيلي آريه برغمان « جزءمن سياسة الوزارة بان تمنع وجود التنافس في فروع معينة خلال فصول معينة بين المزارعين من المناطق المحتلة وأولئك الذين في اسرائيل »

Arie Bergman, Economic Growth In The Admimistred Areas 1967—1973 (Jerusalem, Bank of Israel, Research Department, December 1974, p. 49)

وبالتأكيد فإن نزع الملكية من أصحاب الأراضي الزراعين تحت ستار حاجات الأمن قوى من قدرة سلطات الاحتلال من تحقيق أهدافهم الاقتصادية . فمن مجموع مساحة ٥٥٠ألف هكتار في الضفة استعملت إسرائيل أكثر من ١٥٠ ألف هكتار . ومصادرة الأراضي عملية يومية في ازدياد مطرد .

نظريا ، بإمكان الفلسطينيين الذين لايملكون الأراضي أن يجدوا عملا بديلا في قطاعات أخرى من اقتصادهم كالصناعة مثلا أو الخدمات الحكومية ، لكن حقيقة الأمر أن الاحتلال محق الأرضية الصناعية وعطل جميع فرصها . فالأسواق التقليدية ضاقت بشكل حاد وازدادت أجور اليد العاملة بعد تعريض اقتصاديات المناطق المحتلة للاقتصاد الاسرائيلي المرتفع الكلفة واستنزفت الادخارات المحلية إما بالضرائب المرتفعة وإما بتحويلها إلى أموال أردنية سائلة نظرا إلى معدلات التضخم الهائلة لليرة الاسرائيلية . هذا وقد أغرقت اسرائيل أسواق المناطق المحتلة بالبضائع الاسرائيلية مما قضى على المنافسين المحليين . زد على ذلك غلاء المواد الأولية المحصورة العرض بإسرائيل . فبعد مضي أكثر من أحد عشر عاما على الاحتلال كانت هنالك سبع مؤسسات صناعية فقط في الضفة توظف اكثر من ١٠٠ عامل (لاتوجد أي مؤسسة في قطاع غزة) ونحو سبع مؤسسات توظف مابين ٥٠ ـ ٩٩ عاملا (لاشيء في غزة) . وجميع هذه المؤسسات ما عدا اثنين منها كانتا قد انشئتا قبل الاحتلال ، وكون الرواتب والأجور في الضفة والقطاع تمثل جزءا بسيطا في الأجور في إسرائيل ، فالنظرية الاقتصادية تشير إلى حتمية انتقال الصناعة من اسرائيل إلى الضفة للاستفادة من هذا التفاوت . لكن هذا طبعا لم يحدث . إذ أن إسرائيل فضلت أن تبقي الأراضي المحتلة أسواقا مفتوحة لتصريف متوجاتها ومغلقة لغيرها من المنافسين . فالمناطق المحتلة تستورد بصورة متزايدة منتوجات من البضائع الاسرائيلية المصنعة بحيث أن اكثر من ٩٠ ٪ من واردات الضفة والقطاع يأتي من إسرائيل .

خطوات لأحكام السيطرة

ولكي تحكم إسرائيل سيطرتها على المناطق المحتلة اتخذت عدة إجراءات أخرى مآلها الامعان في السيطرة على اقتصاديات هذه المناطق ومنها حصر مراكز الأبحاث العلمية بإسرائيل فقد سمح العدو لقليل جدا من مراكز الأبحاث بأن يعمل في المناطق ولكن بشروط قاسية جدا . هذا وقد حاولت إسرائيل إقناع سكان المناطق المحتلة بوصل شبكة الكهرباء لديهم بشبكة الكهرباء الاسرائيلية كما تحركت إسرائيل بسرعة لازالة أي مركز حكومي محلي قادر على التمويل الاقتصادى بواسطة التخطيط والمواجهة محبطة بذلك أي عنصر سياسي إيجابي وضروري للتطور والتصنيع .

إن التحدى المصيرى لخطة إخضاع اقتصاديات المناطق المحتلة ودمجها بالاقتصاد الاسرائيلي تتطلب وعيا كاملا لهذه الميكانيزمات والعمل السريع على نقضها وافشالها . وهذا

يتطلب الوعي السياسي والمعرفة الاقتصادية والارادة على المواجهة والموارد والمصادر الاقتصادية الكافية لتأمين تحقيق الخطة العربية في المواجهة . فاللعبة العربية الاقتصادية عليها ان تستهدف تحقيق الأهداف التالية :

أولا : تقوية الترابط الاقتصادي بين المناطق المحتلة والأسواق العربية . المهم أن تكون المصادر والمنتوجات الموجهة من القطاع والضفة إلى الاسواق العربية عربية المنشأ والمصدر والمنفع . نعم إن هدف إسرائيل هو القفز عبر المناطق المحتلة إلى الأسواق العربية ، غير أن يقظة العرب وحكمتهم من شأنها أن يحبطا استغلال الموقف الاسرائيلي وتشجيع الابقاء على الروابط والعلاقات الاقتصادية بين المناطق المحتلة والاقتصاديات العربية لكي يبقى النضال في المناطق المحتلة حيا وواقعيا . ولكي تبقى هذه المناطق مناطق عربية حيوية عاملة ومنتجة ومحافظة على طاقاتها .

ثانيا : على العرب توفير رأس المال الصناعي والمعونات الفنية والصناعية لاشادة الصناعات العربية في المناطق المحتلة لتبقي عمال المناطق ضمن مناطقهم . إن خلق فرص العمل البديلة في المناطق المحتلة من شأنه أن يوقف السيل الهادر من الطاقات العربية العاملة إلى إسرائيل كما أنه يوقف النزوح إلى الخارج . تشجيع الصناعات اليدوية والصغيرة ذات الكثافة العمالية العالية والمستعملة للموارد الطبيعية المحلية يجب أن يعطى الأولوية .

ثالثا : إن فضح السياسة المالية الاسرائيلية ورفع هذا الأمر إلى المحكمة الدولية وفي جميع المحافل ضرورة سياسية واقتصادية . ومد السكان العرب بالمعونات الفنية والمادية لاستغلال مواردهم المالية يجب أن يحتل المركز الأساسي في مكونات المساعدات العربية .

رابعا : يجب توفير المعرفة ورأس المال لاعادة تركية الانتاج الزراعي في المناطق المحتلة إلى ما كان عليه قبل الاحتلال .

خامسا : على المؤسسات الاقتصادية العربية وصناديق التمويل لعب دورها في هذه المواجهة وتأمين التسهيلات العلمية لطلاب المناطق المحتلة لاستيعاب أفضل السبل التكنولوجية لمواجهة المنافسة الاسرائيلية ولافشال المخطط الاسرائيلي بتعطيل دور العلم والجامعات في المناطق المحتلة .

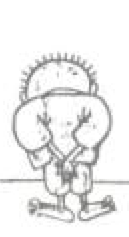
سادسا : إنشاء جمعيات تسويقية للبضائع العربية المنتجة في المناطق المحتلة تستعمل أرباحها لتوفير مزيد من الدعم المادي والمعنوي للنضال في مناطق الاحتلال .

تتميز إسرائيل عن العرب بنظرتها المستقبلية وتخطيطها الصهيوني . والعرب في ذلك أمام تحد تاريخي فإما أن يقابلوا تخطيط إسرائيل لاستعبادهم بتخطيط مرادف مواجه وذكي ، وإما أن يقدموا أنفسهم دولة دولة وشعبا شعبا رهائن للاستغلال الصهيوني . وقد أعذر من أنذر .

عاطف قبرصي

جامعة مكمستر ـ كندا .





الخصائص الديمغرافية والإجتماعية للشعب الفلسطيني

بقلم الدكتور باسم سرحان

عندما نتحدث عن الشعب الفلسطيني ينبغي أن نعرف محتوى ما نتحدث عنه ، وهذا استعراض موجز للخصائص الديموغرافية والاجتماعية لهذا الشعب

نود قبل الدخول في استعراض الخصائص الديموغرافية والاجتماعية للشعب الفلسطيني ان نضع امام القاريء بعض الملاحظات المتعلقة بالبيانات الاجمالية التي تعتمد عليها هذه الدراسة .

اولا : نجد انه بالنسبة لمعظم الخصائص الديموغرافية والاجتماعية لا تتوفر الصورة الكلية للشعب الفلسطيني . وهذا امر مفهوم لان الفلسطينيين يعيشون في اقطار عدة بعضها لديه احصاءات بالنسبة للفلسطينيين المقيمين فيه وبعضها لا يجمع احصاءات كهذه . كما ان لكل جهاز احصائي في كل قطر عربي اهتماماته التي تحدد نوع البيانات الاحصائية التي يجمعها عن سكانه او عن المقيمين فيه من غير المواطنين . فسوريا ولبنان مثلا لا يجمعان بيانات تتعلق بمعدل الولادات والوفيات بالنسبة للفلسطينيين ، بينما لا ينشر الاردن في مجموعته الاحصائية السنوية بيانات حول الحالة التعليمية للسكان .

ثانيا : سنعطي الصورة الاجمالية او شبه الاجمالية لكل خاصة من الخصائص الديموغرافية المتوفرة ، ولكننا سنشير في حالات معينة الى التفاوت في هذه الخصائص بين التجمعات الفلسطينية في الاقطار المختلفة مع محاولة تقديم تفسير لهذا التفاوت .

ثالثا : سيلاحظ القاريء غياب اي بيانات بالنسبة لبعض الخصائص الديموغرافية والاجتماعية مثل معدل الخصوبة او معدل وفيات الاطفال الرضع . وهذا يعود الى عدم قيام اي قطر بتوفير البيانات الخاصة بهذه الجوانب .

رابعا : البيانات المتوفرة بالنسبة للعديد من الخصائص تقريبية وليست صحيحة مئة بالمئة لانها مزيج من قياسات متفاوتة وفي سنوات متفاوتة . مثلا بالنسبة لمعدل المساهمة في قوة العمل نجد البيانات متوفرة في بعض الدول للعام ١٩٧٩ ، وفي دول اخرى للعام ١٩٧٦ او ١٩٨٠ . ولكننا مضطرين لكي نخرج بصورة اجمالية الى جمع هذه البيانات وكانها للسنة نفسها . وتظل هذه الطريقة في المعالجة افضل من عدم تقديم اية صورة حول جوانب ديموغرافية معينة .

(١) التوزيع السكاني جغرافيا :

بلغ العدد الاجمالي للعرب الفلسطينيين عام ١٩٨١ اربعة ملايين ونصف المليون تقريبا . ويظهر الجدول رقم (١) ادناه توزيع الفلسطينيين حسب مكان الاقامة . ويظهر من الجدول ان ٤٠٪ تقريبا من الشعب الفلسطيني مازال يقيم في فلسطين (١٨,٧٪ في الضفة الغربية ، ١٠٪ في قطاع غزة و١٢,٤٪ في فلسطين المحتلة قبل ١٩٦٧) . ويعيش ربع الفلسطينيين في الاردن . ويتوزع الباقون على الدول العربية (٣٠٪) والدول الاجنبية (٥٪) .

اما عدد الفلسطينيين المسجلين كلاجئين عند وكالة الامم المتحدة لاغاثة وتشغيل الفلسطينيين في الشرق الادنى (الاونروا) فقد بلغ ١,٨٤٤,٣١٨ شخصا في عام ١٩٨٠ ، اي ٤١,٥٪ من مجموع الشعب الفلسطيني .

جدول رقم (١)

تقدير عدد العرب الفلسطينيين حسب مكان الاقامة : ١٩٨١

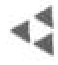
مكان الاقامـــة	عدد السكان	النسبة المئويـة
الضفة الغربية	٨٣٣,٠٠٠	١٨,٧
قطاع غزة	٤٥١,٤٠٠	١٠,١
فلسطين المحتلة قبل ١٩٦٧	٥٥٠,٨٠٠	١٢,٤
الاردن (الضفة الشرقية)	١,١٤٨,٣٣٤	٢٥,٩
سوريا	٢٢٢,٥٢٥	٥,٠
لبنان	٣٥٨,٢٠٧	٨,٠
الكويت	٢٩٩,٧١٠	٦,٧
العراق	٢٠,٦٠٤	٠,٥
ليبيا	٢٣,٧٦٩	٠,٦
مصر	٤٥,٦٠٥	١,٢
السعودية	١٣٦,٧٧٩	٣,٠
الامارات العربية المتحدة	٣٦,٥٠٤	٠,٨
قطر	٢٤,٢٣٣	٠,٥
البحرين وعمان وباقي الدول العربية	٥٠,٧٠٦	١,١
الولايات المتحدة الامريكية	١٠٤,٨٥٦	٢,٣
باقي دول العالم	١٤٠,١١٦	٣,١
المجموع	٤,٤٤٧,١٣٨	٩٩,٩

المصدر : المجموعة الاحصائية الفلسطينية ١٩٨١ م . ت . ف المكتب المركزي للاحصاء ـ دمشق (ص ٣٠) .

(٢) التركيب العمري :

كان التركيب العمري للفلسطينيين في النصف الثاني من السبعينات كالتالي :

الفئة العمرية	العدد (بالآلاف)	النسبة المئويـة
٠ ـ ١٤ سنة	١,٢٨٦	٤٧,٧
١٥ ـ ٦٤ سنة	١,٣١٦	٤٨,٩
٦٥ فأكثـــر	٨٩	٣,٣
المجمـــوع	٢,٦٩١	٩٩,٩



وتظهر هذه البيانات ان الشعب الفلسطيني شعب فتي عموما . وهذه الصفة تنطبق على شعوب العالم الثالث . فنجد ان نسبة الأولاد مرتفعة جدا مما يعني ان نسبة الاعالة مرتفعة . كما ان نسبة المسنين ضئيلة وربما يرجع هذا الى انخفاض العمر المتوقع للمولود . ولا يختلف الشعب الفلسطيني في تركيبه العمري عن بقية السكان في الاقطار العربية الاخرى ، او عن سكان العالم الثالث .

(٣) نسبة النوع :

توفرت لدينا بيانات حول نسبة النوع (عدد الذكور لكل مئة من الاناث) للفترة ١٩٧٥ - ١٩٨٠ . وكانت هذه النسبة ١٠٦ ، اي بمعدل ١٠٦ رجال لكل ١٠٠ امرأة . فقد بلغ مجموع الفلسطينيين الذين توفرت عنهم بيانات ٣,٥٨١,٠٠٠ كان مجموع الذكور منهم ١,٨٤٢,٠٠٠ ومجموع الاناث ١,٧٣٩,٠٠٠ . ومن المفيد الاشارة الى ان نسبة النوع تتفاوت كثيرا في التجمعات الفلسطينية طبقا لظروف الهجرة والاقامة . فعدد الذكور والاناث كان متساويا تقريبا في الضفة الغربية عام ١٩٧٩ (نسبة النوع ١٠٠,٣) بينما نجده يختل اختلالا كبيرا في الامارات العربية المتحدة وليبيا (١٦٥) ذكر لكل ١٠٠ انثى فلسطينية في الامارات عام ١٩٧٥ . و١٦٦ ذكر لكل انثى في ليبيا عام ١٩٧٣) . وهذا الاختلال يرجع الى كون الرجال الفلسطينيين يهاجرون بمفردهم (خاصة العزاب) الى الاقطار المستوردة للعمالة ويتركون اسرهم في فلسطين او في الاردن وسوريا . (انظر جدول رقم ٢ ادناه) .

(٤) الحالة الزواجية

لقد توفرت بيانات حول الحالة الزواجية للفلسطينيين في اقطار محدودة وهي سوريا ، لبنان (المخيمات فقط) ، الكويت ، السعودية ومصر . ولقد توفرت هذه البيانات لعام ١٩٨٠ للدول المذكورة ، بينما توفرت لعام ١٩٧٠ لكل من سوريا ، لبنان (المخيمات) ، والكويت فقط . ورغم ان هذه البيانات لا تعطي الصورة العامة للحالة الزواجية للفلسطينيين سن ١٥ سنة فاكثر فقد رأينا معالجتها في البحث بشكل عينة تمثل ما لا يقل عن ٣٠٪ من الفلسطينيين . ويظهر الجدولان رقم ٣ ورقم ٤ الحالة الزواجية للفلسطينيين في الاقطار المذكورة .

جدول رقم (٢)(*)

العرب الفلسطينيون حسب النوع ونسبة النوع

المكان	ذكور آلاف	اناث آلاف	المجموع آلاف	نسبة النوع	السنة
الضفة الغربية	٤٠٤	٤٠٢	٨٠٦	١٠٠,٣	١٩٧٩
غزة	٢١٥	٢١٨	٤٣٣	٩٨,٥	١٩٧٩
فلسطين المحتلة	٢٥٩	٢٥٣	٥١١	١٠٢,٨	١٩٧٩
الاردن	٥٦٢	٥١٤	١٠٧٦	١١٠	١٩٧٩
سوريا	١٢٢	١١٦	٢٣٨	١٠٥	١٩٨٠
مخيمات لبنان	٣٤	٣٤	٦٨	١٠٠	١٩٨٠
العراق	١١	٩	٢٠	١٢١	١٩٨٢
مصر	١٧	١٢	٢٩	١٤١	١٩٧٦
السعودية	٤٤	٣٧	٨١	١١٩	١٩٧٤
الامارات	١٧	١٠	٢٧	١٦٥	١٩٧٥
الكويت	١٤٧	١٢٩	٢٧٦	١١٤	١٩٨٠
ليبيا	١٠	٦	١٦	١٦٦	١٩٧٣
المجموع العام	١٨٤٢	١٧٣٩	٣٥٨١	١٠٦	—

(*) المصدر : المجموعة الاحصائية الفلسطينية ١٩٨١

ويمكن التوصل الى بعض الاستنتاجات حول انماط الزواج عند الفلسطينيين للحقبة ١٩٧٠ - ١٩٨٠ :

أ - ارتفع معدل العزّاب الاجمالي للفئة العمرية ١٥ سنة فأكثر ٢٪ خلال الفترة المذكورة بالنسبة لكل من الذكور والاناث الفلسطينيين . وهذا يعني ان هناك اتجاها واضحا لتأخير سن الزواج عند الفلسطينيين .

ب - ان ثلثي العزاب تقريبا من الذكور . وهذا يعني ان نسبة عالية من الذكور في سن الزواج تمتنع عن الزواج او تؤجله . ويمكن تفهم هذه الظاهرة من خلال نظام الزواج العربي الذي يلقي مسؤوليات كبيرة على الرجل في تأمين كافة متطلبات الحياة الزوجية بينما لا يتطلب في المقابل من الاناث تحمل مسؤوليات جسيمة في هذا الصدد . كما يمكن تفهم هذه الظاهرة من حقيقة ان المرأة الفلسطينية لم تدخل سوق العمل على نطاق واسع وبالتالي لا تؤخر سن زواجها لاعداد نفسها عمليا لمستقبل عملي .

جـ - الامر الملفت للنظر انخفاض نسبة المطلقين عند الفلسطينيين انخفاضا شديدا (نصف بالمئة من مجموع الفلسطينيين سن ١٥ فأكثر) وكون هذه النسبة لم ترتفع ما بين عامي ١٩٧٠ - ١٩٨٠ . ويمكن تفسير انخفاض نسبة الطلاق عند الفلسطينيين عن العرب الاخرين بسبب النكبة والاوضاع غير المستقرة للفلسطينيين وكذلك ربما بسبب تماسك اجتماعي شديد على مستوى الاسر والقرى فرضته النكبة كذلك . ومن الجدير الاشارة ان ٧٠٪ من المطلقين هم من الاناث . وربما يرجع هذا الى قوانين الطلاق الاسلامية حيث يملك الرجل حق الطلاق والفرصة الاجتماعية للطلاق بينما المرأة محرومة منها .

د - ان الارامل من الاناث يبلغن ثمانية اضعاف الارامل من الرجال . وهذا الامر يرجع الى ارتفاع معدل

جدول رقم (٣)(*)

العرب الفلسطينيون حسب الجنس والحالة الزواجية ١٩٨٠
(بالآلاف)

الحالة الزواجية	اناث عدد	٪	ذكور عدد	٪	مجموع عدد	٪
عزاب	٣٥	٢٥,٣	٦٣	٣٩,٤	٩٨	٣٢,٨
متزوجون	٩٣	٦٦,٣	٩٥	٥٩,٣	١٨٨	٦٢,٦
مطلقون	٠,٥	٠,٧	١	٠,٣	١,٥	٠,٥
ارامل	١١	٧,٦	١	٠,٩	١٢	٤,٠
المجموع	١٤٠	٩٩,٩	١٦٠	٩٩,٩	٣٠٠	٩٩,٩

جدول رقم (٤)(*)

العرب الفلسطينيون حسب الجنس والحالة والزواجية ١٩٧٠
(بالآلاف)

الحالة الزواجية	اناث عدد	٪	ذكور عدد	٪	مجموع عدد	٪
عزاب	٢١	٣٧,٤	٣٩	٢٣,٠	٦٠	٣٠,٦
متزوجون	٦٣	٦١,٢	٦٥	٦٨,١	١٢٨	٦٤,٤
مطلقون	٠,٧	٠,٣	٠,٣	٠,٧	١	٠,٥
ارامل	٨	١,٠	١	٨,١	٩	٤,٤
المجموع	٩٢,٧	٩٩,٩	١٠٥,٣	٩٩,٩	١٩٨	٩٩,٩

(*) تم تدوير الارقام من قبل الباحث .

الوفاة بين الرجال اكثر منه بين النساء بسبب مشاركتهم في العمل الفدائي والقتال ضد اسرائيل . وينطبق هذا بشكل خاص على سكان مخيمات لبنان .

(٥) معدل الولادات الحية ومعدل الوفيات الخام

توفرت بيانات حول معدلات الولادات الحية والوفيات الخام بالنسبة للفلسطينيين المسجلين مع هيئة الامم المتحدة (الاونروا) وللفلسطينيين المقيمين في الضفة الغربية وقطاع غزة وفلسطين المحتلة قبل عام ١٩٤٨ وسوريا .

وتظهر هذه البيانات ان المعدل العام للولادات الحية عند الفلسطينيين عام ١٩٧٩ كان ٤,٠٪ . وهذا المعدل يعتبر من المعدلات المرتفعة في الدول النامية وثلاثة اضعاف معدل الولادات في الدول المتقدمة او الصناعية وتمتاز منطقة قطاع غزة بانها تمتلك اعلى معدلات ولادة في فلسطين اذ بلغ معدل الولادات الحية فيها ٥,٣٪ عام ١٩٧٩ .

اما معدلات الوفيات في العام كنسبة من مجموع السكان ، فكان منخفضا بشكل ملفت للنظر اذ بلغ ١,٦٪ عام ١٩٧٩ . ويبدو شبه مؤكد ان هذا المعدل المنخفض لا يعكس واقع الوفيات لانه كما يبدو لا يقوم الكثير من الفلسطينيين وخاصة في الارياف والمسجلين مع الأونروا بتسجيل وفياتهم لدى الجهات الرسمية . ولكن يمكن القول ان معدل الوفيات لدى الفلسطينيين منخفض عموما نظرا لتطور الخدمات الصحية وتحسن مستويات التغذية كما هو الحال في العالم العربي . وربما يكون معدل الوفيات الخام عند الفلسطينيين في سوريا قريب من المعدل الحقيقي لوفيات الفلسطينيين اذ بلغ ٣,٤٪ عام ١٩٨٠ (او ٣٤ حالة وفاة لكل الف فلسطيني مقيم في سوريا) .

(٦) الحالة التعليمية

توفرت بيانات عن الحالة التعليمية للفلسطينيين المقيمين في الامارات العربية المتحدة والكويت والسعودية وسوريا ومصر والعراق ومخيمات لبنان والفلسطينيين المقيمين في الريف الاردني (عددهم ٢٢٩ الف تقريبا) . ولم تتوفر للاسف الحالة التعليمية للفلسطينيين المقيمين في الضفة الغربية وقطاع غزة والجليل ـ رغم اهمية هذه المناطق من الناحية السكانية .

المسألة الثانية في البيانات ان بعضها لعام ١٩٧٥ والبعض الاخر لعام ١٩٨٠ وبالتالي يمكن القول ان البيانات التي سنعرضها تعطينا صورة عن الخلفية التعليمية للفلسطينيين خارج فلسطين للفترة ١٩٧٥ ـ ١٩٨٠ . ونفضل عدم تعميم هذه الصورة الى الشعب الفلسطيني كله ، خاصة بالنسبة لفئات التعليم الثانوي والجامعي .

ويظهر الجدول رقم ٥ ان الفلسطينيين ينقسمون بشكل متقارب على الفئات التعليمية الاربع . فقد بلغت نسبة الاميين ٢٣٪ والذين يقرأون ويكتبون (اي لم يكملوا الدراسة الابتدائية) ٢٤,٨٪ ، والذين اكملوا المرحلة الابتدائية ٢٥,٧٪ والذين اكملوا المرحلة الاعدادية او الثانوية ٢٣,٠٪ اما نسبة الفلسطينيين الذين اكملوا التعليم الجامعي فقد بلغت ٣,٤٪ ، وتعتبر هذه الصورة العامة للخلفية التعليمية للفلسطينيين جيدة ومشرقة مقارنة بالعالم العربي والدول النامية عموما من حيث انخفاض نسبة الاميين وارتفاع نسبة الجامعيين والذين تلقوا تعليما

جدول رقم (٥)*
الحالة التعليمية للفلسطينيين للفترة ١٩٧٥ ـ ١٩٨٠

الحالة التعليمية	المجموع عد (آلاف)	٪	اناث عدد (آلاف)	٪	ذكور عدد (آلاف)	٪
أمـي	١٤٦	٢٣,٠	٩٦	٣٣,٦	٥٠	١٤,٣
يقرأ ويكتب	١٥٧	٢٤,٨	٦٩	٢٤,٢	٨٨	٢٥,٤
ابتدائي	١٦٢	٢٥,٧	٦٧	٢٣,٤	٩٥	٢٧,٤
اعدادي وثانوي	١٤٥	٢٣,٠	٥١	١٧,٧	٩٤	٢٧,٣
جامعي	٢٢	٣,٤	٣	١,٠	١٩	٥,٥
المجموع العام	٦٣١	٩٩,٩	٢٨٦	٩٩,٩	٣٤٥	٩٩,٩

(*) قام الباحث بتدوير الارقام .

اعداديا وثانويا ، ولكن هذه الصورة تظل متخلفة عن الدول المتقدمة خاصة في مجال الاميين .

ويمكن الملاحظة لذلك ان الوضع التعليمي للمرأة الفلسطينية متخلف عن وضع الرجل نتيجة للارث التاريخي الذي ورثه الفلسطينيون وشعوب العالم الثالث من حيث النظرة لتعليم المرأة ودخولها متأخرة ميدان التعليم . فنجد مثلا ان ثلثي الاميين الفلسطينيين تقريبا هم من الاناث ، وان الاناث اللواتي حصلن على تعليم جامعي يبلغن ١٢,٦٪ فقط من مجموع الجامعيين الفلسطينيين .

ونلاحظ كذلك انه كلما ارتفعت الخلفية التعليمية انخفض نصيب الاناث منها مما يدل على استمرار النظرة التقليدية نحو تعليم المرأة وان يكن بشكل اقل حدة من السابق . فنجد مثلا ان نسبة الاناث اللواتي يقرأن ويكتبن من مجموع الفلسطينيين تبلغ ٤٤٪ ونسبتهن من الذين اكملوا الابتدائية ٤١٪ ونسبتهن من الذين اكملوا الدراسة الاعدادية او الثانوية ٣٥٪ .

(٧) معدل المساهمة في قوة العمل

يشير هذا المعدل الى عدد السكان الذين يعملون فعلا (سواء كان لديهم عمل مدفوع الاجر في لحظة معينة او كانوا متعطلين لعدم وجود عمل) من مجموع السكان في سن العمل والمتعارف عليها دوليا بأنها تشمل الذين تقع اعمارهم بين ١٥ - ٦٤ . ومن البديهي القول ان بعض السكان في بعض البلاد يعملون قبل سن ١٥ وبعد سن ٦٤ . وتدل معدلات المساهمة في قوة العمل على مدى حيوية شعب ما وعلى مدى انتاجية مجتمع ما ودخوله عصر الانتاج الحديث الذي يتطلب مشاركة جماهيرية واسعة في كافة قطاعات الانتاج .

ولقد توفرت بيانات معدل مساهمة الفلسطينيين في قوة العمل في معظم اماكن اقامتهم في فلسطين وخارجها . وتظهر هذه البيانات ان معدل مساهمة الفلسطينيين عموما في قوة العمل قد بلغ ٣٧,٢٪ للفترة ١٩٧٥ - ١٩٨٠ . وهذا يعني ان اكثر من ثلث الفلسطينيين القادرين على العمل يعملون فعلا .

ويعتبر هذا المعدل مماثل لمعدلات المساهمة في الدول العربية غير النفطية واعلى منه في الدول العربية النفطية ويظل معدل مساهمة الفلسطينيين في عداد العالم النامي ومتخلفا بفارق ملحوظ عن الدول المتقدمة او الصناعية والتي تبلغ فيها معدلات المساهمة في قوة العمل ٦٥٪ . ويرجع انخفاض معدل مساهمة الفلسطينيين في قوة العمل عنه في الدول المتقدمة الى تخلف المرأة الفلسطينية - كما هو الحال مع المرأة العربية والمرأة في العالم الثالث عن النزول الى سوق العمل نظرا للعراقيل المادية (فرص العمل وتوفره) والعراقيل المعنوية (التقاليد والعادات والنظرة لعمل المرأة) . وهذا معدل وسط حق بالنسبة للدول العربية . وهو معدل منخفض جدا مقارنة بمساهمة المرأة في الدول الصناعية وتتحسن صورة مساهمة الفلسطينيين في قوة العمل عندما ننظر لمساهمة الذكور منهم .

فقد بلغ معدل مساهمة الذكور الفلسطينيين في قوة العمل ٦٣,٥٪ للفترة ١٩٧٥ - ١٩٨٠ .

وهذا يعني ان معظم الذكور الفلسطينيين سن ١٥ - ٦٤ يعملون فعلا اخذين بالاعتبار ان النسبة التي لا تعمل منهم (٣٦,٥٪) تتكون معظمها من الطلاب ويعني ان نسبة البطالة بين الفلسطينيين منخفضة جدا .

(٨) قوة العمل حسب التوزيع المهني

يظهر التوزيع المهني لقوة العمل نوع الاعمال التي يعمل فيها شعب ما ونسبة العاملين في كل نوع من الاعمال .

ولقد توفرت بيانات حول التوزيع المهني لقوة العمل الفلسطينية المقيمة خارج فلسطين ولم تتوفر هذه البيانات للفلسطينيين العاملين داخل فلسطين وفي الاردن . وهذا يجعل الصورة ناقصة كثيرا . ولكننا على اي حال سنقوم بعرض التوزيع المهني للفلسطينيين في سوريا والعراق ومخيمات لبنان والسعودية والكويت والامارات العربية ومصر .

ويظهر الجدول رقم (٦) ادناه ان اكبر فئتين من الفلسطينيين في هذه الدول هما من العمال ثم اصحاب المهن العلمية والفنية على التوالي . فقد بلغت نسبة العمال (عمال الانتاج والعمال العاديون المهرة وغير المهرة) في قوة العمل الفلسطينية ٤٠,٣٪ ونسبة المهنيين والفنيين ٢٣,٨٪ في الفترة ١٩٧٥ - ١٩٨٠ . وتعتبر نسبة الفلسطينيين اصحاب المهن العلمية والفنية (الكفاءات) مرتفعة وتتجاوز مثيلتها في الدول العربية والنامية وتقارب مثيلتها في الدول الصناعية ويعود هذا الى اهتمام الفلسطينيين الشديد بالتحصيل العلمي الى اعلى مستوياته بعد نكبة فلسطين .

وتتوزع من تبقى من قوة العمل الفلسطينية كالتالي : ١٢,٠٪ يعملون في الاعمال الكتابية ، ٨,٦٪ يعملون في اعمال البيع والشراء ، ٦,٦٪ يعملون في الخدمات وفي الزراعة ، ٢٪ يعملون كمدراء تنفيذيين ومدراء عامين . ومن المتوقع ان تكون نسبة العاملين في الزراعة اعلى مما

تظهر في هذه البيانات اذا اخذنا فلسطيني الضفة وغزة بالاعتبار .

ومن الملاحظات التي يمكن استخلاصها من البيانات المتعلقة بتوزيع قوة العمل الفلسطينية ارتفاع نسبة الفلسطينيات من اصحاب المهن العلمية والفنية من مجموع العاملات الفلسطينية حيث تبلغ نسبتهن ٣٣٪ وهي تعادل نسبة الفلسطينيات من فئة العمال .

ويمكن الاستنتاج اخيرا ان قوة العمل الفلسطينية قوة عمل عصرية ، أي انها تماشي متطلبات الاقتصاد الحديث وقادرة على ادارة قاعدة انتاجية حديثة (غير زراعية) .

صافي الهجرة

رأينا استعراض هذا المعدل او المؤ[illegible] غرافية نظرا لخطورة موضوع الهجرة من فلسطين على عروبتها وعلى صمود اهلها في وجه التوسع الاستيطاني الصهيوني . وتظهر البيانات المتوفرة حول الهجرة من فلسطين (وبالذات من الضفة الغربية وقطاع غزة) ان معدل الهجرة يدعو للقلق وخاصة في الضفة الغربية . فقد هاجر من الضفة الغربية ١٥٧٠٠ فلسطيني عام ١٩٦٨ (١,٤٪ من سكان الضفة) وانخفض عدد المهاجرين الى ٥٠٠٠ عام ١٩٧٠ ولكنه عاد للارتفاع الى ١٥١٠٠ عام ١٩٧٥ ثم ١١٧٠٠ عام ١٩٧٩ . ويبلغ المعدل السنوي للهجرة من الضفة الغربية ١٪ سنويا للفترة ١٩٦٨ - ١٩٧٩ . وهذا المعدل مرتفع لانه يشكل نزيفا بشريا لا يمكن تعويضه لسكان الضفة الغربية العرب ، ولأن معظم المهاجرين من الشباب . ويمكن ارجاع معدل الهجرة المرتفع الى اجراءات اسرائيل الامنية وقوانينها الاقتصادية والمدنية التعسفية والهادفة الى دفع سكان الضفة الغربية للرحيل .

اما صافي الهجرة من قطاع غزة فاقل اثارة للقلق منه في الضفة الغربية (باستثناء) عام ١٩٦٨ حيث هاجر ٣٢٤٠٠ شخص من مجموع سكان القطاع البالغ عددهم ٣٥٦ الف شخص) فقد هاجر من غزة ٢٣٠٠ شخص عام ١٩٧٠ و ٣٨٠٠ شخص عام ١٩٧٥ و ٣٧٠٠ شخص عام ١٩٧٩ .

ولو نظرنا الى فلسطين ككل لوجدنا ان ما يقارب ١١ ألف شخص كانوا يهاجرون سنويا اي بمعدل ١٪ تقريبا من سكان الضفة الغربية وقطاع غزة . ونظرا لخصوصية الصراع الصهيوني الفلسطيني يصبح معدل الهجرة هذا مدعاة للقلق الشديد .

جدول رقم ٦
قوة العمل الفلسطينية حسب التوزيع المهني
١٩٧٥ - ١٩٨٠

الفئة المهنية	المجموع عدد (آلاف)	٪	اناث عدد (آلاف)	٪	ذكور عدد (آلاف)	٪
١ - المهن العلمية والفنية	٣٦	٢٤,٠	٩	٣٣,٣	٢٧	٢١,٩
٢ - المديرون	٣	٢,٠	—	—	٣	٢,٤
٣ - المهن الكتابية	١٨	١٢,٠	٢	٧,٤	١٦	١٣,٠
٤ - مهن البيع والشراء	١٣	٨,٦	٢	٧,٤	١١	٨,٩
٥ - العاملون في الخدمات	١٠	٦,٦	٣	١١,١	٧	٥,٦
٦ - العاملون في الزراعة	١٠	٦,٦	٢	٧,٤	٨	٦,٥
٧ - عمال الانتاج والعمال العاديون	٦٠	٤٠,٠	٩	٣٣,٣	٥١	٤١,٥
المجموع (آلاف)	١٥٠	٩٩,٨	٢٧	٩٩,٩	١٢٣	٩٩,٨

* قام الباحث بتدوير الارقام .
المصدر : المجموعة الاحصائية الفلسطينية ١٩٨٠ .

خاتمة :

رغم عيوب البيانات الديمغرافية المتوفرة حول الفلسطينيين ، يمكننا القول بشكل عام ان الشعب الفلسطيني شعب فتي ، وان نسبة النوع عنده طبيعية وان كانت تتفاوت في الاقطار الجاذبة للعمالة كالخليج العربي وليبيا وتبعا لسبب الاقامة في هذه الاقطار .

ويتمتع الفلسطينيون بمعدل ولادات مرتفع ومعدل وفيات منخفض مثل بقية شعوب الدول النامية . كما ان حالتهم التعليمية جيدة ومتقدمة عن الكثير من شعوب الدول النامية . ومعدل مساهمتهم في قوة العمل جيد قياسا بالدول النامية ، خاصة مساهمة الذكور منهم ، ولكن مساهمة المرأة الفلسطينية في قوة العمل ما تزال منخفضة . وتعتبر قوة العمل الفلسطينية قوة عمل عصرية تمتلك نسبة عالية من اصحاب المهن العلمية والفنية .

ويظهر الفلسطينيون معدلات هجرة سلبية من فلسطين حيث يضطر ١٪ من السكان معظمهم من الشباب للهجرة ومن الضروري والملح ان تعمل منظمة التحرير الفلسطينية والدول العربية كافة على وقف هذا النزيف البشري من فلسطين من خلال تطبيق اجراءات فعالة لدعم صمود اهلنا في وجه الاحتلال والتوسع الصهيوني .

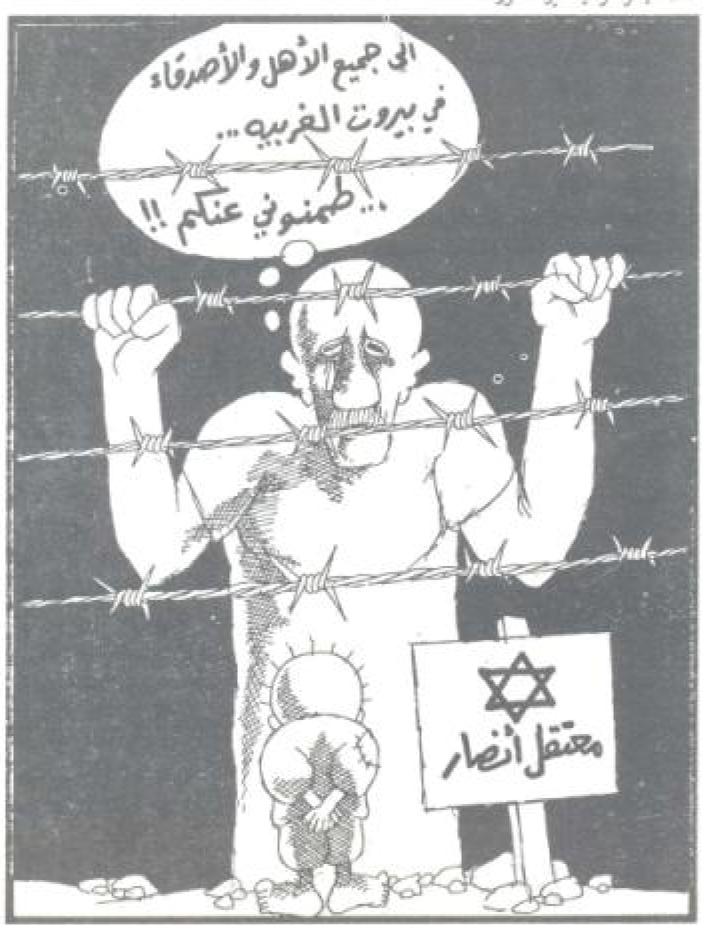
○

د . باسم سرحان

المصادر :

(١) المجموعة الاحصائية الفلسطينية ١٩٨١ . الصادرة عن المكتب المركزي للاحصاء التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية ـ دمشق .

(٢) دراسات ديمغرافية غير منشورة



العربي الفلسطيني في الفكر الصهيوني

بقلم الدكتور عبد الوهاب محمد المسيرى *

لا بد وأن ننظر الى الصهيونية باعتبارها مشروعا استعماريا صهيونيا استيطانيا ينتمي الى التشكيل الحضارى الغربي في أواخر القرن التاسع عشر ، وعلى الرغم من كل اعتذارياتها اليهودية ، وعلى الرغم من تمحكها بقيم الدين اليهودي وقيم الديموقراطية الغربية وقيم الاشتراكية فانها في نهاية المطاف مشروع استعمارى استيطاني .

وعملية الاستيطان الاستعمارى تتضمن حركتي نقل سكاني :

نقل السكان الأوربيين من بلادهم الى الشرق .

ونقل سكان البلاد الاصليين من بلادهم الى مكان اخر أو ابادتهم ابادة كاملة إن لزم الأمر .

ولتبرير هذه العملية كان لا بد وأن يؤكد الاستعماريون الغربيون موضوعين اساسيين هما في واقع الامر وجهان لنفس العمل : التفوق الغربي الذي يبرر الاستعمار ، والتخلف الشرقي الذى يبرر الطرد والابادة . وقد وصف لورد بالفور ـ صاحب الوعد المشهور ـ عملية الاستعمار الاستيطاني بانها تستند الى حقيقة تاريخية واضحة وهى عدم المساواة بين الاجناس ، فهناك اجناس متفوقة مثل الاجناس الأوروبية ، وأجناس متخلفة مثل الشعوب الاسيوية والافريقية ؛ وما الاستعمار الاستيطاني سوى تعبير عن « حقوق وامتيازات » الأجناس الاوروبية المتفوقة . ونفس النغمة عزفها ريتشارد كروسمان ، الزعيم العمالي البريطاني ، حينما اكد أن الاستعمار الاستيطاني الاوروبي يصدر من منطلق حق الرجل الابيض في جلب الحضارة (الغربية المتفوقة) الى « السكان الأقل تحضرا في آسيا وأفريقيا » . وقد وجد ان هذه الحضارة يمكن ادخالها اما عن طريق الاحتلال الفعلي للقارتين واستغلال السكان الأصليين ، أو عن طريق احتلالها وابادة هؤلاء السكان . ونفس هذه الثنائية ، ثنائية التفوق والتدني ، تظهر بشكل واضح في فكر ماكس نوردو ، المفكر الصهيوني ، حتى قبل تبنيه للخط الصهيوني . فقد طالب بتوطين العمال الاوروبيين العاطلين ، « المتفوقين » حضاريا ، محل « الاجناس الادنى » . وقد استندت هذه الاعتذاريات الى الرؤية الداروينية للواقع ، وهى رؤية لا أخلاقية في صميمها ترى ان البقاء من نصيب الاقوياء وحدهم ، وان الضعفاء لابد وأن يختفوا من على وجه الأرض ـ تماما مثل الحيوانات التي لم تصمد في معركة التطور . وشعوب آسيا وافريقيا

---

* الدكتور عبد الوهاب محمد المسيرى استاذ الادب الانجليزي والمقارن بكلية البنات جامعة عين شمس ، مؤلف موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ، والايديولوجية الصهيونية (تحت الطبع في سلسلة عالم المعرفة) .

بأسرها ، بما في ذلك الصينيون بتاريخهم العريق ، والهنود بحضارتهم ودياناتهم المركبة ، والعرب بامتدادهم الزمني واسهاماتهم العديدة للحضارة الانسانية ، والافريقيون السود بثرائهم وتنوعهم الحضاري المذهل - كلهم اندرجوا تحت مقولة التخلف الذي يبرر الاحتلال والابادة .

والصهيونية في بنائها الاساسي لا تختلف عن ذلك كثيرا ، ولا بد وان تذكر أنفسنا ان الصهيونية مثل النازية ليست انحرافا عن جوهر الحضارة الغربية الحديثة ، بل هي على العكس تعبير عن شيء جوهري وصميمي فيها . قد يتطرف الصهاينة والنازيون بعض الشيء ، وقد يشتطوا احيانا ، مما يسبب الحرج لممثلي الحضارة الغربية والمتحدثين باسمها ، ولكن يظل الانتماء الاساسي للصهيونية انتماء غربيا لا شبهة فيه . ولكن الصهيونية مع هذا لها ظروفها الخاصة التي تحيط بنشأتها وممارساتها ، وبالتالي فهي لها رؤيتها واعتذارياتها الخاصة . وسنحاول في بقية هذا المقال أن نعرض لبعض السمات العامة والخاصة للتصور الصهيوني للعرب وللفلسطينيين (فهما نفس الشيء في العقل الصهيوني) .

تنطلق الصهيونية - كما بينا من قبل - من نفس منطلقات الاستعمار الغربي ، ولذلك فهي ايضا تتبنى الرؤية الثنائية الفجة التي تقسم العالم الى غربيين متحضرين وشرقيين متخلفين - والغربيون بطبيعة الحال في النسق الفكرى الصهيوني هم اليهود ، والشرقيون هم العرب عامة والفلسطينيون على وجه التحديد . وقد نظر بعض الصهاينة لأنفسهم باعتبارهم اعضاء في الجنس الأبيض ، لا ينتمون الى الجنس السامي ، وأنهم بالتالي من حقهم التمتع بمزايااعضاء الجنس الابيض من احتلال لأفريقيا وآسيا الى ابادة لسكانها . وكان هرتزل يرى مشروعه الصهيوني على انه في جوهره مشروع لنقل الحضارة الغربية البيضاء المتفوقة الى الشرق . كما قارن كثير من الزعماء الصهاينة - وايزمان وزانجويل وبن جوريون وابا ايبان على سبيل المثال لا الحصر - بين المستوطنين الصهاينة من جهة والمستوطنين البيض في امريكا والجزائر وافريقيا من جهة أخرى .

العرب ووصمة التخلف

في مقابل هذا التفوق العرقي الحضاري طرح الصهاينة فكرة التخلف العربي - العرقي والحضاري ايضا . فهرتزل حينما تحدث عن تفوق الحضارة الغربية متمثلة في المستعمر الصهيوني فانه تحدث ايضا عن فلسطين باعتبارها « هذا الركن الموبوء والبالي من الشرق » . وقد عبر عن رغبته في أن تكون الدولة الصهيونية بمثابة الحائط المنيع يقف ضد الهمجية الشرقية - التي يمثلها بطبيعة الحال العرب والفلسطينيون . وقد كتب وايزمان الى ترومان خطابا يدافع فيه عن مشروعه الصهيوني مستندا الى نفس الثنائية العرقية ، فأخبره عن المجتمع الصهيوني المتقدم والذي يضم اساسا فلاحين ومتعلمين وطبقة صناعية ماهرة تعيش على مستوى عال ، ثم قارن بين هذه الصورة المشرقة والصورة الكئيبة القائمة للمجتمعات الأمية الفقيرة في فلسطين . وبطبيعة الحال لم يحاول وايزمان ان يشرح للرئيس الامريكي السبب الكامن وراء هذا الوضع ، ولا السبب الخفي وراء عدم بزوغ فجر الحضارة بعد خمسين عاما من الاستعمار البريطاني الصهيوني .

وهذه الرؤية للانسان العربي الفلسطيني باعتباره شيئا متخلفا لا يستحق سوى الطرد او الابادة لا تزال لها امتداداتها داخل المجتمع الاسرائيلي ، فكتب احد كبار الضباط في اسرائيل مجموعة من قصص الاطفال بطلها كلب بوليسي على درجة كبيرة من الذكاء تفوق ذكاء اي فلسطيني . وجاء في احد استطلاعات الرأى (التي نشرت نتائجه عام ١٩٧١) ان ٧٦٪ من الاسرائيليين يؤمنون ان العرب لن يصلوا الى مستوى التقدم الذي وصل اليه اليهود . وقد جاء في كتاب الاستاذ سيد يسين « الشخصية العربية بين المفهوم العربي والمفهوم الاسرائيلي » ، توثيق لهذا الجانب من التصور الصهيوني / الاسرائيلي للشخصية الفلسطينية وقد لخصه في الكلمات التالية : « العرب لا يفهمون سوى لغة القوة ، ولذلك فاتباع سياسة الردع والعنف معهم هو الاسلوب الأمثل . وهم قوم فرديون مفككون ، يميلون الى الكذب والمبالغة وخداع الذات ، وهم ، بالمقارنة بالاسرائيليين كسالى وجبناء وخونة ، ومستوى ذكائهم منخفض او على الجملة ، هم أدنى من الاسرائيليين » .

ومثل هذه الاوصاف عبارة عن قوالب لفظية وانماط تصورية جاهزة تطبقها اي جماعة عنصرية منتصرة على جماعات المقهورين . والدارس للاعتذاريات العنصرية يعرف أن مثل هذه الاوصاف تستخدم للاشارة للسود سواء كانوا في جنوب افريقيا ام الولايات المتحدة . وتتسم الصورة العنصرية بانها تجرد الضحية وتجعل منها وحدة مفتقدة المعالم تنتمي الى كل اكبر (هو السود او الفلسطينيون او العرب) وعملية التجريد هذه تحول الضحية الى شيء ثابت لا يتغير ، موجود خارج الزمان ، لا قيمة لوجوده ، بل ان لوجوده أثرا سلبيا .

ويظهر اسقاط الزمان في رؤية الصهاينة للعربي في المستقبل ، اذ لو افترضنا جدلا ان العرب متخلفون لهذه الدرجة في المرحلة الراهنة ، هل هذا يعني أن تخلفهم



سيبقى ملازما لهم عبر التاريخ ؟ أليس من المحتمل ان يتطوروا ويتعلموا اسرار علوم الغرب وفنونه ويسحقوا الجيب الصهيوني ؟ أل ن من الممكن ان يتم « تحديث » الشخصية العربية ؟ مثل هذه الاسئلة تفترض ان العرب لهم وجود زمني تاريخي متعين ، أي أنهم بشر ، وبالتالي فهي تقع خارج نطاق حدود الرؤية الصهيونية . ومع هذا توجد لحظات نادرة يضطر فيها العقل الصهيوني اضطرارا لمواجهة الانسان العربي ككيان تاريخي متميز ، مثلما يحدث عندما يواجه الصهاينة مشكله اللاجئين الفلسطينيين او الشعب الفلسطيني . فيرى هوراس مايركالن ، الفيلسوف الصهيوني الامريكي ، ان الصورة المثلى للفلسطيني في المستقبل هي صورة اللاجيء الذي يحمل جوازا للسفر وغيره من الوثائق التي تمكنه من التحرك بحرية في العالم ، والذي يبحث عن اى مكان في العالم ليستقر فيه (وهذه هي صورة اليهودي التائه في واقع الامر) . والمفهوم الكامن هنا غريب كل الغرابة ، اذ يفترض انه اذا تم تحديث الشخصية العربية فانها ستقبل المشروع الصهيوني وترحل عن فلسطين في سلام وسكينه . وقد استمعت الى محاضرة القاها عالم السياسة الاسرائيلي حاييم أرونسون ذهب فيها الى ان المشكلة الاساسية التي تواجهها اسرائيل هي انها مجتمع حديث في وسط سياق حضاري اجتماعي تقليدي . وفي تصوره ان عدم التماثل بين اسرائيل وجيرانها هو أحد اسباب العداوة بينهم ، ويشكل أحد أسس الصراع العربي الاسرائيلي . ويرى ارونسون أن عملية تحديث العالم العربي ستستغرق مدة طويلة (حوالي مائة عام ، على حد تقديره) ولذا يقترح احاطة اسرائيل بحزام من الاسلحة النووية ، الى أن تتم عملية التحديث ، وبالتالي يحدث التكامل بينها وبين جيرانها . ولكن ما الذي يضمن مثل هذا التكامل ؟ أليس من الممكن أن يقوم العرب بتوجيه الضربة القاضية حينئذ ؟ لعل تفسير هذا التفاؤل الصهيوني بخصوص الشخصية العربية بعد تحديثها يعود الى التصور الصهيوني أن الشخصية العربية ستتلاشى بعد عملية التحديث ، وستظهر قوميات أثنية ودينية وعرقية مختلفة في المنطقة (قومية درزية واخرى سنية وثالثة شيعية ورابعة مصرية وهكذا) . وهذه هي في نهاية الامر الرؤية الاستراتيجية الصهيونية : تقسيم المنطقة الى دويلات ودول تكون هي منها بمثابة القائد والرائد والحكم ، وبذا يتم القضاء على حلم الأمة العربية والدولة العربية الواحدة .

ولكن هذا التفاؤل الصهيوني يحل محله التشاؤم الصهيوني ، بل والهستيرية الصهيونية ، في حالة المواجهة العملية لهذا الانسان العربي الجديد الذي بدأ ينفض عن نفسه التخلف . هنا تترك الصهيونية الاعتذاريات وتحمل السلاح والسلاسل وتلجأ للارهاب . وعلى سبيل المثال رفض الصهاينة عبر تاريخ الاحتلال الصهيوني لفلسطين قبل وبعد ١٩٤٨ انشاء نظام تعليمي مشترك (عربي ـ عبري) ، كما رفضوا انشاء جامعة عربية ـ عبرية مشتركة . فمثل هذه الجامعة كانت ستساهم في عملية تحديث العرب . ولعل هذا يفسر لم لم يتجاوز عدد الطلبة العرب في جامعات اسرائيل حتى عام ١٩٧٠ مائتي طالب ، ولم تعبر الصحف الاسرائيلية دائما عن هلعها من خطر تزايد عدد خريجي الجامعات بين الفلسطينيين داخل الأرض المحتلة وخارجها . وقد اعرب اورى لوبراني ، المستشار السابق لرئيس الوزراء للشئون العربية ، في بيان في جريدة هآرتس ، في عدد ابريل ١٩٦١ ، عن ان الدولة الصهيونية كانت تفضل للعرب ان يظلوا حطابين يقطعون الخشب ، وان يبتعدوا عن الجامعات الاسرائيلية ، حتى يتسنى لها احكام الرقابة عليهم .

وبالفعل تقوم المؤسسة الصهيونية الحاكمة في اسرائيل بطرد اعداد كبيرة من الشعراء والكتاب والمحامين والصحفيين العرب او منعهم من ممارسة حرية الحركة والتعبير . والغرض من هذا هو اجهاض عملية ظهور نخبة مثقفة تقوم بقيادة الجماهير الفلسطينية لتنفض عن نفسها التخلف وتحمل السلاح لتستعيد حقوقها . وتفضل الصهيونية دائما التعامل مع القيادات التقليدية للمجتمع الفلسطيني (شيوخ القبائل وبعض « الوجهاء ») على ان تتعامل مع القيادة الحديثة للشعب الفلسطيني ، أي ممثل منظمة التحرير الفلسطينية ، لأن التعامل مع الفريق الاول يدعم التصور الصهيوني للانسان العربي المتخلف ، اما التعامل مع الفريق الثاني ففيه هدم للرؤية الصهيونية من اساسها ، فالفريق الثاني يمثل الانسان العربي الفلسطيني الجديد ـ الذي سيعود للارض وسيملأ المستقبل .

العرب : هؤلاء الأغيار

ولكن الرؤية الصهيونية للعربي المتخلف لا تمثل سوى جانب واحد من الرؤية الصهيونية للعرب ، وهذا الجانب ـ كما اشرنا من قبل ـ مشترك بين الصهيونية والايديولوجيات العنصرية العرقية الغربية الأخرى . ولكن ثمة جوانب اخرى لم تستكشفها بعد الدراسات العربية في الفكر الصهيوني . وقد بينا من قبل أن التفكير الصهيوني العنصري ، مثل اى تفكير عنصري ، يجرد الضحية من كل نعتها الانسانية ليحولها الى شيء لاسمات له ولا أبعاد . هذا الاتجاه يأخذ شكلا اكثر تطرفا في الفكر الصهيوني نتيجة للرؤية الصهيونية التي تقسم كل البشر الى يهود و « أغيار » أي ـ غير اليهود من البشر . فالفكر

الصهيوني يرى ان اليهود هم جنس متميز أو جماعة بشرية متميزة لها تاريخها الخاص الذي يفصلهم عن بقية البشر . وعلاقة اليهود بالأغيار لا تتسم بالمودة او التعاون اذ أن الأغيار ذئاب وقتلة يتربصون دائما باليهود ، ويحاولون الفتك بهم . والعرب (الفلسطينيون والمصريون والسعوديون) هم كلهم من الأغيار ، فهم ليسوا من المتخلفين او من المتحضرين وانما هم من « الآخرين » وحسب ، أعداء اليهود الازليين . وبهذا يمكن القول ان مقولة الأغيار (التي تضم العرب) هي مقولة اكثر تجريدا ، وبالتالي اكثر عنصرية ، من مقولة اليهودي في أدبيات النازية ، او مقولة الزنجي في ادبيات المفكرين العنصريين في جنوب افريقيا او الولايات المتحدة ، او مقولة العربي في ادبيات الصهيونية ذاتها . ونظرا للتجريدية الحادة التي تتسم بها هذه المقولة يصبح من اليسير على الصهاينة ألا يتوجهوا بتاتا للمسألة العربية وألا يتحاوروا مع الانسان العربي أو أن يدركوا وجوده .

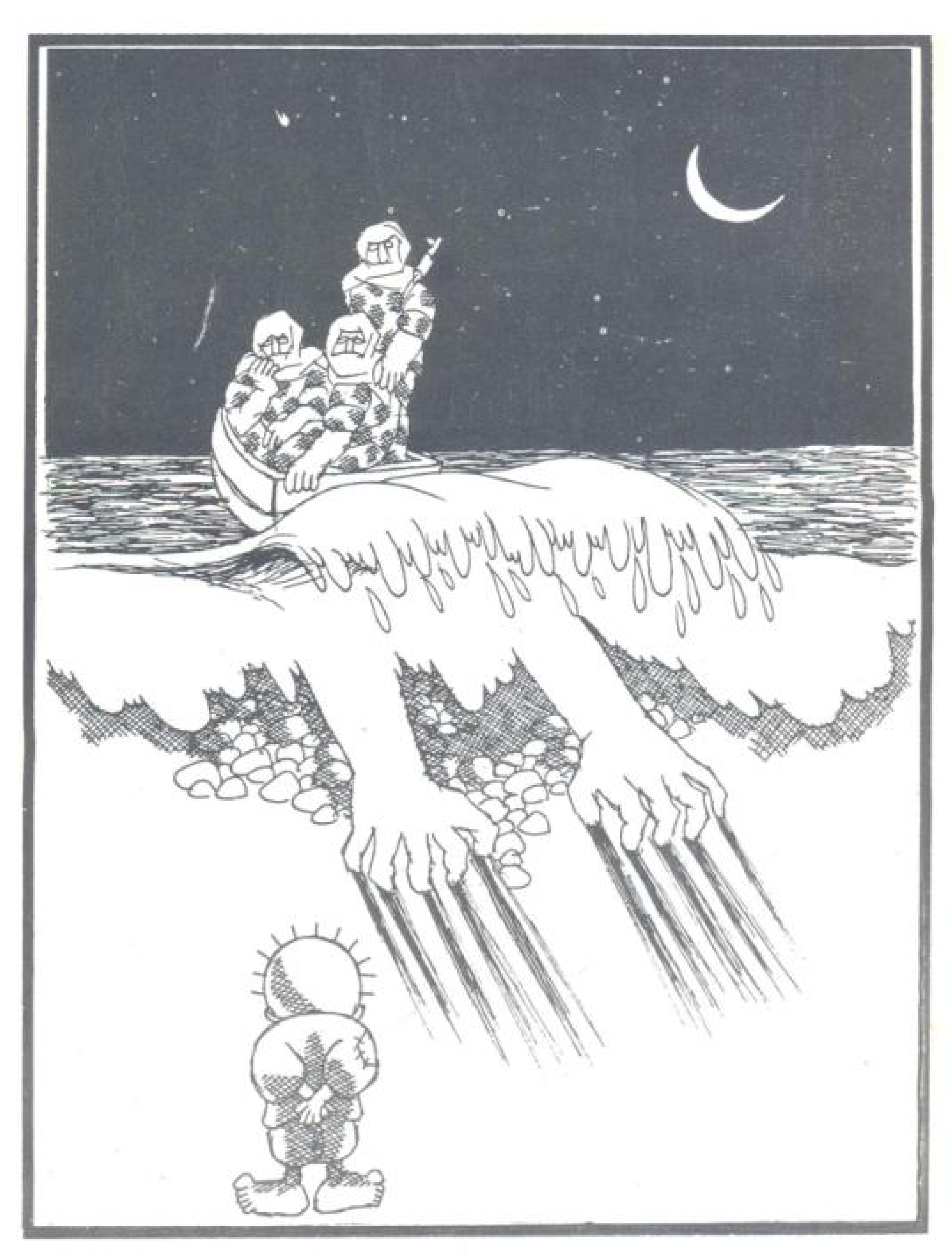
وهذا التصور قديم قدم وعد بالفور ولا تزال له امتداداته الواضحة في المجتمع الاسرائيلي . فوعد بالفور يشير الى العرب ، الذين كانوا يشكلون اكثر من حوالي ٩٣٪ من مجموع السكان ، على أنهم « الجماعات غير اليهودية » ، دون أي تحديد لهذه الجماعات أو ذكر لأسمها ، حتى تظل على مستوى عال من التجريد ، وبالتالي يسهل اتخاذ قرار حرمانها من حقوقها وطردها أو ربما ابادتها .

والتحريض على ابادة العرب باعتبارهم أغيارا يظهر في كلمات الحاخام ابراهام أفيدان (زامل) ، حاخام القيادة المركزية الاسرائيلية ، الذي اخبر الجنود الاسرائيليين بانه « مصرح لكم ، بل من واجبكم طبقا للشريعة ، ان تقتلوا المدنيين (من الاغيار) حتى لو كانوا من الخيرين ، أو بمعنى أصح ، المدنيين الذين قد يبدوا أنهم خيرون » . ثم اقتبس من التلمود هذه الكلمات : « ينبغي عليك ان تقتل أفضل الأغيار » . ان التحريض على ابادة العرب لم يذكرهم بالاسم وانما اكتفى بالاشارة الى هذا الشيء العام اللازمني ، الاغيار ، مما يخفي أبعاد الجريمة .

واذا كانت صورة العربي المتخلف هي محاولة للتشهير بالعربي لحرمانه من حقوقه ، فهي تتميز على الاقل بأنها اعتراف ضمني بوجوده ، واذا كانت صورة العربي كممثل للأغيار تجرده وتنكر أي وجود متعين له ، فانها على الأقل لا تزال تعترف بوجود ما له ، ولكن هذا الاتجاه التجريدي المتزايد يصل الى منتهاه في مقولة العربي الغائب ، فبدلا من الاخفاء الجزئي خلف مقولة الاغيار نصل الى محاولة الاخفاء أو الاغفال الكامل . ولعل هذا الجانب في الادراك الصهيوني للعربي هو الجانب الآخر للتصور الصهيوني لفكرة الحقوق اليهودية المقدسة في فلسطين . اذ يرى كثير من الصهاينة المتدينين والعلمانيين ، أن الصلة بين اليهودي وفلسطين (التي تسمى ممارتس يسرائيل في الادبيات الصهيونية) صلة صوفية مقدسة تشبه الاسرار الدينية ، وبالتالي فان اي وجود انسان غير يهودي في فلسطين هو وجود عرضي لا يستحق الذكر . وانطلاقا من هذه الرؤية الصوفية أمكن للصهاينة أن يرددوا بكل يقينية « أرض بلا شعب لشعب بلا أرض » - أي أن فلسطين كان ينظر اليها باعتبارها أرضا خالية تماما من السكان . وقد روج الصهاينة لهذه المقولة ونجحوا في ذلك حتى أن بعض الزعماء الصهاينة أنفسهم ، الذين لم تطأ اقدامهم أرض فلسطين ، صدقوا ما كان يقال لهم ، الى أن ذهبوا الى فلسطين ووجدوا ان عملية الذبح والارهاب كانت دائرة على قدم وساق . ويمكننا القول ان مقولة العربي الغائب هي من قبيل الحلم الصهيوني ، وان هذا الحلم يترجم نفسه سياسيا الى مقولة « العربي الذي لا بد وأن يغيب » حتى لا تفقد الصهيونية كل مقومات وجودها . وفي هذا الاطار يمكن ان نفهم عملية طرد العرب على نطاق واسع من الارض الفلسطينية ، ويمكن فهم المذابح الصهيونية المتكررة ضد العرب - سواء في دير ياسين او كفر قاسم او بيروت ، وعملية الارهاب التي لا تتوقف ضد الفلسطينيين الموجودين في الارض المحتلة او على حدودها . ان مجرد وجود الفلسطينين العرب ينهض دليلا على ان الصهيونية تستند الى اكذوبة ، الامر الذي يفقدها كل شرعية .

وفي الختام يجب ان نبين ان الرؤية الصهيونية للعرب ، بمقولاتها الثلاث - العربي المتخلف ، والعربي كممثل للأغيار ، والعربي الغائب - تترجم نفسها الى واقع سياسي تسانده مؤسسات وقوانين صهيونية راسخة مثل قانون العودة الذي يمكن اليهود وحدهم من الاستيطان في فلسطين ، ويحجب هذا الحق عن العرب ، والصندوق القومي اليهودي الذي يسهل عملية الاستيلاء الصهيوني على الاراضي الزراعية الفلسطينية ويجعل من المستحيل على الفلسطينين حتى مجرد العمل عليها . والقضاء على هذه التصورات والاوهام الصهيونية لن يتم عن طريق الحوار والاقناع - رغم اهميتها - وانما عن طريق الحركة - المسلحة والسياسية - ليعرف العدو أن الانسان العربي ليس غائبا ولا متخلفا ولا مستوعبا في مقولات عامة ، وانما هو كيان تاريخي حي له امتداده في الماضي والمستقبل ، وله وجوده المحدد في الحاضر . ○

د . عبد الوهاب محمد المسيري



بريشة ناجي

أبرز معالم المقاومة الفلسطينية منذ عام ٤٨

بقلم الدكتور أسعد عبد الرحمن

شهد الواقع السياسي الفلسطيني (المرتبط عضويا بالواقعين السياسيين العربي والدولي) جملة من التحولات البارزة طوال السنوات الممتدة ما بين قيام الكيان الصهيوني وحتى الآن . وقد نجحت التحولات في انهاء حالة « الركود » التي مر بها النضال الفلسطيني طوال الفترة الممتدة ما بين قيام « اسرائيل » وحتى العام ١٩٦٤ على الاقل . كما نجحت التحولات ذاتها في بدء مرحلة نضالية جديدة أولى انبعث فيها التناقض المركزي الفلسطيني وتبلور في مواجهة الكيان الصهيوني وبالذات في الحقبة ١٩٦٧ - ١٩٧٧ . وأخيرا . قادت التحولات المتراكمة اللاحقة الى بدء مرحلة ثانية جديدة تواصلت معها المواجهة ما بين المقاومة الفلسطينية والوجود والامتداد الصهيونيين طوال الفترة الفاصلة بين العامين ١٩٧٧ و ١٩٨٢ . فما هي أبرز وقائع وتحولات المقاومة الفلسطينية في هاتين المرحلتين الأساسيتين الممتدتين من بداية الثورة الفلسطينية المعاصرة في العام ١٩٦٥ وحتى الحرب الفلسطينية - الاسرائيلية الكبرى في العام ١٩٨٢ ؟

مرحلة انبعاث وتبلور المقاومة الفلسطينية : ١٩٦٥ - ١٩٧٧

توسط العام ١٩٦٥ المسافة الزمنية التي شهد خلالها التناقض المركزي الفلسطيني انبعاثه الحاسم المعاصر . واذا كانت الوقائع الارهاصية في الفترة (١٩٦٣ - ١٩٦٥) قد شكلت بداية ذلك الانبعاث ، فان وقائع الفترة (١٩٦٥ - ١٩٦٧) شكلت بداية تبلوره الصلب العتيد . وفي كلا الفترتين تشابكت الاحداث المحلية والعربية والدولية وتداخلت على نحو معروف يضيق المجال عن الخوض فيه هنا (محاولات اسرائيل تحويل مجرى نهر الاردن ١٩٦٣ ، تفاقم حرب اليمن ، مؤتمر القمة الأول والثاني وقيام منظمة التحرير الفلسطينية ١٩٦٤ ، الأزمة مع المانيا الغربية واشتداد العمل الفدائي والحرب الباردة العربية وبخاصة في أعقاب تصريحات بورقيبة في العام ١٩٦٥ ، عدوان السموع وانتفاضة الضفة الغربية ١٩٦٦ ، الصدامات السورية - الاردنية والصدامات السورية - الاسرائيلية ١٩٦٦ / ١٩٦٧) .

ومع هذا التراكم الكبير في التناقضات المعقدة ، وجدت منطقة الشرق الاوسط نفسها تجلس على كومة من « الديناميت السياسي » الجاهز للتفجير . وقد جاءت شرارة التفجير سريعا عندما قامت اسرائيل ، بتشجيع ودعم أمريكيين ، باشعال نار حرب الخامس من حزيران / يونيو ١٩٦٧ . غير أن هذه الحرب (التي انتصرت فيها اسرائيل والولايات المتحدة انتصارا كبيرا سيطرت فيه الأولى ، في خلال ستة أيام ، على أراض فلسطينية وسورية ومصرية واسعة تعادل خمسة أضعاف رقعة « اسرائيل » منذ ١٩٤٨) لم تؤد الى حسم التناقض المركزي مع الفلسطينيين الذين فقدوا نتيجة الحرب كامل وطنهم وازداد عدد نازحيهم (٤٠٠) الف نازح جديد . بل ان هذا التطور - المتواكب مع احتلال الدولة الصهيونية أراضي عربية غير فلسطينية - ادى الى تعزيز موقف وقوة الطرف الفلسطيني في التناقض . وقد كان ذلك عبر - ١ - ازدياد الترابط العضوي ما بين عروبة وفلسطينية القضية و - ٢ - توسع الدعم السوري للعمل الفدائي الفلسطيني بحيث غدا دعما تشارك فيه جميع الدول العربية و - ٣ - تنامي التفاف الجماهير العربية من حول العمل الفدائي ودعمها له و - ٤ - مسارعة العمل الفدائي ، المتفاعل مع الجماهير العربية ، الى ملء الفراغ العسكري والسياسي العربي الذي أعقب هزيمة ١٩٦٧ من خلال المباشرة في وضع « الانطلاقة الثانية » للعمل الفدائي موضع التنفيذ بدءا من آب / اغسطس ١٩٦٧ . ولقد كرست المقاومة الفلسطينية بهذه النقلة النوعية مسارها الجديد الذي تجاوز عندئذ دائرة « انبعاث » التناقض المركزي الفلسطيني

المعاصر الى دائرة « التبلور » . فكيف كان ذلك ؟

جهدت اسرائيل ـ عبر اجهزتها القمعية العسكرية والاقتصادية والسياسية والاعلامية والنفسية ، وعبر امتداداتها الصهيونية وتحالفاتها الواسعة في الخارج ـ من أجل حسم التناقض المركزي مع المقاومة الفلسطينية ومع الدل العربية وبالذات دول المواجهة . وحين استعصى عليها الحسم النهائي ، سعت اسرائيل ـ ومعها امتداداتها وتحالفاتها ـ دون نجاح على طريق التوصل الى تسوية نهائية وفق الشروط الاسرائيلية التي وضعها « حزب العمل » الحاكم طوال سنوات هذه المرحلة . وفي هذه الأثناء ، كانت اسرائيل توظف محصلة كل جهودها من أجل احتواء التناقض المركزي الفلسطيني وغيره من التناقضات العربية . غير أن جميع مساعي اسرائيل في هذا المجال كانت تضعها ، المرة تلو المرة ، أمام « حلقة مفرغة » . فهي حين نجحت مؤقتا في بداية احتلالها في تهدئة جماهير المناطق المحتلة (مستفيدة من صدمة انتصارها عام ١٩٦٧ ، ومن جبروت آلتها القمعية ، ومن الافتقار الى القيادات الثورية الفلسطينية المحلية عندئذ ، ومن ضعف وهزال الوضع العربي الرسمي ، ومن ذكاء مخططاتها العسكرية والاقتصادية والسياسية و « الليبرالية » نسبيا . . . الخ) عادت لتحصد الفشل بانتفاضات شعبية متلاحقة على امتداد المناطق الفلسطينية المحتلة بما في ذلك المناطق المحتلة عام ١٩٤٨ . ومن الامثلة البارزة على ذلك : انتفاضة حريق المسجد الاقصى في آب / اغسطس ١٩٦٩ ، ومظاهرات تأييد العمل الفدائي اثناء صدامات ١٩٧٠ / ١٩٧٣ في الاردن ولبنان ، والمظاهرات التي اعقبت « عملية فردان » التي نفذتها اسرائيل في لبنان في نيسان / ابريل ١٩٧٣ ، وانتفاضات « يوم الارض » المتكررة سنويا منذ عام ١٩٧٥ ، علاوة على نجاح أنصار منظمة التحرير في الانتخابات البلدية في العام ١٩٧٦ .

وفي السياق ذاته ، ما كادت اسرائيل تفترض النجاح في اقتلاع المقاومة وضرب القواعد الفدائية داخل الحدود وخارجها ، حتى فوجئت بتواجد ونشوء المزيد من الخلايا واستمرار العمليات الفدائية الكبيرة والعادية سواء في الداخل (وبالذات في غزة وحتى ضمن صفوف فلسطينيي ١٩٤٨) أو من الحدود الاردنية (حتى أيلول / سبتمبر ١٩٧٠) والحدود اللبنانية (وبالذات في الاعوام ١٩٧٢ ، ١٩٧٤ ، ١٩٧٥) أو من داخل وخارج منطقة الشرق الاوسط . كذلك ، حين حاولت اسرائيل تصفية القواعد الفدائية في عمق الاراضي الاردنية والسورية واللبنانية ، فوجئت بكونها جنت فشلا عسكريا رئيسيا عندما تحولت تلك القواعد الى « وجود عسكري » / أو « وجود سياسي » التفت الجماهير وطلائعها الوطنية من حوله سواء في الأردن حتى العام ١٩٧٠ / ١٩٧١ ، أو في سورية ، أو في لبنان بالذات ، طوال سنوات الحقبة ١٩٦٧ ـ ١٩٧٧ . وأخيرا ، ورغم كل الجهود العسكرية والاقتصادية والسياسية والاعلامية والنفسية الاسرائيلية (المعززة صهيونيا وأمريكيا) والتي بذلتها حكومات تحالف حزب العمل الحاكم (سوءا في عهد ليفي اشكول أو غولدا مائير أو اسحاق رابين أو شمعون بيريز) طوال سنوات هذه المرحلة ، ازداد وزن المقاومة الفلسطينية العسكري بشكل عام والسياسي بشكل خاص سواء في الأوساط الفلسطينية (والاسرائيلية ولو على نطاق محدود جدا) داخل المناطق المحتلة ، أو في الاوساط الفلسطينية والعربية الشعبية والرسمية في الوطن العربي ، أو في الأوساط الشعبية والرسمية والدولية ، وعلى نحو تبلور معه الطرف الفلسطيني في التناقض المركزي تبلورا واضحا . وما كان هذا التبلور ليحدث لولا تنامي تأييد والتفاف الجماهير الفلسطينية والعربية وغيرها من القوى الشعبية الوطنية والديمقراطية والتقدمية الدولية ، وبسرعة تلقائية مذهلة ، من حول العمل الفدائي . ولقد شكل الضغط الايجابي لهذا التنامي أداة توحيد ومصدر الهام دفع الفصائل الفدائية للحد من تبعثرها التنظيمي وانشقاقاتها .

وما كاد ينقضي عامان على مرحلة التمخضات المتلاحقة (في أعقاب حرب ١٩٦٧) حتى تشكلت الصورة النهائية لتركيبة العمل الفدائي المحددة فصائله والملتقي جوهريا (رغم التعدد وما ينجم عنه من خلافات واصطدامات) على ضرورة الاتفاق النهائي ، عبر الحوار الديمقراطي والتنازلات المتبادلة ، على برنامج « حد أدنى » سياسي وتنظيمي . ورغم أن هذه التركيبة أدت ـ بحكم طبيعتها وطبيعة قواها ـ الى تمييع بعض القضايا والعلاقات وما نجم عن ذلك كله من مواقف ومسلكيات غير ثورية وبيروقراطية أضعفت نسبيا من مصداقية المقاومة وانجازاتها ، فان التركيبة ذاتها هي التي مكنت المقاومة من تحقيق ما حققته من انجازات فلسطينية داخلية ، وعربية شعبية ورسمية ، ودولية سواء على صعيد المنظمات العالمية أو الحكومات أو القوى السياسية أو الشعوب . فمع العام ١٩٧٧ ، ـ رغم الثغرات والنواقص والاخطاء وربما الخطايا أحيانا ـ نجحت المقاومة ، وبدرجات متفاوتة في المراحل المختلفة ، في أن تكون القوة السياسية الاكثر شعبية على الصعيد الجماهيري الفلسطيني والعربي . كما نجحت المقاومة ـ وبالذات طوال فترة ١٩٧٤ ـ ١٩٧٧ التي كادت أن تشهد انشقاق منظمة التحرير تحت وطأة الخلافات الحادة بين أطراف « جبهة الرفض الفلسطينية » وبين قيادة المنظمة ـ في قطع خطوات ضرورية على طريق الوحدة الوطنية الفلسطينية من خلال أجهزة منظمة

التحرير التشريعية (المجلس الوطني الفلسطيني) والتنفيذية « اللجنة التنفيذية » ، و « الصندوق القومي » في تموز / يوليو ١٩٦٨ ، وعبر « اللجنة المركزية » في أيار / مايو ١٩٦٩ ، و « اللجنة السياسة العليا في لبنان » في نهاية ١٩٦٩ ، و « القيادة العسكرية الموحدة » و « الاعلام الموحد » في تموز / يوليو ١٩٧١ ، و « المجلس المركزي » و « المجلس العسكري الأعلى » و « الجبهة الوطنية في المناطق المحتلة » و « لجنة التوجيه والارشاد » و « لجنة الامناء العامين » والدورات المختلفة للمجالس الوطنية الفلسطينية (من المؤتمر الرابع ١٩٦٨ وحتى المؤتمر الثالث عشر ١٩٧٧) . في الوقت ذاته ، نجحت المقاومة ـ رغم الثغرات والنواقص ـ في اقامة صيغ جبهوية قومية مع الحركات الوطنية العربية سواء كان ذلك مع الحركة الوطنية الأردنية (حتى تموز / يوليو ١٩٧١ على الاقل) أو مع القوى الوطنية اللبنانية منذ عام ١٩٦٩ على الاقل ، أو مع مختلف القوى الوطنية والقومية والديمقراطية والتقدمية على امتداد الوطن العربي . كما أن المقاومة ، بتحالفاتها الداخلية والعربية هذه ، نجحت ـ رغم الثغرات والنواقص ايضا ـ في اقامة علاقات ايجابية في معظم الاوقات مع معظم الدول العربية المتنافسة والمتصارعة فيما بينها ، وصولا الى الاعتراف الجماعي العربي بمنظمة التحرير « ممثلا شرعيا ووحيدا للشعب الفلسطيني » منذ مؤتمر قمة الرباط عام ١٩٧٤ . وأخيرا ، نجحت المقاومة ـ بدرجات متفاوتة نوعيا وزمنيا ـ في النفاذ التدريجي المتصاعد الى شعوب وقوى ومؤسسات وحكومات العالم وبالذات في بلدان المنظومة الاشتراكية ودول « منظمة المؤتمر الاسلامي » ومجموعة « دول عدم الانحياز » و « منظمة الوحدة الافريقية » والقوى الليبرالية والديمقراطية والتقدمية والاشتراكية في أوروبا الغربية وخارجها ، علاوة على الوصول الى (التواجد) في هيئة الامم المتحدة وبالذات منذ الحضور التاريخي لياسر عرفات في الامم المتحدة في نهاية العام ١٩٧٤ ، وصدور قرارات حاسمة عن الجمعية العامة كرست الحقوق الفلسطينية المختلفة (حق تقرير المصير ، والعودة ، والتعويض . . . الخ) وعزلت اسرائيل دوليا وبالذات بعد المساواة ما بين الصهيونية والنازية في العام ١٩٧٥ .

ولقد مكن هذا كله المقاومة الفلسطينية من (١) المحافظة على وجودها رغم محاولات التصفية المتعددة الالوان عربيا واسرائيليا ودوليا و (٢) الاستمرار والنمو رغم الظروف القاسية عربيا ودوليا و (٣) تعبئة قطاعات واسعة من الفلسطينيين ومنع تغييبهم بل وبلورة وجودهم كشعب في وجه كل عوامل التشتيت السياسية والجغرافية و (٤) تمثيل وقيادة الشعب الفلسطيني في دروب النضال السياسي والعسكري ضد اسرائيل والصهيونية وحلفائها و (٥) تثبيت الهوية الفلسطينية الوطنية في مختلف الدول والمؤسسات والمحافل العربية والعالمية .

مرحلة المواجهة بين طرفي التناقض المركزي الفلسطيني ـ الصهيوني : ١٩٧٧ ـ ١٩٨٢

كان العام ١٩٧٧ عام « الانقلابات » الكبيرة في الخريطة السياسية شرق أوسطية . ففي آذار / مارس منه ، قرر « المجلس الوطني الفلسطيني » في دورته الثالثة عشرة المنعقدة بالقاهرة ـ وبعد أن استشعر تجذر منظمة التحرير في الساحات الفلسطينية والعربية والدولية ـ قرر تبني اعلان سياسي تاريخي يقول بوضوح بأن هدف النضال الفلسطيني هو « استعادة الحقوق » الوطنية (للشعب الفلسطيني) وفي مقدمتها حقه في العودة وتقرير المصير واقامة دولته المستقلة فوق ترابه الوطني » . وكان ذلك الاعلان مقدمة للتحولات التي تقررت في المجالس الوطنية اللاحقة وأكدت على « البرنامج السياسي المرحلي » المطالب باقامة « الدولة المستقلة » على أي جزء يتم تحريره دون التفريط بالبرنامج الاستراتيجي الداعي الى اقامة دولة ديمقراطية على كامل التراب الفلسطيني . وكان ذلك التحول بمثابة « الانقلاب الفلسطيني » ، الذي عزز الآمال الفلسطينية والعربية بقرب موعد النصر ، مثلما قرب « قضية فلسطين » و « حركة المقاومة الفلسطينية » من عقول قطاعات شعبية ورسمية واسعة على الصعيد الدولي محدثا بذلك تغييرا واسعا في كثير من الأوساط المحلية والاقليمية والعالمية . بل ان ذلك التغيير سرعان ما تعزز بوقوع « الانقلاب الاسرائيلي » ، في حزيران / يونيو من العام ذاته ، عندما وصل التيار الصهيوني الاكثر تطرفا (ممثلا في مناحيم بيغن وتكتل الليكود) الى السلطة لأول مرة في تاريخ اسرائيل السياسي . ومما لاشك فيه أن وصول ذلك التيار الى السلطة ـ وما تبناه من سياسات وما أقدم عليه من ممارسات فاشية عنصرية توسعية ـ ساهم كثيرا وسريعا في تعرية جوهر الفكرة والحركة الصهيونيتين . ثم تلا ذلك قيام الرئيس السادات ، في تشرين الثاني / نوفمبر من العام نفسه ، بعملية « الهروب الى الأمام » محتضنا اسرائيل ومديرا ظهره للعالم العربي من خلال زيارته « التاريخية » للقدس المحتلة يوم ١٩ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٧٧ .

غير أن الانهيار الرسمي العربي الذي بدأه السادات توقف مؤقتا عند حدود مصر الساداتية يوم أجمعت الدول العربية (في قمة بغداد في تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٧٨) على رفض اتفاقات كامب ديفيد المصرية ـ الاسرائيلية ـ

الامريكية الموقعة في أيلول / سبتمبر من العام ذاته ، وعلى شجب معاهدة الصلح الاسرائيلي ـ المصري المنفرد الموقعة في آذار / مارس ١٩٧٩ . ثم ان تصاعد الغضبة الجماهيرية العربية (والمصرية بالذات) ضد السياسة الساداتية ، وتبلور واستمرار الخلافات المصرية ـ الاسرائيلية حول « البعد الفلسطيني » في اتفاقات كامب ديفيد طوال الفترة اللاحقة ، عادا فاسهما بقوة « الزخم السلبي » في تثبيت « قضية فلسطين » في دائرة الضوء بعد أن كانت عوامل « الزخم الايجابي » ، ممثلة في النضال السياسي والعسكري الفلسطيني الطويل وروافده العربية والدولية ، قد نقلت تلك « القضية » من زوايا الظل الى دائرة الضوء بفضل وقوع مجموعة من المتغيرات الحاسمة على مختلف المستويات (المحلية الاسرائيلية والعربية ، والدولية التي لامجال هنا للخوض التفصيلي فيها) .

تصاعدت المواقف الاسرائيلية ، المفرطة في تعصبها وعدوانيتها على مختلف الاصعدة ، وبالذات في ظل قيادة القوى الصهيونية الليكودية الأكثر تطرفا . كما أن بروز وتبلور وتعاظم قوة الطرف الفلسطيني في التناقض المركزي الفلسطيني أسهم ، الى درجة معينة ، في توتير القوى الاسرائيلية المتطرفة التي اندفعت ـ بحكم منطق ميزان القوى الاستراتيجي الراهن المائل لصالحها ـ باتجاه اختيار الحلول العسكرية الكبرى لمواجهة الطرف الفلسطيني الصامد والسائر بثبات وسرعة على طريق التحول الى قوة سياسية / عسكرية لها وزنها وتأثيراتها المحلية والاقليمية والدولية ذلك أن هذا الطرف ، ممثلا في منظمة التحرير الفلسطينية ، تبنى أسلوب تنمية قواه الذاتية والموضوعية عبر الصدام العسكري / السياسي مع اسرائيل وامتداداتها وحلفائها . وقد نجحت منظمة التحرير ، فعلا ، في خوض المعارك وتحقيق المكاسب المطردة ـ ولو بتفاوت متوقع ـ في مختلف ساحات الصدام مع اسرائيل :

ففي المناطق الفلسطينية المحتلة ، نجحت المنظمة ـ سواء بمبادرة منها أو بمبادرة واعية أو عفوية من الجماهير الفلسطينية هناك ـ في تعبئة تلك الجماهير وتأطيرها وتحشيدها من حول المنظمة التي بقيت « الممثل الشرعي الوحيد » بالنسبة لتلك الجماهير ولمختلف أبناء الشعب الفلسطيني . وقد تجلى ذلك ، على امتداد السنوات ٧٧ ـ ١٩٨٢ ، في الانتفاضات الشعبية المتصلة (وبالذات بمناسبة « يوم الأرض » في آذار / مارس من كل عام) علاوة على الانتفاضات الكبرى يوم اعتقلت اسرائيل بسام الشكعة (رئيس بلدية نابلس المنتخب) وحاولت ترحيله في مطلع العام ١٩٨٠ ، ويوم قامت اسرائيل ـ عبر غلاة المستوطنين الصهيونيين ـ بمحاولة اغتيال ثلاثة من رؤساء البلديات في رام الله والبيرة ونابلس (عبد الكريم خلف وابراهيم الطويل وبسام الشكعة على التوالي) في حزيران / يونيو ١٩٨٠ ، ويوم حاول شارون وميلسون فرض « الادارة المدنية » و « القيادة البلدية »ممثلة في عملاء « روابط القرى » على الجماهير الفلسطينية في المناطق المحتلة في تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٨١ . ولقد أدت هذه المحاولات الأخيرة الى بدء الانتفاضة الشعبية الفلسطينية ، الاشمل والاطول منذ الاحتلال الاسرائيلي في العام ١٩٦٧ ، والتي اشتهرت محليا واقليميا ودوليا باسم « ثورة الحجارة » . هذه « الثورة » التي دامت منذ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٨١ وحتى نهاية نيسان / ابريل ١٩٨٢ محققة التلاحم بين جماهير المناطق المحتلة ، بدءا من فلسطينيي الضفة الغربية ثم قطاع غزة ، مرورا بفلسطينيي ١٩٤٨ من « عرب اسرائيل » ، وانتهاء بعرب الهضبة السورية الذين شاركوا في الانتفاضة بدءا من شباط / فبراير ١٩٨٢ . وقد أدت محاولات القمع الاسرائيلية (المفرطة في فاشيتها هذه المرة عبر ممارسات اطلاق النار على المتظاهرين العزل ، وادمائهم ، واعتقالهم واعتقال زعمائهم ، ونسف بيوتهم ، واغلاق جامعاتهم ، وحل مجالس بلدياتهم المنتخبة ، وتحريك القوى المسعورة المعادية لهم سواء بين غلاة المستوطنين الصهيونيين أو بين عملاء « روابط القرى » ، والاعتداء على مقدساتهم وقتل المصلين كما حدث في « مجزرة المسجد الاقصى » في ١١ نيسان / ابريل ١٩٨٢ . . . الخ) أدت كل هذه الاجراءات الى تواصل الانتفاضة الجماهيرية وتوسعها وتحولها ـ في كثير من الاحيان ـ الى مجابهة مسلحة

وخارج المناطق المحتلة ، استمرت فصائل منظمة التحرير في تصعيد نشاطها العسكري سواء داخل فلسطين أو عبر الحدود اللبنانية . وكما هو متوقع ، اسهمت تلك العمليات (علاوة على « مبادرات » اسرائيل الذاتية) في قيام هذه الأخيرة بنشاطات عسكرية اسرائيلية تراوحت بين (١) القصف المدفعي والجوي والبحري المحدد لقواعد ومراكز الفدائيين على امتداد الاراضي اللبنانية و(٢) القصف العشوائي للمدنيين في مختلف المناطق اللبنانية و (٣) شن « حرب استنزاف » ، بالتحالف مع قوات التحالف الكتائبي ، ضد « القوات اللبنانية ـ الفلسطينية المشتركة »وجماهيرهاوضد « قوات الردع العربية » أيضا منذ تشرين أول / اكتوبر ١٩٨٠ و (٤) شن حروب غزو واسعة على غرار ما حدث في « عملية الليطاني » في آذار / مارس ١٩٧٨ ، وفي « حرب رمضان الثانية » في تموز / يوليو ١٩٨١ ، وفي « الحرب الخامسة » في حزيران / يونيو ـ آب / اغسطس ١٩٨٢ . وقد أدت

جميع هذه العمليات والحروب ، وما تخللتها من اعتداءات ، الى انتصارات معنوية وسياسية ودبلوماسية فلسطينية كبيرة أسهمت في تطوير الوحدة الوطنية الفلسطينية ، وتعبئة الشارع الفلسطيني والعربي وقواه الطلائعية ، وتحريك أو احراج أو تعرية الدول العربية ، وتنشيط وتوسيع قاعدة القوى والدول والهيئات العالمية المؤيدة أو المتعاطفة مع منظمة التحرير . فمن جهة اولى ، مكنت هذه المواجهات العسكرية الفصائل الفدائية من تعزيز وحدتها الوطنية بعد أن نجحت في تجاوز خلافاتها السياسية في الأزمات المختلفة المتلاحقة التي نجمت عن مسألة الحوار مع الاردن في العام ١٩٧٨ ، والعلاقة مع سورية والعراق الموشكتين على الاتحاد في العام ١٩٧٩ ، وحضور أو مقاطعة مؤتمر قمة عمان في تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٨٠ ، وقبول أو رفض مبادرة الامير فهد في آب / اغسطس ١٩٨١ ، والمشاركة في أو التغيب عن مؤتمر قمة فاس في تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٨١ .

ومن جهة ثانية ، أدت المواجهات العسكرية مع اسرائيل (وما أفرزته من وحدة وطنية فلسطينية نامية) الى تعزيز موقف المنظمة في الشارعين الفلسطيني والعربي سواء عبر الاحزاب والقوى الوطنية والديمقراطية والتقدمية العربية أو عبر دورات « مؤتمر الشعب العربي » المختلفة . ومن جهة ثالثة ، ترافق ذلك كله مع بلورة مركزية الدور الرسمي الفلسطيني في الدوائر الحكومية العربية سواء في لبنان حيث الحضور السياسي / العسكري الفلسطيني ـ اللبناني المشترك ، أو في الاردن عبر « اللجنة الاردنية ـ الفلسطينية المشتركة » ، أو في العلاقات الثنائية المتفاوتة بين المنظمة ومختلف الدول العربية ، أو في جهود المصالحة العربية التي انفردت بها أو شاركت فيها المنظمة (بين اليمنين أو بين سورية والعراق أو بين المغرب والجزائر أو بين العراق وايران . . . الخ) أو في مؤتمرات القمة المصغرة وبالذات مؤتمرات « الجبهة القومية للصمود والتصدي » ، أو في مؤتمرات القمة العربية المختلفة . ومن جهة رابعة وأخيرة ، أسهم النضال العسكري الفلسطيني (وما رافقه من وحدة وطنية فلسطينية ودور عربي فاعل) في ترسيخ المكانة الدولية لمنظمة التحرير . وقد تجلى ذلك في فرض التعامل غير المباشر مع الولايات المتحدة وبالذات أثناء الغزو الاسرائيلي للبنان في تموز / يوليو ١٩٨١ ، وفي تطوير التعامل المباشر مع الأمم المتحدة وبشكل خاص مع أمينها العام وقائد قوات الطوارىء الدولية بلبنان ، وفي الاختراقات المتلاحقة ـ والمتباينة في زخمها ـ للدول الاوروبية الغربية واللقاءات الثنائية والجماعية المستمرة مع ممثليها التنفيذيين والبرلمانيين (عدا أحزابها الحاكمة والمعارضة وقواها الشعبية الديمقراطية والتقدمية) في تنمية العلاقات الثنائية أو الجماعية مع دول المنظومة الاشتراكية ومنظمة المؤتمر الاسلامي وكتلة عدم الانحياز ومنظمة الوحدة الافريقية وغيرها من الدول الافريقية والأسيوية واللاتينية الامريكية ، وفي النفاذ الفردي المطرد الى أوساط عدد من رجال الكونغرس الامريكي . ولعل في جولات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية ووفودها الى كل من الصين الشعبية وكورية الديمقراطية واليابان وفيتنام في مطلع تشرين الأول / اكتوبر ١٩٨١ ، ثم الى الاتحاد السوفييتي ـ الذي اعترف أثناءها مع عدد من دول المنظومة الاشتراكية اعترافا دبلوماسيا كاملا بالمنظمة ـ في النصف الثاني من الشهر ذاته ، ثم الى كل من المانيا الديمقراطية واليونان والهند (حيث منحت جميعها المنظمة اعترافا دبلوماسيا كاملا) في الاشهر الاولى من العام ١٩٨٢ ، علاوة على الدعوة التي تلقاها ياسر عرفات لزيارة فرنسا أثناء الغزو الاسرائيلي للبنان في حزيران / يونيو ١٩٨٢ وغير ذلك من دعوات وزيارات فعلية لعدد من الدول الأوروبية والفاتيكان بعد الرحيل عن بيروت في أيلول / سبتمبر ١٩٨٢ ، لعل في ذلك كله مؤشرات واضحة على الدفعة الجديدة في المكانة الدولية التي تلقتها منظمة التحرير الفلسطينية مع نهاية هذه المرحلة . وهكذا نجح الصمود السياسي والعسكري لمنظمة التحرير في دفن « النعي » الذي اطلقه بخصوصها زبيغنيو بريجنسكي ، مستشار الرئيس الامريكي للامن القومي في آذار / مارس ١٩٧٨ ، ثم عاد الصمود ذاته وأجبر بريجنسكي مرة في نهاية العام ١٩٨١ ومرة ثانية في مطلع العام ١٩٨٢ على الدعوة لاعتراف الولايات المتحدة بالمنظمة . كذلك ، فان المواجهات (أو بالاحرى الحروب) الثلاثة الأخيرة التي خاضتها المنظمة مع اسرائيل في السنوات الاربع الاخيرة عادت لتؤكد ـ وسط صمت وجمود جيوش الدول العربية ـ أن التناقض المركزي الفلسطيني الاسرائيلي الاصلي قد عاد مع منتصف العام ١٩٨٢ ليهيمن هيمنة كاملة على سماء الحياة السياسية في الشرق الاوسط . ومع ذلك فان هذا التطور الاستراتيجي البارز الاخير وتبلوره وتصاعده مرهون بما يحدث في الأشهر القليلة القادمة . ذلك أن الحرب الفلسطينية / الاسرائيلية الاطول التي اعقبت منتصف العام ١٩٨٢ شكلت ، موضوعيا ، نهاية مرحلة اساسية تماما مثلما شكلت بداية مرحلة حاسمة جديدة لا يزال الحكم عليها من اختصاص المستقبل وحده . ○

د . أسعد عبد الرحمن





صفحات من حياة

قاد الحاج امين الحسيني الشعب الفلسطيني في مرحلة تاريخية دقيقة ، وتقدم سيرته فصلا هاما من النضال الفلسطيني ، وجاء تاريخه غنيا بالدروس والعبر . . يكتب جانبا من هذا التاريخ عجاج نويهض الذي عمل سكرتيرا له مدة ١٢ عاما . . وقد كان الحاج امين مفتي فلسطين الاكبر ، ورئيس المجلس الاسلامي الاعلى ، ورئيس الهيئة العربية العليا ، وقد توفي الى رحمة الله عام ١٩٧٤ . .

عندما وضع الحاج امين الحسيني مشروع تجديد قبة المسجد الاقصى ، وهو اول مشروع من طرازه في عمارات المساجد ، اتصل بالهند اولا وارسل وفدا لتوضيح المشروع وجمع التبرعات ، فبدأت الصلة بين الهند وفلسطين سنة ١٩٢٣ ثم في سنة ١٩٢٦ التقى - في المؤتمر الاسلامي العالمي في مكة المكرمة. هؤلاء الزعماء بوفد فلسطين المؤلف من الحاج امين نفسه والعلامة الشيخ اسماعيل الحافظ مفتش المحاكم الشرعية بفلسطين وكاتب هذه السطور ، واستمرت صلة الهند بفلسطين على يد الحاج امين حتى النهاية . وكان العمل لفلسطين آخر مداه المظاهرات القومية يشترك فيها جميع من وجد في دمشق وقتئذ لا من ابناء سوريا وكفى بل كانوا على اختلاف اقطارهم من عراقيين ولبنانيين واردنيين وفلسطينيين ، وفيهم افراد حجازيون ومصريون كلهم على عقيدة

● آخر مقال كتبه المرحوم عجاج نويهض الذي توفي خلال حصار بيروت ١٩٨٢



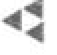

الحاج أمين الحسيني

بقلم : عجاج نويهض

واحدة . ومصر في غليان بزعامة سعد زغلول . وتركيا تناوئها اليونان على تحقيق اطماعها في غربي الاناضول ، بتشجيع من لويد جورج رئيس وزراء بريطانيا ، فكانت دمشق بركانا بنفسها ، وفي الوقت نفسه ترى مصر وتركيا من على جانبيها ثائرتين . والمطلب الاعلى وقتئذ الوصول الى الدولة العربية مؤلفة من العراق (حزب العهد العسكري) الذي يرجع الفضل الاول في تأسيسه لعزيز علي المصري ، ومن سوريا حزب الفتاة العربية المؤلف سنة ١٩٠٩ في الأستانة وباريس (وجمعية الشبيبة العربية في الاستانة) ، او « المنتدى الادبي » بزعامة الشهيد عبد الكريم الخليل . فكان الحاج امين (طبعا بلباسه المدني العادي وقبل ان يتزيا زي العلماء المسلمين بعد هذا الوقت بنحو سنتين) من قادة القومية ، واتفق وقتئذ على تسمية فلسطين بسوريا الجنوبية ، وسوريا حدودها تشمل بما عرف بعدئذ بشرق الأردن ممتدة الى العقبة .

وحصل من قبيل المصادفة اني نشرت مقالاً مترجما عن الانكليزية في مجلة « التربية والتعليم » التي يشرف عليها ـ من ينبغي ان يعد اماما في هذا الباب ـ ساطع الحصري المشهور الذكر والصيت ، وقد استقدمه الملك فيصل من الأستانة ليتولى ادارة التعليم واطلق يده ليحقق مخططه ، وكان ساطع عند الاتراك زعيم حركة التربية والتعليم على الاسلوب الالماني ، والامة العربية من ثروتها كتب ساطع ولا ريب . ولكن ساطعا لنشأته منذ الصغر في البيئة التركية جاء دمشق ولسانه العربي تغشاه اللهجة التركية وكتبه كلها كان يعرضها للتنقيح قبل دفعها للطبع .

فاطلع الحاج امين على مقالي المذكور ويظهر ان هذا



المقال قد لفت نظره فكان اذا رآني يظهر في الحديث عواطف حسنة بسبب هذا المقال .

وانفضت خيام الشام ودخل غورو دمشق وتفرق العشاق ، فمنهم من رافق فيصلا الى اوروبا ، ومنهم من لاذ بمصر ، ومنهم من عاد الى وطنه ، اما الحاج امين فقد عاد الى القدس فلم يعترضه الانكليز . والفرق بين ايامه في فلسطين او سوريا الجنوبية بعد دخول الفرنسيين دمشق ، وبين ايامه في دمشق فشيء عظيم ، وهذا من الحقائق الكبرى عند كل كاتب يتصدى للكتابة في حوادث تلك الايام العصيبة المصيرية . فأيام دمشق من خريف سنة ١٩١٨ الى اواخر تموز (يوليو) ١٩٢٠ وهي نحو ٢١ شهرا ، كانت ايام تبني سوريا فلسطين ولهذا اطلقت عليها سوريا الجنوبية ، وصدرت صحف في القدس بهذا الاسم . لكن بعد ان احتلت فرنسا سوريا ، اختفى اسم سوريا الجنوبية رسميا فتيتمت فلسطين ، والانتدابان الفرنسي والبريطاني متفقان على هذا بموجب معاهدة او بموجب ما يسمى اتفاق « سايكس - بيكو » فنرى الآن الحاج أمين في فلسطين يتزعم الحركة الوطنية داخل فلسطين ، واليهود ينادون « بوعد بلفور » وصارت السلطة البريطانية شديدة الرقابة لهذا المسيطر على روح الحركة الوطنية وتنتظر الفرصة لتقليم اظافره ، وهو حكيم تارة يعمل علنا ما لا يجوّز للسلطة اعتقاله ، وطورا يعمل من وراء ستار ويستتر حتى لا يشاهد « بالجرم » الوطني المكشوف !

من هو الحاج امين ؟

له ترجمة موجزة في (الاعلام) لخير الدين الزركلي والدكتور غيث الزركلي بن خير الدين الزركلي متزوج احدى كريمات الحاج امين ومقيم في مصر على ما ارجح .

الحاج امين صار يقال له هكذا « الحاج امين » منذ سنة ١٩١٤ اذ عامئذ قام بتأدية فريضة الحج ومعه والدته وفي تلك السنة وقعت الحرب العالمية الاولى . اما تحصيله العلم فقد درس في مدارس فلسطين ثم انتقل قبل الحرب الى مصر وصار يدرس في الازهر ويتلمذ في الوقت نفسه على استاذه السيد محمد رشيد رضا صاحب « المنار » الاسلامي ، في مدرسة « دار الدعوة والارشاد » التي كان السيد رشيد قد انشأها سنة ١٩١٢ واهم غاياته من انشاء هذا المعهد هو تخريج الدعاة المختارين للانتشار في العالم الاسلامي وبث الدعوة فيه بين المسلمين . وهذه الفكرة هي بأصلها فكرة السيد جمال الدين الافغاني وتلميذه الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده ، فشرب الحاج في مصر آراءه الاسلامية من نبعة الازهر ومن مدرسة دار « الدعوة والارشاد » حتى ارتوى .

النبعة الثانية التي استقى منها الحاج امين وهو في مصر ما يتعلق بالعروبة هي ان الحركة العربية التي مراكزها سوريا والعراق ولبنان وفلسطين وبعض الحجاز ، كانت تتمثل في مصر بحزب « اللامركزية » المطالب بحقوق العرب في ادارة الاقطار العربية التي كان يعبر عنها وقتئذ « بالولايات العربية » ، ومن رجالات هذا الحزب ثلة من كبراء السوريين اللذين في مصر منهم السيد محمد رشيد رضا واسكندر عموت .

وكانت « ليبيا » (طرابلس الغرب وبرقة) هي الولاية الوحيدة الباقية للدولة العثمانية في افريقيا فقبيل المؤتمر العربي في باريس ، كانت ايطاليا قد غزت طرابلس وبرقة غزوا استعماريا شنيعا ، وجاء اسطولها الحربي عندما غزت مدرعتان عثمانيتان ميناء بيروت فعطلها ، ولأحمد شوقي قصيدة عامرة مثبتة في ديوانه في وصف هذا الغزو الايطالي ولا سيما ضرب المدرعتين .

كل هذا من الحوادث الكبار في القضية العربية عاصرها وشربها وهضمها الحاج امين وهو في مصر . واظن انه لما حج كان حجه في هذه السنة ومن الآن فصاعدا صارت كلمة « الحاج » تسبق اسمه . فينادى « بالحاج امين » وكفى . فنعلم من هذه التفاصيل والاستطرادات ان الحاج لما بلغت القضية قبل الحرب العالمية الاولى اوج نشاطها داخل المملكة العثمانية وفي اوروبا ، كان هو ذلك الشاب العربي المسلم ، ريق الشباب الناضر ، وله العقل الرزين وصفاء الخاطر ، والمستعد لركوب المخاطر ، متفتح الذهن ، ويشعر كما ذل المستقبل ومستور الغيوب بعدئذ على هذا ، بانه عربي مسلم ذو رسالة في حياته .

في صغره ونشأته الاول وترعرعه ، في الحي الحسيني في القدس او في الساحات التي يلعب فيها الاولاد عادة ، كان يسيطر على اترابه وانداده ، ويأخذ في ملاعبتهم على طريق الفروسية وممارسة جميع ما كان معروفا في تلك الايام من ضروب الرياضة البدنية المقرونة بالشمم والاباء وعزة



الحاج أمين الحسيني وظهر معه في الصورة الملك السابق ادريس السنوسي وعبدالرحمن عزام وحسن البنا وأحمد حسين ومكرم عبيد والشيخ يوسف يس وحافظ ابراهيم وابراهيم عبدالهادي .

النفس . وقصده بكل هذا استنهاض همم الشبان وحملهم على التخلق باخلاق العرب الموروثة .

* * *

ان وفاة الشيخ كامل مفتي القدس وشقيق الحاج امين سببت مشكلة لهربرت صموئيل المندوب السامي البريطاني ، فكيف عليه ان يجمع بين عاطفة الصهيونية الكارهة للعرب ، وبين الامر المتعلق بالافتاء ، واخذ هذا الصهيوني القح ـ كما وصفه بهذا صديقه الحميم ونستون تشرشل ـ يجيل بنظره في صفوف العرب ، فلاحظ ان ذلك الشاب الحسيني الذي يبلغ ٢٤ ـ ٢٥ سنة في العمر ، هو وجه شباب العرب والممسك بقيادتهم الوطنية ، ولاحظ ايضا ان الرأي العام العربي يميل اليه لخلافة اخيه المتوفى ، وهذا الميل يقوى يوما عن اخر . وهذا الشاب ليس لباسه لباس علماء المسلمين بعمامة وجبة ولحية . فصار صموئيل يقع في حيرة ، ولعلها اشد قضية رآها مستعصية على دهائه واتساع حيلته . وصار ينادى في المساجد ، وفي المسجد الاقصى خاصة ، بان الحاج امين فقيهنا ، متاداة لا تلفت النظر وكفى بل يخشى ان تتولد منها شرارات غضب جماهيري يؤدي الى ما هو اصعب .

* * *

ولكن « اذا اراد امرا هيأ اسبابه » وانف صموئيل واليهود راغم . فحدثت ثورة محلية في يافا بين العرب واليهود ، اول ثورة بعد حوادث موسم النبي موسى في ربيع ١٩٢٠ في القدس قبل مجيء صموئيل بعدة اشهر . وفي هذه الثورة المحلية المحدودة النطاق ، اعطى العرب اليهود درسا يا ليت اعطت الجيوش العربية السبعة سنة ١٩٤٨ ، يا ليت والف يا ليت ، اعطت مثله وقتها ، لا سلاح ناري بيد العرب ، بل الوثبات الاسدية بالعصي والحجارة وشماريخ الشجر اليابس وتفوس بركانية وهمم يعربية . فقام صموئيل وقعد ، وخاف وارتعب ، وهلة ١٩٢١ . فبذل جهده لتسكين الحال واخماد ثار العرب ، واستشار فأشير عليه ان خير ما تفعل الحكومة انقاذا للموقف هو الاستجابة للرأي العام العربي الثائر . ويكون

انتخاب المفتي حسب قانون اسمه « قانون توجيه الجهات » تقوم به لجنة من علماء المسلمين . ورشح للافتاء نحو اربعة شخصيات فيهم الحاج امين ففاز بالنجاح واصبح (المفتي الاكبر) حسب النظام المثيل في السودان .

وظن صموئيل ان انتخاب هذا الشاب الحسيني للافتاء فيه مرضاة للعرب ، ونسي ان هناك قضية قومية عربية ما جاء هذا الشاب الى الافتاء بعد اخيه الا ليجعلها اكثر اتقادا . فاعتزل هذا الشاب « الحاج امين » ، في بيته واطلق ذقنه الى لحية شقراء ، ولبس العمامة البيضاء والعمائم تيجان العرب ، وبعد اسابيع صار يخرج من البيت بهذا الزي الجميل فيراه اهل القدس ويقولون هو المفتي الحاج امين ، ليس هو : بلباسه المدني باحسن منه في زي العلماء . كان هذا بين ١٩٢١ - ١٩٢٢ .

من الافتاء الى رياسة المجلس الاسلامي الاعلى . .

الان يمكننا القول ان الحاج امين صار في مستوى يؤهله زعامة الحركة الوطنية لا في القدس وبعض ارجاء فلسطين ، بل في فلسطين جمعاء وما كاد هربرت صموئيل يلتقط انفاسه[٢] حتى راح عرب فلسطين يطالبون برفع يد الحكومة عن الاوقاف الاسلامية وعن ادارة المحاكم الشرعية . والاوقاف الاسلامية في فلسطين عظيمة المقدار سواء كان ذلك في المباني الضخمة حول الناحية الغربية والناحية الشمالية من الحرم الشريف الذي في فنائه يقع المسجد الاقصى وبعد جداره القبلي من سور القدس ، السور الذي بناه السلطان سليمان القانوني العثماني . او كانت كثرة الاوقاف في الاراضي الزراعية ، ومعظم اوقاف فلسطين من عهد امراء المماليك قبل العثمانيين ، اذ كان هؤلاء ليزدادوا زلفى الى الله جل وعلا يكثرون من انشاء هذه الاوقاف الخيرية .

واما المحاكم الشرعية فهي ١٦ محكمة على رأسها محكمة استئناف مركزها القدس ، فقام الرأي العام الاسلامي يطالب بان تكون هناك هيئة اسلامية رسمية عليا تشرف على ادارة الاوقاف والمحاكم الشرعية . امام هذه المطالب ازداد موقف هربرت صموئيل المندوب السامي حرجا ، ولكنه رآها رغم نزعته الصهيونية مطالب محقة ، اذ كيف يطيق المسلمون ان يتحملوا ان تكون اوقافهم ومحاكمهم الشرعية تحت ادارة حكومية تدعي انها منتدبة لترقية البلاد ، ويتولى ادارة المحاكم الشرعية يهودي صهيوني متعصب هو « نورمان بنتويش »؟ فاقتضت الحال قبل ان تنقلب الى ما هو اسوأ الى الاتفاق على انشاء هيئة اسلامية تنتخب انتخابا قانونيا شعبيا ، بحسب نظام الانتخابات لمجلس النواب العثماني . وتتألف هذه الهيئة من اربعة اعضاء ورئيس جميعا يمثلون فلسطين . ولكن انتخاب هذه الهيئة ينبغي ان يتم تحت مراقبة الحكومة ضمانا كما ادعت ، لتطبيق القانون وسلامة الانتخابات . فكانت النتيجة من كون رئيس هذه الهيئة وهو المفتي رئيسا دائما لا يتغير ولا يتبدل بالدورات الانتخابية المقبلة . ونذكر هنا للتاريخ اسماء أعضاء الهيئة التي انتخبت سنة ١٩٢٢ وهم :

الحاج محمد امين الحسيني الرئيس الدائم للمجلس الاسلامي الاعلى يمثل مقاطعة القدس ، الشيخ محمد مراد مفتي حيفا يمثل شمال فلسطين .

القانوني عبد اللطيف صلاح يمثل مقاطعة نابلس .

القانوني سعيد الدجاني ، يمثل مقاطعة يافا ، وكان زمن الترك رئيسا لمحكمة . .

الحاج سعيد الشوا يمثل الجنوب من غزة وبئر السبع .

* * *

وحاول هربرت صموئيل جهده بحيله الصهيونية ان يجعل اكثرية اعضاء المجلس الاسلامي الاعلى معارضة للحاج امين في المجلس فلم يوفق . وانما سعيد الدجاني وحده كان نجاحه في الانتخابات شعبيا ، فلما دخل المجلس عضوا ، وكانت تنسب اليه روح المعارضة للحاج امين ، انضم الى الحاج امين قلبا وقالبا ، لما اكتشفه فيه من المميزات . وبهذا كان المجلس في دورته الاولى ، الاربع سنوات كتلة واحدة لا سبيل لهربرت صموئيل ان يتوكأ على معارضة للحاج امين داخل المجلس ، فكانت هذه الدورة الاولى ازهر ايام المجلس الاسلامي الاعلى . لما انتهت الدورة الاولى سنة ١٩٢٦ وحل موعد الانتخابات للدورة التالية ، حاول صموئيل ان يتلاعب فلم يتمكن ، وانما عبد اللطيف صلاح ممثل نابلس حل محله امين

التميمي بصفة عضو معارض ، فلما اصبح في المجلس فعل مثلما فعل سعيد الدجاني من قبل ، فانضم الى المفتي وتخلى عن المعارضة . والى الآن لم يزل المفتي راكبا السرج وتزداد سمعته الوطنية نقاوة لما يقوم به من مشروعات مهمة ، كتأسيس دار الايتام الاسلامية في القدس ووضع مشروع اصلاح قبة المسجد الاقصى .

● ● ● ●

الصورة الحقيقية لنضال الحاج امين وهو المفتي الاكبر ورئيس المجلس الشرعي الاسلامي الاعلى ، تتجلى بوضوح في العشر سنوات الاولى من حياة المجلس ، ففي خلال هذه المدة سنة ١٩٢٥ وقعت الثورة السورية في جبل العرب بقيادة سلطان الاطرش ، الثائر العربي المشهور ، فكان للحاج امين يد كريمة جدا في مناصرة الثورة بالاشتراك مع صديقه وصديق سلطان في الوقت نفسه ، رشيد طليع الذي كان في مصر وقت شبوب الثورة فجاء القدس ومكث فيها مدة ما ، وهدفه مساعدة الثورة بالمال ، وبما يمكن من ذخيرة ، ثم ذهب الى الجبل بنفسه متنكرا بزي مهندس زراعي ايطالي وتوفي في اخر ربيع سنة ١٩٢٦ رحمه الله .

وبعد ضرب الفرنسيين دمشق بمقذوفات المدافع على العمياء ، والثورة في جبل العرب متأججة ، الف المفتي ، او زعيم فلسطين الفعلي (صار يلقب بصاحب السماحة بعد توليه رياسة المجلس) لجنة في القدس بمعرفة رشيد طليع ، ويعرفه الحاج امين من ايام دمشق ، وكان طليع رئيس حزب الاستقلال العربي منذ ١٩١٩ ، وكان لم يزل رئيس هذا الحزب الذي يتولى قيادة نهضة الامة العربية ـ الف الحاج امين هذه اللجنة من نخبة من الرجالات فيهم احمد حلمي (باشا) الذي صار فيما بعد سنة ١٩٤٨ « رئيس حكومة عموم فلسطين » وسماها « اللجنة المركزية لاعانة منكوبي سوريا » ، فكانت هذه اللجنة ، ورئيسها الحاج امين نفسه ، وكاتب هذه السطور سكرتيرها ، صلة الوصل بين سلطان الاطرش والعالم الخارجي ، لأن بعد الثورة انقطعت طرق المواصلات بين الجبل ودمشق اذ شغلت هذه الطرق من قبل القوات العسكرية الفرنسية فاصبح الجبل منقطعا عن العالم اجمع ، الا الطريق البرية الموصلة بين جبل العرب والاردن . فالخدمة التي قامت بها هذه اللجنة للثورة خدمة جليلة يجب على المؤرخ الواعي ، الساعي الى مواطن الحقيقة ان يتنبه لها .

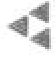
● ● ● ●

ولأن هذه اللجنة هي الصلة الوحيدة بين الجبل والخارج ، ولاسيما المهاجر المختلفة في الامريكتين واوروبا وافريقيا ، وخاصة مصر ، ورئيسها يوقع الرسائل والكتب والمنشورات هكذا : « محمد امين الحسيني ، رئيس اللجنة المركزية لاعانة منكوبي سوريا » ، فقد نقلته هذه الصفة الى الافق العربي الواسع في العالم العربي ، وصار من الشخصيات العالمية . وكما ان ثورة جبل العرب نقلته الى هذا الافق ، فان مشروع عمارة المسجد الاقصى المبارك نقله الى افق العالم الاسلامي بواسطة الهند و« لجنة الخلافة » ، والقائمون عليها مولانا شوكت علي ومولانا محمد علي وشعيب قرشي وغيرهم من الزعماء .

● ● ●

نحن الآن في حوالي منتصف العشرينات من هذا القرن ، وينبغي علينا ان نعطي صورة مصغرة عن وضع الحركة الوطنية العربية داخل فلسطين حينئذ ، فنقول انه كانت هناك شخصيتان من آل الحسيني في القدس لهما القيادة : شخصية موسى كاظم (باشا) المعدود « شيخ القضية » وهو دائما رئيس المؤتمرات الوطنية ورئيس الوفود العربية السياسية الى لندن ، وهو امسى بعد خدمته في الدولة العثمانية خدمة طويلة محالا الى « التقاعد » وفي سن عالية . يجله اهل فلسطين ويرعون مقامه . وهو والد الشهيد عبد القادر الحسيني .

والشخصية الثانية شخصية صاحب هذه الترجمة الحاج امين ، المفتي ورئيس المجلس الاسلامي الاعلى ، في نحو السادسة والعشرين من عمره ، وموسى كاظم رئيس اللجنة التنفيذية للمؤتمرات العربية ، في سن عالية جاوزت السبعين . والزمام الوطني بيد اللجنة التنفيذية للمؤتمرات ، وبيد الحاج امين ونمو شعبيته يزداد مع



الايام . وهناك معارضة ، ووجودها امر طبيعي اجتماعيا واعرافا سياسية مثبتة . وراس هذه المعارضة راغب النشاشيبي رئيس بلدية القدس منذ ١٩٢٠ ولكن هذه المعارضة قليلة الجدوى وهي مؤلفة بمعظمها من رؤساء البلديات في فلسطين ، والمجالس البلدية هذه تابعة في موازناتها المالية للحاكم البريطاني . ففي الوقت الذي كان يعتبر فيه اهل فلسطين المجلس الاسلامي بمثابة الملاذ الوطني ، وهذا الملاذ نابع من شخصية الحاج امين نفسه ، كان اهل فلسطين يعتبرون المعارضة التي يقودها راغب النشاشيبي معارضة كأنها عائلية بين آل الحسيني وآل النشاشيبي ، والحقيقة ان الفروق بين منصب المفتي ورياسة المجلس الاسلامي الاعلى وبين رياسة بلدية القدس ، فروق واضحة مدنيا واجتماعيا ودينيا .

فشتان بين شؤون المسجد الاقصى المبارك وشؤون البلدية . تبين هذه الحقيقة ، وحياتنا في فلسطين من خريف ١٩٢٠ الى سنة الانهيار ١٩٤٨ اذ كان يطلق على فريق الحاج امين لقب « المجلسيين » وعلى فريق راغب « المعارضة » ، وما عرفت فلسطين الاحزاب العربية المنظمة قبل ١٩٣٢ واول حزب سياسي منظم هو « حزب الاستقلال الفلسطيني » . فالمعارضة ليس لها كيان يدخل التاريخ لانها كناية عن جماعة وان ربطتهم مع بعضهم بعضا الرياسات البلدية في معظم مدن فلسطين ، فان هيمنة الحاكم البريطاني على الموازنات المالية ، كانت تجعل الاهالي ينظرون الى المعارضة على انها معارضة شخصية لمعاكسة الحاج امين ، مجرد معاكسة لا اكثر ، اما شخصية راغب النشاشيبي وقد عرفته مليا منذ ١٩٣٢ فصاعدا معرفة تامة ، فسليمة محترمة وكان بيته في القدس بيتا له تقاليده من الكرم والجود .

***

اما حياة المجلس الاسلامي الاعلى فادوار ، فالعشر سنوات الاولى كانت سني ازدهاره ونشاطه . فبعد انشاء المجلس ١٩٢١ باشر المجلس ، وزنبركه الحاج امين ، انشاءدار الايتام الاسلامية في القدس ، فالحرب العامة ، خربت بيوتا ، ويتمت اطفالا ، وفرقت احيانا بين الام واولادها واشتد الفقر في البلاد ، واحيانا كانت الجمعيات الدينية الاجنبية تلتقط أولاد المسلمين فتربيهم فينشأوا على دين غير دينهم . فجمع الحاج امين من استطاع جمعه من امثال هؤلاء الايتام في دار فسيحة (كانت سراي الحكومة العثمانية سابقا) وانشأ « دار الايتام الاسلامية الصناعية » (للنجارة والخياطة وطباعة الصحف والكتابة في مطبعة كبيرة ونمت هذ الدار نموا فريدا) .

***

المشروع الاكبر من مشاريع الحاج امين ، عمارة المسجد الاقصى ، وبدأت سنة ١٩٢٣ وانتهت سنة ١٩٢٩ بمهرجان استمر اسبوعا ، ودعيت الوفود الى هذا المهرجان من العراق ومصر وسوريا ولبنان . وتفصيل هذا المشروع لا يتسع له المقام هنا فنرجئه الى نوبة اخرى ان شاء الله وبه التوفيق .

الهيئة العربية العليا

بعد ١٩٣٢ ووفاة احد اعضاء المجلس في دورته الثانية ، بدأت الحكومة تعين هي من تختار لسد الفراغ من اعضاء وطبعا تختار من يجاريها ، والحاج امين صابر محتمل لا تهزه ريح ، صموده كالصخرة ، حتى ادركنا سنة الاضراب الكبير وهي سنة ١٩٣٦ ووقعت ثورة عنيفة فاعتقلت السلطة في عدة معتقلات اهمها معتقل صرفند ، لا اقل من ١٥ الف عربي لمدة ستة اشهر . وفي هذه السنة حصل اتفاق بين الاحزاب السياسية ، ومنها المعارضة على تأليف الهيئة العربية العليا ، ورئيسها الحاج امين وفي سنة ١٩٣٧ قتل حاكم الناصرة البريطاني واسمه « اندروز » ، فاتهمت الحكومة المفتي الحاج امين رئيس المجلس الاسلامي الاعلى بان له يدا في هذا ، ولكن الحقيقة أن قتلة هذا البريطاني المتصهين كما علمنا هم من رجال الثائر الشهيد الشيخ عز الدين القسام . فأقدمت الحكومة على عزل المفتي من منصب رئيس المجلس الاسلامي ، فرابط في بيته الضخم قرب المسجد الاقصى ، وصارت الحكومة تعمل للقبض عليه ولكنها رأت انها اذا اقتحمت بيته المشرف على الحرم القدسي الشريف تقع ثورة وطنية فلم تقدم على هذا لهذا السبب . وبقي الحاج امين ملازما بيته هذا بجوار المسجد الاقصى حتى واتته ظروف مناسبة

استطاع تدبيرها فانتقل الى بيروت فاستقبله الفرنسيون بما يليق بمقامه ، وبقي في بيروت الى ان وقعت الحرب العامة .

وسنة ١٩٣٨ وهو في لبنان كان نفوذه يهيمن على الثورة التي شبت في تلك السنة وبلغ الانكليز غاية الوحشية والفظاعة مما لا ينساه اهل فلسطين ولو تفرقوا ايدي سبا في انحاء الارض .

***

بعد وقوع الحرب الثانية طلبت حكومة فلسطين من حكومة الانتداب الفرنسي ان تسلمها المفتي الحاج امين ، ولعله شعر هو بهذا فانتقل إلى العراق ووقعت ثورة رشيد عالي الكيلاني فجد الانكليز في طلبه فانتقل الى ايران ومنها الى تركيا فايطاليا فبرلين فتلقاه هتلر بمزيد الترحيب ، وحاول الحاج امين وهو في برلين الاستفادة لفلسطين والخلاص من وعد بلفور فوقعت اسباب لم تمكن من هذا مع الاسف ، اما يهود فلسطين فانهم لما رأوا « رومل » بجيشه اقترب من مصر ، فذعروا اي ذعر واخذ اغنياؤهم مبارحة فلسطين فرارا بارواحهم الى ايران وجنوب افريقيا . ومعلوم ان الحاج امين بقي في اوروبا الى نهاية الحرب ثم وجد طريقة الى باريس ومن باريس جاء مصر وهو يتهيأ لصراع اليهود في فلسطين بالقوة المسلحة وصارت سنة ١٩٤٨ تقترب والعرب على غير تعاون بين بعضهم بعضا .

اما الحاج امين وهو موضوعنا وبيت قصيدنا في هذه الترجمة ، فنتيم كاليتيم الذي شعر به بعد معركة ميسلون سنة ١٩٢٠ ، ومنذ تلك السنة لم ينقطع عن الحل والترحال في العالم الاسلامي ، يشترك في المؤتمرات الاسلامية العالمية والاقليمية من اجل نصرة عرب فلسطين ، وبالتالي نهكته الامراض حتى فتكت بجسمه واوهت قواه وتوفي رضي الله عنه في بيروت سنة ١٩٧٤ وكان له مأتم عظيم ودفن في مقبرة الشهداء في بيروت .

***

الى هنا تنتهي صفحاتنا عن مجمل سيرته الوضاءة المثيرة ، سيرة بطل عربي مسلم ، سواء في ثوبه العسكري وقت الحرب الاولى ، ام في لباسه المدني العادي ، ام في زي العلماء بالجبة السوداء والعمامة البيضاء التي هو متوج بها نصف قرن كله جلاد وعراك .

واجعل ختام هذه السيرة الكلام عن آدابه ، فقد عملت تحت يده ١٢ سنة ، ورافقته في الاسفار الى المؤتمرات ، وخاصة المؤتمر الاسلامي العالمي المنعقد في مكة المكرمة سنة ١٩٢٦ ، وشاهدت مجالسه الخاصة والعامة ، الرسمية وغير الرسمية ، فما هناك حال ، في ليل او نهار ، لم اشاهده فيها الا وهو يعمل في جانب من جوانب القضية الوطنية ، او يحل مشكلا بينه وبين الناس ، او قاضيا للاصلاح بين فريقين من الناس ، ففي كل هذه الاحوال ١٢ سنة متوالية لم اسمع منه كلمة نابية . وعرضت له في اثناء هذه المدة قضايا عديدة لتستوقد في الانسان غضبه ، مهما يكن حليما ناعم الطبع ، اما هو فلا يستسلم الى غضب ، فاذا عرض له شيء من هذا فيتقلب ذلك المسلم الذي جملته آداب الاسلام تجميلا يظهر اثره فيه بالاعتصام باية قرآنية كريمة ، فاذا كان الجدال بينه وبين احد من حملة السوء في النية والاضمار ، ردد الآية الكريمة « . . . ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم » .

وهو مع الاصدقاء والخلان والاصحاب نسيم المروج . مرحب بالضيف حتى يشعر الضيف كانه في بيته . شعبيته زادته في اخلاقه اتضاعا . ولكن اعتصامه بالحق شيء عجيب ، سواء اكان حقه ام حق غيره .

كنت اترجم له الاحاديث التي تدور بينه وبين الانكليز ، من رسميين او زوار ، فكنت الاحظ شدة اجلالهم لآدابه ، دون نظر الى القضية المتعلق بها البحث . وزاره في اثناء الانتداب من الساسة الانكليز عدد كبير من وقت الى آخر ويباحثونه في قضية فلسطين ، فكانت حججه وبراهينه على خطل السياسة البريطانية مفحمة ولم يكن بوسعهم غير التسليم بصحتها .

رضي الله عنه واسكنه فراديس الجنان ، والهم الدول العربية العمل معا عصبة مسلحة واحدة لانقاذ فلسطين .

○

عجاج نويهض

حامد
آخر الخطاطين العظام

بقلم الدكتور : محمد حرب



يتربع الخطاط التركي حامد على رأس قائمة الخطاطين العظام في العصر الحديث .

يقول الدكتور علي أرسلان - وهو خطاط واستاذ بجامعة استانبول - : « يعتبر فن الخط ، أصعب الفنون الاسلامية . ذلك لأن الفنان فيه لايملك في يده غير القلم البسيط ، وهذا القلم مسطرة الخطاط وبرجله ، وهو قسطاسه الذي يعين به أحجام الحروف . هذا القلم يقوم بأداء كل وظائف الآلات الأخرى التي يمتلكها الفنانون في سائر الفنون الأخرى . لذا تلزم الخطاط خصلتان رئيستان هما : القابلية وبذل الجهد . هناك من جلسوا سنوات عديدة يتلقون فن الخط على أيدي أساتذة خطاطين ، ومع ذلك لم يتمكنوا من تحصيل هذا الفن ، وهناك أيضا أصحاب الاستعداد الفريد في تاريخ الخط ، تلقوا القليل من هذا الفن على يد أساتذة قلائل ولفترات زمنية قصيرة ، واتخذوا - بجانب هذا - عدة أسطر قليلة مما خطه سابقوهم ، نموذجا يحتذونه لتدريب أنفسهم وبهذا احتلوا المكانة العظيمة في تاريخ فن الخط ، وخلدت أسماؤهم أساتذة عظاما في الخطوط . وحامد (١٨٩١ - ١٩٨٢م) واحد من هؤلاء الفنانين العباقرة ، وهم قلائل في التاريخ الفني الاسلامي » .

وحامد (اسمه الحقيقي موسى عزمي) ولد في آمد وهي ديار بكر في تركيا عام ١٨٩١ من أب كان يعمل قصابا ، وكان جده لوالده خطاطا يدعى آدم الآمدي . بدأ حامد دراسته عندما التحق بكتاب الصبيان الملاصق للجامع الكبير في ديار بكر ، وفيه تعلم القراءة والكتابة ، وان لفت الأنظار اليه بشغفه بالرسم وحب دروس الخط الذي أخذ يتعلمه على يدمعلم يدعى مصطفى عاكف .

يحكي حامد قصة طريفة عن معلمه هذا ، فقد دفع الشوق حامدا الى الخط وتقليده،فلم يجد الا هامش المصحف ليخط عليه مقلدا خط المصحف نفسه وكان نسخا ، فقال له معلمه : « ألم تجد مكانا آخر لتكتب فيه ؟! ثم أمر المعلم بضرب حامد « بالفلقة » .

راسب في العسكرية

انتقل حامد بعد انتهائه من الكتاب ، الى المدرسة الرشيدية العسكرية في ديار بكر ، وفيها تعلم خط الرقعة عن معلمه واحد أفندي . وتعلم خط الثلث عن أحمد حلمي بك معلم الرسم وضابط الجاندرما . وتعلم حامد من هذين المعلمين خطوط اللغة اللاتينية ، والخطوط الرومانية ، والقوطية . كما تعلم الخط أيضا في هذه المرحلة من قريب له يدعى عبد السلام أفندي ، ومن معلم يدعى سعيد أفندي ، وهذا الأخير إمام مسجد ، كان له أسلوب خاص في تعليم الخط ، وهذا الأسلوب عبارة عن أمره لتلامذته بكتابة آيات قرآنية على السبورة بالطباشير ، وبهذه الوسيلة تمكن حامد من كتابة القرآن الكريم بالطباشير عدة مرات .

ونتيجة لاهتمام حامد بالخط ، رسب في عامه الأول من المدرسة الرشيدية العسكرية وهي تقابل المرحلة الاعدادية في مدارسنا اليوم - فمنعه والده من مزاولة الخط . إلا أن حادثة جعلت والده يتراجع عن قراره هذا ، وهي أن حامدا كان يعاون أحد معلميه الخطاطين في كتابة لوحة خطية على قطعة من القماش تحمل عبارة « يحيا السلطان » وذلك بمناسبة عيد جلوس السلطان عبد الحميد الثاني على العرش ، في هذه الأثناء أخذ حامد يحاول كتابة طغراء السلطان مما دفع المسئولين في دیار بكر الى منح حامد ليرة ذهبية مكافأة له فطار بها فرحا الى والده ليخبره بالأمر الذي شرح صدر والده ، فسامحه وأذن له في مزاولة فنه .

وعندما كان حامد في هذه المدرسة الرشيدية ، قلد خريطة في أطلس مدرسي بدقة متناهية دفعت أستاذه في الجغرافيا الى ايداع خريطة حامد بمتحف المدرسة .

أنهى حامد دراسته في الرشيدية ليدخل بعدها المدرسة الأعدادية بديار بكر - وهي مرحلة في التعليم العثماني تعادل المرحلة الثانوية في المدارس العربية اليوم - واثناء دراسته فيها داوم على تعلم خط الثلث الجلي ، من قريبه عبد السلام أفندي ، وفي هذه المرحلة ، ترك حامد الرسم ، لكن خطه اتسم في المرحلة بتقليد خطوط مدرستي الخطاطين التركيين : حافظ عثمان (١٦٤٢ - ١٦٩٨) ومصطفى راقم (١٧٨٧ - ١٨٢٥) .

وفي عام ١٩٠٦م أنهى حامد هذه المرحلة التي تؤهله لدخول الجامعة فاتخذ طريقة الى استانبول ، وكان هدفه الأول الافادة بقدر الامكان من الخطاطين في عاصمة الدولة العثمانية ، انتقل حامد الى استانبول ، والتحق بمدرسة الحقوق ، الا أنه بعد سنة واحدة من الدراسة ترك حامد مدرسة الحقوق ليلتحق بمدرسة الصنايع النفيسة (. أكاديمية الفنون الجميلة باستانبول الآن) . وكان والده يرسل اليه ثلاث ليرات ذهبية كل شهر . لكن حامدا



لم يستطع الاستمرار في دراسته نتيجة لوفاة والده بعد عام واحد من دخوله هذه المدرسة أي عام ١٩٠٨م .

ترك حامد دراسته الجامعية تماما لأنه كان مضطرا للكسب ، وظل يعمل بأشياء بسيطة الى أن أعلنت وزارة المعارف العثمانية عن حاجتها الى مدرس للخط بالمدارس ، دخل حامد الامتحان وتفوق فيه لكنه لم يعين نظرا لصغر سنه (١٨ سنة في ذلك الوقت) عن سن التعيين القانوني بوزارة المعارف ، وكانت عشرين سنة . لكن اعجاب مدير مدرسة تسمى « كلشن معارف » ، بحامد أدى الى تعيين حامد معلما للخط في تلك المدرسة ، ونجح حامد فيها نجاحا عظيما ، وكان طلاب الفصول الأخرى يحضرون دروس حامد ، ومن ضمن هؤلاء خطاط تركي تتلمذ في هذه الفترة على حامد ، هو الخطاط المشهور حليم اوزيازيجي (١٨٩٨ ـ ١٩٦٤) .

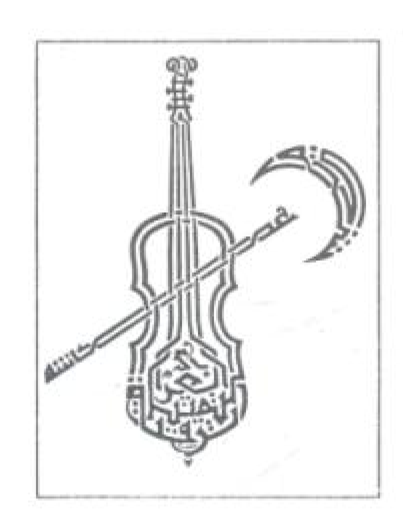
وبعد عام دراسي واحد بهذه المدرسة ، انتقل حامد الى العمل في مديرية مطبعة الرسومات حيث عمل فيها عاما أيضا ، ثم تم تعيينه في مطبعة المدرسة العسكرية ومنها انتقل ليعمل خطاطا بمطبعة اركان الحرب العثمانية ، في المكان الذي شغر بوفاة الخطاط محمد نظيف (١٨٤٦ ـ ١٩١٣) وعمل فيها سبع سنوات .

وبينما كان حامد يزاول عمله في هذه المطبعة ، قامت





الحرب العالمية الاولى فسافر ضمن مجموعة جيوش الصاعقة الى برلين ، حيث تلقى دراسة اختصاصية لمدة عام في دائرة الخرائط التابعة للهيئة العامة لأركان الحرب الألمانية ، عاد بعده الى استانبول .



لوحة بالخط الكوفي في القاهرة ، من اعمال حامد ، تحمل اسم « شركة عكاشة لترقية التمثيل العربي » . يمثل فيها الهلال كلمة « شركة » والقوس كلمة عكاشة » ، والكمان عبارة « ترقية التمثيل العربي » .

حامد : اسم مستعار

أثناء عمل حامد في مطبعة أركان الحرب العثمانية ، رأى أن يفيد من وقت فراغه بعد انتهاء عمله الرسمي فاستأجر دكانا صغيرا للخط والزنكوغراف في حي جاغال أوغلو في استانبول ، ولما كان القانون اذذاك ـ كما هو اليوم أيضا ـ يحرم على الموظف العام الاشتغال بعمل آخر غير وظيفته الرسمية ، فقد اتخذ خطاطنا اسما مستعارا بدلا من اسمه الحقيقي موسى عزمي . وكان هذا الاسم المستعار هو (حامد) الذي اشتهر به خطاطنا فيما بعد . ومن هذا الدكان اكتسب حامد شهرة كبيرة ، أدت الى محاكمته واستقالته من عمله ، بعد أن اكتشف أمره بانه يعمل بعمل أخر غير وظيفته الحكومية . ولأن اسم حامد قد جلب الشهرة له فقد توجه الى الجهات الرسمية ليغير اسمه رسميا من موسى عزمي الى حامد . ثم انتقل من دكانه هذا حتى استأجر دكانا للخط في شارع الباب العالي باستانبول حيث ظل يعمل به الى أن مات .

في حديث لحامد ـ قبيل وفاته ـ مع مجلة « كوبري » روى حامد حكاية عن أعظم خطوطه الجوامعية فيقول : « اما تلك التي كتبتها في جامع شيشلي باستانبول ، قام بتصميم هذا الجامع وبنائه زميلي في الدراسة وصفي بك .

وقام الخطاط التركي العظيم نجم الدين أوق باي باختيار بعض آيات من القرآن الكريم وأتى بها الى فاخترت من بينها ماتيسر من الآية الثامنة عشرة من سورة التوبة لكي أقوم بعملية تجريبية بكتابتها بالقلم الرصاص . ولكن عند



بسم الله الرحمن الرحيم
والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين امنوا
وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر

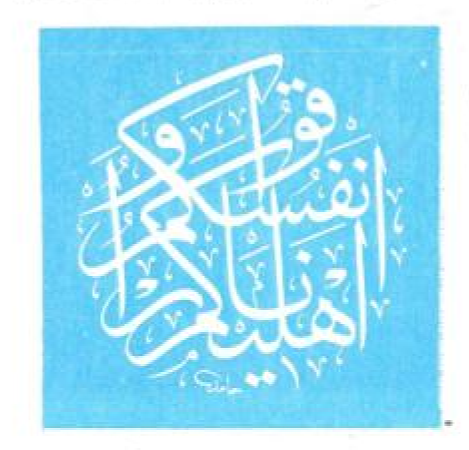
الكتابة الأصلية لم أستطع أن أجمل حرفي الألف واللام وضعا مستقرا . وأخذت أفكر في مخرج لهذا حتى تعبت ، فأطفأت الأضواء وأغلقت عيني واستغرقت فترة قصيرة في النوم ، وبينما أنا كذلك اذا بي أجد وأنا بين الحلم واليقظة حرفي الألف واللام يأتيان أمامي ثم يأخذان الشكل المناسب لها ، فقمت من نومي فورا متحمسا مضطربا ، وأشعلت المصباح وأكملت ما أشكل علي .

ولحامد أعمال فنية خطية كثيرة يصعب احصاؤها . أهمها كتابة خطوط القرآن الكريم مرتين : واحدة منها طبعت في كل من تركيا وألمانيا . وكان حامد يعتبر نفسه محظوظا اذ كتب خطوط القرآن الكريم كله . ومن بين الجوامع التي كتب حامد خطوطها جامع قوجه تبه بأنقرة ، وجامع موضه في استانبول حيث كتب فيه سورة الفتح ، وجامع قارتال باستانبول حيث كتب خطوط سورة النبأ .

وأشهر الطغراءات التي كتبها حامد ، ثلاث : طغراء السلطان عبد الحميد الثاني سلطان الدولة العثمانية وطغراء الملك فيصل ملك المملكة العربية السعودية ، وطغراء الامبراطور رضا شاه بهلوي شاه ايران .

كما كتب حامد خطوط عناوين كتب كثيرة وشواهد قبور وأشعاراً مختلفة وبطاقات أفراد (كارت يحمل اسم شخص ووظيفته) .

على أن أهم ماكان يعجب به حامد شخصيا من





حضرة صاحب العزة قنصل المملكة المصرية بالآستانة

أتشرف بأن أرسل لعزتكم المعلومات الآتية عن شخصي ومن تاريخ حياتي : ولدت سنة ١٣٠٩ هجرية في مدينة ديار بكر (آمد)
واسمي موسى عزمي حامد وشهرتي " حامد الخطاط " . وقد أتممت دروس الثانوية سنة ١٣٢٤ في المدرسة الإعدادية
بديار بكر ثم قدمت إلى الآستانة حيث دخلت في مدرسة الفنون الجميلة العالية ودرست فيها فن الرسم والتكوغرافيا .
ثم عينت معلماً للرسم والخط في مختلف المدارس وفزت في المسابقة التي فتحت في المدرسة الحربية لانتخاب خطاط الطبعة
سنة ١٣٢٦ ثم نقلت سنة ١٣٢٩ إلى المطبعة [illegible] حيث [illegible] إلى مطابع [illegible]
[illegible] . ثم إني استقلت من المطبعة المذكورة سنة ١٣٣٥ وفتحت (دار الخط) في شارع الباب العالي
[illegible] بجميع ما يختص بالخطوط العربية الإسلامية كتابة اللوحات المقدسة والألواح [illegible] والنحاس والكاشي
وأنواع الزخرفات [illegible] والتزيينات العربية وبالجملة كل ما يتعلق بالأسس الصناعات التي لو [illegible]
[illegible] . وقد كتبت كتابات كثيرة بتوقيعي " خط حامد " في كثير من البلاد الإسلامية .
ورجائي من عزتكم التوسط لإيصال ما ترونه [illegible] إلى وزارة المعارف المصرية وتفضلوا بقبول
فائق الاحترام .

١١ / ٨ / ١٩٢٨

المخلص
حامد

أعماله : لوحة خطوط سورة الفاتحة التي قلد بها خطوط سورة الفاتحة للخطاط راقم ، واستغرق حامد في خطها ستة أشهر كاملة .

وللحامد تلامذة منتشرون في أنحاء العالم تلقوا منه فن الخط ، نسوق منهم الأمثلة الآتية . في تركيا : حليم - حسن جلبي - خسرو صوباشي - أحمد فائع . وفي البلاد العربية : الخطاط هاشم البغدادي - يوسف ذو النون - عبل الراوي - مروان الحربي - سماع الحلبي - السيدة جنات الموصلية . وفي اليابان : السيدة ميناكو .



توفي حامد بعد أن عولج فترة طويلة في مستشفى حيدر باشا النموذجي في استانبول . خرجت جنازته من جامع شيشلي الذي كان حامد يفخر دائماً بكتابته لخطوطه ، ووُوري جسده التراب في يوم ٢٠ مايو ١٩٨٢ . وشارك في تشييع جنازته تلميذه الخطاط المشهور حسن جلبي وتلميذته الخطاطة اينجي بش أوغلو ، وتلميذه رجل الأعمال والخطاط ضيا آيدين ، والخطاط الصيدلي أوغور درمان ، والمؤرخ ابراهيم القونوي ومفتي استانبول صلاح الدين قايا ، ومعمر أولكر المدير العام للمكتبة السليمانية باستانبول .

دفن حامد تحت قدمي شيخ الخطاطين حمد الله أفندي . وكانت وفاة حامد عن واحدة وتسعين سنة .

د . محمد حرب



كشف بالأشعة على العقل الإسلامي في زماننا

بقلم : فهمي هويدي

○ تنتاب المرء حيرة عندما يحاول أن يحتفي بكتاب جديد من كتب العلم والفكر له أهميته البالغة . ويظل غاية مسعاه ، أن يقدمه في « كتاب » آخر ، طال أو قصر . لو أنه كان أقصوصة أو أغنية لتعددت أساليب الاحتفاء به والاحتفال ، ولتنقل مختالا بين السينما والاذاعتين المرئية والمسموعة ، فضلا عن أشرطة التسجيل المصورة والمنطوقة التي تطوف به كل بيت ، وتسيح به في أرجاء الأمة من المحيط الى الخليج ، حاملة « الأمانة » ومبلغة عنه الرسالة !

الأقدمون كانوا يكتبون الحواشي على هوامش كتب الفكر والفقه . وكان المتن يذيل بأكثر من حاشية تخصب الحوار وتعمق المعرفة . والمحدثون كانت كتبهم يتلقفها النقاد ، وينقلون حوارهم معها ومعاركهم الفكرية الى مختلف المنابر الثقافية التي تتلمذت عليها أجيال الثلاثينات والأربعينات والخمسينات . لكننا عشنا حينا من الدهر توفرت له أفضل امكانيات الاتصال ، وأردأ ملابسات الحوار . فقد اختفى كتاب الحواشي ، كما اختفى النقاد الذين يخاطبون جماهير المتعطشين للمعرفة ، واستبدل بهؤلاء وهؤلاء كتاب العرائض والتقارير الذين لايخاطبون سوى السلاطين . وبات الرواج من نصيب باعة الاغاني والأفلام وفنون أخرى أكثرها هابط ، لايخاطب عقل الانسان ووجدانه ، ولايرى فيه سوى غرائزه وأهوائه !

حتى بات العالم الجليل أقل شهرة من مطرب لايجيد القراءة والكتابة !

وبات الكتاب الجاد غريبا ، حتى كاد يتحول الى منشور سري ، ليس فقط في قلة توزيعه ، ولكن أيضا في احتمالات ملاحقة كاتبه !

ومابين أيدينا هذه المرة ليس كتابا واحدا مفتربا ، انما ثلاثة كتب دفعة واحدة ، ينتظمها عقد واحد هو : أزمة الواقع الاسلامي الراهن . وهي من أهم ماكتب في هذا الموضوع خلال العام الذي انقضى ، فضلا عن انها من تأليف اثنين من أبرز فقهائنا وعلمائنا المعاصرين ، هما فضيلة الشيخ محمد الغزالي والدكتور يوسف القرضاوي . والاثنان ليسا غريبين عن أسماع المهتمين بالشئون الاسلامية . فلكل منهما رصيده الكبير في العلم والدعوة الى الله ، وان انتميا الى جيلين متعاقبين . الشيخ الغزالي (من مواليد ١٩١٧) في عداد الأجداد بالنسبة للجيل الحالي . والدكتور القرضاوي (من مواليد ١٩٢٦) من جيل الآباء . وقد انعكس هذا الانتماء على منهج كل منهما في معالجة الموضوع . الشيخ الغزالي لم يتردد في أن يخوض معركته ضد التدين الفاسد على جبهة عريضة تشمل الشيوخ والشباب . ومن موقعه كواحد من الأجداد عايش تجربة الدعوة الاسلامية لأكثر من أربعين عاما ، اختار أن يتصدى للاعوجاج الفكري عند الآباء والابناء معا في كتابيه اللذين نتوقف أمامهما هنا ، وهما : دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين ، ومشكلات في طريق الحياة الاسلامية . ولذا جاءت كلمته اكثر اتساعا وشمولا . أما الدكتور القرضاوي ، فقد دفعه انتماؤه الى جيل الآباء لان يتصدى لأزمة الابناء دون غيرهم . وركز كتابه الذي نحن بصدده

(الصحوة الاسلامية بين الجحود والتطرف) على الشباب فقط ، متجها في دراسته الى تحقيق فساد المعتقدات وفساد الأزمنة في آن واحد . ولأن الجبهة التي اختارها كانت محدودة ومقصورة على قطاع الشباب ، فقد ساعد ذلك على ان يجيء كتابه أكثر دسما وعمقا .

ويكاد يشعر قارىء الكتب الثلاثة أنها تكمل بعضها البعض . فالمساحة الواسعة التي يغطيها كتاب الشيخ الغزالي في انتشار أفقي ملحوظ ، يكتمل استيعابها بعملية رصد الجذور والأعماق التي يمارسها الدكتور القرضاوي في معالجته الرأسية لقضية تطرف الشباب .

وثمة اختلاف آخر في المنهج ، هو أن الشيخ الغزالي وهو يقف على المسرح العريض الذي اختاره لتحركه ، غلب عليه أسلوب الداعية المخضرم ، الذي مكنته تجربته من رصد مختلف أمراض الجسم الاسلامي ، فيما يمكن تشبيهه بعملية اجراء التحاليل والتقاط صور الاشعة ، لكشف دقائق العلل وخفاياها .

أما الدكتور القرضاوي ، وقد اختار شريحة واحدة من هذا الجسم الاسلامي ، وهي قطاع الشباب ، فقد غلب عليه أسلوب الباحث الملتزم ، الذي تجاوز في فحصه للحالة حدود تشخيص المرض العضوي ، الى تحقيق الظروف الاجتماعية والسياسية المؤثرة في بنية المريض وتكوينه ، ولذا ، فاذا كانت السمة البارزة في كتاب الشيخ الغزالي هي دوره كاخصائي بارع في التحاليل والاشعة ، فان أبرز ما في كتاب الدكتور القرضاوى هو دوره كطبيب معالج .

الملاحظة الأخيرة في هذا التقديم السريع تنصب على الأسلوب الذي استخدمه كل منها في صياغة أفكاره ، فقد استطاع الداعية المخضرم أن يجذبنا باسلوبه المباشر واللاذع ، وباقتداره الكبير في تطويع الكلمات والعبارات . في حين جذبنا الباحث المدقق برصانة أفكاره ودقة موازينه وحساباته .

ولا أريد أن أطيل في الطواف حول الكتب الثلاثة ، فالهدف هنا هو تقديم هذه الكتب ومحاولة استعراض مضمونها ، وهو هدف سيظل منقوصا اذا لم يحفز القارى الى أن يقرأها في أصولها ، لا أن يقرأ عنها فقط !

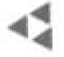
●

تبدو عملية النقد الذاتي واضحة المعالم في كتابي الشيخ الغزالي . « اننا نحن قبل غيرنا العقبة الاولى أمام دين عظيم ـ ان انتشار الكفر في العالم يقع نصف أوزاره على متدينين بغضوا الله الى خلقه بسوء كلامهم أو بسوء صنيعهم . ان المدافعين عن الاسلام لاينقصهم الحماس والاخلاص غالبا ، وانما ينقصهم عمق التجربة وحسن الفقه ـ ان النجاح الذي يلقاه اعداء الاسلام في تطويق حركاته لايعود لذكائهم قدر مايعود لغبائنا !

ثم يقول : اننا منتمون للاسلام ومنكرون له في آن واحد . منتمون له بالميراث وخارجون عليه ماديا وأدبيا . هناك تحديات تواجه الدعوة الاسلامية ، والرسالة الاسلامية ذاتها ، أقلها من الخارج وأكثرها من الداخل . أنا لا اعتبر التتار هم مسقطي الخلافة في بغداد . ان الخلافة أسقطتها من قبل قصور مترعة بالاثم ، متخمة باللذات الحرام . أنا لا أعد الصليبيين هم مسقطي دولتنا في الأندلس . ان المترفين الناعمين هم الذين أنزلوا راية الاسلام من هذه الربوع الخضرة .

وفي استمرار تحليل الواقع يقول :

انه لفشل دفعنا ثمنه باهظا عندما خبنا في ميادين الحياة ، وحسبنا أن مثوبة الله في كلمات تقال ومظاهر تقام . ان دين الله لايقدر على حمله ولاحمايته الفاشلون في مجالات الحضارة الانسانية الذكية ، الثرثارون في عالم الغيب ، الخرسي في عالم الشهادة . ان العزلة عن الكون وعلومه جريمة في حق الاسلام وأهله ، وان تايد الحق الذي شرفهم الله به لايتم بالقصور العلمي وحسبان الدين مراسم جوفاء . من المستحيل اقامة مجتمع ناجح الرسالة اذا كان أصحابه جهالا بالدنيا عجزة في الحياة . لو قبل لكل شيء في البلاد الاسلامية عد من حيث جئت ، لخشيت أن يمشي الناس حفاة عراة ، لايجدون من صنع أيديهم مايكتسون ولامايتقلون ولامايركبون .. . بل لخشيت أن يجوعوا . ان الله لايقبل تديناً يشينه هذا الشلل المستغرب .





ويقول : التدين المغشوش يفسد البداهة ويمسخ الفطرة . وكأن القدر ـ ازدراء لهذا التدين ـ أبي الا أن تكون النهضة العقلية العارمة بعيدة عنه ، ولا نقول منكرة له

ويضيف : اذا كان المرء يبيت في عواصم الخلافة الاسلامية الثلاث الكبرى غير آمن على ماله ودمه ، ويبيت في لندن أو باريس وواشنطون مستريح الطرف والقلب ، فمن يعطيه ربك قيادة الانسانية ، ويقر الامور بيده ؟!

ويضيف : ان الصورة التي تقدم لدار الاسلام الآن هي : انه الدار التي ينتهب فيها المال العام ، ويسودها حكم الفرد ، وتهان فيها كرامة المرأة ، بل وتضيع حقوقها . . وان المصلحين لاجؤار لهم الا بحرب التصوير والغناء والسفور والتلفاز ، وان العودة الى الاسلام كما يطلبها الشباب لاتعني الا العودة الى الهمجية الأولى !

وفي تصويره لقضية تخلف المسلمين ، يقول الشيخ الغزالي : ان أصابع الاتهام تشير الى صنفين من الحكام والعلماء . فالاستبداد السياسي هو أول أسباب الشلل الفكري عند المسلمين . فضلا عن أن المتحدثين في الدين شغلوا أنفسهم بالبحوث الكلامية الغبية ، والفروع الفقهية الوهمية ، والكراسات التي حفلت بحشو لا آخر له ، ثم عدت ذلك كله هو العلم الذي لاعلم معه . ثم يقول في موضع آخر محددا حجم مسئولية كل طرف في تخلف الواقع الاسلامي : انه قد يكون لفساد الجو السياسي دخل كبير ، ولكن فساد الجو الثقافي له دخل أكبر .

●

وعند فساد الجو الثقافي ـ الذي يسميه حينا بالتدين المغشوش وحينا آخر بالتدين الكاذب أو الفاسد ـ يقف الشيخ الغزالي في مواضع عديدة من كتابه . ويخصص أكثر من فصل في كتاب « دستور الوحدة الثقافية » . . لتتبع وكشف مظاهر ذلك الفساد . ففي فصل بعنوان « الحقائق لا الأوهام أساس الاسلام » ينقل حوارا جرى بينه وبين مؤذن زعم أن الرسول جاءه في المنام وأقره على أن يضيف في الاذان كلمة « سيدنا » الى عبارة اشهد ان محمدا رسول الله ، ثم يسجل الشيخ الغزالي رده على هذا المؤذن الذي قال فيه : إن دين الله اكتمل في اليقظة جهارا نهارا ، وليس بانتظار رجل يثقل في الطعام ثم يهرف في المنام ! ثم أضاف : ان المسلم رجل جيد العقل ، يلتمس الحق من مصادره وحدها ، فاذا عرفه التزمه واحترمه واستقام على طريقته حتى يتوفاه الله ، وليست للتخامين والأوهام مكانة في فؤاده ، لأنه ـ كما أمره الله ـ لايقفو ماليس له به علم .

وهنا يثير قضية الغيب ، ويقول فيها بوضوح : ان الايمان بالغيب ليس ثغرة ينفذ منها الخرافيون وعشاق الأوهام ، كي ينفثوا سمومهم . فدائرة هذا الايمان محددة ، واذا كان في الدين محكم ومتشابه . . فان المحكم أم الكتاب وأساس الاعتقاد والتشريع .

ويضيف : ان توسيع دائرة المغيبات ومحاولة جعل الدين طلاسم فوق العقل ، أو معميات ينكرها المنطق ، ان ذلك كله ضرب من الكهانة يتقنه بعض الناس القاصرين ذوي النزعات الأسطورية . وما أكثرهم في ميدان التدين .

ثم يضيف مؤكدا : ان دائرة الغيبيات لابد أن يبرز محيطها بجلاء ، حتى لاتستغل عاطفة التدين في اشاعة الباطل وترويج الخرافات .

وفي فصل آخر بعنوان « نحو سلفية واعية » ، يتصدى الشيخ الغزالي بنفس القوة للعوج الفكري الذي يتخفى في ثياب السلفية . ويرسم بعضا من ملامح المنتسبين الى هذا التيار ، فمنهم : « ناس تغلب عليهم البداوة او البدائية ، يكرهون المكتشفات العلمية الحديثة ، ولايحسنون الانتفاع بها في دعم الرسالة الاسلامية . . يرفضون الحديث في التلفزيون مثلا ، لان ظهور الصورة على الشاشة حرام ، ويتناولون المقررات الفلكية والجغرافية وغيرها بالهزء والانكار » ثم يصفهم بانهم : ـ في الحقيقة ـ لاسلف ولاخلف ، وادمغتهم تحتاج الى تشكيل جديد !

ومن نماذجهم « ناس يتبعون الاعنت الاعنت ، والأغلظ الأغلظ ، من كل رأي . . فما يفتون الناس الا بما يشق

عليهم ، وينغص معايشهم ، ويؤخر مسيرة المؤمنين في الدنيا ، ويأوي بهم الى كهوفها المظلمة . . . وهؤلاء أيضا لاسلف ولاخلف . انهم أناس - في انتسابهم الى علوم الدين - محل نظر ، وأغلبهم معتل الضمير والتفكير » .

ومن نماذجهم « ناس يقولون ان آية (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولاتعتدوا) مرحلية ، فان أمكنتنا اليد لم نبق على أحد من الكافرين . قلت (والكلام للشيخ الغزالي) ماهذه سلفية ، هذا فكر قطاع طرق لا أصحاب دعوة شريفة حصيفة ، وهؤلاء لايؤمنون على تدريس الاسلام لجماعة من التلاميذ ، بل أن يقدموا في المحافل الدولية .

وهويروي أن أحدهم ألف كتابا زعم أن فيه أربعين دليلا من الدين على أن الارض لاتدور . ويقول انه « لو كانت في كتاب اربعون شبهة لساغ الرد عليها ، ولكن ماقيل ليس شبهات عاقل ، بل خيال حشاش ! » .

وبعد أن يعرف السلفية بأنها نزعة عقلية وعاطفية ترتبط بخير القرون وتعمق ولاءها للكتاب والسنة ، وتحشد جهود المسلمين المادية والأدبية لاعلاء كلمة الله ، وانها « عودة الى الايمان السهل السائغ ، البعيد عن التقعر ، البريء من المماحكات » ، يدعو في النهاية الى ضرورة ازاحة البله وذوي العقد النفسية من قيادة الفكر الديني ، فانهم غشاوات على البصائر وحجب على الضمائر » .

وفيما بين الفصلين ، انتقد رجال الحديث الذين « اهتموا بالأسانيد أكثر من المتون ، وشغلتهم العنعنة عن الفقه الرحب ، فلم يحسنوا تقرير الأحكام والمصالح » وشن حملة على التعصب المذهبي ، قائلا ان هؤلاء المتعصبين يعانون من آفتين فتاكتين : القصور والعجز العلمي ، ثم سوء النية والتشوه النفسي البغيض . ثم توقف مستنكرا عند قضية الأولياء قائلا : يحزنني أن الفكر الديني عند العامة وأشباههم من أنصاف المتعلمين كاد يجن بالكرامات المادية ، وأولع باحصاء المئات منها ، لمعارف ونكرات حتى سقط قانون السببية أو كاد . وكان لذلك أوخم الآثار على الحضارة الاسلامية .

وفي تعقيبه على الموضوع قال : ان زوجة ترعى بيتها وترعى أولادها ، وتسعد زوجها ناشدة بذلك كله وجه ربها هي من الأولياء ، وان رجلا في ديوانه الرسمي يحرس مصالح الناس ويعجل قضاءها ، ويبش لأصحابها مع وفائه بحقوق الله في صلاة وزكاة هو من الأولياء . وليس من الضروري بتة أن يقع له خارق من خوارق العادات . . ان اشتراط الكرامة لاكتمال الولاية ضرب من الهزل ، وليس لهذا التفكير أي أصل ديني .

●

ويستخدم الشيخ الغزالي تعبير « التخلف العقلي » في وصف الواقع الاسلامي في القرون الأخيرة ويرصد أهم مظاهر هذا التخلف في الخلل الفادح في ترتيب الأولويات التي تشغل العقل السليم . وهو خلل لايمل المؤلف من الاشارة اليه تذكيرا بأهمية تصحيح هذا الهرم المقلوب .

« ان المسلمين المعاصرين نسوا ضياع التركستان والقرم ، ولم ينسوا الخلاف - منذ الف عام - على الجهر بالبسملة أول الفاتحة ! » .

« لقد دخل الصليبيون الأندلس ، فلم يبقوا فيها الا مذهبا واحدا هو « الكثلكة » . وسيطر الاسلام على مايسمى الآن الشرق الأوسط ، وبقي فيه أربعة عشر قرنا ، ومع ذلك فان الطوائف الكثيرة لاتزال تكون فيه « عصبة أمم » . الفكر العام عند جمهور المسلمين أن علوم الكون والحياة نافلة ، ونحن نستميت في تفهيم الشباب الآن أن كلمة التوحيد مهددة مالم تبرع في هذه العلوم ، عندما يكلف مسلم - بعد ما أورد من أذكار اليوم والليلة - أن يقول : باللطيف عشرة الآف مرة ، فماذا يبقى له من فكر يكتشف به المجهول أو يخترع به شيئا ؟! - ان ألوفا مؤلفة من الكتب العلمية تساند الحضارة الحديثة ، وتضمن لها هيمنة على شئون الدنيا في كل ناحية من نواحي الحياة ، والقوم يدرسون بعشق هذه المواد كلها ، في الوقت الذي أجد فيه طالبا جامعيا في احدى الكليات العلمية مشغولا بالرد على الجهمية ! - رأيت أحد طلاب الطب يقتني أسفارا ضخمة في الفقه والحديث ، فاشحت عنها قائلا : أولى بك أن تقتني هذه الأسفار الضخام في المعرفة التي تخصصت بها - ان الاشتغال بالاجتهاد في العبادات عمل المتخصصين ، وغيرهم ينبغي أن يذاد عنه ، وأن يساق الى ميادين الكدح وسباق الحياة المدنية العارم - الذي رأيته وأنا أعمل في ميدان الدعوة الاسلامية أربعين سنة أن أكثر هذه المعارف (الدينية) فضول ، وأن الناس يقبلون عليها تزجية للفراغ ، ومدافعة للبطالة . . وأن عشر مايعلمون يكفيهم في فقه الاسلام كله ، ويبقى عليهم بعد ذلك أن ينصرفوا الى العمل



المثمر ـ عندما ننظر الى العبادات السماوية نجد أداءها في اليوم والليلة لايستغرق نصف ساعة ، ونجد تعاليمها تستغرق صفحة أو صفحتين ، ويبقي الزمان بعد ذلك واسعا (أمام المسلم) والمجال رحبا لفهم الحياة واكتشاف طاقاتها وتسخيرها لخدمة الدين .

وفي رصد مر للاتجاهات الفكرية الجديدة بين بعض المسلمين ، التي تعكس هذا الخلل الفادح في الأولويات يقول : لقد تخصص هؤلاء في الشئون الخيالية والنواحي الجانبية ، أما قضايا الأمة الكبرى فلا اكتراث بها . ان تزوير انتخابات واغتصاب ارادة الجماهير شيء لايستحق التفكير الطويل . ان سرقة ثروة بلد ، وتبديدها في ملذات فرد ، شيء لايستحق التفكير الطويل . . اذن ما الذي يستحق التفكير ، ويحمل راية الجهاد من أجله ؟ . . . . القول بنجاسة ريق الكلب وعرقه ، القول بأن الكلب الأسود شيطان يقطع الصلاة . ولو كان هؤلاء الناس موجودين مع الفتية أهل الكهف لاشتبكوا معهم في معركة حامية ، لماذا يصحبون كلبا !

« لقد ازداد قتام المأساة الهائلة بوجود منسوبين الى الفقه يذرفون الدمع لان التصوير الشمسي انتشر ، أو لان التليفزيون دخل كل بيت ، وتقاسموا بالله لايظهرون أبدا في هذا الجهاز . فاذا حدثت هؤلاء أو حدثت من هو أنظف فكرا عن الدساتير التي تقيد الحاكمين والقوانين التي تطمئن العاملين ، نظر اليك بغباوة هائلة ، وأشعرك أنك تتحدث في غير الاسلام !

« الغريب أن التطرف لايقع في مزيد من الخدمات الاجتماعية ، ولا في مزيد من الايثار والفضل ، انه يقع في الحرص البالغ على الأمور الخلافية ، كالتنطع في مكان وضع اليدين ، أو في طريقة وضع الرجلين خلال الصلاة » .

« لقد رأيت ناسا يتحدثون عن اقامة الدولة الاسلامية ، لايعرفون الا أن الشورى لاتلزم حاكما ، وأن الزكاة لاتجب الا في أربعة أنواع من الزروع والثمار ، وأن وجود هيئات معارضة حرام ، وأن الكلام في حقوق الانسان بدعة . . الخ . فهل يصلح هؤلاء لشيء !

« رأيت في عين أحدهم نية القتل ، وأنا أذكر له بهدوء أن المفتي عندنا من خمسين سنة ألف رسالة عنوانها « القول الوافي في اباحة التصوير الفوتوغرافي » ، وأننا لو فرضناه مخطئا ، فالخلاف الفقهي في قضية ماتخرجها من دائرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فلا معنى لهذه السخائم الكامنة ضد التصوير والمصورين ! لكن الشاب كانت تبرق عيناه بنظرات الفتك ، فعلمت أنني مع ولد عديم التربية ، التحق بجماعة دينية لأنه لم يجد عصابة لقطع الطرق يلتحق بها . فهو فاتك في ثياب واعظ ! . . ومع ذلك فهو ضحية متحدثين في الدين فقدوا الانصاف والاتزان .

ان الشيخ الغزالي في كتابيه يدق بقوة أجراسا تدعو الى أن يسترد المسلمون وعيهم (أنت وحدك صانع مستقبلك ومصور ملامحك) . أن يتحركوا للحاق بركب العلم والحضارة الذي سبقهم بعدما كانوا على رأسه وفي مقدمته . أن ينبذوا الخلافات الصغيرة والسقيمة ويشمروا عن سواعدهم ليخوضوا معاركهم الكبرى من أجل اقامة مجتمع الحق والعدل والتقدم . أن يحتل العقل في مجتمعات المسلمين مكانته التي أكدها خطاب الله الى البشر . أن يتصدى المسلمون للدفاع عن الحرية (فالاستبداد كان الغول الذي أكل ديننا ودنيانا) . . أن يسهم المسلمون مع الأمم الكبرى ، على اختلاف دينها ومذاهبها ، في كل مايرقى ماديا ومعنويا بالجنس البشري .

اخيرا يقول الشيخ الغزالي : اننا نشكو الى الله حكاما يخذّلون الاسلام ويمالئون أعداءه ، وقبل ذلك نشكو الى الله متدينين كذبة قست قلوبهم على عباد الله . . فالمسلم الحق طبيب يأسو الجراح ويرحم الضعفاء ، ويرشد الحيارى ، وينطلق مع الضالين حتى يثوب بهم الى طريق الله .

هذه بعض نتائج التحليل وكشف الأشعة الذي قام به الشيخ الغزالي للعقل الاسلامي المعاصر . . . وموعدنا في العدد القادم باذن الله ، مع بطاقة التشخيص والعلاج التي طرحها الدكتور القرضاوي في كتابه « الصحوة الاسلامية بين الجحود والتطرف » . ○





شعر : يعقوب السبيعي

هاكِ صدري لا تخافي ، مِنْ شحوبي وارْتجافي
أنضجَتني لكِ نيرانُ التمادي في التجافي
واعتصاري لك ماءَ القلبِ كي أخفي جَفافي
وذهولي وارتياعي ثُمَّ خوفي أنْ تخافي
هاك صدري فهْو أظمى لكِ من رملِ الفيافي

* * *

هاكِ صدراً جُنّ فيه القلب شوقاً للتّصافي
واطلبي ، أمشي على الجمر الى ماشئت . . . حافي
كل دربٍ لك يفضي بي على رغم انعطافي
واذا جئْتكِ أنسى بين عينيك انصرافي
ساهماً أشهد حلماً في ضحى عينيك غافي

* * *

هاك صدري ليس هذا الصدر للأشواق كافي
ضاق حتى ليس يدري من يعادي أو يُصافي
ولعينيكِ اختلافي وجُحُودي واعترافي
كلما طفتُ عليها أذهلتني عن طوافي
فاقطفي ما شئت مني فلقد حان قطافي

جواب إلى صديق

بقلم : فهد الدويري

كلمة الصديق الاستاذ عبد الرزاق البصير في العدد السابق من العربي غريبة ، وعجلي وتستحق الاهتمام .

أما الغرابة فتأتي من أن الكاتب أراد أو ظن أن قارئها سوف يضحك منها أو عليها في حين أن الكلمة جاء موضوعها يحث على العبوس الفكري وتدعو الى التأمل والتدبر . وأما أنها عجلي فاني أحسب أن موضوعها لم يتبلور في ذهنه بعد ، وأن حق هذا الموضوع أن يدرس بعمق وبشيء من التركيز قبل أن يدفع به الى النشر ، وأما أنها تستحق الاهتمام فان ما عرضه الكاتب في كلمته تلك انما هو موضوع يشغل بال المفكرين منذ زمن بعيد ، ولعله يشغلهم الآن اكثر من أي وقت قبله ، فهو يعالج مشكلة « حق المواطن وواجباته » وهو يدعو القاريء الى التقطيب واعمال الفكر ولا يدعوه الى الضحك باي حال .

وانا كقاريء لمقال الصديق أود أن أعلق عليه ، أو قل أن أجيبه مفترضا أنني أنا الصديق الذي وجه له تلك الكلمة . .

الاستاذ البصير يطالب بانشاء جمعية يطلق عليها اسم جمعية « استرداد الحقوق » ، ومعنى ذلك أن هناك حقوقا أخذت أو اغتصبت فيجب أن تعود الى أصحابها ، وهذا قول بالغ الروعة ، اذا افترضنا أنه يعني بين تلك الحقوق « حرية الفكر » . . وهي والحق مسلوبة مصادرة في عالمنا العربي . وطلب الكاتب هذا حق مشروع ما في ذلك شك ، ولكن ؟ اية جمعيه تلك التي تستطيع أن تسترد ذلك الحق المغتصب ، وهل من فائدة ترتجى في مناخ اناخت عليه ظلمة حالكة منذ دهر داهر ولا تزال تكتم انفاس الكلمة المقروءة أو المسموعة .

ثم من أين نأتي بجمعية تحرر الفكر يتمتع اعضاؤها بما كان يتمتع به افلاطون في جمهوريته أو الفارابي في مدينته الفاضلة في هذا الزمن الطالح .

ولعل فيما يقوله الاستاذ البصير خير اجابة عليه اسمعه يقول :-

« إن آذاننا وعقولنا شبعت من ضجيج أقلام الشعراء والكتاب باصواتهم الكئيبة من انتهاك الحرمات وهدر الحقوق » .

الا ينطبق عليه القول : من فمك أدينك ؟

فاذا كان شعراؤنا وكتابنا وحالتهم على ما يقول فمن أين نأتي باعضاء للجمعية المقترحة كي تعيد لنا قدسية الفكرة الحرة والكلمة المحترمة ؟

أليس كما تكونون يولى عليكم ؟ . . وماذا يريد منا هذا البصير اذا كانت حرية الرأي موجودة لدينا وتملكها ولو بنسبة ما ، حين كان الاستعمار يسيطر على بلادنا ، واننا

فقدناها ، وصفرت ايدينا منها حين تمتعنا بنعمة الاستقلال والحرية ؟ انك يا صاحبي تطلب المحال بعينه ، ومع ذلك فانا لا أريدك أن تتوقف عن النفخ في القربة المخرومة فهذا شأنك وشأن المتفائلين امثالك لكن البرق خلّب .

واذا انتهيت معك الى هنا فلنبدأ باستطرادك في الحديث عن حقوق المواطن وواجباته ، اذ تؤكد ! وانا هنا اختصر ما قلته انت ـ أن عالم الفكر اليوم منقسم الى فئتين متأخرتين فئة تؤمن بأن « نشاط الفرد يجب أن يكون جزءاً من نشاط الجميع » وأخرى تقول : أن ما على الفرد من حقوق وماله من واجبات هي الاساس الذي ينبغي أن يسير عليه الانسان » وهاتان الفكرتان اللتان اصبحتا ايديولوجيتين الآن ليستا من بنات اليوم طبعا لكن تبلورهما عبر حقبة طويلة من الزمان افرزتا اليوم قوتين سياسيتين تسيطران على العالم وأصبح للفكر الانساني اتجاهان شرق وغرب ، فهل تريد من جمعيتك أن تقرر لنا اليوم ، نحن المهانون حتى الذقون ، واحدا من الاتجاهين .

أما أنا فبحكم معرفتي وقراءاتي لك أخال أنك لا تريد أيا من الطريقين او الاتجاهين ـ سمها ما شئت ـ فاذا صح ما اعتقد فانك تطالب جمعيتك المقترحة ان تدلنا على سبيل ثالث يجمع بين الفكرتين : الفرد بحريته والفرد بحرية جماعة ـ ان صح التعبير ـ وعندئذ الست معي في انك طوباوي تحلم ، وانك لن تصل إلاّ الى القبض على الريح ؟

ثم قل لي ياصاحبي اي خصب « ينتفع من العقل البشري اعظم الانتفاع » كما تقول لو عقدت الجلسه الاولى والالف من جلسات جمعيتنا المقترحة وتداول اعضاؤها آراءهم وفحصوا معتقداتهم الفكرية بكل حرية وانطلاق ، ومارسوا حقهم في القول الصراح فيما يتداولون من امورنا الثقافية والاجتماعية وكل ما يهمنا في دنيانا . هل ينشرون ما يقولون على الملأ ، وهل يصل ما تناقشوا فيها من اراء وما تداولوه من افكار وما اتفقوا عليه من ركائز أساسية تشخص أمراضنا وتقدم ما تؤمن انه العلاج الشافي .

هل يصل كل هذا الى شعوبنا التي كادت ان تصبح خرساء .

أما إن كنت ترى أن تؤلف تلك الجمعية المقترحة ويجتمع اعضاؤها ويبحثون ويتداولون ويقررون ثم يبقى ذلك كله وثيقة تعلن للاجيال القادمة ، أن مفكرينا وكتابنا ومن يستطيعون فينا أن يجددوا واقعنا ويرسموا مستقبلنا ثم يجمعوا ذلك ويكتبوه ثم ينفض سامرهم ويتشتت شملهم ان شهد الله عليهم ولم يذهبوا الى حيث أعلم وتعلم .

وعندي أن شرقنا سيظل يرسف في اغلاله التي تكتفه الآن ولن يتخلص منها حتى في المستقبل القريب ، وستبقى الحرية الفكرية فيه مقيدة ، والكلمة الصريحة مرفوضة ولا تحسب اني أحمّل السياسة والوضع السياسي كل ما نحن فيه من تخلف فكري وتأخر ثقافي وانحطاط اجتماعي ، ولكني اعرف السبب الاكبر من تأخرنا وتدهورنا الفكري الى تلك التلال المتراكمة من التقاليد البالية ، والمعتقدات الرثة والتسليم المذعن الذي ادى الى شلل العقل وتوقف التفكير عند المطلقات ، والاسراف في التعصب للرأي والواحد سلباً وايجاباً .

وسيبقى وضعنا ذلك على حاله حتى يبلغ شرقنا العربي مستوى أرقى من الثقافة العامة ، ويقيض الله له رجالا مخلصين يتيح لهم ذلك المستوى الثقافي وتسمح لهم ظروف زمانهم القدرة على أن يطلقوا ما في عقولهم ويحرروا أقلامهم ، ويمجدوا الكلمة المتحررة ويطبعوا الحرف غير المقيد وعندئذ سوف تلغي من دواويننا هذا البيت :

في قمي ماء وهل ينطق من في فيه ماء

على أن الفرق بيني وبينك على ما أظن هو اعتقادك بان يوم الحرية في شرقنا العربي قريب في حين أومن انا بأنه بعيد . . . بعيد اللهم الا اذا وهبنا الله عمر نوح .

ولن أختم رسالتي قبل أن إتمنى لك أحلاماً بهيجة مع جمعيتنا الظريفة .

الوصفة الناجعة

بقلم الدكتور عبد السلام العجيلي

واخيرا استطاع م . ان يصل الى صديقه ع . ، صاحب المركز المرموق ، ويدخل عليه مكتبه الفخم . تجاوز حراس البوابة الخارجية وحراس الدرج ، والمراقبين على مدخل غرفة الانتظار ، ومدير المكتب ، ثم السكرتير الخاص ، قبل ان تنفتح امامه الغرفة الواسعة وراء مصراع باب مبطن ومظهر بجلد فاخر بني اللون محشو بطبقة سميكة من القطن العازل . وحين اجتاز م . فرجة ذلك الباب ووقعت عليه عين صديقه القى هذا ورقة كانت في يده وقام من مجلسه وهو يهتف :

ـ اين انت يا رجل ؟ لم نرك منذ زمن . اهكذا تنسانا نحن اصحابك ؟

فابتسم م . وهو يهز اليد التي مدت اليه من فوق الطاولة ، وقال :

ـ من يستطيع ان ينساكم ؟ وانت بالذات من بينهم ؟ صوركم في كل مكان . واذا لم تطل علينا وجوهكم في كل امسية فان كلماتكم ، باصواتكم أو بأصوات الآخرين ، لا تفارق سمعنا ليل نهار . . .

فألقى ع . بجسده على المقعد الوثير تحته وقال :

ـ سخريتك التي لا تتركها . هل تظنني ، شخصيا ، مسرورا بكل هذا ؟ اتمنى ان ترجع لنا ايامنا القديمة . ايام لم يكن حولي هؤلاء الناس ، ولا يحيط بي كل هؤلاء الحراس ، ولا احمل على عاتقي كل هذه المسؤولية ، ولا . . .

وقطع حديثه ليضغط زرهاتف اضاء امامه ، ثم ليرفع السماعة ويقول فيها كلمة او كلمتين ويعود ليطبقها ويعاود الكلام قائلا :

ـ . . . ولا امامي كل آلات التلفون هذه . آه . . اني احلم بمكان بعيد . . مكان هادىء مثل تلك القرية التي كنا ، انا وانت ، فيها معلمين في ذلك الزمن ! هل تذكر ؟

هز م . رأسه ، وهو يبتسم ، وقال : انك تذكرني بغوستاف الخامس .

قال ع . : اذكرك بمن ؟

ضحك م . واجابه : بغوستاف الخامس ، ملك السويد . ليس ملكها الحالي ، ولا الذي قبله ، بل الذي قبلها . مات في الثانية والتسعين من عمره بعد ان تولى العرش اكثر من اربعين سنة . في ذات يوم جاءه كبير الاساقفة في البلاد يطلب اليه قبول استقالته من رئاسة الكنيسة لتقدمه في السن وعجزه عن الاضطلاع بمسئولياته . قال الملك : ولكنك في صحة جيدة فما الذي تنوى فعله اذا وافقت على استقالتك ؟ قال رئيس الاساقفة : انوى ، في ما تبقى لي من حياتي ، ان احقق لنفسي حلما قديما . . ففي شمال بحر البلطيق ، قرب ساحل مدينة شلفتاو ، جزيرة صغيرة تسكنها بضع اسر من الصيادين ، وفي الجزيرة كنيسة متواضعة طالما تمنيت ان اكون قسيسها . . لا اظنك تعرف تلك الجزيرة يا صاحب الجلالة . فارسل عندئذ غوستاف الخامس نظره الى بعيد قبل ان يجيب رئيس الاساقفة بقوله : بل اني اعرف تلك الجزيرة . اعرفها جيدا يا صاحب النيافة . . وطالما حلمت انا بأن اكون موزع البريد فيها !

سكت ع . ، صاحب المركز المرموق ، كأنه يتمعن في مغزى ما رواه له صاحبه ثم قال :

ـ تريد الحقيقة لا بد من الاعتراف بأن حنيني الى ايامنا القديمة ، الخالية من الهموم والمسؤوليات . . ايامنا المزيلة تلك . . حنين كاذب .

قال م . : كيف ؟ لم افهم ما تعني .

اجاب ع . : لغوستاف ملك السويد ذاك ، ولرئيس اساقفته المبجل ، ان يحلما بالخلاص من منصبيها الرفيعين ويتفرغا ، احدهما لرعاية كنيسة جزيرة صغيرة ، والثاني لتوزيع البريد في تلك الجزيرة . واحد منهما جاءه عرشه

بالوراثة ، فهو لم يتكلف حتى رفع خنصره لاعتلاء ذلك العرش . والآخر اوصله الى المنصب زهده فيه . احسب قساوسته حملوه الى الرئاسة حملا . اما نحن ، انا وامثالي ، فقد خضنا النار ودسنا على الشوك في سبيل ان تبلغ المراكز التي نحتلها الآن . نكذب اذا قلنا بأنا زاهدون في هذه المراكز واننا نتحين الفرص الى التخلص منها والعودة الى بيتاتنا المتواضعة . لا يا صاحبي ، اننا نعض بالنواجذ على ما حصلنا عليه ولن نتخلى عنه وفينا رمق . . .

قال م . بلهجة الساخر : ولذا تضرب حولكم الاسوار وتحيط بكم الحراس ، لا تخطون خطوة الا ويخلى الطريق امامكم و وراءكم ولا تأكلون لقمة قبل ان تمر على المحلل او يذوق جزءا منها المجرب . . .

قال ع . : وماذا تريدنا ان نفعل ؟ الطامعون بازاحتنا عن مواقعنا كثيرون والناقمون لوصولنا الى حيث وصلنا ليسوا اقل عددا . الم تقرأ وتسمع كيف يخطف وكيف يقتل ، لا السياسيون وحدهم ، بل السفراء ورجال الاعمال وكبار المغنين ، وحتى الاساقفة ورؤساؤهم . لا بد من الحراس والاسوار ، مثل الذين مررت بهم والتي مررت بها قبل وصولك الى هذا المكان ، حتى نضمن لانفسنا السلامة من اشرار هذا العالم ومجانينه . . .

ابتسم م . لهذا الذي ذكره صاحبه وقال : خطرت لي ، وانا اخترق كل هذه السدود من البشر ومن الحديد والحجر التي تحيط بمكتبك ، حكاية تاريخية قرأتها في الطبري أحببت ان ارويها لك حال دخولي ثم نسيتها . ولكنها الآن عادت الى ذهني .

قال ع . : ما اكثر حكاياتك التي تحفظها ، او لعلك تخترعها اختراعا ! ما هي هذه الحكاية ؟

قال م :

سأرويها لك . ليس عليك الا الرجوع الى تاريخ الطبري اذا لم تكن تصدقني . الحكاية يا سيدي ان سعد بن ابي وقاص كان عامل عمر بن الخطاب على العراق بعد ان كان قائد حربها التي انتهت بأن فتحها المسلمون وطردوا الفرس منها . وتناهى الى الخليفة ان سعدا اتخذ من منزله في الكوفة ، التي اصبحت عاصمة العراق ، قصرا اغلق عليه ابوابه فلا يفتحه الا في مواعيد معينة ، وانه فوق ذلك تضايق من اصوات الناس التي تبلغه من السوق في جواره فقال لرجاله : اسكتوا هذه الاصوات عني ! يا لتلك ، في نظر عمر بن الخطاب ، من جريمة يرتكبها وال هو راع مسؤول عن رعيته ! لذلك اسرع الخليفة فبعث برسول خاص من المدينة المنورة الى الكوفة ، وكلفه بمهمة محددة .

قال للرسول : اذا جئت الكوفة فأول شيء تفعله ان تذهب الى القصر فتحرق بابه ، ثم اعط سعدا كتابي هذا . وذهب محمد بن سلمة ، وهو رسول عمر ، وحيدا الى الكوفة . فلما دخلها اشترى حطبا كومه امام باب دار سعد واوقد النار فيه حتى احترق الباب . واخبر سعد بن ابي وقاص بما يجرى فقال : اتركوا الرجل يفعل ما يريد ، هذا رسول ارسل لهذا الشأن . وبعث يستدعيه اليه ، فابى محمد بن مسلمة المجيء مما اضطر سعدا ان يخرج اليه ليقابله ويأخذ منه كتاب الخليفة . وكان في الكتاب كلام بهذا المعنى . « بلغني انك بنيت قصرا اتخذته حصنا يسميه الناس قصر سعد ، وانك جعلت بينك وبين الناس بابا . . . انه ليس قصر بل قصر الخبال . . . انزل منه في حجرة او حجرتين واغلق بقية القسامه ، ولا تجعل على منزلك بابا يمنع الناس من دخوله عليك ومطالبتك بحقوقهم . . . » . وكان في الكتاب غير هذا تعنيف لسعد بن ابي وقاص على ما نقل عنه من انه تضايق من ارتفاع اصوات الناس قرب مسكنه وانه طلب اسكاتهم . . .

قال ع . : حكاية عجيبة . وماذا كان جواب سعد على ذلك الكتاب ؟

قال م . : كان جوابه ان حلف للرسول انه ما تفوه بكلمة مما نسب اليه . وصدقه عمر ، فما كان سعد بن ابي وقاص ليكذب . انه ، اذا كنت تذكر معلوماتك المدرسية ، خال رسول الله والمنافح عنه بالسهام في يوم احد ، واحد العشرة المبشرين بالجنة . الا ان هذه الصفات لم تحل بين عمر وبين ان يحرق باب داره او يقرعه ذلك التقريع . . .

سكت ع . دقيقة او دقيقتين قبل ان يقول :

- اذا لم تخني ذاكرتي ، فان عمر بن الخطاب قد اغتيل . قتله احد الناقمين على طريقته في الحكم . احسب ان الذي جرأ على ذلك القاتل هو انه لم يكن يهتم بحراسة نفسه . لو انه احاط نفسه بالحراسة المناسبة ما وصل اليه ذلك المجرم .

قال م . ، في سخرية : ولما مات ابدا . . ولظل عائشا الى يومنا هذا ! الموت يا سيدي العزيز نهاية كل حي . من لم يمت بطعنة مغتال ، مات حتف انفه .

قال ع . : هذا صحيح .

وتابع م . كلامه قائلا : وكما اغتال ابو لؤلؤة المجوسي

عمر بن الخطاب اغتال بجرم آخر ، في عصرنا الحاضر ، المهاتما غاندي لان هذا نذر نفسه للنضال ضد الظلم الاجتماعي والتمييز الطبقي بعد نضاله ضد الاستعمار الاجنبي . عمر بن الخطاب وغاندي ، كلاهما لم يكن لهما حرس يحميها . ولكني قادر على ان اعدد لك طغاة كثيرين لم تحمهم الحراسات الفائقة عن القتل . . .

فسأل ع . : اذن ما الفرق ؟

اجاب م . : الفرق في راحة الضمير اثناء الحياة وتمجيد الاجيال بعد الموت ، وبين هذا وتلك نصرة الفضيلة وتحقيق المثل العليا .

وهنا زفر ع . ، صاحب المركز المرموق ، قبل ان يقول : ومن لا يطمح الى بلوغ الامور التي تذكرها ؟ ! المصيبة ان الناس في هذا العالم المجنون لا يسمحون للأكفاء ببلوغها . خذ اليك مثلا : لقد قتلوا شلايبر ، الصناعي الالماني الكبير ، وخطفوا البارون امبان ، وهما ليسا سياسيين وانما هما رجلا اعمال ناجحان يعيش من جهدهما وثرواتهما عشرات الآلاف من الاسر . وترانا ، انا وامثالي ، مضطرين الى التمترس وراء الحراس والاسوار كي نستطيع ان نعمل لمثلنا العليا . هل لديك وصفة ناجعة تضمن لنا السلامة كي نحقق ما حققه عمر وغاندي ؟

ضحك م . قبل ان يجيب : عن السلامة من القتل والاغتيال ، ليس لدي أو لدى غيري وصفة ناجعة لها . استطيع ان اصف لك الطريقة التي بها تحقق الشق الثاني من القضية ، اعني راحة الضمير وتوابعها . الصحيح انها ليست وصفة ، وانما حكاية اخرى من حكايات الطبري التاريخية ، بطلها ليس عمر ولا سعد بن ابي وقاص ، بل قائد متواضع اسمه ابو عبيد بن مسعود الثقفي . . .

قال ع . وهو يبتسم : وما هي حكاية قائدك المتواضع هذا ؟

قال م . : قبل ان ارويها لك اعلمك بأن هذا الرجل لم ينج من الموت ، ومن الموت قتلا ، كسيرة الخيرين قبله وبعده . قتل في وقعة الجسر التي دارت في فتوح العراق بين المسلمين والفرس . هاجم الفرس جيش المسلمين بالفيلة التي لم يكن للعرب عادة في قتالها ، وكان بينها فيل عظيم فتك بالمسلمين فتكا ذريعا ، فسأل ابو عبيد ، وكان امير الجيش : اما لهذه الدابة من مقتل ؟ قالوا : بلى ، اذا قطع مشفرها ماتت ، ولكن من يفعل ذلك لا يسلم . فشد ابو عبيد على الفيل وضرب مشفره فقطعه فمات الفيل ، الا انه قبل ان يموت برك على ابي عبيد فقتله . . .

قال ع . متسائلا : ما دام هو الامير ، لماذا لم يأمر غيره ، واحدا من عسكره ، بأن يفعل ذلك مكانه ؟

قال م . : هنا بيت القصيد ، وهنا مكان حكاية ابي عبيد بن مسعود الثقفي التي توضح لكل ذي مركز مرموق ، من امثالك يا عزيزي ، كيف يصل الى راحة الضمير في حياته ويفوز بخلود الذكرى بعد مماته ، والاهم من ذلك كيف يحقق ما يصبو اليه من مثل عليا . ما كان ابو عبيد يميز نفسه عن رعيته لاي مكروه ولا في نعمة . حكايته قصيرة وبسيطة : حين دخل احدى مدن العراق الفارسية صلحا ، رحب به اهلها وكرموه بأن اقاموا له وليمة اشتملت على انواع من اطعمة فارس الكثيرة واللذيذة . ومد يده ليتناول لقمته الاولى ، الا انه قبل ان يفعل سأل رئيس المدينة القائم على خدمته قائلا : اتراكم اكرمتم جندنا واطعمتموهم مثل هذا ؟ قال الفارسي : لم يتيسر لنا ذلك ، وسنطعمهم مثله . فرفع ابو عبيد يده عن المائدة وقال : لا حاجة لي بهذا اذن ، فما انا بالذي آكل طعاما لا يأكله سائر المسلمين . .

مرة اخرى سكت ع . ، كالمفكر بمغزى ماساقه اليه صاحبه ، ثم قال :

ـ تغير الناس وتغيرت الازمان يا صديقي . انك تكلف رعاة هذه الايام شططا اذا اردتهم ان يطبقوا ما طبقه الرعاة الاولون على انفسهم .

قال م . : ومع ذلك فهذه هي الوسيلة الوحيدة التي تريحهم من الحواجز والاسوار والحجاب المدججين بالسلاح ، والتي تتيح لهم النوم قريري العيون . . انها الوصفة الناجعة التي طلبتها مني . . .

ثم انه تناهض للقيام : واضاف : اعلم اني انفخ في قربة مقطوعة ، ولكن لا بد للمصدور ان ينفثا . . اعذرني اذا كنت أطلت عليك ، فلقد اردتها زيارة مجاملة بعد طول غياب ، واجدني صدعت رأسك بمواعظ لا محل لها من الاعراب . اسمح لي بمن يخرجني من معقلك المحصن هذا بسلام ، فما تزال في قلبي رهبة مما واجهته عند الدخول من سؤال واستفسار وتفتيش . .

قال م . هذا وهو يضحك فجاراه ع . ، صاحبه ذو المركز المرموق ، في ضحكه ، ورافقه مودعا حتى اغلق وراءه باب مكتبه المبطن والمظهر بجلد بني فاخر محشو بالقطن السميك العازل .

○

الدكتور عبد السلام العجيلي

الدقة ـ سوريا

البحث عن أذكياء فيما وراء الأرض

بقلم : دكتور عبد المحسن صالح

لم يكف الانسان عن البحث في الكون عن مخلوقات عاقلة ـ ربما مثله ـ خارج كوكبه الارضي .

وفي الأمثال : كل ممنوع مرغوب ، ونضيف : وكل مجهول مرهوب ، وأيضا مطلوب . . ربما ليس لذاته ، بل لمعرفة أسراره ، والبحث في أصوله ، وهذه نتيجة طبيعية تبعت من تطور مدارك الانسان ، فهو المخلوق الوحيد على هذا الكوكب الذي يريد أن يعرف ذاته ، ويدرك أصله ونسبه وموقعه ومكانه وانتهاءه لأرضه خاصة ، وللكون العظيم عامة ، فطموح الانسان للمعرفة ، لا ولن يتوقف عند حدود معينة . . فكل معرفة جديدة ، وكل معلومة مفيدة ، توسع مداركه ، وتطور أفكاره ، وتصقل علومه . . وبالاختصار نشير الى قول كريم « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون » .

ولقد انعكس هذا الطموح على مجالات لانكاد نحصيها عداً ، وهي التي نرى ثمارها الآن في هذه النهضة العلمية والتكنولوجية التي تقفز قفزات سريعة ، لتحقق أهدافا مذهلة ، لم تكن لتطرأ على عقل بشر ، لكن الانسان لم يتوقف عند حدود ارتياده للفيافي والقفار ، وغزوه الفضاء وأعماق البحار ، والبحث عن الثروات المدفونة في كل مكان ، ونبش طبقات الصخور بحثا عن أسلافه الذين سبقوه على هذا الكوكب ، ثم تعمقه في الأصول التي قامت عليها كل الكائنات . . الخ . . . الخ ، ويبدو أن كل هذا لم يشبع طموحه الى المعرفة ، فذهب الى أبعد من ذلك ، وراح يعدّ العدة للبحث عن كائنات ذكية عاقلة مدركة في أرجاء السماء ، عله يدرك ان كان له في ذكائه أنداد ، أو أنه جاء بعقله وحيدا يتيما في هذا الكون الشاسع ؟!

وليست هذه ـ في الواقع ـ من بنات أفكار انسان القرن العشرين ، ذلك أن الانسان من قديم الزمن راح يتطلع ببصره الى الكون وما حوى ، والفضاء وما طوى ، ثم أخذ يتساءل عن السموات كيف قامت ، والكواكب كيف سارت ، والنجوم كيف تراصت ، وعندما لم يجد لذلك تفسيرا صريحا ، أطلق لخياله العنان ، وراح ينسج الحكايات والأساطير ، واتخذها وسيلة من وسائل التنجيم ، وتصور وجود تشكيلات محددة أسماها البروج ، ولكل برج منها أسطورة ، وأحيانا جعلها مراكز لسلطة الآلهة في السماء ، الى آخر هذه التصورات التي ما زالت تعيش بيننا حتى اليوم ، وتربط بين حظ الانسان وبين البرج الذي ولد فيه ، رغم ان هذه البروج او التشكيلات قد ظهرت قبل الانسان بآلاف الملايين من السنين !

لكن انسان هذا العصر قد ذهب الى أبعد من ذلك بكثير ، فتسلطت على فكره تساؤلات جادة تختلف عما كان يساور عقول الأقدمين ، فهو يريد ان يعرف ان كانت



السماوات مسكونة بمخلوقات عاقلة .. واذا كانت ، فما هي صفاتها ؟ .. وهل هي في مرتبة عقلية أسمى منا أم أدنى ؟ .. ثم ماهي الوسائل التي تؤدي الى هذا التعارف ؟ .. وهل يتمخض هذا التعارف عن نقمة أو نعمة ؟ .. او بمعنى آخر : هل يؤدي ذلك الى عداوة وبغضاء ، أو الى تآلف واخاء ؟ .. الخ

تحديات كبرى

والواقع ان مثل هذه التساؤلات لمن أعظم التحديات التي تجابه العلماء الآن ، وربما أيضا لأجيال طويلة قادمة ، لأن البحث عن وجود مخلوقات عاقلة في الكون ، ليس بالأمر الهين ، ويرجع ذلك لأسباب كثيرة أهمها على الاطلاق تلك المسافات الكونية الهائلة التي تفصل كل نجم عن أي نجم آخر في مجرتنا التي نعيش فيها ، ودعك اذن من المسافات الأعظم التي تباعد بين كل مجرة وأخرى ، فهذه المجرات ليست في الحقيقة الا بمثابة جزر هائلة تنتشر في محيط الفضاء الذي لانعرف له بداية من نهاية ، وفي كل مجرة أو « جزيرة » كونية توجد النجوم بمجموعات أكبر من عدد سكان الأرض بعشرات المرات ، ان لم تكن أكبر بمئات المرات في بعض المجرات ، والبحث فيها عن حياة عاقلة هو التحدي الحقيقي لقدرات الانسان ، ومن أجل هذا اكتفى بالبحث فيما هو قريب ومتاح ، فبدأ أولا بكواكب مجموعته الشمسية ، لأن المسافة بيننا وبينها تقع في حدود عدة دقائق او ساعات ضوئية ، وهي مسافات جد متواضعة اذا ماقورنت بالمسافات التي تفصلنا عن بقية نجوم او شموس مجرتنا ، لأن مسافاتها تقدر بالسنوات الضوئية لأقرب النجوم الينا ، ثم تزيد بزيادة المسافات ، بحيث تصبح بعد ذلك في حدود مئات وآلاف وعشرات الآلاف من السنوات الضوئية ، هذا والسنة الضوئية تقدر بحوالى ٦,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ ميل ، وهي المسافة التي يقطعها الضوء (او الموجات الأخرى) في سنة واحدة ، وهو ينطلق بمعدل ١٨٦ ألف ميل في الثانية الواحدة !

وطبيعي ان الاتصال لن يكون بالرؤية او الأسفار ، بل بتلقي الأخبار . والوسيلة المثلى لذلك هي الموجة ، لأنها أسرع شيء معروف في الكون ، لكن بث الاشارات الموجية بين الأرض ونجوم المجرة ، ثم تقبلها على اجهزة استقبال خاصة ، قد يستغرق عشرات السنوات مع النجوم القريبة ، وعشرات الآلاف من السنوات مع النجوم البعيدة .. وياللصبر الجميل ـ ليس لجيلنا ، ولكن مع مئات او آلاف الأجيال القادمة !

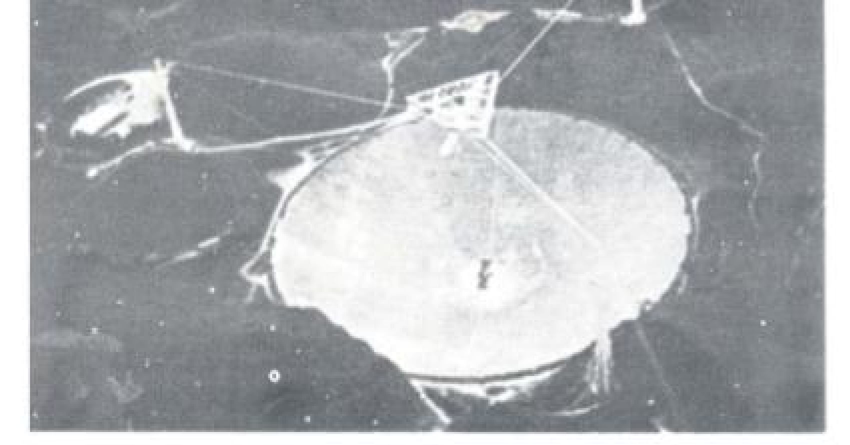
والامر ـ بعد ذلك يبدو من الأمور البالغة الاستحالة ، فنحن نبث معلوماتنا عن طريق موجات تنتشر في طول الأرض وعرضها ، ثم نستقبلها بعد ذلك في أقل من جزء من الثانية ، لكن أن ننتظر ردا يأتينا بعد آلاف السنوات ، فان ذلك يقع تحت بند الخيالات السقيمة ، او التصورات الرديئة . ورغم ذلك ، فلم يهجر العلماء هذا الأمل العزيز ، فلعل الصدفة السعيدة تلعب دورا هاما لبلوغ هذا الهدف الذي يبدو في حكم المستحيل ، والى هنا ينقسم العلماء الى فريقين : فريق المتشائمين ، وفريق المتفائلين .. فالأول يرى ان الثاني لن يحقق في بحثه شيئا مذكورا ، لأنه أشبه بمن يبحث عن ابرة في كومة هائلة من القش ، والفريق الثاني ـ رغم علمه بالصعاب الجمة ـ يأمل في التوصل الى شيء ما قد يوضح له وجود حضارة او حضارات لمخلوقات عاقلة في السماء !

احتمالات قد تأتي من مستحيلات

لكن مما لاشك فيه ان المتشائمين لاينفون تماما امكان وجود انواع اخرى من الحياة أيا كان شكلها وحجمها ونوعها وتكوينها ، بل يرجع تشاؤمهم الى الاحتمال الضئيل للغاية الذي يمكن أن يكتشف به غيرهم وجود عقلاء في أرجاء السماء ، سواء بارسال رسائل موجية اليهم ، أو باستقبال رسائل موجية منهم ـ على الاقل في جيلنا الحاضر ، اذ لو فرض وأرسلنا تحية مؤداها « السلام عليكم يا أهل مجرتنا » (بفرض أنهم يتكلمون العربية

مرصد فلكي موجي (راديو تليسكوب) يبلغ قطره مائة متر وهو من مئات المراصد التي تلتقط الأنباء من السماء ..





صورة من الجو للراديو تليسكوب (المرصد الموجي) المقام على جبل اريسيبو في بيرتوريكو ، وهو أكبر مرصد في العالم ، اذ يبلغ قطر طبقه ١٠٠٠ قدم (٣٠٥ متر) أما مساحته فحوالي فدانين ، وارتفاع هوائي الاستقبال عن الطبق حوالي ربع كيلومتر ويستخدم حاليا في البحث عن حياة عاقلة في الفضاء .

ويدينون بدين الاسلام) عندئذ قد يردون السلام بعد أن يكون الذي أقرأهم السلام قد انتقل الى رحمة مولاه بسنين طويلة ، وقد يستقبلها أحفاده حسب وصية من جدهم بضرورة التنصت ليل نهار على جهاز الاستقبال ، فقد تأتي « وعليكم السلام » في لحظة خاطفة ، أو قد لايرد أحد على الاطلاق ، وهذا من شأنه أن يصيب القائمين بهذه البحوث بالسأم والضجر وتثبيط الهمم ، لان المسافات الكونية أكبر مما نتصور !

لكن المتفائلين يعتقدون في امكان حدوث الاتصال ، وأن هناك مخلوقات ذكية ، ذات حضارات متقدمة ، ربما تكون دائمة الاتصال بأرضنا ، او بغيرنا ، لكن ذلك ليس عن طريق الأطباق الطائرة ، التي يتحدث عنها الناس في كل آن وحين ، ثم تذرو الرياح افكارهم الخاطئة ، إذ لايوجد عالم أرضي ، ذو وقار علمي ، يعتقد فيما يعتقد فيه الناس ، لأن مايراه الناس ليس الا ظواهر طبيعية أو من صنع الانسان (نتيجة للتقدم التكنولوجي في غزو الفضاء ، او عرض الروايات والأفلام الخيالية) ، وعندما لايستطيعون لها تفسيرا صحيحا ، فما أسرع ان يقفزوا الى الاستنتاجات قفزا ، فيعيدوها الى مايسمونه بالأطباق الطائرة ، وهي ـ بلاشك ـ ظنون خاطئة ، خائبة بعد ان حققها العلماء ، واظهروا زيفها ، لكن ذلك موضوع آخر قد يتشعب فيه الحديث ويطول ، وليس له هنا مجال .

والذين يبحثون عن حياة عاقلة في السماء يدركون بدورهم ان كشفها ليس بالأمر الهين ، ولهم في ذلك حسابات ، وتخضع لمبدأ الاحتمالات ، وتحكمها ايضا بعض المعادلات ، فهناك مثلا معادلة رياضية قدمها لنا العالم الفلكي فرانك دريك ـ وهو من العلماء المتحمسين للكشف عن وجود حياة عاقلة في الكون ـ ووضع فيها سبعة اعتبارات ليحدد بها عدد الحضارات التي يمكن ان تكون قد نشأت في مجرتنا ، ودعك اذن من ملايين المجرات الأخرى التي تنتشر في الفضاء الهائل .

الاعتبار الأول ان مجرتنا وحدها يسكنها مائة الف مليون شمس او نجم على اقل تقدير (في تقدير آخر ٢٠٠ ألف مليون) . . وان عمر المجرة يقع في حدود عشرة آلاف مليون سنة ، وبعملية قسمة بسيطة يتضح ان معدل « مواليد » النجوم يقع في حدود عشرة نجوم جديدة كل عام ، وربما يموت مثلها ايضا كل عام ، هذا ومما يذكر ان الشمس وكواكبها قد ظهرت الى الوجود منذ حوالى خمسة آلاف مليون سنة ، وسوف تستمر في حياتها لأكثر من خمسة آلاف مليون سنة قادمة .

وأول مايطوف بالبال ، هو ذلك السؤال : هل ارضنا هي الوحيدة في المجرة التي جاءت خصيبة وملائمة للحياة ، والباقيات عقيمات ؟

الغريب ان هذا التساؤل نفسه قد طرأ على بال الفيلسوف اليوناني القديم مترودورس (وهو من تلاميذ الفيلسوف ديموقريطس) ، وأجاب بقوله « ان اعتبار الارض هي العالم الوحيد المأهول بالحياة في الفضاء اللامتناهي ، هو اعتبار مجحف ومناف للعقل ، فمثله كمثل من يقول ان هناك حقلا قد زرع بحبوب القمح ، فلم تنبت فيه الا حبة واحدة » !

وعلى الوتيرة ذاتها يفكر علماء القرن العشرين ، ولكن بطريقة اكثر حذرا وتطورا . . ترى ، كم أرضا او كوكبا



في مجرتنا مأهولا بمخلوقات ذكية مثل ارضنا ؟

اعتبارات أخرى !

ان ذلك يأتي من طرح عدة اعتبارات او احتمالات ، ليكون الحكم اقرب الى الصواب ، آخذين في الاعتبار أيضا مجموعتنا الشمسية ، ونشأة الحياة على بعض كواكبها ، لأنها أقرب الكواكب الينا (عدة دقائق او ساعات ضوئية) وعددها معروف ، وطبيعة جوها وتكوينها معروفان كذلك ، وليس بين الكواكب التسعة الا كوكب الأرض المأهول بمخلوقات عاقلة ، اذ لو كانت على الكواكب الأخرى مخلوقات في ذكائنا وحضارتنا ، لكان من الميسور الاتصال بينها وبيننا عن طريق الشفرات الموجية ، لكن ليس معنى ذلك انها عقيمة تماما ، بل من المحتمل ان تكون في بعضها حياة اولية بدائية ، لتتحمل الظروف القاسية التي تحيط بها .

ولماذا الأرض وحدها بين الكواكب التسعة ؟

لأنها جاءت لتدور حول شمس مناسبة . . شمس متوسطة المقدار بين شموس المجرة ، من أواسط النجوم حجما وحرارة واشعاعا وما شابه ذلك . . كما أن الأرض قد جاءت بالحجم المناسب ، وفي الموقع المناسب ، لتتمتع بمناخ مناسب يساعد على نشأة الحياة واستمرارها ، اضف الى ذلك ان كتلتها مناسبة لتؤدي الى جاذبية معقولة ، إذ لو خفت الجاذبية لضاعت الغازات ، وتبخرت المحيطات وهرب كل شيء الى الفضاء ، ولما اصبح للارض غلاف هوائي وسحابي كالذي نراه اليوم ، وهذا مانلحظه في القمر مثلا ، لأن كتلته اصغر من الارض ، ولهذا لم يكتسب غلافا هوائيا ، بل ضاع منه كل شيء غازي أو بخاري الى الأبد .

ان مثل هذه الاعتبارات الهامة يجب اخذها في الحسبان عندما تمتد دراساتنا الى الأكوان ، ذلك ان عناصرها واحدة ، وتتبع قوانين او شرائع موحدة ، ومن اجل هذا نراها نظما مقدرة لاخلل فيها ولااستثناءات ولا فوضى أي انها قامت بالنظام وعلى النظام ﴿ولكن اكثر الناس لايعلمون﴾

لكن ليس معنى ذلك أن المائة الف مليون نجم او شمس الموجودة في المجرة التي ننتمي اليها ، صورة طبق الأصل من مجموعتنا الشمسية ، بل يعني ان « ذريتها » قد تختلف ، او هي اشبه مثلا بمجتمعات البشر ، فمنهم من جاء عقيما ، ومنهم من تخلفه ذرية صغيرة او متوسطة او كبيرة العدد ، وكذلك الحال مع الشموس او النجوم ، فشمسنا تكون عائلة كوكبية من تسعة ، لتدور حولها في مدارات مختلفة ، وبكتل وسرعات وأجواء متباينة ، وقد تاتي نسبة من الشموس بدون كواكب على الاطلاق ، وهذه لاتستحق منا اهتماما ، لأن الحياة تنشأ على الكواكب ، أما الشموس فهي « أفران » نووية بالغة العنف والضراوة ، وهي التي « ترضع » كواكبها ـ ان وجدت ـ رضعتها الضوئية ، تمدها بالطاقة المناسبة التي تيسر لكائناتها حياتها (ان كانت موجودة) .

واحتياطا للأمر ، وتجنبا للمبالغة ، دعنا نفترض انه من بين كل عشر شموس أو نجوم توجد شمس واحدة بعائلة كوكبية ، والتسعة الأخريات عقيمات ، ثم لنفترض مرة ثانية ان الشموس التي لها كواكب ، ليست كواكب كل منها صالحة للحياة ، بل ان من بين كل عشرة منها توجد شمس واحدة امتلكت كوكبا صالحا لنشأة الحياة ، ولنفترض للمرة الثالثة أن واحدا من عشرة كواكب صالحة لنشأة الحياة . قد نشأت عليها بالفعل حياة ، لكنها ليست حياة عاقلة . وللمرة الرابعة دعنا نفترض أن واحدا فقط من الكواكب العشرة التي نشأت عليها حياة ، قد تطورت عليها الحياة لتؤدي الى وجود مخلوقات ذكية وعاقلة ، لكنها لاتهتم ببث اشارات موجية لتعلن عن وجودها لمن حولها كما يفعل علماء الأرض في هذه الأيام ، ومن اجل هذا نفترض للمرة الخامسة ان كوكبا واحدا من بين عشرة عليها حياة عاقلة ، يريد الاتصال بمن حوله ، ويرسل بالفعل اشاراته ، أو يستقبل اشارات غيره ، والى هذا الحد تكون قد وصلنا الى وجود شمس واحدة من بين مائة الف شمس تمتلك كوكبا واحدا عليه حضارة متقدمة ، وهي ـ كما ترى ـ نسبة مجحفة وضئيلة للغاية ، لكنها في الوقت ذاته مشجعة على الاتصال بين الحضارات التي يمكن ان توجد في مجرتنا ، اذ ان هذه الحسابات تشير الى وجود حوالي مليون حضارة متقدمة في مجرتنا وحدها ، وسر ذلك لايخفى على لبيب ، فمجرتنا تحتوي ـ كما سبق أن ذكرنا ـ على مائة الف مليون نجم ، واحتمال وجود نسبة واحد الى مائة ألف فقط من هذه العدد الهائل ، يترك لنا مليون نجم يدور حول كل منها كوكب عليه حضارات ذكية ، ودعك اذن من ملايين المجرات الأخرى ، فهي بدورها يسرى عليها مايسرى على مجرتنا . . ويعني كل هذا ـ في مجمله ـ أن الكون معمور بملايين الملايين من الشموس التي تدور حولها كواكب ، هيأت لنشأة حياة ، تطورت لمخلوقات ذكية ، وقد تكون ذات حضارات تليدة ، وتكنولوجيات



العالم الفلكي بول هورويتز واحد من المهتمين بالبحث عن حياة عاقلة في الكون . وهو هنا جالس في معمله بجامعة ستانفورد الأمريكية ليصمم جهازا لتحليل الموجات على آلاف القنوات ، عليه يلتقط به اشارات من عقلاء في السماء !

متقدمة عن التكنولوجيات التي نراها الآن على أرضنا ، ثم نريد ان نستخدمها في استقبال أخبارهم ، أو اعلامهم بأخبارنا .

ليس الأمر ميسورا

ورغم هذا العدد الهائل من الحضارات المحتملة ، ورغم ان الأمور تبدو ميسرة الا انها ليست في الواقع كذلك ، ويرجع ذلك الى عوامل أخرى ، فما يدرينا مثلا ان البث الموجي موجه نحو كوكبنا ؟ . . او لماذا تختار أية حضارة كونية مجموعتنا الشمسية بالذات ، وهي لاتمثل في المجرة الا حالة واحدة ضمن بلايين الحالات ؟

أو قد يكون الاتصال الموجي قد تم منذ آلاف او ملايين أو مئات الملايين من السنين ، لأن الحضارات الكونية ربما تكون قد سبقت حضارتنا منذ زمن في عمر الكون سحيق ، وطبيعي أن أحدا هنا لم يستقبل شيئا ، اذ لم يكن الانسان قد ظهر على هذا الكوكب بعد ، وحتى لو ظهر ، فليس لديه الوسائل التكنولوجية المتقدمة لكي يستقبل بها الاشارات الواصلة من مجرتنا ، أو المجرات القريبة منها ، أضف الى ذلك ان عمر حضارتنا العلمية الحديثة والمتقدمة نسبيا ، لم تظهر الا في اوائل هذا القرن ، ثم ان اجهزة الارسال والاستقبال لم تتطور وتتعقد الا في بداية النصف او الثلث الأخير من القرن العشرين ، ولاشك ان عشرات السنين القليلة الأخيرة التي نعيش فيها ليست في عمر المجرة الا بمثابة لحظة عابرة !

ويذهب بعض العلماء الى ابعد من ذلك ، فيفترضون ان اية حضارة متقدمة في الكون قد تبيد نفسها بنفسها ، لأنها تمتلك وسائل مذهلة لهذه الابادة ، ثم لماذا نذهب نحن بعيدا ، والشيء نفسه قد يحل بنا ، خاصة وان لدينا مخزونا هائلا من اسلحة نووية تكفي لابادة الحياة على هذا الكوكب مرات عديدة ، ثم مايدرينا ان الامور قد تتأزم بين من يملكون السلاح النووي ، فتطيش العقول ، ويشتغل السلاح ، ليمحي حضارة كانت قائمة ، ورغم ان ذلك تفكير على المستوى الأرضي ، فقد يكون الشيء نفسه قائما على المستوى الكوني ، وعندئذ قد ينطبق علينا وعليهم ما اشارت اليه الآية القرآنية ﴿ حتى اذا أخذت الأرض زخرفها وازينت ، وظن اهلها انهم قادرون عليها ، اتاها أمرنا ليلا او نهارا ، فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس ، كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون ﴾ . . وعندئذ لن يكون هناك من ينادي ، ولاهناك من يسمع !

أو قد تكون الشفرات الموجية التي يرسلها عقلاء الكون منتشرة على كوكبنا ، لكن اجهزتنا لم تبلغ الحساسية الفائقة التي تمكنها من التقاط هذه الرسالات والتعرف



عليها ، وبهذا يفقد المراسلون الكونيون اهتمامهم بنا ، مادامت تكنولوجياتنا الحالية مازالت في مرحلة بدائية !

وبمثل هذه الاحتمالات والمفاهيم ، تظهر العراقيل ، وهي في الواقع كثيرة ، فهل ادى ذلك الى نوع من الاثباط في همم العلماء ؟

البحث مستمر .. وسيستمر !

رغم كل هذه العقبات والافتراضات والاحتمالات الضئيلة ، فان طموح بعض العلماء ، ورغبتهم في الاتصال بمخلوقات السماوات ، ومعرفة اخبارهم ، قد زادهم اصرارا على مواصلة البحث ، لكن ذلك يستلزم مراصد موجية (الراديو تليسكوب) على درجة هائلة من الدقة والاتقان والحساسية ، اذ كلما زادت المسافات الكونية ، ضعفت القوة الموجية ، وتطلب ذلك اجهزة بالغة الدقة والتعقيد ، اذ عليها يقع العبء في « غربلة » كل مايصلها من موجات متداخلة ، وهي كثيرة جدا .. بعضها ناتج من المحطات الأرضية التي تبث باستمرار موجاتها الطويلة والمتوسطة والقصار .. اضف اليهاموجات الأقمار الصناعية المعلقة في الفضاء ، كما ان كل شيء في السماء يبعث بموجات لا أول لها ولا آخر ، فللذرات والجزيئات والسدم والشموس موجاتها كذلك ، وكل هذا تستقبله اجهزة الاستقبال ليل نهار ، ولابد من تحليل كل ذلك بدقة بالغة ، لفصل الصالح من الطالح ، والصالح هنا يعني مايهمنا في موضوعنا ، أي تلك الموجات التي لها ابقاعية مميزة خاصة تنبيء عن بثها من مخلوقات عاقلة ، لتفهمها مخلوقات أخرى يهمها الأمر ، ونحن ضمن من يهمهم الأمر ، ولهذا بدأ العلماء في الأرض في وضع برامج طموحة ومكلفة ، علها تستطيع ان توصل الانسان الى مراده ، وتوضح له انه ليس يتيما أو وحيدا في هذا الكون الهائل !

وعلى اية حال ، فهناك بعض بحوث جادة أجريت وتجري وستجري على قطاعات خاصة من نجوم المجرة ، ولقد تنصت عليها العلماء بواسطة اجهزتهم سنين طويلة ، فلم تصلهم أية اشارة تنبيء عن وجود عقلاء في السماء ، ولقد عيل صبر بعضهم ، لكن البعض الآخر من الصابرين المتفائلين كون فرقة بحث اطلق عليها « البحث عن أذكياء فيما وراء الأرض » .. فذهبوا وكأنما هؤلاء الأذكياء من اهل الارض لم يعجبهم ذكاء من حولهم ، فذهبوا للبحث عمن هو اذكى منهم في الكون ، علهم يستفيدون من تكنولوجياتهم المتقدمة والمذهلة ، وهم يستندون في ذلك على أن أكثر من حياة فائقة الذكاء والتقدم قد ظهرت قبلنا في الكون منذ عشرات او مئات الملايين من السنين ، ولهذا فان التعرف عليهم ، وتبادل المعلومات معهم ، قد يعني خيرا كثيرا ، او ربما يكون شرا مستطيرا ـ على حد مايعتقد بعض العلماء ، اذ قد تسول لهم انفسهم اعلان حرب كونية علينا ـ على حسب مانراه في الخيال العلمي ، لكن من يدري ان الخيال قد يتحول الى حقيقة ؟ .. لكنه على اية حال احتمال ممعن في الخيال .

وأيا كانت الأمور ، فلقد تنصت العلماء على اكثر من الف نجم قريب منا في مجرتنا ، وتم ذلك في حوالى ٢٥ محاولة استغرقت حوالى ١٥ عاما ، لكن لم يتمخض البحث عن شيء يذكر ، وهذا امر متوقع ، لأن الالف نجم لاتمثل الا جزءا واحدا من مائة مليون جزء من نجوم المجرة ، وكي يكون الكشف عن حياة ذكية اكثر احتمالا ، فلابد من التنصت على مليون نجم ، وعندئذ قد يظهر بينها كواكب معمورة تعد على اصابع اليد الواحدة ، او ربما اليدين ، لكن ذلك يتطلب وقتا طويلا ، وصبرا جميلا ، وجهدا كبيرا ، وتطورا في العلم هائلا ، وفوق كل هذا ميزانيات واعتمادات مالية مرهقة .. فهل يستحق سكان السماء كل هذا ، والأرض أحوج ماتكون لجهود ابنائها ؟

لسنا في الواقع ندري ، فكل انسان ينظر الى الأمور من وجهة نظر خاصة ، لكن يبدو أن المعرفة بالأسرار الكونية تساوي كل هذا ، وكأنما شعار العلماء « غذاء العقول قبل البطون » .. فهل هناك اجمل من معرفة لايشبع العقل منها أبدا . وكأنما لسان حاله يقول « هل من جديد ؟ .. ؟ هل من مزيد ؟ .. » او هو على حسب تعبير الشاعر العراقي عبد الحميد السماوي :

أيها الكون زدني في أحاجيك بيانـــا
انما أنت لسان الله مذ كنت وكانـــا

مارآك العقل الا ورأى الله عيانـــا

الاسكندرية ـ د . عبد المحسن صالح

حل مسابقة العدد

حل مسابقة العدد ٢٨٧

اثنتان في واحدة :

(٨) أفقيا : أبو زيد الأنصاري : عالم نحوي ولغوي عربي ، عاش في القرن التاسع الميلادي . كان أعلم من الأصمعي وأبي عبيدة في النحو . له كتاب النوادر في اللغة ، وكتاب المطر .
(٨) رأسيا : ابن العميد : من أئمة الكتاب ، وشاعر وأديب ، برع في العلوم الفلسفية ، واشتهر بالكتابة . ولي الوزارة لركن الدولة . له « رسائل » ، وأشعار متفرقة .

الفائزون بالجوائز

■ الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها :

عبد الله احمد محمد العلي / الاحساء ـ السعودية

■ الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فازت بها :

احلام عبد الحسين الحسيني / النجف ـ العراق

■ الجائزة الثالثة وقمتها ١٠ دنانير فازت بها :
الهام زاهد عبد الهادى / رأس الخيمة ـ الامارات العربية المتحدة

٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها خمسة دنانير فاز بها :

١ ـ ابو الحسن مصطفى محمود / قنا ـ مصر
٢ ـ هاشم محمد العبد /المرادية ـ الجزائر
٣ ـ عثمان محمد فارس / تاجوراء ـ طرابلس ـ ليبيا
٤ ـ السباعي محماد بن علي / وجدة ـ المغرب
٥ ـ محمد فتحي الجمل / معهد التكنولوجيا ـالكويت
٦ ـ مبارك سلمان محمد احمد/ وادمدني ـ السودان
٧ ـ عودة سلامة الكساسبة / الكرك ـ الاردن
٨ ـ كمال علي عبد الله علوان / عدن ـ اليمن الديمقراطي



جبال الأطلس حصن المغرب

استطلاع : مصطفى نبيل

تصوير : أوسكار متري .

هذه جولة في جبال الاطلس منبع الحياة فيها ، وحصن المغرب ضد الغزاة،بدأت الجولة في فاس وانتهت في مراكش . .

○

واذا كان معظم كتاب الرحلات يركزون حديثهم حول تجاربهم الذاتية ومتاعبهم الشخصية هادفين من وراء ذلك الى القاء الضوء على بعض مظاهر الحياة ، الا أنى كنت أتطلع الى المناظر من حولي أشاهد الجمال والطبيعة الخلابة ، ولا أكتفي بالاستمتاع بعد أن تحولت الى جهاز رصد أحمل العديد من التساؤلات ، والتقى بالجماعات المختلفة ، وأنقب عن الطابع المميز لكل منطقة واقترب من طموحات أهلها . .

لأقدم رحلة تمتزج فيها التجارب الشخصية مع رصد بالكلمة والصورة لكل ما حولنا . .

حفل ختان في آية هود بالجبل .

عند ذكر المغرب تتداعى في الذهن صور محددة ، المدن العربية القديمة بعمارتها الاندلسية وأسوارها وصوامعها وأسواقها التقليدية ، والشواطىء الجميلة التي يعرفها السائح جيدا في طنجة والدار البيضاء وأغادير ، أما جبال الاطلس ، بقمتها وغاباتها ، بمدنها وسكانها وحياتهم البرية ، فلا يكاد يعرفها أحد . !

ولعل الكثيرين لا يدركون أهمية جبال الاطلس في حياة وتاريخ المغرب ، والتي لاتقل أهمية عن نهر النيل لمصر ، وقديما قال الاغريق « ان مصر هبة النيل » وأطلقوا على المغرب بلاد الاطلس .

واحتضنت جبال الاطلس فوق قممها وبين وديانها طابع المغرب المميز ، وحافظت على التقاليد القديمة القائمة على عشق الحرية والفروسية ، واستمرت هذه الجبال بوتقة المغرب التي حافظت على وحدة سكانه .

فتضم الجبل والسهل ، الواحة والصحراء ، وقديما أطلق العرب على المغرب الاقصى جزيرة الاطلس ، وفي قول آخر جزيرة المغرب ، فبحر الماء من الشمال وبحر الرمال من الجنوب . .

ولو أتيحت لنا رؤية صور لجبال الأطلس بالاقمار الصناعية التي لاتكف عن الدوران حول الارض ، لظهرت كحائط يقطع المغرب من فاس الى مراكش ، وعلى جانب غربي الأطلس تتسع السهول الساحلية ، وتقوم المدن عندما يتراجع ذلك الحائط الجبلي الى الداخل . .

وتنبع من تلك الجبال أنهار المغرب المتعددة من الشرق الى الغرب ، وتزينه غابات السنديان والصنوبر والارز عند القمم ، واشجار اللوز والبرتقال في المناطق المنخفضة ، وتنتشر في حضن تلاله القرى والقصبات والقصور ، فتوزيع السكان في الأطلس هو توزيع المطر . .

وقد تأكدت أولوية مدن الساحل خلال فترة الاستعمار الفرنسي ، الذي أعاد توجيه المغرب ليتطلع الى أوروبا ، وتدهورت نسبيا مدن الاطلس لمصلحة مدن الساحل ، وانتقلت نواة العمران من الداخل الفسيح الى الساحل ، لذلك لم يكن غريبا تلك المقاومة الضارية التي واجهها الاستعمار الفرنسي في جبال الاطلس . .

جبل ومدينتان .

انتقلنا في رحلتنا بين قطبي الاطلس ، بين فاس ومراكش ، بين منطقة الشمال الممتد حتى البحر الابيض المتوسط الى منطقة الجنوب الذي تتوزع فيه الواحات ، وبين القطبين قطعنا جزءا هاما من جبال الاطلس . .

وتقع كل من فاس ومراكش تحت أقدام الاطلس ، ويحدهما عند الطرفين قمتا جبلي طوبقال وبوبيلان ، ويصل ارتفاع قمة طوبقال الى ٤١٦٥ مترا ، وهي أعلى نقطة في جبال الاطلس وهي تشابه بالنسبة للمغاربة قمة كيلمنجارو في تنزانيا ، وقال صاحبي هامسا : « ان الصعود الى قمة طوبقال مغامرة مثيرة وغير مأمونة العواقب ، فهناك ذلك الممر الصغير الخطر الذي يمتد كالشرفة فوق واد سحيق مخيف ومنظر رائع . . »

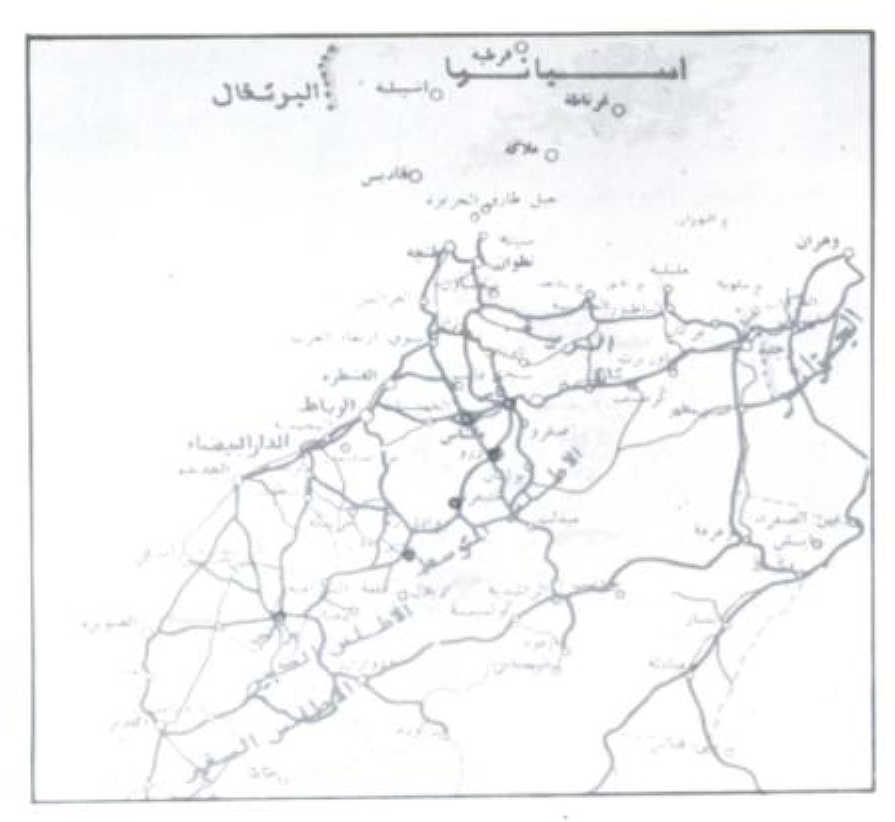
قطعنا فيها بين فاس ومراكش ما يزيد عن ٥٠٠ كيلومتر . مررنا خلالها على تلال يزيد ارتفاعها عن ثلاثة آلاف متر ، والتقينا بالسكان الذين عاشوا في عزلة في الجبال ، ومعهم عاداتهم وتقاليدهم القديمة ، فما زال الزائر يرى مدن الاطلس وكأنها المتحف المسكون ، وكانت محطاتنا فاس ومكناس وايفران وأوزرو واخنيفره وبني ملال وأزيلال حتى مراكش والقرى الجبلية القريبة من الطريق . .

واكتشفت خلال الجولة أنه كان من الافضل استخدام سيارة لاندروفر تتمكن بها من الخروج عن الطريق المرصوف ، فيما كنا نبحث عنه يوجد في تلك القرى الموزعة على السفوح وفوق قمم الجبال ، فخلال المرات التي خرجنا فيها عن الطريق ، أصبحنا وجها لوجه أمام العالم السحري الذي نسعى اليه . .

كما أعترف أن هذه الجولة كانت تستحق وقتا أطول ، شهورا بدلا من أيام نعيش خلالها بين المناظر المتتابعة من الغابات والشلالات والأنهار والتلال الخضر ، هكذا شعرت بعد أن أصبحنا أسرى جدول الرحلة وسرعة السيارة يصاحبنا صوت محركها الرتيب .

نقطة البداية

منذ اللحظات الاولى لرحلتنا . في الطريق الذي



قطعناه من الرباط العاصمة الى فاس ، بدأت تظهر بشائر معالم الجبل ، قطعنا وادي نهر أم الرقراق الذي تأتي مياهه الرقراقة من الجبل ، وعبرنا غابة « المعمورة » أكبر غابات المغرب ، وتظهر عند أطرافها أشجار الفلين .

الطريق يتصاعد بانتظام ، يتخلله بعض الوديان ، وادي « بهت » بعد مدينة « الخميسات » ونرى الجبل في وجوه وملابس وأحاق من نلتقي بهم من الاهالي ، وبالتغير في معالم العمارة في المدن التي نمر عليها ..

وجبال الاطلس جبال خادعة . فهضبة الاطلس تتصاعد تدريجيا ، الطريق من حولنا مطرز بالخضرة ، الشجيرات صفوف خلف صفوف ، متلاقية ومتوازية ؛ المرتفعات على شكل الموج ، قمم واستدارات ، الجزء الاكبر من الهضاب يتلاشى بتدرج وئيد في السهول الساحلية

ومن مدينة فاس تبدأ رحلتنا ، وهي أولى محطاتنا ، فاس هي أحد رموز المدن العربية القديمة (العربي : العدد ٢٧و ٢٧٢) ، بمبانيها التاريخية وأسواقها وحرفها ، وهي مصدر الاشعاع الروحي لسكان الجبل ، فمنه يستمدون المعرفة ، ويشترون احتياجاتهم ، ويسوقون منتجاتهم ، فقد جعلتها جامعة القرويين مركز الاشعاع التاريخي في شمال أفريقيا كله . وقد بدأت مدينة تجارية وتحولت الى قبلة دينية وبؤرة علمية ، فهي تقع عند طريقين رئيسين أحدهما يبدأ عند شواطىء البحر المتوسط ويمتد حتى الصحراء وما خلفها حتى قلب أفريقيا والطريق الآخر طريق الداخل بين المحيط الاطلسي والمغرب الأوسط .

وهي أحد رموز المدن القديمة بمبانيها التاريخية الأندلسية وأسوارها ومياهها وأسواقها وحرفها ، وما زالت على جدرانها تجاعيد الزمن ، وتضم بين أزقتها ألغازه ..

واسم فاس يوحي بتاريخ حافل بالامجاد ، مصحوب بالصراع ، وكل قطعة فيها قطعة فنية فريدة ..

اصبحت فاس اليوم تكتظ بالسكان ، تتكاثف مبانيها العتيقة وتتساند في حرص على ما تبقى من التاريخ وتحتضن أسوارها ما تبقى من حرف قديمة ما زالت مطلوبة مرغوبة في جبال الاطلس .

الفروسية أرفع قيمة في الاطلس .

الراقصات يسترحن بعد مهرجان ايفران .



تتغير معالم الجبل مع تغير أزياء النساء .





إحدى بوابات مكناس ، والحياة من حولها .

رأيت فاس من فوق ربوة عالية ، وقد احتضنتها التلال التي تشبه أسنان المنشار في واد أخضر ، تقوم على مسافة قصيرة منها مدينة فاس الحديثة بمبانيها الضخمة وقصورها الملكية وشوارعها الجديدة . .

كل ركن منها داخل قصبتها لوحة يمكنك أن تميزها ، فهي مدينة ذات مذاق خاص وشخصية نفاذة . ولعله لا يوجد سواها يتمتع بهذا القدر من التناغم الذي تلحظه بين الكبرياء وما يحيط بها من مجد تاريخي . .

وقد نقل الينا عبد الرحمن المراكشي ما يكشف مكانة فاس بقوله : « مدينة فاس هي حاضرة المغرب وموضع العلم منه ، اجتمع فيها علم القيروان وعلم قرطبة ، عندما كانت قرطبة حاضرة الاندلس ، والقيروان حاضرة المغرب ، فلما اضطرب أمر القيروان وأمر قرطبة ، رحل من هذه وهذه من كان فيها من العلماء والفضلاء من أهل الفقه ونزل أكثرهم مدينة فاس .

وليس بالمغرب شيء الا وهو منسوب اليها ، وموجود فيها ، ومأخوذ منها ، لا يدفع هذا القول أحد من أهل المغرب . . . »

فرساي مراكش

أسرعنا من مدينة فاس الى قريبتها مكناس ، مدينة تاريخية تقتسم الدور مع فاس ، ذات تاريخ طويل قبل الاسلام ، واسمها على اسم قبيلة مكناسة البربرية (العربي : العدد ١١٥)

وما زالت تزخر بالفنون المغربية التقليدية خاصة السجاد (الزرابي) وأعمال التطريز والاخشاب المصبوغة تمد سكان الجبل باحتياجاتهم المختلفة ، وكما لعب الجبل دورا انتاجيا بارزا لعبت مدن العلم والثقافة الدور ذاته في تاريخ المغرب الحافل . .

تتميز مكناس بكثرة مساجدها ، وأبوابها الرائعة وما زالت بقايا قصور مولاي اسماعيل الذي ترك بصماته على أول عاصمة علوية ، بعد أن جدد بناءها ، وقد حكم المغرب في القرن السابع عشر مدة خمسة وخمسين عاما بين سنتي ١٦٧٢ و ١٧٢٧ م ، وهي نفس الفترة التي حكم فيها فرنسا لويس الرابع عشر ، ويصر الكتاب الغربيون أن مولاى إسماعيل أقام مكناس كمدينة تتحدى مدينة فرساى الفرنسية ، وكان مولاي اسماعيل جنديا مقتدرا واداريا حازما وحد معظم أجزاء المغرب تحت سلطة مركزية واحدة ، وتبادل السفارات مع لويس الرابع عشر ، ونقلت الكتابات الفرنسية أجزاء من أحوال فاس منقولة عن سفيرها ، تمثل النظرة الغربية إلى قيم هذا الزمان ، وحكت هذه الروايات أن اسطبلات الخيل وحدها يصل طولها الى ثلاثة أميال ، وتضم ١٢ الف حصان ، أقام جيشا يشبه جيش الانكشارية العثماني ، وما زالت مكناس تتميز بقصورها وحدائقها . وكان لمولاي اسماعيل ٥٤٩ زوجة ، فكان لايقرب امرأة مرتين الا فيما ندر ، ومن بين أطفاله عاش ٨٦٧ ولدا . !وفي المقابل حقق أخيرا كتاب السفير المغربي في بلاط لويس الرابع عشر والذي ينقل رؤية العرب لأوروبا في هذا الزمان .

وما زال زائر مكناس يتجول مبهورا في قصور مولاي اسماعيل ، ولا يفوته زيارة السجن الرهيب الذي كان يضم خصومه وآلات التعذيب التي ما زالت قائمة . !

ايفران وأزرو

لم نتوقف طويلا في مكناس ، فأمامنا رحلة طويلة نقطعها ، وما زلنا عند أطراف الاطلس ، البلدة القادمة هي ايفران في قلب الاطلس ، (العربي : العدد ٨٠) ومكناس وايفران عمالة واحدة تضم ١٨ قرية ويتراوح ارتفاعها فوق سطح البحرين ٩٠٠ و ١٩٣٠ مترا . .

وايفران ذات شهرة واسعة بين مدن الجبل . تحولت الى مركز رئيسي للاصطياف والسياحة ، ومكان معروف لرياضة التزحلق على الجليد وصيد الخنزير البري ، ويملك فيها عدد من الأثرياء القصور ، وبعد أن أصبحت المكان المفضل لقضاء الاجازة ، فتكاد تفوق سويسرا ذاتها بطابعها الخاص . .

تبعد ايفران مسافة تقل عن ٧٠ كليومترا ، وتعني ايفران في لغة البربر « الكهف » ، وأول ما تشاهده فيها البيوت على الطراز الفرنسي وسط الحدائق ، وخلفها جدار من أشجار السنديان الشاهقة وأمامها أشجار الأرز وقمم الجبال العالية التي يكسوها الجليد في الشتاء . .

وايفران ليست نموذجا لمدن الجبل وقراه ، ففنادقها الفخمة وبيوتها الاوربية ، وشوارعها التي تقطع الغابات ، ومطارها الحديث التي يأتي اليه السياح مباشرة

من العواصم الأوربية المختلفة كل ذلك أخذها بعيدا عن الطابع المحلي ، وفيها تكشف انتعاش طبقة مغربية واسعة الثراء .

الفندق الذي وصلنا اليه مزيج من الطابع المغربي والأوربي في تناغم جميل . السقف نسيج مشغول ، والباب خشب مشغول ، والطبيعة من حولك مشغولة ومرصعة بالجمال ، عدد كبير من السياح يأتون الى ايفران يقضون عطلتهم ويغادرونها ، ولا يرون بقية المغرب وقليل من هؤلاء السياح من يفضلها على أية دولة آسيوية ، وقد أصبحت السياحة صناعة هامة ومصدرا أساسيا للدخل القومي في المغرب ، ومتوسط السياح يصل الى مليون ونصف سنويا ، مما يوفر مليارا ونصف مليار درهم في السنة ، أي ما يعادل ٢٢ ٪ من مجموع الصادرات المغربية . ويلاحظ أن عدد السياح العرب يأتي في آخر قائمة الجنسيات التي تزور المغرب . !

أضخم مهرجان

أتيحت لي فرصة لاتتكرر في ايفران عندما حضرت أكبر مهرجان شهدته درة الاطلس على امتداد تاريخها ، وتكثف في يوم واحد كل فنون جبال الاطلس ، وقد قدمت في ساحة كبيرة أمام المطار ، وتجمع الضيوف حول الساحة في خيم كبيرة ، وتوسط الساحة فرسان الاطلس الذين قدموا مهرجانا للفروسية ، وحول الساحة اصطفت فرق الفنون الشعبية المختلفة ، وأخذت كل الفرق تقدم عروضها في وقت واحد ، ملابس من كل الانواع والألوان وعمائمهم على كل شكل ، ونعال الراقصات المذبة الأرجوانية والصفراء ، والعملات الذهبية المدلاة من عقود ملتفة حول أعناقهن ، ووجوه الراقصات الجميلة التي يزينها الوشم الذي تتميز به نساء الأطلس ، والراقصات يتحركن مثل الطواويس رافعات رؤوسهن في زهو . .

أكاد أصاب « بالخيلة » عند حرصي على رؤية كل شيء في وقت واحد ، تختلط أصوات النساء مع الزغاريد مع الآلات الموسيقية . وتخرج أصوات رفيعة شبيهة بصيحات الهنود الحمر . .

تضم كل فرقة بين عشرين وخمسين امرأة ، يرتدين حللا رائعة من الحرير الثمين وأغطية للرأس مقصبة بالذهب ، يؤدين رقصات تقليدية على أصوات الطبول التي يعزف عليها رجال يلبسون البرانس ، وكانت أصوات « البوير » ، « والطبل » والاغنيات تتصاعد من كل مكان ، والمزمار يقود الراقصين والراقصات ، الذين يتحركون على ايقاع الطبلة ، ومن الراقصات من ترتدي الرداء الطويل ذا اللونين الأبيض المخطط بالاسود .

سألت صاحبي عن احدى الرقصات التي حازت الاعجاب ، وعرفت أن اسمها « الاجيدوس » وتؤديها خلالها النساء فرادى أو جماعات ، وفي استرخاء يشبه استرخاء الأميرات المراهقات ، ثم يندفعن بما يشبه اندفاع الغجريات اللواتي يقذفن بوجودهن كله في الرقص ، دون أن تغفلن لحظة واحدة عن كبريائهن ، وتتميز الموسيقى التي تصاحب رقصهن بالهدوء ثم بالصخب ، ولكل حركة من الرأس أو تشابك من الأيدي مغزى ومعنى قديم وما زال قائما حتى اليوم ، أما الموسيقيون فيعالجون آلاتهم في انفة وخيلاء .

وهذه رقصة أخرى يشرحها صاحبي . بأنها تسمى « الاعواش » وهي رقصة شعبية تقوم خلالها الراقصات المرتديات الثياب الملونة والحلي الفضية ، بتشكيل حلقات دائرية ، يدرن خلالها حول أنفسهن وتصدح أصوات المغنيات وهن ينشدن بشكل جماعي ، ويصحبهن في الغناء رجال يجلسون على الارض ويقرعون الطبول في مشهد فريد .

وبينما تقدم الفرق الشعبية فنونها المختلفة ، لم يكف الفرسان بجيادهن الرشيقة التي يطلق عليهم باللهجة المحلية (العود) عن الاندفاع في مجموعات بملابسهم المغربية المميزة ، وسروج الجياد المصنوعة في فاس ، يحملون بنادقهم القديمة المحلاة بالفضة . والتي تسمى باللهجة المحلية (بوجبه) والتي انتقلت من ساحات الوغى لتصبح تحفا فنية أو مكملة لزينة المهرجانات . يتسابق الفرسان وفي لحظة واحدة يطلقون بنادقهم عندما تصل خيولهم الى أقصى سرعتها وخلال المهرجان دعينا الى طعام الغداء في الخيام المغربية المحيطة بالحلقة وكان غذاء على الطريقة المغربية التقليدية ، وقد جذب اسلوب تقديم الطعام ومراسمه اهتمام الاجانب ، وقد جلست كل مجموعة على حواشي حول مائدة مستديرة ، ولكل منهم فوطة بيضاء ، ولا مكان على المائدة للسكاكين أو الشوك ، وتغطى المائدة بغطاء يرفع بعد كل طبق بما عليه من مخلفات ، وتبدأ مراسم الوليمة بغسل اليدين من ابريق يحمل اليك ويصب الماء منه في اناء آخر ، وتعاد هذه العملية في نهاية المائدة . .



بدل الهودج عفش العروس فوق سيارة نصف نقل (الى اعلا) .

نساء الأطلس يشاركن الرجال في كل الأعمال (الى اليمين) .

النهر يخترق اخنيفرة فيضفي عليها سحرا وجمالا (الى اليسار) .

القرى عند سفوح التلال ، وسلم موسيقي جبلي (الى اليسار اسفل) .

فندق بلون المدينة والجبل في (اخنيفرة) (الى اسفل) .







على كل مائدة وضع خروف مشوي ، يعقبه طبق « الكسكس » بالدجاج والزيتون الاخضر والذي يقدم فوق صوان كبير يحفظ حرارته غطاء ، والطبق الثالث الفاكهة والحلوى . .

ومثل الاطفال ، سعد الاجانب باستخدام أصابعهم في تناول الطعام . وبعد الغداء قدم « الاتاي » الشاي الاخضر المخلوط بالنعناع ، والذي تقضي المراسم أن يقدم منه ثلاثة أكواب صغيرة ، وهو كفيل بهضم الوجبة الدسمة التي تناولناها . .

عرب وبربر

انتقلنا الى بلدة أزرو التي تبعد عدة كيلومترات عن ايفران . وهي مدينة جبلية ما زالت تحافظ على ملامح طابعها القديم وشخصيتها الخاصة رغم تحويل جزء منها الى مدينة اصطياف سياحية مثل ايفران وقد شهدت ازرو أولى محاولات فرنسا ضرب وحدة البلاد عن طريق خلق فكرة سياسية بربرية ، رغم أن ما يلاحظه زائر المغرب أنها من أكثر البلدان العربية انسجاما ووحدة في سكانها ، فليس في المغرب أية انقسامات دينية أو طائفية ، ولكن استمرار السلطة الاستعمارية مرهون بمدى قدرتها على النيل من وحدة البلاد ، وقد أقامت فرنسا الكلية البربرية في أزرو عام ١٩٢٩ لتكون شبيهة بمدرسة الادارة العليا بباريس ، لكي تعد في هذه الكلية أبناء زعماء البربر لحكم البلاد وتولي الادارة ، وانتهت هذه التجربة الى الفشل الكامل فقد كانت تأمل أن تكون مهدا للمثقفين المتنكرين للعروبة فاذا بالعديد من تلامذتها وخريجيها يشكلون الرعيل الاول في الحركة الوطنية المناهضة للاستعمار الفرنسي ، وأرست الحركة الوطنية منذ خطواتها الأولى قيمة غالية وعزيزة على أبنائها ألا وهي الدفاع عن وحدة سكان المغرب . .

ويتحرج الكاتب كثيرا من استخدام اصطلاح « البربر » سكان جبل الاطلس ، لاحتمال الخلط بين الاسم والمعنى ، فهذه الكلمة ذات أصل لاتيني انتقلت الى اللغة العربية ، ويلاحظ أن البربر لايطلقونها على أنفسهم ، فالبربر في البادية يطلقون على أنفسهم « الأمازيج » أي الرجال الأحرار ، بينما يطلق بربر الاطلس الاعلى على أنفسهم « الشلوح » ، وقد كان البربري عند الرومان هو الاجنبي الذي يخالفهم في اللغة والعقيدة ، وقد أراد الرومان من هذا اللفظ التقليل من شأن الشعوب الاخرى باعتبارها شعوبا غير متحضرة ، كما أطلقوها على كل من لايتحدث لغتهم والعرب لديهم بهذا المعنى « من البرابرة » .

وهي تشبه الى حد ما لفظ « الاعجمي » عند العرب الذي يطلقونه على الآخرين ، أو لفظ الهنود الحمر الذي التصق بسكان أمريكا ، عندما تصور مكتشفها أنه وصل الى الهند ، ولعل مما يقلل من هذا الحرج أنها أصبحت مصطلحا ولم تعد نعتا . .

والمؤكد أن هناك تاريخا مجيدا للبربر أو الامازيج في المغرب كله قبل الاسلام وهو جزء من تاريخ المغرب الذي يعتز به ، والمغزى واضح عندما بذل بربر شمال أفريقيا جهودا كبيرة للحفاظ على كيانهم ضد محاولات الابتلاع الروماني والاستعمار الونـدالي والبيزنطي ، رغم الاستعمار الاستيطاني الذي اتخذه الاستعمار الروماني سبيلا ، وقد كان استمرار المقاومة طيلة العهد الروماني وتواصلها في العهد الوندالي والبيزنطي ، وقيام امارات مستقلة ، يؤكد استمرار دور المغرب واتجاهه الى الشرق ومقاومته للغرب في صوره المختلفة . .

وبعد الفتح الاسلامي تحول البربر الى جنود للدين الجديد ، وقاد طارق بن زياد البربري فتح الاندلس ، وأمد المغرب الاسلام بقوة تدافع عنه وتحمل أعلامه طوال التاريخ الاسلامي .

وسعت فرنسا منذ اللحظات الاولى لوجودها لاعادة تركيب التاريخ لاهدافها الاستعمارية ، على أمل أن تخلق مشكلة بين أبناء المغرب مثل محاولات بعث الفرعونية في مصر والفينيقية في لبنان ، وتركزت دراساتهم حول أصل البربر في محاولة اثبات أصلهم الأوروبي ، وحول هذه القضية يقول الكاتب المغربي عبد الله العروي : « يلاحظ فيما يتعلق بأصل البربر أن الحقبة الاستعمارية شهدت مدرستين : مدرسة تريد ربط البربر بسكان أوروبا ، ومدرسة أخرى تجعلهم متحدرين من الشرق الاوسط ، والابحاث في لغة وثقافة قدماء البربر آخذة في ترجيح الكفه باتجاه الشرق ، وسيستمر الهواة وحدهم في بناء الفرضيات . ويلاحظ أن القائلين بأصل غربي للبربر ولثقافتهم ، أغلبية بين الهواة ، والقائلين بأصلهم الشرقي ، أغلبية بين العلماء . . »

وبعيدا عن النظريات المطروحة ، ومن حصيلة جولتنا ظهر أن أهل المغرب لهم وجدان واحد واتجاه واحد ،

فالكل مغاربة مسلمون ، يعيشون ارثا تاريخيا واحدا ، ذلك الانسجام مع التنوع ، فهناك فروق طبيعية بين البدو والحضر ، بين سكان الجبل وسكان الساحل ، بين مجموعتين تقدمان نموذجين من أنماط الحياة ، الرعاة البدو ، والمزارعون والجبليون والحضريون ، هذا اذا أردنا أن نضع ما شاهدناه من فنون وتقاليد في حجمه الصحيح .

أما الاصل التاريخي للسكان فيعود الى كل من البربر والعرب الذي وحدهم الاسلام في بوتقته ، وخاضوا تحت لوائه معاركهم المشتركة . وامتزج مع الزمن العرب والبربر امتزاجا وثيقا ، وظهر ما يطلق عليه تسمية البربر المستعربين أو العرب البربريين ، من سكن الجبل تبربر ومن سكن الساحل تعرب ، وقد تعرب على مر القرون الكثير من الزعماء والسلالات من أصل بربري ، فكانت العروبة لديهم مثالا ثقافيا اسلاميا ، ومركز إشعاع وظل الاسلام هو القوة الوحيدة المهيمنة ، ولعل بعض الخلط ناتج عن التداخل في المفاهيم ، فالعروبة تعني الاسلام ، هكذا كانت على مر التاريخ في المغرب ، واستمر التزاوج مصاحبا لهذه المفاهيم ، أما لغة البربر فهي ليست لغة مكتوبة بل ولا يفهم بربري من الاطلس الأوسط شلوحيا من السوس ، وليس لديهم مؤلفات مدونة ، لذلك كانت اللغة العربية هي لغة الاسلام والعلم والادارة واللغة البربرية هي اللهجة المحلية . . !

كما أن أي محاولة للتعرف على البربري على أساس من الصفات الخلقية التي تتناول الشكل أو الملامح هي بالضرورة محاولة فاشلة .

الظهير البربري

وليس فشل مدرسة أزرو هو الفشل الوحيد للمحاولات الاستعمارية ، بل ان تاريخ المغرب الحديث يقدم الدليل على ما نقوله ، ولقد كان القانون الذي أصدرته السلطات الفرنسية والذي اطلق عليه الظهير البربري في ١٦ مايو ١٩٣٠ والقائم على تطبيق الاعراف والتقاليد القبلية بين البربر ، واقامة محاكم من رؤساء العشائر ، مما يخلق نظامين قضائيين في المغرب ، ويضع اللمسات الأخيرة في السياسة الفرنسية التي تدعم الأوضاع القبلية القائمة على العرف .

ومرة أخرى يواجه هذا القانون مقاومة عنيفة من البربر أنفسهم . اذ اعتبروه تدخلا فرنسيا في أساس الاسلام ، وخطة فرنسية لتقسيم المسلمين الى مغاربة بربر ومغاربة عرب ، وتوحد في مقاومته رجال الشريعة الاسلامية مع القوى الحديثة الشابة . .

وقد كان لهذه المعركة صدى واسع تجاوز المغرب ، ونشر الامير شكيب ارسلان من مقره في سويسرا نداء الى المسلمين : « بأن يكفوا عن التلهي بالاحتجاج الى صحفهم وحكوماتهم وان يوجهوا الاحتجاج الى عصبة الامم والدول الكبرى ، وأن يمتنعوا عن التعامل مع فرنسا بيعا وشراء ، فالمقاطعة هي السلاح الذي يخشاه الأوربيون . فهم قوم يضعون النقود والمصالح فوق الله . ! وتأييدا لشعب المغرب أقيمت لجان في القاهرة وبرلين وحتى في جاوه . .

وتروى صفحات التاريخ ، كيف أقبل الأهالي في ذروة مقاومتهم للظهير البربري الى حرم مولاي ادريس بجوار فاس ـ وهو رمز وحدة المغرب ، وأخذوا يرددون دعاءهم القائل « يالطيف . . أنقذنا من المقادير . . ووحدنا كما كنا دائما . . »

وليس أصدق من صفحات مقاومة الاستعمار الفرنسي والاسباني اثباتا للحقائق في حياة المغرب ، ففي هذه الصفحات سجل سكان الجبل سواء في الريف أو الاطلس ثورات لاتهدأ قادها الامير عبد الكريم الخطابي ثم جيش التحرير المغربي . .

في الطريق الى اختيفره

نعود الى مواصلة رحلتنا ، نتجه الى اختيفره في قلب الاطلس المتوسط . الطريق غني بالمناظر والتنوع فتنتقل من اللون الاصفر الى اللون الاخضر ، ونغم الالوان يصاحبنا ، ومن الشجيرات الجافة الى الغابات الكثيفة .

الصبيان يبيعون التين والفواكه المختلفة على جانب الطريق في سلاسل ملونة من القصب . نتوغل في الجبل في رحلة خارج الزمن ، تسيطر علينا المناظر الساحرة ، وتنتشر أشجار السرو على جانبي الطريق ، تمتد خلفها حدائق الكرز والتفاح ، نتنفس بعمق هواء هذه السهول الفسيحة التي تحميها الجبال العالية ، مما يجعلك متعشا ولديك شعور عام بالنشاط ، وليس أمامك سوى التأمل . .

يندر رؤية امرأة بلا طفلها .



وجه خرج لتوه من الاندلس .

الحطب من غابة قبل تيغزي .



الوشم على الوجه والطفل على الظهر .





الوشم والعملات الفضية والكبرياء الجميل .

نتنقل من السهول الى الغابات . ونقطع السهول التي تمتد على طول البصر ونرى الموزاييك الملون الذي يبدأ بالقطن وينتهي بأشجار الزيتون . .

تتوالى الصور على الطريق . .

احدى الفتيات تعبر الطريق مسرعة بملابسها الملونة الجميلة ، لقد خلقت الطبيعة حسا عميقا بالالوان فالسكان مولعون بالالوان الزاهية . على جانب الطريق بعض النساء يسرن خلف البغال المحملة بالحطب . انهن في جمال الزهرات البرية . المرأة تحمل طفلها خلف ظهرها ، بعد أن تلفه بقطعة من قماش طويلة حول صدرها وجذعها ويمر فوق أحد كتفيها ، والطفل في وضعه هذا ينطق وجهه بالسعادة ، ولا يبكي ولا يتأوه ، وواضح أن نساء الاطلس كثيرات الانجاب فمن النادر أن تمر بك احداهن ولا تحمل طفلها على ظهرها ، انهن يتمتعن بجمال فطري ، وغالبا ما يزين الوشم وجوههن ، ويتغيرشكل الوشم مع تغير الاماكن والقبائل فهو عند بعضهن على الذقن وعند الاخريات على الخدين في أشكال فنية جميلة ، ويتزين بالحنه التي توضع في أكفهن وأقدامهن في رسوم خاصة . .

وتصادفنا بين وقت وآخر خيمة سوداء الى جوارها الماشية ترعى الكلأ . فالرعاة يتركون قراهم ويقيمون خيامهم ويراقبون ماشيتهم التي ترعى حولهم ، بين السماء والارض يتمتعون بالمناظر الخلابة ، وأشجار السنديان البرية الشامخة . .

وفي وقفة عند احدى هذه الخيام بدا لي المكان ، وكأنه ينتمي الى عالم آخر جميل ، من حولك الرعاة الذين يعيشون على الهضبة ستة أشهر يقضون وقتهم في حراسة الماشية التي تحول لونها فاصبح في لون المراعي من حولها ، والتي ترعى أمام حالكات الصوف ، حارسات الماضي والحاضر والمستقبل ، انهم يعشقون الجبل ، أي الحرية والبساطة والتلقائية .

تنتقل من أشجار السرو الى غابات البلوط والصنوبر ثم الى أشجار الارز في المرتفعات ، طبيعة غنية عذراء تنتظر من يستثمرها . .

وبين وقت وآخر تشاهد حصانا عربيا شامخا يرعى وحيدا ، فهذه المنطقة تصدر الجياد العربية الاصيلة الى البلاد الأوربية جميعها .

تيغزي

خرجنا عن الطريق ، وتوقفنا عند قرية تيغزى ، قرية أقيمت في واد أخضر ، حول مناجم الرصاص والزنك تبعد ٩٢ كيلومترا عن مكناس ، حولها سلم موسيقى جميل ، يتخلل الجبل الاخضر بيوت بيضاء في البساتين ، وبها مصنع لتصفية الزنك والرصاص ، ويعمل في مناجمها حوالي ألف عامل ، فالجبل غني بالمعادن ، يستغل بعضه ، ويبقى الكثير الذي يحتاج الى رؤوس الاموال لاستخراجه . .

تقوم تيغزي على منطقة عالية في أحضان غابة خضراء بها حمام سباحة شاهدنا النساء يستحممن فيه بملابسهن مع أطفالهن ، بيوت العمال مثل بيوتهم في كل مكان بالمغرب اسقفها من الزنك . !

وفي تيغزي ، أتيح لنا أن نحضر حفل زفاف ، اختلطت فيه العادات القديمة بما هو مستحدث ، تحمل سيارة نصف نقل أثاث العروس وامتعتها وتنقلها الى البيت الجديد ويلتف حولها نساء القرية يزغردن . .

تركنا تيغزي في اتجاه اخنيفره ، المناظر الجميلة لاتنقطع ، أجمل الغابات شاهدتها في هذه المنطقة ، الجبال مغطاة بغابات الارز والسنديان ، تشبه هذه المنطقة طريق دمشق بيروت ، الطريق يصعد ويهبط وينقلك من جمال الى جمال ، فقد دخلنا في منطقة من الوديان الملتفة المتصاعدة نحو قطاعات تنتشر فيها الصخور بألوانها المختلفة ، وقد قطعت محيطاتها بأشجار الارز والسنديان البري ، وتنتشر القرى المعلقة بمنحدرات الجبال ، أو تعلو الجبال وتضفي على السماء الزرقاء جمالا خاصا ، وكانت صفوف التلال من حولنا في مسرح يعلو بعضها بعضا ، يقطع استقامتها الأشجار المتناثرة . .

وجميلة بدايات الضباب ، فالبرودة هنا تلسع ولا تؤذي ، واذا ازداد الضباب كثافة هنا تصبح الطرق خطرة ، واذا داهمها الجليد تغلق . .

وكلما اقتربنا من اخنيفرة يظهر الجبل قرمزي اللون ، وتبرز القرى بين الصخور قطعة فنية من نحت فنان عظيم ، وهذه الجبال الحمراء توشي بغناها بالمعادن ،

وتأخذ جميع البيوت في اخنيفرة لون الوردة الحمراء

محاكاة للجبل ، وكأنهم يقمصون الفرشاة فيا حولهم فيتورد خد الجبل بالحمرة ، طبيعة ملونة في كل أوان ، ولها في كل مكان ثوب ، وهي مشهورة بجمال نسائها ، ويكفي أن منها الملكة .

للبلدة طابع خاص ، فليس لها أسوار أو صوامع قديمة ، ولا أسواق تقليدية وطراز العمارة فيها ليس أندلسيا ، فلا وجود للاقواس ، ولا للباحات التي تتميز بها بيوت المغرب ، وانما بنايات مكعبة ، ذات عدة طوابق . .

وجوه الرجال كأنها وجوه من التاريخ ، لمقاتلين من أيام الاندلس خرجت من المعركة لتوها ، النساء داخل المدينة يملن الى التحجب . وابن الاطلس محارب كثير الاندفاع في عواطفه وكرمه ، ينشد الصداقة ويمنحها ، وهو غالبا ما يكون رشيقا مليحا ، تشعر معه بشيء من التهذيب والدماثة وسهولة الانطلاق ، والميل الى التكتم والبعد عن الثرثرة . وهو يعتز بحياته الخشنة وسط الجبال . .

وقد فتحت لنا البيوت في كرم واضح ومثلها الخيام المتواضعة ، وسعدنا بانسانيتهم الدافئة وانفتهم الطبيعية .

وتتزوج فتاة الاطلس بين سن ١٥ سنة و١٦ سنة ، ويختار لها الوالدان الزوج ، أما اذا فشل الزواج فمن حق المطلقة أن تختار شريك حياتها ، وهن أكثر جرأة وأكثر حرية ، قانعات سعيدات بحياتهن ، لا يرغبن في تغييرها ، يشاركن الرجل أعماله ويعملن اما في الرعي أو جمع الحطب أو طحن القمح بالرحى الحجرية ، أو صنع الزبد والجبن في قربة من الجلد ، ويشعر الرجال بالخجل اذا حمل أحدهم الحطب عن امرأته ، ولكنه لا يشعر بنفس الشعور اذا غسل لها ملابسها الزاهية ، وتقبل نساء الاطلس أبدي بعضهن عند اللقاء ترحيبا أو تكريما . !

وقد أصبت بخيبة أمل كبيرة عندما علمت أن موسم الخطبة الذي يقام في « ايملشيل » قد انتهى وانفض ، وفي هذا الموسم يقوم في تلك القرية الجبلية احتفال يتجه اليه الراغبون في الزواج من الرجال والنساء ، بعد أن يرتدي كل منهم أجمل مالديه ، ويتجمعون في مولد أحد أولياء الله الصالحين ، ويختار كل من الرجل والمرأة شريك حياته اختيارا حرا ينتهي بعقد كثير من الزيجات كل عام ويقوم هذا الاحتفال في سبتمبر من كل عام . .

وما أسعد سكان الجبل الذين يشهدون مهرجانات من كل نوع ، احتفالا بالحصاد ، وآخر للعروس ، وثالثا للختان في أرضهم التي تفيض لبنا وعسلا . .

أهم وسيلة نقل داخل المدينة هي الحمير أما في الجبال فلا يتفوق شيء على البغال الراسخة الاقدام فوق المرتفعات ، في طريق اخنيفرة الرئيسي ترى محل اصلاح السيارات الى جانبه حلاق للنساء ، الى جانب محل للصناعات اليدوية وآخر للمحصولات الزراعية . .

أحد الانهار يقطع المدينة ، وترى من فوق أحد الجسور البط والوز في الجزر التي يصنعها النهر ، ونساء المدينة يغسلن ملابسهن وامتعتهن عند الغروب . .

ويصل سكان المدينة الى ٨١ ألف نسمة . والقبيلة الرئيسية في اخنيفرة هي قبيلة زيان ، قضينا ليلتنا في فندق « محو حمو الزياني » سمي باسم أحد رموز مقاومة الفرنسيين والفندق بلونه القرمزي على أحدث طراز ، ولكنه يعاني من ندرة النزلاء ، بسبب منافسة ايفران من ناحية وبني ملال من ناحية أخرى ، ويشهد الفندق بعض الرواج في الشهور الثلاثة فبراير ومارس وابريل عندما تجذب المدينة هواة صيد الخنزير البري . .

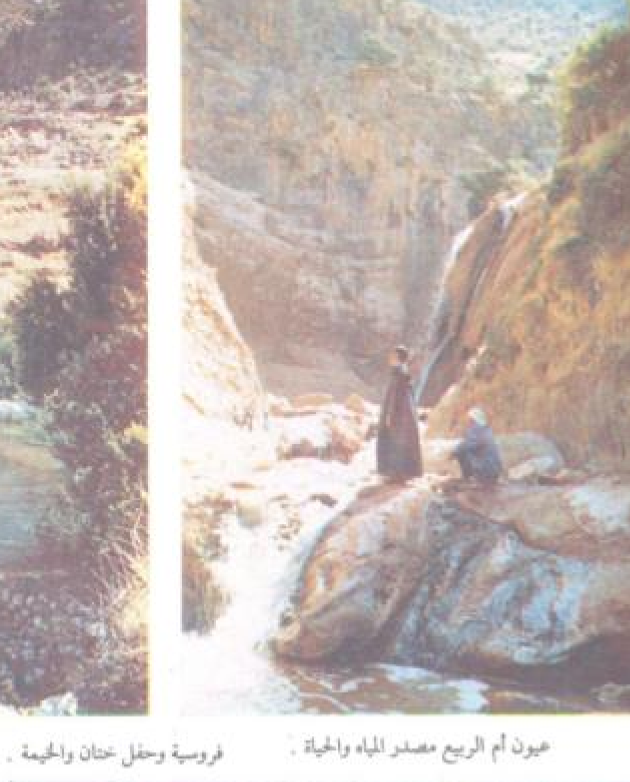
حصن المغرب

واخنيفرة تحكي فصلا من فصول مقاومة الجبل للاستعمار الفرنسي ، ولم يكن غريبا أن يسمى أحدث فنادقها باسم أحد أبطال المقاومة . فقد كان من السهل على فرنسا تهدئة المدن . أما الجبال فكان من الضروري مطاردة رجال القبائل العنيدين في كل شبر منها ، وكان لابد للفرنسيين من القيام بعمليات عسكرية على نطاق واسع حتى سنة ١٩٣٤ ، أي خلال أكثر من عشرين عاما من عمر الاستعمار الفرنسي (من ١٩١٢ حتى ١٩٥٦) .

وقد دفع الجبل ثمنا فادحا ، فقد عمل الاستعمار الفرنسي على استمرار البداوة ، وباعت بعض القبائل أمام المزاحمة الفرنسية أراضيها ، مثل بني مطير في سهول مكناس ، وتمكن بعض المستعمرين الفرنسيين من الاستيلاء على الأرض في صورة « كراء أبدي » مقابل أثمان رمزية ، ورحلت بعض القبائل من الاطلس الاوسط حيث أراضي المراعي التي ورثوا الرعي فيها ، وتركت السياسة الفرنسية القبائل الجنوبية تحت رحمة

سد الودان .

خيمة الرعاة تنتشر على طول الطريق .



عيون أم الربيع مصدر المياه والحياة .







البحيرة الزرقاء .

فروسية وحفل ختان والخيمة .

رؤساء العشائر ، وتمكنوا من وضع يدهم على مصادر الثروة : الأرض والماء ، مما كان له نتائج وخيمة على أهل الجبل ، وتمكنوا من انتزاع أملاك القبائل المغلوبة ، وتركوهم أمام خيارين ، اما الفاقة أو النزوح . وبالفعل شهدت المغرب في هذه المرحلة حركة نزوح من الجبال الى المدن التي أحاطها حزام الفقر وبيوت الصفيح وسياج البؤس .

وحتى عام ١٩٣٥ ، ارتفعت خسائر الفرنسيين في المغرب الى ١٧ الف قتيل و١٥ الف جريح ، ولم تمض تسع سنوات على نظام الحماية حتى قامت انتفاضة في الجبل هزت أسسه وبقي الجبل شامخا كحصن للمغرب ضد كل الغزاة . .

عيون أم الربيع

اتجهنا من اخنيفرة الى المجهول الكامن في القمم العالية . قطعنا طريقا يمر وسط الغابات التي مازالت غنية بالحيوانات البرية ، والمكتظة بالقرود ، أحدها يسرع أمام السيارة عابرا الطريق ، وثعلب يجري مذعورا ويظهر بين وقت وآخر على الطريق تلال حمراء رمادية ، وصلنا الى قرية « أسول » التي يحتضنها وادي أم الربيع ، وهي القرية التي يصنع فيها أجمل الزرابي (البسط المغربية) ورأينا النساء يغسلن الزرابي ، بعد صنعها ، في مياه النهر . . .

وصلنا أخيرا الى عيون ام الربيع ، في منطقة برية موحشة قاسية وسط الجبال الجرداء التي تفجرت فيها المياه من ٤٠ عينا فرطبت المنظر وأضفت عليه جمالا خاصا . ولانت قسوة الجبال أمام الشلالات ومجرى المياه الذي يشق طريقه وسط الصخور وكأن كل شيء كتب عليه أن يكون رقيقا ناعما في المغرب . . .

المياه شديدة البرودة ، يغسل فيها التين الجبلي فيصبح باردا كالثلج

وحول نبع أم الربيع أقيمت فوق بعض الصخور قرى صغيرة ينبسط السهل تحتها ، وتظهر خلاله مئات من أشجار اللوز الخضراء فجبال الأطلس ليست اكثر من كوخ في العمران ، فهو يمنح مياهه للسهول والمنخفضات ويكاد يحرم نفسه من الحياة والسكان ، إلا من تجمعات سكنية للرعاة ، مختلطة ومتناثرة ، ومدنه في معظمها صغيرة متفرقة كمحطات جبلية للمواصلات ، ونلاحظ أن سكان المغرب موزعون بصورة غير متوازنة ، فالمناطق الجبلية التي يسكنها مزارعون ورعاة كثيفة السكان ، واستمرت حياة سكان الأطلس متكتلة على هياكلها التقليدية تزاول حياتها في ظل اقتصاد بسيط ، يزرعون الاشجار والبساتين في تربة مستعصية ، وحياة رعوية تتراوح بين التنقل والاستقرار .

هذا ما يظهره المنظر من قمة الجبل ، والذي يمتد تحت اقدامه وادي أم الربيع الذي لا يمكن نسيانه ، والذي يتحدر من هذا الجبل ويصب في المحيط الأطلسي قريبا من مدينة الصويرة .

ولعل المناطق التي تقطعها الثلوج في الشتاء وتعزلها عن بقية البلاد ، هي التي جعلت لدى سكانها اكتفاء ذاتيا ، فيعتمدون كليا على كل ما هو محلي .

البحيرة الزرقاء

إنتقلنا من عيون أم الربيع الى « أجلمام أزجزاء والتي تعني باللغة البربرية البحيرة الزرقاء ، وهي بالفعل بقعة زرقاء من المياه العذبة تصنعها العيون ، شواطئها من الرمال البيضاء الناعمة يحدها من أحد جوانبها الغابة ومن الجانب الآخر التلال . .

الغابة تزدحم بالخيام التي أقامها الشباب القادم من كل أنحاء المغرب ، والذي علمته جبال بلاده وتنوعها الترحال والتنقل . إلى جانب التل بعض الرعاة الذين تركوا ماشيتهم وأخذوا يسبحون في البحيرة في فترة القيلولة . . التقينا بأسرتين المانيتين أقامتا معسكرهما من الخيام والسيارات في أجمل موقع عند البحيرة . قال أحدهم إنهم يقضون عطلاتهم الصيفية في هذا المكان منذ عام ١٩٧٧ ، ويرونه أجمل مكان في العالم ، وفيه يتحررون من كل شيء ، ويستمتعون بالهدوء وعذرية الغابة وجمال البحيرة . لا يكفون عن ممارسة هواياتهم ، فيصطادوا البط من البحيرة ، والحيوانات من الغابة ، ويكفي أنهم يعيشون بعيدا عن المدن الحديثة وعند عودتهم إلى بلادهم وأعمالهم يشعرون وكأنهم ولدوا من جديد . وأكثر ما يخشونه أن تفطن الدوائر السياحية إلى جمال المكان فتقيم حوله مؤسسات سياحية تقضي على عذريته . !!

كانت البحيرة الزرقاء هي آخر مازرناه في اخنيفره ومنها جنوبا الى بني ملال . .

بني ملال

قبل وصولنا إلى بني ملال ، المرحلة التالية في رحلتنا ، كنا نقطع غابات الأرز الكثيفة ونشاهد القرى المعلقة على التلال ، لم أقدر الا على البقاء مدة أطول لكي أتجول في تلك القرى من حولنا وأتأمل اكثر ، فالعين ترى ، والاذن تسمع . .

مدينة بني ملال لا هي قديمة ولا حديثة ، فقد قامت على أنقاض مدينة تادله القديمة التي اندثر سورها وصومعتها وأسواقها ، وقامت أيضا الى جوار مدينة « داي » القديمة والتي تحولت الى مكان تلقى فيه النفايات . . !! أما مبانيها فقد أقيمت خلال مرحلة الوجود الفرنسي وهي ليست مثل اخنيفره التي يغلب عليها المحلية وليست مثل فاس أو مراكش الغنية بعمارتها الأندلسية . .

ويتردد هنا أن اسمها جاء تحريفا لاسم قبائل بني ملال التي سكنت هذه الناحية . وهي ترتفع فوق سطح البحر ٥٤٠ مترا ، ومناخها قاري يصل الى ٤٣ درجة في الصيف والى ثلاث درجات تحت الصفر في الشتاء ، وتقع عند نهاية الأطلس المتوسط الغربي . يمتد أمامها سهل فسيح دائم الخضرة حتى في أشهر الصيف وتقوم خلفها جبال الأطلس الاوسط ولكن عمارة بني ملال تفتقد الطراز ، ولا ترى الانسجام في بيوتها ، وقد أدى تزايد السكان الذي يبلغ مائة ألف نسمه الى قيام حزام من مدن القصدير عند الجهة الغربية ، أما سكانها الأصليون فينتمون إلى ثلاث أفخاذ أولاد سعيد وأولاد حمدان وأولاد حديد ، وهي بلدة أوربية بدون خدمات المدينة الاوربية ، وأحياؤها الفقيرة بها أزقة تشعر عندما تقطعها انك وسط أسوار ، رغم أن الذي يحيطك دور لها القليل من النوافذ والابواب ، ولا يفوتك أن تلحظ التفاوت بين المناطق الفقيرة المكتظة والمساكن العصرية في الأحياء الأخرى ، والتي ترى فيها بنايات منقولة عن الطراز القائم في الرباط دون مراعاة طبيعة ومناخ بني ملال ، كما ترى أحياء بنيت كيفما اتفق بلا رقابة ولاخطة . .

بدأت جولتي بزيارة عين السردون ـ أي عين البغل ـ باللهجة المحلية أهم المعالم السياحية في المدينة ، وفيها تتفجر المياه من سفح الجبل وتندفع في شلالات جميلة مثلجة تزود السكان بالمياه الصالحة للشرب ، وأحيط النبع والشلالات بحدائق ، ولكن أشعر أن جمال الطبيعة العذرى أفضل من محاولة تجميله !!

زاوية الشيخ

في اليوم التالي لوجودنا في بني ملال ، خرجنا لزيارة القرى المحيطة ، بدأنا بزاوية الشيخ على الطريق ، وهي بلدة جبلة بيضاء ، ومنها توغلنا في الجبل بعيدا عن الطريق الرئيسي في سيارة لاند روفر ، وتوغلنا ما يزيد عن ١٢ كيلومترا ومررنا على دشر الوادي ـ ودشر تجمع سكاني صغير باللغة البربرية ـ ووصلنا الى مهود وتعني وادي هود . .

ذهبنا اليها بضيافة الشيخ الزروالي شيخ قبيلة آية هود ، والتي يبلغ تعدادها ألف نسمة ، وله زوجتان وثمانية ابناء بعضهم يتعلم في الكتاب . وتنقسم القبيلة الى ثلاث أفخاذ ، أولاد قطيف وأولاد عبد النور وأولاد محا ، وتمتعنا بكرم ضيافة الشيخ الزروالي

وحيثما ذهبت في الاطلس لايمكنك أن تتجنب كرم الضيافة ، فاستضافة الزائرجزء من مسرات الحياة ، ولم تفسد السياحة بعد هذه العادات التي حافظ عليها الجبل . .

ويصل كرم الضيافة الى عدم معارضة الضيف أو مجادلته ، وألا يروي الضيف لضيفه ما ينغصه أو يزعجه . .

قضينا في آية هود أجمل لحظات العمر ، فكل ما حولك له طعم ينطق بالاصالة وتشم منه عبق التاريخ ، فعلى هضبة واسعة نصبت خيام مصنوعة من وبرالجمل مساحتها حوالي ستة أمتار مربعة ، وفرشت بالزرابي الجميلة ، والمناسبة حفل ختان ، واللياقة تقضي أن تخلع نعليك عند مدخل الخيمة ، فتستخدم الخيمة كغرفة استقبال وصالة طعام في آن واحد ، وفيها تناول الرجال الغداء المكون من اللحم والزيتون ثم الكسكسي بعسل النحل وأخيرا « الأتاي » .

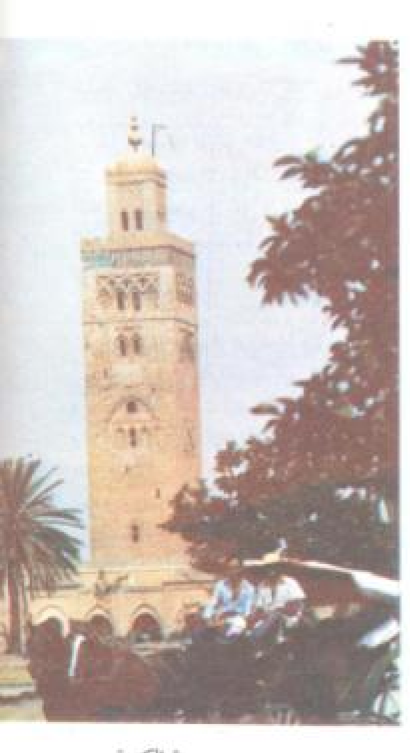
ترى من فتحة الخيمة التلال المتدرجة نحو السماء ، يعبر أمام الخيمة ثلاثة فرسان كأنهم قادمون من التاريخ ، وخلال وجودنا بينهم أحاطتنا انسانيتهم الدافئة وألفتهم الطبيعية وكرمهم الجزل .

في خيمة ثالثة أقيمت خصيصا للنساء اللواتي يحتفلن بالأم وابنها ، ارتدت الام الملابس وكأنها عروس الحفل ،





السُّقيُ بملابسهم المميزة .



صومعة الكتبية .

ساحة الفناء والأسواق .



أسواق مراكش القديمة .

وأخذت النساء تنشدن أغاني الختان ويحملن الشموع ، ويحمل احداهن ، قمع السكر ، والام تضع قدميها في اناء به مياه باردة ، وهو ما يمكن أن تشاهده في أحد أحياء دمشق القديمة أو في جبال لبنان . ولكن الجديد هو عرض الفروسية الذي قدمه ثلاثة فرسان أخذوا يرقصون بخيولهم ويطلقون بنادقهم . فما زالت الفروسية جزءا هاما من حياة الجبل الذي حافظ على تقاليدها .

بعض الأطفال حول جيدهم عقد من العنبر ، وعرفت أن العنبر يبعد الافاعي كما يشفي من لسعها ، وعدد كبير من هؤلاء الاطفال يذهبون الى الكتاتيب ويتعلمون القرآن الكريم وما زال في بني ملال ١٠٠ كتاب يتعلم بها ٤٠٩٦ متعلم ، كما افتتحت ١٧ مدرسة ابتدائية يبلغ عدد تلاميذها ٦٣٤ , ١٤ تلميذ من بينهم ٦٨٠٤ من الاناث . . والاندفاع نحو التعليم يعكس الرغبة العارمة في التغيير واللحاق بالعصر . .

وأهم ما يلفت الانتباه في المغرب ذلك المزج بين الماضي والحاضر ، فالكتاتيب الى جوار المدارس العصرية ، ويمكن ملاحظة ذلك في العمارة والعادات وحتى في الاسماء الرسمية ، فالملك هو أمير المؤمنين ، ورئيس البلدية هو الوالي ، ورئيس زاوية الشيخ يطلق عليه الخليفة ، ورقيب الاسواق والحرف الذي يشرف على استمرار الفضائل الاسلامية هو المحتسب ، وقائد الناحية هو الباشا . رموز تصل الماضي بالحاضر . .

سد الودان

ومن آية هود ، الى سد الودان ، أكبر سدود المغرب ، الطريق اليه ضيق وخطر يتلوى بين الجبال ، وأقصى سرعة للسيارة لاتتجاوز ٤٠ كيلومترا، مناظر الطريق مثلها في كل الأطلس جنات وعيون ، الاخضر يغطي السهل والجبل ، سد الودان يعني سد بين الوديان ويبعد عن بني ملال خمسين كيلومترا ، ويقوم وسط طبيعة جميلة خلابة ، خلفه بحيرة قائمة وسط الجبال ، يصب فيها نهران كبيران ، وتغطي بحيرة السد أميالا ، تتخللها رؤوس الجبال في شكل جزر صغيرة ، يصل عمق البحيرة في بعض أجزائها الى ٤٠٠ قدم .

أقيم هذا السد عام ١٩٥٣ ويصل ارتفاعه الى مائة متر ، ويروي مائه وعشرين الف هكتار أي حوالي ٣٠٠ ألف فدان ، وهو من أهم مصادر الطاقة وتوليد الكهرباء والتي يستمد أغلبها من سدود الاطلس ، وقد أصبحت السدود في المغرب تزيد عن عشرين سدا ، وما زال أرباب الصناعة يرغبون في الاستحواذ على الطاقة في مشروعاتهم الصناعية وأرباب الزراعة يرغبون في الحصول على مزيد من المياه لري المزيد من الارض . وتزيد المشكلة تعقيدا اذا علمنا أن عددا من هذه الانهار تجف أو تكاد خلال فصل الصيف ، ولا يبقى سوى خيط دقيق رفيع يصل بمشقة الى المصب .

وأمام السد دارت مناقشة واسعة مع مرافقي حول متطلبات التغيير التي تشهدها المغرب ووافقني على أن ما يشهده الجبل معيار دقيق على ما يشهده المغرب . .

وهناك اتفاق على أن التحديث يعني التنمية ، والتنمية تقوم على التخطيط المركزي الذي يضع بدقة جدول الاولويات ، على رأس قائمته مشروعات التجهيزات الاساسية ثم تغيير الهياكل الاقتصادية القديمة ، ويعمل على استثمار كل موارد المجتمع . وقد كانت حكومة عبد الله بن ابراهيم في أول الستينات أول من وضع خطة خمسية في المغرب ، وقد بدأت بالاهتمام بالمدن ، وشملت مشاريع صناعية كانت مطروحة ، ثم انتقلت الخطة من خماسية الى ثلاثية في السنوات (٦٥ ـ ١٩٦٧) وشملت برنامجاللتجهيز العام يركز على الزراعة وتكوين الأطارات التي كانت تفتقر اليها المغرب بعد الاستقلال ثم السياحة . .

وأطلعني الاستاذ عبد المالك الشرقاوي الكاتب العام للتخطيط على آخر خطة خمسية (٨٠ ـ ١٩٨٥) ، تهتم اهتماما كبيرا باستكمال التجهيزات الأساسية ، ويحصل الأطلس على نصيب كبير منها ، ففيه مصادر المياه والطاقة والغابات والثروة الحيوانية والزراعية علاوة على العناية بالمعادن المختلفة . .

ويحد من طموح الخطة نقص رؤوس الأموال التي تحتاجها هذه المشاريع والتي يمكن أن تحول المغرب إلى مصدر ثروة للبلدان العربية جميعا ، وهنا تأتي فرصة رؤوس الاموال العربية التي يمكن استثمارها في المناجم والمشروعات الزراعية والصناعية ، بدلا من السياحية وحدها ، وبهذا تتعدد وجوه الاستثمار العربي ذي العائد المضمون ، والأكثر أمنا من إيداعه في البنوك الأوربية والامريكية . .

ويأمل عدد من الاقتصاديين المغاربة مزج التخطيط الواقعي من خلال الوسائل القائمة مع المتوفر من فوائض رؤوس الأموال العربية ، ويؤكد أنه بهذه الوسيلة يقطع الوطن العربي خطوات هامة نحو التكامل الاقتصادي ،

فالكثير من موارد الأطلس لم تستغل بعد ، ويتطلعون إلى اليوم الذي تتحول فيه مثل نظيرتها جبال البرانس في أسبانيا والتي تستغل كل مواردها .

أما الصعوبة الثانية التي تواجه الخطة ، فهو غياب الأرقام الدقيقة عن السكان ففي سبتمبر من العام ١٩٨٢ شهدت المغرب أول تعداد عام ، وفي العديد من قرى الأطلس ما زلت تجد بعض الأهالي بدون شهادات ميلاد . !

وقد حددت الخطة الخمسية الراهنة الأولويات تحديدا دقيقا ، وأعطت للجماعات المحلية دورا في عمليات التنمية المحلية ، ويكمل عبد المالك الشرقاوى حديثه قائلا : إن الخطة ليست جامدة بل مرنة يمكن أن تستجيب للاحتياجات المتجددة ، فالاقتصاد المغربي مفتوح على العالم ويقوم في جزء منه على مبادرات القطاع الخاص ، وهذه المرونه تمثل الشروط الأساسية لفاعليته ، كما تقوم الخطة على اعطاء الاولوية للمشاريع التى تستلزم أقل ما يمكن من العملة الصعبة وأكثر ما يمكن من العملة المحلية ، وهى تهدف إلى تحقيق الاكتفاء الذاتى في الفلاحة والصيد والطاقة . ودعم سياسة اللامركزية بناء على خصوصية كل منطقة ، وتشجيع المشاريع في الجهات الأقل ازدهارا ، وقد رصد لصندوق تنمية الجماعات المحلية ثلاثة مليارات درهم ، . . »

آخر محطاتنا

ومن بنى ملال الى آخر محطاتنا مراكش . .

فكلما اتجهنا جنوبا يظهر النخيل والجمال بدلا من أشجار السنديان والخيول والبغال ، ونقترب من الصحراء ، ونلتقى على طول الطريق بالمدن القديمة التى تسمى « القصبات » ومعناها الحصن أو القصر المنيع ، القصبة جزء من التل التى تقوم فوقه ، وتتحكم في السهل الممتد أسفلها ، أسوارها تطوق المدينة وتفصلها عن ضواحيها ، وتم المحافظة عليها مع بناء الاحياء الجديدة خارج الاسوار ، وتتكفىء أنماط الحياة التقليدية خلف أسوار المدينة .

ويذهب أهل القصبات وسكان كهوف الأطلس وخيام الصحراء إلى مراكش عاصمة الجنوب . ثانى مدن المغرب من حيث السكان فيصل تعدادها إلى مليون وربع مليون نسمه ، يبيعون فيها منتجاتهم ويشترون منها احتياجاتهم ، ومراكش في لغة البربر من مقطعين « مر » و « كش » ومعناها سر سريعا ، ومن يصل اليها يقصد ساحة الفناء أغرب ساحة في العالم ، تشاهد فيها آكلى النار ، واللاعبين بالثعابين ، ومروضى القرده ، وبهلوانات السوس ، وراقصى الشلوح ، وتحيط الساحة الأسواق التقليدية القديمة يبيعون منها ويشترون . .

وطراز عمارة مدينة مراكش مزيج من الفن الأندلسى وفن البربر والذي يطلق عليه مورسيكين ، وتستمد مراكش جزءا كبيرا من دخلها من السياحة ، فهي من أهم المدن السياحية في المغرب والجزء الآخر من العدد الكبير من أشجار النخيل وأشجار الزيتون والبرتقال والمشمش مضافا اليه عدد من الصناعات التقليدية والريفية ، أما دخلها الأول فمن الفوسفات . .

ومازال أرباب الحرف يعملون فيها من ساعات الصباح الأولى حتى المساء ينتجون المصنوعات الخشبية والجلدية والمعدنية والحريرية ، والتجار يجلسون في حوانيتهم الصغيرة المكدسة بالبضائع تحيطهم الاسوار التى يعود تاريخها الى أكثر من ألف عام ، وتضم صومعة الكتبية أروع الصوامع وأقدمها والتي يتحول لونها مع انعكاسات شمس المغيب .

وتكاد المدينة الجديدة أن تكون حديقة كبيرة تزخر بالفنادق الفخمة ، والقصور من حولها واكتشفت خلال اقامتى فيها ، أسباب تلك الصعوبة في فهم بعض اللهجات المغربية ، فليس انتشار اللغة الفرنسية وحده ، إنما دخول العديد من الكلمات البربرية في اللهجات العربية للمغاربة ضاعف المشكلة !

ويأتى اليها رجال الأطلس بالصوف والجلود ويخرجون منها بالسكر والتوابل والثياب المصبوغة الزاهية . وتسمع فيها رنين أجراس السقايين الذين يحملون شرابهم مع أكواب وقدور ومغارف بملابسهم المميزة . .

وأخيرا . .

إن من يرى جبال الأطلس ، مهما طال به الزمن عائد اليها لا محالة ، كانت هذه الكلمات التى ودعنا بها صاحبي وأنا أغادر أرض اللبن والعسل والجمال . ○

مصطفى نبيل



الحركة التعاونية في الكويت

استطلاع : يوسف الشهاب
تصوير : فهد الكوح

عرفت الكويت منذ الستينات حركة تعاونية . قطعت الآن شوطا تجاوز مداه في الكثير من بلدان العالم العربي .



● توفر الجمعيات التعاونية باسواقها المركزية كافة السلع الأولية والكمالية ، وتعرضها باسعار مناسبة تتناسب مع دخل كل مواطن .. انها الحياة اليومية التي تؤكد حاجة الانسان لقوته وتؤكد اهتمام الجمعيات بتوفير هذا القوت بكل الاصناف .

ان التعاون - بشكل عام - هو أحد الوان وصفوف التنظيم الذى يشترك فيه مجموعة من الناس على أساس المساواة فى سبيل دعم مصالحهم الاقتصادية .

ولقد عرف العالم مبدأ الاتجاه التعاونى كاتجاه شعبى حينما دفعت الظروف الاقتصادية والاجتماعية التى كانت سائدة فى القرن التاسع عشر فى اعقاب الثورة الصناعية - طائفة من الطبقة العاملة الى الاتحاد والتعاون فيما بينها فى سبيل حماية مصالحها ، دون أن يستند هذا الاتجاه الى قانون يحدد اسلوب هذا النوع من الاعمال ، ولذا فقد كانت المحاولات الأولى لتكوين التعاونيات الناجحة لاتقف على أرضية معينة لحرمان هذه الحركة من قانون يخدم طبيعة عملها ، فلم تجد من سبيل غير الاستناد الى ما تحققه من نجاح متواضع اكتسبته من جراء تجاربها التى مرت بها ، هذا الى جانب ما قام به رواد القادة التعاونيين من الدعوة والارشاد لايجاد اتجاه تعاونى كالدكتور « وليم كنج » فى انجلترا « وشارل فورييه » فى فرنسا .

صعوبات قانونية

مر الاتجاه التعاونى العالمى فى تطوره وتقدمه عبر طرق شاقة وطويلة نحو الوصول الى تشريع ينظم حركته ويحميه ، ولقد عانت الحركة التعاونية منذ ان كانت فى المهد صعوبات وعراقيل قانونية بطبيعة الأوضاع التعاونية، وزادت هذه العراقيل وتفاقمت مع زيادة التعاونيات فكان الشعور بضرورة وجود تشريع تعاونى خاص هاجس اولئك الذين وضعوا هذا النوع من العمل وساروا به ، بدلا من الاعتماد على التشريعات العامة مثل القانون التجارى والمدنى ، فكان ان بدأت المحاولة الأولى لوضع تشريع تعاونى بانجلترا ولحقتها فرنسا ثم بقية دول العالم التى انتهجت منهج التعاون فى حياتها ..

التشريع التعاونى

وتختلف دول العالم فيما بينها بوجود التشريع التعاونى ، ففى بعض الدول يتم التعامل مع التعاونيات من خلال القانون التجارى أو القانون المدنى وطبقا للنظم والمبادىء التعاونية وللوائح الداخلية ،وفى البعض الآخر منها حيث تتوفر لديها نصوص تشريعية ، فانها ضمنت تشريعاتها المختلفة نصوصا خاصة بالاتجاه التعاونى فى وقت متقدم من ظهور هذا الاتجاه كما أنه توجد مجموعة اخرى تعتمد على وضع تشريعات مستقلة لكل نوع من أنواع التعاونيات ، بحيث تأخذ صورة قانون مستقل لكل نوع منها بالرغم من وجود صلة وثيقة بين مختلف التعاونيات . وهناك أيضا بعض الدول التى وضعت تشريعات مستقلة فى بداية الأمر ، ثم بدأت فى وضع تشريع واحد عام - وفى الجانب الآخر هناك دول وضعت تشريعا تعاونيا واحدا عاما منذ بداية العمل التعاونى يحدد الوضع القانونى لكل نوع من التعاونيات ، ثم فصلت تشريعات مستقلة لكل نوع منها.

انطلاقة التعاون بالكويت

عرف المجتمع الكويتى التعاون منذ أن كان رجال الكويت يجوبون البحار بين الغوص والأسفار فلقد علمتهم تلك الحياة على سطح السفينة المعانى الحقيقية لمفهوم التعاون فيما بينهم ، وهو تعاون امتدت فروعه وتناقلها الخلف عن السلف - وقد برزت منذ عام ١٩٤١ - ١٩٤٢ م فى الكويت المفاهيم الحقيقية عن حركة التعاون ، لاسيما الاستهلاكى منه .

وهو نشاط تعاونى تعامل به طلبة المدارس فى تلك الحقبة تحت توجيه وارشاد الاساتذة وعلى أسس وقواعد ديمقراطية ، ثم تطور هذا النشاط بتأسيس أول جمعية تعاونية لموظفى « دائرة التربية والتعليم » عام ١٩٥٥ ، من أجل تحسين احوال اعضائها الاقتصادية والاجتماعية من خلال تبنى المبادىء التعاونية .

ونتيجة لعدم وجود أى قانون تعاونى آنذاك - فقد كانت دائرة الشئون الاجتماعية والعمل تقوم بتصريف الوضع القانونى للجمعيتين وضمن نطاق المؤسسات الاجتماعية التى يحكمها قانون الاندية والمؤسسات الاجتماعية .

وانطلاقا من اهتمام الدولة بالحركة التعاونية ودورها فى خدمة المستهلك ، فقد أصدرت الحكومة قانونا خاصا بالجمعيات التعاونية عام ١٩٦٢ ، وبصدور هذا القانون اخذت هذه الحركة طابعا رسميا بدأت بعده وزارة الشئون الاجتماعية بالقيام بدورها ضمن ماجاء بالقانون التعاونى الذى اعطى الوزارة حق تسجيل واشهار الجمعيات والاشراف عليها والتفتيش على حساباتها وعملياتها للتأكد بأنها تسير وفقا لاحكام القانون والمبادىء التعاونية .

أول جمعيتين

أما أول جمعيتين تعاونيتين تأسستا بعد صدور هذا القانون عام ١٩٦٢ فهما جمعيتا كيفان والشامية التعاونيتان



السيد عبد الرحمن المضاحكة
رئيس اتحاد الجمعيات التعاونية .

ثم اتسعت الرقعة بتأسيس العديد من الجمعيات التعاونية في كل منطقة سكنية توفرت فيها شروط التأسيس ، ولقد بلغ عدد هذه الجمعيات حتى آخر ديسمبر ١٩٨١ سبعا وعشرين جمعية موزعة على المناطق المختلفة ويساهم فيها (١١٢١٣١)مساهما كويتيا ، أما رأسمال هذه الجمعيات فقد بلغ في الفترة ذاتها ١٩٠، ٦٩٦، ١ دينارا كما بلغت المبيعات لديها (٨٦,٩١١,٥٧٣) دينارا كويتيا ، وتقوم الجمعيات بتوزيع ارباحها السنوية على المساهمين حسب مقدار مبالغ المبيعات بنسبة لاتزيد عن ١٥٪ أما نسبة عائد مبالغ المساهمة فتبلغ ٧٪ حسب ماحددته قوانين وزارة الشئون الخاصة في هذا الشأن . ومنذ أن عرفت المناطق السكنية تأسيس الجمعيات التعاونية فيها والتعاون قائم فيما بين الطرفين ، ذلك أن هذه الجمعيات لاترى النور الامن خلال مجموعة أفراد يتعاونون فيما بينهم لتأسيس جمعية لهم تخدم كافة أهالي المنطقة ، وعلى كل حال فان دور الجمعيات كبير وواسع وهو دور اقتصادي واخر اجتماعي ، أما الدور الاقتصادي فيعتمد على اسلوبين في التعامل مع الاعضاء والجمهور ، فالأول هو الاسلوب التعاوني والثاني كفاية الاداء ، وهما عاملان ساعدا على نجاح الحركة التعاونية وانتشارها في مناطق متعددة من البلاد .

والداخل الى أي جمعية تعاونية ، يرى أن كل مايحتاجه من مواد أولية وكمالية متوفر بين يديه بأسعار مناسبة لكافة مستويات الدخول وفق تقسيم منظم للاسواق المركزية وتصنيف كل مادة ونسبة الاقبال عليها من المواطنين ، فالاسواق المركزية تجذب يوميا العديد من الزبائن الذين يجدون مايحتاجونه في هذه الأسواق ، كما ان هذه الاسواق مديرين داخليين يشرفون على حركة السوق اليومية وحركة العمال ، وتقع عليهم أيضا مسؤولية كتابة حاجيات السوق من السلع كل مساء لتقديمها الى المخازن حتى تأتي بها في صبيحة اليوم التالي .

الدور الاجتماعي والثقافي

حددت اللائحة التنفيذية للقانون رقم ٢٤ لعام ١٩٧٩ ، الخاص بالجمعيات التعاونية نسبة ٢٠٪ من صافي الارباح تكون مخصصة لانفاقها على الخدمات الاجتماعية والثقافية والترفيهية ضمن نطاق عمل الجمعية .

وتنطلق الجمعيات التعاونية بالكويت من هذا المفهوم - من خلال توفير الدعم المالي لهذه الانشطة ، الى جانب الدعم والمشاركة بتحسين البيئة المعيشية للأعضاء - وابرز ادوار الانشطة الثقافية والاجتماعية هي التي تأتي عن طريق تقديم المعونة المالية للأسر المتضررة بالمنطقة ، ثم توزيع المساعدات المالية لكل أسرة محتاجة من أسر المنطقة وكذلك المساهمة في دروس التقوية لطلاب مدارس المنطقة خاصة ذوي الدور الثاني من الطلبة الى جانب تقديم الجوائز للمتفوقين منهم والمساهمة في تقديم الخدمات المادية والمعنوية لمرافق الدولة المختلفة التي تقع ضمن حدود عمل كل جمعية .

وتتبع الجمعيات التعاونية بالكويت طرقا شتى ، للحصول على ما تحتاجه من سلع لأسواقها المركزية ، وابرز هذه الطرق تلك التي يكون الشراء منها من التاجر مباشرة دون وسيط ، ويكون ذلك من خلال مندوبي المبيعات للشركات المحلية الذين يعرضون سلعهم على اقسام المشتريات بالجمعيات فيأخذون مايحتاجه السوق منها وبأسعار معتدلة حتى يمكن للجمعية أن تبيعه بسعر معتدل أي بزيادة لاتزيد عن سعر التكلفة . أما الطريقة الاخرى فهي التي تقوم بها الجمعيات مباشرة وهذه تكون عملية الاستيراد فيها من الخارج ، فالجمعية تستورد مالحتاجه على حسابها الخاص وهذه العملية تشمل بعض السلع ومعظمها غير غذائي . أما آخر هذه الطرق فهي التي تكون من خلال مايستورده اتحاد الجمعيات ويوفره لاسواقها ، وهذه السلع تكون اسعارها في كثير من الاحيان أرخص من الاسعار المحلية وكذا الحال بالنسبة لأسعار السلع المدعومة من الدول .

وتخضع السلع الغذائية الموجودة بالأسواق المركزية بالجمعيات لرقابة متواصلة ومستمرة من جانب البلدية ووزارة التجارة ، وهي رقابة تهدف اول ما تهدف الى حماية المستهلك من كل تلف قد تتعرض له أي سلعة من السلع ، خاصة تلك التي لاتحتمل البقاء اوقاتا طويلة ، وفترة الصلاحية للسلعة موجودة عليها وحين تنتهي هذه الفترة فان صلاحيتها تكون منتهية ، ولذا فان هذه الرقابة تكفل هذا الجانب من الرقابة حيث تطلب من الجمعية إزالة السلع الفاسدة التي لا تصلح لاستعمال المستهلك كما



● يرتاد الأسواق المركزية زبائن من مختلف الجنسيات يأخذ حاجته حسب ذوقه والصور التي بين يديك تمثل جوانب السوق المركزي .



وتحرص الجمعيات من جانبها على خلو اسواقها من هذه السلع عن طريق ازالتها بالوقت المناسب واعادتها الى التاجر وفق شروط مسبقة .

يتوقف نجاح الجمعية التعاونية على وجود مجلس ادارة لكل جمعية يدير شئونها ويرسم سياستها الداخلية والخارجية التي تتعامل فيها مع وزارة الشئون واتحاد الجمعيات والتجار ، ويتألف كل مجلس ادارة من تسعة افراد يقطنون منطقة عمل الجمعية ، ويكون انتخابهم سنويا من قبل الجمعية العمومية ، ففي كل عام يتم انتخاب ثلاثة أعضاء من الذين تنتهي مدة عضويتهم البالغة ثلاث سنوات وتجوز تجديد مدة العضوية لهذا العضو ، وتشكل من بين اعضاء المجلس عدد من اللجان منها لجنة للمشتريات وهي التي تنظر في مشتريات السوق ، وأخرى للخدمات العامة ويكون دورها دراسة احتياجات المنطقة من الخدمات ودراسة حالات الاسر المحتاجة لتقديم المساعدات السنوية لها . .

كما تتفرع من مجلس كل ادارة لجنة مالية لدراسة الوضع المالي بالجمعية من كافة جوانبه مع ذوي الشئون المالية في الجمعية . .

الدولة تشيد المباني

لقد أخذت الدولة - منذ بداية الحركة التعاونية بالكويت - على عاتقها مسؤولية تشييد المباني الخاصة بالاسواق المركزية وحتى الفروع التابعة لكل جمعية تعاونية ، وتقوم الدولة بتأجير هذه المباني بأسعار رمزية تشجيعا منها للجمعيات ودورها في خدمة المواطنين . هذا الى جانب توفير بعض السلع الغذائية التي تدعمها الدولة وتقدمها للجمعيات بأسعار معتدلة . .

و العلاقة يحكمها قانون التعاون . . . » هذا مابدأ به حديثه وكيل وزارة الشئون الاجتماعية والعمل الاستاذ عيسى ياسين ، حينما سألناه عن طبيعة العلاقة بين وزارته والجمعيات التعاونية ويضيف قائلا : ان هذه العلاقة ترتكز على الاشراف المالي والاداري والقصد الأساسي هو التوجيه حتى يمكن للجمعيات التعاونية وهي مؤسسات اجتماعية - ان تحقق رسالتها من أجل خدمة المواطنين ، ويستطرد الوكيل في حديثه عن هذه العلاقة فيقول ان دور الوزارة يكمن في حضور الجمعيات التعاونية والاشراف على الانتخابات وكذلك التحقق من استكمال الجوانب القانونية والمساهمة في عمليات الجرد والتفتيش على حسابات الجمعيات وفحص السجلات والدفاتر - بالاضافة الى دراسة القرارات التي يصدرها مجلس ادارة كل جمعية ، ومساعدة كل منها لدى الجهات الحكومية الاخرى في توفير احتياجاتها من تراخيص وغيرها .

أما دور وزارة الشئون في تنظيم الدورات التعاونية ، فقد قال عنه الوكيل : ان وزارته تساهم في تنظيم الدورات التدريبية بقصد تنمية الكوادر البشرية وتكوين الوظائف فيها .

وهذه الدورات تتم من خلال التعاون والتنسيق مع الاتحاد واضاف وكيل الشئون أن الوزارة تنظر أيضا في الشكاوى التي تأتي من المواطنين ضد الجمعيات ، وكذلك النظر في طلبات تأسيس جمعيات جديدة . .

وقال الوكيل : ماتواجهه من مشاكل مع الجمعيات يكون معظمها اداريا ولا تستغرب من وجود هذه المشاكل ثم ان للجمعيات عندنا جهازا اداريا كبيرا وسلعا متنوعة وعديدة ، ودورنا تلمس مثل هذه المشاكل وابداء التوجيه والنصح للجمعيات في سبيل ايجاد الحلول المناسبة ودورنا في هذه الاحوال يكمن في مساعدة مجالس الادارات للتغلب على هذه المشاكل .

وردا على سؤال عن دور وزارة الشئون التعاوني على النطاق العربي قال الوكيل ، لقد بادرت الكويت من خلال الوزارة بانشاء الاتحاد العربي للتعاون ، واستضفنا اجتماعاته في الكويت حتى يقف على أقدامه ويمارس نشاطاته التي جاء من أجلها ، كما أن دورنا العربي يهدف الى تطوير هذه الحركة في وطننا العربي على اختلاف بلدانه

الدجاج المثلج : تحفظه الجمعيات في ثلاجات خاصة لتزود به السوق . . الصورة لعملية نقل الدجاج الى السوق - فوق السلم المتحرك .





الأستاذ عيسى ياسين .. وكيل وزارة الشئون .

وكذلك بحث القضايا المشتركة وتبادل المعلومات والخبرات وتنظيم دورات تدريبية على النطاق العربي ..

وفي الكويت اتحاد للجمعيات التعاونية ، يدير دفة الاشراف عليها بشكل عام ، ولقد اشهر هذا الاتحاد في نوفمبر ١٩٧١ م . اما طريقة الانضمام اليه فقد قال لنا رئيس الاتحاد عبد الرحمن المضاحكة عنها : « انه قبل صدور القانون رقم ٢٤ لعام ١٩٧٩ ، كان انضمام أي جمعية للاتحاد يتم بناء على طلب تتقدم به الجمعية ، ويعرض هذا الطلب على مجلس ادارة الاتحاد للنظر في قبول الجمعية لعضوية الاتحاد لكنه بعد صدور القانون ، صار ملزما لكافة الجمعيات التعاونية الانضمام الى الاتحاد بمجرد اشهارها .

حماية الحركة التعاونية

وسألنا رئيس الاتحاد عن السياسة المتبعة في عمل الاتحاد ودوره في حماية المستهلك فقال لنا ان سياسة الاتحاد تنطلق من روافد عديدة حددها النظام الاساسي . وهي سياسة تبدو في تمثيل جميع اعضائه ازاء الهيئات الرسمية المحلية والعربية والدولية . وكذلك قيادة الحركة التعاونية الاستهلاكية في الكويت والعمل على حمايتها والدفاع عن مصالح اعضائه المادية والمعنوية . ويضيف السيد المضاحكة قائلا : ان الاتحاد يقوم أيضا بالخدمات المشتركة من شراء محلي وخارجي وانشاء وحدات انتاجية وما يتبع ذلك من انشطة معاونة ، مما يترتب عليه تخفيض النفقات ورفع مستوى الخدمات في الجمعيات المشتركة في الاتحاد هذا بالاضافة الى الاجتهاد في الحد من الارتفاع المصطنع لاسعار السلع الاستهلاكية حماية للمستهلك والعمل على توحيد اسعارها في الجمعيات وفي فروع الاتحاد .. الى جانب مهام اخرى تقع مسؤولية تحقيقها على الاتحاد . أما فيما يتعلق بتحقيق اهداف السياسة العامة لاتحاد الجمعيات ، فقد اوجزها رئيس مجلس ادارته قائلا . ان الاتحاد يقوم بدراسات وبحوث في المجالات المرتبطة بنشاطه ونشاط أعضائه كما يقوم بتمثيل الحركة التعاونية الكويتية على المستوى الرسمي وغير الرسمي محليا وخارجيا ، وابرز مثل على ذلك هو انضمام الاتحاد الكويتي للحلف التعاوني الدولي .

ويقول السيد المضاحكة أن الاتحاد يقوم أيضا بحل كافة الخلافات التي تنشأ فيما بين الجمعيات الاعضاء وبين الغير ومنها الخلافات في وجهات النظر بين الجمعيات وشركة التموين باعتبارها الموردة للسلع المدعومة من قبل الحكومة ولمواد البطاقة التموينية ، بالاضافة الى تمثيل هذه الجمعيات في تنظيم العلاقة القائمة بينها وبين اتحاد تجار المواد الغذائية ومصنعيها وبعض الشركات الانتاجية الوطنية .

وتحقيقا لغرض أسمى من أغراض التعاون ، يسعى الاتحاد لتخفيف العبء عن كاهل المستهلك بالعمل على تحصيل اكبر عدد من السلع باسعار تعاونية وبأقل تكلفة ممكنة ، ومن أجل هذا قام الاتحاد بانشاء لجنة الاسعار من بين اعضائه وهي لجنة تهدف الى توحيد الاسعار بالجمعيات التعاونية والحد من الارتفاع المصطنع للاسعار بالدرجة الاولى . ولنفس الغرض يقوم الاتحاد بالشراء الجماعي المحلي والخارجي من خلال لجنة الاستيراد بقصد الحصول على اسعار اقل مما تشترى بها كل جمعية على حدة ، والاتحاد يقوم بتوزيع السلع المشتراة على الجمعيات مباشرة سواء من مخازن المورد المحلي أو من مخازن الاتحاد التي وفرت الدولة أرضا لها تشجيعا للحركة التعاونية ولتوفير كل حاجيات المستهلك ..

ان اتحاد الجمعيات التعاونية الاستهلاكية ، يقوم بالتنسيق مع وزارة الشئون الاجتماعية ببحث الموضوعات التي تهم الجمعيات وتهدف اساسا الى خدمة المستهلك وحمايته ويقول رئيس الاتحاد ، ان الاتحاد يتعاون مع الشئون في مراقبة تنفيذ الجمعيات للقرارات التي يصدرها كل من اتحاد الجمعيات والوزارة ذاتها ، كما تقوم الوزارة بناء على طلب الاتحاد بمخاطبة الجهات الحكومية المختصة مثل بلدية الكويت وإدارة املاك الدولة ووزارة التجارة لتلبية مطالب الجمعيات والاتحاد سواء للترخيص لانشاء فروع جديدة تابعة للجمعيات اوعمل توسعات اوغير ذلك من أمور تؤدي في النهاية الى اداء خدمات اكثر لجمهور المستهلكين . ○

يوسف الشهاب

● تأملات في الموسيقى العربية اليوم :



عن التراث الموسيقي

بقلم الدكتورة سمحة الخولي

نحن نعيش عصرا فريدا ، يكفي فيه أن يدير المستمع مفتاحا في جهاز راديو او مسجل كاسيت لكي تتفتح أمامه عوالم موسيقية غريبة من الأنغام التي قد لا تمت لبيئته او حضارته بأي صلة .

لقد اصبح اليوم في ميسور الانسان العادي ان يجلس في داره مسترخيا ، في اي ركن من اركان العالم ، ويستمتع بموسيقى يؤديها اعظم الفنانين في العالم ، وذلك بفضل التقدم المذهل في وسائل التسجيل الموسيقي التي يتلاحق تقدمها وتطورها من عام الى عام ، فمنذ ان اخترعت الاسطوانة ثم شريط التسجيل المغناطيسي ، وتكنولوجيا التسجيل تتقدم في طفرات سريعة ، وتخرج لنا المصانع وسائل شديدة التعقيد والاتقان لتسجيل الموسيقي ونقلها ، مسموعة ومرئية .

بل ان الموسيقى في عصرنا هذا لم تعد تصدر عن أنامل العازفين على الاوتار ، او انفاس النافخين في انابيب هوائية ، او من حناجر المغنين فحسب ، بل استنبط العلم مصادر الكترونية لصنع ذبذبات الموسيقى ، واصبح المؤلف الموسيقي ومهندس الصوت شريكين في عملية ابداع « الموسيقى الالكترونية » التي تصل للسامع مباشرة ، ودون وساطة من فنان الأداء ، وناهيك بموسيقى الكومبيوتر وبالموسيقى المصنوعة (كونكريت) [1] التي تؤخذ مادتها الخام من صوت من أصوات الحياة اليومية يعاد تكوينه وتشكيله باجهزة صوتية ليصبح اساسا لهذه الموسيقى الغريبة . . .

الشعوب تتقارب

في هذا العصر العجيب اللاهث في تقدمه ، زالت

---

(١) Musique Concrete اسم يطلق على نوع جديد ظهر في موسيقى القرن العشرين في فرنسا في منتصف القرن ، على يدي بيير شيفير باستوديو الاذاعة الفرنسية . وهو قائم على تجميع عناصر « صوتية » وتشكيلها بتغيير سرعتها وطبقتها ثم ابداع « عمل موسيقي » منها .



حواجز المسافات ، ليس بين الشعوب او القارات فحسب ، بل بين الكواكب أيضا . . والتقت حضارات العالم الموسيقية وتداخلت في لقاء بل صراع عنيف غير ممهد ، تاركة آثارا عميقة على الفنون الموسيقية القومية ، حتى لم يعد في وسع اي شعب ، في عالمنا المعاصر ، ان يحمي موسيقاه ، او ان يوصد الابواب في وجه تيارات وفنون موسيقية جديدة وافدة ، إصبحت تهدد « التقاليد الموروثة » التي يعتز بها كل شعب ويعتبرها جزءا من هويته الثقافية يربط الماضي بالحاضر والمستقبل .

ازاء هذه التغييرات العميقة في بنية الحياة الموسيقية وازاء الانتشار المكتسح لوسائل الاعلام والنشر « الميكانيكي » للفنون المسموعة ، اصبح من واجب المثقفين العرب ، والموسيقيين منهم بصفة خاصة ، ان يعيدوا النظر في كثير من المعاني والمفاهيم الموسيقية في ضوء هذه المتغيرات ، فالحياة الموسيقية في اي بلد عربي في عالمنا المعاصر ، قد تعرضت لتغييرات بعيدة الاثر ، تجبرنا على الاعتراف بها ومحاولة تقييمها ، كما اتخذت اتجاهات جديدة وطرأت عليها ظواهر لم تعرفها من قبل . فلنستعرض معا بعض هذه الظواهر :

انتقلت مجالات الاداء الموسيقي في هذا العصر ، في بلادنا العربية ، من القصور ودور الأثرياء الى قاعات الموسيقى العامة ، واستديوهات الاذاعة والتلفزيون ـ والموسيقيون العرب المحترفون تعلموا النوتة او التدوين الموسيقي ، وترتب على هذا ان قدرات الابتكار الفني للمؤدي الموسيقي (عازفا كان او مغنيا) بدأت تتضاءل ، وقد انعكس هذا بوضوح على فنون الارتجال الموسيقى ، او « التقاسيم » التي توشك ان تندثر . . والذين لم يتقنوا « النوتة » الموسيقية اصبح من الميسور لهم ان يسجلوا افكارهم الموسيقية الأولية وان يعهدوا بها بعد ذلك الى من يتولى تنميقها وتحسينها او يتولى « توزيعها » . والمطربون اعتمدوا على المكروفون اعتمادا كبيرا ، كما ان بعضهم قد تأثر باساليب تربية الصوت الغربية (او بشذرات سطحية منها ، دون ان يدرس كيفية ملاءمتها للغة العربية) . واسلوب تلقي « الخبرة » الموسيقية تلقينا بالسماع واعتمادا على الذاكرة ـ وهو الاسلوب التقليدي الموروث ـ قد اندثر وترك مكانه لمعاهد موسيقية تدرس فيها الموسيقى ، كغيرها من الفنون ، طبقا لطرق خاصة لم تتبلور بوضوح بعد ، ولم تحقق ملاءمة علمية مع التراث الموسيقي وجمالياته . والعازفون تطورت مثلهم الفنية واخذوا ببعض اسباب الموسيقى الغربية طموحا الى تحسين عزفهم ، فمنهم من اتجه طموحه الى تعلم فنون العزف الغربي على آلته ، في محاولة لتطبيقها اجتهاديا على آلته في اطار العزف العربي الشرقي ، كما هو الحال بالنسبة لعزف آلة الكمان وحتى آلة القانون احيانا

تغير أحوال المستمع

« والمستمع » ، وهو ركن هام من اركان التجربة الموسيقية ، قد تغير مسلكه في تلقي الموسيقى والاستماع اليها ، نتيجة لضغوط الحياة اليومية ولانتشار وسائل « سماع » الموسيقى في مجالات يومية عديدة لا تتطلب من المستمع تركيزا واندماجا نفسيا كما كان حاله فيما مضى . « والأمسيات » الموسيقية الغنائية التي كان المستمع يفرغ للاستمتاع بها في هدوء واسترخاء ، وتمتد به طوال ساعات قد تستغرق الليل باكمله ، هذه الأمسيات الموسيقية او « الوصلات » اختفت تدريجيا من مسرح الاحداث الموسيقية ، وقدمت محطات الاذاعة والتلفزيون بدائل اخرى لها من الوان الاغاني القصيرة السريعة النبض ، التي كثيرا ما يستعير لها ملحنوها ايقاعات وانغاما وآلات غربية على تراثنا ، وبعضها آلات الكترونية شديدة الضجيج ، منافية بطبيعتها لروح موسيقى التراث العربي وجوهره .



وقفة تأمل

في غمار هذه التحولات العميقة ، لابد لنا من وقفة تأمل ، لنراجع بعض المفاهيم التي استقرت في الاذهان ، رغم ما احاط بها من ظواهر جديدة . واول ما يتبادر للذهن هو التساؤل حول التراث الموسيقي العربي . أين يقع هذا التراث الموسيقي اليوم في خضم التغيرات التي طرأت على الحياة الموسيقية ، وخاصة في الحقب الأخيرة من القرن العشرين ؟ وماهو المفهوم الحقيقي لكلمة « التراث » ، تلك الكلمة التي ترددها الألسنة والاقلام كثيرا ؟ وماهو الحد الفاصل بين التراث وغيره ، اي ما الذي يمكن ان نعده تراثا موسيقيا ؟ وهل يكون المعيار معيارا زمنيا تاريخيا ؟ وماهي مصادر التراث الموسيقي اليوم ؟ وخاصة بعد كل هذه المنجزات التكنولوجية المتلاحقة في مجال تسجيل الموسيقى ؟ وكيف أثرت تلك المنجزات التكنولوجية على تراثنا بالسلب أو الايجاب ؟ وماذا ينبغي ان يكون موقفنا من « التراث الموسيقى » في هذه البيئة المعنوية الجديدة التي تتدخل التكنولوجيا في تشكيلها وتوجيهها ؟ وما اثر انتشار التعليم الموسيقي على التراث ؟ وما اثر طرق التعليم الموسيقي الحديثة واتجاهات التلحين السائدة على مقامات الموسيقى العربية المتوارثة ؟ وهل توارت بعض هذه المقامات او اختفت ولم يعد لها وجود في تراث الموسيقى العربية . كما يتناوله الملحنون المحدثون؟ ولماذا تنتشر مقامات دون غيرها ويقبل عليها المستمعون لفرق التراث الموسيقي المنتشرة في انحاء العالم العربي ؟ والضروب الايقاعية الموروثة التي تشكل عنصرا جوهريا مميزا لتراثنا الموسيقى اين هي الآن في ابداع الملحنين المحدثين ؟ ولماذا توارى بعضها واختفى وسقط في بحر النسيان ؟ وتقاليد الغناء العربي ، الوثيقة الارتباط باللغة وبأسلوب ترتيل القرآن ، الى اي حد حافظ عليها المغنون في عصرنا الحاضر ؟ وماهو اثر قاعات الموسيقى الكبيرة واستديوهات الاذاعة والتلفزيون ، بمكبراتها الصوتية ، وجوها المصطنع ، على جوهر الموسيقى العربية ؟ وكيف اثر التعليم الموسيقي الحديث على قدرات الابداع والارتجال والتي كانت دائما من مميزات الفنان الشرقي الذي جمع دائما بين صفتي المؤدي والمبتكر ؟

هذا بعض من التساؤلات العديدة التي تثور في مجال التفكير والتخطيط والتعليم للتراث الموسيقي العربي ، وقد يكون المستمع الذواقة بعيدا عن مواجهتها بحكم قدرته على انتخاب ما يريد الاستماع اليه ونبذ مالا يرغب فيه ، الا ان القائمين على شئون التعليم الموسيقي يواجهون حتمية البحث عن اجابات شافية ومقنعة او حلول لهذه المشكلات والتساؤلات وهذا ما ستحاول هذه المقالات ان تطرحه امام قاريء « العربي » في وقفة تأمل تتيح لنا فرصة لمراجعة المفاهيم وتحديد الاهداف .

ماهو التراث الموسيقى ؟

كلمة التراث كلمة عامة ارتبطت في الأذهان بمعان عاطفية وقومية متشعبة ، ومعناها الحرفي هو « ما تتوارثه » الاجيال بعضها عن بعض من فنون استقرت قيمتها ومكانتها على مر الزمان ، واصبحت تشكل جزءا من وجدان أجيال متتابعة في شعب من الشعوب .

والتراث الموسيقي له طبيعته الخاصة ، التي تختلف عن التراث الادبي مثلا ، لأن التراث الموسيقي في الحضارة العربية ظل يعيش في ذاكرة الحفظة ، وتناقلته اجيال الموسيقيين خلال السنوات بالتواتر الشفوي ، وقد اضافت اليه الاجيال شيئا من التعديل او التنقيح في تفاصيله الدقيقة ، بما يتفق مع ذوق كل عصر ، ولكن بما لايخرج عن الاطار العام للتقاليد الموسيقية . ولم يدون التراث الموسيقى بالنوتة الا بعد انتشار التعليم الموسيقى في هذا القرن . وكان لابد من الاتفاق على علامات خاصة للدلالة على الابعاد المميزة للمقامات العربية ، وهي الابعاد التي لا نظير لها في الموسيقى الغربية التي نقل الشرق عنها طرائق التدوين ، واستقر العرف على ابتكار علامة للدلالة على بعد الثالثة « المتوسطة » كما في مقام الراست مثلا ، وهو البعد الذي يطلق عليه تجاوزا ثلاثة ارباع الصوت » .

ولما كان الفنان في مجالات الموسيقى العربية دائما مؤديا ومبتكرا في آن واحد ، فقد كان العزف الموسيقي يسمح له ، بل يفرض عليه ، ان « يتصرف » في الاداء الموسيقي في بعض التفاصيل ، كما أشرنا . وقد كانت هذه الاضافات الشخصية في التفاصيل الزخرفية من اهم عناصر التجدد والازدهار ، (فالعازف او المغني قد لا تسعفه ذاكرته في كل التفاصيل ولذلك كان يعدل ويضيف ويجود) ومن هنا كان من المتعذر قديما الا يستمع الى اي قطعة موسيقية من التراث بصورة موحدة في كل مرة تكرر فيها . وعندما لجأ الموسيقيون العرب ، للاستعاضة عن التواتر الشفوي بالتدوين وكتابة النص الموسيقي واجهتهم مشكلة حقيقية



غير ان جوهر التراث الموسيقي العربي وثراءه ظل دائما في هذا التجدد الناشيء عن الابداع اللحظي في التفاصيل التي كان الفنان يؤديها في كل مرة متأثرا بمزاجه وحالته النفسية ، ولذلك اصبح من الخطورة الاعتماد على « تسجيل » واحد لعازف ، واعتباره مرجعا للتراث ، لأن فن اي موسيقي هو خلاصة مرات عديدة يؤدي فيها العمل الموسيقي بأساليب تتفاوت في بعض تفاصيلها ، هذا بالاضافة الى انتفاء الجو الحميم للحفلات الموسيقية ، وروح الاتصال الداخلي بين الفنان ومستمعيه ، وتأثير استجابة المستمعين على ادائه ، بحيث كان الفنانون القدامى يحققون افضل تجلياتهم في ظل هذا الجو النفسي المواتي - هذا الجو النفسي كان يختلف تماما عن الجو البارد المصطنع للاستديو الذي يتم فيه التسجيل (ولذلك كانت شركات الاسطوانات في اوائل القرن تحرص على ان تحيط الفنانين اثناء التسجيل بما يقترب من الجو النفسي الذي ألفوه ، ولذلك أيضا كنا نسمع في التسجيلات المبكرة صيحات الاستحسان والتشجيع من « السنيدة » والمشجعين) .

وهكذا تحولت الاسطوانة ، الى بديل هام للصلة الحية المستجدة التي كانت تربط بين الدارس واستاذه برباط فني وروحي عميق ، وتزيده ملازمة التلميذ لاستاذه عمقا وتوثقا خلال السنوات التي يأخذ عنه فيها روح الفن ونصوصه .

وهي : كيف يمكن انتخاب « الزخارف » التي تدون في النص المكتوب ؟ وما الذي ينبغي اثباته من التفاصيل التي يبتكرها المؤدي (الذي كان يعتمد على الذاكرة) وأيها يعتبر جزءا رئيسيا في النص الموروث ، وأيها يعتبر اضافة لحظية من حق المؤدي ان يغير ويتنوع فيها ؟

وكان طبيعيا ان يلجأ الدارسون للتراث الموسيقي في المعاهد الموسيقية الى الاسطوانات المسجلة لكبار العازفين والمغنين من الحقب الاولى للقرن الحاضر ، حين كانت موسيقى التراث مزدهرة في بيئة « صحية » نقية بعيدة عن المؤثرات الخارجية ، واصبحت هذه الاسطوانات المبكرة لكبار العازفين (امثال سهلون ومصطفى رضا ، وامين المهدي وامين بزري وغيرهم) اصبحت من مراجع التراث الموسيقي العربي .

والآن - وبعد ان تقدمت تكنولوجيا التسجيلات الموسيقية ، وانتشر التدوين الموسيقي - اصبح لزاما على كل شعب عربي ان يكون لنفسه مكتبة مقروءة ومسموعة للتراث الموسيقي ، يتكامل التدوين والاسطوانة او الشريط المسجل فيها وتعامل هذه المصادر المقروءة والمسموعة معاملة نصوص التراث ، فتحقق بالوسائل العلمية الجديدة [٢] ، وتحدد ابعادها ويتفق على اسلوب تدوينها الامثل ، وبذلك يستفيد التراث الموسيقي من المتجزات العلمية لعصرنا ، وتصبح وثائقنا الموسيقية اساسا لتعليم الاجيال القادمة وتزويدها بصورة ممحصة ونقية ، بقدر المستطاع ، من تراث الموسيقى العربية .

د . سمحة الخولي
رئيس أكاديمية الفنون - القاهرة

---

(٢) هناك أجهزة شديدة الدقة لتحديد الذبذبات بل رسم صور بيانية لها ، يمكن ان تغني تماما عن التخمين والتقريب الذي شاع في تقدير ابعاد المقامات العربية فيما مضى .



المقهى البغدادي

بقلم : جمال الغيطاني

المقهى البغدادى عالم حافل بنبض الماضى العريض .

« . . في أحد ايام اغسطس البغدادية الحارة ، كنت أعبر الطريق من الفندق الكبير الذى أنزل فيه الى شاطىء دجلة ، شارع أبو نواس الشهير عندما وجدت نفسي أمام لافتة تعلن عن « المقهى البغدادي » . رأيت سورا خشبيا أبيض يحيط بمقهى تناثرت فيه الأرائك والمقاعد المصنوعة من خوص النخيل ، يقوم عند مدخله باب خشبي ضخم قديم مزخرف ، وعندما لمحت الرواد يدخنون النرجيلة شعرت بالراحة ، فها هو مقهى جميل ، شعبي المظهر والمضمون ، يمكنني أن أوى إليه في ساعات الفراغ من عملي ، أدخن النرجيلة وأتأمل ، بينما نهر دجلة على مقربة ، وحدائق الشارع الظليلة تلطف الجو الحار ، وهذا يمكنني أيضا من الابتعاد عن مقاهي الفندق الافرنجية ذات الهواء الصناعي ، والتي لا أطيق جوها ولا طريقة الجلوس فيها ، مما جعلني أشبهها بالمقابر المكيفة الهواء ، ولأنني زبون متعصب للمقهى العربي . غير أن المقهى البغدادى جذبني بلمسات فنية عديدة فيه ، هذه الأدوات القديمة وسماورات الشاى النحاسية ، وصور الفنانين القديمة ، والبلبل العراقي الذى يتدلى قفصه من سقف البناء ، ومجموعة الحمام في القفص المجاور للمبنى ، وأزياء الجرسونات ولم يمض يوم أو يومان على ترددى حتى تعرفت بمديره ، والرجل الذى يقف خلف إنشائه ، الفنان والممثل العراقي محمد القيسي ، وطالت سهراتنا البغدادية ، ومنها دلفت إلى عالم المقاهى العراقية . . . .



المقاهي القديمة



في سنة ٩٩٩ هـ (١٥٩٠ م) بني أول مقهى في بغداد ، مقهى جغالة زاده ، أي خان جغان ، ويسمى الآن خان الجمرك ، وفي سنة (١٦٠١ م) بني مقهى ثانٍ ، هو مقهى حسن باشا بالقرب من جامع الوزير ، ثم انتشرت المقاهي حتى أحصى أحد الرحالة الاجانب في القرن التاسع عشر تسعمائة مقهى ببغداد . ومن المقاهي القديمة المشهورة حتى الآن ، مقهى الشط ، في منطقة المصبغة ، ومقهى « القلعة » أو قهوة السيد بكر ، وكان يقع إلى جانب وزارة الدفاع القديمة ، وشيدت على أطلاله مصلحة مياه بغداد سنة ١٩٥٤ م ، وكان يضم هواة الطيور وهواة مناطحة الأكباش ومصارعة الديكة ، وكان يضم طائفة من الخرس والبكم ، وكان هناك مقهى البيروتي على نهر دجلة في منطقة الكرخ وقد هدم عام ١٩٦٥ ، أما مقهى البلابل في محلة الباروديه فكان يرتاده هواة البلابل ، وكان مقهى « المميز » يقع بالقرب من جسر الشهداء اليوم مجاورا للمدرسة المستنصرية . وكان مقرا للموسيقيين والمطربين ، ومن أشهر المقاهي القديمة مقهى « كل وزير » الذى كان يقع في الميدان مقابل التكية الطلبانية ومحلها اليوم مخزن التيسير ، وبقي هذا المقهى عامرا حتى سنة ١٩١٥ ، أما مقهى (الاورفلية) فقد زال في عام ١٩٣٠ وبنيت على أطلاله سينما السندباد ، وبالقرب منها كان مقهى سعيد العبد وتميز بمقاعده المصنوعة من ليف النخيل وقد اندثر تماما ، واشتهر مقهى حسن العجمي بمجموعة سماورات مختلفة الاحجام ، وفي مقهى عزاوي كان يغني نجم الشيخلي واحمد زيدان وقهوة « علوان العيشة » بالقرب من سوق الشورجة وكان يغني فيه « خليل رباز » وعلوان العيشة نفسه .

قال لي الفنان محمد القيسي : « كانت بغداد تفتقر الى المنتديات ، لهذا حلت مكانها المقاهي التي انقسمت إلى عامة وخاصة ، المقاهي الخاصة وتسمى مقاهي الطرف وجميع روادها من اهل المنطقة ، اما المقاهي العامة فتقع بالقرب من الدوائر الحكومية مثل مقهى الشط ومعظم رواده من التجار ، وكان مقهى الشهبندر قريبا من المحاكم ، كل هذه المقاهي زالت أو في طريقها الى الزوال ، لهذا فكرت في إنشاء مقهى على غرار المقاهي القديمة التي تمثل واقع بغداد قبل مائة عام ، الاثاث القديم ، والسماورات ، وأدوات الشاي ، وشرب الماء بالحب (الطاسة) ، وفي الامسيات أقيم حفلات لغناء المقام العراقي ، تماما كما كان الحال قبل مائة سنة . لقد تحدثت



عن فكرتي هذه في أحد البرامج التليفزيونية واستجاب رئيس الجمهورية ، أمر أمانة العاصمة ببناء هذا المقهى على الطراز القديم » .

عالم خاص

وللمقهى البغدادى عالم خاص ، يختلف عن المقهى القاهرى ، أو الدمشقي ، يجلس الرواد على أرائك خشبية مستطيلة ، يسمونها في بغداد التخت ، ويوجد عدد من القهوجية اختص كل منهم بشيء ، فواحد يوزع « البارد » أي المشروبات المثلجة وينادون عليه قائلين « ابو البارد » . وآخر اختص بتوزيع الشاى الذى يشربونه في العراق في أكواب زجاجية صغيرة ضيقة الخصر يطلق على الواحدة منها « استكان » ، ويدور آخر حاملا ابريق نحاس وطاسة ، يصيح « مي .. مي .. مين عاوزمي » ، وينادون عليه « يا ابو المي » ، ويشرب الماء من هذه الطاسة المستديرة . ويقوم آخر بتجميع الفوارغ من أكواب وزجاجات ، ويقوم بتقديم النرجيلة شخصان ، الأول يوزع النرجيلة نفسها ، أما الثاني فيقوم باعداد الرأس الذى يحتوى على التنباك والجمر ، وقديما كان صاحب المقهى يتخذ له مجلسا أمام المقهى وبيده كيس نقوده . وينبه الصناع من موقعه الى واجباتهم ، وأمامه منضدة يتم الدفع عندها بعد انتهاء الجلوس ، يتقدم الزبون ويقول إنه شرب كذا وكذا ، ولكن الآن يحصل ثمن المشروب فور تقديمه ، وتضم منضدة صاحب المقهى عددا من « المجرات » أي الأدراج . يضع فيها الامانات والرسائل التي تصل إلى الزبائن عن طريق المقهى . ويضم المقهى البغدادى مطعما صغيرا ملحقا به يقدم التكة العراقية ، أي اللحم المشوى ، و« المعلاج » اى الكبدة

المشوية ، وقديما كان الصناع يختتمون حلول الأعياد ، فيحضر الساقي (جليدان) وهو عبارة عن وعاء مخروطي الشكل طويل العنق . يوضع فيه ماء الورد ، يرش منه عند الحاجة من ثقوب في مقدمته ، ويدور به على الرواد ، يرش عليهم ماء الورد قائلا « أيامكم سعيدة » فيعطي كل منهم ما شاء من القطع النقدية ويرميها في الصينية ، وفي النهاية يتقاسم الصناع العيدية فيما بينهم .. بالطبع اختفى ذلك الآن ، وللمقهى نفسه ساق خاص ، يدور بين حين وآخر وبيده جوزة القهوة العربية المرة يسقي الزبائن منها ، ومن لحظة الى أخرى يمسح الفناجيل بقطعة يحملها معه لهذا الغرض كانت تسمى « ميش » . ثم تطور الأمر فاصبح الساقي متبوعا بصبي يحمل ابريقا نحاسيا فيه ماء . ليغسل الفناجيل قبل تقديمها الى الزبائن ، أما الموقد الذى يعد فيه الشاى والقهوة فيبقى داخل المقهى ، وهو أريكة مستطيلة ارتفاعها من الارض حتى قرب السقف ويبقى فوقها مدخنة ، وكان يوضع بالقرب منها برميل الفحم الذى يأخذ منه الصانع ليضيف إلى الجمر فيحافظ على اتقاده ، وقد صمم محمد القيسي موقدا قديما بناه في داخل المقهى ، وصف فوقه عشرات السماورات القديمة ، وهذه المجموعة اشترتها أمانة العاصمة من بعض البيوت القديمة . يقول محمد القيسي « كنت أرشد الأمانة الى الأماكن والبيوت التي توجد فيها هذه السماورات ، خاصة في سوق الهرج حيث اعتادت العائلات القديمة بيع ممتلكاتها التي بطل استعمالها كالسماورات واصبحت جزءا من الماضى المتصرم .

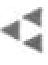
الترجيلة : نظام صارم !

في المقهى البغدادى نظام صارم لتوزيع الترجيلة على الزبائن ، فلا يمكن تخطي الدور أبدا ، ويبدو الصانع العجوز جادا طوال النهار وساعات الليل ، وهو يحمل الرؤوس المحملة بالتنباك والجمر ، والتنباك هنا اسمه التتن ، وقد عرفه العراق نقلا عن تركيا ، وتسجل الوثائق أن أول مرة تم تحصيل الرسوم على زراعته في سنة ١٠٥٦ هـ ـ ١٦٤٦ م ، وكان البغداديون يستخدمون التنباك في بعض أنواع العلاج ، وحفظ الملابس الشتائية برش كميات منه بين طيات الملابس ، ولكنهم عشقوا تدخينه ، وفي أمثالهم الشعبية يقولون « دخن لها تنجلي » ، أو « مادام قهوة وتتن كل الامور تهون » والشيشة كما تسميها نحن في مصر تعرف في بغداد باسم الترجيلة (في الحجاز تعرف بالتعميرة ، وفي الكويت الكدو ، وفي اليمن المداعة) وتتألف الترجيلة البغدادية من عدة أجزاء ، أولها الشيشة او القنينة وتصنع من البللور الشفاف ، ثم البكار ، عبارة عن قطعة خشبية مخروطة ، وينقسم إلى قسمين : قسم يدخل في جوف الشيشة ، أما القسم الثاني فيظل خارجها ، ويكون مزخرفا جميلا وينتهي بانبوب صغير يستقر فوقه الرأس أي الجمر ، ويشبه الرأس القمع ، وحاليا تستخدم فناجيل القهوة بعد تفريغ أرضيتها ، ويوضع عليه التنباك ثم الجمرات . ويحاط بالمجوف وهي قطعة من الصفيح على شكل قوس يثبت حول الرأس للمحافظة على اتقاد الجمر ، أما القمجي فهو الحبل المجوف ، يصنع من الجلد الرقيق وبداخله سلك حلزوني يلف عليه من الخارج خيط ملون للتقوية والزخرفة ينتهي بمقبض خشبي مجوف ينتهي بأنبوبة قصيرة معدنية تسمى (زبانة) أو الفم .

وزمان ، كان كل مدخن يجلب معه كيس التنباك الخاص به ، ولكن ذلك انقرض الآن . غير أنني لاحظت الزبائن يجيئون يحملون تحت ابطهم (القمجي) خرطوم الترجيلة الخاص بهم ، وكنت ألاحظ أحدهم يجيء يوميا في تمام الساعة السادسة حاملا قمجية ، ويمكنك أن تضبط الساعة على موعد دخوله ،قصير ممتلىء ، يرتدى جلبابا أبيض ، يحيط خصره بحزام جلدى ، وهذا هو الزى البغدادى . وقد عرفت مقاهي بغداد نوعين من التنباك : الهندى وكان يسمى (تتن غراش) ، والشيرازى ، وأحيانا كان يجرى خلطهما ، وتسمى الخلطة بـ (ترس الصدر) أي ملء الصدر دلالة على جودته ، وحاليا يزرع في منطقة الهندية بالعراق .

الشاى لم يعرف

يستنتج عزيز جاسم في كتابه (بغداديات) ومن خلال ذكريات بعض المعمرين أن الشاى لم يكن معروفا في بغداد منذ ثمانين سنة ، وبالرغم من حداثته إلا أنه أصبح مشروبا رئيسيا في حياة العراقيين ، وفي المقاهي كانوا يقولون (شاى تازة) إذا كان مغليا على نار هادئة ، او (شاى مخدران) اذا كان يحتاج الى غلى أطول أو (جايكم فاير) اذا ظل على النار مدة طويلة ووصل إلى درجة الغليان أو (شاى طوخ في اوسبخين) اذا كان مركزا ويخفف عندئذ باضافة قليل من الماء المغلي و(عبالك دبس) ، اذا كان السكر فيه كثيرا ، و(شاى فاهي) إذا كان السكر فيه قليلا ، وقد يسأل أحدهم (تشربه براسه) اى هل ترغب شايا فقط بدون اضافة ماء عليه فيقول (نص ونص) اى نصف الكوب شاى والنصف الاخر



ماء ، ويقال (شاي ثنوة) للشاي الخفيف . ويشرب الشاي في العراق الآن في الاستكان «كوب زجاجي» صغير نحيل الخصر ، ويوجد مقهي واحد في القاهرة يقدم الشاي في مثل هذه الاكواب وهو مقهي الفيشاوي ، ويضع العراقيون كمية من السكر في الشاي بحيث يكون فائق الحلاوة دائما ، والاستكان كلمة فارسية ، ويوضع الاناء في الماعون (الطبق) وهو اناء صغير أحيانا من الزجاج ، وأحيانا من الخزف ، اما «الخاشوجة» فهي الملعقة ، وتكون صغيرة دقيقة وطاسة الاستكان هي (الصينية) توضع فيها الاستكانات والأكواب ، أما السكر نفسه فيوضع في إناء اسمه (الشكردان) او قواطي (علب) معدنية ، عادة يشرب الشاي مع السكر .

لكن هناك طرق أخرى لشرب الشاي مع السكر يطلق عليها (دشلمة) أي يوضع فص السكر تحت اللسان ويشرب الشاي مرا ، وطريقة أخرى (جوزلة) اى يوضع السكر امام الزبون ويكتفي بالنظر اليه أثناء شرب الشاي مراً ، وهناك (بادله) وهو التفكير بالسكر فقط وشرب الشاي مرا . وهناك مشروبات أخرى عديدة كانت تقدم في المقاهي البغدادية بعضها يقدم حتى الآن ، مثل الحامض (نومي بصره) ، وهو ليمون جاف يغلى في الماء ، ويشرب بالسكر وقديما كان يقدم (شاي كجرات) وهي اعشاب برية تزرع في محافظة الديوانية ، وطعمها حامض ، ولونه احمر ، اما (شاي دارسين) فمادة توجد عند العطارين ويشربونها في الشتاء خاصة في الحمامات الشعبية لتدفئة الصدور .

فنان قديم

يتصدر المقهى البغدادي باب ضخم ، صنع من خشب المراكب ، محلى بنقوش يدوية جميلة ، كان في الأصل بابا لدار عبد الرزاق السبتي بمدينة البصرة ، ثم تبرعت بها الأسرة الى العاصمة بغداد ، ومن أمانة العاصمة جاء الباب الى المقهى البغدادي . وفي أحد الايام جاء شاب الى محمد القيسي ، وسأله . . . .

من أين هذا الباب ؟

قال له : من بيت السبتي . . .

ثم حدق فيه قليلا وقال : والله يبدو انك منهم . .

دهش الشاب ، قال : كيف عرفت ؟ . قال القيسي : من ملامحك . . « محمد القيسي بغدادي قح » ، وهو ليس ممثلا قديرا فقط ، انما فيه روح المؤرخ وعشق القديم يحفظ جميع أنساب العائلات البغدادية ، واسماء الشوارع والحارات التي اندثرت والباقية ، تخرج من معهد الفنون الجميلة بعد أن درس التمثيل في الأربعينات ، وهو عاشق قديم للمقام العراقي والغناء القديم ، يقول : . . . كنت أرتاد مقهى الطرف لسماع المقام العراقي . ومقهى الطرف كان من المقاهي الخاصة . عشقت الفنان القدير محمد القبنجي ، كانت لدينا اسطواناته كلها . كذلك رشيد القندرجي ، كان استاذا كبيرا في فن المقامات ، وفي سنة ١٩٤٨ تعرفت بالاستاذ يوسف عمر ، صاحبته أكثر من ثلاثين عاما ، لم نفترق يوما واحدا ، كذلك المرحوم ناظم الغزالي الذي كان زميلي في قسم التمثيل ، إن ثقافتي الموسيقية سماعية ، وأعتبر أم كلثوم أعظم مطربة عربية . . . »

في داخل المقهى البغدادي ، علق محمد القيسي إلى الجدران مجموعة من الصور النادرة للفنانين العرب ، معظمها صور فنانين مصريين ، نرى صور أم كلثوم مع محمد القبنجي عام ١٩٣٢ في القاهرة ، صورة سيد درويش ، يوسف عمر ، محمد القيسي وناظم الغزالي ، الشيخ عثمان الموصلي ، الشيخ سيد الصفطي ، الشيخ ابو العلا محمد ، سلامة حجازي ، احمد ادريس ، زكي مراد ، عبد الحي حلمي عازف الكمان سامي الشوا ، كانت هذه الصور معروضة في مقهى قديم قرب ساحة الرصافي ، وعندما بدأ هدمه ، سارع محمد القيسي بشرائها قبل ان تتفرق وتتوزع .

غادرت بغداد وفي نفسي ذكريات تلك العصاري التي كنت أجلس فيها بجوار الفنان محمد القيسي ، وهو يرتدي الجلباب البغدادي ، وغطاء الرأس «التشراوية» ، نتجاذب اطراف الحديث حول الموسيقا والتراث ، وانبش في ذكرياته التي لاتنتهي ، بينما تنفث دخان النرجيلة على مهل إن محمد القيسي لم ينشئ مجرد مقهى ، إنما أقام جزيرة صغيرة من ماض بعيد ينقرض في قلب حاضر يتغير بسرعة . ○

القاهرة ـ جمال الغيطاني

الأوابك
منظمة الأقطار العربية المصدرة للنفط

تقديم الدكتور مجيد سعود

يعيش الوطن العربي في الوقت الراهن الحقبة النفطية بآثارها الايجابية والسلبية على تقدمه الاقتصادي والاجتماعي . فهو يشترك في هذا المسار الجاري للتطور العلمي - التكنولوجي المتسارع الوتائر على الصعيد العالمي ، وما يرتبط به من تطور لمختلف مجالات الحياة التي تعتمد بدورها والى حد كبير على تطور انتاج واستهلاك الطاقة ، وفي مقدمتها النفط .

وسيظل النفط يلعب دورا اساسيا خلال هذا العقد والذي يليه في تمويل الخطط الانمائية ، وفي التطور الصناعي بشكل خاص والتطور الاجتماعي الاقتصادي بوجه عام في أقطار الوطن العربي المنتجة للنفط .

وبعد ان تكشفت امكانيات الاستعمالات الهامة المتعددة للنفط ، لا سيما في الصناعات البتروكيمائية ، فان حصر استعماله كما هو حاصل لحد الان بصورة اساسية في توليد الطاقة ، يعني استمرار الهدر في هذا المصدر الطبيعي الناضب في مستقبل منظور . وقد لعبت الاسعار المحددة للنفط قبل عام ١٩٧٣ وحتى الأسعار السائدة حاليا دورا سلبيا جدا لا يتناسب مع أهمية النفط ومدى الحاجة اليه ، ولم تساعد على ترشيد استعماله . كما ان هذه الاسعار قد حدت من المحاولات الجادة للبحث عن البدائل الأخرى لمصادر الطاقة .

وهذا الموضوع الحيوي يشكل ركنا اساسيا في العلاقات الاقتصادية السياسية على الصعيد الدولي ، بين الدول المنتجة والدول المستهلكة للنفط ، وضرورة تنظيمها على أسس متكافئة تكفل مصالح الاطراف المتعاونة .

ومن هنا كانت البداية عندما تأسست بمبادرة عربية في بغداد خلال شهر أيلول (سبتمبر) عام ١٩٦٠ منظمة البلدان المصدرة للنفط الأوبك (opec)من قبل العراق ، العربية السعودية ، الكويت ، إيران وفنزويلا ثم انضمت اليها فيما بعد كل من قطر ، أبوظبي (الامارات العربية) الجزائر ، ليبيا ، أندونيسيا ، نيجيريا ، الاكوادور والغابون وهكذا صارت الأوبك أكبر اتحاد لمصدري أهم المواد الخام في الدول النامية ، يمارس دورا متزايد الأهمية في الدفاع عن حقوق أعضائه ضد سيطرة الاحتكارات الرأسمالية النفطية العالمية ، لاسيما في مجال الاسعار وتنظيم العرض ليقابل الطلب الفعلي على النفط في السوق العالمية . وقد أثبتت الأوبك بعملها خلال السنوات الاثنتين والعشرين المنصرمة ، جدوى التعاون المشترك بين الدول النامية .

وقد حفز هذا المثال الناجح المجموعة العربية من الأقطار المصدرة للنفط ، لما بينها من الانسجام النسبي



والمصالح والطموحات المستقبلية المشتركة، أكثر مما هو موجود مع باقي الدول المصدرة للنفط، الى تأسيس منظمتها العربية في مطلع عام ١٩٦٨. لتحقيق التعاون في مختلف اوجه النشاط الاقتصادي في مجال الصناعة النفطية، وتأمين أوثق العلاقات فيما بينها في هذا المجال. على ألا تؤثر العضوية في هذه المنظمة الثانية (الأوابك) على حقوق والتزامات هذه الاقطار في المنظمة الأولى (الأوبك). بل واكثر من هذا فقد الزمت اتفاقية المنظمة الجديدة العربية (أوابك) أعضاءها بقرارات المنظمة الأولى (الأوبك) واكدت عليهم العمل بموجبها حتى ولو لم يكونوا أعضاء فيها، كبادرة ودية لتدعيمها والتكامل معها.

وقد صار في عضوية منظمة الاقطار العربية المصدرة للنفط (الأوابك) كل من الأمارات العربية، البحرين، والجزائر، العربية السعودية، سورية، العراق، قطر، الكويت، ليبيا ومصر. ومن الممكن أن تنضم إليها أي دولة عربية مصدرة للنفط، طبقا للشروط التي حددتها في اتفاقية انشائها.

ان هذه المجموعة من الاقطار العربية المصدرة للنفط قد ادركت دور النفط باعتباره المصدر الرئيسي والاساسي لدخلها مما يتوجب عليها أن تنميه وتحمي حقوق الاجيال القادمة فيه. وذلك بتعويض الناضب من هذه الثروة الوطنية باستثمار الجزء الاكبر من موارده في مشاريع انتاجية مولده لدخل جديد. وتنظيم التعاون فيما بينها وبين المنتجين والمستهلكين للنفط على اسس تتجاوب مع مصالح الجميع.

اتفاقية إنشاء المنظمة

- وتحقيقا لذلك فقد حددت اتفاقية انشاء المنظمة (النافذة المفعول لأجل غير محدد) ما تهدف اليه في نشاطها على وجه الخصوص:

- اتخاذ الاجراءات الكفيلة بتنسيق السياسات الاقتصادية النفطية لأعضائها.

- اتخاذ الاجراءات الكفيلة بالتوفيق بين الانظمة القانونية المعمول بها في الاقطار الاعضاء الى الحد الذي يمكن المنظمة من ممارسة نشاطها.

- مساعدة الاعضاء على تبادل المعلومات والخبرات واتاحة فرص التدريب والعمل لمواطني الأعضاء في الأقطار الاعضاء التي تتوفر فيها إمكانيات ذلك.

تعاون الاعضاء في حل ما يعترضهم من مشكلات في صناعة النفط.

- الافادة من موارد الاعضاء وامكانياتهم المشتركة في انشاء مشروعات مشتركة في مختلف أوجه النشاط في صناعة النفط يقوم بها جميع الأعضاء أو من يرغب منهم في ذلك.

ولتحقيق ما تقدم أو جزء منه تقوم المنظمة بعقد اتفاقيات مع بعض الاقطار العربية المعنية أو مع مؤسسات عربية ودولية لانشاء المشاريع المشتركة في مختلف أوجه الانشطة الاقتصادية في المجال النفطي.

للمنظمة مجلس وزراء يعتبر هو السلطة العليا فيها، وهو الذي يرسم سياستها العامة ويوجه نشاطها ويضع القواعد التي تسير عليها. ويتكون هذا المجلس من ممثل واحد من كل قطر عضو (وزير النفط أو نظيره)، ويمكن ان يرافقه في الاجتماعات عدد من مساعديه.

وللمنظمة مكتب تنفيذي ينظر في الشئون التي ترتبط بممارستها لنشاطها واختصاصها، ويرفع بتوصياته واقتراحاته الى المجلس. وعضويته تتكون من ممثل لكل قطر عضو، ورئاسته دورية، حسب الترتيب الابجدي للاقطار الأعضاء في المنظمة.

أما الأمانة العامة للمنظمة فهي تتكون من الادارات واللجان التي تحددها اللوائح، وهي تضطلع بالجوانب التخطيطية والادارية والتنفيذية لنشاط المنظمة، ومقرها هو مقر المنظمة في الكويت. ويتولى الامين العام ادارة الامانة وهو الناطق الرسمي باسم المنظمة، يعاونه عدد من الأمناء المساعدين، وكلهم من الخبراء في الشئون النفطية، يعينهم المجلس من مواطني الاقطار الاعضاء في المنظمة.

ومن اجل تسوية النزاعات التي قد تظهر من ممارسة المنظمة لأنشطتها المختلفة في إطار المهام والصلاحيات المخولة لها، فقد تقرر انشاء الهيئة القضائية. وهي تتكون ممن تتوفر فيهم الشروط اللازمة لشغل أعلى المراكز القضائية في بلادهم، أو أن يكونوا من الفقهاء ذوي

السمعة الدولية ، للنظر والبت في النزاعات التي تعرض عليها .

وقد التزم الاعضاء في منظمة الأقطار العربية المصدرة للنفط بضرورة التشاور فيما بينهم وفي نطاق المنظمة لتنسيق موقفهم وما يتخذونه من اجراءات في الميدان النفطي ، وتعهدوا بالمساهمة في ميزانية المنظمة بحصص متساوية ، وبتنفيذ التزاماتهم الأخرى وبتسهيل السبل أمام المنظمة لتحقيق أهدافها ومهامها المتفق عليها أو ما ينبثق من جديد عن اجتماعات مجلسها الوزاري .

لقد صمدت منظمة الأقطار العربية المصدرة للنفط أمام الضغوط التي مارستها الاحتكارات الرأسمالية النفطية العالمية ، وحافظت على وحدتها رغم الصراعات الجارية على الساحة العربية . وفي هذا المناخ غير الملائم ، استطاعت أن تقدم بعض المنجزات الهامة على درب التعاون العربي المشترك . ففي عام ١٩٧٣ أسست الشركة العربية البحرية لنقل النفط (مقرها الكويت) ، وفي عام ١٩٧٤ أسست الشركة العربية لبناء واصلاح السفن (مقرها البحرين) ، وفي عام ١٩٧٥ أسست الشركة العربية للاستثمارات النفطية مقرها (العربية السعودية) وفي عام ١٩٧٧ أسست الشركة العربية للخدمات النفطية (مقرها ليبيا) ، وهي كشركة قابضة تقوم بتأسيس الشركات الفرعية في مجالات الخدمات النفطية . وقد بدأت أولى هذه الشركات ، وهي الشركة العربية للحفر وصيانة الآبار في العمل خلال الربع الاخير من عام ١٩٧٨ ، ثم أنشأت المنظمة معهد النفط العربي للتدريب (مقره بغداد) ، واخيرا تمت الموافقة على إنشاء شركة عربية للاستشارات الهندسية والتصاميم (مقرها الامارات العربية) . ومن مشاريعها الجديدة الجاري التحضير لها ، مشروع إقامة حوض جاف على البحر الأبيض المتوسط ، ومتابعة دراسة الجدوى لمشروع المطاط الصناعي واسود الكاربون ، ومشروع انتاج إضافات زيوت للتزييت ، ومشروع لاقامة وحدة نصف صناعية لانتاج البروتين النفطي .

لقد اسست المنظمة مكتبة نفطية متخصصة تحتوي على كل ما هو مهم في مجالات الطاقة والنفط والموضوعات ذات العلاقة ، سواء صدرت على شكل كتب أو دوريات أو بشكل مايكروفيلم أو مايكروفيش .

وللمنظمة مجلة فصلية « النفط والتعاون العربي » ونشرة شهرية بالعربية والانجليزية ، وأصدرت حوالي العشرين كتابا مختلفا كلها تعالج شؤون النفط ، وللعاملين في المنظمة مساهمات جادة في المؤتمرات والندوات العربية والدولية بما يقدمونه من أبحاث وبالمشاركة في الحوار لتوضيح مواقف الأقطار المصدرة للنفط في المسائل المطروحة على الساحة الدولية بشأن الطاقة وفي مقدمتها النفط . ○

المصــور والجـــراح !

● روي ألان وندرسون ريتشارد في كتابه « اينشتاين كما عرفته » حديثا دار بين العالم الكبير وأحد المصورين الفوتوغرافيين ، قال اينشتاين مخاطبا المصور : انك تمارس مهنة عظيمة ، هل توقفت يوما وفكرت في الشبه الكبير بين التصوير وبين المسؤولية التي تقع على كاهل الجراح فهو في كل مرة يحمل مشرطه تكون هناك حياة انسان بين يديه . أنت أيضا تصبح مسئولا عن حياة انسان في كل مرة تستخدم فيها الكاميرا .

الشعاب المرجانية عالم سحري ، فيه الألوان والأشكال مالايخطر ببال .. وهو عالم كله أو أكثره كائنات تعمل في بناء ، أو في نقل الطعام .. او تموت فتصبح كالصخر بلا حراك ..

الأسماك الملائكية

شعاب مرجانية يعرف شكلها باسم

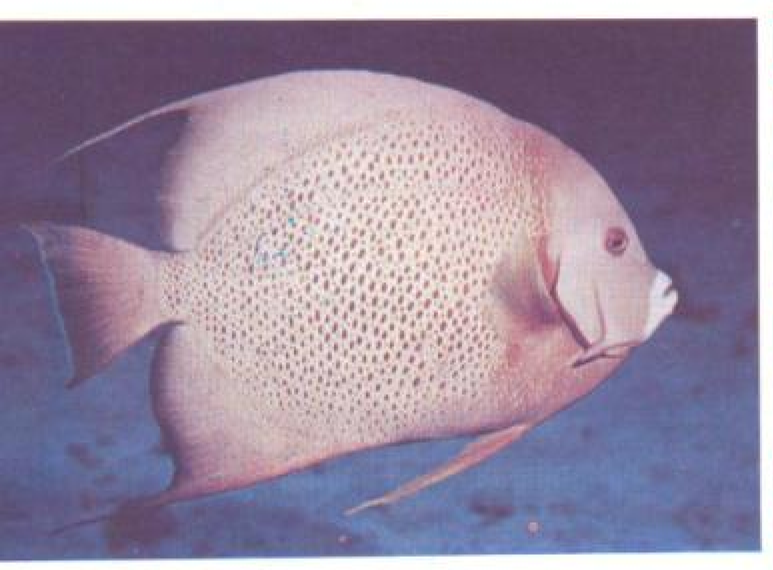


هذه هي السمكه الامبر اطورة من السمك الملائكي ، موطنها المحيط الهادى والمحيط الهندى ..

سمكتان مكتملتا النمو من السمك الملائكي الرمادى . والغريب ان هذا السمك لايخشى الاسماك والحيوانات المفترسة كسمك القرش . . . والأغرب ان هذه الاسماك المفترسة لاتمس السمك الملائكي بسوء . .

تـزيـن حدائـق البحار

المحيط الهادى بالقرب من هواى .



سمكة من فئة السمك الرمادى من السمك الملائكي . . لاحظ الوانها الفتانه : اصفر فاقع وازرق وضاء . . .

ليست الحدائق وقفا على اليابسة فقط ، وانما . . . في البحر ايضا حدائق وبساتين تسر الناظرين . ولو نحن قارنا بين حدائق البر وحدائق البحر لذكرنا أول ما ذكرنا أن الاولى من صنع الانسان .

أما حدائق البحر ، وهي الشعاب المرجانية التي تجدها مغمورة في مياه البحار والمحيطات هنا وهناك ، فعلى النقيض من ذلك . . فهي آية من آيات الخالق المبدع التي لم تمسها يد انسان ولعلها تفقد الكثير من رونقها وبهائها ولو كان الانسان يتدخل في شؤونها . . هذا اذا لم ينته أمرها الى دمار !

ذلك أن حدائق البحر بيئة حية متكاملة ومتوازنة . . تعج بالكائنات الحيوانية التي تبدو لك كالشجر والزهر حينا ، وكالصخور حينا ، وهي حيوانات صغيرة على كل حال . . . فهذه الكائنات هي التي واصلت العمل على مدى آلاف السنين حتى كونت لنا المرجان البديع شعابا وسدودا وجزرا جميلة ، وتعج بيئة حدائق البحر بصنوف أخرى من الكائنات النباتية التي تعيش عليها تلك الاحياء . . . ولكن تلك البيئة تعج كذلك بصنوف عديدة من الاسماك الجميلة الرائعة . . وقد بلغ من جمالها أن نسبوها للملائكة وسموا احداها بالملكة واخرى بالامبراطورة . . . وبلغ من جمالها أيضا أنها تحتل مكان الصدارة في أي حديث علمي عن المرجان وشعابه . . . . .

الاسماك الملائكية

قال احدهم : « حيال الاشياء العظيمة عليك بالتزام الصمت . . ما لم يكن لديك كلام عظيم يليق بتلك الأشياء العظيمة » . ولما لم يكن لدينا أي كلام عظيم يصف جمال الاسماك الملائكية بامانة وانصاف . . كانت نصيحتنا لك ، أيها القارىء العزيز ، بالعودة الى الصور الحية الملونة ، التي التقطها العلماء والغواصون لتلك الاسماك وهي في عقر دارها . . والتي صدرنا بها هذا المقال . . . فهي كفيلة بالكشف عن جمال تلك الاسماك . . في أشكالها وألوانها . . وبحملك على الاستمتاع بهذا الجمال سواء كنت من ذوي الذوق الفني أو لم تكن .

وحسبنا الاشارة هنا الى أن المهمة الأولى التي خلقت من أجلها الاسماك انما هي مجرد أن تكون جميلة وممتعة للناظرين . . . وذلك باجماع العلماء .

والاهم من ذلك أن وحوش البحر المفترسة ، كسمك القرش والباراكودا وما اليها ، تحجم عن التهام الاسماك الملائكية ، وتدعها تمر أمامها مر الكرام ، دون أن تتعرض لها بسوء ، وكأن جمال هذه الاسماك بلغ حدا لم تستطع معه تلك الوحوش الضارية الا النظر اليه وتقديره حق قدره .

هل من عجب بعد هذا أن أقبل عشاق السمك وأحواض الزينة في شتى بلاد العالم على اقتناء الاسماك الملائكية وشقيقاتها وبنات عمها . . . من صغيرات الحجم التي تعيش في الماء العذب . فما الاسماك التي يسميها أولئك العشاق باسم (Scalare) الا صنوف مما يطلق عليه الاسم العام . . الاسماك الملائكية .

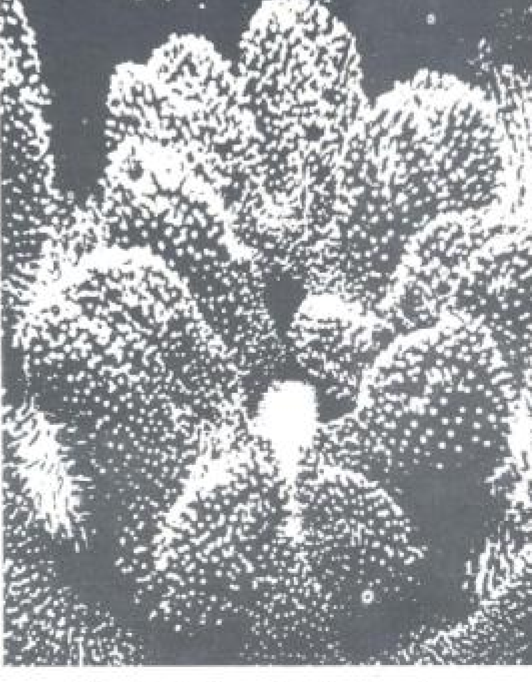
فالاسماك الملائكية البحرية ، وهي التي تعنينا هنا ، عديدة تزيد على ١٥٠ نوعا . . تنتظم في ثلاثة أجناس (Genera)هي هولوكانثوس **Holocanthus** وبوماكانثوس **Pomacanthus** وسنتروبايج **Centropyge** وتضم هذه الاجناس انواعا عديدة مختلفة **Sreaes** نذكر منها على سبيل المثال هولوكانثوس الامبراطورة **Holocanthus imperator** وهولوكانثوس الملكة **Holocanthsus Ciliaris** ونذكر أيضا بوماكانثوس الرمادية **Pomacanthus arcuatus** وبوما كانثوس بارو **Pomocanthus paru** وتتميز هذه الانواع بعضها عن بعض بنقوشها والوانها . . . وهي تجمع بين المخطط والمرقط والمنقط من النقوش ، والاصفر والاسود والابيض وغير ذلك من الالوان المعروفة ، وغير المعروفة . . .

الا أن ثمة خصائص مشتركة تجمع بين هذه الاسماك . . منها جسمها الرقيق النحيف الذي شبهوه بالبسكويت (Wafer) . . ولو أنت نظرت اليها من أمام مواجهة لحسبتها بلا بطن . . واجسامها على العموم صغيرة . . ولا يزيد طولها في الغالب على ٢٠ ـ ٢٥ سنتيمترا ولكنه يبلغ أحيانا ٥٠ سم أو يزيد .





أجزاء من شعاب مرجانية ميته .



صنف من المرجان الطري .. وقد ظهرت على سطحه لاقطات البوليب منتفخة ممتده فبدت كرؤوس الدبابيس .

ثم أسنانها التي تشبه أسنان المشط .... من هنا كانت الرتبة Order التي يرد العلماء اليها اجناس هذا السمك ، وهي رتبة (Chaetodontides).

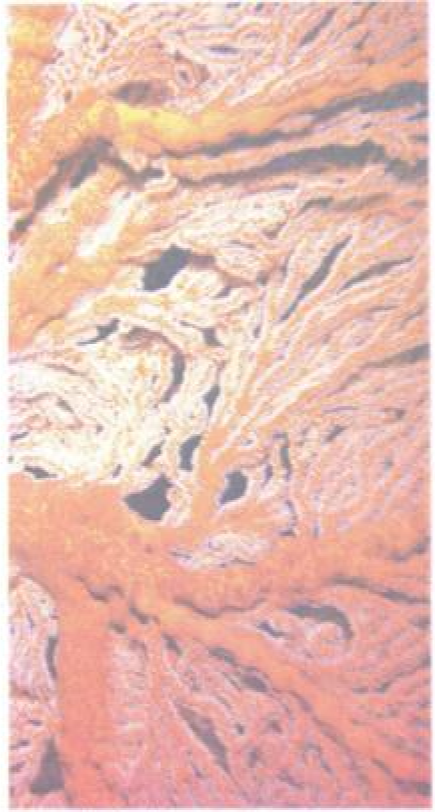
أضف الى ذلك الشوكة القوية البارزة الى الامام عند خيشومها ... فهي توجد في الأسماك الملائكية جميعا ... وان لم توجد كانت السمكة غير ملائكية ، مهما أصابت من الجمال . وبلغت من الشبه بالاسماك الملائكية .. ويصدق هذا على الأسماك الفراشات But-terfly Fish بالذات . فهذه نظيرة الاسماك الملائكية وتضاهيها جمالا وتشبهها في كل صغيرة وكبيرة ... ويعتبرها العلماء ابنة عمها ... ومع ذلك نراهم يخرجونها من زمرة الملائكة وذلك بسبب تلك الشوكة التي توجد في السمكة الملائكية ولا توجد في السمكة الفراشة .

وتجدر الاشارة بعد هذا الى الاحداث (juvenile) صغيرات السن من الاسماك الملائكية مثل (Centropyge agri) (Cherubfish) . فهذه تختلف في أشكالها ونقوشها والوانها عن شقيقاتها المكتملة النمو ، حتى ليحسبها الكثيرون نوعا أو جنسا آخر .. ثم أنها تنزع الى الانفراد بخلاف شقيقاتها الناميات التي يغلب عليها الطبع الاجتماعي .. وتبقى على ذلك حتى تبلغ ٣ ـ ٤ شهور من العمر فتصبح سمكة ملائكية مائة بالمائة .

ومن طريف ما يذكر عن هذه الأسماك الصغيرة السن هو أن لها مهمة تؤديها ، غير التبختر وعرض حسنها وجمالها .. فهي تقوم بأعمال تنظيف أسماك أخرى ، ولكنها تفعل ذلك لاحبا بتلك الاسماك وانما طلبا للرزق .. اذ أنها تتغذى بالطفيليات التي تلتقطها من على أجسام تلك الاسماك أثناء عمليات التنظيف .....

أما الاسماك الملائكية النامية فتتغذى على اللافقاريات البحرية الصغيرة ... وما أكثرها في البحار .. وكذلك على الطحالب والعوالق الخ ...

ولعل أطرف ما يذكر عن الاسماك الملائكية تناسلها وتكاثرها . وتبدأ القصة بتعاون الذكر والانثى على تنظيف جانب من صخرة مرجانية أو غير مرجانية مستوية السطح . وبعد أن تضع الانثى بيضها على تلك الصخرة المغمورة بالمياه ، طبعا يسبح الذكر فوق ذلك البيض وعلى مسافة قريبة منه . ثم يلقى بسائله المنوي بقصد تلقيح البيض وتمضي ٤ ـ ٨ أيام يكون البيض الملقح موضع رعاية الابوين . حتى اذا انتهت تلك المدة فقس البيض .. وخرجت صغار الاسماك من بيوضها لتغوص الى قاع



سمكة ملائكية صغيرة السن من فئة السمك الفرنسي .. وتختلف الاشكال والالوان في صغار الاسماك الملائكية عماهي عليه في الكبار اختلافا كبيرا كما ترى في الصورة التالية .



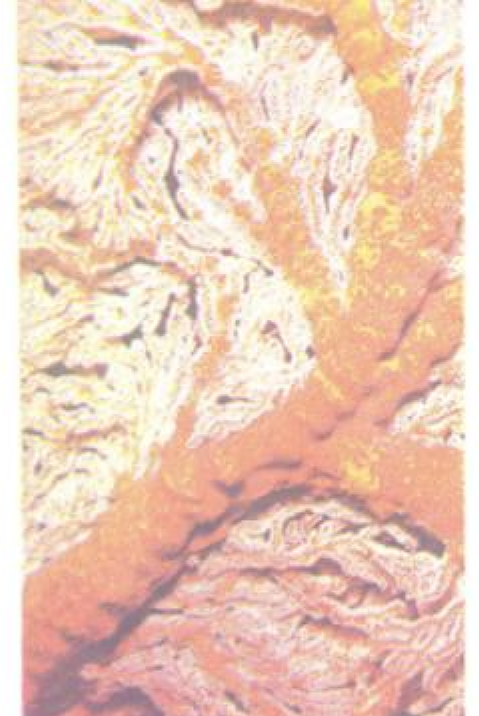


سمكة ملائكية من فئة السمك الفرنسي ولكنها مكتملة واين ذهبت !





هذه السمكة الملكة من السمك الملائكي موطنها مياه باجاكاليفورنيا وارخبيل جلاباجوس .



البوليب وهو من الاحياء الصغيرة البالغة الصغر ومن طريف ما يذكر ان البوليب يمتد اذا اكل ويتقلص اذا جاع . والشعاب التي تراها في الصورة هي من فئة الشعاب المروحية . (الى أعلى)

ان ماتراه في الصورة ليس من البطاطس ولا من الفقع ، انها مجموعة من البوليب ، اكلت فانتفخت .



الشعاب المرجانية التي تراها في الصورة العليا والصورة اليسرى هما من فئة الشعاب المروحية والاسلاك الشائكة على التوالي .

البحر . . . وتظل هذه الاسماك الصغيرة في القاع في حماية الابوين حتى تصبح قادرة على السباحة وتستطيع الاختباء في الشقوق وبين الاعشاب حين الضرورة عندئذ يتخلى عنها الابوان وتبدأ الاسماك الصغيرة حياتها الخاصة . . في استقلال عن الآخرين . .

بقي أن نذكر أن الاسماك الملائكية مسالمة على العموم . . . وباستثناء نوع واحد فقط ، ونادر الوجود ، فانها لاتتعرض لغيرها من الاسماك ولا للغواصين من بني الانسان بأي مكروه . . وكأنها تدرك ما هي عليه من جمال وتراعي مايستوجبه هذا الجمال من حسن السلوك . . وقد أدركت جمالها بالمقابل وعاملتها بالمثل كافة المخلوقات . . . باستثناء مخلوق واحد هو الانسان . . فهو الوحيد الذي يؤذيها . . يصطادها ويقتلها ويأكلها ، بالرغم من أن لحمها غير مستطاب . . وهو الوحيد الذي يمضي فيؤذي ويلوث بيئة الشعاب المرجانية ،موطن الاسماك الملائكية . . .

المرجان وأنواعه

اعتقد الكثيرون في الماضي أن الشعاب المرجانية أشجار وأغصان بحرية ،وظن آخرون أنها اقرب الى الحجارة منها الى النبات . ثم جاء العلماء فجزموا بأن المرجان ليس حجارة ولا نباتا وانما هو حيوان . . بل الهيكل الكلسي الذي يبنيه ذلك الحيوان المرجاني . فالشعاب والجزر والسدود المرجانية قوامها كلها هذا الهيكل الكلسي الصغير . . تبنيه الملايين الحاشدة من الحيوان المرجاني فتتراكم الهياكل الصغيرة وتكون تلك الصروح المرجانية الهائلة .

وما أشبه الهياكل المرجانية بالهياكل العظمية . . كلتاهما كلسية وتنبض بالحياة رغم قساوتها وصلابتها ، وقد ضاهت الشعاب المرجانية الحجارة الصماء في صلابتها . وكما كانت الهياكل العظمية العماد الذي لاتقوم قائمة من دونه لانسان أو حيوان . . . كذلك كانت الهياكل المرجانية ، عماد الحيوان المرجاني الذي لاتقوم له قائمة من دونها . . ولعل الفارق الاهم بين الهيكلين هو في أن الهيكل العظمي داخلي بينما الهيكل المرجاني خارجي .

وثمة فارق آخر . . هو أن الحيوان المرجاني يصنع هيكله بنفسه . . يبنيه جدارا متينا يحيط به ويغلفه . . . فيضمن لنفسه ما هو بحاجة اليه من وقاية .

فالمرجان اذن ذو مدلول علمي واسع . . . أوسع بكثير من مفهومه اللغوي . فهو غالبا ما يعني في اللغة المرجان الثمين الذي اقترن ذكره باللؤلؤ في القرآن الكريم . . . ولكنه يدل في الاستعمال العلمي على الحيوان المرجاني (Coral Hnimal)او (Coral) بصفة عامة . . . وهو أحد الكائنات اللافقارية البحرية من مرتبة (Anthozoa)وسلالة (Cindera) . . ويدل لفظ المرجان بمعناه العلمي أيضا على ما يصنعه هذا الحيوان من هياكل صغيرة لاتلبث أن تتجمع وتتراكم حتى تكون المرجان . . بشتى صنوفه وأنواعه . .

والمرجان صنوف . . منها ما يتصل بالشاطىء . . بل يتفرع عن الصخور التي قد توجد هنا وهناك من الرف القاري (أو كما يسمى عادة الجرف القاري) . . وقد تمتد الشعاب المرجانية مسافة بعيدة عن الشاطىء فتكون سدودا كبيرة كسد استراليا العظيم (Great Barrier Reef) الذي يبعد عن شواطىء القارة مسافة تتراوح بين ١٢ - ١٠٠ ميل ويمتد من الجنوب الشرقي باتجاه الشمال الغربي مسافة ٢٠٠٠ كيلو متر أو تزيد .

وقد يتكون المرجان في أعالي البحار . . على شواطىء الجزر التي كانت قائمة في الماضي البعيد ثم غاصت في المحيط واختفت وبقي منها مرجانها . وذلك حسبما ذهب اليه شارلز داروين في تفسير هذه الظاهرة الغريبة . . ظاهرة الجزر المرجانية (Cral Atolls) البعيدة عن الشواطىء وذلك سنة ١٨٣٦ اثناء رحلته التي طاف بها العالم على ظهر السفينة المعروفة باسم بياجل .

والمرجان أشكال وأشكال . . منها ما يشبه شجر الزيتون ومنها ما يشبه دوالي العنب . وبعضها كالفطريات وبعضها كمخ الانسان وبعضها الثالث كالكواكب والنجوم . ولو أمعنت النظر في صور الشعاب المرجانية الملحقة بهذا المقال لادركت مدى التنافس بين هذه الشعاب وبين الاسماك الملائكية من حيث الجمال .

الا أن المرجان في جوهر بنيته ومن حيث هو هيكل أو غلاف صنوف أربعة . . أولها :

المرجان الحجري (Medrepraria order) أو (Scleractinia) وهو بلا ريب أكثرها وجودا وأوسعها انتشارا في العالم ويشمل حوالي ١٠٠٠ نوع . .




في شعاب البحر الاحمر المرجانية .

وثانيها المرجان الاسود ومعه المرجان الشوكي (Anti-ptharia) وهو قليل ولا يشمل الا ١٠٠ نوع تقريبا أما الصنف الثالث ، المرجان القرني (Gorgonacea) فيفوق المرجان الحجري من حيث عدد أنواعه . . . وهي تقارب ١٢٠٠ نوع . . دون أن يبلغ ما يبلغه المرجان الحجري من كثرة وسعة انتشار . . وآخر تلك الاصناف المرجان الازرق (Coenothecalia) وهو نادر الوجود ولا يعرف منه حتى الآن الا نوع واحد (One species) فحسب . . .

وليس هنا مجال الحديث بتفصيل عن شتى الخصائص التي تتميز بها وتختلف صنوف المرجان وأنواعه . . . وحسبنا الاشارة الى أن من هذه الانواع ما هو لين وطري . . ويعزي ذلك الى أن الهيكل في هذه الانواع داخلي لاخارجي . ومنها ما يبدو ذلك كأصابع الانسان (Alcyonim) .

بقي أن نذكر أن هذه الآلاف من أنواع المرجان وصنوفه ليست ثمينة ولا تعتبر من الاحجار الكريمة من قريب ولا من بعيد . . فأنواع المرجان الثمين (الاحمر أو الزهري كما يسمونه في الغرب) ،قليلة ، ان لم تقل نادرة ، وهي تنتمي الى صنف المرجان القرني . . نذكر منها المسمى (Corolliam rubrum) وهو شائع نسبيا في البحر المتوسط والبحر الاحمر ، وله شبيه يوجد على مقربة من اليابان .

وعلى كثرة أصناف المرجان وأنواعه فانه لايوجد هو وشعابه وسدوده وجزره ، أكثرها ان لم تقل كلها ، الا في البحار الاستوائية غير العميقة . فعمق المياه ينبغي الا يزيد على (١٥٠ - ٢٠٠) قدم . . وذلك للحصول على شيء من ضوء الشمس ، وملوحة البحر يجب أن تتراوح بين ٧ ، ٢ - ٨ر٣٪ . أما حرارة الماء ، وهذا هو الاهم ، فينبغي الا تهبط دون (٢٥ - ٣٠) درجة مئوية . لاعجب اذن ان كانت الشعاب المرجانية لاوجود لها في بحار الشمال والجنوب الباردة ولا وجود لها كذلك عند مصاب الانهار .

الحيوان المرجاني

الحيوان المرجاني (Coral Animal) أو البوليب (Polyp) هو البناء الاول الذي يصنع المرجان ويبني شعابه وينشيء مستعمراته . .

ويعجب المرء لأمر هذا البناء . . فهو صغير جدا ولا يزيد طوله على جزء صغير من السنتيمتر .

وهو من الكائنات المقيمة (Sedentary) التي لاتغادر مكانها ولا تنتقل من مكان الى مكان . . قوامه اسطوانة جوفاء مثبتة على قاعدة صلبة ، هي في الغالب صخرة من صخور البحر أو ما الى ذلك . . وللاسطوانة الجوفاء هذه فوهة هي فم الحيوان . . ويحيط بهذا الفم لاقطات تشبه الاصابع ، تمتد لتلتقط للبوليب طعامه من ماء البحر . . وهذا الطعام في الغالب كائنات حيوانية أو نباتية كالبلانكتون الحيواني والنباتي والطحالب . . وتتحرك اللاقطات لتحرك ماء البحر فيسهل عليها بالتالي

العثور على الطعام .. ثم تخدر ما تعثر عليه بمادة تفرزها فلا تسمح له بالافلات ، ولا يلبث أن يسقط في تجويف الأسطوانة ، فريسة سهلة وطعاما سائغا للبوليب .

والبوليب كائن نشيط فعال .. هو الذي يبني لنفسه ما ذكرنا من اسطوانة جوفاء وقاعدة ثابتة يقيمها عليها .

أما مادة البناء التي يبني بها البوليب هيكله وقاعدته فهي كربونات الكلسيوم .. ويحصل عليها من البحر ...

ولو ذكرنا أن كربونات الكلسيوم أكثر قابلية للذوبان في المياه الباردة منها في المياه الدافئة ، لادركنا السر في عدم وجود البوليب والشعاب المرجانية الا في المياه الدافئة ... التي لاتهبط حرارتها دون درجة ٢٠ مئوية والتي توجد كما هو معروف في المناطق الاستوائية . اذ يسهل عليه الحصول على كربونات الكلسيوم من المياه الدافئة ويتعذر عليه ذلك في المياه الباردة ...

ولكن كيف يتسنى لحيوان صغير كالبوليب أن يبني الشعاب المرجانية الكبيرة كالاشجار ويشيء السدود والجزر المرجانية وما الى ذلك من صروح هائلة تمتد أحيانا مئات الكيلومترات ..

وأول ما يذكر هنا هو ان البوليب أكثره حيوان اجتماعي يعيش في مستعمرات كالنحل والنمل ويتعاون هو والملايين من أقرانه على بناء هذه المستعمرات .. حقا هناك أنواع من البوليب انفرادية .. لاتعيش في مستعمرات وانما فرادى ... وقد توجد هذه الانواع في المياه الباردة نظرا لانها لاتبني شعابا ومستعمرات ولا تحتاج الى مادة كربونات الكلسيوم التي يصعب الحصول عليها من المياه الباردة نظرا لانها ذائبة فيها ..

ويذكر أيضا عامل الزمن .. فقد تمضي قرون بل آلاف من السنين عديدة قبل ان تتمكن حشود البنائين من البوليب استكمال بناء سد واحد من السدود المرجانية .. وحسبك أن نسبة نمو الشعاب المرجانية لا تزيد على ٥ ، ٢ ، ٨ في السنة !

هذا بالرغم من أن نمو الشعاب لا يترتب على عملية البناء فحسب .. فهناك النمو المباشر .. اذ تطلق الشعاب المرجانية فروعا تنمو كما تنمو الاشجار .. وهناك التناسل والاجيال الجديدة من الحيوانات المرجانية التي تباشر عملية بناء جديدة على نحو ما فعلته الاجيال السابقة ... وهكذا يستمر البناء على شتى الاصعدة حتى يصبح في الامكان بناء تلك الصروح الهائلة على مر الأزمان ..

ومع الحياة والبناء يسير الموت والدمار .. فالسواد الاعظم من الشعاب المرجانية هياكل ميتة .. ماتت بموت الأحياء التي بنتها وتعرضت الى شتى عوامل الطبيعة فنخرتها وأضعفتها .. وأدت في بعض الاحيان الى دمارها ..

أما الحيوانات المرجانية الحية العاملة في الشعاب ... وهي قليلة كما ذكرنا ، فتلتزم الطبقات العليا من الشعاب واطرافها الابعد عن الشاطىء .. وذلك حرصا على تلقي الامواج والتيارات في أعالي البحار والتقاط ما تحمله من هوائم وطحالب تعيش عليها تلك الحيوانات ...

ومن طريف ما يذكر عن هذه الحيوانات وهي جماعية اجتماعية كما ذكرنا .. أنها تصنع ممرات وانفاقا داخل ما تبنيه من الشعاب المرجانية ... ذلك أن بعضها يبقى داخل الشعاب بعيدا عن الامواج ..ومعرضا للموت جوعا .. لذا كانت الممرات والانفاق ... فهي تضمن لتلك الحيوانات المعزولة وصول أمواج البحر إليها حاملة ما تعيش عليه من طحالب وهائمات وخلافها .

بقي أن نذكر أن من البوليب ما هو أنثى ومنه ما هو ذكر ... تفرز الاولى بويضاتها ويفرز الذكر منوياته ، كل على حدة ، وتنمو هذه وتلك قليلا داخل تجويف الجسم ... ثم يلفظها البوليب الى خارج الاسطوانات الجوفاء ... حيث يجري التلقيح .. في ماء البحر ..

ولا يلبث البيض أن يفقس وتظهر اليرقات وهي ذات أهداب وتعرف باسم بلانولا **Planula** وتنطلق هذه اليرقات وتسبح في البحر اياما عديدة تمتد أحيانا حتى تبلغ أسابيع .. الى أن تستقر على سطح صلب وتبدأ عملية البناء ... بناء القاعدة والاسطوانة المجوفة على نحو ما اسلفنا ... لتصبح بذلك حيوانات مرجانية .. بوليب - كاملةالنمو .. هذا بالطبع اذا سلمت تلك اليرقات ونجت من كائنات البحر التي تستطيب أكلها .. والتي تأتي على السواد الاعظم من تلك اليرقات ولا تترك الا القلة القليلة منها .. حقا قلة قليلة ، ولكنهاكافية لبناء هذه الصروح من شعاب المرجان وجزره في كل مكان .

يوسف زعبلاوي



باب المدينة

بقلم : يوسف القعيد

بريشة: بهجت عثمان

وقفت الأم ، تحمل على يديها الطفل الصغير ، تطرق باب المدينة ، فلاحة قادمة من القرية البعيدة . لم تكن تعرف ان المدينة لها سور ، وأن في السور أبواب ، وعلى الأبواب حراس . وأن الحراس في ايديهم السلاح ، وفي جباخاناتهم الذخيرة الحية ، وفوق رؤوسهم الخوذات . وعلى صدورهم وفوق أذرعهم الدروع . وأن باب المدينة ، يبدأ من الارض ، ولاينتهي إلا في السماء ويسد عين الشمس ، ونور النهار وظلام الليل ، وحر « بؤونة » وبرد أمشير وغبار الخماسين . وان باب المدينة يفتحه الحارس ، عندما يعطيها الاذن بالدخول ، ويغلقه بعد عبورها مباشرة .

لم يكن باب المدينة ، مثل باب البيت ، الذي اخذوه منها ، في القرية البعيدة ، ليس بابا من الخشب ، له ضبة وله مفتاح ، ولكنه قطعة من الحديد ، على شكل عيدان مثل قضبان السجون ، التي يعيش وراءها زوجها . السجون التي ملأت المدن والبنادروالقرى والمراكز حتى العزب والكفور والنجوع .

وقفت الأم ، والطفل الصغير على يديها ، تطلب من الحارس الاذن لها بالدخول الى المدينة . سألها عن اوراقها . فقالت انها لاتحمل حتى الورقة التي توضع فيها الصورة والاسم وبصمة الاصبع ، ويأخذونها من المركز ، سألها عن المكان الذي قدمت منه . اشارت الى أبعد نقطة عند حافة الأفق . وقالت : « هناك في البعيد . في حضن السما ، تنام قريتها » سألها : لماذا تركت القرية التي تنام في حضن السما . وحضرت الى المدينة التي لم تجد سوى الجبل لكي تنام في حضنه ؟ قالت « ان الهم النائم فوق حبة القلب . لو تحرك فمن يوقفه ، الهموم مثل موج البحار البعيدة ، الجايات اكثر من الرايحات » سألها عن المكان الذي تقصد الذهاب اليه . فقالت : لقمة العيش ، والدار التي تؤويها ، والقلب الحنون الذي تشرب من نبعه ، والجدار الذي تستند اليه ، قالت : ان عجوز قريتها والرجل الذي كان في حلقة الذكر مع عرابي ، قال لها : عليك بالمدن ، فهي اماكن السعادة في هذا العالم . بهجة المحزون . وأمان الخائف وواحة المكروب ولقمة العيش الساخنة للجائع . وأمل كل من هدهم التعب .

عجب العسكري لقولها ، وهفا لها قلبه ، ولانه أصلا من القرى البعيدة . ولا يجب في وقفته هذه أن يتذكر حكاية الهجرة ، جبال الهموم فوق الصدر ، معلقة من رموش العين ، وهو نفسه لايعرف ، كيف يحمل كل هذه الجبال وكيف يتحرك بها ؟ وكيف ينام ويقوم دون ان تهد جبال الهموم التي فوقه والتي بداخله ؟

قال لها : انه سيدخلها المدينة ، بشرط ان يفتشها ، قوانين المدينة تنص على أنه في حالة التفتيش الذاتي لامرأة لابد وأن تقوم به امرأة . وقوانين حكام المدينة تقول بالخط العريض ، أنه لابد من تفتيش كل انسان يدخل المدينة ذاتيا ، اختفى الأمان ولابد من التفتيش . في عصرنا ، خلق الانسان لكي يفتشه الآخرون . الناس نوعان ! الذين يفتشون الآخرين . او الذين يفتشهم الآخرون . المهم انه لامفر من التفتيش . عليها الانتظار . لحين



حضور امرأة تفتش النساء اللاتي يرغبن في دخول المدينة .

سألته ـ وهل تغيب المرأة طويلا . قال : انه لايعلم ، مر عام على آخر مرة حضرت فيها ،ومن يدري متى تحضر ؟

سكت العسكري ، وان كان يبدو وكأن على شفتيه كلمات لم يقلها . فهمت هي الأمر ، قالت :انها تقبل ان يفتشها هو ذاتيا ـ وان كانت لم تفهم معنى الكلمة ـ حتى لاتنتظر مدة قد تطول .

خلف المبنى ، الذي يستعمل كمركز لتفتيش الداخلين الى المدينة ، وضعت ابنها الذي قد نام على الارض ، وبدأت تستعد للتفتيش . كان الهواء راكدا . وكان معلقا فيه رائحة عفونة ونشانة وتخمر بول . وكانت النباتات الشيطانية ، والتي لم يزرعها أحد . تملأ المكان . داست على الأغصان اليابسة ، فتكسرت تحت قدميها . وعندما سمعت صوت تكسر هذه الأغصان . تذكرت الأغصان الطرية في قريتها ، قالت في نفسها ، لم يكن هناك مفر من الرحيل .

وقف العسكري ينتظر ، حاول أن يبعد الطنين المتولد في أذنيه . وعندما فشل في ابعاد الطنين . حاول ان يقبض عليه بيديه وبدا له ذلك مستحيلا . كان الطفل قد نام . كان فمه مفتوحا . وكان مستغرقا في النوم . رغم ان نصف بياض عينيه كان يبدو من تحت الرموش الطويلة . وكان قد بدأ يحلم . تحركت شفتاه وقال كلمات مهشمة عن البيت والعمل والأب . قال : الدفء والأمان والأيام القادمة .

تنبه العسكري ، على صوت الطفل ، واكتشف انه لن يستطيع تفتيش دماغ الطفل ولا دماغ أمه . وتلك هي المهمة الصعبة ، من يدري قد تتسلل الى المدينة أمور خطيرة . نظر الى المرأة ، التي لاتعرف كيف تستعد للتفتيش الذاتي . كانت قد اكتشفت وجود زهرة بيضاء. نبتت من الأرض وراء مركز التفتيش كانت تجلس على الارض تنظر اليها . وتبحث بعينيها عن ماء تروي به الزهرة . كانت تتحسس صدرها . الذي يبدو مثقلا بلبن نظيف بكر . قال العسكري في نفسه : ان المرأة القروية تفكر في ري الزهرة البيضاء . بلبن صدرها الأبيض . كل الأمور الخطيرة ، مثل سحب الشتاء تأتي مع بعضها .

تذكر العسكري ، أنه دهس بقدميه آلاف الزهور البيضاء والخضراء والزرقاء ، ومن كافة الالوان . كلما أتي الى هنا للتبول ، أو لتفتيش أحد بصورة ذاتية ، بدا له الموقف سخيفا . كان الطفل يحلم والمرأة تبحث عن مياه تروي بها الزهرة البيضاء . كانت المرة الاولى في حياة العسكري التي يواجهه فيها موقف مثل هذا .

وقبل ان يفكر طويلا في الأمر . وبدلا من أن تأخذه بحور الفكر الى آخر العالم ، وتذهب به الى حضن السما الذي تنام فيه القرية البعيدة ، وتعود به الى حضن الجبل ، الذي تنام فيه المدينة القريبة . وقبل أن يربط بين المرأة القروية الفلاحة ، التي يمتلىء صدرها باللبن الأبيض البكر ، غير المغشوش . وبين كل الأشياء الجميلة من حياته . انتصب العسكري من وقفته ، وأمسك بسلاحه وأصدر أوامره للمرأة . ان تحمل طفلها ، الذي يحلم بالمستقبل . وان تقف خارج باب المدينة . حتى تحضر امرأة لكي تفتشها ذاتيا .

وحتى يحضر الضابط الكبير . المختص بتفتيش الأدمغة ، بحثا عن الافكار الغريبة حتى يكون «وقفه سليما ولايقدم للمحاكمة .

حزنت المرأة . أصبحت عيناها اكثر اتساعا . ورموشها أكثر سوادا . وخاف العسكري على نفسه من بحار عينيها . المجهولة الشواطيء . صحا الطفل من حلمه بالأب والدفء والبيت . على صوت ضرب البندقية في الأرض . وقفت الأم . وعلى يديها الطفل الذي لم يعد قادرا على النوم ، ولا على الحلم . وقفا بالقرب من باب المدينة في انتظار المرأة المفتشة . والضابط الكبير .

هبت رياح الاحزان عليها . ولكن ما أفزع الأم ، كان جفاف دموع العين ، عذبها البحث عن دمعة واحدة . تقلل من طعم الملح في العينين . قالت في نفسها : أسعفيني يادموع العين . ولكن العينين لم تسعفاها . تسلل اليها خاطر أفزعها . هل يجف اللبن في الصدر أيضا من كثرة خوفها على طفلها ، وعلى الزهرة البيضاء ، وعلى العسل المسكوب في صدرها . خافت من التفكير في هذا الأمر .

ووقفت الام تحمل الطفل ، كانا ينتظران ! ○

القاهرة ـ يوسف القعيد

المصور عبدالعزيز فهمي

العربي الذكي انحنى له بازيل رايت

اعداد : مجيد طوبيا

احتوت اللقطة جميع الاسرة لتعطي الاحساس بضيق المكان وفقره ، وأيضا بتكاتف العائلة . من فيلم « سأكتب اسمك على الرمال » اخراج عبد الله المصباح ـ انتاج مغربي تصوير عبدالعزيز فهمي .



كان الوقت في شهر مارس من عام ١٩٧٢ في دار عرض « باريس بولمان » بلندن وكانت المناسبة هي بداية عرض الفيلم المصري : « المومياء » . . . ولعلها كانت المرة الاولى التي يعرض فيها فيلم عربي عرضا عاما على جمهور المتفرجين الانجليز وليس عرضا خاصا للنقاد .

وكان بين الحاضرين مخرج الفيلم « شادي عبد السلام » ومدير تصويره « عبد العزيز فهمي » وجلس الاثنان اثناء العرض في رهبة وترقب ، تمنى كل منهما ان يترك دار العرض هاربا من لحظة نهاية الفيلم وتوقع الفشل . إحساس جديد تماما من عربيين جاءا من ارض الأهرامات بقصد غزو المتفرج الانجليزي الذي تعود على مشاهدة شتى الافلام العالمية ومن كل صوب !! . .

وانتهى العرض ، وأنيرت الاضواء . . مرت لحظات صمت رهيبة ، ثم ضجت القاعة بتصفيق حماسي متواصل ، هز كياني المخرج والمصور . . وهام مدير التصوير بعيدا يسترجع ذكريات عمره مع فن الصورة ، فن اللون والضوء والظلال ، مجترا رحلته العجيبة معها ، عاشقا مغرما في محرابها . .

ليلة في السجن

في حي العباسية بالقاهرة ، نفس الحي الذي أمضى فيه

مع المخرج العظيم يبدع العزيز فهمى بشكل أروع ـ سناء جميل فى فيلم « فجر يوم جديد » اخراج يوسف شاهين ـ اللقطة فى مصنع الحديد والصلب.



نجيب محفوظ طفولته وصباه نشأ عبد العزيز فهمي ، حيث نال تعليمه الثانوي في مدرسة ايطالية ، لها سيارتها الخاصة تأخذه من بيته وتعيده اليه ، قريبا من سينما « مصر » ، حيث تردد عليها لمشاهدة افلام محمد عبد الوهاب الاولى ، وافلام « بدر لاما » عن البدو والصحراء مع كوكا وكذلك الافلام الاجنبية ومسلسلاتها المثيرة . . . وكانت تجذبه هذه الصور المتحركة التي تعيد الحياة على الشاشة في شكل يجعل المتفرج ينسى الواقع ويكاد يصدق ما يراه !! . . . فكان يجلس مبهورا مأخوذا يفرغ من مشاهدة فيلم ليعود الى مشاهدة التالي له . . . ومن كثرة تردده تعرف على « الميكانيكي » الذي يدير آلات العرض وكان ايطاليا . . . واعجب الرجل بهذا الفتى القمحي الذي يتكلم الايطالية ويجيدها ، كان يجلسه الى جواره في غرفة الآلات ويحدثه عنها وعن كيفية عملها ، وكيف ان الصور المتتالية عندما تمر امام الضوء بسرعة تجعل العين لا تلحظ تتابع « الكادرات » واحدا تلو الآخر ، بل ترى حركة طبيعية لشخوص الممثلين والحيوانات والطيور . . . وشيئا فشيئا سمح له الرجل بأن يساعده ـ من باب الهواية ـ في اعادة لف الافلام !! . .

واصبحت صداقة العامل الايطالي جواز مرور ، يعطيه الحق في التردد على دار العرض في اي يوم يشاء وبالمجان . . .

ولاحظ ابوه ذلك ، فشعر بالقلق والخوف علي مستقبل ابنه ، فحتى ذلك الوقت ـ عام ١٩٣٦ ـ كان الناس ينظرون الى العاملين في هذا الفن الجديد نوعا نظرة تشكك . . ولهذا حاول الاب بشتى الطرق ان يمنع ولده من التردد على هذه السينما وغيرها دون جدوى ، فاضطر ان يلجأ الى صديقه ضابط قسم شرطة العباسية ، الذي ارسل شرطيا الى دار العرض حيث اخذ معه الفتى الشغوف الى القسم ، في حركة تخويف استمع فيها الى كل انواع التهديد والوعيد ان هو عاد مرة اخرى الى دار العرض !!

لكن كل هذا لم يثن الفتى العاشق عن الافلات والاتجاه الى السينما !! ازاء هذا الاصرار العجيب ، احتار الاب ، ثم فاجأ ابنه ذات يوم من عام ١٩٣٧ بأن اخذه الى « حسني » المدير الاداري لاستديو مصر آنذاك وطلب منه ان يسمح لولده بالعمل معه في مهنة السينما . . . وسأله مدير الاستديو العتيد عن الفرع الذي يجب ان يعمل فيه : الاخراج ام المونتاج ام الانتاج ام التصوير ؟؟ دون تفكير اجاب : التصوير !!

وعندئذ احاله الى « حسن مراد » رئيس قسم التصوير وأول مصري يقوم بمهمة تصوير « جريدة مصر الناطقة » والذي اخذه مساعدا له في هذه الجريدة السينمائية حيث اقتصر كل عمله على حمل الكاميرا وتعبئتها بالفيلم السالب ، ثم الذهاب به بعد التصوير الى معامل التحميض . . . اكثر من هذا لم يفعل شيئا سوى مراقبة حسن مراد اثناء عمله . .

الى ان جاءته الفرصة ـ او على الاصح اعطى نفسه الفرصة ـ فذات صباح وجد نفسه وحيدا بقسم التصوير ، فما كان منه الا ان اخذ آلة التصوير وخرج بها الى اقسام الاستديو حيث صور كل شيء فيه ، كانت فكرته ان يصور « الحياة داخل استديو مصر » الشامخ ومن كافة جوانبه . . .

بعد ذلك ارسل الفيلم للتحميض ثم إلى قسم المونتاج وبعد ان اصبح جاهزا عرضه على استاذه حسن مراد الذي اعجب به وكافأه بان قفز به من مجرد مساعد حامل للكاميرا الى زميل مصور معه ، يسند اليه الموضوعات الاقل اهمية . . . بأجر يومي ١٥ قرشا ، وكان هذا اجرا لا بأس به في ذلك الوقت .

بداية صعبة !!

ابان الحرب العالمية الثانية كانت بمصر جالية فرنسية كبيرة تعارض بالطبع احتلال النازي لوطنهم فرنسا . . . وكان من بين هؤلاء المدير الفني لاستديو مصر ، الذي كان يخرج فيلما فرنسيا بممثلين من مواطنيه ممن كانوا يسمون انفسهم « الفرنسيون الاحرار » وكان ان عمل عبد العزيز فهمي مساعدا للتصوير في هذا الفيلم الروائي وهذا ما جعله يبدأ الاهتمام بالتصوير كفن درامي فراح يراقب الضوء واتجاهاته وظلاله وتأثيراته المتعددة .

وكان قد اخذ فرصته الاولى بالافلام الروائية المصرية ـ وكان معظم المصورين بها من الاجانب عندما عمل مساعدا للمصور الفرنسي « جورج بنواه » في فيلم « يوم سعيد » بطولة محمد عبد الوهاب ، والطفلة الموهوبة « فاتن حمامة » التي كانت تظهر على الشاشة لاول مرة . . . ثم الفيلم الهام « النائب العام » من اخراج احمد كامل مرسي ومن تصوير المجري « فرنسوا فركاش » . . . الذي تبنى الشاب عبد العزيز فهمي فصار ملازما له كمساعد تصوير في معظم افلامه مثل : تاكسي حنطورمن اخراج الراحل « احمد بدر خان »و « قتلت ولدي » من اخراج جمال مدكور و « كازينو اللطافة » . . . الى ان جاء عام ١٩٤٥ وكانت الحرب العالمية قد توقفت ليبدأ المصريون في المطالبة بحقهم في الاستقلال الكامل عن الاحتلال الانجليزي تلك المطالبة التي بدأت على ايدي مصطفى كامل ومحمد فريد ثم الزعيم سعد زغلول . . .


المصور عبد العزيز فهمي

في ذلك العام - ١٩٤٥ - كان عبد العزيز فهمي يعمل مساعدا لفركاش في فيلم « حرم الباشا » من اخراج حسن حلمي ومن انتاج احمد جلال - زوج السيدة ماري كويني ووالد المخرج الشاب نادر جلال - وكانت الشوارع ملتهبة بالمظاهرات الصاخبة المطالبة بالاستقلال وكان الشعور الوطني وقتئذ مستعرا بالعداء للاجانب المستولين على خيرات البلد والمحتلين للمواقع العامة بها . . . فخاف الاجنبي فركاش من الخروج من بيته والذهاب الى الاستديو لاكمال تصوير الفيلم ، مما هدد العمل بالتوقف ، ومما دفع المخرج الى الطلب من عبد العزيز فهمي بان يحل محل فركاش . . . لكنه - بشهامة ابن العباسية - رفض ان يسطو على موقع أستاذه الذي شمله بعطفه وحنوه ، ولم يقبل إلا بعد أن اعطاه فركاش الاذن هاتفيا ، وكانت نتيجة التصوير لا تختلف في شيء عن النتيجة التي كان يتوصل اليها المصور المجري . . .

من هذا الفيلم صار عبد العزيز فهمي مديرا للتصوير . وكان أول فيلم ينفرد فيه بهذه المهمة هو فيلم « الخير والشر » من انتاج السوري « محمد راتب » وبطولة اللبنانيين « محمد سلمان ونورهان » والمصري « سيد بدير » .

وبعد انجازه عدة أفلام أخرى اتجه الى دراسة فن التصوير السينمائي ، واكتشف في عام ١٩٤٨ ان بالقاهرة مكتبة تضم كتبا عن السينما في المركز الكاثوليكي للسينما . . . . فاتجه اليها ورغم صعوبة اللغة الاجنبية عليه ومصطلحاتها الفنية انكب على دراسة هذه الكتب ، بل وترجم بعضها بمساعدة بعض اصدقائه .

● المصور عبد العزيز فهمي

منذ هذا العام بدأ عبد العزيز فهمي في التحول من مجرد ناقل لصور الممثلين والاحداث الى فنان سينمائي يستخدم الاضاءة والصورة ، كما يستخدم الشاعر كافة الحيل اللغوية والصور الابداعية في تشكيل قصيدته . . لكن المهمة كانت صعبة جدا خاصة مع منتجين يريدون الربح السريع بالانتهاء من تصوير افلامهم في اقصر وقت ممكن . . كان يحرث في ارض بكر خالية تماما من اي جهد سابق يستفيد به !! . .

التصفيق والانحناء تقديرا

في مقعده بدار عرض باريس بوكان بلندن ، تنبه عبد العزيز فهمي الى صوت « شادي عبد السلام » ينادي عليه . . . اكتشف انه كان شاردا الى وطنه والى قاهرة طفولته وشبابه ، والذي حدث ان احد المتفرجين الانجليز كان قد توجه بسؤال الى المخرج عن التصوير فأجابه شادي . . ثم تلقى سؤالا ثانيا عن التصوير ايضا وسؤالا ثالثا واجاب شادي وعند السؤال الرابع عن التصوير اعلن المخرج ان مدير التصوير موجود بالقاعة ، ومن الافضل ان يجيب بنفسه . .

ووسط تصفيق الجميع ، توجه عبد العزيز فهمي الى خشبة المسرح ، ثم بدأ يشرح ويجيب على الاسئلة المتعلقة بابداعه المدهش في فيلم « المومياء » . .

ثم كانت المفاجأة السارة الثانية متمثلة في دعوة رقيقة الى العشاء في بيت المخرج الكبير « بازيل رايت » . . . وهو واحد من اهم رواد السينما التسجيلية في العالم ، ولا يخلو كتاب عن تاريخ السينما من الاشارة اليه في اهتمام وتقدير واسهاب بعد ان وهب عمره للفيلم التسجيلي وخلق منه فنا آسرا له ايقاعه وتدفقه الخاص مثلما فعل في « انشودة سيلان » وفي فيلم « قطار بريد الليل » الذي اعطاه ايقاع قصيدة شعرية كانت تنثال مع تدفق المشاهد . .

بدافع الاعجاب بفيلم « المومياء » دعا « بازيل رايت » المخرج القدير شادي عبد السلام ومدير التصوير عبد العزيز فهمي الى مائدة العشاء في بيته الهادىء . . . . وبرصانة الفنان العجوز وحنكته ، راح يسأل عبد العزيز فهمي اسئلة كثيرة عن ادق تفاصيل التصوير كفن مرئي درامي سأله عن لقطات معينة كيف صورها ؟؟ كيف وزع اضاءتها ؟؟ كيف استخدم عدساته ؟؟ كيف كانت توجيهاته الى معمل التحميض لمعاملة الفيلم السالب ثم الموجب بحساسيات خاصة ؟؟ . . واجاب المصور المصري ببساطة وتلقائية سعيدا باهتمام الفنان الكبير به ، وفي النهاية فوجيء عبد العزيز بصاحب هذا الوجه



أحمد السباطى ونجلاء فتحى وفرقة رضا فى فيلم « البنات لازم تتجوز » .. وقد حلت الاضاءة على الديكور مضفية جوامن حيوية الشباب .

غير المعبر ينهض فجأة في رعشة الشيخ المنفعل حماسا ويتقدم خطوة منه وينحني له في صدق.اخذته المفاجأة في البداية وكادت الدموع ان تطفر من عينيه ثم قام بخفة ظل ابن البلد القاهري وبادل مضيفه انحناء بانحناء ..

لقد وجد بازيل رايت في الأجوبة التي استمع اليها ما جعله ينحني تبجيلا لمحدثه اذ معظم ما فعله المصور العربي كان ابتكارا جديا في عالم التصوير ... توليفة مبتكرة تماما غير تقليدية بين عناصر الصورة السينمائية المشكلة لها من اضاءة وعدسات وتحميض وطبع ، اخذ من كل عنصر نسبا جديدة تماما ليضفي على فيلمه مسحة رهبانية قدسية اعطت لوحاته الفرعونية طعم التاريخ العتيد وعظمته وشموخه ..

كانت معظم اللقطات تدور امام جدران المعابد الفرعونية ذات النقوش البارزة ، فاستخدم عبد العزيز فهمي نوعا خاصا من العدسات والاضاءة جعلت بطل الفيلم ـ هو ايضا ـ بارزا على هذه النقوش او معها ... وكان هذا هو مصدر دهشة بازيل رايت .

في ساعة متأخرة خرج المصريان شادي وعبد العزيز من منزل « بازيل رايت » الى طرقات لندن حيث ضبابها الشهير ... سارا معا صامتين كل منهما يحادث نفسه ، لا يصدق كل هذا النجاح والحفاوة ... صعد شادي الى غرفته واستمر عبد العزيز هائما مع افكاره .. وفي وحدته دمعت عيناه وبكي تأثرا كطفل صغير وقد هاجمته الذكريات مرة اخرى .. ذكريات كفاحه الطويل تبتلا في معبد الضوء والظل واللون .... فنه الحبيب ..

الفنان أستاذا

عام ١٩٤٩ وكان عبد العزيز عضوا بمجلس نقابة السينمائيين لاحظ يوما ما ان هناك سبعة افلام مصرية تحت الانتاج يعمل فيها سبعة من مديري التصوير بينهم ستة من الاوروبيين !

وانزعج الشاب الممتلىء حماسا ... وتساءل : هل نحن في مصر ؟.. واذا كنا في مصر فكيف يكون نصيب المصورين من سبعة الافلام فيلما واحدا فقط ؟..

وهنا غلبته النزعة القومية ... وتساءل سؤالا بسيطا نقيا : هل يقبلون في بلد اوروبي ان يكون عدد المصورين الاجانب اكبر من عدد المصورين المحليين ؟؟..

وكان طلعت حرب وقتئذ قدوة رائعة لكل المصريين في كافة المجالات فمن قبل كان هذا الاقتصادي العظيم قد تنبه الى ان جميع البنوك في مصر اجنبية .. فقاد حملة شعبية رائعة من اجل المساهمة في تأسيس اول بنك وطني هو « بنك مصر » الذي ساهم فيما بعد في تمصير الصناعة بان انشأ عددا من المصانع منها مصانع ، النسيج ، وبان انشأ بحس حضاري راق « استديو مصر » اعظم استديو سينمائي في الشرق في ذلك العهد ، وبأن انشأ مسرح الازبكية لتقدم عليه المسرحيات العربية فقط ...

وكنموذج عظيم استلهم عبد العزيز فهمي خط طلعت حرب ، فقاد حملة كبيرة من اجل تمصير التصوير السينمائي ونجحت هذه الحملة بعد ان تبنتها نقابة السينمائيين .

بعد ذلك صارت السينما المصرية تعتمد على أبنائها المبدعين فلمع من الرعيل الثاني من جيل المصورين كل من وحيد فريد ومحمود نصر ووديد سري ثم احمد خورشيد وبالطبع عبد العزيز فهمي .. والذين يذكرون بالاجلال فضل الرعيل الاول الرائد من امثال محمد عبد العظيم ومصطفى حسن وعبده نصر ..

وكنظرة بعيدة الى المستقبل تساءل عبد العزي فهمي : « هكذا اخذنا فرصتنا وقد تعلمنا بالخبرة والممارسة والتجربة والخطأ ، وهذا اضاع علينا وقتا طويلا في اكتشاف اشياء كان من الممكن معرفتها من الكتب فكيف يكون الحال مع الاجيال التالية ؟؟ .. خاصة وان الخبرة وحدها دون دراسة اكاديمية لا تكفي !! ..

ومن هنا بدأت دعوته في ضرورة انشاء معهد خاص لافرع السينما المختلفة .. حتى كان ذلك هو الحلم الذي تحقق فيما بعد على عهد ثورة ٢٣ يوليو ، فكان اول معهد للسينما في الشرق الاوسط وافريقيا والذي يشغل فيه الآن عبد العزيز فهمي منصب رئيس قسم التصوير ، حيث يقوم بتدريب الاجيال الجديدة ..

واول ما يلقنه لتلاميذه هو تعريف فن التصوير السينمائي : فالخطوة الاولى ان يتعرف الطالب على المفردات الحرفية ، من فيلم خام واضاءة ومعامل تحميض .. ثم يتعلم كيفية استخدامها في نقل الصور من الحياة الواقعية الى الفيلم الخام كالمناظر المختلفة والناس والطيور وكل شيء بحيث ينجح في اظهارها واضحة جلية على الشاشة ، وبحيث يقدر على اعطاء الايحاء بأن الوقت كان ليلا او نهارا او فجرا الى آخره ..

تلك هي البداية الحرفية فقط وهي لا تكفي أبدا ، وهنا تأتي الخطوة الارقى وهي : « التعبير الدرامي بالضوء » او « اضفاء المعنى على الشيء المرئي » ... وهذا هو الفن الاسمى ، فالليل مثلا له احاسيسه المتباينة فهناك ليل سعيد وليل حزين وآخر بطيء ممل راكد الى آخره .. وكل حالة من هذه الحالات لها اضاءتها الخاصة وهذا هو ما يميز فنانا عن آخر ... وسيلته في هذا احساسه وخبرته ودرايته في استخدام انواع الفيلم الخام .

ولأن التصوير ليس الا عنصرا هاما من عناصر الفيلم السينمائي الى جانب السناريو والحوار والتمثيل وايقاع المونتاج والموسيقى والمؤثرات الاخرى .. فان المصور البارع لا ينبغ كما يتمنى الا مع مخرج فنان قريب من تفكيره وتخيله ، وراغب مثله في تقديم الجيد الخلاق ..

على هذا جاءت بداية افلام عبد العزيز فهمي من حيث « التعبير الدرامي بالصورة » مع مخرج مبدع كان قد درس الاخراج السينمائي في معهد « الايديك » بباريس وجاء ليقدم اول اعماله في مصر ، وهو توفيق صالح ... الذي التقى بعبد العزيز في فيلم « درب المهابيل » عام ١٩٥٤ ، عن قصة وانتاج الاديب الراحل عبد الحميد جودة السحار « وسيناريو وحوار الاستاذ « نجيب محفوظ » ..

في هذا الفيلم تكاملت العناصر جميعها بشكل مدهش ، فوجد مدير التصوير نفسه يبدع ويجرب ويضيف ، بعد ان وجد معه نصا جيلا ومخرجا متفتحا متجاوبا معه ، ومبتكرا ايضا ...

ومن هذا الفيلم بدأت الرحلة الابداعية الخلاقة - او تبلورت - والتي توجت بأفلامه التالية مثل « المومياء » من اخراج شادي عبد السلام ، و « أبناء الصمت » من اخراج محمد راضي و « الابن الضال » من اخراج يوسف شاهين ..

وقد تحقق له كل هذا بقدر كبير في فيلم « المومياء » سالف الذكر ، ولم تكن مفاجأة ان يفوز عبد العزيز فهمي بجوائز وزارة الثقافة المصرية عن التصوير في سبعة افلام هي : جميلة بوحريد ١٩٥٩ - اعياد الثورة ١٩٦٣ - النصف الآخر ١٩٦٨ - المومياء ١٩٧١ - اغنية الموت ١٩٧٤ - غرباء ١٩٧٤ - الهارب ١٩٧٥ ... وبجوائز جمعية الفيلم عن ثلاثة افلام هي : أبناء الصمت ١٩٧٥ - المومياء ١٩٧٦ - الابن الضال ١٩٧٧ ... وبجائزة المركز الكاثوليكي للسينما عن تصوير فيلم نصف السنة ١٩٦٣ ... ثم نال جائزة الدولة التشجيعية عام ١٩٧٤ ووسام العلوم والفنون من الطبقة الاولى ١٩٧٥ وجائزة الرواد الاوائل لعام ١٩٧٧ . كما أن له نصيبا من ناحية التصوير في الافلام التي مثلت مصر في مهرجانات السينما العالمية ..

مجيد طوبيا



قصة ليبيريا

(لماذا سموا ليبيريا بهذا الاسم ؟

ليبيريا دولة افريقية صغيرة ، لايزيد عدد سكانها على ٠٠٠ , ٨٧٠ , ١نسمة ، وتقدر مساحتها بمائة الف كيلومتر أو تزيد قليلا . . وهي دولة مستقلة ولم تعرف الاستعمار في تاريخها . . . .

ولكن لهذه الدولة قصة طريفة في التاريخ ، هي التي تبين لنا كيف نشأت ، ولم سموها ليبيريا .؟.

بدأت هذه القصة في الولايات المتحدة الأمريكية ، وفي مطلع القرن التاسع عشر ، أيام بلغت تجارة العبيد في العالم أوجها ، وأيام كانت الولايات المتحدة هي السوق الرائجة لتلك التجارة .

لاعجب اذن أن اتخذ الكونجرس سنة ١٨١٦ قراره التاريخي بانشاء جمعية استيطان تستهدف اعادة توطين عبيد أمريكا المحررين في بلدهم الاصلي ، افريقيا . . . .

واتجهت أنظار تلك الجمعية الى سواحل افريقيا الغربية ، حيث تقع ليبيريا حاليا وحيث استقرت طلائع الاستعمار البريطاني والفرنسي فيا عرف بعد ذلك بساحل العاج وسيراليون . .

وأوفدت الجمعية التي بلغت مخصصاتها في بادىء الأمر . . . , ١٠٠ دولار . . أوفدت نفرا من أعضائها الى تلك السواحل وذلك بصحبة أحد ضباط البحرية الأمريكية . . ووقع اختيار الوفد على البقعة التي تقوم عليها حاليا منروفيا العاصمة . . .

وما أسرع ما ظهر سكان المنطقة الاصليون ـ فكان لابد من مساومتهم بقصد شراء تلك البقعة . . . وتمت الصفقه على نحو لم يخل من اكراه . . وقبض أهل المنطقة ـ / ٣٠٠ دولار ثمنا للارض التي اقيمت عليها منروفيا فيا بعد . كان ذلك في أحد أيام شهر ديسمبر سنة ١٨٢١ .

وواصلت الجمعية نشاطها واستمرت في امداد المستوطنة الجديدة بأفواج متلاحقة من العبيد الذين كانوا في الغالب من عبيد أمريكا المحررين ، لامن الذين تم انقاذهم من براثن التجار وقبل وصولهم الى سوق الرقيق . . ويقدر عدد الذين تم توطينهم في المستوطنة الجديدة ، في القرن التاسع عشر نحو ١٤٠٠٠ نسمة . وتزايدوا بعد ذلك حتى بلغ عددهم في وقت من الأوقات (٤٦٠٠٠) نسمة

وجاءت سنة ١٨٤٧ ، واذا بالجمعية تعلن عجزها عن المضي في أعمالها ، وذلك لأسباب مالية في الغالب . فما كان من المستوطنين الجدد الا أن اعتمدوا على أنفسهم واعلنوا دولتهم أو جمهوريتهم الجديدة باسم ليبيريا . . ولا يخفى اشتقاق هذا الاسم من أصله الأجنبي ومعنى الحرية الذي يؤديه . . .

من هنا بدأت قصة ليبيريا الثانية ولعلها أبعث على العجب من الأولى . انها قصة العلاقة التي قامت بين سكان ليبيريا الأصليين ، الذين كانوا وما زالوا يشكلون الاكثرية الساحقة فيها والذين بلغ تعدادهم ٥ , ١ مليون نسمة حسب احصاء ١٩٦٢ وبين سكانها الجدد من المستوطنين الامريكيين . . وهم القلة الضئيلة التي لم يجاوز عددها وفق الاحصاء المذكور ٦٤٥٢ نسمة .

الا أن هذه الأقلية هي التي استأثرت بالحكم في ليبيريا وبسطت سلطتها على الاكثرية الساحقة . . سكان بلاد الاصليين . .

(سموا عاصمتهم منروفيا نسبة الى الرئيس الامريكي الاسبق جيمس منرو . . . . . . واتخذوا من الدولار الامريكي القديم ـ وكان ملغى آنذاك ـ عملة لهم . . ثم جعلوا علم ليبيريا خطوطا أفقية كالعلم الأمريكي ، وسموا رئيس أركان جيش ليبيريا الجنرال جورج واشنطن . . . وجعلوا البة شرطة نيويورك

القديمة اليــة رسمية لشرطتهم . .

(هـذا من جهة . . . ومن جهة أخرى عـاملت هذه الاقلية الامريكية سكان البلاد الاصليين بقدر كبير من الظلم والاستعلاء والتفرقة العنصرية . . . حرموهم الحقوق والمزايا التي احتكروها لأنفسهم . . فحالوا بينهم وبين المناصب الحكومية وأنكروا عليهم القيام بأي نشاط يذكر في الميادين الزراعية والتجارية . . . وهكذا أصبح سكان البلاد الاصليون كالغرباء في بلادهم . . مواطنين من الدرجة الثانية في عقر دارهم .

من هنا يستطيع القارىء تقدير الانقلاب (الدموي) الذي وقع في ليبيريا قبل نحو خمس سنوات ، حق قدره . . فقد قام بهذا الانقلاب أحد صغار الضباط العسكريين واسمه صموئيل دو وقام به وهو لا يقصد سوى انصاف السكان الاصليين

ونجح الانقلاب أخيرا فقلب أوضاع السكان في ليبيريا رأسا على عقب وحقق من الاصلاحات ما مست الحاجة اليه منذ زمن . . ونجح الضابط «دو» في اعادة بناء الجسور مع الولايات المتحدة . . وتجدر الاشارة بعد هذا الى أن ليبيريا شهيرة بزراعة المطاط . . . وتوجد فيها أكبر مزرعة للمطاط في العالم وتملك هذه المزرعة شركة فايرستون الامريكية (ي . ز)

ن

جائزة نوبل للسلام

من أجل غد آمن !

من هي « الفا ميردال » السيدة السويدية التي ظفرت بجائزة نوبل للسلام . . ؟

السيدة التي فازت بجائزة نوبل للسلام وهي « الفا ميردال » لم تفز بها وحدها وانما شاركها فيها زميل من المكسيك اسمه ألفونسو جارسيا روبلز . وأما الزمالة التي قامت بينهما رغم المسافة الهائلة التي تفصل بينهما ، أو بين موطن كل منهما ، السويد والمكسيك ، فتتمثل في الجهود التي بذلها كل منهما من أجل نزع السلاح . . فقد كانت مسيرتهما واحدة في نفس الاتجاه .

بدأ دور السيدة ميردال السويدية في الحملة العالمية لنزع السلاح النووي في عام ١٩٦١ على وجه التحديد ، وهي الآن في عامها الثمانين . شغلت منصب سفير السويد في الهند ، ثم الوزير المختص بنزع السلاح في الوزارة السويدية ، وبحكم منصبها الأخير كانت تقف في اجتماعات لجنة نزع السلاح في جنيف داعية بقوة الى وقف التسلح النووي ووضع حد لهذا الخطر الذي يتهدد العالم كله بالهلاك . ومضت ترأس وفد بلادها في كل مؤتمر يعقد لنزع السلاح في « قصر الامم » بجنيف طوال الاعوام الاخيرة .

انها تؤمن بجدوى مسيرات الاحتجاج والمظاهرات السلمية في وضع حد للسباق على التسلح النووي بين القوتين العظميين ، ثم تقول : « لولا هذه المظاهرات التي جسّدت ضغط الرأي العام ، لما انتهت حرب فيتنام » .

وقد كان أعظم انجاز حققته السيدة ميردال في حياتها هو الاصلاحات التي أدخلتها على سياسة بلادها تجاه الاسرة في السويد فقد نجحت في تعميم مجانية العلاج والدواء والتعليم ، وكانت ثورة توصلت اليها بعد عشرين أو ثلاثين عاما من الجهد المتصل .

انها ترى أن هناك ثلاث وسائل يمكن أن تؤثر مجتمعة في نجاح الحملة لنزع السلاح النووي . . الوسيلة الأولى تتمثل في الحركات الشعبية والثانية في دور المنظمات والخبراء في التأثير على الحكومات ، والثالثة في الضغط على الدول العظمى للتخلي عن فكرة استخدام الاسلحة النووية وتسليح أوروبا نوويا .

ولكنها تقول بعد ذلك في أسى : الشيء الوحيد الذي كنت أتمناه هو أن أعيش عشرين أو ثلاثين سنة أخرى لأشهد بداية نزع السلاح . . ولكنني لا أظن أنني سأكون هنا لأشهد هذا اليوم . من يدري؟



ابن الهيثم

أكبر رياضي في عصره ، أراد بناء خزان أسوان قبل الف سنة

● من هو ابن الهيثم . ؟ . ومتى عاش . ؟ . وبماذا اشتهر . ؟ . .

عاش ابن الهيثم في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري ، وبداية القرن الخامس ، وكانت الثقافة الاسلامية يومئذ في قمة تفتحها وازدهارها ، اذ كان المسلمون في ذلك العصر قد استطاعوا أن يتوسعوا في ثقافتهم الدينية والعربية ، ويضيفوا اليها ثقافات شتى من الأمم الأخرى التي فتحوها أو جاوروها كالفرس والهنود واليونان

وابن الهيثم هو ابو علي محمد بن الحسن بن الهيثم ولد نحو سنة ٣٥٤ هـ في مدينة البصرة ، وهي ميناء العراق جنوبا ، تقع على شط العرب في الخليج العربي ، وكانت يومئذ من مراكز الثقافة الاسلامية الكبرى ، وفيها اقبل ابن الهيثم على تلم كل ما وجده أمامه من العلوم ، وساعدته على ذلك عبقريته الفائقة وحبه للمعرفة ، وصدق عزيمته في تحصيلها وأشد ما اجتذبه من العلوم - علوم الحكمة ولا سيما الرياضيات والطبيعيات حتى قيل أنه كان أوحد زمانه فيها .

وقد تولى عدة مناصب وارتقي حتى صار وزيرا لحاكم البصرة ، لكنه عدل عن المناصب جميعا ، اذ كان ميالا الى الفضائل والحكمة ، وكان شديد الزهد ومحبا للخير ، فجرد نفسه من كل الشواغل الدنيوية التي تمنعه النظر في المعرفة والتعمق فيها ، وتفرغ للمطالعة ، والتأليف ، فلخص كثيرا من كتب ارسطو - أكبر فلاسفة اليونان - في الفلسفة والمنطق ثم شرحها كما لخص كثيرا من كتب جالينوس - أشهر أطباء اليونان ، وشرحها ايضا ، مع أنه كان عارفا باصول الطب وقوانينه وأموره العامة - لم يزاول أي عمل فيه ، ولم يكن متدربا على العلاج .



« الفا ميردال »

ولا شك أنه كان من العلماء الاعلام في عصره ، وقد استفاضت شهرته بعلوم الحكمة حتى بلغت حاكم مصر يومئذ ، ، وكانت تحت حكم الفاطميين الذين لم تبلغ دولة اسلامية ما بلغته دولتهم من الاهتمام بعلوم الحكمة ، وكان لحكامهم مشاركة واسعة في هذه العلوم وتشجيع عظيم لترويج مؤلفاتها ، والمؤلفات في غيرها مع تعظيم أهلها وتقريبهم إليهم ، وكان القائم بالملك يومئذ في مصر هو الحاكم بأمر الله وكان - كأهل بيته - مغرما بالحكمة ، فاشتاق أن يرى ابن الهيثم ثم زاده حرصا على استقدامه الى مصر ما بلغه عنه من أنه قال : « لو كنت بمصر لعملت في نيلها عملا يحصل به النفع في كل حال من حالاته من زيادة ونقص ، فقد بلغني أنه يتحدر على موضع عال من طرف الاقليم المصري » فازداد شوقا الى رؤيته وارسل اليه في السر أموالا كثيرة مع وعده له باكرامه إن قدم عليه عندئذ نشط ابن الهيثم للسفر الى مصر ، وقبيل بلوغه القاهرة خرج اليه الحاكم نفسه للقائه عند قرية قرب بابها تسمى الخندق (موضعها الآن حمامات القبة) احدى ضواحي القاهرة فرحب به وأمر بانزاله منزلا يليق به ، مع اكرامه واحترامه ، وبعد أن استراح فترة طلب اليه تنفيذ ما وعد به من أمر النيل .

وتوجه ابن الهيثم جنوبا الى أسوان حيث المكان الذي كان يعرف أن النيل يتحدر فيه عند مرتفع عال ، وكان معه جماعة من المهندسين والصناع الذين يتولون البناء بأيديهم ليساعدوه فيما أراد بناءه كما ارتسم هندسيا في خياله . وبدأ

بجولات واسعة في الاقليم كله حيث رأى آثار الأقدمين هناك ، وهي في الذروة من اتقان الصنعة ، وبراعة الهندسة وهي أشبه بالمعجزات ، فبدا له أن تنفيذ مشروعه غير ممكن ، وأنه لو كان ممكنا لقام به الأقدمون ، وهم من هم في فن البناء والهندسة فتضعضعت عزيمته ، ووصل الى موضع الجنادل (الشلال الأول) وهي الموضع المرتفع الذي ينحدر منه ماء النيل الى الشمال فعاينه واختبره شمالا وجنوبا فتحقق له أنه أخطأ التقدير ، فعاد الى القاهرة مثقلا بالخجل والاسف والخذلان ، واعتذر الى الحاكم عن عجزه فرضي الحاكم بعذره ، وولاه بعض الدواوين فقبلها وهو كاره . وكان يعلم أن الحاكم سريع التقلب في تصرفاته ، يأمر بالشيء وسرعان ما ينهي عنه ، ويحرم الشيء ثم يحلله على وفق أهوائه ووساوسه ، وأنه لا يبالي في بطشه بمن يكرهه أن يسفك الدماء بأوهن الاسباب أو بدون سبب ، فلم يجد ابن الهيثم وسيلة للخلاص من هذه البلية الا أن يتظاهر بالجنون وشاع ذلك حتى بلغ الحاكم ، فأمر نوابه بحفظ أملاكه وتقييده وابقائه في منزله وتعيين من يخدمه ويقوم بقضاء حاجاته ، وبقي على ذلك حتى تحقق من موت الحاكم فأظهر العقل ، ورجع الى ما كان عليه ، وخرج من منزله وسكن قبة على باب الجامع الأزهر وأقام بها متنسكا متفردا قانعا بحاله ، وأعيدت اليه أمواله التي كان الحاكم قد حفظها ، وظل بقية حياته على هذه الحال مشتغلا بنسخ الكتب وتأليفها

وكان جيد المعرفة بالعربية ، حسن الخط ، وقد كتب به الكثير من الكتب وكان يرتزق بنسخ ثلاثة كتب في السنة ليبيعها ويعيش من ثمنها الذي كان مائة وخمسين دينارا مصريا ،وكان محبو هذه الكتب يعطونه هذا الثمن دون مساومة فتكون منه نفقته طول السنة ، ولم يزل على ذلك الى أن مات ودفن في القاهرة نحو سنة ثلاثين وأربعمائةأو بعدها بقليل

وقد كتب ابن الهيثم ترجمة لحياته الفكرية وما صنفه من كتب الى ما قبل وفاته بنحو اربع عشرة سنة ، فذكر أن له في العلوم الرياضية خمسة وعشرين كتابا ، وفي العلوم الطبيعية والالهية أربعة واربعين كتابا ، وذكر في كل قسم أسماء هذه الكتب وموضوع كل منها ، ولكن المؤرخين يبلغون بكتبه نحو مائتي كتاب ، ويظهر من ترجمته لنفسه أنه رأى تفرق الناس فيا يعتقدون ، وأن كل فرقة منهم تتمسك بما تعتقده ، فتشكك فيا يرون وأيقن أن الحق واحد ، وأن الاختلاف فيه انما هو من جهة السلوك اليه ، فاتجه بكل قواه الى ادراك الامور العقلية ، وانقطع الى طلب معدن الحق ، وبعث عزمه الى تحصيل الرأي المقرب الى الله المؤدي الى رضاه ، الهادي لطاعته وتقواه ، فازدرى العوام واستخف بهم وبهوموهم وآرائهم ، وأعلن أنه اهتم بالانواع الثلاثة لعلوم الفلسفة وهي الرياضيات والعلوم الطبيعية والالهية وأنه صنف الكتب فيها لغايتين : افادة غيره وترويض نفسه ، فتكون ذخيرة له وقت الشيخوخة وأن المطلع عليها سيعرف منها عنايته بطلب الحق ، وحرصه على ادراكه ، وعزوف نفسه عن مماثلة العوام الرعاع الاغبياء وارتفاعها الى مشابهة اولياء الله الأخيار والاتقياء .(م . خ . ت).



ن

العالم
مجنون .. مجنون

ضاعفت الدولتان العظميان ما تنفقانه على التسلح .. النووي وغير النووي .... حتى أصبح من المتعذر علينا تصور المبالغ التي تنفقانها في هذا السبيل ، وقد بلغت عددا من آلاف آلاف الملايين في السنة الماضية ، ... وأرادت صحيفة الهيرالد تريبيون أن تقرب تلك المبالغ الى أذهان القراء وتمكنهم من تصور ضخامتها ... فكان هذا الرسم الايضاحي اللطيف .... وكان ما جاد به الكمبيوتر من تقدير لمجمل انفاق الدولتين الكبريين على التسلح في كل دقيقة من دقائق السنة الماضية كلها .. وقد بلغ هذا بالمتوسط مليون دولار (١,٠٠٠,٠٠٠)دولار ... !

المحتسب
وقانون الدفاع الإجتماعي

بقلم الدكتور محمد عيسى صالحية

كل دارس لطبيعة حركة المجتمع الاسلامي في عصوره الاولى ، وخاصة في القرنين الثالث والرابع الهجريين يلمس وبكل بساطة ان مجموعة من الامراض الاجتماعية بدأت تظهر وتأخذ طريقها الى حياة الناس ، كارتفاع الاسعار المفاجيء وانتشار الغش في الاطعمة والاشربة والتجارة والصناعة وتخلخل الامن الداخلي وتدهور الاداب الاجتماعية وانتشار الاوبئة والطواعين . فكان لابد من التصدي لهذه الامراض بروح من العدل والمساواة . ومن هنا كانت القاعدة الشرعية ، الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، هي ركيزة القانون الاساسي للدفاع الاجتماعي في المدينة الاسلامية . والذى اصطلح عليه باسم خطة الحسبة . وكان تأسيس هذه الخطه على نصوص من الكتاب والسنة قد اعطاها هيبة وجلالا لدى الحكام والرعية حتى عدها الماوردى واسطة بين احكام القضاء واحكام المظالم . بل وبها تمام القضاء واصل المعرفة والزام الحقوق والعون على استيفائها . ولذا فانه لايتولاها الاعالم مجرب . ثقة . صدوق قد شهر فضله وعدله بين الناس . لان عملها دقيق . فقد يقع في عمل المحتسب من الاحكام التي تؤخذ بها الناس مالايقع في عمل الحكام . وفي بعض الاحيان تفرض عليه امانة المهنة ان يقف في وجه الحكام . ذكروا ان طغتكين بن عبدالله . مملوك السلطان تتش السلجوقي بدمشق . طلب له محتسبا . فذكر له رجل من اهل العلم ، فأمر باحضاره . فلما بصربه ، قال : اني وليتك امر الحسبة على الناس .. الامر بالمعروف والنهي عن المنكر! فاجابه الرجل : ان كان الامر كذلك فقم عن هذه الطراحة . وارفع هذا المسند . فانهما من حرير . واخلع هذا الخاتم . فانه ذهب . وروى له احاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . ذلك ان المحتسب مطلوب منه ان يتردد على مجالس الامراء والولاة ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويذكرهم ويعظهم ويامرهم بالشفقة على الرعية والاحسان اليها ، ويعرفهم ببواطن الخطل في العالم . قبل ان سودون الداودار وقد استقر الامر له في الداودارية في العصر المماليكي احتاط على أموال أيتمش ، ومن جملة ما وجد ستة الاف اردب من الفول . فطلب من المحتسب بدر الدين العيني ان يبيع الاردب بستين درهما ، ولما رفض العيني بدعوى أن سعره المتداول خمسة وثلاثون درهما وفي الغلاء تضييق على الناس . وحين عاوده سودون عزل العيني نفسه (استقال) من تولي الحسبة وواصل اشتغاله بالتاريخ .

ولو قدرلك ان ترقب حركة في احدى المدن الاسلامية كبغداد او القاهرة او الفسطاط او القيروان في القرن الخامس الهجرى مثلا لشدك منظر ذلك الرجل النظيف الهيئة . التقي . الورع . الفقيه العالم باحكام

الشريعة . وهو يطوف المدينة ليلا أو نهارا راكبا وماشيا وحوله الأعوان والنواب والعرفاء والغلمان . ينتقل من دكان الى دكان ومن حانوت لآخر . يمر على الكتاتيب وينظر المساجد ويتفقد الطرق ويدخل دكاكين الاطباء والعشابين (الصيادلة) . وترى الرجل يصدر احكامه بحق المخالفين . فيا وسع الأعوان الا تنفيذ ما امر . ولو سألت عن الرجل . لقيل لك . انه محتسب المدينة يرعى اقرار الشرع المطهر . ذلك ان كل مانهت عنه الشريعة وجب عليه ازالته والمنع منه . وما اباحته اقره على ماهو عليه .

حتى الحيوانات والدواب

ترى ماهي حدود اختصاصات المحتسب في المدينة الاسلامية ؟ يبدو لنا ان ادب الحسبة في التراث العربي خير مايوضح ذلك . ومن هنا نستطيع ان نقول انها تشمل :

ـ في البيع والشراء : مراقبة القناطير والأرطال والمثاقيل اى الموازين والمكاييل ومن ثم ضبط نشاط الدلالين والسماسرة .

في الآداب العامة : الحسبة على الطرقات والاسواق ومراعاة آداب الطريق وعدم التعرض للنساء او التحرش بالفتيات .

في الطعام : الحسبة على الحبوبيين والدقاقين والعلافين والطحانين والخبازين وصناع الزلابية والجزارين والقصابين والشوائين والرواسين وقلاة السمك والحلوانيين والسمانين وغيرهم .

في الكساء : الحسبة على البزازين (باعة القماش) والحاكة والخياطين والقطانين والكتانيين والحريريين والصباغين والرفائين والقصارين (من يعتبرون الألوان) والاساكفة .

في الصحة العامة : الحسبة على الصيادلة والعطارين والشماعين (من يبيع الشموع) والشرابيين والحمامات وقومتها والفصادين والحجامين والأطباء والكحالين والمجبرين .

في الصناعة : الحسبة على النحاسين والحدادين والسروجيين وغيرهم .

واخيرا . الحسبة على اعمال الصيرفة والصياغة وسك العملة والحسبة على مؤدبي الصبيان . وحتى أهل الذمة .

ولاتستغرب ان شملت صلاحياته الحيوانات والدواب . وكأن اختصاصات المحتسب اليوم موزعة بين وزارات التجارة والصناعة والصحة والداخلية والتربية والبلدية والقضاء والتموين .

وقد اجمل القلقشندي ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م مهام المحتسب بسجل وجده من انشاء القاضي الفاضل نجتزيء منها الفقرة التالية . . . وامنع ان يخلو رجل بامرأة ليست بذات محرم . واستوضح احوال المطاعم والمشارب . وقوّم كل من يخرج في شيء منها عن السنن . وعير المكاييل والموازين فهي آلات معاملات الناس . واجتهد في سلامتك من الآثام بسلامتها من الالباس والادناس واحذر ان تحمل دابة مالاتطيق . وادب من يجرى الى ذلك بتوخي فعله . واوعز بتنظيف الجوامع والمساجد لتنير بالنظافة مسالكها كما تنير بالاضاءة حوالكها . ففي ذلك اظهار لبهجتها وجمالها . واشار لصيانتها عن اخلاف نضرتها وابتذالها . . . الى اخر الرسالة .

كل هذه الامور تطلبت يقظة وحذرا . عين ترقب وتحذر ويد تمنع الاضرار بمصالح الناس . وحيث أن المحتسب لايعقل ان يقوم بكل هذا بنفسه فقد استعان بالأعوان والغلمان فلربما تظاهر عليه المفسدون فلا يستطيع ردعهم بنفسه . وكان العرفاء من اهم اعوان المحتسب . فلكل مهنة او صنعة عريف هو بمثابة رئيس لهم . على ان يكون ثقبا ورعا . ويناط بالعريف ان يضع اداب المهنة بمعونة اهل الرأى من ارباب الصنعة .

وتشمل الاداب ، التعريف بالصنعة وشروط مزاولتها ومن ثم طرق غشها ، ويتوجب نشر هذه الاداب بين الناس ليعلموها ، فان وجد احدهم مخالفة لاداب المهنة ابلغ بها المحتسب فاوقع العقاب بالغاش او المدلس .

ودعني أنقل لك صورة من الحسبة على الخبازين والطباخين من ناحية ، والحسبة على الأطباء والصيادلة من ناحية ثانية ، والحسبة على كافل اللقيط وحق الحيوانات من ناحية ثالثة .

فالخبازون : « ينبغي ان ترفع سقائف حوانيتهم وتفتح ابوابها ، ويجعل في سقوف الافران منافس واسعة يخرج منها الدخان لئلا يتضرر بذلك الناس ، واذا فرغ الخباز من احمائه مسح داخل التنور بخرقة نظيفة ثم شرع في الخبز » وتلاحظ مدى الدقة في ضبط الامور ، ويضيف الشيزرى في كتابه الرتبة في طلب الحسبة حول الخبازين « ويكتب المحتسب في دفتره اسماء الخبازين ومواضع حوانيتهم ، فان الحاجة تدعوه الى معرفتهم ، ويأمرهم بنظافة اوعية الماء وتغطيتها وغسل المعاجن ونظافتها وما يغطى به الخبز ، وما يحمل عليه » ، ثم اورد آدابا لمن يشتغل بمهنة الخبازة تندرج تحت مطلب الحفاظ على الصحة العامة وحفظ حقوق رواد المخابز .

واما الطباخون ، فيحدد المحتسب شروط مزاولة المهنة وكيفية صنع الطعام وكيف تغش المضيرة او البهطة وغيرهما ، وفي هذه المسألة وحيث ان وسائل غش الطعام قد لا تكون معروفة لدى جميع الطباخين فيقف عن ذكر وسائل غش الطعام : « ولولا أني اخاف ان اليه من لادين له على غش الاطعمة لذكرت من ذلك جملا كثيرة في اختلاف اشياء من عناصرها ، ولكني اعرضت عن ذكرها مخافة ممن يتعلمها فيعلمها الناس » . وقد اجمع المحتسبون على التحذير من رسالة يعقوب الكندى ، المسماة « كيمياء الطبائخ » ، فهي تعلم كيف تطبخ الوان من اللحم بدون لحم وقلي كبود من غير كبود ، ومخ من غير مخ ، وعجة من غير بيض ، وجواذب من غير ارز وحلاوة من غير عسل وسكر ، ويعتبر المحتسب عليهم ذلك .

وكانت الحسبة على الاطباء تقوم على تعريف الطب والدعوة الى تعلمه ومن ثم يعرف الطبيب بانه العارف بتركيب البدن ومزاج الاعضاء والأمراض الحادثة فيها واسبابها واعراضها وعلاماتها ، والادوية النافعة فيها ، والاعتياض عما لم يوجد منها ، والوجه في استخراجها وهكذا .

المريض عند الطبيب

ولعل مبدأ معاملة المريض والاحتراز في معالجته تبدو متفوقة عند الطبيب المسلم ، يرقبها المحتسب بدقة ، ولنقرأ ما يطلبه المحتسب من الطبيب اذا ما دخل عليه المريض او العكس « وينبغي اذا دخل الطبيب على المريض ، وسأله عن سبب مرضه ، وعن مايجد من الالم ، ثم يرتب له قانونا من الاشربة وغيرها من العقاقير ، ثم يكتب نسخة لاولياء المريض بشهادة من حضر معه عند المريض ، واذا كان من الغد حضر ونظر الى دائه ونظر الى قارورته ، وسأل المريض هل تناقص به المرض ام لا ، ثم يرتب له ماينبغي على حسب مقتضى الحال ، ويكتب له نسخة ويسلمها لاهله ، وفي اليوم الثالث كذلك ، وفي اليوم الرابع كذلك الى ان يبرأ المريض او يموت ، فان برىء من مرضه اخذ الطبيب اجرته وكرامته ، وان مات حضر أولياؤه عند الحكيم المشهور ، وعرضوا عليه النسخ التي كتبها لهم الطبيب ، فان رآها على مقتضى الحكمة ، وصناعة الطب من غير تفريط ولا تقصير من الطبيب ، قال هذا قضاء بفروغ اجله ، فان رأى الامر بخلاف ذلك ، قال لهم : خذوا دية صاحبكم من الطبيب ، فانه هو الذى قتله بسوء صناعته وتفريطه » .

ولذا كان الطبيب يحتاط في معالجته لايتهاون في شيء ولا يفرط ولايزاول المهنة الا من اهل لها .

اما الحسبة على اللقيط فتقوم على اثبات حالته ويسلمه المحتسب الى ثقة ويخرج نفقته من بيت المال ويدفعها لمن يجعله في حجره ، ويأمره بالنفقة عليه ، فان رأى من المتكفل تقصيرا نقله من عنده وان كان بيت المال

خاليا وجبت نفقة اللقيط على جميع المسلمين ، وشدد المحتسب على ان اللقيط حر ولا يسترق او يستعبد .
لقد عوملت كافة مصالح الامة بجدية واحدة ، فاعقد المهن ضبطتها آدابها واهون المهن احكمت الرقابة عليها ، حتى الخيط الذى يحاك به الثوب عند الخياط ، فقد طلب من الخياط ان يكون خيط ابرته قصيرا على خرم الابرة لانه اذا طال انسلخ وضعفت قوته والابرة تكون رفيعة والخياطة تكون درزا لاشلا ، حفاظ على مصالح الناس وأي حفاظ ! ومراعاة لاسس الامن الاجتماعي بين فئات المجتمع .
حتى الحيوانات والدواب ، طلب المحتسب الى اصحابها الايتركوها سائبة دون طعام او شراب ، حتى ان استغنى عنها صاحبها ، بل الزم صاحب كل دابة بتقديم الطعام والماء لها في اوقاته وسير احدا من اعوانه ليتفقد الدابة في مواعيد اطعامها واروائها ، فان لم يعرف صاحبها ، جمعت الدواب الضالة ، عدا الكلاب والقطط ، وافرد لها متسعا من الارض المسورة ، وعين من يقوم بخدمتها حتى يقضي اجلها .

عن عقوبات المخالفين

ولكن ماهي العقوبات التي يفرضها المحتسب بحق المخالفين ، هل هي الضرب دائما والتشهير احيانا ؟ يبدو لي ان العقوبة اقتضت اولا التعريف بالخطأ الاجتماعي اولا والدعوة لعدم ممارسته لمرة اخرى ثم النهي بالوعظ والنصح والتخويف ثم السب والتعنيف بالقول الغليظ الخشن والتغيير باليد كاراقة الخمور وخلع الحرير عن الرأس ، ثم الضرب والتشهير وقد ينفى من البلد الى مكان آخر اذا ما تمادى في ضرره الاجتماعي .
تصوروا تاجرا ما ارعوى وقد نصح ووعظ وهدد وضرب ، ومازال يدلس ويغش ، فيركب جملا بعد ان يلبس التاجر طرطورا علقت فيه اذناب الستاير والخرق البالية والودع ، ويطاف به في المدينة ، وامامه مناد يقرع بجرس وينبه الى انه التاجر الغاش الذى يخدع المسلمين في اموالهم وانفسهم ومن ثم يضرب بالدرة او السوط وقد ينفى من البلد ، قل هل سيقوى غيره على الغش ؟
ودعني انقل اليك صورة عن اثر الحسبة في دولة الظاهر بيبرس ٦٧٤ هـ / ١٢٧٥ م اوردها ابن دانيال ، لما قدم القاهرة في دولة الظاهر بيبرس ووجد سوق الفجور كاسدة ، قال : قدمت من الموصل الى الديار المصرية ، في الدولة الظاهرية ، سقى الله من سحب الانعام عهدها ، واعذب مشارب وردها ، فوجدت مواطن الانس دارسة ، وارباب اللهو والخلاعة غير آنسة ، ومن لذة العيش آيسة ، وهزم امر السلطان جيش الشيطان وتولى (الحوان) والي القاهرة : اهراق الخمور ، واحراق الحشيش ، وتبديد المزر (الجعة او البيرة) ، واستتباب المخنثين واللواطى ، وحجر البغاة والخواطى ، وشاعت بذلك الاخبار ، ووقع الانكار واختفى المسطول في الدار ، وقد آذى الخلاعة غاية الاذية ، وصلب الكازروني وفي رقبته نباذيه ، وابن الكازروني هذا كان كثير السكر فصلبه المحتسب وعلق الجرة والقدح في عنقه . فهذه الاجراءات اشاعت الامن والطمأنينة ، وحدت من انتشار المنكرات والتظاهر بها .

والآن ، قل بربك الى كم الف محتسب نحتاج في بيوتنا ، في شوارعنا ، في اسواقنا ، في مساجدنا ، في جامعاتنا ، في محاكمنا ، في مراكز امننا وشرطتنا ، ولكنه يكون تقيا ورعا ، الناس عنده كاسنان المشط ، انه قانون الدفاع الاجتماعي الحق الذى نطلبه في التطبيق لا في النظر والادب .. فهلا .. ؟ !

د . محمد عيسى صالحية
قسم التاريخ ـ جامعة الكويت

صفحة لغة

شجب القوم الخطة

بقلم : محمد خليفة التونسي

هل تخلد النفس بعد موت الجسم ؟ أم تهلك بهلاكه ؟ الناس في الامر مختلفون وفي هذا يقول شاعرنا المتنبي :

تفرّق الناس ، حتى لا اتفاق لهم
الا على شجب والخُلْفُ في الشجب
فقيل : « تَخْلص نفس المرء سالمة
وقيل : « تَهْلك مثل الجسم بالعطب »
ومن تفكّر في الدنيا ومهجته
أقامه الفكر بين العجز والتعب

فالشجب هنا بمعنى الهلاك .

وقد شاع لعهدنا استعمال « الشجب » بمعنى الانكار ، يقال ، فلان يشجب رأى خصمه بمعنى يخالفه أويعيبه ، أوينكره ويرفضه : وهي معان متقاربة ولم يكن لنا باستعمالها عهد في شبابنا بل كانت الكلمة التي تؤدى هذا المعنى قبل هي : يعارض ، يرفض ، يستنكر ونحوها ، ولكن استعمال « الشجب » واسع بيننا اليوم في الحديث وفي الكتابة لاسيما الصحافة ، يتردد مرات يوميا ، حتى ليجعل مطاردتها لوقف ترددها متعسرة أو متعذرة ، فاصرار بعض اللغويين على مطاردتها مضيعة للجهد والوقت عبثا .

أفليس لها بهذا المعنى سند في العربية ؟

يأتي الفعل « شجب » لازما ومتعديا ، فيكون لازماً من باب جلس ، ومن باب لعب ، في تصريفه يقال : « شَجَب » الرجل يشجب شجوبا ، وشجِب ، يشجب شَجَبا ، فهو شاجب وشجب بمعنى حزن أوعطب ، أوهلك ، ويأتي متعديا من باب جلس او

نصر ، في تصريفه . فيقال : شجبه الله يشجبه شجوبا وشجْبا ، ، اى حزنه ، واعطبه ، أو أهلكه ، أوشغله .

وقد يقال أشجبه الأمر ، بالمعاني نفسها ، وهي متقاربة ، بل متداخلة .

وشجب الشيء : ذهب أوهلك ، وأصل « هلك » بمعنى « ذهب » لأن ما يهلك يذهب ويبعد . .

والمشجب والشّجاب (اسمان للآلة) وهو جملة فروع تربط معا ، لتعلق عليها الملابس أو غيرها ، وهي ما يسميه بعضنا الآن « الشماعة » .

ولكن ورد في مادة (شجب) في كل من « لسان العرب » لابن منظور ، و « تاج العروس » للزبيدى ـ هذا الحديث : الناس ثلاثة : شاجب وغانم ، وسالم ، فالشاجب الذى يتكلم بالردىء وقيل : الناطق بالخنا ، والمعين على الظلم ، والغانم الذى يتكلم بالخير ، وينهى عن المنكر فيغنم ، والسالم : الساكت »

ويعنينا من هذه المعاني لكلمة « الشاجب » أنه الذى يتكلم الكلام الرديء ، أفليس من يشجب رأيا أوعملا ـ يذكره بالسوء أويعيبه ؟

وكذلك ورد في المادة : ـ شجب الغراب يشجب شجيبا : نعق بالبين ، وغراب شاجب : هو الشديد النعيق الذى يتفجع من غربان البين .

فمن يشجب رأياأو عملا ، فهو يعلن فجيعته به ، كما ينعب الغراب من الغربان التى يراها منذرة بالفراق .

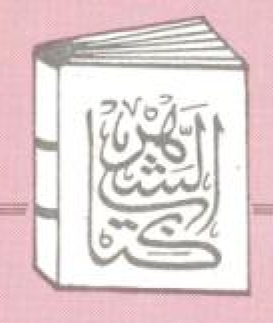
وليس من الضروري أن يكون ما يعاب بالكلام الرديء معيبا فعلا ، أوما يتفجع منه فاجعا حقا ، بل يكفي ان يراه المرءكذلك ، ويعلن رأيه فيه ، وكل امرىءفي ذلك وما يقدره ، سواء كان تقديره صوابا او خطأ .

ومن هنا يظهر لنا ان استعمال الشجب بمعنى الانكار او المعارضة ، ونحوها على جانب من الصواب ، فمن ينكر شيئا ، يسعى الى ازالته او هلاكه ، أو يعيبه

هبة لاتنقل

تريدين قلبي؟ خذيه خذيه !... رويدك . لا . بل دعيه دعيه !
دعيه اذا غبت عني أرى محياك فيه ، وحبيّ فيه
وسرٌ ابوح به خلسة وإن كنتِ من قبل لم تسمعيه
أخاف على البعد أن تلعبي به يا بنيّة او تهمليه
فكم لعبة وقعت من يد يك وقوعاً أرى القلب لا يشتهيه
اذا ما لعبت به ها هنا فإني لآمن أن تكسريه
تريدين قلبي ؟ خذيه خذيه ولكن بربك لا تنقليه

عباس محمود العقاد



Debacle: The American Failure in Iran

"The best short account to date of this latest American foreign policy disaster." —The Chicago Tribune

Michael Ledeen & William Lewis

الكارثة الكاملة

الفشل الأمريكي في ايران

تأليف : مايكل ليدين ووليام لويس

عرض : الدكتور أمين العيوطي

في هذا الكتاب يستعرض الكاتبان القوى الاجتماعية والسياسية التي أسهمت في الثورة الايرانية ويقومان بتحليل العلاقات بينها وبين الشاه من ناحية ، وموقف أمريكا من هذا كله من ناحية أخرى . وهما إذ يؤكدان موقف أمريكا المتخاذل في الأزمة انما يحاولان أن يضعا أسسا لما يجب أن تكون عليه السياسة الأمريكية لا في ايران فحسب ، وانما في العالم الثالث بأسره . وهما يطرحان آراءهما من وجهة نظر أمريكية صرفة بطبيعة الحال . والكتاب يبدأ بتحليل علاقات القوى المختلفة التي مهدت للثورة ، فيقول :

• ملك الملوك :

تميزت فترة حكم أسـرة بهلوي لايـران (١٩٢٥ - ١٩٧٩) بالصراعات السياسية والدينية . بدأها رضا خان نفسه باختياره اسم بهلوي ، اشارة الى اللغة البهلوية التي كان حكام فارس ينطقون بها بعد الاسكندر الأكبر . أي أنه كان يربط نفسه بالتقاليد السائدة قبل دخول الاسلام كعقيدة وأسلوب حياة . وحين اتجه الى تحديث ايران بفتح المدارس والجامعات للنساء ، والغاء ارتدائهن للشادور ، ووضع الأراضي تحت تصرف القصر لاتصرف الزعماء الدينيين ،وتأسيس سلطة مدنية لادينية ، واقامة حكومة مركزية ، فانه كان يضع بذلك حدا لسلطة رجال الدين، وقد خلق هذا بينه وبينهم صراعا ورثه عنه محمد رضا بهلوي حين جاء الى الحكم في ١٩٤١ .

وقد بدأ الشاه الجديد حكمه وسط صراعات سياسية نتيجة لتسلط رؤساء الوزارات وأعضاء البرلمان ذوي النفوذ ، والعناصر الوطنية النشيطة التي كانت تحاول اخضاع سلطة الشاه لتشريع قومي ، وتعبيء المشاعر الوطنية ضد الوجود الانجليزي - السوفيتي - الأمريكي ، بل ضد الشاه نفسه . تبلورت هذه الصراعات في ثورة مصدق التي هرب بعدها الشاه الى روما (١٩٥٣) ، حتى أعادته المخابرات الأمريكية الى عرشه بعد اعتقال مصدق ومحاكمته . ادى هذا في النهاية الى أن يحكم الشاه قبضته على الحياة السياسية في ايران وعلى الأجهزة الحكومية ، لكنه ظل يفتقد دعم الجبهة الوطنية ، وحزب تودة ، ومثقفي اليسار ، والطلبة والعمال . وجاءه التحدي الأساسي من رجال الدين ، هذا التحدي أدى الى نفي آية الله الخميني الى العراق (١٩٦٣) . لم يخمد هذا مشاعر العداء نحوه . فقد أثار بذخه الشديد مشاعر شعب فقير . كما أدى فشله في ادماج القوى الجديدة التي أوجدها تدفق البترول من عمال ومثقفين في البنية السياسية واشراكهم في السلطة الى تجميع كل خيوط الدولة في يده ، لكنه أدى أيضا الى عزلته نتيجة ضعف شخصية مستشاريه وتملقهم لمشاعره وغروره .

كذلك أدت الظروف الاقتصادية الجديدة الى ظروف اجتماعية أدت فيما بعد الى انهيار حكمه . كان أولها هجرة الفلاحين الشبان الى المدن بحثا عن الرزق ، وعجز الخدمات الاجتماعية عن توفير متطلبات الجماهير الحضرية المتزايدة رغم بلاغة الشاه ووعوده بالرخاء ، مما وفر أرضية طيبة لهجوم الزعماء الدينيين على النظام . ورغم أن برامج الشاه في التحديث كانت تقوم على خلق طبقة وسطى على نمط غربي من خلال الجامعات الايرانية والغربية ، الا أن نظامه عجز عن توفير فرص العمل لهم . وفوق ذلك كان الشاه عاجزا عن تحدي رجال الدين الذين راحوا يحفزون الجماهير ضد برامج التحديث ، وتحرير المرأة ، والتشريعات المدنية . الى هذه الفئات انضم التجارالذين كانت مصالحهم مهددة بادخال نظام البنوك والجمعيات التعاونية . كما كان وجود الجاليات الاجنبية ببذخها وتحررها يستفز حساسيات الايرانيين الاقتصادية والدينية .

في مواجهة هذه التحديات كان الشاه يقدم تنازلات متتالية : اقراض التجار ورجال الصناعة بفوائد منخفضة ، دعم السلع التجارية ثم التراجع عنه ثمّ العودة اليه ، وزيادة الأجور نتيجة للمظاهرات الشعبية ، مما قوى الشعور بأنه لم يكن يعرف كيف يواجه المشكلات ، وأنه فقد السيطرة على البلاد ، ووقع في أسر القوى الأجنبية . وهكذا يرجع اخفاق الشاه الى عاملين : عدم قدرته على مواجهة التغيرات الاجتماعية بشكل يستوعب القوى المتفجرة التي تولدت عنها ، وعدم مواجهتها بحزم .

محور واشنطن - طهران :

في الحرب العالمية الثانية كان لامريكا وجود محدود في ايران ، ودور في ادارة الاقتصاد الايراني ، وفي تزويدها بخدماتها في مجال الأمن الداخلي اذ كانت ترى في ايران جبهة أمامية ضد روسيا خاصة - بعد محاولة أذربيجان الانفصال بتأييد روسيا . وبعد الحرب ارتبطت طهران مع واشنطن بمعاهدة دفاع مشترك ، وبدأت تحصل على عون عسكري أمريكي . وبعد اعادة الشاه الى عرشه ارتبطت المصالح الأمريكية بمصير الملكية . كانت أمريكا قبل هذا تعتبر ايران منطقة نفوذ بريطاني . لكن تأميم مصدق للبترول ، وتزايد الحركة الوطنية أثارامخاوف أمريكا من استغلال روسيا للوضع ، مما أدى الى تدعيمها لنفوذ الشاه

السياسي ، وتزايد الوجود الأمريكي ، وتضاعف المساعدات الأمريكية المالية والعسكرية . وبهذا حلت أمريكا محل بريطانيا خصوصا بعد انسحابها من شرق السويس .

اهتمت أمريكا بتعزيز علاقاتها بالقصر ، وتدريب جهاز السافاك ، والتركيز على بناء قدرة ايران العسكرية لحماية نظام الشاه ، ومواجهة أي تهديد للمصالح الأمريكية في المنطقة . لكن الجيش الايراني ظل عاجزا عن استيعاب نظام عسكري متكامل نتيجة لأن كل سلاح كان يعمل بمفرده ويتصل اتصالا مباشرا بالشاه . وعندما انتهت المساعدات العسكرية الأمريكية في ١٩٦٩ ، تركز اهتمام الشاه على تزويد الجيش بأحدث الاسلحة الأمريكية لمواجهة المد الثوري الذي بدأه جمال عبد الناصر في المنطقة .

وعقب حرب ١٩٧٣ تضاعفت أهمية طهران في واشنطن لتصبح عنصر توازن مؤثر في سياسة الدول المجاورة النفطية ، بحيث أصبحت حليفا له مصالح مشتركة مع أمريكا ، فتضاعفت بذلك مبيعات الأسلحة المتطورة لايران . كان على أمريكا أن تعتمد على مصادر أجنبية للحصول على النفط ، كما كانت مشتريات ايران الهائلة من السلاح تمكنها من تحقيق أرباح طائلة وموازنة ميزان مدفوعات نفطها . ومن الناحية الاستراتيجية شجعت أمريكا طهران على لعب دور شرطي المنطقة ، كما حولتها الى مركز للتجسس على برامج الصواريخ السوفيتية . وعسكريا أصبحت ايران قاعدة عسكرية هامة . أما سياسيا فقد أدت نظرية نيكسون في ١٩٦٩ في امكانية تحقيق السلام من خلال علاقة ثلاثية بين واشنطن وموسكو وبكين الى تقليص الوجود العسكري الأمريكي في الخارج واتاحة الفرصة أمام حلفاء أمريكا لتحديث أسلحتهم وتحمل مسئوليات قيادية في المنطقة ضد الأنظمة الراديكالية . وقد لعبت ايران بالفعل دورا هاما في حرب باكستان ضد الهند ١٩٧١ ، وسايجون ضد هانوي ١٩٧٣ ، وفي محاولة فاشلة لاقتلاع السوفيت من القرن الافريقي ، وفي غزو زائير ١٩٧٧ لقمع الحركة الوطنية ، كانت كلها أعمالا تباركها واشنطن .

غير أن الوضع كان مقلقا . فقد كانت ايران تحاول انشاء مؤسسة عسكرية حديثة دون أن يكون لها سند من قاعدة تقنية ، تعليمية ، صناعية تمكنها من التزود بالأطقم المدربة على ادارة هذه المؤسسة . كذلك أصبحت ايران مخزنا لمعدات عسكرية لاتستوعبها ولاتستعملها ، وكان هذا يهدد بأن يثير مشكلات لايمكن احتواؤها من جراء خطط الشاه الطموحة . كما أن وجود أعداد كبيرة من الأمريكيين في ايران أثار عداء الشعب الايراني لأمريكا . ولم تتوقف واشنطن لحظة لتفكر فيما يمكن أن تؤدي اليه علاقاتها مع طهران . فلم تنتبه الادارة الأمريكية الى أن دخل النفط الايراني كان يتناقص ، وأن نفقات ايران تتزايد . ولم تفلح ايران في تنفيذ خطة الشاه الخمسية في التحديث والتصنيع ، بحيث أصبحت تستورد المواد الغذائية نتيجة لزيادة المواليد والهجرة الى المدن ، وهبوط الانتاج الزراعي . كما برزت مشكلات الاسكان ، والبطالة وضآلة فرص العمل أمام الخريجين ، وانتشار الفساد في الادارة . كانت ايران تتجه صوب أزمة ، والشاه عاجز عن مواجهتها .

• كارتر وايران :

عندما تولت إدارة كارتر أكدت عزمها على عدم استخدام القوة العسكرية والمخابرات كأسلحة في السياسة الخارجية ، وعلى عدم الدخول في علاقات مع الديكتاتوريات ، واعادة تقييم علاقاتها مع الحكومات التقدمية حتى لو كانت معادية . كذلك أكدت على حقوق الانسان لمحاولة تغيير صورة أمريكا بصفتها قلعة للحرية ، لاحامية حمى الطغيان . وقد انعكست هذه السياسة بشكل أساسي على الأنظمة الاستبدادية الرجعية التي لها علاقات مع امريكا . كانت هذه السياسة تعني قطع المساعدات العسكرية والدعم السياسي عنها . وبالفعل حاولت ادارة كارتر تخفيض المساعدات العسكرية ، وزيادة المساعدات الاقتصادية والانسانية .

ورغم معارضة الكثيرين داخل الادارة الامريكية لنظام الشاه وممارسات السافاك ، والمساعدات العسكرية لحاكم ينتهك حقوق الانسان ، الا أن قسما كبيرا داخل البنتاجون ظل حريصا على أهمية ايران كمركز لاستعراض القوة الأمريكية في منطقة الخليج ، أو لجمع المعلومات عن أنشطة السوفييت . وكانت كل تقارير السفير الأمريكي تفيد بتحكم الشاه في الموقف الداخلي ، وقدرته العسكرية على الوقوف في وجه البلدان العربية الراديكالية . ولم تكن هناك أية اشارة الى أن تطبيق حقوق الانسان ، واتباع سياسة ليبرالية قد تؤدي الى سقوط الشاه . وهكذا استمرت العلاقات على ما كانت عليه .

لكن اتجاه أمريكا الى الحد من تصدير السلاح كان يهدد خطط الشاه لتحديث قواته المسلحة . كان قد وضع برنامجا يتضمن ادخال نظام الانذار المبكر ، وشراء ١٤٠ طائرة

ف ـ ١٦ ، وبعض أحدث الفرقاطات ، وأحدث أنواع الدبابات ، والحصول على تسهيلات لانتاج أسلحة متطورة انتاجا مشتركا . عارض الكونجرس أول الأمر بيع أجهزة الانذار على أساس عدم قدرة ايران على تأمين الأجهزة المتطورة . لكنه خفض طلبات ايران من الطائرات ف ـ ١٦ ، ولم يحصل الشاه على طائرات ف ـ ١٤ المزودة بأجهزة اليكترونية ضد الصواريخ أرض ـ جو رغم حصول اسرائيل عليها بعد حرب ١٩٧٣ ، وتأخر تسليم الدبابات وقنابل الغاز والنابالم . ورغم أن ايران ظلت الدولة الأولى التي تحظى بأكبر قدر من مبيعات الأسلحة من خلال تجار السلاح والمصانع الأوربية ، الا أن ذلك أثار شكوك الشاه في نوايا أمريكا .

وأثارت الأزمة بين الصومال وأثيوبيا (١٩٧٧) شكوكه بشكل أكبر . كانت السعودية وايران قد أبلغتا واشنطن بقلقهما من تزايد النفوذ السوفيتي في القرن الأفريقي واليمن الجنوبي ، ولعب الشاه دورا أساسيا في كسب تأييد واشنطن لغزو الصومال لاقليم أوجادين . وبناء على طلب من واشنطن وضع الشاه خطة لاقامة جسر جوي الى الصومال ، على أن تقوم مصر بتزويد الصومال بحاجتها من قطع غيار الأسلحة السوفيتية التي كانت لديها . وفي يوليو ١٩٧٧ قامت الصومال بغزو اقليم أوجادين . وجهت موسكو انذارا الى الصومال بالانسحاب ، وأقامت جسرا جويا لمساعدة أثيوبيا ، بينما هرعت الى أثيوبيا قوات كوبية ، وأدانت منظمة الوحدة الافريقية هذا الغزو . وانسحبت الصومال بعد ذلك وارتفعت صيحات الاحتجاج ضد النفاق والخداع الأمريكي في المنطقة .

والحقيقة أن قرار تأييدها خطة الشاه جاء من أعضاء في الادارة الأمريكية لهم خبرة محدودة بالمنطقة . كانوا وافدين جددا لاعلاقة لهم بالقرن الأفريقي أو مشكلات منطقة الخليج . وعلى الرغم من أن كارتر نفسه كان يدرك أهمية دعم جهود ايران وأهمية تقليص الوجود السوفيتي في المنطقة ، الا أنه لم يكن يتوقع غزو الصومال لأوجادين ، ولا ردود الفعل التي نتجت عنها مما وضع واشنطن في موقف حرج يهدد استراتيجية أفريقيا الجنوبية التي صاغها اندرويونج .

غير أن محصلة هذا كله كانت أن ادارة كارتر بذلت وعودا وضمانات عجزت عن الوفاء بها . وأدى هذا الى زيادة مخاوف الشاه من أن يكون وراء هذا تحول في السياسة الأمريكية ، وتزايدت شكوكه في العام التالي حين طلبت منه ادارة كارتر تأييد النظام الجديد في افغانستان الذي بدعمه السوفيت . ووصل به الأمر الى حد الشك في أن موسكو وواشنطن قد اتفقتا على تقسيم إيران . وهكذا فقد الثقة في إمكانية الاعتماد على واشنطن .

الأزمـــة (١) :

في خريف ١٩٧٧ بدأت الاضطرابات تأخذ طابعا دينيا ، حين قام طلبة الجامعات بتوزيع منشورات تطالب بفصل الطلبة عن الطالبات ، وبالافراج عن أحد اتباع الخميني المحكوم عليهم بالاعدام . في نفس الفترة بدأت تحديات البرلمان بأسئلة حول فشل الحكومة في مجال الخدمات الاجتماعية ، والتنمية ، وحول مركزية الحكم . ورغم أن الشاه كان يمكنه فرض إجراءات القمع التقليدية ، إلا أنه القى خطبة وعد فيها بمزيد من الليبرالية والديمقراطية ، وبالحد من ممارسات السافاك ، ثم انتقد الزعماء الدينيين بشدة محاولا عزلهم عن العناصر الاصلاحية . لكن المحاولة لم تنجح في شق صفوف المعارضين ، فقد تناست كل الفئات خلافاتها في سبيل إسقاط أسرة بهلوي .

وحاول الشاه إخضاع العناصر الدينية بتقليص الاعانات المالية عنهم . لكن هذا ضاعف من معارضتهم له . كما أن الضرائب الجديدة جعلتهم ينضمون الى المعارضة . وأضاف الشاه خطأ سياسيا فاحشا في يناير ١٩٧٨ ، حين أوعز الى جريدة « إطلاعات » بنشر مقال يتهم فيه الخميني بالشذوذ الجنسي والرجعية والانتهازية والجهل بمبادىء الاسلام وبعلاقات غامضة مع الامبريالية البريطانية . أثار المقال ثائرة الفئات الدينية التي اعتبرته هجوما على الاسلام . وأدى هذا الى أعمال عنف في مدينة قم ، لم تلبث أن اندلعت بشكل متواصل . انصبت هذه الأعمال على دور المسرح والسينما ومتاجر الخمور وصالات بيع التليفزيون ، ومحال بيع السلع الترفية والسيارات الفاخرة ، والبنوك ، والجمعيات النسائية ، ومراكز البوليس . كانت هذه الأعمال تضم عناصر من رجال الدين والتجار وطلبة الجامعة . وما ان حل شهر يونيو حتى اتضح أن وراءها عقلا مدبرا .

في وجه هذا العنف تراجع الشاه عن تحديه لرجال الدين . فأصدر أوامره الى قواته بضبط النفس ، وعزل رئيس جهاز السافاك . بل انه عاد يطلب من الملك حسين إعادة الاتصال بالخميني في باريس . كان الخميني قد اشترط في ١٩٧٧ للوصول الى حل وسط عودته الى إيران ، أما الآن فانه اشترط اسقاط الشاه لأنه عدو الاسلام ، يحاول أن يدخل نمط الحياة الغربية الى إيران ، ويتعاون مع أمريكا وإسرائيل ، ولا يحكم بحدود الله .

كان الخميني في الواقع يحاول إعادة السلطة الدينية الى إيران ، وتوطيد مكانة علماء الدين بصفتهم المفسرين الوحيدين للقانون .

وسط هذا المد الثوري لم يكن الأمريكيون يعتقدون أن الشاه في خطر . فلم تقدر المخابرات المركزية ولا السافاك قوة اعداء الشاه ، ولا أحست بوهن عزيمة الشاه في وجه السرطان الذي كان ينخر فيه والمسكنات التي كان يتناولها ، ولا قناعته بأن تحديثه لايران قد جعل الزعماء الدينيين شيئا باليا بالنسبة للأبنية الطبيعية والمؤسسات الاجتماعية والسياسية التي انشأها .

كان الشاه يعتقد أن أمريكا ستقف وراءه دائما . والواقع أن الكثير من المحللين السياسيين وصانعي السياسة الأمريكية لم يكونوا يعتبرون سقوط الشاه كارثة بالنسبة لأمريكا . وكانت تقارير المخابرات المركزية تقلل من أهمية المعارضة ، وتتنبأ بأن الشاه سيحكم لمدة عشر سنوات ، وأنه إذا حدثت أزمة فان الجيش سيقضي عليها . وكان تقييمها للمعارضة أنها تضم عناصر الطبقة الوسطى ، وأن أهدافها هي نفس أهداف الطبقة الوسطى الديمقراطية . ولم يتطرق الشك قط الى أن المعارضة دينية في أساسها . كان السبب في هذا أن المخابرات كانت تتصل بالايرانيين الذين تعلموا في الغرب ، والذين كانوا يعتقدون في اعتدال الخميني وآرائه الحديثة التي تهدف الى إقامة جمهورية ديمقراطية . ولم يدرك أحد الفاشية الدينية التي كانت تتضمنها كتاباته وآراؤه العنيفة . وحينما جاءت الثورة في نوفمبر ١٩٧٨ ، كانت الادارة الأمريكية غارقة في كامب ديفيد ، وتطبيع العلاقات مع الصين ، ومحادثات الحد من الأسلحة ، بحيث لم تكن في وضع يسمح لها بعمل شيء .

الأزمــــة (٢) :

في أغسطس ١٩٧٨ كان المتظاهرون في أصفهان يدعون الى عزل الشاه وإقامة دولة إسلامية . وفي عبدان اشعلت النار في إحدى دور السينما وحدثت مصادمات مع البوليس ، وأعلنت الاحكام العرفية . كانت الاضطرابات نتيجة لسوء الموقف الاقتصادي ، حتى أن التجار استجابوا لدعوة الزعماء الدينيين الى الاضراب . استجاب الشاه للاضرابات بأن أعلن التزامه بمبادىء الاسلام ، ورفع الرقابة عن الصحف ، واذاعة مناقشات البرلمان ، مما أعطى المعارضة فرصة فريدة ، واغلاق كازينوهات القمار ودور السينما . كما قام برفع الأجور وخفض إيجارات البيوت ، ومنع أفراد أسرته من استغلال نفوذهم وممارسة الأعمال التجارية ، وأصدر إنذارا ضد الفساد . لكن هذه الاجراءات أقنعت الثوار بأن الشاه قد ألقى أسلحته ، فازدادت حدة المظاهرات في سبتمبر ، حتى وصل الأمر الى مقتل مائة شخص وجرح المئات وفرض الأحكام العرفية . لقد بدأ الشاه دفع ثمن تفرده بالحكم . فلو أنه قام باصلاحات سياسية تمكن أبناء الطبقة الوسطى من المشاركة في الحكم لعزز الاستقرار ، ووجه سخط العامة بعيدا عن شخصه .

كان الشاه يعتقد أن الادارة الأمريكية ستقرر مصير صراعه مع الخميني . وهكذا كان رأي رؤساء بعض الدول العربية الذين راحوا ينتظرون ما ستفعله أمريكا لهم في ظروف مماثلة.كذلك كان السوفيت يراقبون سلوك إدارة كارتر في أول اختبار أساسي لها . بل كان الموقف موضع اهتمام حلفاء أمريكا الغربيين لقياس مدى جديتها في مواجهة أي هجوم سوفيتي عليهم . غير أن الادارة الأمريكية لم تفهم طبيعة القوى المعارضة ومدى قوتها ، وبالغت في تقدير إمكانيات الشاه في تصفية الموقف . ولم يكن كارتر ومستشاروه يعرفون ما يريدون ، ولا ما يمكنهم أن يفعلوه ، بالاضافة الى عدم رغبة كارتر في التدخل في الشئون الداخلية . كان من الصعب عليهم أن يؤيدوا الشاه بعد انتهاكه لحقوق الانسان ، ومن العسير أن يقبلوا بسقوط حليف يعتمد عليه . وهكذا اكتفوا بأن يؤكدوا للشاه أن الحكومة الأمريكية تقف خلفه ، دون أن يجد منهم أية تكنولوجيا حديثة للقضاء على الاضطرابات . لقد اختلفت أقوال الادارة عن أفعالها .

من ناحية أخرى أقنع هذا الثوار بتغيرات في سياسة واشنطن ، فزادت حدة الثورة بحيث شلت آبار البترول في أكتوبر . وفي نوفمبر أشعلت النار في البنوك ودور السينما والسفارة البريطانية ، وحدثت مصادمات دموية ، بحيث طلب العسكريون من الشاه إقامة حكومة عسكرية . وحين استشار الشاه حلفاءه تلقى الرد بالموافقة على ما يراه لازما . وعينت حكومة عسكرية . لكن سياسة الشاه السلبية جعلتها عاجزة عن مواجهة التحدي . كما كان العسكريون عاجزين عن ادارة اقتصاد البلاد ، ولم تعد في إيران لأية قوة قادرة على إقامة حكومة لا يرضى عنها الخميني .

لهذا أوصى السفير الأمريكي بلاده بالتوسط بين مؤيدي الشاه ومعارضيه الدينيين ، وإقامة حكومة ائتلافية تضم زعماء الجبهة الوطنية وبعض الزعماء الدينيين المعتدلين . لكن إدارة كارتر لم تتحرك حتى لا تتدخل في شئون إيران الداخلية . كما أن كارتر كان دائما متغيبا عن المناقشات ، بحيث لم يعرف أحد من صانعي السياسة الخارجية

اتجاهه ، فراحوا يتخبطون بين اجتهاداتهم الشخصية . ووصلت المؤسسة الى قناعة بأن الشاه هو المشكلة ، فاتجه الرأي الى ابعاده ، وإقامة حكومة من عناصر أقرب الى الديمقراطية الغربية من المثقفين والتجار ، وضمان تأييد الجيش لها . لكن فات على الادارة أن الجبهة الوطنية لم تكن في وضع يسمح لها بتحدي حركة الخميني الجماهيرية ، وأن الجيش كان سيواجه حربا مقدسة في سبيل افراد غير شرعيين .

ثم اتجه التفكير الى ارسال قوة عسكرية الى منطقة الخليج لوضع التزامات أمريكا تجاه الشاه موضع التنفيذ ، ولفت الأنظار الى أن هناك حدودا لا يجوز تخطيها ، وأن عزل الشاه لن يكون مقبولا في واشنطن . وافق كارتر على إرسال الحاملة كونستليشن الى المحيط الهندي . لكن تسرب الخبر أرغم كارتر على الرجوع عن قراره . كان هذا مؤشرا على عدم قدرة إدارته على اتخاذ قرار بالتدخل في إيران . وساد الانطباع لدى المراقبين الأجانب أن الحكومة الأمريكية قد تركت الشاه يواجه مصيره وحده .

الثــــورة :

كان الخميني يزداد قوة بين صفوف الشعب والجيش معا . ففي عاشوراء انطلقت مظاهرة تضم الملايين ولم يتدخل الجيش . بل إن بعض الجنود قتلوا اثني عشر ضابطا من الحرس الامبراطوري ، وانضم غيرهم الى صفوف المتظاهرين في تبريز . كما أن الاتصالات التي تمت مع الخميني في باريس اقنعت العسكريين بأن أمريكا راغبة في التعامل معه ، فبدأ تقارب بين الزعماء الدينيين والقادة العسكريين . وأخيرا تمكنت قوات الخميني من السيطرة على بعض المدن دون صدام ، وأقامت محاكم ثورية تطالب باعدام أعضاء السافاك ، وأنشئت منظمة حرس الثورة لفرض نظام الخميني .

انقسمت الحكومة الأمريكية بين من يؤيد العمل العسكري لنجدة الشاه ، ومن يطالب بعزله وبمساندة الجيش لحكومة وطنية . ورأت الادارة الأمريكية أن ترسل مبعوثا خاصا الى الشاه ليؤكد وقوف أمريكا خلفه وليشجعه على استخدام القوة ، في حين يقف الأسطول الأمريكي متأهبا للتدخل حال وقوع صراع مسلح . اختار كارتر مبعوثا عسكريا بهدف دعم معنويات الجيش . لكن الشاه أعلن في تلك الأثناء عزمه على مغادرة البلاد وتعيين بختيار رئيسا للوزراء . وهكذا أصبحت مهمة المبعوث أن يشجع الجنرالات على الوقوف خلف بختيار . أي أن المهمة تحولت وجهتها عن الرأي القائل بالتدخل العسكري كما كان ذلك مقدرا لها في الأصل الى الرأي القائل بحكومة وطنية يساندها الجيش .

وعلى الرغم من أن تقارير السفير الأمريكي كانت تفيد بأن رجال الدين يتزايدون قوة وأن العسكريين كانوا ينضمون الى الثوار ، وأن بختيار فشل في الحصول على دعم شعبي ، وأن الجماهير كانت في صف الخميني الذي عاد للبلاد ، إلا أن المبعوث الأمريكي أبلغ واشنطن أن قبضة بختيار على الموقف كانت قوية ، وأن القوات المسلحة متماسكة ، وعلى استعداد للبطش بأي شغب يمس الحكومة أو الجيش ، وأن هناك خطة انقلاب عسكري جاهزة لتلقي الأمر من واشنطن . ومالت واشنطن الى تصديق رأي المبعوث .

في فبراير تمكن الخميني من السلطة تماما بعد استقالة بختيار ، وإعلان القوات المسلحة حيادها في الصراع السياسي . وراح الثوار يذيعون بيانات معادية للأمريكيين ، وحاصروا السفارة الأمريكية . عند ذاك تحركت واشنطن لتصدر أوامرها بانقلاب عسكري ، ولكن بعد فوات الأوان .

انتقــام آية الله :

كان الكثير يشكون بمقدرة الخميني السياسية والادارية ، ويعتقدون أن الخميني سينأى بنفسه عن النشاط السياسي بعد عزل الشاه ، غير أنه أذهلهم حين استطاع أن يحول الثورة الى أسلوب حياة ، وأن يعبيء الحماس الديني لصالح نظامه . كان الخميني يعمل بتؤدة . فقد استغل حكومة بازرجان مرحليا كواجهة مسئولة عن فترة تتميز بعدم الاستقرار الى أن تستتب الأمور فيستطيع أن يقيم دولته الاسلامية بدلا من المجتمع الاشتراكي الديمقراطي الذي كان بازرجان يريده . كما أنشأ المجلس الثوري الذي كان بمثابة برلمان ، حتى استطاع أن يطهر البرلمان الفعلي من الأعضاء غير المرغوب فيهم قبل أن ينقل السلطة اليه . ولم تكن المؤسسات الادارية والثورية تخضع للحكومة ، كما كانت المحاكم الثورية مستقلة في أداء عملها . كانت هذه خطة الخميني لاضعاف المعتدلين وتعبئة الجماهير في صف التطرف الاسلامي .

بعد ذلك قام باعلان الحرب على كل ما هو غربي : الموسيقا ، الملابس ، الكتب وكل ما لا يلائم الاخلاقيات الاسلامية . كما قضى على نظام البنوك ، ومنع الاستيراد من الغرب فأرضى التجار الذين استفادوا من هذه الاجراءات . كذلك اهتم بحاجات الجماهير ، فرفع

أجور العاملين في حقول النفط ، وصادر بيوت الفئات العليا ومنحها للفقراء ، وأصبح الفقراء لا يدفعون ضرائب ولا أجور المواصلات والمنافع العامة .

كانت خطة الخميني تقوم على التحرك بحذر ، وعزل السياسيين المدنيين من أبناء الطبقة الوسطى بالتدرج ، في حين كان يحكم قبضته على الجماهير . حتى اذا ما استتب له الأمر خرج بالدستور الجديد في منتصف يونية . لم ينص الدستور الجديد على أن يكون رئيس الجمهورية من رجال الدين ، لكنه نص على مجلس رقابي يضمن أن تتصرف الحكومة بوحي من المبادىء الاسلامية . بعد ذلك تحرك لتصفية الشيوعيين ، والصحفيين المعتدلين ، والقيام بعمليات عسكرية محدودة ضد الأقليات الكردية والتركية والعربية . فقام حراس الثورة بمهاجمة مقار حزب تودة ، وصحيفة ماردوم الشيوعية . وقام الجيش بقمع حركة كردستان . وهكذا تمت إقامة جمهورية إسلامية يحكمها رجال الدين .

لم يعد أمام أمريكا إلا محاولة التعايش مع الثورة حتى ولو كانت ديكتاتورية ، بل أن تبارك انتشار الثورة الاسلامية حاجزا في وجه التوسع السوفيتي . فشرعت تدرس مبادىء الشيعة الأساسية ، وأحوال المسلمين في الاتحاد السوفيتي ، ودور الاسلام ضد الشيوعية . كذلك أجريت دراسات أدت الى ضرورة أن تفك أمريكا ارتباطها مع التحالفات التقليدية ، وألا تعطي انطباعا بأنها وراء نظام ما وإلا عرضته للانهيار ، وألا تضاعف شكوك الايرانيين بأنها تحاول انقاذ سلالة بهلوي . كانت الخلاصة أن تقيم أمريكا علاقة جديدة مع النظام . ولم تدرك الادارة أن عداء الثورة كان ينصب على الغرب ، بل دعت رجال الأعمال الى استثمار أموالهم في إيران ، ودعت الكونجرس الى عدم اصدار تصريحات ضد النظام الجديد ، كما واصلت تصدير السلاح لايران لقمع ثورة الأكراد .

أما فيما يتعلق بالشاه ، فقد اتفق على عدم منحه حق اللجوء السياسي حتى لا تفقد الادارة ثقة النظام الجديد . هكذا تخلت أمريكا عن الشاه ، وزعزعت ثقة الحكام الموالين لها في إمكانية الاعتماد عليها . كان سلوكا ينم عن خوف ، ولا يصدر عن قوة كبرى . والواقع أن الادارة الأمريكية كانت خائفة على مصير الدبلوماسيين ورجال الأعمال الأمريكيين ، مما جعل الايرانيين يعتقدون أن القبض عليهم سوف يكون سلاحا ضد أمريكا . ورغم هجوم الخميني اللاذع على أمريكا لم تتحرك ادارة كارتر لتأمين سلامة مواطنيها في إيران ، ولا لتدمير الوثائق الهامة في السفارة ، كما لم تفعل شيئا لزيادة إمكانية الدفاع عن النفس داخلها .

قبل وصول الشاه بأسبوع الى أمريكا للعلاج ، كانت هناك دعوة من المقاتلين الاسلاميين الى القيام بإجراء ضد الولايات المتحدة . كانت خطة الهجوم على السفارة تهدف الى مصادرة الوثائق للتدليل على نشاط الأمريكيين الشائن . لكن وصول الشاه الى أمريكا أوحى إلى الايرانيين بفكرة أخذ الأمريكيين رهائن لاستعادة الشاه ، ولتلقين أمريكا درسا ، وانقاذ حقول النفط من مخططات الكفار . عند ذاك أدرك الأمريكيون أنهم قد أساءوا الحكم على الموقف في إيران .

خلاصـــــة :

في ضوء هذا التحليل يشخص الكاتبان أوجه الفشل في سياسة ادارة كارتر في إيران . كان الفشل يرجع الى غيبة أهداف واضحة لدى الادارة لما تريده أن يحدث في إيران . فلم يصر كارتر على تحديث الأبنية السياسية في عهد الشاه ، مما كان يمكنه من أن ينزع فتيل الانفجار الثوري . كما أنه فشل في حماية المصالح الأمريكية عندما حدث الانفجار . وظل سلبيا ازاء كل الحلول السياسية والعسكرية المطروحة أملا في أن يتمخض الموقف عن شيء أفضل . كذلك يرجع فشله الى سوء تشخيص إداراته للحركة الخمينية على أنها مجرد احتجاج ديني أو مطالبة بحقوق مدنية ، في حين كانت الحركة تحمل كل سمات الثورة الفاشية ، وهذا لأن ملفات وزارة الخارجية لم تكن تحتوي على كتب الخميني أو على معلومات كافية عن الزعماء الدينيين ، ولا عن الشاه نفسه .

ويخلص الكاتبان من هذا الى أن الادارة الأمريكية عليها أن تحدد أهدافها بوضوح وأن تدرك أن الهدف الأول هو الأمن القومي . وفي هذا الاطار كان عليها أن تفضل التعامل مع ديكتاتور لا أن تضغط على الحلفاء لتحقيق الديمقراطية . كما أن على أمريكا أن تعتمد على القوة العسكرية في وجه اعدائها ، وأن تقيم تحالفها مع أنظمة مستقرة لضمان أمنها القومي . فما تحتاجه أمريكا لحماية مصالحها الآن هو مزيد من القوة أكثر من أي وقت مضى .

تلك هي خلاصة الكتاب الذي بين يدي وهو وجهة نظر كما قلت لأحد التيارات السياسية الضاغطة في الولايات المتحدة . وأهميته هي أنه يفسر لنا السياسات الأمريكية اللاحقة في العالم الثالث وفي عالمنا العربي . ○

د. أمين العيوطي



اعداد :
يوسف الشهاب

مصطفى الرافعي

○ منذ بداية اهتمامي « بالعربي » ، وأنا اقرأ مقالات ومناقشات وتعليقات حول عدد من الأدباء والمفكرين العرب وغير العرب ، على مختلف مستوياتهم . ولم الحظ خلال الاعداد الكثيرة التي امتلكها من المجلة أي كلمة واحدة عن أديبنا الكبير مصطفى صادق الرافعي .

ان أديبنا الفيلسوف يجب أن يكون في اوائل من يشار اليهم وهو أفضل المستحقين في دراسة ماضيهم وتراثهم ، لانه يمثل حقبة هامة في تاريخ الادب العربي الحديث .

محمد خير الخطيب ـ سوريا

طوفان ما قبل الطوفان

● قرأت في عدد يناير ١٩٨٢ ، مقالة للاستاذ كمال الكناني ، عنوانها « جلجامش ، طوفان ما قبل الطوفان جاء فيها قوله ـ ان جلجامش هو الذي بنى السفينة ، وحمل فيها من البشر ولذلك حصل على الخلود .

بعث التراث

● نحن اليوم في أمس الحاجة الى دراسة « مشكلة التخلف في الوطن العربي وطريق مواجهة هذا التخلف » ، وقد قدم الينا الدكتور عبد الملك التميمي باشارات ضرورية الى هذا الموضوع في عدد أيلول ١٩٨٢ ، وقد التقى في هذا البحث العمراني والاجتماعي مع ت . س . اليوت ، في اتجاهه الادبي حين كان يردد « قدم في القدم واخرى في الحديث » .

وانتقد في هذا القول من يبعث التراث . بخيره وشره ونشره اجباريا لا بل تلطيف بعض سلبياته أو المرور عليها مر الكرام ، او حتى اغفالها دون اعطائها حقها من التأمل والدراسة والنقد حتى نستفيد منها في حاضرنا ومستقبلنا ـ كما أن بعضا من المهتمين بالتراث يكتبون وينشرون دون هدف واضح .

بيد أني اظن أن دراسة التراث وغربلته لا تتم دفعة واحدة بل لابد من خطوات متتالية قد يقوم بها باحث واحد ، وقد يتعذر ذلك عمليا فيختص كل باحث بخطوة واحدة ، تماما كما يحدث لو أردت عرض نظرية علمية تعرضها بخيرها وشرها ، وتحللها ثم تعرض لما فيها من مزايا وما فيها من مثالب .

وعندما رجع العاملون في التاريخ ـ وما يزالون ـ الى تاريخ الطبري وغيره ، وخرجوا علينا بنظرياتهم العلمية دون تحقيق لما ورد في النص ، وتناقضت النظريات وتباينت ، لا اعتمادا على وجهة نظر خاصة ، ولكن استنادا الى نصوص متناقضة ، لم تبذل جهدا في تحقيق صحة نسبتها الى اصحابها ، وما أخطأ الطبري .. لكن الآخذين منه اخطئوا ـ لقد قام بخطوة علمية أولى وهي جمع النصوص المتفرقة .

ولا مانع ان نستفيد في دراستنا العمرانية ومنها التاريخية ، مما تفعله موسوعة الفقه الاسلامي ، فهي تقوم بجمع النصوص وتحقيقها وفهرستها واستعراضها في ثبت واحد تمهيدا للقيام باجتهاد وترجيح لرأي على رأي .

فيصل الملوحي ـ الكويت





لكن ملحمة جلجامش ذكرت ان الذي بقي السفينة هو « اوتانبشتم » الذي منحته الآلهة سر الخلود تقديرا لفعله ، كما ذكرت ان جلجامش ذهب اليه ليعرف منه هذا السر فأجابه « لابقاء ولا خلود لبني البشر » .

ومن هنا يظهر الخلاف بين ما جاء في المقالة وما جاء في الملحمة .

عامر خالد - درعا - سوريا

الأدباء الصغار

● ان الحقيقة التي يجب أن تقال : هي ان « العربي » من أهم المجلات التي ترسل اشعاعها داخل كل انسان ، فتفجر مكامن الابداع فيه ، لان « العربي » بطبعه ثروة في حد ذاته ، ولكنه تنقصه البصيرة ، وان كانت « العربي » تلعب دورا رائدا في هذا المجال ، وفي رأيي ولحسن الحظ انه رأي الاغلبية وخاصة اصحاب المواهب التي هي في طور التكوين ، فلكم يبكي ذو موهبة ضياع أعماله التي تكتب ولا تجد المكان الذي يستطيع ان ينشرها فيه فتموت لتوها - واقترح أن يكون هناك موضوع أو باب من الابواب في هذه المجلة لينشر على اجنحتها اعمال الادباء الصغار ، وعندي ان مجلة العربي هي الوحيدة التي تستطيع أن تقوم بدور غرفة الانعاش « للأدباء الصغار فتأخذ بيدهم الى المستقبل الذي يتطلعون اليه .

شبل عبد المقصود - القاهرة - مصر العربية

العربي

ما ينشر بالعربي من مقالات وبحوث ودراسات ، يخضع نشرها للمستوى الذي هي عليه وقيمتها ، ولا تخضع لهوية الكاتب أو جنسيته أو عمره - فالصالح من المقالات هو الذي يأخذ طريقه الى النشر للفائدة لكل قارىء

محنة العلم

● قرأت في العدد (٢٨٥) من مجلتنا العربي مقال « محنة العلم ومسيرته المتعثرة في الوطن العربي » للدكتور أسامة أمين الخولي ، وقد أعجبني الموضوع سواء بطريقة عرضه أو بأسلوبه ، لكني اود أن الفت انتباه الكاتب الى انه صحيح ان العلم قد يشترى في باقي الشعوب ، لكننا - كعرب أصحاب حضارة وعلم - لايمكن ان نشتري العلم بالمال ، بل يمكن

التطرف الديني

● كتب الاستاذ عبد الكريم الفضالي الجزائري ، مقالا « حول التطرف الديني » في العدد (٢٨٦ - ١٩٨٢) وانا اشكره شكرا جزيلا على لفته انظاركم الى ما يكون التوجه نحوه اكثر فائدة كالالتفات الى ظاهرة الانسلاخ بين اوساط الشباب ، كما اشكركم على نشركم مثل هذه الأراء وها أنا الفت انظاركم مرة اخرى الى انكم التزمتم هذا الذي يسمى - بالتطرف الديني - وربما ارهقتم اقلامكم كثيرا بكتاباتكم عنه مع أنه في مجتمعنا الاسلامي قضايا اجتماعية واخلاقية ادت بالمجتمع الاسلامي الى الانحطاط الخلقي وزرعت المفاسد والامراض الاجتماعية ، هذه القضايا يجب ان توجهوا اقلامكم نحوها وتسلطوا الاضواء عليها وتعطوا الحلول الناجحة المفيدة لها .

عليكم أن تعالجوا ظاهرة - السرقة - المترسخة في كياننا الاجتماعي ، ومشكلة أخرى علينا ايجاد الدواء المفيد لها وهي قضية « الزنا » التي لم يسلم منها مجتمع من المجتمعات ، أليس هذا أشد وأخطر مما يسمي بالتطرف ؟ أليس في مثل هذا خروج عن المبادىء والقيم والاخلاق ؟ الا يعد هذا هروبا عن الاسلام ، بل انه ليس من الاسلام في شيء ؟ انه السقوط بعينه ، وانه الموت المحتوي .

محمد صالح البحراني - المنامة - البحرين



بذل الجهود في سبيل تطوير مجتمعنا العربي ورفعه الى مستوى أعلى ، كما واننا اصحاب حضارة متفتحة على باقي حضارات العالم ، وهذا شيء رائع لاننا بهذه الطريقة نحتك مع العالم بأسره وهذا أفضل مما فعله اليابانيون في هذا القرن عندما أرادوا ان يتقدموا الى مستوى أفضل فانغلقوا على أنفسهم .

محمد عقيل السامرائي ـ بغداد ـ العراق

وحشي . . قاتل حمزة

● لفت نظري في عدد أغسطس لعام ١٩٨٢ ، مقالا تحت عنوان « عندما تجني المبالغة على الشعراء » للأستاذ عبد الوهاب شكري انه في الحاشية رقم (٤) صفحة (١٦٥) قد ورد أن قاتل حمزة عم النبي عليه الصلاة والسلام ، هو « حبشي » والأصح هو « وحشي » وقد ورد الاسم خاطئا في الحاشية . .

ليلى سكر ـ دمشق ـ سوريا

العربي

نعم . . « وحشي » هو قاتل حمزة عم النبي صلى الله عليه وسلم . وهو أيضا قاتل مسيلمة الكذاب ـ ولقد قال له النبي حين جاء اليه بعد اسلامه . . اذهب فانني لا اريد أن أراك . .

شخصيات عربية

● أود أن أعبر عن عميق شكري وتقديري للدور الذي تقوم به مجلة العربي عن مسيرتها الطويلة لنشر ونقل المقولة والكلمة الصادقة الهادفة في الثقافة والادب والعلوم السياسية والاجتماعية المتعددة الى الانسان العربي أينما وجد . .

وانطلاقا من هذا الدور الثقافي الكبير للعربي ، فانني أتقدم اليكم باقتراح يتضمن تخصيص باب ثابت باسم « شخصية العدد » تسلط فيه المجلة الضوء على الشخصيات العربية البارزة في العلم والادب والسياسة والاقتصاد وغيرها من الفروع، حتى يطلع القارىء العربي عن كثب ويتلمس عن قرب أعمال وهموم تلك الشخصيات . .

سعد صالح حسين ـ عدن / اليمن الديمقراطية

العربي :

ما اقترحه القارىء ، هو من الأبواب الجديدة التي تبدأ العربي بنشرها مع بداية هذا العدد تحقيقا للمعرفة عن هذه الفئة ذات الدور الكبير في وطننا . . .

قديم العربي . . . وجديدها

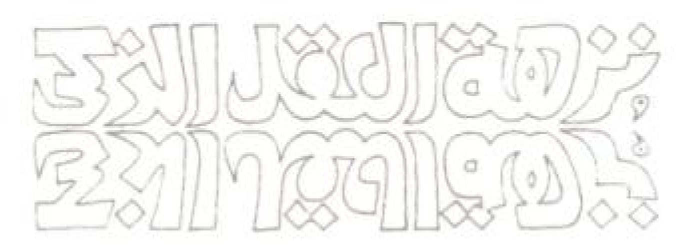
● لا يخفى عليكم ما للعربي ، في قلوبنا من مكانة ، ومالها في بيوتنا من اشعاع وقدر كبيرين لانها المجلة التي عودتنا على الجديد والممتع والمفيد منذ صدور العدد الاول منها ، لذا فاني اطلب منكم ان تصلوا قديم المجلة بجديدها ، وتبذلوا ما في استطاعتكم لاخراجها في مجلدات نحفظها في بيوتنا ، وسوف تحققون حلم الآلاف من القراء في تزيين مكاتبهم بأغلى مجلة وتشبعون رغبتنا الجامحة في التعرف . والاطلاع على الاعداد السابقة من المجلة التي حرموا منها . .

السيماني عبد الغني محمد ـ الناظور ـ المملكة المغربية

العربي

شكرا على هذا الاطراء ، واقتراحك فيه بعض الصعوبة لظروف الطباعة وغيرها . .





مسابقة

العدد

□ مسابقة هذا العدد هي (الكلمات المتقاطعة) . . والمطلوب ايجاد الاجابات الصحيحة لها وارسالها إلينا . . ويمكنك اعادة رسم مربعات الكلمات المتقاطعة على ورقة مستقلة ، حتى لا تشوه صفحة العدد بقطعها منه اما المنشور في أسفل الصفحة المقابلة ، فمن الضروري ان يرفق بالأجابة حتى تفوز بواحدة من الجوائز التي مجموعها ١٠٠ دينار تمنح على الوجه الآتي .

الجائزة الاولى قيمتها ٣٠ دينارا ـ الجائزة الثانية ٢٠ دينارا ـ الجائزة الثالثة ١٠ دنانير و ٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها ٥ دنانير .

ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي ـ صندوق بريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ٢٩٠ » وآخر موعد لوصول الاجابات أول مارس (١٩٨٣) .

اثنتان في واحدة

اذا استطعت حل مسابقة الكلمات المتقاطعة ، ستجد في (٨) أفقيا اسم واحد من أشهر من عادوا الدعوة من المشركين . كما ستجد في (٨) رأسيا اسم عالم عربي اسلامي ومتصوف .

كلمات أفقية :

(١) من العلوم الاجتماعية ـ من أشهر فلاسفة العصر العباسي .

(٢) من أعظم علماء الرياضة في القرن الثامن عشر ـ ملكة سبأ .

(٣) لفظة ضيق ـ من الأخشاب ـ كثير ـ كتب .

(٤) طرق ـ نصف كلمة (يكثر) ـ خيال ـ بلى .

(٥) من الاشجار ـ أنهكم .

(٦) رغب ـ عسى ـ أعلام ـ من الحروف الابجدية .

(٧) من ثياب الرجال ـ دولة افريقية .

(٨) أشهر من عادوا الدعوة الاسلامية من المشركين .

(٩) قبل ـ آلة موسيقية ـ اله الشمس عند الفراعنة .

(١٠) مكان للدراسة ـ قطر عربي ـ للتفسير .

١٥	١٤	١٣	١٢	١١	١٠	٩	٨	٧	٦	٥	٤	٣	٢	١	
							■								١
	■						■								٢
		■					■				■	■			٣
				■			■			■					٤
■					■		★						■		٥
			■						■			■			٦
						■		■							٧
■	■	■											★	■	٨
				■							■				٩
		■						■							١٠
			■			■							■		١١
■								■				■			١٢
				■						■					١٣
	■				■							■			١٤
		■					■		■						١٥

(١١) نصف كلمة (مرهق) ـ من العمليات الحسابية ـ حرف نصب ـ للكتابة .

(١٢) حرف نفي ـ حرف عطف ـ دولة أوربية .

(١٣) يغيب ـ متصوفة اسلامية شهيرة ـ فسيح .

(١٤) لفظ تعجب ـ ظاهرة جغرافية ـ استمر .

(١٥) لا يأكل اللحوم ـ تسعد ـ جبع .

كلمات رأسية :

(١) من الزهور ـ قائد عسكري معروف في التاريخ .

(٢) من سور القرآن الكريم ـ جواهر ـ نقص ـ أفول .

(٣) هز ـ حرف ندبة ـ أحب .

(٤) نصف كلمة (جدار) ـ في الجهاز الهضمي ـ يستحقها المذنب .

(٥) كسب ـ من أطوار الحشرة ـ يحصي .

(٦) شهر ميلادي ـ سياسي انجليزي شهير .

(٧) من أشهر معارك حرب المائة عام ـ نشر ـ حرف أبجدي .

(٨) عالم عربي اسلامي ومتصوف .

(٩) من امارات الخليج ـ قر ـ تعهدت .

(١٠) مؤذن الرسول ـ ملحمة شعرية شهيرة للفردوسي .

(١١) نهض ـ قدما ـ ضمير ـ جواهر .

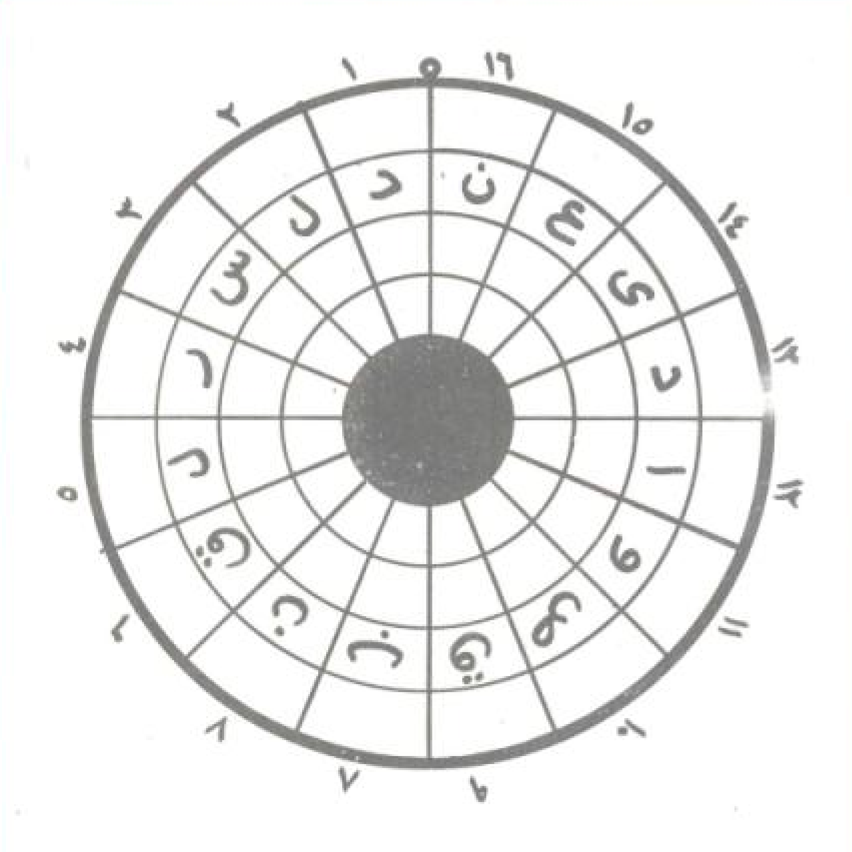
(١٢) اله الحصاد عند الرومان ـ طيور ـ بكاء .

(١٣) من سور القرآن الكريم ـ تفرع ـ نهوض .

(١٤) معارف مكتسبة ـ صاحب نظرية للتطور كنظرية دارون .

(١٥) أجزم ـ نصف كلمة (مورد) ـ حرف أبجدي ـ شهد .



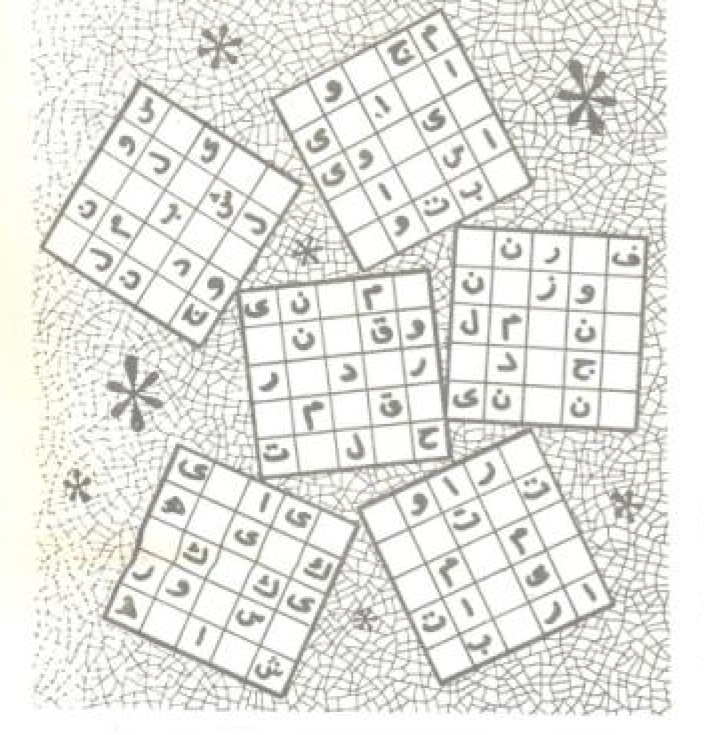


حول الدائرة السوداء

ضع الكلمات ذات الحروف الاربعة ، والتي نعطيك معانيها ، في أماكنها وفقا للارقام . يساعدك وجود الحرف الثاني من كل كلمة . ستجد حول الدائرة السوداء اسم :

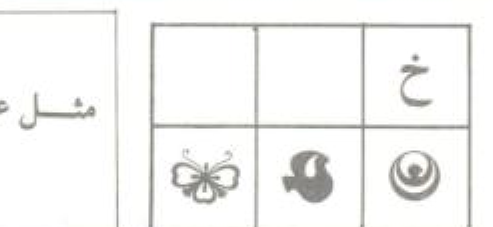
عالم فيزياء انجليزي اشترك في الأمبير والفولتاميتر

(١) يقترب (٢) من أوجه القمر (٣) من الدهون (٤) أجير (٥) ألوذ (٦) كرسي (٧) تسلم (٨) تشرع (٩) طيور جارحة (١٠) يقنص (١١) عاصمة أوروبية (١٢) مرتفع (١٣) فلك (١٤) مساكن (١٥) تجري (١٦) توجع .





أمامك ستة مربعات ذات اطارات خارجية سميكة . في كل مربع منها خمس كلمات ذات خمسة حروف ، ينقصها جميعا نفس الحرف . اجمع الحروف الناقصة في المربعات الستة ، ورتبها لتحصل على اسم عاصمة عالمية .





أمامك مثل عربي ، يرمز لكل حرف من حروفه أحد الرسوم ، بحيث يمثل الحرف الواحد نفس الرسم دائما . على سبيل المساعدة نعطيك بعض الحروف من كلمات المثل في مواضعها . هل يمكنك الوصول الى المثل المطلوب اذا عرفت أنه يفيد :

الذي لا يحفظ الأمانة ، يفقد قيمته بين الناس

الحلول ا

حول الدائرة السوداء :

وليم ادوارد ايرتون .

العواصم :

هافانا .

مثل عربي :

من خان هان .

مسابقة العربي الثقافية

تستهدف هذه الأسئلة امتحان معلوماتك العامة وسرعة خاطرك . . . وتستهدف بخاصة تشجيعك على البحث عن الردود الصحيحة وذلك بالرجوع الى المصادر الموثوقة :

وهي اثنا عشر سؤالا ، عليك أن تجيب على عشرة منها اجابة صحيحة لتظفر بجائزة . .

الجائزة الأولى قيمتها ٣٠ دينارا

الجائزة الثانية قيمتها ٢٠ دينارا

الجائزة الثالثة قيمتها ١٠ دنانير

ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي ـ صندوق بريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العربي الثقافية » ـ العدد ٢٩٠ ـ وآخر موعد لوصول الاجابات الينا هو أول مارس ١٩٨٣ .







١ ـ اشتهر عمر الخيام بشعره في الرباعيات ، ولكنه كان أيضا عالما ورياضيا من الطراز الأول . وقد ألف خمسة كتب في العلوم . .

ترى هل كتب الخيام ما كتب باللغة العربية أم باللغة الفارسية ؟؟ علما بأنه كان من أبناء فارس ؟؟

أ ـ كتب الخيام كل ما كتب باللغة العربية . .

ب ـ كتب الخيام كل ما كتب باللغة الفارسية . .

جـ ـ كتب الخيام كل كتبه العلمية بالعربية . وكتب شعره ورباعياته بالفارسية .

٢ ـ من المعروف أن القنبلة الهيدروجينية تبلغ أضعاف القنبلة الذرية من حيث قوتها التفجيرية . . . فبكم ضعف تفوقها ؟؟

أ ـ تبلغ قوة القنبلة الهيدروجينية ١٠ أضعاف قوة القنبلة الذرية . .

ب ـ ١٠٠ ضعف . .

جـ ـ ١٠٠٠ ضعف . .

٣ ـ دجلة والفرات نهران عظيمان في العراق . . . ترى أيها أطول . . ؟؟

أ ـ متساويان تقريبا . .

ب ـ الفرات هو الأطول . .

جـ ـ دجلة هو الأطول . .



٤ ـ شارلز دارون وفاسكودي جاما : أيهما كان عالما وأيهما دار حول الكرة الأرضية بحرا . . ؟





٥ ـ أيهما الصحيح : قولنا قيس هَوَى ليلى . .
أم قولنا قيس هَوِيَ ليلى . . ؟

٦ ـ الأفق ، هو ما ترى من التقاء السماء بالأرض أو البحر . . . ترى ما المسافة التي تفصل بينك وبين تلك النقطة ـ على افتراض انك تنظر اليها وأنت على مستوى سطح البحر ؟

أ ـ كيلو متران
ب ـ ٢٠ كيلو مترا
جـ ـ ٢٠٠ كيلو متر





٧ ـ أي المدجنتين تجود بمزيد من البيض . . المدجنة التي لا ديكة فيها ، أم المدجنة التي فيها من الديكة بقدر ما فيها من الدجاج . . . ؟؟

أ ـ طبعا حيث توجد الديكة يوجد البيض . . . فالمدجنة التي لا ديكة فيها لا يوجد فيها بيض اطلاقا . .

ب ـ لا علاقة للديكة بما يبيض الدجاج من بيض . . . وقد تكون المدجنة التي لا ديكة فيها أكثر بيضا من المدجنة الأخرى . اذ تبيض الدجاجة بيضها سواء وجد الديك أو لم يوجد . . . الا أن بيضها قد يكون ملقحا في حالة وجود الديك . . . ولا يمكن أن يكون كذلك في حالة غيابه . . .



٨ ـ اجتمع تيمور لنك قائد المغول المعروف بأحد مؤرخي العرب المشهورين عند أبواب دمشق سنة ١٤٠١ م ، فمن هو ذلك المؤرخ . . ؟

أ ـ الطبري . . ؟
ب ـ ابن الأثير . . ؟
جـ ـ ابن خلدون . . ؟

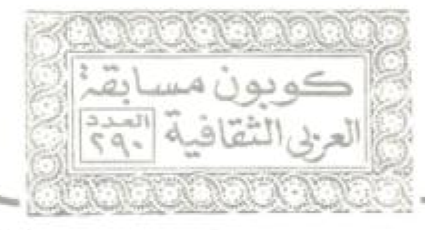
٩ ـ الثورة الفرنسية وحرب الاستقلال الأمريكية . . . كلتاهما وقعت في أواخر القرن الثامن عشر . . . فأيهما سبقت الأخرى وكانت بمثابة القدوة لها . . ؟

١٠ ـ ثمة جزيرتان في المحيط الهندي ، سماهما السلف الصالح : (سرنديب) و (ذيبة المهل) ، فما هما هاتان الجزيرتان . . . ؟؟

١١ ـ أفريقيا . . لِمَ يسميها أهل الغرب القارة السوداء . . . ؟

أ ـ لأن سكانها أكثرهم من الزنوج السود .
ب ـ الدافع الحقيقي على التسمية هو شعور أهل الغرب بالنعرة والتفرقة المتعصبة . .
جـ ـ لأن افريقيا بقيت في عالم المجهول زمنا طويلا . . . وقد تأخر اكتشافها حتى القرن التاسع عشر . . . أي بعد اكتشاف سائر القارات ببضعة قرون . .

١٢ ـ أيهما الصحيح ، قولك :
استلمت خطابك المؤرخ . . . ؟
تسلمت خطابك المؤرخ . . . ؟



لعبة الملوك

الشطرنج مدرسة أخلاق في قالب لعب



ترتيب القطع على الرقعة

الشطرنج من أقدم الألعاب العقلية التي عرفها الانسان ، ويرجع العديد من المؤرخين تاريخ ظهوره الى الالف الثالث قبل الميلاد ولا غرابة اذن أن تضيع أصوله في زوايا التاريخ ، وأقوال المؤرخين والباحثين في منشأ الشطرنج وأصله متضاربة ، فمنهم من ينسبونه الى الصينيين ومنهم من ينسبونه الى الهنود ، وآخرون ينسبونه الى العجم أو الرومان أو اليونان . وهناك من المؤرخين من يرى أن العرب هم المخترعون للشطرنج اعتمادا منهم على أن كلمة Echecs الفرنسية هي تعريف لكلمة « شيخ » العربية والتي ترمز الى الشاه في الشطرنج ، غير أن العرب لم يطالبوا مطلقا بنسبة الاختراع اليهم ، فالبيروني والمسعودي وهما من أقدم من أرخ للشطرنج من العرب ينسبانه الى الهند . . . . [1] ومن الأقوال المشهورة في أصل الشطرنج قول بعضهم : « فضائل الهند ثلاث : كليلة ودمنة والشطرنج والتسعة أحرف التي تجمع الحساب »ومهما يكن من أمر فان أكثر الروايات تواترا في روايات المؤرخين وأقربها الى التصديق هي أن الشطرنج هندي الأصل [2]

[1] انظر « كتاب الهند » للبيروني و « مروج الذهب » للمسعودي

[2] سنعرض لهذه الروايات بمزيد من التفصيل في اعداد قادمة ان شاء الله

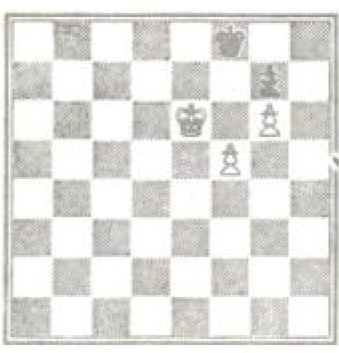
مسائل شطرنجية

في المسائل الشطرنجية متعة للعقل وتدريب للذهن وترويح للنفس وقد اخترنا لك المسألتين التاليتين فان وفقت في التوصل الى الحل فلك تهانينا والا فنرجو الرجوع الى الصفحة ١٨٩ من هذا العدد

مسألة رقم (١) :

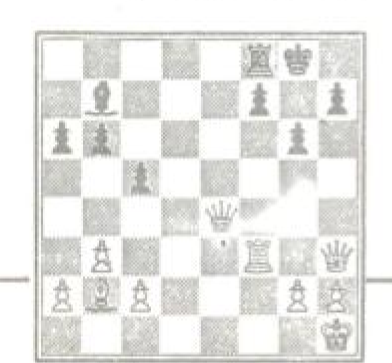
الأبيض يلعب ويكسب الدور في سبع نقلات على الأكثر ويتعادل ان لم يحسن النقل

(هذه المسألة رغم بساطتها الظاهرة بحاجة الى دقة متناهية في النقل والا انتهت بالتعادل)



مسألة رقم (٢) :

الأبيض يلعب ويكسب الدور في أربع نقلات



تعريف بالرموز

ملك - م
وزير - و
رخ - ر
فيل - ف
حصان - ح
بيدق - ب
يأخذ - ×

الى - -
كش ملك - +
كش مات - ‡
كش مزدوج ++
تبييت قصير - ت
تبييت طويل - ت

لحل المسائل اقلب الصفحة

حل المسألة رقم (١) :

١ . م - و ٧ — م - ح ١
٢ . م - م ٧ — م - ر ١
٣ . ب - ف ٦ — ب × ب

- - - - - - - - - - - -

أما لو ٣ . . . . . . — م ح ١
٤ . ب - ف ٧ + — م . ١
٥ . ب - ف (و) ‡

- - - - - - - - - - - -

٤ . م ف ٧ — ب - ف ٤
٥ . ب - ح ٧ +
٦ . ب - ح ٨ (و) + — م - ر ٣
٧ . و - ح ٦ ‡

حل المسألة رقم (٢) :

١ . و × ب + — م × و
٢ . ر - ر ٣ + — و - ر ٥
(تضحية اضطرارية)
٣ . ر × و + — م - ح ٢
٤ . ر - ر ٨ ‡

دليل حل المسائل

الأسود

ر و ٨ (ر و ١)	ح و ٨ (ح و ١)	ف و ٨ (ف و ١)	و ٨ (و ١)	م ٨ (م ١)	ف م ٨ (ف م ١)	ح م ٨ (ح م ١)	ر م ٨ (ر م ١)
ر و ٧ (ر و ٢)	ح و ٧ (ح و ٢)	ف و ٧ (ف و ٢)	و ٧ (و ٢)	م ٧ (م ٢)	ف م ٧ (ف م ٢)	ح م ٧ (ح م ٢)	ر م ٧ (ر م ٢)
ر و ٦ (ر و ٣)	ح و ٦ (ح و ٣)	ف و ٦ (ف و ٣)	و ٦ (و ٣)	م ٦ (م ٣)	ف م ٦ (ف م ٣)	ح م ٦ (ح م ٣)	ر م ٦ (ر م ٣)
ر و ٥ (ر و ٤)	ح و ٥ (ح و ٤)	ف و ٥ (ف و ٤)	و ٥ (و ٤)	م ٥ (م ٤)	ف م ٥ (ف م ٤)	ح م ٥ (ح م ٤)	ر م ٥ (ر م ٤)
ر و ٤ (ر و ٥)	ح و ٤ (ح و ٥)	ف و ٤ (ف و ٥)	و ٤ (و ٥)	م ٤ (م ٥)	ف م ٤ (ف م ٥)	ح م ٤ (ح م ٥)	ر م ٤ (ر م ٥)
ر و ٣ (ر و ٦)	ح و ٣ (ح و ٦)	ف و ٣ (ف و ٦)	و ٣ (و ٦)	م ٣ (م ٦)	ف م ٣ (ف م ٦)	ح م ٣ (ح م ٦)	ر م ٣ (ر م ٦)
ر و ٢ (ر و ٧)	ح و ٢ (ح و ٧)	ف و ٢ (ف و ٧)	و ٢ (و ٧)	م ٢ (م ٧)	ف م ٢ (ف م ٧)	ح م ٢ (ح م ٧)	ر م ٢ (ر م ٧)
ر و ١ (ر و ٨)	ح و ١ (ح و ٨)	ف و ١ (ف و ٨)	و ١ (و ٨)	م ١ (م ٨)	ف م ١ (ف م ٨)	ح م ١ (ح م ٨)	ر م ١ (ر م ٨)

الأبيض

أمثلة على استخدام الرموز :

ح - ف م ٣ تعني : الحصان ينتقل الى مربع فيل الملك ٣
و × ف تعني : الوزير يأخذ الفيل
ر - م ٨ + تعني : الرخ ينتقل الى مربع الملك ٨ ويكشّ الملك

يتبين من الدليل أن المربعات ترقم من جانبي الرقعة وهكذا فان المربع الابيض ر م ١ هو نفس مربع الأسود ر م ٨ ، ويسمى كل مربع باسم القطعة التي تحتل العمود

ملاحظة : لاحاجة لذكر اسم المربع كاملا ان لم يكن هناك سوى احتمال واحد للتنقل فلا حاجة لأن نقول ح م ان لم يكن هناك سوى حصان واحد على الرقعة ونكتفي بالقول ح - ر ٨ أي أن الحصان ينتقل الى مربع الرخ ٨ ولا حاجة هناك أيضا للقول ر م ٨ لأنه المربع الوحيد المتاح لنقلة الحصان لذا نكتفي بالاشارة الى هذا المربع ب ر ٨ فقط



سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ دولة الكويت

يناير "كانون الثاني"

١٩٨٣ م

الأيديولوجيّة الصّهيونيّة

"القسم الثاني"

تأليف :

د. عبد الوهاب محمد المسيري

الكتاب الواحد والستون

٥٠٠ فلس

المراسلات :

توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

ص . ب ٢٣٩٩٦ الكويت



مجلة العلوم الاجتماعية

تصدر عن جامعة الكويت

فصلية اكاديمية علمية مختصة بالشؤون النظرية والتطبيقية في مختلف حقول العلوم الاجتماعية

رئيس التحرير د. أسعد عبد الرحمن

سكرتير التحرير عبد الرحمن فايز

يحوي العدد حوالي ٢٠٠ صفحة تشتمل على :

- ابحاث بالعربية تعالج مختلف حقول العلوم الاجتماعية.
- مراجعات لكتب حديثة تبحث الموضوعات التي تعالجها المجلة.
- ملخصات .
- ابواب ثابتة : تقارير علمية ، دليل الجامعات والمؤسسات التعليمية العليا .
- ندوة العدد .

الاشتراكات :

للمؤسسات والدوائر الحكومية : في الكويت ١٢ دينارا ، في الخارج ٤٥ دولار أو ما يعادلها.

للأفراد : في الكويت ديناران كويتيان ، دينار للطلاب .

في الوطن العربي : ديناران ونصف كويتيان أو ما يعادلها ، ديناران للطلاب،
في الدول الاخرى ، ١٥ دولارا امريكيا أو ما يعادلها.

توجه جميع المراسلات والابحاث باسم رئيس التحرير على العنوان التالي :
مجلة العلوم الاجتماعية - جامعة الكويت - ص.ب : ٥٤٨٦ - الكويت
هاتف : ٥١٠١٨٨ / ٣٧٢ / ٢٥٠

من المسرح العالمي
سلسلة ثقافية
تصدرها في مطلع كل شهر
وزارة الإعلام في الكويت

أول يناير ١٩٨٣

١٦٠

من مسرح الخيال العلمي - ١

انسان روسوم الآلي
ا . ر . ا

تأليف : كاريل تشابيك
ترجمة وتقديم : د . طه محمود طه

المجلة العربية للعلوم الإنسانية

مجلة فصلية محكمة ، تقدم البحوث الاصيلة والدراسات الميدانية والتطبيقية في شتى فروع العلوم الانسانية والاجتماعية باللغتين العربية والانجليزية .

تصدر عن جامعة الكويت

صدر العدد الأول في يناير ١٩٨١

رئيس التحرير   د. عبدالله العتيبي

مدير التحرير   عبدالعزيز السيد

- تتناول المجلة الجوانب المختلفة للعلوم الانسانية والاجتماعية مما يخدم القارىء والمثقف والمتخصص .
- تعالج موضوعات المجلة الميادين التالية :
  اللغويات النظرية والتطبيقية – الآداب والآداب المقارنة – الدراسات الفلسفية الدراسات النفسية – الدراسات الاجتماعية المتصلة بالعلوم الانسانية – الدراسات التاريخية – الدراسات الجغرافية – الدراسات التربوية – الدراسات حول الفنون (الموسيقى – التراث الشعبي – الفنون التشكيلية – النحت ... الخ) – الدراسات الاثارية (الاركيولوجية) .
- تقدم المجلة معالجاتها من خلال نشر :
  البحوث والدراسات – مراجعات الكتب – التقارير العلمية – المناقشات الفكرية .
- مواعيد صدور المجلة : كانون ثاني – نيسان – تموز – تشرين أول .
- تنشر المجلة ملخصات للبحوث العربية بالانجليزية ، وملخصات بالعربية للبحوث الانجليزية .

ثمن العدد : للأفراد ٤٠٠ فلس
للطلاب ٢٠٠ فلس

الاشتراكات السنوية

	داخل الكويت	في الخارج
– للمؤسسات	١٠ د.ك.	٤٠ دولاراً أمريكيا
– للأفراد	٣ د.ك.	١٥ دولاراً أمريكيا
– للاساتذة والطلاب	١ د.ك.	١٠ دولارات أمريكية

- تقبل الاشتراكات في المجلة لمدة سنة أو عدة سنوات .
- قواعد النشر تطلب من رئيس التحرير .
- جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير :–

ص.ب : ٢٦٥٨٥ (الصفاة)

الكويت – الشويخ – ت : ٨٢١٦٣٩ – ٨١٧٦٨٩ – ٨١٥٤٥٣

مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية

تصدر عن جامعة الكويت

رئيس التحرير
الدكتور عبد الله الغنيم

صدر العدد الأول في كانون ثاني (يناير) ١٩٧٥

تصل أعدادها الى أيدي نحو ١٢٥٫٠٠٠ قارئ

يحتوي كل عدد على حوالي ٢٥٠ صفحة من القطع الكبير تشتمل على : -

- مجموعة من الأبحاث تعالج الشئون المختلفة للمنطقة بأقلام عدد من كبار الكتاب المتخصصين في هذه الشئون .
- عدد من المراجعات لطائفة من أهم الكتب التي تبحث في المناحي المختلفة للمنطقة .
- أبواب ثابتة : تقارير - وثائق - يوميات - ببليوجرافيا .
- ملخصات للأبحاث باللغة الانجليزية .

ثمن العدد : ٠٠ فلس كويتي أو ما يعادلها في الخارج .

الاشتراكات : للافراد سنويا ديناران كويتيان في الكويت ، ١٥ دولارا أمريكيا في الخارج (بالبريد الجوي) .

للشركات والمؤسسات والدوائر الرسمية : ١٢ دينارا كويتيا في الكويت ، ٤٠ دولارا أمريكيا في الخارج (بالبريد الجوي) ؛

منشورات المجلة :

تصدر المجلة أيضا دراسات مستقلة متعلقة بشئون المنطقة صدر منها

١ - **كتاب التكامل الاقتصادي في الخليج العربي (د . محمد هشام خواجكية) . ١٩٧٩ .**
٢ - **كتاب آفاق التنمية الصناعية في دول الخليج العربي (د . عبد الاله أبو عياش) . ١٩٧٩ .**
٣ - **كتاب حقوق الطفل في دولة الكويت (د . بدرية العوضي) . ١٩٧٩ .**
٤ - **كتاب الاحصاءات الاقتصادية في المملكة العربية السعودية (بدوي خليل) ١٩٨٠ .**
٥ - **دور جريدة فتاة الجزيرة في أحداث عام ١٩٤٨ بصنعاء (سلطان ناجي) ١٩٨٠ .**

سلسلة وثائق الخليج والجزيرة العربية لعام صدر منها :

الكتاب الأول وثائق الخليج والجزيرة العربية لعام ١٩٧٧ . ١٩٧٩ .

العنوان : جامعة الكويت - كلية الآداب والتربية - الشويخ - دولة الكويت .
ص . ب : ١٧٠٧٣ - الخالدية
الهاتف : ٨١٦٨٠٧ - ٨١٦٧٩٩ - ٨١٦٨٢

جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير .

توشيبا تقوم بالعجائب في منازلكم.

السرعة، الراحة، جودة النوعية، والاعتمادية الفائقة، هي بعض الأسباب التي تجعل من أجهزة توشيبا المطبخية رمزاً للسعادة في منازلكم. كل جهاز من أجهزة توشيبا مصمم بأسلوب يتيح تشغيله بسهولة تامة، كما أنه مزوّد بمحرك وضاغطة ذوات قدرة فعالة واعتمادية فائقة.

وأجهزة توشيبا المطبخية سرعان ما تصبح أفضل صديق لجميع أفراد العائلة بتشكيلتها الواسعة ابتداء بالثلاجات وأجهزة تحضير الطعام، وانتهاء بالعصارات وأجهزة التحميص والأفران. فلماذا لا تشترون أجهزة توشيبا المنزلية اليوم، فهي ستجعل من حياتكم أكثر سهولة ومتعة غداً.

GR-1002EW(G) ثلاجة

GR-471EIA ثلاجة

MT-800A مطحنة كهربائية لفرم اللحوم.

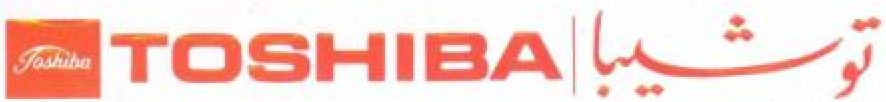
HCD-800M جهاز تحضير القهوة

ER-798ET فرن يعمل بالميكروويف

TFP-1200 جهاز تحضير الطعام

MX-460G خلاط

JC-580A عصارة وخلاط



TOKYO, JAPAN

العربي

ربيع ثان ١٤٠٣ هـ - فبراير ، شباط ، ١٩٨٣

○ حقيقة المأزق الوحدوي ○ القرآن وهموم المجتمع العربي

○ الكومبيوتر.. أخطر الأجهزة ○ ٢٠ صناعة في «الشعيبة» الكويتية



فيشر



FISHER

The first name in high fidelity

FISHER

System R550

ازفع اجهزة السمعيات المحترفة من منتجة أول ستريو.

ان ستريوهات فيشر بمختلف احجامها تعني الفخامة. غنية بأناقتها مع احدث مفاتيح التحكم وصوت طبيعي يشعرك وكأنك تعيش في عالم ما تسمعه. ستريوهات فيشر ذات مزايا لا تضاهى فهي مقدمة من شركة تملك رصيدًا من الخبرة في عالم الستريو والهاي فاي أكثر من أي شركة أخرى في العالم، فلقد اخترعت فيشر الستريو ومازالت تطوره منذ أكثر من ٤٥ سنة.

System R550 نظام ستريو مع تحكم عن بعد بكافة الوظائف، مضخم صوت قوة ٨٠ واط للقناة، الموالف ٢٤ موجة، فونوغراف دوران مباشر قابل للبرمجة، موالف متميز، دك كاسيت دوران مباشر، نظام ٣ مكبرات للصوت بثلاثة اتجاهات مع حاملات المكبرات وحاملة للأجهزة.

عزيزي القارئ

من حق الكويت وهي تحتفل بعيدها الوطني أن تزهو بما أنجزته خلال العام الذى انقضى على طريق الديمقراطية . ذلك ان المتابعين للتجربة الكويتية ربما لاحظوا انه في عام ٨١ خطت الكويت خطوة بالغة الأهمية فى اطار توسيع وتأكيد الممارسة الديمقراطية ، حيث أجريت في ذلك العام الانتخابات النيابية التي في ضوء نتائجها تشكل مجلس الأمة الكويتي ، وعاد الى ممارسة مسئولياته بعد غيبة استمرت اربع سنوات .

وخلال عام ٨٢ مضى مجلس الأمة في أدائه لرسالته الكبيرة ، وغطت مناقشاته أوسع دائرة ممكنة ، وشهد المجلس العديد من صور الاخذ والرد ، والاختلاف والاتفاق،وتراوحت لغة الحوار بين الهدوء والحدة والتأزم ـ وحتى قرب مشارف هذا العام الجديد ـ١٩٨٣ ـ كانت المناقشات قد بلغت ذروتها. بالأخص في موضوعي الموقف الاقتصادى وتنقيح الدستور . ولا نريد ان ندخل في تفصيلات ما جرى ولا في تحديد الطرف الذى كسب هذه الجولة او تلك . فالأهم من التفاصيل والفرعيات ان الممارسة تتكرس يوما بعد يوم ، وان كل مناقشة تمت انما كانت اثراء للتجربة ، وان الانتصار الحقيقي هو لصالح الدستور والبرلمان وللديمقراطية في النهاية .

ولقد كانت هناك مخاوف من اعادة الحياة النيابية في ظل الظروف الدقيقة والحرجة التي تمر بها المنطقة ، والوطن العربي عامة ، وكانت هناك مقارنات وشواهد للقياس هنا وهناك ، ولكن القرار الكويتي انحاز في النهاية لصالح العودة للحياة النيابية ، وفي صف الديمقراطية على طول الخط .

وكان هذا القرار لايعكس فقط قدرا كبيرا من الوعي وبعد النظر ، ولكنه كان يعبر ايضا عن ادراك عميق لحقيقة ان الديمقراطية هي المفتاح الحقيقي للمأزق العربي ، وايمان بان اهم ما يميز المجتمع الذى يدعو اليه الاسلام هو ان « أمرهم شورى بينهم » . . .

« المحـرر »

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

رئيس التحرير **الدكتور محمد الرميحي**

مدير التحرير **فهمي هويدي**

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت للوطن العربي وكل قارىء للعربية في العالم . الوزارة غير مسؤولة عما ينشر فيها من آراء . والمجلة غير ملتزمة باعادة أي مادة تتلقاها للنشر .

ثمن العدد . بالكويت ٢٠٠ فلس ، السعودية ٤ ريالات ، العراق ٢٠٠ فلس ، الأردن ٢٠٠ فلس ، سوريا ٢٠٠ قرش لبنان ٢٠٠ قرش ، مصر ١٥٠ مليما ، السودان ١٥٠ مليما ، المغرب ٣ دراهم ، تونس ٣٥٠ مليما ، الجزائر ٣ دنانير ، البحرين ٣٠٠ فلس ، قطر ٤ ريالات ، الامارات العربية المتحدة ٤ دراهم ، اليمن الشمالي ٣ ريالات ، اليمن الجنوبي ٢٥٠ فلسا ، ليبيا ٢٥٠ درهما .

الاعلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراسلات : باسم رئيس التحرير

عنوان المجلة بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٣٧١٤١ ٤٦٨٢٤٢

تلغرافيا « العربي »

الاشتراكات

ترسل الطلبات الى :

قسم الاشتراكات

المكتب الفني ـ وزارة الاعلام

ص . ب (١٩٣) ـ دولة الكويت

على طالب الاشتراك تحويل قيمة الاشتراك بموجب حوالة مصرفية أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الاعلام ، طبقا لما يلي :

ـ الوطن العربي ٢/٥٠٠ (ديناران ونصف)

ـ وطن غير عربي ٣/٥٠٠ (ثلاثة دنانير ونصف)

العربي ـ العدد ٢٩١ ـ فبراير ١٩٨٣

AL-Arabi, No. 291 — FEBRUARY, 1983 P.O. Box, 748 — KUWAIT

محتويات

العدد



مع أحد الرواد العرب الأوائل

الأستاذ عبد العزيز حسين من الرواد في تاريخ الكويت الحديث ، عاصر التجربة العربية في الكويت وساهم في أهم احداثها ، وما زال يعيش أبرز تطوراتها ، وترك بصماته على الكثير مما حققته بلاده من منجزات . كان أول من مثل الكويت في الأمم المتحدة وجامعة الدول العربية .. وكانت رحلته قبل الاستقلال مع العلم والتعليم ونشر المعرفة والثقافة .. اقرأ حوار العربي معه ص (٢٩) .

صورة الغلاف

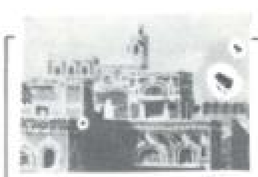


● بين الكويت القديمة والكويت الحديثة .. كويت ماقبل الاستقلال وبعده ، مرمى حجر .. فقد استطاعت هذه الدولة الصغيرة الغنية أن تحقق قفزة هائلة بعد أن انتزعت استقلالها في أقل من ربع قرن من الزمان ، وهي لحظات قصيرة في عمر الشعوب .. صورة تعبر عن جانب من جوانب هذه الطفرة .. الصندوق العربي التقليدي القديم .. ترتفع فوقه أبراج المياه وأبراج أخرى عالية تناطح السحاب وترمز الى الكويت الحديثة الناهضة .

قضايا عامة

عروبة واسلام

طب وعلوم



اليمن قبل الطوفان

قبل الطوفان ، أو الزلزال الأخير الذي دمر مساحات شاسعة في اليمن الشقيق ، كتب الدكتور عبد العزيز المقالح : « أرى الدهشة تعلو وجوه السياح والزائرين لمدينة صنعاء القديمة ، وألحظ العيون وهي تحاول أن تنفتح الى أقصى مدى لها لكي تلتهم مناظر الأحياء العتيقة .. » ترى كيف يبدو اليمن اليوم بعد أن حل به الدمار والخراب .. في عدد شهر مارس محاولة جادة لنقل صورة من قريب عن الكارثة التي حلت باليمن (اقرأ ص ٥٩) .

آداب وفنون

تاريخ وشخصيات



على طريق تنويع مصادر الدخل القومى بالكويت

في الشعيبة ، المنطقة الصناعية التي واكبت نهضة الكويت الحديثة بعد الاستقلال ، عاشت العربي أياما تسجل بالكلمة والصورة مسيرة على طريق تنويع مصادر الدخل القومي . هناك كان لقاؤها بالصحوة التي تمثلت في قيام أكثر من عشرين صناعة ناجحة بعد الاستقلال ، اقرأ الاستطلاع ص (٦٨) .

استطلاعات مصورة

أبواب ثابتة :



جامعات سبع في السعودية

○ في المملكة العربية السعودية ، اتجاه جامعي قوي تنطلق منه الدولة في بناء مستقبلها ، سبع جامعات تغدق عليها الدولة الاموال دون حدود ... وبين هذه الجامعات تحركت بعثة العربي وعاشت اسبوعين تسجل بالكلمة والصورة مجريات الحياة فيها ... وكان هذا الاستطلاع (طالع ص١١٦) .



بين أهل الصين والعرب

بين أهل الصين والعرب علاقة قديمة بدأت منذ ظهور الاسلام ، وكان بينهما اتصال خلال عهد الخليفة عثمان بن عفان . وقامت روابط ودية بين الدولة الاسلامية والصين ، ومعها كانت الدعوة الى الاسلام .. وتطورت هذه الروابط القديمة حتى أصبحت في القرن الاخير علاقات سياسية وثقافية شاملة .. (اقرأ رسالة بكين ص ١٣٧) .



حديث الشهر

بقلم

الدكتور محمد الرميحي

القانون

القانون لا تدب فيه الحياة الا عندما تختل الامور ، هكذا قال الكاتب الفيلسوف الفرنسي فولتير في القرن الثامن عشر . والمعنى الذي قصده ، هو ان القانون لا تظهر قيمته الحقيقية الا اذا حدث خلاف بين افراد او جماعات ، وان المكان الذي تظهر فيه قيمة القانون هو قاعة محكمة من المحاكم .

لقد شغلت فكرة القانون وعلاقته بالمجتمع ، ومدى حاجة الناس اليه ، الكتاب والفلاسفة والمشرعين على مر العصور . فمنهم من قال ان الانسان خيّر بطبعه وان فطرة الانسان هي فطرة خيرة تميل الى الطيبة والتسامح ، بدليل التجربة المباشرة لأي انسان في مجتمع سويّ ، فهناك ميل طبيعي للعيش بسلام بين الانسان وزملائه ومعاشريه من بني جنسه . ومن المفكرين من قال بعكس ذلك ، وبأن فطرة الانسان فطرة شريرة ، ولذلك احتاج الانسان لتنظيم عيشه في مجتمعه الى قوانين واعراف ، تضبط العلاقات ، وتنظم المصالح وتحل محل القوة في فض الخصومات .

والدراسات الاجتماعية القانونية الحديثة لا تأخذ بهذا الرأي او ذاك

والمجتمع

بشكل كامل ، فمع التسليم بان الخلافات والتنافر والامراض الاجتماعية التي يعاني منها الانسان في اي مجتمع هي نتاج مباشر للصراعات التي يتميز بها وجود الانسان الحضاري المعقد على الارض اليوم ، نجد النمو الحضاري بحد ذاته قد ارتبط على الدوام بالتطور التدريجي لنظام من القواعد الشرعية صيغت في قوانين معروفة يحترمها الناس،وبدونها تدب الفوضى ويختفي السلام الاجتماعي .

فهناك اذن علاقة اطّراد بين تعقد الحياة الحضارية التي تعيشها البشرية والاحتياج لوجود قوانين تنظم شئون الحياة ، حتى وصل بعض المبالغين الى القول بأن تطور القوانين في مجتمع ما دليل على المستوى الحضاري الذي بلغه ، فكلما كانت هذه القوانين شاملة ومنظمة ودقيقة كان المستوى الحضاري لذاك الشعب متقدما ، وان نظاما ما من القواعد والقوانين يبدو ضرورة صحية حتى في أبسط اشكال المجتمعات الانسانية .

القانون الطبيعي والقانون الوضعي

ويلخص مؤرخو الشرائع مراحل تطورها في الجماعات بقولهم :





ان الانسان اعتمد في بداية تاريخه على القانون الطبيعي ، ثم تحول الى القانون الوضعي ، ولو أنه في بعض المجتمعات مازال الاثنان يتعايشان . ويفرق علماء القانون بين النظامين : نظام القانون الطبيعي ونظام القانون الوضعي بقولهم ان الاول ـ القانون الطبيعي ـ يدور حول فكرة العدل والخير العام ، وانه يضم مجموعة من قواعد السلوك المستقرة في الضمير العام وهى تستمد من بداهات العقل وأساسياته فكرة العدل ، التي يسبق وجودها كل تدخل منظم للسلطة الحاكمة في الجماعة . وقد اعتقدت به البشرية لعصور طويلة بأشكاله البسيطة اولا ، والمعقدة بعد ذلك . وكانت قاعدة هذا الاعتقاد ان هناك انسجاما بين العالم البشري والعالم الطبيعي ، وان ذاك الانسجام لا يمكن صيانته الا باتباع طقوس وشعائر وعادات في اوقات مناسبة . أما القانون الوضعي فهو الذي تفرضه سلطة ما ، والذي يطبق عمليا في مكان وزمان معينين . وقد يكون القانون الوضعي مدونا ـ او غير مدون ، وأشهر مثال على القواعد القانونية غير المدونة هو الدستور البريطاني الذي لاتزال الكثرة الغالبة من أحكامه غير مكتوبة ، ولايزال اساس الالتزام بها هو استقرارها كعرف ملزم ظهر وتطور مع نمو الحياة السياسية وتطورها .

ومازالت المناقشة حتى يومنا هذا تتمتع بحيوية ـ تزداد او تنقص حسب الظروف ـ في المفاضلة بين القانون الطبيعي والقانون الوضعي ، ولم يتم حتى الآن احلال القانون الوضعي محل القانون الطبيعي بشكل نهائي في كل المجتمعات البشرية ، الا ان البعض يرجع انتشار القانون الوضعي الى التقدم العلمي والتكنولوجي الذي شهده العالم الغربي في القرنين التاسع عشر والعشرين .

وللتدليل على ارتباط القانون (اي قانون) بالمجتمع ، يسوق بعض الباحثين مثال التحولات التي طرأت على محتوى القواعد القانونية ، حتى في نطاق القانون الطبيعي ، فبعد أن كانت فكرته الرئيسية تعتمد على الطاعة العمياء لأشكال مادية او بشرية تؤمن بها الجماعة كمصدر للخير والشر ولفرض النظام والقانون ، واشاعة العدل ، تحولت الفكرة تدريجيا ـ خلال مسيرة التاريخ ـ الى ان الحقوق والواجبات متساوية لكل البشر .

وعلاقة المجتمع بالقانون الوضعي ، الذي هو موضع اهتمامنا هنا ، أكثر وضوحا ، فالقوانين التي تصدرها سلطة ما نتيجة لأسباب معينة تتغير بالضرورة بسبب تغير تلك الاسباب .

لقد أخذت مسيرة تطور القوانين الوضعية في البلدان المتقدمة ردحا طويلا من الزمن ، وكانت خطوات هذا التطور ومراحله في مجموعها مرتبطة باحتياجات الجماعة وظروفها ، الا ان بلدان العالم الثالث بمجملها قد استعارت الكثير من هذه القوانين وجربت تطبيقها في بلدانها ، دون التفات كاف الى الصلة العضوية التي تربط النصوص القانونية بالبيئة التي نشأت فيها ، ودون احتراز من الآثار السلبية التي يولدها الالزام بنصوص قانونية منفصلة عضويا عن البيئة التي نقلت اليها .

فاذا كانت تلك القوانين ـ لأسباب موضوعية ـ تعاني من مشكلات التطبيق في بيئتها التي انبثقت عنها ، فان مشاكل تطبيقها تتعاظم في بلدان العالم الثالث ، التي استوردت هذه القوانين دون علاقة بالظروف الاجتماعية السائدة في بلدانها .

ان القضايا الاجتماعية التي تثيرها فكرة القانون متعددة ومتشابكة . . ونختار منها هنا قضيتين تستحقان ان تكونا موضع اهتمام الناس جميعا ، وألا تقتصر العناية بهما على المتخصصين من رجال القانون وهما : ، من يضع القوانين ؟ وكيف يطبق القانون اذا وضع ؟

كيف تطبق القوانين ؟

قيل ان تطبيق القانون هو مباراة بين طرفين لا يستطيع ان يفوز فيها الا طرف واحد ، فإثبات الدعاوى امام المحاكم ، على سبيل المثال ، مشكلة شغلت البشر منذ ألوف السنين ، وفي الزمان الغابر كان التعذيب وسيلة لاجبار المتهم على الاعتراف بجرمه ، وتطورت تلك الوسائل حتى اصبحت وسائل تكنولوجية حديثة تصل الى حد الاستشعار عن بعد . الا ان مشكلة اثبات الدعوى مازالت ملازمة للتطبيق القانوني المكتوب في كل مجتمع ، لذلك يحتاج المتهم والمدعي في



النظام القانوني الحديث الى محام يدافع عنه ، ويفسر النصوص القانونية لمصلحته، فالمشكلة اذن تفسير النصوص القانونية التي لا تطبق تلقائيا ولكن يجري تطبيقها من خلال تفسيرها ، حين تطرح قضية التفسير وعلاقته بالمجتمع . والخلاف في التفسيرات القانونية لا يقتصر على القواعد المدونة والمكتوبة ، وانما يشمل أيضا ، القواعد القانونية الاخرى المستمدة من العرف السائد او مبادىء العدالة . وعند الاختلاف في تفسيرها يستعين كل جانب بالاعراف السائدة في المجتمع او بالتطبيقات السابقة لاثبات وجهة نظر الطرف الذي يمثله او دحض وجهة نظر الخصم ، وهنا تلعب المعرفة والتلاعب بالالفاظ ، واقتناص القصور في النص القانوني ، كلها او بعضها ، دورا هاما في كسب او خسارة القضية . وقد تأخذ بعض القضايا طابع الصراع الاجتماعي ، بصرف النظر عن القواعد القانونية التي تحكمها ، ومثال ذلك ما حدث في الاسابيع الاخيرة في بريطانيا عندما قامت مجموعة كبيرة من السيدات بتطويق قاعدة عسكرية تستخدم لتخزين الرؤوس النووية ، وقد تجاوز بعضهن القوانين المسموح بها في مثل هذه الامور ، فقامت الشرطة باعتقالهن وتقديمهن للمحاكمة ـ الا ان رفيقاتهن اعتصمن بالمحكمة لمدة يومين حتى تم اطلاق سراح من اعتقلن دون اية عقوبة .

فعلى الرغم من وجود القانون ووجود نص للعقوبات فيه على مثل هذه الاعمال ، الا انه لم يطبق .

وفي عالمنا الثالث تتفاقم مشكلات التطبيق ، فبجانب غموض النص نتيجة لاستعارته من مجتمع آخر ، وتعقيد صياغته وبالتالي استحالة فهمه من الجمهور ، لأنه ـ أساسا ـ غير نابع منه محققاً لحاجاته ، فان تطبيق النصوص القانونية كثيرا ما يتم بشكل انتقائي ، نتيجة للظروف الاجتماعية السائدة في هذا المجتمع او ذاك . وهنا تتضح العلاقة العضوية بين المجتمع وبين القانون الذي يفرزه .

ان التطبيق الأمثل للقانون هو الذي يحقق أموراً ثلاثة رئيسية تتصل مباشرة بفكرة العدل :

الأمر الأول : عمومية التطبيق التي بغيرها تهدر المساواة ، ويشيع

التحيز ، ويضيع المعنى الاساسي لقاعدة القانون .. ان ضياع هذه العمومية بآثارها الاجتماعية المدمرة هي ما تحدث عنه النبي (ص) حين قال : « انما اهلك من كان قبلكم انهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه ، واذا سرق فيهم الضعيف اقاموا عليه الحد » .

الأمر الثاني : الفاعلية الاجتماعية .. بمعنى ان يكون تطبيق النصوص القانونية محققا ـ فعلا ـ لاهداف التشريع المعلنة .. اما اذا اثبت الاستقراء والاستقصاء ان التطبيق لا يؤدي الى ذلك او يؤدي الى نقيضه فان ركن الفاعلية الاجتماعية ينهار .. والقانون ـ كما قيل بحق ـ وسيلة لغاية .. ومادام قانونا وضعيا فان تطبيقه لا يمكن ان يكون عبادة مقصودة لذاتها .

الأمر الثالث : مراعاة التطبيق للفوارق الثابتة بين الجزئيات التي يطبق عليها وهو ما يسميه رجال القانون تفريد العدالة : Individuality Of Justice وهذا التفريد حين يبنى على اسباب واسس موضوعية لا يعد اخلالا بمبدأ المساواة وانما يمثل حرصا متزايدا على العدالة التي تمنع التسوية بين الحالات المختلفة اختلافا موضوعيا حقيقيا .

من يضع القانون ؟

في حالة القانون الوضعي وفي العالم المتقدم بشكل عام ، توضع القوانين من قبل هيئات ممثلة للمجتمع ، وقد تختلف درجة تمثيلها ، الا انها تضع القوانين ثم تكون بعيدة بعد ذلك عن تطبيق تلك القوانين ، وفي العالم الثالث كثيرا ما تكون السلطة التي تصدر التشريع هي التي تقوم بتطبيقه ، وايضا بتفسيره ، وغالبا ما تكون تلك السلطة ممثلة لمصالح اقلية في المجتمع .. من هنا فان احترام هذه القواعد القانونية من بقية افراد المجتمع يكون موضع شك كبير ، إما لأن القواعد القانونية تتعارض مع مصالحهم مباشرة ، او لأن تلك القوانين تخدم مصالح فئة قليلة من المجتمع .

لقد رأى كثير من علماء الاجتماع القانوني ، انه بما ان القانون قد وضع لتنظيم المجتمع وان المجتمع نفسه يتألف من كتلة من (المصالح) المتنافسة ، والكثير منها اقتصادي ، فان الصدام غير المقيد بين هذه المصالح ، يؤدي الى الفوضى والاضطراب ، لذلك فان القانون يجب ان يكون وسيطا غير متحيز بين المطالب والحاجات والمصالح المتنافسة في المجتمع ، ولكي يكون كذلك لابد ان يوضع القانون من قبل ممثلين هذه الفئات والمصالح المختلفة .

وقد ذهب بعض علماء الاجتماع الى القول ، انه في المجتمعات التي لا تمثل في قانونها مصالح الفئات المختلفة في المجتمع ، يتراجع المجتمع الى وضع قانون غير معلن (القانون الحي) Living Law يختلف كثيرا او قليلا عن القانون الوضعي المعلن . والعجز عن ربط القانون الوضعي بالقانون الحي ينجم عنه تجاهل وازدراء للقانون الوضعي ، لذلك فان معرفة القانون الوضعي في مجتمع ما دون معرفة حقيقية للقانون الحى ، لا تعطينا الا صورة زائفة عن مدى تطوره ، وتضللنا كليا عن فهم النظام الاجتماعي القائم .

ان معنى ما تقدم ان عدم المشاركة الشعبية في وضع القوانين الوضعية التى تمثل المصالح المختلفة للمجتمع لابد ان تنتج قانونا متحيزا .

ان هذه الخطوة رغم اهميتها لا تخلو من سلبيات ، منها ان الهيئة المشرعة المنتخبة تضع مشروعات القوانين بصياغة عامة وغامضة من اجل سهولة تمريرها ، ولكن بعد ان تصبح قانونا تظهر عيوبه في التنفيذ ، ويخضع للتفسيرات المتعددة ، ورغم هذه السلبية نجد ان الفكر القانوني الاجتماعي الحديث يقبل هذه المخاطرة الجانبية في سبيل ان تكون القوانين ممثلة لكل فئات المجتمع ونابعة منه .

ومعضلة كثير من دول العالم الثالث ــ واقطار الوطن العربي ليست استثناء ـ ان قوانينها لا تعبر بشكل شامل عن مصالح ومطالب ورغبات الفئات المجتمعية المختلفة ـ لذلك اصبح البناء القانوني في هذه الاقطار ، أو في بعض اجزائه على الأقل ، اقرب الى الشكلية ، منه الى خدمة المجتمع وتطوره . ○

د . محمد الرميحي . .

المأزق الوحدوي :

تحديد عام

بقلم الدكتور ـ نديم البيطار

في دراساتي الوحدوية التي ظهرت حتى الآن ، كنت انبه باستمرار بان دولة الوحدة ليست عملا ذاتيا وإراديا ، بل عملا يرتبط نجاحه بوجود « وضعية وحدوية » تجعل من الممكن الانتقال من التجزئة الى الوحدة .

وقد حددت هذه الوضعية بانها تتمثل في توفر مجموعة من العلاقات الانتظامية (Regularities) او القوانين التي كانت تعيد ذاتها في تجارب التاريخ الوحدوية وتهيمن عليها .

في كتاب: النظرة الاقتصادية والطريق الى الوحدة العربية ، * ـ القسم الاول منه ـ وخصوصا في كتاب : من التجزئة .. إلى الوحدة ، ** رجعت الى هذه التجارب ، اي التجارب التي كانت تنتقل فيها مجتمعات مجزأة وكيانات سياسية مستقلة من حالة تجزئة الى حالة وحدة . فدللت على هذه القوانين الموضوعية وحددتها في مجموعتين: مجموعة القوانين الاساسية ، ومجموعة القوانين الاعدادية ، الفرق بين الاثنين ـ الفرق الذي تكشف عنه حركة تجارب التاريخ الوحدوية نفسها وديالكتيكها (جدلها الموضوعي) ، هو ان الدفع الوحدوي الذي يمكن ان يتفرع عن الثانية ، رغم اهمية بعضها الكبيرة ، يرتبط بتوفر الاولى ويعتمد عليها

هذا لايعني ان هذه الدراسات تجاهلت دور الارادة الوحدوية الثورية او الوعي الوحدوي في اي شكل . على العكس ، لقد اكدت كثيرا فيها ، على دور الوعي والارادة ، ولكن نبهت باستمرار أن هذا الدور يحتاج ، كي يكون مثمرا وفعالا ويتجنب التبشيرية التي كان يدور فيها ، الى وعي علمي لهذه القوانين الموضوعية التي يجب ان يحدد في ضوئها طريقه الى الوحدة .

التبشيرية مفيدة بل ضرورية ايضا في تحضير المشاعر وتعبئتها ، ولكنها عندما لاتكون مرتبطة بوعي علمي يكشف لها عن الديالكتيك الموضوعي او القوانين العامة التي تسود الظاهرة التي تدعو الى معالجتها ، فانها تتخبط وتتعثر ، تصبح فريسة البلبلة والنفس القصير ، وتستنزف الطاقات التي تتوفر لها في آنية خانقة ، وفي طرق ومجالات وجهود غير مفيدة





* معهد الانماء العربي ، بيروت ، ١٩٧٨

** مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٧٨

الخلل في فكرنا الوحدوى

هنا نجد الخلل الأساسي في الفكر الوحدوى العربي الذى كان ـ في جميع اشكاله ومنذ ولادته ـ يحدد الطريق إلى الوحدة دون اي رجوع ابدا الى الظاهرة الوحدوية فيكشف في قوانينها الموضوعية المستقلة الاساس الذى ينطلق منه في العمل على تجاوز التجزئة العربية،انه كان في الواقع ، فكرا لايشير من قريب او بعيد بانه يعى حتى ضرورة هذا الرجوع ، او حتى وجود ظاهرة كهذه .

المجتمع العربي ليس أول مجتمع مجزأ حاول توحيد أجزائه في دولة واحدة ، والكيانات السياسية المستقلة التى تمزقه وتجمد امكاناته وطاقاته ليست أول كيانات من نوعها تحاول تجاوز ذاتها في دولة واحدة . إنه من الممكن في الواقع ، تحديد التاريخ كله من هذه الزاوية ، أى بأنه كان حركة أو سلسلة من التجارب التى كانت تحاول فيها مجتمعات مجزأة وكيانات سياسية مستقلة ان تنتقل من وضع مجزأ واقامة وحدات سياسية جديدة اكبر . لهذا كان على هذا الفكر الوحدوى ، وخصوصا عندما يقدم نفسه كفكر علمي . ان يرجع الى هذه التجارب الوحدوية فيدرس ما نجح وما فشل منها ، ويقارن فيما بينها كي يكشف عن الاتجاهات الموضوعية المشتركة او القوانين العامة الواحدة التى كانت تسودها . هذا الفكر تجاهل تماما هذا الاساس العلمي البديهى تقريبا فكان يعمل وكأن هذا الاساس غير موجود .

الاجوبة التى يقدمها اى فكر تتحدد اساسيا بطبيعة الاسئلة التى يطرحها . هذه الناحية كانت مهمة جدا في تاريخ الفكر الانسانى ، الى درجة دعت كثيرين من مؤرخى هذا الفكر الى القول بان تقدم هذا الفكر كان يعود اولا الى الاسئلة المهمة التى يطرحها وليس الى الاجوبة التى كان يقدمها . الاجابات التى كان يقدمها الفكر الوحدوى العربي حول الطريق الى الوحدة لم تنتج عبر تاريخه الطويل عن طرح السؤال العلمي الاساسى الذى كان يمكنه ان يقود الى تحديد صحيح لهذا الطريق ، وهو : كيف كانت تنتقل عبر التاريخ مجتمعات مجزأ وكيانات سياسية مستقلة الى وحدة سياسية جديدة أكبر ؟ . . .

كيف كانت الاتحادات السياسية التاريخية تتحقق ؟ . . وإذا كانت الظواهر الاجتماعية تتميز بموضوعية مستقلة تعبر عن ذاتها في اتجاهات عامة تسودها ، فما هى اذن الاتجاهات الواحدة المتكررة التى كانت تعيد ذاتها في هذه التجارب وتهيمن على حركتها ؟ . . .

مفتاح العمل الصحيح

الفكر الصحيح كما يجب أن يردد الشيوعيون الصينيون هو مفتاح العمل الصحيح . ولكن المفتاح الى الفكر الصحيح ـ هو العودة الى الظاهرة التى يعالجها فيكشف في ديالكتيكها الموضوعى المستقل طريقه الى معالجتها .

في ضوء هذه الملاحظات التمهيدية العامة يمكن اذن تحديد ما يمكن تسميته بالمأزق الوحدوى :

ـ (أولا) بانه يشير الى وضع لا يقترن فيه الفكر اوالعمل الوحدوى بوعى علمي ينطلق منه في تحديد طريق الانتقال من التجزئة الى دولة الوحدة ، وتحوله بالتالى من صعيد « التبشيرية » التى يتخبط فيها وتبعثر قواه إلى صعيد العلمية التى توفر له الفعالية والقدرة على التحكم بالتحولات والاحداث التى يتفاعل معها .

العلم او المنهج العلمي يعنيان :

الوعى بان الظواهر الاجتماعية أيضا ـ وليس فقط الظواهر الطبيعية ـ تخضع لموضوعية مستقلة خاصة بها .

ان هذه الموضوعية تكشف عن ذاتها في علاقات انتظامية تسودها .

ان حرية الانسان وقدرته في سيادة وضعه نسبيا على الاقل ترتبطان الى حد كبير بادراك هذه الموضوعية وقوانينها .

العلم يعنى استخراج النظام الذى ينطوى عليه مجرى التحول الاجتماعي . التركيب العام الذى يقف وراء الظواهر الاجتماعية . انه يحاول ان ينتزع من العالم الموضوعى الانتظامية المتكررة التى ينطوى عليها والعمل بها . المعرفة العلمية تهمل فردية الاحداث والظواهر الاجتماعية وتحاول بدلا من ذلك ترتيبها في نظام عام ، او بالاحرى . الكشف عن هذا النظام الذى ينظمها .

هذا العقل العلمي الذى يشكل اهم خاصة في العقل الحضارى الحديث كان أساس أهم منجزات هذا العقل ، المنجزات التى حولت مجرى التاريخ ووجه العالم ،

(ثانيا) ـ المأزق الوحدوي يعني أيضا وأساسا غياب الوضعية الوحدوية التي يجب توفرها كي يستطيع العمل الوحدوي أن يحقق خطوات ناجحة نحو دولة الوحدة . هذه القوانين ـ من اساسية واعدادية ـ تتوفر لنا في اكثريتها ، كما شرحت في كتاب « من التجزئة .. الى الوحدة » ولكن مع الأسف دون توفر اهمها ، او ما أسميه بقانون الاقليم ـ القاعدة ، وهو القانون الذي يقوم بدور الحافز الذي يحرك القوانين الاخرى ويكشف عن امكاناتها الوحدوية . ويستقطب فعاليتها. * .

دون هذه الوضعية الوحدوية لا يستطيع العمل الوحدوي التقدم نحو قصده ويبقى ـ كما هو حاليا ـ متراوحا في مكانه ، يدور على ذاته في حلقة مفرغة . ولكن هذا لايعني أن توفر هذه القوانين أو هذه الوضعية يعني ان سير العمل الوحدوي سيصبح ذاته ، ويستقيم سيره نحو دولة الوحدة . كلا .. فهناك أسباب وعوامل عديدة* يمكنها اجهاض هذه الوضعية اذ لم يتوفر لها ما تحتاجه من وعي والتزام وحدويين . ولكنه يعني ان اي نجاح وحدوي فعال ينقلنا نحو دولة الوحدة غير ممكن دون هذه الوضعية .

(ثالثا) المأزق الوحدوي يشير ايضا الى نقص في الوعي لأهمية دولة الوحدة والى ضعف في الالتزام بها كشرط اساسي لجميع مقاصدنا في بناء مجتمع عربي جديد منيع يتحرر فيه الشعب العربي من جميع العوائق الداخلية والخارجية التي تقف امامه في نضاله وطموحه نحو هذا المجتمع . هذا يعني ان المقياس الوحدوي يجب ان يكون المقياس النهائي الذي نقيس به كل ما يواجهنا من مشاكل ونمارسه من اعمال ، فنهمل كل ما لا ينسجم مع مصلحة دولة الوحدة ونلتزم بكل ما يخدمها * هذا الالتزام الوحدوي لا يزال من ناحية عامة بعيدا عن العمل الوحدوي . انه يتوفر في وحدويين (كافراد) ولكنه لا يميز هذا العمل . لهذا يمكن الكلام عن وجود وحدويين ولكن ليس عن حركة وحدوية .

امام هذا المأزق ، هل يمكننا كوحدويين التوفق إلى مخرج ؟ .. ماذا يمكننا صنعه كوحدويين ؟ .. هذا ما سنحاول معالجته في مقالات قادمة . ○

برمنجهام ـ د ـ نديم البيطار

---

* هذا القانون توفر لنا في المرحلة « الناصرية » عندما كانت مصر تمارس دور هذا الاقليم القاعدة ، ولكننا لم نعرف كيف نفيد من تلك الفرصة التاريخية الفريدة فأضعناها ، وقد نكون في إذاعتها قد أضعنا المستقبل العربي المنيع الذي يرتبط بدولة الوحدة . النظام الحالي خرج بمصر عن هذا الدور . ولكن مصر سترجع عاجلا أو آجلا اليه . عندما يتم هذا الرجوع أرجو أن نكون وحدويين أكثر نضجا والتزاما . فلا نترك الفرصة الجديدة تضيع كسابقتها لاننا سنضيع مستقبلنا نفسه .

* يمكن القارىء الرجوع إلى الكتاب « حدود الاقليمية الجديدة » وكتاب « جذور الاقليمية الجديدة » معهد الانماء العربي بيروت . ١٩٨٢ حيث حللت هذه الاسباب والعوامل وكيفية الخروج منها .

* لقد حاولت تقديم تحديد علمي لهذا المقياس في كتاب « حدود اليسار الثوري » ، دار الوحدة بيروت ، ١٩٨٢ م .

قيل لأعرابي : مالك لا تجاهد ؟

قال : والله اني لأبغض الموت على فراشي ، فكيف أسعى اليه راكضا !





القرآن وهموم المجتمع العربي

بقلم الدكتور محمد احمد خلف الله

قارىء القرآن الكريم في ريث ومهلة ، وفي تدبر وامعان ، يستطيع ان يدرك في وضوح وجلاء الحقائق الثلاث التالية :

ـ الاولى : ـ ان القرآن الكريم كان يسجل في دقة متناهية ، وفي توثيق منقطع النظير ، وقائع الحياة التى تحدث في المجتمع العربي منذ بدء نزوله من السماء يوم بعث الله محمد بن عبد الله لهذا المجتمع نبيا رسولا ، والى ان توقف عن النزول حين وفاة النبي العربي محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام ، وبعد نزول الآية القرآنية الكريمة : ـ « اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الاسلام دينا » ـ تلك الآية التي كان الخطاب فيها موجها الى المجتمع العربي اولا وبالذات .

ويستوى في تسجيل هذه الوقائع ان تكون الاحداث قد وقعت للافراد ، او للفئات والطوائف والجماعات ـ كما سوف ترى فيما بعد .

ـ الثانية : ـ أن القرآن الكريم قد جعل من النبى العربي عليه الصلاة والسلام الداعي الذي يدعو الناس الى احداث تغيرات جذرية في بناء هذا المجتمع العربي ، ويجعل منه أيضا القائد لحركة التغيرات الجذرية هذه . ومن المسلم به عند جميع الناس ان النبي العربي محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام كان يقود حركة التغير الجذرى في الميادين التالية من ميادين الحياة في المجتمع العربي : ـ

الآراء والمعتقدات الدينية ـ التقاليد والعادات التي اتخذت مستقرا لها ومقاما في هذا المجتمع دون سواه ـ القيم الاخلاقية والمعايير السلوكية التى كان هذا المجتمع يمارس حياته على اساس منها .

والنبي العربي عليه الصلاة والسلام هو الذي أرسى قواعد البدائل التى جاء بها من عند الله ، وهى الأخرى تليق بالمجتمع العربي قبل ان تليق بغيره من بقية المجتمعات ، من حيث أنه المستهدف من هذه الدعوة ، ولذا اصطفى الله النبي من أبناء هذا المجتمع ، واختار الله لغة هذا المجتمع لتكون لغة هذه الدعوة الجديدة .

الثالثة : ـ وهي الحقيقة المؤسسة على الحقيقتين السابقتين ، أن القرآن الكريم كان يعالج هموم هذا المجتمع وكان يقدم الحلول لمشكلات الحياة فيه .

انه من هذه الحقيقة كان اختيارنا لعنوان هذا المقال .

وقفات للمفسرين

والقدامى من رجال الفكر الديني الاسلامي قد تنبهوا لهذه الحقائق جميعها ، وقدموا لنا من الوثائق مايؤكد لدى القارىء صحة كل الادلة التي سوف نقدمها .

١) تنبه المفسرون للقرآن الكريم ، وأصحاب كتب أسباب النزول ، ووضعوا بين أيدينا الوثائق التي تثبت أن هذه الآية أو تلك قد نزلت بسبب هذه الواقعة من حياة الأمة العربية أو تلك .

والمثل الحي الذي نقدمه في هذا المقال هو حديثهم عن الحروب والغزوات التي خاضها أبناء المجتمع العربي من المسلمين والمشركين ضد بعضهم ، والتي وردت الآيات الخاصة بها في الكثير من السور القرآنية من مثل سور : آل عمران ، الأنفال ، الاحزاب ، الحشر . ووقفة المفسرين للقرآن الكريم عند الآيات الخاصة بكل من غزوة بدر وغزوة أحد من سورتي : الانفال وآل عمران

ولقد وقف المفسرون طويلا عند هاتين الغزوتين ، وقدموا لنا من الوثائق ما يدل على وعيهم التام بالكيفية التي كان القرآن الكريم يعالج بها العقل العربي ليخرج به من الظلمات الى النور .

لقد وردت الآيات القرآنية الخاصة بكل من بدر وأحد لتفيد بأن الملائكة تحارب الى جانب المقاتلين من المسلمين واختلف المفسرون لهذه الآيات فيما بينهم ، هل هذه الآيات وردت لتصوير ما يقع فعلا أو أنها جاءت لتقوية الروح المعنوية فقط من حيث أن أبناء المجتمع العربي كانوا يعتقدون بمعاونة الملائكة والشياطين للناس في ميادين الخير أو في ميادين الشر . ومضى العقلانيون من المفسرين الى أن هذا لم يكن الا لتقوية الروح المعنوية ولتثبيت قلوب المسلمين .

والادلة التي يقدمونها في هذا المقام هي :-

أولا : ان المسلمين قد هزموا في أحد ، وأنه لو كان هناك ملائكة يقاتلون الى جانب المسلمين لم تكن هناك هزيمة .

ثانيا : أن الملائكة من القوة بحيث يكفي الملك الواحد في جعل عالي الارض سافلها ، فلو كان هناك قتال حقا من الملائكة لاكتفى الله سبحانه وتعالى بملك واحد يجعل عالي اراضي المشركين سافلها - ولم تكن هناك حاجة لثلاثة آلاف ، أو خمسة .

ثالثا : أن عدد قتلى المشركين في غزوة بدر معروف ، وان قاتل كل واحد منهم من المسلمين معروف ، وأن السيرة النبوية والتاريخ الاسلامي يذكرون لنا ذلك في غير لف أو دوران - يذكرونه صراحة .

رابعا : أنه لو كانت هناك ملائكة قد قاتلت فعلا ، وقتلت فعلا ، لوجد من بين القتلى من قتل من غير أن يقتله أحد من الصحابة رضوان الله عليهم - ولكن ذلك لم يكن .

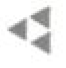
خامسا : أن الآية القرآنية الكريمة الواردة في ختام الآيات الخاصة بغزوة بدر تصرح بأن امداد المسلمين بالثلاثة آلاف ، أو بالخمسة آلاف لم يكن الا تقوية للروح المعنوية ، وهذا هو نص الآية : يقول الله تعالى : « وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر الا من عند الله » .

وتأسيسا على ما تقدم من موقف المفسرين العقلانيين ، وغيرهم ، نستطيع القول بأن هؤلاء الناس قد تنبهوا الى أن القرآن الكريم يهتم اهتماما بالغا بكل ما يقع من أحداث في المجتمع العربي - الأمر الذي ينتهي الى القول بأن القرآن الكريم كان يعالج بعض هموم الناس في المجتمع العربي . هموم بعض الافراد ، وهموم بعض الجماعات .

التدرج في التشريع

٢) وتنبه الفقهاء وأصحاب كتب الشريعة الى هذه الحقيقة أيضا عند حديثهم عن القواعد الاصولية : التدرج في التشريع ، والنسخ ، وقدموا لنا الوثائق التي تؤكد أن هموم الناس في المجتمع العربي هي التي كانت مقصودة أولا وبالذات ، من هذا الكتاب الكريم عندما كان ينزل من السماء .

والمثل الذي يضربه الفقهاء في التدرج في التشريع هو تحريم الخمر حيث لم يكن التحريم دفعة واحدة ولم يكن بلفظ التحريم .



والمستهدفون من عملية التدرج في التشريع من غير شك أفراد المجتمع العربي ـ أولئك الذين قدر المولى سبحانه وتعالى الا يأخذهم الى التحريم دفعة واحدة ، وقدر أن الحكمة هي تيسير سبل التحريم بحيث يكون التحريم أو المنع على مراحل .

والمثل الذي يضربه المشرعون في النسخ هو تحويل القبلة من المسجد الاقصى الى المسجد الحرام ، وكان الباعث على ذلك هو تطلع النبي عليه الصلاة والسلام الى أن تكون الكعبة هي قبلتهم ـ قبلة النبي عليه الصلاة والسلام وقبلة المسلمين . وقد كان كل هؤلاء المتطلعين الى الكعبة من أبناء الامة العربية ليس غير .

ان النسخ هنا انما يستهدف علاج هذا الهم العربي الذي يجعل من المسجد الاقصى ـ وليس من الكعبة ـ قبلة له .

يقول الله تعالى في شأن هذه الواقعة : « قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها ، فول وجهك شطر المسجد الحرام ، وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره . . . » .

وتلحق بهذه الآية آية أخرى هي قوله تعالى : « سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها ؟ قل : لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء الى صراط مستقيم » .

الفقهاء والمشرعون يقدمون لنا أيضا الوثائق التي تدل على معرفتهم لمدى العناية التي يعنى بها القرآن الكريم بمشكلات وهموم أبناء المجتمع العربي أولا وقبل كل شيء .

٣) والقرآن الكريم نفسه يقدم لنا من الآيات القرآنية ما يؤكد لدينا المدى الواسع الذي يذهب اليه القرآن الكريم في كل بعد من أبعاد الحياة في المجتمع العربي ـ مستهدفا من ذلك كله علاج هموم الحياة في هذا المجتمع ، وتقديم الحلول لمشكلاته .

فعل القرآن الكريم ذلك في العهدين ، المكي والمدني ، وعالج هموم العرب المسلمين في كل من مكة والمدينة .

هموم المسلمين في مكة

لقد كانت هموم العرب المسلمين في مكة ناجمة عن وقوف العرب المشركين في وجوههم ، وتصديهم للدعوة الجديدة يقاومونها ، ويتخذون شعارهم المعروف الذي سجله القرآن الكريم وهو : « حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا » ، « انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون » .

وكان الملأ من أبناء مكة هم الذين يقودون هذه الحركة ، ومن هنا كانت هموم النبي عليه الصلاة والسلام ، وهموم الذين آمنوا به وصدقوه ، كبيرة جدا .

وعمل القرآن الكريم على علاج هذه الهموم . وكان من العلاجات التي طرحها دفع الناس الى الهجرة ، ورسم أفراد الملأ في صور الكيد لهم ، والسخرية بهم من مثل قوله تعالى « ويل لكل همزة لمزة ، الذي جمع مالا وعدده . . . » أو : « ن والقلم وما يسطرون ، ما أنت بنعمة ربك بمجنون . وان لك لأجرا غير ممنون . وانك لعلى خلق عظيم . فستبصر ويبصرون . بأيكم المفتون . ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين . فلا تطع المكذبين . ودوا لو تدهن فيدهنون . ولا تطع كل حلاف مهين . هماز مشاء بنميم . مناع للخير معتد أثيم . عتل بعد ذلك زنيم . أن كان ذا مال وبنين ، اذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين . سنسمه على الخرطوم » .

فهذه الشخصيات التي رسمها القرآن لاعضاء الملأ من قريش ، وهي عديدة ومتنوعة ، تدل دلالة قاطعة على مدى دلالة هذه النماذج البشرية من الحياة العربية ، على أن القرآن الكريم كان يهتم اهتماما بالغا بشئون هذا المجتمع دون شئون غيره من المجتمعات .

وهموم المسلمين في المدينة

أما هموم العرب المسلمين في المدينة فقد وقف القرآن الكريم عندها وأطال ـ حتى ليصح القول بأن التشريعات الاسلامية لم تكن الا لعلاج الهموم العربية ـ الا مر الذي ينتهي بنا الى القول بأن الاسلام ليس الا البدائل التي جاءت من السماء لتحل محل المتغيرات العربية التي أصبحت غير صالحة في المجتمع العربي أولا وبالذات .

واذا كنا سوف نضرب الامثال التي تدل على هذه الحقيقة ونؤكدها فيما يلي من فقرات هذا المقال ، فاننا

سوف نقف هنا لنبين كيف أن القرآن نفسه يصرح في آياته الكريمة ، على أنه انما نزل من السماء ليعالج هموم الحياة في المجتمع العربي أولا وقبل كل شيء .

والآيات القرآنية القطعية الدلالة في ذلك كله هي :

يقول الله تعالى من سورة البقرة : « يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه ؟ قل : قتال فيه كبير . وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج أهله منه أكبر عند الله . والفتنة أكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا . ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر . . . . »

فالسائلون هنا هم أبناء المجتمع العربي الذين أسلموا . وهم يسألون عن مسألة تتصل بحياتهم العربية الجاهلية هي :- تحريم القتال في الاشهر الحرم ، والمسئول هنا هو النبي عليه الصلاة والسلام ، والاجابة هنا قرآنية من عند الله . وتتضمن الاجابة الموقف الاسلامي من الاشهر الحرم ، والموقف الاسلامي ممن يرتد عن الاسلام نتيجة للقتال الذي يقوم به المشركون ضد الدعوة الى دين الله الجديد - وهو الاسلام .

والموقف القرآني من الاشهر الحرم مرتبط بموقف آخر وقفه القرآن الكريم في سورة التوبة حين ورد فيه ما يلي : -

يقول الله تعالى : - « ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض : منها أربعة حرم . ذلك الدين القيم ، فلا تظلموا فيهن أنفسكم . وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة ، واعلموا أن الله مع المتقين . انما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ، ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله . . . . . . » .

الهموم هنا عربية ، والعلاج هنا عربي ، من حيث أن تحريم القتال في الاشهر الحرم وعمليات النسيء في الاشهر الحرم ، هي من العادات العربية الجاهلية التي وضع الاسلام لها نظاما جديدا يتناول بعض أبعاد القضية - وليس كل أبعادها .

لقد خلق الله الاشهر العربية يوم خلق السموات والارض ، وجعل منها يوم خلقها أربعة حرما وليس من حق الناس أن يدخلوا على ذلك أي تعديل أو ينسئوا .

ان الله وحده هو الذي يملك حق التعديل ، ويفعل ذلك لصالح المجتمع العربي من حيث أن السؤال والجواب قد كانا ولم يكن الاسلام قد عم الجزيرة العربية - فضلا عن أن يكون قد جاوزها . وخرج الى غيرها من المجتمعات البشرية .

وهنا نشير الى ظاهرتين : -

الأولى : - أن سورة التوبة تكاد تكون مقصورة على الوقائع التي كانت تحدث في المجتمع العربي يوم نزول القرآن الكريم ، وهذا دليل قوى على مدى عناية القرآن الكريم بهموم المجتمع العربي . الثانية : أن صيغة يسألونك قد وردت كثيرا في القرآن الكريم ، وكان لابد من أن ينزل القرآن الكريم مجيبا عن هذه الاسئلة الكثيرة ، وأن تكون الاجابة هي الاحكام الشرعية التي يجب أن يمارس الذين دخلوا في الاسلام الحياة على أساس منها .

وكثرة الاسئلة هذه ، وكثرة الاجابات عنها دليل قوي جدا على أن الكثير مما ورد في القرآن الكريم من أحكام تشريعية كان علاجا خاصا لهموم المجتمع العربي .

قضايا تركت للعقل

ويرتبط بهذه الكثرة من الاسئلة آية قرآنية كريمة تؤكد أن المولى سبحانه وتعالى قدر لحكمته البالغة ، أن يترك من مسائل الحياة وقضاياها ما يستطيع العقل البشري أن يعالجه بنفسه على أساس من أن الاصل في الاشياء أن تكون مباحة حتى يكون النص وأنه في حالة عدم وجود النص يجتهد العقل البشري ، وتكون هذه الاجابة تشريعا وضعيا ، وليس تشريعا دينيا .

ان الدين لا يكون الا من عند الله ، يكون بنص قرآني حمله الى الناس وبينه لهم رسول الله .

أما ما يكون عن اجتهاد فيما لانص فيه فهو وضع بشري وليس وضعا دينيا - انه ليس من عند الله .

والآية القرآنية الكريمة هي قوله : « يا يها الذين آمنوا لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم ، وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم - عفا الله عنها والله غفور حليم . قد سألها قوم من قبلكم ثم اصبحوا بها كافرين » .

ان الاية تحض على عدم طرح الاسئلة على رسول الله من حيث ان السؤال يقتضي الاجابة وسوف تكون الاجابة من عند الله ما دام القرآن لا يزال ينزل من السماء .

والقرآن الكريم حيث يحض على عدم السؤال يؤكد حقيقتين :

الاولى : ان الاجابة قد تكون على غير هوى الناس ، وعند ذلك قد تسؤهم .

الثانية : ان الله حين سكت عن بعض الامور انما فعل ذلك لحكمة ارادها ، ولم يفعل ذلك عن سهو ونسيان ، او عن اهمال ـ فسبحانه منزه عن ذلك .

لقد عفا الله عن ذلك ليتحمل العقل البشري مسئولية ذلك ، ويجتهد في التشريعات التي تناسب الزمان الذي يعيش فيه .

وهذه الحقيقة هي التي تشير اليها الآية : « قد سألها قوم من قبلكم ثم اصبحوا بها كافرين » .

ان الاحكام الشرعية قد تتغير بتغير الزمان والذي ، يقبل هذا التغير ليس يصح ان يرد فيه قرآن .

ان ورود القرآن فيما يقبل التغير انما ينتهي الى الكفر بالقرآن من حيث ان الناس انما يختارون ما يحقق المصلحة ، ومن هنا كان قوله تعالى : قد سألها قوم من قبلكم ، ثم اصبحوا بها كافرين .

ما عفا الله عنه هو ما ترك للعقل البشري ، والاصل فيه الاباحة حتى يكون المنع .

والمنع في مثل هذه الحالة يكون للمصلحة العامة ، ويكون بتشريع وضعي أي أن الالتزام به يكون التزاما أدبيا ، وليس التزاما دينيا لأنه من عند غير الله . والدين لايكون الا من عند الله .

ونقف عند هذا الحد من الادلة التي يقدمها القرآن الكريم على أنه معنى بهموم المجتمع العربي أولا وقبل كل شيء . نقف عند هذا الحد لنضع أمام بصر القارىء وبصيرته بعض الوقائع التي عالج فيها القرآن الكريم هموم أناس بأعيانهم من أبناء المجتمع العربي وليس من أبناء غيره من المجتمعات .

القرآن يعالج هموم أفراد

ونبدأ من ذلك بالحالات الفردية التي يعالج القرآن الكريم فيها هموم أفراد بأعيانهم جاءتهم من وقائع خاصة بهم ، وبحياتهم الشخصية ـ وان تكن المعالجة قد انتهت الى حكم شرعي ، أوالى قيم أخلاقية ومعايير سلوكية . ومعالجة القرآن الكريم لهموم الافراد كثيرة ومتنوعة ، ولا يمكن الوقوف عند كل هذه الحالات العلاجية ، ومن هنا سوف نكتفي بالامثلة التي تضرب وتقدم في الوقت ذاته الدليل على صحة ما نذهب اليه من قول .

١) . والمثل الاول الذي نضربه لنؤكد به صحة القول في أن القرآن الكريم كان يعالج هموم الانسان العربي أولا وبالذات ، هو قصة هذه المرأة العربية التي كانت تجادل النبي عليه الصلاة والسلام في شأن هموم حياتها الزوجية ، الناجمة عن عادة عربية جاهلية قبيحة هي عادة الظهار .

وقصة هذه المرأة وردت في القرآن الكريم في سورة سميت باسم هذه الواقعة وهي : المجادلة .

يقول الله تعالى في هذه السورة : ـ « قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله ، والله يسمع تحاوركما ان الله سميع بصير .

الذين يظاهرون منكم من نسائهم ما هن أمهاتهم ، ان امهاتهم إلا اللائي ولدنهم ، وانهم ليقولون منكرا من القول وزورا ، وان الله لعفو غفور .

والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا : فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا ذلكم توعظون به ، والله بما تعملون خبير .

فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا ، فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا ـ ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله وتلك حدود الله . . . . . . »

وواضح تماما من هذه الآيات أن القرآن الكريم يسجل لنا في صورة صادقة هموم امرأة عربية لم يشأ الله أن يذكر اسمها .

وواضح أيضا أن القرآن الكريم يسجل لنا ظاهرة

عربية خالصة كانت العامل الرئيسي في ايجاد الهم لهذه المرأة العربية ـ وهي ظاهرة الظهار .

وواضح ثالثا ، أن هذا العلاج للحالة الفردية العربية قد أصبح تشريعا اسلاميا . أي أن العلاج قد أصبح القاعدة التي تمارس الحياة على أساس منها في المجتمع العربي أولا وبالذات ، ثم انتقلت القاعدة فيا بعد الى المجتمعات الاخرى التي نقل العرب اليها شريعتهم الاسلامية .

وهنا نشير الى أن هذه الظاهرة قد اختفت من الحياة اليوم ، وأننا لانسمع عن الظهار كمرض في الحياة الزوجية ، وهذا انما يعني أن هذا الحكم الشرعي لا يجد مجاله في تطبيق ، وأن هذه الآيات التي وردت في حكم الظهار انما تقرأ فقط ـ حيث لا مجال للعمل بها .

٢)والمثل الثاني الذي نضربه دليلا على أن القرآن الكريم يعالج هموم الافراد من أبناء الأمة العربية وقت نزوله من السماء . هو قصة الافك التي نسجت خيوطها حول عائشة رضى الله عنها .

والآيات القرآنية التي تعالج هموم عائشة رضي الله عنها هي التالية : ـ

يقول الله تعالى :ـ « ان الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم ، لاتحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم . لكل امرىء منهم ما اكتسب من الإثم ، والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم .

لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا ، وقالوا « هذا افك مبين . لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء ، فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون .

ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم ، إذ تلقونه بألسنتكم ، وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم ، وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم .

ولولا إذ سمعتموه قلتم : ما يكون لنا أن نتكلم بهذا ، سبحانك هذا بهتان عظيم . يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا إن كنتم مؤمنين ، ويبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم .

إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة ، والله يعلم وأنتم لاتعلمون . . . . . . »

وصدق الله العظيم ـ صدق في رسم هذه الصورة الناجمة عن حديث الافك ، وكيف أنها الصورة الزائفة التي لاتثبت أمام الحق الذي يعلمه الله ، وصدق في علاجه هموم عائشة رضي الله عنها ، وهموم النبي عليه الصلاة والسلام ـ تلك الهموم التي نبتت في المناخ العربي الخالص .

وليس يخفى أن علاج القرآن الكريم لهموم عائشة رضي الله عنها قد جاء بقاعدة عامة يمارس الناس حياتهم الاخلاقية على أساس منها .

٣) والمثل الثالث الذي نضربه قد يطول به المقام الى حد بعيد ، وهو علاج القرآن الكريم لهموم محمد عليه الصلاة والسلام تلك الهموم الناجمة عن موقف قومه العرب منه ، والتي كان يسجلها القرآن الكريم حين يقول له : « انه ليحزنك الذي يقولون » أو « فلعلك تارك بعض ما يوحي اليك وضائق به صدرك » ، أو غير ذلك من الآيات التي تسجل هموم النبي عليه الصلاة والسلام ، وهي كثيرة ومبثوثة في كتاب الله .

وقد يكفي في تصوير هذه الهموم قوله تعالى : ـ « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم ، حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم » .

لقد كان عليه الصلاة والسلام يعاني من هذه الهموم الشيء الكثير ، وكانت كلها هموما عربية من حيث أنها تجيء من قومه العرب ، وكان القرآن الكريم يعالجها ليذهب الهم والحزن عن نفس النبي عليه الصلاة والسلام ـ حتى يستطيع تحمل الرسالة ، وتأدية الامانة .

ونكتفي بهذا القدر في هذا المقال ، عاقدين العزم على أن نعود مرة أخرى للحديث عن هموم المجتمع العربي في الصورة الجماعية ان شاء الله

د . محمد أحمد خلف الله

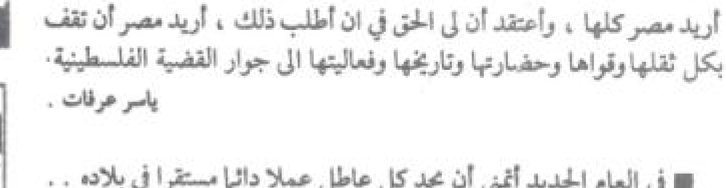




■ ان امريكا تكون صادقة مع نفسها فقط عندما تكون صادقة مع اسرائيل

الكسندر هيج

وزير خارجية الولايات المتحدة السابق .



أريد مصر كلها ، وأعتقد أن لى الحق في ان أطلب ذلك ، أريد مصر أن تقف بكل ثقلها وقواها وحضارتها وتاريخها وفعاليتها الى جوار القضية الفلسطينية.

ياسر عرفات .



■ في العام الجديد أتمنى أن يجد كل عاطل عملا دائما مستقرا في بلاده . . انها ليست مجرد أمنية ، انها صلاة .

رونالد ريجان .

■ قررت أن أكون حقل تجارب وأن أقدم شيئا للملايين الذين يعانون من امراض القلب مثلي

بارني كلارك



■ أنا مرشح الحزب الديموقراطي لانتخابات الرئاسة الامريكية في العام القادم ، وآمل أن أفوز لأنني رجل فقير !

والتر مونديل «وبعد انسحاب كنيدي»

■ لا أمان لمصر أو العالم العربي بغير أن يكونوا جميعا في خندق واحد .

اسماعيل فهمي .



■ صراعنا مع العدو ، صراع وجود لا صراع حدود .

هند الحسيني .

■ هناك الكثير من المرشحين الذين كان يمكن ان يمثلوا عام ١٩٨٢ ولكن ليس بينهم من استطاع ان يرمز للعام الذى انقضى او ينظر اليه التاريخ على انه اكثر اهمية من الكومبيوتر .

مجلة تايم ورجل العام .

المواطن والسياسة في العالم الثالث

بقلم : جميل مطر

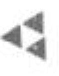
تتردد أسئلة متعددة عن السياسة الخارجية التي ينتهجها كثير من دول العالم الثالث ، وأسئلة أخرى عن الحالة التي تردت اليها العلاقات الدولية . وكلها اسئلة لاتجد اجابات شافية . ويلفت النظر بشكل خاص نوع الاسئلة التي تتعلق بالسلوك السياسي لهذه الدول ، وهو لايستجيب لقواعد او معايير متعارف عليها .

ان الضعف العام الذى اصاب السياسة الخارجية لدول العالم الثالث ضعف صارخ لا يتناسب مع أى واقع اقتصادى او سياسي . فقد تدنت الحدود الدنيا لما تقبل به هذه الدول ، وتواصل التدهور في اساليب استخلاص الحقوق او المحافظة على الاستقلال والحرية النسبية في الحركة الدولية .

ولم يقتصر الضعف العام على هذا ، بل امتد ليصيب نظما اقليمية وقومية فتبعثرت اطرافها بعد ان سمحت للآخرين باختراقها وتفتيت تحالفاتها واخضاع تفاعلاتها لتغيرات خارجية .

لقد تجاوز هذا الضعف حدود فهم المواطن في العالم الثالث . وأصبح يشعر بالفخر في فهم حكمة القرارات المتخذة أو الاوضاع التي انحدرت اليها بلاده . ويدرك هذا المواطن انه غير مطلوب منه المشاركة في السياسة ، وفي عديد من الدول تحرم عليه هذه المشاركة . وفي معظم الاحوال يبدو انه هو نفسه قد قرر ألا يكون شريكا في صنع الكارثة التي هي لا محالة واقعة ، هذا المواطن يعرف مصدر ودرجة الخطر الاساسي الذى يهدد امته ودولته ، ويرى في نفس الوقت حكومته وقد اختارت خطرا آخر تركز عليه جهودها متجاهلة وعي الشعب حينا ، ومحاولة في حين آخر اقناعه بمدى الحاح هذا الخطر .

والنتيجة الوحيدة لهذا التضارب في الرؤية هي اتساع المسافة التي تفصل بين وعي المواطن وارادة السلطة وفقدان الثقة بينهما . وتضطر الحكومات إلى دخول معركة سياسية أو عسكرية ضد خطر لا يؤمن المواطن بالحاحه ، حينذاك يعود المواطن انسانا يبحث عن هوية أوسع من الدولة التي ينتمي اليها ولكنه لا يتحمس لأهدافها ، او هوية ا...



يتقوقع داخلها ويحتمي بها .

التراث السياسي للمواطن

دخل المواطن في العالم الثالث تجربة المشاركة في صنع السياسة الخارجية حين ساهم باشكال متعددة في مرحلة النضال من اجل الاستقلال ، وقد تراوحت تلك الاشكال بين القتال والتظاهر والتعاطف وتنظيم الاحزاب الوطنية وكتابة المنشورات السياسية وتعبئة الجماهير ، ثم جاءت مرحلة شارك فيها هذا المواطن في بناء الدولة وفي تحديد معالم سياستها الخارجية حين كانت هذه السياسة توضع وتطرح كبرهان على استعادة الشعب لكرامته ، ولقدرته على المساهمة في بناء نظام دولي جديد يضمن للدول حديثة الاستقلال نصيبا في صنع السياسة الدولية . وبالرغم من ان حجم المعلومات عن التطورات الدولية لم يكن بالقدر الذى هو عليه الآن ، إلا أنه مع قلة المتاح منها للمواطن كان يتفاعل بحماس لا يتوفر لتفاعله الراهن مع التطورات الحالية . ولا شك أن التفاعل النشط في المرحلة الأولى كان من اهم العوامل التي كثفت عملية البناء الداخلي للدول الناشئة .

لذلك يمكن القول ان السياسة الخارجية للدول حديثة النشأة ، لم تكن وليدة أفكار وطموحات زعماء تلك الدول بقدر ما كانت استجابة لكثافة مشاركة المواطن وحماسه للاستقلال والبناء الداخلي . صحيح أن كثيرا من سلوك الدول حديثة الاستقلال في المجال الدولي تجاوز إمكاناتها وقدراتها ، ولكن من الصحيح أيضا أن هذا التجاوز كان ضروريا اذ لم يترك الاستعمار لهذه الدول طاقة تستطيع استخدامها داخليا او خارجيا لتدعم بها استقلالها ، وتواجه التحديات التي خلفتها الدول الاستعمارية .

بالاضافة الى ذلك ، كان لدى إنسان تلك المرحلة وقت للسياسة ليناقش انجازات زعمائه وزعماء الدول الشقيقة أو المجاورة ، ويبدى رأيه في سياسات الدول العظمى مفعما بالثقة فيما حققه وفيما يستطيع أن يحققه .

لم يكن جهاز التلفزيون قد دخل بعد الى كل بيت او كل قرية ، وحين دخل ، لم يكن ادخاله يهدف الى تسلية الناس بقدر ما كان يهدف الى تعميق مشاركتهم السياسية واضعاف ولاءاتهم الثانوية ونزعاتهم الانفصالية ، وتوسيع مداركهم ومعلوماتهم عن العالم المحيط بهم . لذلك شهدت هذه المرحلة ارتقاء في الكتابة السياسية وفي المسرح السياسي وفي السينما السياسية ، وبالتالي اصبح على الدولة واجب الارتفاع الى مستوى تطلعات المواطن وآماله في تدعيم حريته واستقلاله . وكان زهو المواطن بالتحدي والامل في تشييد البناء المستقل يمثل جزءا كبيرا من سعادته يعوض بها افتقاره لحاجات مادية كثيرة ، ويمنح حكومته الفرصة لكي تخطط بهدوء من أجل تعبئة إمكانات الدولة الناشئة لتتمكن بعد فترة من تلبية تلك الحاجات ، كذلك تقدم هذا الانسان خلال تلك المرحلة خطوات واسعة نحو الاقتناع والايمان بأسبقية الولاء للدولة على ولاءاته القبلية او الطائفية . ووصل في سنوات قليلة الى الاعتقاد بان الدولة ومؤسساتها أفضل حارس لحقوقه وضمان لمستقبله ، وإنه من خلال الحزب او النقابة او الصحيفة يستطيع أن يحقق مالم يتمكن من تحقيقه في السابق من خلال اسرته وعشيرته وطائفته وقريته .

الانسان « الجديد » في العالم الثالث

الانسان الجديد في العالم الثالث انسان غير مشارك . انه انسان لاينفعل بالاحداث الدولية وبينها تلك الاحداث التي تمس حياته ومصيره . واذا حدث فانفعل بسبب بشاعة الحدث فانه لايكشف عن هذا الانفعال . إنسان أراد أو أريد له ان يتحجر قلبه السياسي ، وان ينشغل فقط بقضية تضخيم ثروته الشخصية أو البحث عن لقمة العيش .

لم يعد يغضب وكان يغضب حين كان الاستعمار الفرنسي يتلكأ في الخروج من الجزائر . وكان يغضب حين تتردد بريطانيا العظمى في الخروج من عدن ، او في محاولة العودة الى قناة السويس . ولكنه لم يغضب حين وقعت مجزرة ذبح فيها أبناؤه واشقاؤه . عاش في مرحلة من مراحل تطوره متفاعلا ، غاضبا أو راضيا . واليوم لا يتفاعل .

ان ظاهرة الانسان الجديد في العالم الثالث ، لا تقتصر على منطقة دون أخرى ، وهناك بطبيعة الحال استثناءات لهذه الظاهرة ومنها تفاعل المواطن الارجنتيني مع عملية تحرير جزء من أراضيه ولكنه الاستثناء الذى يؤكد الظاهرة . اذ كان انفعال انسان بقية القارة اللاتينية باردا ، فبردت معه تصرفات حكوماته . وكان انفعال الانسان الافريقي للغزو الاثيوبي للصومال باردا ، ولغزو جنوب افريقيا لموزمبيق باردا أيضا ، وكان انفعال الانسان العربي لعدد من الكوارث باردا او اكثر برودة . ان اهم سمات الظاهرة الجديدة ان الانسان بدأ يخرج من دائرة السياسة الدولية ، وربما تلازم هذا الخروج مع خروج آخر من دائرة السياسة الداخلية أو جاء بعده بقليل

لقد كانت ومازالت ـ انفعالات الانسان ركنا أساسيا من أركان صنع القرار في العالم الثالث . إذ أنه في هذا الجزء من العالم ينفتح الانسان على الزعيم أو صانع القرار مباشرة ، ولا توجد بينهما مؤسسات وسيطة تخفف من هذه الانفعالات وآثارها على عملية صنع القرار . لذلك كان الزعماء في العالم الثالث حريصين دائما على عدم اتخاذ القرار الذى يسبب غضب المواطن ، وكانوا أشد حرصا على الاستماع الى نبضه واتخاذ القرار الذى يتناسب مع درجة انفعال هذا المواطن وبين الأمس واليوم تطورت العلاقة بين الحاكم والمحكوم ، وتطورت الاجهزة والوسائل الوسيطة التي تعمل باستمرار ليس فقط على « تبريد » الانسان المواطن ، بل وسد قناة الاتصال المباشر بينه وبين عملية صنع القرار السياسي .

في بعض الاحيان كان الاهتمام بالسياسة الخارجية يغني او يعوض عن عدم القدرة على المشاركة في السياسة الداخلية ، وكان عائد الرضا مساويا لتكلفة الاهتمام بالسياسة الخارجية أو يزيد . ولكن في عصر تدنت فيه المطالب الوطنية والقومية ، وتعاظم دور الفساد والافساد ، وانفضت الجماعة إلى طوائف أو أفراد ، صار عائد المشاركة لايستوعب حجم الضرر المادي أو النفسي الذى تتكلفه هذه المشاركة .

ان أخطر ما في هذه الظاهرة واقع على كيان الدولة في العالم الثالث وعلى مستقبلها ، وهي الظاهرة التي بذل من أجل تكوينها جهد خارق ، انها تحرم الدولة من أهم أرصدتها واسلحتها . فالانسان المشارك هو في حقيقة الأمر نواة لرأى عام له بصيرة تاريخية لا تتوفر عادة لدى كثير من الحكام . ان الحاكم تقيد حركته ضغوط وواقع وحسابات تجعل بصيرته محدودة وضيقة الآفاق . او انه محتاج لانجاز سريع او بطولة في نظر رأى عام آخر غير شعبه وأمته ، وبالتالي فبصيرته متحرفة . أما الرأى العام ـ ونواته المواطن ـ فانه تلك الجبهة التي تحمل تراث الأمة وتاريخها وهو الضمير العام الذى يحدد أبعاد الحقوق والطموحات ، وهو الوسادة التي تضعف عليها صدمات الهزيمة والعمق الوحيد الذى يحمي الدولة وحكامها من ضعف البصيرة وانحرافها . لذلك شهدت المرحلة الاخيرة جهودا فائقة لتفريغ هذه الجبهة والتشكيك في محتوياتها ، ولتفكيك مقومات هذا الضمير ، والوصول باليأس مركزا الى النواة وهي الانسان المواطن .

أسباب أزمة المواطن

تعددت أسباب خروج المواطن في العالم الثالث من دائرة السياسة . بعض هذه الاسباب يتعلق بالتطور الداخلي الراهن في معظم مجتمعات الدول النامية وبعضها الآخر يتعلق بالبيئة الدولية .

أول ما يلفت النظر في القطاع الأول من هذه الاسباب حقيقة ان « الدولة » في العالم الثالث صارت أقل « دولة » .

بمعنى آخر ان الدولة في العالم الثالث صارت أقل ممارسة أو مشاركة في « السياسة » . إذ اعتادت دول متعددة على ظاهرة استقرار نظم الحكم غير الديموقراطية حيث يحرم على المواطنين العمل بالسياسة وبالتالي يقل عمل الدولة في السياسة .

هذا الاستقرار الطويل نسبيا فصل بين الدولة والمجتمع، إذ أصبح المجتمع في أفضل الحالات في وضع المتسلم او المتلقى لطيبات تأتيه من الدولة ، وهي طيبات لايد له في تحديد نوعها او كميتها أو أسلوب ونظام توزيعها .صاحب هذا الاستقرار الطويل انشاء قوة أمن وقمع لا عهد لهذا المجتمع بها ، وصارت مع التطوير المستمر والاختراعات الحديثة وتدخلات الدول العظمى سدا منيعا يفصل الدولة عن مجتمعها . وتحولت هذه القوة الى جهاز وسيط ينقل للدولة ما يتصوره مطالب المجتمع وسلوكياته ، وينقل الى المجتمع قرارات الدولة التي تشذب مطالب المجتمع وتصحح سلوكياته ـ هذه الدورة لا علاقة لها بالسياسة فهي دورة شبيهة بأى دورة عمل يومي داخل مصنع كبير أو مزرعة خاصة واسعة ، وبمرور الوقت تنقطع العلاقة ـ أو تضعف ـ بين المجتمع والدولة وينصرف الناس الى الاهتمام بأمور أخرى غير سياسية .

وحين تنقطع العلاقة أو تضعف بين الانسان والدولة ، يبدأ الانسان في البحث عن انتماءات أخرى . اذ انه حين اختار الدولة هوية رئيسية وانتماء أساسيا فضله على انتماءاته الأخرى ، إنما فعل ذلك لانه كان يشعر أن الدولة تشبع اكثر متطلباته المادية والنفسية ، ولذلك يلاحظ الآن أنه مع استمرار ابتعاد الدولة عن المواطن يزداد اتجاه الانسان في العالم الثالث نحوهويات جديدة يشارك فيها فيكتسب من مشاركته ما فقده من اعتبار الذات وايجابية الجهد والنشاط ، وفي أحيان يتطلع الى هوية تتقاه عبر الحدود

بعيدا عن الدولة التي ينتمي اليها جسدا وليس روحا ، وفي أحيان يتقوقع داخل هوية اولية يحظى من خلالها بالألفة والأمن .

من ناحية أخرى شعر المواطن في العالم الثالث بالتناقض الفاضح بين تعاظم القدرات الأمنية لدولته وبين سلوكها الدولي البادي الضعف . ان الاتجاه العام في العالم النامي يؤكد أن هذه الحالة لا تقتصر على عدد قليل من الدول ، حتى أنه يجوز القول ان العالم النامي بأسره لم يحقق خلال السنوات العشر الأخيرة انجازا دوليا على صعيد استعادة حقوقه الضائعة او تدعيم القائم منها ، أو على صعيد تأكيد مكانته بين بقية التكتلات الدولية .

ان ما سبق وحدده العالم النامي من خلال كفاحه الشاق ومشواره الطويل عبر الاستقلال وعدم الانحياز وتجمعاته الاقليمية والقومية والنوعية ، من حدود دنيا لحقوقه اصبح تاريخا منسيا . فالحدود الدنيا أصبحت حدودا قصوى واستمر يتدنى بها الى حدود دنيا جديدة . وبلغ العجز والضعف حدا استحال معه على دول هذه العالم ان تجتمع في مؤتمر يضمها او يضم بعضها ويناقش مشكلاتها المشتركة .

وأصبح من الأمور العسيرة التوصل الى تعريف واضح للاخطار التي تهدد هذه الدول ، حتى صارت هذه الصعوبة هي نفسها خطرا جديدا وسببا من أسباب الضعف ، ففي حالات معروفة أوكلت مهمة الحماية من خطر غير واقع أو غير حال الى مصدر الخطر الرئيسي ، وفي حالات أخرى عوّدي الاصدقاء وصُودق الاعداء ، وفي كل الحالات اختلط الامر على المواطن في العالم الثالث ففقد الثقة والمصداقية .

وقد ساهم في فقدان الثقة اتجاه دول في العالم الثالث الى انتهاج اسلوب الدبلوماسية السرية في علاقاتها الدولية . لقد كان الامل الوحيد لدى حكام الدول النامية لانتزاع حق من براثن دولة عظمى يكمن في قدرة هؤلاء الحكام على استخدام الدبلوماسية العلنية وتعبئة الرأى العام المحلي كرصيد أساسي في عملية التفاوض . وكانت هذه الوسيلة الى جانب كونها عنصرا فعالا في المفاوضات تجذب اهتمام ومشاركة المواطن وتؤكد ثقته في حكومته . اما في ايامنا هذه فالمواطن المعاصر مستبعد من عملية التفاوض ، بل ومستبعد كلية عن دائرة السياسة الخارجية وحقائقها ، واصبح امرا معروفا أن الحكومات صارت تقدم للشعوب الاخبار الدولية بحجم وتوعية لا تثير الغضب او الانفعال ولا الحنين الى الرغبة في التفاعل والمشاركة ، وفي أكثر دول العالم النامي بدا من المألوف ان من يقع على حقيقة يتردد في كتابتها ، واذا كتبها قد لا يجد من ينشرها ، واذا نشرت تسرب الشك الى المواطن في دوافع نشرها .

من ناحية رابعة توالت صدمات ضخمة أصابت الانسان في العالم النامي عموما ـ وفي عالمنا العربي بوجه خاص ـ اذ كانت فجائية الثروة صدمة ، وكان انكشاف هول الفقر صدمة . وكان عنف التحولات الاجتماعية السياسية صدمة ، وشعوب كثيرة في العالم النامي تلقت خلال السنوات العشر الماضية اكثر من صدمة ، ومازالت الصدمات تتوالى . ومن غير المستبعد ان تكون هناك مصالح دولية معينة لا تريد لانسان العالم الثالث ان يفيق قبل ان يتم رسم خرائط جديدة للعالم النامي ، هذه الخرائط لن تقتصر على الحدود السياسية للدول بل قد تتجاوزها الى وضع حدود جديدة للثروات والامكانات وانشاء دويلات طائفية وامبراطوريات عنصرية ، وما يمهد له الآن عبر الكثير من السياسات والحروب والصدمات والمجازر والاذلال المتعمد هو خلق انسان جديد لا يغضب من هذه الخريطة التي يجرى رسمها .

وايا كان السبب في ازمة المواطن او الانسان المعاصر في العالم النامي ، فالنتيجة مروعة لكلا الطرفين : الدولة والانسان . اذ ان الدولة النامية بسبب محدودية قوتها المادية المنفردة تفقد أهم رصيد عندها وأبعد عمق يحميها اذا هي فقدت مشاركة المواطن . والمواطن الذى لا يشارك الآن قد يصحو فجأة فيجد نفسه لاجئا في معسكر خيام ، أو فردا في دويلة طائفية تابعة ، أو ساكنا بلا حقوق في امبراطورية عنصرية . ○

جميل مطر

قال كسرى : لا ملك الا بالجند ، ولا جند الا بالمال ، ولا مال الا بالبلاد ، ولا بلاد إلا بالرعية ، ولا رعية الا بالعدل .



لقاء الشهر مع عبد العزيز حسين

من جيل الروّاد في تاريخ الكويت الحديث

لقاء هذا الشهر مع الاستاذ عبد العزيز حسين احد الرواد في تاريخ الكويت الحديث . تعكس رحلة حياته (٦٢ سنه) معالم تطور التجربة العربية في الكويت بعدما عاصر وساهم في اهم احداثها واصبح جزءا هاما من تاريخها ، ووضع بصماته على ابرز ما تحقق من منجزات ، تعلم من معاهد الكويت وجامعات القاهرة ولندن ، فجمع الثقافة العربية والثقافة العصرية .

كان اول من مثل الكويت في المنظمة الدولية ، وساهم في معركة انضمام الكويت الى الامم المتحدة ، وكان اول ممثل للكويت في جامعة الدول العربية ، واول سفير لها في القاهرة .

وساهم قبل الاستقلال في تطور حركة التعليم عندما عمل مديرا عاما للتربية في الفترة مابين ١٩٥٢ ، ١٩٦١ ، وهي الفترة التي وضع خلالها اساس حركة التربية والتعليم والتي قطع خلالها التعليم خطوات هامة . .

ومع التعليم عمل على نشر المعرفة والثقافة بمعناها الواسع ، وأشرف على اصدار وتحرير العديد من المجلات،كان اول اصداره لمجلة « البعثة » من عام ١٩٤٥ حتى عام ١٩٥٠ . . وعرفت ديوانية عبد العزيز حسين في الكويت كمنتدى ثقافي وأدبي وسياسي . وحتى عندما كان سفيرا في القاهرة،كان منزله يضم عددا من الشخصيات العربية ضمن تيار عربي واسع يطالب بالاستقلال والوحدة . . وقد سجل أحلامه في كتاب « المجتمع العربي » وأنشأ المجلس الوطني للثقافة والفنون ، وترك بصماته على الاعمال الثقافية والفنية التي شهدتها الكويت ، واصبح اليوم رئيسا للجنة الخطة الشاملة للثقافة العربية بجامعة الدول العربية . . .

وبعد الرحلة الخصبة التي قطعها كأحد ابرز المشتغلين بالسياسة والثقافة العربية اجرت العربي معه هذا اللقاء . . . .

حال التعليم الجامعي ليس الذي تمنيناه

س ـ قلت في الاعداد الاولى من مجلة البعثة: « ان المهمة الملقاة على عاتق رجال التعليم لا تقتصر على التعليم المدرسي بمعناه الشائع ، بل تتعداه الى التثقيف الشعبي العام بصورة تحقق للشعب مستوى عقليا يساير تيارات الحركة الفكرية في العالم » فالى أي حد تحقق هذا في زمننا الراهن ؟

جـ ـ يجب أن أشير أولا الى أنه قد مضى نحو ثلث قرن على قولي هذا ، وأن المهمة التي طالبت رجال التعليم القيام بها حينذاك لم تعد قاصرة عليهم الآن لأسباب كثيرة منها :

منافسة وسائل الاعلام للمعلم في خلق الوعي الفكري ، فقد ظل المعلم والكتاب رائدين في خلق الوعي الفكري الى أن بدأ عصر المذياع ثم التلفزيون والأشرطة الصوتية والسينمائية وانتشار الصحف والمجلات ، كل هذه الوسائل نافست المعلم والكتاب في دورهما بل وطغت عليها في أحيان كثيرة ، ولست أعني أن نوعية الثقافة التي أشاعتها هذه الوسائل هي في مستوى تلك التوعية التي كان يشيعها المعلم في الماضي،فهذه الوسائل بحكم طبيعتها جماهيرية ومن ثم تلجأ في معظم الأحيان الى الهبوط بمستوى ما تقدمه،والى المعالجة السطحية والى التسلية بدلا من التثقيف .

ومن هذه الأسباب ان ديمقراطية التعليم واتاحته للجميع اقتضيا الاستعانة باعداد كبيرة من المعلمين وكثير من هؤلاء لايستطيعون أن يمارسوا الدور الريادي الذي كان يمارسه المعلم في الماضي ، اما لضعف في اعدادهم واما لأنهم ماعادوا ينظرون الى أن التعليم رسالة وليس مجرد وظيفة .

وحال التعليم الجامعي الآن ليس هو الحال الذي ننشده ونتمناه ، لقد كانت الجامعات العربية القليلة قبل ثلاثين عاما أدوات فعالة في خلق وعي ثقافي وفكري في الوطن العربي ، وأصبح الآن عدد هذه الجامعات يتجاوز الخمسين جامعة وطلابها يقدرون بمئات الألوف ، واستطاعت أن تخرج آلاف الأطباء والمهندسين والمحامين

عبد العزيز حسين في مطلع الشباب .





يوم افتتاح بيت الكويت في القاهرة ، في الوسط الاستاذ احمد صبري مدير المعارف في الكويت عام ١٩٤٥ ، عبد العزيز حسين الثالث من اليمين ويوسف عمر وأحمد العدواني وخالد الخرافي وعلي زكريا وعبد العزيز الصرعاوي وعبد الرزاق العدواني وخالد الغانم وعمر الفهد ومرزوق الغنيم .

والاداريين وغيرهم ولكن هل استطاعت أن تخرج قادة فى الميادين العلمية والفكرية ؟

انى لا أريد أن أكون متشائما ولا أريد أن أبخس هذه الجامعات حقها ، ولكنى لا أستطيع الآن أقارن بين الدور الذى لعبته بضع جامعات عربية فى الماضى والدور الذى تلعبه الآن الجامعات الحالية التى يبلغ عددها عشرة أضعاف الجامعات التى كانت قائمة قبل ثلاثين سنة فأتساءل هل تأثير جامعاتنا الحالية يوازى عشرة أضعاف تأثير تلك الجامعات فى الميادين العلمية والادبية ؟

س ـ طرحت فى مجلة البعثة سؤالا حول أهم الوسائل الثقافية التي لابد من توفرها لخلق جيل مثقف وما الذى ينقصنا منها فى الكويت . وبعد رحلتك الطويلة وتوليك رئاسة المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، اذا طرح عليك نفس السؤال فما اجابتك ؟

ج ـ مرة أخرى أشير الى المسافة الزمنية بين اجابتى على سؤال مجلة البعثة وبين اجابتى الآن . لقد تحققت خلال هذه الحقبة أشياء كثيرة فى الميدان الثقافى ، وما كان أملا فى نهاية الأربعينات أصبح الآن من مفردات الواقع . لقد تحققت فى الكويت خلال هذه المدة الزمنية مشروعات ثقافية عديدة... انشاء المسارح ودور السينما وصالات العروض الفنية والمرسم الحر والمتحف والجامعة والمعهد العالى للفنون المسرحية والمعهد العالى للموسيقى والمجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، وظهرت المجلات الشهرية والفصلية بالاضافة الى الصحف والمجلات الاسبوعية ، ونشطت حركة نشر الكتب ، وغطى نشاط المكتبات العامة جميع أرجاء البلاد . وكل هذه الوسائل المادية كفيلة بخلق مناخ فكرى يساعد في قيام جيل مثقف ، يضاف اليها عنصران أساسيان فى خلق هذا المناخ وهما الحرية والديمقراطية ، وأعتقد أن توفر هذين العنصرين في الكويت سبب رئيسى فى النهضة الثقافية التى تشهدها .

العمل فى الثقافة

يهبنى الصفاء النفسي

س ـ كيف يمكن التوفيق بين أعباء العمل العام وبين الاهتمامات الثقافية المتعددة وبعد أن عملت رائدا فى مجال التعليم وسفيرا فى الخارجية ووزيرا فى الحكومة ومشرفا على قطاع الثقافة أى من هذه الأعمال حققت من خلالها ذاتك ؟

ج ـ أعتقد أن أى عمل يمارسه المرء مختارا يحقق من خلالهذاته ، مهما كان هذا العمل . والمرء يحقق ذاته من

خلال العطاء لا الأخذ ، واذا نظرنا الى الخدمة العامة بأنها رسالة وعطاءفانها بالتالي تحقيق للذات .

تلك كانت نظرتي عندما كنت مديرا للمعارف فقد كنت أومن بأن التربية رسالة تستهدف خلق أجيال تستطيع بناء بلدها وتسهم في نهضة أمتها ، وأن التعليم هو الاستثمار الابعد مدى والأكثر مردودا ، وهو ان لم يصطنع الأساليب الحديثة في التربية ولم يغرس المنهج العلمي لدى الناشئة ، فشل في تحقيق الغايات المرجوة منه والآمال المعقودة عليه .

وحين انتقلت من العمل من ادارة المعارف (كما كانت تعرفـوزارة التربية في ذلك الحين) الى وزارة الخارجية لأعمل سفيرا لدولة الكويت في جمهورية مصر العربية ثم وزيرا للدولة وجدت أنني يمكنني أيضا أن أحقق ذاتي في العمل السياسي فهو عمل في تصوري له بعدان ـ البعد الاول خدمة وطني والبعد الثاني هو خدمة الأمة العربية والبعدان هما أشبه بدائرتين لهما مركز واحد .

أما الثقافة والعمل فيها فانه يتجاوز تحقيق الذات ـ انه عندي العثور على الذات وأستطيع أن أقول ان الثقافة تعطينا القدرة على التعامل العقلاني والذكي مع الواقع ، وهي التي تمدنا برؤية تتجاوز الواقع الآن لتطل على المستقبل ، ولذا فانني اعتبر الاهتمام بالثقافة بالنسبة لي أمرا في غاية الأهمية لانها تهبني مالا يستطيع أي شيء آخر أن يعطينيه وهو الصفاء النفسي .

الموسوعة العربية

وموعد فبراير ٨٣

س ـ منذ مطلع الخمسينات وهناك مشروعات حول البدء في اصدار موسوعة عربية وها نحن الآن في الثمانينات ومازالت الموسوعة العربية مجرد أفكار ومقترحات ومشروعات وأكداس من أعمال اللجان المختلفة . فمتى تقوم هيئة مستقلة ذات ميزانية خاصة مع برنامج زمني محدد لانجاز هذا المشروع ؟ ألا يستحق أن يتبناه الكويت ؟

ج ـ بادىء ذي بدء أود أن أؤكد ان اصدار موسوعة عربية عمل قومي ، يجب أن يعطى الأولوية في المشروعات الثقافية القومية . ولقد شغل بال المهتمين بالثقافة العربية طيلة السنين الثلاثين الماضية .

لقد بدأ التفكير باصدار هذه الموسوعة ـ كعمل جماعي عربي ـ في نوفمبر عام ١٩٥٢ حين أوصى المكتب الدائم للجنة الثقافية بجامعة الدول العربية بتأليف لجنة فرعية لدراسة المشروع . وأكدت عدة مؤتمرات عقدتها جامعة الدول العربية على أهمية هذا المشروع وضرورة البدء فيه .

بيت الكويت في القاهرة في الخمسينات . الثالث من اليمن معجب الدوسري والشيخ صباح الاحمد وعبد العزيز حسين والأمير جابر الاحمد وعزت جعفر وأحمد اللباد .





أول اجتماع لمجلس جامعة الدول العربية بعد قبول الكويت عضوا فيها عام ١٩٦١ ويرأس الاجتماع عبد الخالق الطريس ويظهر في الصورة عبد الخالق حسونة امين عام الجامعة في هذا الوقت والدرديري اسماعيل ، وسيد نوفل «الامينان المساعدان»ومحمود رياض .

وفى عام ١٩٧٤ اقترح المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب بالكويت على المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ترجمة موسوعة أجنبية مع ادخال تعديلات على هذه الترجمة فى المواد التى تتصل بديننا وتاريخنا وحضارتنا وجغرافية بلادنا بحيث يكتب هذه المواد متخصصون عرب . ودرست المنظمة العربية هذا الاقتراح وانتهت الى اصدار توصية تطالب بأن تتعاون المنظمة العربية ومنظمة اليونسكو فى دراسة مشروع اصدار « موسوعة شاملة باللغة العربية سواء كان ذلك بالتأليف أم بالترجمة والاقتباس من الموسوعات الأجنبية أم بالطريقتين معا » .

وكلفت المنظمتان عددا من الخبراء لتقديم دراسات حول المشروع.وبناء على دعوة من المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب عقد اجتماع فى الكويت فى ديسمبر من عام ١٩٧٨ ، نوقشت فيه دراسات مقدمة من الدكتور عبد الرحمن بدوى والدكتور محمد يوسف نجم والدكتور محمد أحمد خلف الله والدكتور على مختار والدكتور شاكر مصطفى . وانتهى الاجتماع الى دعوة المنظمة العربية الى المبادرة لوضع موسوعة عربية عامة تتيح للمثقف العربى أن يطلع على ما توصل اليه الفكر الانسانى فى شتى حقول المعرفة ، ووضع الاجتماع تصوره لهذه الموسوعة .

وقد قدم تقرير لجنة الخبراء هذه الى الدورة الثانية لمؤتمر الوزراء المسئولين عن الشئون الثقافية فى الوطن العربى التى عقدت فى طرابلس فى الجماهيرية الليبية فى فبراير من عام ١٩٧٩،ولم يتخذ المؤتمر قرارا حاسما فى هذا الموضوع وانما طالب المنظمة العربية باثراء الدراسات المتوافرة لديها ، واعداد تقرير مفصل شامل بخصوصها على أن يعرض هذا فى الدورة الثالثة لمؤتمر الوزراء المسئولين عن الشئون الثقافية فى الوطن العربى .

وفى هذه الأثناء تلقت المنظمة العربية من وزير التربية فى الجمهورية العربية السورية رسالة تقول ان الحكومة السورية قد وضعت الدراسات الخاصة باصدار موسوعة عربية كبرى تتولاها شركة عربية مساهمة تتخذ من دمشق مقرا وبرأسمال قدره خمسة وعشرون مليون دولار موزعة على خمسة وعشرين ألف سهم تشارك فيها الدول العربية . وسجلت الجمهورية العربية السورية نفسها عضوا فى الشركة يمتلك ألفين وخمسمائة سهم .



عبد الناصر مع عبد العزيز حسين في الخمسينات .

قامت المنظمة العربية بناء على توصية مؤتمر طرابلس بتكليف الدكتور شاكر مصطفى بوضع تقرير مفصل عن مشروع الموسوعة العربية يستند الى جميع الدراسات المتوفرة لدى المنظمة وقد جاء فى تقريره أن الحجم المقترح للموسوعة يتراوح مابين ٢٥ ـ ٣٠ مجلدا يتم الاعداد لها ويتم نشرها خلال اثنى عشر عاما وتبلغ تكلفتها ٣٢ مليون دولار ، وتتولى المنظمة العربية اصدارها ويتولى وزراء الثقافة البت فى طرق تمويلها .

وقد قدم هذا التقرير الذى اعتمدته المنظمة العربية الى الدورة الثالثة لمؤتمر الوزراء المسئولين عن الشئون الثقافية فى الوطن العربى والتى عقدت فى بغداد فى نوفمبر من عام ١٩٨١ . وقد وافق المؤتمر على المشروع ، وأوصى المنظمة العربية بأن تبادر الى اقامة مؤسسة خاصة بهذا المشروع تتولى الاشراف عليها ومتابعة أعمالها وأن تمول الدول العربية هذه المؤسسة بنسبة مشاركتها فى ميزانية جامعة الدول العربية ، وأوصى المنظمة العربية بأن تبادر الى عقد اجتماع لهيئة تأسيسية استشارية تقترح الخطوات العملية للبدء فى تنفيذ المشروع .



مؤتمر القمة العربي الاول الذي عقد في الاسكندرية المغفور له عبد الله السالم ومعه عبد العزيز حسين .



الشيخ سعد العبد الله مع عبد العزيز حسين عام ١٩٥٥



ابو هاني مع هاني في مكتبه .

وكانت دولة الكويت قد تقدمت للمؤتمر بطلب استضافة هذا المشروع كما تقدمت بالطلب نفسه كل من الجمهورية العراقية والجماهيرية الليبية . وقد تنازلت كل من دولة الكويت والجماهيرية الليبية عن طلبيهما فقرر المؤتمر أن تكون الجمهورية العراقية مقرا للمشروع .

ومن المنتظر أن تجتمع الهيئة الاستشارية للمشروع فى بغداد فى فبراير من عام ١٩٨٣ . واننا نرجو أن تتلو ذلك خطوات عملية حثيثة لتنفيذه ، وأن تأتى الموسوعة العربية محققة لكل آمال من فكروا فيها ، وأن تسهم فيها جميع الأقلام العربية الجادة من مختلف أرجاء الوطن العربى ، وأن تكون موضعا لاعتزازنا الفكرى وكبريائنا القومى .

نحن فى مرحلة التخلص من الشوائب

س - عاصرت التجربة العربية ، وشاهدت البلدان العربية عندما كانت ترزح تحت نير الاستعمار ، ثم بعد أن تحررت وانتزعت استقلالها .. ايام محنتها كانت متلاحمه متضامنه يجمعها الفكر والكلمة ولكنها مالبثت أن تمزقت وتفرقت بعد جلاء المستعمر أو اجلائه .. ماهو تفسير هذا التطور غير المتوقع .. ؟ وماهى أسبابه فى رأيكم . ؟

ج - يجدر بنا أن ننظر فى قضايانا القومية من زاوية واقعيه تأخذ بعين الاعتبار كل الخلفيات التاريخية للامة العربية من جهة وكل التحولات الدولية والاقليمية والمحلية من جهة أخرى . ولايتم ذلك الابمصاحبة ادراك واضح للواقع الفعلى للمجتمعات العربية وتطور أوضاعها وأنظمتها . مع أهمية الابتعاد عن التمسك بالفروض والتصورات بمقدار أهمية تفهم الوسائل وادراك الطرق الموصلة الى الغايات . كنت ولا أزال من المتفائلين بمستقبل وطننا العربى لأننى أرى فى التشاؤم رديفا لليأس واليأس سبيل محقق للضياع . ولذا فان كل تجربة وحدوية وان فشلت درس لنا وللاجيال القادمة ، وكل محنة نمر بها يجب أن تكون عاملا يصقل معارفنا وقدراتنا المستقبلية على مواجهة الاحداث . والاتجاه المأساوى الذى نشهده اليوم من وسائل الاعلام المختلفة لتثبيط الهمم بابراز العجز العربى وتضخيم القدرة المناوئة لتطلعاتنا ، يفوق فى رأيى تصوير الواقع الى تحطيم العزائم والأمم التى تمر عبر أزمات كتلك التى نمر بها تتجاوزها بالايمان والعمل والثقة بالذات والتفكير العلمى والاخذ بمستحدثات العصر ولا أتصور أن من أسباب تفرقنا جلاء المستعمر ، وانما من أسبابه الوجود الاستعمارى فى بلادنا وما خلفه من آثار . وان نظرة الى الوراء تكشف لنا ما حققته الامة العربية خلال السنين الثلاثين الماضيات من استقلال وتقدم نسبى فى مختلف الميادين والمرحلة الحالية هى مرحلة التخلص من الشوائب وتحقيق الذات وارتباط المصالح وإدراك الاخطار المحتملة .. ان ما حققناه أقل من تطلعاتنا .

ولكنه كثير اذا تفهمنا الصعوبات التى تواجه أمة مزقها الاستعمار وخالطها التخلف وبدأ وعيها الجديد فى عصر قطع فيه العالم المتحضر شوطا يحتاج فيه شعبنا الى جهود كبيرة للحاق بركبه بله التفوق عليه .

○

مصطفى نبيل

يهود على ظهور الخيل

الفلسطينيون في الفكر الصهيوني

بقلم : هاني الراهب

وصف بنجامين دزرائيلي (١٨٠٤ - ١٨٨١) العرب بأنهم « يهود على ظهور الخيل . »وقد أراد بهذه الصورة تمييزهم عن « أبناء عمهم » الذين لا يختلفون عنهم في أي شيء أساسي آخر . كان ذلك في الاربعينات من القرن الماضي ، في رواية (تانكريد) ، وفي متفرقات أخرى .

ينبغي أن لانتوقع صورة طريفة وساذجة على هذا النحو في الكتابات الصهيونية التي تلت مؤلفات دزرائيلي خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، وازدهرت في القرن العشرين حتى بلغت من التنظيم والمرجعية ما يمكن أن ندعوه « الفكر الصهيوني » لقد كانت صهيونية دزرائيلي مرحلة عابرة من حياته . ولعل هذا ما يفسر كون العرب في مجمل ما كتب بشرا ايجابيين جديرين بالتعاطف والاعجاب . بل انه في رواية (كوتنغزبي) ، التي سبقت رواية (تانكريد) بعامين ، يمنحهم المرتبة الثانية في المنظومة العرقية القوقازية ، التي يتصدرها اليهود بالطبع .

والحقيقة أن سمعة العرب راحت تسوء في الكتابات اللاحقة ، وصورتهم تتشوه ، حتى وصل الأمر بهم أن صار المدافع منهم عن حقه في وطنه يدعى ارهابيا . وكلنا يعلم ما لهذه الصفة - الارهابي - من اقترانات بشعة ومروعة في الضمير الانساني المعاصر .

ثمة موقف حسن واحد ، غير مقصود ، في الفكر الصهيوني ازاء هذه المسألة ، هو أنه حتى عام ١٩٤٨ لم يكن الفلسطينيون يميزون كفلسطينيين ، وانما كعرب . ولعل هناك من يجد غرابة في هذه الظاهرة الفكرية السياسية . لكن الحقيقة أن السكان الاصليين لفلسطين كانوا يسمون عربا ، سواء في المؤلفات ذات الطابع النظري الصرف ، أو في اليوميات الاستيطانية ، أو الروايات ، أو المراسلات الدبلوماسية . وربما كان السبب الجوهري لهذه الظاهرة ، ليس موضوعية الفكر الصهيوني أو حسن نواياه ، وانما كون العرب في ذلك الزمان كتلة بشرية واحدة ، تتوزع عبر تقسيمات ادارية ، وليس عبر تقسيمات سياسية اقليمية بشكل كل منها دولة ، كما هو الأمر الآن .

الدم المهدور

ثمة اذن ملحوظة لا بد منها ، هي أننا عندما نتتبع الفلسطيني في الفكر الصهيوني فقد نجده متلفعا بعباءة القومية العربية ، وليس فقط بالاسم الذي أطلقه الرومان على بلاده . وفي كلتا الحالتين لا يبدو أن للفلسطيني حظا موفورا من الانسانية أو الحضارة أو امكانية التقدم . ان ما بين المنزلة الرفيعة التي أحله فيها دزرائيلي ودمه المهدور في صبرا وشاتيلا رحلة فكرية تدرجت هبوطا عبر مراحل هامة قبل أن تصل الى هذا الحضيض من تبرير القتل الجماعي .

في البداية لم يخطر لأحد من مهندسي القومية اليهودية الاوائل أن يفكر بالعرب . ان تصور دزرائيلي قد سقط ليحل محله فراغ تام من هذه الناحية . وان لدينا من الجانب الصهيوني تفسيرا لهذا الفراغ . فكتاب اسرائيل السياسيون الحاليون يجمعون اجماعا مثيرا للاستغراب على أن خلو بواكير الفكر الصهيوني من أيما تصور للعرب انما

يعود الى أن « أنبياء » الصهيونية تصوروا فلسطين أرضا بلا شعب . ويمكن أن نتذكر بهذا الصدد مقولة اسرائيل زانغويل الشهيرة : « أرض بلا شعب لشعب بلا أرض . »

في تقديرنا أنه حتى الذين ليسوا عربا - ولا صهيونيين بالطبع - سيتعذر عليهم القبول بفكرة الفراغ هذه . والحقيقة كما نراها هي أن التراث الاستعماري الاوروبي قد أوجد القاعدة الفكرية لهذا التصور ، اذ استباح الاوطان دون أن يقيم لسكانها وزنا أخلاقيا أو انسانيا ، أو حتى عضويا . ولأن الصهيونية آخر وليد استعماري للحركة القومية في أوروبا ، فقد ورثت هذه الاستباحة دون أن ترى فيها غضاضة أخلاقية أو انسانية . الشعوب لم تكن هامة لأنها لم تكن عقبة . وحتى عندما كانت عقبة ، فعلى نحو مضحك في ضآلته وبدائيته . كان نشر الحضارة هو الرسالة التي صاغ مضامينها الفكر الاوروبي ليبرر الحركة الاستعمارية ، وقد تضمنت خلع حق أخلاقي على أصحابها ، وخلع الحق الطبيعي من أصحاب الارض المغزوة . وهذا هو بالضبط ما عناه هرتزل عندما كتب في يومياته ان الصهيونية ستنشر الحضارة في ذلك الجزء البربري من آسيا .

البدو الرُحَّل

فيما بعد ، عندما أدرك المفكرون الصهيونيون أنهم لا يمكن أن يتجاهلوا العرب الفلسطينيين الى الابد ، لجأوا الى صورة/ مقولة جديدة . صار العرب الآن بدوا رحّلا . وفي سنة ١٨٩١ ، كتب أحاد هاعام (أحد العوام ، اسم تنكري لواحد من رواد الفكر الصهيوني في روسيا) هذه العبارات الصاعقة : « العرب رجال صحراء همج ، أناس جهلة لا يرون ولا يفهمون ما يجري حولهم . . وفي وقت ما ، عندما يكون شعبنا قد نما الى حد أنهم سيداُون بدفع السكان الاصليين جانبا ، فسوف لن يتزاح هؤلاء بسهولة . »

بالطبع ، لم يكن ممكنا أن يبقى عربي فلسطين بدويا الى الابد في الفكر الصهيوني . وسنلاحظ ان التغيرات التي طرأت على صورته كانت تنجم دائما عن اصطدام صهيوني قاس بالواقع الحي . فمع كل خطوة للاستعمار الصهيوني في فلسطين ، كانت صورة الفلسطيني تزداد وضوحا عبر حقيقة وجوده العضوي . ومع كل خطوة ، كان الفكر الصهيوني مدعوا لأن يعيد صياغة هذه الصورة على النحو الذي يبرر المشروع الصهيوني أخلاقيا وتاريخياوحضاريا . وهكذا فمع بدايات الاستيطان الصهيوني في ثمانينات القرن الماضي ، تحول الفلسطيني من بدوي مترحل الى فلاح .

الفلاح الفلسطيني

أي فلاح ؟ لا شك أن المنجهية الاستعمارية كانت راسخة في نفوس المستعمرين الصهاينة باعتبارها تراثا رافق كل تحرك بشرى أوروبي خارج أوروبا . مبدئيا ، اذن ، كان الصهيوني يجد نفسه بالبداهة في موقع أخلاقي وحضاري أعلى بما لا يقاس من عربي فلسطين . وفي العديد من أدبيات تلك الفترة - بل وحتى ثلاثينات القرن الحالي - نجد أن الفلاح الفلسطيني أقرب الى المتسول منه الى أي شيء آخر . ولقد كان مستوطنو مستعمرة ريشون لو زيون يجدون متعة خاصة في تعاطي النرجيلة بينما يقوم الفلاحون العرب المملقون على خدمتهم . وهنا نلتقى مرة أخرى بالهدف الايديولوجي المستتر وراء صورة المتسول هذه : التخلف والانحطاط ، وبالتالي عدم الجدارة في ملكية الارض .

ثمة صورة أخرى للفلاح الفلسطيني : العطالة . وكان أول من افتتح هذا الخط الطويل من النعوت مناحيم أوسيشكين ، أحد رواد الفكر الصهيوني ، عندما وصف العرب بأنهم « كم مهمل » . لكن جوزف باراتز يعطينا تفاصيل هامة في هذا المضمار . ففي كتابه (قرية جانب الاردن) ، الذي يصف انشاء اول كيبوتز صهيوني على أسس شيوعية ، يصف الفلاحين العرب الذين جاءوا يتفرجون بسكون تام على المعجزة الحضارية التي يقيمها اليهود . وفيما تجفف المستنقعات وتخصب الصحارى على أيدي باراتز ورفاقه ، يظل الفلاحون الفلسطينيون يتفرجون ، وتظل أرضهم اما مستنقعية أو رملية جرداء . ان الحركة الوحيدة التي تبدر من هؤلاء الفلاحين هي تسللهم على غفلة لسرقة شيء من المحصول الوفير أو الثمار النضيرة التى أنتجها الصهيونيون . وبالطبع كان باراتز ورفاقه يغضون النظر عن السرقة ، مدركين بانسانية عالية الوضع الاقتصادي السيء لهؤلاء الفلاحين .

غير أن هؤلاء الفلاحين ، المثيرين للشفقة والازدراء والترفع ، هم أنفسهم الذين نهضوا عام ١٩٣٦ في طول فلسطين وعرضها ، وظلوا حتى أواسط ١٩٣٨ يتصدون بلا انقطاع للاستعمارين الانكليزي والصهيوني . هؤلاء سنجد وصفا لهم بعد قليل عند آرثر كوستلر .

كان فيلسوف هذه الفترة هو أ . د . غوردون . وتصف المصادر الصهيونية هذا الكيبوتزي بأنه انساني

مسالم وحالم عنيد . وكان مع اليزير شوخات قد صاغ للمستعمرين الصهيونيين ما يمكن تسميته بدين العمل . فقد أراد لهم أن يكتسبوا حقهم الاخلاقي في فلسطين عبر تحويلها الى جنة أرضية . والمعادلة هنا واضحة : فلسطين العرب شيئان لا ثالث لهما ، مستنقعات وصحارى ، وبالتالي لاحق لهم في أرض هدروها ، أما فلسطين الصهيونيين فهي بساتين وحقول ، وغلال وفيرة ، وسواعد تعمل منذ الفجر . اننا نجد هنا مباينة حاسمة بين الفلاح الفلسطيني ، المتخلف ، اللص ، المنحط ، القذر ، المتعطل ، والفلاح الصهيوني المتوحد بالارض ، المكتسب هويته من عمله عليها .

الفكر الصهيوني

يرى بوروخوف ، نبي الفكر الاشتراكي القومي الصهيوني ، أنه من المستحيل قطعا أن تظهر بين العرب حركة قومية خاصة بهم . ولم يكن ليدخل في باب المنطق أنهم سيعترضون على استعمار اليهود لفلسطين . فلأنهم « يفتقرون الى شخصية حضارية واقتصادية خاصة بهم ، » لا يمكن أن يكونوا أمة . ولأنهم ليسوا أمة ، لن يكونوا مؤهلين للقيام بمعارضة منظمة فعالة ازاء نفوذ خارجي . أما بالنسبة للمستقبل ، فلا بد وأنهم سيندمجون في اليهود ويصيرون جزءا منهم ، بعد أن تمسهم المنافع السحرية للاشتراكية الصهيونية .

وفي عام ١٩٢١ أنذر جورج لانداور المؤتمر الصهيوني الثاني عشر بأن هؤلاء البرابرة العرب سيشنون حربا لا محالة ضد الصهيونيين ، ونصح بالتهيؤ لذلك . وكان رد فلاديمير جابوتنسكي العنيف والمعبر بيانا عن تصور أقصى اليمين الفاشي الصهيوني لعرب فلسطين كبشر . قال جابوتنسكي (وهو أستاذ مناحيم بيغن وقائد المليشيات الارهابية الصهيونية) متسائلا عما اذا كان أحد قد التمس الاذن من السكان الاصليين أثناء استعمار أمريكا وأستراليا .

قد لا يمكن أن نشابه بدقة بين موقف جابوتنسكي ـ ومن بعده بيغن ـ وبين موقف بن غوريون . بصورة عامة يصر الكتاب الصهيونيون ، والاسرائيليون بشكل خاص ، على أن حزب العمل الصهيوني ، الذي صنع اسرائيل استيطانا وجيشا ، يختلف كثيرا في تصوره للعربي عموما والفلسطيني خاصة عن ما يسمى باليمين الصهيوني : جابوتنسكي ثم بيغن . لكننا نعرف من مذكرات بن غوريون وموشى دايان ، ومن المقالة التي كتبها اسحاق رابين لمجلة الازمنة الحديثة ، عدد حزيران ١٩٦٧ ، ومن منشورات كثيرة أخرى ـ نعرف أن موقف هؤلاء من الفلسطيني والعربي لم يختلف أساسا عن الموقف الاستعماري التقليدي : العنجهية ، والاستعلاء ، الاحتقار . بتحديد أكثر ، فان العربي لا يستطيع أن يكون أكثر من يد عاملة . انه لا يقرأ ، ولا يتعلم ، ولا يحارب ، ولا يفكر ، ولا يحلم ، ولا يتخيل . حسبه أن يمتلك بعض المال ليصرفه على رغباته الخسيسة .

هذه التصورات ، ومزيد منها ، تضمنتها رسالة كتبها تيودور هرتزل عام ١٨٩٩ وبعث بها الى يوسف الخالدي ، محافظ القدس وعضو البرلمان العثماني . وكان الخالدي قد طلب الى حاخام باريس أن يوعز لهرتزل بصرف النظر عن فلسطين كوطن قومي صهيوني ، بسبب تعرب البلاد نهائيا ، واستحالة تهويدها . كتب هرتزل :

من الذي يرغب في ازاحتهم (العرب) من هناك ؟ ان أحوالهم وثروتهم الخاصة ستتضاعف بفعل مجيئنا . أتعتقد أن عربيا يمتلك أرضا في فلسطين ، أو منزلا ثمنه ثلاثة أو أربعة آلاف فرنك ، سيكون آسفا اذ يرى قيمته تزداد خمسة أو عشرة أضعاف ؟ لكن هذا سيحدث حتما مع مجيء اليهود . وان يفحص الانسان الامر من هذه الوجهة ، وهي الوجهة الصحيحة ،فلا مناص من أن يصير صديقا للصهيونية .

واضح من نبرة الرسالة أنها تتضمن قدرا كبيرا من « الضحك على اللحى . » وهو الموقف الذي تبناه بن غوريون فيما بعد من القادة المحليين أمثال يوسف الخالدي . واضح أيضا الترغيب بالمال والمنافع الجمة التي سيجلبها الاستيطان الصهيوني . وواضح كذلك أن هرتزل يرفض الاقرار بفكرة الخالدي عن عروبة فلسطين وقومية شعبها . فالوجهة الصحيحة للنظر في الامر هي الفوائد الاقتصادية ، وهي أقصى ما يفكر فيه العربي ، كما يرى هرتزل .

مع بداية العقد الثالث لهذا القرن ، وقد دخل وعد بلفور مجال التنفيذ بدخول الانكليز فلسطين ، بدأت صورة الفلسطيني تكتسب أبعادا جديدة في الفكر الصهيوني ، أطلقتها المواجهة الساخنة بين العرب من جانب والانكليز والمستوطنين الصهاينة من جانب آخر . وبطبيعة الحال ، فقد برز في هذه الآونة ـ من ١٩٢٠ الى ١٩٤٨ ـ الفلسطيني المقاتل ، الذي خلده الشاعر ابراهيم طوقان في شعره .

هذا الفلسطيني المقاتل كان شيئا آخر تماما في الادبيات والفكريات الصهيونية . وينبغي في هذا الصدد التذكير

بأن عبارة « الفكر الصهيوني » فضفاضة حقا اذا ما قورنت بعبارات مثل « الفكر الالماني » أو « الفكر الافريقي » أو « الفكر الاسلامي » . اننا هنا ازاء فرضيات وحسب ، رغم تنظيمها الدقيق ، ونظرة ضيقة الى الانسان والحياة يخترمها العنصر الاسطوري والموقف العرقي حتى ليغدو القبول بها مسألة مزاجية لا علاقة لها بالمحاكمات العقلية التي يتصف بها « فكر » ما .

اذن ، الفلسطيني المقاتل يتحول في الفكر الصهيوني الى « ارهابي جبان » . "انه يهاجم في الليل عندما يكون الرجال نياما . أما في النهار فيتلبس المسكنة والضعة . لقد قامت عشرات المستوطنات في طول البلاد وعرضها أمام سمعه وبصره ، فلم يجرؤ على أن يحرك ساكنا الا تحت جنح الظلام . وفي الليل كان يقوم بهجومه كأي بدائي تتحكم به غريزته ، لا عقله ولا علمه . لذلك كان سهلا دائما على نفر قليل من المقاتلين اليهود الاشداء أن يردوا « زوبعة » عربية على أعقابها ، بفضل برودة عقلهم وحرارة قلبهم ، واتقانهم للقتال واستعمال السلاح .

عموما ، العربي محتقر ومزدرى بحيث لا يمكن لأحد أن يأخذه مأخذ الجد . ان لديه تراثا عريقا من شهادة الزور ، وتراثا أعرق من القتل والاجرام صار طبيعة ثانية فيه ، وأسلوبا شيطانيا في التملق والغدر ، وتخلفا مشوشا قاتما . ان الذكور العرب هم بلا استثناء عاجزون جنسيا أو مثليون ، والنساء العربيات يشترين كالبضاعة . وواضح هنا أن الكثير مما كان ينعت به اليهود في أوروبا قد صار الآن أوصافا للعرب . لقد خلع الفكر الصهيوني أرديته الاوروبية القذرة وألبسها للعرب ، بوعي أو بغير وعي .

بصمات الفكر النازي

هذه الصورة الفكرية السياسية تطورت بعد خلق الكيان الصهيوني في اتجاهين ، تعميقي ونقيضي . ونحن نلمسها الآن في الادب والفكر الاسرائيليين . الاتجاه التعميقي هو الاتجاه التقليدي الذي رأيناه حتى الآن وقد ازداد تطرفا ووحشية وحنكة ومرجعية ، وكان أبرز تعبير عنه مجمل المقالات التي كتبها المفكرون الصهيونيون في عدد (الازمنة الحديثة) المشار اليه آنفا . والحقيقة أن الاستهانة بالعربي على هذا النحو ، تحقيره والسخرية منه ، تفسر الى حد كبير السهولة المذهلة التي تم بها ذبحه وحرقه واعدامه بالرصاص والقنابل . لقد كان ذلك سهلا بالنسبة لهتلر لأنه كان يرى اليهود حثالة الكائنات . والاحتمال كبير جدا في أن يكون العقل الصهيوني قد تقمص الفكر النازي واستخدم أدواته العقلية والنظرية ، ثم أحل العرب محل اليهود في كل ما نسب لهؤلاء من نقائص وعيوب وانحطاط وقزمية انسانية ، ليس فقط ليؤكد حقا مزعوما في فلسطين ، وانما ليؤكد أن ثمة من هم أكثر انحطاطا منه بكثير .

أما الاتجاه النقيضي فظاهرة جديرة بأعمق الاهتمام والدراسة . وقد ظهرت بواكيره منذ حرب ١٩٤٨ ، واستمرت حتى الآن في الفكر والادب الاسرائيليين . ان المتتبع للكتابات الاسرائيلية لا يمكن أن يتجاهل أو ينسى (أيام زيكلاغ) بقلم س . يزهار (حوالي ١٩٥٠) أو (في مواجهة الغابات) لأفراهام يهوشوا (١٩٦٣) أو (ميشيل الذي لي) لأموس أوز (١٩٦٨) . ونحن لسنا هنا بصدد الموضوعات الرئيسية لهذه المرائي الصهيونية . ان ما يهمنا هو شخصية العربي الفلسطيني في هذه الاعمال . لقد وصفنا هذا الاتجاه بأنه نقيضي : اذا كان الاتجاه الفكري الرسمي الصهيوني يرى في الفلسطيني الذبيحة الضرورية لكي يرضى اله البراكين عن شعبه اليهودي ، فالاتجاه النقيضي يرى الفلسطيني ضحية ، ضحية منتقمة ، لا تموت ، لا تنسى ، ولا تريح قاتلها . ان الجثث العربية الملطخة بدمائها في حرب ١٩٤٨ تفهم زيكلاغ بأنه صار هتلر صغيرا . وان العرب الذين فقدوا مأواهم لأن يهودا ، بطل (خربة عيسى) ، وجماعته قد حلوا فيه ، صاروا الآن أسرى من قبل الصهيونية ، وآسرين أخلاقيين لها . والحقيقة ان فكرة العربي الأسير الأسر موضوعة شائعة في الكتابات الاسرائيلية . كذلك فان الشاب الاسرائيلي ، بطل (في مواجهة الغابات) ، يجد متعة مازوشية خاصة في مشاهدة غابة اسرائيلية تحترق حتى تندثر ، لتظهر من تحت رمادها أنقاض البيوت العربية لقرية دمرها الاسرائيليون بسكانها . أما حنه غونين ، بطلة (ميشيل الذي لي) فلا تستطيع أن تشعر بأنها حقيقة أو أن أي شيء حولها حقيقي ، إلا عندما تحلم في يقظتها بأن صديقي طفولتها ، التوأمين خليل وعزيز ، جاءا بقنابلهما ليدمرا المنشآت الاسرائيلية ومن ثم ليغتصباها .

هذا التيار النقيضي قد لا يجد كثيرا من العرب الميالين لتصديقه . والاسباب كثيرة ، وليس هنا مجال بحثها . لكن الشيء المؤكد أن هذا التيار حقيقة قائمة . واذا كان هناك ما يؤسف له في هذا المضمار ، فهو خلو المكتبة العربية من ترجمات له مشفوعة بدراسات فكرية رصينة ، تطلع المواطن العربي على ما يجب أن يعرفه من الحقائق عن عدو يستهدف تدميرنا . ونحن ، الى حد بعيد ، ما زلنا نجهل هذا العدو .

○

هاني الراهب



صحوة الشباب المسلم

دعوة للترشيد لا للتبديد

بقلم : فهمي هويدي

○

محور هذا الكتاب أن صحوة الشباب الاسلامي ثروة تستحق الترشيد ، لا المقاومة والتبديد . والكتاب عنوانه « الصحوة الاسلامية بين الجحود والتطرف » . والكاتب هو الدكتور يوسف القرضاوي ، عميد كلية الشريعة بجامعة قطر . والرحلة بدأناها في عدد شهر يناير الماضي ، بين صفحات كتب ثلاثة تعالج ازمة الواقع الاسلامي المعاصر . اثنان منها للشيخ محمد الغزالي ، برز فيها اتجاه التحليل والتشخيص في نظرة شاملة على هذا الواقع بمختلف اركانه وعناصره . وثالثها هو هذا الكتاب الذي بين ايدينا ، والذي يغوص بعمق في تحقيق قضية الشباب ، مستهدفا علاج المشكلة من الجذور .. مشكلة المجتمع الذي افرز هؤلاء الشبان ، واسهم في دفعهم الى ما ذهبوا اليه .

يطالعنا الدكتور القرضاوي في مدخل كتابه بمجموعة من الاسئلة الهامة ، التي تحاول ان تضع القضية في اطارها الصحيح ، وتثير وعي القارىء بما هو أبعد من الظاهرة المدانة . وهو في ذلك يلاحقنا بسؤال كبير هو : هل هذه الحملة ضد الغلو والتطرف الديني قصد بها رد الغلاة الى منهج الاعتدال الذي يقره الاسلام ، ام ان لها هدفا آخر هو ضرب التحرك الاسلامي قبل ان يبلغ رشده ؟

في الاجابة ، يبدو الكاتب مرجحا الاحتمال الثاني ، وان ذكره في معرض النقل عن آخرين ، ويؤيد هذا الترجيح امران : الاول ان هؤلاء الشبان لم يستلفتوا انظار السلطات الا بعد ان وقفوا ضمن القوى المعارضة ، والثاني ان بعض الاتجاهات المتطرفة حقا رحبت بها السلطات واجهزة الامن في بعض البلاد ، كلما رأت ان تضرب بها حركات اسلامية اخرى ، ثم تضربها هي بعد ذلك ، حين ينتهي دورها !

بعد هذه الاشارة ، وقبل الخوض في صلب القضية يبث الدكتور القرضاوي دعوى ضد الظروف الراهنة بمختلف رموزها ، واضعا الجميع في القفص ، ومقررا : « ان كثيرين يحملون معهم ـ بل قبلهم المسئولية ، وان حاولوا ان يتبرأوا منها . يحملها معهم الاباء والمربون ، والعلماء والموجهون ، والقادة والحاكمون ، الذين ينتمون الى الاسلام بالاسم والعنوان ولم يعطوه حقه من الانقياد والاذعان ، فعاش الاسلام بهم غريبا في دياره ، وعاش دعاة الاسلام في اوطانهم غرباء » .

ثم يضيف في دعواه : « العجيب اننا ننكر على الشباب التطرف ، ولا ننكر على انفسنا التسيب ، ننكر على الشباب الافراط ، ولا ننكر على انفسنا التفريط ... » .

لكنه يعذر ـ ويتهم ـ المؤسسات الدينية الرسمية ، التي يعول عليها الكثير في هذا المجال ، فيقول انها « لم تعد قادرة على القيام بهذه المهمة المنشودة منها ، ما لم ترفع السلطات السياسية ايديها عنها ، وعن اتخاذها اداة لتأييد خطواتها ، ولسانا للثناء على مواقفها » .

وهو اذ يدعو الى فهم موقف الشباب : يتصدى لموضوع التطرف او الغلو في الدين ، من عدة زوايا ، يقرر ادانة التعاليم الاسلامية للغلو ، ثم يحاول رصد مظاهره وعلاماته ، من تعصب للرأي وتشدد في الالزام ، وغلظة في الدعوة ، الى إساءة الظن بالآخرين وتكفيرهم في بعض الاحيان .

وتحت عنوان « فلنبحث عن الاسباب » ، يعود الى تأكيد « ان الظاهرة التي بين ايدينا ظاهرة مركبة معقدة ، واسبابها كثيرة ومتنوعة ومتداخلة . . » لكنه يشير الى ان من الاسباب الاساسية للغلو « ضعف البصيرة بحقيقة الدين ، » وهو ما ينشأ عن نصف العلم ، الذي يظن صاحبه به انه دخل في زمرة العاملين وهو يجهل الكثير الكثير . »

تؤدي هذه الثغرة ـ نصف العلم بالدين ـ الى مجموعة من النتائج السلبية في مقدمتها :

ـ التمسك بحرفية النصوص وظاهرها دون تغلغل الى فهم فحواها ومعرفة مقاصدها والمصالح التي تستهدف تحقيقها ، الامر الذي يحدث خللا فادحا في معالجة امور المعاملات ، ويوقع في الضرر والعنت .

ـ الاشتغال بالمسائل الجزئية والامور الفرعية ، عن القضايا التي تهدد كيان الامة .

وهو هنا يسترجع نموذجا لهذا التنطع في الدين ، بقصة الاعرابي الذي وفد على عبد الله بن عمر وسأله عن دم البعوض ، فقال له من اين انت؟ قال : من اهل العراق ، فرد ابن عمر : تسألون عن دم البعوض وقد قتلتم ابن رسول الله ؟ (يعني الحسين رضي الله عنه) .

ـ الاسراف في التحريم ، والميل الى التضييق والتشديد على المسلمين ، مع تحذير القرآن والسنة والسلف من ذلك .

ـ التباس المفاهيم واضطرابها في اذهان الشباب ، الامر الذي يدعوهم الى اتخاذ مواقف متعجلة وخاطئة في قضايا بالغة الاهمية مثل الكفر والايمان . ويتوقف الدكتور القرضاوي امام الآية :«ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون» المائدة ـ ٤٤ ، وهي من ابرز ما اسيء فهمه لدى الشباب . فينقل قول ابن عباس انه « ليس بكفر ينقل عن الملة » ، وقول آخرين ـ يرجحه هو ـ ان الكفر هنا مرهون بترك الحكم بما انزل الله جحودا وانكارا . وقول فريق ثالث بان المقصود هو ترك الحكم بجميع ما انزل الله . بما في ذلك الحكم بالتوحيد والاسلام . وقول آخرين بانه كفر ينقل عن الملة .

ـ اتباع المتشابهات من النصوص والتي تحتمل اكثر من معنى ، وغير منضبطة المدلول ، وترك النصوص المحكمة واضحة الدلالة ومحددة المفهوم .

ـ الانغلاق على الافكار التي يتلقاها نقلا من الكتب دون تعلم او مناقشة او مراجعة ، وهذا ما جعل علماء السلف يحذرون من هؤلاء ويقولون : لا تأخذ القرآن من مصحفي ، ولا العلم من صحفي (بضم الصاد والحاء) ، يعنون بالمصحفي الذي حفظ القرآن من المصحف فحسب ، دون ان يتلقاه بالرواية والمشافهة من شيوخه وقرائه المتقنين .
ويعنون بالصحفي الذي اخذ العلم من الصحف وحدها من غير ان يتتلمذ على اهل العلم ويتخرج على ايديهم !

ـ العجز عن فهم طبيعة الواقع وسنن الكون « فتجد احدهم يريد مالا يكون ، ويطلب مالا يوجد ، ويتخيل مالا يقع . . يريد ان يغير المجتمع كله بوسائل وهمية واساليب خيالية ، مع شجاعة وفدائية لا تهتم بالنتائج ، ولا تأبه بالموت . وهم في ذلك يغفلون امرين هامين : سنة التدرج ، وهو هنا يورد قصة الخليفة عمر بن العزيز مع ابنه الذي انكر على ابيه عدم ازالة بقايا الانحراف والمظالم التي تمت في ظل من سبقه من خلفاء بني امية ، فقال عمر قولته الشهيرة : لا تعجل يا بني ، فان الله ذم الخمر في القرآن مرتين ، وحرمها في الثالثة . واني اخاف ان احمل الناس على الحق جملة ، فيدعوه جملة ، فيكون من ذا فتنة .

اما ثاني السنن التي يغفلها هؤلاء في غمرة عدم الوعي بالواقع ، فهي ان لكل شيء اجلا مسمى يبلغ فيه نضجه وكماله ، ولا ينبغي ان يستعجل الشيء قبل ان يبلغ اجله المقدر لمثله ، ان سيكون قصوره هنا في مثل مرارة الثمرة التي تؤكل قبل نضجها .

وإذا كان نصف العلم بالدين منزلقا يؤدي الى التطرف من جانب الافراد ، فان ثمة عناصر اخرى تتعلق « بالظروف » تسهم في دفعهم الى هذا المنحى ، منها انتشار الفساد في المجتمعات ، وفداحة الظلم الاجتماعي ،





وزحف تيارات وانماط التغريب ، مما يوقع الشباب في هاوية الاحساس بالغربة ، ومنها شعور الشباب المسلم باستمرار التآمر الخفي والعلني ضد الاسلام من جانب اطراف عديدة ، داخلية وخارجية ، ومنها شيوع ظاهرة مصادرة الدعوة الى الاسلام الشامل « فالدعوة الى الاسلام الايجابي المتكامل ـ عقيدة ونظام حياة ـ اصبحت بضاعة محظورة . . والاسلام المسموح به هو الاسلام « المستأنس » . اسلام الدراويش ومحترفي التجارة بالدين . اسلام عصور التخلف والانحطاط . . اسلام الموالد والمناسبات الذي يسير في ركاب الطغاة ، ويدعو لهم بطول البقاء ! . .

وغير هذا وذاك فان اسباب التطرف في الجانب المتعلق بالظروف تبلغ منتهاها ـ يضيف الدكتور القرضاوى ـ حين تلجأ السلطات الى استخدام العنف والتعذيب البدني والنفسي ، وهذا العنف لا يقاوم التطرف كما يتصورون ، ولكنه يثبته ويدعمه .

ما العلاج ؟ وما طرائقه ؟ ومن يقوم به ؟

يطرح الدكتور القرضاوى هذه الاسئلة ثم يجيب بانه كما تعددت الاسباب وتنوعت ، فان طرائق العلاج يجب ان تتعدد وتتنوع . فاذا كان من الاسباب ما هو فكرى ونفسي واجتماعي وسياسي ، فان العلاج يجب ان يتم على هذه الجبهات ايضا . وهو علاج لن يتم بلمسة سحرية على اى حال ، ولا بد ان يخضع في ثماره ايضا لسنة الاجل المسمى . وفي اجابته ايضا يرفض منطق « الجبريين » الذين يرجعون اسباب الظاهرة الى المجتمع وحده ، كما يرفض تحميل الشباب المسئولية كلها واعفاء المجتمع من تلك المسئولية « فالمسئولية مشتركة ، وكل له دوره » .

في مسئولية المجتمع ـ به يبدأ العلاج ـ يقرر الدكتور القرضاوي ان نقطة الانطلاق هي ان يعترف المجتمع بانتمائه الى الاسلام وما يقتضيه هذا الانتماء من التزام وسلوك ، « يجب ان يؤمن حكامنا بانهم يعيشون في اوطان الاسلام ويحكمون اناسا مسلمين ، ومن حق كل قوم ان يحكموا وفقا لعقيدتهم ، وان تأتي دساتيرهم وقوانينهم معبرة عن معتقداتهم وقيمهم وتقاليدهم » .

الخطوة الثانية هي الا نحدث هؤلاء الشباب من فوق ابراج عاجية ، مستعلين عنهم او متبرئين منهم ، مما يحفر بيننا وبينهم فجوة واسعة او هوة عميقة . . ينبغي الا يكون موقفنا منهم موقف ممثل الاتهام ، كل همنا ان نبرز مساوئهم ونضخم سلبياتهم ونطعن في اعمالهم ونلتمس لهم اقصى العقوبات؛ يجب ان نعاملهم بروح الابوة الحانية والاخوة الراضية . . يجب ان نقف موقف المحامي عنهم ، فاذا لم نحسن الدفاع لسبب او آخر ، فلنقف موقف القضاء العادل ، الذي لا يدين الا ببينة ، ولا يتحيز لمدع او مدعى عليه . .

وهنا يدعو المؤلف كل من يتصدى لقضية التطرف ، الا يلجأ الى التهويل والمبالغة وان « يتصف بالاتزان والحكمة ، والا يتطرف هو بدوره في حديثه عن التطرف وطريقة علاجه » . . « فكثيرا ما يكون التطرف في التدين رد فعل لتطرف مناقض : تطرف في التحلل من الدين . . وهنا يكون هذا اللون من التطرف امرا طبيعيا ، لأنه مساير لقوانين الفعل ورد الفعل . . وهو جدير بان ينبه اولئك الشاردين للرجوع الى الوسط المعتدل ، وبالتالي يعود هؤلاء ليلتقوا مع اولئك في منتصف الطريق .

وهو يحذر ايضا من مقابلة التكفير بتكفير مثله ، استنادا الى الحديث القائل « من كفر مسلما فقد كفر » ـ « فالحق اننا لو فعلنا ذلك لوقعنا في نفس الهاوية التي وقعوا فيها . . والحديث لا يشمل من كفر مسلما بنوع من تأويل وشبهة قامت لديه ، كما دلت على ذلك احاديث صحيحة . . وجمهرة المحققين من علماء المسلمين تورعوا عن تكفير الخوارج برغم اصرارهم على تكفير كل من عداهم من الأمة واستباحة دمائهم واموالهم . . وما صح فيهم من الاحاديث التي وصفتهم بالمروق في الدين » .

وفي مسئولية المجتمع ايضا يوجه الدكتور القرضاوي الدعوة الى حكام المسلمين قائلا : « افتحوا النوافذ لنسيم الحرية » . ويضيف « علينا ان نضرب صفحا عن تلك الاساليب القديمة البالية ، التي يفكر فيها دائما رجال المباحث وأجهزة الأمن ، وهي اساليب العنف والتعذيب والتصفية الجسدية ـ وان تشيع جو الحرية ، ونرحب بالنقد ، ونحيي روح النصيحة في الدين ـ وفي جو الحرية تظهر الأفكار في النور ، فيمكن لاهل العلم مناقشتها وتسليط

اضواء النقد عليها . . بدل ان تظل في السراديب التحتية ، تلقن بلا مناقشة وتطرح بلا معارضة وتتفاقم وتستفحل يوماً بعد يوم - ان علينا ان تستحضر ان هذا التطرف مصدره الفكر ، ولهذا ينبغي ان يكون علاجه بالفكر ايضا .

الوجه الآخر في بطاقة العلاج التي يطرحها الدكتور القرضاوى يخاطب الشباب ، بدعوة ملحة الى فهم الاسلام على وجهه الصحيح ، وهو ما يمكن تحقيقه اذا كان منهجهم سليما وخاليا من الاعوجاج والابتسار . وليس هذا مطلبا صعب المنال ، فقد شغلت به اجيال من علماء الأمة ، الذين عنوا بوضع القواعد والضوابط اللازمة لحسن الفهم والاستنباط ، فيما عرف بعلم اصول الفقه ، ومعناه التفكير الاسلامي في استنباط الاحكام العملية من ادلتها التفصيلية .

وفي ظل هذه الدعوة يرسم المؤلف مجموعة من العلامات التي تسهم في تحقيق هذا الفهم الصحيح لتعاليم الاسلام ، في مقدمتها :

- ان معرفة الشريعة لا تتم بمجرد معرفة نصوصها الجزئية . . بل لا بد من رد فروعها الى اصولها ، وجزئياتها الى كلياتها . . اما ان يعثر على نص من آية كريمة او من حديث نبوى يفيد ظاهره حكما ، فيتشبث به دون ان يقارنه بالاحاديث الاخرى وبالهدى النبوى العام ، وبهدى الصحابة . . بل دون ان يرده الى الاصول القرآنية نفسها ، ويفهمه في ضوء المقاصد العامة للشريعة . . فلن يسلم من الخلل في فهمه والاضطراب في استنباطه ، وبذلك يضرب الشريعة بعضها ببعض .

- ان للاحكام الشرعية مراتب ، وانها ليست في درجة واحدة من حيث ثبوتها ، وبالتالي من حيث جواز الاختلاف عليها . فهناك الاحكام الظنية التي هي مجال الاجتهاد ، وتقبل تعدد الافهام والتفسيرات ، وهذا شأن معظم الاحكام المتعلقة بالمعاملات ، وهناك الاحكام المتعلقة بالعقيدة التي لا يغني فيها الا القطع واليقين . وهناك الاحكام الثابتة بالكتاب والسنة والاجماع ، ووصلت الى درجة القطع وان لم تصبح من ضروريات الدين . وهناك الاحكام المعلومة من الدين بالضرورة ، التي تتصل بالتوحيد والنبوة . . « فلا يجوز اذن ان توضع الاحكام كلها في اطار واحد ودرجة واحدة . حتى يسارع بعض الناس الى الصاق الكفر او الفسوق او البدعة بكل من عارض حكما ما ، لمجرد اشتهاره دون تمييز بين الاصول والفروع ، ولا تفريق بين الثابت بالنص او الثابت بالاجتهاد ، وبين القطعي والظني في النصوص ، وبين الضروري وغير الضروري في الدين . . فلكل منزلته ، وله حكمه .

- وكما ان للاحكام درجات ومراتب ، فللاعمال ايضا درجات ومراتب . فهناك الفرض الذي ثبت وجوبه بطريق قطعي ، ويلزم به المسلم . والفرض نوعان ، فرض كفاية ، يقوم به البعض مما يسقط الاثم عن الآخرين ، مثل القتال . وفرض عين على كل مسلم ، مثل اركان الاسلام الخمسة . وهناك الواجب الذي امر به الشارع وان لم يصل الامر الى درجة القطع . وهناك السنة المؤكدة ، وهو ما واظب عليه النبي ولم يتركه الا نادرا ، لكنه ليس ملزما للمسلمين . وهناك المستحب الذي رغب الشارع في فعله ولا حرج في تركه .

. . وفي الاسلام الصحيح يقدم الفرض على الواجب ، والواجب على السنة ، والسنة المؤكدة على المستحب . لكن هذه الدرجات اختلطت واختلت في حياة المسلمين ، الامر الذي ينبغي معه ان يصحح هذا الخلل من جديد .

- ايضا فان الامور المنهي عنها درجات : هناك الحرام الصحيح (وفيه صغائر وكبائر)

- وهناك الامور التي تشتبه على اكثر الناس ، فمن وقع فيها وقع في الحرام - وهناك المكروه تحريما ، وهو ما كان الى الحرام اقرب - والمكروه تنزيها وهو ما كان الى الحلال اقرب . . هذا الترتيب يجب ان يكون واضحا ، حتى لا ينشغل البعض بمقاومة المكروهات او المختلف عليها ، وترك المحرمات ، وانصراف الكثيرين الى مقاومة الصغائر مع ترك الكبائر . . وهكذا .

- واختلاف درجات الاعمال ، المأمورات والمنهيات - يؤدي بالضرورة الى اختلاف مراتب الناس « ولهذا يخطىء بعض المتدينين اشد الخطأ حين يعامل الناس جميعا على انهم في مرتبة واحدة ، دون تمييز بين العموم والخصوص ، بين المبتدىء والمنتهي ، ولا بين الضعيف والقوى ، مع ان في الدين متسعا للجميع ، حسب مراتبهم واستعداداتهم » . . ولذا « فمن الفقه المطلوب تقدير مستويات الناس وظروفهم واعذارهم » .

هل تظل كلمات الدكتور القرضاوى صيحة في واد ؟ . . وهل تصل الى اسماع من يهمه الامر ؟ . . لعل وعسى !

تحولات الأزمنة



شعر الدكتور

خليفة الوقيان

(١)

فى الزمان الترابى
تبتلع الأرض أحزانها
فتقىء بصحف الصباح
وجوه البغايا
ذيول الطواويس
ثرثرة العار
كلّ الطقوس القبيحة
تبدل كل الأفاعى
جلود الشتاء
وتخرج تختال
فى ثوبها اللولبى المفضض
تحضن جلادها فى المساء الذبيحة

(٢)

فى الزمان الرصاصى
يلبس (قورش) جبته
يرتدى العِمّه
الخوذة الازلية
يهدى جحافلنا
نحو بوابة القدس
يقتاد اسرى اليهود
الى بابل العربية
يبقى (نبوخذ) يرقب
كيف يدور الزمان
تغير اشكالها الكائنات
ويكتسب الماء لونا جديدا

(٣)

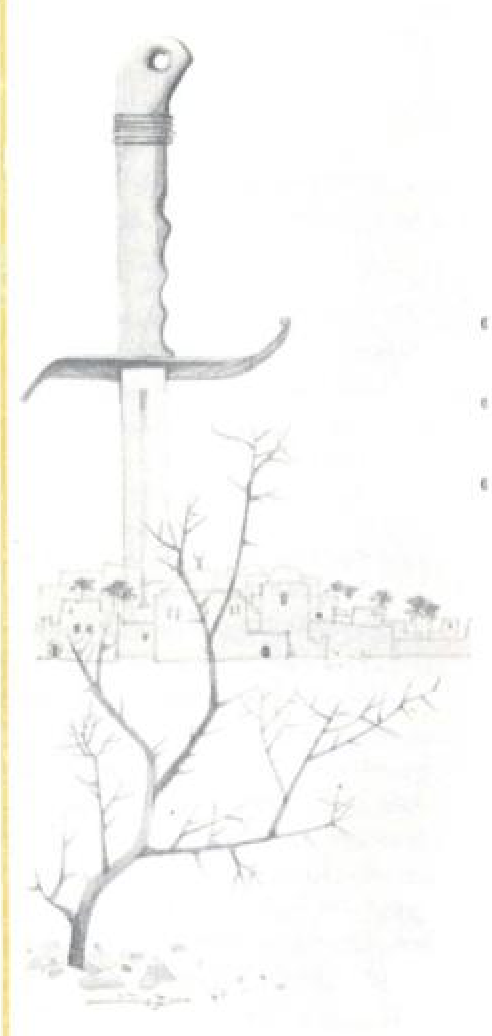
فى الزمان النحاسى
تصدق كل النبوءات
والحلم يحصد نبت البحار
يقلّب (سيف بن ذى يزن) سيفه
حائرا
باحثا عن معين
يعيد الى القدس احلامها العسجدية
يبدل (كسرى) بـ « مسروق »
إن جحافل (وهرز) تقتطف النصر
والجزية السرمدية :

« من مثل « كسرى » شهنشاه الملوك له
او مثل « بهرز » « يوم الجيش اذ صالا »
فاشرب هنيئا عليك التاج متكئا
فى رأس « غمدان دارا منك محلالا »

(٤)

فـي الزمان الخلاسـي
تغتال أسماءها الأحرف اليعربية
تستبدل الضـاد
تجتث أعراقها الأبجدية
يشكو « الايادى » عدل الامام (ابن شروان)
بالاياد الشقية :

« إنى أراكم وأرضـاً تعجبون بها
مثل السفينة تغشى الوعث والطَّبعا »
« فى كل يوم يسنون الحراب لكم
لايهجعون اذا ما غافلٌ هجعا »
وقـد أظلكم من شـطر ثغركـم
هـولٌ لـه ظُلَمٌ تغشـاكم قِـطعـا »



(٥)

هنيئـا لثوارنـا
فـي ثغور العواصـم
يـقيمون صـرحاً
من الخزف الفارسى المنمق
يبوسون كل اللحى والعمائم
يسلون سيف الكرامات
والمـعجزات
يعيدون مجد الرُقى والتمائم
يصلون فـي معبد النار
يمشون فى ركب (مانى)
لـيوم الـخلاص
يـديـرون فى حـفـل (قـورش)
نـخـب الهـوى البـابـلى المعـتـق

جاك دريدا

فيلسوف فرنسا المشاغب

بقلم : الدكتور أحمد أبو زيد

يقف جاك دريدا كحالة فريدة متميزة بين المفكرين البنائيين الفرنسيين المعاصرين . فقد حقق شهرته الواسعة في سنوات قليلة نسبيا وبأعمال هي في معظمها مقالات أو « مقابلات » تدور في الأغلب حول كتابات وآراء غيره من المفكرين والفلاسفة والأدباء ، وان كانت هذه المقالات تكشف بدون شك عن درجة عالية من العمق والأصالة ، وذلك الى جانب ثلاثة أو أربعة كتب ظهرت له في السنوات الأخيرة ويعالج فيها بعض الموضوعات الفريدة الشيقة كما هو الشأن في كتابه الأخير حول « البطاقات المصورة » .

على أي حال فان المقال يعتبر أحد معالم الحياة الفكرية في فرنسا . وجانب كبير من أعمال البنائيين الفرنسيين أنفسهم ظهرت في أول الأمر في شكل مقالات متفرقة في المجلات العلمية المتخصصة ، ثم عكف أصحابها على مراجعتها واعادة صياغتها لتظهر في شكل كتب متكاملة . يضاف الى ذلك أن جاك دريدا هو الوحيد من بين المفكرين البنائيين الذي تعرض بالنقد والتحليل وأحيانا التجريح لكتابات زملائه . فلم يسلم من نقده الأربعة الكبار الآخرون : جاك لاكان وميشيل فوكو ورولان بارت ، بل وزعيمهم وكبيرهم جميعا كلود ليفي ستروس ، فهو يمثل بذلك اتجاها جديدا وهاما داخل المدرسة البنائية أصبح يطلق عليه اسم (ما بعد البنائية) ، كما أصبح هو نفسه يمثل (الولد الشقي l'enfant terrible) في الفكر الفرنسي المعاصر .

في ثورة الطلاب

ولقد كان للظروف التي مرت بها فرنسا في أواخر الستينات دخل كبير في ظهور اسم دريدا واكتسابه لتلك الشهرة . فحين قامت ثورة الطلاب عام ١٩٦٨ وانضم كثير من الكتاب والمفكرين والمثقفين الفرنسيين اليها ، رفض لوى التوسير وكلود ليفي ستروس ـ وهما من كبار قادة الفكر البنائي ـ الانضمام الى الحركة (والنزول الى الشارع) . وأثار ذلك سخط الكثيرين من المثقفين الذين رأوا في ذلك الموقف علامة على تراجع البنائية وانحسار دور المفكرين البنائيين في الحياة العامة ، والتف الشباب المثقف حول دريدا وآرائه التي تمثل موقفا نقديا ومعارضا للبنائية (التقليدية) ـ ان صحت هذه التسمية ـ واعتبره ممثلا لاتجاه فكرى جديد يتجاوز تلك البنائية ويتخطاها . وكان لذلك الموقف الثائر الذي وقفه دريدا أثناء حركة الطلاب أثر سلبي على حياته فيما بعد . فحين تقدم في العام الماضي لشغل وظيفة أستاذ الفلسفة في جامعة نانتير التي شهدت مولد الحركة الطلابية . رفضت الجامعة ترشيحه للمنصب وبذلك استمر في مكانه وعمله الأصليين : مدرسا لتاريخ الفلسفة بمدرسة المعلمين العليا بباريس . وقد تظاهر دريدا بعدم الاهتمام بالأمر ورد فشله في الحصول على الأستاذية الى « المناورات السياسية



جاك دريدا

الأكاديمية » . ولكن موقف الجامعة منه أثار موجة استياء شديدة في الأوساط الثقافية في باريس ، كما تعاطف معه الكثيرون حتى من بين الذين يختلفون معه في الرأي لأنهم يعتبرونه - رغم كل شيء - أحد معالم الفكر الفرنسي الأساسية . وكتبت كاترين كليمان Catherine Clement الناقدة الثقافية لمجلة لوماتان Le Matin تهاجم الجامعة لموقفها المخزي من « مفكر » يمثل علامة بارزة في تاريخ الأفكار خلال العشر سنوات الماضية » .

ومهما يكن من شيء فلا يزال جاك دريدا في الثانية والخمسين من عمره ، ولا تزال أمامه الفرصة سانحة لشغل منصب الأستاذية في إحدى الجامعات الفرنسية الكبرى . وقد أفلح حتى الآن في أن يفرض اسمه على الحياة الفكرية والثقافية في فرنسا وأن يمد تأثيره الى أمريكا حيث يقوم بالتدريس شهرا كل سنة في جامعة ييل .

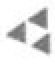
رحلة الصعود

ينتمي جاك دريدا الى ذلك الرعيل من المفكرين والكتاب الفرنسيين الذين نشأوا أصلا في الجزائر . فقد ولد عام ١٩٣٠ في الأبيار بالقرب من الجزائر العاصمة ، وعاش هناك حتى انتقل الى باريس لأداء الخدمة العسكرية ، ثم التحق بمدرسة المعلمين العليا حيث تتلمذ على جان ايبوليت Jean Hyppolite أحد كبار الأساتذة المتخصصين في فلسفة هيجل . ومع أنه أمضى سنة في جامعة هارفارد وقام بالتدريس في السوربون بين عامي ١٩٦٠ ، ١٩٦٤ فانه ارتبط منذ عام ١٩٦٥ وحتى الآن بمدرسة المعلمين العليا .

وقد لفت دريدا اليه الأنظار عام ١٩٦٢ حين نشر ترجمة لدراسة الفيلسوف الألماني هوسرل Husserl « عن أصل الهندسة » وقدم هذه الدراسة القصيرة بمقدمة طويلة تتعدى المائة والخمسين صفحة ، وحاز الكتاب على جائزة كافاييه Cavailles . وقد حددت هذه المقدمة المعالم الرئيسية لخط التفكير الذي اتبعه دريدا بعد ذلك في كل كتاباته . وكان هوسرل قد تعرض في دراسته لمشكلة العلاقة بين الموضوعية المثالية للهندسة (من حيث ان قوانين الهندسة لا تعتمد على أية أحداث أو وقائع تاريخية أو تجريبية) ووجودها التاريخي التجريبي (من حيث ان أفرادا معينين بالذات هم الذين يضعون القواعد والبراهين الهندسية ، وذهب هوسرل الى أن اللغة وبخاصة الكتابة بكل ما تتميز به من (لا شخصانية) هي التي تحقق تحول الهندسة من فكرة في ذهن عالم الهندسة الى موضوع مثالي .

والمهم هو أن تحليل دريدا لفنومنولوجية هوسرل كان نقطة البدء لنقده للفلسفة الغربية . وهو نقد عمل على ابرازه وتطويره في ثلاثة من كتبه المهمة التي ظهرت كلها في عام واحد هو عام ١٩٦٧ وساعدت في توطيد قواعد شهرته .

الكتاب الأول هو كتاب « الكلام والظاهرة » وهو عبارة عن دراسة نقدية لنظرية هوسرل عن « العلامات » وبالذات دور فكرتي « الصوت » و « الحضور » في فلسفته الفينومنولوجية وهو من الكتب القليلة التي يعالج فيها دريدا موضوعا محوريا واحدا . أما الكتابان الآخران فهما عبارة عن مجموعتين من المقالات ظهرت احداهما تحت عنوان (الكتابة والاختلاف) ويعرض فيها لأعمال عدد كبير من المفكرين المعاصرين واتجاهاتهم الفكرية . وتتردد في صفحات الكتاب أسماء جان روسيه في مجال النقد الأدبي البنائي ، وميشيل فوكو وادمون جابيه وليفي ستروس وجورج باتاي وفرويد وهوسرل نفسه في مجال البنائية في العلوم الانسانية وغير هؤلاء كثيرون . والمجموعة



الأخرى من المقالات ظهرت تحت عنوان (الجراماتولوجيا De La Grammatologie ويقصد بها (علم الكتابة) . ويعتبر هذا الكتاب أشهر كتبه على الاطلاق ، وفيه يعارض النظرة العامة السائدة من علاقة الكلام بالكتابة التي تعطي الكلام أفضلية مطلقة على الكتابة .

وكما يقول الأستاذ جوناثان كللر Jonathan Culler ان هذه الكتب الثلاثة التي ظهرت في عام واحد جعلت من دريدا شخصية أساسية في المناقشات النظرية التي سادت الحياة الفكرية الفرنسية في الستينات . ومع أن اسم دريدا يرتبط بالبنائية والبنائيين فانه يحرص على اظهار ما تضمنته آراء البنائيين الآخرين من تناقضات ومفارقات من ناحية ، كما أن هذه الكتب الثلاثة تعبر بوضوح عن تشككه وعدم ثقته في كل أشكال التفكير الميتافزيقي .

دور النص

ولقد ظهرت الحركة البنائية في الفكر الفرنسي في الخمسينات من هذا القرن على أيدي عالم الانثربولوجيا الشهير كلود ليفي ستروس ، وأفلحت الى حد كبير في ملء الفراغ الذي نشأ عن انحسار الفلسفة الوجودية وانصراف الكثيرين من المثقفين عنها . وتقوم نظرية ليفي ستروس في أساسها على فكرة بسيطة في ظاهرها ، ومؤداها أن هناك أبنية عقلية لا شعورية عامة تشترك فيها كل الثقافات الانسانية رغم ما بينها من اختلاف وتباين ، وان الوسيلة الوحيدة للكشف عن هذه الأبنية اللاشعورية وفهمها هي اللغة . وقد تلقف الفكرة عدد من المفكرين الفرنسيين وبخاصة من أساتذة الجامعات وأخذوا يطبقونها في مجالات تخصصهم . فاستعان بها رولان بارت في مجال النقد الأدبي ، وطبقها جاك لاكان في ميدان التحليل النفسي ، واستخدمها لوي التوسير في تحليله النقدي للماركسية ، كما طبقها ميشيل فوكو على الانساق الاجتماعية وتاريخ الأفكار ، وكانت أداتهم جميعا في ذلك هي دراسة « النص » واخضاعه للتحليل اللغوي في ضوء نظرية فردينان دوسوسير . أما دريدا فانه لم يتقيد في كتاباته ومقالاته بميدان واحد وانما يتنقل بين مختلف ميادين المعرفة مع توجيه اهتمام خاص الى « النص » الأدبي والفلسفي . وتكفي نظرة واحدة الى مقالاته التي جمعها في كتابه (عن الجراماتولوجيا) مثلا لتتبين مدى اتساع أفقه واحاطته . فهو يتنقل من أفلاطون الى روسو الى فرويد الى سوسير الى الأديب الفرنسي جان جينيه الى هيجل الى مالارميه الى هوسرل وكانت وهكذا . وهو في هذا كله يدرس الشق الفكري الذي يكمن وراء النص عن طريق تحليل النص ذاته أو (تفكيكه) .

وعلى العموم فان العنصر الأساسي الذي يكمن وراء دراساته البنائية لهؤلاء الكتاب والمفكرين هو نظرية « العلامات » اللغوية التي تهتم بمعرفة وتبيين الطريقة التي تعمل بها (العلامات) أو الرموز اللغوية . وفي هذا يتفق دريدا مع بقية البنائيين الفرنسيين . فاذا كان الاتجاه التقليدي يعتبر الوظيفة الأساسية للغة هي نقل المعلومات وتوصيلها ، ويدرس العمل الأدبي أو الفلسفي من هذه الزاوية ، فان المدرسة البنائية الفرنسية وبوجه أخص حركة ما بعد البنائية تذهب الى أن المهم في (النص) هو العلاقة بين الكلمة أو الدال Signific ant، والمفهوم أو الفكرة المتعلقة بهذه الكلمة (أو المدلول Signifie) وأن مهمة المفكر البنائي الرئيسية هي الكشف عن هذه العلاقة وتحديدها . وهذه مسألة سبق أن عالجناها في مقال لنا عن لوي التوسير في العدد ٢٧٨ من هذه المجلة فالتحليل (التقليدي) لعمل أدبي مثل رواية تولستوي الشهيرة (الحرب والسلام) قد يهدف الى اعطاء فكرة عن نظرة تولستوي الى التاريخ ، أو الى وصف نظام الطبقات الاجتماعية في روسيا ، أو الى الكشف عن الدوافع الكامنة وراء سلوك أشخاص الرواية وتبرير تصرفاتهم ، وهكذا . أما التحليل الدلالي فانه يهدف الى تبيين الطريقة التي ترتبط بها كلمات جملة معينة في النص بعضها ببعض ، وكيف أن ذلك يعطي ذلك النص معنى معينا بالذات .

وفي ضوء هذا الموقف توصل دريدا الى أسلوبه الخاص في تحليل النص ونقده ، وهو أسلوب يطلق عليه اسم (استراتيجية التفكيك) أي تفكيك النص لاظهار أنه عبارة عن « مركب » يتألف من عدد من النصوص الأخرى . ولكن هذا التفكيك Deconstruction خليق بأن يكشف في الوقت ذاته عن الطريقة التي أمكن بها تركيب النص في أول الأمر . فتفكيك رواية توماس مان Thomas Mann « حالة وفاة في فينيا » مثلا قد يكشف عن أن هذه الرواية هي مزيج من فهم المؤلف لفلسفة شوبنهاور ونيتشه . . . وتمثله اللاواعي لآراء أفلاطون ، وهكذا . وكما سبق أن ذكرنا فان دريدا طبق هذه الاستراتيجية على كتابات عدد كبير جدا من الفلاسفة والأدباء والمفكرين لكي يتعرف على طبيعة الاتصال اللفظي عن طريق الكتابة والكلام ، وكان في ذلك كله يقوم بدور القارىء المفسر للنصوص. ولكن استراتيجية التفكيك التي يتبعها تجعل هذه التفسيرات والتحليلات تبدو أقرب الى المغامرات الذهنية لأنها تقدم نماذج لنوع جديد من ممارسة التفسير والتأويل . فدريدا ينظر الى النص كما لو كان يتألف من « الخيوط » المختلفة التي تتداخل بعضها مع بعض . ليس مثلما تتداخل خيوط قطعة من القماش أثناء عملية النسج ولكن مثلما تلتف الخيوط

بعضها ببعض أثناء عملية الجدل لصنع حبل أو جديلة . ففي عملية الجدل تتبادل الخيوط مواضعها باستمرار لكي تتخذ في آخر الأمر شكل الحبل .

في جدل الكلمات

وكتابات دريدا بوجه عام وتفكيكه لأعمال غيره من المفكرين بوجه خاص أمثلة طيبة لعملية « جدل » الكلمات فهي تمتلىء بالألفاظ وبدائل الألفاظ التي يصعب نقلها الى العربية . وربما كان خير مثال لذلك هو كتابه « رنة حزن Glas » الذي نشر عام ١٩٧٤ ، وهو كتاب غريب ومثير وفيه كثير من الجهد ولكنه يدفع في بعض الأحيان الى الضيق والحنق والملل . ولكننا نشير اليه هنا من أجل الطريقة التي اتبعها دريدا في تأليفه ولكي تبين (استراتيجيته) في تفكيك النصوص للكشف عما بها من مفارقات لا يمكن الوصول اليها إلا بالقراءة المتأنية ومقارنة الكلمات واستبدال بعضها ببعض . ففي العمود الأيسر من كل صفحة من صفحات الكتاب يقدم دريدا تحليلا لرأي هيجل عن العائلة ويعرض بذلك لموضوعات هامة مثل السلطة الأبوية والعائلة المقدسة وما اليها . أما العمود الأيمن من الصفحة ذاتها فيشتمل على نصوص مختلفة من أعمال الروائي الفرنسي جان جينيه ، ثم يردف ذلك كله بتفسيرات وتعليقات على النصوص السابقة ويحاول أثناء ذلك أن يربط بين أفكار الكاتبين وأن يبدل بعض كلمات النصين ببعض وأن يصل الى معان جديدة من كلمات عادية واضحة .

ماذا يريد ؟؟

ولكن ما الذي يهدف اليه دريدا من كل ذلك؟ هل المسألة هي مجرد اظهار القدرة على تخريج المعاني عن طريق التلاعب بالألفاظ أو اعادة ترتيبها ، أم أن هناك (مشروعا) آخر يهدف اليه ويحاول تحقيقه عن طريق هذه الاستراتيجية ؟ .

الواقع أن قراءات دريدا في نصوص الآخرين وكذلك تركيبات (نصوصه) هو نفسه تصدر عن موقف نقدي للاتجاه الغالب على الفكر الفلسفي الغربي منذ أيام أفلاطون ، والذي يطلق عليه عموما اسم « ميتافيزيقا الحضور » . وهذا الاتجاه يفترض استمرار الوجود كما هو ويستخدم في التعبير عن ذلك صيغا ومصطلحات تفيد استمرار الشيء على ما هو عليه . وكما يقول دريدا في مؤلفه « الكتابة والاختلاف » إن كل تاريخ الميتافيزيقا يقوم على توكيد فكرة « الكينونة » على أنها « حضور » بكل ما في هذه الكلمة من معنى ، ويدور حول مبادىء عامة ومفاهيم وتصورات تفيد هذا الحضور مثل الماهية والوجود والجوهر والهوية والذات والحق ، بل وأيضا الوعي والضمير والانسان وما اليها . بيد أن تفكيك النص خليق بأن يكشف عن كثير من المفارقات التي تتمثل في حضور وعدم حضور الشيء . من أجل ذلك كان ينادي دريدا بضرورة (مقاومة) الميتافيزيقا عن طريق تطوير أساليب قراءة النص الفلسفي أو تفكيكه . وهذا ـ على أي حال ـ موضوع معقد متشابك ويحتاج الى أن نفرد له مقالا خاصا لأهميته القصوى .

والآن فان الكثير من الكتاب يرون أن موقف دريدا من دراسة النص وما يؤدي اليه من الكشف عن المفارقات وهدم الميتافيزيقا هي أمور جديرة بكل اهتمام في حد ذاتها . ولكن كثيرين آخرين يرون أن تفكيك النص بهذه الطريقة مع اغفال المضمون على ما يفعل دريدا في كتاباته هو نوع من العبث لأنه يجعل من « علم العلامات » في دراسة النص أشبه شيء بلعبة الشطرنج وغيرها من الألعاب التي تعتمد على تحريك الأحجار (أو الكلمات) ، مع وجود فارق ضخم ومهم وهو أن هذه الألعاب كلها تعترف بدور المخيلة والمجهود الشخصي بينما يغفل البنائيون الجدد هذين العنصرين ، ويردف أن كل هذه الألعاب لها نفس البناء . وهذا هو ما يجعل أستاذا مثل سيلفير لوترانجيه Sylvere Lotringer يقول إن دريدا والبنائيين الجدد أو أنصار ما بعد البنائية هجروا كل فكرة طموحة عن إمكان فهم أي شيء ، فاستراتيجية التفكيك ليست في آخر الأمر مبررا للاتجاه الذي ينكر وجود علاقة بين الأدب والواقع ، ومن هنا كان البنائيون (التقليديون) يرون أن ما بعد البنائية موجة عابرة واتجاه عقيم وغير مثمر ومجموعة من الدعاوى اللاانسانية الخاوية من المعنى . . . . إنها نوع من العدمية ، وفكر يحمل بين ثناياه عوامل هدمه .

ولكن هل هذا يعني أنه قد قضى تماما على هذه الحركة الوليدة أو أن القضاء عليها أصبح وشيكا ؟ وهل يعني القضاء عليها الحكم بالافلاس على الفكر الفرنسي المعاصر الذي وقع في شرك التحليلات اللغوية العقيمة ؟ الاجابة عن هذا السؤال تتطلب الرجوع الى أسس البنائية كما وضعها ليفي ستروس ومن قبله دوسوسير لمعرفة مدى ما طرأ عليها من تغيرات ، وهي موضوعات نرجو أن نعالجها في دراسات تالية .

O

د . أحمد أبو زيد

أكبر الأمم

محمود المراغي

انها اكبر عملية احصاء في التاريخ !

هذا ما يمكن أن نصف به الحدث الهام الذى شهدته الصين في الشهور الأخيرة من عام ١٩٨٢ .. ففي هذه الشهور تم تجنيد (١٩) عقلا الكترونيا وخمسة ملايين وربع مليون شخص للقيام بتعداد أكبر شعوب الأرض شعب الصين !

انها بلد الارقام الضخمة .

عدد السكان طبقا لما أعلنته السلطات في نهاية اكتوبر الماضي مليار و ٨ ملايين و ١٧٥ الف نسمة . يشكلون وحدهم اكثر من خمس العالم ، ويزيدون عما كان عليه الأمر في آخر تعداد منذ (١٨) عاما بمقدار ٣١٢ مليون نسمة ... ووفقا للمعدل الحالي فهم يزيدون - مع التحكم الشديد - خمسين ألف نسمة كل صباح و ١٨ مليون نسمة كل عام !

وحتى عام ١٩٦٤ لم تعرف الصين التكنولوجيا الحديثة في التعداد واستخدمت حينذاك أول آلة للاحصاء صنعها الانسان .. آلة ذات أسلاك ثابتة وتنظم عليها الأعداد وفقا لأعداد حبات الخرز التي يجرى الحساب بها . وقد قفز تعداد ١٩٨٢ من آلة « الاياكوسن » وهذا اسمها - الى العقول الألكترونية التي عمل عليها مايقرب من ربع مليون فني للحصول على نتائج سريعة في آخر إحصاء .

وربما تكون الأرقام الضخمة - التي تتجمع في دولة واحدة وسلطة واحدة مثار دهشة ، لكن الاكثر أهمية هي ما تحمله الأرقام من معضلات ... أولها معضلة النمو السكاني الذى ينذر بالخطر ... وثانيها ، معضلة التقدم والنمو وتوفير الحاجات الأساسية لهذه الأعداد المتزايدة .

وتجربة الصين - ووفقا لبيانات صندوق الأمم المتحدة للنشاطات السكانية - تشير إلى درجة كبيرة من التحكم .. فخلال عشرين عاما تنحصر بين عامي (١٩٦٠) و(١٩٨٠) ، نقص معدل المواليد الى النصف على وجه التقريب . كان المعدل (٤٠) في الألف فأصبح (٢١) في الألف .

صحيح أن معدل تزايد السكان لم ينقص بنفس القدر .. لأن المستوى الصحي والاقتصادى يتحسن ومعدل الوفيات يقل أيضا الى النصف (من ١٤ في الألف الى ٨ في الألف خلال نفس الفترة) .

ووفقا لتوقعات نفس المنظمة (الأنشطة السكانية) فانه من المتوقع ان يهبط تزايد السكان في الصين بمقدار الثلث خلال الحقبتين الأخيرتين من هذا القرن .. فبينما سجل التزايد (١,٨ ٪) سنويا في الحقبة الثامنة من القرن ، فان التوقع أن يهبط ذلك الى ١,٢ ٪ سنويا ما بين عامي (١٩٨٠ و ٢٠٠٠). وإن كانت الأهداف الصينية أكثر طموحا .

وفي دائرة التوقع أيضا أن تصل الصين الى (١٢٤٥) مليون نسمة عام (٢٠٠٠)وأن تصل الى (١٥٧٠) مليون نسمة عام (٢٠٧٠) وتتوقف

حينذاك عن النمو حيث تساوى أعداد المواليد باعداد الوفيات نتيجة تخفيض عدد المواليد بقدر كبير .

خلال ذلك تبدو المشكلة الاقتصادية معضلة لا تحلها غير الطريقة الصينية . وهو ما يشير له آخر تقرير للبنك الدولي عن التنمية في العالم حيث يقول انها تجربة فريدة ، وقد لاتكون سهلة التكرار .

نتائج التجربة بما فيها من توجهات سياسية واجتماعية واقتصادية . . وبما فيها من طريقة للادارة اللامركزية وتقوية للمركز والأطراف في نفس الوقت وبما يضمن تخطيطا قادرا وتنفيذا عالي الكفاءة . . . هذه التجربة التي تعتمد في معظمها على العمل الجماعي - تشير الى إنجاز هائل . . .

وطبقا لأرقام البنك الدولي فان متوسط دخل الفرد في الصين عام ١٩٨٠ لايتجاوز (٢٩٠) دولارا في السنة وذلك مقابل متوسط قدره (١٤٠٠) دولار في الدول متوسطة الدخل و (٤٦٤٠) دولارا في الدول الاشتراكية وعشرة آلاف و ٣٢٠ دولارا في الدول الصناعية .

المتوسط منخفض ويقترب او يتساوى مع مثيله في تانزانيا او غينيا . . ولكن يبدو أن للارقام في الصين وللنقود في الصين معنى آخر لا يمكن حسابه بنفس مقياس الدول الأخرى .

في الصين وبهذا المستوى المنخفض من الدخل تحسنت الرعاية الصحية عدة مرات خلال حقبتين ، فأصبح لكل (٣٠٠) من السكان طبيب واحد عام ١٩٧٧ . . مقابل (١١٠٠) من السكان لكل طبيب عام (١٩٦٠) . نفس الشيء حدث في هيئات التمريض وحصة الفرد من الدواء . . . ونتيجة ذلك قلت نسبة الوفيات الى النصف على وجه التقريب . . وسجلت الأعمار متوسطا يفوق الدول الفقيرة ومتوسطة الدخل ويقترب من الدول المتقدمة ، في الصين أصبحت السن المتوقعة عند الميلاد ٦٤ سنة .

واذا أخذنا التعليم مؤشرا ثانيا فاننا نجد كل الأطفال - وبلا استثناء - يدخلون المدارس الابتدائية . . و ٧٩ ٪ ممن هم في سن التعليم يدخلون المدارس الثانوية و ٦٦ ٪ من الكبار يجيدون القراءة والكتابة .

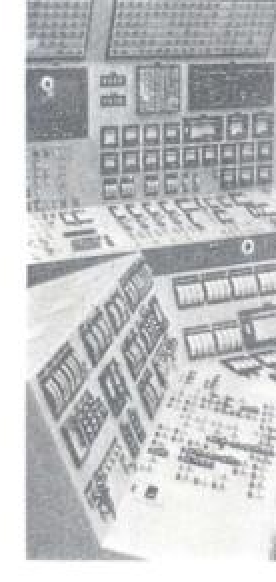
الخدمات - ورغم العدد الهائل من السكان - تتحسن . . واستهلاك الفرد يتزايد . ووراء الاثنين نسبة نمو بلغت طبقا لتقديرات البنك الدولي (٥,٨ ٪)سنويا خلال السبعينات وهو أعلى معدل للنمو في المجموعات الدولية عدا المجموعة الاشتراكية .

النمو في الصين يتم بشكل مطرد : باعتماد على الذات وباكتفاء في الغذاء ، وبتنويع في الاقتصاد والتجارة الخارجية حتى أصبح نصيب الدول الصناعية الغربية عام ١٩٨٠ - ٤٧ ٪ من مجموع الصادرات الصينية . . وهو ما يعني القدرة التنافسية التي استطاعت السلعة الصينية أن تسجلها .

وربما وقف وراء ذلك : الجهد التنظيمي الفريد للتجربة الصينية . . وربما وقف وراءه انخفاض تكلفة كل شيء . . حتى أن تكلفة الفرد من التعليم طبقا لارقام البنك الدولي - لاتزيد عن سبعة دولارات في السنة . . وتكلفته في الدفاع (عام ٧٩) - والصين دولة عظمى - لا تزيد عن ١٢ دولارا . . مقابل (٢٨٣) دولارا لمايتحمله الفرد كنفقات دفاع في الدول الصناعية .

الفرق هائل . . لكنهم في الصين يتعلمون ، ويتمتعون بقدرة عسكرية ومستوى معيشي يفي بكل الأساسيات .

. انها معجزة التعامل مع الأعداد الكبيرة حتى تكون ميزة . وليست عبئا . . . وهذا هو الفرق بين التجربة الصينية وتجارب دول أخرى مكتظة بالسكان . . وبالمشكلات أيضا !



رحلة مع الكمبيوتر

بقلم الدكتور سعود عياش

تعود فكرة استخدام الالات والادوات لاجراء الحسابات الى المراحل الاولى من تاريخ المجتمعات البشرية المستقرة ، اذ تذكر بعض المصادر ان الحضارة الصينية قد عرفت واستخدمت بعض الالات الحسابية البسيطة منذ الاف السنوات . وربما يكون المعداد Abacus اخر ما تبقى من مجموعة من الالات التي جرى تطويرها في العصور السالفة ، وقد بقيت هذه الآلة قيد الاستعمال الى ما قبل عقود قليلة حين طغى عليها فيض الالات الحسابية الميكانيكية ثم الالكترونية .

خلال هذا التاريخ الطويل كان تطور الآلات الحسابية يعكس تطورا مناظرا في الاوضاع الحضارية للمجتمعات التي قامت بتطوير أو اختراع هذه الآلات أو تبني استخدامها . فالآلة الحسابية البسيطة المعروفة باسم المعداد ظلت الآلة الأكثر انتشارا طوال العصر الزراعي من التاريخ الانساني ، ولم تحصل أية تغيرات نوعية في طبيعة تركيب وعمل الآلات الحاسبة الا مع دخول العالم المراحل الأولى من العصر الصناعي . وخلال العصر الصناعي جرى اختراع وتطوير العديد من الآلات الحاسبة الميكانيكية التي تخدم أغراض القيام بالعمليات الحسابية الاساسية ، دون أن تتوفر امكانية استخدامها للقيام بعمليات حسابية أكثر تعقيدا . ولم تتح امكانية بناء الآلات الحاسبة التي تصلح للقيام بعمليات حسابية بسيطة ومعقدة الا بعد دخول الانسان عصر الكهرباء والالكترونيات ، حيث اصبح بالامكان تطوير آلات تتميز بالسرعة في اجراء العمليات الحسابية ويمكن برمجتها بسهولة وخزن المعلومات فيها .

الآلات اليدوية والميكانيكية

شهد القرن السابع عشر أولى المحاولات لتطوير وبناء الآلات الحاسبة . ففي بداية القرن المذكور كانت جهود الرياضيين قد أسفرت عن تطوير علم اللوغاريتمات ، حيث يمكن التعبير عن أي عدد بالأس العشري له . ففي النظام العددي اللوغارتمي يتحول العدد ١٠ الى ١ والعدد ١٠٠ الى ٢ والعدد ١٠٠٠ الى ٣ ، وهكذا . ومن خصائص هذا النظام العددي أن عملية ضرب الارقام في النظام العشري الذي نستعمله تتحول الى عملية جمع ، وكذلك فان عملية القسمة تتحول الى عملية طرح . وبالاعتماد على هذه الخصائص فقد جرى تطوير الاداة الحاسبة المعروفة باسم المسطرة المنزلقة slide rule ، وذلك في أواسط القرن السابع عشر . وقد كانت هذه الاداة واسعة الانتشار في صفوف طلبة المعاهد والجامعات الى سنوات قليلة مضت ، غير أنها تتحول الآن الى تحف

وبقايا ذكريات .

حصل تطوير نوعي في استخدام الآلات الميكانيكية لاجراء العمليات الحسابية على يد العالم الفرنسي باسكال الذي اخترع حاسبة ميكانيكية . وكانت هذه الآلة الجديدة تقوم بالعمليات الحسابية الاساسية وقد اخترعها ، كما تذكر بعض المصادر ، لمساعدة والده الذي كان يعمل في مصلحة الضرائب حيث كان عليه ان يقضي ساعات طويلة كل يوم للقيام بعمليات حسابية روتينية . وكانت الحاسبة الجديدة تتكون من مجموعة من الدواليب والمسننات ولها قرص للارقام اشبه باقراص التليفونات لادخال الارقام المطلوب معالجتها حسابيا .

لم تنتشر آلة باسكال الحاسبة على نطاق واسع لان أوروبا القرن السابع عشر لم تكن بحاجة بعد لمثل هذه الآلات ، ولذلك لم يصنع منها سوى عدد قليل .

الخطوة الثانية في مجال تطوير وتحسين عمل الآلات الحاسبة أتت على يد العالم الالماني متعدد المواهب غوتفريد لايبنز ، الذي قام باضافة مسننات الى آلة باسكال سهلت من عمليات الضرب والقسمة ، وقد أصبحت اضافات لايبنز من الخصائص الهامة في الحاسبات الميكانيكية اللاحقة حتى دخول الحاسبات الالكترونية .

الكمبيوتر الميكانيكي

طوال القرن الثامن عشر لم تحصل اية تطورات تذكر على مستوى الحاسبات الآلية غير انه مع نهاية ذلك القرن ولد شخص كان له أثر كبير على مستقبل الحاسبات الآلية ، بما فيه وضعه للتصورات الاولى عما نعرفه اليوم بالكمبيوتر ، وهو شارلز بابج Babbage .

في أوائل العقد الثالث من القرن الماضي قام بابج بالاعلان عن اختراعه لآلة حسابية تستخدم لحل المعادلات الرياضية ، وذلك امام اجتماع للجمعية الفلكية الملكية . وفي السنة اللاحقة قام بعرض الآلة الحاسبة أمام المجتمعين وقدم بحثا بعنوان « ملاحظات حول استخدام الآلات لحساب الجداول الرياضية » . وقد وجد بابج صدى طيبا لبحوثه ، وفاز بالميدالية الذهبية للجمعية ، مما شجعه على طرح خطط لبناء آلة كبيرة الحجم بدل النموذج المصغر الذي عرضه .

بدعم مادي حكومي شرع بابج ببناء آلة حاسبة لحل المعادلات متعددة الحدود أطلق عليها اسم « آلة الفروقات » ، كانت تحتوي على مئات من الدواليب والمسننات والقضبان وغيرها . وعلى امتداد السنوات العشر التالية لم يفلح بابج في بناء الآلة المنشودة بسبب ان دقة التصنيع السائدة لم تتح امكانية انتاج القطع المطلوبة بالدقة المطلوبة مما كان ينجم عنه حصول أخطاء في العمليات الحسابية . ونظرا لتعدد العمليات الحسابية المطلوبة لحل أية معادلة متعددة الجوانب فان الخطأ الذي كان يحصل في العمليات الأولى كان ينتقل الى العمليات اللاحقة بحيث كانت الاخطاء تتراكم وتكبر قيمتها النهائية .

كان بابج يدرك أن نقطة الضعف في آلة الفروقات ليست في عدم توفر القطع الدقيقة التي تتيح بناء آلة حاسبة خالية من الأخطاء ، بل في ان الآلة المذكورة لاتصلح الا للقيام بغرض محدد ، وهو حل المعادلات متعددة الجوانب . وكان بابج يطمح في بناء آلات حاسبة اكثر تطورا وتعقيدا بحيث تصلح للقيام باغراض عديدة وبحيث تتشكل اعضاؤها الداخلية بحسب العملية المطلوب إجراؤها . وقد قاده مسلسل الافكار هذا الى البدء بوضع تصاميم لما اطلق عليه اسم الآلة التحليلية .

الخطوة العريضة للآلة التحليلية تشكل قفزة نوعية جديدة في تاريخ الحاسبات الآلية ذلك أن تصورات بابج عنها ، والنموذج الذي بني بعد وفاته ، يشير الى أنها تتشكل من أجزاء رئيسية لها وظائف مماثلة لتلك الاجزاء والتي تتكون منها الكمبيوترات الحديثة . ففي الآلة التحليلية كان هناك قسم لادخال المعلومات بواسطة البطاقات المثقبة ، وقسم آخر لمعالجة البيانات الرياضية المدخلة (اطلق عليه بابج اسم المطحنة) وقسم آخر لخزن المعلومات والنتائج ريثما تنتهي العمليات الحسابية ، وقسم آخر للتحكم في تتابع العمليات الحسابية بشكل صحيح ، وأخيرا جزء مستقل لاخراج النتائج .

في عام ١٨٧١ توفي تشارلز بابج دون ان يتحقق حلمه في بناء الكمبيوتر الميكانيكي ، غير ان ابنه قام ببناء نموذج مصغر احياء وتخليدا لذكرى والده .

خلال عقد واحد من وفاة بابج كان مركز ثقل تطوير الحاسبات الآلية الميكانيكية ينتقل عبر الاطلسي غربا الى الولايات المتحدة . كانت متطلبات حسابات احصاء السكان في أمريكا عاملا اساسيا في تطوير الحاسبات الآلية . فقد كان احصاء السكان يجري مرة كل عشرة أعوام ، ومع كل احصاء جديد كان عبء اخراج النتائج في وقت مبكر يزداد صعوبة وتعقيدا . وفي عام ١٨٨٠

جرى احصاء السكان غير أن نتائج الاحصاء لم تظهر الا في عام ١٨٨٧ مما جعلها معلومات قديمة .

طرحت الحكومة الامريكية مسابقة لتصميم وصناعة آلة حاسبة لجدولة المعلومات الاحصائية وتحليلها واخراجها بشكل سريع . وفاز في المسابقة هيرمان هوليريث الذي صمم وبنى آلة تستخدم البطاقات المثقبة . وقد أثبتت الآلة الحاسبة الجديدة امكاناتها الواسعة في اجراء العمليات الحسابية . ذلك ان نتائج احصاء السكان الامريكي لعام ١٨٩٠ ظهرت خلال ستة أسابيع فقط . قام هوليريث عقب ذلك بانشاء شركة لصناعة الآلات الحاسبة ، وهي الشركة التي تحولت فيما بعد الى شركة آلات الأعمال العالمية أو المعروفة بحروفها الثلاثة الأولى IBm

الكمبيوتر الكهربائي

لم يكن بامكان الكمبيوتر الميكانيكي ان يبقى سيدا دون منازع وذلك بسبب سرعته البطيئة في القيام بالعمليات الحسابية وبسبب محدودية العمليات ومحدودية حجم المعلومات التي يمكن التعامل بها . ولهذه الاسباب مجتمعة كان لابد من البحث عن آلات اسرع وذات قدرة على معالجة كميات كبيرة من المعلومات . ومواكبة التطورات في مجالات العلوم الرياضية والفيزيائية .

شهدت ثلاثينات القرن العشرين محاولات عديدة لاستخدام المفاتيح الكهربائية والصمامات الكهربائية بدل المفاتيح الميكانيكية لزيادة سرعة الالات الحاسبة بالقيام بالعمليات الحسابية ومعالجة كميات اكبر من المعلومات . وقد تركزت الجهود العلمية في ثلاث دول هي المانيا وبريطانيا والولايات المتحدة . ومع ان هذه الجهود قد جرت في نفس الفترة الزمانية الا أنها كانت مستقلة بعضها عن البعض الآخر ، كما أنها نشأت لاسباب خاصة ومستقلة في كل بلد على حده .

في المانيا قام المهندس كونراد زوسي بشكل فردى ببناء آلة حاسبة اطلق عليها اسم ز ـ ١ اعتمدت على اسس الحساب الثنائي بدل الحساب العشرى ، وكانت نتائج الحسابات تظهر بشكل اشارات على مجموعة من المصابيح الكهربائية . وفي خطوة تطويرية أخرى استخدم زوسي المفاتيح الكهربائية لزيادة سرعة العمليات الحسابية كما استخدم طريقة الأشرطة المثقبة لادخال المعلومات الى الحاسب .

في مرحلة لاحقة التقى زوسي مع مهندس اخر يدعى شراير أبدي اهتماما بنشاطاته وابحاثه واقترح الأخير استخدام الصمامات الكهربائية لزيادة سرعة اجراء العمليات الحسابية . ومع ان شراير قام باعداد اطروحة حول استخدام الصمامات الكهربائية في الالآت الحاسبة الاان نشوب الحرب العالمية الثانية قد حال دون ترجمة افكاره بشكل عملي .

من جانب آخر قامت شركة اى . بي . ام الامريكية بتمويل جهود هوارد ايكن من جامعة هاقارد لتصميم وبناء كمبيوتر يعمل بالمفاتيح الكهربائية . ولم يتمكن أيكن من الانتهاء من بناء الكمبيوتر الالي عام ١٩٤٣ حيث جرى تشغيله لفترة بسيطة قبل ادخال تعديلات اخرى عليه . ومع أن أي . بي . ام أبدت استعدادها لتمويل بناء كمبيوتر آخر اكثر تطورا الا ان التطورات في عالم الالكترونيات كانت تسير بشكل سريع ، الأمر الذى جعل من الكمبيوتر الكهربائي حصانا خاسرا .

في بريطانيا كانت الامور تسير بشكل مختلف تماما ذلك أن جهود الحكومة البريطانية تركزت حول دعم جهود تطوير كمبيوتر قادر على فك رموز الشفرة العسكرية الالمانية . ونظرا للأهمية القصوى لهذا الانجاز فقد جرى تجميع فرق من خيرة الباحثين في بيت ريفي بعيدا عن الانظار . وكان من ضمن مجموعة الباحثين هؤلاء الان تورنج الذى قدم مساهمات كبيرة في علوم الكمبيوتر في المراحل اللاحقة .

تمكن فريق الباحثين البريطانيين من بناء كمبيوتر يعمل بالصمامات الكهربائية اطلق علية اسم كولوسوس . وكان يجرى ادخال المعلومات الى الكمبيوتر باشرطة ورقية مثقبة . ومع ان كولوسوس كان الكمبيوتر الاكثر تطورا في أيامه الا أن نقطة ضعفه تكمن في انه لايصلح الاللقيام بوظيفة واحدة فقط ، وهي فك رموز الشفرة الالمانية . لكن دون شك فان استخدام الصمامات الكهربائية زاد من سرعة اجراء العمليات الحسابية عشرات المرات مقارنة مع الآلات الحاسبة الكهربائية .

في اعقاب الحرب العالمية الثانية كان مركز تطوير الحاسبات الآلية ينتقل مرة اخرى الى الولايات المتحدة حيث حصلت معظم التطويرات اللاحقة في مجال صناعة الحاسبات الآلية وحيث اخذت اعداد متزايدة من العلماء والباحثين تعمل على انتاج حاسبات افضل من حيث السرعة في اجراء العمليات الحسابية والقدرة على خزن

كميات اكبر من المعلومات ، اضافة الى تحسين مرونة الحاسبات واستجابتها للقيام بعمليات مختلفة .

الكمبيوتر الالكتروني

في الوقت الذى كان يجرى العمل فيه على تطوير الحاسبات باستخدام الصمامات الكهربائية كانت هناك جهود أخرى مستقلة لتطوير مفاتيح الكترونية لتحل محل المفاتيح الكهربائية في مقسمات الهواتف . وبالرغم من انه لايوجد ترابط ظاهرى بين العمل لتطوير الحاسبات وتطوير المفاتيح الالكترونية الان التطورات اللاحقة قد اثبتت ان هذا المفتاح الالكتروني المعروف باسم الترانزستور قد احدث ثورة في عالم الالكترونيات عموما وعالم الحاسبات الالية بشكل خاص .

يمتاز الترانزستور ، مقارنة بالصمامات الكهربائية او المفاتيح الميكانيكية والكهربائية ، بصغر حجمه وكفاءته العالية وحاجته القليلة جدا للطاقة . وقد جعلت هذه الخصائص من الترانزستور الأداة الاكثر ملاءمة للاستخدام في الحاسبات الآلية ، خاصة حين تجرى برمجتها على أساس استخدام الحساب الثنائي بدل الحساب العشرى . فكما لاحظنا سابقا فان الحساب الثنائي يسمح بكتابة الأرقام واجراء العمليات الحسابية باستخدام رقمين فقط هما الصفر والواحد . وقد أدى استخدام الترانزستور في الحاسبات الآلية وفي غيرها من الادوات الالكترونية الى تصغير حجومها بشكل كبير والى تخفيض أثمانها وسرعة انتشارها ، ذلك أن صناعة الترانزستور تعتمد على السيلكون كمادة خام ، والمعروف أن السيلكون هو المادة الرئيسية التي يتكون منها الرمل .

تم تطوير الترانزستور في مختبرات شركة بيل للتلفونات في امريكا على يد وليام شوكلي ومجموعة من الباحثين ، وقد جرى انتاج وفحص أول ترانزستور في أواخر عام ١٩٤٧ وأعلن عن مولده رسميا في أواسط عام ١٩٤٨ . ومنذ ذلك الحين ظهر العديد من الأسماء في عالم الالكترونيات وأنشئت شركات كثيرة لصناعة الادوات الالكترونية ، خاصة في الولايات المتحدة .

ومع توسع اطر ومجالات البحث العلمي في علم الالكترونيات فقد تم بعد عقد من اختراع الترانزستور انتاج الدوائر المتكاملة حيث اصبح بالامكان بناء دائرة الكترونية متكاملة تحوى على العديد من الترانزستورات والمكثفات والمقاومات الكهربائية على سطح رقيقة من السيلكون او الجرمانيوم . وقد استفادت صناعة الحاسبات الالكترونية من تطوير الدوائر المتكاملة من حيث تقليل حجوم وكلفة الالآت الحاسبة ، واستفادت الصناعات الالكترونية الاخرى من ذات المميزات

التطورات المستقبلية

يدور نقاش واسع في أوساط دوائر البحث العلمي في علوم الالكترونيات حول مستقبل الثورة الراهنة في صناعة الالكترونيات . ويتمحور النقاش على عدة محاور منها مايتعلق بامكانات تقليل حجوم القطع الالكترونية الى أصغر مما هي عليه ، بينما يتمحور نقاش آخر حول مقدرة صناعة الالكترونيات على الاستمرار في التوسع بنفس المعدل الحالي ، ويدور نقاش ثالث حول ضرورة اجراء المزيد من الأبحاث العلمية في مجال الالكترونيات وتطوير الحاسبات الآلية أو أجهزة التحكم الالكتروني . وكما هي العادة حين تظهر المكتشفات العلمية والتكنولوجية الحديثة يظهر هناك المؤيدون والمعارضون ويظهر المتفائلون والمتشائمون ، او الواقعيون والحالمون ، كل يطرح وجهة نظره ويدحض راى معارضيه .

لكن وسط كل الضجيج والنقاش الذى يدور حول الالكترونيات ومستقبلها ووسط كل الآراء المتضاربة والمتعارضة تبقى حقيقة يتفق عليها الجميع وهي أن تطور الالكترونيات ابتداء من النصف الثاني للقرن الحالي قد وضع العلم على عتبة نقلة نوعية في تاريخه اشبه ماتكون بتلك النقلات الأساسية التي نقلت الانسان من المرحلة البدائية الى مرحلة المجتمع الزراعي وتلك التي نقلته لاحقا الى العصر الصناعي . والآن ، تاتي الالكترونيات لتنقل الانسان الى آفاق ارحب وتطرح عليه مجموعة من التحديات التي لايمكنه تجاهلها . ويكفي القول ان القرون الثلاث الماضية التي هي عمر الثورة الصناعية قد شهدت من الاحداث التاريخية سواء في مجال الابداع الذهني والانتاجي او حتى الابداع في آلات الدمار والحروب اكثر مما شهده كل ما سبق من تاريخ المجتمعات الانسانية . ويرى بعض أصحاب الرأى ان افرازات وتحديات الثورة الالكترونية ستكون اكبر واشد مما افرزته الثورة الصناعية . لكن ، اذا كان العديد من المجتمعات لم تستجب بعد لافرازات الثورة الصناعية فهل تتمكن من الاستجابة للثورة الالكترونية ؟

د . سعود عياش

معهد الكويت للابحاث العلمية

عن مدن الشعراء

مدينة سان جون بيرس

تقديم وترجمة : احمد عبد المعطي حجازي*

ربما لم تكن هذه القصيدة من أجمل ما كتبه هذا الشاعر الفرنسي الكبير - سان جون بيرس - وربما لم تكن من أدل قصائده على فنه ، فهي في الحقيقة من شعر صباه ، وهي فوق ذلك ليست قصيدة مستقلة ، بل هي مقطع من قصيدة أطول متعددة المقاطع والعناوين التي يجمعها عنوان شامل هو « صور الى كروزو » وقد كتبها الشاعر عام ١٩٠٤ عندما كان في السابعة عشرة من عمره ، ونشرت عام ١٩٠٧ ضمن مجموعته الأولى « أماديح » .

لكن شعر الشاعر لم يكن منطلقي حين فكرت في ترجمة هذه القصيدة ، وانما كان منطلقي - بصراحة - هو شعري انا بالذات ، فقد دعيت للحديث في ندوة تناولت ضمن ما تناولته موضوع المدينة في قصائدي ، فرأيت ان استعد لهذا الحديث بمراجعة ما كتبه بعض الشعراء الأوربيين في المدينة ، حتى اوضح لنفسي بعض الجوانب فيما كتبته عن طريق مقارنته بما كتبه الشعراء الآخرون الذين لم تربطني بشعرهم صلة من قبل ، كنت اريد أن أعرف حدود تصوري لعالم المدينة ، هل هو تصور خاص مشروط بتجربتي الشخصية وبشروط البيئة واللغة ومحدود بهذا كله أم أن في هذا التصور شيئا مشتركا يتردد في شعر الآخرين كما يتردد في شعري على غير معرفة أو اتصال مباشرين ؟ واذا كان هناك شيء مشترك ، فما هي الخصوصية هنا أو هناك وما هو الاختلاف ؟

ثم انني لم استبعد مظنة الفائدة في نقل بعض ما كتبه الشعراء الأوربيون عن المدينة الى القارىء العربي ، الذي قد يحب أن يعقد بنفسه هذه المقارنات أو المقابلات التي لن يكون هذا المقال مجالا لها ، وهكذا ترجمت عدة قصائد لشعراء مختلفين ، كانت منها هذه القصيدة لسان جون بيرس .

مدينة الشاعر العربي

المدينة موضوع شعري حديث لان المدينة نفسها ظاهرة حديثة . وعلى الرغم من أن المدينة ذكرت كثيرا

* للشاعر احمد حجازي ديوان بعنوان « مدينة بلا قلب »

ووضعت في الآداب القديمة والكتب المقدسة ، فهذه لم تكن في الحقيقة مدينة بالمعنى الذي نفهمه الآن ، بل كانت حاضرة أو قصبة ، أي أنها كانت امتدادا للريف أو للبادية ، سوى أنها امتداد يتميز بالاستقرار وبالرفاهية التي تتناسب مع كون الحاضرة مركزا للحكم والادارة .

أما المدينة الحديثة فشيء آخر تماما ، لأنها مجتمع جديد يختلف عن مجتمع الريف في كل شيء ، ويقوم على مجموعة من النظم الاقتصادية والاجتماعية والادارية والتقنية التي استحدثت لتلبي حاجات هذا المجتمع الجديد الذي نشأ بعد الثورة الصناعية . المدينة باختصار هي الحضارة الحديثة التي لا بد أن تكون محورا أساسيا لوعي الشاعر الحديث بالعالم والتاريخ .

ولا شك ان المدينة عند الشاعر العربي مختلفة عنها عند الشاعر الاوربي الذي كانت المدينة ثمرة طبيعية للتطورات الداخلية لمجتمعه ، سواء كانت هذه التطورات مادية أو ثقافية ، على عكس المدينة العربية التي نمت في العصر الحديث استسلاما للعوامل الخارجية أو انفعالا سلبيا بها . وهذا ما وضع في اساسها بذور التمزق والهجنة والظلم والاغتراب بل والخراب ، نتيجة الصراع الحاد بين العناصر الاصلية المقهورة والعناصر الغربية القاهرة . ولن ينتهي هذا الصراع بتطور موحد ، بل هو في الغالب الاعم ينتهي بالدمار في حالة الاستسلام كما في حالة التمرد . في الحالة الاولى تموت المدينة العربية بالاستلاب ، وفي الحالة الأخرى تموت بالتقوقع وفي كلتا الحالتين فالمدينة العربية ليست مدينة الشاعر العربي .

والشاعر الأوروبي

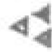
وعندما يتحدث الشاعر الاوربي عن المدينة . يرفضها عاطفيا أو يكرهها ـ لايكره في الحقيقة إلا مستحدثاتها ـ ويتغنى بالطبيعة ويحن الى الحياة العذبة البسيطة كما يفعل الرومانتيكيون . أو يرفضها فكريا فيتحدث عن العقم وموت الروح وتوحش الآلة كما يفعل الميتافيز يقيون والرمزيون والسورياليون . أو قد يتغنى بالآلة وبقهر الانسان للطبيعة كما يفعل الثوريون والمستقبليون واصحاب المدن الفاضلة . لكن هذا الشاعر الاوربي في هذه المواقف كلها يتحدث عن مدينته ، يتكلم عنها كواحد من أبنائها ، ويشير اليها حين يذكر نفسه .

ان ت . س . اليوت لندني حتى وهو يصف لندن بأنها شبح ووهم ، وهو يبدو واحدا من ذلك الجم الغفير الذي كان يعبر قنطرة لندن ثم يتحدر الى شارع الملك وليم في فجر ذلك اليوم الشتائي الذي يصفه في نهاية الجزء الاول من قصيدة « الأرض والخراب » . وقد يشمئز جيوم ابوللينير من ضوضاء باريس ومصابيحها الغازية ، لكنه باريسي أصيل حين يقول مثلا في قصيدته « زمن الخطوبة التي أهداها لبيكاسو !

في منعطف شارع رأيت بعض البحارة
كانت أعناقهم العارية تتمايل على صوت اكورديون
وأنا أعطيت كل شيء للشمس
كل شيء ماعدا ظلي !

لكن الشاعر العربي في الغالب ليس قاهريا ، وليس دمشقيا ، وليس بغداديا،اللهم الا اذا كنا نتكلم عن هذه المدن قبل هذا القرن . والانتماء والمنفى ليس مجرد الانتماء العاطفي او الروحي ، وانما هو الانتماء المادي والاجتماعي الملموس ، فقد كفت هذه المدن عن ان تنجب شعراء . أصبحت تنجب الروائيين والرسامين والصحفيين ، والسينمائيين . اما الشعراء الذين هم ـ وحدهم ـ في التراث القديم اصول ، فهم يأتون من خارج . وهم يظلون خارجها حتى وهم فيها ، يخاطبونها كأنهم يقفون وراء اسوارها او يرون شبحها من بعيد وهم يهجونها ، ويرونها رمزا للفساد والخطيئة والموت .

لكن قليلا من الشعراء العرب من يتفرس في صور المدينة ويتقلب حقا في حياتها . قليل منهم من تحس في شعرهم عن المدينة خبرة حقيقية بها ، فالمدينة عند اكثرهم موضوع شعري اكثر منها عالماشعريا ، والفرق



كبير بين الاثنين ، فالمدينة كموضوع بمعنى ذهني مجرد ، وهي كعالم بخبرة حية تتجسد في خصوصية الرؤية ، وطزاجة الصور وتضافر التفاصيل .

موقف من المدينة الحديثة

هذه القصيدة لسان جون بيرس هي ـ كما قلت ـ مقطع من قصيدة أطول بعنوان « صور الى كروزو » . وكروزو هنا هو روبنسون كروزو ـ بطل رواية دانييل دوفو ـ الذي وجد نفسه وحيدا فوق جزيرة مجهولة القته عليها الامواج التي حطمت سفينته . والرواية القديمة التي كتبت في أوائل القرن الثامن عشر تصور كيف احتفظ كروزو بشجاعته وارادته ، وكيف نجح في الحصول على الطعام والمأوى وفي مقاومة سكان الجزيرة المتوحشين وتمدين بعضهم ، وكيف استطاع في النهاية أن يعود الى بلاده انجلترا .

واذا كان كروزو هو الدمية التي صنعها دانييل دوفو لمقاييس الرجل الابيض لتمجيد قيمه الاقتصادية والاخلاقية والدينية وتبرير استعماره للعالم في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، فهو في هذه القصيدة رمز للضياع والخيبة والوحشة . ومدينته هنا رمز للعقم والفساد في حين تظل الجزيرة بريئة حتى تطأها أقدام كروزو فتصاب بالمجنة والزيف والنفاق التي ترمز لها شخصية « جمعة » أحد سكان الجزيرة الذي نجح كروزو في تلقينه مبادىء الحضارة الاوربية .

القصيدة اذن ليست كلاما عن مدينة بالذات . لكنها موقف من المدينة الحديثة كلها كما يراها سان جون بيرس .

ولد سان جون بيرس في عام ١٨٨٧ وتوفى عام ١٩٧٥ . كان مثقفا علمانيا محبا للسفر مغرما باليونان القدماء وحضارات الشرق الاقصى ، وبالطب ، والجيولوجيا ، والقانون الروماني ، اشتغل بالسلك الدبلوماسي وكان سفيرا لبلاده في الولايات المتحدة ، ورفض تمثيل حكومة فيشي فعاش منفيا خارج بلاده أثناء الحرب العالمية الثانية . حصل على جائزة نوبل عام ١٩٦١ وكان لمجلة « شعر » فضل تقديمه للقراء العرب لأول مرة .

المدينة

الاردواز يغطي سقوفها ، أو القرميد
حيث ينمو الطحلب .
ولها نكهة تتسرب عبر أنابيب المداخن
دهون !
ورائحة رجال عجولين ، ماسخة كرائحة مجزر !
حموضة أجساد النساء تحت التنورات !
يا لك من مدينة تحت السماء !
دهون ! نكهات مسترجعة ، وبخر جمهور
مثير للريبة ـ كل مدينة تغرس قمامتها
فوق منور الحانوت ـ فوق قمامات
الملاجىء ـ فوق شذا النبيذ الأزرق في حي
البحارة ـ فوق النافورة المنتحبة في فناء
مركزا الشرطة ـ فوق التماثيل الحجرية الشاحبة
وفوق الكلاب الضالة ـ فوق الصبي اللاعب
بصفيرة ، والمتسول بخديه المرتجفين
على فكيه المجوفين ،

فوق القطة المريضة بجبهتها ذات الغضون الثلاثة .
ينزل المساء في مزبلة البشر . . .
ـ المدينة عبر النهر تسيل في اتجاه البحر
مثل الدمل . . . .
كروزو ! ـ وأنت في هذا المساء قريب من جزيرتك ،
السماء التي تقترب ستلقي مدائحها للبحر ، والصمت
سيظل يضاعف من تعجبات النجوم المتوحدة .
أنزل الستار ، ولا تشعل الضوء .
انه المساء فوق جزيرتك ومن حولها ، هنا وهناك
في كل مكان حيث يتكور اناء البحر دون ان تشويه شائبة ،
انه المساء لون الأجفان ، فوق الدروب
المنسوجة من سماء وبحر .
الكل مالح ، الكل لزج وثقيل
كدم حي .
الطائر في ريشه يتهدهد ، تحت حلم زيتي ،
الفاكهة المنخورة ، تسقط في ماء الخلجان
نابشة ضجتها بين طنين الحشرات .
الجزيرة غافية في مياه الخليج الواسعة ، مغسولة
بالتيارات الحارة وبالغدد الدسمة لذكور
السمك ، متآلفة مع الأوحال المزهوة .
تحت شجيرات الشوّرى يتكاثر في الحمأة السائلة
سمك بطيء ينفث الفقاقيع برأسه المسطح ، وسمك بطيء آخر ، مبقع كالزواحف ، يسهر الليل ـ الأوحال
ملقحة ـ أسمع اصطكاك الحيوان الجوفية في قواقعها ـ هناك فوق طرف من السماء الخضراء دخان مبكر ، إنه رف مرتبك من البعوض ـ
الجراد تحت أوراق الشجر يتنادى بخفوت ـ ودوبيات أخرى عذبة ، يقظى في المساء ، تغني غناء أصفى من تباشير المطر ! تلك هي اللآلىء في أصدافها تزدرد صافرة بحنجرتها الذهبية .
صرخة الميلاد تنبعث من دوامات المياه الساطعة !
ثوارات ، أفواه توتياء . لون الحداد الذي
يبدأ نقطاً ثم ينتشر ! انها أزاهير
تتحرك مسافرة ، أزاهير تحيا الى الابد ، ولن تتوقف عن النمو عبر العالم . . .
يا للون النسائم الدوارة فوق المياه الساجية ،
سعفات النخيل التي تخفق !
وليس من نباح بعيد يدل على الكوخ ، والدخان المسائي والصخرات الثلاث السوداء القابعة تحت شذا الفلفل .
لكن الوطاويط تمزق المساء القهوائي بالصرخات الصغيرة .
الفرح ! ايها الفرح الناحل في ارتفاعات السماء ! . . . . كروزو ! انت هنا ووجهك قربان لاشارات الليل ، ككف مقلوبة .

○

باريس ـ احمد عبد المعطي حجازي



عندما يأتي الربيع

بقلم : فوزي عبد القادر الميلادي

اوقفت سيارتي امام الصيدلية المتلألئة الانوار وقلت لنفسي هذه اكبر صيدلية حكومية في القاهرة اذا لم اعثر لديها على الدواء فلا بد ان ارسل برقية الى اخي في الخارج هذا المساء ان الدواء ضروري لصحة والدي بل لحياته ولا بديل له .

في وسط الصيدلية كان يقف طابوران من الناس طابور امام شخص يرتدي حلة انيقة من فوقها معطف ابيض يبدو انه صيدلي يقرأ التذكرة الطبية ثم يدفع بها الى مساعد على مقربة منه والطابور الثاني كان يقف أمام الخزينة يحمل كل فرد بيده اليمنى اذن الدفع وباليد اليسرى النقود . . .

وتأملت المنظر برهة فاذا بعض الواقفين شيوخ ونساء كما ان بعضهم ما زال في مقتبل العمر وقد يكون امرا محرجا للغاية ان استأذن منهم لاقف في اول الصف . . انهم جميعا جاءوا يطلبون دواء وقد تكون حاجاتهم اليه اشد من حاجتي . . لكن من العسير على ان اقف هكذا في انتظار دوري نصف ساعة ثم افاجأ بكلمة متأسف التي ظلت تلاحقني طوال اليوم . .

واجلت بصري في الصيدلية التلمس وسيلة للخروج من هذا المأزق . . في اقصى اليسار وجدت آنسة او سيدة لا ادري تجلس على مكتب صغير وتقلب بين يديها بعض الاوراق وتؤشر على بعضها . . وامامها بعض علب الادوية المستوردة .

تقدمت منها على استحياء وقلت لها : انا آسف يا آنسة . . اقصد يا هانم . . يا مدام يا دكتورة لا تؤاخذيني ، والدى في حالة خطرة . . أنا مدرس في كلية الآداب . . وفشلت في العثور على هذا الدواء طوال اليوم ولما وجدتها تبتسم تشجعت وقلت لها : انا فقط اريد ان اعرف هل هذا الدواء موجود لديكم ام ابرق الليلة الى الخارج اطلبه على عجل . .

وازدادت ابتسامتها اتساعا وقالت : تستطيع ان تتصدق بثمن البرقية اذا شئت . . لحسن حظك فانه يوجد لدينا علبتان فقط من هذا الدواء سأعطيك منهما الليلة واحدة فقط لاحتمال ان يطلبها شخص في مثل حالة والدك . . اما بعد اسبوع فسيكون هذا الدواء متوافرا لدينا ويمكنك ان تأخذ منه ما تشاء وقبل ان افيق من دهشتي نادت على احد المساعدين وطلبت منه ان يعد الدواء ويعد اذن الدفع ، وطلبت مني ان اسلمه النقود ، وفي اقل من دقيقة كانت علبة الدواء بين يدي . . لم اصدق نفسي من الفرحة .



قلت لها شكرا .. شكرا جزيلا يا دكتورة .. هذه بطاقتي .. سأكون في خدمتكم على الدوام .. وعندما مدت يدها لتأخذ البطاقة اخذت أتأمل اصابع يدها اليمنى .. كانت مثل اليسرى تماما خالية من خاتم الخطوبة او الزواج فقلت لنفسي معنى هذا انها غير مرتبطة بخاطب او زوج من يدري قد تكون مرتبطة عاطفيا بشخص آخر .. زميل قريب .. او اي شخص آخر ..

وظللت طوال الطريق أسأل نفسي .. ما الذي شدني الى هذه الانسانة .. هل هو رقتها هل الخدمة التي ادتها لي .. انها لم تفعل اكثر من الواجب ومهنتها مهنة انسانية .

لكن تقاطيع وجهها الا تذكرني بشيء .. نعم انها تذكرني باحدى قريباتي كنت اعجب بها في صمت وانا طالب في المدرسة ولكنها تزوجت قبل ان اتخرج انا من الجامعة .. ولم استطع ان احرك ساكنا بالطبع .. هل يولد الحب هكذا في لحظات .. علماء النفس يقولون لا .. اذن لابد من التريث ومعاودة الزيارة ومعاودة الحديث ..

ودون ان اشعر وجدت قدمي تسوقانني كل صباح الى هذه الصيدلية حيث اقرىء «الدكتورة منى» تحية الصباح وكان هذا هو اسمها وادفع اليها بتذكرة طبية تحوي دواء ولو تافها .. قطرة للعين .. اسبرين دواء للصداع ..

المهم استمر الحال على هذا المنوال اكثر من اسبوع وعندما ايقنت ان قلبي قد خفق لها فعلا احضرت ديوانا لي من الشعر كان قد صدر حديثا بعنوان « عندما يأتي الربيع » ووقفت امامها وقلت لها هل تأذنين لي ان اقدم لك النسخة هدية رمزية .. ولما تهلل وجهها لم انتظر الرد امسكت بقلمي الحبر وكتبت الى الدكتورة منى زيدان مع تقديري العميق .. ووقعت بإمضائي على النسخة وقدمتها لها .

وانبعث صوتها هادئا رقيقا .. لم اكن اعلم انك صاحب هذا الديوان .. كنت أظنه مجرد تشابه في الاسماء .. لقد قرأت القصيدة الاولى التي تحمل عنوان الديوان في احدى المجلات الادبية من شهور انها تتحدث عن الامل وكيف يشرق فجأة في حياة الناس بعد يأس قاتل اشبه ما يكون بزمهرير الشتاء القارس .. كنت أهوى الادب عندما كنت طالبة في المدرسة الثانوية .. لكن دراسة الصيدلة شغلتني .. وانا حاليا اعد لامتحان الدكتوراه .. اشكرك لقد كنت اعتزم شراء الديوان وهذا فضل منك كبير ..

وعندما مددت يدي اليها لاصافحها .. كانت الدنيا لا تكاد تتسع لي من الفرحة انها اذا تعرفني ومعجبة بي من زمن .. وانا معجب بها اشد الاعجاب .. لقد وصلنا اذن الى اكثر من منتصف الطريق .. وعندما وصلت الى مكتبي في كلية الآداب اخذت اقلب بين مجموعات كتبي التي صدرت خلال العشر سنوات الماضية .. استبعدت الدراسات اللغوية والنقدية .. واخذت مجموعة قصصية صدرت منذ ثلاث سنوات بعنوان في « دروب الحياة » .. كانت تحوي بعض القصص التي تتحدث ايضا عن الامل .. مادمنا قد سرنا في هذا الطريق لا ضير علينا اولا ضير علي بالاحرى ان اقطع الشوط الى نهايته .

وفي صباح اليوم التالي كنت اقف امام الدكتورة منى اقدم لها المجموعة القصصية ممهورة بالتوقيع مع عبارة اهداء رقيقة لم اكن في هذه المرة في حاجة الى استئذانها .. وقلت لها.. سأترك لك فترة من الوقت .. لتعيشي مع ابطال قصصي .. وارجو بعد ذلك ان اعرف رأيك .. ها هو رقم تليفون الكلية ورقم تلفون المنزل ويسعدني ان اسمع صوتك ..

وشكرتني في عبارات مهذبة ومددت يدي اصافحها فصافحتني وهي جالسة مثل المرة السابقة وخرجت من الصيدلية وأنا أسأل نفسي لماذا مسحة الحزن التي ترتسم على محياها تنحسر قليلا ثم ما تلبث ان تعود ولماذا لا تقف لتسلم علي وأنا اقدم لها كتبي هدية .. .لماذا لم تحاول دعوتي الى فنجان من القهوة .. حقيقة كنت سأعتذر لان وقتي ضيق .. لكنني كنت اريد منها ان تلتقط طرف الخيط .. على اية حال .. سأنتظر لارى ماذا ستقول في التليفون ...

ومر اسبوع بدا وكأنه دهر كامل تعمدت ألا ازور الدكتورة منى .. وكان ذلك برغم ارادتي وعواطفي كانت صورتها ملء خاطري ليلا ونهارا .. انه اذن الحب الحقيقي لا زيف فيه .. وانا شخص شريف المقصد ابحث جاهدا عن انسانة مثقفة استريح اليها لتكون رفيقة دربي في هذه الحياة .. ما من مرة رن جرس التلفون في مكتبي في الكلية او في المنزل حتى خيل الي انها منى تطلبني لتبدي اعجابها ببعض القصص ليس المهم الاعجاب ليتها تنقد القصص نقدا مريرا وتهدمها هدما . سأتقبل ذلك كله ، المهم ان اسمع صوتها .. ان اشعر انها قد تجاوبت معي فعلا ..

ما بالها تهملني كل هذا الاهمال انها معجبة بشعري وادبي من زمن ، وانا مدرس جامعي لي عديد من الطلبة والطالبات وانا لم اطلب منها موعدا وانما كمؤلف طلبت منها ان تبدي لي رأيها فيما اهديته اليها من مؤلفات ... لعلها مريضة .. او مشغولة .. او مرتبطة بانسان آخر ملك عليها قلبها كما ملكت هي علي قلبي ..

وذات صباح كنت اقترب بسيارتي من باب الصيدلية .. وعندما اوقفتها وجدت سيارة تقف امامي ونزلت منها منى . نعم الدكتورة منى .. كانت تتوكأ على احدى العاملات بالصيدلية .. ماذا حدث .. هل أصابها مكروه ووقفت أتأمل المنظر برهة .. وجدت في رجلها اليسرى جهازا يستعمله المرضى بشلل الاطفال وبسرعة ادرت محرك السيارة ثانية بعد ان تأكدت ان احدا لم يلحظني .

وتوجهت الى الكلية .. كان الصداع يكاد يحطم رأسي .. اعتذرت عن محاضرة الادب العربي في القرن العشرين وطلبت من زميل لي ان يدخل قاعة المحاضرات بدلا عني .

وغادرت الكلية وتوجهت الى المنزل وانا شارد الفكر .. لقد ظلمتها .. اذن من اجل هذا كانت تسلم علي وهي جالسة .. ولم تدعني الى فنجان من القهوة ، ولم تتصل بي تليفونيا ، ومن أجل هذا كانت مسحة الحزن التي

تكسو وجهها الغض . . وطوال الليل ظللت أسأل نفسي هذا السؤال . . هل يقلل ذلك كله من تعلقي بها وجاءني الرد من الاعماق . . . ابدا لقد اصبت وانا في صباي بمرض كاد يفقدني القدرة على الابصار وشفيت منه لكن العين اليمنى ظلت ضعيفة وتزداد ضعفا مع الايام ومع ذلك كافحت حتى حصلت على الدكتوراه في الادب . . وهي رغم مرضها العضال كافحت وعلى وشك ان تحصل على دكتوراة الصيدلة . .

وعندما اشرق الفجر كنت قد اقتنعت بان اعجابي بالدكتورة منى قد ازداد ، ولهفتي على لقائها اصبحت اشد . . وعندما دقت الساعة مؤذنة بالسابعة صباحا طلبت صديقا لي يعمل استاذا مساعدا بكلية الصيدلة ، وعلى مدار نصف ساعة من الحديث رويت له كل شيء لم اخف عنه حتى مشاعري . .

ورنت ضحكات صديقي في التليفون . . وقال انها فعلا مريضة بشلل الاطفال . . ومن اجل ذلك قررت الا تتزوج ابد الدهر . . ان بعض الذين تقدموا للزواج منها كانوا يطمعون في ثراء اسرتها . . وبعضهم كان يعطف عليها . . وهي ترفض كلا الفريقين وقررت ان تنذر حياتها للعلم . .

ولم يدعني صديقي اقاطعه ، لاشرح له انني لا انتمي لاحد الفريقين . . واستطرد قائلا . . انا اعرف مشاعرك جيدا واعرف مشاعرها نحوك ايضا انها تقدرك اكثر مما يخطر على بالك . . . . وهي انسانة أكثر من ممتازة . . لكن القرار قرارها . . سأكون في انتظارك اليوم الساعة الواحدة ظهرا في مكتبي لنتم الحديث . .

ووضعت السماعة وانا اشعر بدوار حديث صديقي استاذ الصيدلة ، مزيج من اليأس والرجاء ، انها معجبة بي . . كيف عرف ذلك انها تلميذته لا شك . . لكنها ايضا قررت عدم الزواج . .

وقبل ان تدق الساعة مؤذنة بالواحدة ظهرا كنت في مكتب صديقي الدكتور سعد في كلية الصيدلة . . كان يجلس بجواره زميل له ، قدم كلا منا الى الآخر . . وقال ضاحكا الدكتور فتحي زميلي يعرف القصة كاملة بل يكاد يعرفها اكثر مني . . دعنا نشترك معا في الحديث . .

واعاد الدكتور فتحي على مسامعي ما قاله الدكتور سعد في التليفون . . وقال لي وهو واجم : هذه مأساة حقا ان اسرتها تعرف عنك كل شيء وهي متعلقة بك . . لكن القرار قرارها وهي مصممة عليه . . هناك مواقف يقف امامها البشر عاجزين . . انها سنة الحياة .

وبعد قليل اقبل احد المساعدين يهمس في اذن الدكتور فتحي بضع كلمات وقف على اثرها واتجه الى باب جانبي وبعد قليل عاد ومعه منى . . نعم الدكتورة منى ذاتها . . . كانت تمسك بذراعه وتتوكأ عليه . .

وقال لي الدكتور سعد لقد نسيت ان اخبرك ان الدكتور فتحي اسمه الدكتور فتحي زيدان شقيق الدكتورة منى زيدان . . ووقفت لاسلم عليها . . وجلست وقد اطرقت برأسها الى الارض . . وبعد قليل رفعت رأسها وقالت لا تؤاخذني يادكتور . . لقد قست الحياة علي . . فرددت عليها على الفور وقد قست علي ايضا انها عيني اليمنى لا اكاد ابصر بها الان . .

وردت على الفور . . لكنك امام المجتمع ليس بك عاهة . . انك تعيش بين الناس بعينين اثنين . . نحن بشر . .وقلوب البشر ضعيفة . .ماذا سيقول الناس لك او عنك عندما يجدونك تمشي مع انسانه تتعلق بذراعك وتتوكأ عليك . . ماذا سيكون شعورك انت بعد سنة او سنوات وانت تشاهد اصدقاءك واقاربك كل منهم يدخل دور السينما والمسارح وزوجته تمشي بجانبه في رشاقة واناقة . .

انا اعلم من مؤلفاتك انك انسان رقيق المشاعر لكنني لا اريد ان اظلمك معي . . ولا اريد ان اظلم نفسي . . اني اتصور منذ الان الساعة التي ستزهدني فيها ، وسيكون ذلك من حقك ، ألم أقل لك اننا بشر وقلوب البشر ضعيفة . .

وقبل ان ارد عليها نهضت واقفة وقالت عن اذنك . . وأنا آسفة . . لهذا الموقف . . آسفة جدا ومددت يدي لاسلم عليها وقلت لها ارجو ان تعيدي النظر في هذا القرار . . سأنتظرك شهرا بل شهورا كاملة ارجو ان تعديني بذلك .

وابتسمت وقالت : حقيقة لا استطيع الآن ان اعد بشيء . . ثم نظرت الى شمس الشتاء الذابلة وقالت . . ربما . . . عندما يأتي الربيع ، ○

فوزي عبد القادر الميلادي



السلطان والأعوان

بقلم الدكتور محمد عيسى صالحية

حادثتان تقفزان الى ذهني كلما حاولت الحديث عن السلطان والأعوان . أراهما وقد سمرتا الفكر وطلبتا اليه ان يرددهما ، ولا يمل ذلك . اولاهما موعظة عمرو بن عبيد بن باب للخليفة العباسي ابي جعفر المنصور ، وقد جاء فيها ، اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم « والفجر ، وليال عشر ، والشفع والوتر .... الى ان قرأ ، فصب عليهم ربك سوط عذاب ، ان ربك لبالمرصاد » فبكى المنصور بكاء شديدا ، كأنه لم يسمع الآيات الا تلك الساعة . واكمل عمرو بن عبيد موعظته « ان الله قد اعطاك الدنيا باسرها ، فاشتر نفسك منه ببعضها ، واعلم ان هذا الامر الذي صار اليك ، انما كان في يد من قبلك ، ثم افضى اليك وكذلك يخرج منك الى من هو بعدك ، واني احذرك ليلة تتمخض صبيحتها عن يوم القيامة »فبكى المنصور اشد من بكائه الاول حتى رجف جنباه ، فقال له سليمان ابن مجالد : رفقا بامير المؤمنين ، فقد اتعبته منذ اليوم الاول .

فقال له عمرو بن عبيد : وبمثلك ضاع الامر وانتثر ، لا ابا لك ، وماذا خفت على امير المؤمنين ان يبكي من خشية الله .

فالصورة ، سلطان يطلب الموعظة والنصح والارشاد ، وبطانة لا تخشى في الحق لومة لائم يمثلها عمرو ابن عبيد ، وبطانة اخرى مدلسة همها ان تزين افعال السلطان مهما اسودت واظلمت .

وأما الحادثة الثانية ، فقد أوردها الغزالي في كتابه التبر المسبوك ، وتدور حول رجل فقد قافلة الحج ، واذ عضه الجوع التجأ الى كوخ رآه عن بعد ، فوجد به عجوزا وكلبها ، ولما طلب منها طعاما ، ارشدته الى واد تكثر فيه الحيات ، ليَصطاد بعضها وتشويها له ، وحيث احضرت الحيات واياه من الوادي ولما اكلها ، طلب الرجل ماء ، فأرته هذه المرة العين ، وحين وردها وجد ماءها مالحا ، ولما عاد اليها جرى بينهما الحوار التالي ،

الرجل : اني لأعجب من مقامك في هذا الموضع .
العجوز : لِمَ ذلك !
الرجل : تأكلون الحيات وتشربون الماء المالح
العجوز : فكيف بلادكم .
الرجل : في بلادنا الدور والقصور الواسعة والفواكه والخبز واللحم والمياه العذبة والأطعمة الشهية ، والنعيم المقيم .
قالت : سمعنا ذلك ، ولكن هل أنتم تحت يد حاكم وسلطان . . يجور عليكم ، اذا كان لكم ذنب أخذ اموالكم وخرب بيوتكم ؟

قال الرجل : قد يكون ذلك .
فقالت العجوز : فاذن تعود الأطعمة الهنية ، والنعم الكثيرة ، واللحوم السمينة ـ مع الجور والظلم ـ سما ناقعا ، وتعود أطعمتنا درياقا نافعا .

مهام السلطان

إن محور ما تدور حوله الحادثتان هو طبيعة السلطان ونوعية الأعوان وقضية العدل ، وهي قضايا مرتبطة بعضها مع بعض ارتباطا لا انفصام فيه ، وكلها علامات استقرار السلطان وتثبيت دعائمه .

لقد كانت مسألة السلطان موضع عناية مصنفي الأدب السياسي في التراث العربي ، كالماوردي ، والشيزري ، وابن الأزرق ، وابن خلدون ، وابن الربيع ، وابن الداية ، وغيرهم ، وحين تمعن النظر في مؤلفاتهم تراهم جميعا قد جعلوا السلاطين ثلاثة .

سلطان عدل وأمانة : له فضل الأجر والثناء والنصر والبقاء .

سلطان جور وسياسة ، ويحتاج الى فنون من التدبير يستعطف بها القلوب ، ويزين بها العيون .

سلطان تخليط واضاعة ، وماهيته لذة ساعة ، ودمار الدهر ، وفساد الدين والعرض ، وخسارة الدنيا والآخرة واستعجال الفقر والذلة .

وأما مهام السلطان فقد أجمعوا على أنها رعاية مصالح الاسلام والمسلمين ، وعمارة الثغور ، والنظر في أمر الرعية وحراستها ، وانتظام قوانين البرية ، وتدبير الجند والأموال ورفع المظالم وغيرها من الأمور التي تحقق الأمن والاستقرار والعزة للمجتمع ، وقد استعان المؤلفون بالألوان تارة وبظواهر الطبيعة تارة أخرى لتوضيح مهام السلاطين ، وتقريبها من أذهان عامة الناس . فالسلطان الزمام ، مَنْ ابيضت آثار آياديه ، واسودت أيام أعاديه ، واخضرت مواقع سيبه ، واحمرت مواضع سيفه ، واصفرت وجوه حساده ، وراقت اعين انداده ، وكلها صفات تقود للاعزاز ، ودفع غائلة المذلة والهزيمة عن الأمة .

أما تصريف السلطان لأصول السياسة وتدبيره لأمر الأمة ، فكان الفقيه عبدالرحمن بن نصر الشيزري مبدعا في معالجتها ، فقد طلب الى السلطان أن يكون كالغيث والقمر والريح والنار والماء ، فالغيث ينزل متواترا أربعة أشهر من السنة فيساوي بين كل محلة مشرفة وموضع منخفض ، ويغمر كلا من مائه بقدر موضعه في ارتفاعه وهبوطه ، فتأخذ منه تلك البقاع ما تغذي نباتها في الأشهر الباقية ، والقمر ينشر أنسه على القريب والبعيد ، ولا يختص بنوره شريفا دون وضيع ، وأما الريح فانها بلطفها محيطة بالعالم السفلي ، وكذا السلطان يحيط بحذقه ومهارة أعوانه باحوال رعيته وقواده وولاة ثغوره وأعماله وحاشيته وجنده ، وأما النار فيكون مثلها في الحدة على أهل الزعارة والفساد وأصحاب الشر ، وأخيرا كالماء في لينه ولكنه يقتلع الأشجار العظيمة .

شروط الاعوان

وكذا الاعوان ، فهم بطانة السلطان لا ينتظم حاله الا بحسن اختيارهم ، لانهم آلات الملك ، فان اختلت كان تأثيرها مختلا وفعلها معتلا . وقد تنبه مصنفو الادب السياسي لهذه الناحية وعالجوها بافاضة وضربوا الامثال ورووا القصص على ذلك وحذروا من الاستعانة بأصاغر الرجال ، على اكابر الاعمال فان وقع فمصير الامور الى الخراب ، وتضييع للعمل ، وتلزيم للخلل ، ولم يتركوا احدا من الاعوان دون تبيين الشروط الواجب توفرها فيه . فالوزير مثلا اشترطوا فيه دربة بالامور ، وبصيرة بالسياسة ، وفكرة في



العواقب ، لان الوزير الفاسد مثل الماء فيه التماسيح لا يستطيع الانسان وروده ، وقل مثل ذلك عن الحاجب والوالي والقاضي وامير الجيش وغيرهم مما لا تتسع المقالة للاطناب في صفاتهم وأدبهم ، غير أن ما نشير اليه بهذا الصدد هو اهتمام علماء الأمة باستقصاء آثار الاعوان ان خيرا أو شرا ، وتداول تلك الآثار في المجالس والمسامرات ، والامثلة على ذلك كثيرة في التراث العربي . فقد حاولت بطانة السوء تزيين أفعال الوليد بن عبد الملك بدعوى ان الله اذا استرعى عبدا ، كتب له الحسنات ولم يكتب السيئات ، ولما استفتى الوليد ، مؤدبه الزهري حولها ، اجابة ببطلان ذلك ، فالله سبحانه وتعالى يخاطب نبيّه الخليفة داود بقوله « يا داود انا جعلناك خليفة في الارض ، فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل‌الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب » سورة ص ، آية ٢٦ .

ولقد دأب بعض السلاطين على رؤية العلماء وحرصوا على الاستماع لأقوالهم فكان هؤلاء بطانة صالحة لمن صلح من الخلفاء ، فهم ورثة الانبياء ، رفعوا بالعلم ، وبهم يعرف الحق من الباطل والحلال من الحرام ، والعلماء لم يرثوا دينارا ولا درهما ولكنهم ورثوا العلم ، وصاروا سراجا للعباد ومنارا للبلاد ولكن ذلك لم يمنع من ظلم العلماء في بعض الأحيان ، والحظر عليهم من الاتصال بالناس .وكثيرا ما تندر المؤرخون بخبر أبي حنيفة حين منع من الاتصال بالناس ، وحظرت عليه الفتوى ، فقد سألته ابنته ، اني صائمة وقد خرج من بين اسناني الدم وبصقته حتى عاد الريق أبيض لا يظهر عليه أثر الدم ، فهل افطر اذا ابتلعت الريق الآن ، فقال لها : سلي أخاك حمادا ، فان الوالي منعني من الفتيا !

ان هذا الموقف يفرض علينا تقليب الوجه الآخر للاعوان او من نسميهم بطانه السوء : اصاغر الرجال ، وهم الذين يدفعون بالدول الى الفساد . لا يستقيم لهم حال ، ولا ينجح السلطان في تقويم اعوجاجهم ذاك انهم اطرحوا ذوى الفضائل ، واصطنعوا اهل الرذائل ، وأهانوا الواعظ والناصح ، واغتروا بتزكية المادح ، فالت الدولة الى الانقراض . ولعل بطانة الخليفة العباسي المكتفي والخليفة المستعصم هي النموذج الأقرب لفساد الامور وانفراط العقد، فوزير المكتفي لام نوابه عندما قدموا كتابا في التاريخ للخليفة يمضي وقته في مطالعته ، وطلب اليهم ان يعودوا الخليفة قراءة كتب الحكايات المفرحة والاشعار المطربة ، ذاك ان المقتدر طلب كتبا يلهو بها ويقطع بمطالعتها زمانه ، فتقدم الوزير بطلبها الى النواب وعرضها عليه قبل حملها الى الخليفة ، وحينما عرضوا كتبا في التاريخ زجرهم بقوله : والله انكم أشد الناس عداوة لي ، أنا قلت لكم حصلوا له كتبا يلهوا بها ، ويشتغل بها عني وعن غيري ، وتكاد أن تكون بطانة المستعصم الأنموذج الاعلى في الفساد وخلط الأمور وسوء نظرها ، فالوزير خائر العزيمة ، والحاجب الخاص جاهل ، اتصلا بالتتار وزينا لهم اخذ بغداد ، وكان لاتصالات ابن العلقمي الوزير فعلها في مجرى التاريخ حتى ذبح بغداد ٦٥٦ هـ/ وبقى ابن العلقمي سبة في التاريخ العربي ، وكم نهشته الأقلام ولا زالت فقال شاعرهم :

بادت وأهلوها معا فبيوتهم ببقاء مولانا الوزير خراب

أما حاجبه الخاص فله أمر عجيب ، ذاك أن عبد الغنى بن الدرنوس ، الذي كان يعمل حمالا في بغداد توصل في أيام الخليفة المستنصر ليكون براجا في بعض ابراج دار الخليفة . وما يزال يحسن العمل حتى خدم المستعصم آخر الخلفاء وهو في سجنه ، فلما ارتقى المستعصم الخلافة عين الدرنوس رئيسا للبراجين ثم اختصه واستجمعه وغير اسمه وصار يناديه « بنجم الدين الخاص » ، وعلت مكانته حتى كان يتدخل في تعيين الوزير ، فكثيرا ما عزل وعين الى ان اقترن كوكبه بكوكب ابن العلقمي ، فأحرقا الدولة بشاظايا نصائحهما المحرقة ، وشهدا معا نهاية الخلافة العباسية بسوء فعلها وتدبيرهما . وهذا حال أعوان السوء في كل زمان ومكان . وتبقى مسألة العدل قضية بارزة في التراث العربي ، تستند أولا وأخيرا على السلطان ، فدرة عمر رضى الله عنه كانت أهيب من سيف الحجاج ، ولعل اكثر ما كان يخيف أولي الأمر أن يظلم أحد

أفراد الرعية . فعدل السلطان انفع للرعية من خصب الزمان وهل لنا أن نتجاوز مقالة عمرو بن العاص : لا السلطان الا بالرجال ، ولا رجال الا بالمال ، ولا مال الا بالعمارة ، ولا عمارة الا بالرعية ، ولا رعية الا بالعدل » .

لقد حرص الخلفاء العادلون الذين يخشون الله على استقصاء صفات السلطان العادل فقد كتب عمر بن عبد العزيز الى الحسن بن أبي الحسن البصري يسأله عن صفات الامام العادل ، فاجابه : اعلم امير المؤمنين ، ان الله جعل الامام العادل قوام كل مائل ، وقصد كل جائر ، وصلاح كل فاسد ، وقوة كل ضعيف ، ونصفة كل مظلوم ، ومفزع كل ملهوف » . ويمضي الحسن البصري في ذكر صفات الامام العادل فيذكر انه : كالراعي الماهر الذي يرتاد برعيته اطيب المراعي ، ويذودها عن مراعي التهلكة وهو وصي اليتامى وخازن المساكين ، وهو القائم بين الله وعباده ينقاد الى الله ويقودهم إليه » .

كان ديدن صلحاء الخلفاء ان يفتشوا عن السبل التي بها يعدلون ، فهيئة ديوان المظالم التي كان يرأسها الخليفة ، كان من ابرز اعوانها الشهود وهم الذين يشهدون على أن ما أصدره الحاكم أو القاضي إنما هو متفق والحق والعدل ، وصاحب البريد في الدولة الاسلامية ، طلب اليه بحزم ان يستقصي خبر الحكام في ولايته ويكتب بخبرهم الى الخليفة . مخافة ان يظلم أحد أفراد الرعية ، وكان منظرا مألوفا في المدينة الاسلامية ان ترى رجلا عليه هيبة الوقار ، يركب حماره وحوله الأعوان ، يحمل بيده قمطرا (كيسا) ويتجول في المدينة باحثا عن المظلوم ، فمن كان صاحب شكوى او مظلمة ألقى برقاعه في كيس الرجل ، ولو سألت عن هذا الذي يفتش عن الظلم ، لقالوا لك انه القاضي يبحث عن المظلوم لينصفه من الظالم ، مهما كانت منزلته وصفته وقرابته ، ولولا ان العدل هو اساس الملك فعلا لما تصدرت العبارة قاعة المحاكم ، وكانت الطغراء المتوجة حتى عصرنا .

قيل ان كسرى انوشروان قال لوزيره الصالح بزرجمهر : « ابن لي قبة واكتب على طرازها ما انتفع به في بقاء الدولة ودوام المملكة ، فبنى له قبة ، وكتب على الطراز « العالم بستان وسياجه الدولة ، والدولة ولاية استها الملك ، والملك راع يعضده الجيش ، والجيش اعوان يكفلهم المال، والمال رزق تجمعه الرعية والرعية عبيد يستعبدهم العدل » .

المنصور يصرخ في طلب الاعوان

ان ابا جعفر المنصور قال يوما : ما كان احوجني ان يكون على بابي اربعة نفر ، لا يكون على بابي اعف منهم ، هم اركان الملك لا يصلح الا بهم ، اما احدهم فقاض لا تأخذه في الله لومة لائم ، والاخر صاحب شرطة ينصف الضعيف من القوي ، والثالث صاحب خراج يستقصي لي ولا يظلم الرعية ، فاني غني عن ظلمها .

وأخيرا عض على اصبعه السبابة ثلاثا ، وهو يصرخ آه ..آه ، فسأله من حوله ، ومن الرابع يا أمير المؤمنين .

قال : صاحب بريد يكتب بخبر هؤلاء على الصحة .

ان في العدل حياة متجددة للامة ، وانهاضا لمعنويات ابنائها ، به تسمو نفوسهم ويعز شأنهم ، وبدونه يذلون ، ويصير أمرهم الى هوان ، ولن تعز دولة جعلت من رعيتها هدفا لممارسة جبروتها ، ومن ابنائها حقلا لبغاة رعاتها . فهل لهذا التراث أن يوقظ أم أنه فراش وثير تختبىء الرأس تحته من برد ليل قارس ، ويغط في نوم جميل ، والاحلام تداعب مخيلتنا : « قد كان لنا ماض . قد كان لنا ماض » فخذوا العبرة منه ؟ ! ○



على طريق تنويع
مصادر الدخل القومي

عشرون صناعة في الشعيبة

استطلاع : منير نصيف

تصوير : طالب الحسيني



عبد العالي ناصر العبد العالي المدير العام بالنيابة للادارة العامة لمنطقة الشعيبة عاصر المشروع الصناعي الكبير منذ بدايته . (الى اليسار)

الاستاذ الدكتور صلاح العتيقي والاستاذ الدكتور عبد المؤمن سليمان مع احد عمال شركة البتروكيماويات اثناء فحص الوظائف التنفسية في احدث جهاز استوردته الدائرة الطبية لهذا الغرض . (على الصفحة المقابلة)

رصيف الحاويات في ميناء الشعبية :. والرافعات الحديثة حمولة سبعين طنا .. اكبر رافعات من نوعها في العالم العربي .



أمضينا اسبوعين او اكثر مع انجاز كويتي صناعي كبير ، لم يكن ليتحقق الا بعد ان انتزعت الكويت استقلالها واصبحت دولة حرة ذات سيادة في اوائل الستينات . . حقيقة لم تكن الكويت بلدا زراعيا قبل ان تتحول الى الصناعة . . ولكنها كانت ومازال حقلا كبيراً لثروة رئيسية لاتستطيع دولة أن تعيش بدونها . . الثروة النفطية التي كانت مدفونة تحت تراب ارضها الى ان تمكن العلم اخيرا من ان يفتح تلك النافذة الصغيرة في أرضها . . ومن خلالها كانت الاطلالة على البحيرة الهائلة من البترول التي تسبح فوقها الكويت الآن بعد سنوات طويلة من الكفاح في البر والبحر من أجل العيش والرزق واستمرار الحياة .

عندما تحدث المؤرخ الانجليزي توينبي عن الاستعمار القديم والحديث في التاريخ ومسيرته معه ، كتب يقول : « ان الانتقال الى الصناعة في دول العالم الثالث تأخر طويلا ربما لاكثر من قرنين من الزمان . . ففي الوقت الذي كانت دول اوربا وفي مقدمتها بريطانيا « العظمى » تنتقل من الثورة الزراعية الى الثورة الصناعية في اوائل القرن الثامن عشر ، كانت الدول « المتخلفة » ، او الدول النامية الآن مازالت تعاني من الاستعمار وتغط في النوم تحت ظلال الاشجار التي كان السادة المستعمرون يأتون لجمع ثمارها وارسالها الى مصانعهم التي لاتلبث ان تقوم بتصنيعها ثم تعيدها اليهم مرة أخرى في معلبات انيقة تحمل اسم المصانع الانجليزية والفرنسية والبرتغالية وكل مصنع في كل مدينة في كل دولة ظلت تنهب خير الارض عند الشعوب التي لم تكن قد صحت من رقدتها الطويلة بعد » .

الفكر والحرية

ومع الاستقلال ، كما قال جورج واشنطون محرر امريكا منذ مائتي عام او اكثر تخرج دائما الافكار الجديدة ، فليس هناك فكر يمكن ان يولد في القهر والظلام . انه ينمو مع الحرية ، ولايمكن ان يعيش ويتطور الا معها !

وقد ولدت فكرة التحول الى الصناعة وعاشت الفكرة ونمت مع المناخ الحر الجديد في الكويت .

وننتقل الى موضوعنا او الى الانجاز الصناعي الذي تحقق فوق ارض الكويت . . الى منطقة الشعيبة الصناعية والميناء البحري الثاني بعد ميناء الشويخ أو « الميناء الام » الذي عاش حياة الكويت القديمة ثم اصبح الآن واحدا من اكبر واحدث الموانىء البحرية على الخليج . انها تقع على بعد خمسين كيلومترا جنوبي الكويت . . هناك كان لقاؤنا بالعمل الكبير الذي يجري في هذه البقعة من الارض التي تبلغ مساحتها اربعة وعشرين مليونا من الامتار المربعة يحدها شمالا مرافق شركة نفط الكويت وشرقا حدود المياه الاقليمية في الخليج ، وجنوبا مرافق شركة البترول الوطنية الكويتية ، ومن الغرب طريق الأدعمي .

بداية القصة

وقبل أن نبدأ رحلتنا مع الشعيبة التقينا بالرجل المسئول الذي عاصر المشروع منذ بدايته ، السيد عبد العالي ناصر العبد العالي المدير العام بالنيابة للادارة العامة لمنطقة الشعيبة الصناعية .

قلنا : « لكل شيء بداية . . ترى ماهي قصة هذا المشروع وكيف بدأ ؟

« رواد »

في الكويت القديمة كان كل الرجال روادا في الغطس وبناء السفن الشراعية والابحار بها . . كانوا كلهم « نوخذه » وكلهم رجال بحر وفي الكويت الحديثة كان أول رواد للبحر هما فيصل ثنيان الغانم والقبطان عبد الرحمن النيارى ، ومجموعة من الشباب الذى غزا البحر الحديث بالعلم والتقنية .

ناقلة الزيت الكويتية « ام المرادم » وهي تابعة لشركة ناقلات نفط الكويت .

قال : « وكان ذلك بعد ان نالت الكويت حريتها واستقلالها ، فقد وجهت الدعوة الى البنك الدولي للانشاء والتعمير لايفاد بعثة تقوم بدراسة التنمية الاقتصادية في الكويت .. واوفد البنك بعثتين لابعثة واحدة .. جاءت الاولى في عام ١٩٦١ .. والثانية بعدها بعامين ، في عام ١٩٦٣ .. وكانت نتيجة الدراسات التي قامتا بها التوصية بانشاء منطقة صناعية بعيدة عن العمران للصناعات الثقيلة والصناعات البترولية والبتروكيماوية .

« ولم تكن فكرة المشروع جديدة » فقد كانت موجودة بالفعل في اذهان المسؤولين في الدولة ، ولكن التوصيات التي تقدمت بها البعثتان ، ساهمت في دعم المشروع وخروجه الى حيز التنفيذ .. »

قاعدة صناعية

ثم قال « وبدأ العمل على الفور ، وكان لابد اولا من اختيار الموقع بناء على تقارير الخبراء الذين اكدوا على ضرورة قيام المشروع في منطقة تتوافر فيها المقومات المطلوبة لانشاء مثل هذا المجمع الصناعي ، ومن بينها ان تكون بعيدة عن المناطق السكنية وقريبة من حقول الغاز وتشرف على شاطىء بحري يخلو من الشوائب البحرية ويتناسب مع انشاء ميناء فيه ..

وعلى اثر ذلك صدر المرسوم الاميري بانشاء « الهيئة العامة لمنطقة الشعيبة الصناعية في يوم ١٤ مايو ١٩٦٤ ، وبدأ العمل في هذه البقعة من الارض التي تشرف على شاطىء الخليج لتوافر كل المقومات المطلوبة فيها ، وسميت بمنطقة الشعيبة لقربها من قرية الشعيبة التي اصبحت الآن جزءا من المنطقة الصناعية بعد ان اخليت من سكانها بطبيعة الحال . « ثم تغير اسمها فيما بعد فاصبح «الادارة العامة لمنطقة الشعيبة الصناعية » وهي الآن مؤسسة حكومية ذات ميزانية مستقلة تتبع وزارة التجارة والصناعة . »

قلنا : « لقد شرح السيد جاسم المرزوق وزير التجارة والصناعة في ايجاز اهداف الادارة العامة لمنطقة الشعيبة الصناعية فقال « ان الدولة خطت خطوات حثيثة لتصنيع البلاد والاستفادة من ثرواتها الوطنية وفي مقدمتها النفط والغاز الطبيعي ، لخلق قاعدة صناعية وطيدة تكون اساسا راسخا لنهضة الكويت ، واخذت حكومة الكويت على عاتقها تشجيع القطاع الصناعي وتنميته ، في اطار









عبد الرحمن النيباري قبطان أعالي البحار ونائب المدير العام لشئون الميناء من الرواد الاوائل الذين عملوا في الشعيبة ، مع احد الضباط الخريجين من الشباب الكويتي . . توجيه واشراف اثناء سحب احدى سفن الشحن الى رصيف الميناء .

جانب من معامل شركة صناعة الكيماويات البترولية ، ساعة انتهاء العمل قبل الغروب . . الموظفون والعمال في طريقهم الى السيارات الخاصة بالشركة التي تقلهم الى منازلهم.. (الى اليسار)

سعود الهملان رئيس قسم المختبرات العامة امام الأجهزة الدقيقة بمركز حماية البيئة حصل سعود على الماجستير من جامعة نيوهتين بامريكا . (الى اليسار أعلى)

شاهه سيتي الكندري تخرجت في كلية العلوم بجامعة الكويت ، في مختبر قياس تلوث الهواء بمركز حماية البيئة . والى جوارها كيمائية مع جهاز التحليل بالطيف الذري وبواسطة هذا الجهاز يتم تحليل الآثار النادرة من المعادن الثقيلة الموجودة في الماء او الهواء . (على الصفحة المقابلة اعلى)





خطة التنمية الشاملة بعد ان اصبحت الحاجة ملحة الى تنويع مصادر الدخل القومي حتى لايكون هذا الدخل معتمدا على ثروات البلاد النفطية فحسب ، ومن ثم قامت الدولة بعدة مبادرات هامة في هذا السبيل ، من بينها انشاء مناطق صناعية واعدادها وتزويدها بالمرافق الحيوية اللازمة لجذب وتوطين الصناعات ، وفي مقدمة هذه المناطق ، منطقة الشعيبة الصناعية التي تمثل في حد ذاتها مجمعا صناعيا مثاليا . »



« الفنار » الجديد أو برج الاتصالات في ميناء الشعيبة البحري ، وسوف ينتهي العمل في انشائه خلال شهر ابريل المقبل .

عملية التوطين

هذا ما قاله الوزير ، فهل لكم أن توضحوا لنا بعض النقاط التي تتصل بعملية جذب وتوطين الصناعات ؟

قال السيد عبد العالي : « أحب ان أؤكد نقطة هامة قبل ان نعود للحديث عن اهداف هذه المنطقة الصناعية التي مضى على انشائها اليوم مايقرب من التسعة عشر عاما . . وهي ان ادارة الشعيبة ليست وصية على هذه الصناعات التي تم توطينها داخل حدود اراضيها ، فدورها الأساسي ينحصر في تهيئة واعداد وتطوير هذه المنطقة الصناعية النموذجية من اجل توطين الصناعات المختلفة بها ، وفي مقدمتها صناعات تكرير النفط والكيماويات البترولية والصناعات المرتبطة بها ، وكذلك توفير الخدمات الصناعية اللازمة من اجل تنمية القاعدة الصناعية بالكويت وممارسة اثرها الفعال في الاقتصاد الوطني ومساهمتها في التطوير الاجتماعي والحضاري في البلاد .

« وقد تحدد كل هذا بمرسوم اميري صدر في شهر مارس من عام ١٩٧٠ وتضمن اهداف وصلاحيات الادارة العامة وتتلخص في وضع التخطيط العام للمنطقة والمشروعات التي تقام فيها ومايلزمها من خدمات ومرافق عامة وغير ذلك من الشئون المتصلة بنموها وتطويرها ، ثم تقرير الشروط التي تلتزم بها المشروعات والمنشآت بالمنطقة والموافقة على اقامة المشروعات والمنشآت الصناعية وتوزيع القسائم اللازمة لها وكذلك الموافقة على التوسع في هذه المشروعات والانشاءات او زيادة طاقتها وكفايتها الانتاجية او تغيير الغرض منها . وأيضا الموافقة على تغيير موقع المشروعات والمنشآت والاشراف على تنفيذ الاعمال والمشاريع المتصلة بالخدمات داخل المنطقة وادارة هذه الاعمال والمشاريع بما في ذلك الميناء البحري وعمليات الاستيراد والتصدير . ثم تحديد مقابل الخدمات المختلفة التي تقدمها الادارة مباشرة او بواسطة الوزارات والهيئات العامة الأخرى واخيرا مباشرة التعاقد وسائر التصرفات والاجراءات والاعمال التي من شأنها تحقيق الاغراض الكفيلة بالنمو المطرد للمنطقة وتطورها اجتماعيا واقتصاديا . »



الانابيب التي تمتد من مصفاة شركة البترول الوطنية الكويتيةوتنقل مشتقات البترول الى سفن الشحن الراسية في الميناء .

تطور المشروع

ويكمل المدير العام بالنيابة رحلته مع منطقة الشعبية الصناعية ، فيقول : « لايفوتني أن اذكر في هذا المجال نقطة هامة ، وهي ان الفكرة في إنشاء الميناء البحري في الشعبية قامت اساسا لخدمة الصناعات المتوطنة بالمنطقة ، اي كل مايتصل بعمليات الاستيراد والتصدير لهذه الصناعات ، ولكن المشروع مالبث ان تطور ليشمل الانشطة التجارية للدولة وخاصة بعد التوسع الكبير في حركة التجارة واعني بها تجارة الترانزيت والتجارة الداخلية ، وبذلك خف الضغط على الميناء التجاري الرئيسي ، او الميناء « الام » بالشويخ . .

« . ثم نقطة اخرى يهمني ايضا ان اشير اليها ، وهي تتصل بالتعاون الذي حرصت ادارة الشعبية على اقامته مع المؤسسات الاكاديمية في الكويت مثل الجامعة ومعهد التخطيط العربي ومعهد الكويت للابحاث العلمية ، فمثلا ، شاركت جامعة الكويت في البحوث الخاصة بالتخطيط والتطوير الاداري . وقامت ادارة الشعبية من جانبها بتدريب العديد من طلبة الجامعة خلال العطلة السنوية في أشهر الصيف بناء على ترشيح الجامعة لهم في مختلف مجالات الانشطة ، كما قام المعهد العربي للتخطيط بالتعاون مع الادارة العامة للشعيبة باجراء بعض الدراسات عن الفوائد الاجتماعية والاقتصادية لانشاء الادارة العامة لمنطقة الشعيبة الصناعية ودورها في التنمية . وساهم معهد الكويت للابحاث العلمية في نفس الوقت في الدراسات الخاصة بحماية البيئة من التلوث . . وهي مشكلة العصر التي توليها الدول كل اهتمامها ، وكذلك الدراسات المتصلة بصناعة صيد الاسماك وتنميتها وتطويرها .

الرصيف التجاري

ويقول السيد عبد العالي : « ان الاهمية الاقتصادية والاجتماعية لهذه المشاريع تكمن في كونها نواة للسياسة الانمائية بالشعيبة بصفة خاصة ودولة الكويت بصفة عامة ويمكن تحديد آثار هذه المشاريع على صناعات المنطقة داخل اطار يشمل عدة نقاط رئيسية اهمها الاسهام في تخفيض تكاليف نقل السلع المتجه من المنطقة الصناعية الى الأسواق العالمية وايضا تخفيض نفقات نقل المواد الخام والسلع الرأسمالية المستوردة للصناعات القائمة داخل حدودها من خارج الكويت . وقد نجحت الادارة العامة لمنطقة الشعيبة في تخفيض هذه التكاليف الى اقل قدر ممكن بسبب إقامتها للرصيف التجاري .





مدير عام عمليات الصيد يفحص عينات من الروبيان قبل نقلها الى المصنع وفرزها وتعبيتها . (الى أعلى)

احد العمال امام الماكينة الخاصة بتعبئة سماد اليوريا . . كل شيء يتم بصورة اوتوماتيكية . . . ويتسع الكيس الواحد لخمسين كيلو جراما . (الى اليسار)

احدى القاطرات التابعة لادارة الميناء وهي تتولى سحب السفن من خارج الميناء الى الرصيف الذي ترسو عليه ، يقودها الشباب الكويتي . (الى أسفل)

بعض وحدات اسطول صيد الاسماك والروبيان راسية في الحوض الخاص بها . كل وحدة مزودة بمصنع صغير لتعبئة الروبيان وحفظه مثلجا . . فقد تمتد رحلة الصيد لاسابيع طويلة . (على الصفحة المقابلة اسفل)





• والى جانب ذلك ساهمت الادارة في تخفيض نفقات نقل بعض الخدمات الاساسية اللازمة لصناعات المنطقة نتيجة لتنفيذ مشروعي مياه التبريد والغاز الطبيعي باحجام اقتصادية وقد أدى هذا الى تخفيض اسعار الوحدات المنتجة من هذين المشروعين بالاضافة الى تخفيض تكلفة وحدة الطاقة الكهربائية والمياه المقطرة والعذبة نتيجة وجود محطات القوى وتقطير المياه داخل منطقة الشعيبة التي اهتمت بانشاء الطرق ورصفها مما ادى الى تسهيل عمليات النقل والتنقل بين المرافق والمصانع في قلب المنطقة وخاصة بعد اتساع رقعتها .

• وقد اهتمت الادارة ايضا بارساء القواعد الاساسية لمهمة التنسيق بين الصناعات والادارة العامة على اساس من الترابط الرأسي والافقي في كافة المستويات وكذلك جذب الصناعات الجديدة للمنطقة الصناعية على ضوء تعهد الادارة باقامة المرافق الضرورية لهذه الصناعات .

ثم ناحية اخرى هامة تنحصر في تهيئة كوادر من الفنيين من ابناء الكويت والخليج للعمل في مشاريع الادارة العامة ، وذلك بارسال عدد من الكويتيين للخارج لرفع مستوياتهم المهنية ، وتزويدهم بآخر التطورات المهنية في حقول اختصاصاتهم .

وقد حرصت الادارة العامة منذ نشأتها على خلق كوادر عاملة من الكويتيين للعمل لديها في جميع المجالات الفنية والادارية سواء كان ذلك عن طريق تعين الخريجين او تشجيعهم على حضور البرامج التدريبية التي تعدها الادارة العامة او الشركات القائمة في المنطقة وأيضا ايفادهم للخارج لحضور برامج تدريبية متخصصة او الحصول على درجات علمية عالية .

عشرون صناعة

وتركنا السيد عبد العالي .. وخرجنا لنبدأ جولتنا مع أحد المسؤولين في العلاقات العامة بالادارة ، السيد احمد نجم ، فالغريب في هذه المنطقة الحيوية التي تنبض بالحياة لا يستطيع ان يسير وحده ، واذا استطاع فلن يكون حرا في تحركاته .. لاسباب خاصة بالأمن من ناحية ولانه في حاجة لان يعرف كل شيء ، عن اي شيء يستوقفه طالما انه يتصل مباشرة بالموضوع الذي جاء من اجله .. نقل صورة دقيقة بقدر الامكان لهذا المجتمع الصناعي الذي يحتفل في العام المقبل بمرور عشرين عاما على انشائه .

وعلى الطبيعة وداخل هذا المجمع الصناعي الكبير لمسنا حجم العمل الذي يجري خلال الاربع والعشرين ساعة بلا توقف من أجل توفير المتطلبات الاساسية للصناعات التي قامت ضمن هذا الاطار لضمان استمرارها وتطويرها ونموها .. وهي تبلغ اليوم اكثر من عشرين صناعة مختلفة .



المقصف او الكافتريا ، وهو تابع لشركة صناعة البتروكيماويات البترولية ، ويدفع الموظف والعامل مبلغ ربع دينار ثمنا لوجبة الغداء التي تكلف الشركة حوالى ديناريں

شركات أخرى عاملة في منطقة الشعيبة الموسعة

- شركة أسمنت الكويت
- الشركة الكويتية لصناعة وصيانة وهندسة المصافي .
- الشركة الكويتية للكبريت الزراعي والصناعي
- شركة التعبئة والصناعات البلاستيكية
- مؤسسة الغازات الصناعية الكويتية .
- شركة التبريد والاوكسيجين المحدوده .
- شركة الشعيبة للصناعات الورقية .
- شركة صناعات الميلامين الكويتية .
- شركة الصناعات الوطنية التي تضم مصنع المنتجات الجيرية وصناعات الاسبست الكويتية .
- شركة كيربي الكويت للمباني الجاهزة .
- شركة الكويت لصناعة المواد العازلة .

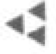
وبدأنا من حيث كان يجب ان نتنهي . . في مركز حماية البيئة ، كان لقاؤنا بالسيد سعود الهملان رئيس قسم المختبرات العامة . . لقد تخرج سعود من كلية العلوم بجامعة الكويت وحصل على الماجستير في حماية البيئة من جامعة نيوهيفن بولاية كونكتيكت الامريكية . قال يشرح لنا المهام التي يضطلع بها المركز : « لقد تأخر انشاء مركز حماية البيئة بعض الشيء ، فهو لم يبدأ اعماله قبل عام ١٩٦٩ بعد اتمام توطين بعض الصناعات البتروكيماوية والبترولية وكانت قد بدأت تنتج بالفعل ومع الانتاج بدأ ظهور بعض الملوثات الهوائية التي اثبتت بحوث الخبراء العرب والاجانب ارتفاع نسبتها ، وعلى الفور بدأ العمل في انشاء المركز الذي زود بمختلف الاجهزة العلمية الحديثة لتحديد نسب هذه الملوثات في الجو والبحر وإخطار المصانع المتوطنة باية زيادة في الملوثات الهوائية او المائية .

والقراءات التي تقدمها الاجهزة في المركز يمكن الحصول عليها كل دقيقة خلال الاربع والعشرين ساعة ، وبذلك يمكن دره الخطر قبل وقوعه .

مشاكل تلوث البيئة

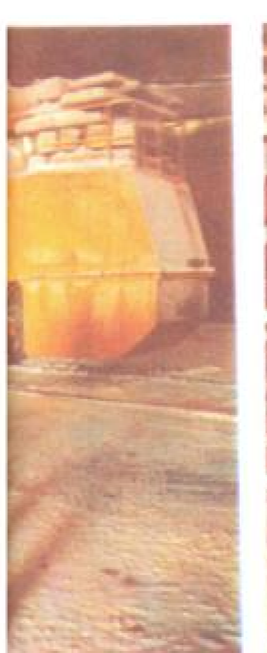
ومع الأستاذ الدكتور صلاح العتيقي مدير الدائرة الطبية والأستاذ الدكتور عبد المؤمن سليمان اخصائي الطب الصناعي قضينا بضع ساعات بين الأجهزة والمعدات الحديثة التي تستخدم في فحص العاملين بشركة البتروكيماويات ، وقياس كفاءة الجهاز التنفسي عندهم بصفة دورية ، للتأكد من أن أحدا منهم لم يصب باي آثار جانبية نتيجة للتعرض للمواد الصناعية الناتجة عن مشتقات النفط . قال الطبيبان اللذان يسهران على سلامة وصحة العاملين في هذه المنطقة الصناعية الحيوية : « لم تكن الآثار الجانبية لاية صناعة من الصناعات تمثل عقبة في مسيرة التصنيع والنمو الحضاري ، فاي مشكلة طبية ناتجة عن اي صناعة تقابلها الحلول الوقائية والعلاجية للعاملين والمواطنين ، فكلما نمت الصناعة في بلد ما ، ازدادت مشاكل تلوث البيئة ، وبالتالي تعرض العاملين داخل هذه المصانع وغيرهم من المواطنين القريبين منها لهذه المشاكل . . ولو ان موقع منطقة الشعيبة بعيدا عن العمران والمناطق السكنية قد ضمن عدم تعرض المواطنين العاديين لمخاطر التلوث . . فلا شك ان هذه المنطقة تعتبر نموذجا حيا لنمو الصناعات التي يتركز معظمها داخل حدودها وخاصة صناعات النفط ومشتقاته التي تعتبر من العلامات البارزة المميزة لدولة الكويت » .

وقد قامت ادارة الشعيبة بالتعاون مع وزارات ومؤسسات الدولة والشركات المعنية والهيئات الاستشارية العالمية باتخاذ الخطوات العلمية التي كان من نتيجتها تحديد معايير التلوث بالمنطقة في الهواء والماء ، الى جانب تنفيذ عدد من المشاريع العلاجية للصناعات القائمة بهدف التقليل من الملوثات التي تنتج عن تلك الصناعات ، كما تم انشاء شبكات مراقبة تعمل بصورة اوتوماتيكية لتسجيل





مجموعة من العمال في احدى الورش التابعة لشركة الكيماويات البترولية .



فريق من الشباب السعودي
الخاصة بنقل سماد اليور

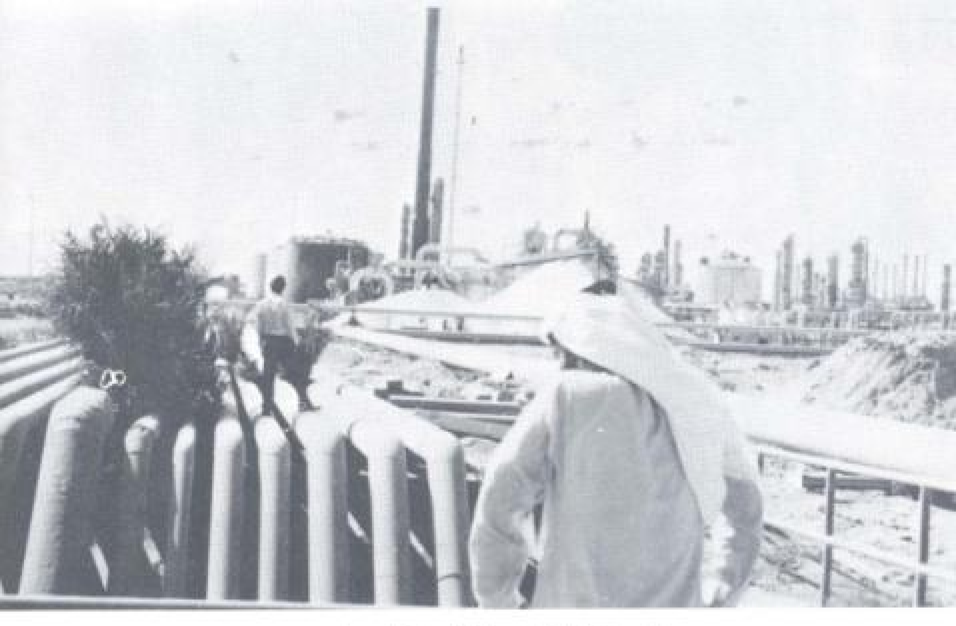


اذرع شحن المشتقات البترولية الى السفن الناقلة الراسية في ميناء الشعيبة .

المهندس بدر العويش امام وحدة تكسير المازوت بغاز الايدروجين حيث يتم انتاج النفثالين والكيروسين وزيت وقود الطائرات والديزل . (الى اليسار)

للاشتراك في برنامج تدريبي لشركة الكيماويات البترولية امام الالة
صانع التعبئة يستمعون الى شرح مدربهم .

مهندستان كيماويتان من البحرين جاءتا للاشتراك في
احدى البرامج التدريبية في معامل شركة الكيماويات البترولية



السير الناقل يمتد لمسافة أربعة كيلو مترات من
معامل شركة البتروكيماويات الى سفن الشحن

الملوثات الهوائية والمائيةوتم توزيع هذه الشبكات داخل حدود منطقة الشعيبة الصناعية وميناء عبد الله والمياه البحرية المتاخمة ويبلغ عددها ثماني محطات للهواء وستا لمخارج ومداخل مياه التبريد وأربعا للمنطقة البحرية . .

الميناء البحري

وعلى رصيف الميناء وقفنا نرقب عملية تفريغ وتحميل السفن الراسية يقول القبطان عبد الرحمن النياري نائب المدير العام : « لقد مر انشاء الميناء التجاري بثلاث مراحل . . المرحلة الاولى تمت في عام ١٩٦٧ ببناء خمسة مراس ، طولها الاجمالي ٨٥٠ مترا لرسو البواخر بغاطس لايزيد على أحد عشر مترا ، ويتصل به حوض للجنائب اي القطع البحرية الصغيرة ، أما المرحلة الثانية فقد تمت في شهر فبراير من عام ١٩٧٩ لمواجهة متطلبات التوسع في المستقبل وقد اشتملت على بناء عشرة مراس ، طولها ٢١٠٠ متر وتصل اعماق مياهها الى ١٤ مترا ، ثم اكتملت المرحلة الثالثة من عملية توسعة الميناء في عام ١٩٨١ بانشاء خمسة مراس اخرى ، وهكذا اصبح الميناء الآن بعد توسعته يضم عشرين مرسي ، الى جانب حوضين للقطع البحرية الصغيرة ، وقد خصص مرسيان منها لرسو

بالارقام

- بلغت جملة الاستثمارات الرأسمالية في الادارة العامة لمنطقة الشعيبة الصناعية منذ انشائها في عام ١٩٦٤ حتى ١٩٨٢/٦/٣٠ ، حوالى ١٣٥ مليون دينار كويتي .

- بلغ مجموع المرتبات والاجور للعاملين فيها خلال العام ١٩٨٢/١٩٨١ ثلاثة ملايين و٧٨٠ الف دينار كويتي .

- وبلغت المصروفات العامة خلال الفترة نفسها ثلاثة ملايين و٦٢٠ الف دينار كويتي .

احدى مصافي شركة البترول الوطنية .

الحاويات Containers وبواخر الدحرجة Roll on Roll off ، وتم تركيب رافعتين تزيد حمولتها على السبعين طنا ، وهما من أقوى الروافع في الموانىء العربية ، وبذلك اصبح الميناء مواكبا للاتجاهات العصرية في مجالات النقل البحري . »

الكيماويات البترولية

هنا داخل حدود منطقة الشعيبة الصناعية ، قامت اكثر من عشرين صناعة مختلفة كما ذكرنا وفرت عملا لاكثر من احد عشر الفا من المهندسين والموظفين والعمال وبعضها يعتمد على النفط وبعضها مكمل للبعض الاخر . . ولعل أهمها واقدمها صناعة الكيماويات البترولية ، بل لقد سبقت هذه الصناعة قيام الادارة العامة لمنطقة الشعيبة الصناعية . فقد تأسست الشركة في شهر يوليو من عام ١٩٦٣ ، وكان الهدف المباشر من قيامها هو الافادة من موارد البلاد الطبيعية ونعني بها النفط ، هذا من ناحية ، ولتنويع مصادر الدخل القومي في البلاد من ناحية ثانية .

وتملك الدولة هذه الشركة بالكامل ، وهي في الوقت نفسه تتبع مؤسسة البترول الكويتية وكانت أول شركة في الشرق الأوسط تعتمد الغاز الطبيعي كمادة اولية لانتاج الامونيا واليوريا وكبريتات الامونيوم وحامض الكبريتيك . فهناك ثلاثة مصانع للامونيا يصل انتاجها السنوي الى ٦٦٠ الف طن متري . وثلاثة مصانع لليوريا تنتج ٧٩٢ طن متري ومصنع واحد لكبريتات الامونيوم يبلغ انتاجه ١٦٥ الف طن متري واخيرا مصنع لحامض الكبريتيك ينتج ١٣٢ الف طن متري .

وقد مرت شركة صناعة الكيماويات البترولية بعدة مراحل من التوسع والدمج حتى اصبحت من اكبر الشركات انتاجا للاسمدة الكيماوية في العالم وكذلك في مقدمة الشركات المنتجة للملح والكلورين ومشتقات هذه الصناعة في الوطن العربي ، وهي تقوم بتصدير منتجاتها الى اكثر من خمسين دولة في مختلف انحاء العالم . وكان احدث انجاز حققته لتسهيل عملية شحن الانتاج هو السير الناقل الذي يمتد من مصانع الشركة لمسافة اربعة كيلو مترات وينقل اكياس الاسمدة بطريقة آلية الى مستودعات الشحن في السفن الراسية في الميناء . . ومن المصانع ايضا تنطلق الشاحنات حاملة الاسمدة لتغطية احتياجات





جانب من حصيلة الصيد في طريقه الى
مصنـع الفـرز والتعليب والتجميـد .

الزراعة في الكويت . . لقد حققت المشاريع الزراعية التي واكبت التصنيع نتائج تبشر بـالخير بعد انشاء صناعة الاسمدة وارتفع عدد العاملين بالشركة الآن الى اكثر من الفي مهندس وموظف وعامل يتمتعون بمزايا كثيرة قد لاتتيحها لهم اية شركة اخرى .

وشركة البترول الوطنية

وفي منطقة الشعيبة الصناعية قامت ايضا معامل شركة البترول الوطنية الكويتية وتمتاز المصفاة التي تمتلكها الدولة بأنها الاولى في العالم التي تعتمد على غاز الايدروجين في معظم عمليات التصنيع فيها . وقد تم تشغيلها في عام ١٩٦٨ وبلغت تكلفتها حوالي ٦٠ مليون دينار كويتي . وتضم المصفاة احدى عشرة وحدة انتاجية ، اضيفت اليها وحدة اخرى في عام ١٩٧٧ ، ويتم انتاج غاز الايدروجين في المصفاة بواسطة وحدتين تعتبران من الوحدات الكبيرة بالمقارنة بمثيلاتها في العالم ، لتصنيع هذا الغاز وقد تم اضافة وحدة غاز ثالثة خلال عام ١٩٧٧ . وتعتبر وحدة معالجة المخلفات الثقيلة من الوحدات الهامة في المصفاة حيث يتم فصل الكبريت وبعض الشوائب الأخرى من الزيت الثقيل ومعالجته الى ان يتحول الى منتجات اخف تعالج فيما بعد في وحدات تحسين أخرى لرفع جودتها ، وتبلغ طاقة وحدة استخلاص الكبريت اكثر من مائتي الف طن سنويا .

ولقد كانت الطاقة الانتاجية للمصفاة طبقا للتصميم الاصلي ٩٥ الف برميل يوميا ، مالبثت أن ارتفعت الى مائتي الف برميل يوميا نتيجة لتنفيذ مشروع ازالة العقبات والتعديلات الاخرى التي اجريت عليها . والى جانب ذلك تنفيذ مشروع التكسير الايدروجيني الذي يهدف الى زيادة طاقة المصفاة لتتمشى قدرتها مع الطاقة التكريرية الجديدة ، كما أنشئت حديثا وحدة لمزج وتعبئة زيوت التزييت لسد حاجة السوق المحلية .

وتقوم المصفاة بتصدير منتجاتها الى جميع انحاء العالم عن طريق ميناء الشعيبة البحري .

صناعة قديمة تطورت

ونأتي الى نهاية الرحلة مع الشركات الثلاث التي نقدمها كنموذج للصناعات القائمة في هذه المنطقة الحيوية . والشركة الثالثة استمرار لصناعة قديمة بدأت منذ كانت هناك حياة في هذه البقعة من الأرض . . صيد السمك من مياه الخليج الدافئة . . وقد كانت الاسماك غذاء رئيسيا لأبناء الكويت ، الذي تغير هو الوسيلة فقط . . فقد كان الصيد يتم بصورة بدائية في الماضي الى ان تأسست شركة الاسماك الكويتية المتحدة التي تضم الآن الشركات الثلاث التي كانت تعمل في صيد الاسماك وتسويقها وتصديرها . وقد بدأت الشركة المتحدة نشاطها في عام ١٩٧٢ برأسمال قدره عشرة ملايين دينار ، وتحتل مباني ادارة عمليات الصيد منطقة تشرف على حوض صغير



داخل مصنع التعليب .. الخطوة التي تسبق مباشرة عملية التجميد توطئه لارسال الروبيان المعلب الى الاسواق المحلية أو تصديره للخارج .

خصص لرسو اسطول الصيد الذي يتألف من ٢٣ قاربا بخاريا لصيد الاسماك والروبيان .

ويعمل في الشركة ١٢٠٠ موظف وعامل وتضم اربعة اقسام هي ادارة عمليات الصيد ، وادارة التسويق ، ثم الشئون المالية والشئون الادارية ، ويصل الانتاج اليومي من الروبيان الى ستين طنا ، وقد انشأت الشركة مصنعا للثلج ، وغرفا للتبريد تتسع لتخزين خمسمائة طن من الروبيان ، كما اقيم مصنع لطحن الروبيان والاسماك غير الصالحة للاستهلاك الآدمي ، وتحويلها الى علف للدواجن بطاقة قدرها خمسون طنا يوميا .

ويقول السيد محمود عويضه مدير عام عمليات الصيد : « اننا نعمل بالتنسيق مع معهد الكويت للابحاث العلمية الذي يتولى استزراع انواع معينة من الروبيان تتلاءم مع بيئة الكويت ، وتتم هذه العملية خلال الفترة الواقعة بين اول فبراير حتى شهر يونيو من كل عام ، وهنا تتوقف عمليات الصيد خلال هذه الشهور الخمسة ..

وقد لايعرف البعض ان الشركة تصدر الروبيان عن طريق ميناء الشعيبة التجاري الى امريكا واليابان ، وبعض الدول الأوروبية الى جانب توفير احتياجات الاسواق المحلية بطبيعة الحال .

○○○

سألنا احد كبار رجال الاقتصاد : « هل تصبح الكويت بلدا صناعيا يمكن ان يحقق الاكتفاء الذاتي في مجال السلع الاستهلاكية على الاقل ؟ »

قال : « لا ارى سببا واحدا يحول دون انطلاق الكويت في هذا الاتجاه . صحيح ان البلاد تفتقر الى المواد الخام . ولكن اليست هذه حال اليابان ، اكثر دول العالم تقدما في الصناعة اليوم .. اذا استطاعت الكويت ان تحقق قفزات كبيرة في مجال الصناعة اليوم ، فسوف يأتي اليوم الذي يقل فيه اعتمادها على الدول المتقدمة . ولااظن ان هذا اليوم سيكون بعيدا .. »

○

منير نصيف .

مشتقات البترول

مشتقات البترول كثيرة ومتنوعة ، بينها النافثا التي تدخل في صناعة خيوط النايلون والاكريلك والخيوط الاخرى الاصطناعية واللدائن . وكذلك الكيروسين الذي يستخدم في ادارة محركات الطائرات النفاثة ، والكيروسين للاستخدامات الصناعية الاخرى والديزل للمحركات والآليات الثقيلة ، وزيت الاحتراق الذي يستخدم كوقود للبواخر ، أو مصادر الطاقة لبعض المصانع . وتصدر المشتقات الى معظم دول العالم في أوربا وآسيا وافريقيا .



حمل مشعل الأدب في تونس بعد أبي القاسم الشابي . إنه أديب مجهول . . أديب غريب . عاش من أجل الانسان الفقير المطحون .

علي الدوعاجي

أديب تونس المجهول في بلده ووطنه

بقلم فاضل خلف

عاش علي الدوعاجي ، اربعين عاما على هذه الارض . . هائما على وجهه في دروب الحياة ، بحلوها ومرها ، بسعادتها وشقائها ، بآلامها وآمالها . .

ولقد احببت علي الدوعاجي ، بما شاهدته عنه ، على صفحة تلفزيون تونس ، في عدة حلقات تمثيلية ، واحببته بما قرأت عن سيرته ، برغم قلة المعلومات ، واحببته اكثر واكثر ، في كتابه المرح الضاحك ، الذي تتموج فيه الحياة في كل صفحة من صفحاته ، بل في كل سطر من سطوره . . انه كتابه الصغير الحي « جولة » بين حانات البحر المتوسط » .

ان الاديب الفنان ، هو ذلك الذي تحس عندما تقرأ له ، بانك في ضيافة انسان سامر معطاء . يجعلك لا تمل ضيافته لحظة واحدة من زمان . . بل يأخذ بيدك في رفق وحنان ويسير بك في دروب جميلة ، تغمرك بفيض زاخر من السعادة والطمأنينة . . ولا يتركك الا وانت راض عن تلك الضيافة كل الرضا ، متمنيا من كل قلبك ان تعود الى هذا المضيف المعطاء مرة ومرات .

هكذا الاديب الفنان . . وهكذا الاديب التونسي ، علي الدوعاجي . .

إن علي الدوعاجي ، ليس معروفا في المشرق العربي ، بل انه غير معروف في تونس ـ كما يجب ان يعرف ـ حيث ولد ، وحيث نشأ ، وحيث مات . . ولولا ما كتب عنه من فصول قصيرة وما اذيع عن حياته في الراديو والتلفزيون ، في السنوات الأخيرة ، ولولا جولته الهائمة الحالمة ، بين حانات البحر المتوسط ، التي اصدرتها الدار التونسية للنشر ، لبقي مجهولا حتى في وطنه . .

فليس من الغريب إذن ، ان يكون علي الدوعاجي ، مجهولا في المشرق العربي . . ولو أن هذا الاديب الفنان ، عاش في مصر مثلا ، لكان له شأن آخر في دنيا الأدب . إن الدوعاجي كثير الشبه في خفة روحه ، ولمحاته الضاحكة ، بفنان الشعب بيرم التونسي ، الذي ولد في مصر ، ونشأ فيها ومات فيها ايضا ، باستثناء أعوام المنفى العشرين التي قضى معظمها في فرنسا ، وقضى اقلها في تونس . . وهذا التشابه ، يظهر واضحا في مذكرات بيرم ، التي نشرت في تونس منذ سنوات .

ان الصحافة المصرية ، وضعت بيرم التونسي في مكانه اللائق ، في دنيا الأدب ، والاذاعة المصرية ، طيرت صيته في الآفاق العربية ، مشرقا ومغربا . . ولو كان للدوعاجي ، بعض الدعاية التي نالها بيرم التونسي ، لكان له في الأدب العربي عش معمور ، بدل هذا العش المغمور الذي تعشش فيه اصداء باهته ، من ذكريات هذا الاديب الفنان . .

« جولة » الدوعاجي

وكتابه « جولة بين حانات البحر المتوسط » هو مجموعة من المقالات القصيرة ، نشرها الدوعاجي ، في مجلة العالم



الادبي التونسية» ، ابتداء من شهر ايلول ١٩٣٥ ، الى شهر شباط ١٩٣٦ . ثم اعادت مجلة المباحث التونسية ، نشرها بين شهري تموز ، ، وايلول من عام ١٩٤٤ .

وتقول الدار التونسية للنشر ، في مقدمتها لهذه الجولة الممتعة : « ظلت هذه الجولة مجهولة لدي عموم القراء في العالم العربي ، وفي تونس ايضا . . ومثل هذه الجولة لا تستحق هذا المصير المزدوج من الجهل والاهمال . . فلها من روحها المرحة ، وسخريتها اللاذعة ، واسلوبها الخفيف الرشيق ما يجعلها مكانا من الذيوع والتقدير ، هي به حرية وجديرة »

وعلي الدوعاجي من مواليد العاصمة التونسية ، في سنة ١٩٠٩ ، وكانت وفاته في عام ١٩٤٩ .

عاش اربعين عاما ـ كما ذكرت ـ على سطح هذا الكوكب الدري هائما على وجهه في دروب الحياة ، حتى تعليمه لم يكن نظاميا ، حيث انه لم يتجاوز المرحلة الابتدائية ، الى غيرها من المراحل العالية . وقد تعلم مباديء اللغة الفرنسية ، مع اللغة العربية ، في مرحلته الدراسية الاولى ، ثم اخذ يتعهد نفسه بالثقافة ، عن طريق القراءة المستمرة . وكان على اتصال وثيق بأدباء عصره ، كأبي القاسم الشابي ، والطاهر الحداد ، وزين العابدين السنوسي ، وعبد الرزاق كرباكة ، ومصطفى خريف ، ومحمد العريبي ، وعبد العزيز العروي ، وبيرم التونسي ، والهادي العبيدي .

وكانت ندوة هؤلاء الادباء ، تنعقد غالبا في مقهى « تحت السور » ، وكان منتدى ادبيا يؤمه الشعراء والادباء ، وعشاق الادب ، وقد اتخذ هذا المنتدى لنفسه مكانا مرموقا في تاريخ تونس الادبي .

خريج مقهى تحت السور

وهكذا ، كانت خطوات علي الدوعاجي الاولى ، في محاريب الادب . تتسم بالفوضى وهو خريج مقهى تحت السور . ولا يمكن ان يكون خريج المقاهي الادبية ، الا اديبا فوضويا في عالم الادب والحياة . . فهل الاديب الفنان ، فوضوي بالضرورة ؟

ان الانسان . . اي انسان نزاع الى الحرية ، وهناك عوامل مختلفة في هذه الحياة إما ان تحد من هذه الحرية فتهذبها ، وتجعل صاحبها يعيش عيشة راضية تنأى به عن الفوضى ، وإما ان تدفع صاحبها دفعا لممارسة حقه في الحرية ، حتى يتجاوز القدر المتعارف عليه للانسان ، وحتى يتجاوز الحرية الى الانطلاق ، ثم يتجاوز الانطلاق الى الفوضى . . والفوضى أقصى درجات الحرية ، فهل كان علي الدوعاجي فوضويا ؟

الجواب عن هذا السؤال ، عند علي الدوعاجي نفسه ، وذلك في مستهل رحلته التي اسماها « جولة بين حانات البحر المتوسط » فقد قال :

« لا أعرف من اين يجب أن أبدأ الحديث بالضبط ، وكل ما اعرفه ، هو انني عزمت على كتابة هذه الرحلة ، التي قمنا بها في صيف عام ١٩٣٣ . وبعد العزم ، اخذت اليوم في التنفيذ . ولا يكون تنفيذ الافكار ، بنفس السهولة التي يعقد بها العزم . وكل العسر متأت من انني لم اتعود تنظيم اعمالي . ولست منظما في افكاري نفسها . فانا فوضوي منذ خلقت ، فقد كان يلذ لي أيام الطفولة ، ان أبدأ طعامي بالفواكه ، اذا كانت هناك فواكه على المائدة . وما زلت الى اليوم ، أطالع القصيدة ، مبتدئا من خاتمتها ، بل من امضاء صاحبها . وهذا بلا شك نقص لي ، اعترف به . ولكنني لا أود تغييره بحال . . . . »

وهكذا جاء الجواب وافيا . . فهذا الاديب الفنان ، فوضوي بالاصالة . . ولكنه فوضوي عذب ، وفوضاه هي الفوضى المحببة ، التي يفيض منها الخير . . وهو لا يعترف بهذه الفوضى فحسب . . بل انه يعترف كذلك بانه لا يود استبدال هذه الفوضى باي نظام . . ولا يود تقييد هذه الحرية . . وهذا الانطلاق . . اذ ان في مثل هذه القيود ، تدميرا للفن ، الذي ينبع من اعماق الاديب ، حاملا معه اعذب الالحان الشادية ، واجمل الاغاريد الزاهية ، واصدق اللمحات المضيئة ، التي تنير دروب عشاق الادب على مر الايام .



وهذه الفوضى ، جعلت علي الدوعاجي ، يأتي بكل جديد ، في عالم الفن الادبي ، وميدان الادب الفني .. فالفن لديه هو التجديد ، والادب عنده هو التطور . والادب ان لم يكن متطورا ، فهو ادب راكد ، والفن ان لم يأت بجديد ، فهو ابعد ما يكون عن مسرح الحياة .

للتسلية فقط !

فالفوضى هذه ، التي كان ينعم الدوعاجي في رياضها ، هي التي املت عليه ، الصدق في الاداء الفني ، والدقة في التعبير الصادق ، فهو يقول في جولته : « وعلى ذكر صدق الرواية ، اعترف انني سوف لا احدثكم ، هنا بما اعتدتموه في كتب الرحلات ، من ذكر غرائب المتاحف ، ونتائج المعامل ، واعماق البحار ، وعجائب الطبيعة ، وشاهق الجبال ، واعماق الكهوف . وكذلك سوف لا اصف الشوارع ، والميادين ، والحدائق ، والعمارات .. لان رحلتي انما كانت للتسلية ، ولا اطمع من وراء تدوينها الا تسلية القراء . اما من رام غير ذلك من الفوائد الجمة ، والحوادث المهمة ، فانا انصح جنابه ، بمطالعة الجرائد اليومية فان فيها من تقارير جمعية الأمم ، ما يجعله فيلسوفا مثل « نيتشه » في اقل من أربع وعشرين ساعة » .

بمثل هذا الصدق ، حاول علي الدوعاجي ، بما أوتي من مقدرة فنية ، ان يلون ادبه بالفن الساخر ، الذي يفيض الحب من اطرافه ، وتشيع السعادة في كلماته ، وينبض كل حرف من حروفه ، بالابتسامة والسرور .. لأنه أبى ان يترسم خطا الأدباء المقلدين ، واراد ان تكون له شخصيته المستقلة في عالم الادب .

ولا يخفى على أهل الادب أن أدب التسلية ، نادر الوجود بين ادبائنا المعاصرين .. وان كان الادب العربي القديم ، يزخر بمثل هذا الفن البديع ، بشطريه الضاحك والساخر . ونذكر في هذا المقام كتابات سيد الفكاهة « الجاحظ » .

وقد ادرك الدوعاجي ، بفطنته النيرة ، وذكائه اللماح ، هذه الحقيقة ، فجعل ادبه هو الادب الضاحك ، الذي يحتاج إليه الادب العربي الحديث .. كما اشرق به منذ قرون ، الأدب العربي القديم . وادرك هذا الاديب الفوضوي الساخر ، أن الانتاج القليل الحي ، خير من عشرات الكتب الميتة ، التي لاتنبض بالحياة ، وان المجلدات أحيانا لا تصل الى ذروة كتاب صغير ، تعطره نفحات الحب . وتضيء صفحاته لمحات السعادة والسرور ، ككتاب « جولة بين حانات البحر المتوسط» الذي الفه هذا الاديب الفوضوي الذي عاش في دنيانا نجما متوهجا في سماء الادب والحياة .. اربعين سنة كان فيها هائما على وجهه ، في دروب هذه الحياة .. بحلوها ومرها ، بسعادتها وشقائها بآلامها وآمالها ..

قصص مبعثرة

ولكي اضع الحقيقة واضحة بخصوص منزلة الدوعاجي في وطنه تونس ، ولدى عامة الشعب هناك ، قبل صدور كتابيه « جولة بين حانات البحر المتوسط » و« سهرت منه الليالي » اللذين كانا في الاصل مقالات وقصصا مبعثرة في الجرائد والمجلات .. لا بأس من اقتباس هذه الكلمات ، من مقدمة الاديب التونسي ، عز الدين المدني لمجموعة علي الدوعاجي القصصية « سهرت منه الليالي » التي اصدرتها الدار التونسية للنشر ، في سنة ١٩٦٩ ثم اعادت طبعها ثانية في سنة ١٩٧١ .. يقول عز الدين المدني :

« يجد الدارس لما خلفه علي الدوعاجي ، من ادب وقصة ومسرح وشعر ، عقبات كثيرة وكبيرة ، تصده عن سبيله . ذلك ان ادبه مشتت ، ومبعثر في المجلات والصحف ، وحتى النشريات التي صدرت خلال الثلث الثاني من هذا القرن بتونس ، ولان انتاجه المخطوط ، كالمسرحيات وبعض القصص ، وعدد من الرسائل ، مازال كذلك في ملك عدد من اصدقائه ، الذين ما يزالون على قيد الحياة .. فكأنك تبحث عن انتاج أدبي مجهول ، لأديب غريب ، عاش في القرون الوسطى وفي بلاد غير بلادنا .. » .

كانت هذه هي منزلة علي الدوعاجي في تونس ، قبل صدور كتابيه ، جولة بين حانات البحر المتوسط وسهرت منه الليالي ، منزلة اديب غريب ، صاحب انتاج مجهول ، أديب غريب كأنه يعيش في القرون الوسطى ، وفي بلاد غير تونس . أما بعد صدور هذين الكتابين ، فقد اختلف الامر ، وأصبح الدوعاجي معروفا لدى الطبقة المثقفة ، بل اصبح معروفا حتى لدى رجل الشارع ، بعد ان عرضت حياته وآثاره الأدبية ، على صفحة التلفزيون ، بعد الصحافة والاذاعة .. وليس كالتلفزيون ، في الاشهار والتعريف والاثارة .

أديب مجهول غريب

هذا في تونس . أما في بقية أرجاء العالم العربي ، فالأمر يختلف .. فعلي الدوعاجي بالنسبة الى المشرق العربي اديب مجهول ، واديب غريب .. وهو الكاتب القصصي

الوحيد ، الذي يمثل ـ فنا ومعنى ـ المجتمع الشعبي التونسي ، في الثلث الثاني من القرن العشرين .. وهو حامل مشعل الادب في تونس ، بعد أبي القاسم الشابي ، وهو ابو القصة التونسية الحديثة بلا منازع .. كما جاء في مقدمة عز الدين المدني ، لمجموعة الدوعاجي القصصية « سهرت منه الليالي » .

ان المعلومات الخاصة ، مفيدة جدا لدراسة أي اديب ، فهي تساعد الباحث على حل كثير من الرموز ، في انتاج الكتاب والشعراء ، وإن زعم بعض النقاد ان المعلومات الشخصية قد لاتكون ذات قيمة للباحث الناقد على أساس أن توفر مثل هذه المعلومات ، وعدم توفرها سيان . وقد يكون هذا الرأي الاخير ، مصيبا في بعض الوجوه .. الا انني اميل الى الرأي القائل بان التعريف بسيرة الأديب الشخصية ، قد تكون ضرورية في بعض الاحيان لاكتشاف جوانب هامة في أدب الكاتب والشاعر ، فكم من حادثة بسيطة ، مرت في حياة الاديب ، كان لها صدى واضح النبرات في انتاجه ، من نثر وشعر .. وقد يظل هذا الصدى ، او هذا التأثير ، خافيا على اقلام الباحثين ، حتى يكتشف ، فيظهر واضحا له جرس ورنين .. وذلك بفضل خبر بسيط ، او حادثة معينة ، في حياة ذلك الاديب ..

ان المعلومات الخاصة ، قليلة جدا عن هذا الاديب ، ويمكن القول بأن أوفى ترجمة عنه جاءت في تقديم الاديب ، عز الدين المدني ، لكتاب « سهرت منه الليالي » ، وهي مجموعة الدوعاجي القصصية التي اصدرتها الدار التونسية للنشر .

التاجر الاديب

وقبل وضع ما لدينا من اخباره الشخصية ، وسيرته الذاتية ، بين ايدي القراء ، لابأس من القول ، بأن هذه المجموعة القصصية ، والمجموعة الاخرى السياحية ، التي تحدثنا عنها باسهاب ، وهي جولة بين حانات البحر المتوسط ... ليستا كل ماأنتجه علي الدوعاجي من أدب وفن ، كما قال الاديب التونسي محمد العروسي المطوي في تصديره ، للمجموعة القصصية « فما يزال امام الدارسين وذوي الهمة ، من آثار الدوعاجي النثرية والشعرية ما يحفز الهمة ويدعو الى العمل في سبيل اخراج الآثار الكاملة ، لهذا الاديب الممتاز » .

قلنا ان الدوعاجي تعلم اللغة العربية واللغة الفرنسية في المدرسة الابتدائية ، ونستمر اليوم في ذكر بعض المعلومات ، التي وردت في تقديم ، عز الدين المدني ، بتصرف يقتضيه المقام .

« عمل الدوعاجي في صغره صانعا عند احد تجار الاقمشة بالعاصمة التونسية . ثم ترك العمل بعد فترة قصيرة ، لأنه كان مهيئا للأدب والفن ، وما أبعد التجارة عن الادب ... وقد كان تركه لها عن قناعة ليتفرغ بعد ذلك للقراءة والكتابة .. القراءة الكثيرة المتواصلة ، والكتابة القليلة الجيدة .. وكان يعيش عيشة الكفاف والتقشف ، ان لم تكن حياة الضيق والحرج ، اذ كان مورد رزقه الوحيد ، هو ما كان يتقاضاه من مال من الاوقاف ، على حساب ميراث خلفه له الاجداد ..

كان الدوعاجي دائم البشاشة ، ذكيا فطنا ، وصاحب نكتة لاذعة لايبسط يده ، ولايمسكها مولعا باللهو ، ومغرما كذلك بالجد . وعاش عزبا طوال حياته ، وكان يحب في اول عهد الشباب فتاة يهودية من حي اليهود ، ولم يقترن بها لاختلاف الدين ، ولاسباب اجتماعية ونفسانية تناول مع عدد من رفاقه المخدرات وأدمنها حتى تأثرت رئتاه ، فنقل الى مستشفى الرابطة ومات فيه بمرض السل يوم ٢٧ أيار سنة ١٩٤٩ .

لم يعرف علي الدوعاجي اباه ، فلقد توفي ابوه وهو في الخامسة من عمره ، وكان محل عناية من قبل والدته ، التي توفيت بعد ابيه ببضع سنوات ،فنشأ يتيما .

كان علي الدوعاجي يغرف من الواقع التونسي الشعبي ، الغرف الواسع ، الكبير .كان يبني به فنه القصصي . فلقد اولى اهتمامه بالطبقات الشعبية ، المعذبة في طلب الخبز .واعتنى بها بالغ العناية . واغلب الظن انه كان يعطف عليها ، ويرق لحالها كثيرا .

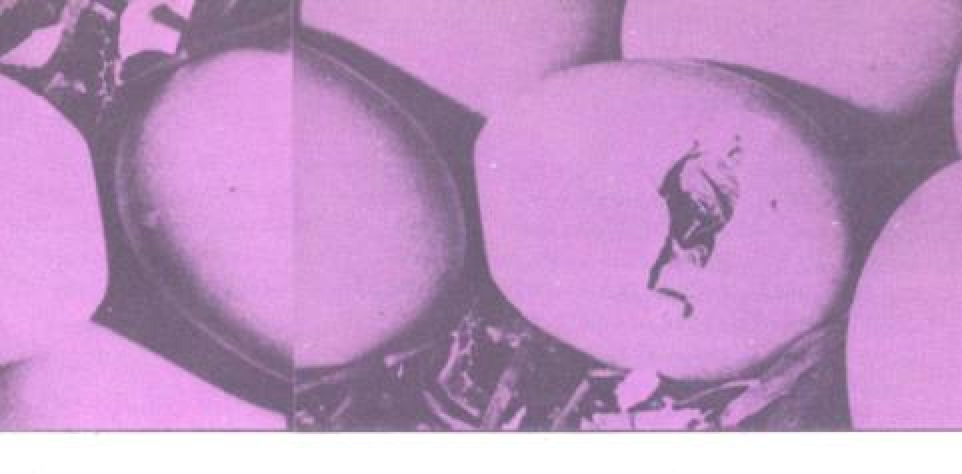
وعالم علي الدوعاجي زاخر بالمشاعر والقيم . دنياه مكتظة باحاسيس الانسان المدمر المقهور ، الذي يرجو بصيصا من النور . »

هذه بعض مقاطع ، اقتبسناها من تقديم عز الدين المدني لقصص الدوعاجي (سهرت منه الليالي) .

وهي بعد معلومات تضيف الى معلوماتنا عن الدوعاجي زيادة واضافات .هذا الاديب الفنان الذي عاش اربعين عاما ، كان فيها هائما على وجهه في دروب الحياة بحلوها ومرها ، بسعادتها وشقائها ، بآلامها وآمالها .. انها اربعون عاما فقط . ولكنها في اعمار الادباء دهر ، فعمر الأديب الفنان هو عمر الزمان ، انه متواصل الحركات متصل الحلقات ، نابض بالحياة ..

○

فاضل خلف



ويسألونك عن البيضة

الرحلة الأزلية من بطن الدجاجة إلى مائدة الإنسان

بقلم الدكتور / محمد مروان السبع

هل خطر لك أن تسأل مرة : ما هو سر بيضة الدجاجة ، وكيف تقطع الرحلة من رحم الدجاجة الى مائدةالطعام ؟ .

الثابت ان جميع الكائنات الحية ومنها الانسان تتصف بسمات مشتركة متواكبة على الدوام . ومن هذه الخصال التغذي على مختلف المواد الغذائية والعضوية للقيام بأود معيشتها ولاستمرار العمليات الحيوية المختلفة الجارية في الجسم الحي . كذلك من الثابت أن غذاء الانسان يتألف من شقين أساسيين يمدانه بأغلب المركبات الغذائية وأهم العناصر الضرورية لبناء الجسم وحركته وحيويته وهما :

المصدر النباتي : ومنه يستمد الانسان كافة الاغذية والمركبات ذات الطبيعة النباتية بما فيها السكريات والدهون والبروتينات والفيتامينات والأملاح المعدنية .

المصدر الحيواني : ويزود الانسان بالاغذية والمركبات ذات الطبيعة الحيوانية . وبدون جدال فان خطر هذه المركبات عظيم وفضائل هذه الاغذية لاتحصى ، بل وتفوق الاغذية النباتية بمزايا كثيرة . منها احتواؤها على الكثير من الاحماض الامينية التي تفتقر اليها الاغذية النباتية والتي تشكل العمود الفقرى للبروتين الحيواني الذي يحصل عليه الانسان عند تناوله الاغذية الحيوانية كاللحم والحليب والبيض والسمك والفروج وما سوا ها . ومن الجدير بالذكر أن معيار تقدم الدول والشعوب يقاس بنسبة استهلاك المواطن من البروتين الحيواني في اليوم الواحد وسنقصر حديثنا في هذه المقالة على مشاركة البيض في البروتين الحيواني ضمن الاغذية الحيوانية الاخرى التي ذكرناها .



التركيب الغذائي للبيضة :

قد يكون من الحقيقة في شيء أن كثيرا من الناس المستهلكين للبيض لديهم المام نسبي بالقيم الغذائية العالية التي تمتلكها البيضة ، شأنهم في ذلك شأن معرفتهم الخاصة والمحدودة بالفوائد الغذائية العالية لبقية المنتجات الحيوانية الاخرى كالحليب واللحم وغيرها . ومع هذا فاننا نجد من الضروري التعرف الى العناصر الاساسية التي تضمها البيضة في مكوناتها وهي كما يلي : -

الاح أو الزلال (البياض) ٩ , ٥٥ ٪ - المح (الصفار) ٣٢ ٪ القشرة المكسية ١ , ١٢ ٪ ولعل من المعلوم أن جميع اناث الكائنات الحية تفرز بيوضا كاعراس تناسلية انثوية كي تجتمع مع الاعراس التناسلية الذكرية وتعطي الاجنة بعد ذلك . ولهذا فان هذه البيوض تحتوي على المواد الغذائية بنسب متفاوتة تبعا للنوع الحيواني ، وطبقا لطريقة التوالد وحسب حجم البيضة . وعلى الرغم من أن جميع البيوض تحتوي على المواد الغذائية اللازمة لتغذية الجنين وامداده بأسباب البقاء خلال فترته الجنينية

ضمن البيضة ، الا أن بيض الدجاج - بشكل خاص - مغاير لبقية بيوض الطيور . فهو أغنى نكهة وأطيب مذاقا وأكثر فائدة وأوفر تطابقا لحاجات الانسان الغذائية .

ومن الجدير بالتنويه أن البيض يعتبر الغذاء المفضل للحمية ولنظام التغذية ضد السمنة لقلة احتوائه على الدهون . وهنا نجد لزاما علينا أن نتعرف الى المكونات الغذائية المختلفة التي تحتويها البيضة .

ماء ٦ , ٦٥ ٪ بروتين ١ , ١٢ ٪ دهون ٥ ر١٠٪ كربو هيدرات(سكريات) ١ ٪ أملاح معدنية ٩ , ١٠ ٪ وكذلك تحتوي البيضة على فيتامين A ومجموعة فيتامينات B , E , D . ومن الأملاح المعدنية الهامة الموجودة في حنايا البيضة الكالسيوم والفوسفور والحديد واليود وغيرها . ولعل مقدرة الجسم الانساني على هضم المواد الغذائية الموجودة في البيضة وتمثلها مرتفعة جدا . اذ تبلغ حوالي ٩٦ - ٩٧ ٪ ، ومن المعلوم أن هذه النسب الغذائية للبيضة تختلف تبعا لعوامل عديدة . فمثلا اذا زاد وزن البيضة عن حدها المعهود ترتفع كمية الاح (البياض) أكثر من المح (الصفار) . غير أن العكس هو الصحيح عندما تتقدم الدجاجات في العمر حيث ترتفع كمية الصفار على حساب البياض . وكذلك تختلف النسبة بين هذين المركبين تبعا لموسم السنة فان نسبة البياض تتأرجح بحيث تصل الى اقصاها في الشتاء وتنخفض في الصيف والخريف . وكذلك نجد أن نسبة الصفار في الدجاج البلدي عالية بعكس الدجاج الاجنبي حيث تكون نسبة البياض في البيضة أعلى .

أشكال البيوض وأنواعها

البيوض التي تنتجها الدجاجات ذات أشكال مختلفة والوان متباينة ، كما هو الحال تماما في كل الانسال الناتجة عن الكائنات الحيوانية . والشكل الطبيعي للبيضة هو الشكل البيضاوي ذو الرأس العريض من جانب والرأس الحاد من الجانب المقابل . والدجاج الصغير المبكر في وضع البيض يعطي بيضا صغيرا بسبب قلة الصفار . وقد تلاحظ أشكالا شاذة للبيض مثل البيض ذي الصفارين . ويحصل هذا بسبب إفراز بويضتين مفعمتين بصفارين من المبيض في آن واحد . أو قد تنشأ هذه الحادثة عن تأخر البوق أو (القمع) وهو أول القناة البيضية المقابل للمبيض - في التقاط البويضة فتمكث يوما كاملا حيث تفرز بويضة ثانية بصفارها وتجتمعان معا في بيضة واحدة . غير أن نسبة هذه البيوض قليلة لاتتجاوز ٢ بالألف من البيوض الطبيعية ذات الصفار الواحد ، وكذلك قد تخرج البيضة بدون قشرة ولكن لها غلاف رقيق فقط . وتحصل هذه الحادثة بسبب سرعة مرور البيضة في رحم الدجاجة وعدم توقفها

فترة كافية لصب الكلس عليها ، أو بسبب قلة الكالسيوم في عليقة الدجاج - أو في حالة فشل الرحم في أداء وظيفته . ومن الاشكال الشاذة لبيض الدجاج أيضا وجود بيض خال من الصفار تماما ، أو صغير الحجم جدا أو يوجد صفار قليل جدا ، ويعتقد بأن السبب في هذه الحالة عائد إلى وجود منبهات خاصة تنبه منطقة المعظم من القناة البيضية (وهو مكان افراز البياض) فتفرز كتلة متوسطة من البياض ثم يتشكل عليها قشرة . ويزداد احتمال حدوث مثل هذا البيض في بداية موسم وضع البيض ، وهناك أيضا البيض الضخم الكبير غير الاعتيادي . وكذلك قد يلاحظ بيض بقشرة كلسية مزدوجة بحيث تتواجد بيضة داخل أخرى وتعرف هذه الحادثة لشذوذ في الانقباضات الدورية لقناة المبيض بحيث تبقى البيضة في منطقة الرحم أطول من الفترة المحدودة لها . وقد ترى بيوضا مشطورة أو مضغوطة في الوسط أو من أحد الجوانب . وكذلك قد تلاحظ بيوضا على صفارها بقع دموية ناشئة عن نزيف في الشعيرات الدموية للمبيض . وأخيرا قد تجد بيضا رقيق البشرة مجعدا وما الى ذلك .

البيض في التراث

عندما نتصفح مواضيع الحيوان في تراثنا العلمي العربي الاسلامي نجد تفصيلا واسعا عن الدجاج ، وتربيته ، وتفريخه ، ومواصفات البيض ، وخصائص الفراخ والفروج . ومن جملة هذا التراث ما كتبه الجاحظ في موسوعته الخالدة « الحيوان » حيث نلاحظ اهتماما بالغا بأوصاف الدجاج وغرائزه ومعايشه وتغذيته وتناسله وغير ذلك . وأما فيما يتعلق بانتاج البيض فيتعرض الجاحظ باسهاب الى عدد البيض وحجمه ، وأوصافه وحالات الاجنة فيه . ولا بأس علينا أن نقتطف الفقرات الموجزة التالية :

« ولما كانت الدجاجة تحضن ولا تزق زاد الله في عدد بيضها وفراريجها . واذا كثر الدجاج في دار أو اصطبل أو قرية لم يكن عدد بيضها وفراريجها على حسب ما كان يبيض القليل منهن ويفرخه . وهي بمصر ترعى كما يرعى الغنم ولها راع وقيم والموت الى الدجاج سريع جدا .

والدجاجة تبيض في كل السنة خلال شهرين . ومن الدجاج ما هو عظيم الجثة يبيض بيضا كبيرا وما أقل ما يحضن . ومن الدجاج ما يبيض ستين بيضة (١) وأكثر الدجاج العظيم الجثة يبيض بيضا كثيرا . واذا هرمت الدجاجة فليس لأواخر ما تبيض صفرة . وبيض أبكار الطير أصغر . وهنالك فراريج تضع بيضا دون أن ترى ديكا قط (٢)

ولا يكون نسل الا أن يسفد (أي يلقح) الدجاج ديك . وبيض الصيف المحضون أسرع خروجا منه في الشتاء . ولذلك تحضن الدجاجة البيض في الصيف خمس عشرة ليلة . وفساد البيض في الصيف أكثر والموت فيها أعم وأكثر . ومن الدجاج ما يبيض بيضا له صفرتان . وقد عاينوا للبيضة محتين . واذا لم يكن للبيضة مح لم يخلق من البيضة فروج ولا فرخ لأنه ليس له طعام يغذوه . ويربيه اذا كان فيه محتان وكان البياض وافرا ، ولا يكون ذلك للمسنات . فاذا خلق الله تعالى من البياض فروجتين وهناك محتان تربى الفروجان وتم الخلق »

أرأيت - عزيزي القاريء - الى هذا التحليل العلمي المسهب والشرح الواضح لانتاج البيض في الدجاج والذي ينم عن خبرة عملية واسعة واطلاع علمي غزير لايضاهى ولا يجارى ؟ ! غير أن لنا ملاحظة بسيطة وهي أن كل ما أورده الجاحظ عن انتاج البيض وخصائصه ومزاياه صحيح تماما الا الجملة الاخيرة فقط ، حيث انه قد ينشأ فرخان في بيضة واحدة - نعم الا أنهما ليسا سويين بل يموتان لضعفهما ولضيق المكان داخل البيضة ولعدم كفاية الغذاء المحدود لكليهما فيها .



(١) حاليا يبلغ متوسط انتاج البيض في السنة حوالي ٢٨٠ بيضة في سلالات الدجاج المشهورة .

(٢) وهذا ما يحصل في الوقت الحاضر في كل مداجن الدجاج البياض .



وكذلك قال الطبري (علي بن سهل بن ربن) في كتابه « فردوس الحكمة » وقد شبه بقراط الجنين بكون الفرخة في البيضة ، فتنشأ لها عروق ممتدة في الصفار والبياض ، واذا فني غذاء الفروج في البيضة تتحرك حينئذ لطلب الغذاء وتحس الدجاجة حينئذ بحركة الفرخة لطلب الغذاء فتخرجها بمنقارها .

الرحلة داخل الجهاز التناسلي

لعل مسيرة البيضة خلال تشكلها داخل الجهاز التناسلي للدجاجة يعطينا تصورا رائعا عن مختلف العمليات الحيوية المتتالية وراء بعضه والتي تنتهي باعطاء البيضة شكلها المعروف وعناصرها الغذائية المشهورة .

ومن المعلوم أن للدجاجة مبيضا أيسر أوحد . بينما يضمر المبيض الأيمن ويصبح أثريا لا عمل له ولا فائدة منه الا في بعض الحالات الاستثنائية النادرة حيث ينتبه بفعل جرثومي أو وخز خارجي ويفرز نطافا خلافا كما هو معروف عن المبيض ، ويحول الدجاجة الى ديك . وهذا من المواضيع المشهورة عن تحول الدجاجة الى ديك بفعل الهرمونات الذكرية .

وكما في المرأة فان مبيض الدجاجة لاينشط ولا يبدأ بالافراز الا بعد وصول الدجاجة الى النضج الجنسي في عمر يتراوح بين ٥ ـ ٦ أشهر . وأول ما تبيض الدجاجة بيض صغير الحجم قليل العدد ثم يبدأ بالتزايد حتى تصل الدجاجة الى ذروة انتاجها بحيث تعطي بيضة كل ٢٥ ـ ٢٦ ساعة في السلالات البياضة المشهورة .

وغني عن التعريف أن البويضة التي تخرج من المبيض هي التي تدعى بالرشيم . وهي قطعة بيضاء تشكل الجنين فيما اذا اتحدت مع نطفة الديك في التلقيح الطبيعي أو عند التلقيح الاصطناعي . تخرج هذه البويضة محاطة بالصفار (المح)من كل جانب ، وتقذف خارج المبيض فيتلقفها القمع أو البوق خلال نصف ساعة فتنطلق البيضة منه الى منطقة أخرى من مناطق القناة البيضية التناسلية للدجاجة وتدعى « المعظم » حيث تفرز عليها طبقات متتالية من البياض أو الزلال (أح البيض) وتبقى فيه حوالي ٣,٥ ساعات وبعد ذلك تنتقل البيضة الى منطقة البرزخ حيث يتشكل لها غشاء . وهو الذي نلاحظه بوضوح عند سلق البيضة . ثم يفرز عليها الماء خلال نصف ساعة . ويستطيع هذا الماء أن ينفذ من خلال الغشاء المتشكل بخاصية الحلول والانتشار (الضغط الأوسموزي) . وتأتي بعد ذلك عملية تشكل الرباط (الكلازا Chlaza)الذي يساعد في تثبيت الصفار الى وسط البيضة مهما تعرضت الى حركات وانقلابات في الوضع والدحرجة . وتستغرق عملية تشكل الرباط حوالي ساعة تنتقل بعدها البيضة الى الرحم حيث تمكث فيه أطول فترات مسيرتها (حوالي ١٧ ـ ١٩ ساعة) ، حيث تصب عليها فيه كربونات الكالسيوم لتشكل القشرة الكلسية للبيضة . ولعل من المهم أن نذكر بأن هذه القشرة مسامية تسمح مسامتها بتبادل الغازات بين البيضة والوسط المحيط . وبدون شك فان سُمك القشرة الكلسية تختلف تبعا لاختلاف نسبة الكالسيوم في دم الدجاجة . وبعد انتهاء تشكل القشرة تفرز فوقها طبقة مخاطية تجف بعد الوضع مباشرة مكونة طبقة رقيقة تحمي البيضة من دخول الجراثيم الى داخلها وبعد ساعة من انتهاء تشكل الكلس تخرج البيضة من مجمع الدجاجة Cesspool وبذلك يبلغ مجموع ساعات المسيرة التي تستغرقها رحلة البيضة داخل القناة البيضية للدجاجة حوالي ٢٥ ـ ٢٦ ساعة .

أما الغرفة الهوائية التي نشاهدها في الطرف العريض للبيضة فانها تتشكل بعد نزول البيضة ، وبدء تعرضها للجو المحيط ، حيث تتكمش محتوياتها بسبب التبخر ، واختلاف درجة حرارة البيضة عن حرارة الوسط المحيط . فيؤدي ذلك الى انفصال بين غشاء البيضة والقشرة الكلسية وتتكون بذلك الغرفة الهوائية .

فساد البيضة والقاحها :

من الأمور الواجب التنويه عنها أن البيضة تتلقح بنطاف الديوك سواء بالتلقيح الطبيعي أو بالتلقيح الاصطناعي الذي يقوم به الطبيب البيطري باستخدام السوائل المنوية للديوك . ويحصل لقاء النطفة مع البويضة في منطقة المعظم . وعلى هذا فان غالبية الدجاج السارح مع الديوك في الحقل أو الحظيرة ستلقح بيوضها حتما . أما اذا ربيت الدجاجات البياضة لوحدها دون ديوك كما في مزارع الدجاج البياض فان البيوض الناتجة لن تغدو ملقحة اطلاقا ولن تعطي نسلا . وفساد البيض الملقح بالنطاف أسرع من ذاك العديم التلقيح لان الانقسامات الخلوية تتوالى وتستمر بعد تشكل البرعم الجنيني بدرجات متفاوتة حتى في أماكن تخزين البيض .

ولعل كثيرا من التساؤلات تطرح من قبل المستهلكين عن النكهة اللذيذة لبيض القرى بالمقارنة مع طعم البيض الناتج عن مزارع الدجاج الياض . وللاجابة على هذه التساؤلات لابد من التذكير بأن الدجاج في الريف والقرى يسرح طيلة النهار بحثا عن غذائه فتتنوع مصادره كما يتناول أيضا كميات من الاعشاب الخضراء الغنية بصبغة الكاروتين فتضفي على الصفار لونا فاقعا مرغوبا ونكهة لذيذة . وأما الدجاج المربي في المداجن فانه محروم من الاعشاب الخضراء ولذا فان الصفار ذو لون باهت . وبسبب اضافة زيت السمك الى العلف لتأمين الفيتامينات المطلوبة للدجاج فان البيضة تكتسب طعما زنخا نسبيا .

وهنالك اختلافات كبيرة في الكفاءة الوراثية بين أفراد الدجاج البياض في وضع البيض . فهناك دجاجات غزيرة وأخرى متوسطة وثالثة مقلة . ومن المعلوم أن الدجاجة الغزيرة الانتاج تضع ست بيضات في الاسبوع وتستريح يوما بحيث يتراوح الفرق الزمني بين بيضة وأخرى حوالي ٢٥ ـ ٢٦ ساعة كما ذكرنا ، بينما دجاجات أخرى تضع ثلاث بيضات وتستريح يوما. وعلى هذا فان الدجاجات بقدرتها الوراثية على وضع البيض بغزارة أو برداءة ، وقلة أيام الاستراحة أو كثرتها ، واضافة الى ذلك فان موسم وضع البيض واستمراره يختلف أيضا من دجاجة لاخرى حسب كفاءتها الوراثية . فقد لاتعطي دجاجة الا لمدة ٣ ـ ٤ أشهر فقط وأخرى ٧ أشهر فقط ، بينما تستمر الدجاجات الغزيرة في الانتاج الى ١١ شهراً ولا تستريح سوى شهرا واحداً وغالبا ما يكون مواسم التوقف عن وضع البيض في أواخر الخريف وأوائل الشتاء . ويجدر بالذكر أن الدجاجات تموت بسبب شدة النزيف الذي يحصل عند وضع هذه البيوض الكبيرة الحجم .

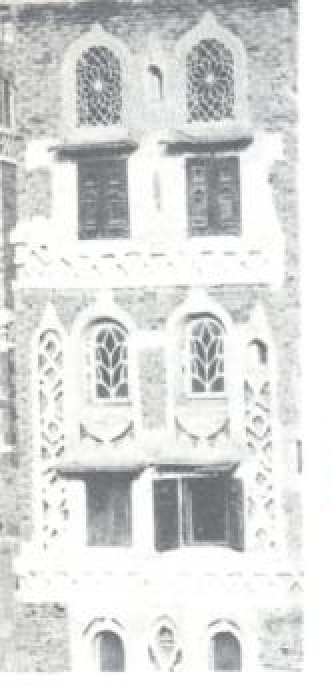
وتتجلى حكمة الصانع الخالق في خلقه بما نجده من تتابع متناغم لايام المرحلة الجنينية للفرخ (الصوص) داخل البيضة . وكما ذكرنا فان الانقسامات الخلوية المتتالية تتعاظم فور تلقيح البويضة في المعظم بالنطفة السابحة ضمن السائل المنوي الذي قذفه الديك داخل القناة التناسلية للدجاجة ، ولا تتوقف الانقسامات الخلوية سواء داخل الجهاز التناسلي للدجاجة أو خارجها . وانما يشتد أوار هذه الانقسامات في البيضة ويتسارع عند وجود الحرارة المناسبة والرطوبة الملائمة . ولقد تبين أن عدد الخلايا المنقسمة في البيضة الملقحة عند خروجها من مجمع الدجاجة Cesspool يجاوز ١٠٠ ألف خلية . غير أن هذه الانقسامات الخلوية قد تتوقف اذا وضعت البيوض في الثلاجة ، أو تتباطأ اذا وضعت في ظروف الجو الاعتيادية .

عندما يحين الفقس

وكما في تطور أي جنين في بطن أمه فان مسيرة الجنين ـ الفرخ داخل البيضة تنطلق بسرعة مرسومة عند وضع البيض داخل المفرخة وتتمايز الاعضاء والانسجة والاجهزة يوما اثر آخر حتى تستكمل هذه المسيرة أيامها الاحدى والعشرين . ومع اقتراب هذا اليوم الحاسم ينفد الغذاء المحدود في البيضة ويضيق المكان على الجنين الملتف والمنكمش داخل البيضة . فيتحرك الجنين ـ الفرخ عندئذ لنقر البيضة من وسطها وبشكل دائري . وبسبب الجهد الكبير الذي يبذله الفرخ في عملية نقر القشرة التي صنعها الفرخ ثم يضغط بجسمه على طرفي الشق فتتكسر البيضة الى نصفين ويخرج الفرخ مبللا منهكا ، ثم لا يلبث أن يملأ المكان بزقزقته المعهودة . وحركته الدائبة بعد أن يجف ريشه ويحس بالجوع . وكما قال الجاحظ يخرج الفرخ كاسيا مكتفيا بنفسه يبحث عن غذائه سواء وجدت أمه أو لم توجد . ولا بأس علينا أن نذكر هنا بأن من الضروري عدم مساعدة الفرخ على كسر البيضة واخراجه منها ـ لان الفرخ الضعيف غير القادر على اخراج نفسه من البيضة لا أمل له في الحياة ولن يكون صحيح الجسم معا في غالب الاحيان ، هذا وتفقس كافة البيوض بين اليومين الحادي والعشرين والثاني والعشرين ـ وبعض الفراخ الفاقسة تتصف بضعف الحيوية أو مصابة بالامراض والطفرات الوراثية والعاهات والتشوهات مثل وجود الرأسين والكساح وانعدام الفك والعرى الكامل من الريش وغيرها . وتلجأ بعض المداجن الى تقديم القشور الكلسية بعد تكسيرها كعلف للدجاج ، وكذلك ترمي البيوض الخالية من الاجنة أو التي تحتوي على أجنة ميتة الى الدجاج لاستهلاكها أيضا وبعد ذلك يجري التخلص من الفراخ المعيبة والمشوهة والمريضة بعد فرزها عن الفراخ الاناث اما بحرقها في أفران خاصة أو تباع في الاسواق للاطفال لعدم وجود أية فائدة منها في انتاج البيض في المستقبل ، وكذا لا يمكن تسمينها كفروج لضعف كفاءتها الوراثية في السمنة وتحويل الغذاء وزيادة الوزن .

وأخيرا فان كثيرا من المعامل تقوم بتصنيع البياض والصفار على صورة مساحيق كالحليب المجفف بعد تجفيفه وسحقه وتعبئته . ولهذا البيض المجفف استعمالات كثيرة في صنع الحلويات والمآكل المختلفة . ○

د . محمد مروان السبع
استاذ في جامعة حلب



صنعاء القديمة

رحلة في بحار الذاكرة

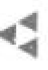
بقلم الدكتور عبد العزيز المقالح

لم يسقط الاهمال ولا النسيان في العصر الحديث على مدينة عربية كما سقط على مدينة صنعاء، هذه المدينة التاريخية البديعة. المدينة التى عاشت كثيرا وكتب عنها المؤرخون الكثير، وكان من حقها، ولا يزال، ان تفاخر بنفسها كواحدة من اقدم المدن الباقية على الارض.

○

ليس الذنب - في تقديري - ذنب المؤرخين والباحثين العرب أو الاجانب الذين طافوا ارجاء الوطن العربي والعالم بحثا عن المدن البائدة والمطمورة تحت الرمال بغية اكتشافها وتحديد زمن ظهورها، ولكن الذنب - كل الذنب - واقع على ابناء اليمن انفسهم، هؤلاء الذين قبلوا تحت عوامل القهر المختلفة ان تمر بهم افضل سنوات العصر الحديث دون ان يفيدوا من منجزاتها، وقبلوا بالتالى ان تبقى مدينتهم التاريخية الجميلة بعيدا عن انظار الآخرين وبعيدا عن اهتمام العصر والعالم.

والآن، وبعد ان بدأ اليمنيون الخروج من دائرة العزلة الشاملة، وبعد ان بدأوا الاقتراب من العصر في محاولة للدخول في سياقه الاجتماعي والحضاري، فان المنطق السليم للمسار الجديد لا بد ان يدفع بهم تلقائيا الى العناية باشياء كثيرة مهملة ومنسية، وفي مقدمة هذه الاشياء المدن التاريخية القديمة سواء تلك البائدة او هذه القائمة. ولا بد أن تكون صنعاء هذه الذكرى العطرة من ازمنة سحيقة في مقدمة هذه المدن تعرضا للبحث والاضاءة التاريخية. ولعل تاريخ اى مدينة في العالم لا يقتصر على تاريخ قصورها ومعابدها ودروبها واسوارها وقلاعها، وانما هو تاريخ اهلها وتاريخ سكانها المتعاقبين، تاريخ شامل لتطور الحضارة الانسانية على ارض هذه المدينة موضوع التاريخ، ومن هنا فان علماء الاجتماع يتطرقون الى نشأة المدن باعتبارها نقطة البداية في تكوين الحياة الاجتماعية،



ومن ثم تكوين الدولة ، وما يرتبط بها من تطور ، وهم يؤكدون أن انتصارات الانسان على الطبيعة والبداوة لم تبدأ الا بعد ان قام الانسان بتأسيس المدن التي ادت الى اختراع القوانين والنظم السياسية والاقتصادية لحماية الجماعات الكبيرة التي لم تعد اعراف العشيرة والقبيلة في القرية كافية لحمايتها ورعايتها من صخب المدينة واضطرابها ، ولهذا فقد ارتبط اسم المدينة ـ اي مدينة ـ بالتمدن والتمدين .

وتطيب لي ـ هنا ـ الاشارة الى بحث جامعي لم ينشر بعد ، كنت قد حاولت فيه تفسير اختفاء الحياة الادبية في اليمن على النحو الذي شاع في بغداد والبصرة ودمشق والقاهرة وقرطبة وغيرها من المدن العربية في المشرق والمغرب ، وقد ارجعت ذلك الى غياب المدينة والى اتجاه الحكام اليمنيين في العصر الاسلامي المتأخر الى تحطيم « فكرة المدينة » واللجوء الى القرى النائية او انشاء المدن الصغيرة لتكون عواصم مؤقته لملكهم الذي لم يكن ليعمر طويلا في وجود المدن الكبيرة المليئة بالمؤامرات والثائرين وفقا لحساباتهم الضيقة وافتراضاتهم القاصرة . وقد نفذت من ذلك الى تفسير غياب المدينة بمفهومها المعاصر في اليمن ، والى ان ذلك الغياب قد شكل اهم الاسباب التي حالت بين اليمنيين وبين التطور وفهم طبيعة التغيير . وصنعاء التي صارت حاضرة اليمن في عهد الامام يحي بعد خروج الاتراك قد اصبحت شبه مهجورة بعد اغتياله وحين ادرك خليفته ان « تعز » قد بدأت تأخذ طابع المدينة هجرها الى « الحديدة » ومنها الى « السخنه » وكأنه بذلك يهرب بنفسه من سطوة المدينة الكبيرة وما يستتبعها بالضرورة من مؤسسات اجتماعية وثقافية وعسكرية لكن ذلك التحوط المبالغ فيه لم يمنع من ان يلقى ذلك الخليفة القصير النظر مصرعه على ايدي بعض شباب العاصمة الاولى التي نفر عنها خوفا من نفس المصير .

والخواطر التالية ليست من التاريخ والبحث العلمي في شيء وهي لا تعدو كونها نوعا من التأمل الخالص الموظف لذكريات الثقافية حين اقتحمت هذه المدينة طفلا ، ودخلت اليها شابا ، وهي كذلك نوع من الاسترجاع الحالم للحظات العلوية التي منحتني اياها صنعاء في محراب الجمال العفوي .

اللقاء الاول :

حين ارى الدهشة تعلو وجوه السواح والزائرين لمدينة صنعاء القديمة ، وحين الحظ العيون وهي تحاول ان تنفتح الى اقصى مدى لها لكي تلتهم بشغف مناظر الأحياء العتيقة في هذه المدينة العريقة ، اتذكر على الفور قصيدة « إيثاكا » للشاعر العالمي « قسطنطين كفافيس » وسرعان ما يتمثل لي هذا الجزء القديم من المدينة ـ بطابعه السوريالي ، وبسوره الطيني وبقبابه البيضاء ومآذنه السامقه ومنازله الراقصة ـ اقول سرعان ما يتمثل لي هذا الجزء وكأنه ـ على نحو من الانحاء ـ ايثاكا المدينة اليونانية الاسطورة ، تلك التي كان لا بد ان يختم الانسان برؤيتها رحلة حياته على الارض .. وكما لا يفهم الناس ولا الشاعر قصيدة « ايثاكا » يقوم لها في ذهني وانا اتأمل صنعاء تفسير خاص يجعل من « ايثاكا » اجمل مدينة في العالم ، ولذلك تحرص العين على أن لا تراها الا آخر الرحلة حتى لا تفسد عليها الرؤية المبكرة متعة النظر الى المدن الأخرى الأقل جمالا والأقل حضورا في التاريخ . ولهذا تمنيت وانا اغالب الدهشة المتبقية في نفسي ، ثم وأنا اقرأها في عيون الآخرين ممن لم يعاشروا صنعاء في طفولتهم وصباهم وفي شبابهم وكهولتهم فيفقدهم طول المعاشرة الاحساس بحضورها الخاص وبايقاعها الجمالي المثير ـ تمنيت لو ان القدر كان رحيما بي فلا ادخل الى صنعاء الا بعد أن اكون قد طوفت بعشرات بل بمئات من المدن حتى تكون هي المدينة الاخيرة . ويكون مستوى التذوق عندي قد ارتفع الى درجة يكون قادرا معها على استيعاب جماليات صنعاء القديمة وجماليات الزمن على وجه صنعاء القديمة .

كنت قادما الى صنعاء من الجهة الجنوبية ، وكان على القادم من هذه الجهة قبل ان يصل الى « باب اليمن » وهو أهم واجمل ابواب المدينة السبعة ، ان يمر بمقبرة بيضاء تبدو قبورها المطلة بالجص الابيض وكأنها بيوت صغيرة . دخلت المدينة من « باب اليمن » وسرت الى جوار السور ، ومررت بمبنى « قصر غمدان » الذي اصبح سجنا وثكنة عسكرية ومخزنا للأغذية . ووقفت قليلا امام مسجد البكيرية العثماني بقبابه العديدة ثم واصلت السير الى ان توقف الركب امام منزل من اربعة طوابق قيل انه سيصبح بيتنا . كان كل شيء في المدينة قطريا وجبلا لكن الناس في المدينة لم يكونوا على ما يرام . كانوا يعانون من الأصفرار والشحوب وهم يتحركون ببطء ، ولا يندفعون في السير كما يفعل اخوانهم في القرى ، لكأنهم ينتزعون اقدامهم من الارض انتزاعا . وقد عرفت السبب بعد سنوات وبعد ان صرت اشاركهم الطريق ، انه الخوف ، ليس الخوف من المجهول وحده ولكنه الخوف من المجهول والمعلوم معا .



حكم بالدمار

كانت صنعاء الاربعينات لا تأكل كثيرا وبذلك حافظت على صحتها وعلى نقائها ، ولم تكن بحاجة الى من يخرج احشاءها كل عام بقصد التنظيف ، وقد ساعد الطقس المعتدل من برد غير مؤذ ، الى دفء لطيف ، على حمايتها من تقلب الفصول وآثارها ، كانت تعيش في بساطة ورقة ، ولم يكن ينقصها سوى حكم عادل او حاكم امين ينهض بها من قاع التخلف ويرفض ان تبقى معلقة بين اوهام الانطواء القاتل واحلام الانفتاح المفسد . وبحثا عن هذين الغائبين فقد رأت المدينة ان تقتل امامها الحاكم بأمره انتقاما لبقائها بعيدا عن الحياة الجديدة ، ونجحت المدينة في القتل لكنها لم تنجح في الدفاع عن الوليد الجديد ، وكانت النتيجة ان حكم عليها بالدمار شبه التام .. لقد عشنا الاسابيع الثلاثة التي تفتت صنعاء خلالها الصعداء بعد رحيل امامها وتحلقنا في مطارها الترابي من حول اول طائرة تكسر جمود المكان والزمان ، لكن الحصار لم يلبث ان احاط بالمدينة من كل الجهات .

ها هوذا الماضي الذي حاولت الخلاص منه يعود كأعنف ما يكون استبدادا وغطرسة ، لقد سكتت المدافع ، وهؤلاء هم رجال القبائل يقتحمون ابواب العاصمة ويتسلقون اسوارها الطينية ، ثم يمضون الى قلبها حيث الاسواق فينهبون ويدمرون ، ثم يمضون الى المنازل الآهلة بالاطفال والنساء فينهبون ويسلبون ويقتلون ويدمرون ، ان هذا الذي حدث في مارس ١٩٤٨ للمدينة التاريخية كان كارثة من اقسى الكوارث التي مرت بها عبر العصور . وقد كان السبب الظاهر لوقوع تلك الكارثة يفسر بالانتقام لمقتل « الامام يحيى » لكن السبب الحقيقي لم يكن سوى الانتقام من المدينة ذاتها ، فقد تكدست الاموال في مخازن حكامها واغنيائها ، اموال الشعب الجائع . وفي تلك الايام السوداء . وحينما كانت القبائل الغاضبة تصول وتجول كنت اشعر بأن صنعاء ترتعد وان التاريخ يقف باكيا عند كل منعطف وعلى كل مدخل من مداخل المدينة المنكوبة .

الوداع الاول :

ودعت صنعاء لأول مرة بعد سبع سنوات من الصحبة العفوية . ولم اكن قد تجاوزت سن الصبا ، وحين ودعتها كنت قد حملت لها في داخلي بالرغم من سنوات البؤس المرير حبا عميقا وذكريات صغيرة بريئة لا حصر لها . كانت خارطة أزقتها الطينية قد صارت محفورة في روحي ، وعلى البعد ظل الحب الذي حملته لهذه المدينة يكبر ويتسع ، وحين بدأت الاقتراب من عالم الادب ، كان اسم صنعاء هو اول ما يشدني في الكتب ، واول ما يهزني في الشعر ، لا سيما الشعر الشعبي الذي التقطه الفنانون وحولوا بعض روائعه الى اغاريد واناشيد انبثقت الحانها من اغوار الشعب واحاسيسه . وهذا يجرني الى ذكر بعض الابيات السقيمه التي كانت شائعة على الافواه وتتردد كلما ذكر الناس صنعاء اوتغنوا بجمالها وهي من الشعر الذي يسيء الى صنعاء والى الشعر كذلك وهي :

لازال من عبق له يهديك
فيباح تشر هب من واديك
صنعاء يا مهد الحضارة والعلا
ومقام كل مبدع ومليك
باريس دونك في الجمال ولندن
وعواصم الرومان والامريكي

أي شيء في هذه الابيات السمجة الضحلة المعاني والمتكلفة الاداء يجعلك تحب المدينة او تهوى الشعر ؟ لقد كان نثر امين الريحاني ذلك الذي كتبه وهو يدخل صنعاء مبهورا بزحمة التاريخ وجلال الزمن ، كان ذلك النثر اكثر شاعرية واكثر تعبيرا عن التواصل النفسي مع المدينة مكانا وزمانا ، وهذا جانب من ذلك النثر الشعري : (وما هي الا ساعة بعد ارتحالنا من حزيز حتى ترامت لنا رؤوس المآذن من تلك المدينة . ثم قباب مساجدها وهي بيضاء تتوهج في نور الشمس الذي يترجرج كالزئبق في الجاف الشفاف من الهواء . بينما نحن ندنو من « نقم » الذي اصبح على يميننا ، اذ بدت المدينة نفسها وهي محاطة بالجبال تمتد شرقا وغربا ، كأنها وهي كلها بيضاء ، سلسلة من التلال الكلسية في سهل ذهبي متقطع الاخضرار . اثنا عشر يوما في المشقات . وهذه صنعاء تنسيك اضعافها . أي صنعاء مثلك لنا التاريخ فكنت مليكة الزمان ، ومثلك لنا العلم فكنت يوما ربة العرفان ، ومثلتك لنا الاساطير فكنت سيدة الانس او الجان . اجل فكم من ليلة ، وفي اليد الكتاب ، والى جانب الكتاب نور شمعة ضئيل ، تغلغلنا في سراديبك . ووقفنا عند كنوزك ، وطفنا حول قصورك ، وسمعنا الشعراء ينشدون الشعر في دررك .

سحر الصورة

اجل ان صنعاء لا تخيب للزائر املا ـ وكلما دنوت منها ، وهو عكس الحقيقة في اكثر المدن ـ ازداد رونقها وازداد اعجابك بها . هي في مقامها الطبيعي فريدة عجيبة . فيها الهواء اعذب من الماء والماء اصفى من السماء والسماء اجمل من حلم الشعراء . وفيها البرد ، وقد علت تسعة آلاف قدم عن البحر يستحيل لقربها من خط الاستواء دفئا . وهي قائمة في قاع سنحان ، تزينها من جهة الروضة وفيها البساتين والكروم ، ومن جهة اخرى الحوطة (حدة) وفيها السواقي والطواحين . ثم تحيط بها الجبال دون ان تقصر ارجاءها . اقربها اليها عصر وهو يظلل المروج في الاصيل .

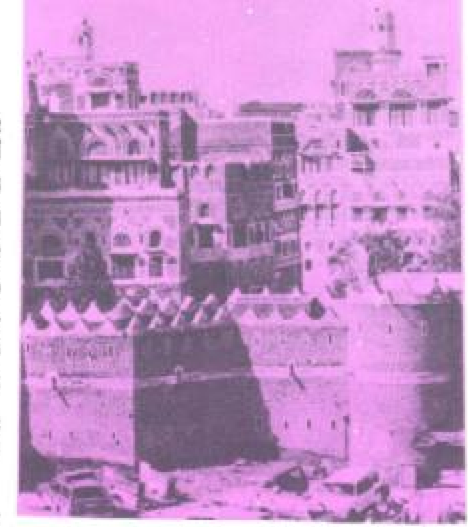
لقد فتنني هذا الانطباع الشاعري الجميل وسحرتني هذه الصورة القلمية البديعة المرسومة لصنعاء القديمة ، وكانت هذه السطور من اولى محفوظاتي ، وهي صورة متوقعة من عربي فنان عائد من نيويورك وقادم عن طريق باريس ، بعد ان امتلك ثقافة عميقة بما هو اصيل وبديع ، واشارته العميقة الى ان الزائر كلما اقترب من صنعاء ازداد رونقها وازداد الاعجاب بها ، وهو عكس الحقيقة في اكثر المدن ـ على حد تعبيره ـ اقول ان تلك الاشارة تكشف عن ابعاد الثقافة القادرة على تقييم ما هو اصيل من خلال الادراك الواعي للمزايا الجوهرية والخطوط الدقيقة للتكوينات الفنية الآتية الينا من بعيد . والمحتفظة في اشكالها وقوالبها القديمة باجمل أصداء الماضي وبأزخم موجات الانفعال والدهشة .

اللقاء الثاني

كان الوقت صيفا عندما رجعت الى صنعاء في أواخر الخمسينات ، وكان النهر الجاف المسمى « السائلة » يتدفق بالمياه بعد أسابيع من المطر الغزير على صنعاء وضواحيها وعلى المناطق القريبة منها . كان للتراب رائحة العطر وللمباني في الليل لون الظلال وكانت السيارة التي جاهدت يوما كاملا لتقطع خمسين كيلومترا ـ قد وصلت بعد لهاث عنيف إلى باب المدينة ، لكن الليل كان قد سبقها وطوى المدينة في ثوبه الرمادي ، وكان الحراس قد سارعوا الى اغلاق الابواب ، ولا بد من الانتظار الى ما بعد طلوع الفجر الباب الخشبي المطعم ببعض الصفائح الحديدية لايمنع الدخول الى المدينة بعد هبوط الليل وحسب ، ولكنه يوحي للناظر اليه بالرعب ويجعله يسقط في بحر من المخاوف والتأملات .

لقد اعتادت المدينة التاريخية أن تنام بعد مغرب كل يوم والمهمة الليلية للحراس أن يغلقوا الأبواب وأن يناموا خلفها من الداخل في انتظار الفجر ، وعلى المسافرين القادمين من أي الجهات بعد اغلاق الابواب ، وبعد نوم المدينة أن يناموا ـ ان شاءوا أو قدروا ـ خلف الباب المغلق من الخارج . لم أنم كانت ذاكرتي ، تخترق الباب الخشبي المغلق وتجتاز الاسوار الترابية العالية ثم تمضي لكي تمسح الشوارع والدروب الخالية والمقفرة من أي لمة ضوء ، كنت أسمع في صمت الليل ما يشبه الصراخ المكبوت ، هل هو صراخ المدينة السجينة خلف الاسوار والابواب المغلقة يوشك أن ينفجر ؟ أم أنه صوت النار القادمة ، النار التي توشك أن تلتهم هذه الاسوار وهذه الابواب لعل المواطن الذي يرتعش خلفها ويمتد الخوف حتى نخاع عظامه يشعر بالامان ، ولعله يعرف طريقه الى العصر من خلال الابواب المفتوحة والنوافذ المشرعة على كل الجهات . ارتفع صوت المؤذن عاليا جميلا بعد موجات هادئة من التراتيل الدينية والتسابيح القادمة من رؤوس المآذن القريبة ، لم تكن مكبرات الصوت قد ظهرت بعد ، الصوت وحده ، الصوت المجرد كان يمزق أستار الظلام ويفتح الطريق أمام الفجر .

لم يكن قد تطور شيء في صنعاء كانت الحركة فيها لا تزال بطيئة وهادئة ، وكانت لا تزال قادرة على النوم في عز الظهيرة ، وعندما دخلت اليها هذه المرة كنت مسلحا بقدر



لابأس به من الثقافة الرومانسية . وقد استوعبت ذاكرتي عددا من القصائد المخصصة في مدح الجداول والأزهار ، وكانت كتابات الرافعي وجبران وقصائد شعراء المهجر وبعض روايات عبد الحليم عبد الله قد أوجدت بيني وبين الطبيعة الخالدة نوعا من الصلة العميقة حافظت على مشاعر الدهشة في نفسي إزاء المدينة . وجعلتني وأنا أدخل اليها للمرة الثانية أحتفظ الى حد كبير بمشاعر الطفل الحالم .

كانت صنعاء القديمة الى الخمسينات تحمل شكلا بالغ الخصوصية ليس في معمارها النادر ولا في دروبها وحاراتها حسب وانما في نمط الحياة وفي أساليب التعامل أيضا ، وقد كان العدد القليل من الاجانب الذين سكنوا صنعاء قبل الثورة يعتبرون أنفسهم من المحظوظين وأي حظ أكبر من أن تعود عشرات القرون لتحيا مع التاريخ وجها لوجه فتتحدث اليه ويتحدث اليك تتعامل معه في الشارع وفي السوق في ثياب الناس وفي معارفهم .

في محراب الغروب

وكل ذلك يتم في اطار تاريخي يجسده شكل المدينة القائم على نمط يعبر عن درجة عالية من الفن والامتاع . ولن أنسى ما حييت حديث ذلك الملحق التجاري التشيكي الذي لاأتذكر اسمه وربما لم أعد أتذكر ملامحه وهو يقف على سطح منزله يحكي عن جمال صنعاء ويمسك بالريشة ليضع اللمسات الاخيرة في لوحة بديعة لركن منها قبل الغروب . كنت وصديق لي قد ذهبنا الى منزله أو بالأصح الى سطح منزله لنشاركه متعة الاستغراق الفني في محراب الغروب عند الطرف الغربي من « بير العزب » قال لنا انه ليس فنانا محترفا ولا هاويا ولكن صنعاء قد جعلت منه في بضعة أشهر عاشقا لفن التصوير . ولست أنسى ما حييت أيضا ، يوما ذهبت فيه مع عالم لغوي من القطر العربي السوري الى مكتبة الجامع الكبير ، كان ذلك العالم الجليل الذي لا أعلم ان كان لا يزال باقيا على قيد الحياة ـ يعرف بمجنون « ليس » وقد جاب الاقطار العربية قطرا قطرا ، وزار بعض الاقطار الاسلامية وذهب الى الاندلس بحثا عن الاحكام المتعلقة بهذا اللفظ واشتقاقه ، أنهينا تقليب الكتب ، وغادرنا مقر المكتبة في الطابق الثاني من المسجد الجامع واتجهنا لأداء فريضة صلاة المغرب ، كان الجامع يومئذ يضاء بالزيت شأن بقية المساجد وشأن كل المنازل في المدينة التي كانت الى أوائل الستينات تضاءبالجاز أو الزيت

كان المصلي في هذا الركن يطيل الصلاة كما يشاء تستغرق الركعة الواحدة أكثر من صلاة كاملة لايشغله شيء من المرئيات سوى خيوط الدخان المتصاعد الذي سرعان ما تتلاشى ويتلاشى معها كل الصور المحسوسة ، ولا يبقى في العين والقلب معا سوى رؤيا النور والهداية . كل شيء صار مضيئا بالحياة ومشعا بالأمل ، وعاطرا بالمحبة . ومنذ تلك الليلة واظبت كل مساء على الحضور وعلى أداء الصلاة في ذلك الركن المضاء بنور الايمان وحده حتى جاءت الكهرباء ودخلت المدينة وغزت ذلك الركن من المسجد الجامع ، واختفى عنه الهدوء وصار كل شيء واضحا وشاغلا للعين والقلب . واصبح المصلي يشعر وهو واقف تحت الاضواء المبهرة أنه في حفل استقبال وأن الناس يرقبونه وهو يؤدي صلاته ، وأدرك المصلون في ذلك الركن كذلك انهم لم يعودوا يصلون نوافلهم كما كانوا لله وحده ، ليس ذلك وحسب بل لقد رافق الكهرباء شيء آخر هو مكبرات الصوت . وقد نال الجامع الكبير منها الكثير فتحولت أوقات الصلاة الى ساعات من ساعات الحشر المنتظر ، وما يكاد صوت مكبر الصوت يدوي الا ويظن من في الجامع أنه قد نفخ في الصور .

الثورة

قامت ثورة سبتمبر ، ومع قيامها بدأ ايقاع الحياة في المدينة العتيقة الجميلة يتغير ، وكما أتاحت الثورة للمدينة العتيقة شرعية التغيير ، فقد أتاحت لي ولغيري من أبناء هذه البلاد فرص الاسفار المتعددة الى مدن عربية وأوروبية كثيرة . وخلال أربعة الأعوام الاولى من قيام الثورة زرت عددا كبيرا من المدن العربية والاوربية ، فقد زرت القاهرة وبيروت ، ودمشق وبغداد ، والجزائر والكويت ، وتونس ، والرباط ، والخرطوم . كما زرت أثينا ، وروما ، وباريس ، وبرلين ، وبون ، وجنيف ، وبراغ ، وفينا ، وبودابست ، وبوخارست ، وصوفيا ،

وبلغراد ، وغيرها وغيرها .

ولم تقدر عاصمة من هذه العواصم الكثيرة عربية كانت أو أوروبية ، لم تقدر على انتزاع أصبع من المساحة التي تحتلها صنعاء المدينة القديمة في القلب والعين ، ولا أنكر أن أصغر وأضعف مدينة في قائمة هذه المدن أرقى من صنعاء وأحفل منها بالجديد والمثير ، وان عددا من هذه المدن قد بهرني وربما سحرني ، ومن منا لم يأسره جمال القاهرة ، وأناقة دمشق ، وشموخ الجزائر ، ورقة تونس ، ومن منا لم يشده عطر باريس ، ولابحيرات جنيف . ولم تلعب بعقله آثار روما وأثينا ، ولم تلعب بقلبه شوارع براغ وحدائق فينا . لكن رائحة التاريخ في شارع الأبهر من صنعاء ، وعبق الزمن الذي يفوح من شوارع الطواشي والفليحي ومن أزقة صلاح الدين . والمنظر السوريالي الذي رسمته منازل بروّم والسايلة ، كل ذلك يجعل المرائي المختلفة هنا وهنا تأخذ شكل التناظر أو التقابل في القلب والعقل بين جماليات الماضي والحاضر وتكون الغلبة في النهاية للقلب الذي يختار جماليات الماضي ممثلة في صنعاء . في هذه البقية الباقية من صفحات تاريخية حية تقوم في المكان الراهن وفي الزمن الراهن ، لا في الكتب ولا في أخيلة الكتاب والشعراء .

الجمال الخالد

وأعترف ان مدينة عربية واحدة ، ليست عاصمة ، وان كان لها شهرة العواصم الكبرى ، لكن هذه المدينة كادت تأخذ في القلب والعين مساحة مساوية للمساحة التي تأخذها صنعاء ، تلك المدينة هي الاسكندرية ذلك الشريط البحري الأبيض المتعرج الراقص . دخلت الاسكندرية شتاء فسحرني صمتها ونقاؤها ، وزرتها صيفا فسحرني كذلك صخبها ومرحها . جئتها قادما من البر فاستقبلني أريج التاريخ مع نسمات حقول كفر الدوار ، وجئتها قادما من البحر فاستقبلني بريق ألوان منازلها البيضاء . شيء ما يجمع بين المدينتين ، ما هو ؟ لا أدري على وجه التحديد ، لكنه قد يكون الايغال في التاريخ ، التآكل البادىء على الاحجار في شاطىء الاسكندرية الطويل كنت أتوقف طويلا لكي أتذكر صنعاء ليس في صنعاء بحر وبالتالي ليس لها شاطىء ، لكنها مدينة أبحرت كثيرا في التاريخ فصارت شوارعها شطآنا للتاريخ ، وعندما أعلنت هذه المدينة وشوارعها الثورة على الجمود وعلى الخوف من العصر لم تكن تعلن الثورة على نفسها وعلى تراثها الفني العظيم ، والفن لاقديم فيه ولا جديد ، وليس في الفن العظيم مايكون قديما وحديثا وسلفيا ومعاصرا ، الفن هو الجمال الخالد ، هو المعاصرة المتجاوزة لكل الأزمان والعصور . وصنعاء القديمة نموذج فريد وعظيم من الفن الخالد ، الفن المتجاوز ، الفن الذي لا يتقيد بزمان عابر ومكان عابر وكانت قد ثارت في عام ١٩٦٢ لأنها سئمت الجمود وسئمت النوم في عز الظهيرة ، وثارت لأنها كانت قد افتقدت الحركة وافتقدت معها العافية والاشواق . وكان انسانها قد أشرف على الانقراض وبدأ جمالها في الذبول فالانطفاء . لذلك ثارت وعقدت العزم على ألا . تظل خامدة نائمة وان تخوض غمار الحياة الجديدة على ألا تفقد طابعها وجذورها الموصولة النسب باحدى اقدم حضارات التاريخ ، وعلى أن تظل هي نفسها ولا تكون سواها مهما كانت حدة المؤثرات وعنف الرغبة للتجديد . ان التجديد والتجدد هما أمل الانسان وملاذه في مناخ محاصر بالتخلف والجمود ، وماذا يتبقى من معالم ابداعات قديمة فرغت من ا لمحتوى الانساني سوى اشكال باهتة ، لكن التجديد والتجدد كلاهما لن يتولد عنهما رؤيا جديدة ، رؤيا تكون ملء السمع والبصر مالم تكن مستنيرة ومستبصرة بقبس من ابداعات الماضي ، وما لم تقم على جذور عريضة عميقة تتحدى عناصر الاستلاب والاغتراب وتتوهج بائتلاق تتجمع في أشعة ابداعه ملامح الماضي والحاضر والمستقبل ، وتتعانق على صعيده الواحد جماليات كل العصور في تناسق وتناغم وانسجام .

فراق طويل .. ثم لقاء ...

عشر سنوات مرت وأنا بعيد عنها ، بعيد عن صنعاء ، فمنذ عام ١٩٦٧ الى عام ١٩٧٧ لم أزرها سوى في الشعر ، ولم التق بها سوى في الاحلام ، وعندما كان الحنين يشتد ويتحول الشوق الى حريق يومي ، كان الشعر هو الملاذ ، وكانت صنعاء رغيف الخبز وفنجان القهوة ، والصورة المرئية عبر كل المناظر والالوان ، وكانت الروح معلقة على الشطر الاخير من هذا البيت :

يوما تغنى في منافينا القدر
لابد من صنعا وان طال السفر

وقد طال السفر ، وامتدت سنوات النفي الاختياري ، وطالت اشجار الحنين وتحول الشوق الى انفجارات تأكل القلب وتمزق اللحم والعظم ، وتولد عن ذلك الشعور عشرات القصائد منها الكلاسيكي الذي يأخذ طابع المعمار الصنعاني العريق ، ومنها الجديد الذي يأخذ ملامح الثورة وصدى ايقاعها السريع ، ولأن الحديث عن صنعاء ، وعن مبانيها وأحيائها العتيقة التي تتناغم مع موسيقى القصيدة الكلاسيكية فسوف أكتفي من رسائل وبرقيات الشوق الى صنعاء بأبيات قليلة من قصيدة « البكاء بين يدي صنعاء » والقصيدة كاملة منشورة في ديوان (هوامش يمانية على تغريبة ابن زريق البغدادي) ويرجع تاريخ

كتابتها الى عام ١٩٧٢ م :

اني إلى صنعاء يحملني
وجه النهار وترحل الأصل
فمتى تظللني مآذنها
ويضيء من أحضانها الجبل
لم يبق في الايام من سعة
حان الرحيل ونوّر الأجل
الموت يا «صنعاي» مغتربا
لا الدمع يدنيني ولا القبل ؟
أوراق أيامي أبعثرها
وأعيش لا يأس ولا أمل

وعدت الى صنعاء ، ومسحت على ترابها الندى أو جاع الغربة الطويلة ، كانت قد امتدت واتسعت وصار لها

مرافقها الجديدة ومؤسساتها المختلفة ، توسعت أوجه النشاط التجاري فيها على نحو لم يسبق له نظير ، المتاجر البنوك . وكأن نزعه التحضر والتجديد المقترنة باليقظة من النوم الطويل لاتريد الخروج من كهف العزلة وحسب ، وانما تريد ايضا أن تقفز على الزمن نفسه لكن شيئا ما لايعجبني في هذا القفز وفي هذا التجديد ، انه هذه البيوت المدهونة بالالوان غير الطبيعية ثم هذا الانحراف عن تراثنا المعماري الاصيل وطمس معالمه ثم نبذه على أنه قديم مندثر أو على أنه متخلف وقد ظهر هذا الانحراف كأسوأ ما يكون في هذه المباني الخرسانية الملونة التي تشوه وجه المدينة وتعكس صورة التشوه النفسي والفكري للانسان العربي المعاصر .

خاتمة تاريخية

ما الذي يصنع الدهشة في عيون زائري مدينة صنعاء القديمة ، هل هو عطر التاريخ أم شيخوخة الاحجار ؟ هل هو نظام البناء ، أم مادة البناء ؟ وهل هو توهج الايام الغابرة أم طريقة التخطيط والترتيب . كانت صنعاء



القديمة تضم اربعة أنماط من المباني ومن الاحياء ، أولا المباني العربية التي ترجع هي ذاتها أو أشكالها الى النمط العربي الذي كان شائعا قبل الاسلام ، فالنمط الاسلامي الذي انتشر وشاع بعد ظهور الاسلام ومن أبرز معالمه المساجد والمآذن ، ثم النمط العثماني . وأخيرا النمط اليهودي ، وكان الزائر العادي الى ما قبل الثورة يستطيع أن يتبين الفوارق بين هذه الانماط أو الاشكال ، وكما كانت صنعاء القديمة تحتفظ بكل هذا القدر من التنوع الذي لا يحمل أي نوع من المغايرة والاختلاف بل يؤدي الى الانسجام فانها من حيث التكوين الجغرافي قد كانت تنقسم الى ثلاثة أقسام يفصل بينها حاجز أو سور ولكل قسم منها طابعه الخاص ونمطه المتغير

أما عن الاسلوب او النمط الذي بنيت به منازل الاحياء اليهودية فهو نمط مغاير لكل الاساليب العربية والاسلامية والعثمانية الشائعة في المدينة ، فهي من حيث الارتفاع لاتزيد عن طابقين الا نادرا ، وتبدو والسطوح متلاصقة وكأنها سطح بيت واحد ، ويتوسط سطح كل بيت فتحة واسعة رصفت أرضيتها بالاحجار كما يتوسط سطح أهم غرف البيت فتحة صغيرة خاصة بالطقوس الدينية وهي مغطاة ولا تفتح إلا في الاعياد أو مناسبات معينة . وظاهر بيوت اليهود يطلى بالطين ويترك الى أن يتقشر بعضه ليوحي للمشاهد بالبؤس وسوء الحال حتى لا يطمع الآخرون بما في داخلها من متاع وأموال ، وعادة ما تكون من الداخل نظيفة وأنيقة ومليئة بأندر المفروشات والمقتنيات .

وقبل أن يرحل اليهود من اليمن باعوا منازلهم وحوانيتهم لبعض أهالي المدينة ولبعض الفلاحين فلم يحافظوا على طابعها القديم ، وقد قام بعضهم بهدم البناء السابق ومعظمه من اللبن النيئ واستبداله ببناء من الحجر أو الطوب المحروق ، ولم يمر سوى وقت قصير بعد رحيل اليهود عن البلاد حتى كان طابع البناء اليهودي قد اختفى أو كاد . وأصبحت صنعاء مدينة اسلامية بطابعها العربي وفي الخمسينات تناقل الناس في صنعاء على نطاق واسع أخبار السيدة الامريكية التي طلبت من الامام أحمد ـ آخر من حكم اليمن من الأئمة ـ أن يبيع لها مدينة صنعاء بأربعين مليون دولار بعد أن يقوم باخلائها من سكانها على ان يبنى لهم مدينة في مكان آخر من الوادي الذي تنهض صنعاء القديمة على جانب صغير من جوانبه الواسعة . وقد تضمنت تلك الحكاية الطريفة أول اشارة الى ضرورة العناية بالمدينة العريقة ذات الطابع المميز والخصوصية الفريدة .

صنعاء ـ د . عبد العزيز المقالح

قراءة في المقامات الموسيقية

بقلم الدكتوره سمحة الخولى

ماذا تعني عبارة المقامات الموسيقيه ؟
وما مكانها في الموسيقى العربية ؟

عندما انعقد اول مؤتمر دولي للموسيقى العربية في القاهرة سنة ١٩٣٢ كانت من اهم لجانه لجنة « المقامات والايقاعات والتأليف » ، وضمت هذه اللجنة نخبة من الع المشتغلين بالموسيقى في الشرق نذكر منهم كامل الخلعى وداود حسني ومصطفى (بك) رضا ومسعود جميل بك (تركيا) وجميل عويس والشيخ حسن المملوك وسامي الشوا ومنصور عوض والشيخ علي الدرويش ومحمد القباتجي ورأسها رءوف يكتابك العلامه والموسيقي التركي المعروف وكان فناننا الكبير صفر علي سكرتيرا لها .

وقد قامت هذه اللجنة بانجاز تاريخي حقا ، لانها وضعت اول حصر لمقامات الموسيقى العربية المستعملة في انحاء العالم العربي ، ورتبتها وحللتها . وخلاصة هذا الحصر ان عدد المقامات الشائعة الاستعمال في مصر حينئذ بلغ اثنين وخمسين مقاما ، جميعها مستعملة ايضا في « سوريا وحلب » (هذا هو نص مجلد اعمال المؤتمر) مع اختلاف في تسمية احدها ، وان اغلب هذه المقامات يستخدم في مراكش وعلى الأخص تونس ولكن باختلاف ملحوظ في التسميات بل وفي المسار اللحني للمقام ، كما ان بلاد المغرب العربي تنفرد ببعض المقامات غير المعروفة في المشرق . اما « العراق وجزيرة العرب » فتعرف سبعة وثلاثين مقامابينها خمسة عشر (١٥) مقاما معروفة في مصر والباقي تنفرد به هذه المنطقة (انتهى ملخص ما جاء بكتاب المؤتمر) .

وانت لو سألت اى مستمع عربي عما يميز الموسيقى العربية التقليدية عن غيرها من الموسيقات ، فقد يجيبك بان عذوبة الحانها او شجى الطرب فيها تميزها عن غيرها ، ولكنه لن يحتاج لتفكير طويل قبل ان يجيبك بان مقامات الموسيقى العربية وايقاعاتها هي التي تميزها عن غيرها ، لكثرة ما تردد هذا المعنى في الكتابات والاحاديث عن هذا الموضوع .

والمقام الموسيقى ، قد يبدو اصطلاحا عويصا بعيدا عن عالم المستمع العادى ولكنه في الحقيقة اقرب للتداول اليومي من غيره من الاصطلاحات فنحن كثيرا مانسمع من يقدم لنا سماعي « راست » او بشرف « حجاز » اوتحميلة « بياتي » وهذه المسميات (الراست والبياتي والحجاز . . الخ) مألوفة تماماللمستمع العادى ، ولعله يشعر شعورا مبهما بان هذه المقامات الموسيقية هي التي تميز الموسيقى العربية عن غيرها من الموسيقات ولكنه غالبا لايعرف عنها اكثر من ذلك ومن حق القارىء ان يعرف ماهي المقامات الموسيقية على وجه التحديد ؟ وما اهميتها ومميزاتها في الموسيقى العربية ؟ وهل مازال الحصر الذى قامت به لجنة مؤتمر سنة ٣٢ باقيا حتى الآن ام ان الامور طرأ عليها بعض التغيير او التطور اليوم ؟ هذا هو موضوع مقالتنا اليوم .



ما هو المقام ؟

و « المقام » في الموسيقى يطلق على مجموعة سلمية من سبع نغمات تتتابع بشكل تدريجي (وفقا لترتيبها الهجائي) وهي النغمات التي تنحصر بين نوتة وجوابها اى تشكل ديوانا (اوكتاف) . الا ان هذه النغمات السبع يمكن ان ترتب بعشرات « الطرق » المختلفة تبعا لتنوع « الابعاد » الواقعة بين كل نغمة والتي تليها وتسمى هذه « الطرق » المختلفة في ترتيب الانغام السبعة داخل الديوان « مقامات » اى ان لكل مقام موسيقى ترتيبا خاصا بنغماته ينفرد به تماما عن اى مقام آخر (حتى ولو كان الاختلاف في جزئيات صغيرة فهو دائما قائم بين أى مقام وآخر)فأبعاد نغمات مقام « الصبا » تختلف عن ابعاد نغمات مقام « البياتى » « او مقام القارجغار (الشورى) رغم ان ثلاثتها ترتكز على نغمة بداية واحدة فما بالنا بالاختلاف بين ابعاد نغمات مقام الراست ومقام المحير ومقام المزام (ولكل منها درجة ركوز مختلفة يبدأ بها عامة) ؟

ومن هذا يتضح لنا ما تتمتع به الموسيقى العربية من الثراء في مقاماتها التي يمثل كل منها طابعا وجوا ومزاجا خاصا ، والملحن او المؤلف يجد في متناول يده مائة نغمة اولية (اى مائة خام هي المقامات) يمكنه ان ينتخب منها ببراعة وكياسة مايلائم مزاجه ، وطابع الكلمات التي يلحنها ، شأنه في ذلك شأن المصور الذى يعمل بلوحة الوان (باليت) شديدة التنوع وما عليه الان يحسن اختيار الالوان ومزجها لتعبر عن الأجواء والظلال التي يريدها .

ولكن لماذا نباهي بان الموسيقى العربية واسعة الثراء في مقاماتها ، ألاتستخدم الموسيقى الغربية المقامات ؟ سؤال وجيه ستفيدنا الاجابة عليه في القاء المزيد من الضوءعلى « المقامات » . نعم تستخدم الموسيقى الغربية مقامات ولكنها اختزلتها منذ القرن السابع عشر لاسباب عملية بحتة الى مقامين فقط وتخلت عن المقامات الكنسية التي ظلت محور الموسيقى الاوروبية حتى ختام عصر النهضة . وهذان المقامان هما المقام الكبير ماجور **Magor** ، والمقام الصغير « مينور » ، **Minor** ، ولكل منها ترتيب ابعاد خاص وبالتالي فلكل منها طابعه او تأثيره النفسى الخاص .

غير ان الموسيقى الغربية تستخدم نسخا متعددة من كل منها ، تأخذ كل نسخة تسميتها من النغمة التي تبدأ بها ولذلك فان المؤلفات الاوروبية الفنية لاتنعت بمقامها ـ كما هو حال الموسيقى العربية ـ بل باسم السلم . اذ يقال مثلا صوناته في « رى الكبير »اى انها ملحنة في السلم الموسيقى البادىء من نغمة رى والذى تسير آثاره وفقا لترتيب أبعاد المقام الكبير . وبديهي ان أى سلم كبير (ماجور) له نفس الشعور والجو النفسي المميز للمقام الكبير (وان كان بعض المؤلفين الاوروبيين يدعون غير ذلك وبعض السلالم ترتبط عندهم باجواء خاصة يصعب تفسيرها بشكل علمى) ولذلك فان تعدد نسخ السلم الكبير او الصغير لايضيف للموسيقى ثراء مثل ثراء المقامات العربية المتعددة التى يتميز كل منها بجو وتأثير نفسى خاص يستمده من الترتيب الخاص لابعاده .

يبقى بعد ذلك ان الموسيقى العربية موسيقى مفردة اللحن ، ووسائلها اللحن والايقاع فقط ، وهذا الثراء اللحنى الكبير المتمثل في تعدد مقاماتها وتعدد تأثيراتها واجوائها النفسية لاشك يعوض الموسيقى العربية (ان كانت بحاجة لتعويض) عن اقتصارها على التعبير بمنصرى اللحن والايقاع وحدهم ، في الوقت الذى تعوض فيه الموسيقى الغربية قصور مقاماتها باستخدام عنصر ثالث هو عنصر تكثيف الالحان (رأسيا بالهارمونية وافقيا بالكنترابنط) .

هذا وجدير بالذكر قبل ان نترك مجال المقارنة ان نذكر ان الموسيقى الغربية الفنية قد عادت ـ تحت تأثير الشرق ـ الى الاهتمام بالمقامات القديمة والشرقية ومقامات الموسيقى الشعبية في القرن العشرين وجاءت هذه العودة جزءا من البحث الدائب عن عوالم صوتية جديدة .

ابعاد المقامات

نعود ، بعد هذا الاستطراد ، الى الحديث عن نوعية



الابعاد الموسيقية التي تتألف منها مقامات الموسيقى العربية المتعددة كل هذا التعدد ، وهذه الأبعاد اما ان تكون صوتا كاملا (تون) او نصف صوت (نصف تون) (وهذان البعدان هما اللذان يسير عليهما ترتيب المقامات في الموسيقى الغربية) ـ او ان تكون الابعاد من نوع متوسط لاهو صوت كامل ولا هو نصف صوت وهو « البعد المتوسط » الذى اطلق عليه خطأ اسم ثلاثة ارباع الصوت (او $\frac{3}{4}$ التون) وهذا البعد من اهم مايميز مقامات الموسيقى العربية ويضفي عليها روحها الخاصة ، ولكن هناك بعدا آخر هو ما نسميه « الثانية الزائدة » وهو الذى يفصل فيه بين النغمة والتي تليها ، صوت ونصف صوت معا (كما هو الحال بين صوت مي بيمول وفاديز) وهذا البعد ايضا من العناصر المميزة لمقاماتنا ، فهناك حصيلة كبيرة من المقامات مثل الحجاز والحجاز كار والنو أثر والسوزناك ، تستخدم هذا البعد (والذى نسمعه بكثرة في الموسيقى المجرية الشعبية) .

ومن هذه الأبعاد ـ الصوت او النصف اوالبعد المتوسط ($\frac{3}{4}$) او الثانية الزائدة ، تم تركيب كل هذه المقامات المتعددة في الموسيقى العربية وامكن ان ينفرد كل مقام فيها بابعاد خاصة (قد تمزج بين نوعين او ثلاثة من هذه الابعاد) تعطيه جوه الخاص .

وليس امر التأثير النفسى للمقامات بهذه البساطة ، بحيث يمكن للعازف او المغنى المتمكن ان يمسك بعوده ويعزف مباشرة في اى مقام بل لابد من جولة نغمية صغيرة تبدو وكأنه يتحسس بها مواضع اصابعه على رقبة العود ولكن الحقيقة انه مضطرفنيا ونفسيا لهذا التمهيد لكي يتأقلم مع جو المقام النفسي وهو ما يسميه العامة « يتسلطن » وهذا التعبير يدل ابلغ دلالة على ما للمقامات الموسيقية من تأثيرات نفسية مرهفة ودقيقة تتطلب اعدادا نفسيا وموسيقيا ، ويتم هذا الاعداد الموسيقي بلفتات لحنية خاصة تؤكد شخصية المقام وتؤدى الى استقراره بوضوح في اسماع واذهان المستمعين ، وهذه اللفتات اللحنية لاتضمها كتب ولا ميتودات للتعليم ولكنها تتناقل عبرالأجيال ، بل واعتقد ان الموسيقي المرهف الحس كفيل بان يتوصل اليها من تلقاء نفسه ويدافع من حاسته الموسيقية الطبيعية ، ولذلك يتصور بعض الأوربيين ان المقام في الموسيقى العربية هو مجموعة نغمات أو الحان متوارثة بينما هو في الواقع اساس سلمى له ابعاده ذات الترتيب الخاص ولكن هناك نغمات تعين على تاكيد طابعه وجوه ولذلك يحرص الموسيقيون على ادائها في مستهل عزفهم او غنائهم لكي يستقر الشعور والوعي بالمقام عند مستمعيهم .

التحول من مقام الى آخر

ويقودنا الحديث عن التمهيد الموسيقى لتأصيل جو المقام الى موضوع آخر هو موضوع التحول من مقام الى آخر والطريقة الفنية المثلى للانتقال بين المقامات باعتبار هذا الانتقال من اهم وسائل التعبير في الموسيقى العربية فهو وسيلتها لتحقيق التنويع ودفع الملل عن المستمع وقد خضع « السلوك » الموسيقى الامثل في التحويل من مقام الى آخر من المقامات العربية لعرف قوى توارثه الأجيال من أفواه وأ نامل الموسيقيين ومرتلى القرآن الكريم ، فهناك مسار سليم يحكم التحول من مقام لاخر يشترك معه في بدايته (اوما يسمى جنس الجذع باعتبارالمقام مكونا من جنسين أحدهما جنس الجذع والثاني جنس الفرع) او يشترك معه في نصفه الاخير (أو جنس الفرع) . وليس هذا مجال الدخول في تفاصيل السلوك الموسيقي المهذب في الانتقال ولكننا نشير اليه لارتباطه الوثيق بالجود الطابع المميز للمقامات .

وجدير بالذكران الفكرة او النظرية السحيقة نظرية « التأثير » التي عرفها الاغريق وتناقلها العرب وهي التي تربط بين الموسيقى والفلك والطباع والتأثيرات الخلقية قد ترامت الينا منها بعض البقايا التي تدل على الوعي باختلاف الاثر النفسي لكل مقام اذ كان احد مشاهير المقرئين والمؤذنين يرتل آذان الفجر في مقام خاص في كل يوم من ايام الأسبوع بنظام ثابت في احد مساجد القاهرة الكبرى ! وليت موسيقيينا اليوم يحسنون استغلال هذا لذخر الموسيقى العظيم المتاح في مقامات الموسيقى العربية وليت علماءنا يبحثون التأثيرات النفسية المختلفة للمقامات (وهي التي كان الاغريق يعرفونها جيدا ويستخدمونها سلاحا لاضعاف اعدائهم فيبعثون لهم من يغنى لهم انغاما من الجنس « الرخو » لتضعف عزائمهم قبل ان يقاتلوهم) . .

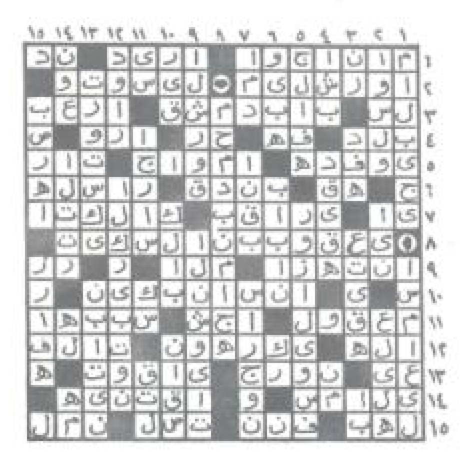
ولنا عود لجوانب اخرى من المقامات في الموسيقى العربية في مقال قادم ان شاء الله نستعرض فيه ما طرأعليها خلال هذه السنوات الخمسين . O

د . سمحة الخولى .

● الجنس مجموعة من اربع نوتات متتالية وهي الوحدة الصغيرة داخل المقام ويتألف المقام عادة من جنسين او بعدين من ذى الاربع على خلاف الموسيقى الغربية التي يعتبر بعد الخامسة محورا اساسيا فيها .

حل مسابقة العدد

● ٢٨٨ ●



أفقيا : يعقوب بن السكيت

رأسيا : محمد بن ماجد

اثنتان في واحدة :

(٨) أفقيا : يعقوب بن السكيت . امام في اللغة والأدب . ولد في بغداد عام ٨٠٣م . عينه الخليفة المتوكل مؤدبا لابنه المعتز . من أعماله « اصلاح المنطق » و« الالفاظ » و« القلب والابدال » .

(٨) رأسيا : محمد بن ماجه . محدث من الائمة ، وحافظ ومفسر ومؤرخ . ارتحل مطوفا في بلاد العرب وغيرها طالبا العلم . أشهر أعماله « السنن » ، وهو من الكتب الهامة في الحديث .

الفائزون بالجوائز

- الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها : محمود احمد ادريس / الخرطوم / السودان
- الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها : حسين محمد شفيق / القاهرة /مصر
- الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠دنانير فاز بها : محمد يوسف ابراهيم / اب / اليمن الشمالية

٨ جوائز مالية قميتها ٤٠ دينارا كل منها خمسة دنانير فاز بها :

١ ـ جان جورج حجازين / عمان/الاردن
٢ ـ سحنون عبد السلام / أغادير / المغرب
٣ ـ فمعيّط مسعودة بن رابح / قسنطينة / الجزائر
٤ ـ وفيقة سعيد اسماعيل قاسم / المدينة المنورة / السعودية
٥ ـ مراد كوركيس مراد / دمشق / سوريا
٦ ـ فيصل عبد الغني عبد الوهاب / بغداد / العراق
٧ ـ صالح سعد الله سعيد / المكلا / اليمن الديمقراطي
٨ ـ حمود الراشد / الاحدى / الكويت



دي كويلار ..
يكون أو لا يكون !

قال هنري كابوت لودج مندوب امريكا الاسبق في الامم المتحدة : « يا له من خطأ جسيم وقعت فيه عندما قلت انهم اختاروا رجلا مثل دي كويلار لهذا المنصب الخطير ! فالواقع انه حدث تحول في رأي سفراء الدول الاعضاء لدى الامم المتحدة في الامين العام الجديد . وقد جاء هذا التحول في اعقاب التقرير السنوي الذي قدمه دي كويلار الى الجمعية العامة في مستهل دورتها الأخيرة في شهر سبتمبر من العام الماضي ، فقد كان التقرير صريحا قويا في كل ما يتعلق بالشلل الذي أصاب المنظمة الدولية نتيجة فشلها في حل المشاكل الخطيرة التي تواجهها .

ـ الحروب الكبيرة والصغيرة التي تهدد السلام في مناطق كثيرة من العالم .

ـ الاحتلال السوفيتي لأفغانستان

ـ الحرب الدامية المؤسفة بين ايران والعراق

ـ واخيرا المذبحة التي ارتكبتها اسرائيل ضد الشعبين الفلسطيني واللبناني .

وقد اعترف الامين العام في تقريره بعجز الأمم المتحدة في مواجهة الازمات والحروب وتحدث عن الخلاف الخطير



دي كويلار

القائم بين الاعضاء في مجلس الامن (١٥ عضوا) الآن بينهم خمسة دائمون ويتمتعون بحق الفيتو او الاعتراض .

وقال دي كويلار في اول تقرير له منذ انتخابه لشغل هذا المنصب ان الموقف الدقيق الذي يمر به العالم يتطلب عقد اجتماع على مستوى عال لمجلس الامن ، أي لوزراء خارجية الدول الاعضاء ، للبحث في وضع حد للفوضى التي أحدثت اضطرابا في العلاقات الدولية في هذه الايام » .

وقد كان المتوقع بعد أن تغير الهيكل البنائي للامم المتحدة ، نتيجة لتضاعف عدد الدول الاعضاء في المنظمة الدولية من ٥١ دولة عام ١٩٤٥ الى ١٥٧ دولة عام ١٩٨٢ ، وبالتالي فقدان امريكا لنفوذها وتأثيرها على حلفائها ، وخاصة بعد ظهور المجموعة الافريقية الآسيوية ، كان المتوقع ان تتغير الصورة وتصبح الامم المتحدة قوة مؤثرة فعلا في الاحداث العالمية .. ولكنها مضت تسير من فشل الى فشل .. او كما قال دبلوماسي كبير عاصر هذه المسيرة : « لقد كانت قراراتها كلها قائمة على الحلول الوسط ! »

حتى انتخاب دي كويلار نفسه ، كان حلا وسطا .. فقد اعترضت الصين الشعبية على بقاء فالدهايم الأمين

العام السابق لفترة ثالثة ، واعترضت امريكا بدورها على ترشيح سليم أحمد سالم مندوب تانزانيا للمنصب ، وبعد فترة ركود طويلة امتدت ستة اسابيع ، ظهر دي كويلار رئيس وفد جمهورية بيرو كحل وسط يرضى امريكا والصين في آن واحد .. وكانت مفاجأة حتى للذين عرفوه !

وهو ابن أحد كبار رجال الاعمال الناجحين في ليما عاصمة بيرو . التحق بوزارة الخارجية في عام ١٩٤٠ ومضى يكمل تعليمه الجامعي بكلية الحقوق ثم عين سفيرا لبيرو في سويسرا عام ١٩٦٤ ، وكان أول سفير بعد ذلك لبلاده في الاتحاد السوفيتي . واخيرا رئيسا لوفد بيرو في الامم المتحدة .

وهو لا يؤمن كثيرا « بالحلول الوسط » ، لانه رجل قانون ، فاما أن يكون .. او لا يكون !

م . ن

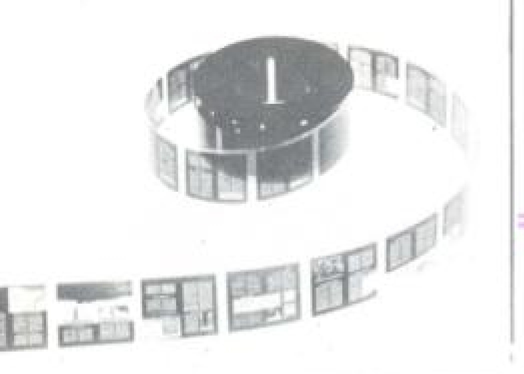
طابع بريد

اتسع لصفحة كاملة من صحيفة

التايمز اللندنية

● ما هو الميكرو فلم ، وكيف اهتدوا اليه ومتى بدأوا الاعتماد عليه .. ؟

- الميكروفلم هو الوسيلة الكفيلة بتصغير الكتابة والكتب بنسبة ١ : ١٤٠,٠٠٠ !! فالكتاب الذي لا يقل عدد صفحاته عن ٣٠٠ صفحة يمكن تصغيره بواسطة



الميكرو فلم

الميكروفيلم الى مالا تزيد مساحته على طابع بريد صغير ..! وموظف البنك الذي يحتاج الى التدقيق في تواقيع عملائه بين حين وآخر .. يستطيع أن يشاهد على شاشة الميكروفلم الخاصة - ولدى الضغط على زر معين - عددا كبيرا من التواقيع .. (١٦٠,٠٠٠) توقيع معا .. وفي آن واحد !

أما كيف اهتدوا الى الميكروفلم ومتى بدأوا استعماله فلذلك قصة طريفة في التاريخ .. تعود بنا الى حرب السبعين الشهيرة .. الحرب الطاحنة التي قامت بين فرنسا والمانيا ، بل احدى مقاطعاتها بروسيا بالذات ، سنة ١٨٧٠ .. والتي انتهت بهزيمة فرنسا شر هزيمة ، واذلالها الى حد مهين ...

ذلك أن الألمان حاصروا العاصمة الفرنسية باريس اثناء تلك الحرب ... وحظروا دخول الأطعمة وسائر السلع اليها .. ومنعوا خروجها منها . وانتشرت الأوبئة وعمت المجاعة وكثرت جثث الموتى الملقاة في الشوارع وأصبح أكل الفئران نعمة كبيرة لا ينعم بها إلا أغنى الأغنياء ..! وعمد الفرنسيون الى اعمال المقاومة داخل باريس وخارجها .. وكان لابد للباريسيين من موافاة قواد المقاومة المرابطين خارج العاصمة ، بشتى المعلومات عما يجرى في الداخل .. وكان حمام الزاجل رسولهم الأمين الذي حمل رسائلهم بالقدر الذي يطيق ..

ولما كانت طاقة هذا الحمام محدودة .. اضطروا معها لارساله في طلعات عديدة متلاحقة .. وتعريضه لمزيد من نيران القناصة الالمان .. فكر أحد العلماء الفرنسيين واسمه برودنت داجرون ، فيما عساه أن يصنع لخدمة بني قومه ومساعدتهم على تخطى تلك المصاعب .. وتذكر ما فعله أحد العلماء الانجليز قبل نحو عشرين عاما آنذاك .. حين نجح في تصغيرا إحدى صفحات جريدة التايمز





التندنية الى بقعة أو نقطة لا يزيد قطرها على $\frac{1}{16}$ من البوصة . . . وبحث « داجرون » بين اوراقه حتى عثر على تفاصيل طريقة التصغير التي ابتكرها العالم البريطاني . . وكان قد احتفظ بتلك التفاصيل في حينها . . جريا على عادته بالنسبة الى كل ما يثير اهتماماته العلمية . .

وأجرى العالم الفرنسي تجاربه . . واعتمد فيها على مادة الكولوديون (Collodion) ، وهي نفس المادة التي كان قد اخترعها العالم البريطاني . . وما لبث ان نجح ، واصبح في استطاعته جمع ٣٠٠ رسالة في فيلم صغير (او ميكروفلم) واحد . . وذلك بطبع الرسائل أولا . . وتصويرها ثانيا . . ثم تصغير صورها في المرتبة الثالثة . .

ولا تسل عن فرح الباريسيين بهذه النتائج . . وقد أصبح في امكانهم تحميل الحمامة الواحدة في سفرة واحدة ما لا يقل عن ١٨ فيلما صغيرا ، . . أي ما يعادل ٥٤٠٠ رسالة . . واستقبل قواد المقاومة حمام الزاجل في بيوته وكأنه بطل من الابطال . . وما اسرع ما فكوا الأفلام الصغيرة التي كانت مثبتة عند ذنبه . . وراحوا يقرءونها بسهولة بواسطة الفانوس السحري . .

ومضت ست سنوات قبل ان تبدأ شركة كوداك الامريكية في تطوير طريقة التصغير الفرنسية/ البريطانية .

ثم كانت الثلاثينات في القرن العشرين ، فانتشرت تلك الطريقة المطورة وعمدت بعض البنوك الى حفظ وثائقها بواسطتها ، كما أقدم المتحف البريطاني على اعتمادها في طبع عدد من كتبه القيمة . . .

ثم جاءت الخمسينات واذا بطريقة التصغير الميكروفلم تنتشر في شتى دول العالم المتقدمة على اوسع نطاق ممكن . ذلك أنهم نجحوا في تطوير المواد الكيماوية (الفوتوكروماتك Photochromatic) فقفزت عملية الميكروفلم قفزتها الكبيرة على نحو ما بيناه في مستهل هذه الكلمة . . علما بان طريقة التصغير التي تعتمد على مواد الفوتوكروماتك ليست الطريقة الوحيدة المعمول بها هذه الايام .

ي . ز .

أقمار صناعية برسم البيع

أما ثمن القمر الصناعي الواحد ، ذي الغرض الواحد غير المعقد ، فلا يزيد على ١,٥ مليون دولار . . وأما رسم الايجار المطلوب لحمل هذا القمر الصناعي الى الفضاء الخارجي فيتراوح بين ٣ - ٥ ملايين دولار . .

تلك هي التسعيرة التي اعلنتها مؤخرا شركة خدمات الفضاء (Space Services Inc) وهي شركة أهلية ١٠٠٪ أسسها في تكساس قبل حين . . ممولون طموحون من أصحاب الملايين وخبراء ومهندسون كانوا يعملون في وكالة الفضاء (ناسا) . . .

جمهورية سان مارينو

دولة مستقلة

في قلب الجمهورية الايطالية .

بالاضافة لدولة الفاتيكان الواقعة في قلب العاصمة الايطالية والتي تعتبر أصغر دولة في العالم (٤٩٠,٠٠٠ متر مربع) ، توجد ضمن حدود الجمهورية الايطالية دولة أخرى مستقلة وهي جمهورية سان مارينو الواقعة في الجهة الشمالية الشرقية من العاصمة الايطالية روما وعلى مسافة لا تتجاوز مئتين وخمسين كيلومترا .

تقع هذه الجمهورية الصغيرة على قمة جبل تيتانو ، من سلسلة جبال الابنين ، الموازي لبحر الأدرياتيك وتبلغ مساحتها ٦٠ ونصف كيلو متر مربع ، أما عدد سكانها فيبلغ



منظر عام لمدينة سان مارينو

قرابة واحد وعشرين ألف نسمة ، ولغة البلاد الرسمية هي اللغة الايطالية ، وعاصمتها مدينة « سان مارينو » المأخوذ عنها اسم هذه الدولة الصغيرة التي تعتبر من أقدم البلدان الأوروبية استقلالا ، حيث يعود استقلالها الى عام ٨٨٥ م .

في عام ٣٠٠ م قام بعض العبيد المنحدرين عن أصل دالماسي (يوغسلافيا) بالهرب من مدينة ريمي الايطالية بقيادة حجار يدعى مارينو فلجأوا الى جبل تيتانو للاختفاء فيه لمحاشاة مطارديهم والتنكيل بهم من قبل الامبراطور الروماني الوثني ديوكليتيانو .

لقد استطاعت هذه المجموعة الصغيرة تنظيم نفسها دينيا واجتماعيا ، وعلى اثر انتصار المسيحية على الوثنية ، حصلت على حق اللجوء السياسي في أراضيها ، وعندما أصبحت منطقة رافينا (في الجهة الشمالية الشرقية من ايطاليا) تابعة لحكم البابا ، منح هذا الأخير مدينة سان مارينو استقلالا ذاتيا ، بموجب قرار بابوي صدر في عام ٨٨٥ م .

وعلى أثر الغزوات المتعاقبة على مدينة سان مارينو والمنطقة المجاورة لها من قبل المتغاريين والمسلمين والنورمان ، إضطر سكان سان مارينو إلى بناء القلاع الدفاعية لحماية مدينتهم .

لقد حاولت الفاتيكان مرتين الاستيلاء على سان مارينو وذلك في عامي ١٧٣٩ و ١٧٨٦ م ولكن دون جدوى . وفي عام ١٧٩٧ م عرض نابليون بونابارت على سكان جمهورية سان مارينو ، بعد احتلاله لايطاليا ، بعض الأراضي لتوسيع رقعة جمهوريتهم فرفضوا ذلك العرض حبا منهم في الحفاظ على استقلالهم . وفي عام ١٨١٥ على أثر هزيمة نابليون نهائيا في معركة ووترلو (١٨/٦/١٨١٥) أقر مؤتمر فينا الاعتراف بحدود جمهورية سان مارينو مؤكدا حقها في السيادة والاستقلال . وبهذا فان جمهورية سان مارينو برغم وقوعها في قلب الدولة الايطالية وبرغم ما حدث للدويلات الايطالية ما بين١٨٤٨ و١٨٧٠م وانهيارها واحدةتلو الأخرى لتتوحد مرغمة ضمن مملكةايطاليا فقدبقيت جمهورية سان مارينو محافظة على استقلالها وسيادتها كما قامت بتقديم بعض المساعدات لرجال بطل الوحدة الايطالية جوزي غاريبا لدى أثناء قيامهم بمهامهم في سبيل توحيد ايطاليا . ومع كل ما حدث للدويلات الايطالية فان جمهورية سان مارينو لم تفقد قط استقلالها وسيادتها وحتى في زمن الحكم الفاشي في ايطاليا برغم ارتباطها مع ايطاليا بمعاهدات صداقة ودفاع مشترك منذ عام ١٨٩٧ (جددت هذه المعاهدات في عام ١٩٥٣) وبرغم اتحادها مع ايطاليا من الناحية الجمركية منذ ١٨٦٢ وارتباطها مع الدولة القوية المحتضنة لها من الناحية البرقية والهاتفية والعسكرية وسك النقود والطوابع .



في عام ١٩٧١ ، بناء على اتفاق مع الجمهورية الايطالية ، أصبح لجمهورية سان مارينو الحق بصك النقود باسمها واصدار الطوابع الخاصة بها ، كما تتنصل ايطاليا من معاهدات الدفاع عن سان مارينو المبرمة في عامي ١٨٩٧ و ١٩٥٣ . وبهذا فان جمهورية سان مارينو اصبحت مسؤولة عن حماية نفسها بواسطة حرسها الوطني ورجال الدرك والشرطة ، ولها علاقات دبلوماسية مع عديد من بلدان العالم ومع معظم الدول الاوروبية بما فيها ايطاليا .

وفي عام ١٩٧٦ أصبحت عضوا في المنظمة العالمية للتربية والثقافة والعلوم .

من قوانين هذه الجمهورية الصغيرة : فقدان المواطنة السان مارينية لجنسيتها في حالة زواجها من مواطن أجنبي وحتى اذا كان ايطاليا ، مما حدا بالمواطنات السان مارينيات القيام بمظاهرات صاخبة للمطالبة بتعديل هذا القانون مما أسفر عن اجراء استفتاء شعبي في شهر يوليو (تموز) ١٩٨٢ ، الا أن هذا الاستفتاء لم يوفر للنساء السان مارينيات مطالبهن بسبب اقراره من جديد حرمان المواطنة من جنسيتها في حالة زواجها من مواطن أجنبي ، وهكذا لم يبق أمام المواطنات المتزوجات أو الخاطبات من أجانب سوى الصبر والأمل في نتائج استفتاء آخر .

يعتمد دستور جمهورية سان مارينو الحالي بشكل عام على بنود دستور عام ١٦٠٠ مع أنه أجريت عليه بعض التعديلات في عام ١٩٠٦ ، حيث ألغيت ـ نتيجة هذه التعديلات ـ الفروق التي كانت تميز بين طبقات الشعب (طبقة النبلاء ، طبقة البرجوازيين ، وطبقة مالكي الأرض أو الفلاحين) الذين كان يختار من بينهم مجلس الشورى حسب كل طبقة ليحل محله نظام الانتخاب الشعبي بشكل اجمالي دون تمييز .

أما التنظيم الاداري السياسي للدولة فانه يشكل من :

ـ الجمعية العمومية المكونة حاليا من كافة ابناء الشعب المتجاوزة اعمارهم الحادية والعشرين شريطة أن يكونوا متمتعين بكافة الحقوق السياسية والمدنية .

ـ مجلس الشورى الأكبر أو العام والمعروف بمجلس الستين نظرا لعدد أعضائه . ينتخب أعضاء هذا المجلس مرة كل ثلاث سنوات ويقوم بانتخابهم كافة ابناء الشعب (الجمعية العمومية) وفي عام ١٩٥٩ فقط أصبح للمرأة حق الانتخاب .

يشكل هذا المجلس السلطة التشريعية للبلاد ومنه ينتخب الرئيسان اللذان تدور مهمتهما لمدة ستة شهور فقط ويجرى انتخابهما في منتصفي شهرى مارس (آذار) وسبتمبر (أيلول) ويتولان مهامهما في اليوم الاول من شهر ابريل (نيسان) وفي اليوم الأول من شهر أكتوبر (تشرين الأول) ، ويعتبران ممثل الدولة الأعليين ويترأسان مجلس الشورى الاكبر ، ومؤتمر الدولة ومجلس الاثنى عشر وكافة اللجان الحكومية ولا يجوز اعادة انتخابهما قبل ثلاثة أعوام من تاريخ انتهاء مهمتهما .

ـ مؤتمر الدولة ، يشكل من عشرة أعضاء ينتخبون من بين أعضاء مجلس الشورى الاكبر ، وتنحصر في مهامه السلطات الادارية والتنفيذية الموزعة بين عشر وزارات ، والسلطة القضائية بما فيها المدنية والجنائية ومحكمة الاستئناف .

ـ مؤتمر الاثنى عشر ، وتنحصر مهامه في القضايا ذوات المرحلة الثالثة من الناحية القضائية ويشكل جهاز محكمة العدل العليا للجمهورية .

يتوقف دخل هذه الدولة الصغيرة على الزراعة وتربية الماشية والحياكة ، وصناعة الورق وتصنيع الجلود وصناعة الاسمنت والصابون والكلس والفخار والتحف التي يبتاعها السياح . توجد في الجمهورية قرابة أربعين مدرسة ابتدائية ومتوسطة ومدرسة ثانوية ، معترف بشهاداتها من طرف الحكومة الايطالية ومدرسة مهنية . لا توجد بها أي جامعة ولذا فان معظم الطلبة الذين يودون متابعة دراستهم الجامعية ينتسبون الى الجامعات الايطالية . ○

د. فتحي مقبول

مقالات في كلمات

■ الثورة بذرة المدينة .

(فكتور هوجو)

■ تبدأ الثورات في اجود الادمغة ثم تهبط الى الجماهير .

(متيرنيخ)

■ الثورات لا تخلق بل هي تأتي

(وندل فيلبس)

■ الحياة طفل ينبغي ملاطفه حتى ينام

(فولتير)

■ حرب لا هدنة فيها حياة الانسان .

■ الحياة مثل عصير قصب السكر ، عندما لا يبقى منه الا قطرات يتحول خلاً .

(اتيفان)

■ يحتاج الحى الى الاحسان اكثر من الميت

(جورج ارنولد)

■ ان زواجا بلا أطفال كعالم بلا شمس

(الوثر)

■ اننا نبدأ في الاقتراب من الموت ساعة نولد . .

(مانيليوس)

■ الكاتب الرديء هو ذلك يحاول التعبير عن أرائه التافهة بأسلوب الكتاب المجيدين !

(ليختبرج)

■ الكاذب لا يصدق ، حتى ولو قال صدقا !

(شيشرون)

■ ان الذى يمدحك بما ليس فيك وهو راض عنك يذمك بما ليس فيك وهو ساخط عليك !

(افلاطون)

■ اذا أردت أن تعرف قيمة المال فلتذهب وتحاول اقتراض بعض النقود

(فرانكلين)

■ مداد قلم الكاتب مقدس مثل دم الشهيد !

(شكسبير)

هل من طبيب في الصالة؟

بقلم الدكتور

عبد السلام العجيلي

هذا العنوان جملة مألوفة تذاع احيانا في الصالات التي يزدحم فيها الناس ، او تقطع عرضا سينمائيا لتظهر مكتوبة على الشاشة امام المتفرجين ، وهي تعني ان حادثا مفاجئا وقع في الصالة او في دار السينما اوفي قاعة اجتماع كبيرة ، واحتاج فيه واحد من الحاضرين الى معونة طبيب يقوم باسعافه بصورة مستعجلة .

ولاشك في أن غير واحد من زملائي قد استجاب في يوم ما لدعوة من هذا النوع . وأنا ازيد في هذا على سواي من الزملاء لكثرة اسفاري فهي طالما فرضت علي ان اتدخل مسعفا لاناس احتاجوا الى معونتي الطبية على الطرق العامة ، او في الفنادق التي احلها في رحلاتي ، او في المطارات ، واحيانا في الطيارات نفسها .

آخر ما حدث لي في هذا المجال كان في الصيف الفائت ، وفي مطار دمشق كنت في قاعة الانتظار الداخلية ، على باب الانتقال الى الطائرة ، اتهيأ الى السفر الى موسكو ، عندما هرع الي موظفان يعرفانني فأخبراني ان سيدة في القاعة الخارجية قد اغمي عليها وسألاني مرافقتهما لأرى حالتها ومايمكن عمله لاسعافها . ولم يكن سهلا مغادرة القاعة الداخلية بعد ان اتممت كل معاملات السفر واصبحت بحكم الخارج من البلد . الا ان مرافقي اللذين احاطا بي سهلا الامر عند زملائهما وكانت المفاجأة حين رأيت السيدة المغمى عليها فاكتشفت فيها زميلة قديمة لي ، جاءت من مدينتها البعيدة مودعة لاقارب مسافرين . ومن حسن الحظ اني لم اجد في حالها مايستدعي القلق . كانت مرهقة وتعبة ، وتأبى ان تعترف بذلك واقنعتها بعد لأي بأن تضطجع على ديوان في احد المكاتب لتستريح . وعندما اطمأننت عليها عدت الى داخل المطار مسرعا لالحق بطيارتي قبل اقلاعها بدقائق قليلة .

حوادث مثل هذه هي امور من طبيعة حياة الطبيب ، تلاقيه ويلاقيها اينما وجد . ولايعدم منها متعة او فائدة ، من ناحيتي اجدني مدينا لبعضها بتجارب لاتخلو من قيمة وبعلاقات تعارف وصداقات ثمينة الاان ظروف بعضها تترافق باحراج او بمزعجات علينا ان نتلقاها او نتصرف فيها بحكمة ورحابة صدر . وكمثل على الوقائع المحرجة اورد حكاية جرت لي مع زوجة مضيف كريم في ضواحي مدينة ساوباولو ، في البرازيل .

عندما زرت ساو باولو دعاني اخوان كريمان ، سوريا الاصل الى زيارة مطاحنهما الكبيرة المشهورة بانها تورد لسكان الولاية اغلب حاجتهم من الدقيق ، في مبانيها خارج المدينة . ترتفع مباني تلك المطاحن الى علو ثماني طبقات بنى المالكان فوقها ، في الطابق التاسع ، كنيسة جميلة رائعة بهندستها وزخارفها . وبعد جولة لنا انا وزوجتي والمضيفين وزوجتيهما ، في انحاء تلك المؤسسة بقي المضيفان في مكاتب الادارة وتوجهت مع السيدات الثلاث الى المصعد الجانبي المخصص للطابق التاسع . كان مصعدا عتيقا ، بطيء الحركة ، كثير القعقعة . فما كاد باب ذلك المصعد يغلق ويبدأ قفصه بالارتفاع حتى انطلقت من احدى السيدتين المضيفتين صيحة هلع حادة . . . صيحة مريعة رافقها جحوظ في عينيها وتشنج في عضلات رقبتها كأنما اصيبت باختناق . كانت مفاجأة مزعجة لم اتبين في اللحظات الاولى سببها . تطلعت الى زوجتي والى السيدة الاخرى فرأيت أعينهما مسمرة على رفيقتهما والذعر مرتسما على وجهيهما . كان المفروض أن امد يدي الى زر المصعد لأوقفه واعيده الى الارض الا أن صرخات تلك السيدة واميارات ضيق النفس الذي تملكها دعتني الى ان اتخذ اجراء آخر أسرع وأكثر فعالية : لقد رفعت كفي وهويت بها على وجه مضيفتي بلطمة اخرست ولولتها واعادت الى تنفسها سمته وانتظامه . . .

ربما بدا تصرفي هذا ولطمي وجه زوجة مضيفي عملا مشينا بالغ الخروج عن اللياقة والادب . ولكن انا اعرف

السبب بطل العجب . فالذى اصاب تلك السيدة في تلك اللحظة كان ما نسميه نحن الاطباء كلوستروفوبيا ، او خوف الاماكن المغلقة ، تملكها حينما اغلق باب المصعد عليها فانطلقت بالصراخ . وانجع طريقة لاعادتها الى حالتها الطبيعية هي افزاعها بتصرف عنيف ينسيها ذعرها المرضي . وهذا مافعلته انا . لم اصفعها مدفوعا بنزق او فورة غضب ، وانما كعلاج لابد منه في هذه الحالة . ولقد اعتذرت اليها حين اصبحنا على السطح احر اعتذار ، وانا في خوف من ان لاتكون تفهمت دوافع فعلتي الا انها قابلت اعتذاري بابتسامة واسعة ، وكانت من كرم الخلق بحيث اجزلت لي الشكر قائلة انها تعرف داءها ، واني لو لم اتخذ معها هذه الوسيلة لاغمي عليها اختناقا قبل ان يبلغ بنا المصعد البطيء الحركة السطح او قبل ان يعود الى الارض . . .

وربما كان للكلوستروفوبيا صلة بحادثة اخرى من حوادث الأسفار اوقفتني في ذات يوم موقفا مزيجا من الازعاج والاضحاك . كان ذلك منذ بضع سنين ، وفي الطائرة التي اقلتني في رحلة قصيرة من بيروت الى جدة . في الصف المؤلف من ثلاثة مقاعد جلست انا في المقعد المجاور للنافذة ، واحتل المقعد المتوسط راكب ايطالي الجنسية ، وفي المقعد المجاور للممر جلست سيدة لبنانية شابة . كان كل شيء هادئا في صفنا في الدقائق الاولى من مغادرتنا مطار بيروت . اما بعد ذلك فقد لاحظت ان حوارا غير عادي اخذ يدور بين الايطالي - وكان يتكلم العربية بصعوبة - وبين جارته . اخذت السيدة ترفع صوتها بعصبية في كلمات متقطعة ، بينما بدأ جاري يتململ في مجلسه محتكا بي ، كأنه يريد جلب انتباهي او يلتمس مساعدة مني . رفعت رأسي عن الكتاب الذى كنت اطالعه ورحت استمع الى ما كانت تقوله السيدة ، فعرفت انها كانت تشكو الى جارها خوفا أصابها من ركوب الطائرة . كانت تتشبث بذراعه ، على غير معرفة منها به ، والذعر باد على قسماتها . تدخلت انا عند هذا محاولا تطمينها ، قائلا لها بتعابير اكثر افهاما من تعابير الايطالي بأن الرحلة هادئة ، وان الركاب واثقون كلهم من سلامة الرحلة ، فلا مجال للخوف . ردت علي بقولها انها ليست خائفة على نفسها ، بل على مافي بطنها . . . فهي حامل في الشهر الثامن ، قد اخفت ذلك على شركة الطيران حين قطعت تذكرتها وهي تخشى الآن من حادث في الطائرة يضر بسلامة الجنين الذى تحمله او من ان يتحرك عليها الطلق وهي في الطائرة . ضحكت عند ذلك وقلت لها : ولو ياسيدتي . . . من حظك ، او من حظ مولودك لو أنه يولد في الطائرة . . . ستمنحه الشركة بطاقة سفر مجانية مدى الحياة على خطوطها . بهذا تقضي تقاليد شركات الطيران العالمية . ثم عليك ان لاتخشي شيئا من هذه الناحية طبيا ، اقول لك هذا عن خبرة ، فالذى يكلمك طبيب يعرف ما يقول . . .

ما ان نطقت بجملتي الاخيرة هذه حتى وثب جاري الايطالي من مقعده ، كأنما وجد في ما قلته خشبة النجاة ، وقال : انت طبيب ياسيدي ؟ . . . تفضل اذن وخذ مكاني الى جانب السيدة ! قال هذا وانتقل الى مقعدي دون ان ينتظر مني قبولا او رفضا . لم يكن لي الا ان اجلس مكانه وان اتحمل تشبث السيدة الحبلى بذراعي ، وقد اخذت تصرفاتها الهستيرية تجذب الينا انظار الركاب حولنا رأيتني في موقف يختلط فيه الانزعاج بالضحك بين هذه المذعورة وشكواها التي قاربت الصراخ والايطالي الذى كان يرمقني بطرفه وهو يتصنع تقليب مجلة بين يديه كالفرح الشامت بما القى . وفي هذه الاثناء اقبل علينا من مقدم الطائرة قائدها الذى كانت تلتمع على كميه اشرطة رتبته ، ووقف يتحدث مع مسافري المقاعد الاولى . قلت لجارتي في محاولة اخيرة مني لتهدئتها : تأملي . . . ما من شيء مخيف في رحلتنا . . . هذا هو القبطان ، ترك القيادة في ايدى مساعديه وجاء يتجول بين الركاب بكل اطمئنان ! قالت المرأة بلهفة : هل انت متأكد من ان هذا هو قائد الطائرة ؟ فاجبتها بالايجاب . فما كان منها الا ان وثبت من مكانها الى حيث القائد فتعلقت بذراعه صارخة بعصبية : ماهذا ايها السيد ؟ كيف تترك مكان قيادتك وتأتي الى هنا ! . . .

تنفست ارتياحا حين رأيت السيدة تترك جواري وتصب بلاءها على قائد الطائرة . ورأيته يرد على صرختها بهدوء ، ويأخذ بيدها فيقودها الى مقدم الطائرة ثم يعود بها مخترقا الممر حتى اجلسها بلطف في مقعدها . ومن حسن الحظ ان الرحلة كانت قد شارفت على نهايتها وان الطائرة بدأت تتهيأ للنزول في مطار جدة . وما ان اصطدمت عجلاتها بأرض المدرج حتى انبسطت اسارير جارتي وارتسمت الابتسامة على شفتيها . فارقها قلقها فجأة ونسيت ذعرها . بل انها نسيتنا نحن رفاقها ، حين لوح لها بيده شاب ، هو زوجها بلاشك عند المدخل . قد هرعت اليه مسرعة دون ان تبدر منها التفاتة اوتلقي تحية وداع على واحد ممن تحملوا عناء رفقتها في هذه الرحلة : قائد الطائرة ، والايطالي المستعرب ، والطبيب الذى طالما جر عليه المتاعب رده بالايجاب كلما طرق سمعه السؤال التقليدى : « هل من طبيب في الصالة ؟ »

مخطوطات البحر الميت



بقلم : عبد الرزاق البصير

لم اكد أبدأ بقراءة هذا الكتاب ، حتى وجدت نفسي مشدودة اليه ، لاتكاد تلتفت الى غيره من الكتب ، ذلك ان مؤلفه الاستاذ حسين حماده استطاع ان يجعل هذا البحث الجاف بحثا طريفا ينقلك الى ماقبل ميلاد المسيح ، وانت في هذا العصر ، اعني ان المؤلف لم يغمرك بوقائع التاريخ القديم بصورة مطلقة ، وانما يرتفع بك الى تلك القرون وذلك حين يحدثك عما تحتويه تلك المخطوطات من زيادات لاتوجد في اسفار التوراة المعروفة في هذا العصر ، فهو ينبئنا ان احد الكهوف وجد فيه جزء من سفر اللاويين وسفر المزامير والترجوم اى الترجمة الارامية لسفر ايوب ، وكتاب فيه رؤيا اورشليم الجديدة ، والوصايا العشر تعد اقدم واكمل ما عرف اذ تعود للقرن الاول قبل الميلاد . وكتاب المزامير وجد كاملا في حالة جيدة وهو يزيد مزمورا واحدا عن المائة والخمسين مزمورا المعروفة ، ونص المزمور الزائد : « أنا أصغر اخوتي ومن بينهم الرب يختارني لانقذ شعبي » .

كيف عرف الكهف ولفائفه ؟

وجميع هذه الكتب مخطوطة بالحرف العبرى المربع على جلود الماعز .

ولكنك لاتصل الى هذا التوضيح المهم الأبعد ان يمربك المؤلف على نشاط بدو التعامرة وكيف انهم كانوا يبحثون عن كنوز الذهب والفضة ، واذ بهم يقعون على كنوز تاريخية لها قيمتها العظيمة في نفوس المهتمين بهذه الامور . ولقد كانت كيفية وقوعهم على هذه الكنوز محفوفة بالطرائف الجذابة ، وهي ان « محمد الذيب » احد افراد قبيلة التعامرة العربية فقد احد رؤوس الماعز التى كان يرعاها عند تلال الشاطىء الشمالي الغربي للبحر الميت في صيف ١٩٤٧ ، وبينما كان الراعي يبحث عن العنزة في جوانب الاودية الوعرة ، شاهد منفرجا في الصخر فدفعه حب الاستطلاع في هذا المنفرج العمودى في وجه الصخر على مستوى النظر ، ان يطيل النظر وقاده ذلك الى رؤية مغارة في الداخل وهكذا التقط حجرا ورماه ، ولشد ما كانت دهشته وخوفه عندما سمع ارتطام الحجر بشيء ما في الداخل ، وتكسر ذلك الشيء وسرعان ما غادر المكان ، لكي يعود بعد يوم او يومين مع رفيق له الى جانب المغارة يغالبهما خوف من المجهول ، وولجا الى الداخل من خلال شق ضيق في الصخر ، وجدا على جانبيه بعض الجرار المستطيلة أربعا في جانب وخمسا على الجانب الاخر ، كما شاهدا أقداحا من الفخار مثبتة فوق رقاب الجرار لتغطيتها ، وقد تحطمت احداها بفعل الحجر الذى رماه محمد الذيب ، وعندما تفحصا الجرار لاحظا انها فارغة ما عدا واحدة منها كانت تحتوى ثلاث لفائف من الجلد العتيق عليها كتابة ما .

والواقع انهما شعرا بخيبة امل ، لان الجرار لم تكن مليئة بالذهب ، لكنهما مع ذلك حشرا اللفائف الجلدية بين ملابسهما وغادرا المغارة . وقد وصف احدهما كيف امتدت اللفيفة الكبرى عندما بسطاها من طرف خيمتهم الى طرفها الاخر .

ونستدل من الوصف ان اللفيفة هي مخطوطة « سفر اشعيا » المشهور وقد بلغ طولها حوالي سبعة امتار .

رحلة اللفائف في العالم

ويأخذ المؤلف في رواية قصة انتقال هذه اللفائف وغيرها من اللفائف التي عثروا عليها فيما بعد ، وكيف ان

هذا الاكتشاف غير المقصود اثار اهتمام كثير من العلماء الاثريين الاجانب ، فدفعهم للمبادرة باخذ تلك اللفائف وبذل كل مالديهم من جهود علمية لمعرفة ما تتضمنه تلك المخطوطات من امور تاريخية تتصل باسفار التوراة ، فقد نشروا عنها تقارير في مجلة تايم الامريكية ، وجريدة التايمز الانجليزية . ويخبرنا المؤلف بتواريخ اعداد الصحف التي نشرت تلك البحوث ، مما يبرهن على ان المؤلف متابع لمسيرة هذه المخطوطات متابعة دقيقة .

ولم تكن العنزة وحدها هي الدليل لاكتشاف ما اكتشف من المخطوطات وانما ساهم في ذلك احد طيور الحجل في اكتشاف مخطوطات اخرى في احد الكهوف . اذ كان احد شيوخ بدو التعامرة يقوم بمطاردته ، واذ بذلك الطير يختفي في ثقب من الصخر لايبعد كثيرا عن قمران ، وحركت شهية التعامرة لمزيد من الارباح التي درتها عليهم تجارتهم الجديدة في بيع موجودات الكهوف . وبقدر ما حصلت عليه قبيلة التعامرة من ارباح فان الاوساط التاريخية العربية قد خسرت خسارة كبرى لان تلك اللفائف اصبحت في متناول الامريكان واليهود اما علماؤنا فانهم لايكادون يعرفون عنها الا اقل القليل . ولقد بلغ من اهتمام العلماء بهذه المخطوطات انهم كتبوا عنها ثلاثة الاف دراسة مفصلة .

موضع اللفائف ومحتوياتها

ولاينسى المؤلف ان يصف لنا بقعة قمران وصفا دقيقا مفصلا معتمدا بذلك على ماكتبه « لانكستر هاردنج » في كتابه « آثار الاردن » ، حيث قال يمكن ان ترى من الصور الجوية ثلاثة مداخل رئيسية للاثار القائمة حاليا ، الاول الى الشمال من البرج ، والثاني في الجدار الشرقي الطويل والثالث في الزاوية الجنوبية الغربية ، وكان هنالك ايضا باب في الجدار الجنوبي للغرفة الطويلة في الجهة الجنوبية .

ثم تتكفل المخطوطات الموجودة في كهوف قمران بوصف عقائد اليهود وتقاليدهم وعاداتهم بالاضافة الى مافيها من نصوص لاسفار التوراة ، غير ان المؤلف لايكتفي بهذا وانما يفصل الحديث عن فرق اليهود تفصيلا ممتازا مرتكزا في دراسته على فيلون ويوسيفيوس والاول كاهن ومؤرخ يهودي اما الثاني فانه اسقف اربوسي مسيحي عاش في القرن الرابع الميلادي وكذلك ينقل عن الدكتور علي عبد الواحد وافي وغيرهم من الباحثين .

اليهود أعداء البشر

ويستبين لك حين تقرأ ما كتبه الباحثون أن انعزال اليهود وانفصالهم عن الشعوب التي يعيشون بينها صفة متأصلة فيهم من اقدم العصور ، وفيما اورده المؤلف من كلام المؤرخين تعزيز لما قاله سائر الباحثين من ان اليهود قساة القلوب غلاظ الاكباد ، قد يتظاهرون بمسايرة المجتمع الذي يعيشون فيه ولكنهم يصرون على المحافظة على تقاليدهم واذا ما اردنا ان نتعرف على لغتهم العبرية وجدنا الحديث عنها مضطربا اعظم الاضطراب ، وكلها يفيد ان اليهود نسجوها من عدة لغات وهنا يورد لنا المؤلف آراء الباحثين المختلفة في هذه القضية كرأي الدكتور فؤاد علي والدكتور حسن ظاظا واحمد سوسة وغيرهم حول هذه القضية ، وعلى كل حال فاننا نجد التاريخ يحدثنا بان اسفار التوراة كتبت بعدة لغات منها المصرية والعبرية « واللادينو » الاسبانية كذلك يفصل لنا المؤلف ما قاله المؤرخون عن هذه الاسفار من حيث عدد ها واختلافها ومن أهم ما اورده المؤلف بهذا الصدد قضية التوراة السامرية التي نشرها الدكتور احمد حجازي السقا باللغة العربية وفي هذه التوراة اعتراف ببعثة المصطفى محمد « ع » كما جاء فيها بان « الله الواحد ليس للعالمين ، بل لاتباع العقيدة اليهودية فحسب ، وان التوراة خصصت لليهود لا لغيرهم»وبذلك ينفون عالمية الديانة اليهودية ، على ان هناك خلافا حادا بين العبرانيين والسامريين الذين يسكنون مدينة نابلس ، وقد فصل المؤلف في ذلك ، كما اوضح الاختلاف بين بعض الفرق اليهودية في عقائد دينهم . ومن افظع اسفار التوراة المزعومة اسفار يشوع تلك الاسفار التي توصي بقتل كل شيخ وطفل وامرأة حتى البقر والغنم وحاشا لله ان يوصي انبياءه باتباع هذا النهج الذي لايقبله اى منطق او عقل ولكن اليهود امتلأوا حقدا على البشرية فتقولوا على الله وحرفوا كتبه ، ولم يصل المؤلف الى ما تضمنته هذه الاسفار الابعد جهد جهيد ، وقد قام بذلك لاعتقاده ان وقوف امة العرب على مثل هذه الامور قد يفتح ابصارهم على ما يبيته لهم اعداء الانسانية .

ونحن نؤمل ماامله المؤلف من ان ننتبه الى هذا الخطر الذي اخذت ناره تحرق كل ما استطاعت ان تمد امامها وهي آخذة في الانتشار ان بقينا على مثل هذه الغفلة والاهمال ولايستطيع كل من يقف على هذا الكتاب الا ان يشكر المؤلف على مابذله من جهد لاخراج هذا الكتاب ○

جامعات سبع في السعودية

استطلاع : يوسف الشهاب تصوير : فهد الكوح





ثلاث صور .. الأولى الى اليسار حيث جامعة البترول والمعادن بالظهران ، وفي الثانية الى اليمين تبدو مكتبة جامعة الملك سعود بالرياض وقد غصت بروادها من الطلبة ، والثالثة أحد الطلبة وقد راح يتصفح أحد المراجع في مكتبة جامعة ام القرى ..



في المملكة العربية السعودية الآن ، ما يمكن ان نطلق عليه « عصر المقعد الجامعي » هذا ما خرجنا به بعد آخر مطاف لنا بين سبع جامعات متناثرة فوق المساحة الشاسعة التي تضمها المملكة السعودية البالغة (٢,٤٠٠) مليون كم مربع .. ذلك ان الجامعات هناك تواجه « احراجا » في كل عام وهو احراج يأتي حين يتقدم طالب الثانوية باوراقه الى احدى هذه الجامعات ليواجه الكثير من المنافسة مع الآخرين من الطلاب كلهم يريد مقعدا له في أي جامعة وكلهم جاء يحمل بيديه النسبة الجامعية المطلوبة واكثر وأمام هذا وذاك تبقى الجامعات تعاني احراجا في كيفية القبول .. وتلك قضية بدأت تأخذ طريق الحل بانشاء مبان جديدة لاكثر من جامعة سعيا وراء توفير المقاعد لكل طالب ... هذا هو هدف كل جامعة ...

والتوزيع الجغرافي للجامعات السبع جاء وفق معايير محدده ومتنوعة يخضع بعضها الى الباعث الديني وطبيعة الموقع كما في مكةالمكرمة حيث جامعةأم القرى والجامعة الاسلامية في المدينة المنورة التي قال عنها سيد الخلق عليه الصلاة والسلام ، المدينة مهاجري فيها مضجعي ومنها مبعثي ، ثم الباعث السكاني الذي تمثله جامعة الملك عبد العزيز في جدة ، وجامعة الملك سعود بالرياض أول جامعة عرفتها المملكة وكذلك جامعة الامام محمد بن سعود ثم جامعة البترول والمعادن بالظهران حيث مواقع البترول وكذلك جامعة الملك فيصل بالدمام والاحساء .. ولكل جامعة مجلسها الخاص وادارتها في حركتها اليومية

ضجة بين العلماء

يروي الشيخ حافظ وهبة ، سفير المملكة السعودية السابق في المملكة المتحدة في كتابه « جزيرة العرب في القرن العشرين » انه في أوائل حزيران ١٩٢٧ م ـ ١٣٤٧ هـ قامت ضجة بين علماء الدين حين اجتمعوا في مكة ، وبعد التشاور فيما بينهم وضعوا قرارا يحتجون فيه على ادارة المعارف في مكة وكان الشيخ حافظ حينها من اركان الادارة .

وجاء قرار العلماء احتجاجا على برامج تعليم مادة الرسم ، والجغرافيا التي منها دوران الارض وكرويتها ، ويقول الشيخ وهبة ، انه تدارس مع المغفور له الملك عبد العزيز في هذا الموضوع ، فرأى من الحكمة أن يجتمع الشيخ وهبة بكبار المشايخ ويتدارس معهم الامر فلما عقد الاجتماع كان هذا الحوار .

حافظ وهبة ـ لقد أمرني جلالة الملك بالاجتماع إليكم لأشرح لكم حقيقة المسائل التي رأيتم الغاءها من برامج التعليم ، وانكم تعلمون مدى حبي لكم ، لأنكم من أنصار السنة الآخذين بالاجتهاد والرادين كل قول يخالف القرآن أو السنة الصريحة ، لقد مضى الزمن الذي كان يعتبر فيه كل ما يقوله رجل الدين حجة ، ولا اعتقد انكم تريدون منا أن نقبل كل ما تقررونه دون نقاش ، لأن ذلك لا يتفق مع روح العصر ، كما أن معناه اتباع الناس لعلمائهم من غير حجة أو دليل ، وهذا ما نعيب الداعين اليه ، ولا نظنكم تريدون احياء دعوة كهذه

ويرد أحد المشايخ ، ان ما قلته حق وصحيح ، ولكننا بينا للامام عبد العزيز الادلة والمفاسد التي تترتب على تقرير هذه العلوم فالرسم هو التصوير ، والتصوير محرم قطعا ـ وأما اللغات فانها ذريعة للوقوف على عقائد الكفار وعلومهم الفاسدة ، وفي ذلك ما فيه من خطر على عقائدنا وعلى اخلاق ابنائنا ، واما الجغرافية ففيها كروية الارض ودورانها ، والكلام عن النجوم والكواكب مما أخذ به علماء اليونان وانكره علماء السلف .

وختم الشيخ حافظ وهبه رواية هذه الحادثة بقوله : لما وقف جلالة الملك عبد العزيز على المناقشة ، واقتنع بثاقب فكره أن ليس لدى العلماء دليل ديني يصح الاعتماد عليه لم يوافقهم على رأيهم ، واستمر تعليم اللغات والرسم والجغرافية كما كان »

ظواهر بارزة

هذا مارواه الشيخ في كتابه ، جزيرة العرب في القرن



أحد الطبة يفحص احدى العينات في جهاز الميكروسكوب بجامعة الملك عبد العزيز .

العشرين، لكن الرأي المعارض للتعلم آنذاك تغيرت مفاهيمه الآن حين ارتفعت شواهد التعليم الجامعي متوجاً بذلك رحلة مراحل التعليم بالمملكة العربية السعودية ، وهي مراحل وجد فيها طالب العلم السعودي ضالته ليأخذ نصيبه كما شاء ثائرا على قيود التخلف التي كان أسيرا لها .

على مدار أسبوعين عاشت بعثة العربي معايشة يومية تسجل بالكلمة والصورة حركة التعليم الجامعي التي أعطت للمملكة الشقيقة وجها مشرقا في مسيرة العلم والحضارة .

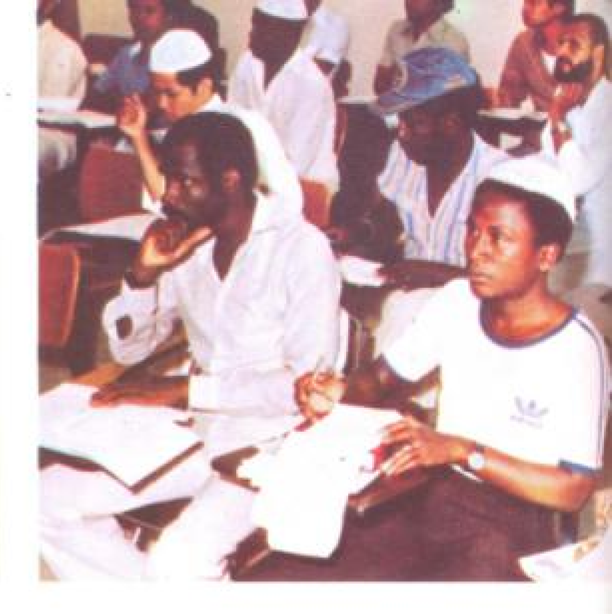
وأول ظواهر هذا التعليم هو دعم الدولة للجامعات السبع التي تتناثر من غرب المملكة حتى شرقها ، ابتداء من جدة الى الظهران عبر مكة والمدينة والرياض ـ وهو دعم قال عنه مدير الجامعة الاسلامية الدكتور عبد الله العبيد ، انه غير محدود ، ويضيف ان الجهات المسؤولة لا تقف امام أي مطلب لأي جامعة حرصا منها على بلوغ هذه الجامعات لاهدافها النبيلة ، أما الظاهرة الاخرى فهو جيل العلم الذي نهل من ينابيعه ثم جاء ليأخذ دوره في موكب التعليم الجامعي بين قيادة الجامعات والتدريس فيها وكلها ظواهر بارزه في حياة التعليم الجامعي بالمملكة السعودية . .

فالقيادات في السبع جامعات يقف على قمة هرمها ابناء المملكة من الذين عادوا الى بلادهم يحملون مشاعل العلم والمعرفة في شتى صنوف العلم وفروعه . .

وفلسفة التعليم العالي هناك ، انطلقت من مفهومين لا ثالث لهما ، أما الاول فانك تشعر به وتتلمسه حين تتجول في ردهات أي جامعة سعودية ، انه الدين الاسلامي الطاهر الذي حمل رسالته محمد عليه الصلاة والسلام . . الذي جاء برسالته حاثا على العلم من المهد الى اللحد ومؤكدا عليه القرآن في آيات كريمة شتى ـ يقول العزيز الحكيم . اقرأ باسم ربك الذي خلق . . وهي أول ماسمعه نبي هذه الامة من جبريل ثم قوله تعالى ؛ هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، وقوله سبحانه ؛ انما يخشى الله من عباده العلماء ، كل هذه الآيات الكريمة توجب طلب العلم ـ وهو غاية الجامعات السعودية ومحور طموحها ، وهو طموح يراه الطالب يوميا من خلال ما يجده من عناية ورعاية وتوفير لكل متطلبات الحياة الجامعية التي يتطلع اليها . .

وأما الثاني فهو التطور الحديث الذي تواكب مسيرته الجامعات السبع المتناثرة في خمس مدن سعودية ، وهو

مدخل الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة وتبلغ نسبة غير السعوديين فيها نحو ٨٠٪ من الطلبة .





الشيخ حسن آل الشيخ ..
وزير التعليم العالي .

أحد فصول الجامعة الاسلامية جمعهم الاسلام ، برغم تباعد أقطارهم وا ختلافها .





(الى اليمين) الشبكة التلفزيونية المغلقة حيث تقل المحاضرات الى الطالبات . عبر البث التليفزيونى المباشر فى جامعة الامام بالرياض وفى الصورة العليا أحد فصول كلية الهندسة بجامعة الملك فيصل مع عميد الكلية .

تطور أكدته تلك الجامعات بحرصها على توفير كل اجهزة علمية وحديثة لازمة بين ايدي طلابها ليأخذ كل منه نصيبه في مناخ أكاديمي فيه كل مستلزمات البحث العلمي ومتطلبات الطالب فيه . .

الجامعة الأم

وحين العودة الى بداية أول صرح جامعي في المملكة . تبدو لنا جامعة الملك سعود بالرياض أول قلادة علمية تظهر على مسرح التعليم العالي لتأخذ دور « الجامعة الام » التي فتحت الباب لرحلة خير علمية بدأت ثم تقاطرت بعدها قلادة واخرى حتى اكتملت لتبلغ سبع قلادات تتناثر في مدن المملكة السعودية . .

قلنا لمديرها الدكتور منصور التركي متى انشئت هذه الجامعة ؟ فقال ، كانت البداية عام ١٣٧٧ هـ . الموافق ١٩٥٧ م حين خرجت هذه الجامعة الى الوجود لتعلن عن بداية مسيرة التعليم العالي . ويقف الدكتور التركي عن الحديث ليقول لقد مضى علينا الآن خمس وعشرون سنة من عمرها الذي ندعوالله أن يطول.ويضيف لقد بدأت هذه الجامعة في انشاءكلياتها على مرحلتين الأولى مرحلة الكليات الاربع التي بدأت مع تأسيس الجامعة وهي الاداب والعلوم والتجارة والصيدلة . ثم بدأنا بعد مرحلة من الاستقرار استغرقت ست سنوات بالحاق كليتي التربية والهندسة وانشئت أيضا كليتا الزراعة والطب وهي الكلية التي تدير الآن مستشفى الملك خالد بالدرعية ويستطرد الدكتور التركي مدير جامعة الملك سعود حديثه عن الجامعة فيقول ولم تتوقف الجامعة عن انشاء الكليات بل واصلت هذه المهمة فافتتحت معهدا لتدريس اللغة العربية لغير الناطقين فيها ، وهو المعهد الذي يسهم في تدريس لغة القرآن للذين لا يجيدون هذه اللغة . هذا بالاضافة الى كليات طب الاسنان والعلوم الطبية في - أبها - وكلية الدراسات العليا .

لانها الجامعة الام . فقد كان الاقبال عليها كبيرا منذ البداية عام ٧٧ - ١٣٧٨ هـ الموافق ١٩٥٧ - ١٩٥٨ م حيث كان عددهم آنذاك ١٢٠٠ طالب . ولأن جامعة الملك سعود وحدها بالميدان فلم يجد الطالب أي مأوى دراسي له بعد الثانوية . هذا ادى الى زيادة الطلبة عاما بعد عام حتى بلغ في العام الدراسي ٨١/ ٨٢ م الى ١٦٦٧٩ طالبا وطالبة كل في جامعته . أما عدد الخريجين فيها فقد بلغ عام ١٤٠٠ - ١٤٠١ هـ الموافق ١٩٨١ - ١٩٨٢ م نحو (١١٥١٠) خريج .



الدكتور منصور التركي
مدير جامعة الملك سعود .

ثم سألنا الدكتور التركي ، مدير جامعة الملك سعود عن ميزانية الجامعة ، فأجاب ان ميزانيتنا متغيرة دائما لأن التعليم عندنا يتوسع . لقد كانت عام ١٩٦١ م خمسة ملايين ريال تلك كانت اول ميزانية مستقلة لنا ، لكن آخرها كانت ٤ الاف مليون ريال ، ويضيف ان الطالب عندنا يمنح مكافأة شهرية وسكنا كما نوفر له الطعام الذي ندفع به ٨٠٪ من قيمته والباقي يدفعه الطالب ، كما وتساهم الجامعة في ٧٥٪ من قيمة الكتب للطلبة بالاضافة الى تذاكر الطائرات التي تصرف للطالب حين ذهابه الى أهله في أوقات الاجازات ثم عودته .

جامعة الامام

وفي الرياض ، جامعة أخرى الى جانب جامعة الملك سعود ، انها جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، التي أخذت على عاتقها مسؤولية تقديم جيل متعلم من ابناء المملكة الى جانب الجيل الذي تقدمه الجامعات الست الاخرى زرنا جامعة الامام وتحاورنا مع مديرها الدكتور عبد الله عبد المحسن التركي الذي حدثنا عن نشأة الجامعة فقال ان الجامعة انشئت بعد صدور المرسوم الملكي في شعبان من عام ١٣٩٤ هـ (الموافق ١٩٧٤ م) وهو المرسوم الخاص بالموافقة على نظام جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، ويضيف الدكتور عبد الله التركي ، ان الجامعة كانت تسمى « الرئاسة العامة للكليات والمعاهد العلمية » اذ يتبعها كل من كلية الشريعة بالرياض التي افتتحت عام ١٣٧٣ هـ (الموافق ١٩٥٤ م) وكلية اللغة



الدكتور عبدالله عبد المحسن التركي
مدير جامعة الامام محمد بن سعود .



الدكتور عبد الله نصيف
مدير جامعة الملك عبد العزيز .

العربية بالرياض عام ١٣٧٤ هـ (الموافق ١٩٥٣م) هذا بالاضافة الى العلوم الاجتماعية ، وللجامعة عدة كليات منتشرة بين الرياض والقصيم والاحساء ، كما ان لدى الجامعة فروعاً بالخارج مثل اندونيسيا ، اليابان ، جيبوتي .

أما عن الطلبة بالجامعة ، والحديث لمديرها الدكتور عبد الله التركي ، فان عددهم قد بلغ هذا العام ٨ آلاف طالب ، وقد استطاعت الجامعة حتى الان تخريج ١٠ آلاف طالب في مختلف تخصصات الجامعة ، أما ميزانية جامعة الامام فقد بلغت كما يقول الدكتور التركي ١٤٠٠ مليون ريال وهذا المبلغ يشمل كافة انشطة الكليات العلمية ..

تبرعات من الاهالي

على الجانب الغربي من المملكة العربية السعودية ، تبدو مدينة جدة وهي تعانق امواج البحر . وفي المدينة تبدو جامعة الملك عبد العزيز كعلامة بارزة من علامات مدينة جدة .

لقد تأسست هذه الجامعة لتقوم بدورها في خدمة البحث العلمي الاكاديمي وتأخذ على عاتقها مسؤولية الاسهام الفعال في البناء الحضاري كانت الجامعة فكرة تراود بعض اهالي جدة ، ثم تبلورت ونمت حتى نضجت في أذهانهم وازداد هذا الحماس لها وهو حماس دفعهم الى الاعلان عن استعدادهم للتبرع في مشروع انشاء الجامعة ، فكان المواطن السعودي المرحوم (محمد ابو بكر باخشب) أول من وضع يده للتبرع بمليون ريال للمشروع واقترح ان تسمى الجامعة الاهلية الجديدة « جامعة الملك عبد العزيز » ثم تكونت لجنة تحضيرية اجتمع رايها على عرض منصب رئاسة الجامعة على المغفور له الملك فيصل بن عبد العزيز عام ١٣٨٤ هـ (الموافق ١٩٦٤ م) فما كان من جلالته رحمه الله الا النزول عند رغبة اللجنة حيث قامت اللجنة ذاتها بتشكيل لجان متفرعة تأخذ على عاتقها دراسة احتياجات الجامعة من النواحي المختلفة .

وسارت خطوات تأسيس جامعة الملك عبد العزيز سيرا حثيثا ، وعقد اجتماع شعبي في جمادي الثانية ١٣٨٤هـ ، ١٩٦٤ م برئاسة المغفور له الملك فيصل بن عبد العزيز ، حيث فتح باب التبرعات لهذه الجامعة بمليون ريال من الاسرة المالكة وبعدها تدفقت تبرعات المواطنين حتى بلغت (٤٥٩٥٢٤٠) كما تبرع وزير المالية والاقتصاد آنذاك بقطعة أرض مساحتها ٧٥٠,٠٠٠ متر مربع لاقامة اربعة مبان وفيلا ومجموعة من الملاحق العامة لتكون مقرا للجامعة .

وبذلك قامت على الشاطىء الغربي للمملكة قلعة علمية جديدة وطليعة من الطلائع الثقافية بعد ان رأت النور في الرابع من رجب عام ١٣٨٧هـ . الموافق ١٩٦٧ م لقد قامت لتكون موقعا أماميا من مواقع الثقافة العربية تعيش حقائق العصر ومتغيراته العلمية وفي مقدمتها أن الفكر لا يصده الا الفكر ، وأن الثقافة لا تهزمها الا الثقافة .

دخلت التكنولوجيا العلمية كل الجامعات السعودية ، والصورة من أحد المختبرات العلمية بجامعة الملك سعود حيث يمارس الطلبة تجاربهم العلمية .





وكيل وزارة التعليم العالي الأستاذ هديف البقمي .

طلبة الطب بجامعة الملك سعود في إحدى العمليات (الى اسفل) . . والى اليسار يبدو الطلبة في
فيصل ، ثم أحد المختبرات العلمية في جامعة الظهران ، وأحد الطلبة أمام جهاز القياس بالمساحة





اللغة الانجليزية في جامعة الملك
امعة البترول .







كانت أول نواة لهذه الجامعة ثمانية أساتذة مع اربعة غير متفرغين ، اما المدرسات فكن خمس سيدات وكان عدد الطلبة ثمانية وستين طالبا وثلاثين طالبة .

وبدأ العام الاول لجامعة الملك عبد العزيز ببرنامج توجيهي جامعي « الاعدادي » الذي كان يرتكز على تقوية الطالب ، ثم توالت الكليات في الظهور ، فجاءت كلية الاقتصاد والادارة ثم كلية الاداب التي بدأت بقسم اللغة الانجليزية ، وصارت كلية الاداب والعلوم الانسانية ثم معهد الجيولوجيا التطبيقية ، وفي عام ١٣٩١ هـ الموافق ١٩٧١ م) ظهرت تابعة لها هي كلية الشريعة والدراسات الاسلامية بمكة المكرمة ، وانضمت للجامعة أيضا كلية التربية بمكة المكرمة ، ثم جاءت كلية الطب والعلوم الطبية عام ١٣٩٦هـ . (١٩٧٦ م) لتقوم بتوفير الكوادر الطبية المتخصصة وكذلك كلية العلوم التي انشئت عام ١٣٩٣ هـ ، (١٩٧٣ م) وتحتل المرتبة الثالثة من بين كليات هذه الجامعة وهي اول كلية تطبق نظام الساعات المعتمدة في جامعة الملك عبد العزيز .

« كان الأمل في البداية ان تضم هذه الجامعة اربع كليات ، لكن عجلة التنمية بالبلاد كانت كبيرة ، فكان علينا أن نخرج عن القاعدة التي كانت عليها بداية التعليم بالجامعة هذا ما قاله لنا مديرها الدكتور عبد الله عمر نصيف ، الذي أضاف قائلا ـ : وحين رسخت اقدام الجامعة في الارض شعرت انها في حاجة الى دعم من الحكومة ، فأمر جلالة المغفور له الملك فيصل بضم الجامعة الى الدولة بصدور المرسوم الملكي في صفر ١٣٩١ هـ (١٩٧١ م) فكان ذلك تحقيقاً لأمل وعونا لمسيرة علمية تتطلع لها ، وفي محرم ١٣٩٢ هـ ١٩٧٢ م) أصبحت الجامعة مؤسسة تعليمية ذات شخصية اعتارية بموجب النظام الاساسي .

قديمة حديثة

مكة . . هي أم القرى الارض الطاهرة التي يولي كل مسلم وجهه شطرها حين يقف للصلاة .

وأم القرى هي أيضا تلك الجامعة التي تحيط بها الجبال وتحتضنها من كل جانب .

زرنا جامعة أم القرى ، تجولنا بين كلياتها المختلفة ، شاهدنا الطلبة المسلمين من غير الناطقين بالعربية ومحاولاتهم تعلم لغتنا الجميلة التي انزل الله تعالى بها كتابه الكريم ، ثم سألنا أحدهم وكان من الفلبين عن اسباب تعلم اللغة العربية فقال ـ ان الاسلام هو السبب الاول في ضرورة تعلم هذه اللغة ، واضاف ان القرآن الكريم ورسالة المصطفى محمد (عليه الصلاة والسلام) التي يعتنقها دينا ويؤمن بمنزلها ربا كل هذه هي التي دفعته لتعلم العربية حتى يستطيع قراءة القرآن بسهولة ويسر ثم تحاورنا كذلك مع مدير الجامعة الدكتور راشد بن راجح الذي حدثنا عن نشأة الجامعة فقال ـ « انها قديمة حديثه اما لماذا هي قديمة ؟ فلأنها تشكل اقدم كليتين بالمملكة وهما الشريعة التي انشئت في عهد المغفور له جلالة الملك عبد العزيز عام ١٣٦٩ هـ (١٩٤٨ م) ثم كلية التربية بمكة . والكليتان كانتا تتبعان جامعة الملك عبد العزيز ـ وهي حديثة لانها آخر « قلادة»تعليمية في المملكة فقد تأسست عام ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨٠ م بالامر الملكي بانشاء جامعة أم القرى فوق هذه البقعة الطاهرة من الارض ، لتكون جامعة مستقلة تأخذ مكانها ودورها بين الجامعات الست الاخرى بالمملكة ، كما صدر في ذات العام نظام جامعة أم القرى الذي يحدد طبيعة العمل الدراسي بالجامعة » .

وبعد مضي سنة ونصف من انشائها اصبحت الجامعة تشتمل على ست كليات ومعهد لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها .



الدكتور راشد بن راجح
مدير جامعة أم القرى .



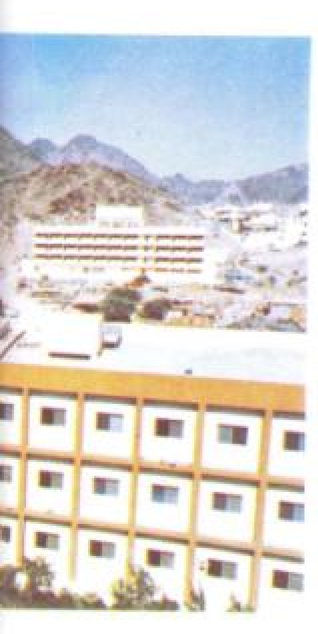
أحدث أجهزة تصوير الخرائط في جامعات الوطن العربي موجودة في جامعة الملك عبد العزيز .

واستطرد مدير جامعة أم القرى وهو حاصل على درجة الدكتوراه من جامعة « كمبردج » بانجلترا فقال ان لدى الجامعة أكثر من تسعة مراكز علمية مختلفة .. واما الكليات فهي : الشريعة والدراسات الاسلامية ، التربية ، الدعوة واصول الدين ، اللغة العربية ، العلوم التطبيقية والهندسية ـ وهذه الاخيرة في مدينة الطائف ـ بالاضافة الى معهد اللغة العربية ، اما المراكز فهي مراكز البحث العلمي واحياء التراث الاسلامي ، ومركز البحوث النفسية والتربوية ، ومركز الدراسات العليا الاسلامية المسائية ، ومركز تعليم اللغة العربية ومركز الدراسات التعليمية ، ومركز الحاسب الآلي ، ومركز الدراسات التدريبية ومركز تأمين الكتاب الجامعي ، واخيرا مركز التلفزيون التعليمي للطالبات ويعرف بالشبكة التلفزيونية المغلقة .. وقد وافق مجلس الجامعة على انشاء كلية للعلوم الزراعية واخرى للعلوم الاجتماعية كما ان هناك دراسة لانشاء عدد آخر من الكليات في مجال الطب والاقتصاد والادارة والهندسة .

وسألنا مدير جامعة أم القرى الدكتور راشد بن راجح عن عدد الطلبة في الجامعة ، فقال ان عددهم بلغ هذا العام ١٤٠٣ هـ ـ (١٩٨٢ م) تسعة آلاف طالب وطالبة ، والتعليم بالنسبة للطالبات يتم في قسم خاص بهن وتدرس فيه المواد التي تدرس للطلاب خلال الشبكة التلفزيونية المغلقة .. وهذه تكون عن طريق القاء المحاضرة في الجامعة وتنقلها شبكة التلفزيون على الهواء الى فصول الطالبات ، وحين تريد احداهن سؤال استاذها عن أي نقطة غامضة تقوم بالضغط على « زر » بجانبها وتسأله عبر الهاتف ثم يجيبها عبر الشاشة التلفزيونية . اما عن الدراسات العليا فقد قال لنا مدير الجامعة ان أول دراسات عليا بالمملكة بدأت في جامعة أم القرى ، وهي تمنح الماجستير والدكتوراه في معظم التخصصات الاسلامية والعربية والتاريخية والتربوية ، وقد منحنا اول دكتوراه بالمملكة من كلية الشريعة .

في الجامعة الاسلامية

أما هذه الجامعة فتختلف عن الجامعات الست الاخرى ، لها وضعها التعليمي الخاص ، سواء في جنسيات الطلاب او في الدراسة فيها .. انها الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة التي انشئت في عام ١٣٨١ ـ ١٣٨٢ هـ الموافق ١٩٦١ ـ ١٩٦٢ لتكون الجامعة الثانية في ترتيب الجامعات بالمملكة السعودية لقد كان تأسيس الجامعة تحقيقا لأمل كبير يراود المسلمين في أن تكون لهم جامعة متخصصة ، تسهم في انشاء جيل يكون اساسا ومنطلقا للدعوة الاسلامية على





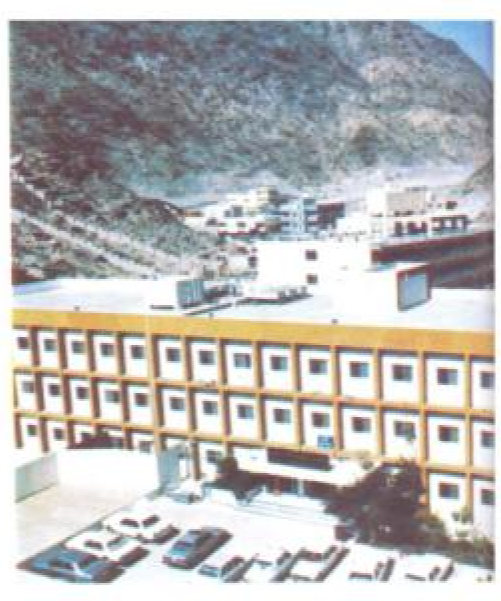
توفر الجامعات السعودية المأكل والملبس والمسكن للطالب بالمجان





أحد طلبة الطب في المختبر بجامعة الملك فيصل بالاحساء .

الصالة الرياضية التي شيدت على طريقة الخيمة في جامعة الملك عبد العزيز . انها وحيدة الطراز بالوطن العربي . (الى اليسار) .



جامعة أم القرى في مكة المكرمة وتبدو الجبال محيطة بها من كل جانب .





طالب أمام الميكروفيلم بجامعة أم القرى .



بعض طلبة الطب يمارسون دروسهم العملية بجامعة الملك فيصل .

النطاق الاشمل والوجه الاكمل ـ حتى صارت هذه الجامعة تضم جماعات من مختلف جنسيات العالم .

قال لنا مدير الجامعة الدكتور عبدالله العبيد حينماسألناه عن عدد الجنسيات الاسلامية في الجامعة ، ان عدد هذه الجنسيات يشمل الآن ١٠٨ جنسية اسلامية جاءت من مشارق الارض ومغاربها ، ويدفعها كلها الحرص على التزود بالعلوم الاسلامية من أجل ان تعود الى بلادهم وتأخذ دور كل مسلم تجاه وطنه وشعبه .

وأضاف أن نسبة غير السعوديين من الطلبة بالجامعة تبلغ نحو ٨٠٪ وهذا ليس بغريب لأن انشاء الجامعة كان خدمة من المملكة لنشر الدعوة الاسلامية بين غير الناطقين بالعربية .

والطلبة بالجامعة الاسلامية ، حين يأتون من بلادهم او من مدينتهم (بالنسبة للسعوديين) يجدون الرعاية من الجامعة حيث تؤمن لهم السكن المؤثث دون مقابل كالجامعات الاخرى وكذلك الغذاء للطلاب الساكنين داخل الجامعة من غير السعوديين او من السعوديين الذين لا أهل لهم بالمدينة المنورة ـ كما تقوم الجامعة بتأمين استقدام الطالب على نفقتها ثم توفر له فرص السفر سنويا لقضاء اجازته الصيفية في موطنه حيث يعطى تذاكر للسفر ذهابا وايابا وتذكرة سفر عند تخرجه الى جانب مبلغ ألف ريال ، بالاضافة الى تأمين المواصلات اليومية من الجامعة الى المدينة والخدمات الصحية والمكافآت الشهرية وكذلك فان الطلبة المتزوجين يصرف لهم بدل سكن سنوي مقداره ١٢ الف ريال .

ولان نمط الدراسة في الجامعة تختلف عن الجامعات الاخرى ـ فان كلياتها ومعاهدها جاءت لتساير اهداف الجامعة فهي تضم : كلية الشريعة وأصول الدين وكلية اللغة العربية والاداب ـ كما ان هناك قسماً آخر لتعليم اللغة العربية للطلاب الذين ينتمون الى دول أخرى غير عربية كما ويتبع الجامعة معهدان الاول هو المعهد الثانوي الذي يؤهل المتخرجين فيه للالتحاق باحدى كليات الجامعة والدراسة فيه ثلاث سنوات والثاني هو المعهد المتوسط الذي يؤهل المتخرجين منه للالتحاق بالمعهد الثانوي ومدة الدراسة فيه ثلاث سنوات أيضا ويتبع الجامعة « دار الحديث » بالمدينة المنورة وكذلك « دار الحديث » في مكة المكرمة . .

طابع مميز . . ونهج اكاديمي

مدينة الظهران . . أو المنطقة الشرقية من المملكة



الدكتور عبد الله العبيد
مدير الجامعة الاسلامية .



الدكتور محمد سعيد القحطاني
مدير جامعة الملك فيصل .

العربية السعودية توجد فيها جامعتان وعلى المستطلع لها أن يقطع المسافات فيما بين كلية واخرى كما هو الحال في جامعة الملك فيصل التي تتباعد كلياتها بين الدمام والاحساء مسافة مائة وخمسين كيلو مترا فبعض كلياتها تحتل جزءا من الدمام والبعض الآخر منها بالأحساء ، والتغطية واجبة لشطرى الجامعة التي بدأت عام ٧٤ ـ ٧٥ م بين الجامعات السعودية السبع والهدف منها سد احتياجات المنطقة الشرقية ، سواء الحاجة الفردية للطالب بعد الثانوية او لحاجة الدولة بتخريج الكوادر الوطنية المؤهلة علميا للعمل والانتاج في مستوى اكاديمي متطور يخدم وطنه وشعبه .

زرنا جامعة الملك فيصل بالدمام وتجولنا في كليتي الهندسة والطب وتحاورنا مع طلابها واساتذتها فخرجنا مقتنعين بأن جيل الجامعات هناك يتطلع بشغف الى مستقبله الاكاديمي وهو آت لا ريب ما دامت الدولة عندهم لا تبخل بالعطاء على الجامعات وما دام الشباب حريصا على نيل نصيبه من التعليم ، بعد ذلك زرنا شطر الجامعة بالاحساء ووصلنا اليها بعد ساعة ونصف ، وفيها التقينا بمدير الجامعة الدكتور محمد سعيد القحطاني الذي حدثنا عن هذه الجامعة قائلا ـ « انها ذات لون اكاديمي يختلف عن بقية الجامعات الاخرى في المملكة ، فهي الى جانب ما تضمه من كليات لها مثيلاتها في أي جامعة سعودية إلا أنها ذات طابع متميز وبارز وذات نهج اكاديمي لا يكاد يلمس الا فيها » .

وأضاف الدكتور القحطاني ، ان لكل جامعة حين انشائها فلسفة علمية معينة ونحن لدينا الى جانب ذلك فلسفة علمية اجتماعية ايضا ، علمية في وجود كلية الزراعة والبيطرة لخدمة أهالي المنطقة الشرقية ، واجتماعية في وجود كليات تخدم القطاع الاجتماعي بشتى متطلباته واحتياجاته .

الاقبال كبير .. والمكان ضيق

في الطريق من الدمام الى الاحساء ، قلت لمرافقنا مدير العلاقات العامة بجامعة الملك فيصل ، هل تعتقد ان وجود جامعتين بالمنطقة الشرقية له ما يبرّره ؟ وابتسم الرجل ثم قال ، نعم له ما يبرره ، وخذ مثلا على ذلك ، في احدى سنوات قبول الطلاب ، كان العدد المتقدم لدينا ٢٠٠ طالب وطالبة وعدد المقاعد ٦٠ مقعدا فوجدت الجامعة نفسها في حيرة من الامر ، فالمتقدمون جميعهم حاصلون على النسبة المطلوبة البالغة ٧٥٪ واكثر لكن المقاعد لا تسمح بقبول الجميع ، والجامعة حريصة على توفير العلم وتسخيره لكل طالب وطالبة ، وامام هذا الامر كان البحث عن سبيل للخروج من الموقف ، فلم تجد الجامعة سوى قبول دفعة أخرى من المتقدمين وفتحت الباب للدراسة المسائية لهم ، وكانت المرة الأولى التي تتبع فيها

الجامعة مثل هذا النوع من الدراسة سعيا وراء توفير الدراسة لاكبر قدر من الطلبة . .

في الشطر الثاني من جامعة الملك فيصل بمدينة الاحساء ، كانت لنا جولة على اقسامها وكلياتها ، اختتمها مديرها الدكتور محمد القحطاني بمأدبة غداء عامرة جمعت بين رجال يمثلون جزءا من تاريخ الاحساء ، وفئة أخرى من الجيل الحاضر او فيما يمكن ان تسميه بالجيل القيادي للجامعات هناك ، قلنا للدكتور القحطاني كم بلغ عدد الطلبة عندكم ؟ فقال لدينا الان ٢٣٠٠ طالب وطالبة يتلقون دراستهم في جميع كليات الجامعة لقد تطور العدد منذ بداية افتتاحها كان عدد الطلبة عندئذ ١١٧ طالبا ، لكن العدد تزايد وتوسعت قاعدة التعليم الجامعي عندنا ثم ان جامعة الملك فيصل هي اول جامعة بالمنطقة الشرقية تفتح الباب لدراسة الفتاة كما في كلية الطب والاقتصاد والتربية كل في كليته منفصل عن الاخر والتصميم الداخلي لمباني الطالبات يختلف عن تصميم مباني الطلبة .

أكبر جامعة عربية

في المنطقة الشرقية جامعة ثانية الى جانب جامعة الملك فيصل .

انها جامعة البترول والمعادن ذات الطراز الحديث المطلة من فوق موقعها الجبلي على الظهران . تجولنا في هذه الجامعة التي تحتل مساحة تبلغ ٦,٥ كيلو متر مربع ، تشمل المنشآت الاكاديمية ، ومرافق سكن الطلاب ، وكذلك هيئة التدريس ، ومكتبة بها ١٨٠ الف كتاب ، ومركزاً آليا يضم ستة الآف خط ، وشبكة مياه جوفية في مواقع متعددة من المدينة ، وشبكة للكهرباء والمجاري تكفي احتياجات المدينة الجامعية كما شيد جامعا تبدو عليه ملامح الهندسة الحديثة معدٌ للصلاة ، وهو مركز للدراسات الاسلامية وتقام فيه الندوات والحلقات الدينية وهي باختصار اكبر جامعة عرفها الوطن العربي .

خرجت هذه الجامعة الى الوجود ، بصدور المرسوم الملكي عام ٨٣ هـ الموافق (١٩٦٣ م) وحينئذ كانت تعرف بكلية البترول والمعادن . لكن هذا الاسم تغير أو لنقل صار أشمل حين عدل الى جامعة البترول والمعادن بالمرسوم الملكي الصادر في ١٣٩٥ هـ الموافق (١٩٧٦ م) لتأخذ الجامعة دورها الجديد الواسع في العلوم الأكاديمية ، وفي كل ما يتصل بالدراسات المختلفة المتعلقة بالبترول والمعادن ، وتشجيع البحوث العلمية ، والعمل على نشر الثقافة البترولية والمعدنية في المملكة .

نشاط متفاوت

كل هذه دراسات ذات نمط تخصصي دون شك ، والوطن العربي لا تنقصه المؤسسات العلمية ، وهذه تهتم

طلبة كلية الهندسة في جامعة البترول والمعادن .





الدكتور بكر عبد الله بن بكر مدير جامعة البترول والمعادن .

عادة بالبحث العلمي الاكاديمي فتقود الى ابقاء الاستاذ رهين حقله التخصصي ، وعلى صلة بالمجتمع العلمي الذي يعيش فيه يقول الدكتور بكر عبد الله بن بكر مدير جامعة البترول والمعادن ، اننا لو نظرنا الى النشاط العلمي في الجامعات لوجدنا أن هناك تفاوتا ، والسؤال ماذا بعد هذا الاكتشاف النظري ؟ ! ويجيب على تساؤله قائلا : انه قليل الفائدة ، لكن ، الحال في جامعتنا مختلفة ، إذ كيف نسد هذه الفجوة بين العلماء ونبتكر اشياء ملموسة للاقتصاد الوطني ، لقد قمنا من أجل ذلك بإقامة معهد البحوث الذي اقيم في هذه الجامعة والذي يهدف الى الانتقال من الجانب النظري الى العملي . وهذا هو دور الجامعة في أي مجتمع من المجتمعات .

ما الغرض الذي من أجله وجدت هذه الجامعة . ؟ يجيب على هذا التساؤل مدير الجامعة وهو حاصل على درجة الماجستير بالهندسة البترولية والدكتوراه في الاقتصاد ، فيقول كان انشاء الجامعة لغرض محدود وهو نقل وتطوير العلوم التقنية ، ولهذا حرصنا على ان تكون برامجها موجهة لهذه الناحية ، فالمشكلة التي يعاني منها الوطن العربي هي نقل التكنولوجيا الملموسة ، والجامعة وجدت لتسد هذه الثغرة،وللدكتور بكر ، طموح في نمو جامعته وصفه بأنه نمو رأسي في مجال البحوث والعلوم التطبيقية أعني الدراسات العليا هذه هي اهدافنا الحالية ونمونا الرأسي في مجال الدراسات العليا وهو نمو رأسي تدفعه طموحاتنا .

تحقيق التحديث

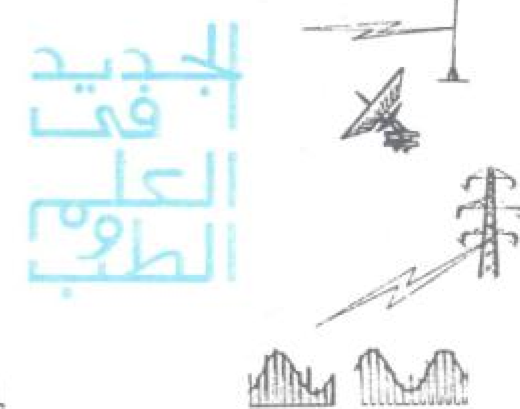
وكان علينا ان نستكمل حلقة هذا الجانب من التعليم بالمملكة ، وعدنا إلى وكيل وزارة التعليم العالي الاستاذ طامي هديف البقمي الذي سألناه عن مستقبل التعليم الجامعي في المملكة السعودية ، فقال عنه انه يتناسب تناسبا طرديا مع حركة التنمية في بلادنا ، ويضيف ، ان مسؤوليات التعليم الجامعي مع الزيادة الهائلة والرغبة بسرعة تحقيق التحديث والوصول الى الاهداف المرحلية لتجاوزها الى الاهداف الاستراتيجية وصولا الى الغايات التنموية . ويقف الاستاذ طامي هديف عن حديثه ليتساءل مرة اخرى ، اليس الانسان بطبعه كائنا متطورا ؟ اذن فالعلم أيضا متطور عندنا مما سيجعل التعليم الجامعي خاضعا لعديد من المتغيرات الاجتماعية التي تساير مطالب المجتمع ، وعلى أي حال فان التوسع في التعليم الجامعي من الجانبين الكمي والكيفي بالمملكة سمة واضحة ولعل اقرب دليل لذلك ، ان جامعة الملك سعود التي كانت الوحيدة عندنا عام ١٣٧٧ . (١٩٥٧) وكان عدد طلابها ٢١ طالبا ، كانوا جميعا بكلية الآداب ، أما الطلاب عام ١٣٩٩ ـ ١٤٠٠هـ . عددهم يقارب ثلاثة عشر الف طالب هذا الى جانب ست جامعات اخرى تحوي كافة التخصصات . وتساءل ، اليس هذا تطوراً بالتعليم ؟ . .

بروز التعليم العالي

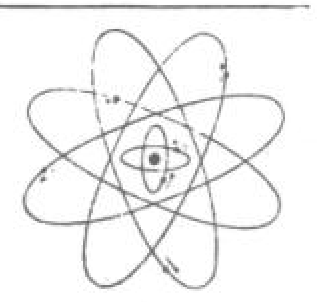


لقد نما وبرز التعليم العالي مع بداية خطة التنمية هذا ما استهل به وكيل وزارة التعليم العالي بالمملكة حديثه حينما سألناه عن اهتمامات الوزارة لهذا التعليم وقال هذا النمو في اعداد الجامعات وتوفير العنصر البشري اللازم لمواجهة احتياجات الحاضر والمستقبل في ضوء الواقع والتوقع القائم على الدراسة ـ يتمشى مع الخطط المرحلية والطموحات والأهداف ـ اضافة الى ايجاد وتنمية مراكز الدراسات والبحوث المتخصصة ودعم رسالتها في خدمة قضايا المجتمع والاستفادة بمعطيات العلم والتكنولوجيا المتقدمة على امتداد العالم بما يدفع عجلة التطور ، كل ذلك في اطار محكم من التربية والقيم والمبادىء الاسلامية والالتزام الواعي بتقاليدنا وعاداتنا المستمدة من احكام ومبادىء ديننا الحنيف ، دورنا اذن يبرز في عملية البناء البشري للشباب الذي انهى مراحل تعليمه الثانوي او ما يعادله ليستفيد بكل الامكانات المتاحة تنفيذا لخطط التنمية وسعيا لسد احتياجاتها الحالية والمستقبلية . . ○

يوسف الشهاب



اعداد : يوسف زعبلاوي



الصلب الاشرم وعملياته الجراحية

● يجدر بنا اعطاء فكرة موجزة عن هذه الآفة اللعينة (Spina Bifida) قبل التعرض للخبرين الهامين اللذين وردانا عنها .

واول ما يذكر عنها أنها من آفات الولادة Birth defect التي تكتشف في المواليد الجدد . وهي تصيب واحدا في الالف منهم .. ولكنها خطيرة بحيث يحكم على الطفل المصاب بالموت أو بالشلل والتخلف العقلي والجسدي مدى الحياة . . .

اما العلة في هذه الآفة فهي في العمود الفقري ، بل في بعض فقراته السفلى او احداها . فقد لا تكون هذه الفقرة « مقفلة » في مكانها باحكام .. فيترتب على ذلك تشوز في اعصاب تلك المنطقة .. وهي الاعصاب التي تتحكم (هي والنخاع الشوكي التي تتصل به) بعضلات ذلك الجزء من الجسم ، وبحسه . وهي تتحكم كذلك في عضلات وحس المثانة والامعاء والساقين . وتخرج تلك الاعصاب الناشزة من فتحة ما في العظام لتكون نتوءا ظاهرا على ظهر الطفل . . .

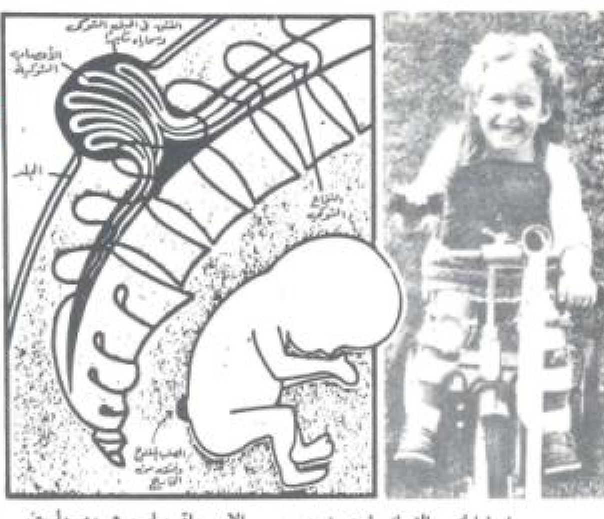
ويكون هذا النتوء عبارة عن كيس مملوء بالسائل .. يسمى Myelomeningocele ولما كانت الاعصاب في هذا النتوء مكشوفة ، ولا يغطيها سوى غضروف رقيق ، ويغطيها جزئيا في الغالب .. كانت عرضة للتلف .. وغالبا ما تصاب بالتهاب شديد .. وكثيرا ما تصاب بالشلل . .

والالتهاب هو الذي يؤدي الى الموت في حوالي ٦٠٪ من الاطفال المصابين .. اذ لا يلبث ذلك الالتهاب ان يسري حتى يصل الى المخ وذلك بواسطة السائل Cerebrospinal fluid .. وعندها تحدث الوفاة . .

لا عجب اذن ان قرر مجلس الابحاث العلمية في بريطانيا القيام بدراسة واسعة تشمل ٣٠٠٠ امرأة من اللواتي انجبن طفلا واحدا على الاقل يعاني من الآفة التي ذكرنا ، اوأجهضن بسبب تلك الآفة .

وستعطى النساء مجموعات مختلفة من الفتامنات والاملاح ، قبل ان يحملن ثانية ، وطيلة الشهرين الاولين من فترة الحمل هذه .. وذلك بقصد معرفة اى من تلك الفتامنات والأملاح تُضمن لمن تتعاطاها الحماية من الآفة .. ان كان ثمة حماية .

وقد كلف الدكتور نيكولاس والد بالاشراف على هذه الدراسة .. التي رصد لها المجلس مبدئيا ٣٠٠,٠٠٠ جنيه استرليني ، والتي ينتظر ان تستمر ثلاث سنوات . . .



اما الخبر الثاني فمصدره امريكا ويتناول الافاق الجديدة في معالجة الاقة بالجراحة .. وتجرى العمليات الجراحية المناسبة حاليا في عدد من مستشفيات الولايات المتحدة ... وذلك بنسبة من النجاح عالية وقد بلغ عدد العمليات الناجحة التي اجريت في مستشفى واحد فقط ٣٠٠ عملية ، وذلك منذ عام ١٩٧٥ ...

والمفضل ان تجرى العملية في غضون ٢٤ ساعة من حين الولادة وهي تستغرق نحو ساعتين يعمل فيها جراح الاعصاب على اعادة ما تشز من الاعصاب والنخاع الشوكي الى مكانه المناسب من العمود الفقري ...

الانسولين البشري في الاسواق

● اقرت وكالة الغذاء والدواء في واشنطن (FDA)تعاطي الانسولين البشري وأذنت لشركة (Eli Lilly &Co,) ببيعه في الاسواق باسم هومولين (Humulin) والمرجح ان يصبح الهومولين هذا في متناول مرضى السكري في غضون شهور قليلة . (راجع انباء الطب والعلم في عدد يوليو سنة ١٩٨١) .

ولا نريد ان نكرر ما سبق ان ذكرناه .. وحسبنا الاشارة الى ان الانسولين البشري انما تصنعه بكتريا جديدة ، هندسوها خصيصا لانتاج هذا الانسولين .. المطابق كيماويا للانسولين الذي تفرزه غدة البنكرياس في جسم الانسان .. ولكن من الذي هندس هذه البكتريا الجديدة .. ؟

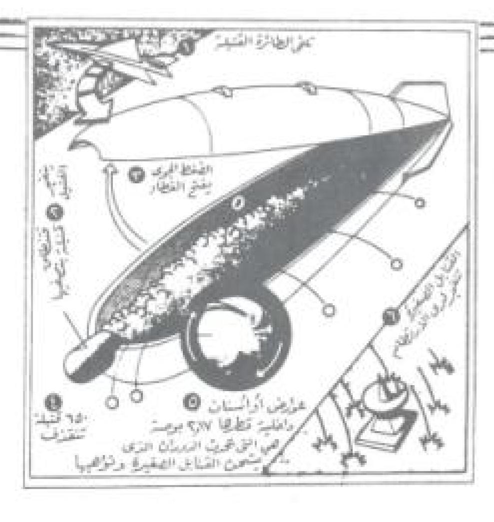
انهم العلماء .. علماء الهندسة البيولوجية في مؤسستين اثنتين احداهما (Genetech) والاخرى (City of hope research centre) فقد بدأ التعاون بين اولئك وهؤلاء قبل ٤ سنوات .. بقصد تطوير بكتريا مصممة لانتاج الانسولين وفق مواصفات معينة .. واستمر التعاون بين المؤسستين حتى ظهرت ثمرته الطبية في الثلاثين من شهر اكتوبر الماضي ، حين اعلن ذلك ناطق بلسان وكالة الغذاء والدواء وهي الدائرة الحكومية المكلفة بترخيص او حظر شتى العقاقير والاطعمة في الولايات المتحدة الامريكية .. وقد اشتهرت بصرامتها لصالح المستهلك .

فالمؤسستان المذكورتان تمثلان الجهة العلمية ، المخترعة او المخلقة .. التي منحت شركة ليلي الحقوق لصنع الهومولين وبيعه في الاسواق .. وفق اتفاق ترخيص License Agreement ويعتبر الهومولين الثمرة الرائدة الاولى التي تمخضت عنها الثورة العلمية الجديدة ، ثورة الهندسة البيولوجية . لا في امريكا فحسب ولكن في العالم ككل ...

وتجدر الاشارة الى ان جهات الاختصاص في بريطانيا قد اقرت تعاطي الانسولين البشري (الهومولين) ، قبل حين وبدون تأخير .. بخلاف وكالة الغذاء والدواء الامريكية التي احتاجت الى خمسة شهور لاصدار موافقتها .. غير ان هذه المدة تعتبر قصيرة جدا ان لم تقل رقما قياسيا بالنسبة الى ما عرف عن الوكالة الامريكية من التأني والتريث الذي كثيرا ما يستغرق ٢ ـ ٤ سنوات في مثل هذه الحالات ...

وغني عن البيان ان الانسولين

الجديد في العلم والطب



القديم ذو أصل حيواني ويتسبب باثارة حساسية المريض احيانا وقد يؤدي الى ردود فعل لا تخلو من خطورة .. بخلاف الانسولين البشري الذي لا يترتب على استعماله مثل هذه الاثار الجانبية .

والجدير بالذكر ان نوعا آخر من الانسولين البشري قد تم تطويره من قبل شركة نوفو في الدانمرك .. انه انسولين حيواني اصلا ولكنهم عدلوا في بنيته الكيماوية حتى اصبح مثل الانسولين البشري ...

القنابل الفسفورية والعنقودية

● تردد ذكر القنابل الفسفورية والقنابل العنقودية اثناء الغزو الاسرائيلي للبنان .. وتكاثرت الادلة على ان اسرائيل استعملت هذه القنابل وتلك .. واستعملتها ضد المدنيين الآمنين .. فما هي هذه القنابل باختصار .

اما القنابل الفسفورية فهي قنابل حارقة .. انها قذائف مدفعية مطلية باكسيد اصفر برتقالي .. اذا اصابت جسم الانسان التصق فسفورها المحترق بالجلد واستمر في احتراقه .. هو والجلد الذي التصق به ، ساعات وساعات .. ولو انت اقتربت من ضحايا هذه القنابل لرأيت الدخان يتصاعد ، دخان اللحم المشوي .. هذا اذا كانت الاصابة في الجلد .. ولكن القنابل الفسفورية او شظاياها كثيرا ما تخترق الجلد لتستقر داخل الجسم .. عندئذ يكون الاحتراق في الداخل .. في القلب او المعدة او ما الى ذلك .. ولا سبيل الى الشك في ذلك لانك ترى دخان هذا الاحتراق يتصاعد من الجرح الذي احدثته الشظية في الجلد .. او من الانف والفم مع كل زفرة من زفرات التنفس .

وتختلف حروق الفسفور هذه عن الحروق العادية بان الماء لا يطفئها بل يزيدها احتراقا تبعا للتفاعل الكيماوي ... ثم ان معالجتها اصعب بكثير من معالجة الحروق العادية ..

ولا مفر من استئصال البقعة المصابة في اكثر الاحيان .. والا ظلت تحترق وتسبب الاحتراق لما حولها ...

وأما القنابل العنقودية ، وهي التي يوضحها الرسم المرفق .. فقد حصلت اسرائيل عليها بنوعيها من الولايات المتحدة ...

ويعرف النوع الاول باسم **Mark – 20 rockeye** وهو الذي ينثر عددا كبيرا من السهام الفولاذية الصغيرة .. (**darts**) . ويعرف النوع الثاني ، وهو الذي استعملته اسرائيل ، بالقنبلة العنقودية ٥٨ **Cluster Bomb Unit 58**) وتحتوي القنبلة الواحدة من هذا النوع الثاني على نحو ٦٥٠ قنبلة صغيرة ، لا تلبث ان تنفجر كلها في مساحة يبلغ قطرها بضع مئات من الاقدام .. ويتم ذلك على نحو ما يتضح من الرسم .



رسالة من بكين



مجلة « العالم العربي »

الأدب العربي في الصين

بقلم تشو كاي

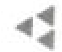
الأستاذ في معهد اللغات الأجنبية ببكين

تربط الأمتين العظيمتين الصينية والعربية علاقة قديمة جدا . فقد ذكرت المصادر التاريخية الصينية أن علاقتها ترجع الى ما قبل الميلاد وأول اتصال حسب السجلات التاريخية الصينية هو رحلة تشانغ تشيان مبعوث الأمبراطور وودي في سنة ١٣٩ قبل الميلاد ، في ٣٦ مملكة صغيرة في آسيا الوسطى والغربية تشمل بلاد العرب . وأول اتصال رسمي بين المسلمين العرب والصينيين كان في فترة الخليفة عثمان بن عفان ، اذ بعث رسوله الى الصين في عام ٦٥١ الميلادي الموافق لعام ٣١ الهجري لاقامة روابط ودية بين البلدين والدعوة الى الاسلام .

وقد ورد في بعض المصادر التاريخية الصينية أن أسرة تانغ الملكية (٦١٨ ـ ٩٠٧ م م وضعت نظاما متبعا للتعامل مع البلدان الصديقة ، هو اعداد سمكتين برونزيتين ذكرا وأنثى ، نقش عليهما اسم البلد الصديق . وحفظت احداهما في البلد الصديق والأخرى في بلاط أسرة تانغ . فمن وصل الى الصين كمبعوث رسمي عرض السمكة البرونزية دليلا على شخصيته . وعندما وصل مبعوث الخليفة عثمان بن عفان الى الصين لم يكن معه سمكة برونزية ، وذلك جعل المؤرخين الصينيين يرون أن عام ٦٥١ هو العام الذي وصل فيه أول مبعوث إسلامي رسمي الى الصين . وبعد ذلك أي في عهدي الأمويين والعباسيين ، ازداد تزاور البعثات والقوافل التجارية بين البلدين . و بالرغم من هذه الاتصالات الوثيقة بين الشعبين في مختلف العصور فانّ رحلة الأدب العربي في الصين لم تبدأ الا في العصر الحديث ، ولذلك أسباب عديدة ، منها أن كلتا اللغتين العربية والصينية صعبة جدا ومعقدة للغاية وتراثها متوفر ، فتعتبر الترجمة بين هاتين اللغتين خاصة الترجمة الأدبية بينها من أصعب الأعمال ، ومع ذلك فقد عقد اليوم كثير من المستعربين الصينيين وهواة الأدب العربي العزم على أن يشقوا طريقهم في هذا المجال الشاق . وسجلوا حقا انجازا كبيرا يضيف الى سجلات العلاقة الودية العريقة بين البلدين صفحة جديدة مشرقة يجدر بنا أن نعرضها أمام القرّاء العرب .

نبذة من التاريخ

أول ترجمة جدية للأدب العربي باللغة الصينية هي كتاب « ألف ليلة وليلة » ، فقد نشرت دار الطبع للشئون



التجارية بمدينة شانغهاي جزءين من « ألف ليلة وليلة » في عام ١٩٢٤ ، ثم نشرت أربعة أجزاء عام ١٩٣٠ ، غير أن كل هذه الأجزاء نقلت عن اللغة الانجليزية . وفي الاربعينات ترجم المستعرب المعروف ناشيون ستة أجزاء من « ألف ليلة وليلة » عن اللغة العربية مباشرة ، ونشرت خمسة منها . وفي عام ١٩٣٣ ترجمت الأديبة المشهورة بين شين « النبي » لجبران خليل جبران عن اللغة الانجليزية . وكانت هذه كل لأعمال الأدبية العربية التي نقلت الى اللغة الصينية قبل تأسيس جمهورية الصين الشعبية عام ١٩٤٩ ، ومعظمها منقول من اللغة الانجليزية وهي قليلة جدا ، غير انها كخطوة أولى قد تركت أثرا عميقا في نفوس الشعب الصيني ، حتى وجد هذا الشعب في طيات الكتب كنزا نفيسا للأدب والفكر .

منذ نهاية الاربعينات وأوائل الخمسينات ، شهدت العلاقة الصينية العربية تطورا كبيرا . وازداد اهتمام الشعب الصيني بالشئون العربية في مختلف المجالات ، بما فيها الأدب العربي . منذ ذلك الحين ، قامت في الصين حملة كبيرة لترجمة الأدب العربي ، ظهر خلالها مدّان عاليان ، أولها استمر من أواسط الخمسينات الى أوائل الستينات . ففي عام ١٩٥٦ حدث العدوان الثلاثي على مصر بعد تأميم مصر قناة السويس ، فهبّ الشعب الصيني للوقوف مع الشعوب العربية في نضالها العادل ضد العدوان الغاشم ، وقام ملايين وملايين من سكان المدن والأرياف بالمظاهرات تأييدا لها ، فمن هذا النضال المشترك ، انبثقت حملة كبيرة لترجمة الأدب العربيّ المكافح والتعريف به للقرّاء الصينيّين ، فقد نشرت دار الترجمات (دار مجلة « الآداب العالمية » حاليا) عام ١٩٥٨ مجموعة شعرية تحوى ٣٦ قصيدة للشعراء المشهورين في مصر والعراق وسوريا والأردن ولبنان وفلسطين . كما نشرت دور نشر أخرى مجموعات شعرية للشعراء من فلسطين والسودان والجزائر والمغرب وتونس ومصر وغيرها ، أفردت لكل قطر ديوانا ، هذا من ناحية الشعر ، أما من ناحية القصص والروايات فقد نشرت دار النشر للكتاب ودار النشر للأدب الشعبي مجموعتين للقصص العربية الحديثة تحويان معظم القصاصين المشهورين في البلدان العربية ، ومجموعة للقصص السورية تتضمن ١٨ قصة



ألف ليلة وليلة

قصيرة ومجموعة للقصص اللبنانية تشتمل على ١٥ قصة قصيرة لثمانية كتّاب مشهورين ومجموعة للقصص المصرية الحديثة وأخرى للقديمة كما نشرت « الأيام » ، (الجزءين الأول والثاني) لطه حسين ، وفي نفس الفترة ترجم المستعرب ناشيون من جديد ٣ أجزاء من « ألف ليلة وليلة » منتقاة من الأجزاء الخمسة لطبعة مكتبة كاسولي ببيروت عام ١٩٢٧ ، و ترجم المستعرب المعروف لين شين خوا « كليلة ودمنة »[1] الى اللغة الصينية ونشرها دار النشر للأدب الشعبي عام ١٩٥٩ . وهكذا أثبت الأدب العربي تواجده في نفوس الشعب الصيني .

أما المد الثاني لهذه الحملة فقد ظهر في أواخر السبعينات واستمر الى يومنا هذا . بـ « الثورة الثقافية » وبدأت تركز جهودها في البناء الاقتصادي وتنتهج سياسة الانفتاح للخارج كي تستفيد من خبرات البلدان الأخرى وبفضل كل هذا انبثقت حملة واسعة في الصين منذ ذلك الوقت للتعريف بالثقافات الأجنبية ودراستها بما فيها الأدب العربيّ ، وفي هذه الفترة نشرت مجموعة للقصص العربية

(١) - كان أصل كتاب « كليلة ودمنة » هنديا ، وضع باللغة السنسكريتية وترجمه ابن المقفع من الفارسية الفهلوية الى العربية ، ومن الأرجح أنّه تصرّف فيه تصرفا غير قليل ، وأضاف اليه أبوابا . بما أن الترجمة الفهلوية قد ضاعت والأصل السنسكريتي تبعثر ولم يبق بين أيدي الناس الا الترجمة العربية فلست بعيدا عن الصحة اذا اعتبرته كتابا عربيا .



تاريخ الأدب العربي المعاصر لشوقي ضيف

الحديثة بعنوان « وادي القمر » تشمل ٢٠ قصة قصيرة من يوسف السباعي واحسان عبد القدوس ويوسف ادريس ورشاد ابو شاور وتوفيق يوسف العواد وحنا مينه وزكريا تامر وغيرهم من الكُتاب العرب المشهورين ومجموعة لقصص محمود تيمور وأخرى لميخائيل نعيمة . وفي الرواية الطويلة صدر « يوميات نائب في الارياف » لتوفيق الحكيم و « الأرض » لعبد الرحمن الشرقاوي و « العمر لحظة » ليوسف السباعي و « عنتر ، بطل العرب وفارس الصحراء » لعمر ابو النصر ، وفي الرواية التاريخية صدر « ١٧ رمضان » و « غادة كربلاء » لجرجي زيدان . وسينشر قريبا كتاب « ألف ليلة وليلة » بكامل أجزائه . الى جانب ذلك صدر بعض الكتب في دراسة الأدب العربيّ بما فيه كتاب شوقي ضيف « الأدب العربيّ المعاصر في مصر » ، كما نشرت دور النشر في بعض المقاطعات كتبا عديدة في الأدب العربيّ ، مما يدلّ على أن الحملة لم تقتصر على ترجمة الأعمال الأدبية العربية بل اتّسعت وتعمّقت حتى أدّت الى دراسة الأدب العربي قديمه وحديثه دراسة علمية .

يمتاز المد الثاني في حملة الترجمة للأدب العربيّ في الصين بالمزايا التالية :

ـ اتّسع نطاق الاختيار والترجمة الى حد كبير بالمقارنة مع المدّ الأول حتى شمل مختلف العصور في تاريخ الأدب العربيّ ومختلف الأشكال الأدبية من الشعر والقصة والرواية والمسرحية . . . والخ .

ـ ازدادت دور النشر والمجلّات التي تهتمّ بالتعريف بالأدب العربيّ بصورة ملحوظة ، بما فيها مجلّة « الآداب العالمية » التي تصدرها دار البحوث للآداب الأجنبية التابعة لاكاديمية العلوم الاجتماعية في الصين ، ومجلّة « الآداب الأجنبية » التي يصدرها معهد اللغات الأجنبية ببكين ومجلّة « الآداب خارج البلاد » التي تصدرها جامعة بكين .

ـ بدأت دراسة الأدب العربيّ تزداد عمقا واتّساعا ، ونتجت عن ذلك أبحاث علمية قيمة .


العرب في التاريخ

١٠٠ مترجم وباحث

ويبلغ عدد المترجمين والباحثين المحترفين والهواة أكثر من مائة شخص منهم متخصّصون يعملون في دار البحوث



للآداب الأجنبية والجامعات .

ـ معظم الأعمال الادبية العربية المترجمة الى اللغة الصينية تقل من اللغة العربية مباشرة وذلك يختلف عما كان عليه في الخمسينات وقام باختيارها وترجمتها مستعربون متخصّصون ، فارتفع مستوى الترجمة ارتفاعا ملحوظا .

ـ مع تطوّر حملة الترجمة للأدب العربيّ ، ازداد عدد القرّاء الصينيين للأدب العربي ازديادا كبيرا ، فطبع بعض الكتب عدة طبعات واصبح من الكتب القيّمة المخزونة في مكتبات كثير من الأسر المثقفة في الصين والى جانب ذلك صعدت قصة « علي بابا » من قصص « ألف ليلة وليلة » الى خشبة مسرح الباليه في مدينة شانغهاي .

إنّ حملة التعريف بالأدب العربيّ في الصين مستمرّة الى الآن ، والسنوات القادمة ستكون قياسية ، فحسب التقدير التقريبي ، سوف ينشر ما لا يقلّ عن أربعين كتابا للأدب العربي ، منها « الشعر العربي في العصر الجاهلي » و« ثلاثية نجيب محفوظ » و « المجموعة الكاملة لمؤلّفات جبران خليل جبران » . . . الخ . وتتطور هذه الحملة في ثلاثة اتجاهات :

ـ التعريف بالأدب العربي بانتظام وفي مزيد من التخصّص ، شاملا ذلك كل العصور ومختلف المذاهب والأشكال الأدبية وجميع الأقطار العربية ، بما فيها دولة الكويت .

ـ المزيد من التعمّق والاتّساع في دراسة الأدب العربي وذلك سوف يؤدّي الى بروز عدد من الباحثين المتخصّصين ذوي المواهب والقدرات ، وظهور دراسات علمية قيّمة خاصّة بالأدب العربي .

ـ دفع التبادلات الثقافية بين البلدين في مختلف المجالات دفعا قويّا . إنّ حملة التعريف بالأدب العربي كأحد التيّارات المتدفّقة في التبادل الثقافي بين البلدين ، تجاريها تيارات أخرى ، مثل دراسة الدين الاسلامي وترجمة كتب التراث ودراسة التاريخ العربي وترجمة مصادره ، ودراسة الفلسفة العربية وتاريخ الفكر العربي والاقتصاد العربي والعلوم العربية . . . الخ ، ففي مجال اصول الاسلام ، نقل المستعرب المشهور الأستاذ محمد مكين ما جيان في جامعة بكين القرآن الكريم الى اللغة الصينية وهي أول ترجمة كاملة في الصين ، وفي مجال التاريخ ، يقوم جماعة من المتخصّصين بترجمة تاريخ الحضارة العربية الاسلامية لأحمد أمين تحت ارشاد المؤرّخ المشهور الأستاذ عبد الرحمن ناجونغ في معهد اللغات الأجنبية ببكين ، وقد نشرت الطبعة الثالثة للجزء الاول ـ فجر الاسلام ـ في هذه السنة وفي مجال الفلسفة العربية وتاريخ الفكر العربي ، انعقدت ندوة لدراسة الفلسفة العربية في مدينة سيآن في شهر يونيو الماضي ، تدعو الى تعزيز دراسة الفلسفة العربية وتدريسها في الجامعات نظرا لمكانتها الراقية بين الفلسفات العالمية ، أما تدريس اللغة العربية في الصين فقد سبق كل هذه التيارات ، اذ بدأ تدريسها على المستوى الجامعي منذ أوائل الخمسينات في جامعة بكين وأصبحت تدرّس في سبع جامعات ومعاهد عالية . في عام ١٩٨٢ فتح معهد اللغات الأجنبية ببكين أول فصل للباحثين في اللغة العربية والأدب العربي ، والتاريخ العربي ، كما أتم المعهد تأليف « الكامل في النحو العربي » الذي سوف ينشر موجزه قريبا .

الا أنّ هذا تعريف مختصر جدا للموضوع . هناك أمر مهمّ يجدر بنا ذكره ، هو أنّ القوميات الصينية العشر التي تعتنق الاسلام والملايين الاربعة عشر من المسلمين الصينيين [٢] وعددا غفيرا من هواة الآداب الأجنبية بصفتهم قرّاء متحمّسين للأدب العربي ، لهم دور مهمّ في دفع هذه الحملة ، كما أنّ للمستعربين الصينيين دوراً عظيما في تطويرها لكونهم رسلا للتبادل الثقافي بين البلدين .

إنّ ما حدث في هذا المجال يبشّر باهتمام متزايد وعمل أوسع في التعريف بالأدب العربي والعلوم العربية الأخرى في الصين ، الأمر الذي سوف يؤدّي الى تعزيز الروابط الودية وزيادة التفاهم المتبادل لما فيه خير الشعبين ومصلحتهما . ○

---

(٢) هنا عدد تقديري لمسلمي الصين . قد جرى في الصين في يونيو الماضي الاحصاء الرسمي وسوف تصدر نتائجه عما قريب .



اتجهت افلام الحرب الامريكية الى تقديم وجهة نظر غربية خالصة في التاريخ القريب للحرب العالمية الثانية من فيلم (حافظوا على القلعة) .

السينما في ساحة التاريخ

بقلم فاروق عبد العزيز

لسنا بحاجة الى كثير من الخيال لكي نتصور شكل ساحة التاريخ . فهى ساحة مترامية الأطراف لاتبين لها نهاية عند الأفق . جزء منها مترب وآخر معشوشب وثالث مرصوف ببلاط اسود مربع . غاصة بالبشر الآتين من كل العصور . الوانهم والسنتهم مختلفة وأرديتهم تبدأ من جلود الحيوانات البدائية وتمر بما لايحصى من طرز الملابس والخوذات والنعال . صهيل الخيل يملأ الافق وصلصلة السلاح تقعقع فوق الرؤوس . . . . .



وفي مقابل وجهة النظر الاميركية الغربية تجاه الحرب قدم السوفيت وجهة نظرهم الخاصة في تاريخ ما بعد الثورة بما يتلاءم مع النظرة الرسمية له من (فيلم « الفرار »)

وكان كل شيء في الساحة يتطلع نحونا . . . العيون والنظرات . . . ومرت لحظات من الصمت . فقد سكن كل شي فجأة استعدادا للتحديق في عين جامدة لا اجفان لها . عين من زماننا . . هي عين الكاميرا السينمائية .

فما تراه ليس سوى بعث للتاريخ فوق أي جزء من ساحته أمام اعيننا . وهكذا تسللت السينما عبر ذاكرتنا التاريخية لتعيد تقديم التاريخ لنا من زوايا مختلفة .

هذا جزء حيوي من العلاقة العضوية بين السينما وبين الحياة . وهي امتداد خالد للعلاقة الحيوية بين الآداب والفنون جميعها وبين حياة الانسان .

أي تاريخ ؟

الظن الشائع حول التاريخ هو الماضي . . وبعبارة أخرى فإن « الصورة » التي تقفز الى مخيلتنا لدى سماعنا كلمة « التاريخ » هي صورة مستوحاة من إحدى ساحات التاريخ القديمة . فكل فيلم تاريخي لابد أن يعالج أحداثا ويقدم شخصيات من « الماضي » البعيد أو الوسيط . . وعلى هذا فإن الفيلم التاريخي يتيح فرصة للهروب الى الماضي ليخلق عوالم كان لها وجود من قبل أوربما لم يكن لها وجود بالمرة .

ورغم ذلك فإن الافلام التاريخية بهذا المعنى ظلت عالقة بصورها وساحاتها في مخيلتنا طيلة ثمانين عاما من عمر السينما . بل ان صورة الملكه اليزابث الاولى مثلا وهى ملكة انجلترا في القرن السادس عشر لا ترد في مخيلتنا الامقرونه بشخصية الممثلتين بيتي ديفز السكرتانيفسكي اللتين قدمتها في فلمين عامى ١٩٣٩ و ١٩٧١ . كما اننا لا نذكر الكسائدر نيفسكى (بطل المقاومه الروسيه ضد الغزاة التيوتون في القرون الوسطى)إلا من خلال أداء وصورة نيكولاى شيركاسوف بطل فلم ايزنشتين الشهير ١٩٣٨) . . . .

هذه مجرد أمثله تكشف عن مدى تأثير الصوره السينمائية في مخيلتنا التاريخية ولكنها لا توضح ما يكتنف الظن الشائع بأن التاريخ هو الماضى من شوك . هل التاريخ حقا هو الماضى ؟

« التاريخ » كما يراه الفيلسوف الاسباني المعاصر ميجيل اونامونو في خطبة وداعية القاها بجامعة سالامانكا هو ماحدث لك في جولتك . . ثورة الامس ، حصاد اليوم ، احتفال الغد . بالزمان الحالي والمكان الحالي ، يمكن فهم الاحداث الماضية والحاضر وحدة مفتاح الماضى ومن خلال ما يوشك ان يحدث ، يمكن ان نعرف ما حدث منذ عهد بعيد ، وذلك الذى لا يشارك في الحاضر بصورة أو بأخرى لم يكن اكثر من ظل سريع الزوال . .

افلح « عمر المختار » لمصطفى العقاد في النجاة من مصير الأفلام التاريخية العربية لأنه أولا ليس عربيا (الفيلم انتاج اميركي) وثانيا لان رؤية مخرجه للتاريخ قد تسلحت باكبر ما امكن حشده من الوثائق التاريخية والامكانيات الفنية .

وما يحدث في السينما أن الواقع الراهن الذى تصوره مايلبث أن يتحول الى ماض وتاريخ . بل إن تأمل المستقبل في افلام الخيال العلمي (وليس الفانتازيا الخيالية) هو جزء من تأمل تاريخ حاضر له علاقة جدلية بتاريخ الماضي للتحذير من اخطارتاريخ قادم . ومثل هذه الرؤية الديناميكية للتاريخ تجعل من مشاهدة الأفلام عملا ممتعا حقا وتجعل من انتاجها عملية أكثر إمتاعا . وكمشاهدين بوسعنا أن نربط بين افلام العنف والجريمة في مجتمعنا المعاصر وبين الخوف الانساني الفردى البسيط والخوف الاجتماعي على كافة المستويات من ضياع الحضارة والانسانية . وهذا الربط هو قراءة صحيحة لمعنى « التاريخ » الذى لايلبث أن يتكرر بذاته ، فكثير من أسباب تدهور المجتمعات واضح أمامنا كل يوم في الحياة وبين الشاشة وفي صندوق التلفزيون . ومثلما تستطيع أن تستخرج من (هاملت) لويليام شكسبير دلالات معاصرة أمكن لمشاهدى الثلاثينيات الروس أن يقرأوا أحداث ثورة ١٩٠٥ في فيلم ايزنشتين « المدرعة بوتمكين » لكي يفيدوا منها في حاضرهم آنذاك .

ان التاريخ حياة مستمرة بذاتها . والسينما هي عين الانسان التي تراه بكل ما فيه من حيوية واتصال . وفي رأى العالم المجرى « ايفيت بيرو » ان الفيلم التاريخي الجيد يمكنه ان يقدم تاريخ الحياة في الماضي من خلال حقائقها وأحداثها اليومية الجارية ، الاقرب الى عصرنا ، لأن ما نعالجه هو قدرة السينما على عرض نقاط التحول الكبرى في التاريخ ، لا فيما يتعلق بالصراعات التي تقلق شخصياته الهامة وحسب ، كما يحدث في المسرح . بل فيما يتعلق بالاعمال اليومية التي يقوم بها الناس العاديون » .

نظرة اخرى للتاريخ

تلك كانت نظرة منطقية عامة للتاريخ ، وللمعالجة السينمائية له . بيد أن هناك نظرة أخرى ترمى إلى استخدام التاريخ الماضي لخدمة أغراض خاصة آنية . ومثل هذا الاستخدام للتاريخ شائع فى السينما الأميركية والغربية بوجه عام .

ولنأخذ مثالا من حياة الملكة اليزابيث الأولى (١٥٥٨ ـ ١٦٠٣) على الشاشة . فبعد تقديم شخصيتها في عدة أفلام منذ العشرينات قامت الممثلة فلورا روبسون بدورها في فيلم المخرج الكسندر كوردا « النيران » (١٩٣٧) الذى انتجته استوديوهات انجلترا في تلك الفترة المضطربة من تاريخ أوروبا إبان صعود النازية في المانيا . وكان المنتج الفعلي للفيلم أريك بومر فارا من أهوال النازية القادمة فانعكس ذلك على معالجة شخصية اليزابيث التي بدت ممثلة للحق الالهي في الحلم على نحوما



كانت تروج افكار القرون الوسطى . بدت ملكة جبارة عاتية وامرأة قوية تخاطب سفير اعدائها (اسبانيا) بقولها « إن إنجلترا هي أنا » هذا في الوقت الذي ظهر فيه ملك اسبانيا ، فيليب الثاني بمظهر المتجبر الطاغية على نحو يذكر المشاهدين على الفور بهتلر .

وفي هوليود في عام ١٩٣٦ أخرج جون فورد « ماري ملكة اسكتلندا » . ولم تكن أمريكا آنذاك مستشعرة كأوروبا الخطر النازي القادم . فانعكس ذلك على الفيلم الذي قدم اليزابيث كشخصية قاسية متجبرة أمام ماري (كاترين هيبورن) الحمل الوديع المسالم . وفي عام ١٩٣٩ كان واضحا ان أميركا تطبق سياسة العزلة فجاء فيلم مايكل كيرز « الحياة الخاصة لاليزابيث واسكس » (بيتي ديفز وايرول فلين) كأوضح مثال على ذلك . فالفيلم تقرير عن حياة اليزابيث العاطفية مع اللورد إسكس . ولم يكن السبب الوحيد لاعدام حبيب الملكة في النهاية قيامه بمؤامرة فاشلة للاستيلاء على الحكم ، بل لأنه كان يريد الزج بانجلترا في حرب طويلة مع أسبانيا ، ويتذكر المشاهدون كيف أن اليزابيث قد صرخت فيه « كلما حاولت أن أتصور ما كان يمكن أن يحدث لبلادي لوجثت ملكا عليها لكان من الأفضل أن أراك ميتا على أن أدعك تنتهز الفرصة للوصول الى الملك . فأنت في سبيل مجدك الشخصي على استعداد لان تجر انجلترا الى الحضيض وتغرقها في بحر من الدم والديون » .

ولا يوجد أصدق من العبارات في وصف الموقف الامريكي من الحرب في أوروبا آنذاك وهو أن على أمريكا أن تحرص على ألا تجر الى حضيض الحرب الأوروبية البعيدة عنها .

ولكن الموقف تغير تماما بعد عام واحد فقط . وادركت الولايات المتحدة اخطار الحرب العالمية الثانية المباشرة ذات التأثير على مصالحها . فعادت هوليود الى استوديوهاتها لتستخدم نفس المناظر والملابس التي سبق استخدامها في الأفلام السابقة ولتقوم فلورا روبسون أيضا بدور اليزابيث في فيلم « صقر البحر » (١٩٤٠) . وهو فيلم مغامرات ومبارزات وترى فيه اليزابيث امرأة بسيطة تستحق الاحترام والموت في سبيلها .

وهكذا في خلال عام واحد فقط رأينا اليزابيث تعدم حبيبا لها لأنه يجر انجلترا الى الحرب ثم رأيناها تخاطب شعبها في « صقر البحر » قائلة : « والآن ياشعبي المخلص ، ان الواجب يواجهنا جميعا .. الآن . علينا اعداد بلادنا للحرب التي لم تسع اليها .. ولم تسع اليها ملكتكم على وجه الخصوص . لقد حاولنا بكل ما اوتينا من قوة ان تتجنب الحرب لاننا لسنا على شقاق مع شعب اسبانيا ولامع اي شعب آخر . ولكن أطماع ملك إسبانيا تهدد العالم باسره ، ولذا فمن واجب الأحرار في كل أرجاء الدنيا أن يبرهنوا أن هذه الارض ليست ملكا لرجل واحد ، بل للبشرية جمعاء . ان الحرية هي وثيقة الارض التي نقف عليها جميعا .. .

اي استخدام مغرض للتاريخ أفضل من هذا !

هذا مجرد مثل . وهو يظهر أيضا كيف كان من الطبيعي ان يبارك جوزيف ستالين انتاج فيلم الكساندر نيفسكي في عام ١٩٤٨ لشحذ همم الامة الروسية ضد اطماع العدو وفي هذا عودة الى ساحة التاريخ « الذي يكرر نفسه دائما » لاستلهام العون في مواجهة احداث التاريخ الحاضر .

وفي هذا الضوء أيضا يمكن فهم مباركة هتلر لافلام المخرجة الالمانية ليني رايفنشتال بفيلم مثل « انتصار الارادة » يستلهم من أطراف عديدة الفلسفة والتاريخ الالمانيين بغرض الدعاية للفكر وللقوة النازية .



ازمة الفيلم التاريخي العربي تتمثل في أحاديث النظرة تجاه التاريخ وتغطية الأداء الفني في مجمله : فيلم « القادسية »



مطلوب التسجيل الوثائقي اليومي لاحداث التاريخ المعاصر : من الفيلم الوثائقي الفلسطيني : « فلسطين في العين » .

بحار التفسير

وقد يقودنا هذا العرض الى مشكلة التفسير . فالوقائع التاريخية ـ خاصة تلك التي تشارك فيها أطراف عديدة قديمة أو معاصرة ـ وقائع مدونة ومعروفة ، ولكن الذى يحتمل التفسير دائما هو دوافع الفعل . فالهجوم مثلا قد يفسر من طرف على انه كان خير وسيلة للدفاع . ومن هنا يتحول التاريخ الى قميص فضفاض يتسع لكثيرين . والكل يستند الى نفس الواقعة . ومثل هذه المشكلة واردة فى كتب التاريخ ذاتها كما في كتب الأدب ولوحات الفنانين ، فما بالك بالوسيط السينمائي ـ أكثر الوسائط تأثيرا وانتشارا .

*

ونحن ندرك ان ثمة فارقا واضحا بين الفيلم التاريخي وبين الدراسة التاريخية.فالأول هو نتاج رؤية وتفسير خاص لزاوية من الزوايا في ساحة التاريخ بينما تعتمد الثانية أساسا على المعلومات (التي اتفق على تسميتها حقائق) دون التوغل في التفسير . الأول هو عمل الكاتب والمخرج أما الثانية فهي نتاج عقل المؤرخ .

ومع ذلك فان مشكلة التفسير لم تحل كلية في مجال الدراسات التاريخية فكيف نتوقع حلها على الاطلاق في الافلام ؟

خذ مثالا قريبا من حرب فيتنام . ثمة طرفان متنازعان . كل طرف يروى التاريخ من وجهة نظره .

ولو تخيلنا ان مصورا محايدا قام بتصوير مادة اخبارية حول موقعة ما لما اعتبرنا عرضه محايدا بالمرة . لأنه يصور واقعة ضمن اطار اوسع هو اطار حرب شاملة ومن ثم فان الجرائد الاخبارية التي كانت تعرض صباح مساء على مشاهدى التلفزيون الامريكي لاتكفي بذاتها دون تعليق إلا الى اظهار بسالة جنود الطرفين وسير المعارك وانسحاق الجنود المساكين الافراد في اتون الاستراتيجيات الكبرى . ولكن اضافة تعليق وتنظيم للسياق العام تتيح مجالا للحكم وتعيد وجهة نظر أمريكية خاصة . لذا لم يبدأ تحول الرأى العام الاميريكي ضد الحرب إلا حين بدأ لفيف من كتابه ومثقفيه في عرض وجهة النظر الأخرى على شرائط مصورة أسهمت في تعرية المؤسسة العسكرية والسياسية وفي احتقار الحرب ناهيك بتصاعد الخسائر الاميركية .. ومثل هذا المخطط حتى في الافلام الوثائقية التي قيل يوما انها لا تقدم سوى الحقيقة يضع تساؤلات كثيرة حول شرعية وكفاءة تناولها للتاريخ المعاصر بالحد الادنى من التجرد .

وعلى هذا الاساس لايمكننا ان نطالب بأى تجرد فى فيلم روائي يعتمد على الخيال . فعندما ظهر فيلم « صائد **الغزلان** » (١٩٧٨)كان من الواضح ان التاريخ المعاصر **هنا فى حرب فيتنام** يستخدم لغرض واضح ضد العدو . **كما طرح فيلم** الرؤيا الان ١٩٧٩ رؤية مختلفة لنفس **الواقعة التاريخية** . ويبقى للمشاهد ان يقرر بنفسه « اى **تاريخ يراه الصحيح** » وسيفعل ذلك منطلقا من بيئته **الفكرية والاجتماعية** الخاصة . ولأن الفيلم التاريخي يقدم **دراما متشعبة تحركها الجماهير حينا والابطال حينا آخر فهو فيلم مكلف يخضع انتاجيا لشروط خاصة تجعل من العسير**

المغامرة بانتاجه خارج رضاء السلطة الحاكمة . . وفي بلاد كالولايات المتحدة يتجلى بذلك بوضوح . وقد نعى الرئيس الأسبق ريتشارد نيكسون المخرج الراحل جون فورد باعتباره واحدامن اخلص المعبرين عن السلوك الامريكي في الحياة (من الواضح ان الاشارة هنا الى افلام فورد عن تاريخ الغرب الامريكي التي نجحت الى حين في تشويه التاريخ الهندى الأحمر على حساب تفوق الرجل الابيض)كما تقدم السلطات السوفيتية العون الرسمي لأى فيلم تاريخي شريطة ان يكون الطبع متفقا مع التفسير الرسمي للواقعة التاريخية .

وهذا افتئات على التاريخ والسينما معا لانه يضعهما في قبضة السلطة التي تتغير وجهات نظرها بتغيرها ذاتها . ومعروف أن رؤية التاريخ الماضي تتغير في أزمنة الثورات لكي يتحول الحاضر اليومي ومنجزاته الى تاريخ جديد للأمة .

تاريخ العرب

هذه عجالة ولا يمكن في معرض الحديث عن الفيلم التاريخي ان نمر بسرعة على نظرتنا الى التاريخ ومعالجتنا السينمائية له عبر نصف قرن . ومع ذلك فان اغراء التناول السريع في سياق هذا المقال لأفلامنا « التاريخية » العربية لا يمكن مقاومته لسبب واحد هو « أنها تنطلق من مفهوم نمطي متكرر . واعني به أن التاريخ هو الماضي فقط وهو شخصيات الابطال وحدها وهو الاحداث الكبرى وحسب . ولست تدرى من اين جاء هذا التصور ولكنه ربما كان مسخا للتصور الهوليوودى الشائع عن السينما الضخمة والديكورات التاريخية والملابس الملونة الباهظة التكاليف .

ولعله من المؤسف أن يتعامل هذا التصور شديد القصور مع موضوع بالغ الأهمية والثراء وهو موضوع الدعوة الاسلامية . فكل ماانتج من أفلام تاريخية عربية تقريبا يدور حول الفترة الأولى من تاريخ الاسلام . وقد انعكست النمطية على كل شيء ابتداء من الكتابة الى الحوار والاداء والديكورات والتصور العام للعمل . وقد كرس هذا التناول انفصالا خطيرا بين الفرد العربي وبين ماضيه . فالشخصيات التي يراها لاعلاقة لها بواقعه ولا بمشكلاته المعاصرة . وهي تلوك كلاما معادا مستهلكا .

وقد انمى هذا التناول لديه شعورا هروبيا بالاسترخاء في احضان الامجاد التاريخية القديمة . وهذه كارثة .

ولا يستثني هذا القصور العام فيما انتج من افلام ومسلسلات تليفزيونية (سواء عن ابطال الاسلام او الحكايات العربية القديمة كعنتر وعبلة وغيرها) سوى فيلم شادى عبد السلام « المومياء » (١٩٧٩) الذى قدم رؤية جديدة كلية وتصورا جديدا تماما للتاريخ المصرى القديم وأفلامه القصيرة الأخرى وفيلم مصطفى العقاد « الرسالة » (١٩٧٤) الذى لايعتبر على أية حال فيلما عربيا إلا في رؤيته التاريخية لرسالة الاسلام .

الى ماذا نحتاج ؟

اننا بحاجة الى مفهوم عربي جديد لتنظيم العلاقة بين الفرد العربي وبين التاريخ وبين الحرية .

أما معضلة التفسير التاريخي فستظل قائمة مابقي اختلاف بين البشر . ولكن بوسعنا أن ندعو الى أن يهتم العالم بالوثيقة : المادة الأساسية للفيلم التاريخي . ولعل افضل ما توصل اليه فنانو السينما ومفكروها هو صنيعة الفيلم الوثائقى الذى يحتفظ باكبر قدر ممكن حتى الآن من الموضوعية بالواقعة التاريخية ذاتها . وهذا هو على الأقل ما مايمكن ان نطالب به من اجل فيلم تاريخي معاصر جيد .

وقد نشر ل . ماتوزسكي وهو واحد من أوائل فناني السينما في نهاية القرن الماضي (١٨٩٨) مقالا في صحيفة الفيجارو الفرنسية يدعو فيه - هكذا مبكرا - الى خلق مستودع للسينما التاريخية تجمع فيه « أولا،المظاهر الخارجية للتاريخ من الاحداث المتغيرة الحاضرة لكي نستطيع في مرحلة تالية أن نبسطها من جديد أمام أعين الذين لم يشهدوها . . . وعلى هذا فهذه الطباعة السينمائية التي يتكون المنظر فيها من الف صورة والتي تمتد بين مصدر مركز للضوء ورقعة او شاشة بيضاء تجعل الموتى والغائبين يقفون على اقدامهم ويمشون . هذا الشريط البسيط من الورق المطبوع لا يشكل فحسب دليلا على التاريخ ، وانما يكون جزءا من التاريخ نفسه ، من تاريخ لايجبو لونه ولا يحتاج الى عبقري ليعيد تكوينه . انه هناك شبه نائم ، شأنه شأن الكائنات البدائية التي تدب فيها الحياة بعد سنوات من الركود بقليل من الدفء والري ، ان كل ما نحتاج اليه لنوقظ ونحيى ساعات الماضي هو شيء من الضوء الذي نعرضه من خلال عدسة في جوف الظلام » ○

فاروق عبد العزيز

على هامش الترجمة في عالم اليوم

بقلم : الدكتور صفاء خلوصي

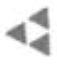
قرأت بكل عناية واهتمام ، على نحو ما افعل بكل ما يكتب عن « الترجمة » ، موضوع الدكتور مصطفى كامل فوده : « الترجمة في عالم اليوم » الصادر في « العربي » الاغر بتأريخ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٢ (ص ٨٣ - ٨٤) فاستغربت من قوله : « لم يظهر في الوطن العربي بأسره عن علم الترجمة سوى كتاب واحد مترجم هو كتاب العلامة الامريكي نيدا ، وقد ظهرت الترجمة في العراق ولكنها لم تأت وافية بالمرام » .

ومن باب الدفاع عن الحقيقة - لا التبجح الذاتي - اود ان اقول للاستاذ الفاضل انني نشرت عام ١٩٥٦ كتابا بعنوان « فن الترجمة في ضوء الدراسات المقارنة » . وقد طبع عدة طبعات كانت الاخيرة سنة ١٩٨٢ على نفقة وزارة الثقافة والاعلام العراقية وقامت بنشره دار الرشيد للنشر وعدة صفحاته ٢١٣ صفحة . كما انني قمت بنشر كتاب آخر سنة ١٩٥٧ بعنوان « الترجمة التحليلية » (مطبعة الأسواق التجارية ببغداد) وعدة صفحاته ٣١٤ صفحة . كما قام الاستاذ الشاعر محمد عبد الغني حسن بنشر كتاب بعنوان « فن الترجمة في الادب العربي » وعدته ٢٣٨ صفحة بعناية الدار المصرية للتأليف والترجمة (بلا تأريخ) ، ولكنه ظهر بعد كتابينا في الترجمة من دون ان يصل الى علم الاستاذ الشاعر صدورهما الا بعد صدور كتابه ، فلما بلغه صدور كتابي « فن الترجمة » كتب يقول :

« واذا كان الدكتور صفاء خلوصي قد مارس الترجمة والنقل عن الانجليزية فعلا بما شارك فيه من ترجمة لكتاب (تاريخ الادب العربي) للبروفسور المستشرق نيكلسون ، ومن اعمال اخرى ، فانه قد وضع في الترجمة كتابا يعد خطوة رائدة في موضوع يحتاج الى الكتابة فيه ، ولقد صدر كتابه هذا سنة ١٩٥٦ عن مطبعة دار المعرفة ببغداد ، فلما اصدرت كتابي (فن الترجمة في الأدب العربي) سنة ١٩٦٦ عن الدار المصرية للتأليف والترجمة ، لم اكن اعرف يومئذ عن كتاب الدكتور صفاء خلوصي ولا عن صدوره شيئا ، وجاء بحثي للموضوع غير بحثه ، الا ان كلا منهما يكمل صاحبه ، ولا غنى للفكر العربي المعاصر عنهما » .

ليس من الانصاف

والى ذلك فقد ظهر كتاب آخر بعنوان « فن الترجمة » للدكتور عوض محمد عوض وكان محاضرة القيت على طلبة معهد الدراسات العليا التابع للجامعة العربية ، فليس من الانصاف بعد هذا كله ان يغض الدكتور فوده النظر عن هذه المؤلفات ويفرد بالذكر ترجمة غامضة لكتاب الخواجه نيدا الامريكي ويبدو ان زامر الحي لايطرب ، وان المعرفة مهما كان نوعها يجب ان تأتي من الخواجات لكي تكون مقبولة . ذلك لان الكثير منا لا يستطيعون - مع الأسف - التخلص من (عقدة الخواجه وتفوقه في كل شيء) وانا اؤكد للاخ الدكتور مصطفى كامل فوده ان كتاب علم الترجمة لنيدا دوران على غير هدى على هامش ما يسميه بعلم الترجمة ، وقد قرأته في الاصل الانكليزي كما قرأت الترجمة العربية وهي لاحد تلامذتي القدامى . وليس



العيب في الترجمة بقدر ماهو في الاصل ، فقد اراد ان يطبق المؤلف علم اللسانيات على فن الترجمة فما افلح ولا خرج من ذلك بطائل ، بل على العكس كره هذا الفن الرفيع لمن ينشده بان جعله سفسطة و لسانية ، على نحو ما فعل اخ له من قبل هو جي . سي . كاتفورد J.C.CATFORD ، في كتابه السفسطائي : « نظرية لسانية في الترجمة » A LINGUISTIC THEORY OF TRANSLATION ،وقد ضاع جوهر الكتاب بين البديهيات التافهة والتعقيد الذي لا مبرر له ، وقد قمت بتدريسه لطلبة الماجستير لا للافادة منه بل لنقده نقدا موضوعيا لوجه العلم وحده !

اما قوله ان الترجمة الفورية « كانت شيئا مجهولا لدي العرب » فامر لا يقره عليه تاريخ التراث العربي فقد كان هناك بين علمائنا من يجلس وسط طلاب من العرب على يمينه ومن الفرس على يساره فيفسر القرآن الكريم بالعربية للعرب وبالفارسية للفرس بنفس السهولة واليسر . ولا اريد ان اخوض في تاريخ « الترجمة عند العرب » وآرائهم ونظرياتهم فيها ـ والتي انكرها الدكتور فوده عليهم ـ ان ذلك موضوع يطول وقد كتبت فيه كما كتب غيري اكثر من بحث .

أما رأيه في (ماكينات الترجمة) فوارد نؤيده فيه الى حد ما ، غير اننا غير متشائمين من مستقبلها ، فهي في الوقت الحاضر لا تصلح لغير الترجمات العلمية التي تستخدم « الرواسم » او التعابير الاصطلاحية Idioms ،ولكن سيأتي اليوم الذي سيتحقق فيه هذا الحلم ، ونحن جادون في تحقيقه . صحيح ان بعض النتائج التي توصلنا اليها مضحكة تحتاج الى تعديل وتقويم للعبارة ، ولكن الكثير منها يبعث على التفاؤل بل والاعجاب !

اليس غريبا ان تميز الماكنة بين (Wind) « الريح » و (Wind) « يلف » ، فتقول في ترجمة العبارة الانكليزية : When the Wind Blows, The Banners wind around the Trees

عندما تهب الريح تلف الاعلام حول الاشجار The Trees ويضارع ذلك في الغرابة ترجمتها لعبارتين مختلفي التركيب متفقي المعنى بعبارة واحدة في العربية فتقول في ترجمة : THE DAUGHTER OF THE AMBASSADOR DIDN'T GO TO THE BANQUET.

THE AMBASSADOR'S DAUGHTER DIDN'T GO TO THE BANQUET.

« لم تذهب ابنة السفير الى المأدبة »

غير ان الماكنة تقع في غلطة مضحكة عندما تترجم الجملة التالية :

THE DAINTY GIRL IS PROUD OF HER BEAUTIFUL BLOND HAIR

فتقول : البنت (اللذيذة) فخورة بشعرها الجميل الاشقر .

ولو كانت الماكنة تعقل لقالت « البنت الانيقة » او على الاقل « الوسيمة » ولكن اللوم لايقع عليها بقدر ما يقع على من زودها بالمعطيات DATA اذ لم تكن في هذه الحال من الكفاية بحيث تأتي بنتيجة مقبولة .

مستقبل كبير

على كل حال ، هذه الاخطاء وما يماثلها ، يمكن تلافيها بشيء من الدقة والعناية في تزويد المعطيات .

ومع ان ضمير التملك في الانكليزية يسبق اللفظة التي يعود عليها ، بعكس العربية ، فان هذه الصعوبة امكن التغلب عليها ، كما تجد في ترجمة الجملة التالية :

اذ جاءت : « تسكن اسرتي في القاهرة »MY FAMILY LIVES IN CAIRO

ومع ان الجمل الانكليزية اسمية والعربيه ـ على الاكثر ـ فعلية فان الماكنة قد لاحظت هذه الحقيقة كما تجد في ترجمة الجملة الاخيرة ، ولما كانت أداة التعريف THE (الـ) لفظة مستقلة في الانكليزية ومتصلة باللفظة المعرفة في العربية فقد راعى مقدمو المعطيات وضع خطيط بين اللفظتين وروعيت نفس القاعدة في الضمائر المتصلة كما في الجملة التالية :

THE — GIRL WHO TRANSLATED THE- BOOK IS MY- SISTER.

فطلعت علينا الماكنة بهذه الترجمة : البنت التي ترجمت الكتاب اختي .

ومن اصعب الفقرات التي قامت الماكنة بترجمتها بموفقية نسبية هي الفقرة التالية التي تبشر بمستقبل عظيم للترجمة الالية :

THE SCREWDRIVER IS USED TO PRODUCE A TWISTING MOTION TO TIGHTEN OR LOOSEN SCREWS. ALWAYS USE A SCREWDRIVER OF A PROPER SIZE FOR THE SCREW, IN ORDER TO AVOID DAMAGING BOTH THE SCREWDRIVER AND THE SCREW. FIGURE 1 SHOWS THE STANDARD TYPE OF THE SCREWDRIVERS.

« يستعمل المفك لاحداث حركة التوائية لتثبيت او فك (المسامير) . استعمل دائما (مفك) من حجم مناسب (للمسمار) لكي تتجنب الاضرار من المفك و (المسمار) . شكل (١) يبين نوع المفكات القياسي » .

والاخطاء التي وقعت فيها الماكنة الاعجمية لاتختلف كثيرا عن تلك التي يقع فيها بعض طلابي في درس الترجمة ، وقد حصرتها بين هلالين ، فكان من الافضل ان تستعمل الماكنة تعبير (المسامير اللولبية) بدل (المسامير) و (مفكا) في حالة النصب على المفعولية بدل (مفك) و (بكل) بدلا من (بكلا) .

وعلى كل حال فان ترجمة الماكنات ستبقى بحاجة الى مراجعة مترجم كفء قدير ، شأنها في ذلك شأن الكثيرين من المترجين في ايامنا هذه مع اختلاف واحد وهو السرعة الفائقة لدى الماكنة وعدم حاجتها لمراجعة القواميس والمعاجم .

- هذا ما اردت ان اقوله باختصار عن بعض ما توصلت اليه الالة المترجمة من نتائج في مضمار الترجمة من الانكليزية الى العربية . وقد اثار الحديث الاستاذ الدكتور مصطفى كامل فوده فله الفضل ، ونرجو ان تتمكن من العودة الى الموضوع عندما تحرز الترجمة الالية مزيدا من التقدم ، فالانسان الذي استطاع ان يهبط على القمر - بعد ان كان ذلك في عداد المستحيلات - لن يعز عليه يوما ما تحقيق فكرة المترجم الالي الذي قد يفوق المترجم البشري في الدقة والسرعة معا .

حول معجم الجمهرة

بقلم : الشيخ ابراهيم القطان

قرأت مقال الاستاذ قسطنطين تيودوري القيم عن (الجمهرة) للامام محمد بن الحسن بن دريد في العدد ٢٨٧ من مجلة العربي الغراء في ذي الحجة ١٤٠٣ . تشرين اول ١٩٨٢ م .

وقد جاء في المقال ما يلي : « وكان رجال اللغة يحتجون بأقواله ، ويستندون اليها ، منهم أكبر الموسوعيين شهرة ابن منظور الذي ضم « معجم الجمهرة » من جملة ما ضم من معاجم في معجمه « لسان العرب » .

ويؤسفني أن أقول للاستاذ الكريم : ان هذا الكلام غير دقيق ، وان معجم الجمهرة لابن دريد ليس من مصادر لسان العرب ، ولم يضمه ابن منظور في معجمه ، ولم يذكر في مقدمة اللسان ان كتاب الجمهرة من الكتب التي جمعها في كتابه - وهذا لا يضيرُ ابنَ دريد ، ولا ينقص من قدره ، وهو الامام الرائد في عمل المعجمات -.

والذي يظهر لي ان الاستاذ تيودوري لم يقرأ مقدمة لسان العرب حتى يعلم ماهي مصادره وما هي الكتب التي جمعها ابن منظور في كتابه العظيم .

وان الذي أوقع الاستاذ الكريم في هذا الخطأ هو الامام جلال الدين السيوطي ، فقد ترجم في كتابه « بغية الوعاة » لجمال الدين ابن منظور وقال ما نصه : « محمد بن مكرم بن علي . . . ابن منظور الانصاري الافريقي المصري جمال الدين ابو الفضل صاحب لسان العرب في اللغة ، الذي جمع فيه بين التهذيب والمحكم والصحاح وحواشيه ، والجمهرة والنهاية » الصفحة ١٠٦ من طبعة مطبعة السعادة .

فالامام السيوطي على جلالة قدره لم يتحقق من مصادر لسان العرب وهو أول من وقع في هذا الخطأ لأنه لم يقرأ مقدمة اللسان بامعان وتدقيق .

ثم جاء بعده العلامة الزبيدي شارح القاموس فتابعه على ذلك وقال في مقدمة كتابه القيم تاج العروس ما يلي : « ولسان العرب للامام جمال الدين محمد بن جلال الدين ... الانصاري الخزرجي الافريقي نزيل مصر ... التزم فيه جمع الصحاح والتهذيب والنهاية والمحكم والجمهرة وامالي ابن بري ..... » . صفحة ١٢ من المقدمة .

وجاء بعدهما الأستاذ الكبير المدقق المحقق أحمد فارس الشدياق فتابعهما على الخطأ نفسه حيث قال في تقديمه لطبعة لسان العرب الأولى سنة ١٣٠٠ . ما يلي :

« كتاب لسان العرب للامام المتقن جمال الدين محمد بن جلال الدين الانصاري الخزرجي الافريقي نزيل مصر ويعرف بابن مكرم وابن منظور ... وقد جمع في كتابه هذا الصحاح للجوهري وحاشية ابن بري ، والتهذيب للازهري ، والمحكم لابن سيده ، والجمهرة لابن دريد ، والنهاية لابن الأثير ...... » ٧

وجاء الأستاذ تيودوري وقلد هؤلاء الأعلام دون ان يرجع الى ما كتبه ابن منظور نفسه في مقدمة كتابه « لسان العرب » على ما يبدو لي .

والى القاريء الكريم ما يقول ابن منظور في مقدمة « لسان العرب » : « ولم أجد في كتب اللغة أجمل من تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد الازهري ، ولا أكمل من المحكم لابي الحسن علي بن اسماعيل بن سيده الاندلسي رحمهما الله ، وهما من أمهات كتب اللغة على التحقيق ، وما عداهما بالنسبة اليهما من بُنَيَّات الطريق ... ورأيت ابا نصر اسماعيل بن حماد الجوهري قد أحسن ترتيب مختصره .... وهو مع ذلك قد صحف وحرف ، فأتيح له الشيخ محمد بن بري فتتبع ما فيه ، وأملى عليه اماليه ، فاستخرت الله سبحانه وتعالى في جمع هذا الكتاب المبارك .... ولم اخرج فيه عما في هذه الأصول ، ورتبته ترتيب الصحاح في الأبواب والفصول ، وقصدت توشيحه بجليل الأخبار ، وجميل الآثار ، مضافا اليه الى مافيه من آيات القرآن الكريم ، والكلام على معجزات الذكر الحكيم ، ليتحلى بترصيع دررها عِقْدُه ، ويكون على مدار الآيات والاخبار والآثار والأمثال والاشعار حله وعَقْدُه ، فرأيت ابا السعادات المبارك بن محمد بن الأثير الجزري قد جاء في ذلك بالنهاية ، وجاوز في الجودة حد الغاية ، غير انه لم يضع الكلمات في محلها ، ولا راعى زوائد حروفها وأصلها ، فوضعت كلا منها في مكانه ، وأظهرته مع برهانه ، فجاء هذا الكتاب بحمد الله واضح المنهج لأسهل السلوك .... وأنا مع ذلك لا أدعي فيه دعوى فاقول : شافهت ، أو سمعت ، أو نقلت ، أو وضعت ، أو شددت ، أو رحلت ، أو نقلت عن العرب العرباء أو حملت ، فكل هذه الدعاوي لم يترك فيها الأزهري وابن سيده لقائل مقالا ، ولم يخليا فيه لأحد مجالا ، فانهما عينا في كتابيهما عمن رويا مع ذلك لا أدعي فيه دعوى فاقول : شافهت ، أو سمعت ، أو نقلت ، أو وضعت ، أو شددت ، أو رحلت ، أو نقلت عن العرب العرباء أو حملت ، فكل هذه الدعاوي لم يترك فيها الأزهري وابن سيده لقائل مقالا ، ولم يخليا فيه لأحد مجالا ، فانهما عينا في كتابيهما عمن رويا .... ولعمري لقد جمعا فأوعيا ، وأتيا بالمقاصد ووفيا .

وليس لي في هذا الكتاب فضيلة أمت بها ، ولا وسيلة أتمسك بسببها ، سوى اني جمعت فيه ما تفرق في تلك الكتب من العلوم ، وبسطت القول فيه ولم أشبع باليسير ، وطالب العلم منهوم ، فمن وقف فيه على صواب أو زلل ، أو صحة أو خلل ، فعهدته على المصنف الأول ، وحمده وذمه لأصله الذي عليه المعول ، لأنني نقلت من كل أصل مضمونه ، ولم أبدل منه شيئا ، فيقال : « فانما اثمه على الذي يبدلونه » بل أديت الأمانة ، في نقل الأصول بالنص ، وما تصرفت فيه بكلام غير ما فيها ، فليعتدَّ من ينقل عن كتابي هذا انه ينقل عن هذه الأصول الخمسة الخ .... » .

هذا كلام ابن منظور بالنص كما جاء في مقدمته ، فالكتب التي اشار اليها بالأصول الخمسة مصادر كتابه لسان العرب هي :

- تهذيب اللغة للازهري - المحكم لابن سيده - الصحاح للجوهري - حواشي ابن بري على الصحاح - النهاية في غريب الحديث لابن الأثير .

ولم يأت ذكر « الجمهرة » في مقدمة اللسان لا بالنص ولا بالاشارة ، ومن لم يقتنع بما أقول فليرجع الى لسان العرب ويقرأ مقدمته حتى يطمئن قلبه ، ويتثبت مما قلت .

وهذا يعلمنا درساً مفيداً وهو أنَّ كبار العلماء والباحثين قد يخطئون ، والانسان مهما بلغ من العلم فانه معرض للخطأ والنسيان .

فعلينا أن نمحص الأقوال ، وندقق فيما نقرأ ونكتب ، وليس المهم من قال ، ولكن ماذا قال . . . . . وما أجمل قول نصر الله بن محمد بن الأثير في كتابه الفائق « المثل السائر » : « ليس الفاضل من لا يغلط ، بل الفاضل من يعد غلطه » .

رحم الله الجميع و « كفى المرء نُبلاً أن تعد معايبه » والسلام على الأستاذ .

عجائب البحر أكثر من عجائب البر

بقلم : صفوت كمال

في مقال « عجائب البحر في الف ليلة وليلة » ، الذى نشره الاستاذ الأديب الناقد عباس خضر ، في العدد ٢٨٩ من العربي ، لوحة مختصرة من حكاية عبد الله البرى وعبد الله البحرى احدى حكايات الف ليلة وليلة . . . والتي تختص بها الليالي ٩٤١ - ٩٤٦ وقد قدم الأستاذ عباس خضر « شريحة » من هذه الحكاية وعرض جزئية منها باعتبار ان هذه « الشريحة » حسب تعبيره من حكايات الف ليلة وليلة : تمثل قصة قصيرة موضوعها « الأمانة وانها خير من بعض ما يكتب وينشر في هذه الايام بدون امانة ! ؟ » .

وكم وددت أن لا ينتصر حديث الأستاذ عباس خضر على هذه الجملة الموجزة ، بل ان يناقش ما تضمنته تلك القصة من مفاهيم اخلاقية واجتماعية او مقولات فلسفية وعقائدية . وخاصة أن « الامانة » التي وردت في هذه القصة ترتبط أساسا بفكرة الموت ، وان الروح التي وهبها الله سبحانه وتعالى للانسان هي امانة عند الانسان . فلماذا اذا استردها الله من حاملها أصابه الجزع . إذ يقول عبد الله البحرى لعبد الله البرى في اثناء جولته معه في عالم البحر حينما علم من عبد الله البرى أن أهل الأرض يحزنون على الموتى . . « كيف لايهون عليكم أن الله يأخذ أمانته فتبكون وتحزنون إذا استردها . . وكيف اعطيك امانة النبي صلى الله عليه وسلم . وانتم اذا اتاكم المولود تفرحون به . . والله تعالى يضع فيه الروح امانة . فاذا اخذها يصعب عليكم الامر وتحزنون وتبكون كأنكم تحتجون عليه سبحانه وتعالى ؟

فأهل البحر حينما يموت احدهم يفرحون لانهم يدركون ان الموتى يلقاه ربهم فرحون . ويقطع عبد الله البحري صلته أو صداقته بعبد الله البرى قائلا :

« ما أنتم ابناء البر بأهل للامانة ، وقد قطعت صلتي بك ، فبعد اليوم تراني ولا اراك . » ويمضي عبد الله البحرى الى عالمه في البحر ولا يعطي عبد الله البرى كيس الجواهر الذى كان قد طلب منه ان يحمله الى قبر الرسول عليه الصلاة والسلام حينما يقوم عبد الله البرى بالحج الى بيت الله .

هذه الشريحة من حكاية عبد الله البرى وعبد الله البحرى يمكن ان تصنف تحت نمط الحكايات الوعظية . . .

وكم كنت أود ، وما زلت أرجو ، ان يتناول الاستاذ عباس خضر هذه الحكاية البحرية بالنقد والتحليل ولا يكتفي بتقديم جزئية منها .

حكاية متميزة

فحكاية عبد الله البحرى تعتبر نموذجا فريدا في أدب البحر ونمطا متميزا من انماط القصة البحرية ، وكما يقول الأستاذ الدكتور حسين فوزى في كتابه حديث السندباد القديم منذ أربعين عاما أن « القصتين البحريتين » في كتاب الف ليلة وليلة وهما عبد الله البرى والسندباد البحرى ، لاتعدهما من ابدع القصص البحرية في الأدب العربي فحسب ، بل هما من أبدع القصص البحرية في آداب العالم .

ولقد لاقت قصة السندباد البحرى حظها من الشهرة والمجد ، وبقيت قصة « عبد الله البرى » منزوية تنتظر شرقيا . . . أو مستشرقا يخرجها الى النور » : . .

وكم وددت أن يكون هذا الشرقي الأستاذ عباس خضر بالاضافة الى الجهد الطيب الذى بذله الأستاذ أحمد محمد عطية في كتابه أدب البحر في عرض وتقديم هذه القصة .

فعلى الرغم مما يذخر به الادب العربي من وصف لعالم البحر وتصوير لبعض حوادث البحارة والغواصين على اللؤلؤ إلا أن قصة السندباد وعبد الله البحرى تعتبران نموذجا فريدا متميزا بين فنون القصة البحرية ، والقصة البحرية كما يحدد تعريفها الاستاذ الدكتور حسين فوزى هي « قصة اولا . اى عمل أدبي من أعمال الخيال لا يهم أن تؤلف على اساس من « المعارف البحرية » او من « المغامرات أو من « القشار » البحرى . مادام تأليفها نتيجة تخيل واضعها لحوادث تجرى لبطل لا وجود له الا في خيال المؤلف . وان للبطل وجودا تاريخيا . ولكن الحوادث التي تنسب اليه لم تحدث اصلا . او حدث بعضها ، فنظمت واضيف عليها وبولغ فيها الى حد يخرج بالشخصية التاريخية الى ما يجعلها في عداد الاشخاص الخياليين .

في اليوم الواحد والاربعين

وهي قصة بحرية إذا تخذ البحر اهمية كبرى في حياة ابطالها وفي احداث القصة ، وتتلخص قصة عبد الله البرى كما وردت في الف ليلة وليلة في انه كان يوجد صياد سمك فقير كثير الابناء ، جاءته زوجته بالمولود العاشر ، وطلبت اليه ان يصطاد رزقه من البحر . ولكنه ظل يوما كاملا يطرح شبكته فتخرج خالية . وفي عودته خائبا يائسا شعر بازمته عبد الله الخباز فمنحه خبزا ونقودا وامهله حتى يأتي بالخير من البحر ويدفع له ثمن الخبز سمكا ويعيد اليه ما اقرضه من مال من ثمن السمك .

وظل عبد الله البرى وعبد الله الخباز على هذا الحال اربعين يوما ـ فلا هو يصطاد شيئا ، ولا الخباز يكف عن مد يد المساعدة له .

وفي اليوم الواحد والأربعين اخرجت الشبكة بعد محاولات شتى وجهود مضنية ، رجلا يدعى عبد الله البحرى . عرفه بنفسه بانه من ابناء البحر . وعقد معه اتفاقا بان يحضر عبد الله البرى له قبل طلوع الشمس حملا من فاكهة البر ، ويبادله بحمل مماثل من الجواهر واللآلىء من البحر .

وظلت العلاقة مستمرة بينهما حتى صار عبد الله وزيرا للملك « عبد الله » أيضا ـ وتزوج ابنة الملك .

وتستمر الحكاية تروى ما واجهه عبدالله البرى من احداث ومغامرات وصفتها الحكاية ببراعة فنية ، وكيف دعا عبد الله البحرى عبد الله البرى لزيارة عالم البحر .. وكيف احضر له دهانا من دهن سمك في البحر يجعله يعيش ويتحرك تحت الماء مثل السمك ومثل ابناء البحر .

وفي البحر تاخذ القصة في تتابع احداثها فيتعرف عبدالله البرى بواسطة صديقه على عالم البحر وممالكه وكنوزه . ونظم العمل فيه واشكال البيوت وطرق حفرها ، والعلاقات القائمة بين اهل البحر ، فيرى في البحر عجائب عديدة وغرائب تفوق الحصر والعد . ففي البحر كما تروى الحكاية عجائب متنوعة اكثر من عجائب البر .. فيقول عبد الله البحرى لعبد الله البرى ازاء اندهاشه لما رأى :واى شيء رايت من مدائن البحر وعجائبه ، وحق النبي الكريم الرءوف الرحيم لو فرجتك الف عام في كل يوم على الف مدينة ، واريتك في كل مدينة الف اعجوبة ما أريتك قيراطا من أربعة وعشرين قيراطا من مدائن البحر وعجائبه . وانما فرجتك على ديارنا وارضنا لاغير .

وتنتهي الحكاية بان يفترق عبد الله البحرى عن عبد الله البرى بعد ان علم منه أن اهل الارض يجزعون من الموت ويحزنون على الموتى .

مقولات اجتماعية وفكرية :

والقصة بمضامينها تشتمل على مقولات اجتماعية وفكرية وعقائدية - مثل حق الصداقة التي يلتزم بها الخباز نحو عبد الله البرى ووفاء الصديق للصديق فحينما يصبح عبدالله وزيرا وغنيا لاينسى صديقه .. ومقولة بالوعد .. حينما وفى عبد الله البحرى بوعده لعبد الله البرى - والاشاعة والكذب وكيف تضر بالانسان وكم في السجن من مظاليم ومقولة « الموت » و « الامانة » والايمان بالقضاء والقدر بجانب ما تحمل تلك القصة من وصف لعالم البحر في تصوير ادبي جيل .. وخيال رائع .. اتمنى ان يصوغها من جديد صوغا فنيا بالصورة او الكلمة او بالاثنين معا بعض فناتينا العرب او ان تقدم في عمل سينمائي عربي او غير عربي مثلما حدث لحكايات السندباد البحرى في اسفاره السبعة .. فمغامرات عبد الله البرى كانت في اعماق اليم دون صراع مع الامواج والرياح .. وهي رحلة في عالم البحر دون اهوال ومخاطر .. عالم يسوده النظام ويذخر باللؤلؤ والمرجان ولا مانع لاصحابه من مبادلة مافيه من جوهرودر .. بفاكهة من عالم الارض الذى يسكنه الانسان .. فبأى آلاء ربكما تكذبان .. وعجائب البحر اكثر من عجائب البر ، كما ان علم البحر اكبر من علم البر كما يقول معلم البحر شهاب الدين احمد بن ماجد الملاح العربي الشهير . ○

الفرج بعد الشدة

قيل لبعض البخلاء : ما الفرج بعد الشدة ؟ قال : أن يعتذر الضيف بأنه صائم .

الزحام على المائدة

قعد أبو الفضل الشاعر المعروف بابن القطا ، يأكل مع زوجته ، فقال لها : « اكشفي رأسك ، ففعلت ، ثم قرأ سورة الاخلاص ، فقالت له : ما الخبر ؟ فقال : اذا كشفت المرأة رأسها لم تحضر الملائكة ، واذا قرئت سورة الاخلاص هربت الشياطين وانا أكره الزحام على المائدة .



الاطفال والبول السكري

● منذ شهور قليلة بدأت الاحظ هزال ابنى البالغ من العمر خمس سنوات رغم اقباله على الطعام وشكواه المتزايدة من الأم ساقيه .. أو رأسه .. وهبوطه في نشاطه المعتاد .. بل وتأخره عن رفاقه في الدروس .. الى جانب تبوله اللارادى في الفراش فعرضته على طبيب باطنى .. وبعد مجموعة فحوصات أخبرني أنه مصاب بالبول السكرى ..

فهل يصاب الاطفال أيضا بمرض السكر علما بأنني ووالده سليمان تماما ! ..

ما هى أخطاره .. وما السبيل الى علاجه في تلك السن ؟ ...

•••

- نعم .. يصاب الاطفال بمرض السكر وقد تبدأ أعراضه في سن مبكرة عن الخامسة ربما في الثانية من عمر الطفل .. وكلما كان اكتشافه وتشخيصه مبكرا كلما أمكن التحكم في كيفية التعايش معه .. لان حالات السكر التي تكتشف عند الاطفال تستلزم علاجا مدى الحياة بحقن الانسولين التي سرعان يتآلف معها المريض حتى يبدو طبيب نفسه فلا يحتاج لأحد يعطيها له .

والحديث عن مرض السكر عامة وبايجاز يبدأ بتصنيفه كأحد الامراض التي تلعب الوراثة فيه دورا أساسيا ليس من الضرورة ان يكون الاب أو الأم .. هناك ايضا الجدود .. واصابة توأم بمرض السكر تعني اصابة اخيه بنسبة ٢٠ - ٥٠٪ . وهو أحد الامراض التي تسفر عن خلل في عمليات الأيض الغذائي الخاص بمادة الجلكوز - السكر - والذي يعد مصدر الطاقة الأول في الجسم .. فدخول جزىء السكر لخلايا الجسم يسهله هرمون الانسولين الذي تفرزه خلايا خاصة في البنكرياس .. حينما يقل أو ينعدم افراز الانسولين من البنكرياس وأن السكر بالطبع لايمكنه النفاذ للخلايا فيبقى في الدم مسببا ارتفاعا عن معدله الطبيعي والذي يبلغ ٨٠ - ١٢٠ جم/ ١٠٠ سم دم عادة والذي تحاول الكليتان الحفاظ دائما عليه في هذا المستوى .. لكن ارتفاعه الشديد بالطبع يجبرها على افرازه في البول ومعه كمية اكبر من الماء تظهر في الزيادة الكبيرة لادرار البول وربما التبول اللاارادي عند الأطفال .. وبالتالي الحاجة الشديدة لتعويض الماء المفقود ويعبر عنها بالعطش الدائم .. ولما كان الجسم غير مستفيد من كميات السكر السارية مع الدم والممنوعة من النفاذ للخلايا .. فانه بالطبع يشعر بحاسة الجوع فيأكل مريض السكر كثيرا .. لكنه لايفيد من الأكل فيزداد هزاله .

تبدو هذه التطورات اكثر وضوحا في حالات الاصابة المبكرة بالسكر في مثل سن ابنك .. لان هناك بعض حالات السكر الخفيفة والتي ترى في سن متأخرة في أكثر الحالات ناشئة عن سمنة مفرطة وتبدأ في التحسن مع نظام غذائي يحدد كمية السكر المطلوبة للجسم فقط .. ومع نقص

الوزن يتلاشى السكر وأحيانا يعقب حالات الانفعال والمعاناة النفسية الشديدة .. وقد يظهره الحمل عند السيدات .. وفي مثل تلك الاحوال قد لا يستخدم الانسولين .. لكن تستخدم الادوية التي تحفز إفرازه من البنكرياس .. أو تحسن طريقة الافادة من السكر في الخلايا .

واذا عدنا للسكر عند الاطفال .. فانه في الواقع المشكلة الحقيقية لان الطفل اكثر حساسية لنقص او زيادة كمية الانسولين المعطاة فالزيادة أو النقصان في كمية الانسولين تؤدي الى حدوث الغيبوبة .. كما انه اكثر عرضة للاصابة بالمضاعفات التي قد لاتخلي مسئولية أي جهاز في الجسم .. العين والكلى والجهاز العصبي والرئة .. بل ايضا الجلد وأجهزة المناعة لذا فالطفل عرضة دائما لمتاعب النظر وكثيرا ما تبادره آلام الاطراف الناشئة من التهابات الاعصاب الطرفية وتقلصات عضلات الساق كما أنه أكثر عرضة للأمراض الصدرية وبالذات الدرن الرئوي الى جانب متاعب الكلى .. أما الجلد فيصاب ببعض الاصابات والتقرحات التي تستلزم علاجا حاسما كما ان توافر كميات السكر اللازمة لنمو البكتريا بشراهة ترجيء شفاء الجروح وقد تصل الى حد (الغرغرينا) بمعدل اسرع مع كل هذا فان هناك كثيرا من الامل - ليس في الشفاء الكامل مع الأسف - لكي في امكانية التعايش مع ذلك المرض لاندعي انه قاتل بقدر ما هو الأكثر ارباكا لاجهزة الجسم .

بالفعل يمكن التعايش مع مرض السكر ويمكن المريض أن ينمو بمعدلات عادية بل ويتزوج وينجب أيضا اذا ما بدأ اليقظة مبكرا ووضع وعائلته في ذهنه بعض النقاط الهامة ..

● اكتشاف السكر عند الاطفال يأتي نتيجة ملاحظة ذكية للأم فيجب بمجرد الشك عرضه على طبيب باطني .

● جرعة الأنسولين هي أهم ما يحدد علاقة المريض بمرضه .. لذا يجب الاهتمام بتحليل البول لاربع مرات يوميا قبل وبعد الفطور ثم الغذاء بساعتين وقبل النوم الى جانب تحليل الدم في فترات منتظمة ومتقاربة .

● المبادرة فورا باجراء كل الفحوصات اللازمة اذا ما بدأ أي خلل في وظيفة أحد أجهزة الجسم الحيوية بالذات العين والكلى ومعالجة أي الاصابات الميكروبية بحزم وبمضاد حيوي قوي لفترة ملائمة ومحاولة تجنب احداث الجروح ما أمكن .

● بعض التمرينات الرياضية الخفيفة والسباحة أو المشي ورياضة التنس مثلا تبدو مفيدة الى حد بعيد تحت الاشراف في توزيع طاقة الجسم وتصريفها وتنشيط الدورة الدموية ..

● لايحرم طفل السكر من اي طعام - عدا الاقلال من السكريات - فغذاء متوازن مليء بالبروتين والخضروات الطازجة وكوب حليب دافيء يساعده كثيرا الى جانب الاهتمام باضافة الفيتامينات والمعادن المختلفة لغذائة ويفضل الفيتامينات غير المركبة ومن الافضل اعطاؤه فيتامين أ ثم فيتامين ج ب ١٢ ، ب ٦ ، ب ١ ، ب ٢ ، كل في مستحضر مستقل نظرا لان خلط هذه الفيتامينات ثبت حديثا أنها قد تبطل مفعول بعضها البعض .

● مراعاة قواعد الصحة العامة من أكثر العوامل مساعدة على اتقاء مضاعفات السكر .. فجلد نظيف دائما جاف .. مكان غير مرغوب من البكتريا .. الى جانب أهمية الحفاظ على نظافة العينين والأذن واللثة واستخدام فرشاة أسنان لينة لا تدمي اللثة مع معجون أسنان به مادة الفلور ويحسن تغييره من آن لآخر حتى لا تتعوده البكتريا دائمة التواجد في الفم فتنتهز الفرصة لتتحول لبكتريا مرضية فتاكة .

● يجب ان تذكر الام جيدا أن حياة ابنها في حقن الانسولين .. لذا يحسن استخدام الحقن التي تستعمل لمرة واحدة ويراعي أنها تؤخذ تحت الجلد بعد تطهير المكان جيدا جدا .. ويجب الا تؤخذ في مكان واحد دائما فتغيير المكان يقي من الاصابة (بخراجات الجلد) يمكن إعطاؤها في أي مكان به العضلات ممتلئة سواء في خلفية الفخذ .. أو عضلات الذراع .. حتى الآن .. لاغنى عنها رغم أنه تحت التجربة العديد من الاجهزة التي تعمل

بالمقل الالكتروني ... منها ما يمكن تركيبه تحت الجلد ـ عند الصدر ـ ويعمل بالبطارية .. ويعمل كمستودع للانسولين يجري بذاته تحليل دم المريض ويقدر نسبة الانسولين اللازمة ويصبها مباشرة في دم المريض .. نأمل ان تنجح تجاربه وأن يكون قريبا في الأسواق وفي خدمة مرضى السكر . وأخيرا .. فان الكلمة الاخيرة عن السكر .. هي ان نجاح علاجه يعتمد على نجاح الام في تهيئة ابنها للتعايش السلمي مع حقن الانسولين اليومية .. وتحاليل الدم والبول .. ومحاولة ربطه الدائم بمجتمه دون ان يعوقه مرضه عن اللحاق بأقرانه في فرص الدراسة .. واللعب معا ..

آخر الابحاث حول فيتامين c

● نصحني الطبيب بتناول فيتامين c بسبب نقص كمية الهيموجلوبين في دمي فما هي فوائد هذا الفيتامين للجسم ؟

فيتامين « ج » اوCمن اوائل الفيتامينات التي اكتشفت . عندما عرف انه يشفي التزيف الدموى الذى يصيب لثة اسنان البحارة وهو المرض الذى يسمي « الاسقربوط » ولقد اكتشف ان هذا المرض يصيب البحارة اذا استمروا فترة طويلة بدون تناول اية خضراوات طازجة . ثم اكتشف الفيتامين Cوعرف انه يوجد في كل شيء اخضر ويزداد وجوده في الموالح كالليمون والبرتقال ، وانحصرت استخداماته في منع حدوث النزيف من اللثة ، ولكن وظائف اخرى اكتشفت ـ فهو عنصر مهم من عناصر تكوين الهيموجلوبين ونقصه يسبب الانيميا او فقر الدم وهو ضرورى لتكون جدران الشرايين و الشعيرات في حالة صحية طبية وفي هذا العام فقط نشر اكثر من عشرين بحثا عن فيتامين Cفي منشورات علمية متخصصة لعل في الاشارة الي بعضها ما يجيمل سؤال السائل عن فوائد فيتامينC الدكتور جيرنتسر من قسم التغذية في « براتسلافيا »بتشيكوسلوفاكية يقول ان تجاربة اثبتت ان النقص في تناول فيتامين Cيسبب زيادة في ترسب الكلوسترول بمقدار اربعة اضعاف في الكبد والدم والشرايين لان فيتامين Cضروريلاكسدة الكلوسترول وتحويله الي احماض المرارة ليتم افرازه والمعروف ان زيادة نسبة الكلوسترول في الانسجة تسبب تصلب الشرايين وتزيد احتمال الاصابة بالنوبات القلبية .

والدكتور « ديكرسون » من جامعة « سيرى » بانجلترا يؤكد القول ان فيتامينC يساعد في علاج الامراض السرطانية لأنه يساند مناعة الخلايا ويقويها ويقول انه لاحظ ان تركيز فيتامينCفي الدم يقل كثيرا عند المصابين باورام سرطانية مما يشير الي ان نقص فتامينC ربما كان له اثر في اصابتهم بهذه الاورام، ويضيف انه استطاع ان يحمي الحيوانات المخبرية من الاصابة بهذه الاورام الخبيثة عند ما حافظ على تركيز مرتفع لفيتامينCفي دمائها رغم انه عرض هذه الحيوانات لعوامل سببت حدوث هذه الاورام عند مجموعة من الحيوانات ، كان مستوى الفيتامين في دمائها عاديا أو دون ذلك . اما الدكتور « أوشيما » من معهد الابحاث الفرنسي في « ليونز » فقد اثبت ان فيتامين Cيحمي من الاصابة بسرطان المرىء والمعدة عند الانسان لانه يبطل عمل مادة الـ « نيتروسامين » التي يسبب وجودها سرطانات المرىء والمعدة على الخصوص .

والدكتور « باسو »من جامعة « سيرى »يشير الي ان النقص في فيتامين C قد يكون سببه تناول الاسبرين ومشتقاته لانها تساعد على عدم الامتصاص من الامعاء .

يبقي ان نقول ان تناول القدر العادى من الخضراوات الطازجة اوبرتقالة يوميا كاف لان يحصل الفرد على حاجته من فيتامينC التي توفر له كل الفوائد السابقة دون تناول اية حبوب او حقن فيتامينC ، هذا ما قاله الدكتور « هيو » من معهد العلوم والتكنولوجيا في « ويلز » .

الأم ..



قصة : جي دي موباسان

ترجمة : عمر عدس

غبت عن قرية (فايرلون) خمسة عشر عاما ، وعدت اليها لممارسة الصيد في الخريف ، مقيما عند صديقي (سيرفال) الذي أعاد بناء قصره ، بعدما دمره (البروسيون) .

كنت مشغوفا الى حد بعيد ، بذلك الجزء من الريف . وثمة بعض الأماكن المبهجة في هذا العالم تبهر العين بفتنة حسية ، فيحبها المرء حبا حسيا . ونحن الذين يستهويهم الريف ، نكن ذكرياتهم حنونا لـربيعات معينة .. غابات .. برك .. تلال معينة ، أصبحت مشاهد حميمة تملك أن تمس قلوبنا مثل أحداث سعيدة . فتعود الذاكرة أحيانا ، لتسترجع ذكرى فرجة في غابة ، أو بقعة على ضفة نهر ، أو بستان مزهر ، لم نلمحها سوى مرة واحدة في يوم سعيد ، ولكنها استقرت في قلوبنا .

في (فايرلون) أحببت المنطقة كلها ، بالغابات الصغيرة تتناثر فيها ، والجداول تقطعها منسابة في الأرض مثل عروق تغذيها بالدم .. ومنها كنا نصطاد الأربيان والسلمون المرقط والأنقليس . يا لذلك الفرح السماوي الذي عرفناه هناك . كانت هنالك بعض الأماكن التي نستطيع الاستحمام فيها .. وكثيرا ما كنا نعثر على طائر (الجهلول) في العشب الفارع الذي ينمو على ضفاف تلك الغدران الصغيرة .

تقدمت في خفة ماعز ، وأنا أرقب كلبي يتقدمانني باحثين عن الصيد . وكان (سيرفال) على بعد مائة ياردة الى يميني ، يخوض في حقل فصة بحثا عن الطرائد . درت حول الشجيرات التي تحدد حافة غابات (ساودر) ، فلمحت أطلال كوخ .

في لحظة واحدة ذكرته كما كان في آخر مرة شاهدته فيها ، في ١٨٦٩ ، والدجاج يسرح في باحته . أي شيء يثير الحزن أكثر من بيت ميت ، لم يبق منه قائما سوى هيكله ، خرائب مشؤومة ؟

ذكرت كذلك أن امرأة قدمت لي كأسا من النبيذ داخل ذلك البيت ، ذات يوم عندما كنت منهكا . وأن (سيرفال) حكى لي فيما بعد قصة ساكنيه . الأب ، وهو كهل احترف الاعتداء على الأملاك ، كان قد قتله رجال الدرك . والابن ، الذي رأيته من قبل ، كان شخصا طويلا نحيلا وقويا ، كما كان يعد قاتلا ضاريا يقتل من أجل التسلية . وكان الناس يطلقون على العائلة اسم « سافيج » أو « المهمجين » .



هل كان اسما أم وصفا ؟

ناديت على (سيرفال) ، فجاء الي بخطاه الواسعة الواهنة . سألته : « ماذا جرى من أمر الناس الذين كانوا يسكنون هنا ؟ » .

فروى لي هذه القصة .

●

« عندما أعلنت الحرب ، قام (سافيج) الابن ، الذي كان في الثالثة والثلاثين يومئذ ، بالتطوع للقتال ، مخلفا أمه بمفردها في البيت . ولم يأسف الناس كثيرا على وضع العجوز مع ذلك ، لعلمهم بأنها تملك مالا .

« وهكذا أقامت وحيدة في هذا البيت المنعزل ، النائي عن القرية عند أطراف الغابات . ولكنها لم تكن خائفة ، لأنها فطرت من نفس الجبلة التي فطر منها رجالها ، فقد كانت عجوزا طويلة نحيلة خشنة ، نادرا ما تبتسم ، ولم يكن أحد يمزح معها . والنساء في الريف على الاجمال لا يضحكن كثيرا ، فهذه وظيفة الرجال ! . يمتلكن نفوسا كاسفة حزينة ، لأنهن يعشن حياة رتيبة كئيبة . والفلاح يتعلم بعض المرح الصاخب في الحانة ، ولكن زوجته تظل صارمة لابسة قناعا أبديا من العبوس والتجهم ، دون أن تتعلم عضلات وجهها كيف تنبسط وتتقلص بالضحك .

« تابعت الأم (سافيج) حياتها العادية في كوخها ، الذي سرعان ما كساه الثلج . وكانت تنزل الى القرية مرة في الأسبوع لتتزود بالخبز وبعض اللحم ، ثم تعود الى كوخها . وحيث كان الناس يحكون عن وجود الذئاب في المنطقة ، فقد كانت تخرج ببندقية معلقة على كتفها ، بندقية ابنها ، التي كانت صدئة ، بعقب مهترىء من كثرة ما مرت عليه اليدان . وكانت مشهدا غريبا ، المرأة الهمجية ، طويلة منحنية قليلا ، تنقل خطواتها الواسعة ببطء خلال الثلج ، وماسورة بندقيتها تطل من خلف غطاء رأسها الأسود المحكم ، الذي يحبس الشيب الذي لم تقع عليه عين أحد .

●

« ذات يوم وصل (البروسيون) . وتم توزيعهم بين السكان المحليين تبعا لموارد كل أسرة . وكان نصيب العجوز ، التي كانت معروفة بيسر أحوالها ، ايواء أربعة من الجنود .

« كانوا أربعة فتيان ، ببشرة ناعمة ، ولحى ناصعة وعيون زرقاء ، ظلوا بكامل صحتهم وامتلاء أجسامهم ، على الرغم مما عانوه من شدائد الحرب ، كما كانوا يتمتعون بطباع حسنة رغم كونهم منتصرين في بلد مهزوم . وقد أقاموا وحدهم مع تلك العجوز ، يبدون لها كل احترام ، ويسندون ضعفها ، ويخففون من تعبها ومن مصاريفها جهد استطاعتهم . فكان أربعتهم يشاهدون في كل صباح على البئر ، يغسلون وجوههم دون أن يرتدوا فوق ملابسهم شيئا يقيهم لسعة البرد وسنا الثلج القارس ، وهم يرشقون الماء على جلودهم الوردية والبيضاء ، جلود أهل الشمال ، بينما الأم (سافيج) رائحة غادية تعد لهم الحساء . ثم يشاهدون بعد ذلك ينظفون المطبخ .. يمسحون الأرضية .. يقطعون الحطب .. يقشرون البطاطا .. يغسلون الأغطية ، ويؤدون كل الأعمال المنزلية ، مثل أربعة أبناء طيبين يساعدون والدتهم .

« ولكن العجوز كانت لا تكف عن التفكير بابنها ، ولدها الطويل النحيل ، بأنفه المعقوف وعينيه البنيتين ، وشاربه الكثيف الذي يغطي شفته العليا بحزمة من الشعر الأسود . فكانت في كل يوم تسأل كلا من الجنود الجالسين حول موقدها : (هل تعرفون أين ذهب الفوج الفرنسي - فرقة المشاة الثالثة والعشرون ؟ ان ولدي فيها) .

وكانوا يجيبون : (كلا .. لا نعرف . لا علم لنا بها) .

« ويتفهم لحزنها وقلقها ، كانوا ، وهم الذين لهم أمهات تخصهم في وطنهم ، يروحون يؤدون لها ما لا يحصى من الخدمات الصغيرة . وكانت هي بدورها ، بالغة الحنان على أعدائها الأربعة ، لأن الفلاحين نادرا ما يحملون حقدا وطنيا : ذاك هو الامتياز المقصور على الطبقات العليا . أما البسطاء ، أولئك الذين يدفعون الجزء الأعظم لأنهم فقراء ، ولأن كل عبء جديد ينيخ على كواهلهم .. أولئك الذين يجري قتلهم بالجملة ، والذين يشكلون لقمة المدفع الحقيقية لأنهم الأكثر عددا .. الذين ، باختصار ، يعانون الأمرين من أهوال الحرب الشنيعة ، لأنهم الأضعف والأكثر عرضة للهجوم .. يجدون من الصعب أن يتفهموا ذلك التحريض المحموم على القتال وتلك النقاط الحساسة من الشرف ، وما يسمى بالمناورات السياسية التي تهد حيل أمتين في غضون ستة أشهر ، سواء في ذلك المنتصرة والمهزومة .



« اعتاد الناس هنا ، حين يتحدثون عن الجنود الالمان عند الام (سافيج) أن يقولوا : (لقد وجد هؤلاء الاربعة مأوى عائليا في كنف هذه الأسرة . .) .

« وفي ذات صباح ، عندما كانت العجوز بمفردها في البيت ، أبصرت في السهل على البعد رجلا يتقدم باتجاه بيتها . وسرعان ما تميزته : انه الرجل الذي يقوم بتسليم الرسائل . ناولها ورقة مطوية ، فأخرجت عويناتها التي تستخدمها أثناء الخياطة من حافظتها وقرأت : السيدة (سافيج) ، أكتب لك لأنعى اليك نبأ حزينا . لقد قتل ابنك (فكتور) أمس ، بقذيفة مدفع شطرت جسمه نصفين . وكنت الى جواره ، حيث كنا جنبا الى جنب في السرية ، وكان قد طلب مني أن أقوم بابلاغك اذا حدث له شيء .

لقد أخذت ساعة يده من جيبه ، لأعيدها اليك عند انتهاء الحرب .

مع أطيب التمنيات

سيسير ريفو

جندي في الفرقة ٢٣

●

« كان تاريخ الرسالة يعود الى ثلاثة أسابيع من ذلك اليوم .

لم تبك ولم تنتحب . وقفت ببلاهة وقد أذهلتها الصدمة حتى عن الحزن . قالت في سرها : (الآن . . « فكتور » هو الذي راح وقتل) . وترقرقت الدموع في عينيها شيئا فشيئا ، ثم تفجر الأسى في فؤادها . تراءت لها الأفكار

واحدة فواحدة ، أفكار رهيبة مبرحة . لن تنعم بتقبيله بعد الآن . ولدها البكر ! رجال الدرك قتلوا الأب ، و(البروس) قتلوا الابن . لقد شطرته قذيفة مدفع الى نصفين . وخيل اليها أنها تشهد الحدث الفظيع : الرأس متدل ، والعينان جاحظتان ، بينما راح يقضم طرف شاربه الكثيف بأسنانه ، كما كان يفعل دائما حين يغضب .

● ماذا فعلوا بجثته ؟ ليتهم فقط أعادوا لها ولدها ، كما أعادوا زوجها بالرصاصة في منتصف جبينه ! .

● ولكنها سمعت عندئذ جلبة أصوات تقترب ، وكانت جلبة (البروسيين) عائدين من القرية . أخفت الرسالة في جيبها على عجل ، وبما أتيح لها من وقت مسحت دموعها ، ثم ردت تحيتهم بهدوء وهي تبدو على طبيعتها كالمعتاد .

● كان أربعتهم يضحكون مبتهجين ، حيث أحضروا معهم أرنبا سليبا ، ربما كان مسروقا ، وأفهموا العجوز بالاشارة أنهم مقبلون على وجبة شهية .

● شرعت من فورها في اعداد الغداء ، ولكنها حين همت بذبح الأرنب ، لم يطاوعها قلبها . . ولم يكن بأي حال أول من يجرى قتله ! . فاضطر أحد الجنود الأربعة أن يقتله بدلا منها .

● عندما لفظ الأرنب أنفاسه ، قامت بسلخ الجلد عن الجسد الأحمر ، ولكن مشهد الدم الذي كانت تلمسه ، والذي غطى يديها . . الدم الدافىء الذي كانت تحس به يبرد ويتخثر ، جعلها ترتجف من قمة رأسها حتى أخمص قدميها ، وغطى على عينيها مشهد ولدها البكر يتمزق ويصطبغ بالدم ، مثل الحيوان الصغير الذي ما يزال يرتعش بين يديها .

● وجلست الى المائدة مع جنودها (البروسيين) ، ولكنها لم تقو على الأكل ، ولو لقمة واحدة . والتهموا الأرنب دون أن يزعجهم أمرها . بينما راحت ترقبهم خلسة ، دون أن تتكلم وهي تدير في ذهنها فكرة ، بوجه خال من التعبير ، بحيث لم يلحظوا عليها شيئا .

● قالت فجأة : (لقد أمضينا الى الآن شهرا كاملا معا ، دون أن أعرف حتى أسماءكم) .

● أدركوا دون صعوبة ما ترمى اليه ، فأعطوها أسماءهم . ولكن ذلك لم يكن كافيا : جعلتهم يدونونها لها على ورقة صغيرة ، مع عناوين عائلاتهم ، ثم وضعت عويناتها على أنفها الكبير وتفحصت المخطوطة الغريبة ، ثم طوت الورقة ودستها في جيبها ، مع الرسالة التي نعت اليها خبر وفاة ابنها .

● عندما انتهت الوجبة قالت للرجال : (سوف أقوم ببعض العمل من أجلكم) .

● ثم شرعت في نقل القش الى العلية التي يأوون اليها

● أدهشهم ما تفعله ، فشرحت لهم الأمر قائلة ان القش سيمنحهم المزيد من الدفء ، فراحوا يساعدونها . حيث قاموا بتكديس حزم القش حتى السقف ، وهكذا جهزوا لأنفسهم ما يشبه غرفة كبيرة دافئة عذبة الرائحة ، ذات جدران أربعة من القش ، حيث سينعمون بنوم لذيذ .

● على العشاء انزعج أحدهم حين رأى الأم (سافيج) تعزف عن الطعام مرة أخرى . قالت انها تعاني من المغص . ثم أوقدت نارا لتتدفأ ، وتسلق الألمان الأربعة السلم الى غرفتهم ، دالفين اليها من الفتحة في أرضيتها ، والتي تشكل بابها ، كما اعتادوا أن يفعلوا كل مساء .

● عندما أغلق باب الفتحة سارعت العجوز بابعاد السلم . ثم فتحت الباب الخارجي . . واتسلت تجلب المزيد من حزم القش التي ملأت بها المطبخ . مشت على الثلج حافية القدمين ، وهي تتحرك بهدوء ، بحيث لم يسمع الرجال شيئا . وكانت تنصت بين الحين والآخر الى صوت الغطيط العالي وغير المنتظم يصدر من الجنود الأربعة المستغرقين في النوم .

● وعندما اقتنعت بأن تجهيزاتها قد اكتملت ، ألقت بواحدة من حزم القش في الموقد ، ولما التقطت الحزمة النار وبدأت في الاشتعال ، نثرتها فوق الحزم الأخرى . ثم خرجت من البيت ووقفت تراقب .

● وفي ثوان معدودات ، أضاء جوف الكوخ كله ببريق يخطف الأبصار ، ثم استحال الى مجمرة مخيفة . . فرن هائل ، يلمع وهجه من خلال النافذة الضيقة ، ويسقط على الثلج بنور مبهر

● عندئذ صعدت صرخة رهيبة من قمة البيت ، متبوعة بصخب صرخات آدمية . . صرخات عذاب ورعب تفطر

الفؤاد . بعدئذ .. واذ انهار الباب الذي يسد فتحة غرفة الجنود وهوى داخل الكوخ ، اندفعت زوبعة من النار الى العلية ، فاجتاحت السقف المصنوع من القش ، ورنقت في السماء مثل لهب مشعل ضخم ، ثم غرق الكوخ كله باللهب .

●

« لم يعد يسمع شيء في الداخل سوى فرقعة ألسنة اللهب ، وتحطم الجدران وانهيار الدعائم . ثم هوى السقف على حين بغتة . فاندفع هيكل البيت المشتعل في الهواء ضمن سحابة من الدخان مثل نافورة هائلة من الشرر .

« اشتعل الريف المبيض في الثلج ، متلألئا مثل قماش من الفضة مضرج بحمرة خفيفة

« على البعد انطلق صوت ناقوس يدق .

« ظلت الأم (سافيج) العجوز واقفة أمام بيتها المحترق ، مسلحة ببندقيتها ، بندقية ابنها ، خشية أن يفلح أحد الرجال الأربعة في الهرب .

« وعندما أيقنت بأن الأمر قد انتهى ، ألقت بالسلاح في النار ، فدوى انفجار .

« هرع الناس في المنطقة ، فلاحين وبروسيين .

« وجدوا المرأة جالسة على جذع شجرة ، هادئة قريرة الفؤاد .

« سألها ضابط ألماني يجيد الفرنسية مثل أهلها قائلا : (أين جنودك؟) .

مدت ذراعها النحيلة باتجاه الكومة الحمراء من النار المحتضرة ، وأجابت بصوت جهير (هناك) احتشدوا من حولها . وسأل (البروسي) : (كيف اندلعت النار ؟) .

« قالت : (أنا أشعلتها) .

« لم يصدقوها ، وقد ظنوا أن الكارثة أودت بعقلها على حين غرة . وهكذا انطلقت ، حين التف الجميع حولها ليستمعوا اليها ، تروي القصة من أولها الى آخرها ، من حين وصول الرسالة .. الى الصرخات الأخيرة للجنود الذين احترقوا مع بيتها . لم تدع شاردة ولا واردة مما شعرت به أو مما فعلته .

« وعندما فرغت ، أخرجت قطعتين من الورق من جيبها ، ولكي تفرق بينهما لبست عويناتها من جديد . ثم قالت وهي تعرض احداهما : (هذه موت « فكتور ») .

« ثم أضافت ، وهي تعرض الأخرى ، وتومىء برأسها نحو الحطام الأحمر : (وهذه .. أسماؤهم ، كي تتمكنوا من تبليغ عائلاتهم) .

« وبهدوء ناولت الورقة البيضاء للضابط ، الذي كان قابضا عليها من كتفيها ، وهي تقول متابعة : (عليك أن تكتب لتروي ما حدث ، وتخبر والديهم أنني أنا التي فعلت ذلك .. أنا « فكتوريا سيمون » .. الهمجية .. ! لا تنس) .

« صرخ الضابط يلقي بعض الأوامر بالألمانية . فقبض عليها ودفعت الى جدران المنزل ، التي كانت ما تزال دافئة . ثم اصطف اثنا عشر رجلا على عجل في مواجهتها ، على بعد عشرين باردة . ولم تتزحزح . لقد أدركت الأمر ، فانتصبت هنالك تنتظر .

« وصدر أمر .. تبعه على الفور وابل من الرصاص . ثم انطلقت الطلقة الأخيرة من الضابط تتبع الأخريات .

« لم تسقط العجوز ، بل خارت وكأن ساقيها قطعتا بفأس حادة .

« تقدم الضابط (البروسي) منها . لقد انشطرت بالفعل الى جزأين . وفي يدها كانت تتشبث برسالتها غارقة في الدم » .

أضاف صديقي (سيرفال) : « وكان من قبيل الانتقام والأخذ بالثأر ، أن الألمان دمروا القصر المحل الذي يعود في ملكيته الي » .

ومن ناحيتي كنت أفكر بأمهات الأولاد الأربعة المهذبين الذين احترقوا هناك ، وبالبطولة الرهيبة للأم الأخرى ، التي أعدمت عند ذلك الجدار .

ثم التقطت حجرا صغيرا ، ما زال مسخّنا بفعل الحريق . ○

الأَنانيَّة والأَثَرَة

من الكلمات الطوافة اليوم في مجتمعاتنا المتعلمة والجاهلة كلمة « اناني » و « انانية » فيقال « هو اناني » ، « وهي انانية » بمعنى حبه لنفسه ، او كثرة فخره بها وحديثه عنها . « انا قلت »و « انا فعلت » و « انا رأيت » .

والكلمتان « اناني » للمذكر » و « انانية » للمؤنث صفتان منسوبتان الى الضمير « انا »الذى يكثر المرء ترديده مفتخرا في الغالب ، وحين يقال انانية فلان او فلانة واضحة فإن « انانية » هنا مصدر صناعي . ومن هنا يبدو ان قاعدة النسب وقاعدة المصدر الصناعي تسيران في طريق واحدة .

فهل هذه الكلمات فصيحة ؟ وما المعنى الذى يمكن ان تؤديه ، ولاتؤديه كلمة عربية سواها فيجعلها لازمة ؟

هذه الكلمات جديدة على لغتنا في هذا العصر ، ولذلك يتأملها اللغويون ليعرفوا حظها من الفصاحة ، ويبادر بعضهم فيخطئونها البتة ، ولايحاولون ان يجدوا لها فائدة جديدة للغة ، وحجهتم أن أنا ضمير ، وأن العرب لا تنسب إلى الضمير قياسا ولاشذوذا وأنها اذا نسبت الى اسم بهذا الوزن قلبت الفه المقصورة واوا عند النسب ، فيقولون مثلا « طحا وطحوى » ، كما يرى المنكرون أن الكلمة التى تحل محل « اناني »هي اثر (بفتح فكسر) للمذكر وأثرة للمؤنث والمصدر « اثرة » (بفتحتين) بمعنى حبه لنفسه وعدم المبالاة بالأخرين . والمصدر « الاثرة » ضده « الايثار » ومنه قوله تعالى في وصف الانصار حين قاسموا المهاجرين اموالهم « ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة » (اى ولو كان الانصار فقراء) .

ونسى هؤلاء المنكرون ان العرب في النسب وغيره يعتبرون أى كلمة او صوت اسما اذا اسندوا اليه صفة او نحوها ، فمثلا اذا قلت « هل استفهامية » اعربت « هل » مبتدأ كأى اسم في هذا الموضع مع أنها حرف اصلا ، ومن ذلك قول شاعرهم في « لو » الشرطية وهي حرف فعاملها معاملة الاسم الظاهر .

ألام على « لوٌ » ولو كنت عالما
بأعقاب « لوٌ » لم تفتني أوائله

ومن ذلك ما وصف به شيخ عربي نفسه متوجعا لحاله ، ونحن نعرف ان من عادة الشيوخ في شيخوختهم انه اذا تحدث احدهم بذكرياته يقول « كنت » فقال الشيخ العربي :

فأصبحت كنتيًا وأصبحت عاجنا
وشر خصال المرء « كنتُ » وعاجن

فقد نسب الى كلمة « كنت » التى يرددها وهو يستعيد ذكريات قوته متعزيا بالماضى البهيج عن الحاضر الكئيب

ويلاحظ ان اسلافنا قد شعروا بالحاجة الى مثل هذا التصرف وغيره في اللغة في ايام الترجمة عن اللغات الاخرى منذ اواخر العصر الاموى ، وزاد ذلك ايام العباسيين ، فتصرفوا في سعة ، وكثرت امثلة ذلك في لغتنا بما لم يعرفه الاسلاف ، فنسبوا الى الحرف والى الفعل والى الضمير والى الظرف فقيل « إنية » نسبة الى « ان » التوكيدية « وادرية » نسبة الى الفعل « أدرى » ، و« هوية » للضمير « هو » . و« معية » للظرف « مع » وحاجتنا اليوم الى مثل هذه التصرفات اشد اضعافا ، فان الغرب يرمينا على التوالى بطوفان من المصطلحات الجديدة .

ثم ان العرب نسبوا الى الثلاثي المقصور الذى يشبه « أنا » في وزنه عروضيا ، مثل « طحا » فقالوا طحاوى ومثاله الامام الطحاوى (ت ٣٢١) شيخ الاحناف بمصر ، ومثل « سخا » فقالوا « سخاوى » ومثاله الامام السخاوى (ت ٩٠٢) مؤرخ ومحدث وفقيه مصرى ، ومثل « قنا » فقالواء قناوى » ومثاله الشيخ عبدالرحيم القناوى الصوفي المصرى ، ولم يقولوا طحوى ، ولا سخوى ولاقنوى ، وان كانوا قد نسبوه الى « نوى » في الشام فقالوا « نووى » ومثاله الامام النووى محدث الشام (ت ٧٧٦)

ويلاحظ ايضا ان العرب لم يأتوا في النسب بحرف مزيد او بديل كما اتوا بالواو» والنون اوسع استعمالا ، ولو في غير حاجة ظاهرة .

ومن أمثلة الواو : امية واموى ، وسنة وسنوي ، وشاة وشاوى واما امثلة النون في النسب وحدها (كما في انانية) فهي تزيد على مئات مثل : صنعاء وصنعاني ، بهراء وبهراني ،هند وهندواني ، منبج ومنبجاني ، انبج وانبجاني ، قنبرة وقنبراني . باقلاء وباقلاني ، صيدلة وصيدلاني ، فوق وفوقاني ، لحية ولحياني ، رقبة ورقباني ، شعر وشعراني ، منظر ومنظراني ، وهكذا تحتاني وجواني وبراني ، وطرآني (طارىء) ، فا كهاني .

وشبيه به مايجرى اليوم بيننا ، مثل : عقل وعقلاني ، علم وعلماني ، وفكر وفكراني

وزاد العرب النون في بعض الصفات كأنها نسب ، فقيل : غضبان وفرحان وجوعان وشبعان ، وفي مثل : عثمان ، شعبان ، نعمان ، سلطان وفي مثل : سعدون ، خلدون ، حسنون ، شقرون ، شيخون . وفي بعض المصادر ، مثل : غفران ، شكران ، قرآن ، فرقان . وفي آخر بعض جموع التكسير ، مثل ثوبان ، غربان ، غيلان ، جرذان ، عذلان

بل زادوها في آخر بعض الافعال ، مثل : سلطن ، برهن ، حلقن ، شيطن

وقالوا : امرأة سُمْعَنَة ، نُظْرنَه ، اى كثيرة الاستماع والنظر متطفلة

وقالوا في العرض : العِرَضْنَة ، وصف حال الخيل حين تسير بجانبها عرضا .

فاذا نسب الى « أنا » فقيل أناني وانانية لم يكن في ذلك بأس ولا غرابة ، ولو من باب التوسع ، ثم نسأل : هل تغنى كلمة« الأثرة »عن كلمة « الانانية » ؟

وقبل الجواب نسأل : هل في الدنيا انسان او حيوان لايحب نفسه ؟ كل حى يحب نفسه لاشك ؟ ومن اجل ذلك يسعى في مصلحة نفسه ويحافظ عليها ويدفع عنها الاذى بما تيسر له من الوسائل .

غير ان هذا الحب في الانسان قد يعطل احساسه بالواجب الأخلاقي او الطبيعي ، فلا يبالي ان يهدد مصالح الآخرين لتحقيق مصالحه صغيرة او كبيرة ، او لمجرد اللهو ، او الحقد ، لفساد طبيعته وضميره ، وهذه هي الأثرة .

ولكن هذا الحب ايضا قد يحمل صاحبه على ايثار سواه ، ولو ضحى بنفسه على قدر احساسه بالواجب الاخلاقي او الطبيعي ، ومن هنا ترى معظم الحيوانات تتعرض للتضحية بنفسها في سبيل اولادها والحيوانات الاجتماعية تتعرض للتضحية بنفسها في سبيل قطيعها .

واما الانسان فيعرض نفسه للتضحية في مثل ذلك وفي سبيل المبادىء التي يدين بها كالدين والوطنية ، او في سبيل شرفه اتقاء للعار ، وقد احسن اسلافنا حين قالوا : دخول النار أهون من ركوب العار ، ويقول شاعرنا المتنبي

« والعار مضّاض ، وليس بخائف
من حتفه من خاف مما قيلا »

ولو تأمل هؤلاء اللغويون نفس الانسان وتبدل أحوالها وحوافزها الى السعي والعمل لما فاتهم ذلك ، وقد اهتدى المتنبي بحكم شاعريته وتأمله احوال النفوس البشرية ، اهتدى الى حقيقة حب كل انسان لنفسه وأنه باعث أعماله ، وقد يتضارب تصرف إنسان وتصرف آخر فقال :

أرى كلنا يبغي الحياةَ لنفسه
حريصا عليهَا مستهاما بها صبًا
فحُب الجبانِ النفْسَ اورده البقا
وحب الشجاعِ النفسَ اورده الحربا
ويختلف الرزقان والفعل واحد
الى ان ترى إحسان هذا لذا ذنبا

فالأنانية طبيعية فطرية بمعنى حب الانسان لنفسه سواء كان أثرا أوإيثاريا وكلمة « انكار الذات » فارغة ، فان الذات لاتنكر حتى عند المنتحر .

وفي بعض اللغات الغربية كلمة **Ego** بمعنى « انا » ولكنهم قد ميزوا بين نسبتين اليها فقالوا**Egoism**بمعنى الانانية كما شرحناه هنا ، وقالوا ايضا**Egotism** بمعنى « الاثرة » ، وصاحبها « أثر » وهناك مذهب اخلاقي يرى ان حب الانسان نفسه هو اساس الاخلاق ، ولهذا يسمى المذهب الأخلاقي الأناني **Egoist** ومن هنا نعرف ان كلمة « انانية » تؤدى معنى لاتؤديه كلمة الاثرة ، فالرجل الأناني من يقول بهذا المذهب وإن كان قمة في الايثار ، وأما الرجل الأثر فهو سيىء الخلق لضعف ضميره وبارك الله فيمن ادخلوا هذه الكلمة لغتنا لتؤدى هذا المعنى .

كرة القدم كظاهرة اجتماعية

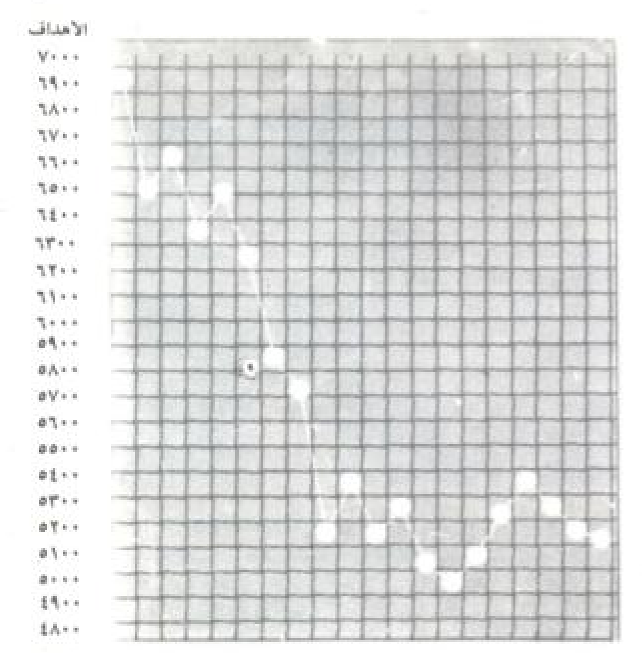


لماذا غزت كرة القدم العالم ؟

بقلم : عبد النبي الجحمي

في مختلف العصور ، مارس الانسان اللعب بكرة ما . لكن التاريخ الرسمي لولادة كرة القدم يبقى شهر ديسمبر سنة ١٨٦٣ م ، ببريطانيا ، ولعبة أو رياضة كرة القدم ليست قصرا على أحد . انها ممكنة للجميع ، للاذكياء والاغبياء ، للمثقفين والجهلة ، للعلماء والاميين ، كل ما يلزم هو الحذاء المناسب . . . بل وحتى دون الحذاء ، فبامكان الجميع . . . ممارستها .

● لا تخلو مباراة من لحظات عنف مشابهة .



● الباحث الانجليزي ديسموند موريس الذي يدرس الكرة كظاهرة ـ اجتماعية في كافة اوجهها لاحظ ان تسجيل الاهداف في بطولة المباريات عند المحترفين في بلاده ينقص كل عام .

(٧٠٠٠) هدف في سنة ١٩٦٠ م و ٥٣٠٠ في سنة ١٩٦٩ م و (٥٠٠٠) في سنة ١٩٧٩ هذا التنازل في نظره دليل على تحسن مستوى لاعبي خط الدفاع . واعتماد الفرق تكتيك الدفاع اكثر من الهجوم .

في شهر يوليو من العام الماضي ، جلس اكثر من مليار ونصف من البشر أمام شاشاتهم الصغيرة ، موقفين كافة نشاطاتهم الحياتية . لمشاهدة الدورة الثانية عشرة لبطولة كأس العالم . اما في مدريد العاصمة الاسبانية ، وفي ستاد سانتياجو بيرنابو فان ٩٠٠٨٩ آخرين من المشاهدين المحظوظين شاهدوا شخصياً افتتاح البطولة بفضل حجزهم مقدما ولعدة اشهر أو سنوات تذكرة الدخول .

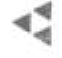
لكن ما هي مبررات نجاح هذه الرياضة ؟ وحب كل الشعوب وممارستها لها ؟ ! والاجابات ليست بالبساطة التي نظنها . بالاضافة الى أن كل اجابة ليست كافية في حد ذاتها لتبرير هذه الشعبية الفائقة . وإذا تجاهلنا تحليلات الهواة المتغالين والصحافيين المتخصصين . فإن تحليل علماء الاجتماع بسيط جداً ويتلخص في أنه إذا كانت كرة القدم عاملا للشغف عند الجميع ، فذلك لكونها عامل (اثارة) وان قوتها تتعدى بكثير حدودها كرياضة .

ولفهم هذه الظاهرة المعدية ـ ، فلا يكفي ان نحلل اللعبة في شكلها الحالي بل ان نقلب تاريخها بحثا عن أصلها .

أول آثار لعب الكرة يعود بنا خلفا لآلاف السنين .

ادعت احدى صحف هونج كونج الصادرة سنة ١٩٧٦ . أن أصل اللعبة يعود الى الصينيين في عهد (ين ـYin) أي حوالي (٣٥٠٠) سنة قبل الميلاد . أما هوميروس في الأوديسه فيصف (كرة جميلة مشعة) في حين أننا نجد على إحدى المسلات الجنائزية التي يعود تاريخها الى القرن الخامس قبل الميلاد وفي متحف اثينا الوطني رسماً لشاب ، يرفع رجله اليسرى حيث يستقر على قدمه اليمنى بتوازن واضح .

وكانت اللعبة تتمثل في ذلك الوقت في مجرد عملية قذف الكرة لابعد مسافة ممكنة . توارثها الرومان بعدها لتشكل من خلالها لعبة أخرى تسمى في اللغة اللاتينية HAR-PASTUM وفيها يمكن ايقاف الكره وحملها واحتضانها . وفي القرون الوسطى انتقلت اللعبة الى قرى شمال غرب اوربا ـ مقاطعة بريتانيا الفرنسية الآن ـ تحت اسم السول (SOULE) وأخذت شكلا وحشيا وعنيفا حيث كان يتوجب على القرويين جلب جراء مليء بالهواء يرمز للشمس المخصبة الى قريتهم من القرى المجاورة بكافة الوسائل الممكنة . أما سكان البندقية في القرن السادس عشر فقد كانوا يقضون أوقاتاً ممتعة في ممارسة لعبة (الكالشو) (CALCIO) والى الآن تسمى لعبة كرة القدم في تلك المناطق بنفس الاسم . ولا ننسى ان نلمح أن خريطة إيطاليا نفسها تشبه قدما تضرب كره ، هي جزيرة صقية (!!)





قانون « الكالشو »

تتشابه لعبة (الكالشو) كثيراً مع الألعاب الجماعية الحديثة . فالملعب مستطيل الشكل بالاضافة الى وجود فريقين متساويي العدد (كان عدد لاعبي كل فريق في ذلك الوقت ٢٧ لاعباً) . وكان الظهور على أرضية الملعب حسب ترتيب متعارف عليه (المهاجمون ثم لاعبو الوسط ثم لاعبو الخط الثالث والمدافعون) بالاضافة الى أن قانون لعبة (الكالشو) يقلب تماماً قانون لعبة (السول) . ففي (الكالشو) يتوجب دفع الكرة في ارضية الخصم وليس العكس . وباكبر عدد ممكن . وهذا القانون أو هذه القاعدة للعب لم تزل حتى اليوم هي القاعدة المسيطرة سواء في العاب كرة القدم أو الرجبي أو البيسبول أو كرة اليد أو السلة . . . الخ ، ومع ذلك فان أيا من هذه الالعاب لا يتميز بخاصية كرة القدم الرئيسية وهي عدم استعمال الايدي في اللعبة .

كانت البداية في القرن التاسع عشر في المدارس الانجليزية الارستقراطية جداً ، وفيها فقدت العاب الكرة كثيراً من عنفها في صالح فن اللعبة نفسه وأعطت ، الفين عاماً بعد اليونانيين ، للرياضة قيمة تعليمية . حيث أصبحت روح الفريق مهمة جداً ، لكن اللعبة كانت لم تزل تمارس دون فرق بضرب الكرة سواء بالايدي أو الأقدام . ثم حدث ذات يوم من ايام سنة ١٨٢٣ م في مدينة رجبي RUGBY أن لاعباً اسمه (ويليم اب اليس) انفرد بالكرة واختار عدم تركها وجرى بها حتى وضعها في هدف الخصم .

ومن هنا حدث انقسام ذو فرعين رئيسين في اللعبة ، من ناحية الرجبي RUGBY والسوكار من ناحية أخرى وهو الاسم الذي تعرف به في بريطانيا حتى اليوم -SOC CER ثم FOOTBALL ASSOCIATION ثم آخيراً كرة القدم . ووضعت القوانين النهائية للعبة في

اطلاق الكرة بضربة معينة . يجعلها تجتاز الحائط البشري لتستقر في الهدف .



ضرب الكرة بهذه الطريقة يجعلها تدور حول مركزها مغيرة اتجاها .

ديسمبر ١٨٦٣ م على أساس القوانين الاولى التي تم تحديدها في كمبردج في شهر اكتوبر من سنة ١٨٤٨ م ولم تعدل أو تتغير القوانين الأربعة عشر منذ ذلك العهد تغيراً كبيراً . بل أضيفت اليها ثلاثة قوانين أخرى . بحيث أصبح عدد القوانين التي تنظم اللعبة سبعة عشر تتولى عملية متابعتها بدقة منظمة دولية متخصصة .

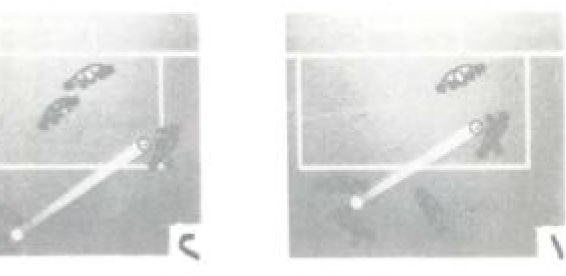
. . كرة القدم اليوم

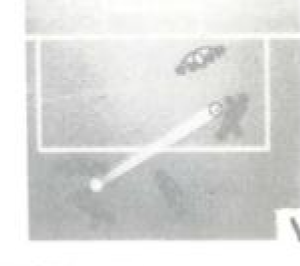
تحدد هذه القوانين قياسات الملاعب (سواء ما بين ٤٥ و ٩٠ متراً للعرض و ٩٠ و ١٢٠ متراً للطول) وقياسات الهدف أو المرمى (٢،٤٤×٧،٣٢ مترا) وطول محيط الكرة ذاتها (يتراوح ما بين ٦٨ و ٧١ سنتيمترا) ووزنها (ما بين ٣٩٦و ٤٥٣ جراما) ثم عدد اللاعبين (عشرة لاعبين وحارس للمرمى ، وهو الوحيد الذي يحق له ان يستعمل يديه في اللعبة) ثم مدة اللعب (على فترتين طول كل واحدة منها ٤٥ دقيقة) ثم تحديد ظروف صلاحية الأهداف من عدمه ثم تعريف الفريق المنتصر (وهو الفريق الذي يسجل أكبر عدد من الاهداف) ثم الأخطاء وعقوباتها .

يبقى التغيير المهم الوحيد الذي طرأ في مئة سنة وهو المتعلق بتعريف التسلل . حيث يعود تاريخه الى سنة ١٩٢٥ !

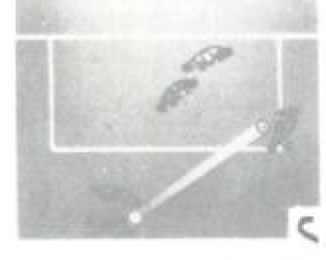
لربما كان الاعتقاد بان تحريم استعمال اليد في اللعبة قد

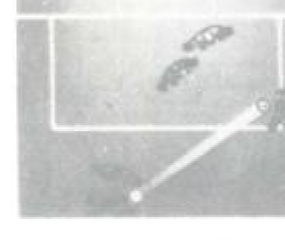
يعتبر اللاعب متسللاً في حالة وجوده في خط المرمى قبل الكرة . الا اذا كان موجوداً في منطقة قريبة حيث يوجد خصمان على الاقل اكثر قرباً منه من خط مرماهما) ودون هذا القانون لا صبحت الطريقة الاكثر فاعلية هي تزاحم اللاعبين المهاجمين امام مرمى الخصم . بحيث تفقد اللعبة كل تكتيكها .





تسلل واضح





لا تسلل . لوجود خصمين متقاربين في خط المرمى

٣

لا تسلل . فالكرة اسبق من اللاعب .

حدد أو قلل من عدد ممارسيها ومشاهديها . وذلك لم يحدث لحسن الحظ . بل على العكس . ففي وسط القرن التاسع عشر ولد المجتمع الصناعي الذي أرغم عدداً كبيراً من الناس على الاستعمال الآلي لقدراتهم على العمل - اي ان العامل كان يستعمل يديه في المصنع بطريقة آلية - حارما اياهم من كل النشاطات الخلاقة الأخرى . وعليه فقد وجد الآلاف في لعبة كرة القدم الجديدة التنظيم الجماعي الذي يعكس صورة من صور حياتهم وفي نفس الوقت يعطي قيمة إضافية بل وثقافية لاستخدامات الاطراف التي لا تستعمل في العمل خلف آلة المصنع . . أي الارجل .

وليس غريباً أن تكسر اللعبة الفروق الطبقية في المجتمع الصناعي الانجليزي الجديد . وان تتخلى عن تقاليد المدارس الأرستقراطية لتصبح اللعبة الشعبية الأولى . وليس صدفة أن يكون خروج معظم اللاعبين الكبار - حتى في ايامنا هذه - من الطبقات الأقل يسراً في التركيبة الاجتماعية واقرب الامثلة على ذلك هو (الملك بيليه) و (كويا) والهولندي (كرويجف) والارجنتيني (مارادونا) وكثيرون غيرهم .

قال كليمنت أتلي زعيم حزب العمال الأسبق قبل بدء الانتخابات البريطانية بعد نهاية الحرب العالمية الثانية : « إنني ذاهب لاشترك في أعنف مباراة جرت في بريطانيا لكرة القدم ! » وفاز أتلي وهزم تشرشل الذي كسب الحرب لبلاده !

بريطانيا تصدر الكرة

في نفس الوقت الذي صدرت فيه بريطانيا نتاج صناعتها المزدهرة ، صدرت ايضا هذه الرياضة الى العالم باسره . وكان من الطبيعي أن تمارس هذه اللعبة بعدها في البلدان المجاورة كبلجيكا وهولندا وفرنسا ثم ، واثناء فترة الاحتلال ، في الهند والعالم العربي وبلدان أمريكا اللاتينية ثم استراليا والنرويج مروراً بهنغاريا وأفريقيا . حتى تم تنظيم بطولة كأس العالم للمرة الأولى سنة ١٩٣٠ م .

يضم اليوم الاتحاد الدولي لكرة القدم ١٧٠ بلداً عضوا صغيراً وكبيراً . ابتداء من البلدان الصناعية وانتهاء بالمقاطعات الصغيرة كالشتنشاين الواقعة على حدود النمسا مرورا بكافة البلدان العربية وبعض البلدان الصغيرة الأخرى مثل سريلانكا وغينيا الجديدة وبرتوريكو . ويستثنى من البلدان الصناعية الولايات المتحدة الامريكية التي لم تنجح فيها اللعبة نجاحاً كافياً رغم تكون أقوى فريق كرة قدم في العالم حديثا . وهو فريق (كوزموس) الذي يضم في صف لاعبيه خيرة ما أنتجته ملاعب العالم باسره .

ويمكننا أن نحسب اليوم ٢٥ مليون لاعب مسجل رسمياً بالاتحاد الدولي لكرة القدم ، عدا الملايين الاخرى من اللاعبين الذين يمارسون هذه الرياضة في الشوارع أو الساحات أو الحدائق العامة او في ملاعب المدارس والجامعات .

وقوانين الكرة لم تكن ابدا حائلا لتنوع اسلوب ممارستها . فلكل شعب من الشعوب طريقته الخاصة في لعبها ، لأنه من المستحيل ان تتشابه اساليب اللعب تحت شمس شبه الجزيرة العربية الحارقة وفي بعض البلدان التي يستمر فيها فصل الشتاء ستة أشهر كاملة . أو في البرازيل حيث لا يحدث ، إلّا نادراً ، ان تهبط درجة الحرارة الى أقل من عشرين درجة . لذلك نجد ان اسلوب اللعب في البرازيل مثلا يعتمد على انه (يتوجب على « الكرة » أن تجري بعيداً عن اللاعب) في حين ان اسلوب اللعب في دول شمال اوربا هو الالتصاق الكامل بالكرة . اما في بريطانيا فتمارس اللعبة بانفتاح وعنف ، ربما حفاظاً على تقاليدها البدائية ، لكنها تشتهر في المانيا بقوتها وفي دول أمريكا اللاتينية بفنها ، كذلك ببطئها واناقتها .

واذا كانت الكرة قد استطاعت غزو العالم بأسره ، فذلك لأنها في امكانية الجمع ، في مكان وفي أي وقت . وايضا لانها رمز . لربما كانت في البداية (البدائية) رمزاً باستدارتها لرأس العدو المقطوع . او رمزا للشمس/ الاله . . من الصعب أن نحدد . لكنها كانت وما زالت بالنسبة للاعبيها . مادة أساسية يتوجب امتلاكها والسيطرة عليها لانها تمثل قوة الوحدة عند الفريق يتمكنه من التحكم فيها في نفس الوقت الذي تمثل فيه ضعف الخصم . بل وانهزامه بوضعها في مرماه .

حرب صغيرة

وصف اللاعب الدولي السابق (ريموند دومنيك) المشهور جداً بعنفه البالغ على ارض الملعب لعبة كرة القدم بقوله : (كرة القدم هي مجرد حرب صغيرة) . واذا تفحصنا الجملة قليلا نجد انه لم يخطىء كثيرا . فمباراة كرة القدم حرب صغيرة فعلا ، يخرج فيها المنتصر فخوراً . والخاسر مطأطأ الرأس .

المدربون يرسمون الخطط قبل بداية المباراة لتطبق فيما بعد على أرض الملعب لذلك هم يعدون طرق التكتيك والاستراتيجيات قبل خوض المباراة والمدربون يأمرون لاعبيهم بالتصرف على ارض الملعب كالجنود .

ثم على أرض الملعب ذاته تطبق تعليمات معينة ويطلب من كل لاعب ان يعطي كل ما بامكانه إعطاءه كي ينتصر الفريق ثم بعد هذا اليست اللعبة في حد ذاتها تطبيقا لعمليتي الهجوم والدفاع ؟ ! وأثناء المباراة نرى المناورات لجس نبض الخصم ومعرفة نقاط ضعفه كما تدرس طرق لعب الفريق المضاد دراسة دقيقة مسبقا وقبل اللعب معه .

فهي اذن حرب . . ولكن الخاسر فيها يخرج منها دائماً قانعاً راضياً ، فلا مجال هنا للانتقام ، الا في مباراة أخرى يستعيد من خلالها كرامته .

ولكن يحدث أحياناً ان تتحول اللعبة من مجرد رمز لحرب صغيرة الى حرب حقيقية . ففي سنة ١٩٦٩ م ، وبعد أن خسرت السلفادور مباراتها مع الهندوراس بهدفين مقابل ثلاثة اهداف . كانت الخسارة مبررا كافيا لاعلان حرب لا ثمرة من ورائها بين البلدين وقد كلفت الحياة لاكثر من ثلاثة آلاف من البشر .

وهي أيضا - بالاضافة الى كونها رياضة واستعراضا - تأخذ ابعاد ديانة جديدة بكل قسيسيها وطقوسها وقد يسبيها ومعابدها . فاستاد (ويمبلي) بلندن الذي يحوي مئة الف مقعد معروف عالميا عند كل اللاعبين كمعبد لكرة القدم - . واستعمال الطقوس السحرية !! ليس مجهولا لكل المطلعين على كواليس اللعبة . وكل اللاعبين البرازيليين يرسمون علامة الصليب عند دخولهم أرض الملعب وحتى لمجرد تمرين عادي لاأهمية له . ولاعب الوسط/ . الهداف الارجنتيني (كارلوس بيانكي) يقبل الكرة كل مرة قبل قذفها . أما دخول اللاعبين الملعب ، فيتم حسب طقوس معينة . . بل ان بعض اللاعبين لا يقومون بحلاقة وجوههم في اليوم السابق للمباراة لان ذلك جالب للطالع السيء ! وفي الكميرون ، نجد افراد بعض الفرق يفضلون تسلق حائط الملعب بكل مخاطره على

● نشوة تسجيل الهدف





● بامكان الجميع ممارسة كرة القدم لقطة لاحدى المباريات النسائية في ريودي جنيرو

المرور من الباب المسحور .. ربما رسم كل ذلك ابتسامة ساخرة ، لكنّ كل ماذكر حقائق واقعة .

دور جمهور المشاهدين

ولا يقتصر دور الجمهور في مباريات الكرة على مجرد المشاهدة . إنه مكمل وضروري للمباراة نفسها . ولعله لا يقل أهمية عن دور أعضاء الفريق اللاعب . إن الجمهور يلعب في هذه « المسرحية » دورا رئيسيا لا يقل أهمية عن دور البطل . وكثيرا ما يذكر جو الملاعب وحماس الجماهير للمباراة بعودة البالغين أطفالاً في مسرح للعرائس . وقد أدرك مدرب فريق سانت ايتين الفرنسي الشهير هذه النقطة إدراكاً جيداً ولذلك لم يتوان على أن يصرخ من خلال مكبرات الصوت ، مخاطبا الجمهور بقوله قبل إحدى المباريات الهامة : « اليوم . انتم العضو الثاني عشر للفريق » . مما حول أرضية الملعب الى جحيم لا يطاق للفريق المضاد .

لكن أشهر جماهير كرة القدم يظل ـ دون شك ـ جمهور الفرق الانجليزية ، ليس لانه ـ فقط ـ اكثر الجماهير حماسا ، بل لانه جمهور مخلص ومنظم يتبع فريقه في كل مبارياته في الداخل والخارج مفرقا كل حماسه قبل وبعد المباراة في كؤوس ا،جعة حتى الثمالة ، رافعا الاعلام المزينة بالوان الفريق ، غير مكتف بالصراخ على أرضية الملعب ، بل في كل شوار ع المدينة .... ولا يجوز ان ننسى جمهور إيطاليا اللذي احتفل بفوز فريقه ببطولة كأس العالم بصورة لم يسبق لها مثيل . حيث لم تنم خلال تلك الليلة مدينة واحدة من كل مدن إيطاليا .

لكن . ورغم كون الكرة ـ غالبا ـ مكانا جيدا للحماس البالغ والاثارة الشديدة . ورغم تشبيهها بالحرب الصغيرة . إلا ان ذلك لم يمنع الانسان الحديث من ان يعبر من خلالها عن موهبته بل وفنه .

لا ننسى ان نقول كلمة عن المعلقين المتخصصين بشؤون الكرة وعن صحافتها التي تتبارى في اصطناع المصطلحات التي تصف اللاعبين وطرق لعبهم : بالقدرة ، وبالرشاقة والتقنية .. والقوة واتضاح الرؤية ، وبعد الرؤية ، وضبط الاعصاب ، وروح الفريق ، والذكاء ، والعبقرية ... ودون هذه الاصطلاحات ، فان اللعبة تفقد نجاحها وكونها وسيلة جيدة للتنفيس عن العنف الرابض في العقل الباطن لكل واحد منا . لاننا في الواقع في حاجة الى اظهاره . وبصورة لا تضر أحدا .

●

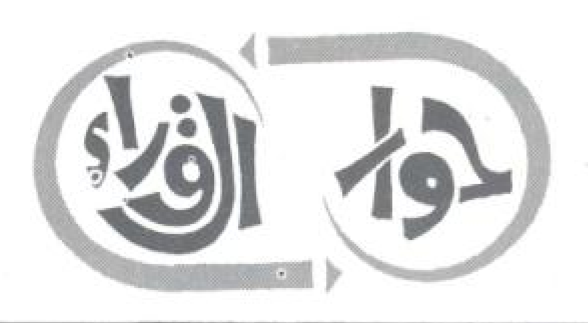
ولان العالم يجلس ـ بفضل الشاشة الصغيرة ـ مرة كل اربع سنوات دون حراك . متخلياً عن همومه ، وواضعا مشاغله على الرف . حين يتابع مباريات كأس العالم في نفس الوقت الذي تجري فيه ، متناسيا مشاكل الجوع في العالم وتهديدات الحرب النووية وازمة الطاقة والازمة الاقتصادية العالمية ومعظم مشاكله السياسية . فان قليلين جدا من البشر ينظرون الى الامر كله بطريقة أخرى ... مربحه ..

لان كأس العالم في نفس الوقت عملية مجلبة لملايين الملايين من الدولارات .. فالملصقات التى تزين جوانب الملاعب ليست مجانية . ونقل المباريات بواسطة الاذاعات المرئية ليست (ببلاش) والدخول لحضور المباريات ليس دون مقابل .. الخ .

وحتى اللاعبين ، لا يعطون كل عطاءاتهم حباً للعبة فقط ـ وبالذات اللاعبين الدوليين ـ لانهم يتقاضون ـ في حالتي الفوز والخسارة ـ مبالغ خيالية تحصى بالملايين . وهي أخيرا فرصة للاعبين المبتدئين ليظهروا من خلالها كل إمكانياتهم ، لتلاحظهم الفرق الكبيرة و . تشتريهم .. الم يدفع الـ (كوزموس)اكثر من مليون دولار ثمنا لـ (بيليه) !!!

○

باريس : عبد النبي الجحمي



منع الحمل

● قرأت في العدد (٢٨٥) من العربي الصادر في أغسطس مقالا فيه رد للدكتور حسان حتحوت ، فيما يختص بأمور منع الحمل ، اذ أن المنع لدى المرأة بطريقة أو أخرى حرام وهنا أدلة تثبت صحة ذلك وهي :

أولا ـ ان منع الحمل يعني انقطاع نسل الانسان فلا أحد يعلم بأن المولود سيكون خيرا لهم في دنياهم أم شرا عليهم .

ثانيا ـ قوله تعالى « ان الله يرزق من يشاء بغير حساب » فلا أحد يعلم بالأرزاق غير الله سبحانه وتعالى ، أما سكان العالم وازديادهم في الأرض فليس المشكلة الحقيقية ولكن الحقيقة التي نجهلها انه لا يوجد توازن وعدالة في عالمنا الكبير ، اذ أن هناك الملايين من البشر في الدول النامية لا يحصلون على الغذاء الكافي ، وهناك فائض كبير في الانتاج الزراعي في بعض الدول الرأسمالية ، وهذا يعني عدم التوازن فيما بين الدول .

مصطفى أنور الفاضل
عدن ـ اليمن الديمقراطي

الانسان والجمل والجبل

● كتب الدكتور عبد المحسن صالح ، مقالا علميا بعنوان .. « النجوم أيضا تنتحر وتموت » وذلك في العدد (٢٨٦) حيث جاء بالعبارة الآتية ، والانسان والجمل والجبل أو أية مادة أرضية أخرى ليست في الواقع الا ذرات .

وهذه العبارة ليست صحيحة كليا ، صحيح أن الجبل في تركيبه الدقيق يتكون من مجموعة لا تحصى من الذرات ، أما بالنسبة للانسان والجمل فان التركيب الدقيق لأي منها عبارة عن مجموعة كبيرة من الخلايا الحية المختلفة والتي يكون بعضها مع بعض مجموعة من الأنسجة مثل الأنسجة الضامة والطلائية ، والأنسجة تكون مجموعة من الأجهزة مثل الجهاز التنفسي أو الجهاز الهضمي وبها جميعا يتكامل الجسم .

أي أن أي كائن حي يستحيل تماما أن يتكون جسمه من ذرات ، بل حتى العظام التي يظنها البعض أجساما ميتة تتكون في تركيبها الدقيق من مجموعة خلايا حية وصلبة تسمى بالخلايا العظمية ، أما الذرات فهي أساس تكوين أي مادة غير حية سواء أكانت الأرض وما عليها أو النجوم أو الكواكب .

محمد البلتاجي
بنغازي ـ ليبيا

الجنوب اللبناني

● منطقة جبل عامل ، في الجنوب اللبناني لم تجد منكم أي اهتمام يذكر في أي عدد من مجلتنا العربي ، ولا أعرف ما سبب ذلك ، هل نسيتم انها منطقة عربية ، أم أنكم تخليتم عنها ، وهل أصبح الجنوب اسرائيليا في نظركم ؟ ثم ان مجلة العربي لا تصل الينا تباعا ، ولم نر لها صورة في أي مكتبة .. ولا نعرف اجابة لكل هذه التساؤلات ..

خضر رمال
بيروت ـ لبنان

اعداد
يوسف الشهاب

العربي

الجنوب اللبناني عربي وسوف يبقى كذلك ، واذا كنا لم نتناوله في أي استطلاع فلا يعني ذلك اهمالا منا أو تقاعسا نحوه ، فهناك مناطق عديدة في الوطن العربي لم نستطلعها حتى الآن . وأما بخصوص وجود مجلة العربي بالمكتبات اللبنانية فان الأوضاع الراهنة وقفت عائقا في توزيعها عندكم . .

القضية الفلسطينية

● تناولت المسلسلات التليفزيونية مواضيع كثيرة كالحب والثأر والسياسة وغيرها ، ولكننا لم نشاهد وللأسف أي مسلسل يخدم القضية العربية الفلسطينية حتى يعرف المستمع والمشاهد العربي على الأقل قضيته العربية من وعد بلفور الى الوقت الحاضر .

وهناك الكثير من العرب خاصة الأميين لا يعرفون بالضبط كيف تم سلب الأرض الفلسطينية من العرب وكيف تم التلاعب والخيانة وكيف كان دور الاستعمار الانجليزي في فلسطين . .

فيصل عبد السلام
جامعة الاسكندرية ـ مصر العربية

العربي

ما قاله القارىء لا يختلف عليه اثنان ، ونحن نتمنى كما يتمنى هو أن نرى مسلسلا يروي أحداث قضيتنا منذ بدايتها . .

صور عن الكويت

● . . . حيث أن العربي مشعل يضيء الطريق ومنار يستضاء به لما يحمل من أقلام وأفكار ، فان المسؤولية الملقاة على عاتقكم ليست بالأمر الهين ، اذ ما فيه من انتقاء يدل على فكر جيد ، ويعطي صورة صادقة لمن هم وراءها .

اني ممن يحرصون على متابعتها فهي سفير الكويت في الخارج ، لهذا أود أن يتضمن « العربي » بين صفحاته صورة عن الكويت تبرز نشاطها ودورها ، ليطلع القراء على مدى نهضة بلدنا وتقدمها ، وأملي أن تولوا هذه الناحية اهتماما خاصا منكم ، لكي تنقل للعالم صورة حية عن بلدنا ونهضته ، وتكون تاريخا نرجع اليه ويرجع اليه أبناؤنا حين يتصفحونها ، ليروا الآثار الطيبة التي تركتها لهم الأجيال السالفة . .

عبد الرزاق عبد العزيز العسكر
الكويت ـ بنك التسليف والادخار

العربي

حرصت العربي منذ صدورها على نشر استطلاع محلي يسلط الضوء على جانب من أنشطة الكويت ومرافقها المختلفة وهذا هو دورها الكويتي في الخارج وسوف تبقى العربي سائرة في هذا الطريق بعون الله .



لا رحم الله .. أباك

● في عدد أكتوبر ١٩٨٢ ، ورد الحوار الذي دار بين رجل ازدي وبين الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك ، بشأن مظلمة الأزدي الذي وقع في أخطاء نحوية عديدة فاستغرب الخليفة هذه الظاهرة فقال له : « لا رحم الله أباك ، ولا بارك الله فيما ورثت . . » لقد وردت عبارات الأزدي في « العربي » بشكل سليم ومطابق لقواعد النحو ، بينما كان قد وقع في الأخطاء النحوية التي أثارت الخليفة سليمان بعد أن سمع الأزدي يقول .

« ان أبونا قد هلك » وترك « مال كثير » فوثب « أخانا » على مال « أبونا » وامتلكه .

هذا ما قاله أهل اللغة والأدب ومنهم الجاحظ في البيان والتبيين .

عبد الحميد الجميلي
بغداد ـ العراق

العربي

كتبت المجلة كلام الأزدي بأخطائه كما جاء في رسالة القارىء هنا ، ولكن المصحح ـ سامحه الله ـ صححها ، فلم يظهر سبب سخط سليمان على الرجل الأزدي .

البحث العلمي والتقني

● تلقى مؤسسات البحث العلمي والتقني في سوق التداول اللغوي كل يوم مجموعة من المصطلحات والمفردات المستحدثة التي تتمخض عنها البحوث والاكتشافات . وما أسماء المخترعات الحديثة « كالفيديو ـ التلكس » الا غيض من فيضها ، سواء أردنا أم لم ترد فان هذه المصطلحات الأجنبية تغزو لهجاتنا العامية أولا ، ثم تتسلل الى لغتنا الفصحى لأننا نقف مكتوفي الأيدي أمام التعبير عنها بمعانيها المعربة .

ولقد تصدت المجامع اللغوية العربية منذ قيام المجمع اللغوي الأول في القاهرة عام (١٨٩٧) مرورا بمجمع دمشق عام (١٩١٩) ثم مجمع بغداد لمهمة تعريب هذه المصطلحات العلمية والمفردات المستجدة ، وأسهم في هذه الجهود كثير من الجامعات العربية وبعض الشخصيات العلمية بمبادرات فردية . وفي محاولة لترشيد هذه العملية وتنظيمها فقد أنشىء مكتب تنسيق التعريب بالرباط لتظهر عن طريقه جهود العاملين في هذا الميدان في اطار موحد .

وعند التقديم النهائي لمردودات جهود التعريب السابقة على لغتنا الفصحى المتداولة لا بد وأن نشعر بالتقصير الشديد بالقياس الى الأهداف الكبرى المرتجلة ، ولا بد من أن نلمس ان لغتنا العربية ما زالت ملعبا تسرح فيه المفردات الدخيلة والأجنبية وتمرح .

والسؤال ـ ما هي العوامل الكامنة وراء هذا التقصير ؟

ان المشكلة تكمن في أننا لا نستعمل منجزات تلك المؤسسات في ميدان التعريب ، ان الملاحظة المتأنية تؤكد أننا أفرادا ووسائل اعلام وجامعات ومدارس ، لا نستفيد من انتاج مؤسسات التعريب ومن كامل جهودها ، ولا بد من الافتراض بأن غياب القرار السياسي الملزم باستعمال المفردات المعربة هو السبب في عدم شيوعها ودخولها نطاق اللغة العربية الفصحى المتداولة والقرار السياسي الملزم يعني بالتأكيد على وسائل الاعلام والجامعات وادارات المناهج والتأليف بالالتزام بمنجزات مؤسسات التعريب واستعمالها في مقالاتها اليومية .

ان أي تقصير في ميدان تعميم التعريب والالتزام به انما هو اسهام ـ مقصود أو غير مقصود ـ في تشويه لغتنا وربما يعطي الفرصة لأن تنطلق من جديد الأصوات لتقف على ملء كثير من المفردات الأجنبية الدخيلة في لغتنا وتعلن أن هذا هو دليلها المحسوس ان اللغة العربية لا تصلح لمواكبة العصر وعلومه . .

ممدوح محمد خسارة
نجران ـ المملكة السعودية



THE ARAB PREDICAMENT

Arab Political Thought and Practice Since 1967

FOUAD AJAMI

تأليف : الدكتور فؤاد عجمي

عرض : الدكتور أمين العيوطي

يقدم كتاب ، المأزق العربي دراسة للمشكلات السياسية والحضارية التي برزت في الفترة ما بين هزيمة ١٩٦٧ وحرب ١٩٧٣ ، ولاسلوب تفكير القادة السياسيين واستجابتهم للمأزق وكذلك للتناقضات الاجتماعية والسياسية التي خلقها هذان الحدثان .



ويتناول الكتاب هذه الدراسة في ثلاثة اجزاء : الجزء الاول يتناول الجانب الفكرى لازمة ١٩٦٧ في أوساط التقدميين ، وحالة الفوضى السياسية التى سادت الدول العربية ، وتزايد نفوذ الدول المحافظة في السياسة العربية ، ويتناول الجزء الثاني مشكلات مصر واختياراتها بحكم أن مصر تعكس امكانيات التاريخ العربي لطول تجربتها في نظام الدول ، وفي التصنيع ، والتعامل مع الغرب ، والأفكار البرجوازية ، والحروب بحيث اعطت للعالم الثالث كله مكانة في النظام الدولي ويلقي الجزء الثالث الضوء على المتناقضات التى نشأت من الثراء الفجائي الذي أعطى دفعة للأصولية الاسلامية التى تمثل محاولة لاستغلال التراث كوسيلة لمقاومة السلطة والغرب معا .

المثقفون والهزيمة

لم تكد حرب ١٩٦٧ تنتهي حتى نشب صراع حول أسباب الهزيمة وتبلور رأيان : رأى يرى الهزيمة نتيجة لانحرافنا عن الاسلام ، ويضرب مثلا على صحة رأيه بتمسك العدو بدينه ، وينادى بالعودة الى التراث ، ورأى يدعو للانفصال عن الماضي . ويرى الهزيمة نتيجة لاحتكار الدولة للسلطة وحاجتنا الى التكنولوجيا الحديثة ، ويبرر انتصار العدو بديمقراطيته ومدارسه التقنية المختلفة . ورأت قلة من المفكرين أن تفوق العدو انما يرجع الى تنظيمه الاجتماعي . وتقديره لحرية الفرد ، وبعده عن أشكال استبداد الدولة .

يرى الدكتور فؤاد عجمي أن ذلك يشير الى نهاية مرحلة من مراحل السياسة العربية ، وبداية الصراع حول شكل النظام العربي . كانت الهزيمة ادانة لأسلوب كامل من الحياة ، واشارة الى ضرورة تغيير المحتوى السياسي والفكرى في المجتمع العربي ، لهذا أخضع المثقفون التقدميون كل جوانب الحياة العربية للهجوم : الفكر الغيبي ، اللغة العربية ، قدرة الفرد العربي ، وسجل الدول العربية التقدمية . وانتهوا الى أن القادة السياسيين تهاونوا في اقتلاع التقاليد البالية ، وأنهم في الواقع لم يتبنوا سياسة ثورية حقيقية .

والواقع أن السياسة العربية في الخمسينات والستينات كانت سياسة لفظية تستخدم لغة حافلة بالكلمات المجردة ، والاستعارات البراقة ، والتعبيرات الجاهزة ، والجمل الأدبية التى توحي بالقوة وتحقيق انجازات رائعة . لهذا أدان الكثيرون بلاغة الزعماء الجوفاء وحروبهم اللفظية ، وأدانوا المجتمع العربي الذي لا يستخدم اللغة كوسيلة للتعبير وتوصيل الأفكار بل كغاية في حد ذاتها . وهكذا فان تحرير الفرد العربي من أسلوب التفكير العقيم يبدأ من تحريره من سحر اللغة . وفي دراسة على بعض أعمال أساتذة الجامعات والسياسيين في سوريا وجد بسام طيبي أنها ينقصها العمق والدقة العلمية والثورية حيث تجنح الى التأمل الحالم وطرح شعارات لا حد لها . وانتهى الى ضرورة ايجاد لغة حية منفصلة عن الماضي تعبر عن أفكار الجيل الشاب .

يضيف المؤلف أنه تحت هذا النقد كان يكمن الشعور بالحاجة الى مواجهة تراثنا ، والانفصال عن الماضي لتحرير المستقبل . لهذا نادى أدونيس بأن القادة « التقدميين » لم تكن لديهم الجرأة على معالجة التراث بل خضعوا للمعتقدات الشعبية ، وفشلوا في توصيل معتقدات ومواقف جديدة ، وتكلموا عن الثورة دون أن يكونوا ثوريين ، فظل الناس أسرى معتقداتهم ومواقفهم السابقة ، بل ان الانظمة سلبت الناس القدرة على المبادرة ، وأخضعتهم ، فلم تعد هناك علاقة ديناميكية بين المواطن والدولة .

ويؤكد كتاب صادق العظم « النقد الذاتي بعد الهزيمة » ميل الأنظمة الى القاء تبعة الهزيمة على الغرب أو الشرق أو ارجاعها الى انها قدر مكتوب . وهي تفسيرات تكشف عن سلبيتها وعدم قدرتها على مواجهة نفسها بشموليتها . ويوضح الكتاب عجز الدول العربية عن خلق المواطن الحديث ، وبث روح القتال فيه ، وكسب ولائه للدفاع عن الدول ، لأنها دول معزولة عن شعوبها . وأدان العظم الانظمة التقدمية التى لم تكن ثورية أو اشتراكية الا في الظاهر فقط . ففي تجاربها مع « الاصلاح » الزراعي ، وفي تبنيها لرأسمالية الدولة ، وفي برامج تعليمها البالية لم تكن تلك الانظمة واضحة أو ملتزمة ، بل أنظمة تقليدية . وقد جاء التطبيق العربي للاشتراكية خواء ثقافيا . فلم تحدث تلك الانظمة تغييرات حضارية أو اجتماعية أو ثقافية جذرية . ولم تكن الصيحة العلمية التى أطلقها النظام الناصرى بعد الهزيمة لتلقى النجاح ، طالما ظل الانسان العربي أسير العقلية الزراعية الغيبية ، وطالما ظل العلم غطاء لحضارة غير علمية في أساسها . حتى الجامعات العربية كانت مؤسسات تهتم بنظم الامتحانات لا بحفظ وتجديد وتغيير المعرفة الانسانية . وهكذا عبر العظم عن ازدرائه للوجه السلبي من التراث الذي يجب أن

يتخلص منه الناس ليتخلصوا من قلقهم وقصورهم ، وليلعبوا دورا في صياغة التاريخ بدلا من أن تظل صياغة التاريخ منوطة بالدولة ، ويظل القمع يولد الجبن .

الهزيمة والاحزاب السياسية

وكان من آثار الهزيمة أن راح الكثيرون يعيدون تقييم ما آمنوا به ، فكتب سامي الجندي أربعة كتب عن تجربته مع حزب البعث والقومية العربية . كان حزب البعث في رأيه ، حين أسس في ١٩٤٠ يطمح الى اقامة عالم جديد ، ويدين الساسة القدامى بالقبلية التي يجب تدميرها لتمهد الطريق لدولة المستقبل . لكنه ما أن وصل الى الحكم حتى اختلف الأمر . كان هناك تناقض بين الآمال التي علقها الناس على الكفاح ضد الاستعمار وبين السياسات التي حلت محله والسبب أن البعث بدأ بمثالية شابة ، ولكن ما لبث الحال أن تغير بعد ذلك .

كان بعض الزعماء غير قادرين على ادارة البلاد . فقد شغلتهم امور السلطة ، ولم يتمكنوا من مواجهة مشكلات بلادهم الاقتصادية والسياسية . وكانوا يريدون أن يتفوقوا على عبد الناصر ، لكنهم أساءوا تقييم الاصلاح الزراعي وتأميم الصناعات ، وغاب عنهم البعد الاقتصادي لهذه السياسة ، كما غاب عنهم أن السلام والحرب بحاجة الى قاعدة اقتصادية . وانعكس هذا الوضع السلبي على ادارة الصراع الاسرائيلي . وكانت مأساة حرب يونيو .

ويرى الدكتور عجمي أن الجندي بات يرى أن هزيمة ١٩٦٧ بددت كل الادعاءات التقدمية ، حين راح المتطرفون يفسرون الهزيمة على أنها بسبب الانحراف عن تعاليم الدين وظهور الالحاد ، ويروجون قصصا عن المنقذ الذي سوف يظهر ليعيد أمجاد الاسلام . ومن هذا يصل الى اعادة تقييم التاريخ العربي على أنه كان دائما محاولة لتجنب تحلل نظام كان يوما ما ناجحا ، ومحاولة للهرب من الحقائق القاسية الى عالم الغيب . وهكذا اختلط التاريخ بانحرافات الفكر ، وظهرت أيديولوجية غير صحية ، كما كان خلط النظرية القومية بالدينية لمقاومة هجمات العالم الخارجي سمة الفكر العربي بعد احتلال نابليون لمصر ، وبعد الاحتلال العثماني .

وفي سبيل بارقة أمل يرى الجندي أملا في المقاومة الفلسطينية التي عزلت نفسها عن عالم الهزيمة ، وفي ظهور ناصر مختلف عمقت المأساة حسه حتى يصلح أخطاءه وأخطاء جيله . وفي احساس الفرد بالمسئولية وهو ما يراه في انتحار عبد الحكيم عامر .

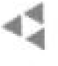
الاستجابة الاسلامية

يقول المؤلف انه في الجانب الآخر كانت الدعوة الدينية كرد فعل للهزيمة . حتى أجهزة الاعلام والصحافة راحت تروج لهذا الاتجاه ، وتشرح معنى الجهاد ، وتوزع على الجنود كتيبات تستعيد قصص حملات الرسول . كانت المؤسسة السياسية تتراجع أمام المعتقدات الجماهيرية لتعبىء المشاعر الدينية حتى تكون عامل استقرار . لكن هذا لم يكن اسلام المسلمين المجاهدين الذين يرون في الاسلام عقيدة مقاتلة ، تعارض الفساد ، وعدم المساواة .

كان التيار الاسلامي المجاهد يقف في وجه الغزو الفكري الغربي للفكر الاسلامي . وهو الغزو الذي أدى الى الهزيمة . ويتمثل هذا التيار في كتاب محمد جلال كشك « النكسة والغزو الفكري » . وفي رأيه أنه ليس هناك ما يمكن أن نسميه بالحضارة العالمية ، بل هناك صراع حضارات من أجل التميز . وما يميز الحضارة العربية هو الاسلام .

أدان كشك الدعوة لأنها تعزل العرب عن قوميات المجتمع الاسلامي ، حتى كانت الفرقة سببا في هزيمة يونيو ، لأن الحرب لم توجه وجهة دينية كذلك كانت الهزيمة نتيجة لانعدام الايمان بالمساواة والعدل الاجتماعي ، بل قامت المجتمعات العربية على التقسيم الطبقي الذي يحول دون انشاء مجتمع مقاتل . واستغلت طبقة العسكريين الثروة العامة لمصلحتها ، واهتمت بالحصول على مناصب في مصانع لا يعرفون عن انتاجها الصناعي شيئا . كما أن العسكريين لا يعرفون من الاشتراكية شيئا ، ولا من الثورة الا السيطرة على مبنى الاذاعة وليس لهذا أية علاقة بالاستعداد للحرب .

كذلك يدين كشك المثقفين التقدميين الذين يروجون للنظريات الزائفة . وينشرون الفوضى الاخلاقية . فقد شغلهم السلام العالمي ، وأخوة الامم ، الاشتراكية العادلة في عالم مقسم الى معتدى وضحية . في مثل هذا العالم ليس هناك الا صيحة « الجهاد » ولهذا فان الحركات الاسلامية التي تنبع من ظروف العالم الاسلامي الاجتماعية هي الحركات الحقيقية . واذا كان التقدميون يشيرون الى أن الفهم المتخلف للدين ينتهي بالمجتمع الى الايمان



بالخرافات والركود والهزيمة فان كشك يرى في انتصار الثورة الاسلامية دليلا على انتصار الاصالة الاسلامية ، لا انتصار الايديولوجية التقدمية .

ولا يهدف كشك من وراء هذا الى مجرد بعث الماضي ، بل الى ابراز التعارض بين التحديث وبين التراث فالفكر الأصولي يمكن اسقاطه على المشاكل الاجتماعية والاقتصادية ، كما يمكن من خلاله اقامة مجتمع حديث على أساس العدالة الانسانية ، كبديل للانتهازية الاجتماعية والفساد : والعودة الى مجتمع أخلاقي يقوم على رؤيا متكاملة .

الاتجاه الآخر يمثله صلاح المنجد في كتابه « أعمدة النكبة » ، الذي يهاجم فيه لا القومية التقدمية فحسب ، بل أولئك الذين يضعون قيودا على التجارة والصناعة ، ويؤممون ثروات الناس وملكياتهم التي يقرها الاسلام . وبفضل الثوريين الاشتراكيين عاد العرب الى عصر الجاهلية . فقد خسروا دينهم حين اتجهوا الى مذاهب ملحدة شريرة . ولم تكن القومية والاشتراكية الا وسيلة للوصول الى السلطة وتدمير الاسلام . ويدين المنجد الانظمة الثورية لأنها أسست الفرقة بين الطبقات ويشن هجوما على الاتحاد السوفيتي ، كما شن آخرون نفس الهجوم بدعوى انه تمجيد للشر مثل الصهيونية فلم يكن ماركس الا يهوديا يهدف الى حل أزمة اليهود من خلال الماركسية وتدمير العالم الاسلامي . وربما تآمرت امريكا في هذا المخطط ، لا لأنها شريرة ، ولكن لانها ساذجة .

وقد اعطى سقوط القدس لهذا الاتجاه دفعا جديدا في الهجوم على التقدميين . كما تلاءمت هذه الدعوة مع اتجاه الانظمة المحافظة في التركيز على الدعوة الاسلامية وان كان ذلك بهدف المحافظة على مصالحها في وجه خطر ثورة تقدمية كانت بعض عناصر الثورة الفلسطينية تنادي بها .

مصر الدولة ، والمرآة العربية

● العرب ومصر بعد الهزيمة : تكسرت الموجه الثورية في مصر بعد هزيمة ١٩٦٧ . وأثار موقع مصر تساؤلات عن امكانياتها وتاريخها ، وبالتالي إمكانيات العرب وتاريخهم . كان الذين يدينون عجز مصر عن الثورة يدينون في الواقع عدم قدرة النظم العربية على التخلص من إرث مفسد . وبعد عقد من الهزيمة كان يأس مصر موضع جدل حول فشل العرب في أن يكسبوا معركتهم مع



عبد الناصر

اسرائيل . وهكذا أثار صراع مصر مع نفسها وبحثها عن حل لانهيارها الاقتصادي ، وتعاملها مع الغرب ، نفس القضايا السياسية والحضارية بالنسبة للعالم العربي .

ورغم رغبة بعض الدول العربية في تحييد دور مصر السياسي بعد هزيمتها الاقتصادية والسياسية والعسكرية ، الا أن أزمة مصر كانت أزمة العرب . فلو رضخت مصر للغرب لكان هذا إدانة للوضع العربي . ولو أنها عزلت نفسها عن الصراع العربي الاسرائيلي لما كان هناك سبيل الى حل مشرف غير أن هذه المسئولية القيادية كانت تفرض على مصر أعباء تنهكها اقتصاديا دفاعا عن أحلام الآخرين ، وفي وقت تنعم فيه دول عربية أخرى بثراء طائل بعد حرب ١٩٧٣ . وهكذا كانت الصراعات العربية حول دعم مصر اقتصاديا ، وحول الحد من حجمها .

ويقول الدكتور فؤاد عجمي أن التقدميين كانوا يريدون مصر ثورية حقيقية تكرس مواردها لانشاء دولة فلسطينية وكان القذافي يعرض عليها تخليصها من خلال العودة الى الاسلام الاصولي التقدمي ، وأبدت بعض الانظمة المحافظة استعدادها لمساعدتها مقابل طرد السوفيت الملحدين ، وتصفية القطاع العام . وانهاء الدعوة القومية ، والرضوخ للارادة العربية في الأمور السياسية .

وفي مصر كانت هناك شخصيتان ، البطل المأساوي عبد الناصر ، وخليفته انور السادات كان على الاثنين أن يتعاملا مع الهزيمة ، والمشكلة الاقتصادية ، والارث الثوري الذي انتهى الى مصالحة مع العالم . ورث السادات ثورة عبد الناصر ، وكان عليه أن يتجاوزها .



السادات

● اعادة تقييم الارث : كان على عبد الناصر أن يرتفع بمعنويات الجماهير ، وأن يعالج الاحتلال الاسرائيلي والامور العربية واحباطات السياسة الدولية وكانت أول المتطلبات المساعدة الاقتصادية من دول النفط والوصول الى حل وسط مع الانظمة المحافظة ، وكبح التيارات الثورية التي تفجرت في الهلال الخصيب . لم يعد تأييد القوى الثورية يشغله ، بل مواجهة محدوديات دولته . ووسط هذا كان يتحرك بين تيارين : الدعوة الى تحرير الاقتصاد ، والدعوة الى المحافظة على مكاسب الجماهير .

ثم جاءت مظاهرات ١٩٦٨ تذكر النظام بتغيير أساليبه وبعدم فعاليته . كانت المظاهرات حول السلطة المطلقة وحرية التعبير . فقد طالب الطلبة النظام بأن يكف عن الشك في المواطنين وبتحريرهم من سلطة الدولة ، وبالمصارحة بالحقيقة واعلان القرارت التي تؤثر في حياة الجماهير . كانوا يطالبون بالاشتراك في السلطة . وبدافع عن قلقهم على مستقبلهم الوظيفي طالبوا أيضا باطلاق القطاع الخاص بعيدا عن سيطرة العسكريين في القطاع العام .

ونظرا للوضع الاقتصادى ، كان عبد الناصر مستعدا أن يستبدل الأسلوب الذي استبعد البرجوازية ، وأن يبدل لغة العدل والمساواة بلغة العلم والكفاءة والانتاج وكان تشجيع استيراد السيارات والسلع الاستهلاكية المعمرة . وهكذا توفي وترك خلفه ارثا مختلطا .

● البحث المصرى : كان على السادات أن يواصل الحرب ليظل النظام قائما . وكان عليه أن يتخلص من ضغوط المرحلة التي سبقته . لكن ثورة التصحيح لم تكن كافية للتخلص من أجهزة عبد الناصر ففى الداخل كانت خيبة الأمل والشك تتجدد في مظاهرات الطلبة . وكانت صيحة الحرب هى المخرج . لم تكن حرب ١٩٧٣ الا حربا محدودة لتبديد جمود الموقف العسكرى . ومع ذلك كانت عمل السادات العظيم ،كانت المعبر بين مصر عبد الناصر ومصر السادات ، مصر في حدود مصريتها لا في حدود عروبتها . وساعد ثراء الدول العربية بعد ١٩٧٣ ، وتدهور اقتصاد مصر ، على استقلالها عن السياسات العربية فجاء فض الاشتباك الأول ، ثم اتفاق سيناء ، ثم مبادرة القدس ، ثم كامب ديفيد واستعادت القيادة السياسية المصرية قدرتها على المبادرة في السياسة العربية . وتأكيد امكانيات مصر للعرب . وقد أدرك السادات أن الدول العربية لن تدفع له شيئا اذا لم تقم مصر بدورها بصفتها قوة العرب المحاربة . وكانت أية مساومة ستؤدى الى حرب أخرى ، في حين كان السادات يريد حرب ٧٣ حربا أخيرة ، وأن يحقق وعده للشعب المصرى بالسلام والرخاء .

كان الوضع يتطلب تنازلات اقليمية من اسرائيل ، ومساعدة امريكا ، وقبول دول النفط وسوريا . وكانت مشاكل السادات اكبر من طاقته ، او كان السبب فيها اسلوبه . فقد ادت « دبلوماسية الصدمة » الى مآزق للدول العربية . كان السادات يتحرك ، ويستطيع ان يقوم بمغامرات سياسية ، في حين كان الآخرون يواجهون اوضاعا متقلبة وصعبة .

ومما شجع السادات على مسلكه ، ما روجته بعض اجهزة الاعلام من ان ثراء العرب يتحدى احساس مصر بذاتها ، عبر السادات فوق هذه المشاعر الى القدس . لم تكن الجماهير تنفصل عن القومية العربية ، أو تتجه الى امريكا التي كانت تهتف ضدها . كانت لا تريد ان تنهك اقتصادياتها من أجل الآخرين . وقد أدت سياسة السادات الى جر العرب الى مواجهة مشكلة اسرائيل ، وتقبل وجودها ، ولو عقليا . كانت مهمة مصر أن تعلم الآخرين رؤية الواقع بأسلوب مختلف .

دفع الصحراء

وجاذبية البحر الابيض

يضيف المؤلف أن مصر كانت تشعر دائما بوحدة مصيرها مع الشعوب العربية المسلمة ، حدد هذا مسار القومية العربية في ظل عبد الناصر . لكنها كانت منجذبة الى الأنظمة الحديثة منذ منتصف القرن التاسع عشر . الى هذا ترجع الازدواجية الحضارية التي تجمع بين الثقافة

تقليدية والغربية فقد سعى حكامها ، مثل اسماعيل ، ومفكروها من امثال طه حسين وتوفيق الحكيم وحسين فوزي الى تحديثها على اساس النظام الغربي . لكن فقرها كان يحول دون ذلك . كان هذا مأزق السادات شخصيا : الفتى الريفي الذي وصل الى السلطة ، وبهرته المدنية الغربية وكان الغرب يملك الحضارة ، والعرب المال فقط . وكانت مناشدة السادات لرؤوس الاموال الاجنبية ، واعتماده على امريكا ، وثقته بكارتر ، تكشف عن ميله الى ربط مصر بالغرب غير أن البلد الفقير لا يمكنه أن يرقى الى الشراكة الكاملة مع الغرب ، بل ان يتحول الى عالة عليه . كان هذا الدرس من نصيب اسماعيل الذي ادت محاولته الى احتلال مصر .

وواجه السادات في محاولته هذه تيارين . كان أحدهما الجماعات الاسلامية التي راحت تنادي بالايمان في وجه الفشل في ميدان القتال ، والفشل في حل مشكلة الهوية المصرية والمشكلات الاقتصادية ، والفساد ، وكامب ديفيد ، غير ان تربة مصر البرجوازية لا تصلح لهذا النوع من الفكر ، فقد تجاوز المجتمع المصري تزمت المتطرفين واصبح يدرك أن فلسفتهم مزيج من الغموض والمواعظ ، وأن مواقفهم تتعارض مع الرغبة في التقدم . وقد اصغى المصريون الى كل الفلسفات التقدمية ، والفاشية والماركسية وظلوا دائما يفضلون الاعتدال .

اما التيار الثاني فكان بقايا الناصرية التي ترى في جاذبية البحر الأبيض خيانة للقومية . وقد ظل عبد الناصر في واقع ارضه ، لم يغترب عن دينه او حضارته ويعتقد الناصريون ان اغراء البحر الابيض سيتلاشى ، وان مصر ستعود اسلامية ، عربية الريفية . فلطالما اتهمت مغازلة الغرب بالثورة والعودة الى الاصالة ، وتاريخ مصر مرتبط جغرافيا وتاريخيا بتاريخ فلسطين وسوريا سواء في الحروب الصليبية او في غزو نابليون لمصر ، او احتلال اسرائيل لفلسطين كانت الهجمات تبدأ في سوريا ، وتنتهي في مصر ، او العكس ، على امتداد التاريخ الطويل .

مصر الدولة والمرآة

وكما يقول الدكتور عجمي فربما كان العرب لا يحبون في مصر انها ليست ثورية بما يكفي أو ليست متدينة ، أو ليست صارمة . وليس هذا حكما على مصر بقدر ما هو حكم على الحضارة العربية . فقد تجاهل العرب تجزؤ العالم العربي ، وكانت مصر تؤكد تفككهم . فلم يعبأ السادات بانفصاله دون اعتبار للشكليات أو المظاهر ، وعبر بهذا عن شكوكه في القومية العربية والوحدة . ولم يكن سلوكه اول هجوم انفصالي على الوحدة العربية .

كان الفلسطينيون انفسهم أول من تكلم عن الوطنية الفلسطينية بعد ١٩٦٨ ، حين كان صراعهم مع عبد الناصر حول الحقوق الوطنية المستقلة ، لأن العرب كانوا عاجزين عن فعل شيء لهم ، وأكد تبني الفلسطينيين في ١٩٧٤ لفكرة السلطة الوطنية على الارض المحررة التحول الذي طرأ على الفكر العربي منذ ١٩٦٧ ، وانتصرت فكرة الدولة كواقع ، فقد اكدت حرب الأردن في ١٩٧٠ ، والحرب اللبنانية منذ ١٩٧٥ ، والمواجهة مع سوريا ١٩٧٦ الحاجة الى دولة اولا .

يضيف المؤلف أن البعث السوري كان يحلم بالوحدة ، لكن الرئيس الاسد منذ ان وصل الى الحكم كان يرى محدوديات سوريا الجغرافية والاقتصادية ، وفشلت مشروعات الوحدة مع مصر وليبيا ، وفي ليبيا ظل العقيد القذافي يكرر المحاولة مرة مع تونس ، ومرة مع مصر . لكن حرب اكتوبر اضاعت حلم القذافي في الوحدة ، وربما أدرك هو ورفاقه ان الدولة لا تزال هي الحقيقة الاقتصادية والسياسية في البلاد العربية ولم تعد فكرة الوحدة تسيطر على الوعي السياسي ، بل اصبح الفكر السياسي اكثر استعدادا للاعتراف بان الدول العربية قد مضت كل في سبيل .

ورغم هذا تظل هناك محاذير . لقد حاول السادات تبديل فكرة الوحدة بفكرة مجتمع الحب ، والوطن كعائلة هو كبيرها . كانت محاولة لخلق احساس بانسجام مصالح الجميع . وفكرة العائلة الواحدة تجمد المجتمع . ولا تحل مشاكله . لكن هذه الافكار لم تحل ازمات الجماهير . ومن جملة النتائج التي ترتبت على ذلك ان تزايدت هجرة الشباب التي تهدد باختفاء افضل العناصر على الاسهام في العمل من اجل الصالح العام .

وقد حاول ايضا جعل مصر قطعة من أوروبا ، كما فعل من قبله اسماعيل . عبر بهذا عن ميل في الدولة المصرية ان تتجاوز حدود مجتمعها وامكانياته لكن القاعدة الجماهيرية سرعان ما تؤكد مطالبها ، وتفرض حدودها ، فليست مصر الاوروبية حلا . فبدون الطاقة الانسانية لانجاز الاعمال تصبح الحضارة قشرة مستعارة ، واذا انعزلت عن جذورها واغتربت عن موقعها ، فانها تصبح مجرد ادعاء ، وتنتهي الى الاندثار .

المؤلف

الدكتور فؤاد عجمي مؤلف الكتاب يشغل حاليا منصب استاذ ومدير مركز دراسات الشرق الاوسط بكلية الدراسات الدولية العليا بجامعة جون هوبكنز بمدينة بالتيمور بولاية ماريلاند الامريكية . وهو يكتب بصفة مستديمة في عدد من المجلات الامريكية ومن بينها مجلة الشئون الخارجية ومجلة السياسة الخارجية ومجلة « نيشن » او الامة ، وملحق صحيفة نيويورك تايمز لمراجعة الكتب وصحيفة « لوفيجاور » الفرنسية . وقد ولد الدكتور فؤاد عجمي في قرية عرنون ، وهي قرية صغيرة تقع في جنوب لبنان .

التراث الممزق

ويرى المؤلف ان الصراع العربي الاسرائيلي الذي كان التقدميون يأملون ان يكون عاملا مساعدا في الثورة ، كان عاملا محافظا ، لانه كان مبارزة بين دول ، وكانت الحروب عاملا يمتص كل الاحباطات . وفي الثورة الفلسطينية نفسها لم تعد الكلمة النهائية لجبهة التحرير الشعبية بل لحركة فتح التي تؤمن بالوطنية الفلسطينية ، وتطالب بالدولة ، وهو مطلب تباركه الانظمة العربية . ولهذا كانت الدعوة الى تحويل الحركة من مؤسسة الى حكومة فلسطينية .

والدليل على سيادة الاتجاه المحافظ هو الاتجاه الى سياسة الانفتاح في اكثر من بلد عربي . واتجاه الناس للمطالبة بتحسين المعيشة والاسكان ، وهجرتهم بحثا عن الثروة . حتى صارت المجتمعات العربية مجتمعات استهلاكية يسودها السماسرة والوسطاء .

إن الذين يعلنون عن تمسكهم بالتراث لا يدركون ان عالمهم قد تغلغلت فيه الحضارة الأوروبية . فقد ساعد الثراء الخرافي على خروج الناس من مجتمعاتهم . ففي لندن وباريس اليوم اكثر اشكال الصحافة العربية تحررا ، واليها يمضي الباحثون عن الحرية الثقافية . بل ان تهريب الثروات الى الغرب ليس الا تعبيرا عن موجة الهروب الثقافي ، خاصة وان الاتجاهات المتطرفة في بعض الدول الاسلامية لم تضع اى اساس حقيقي للثقافة الوطنية ، مثلما فعلت اليابان والصين وفي هذا الصدد يلاحظ لويس عوض ان النظام في مصر كان يتأرجح منذ ١٨٠٠ بين التقدمية في مراحل الانجازات الكبرى ، وبين التطرف في فترات الازمات . والعالم العربي يعاني الآن من ازدواجية العيش في عالمين في آن واحد .

وفي رأي الدكتور عجمي أن هذه الازدواجية ادت الى مصادمة بين الاتجاهات المتطرفة وبين السلطة غير ان الاساس الحقيقي لبعث التطرف كان مقاومة احتكار الدولة للسلطة ومصادر الثروة . لم يكن الصراع حول المقدسات بقدر ما كان حول السلطة ، ومن يتحكم في الموارد . وكان تداخل الدين والسياسة محاولة لاصلاح الاقتصاد الوطني والنظام السياسي .

وتبقى مشكلة التأرجح بين التمسك بالتراث وبين نبذه . والواقع ان الليبراليين في العالم العربي انتهى بهم الامر الى استيراد اشكال وادعاءات غريبة على مجتمعهم . كما ان المتطرفين الاصوليين يتكلمون عن الاسلاف دون ان يروا السبيل الى اتفاق مع اساليب الحياة التي خبرتها الجماهير ، فالحديث عن التعليم في الاسلام ، وتوزيع الثروة ، والحكم لا يكفي ، عليهم ان يواجهوا التغيير الذي حدث في العالم . كلا الطرفين يريد فرض عالم متصور سلفا ، وان يحرم الناس من الاختيار . كلاهما يتخلى عن الواقع لصالح الغرب او الاسلاف ، دون ان يتعلم من الاثنين .

ولم يحل التطرف مشكلة العلاقة بينها وبين الافكار ، والتكنولوجيا ، وانماط التنمية ، والبيوت الجاهزة ، والطاقة النووية ، ومشروعات الانشاء ، وهكذا . فلا زالت المشكلة قائمة بين التطرف وبين الحضارة الغربية . لقد تراوح موقف العرب بين الرغبة في تحقيق نجاح الغرب وقوته ، وبين الرغبة في الانعزال داخل عالمهم القديم . لكن دخولهم العالم قد اثبت انه صعب مثل الخروج منه . فليس العالم العربي عالما متكاملا في حد ذاته وليس هناك في العالم اى عالم متكامل في حد ذاته ، وليس في امكان العرب اليوم ان يصلوا الى استعادة امجاد الاسلاف . ولعل هذا هو الذي يسبب لهم الكثير من التعاسة لانهم غير قادرين حتى على الاقتراب من هذه الامجاد .

○

د . امين العيوطي

نحو نقد ادبي معاصر

تأليف : الدكتور عيسى الناعوري
الناشر : الدار العربية للكتاب ـ طرابلس
ص.ب ٣١٨٥/ليبيا و ٣٩ شارع الحبيب بورقيبة/تونس ـ الجمهورية التونسية

هذا الكتاب مجموعة مقالات كان قد نشرها المؤلف في عدة صحف ومجلات عربية سيارة تتناول جوانب نقدية .

اما النقد الادبي عند المؤلف فهو عملية كشف وانارة لجوانب العمل الفني ، تبين مزايا الفن والابداع والخلق فيه بوعي وبصيرة وبفكر نيّر ،وهو كذلك عملية تعاون صادق ، وغير متحيز ولا متحامل بين الناقد والمؤلف لابراز الجمال والقوة ومواطن الابداع في العمل المنقود لا تؤثر فيه الميول الشخصية ولا المذاهب والقصائد والأهواء .

ويضيف المؤلف قائلا : والواقع المؤسف ان النقد عندنا يصدر في الاغلب الاعم عن ضحولة ثقافية وعن عجز في تميز الاشياء وفي صواب الحكم ، كما يصدر عن تملق للاذواق العامة احيانا لا يسوغه منطق ولا ذوق ولا وعي ثقافي وفني .

ويتساءل المؤلف ولكن من هم النقاد عندنا ؟ ويجيب على هذا السؤال قائلا ان هناك فئة تتصدى للنقد ممن لم ينتجوا بعد شيئا ، وما يزالون في اول الطريق وهؤلاء حاقدون في الغالب ، وهم لهذا يتخذون من النقد وسيلة لتحطيم الاسماء البارزة من الادباء والشعراء ، والقصد من ذلك هو التسلق على اكتاف البارزين لبناء مجد شخصي على حسابهم ، كما ان هناك فئة تتصدى للنقد لكي تفرض عقائديتها السياسية على الادباء والشعراء المنتجين .

وينادي المؤلف اساتذة الادب في الجامعات بان يقودوا حركة النقد بوعي وبصيرة وان بوسعهم ان تقوم وتقيم



بصدق وامانة ، ولكن اصحاب هذه الفئة يؤثرون السلامة بالصمت ويكتفون قانعين بالتفرج من بعيد .

فالناقد الحقيقي يكشف حتى للكاتب المبدع جوانب من نفسه قد يجهلها الكاتب نفسه وهو كذلك الذي يكشف للشعراء حقيقة العمل الأدبي ، والقراء هم دائما بحاجة الى من ينير لهم الطريق الى الكتاب الجيد والعمل الابداعي الجيد ، وكل الادباء الذين برزوا في العالم ونالوا الشهرة والمجد لم يكن الفضل في ذلك لصلتهم المباشرة مع القراء وحدها بل كان النقد الواعي المسؤول سبيلهم الى قلوب الجماهير القارئة ، ثم كانت اعمالهم بعد ذلك تأخذ طريقها بيسر وسهولة الى القراء بعد ان يكشف هؤلاء مفاتيحها واسرارها عن طريق أقلام الناقدين .

العروبة والاسلام

تأليف : الدكتور محمد احمد خلف الله
الناشر : رابطة الادباء في الكويت

* والكتيب نص محاضرة القيت في مقر رابطة الادباء في الكويت في ابريل ١٩٨٢ تتناول العلاقة بين العروبة والاسلام منذ النشأة الاولى لهذه العلاقة وحتى ايامنا هذه .



يقول المؤلف ان مسار هذه العلاقة يمتد عبر فترة زمنية طويلة مدتها اربعة عشر قرنا ، او تزيد ، ويمكن أن تقسم الى مراحل تاريخية ثلاث ، ولكل مرحلة طابعها الخاص بها والمميز لها عبر غيرها ، فالمرحلة الاولى لهذه العلاقة كانت داخل الاطار العربي ليس غيره ، وشملت زمن النبي عليه السلام وزمن ابي بكر رضي الله عنه ، أما المرحلة الثانية فبدأت بخلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وفيها خرج الاسلام من الاطار العربي الى الاطار العالمي الفسيح ، واستقطب فيها الاسلام اناسا من خارج الجزيرة العربية وقد بلغت هذه المرحلة ثلاثة عشر قرنا .

أما المرحلة الثالثة فتبدأ منذ قرن من الزمان تقريبا ، وفيها أخذت كلمة العروبة معنى سياسيا ومفهوما قوميا جديدا بعد أن نشأ مبدأ القوميات وأخذت فيها كل امة تتعرف على ذاتها وتحدد مقومات وجودها ، وتسعى في سبيل تحقيق دولتها القومية التي تنطبق فيها حدودها السياسية على حدودها القومية .

عند ذلك اعتقد بعض الناس بالقومية العربية السوء وأخذوا يعارضونها باسم الاسلام ، ويذهبون الى القول بأن القومية العربية ماهي إلا دسيسة استعمارية ضد الاسلام . كما زعموا ان الاستعمار يعمل على أن تكون الوحدة العربية هي البديل عن الوحدة الاسلامية ، الامر الذي سوف يجد القارىء بأنه غريب وخارج على حدود الاسلام والدين عند قراءته للكتيب .

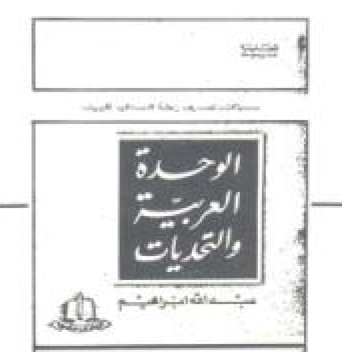
الوحدة العربية والتحديات

تأليف : عبدالله بن ابراهيم
الناشر : رابطة الادباء بالكويت

* وهو ايضا محاضرة القاها الاستاذ عبدالله بن ابراهيم في مقر رابطة الادباء في الكويت ، وقامت الرابطة بطبعها في سلسلة (قضايا عربية) والتي سوف تصدر تباعا .

يقول الكاتب في البداية ان مشروع وحدة الأمة العربية من المحيط الى الخليج مشروع لا يهم إلا الامة العربية نفسها ، ولا يتعلق الا بظروفها الداخلية . وقانونيا يمكن اعتبار هذا الطرح لوحدة الامة العربية صحيحا ، لان حق تقرير المصير هو الاساس الذي تقوم عليه العلاقات الدولية نظريا في الوقت الحاضر . ولكنه طرح غير صحيح واقعيا ، لان توحيد العرب من الخليج الى المحيط يقلب كافة الأوضاع العالمية التي تقوم عليها التوازنات حاليا ، فمشروع توحيد العرب مشروع عالمي كبير وخطير استراتيجيا واقتصاديا وحضاريا من وجهة النظر الدولية والامبريالية بوجه خاص .

وقد قسم الكاتب كلامه الى ثلاثة أقسام : تناول في القسم الاول الاسس التاريخية لفكرة الوحدة العربية ، أما القسم الثاني فينصب على مشروع الوحدة العربية ، أما القسم الأخير من الكتيب فحديث عن جدلية التجزئة والوحدة في الواقع العربي الراهن .



السلطة التأديبية بين الفاعلية والضمان

تأليف : الدكتور مصطفى عفيفي ـ الدكتورة بدرية جاسر صالح / مطبعة حسان ٢٤١/١ شارع الجيش ـ القاهرة ـ مصر

هذه دراسة مقارنة في القوانين الوظيفية للعاملين في مصر والكويت والدول الأجنبية ، يعرض فيها المؤلفان أحدث ما توصل اليه كل من التشريع والفقه والقضاء التأديبي من حلول نظرية وعملية لمشكلة التوازن القائمة بين مقتضيات الفاعلية والضمان في المجال التأديبي للوظيفة العامة في كل من المجتمعين المصري والكويتي ، وبتحديد أفضل الحلول الواجبة الاتباع ، وأكثرها ملاءمة لظروف كل بيئة وظيفية وأقدرها على المعالجة الجذرية

لقد شغلت السلطة التأديبية اهتمامات المشرع بوضع قوانين التوظيف سواء كان ذلك متعلقا بالانشاء المبتديء لها أو خاصا بالمادة للنظر فيها وتعديلها ، وقد انعكس هذا الاهتمام في كل من ميداني الفقه والقضاء التأديبي للوظيفة العامة ، على اعتبار ان السلطة التأديبية هي الجهة المنفردة قانونا بتحديد وتوقيع مختلف درجات العقوبات التأديبية أيا ما كانت فلسفة العمل الوظيفي العام السائد في الدول الأخذة بنظام الوظيفة العامة .

مسابقة العربي الثقافية

تستهدف هذه الأسئلة امتحان معلوماتك العامة وسرعة خاطرك . . . وتستهدف بخاصة تشجيعك على البحث عن الردود الصحيحة وذلك بالرجوع الى المصادر الموثوقة :

وهي اثنا عشر سؤالا ، عليك ان تجيب على عشرة منها اجابة صحيحة لتظفر بجائزة . .

الجائزة الاولى قيمتها ٣٠ دينارا

الجائزة الثانية قيمتها ٢٠ دينارا

الجائزة الثالثة قيمتها ١٠ دنانير

ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي ـ صندوق بريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العربي الثقافية » ـ العدد ٢٩٠ ـ وآخر موعد لوصول الاجابات الينا هو أول مارس ١٩٨٣ .

١ ـ استخرج البترول في منطقة الشرق الاوسط اول ما استخرج ، سنة ١٩٠٨ ، وذلك في :

أ ـ المملكة العربية السعودية

ب ـ العراق

ج ـ ايران

٢ ـ محمد بن موسى الخوارزمي عالم رياضي عربي ، عاش فيما بين منتصف القرن الثامن ومنتصف القرن التاسع الميلادي وكان مقربا للخليفة العباسي المأمون . . هو صاحب الفضل في نشر ارقام الحساب الهندية . . ترى اي العلوم التالية كان من ابتكار هذا العالم الرياضي ؟

أ ـ علم الجبر او كما سماه هو « حساب الجبر والمقابلة » ب ـ اللوغارتمات وقد سميت بهذا الاسم نسبة الى الخوارزمي او (الغو رزم) كما لفظ اسمه اهل الغرب .

ج ـ الرياضيات الحديثة . .

٣ ـ يقال ان اشهر لاعب كرة قدم في العالم هو :

(أدسون أرانتس دونا سيمنتو) وهو برازيلي من مواليد عام ١٩٤٠ . .

فهل هذا صحيح وإن كان خطأ فمن هو اشهر لاعبي كرة القدم في العالم . . ؟

٤ ـ درجة غليان الماء هي ١٠٠ درجة مئوية ، اي ما يعادل ٢١٢ درجة فهرنهيت . . فلو بلغت حرارة الجو درجة ٥٠ مئوية فما الدرجة التي تعادلها على ميزان فهرنهيت . . ؟

٥ ـ هل يتغير وزنك عند القطبين عما هو عليه عند خط الاستواء ؟

أ ـ لا يتغير . . فوزني هو هو اينما كنت .

ب ـ يزداد عند القطبين . . اذ اكون اقرب من مركز الكرة الارضية المفلطحة وبالتالي اخضع لمزيد من شد جاذبيتها تبعا لقربي من مركزها .

ج ـ ينقص وزني عند القطبين نظرا للبرد الشديد فيها والتقلص الذي يحدثه هذا البرد في جسم الانسان . .

٦ ـ الافق هو ما ترى من التقاء السماء بالارض او البحر . . ترى ما هي المسافة التي تفصل ما بينك وبين تلك النقطة . . على افتراض انك تنظر اليها وانت على مستوى سطح البحر . . ؟

أ ـ ٢ كيلو متر

ب ـ ٢٠ كيلو مترا

ج ـ ٢٠٠ كيلو متر

٧ ـ أيها يعمر اطول من الآخر . . الانسان ام الفيل . . ؟

٨ ـ اي القردة التالية لا يمشي على اربع أبدا وانما يمشي على قدمين كالانسان :

أ ـ الشمبانزي

ب ـ الغورلا

ج ـ الجبون

٩ ـ ما هو مفرد « الأجرام » السماوية :

أ ـ جُرم

ب ـ جِرم

ج ـ جَرم

١٠ ـ يفرز الانسان العرق ويفرز اللعاب . . ترى ايهما اكبر . . كمية العرق ام كمية اللعاب التي يفرزها الانسان في ٢٤ ساعة . . ؟

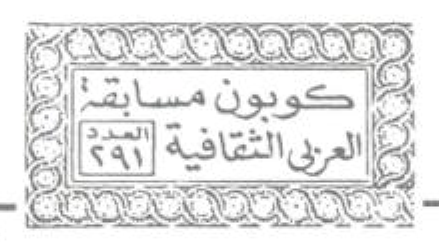
١١ ـ أشعة رونتجن اكتشفها العالم الالماني رونتجن ونال جائزة نوبل سنة ١٩٠٢ لاكتشافها فمن هو مكتشف اشعة اكس ، او الاشعة السينية . . ؟

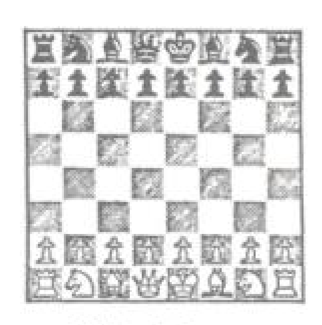
١٢ ـ ليبيريا والولايات المتحدة وبريطانيا . . ترى اي الدول الثلاث متفوقة من حيث حجم الاسطول التجاري التابع لها :

أ ـ بريطانيا هي المتفوقة . . فهي سيدة البحار تملك اكبر اسطول تجاري . .

ب ـ الولايات المتحدة هي المتفوقة . . وقد حلت محل بريطانيا وأصبحت تملك أكبر اسطول حربي واكبر اسطول تجاري .

ج ـ ليبريا هي الدولة الاولى من حيث حجم الاسطول التجاري التابع لها . . ويعزى ذلك الى ان ليبيريا تتقاضى من السفن التي تحمل رايتها رسوما اقل بكثير من تلك التي تتقاضاها سائر الدول .




ترتيب القطع على الرقعة

« يخطىء من يظن ان الشطرنج لهو وتسلية فقط . . كلا . . فالشطرنج ينمي فينا من ثمين الصفات ما يصاحبنا طيلة حياتنا » .

« فرانكلين »

ذكرنا في عدد سابق ان اصل الشطرنج قد ضاع في غياهب التاريخ وان المؤرخين يتناقلون الكثير من الروايات المتضاربة حول منشئه وأصله ، غير ان هناك رواية وحيدة متواترة أقرب من غيرها الى التصديق وهي ان الشطرنج هندي الاصل . والبراهين على صحة هذه الرواية من النوع الاستنتاجي ولا ترقى الى مراتب اليقين . ولا تهدينا هذه البراهين الى اسم مخترع الشطرنج او مدينة الاختراع وكل ما تقيم الحجة عليه هو انه هندي الجنسية فحسب .

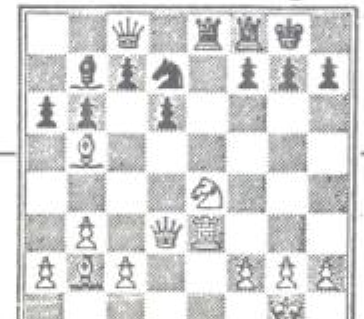
وأهم هذه البراهين ما دل عليه فحص الآثار التاريخية والكتب القديمة والذي اثبت عدم وجود دليل على ظهور الشطرنج في مكان آخر قبل الهند ، وأن مقارنة الشطرنج الهندي ، كما هو عليه اليوم ، بالشطرنج الاوروبي كما كان عليه في القرون الوسطى يشير بوضوح الى وحدة أصلهما والى ان الاخير هو حفيد الاول . أضف الى ذلك ان ترتيب القطع والبيادق قريب الشبه بترتيب الجنود الهندية في الحروب القديمة . وتكاد تجمع الروايات التاريخية لاغلبية الكتاب من شرق وغرب على ان الشطرنج هندي الاصل وانه وقد وضع لتعليم فن الحروب . *

* يقول الزمخشري بهذا الخصوص : « ان ملوك الهند كانوا حكماء لا يرون القتال واراقة الدماء فوضعوا الشطرنج وكانوا اذا تنازعوا في امر اصطف الجيشان وتقدم الملكان فلعبا في موضع المعركة بالشطرنج فمن غلب استولى على ما وقع فيه النزاع من غير قتال وسفك دماء »

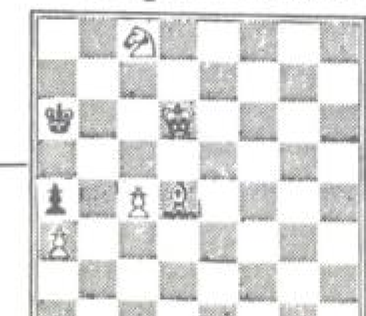
مسائل شطرنجية

في المسائل الشطرنجية متعة للعقل وتدريب للذهن وترويح للنفس وقد اخترنا لك المسألتين التاليتين فان وفقت في التوصل الى الحل فلك تهانينا والا فنرجو الرجوع الى الصفحة ١٨٥ من هذا العدد

مسألة رقم (١) :
الأبيض يلعب ويكسب الدور في أربع نقلات أو يفوز بالوزير



مسألة رقم (٢) :
الابيض يضرب مات بأربع نقلات



دليل حل المسائل

الأسود

ر و ٨	ح و ٨	ف و ٨	و ٨	م ٨	ف م ٨	ح م ٨	ر م ٨
ر و ٧	ح و ٧	ف و ٧	و ٧	م ٧	ف م ٧	ح م ٧	ر م ٧
ر و ٦	ح و ٦	ف و ٦	و ٦	م ٦	ف م ٦	ح م ٦	ر م ٦
ر و ٥	ح و ٥	ف و ٥	و ٥	م ٥	ف م ٥	ح م ٥	ر م ٥
ر و ٤	ح و ٤	ف و ٤	و ٤	م ٤	ف م ٤	ح م ٤	ر م ٤
ر و ٣	ح و ٣	ف و ٣	و ٣	م ٣	ف م ٣	ح م ٣	ر م ٣
ر و ٢	ح و ٢	ف و ٢	و ٢	م ٢	ف م ٢	ح م ٢	ر م ٢
ر و ١	ح و ١	ف و ١	و ١	م ١	ف م ١	ح م ١	ر م ١

الأبيض

أمثلة على استخدام الرموز :

ح ـ ف م ٣ تعني : الحصان ينتقل الى مربع فيل الملك ٣

و × ف تعني : الوزير يأخذ الفيل

ر ـ م ٨ + تعني : الرخ ينتقل الى مربع الملك ٨ ويكشّ الملك

يتبين من الدليل أن المربعات ترقم من جانبي الرقعة وهكذا فان المربع الابيض ر م ١ هو نفس مربع الأسود ر م ٨ ، ويسمى كل مربع باسم القطعة التي تحتل العمود.

ملاحظة : لاحاجة لذكر اسم المربع كاملا ان لم يكن هناك سوى احتمال واحد للنقل فلا حاجة لأن تقول ح م ان لم يكن هناك سوى حصان واحد على الرقعة ونكتفي بالقول ح ـ ر ٨ أي أن الحصان ينتقل الى مربع الرخ ٨ ولا حاجة هناك أيضا للقول ر م ٨ لأنه المربع الوحيد المتاح لنقلة الحصان لذا نكتفي بالاشارة الى هذا المربع بـ ر ٨ فقط

حل المسائل

اقلب الصفحة



حل المسألة رقم (١)

١. ف×ح و×ح

لو .... ف×ح

٢. و ـ ٣ ف مهددا بكش مات اوالفوز بالوزير

٢. ح ـ ف ٦ + ب×ح

٣. ر ـ ح٣ + م ـ ر ١

٤. ف×ب ‡

حل المسألة رقم (٢)

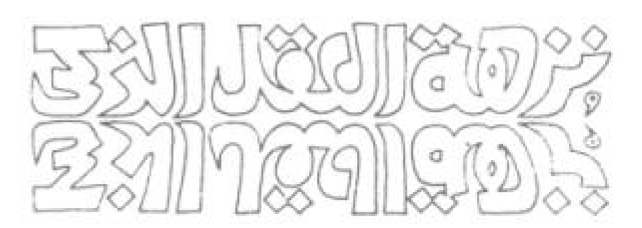
١. م ـ ٧ ف م ـ ٤ ر

٢. ف ـ ٦ ف م ـ ٣ ر

٣. ف ـ ٨ و م ـ ٤ ر

٤. م ـ ٧ ح ‡

* *



* *

مسابقة العدد

■ مسابقة هذا العدد هي (الكلمات المتقاطعة) . . والمطلوب ايجاد الاجابات الصحيحة لها وارسالها الينا . . ويمكنك اعادة رسم مربعات الكلمات المتقاطعة على ورقة مستقلة ، حتى لاتشوه صفحة العدد بقطعها منه اما المنشور في اسفل الصفحة المقابلة ، فمن الضروري ان يرفق بالاجابة حتى تفوز بواحدة من الجوائز التي مجموعها ١٠٠ دينار تمنح على الوجه الآتي .

الجائزة الاولى قيمتها ٣٠ دينارا ـ الجائزة الثانية ٢٠ دينارا ـ الجائزة الثالثة ١٠ دنانير و ٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها ٥ دنانير .

ترسل الاجابات على العنوان التالي : العربي ـ صندوق بريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ٢٩١ » وآخر موعد لوصول الاجابات الينا هو أول ابريل (١٩٨٣) .

اثنتان في واحدة

اذا استطعت حل مسابقة الكمات المتقاطعة ، ستجد في (٨) أفقيا اسم أديب ومؤرخ لبناني . كما في (٨) رأسيا اسم مؤرخ وسياسي وعالم من المغرب .

كلمات أفقية :

(١) عاصمة آسيوية ـ من دعاة الوحدة الايطالية .

(٢) أول عاصمة للعباسيين ـ من الزهور ـ صوت الأمواج .

(٣) ثار ـ نصف كلمة (سبيل) ـ ترى ـ نظير .

(٤) وحدة قياس كهرباء ـ من الاشجار ـ أجيب ـ حرف عطف .

(٥) حشرات ـ تالية ـ من الحروف الابجدية .

(٦) نصف كلمة (نياط) ـ وحدة عمر ـ من رجال القلم .

(٧) ينتسب الى شعب آسيوى ـ خُيلاء ـ واقى .

(٨) أديب ومؤرخ لبنانى .

(٩) وحدة قياس زمن ـ ابتغى ـ دانية .

(١٠) حرف أبجدى ـ من الطيور ـ ضرورية للدارس ـ نصف كلمة (رائد) .

(١١) صوت الناقوس ـ مخيفة ـ ضعيف .

(١٢) غير ناضج ـ أتاحا ـ تطمئن ـ للتفسير .

(١٣) من الفاكهة ـ من الزهور ـ من الفاكهة .

١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١

(١٤) بين بين - لهو - قطر عربي .
(١٥) حجبت - أرشد - ألباب .

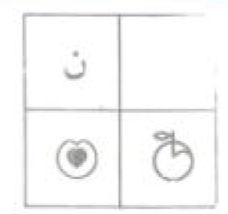
كلمات رأسية :

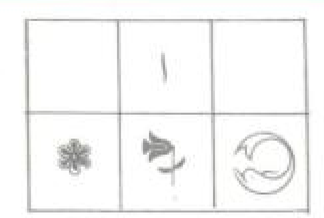
(١) من الأشجار - شاعر الأساطير الاغريقية .
(٢) دولة أوربية - من الأحياء المائية .
(٣) نصف كلمة (نائب) - نصف كلمة (تالى) - وسائل الانضاج - فى الصفحة .
(٤) يكل - من وسائل الانتقال - فجر .
(٥) نبات متسلق - من الطيور - وحدة قياس مسافات .
(٦) مقام موسيقى - من مواد البناء - لهو - أحصى .
(٧) معركة انتصر فيها نابليون على ايطاليا - مخترع التليفون .
(٨) مؤرخ وسياسى وعالم من المغرب .
(٩) للباب - قهر - من الاشجار .
(١٠) لقب أديب وشاعر عربى معاصر - فى الذرة .
(١١) من الطيور - رنت - تجمعات سكانية .
(١٢) تـرك الملذات - يقاتلون - نصف كلمة (فراع) .
(١٣) من أجزاء الذراع - ينتسب الى شعب أوروبى - من أجزاء الجسم .
(١٤) عاصمة الامبراطورية الأشورية القديمة - دليل .
(١٥) يجيب - ظل - أعظم قواد قرطاجنة .



العواصم

أمامك ستة مربعات ذات اطارات سميكة . فى كل مربع منها خمس كلمات ذات خمسة حروف ، ينقصها جميعا نفس الحرف . اجمع الحروف الناقصة فى المربعات الستة ، ورتبها لتحصل على اسم عاصمة عالمية .







مثل عربى

أمامك مثل عربى ، يرمز لكل حرف من حروفه أحد الرسوم ، بحيث يمثل الحرف الواحد نفس الرسم دائما . على سبيل المساعدة نعطيك بعض الحروف من كلمات المثل فى مواضعها . هل يمكنك الوصول الى المثل المطلوب اذا عرفت أنه :

يشير الى فوائد التنقل

العواصم :

بلجراد .

مثل عربى :

من جال نال .

من المسرح العالمي
سلسلة ثقافية
تصدرها في مطلع كل شهر
وزارة الإعلام في الكويت

أول فبراير ١٩٨٣

١٦١

١ - أول من صنع الخمر
٢ - سلطان الظلام

تأليف : تولستوي
ترجمة وتقديم : د. فوزي عطية محمد
مراجعة : د. سمية عفيفي



سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ دولة الكويت

فبراير "شباط"
١٩٨٣م



تأليف : برتراند رسل

ترجمة : د . فؤاد زكريا



الكتاب الثاني والستون

المراسلات :
توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص ب ٢٣٩٩٦ الكويت

المجلة العربية للعلوم الإنسانية

مجلة فصلية محكمة ، تقدم البحوث الاصيلة والدراسات الميدانية والتطبيقية في شتى فروع العلوم الانسانية والاجتماعية باللغتين العربية والانجليزيـة .

تصدر عن جامعـة الكويت

صدر العدد الأول في يناير ١٩٨١

رئيس التحرير　　د. عبدالله العتيبي

مدير التحرير　　عبدالعزيز السـيد

- تتناول المجلة الجوانب المختلفة للعلوم الانسانيـة والاجتماعية بما يخدم القـاريء والمثقف والمتخصص .
- تعالج موضوعات المجلة الميادين التاليـة :

اللغويـات النظريـة والتطبيقية – الآداب والآداب المقارنـة – الدراسـات الفلسفيـة الدراسـات النفسية – الدراسـات الاجتماعية المتصلة بالعلوم الانسانيـة – الدراسـات التاريخيـة – الدراسـات الجغرافيـة – الدراسـات التربويـة – الدراسـات حول الفنون (الموسيقى – التراث الشعبي – الفنون التشكيليـة – النحت ... الخ) – الدراسـات الاثارية (الاركيولوجية) .

- تقدم المجلة معالجـاتها من خـلال نشر :

البحوث والدراسـات – مراجعـات الكتب – التقارير العلميـة – المناقشات الفكرية .

- مواعيـد صدور المجلـة : كانون ثاني – نيسان – تموز – تشرين أول .
- تنشر المجلـة ملخصـات للبحوث العربيـة بالانجليزيـة ، وملخصات بالعربية للبحـوث الانجليزيـة .

ثمن العـدد : للأفراد　٤٠٠ فلس

للطلاب　٢٠٠ فلس

الاشتراكات السنوية

	داخل الكويت	في الخارج
– للمؤسسـات	١٠ د.ك.	٤٠ دولاراً أمريكيا
– للأفـراد	٢ د.ك.	١٥ دولاراً أمريكيا
– للاساتذة والطلاب	١ د.ك.	١٠ دولارات أمريكية

- تقبل الاشتراكات في المجلة لمدة سنة أو عـدة سنوات .
- قواعد النشر تطلب من رئيس التحرير .
- جميع المراسلات توجـه باسم رئيس التحرير :–

ص.ب : ٢٦٥٨٥ (الصفاة)

الكويت – الشويخ – ت : ٨٢١٦٣٩ – ٨١١٦٨٩ – ٨١٥٤٥٣

مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية

تصدر عن جامعة الكويت

رئيس التحرير
الدكتور عبد الله الغنيم

صدر العدد الأول في كانون ثاني (يناير) ١٩٧٥

تصل أعدادها الى أيدي نحو ١٢٥٫٠٠٠ قارئ

يحتوي كل عدد على حوالي ٢٥٠ صفحة من القطع الكبير تشتمل على : -

- مجموعة من الأبحاث تعالج الشئون المختلفة للمنطقة بأقلام عدد من كبار الكتاب المتخصصين في هذه الشئون.
- عدد من المراجعات لطائفة من أهم الكتب التي تبحث في النواحي المختلفة للمنطقة.
- أبواب ثابتة : تقارير - وثائق - يوميات - بيبليوجرافيا.
- ملخصات للأبحاث باللغة الانجليزية.

ثمن العدد : ٠٠ فلس كويتي أو ما يعادلها في الخارج.

الاشتراكات : للأفراد سنويا ديناران كويتيان في الكويت ، ١٥ دولارا أمريكيا في الخارج (بالبريد الجوي)

للشركات والمؤسسات والدوائر الرسمية : ١٢ دينارا كويتيا في الكويت ، ٤٠ دولارا أمريكيا في الخارج (بالبريد الجوي).

منشورات المجلة :

تصدر المجلة أيضا دراسات مستقلة متعلقة بشئون المنطقة صدر منها

١- كتاب التكامل الاقتصادي في الخليج العربي (د. محمد هشام خواجكية) ١٩٧٩.
٢- كتاب آفاق التنمية الصناعية في دول الخليج العربي (د. عبد الاله أبو عياش) ١٩٧٩.
٣- كتاب حقوق الطفل في دولة الكويت (د. بدرية العوضي) ١٩٧٩.
٤- كتاب الاحصاءات الاقتصادية في المملكة العربية السعودية (بدوي خليل) ١٩٨٠.
٥- دور جريدة فتاة الجزيرة في أحداث عام ١٩٤٨ بصنعاء (سلطان ناجي) ١٩٨٠.

سلسلة وثائق الخليج والجزيرة العربية لعام صدر منها :

الكتاب الأول : وثائق الخليج والجزيرة العربية لعام ١٩٧٧ ، ١٩٧٩.

العنوان : جامعة الكويت - كلية الآداب والتربية - الشويخ - دولة الكويت.
ص . ب : ١٧٠٧٣ - الخالدية
الهاتف : ٨١٦٨٠٧ - ٨١٦٧٩٩ - ٨١٦٨٢

جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير.


• جهاز أبيض ذو شاشة بقياس ٢٦ انشاً.
• نظام تكبير الصوت يعمل باتجاهين وبواسطة ٤ مكبّرات للصوت.
• منظّم آلي للفلطيّة.
• وآلة للتحكّم عن بُعد.
C-2627QB
Beta
β
V-9680
• واجهة أمامية سهلة التشغيل.
• ثلاثة أنظمة للمشاهدة والتسجيل في أي مكان من العالم (بال / سيكام / إن - تي - إس - سي ٤٫٤٣).
• مؤقّت بشكل ساعة رقميّة يتيح تسجيل ٨ برامج في مدى أسبوعين أوتوماتيكيًا.
• آلية للتحكّم عن بُعد.
• سُرعات مختلفة للبحث عن الصّورة ومضاعفة السُرعة.
• سُرعات مختلفة لإبطاء الصّورة وتجميد الصّورة.
• منظّم آلي للفلطية.
Toshiba
TOSHIBA
توشيبا
TOKYO, JAPAN

تلفزيون خماسي النظام للقارات الخمس

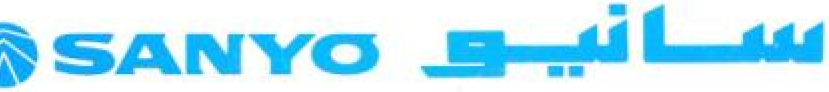
لندن، نيويورك، مانيلا، استانبول، أو أينما تكون

حيثما تذهب في كافة أنحاء العالم يبقى تلفزيون سانيو الملون بصحبتك حيث يُعدّل آلياً للنظام التلفزيوني المناسب للمنطقة التي تقيم فيها ... إن النظام الخماسي للإستقبال من سانيو يعطيك «بال - جي» لألمانيا الغربية سويسرا والشرق الأوسط و«بال - اي» للمملكة المتحدة ودول الكومنولث و«سيكام - جي» للشرق الأوسط، المانيا الشرقية واليونان و«ان تي اس سي ٣,٥٨ ميجاهيرتز» للولايات المتحدة، الفلبين وكوريا بالإضافة إلى «ان تي اس سي ٤,٤٣ ميجاهيرتز» لمشاهدة الفيديو بنظام «ان تي اس سي» وهذه التلفزيونات مجهزة كذلك بآلية تعديل الفولتاج اوتوماتيكياً بين ٩٠ فولت و ٢٨٠ فولت كما توفر سانيو آلية التحكم الاوتوماتيكي المريح لضبط نقاوة وصفاء وتباين الصورة بكل وضوح. وبنفس الوقت يبقى العالم بأسره بعيداً عنك بمقدار تشغيل مفتاح الفيديو عندما تستخدمه لمشاهدة تسجيلات تلك المفضلة على مختلف الأنظمة. كل هذه المميزات قد تم تجميعها في صندوق متمم بشكل جذاب ليتناسب مع كافة أشكال الديكور.

CTP 64671

CTP 64681

CTP 3467





جمادى الأولى ١٤٠٣ هـ - مارس (آذار) ١٩٨٣

□ القلب الصناعي ينبض بالحياة

□ الرواجف هزت كرسي الزيدية

خلال ثلاثين عاماً
شاهدنا الكثير من التطوّرات

يوم بدأنا أعمالنا، كانت الروبية هي العملة السارية، وفي عام ١٩٦١، أي بعد تسع سنوات، ساهم بنك الكويت الوطني في استبدال الروبية بالدينار الكويتي.

تأسس بنك الكويت الوطني بمرسوم أميري في ١٩ مايو، ١٩٥٢، فكان أول بنك كويتي تؤسسه مجموعة من الفعاليات الإقتصادية عندما كانت الكويت بحاجة ماسة لمؤسسة مالية باستطاعتها خدمة متطلباتها المحلية.

ومنذ تأسيسه، ركّز بنك الكويت الوطني جهده في نشر الوعي المصرفي وتوفير خدماته في كافة أنحاء البلاد، عاكساً بذلك تطوّر الكويت تجارياً وصناعياً واجتماعياً.

يوجد لدينا اليوم أكثر من ٤٠ فرعاً منتشرة في كافة أنحاء الكويت بالإضافة إلى أكثر من ٧٠٠ بنك مراسل في العالم، ومكتبي تمثيل في لندن وسنغافورة.

للمزيد من المعلومات عن بنك الكويت الوطني وعن الخدمات التي يقدمها إتصل بنا اليوم.



رائد البنوك الكويتية.

عزيزي القارئ

عندما تسعى اسرائيل إلى نسف مبنى مركز الابحاث الفلسطينية ، بعد جريمة السطو على كل محتوياته ، فانها ـ بهذا وذاك ـ تضيف حلقة جديدة فى سعيها للاجهاز على العقل الفلسطيني . وهو المسلسل الذى تابعنا من حلقاته السابقة محاولات اغتيال العديد من رموز الثقافة بين الفلسطينيين . . . غسان كنفاني وكمال ناصر وهاني الهندى . .

وهذه الحلقات المتتالية ، التي تتصدى فيها العبوات الناسفة والقنابل العنقودية والانشطارية للكلمة والقلم الفلسطينيين ، تلقى المزيد من الاضواء على حقيقة الدوافع والاهداف الاسرائيلية ، وتضيف الى عناصر الصراع وابعاده آفاقا من الضرورى ان ننتبه الى مداها . ذلك ان الوجود الفلسطيني بحد ذاته هو المستهدف ، واجتثاث هذا الوجود ومحو آثاره هو مايسعى اليه الجهد الاسرائيلي في النهاية .

والذين يتصورون ان اسرائيل يمكن ان تقبل وجودا فلسطينيا من اى نوع ،في اى مكان بعيد او قريب ، يقرأون السجل الاسرائيلي بسذاجة منقطعة النظير . حتى الشتات الفلسطيني ليس هو نهاية المطاف ، انما هو خطوة في سبيل الاجتثاث والالغاء . والا ، فلماذا تنقض الدبابات الاسرائيلية وجنودها المدججون بالسلاح ، على مركز للابحاث ؟ لماذا يقتل شاعر اوْ كاتب قصة ؟ لماذا تفجر سيارة فلسطيني لم يحمل السلاح في تاريخه ؟ وانما كانت جريرته أنه ـ فقط ـ حمل قلما ، غمسه في قلبه ومضى يكتب به ؟

هؤلاء لم يسلموا من الاغتيال . حتى الأوراق التي كتبوها تعرضت ايضا للاغتيال ، حتى المكاتب والمقاعد التي كانوا يجلسون عليها باتت هدفا للاغتيال . حتى الحجرات التي استظلوا بسقفها ، صارت هدفا عسكريا حكم عليه بالنسف والابادة والاغتيال .

ان سعى اسرائيل الى نسف مركز الابحاث الفلسطينية هو فضح صريح لأهداف المؤسسة العسكرية الحاكمة في تل أبيب ، وهو اعلان عن حقيقة الموقف الاصيل للحركة الصهيونية تجاه الشعب الفلسطيني . وهو ـ فى النهاية ـ ما ينبغى ألانغفله بأى حال .

المحرر

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

رئيس التحرير : الدكتور محمد الرميحي

مدير التحرير : فهمي هويدي

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت للوطن العربي وكل قارىء للعربية في العالم . الوزارة غير مسؤولة عما ينشر فيها من آراء . والمجلة غير ملتزمة باعادة أي مادة تتلقاها للنشر .

ثمن العدد . بالكويت ٢٠٠ فلس ، السعودية ٤ ريالات ، العراق ٢٠٠ فلس ، الأردن ٢٠٠ فلس ، سوريا ٢٠٠ قرش لبنان ٢٠٠ قرش ، مصر ١٥٠ مليما ، السودان ١٥٠ مليما ، المغرب ٣ دراهم ، تونس ٣٥٠ مليما ، الجزائر ٣ دنانير ، البحرين ٣٠٠ فلس ، قطر ٤ ريالات ، الامارات العربية المتحدة ٤ دراهم ، اليمن الشمالي ٣ ريالات ، اليمن الجنوبي ٢٥٠ فلسا ، ليبيا ٢٥٠ درهما .

الاعلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراسلات : باسم رئيس التحرير

عنوان المجلة بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤١ ٤٦٨٢٤٢

تلغرافيا « العربي »

الاشتراكات

ترسل الطلبات الى :

قسم الاشتراكات

المكتب الفني ـ وزارة الاعلام

ص . ب (١٩٣) ـ دولة الكويت

على طالب الاشتراك تحويل قيمة الاشتراك بموجب حوالة مصرفية أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الاعلام ، طبقا لما يلي :

البلاد العربية ٣٫٥٠٠ (ثلاثة دنانير ونصف)

بلاد غير عربية ٥٫٠٠٠ (خمسة دنانير)

العربي العدد ٢٩٢ ـ مارس ١٩٨٣

AL — ARABI , No292 March 1983

P . O . Box , 748 , KUWAIT

محتويات العدد

قضايا عامة :

عروبة واسلام :

صورة الغلاف



● في الاحصاء الأخير الذي اعلنه رئيس الوزراء اليمني عن خسائر زلازل ديسمبر الماضي ، تبين ان حجم الخسائر في المساكن فقط تبلغ حوالي سبعة مليارات وثمانية ملايين ريال يمني . وبلغ عدد الاسر التي فقدت ممتلكاتها ٦٠ الف اسرة ، والمساكن التي لم تعد صالحة للسكنى بلغت ٤٢ الفا و ٤١٣ مسكنا ، والمرافق الحكومية التي تهدمت وصلت الى ٩٥٠ مرفقا [انظر الاستطلاع ص ١٠٠]

طب وعلـــوم :

آداب وفنـــون :

هل يتحقق حلم القلب الصناعي



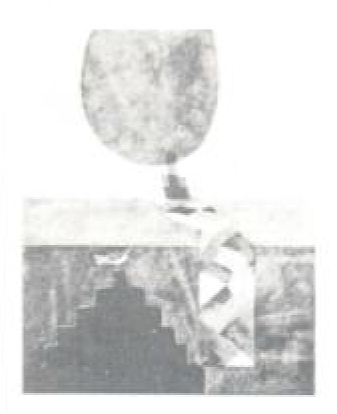
● يعتبر استبدال القلب بالكامل او استئصاله من جذوره ، ليفسح المكان للقلب الصناعي هو الحلم الذي يداعب اطباء القلب وجراحيه منذ امد طويل . وهي الجراحة التي يحتاجها عشرات الألوف من المرضى في أعمار تتراوح بين ٧ و ٧٧ عاما . ما هي رحلة القلب الصناعي ؟ وماذا حققت حتى الآن ؟ وماذا ينتظر من المحاولة مستقبلا ؟ [انظر ص ٢٥]

تربية وعلم نفس :

استطلاعات مصورة :

تاريخ وشخصيات :

باسل القاضي
فنان كويتي تعرفه اوروبا



● بعد ان انتهى باسل من مدرسة الفنون ، قرر الانقطاع عن العالم لسبع سنوات متواصلة باحثا في عالمه الشفاف عن شيء صادق وحميمي من نفسه وروحه ، بعيدا عن بصمات الحياة وحركتها المتشابكة ، وبعيد توازنه الداخلي .. واختار الصوفية لتكون صلة بينه وبين العالم الخارجي .. فهو يعيش في العالم ويشاهد حركته ، ولكنه لايتجاوب الا في نطاق مستويات الوجود الروحية .. [انظر ص ١٢٤] .

ابواب ثابتــــة



يحيى حقي في لقاء الشهر

● في شهر يناير الماضي اكمل الاديب والفنان يحيى حقي ٧٧ سنة من عمره ، ومنحته احدى الجامعات المصرية شهادة الدكتوراه الفخرية ، وفاء له ، وتقديرا لاسهامه الكبير في عالم الادب ، والذي كان محوره هو قلب الحياة المصرية الصميمة .

في لقاء الشهر يتحدث يحيى حقي للعربي عن رحلته ، وعن ينابيعه الادبية ، ويطرح بعضا من آرائه التي لايبوح بها الا بقدر [انظر ص ٣٧] .

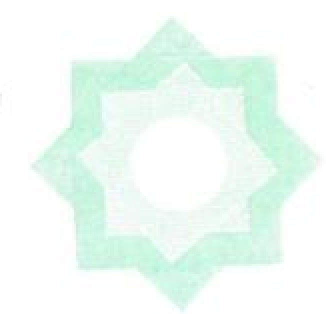
المسلمون : دعوة الى ثورة ثقافية

● في مقالة بعنوان « المسلمون : دعوة الى اقتحام المستقبل » يدعو الدكتور احمد كمال ابو المجد الى ثورة ثقافية اسلامية ، ليكون للمسلمين وجود في العالم الجديد ، بحقائقه المذهلة ومتغيراته المتسارعة . وهو في مقاله يتوجه الى المثقفين العرب والمسلمين بثلاثة نداءات ملحة وصريحة [التفاصيل ص ١٤] .



اسكنــدر بك الالبــاني : الرجل اللغز

● بعدما انفتح البلقان امام المد الاسلامي في بداية القرن الرابع عشر ، دخل بعض الامراء الاقطاعيين ـ الذين كانوا يحكمون ـ مناطق البلقان في الاسلام . وقدر لاحدهم ، جون كاستريوتي ان يصبح اسمه حمزة ، ثم قام هذا الامير بايفاد ابنائه الاربعة الى البلاط العثماني في ادرنه لتلقي العلم .. وكان من هؤلاء ابن عرف باسم اسكندر بك فيما بعد ، تلقى العلوم العسكرية وتمرس بفنون الحرب كجندي مسلم .. ثم شاءت الاقدار ان يتحول هذا الابن ذاته الى عقبة رئيسية في طريق تقدم الاسلام في اوروبا . [انظر ص ١٤٠] .



حديث الشهر

بقلم

الدكتور محمد الرميحي

الصدمة

عندما ارتفعت اسعار النفط في عام ١٩٧٣ ـ ضجت صحافة العالم وسياسيوه وخاصة في نصف الكرة الغربي ـ وسميت تلك الفترة « بصدمة النفط » . ثم جاء الارتفاع للاسعار في نهاية العقد الماضي لتسميه الصحافة من جديد « الصدمة الثانية » . وفي كلتا الحالتين كان الملام من وجهة النظر تلك هي الدول المصدرة للنفط .

ثم أصبح لدينا سيل من الكتابات والتعليقات اختلطت فيها المفاهيم الى حد كبير ، فاصبح العربي والمسلم يعني ـ في نظر كثير من وسائل الاعلام الغربية ـ صاحب براميل النفط والذي كان يصور على أنه متخم شرس يريد ابتلاع الحضارة الغربية !

وبدءا من مطلع هذا العام انقلبت الصورة ـ وفي نفس وسائل الاعلام ـ كي تبشر برخاءنفطي لصالح المستهلكين الغربيين ، يستمر عشر سنوات أو أكثر ـ والمراهنة هنا على الاختلاف(العميق) بين أعضاء منظمة الاقطار المصدرة للنفط (الأوبك) حول سقف الانتاج والهيكل السعري .

لقد انساقت في الماضي معظم وسائل الاعلام العربية خلف تلك التحليلات فاصبح هناك معارك بين شعارات ترفع منها : هل يمكن استخدام النفط العربي كسلاح لتحقيق مصالح أو درء مخاطر عن الأمة العربية ؟ ، وهل هناك بدائل للنفط قريب اكتشافها تجعله بقيمة الماء أو أقل ، وهل نحن كعرب منتجين للنفط مسئولون عن استمرار الحضارة العالمية أم تدميرها ؟ !!

وتدخل علينا سنة ١٩٨٣ ونحن نرى المنظمة النفطية التي كانت قوية في السابق وهي (الأوبك) ـ نراها وقد دب بين اعضائها الخلاف الى درجة فقدان فاعليتها،ليس

المضادة

في تحديد سقف للانتاج فقط ، وانما أيضا في تحديد سعر مناسب ، يتواكب مع التضخم العالمي واحتياجات التنمية في تلك الأقطار الفقيرة في مصادر الثروة الا من النفط .

والتخوف أن ننساق من جديد خلف وسائل الاعلام الغربي وأن نبتلع دون تمحيص ما يريد أن يمرره علينا .

في العشر سنوات الأخيرة ٧٣ ـ ٨٣ اختلطت الحقائق بأنصاف الحقائق وكذلك بالخيالات فيما يخص النفط وقوته وتأثير منتجيه على الاقتصاد العالمي ـ ففي فترة رفع شعار مفاده ان النفط والسياسة لا انفصال بينهما ، وفي وقت آخر رفع شعار مضاد هو أن لاعلاقة بين النفط كاقتصاد وبين السياسة . ومرة ثالثة رفع شعار : أن إبقاء النفط في باطن الأرض هو أفضل الطرق للاستفادة منه كاحتياطي للاجيال القادمة . وفي وقت لاحق تحدث الجميع عن احتمال التحول عن النفط الى مصادر اخرى بديلة ، ان نحن رفعنا سعره أكثر من اللازم أو قللنا من كمية ما يضخ منه من أراضينا . وكأن هذه البدائل جاهزة غدا .

ويبقى النفط ـ في النهاية ـ مادة للحديث السياسي والاقتصادي والتنموي في البلاد التي تعتمد عليه تصديرا واستهلاكا ، وتبقى نظريات قوته وضعفه تتأرجح حتى في التأثير على الأوضاع الداخلية لبلدان الانتاج ـ فتارة هو عامل استقرار داخلي وخارجي،وتارة أخرى هو عامل تغير جذري ، داخليا وخارجيا .

والاسئلة المطروحة هنا هي : هل في السنوات العشر الماضية استفاد العرب من الندرة النسبية للنفط في السوق العالمي ليس ماليا فقط وانما في الدفاع عن قضاياهم المصيرية والقومية ، أي هل استفدنا منه في علاقاتنا الدولية ؟



أما السؤال الثاني والمهم فهو : هل الوضع النفطي اليوم يثير هذه الدرجة من المخاوف ، أم أن بعض تلك المخاوف مصطنع من أجهزة الاعلام الغربي ؟

وحتى نستوفي الاجابة على السؤال الأول لابد أن نفهم ميكانيكية العلاقات الدولية الحالية .

العلاقات الدولية

بين التكامل والاعتماد

دراسة العلاقات الدولية هي دراسة (العلاقات) بين الوحدات السياسية (الدول)في جوانب متعددة منها : السياسية والاقتصادية والثقافية .. الخ . والمنطلق النظري لهذه الدراسات هو أن العالم اليوم أصبح معقدا ومعتمدا بعضه على البعض الأخر ، ليس فقط في مظاهر الاعتماد الظاهري غير المباشر ولكن أيضا في مظاهر الاعتماد المباشر . فالسياسات الضريبية مثلا في الولايات المتحدة تدخل في تحديدها سياسات تتخذ في موسكو وفي بون وفي طوكيو . وعندما تخفض اليابان مثلا من ميزانية دفاعها وتصعد موسكو انفاقها العسكري تستجيب الولايات المتحدة بانفاق عسكري مضاعف يتحمل دافع الضرائب جزءا من عبئه ، والعكس صحيح ، فعندما تقوم واشنطن برفع انفاقها على التسليح ، يعاني المواطن السوفييتي من النقص في متطلبات حياته اليومية نتيجة تخصيص أموال أكثر لبرامج التسليح السوفييتية ، ومثال آخر فقد تتأثر جزئيا توجهات الناخبين في بريطانيا بسوق المال والبورصة في نيويورك . وبيت القصيد هنا أن العالم أصبح صغيرا الى درجة أن أية سياسات.حتى لو كانت داخلية تطبق في بلد ما.لابد وأن تؤثر في بلد آخر .

من جهة أخرى فان العالم يتكافل في موضوعات وقضايا مثل العلم والتكنولوجيا والطب بعدما أصبحت كلها أمورا دولية .

ومعنى ذلك أنه لايمكن لأي شعب في العالم اليوم أن يبقى على مستوى معيشته الحاليةوان يستخدم التكنولوجيا في الصحة والتعليم والمواصلات ، دون مساعدة من الكشوفات العلمية والتطبيقات التكنولوجية التي ظهرت في أماكن أخرى من العالم .

هذا العالم المتشابك الذي تقوم بينه علاقات لتبادل المنافع ينفصل عن بعضه أيضامن خلال اتباع كل دولة فيه أو مجموعة دول سياسات لتحقيق الحد الاقصى من منافع لها .

وهنا تتبين لنا العلاقة الجدلية الايجابية والسلبية في نفس الوقت التي يمكن أن تتواجد في العلاقات الدولية .

العلاقات الدولية في عالم اليوم من الأهمية بحيث لايمكن تجاهلها ولكنها من التعقيد بمكان بحيث لايمكن فهمها بصورة شاملة ودقيقة الا بدراسة مكوناتها .

السياسة الداخلية والعلاقات الدولية

يميل البعض الى المقارنة بين العلاقات السياسية في دولة ما وبين العلاقات الدولية بين دول ما متعددة ، وأن هناك أوجه شبه بين هذه العلاقات . فكلتاهما تقوم على (احتكار القوة) . فالمجتمع السياسي لدولة ما هو واقع تاريخي يتمثل في مجموعة العلاقات الأجتماعية التي تتحقق وحدتها بعمل من أعمال (القوة المادية) قوامه الاحتكار الفعلي لادوات القمع والاكراه داخل الجماعة المعنية ، فهي - أي العلاقات السياسية الداخلية - احتكار شرعي لأدوات القوة موافق عليه بشكل مباشر أو غير مباشر من الغالبية ، لاكراه المجردين من تلك القوة على الامتثال لارادة محتكريها . وبتماثل ذلك مع العلاقات الدولية في انها علاقات بين السلطات السياسية أي أنها علاقات قوى - والفرق هنا في الدرجة فحيث ان (احتكار القوة) في المجتمع السياسي داخل الدولة يمكن أن يكون شاملا وشرعيا في فئة مستأنسة ، في حين أن (احتكار القوة) على الصعيد الدولي هو احتكار نسبي ، لذلك يلجأ البعض الى تعريف علم السياسة الدولية على أنه علم تعدد السلطات ، الا أن ذلك أيضا يحمل بذور فرض الارادة من سلطة وسلطات دولية لديها القدرةوالقوة على سلطة أو سلطات دولية أخرى تفتقد هذه القدرة والقوة . ويكون فرض القدرة في العلاقات الدولية اما بالطرق الدبلوماسية والسياسية المتعددة أو بالحروب .

اذاً تبادل المنافع بين الدول ليس عملة اخلاقية ولكنه تبادل مصلحي يلعب فيه الصراع والتوافق أدوارا مختلفة للوصول الى نفس النتيجة ، وهي تحقيق أقصى مصلحة ممكنة .

ويكاد المشتغلون بدراسة علم العلاقات الدولية أن يتفقوا على تحديد عناصر القوة - مع اختلاف التسميات والعدد - ولكن من هذه العناصر التي تدخل في تحديد (القوة) والتي تتنافس الدول على احتكارها أو على الاقل الحصول على أكبر قدر منها - عناصر مثل الغذاء والطاقة والتكنولوجيا ، وتمتد القائمة لتعدد مصادر القوة الأخرى فمنها الموارد الطبيعية - عدد سكان - مستوى التعليم - النفقات العسكرية . . الخ . تلك هي (موارد القوة) . واذا كانت القوة في أبسط تعريف لها هي القدرة على الانتصار ، فانه كلما حازت الدولة أكبر وأكثر من موارد القوة ، استطاعت أن تحصل على (احتكار للقوة أكبر) ، تستخدمه لتحقيق اهدافها القومية على الصعيد الدولي .

فالنفط اذا جزء أساسي من الطاقة التي تحتاجها كل دولة في العالم وهو بذلك عامل رئيسي من عوامل القوة يمكن أن يستخدم اقتصاديا وسياسيا .





النفط العربي والعلاقات الدولية

في الاطار النظري السابق يمكن فهم موقع النفط في العلاقات الدولية الحالية . فهو مورد اقتصادي هام وأساسي لتسيير الحياة الصناعية الحديثة ـ بل هو أهم مصادرالطاقة منذ منتصف هذا القرن ، فهو اذا مورد من موارد القوة ـ وقد تحول الى (قاعدة قوة) لفترة وجيزة في السبعينات عندما توفر لمعظم منتجيه في العالم الثالث حرية الحركة النسبية في الأسعار وكمية الانتاج ، كما أن ازدياد الطلب عليه من معظم مستهلكيه في اطار توازن دولي لم يسمح بتحويل العلاقات الدولية من قناة الدبلوماسية الى قناة الحرب المباشرة وذلك وفر للاقطار المنتجة قاعدة قوة نسبية في السبعينات . وأصبح النفط من حيث الاستثمار فيه وتسويقه ونقله وتكريره واعادة تسويقه وتحديد اسعاره وكمية المنتج منه عاملا مهما في المتغيرات الدولية ، وأدخل في علم العلاقات الدولية مصطلحات جديدة منها « حرب التسويق » و « حرب الانتاج » و« حرب الأسعار » و« دول اليسر » و « دول العسر » . . الخ من المصطلحات الكثيرة .

وأعادت هذه المادة الهامة إلى الاذهان صيحات التجاريين في القرن الثامن عشر والقائلة ان من يحكم المحيط يحكم تجارة العالم ، ومن يحكم تجارة العالم تدين له ثرواته ، فعادت الاصوات تقول : من يتحكم في النفط يتحكم في العالم ، الا أن ما نقص الاستخدام الامثل لقاعدةالقوة هذه هو أن النفط قد ظهر في معظمه في بلدان وأوقات ولدى مجتمعات لم تكن قادرة لأسباب كثيرة على أن تحوله من (مورد قوة) الى (قاعدة قوة) ـ ومع ذلك فقد غير النفط حكومات وحدودا ودولا ومجتمعات كما لم تغيرها أي موارد اقتصادية أخرى ـ كما أن عمليات التغير مازالت مستمرة .

قلنا ان النفط من العناصر الرئيسية التي تدخل في تحديد (القوة) والتي تتنافس الدول على احتكارها ، وان مورد القوة هذه الذي يمكن أن يؤثر في العلاقات الدولية لابدمن فعالية في استخدامه ليتحول الى (قاعدة قوة) لها وزن في العلاقات الدولية ، حتى يمكن أن يؤثر به لتحقيق نتائج دولية مرغوبة أو التقليل من نتائج غير مرغوبة .

الى أي مدى يمكن تطبيق ذلك على النفط العربي ؟

بادىء ذي بدء فغياب سياسة عربية موحدة ودائمة في مجال النفط هو الذي أثر سلبيا على (وزن القوة) العربية ، وفي الأوقات التي تتوحد فيهاالسياسات العربية النفطيةمع انسجام في السياسات مع الدول المنتجة الأخرى في العالم الثالث نجد أن (مورد القوة)هذا يحقق أعظم نتائجه على المجال الدولي والدليل على ذلك صراع العرب مع عدوهم في حروب ١٩٦٧ ، ١٩٧٣ حتى لو كان ذلك بشكل مؤقت .

الصدمة المضادة وحبائل الحرب النفسية

أما الاجابة على السؤال الثاني ، فمن الضروري التنبيه وبقوة قبل الدخول في تفاصيل الاجابة ، الى خطورة الوقوع في مصايد الاعلام الغربي من جديد ، حيث تردد هذه الأيام وسائل الاعلام تلك : مقولة فقدان القيمة الاستراتيجية للنفط - خاصة النفط العربي - والمراد من تلك الحملة وقوعنا في حالة نفسية نفقد فيها الرؤية الواضحة ، أو ما يمكن تسميته الصدمة المضادة - في بداية الثمانينات - ردا على الصدمة المزعومة الأولى في بداية السبعينات .

الا أن ما ينبغي أن يعرف هو الآتي ، صحيح أن واقع السوق النفطي الدولي قد تشبع الى درجة معينة حتى قل فيها الطلب النسبي على النفط دوليا - الا أن هذا التشبع هو حقيقي في المدى القصير فقط - والذي سوف تعاني أثناءه الدول المنتجة للنفط من حالة نقص في الموارد المالية السائلة لفترة - الا أنه في المدى المتوسط والطويل لاشك في أن التناقضات الفرعية الموجودة بين بعض المنتجين سوف تتلاشى في سبيل المصلحة الأوسع .

والمراد الآن ألا يقع منتجو النفط في حبائل الحرب النفسية والتي يمكن تسميتها (بالصدمة المضادة) هذه المرة صدمة المنتجين الذين توقعوا أن يظل الطلب على النفط مرتفعا وتظل اسعاره في الصعود . وتعود وسائل الاعلام الغربية اليوم لتحاول اثبات مقولة أن النفط فقد قيمته الاستراتيجية من أجل دفع كل المنتجين الى حالة من اليأس كي تتدهور الاسعار أكثر وتعلن حروب التسابق في الانتاج ، وان حدث ذلك فانه لمصلحة الانتاج الصناعي في الدول الغربية .

لقد استطاعت الأوبك في عقد السبعينات أن تتجاوز مشكلات وعقبات حقيقية وقفت أمامها - وبهذا التجاوز حققت انجازا للاقطار المنتجة والمستهلكة ودول العالم الثالث على حد سواء ، وعندما قررت الدول الصناعية أن تخفض من استهلاكها للطاقة خاصة النفط ، استطاعت أن تفعل ذلك من خلال سياسات متوسطة المدى ومحسوبة ومتكاملة .

وبالتأكيد تستطيع اقطار الأوبك والاقطار المنتجة للنفط خارجها أن تحافظ في النهاية على مصالح شعوبها وتخرج من الأزمة أيضا بسياسات متكاملة ، الا أن بقاء النفط مادة استراتيجية هامة تلعب دورا رئيسيا في السياسة الدولية ، كما تلعبه في الاقتصاد الدولي على الاقل في العقود الثلاثة القادمة - تبقى حقيقة لايمكن تجاوزها .

ان المطلوب من الدول المنتجة في هذه المرحلة هو أكثر ما يمكن من الحكمة والصبر الجميل ، وأقل ما يمكن من المبالاة بدعايات الحرب النفسية ، التي تروج لها مختلف منابر الاعلام الغربي ○

د . محمد الرميحي

المسلمون..
دعوة لاقتحام المستقبل

بقلم الدكتور أحمد كمال أبو المجد

إلى متى يظل حديثنا عن الاسلام والمسلمين حديثا موصولا عن الهموم والمشاكل والعقبات والمعوقات ؟ . ولماذا تدور أبحاثنا كلها حول المفسدين والمنحرفين والمفرطين . . ولا يكاد شيء منها يذكر الكثرة الغالبة من الاسوياء والمعتدلين ؟ .

ولماذا نبدع هذا الابداع كله في الوصف والتحليل « والتشخيص » ولا نكاد نقدم جديدا نافعا من أجل العلاج ؟ .

لماذا حديث علمائنا كله عن الأزمة . . ولا شيء عن طريق الخروج من الأزمة ؟

لماذا هذا الاهتمام الحماسي بالخلافات والانقسامات والفرق والمذاهب والجمعيات ؟ ، والمؤامرات تستغرقنا حين نراها ، وننقب في تاريخنا القريب والبعيد بحثا عنها واجترارا لحديثها حين لا نراها . . ولماذا لا يقابل ذلك كله بعض الاهتمام بمواضع الاتفاق . . والنظر في حاجات مئات الملايين من عامة المسلمين . . الذين لا يختلفون على قضية سياسية أو فقهية . . وقد لا يعرفون اسماء الفرق والمذاهب والجمعيات والأحزاب . . ولا يحملون على صدورهم الا بطاقة الاسلام ، ولا هوية لهم إلا هوية الانسانية الظامئة الى العدل والأمن والحرية والجمال .

ويريدون ان يكون حاضرهم ومستقبلهم جميعا مستقيمين على أمر الله ، محكومين بقيمه ومبادئه وشعائره وشرائعه . .

ولا أريد أن أسترسل في طرح تلك التساؤلات حتى لا يكون حديثي ـ هو الآخر ـ نغما آخر في معزوفة لوم النفس ، واتهام الآخرين ، ولعن الظلام . . وما كان تساؤلي هذا ـ بوجوهه تلك ـ الا مقدمة لحديث عن المسلمين وهم يدخلون ـ على كف الزمن ـ ساحة المستقبل الزاخر بكل ما هو جديد . . في أعقاب سلسلة من « الانفجارات العلمية » المتعاقبة الحلقات . وليس في عقولهم ومشاعرهم وكيانهم كله الا الاشتغال بالماضي . . وسيرة أصحابه . وعلومهم . ومشاكلهم . وما تركوه لنا وما لم يتركوه . وليس في ساحتنا الا كلام كثير . . لا آخر له . . أكثره عن « تراث الماضين » وأقله « عن أمال الأحياء والمعاصرين » . .

هل لنا مكان ؟

لقد استوقف نظر الباحثين والمعلقين مع مطلع هذا العام أن احدى المجلات الاسبوعية العالمية أرادت جريا على عادتها أن تضع على غلافها صورة أهم الشخصيات التي شغلت العالم وأثرت في حياته خلال العام المنقضي ، فاختارت في النهاية بعد تردد طويل أن تضع صورة آلة حاسبة اليكترونية سمتها « آلة العام » . . بدلا من شخصية العام . . وبين يدي وأنا أكتب هذه السطور دراستان نشرتها تلك المجلة في عددين متتاليين تستعرضان أحدث ما ولدته الثورة العلمية المعاصرة في ميدانين من الميادين الجديدة على الكبار من أبناء هذا الجيل . . أولها : ميدان « الأدمغة الاليكترونية » والأجهزة ذات الوظائف المتعددة المبنية عليها . . والآخر ميدان الأشعة الضوئية المعروفة بأشعة ليزر . . وتمضي الدراستان شوطا بعيدا في استعراض الاستخدامات المتعددة . . القائم منها والقريب المتوقع . . لهذين الاكتشافين ، كما تمضي شوطا بعيدا في رسم وتخيل صورة التحولات المبشبة والثقافية والاجتماعية والسياسية التي توشك أن تطرأ على صور الحياة الانسانية نتيجة الاستخدام الواسع للأدوات والمنتجات القائمة على الكشوف العلمية في هذين الميدانين . . ولايملك القارىء العربي والمسلم المعاصر وهما يتابعان ذلك كله الا أن يتساءلا عن « مصيرنا » نحن العرب . . ونحن المسلمين . والمستقبل يدق أبوابنا وسط شعوب تقفز هذه القفزات الهائلة في السيطرة على ما حولها . . وتحوز من هذه الأدوات ما يختصر الزمان ويطوي المكان ويفتح ـ بسلطان العلم ـ آلافا من الأبواب التي كانت الى عهد قريب مغلقة أمام الانسان . .

ان السؤال الذي لا بد من طرحه ، على قسوته ومرارته . . هو : هل لنا مكان في هذا العالم الجديد ؟؟ . . وهل تكون هذه الثورة العلمية الجديدة سلاحا في يد « الآخرين » وحدهم . . تزداد بسببه المسافة بين الشعوب المتقدمة ، والشعوب التي تحاول اللحاق . . أم تكون ـ كذلك ـ سلاحا جديدا يتيح لشعوب العالم الثالث أن تختصر الطريق وأن تحل بعض مشاكلها المزمنة التي تحبسها عن الانطلاق ، وتؤخر لحظة « اقلاعها » الحضاري . . في ميادين السياسة والاقتصاد والقدرة العسكرية على السواء ؟ .

وليس بغريب ـ وسط جو الرتابة والجمود والانكفاء على الماضي الذي يسيطر على عالمنا العربي والاسلامي من قمة رأسه الى أخمص قدميه أن يكون « الآخرون » هم وحدهم الذين يتساءلون عن مصيرنا نحن شعوب العالم الثالث ، في مواجهة هذه الثورة العلمية الجديدة متعاقبة الحلقات . . يقول بعضهم ان عصر الآلات الاليكترونية وأشعة ليزر سوف يوسع الهوة بين الذين يملكون تلك الأدوات الحضارية الجديدة والذين لا يملكونها . . وأن فرصتنا ـ نحن شعوب العالم الثالث ـ في اللحاق بحائزي تلك الآلات سوف تتضاءل الى حد بعيد . . ويقول آخرون : بل ان الانتشار السريع لهذه الأدوات الحضارية وتسويقها بأسعار في متناول الجميع ومنفعتها الهائلة لمستخدميها ، من شأنها أن تمنح العالم الثالث فرصة فريدة لمشاركة العالم المتقدم مرحلته الحضارية والصناعية الجديدة دون حاجة للمرور بمرحلة الثورة الصناعية التي تخلف العالم الثالث عن اللحاق بها واكتفى بالافادة من ثمراتها واستيراد منتجاتها دون استيعاب القوانين الداخلية التي تحكم صنع تلك الثمرات وانتاجها .

الثورة الثقافية مطلوبة

ما هو ـ اذن ـ مكان المسلمين في هذا العالم الجديد ؟؟

الجواب . . ان الاختيار المطروح لم يعد اختيارا بين اللحاق . . والتخلف . . وانما صار اختيارا بين الوجود المستقل المشارك في حركة الحياة . . والوجود التابع الذليل الذي تضيع معه الذاتية ، ويتحول أصحابه الى « موالي » . . يخدمون الآخرين . وقد تنمو الحضارة على أكتافهم وجهودهم . . ولكنهم لا يكونون أبدا من صناعها ولا يعرف لهم التاريخ كيانا مستقلا عن سادتها الذين يحتكرون معرفة قوانينها ، ويقودون وحدهم مسيرتها . ان مشاركة المسلمين في المراحل المقبلة من حياة الحضارة الانسانية تقتضي ـ فيما نرى ـ نوعا من الثورة الثقافية التي لا تحتمل الابطاء . . جوهرها الارتحال من الماضي الى المستقبل . ومن العزلة والانكفاء على الذات الى الانفتاح على العالم ومن الجمود على الموجود الى البحث في الآفاق . ان لهذه الثورة الثقافية ـ فيما نرى ـ معالم رئيسية بغيرها لن يهتز الشيخ الحضاري لأمتنا التي تعيش مرحلة « بيات ثقافي واجتماعي وسياسي » طال مداه . . لن يخرجها منه الا جيل من الشباب . . قدماه في الأرض ورأسه في السماء . . جذوره في الماضي . . وأغصانه تسابق الدنيا الى المستقبل القريب والبعيد . .

ان لهذه الثورة الثقافية الاسلامية سمات رئيسية هي

التي تدعو الى ممارستها في هذه السطور ، منادين كل مثقف عربي ومسلم ، وكل شاب مسلم وفتاة مسلمة بنداءات ثلاثة واضحة صريحة :

النداء الاول : توقفوا ـ بلا ابطاء ـ عن الانحياز العقلي والشعوري الى الماضي وتعالوا الى الحاضر والمستقبل . .

نعم . . ان الماضي قد حمل للدنيا كلها رسالات السماء . . وعلى جناحيه ـ حين كان حاضرا ـ عاش الانبياء والمرسلون . . وصحابتهم وتابعوهم والذين هدى الله من بعدهم . . وفي أيامه قامت للمسلمين حضارة ، ودولة ، وشريعة وثقافة . . والذين يخاصمون الماضي ويدعون للانقطاع عنه انما يقتلون أمل المستقبل في الرشد ، ويحاربون سنة الله في اتصال الأزمنة وتقدم الحياة . . ولكن هذا كله شيء . . والانحياز العقلي والشعوري للماضي على حساب المستقبل شيء آخر . .

ولنحذر أشد الحذر من أن يكون ارتباطنا الوجداني بالماضي تعبيرا عن علة نفسية يخلقها العجز عن مواجهة الحاضر وتبعاته ، أو اليأس من المستقبل واحتمالاته . . ولنذكر أن صلتنا بالماضي ينبغي أن تقتصر على أمور ثلاثة لا نزيد عليها ولا ننقص منها :

أولا : اننا نأخذ منه أصول ديننا والقيم الأساسية لحضارتنا . . فالكتاب والسنة قد وصلا الينا عبر الأجيال ، وأحكام الله الثابتة فيهما لم تنزل من السماء ليحكم بها « الماضون » ، وانما هي قائمة بين الناس الى قيام الساعة . . بل ان جانبا كبيرا من حكمتها يتبدى على وجهه الأكمل جيلا بعد جيل وحينا بعد حين . . « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم » . . وسيرة النبي (ص) بدورها ليست فصلا من فصول التاريخ مضى وانقضى . . وانما هي هدى نتأسى به ويتبعه المؤمنون من بعده ـ وهذا ـ كذلك ـ من أحكام الله الثابتة « لقد كان لكم في رسول الله اسوة أحسنة » .

ثانيا : اننا نرى فيه « سجل الحضارة » بمكوناتها كلها ، وتجاربها الممتدة عبر القرون . . ونرى في هذا السجل زادا لا يستغني عنه العقلاء ـ مسلمين كانوا أو غير مسلمين ـ كما نرى في التوجه للتاريخ طلبا للمعرفة رافدا من روافد المنهج الذي دلنا عليه القرآن الكريم وهو ينادي أتباعه : « قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين ـ ٦٩ النمل ـ » ثم يعلمهم أن لمسار التاريخ ضوابط وقوانين ينبغي الاسترشاد بها فيقول : « قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا ـ آل عمران ـ » .

على أن هذا الماضي بكل ما فيه ينبغي أن « يحضر » الينا ، ولا يجوز أن « نرجع » نحن اليه . . وفرق بين الأمرين عظيم ، لأن التجارب الانسانية تزخر بكل ما هو جديد . . وأهل الحاضر يطلون ـ من نافذة الزمن ـ على الماضي بكل ما فيه . . وليس للسابقين الى معرفة الحاضر والمستقبل من سبيل . . فضلا عن أن يكون لهم فيهما رأى نافذ وقول غير مردود . .

أما التعلل بظاهر ما روى عن النبي (ص) من قوله : « ما من عام الا والذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم » ، وقوله (ص) : خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » فتعلل لاغناء فيه ، اذ هذه الاحاديث تحتاج الى تأويل وفهم صحيح (١) ، والا كانت مخالفة لما علم من الدين بالضرورة مصادقة لأحاديث أخرى ترجح معناها لاتفاقه الكامل مع أصول الاسلام العامة كقوله (ص) أمتي كالغيث لا يدري أوله خير أم آخره » وقوله(ص) : لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق ، لا يضرهم من عاداهم حتى يأتي أمر الله » .

ثالثا : يتوج ذلك كله أصل كبير لا تجوز الغفلة عنه . .

---

(١) حديث « خير القرون قرني ثم الذين يلونهم . . » أخرجه البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود ، كما أخرجه البخاري عن عمران بن حصين . . وهو فيما نرى ـ اشارة الى دبيب الفساد مع بعد الناس عن عهد النبوة فالتفاضل الذي يشير اليه بين قرن النبي (ص) والقرابة التي تليه ليس تقريرا عاما لمبدأ تراجع الزمان ، اذ ليس ذلك من سنن الله تعالى بل هو مناقض لكمال عدله بين خلقه ورحمته بهم جميعا . . فهو اذن مجرد وصف لتناقص المشاعر القوية التي ولدها وجود النبي (ص) بين قومه وأقرانه ونزول الوحي عليه ، وهو بين ظهرانيهم

ويشهد لهذا المعنى تماما ما جاء في رواية عمران بن حصين التي أخرجها البخاري من قوله (ص) « ان بعدكم قوما يخونون ولا يؤتمنون ويشهدون ولا يستشهدون وينذرون ولا يفون او يظهر منهم السمن » ـ فهذه الآفات تدب في الاجيال شيئا فشيئا بعد عصر « النبوة » الذي تألق فيه الفضائل . . والحديث ليس اكثر من تقرير لذلك مع الانكار على تاركي تلك الفضائل .

هو أن هذا الكون ـ بمادته وناسه ـ محكوم بسنن وقوانين ، يجري ناموسها على الأقدمين والمحدثين ، ويخضع لسلطانها السلف والخلف جميعا . . « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا ـ ٥٥ النور ـ » . . لترتفع ـ اذن ـ هذه الرؤوس المتكفئة على الماضي ولتتجه بأبصارها الى الحاضر والمستقبل ، وليعرف أصحابها أنهم مسئولون عن حاضرهم وحده . . وأن الماضين ـ برهم وفاجرهم ـ قد أفضوا الى أعمالهم « تلك أمة قد خلت ، لها ما كسبت ولكم ما كسبتم » .

ولتعمل ـ في اصرار ـ على مقاومة ذلك التوجه الخاطىء الذي يغشى كثيرا من شبابنا فيصور لهم أن الحياة توشك أن تغلق أبوابها ، وأن اشراط الساعة قد بدأت تتوالى في الأفق ، وأن عليهم لذلك أن ينفضوا أيديهم من الدنيا ، وأن يتهيأوا للمشاركة في أحداث المشهد الأخير من مشاهد الوجود الانساني على ظهر هذا الكوكب .

ولنقل لهؤلاء جميعا . . ما لكم وللساعة وأشراطها ؟؟ . . ألم تسمعوا قول نبيكم (ص) : الجهاد ماض الى يوم القيامة . . وقوله : « اذا قامت الساعة على أحدكم وفي يده فسيلة ، فاستطاع ألا تقوم عليه حتى يغرسها فليفعل » . . ونضيف نحن متسائلين : أي هذا الزمان الذي يتلفت فيه الناس بحثا عن القيم المطلقة ، وطلبا للأمن والسكينة في كنفها ، وحين تبدأ أزهار الاسلام ومبادئه وشرائعه في التفتح لينعم الناس بشذاها . . يريد هؤلاء النفر اسدال الستار وتفريق الموكب واعلان النهاية ؟ . فلنبق أحاديث الساعة واشراطها في مواضعها وليقل العلماء في تحقيق تلك الاحاديث ما يقولون . . ولنسلم جميعا بما يطمئن اليه القلب والعقل منها . . ولتجىء الساعة بعد ذلك حين يأذن الله بمجيئها . . أما أن يتوقف العمل ، وتعرض النفوس عن الحياة ، ويظل الجيل كله محملقا في أفق الزمن ينتظر تلك الأشراط أو يخيل له أنه يراها . . فتلك حماقة لا تليق بالعقلاء ، ولا يمكن أن يكون لها موضع في حياة جيل ـ هو بقية الأمل ومعقد الرجاء .

العزلة : مستحيلة مدمرة

النداء الثاني

لا مجال بعد الآن لعزلة المسلمين عن العالم . . فهي مستحيلة أولا . . ومدمرة ثانيا . . فالحواجز بين الناس والشعوب قد اسقطت الثورة الصناعية جانبا منها . . ثم جاءت الثورة في وسائل الاتصال فأسقطت البقية الباقية منها . . والزمن يتسارع ، والتقدم العلمي يتم قفزا وانطلاقا . . ومن تباعد عن ركب الحياة ضاع ، وقتلته الحيرة . . فانما يأكل الذئب من الغنم القاصية . . والحكمة ـ بعد ذلك ـ ضالة المؤمن . . وأكثر ما يقدمه العلم أدوات وأسلحة . . يستطيع المسلمون أن يوجهوها وجهة الخير ، وأن يوظفوها لاشاعة « الرشد والقسط » . .

ان أخطر ما يقدم الى هذا الجيل ، هذا الحديث عن ضرورة العزلة ، وهذه الدعوة إلى « الاعتكاف الحضارى » بدعوى الاعداد لمولد الحضارة المتميزة التى لا تخالطها أوشاب الحضارات التى ثبت افلاسها . . ان هذه الدعوة ـ في حقيقتها ـ دعوة للانتحار الحضارى . . لأنها تعزل أصحابها . . وتضعهم خارج دائرة الحركة والصراع ، وهى وحدها الدائرة التى تحتاج الى جهد المسلمين والى معالم حضارتهم . .

نعم . . ان ما يريده أصحاب هذه الدعوة هو المحافظة على « روح الحضارة الاسلامية » وهى محافظة مشروعة وواجبة . . ولكن روح الحضارة لا تحتاج الى أن تولد ـ من جديد ـ مع مطلع كل جيل . . فقد تحددت معالمها واكتملت ، بتمام الوحى ، وكمال الدين ، وختام النبوات . . وبقي « الانسان المسلم » وحده ، مسلحا بعقيدته ومعرفته ومعالم دينه . . مزودا برؤيته المتميزة التي تقوم على عدد من القيم الحافظة لنسيج العلاقات الانسانية . . هى ـ بشهادة التاريخ قديمه وحديثه ودلالة التجربة الانسانية المتراكمة ـ معيار الرشد ، وجوهر « القسط » الذي ارسل الله به رسله وأنزل معهم الكتاب والميزان . . أو هى بالتعبير الحديث الشائع ضمان « التحسن » في نوعية الحياة **Quality of life**

ان التجارب الانسانية ـ منذ الآن ـ سوف تقع كلها في ساحات مكشوفة . . والتبادل الحضارى والثقافي بين الناس والشعوب ، سوف يجرى هو الآخر في ميادين مفتوحة لا حجب فيها ولا حواجز . . وعلى المسلمين ، حكاما وعلماء وجماهير ، أن يخوضوا تجربتهم ويؤدوا دورهم في اطار هذه الشروط التى فرضتها مرحلة النمو العلمي والتقنى التي وصلت اليها المسيرة الانسانية . . ان عددا هائلا من أنماط السلوك واساليب العمل الفرى والجماعى تحتاج الى اعادة نظر عاجلة . .

فأسوار الحماية والوصاية على السلوك الفردي لم تعد اسلوبا تربويا فعالا . . وانما صارت قضية تنمية الاحساس بالمسئولية . . وتشجيع الاقدام على ممارسة الحرية . . هي البدائل الشرعية الوحيدة . . فلا وقت هناك « للستر الحديدية » التي تنمو وراء جدرانها العالية بذرة الحضارة كما يقولون . . (٢) وعلى الجيل الجديد أن يواجه بقامته العالية لفح الرياح الهوجاء التي تهب من كل مكان . . وعلى نظم التربية والتعليم والاعلام والعمل مع الشباب أن تستجيب لهذا الواقع الجديد ، وأن تتوجه الى بناء الشخصية وتثبيت منهج المعرفة الصحيحة وتدريب الارادة وتحريك البواعث الذاتية . . بدلا من التوجه الى التلقين ، وتحفيظ « كم متراكم من جزئيات المعرفة . . والاعتماد في التربية السلوكية على تأثيره الجماعة » وحدها .

اننا نقدر المخاوف والهواجس التي تشغل الداعين الى « الاعتكاف الحضاري » . . انهم يحسون ـ في ارهاف ـ بما يجري حولهم ويعرفون أن الارض تميد بما عليها ومن عليها تحت مطارق التطور الذي تتسارع خطاه . . وهم لذلك يخشون أن تمتد رياح التغيير فتصيب « جوهر » التصور الاسلامي » والمعرفة الاسلامية » و « والسلوك الاسلامي » . . وأن تختلط بسبب ذلك الرؤية على المسلم المعاصر ، فتتسلل اليه معالم تصورات مناقضة للاسلام يذهب معها « تميزه » وتضيع في غمارها « ذاتية حضارته . . ان الترجمة العملية الواجبة لهذه المخاوف المشروعة ينبغي أن تتمثل ـ فيما نرى ـ في اعادة ترتيب الأولويات في مناهج الدعوة والتربية والتعليم وبحيث « تتميز » الاصول من الفروع . . وتوجه العناية الى « كليات » العقيدة الاسلامية والرؤية الاسلامية للانسان وطبيعته وغايات وجوده « ونوع » علاقاته بالآخرين ، والى المقاصد والمصالح التي يدور عليها التشريع الاسلامي . . بدلا من التوجه الى الفروع والجزئيات والامور الخلافية التي شغلت ـ للاسف الشديد حياة أجيال بأكملها من العلماء والعامة والشباب .

تقابل مغلوط

النداء الثالث :

لنضع معا ـ في حزم لاتردد معه ـ خاتمة حاسمة للمقابلة المغلوطة التي استولت ـ بغير حق ـ على رقعة هائلة من حياتنا الفكرية والوجدانية . . بين العقل من جانب . . والنصوص من جانب آخر . . وربما هان الأمر في هذه المقابلة المغلوطة لو اقتصر أثرها على كتابات الفلاسفة وعلماء الكلام وفقهاء الشريعة في محاولاتهم الموصولة لتحديد العلاقة بين العقل والنقل كما يقول الفقهاء أو بين الحكمة والشريعة كما يقول الفلاسفة . . وانما حلت الطامة الكبيرة حين استقر في أذهان أجيال من المتعاقبة منهج يتعبد بالنصوص ، ولايريد أن يتجاوز ظاهرها ، وينفر أشد النفور من محاولات النظر في عللها ومقاصدها والمصالح التي تسعى لحمايتها . . وحين استقر في أذهانهم كذلك أن « التجديد » في الفقه والاجتهاد عن طريق النظر في تجدد الحاجات ، واختلاف الأزمنة والأمكنة . . افتئات على صاحب الشريعة ، وانتقاص من الحاكمية التي يتفرد بها . . .

ان المدخل لوضع خاتمة هذا التقابل المغلوط أمران :

أن تعلم الأجيال الناشئة من شباب الاسلام أن صاحب « العلم » هو صاحب الشريعة . . وأن واهب العقل هو الموحي بالنقل وأن الرواية لاتغني بحال عن الفقه والدراية . . وأن مثل الذين يحفظون النصوص دون أن يحيطوا بمقاصدها « كمثل قوم جاءهم كتاب من ملكهم ليلا ، فتداخلتهم روعة ، ولا يدرون ما في الكتاب » . . فلنعلم أبناءنا أن يقرءوا ـ في خشوع ـ كتاب الله المنزل على رسوله وأن يقرءوا ـ في خشوع مماثل ، واستشراف مرهف ، كتاب الله المبثوث في الكون . . آيات بينات . . تدل على القدرة والرحمة والعلم واللطف والوحدانية . .

أن تعلم الجيل كله ـ من جديد ـ أن تكاليف الشريعة ليست عقوبات يفرضها الله على المكلفين ، فهو سبحانه غني عن العالمين . . وانما ترجع تلك التكاليف كلها الى تحقيق مقاصدها في الناس . . وهي مقاصد تدور على حفظ النفس والعقل والدين والعرض والمال . . والنصوص ليست الا شواهد وعلامات على تحقيق هذه المقاصد ورعاية تلك المصالح . . وهي ـ وحدها ـ لا يمكن أن تغني عن « اجتهاد العقول » لرعاية تلك المصالح في صورها المتجددة بأدوات تشريعية تكمل النصوص ، ولا تعارضها . .

---

(٢) انظر خلاف ذلك كله بحث الدكتور عبد الحليم عويس في العدد ٣٢ من مجلة المسلم المعاصر (شوال ـ ذو القعدة ـ ذو الحجة) ـ كلمة التحرير يقول في خاتمتها ص ٨ : ولا حل الا « بالاعتكاف » أو « الاعتزال والمراقبة » أو بناء « جدار خاص » يحمي الجرثومة الغضة من الانسحاق العاجل أو نقل أمراض البيئة أو نقل بعض خصائصها ، أو فقدان النمو الذاتي المستقبل .

ان كارثة قفل باب الاجتهاد ينبغي أن تزول عن كاهل هذه الأمة حتى تستطيع عمل شيء - أي شيء - لانهاء « بياتها » الحضاري الطويل .

وهنا أيضا لانستطيع أن نسرف في مجاملة مخاوف الخائفين .. اذ من الكلام المعاد أن « الاجتهاد » في أمور التشريع .. ليس خبطا بغير دليل ، ولا شطحا بالخواطر السانحة والأهواء العابرة .. ولا ندري لماذا يخوفوننا من ترك النقيض بالوقوع في النقيض .. الاجتهاد في أمور التشريع هو بذل الجهد من العارفين والمتخصصين والمؤهلين باستخدام العقول في استخراج الأحكام التشريعية التي تنفع الناس والتي لاتخالف معلوما من الدين بالضرورة ، ولا تصادم نصا قطعيا في ثبوته ، قطعيا في دلالته .. ولا يقولن أحد ان باب الاجتهاد مفتوح وأن أحدا لم يغلقه .. نعم .. قد يكون ذلك الباب مفتوحا .. ولكن الذين يتجاسرون اليوم على الدخول منه تتناوشهم السهام من كل مكان .. وقد يؤثر أكثرهم - لذلك - السلامة ، فيقعد عن محاولة الاجتهاد .. ويخرج بالصمت عن لا ونعم كما يقول شاعرنا العربي القديم ..

ومن القول المعاد .. الذي يستحق - مع ذلك - أن يعاد .. أن ممارسة الاجتهاد في عصرنا هذا تحتاج الى معرفة واسعة وشاملة بالواقع الجديد .. بكل عناصره .. فهذا الواقع هو « الموضوع » الذي يراد اجراء حكم الاسلام عليه .. وقبل تصوره على وجهه الصحيح لايمكن اصدار الحكم .. ولا يتصور تحقيق مقاصد الشريعة ..

ان للنصوص الاسلامية حفظتها والمدافعين عنها في كل زمان .. ولكن الأزمة الحقيقية في ثقافتنا الاسلامية المعاصرة أن العقل قد أنزل عن سلطانه .. وصار « المؤمنون » ينظرون اليه في ريبة وشك وسوء ظن .. واذا كانت ثقافة الغرب قد عبدت العقل في بعض عصورها .. وأفضى ذلك الى ما أفضى اليه من أزمات فليست تلك قضيتنا وليس ذلك همنا .. وانما همنا الحقيقي

ان فترات التحول الحضاري - بطبيعتها - فترات قلق وتوتر ومخاض عسير .. وليس غريبا أن يكون المسلمون في دهشة وقلق وحيرة وهم يواجهون طوفان التحولات الحضارية التي تعم العالم كله متخطية حدود الزمان والمكان .. ومن الطبيعي أن يقابل البعض هذا الطوفان بالانطواء على النفس ، والالتفاف حول الذات ، والتشبث العنيد بكل ما هو قديم ، رجاء أن يكون كل قديم أصيلا وأن يكون الاعتصام به سبيل النجاة .. ومن الطبيعي أيضا أن يلقي بعض الناس أنفسهم وسط أمواج الطوفان القادم .. فيغرق أكثرهم وتطويه أمواج النسيان ..

وانما تظل مسئولية الصفوة من المثقفين وحملة الأمانة في هذه الأمة أن يحاصروا هذين النموذجين ليظلا هامشين على جانبي التيار الواسع الأصيل .. وليبقى هذا التيار الاصيل قادرا على حيازة الحسنيين جميعا .. ثمرات التجربة الانسانية الطويلة في استخدام العقل لعمارة الكون وتسخير الطبيعة .. ورشد الحق المنزل من السماء .. قيما هادية تحفظ على الموكب المتدفع توازنه ، وتحفظ على « العلاقات الانسانية » جوهر الخير المطلق الذي تمثله قيم .. العدل والرحمة وصلاح ذات البين ، والتسابق الى الفضل والعفو والايثار واشاعة السلام ..

د . أحمد كمال أبو المجد

حمار ابن ابي ليلى

قيل : ان ابن ابي ليلى القاضي في الكوفة في القرن الثاني الهجري ، طلب من أحد النخاسين أن يشتري له حمارا ، فقال للنخاس : اريد أن يكون الحمار الذي تشتريه لي ليس بالصغير المحتقر ، ولا بالكبير المشتهر ، ان اشبعته شكر ، وان أجعته صبر ، وان خلا الطريق تدفق ، وان كثر الزحام ترفق ، وان ركبته هام ، وان ركبه غيري نام ، فقال له النخاس « اصطبر حتى يمسخ الله القاضي ابن ابي ليلى حمارا ، فأشتريه لك » .

أيها التربويون العرب

لا أسكت الله لكم صوتاً !

بقلم : الدكتور محمد خير عثمان

في وقت تلح فيه الهموم من كل جانب على الأمة العربية يكون من أكثر أنواع الصمت اثارة للدهشة ، هذا الذي تمارسه التربية العربية هذه الأيام . .

فما أحسب أن صوتا واحدا ارتفع ينادي بأن يكون للتربية العربية حضور في الساحة العربية يتكافأ وأهميتها في أمة تجتاز أعظم المحن والأزمات في تاريخها الحديث .

والأدلة على هذا الصمت التربوي العربي كثيرة ، ولكني أسوق دليلا واحدا صغيرا لعل فيه شاهدا على ماأقول . . فقد ظللت ـ ولفترة ليست بالقصيرة ـ أتابع باهتمام احصاء سنويا تنشره مجلة « العربي » في عددها السنوي الختامي ، وتسجل فيه عناوين المقالات التي ظهرت في المجلة في بحر ذلك العام ، مصنفة حسب موضوعاتها وكتّابها .

ظاهرة ملفتة

وقد يبدو للوهلة الاولى أن أهمية مثل هذا السجل السنوي لاتتجاوز كونه وسيلة سهلة يستعين بها القارىء على مراجعة الموضوعات التي تهمه خلال ذلك العام . . ولكني أجد فيه شيئا أكثر من ذلك . . أجد فيه دليلا على ظاهرة تستحق التأمل والمتابعة ، وربما الدراسة الجادة أيضا . فمجلة « العربي » تعتبر منبرا يخاطب جمهورا من القراء العرب له أهميته وثقله الاجتماعي باعتباره ممثلا للرصيد المثقف و « الرأي العام » الواعي في الوطن العربي ، ومن هنا فان ما يظهر على صفحاتها انما هو دلالة فكرية واجتماعية ذات مغزى ، ومؤشر لطبيعة هذا « الرأي العام » واتجاهه وعمقه وانتشاره في وطننا العربي .

وعندما قررت تسطير هذا المقال عن واقع الفكر التربوي العربي هذه الايام لم أشأ أن أفترض وجود ظاهرة سلبية في هذا الفكر من منطلق ذاتي ـ على الرغم من قناعتي واحساسي الشخصي بحقيقة هذا الافتراض . وقادتني المصادفة الى احصاء مجلة « العربي » لأجد فيه دليلا موضوعيا يشير الى هذه الحقيقة .

ففي الاحصاء الذي نشرته المجلة لمقالاتها التي ظهرت على صفحاتها خلال عام ١٩٨١ ، وبشيء من التأمل وقليل من التحليل لطبيعة تلك المقالات ، واذا أخذنا في اعتبارنا أن « العربي » ليست في الواقع مجلة متخصصة في ميدان واحد من العلوم ، وانما هي مرآة تعكس وجه المجتمع العربي بجميع ابعاده ، لوجدنا ان أزمة هذا المجتمع ـ حسبما يشير هذا الاحصاء ـ هي أي شيء . . ماعدا التربية !

فمن بين الثلاثمائة مقالة وعشر التي وجدت طريقها الى النشر في المجلة خلال ذلك العام ، كان نصيب التربية ـ بالمعنى المحدد لهذا المفهوم ـ مقالتين اثنتين لاغير . . أي أقل من ثلاثة أرباع بالمائة بلغة الاحصاء ! وربما يعتبر هذا دليلا وحيدا ، ولكنه قطعا دليل له دلالة واشارة ، واذا أضفنا اليه تواتر الظاهرة وانعكاساتها في قلة عدد الصحف

والدوريات المتخصصة وشبه المتخصصة في التربية ، وفي شح النقاش الأصيل والجاد في الصحافة والمنابر العامة . وفي ندرة النظر الى جوانب الأزمة العربية والعالمية الراهنة من منظور تربوي ، على الرغم من تعدد المنظورات التي يحاول بها الكتاب الوصول الى سبرغور الأزمة وطبيعتها وتقديم الحلول لها ـ فإن دليلنا يصبح له أكثر من دلالة وأكثر من اشارة ، وأن ملاحظتنا يمكن أن تشكل ظاهرة فكرية واجتماعية تستحق الوقوف عندها وتأملها .

ماذا تعني هذه الظاهرة ؟

هل تعني أن المجتمع العربي ـ ولأسباب معينة ـ قد انصرف عن التربية وفقد ثقته بها وبدورها في حل أزماته ، فلم تعد قضاياها ـ تبعا لذلك ـ تشكل هما من همومه الجادة والملحة كما هو الحال مثلا بقضايا السياسة والاقتصاد والأدب والشعر والابداع الفني؟ (راجع احصاء « العربي » المشار اليه) .

أم تعني أن هناك افلاسا في الفكر التربوي على النطاق العالمي بعامة ، فلم يعد للتربويين ما يقولونه للناس وللمسئولين في مجتمعاتهم عن تنشئة الأجيال الجديدة ؟ أم لعل التربويين العرب قد صحت فيهم مقولة السياسي الأوروبي المعروفة عن الحرب بأنها « أخطر من أن تترك للجنرالات » فتنحوا عن الساحة تاركين التربية وتعقيداتها لغيرهم من الذين هم في مواقع أكثر تأثيرا في المجتمع ؟ . . قد يكون هذا أو غيره من أسباب هذا الصمت ، وسنحاول في هذه المقالة التأمل في الظاهرة من عدة جوانب .

الأزمة والتربية

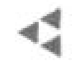
هذا الصمت من التربويين العرب يثير الدهشة ، لا لأنه يأتي والمجتمع العربي في أكثر فتراته التاريخية حاجة وترقبا لسماع كلمة التربية فحسب ، بل لأن الظاهرة تشذ عن منطق التاريخ نفسه ، ذلك لأن مسار الفكر التربوي عبر التاريخ يقف شاهدا على العلاقة القوية بين الأزمة والتربية . . سواء أكانت الأزمة ذات طبيعة اجتماعية أم ثقافية أم اقتصادية أم عسكرية أم سياسية ، وسواء أكانت التربية بمعناها الحضاري العام أو بما يتعلق بتأثيرها المحسوس والمباشر داخل صفوف الدراسة .

واذا تتبعنا مجالات الاصلاح التربوي الكبيرة والتي تركت آثارها الجذرية في نظم التعليم في العالم لوجدنا أنها كانت تبدأ بنشاط في الفكر التربوي أعقب أو صاحب أزمات اهتزت لها أركان المجتمع المعين ، وانعكس في قوانين وتشريعات أدت الى تغيير في حال التعليم . . تغيير يهدف الى إنقاذ المجتمع من أزمته أو يحاول تجنيبه كوارث المستقبل . واذا تناولنا أوروبا الغربية كمثال لوجدنا أن هذا قد حدث منذ العهد اليوناني (الأثيني والاسبرطي) عبورا بعهد النهضة وحركات الاصلاح الديني ، فالثورة الفرنسية واصلاحات نابليون وخلال وما بعد تكوين القوميات لدول أوروبا الوسطى وماصاحب وأعقب التغييرات الكبرى في البنى الاقتصادية والاجتماعية كنتيجة للانقلاب الصناعي .

وفي عصرنا الحديث جاءت أهم الوثائق لاصلاح حال التعليم في فرنسا وبريطانيا في أحلك الأيام وأدق المراحل التي يمر بها كل من هذين المجتمعين ، فجاءت اصلاحات ما بعد الحرب في التعليم الفرنسي مثلا نتيجة للحوار الذي شغل به المستنيرون من ضباط الجيش الفرنسي خلال عهد الاحتلال النازي لفرنسا ، وفي انجلترا تمت صياغة وثيقة بتلر المشهورة ، تحت ظل القنابل الطائرة ، وتمخضت عن قانون عام ١٩٤٤ الذي مازال يحكم النظام التعليمي البريطاني .

وعندما نصل الى مناخ الحرب الباردة وتصاعد التنافس على غزو الفضاء بين الدولتين العملاقتين نجد واحدا من أهم الدلائل على مكانة التربية في العالم المعاصر ، اذ يعتبر عام ١٩٥٨ ـ عام اسبوتنيك الروسي ـ هو عام التحدي الفضائي بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة حيث فوجئت الأخيرة بتخلفها في الميادين العلمية والتكنولوجية التي مكنت روسيا من تجاوزها فضائيا وذلك بكسر حاجز الجاذبية لأول مرة في التاريخ العلمي ، على أن عهد أبولو الفضائي في أمريكا لم يبدأ فقط بتنشيط صناعة الفضاء والبحوث العلمية والتكنولوجية المتعلقة بها ، وانما بدأ أيضا بثورة في مناهج الرياضيات والفيزياء وطرق تدريسها في صفوف الدراسة منذ مراحل رياض الأطفال . . وظهرت عشرات الكتب والدراسات . . . من أشهرها سلسلة بعنوان « ما الذي يعرفه ايفان ولايعرفه جوني » تحلل الفرق بين التعليم في المجتمعين الروسي والأمريكاني .

هذه مجرد أمثلة اخترناها فقط للدلالة على الظاهرة المتواترة تاريخيا للعلاقة المتداخلة بين الأزمة والفكر التربوي وجهود الاصلاح التعليمي ، أو بمعنى آخر لوعي



تلك المجتمعات بالحقيقة المروعة ، وهي أن مصير الانسان « معلق في السباق بين التربية . . . والكارثة » كما عبر عنها أحد فلاسفة التربية المعاصرين .

هذا هو واقع الحال في العالم من حولنا . . كل أزمة هددت أو تهدد المجتمعات تجد لها صدى وانعكاسا في التربية . . فما هو واقع الحال عندنا ؟ ان تاريخ الأمة العربية خلال مايربو عن الثلاثة عقود التي أعقبت الحرب العالمية الثانية ، انما هو سلسلة متصلة للأزمات يرتبط بعضها بالأوضاع العالمية العامة المتشابكة بالعلاقات السياسية والعسكرية بين المعسكرين الشرقي والغربي ، وبعضها يدخل في نطاق حركة تصفية الاحتلال بين الدول الاستعمارية الغربية والدول حديثة الاستقلال وما ترتب على ذلك من صراع بين الحضارات السائدة والصاعدة وتناقض بين المصالح السياسية والاقتصادية ، تجسده المحاولات الدولية الراهنة للمصالحة فيما يسمى « بالحوار بين الشمال والجنوب » أو البحث عن « نظام اقتصادي دولي جديد » .

ولكن أشد جوانب هذه الأزمات حدة وأعمقها أثرا على الأمة العربية هي بالطبع التي جاءت وليدة ظروفها وأوضاعها السياسية والاقتصادية والحضارية عامة وتفاعل هذه الظروف والأوضاع مع الأحوال الدولية المذكورة . .

وما أحال القارىء العربي بحاجة الى من يقف معه عند معالم المشكلة العربية ـ بل المأساة العربية ـ في حلقاتها المتتابعة منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية وحتى الغزو الاسرائيلي للبنان ومذابح صبرا وشاتيلا . . ولكن السؤال هو . . هل كان تجاوب التربية العربية مع المشكلة العربية متكافئا مع حجمها وطبيعتها وتأثيرها على الواقع والمصير العربي ؟ هل كان مستجيبا مع الأزمة في حدتها وتأثيرها العميق القوى على الامة العربية وعلى أجيالها الجديدة ؟ وهل أفسحت الساحة العربية مكانا فيها للتربية العربية لتدلي بكلمتها ـ ان لم نقل لتقوم بدورها الطبيعي ـ في ريادة المجتمعات العربية وفي تعبئة مواردها البشرية والمادية والحضارية لمواجهة مشكلاتها محليا وقوميا ، حاضرا ومستقبلا ، وبمعنى آخر هل كانت «خصوصية » التربية العربية منسجمة مع « خصوصية » المشكلة العربية في هذه الفترة من حياة هذه الأمة ؟

« استراتيجية التربية العربية »

ولاشك أن الدعوة خلال هذه الفترة للتكيف التربوي مع الأوضاع المتجددة في العالم العربي لم تنقطع تماما منذ أول ميثاق ثقافي عربي وحتى صدور « استراتيجية التربية العربية » قبل نحو أربعة أعوام ، والمحاولة الأخيرة تمثل جهدا علميا ونموذجا عمليا لرؤية مشتركة للعمل التربوي في الوطن العربي شارك في اعدادها التربويون بآرائهم كما شارك فيها أصحاب القرار السياسي . . ولكن من المدهش ، وعلى الرغم من تقديم الاستراتيجية لنفسها بأنها ليست خطة للتنفيذ بقدر ماهي منير للفكر وللحوار والتأمل ، وعلى الرغم من الدعوات المتكررة من جانب المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وأجهزتها التربوية بأن تشكل الاستراتيجية محورا لبناء رأي عام تربوي مازال مكانه شاغرا في مجتمعاتنا العربية ، فان هذه الوثيقة الهامة لم تحظ الا بالنذر اليسير من الاهتمام من قبل التربويين العرب . . وظل صوت التربية ازاءها صامتا . . ويكفي هذا وحده شاهدا على ضعف المواءمة بين الفكر والممارسة التربوية في الوطن العربي وبين أزماته المتلاحقة .

ورب قائل يقول ولكن ماذا بقي للتربية العربية أن تفعل ؟ وماذا بقي للتربويين أن يقولوا والتعليم في الوطن العربي والحمد لله بخير ؟ . فقد زادت معدلاته بطفرات واسعة كما زادت نسبة الانفاق عليه أضعافا خلال العقد الأخير . . وضاقت الفجوات بين الفئات الاجتماعية في فرص التعليم بنسب محسوسة ، وتحسنت هيئة المرافق التعليمية ، وزاد الاهتمام باستخدام الوسائل العصرية المستحدثة . . وتتمتع المنطقة العربية وحدها حاليابخدمات ثلاث منظمات كبرى تربوية : دولية واقليمية وشبه اقليمية ـ مما أدى ويؤدي الى تكثيف الحوار بين أقطارها خصوصا على مستوى الكوادر التنفيذية بفضل تعدد المؤتمرات والاجتماعات واللقاءات التي تنظمها هذه المنظمات . . وفي جزء واحد من العالم العربي حاليا تتوالى الجهود لانشاء ثلاث جامعات في وقت واحد مما سيضاعف في المستقبل القريب زيادة نسبة التعليم الجامعي بشكل لم يسبق له مثيل في هذه المنطقة . ويضيق المجال عن احصاء الشواهد والأمثلة التي تشير الى النمو التعليمي المطرد في أقطار الوطن العربي . . على الأقل بحساب المتوسط . . أليس لنا أن نهنىء أنفسنا بما حققناه ؟ .

ولكن قبل أن يحق لنا أن نهنىء أنفسنا بما حققناه فان صوت التربية الحقيقي يجب أن يرتفع ليفحص القيمة الحقيقية لهذه المنجزات وجدواها وعمق تأثيرها وهل هو تأثير في الجذور أم في القشور . . . ومدى تجاوب كل ذلك مع مشكلات الواقع والمصير الحقيقية للفرد العربي وللمجتمعات العربية ؟

ان الحقبة التاريخية التي تجتازها المجتمعات العربية

حاليا تفرض على التربية العربية أن تكتسب لها صفة مميزة نابعة من مقوماتها الذاتية وفق مقتضيات مواجهة الأزمة الراهنة .

وعلى الرغم من الاحاديث المطولة لخبراء التنمية واخصائيي التغيير الاجتماعي ، وعلى الرغم من حاجة المجتمعات العربية النامية للتنمية والتغيير بكل ابعاده (الى الافضل !) فان الازمة الحقيقية لهذه المجتمعات تبقى في جوهرها « اشكالا حضاريا معقدا » بكل ما في هذه العبارة من معنى . . وهو اشكال يتجاوز حدود التنمية الاقتصادية والاجتماعية بمعناها المحدود المتعارف عليه ليمتد عبر مساحة الزمن ويتناول الانسان العربي تاريخا وحاضرا ومصيرا . . ولعل من اول ما يحقق الخصوصية التربوية للمجتمعات العربية هو ان تخرج من اسار المفهوم الغربي الشائع والسائد للتنمية والذي يركز على حل القضايا المعيشية الآنية وان تستحدث لها مفهوما جديدا يعطي التربية مسئوليتها كاملة ازاء « الاشكال الحضاري » الذي تواجهه والذي يعتبر التخلف بالمفهوم التنموي السائد وجها واحدا من وجوهه المتعددة .

من هم التربويون المعنيون ؟

وعندما نتحدث عن دور التربويين العرب في توجيه المجتمعات العربية في هذه المرحلة الحرجة من تاريخها ، فعلينا ان نميز بين هذا الدور للتربويين من جانب وبين الاوضاع التعليمية القائمة في البلدان العربية (ومعدلات نموها واتجاهات هذا النمو) دون ان نحاول تجزئة العلاقة بين هذا وذاك ، من جانب اخر . . ولكن من هو التربوي الذي نعنيه ؟ التربوي هو بالاختصار مفكر يحاول ان يبني في ذهنه « منظومة » للتغيير الاجتماعي تمتد علاقاتها بين واقع المجتمع الذي يعيش فيه (او يهتم به) وبين ما يراه هذا المجتمع لنفسه من مصير وما يطمح اليه من مستقبل ، وبين نظام تربوي يعين المجتمع على تجاوز واقعه الى المستقبل المنشود . وهو يستمد تصوره هذا من خلفيته الثقافية والعلمية والفلسفية ومن قناعته بحتمية التغيير الاجتماعي وبدور التربية القيادي في عملية التغيير هذه .

. . التربوي شخص قد يمارس التربية مهنة أو لا يمارسها ، ولكنه بالمكان الأول مفكر يتميز برؤية تربوية « منهجية » للتغيير الاجتماعي . . ولأنه على قناعة تامة بالأثر الايجابي للتربية في المجتمع ، على المدى القريب أو البعيد ، فانه مبشر وداعية على الدوام لهذا الفكر في مجتمعه .

ومثل هذا التصور ليس بالضرورة وقفا على أولئك النفر من المفكرين الذين امتهنوا التربية أو عملوا في حقل التعليم ، ويحكي لنا التاريخ القريب والبعيد في كافة أرجاء العالم أن كثيرا من قادة الفكر الذين بشروا بالتغييرات الاجتماعية والحضارية من منظور تربوي لم يكونوا تربويين بمعنى التخصص العلمي في العلوم التربوية المعروفة كأصول ، وفلسفة ، وسيكلوجية ، وتعليم مقارن ، وتخطيط تعليمي وغير ذلك من فروع « البيداجوجيا » التي تدرس في كليات التربية بالجامعات في الشرق والغرب . . ومع ذلك فان هؤلاء قد تركوا بصماتهم على الفكر التربوي وبالتالي في الممارسة التربوية العملية وبعمق أكثر مما تركه كثير من المتخصصين . على أننا ـ تحديدا للمفهوم ـ نعني بالتربويين في هذه المقالة أولئك المثقفين من العرب المتخصصين في مجالات التربية وعلومها ، ومعظم هؤلاء من أساتذة الجامعات الذين يقومون بتدريس فروع التربية المختلفة لطلبة كليات المعلمين على مستوى الشهادات الجامعية الأولى أو على مستوى البحوث والدراسات العليا . ومثل هذه الفئة هي المرشحة بحكم ثقافتها وموقعها العلمي القيادي في المجتمعات العربية لأن يكون لها اسهام في التغيير الاجتماعي من خلال التثوير أو التجديد التربوي وأن يتجاوز هذا الاسهام مسئوليتها التعليمية المحصورة داخل المؤسسات التربوية التي تعمل فيها متجاوزة حدود هذه المؤسسات الى المجتمعات العريضة والى ساحة التطبيق العملي .

ومثل هذا الصنف من المثقفين العرب المهتمين بقضايا التربية من منطلق تخصصاتهم الفنية وجنّسهم الوطني متوفرون بيننا والحمد لله ، وهي فئة نشيطة ومتحركة في مجال عملها الأكاديمي الفني لا سيا إعداد الكوادر التربوية وتأهيلها لمواصلة المهنة على أحدث الأنماط والنماذج ، وكل ما يتعلق بذلك من اعداد أو الاشراف على اعداد البحوث التربوية وبخاصة ذات الطابع الفني التطبيقي ، وتأليف الكتب أو ترجمتها في أحدث النظريات والممارسات التربوية التي ابتكرت في العالم الغربي مع محاولات لتكييفها مع ظروف الواقع والبيئة العربية ، ولاشك أنه من خلال جهود هذه الفئة ، لاسيما حصيلة حملة الشهادات العليا من الجامعات الأوروبية والأمريكية منذ الستينات وممن تخرج على أيديهم خلال هذه الفترة ، والذين انتشروا في كليات التربية ومعاهد اعداد المعلمين على امتداد الوطن العربي ، تطورت مهنة التربية عندنا تطورا ملموسا واكتسبت لنفسها مميزات محدودة خاصة بها وخطت بالجهد الفني في مجال التعليم خطوات واسعة الى

الامام ولكنها خطوات في طريق لم تسهم هذه الفئة أو لم يتهيأ لها أن تسهم الاسهام الكافي في رسمه أو التخطيط له ، أو في تحديد أهدافه وغاياته البعيدة .

ومن هنا فلعله لا يكون بعيدا عن الانصاف أن نقول انها قد رضيت « بالأمر التربوي الواقع » . . لم تتحفظ ازاءه ولم تتمرد عليه ، وانما قبلته كما هو . . صحيح أنها ـ وكما أسلفنا ـ قد طورت ممارساته وفنياته وتقنياته ـ ولكنها لم تتجاوز ذلك كثيرا الى النظر في غاياته وأهدافه وبالتالي في وضع هذه الفنيات والتقنيات في مكانها الصحيح من الاطار الشامل للتربية ـ غاية ووسيلة .

طرح الأسئلة الصحيحة :

لقد كان غرض هذا المقال هو ـ كما أسلفنا ـ دعوة للتربويين العرب بأن يفتحوا بينهم وبين أنفسهم ، وبينهم وبين الجماهير العربية ومراكز اصدار القرار في الوطن العربي حوارا ذكيا يتناول رسالة التربية العربية الأصيلة كأداة رئيسية للتغيير والتنمية والحفاظ على الميراث الحضاري للأمة في فترة يتعرض فيها لجميع صنوف الحصار المادي والمعنوي . والقضايا التي ما زالت تنتظر الجهد الفكري الجاد كثيرة ومتعددة بتعدد جوانب المشكلة التي تجتازها مجتمعاتنا العربية حاليا . .

وفي رأينا أنه لا بد من وقفة تستعيد فيها أنفاسنا من رتابة العمل التربوي المكرر للنظر في الجدوى النهائية لهذا العمل ، وفي مدى ارتباطه بالقضايا الكبرى لهذه المجتمعات .

ان على التربويين العرب أن يواجهوا أنفسهم في هذه اللحظات بالأسئلة الصحيحة عن مسائل جوهرية لا بد أن يتم حولها حد أدنى من وحدة الرؤية بينهم قبل أن يكون لهم تأثير واقعي وملموس على واقع التربية والتعليم كما تجسده الأنظمة التعليمية القائمة في الوطن العربي .

وفي ظننا أن الحوار المطلوب يجب أن يتناول ثلاث مسائل رئيسية هي :

أولا ـ طرح قضية التأصيل التربوي العربي بصورة جادة مع تجنب المنطلقات الخاطئة التي وقع فيها كثير ممن تناول هذه القضية من قبل .

ثانيا ـ قضية التكافل والتعاون العربي في الجهد التعليمي وتناولها من المنطلق الواقعي للمصلحة المتبادلة بين الأقطار العربية وفق استراتيجية أكثر شمولا من مستوى الاتفاقات الثنائية ، ولكن ليس من المنطلق الكلاسيكي الذي عولجت به هذه القضية كجانب واحد في محاولات الوحدة العربية ، مثلا .

ثالثا ـ مراجعة لمفهوم التنمية الغربي السائد حاليا . وقد سبقت الاشارة الى أن من أول واجبات الفكر التربوي المعاصر هو التحرر من هذا المفهوم والوصول الى مفهوم جديد للتنمية ، يوسع من دروها حتى تستوعب أبعاد المشكلة العربية باعتبارها « اشكالا حضاريا » معقدا بالمكان الأول ، وليس مجرد تخلف اقتصادي يمكن علاجه بالمفهوم الاقتصادي المحدود لمفهوم « استثمارية التعليم » .

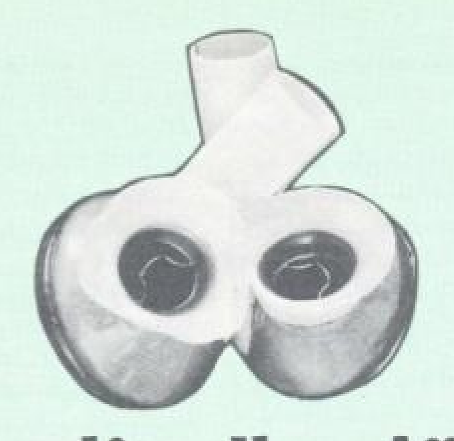
ان للتربية ـ أو ينبغي أن يكون لها ـ موقفا من جميع قضايانا الكبرى : الهوية القومية ـ التخلف الحضاري ـ التكيف نحو المستقبل .

وأخيرا وليس آخرا مشكلة الوجود الاسرائيلي (أو سمّها إن شئت مشكلة الوجود العربي !) حتى في حالة نجاح محاولات السلام ، وهو موقف يبدأ بطرح الأسئلة الصحيحة عن التربية نفسها ومن ثم الوصول الى الاجابات الصحيحة فالحلول الصحيحة . .

والمنبر بين يدي التربويين العرب . .

د . محمد خير عثمان
كبير مستشاري مشروع اليونسكو التربوي
بسلطنة عمان

افتخر بعض الأغنياء عند بعض الحكماء ، بالآباء والأجداد ، وبزخارف المال المستعار ، فقال له الحكيم : ان كان في هذه الأشياء فخر فينبغي ان يكون لها لا لك ، وان كان آباؤك ـ كما ذكرت ـ أشرافا ، فالفخر لهم لا لك .



القلب الصناعي هل يعيد عزف لحن النبض الأزلي ؟

إعداد وجدي رياض

○ قامت الدنيا على هذا الصباح ... وصفقت ارادة الحياة لمحاولة غرز قلب صناعي جديد تماما في جسم مريض أشرف على الموت لكي يستمتع بالحياة بضعة ايام أخرى ... وقد يودع الحياة اثناء قراءة هذه السطور ، ولكن مهما كانت النتيجة فهي تعتبر فتحا جديدا في علم جراحة القلب والصدر ومهما كانت متاعب صاحب القلب عند الحركة حيث يواكب رفقته آلة ضخمة تلازمه كظله ... فان كل نبضة « صناعية يعيشها صاحب القلب الصناعي المريض هي نبضات نجاح عمرها ٣٠ عاما».

ان نجاح عمل مضخة صناعية بدلا من القلب الطبيعي الذى اصابه الوهن وتلفت عضلته التي تدفع الدم الى جميع اجزاء الجسم هو نهاية قصة كفاح ، وبداية سلسلة من المتاعب قد يتغلب عليها الجراحون بالضرورة بعد أن تستقر النظرية وتظهر حلول للمشاكل التي تواجه المرضى بعد هذه الانواع من الجراحة . ويجتهد الجراحون مع مفكري الهندسة الحيوية لتفادي كل ثغرات التجربة ، حينئذ سوف نرى الجهاز وقد تم تصغيره . أما المضخة التي

تدفع وتشفط الهواء من الخارج فسوف تتحول الى جهاز صغير في حجم الراديو الترانزيستور ، يضعه المريض في سترته ويؤدي المهمة بنجاح .

وللحق .. لم يكن لأي جراح أن يقترب من القلب بدون جهاز القلب الصناعي ... الذي يجاور سرير العمليات . لكي يسحب الدورة الدموية كلها اثناء العمليات الجراحية الى خارج الجسم ، ويعيدها مرة أخرى الى الجسم ذاته متفاديا القلب المفتوح الذي تتم فيه الجراحة وقد تحول الدم الفاسد الى دم نقي أثناء عملية تغيير للصمامات ، أو عملية رتق أحد الثقوب ما بين حجرات القلب الاربعة أو اثناء استبدال الشرايين التالفة وزراعة شرايين جديدة مكانها او حتى اثناء توسيع أحد صمامات القلب التالفة ... فان الدم يتدفع بصورة تعوق عمل الجراح ويتحول تجويف الصدر للمريض الى بركة من الدماء . ولا بد في هذه الحالات من وجود مضخة صناعية بجوار المريض يتم تحويل الدورة الدموية بالكامل اليها (خارج جسم المريض) حتى يتم اجراء العملية الجراحية في القلب بدون وجود دماء تقريبا في منطقة القلب والصدر طوال فترة العملية الجراحية .

حلم قديم

ويعتبر استبدال القلب بالكامل أو استئصاله من جذوره ليفسح المكان للقلب الصناعي هو الحلم الذي يداعب اطباء القلب وجراحيه منذ أمد طويل وهي الجراحة التي يحتاجها عشرات الالوف من المرضى ابتداء من سن السابعة وحتى ٧٧ عاما . وعادة تأتي الحاجة الى القلب الصناعي بسبب خلل أصاب عضلة القلب ذاتها نتيجة انسدادات متعددة في الشرايين التاجية أو جلطات القلب . فكل جلطة تحدث ... تؤدي الى موت جزء من العضلة ، لأن حدوث الجلطة يعني حرمان هذا الجزء من القلب من الدم ... ويؤدي هذا الى تليف ذلك الجزء بحيث يصبح عبئا على العضلة كلها .

ولكن ما قبل جراحة زرع القلب الصناعي ، لجأ الجراحون الى استبدال القلب التالف الغير قادر على عزف لحن النبض الازلي .... بقلب آخر سليم تماما منزوع من انسان صحيح البدن ، اصيب صاحبه في حادث ، وهي عمليات زرع أو غرز القلب والتي سبق بها كريستيان بيرنارد جراح القلب في جنوب افريقيا كل جراحي العالم . وقد نجحت عمليته الجراحية الاولى من نوعها في العالم . ولعل سر نجاحه هو أنه انتزع القلب من شاب أسمر اصيب في حادث وكان القلب لشاب ينبض بالحيوية .

وقد تحقق نجاح هذه الجراحة من خلال جهاز من المعلومات الفائق الدقة والذي يغذي كل المستشفيات بحوادث الاصابات بمعلومات عن فصيلة الدم وفصائل الانسجة وهي معلومات اساسية تتلقاها كل المستشفيات المشتركة في بنك المعلومات وتقوم بتجارب زراعة القلب .

قلب الانسان والبقرة

أما عملية استبدال القلب المتليف بالمضخة الصناعية مثل حالة القلب الذي دهمته الحمى الروماتيزمية الشديدة والتي تتلف صمامات القلب كلها وتصيبها بالتشوه مما يؤدي الى اضطراب حركة مرور الدم داخل الغرف الأربع للقلب فهي ليست جديدة على الجراحين فقد تمت تجربتها على حيوانات التجارب ، ولعل اهمها الابقار التي يتناسب قلبها مع حجم قلب الانسان وصماماته .

والقصة تعود الى الجراح الامريكي « دانتون كولي » وهو احد اشهر ثلاثة جراحين للقلب في امريكا كلها وتلميذ العالم الأمريكي اللبناني الاصل « مايكل ديبكي » وقد انفصل عنه بعد فترة وبدأ ينافسه في جراحات القلب . وطبيعة كولي انه مغامر ... طويل ... وسيم ... تخصصه في فتح القلوب ... وانغام الموسيقى تصدح في مسرح العمليات ولا يختلف اثنان على انه من أمهر جراحي القلب في امريكا ... وقد بنى قسم جراحة القلب والصدر في تكساس ـ بمعهد هيوستن ـ من اتصالاته الشخصية ومجهوداته الخاصة . وكل همه تحريك جمود العلم الى آفاق المهارات الطبية الجديدة وقد جلبت له هذه الشهرة الكثير من المتاعب .

ففي ٢٣ يوليو الماضي اجريت الجراحة لرجل يناهز من العمر ٣٦ عاما واسمه « ديليوردس » وقد سبق ان اجريت له ثلاث عمليات جراحية في القلب ، ولكن بعد فترة بدأ يعاني من المرض والمتاعب مرة أخرى ويشكو من الام شديدة في القلب . وقد حملته زوجته الى المستشفى ومعهد هيوستن ، ولدى الجراح دانتون كولي ـ طرحت زوجها المريض الميئوس من شفائه .

وبعد اجراء الكشف الطبي في حجرة العناية المركزة أيقن د . كولي ان مريضه يوشك على الموت ولا علاج له سوى اجراء عملية زرع قلب فورا .

واتصل كولي بجهاز الذاكرة الالكترونية الفيدرالية يسأل هل بنوك الاعضاء في الولاية يسمح رصيدها بصرف قلب مواصفاته تنطبق مع مواصفات وفصيلة الدم وفصائل الانسجة الخاصة بالمريض .



وانتظر كولي برهة امام شاشة التلفزيون وجاءه الرد فورا . . . ان ادارة البنوك الفيدرالية تقدم اعتذارها لعدم وجود قلب مناسب للمريض . . .

وفي الحال رد كولي قائلا . . . هذه مواصفات مريضي وهذه فصيلة دمه وانسجته ونحن في الانتظار . . . وأغلق الاتصال مع الذاكرة الالكترونية . وعاد الى حجرة العمليات ليحول الحجرة الى مسرح كبير حيث كان القرار ؟ !

ما هو ياترى كان قرار كولي !

دقات الحياة والموت !

لقد استعان بكل معاونيه وذهب الى خزانه معتمة تشبه الثلاجة الكبيرة وسحب منها قلبا صناعيا . . وعلى منضدة العمليات كان المريض قد شق صدره . . . وبرز قلبه واضحا ليضع الجراح بجوار القلب المريض قلبا صناعيا آخر يدق دقات الحياة والموت .

وفعلا مضت الساعات ، والمريض لا يزال يواجه حتمية الموت ، والامل يتضاءل امام هذه المحاولة المجنونة التي مارسها كولي بدون اذن من هيئة الاغذية والادوية الامريكية حيث ان هذه الهيئة المذكورة لم تسمح بأي جراحة لاستخدام القلب الصناعي حتى الان لانه ما يزال في طور التجارب ، فهو من مادة البلاستيك ويعمل بالمولد الكهربائي كمضخة ، وكان هدف كولي من استخدام القلب الصناعي وهو لا يزال تحت التجربة ولم تجزه هيئة الاغذية والدواء ان يحاول انقاذ المريض من الموت الحتمي الى ان يعثر على قلب طبيعي يؤخذ من انسان اصيب في حادثة لتوه ، حتى ينزع القلب الجديد ويزرعه في صدر المريض ، وتكون أوصافه ملائمة حتى يستأنف القلب الجديد العمل في صدر المريض بدلا عن القلب التالف أو من واهب للقلب ، فأحيانا يوصي الانسان في امريكا بأنه يهب قلبه الى كليات الطب أو لاي مريض محتاج الى قلبه بعد وفاته وهو نظام للتبرع بالاعضاء الهامة مثل الكليتين والعيون والقلب وغيرها بعد الوفاة . . .

المهم انه في تمام الساعة الثامنة من صباح ٢ أغسطس مات المريض وكانت سبب الوفاة (تزايد اعداد البكتريا في جسم المريض) .

ماذا يقول استاذ جراحة القلب ؟

ويعلق الدكتور اسماعيل سلام استاذ جراحة القلب بطب عين شمس قائلا : بأن اليوم يمثل دخول جراحات القلب في المرحلة الحديثة فلم يعد يكفي . أن يستغني الجراح عن عمل القلب الطبيعي لمدة ثلاثين دقيقة أثناء إجراء العمليات الجراحية في القلب ولكن التحدي الحقيقي أن تستغني عن عمل القلب لمدة عشر سنوات أو عشرين سنة ومن هنا جاءت مضخات عدة قدمها بعض العلماء ومن ضمنهم مايكل ديبكي ود . كولف وكون جات ، وايستوود وآخرون . وحدث التجسيد الحقيقي للقلب الصناعي عندما اعلن كولف سنة ١٩٦٩ عن ابحاثه في القلب الصناعي وكيف استطاع أن يحل بعض مشاكل القلب الصناعي في التجليط والمواد . والفكرة ذاتها كانت بسيطة سرعان ما اثبتت كفاءتها . . . والقلب الصناعي عبارة عن كيس يمتلىء بالدم ويحيط به كيس أكبر يندفع فيه الهواء على هيئة نبضات تملؤه ثدفع الدم ويفرغ الكيس ثم يسحب الهواء فيسمح للدم بالعودة ليمتلىء مرة أخرى وهكذا .

« واستطاع كولف أن يثبت بواسطة مساعديه » ان هذا القلب هو بداية الثمانينات ، ولكن عند نهاية الأربعينات بدأت قصة قطع غيار القلب لتصبح حقيقة وليست خيالا فقد تمكن أحد الجراحين من استبدال بعض الاجزاء من الاوعية الدموية بأوعية دموية جديدة تزرع في مكانها وفي نهاية الخمسينات أمكن تغيير الصمامات للقلبواستبدالها بواسطة صمامات صناعية تقوم بعملها بعد زراعتها في قلب المريض . وفي نهاية الستينات امكن زرع توصيلات لشرايين القلب التالفة ولكن التحدي الكبير هو ايجاد قطع غيار تحل محل أهم جزء وهو عضلة القلب التي تدفع الدم . . . المضخة الحيوية القادرة للقيام بعمل ملء سفينة صغيرة كل اسبوع . . المضخة التي تعمل طوال حياة المريض دون انقطاع وتدق حوالي سبعين مرة في الدقيقة طول عمر الانسان وشغل ذلك التحدي الكثير من العلماء

والاطباء الذين قاموا باجراء الاختبارات على الورق اولا وعلى الحيوانات ثم على الانسان . . ولقد تم فعلا عمليات زرع القلب وتحطمت آمال الكثيرين عندما تبين أن الجسم يرفض القلب الجديد بعد زراعته وبالتالي تنتهي حياة الانسان .

كيف ولدت الفكرة ؟

ثم يقول الدكتور سلام :

ولقد تمكن العلماء من تغيير الوعاء الدموي بقطعة من البلاستيك وكذلك تغيير الصمام بواسطة صمام صناعي فلماذا لايستطيع العلماء ان يصنعوا عضلة من البلاستيك ؟ إن تلك الماكينة الصناعية التي تستطيع ضخ الدم يمكن أن تحل مكان القلب الطبيعي اذا أصابه التلف . . وانجذب احد العلماء الكبار لهذه الفكرة وهو الدكتور كولف . . الرجل الذي ادخل الكلية الصناعية وهو الذي عمل رئيسا لقسم الاعضاء الصناعية للجسم وحتى لا يختلط الامر لم يفكر كولف في الاطراف الصناعية ولكنه يفكر في زرع قلب أو رئة صناعية أومثانة صناعية وهكذا .

« إن أبحاث القلب الصناعي لم تبدأ من الفراغ فقد نشأت الفكرة منذ زمن طويل وصارت حقيقة في ٦ مايو ١٩٥٣ عندما اعلن الدكتور جون جيبون عن استخدام القلب الصناعي في القيام بعمل القلب اثناء عملية اغلاق ثقب في قلب فتاة عمرها ١٨ سنة . . في ذلك اليوم علق احد كبار الاطباء على ان هذا القلب الصناعي لا يحتاج للجهاز العصبي للانسان للتحكم في عمله وأنه يمكن أن يزيد انتاجه بزيادة الدم الواصل اليه فاذا قام الشخص بمجهود ما فان الدم الذي يصل الى القلب الصناعي يزيد تلقائيا .

وفي الاعوام التالية استخدمت مادة البوليورثان في صناعة القلب الصناعي وهي مادة لا تؤثر على عناصر الدم ومكوناته وقامت التجارب من عام ١٩٦٩ حتى عام ١٩٨٢ سلسلة طويلة من التجارب بدأت على الحيوانات مثل العجول . وخلال خمس سنوات نجح العلماء في أن يبقى أحد هذه العجول حيا بعد العملية لعدة ايام ثم امتدت حياة العجول بعد العملية الى عدة شهور وأصبحت عملية زرع القلب الصناعي ممكنة واثبتت نجاحها في حالة الحيوانات التي يشابه تركيبها جسم الانسان .



أحد النماذج السابقة للقلب الصناعى الذى استخدم فى التجارب على العجول .

الحلم الذي لم يتحقق

ويتذكر الدكتور سلام : في عام ١٩٧١ واثناء عملي مع الدكتور كولف وهو يتحدث في كل صباح مع العاملين في القسم لمدة عشرين دقيقة وكان حلمه ان يستطيع تصنيع جهاز لدفع الهواء المضغوط بحيث يكون حجمه صغيرا مثل منظم القلب ويعمل بالطاقة النووية حتى يمكن زراعته في بطن المريض أسفل الحجاب الحاجز لكي يقوم بعمل القلب الطبيعي إذا اصابه التلف ولم يتحقق الحلم لأنه يتعين على المريض أن يحمل جهازا كبيرا نسبيا لدفع الهواء المضغوط وسيحمل معه أنبوبتين لضغط الهواء وتخرج هاتين الانبوبتين من القفص الصدري للمريض وكان يضحك اذ يقول حتى لا يقتله احد بالضغط على انبوبة منها ـ إذ أن السر في القلب الصناعي يكمن في النبضات المندفعة من المضخة الصناعية ـ وما زال حلم كولف لم يتحقق حتى الآن فأننا أمام جهاز ضخم . . . انتصار عظيم ولكننا لسنا امام علاج نهائي لمرضى القلب ـ ما زال امامنا طريق طويل حتى يتحقق حلم القلب الصناعي . »

قلت : كيف تتم عملية زرع القلب الصناعي ؟

ويقول جراح القلب المعروف :

« العملية تشمل تغيير القلب كله فيوضع المريض على جهاز القلب الصناعي المؤقت والمستخدم في عمليات



فيم كولف في صورة مهداة للدكتور اسماعيل سلام بمناسبة العمل المشترك بينهما في سولت ليك سيتي في عام ١٩٧٣ .

القلب المفتوح وتتحول الدورة الدموية كلها خارج جسم المريض ويرفع قلب المريض ثم يزرع القلب الصناعي من خلال التوصيلات للشرايين والأوردة الرئيسية السابقة في الجسم وهناك في الحقيقة جزأين من الأوعية الدموية جزء للدورة الدموية الكبرى وهي الناحية اليسرى للقلب وهذه تضخ الدم للجسم كله والجزء الآخر للناحية اليمنى من القلب وتضخ الدم الى الرئتين وكل من الجزأين يحتاج الى توصيلتين منفصلتين للقلب الصناعي ، توصيلة لجمع الدم وتوصيلة أخرى لضخه في الشريان الرئيسي للرئة أو للجسم .

ـ وما توقعاتك بالنسبة لهذا المريض ؟

ـ « نحن الآن بصدد تجربة كلنا نتمنى لها النجاح الا انها محفوفة بأنواع مختلفة من المخاطر . . . فان أي خلل ميكانيكي للقلب الصناعي بالرغم من أن احتمال وقوعه ضعيف الا انه قد يؤدي الى خطورة كبيرة . . . كذلك فان حياة المريض بأنبوبتين تخرجان من القفص الصدري وتصل الى جهاز المضخة الاوتوماتيكية ليست بهذه السهولة وخاصة وأنه متصل بجهاز لدفع الدم أو المضخة الصناعية » .

نقطة تحول تاريخية

ويعود الدكتور اسماعيل سلام الى ذكرياته مع بداية عمليات القلب . . . إنه في احد أيام فبراير عام ١٩٣١ جلس احد الاطباء المقيمين بمستشفيات امريكا بجانب مريضة تعاني من جلطة كبيرة بالشريان الرئوي وهو يقوم بقياس الضغط والنبض كما أمره الأستاذ ولكن حالتها أخذت تتأخر ونظر الطبيب الى استاذه وقال لو أمكننا أن نحول الدم الى الخارج حتى يتم اكسدته لانقذنا هذه المريضة من الموت المحقق وابتسم الأستاذ في سخرية دون أن يعلق على هذا الحلم الذي يفوق أي تصور في ذلك الوقت . . . وكان الطبيب هو جون جيبون ولم يفارق هذا الامر خياله . . . بل كانت هذه الحادثة اكبر الأثر في تغيير مسار جراحة القلب كلها ولم يهدأ جيبون وهو يعمل في المستشفى وأخذ يحاول ابتكار أو اختراع جهاز يمكنه من أكسدة الدم خارج الجسم وضخ الدم مرة أخرى الى القلب . وتمضي الايام والسنون ويتحقق حلم جون جيبون ويتمكن من تحويل الدورة الدموية خارج قلب فتاة حتى يتمكن من قفل ثقب في القلب ... حدث هذا بعد ٢٢ سنة وبالضبط كما يتذكره كل من عمل في جراحة القلب في ٦ مايو ١٩٥٣ . . . وهنا دخلت جراحة القلب والرئة مرحلة الاستعاضة عن عمل القلب والرئتين طوال فترة الجراحة ولكن التوقيت كان هاما فاذا زادت المدة عن ساعة أو اكثر قليلا دخل المريض في مضاعفات عديدة . واستمرت التجارب والمحاولات سنين طويلة ولكن عامل الوقت ظل قاسما مشتركا لنجاح أي تجربة أو محاولة وكان انتصار جيبون عاملا مشجعا لكثيرين في إمكانهم استخدام القلب الصناعي بصورة دائمة . . .

● القلب الصناعي

« وانجذب فليم كولف الهولندي الى تجارب القلب الصناعي ولم يكن كولف يؤمن بالقلب الصناعي ولكنه الشاب الذي امن بامكانية صنع الكلية الصناعية والرئة الصناعية واعتقد أن هناك الامل بأن يكون في المتناول عمل قطع غيار صناعية للجسم ولم يكن يبدو في نظر الكثير أنه يمكن تحقيق هذا الحلم إلا انه كسر الصخرة الاولى عندما قدم الكلية الصناعية في الحرب العالمية الثانية وفشلت الكلية الصناعية في أوائل استخدامها ولكنه ما لبث أن أضيفت لها مئات من التطورات لتجعلها احد الماكينات القادرة على انقاذ حياة الكثيرين من المرضى المصابين بفشل الكليتين . وفي عام ١٩٥٠ هاجر كولف الى امريكا واستطاع ان ينفذ من الاستعمار النازي لهولندا بأعجوبة بعد ان تم تزويده بالاوراق المزورة ليعمل في كليفلند . . . وليبدأ في البحث عن حلمه في أن يقدم القلب الصناعي . . . وعلى الطريق قدم كولف كثيرا من اعماله لخدمة العلم وأمراض القلب . . . واستطاع ان يقدم فكرة القلب المساعد . . . الذي يستطيع أن يساعد القلب المصاب حتى ينقذ المريض خلال الفترات الحرجة التي

يصاب فيها المريض بحالة فشل حاد لعضلة القلب واستخدم هذا الجهاز بعد تصويره في العديد من المراكز المتخصصة في جراحة القلب في انحاء العالم . . .

. . واستمرت التجارب

● وفي عام ١٩٥٨ استطاع كولف ان يجري تجربة زراعة القلب الصناعي على العجول وأمكن للقلب الصناعي ان يعمل لمدة ٩٠ دقيقة . . . وانتقل كولف الى يوتا في أمريكا ليعمل رئيسا لقسم الأعضاء الصناعية بالجامعة في ١٩٦٧ . . . وفي جامعة يوتا جمع حوله كثيرا من العاملين ليشكلوا وحدات عمل للكلية الصناعية والعين الصناعية والقلب الصناعي وخلافه ولكن أهم ما تميز في وحدته هو اهتمامه بالقلب الصناعي . ويعطي كولف مكانا متواضعا داخل الجامعة الكبرى ولكنه يملؤه بالنشاط والبحث ويدعو العاملين من كافة انحاء العالم وهويأمل في الحصول على فكرة أو ادخال نوع جديد من البحث الذي يحقق هدفه في عمل أول قلب صناعي . . .

● ومن أوائل التجارب التي اجريت على القلب الصناعي تلك التي ادخلها كون جيت . واذ به يكتشف ان هذا القلب يعمل مثل القلب الطبيعي تماما إلا ان بعض المشاكل تواجه التطبيق العلمي لزراعة هذا القلب الصناعي مثل تكسير كرات الدم وتجلط الدم في بعض الحالات الاخرى مما ادى الى التفكير في مواد جديدة . . وتتطور النماذج حتى يأتي الى كولف شاب آمن بنفس الفكرة . . . وهو جفريك ولم يكن جفريك غريبا على كولف فقد عمل معه من قبل واستطاع ان يحصل على منحة لدراسة الطب في ايطاليا ولكنه بعد فشله في كلية الطب عاد مرة اخرى الى يوتا ليعمل في تكنولوجيا القلب الصناعي ونجح جافريك في عمل نماذج القلب الصناعي « جافريك ٧ » الذي زرع لمريضنا الاخير وحصل بعد ذلك على بكالوريوس الطب من جامعة يوتا .

فكرة القلب الصناعي

● ويقول الدكتور سلام : إن فكرة القلب الصناعي المستخدم بسيطة جدا فهو مصنوع من هيكل من الالومنيوم يثبت عليه الكيس الذي يجمع الدم وهو مصنوع من مادة البولي يورثان (وهي مادة تشبه البلاستيك) وفي اسفل هذا الكيس يوجد غشاء يفصل الدم عن الهواء الذي يقوم بعملية الدفع وعند ارتخاء الغشاء يندفع الدم الى القلب الصناعي وبعد ذلك يتم ضغط الهواء حول الكيس فيندفع الدم الى الشريان الرئيسي بالجسم .

● وفي الحقيقة يتكون القلب الصناعي من نصفين متشابهين تماما مثل القلب الطبيعي الذي يتكون من نصف لدفع الدم الى الرئة لاكسدته ويعود مرة أخرى الى الناحية اليسرى من القلب حيث يدفع الى كافة اعضاء الجسم وقد اثبت مساعدو كولف إمكان عمل القلب الصناعي دون الحاجة الى سيطرة الجهاز العصبي أو المخ على القلب الجديد فهو يستجيب لكمية الدم المتدفقة اليه فاذا زادت كمية الدم التي تصل الى القلب الصناعي زاد تدفق الدم الذي يدفعه القلب الصناعي الى الجسم ومعنى هذا أن كمية الدم التي تصل الى جميع أجزاء الجسم تزيد مع المجهود وهو ما يحتاجه أي شخص لقلبه أما الجزء الآخر من القلب فهو الجزء الذي يبقى خارج الجسم وهو عبارة عن جهاز ضغط وشفطالهواء والذي يعتمد عليه ضخ الدم من الجسم واليه . . ويتصل الجهاز بالقلب داخل صدر المريض بواسطة انبوبتين طول كل منهما حوالي مترين . . .

حتى لو مات كلارك !

● حقيقة ان غرس اول قلب صناعي كان للمريض كلارك ، والتوقعات له بالنجاح أو الفشل متساوية ، فاذا نجحت عملية كلارك فانه يستطيع أن يعيش مقعدا في كرسي وبجواره الترولي الذي يحمل جهاز الضغطوقد نناقش ونحاور في قيمة هذه الحياة أو الموت . وقد نتحرج في استعراض فشل هذه المحاولة . ولكن التجربة أثبتت أنها تمثل الدخول الى مجال جديد . . التجربة التي حملت الأمل للمرضى من خلال مجهودات الكثير من الباحثين الذين سيجذبهم ذلك الانتصار الى تحقيق تعديلات جديدة على القلب الصناعي إن الامل الذي أراده كولف طول حياته هو ان يتمكن من صنع قلب يتم غرس منظمه في داخل بطن المريض ذاته وفعلا فان هذا هو المجال الذي سيندفع اليه العلماء بتركيز شديد ولكن التجربة لم تعط الأمل ولكنها أعطت الاشارة بالنجاح في إمكان استخدام القلب فقط لعدة أيام في حالة مرض القلب عندما يهدد



المريض كلارك .



الخطر المباشر حياة المريض حتى يزول الخطر ويعود القلب الطبيعي الى حالته الاولى . وكذلك فتحت التجربة مجالا لا حدود له عن ظروف استخدام مثل هذه المواد في الجسم ومدى نجاحها وقد يموت كلارك . . ويبدو للجميع أن الفشل قد لحق بالتجربة ولكن هذا غير حقيقي فان اول سبعة عشر مريضا كانوا يعالجون بالكلية الصناعية قد ماتوا . . . وكذلك فان الجراحات الاولى للقلب كانت نتائجها سيئة ورديئة لدرجة ان الاطباء لم يهتموا بجراحة القلب في ذلك الوقت . . .

« وقد يتساءل الكثيرون : « أليس من الاجدى زرع قلب إنسان بدلا من القلب الصناعي . ؟ نعم الانسب زراعة قلب طبيعي بدلا عن القلب التالف ولكن الحصول على قلب انسان ليناسب المريض يعتبر أصعب مما يتخيله تفكيرنا فيجب الحصول على هذا القلب وفي ظروف الوفاة الفورية وهذا صعب جدا أضف الى هذا أنه يجب ان يتناسب هذا القلب الجديد مع فصيلة المريض وتأتي عملية الرفض أو اللفظ للقلب الجديد عند زراعته في جسد المريض وهكذا فان هذه الصعوبات قد أعاقت الكثيرين عن انتشار عمليات زراعة القلب .

الفائدة الثانية لجراحة القلب الصناعي انه يمكن اعتباره مضخة مساعدة لاراحة القلب الطبيعي المنهك (المتعب) ففي بعض الحالات هنالك المرضى الذين قد اجهدت قلوبهم وتحتاج الى الراحة لفترة من الزمن وفي هذه الحالة يمكن تشغيل القلب الصناعي ليعمل لفترة اسبوع أو اسبوعين حتى يسترد القلب الطبيعي عافيته ويعود لحالته العادية . . لكن ان يعمل القلب الصناعي بشكل دائم وطبيعي فهذا غير مطروح في الوقت الحاضر على الاقل فان العملية مازالت يشوبها بعض المخاطر مثل مصدر الطاقة المغذية للقلب الصناعي وهي طاقة موجودة خارج جسم الانسان وتتصل بالقلب الصناعي بواسطة أنابيب تخترق الجلد وجدران الصدر ، ومن الممكن ان تكون مصدرا للتلوث أو الالتهابات الميكروبية . . كما ان هذا الجهاز المغذي للقلب الصناعي بالطاقة هو ايضا معرض للتعطل . . ومن هنا يمكن القول أن العملية بشكلها الحالي مازالت في دور النمو والتطور وليست هي الحل المثالي لمرضى القلب والأمل في المستقبل ان يتغير مصدر الطاقة الى جهاز صغير يمكن زرعه داخل الجسم . . . وما يعطي هذا الامل أن هناك أبحاثا علمية وطبية مستمرة في مراكز طبية عديدة للوصول الى هذا الحل .

وبالتالي فان العلماء المتفائلين بالنتائج الاولية لزراعة القلب الصناعي داخل جسم الانسان يتوقعون في المستقبل القريب أن يتم التغلب على كافة المشاكل التكنولوجية التي تواجه مثل هذه الانواع من العمليات الجراحية بحيث يصبح القلب الصناعي هو الامل الذي يحدو المرضى بالقلب في المستقبل ويفتح لهم الباب لاستمرار نبضة الحياة .

نبض التطور لجراحة القلب :

سنة ١٩٢٥ : أجرى دكتور هنري سوتار أول عملية توسيع للصمام الميترالي في مستشفى لندن .

سنة ١٩٤٦ : اجرى فينبرج أول عملية زرع للشرايين في القلب والتي تطورت في عام ١٩٦٧ بواسطة « افلرو » الى عملية توصيل الشرايين للقلب .

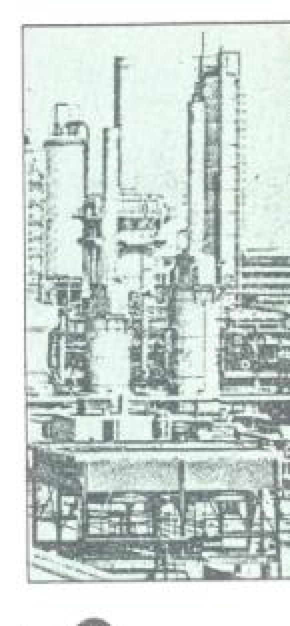
سنة ١٩٥٢ : اخترع أول صمام وقام بغرسه دكتور تشارلز هوفنا جل وادخلت على الصمامات تعديلات عديدة حتى عام ١٩٦١ ، حين قدم البرت ستار أول صمام ناجح . وفي نفس العام تمكن زول من عمل أول منظم صناعي للقلب .

سنة ١٩٥٣ ادخل جون جيون ماكينة القلب الصناعي وهذا ساعد على التحول التاريخي في مجال جراحة القلب المفتوح .

سنة ١٩٥٨: استطاع دكتور ماسون سونز ادخال قسطرة الى الشرايين التاجية وعمل أشعة ملونة للدورة التاجية وهذه علامة هامة لبدء توصيف العلاج الجراحي لشرايين القلب .

سنة ١٩٦٠ : استخدم تشاردك أول منظم قلب صناعي يمكن زرعه كلية داخل الجسم . . .

سنة ١٩٦٧ : قام دكتور كريستيان بيرنارد بعملية زرع قلب في جنوب أفريقيا .



سياسات إنتاج البترول في الخليج*

بقلم : علي جيدة

ان المنجزات التي حققتها الدول النفطية ، على اهميتها ، قد وقفت بنا عند مستهل الطريق .. طريق التقدم الاقتصادي ، فهي لم تبلغ بعد المرحلة التي تستطيع فيها الابقاء على نموها الاقتصادي دون الاعتماد على عائدات البترول .

سأحصر تحليلي في هذا الحديث بأقطار شبه الجزيرة العربية المنتجة للبترول ، اي العربية السعودية والامارات والكويت وقطر والبحرين وعمان . ذلك ان لفظ الخليج ، وهو شائع الاستعمال هذه الايام ، يجنح الى التضليل اذا استعمل للدلالة على الأقطار الواقعة جغرافيا ضمن شبه الجزيرة العربية . . فهذه الاقطار ، اقطار شبه الجزيرة المصدرة للبترول ، تجمع بينها خصائص اجتماعية ـ اقتصادية مشتركة ، بخلاف اقطار الخليج التي تتسم بمزيد من التنويع في معالمها الديمغرافية والاقتصادية . .

والنقطة الاساسية الجديرة بالذكر هنا تتصل باقطار شبه الجزيرة وبانعدام التوازن في بنيانها الاقتصادي . فقاعدة الثروات فيها غير متزنة . فهي تنعم بمخزون هائل من البترول ولكنها لاتنعم بموارد طبيعية اخرى. كما ان شحّة مواردها المائية يمنعها من بناء قاعدة زراعية . اضف الى ذلك انعدام الموارد المعدنية ـ غير الهيدروكربونات ـ وقلة عدد السكان ، فمن شأن هذين العاملين ان يحدا من التنمية الصناعية في تلك الاقطار .

ولا يصدق هذا على العراق وايران ، اقطار الخليج الاخرى . فهذان القطران لا يعانيان من مثل الحرمان الذي ذكرنا ، وبالقدر الذي ذكرنا ، فهما يحظيان بعدد من السكان اكثر بكثير من جاراتها ، اقطار شبه الجزيرة ، وينعمان بقطاع زراعي ذي شأن ، يتيح فرصا طيبة لتنمية طويلة الاجل ، بالرغم من المشاكل والمصاعب المعروفة ، التي تعترض السبيل .

ولعل من الطبيعي ان يؤدي البنيان الاقتصادي غير المتوازن باقطار شبه الجزيرة المصدرة للبترول الى الشعور بالقلق حول مستقبلها البعيد . فالزيت يعود على البلاد بالثراء . وذلك على شكل ايرادات بالقطع الاجنبي في المدى القصير . ولكن الزيت مورد طبيعي محدود ومآله الى نضوب ، تذهب ايراداته وتختفي اذا نفد مخزونه . ولا يخفى ان مستقبل اقطار شبه الجزيرة الاقتصادي انما يعتمد على نجاحها في تحويل بعض الايرادات العرضية الزائلة الى ممتلكات وارصدة مثمرة وقابلة للتكاثر . ولا مستقبل لهذه الاقطار ما لم تنجح في ترجمة ثروتها المالية الى تنمية اقتصادية . وينبغي الا تسحرنا المداخيل الضخمة الحالية

---

* محاضرة القيت في ندوة « الريع النفطي وأثره على التنمية في دول الخليج » جامعة اكستر - بريطانيا ، ٢٥ ـ ٢٧ أكتوبر ١٩٨٢ .

او النسب العالية التي شهدتها السبعينيات في نمو الدخل في منطقتنا . فلا هذه ولا تلك ـ مع الاسف ـ تدل على مستويات عالية في التنمية او نسب مرتفعة في التقدم الاقتصادي .

التقدم الاقتصادي

دعوني اوضح هذه النقطة بعبارة أخرى . فنحن ابناء شبه الجزيرة العربية نشعر ان التنمية الاقتصادية تتطلب وقتا اطول بكثير مما تبقى من عمر مواردنا الهيدروكربونية . ولايعني هذا انتقاصا من منجزاتنا الاقتصادية التي حققناها حتى الآن . فقد فعلنا الكثير من اجل اعطاء بلادنا هيكلا عمرانيا **Physical infrastructure** (مبانٍ وشوارع ومرافق عامة الخ) مستوفيا وفعالا ، وضمنا التعليم لمواطنينا ، واقمنا دول الرفاه الاجتماعي **Welfare States** التي نالت اعجاب الغلاة من الاشتراكيين ، وانشانا الخدمات المالية والتجارية واستثمرنا رؤوس اموالنا في صناعات ثقيلة تقوم على اساس هيدروكربوني . كذلك حاولنا استثمار مالدينا من فائض من القطع الاجنبي على اكمل وجه نستطيع ، وذلك رغم القيود والعوائق الكبيرة التي تحد من نطاق نشاطنا وتحركنا بين اسواق المال والبورصات العالمية ورغم النسب غير المجزية للمردود الفعلي الذي جنيناه على ارصدتنا وممتلكاتنا .

ولكن هذه المنجزات ـ على اهميتها ـ قد وقفت بنا عند مستهل الطريق ـ طريق التقدم الاقتصادي . فنحن لم نبلغ بعد المرحلة التي تستطيع بلداننا فيها الابقاء على نموها الاقتصادي دون الاعتماد على عائدات البترول . وقد نحتاج الى عقود عديدة من الاعوام في الاستثمار في الموارد البشرية والانتاجية حتى نصل الى تلك المرحلة ـ مرحلة المضي في الاداء ، أداء قائما بذاته ، وفي معزل عن عائدات الزيت . ونحن لا نتحمل نضوب بترولنا قبل بلوغ تلك المرحلة . هذا هو موجز فلسفة الحفاظ على الطاقة (**Conservation**) التي تنتهجها أقطار العالم الثالث المنتجة للبترول .

فنحن مدعوون ـ وفق هذه الفلسفة ـ للعمل من اجل اطالة عمر مواردنا الهيدروكربونية ، وهي محدودة ، كما ذكرنا ، ومآلها الى نضوب ، وذلك بقدر ما تتطلبه التنمية ، وهي عملية بطيئة كما لا يخفى . ومن الخطأ ان نستنزف مخزوننا الهيدروكربوني على عجل بحيث لا نلبث ان نجد انفسنا بلا موارد تذكر وذلك قبل ان نتمكن من استكمال بناء اقتصادنا اللا نفطي على اساس ثابت سليم .

ولكن من الخطأ ايضا ان نحد من انتاجنا بقدر يتحتم معه ارتفاع اسعار بترولنا ارتفاعا كبيرا . فقد يؤدي ذلك الى تحول ملموس عن البترول الى بدائله فنفاجأ في غضون عشرين سنة او نحو ذلك باننا مثقلون بمخزون كبير وبعدد قليل من العملاء الراغبين في شرائه فيحل الكساد بهيدروكربوناتنا الثمينة .

فلسفة التوزن

غير ان فلسفة الحفاظ على الطاقة الصحيحة تتحاشى كلا الطرفين ، فلا إفراط ولا تفريط . فهي تستهدف الوصول بالانتاج الى اوجه المفضل **Optimum** وذلك بغية الحصول على القيمة القصوى لكل قطرة من زيتنا وكل قدم مكعب من غازنا . علينا الا نفرط في استثمار مواردنا ، فنحرم اجيالنا المقبلة من ثروة تخصهم بقدر ما تخصنا . وعلينا ايضا وبالمقابل الا نحد من استثمارها فنترك لهم مخزونا كبيرا منها ، مخزونا لايلبث ان يفقد الكثير من قيمته من حيث هو ممتلكات او ثروة بالمفهوم الاقتصادي .

من هنا كانت فلسفة الحفاظ الصحيحة ، فلسفة توازن بين طرفين ، وتحديد دقيق للاوج المفضل وهو غير الاقصى كما اشرنا . ولكن اقطار شبه الجزيرة المنتجة للبترول ادركت وجود احد الطرفين ، وغفلت عن الطرف الثاني . وقد اقتفت اثرها في ادراكها هذا ، الذي طال الزمن عليه ، سائر الاقطار المنتجة من بلدان العالم الثالث . فمنذ مطلع الستينيات او قبل ذلك وهي تشعر انها مضطرة للانتاج بنسبة كبيرة ، ولزيادة هذا الانتاج باطراد ، وبنسبة كبيرة ايضا . وقد لاحظت هذه الاقطار مع الزمن نقصانا كبيرا في احتياطيها منسوبا الى الانتاج . وفجأة مثل لها خطر نفاد زيتها في مرحلة مبكرة جدا من مراحل تنميتها الاقتصادية ـ ابكر بكثير مما تحتاجه اقتصادياتها الهشة غير المتوازنة لتحقيق قدر كاف من النمو بالاعتماد على مواردها غير البترولية . وهذا ما حدا بالحكومات الى اعلان بيانات قوية حول سياسة الحفاظ على الطاقة . ويذكر هنا النقاش الحيوي الشهير الذي شهدته الكويت في الستينيات وقد دار حول الحاجة الحيوية لتخفيض مستويات الانتاج . وجاء بعد ذلك فرض سقف اوحد للانتاج لا يجوز تعديه . من هنا كان اصطلاح المستوى الجائز والمسموح به (**Allowable**) للانتاج ، وقد اصبح يحكم القاعدة المعمول بها في منطقة الاوبك . واخذت اكثر الاقطار المصدرة للبترول في شبه الجزيرة



وسواها بهذه القاعدة ، واتبعت نفس السياسة ونفس المنهج . وخفضت الكويت المستوى الجائز لانتاجها في اوقات متلاحقة في السبعينيات . وفي سنة ١٩٧٩ اعرب الشيخ علي خليفة الصباح في خطاب له معروف عن الرأي بان الاوج المفضل لنسبة المخزون ـ الانتاج هو في حدود المائة عام في الغالب . . اما السعودية فمستواها التقليدي المسموح به هو ٨٫٥ مليون برميل يوميا ، كما هو معروف . وقل مثل ذلك في بلادي (قطر) وقد اصبح لديها رؤية واضحة عن الأوج المفضل للانتاج .

عمر الموارد وأسواقها

لقد سبق لي ان ابديت الرأي قبل الآن بأن اطالة عمر مورد ما لا تقل اهميته عن المحافظة على سوق طويلة الأجل لهذا المورد . ولا يخفى ان سياسة النضوب في الستينيات والسبعينيات اكدت الحاجة الى رفع نسبة المخزون ـ الانتاج من حيث القيمة . اضف الى ذلك الوعي الآخذ في الانتشار هذه الايام بين كبار المسؤولين في بلدان شبه الجزيرة العربية المصدرة للبترول فيما يتصل بالحاجة لضمان مستقبل اقتصادي للزيت عبر القرن الواحد والعشرين . من هنا جاءت بيانات وزراء البترول الاخيرة في ندوات اكسفورد ولندن ، معبرة عن الاهتمام الجديد الذي اخذوا يولونه لهذا الجانب بالذات من مشكلة النضوب . وغالبا ما يجري عرض وجهة النظر هذه على النحو التالي : « يجب تجميد اسعار الزيت لفترة ما ، وذلك بقصد السعي الى تنشيط الطلب العالمي على الزيت . ولا يخفى ان هذا التنشيط اساسي لمصلحة الاقطار المصدرة ، لاسيا تلك التي تحتوي مخزونا كبيرا من الهيدروكربونات » . فتجميد الاسعار في عالم يسوده التضخم يتضمن تخفيض اسعار الزيت بالقياس الى السلع الاخرى وبخاصة بالنسبة إلى اسعار صنوف الوقود الاخرى المنافسة . والهدف من ذلك انما هو حماية البترول والحفاظ على نصيبه من سد احتياجات الطاقة في المستقبل وذلك بتسعيره على نحو يحد من رواج صنوف الوقود الاخرى .

ومن المؤكد ان تعريف فلسفة للنضوب ، وهي الفلسفة التي تؤكد الحاجة الى الحفاظ على المورد الطبيعي حيناً ، وتؤكد حينا آخر الحاجة للمحافظة على قيمته الاقتصادية للمنتجين في المدى البعيد . من المؤكد ان هذا التعريف أسهل بكثير من العمل على تنفيذ سياسة للانتاج ثابتة ومجدية .

تأثير الثورة الايرانية

هذا وقد اظهرت اقطار شبه الجزيرة المصدرة للبترول في تصرفاتها ـ من حيث هي اقطار منتجة ـ قدرا من المرونة والروح العملية اكثر بكثير مما يمكن استنتاجه من بياناتها الخاصة بفلسفة الحفاظ على الطاقة . حقا لقد راعت تلك الاقطار الحدود القصوى المقررة للمسموح به من الانتاج ، ولكن هذه الحدود او « السقوف » كانت ترفع او تهمل بكل طيبة خاطر كلما تعرض استقرار سوق البترول العالمية للتهديد ، سواء جاء هذا التهديد نتيجة لتوقف الامدادات او عرقلتها أو تبعا لقفزة مفاجئة في الطلب على البترول . ويذكر هنا ما حدث سنة ١٩٧٩ حين واجه العالم نقصا حادا في امدادات الزيت بسبب الثورة الايرانية ، فبادرت الاقطار المنتجة للبترول ، أي اقطار شبه الجزيرة فضلا عن العراق وليبيا وفنزويلا وغيرها ، الى زيادة انتاجها الى اقصى ما يمكنها فقضت بذلك على حالة الخطر .

وكما هو معروف ، فقد ارتفعت اسعار الزيت في تلك الفترة رغم قيام الاقطار المنتجة للبترول بزيادة انتاجها . ولو كانت هذه الاقطار تعمل بسياسة الحفاظ وتحد من الامدادات وذلك بالتقيد بالحدود المسموح بها ، لكان الانفجار الذي شهدته اسعار الزيت آنذاك اشد دويا ، وكانت آثاره الاقتصادية اكثر تدميرا .

حالة طارئة

وعادت أقطار شبه الجزيرة المنتجة للبترول ، فتصرفت على هذا النحو نفسه حين قامت الحرب بين العراق وايران في الربع الاخير من سنة ١٩٨٠ . فقد تكاثرت الشكوك حول سير القتال وحول آثار تلك الحرب على انتاج البترول وتصديره من القطرين المتحاربين . وتكاثرت بالتالي المخاوف من رد فعل شديد الوطأة قد يلحق بميزان العرض والطلب البترولي . وسارعت الاقطار الثلاثة ـ السعودية والكويت وقطر ـ الى مجابهة تلك الحالة الطارئة ، وأعلنت انها ستتجاهل الحدود المسموح بها ، فتضاعف انتاجها بقصد مواجهة الأزمة وتعهدت بامداد الدول التي افتقدت الامدادات العراقية .

وكان لهذه التصرفات أثرها الطيب على السوق ـ فلا التهبت هذه ولا انفجرت الاسعار . حقا لقد اعتمدت شركات البترول والدول المستهلكة على مخزونها الكبير ، ولكن الاقطار المصدرة تمكنت من وضع حد للشكوك

وبالتالي لذعر المشترين الذى كثيرا ما تؤدي اليه تلك الشكوك وذلك بالتزامها الحكيم بمضاعفة الانتاج .

ولعل نظرة فاحصة الى مسلك الاقطار المصدرة في الماضي تبين انها نادرا ما حاولت تنظيم انتاجها على نحو جماعي او تكتلي . فالى جانب مبادرتها القصيرة الفاشلة في اواسط الستينات ، جاءت محاولتها الثانية في شهر مارس ١٩٨٢ حين أقرت منظمة الاوبك سقفا واحدا للانتاج وبرنامج حصص او مخصصات لتوزيع ذلك الانتاج . وكما ذكرنا سابقا ، قامت سياسات الانتاج في شتى الاقطار على اساس الحدود المسموح بها . ولكن هذه الحدود لم تكن في نظر احد قيودا صارمة على الانتاج بدليل ما ابدته تلك الاقطار جميعا من استعداد للتصرف بمرونة في حالات الطوارىء التى قد يتعرض لها العرض والطلب .

تخفيض الطلب وتقلباته

ان سياسة الانتاج التي تضع حدا أعلى لمستوى الانتاج وتشترط عدم الالتزام به إلا في الحالات العادية والتي تلزم الصمت حيال مستويات الحد الادنى،هذه السياسة لاتحمل في طياتها الكثير من الجدية . ولعلي اشعر بميل للقول بانها ليست سياسة بالمعنى الدقيق اطلاقا . فهي لم تحل أبدا بين الأوبك وبين تلبية حاجة السوق وبلوغ اقصى الانتاج في سبيل ذلك . ثم انها لم توفر للاوبك أية حماية من الأثار السلبية المترتبة على تخفيضات الطلب او على تقلباته . لقد ظلت الاوبك تقوم بدور المصدر الاحتياطي (Residual supplier) أو ان شئت ، مصدر الفضلة لسوق البترول العالمي . وظلت اقطار شبه الجزيرة المصدرة للبترول ضمن الاوبك تمد السوق بفضلة الفضلة .

وهكذا نرى ان قفزات الطلب العالمي كثيرا ما اقترنت بزيادة متكافئة في انتاج زيت الاوبك وزيادة كبيرة نسبيا في انتاج اقطار شبه الجزيرة . وهذا الامر قد عاد بالضرر على سياسة الحفاظ واهدافها . اضف الى ذلك ان تقلبات الطلب العالمي او انخفاضاته غالبا ما بُلغت رسالتها بالكامل الى الاوبك واقطار شبه الجزيرة ، بخلاف الاقطار المنتجة خارج الاوبك التي تمكنت من المحافظة على حجم مبيعاتها . هذا الى جانب الضرر الذي لحق بالمنتجين نتيجة الانخفاضات المفاجئة والتقلبات الحادة في الانتاج .

وتجدر الاشارة الى افكار مماثلة اعرب عنها الشيخ على الخليفة الصباح في محاضرة القاها مؤخرا . فقد ذهب الى ان الاقطار المنتجة تبادر الى زيادة نفقاتها العامة كلما حصلت على زيادة في العائدات . ولا تلبث هذه الاقطار ان تألف او تلتزم بهذا النمط ، وهذا المستوى من الانفاق . . ولا سبيل الى الاحتفاظ بها عندما تنقص العائدات نقصانا كبيرا . ولو قدر للعائدات ان ترتفع على مهل وبالتدريج على مر الزمن لكان ذلك في صالح الجميع . ولا بد للمرء بطبيعة الحال ان يكون عمليا فيتوقع قدرا ما من التقلبات في الانتاج والعائدات . ولقد عانت الاقطار المصدرة مؤخرا ، ولأسباب مختلفة ، من تقلبات العائدات مايفوق كثيرا ما عانته اقطار اخرى منتجة من تلك التقلبات .

ولطالما اكدت في الماضي اهمية سياسات الانتاج الثابتة بالنسبة الى الاقطار المصدرة للزيت ، وحاجة هذه الاقطار الى تلك السياسات . وقد اتجهنا عبر تاريخنا كله الى الاهتمام بعائداتنا على اساس ما نصدر من براميل الزيت . ولكن التركيز على عائدات الوحدة هذه يحجب اهمية متغير آخر هو الناتج او المردود . ولما كان الزيت موردا طبيعيا قابلا للنضوب ، وكانت بلداننا اقطارا نامية تعتمد ، من اجل تقدمها ورخائها ، على ثروة آخذة في الضياع ، كان من الضروري تحديد سياسة الانتاج البترولي على اسس التنمية الاقتصادية .

إطالة عمر النفط

وقد ألمحنا فيما سبق إلى ميدأين ينبغي التقيد بهما في تحديد سياسة انتاجية تهدف الى التنمية الاقتصادية . اولهما الحفاظ على المورد الذي يجري انتاجه وذلك بطرق تضمن اطالة عمر احتياطي ذلك المورد الى اقصى حد ممكن دون المساس بقيمته الاقتصادية (التجارية) في المدى البعيد .

والمبدأ الثاني هو توطيد الانتاجُ والمردود والعمل على استقرارهما ووضعهما على طريق ممهد . وقد يتخذ ذلك شكل سياسة تضمن لتقلبات الانتاج عدم تجاوزها نسب التغيرات في الطلب العالمي وتسمح للاسعار بالارتفاع تدريجيا وببطء في المدى البعيد وبالقيم الفعلية ، على ان واقع التعامل في الماضي كان في تعارض مع هذه المبادىء . اذ بلغ التقلب في انتاج الاوبك نسبا اعلى بكثير من تلك التي تمثلت في مجمل الطلب على الزيت . وتعرضت الاسعار لانفجار كبير في مناسبات مختلفة ثم عادت فركدت فيما بين تلك المناسبات واستمر ركودها طيلة فترات طويلة من الزمن .

ولعلي اذهب الى ابعد من ذلك فاقول ان العلاقة بين اهداف التنمية الاقتصادية من جهة وسياسة الزيت من

جهة أخرى ـ ينبغي ان تنفذ الى مزيد من العمق ، ، بحيث تشمل متغيرات اخرى بالاضافة الى الانتاج . فقد استبدلنا الكثير من زيتنا بالنقد ، وثبت ان قيمة هذا النقد الفعلية اقل بكثير من قيمته الظاهرية . وانفقنا النقد على مشاريع بالغة التكاليف ، وخدمات مضخمة القيمة ، وسلع وبضائع مسعرة باكثر من قيمتها . ثم اودعنا الفائض لدى المؤسسات المالية من اجل مردود قلما زاد على نسبة التضخم .

ولعل من الصعب اجراء مبادلة الزيت بالتنمية مبادلة عينية ، بحيث نحصل على قدر من التقدم الاقتصادي ثمنا لزيتنا . فثمة مشاكل عملية لا مفر من ادراكها . فالبيع نقدا ذو اغراء كبير . والاساليب الاخرى في التعامل التجاري عرضة لان تكون مرتبكة وغير فعالة وغير اقتصادية . ولكن الاقطار المصدرة للزيت تعاني من مشاكل فريدة وغريبة في تنميتها الاقتصادية . فبعض هذه الاقطار تشكو التخمة في النقد وقد علمتها التجارب ان هذا النقد لا يفي بطموحاتها الحيوية للتنمية ، بل لعله كثيرا ما يقف عقبة في طريقها .

الزيت من اجل التنمية

اني لا ادعو هنا الى صفقات مقايضة وانما الى ترتيبات تكون من الدقة والتعقيد بحيث تستطيع ان تربط بين سهولة الحصول على امدادات الزيت وسلامة هذه الامدادات من جهة ، وبين الاسهامات التكنولوجية التي يقدمها المشترون (شركات وأقطاراً) من جهة ثانية ، وبين التنمية الاقتصادية للأقطار المصدرة للزيت من الجهة الثالثة .

فلعل في قولنا « الزيت من اجل التنمية » اكثر من مجرد شعار ، هذا فيما لو عمدنا الى تحديد السبل الكفيلة بترجمة العلاقة السالفة الذكر الى صفقات تجارية محسوبة وهكذا يمكن ان يصبح الشعار (شعار الزيت من اجل التنمية) غرضا تستهدفه سياسات الانتاج في المستقبل .

لقد حان الوقت للاقطار المصدرة للبترول ـ في شبه الجزيرة العربية وغيرها ـ ان تحرص على مصالحها الاقتصادية حرص التاجر المتمرس على مصالحه . وآن الأوان لوضع حد لدور المصدرين الاحتياطيين وهو الدور الذي رضينا به منذ زمن طويل . وهكذا وافقنا بسهولة متناهية على امداد عالم جشع بزيتنا وبالقدر الذي شاء ، ووافقنا ـ بسهولة متناهية ـ ـ ايضا ـ على تحمل أو امتصاص التخفيضات الكبيرة في الطلب على الزيت ، ولن يشكرنا احد على تساهلنا الى هذا الحد . بل ان الناس جميعا بادروا فورا الى توجيه اللوم لنا عندما تزايد الطلب وتعاظم حتى ادى الى انفجارات الاسعار التي لم يكن في الامكان تفاديها . واني لأشك في ان تحظى تنميتنا الاقتصادية بأي قدر من الاهتمام من اي كان في اليوم الذي ينضب فيه زيتنا او يفقد دوره الحرج في امداد العالم الصناعي باحتياجاته من الطاقة .

المستويات العليا والدنيا

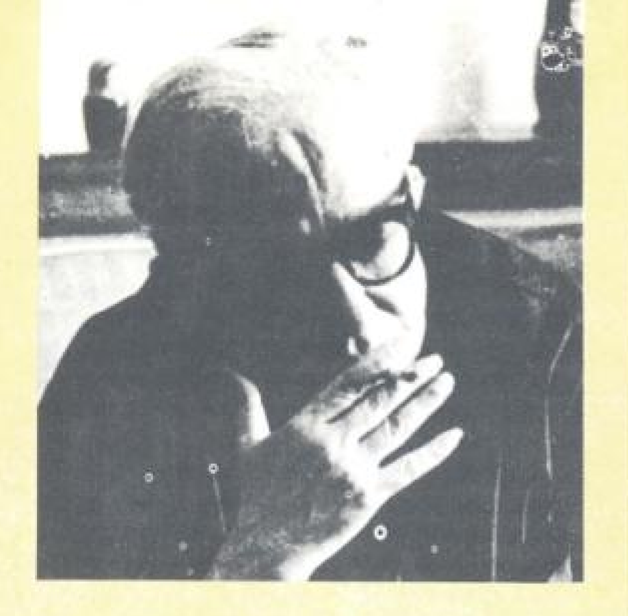
ولعل اول ما يجب فعله هو اقناع المنتجين خارج الاوبك بضرورة مشاركتنا عبء تقلبات الطلب العالمي على الزيت ، في صعودها وهبوطها على حد سواء . فالحقيقة هي ان اولئك المنتجين يستفيدون كثيرا من التزام الاوبك باسعار ثابتة . فهم لايرون غضاضة في مزاحمة اسعار الاوبك بفارق بسيط ومضاعفة حجم صادراتهم الى الحد الاقصى تبعا لذلك ، ماداموا يفترضون في الاوبك التقيد بتسعيرتها . ولعل هؤلاء اكثر تفاؤلا مما يجب . فهم يتصورون ان صبر الاوبك طويل لا ينفد ، وانها على استعداد دوما لحماية اولئك الذين يدأبون على حفر الحفر لها . ولعل في استطاعة الاوبك ـ ان لم نقل من واجبها ـ ان تقنع المنتجين الآخرين بضرورة الوقوف عند حدودهم وعدم تجاوزها .

اما واجبنا الثاني فيتمثل في وضع برنامج يحدد المستويات العليا والدنيا لانتاج الاوبك . علينا ان نعرف بمزيد من الوضوح كمية الزيت التي يجوز لنا استخراجها من الآبار دون الاضرار بالمصالح الاقتصادية لاجيالنا المقبلة ، وعلينا الالتزام بهذه الاهداف والتشبث بها . ويجب علينا ايضا ان نحافظ على سياسة الحفاظ واهدافها والا تعرض سمعتها لتشويه نتيجة الاستثناءات الكثيرة التي نتغاضى عنها باسم المرونة .

ويجب علينا كذلك تحديد مستوى ادنى للانتاج والعمل على حمايته بواسطة عقود تتضمن انزال العقوبات حين اللزوم .

على ان علينا واجبا ثالثا يتلخص في وضع الخطط الكفيلة بالربط بين التقنية ومهاراتها واحتمالات حصولنا عليها منهم وبين امدادات الزيت واحتمالات حصولهم عليها منا ، على ان تمنح الامتيازات لمن يسهم اسهاما فعالا في تنميتنا وتقدمنا . ○

علي جيدة .



لقاء الشهر :

يحي حقي وينابيعه

حوار : مجيد طوبيا

○

■ أعطى الله لأسرتى حب الكلمة والحرص عليها ، فحفظت ابياتا لشوقى وأنا فى الثالثة من عمرى !

■ المدرسة الابتدائية أماتت يدى وحولتنى الى دودة كتب !

■ نشأت فى أسرة ديمقراطية لا تفرق بين الناس بسبب جنس أو دين أو لغة ثم فوجئت بانشاء دولة اسرائيل ممثلة للعنصرية فى أبشع مظاهرها ، فصرت متعصبا لقوميتى .

■ أريد من علماء الذاكرة تفسيرا : كيف أتذكر أحداثا وقعت فى عمر الثالثة وأنسى تماما أحداث عامى السادس والسابع ؟

■ انتبهت منذ الصغر الى مشاكل الفلاحين والى ضرورة انصاف العمال .

« يحيى حقى »

في ٧ يناير ١٩٠٥ ولد يحيى حقي بحارة « الميضة » في بيت يواجه ميضاة مسجد السيدة زينب ، في الحي الشعبي العريق المعروف باسمها ، عاش سنواته الأولى مع اسرته في رحاب السيدة وحماها ، أعيادها أعيادهم ، مواسمها مواسمهم ، ومؤذن الجامع ساعتهم .. عاش يشاهد باعة اللب والفول وحب العزيز ونبوت الغفير والهريسة ، ويسمع نداءات الباعة : « حراق ياقول .. حلو وع النبي صلى » وشب وهو يرى المرأة مزججة الحواجب عادة مكحلة العينين ، تشد ملاءتها حول جسدها لتبرز عجيزتها وطرف ثوبها ، وتحتجب ببرقع يكشف عن وجهها ، وهي تتهادى من بيت الى بيت أو فوق الرصيف ..

حارة الميضة هذه لم تعد موجودة الآن ، أضافتها التوسعات الجديدة الى الميدان منذ أعوام .. كنت أعلم هذا مسبقا وأنا أتأهب لاجراء هذه المقابلة ، لكني كنت على ثقة من انها مازالت موجودة في ذاكرته ووجدانه ، الجامع والشارع والحارة والمآذن والبخور ، وبائع « الدقة » الذي لايبيعك إلا اذا بدأته بالسلام وأقرأك وراءه الصيغة الشرعية للبيع والشراء .. وكان قصدي أن أبدأ اللقاء انطلاقا من هذه الحارة ، أيضا من طفولته .. وعلى طريقته في الحديث فانى أفتح قوسين وأقول ان هذا اللقاء جاء بعد شهور من لقاء سابق تم في مايو ١٩٨١ حيث شكالي من مرض السكر ومن آلام في الحوض ناتجة عن التهاب في مجرى البول .. ولا حظت أنه ممتنع عن التدخين مع أنه يسرف فيه عادة ، سألته :

ـ أوامر الطبيب ؟؟

ـ لا .. طوعا

وقد توقعت بيني وبين نفسي أن أجده قد رجع في قراره غير أنه أسعدني بأن خيب توقعي .. ووجدت معنوياته عالية كشأنه دائما ـ باستثناء المرة السابقة ـ وعرفت منه أن نتيجة التحاليل جاءت مطمئنة ، اختفت تماما أعراض مرض السكر ، وانحسرت شكواه في آلام المسالك البولية .

قلت له :

ـ الان لن أوجه سؤالا ، وإنما أطلب محاولة للرجوع الى الماضي ، الى بدايات هذا القرن ، الذي تتوافقت طفولته مع طفولتك ، بقصد التذكر ، وبهدف اكتشاف العوامل التي تضافرت لتشكيل يحيى حقي الفنان من بيئة وثقافية واجتماعية وسياسية ..

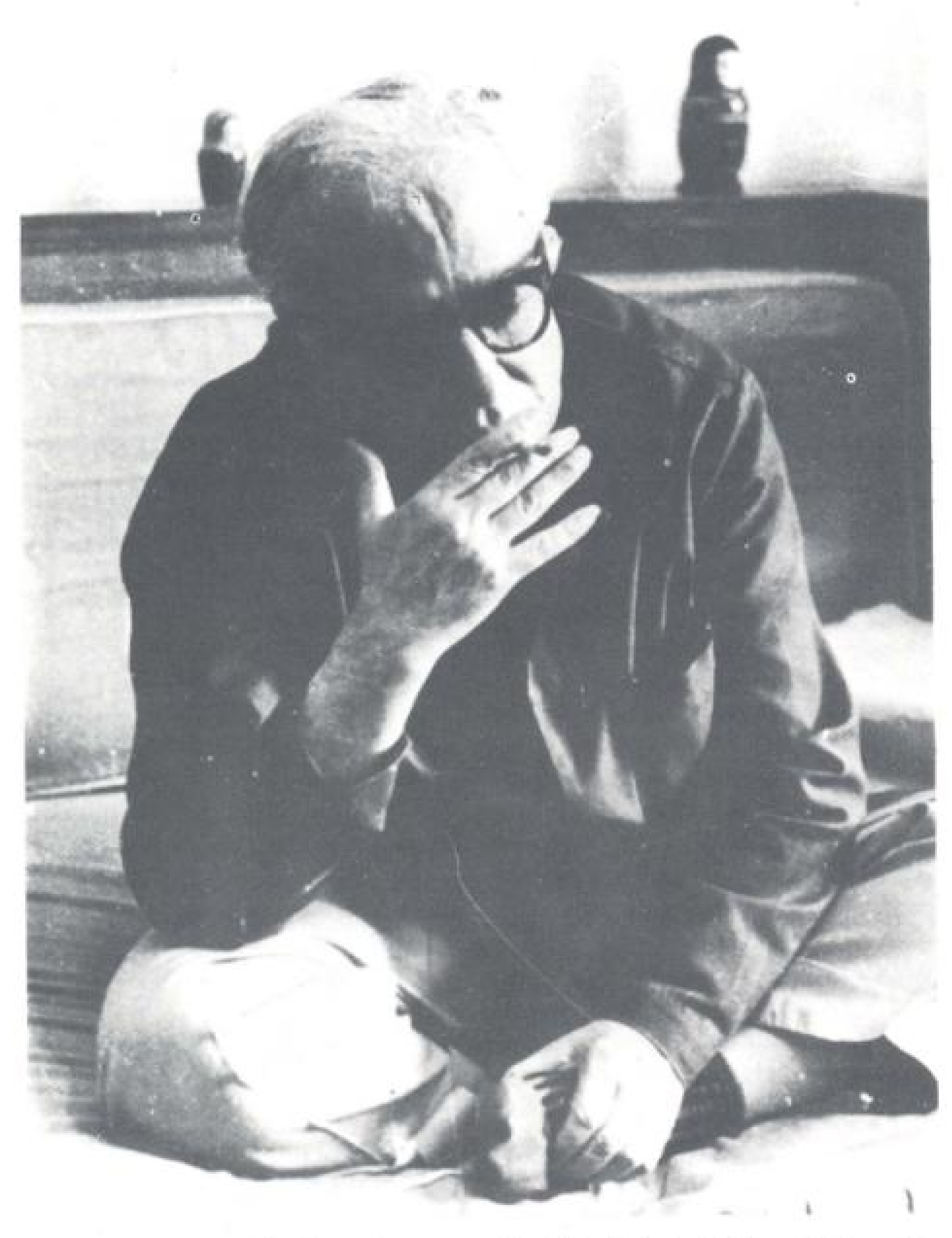
ماشاء الله

شرد لحظات ثم قال :

ـ أحيانا أتحسر لأن لي بعض الآراء كنت أتمنى أن تدرس من الوجهة العلمية .. مثلا : الجهاز الذي يقولون انه يقيس ذكاء الحيوان ، كنت أود أن أقول للعلماء احترسوا عند قياسكم لذكاء الحيوان وتأكدوا من أنه لا يكون في حالة حضانة ، فقياس ذكاء الحيوان وهو في هذه الحالة سيعطى نتائج مختلفة جدا عنه وهو في غير حالة الحضانة ، عرفت هذا من ملاحظتي للحيوان ، أرنبة كانت أو جاموسة أو دجاجة ، راقب عيون هذه الحيوانات وهي في غير حالة الحضانة وسيخيل لك أنها لاترى شيئا بعينها ، بينها في الحالة الأخرى تستيقظ فيهم قوى غريبة جدا ، قوى غريزية : حب الدفاع ، الأرنب يهجم عليك كأنه متوحش ، الكلبة تتحفز لأي شخص يمر بجوار أولادها مع أنها عادة أليفة متمسحة ... فهذه القوى التي تتفجر في حالة الحضانة لابد وأن لها انعكاسات على حالة الذكاء .. هذه فكرة من الأفكار التي تمنيت أن تدرس علميا .. وهناك فكرة ثانية تتعلق بالذاكرة .. أريد أن أقول : متى نستطيع أن نطمئن لانسان يروي عن الذاكرة ؟ ومن أي سن ؟ .. هل نصدقه وهو في عمر سنة أو اثنتين أو أربعة أوكم ؟؟ .. هذا سؤال غريب جدا .. « سلفادور دالي » مثلا كتب مذكراته فبداها وهو جنين في بطن أمه !!

ذكريات الطفولة

فمن أين سنبدأ معنا ، من الرحم أم خارجه ؟؟
أنا الآن أمتحن ذاكرتي معك ربما لأنني في هذه العمر ، الشيخوخة ، أحتاج الى الرجوع للماضي كثيرا .. أستطيع أن أقدم لعلماء الذاكرة رأيا يقول ان ذاكرة الطفل أقوى من ذاكرة الصبي ، يعني من عمر سنة الى خمسة ذاكرة قوية جدا ، من بعد خمسة الى سبعة أضعف ، لا أعرف لماذا ؟؟ .. أي أنني أتذكر من أحداث الفترة الأولى أكثر مما اتذكره من عامي السادس والسابع !! .. أنني أرى الآن مثلا وأنا جالس معك صباح اليوم ٢٠ يونيو ١٩٨١ ، أرى رؤية العين مشاهد رأيتها وأنا في الثالثة أو الرابعة أو الخامسة ، كنت أسكن في السيدة زينب وراء المسجد تماما ، وتحت منا بائعة طعمية اسمها « ماشا الله » أراها الآن أمامي وأمامنا الأسطى حسن الحلاق ، أراه الان أمامي وأراه وهو جالس فوق الأرض منحنيا على مربض يخلع له ضرسه أو يحلق له شعره ... هذه أمور لا أنساها



أبدا وبعد ذلك ذهبت الى الكتاب ثم الى المدرسة الابتدائية لو سألتنى ماذا اتذكر عن الكتاب أقول لك لاشيء !!

أى فترة نسيان كاملة لأحداث العامين الخامس والسادس !! هذا لغز !!

وعلى هذا كنت أتمنى أن يدرس علميا ، فهذه هى التجربة التى أشهرها ، لأنه بعد ذلك عندما دخلت المدرسة الابتدائية اتذكر احداثها بدأت الذاكرة تعود.. ترجع لنشأتى ولا ختبار الذاكرة .

ما أعطاه الله لأسرتي

أعطى الله لكل أسرة ميزة أو خاصية ما ، يروي محمود طاهر لاشين أن أسرته كانت معروفة بالنكتة وأن أمه كانت تقول النكته ، فشب هو محبا لروح الدعابة ، رضعها من ثدي أمه ! .. عندما أتأمل أسرتي أجد غراما وهياما بالكلمة ، وشاهدت كثيرا من المواقف ينشأ فيها خصام فعلا ثم ينتهي الى الصلح لأن والدي كان وهو يكتب خطابا جاءته في الأسلوب كلمة متمشية مع تركيبة لغوية لكنها قد تغضب قارىء الرسالة ، فيفضل أن يغضبة على أن يكسر الأسلوب أو يشوهه ! .. في الحقيقة نشأت وفي الأسرة انتباه للكلمة له شقان : الشق الأول من ناحية أبي ، اللغة ذاتها ، أسماء وأفعال وتصريفات ، والثاني من ناحية أمي ، الذوق واختيار الكلمة المناسبة وتجنب الكلمة الجارحة ، وأن هذه الكلمة قد تعوض بكلمة لايكون فيها جرح وتؤدي نفس المعنى ، وكانت أمي عندما تلتفت الينا لاتلتفت كيف نأكل أو نشرب وانما كيف نتكلم وتحرص أشد الحرص على ألايخرج من أفواهنا لفظ نابٍ أو جارح .. والسعادة كلها حينها نستطيع أن نصل بشيء من التورية أو المجاز الى غرضنا بأقصى ما نريده وبشكل موجز .. نشأت إذن في وسط منتبه أشد الانتباه لقيمة الكلمة والحرص عليها وأنها أساس كل شيء في التبادل بين البشر ، وهذا كله دخل في دمي وطبعا هناك عنصر ديني ، قراءة القرآن وترتيله .. وفيما بعد دفعني الحرص على الكلمة الى الاحساس بالضيق والتأفف من الاستطرادات والتكرار واستخدام كلمات عديدة بمعنى واحد ، كنت أشعر حقيقة أنني غريب في مواعظ المساجد والخطباء التي من هذا النوع ، نفس النغمة السائدة المعادة والكلام عادي متكرر ليس فيه شيء من التحديد ، فكنت أضيق به لأن هذا ماورثته الأسرة أو لأن هذا نتيجة لذلك .

الست الشيخة

عن هذه الفترة أيضا يذكر يحيى حقي احتفال المرحومة أمه مع صديقاتها بمولد النبي في حفلة نسائية لا يحضرها الرجال ، تبدأ قبل الظهر بكثير وتمتد حتى المغرب وتحييها مرتلة ضريرة هي « الست الشيخة » .. وفي هذا اليوم وعلى خلاف العادة كانت النساء يأكلن طعام الغداء قبل الرجال .. ثم تبدأ « الست الشيخة » تتغنى بنص منثور مسجوع يروي عن حياة الرسول فتبدأ قائلة : « عطر اللهم قبره الكريم بعرف شذا من صلاة وتسليم » .. ثم تتبعه بهذا السجع : « صلوا يأهل الكمال على النبي باهي الجمال ، من حوى كل المعال ، قدره مازال عال ، قدره عال مفخم دائما سامي مكرم ، جاهه جاه معظم ، وجهه فاق الهلال .. »

بعد ذلك تنشد في وصف الرسول فهو : « قمري الجبين حواجبه نونية ، كحيل الطرفين أهدب العينين ظريف القوام أبيض الخدين مشرب بالحمرة ، وجنته ضوئية وجهه كأنه البدر ليلة التمام ، ياقوتي الشفتين مفلج الاسنان ، اذا تكلم خرج النور من بين ثناياه اللؤلؤية ، واسع الفم سلسبيل الريق جميل الابتسام » .. كل هذا والطفل يحيى حقي يستمع وقلبه يدق ، ملتهب الدم مشدود الأعصاب مغرورق العينين ، وقد ترنحت روحه من سرعة التنقل بين الأرض والسماء ومن الانبهار للخوارق والمعجزات ... ورغم أن الست الشيخة كانت ضريرة إلا أن عينيها كانت تخيفه وتحدثه في وقت واحد ، فكان يلوذ بفخذ أمه ويلتصق بها ، روائح الأنوثة والصدور المرضعة منتشرة في الحجرة ، ومع ذلك كان يفرز من بينها عطر أمه ، وكان يغيظه أنها تشارك في صفات الجنس بقية الحاضرات وفيهن الدميمة والجاموسة الغليظة ، اذ كانت أمه في نظره « قديسة بكر طاهرة ليس كمثلها أحد » !!

أبيات من عمر الثالثة !

دخلت زوجته الفرنسية بالشاي ، رحبت بي ببعض الكلمات الفرنسية ثم تركتنا ليقول مكملا ذكرياته :

قرأت في البيت أيضا وأنا صغير كتبا قيمة جدا ، مثل مقامات الحريري وبديع الزمان الهمذاني ، وأنا في الخامسة أو السادسة .

أي حوالي ١٩١٠ ولم تكن القصة قد اقتحمت بعد مكانها في الأدب العربي ؟

في ذلك الوقت كان الشعر يعبر عن الحركة الوطنية ، وقد لعب دورا كبيرا ..

وقبل ذلك لاأزال أذكر أن أنشدوا في بيتنا قصيدة شوقي في رثاء مصطفى كامل عام ١٩٠٨ .. كنت في الثالثة لكني لاأزال أذكر ، وبقيت في ذهني حتى الآن بعض أبياتها ، منها وصف شوقي لدخوله على مصطفى كامل :

« وهششت لي وكأنك عائلي .. وأنا الذي هز السخام كيان » .. الى أن قال : « يافخر مصر وياشهيد غرامها » .. وأيضا قصائد حافظ ابراهيم ، لكن شوقي أكثر لأنه كان على صلة بعمي ولهذا ظله يخيم علينا .. اشرب الشاي قبل أن يبرد .

دودة الكتب :

اسكت بالكوب وقال :

تنتقل الآن الى المرحلة الابتدائية ، وأنا شاذ عن الكتاب فى هذا أغلبهم عندما يتحدثون على هذه الفترة يتنابهم الشجن والنهنهة ويتباكون على الأيام الحلوة الجميلة والأساتذة السابقين ، ولكننى من دونهم أحمل على المدرسة الابتدائية حملة شديدة وأسبها سبا شديدا ، لأن هذه المدرسة اذتنى أذية لا حد لها .. أولا : لقد أماتت يدى لم تطلب منى أن أفعل شيئا بيدى ، والى الآن لاأحسن تناول أى شىء ، أو ان كان بيدى يقع منى هذا الشىء ، ولا استطيع أن أفك مسمارا من الحائط ، ألغت يدى إلغاء تاما !! ..

ثانيا : علمتنى أن الاتصال بالحياة هو عن طريق الكتب وليس عن طريق الاتصال بالحياة فعلا ، وضعتنى فى هذا القالب ، ودراسة الفيضان مثلا كانت فى الكتاب مع ان النيل قريب منا !! .. كانوا يقولون لنا أن السويد تصدر خشبا اسمه « لك » أى لك هذا ؟؟ .. ومن تأثير المدرسة والأسرة معا أصبحت ممن يسمونه « دودة كتب » يعنى من هؤلاء الناس الذين يستمدون حياتهم من الكتب أكثر مما يستمدونها من الخبرة الذاتية !! .. لكنى فى المدرسة قرأت كتبا عظيمة مثل « كليلة ودمنة » وكتاب للماوردى ، وكانت المحفوظات المقررة علينا منتقاة بعناية شارك فى اختيارها أئمة العلماء على رأسهم حفنى ناصف ... غير أن القراءة سلاح مزدوج ذو حدين ، لأن أساس التعليم يجب أن يكون : الكتاب فى يد والخبرة فى يد أخرى .

اذا سألك بعض الشباب : ماذا نقرأ فماذا تكون نصيحتك لهم ؟؟ عادة نقول .. اقرأ فى البداية كل كتاب يقع فى يدك ، ثم قد نضيف : وبعد ذلك تخصص فيما يستهويك ورأيى ان المسألة تحتاج الى إرشاد .. أنا لم أجد من يرشدنى فقضيت أغلب حياتى وأنا قارىء متنوع فى التاريخ والأدب والشعر وأى شىء ، وكان هذا يحتاج الى نقود كثيرة ، ولهذا اعتمدت على قراءة الكتب المستعملة .

ألم تمر قبلها بالروايات البوليسية ؟؟ .. فى هذه السن المبكرة تعتبر الروايات البوليسية تمرينا للخيال وتدريبا على الاستفادة من الحبكة والاثارة والتشويق وبعض حرفيات صنعة التأليف التى لابد وأن يعرفها الكاتب حتى لو شاء أن يتمرد عليها .

« روكامبول »

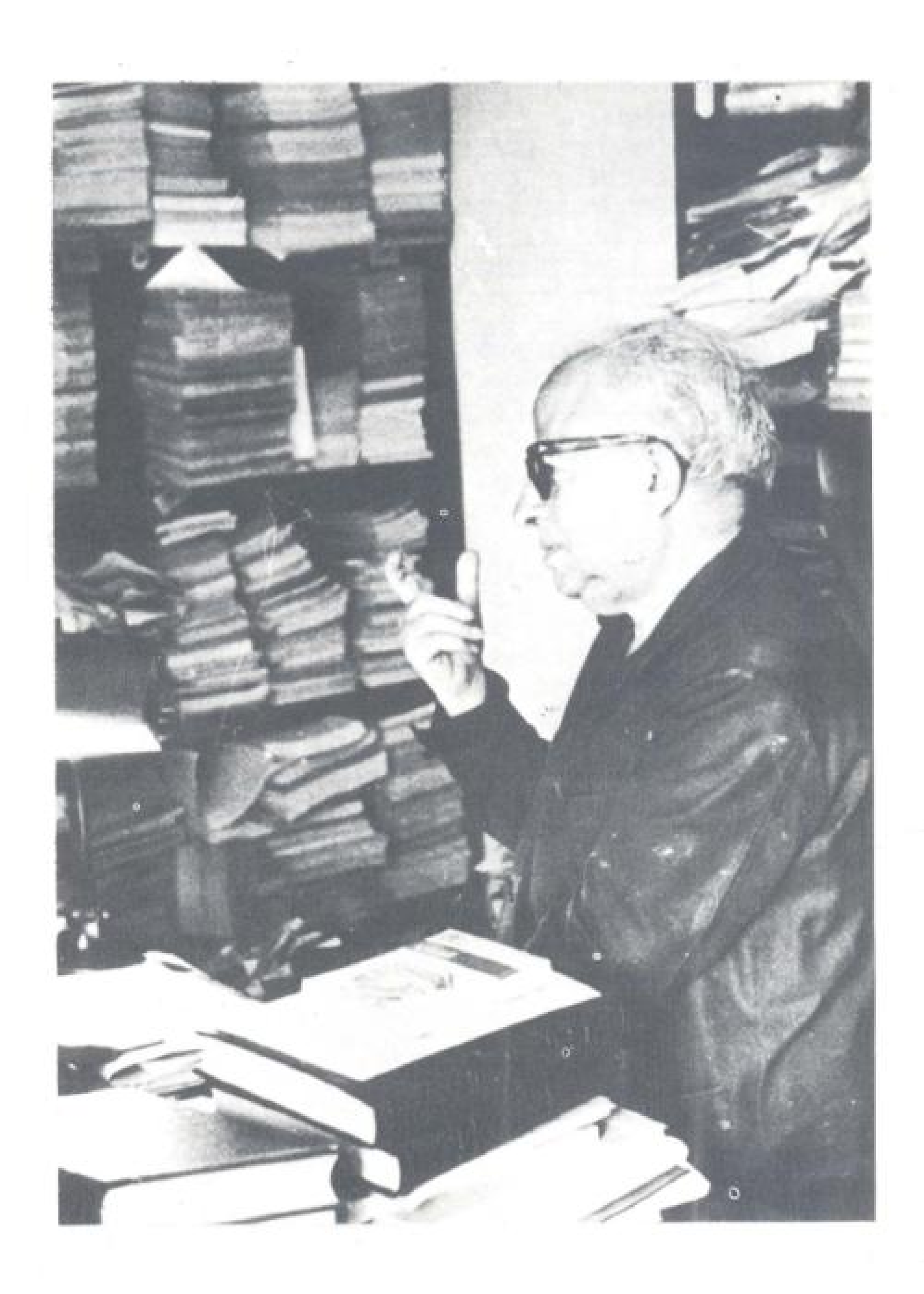
ـ طبعا .. قرأت روايات توافق عمرى كانت موجودة على أيامنا على شكل كراسات صغيرة الواحدة بقرش صاغ ، ثم قرأت روايات « روكامبول » وهى معجزة من معجزات الروايات البوليسية ، ثم عندما كبرت قرأنا « أجاثا كريستى » و « كونان دويل » وهو الذى له الفضل فى تحويل الروايات البوليسية من مغامرات الى ذكاء وبحث واستنتاج ، وفى وقت من الأوقات تتبعت سيرته لانه كان شخصية عجيبة جدا ، وقد روى فى كتاب كيف جاءته شخصية « شرلوك هولمز » وأظنه أيضا بالكاتب الامريكى المشهور « إدجار آلان بو » فهو أول من كتب رواية بوليسية أساسها العقل وتحليل الذكاء ولا تنس أن ابنه قتل فى الحرب العالمية الأولى مما دفعه الى الايمان بالأرواح والأشباح والتناسخ الى آخره !! .. لكن لا أظن أن الروايات البوليسية كان لها تأثير كبير على ما كنت قد قرأته من قبل فى البيت والمدرسة .

هذا الكائن الحى

انتبهت أيضا بأجيد أشد الانتباه الى قواعد النحو والصرف ، وهى تعتبر مشكلة كبيرة عند الكتاب البادئين .. عندما تحس باللغة تجد أن قواعد الصرف ليست مسائل شكلية ، انها الأساس فى بنيان اللغة لتوضيح المعنى .. عندما يكون هناك خطأ نحوى فهو يعطى بالضرورة خطأ فى المعنى .. وحينما يكون كل لفظ فى مكانه ، وحينما تندس القواعد النحوية تحت السطور ويكون عملها هو تلحين الألفاظ تجد أن أسلوبك سلسا .. قالت لى فتاة ذات يوم : « انى حين أقرؤك أحس أنى لاأقرأ » وهذا أجمل مدح سمعته ، فعندما تكون هناك أخطاء تصبح وكأنك سائر فى طريق به مطبات وحجارة فتشعر أنك سائر أما إن كان معبدا تماما فأنت تنسى حركة المشى ...

ـ لانه عندئذ تكون أدوات الحرفة قد ذابت أو استعبدت تماما لصالح المعنى ولصالح التدفق النفسى والجيشان الوجدانى ...

ـ لقد أدركت منذ سنواتى الأولى أن اللغة كائن حى وأن لها قدرة على الايحاء وعلى التفاعل وأنت تتناولها ، لدرجة أننى أحس وأنا أجلس لأكتب كأن النفير قد انطلق ليقول لجميع الفاظ اللغة : انتبهوا وتعالوا اصطفوا أمامه لأنه سيكتب ! .. حقيقة ، هذا شعور عندى ، وأحيانا أشعر أنهم يريدون أن يعابثونى وأن ألفاظا تتقدم الى وهى غير ملائمة أو فى غير موعدها ومكانها .



ـ طبعا اللغة أكثر من مجرد قواعد نحو وصرف ، انها أيضا ذوق وتذوق وموسيقى وتأنق وبلاغة ورموز ، كيف اكتسب كل هذا وغيره ؟؟

خطوات فى النقد

قال يحيى حقى وقع فى حياتى حدث هام جدا بعد عودتى من أوروبا أواخر عام ١٩٣٩ ، يعنى كان عمرى ٣٤ سنة تقريبا ، حدث أن تعرفت بالاستاذ محمود شاكر وهو إمام اللغة العربية فى عصرنا الحاضر ، وكان من حسن حظى أن استقبلنى وعاملنى معاملة الأخ والتلميذ ، وسمح لى أن أستمع اليه وهو يقرأ لى الشعر الجاهلى والاسلامى ، وأن أقرأ عليه بعض ما اكتب وأن ينظر فيه وينصحنى .. له فضل علىّ وحينما أقرأ ما كتبت قبل معرفتى بمحمود شاكر وأقارنه بما كتبت بعد معرفتى به أجد أن السمة الغالبة هى واحدة ، وهو الحرص الشديد على الكلمة ، ماذا جد ؟؟ .. يمكنك أن تقول « الصنفرة » أو اللغة الأخيرة ، التشطيب النهائى أى التأنق وهو ما اكتسبته بعد محمود شاكر ، لكن الأساس والصميم والمنهج ظلت كما كنت أتبعها ويمكنك التأكد من هذا من كتابى« خطوات فى النقد »،ضممت فيه المقالات حسب تاريخ كتاباتها كى يعرف القارىء تطور النقد والأسلوب .. دراستى عن محمود طاهر لاشين مثلا كتبتها وأنا عمرى ٢٠ أو ٢٢ سنة تقريبا ، يعنى فى سن مبكرة جدا ومن الغريب فى هذا الكتاب أنك ستجد مقالا كتبته وأنا فى جدة يعنى وعمرى ٢٧ أو ٢٨ سنة عن أحمد رامى،أنا من أوائل من تناولوا رامى بالنقد ، وكنت فى ذلك الوقت أقرأ كتاب « الأغانى » واستطعت أن أرى امتداد الغناء فى الشعر العربى .. لكن الذى اشكو منه أنى لم أتخصص .. أفرض أنى كنت أهوى الأدب ، فقد كان يجب أن أقرأ فى تاريخ الأدب وفى السير الذاتية للأدباء وفى أدب أوربا أى أن يكون لى تخصص لكن أنا بقيت فى القراءة كما فى الكتابة هاويا تواقا لكل شىء وطوافا بكل شىء »

احببت تاريخ مصر الحديث

ـ قد يعطى هذا انطباعا بالافتقار الى التعمق ؟ !

ـ التعمق يأتى حين تحب شيئا من الأشياء .. لكنى احببت تاريخ مصر حبا عميقا ، ليس الفرعونى وانما ابتداء من الحملة الفرنسية أى تاريخ مصر الحديثة ، وأعتقد أنى لو كنت تركت نفسي له لكنت قد تخصصت فيه وقد جمعت كتبا فى هذا المقام بالانجليزية والعربية ومراجع كثيرة عن هذه الفترة ، لكن حجر الزاوية هو كتاب « الجبرتى » الذى أثر علىّ كثيرا جدا ، لاحد لحبى له .. كم الساعة الان ؟؟

ابتسمت وقد تذكرت السبب فى عدم حمله الساعة ، فهو يهوى ركوب المواصلات العامة رغم شدة اكتظاظها ، وفى عام ١٩٦٥ نشلت منه ثانى ساعة جيب فى خلال ستة أشهر فقرر يومها أن يكون هذا وداعا مابينه وبين الساعات جيبا أو معصما .. ونفذ قراره وظل حتى اليوم عازفا عن حملها .

التعصب وبتر الاصبع

بعد أن عرف الوقت قال :

ـ نشأت فى أسرة ديمقراطية لاتفرق بين انسان وآخر بسبب جنس أو لغة أو دين أو أى شىء ، وكنا نعتبر أن البشرية جميعا أخوة ، لا تعرف معنى التعصب بأى حال من الأحوال ... هكذا نشأت اقرأ لجميع الناس ، ولا نسأل إن كان هو مسلما أو يهوديا أو نصرانيا ... الى أن فوجئت بدولة إسرائيل تنشأ على حدودنا ، وهى تمثل العنصرية فى أقصى وأبشع مظاهرها وعدوانها ، مما ردنى الى التعصب لقوميتى ودينى ، وشعرت بأننى فى نكبة روحية ، لاننى كنت على بر الأمان لا أعرف التعصب ثم فرض علىّ هذا التعصب فرضا .. هل توجد صراحة اكثر من هذا ؟؟

لابد لكل إنسان من مواجهة الشر والأشرار ، قرأت لك هذا من قبل . تحدثنا إذن عن عوامل هامة جدا أثرت فىّ : الأول : أهمية الكلمة التى ورثتها من العائلة ، وهذا من ناحية الأداء اللغوى . الثانى : المدرسة الابتدائية والخطر الذى عرضتنى له بجعل أقرب الى دودة كتب ، وهذا من ناحية إتصالى بالحياة ... الثالث : أننى هاو أكثر منى متخصصا .. أما العنصر الرابع الهام جدا فهو : صلتى بالعمال والفلاحين ففى بداية عملى بمنفلوط شعرت بمدى الظلم الواقع على الفلاح المصرى ، كنت أعامله معاملة كريمة وأتحدث معه بشكل لطيف جدا ، لكنه لم يكن يصدقنى أبدا كيف يصدقنى وهو لم يتعود أن يعامله موظف من قبل الدولة معاملة حسنة أو لصالحه ؟ ! .. كذلك انتبهت الى ضرورة انصاف العمال وأنا فى الخامسة عشرة تقريبا ، وعندما كنا نسكن عن مقربة من « فابريكة » للمياه الغازية اسمها « باسكال » .. كان الزجاج وقتها ردىء الصنع وكثيرا ما كان ينفجر عند الضغط عليه لاغلاق الزجاجة ، ذات يوم انفجرت زجاجة وقطعت نصف أصبع السبابة لأحد العمال ، وبدلا من أن يعوضه

ويعالجه صاحب الفابريكة طرده ، ورأيته يجلس فوق الرصيف وهو يبكي ودمه ينزف !!

- قطع عيشه كما قطع أصبعه !!!

تصور !! .. هذه هي الينابيع الأساسية التى تستطيع أن تستشفها من أى شيء كتبه .

فجر القصة :

لكن نظرة سريعة لحياته الحافلة تجعلنا لانكتفى بهذه العناصر التى اشار اليها رغم أهميتها القصوى .. فان كانت حياته العملية قد بدأت بمغلوط عامى ١٩٢٧ ، ١٩٢٨ فهو سرعان مانقل أمينا للمحفوظات بقنصلية مصر فى جدة سنة ١٩٢٩ ثم فى استامبول من ١٩٣٠ الى ١٩٣٤ حيث تابع هناك ثورة مصطفى كمال أتاتورك ثم عمل مأمورا بقنصلية مصر بروما حتى عام ١٩٣٩ ابان فاشستية موسوليني ونازية هتلر وبوادر الحرب العالمية الثانية ، وهناك تعلم الايطالية واغترف من آدابها وفنونها ..

وعندما نقل الى ديوان وزارة الخارجية بالقاهرة عمل مديرا لمكتب الوزيرمع من ؟؟ .. مع مصطفى النحاس والنقراشي وابراهيم عبد الهادى ، ثم تزوج عام ١٩٤٣ لأول مرة وسرعان ما توفيت زوجته بعد ثلاثة أشهر من مولد وحيدته « نبى » .. وظل عزبا حزينا حتى نقل الى باريس عام ١٩٤٩ وحتى عام ١٩٥١ حيث مربتجربة عاطفية مازال يعيشها حتى الآن ، تعرف هناك بفتاة فرنسية من أصل ريفى اسمها « جان » وتوطدت علاقته بها ولم تفتر رغم انتقاله مستشارا لسفارة مصر بأنقرة لمدة عامين ثم وزيرا مفوضا فى ليبيا عام ١٩٥٣ .. فكان عليه أن يترك وزارة الخارجية ليتزوج منها وليمارس عدة وظائف حتى عام ١٩٥٩ .. منها مديرا لمصلحة الفنون التى تحولت الى وزارة الثقافة فيما بعد ، وكون أول فرقة للرقص الشعبي ، كما أمر بتغطية اجساد راقصات هز البطن فضربته بالصاجات !! .. كما دفع بمطربين شعبيين مجهولين للغناء أمام جمال عبد الناصر وضيفه تيتو فى ذاك الوقت .. ثم شغل مناصب أخرى إلى أن استقال عام ١٩٥٩ ليصبح رئيسا لتحرير مجلة « المجلة » التى جعل شعارها « سجل الثقافة الرفيعة » ..

يضاف الى كل هذا تاريخ مولده مع بداية هذا القرن ، حيث كانت خريطة العالم يعاد رسمها على زعماء الدول الكبرى ، وحيث كانت مصر فى أوج عصر نهضتها الحديثة والتى بدأت منذ أيام رفاعة الطهطاوى ، وربما إبان حملة نابليون وجميع هذا - طبعا - أثرفيه .. لقد ولد مع فجر القصة المصرية العربية ومع تباشير ثورة ١٩١٩ .

هذا كله يضاف الى الينابيع الأساسية التى نهل منها وتحدث عنها ! O

مجيد طوبيا

ليس بالسن

قدم على عمر بن عبد العزيز وفد من العراق فنظر الى شاب منهم يريد الكلام قبل غيره ، وقال فليتكلم أكبركم ..

قال الفتى : يا أمير المؤمنين ، ان الأمر ليس بالسن . ولو كان كذلك لكان في المسلمين من هو أسن منك ..

قال عمر : صدقت فتكلم ..



بلاغ إلى ضمير الأمة !

بقلم : فهمي هويـدي

أليس مثيرا للدهشة ان يتحاور المسلمون مع طوب الارض وخشاشه ، ولا يتحاورون مع انفسهم ؟أليس غريبا ان نتبارى في الدعوة الى رحابة الصدر وسعته عندما نتحدث الى الآخرين ، بينما تضيق صدورنا وتصم آذاننا اذا جاءت سيرة الحديث مع بعضنا البعض ؟ اليس محيرا ذلك السباق في ترتيب الندوات واللقاءات في مختلف شئون الماضي والحاضر والمستقبل ، الذي لا يمر ولو مصادفة بطريق التقريب بين مذاهب المسلمين وفرقهم ؟ اليس مريبا ومثيرا للشك ان تلتقي مختلف الفصائل من أعدائنا وأصدقائنا في تجمعات يتزايد عددها وتتنوع مجالاتها يوما بعد يوم ، بينما تزرع الالغام ، وتوضع الحواجز والاسلاك الشائكة ، وتحفر الخنادق وتنصب المتاريس ، فيما بين مختلف فصائل المسلمين ؟ اليس محزنا ان يبحث الجميع عن نقاط للالتقاء يبنون فوقها وينسجون حولها الكثير من طموحات الانطلاق نحو المستقبل ، بينما لا تثار بيننا سوى خلافات القرون التي خلت ، ويبقى بيننا من لايزال يناقش ويتعارك حول احقية علي ابن ابي طالب بخلافة رسول الله وبطلان بيعة ابي بكر الصديق ، ويحاول ان يصفي الحساب مع معاوية بن ابي سفيان وابنه يزيد ؟

ان هذا الواقع المر كفيل وحده بأن يدمي قلب أي مسلم يملك ذرة من الغيرة على دينه ، أوذرة من الصدق مع ضميره ، فما بالكم بمن يجيء ليضيف الى هذا كله مزيدا من المرارات ، بل وليسدد الى الجسد الاسلامي الواهن مزيدا من الطعنات الموجعة والخبيثة ؟ وما أعنيه تحديدا هو تلك المحاولات التي تجري الآن للوقيعة واشعال نار الفتنة بين السنة والشيعة .

وهي ليست مصادفة ، ان يستثمر مناخ المد الاسلامي الراهن ، وان تستغل الحرب الدائرة بين العراق وايران ، التي لم يقل أحد انها حرب بين السنة والشيعة ، وان تتصل حلقات الفتنة في العالم العربي بعد الذي قادت اليه الحرب الطائفية في لبنان . . ليست مصادفة ان ينشط رسل البغضاء والوقيعة في هذه المرحلة ، لتتسع رقعة الحريق ، وليمتد لهيبه الى مختلف ارجاء وطننا الكبير ، ناثرا الشرار والدمار وآتيا على الاخضر واليابس .

ليست مصادفة ان تلتقي هذه السموم ، في وقت تتأهب فيه القوى الكبرى لكي تبسط سلطانها العسكري على العالم العربي ، وتتربع فيه اسرائيل على عرش القوة والبطش في المنطقة ، وتقمع فيه الارادة العربية بالسيف من ناحية ، وبالقنابل العنقودية والانشطارية من ناحية ثانية ، وتخضع الخارطة العربية كلها لمعادلات ومخططات جديدة ، تتغير في ظلها الجغرافيا جنبا الى جنب مع التاريخ .

في هذا السياق تكون الفتنة بين السنة والشيعة مطلبا ، وحلقة جديدة في المسلسل الجهنمي الذي نحن ابطاله وضحاياه .

●

لقد قدر لي ان استمع الى تسجيل صوتي لحديث القاه واحد من الدعاة في احد المساجد ، وتثير مقولاته العديد من ردود الفعل المؤيدة والحذرة والساخطة . .

ولم يجد الواعظ المتحدث في كتاب الله موضوعا يفيد سامعيه ولم تستلفت انظاره قضية ذات شأن في واقع العرب



والمسلمين وما يحيق بهم فى الحاضر والمستقبل ، من المشرق الى المغرب . وانما غاية ما فتح الله عليه به كان نزالا وتجريحا لمعتقدات الشيعة طوال ساعة من الزمان .

كان مدخله هو الحديث عن « سبيل المؤمنين » ومنه انتقل الى مربع غير المؤمنين (!) ، ومن باب التغطية والتمويه شن هجوما شديدا على المتصوفة ، جمع فيه الذين تعلقوا مخلصين بحب الله مع الذين تاجروا باسمه جل جلاله ، ووضعهم فى سلة واحدة ، ثم أخرجهم من الاسلام ، وقذف بهم فى مربع المشركين ، فى جولة استعراضية سريعة لم تستغرق ثلاث دقائق ، وان ألحق بهم الفلاسفة والمتكلمة فى الثوانى الأخيرة ، وبعد ان هدأت نفسه وتحقق من أن كلماته القت بهؤلاء وهؤلاء فى الدرك الاسفل من النار ، واطمأن ضميره الى أنه أغلق أبواب جهنم على الجميع ، استدار واشهر سيفه فى وجه الشيعة الاثنى عشرية او الجعفرية .

وكان أخطر ما قاله ، ـ غفر الله له ـ ، انه صنفهم جملة مع الرافضة والباطنية ، وانهم يكفرون أهل السنة جميعا ، من الخليفة الاول ابى بكر الصديق الى شيخنا الهمام الذى لم أعرف له اسما .

وبعد ان ادى مهمته فى الاساءة والتجريح على خير وجه ، تساءل امام الحاضرين ما العمل ؟ ثم رد بصوت المبشر الذى يريد أن ينجي سامعيه من الدنس والأرجاس : يجب ان نعاديهم ، لاننا بذلك نعادى الشرك يجب ان نمتنع عن موالاتهم وودهم لان ذلك يخالف اركان الايمان ، التى تمنع المؤمن من موالاة المشركين يجب ان نتعلم البغض فى الله ، كما نحرص على الحب فى الله .

بهذه الوصفة الناجعة بصر الرجل سامعيه بما يجب ان يفعلوا ، ونثر فى العقول والاعماق جرعة لابأس بها من السم باسم البغض فى الله .

وفى هذا المسار مضى الحوار الذى جرى بعد الحديث . وكان إطاره يدور فى فلك المقولات التى يضرب بها المثل فى التعصب المذهبى ابان عصور الانحطاط ، عندما سئل بعض المتعصبين من الشافعية عن حكم طعام وقعت فيه قطرة نبيذ ، فقال : يرمى لكلب أو حنفى ! وسئل متعصب آخر بنفس الحالة العقلية : هل يجوز للحنفى ان يتزوج شافعية ؟ فرد : لايجوز لانها يُشك فى ايمانها . فيما اجتهد آخر فقال : يجوز الزواج بها قياسا على الكتابية !

ان اقل ما يمكن ان يقال فى حق هذا الواعظ انه اما متطوع للتآمر او ضالع فيه !

وأيا كانت نيته وقصده فكلماته تشكل جريمة مكتملة الاركان ، المجنى عليه فيها ليس الشيعة فقط كما قد يتوهم البعض ، وانما الشيعة والسنة فى آن واحد !

ذلك ان الرجل لم يقدم موعظة فى الحقيقة ، وانما غرس فى صحن المسجد بذرة خبيثة لشجرة لا تثمر الا المر . واطلق من حيث لايدرى ـ أو يدرى ـ قنبلة جرثومية من تلك التى ينبغى ان تحرم فكريا ، بل زرع فى كل بيت بلغه صوته أو عاد اليه رجل من مستمعيه لغما موقوتا وقاتلا ، يعلم الله متى ينفجر وكم عدد ضحاياه .

●

وكان ظنى فى البداية انها سقطة واعظ اساء اختيار الاسلوب والهدف والتوقيت ، لكن الحلقات التى توالت بعد ذلك اعطت المسألة بعدا آخر يرجح ان القضية اكبر وأخطر ، وان هذه السقطة ليست الاحلقة فى مسلسل يريد بنا شرا . لقد اكتشفت ان البذور الخبيثة والالغام الموقوتة تزرع فى مواضع عديدة من الجسد العربى ، حتى لاتسفر العملية فقط عن اصابة أوعاهة ، ولكن لكى يكون التفجير شاملا ومحكما !

فقد وقع فى يدى كتاب عنوانه « وجاء دور المجوس » ، لمؤلف يحمل لقبا علميا رفيعا (دكتور) وهو يقع فى ٥٠٠ صفحة ، ويوزع بالمجان !!

استهل « المؤلف » كتابه بقوله انه مؤرق منذ ٢٠ عاما بسبب نشاط « الرافضة) وانه كان ومازال يحترق ألما من تخاذل أهل السنة وغفلتهم عن هذا النشاط (وهذه كلماته) وانه بعد أن سكت طوال هذه الاعوام العشرين قرر أن يقول كلمته في هذا الكتاب . ثم رد مقدما على نقاده : فإن قالوا ليس من المصلحة اثارة مثل هذه القضية . قلت المصلحة ما وافق الشرع ، وليس ماوافق الاهواء والأمزجة . بل ليس من الخلق والمروءة أن نصادق من يشكك بكتاب الله (لا حظ أنه يردد دعوة صاحبنا الأول الى البغض في الله !)وينكر سنة المصطفى (ص) ويشتم الصحابة .

وبعد ان يزرع غابة من أشجار المر بين السنة والشيعة ، ويقيم بكلماته العديد من الحواجز والسدود يصدر حكمه الحاسم بقوله : ان امكانية الالتقاء بهم غير ممكنة !
وهي ذات النتيجة التي استخلصها واعظنا الهمام . والتي تعني في حقيقة الامر حذف اكثر من مائة مليون مسلم بعبارة من ست كلمات !

ولا اريد ان اخوض في محتوى الكتاب ، فهو لم يخرج عن مضمون ماقاله صاحبنا الاول في الهدف يقينا ، وفي الاسلوب احيانا . اى انه افرغ شريطا مسجلا مدته ساعة في صفحات عددها خمسمائة ، وهو امر غير مستغرب عندما يرخص الكلام ويستغفل الناس ويتصور بعض حملة الاقلام انهم يخاطبون جماعة من البلهاء والمتخلفين عقليا !
ورغم منهجه الاستفزازى ، فان الكتاب لم يكن مفاجأة في مجمله ، لكن المفاجأة الحقيقية كانت تنتظرني في اليمن ! ذلك اني ذهبت في مهمة الى صنعاء ، واذا بي اجد هناك كتابا آخر يطرح الموضوع ذاته بعنوان « الصراع بين الاسلام والوثنية » لمؤلف معروف هاجر من بلده منذ ثلاثين عاما تقريبا ، وتعددت كتبه التي تخوض في الغيب ولا تخلو من نقد ونقض ، من بينها كتاب طبع في بيروت بعنوان « الكون يحاكم الاله » !

والكتاب يقع في ٧٠٠ صفحة ، ويوزع أيضا بالمجان ! ومشترو الكتب يعرفون كم يكون باهظا سعر كتاب بهذا الحجم ولا بد ان يستريبوا قبل غيرهم في ملابسات نشره ودوافعها . لكن ذلك ليس مصدر الريبة الوحيد ، وانما الاكثر مدعاة للدهشة والريبة أن الكتاب صدرت منه طبعتان ، الاولى في عام ١٩٣٧ ، والثانية في عام ١٩٨٢ !
أي انه كما سكت مؤلف الكتاب السابق عشرين عاما ثم نهض فجأة وقرر ان يعلن كلمته فان مؤلف الكتاب الثاني ـ أو ناشره بالأحرى غاب ٤٥ عاما ، ثم تنبه فجأة الى ان الامانة والمسئولية تفرض عليه ان يعيد طباعة الكتاب مرة ثانية في عام ١٩٨٢ .. كلاهما سكت دهرا ، ولما نطق ، فانه زرع شراً !
ولن اخوض ايضا في تفصيلات الكتاب الذي ينقد معتقدات الشيعة ويصب في ذات الاتجاه الذي استهدفه الكتاب السابق ويخلص الى ذات النتيجة .

●

هل هي مصادفة ان تهب تلك الريح الخبيثة من مختلف الاتجاهات في وقت واحد ، ولهدف واحد ؟ وهل يمكن ان نحسن الظن بمصدر تلك الريح او مصادره ؟ ثم الا يعني ذلك الذي يجرى ، وغيره مما لا نعرفه ، ان ثمة شيئا يدبر لهذه الامة وأن شرا مستطيرا يتهددها اذا لم نحاصر النار ونخمد منابعها بأسرع ما يمكن ؟ اما عن المستفيد من ذلك كله . فحدث فيه ولا حرج !
ان هذا الكلام ليس جديدا . والكثيرون يعلمون ان تاريخ الخلاف المذهبي بين فرق المسلمين حافل بمثله وبما هو اسوأ منه واتعس . ايضا فان مثل تلك الاقاويل لا تتردد فقط في الجانب المتعلق بالسنة ، انما يروج لها ايضا في جانب



الشيعة ، ولا اريد ان انكأ جراحا ، لان ما يقال فى ذلك الجانب الآخر عن معتقدات السنه يستنكره عقلاء الشيعة انفسهم ، اذ ان بعضه يمس كتاب الله ذاته ، وبعضه يمس الخلفاء الراشدين والصحابة . فالحماقة والجهالة ليست من نصيب فريق دون الآخر،ورسل الدس والوقيعة نشطون على الجانبين .

ان أحدا لاينكر ان ثمة خلافات حقيقية بين المذاهب الاسلامية وان كان الخلاف له خصوصيته فيما بين السنة والشيعة الجعفرية بالذات من حيث ان هؤلاء يمثلون اكبر جماعة اسلامية بعد السنة . وليس في الخلاف ما يشين او يجرم فضلا عن انه قائم منذ القرن الهجرى الأول ، وقد بدأ سياسيا وليس فكريا بالمناسبة اذ لم يكن بين الامام علي ومعاوية خلاف لا في الأصول ولا في الفروع ، ولكن السؤال هو من يتصدى لهذا الخلاف ومتى ، واين ؟
ان الجريمة الحقيقية تقع عندما يساء التقدير والاختيار في ادارة هذا الخلاف سواء فيما يتعلق بالاشخاص او الملابسات . فهي جريمة بكل تأكيد أن يترك الامر في قضية دقيقة كهذه لتراشق اعمى بين خليط الحمقى والجهلاء والدساسين . وهي جريمة تفتح ابواب الخلاف وملفاته بينما الأمة تمر بأخطر مرحلة في تاريخها المعاصر ، ويسعى الساعون بكل جهدهم لتفتيت شملنا وتمزيقه . وهي جريمة أيضا أن يروج لهذا الخلاف من فوق المنابر العامة ، وان تتحول قضايا الشرك والايمان ومختلف أمور العقائد الدقيقة الى مضغة فى الافواه يلوكها الثرثارون والفضوليون ، والادعياء .

ان الملاءمة عنصر أساسي في ادارة اى حوار ، وأعني بها ملاءمة الزمان والمكان . وان افترض ذلك ابتداء ان الاطراف المتحاورة مؤهلة وجديرة بتحمل مسئولية ما تصدت له . ان من يلقي بسهام الطعن والتجريح في عقائد فرق المسلمين ، رافضا فكرة مراعاة مصلحة مجموعهم محتجا بمقولة ضرورة موافقة المصلحة للشرع ، وبدعوى الوحدة من خلال الاصول الاسلامية ، يتجاهل ـ أو يجهل ـ ما قاله علماء الاصول بان الانكار له شروط ، وانه بفرض ان هناك منكرا ، فانه اذا كان التصدى له سيؤدى الى ماهو أنكر واسوأ ، فانه لا يسوغ انكاره ، « وإن كان الله يمقته ويبغض أهله » ، وهذه العبارة الأخيرة ليست من عندى ولكنها نص كلمات فقيه له قدره وجلاله هو ابن القيم الجوزية . لقد غاب عن الخائضين في امور عقائد المسلمين ان كلامهم ، ولو كان بحسن نيةيفتح الباب لخطر عظيم ، ويزرع بذور الفتنة ، والفتنة اشد عند الله من القتل !

فى الاربعينات شهدت القاهرة محاولة ايجابية لتصالح السنة والشيعة ، فيما سمي وقتئذ باسم « لجنة التقريب بين المذاهب الاسلامية » ورأس هذه اللجنة احد فقهاء الشيعة واسمه محمد تقي الدين القمي ، وتعبيرا عن حماس علماء السنة وحفاوتهم بهذه الدعوة ، فقد قبل شيخ الازهر وقتئذ ـ الشيخ عبد المجيد سليم ـ أن يكون وكيلا للشيخ القمي ، وان يجيء بعده في ترتيب رئاسة اللجنة ، وهو على رأس الأزهر الشريف ، واللجنة مقرها القاهرة ، واحد المعاقل الكبرى لفقه وثقافة المسلمين السنة . وضمت اللجنة عددا من علماء وفقهاء الجانبين ، الذين عملوا بروح الأخوة والمودة وبحرص مخلص على لم الشمل والعمل من اجل توسيع مجالات التفاهم ونقط اللقاء . فاصدرت اللجنة مجلة باسم « رسالة الاسلام » التي كان يشترك في تحريرها نخبة من فقهاء السنة والشيعة ، وكان الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر فيما بعد ـ واحدا من كتابها ، وعلى صفحاتها نشر اجزاء من تفسيره للقرآن الكريم .

وفي الوقت ذاته حققت اللجنة انجازا هاما ، تمثل في اتفاق فقهاء الجانبين على اخراج تفسير للقرآن يجمع بين وجهي نظر السنة والشيعة . وكان تفسير « مجمع البيان » للطبرسي هو الذى رشح ليلتقي عليه الطرفان ، وحتى

السبعينات كان قد صدر عشرة اجزاء من هذا التفسير ، ثم توقف جهد اللجنة للاسف الشديد ، لاسباب لم تعرف بعد .

كانت هذه التجربة الهامة ـ وما زالت ـ نموذجا للاسلوب الواجب اتباعه ، لتحقيق الفهم والتفاهم بين فرق المسلمين وفصائلهم . هذا اذا حسنت النوايا وابتغى الذين يتصدون للمهمة وجه الله وحده . على عكس ما يروج الآن من ان طريق اللقاء مسدود ومقطوع ، ولا سبيل الى تحقيقه .

ولقد ظل هاجس التقريب بين السنة والشيعة شاغلا لبعض من علمائنا المعاصرين والمخلصين ،الذين ادركوا بضميرهم الحي حقيقة الخطر الذى يمكن ان يؤدى اليه توسيع الشقوق وتعميق القطيعة بين الطرفين وكان الداعية الكبير الشيخ محمد الغزالي واحدا من هؤلاء فكتب في مؤلف أخيرله (هو كتاب دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين) ينعى مابين الشيعة والسنة من خلافات موروثة وفجوات « ملأتها الدماء في بعض الاعصار ، وزادها البهت والافتراء بين الحين والحين » . ثم عرض مبادىء اربعة « لدفع الامور الى طريق التصالح والاخاء هي » :

ـ يتفق الفريقان في مؤتمر جامع على أن القرآن الكريم هو كتاب الله المصون الخالد وانه ليس هناك في الاسلام كله غير هذا المصحف الشريف .

ـ السنة هي المصدر الثاني بعد القرآن والرسول أسوة حسنة لاتباعه الى قيام الساعة ، والاختلاف في ثبوت سنة ما او عدم ثبوتها مسألة فرعية .

ـ ماوقع خلاف بين القرن الاول يدرس في اطار البحث العلمي والعبرة التاريخية ، ولا يسمح بامتداده الى حاضر المسلمين ومستقبلهم ، بل يجمد من الناحية العلمية تجميدا تاما ، ويترك حسابه الى الله .

يواجه المسلمون جميعا مستقبلهم على اساس من دعم الاصول المشتركة وهي كثيرة جدا وعلى مرونة وتسامح في شتى الفروع الفقهية ووجهات النظر المذهبية الاخرى . ثم يعقب على مقترحاته قائلا : إنني « الفت النظر الى ان اوهاما واهواء تملأ الجويين الشيعة وجماعة المسلمين لا يسيغ العقلاء بقاءها . ولو وضع كل شيء في حجمه الطبيعي ، واغلقت الافواه التي تستمرىء الوقيعة والافك ، لتلاشت انواع من الفرقة لامساغ لوجودها » .

●

وفي الظروف المعقدة والمحزنة التي نمر بها ، ربما تبدو فكرة التقريب بين السنة والشيعة طموحا بعيد المنال ، رغم ان خطى هذا التقريب بدأت فعلا منذ اربعين عاما ، وتقدمت على طريق الألف ميل بصورة مشجعة ومفعمة بالامل . وبعد مضي تلك الاعوام الاربعين ، فان الطريق يبدو الآن أطول واكثر اشواكا ، بل اكثر إظلاما وتعتيما .

لقد تقلص طموحنا وانحسر ، وبتنا في زماننا هذا لانجرؤ على ان نطالب من يتصدى للقضية بان يضيء شمعة على الطريق ، وانما صرنا نسعى الى اسكات هؤلاء وهؤلاء ، حتى لا ينتشر الشرار ويشب بيننا الحريق !

ولو ان لي صوتا يبلغ كل الاسماع والافئدة ، لما كففت هذه الايام عن ترديد كلمات الحديث الشريف : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فليقل خيرا ، أو ليصمت ! ○

■ هناك فضائل لا نستطيع ممارستها . الا اذا كنا أغنياء .
(ريفارول)

لماذا أصاب الضعف السياسة الخارجية للعالم النامي؟

بقلم جميل مطر

في مقدمة الأسباب التي تدفع المواطن في العالم الثالث الى الابتعاد عن المشاركة السياسية اقتناعه بالضعف العام الذي أصاب السياسة الخارجية للدول النامية . هذا الضعف الذي صار يتجسد في الفشل المتلاحق الذي منيت به هذه الدول في محاولاتها استعادة حقوقها المسلوبة أو المحافظة على حقوقها القائمة ، وتقاعسها عن تحقيق مكانة دولية تتناسب مع إمكاناتها البشرية وثرواتها الطبيعية . ويبرز الضعف بشكل خاص في فشل هذه الدول في تعبئة مواردها الذاتية والاقليمية لخدمة اهدافها وتنمية مصالح شعوبها وحماية مصائرها .

ولهذا الضعف في السياسة الخارجية اسباب متعددة ، بعضها تتحمل مسؤوليته أنظمة الحكم في الدول النامية ومشكلات التطور الاجتماعي والاقتصادي ، وانتهاج اسلوب الواقعية المفرطة ، وازدياد نفوذ فئات اجتماعية تنقصها سمات الجسارة والجهد والتضحية . وهناك مجموعة اخرى من الاسباب تتعلق بالتطورات الدولية على مستوى القمة ، وهي التطورات التي تعكس نفسها موضوعيا على اتجاهات السياسة الخارجية لدول العالم النامي ، أو تؤثر على هذه الاتجاهات تبعا لحسن أو سوء إدراك صانعي السياسة لها .

الضعف والتبعية

يأتي خيار التبعية السياسية سببا رئيسيا من أسباب ضعف السياسة الخارجية في دول العالم الثالث ، بصرف النظر عن العوامل الداخلية أو الخارجية التي دفعت الى تلبيته والتمسك به أسلوبا في العمل السياسي الدولي . والتبعية في حد ذاتها ليست اسلوبا جديدا في العمل الخارجي ، اذ سبق لمعظم الدول النامية ان خضعت للاستعمار في مرحلة أو أخرى من مراحل حياتها . ولكن الاستعمار التقليدي كان يفرض التبعية ضد ارادة الدول الخاضعة له ، ولذلك كان هذا الاستعمار في آخر مراحله سياسة مكلفة للدول الاستعمارية . وحين وصلت هذه التكلفة الى حد تجاوز أي عائد مادي أو سياسي ، تخلت الدول الاستعمارية عن أسلوب الاستعمار المباشر وبحثت عن أساليب أخرى . وخلال هذه المحاولة تعرضت الدول الاستعمارية لتكلفة أكبر لأنها واجهت نضالا قويا من جانب شعوب وحكام الدول حديثة الاستقلال . اذ كان التمسك بالاستقلال الوطني أكبر قيمة واهم بكثير من كل مغريات التبعية ، وكان حافزا لبناء إنسان جديد ، ووطن جديد ، وفرصته لبعث المقومات

الايجابية في تراث الشعوب وتقديرها لنفسها واطمئنانها لنفسها .

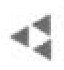
عندما انعكس الحال

اليوم نشهد انعكاس الحال . لقد أصبحت التبعية هدف معظم دول العالم النامي ، تتبارى فيما بينها ، وفي أحيان تتخاصم وتتصارع لتحظى إحداها بمواقع الدولة الاحق بالتبعية . وفي عدد من الحالات ابدت ـ كالدول العظمى وبمعنى أدق الدولتان العظميان ـ تمنعا وترددا في القبول بتبعية دولة أخرى لها . ولم يكن هذا التردد أو التمنع ناتجا عن خوف من تكلفة التبعية المادية أو العسكرية أو السياسية بل كان أسلوبا لرفع ثمن القبول بهذه التبعية .

نتذكر مثلا أنه في كل مرة اشتد التنافس بين عدد من الدول على عرض تبعيتها على دولة عظمى ، حدث ان تضخمت وتفاقمت في كل هذه الدول أو في المنطقة التي تضم هذه الدول أسباب ومشكلات امنية أو اقتصادية ، تؤكد عجزها بدون حد أعلى من التبعية عن مواجهتها ، والأمر المقلق في التبعية المعاصرة أنها لا تحل ـ وبالتأكيد لم تحل حتى الآن ـ المشكلات التي اختيرت سياسة التبعية من أجل حلها . فالدولة العظمى المتبوعة يهمها بشكل رئيسي أن تبقى مشكلات الأمن والاقتصاد في الدولة التابعة قائمة عند حد الانفجار ، فلا تصل اليه فتتغير الاوضاع جذريا ، ولا تبتعد عنه فتطمئن الحكومات التابعة . وبذلك يصبح استمرار التبعية هو الضمان الوحيد لمنع الانفجار ، ولكنه ليس ضمانا كافيا ضد استمرار مشكلات الأمن والاقتصاد . وهنا يظهر الفارق واضحا بين الاستعمار التقليدي حين كانت التبعية مفروضة من الدولة الاستعمارية وبين الاستعمار الجديد حيث التبعية مطلوبة من الدولة النامية . فالدولة الاستعمارية كانت مضطرة للدفاع عن مستعمراتها بحكم مسؤوليتها المباشرة في حماية أمنها واستقرارها ، وفي هذا الاطار كان السلوك الدولي مستقرا ومتعارفا على قواعده وأصوله .

أما في هذه الايام التي نعيشها فعلاقة التبعية تفرض التزاما على الدولة التابعة لا يقابله التزام بنفس القدر من الدولة المتبوعة . فالدولة العظمى لا تدخل الحرب من أجل الدفاع عن تابعيها . بل ولا تمثل الاقاليم التابعة اولويات رئيسية اذا قورنت بتوازنات القمة الدولية في مسائل تتعلق بنزع السلاح مثلا أو حتى في مسائل أقل أهمية كنقل التكنولوجيا والعلاقات التجارية . لذلك اصبحت التبعية المعاصرة عنصرا من أهم عناصر الفوضى الدولية في العالم الثالث .

اذ بينما يتصور الطرف التابع أن له أولوية في حسابات الدولة العظمى المتبوعة ، ويبدأ في انتهاج سلوك سياسي يستند الى هذا التصور ، يفاجأ بعد فترة بان للدولة العظمى اسبقيات أخرى ، أو تبعيات أكثر أهمية ، او



يصدم حين يكتشف انه كطرف تابع قد استنفد أغراضه . ويصبح عليه إما أن يرفع درجة تبعيته أملا في استعادة مركز الدولة الاولى بالتبعية أو يتخبط في سياسته الخارجية .

وهكذا ونتيجة للتبعية تطرد العلاقة غير المتوازنة بين الدول النامية والدول العظمى ، وبين الدول النامية وبعضها البعض بما يهدد الاستقرار الاقليمي ، وبما يزيد الشقة اتساعا بين أهداف الحكم في العالم النامي وبين المصالح الحقيقية للشعوب .

ويزداد الاضطراب في العمل السياسي الخارجي ويتنامى التردد والتريث في اتخاذ القرارات السياسية اما انتظارا للتعرف على موقف الدولة العظمى المتبوعة أو انتظارا لتدخلها بالشكل الذي يعفي الدولة التابعة من مسؤولية القرار ، أو أملا في أن تحظى بفضل يعود اليها يبرر تبعيتها ، ولا تخفى عواقب هذا الوضع على العلاقات الدولية عموما وفي العالم النامي بصفة خاصة حيث المشكلات متقاربة ومتفجرة .

الشـــعور بالعجز

يرافق التبعية بطبيعة الحال الشعور بالضعف والعجز تجاه الدول العظمى ، وترافقها في نفس الوقت الرغبة في استخدام رصيد التبعية لفرض الزعامة على دول أخرى نامية ، وهي الرغبة التي اضافت الى الضعف العام في وضع الدول النامية والى تفاقم حالة الفوضى الدولية الناشئة . فالتنافس على تأكيد الضعف تجاه الدول العظمى لاكتساب صفة الدولة الأحق بالتبعية يتناقض ـ في الظاهر على الاقل ـ مع التنافس على تأكيد الزعامة او النفوذ في دائرة من دوائر العالم الثالث . لذلك نشأت نتيجة هذا التناقض تفاعلات دولية تدل على استخفاف الدول النامية ببعضها البعض . وانعدمت ـ أو انخفضت ـ مصداقية الدولة التابعة الساعية الى زعامة والى نفوذ حتى وان استخدمت نفوذ الدولة المتبوعة ، وأصبح من العسير في احيان كثيرة تحقيق الاجماع أو الاغلبية بين عدد من الدول النامية على سياسة موحدة تستند الى أسس من الثقة والاطمئنان .

وقد ادى الشعور بالضعف العام في دول العالم النامي الى بروز ظاهرتين مترابطتين . اذ صارت تتكرر ظاهرة قيام حكام في العالم النامي بتنصيب انفسهم زعماء ليس فقط على دولهم بل وغيرها من الدول ، وهم لا يملكون من مقومات الزعامة الا الفراغ المحيط بهم أو الضعف السائد في منطقتهم . وفي حالات معروفة ـ وحين تأكد زعيم أو آخر من أن الزعامة على فراغ هي فراغ في الزعامة ـ لجأوا الى الماضي يتصيبون انفسهم زعماء فيه . أي أنهم حين فشلوا في تقلد زعامة الحاضر ـ بسبب انفضاح التبعية وحجم الفراغ ولا مبالاة المواطن ـ قرروا ممارسة الزعامة بأثر رجعي على زمان عرف قدر الزعامة . ان خطورة هذا الاتجاه على طرافته تتضح بشدة حين نرى ترجمته على صعيد العمل السياسي الدولي . اذ ان هذه « الزعامات » التي هي إفراز من إفرازات الضعف تريد ان تؤكد صلاحية واستمرارية نظرية الفرص الضائعة ، والتي هي بمعنى آخر الوجه الثاني لمحاولات فرض تدني الحدود الدنيا لمطالب الشعوب وحقوقها .

الظاهرة الثانية المرتبطة بظاهرة زعماء الفراغ أو الزعماء بأثر رجعي ، هي تلك المتعلقة بالمواطن الذي فقد العزم على المشاركة وقرر الانسحاب من دائرة الضعف . إذ بدأ هذا الانسان يتعاطف سرا مع أي عمل أو إجراء يسخر من الضعف ويتحدى التبعية . وبدأ أيضا يميل الى تأييد أي قوة ـ ولو تدميرية ـ تحطم الضعف ولو كانت هذه القوة مجنونة بالتعصب او حالمة بالتغيير الضعيف أي أنه بينما ينشغل بعض القادة بالبحث عن مواطنين يتزعمون عليهم ، يبحث بعض المواطنين عن فكرة خارج دولتهم أو خارج منطقتهم يملأون بها الفراغ .

تغير أولويات الحكم والمعارضة

يبدو أن عهد تفرغ الحكام لمهمة الحكم قد ولى ، وبدأ عهد جديد في العالم الثالث أصبح فيه الحاكم رجل أعمال يمتلك المزارع والمصانع والأسهم والسندات ، ويجد الوقت ليدرس ويراقب حركة الأسعار والفائدة الدولية . ولا شك أن هذه المهام تأخذ من وقت بعض الحكام نصيبا كبيرا ، ولا شك أيضا أن هذا النصيب قد تم اقتطاعه من الوقت المخصص لصنع السياسة وخاصة السياسة الخارجية . فضلا عن ذلك ، فان ارتباط المصالح الشخصية للحاكم بمصالح خارجية يؤدى بالضرورة الى نقص في استقلالية إرادته السياسية . فمثلا حين يصرح ويعترف حاكم زائر أنه يستثمر أمواله الخاصة في دول أجنبية ، فانه بهذا التصريح يعترف فعلا أنه لا يستطيع اتخاذ سياسة خارجية مستقلة ، أو على الاقل سياسة خارجية نشيطة تحقق لزائر ـ وليس له شخصيا ـ المنافع والمصالح . وهو أيضا يعترف بهذا التصريح بانه لا يجد

الوقت الكافي لادارة شؤون بلاده .

وفي غير القضايا الشخصية ، يركز حكام العالم الثالث على قضيتين اساسيتين هما الأمن الداخلي والاقتصاد . ففي معظم بلاد العالم النامي حدث خلال السنوات الاخيرة أن تفجرت الثروة وتفجر الفقر بشكل أثر تأثيرا جذريا على التطورات السياسية الاجتماعية . وقد تلاحق الحدثان ، وأكثر الحالات إما جغرافيا أي في دول متجاورة أو اجتماعيا أي داخل الدولة الواحدة ، وانشغلت معظم حكومات العالم النامي في جهود متواصلة لمنع تفاقم عواقب اجتماع الحدثين ، ولاقناع شعوبها بضرورة التأقلم التدريجي مع تضخم الثروة أو سوء توزيعها ومع تفاقم الفقر وتعمق الشعور به . وقد عجل الحدثان بخطوات التبعية ، ولم تتردد الدول المتبوعة في المساهمة في تدعيم الأمن الداخلي للدول ـ لدول الثروة ودول الفقر .

أما المعارضة السياسية في العالم الثالث ، فمنها ما قضت عليه اجراءات الأمن الداخلي وقسوة أساليب القمع ، ومنها ما أفسدته الثروة أو حطمه الفقر ، ومنها ما اعترف بقوة التيار ، فانزوى يراقب ويترقب . ولكن منها من اضطر الى السير في قافلة التبعية بدون وعي .

إذ انه حين تعرض للقمع ، وتعرضت حقوقه الانسانية للانتهاك ، توجه الى حكومات الغرب الليبرالية لتضغط على حكوماته من اجل تقديم الضمانات لحريات الانسان وحقوقه الاخرى . وبطبيعة الحال رحبت تلك الدول بهذا اللجوء من جانب المعارضة السياسية في دول العالم الثالث والتي ناصبتها العداء لسنين طويلة . ففتحت لها ابواب الزيارة والقاء المحاضرات والاجتماع برجال الصحافة والمسؤولية وهي تعلم انها بذلك الترحيب تثير تناقضا جذريا داخل فكر وممارسات هذه المعارضة . ثم أتت مرحلة ثانية كشفت هذه الحكومات عن حقيقة نواياها تجاه المعارضة السياسية في العالم النامي . وكان هذا حين أعلنت انها فيا يتعلق بمسألة الحريات الانسانية وحقوق الانسان ، فهي تفرق بين النظم الشمولية والنظم السلطوية . بمعنى آخر قالت للمعارضة في العالم الثالث ، انها تعارض الانتقاص من حريات الانسان المتقدم في الدول الصناعية ، ولكنها لا تنتقد هذا الانتقاص من الانسان « المتخلف » في العالم النامي . وبعدها وجدت المعارضة السياسية نفسها في موقف الحرج لأنها ساهمت وتورطت في تدعيم خطوات التبعية السياسية ، ليس فقط حين هادنت حكوماتها والحكومات المتبوعة ، ولكن أيضا حين فقدت أمام جماهيرها أهم ارصدتها الوطنية ، وحين سهلت لحكوماتها اجراءات قمعها وضربها .

ضعف العمل الجماعي

يتدرج العمل الجماعي لدول العالم الثالث تحت اشكال مختلفة . فهناك المنظمات الدولية حيث لهذه الدول أغلبية مطلقة . وهناك عدم الانحياز والذي كان الانجاز الاعظم للعديد من هذه الدول في إحدى مراحل تطورها . وهناك أيضا التجمعات الاقليمية ـ الجغرافية أو الدينية ـ والنظم الدولية والاقليمية أو القومية والنظم النوعية المتخصصة كتجمعات الدول المصدرة للمادة الخام . والثابت ان العمل الجماعي لدول العالم الثالث تحت اي شكل من هذه الاشكال يعاني من اعراض الضعف العام الذي يشل السياسات الخارجية لهذه الدول .

لقد اصبح العالم الثالث يجد صعوبة بالغة في الوصول الى سياسة موحدة تجاه القضايا الدولية على وجه التحديد . بل انه ايضا يجد صعوبة في عقد اجتماع يضم كافة اعضاء التنظيم أو المنظمة أوالمؤتمر . ولعل التجربة المريرة التي تمر بها مجموعة عدم الانحياز تكفي لتبين أبعاد هذا الضعف . اذ اننا حين نقول ان عدم الانحياز يمثل أعظم انجاز حققته دول العالم الثالث ، فذلك لأن العمل السياسي كان تعبيرا عن تناسق فكر زعماء العالم الثالث في ذلك الوقت . وكذلك لأن عدم الانحياز كان يجسد حقيقة مصالح الدول الناشئة . واستطاع هؤلاء الزعماء أن يستخلصوا من ضعف أقطارهم قوة من عدم الانحياز ضمانا لاستقلالهم ومن رفض التبعية نفوذا دوليا كبيرا .

أما المجموعة التي تسمى نفسها اليوم بمجموعة عدم الانحياز ، فهي لا تتعدى أن تكون مجموعة من دول أغلبها تابع لطرف أو لآخر تبعية مطلقة أو شبه مطلقة ، ووصل ضعفها الى درجة أصبح من الصعب عليها إصدار قرار قوي يدين دولة عظمى أو أخرى لتدخلها في شؤون دول عدم الانحياز . وبدلا من أن تصبح المجموعة قطاعا مميزا في العمل السياسي الدولي ، أصبحت نموذجا آخر لمنظمة دولية . وبعد ان كانت مصدرا للقرار السياسي الدولي هبطت الى مستوى كسب التأمين اللفظي لهذه القضية أو تلك . ولم تعد مؤتمرات المجموعة تختلف عن أكثرية المؤتمرات الدولية ، لأن الدول تذهب الى اجتماعاتها لتدلي بنفس الكلمات التي أدلت بها في الدورة الأخيرة للجمعية العامة للامم المتحدة ، أو في آخر مؤتمر إسلامي ، أو في مجموعة السبعة والسبعين . وبذلك تحول عدم الانحياز من موقع الارادة الفاعلة في تحقيق الاستقرار الدولي ، الى أداة في حالة الفوضى الدولية .

كذلك شملت الفوضى الدولية التابعة عن ضعف السياسات الخارجية النظم الاقليمية والقومية . إذ انه حين ضاعت او ضعفت أهداف النظام الدولي الاقليمي اذ العربي تبعثر اعضاؤه وتناثر جهده وتعددت نقاط اختراقه من الخارج . ففي افريقيا مثلا أصبح من العسير إيجاد رابطة بين أهداف أثيوبيا أو زائير في السياسة الدولية مع أهداف النظام الأفريقي ، ويتضح مدى « اغتراب » الدول الاعضاء في النظام الاقليمي الواحد . من قبول المنظمة الافريقية وأفكار تدويل أو « تغريب » قضية ناميبيا ، وهي المنظمة التي تتكون من دول حصلت على استقلالها بفضل افريقية نضالها وليس بفضل تدويل قضاياها . ولدينا في نظم دولية أخرى سلوك مشابه يدل على أن السياسة العامة للنظم الدولية الاقليمية والقومية على حد سواء قد أصابها الشلل أو الضعف ، وأن هذا الضعف العام مسؤول عن ضعف الاجزاء .

علاقات القمة الدولية

في عالم تسيطر على اكثر تفاعلاته دولتان على القمة ، يصعب اخلاء مسئوليتهما عن حالة الفوضى الدولية في العالم الثالث ، وقد صارت العلاقة بين القطبين وعلاقات كل منها بدول العالم الثالث محل اسئلة لا تجد هي الأخرى إجابات شافية . إن التفاعلات الدولية التي يكون فيها القطبان شريكين تكشف تناقضا يؤثر تأثيرا مباشرا على صانعي السياسة في العالم الثالث . اذ يبدو ـ قياسا على هذه التفاعلات ـ أن النظام وكأنه يتجه تدريجيا من نظام التطبيق الى نظام القطب الواحد . ان المتتبع لحركة العلاقات الخارجية لكلتا الدولتين العظميين ، يشعر أن إحداها تتحرك بسرعة وتكسب ارضا وتفرض اوضاعا جديدة ، بينا الأخرى تركن الى الجمود ، تكتفي بالمراقبة والتحليل واصدار البيانات والتحذيرات . ويبدو في نفس الوقت وكأن مساحة اللامواجهة قد اتسعت لتشمل أجزاء كبيرة من العالم الثالث ، الأمر الذي يعني ان احدى الدولتين تكسب ميزة خاصة تتصرف من خلالها بحرية في منطقة من المناطق آمنة ، ومطمئنة إلى توفر حالة قصوى من اللامواجهة بين الدولتين العظميين في هذه المنطقة .

بالاضافة الى هذا فلا شك أن الاتحاد السوفيتي قد أدخل تعديلات جوهرية على إستراتيجيته العالمية وخاصة في العالم الثالث . فالتأييد المطلق للنظم الوطنية أو الصديقة لم يعد ركنا من الأركان الرئيسية في سياسة الاتحاد السوفيتي . وأصبح الاتحاد السوفيتي يفضل ان يحتفظ بالتأييد المطلق لنظم تدين بالمذهب الماركسي ، ويمنح بعض التأييد لنظم صديقة تختار مذاهب أخرى . ورغم هذا التغير في السياسة السوفيتية ما زالت بعض دول العالم الثالث تضع سياستها على أساس استمرار السياسة السوفيتية في منح التأييد المطلق للدول الصديقة أيا كان مذهبها الاجتماعي والاقتصادي .

إن البطء السوفيتي علامة تقليدية من علامات السياسة الخارجية السوفيتية ، واذا كان يبدو أحيانا أن الاتحاد السوفيتي قد ثقلت خطواته الدولية مع تثاقل خطوات قياداته المتقدمة في العمر ، فليس معنى ذلك انه أصبح أقل قوة مطلقة أو نسبية تجاه الطرف الدولي الآخر . ولكنه قد يعني أن التيار الايديولوجي في القيادة السوفيتية قد أصبحت له الغلبة ـ ولو مؤقتا ـ على التيار الواقعي . فالايديولوجيون السوفيت يؤمنون أن الثورة العالمية تمر في مرحلة ردة عنيفة ، ولكنهم يؤمنون أيضا بأن قوانين التاريخ سوف تنتصر في النهاية،وأن سياسة التبعية التي تنتهجها كثير من دول العالم النامي هي في النهاية إحدى العناصر المنشطة لحركة هذه القوانين .

إلا ان هذا الهدوء السوفيتي يثير مشكلة لأن الطرف الآخر غير هادىء . فالذين يسيطرون على الفكر السياسي للولايات المتحدة من المتطرفين المعروفين بمناصرتهم لأسلوب الحرب الباردة في العلاقة مع الاتحاد السوفيتي . ولذلك ـ وواقعيا ـ توجد حرب باردة ، ولكنها حرب باردة ناقصة ، لأن أحد طرفيها غير مشارك فيها بنفس درجة مشاركة الطرف الآخر .

أما دول العالم الثالث فهي تتصرف دوليا باعتبار ان هناك حربا باردة كاملة ، وأن الدول النامية هي الساحات الرئيسية لهذه الحرب . وهو التناقض أو سوء الفهم الذي تسبب في ان تقوم إحدى الدولتين العظميين بلعب ثلاثة أدوار في وقتٍ واحد ، وفي عدد من الحالات المعروفة ، تجاه « الدولة » في العالم الثالث . فهي تقدم نفسها كخصم قادر على صنع الخطر وتجسيده ، وكوسيط لا غنى عنه للتخفيف من أضرار الخطر ، وكصديق مستعد لتقديم الحماية ضد هذا الخطر الذي صنعته بنفسها .

هذه كانت بعض أسباب الضعف في العمل السياسي الخارجي للدول النامية ، وهي أسباب لو تركت تتفاقم ، فانها ستصل بهذه الدول الى حالة من الفوضى الشاملة ○

جميل مطر

قراءة في نص غربي :

إنسانية خاصة تنفي إنسانية الآخر

بقلم محمد الأسعد


أندريه مالرو

كتب اندريه مالرو في « مذكراته المضادة » هذه السطور . . « كانت شهرة الجزيرة العربية ترجع الى المدن المقدسة ، والى الامارات المستقلة التي عملت انجلترا على ضمان عزلتها . ان باخرتنا متجهة الى عدن التي ذهب منها رامبو الى الحبشة ، وقادمة من جدة التي قصد منها ت . أ . لورنس الى صحراء العرب . . . » .

كان ذلك في العام ١٩٣٤ ، أي في ذروة نشاط هذا الكاتب الفرنسي الذي تجول كثيرا بحثا عن وجه عصره . بدءا من أدغال كامبوديا ومرورا بصين العشرينات ، وجزيرة العرب ، ليصل الى أسبانيا ثم أمريكا اللاتينية .

وقبل هذا التاريخ كان قد أصدر جملة من رواياته الشهيرة مثل « الطريق الملكية » و « الوضع البشري » و « الغزاة » تلك التي لفتت اليه الانظار في وطنه فرنسا ، وجعلت الصحافة ، تصفق من أقصى اليمين الى أقصى اليسار لشطحات موهبة فذة ، كما لاحظ « غايتان بيكون » .

كانت تجربته شاسعة تشبه الأسطورة ، تجربة غياب الغرب عن أجزاء كبيرة من المعمورة ، وتجربة المقاومة التي بذلها الغرب لكل ما امتلك من اسلحة ايديولوجية وعسكرية ليثبت زمنه الخاص .

وتثبت السطور التي التقطناها نوعية هذا السلاح الايديولوجي . وتشير الى بنية تفكير تميز بالفتاحه الانساني كما يقال عادة عن كاتب من طراز مالرو ، دون تحديد لمعنى هذه الكلمة : الانسانية .

فمهما كان من شأن تبسيطات بعض الأراء الثقافية التي

تتحدث عن فكر انساني عام ، وعن انسانية شاملة ، تظل قضية الأنا والآخر ، أو « النحن » و « الهم » مفتاحا لتفسير فروق نراها ضرورية ، وحدود نرى أن لابد من اقامتها لبعض المفاهيم الشائعة ، حتى نفهم لماذا مثلا كانت « انسانية » الغرب وحرياته لاتمنعه من اهانة انسانية شعوب غير غربية ، أو تهديد حريات هذه الشعوب .

ان ما نقرؤه في أدب أي كاتب لايحمل بالضرورة رؤية متفقا عليها ، نسميها أحيانا الرؤية الانسانية ، أو الرؤية الكونية ، لأن الكاتب خلاصة ذاكرة ثقافية ، ولا يستطيع أن يرى العالم مجردا من ذاكرته ، أي وجوده في موقع ما .

نزعة الاستشراق

تبدو ذاكرة مالرو ذاكرة عادية ، اي ذاكرة مثقف غربي لايستطيع الخلاص من حدوده . ولا نتحدث هنا عن الزخم التأملي الضخم الذي تكتنزه هذه الذاكرة ، وانما عند حدودها حين تظهر في لحظة التماس مع ذاكرة شعوب أخرى . فهو ينظر الى تجربة القدوم الى عدن في الثلاثينيات من منظار انشغاله بفكرة العثور على عاصمة مملكة سبأ . وفي هذه النقطة تظهر حدود ذاكرته ، أي حين نكتشف سطوره آلية الترابط الدلالي بين ألفاظه . فهو يطرح الأسماء .. أسماءنا الخاصة بنا ، ثم يضيئها ، فيعطيها بذلك دلالة في سياق النص .

اسم « الجزيرة العربية » لايتضح في ذهن مالرو أو في أذهان قرائه الا اذا أضاءته عبارة « المدن المقدسة » . والمدن المقدسة المقصودة هي المدن التي يعرفها القارىء الغربي في التوراة : سبأ .. أو أورشليم .. أو مدين .. الخ . وحتى لاتظل الذاكرة معلقة فوق فراغ القرون .. وتسأل وماذا بعد ..

يقفز مالرو الى الواقع الراهن ، واقع الوجود الانجليزي . وهكذا توضع الجزيرة العربية بين حدين : « التوراة ـ الانجليز » . وما بينها الفراغ .

اذا تابعنا السطور ، نزداد يقينا بلعبة الايضاح هذه ، أو لعبة منح الوجود للاشياء وللناس الغربيين ، ذلك الوجود الغامض والمشوش ، باستعمال أدوات الذاكرة الخاصة جدا .

فحين يقول « ان باخرتنا متجهة الى عدن .. » يقفز الى ذهنه ما يضيء هذه الكلمة الغامضة : عدن . فاذا هو « رامبو » ذلك الشاعر الفرنسي الذي هجر فرنسا في ثمانينيات القرن التاسع عشر ومر بعدن ذاهبا الى الحبشة حيث استقر به المقام تاجرا للعاج وللسلاح .

وحين ترد كلمة « جدة » لا نجد ضوءا يهبها الدلالة الواضحة غير لورنس البريطاني الذي مر بها يوما .

ان وجود « الجزيرة العربية » و « عدن » و « جدة » ما كان ليظهر كوجود تاريخي ، لولا هذه الملحقات : المدن المقدسة في التوراة .. مرور رامبو .. عبور لورنس .. ومعنى ذلك ان حقل الدلالات الوحيد الذي يخاطبه مالرو هو حقل موجود في ذاكرة القارىء الغربي . انه لا يطمح الى فتح آفاق معرفية ، بقدر ما يطمح الى تأكيد نظرة .. واسطورة قائمة ، هي اسطورة الغياب التاريخي لكل ما هو غير غربي .

وليس في هذا ما يثير الدهشة ، لأن الموضوع الذي يتحدث عنه لا يكتسب معناه ولا دلالته الا في سياق احداث صنعها الغرب او رجال من الغرب ، ولا فرق في ذلك بين فرنسي وبريطاني .

هنا يتجلى هذا النوع من النزعة الانسانية الخاصة ، انسانية خاصة بمالرو وحضارته ، تصادر وجود الآخر وانسانيته ، وتطمس تاريخه الخاص .

ان الاسماء العربية لا تكتسب اي دلالة خاصة بها ، او بالأحرى لا يمكن ان توجد الا حيث يوجد فعل او تصور قادم من الغرب .

هل نقول ان هذه هي النزعة الاستشراقية نفسها التي تتعامل مع الواقع كنزعة عقلية مجردة ؟؟ ولهذا لا تكتفي بطمسه وتغييبه ، بل تطمح الى ان تستبدل به واقعا آخر مستمدا من الاسطورة ، كما تفعل الصهيونية في فلسطين فتنفيه الى الابد .

عاصمة اليهود

في احد الكتب المعروفة باسم « ارض الانبياء » يبدو هذا النفي معبرا عنه بشكل اكثر وضوحا . وصاحب الكتاب هو (سانت جون فيلبي) الذي عاش في الجزيرة العربية زمنا طويلا . يصف كتاب فيلبي رحلة استكشاف قام بها لشمال الجزيرة العربية في العام ١٩٥٠ . ويظهر من سطور كتابه ان همه الوحيد كان اكتشاف اي اثر يدل على وجود اليهود . ولا يخفي فيلبي هذا الهم وهو يتجول في الصحارى والوديان وقمم الجبال . فذاكرته مشبعة بشيء واحد ـ وهو ان هذه الارض لا تعرّف ولا تعرف الا

بالوجود اليهودي ، فيثرب حسب تعبيره هي « العاصمة الاصلية لليهود » .

اما جبل « احد » فهو جبل تاريخي يقوم على احدى قممه احد الاضرحة الكثيرة لهارون » ولا ندري من هارون هذا . . ؟

وحين يصل الى « خيبر » يشعر انه في مكان مقدس بسبب ذاكرته هذه .

لقد عبر فيلبي عن غيظه وعن هدف رحلته الأساسي حين لم يجد بين مئات النقوش التي جمعها اي نقش عبري يحمل اسم اي يهودي . . فقد كان كل ما تجمع لديه « مجرد نقوش عربية لا قيمة اثرية لها » على حد تعبيره . .

اما ما كان يسعى اليه كما يقول فهو « الحجارة التي تعود الى عهد ثمود وتحمل نصوصا عبرية » . .

ولا شك ان اي مؤرخ او عالم حضارات قديمة سيسخر من هذا الذي يود ان يحقق مجرد افتراضات في ذاكرته ، ويتجاهل ان ثمود وعادا قبائل عربية ، الا ان الامر لا يدعو الى السخرية بل يدعو الى التأمل الجاد . فهذا الوعي الغربي الذي يتجاهل وجود الآخر ولا يسمح له بالظهور الا اذا كان مرتبطا بالتوراة ، او بمرور جيوش وافراد غربيين هو نفسه الوعي اللاانساني الذي يميز عددا كبيرا من باحثي وعلماءالغرب المشهورين .

انهم نتاج حضارة قائمة على نفي الآخر ، وعدم الاعتراف بانسانيته وهو ما يفسر كيف ان عددا كبيرا من الحضارات قام الغرب بتدميرها تماما حسب اعتراف « روجيه غارودي » .

ولعل اعجب ما يثير في هذا الموضوع ، تلك الشائعة التي يتداولها عدد من الكتاب العرب عن النظرة الانسانية التي تميز الادب الغربي دون تمحيص ، فأجهدوا انفسهم ليصلوا الى مستواها .

ان مالرو وفيلبي ليسا نقيضين الا في مجال ضئيل وقتي يفرضه صراع المصالح المتنافسة ، اما في الاطار العام فهما يحتفظان بعناصر موقف واحد ، ينبع من بنية فكرية واحدة .

ونحن بالنسبة للمستكشف وللرحالة وللمستشرق ولساكن المستعمرة الصهيونية في فلسطين لسنا الا وجودا معلقا بين قوسين ، ولسنا الا وجودا طارئا ، وهامشيا . فالمنطقة العربية لم توجد الا بوجود اليهود فهم الذين اعطوها وجودها في الماضي ، وهم الذين سيعطونها وجودها في الحاضر . هذه هي الاسطورة التي تتغلغل في نسيج الوعي الغربي والتي تجعل فيلسوفا مثل « ول ديورانت » يقول في « قصة الحضارة » عن عودة اليهود الى فلسطين بعد السبي البابلي « انها عودة لم تجد ترحيبا في وطنهم القديم كما لا يجد العائدون اليه في هذه الايام » . .

من نحن ؟

لو سأل العرب انفسهم في هذه الايام من نحن ؟ لجاءهم جواب من الغرب بعدة لغات ، ولكنه يعبر عن جوهر واحد وهو « انكم . . الغياب . . اللاشيء » . وهذا هو منطوق الحركة الصهيونية ، كما هو منطوق رواد الاستعمار الغربي منذ قرنين . . . ولماذا ؟ لان التاريخ هنا متقطع ، كان هنا قبل الفي سنة ثم انسحب ، وبعث مجددا ببركات الاساطيل والعلماء وسكان المستعمرات القادمين من وراء المحيط .

ان هذا السؤال لم يعد من الصائب توجيهه الى الجهة المقابلة ، بل الصائب توجيهه وجهته السليمة : الى « النحن » اي الى الذات ، ولكن هل يمكن ذلك قبل نقد هذا الاخر بالنسبة لنا ؟ قبل وعي آليات بنية تفكيره ؟ قبل ايضاح حدود تجربته وذاكرته ؟

ان الاجابة تتضمن هذا الجدل ضد الآخر وضد الذات التي صنعها الاخر لنا ، ووضعها امامنا كالمرآة لنعي انفسنا بها .

في المتحف المصري وقف مالرو في العام ١٩٣٤ وكتب هذا الوصف لمصر « . . كانت تماثيل اخناتون تبزغ من حرة الجدران بقوة غريبة على هامش شعب يسير تائها وباشواته الغارقين في اللهو ومدنية موتاه . . » .

وعاد في العام ١٩٦٥ ليثبت هذا الوصف بلذة صوفية عميقة ، وكأن مصر الحاضر خارج الزمان ، وكأن الزمان الحقيقي ليس هو زمن هؤلاء الذين ظل يراهم سائرين في نومهم .

ماذا يعني هذا ؟

ان هذا يعني ان المفكر الغربي معلق ومتعلق بأسطورته الدائمة . وليس أحد غير هذا الآخر الذي غيبه تماما قادرا على اخراجه منها . وهذا هو ما حدث ويحدث حين انتبه الفيلسوف الوجودي الفرنسي « جان بول سارتر » الى ما بدأ يكتبه « فرانتز فانون » احد اهالي مستعمرة المارتنيك الفرنسية ، فحذر الفرنسيين بقوله « ان هؤلاء الذين ينتمون الى العالم الثالث بدأوا يتخلصون من لعبة توجيه الخطاب الينا . وبدأوا بتوجيه الخطاب الى انفسهم والى رفاقهم . . انهم يحدثون بني جنسهم . . انهم لم يعودوا بحاجة الينا . . وفي هذا خطر . . واي خطر . . » . ○

محمد الأسعد

ابن خلدون وسيطاً

بين العروبيين والإسلاميين

في معنى قوله « العصبية ضرورة للملة »

بقلم : الدكتور محمد جابر الأنصاري

يرى ابن خلدون أن العصبية ضرورية للملة ، فما معنى العصبية عنده ومعناها العصري . إنه أيضا يرى ان لا اسلام دون عروبة ولا عروبة دون اسلام .

أتمنى على العروبيين والاسلاميين ، على القوميين والدينيين ، ان يوقفوا جدلهم الشهير الذي لا ينتهي ويعطوا أنفسهم ، على الجانبين ، لحظة تأمل ، ويقرأوا معنا بقلب مفتوح وفكر هادىء الأسطر التالية من « مقدمة ابن خلدون » ليكتشفوا أن القضية التي يعتركون حولها بلا نتيجة ، قد « حلها » الرجل قبلهم ، وقبلهم بستة قرون ، وانه قد حلها لصالحهم جميعا أي لصالح المعسكرين المتناحرين معا ، وأعطى كل ذي حق حقه ، وحدد لكل وظيفة دورها بتآلف ودون تنازع .. والقوم المتنازعون لا يدرون ولا يحاولون ان يصلوا الى لب المسألة ... رغم انهم جاوزوا بعد صاحب الحل بستة قرون ، ورغم انهم متفقون على ضرورة إحياء تراثه والسير على نهجه !

ولكن أي إحياء لتراث ابن خلدون ؟ وأي سير على نهجه ؟ .. اذا لم يدرك العروبيون والاسلاميون من أبناء هذه الأمة لب تحليله ، وجوهر معالجته للقضية التي حولها وعليها يتقاتلون ؟ !

إذن لنقرأ معا ، بهدوء ، الأسطر التالية من مقدمة ابن خلدون : ـ

لا نجاح لدعوة دينية من غير ولاء

تحت عنوان « في أن الدعوة الدينية من غير عصبية لا تتم » يقول ابن خلدون : « إن كل أمر نحمل عليه الكافة فلا بد له من العصبية [1] . وفي الحديث الصحيح ما بعث الله نبيا إلا في منعة من قومه ، واذا كان هذا في الأنبياء وهم أولى الناس بخرق العوائد فما ظنك بغيرهم » ان لا تخرق له العادة في الغالب بغير عصبية » .

ويقول عن الدينيين الذين لا يدركون أهمية رابطة العصبية في نجاح الحركات السياسية : « ومن هذا الباب أحوال الثوار القائمين بتغيير المنكر من العامة والفقهاء فان كثيرا من المتحلين للعبادة وسلوك طرق الدين يذهبون الى القيام على أهل الجور من الأمراء ويعرضون أنفسهم في ذلك للمهالك .. وأحوال الملوك والدول راسخة قوية لا يزحزحها ويهدم بناءها إلا المطالبة القوية التي من ورائها عصبية القبائل والعشائر ، كما قدمنا ، وهكذا كان حال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في دعوتهم الى الله بالعشائر والعصائب ، وهم المؤيدون من الله بالكون كله لو شاء ، لكنه أجرى الأمور على مستقر العادة والله حكيم عليم » .

---

(١) سنتعرض بعد قليل لمفهومه في « العصبية » بالتفصيل



ما أشبه الليلة بالبارحة .. كأن الرجل يشخّص الأوضاع العربية الاسلامية اليوم .. ويأسى لهذه القطيعة بين المثل الدينية والقانون الطبيعي الذي قرره الله .

ولكن لنبق حيث نحن مع نصوص المقدمة ، فما يزال فيها الكثير من الحكمة لسائر الأطراف المعنية !

بعد أن يقدم ابن خلدون أمثلة على إخفاق حركات الفقهاء والصوفية التي لم تعتمد على عصبية طبيعية اجتماعية يخلص الى التذكير والتحذير من سلوك طريق التهلكة دون بصيرة واقعية : « وأمثال ذلك كثير ، والغلط فيه : من الغفلة اعتبار العصبية في مثلها » ـ أي إغفال دور الرابطة الطبيعية الاجتماعية في مثل هذه الحركات .

ثم ينتقل ابن خلدون الى تقرير « الوجه الآخر » من هذه الحقيقة ، بعد أن قرر وجهها الأول ، بمنهجه المتكامل في النظر دائما الى وجهي المسألة . (وهو المنهج الذي يفتقر اليه العقل العربي العام في الأغلب حتى يومنا هذا رغم أنه أنجب مفكرا في مستوى ابن خلدون) .

الدعوة الدينية

تزيد الدولة قوة

يقول تحت عنوان : « ان الدعوة الدينية تزيد الدولة في أصلها قوة على قوة العصبية التي كانت لها في عددها ، موضحا كيف تسمو القيم الروحية بالرابطة الاجتماعية الطبيعية الموجودة والقائمة أصلا وكيف توجهها الى الطريق الانساني السليم : « ذلك أن الصبغة الدينية تذهب بالتنافس والتحاسد الذي في أهل العصبية ، وتفرد الوجهة الى الحق فاذا حصل لهم الاستبصار في أمرهم لم يقف لهم شيء لأن الوجهة واحدة والمطلوب متساو عندهم .. وهذا وقع للعرب في صدر الاسلام في الفتوحات .... » .

ويؤكد تضافر العاملين معا ، العامل الطبيعي الاجتماعي والعامل الروحي ـ اللذين يراد اصطناع حرب أهلية غير مبررة بينها اليوم ـ فيقول : « والتغلب إنما يكون بالعصبية واتفاق الأهواء على المطالبة . وجمع القلوب وتأليفها انما يكون بمعونة من الله في اقامة دينه . قال تعالى : « لو انفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم » . وسرّه أن القلوب إذا تداعت الى أهواء الباطل والميل الى الدنيا حصل التنافس ونشأ الخلاف ، واذا انصرفت الى الحق .. اتحدت وجهتها .. واتسع نطاق الكلمة لذلك ، فعظمت الدولة » .

ذلك أن الرابطة الطبيعية الاجتماعية التي يطلق عليها ابن خلدون مصطلح « العصبية» تكون في الحقيقة بمثابة « الوعاء » الذي يفتقر الى « محتوى » يملأه . وطبيعة هذا الوعاء تتحدد بطبيعة ذلك المحتوى الجوهري الذي ينطوي عليه ، كانطواء الجسد على الروح ، وسريان الروح في الجسد . والجسد بلا روح مادة ساكنة ، والروح بلا جسد لا تحقق لها في عالم الطبيعة البشرية .

وما ذلك المحتوى الجوهري الذي يعطي الرابطة الطبيعية حيويتها المهذبة المتسامية في نظر ابن خلدون ، سوى القيم الروحية التي تكون وازعا لعصبية الأمة ومرشدا لحافزها القومي ، لأن هذا الوازع يكون على حد قوله مزيلا : « للغلظة والأنفة .. ومذمومات الأخلاق ، ودافعا الأمة الى الأخذ بمحمودها ، فتتألف كلمة القوم لاظهار الحق .. ويتم اجتماعهم ، ويحصل لهم التغلب » .

معنى العصبية عند ابن خلدون :

ويجدر بنا هنا ان نتوقف للتأمل بعناية في مصطلح « العصبية » الذي يستخدمه ابن خلدون والذي يعتبر قضية محورية وركنا اساسيا في مذهبه الفكري وفلسفته التاريخية :



لا يستخدم ابن خلدون هذا المصطلح بمعناه الشائع ، أي معنى التعصب للانساب والتفاخر بالأحساب الذي كان شائعا بين قبائل الجاهلية والذي نهى عنه النبي العربي بقوله : ليس منا من دعا الى عصبية . . .

فابن خلدون يشير في سياق مقدمته الى انه لا يقصد هذا المعنى الظاهري للكلمة ، وانما يعالج مفهوما أعمق لها نستطيع ايضاحه بلغتنا المعاصرة : على أنه الرابطة الاجتماعية الطبيعية التي تجمع بين مجموعة متجانسة من البشر بصلة الولاء وتدفعهم جميعا الى الحركة والفعل والبناء والدفاع عن النفس ضد عدوان الغير .

وهذه الصلة أو الرابطة ـ في نظره ـ ليست مصطنعة ولا عابرة ولا مذمومة وانما هي خليقة ركبها الله سبحانه في طبائع البشر وجعلها قاعدة المجتمع ، ومحرك التطور التاريخي ، ووعاء الدعوات الدينية التي بعث بها الله لهداية البشر ، ومعنى ذلك أن هذه الصلة الطبيعية ليست نقيضا للدعوة الدينية وليست بديلا عنها ، وانما هي « المادة » الطبيعية الحاملة لقيمها ورسالتها ، والقوة التاريخية الاجتماعية المجسدة لمثلها وروحها في السياق التاريخي العملي ، بما يتفق مع المقولة الشهيرة : العرب « مادة » الاسلام ، أي أن الرابطة الطبيعية الاجتماعية العربية هي « مادة » الدعوة الاسلامية الروحية وقوتها المادية المحركة لقيمها ومثلها في مجرى التاريخ الواقعي ، أو كما يستشهد ابن خلدون من الحديث النبوي الصحيح : « ما بعث الله نبيا إلا في منعة من قومه » .

فالرابطة البشرية الطبيعية التي لا تستغني عن التسلح بها حتى دعوات الأنبياء المؤيدين من الله تعالى بالكون كله هي ـ إذن ـ هذه « المنعة القومية » التي نراها أصدق تعريف وأدقه للمصطلح الخلدوني في « العصبية » .

والواقع أن أسلوب ابن خلدون ، على علميته ودقته ، لم يسلم من بعض المزالق في انتقاء المصطلحات ، حيث استخدم مصطلح « عرب » ـ كما أوضحنا في مقالة سابقة ـ وهي يقصد « الأعراب » ، واستخدم هنا مصطلح « عصبية » ، وهو يعني مفهوما أقرب ما يكون الى « القومية » وعذره ان هذا التعبير لم يتقرر بعد في زمنه للدلالة على الرابطة الاجتماعية الطبيعية بين المجموعات البشرية المتجانسة ، كما انه كان ظاهرة فردية غير مسبوقة في نطاق الفكر الاجتماعي العربي والعالمي عندئذ ، ولم يكن ثمة مناخ فكري عام تحددت من خلاله المصطلحات والمفهومات العلمية الاجتماعية لينتقي منها ابن خلدون ما يلائم معانيه ومقاصده .

غير ان هذا لا يقلل إطلاقا من خطورة واهمية السبق الفكري الذي حققه ابن خلدون باكتشافه لدور الرابطة القومية في التاريخ بعامة ، وبدورها الحيوي في نشر الرسالات الدينية بخاصة ، من خلال طرحه لمفهوم العصبية كمحرك تاريخي . والعصبية ، اذا تجاوزنا مفهومها الجاهلي ، هي تعبير لغوي صريح يتناسب وصراحة عالم التاريخ والاجتماع في وصفه للطبائع البشرية الواقعية ، حيث يكون التعصب ، أي الحماسة القوية والولاء الشديد ، للرابطة الجامعة بين الوحدات الاجتماعية من قبائل وشعوب وأمم ، وقد كان ابن خلدون دائما ذلك العالم الاجتماعي الواقعي الذي يسمى الأشياء بأسمائها دون غضاضة .

العصبية هي الرابطة القومية

ونحن لو تتبعنا إشارات ابن خلدون الى مفهوم « العصبية » في مختلف المواضع بمقدمته لما خامرنا الشك في أنه يتحدث .

عن الرابطة القومية بمعناها الحديث الذي ينسبونه الى علماء أوربا وحدهم ، ويتحدث عنه بعض مفكرينا على أنه من الأفكار المستوردة المرفوضة !

إن ابن خلدون لم يكن يتحدث عن عصبية عشائرية أو قبلية فحسب وانما ـ أيضا ـ عن تطور هذا المفهوم وارتقائه الى أن تحرر من رابطة النسب والقرابة بالدم ، وأضحى ولاء شعوبيا لمجموعة أكبر ، تضم مجمل تلك القبائل والعشائر التي تشكل أمة واحدة .

وهو كعالم اجتماع واقعي يرى أن هذه الصلة بدأت في الأصل كصلة رحم وصلة نسب دموي طبيعي ، وهو يقرر منذ بداية شرحه لمفهومه في العصبية إن « صلة الرحم طبيعي في البشر » وان هذا هو منشأ تلك العاطفة الجماعية التعاونية التي نلمسها بين أفراد الأسرة ثم العشيرة والقبيلة ، وان نزعة التعاطف الجماعية هذه : « نزعة طبيعية في البشر منذ كانوا » . . . . . . (أي انها ـ في نظر ابن خلدون على الأقل ـ ليست اختراعا أوربيا . . وليست بدعة من بدع الحضارة الحديثة !) .

ويقرر ابن خلدون ان هذا النسب السلالي أو الدموي لا يبقى على حاله من النقاء وعدم الاختلاط ، وذلك بسبب التزاوج والتصاهر والتفاعل بين العناصر البشرية

المتخالطة ، فيتحول تدريجيا بفعل هذا الانصهار من رابطة نسب سلالي الى رابطة نسب شعوري نفساني يقوم كما يقول بالنص على صلة : « الولاء » . . وأي ولاء هذا غير الولاء القومي الذي يربط اليوم بين المجموعات البشرية المتجانسة ؟ .

على أي حال لا يدعنا ابن خلدون نخمن ونستنتج الأمور استنتاجا ، ولا يترك كلمة ـ الولاء ـ مجردة ، بل سرعان ما يصف هذه الرابطة الجديدة المتولدة من رابطة النسب القديمة بأنها تحديدا « اللحمة الحاصلة من الولاء » ـ بما يعطي مفهومه معنى الالتحام والتلاحم بين مجموع الأمة ، وذلك جوهر الرابطة القومية في حقيقة الأمر .

الوصلة والالتحام

ويضيف الى ذلك أن هذه « اللحمة الحاصلة من الولاء » تبلغ من القوة وعمق الأثر في حياة الجماعة بحيث تصبح « مثل لحمة النسب أو قريبا منها » ـ أي أنها تؤدي وظيفتها الأصلية في صهر عناصر الأمة ودفعها الى التناصر والتكاتف مجتمعة .

ويبلغ فكر ابن خلدون ذروته في معالجته هذه القضية عندما يتخطى نهائيا إطار المفهوم العشائري القبلي الى المفهوم القومي ، فيقرر بوضوح وجلاء : « أن النسب (العشائري) أمر وهمي لا حقيقة له ، ونفعه انما هو في هذه الوصلة والالتحام » .

وهذا يتفق تماما مع ما يذهب اليه علماء القومية المحدثون من أن شعور الأمة الواحدة بتحدرها من نسب قديم واحد مشترك هو مسألة نفسية أكثر مما هي بيولوجية عرقية ، وان « وظيفة » هذا الشعور بالتحدر من نسب مشترك هو تقوية الصلة النفسية التعاطفية بين مجموع الأمة لتضافر على تحقيق أهدافها المشتركة ، وهي مترابطة متلاحمة ، بغض النظر عما اذا كان ذلك الشعور بالانتساب المشترك حقيقيا أم اعتباريا . فوظيفة ذلك الشعور أو « نفعه » حسب تعبير ابن خلدون : « إنما هو في هذه الوصلة والالتحام » بين أفراد المجموع . وطالما انه يحقق هذه الوظيفة الحية في حياة الأمة ، فليس مهما بقاء النسب القديم على حاله أو تحوله بحكم التخالط الى وشيجة جديدة .

وهذا ينطبق تماما على تطور الأمة العربية التي تطور نسبها القديم بحكم اختلاط القبائل العربية بسكان الأقاليم العربية الأخرى وتداخلت أصولها بحيث أصبحت الرابطة العربية هي هذا الشعور المشترك بالانتماء أو هذه : « اللحمة الحاصلة من الولاء » بما يتجاوز الأنساب العشائرية القديمة .

فهذه الأنساب قد صبت في الرافد الكبير وانصهرت في بوتقة مشتركة ، بعد أن كانت حسب تعبيره « بيوتات متفرقة وعصبيات متعددة ، فلا بد من عصبية تكون أقوى من جميعها تغلبها وتستتبعها وتلتحم جميع العصبيات فيها وتصير كأنها عصبية واحدة كبرى » . . .

وأي منصف يصل الى هذا الموضع من فكر ابن خلدون فلا يرى فيه إرهاصا بالظاهرة القومية وسبقا لتلمس بداياتها وجذورها . وأي شيء في الحياة البشرية أقرب الى هذه « العصبية الواحدة الكبرى » من الرابطة القومية التي تغلب العصبيات المتفرقة المتعددة وتستتبعها وتلحمها في لحمة واحدة أكبر منها ؟

وكما رأى مؤرخو القومية أن هذه « العصبية الواحدة الكبرى » تستلزم قيام سلطة سياسية مركزية كتعبير عن وحدة عناصر الأمة وانصهار قواها المتعددة المستقلة سابقا في كيان متحد برياسة واحدة ، فان ابن خلدون يصف هذه الظاهرة أيضا ويربط بين نشوء العصبية الكبرى والتوحد السياسي المركزي بما يوحي انه مدرك لحتمية الوحدة السياسية كنتيجة لنشوء الكيان القومي المشترك . . .

العصبية تمزج عناصر الأمة

يقول : « ان العصبية العامة للقبيل هي مثل المزاج للمتكوِّن . والمزاج انما يكون عن العناصر . وقد تبين في موضعه ان العناصر اذا اجتمعت متكافئة فلا يقع منها مزاج أصلا ، بل لا بد أن تكون واحدة منها هي الغالبة على الكل حتى تجمعها وتؤلفها وتصيرها عصبية واحدة شاملة لجميع العصائب ، وهي موجودة في ضمنها وتلك العصبية الكبرى إنما تكون لقوم أهل بيت ورياسة فيهم ولا بد أن يكون واحد منهم رئيسا لهم غالبا عليهم . . . فينفرد بذلك المجد بكليته . . وقد يتم ذلك للأول من ملوك الدولة ، وقد لا يتم إلا للثاني والثالث على قدر ممانعة العصبيات وقوتها ، إلا أنه لا بد منه في الدول ، سنة الله التي قد خلت في عباده . . . »

ويجدر بنا أن نلاحظ هذه اللغة العلمية التي يستخدمها ابن خلدون في وصف تكون المزاج القومي (العناصر ـ

المتكون ـ المزاج) وكأنه عالم كيميائي . ولا غرابة ، فهو مؤسس علم الاجتماع ، وهو الذي أنزل الفكر الاجتماعي من سماء اليوتوبيا (جمهورية أفلاطون ـ مدينة الفارابي الفاضلة) الى أرض الواقع التاريخي وصيره علما منهجيا يستقري الوقائع لا الرغائب المثالية .

ثم ان هذا الادراك اليقظ في الربط بين حتمية السلطة المركزية الواحدة ونتيجة التوحيد القومي ، يسبق ظهور الملوك القوميين الموحدين في فرنسا وبريطانيا والأمم الأوروبية الأخرى الذين قهروا عصبيات الاقطاعيات وصهروها في كيان واحد وكانوا « رموز » هذه الرابطة الجديدة .

وقد استطاع ابن خلدون استنباط هذا القانون من فهمه لجذور الظاهرة القومية التي انعكست في تاريخ الاسلام بقيام « دولة العرب الاسلامية » و « دولة الفرس الاسلامية » و « دولة الترك الاسلامية » وهي المصطلحات التي استخدمها في التعبير عن دور كل قومية من القوميات الاسلامية في إنشاء دولتها ، ثم انحلال هذه الدولة لتحل محلها دولة أخرى لقوم آخرين ضمن السياق العام لتاريخ الاسلام .

عمر الدولة بقوة عصبيتها

وهو يربط هنا ، بوضوح أيضا ، بين عمر كل دولة قومية وبين قوة « العصبية » التي تقوم عليها : « لأن عمر الحادث ـ كما يقول ـ من قوة مزاجه . ومزاج الدول انما هو بالعصبية . فاذا كانت العصبية قوية كان المزاج تابعا لها وكان أمد العمر طويلا . . . وانظر ذلك في دولة العرب الاسلامية كيف كان أمدها أطول الدول » وهو يقارب هنا مفهوم « الحيوية القومية » التي تمثل قوة الدفع في اعمار الأمم والدول .

وبنظرة شاملة تتخطى الأسر والعشائر والأنساب ، يرى أن بني أمية ، وبني العباس ، وبني أمية في الأندلس ، يمثلون جميعا ما أسماه : دولة العرب الاسلامية ، التي يحدد لانحلالها تاريخا واحدا يشمل مختلف أسرها الحاكمة ، فيقول : « ولم ينقص أمر جميعهم إلا بعد الأربعمائة من الهجرة » .

وهو يرى في ظهور الخلفاء الموحدين للدولة من بني أمية وبني العباس مظهر « العصبية الكبرى » التي استدعت ظهور الرياسة الواحدة ، لقيادة « دولة العرب الاسلامية » باعتبار ذلك ـ حسب قانونه ـ السلطة المركزية للأمة الواحدة : « أمرا لا بد منه في الدول » .

ثم يعقب على ذلك : « فلم يزل الملك في اعقابهم الى أن انقرضت دولة العرب بأسرها . . . » .

التحول عن الدولة العربية

وابن خلدون يتحدث في زمنه عن انقراض « دولة العرب بأسرها » بينما هنالك دول عديدة قائمة في العالم العربي والاسلامي تقودها قوميات أخرى كالبربر والترك وغيرهم ، دون أن يرى في هذه استمرارية لتلك . وهذا يعني انه لم ينظر للتاريخ الاسلامي نظرة مثالية تعتبر دوله المتتالية استمرارا لدولة إسلامية واحدة يحكمها الدين ، وانما نظر الى ارتباط تلك الدول بالقوميات التي أقامتها ، فاعتبر « دولة العرب » منقرضة ، رغم استمرار الدول الاسلامية في حكم العالم العربي ، ونظر الى خصائص كل دولة من خلال خصائص الأمة القومية التي أقامتها ، ثم نظر الى الدول في مجموعها من زاوية الاستمرارية الاسلامية والمثل الدينية العامة التي تفاعلت معها كل أمة قومية ، وكل دولة قومية بطريقتها الخاصة وأسلوبها المتميز ، وبطابعها الحضاري الخاص المتأثر بروحها القومية حيث : « تنتقل الحضارة ـ كما ينص ـ من الدول السالفة الى الدول الخالفة فانتقلت حضارة الفرس للعرب بني أمية وبني العباس ، وانتقلت حضارة بني أمية بالاندلس الى ملوك المغرب من الموحدين وزناتة . . وانتقلت حضارة بني العباس الى الديلم ثم الى الترك ، ثم الى السلجوقية ثم الى الترك المماليك بمصر ، والتتر بالعراقين . . . » وهكذا تتحدد عصور الحضارات والدول بدخول أقوام جدد ، وعصبيات جديدة الى ساحة التاريخ ، مع أن هؤلاء الأقوام يدينون جميعا بديانة واحدة ، ولكن العبرة في طبيعة الأمة القومية التي تحمل رسالة هذه الديانة ـ وكيف تتفاعل مع مثلها وتعطيها بالمقابل من روحها .

مرة أخرى مع ابن خلدون في موضع آخر حول هذه المسألة الدقيقة في فكره : « ثم جاء الاسلام بدولة مضر فانقلبت تلك الأحوال أجمع (أي الأحوال السابقة للدولة) انقلابة أخرى . . . ثم درست دولة العرب . . . وصار الأمر في أيدي سواهم من العجم مثل الترك بالمشرق ، والبربر بالمغرب والفرنجة بالشمال ، فذهبت بذهابهم أمم ، وانقلبت أحوال وعوائد نسي شأنها وأغفل أمرها . . »

فانقلاب « الأحوال والعوائد » راجع إذن الى تحول الأمر من العرب الى الترك والبربر .. أي لعامل الاختلافات القومية ، ... ثم لاحظ أن ابن خلدون يضع الفرنجة ، وهم غير مسلمين ، في مستوى العجم والترك من المسلمين ، ويضع العرب مقابل هؤلاء جميعا في الكفة الأخرى في مجال تدليله على أن تغير الأحوال وانقلاب العوائد مرجعه في التحليل النهائي الى حلول أقوام محل أقوام وعصبيات محل أخرى ، وليس لمجرد تغير الديانة أو استمرارها .

نعتقد ان في ذلك ما يكفي للتدليل على أن ابن خلدون قد أعطى العامل القومي ، كعامل طبيعي اجتماعي تاريخي ، أهميته ودوره المشروع .

ولا بد من التذكير أن ابن خلدون كان فقيها أيضا وكان قاضيا من قضاة المالكية ، التي تعتبر من المذاهب السنية المحافظة ـ وانه قد تولى أرفع منصب قضائي في الاسلام حيث أصبح قاضي القضاة بمصر وهذا المنصب لا يتولاه الا من كان تبحره في الفقه لا يعلى عليه وكانت عقيدته الدينية وسلوكه الديني ـ أيضا ـ فوق مستوى الشبهات ثم ان ابن خلدون ، لرسوخ ايمانه الديني الأصولي ، قد هاجم الفلاسفة الميتافيزيقيين في الاسلام كالفارابي وابن سينا ، واتفق مع الامام الحافظ حجة الاسلام الغزالي في تخطئة الفلسفة التي تتعاطى بما وراء الوجود وبالميتافيزيقيا وبالغيبيات باعتبار أن هذه الأمور من اختصاص الدين لا من اختصاص العقل . أما العقل فمجاله الطبيعي دراسة التاريخ وعلم الاجتماع وعلوم المنطق والرياضيات والفيزياء ، أي باختصار العلوم العملية الداخلة في نطاق التجربة الانسانية وقدرات العقل الانساني .

كل ذلك يعني أن ابن خلدون قد استطاع ان يجمع ويوفق بين ايمانه الديني الراسخ ، وعلمه الديني الواسع ، وبين افكاره العلمية الاجتماعية التقدمية في العامل القومي والعامل الاقتصادي ونحوهما دون أن يجد ـ لأصالته في الجانبين ـ أن أحدهما ينقض الآخر ، أو يخالف الآخر ... فلماذا يتوهم السلفيون اليوم انهم نقيض التقدميين ، ولماذا يضع التقدميون أنفسهم في مناقضة السلفيين وهذا ابن خلدون الفقيه الديني ، والمفكر العلمي يقف جسرا متينا واصلا بين الضفتين .. ومن عمق التراث العربي الاسلامي وعلى ذروة من ذراه الشاهقة .. ؟

وليرسخ في قناعتنا جميعا ، من الجانبين ، ان أي انقاذ لن يتم ما دام الجسر مقطوعا بين الاتجاهين ، الضروريين معا ، والمتكاملين معا : هذا زمن المصالحة التاريخية أو الفناء المشترك !

لا اسلام دون عروبة ولا عروبة دون اسلام

فلا اسلام دون عروبة ، ولا عروبة دون اسلام .

القومية عامل قررته السنة الكونية الالهية في واقع البشر . ولكنها ليست دينا وليست عقيدة . ولا يمكن أن تعيد ذاتها ، أو تؤله ذاتها ، بل عليها أن تبحث عن عقيدة تلائمها وقيم روحية تتسق مع جوهرها في الصميم ، ومع « رسالتها » في التاريخ ...

والقومية العربية ، بعد ان تؤكد ذاتها كواقع طبيعي واجتماعي فليس لها غير الجوهر الاسلامي تستقي منه ايمانها ونظمها ومحتواها الصلب المتين ، علما بأن الجوهر الاسلامي من العمق والسعة والخصوبة بحيث يتقبل مختلف الاجتهادات المخلصة ، والصيغ المتعددة المتجددة .

والدعوة الدينية الأصيلة ، لا بد لها من البحث عن منعة قومية تتلاءم معها والا ظلت أحلاما ومثلا بعيدة عن الواقع . وانكارها للحقيقة القومية على الأرض العربية لن يقرب من ساعة انتصارها ، بل سيجعلها غريبة وعلى تناقض مع القانون الطبيعي الذي وضعه الله في واقع الجماعات الانسانية ، كما علمنا المعلم الكبير ابن خلدون .

ومرة أخرى وأخيرة : « ان الشرائع والديانات وكل أمر يحمل عليه الجمهور فلا بد فيه من العصبية اذ المطالبة لا تتم إلا بها .. فالعصبية ضرورية للملة وبوجودها يتم أمر الله منها » .. هذا من ناحية .

من الناحية الأخرى : « ان العرب لا يحصل لهم الملك الا بصبغة دينية في نبوة ، أو ولاية ، أو أثر عظيم من الدين على الجملة » .

فهل وصلتنا « الرسالة » الخلدونية بوجهيها .. أم ما نزال في ريب من أمرنا ؟ « العصبية ضرورية للملة » .. يعني بلغة عصرنا : القومية ضرورية للدين ! « وبوجودها يتم أمر الله منها » أي أن هذه القومية أمر إلهي ـ في حدود دورها ـ كالدين في حدود دوره . فهل ندرك مغزى الأمر الالهي في الجانبين وعلى الوجهين ؟ ○

د. جابر الأنصاري



المظاهرة

بقلم : فؤاد قنديل

كان الصمت يستولي على الحجرة تماما ، والضابط يتصفح باهتمام مجلة مملوءة بالصور ، وقدماه على المكتب . . . فجأة صرخ التليفون . . رفع الضابط السماعة . قال بهدوء العظماء : نعم

انتفض حتى كاد ينقلب ووقف معتدلا : أهلا يا افندم

عملت يده بنشاط في ترتيب هندامه وشد حزامه ، وكل حواسه تنتبه لما يسمعه ، وبين الحين والحين ينطق بكلمة او كلمات : مستحيل . . هنا في قصر النيل . . لكن يا فندم القرار صريح بمنع الـ . . أوامر سعادتك . . القوة الموجودة عندي بالقسم لا تكفي . . آه لـو سمحت . . نعم . . حاضر . . لا تهتم سيادتك . . سألحق بها فورا . . مع السلامة .

انتظر الى ان أغلق محدثه السماعة ، فوضع السماعة وشرد . . ضرب جرسا ، ولم ينتظر الاجابة . زعق
ـ يارقيب عبد العاطي

جاء على الفور الرقيب عبد العاطي ودك الارض بحذائه وانتصب محيا مأمور القسم : تمام يا افندم

ـ اجمع لي كل القوة واستدع حضرات الضباط ، ونبه على المركبات تستعد ، أبلغ الكل بالحضور حتى من قام باجازة .

دق عبد العاطي الارض بحذائه مرة أخرى وحيا الضابط.في الحال يا افندم

دار على عقبيه ومضى في حماس .

تقدم الضابط من الخريطة المعلقة على الجدار في مواجهة مكتبه . سقطت نظراته مباشرة فوق الجسر بدأه من اوله . سعد زغلول يقف شاهرا يده كالسيف

أشار بعصاته الى المواقع التي ستمر بها المظاهرة . . أين تراه أضيق ممر يتعين عليه أن يحتله ليسد عليها الطريق .

فتح الباب واندفع الضابط

ـ ماذا حدث ؟

ـ مظاهرة

في صوت واحد رددوا وراءه

ـ مظاهرة ! كنا قد ارتحنا من هذه الامور

ـ ربما لا يكونوا طلبة



ـ طلبة أو غير طلبة ، المهم أن هناك مظاهرة ، أي عمل ضد القانون

ـ وأين هي الآن ؟

ـ فوق جسر قصر النيل ومتجهة الى ميدان التحرير

ـ وبعد الميدان

ـ لا نعرف

ـ وما هويتها . . ما هدفها ؟

ـ لا أحد يعرف . . البلاغ لم يفدنا بغير ذلك

ـ إما ان تتجه يمينا الى قصر العيني فمجلس الشعب

ـ أو تتجه الى الامام حيث باب اللوق فقصر عابدين

ـ أو تتجه يسارا الى شارع رمسيس حتى قصر القبة

ـ على أي حال علينا الآن أن نذهب فورا الى ميدان التحرير ونتصرف حسب الظروف .

ـ أحذركم من العنف

ـ هم الذين يبدءون

ـ لا داعي للرد عليهم حتى لا نتورط أكثر . . تكفي الدروع والعصي

ـ وماذا تفيد ؟

ـ انتظروا الأوامر

ـ رأيي أنه لابد من المسيلة للدموع

ـ موافق على سبيل الاحتياط

ـ اتصل سيادتك بالمطافىء لتلحق بنا

ـ من المؤكد أن سيادة اللواء اتصل بهم . . فضلا عن أنه ليس من سلطتنا اصدار الاوامر اليهم في مثل هذه الشئون

ـ اذن لا بد من مساندة قوات الأمن المركزي ، فنحن وحدنا سنسحق

ـ وعد سيادة اللواء بارسالهم فورا . . لكنها منطقتكم ومسئولة منكم . . فهم الآن يمرون بأرضكم

ـ تمام يا افندم

ـ بعد دقيقتين على الاكثر نأخذ تمام أمام القسم

انطلقوا جميعا ، جنود ومباحث وضباط وسيارات لوري وجيب .

في ميدان التحرير هبطوا . .

في آلية تامة انتظموا صفوفا ، تحمل الدروع والعصي ، وفوق رؤوسهم تصطك الخوذات النحاسية وترن . . على الاسفلت تدق الاحذية الثقيلة ، وفي الفضاء تدوي الحناجر معلنة قوتها ، ومبدية شراستها ، وقدرتها على الردع : ها . . ها . . ها

اندفع أحد الضباط ومعه جهاز الاتصال وصعد فوق جسر المشاة الذي يلتف حول الميدان كدائرة النار . . راقب الجسر في اهتمام وتحفز ، راعته اعداد ضخمة من الجماهير ، تهدر بأصوات لا يتبينها تعبر الجسر وتتقدم كالغول . . كحيوان اسطوري ظهر مرة أخرى في نهاية الزمان .

تحدث في الجهاز الى رئيس القوة

ـ تمام يا افندم . . . المظاهرة ضخمة جدا ، لا أرى لها نهاية . . عدد كبير محمول على الاكتاف . . أرى جنود الأمن المركزي وهم يصطفون هنا أمامي في أول الميدان . . يبدو أن الاوامر لم تصدر بعد لايقاف المظاهرة والقبض على زعمائها . . المسافة بين المتظاهرين وجنود الامن لا تزيد على خمسين مترا وصمت الضابط ليستقبل رد المقدم رئيس القوة :

ـ ابق في مكانك . . سننضم الى قوة الامن المركزي . . سنوقف المظاهرة باذن الله .

ـ أعتقد ان الشيوعيين وراء هذه المظاهرة

ـ كيف عرفت ؟

ـ يحملون أعلاما حمراء

ـ لابد أنهم كذلك . . ومع ذلك لن نبدأ العمل الا بعد معرفة هويتهم

أشار المقدم الى ضابط وثلاثة جنود يرتدون الملابس المدنية :

ـ توجهوا فورا الى المظاهرة واندسوا وسط الجماهير . . حددوا نوع الهتافات وأكثرها ترددا ، وانضموا الينا بسرعة عند أول الميدان

واستدار الى الضباط رؤساء القوة :

ـ كل القوة بالخطوة السريعة تتجه الى أول الميدان

انتظر الجنود حتى تصدر لهم أوامر رؤسائهم المباشرين . . الضباط الصغار . . ثم بدءوا القفز في أماكنهم . . أقدامهم تعلو وتنخفض ، الى ان صدر لهم الامر الثاني بالاتجاه الى الميدان . . فتقافزواليه ، يطلقون صيحات الرعب والتهديد : ها : . . ها . . ها

بلغوا المكان ووقفوا صفا واحدا متشابكي الايدي ، ليكونوا سورا حصينا من الاجساد والدروع والخوذات والنظرات الشذراء والعداء والتحفز .

بدت الاعلام الحمراء ، ودنت الهتافات الصاخبة المتشنجة . . تضاءلت المسافة التي تفرق بينهم . . لم تعد تتجاوز عشرين مترا . . لابد من بدء العمل . . لم يرجع ضابط المباحث ورجاله

تقترب الجموع الضخمة . . الصيحات تدوي في الميدان كله . . بدت المظاهرة خرافية في حجمها . . زحف طويل عريض كثيف . . عنيف . متحمس . . الزعماء المحمولون ملتهبون ، بعضهم مفتوح الصدر تماما والعرق يسيل . . حشد هائل من البشر ، لم تعرف بعد مطالبهم .

وقف أحد الضباط يقول لزميله :

كيف يجرؤ هؤلاء الشباب على ركوب هذه المظاهرة والخروج فيها ، القانون الذي صدر بمنع المظاهرات بشتى صورها ـ مازال يعمل بكفاءة عالية ومازال قادرا على السحق والمحق .

ـ شيء غريب حقا وحماس أسطوري سيودي بأصحابه الى التهلكة ، ونحن نعرف ماذا يجري في الخفاء لمثل هؤلاء . . انه لجهل حقيقي وطيش أكيد . . صحيح ان هناك ما يستوجب الثورة بل والثورات ، من العيوب والمآخذ والمخازي ، لكن العقاب أشد والروح أحق أن تصان والعمر أثمن من أن يهدر في موقف كهذا . الدم الغالي سيراق بكل بساطة وبدبشك البندقية ستحطم الرؤوس بكل استهانة

زعق المأمور في الجميع

ـ استعدوا . . تشابكوا جيدا ، سأقف على جانب الشارع ، سأشير اليكم بمجابهتهم ، انظروا الى يدي لأنكم لن تسمعوني . . لا تدعوهم يمروا . . هذا افضل موقع لاحتجازهم . .

أسرع الضباط الى الطوار . . ووصلت الجموع الحاشدة . . استمع الضابط الى هتافها المجنون :

ـ الأهلي حديد . . الأهلي حديد

كادت الدهشة تصعقه ، حاول أن يستمع لهتاف آخر

ـ وبطلكم مين ؟ الأهلي ، وفريقكم مين ؟ الأهلي

كاد الذهول يقضي عليه . . أفاق من غيبوبة المفاجأة ، انتشى فرحا لأن كل هذه الجموع تشجع فريق الاهلي لأنه هو الآخر يشجع الأهلي . . رفع يده وهتف معهم : الأهلي حديد . . . الاهلي حديد رأوه الجنود وهو يشير بيده ، انقضوا على الجموع الزاحفة يردونها في عنف . . لاح له ضابط المباحث ورجاله وسط الصفوف يهتفون للاهلي الحديد .

تذكر الضابط المهمة التي جاء من أجلها . . تذكر الجنود . . ألفاهم في معركة . . ناداهم فلم يسمعوا،أخذ يصفر دون جدوى ، وخشي ان اطلق رصاصات في الفضاء لينبههم فيطلقوا . . أسرع اليهم يبعدهم وقد تسمروا في الارض كأنهم كباش تنطح .

لم تلبث الجماهير الزاحفة أن دفعت الجميع في تيارها الفيضاني الهادر ، ومضى الموكب مهللا ، يحمل الاعلام الحمراء ويهتف ، ويطل سكان العمارات يشتركون من الشرفات في المظاهرة الصاخبة ، التي تشيد بفريق كرة القدم الفائز ! ○

القاهرة ـ فؤاد قنديل

المذهب المالكي ودوره في المغرب

بقلم : الدكتور محمد فاروق النبهان

يحظى المذهب المالكي في بلاد المغرب بمكانة متميزة ، ويعود الفضل الى العلماء المغاربة في خدمة الفقه المالكي ، والتعريف به وانتشاره في افريقيا ، ولا يجد الزائر للمغرب اية صعوبة في ملاحظة عمق تمسك المغاربة بآراء الامام مالك ، والدفاع عنها .

ومن المؤسف أننا في الشرق الاسلامي لا نعرف الا القليل عن تاريخ المغرب الاسلامي ، في جهاده وفكره ، وشخصياته ، وكنوزه الفكرية الموجودة اليوم في خزانات الكتب في المدن المغربية . .

والعالم العربي اليوم مدعو إلى أن يتعرف مغربه على مشرقه ، ويتعرف مشرقه على مغربه ، لكي تتكاتف جهود هذه الأمة ، وتتعانق آمالها ، في تطلعات واحدة ، يشد بعضها أزر بعض ، في عمليات تلاحم وتكامل ، لمواجهة ما تتعرض له هذه الأمة من تحديات ، وهي تحديات تختلف في اشكالها ، ولكنها ذات اهداف واحدة ، واذا كان المشرق العربي يعتبر ثغرا من ثغور الاسلام ، فان المغرب العربي يعتبر ثغرا آخر حمل مسؤولية الدفاع عن الاسلام في حملات صليبية امتدت مئات السنين .

الموجات المشرقية الاولى

كانت الأحداث السياسية في الشرق الاسلامي تتفاعل بسرعة ، وتترك آثارها الفكرية والعقائدية وتخلف وراءها جروحا من التفكك والانقسام والتمزق . وفي نفس الوقت كانت آثار ذلك تنعكس على بلاد المغرب التي تم فتحها على يد عقبة بن نافع اولا ، ثم على يد موسى بن نصير ثانيا ، وابتدأت افواج الفارين من تعسف الحكم الأموي والحكم العباسي تصل الى المغرب ، وتحمل معها افكارها ، سواء كانت من الخوارج أو الشيعة ، وتقبل المغاربة - في بداية الامر - افكار الخوارج وتعاطفوا معها ، لاقناعة بها ، ولكن لمواجهة تعسف الامويين ، الذين كانوا يفرضون نوعا من انواع التمييز بين العرب والبربر ، مما اثار حفيظة البربر الذين دخلوا في الاسلام ، وحملوا رايته ، ولكنهم رفضوا في ظل الاسلام ، أن تعاملهم دولة الخلافة بما يفيد معنى تفضيل العنصر العربي عليهم . .

وهكذا تبنى المغاربة في بداية الامر افكار الخوارج ، وتكونت لاول مرة امارة خارجية في « سجلماسة » في جنوب المغرب ، الا ان المغاربة تعاطفوا بصورة كبيرة مع آل البيت ، وبخاصة بعد ان عانوا من ظلم الامويين ، وتنكر العباسيين .

ولما وصل المولى ادريس بن عبد الله الكامل الى المغرب هاربا من العباسيين ، رحب المغاربة به ، وتنازل له اسحق بن محمد بن عبد الحميد عن امارته في « وليلي » ودعا القبائل لمبايعته ، (١) وبذلك ابتدأت الدولة الاسلامية الاولى في المغرب ، على يد المولى ادريس ، وبالرغم من ان المولى ادريس كان من آل البيت ، الا انه لم يكن يدعو للمذهب الشيعي ، وكان يتعاطف مع الامام مالك الذى افتى عند قيام ثورة الامام محمد المعروف بالنفس الزكية ، بان بيعة الاكراه ليست ملزمة ، مشيرا بذلك الى بيعة ابي جعفر المنصور ..

ومن المؤكد أن موقف الامام مالك من العباسيين لم يكن العامل الاساسي في انتشار المذهب المالكي في المغرب ، فقد اسهمت عوامل اخرى ذات اهمية كبيرة في انتشار هذا المذهب . ومن العوامل التي اسهمت في اختيار المغاربة المذهب المالكي ، انهم قد اختاروا المذهب السني ، وتعاطفوا في نفس الوقت مع آل البيت ، وتمسكوا بالسنة النبوية ، ولما كان الامام مالك يمثل الشخصية الفقهية التي كانت رمزا للسنة ، وكان فقهه مرتبطا كل الارتباط بالحديث فقد اختاروا المذهب المالكي واخذوا بأحكامه ..

ومما ساعدهم على ذلك ان قوافل الحجاج المغاربة كانت تقصد المدينة وتأخذ العلم عن امام المدينة ـ الامام مالك ابن انس وعن تلاميذه ، وعندما يعودون الى المغرب كانوا يروون ما سمعوه من الامام مالك او تلاميذه من بعده .

ويعتبر سحنون بن عبد السلام بن حبيب التنوخي المتوفى سنة ٢٤٠ هـ ، من اهم الشخصيات العلمية التي خدمت الفقه المالكي ، لانه وضع كتابه المدونة الذى يعتبر من اهم كتب الفقه المالكي ، وهذا الكتاب يضم نحوا من ستة وثلاثين الف مسألة . وكان سحنون قد اخذ العلم عن اسد بن الفرات الذى استطاع ان يجمع بين فقه مالك وفقه ابي حنيفة ، ووضع كتابه « الاسدية » الذى تلقاه سحنون عنه واضاف اليه ، وعدل فيه ونظم ابوابه ، وسماه « المدونة » .

ويشير المؤرخون الى ان مذهب الكوفيين كان سائدا في افريقيا وما وراءها من المغرب ، الى ان دخل على بن زياد وابن اشرس ، والبهلول بن راشد ، وبعدهم اسد بن الفرات وغيرهم بمذهب مالك ، فاخذ به كثير من الناس ، ولم يزل يفشو الى ان جاء سحنون فغلب في ايامه وفض حلق المخالفين ، واستقر المذهب بعده في أصحابه ، فشاع عن تلك الأقطار الى وقتنا هذا .

تأثير العوامل السياسية

لا نستطيع انكار العوامل السياسية التي اسهمت الى درجة كبيرة في انتشار المذهب المالكي في المغرب ، فبالاضافة الى موقف الامام مالك من العباسيين ، الذى يعتبر المنطلق لقبول الفقه المالكي في الاوساط التي كانت تتعاطف مع آل البيت ، فان الدولة المغربية منذ عهد الادارسة كانت تشجع المذهب المالكي ، وتسعى لكي يكون المذهب الرسمي والشعبي للامة المغربية . وبذلك فقد استطاع المغرب منذ عهد الادارسة ان يسيطر على دعوة الخوارج التي وجدت في بداية الامر منطلقا لها في تلك البلاد ، وكذلك فقد رفض المغرب دعوة الشيعة التي حاول بعض دعاتها ان يستغلوا حب المغاربة لآل البيت واحتضانهم للمولى ادريس ومبايعتهم له ، لكي ينشروا الدعوة الشيعية .

ونستطيع القول بان الدول الاسلامية التي تعاقبت على المغرب ، قد اسهمت بشكل فعلي وكبير في تدعيم مركز المذهب المالكي في المغرب ، الذي كان يعتبر المذهب المفضل للمغاربة ، الذى استطاع ان يقهر المذاهب الفقهية الاخرى كالفقه الكوفي الذى كان قد انتشر في المغرب الاسلامي وافريقيا .

ولم يتخلف عن هذه القاعدة من تدعيم السلطة للمذهب المالكي ، سوى الدولة الموحدية التي قامت على انقاض دولة المرابطين . وحملت هذه الدولة راية الاصلاح الديني الذى دعا اليه « المهدى بن تومرت » الذى تأثر خلال اقامته بالمشرق بالتيارات الفكرية والثقافية التي كانت منتشرة هناك ، والتي اخذت بمنهج علم الكلام ، واستطاع « المهدى بن تومرت » بما توفر له من قدرات علمية وجدلية ومن طموح سياسي ، ان يوجد تيارا فكريا مؤيدا له في المغرب ، وابتدأت المواجهة بين منهج السلف في الاعتقاد الذي تبنته دولة المرابطين واحرقت بسببه كتاب « الاحياء » للامام الغزالي ، لاشتماله على كثير من مسائل الفلسفة الكلامية ، وبين دعوة « المهدى بن تومرت » التي ترفض منهج السلف في الاعتقاد وتتهمه بالجمود . ولما كان

(١) كان ذلك يوم الجمعة رابع رمضان سنة ١٢٧٩

الامام مالك يرفض مبدأ التأويل ، فان فقهاء المذهب المالكي كانوا يرفضون كل دعوة تتنافى مع مبدأ السلف .

ومن هنا ابتدأت المواجهة قوية بين المرابطين الذين كانوا يمثلون مبدأ السلف ويشجعون المذهب المالكي وبين الموحدين الذين انطلقوا من فكرة الاصلاح والتجديد الديني ، ولذلك فقد حاربوا المذهب المالكي ، واضطهدوا علماءه واحرقوا كتبه ، الا ان هذه الدعوة الموحدية وان اتيح لها أن تنتصر ، وان تقيم دولة قوية هي دولة الموحدين ، الا ان المذهب المالكي استطاع بسرعة كبيرة ان يستعيد مكانته في المغرب ، حتى أصبح المذهب الذي يجتمع المغاربه عليه ، منهجا في العقيدة ، وفقها في التعامل .

ويرى بعض المؤرخين المعاصرين ان الفقه المالكي بعد هذه المعركة الضارية التي شنها الموحدون عليه وعلى كتبه وعلمائه ، قد استفاد فائدة كبيرة ، وهي التلقيح بمادة الحياة الاصلية بالنسبة الى كل المذاهب الاسلامية ، وهي الرجوع الى الكتاب والسنة ، ولم يعد ذلك الفقه الذى يكتفي بمجرد مقارنة اقوال ائمة المذهب ، ويرجعها في النهاية الى رواية ابن القاسم عن الامام مالك بل اصبح يعتمد على الأدلة وينظر في الخلاف العالي .

والعوامل الموضوعية

ومن خلال متابعة تاريخ الاسلام في المغرب ، ومراحل انتشار المذهب المالكي فيه ، والظروف التي رافقت ذلك ، ثم اصرار المغاربة بعد ذلك على التمسك بالفقه المالكي منذ ذلك الحين حتى اليوم ، يمكننا أن نتلمس كثيرا من العوامل التي ساهمت في انتشار المذهب المالكي في المغرب ، واهمها ما يلي :

١ ـ ارتباط المذهب المالكي بالسنة النبوية ، ويعتبر كتاب « الموطأ » وهو المرجع الأول في الفقه المالكي ، من اهم المعالم البارزة التي تؤكد منهجية هذا المذهب ، واصوله الاستنباطية ، وقواعده الاجتهادية ، واحكامه الجزئية ، وقد حظى هذا الكتاب بعناية واهتمام العلماء المغاربة ، دراسة لاحكامه وشرحا لنصوصه وتخريجا على أصوله . .

٢ ـ خلو هذا المذهب من التعقيدات الكلامية ، ووضوح معالمه الاعتقادية ، وانسجامه مع عقيدة اهل السنة والجماعة ، التي تمثلها العقيدة الاشعرية . ولعل هذا الوضوح هو الذى جعل المغاربة يرفضون فكر الخوارج ، والعقيدة الشيعية ، بالرغم من المحاولات الملحة التي بذلها انصارهاتين العقيدتين لكي تنمو دعوتهما في اوساط الامة المغربية .

٣ ـ رحلات الحج ، وكانت هذه الرحلات من اهم العوامل التي اسهمت في نشر المذهب المالكي في المغرب ، فقد كان علماء المغرب الذين يقصدون الديار المقدسة ، لاداء فريضة الحج أو العمرة ، يلتقون في المدينة المنورة ، بالامام مالك ، او بتلاميذه ، وينقلون الى بلدهم ما سمعوه من علماء المدينة من احكام ، وبخاصة فيما يتعلق بالمصدر المعتمد في المذهب المالكي وهو ما جرى عليه العمل في المدينة ، والذى كان الامام مالك يعتمده ويدافع عنه ويقدمه على الخبر والأثر . .

٤ ـ يرى ابن خلدون ان طبيعة الشعب المغربي قريبة الشبه بطبيعة الشعب الحجازى ، من حيث سيطرة روح البداوة على كل من الشعبين،ولا اعتقد ان ذلك يمكن اعتباره صحيحا ، وبخاصة من حيث التعليل بصفة الحضارة والبداوة ، وربما يكون اقرب للصواب لو انه جعل سبب ذلك ، هو تقارب طبيعة السكان في الحجاز والمغرب ، وذلك بفضل وصول عدد من سكان الجزيرة العربية ، وبخاصة من اليمن ، الى جنوب المغرب،وربما قطن عدد كبير من سكان جنوب الجزيرة العربية قبل الاسلام ، في المغرب ، وكان لهم آثارهم على العادات المغربية . .

٥ ـ تعرض المذهب المالكي لكثير من المحاولات التي كانت تستهدف اضعاف مركزه في المغرب ، واهم تلك المحاولات ما بذله الفاطميون من جهود مضنية لنشر المذهب الشيعي في المغرب ، ثم المحاولة الثانية التي قام بها المهدى بن تومرت في ايام الدولة الموحدية للقضاء على المذهب المالكي ، واضطهاد علمائه ، وحرق كتبه . . الا ان جميع تلك المحاولات كانت تعمق الروابط بين الشخصية المغربية وبين المذهب المالكي حتى اصبح المذهب المالكي ، جزءا من الشخصية المغربية . .

خدمة للفقه المالكي

لا اعتقد اننا بحاجة للتأكيد على الدور الذى قام به المغرب واقصد ـ بالمغرب ـ الغرب الاسلامي ، الممتد من

الاندلس حتى السنغال ، وتشمل الشمال الافريقي الذى اعتنق المذهب المالكي ، وأخذ بأحكامه . .

فالمغرب الذى اختار المذهب المالكي عقيدة وفقها ، خدم هذا الفقه خدمة عظيمة ، وتصدى علماء المغرب للبحث والتأليف في كل ما يتعلق باصول هذا المذهب واحكامه ، واشتهرت فيه شخصيات علمية ذات مكانة كبيرة ، في تاريخ الاسلام ، وكان لمؤلفاتها دور كبير في خدمة الفكر الاسلامي ، من امثال القاضي ابي بكر بن العربي المتوفى سنة ٥٤٣ في كتابه « احكام القرآن » وابن عبد البر القرطبي المتوفى سنة٤٦٣ في كتابه « التمهيد » والقاضي عياض السبتي المتوفى سنة ٥٤٤ في كتابه « ترتيب المدارك » وابي الوليد الباجي المتوفى سنة ٤٩٤ في كتابه « المنتقى » ، وابن القطان الفاسي المتوفى سنة ٦٢٨ في كتابه « الاحكام الكبرى » ، وقاضي الجماعة ابي عبد الله المقرى المتوفى سنة ٧٥٩ في كتابه « قواعد الفقه » وابي العباس الونشريسي المتوفى سنة ٩١٤ في كتابه « ايضاح المسالك الى قواعد الامام مالك » وكتابه « المعيار » .

ومن المؤسف ان هذه المؤلفات الهامة في المكتبة الاسلامية وتلك الشخصيات لم تدرس الدراسة الكافية التي تمكننا من الاستفادة مما اسهمت به من فكر وما اضافته الى فكرنا الفقهي من آراء وآفاق جديرة بالاهتمام والعناية . .

واني على يقين ان هذه الثروة العظيمة من المؤلفات المخطوطة الموجودة اليوم في الخزائن المغربية المتعددة ، في الخزانة الملكية في الرباط ، او في خزانة القرويين في فاس او في خزائن مراكش ، او في الخزائن الشخصية ، لو اتيح للباحثين المعاصرين اليوم فرصة الاطلاع عليها ، لاستطاعوا ان يثروا فكرنا الاسلامي بشكل عام ، والفقه المالكي بشكل خاص ، بثروة فكرية ، سوف تكون موطن تقدير كافة الاوساط العلمية . .

الشخصية المغربية

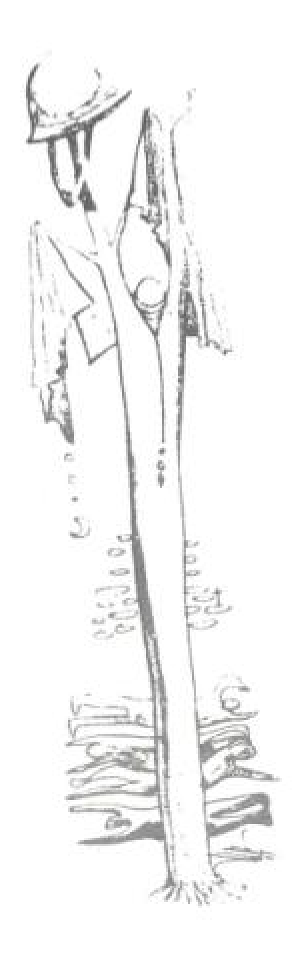
ومن السهل على الباحث المتتبع لاثر المذهب المالكي في الشخصية المغربية ان يدرك عمق التلاحم بين الفقه المالكي والشخصية المغربية ، والى ما تركه هذا الفقه من أثر في الحياة المغربية ، سواء في مجال التشريع القانوني ، او في مجال العادات اليومية ، والمعاملات التجارية ، فالمغربي شديد الاعتزاز بالمذهب المالكي ، وشديد الفخار بتمسكه بخدمته لهذا المذهب ، حتى تستطيع القول بان المواطن المغربي يشعر بانه مؤتمن على الفقه المالكي،وهذه الظاهرة كان لها افضل الاثر في مسيرة المغرب التاريخية ، لانها اسهمت في تكوين شخصية مغربية منسجمة ، ذات عقيدة واحدة ، وذات مذهب واحد ، ولذا فان التحديات التي واجهت المغرب خلال تاريخه الطويل وبخاصة بعد سقوط الاندلس والاحتلال البرتغالي والاسباني لاجزاء من المغرب ، لم تؤثر في وحدة الشخصية المغربية ، واستطاع المغرب بفضل وحدة عقيدته ووحدة مذهبه أن يستجمع قواه ، ويؤلف قوة متماسكة متلاحمة ، في وجه كل من يستهدف المساس بالشخصية المغربية ، وكان المغرب بفضل تلك الوحدة الداخلية يشعر دائما بأنه يكون كيانا مستقلا له جميع مقوماته الفكرية والثقافية والحضارية ، ولذا فان المغربي ـ انطلاقا من هذا الشعور ـ رفض ان يكون جزءا من الدولة العثمانية،وقاوم العثمانيين الذين وقفوا عند حدوده الشرقية.

ان من يتتبع تاريخ المغرب وهو تاريخ حافل بالاحداث الجسام ، سواء على صعيد مواجهته للغزو الاوربي المتجدد ، او على صعيد الاحداث والفتن الداخلية ، التي ادت الى ظهور دول اسلامية متعددة من الادارسة والمرابطين والموحدين والمرينيين والسعديين والعلويين ، يلاحظ ان الوحدة المذهبية العقائدية والفقهية ، قد اسهمت بشكل فعال في الحفاظ على الشخصية المغربية ، وبخاصة في مواجهة الاخطار الخارجية التي كانت ترصد المغرب ، وتتطلع للسيطرة عليه .

وبالرغم من ان المغرب يتكون من عنصرين اساسيين هما العرب والبربر ، وان البربر يتكونون من قبائل متعددة في الشمال والجنوب والاطلس ، فان جميع تلك التناقضات كانت تزول في ايام المحن والاخطار ، وكان المغرب يواجه خصومه من خلال الشخصية المغربية ، وقد باءت جميع المحاولات التي بذلها اعداء المغرب لتمزيق الشخصية المغربية بالفشل ، واخرها ما سعت اليه فرنسا من خلال الظهير البربرى ، الذى ارادت به تقسيم المغرب الى عرب وبربر ، الا ان الشعب المغربي بكل فئاته رفض ذلك ، ويعود الفضل الاكبر في هذه الظاهرة الى « الوحدة المذهبية » في المغرب ، التي يعود سببها الى تعلق المغاربة بالمذهب المالكي والاحتكام اليه والاعتزاز بكل مايتعلق بالفقه المالكي ، من رجال ، ومؤلفات ، وآراء واجتهادات . . .

الرباط ـ د . محمد فاروق النبهان

إلى الله



يَمُرُّ علينا العيدُ مرًّا ، مضرَّجا
بأكبادنا ، والقدس في الأسر تصرخُ
ولبنان ، ما لبنان الا نذائر
فأشداقُ هذا الموت في الصور تنفخ
وأمتنا : قلبٌ يدمّى ، وساعدٌ
يُشَلُّ ، ورأسٌ في المذلات يُرْضَخُ
نضِجُّ ، وقد نحتجُّ . . والبَغي والعِدا
تعشش في أوطاننا وتُفَرِّخُ
وفينا ، ومِنَّا ، داؤ نا ودواؤ نا
ولكننا في الغي نمضي ، ونشمخ
ويُوقِعُ باسم الشعب بالشعب بعضُنا
يقتلنا عمٌ . . ويغري بنا أخ . . .

****

إلَى الله ، لا منجاةَ إلَّا بِرَجْعَةٍ
إلى الله ، في الأعماق تَسْرِي وترسَخ
عسى أن يعودَ العيد ـ بالله ـ عزة
ونصرا ، ويُمحَى العارُ عنا ، ويُنْسَخ

عمر بهاء الدين الأميري

دار الحديث الحسنية

الرباط ـ المغرب

من التراث

النفط: حلابة جبل في قعر بئر!

بقلم الدكتور محمد عيسى صالحية

هل عرف العرب النفط واستعمالاته قبل اقترانه ببلاد العرب اثر الكشف الاوروبي له ؟ كيف كان يحضر ، وما الفرق بينه وبين القار والزفت اللذين تذكرهما العديد من المصنفات العربية ، وما تقييم الخبر الذي ذكره الجبرتي في كتابه عجائب الآثار «ارسل محمد علي ، باشا يبحث في الصعيد عن معادن الذهب والرصاص والفحم الحجرى ، وظهور نبع للاستصباح ، قال عنه : انه دهن أسود ، بزرقة ، رائحته زنخة كبريتية ، وذلك عند اشارة الجبرتي الى حوادث سنة ١٢٣٥ هـ .

وللاجابة على التساؤلات المطروحة ، فقد رجعنا الى المصادر اللغوية والأدبية علنا نفلح في تقصي أمر النفط ، وكان لسان العرب مفتاحا في ذلك ، فالنفط عند ابن منظور «هو » حلابة جبل في قعر بئر توقد به النار ، وكأنه أراد القول ، انها مادة تصفى من الجبال الى الآبار حيث يوقد بها . وأضاف ابن منظور ، ان النفاطة هي موضع استخراج النفط ، والنفاطات ضرب من السرج يرمى بها النفط ، ونقل عن صاحب التهذيب تعريفا آخر للنفاطات ، انها ضرب من السرج يستصبح بها . وقد اطلق الاسم على الأدوات النحاسية التي يرمى بها النفط . فالتعريف ينصب على استخدام النفط كمادة اشتعال في الاضاءة ، ومادة حارقة في الحروب .

ولنا بعد ذلك ان تتسقط الاشارات حول النفط من المصادر والمراجع ، والتقطنا العديد منها ، فالمعتصم العباسي أول من اسرج بالنفط في ليالي الحج سنة ٢١٩ هـ ، حيث أمر بوضع المصابيح للحجاج مخافة السراق (١) . والصابي عدد شروط ضمان أحمد بن محمد الطائي بأن يؤدى ثمن النفط والمشاقة للنفاطات والمشاعل (٢) . وفي رواية لأبي عبدالله بن الحسين بن محمد الحلاوى ، « إنه وبينما كان في منزل في بعض الليالي ، اذ طرق بابه نقيب ومعه نفاط فجزع » (٣) . ولقد شاهدنا في متحف الفن الاسلامي بالقاهرة مجموعة من جلل النفط تشبه القنابل اليدوية ، ومثلها استعمل في حريق الفسطاط سنة ٥٦٧ هـ / ١١٧١ م .

ومن ناحية ثانية ، فقد بين ابن البيطار ماهية النفط ، بأنه دهن معدني سريع الاحتراق توقد به النار ويتداوى به ، ويضيف أن سراج النفط يستضاء به واسمه ببغداد نفطية .

---

(١) السيوطي : محاضرة الاوائل ، ٤٤

(٢) الصابي : الوزراء ، ٢٤

(٣) ابن مسكويه : تجارب الامم ، ٣ / ٦٠



كان معروفا في الجاهلية

ان دراسة النصوص السابقة يجعلنا نقسم استعمال النفط عند العرب في عدة أغراض منها غرض الاضاءة والاستصباح ، وغرض الحرق بالقائه على أهداف بعيدة بواسطة الآلات أو بالايدى كسلاح حربي محرق .

أما كيف كانت نفاطة الاضاءة وكيف تسرج ؟ فهذه مسألة لا استطيع الاجابة عليها بدقة ، لان مصادرنا وقفت صامتة .. عن ذكرها فيما نعلم ، وخلت المتاحف ـ حسب علمنا ـ من نماذج لها ، هل كانت مثل المشعل ؟ أم أنها تسرج كالسرج بالمشاقة وهي قماش من قطن ، تعمل من المشاقة فتيلة ويستصبح بها ، تلك مسألة مازلنا نكد علّنا ننجح في تفسيرها !

غير ان ماذكره داود الأنطاكي ت ١٠٠٨ هـ ، حول النفط يبدو مهما للغاية فهو « معدن بأقصي العراق كالزفت والقار يتحلب غليظا ثم يستقطر أو يصعد ، وأول دفعة منه الأبيض ثم الأسود ، فان صعد ثانيا الحق بالأول » وأضاف انه بجبال الطور من أعمال مصر ، وبجانب البحر نوع منه يسمى زيت الجبل ، وأجوده الابيض الحاد الصافي . فالنفط اذن كان يصفى ويقطر ويستخرج منه النفط الأبيض والنفط الأسود .

ونحن نعتقد ان النفط كان معروفا عند عرب الجاهلية واستخدم للحرق وإشعال النار ، وكان يتفجر من باطن الأرض بفعل العوامل الطبيعية كما تتفجر الينا الينابيع . وقد رآه ابن جبير في القرن السادس الهجري في رحلته من بغداد الى الموصل « يسيل في وهدة من الأرض سوداء أنبط الله فيها عيونا كبارا وصغارا تنبع بالقار ، وربما يعضها بحباب منه كأنه الغليان وتصنع له أحواض تجتمع فيه ، فتراه شبه الصلصال ، منبسطا على الأرض ، أسود أملس ، صقيلا رطبا ، عطر الرائحة ، شديد التعلك » وفي مكان آخر شاهد دخانا يتصاعد من باطن الأرض وتشتعل فيه النيران . واعتاد أهل بغداد أن يطلوا به سطوح حماماتهم لحفظ حرارتها ، ولولا انه كان معروفا لما لقب من كان دميما وأدمته تشبه النفط بنفطويه .

لقد كان القلقشندي (٩ هـ) اكثر إيضاحا في اشاراته الى نفط مصر ، فالنفط موجود فيها على ساحل بحر القلزم (البحر الاحمر حاليا) يسيل دهنه من أعلى جبل قليلا قليلا ، وينزل الى أسفل الجبل ، فيتحصل في دبار قد وضعها له الأولون ، وتأتي العرب فتحمله الى خزائن السلاح ، فالقلقشندى يحدد أماكن وجوده على ساحل بحر القلزم ويضيف أنه كان موجودا بين البصرة والكوفة والموصل والشام الى عكا ، وبجبال الطور المصرية وفي بلدة باكوه من أعمال شيروان .

.. ذخيرة لصلاح الدين

إن الاستعمالات الحربية للنفط تظهر واضحة في المصادر والمراجع ، فالناصر لدين الله يدعم قوات صلاح الدين الأيوبي بحمل بعير من النفط لاستعماله في الحرب بيد جماعة من النفاطين الذين يزرقونه على العدو . وقد أفرد الطرسوسي (ت ٥٨٩ هـ) فصولا من كتابه « تبصرة أرباب الألباب في كيفية النجاة في الحروب من الأسواء ونشر أعلام الأعلام في العدد والآلات المعينة على لقاء العدو » لصنع أنواع من النفوط منها ، صفة نفط مستخرج له قوة في الاحراق ويدخل في كل ما يتصرف فيه النفوط ، وصفة نفط عجيب وهو من الأسرار يؤخذ من الأترج الأشباه وبقشر ويترك الى أن يذبل ويعصر زيته كما يستخرج الزيت ثم يطبخ على النار الى أن يغلى غليات عديدة وتأخذ من

النار حده تضاف اليه أو فيه دهن البلسان ويستعمل فانه من العجائب ، ونفوط أخرى ترمى بالنشاب وعمل نفط جيد يرمى به عن المنجنيق ، وعمل نفط يمشى على الماء يصلح لحرق المراكب،واخيرا صنعة نفط لا تنطفىء ناره ولو أقامت شهرا .

في صنع النفط

ومن ناحية ثانية ، فان صاحب المخترع في فنون من الصنع قد جعل الفصل العاشر من كتابه في معرفة تطيب النفط أي إنضاجه وتجهيزه للاستعمال .

وكانت طريقة صنعه ورميه أقرب الى تشكيل قنابل المولوتوف التى تستعملها المقاومة الشعبية ضد الاحتلال ، وتقوم على خلط مواد لاصقة مع مواد حارقة ومن ثم اشعالها غداة رميها على الهدف المنوى تدميره ، وكانت عند صاحب المخترع تحضر بخرقة مسقاة بالكبريت وتملأ قارورة بالمواد النفطية المخلوطة مع بذور النباتات اللاصقة ، وتلقى على العدو ، أو تحضر بشكل كرات تزدرق بآلة نحاسية أو غيرها لمسافة فتحرق الهدف ، وهذه الآلة هي ما نسميها بالنفاطة ، وقد كان يعين لها وال يهتم بأمر تحضيرها وتجهيز النفط لها ، ولما تولاها أحد أصدقاء الشاعر عبد الصمد بن المعذل ، فأظهر الوالى المعين تيها ، فكتب اليه عبد الصمد .

لعمرى قد أظهرت تيها كأنما ... توليت للفضل بن مروان منبرا
ماكنت أخشى لو وليت مكانه ... علىّ أبا العباس ان تتغيرا
بحفظ عيون النفط أحدثت نخوة ... فكيف به لو كان مسكا وعنبرا
دع الكبر واستبق التواضع إنه ... قبيح بوالى النفط أن يتكبرا

هذا ، وقد اعتاد الباهرون في الحيل على استخدام النفط في دكهم وحيلهم ، ليظهروا براعة أمام النظارة ، وكأنهم يخرجون النفط من أفواههم او من طاسة أو طبق وغيرها .

ويبدو أن الاضاءة بالنفط اقتصرت على سقى حب القطن بالنفط واشعاله ، أو باستخدام المشاعل ، وقد ظهر ذلك بصورة واضحة في احتفالات الحرم المكى في القرن السادس الهجرى التى حضرها ابن جبير ، وورد مثلها في خبر طريف أورده التنوخى في نشوار المحاضرة مرفوعا الى الفضل بن مروان ، الذي كان يعمل في ضياع الرشيد ، فقد اثبت في الحساب بضعة عشر قيراطا ذهبا لثمن نفط وحب قطن ، حرق بها جثة جعفر بن يحيى البرمكى ، ومبعث التندر في الخبر هو حرق الجثة ، فالمسلمون لا يحرقون جثث الموتى ، فهل فعلها الرشيد لاعتقاده بمجوسية جعفر .

وأما المشاعل فهي أدوات تشتمل على لفة من الخيش تسمى كبيرة عند أهل بغداد ، وتوضع على رأس عمود ثم يصب عليها النفط وتشعل ، وتختلف قوة إضاءة المشعل باختلاف عدد رؤوسه(٥) .

ونستدل من النصوص ان المشاعل كانت تستخدم بكثرة من قبل عساكر السلطان ، فظهور رجال الشرطة ـ وهم يحملونها ـ دليل وقوع كبسة أو مطاردة لأحدهم ، وعندها يوجس أهل الحى خيفة ، كما وقع لابن مقلة حين كان مستترا في دار أبي الفضل بن مارى النصرانى ، ومن ثم أبصرت امرأة أبي الفضل الشارع وقد امتلأ بالمشاعل والشمع

---

(٤) الرسولي : المخترع في فنون من الصنع ـ ما زال مخطوطا .
(٥) التنوخى : الفرج بعد الشدة ، ١ / ١٠٤ .



والفرسان ، فأخبرت زوجها وابن مقلة بوقوع كبسة في شارعهم ، وحين اتحل الامن في بغداد سنة ٣٢٢ هـ ، استعمل اللصوص المشاعل والشموع وكبسوا الناس ونهبوا أموالهم ، مثل ذلك فعل العيارون ببغداد سنة ٤١٦ هـ ، فأخذوا الناس جهارا ، وكان يمشون بالشمع والمشاعل ليلا ، ويكبسون الناس ويأخذونهم من بيوتهم ويعذبونهم ليعترفوا بذخائرهم .

كما استخدمت المشاعل عند اسراء قوافل الحجاج ، حيث يمسكها الرجال بايديهم بعد ايقادها ، فلا يصر قشاوة أو هودج الا وأمامه مشعل ، وغدت هذه عادة عند تجهيز المحامل ، فينتظم المشاعلية أو الضوية بفوطهم الزركشية أمام المحمل في قافلة الحج .

.. وحملة مشاعل السلاطين

وكيفما كان الحال ، فان استمرار ركوب السلاطين والخلفاء والامراء والقضاة وغيرهم لحضور الأعياد والمناسبات تطلب الكثير من المشاعل لتكون امام الموكب ، يحملها المشاعلية برونق وظرف .

ويبدو ان اقتصاد عمل المشاعلية على الليل سمح باستخدامهم في النهار في أعمال لا تتصل بعملهم الرسمي بصلة ، فاشتغلوا كمنادين ، يحذرون الناس مغبة عدوان على المدينة وعملوا حمالين أو عمال تنظيفات للمدينة ، فقد روى الابشيهي في مستطرفه في باب نوادر القضاة : ان بغلة نفقت لقاض في شوارع المدينة ، وأفسدت الطريق وحين اشتكى الغلام لسيده عدم قدرته على حملها ، أمره سيده باحضار المشاعلية .. ورميها خارج المدينة ، ففعلوا بعد أن دفع لهم القاضي عشرة دراهم اجرة ذلك !

ان استخدام النفط بشكل كثير في الحروب بصفة اساسية وتعيين وال لعيون النفط واستعمال المشاعل بهذه الكثرة ، وادخال النفط في الادوية كلها امور تجعلنا نقول ، ان العرب عرفوا النفط واستخرجوه وصنعوه ولكن الغربيين نجحوا في استخدام تراثنا واستقرائه خيرا منا ، وهل لنا أن ننسى الدراسات التاريخية التي قام بها المستشرقون ومدى استفادة شركات النفط منها كدراسات لسترانج وماسينيون وروسكا وبنيامين ووستنفيلد وريتر وغيرهم . اني لنا ان نعي الدرس التراثي ، وان لنا أن نوظف التراث لدفع حركة النهضة العربية لا أن نلف حوله نتغنى ونعيش الماضي فنقطع صلتنا بالحاضر ! ⭘

د . محمد عيسى صالحية

● ان جوهر الحياة السعيدة انما هو أن نكف عن التمرد على ظروف الحياة القاسية وأن نقابل الاساءة بالصفح ، وأن نقنع بنصف رغيف من الخبز حين لا نستطيع أن نحصل على رغيف كامل .



سجل لمواقف أم حوار بين مواقف ؟

بقلم الدكتور : عباس احمد

في اطار الاهتمام المتزايد بتدوين وتحليل واحياء التراث الشعبي العربي ، أخذت تترى على المكتبة العربية جملة من الكتب والدراسات والبحوث التي تتناول اوجه او عناصر التراث المختلفة [١] . وليس الغرض من هذا المقال هو حصر او تقييم هذا التراث ولكن تناول قضية عامة وهامة كثيرا ما اهملت من قبل الباحثين والمهتمين بالتراث الشعبي وهي قضية ما أسميه بظاهرة التمايز الداخلي في التراث الشعبي الخاص بثقافة معينة ، كالثقافة العربية او الثقافة المحلية لمجتمع عربي معين على اي مستوى كان .

١ ـ انظر ـ على سبيل المثال :
شوقي عبدالحكيم : الحكاية الشعبية العربية (دار ابن خلدون ، بيروت ١٩٨٠) ومحمد رجب النجار : حكايات الشطار والعيارين في التراث العربي (عالم المعرفة ـ الكويت ـ سبتمبر ١٩٨١) .

ـ وعمر عبدالرحمن الساريسي : الحكاية الشعبية في المجتمع الفلسطيني (المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت ١٩٨٠) ـ واحمد رشدي صالح : الادب الشعبي (مكتبة النهضة) القاهرة ـ ١٩٥٥) وعزالدين اسماعيل : القصص الشعبي في السودان (الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر) القاهرة ١٩٧١ . ومحمد الجوهري : الدراسة العلمية للمعتقدات الشعبية ١٩٧٨) : ومصادر دراسة الفولوكلور العربي (القاهرة ١٩٧٨) .

في هذا المقال أركز على جانب واحد من جوانب التراث الشعبي ، وهو جانب الأمثال الشعبية ، فحين تصفحت احد الاعمال العربية في هذا الصدد ، والتي ظهرت مؤخرا وهي تضم مجموعة كبيرة من الأمثال الشعبية لبلد عربي خليجي هو الامارات العربية المتحدة في كتاب عنوانه : الامثال الشعبية في دولة الامارات العربية المتحدة وما يقابلها من الامثال الدارجة في الوطن العربي ، وقد صدر عام ١٩٧٨ [٢] تشكلت امامي ومن واقع هذه الامثال الشعبية معالم السمة التمايزية او التباينية في التراث الواحد بحيث نجد أن بعض اوجه التراث الشعبي تحمل احيانا موقفين او حكمين متقابلين متعارضين من قضية واحدة أو أمر واحد . ومن بين المواقف العديدة التي قمت برصدها أقدم هنا - وعلى سبيل المثال - موقفين للتراث . الموقف الاول يتصل بالمقابلة والمفاضلة بين الزواج القرابي الداخلي والزواج الاغترابي الخارجي من جهة ، والمقابلة بين العلاقات القرابيةوالعلاقات غير القرابية . أما الموقف الثاني فيتصل بالمقابلة بين اهمية الموروث والمكتسب في تحديد السمات الطبيعية والثقافية والاجتماعية للافراد ، فالانثروبولوجيون - بصفة عامة - قد اعتادوا على تصنيف المجتمعات الى مجتمعات زواج داخلي **endogamous** ومجتمعات زواج خارجي **exogamous** - على اساس اتباعها للزواج الداخلي او الخارجي - والى مجتمعات تقليدية تقوم على المكانة والادوار والسمات الموروثة المحددة سلفا **ascribed** ومجتمعات حديثة تقوم على المكانة والادوار المكتسبة **achieved** ولكننا هنا وفي حالة الامثال الشعبية العربية التي نحن بصدد وضعها تحت المجهر ، نجد ان هذه الاوضاع المتباينة والمتمايزة تتشكل ايديولوجيا - على الاقل - في المجتمع الواحد . فما هو التفسير الممكن لهذه الظاهرة ؟ هل تعبر عن ازدواجية قيمية توجه بالشيء وبنقيضه في الوقت ذاته ، مما قد يؤدي الى انفصام قيمي ؟ أم هي مؤشر لتفكك القيم وتضاربها في المجتمع الواحد ؟ ام هي دليل واضح - كما سأحاول ان أوضح في هذا المقال - على سمة التمايز الداخلي النسبي والمعبرة عن ديناميكية التراث ومرونته بحيث لا يصبح مجرد سجل لمواقف بقدر ما هو سجل لحوار بين مواقف وتفاعل مستمر بين الرأي والرأي الآخر ، وبين الموقف والموقف المعارض ، وبين التفسير المطروح والتفسير الآخر الممكن . وهو ما يمكن تسميته - اذا استخدمنا مفاهيم العالم المعاصر - بديمقراطية التراث لا استبدادية التراث .

زواج الأقارب

ولنبدأ أولا باعطاء مثالين لبعض المواقف التي تعبر عنها الأمثال الشعبية بالنسبة لبعض الامور الاجتماعية الهامة .

فاذا أخذنا مثلا موقف الامثال الشعبية في الامارات من المقابلة والمفاضلة بين الزواج القرابي والزواج الاغترابي بصفة خاصة ، والمقابلة بين اهمية العلاقات القرابية والعلاقات غير القرابية بصفة عامة ، نجد ان هنالك مجموعة من الأمثال تعبر عن موقف ايجابي سائد يشجع ويركز على أهمية الزواج القرابي والعلاقات القرابية ، منها على سبيل المثال :

حلاة الثوب رقعته منه وفيه - كل ثوب وله لباس وكل ناس وفم ناس - الزيت في الطحين ما يضيع - الناس أجناس - القعود ما تضره وطية أمه - اللي ما يعرفك ما يثمنك - اللي ما يعرف الصقر يشويه - اللي ماله دار كل يوم له جار .

إن أهم هذه الأمثال والذي يخدم غرض هذا البحث بطريقة مباشرة وواضحة هو المثل السائد « حلاة الثوب رقعته منه وفيه » . والمثل يعني ان القطعة التي تستعمل لرقعة الثوب من الافضل ان تكون من نفس نوع ولون القماش الأصلي حتى تتناسق وتتناسب معه .

والمثل يضرب أكثر ما يضرب في حالة الزواج وبالاخص عندما يريد الفتى ان يتزوج امرأة من خارج مجموعته القرابية فيذكر بالايديولوجية القرابية الموجزة والمعبرة « حلاة الثوب رقعته منه وفيه » .

واهمية هذا المثل انه يشكل القاعدة القيمية التي تسند وتبرر الزواج القرابي الداخلي . كما انه يعكس تصورا لوظيفة الزواج تتمثل في حفظ وصيانة ما يشار اليه بتجانس المجتمع **Social Homogenity** وهو تنظير شعبي يسند بنحو ما منظور اميل ديركايم عما أسماه بالتضامن

---

٢ - انظر : ابراهيم راشد الصباغ : الأمثال الشعبية في دولة الامارات العربية المتحدة وما يقابلها من الأمثال الدارجة في الوطن العربي (دار الفكر - ابوظبي - ١٩٧٨) وقد اعتمدت على هذا المرجع في اختيار الأمثال المضمنة في هذا البحث .

الآلي او الميكانيكي Mechanical solidarity وهو كما يعرفه ديركايم التضامن الذي تتسم به المجتمعات الصغيرة أو البسيطة ، ويستمد قوته من التشابه أو التجانس بين أفراد المجتمع .

زواج الأباعد

ولكن ـ في المقابل ـ نجد أن هنالك مجموعة من الأمثال الشعبية التي تتحفظ على القرابة أحيانا وتتخذ منها موقفا سلبيا وعدائيا أحيانا أخرى . كما انها تشجع على الزواج الاغترابي الخارجي وليس الزواج القرابي الداخلي ، منها على سبيل المثال :

١ ـ زوج بعيد وارجع سالم .

ويعني المثل الشعبي انه من الافضل عند الزواج ـ مثلا ـ أن يأتي الفرد بزوجته من أناس بعيدين لا يقربون له ، لانه في هذه الحالة سينعم بالاستقرار والهدوء العائلي على عكس الزواج من الأقرباء والذي سيجلب المشاكل وعدم السلامة .

٢ ـ الاقارب عقارب

والمثل يعني أن عداوة الأقارب شيء متوقع وأنها أشد أنواع العداوات لأنهم يعرفون كل شيء عن الشخص ، ويستطيعون أن يلحقوا به ضربة موجعة أو قاضية . والمثل يعني بالطبع أن الأفضل تجنب الأقرباء في الزواج والحصول على شريكة الحياة من الغرباء او غير الأقرباء .

٣ ـ كن نسيب ولا تكن ابن عم

والمثل يعني أن المهم في الزوج أن يكون عونا وسندا لأهل زوجته ، وهو أمر قد يحققه الغريب ويكون حينئذ هو الأفضل كزوج ، ولا يحققه ابن العم ولا يشفع له حينذاك كونه ابن عم .

٤ ـ ما غريب إلا الشيطان

وهو مثل يشجع على الترحيب بالضيف والغريب وفتح المجال له للاندماج في المجتمع . فالانسان جواز مروره هو انسانيته ، وهو ما لا يملكه الشيطان . وبالتالي نجد أن هذا المثال يعبر عن نظرة سامية وكونية للناس باعتبارهم وحدة لا فرق بين عربي او عجمي أو بين أبيض وأسود . فاينما يحل الانسان فالدار داره والأهل أهله .

وهذا المثل يتخذ بوضوح موقفا مغايرا لبعض الأمثال التي ذكرناها سالفا ولأمثال أخرى عديدة مثل « اللي موعلى دينك ما يعينك » .

٥ ـ البعد بعد القلوب مو بعد الدروب

والمثل يعني ان السكن الواحد أو الاقامة المشتركة في الدار أو « الفريج » ، لا تحقق بالضرورة المحبة والوئام والتضامن . كما ان التباعد والحواجز المكانية والمسافية لا تحول بالضرورة دون التعاون والتكاتف ونمو العلاقات المتينة .

الموروث والمكتسب

أما اذا أخذنا موقف الأمثال الشعبية من قضية أخرى هي قضية المقابلة بين أهمية الموروث والمكتسب في تحديد السمات الطبيعية والاجتماعية للافراد ، نجد أن هنالك مجموعة من الأمثال تسند وتبرز أهمية الموروث وتعطيه الأسبقية الحاسمة وهو موقف من المفترض أن يكون سائدا في المجتمعات البسيطة التقليدية التي تتحدد فيها مكانة الفرد ودوره قبل ولادته وبالتالي تكون فرص الحراك الاجتماعي الرأسي معدومة تماما .

من الامثلة المساندة لاهمية الموروث :

١ ـ الحب يطلع على بذره . (والمعنى ان الولد مثل والده) .
٢ ـ الحر في البيضة يصر . (والمعنى ان الرجل الاصيل يكون كذلك حتى وهو جنين في بطن أمه)
٣ ـ اللي ماله اول ماله تالي .
٤ ـ اللي ما عنده عتيج « عتيق » ما عنده يديد (جديد)
٦ ـ الطرار حطوه في القصر . ماصير وراح بطر
٧ ـ قديم الصوف ولا جديد البريسم .

أما الأمثال التي تتخذ موقفا مغايرا وتؤكد على أهمية المكتسب ومبدأ الحراك الاجتماعي الرأسي عبر التدرج الاجتماعي بصفته السمة الغالبة في المجتمع

١ ـ الام حايل والبنت بكر
٢ ـ دانة طالعة من حزبه [٣] .

---

٣ ـ انظر ، ابراهيم الصباغ ، المرجع اعلاه ، ص ١١٦ . وقد أورد هذا الشرح « الدانة هي اللؤلؤة الكبيرة التي تمتاز بجمال اللون واكتمال الاستدارة ونقاوة السطح وخلوه من الشوائب . والحزبة هي المكان الخرب ويقصد به هنا السهيرا (المغاص) الذي هجر منذ فترة ولم يعد يذهب اليه البحارة لعدم صلاحيته ولعدم تواجد أية اصداف فيه . ومع هذا قد تستخرج من بين اصدافه المهشمة المتحطمة لؤلؤة جميلة تسمى دانة » .

والمعنى بهذين المثلين أن الأبناء ـ ليس بالضرورة أن يكونوا مثل الآباء والأجداد بل على العكس تماما قد يكون الأبناء على النقيض من آبائهم وأجدادهم في خصائصهم أو في مكانتهم ودورهم الاجتماعي . فالابن قد يكون زعيما بارزا أو رجلا ناجحا موفقا بينما يكون أبوه رجلا عاديا أو وضيعا مهملا .

والمثلان يعبران عن أهمية قصوى للمكتسب ، ولغلبة عمليات الحراك والتدرج الاجتماعي في المجتمع . والحراك الاجتماعي يعكسه الموقف التعبيري لمثل آخر يقول « زمان أول تحول . والغزل انقلب صوف » ، والمعنى أن الدنيا لا تبقى على حال واحدة ، ومن يكون في اسفل السلم الاجتماعي لحين ، قد يقفز الى اعلى السلم في حين آخر .

٣ ـ اصابعك مو سوه .

والمعنى بهذا المثل أن الاختلافات موجودة بين الناس حتى بين افراد الاسرة الواحدة وليس هنالك بالضرورة تشابه الي بين الناس في سلوكهم وسماتهم وادوارهم حتى لو كانوا سلالة واحدة من أب واحد أو جد واحد . فكل انسان يتميز عن الآخر ولا يكون صورة مطابقة له : فالابن لا يكون مثل ابيه او الاخ مثل اخيه .

والمثل يؤمن على اهمية التميز والتفرد للأفراد عبر نجاحاتهم ومكتسباتهم . لا على اهمية الموروث المشترك من آبائهم وأجدادهم .

الخلاصــة

ان الامثلة والنماذج التي سقتها للعديد من الأمثال الشعبية العربية كما يعكسها مجتمع الامارات العربية المتحدة تؤكد ما اسميته بسمة التمايز الداخلي للتراث الشعبي العربي والتي تعبر عن نفسها بتحديد أكثر من موقف ، واصدار أكثر من حكم نحو الأمر الواحد او القضية الواحدة . وليس صحيحا كما هو سائد بين الكثير من الباحثين والمهتمين بالتراث ، ان التراث الشعبي يعبر عن وجهة نظر واحدة أو عن ثابت جامد لا يتغير .

ان الموقفين المتقابلين (أو المواقف المتقابلة والتي يعبر عنها التراث الشعبي) ربما يكونان قد برزتا ونمتا على مر الزمن من واقع الحوار والتفاعل بين العناصر والاتجاهات المحافظة والعناصر والاتجاهات المناوئة والمتفتحة نسبيا . وهو الحوار الذي يمنح المجتمع ديناميكية وقوة ، وقوة دفع ، ويكون مسئولا مسئولية كبيرة في احداث التغير الاجتماعي والثقافي .

فاذا كان هنالك رأي سائد بان الزواج القرابي الداخلي هو الأفضل (وربما يمثل هذا رأي الأغلبية ـ مثلا ـ في فترة من الوقت قد تطول او تقصر) نجد أن هنالك أيضا رأيا آخر بان الزواج الاغترابي الخارجي هو الافضل (وقد يكون هذا ـ مثلا ـ رأي الاقلية في فترة معينة قد تطول او تقصر) . واذا كان هنالك رأي بأن الأهم بالنسبة للفرد هو مايرثه من آبائه وأجداده وان مكانته في المجتمع تتحدد طبقا لذلك . فهناك رأي آخر بأن الاهم للفرد ما يكتسبه شخصيا وبجهده واصراره من وضع مميز ومتفرد وان مكانته في المجتمع يحددها بنفسه ولا يحددها له آباؤه وأجداده . وهذا كله ليس بدليل على ازدواجية في التوجيه التراثي او المضمون التربوي والقيمي بقدر ما هو دليل على ما يمكن تسميته بديمقراطية التراث وبحيويته ومرونته : فهو لا يعبر عن مواقف بقدر ما يعبر عن حوار بين مواقف . وهو لا يعبر عن توجه سلطوي مستبد ولا عن ارادة « كلية » تسير على وتيرة واحدة بقدر ما يعبر عن ارادة « عامة » تشهد لحركة المد والجزر بين المواقف المتقابلة ○

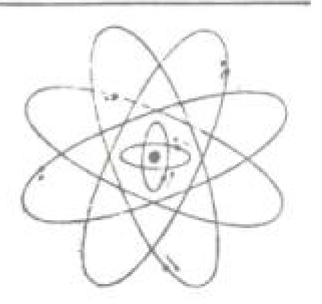
عباس احمد

القلب والمعدة !

قيل لرجل من الأعراب : « ما بال الحب اليوم على غير ما كان عليه قبل اليوم ؟ » فأجابه بقوله : « نعم كان الحب بالأمس في القلب ، فانتقل اليوم الى المعدة » .

اعـداد : يـوسف زعبلاوي

الجديد في العلوم والطب


كيف نجعل البقر حلوبا مدرارا

● المكتشفات العلمية ليست كلها بنفس الاهمية .. فمنها العادي ومنها الهام ومنها البالغ الخطورة .. وقد تشمل هذه المكتشفات البالغة الخطورة ما يمكن اعتباره نقطة تحول أو فتحا علميا كبيرا .. الا ان هذه الفتوح قليلة نسبيا وقد يمضي زمن غير قصير دون أن تسجل مسيرة العلم شيئا منها ..

من هنا كانت سنة ١٩٨٢ ذات أهمية بارزة .. فقد شهدت هذه السنة عددا من الفتوح العلمية الخطيرة ثلاثة على أقل تقدير ... القلب الصناعي البلاستيكي .. واكتشاف سر الأورام الخبيثة وهرمون النمو الذي نجحوا في عزله وتجربته على الفئران ، فتضاعف حجم الفأر وتعملق على نحو ما ترى في الصورة .. وقد يثبت المستقبل غير البعيد أن هذا الفتح الاخير هو أخطر الفتوح الثلاثة التي ذكرناها وابعدها اثرا في حياة الانسان وكيانه ..

أما التجارب العلمية التي تمخضت عن هذا الفتح والتي نشرتها مجلة ناتشر العلمية البريطانية (nature) ونشرتها بعدها شتى المجلات العلمية وغير العلمية فتتلخص في الخطوات التالية :

● نجح علماء معهد سالك Salk institute في سان دياجو في كليفورانيا من عزل هرمون النمو في الجرذان (rats)

وقد تم ذلك العزل على يد العالم رونالد ايفانز .

● وجاء بعد ذلك دور العالم رالف برنستر brinster في مدرسة البيطرة في جامعة بنلفانيا والعالم ريتشار بالمترpalmiter من جامعة واشنطن ... فقد أخذا على عاتقهما زرع هرمون الجرذة الذي ذكرنا في الفئران



(mouse) وهي أصغر كثيرا من الجرذة كما هو معروف وعمد هذان العالمان الى ربط هرمون نمو الجرذة بهرمون نمو الفئران أو تطعيمه به وذلك ضمانا لتقبل الفئران هرمون الجرذة وهو جسم غريب بالنسبة الى اجسام تلك الفئران .

وبعد ذلك حقنت بيوض ملقحة في (١٧٠) فأرة بالهرمون

المطعم ، أو إن شئت بالجينات المندمجة .

وولدت الفئران لدى اكتمال فترة حملها البالغة ثلاثة اسابيع .. ولدت ٢١ فأرا .. وفحصت تلك الولائد فحوصا كيماوية حيوية فدلت على مايلي :

١ - ظهرت نفس الجينات و التي حقنت بها البيوض في سبعة فئران وتبين انها فعالة في ستة من تلك الفئران وخامدة في واحد فقط .

٢ - كانت الولائد أكبر حجما من حجم ولائد الفئران العادية ونما أحدها وكبر بحيث زاد بنسبة ٨٠ ٪ على حجم أمه .. ولم تقل هذه النسبة بأي حال على ٢٠ ٪ بحيث اعتبر العلماء نسبة زيادة الحجم ٥٠ ٪ بالمتوسط .

٣ - نمت الولائد المذكورة بسرعة فائقة تبلغ ضعفي او ثلاثة اضعاف سرعة النمو في ولائد الفئران العادية ..

أما النتائج التي يمكن أن تترتب على نجاح هذه التجارب فكثيرة ولا سبيل الى حصرها .. فبالامكان مثلا حقن البقرة الحلوب بهرمون البرولاكتين prolactine وهو الذي يتولى انتاج الحليب في البقر ويشبه كثيرا هرمون النمو .. وبذلك يتضاعف ماتجود به البقرة الحلوب .. وفي الامكان ايضا حقن جينات انسانية في بعض الحيوانات الكبيرة .. بحيث تنتج هذه الحيوانات بعض المواد النادرة بكميات كبيرة وقد مست حاجة الملايين الى مثل تلك المواد التي نذكر ، منها على سبيل المثال عامل التخثر clotting factor الذي يفتقر اليه المصابون بالنزاف (hemophiliacs) ونذكر ايضا الانسولين الذي يحتاجه مرضى السكر .. ولا يخفى أن الانسولين الذي قد يكون في الامكان صنعه بهذه الطريقة سيكون اشد فعالية من غيره في القضاء على فائض السكر في البشر .

٤ - ويذكر أن أحد هذه الولائد العملاقة ورثت الجينات المندمجة فيما ولدت من فئران فيما بعد .

إعدام على الطريقة الامريكية !

● قد يفهم المرء حرص الامريكيين على التجديد في كل ما يعود بنفع على حياة الانسان ... أما حرصهم على التجديد في وسائل الاعدام ... فهذا مايصعب فهمه على الكثيرين ... فقد درج الناس في شتى البلدان على تنفيذ أحكام الاعدام بالشنق ... وهو ما أخذ به الامريكيون منذ فجر تاريخهم ولكن الامريكيين مالبثوا أن ابتكروا طريقة الاعدام بالتيار الكهربائي .. وذلك بدافع نزعة الابتكار التي ذكرنا .. وهاهم يفاجئون العالم بصرعة أخرى جديدة ... الاعدام بالمواد الكيماوية ..

● وقوام هذه الطريقة المادة الكيماوية التي تسمى بالانجليزية sodium harbiturate thiopnal ... فهم يحقنون منها ثلاث جرعات كبيرة الواحدة منها بعد الاخرى ... في ذراع المحكوم عليه الأيسر وفي الوريد منه بالذات .. وتبلغ الجرعة الاولى غرامان (٢ غرام) أي خمسة أضعاف جرعة التخدير التي تتطلبها العمليات الجراحية . وهذه الجرعة المضاعفة كفيلة بموت الانسان ، ولا شك في ذلك .

أما الجرعتان الثانية والثالثة فلا يقصد منها سوى التوطيد والتأكد من أن الموت قد وقع بالفعل . وقوام الجرعة الثانية ١٠٠ ملغرام من مادة pancuronium bromide التي من شأنها ان تحدث الشلل الكامل في جسم المحكوم عليه فتضمن ايقاف التنفس تماما اذا لم يكن قد توقف إثر الجرعة الأولى .

ثم تأتي الجرعة الثالثة والاخيرة وقوامها مادة كلورايد البوتاسيوم potassium chloride الكفيلة بايقاف نبضات القلب نهائيا اذا لم تكن قد توقفت بعد .

وقد اثبتت الفحوص والتحاليل التي اجريت على المدعو شارلي بروكس .. وهو أول من اعدم بهذه الطريقة .. فتبين ان الموت قد تحقق عقب الجرعة الاولى ، وأن ثلثي هذه الجرعة كان فائضا عن الحاجة ولكن بروكس لم تعلن وفاته الاعقب الجرعة الثالثة والتأكد من موته ١٠٠ ٪ (أو يزيد) وقد تم ذلك في غضون ست دقائق من حقنة بالجرعة الأولى .



وتجدر الاشارة الى أن جرعات أخرى مماثلة كانت حاضرة للحقن في ذراع بروكس الايمن وذلك على سبيل الاحتياط .. أي في حالة فشل الجرعات الثلاثة التي حقن بها ذراعه الايسر ..

والغريب ان ذراع بروكس الايسر كان موشوما بالعبارة التالية « ولدت لأموت » ومعنى هذا انه ميت لا محالة .. سواء أعدم أم لم يعدم .. وسواء اعدموه بالمشنقة أو التيار الكهربائي أو المواد الكيماوية . لعل طريقة الاعدام الجديدة تضمن الموت الفوري او على الاقل تنفيذه في مدة أقصر مما يتسنى بالتيار الكهربائي أو حبل المشنقة ... وفي تلك الحال يكون الاعدام الكيماوي اشبه بالقاء المراد إعدمه من الدور المائة من احدى ناطحات السحاب بدلا من القائه من الدور العاشر بعد المائة ...

زرع غـدة البنكرياس

● وهذا خبر ثان يهم مرضى السكر ولا ريب .. ولعله اخطر من الاول في المدى البعيد (راجع انباء الطب في العدد السابق) .. فهو يبشر بالشفاء من مرض السكر شفاء نهائيا .. وذلك باستئصال غدة البنكرياس التالفة وزرع غدة اخرى سليمة مكانها ذلك ان الجراحين نجحوا مؤخرا في استرضاء الجسم وجعله يتقبل غدة البنكرياس المزروعة بالرغم من رفضه اياها طيلة المدة الماضية باعتبارها جسما غريبا . أي أن الجراحين الذين نجحوا في عمليات الزرع نفسها التي أجروها طوال سنوات فشلوا في محاولاتهم العديدة للحيلولة دون رفض الجسم للغدة المزروعة .. حتى كانت المحاولات الجديدة التي قام بها الجراحون في مستشفى أدنبروك في كمبردج (addenbrooke) والتي تحدثت عنها المجلات الطبية في شهر اكتوبر الماضي (١٩٨٢) .. وحسبك آخر عمليات الزرع هذه الجديدة .. وقد أجروها لرجل في الخمسينات .. وقد مضى أضعاف الزمن الذي طالما احتاجه الجسم لرفض الغدة المزروعة ومع ذلك فالرجل سعيد بغدته السليمة . يأكل مايريد بقدرما يريد دون ان تزيد نسبة السكر في دمه على النسب المقبولة . ٨٠ ـ ١٢٠ ٪

ويعزى فشل المحاولات السابقة الى ان العقاقير التي استعملوها في الماضي لاسترضاء الجسم لم تكن مناسبة وقد أدت الى تفاقم نسبة السكرى في دم المصاب .. فاضطر البنكرياس المزروع مضاعفة جهوده في الفترة الأولى التي كان فيها بأمس الحاجة الى مساعدة . أضف الى ذلك مادرج عليه الجراحون في تلك المحاولات الفاشلة من العمل على ابقاء عصارات البنكرياس داخله .. خشية ان تضر بأنسجة الجسم القريبة اذا هم سمحوا لها بالخروج من البنكرياس ... واذا بهذه العصارات تعود بالضرر على البنكرياس نفسه ..

أما في العمليات الناجحة التي اجريت في مستشفى كمبردج .. فقد سمحوا لهذه العصارات بالخروج .. واعتمدوا عقارا آخر لاسترضاء الجسم هو عقار سيكلوسبورين (A) cyclos-porin وقد ثبت فاعلية هذا العقار في الحيلولة دون رفض الجسم للبنكرياس المزروع .

هل أصبح التنبوء بالزلازل حقيقة علمية ؟

بقلم : عدنان عضيمة

«أدت الدراسات الحديثة التي قام بها الجيولوجيون المتخصصون في علوم الزلازل الى اكتشاف ظواهر وتغيرات هامة تطرأ على القشرة الأرضية قبل حدوث الزلازل ، من شأنها أن تشكل تحذيرا يسمح بانقاذ حياة آلاف الضحايا» .

«هل آن لنا نحن الذين نبني بيوتنا بكل ثقة فوق أرضنا القلقة ـ أن نبحث عن طريقة تسمح لنا بالتنبؤ بالزلازل قبل وقوعها ؟

هذا هو السؤال الهام الذي طرح نفسه لدى أوساط الجيولوجيين المهتمين بعلوم الزلازل اثر الكوارث الزلزالية المتلاحقة التي شهدتها البشرية في النصف الثاني من عقد السبعينات وبداية الثمانينات . وحيث ميز الكثير من مناطق كرتنا الأرضية نشاط اهتزازي غير مألوف . وأهم الزلازل التي سجلت في هذه الفترة هي :

زلزال غواتيمالا الذي حدث في شهر شباط «فبراير» ١٩٧٦ وأدى الى وفاة (٢٣٠٠٠) شخص وجرح (٧٧٠٠٠) وشرد مايزيد على المليون شخص . وبلغت قوته (٧,٥) درجة على سلم «ريشتر» وزلزال «الأصنام» في الجزائر سنة ١٩٨٠ والذي بلغت قوته (٧,٣) درجة وأدى الى تدمير مدينة بأكملها وبعض القرى المجاورة لها وخلف عشرة آلاف من الضحايا وضعف هذا العدد من الجرحى . ولم تمض الا أشهر معدودات حتى تكررت المأساة في جنوب ايطاليا وأخيرا في اليمن الشمالي .

واذا كانت الأبحاث الجدية التي قام بها المتخصصون في مختلف أنحاء العالم حول أسباب الزلازل والتنبؤ بحدوثها ليست جديدة في عهدها الا أنه لم يسجل تقدم مشجع في هذا المجال إلا في غضون السنوات القليلة الماضية . ولعل ذلك يعود الى التطور الكبير الذي شهدته صناعة أجهزة القياس الخاصة بالزلازل .

أسباب الزلازل

لم تزل أكثر النظريات قبولا لدى الجيولوجيين وفيزيائيي الأرض لتفسير سبب حدوث الزلازل هي نظرية (إنزياح الصفائح التكتونية) « tectonic plates shift » ،

حيث تكسرت طبقات القشرة الأرضية بفعل القوى الضاغطة الى حوالى اثنى عشرة قطعة رئيسية تدعى « الصفائح » . وهذه الصفائح تشبه الطوافات التى تنزلق فوق الصخور الباطنية المنصهرة « الماغما » ويؤدى انزلاقها بسرعات متفاوته الى ارتطامها ! مما يؤدى الى انتشار الموجات « السيزمية » والتي قد يصل تأثيرها المدمر الى عشرات الكيلومترات بعيدا عن حواف التصادم وقد تغطس احدى الصفيحتين تحت الأخرى مما يؤدى الى زيادة كبيرة في القوى الضاغطة الواقعة على الماغما فتنشق الأرض وتحدث البراكين .

والهزات الأرضية ليست الا تأثير الموجات السيزمية على سطح القشرة الأرضية اذ تلعب الطبقات الأرضية الصلبة دور وسط الانتقال لهذه الامواج وعنف الهزة الأرضية يتعلق بسرعة حركة الصفائح المتصادمة فكلما كان الفرق بين سرعتي صفيحتين متصادمتين كبيرا كانت القدرة الاهتزازية المتحررة أكبر .

واذا كان من السهل التنبؤ بحدوث العواصف قبل وقوعها نظرا لما يسبق ذلك من ظواهر محسوسة كتغير الضغط الجوى ودرجة الحرارة وتكاثف الغيوم فان الزلازل تنفجر من مكامنها في ثوان دون أن تسبقها أية ظواهر محسوسة تسمح باتخاذ الترتيبات الوقائية التي قد تضمن انقاذ حياة آلاف الضحايا . وهذا ماجعل علماء الزلازل يركزون أبحاثهم على محاولة العثور على بعض الظواهر الشاذة التي تسبق حدوث الزلازل .

ولئن كانت الزلازل في العهود السالفة لاتتسبب في حدوث أضرار بشرية ومادية كبيرة نظرا لنقص الكثافة السكانية ، وبداءة أساليب البناء والعمران فإن عكس هذه الصورة هو الذى نراه اليوم اذ تزايدت الكثافة السكانية تزايدا كبيرا خاصة في الاماكن التي تكثر فيها الزلازل وانتشرت الأبنية الشاهقة التي تناطح السحاب وصاحب هذا التقدم العمراني المزيد من تخوف العلماء ، وخاصة في أمريكا وقد عبر عن خوفهم هذا ماورد على لسان (فرانك بريس) من معهد ماساشوستى التكنولوجي حين قال :

« تصوروا مايحدث لو تكرر زلزال سان فرانسيسكو الذى حدث عام ١٩٠٦ وبلغت قوته (٨٫٣) درجة ؟ . لاشك أنه سيقضى على مئات الآلاف من الأرواح ويقوض المدينة بأكملها . وسيتسبب فى خسائر مادية ببلايين الدولارات . . . ما من ريب فى انها ستكون أكبر كارثة طبيعية على الاطلاق .

وقد يزيد من تخوفنا ما يقوله خبراء الزلازل الذين يؤكدون بأن زلزال سان فرانسيسكو قد يحدث مرة أخرى إن عاجلا أم آجلا .

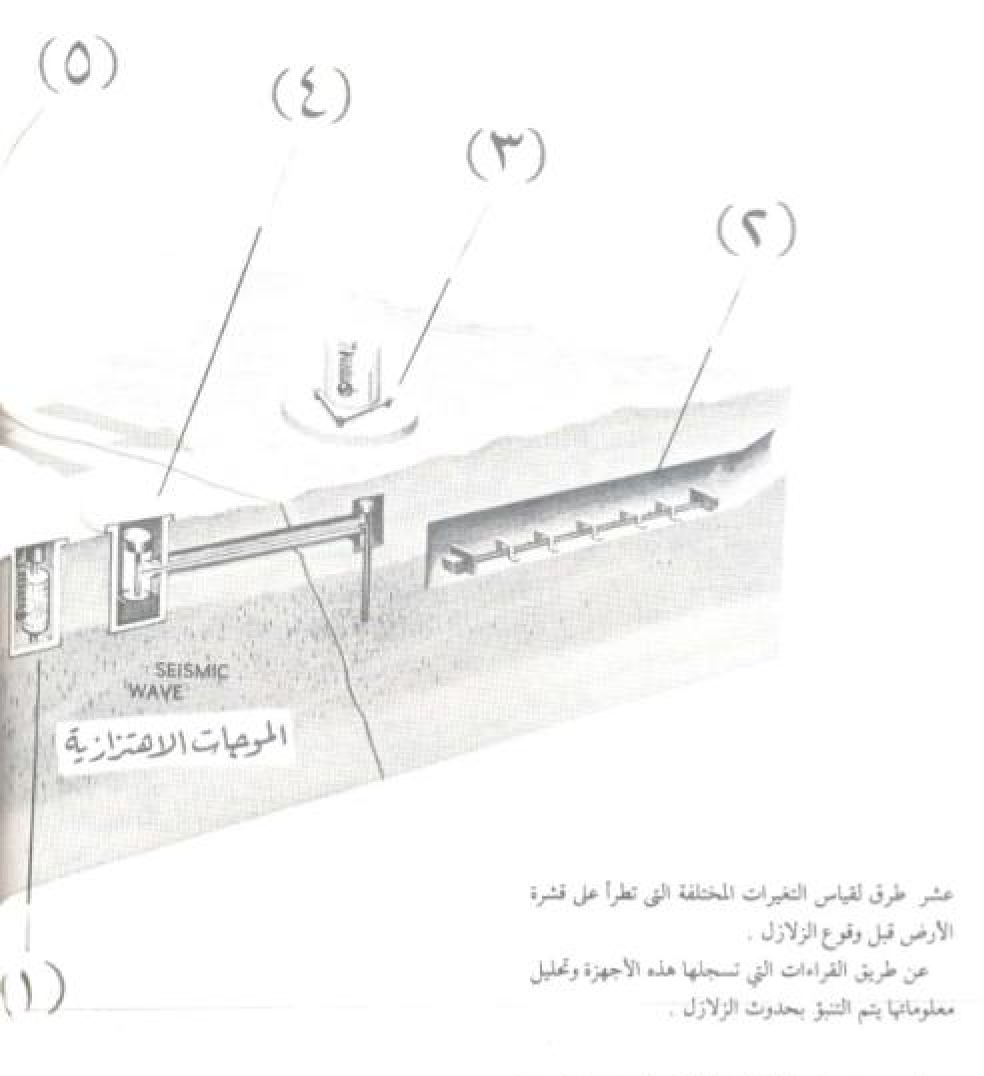
ولقد دفعت هذه المخاوف الدول المتقدمة الى تخصيص ميزانيات ضخمة للأبحاث الخاصة بالزلازل والتنبؤ بحدوثها وخاصة فى الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي والصين واليابان .

تقدم مفاجيء

وتعود بداية الابحاث الجدية في علم التنبؤ بالزلازل الى الفترة التي أعقبت زلزال « تازيكستان » الذى حدث في الاتحاد السوفييتي عام ١٩٤٩ . وعلى اثر هذا الزلزال سجل العلماء الروس أول الاكتشافات الهامة في هذا الصدد اذ لاحظوا أنه في خلال زمن قصير يسبق حدوث الزلزال يطرأ تغير كبير على مقدار (المقاومة الكهربائية) للطبقات الصخرية العميقة . كما أن مياه الآبار تمتص قدرا كبيرا من غاز الرادون **Radon** ، المشع ويصاحب ذلك تغيرات هامة تطرأ على طبقات الصخور السطحية فوق مركز الزلزال إذ يتغير ميلها أو تتقبب أو تنغطس أو تنفتل وشجعت هذه الاكتشافات علماء الزلازل على القيام بالمزيد من الدراسات والأبحاث واعتبروها أول بريق أمل في طريق التعرف على الظواهر المنذرة بحدوث الزلازل ، وتركزت أبحاثهم على محاولة تحليل هذه الظواهر بحيث يستشفون منها المعلومات التي تسمح بتحديد وقت ومكان حدوث الزلزال وشدته .

ولعل الاكتشاف الاكثر اهميه هو مالاحظه خبراء تسجيل الهزات الأرضية من تغير في سرعة انتشار الموجات السيزمية قبل وقوع الزلزال بوقت قصير . وتدعى سلسلة الامواج السيزمية ذات السرعة المتغيرة (بالعاصفة الزلزالية) **seismic strom** ويعتقد الخبراء أن أى زلزال لابد أن يكون مسبوقا بمثل هذه العاصفة . ويمكن





عشر طرق لقياس التغيرات المختلفة التى تطرأ على قشرة الأرض قبل وقوع الزلازل .

عن طريق القراءات التي تسجلها هذه الأجهزة وتحليل معلوماتها يتم التنبؤ بحدوث الزلازل .

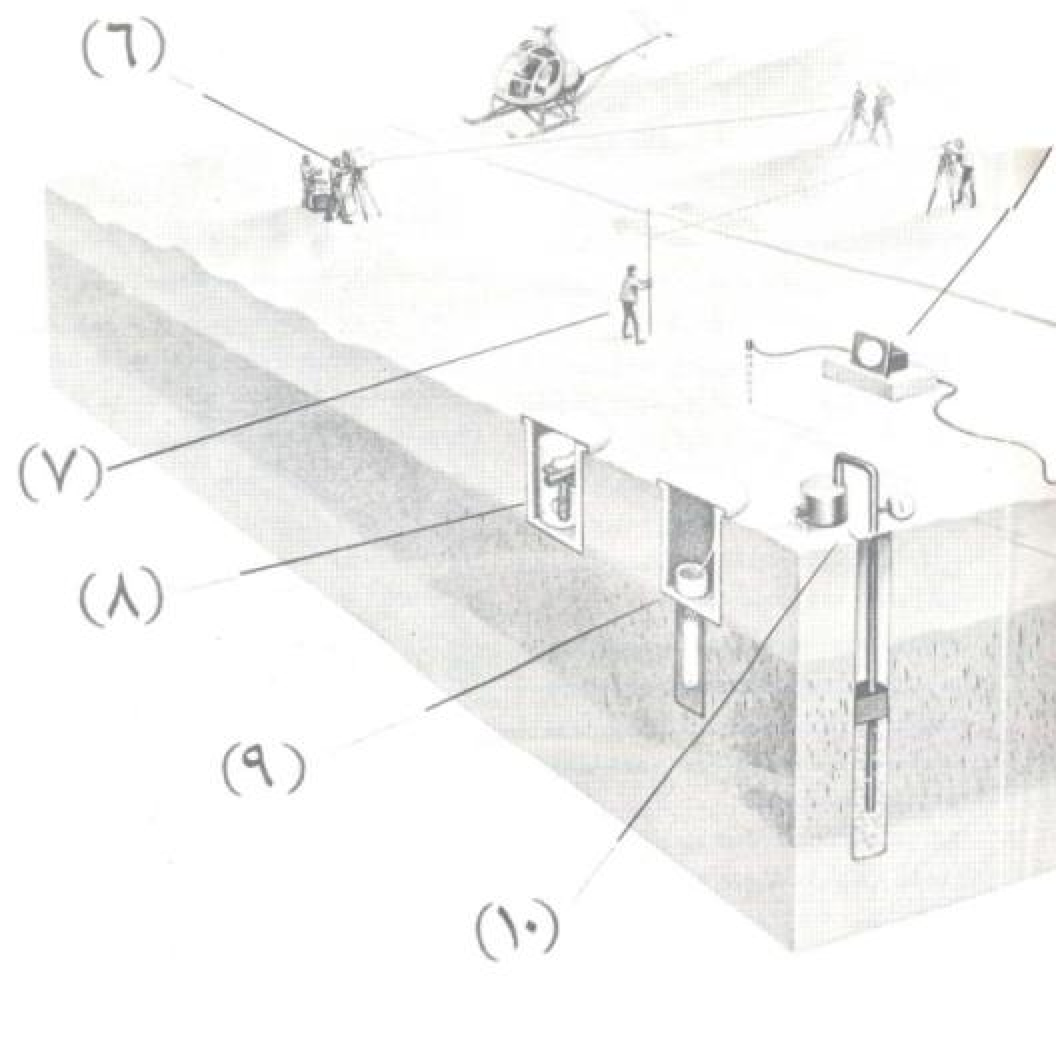
١ ـ « سيز مومتر **seismomter** » أو مقياس الاهتزاز
يكشف أضعف الموجات الاهتزازية ويسجل التغيرات في سرعة انتشارها ويعد من أهم أجهزة التنبؤ بالزلازل
٢ ـ مقياس تمدد وتقلص الصخور .

٣ ـ مقياس الجاذبية الأرضية : يكشف التغيرات التي تطرأ على كثافة الطبقات الأرضية العميقة عن طريق تغير قوة الجاذبية .

٤ ـ مقياس انزياح الطبقات يسمح بقياس وتسجيل الانزياحات الافقية .

٥ ـ مقياس المقاومة : يكشف التغيرات الطارئة في (الناقلية الكهربائية) للصخور والتي تنتج عن تغير المحتوى المائي الجوفي .

٦ ـ مقياس يعمل بأشعة الليزر ويقيس بدقة زمن انتقال الترددات الضوئية من نقطة على أحد جانبي الصدع الى نقطة تقع على الجانب الآخر .



ويكشف أى انزياح أفقى للطبقات بينما تعمل (الهيلوكوبتر) على تصحيح الحسابات بمراقبة حالة الجو التي من شأنها أن تغير سرعة الضوء .

٧ ـ مقياس المناسيب : يقيس الحركات الأرضية الشاقولية .

٨ ـ مقياس المغناطيسية : يسجل التغيرات الطارئة على الحقل المغناطيسي المحلى للأرض والتي تنتج عن تشوه الصخور الواقعة تحت الضغط .

٩ ـ مقياس الميل : يعمل بمبدأ عمل « الزئبقية » اذ يحتوى على فقاعة غازية مغمورة في السائل ويقيس أى تغير في ميل الطبقات السطحية .

١٠ ـ جهاز لقياس المحتوى المائي من غاز « الرادون المشع » والذى تزداد نسبته قبل حدوث الزلازل .

هذه الاشارة المحذرة أن تصاغ بصورة مخططات اهتزازية مستمرة يؤدي تحليلها المتواصل الى تحديد لحظة وقوع الزلزال ومكان حدوثه وشدته .

وبدا للعلماء إثر هذه الاكتشافات أن مسألة التنبؤ بحدوث الزلازل هي هدف يمكن بلوغه بنجاح . ورهنوا ذلك بتطوير أجهزة الرصد المستخدمة حاليا وخاصة تلك التي تقيس سرعة الأمواج السيزمية وحركة الصفائح التكتونية . هذا بالرغم من أن الأجهزة المستخدمة حاليا في الكثير من بلدان العالم تبلغ من الحساسية بحيث يمكن بواسطتها تسجيل الموجات الاهتزازية التي يسببها قفز الأرانب والفئران على سطح الأرض . وفي أمريكا زرعت المئات من هذه الاجهزة في أقصى غرب الولايات المتحدة حيث تتجاور الصفائح الغربية لأمريكا الشمالية مع صفائح المحيط الهادى وأدى تصادم هذه الصفائح مع بعضها خلال التاريخ الجيولوجى الى تشكل نطاق من الكسور طوله ١٢٠٠ كيلو متر يدعى « صدع سان أندرياس san andreas fault » والذى يعد اليوم واحدا من أهم المخابر الطبيعية للدراسات الخاصة بالتنبؤ بحدوث الزلزال .

تنبؤات ناجحة في نيويورك

تتميز زلازل منطقة جبال « أديروندداك adirondack في ولاية نيويورك بتكررها ونقص قوتها . وسمح هذا بإجراء دراسات مستفيضة حول التنبؤ بالزلازل . ففي عام ١٩٧٣ كشفت أجهزة القياس تغيرا مفاجئا في سرعة انتشار الموجات السيزمية على شواطىء بحيرة « الجبل الأزرق » فتوقع العلماء حدوث زلزال قدروا قوته بدرجتين ونصف الى ثلاث درجات . وحدث الزلزال في الوقت والمكان المحددين وبلغت قوته ٢,٦ درجة وسجل تنبؤ ناجح آخر في عام ١٩٧٤ حيث نجح العلماء في تحديد عامل الوقت والمكان وأخفقوا في التنبؤ بقوته . ثم تنبأوا بزلزال قوته (٥,٢) درجة ونجحوا بتحديد عاملي الوقت والشدة ولكنه حدث في مكان أبعد كما تم التنبؤ بحدوث ثلاثة زلازل متوسطة قوتها (٤) درجات حدث منها اثنان ولم يحدث الثالث .

وامكانية النجاح في هذا المجال تبينها احصائية بسيطة اذ تم توقع حدوث (٣٥) زلزالا حدث منها (٢٥) ولم تحدث العشرة المتبقية ولئن كانت هذه النتائج لا تمثل نجاحا مطلقا الا أنها تعد خطوة كبيرة في سبيل الوصول اليه .

ان التنبؤ بحدوث الزلازل العنيفة تواجهه مشاكل تتعلق بنسبية الحسابات والقياسات اذ أن هذه الزلازل تعد من أكثر الأحداث تأثيرا على الأرض فهي تهز أعماقها وتشق طبقاتها وتدمر ما عليها إذن فالنجاح بتوقع حدوثها يقتضي تجاوز البحث في الظواهر السطحية والانتقال الى دراسة الظواهر الباطنية . ولقد أدت الأبحاث في هذا المجال الى صياغة نظريات وأفكار جديدة وقيمة اذ تمكن « أموس نور » من جامعة (ستانفورد) من العثور على سبب تغير سرعة انتشار الامواج السيزمية قبل وقوع الزلازل وأرجع ذلك الى تغيرات أساسية تطرأ على التراكيب الصخرية العميقة . أهمها « ظاهرة التمدد » dilatency » ، اذ تتمدد الطبقات الصخرية وتتسع بعد أن تتكسر بفعل الهزات الخفيفة . ويؤدى هذا الى انتشار المياه ضمن الشقوق الناتجة عن تباعد الطبقات ووجود المياه يؤدي بدوره الى تغير سرعة انتشار الموجات السيزمية كما تفسر هذه الظاهرة جميع عوامل التغير الاخرى التي تسبق حدوث الزلازل كتغير المقاومة الكهربائية للطبقات وحدوث التشوهات وتزايد نسبة غاز الرادون في مياه الابار . واستنتج خبراء الزلازل من هذه المعطيات الجديدة أن التنبؤ بحدوث الهزات العنيفة يتطلب بالدرجة الأولى النجاح في رصد حركة الصفائح بالنسبة لبعضها وقياس مقدار وسرعة انزياحها بشكل مستمر كما يجب مراقبة التغيرات في سرعة انتشار الامواج السيزمية والمقاومة الكهربائية ونسبة غاز الرادون في مياه الآبار . وأى تغير في أحد هذه العوامل يعد نذيرا بحدوث زلزال .

وتمكن علماء الزلازل في أمريكا مؤخرا من ابتكار طريقة متقدمة تسمح بقياس سرعة حركة الصفائح بالنسبة لبعضها بدقة كبيرة كما تسمح برصد التشوهات التي تحدث للطبقات الصخرية السطحية وذلك بالتعاون مع وكالة الفضاء الأمريكية اذ يستعين الخبراء في « مخبر باسادينا » في كاليفورنيا بالاشارات والترددات الضوئية الوارده من الكون والتي تستقبلها تليسكوبات خاصة مثبتة في أماكن

متباعدة في تبين حركة الصفائح بالنسبة لبعضها اذ يسجل باستمرار زمن وصول هذه الترددات في المناطق المختلفة وأي تغير في هذا الزمن يكون سببه الانزياح العمودي للصفائح . ويستعين الخبراء بالعقول الالكترونية المتطورة في تحليل المعلومات الواردة من الكون ، والتي تستقبلها التليلسكوبات . ولقد أثارت نتائج الدراسات قلق علماء الزلازل الأمريكيين عندما لاحظوا « التقبيب » **uplift** الذي يطرأ باستمرار على الطبقات الأرضية الممتدة من شواطيء المحيط الهادي جنوب ولاية كاليفورنيا وحتى صحراء « ماجيف » **Majeve** مما أدى الى ارتفاع طبقات الأرض بمقدار (٢٥ سم) في خلال الخمس عشرة سنة الماضية وصاحب ذلك تشكل سلسلة من الصدوع الجديدة بعيدا عن صدع (سان أندرياس) بلغ عمقها (٣٥٠) مترا في بعض الأحوال مع أن هذه المنطقة بقيت هادئة نسبيا منذ زلزال عام (١٨٥٧) وتساءل العلماء :

هل يعني هذا أن المنطقة تخبيء زلزالا عنيفا ؟؟

وبالرغم من أن التقبيب يمكن أن يحدث دون أن يرافقه حدوث الزلازل الا أن الجيولوجيين الأمريكيين أوصوا بزيادة أجهزة الرصد لمراقبة كل تغير في سرعة انتشار الموجات السيزمية بدقة كاملة .

و لربما تكون أكبر كارثة طبيعية على الاطلاق هي تلك التي حدثت في اقليم (شنسي) في الصين عام (١٥٥٦) اثر زلزال خلف (٨٢٠٠٠٠) قتيل .

ولعل هذا الزلزال وما تبعه من زلازل متكررة هو مادفع الصينيين الى الاهتمام بتطوير الدراسات المتعلقة بالزلازل والتنبؤ بحدوثها . ويتجلى هذا الاهتمام بتجنيد أكثر من عشرة آلاف عالم زلازل يساعدهم أضعاف هذا العدد من المتدربين وتمكن الصينيون من تسجيل ثلاثة تنبؤات ناجحة بسبب السلوك الشاذ للحيوانات قبل وقوع الزلازل فالفئران تهرب من الأبنية والخرائب والأفاعي تغادر أوكارها بأعداد كبيرة والطيور الداجنة تهرب من أقفاصها .

وفي بداية عام ١٩٧٤ تم التنبؤ بنجاح بزلزال بلغت قوته (٤,٨) درجة بعد أن ظهر سلوك غريب على المواشي والكلاب ، وارتفعت نسبة غاز الرادون في مياه الآبار وامتلأت بالطين ، وتفجرت منها الفقاعات الغازية .

وفي عام ١٩٧٥ أصدر خبراء الزلازل تحذيرا الى سكان مدينة (هايتشينغ) بضرورة مغادرة مساكنهم بعد أن توقعوا حدوث زلزال عنيف بسبب ملاحظة بعض الظواهر الشاذة ولم تمض أربع ساعات على تحذيرهم هذا حتى هز المدينة زلزال عنيف بلغت قوته ٧,٣ درجة

توقعات النجاح

طرحت الأبحاث والاكتشافات التي قام بها علماء الزلازل عدة تساؤلات أهمها : كيف سيستجيب الناس للتنبؤ بالزلازل ؟ وهل سيكون الضرر الناجم عن التنبؤ أكبر من أضرار الزلازل بحد ذاتها ؟؟ وماذا عن الأضرار التي تسببها التنبؤات غير الناجحة ؟

أغلب الجيولوجيين المتخصصين يميلون الى الاعتقاد بأن هذه الأضرار التي لا تتكرر كثيرا تبقى أفضل من احتمال مواجهة كارثة حقيقية ويقولون بأنه ليس من الضروري ان يعقب التنبؤ بحدوث الزلازل إجلاء كل سكان المدن والقرى بل يكفي أن يضمن الناس عدم اشتعال النيران وأن يبتعدوا عن الأبنية سهلة الانهيار . كما يجب تخفيض منسوب مياه السدود . واذا ما طبقت هذه الاجراءات الوقائية بكل دقة فإن اكثر الزلازل قوة لن تخلف الا خسائر بشرية محدودة .

وحول امكانية النجاح التام في التنبؤ بالزلازل ، يعتقد أغلب الجيولوجيين أنهم سيتمكنون من بلوغ هذا الهدف . فالعلماء الروس يعتقدون أن النجاح لن يتطلب اكثر من عشر سنوات أخرى من الابحاث . والأمريكيون يبرهنون ذلك بزيادة الاعتمادات المالية المخصصة للأبحاث بهدف اختراع أجهزة أكثر تطورا .

ولعل أفضل الآراء في هذا المجال هو ماورد على لسان (جيري ايتون) من علماء معهد الدراسات الجيولوجية الأمريكي حين قال :

« لربما لن نتمكن من اختراع جهاز يضيء بلون أخضر عندما نكون في أمان . وبلون أحمر عندما يهدد نا الخطر ، الأننا بالتأكيد سنتمكن من اكتشاف الطرق المناسبة التي من شأنها أن توفر آلاف الضحايا » .

الجزائر ـ عدنان عضيمة

المنظمة العربية للتنمية الزراعيــة

بقلم : مجيد مسعود

لقد ساهم اسلافنا منذ ستة الاف عام وأكثر ، في وادي الرافدين ووادي النيل وغوطة الشام وعلى مدرجات سفوح الجبال اليمنية ووديانها وغيرها من ارجاء هذا الوطن العربي ، في تحقيق أول تقسيم للعمل بين الرعي المتنقل والزراعة المستقرة . وبذلك حققوا الانتقال من المجتمع الرعوي البدوي الى المجتمع الزراعي المتحضر . وبفضل الفائض الاقتصادي المتجدد من الزراعة ، وتلبية لحاجات تطورها ، تطورت شبكات الري والسدود والعدد الزراعية ، (المحاريث المعدنية وغيرها) ، والعجلة والمقاييس وتقسيم الفصول والدورة الزراعية ، كما انعكس ذلك على تطور المدن والطرق والتنظيم المركزي للمجتمع ، والفنون ، وابتكار الكتابة وتدوين المعاملات والشرائع ، والافكار عموما .

وظلت الزراعة لعشرات القرون هي المصدر الاساسي للتقدم المستمر ، مما دفع مجموعة من المفكرين (الطبيعيين) في القرن الماضي للمبالغة واعتبارها هي القطاع المنتج الوحيد ، في حين وصفوا القطاعات الاخرى بما فيها الصناعة بانها عقيمة وتستمد رزقها من العطاء الذي لا ينضب والذي تفيض به الزراعة .

ولكن الزراعة في وطننا العربي التي مازالت تحتضن اكثر من نصف السكان وأكثر من نصف القوى العاملة ، ورغم الموارد الطبيعية المتاحة الملائمة لها نسبيا ، قد صارت تعجز عن الوفاء بحاجات المجتمع العربي من المنتجات الزراعية ، ولا سيما المواد الغذائية . وكمثال واحد فقد اضطرت البلدان العربية في عام ١٩٨٠ فقط الى دفع اكثر من خمسة عشر بليون دولار (١٥٠٠٠ مليون دولار) ثمنا لمستورداتها من المواد الغذائية . وهذا الرقم بازدياد مستمر مجسدا ازدياد التبعية من خلال هذا الجانب ، للدول الرأسمالية المتحكمة في انتاج وتجارة المواد الغذائية الرئيسية .

ان الحل الجذري لهذه المشكلة يكمن في تحقيق التنمية الشاملة ، التي لايمكن ان تتحقق بدون تحقيق التنمية المتكاملة للريف وسكانه في ارجاء الوطن العربي ، وبالتالي فان مثل هذا الحل سيشكل قوة جذب لقواه العاملة ويحد ثم يوقف من هجرتها نحو المدن ، التي تعاني حاليا من الاكتظاظ وعدم التوازن فيما بين مراكزها المستحوذة على الخدمات ، واحزمة الفقر الملتفة حولها والمحرومة من أبسط الخدمات الضرورية .

ان تجارب المحاولات الانمائية القطرية خلال العقود الثلاثة المنصرمة قد اثبتت الحاجة الضرورية الملحة للتعاون والبرامج المشتركة على الصعيد العربي القومي . وذلك نظرا لتكامل الموارد والفرص التي يتيحها مثل هذا العمل العربي المشترك لترشيد استخدام هذه الموارد والتعجيل بتنميتها لصالح مجمل الوطن العربي الوفير الخيرات ولخير كل من فيه .

وتحقيقا لذلك ظهرت للوجود المنظمة العربية للتنمية الزراعية في ايلول (سبتمبر) ١٩٧٢ ، كمنظمة متخصصة تابعة لجامعة الدول العربية ، واتخذت من الخرطوم/ السودان مقرا لها .

وقد صار في عضويتها عشرون بلدا عربيا ، وبانضمام لبنان وجيبوتي اليها تكون قد احتوت كل الاقطار العربية .

اهداف المنظمة :

انها تعمل للمساهمة في ايجاد وتنمية الروابط فيما بين الأقطار العربية وتنسيق التعاون فيما بينها في شتى المجالات والنشاطات الزراعية ، وعلى الأخص :

- تنمية الموارد الطبيعية والبشرية المتوفرة في القطاع الزراعي وتحسين وسائل وطرق استثمارها على اسس علمية .

- تسهيل تبادل وانسياب المنتجات الزراعية بين الاقطار العربية .

- العمل على زيادة الانتاج الزراعي وبلوغ درجات عالية من التكامل العربي في المجال الزراعي .

- دعم اقامة المشاريع والصناعات الزراعية .

- النهوض بالمستويات المعيشية للعاملين في القطاع الزراعي .

والمنظمة تتخذ الوسائل الكفيلة لتحقيق هذه الاهداف ، وتدعم وتنسق الجهود المحلية والقومية التي تصب في هذا المجال الزراعي .

الهيكل التنظيمي للمنظمة :

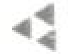
لها مجلس هو سلطتها العليا المختص بوضع السياسات العامة التي تسير عليها وتخطيط ومتابعة برامجها وانشطتها . وهو يتألف من وزراء الزراعة (او من يناظرهم) في الاقطار العربية الاعضاء ، ورئاسته سنوية فيما بينهم بالتناوب . ولهذا المجلس لجان متخصصة ، هي : لجنة البرامج ، واللجنة الفنية ، واللجنة المالية وهي تقدم دراساتها واقتراحاتها وتوصياتها للمجلس .

والادارة العامة التى يرأسها المدير العام للمنظمة وهو الناطق الرسمي باسمها ، تقوم بتسيير انشطة المنظمة من خلال اداراتها المتخصصة : ادارة الانتاج النباتي ، ادارة الانتاج الحيواني ، ادارة الاقتصاد ، ادارة الشؤون المالية والادارية والقانونية .

وللمنظمة خارج بلد المقر ، مكاتب فرعية في كل من : الاردن ، والعراق ، اليمن الشمالي ، ليبيا ، سورية ، وضباط اتصال في كل من : السعودية ، تونس ، المغرب ، الامارات والكويت ، كما أن المنظمة تشرف على المعهد العربي للغابات والمراعي في اللاذقية .

ويتمثل اسلوب العمل في المنظمة وفروعها باجراء البحوث والدراسات الفنية وتقديم العون والمشورة للبلدان الاعضاء وتنظيم الدورات التدريبية والندوات والمؤتمرات ، وعمل مسح بالبيانات والبحوث الزراعية المنشودة والقائمة فعليا ، وتبادلها بين الدول الاعضاء والعمل على تطويرها .

وتقوم المنظمة حاليا باعداد برامج للأمن الغذائي العربي لسد مايسمى بالفجوة الغذائية تشمل القمح والحبوب والسكر والزيوت النباتية والانتاج الحيواني والاعلاف ، والانتاج السمكي ، وبرامج صيانة وتطوير الموارد الطبيعية ومكافحة التصحر ، وتحاول تتويج هذه المحاولات البرامجية بوضع استراتيجية زراعية شاملة حتى عام الفين . وما يتطلبه ذلك من اعداد دراسات عن الموارد الطبيعية في الاقطار العربية وعن متوسطات الانتاج والاستهلاك خلال السنوات العشر الماضية والتنبؤات المقابلة لفترة الاستراتيجية ، ومعرفة حجم الفجوة بينهما ووضع اسس السياسات الزراعية لسد هذه الفجوة .



ان المتتبع للدراسات والبحوث التي انجزتها المنظمة العربية للتنمية الزراعية ، او عاونت في اعدادها ، المشتركة منها او القطرية ، والتي تجاوز عددها المائتين دراسة وبحثا ، يجد أنها قد انصبت على المسوح الفنية والاقتصادية للموارد الطبيعية والآفات والامراض ومشاكل استصلاح الاراضي واقتصاديات الانتاج والجدوى الفنية والاقتصادية لبعض المشاريع من أجل تسهيل السبل لايجاد التمويل لها . وهذا كله انما يعني التركيز على الموارد الطبيعية والناتج المادي وهو مهم ومفيد ، الا ان تنمية الموارد البشرية في الريف الى جانب الموارد الطبيعية ، كما نص الهدف الاول ، والنهوض بالمستويات المعيشية للعاملين في القطاع الزراعي ، كما نص الهدف الخامس في اتفاقية انشاء المنظمة ، لم تجد المعالجة المطلوبة في هذا العدد الكبير نسبيا من البحوث والدراسات ، بل يكاد الانسان صانع التنمية والذي يفترض ان يكون النهوض به هدفها ومحورها الاساسي ، شبه غائب في هذه الأبحاث والدراسات التي انجزتها المنظمة خلال السنوات العشر من عمرها .

وقد يكون السبب ، كما يبدو لنا ، هو ان نشاط المنظمة مركز على الجانب المادي لقوى الانتاج ولم يهتم بنفس الدرجة بالجانب البشري الذي هو العنصر الحاسم والاهم في القوى المنتجة . كما ان علاقات الناس مع بعضها من خلال الاشياء ، اي العلاقات الانتاجية واشكال ومضمون ووظيفة الملكية الزراعية لم تجد العناية الكافية في عمل المنظمة .

ومثلها ايضا الدراسات المقارنة لانماط الانتاج الزراعي المختلفة ، من المزارع الفردية الصغيرة المفتتة الى المزارع الخاصة الكبيرة والمزارع التعاونية بمستوياتها المتنوعة ، ومزارع الدولة ، والتوسع في العمل المأجور في الريف ، ومشاكل المحاصصة .. الخ ، لم تجد المنظمة من يقوم بدراستها واستخلاص النتائج الايجابية والسلبية المؤثرة على التنمية الريفية المتكاملة ، وليس فقط التنمية الزراعية .

ومن الممكن القول بان دراسات مثل مكافحة التصحر ومكافحة النمل الابيض وما شابهها مفيدة وضرورية ، ولكن يجب ان تستكمل بدراسات عن ضرورة مكافحة الامية الابجدية والحضارية في الريف واثر ذلك على تحقيق التنمية الزراعية والريفية المتكاملة .

واخيرا قد يكون من المفيد ان نذكر بما قاله احد المفكرين قبل اكثر من مائة عام (هنري جورج ١٨٣٩ - ١٨٩٧) في موضوع نأمل ان يجد الاهتمام في الدراسات والبحوث القائمة والمقبلة في المنظمة حول الفجوة الغذائية ، « ان البشر على خلاف الكائنات الحية الاخرى من حيث ان زيادة عددهم تتضمن زيادة غذائهم ، ولكن هذا الوضع لايتحقق الا اذا تساوت فرص الناس في الوصول الى موارد الارض ، وبذا يحال دون قلة منهم وبين احتكار هذه الموارد » .

مجيد مسعود

كرمويل المنتصر :

عندما دخل كرمويل مدينة لندن وهو في قمة مجده ، احتشد الناس على جانبي الطريق ليتفرجوا على موكبه ، والتفت اليه أحد قواده قائلا :

- أترى يا سيدي ، هذه الجماهير التي احتشدت لتراك وتعبر لك عن حبها ؟

فابتسم كرمويل وقال :

لو كنت مقودا الى المشنقة لاحتشد لمشاهدتي مثل هذا العدد أو أكثر ..



بقلم : نبيلة الرزاز

للشعراء القادمين من الريف كتابات فريدة جديرة بالقراءة والرصد .

يذكر الشاعر عبد المعطي حجازي في مقالته « تجربتي الشعرية »(1) أنه عندما صدر ديوانه الاول « مدينة بلاقلب » في أواخر عام ١٩٥٨ عده النقاد مسؤولا عن باب المدينة والقرية في الشعر العربي المعاصر .

ولم يكن عبد المعطي حجازي الشاعر الوحيد في الخمسينات الذي غادر القرية الى المدينة ، فكثيرون من شعراء جيله في العراق وفي سورية ومصر ، كانوا من بيت قروي شبوا في الريف ، واضطروا بعد ذلك للهجرة باحثين عن العلم ثم العمل ، فنزحوا الى المدن أو العواصم ، فحمل الشاعر من هؤلاء معه الى المدينة ، كل ماغرسته قريته في نفسه من تحاب بين الناس وتعاطف ، من ميل الى البساطة في الحياة والصراحة ، من شعور بالتساوي أو التقارب في المستوى المادي بين فئة الفلاحين ، كما حمل عادات الريف وشيئا مما كسبه في القرية من الحياة الهادئة البطيئة التي لايحسب فيها الزمن بالدقائق ولا بالثواني كما في المدينة ، وكان حمله هذا ثقيلا في المدينة ، ولم يستطع التخفف منه بسرعة ليتلاءم مع الحياة الجديدة ، فأحس بالغربة فيها ، ورأى المدينة أخطبوطا يلتف حوله حتى يكاد يكتم فيه النفس ، وتألم ، وطغى طابع الحزن على شعره ، ولكنه لم يكن حزن المستسلم بل الثائر .

وكثر الحديث عن المدينة في شعر هؤلاء الشعراء ، حديث من يفجؤه جديد ، ، بل رأوا فيها صورا من الحياة ومشكلات وتعقيدات لم تخطر لهم ببال ، اذ كانوا في القرية يحلمون بالمدينة وأضوائها وبهجتها فعانوا فيها ألوانا من الوحدة والغربة والجوع ، واللهاث وراء العمل والحق والحب ، وصدمتهم الحقيقة المرة حقيقة المجتمع المدني الذي يكتسي الثوب الزاهي المبهرج ، ويضم تحته جسدا فيه أنواع العقد والتشوهات ، قسوة وعنف ، واستلاب للحقوق والانسانية ، حقد وكراهية ، قوة غالبة وضعف مقهور ، وسباق لايقف عند حد يزحم فيه الأخ أخاه ، ويدفعه عن طريقه ليتقدمه ولايلتفت اليه ليرى ماحل به . لم يروا في المدينة في أول الامر الا القلوب التي غلفتها المادة ، والاخرى التي كساها الهباب الاسود ، وأدهشتهم الجيوب المنتفخة التي تكاد تتفزر لما اكتنز فيها من مال ، والعيون التي تحملق في هذه الجيوب تطمع بجزء مما فيها ، ولو بالسرقة أو بالخديعة والاحتيال ، فغاية العيش تبرر أيا من هذه الوسائط .

في بلاد تأكل الغرباء

اتسعت أعين الشعراء أمام هذه المشاهد، وتنامت رهافة الحس لديهم ، وأخذ الالم يشق لنفسه أخاديد في أعماقهم ، وهم يتذكرون حياة القرية البسيطة الساذجة ،



فاضطرم الألم والثورة في نفوسهم أحيانا ، وبحثوا بحثا هادئا عن تلك الحياة الهينة التي خلفوها في القرية أحيانا أخرى . ولكنه بحث مخفق ، لم يجدوا فيه الا وجوها متجهمة أرهقها الكد المتواصل واللهاث الذي لاينقطع . فتشوا عن الفتاة التي تصفيهم الود ليطمئنوا الى لمسة حنون ، وحب عميق فما وجدوا الا المتعة السريعة الزائلة .

المدينة تكاد تطحنهم ، أسوارها العالية تحيط بهم ، وهم فيها بينها نمل يدب على الارض ويداس فلا يحس به أحد ، فيصورون المدينة كأنها ذلك الغول العملاق الذي طالما سمعوا الحكايات عنه في القرية ، فهو مخيف مرعب هائل :

وأمضي . . في فراغ بارد مهجور
غريب في بلاد تأكل الغرباء
وذات مساء
وعمر وداعنا عامان
طرقت نوادي الأصحاب ، لم أعثر على صاحب
وعدت . . . تدعُني الابواب والبواب والحاجب
يدحرجني امتداد طريق
طريق مقفر شاحب
تقوم على يديه قصور
وكان الحائط العملاق يسحقني
ويخنقني ـ ويخنقني
وفي عيني . . سؤال طاف يستجدي
خيال صديق
تراب صديق
ويصرخ . . انني وحدي
ويامصباح ! مثلك ساهر وحدي
وبعت صديقي بوداع [٢]

وقد زاد من شعورهم بالغربة جيوب خاوية ، وجوع ينهش منهم المعدة ، ولا من صديق معين ، ولا من أقارب يتضافرون في الشدائد . فالشاعر الذي أتى القاهرة حديثا يسير في شوارعها كأنه الميت ولا يدري به أحد ، ولو حلّ به مثل هذا في القرية ، لكان حدثا يشغلها بكبارها وصغارها وشبابها ونسائها وأطفالها :

وسرت ياليل المدينة
أرقرق آهاتي الحزينة
أجر ساقي المجهدة
للسيدة[٣]
بلا نقود ، جائع حتى العياء
بلا رفيق
كأنني طفل رمته خاطئة
فلم يعره العابرون في الطريق

حتى الرثاء

ياقاهرة
أيا قبابا متخمات قاعدة

* * *

أنا هنا لاشيء كالموتى كرؤيا عابرة
أجر ساقي المجهدة
للسيده ، للسيده[٤]

الانسان مجرد رقم !

وقد بلغ الشعور بالغربة والوحدة حدا جعل بعض الشعراء يتخيلون أنفسهم يموتون في المدينة الكبيرة المزدحمة التي لايعطف فيها انسان على آخر ، فلا يعنى بموتهم أحد ، وان كان له فيها أصحاب ، فان وقع نهايته المحزنة في نفوسهم لن يستدرج من أفواههم أكثر من كلمة « كان مجلسه هنا . . يرحمه الله » كلمات عابرة ينتهي بعدها كل شعور بالاسى في نفوسهم .

في زحمة المدينة المنهمرة
أموت لايعرفني أحد
أموت لايبكي أحد
وقد يقال بين صحبي في مجامع المسامرة
مجلسه كان هنا ، وقد عبره
فيمن عبره[٥]

---

(١) في مجلة « الفكر » التونسية العدد / ٩ / حزيران ١٩٨١

(٢) ديوان « مدينة بلا قلب » قصيدة « كان لي قلب » للشاعر عبد المعطي حجازي

(٣) يعني بها قبر السيدة زينب في القاهرة

(٤) ديوان مدينة بلا قلب قصيدة « الطريق الى السيدة » لعبد المعطي حجازي

(٥) ديوان « أحلام الفارس القديم » « قصيدة اغنية للشتاء » للشاعر صلاح عبد الصبور

والانسان في المدينة كما يراه الشاعر [٦] ليس الا عددا ورقما ، فمولده يزيد عدد المواليد ، ووفاته تزيد عدد الوفيات ، أما من هو ، ولماذا يعيش ، وهل نال حقه من الحياة ؟ فهذه أمور لاقيمة لها ، قد يموت طفل في زحمة المدينة ، تحت عجلات الترام فينظرون اليه برهة مشدوهين محملقين ، لايعرفون من هو ، ثم ينصرفون مسرعين كل الى بغيته ، وليس للميت من يبكيه أو يخصه بحزن وألم ، وتأتي السيارة البيضاء لتحمله ، ثم تجري الحياة في الشوارع مرة أخرى ، وكأن شيئا هاما لم يحدث ، ويتدافع الناس من جديد ، ويعود الترام ليسير على سكته . .

الشعور بالغربة في المدينة يضخم كل صورة من صور الفردية في المجتمع المدني وحياة الالفة التي يمر منها القروي لاتفارق مخيلته بسهولة ، فكل بيت في القرية كان يمكن أن يؤويه اذا أحس بشدة ، وكل دار في الريف داره ، أما في المدينة فهو ضائع في زحمة البشر ، قد يطرد من غرفته حين يمد يده الى جيبه فلا يجد فيه أجرها ، ولا يجد مكانا يأوي اليه ، ولايسأل عنه سائل ، حتى الحارس المكلف بحفظ أمن الناس ، لايفهم مشكلته :

الحارس الغبي لايعي حكايتي
لقد طـردت اليوم
مـن غرفتـي
وصرت ضائعا بدون اسم
هـذا أنا
وهـذه مدينتي [٧]

يأتي الشاعر الريفي الى المدينة قويا معتدا ولكنه لايكاد يدخلها وسط المعامع فيها حتى يرى نفسه وكأنه حبة رمل صغيرة في الصحراء الممتدة الواسعة ، يصطرع فيها الرمل وتتزاحم حباته ، وكلها في النتيجة عطشى تعيش حياة الملل والرتابة ، حرارة محرقة ورياح مجنونة ، تتمنى حبة الرمل هذه أن تكون خصبة ولكنها لاتحمل في داخلها الا الجفاف والالم ، فيهرب الشاعر كل مساء من وحدته وغربته الى المقهى حيث يجد أمثاله ، تجمعهم أحيانا رقعة الشطرنج ، يحملقون في مربعاتها البيضاء والسوداء فتزوغ أبصارهم بين اللونين المتناقضين ويرهقهم السهر والتعب ، فيودع بعضهم بعضا ليلتقوا في اليوم التالي مرة أخرى حول رقعة البياض والسواد .

« الى اللقاء » ، وافترقنا ـ « نلتقي مساء غد »
لتكمل النزاع فوق رقعة السوداء والبياض
وبعد غد ، وبعد غد . .
سنلتقي الى الابد [٨]

الفزع الى المقهى

صور المقهى في شعر أبناء الريف الذين انتقلوا الى المدينة ، يفزعون اليه باحثين فيه عن حرارة الحياة ، الناس حول المناضد يتهامسون أو يتصايحون ، يجدون ويتناقشون ، أويقتلون أوقاتهم قتلا ، ولكنهم على كل حال ، يتبادلون الحديث والفكر والعواطف أحيانا ، ومن نافذة المقهى يرى الجالس من خلف الزجاج الناس في الشارع ، يتسابقون وتحتك منهم المناكب والاجساد ، يسرع من يسرع ويبطيء من يبطيء ، هذا يبتسم وذاك يعبس ، كل هذا قد ينسي الغريب غربته ، وقد يجد الاديب الوحيد في المقهى مكانا يهرب اليه من وحدته الباردة ، فالمقهى فيه حرارة الحياة ومكان التأمل والتفكير والابداع ، وقد يكون في الوقت ذاته مجلبة للسأم والضجر ، وربما كان في قصيدة الشاعر سليمان العيسى : « الجسر والمقهى والهرم » صورة الشباب الذين وجدوا في المقهى ملجأهم كما وجدوا فيه المكان الذي يجمعهم بالناس ، هؤلاء الشباب الذين كانوا يحترقون ليكونوا قبسا ينير للشعب دربه ، وقد أهدى سليمان العيسى القصيدة هذه لصديقه الاديب صدقي اسماعيل (رحمه الله) الذي كان معروفا بجلسته في مقهى الجسر في دمشق ، حيث يكتب ويفكر ويتمتع بمنظر المارة في الشارع . .

لاتبرح مقهانا الهرما
أهوى فيه . . حتى السأما
أهواه . . . ألم يك مزدحما
بالمرهق مثلي والضجر
ويمن حرموا . . الا الألما

---

(٦) عبد المعطي حجازي في قصيدة « مقتل صبي » من ديوان « مدينة بلا قلب »
(٧) ديوان مدينة « بلا قلب » قصيدة « : أنا والمدينة » ، للشاعر عبد المعطي حجازي
(٨) ديوان « الناس في بلادي » من قصيدة « رحلة في الليل » للشاعر صلاح عبد الصبور

لي في جنبيه أشباه
من شعب أحيا بلواه
وأحس بصدري شكواه
وتمزقه يد القدر
لابدع .. هذا أهواه

• • •

جدد فيه ثار النفس
ويقلب المأساة انغمس
ان لم تك نحن سنا القبس
في هذا الليل المعتكر
والهفا .. للركب التعس(٩)

نظرة واحدة كانت لكل هؤلاء الشعراء في المقهى ، يجدون فيه الحياة الرتيبة ويلجأون اليه وقلوبهم يعتصرها الالم ، ويجعلون من النقاش والجدل فيه بابا للتفريج عن النفس ، وتخفيف الكرب ، يشتمون ويجدفون ويصخبون ، ثم يصمتون حين يخرسهم الألم :

يثرثر الرجال في المقاهي
ويمضغون لعنة الاله
يدخنون يضحكون في نهم
ويصمتون فجأة من الالم
ضحكاتهم جوف ، وصمتهم صخب(١٠)

وقد يصلون الى درجة الاحساس بالموت في المقهى :

والبحر ألوان تموت .. كلما ضاق المساء
ونحن في المقهى نموت(١١)

ومع كل هذه الرؤية الواضحة لحياة المقهى ، بما فيها من دخان وجو خانق وسأم وملل وخمول كأنه الموت ، فان الشعراء معظمهم خصوا المقهى بساعات يومية من حياتهم ، ربما ذكرتهم هذه الساعات باجتماعات القرية ،والتفاف الفلاحين بعضهم على بعض يتبادلون الحكايات والاحاديث ، ويستمعون الى الشيوخ يروون ذكرياتهم ، ويتبادل الشباب الحديث الدافىء عن فتيات القرية . أما هنا في مقهى المدينة ، فيجلسون خلف زجاج النوافذ يرقبون مرور الفتيات اللواتي يخطرن على الرصيف ، فيحظى الشاب منهن بنظرة ، وقد يحظى بعد ذلك بأكثر من ذلك ، ويقضي مع احداهن ليلة ظانا أنه يحبها ، ولكن مايكاد يطلع الصباح ، وتنقر أصابع المدينة على زجاج غرفته حتى يخرج مع فتاته الى الحياة واصطخابها وزحمتها بين مواكب البشر المسرعي الخطو نحو الخبز والمؤونة ، فيفرقهما الناس المستعجلون وتتركه فتاته أخيرا ، وهي تغمغم كأنها تسأله .. « من أنت ؟ » وهو يفكر في نفسه « مالون عينيها » ؟ فالشاعر يبحث في المدينة عن الحب الصادق الذي يدوم ، فلا يجد الا متعة عابرة تمضي بسرعة دون أن تترك في النفس أثرا ليعود بعدها الانسان الى وحدته وانعزاله ، وحاجته الى الحب الصادق العميق الدافىء الذي يحظى فيه بالهدوء والطمأنينة ، فكل شيء في المدينة يمضي سريعا حتى الحب :

الحب في هذا الزمان يارفيقتي
كالحزن لايعيش الا لحظة البكاء
أو لحظة الشبق
الحب بالفطانة اختنق .

عودة الى ابنة الريف

فابن الريف ، الانسان البسيط الذي أرهقته عقد الحياة في المدينة ، خيل اليه أنه لن يجد حبه أخيرا الا عند ابنة الريف التي تحب بحق قلبها ونفسها وجدها دون أن تصرفها مباهج الحياة ومشاغلها الاخرى عمن تحب :

حبيبي من الريف جاء
كما جئت يوما ، حبيبي جاء
وألقت بنا الريح في الشط جوعى عرايا
فأطعمته قطعة من فؤادي(١٢)

ولكن هذا لايعني أن الشاعر ابن الريف لم يبحث عن الحب عند بنات المدينة ، لقد فتش عنه بكل قواه ، علّه يجد فيه الشاطىء الذي يستريح اليه ويفارق فيه غربته ، الا أن واقعه المر كان يصفعه في كثير من الاحيان فيرده خائبا ، فما هو بالقوي ، ولا هو بالمعروف بغناه حتى يصل الى ما يريد ، يعصره الألم حين يرى ابن المدينة الثري يسلبه محبوبته ، فحسناوات المدينة يبحثن عمن يزيد جمالهن جمالا بماله ، أما الشاعر الريفي فليس لديه ما يهديه الى محبوبته الا العواطف المتدفقة ، والكلمات التي تفيض

---

(٩) ديوان « رمال عطشى » لسليمان العيسى من قصيدة : « الجسر والمقهى المرم » .
(١٠) ديوان أبيات ريفية للشاعر عبد الباسط الصوفي من قصيدة « مدينة المغرب » .
(١١) ديوان لم يبق الا الاعتراف لعبد المعطي حجازي من قصيدة « يوميات الاسكندرية »
(١٢) ديوان : « مدينة بلا قلب » من قصيدة « حب في الظلام » .

منها نغمة الحزن في أكثر الأحيان ، ونغمة الفرحة . ولعل قصيدة « قصة الأميرة والفتى الذي يكلم المساء » للشاعر عبد المعطي حجازي تستطيع أن تنقل لنا صورة مأساة هؤلاء الشعراء مع الفتيات المرفهات . فالشاعر يحن الى حياة دافئة مستقرة يظله فيها الحب ، وتبعث فيه الحياة ضحكات طفل بريء .

أعرفها وأعرفه
تلك التي مضت ولم تقل له الوداع لم تشأ

وذلك الذي على إبائه على اتكأ

يجاهد الحنين يوقفه
كان الحنين يحرقه

فهو أنا وأنت والذين يحضرون تحت حائط سميك

لتصبح الحياة عش حب

به رغيف واحد ، وطفلة ضحوك .

ويروي لنا في هذه القصيدة قصة الشاب الشاعر الذي يرتدي نصف ثوب ، لايطلب من الحياة الا الرغيف وضحكة الطفلة ، وينظم الشعر فيبعث بكلماته الطمأنينة في نفوس الخائفين ، ويوسع لهم دائرة النور ، ويمد لهم خيوط الامل ، ويقابل هذا الشاعر يوما أميرة من سيدات القصور ، يضم قلبها ألف حب كما تضم خزائنها ألف ثوب وتدعوه لتقضي معه ليلة ممتعة حتى تأخذ بلبه ، وما ان طلع الصباح حتى رمته كما تخلع ثوبا قد سئمته .

وابتسمت قائلة .. لا أنت شاعر كبير
ياسيدي أنا بحاجة الى أمير

الى أمير !

وأنسد في السكون باب !!

ومثل هذه الطعنة بالذات أصابت قلب الشاعر بدر شاكر السياب الذي أحب فتاة زميلة أعجبت بكلماته وشعره ولكنها منحت حبها لغيره .

محاولة تعويض الحلم

لقد هجر ابن الريف قريته الى المدينة ليثقف نفسه ، وليضع ثقافته في خدمة ابناء الريف ، فينير طريقهم . وثقافته ستكون جسرا له يعبره الى هدفه ، ولكن ألف سد وسد وقف في وجهه في المدينة ، لذا كان عليه أن يكون قويا ، يتعاون مع الضعفاء في المدينة ، ليهدموا جميعا كل الاسوار والسدود التي يرفعها أقوياء المدينة .

ينظر الشاعر الى نفسه في المدينة الكبيرة المزدحمة فيرى نفسه ضعيفا أمام الذين يديرون المدينة بقبضاتهم يمسكونها ، ويعجنونها ويعطونها الشكل الذي يريدون ، ولايستطيع الشاعر العيش في هذه البيئة الا من كان ذا مخلب وناب ، وهو الذي ليس له الكلمات ، يرسلها من قلب يأكله الالم ويعشش فيه الشوق الى العدالة ، فالعين تتطلع والقلب يقطر حسرة ، والكلمات تذوب أسى على اللسان والاحساس بالغربة ينمو :

أمدينتي هذي التي
غرقت بهفات الحرير ؟
أمدينتي هذي التي
تغفي على وهج العبير
لا .. لا .. أنا ابن الحائط المهروم والكوخ الحقير

ابن الطريق أجر منه طينه .. حتى حصيرتي

ابن الظلام .. يرد قريتنا مساه .. كالقبور

لا .. لا .. أنا ابن الشعب يحمل منكبي عبء العصور[13]

المدن الكبيرة دوما تحمل في أحشائها التناقضات ، وعيون الشعراء تلتقط مشاهد التناقض التي تطعنهم في الأعماق منهم ، ما عرفوا قبلها في قريتهم ، بهجة وضحكات وفتيات رقيقات يخطرن بثيابهن الفضفاضة ، صدور مرفوعة ، ورءوس مصعرة ، وأجساد نفختها التخمة ، شوارع ضخمة فسيحة تسيل فيها أنهار من النور ، وأزقة ضيقة معتمة ، وبائسون ينامون على الارصفة وفي الزوايا ، تمر الى جانبها الاقدام المسرعة المتسابقة لاتأبه بهم وبأجسادهم التي كادت تجف عروقها ، والشعراء أنفسهم جزء من هذه المتناقضات :

وفارس شد قواما فارعا كالمنتصر
ذراعه ترتاح في ذراع أنثى كالقمر

---

(١٣) ديوان أعاصير في السلاسل « في قصيدة أبي رمانه » للشاعر سليمان العيسى

وفي ذراعي سلة فيها ثياب[١٤]

ويحاول الشاعر أحيانا أن يعوض في الحلم مافاته في اليقظة . ففي الحلم يرى سرير محبوبته من خشب الصندل ، وفراشها من حرير الشام ، وفي الحلم يطوق جيده وجبينه بالياسمين ، ويمسح كفيها بالعنبر ويتراءى له ثوبها الرقيق الشفاف تتخلله خيوط الذهب الاصفر . . . ولكن اليقظة لابد أن تعيده الى عالم الواقع ، الى الكد والجد ، الى اللهاث خلف الرغيف :

وأيقظني صاحبي (يافلان)

أفق غمر النور وجه الوجود

ودوى القطار وماج الطريق

زحاما من الارض والسماء

يساقون والموت في مرصد

لمعركة البله والأغبياء

لأجل الرغيف وظل وريف

وكوخ نظيف وثوب جديد[١٥]

ولماذا يسميهم عبد الصبور بالاغبياء ، وما فعل ذلك لأنهم تقبلوا الحياة الشقية هذه برضا ، وهو يلتقي بهذا مع السياب اذ يقول :

لاعتاب . . فلو لم نكن أغبياء

ما رضينا بهذا ونحن الشعوب[١٦]

مع الضعفاء ابدا

لهذا حمل شعراء الريف تبعة ايقاظ هؤلاء الصامتين الكادحين ، وأخذوا على أنفسهم أن يكون لسانهم اللاهب صورا ينفخون فيه ليبعثوا الحياة في الأموات الذين يتصبب عرقهم كدا وشقاء ، وهم راضون باللقمة الجافة والرغيف اليابس والثوب المهلهل ، حتى تمنى بعض هؤلاء الشعراء أن يموت ، ان كان في موته حياة للآخرين :

أود لو غرقت في دمي الى القرار

لأحمل العبء مع البشر

وأبعث الحياة أن موتي انتصار[١٧]

وظل ابن الريف يحب الضعفاء ويتعاطف معهم ويتخيل الطبيعة تشاركه تعاطفه هذا وتحنو على البؤساء الذين يؤمنون بالمستقبل الخير :

لكنها القمرة

يحب في احيائها الفقيرة السوداء

صبية عمياء

تؤمن بالفجر وبالانسان

وترفض الاحسان

من عاشق فقير[١٨]

وهكذا عاش الشعراء أبناء الريف في المدينة يعانون المآسي ، ويحيون حياة القلق والاضطراب والضجر والسأم ، والكد والعمل ، والخيبة والأمل ، ولم تكن صورة المدينة في شعرهم تقليدا لصورتها في الغرب بآلاتها وصخبها وضجيجها فقط ، وانما كان شعرهم كما قال عبد المعطي حجازي في مقالته « تجربتي الشعرية » : كان شعر خروج وتحول ، شعر معاناة وتمزق بين عاملين متناقضين من السلوك والتقاليد والقيم ، ولم يكن رفضا للمدينة ولا تشبثا بالقرية ، وانما كان شعورا بالانقطاع ، ومحاولة لمد الجذور في أرض المستقبل المجهولة ، كان محاولة للتغلغل في تفاصيل عالم معاد غير مفهوم ورغبة في الكشف عن مأساة انتقالنا الى عصر آخر غير العصر الذي قدمتامنه مثقلي الروح بالأسطورة الشعبية التي تتحدث عن علامات انتهاء العالم وقيام الساعة . ○

دمشق ـ نبيلة الرزاز

---

(١٤) ديوان « مدينة بلا قلب » من قصيدة « الطريق الى السيدة »

(١٥) ديوان « الناس في بلادي » للشاعر صلاح عبد الصبور من قصيدة « سوناتا »

(١٦) ديوان « أنشودة المطر » لبدر شاكر السياب من قصيدة « عرس في القرية »

(١٧) ديوان « أنشودة المطر » لبدر شاكر السياب من قصيدة (النهر والموت)

(١٨) المجد للأطفال والزيتون للشاعر عبد الوهاب البياتي من قصيدة « مدينتي والفجر »

حل مسابقة العدد

• ٢٨٩ •

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥
١	ا	ى	س	ل	ن	د	ا	■	ج	ا	ل	ى	ل	ى	د
٢	و	ا	ى	ن	د	و	ت	■	ر	ب	ى	ع	ا	و	ل
٣	ز	ق	■	د	س	م	ه	■	ا	ر	ن	ب	■	ا	د
٤	ى	و	ق	ن	■	ى	م	ا	م	ه	■	ر	■	ظ	ا
٥	ر	ت	ق	■	ا	ن	ه	ب	■	■	ا	ه	ا	ب	■
٦	ى	ا	■	ا	ب	ى	■	ن	ع	ل	ل	■	ل	■	
٧	س	ح	ر	ه	■	ك	س	ح	■	ى	ى	س	ر	ة	ا
٨	■	م	ح	م	د	ا	ب	و	ا	ل	د	ه	ب	■	■
٩	ش	ر	ى	ا	ت	■	■	ق	ل	ه	■	م	ى	ن	ج
١٠	ه	■	ب	ل	ا	د	ا	ل	غ	ا	ل	■	ع	ى	ن
١١	ر	د	ه	■	ن	و	ن	■	و	ل	ى	د	■	ا	س
١٢	ى	ا	■	ج	ى	ا	د	■	ا	ق	ل	ى	د	س	■
١٣	ا	ل	خ	ا	ر	ج	ى	■	ص	د	■	ن	ع	ا	م
١٤	ر	ى	ا	ل	■	ن	ر	■	ا	ر	ق	ا	م	■	د
١٥	■	ا	ف	ت	ى	■	ا	■	ت	■	م	ر	ت	ب	ة

اثنتان في واحدة :

أفقيا : محمد أبو الذهب

رأسيا : ابن حوقل

(٨) أفقيا : محمد أبو الذهب . مملوك علي بك الكبير وابنه بالتبني وصهره . فتح الحجاز واحتل دمشق ، وتولى حكم يافا وصيدا ، ثم انقلب على سيده وحكم مصر .

(٨)رأسيا : ابن حوقل . رحالة عربي وجغرافي ، جاب العالم الاسلامي من المشرق الى المغرب . أشهر أعماله كتاب المسالك والممالك . توفي عام ١٩٧٧ م .

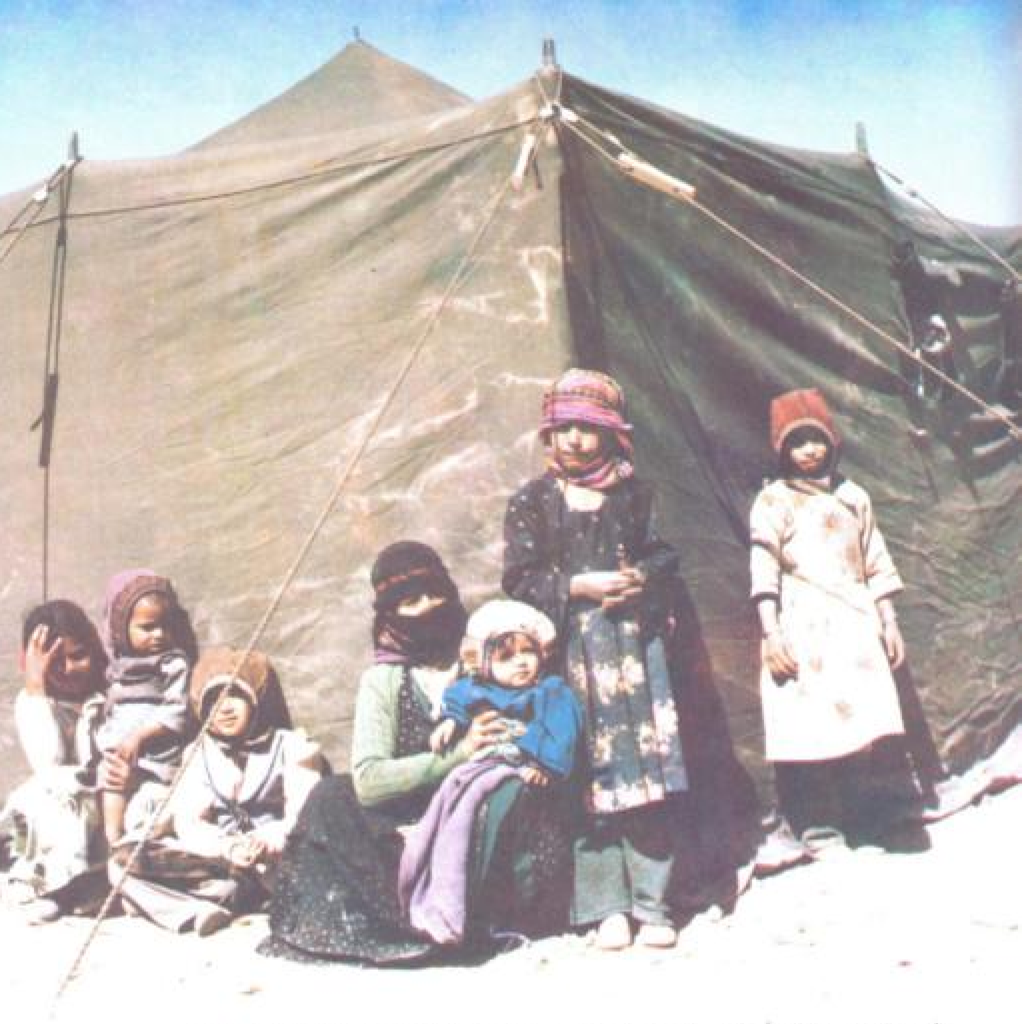
الفائزون بالجوائز

- الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا وفازبها : عبد الباقي ابراهيم الانصاري / طرابلس ليبيا .
- الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فازبها : جمال عدلي الزعيم المنجد / طرابلس / لبنان
- الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فازبها : كسطوى بوعزة / الدار البيضاء / المغرب

جوائز قيمتها ٤٠ دينارا كل منها ٥ دنانير فاز بها كل من :

١ ـ محمد عبدالرحمن حزة / اليمن الشمالي/صنعاء
٢ ـ زاهد طاهر سعيد / بابل / العراق
٣ ـ عادل السمعلي / المرسى / تونس
٤ ـ صفوان عبد الغني محمود / عمان / الاردن
٥ ـ بخيتة علي الشيخ / أم درمان / السودان
٦ ـ عبود خميس الميترف / السالمية / الكويت
٧ ـ كمال ابو اليزيد شبارة / كفر الزيات / مصر
٨ ـ لمياء أحمد عبد الرحيم / صلالة / سلطنة عمان





الصورتان من رصابة ، أم القرى اليمنية ، التي كانت في المقدمة مع المناطق التي اصابها الزلزال في البداية .. لاحظ ان مفاتيح ابواب البيت المنهار وخزائنه ، ما زالت معلقة في رقبة المرأة التي يغطي وجهها بحجم وعمق ماجرى .

هَذا مَاحَدَث فى ذمَار

الرواجف هزت كرسي الزيدية

استطلاع : فهمي هويدي

تصوير : اوسكار متري

بعدما أدار الزمن ظهره لها ، وفقدت ذمار مكانتها باعتبارها « كرسي الزيدية » والحصن المتقدم لفقه المذهب الذى كان يحكم اليمن ، قدر للمنطقة ان تدخل عالم الشهرة مجددا ، وان يقفز اسمها الى الصفحات الاولى من الصحف ، والى صدارة كافة نشرات الاخبار في عواصم العالم . لكن ذمار دخلت التاريخ هذه المرة من الباب الخطأ ، اذ لم ينفتح لها في زماننا سوى باب الزلازل الارضية أو الرواجف كما تقول كتب التراث !

كانت البداية في الساعة الثانية عشرة من ظهر يوم الاثنين ، الثالث عشر من ديسمبر الماضى (٨٢) ، بينما كان الشيخ محمد المؤذن يقيم صلاة الظهر في مسجد مدينة ضوران المتربعة فوق قمة جبل يحمل اسمها بلواء ذمار . وما ان قال الرجل « حي على الفلاح » حتى انهار فوقه السقف ولم ينطق . ثم تداعت جدران المسجد فوق جموع المصلين ، الذين بلغ عددهم ١٨٠ شخصا . وتحققت بالصدفة مقولة أهل ضوران ، الذين تعلقوا بشيخهم طوال ستين عاما ، وشاع بينهم اعتقاد بان مدينتهم التي تبدو من بعيد كنجمة معلقة في الأفق ، سوف تنتهي بموت امامهم وشيخهم . وخلال ثوان معدودة، تحولت ضوران ، التي كانت منذ ثلاثة قرون عاصمة للدولة القاسمية الى مقبرة عظيمة ، ومدينة للخرائب والاشباح .

ومنذ ذلك الحين ، توالت الهزات الارضية في لواء ذمار بدرجات متفاوتة . ولم يجد الناس ما يفعلونه سوى ان يلجأوا الى الله ـ تزاحموا في مساجد مدينة ذمار ـ العاصمة ـ وظلوا ثلاث ليال يبتهلون ، من بعد صلاة العشاء وحتى الفجر . لم يجدوا في التراث أدعية ولا مأثورات مما يمكن ان يقال عندما تحل كارثة الزلازل . فلم يقع شيء من هذا القبيل على عهد رسول الله على عكس حالات انقطاع المطر وخسوف الشمس ، التي وردت بشأنها بعض الأدعية المناسبة . تصرف احد فقهاء المدينة بسرعة او اقترح ان يردد اهلها اى صيغة تسأل الله ان يلطف بعباده . وظلت حناجرهم تجأر بالتوسل طوال الليالي الثلاث ، مستغيثة وفزعة الى الله ومرددة في صوت واحد :

يالطيفا لم تزل
الطف بنا فيما نزل
انك لطيف لم تزل
الطف بنا والمسلمين

حتى كانت الساعة الثالثة بعد منتصف ليلة اليوم الثلاثين من ديسمبر ، عندما كان محافظ ذمار ، احمد عبد الله الحجرى ، يغط في نومه . واذا به يتململ على صوت ازيز يطن تحت رأسه ، اعقبه صوت اشبه بارتطام الصخور لم يع بالضبط مابعده ، لانه في لحظة زمن كان قد طرح ارضا . نهض فزعا واضاء النور . وقعت عيناه على شرخ في مدخل بيته الكبير . لم يكن بيته وحده الذى تشقق ،اذ تبين ان ٦٥ ٪ من بيوت مدينة ذمار تشققت ايضا ، واصبح سكناها محفوفا بالخطر ، بالاخص عندما يحل موعد سقوط الامطار مع بداية شهر مارس الحالي .

فيما بين التاريخين ، ١٣ و ٣٠ ديسمبر ، كان قد بلغ عدد الهزات الارضية في اليمن ١٧٧ هزة ، فيما بلغ عدد القتلى ١٦٠٠ شخص ، ومثلهم من الجرحى الذين نقلوا الى المستشفيات . ووصل عدد الذين شردوا ٣٠٠ الف شخص بينما اضيرت ٥٠٥ قرى ، منها ٩٦ قرية تهدمت وهجرت تماما !

ذلك أنه عندما اهتز جوف الارض تهدمت بيوت وهلك خلق كثير وانكسرت افئدة ودفنت اموال بغير حصر . وفيما سكن ذلك كله ، تزلزلت افكار ومعتقدات كثيرة في الوعى والضمير اليمنى ، وانفتحت على مصارعها ملفات الماضى والحاضر والمستقبل ، وتفجر عديد من القضايا ، جيولوجية وجغرافية وتاريخية ، واقتصادية واجتماعية .

زلزال صعدة

فوجىء الناس ـ مثلا ـ بان الزلازل لها تاريخ في اليمن ، ولم يصدق كثيرون اعينهم حينما نشر الدكتور عبد العزيز المقالح الاديب المعروف ومدير جامعة صنعاء ، مقالا عن



زلزال وقع في منطقة صعدة بالشمال في يناير عام ١٩٤١ ، وهو زمن قريب نسبيا ، وكثيرون من شهوده لايزالون احياء . وضمن مقاله نصا لما نشرته مجلة « الحكمة اليمانية » في ذلك الوقت تحت عنوان « زلازل عظيمة » وكان الخبر المنشور في المجلة اشبه بالبيان الرسمي ، اذ المعروف ان ما كان ينشر بالصحف في تلك المرحلة كان يخضع لمراجعة مباشرة من الامام ، أو من يمثله .

يقول الخبر ـ البيان ـ بعد مقدمة ابرز بعدها الآية القرآنية : « ومانرسل بالآيات الا تخويفا » : « وانه لما كان يوم السبت ثالث عشر شهر ذى الحجة الحرام ، لعله في الساعة الخامسة منه وهو آخر ايام التشريق ، وقع ارتجاف عظيم وزلزال هائل مهيل بصعدة ونواحيها حتى بلغت الى مسيرة ثلاثة ايام شمالا ونحو مرحلتين غربا ويوم من اليمن ، دهشت له العقول وذهلت منه الافكار وتصدعت منه الافئدة فطارت شعاعا وصار الناس حيارى ، وتراهم سكارى وماهم بسكارى . وقد كانوا مشغولين باضاحيهم فمن مضح ومن مشرق ومن مقدد ومن طابخ ومن ذاهب وآيب . فما كان الا كلمح البصر او هو اقرب حتى تطايرت الجبال واضطربت وفارت كفوران القدر ، وغلت غليان المراجل ، وانفلق عنها اكثرها وانشقت الارض واهتزت اهتزازا شديدا ، اهتزاز ترح ، لا اهتزاز فرح ، ودوران غضب ، لادوران طرب . ومادت في ارتفاع وانخفاض واستقامة واعتراض .

● الرواجف هزت كرسي الزيدية

ولقد حكى ان احد الأحداث كان راعيا او مارا تحت وادعوكان ممن كتب الله له السلامة فلم يتسلل من الوادى حتى ابيض عارضه شيبا ، وغاض نهر النضير الشهير وفاض نهر الخضاير بملاف وكثر ماء الآبار بصعدة ونواحيها ، وخرج من مرابع الوحوش بوادي غمر مالايعد من الوحوش : الأسود والنمور والفهود والضباع والذئاب والثعالب وتفرقت في المفاوز .

ويبدو ان الهزات الارضية استمرت لبعض الوقت ، لان مجلة الحكمة اليمانية نشرت بعد ذلك باربعة اسابيع رسالة لمراسلها في منطقة الشام تقول ان ذلك « الزلزال الاول المفجع والنازل المفظع .. تلاه آلاف من الزلازل ليلا ونهارا ، صباحا ومساء » . أهمها زلزال وقع في ٨ محرم في منتصف النهار ، في مناطق أخرى غير صعدة « تدهورت منه شناخيب الاطواد بعد ان رقصت ، وشوامخ الدوابي عقيب ان تمايلت » .. ثم اضاف المراسل « ويحق لي ان اقول‌ه‌ماوصفه مكاتبكم بصعدة ، فهو قطرة من مطرة ، او مجة من لجة ، ذلك ان الجبال قصرت بعد ان كانت طويلة ، وانحط جبل على جبل فوق وادي آل عباد في جماعة ، وهلك جميع سكان ذلك الوادى ، وغطى جميع قراه (ومناطق اخرى مجاورة) حتى شوهد ان اناسا هناك اصيبت عقولهم ، واختل شعورهم ، وصاروا يهذون لا قوة الا بالله »

اصيب كثيرون بالدهشة ، عندما قرأوا هذه الصورة التي كانت قد سقطت من ذاكرة الجميع ، ربما في دوامة الاحزان اليمنية الكثيرة . وعلت دهشة الجميع عندما علموا بان ضحايا زلزال صعدة بلغوا ١٠ الاف نسمة ، وان لم ينشر احصاء رسمي بذلك ، ولكن ذلك رقم يردده معاصرو تلك الفترة . وهم الذين نقل عنهم ان اهل صعدة الذين شردتهم الزلازل ظلوا عاما كاملا يسكنون الخيام في العراء ، وان الامام يحيى تكتم الخبر واستثمره لصالحه . فقد اشاع ان ماحل بصعدة كان نتيجة لغضبة على قبائل تلك المنطقة ، وصدق كثيرون المقولة فاندفعت القبائل المحيطة بصنعاء تجدد له البيعة والولاء ، حتى لايصيبها شيء من غضبه !

ومما يردده معاصرو تلك الفترة ايضا انه بسبب التعتيم الرهيب الذى كان مفروضا على اليمن ، فان « محمية » عدن المجاورة لم تعرف بخبر الزلازل الا بعد شهرين من وقوعها ، وقد سمعت ذلك من بعضهم في سياق الحديث عن انتشار اخبار زلزال ذمار في انحاء العالم بعد ساعات من حدوثه .





في العراء وقفوا يبحثون عن مصير . كانت الخيام شحيحة في البداية ، وعندما وصلت اكتشفوا ان بعضها يستر ولا يحمي من برد الليل القارس .





صورة لذمار من الجو حيث بدت بيوتها قائمة ولاأثر فيها للخسائر ، لكن الحقيقة كانت عكس ذلك تماما ، فاكثر من ٦٥ ٪ من هذه البنايات اصابتها الشقوق والشروخ ولم يعد صالحا للسكنى ، فضلا عن انه معرض للانهيار تحت وطأة اول موجة من الامطار .

من سجلات الماضي

وفيما نشر الدكتور عبد العزيز المقالح مقاله - الذي قرأه البعض باعتباره اخبارا تذاع لاول مرة - نشطت عملية البحث في الذاكرة اليمنية البعيدة عن مثل تلك الكوارث الطبيعية التي تسمى في بعض الكتب « الرواجف » - من ارتجاف الارض - وهزت الوعي اليمني تلك الدراسة التي

نشرها في جريدة « الثورة » الصنعانية ، الباحث عبد الله الحبشي بعنوان « زلازل اليمن في التاريخ » ومما قاله في عرضه التاريخي :

عن اليمن افرد العلامة علي بن ابي بكر العرشاني (المتوفى سنة ٥٥٧ هـ) كتابا خاصا في موضوع الزلازل ، وجعلها من الشروط المنذرة عافانا الله منها .

أول زلزلة في اليمن تحدثت عنها المراجع الاسلامية« وقعت في زمن الخليفة العباسي المأمون (سنة ٢١٢ هـ) وقد امتدت من صنعاء الى عدن وتهدمت فيها المنازل والقرى وهلك خلق لايحصى .

في سنة ٢٤٥ هـ حصلت زلازل عظيمة في المغرب والشام واليمن هلكت فيها امم وخربت مدن وغارت عيون كثيرة .

في سنة ٥٤٩ وصف المؤرخ علي بن حسن الخزرجي في كتابه« العسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك » زلزالا عظيما في منطقة « اب » قال انه في تلك السنة سقطت من السماء حجرة فوقعت في الصلاحفة وهو موضع قريب من مدينة جبلة ، فوقعت رجفة شديدة وتزلزلت منها الارض باهلها .

وفي ذلك اليوم (الجمعة ٢٦ ربيع الآخر) انشقت السماء وسط النهار وظهر النجم وبعده جاوز في المخلاف الاخضر (اب) وحصلت بعد ذلك زلزلة شديدة في اليمن من صنعاء الى عدن،هلك فيها عدد كثير من الناس ، وانهدم كثير من الحصون والقرى والمساكن » .

وأورد الخزرجي حصرا مدهشا - بالارقام - للخسائر التي نجمت عن الزلزال في الدور والحصون والخلق .

وفي سنة ٦٠١ هـ في مستهل شهر رمضان انقض كوكب عظيم الى ناحية المغرب اضاءت له الآفاق وتعقبته رجعات تزلزلت منها الارض .

وفي سنة ٨٣٥ انفجر بركان في جبل بالبحر ، بين كمران وجزيرة وهلك ، وظهرت فيه نارودخان ، وربما كانت

قواصفه مريعة لمن سمعها . . . وبعد ذلك بثلاث سنوات (٨٣٨)ظهرت نار في احد جبال المنطقة السابقة ، فكان يسمع دويها كالرعد القاصف من امكنة بعيدة .

وذكر عبد الله الحبشي بيانات تثير الانتباه عن عدد الزلازل التي شهدتها اليمن في القرن الحادي عشر الهجري على النحو التالي :

في سنة ١٠٢٩ حدثت زلزلة كادت تذهب بالاركان « الجبال » وتبعها ليلة الخميس ثانية ، وتبعها ليلة الجمعة ثم ليلة السبت ، وكانت هذه الزلازل في جميع اليمن ، وانشق منها دار المطهر التي بصعدة وخرب جانب منه وكذلك في المدينة وسائر القرى حصل في بعضها .

في سنة ١٠٣٩ وقعت زلزلة بصنعاء وشهدت سنة ١٠٥٦ زلزلة أخرى اصابت صنعاء وما حولها .

في سنة ١٠٧١ ساخ جبل في جهات بني عشب فخرب قرية تحته الا بيتين في طرفها ، ودفن كثيرا من اموالها . ذكر ذلك صاحب بهجة الزمن المؤرخ يحيى بن الحسين .

- في سنة ١٠٧٧ في الساعة الرابعة من ليلة الاحد ١٨ رمضان « رجفت الارض وانشق لها بعض البيوت وانتبه النيام وصاح من في قلبه ضعف وقد عمت أكثر البلاد اليمنية . »

- في سنة ١٠٨٥ ، شهدت مدينة ضوران ، التي كانت في مقدمة ماانهار من الهزة الاولى في الزلزال الأخير ، حوالي ٣٠ زلزلة ، كما تقول المراجع التاريخية . ثم مرت المدينة بكارثة مماثلة في العام التالي . حيث شهدت زلازل كبيرة ، في بعضها انشق أكثر البيوت حتى تناثرت الحجارة من جبل ضوران ، وامتدت الى صنعاء ، وكان دوامها بضوران قدر قراءة سورة « يس » حتى اختلط على بعض ذوي القلوب الرقيقة الى آخر تعبير المؤرخ يحيى بن الحسين » .

هل اليمن منطقة زلازل حقا ؟

وضعت السؤال امام فريق من اساتذة الجيولوجيا بجامعة صنعاء ، الذين شغلوا بالحدث الكبير منذ وقوعه ، وظهروا في الصحف وعلى شاشة التليفزيون أكثر من مرة ، يشرحون للناس أبعاد الزلازل واحتمالاتها .

واستخف الناس في البداية ما روجه البعض ، من ان الزلازل ليست الا تعبيرا عن غضب الله على منطقة ذمار .

وقد ذهب هؤلاء ـ وهم قلة ـ الى ان اولئك الذين أنزل بهم الله غضبه ، لا يستحقون عونا ولا يجوز نقل الدم الى مصابيهم في المستشفيات ، وعليهم ان يتوبوا عما اذنبوا ، وعلى غيرهم أن يعتبروا والا حل بهم ماحاق بأهل ذمار من دمار وخراب . وغذى هذا التيار تصريح لاحد الفقهاء نشر في بعض الصحف العربية،وقال ماخلاصته ان الزلازل عقاب من الله بسبب الاشرار من البشر . وانتهز آخرون الفرصة ، ووزعوا بيانا يطالبون فيه بالمسارعة الى وقف بعض المسلسلات التلفزيونية والحد من تجارة الفيديو ، وتغطية رؤوس ووجوه السافرات وتشديد الرقابة على الفنادق ، والا حل القضاء ووقعت الواقعة .

حوصرت هذه الموجة بسرعة ، وظهر من أهل الفقه من قال بان الزلازل تظل آية من آيات الله ، وانها ظاهرة كونية لها اسبابها العلمية ، وان القول بانها عقاب للبشر فيه اساءة الى عدل الله ، خاصة وان اول الضحايا في ضوران ، كانوا ١٨٠ من الذين وقفوا بين يدي الله عند صلاة الظهر ، ومثلهم من اطفال الصفوف الأولى للمرحلة الابتدائية .

وعندما ناقشت الأمر مع مفتي اليمن القاضي احمد زباره (٧٨ سنة) اتهم الذين قالوا بان الزلازل عقاب الهي للذماريين بانهم « جهلاء وان كانوا خطباء » . وأضاف انه اذا كان من هؤلاء من يصر الى الآن على ان الارض ليست كروية ، فلا محل للاستماع لرأيهم في شئون العلم والدنيا . وضحك قائلا انه اذا كان في الامر عقاب حقا ، فلابد أن تعم الزلازل والبراكين ثلاثة ارباع الكرة الارضية قبل ان تصل الى ذمار !

ذلك ان المفارقة التي استلفتت أنظار اليمنيين ان الذماريين بالذات يعدون من أكثر أهل البلاد تدينا واقبالا على المساجد . وانه بسبب خلفيتها التاريخية كأحد معاقل الفقه الزيدي فان ذمار تعد من أغنى ألوية اليمن بالفقهاء ، فضلا عن أنها من المناطق القليلة التي تطبق فيها الحدود بشدة ، وتصادر عند مدخلها اية محرمات يحملها القادمون ، مثل المشروبات الروحية . لكن البلبلة لم تستغرق سوى أيام قليلة ، ووضعت القضية في اطارها الصحيح ، وعادت الكرة الى مرمى أهل العلم والدراية ، حيث احيلت علامات الاستفهام كلها الى اساتذة الجغرافيا والجيولوجيا وخبراء الزلازل والبراكين .

كان اللقاء باساتذة جامعة صنعاء اشبه بندوة عقدت في مكتب مدير الجامعة ، حضرها الدكتور صلاح الشامي استاذ الجغرافيا ، ومن اساتذة كلية العلوم الدكتور محمد عبدالمقصود والدكتور محمد ابراهيم .

وكان مما قاله هؤلاء :

- ان الجيولوجيين يعتبرون الكرة الأرضية مثل تفاحة هائلة محيطها ٤٨ الف كيلومتر . وان القشرة الارضية مقسمة الى اجزاء ضخمة تسمى « أطباق » **Plates** ، عددها يتراوح بين ٨ و ١٢ طبقا . افريقيا ـ مثلا ـ تشكل جيولوجيا طبقا واحدا ، وكذلك امريكا الجنوبية ، وآسيا . انه يوجد داخل هذه الاطباق الكبرى والاساسية اطباق اخرى ثانوية **Sub Plates** وان الطبق العربي مركزه وبؤرته في السعودية ، ولبنان في طرفه ، واليمن في الطرف الآخر .

- ان القشرة الارضية صلبة حقا ، لكنها ليست على درجة واحدة من التجانس ، وتختلف فيها مناطق الضعف والقوة . وقد تحدث اضطرابات في باطن الارض ، ربما نتيجة لحركة الاطباق الاساسية او الثانوية ، وتداخلها ، مما يسبب عدم توازن قوى الشد والضغط على النقط الضعيفة في القشرة الارضية ، ويؤدي الى صدع في الصخور يظهر على سطح الارض في شكل موجات زلزالية . وقد تنشأ الاضطرابات نتيجة لانفجارات بركانية في جوف الارض او أعماق البحار والمحيطات ، تحدث ـ أيضا ـ تصدعا في الصخور ، يمتد أثره الى سطح الارض على شكل زلازل .

- ان موقع اليمن المشرف على البحر الاحمر وخليج عدن ، جعلها ـ طبيعيا ـ في ركن لصيق بالأخدود الافريقي العظيم ، الذي أدى الى انفصال افريقيا عن آسيا ، وإحداث شق عميق بين القارتين يتمثل أساسا في البحر الاحمر . الذي يبلغ عمره في تقدير الجيولوجيين حوالي ٥٥ مليون سنة ، في حين يقدرون عمر الأرض بخمسة آلاف مليون سنة ! . ولاتزال آثار عملية الانشقاق ظاهرة الى الآن في الصور التي التقطتها الأقمار الصناعية للمنطقة .

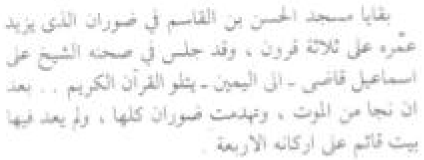
- أظهرت صور الأقمار الصناعية أيضا وجها شديد الجهامة لهضبة اليمن ، التي بدت بارتفاعاتها التي تتجاوز ثلاثة آلاف متر أحيانا ، داكنة اللون ، ولا تخل أيضا من تلك الخطوط والشقوق الغائرة . كأنها وجه لواحد من المجرمين العتاة ، ملىء بآثار الكسور والمطاوي وخياطات الجروح العميقة . وعندما ابديت الملاحظة قالوا ان تلك











بقايا مسجد الحسن بن القاسم في ضوران الذي يزيد عمْره على ثلاثة قرون ، وقد جلس في صحنه الشيخ علي اسماعيل قاضي - الى اليمين - يتلو القرآن الكريم .. بعد ان نجا من الموت ، وتهدمت ضوران كلها ، ولم يعد فيها بيت قائم على اركانه الأربعة .



الدكتور ـ عبد الكريم الارياني :
سلوك الناس لايتغير بقرار .

الهضبة من « أصحاب السوابق » حقا ! . وان منطقة الجزيرة العربية ـ اليمن خاصة ـ شهدت منذ ٣٠ مليون سنة نشاطا بركانيا غير عادي ، مما أسفر عن تكوين سلاسل من الجبال البركانية ، تغطي ثلث مساحة اليمن الحالية . ولأنهم في الجيولوجيا يحسبون الاعمار بملايين وألوف السنين ، فقد قالوا ان البركانيات « الحديثة » في اليمن عمرها « ٢ مليون » سنة ، وان من الباحثين من يعتقد ان المنطقة شهدت انشطة بركانية منذ الفي سنة .

ـ ان آثار هذه الخلفية البركانية القديمة ليست متمثلة فقط في طبقات الصخور البركانية ، ولا في تلك الشقوق الغائرة التي ظهرت في صور الأقمار الصناعية ، ولكنها وثيقة الصلة ايضا بما يسمونه « النشاطات البركانية او الثارية » التي تتعدد في انحاء مختلفة من هضبة اليمن وهي تظهر على شكل غازات وأبخرة تتصاعد من بعض الجبال المخروطية الشكل ، او مياه ساخنة تنساب من بعض العيون ، يستخدمها السكان المحليون في الاستحمام ، وفي العلاج اذا كانت مشبعة بالكبريت . واشهر هذه المواقع جبل الليسي شرق ذمار (بالمناسبة هناك اربع مناطق حول ذمار تظهر فيها بقايا تلك الانشطة البركانية) . وتصل درجة حرارة مياه جبل الليسي الى ٥٠ درجة مئوية . واحيانا ترتفع حرارتها بدرجة عالية .

ان اليمن والجزيرة العربية بشكل عام ، تعد خارج مناطق الزلازل النشطة ومعدلات الزلازل التي حدثت في تاريخها ليست بأي معيار معدلات غير عادية ، واذا كان بعض هذه الزلازل قد أحدث اضرارا بصورة او اخرى ، فليس ذلك ناشئا بالضرورة عن شدتها وعنفها ، وانما ربما كان ذلك نتيجة لاوضاع محلية خاطئة ، مثل حرص اليمنيين على البناء بارتفاعات فوق قمم الجبال ، بغير اساسات وبخامات تعرض المنزل للسقوط عند حدوث اية هزة بسيطة . وفي كل الحالات فان جملة الخسائر الناشئة عن مجموع الزلازل التي حدثت في تاريخ اليمن ، لا تقارن بعدد ضحايا كارثة ارضية واحدة في مناطق اخرى ، مثل زلزال نابولي في ايطاليا (١٨٥٧م) وسان فرانسيسكو (١٩٠٦) وطوكيو (١٩٢٣) والاسكا (١٩٦٠) وتيكاراجوا (١٩٧٢) .. ويتراوح ضحايا هذه الزلازل ـ من البشر ـ مابين ١٠٠ الف ونصف مليون نسمة !

ـ ان ماجرى في ذمار ، وماحولها يمكن أن يكون نتيجة لأحد السببين اللذين سبق ذكرهما ، وهما الحركة داخل الاطباق الثانوية في الطبق العربي ، او حدوث انفجار بركاني في قاع البحر الاحمر ، ظهر صداه في ذمار ، التي تبعد عن ساحل البحر بحوالي ١٠٠ كيلومتر ، علما بان الموجات الزلزالية يمكن أن يصل أثرها الى مسافة تزيد على ١٥٠٠ كيلومتر . وهناك وجهة نظر ثالثة تقول بانه ربما كانت الزلازل نتيجة لانتفاخات انابت الصخور الرسوبية التي تتركز عليها المباني في المنطقة . وهذه الانتفاخات تحدث بمجرد ملامسة تلك الصخور للمياه ، وهو امر وارد اذا ما علمنا ان المياه الجوفية لها وجود منتشر يمكن ان يؤدي الى نتيجة كهذه . غير ان ترجيح اي من هذه الاحتمالات ، وتحديد السبب الحقيقي للهزة الارضية يحتاج الى دراسة علمية موسعة .

سألت اساتذة الجيولوجيا والزلازل والبراكين في النهاية : هل نذهب اذن الى ذمار مطمئنين ؟ قالوا ضاحكين : العرافون والمنجمون وحدهم هم الذين يملكون وسائل الرد بالايجاب او النفي ، أما أهل العلم فليس بوسعهم التنبؤ بما سيحدث في هذه القضية بالذات !

لماذا يركبون الجبل ؟

اقترح الدكتور عبدالكريم الارياني رئيس الوزراء ان نبدأ رحلتنا على مسرح الزلازل بزيارة منطقتين اثنتين فقط ، هما ضوران ورصابة . فيهما نقضي يومنا الاول ، وبعد ذلك نواصل الجولة في ذمار المدينة ، والتي ارتبط اللواء باسمها ، ثم بقية المناطق ، لم افهم في البداية لماذا اختار الدكتور الارياني ضوران ورصابة دون غيرهما من الـ ٥٠٥ قرى التي ضربتها الزلازل . وعندما استفسرت منه عما وراء هذا الترشيح قال : اذهب هناك وسترى .

خرجنا بالسيارة ذات صباح ، بينما كانت العاصمة تمسح ندى الفجر عن وجهها المكدود ، فيما ظهرت في

الافق صنعاء القديمة بمآذنها العتيقة وواجهاتها المطرزة وكبريائها الرصين ، الذي ملأ الافق جلالا ورهبة . كان علينا ان نتجه الى الجنوب الشرقي ، وان نقطع مائة كيلومتر ، فوق طريق اكثره ممهد وناعم ، ضمن شبكة الطرق التي باتت تغطي ارجاء اليمن ، وتصل اجزاءها المترامية بشرايين من نوع جديد وغير مألوف في تاريخها .

اخترقت بنا السيارة سهولا وهضابا وجبالا . وهبطنا وصعدنا ، ودرنا حول العديد من القمم ، مارين بمختلف أشكال وتناقضات الطبيعة والجغرافيا . وهي التضاريس التي كان على اليمني ان يخوض ضدها معركة بقائه واستمراره . وكانت قمم الجبال العالية ، وسفوحها ، تشهد بانتصار اليمني في تلك المعركة . كانت القرى اليمنية تطل من فوق القمم معلنة هذا الانتصار .

بالامس ، كنت اتطلع الى تلك القرى المزروعة فوق القمم باعجاب شديد ، معتبرا انها جهد بشري خارق لتزيين صفحة الافق بمجموعات من اللوحات الفنية البديعة ، منثورة في ارجاء الصحراء اليمنية ، ولم يخطر عليّ بالي ان اسأل : لماذا يسكن اليمنيون فوق القمم . لكني وجدت السؤال مطروحا هذه المرة في صنعاء ، ضمن جملة التساؤلات والقضايا التي فرضتها الاحداث الاخيرة ، على مجالس اليمنيين اليومية ، وشهدت أكثر من مناقشة حول الموضوع ، لعدد من المثقفين والفنيين والمخضرمين ، وقد برروا هذا الاختيار اليمني بعدة أسباب :

- فهناك سبب أمني يفرض نفسه في البداية ، ذلك ان صراعات القبائل وقتالها المسلح هو الذي دفع الكثيرين الى ركوب قمم الجبال والسكن فيها .

- وهناك سبب اقتصادي نابع من الحرص على عدم التفريط في الرقعة الزراعية الضيقة وطيبتها ، الامر الذي دفع اليمنيين الى ترك السهول والوديان للزراعة ، والصعود الى قمم الجبال للسكنى .

- وهناك سبب عمراني يتمثل في عدم وجود شبكة للطرق او مراكز للخدمات طوال العهود التي سبقت الثورة اليمنية (حتى قبل الستينات) الامر الذي دفع اليمنيين على السكنى حيثما اتفق ، في أقرب نقطة قريبة من الارض الزراعية او مصادر المياه .

- وهناك اسباب اجتماعية وتاريخية ، ناشئة عن التركيبة القبلية ، حيث كان مشايخ القبائل يحرصون على استقلالية تجمعاتهم السكنية ، وعلى ألا تكون هذه التجمعات تابعة جغرافيا واداريا لمشايخ آخرين . وهو مادلل عليه الباحث الجامعي احمد القصير في دراسة منشورة له حول العوامل الاجتماعية والاقتصادية للتشتت السكاني في اليمن . مشيرا الى انه لهذا السبب فان مشايخ القبائل يفرضون احيانا تقسيمات ادارية لبعض المناطق ، الامر الذي يكرس التشتيت بصورة اعمق .

وكان من جراء هذا كله ان اصبحت اليمن بملايينها السبعة - على احسن الفروض - تضم ٥٢ الف تجمع سكني ، مابين « محلة » وقرية ومدينة ، كما يشير بحث التشتت السكاني ، وهو رقم ضخم للغاية ، اذا ماقورن ببلد كمصر على سبيل المثال ، التي لا يزيد عدد قراها على ٤٠٠٠ قرية ، بينما سكانها ٤٥ مليون نسمة !

- والمثير للانتباه في معلومات البحث ان متوسط عدد السكان في كل تجمع سكاني باليمن بات يتراوح بين ٩٠ و ١٠٠ نسمة . وانه طبقا لبيانات الجهاز المركزي للتخطيط ، فان حوالي ٥٣٪ من سكان اليمن يعيشون في محلات لا يزيد عدد قاطنيها على ٢٧ نسمة في المتوسط . وان حوالي ٨٧٪ من السكان يعيشون في تجمعات لا يزيد عدد سكان كل منها في المتوسط على ٨٧ نسمة !

لكني منذ وقعت الواقعة ، اصبحت ارى القرى اليمنية المعلقة فوق الجبال بعين اخرى ، اختلط فيها الاعجاب والانبهار بالخوف والوجل . ذلك ان الذين اقاموا هذه التكوينات المعمارية الرشيقة ، وجملوا واجهاتها ، لم يخطر على بالهم بكل تأكيد ان بطن الارض قد يحمل بمخاطر الزلازل والهزات الارضية . فقد استقر في اذهان اليمنيين ان رحم ارضهم عقيم . وان ثمة حكمة خافية عليهم في ان يفرز هذا الرحم نفطا عند بعض الجيران ، بينما يصاب بالعقم في ارضهم . ولكن مفاجأة الزلازل قلبت الميزان ، واقنعتهم بان ثمة قضاء خير من قضاء ، وان العقم خير من الحمل الخبيث !

بعين مختلفة ايضا ، اصبحت ارى الجبال المنتصبة في صحارى اليمن . لم أكن أجد - فيما قبل - تفسيرا لتعدد الوانها ، وتراوح هذه الالوان بين الرملي الفاتح وبين البني الداكن الذي قد يقترب من السواد احيانا . وللدقة فانني - ايضا - لم ابحث عن تفسير لذلك ، قانعا فيما يبدو بالبعد الجمالي الذي يضفيه هذا التعدد في الالوان .

لكن الزلازل نبهت كثيرين ، وانا منهم ، الى ان تلك الالوان الداكنة التي غطت قمم الجبال لم تكن سوى





تحول عشرات الالوف الى لاجئين . وهذه أم - الى اليمين - اصبحت هذه الخيمة هي كل عالمها ، بعدما فقدت ٥ من اسرتها . والصورة الفوقية لبيت في صنعاء عمره يزيد على ٩٠٠ سنة ، لايزال قائما كما هو . اما الصورة الثالثة - الى اليسار - فهي لقريتين يمنيتين فوق هضبة عالية ، وهما نموذج للقرى اليمنية المزروعة فوق القمم ، وقد اكتشفوا بعد الزلازل انها - جيما - في خطر .



القاضي محمد بن عبد الله السوسوه
مفتي ذمار : كرسي الزيدية تداعى منذ زمن

بصمات تلك النشاطات البركانية التي عرفتها الصحراء اليمنية على مدار التاريخ .

ومنذئذ لم أعد أجد في تلك الالوان الداكنة جاذبية تذكر . بل اصبحت ارى فيها دليلا اكيدا على كارثة حدثت حول هذا الجبل او ذاك . الامر الذي القى بظلال كثيفة من الفتور المشوب بالخوف والحذر ، على نسج العلاقة الحميمة التي كانت تربطني بتلك الجبال .

لقد ادركت اني خدعت في هذا الحب . وانني اقمت علاقة مغشوشة مع قيمة جمالية ، تبين لي فجأة انها كارثة ارضية !

في عاصمة القاسميين

خرجت السيارة من الطريق الرئيسي وانحرفت في طريق آخر يخترق أرضا سهلية غير ممهدة ، تمر ببعض القرى الصغيرة . كان واضحا أن القرى تضررت بشكل أو بآخر من الزلازل ، وان بدا أن أضرارها محدودة ، اذ أنها كانت لاتزال عامرة بالحياة ، وان تناثرت حول القرى خيام محدودة ، لايواء البعض ممن تهدمت أو تشققت بيوتهم .

قطعنا حوالي ١٢ كيلومترا حتى اقتربنا من مجموعة كبيرة من الخيام أشبه بمعسكر أحيط بسياج من الاسلاك الرفيعة .

قال مرافقنا : ان هؤلاء هم من بقي من أهل ضوران . لوح لنا البعض ، ولاحقنا آخرون ، ظنا منهم أننا من العاملين في لجنة الاغاثة . بعد دقائق كانت سيارتنا تتسلق الجبل الى المدينة التي تحمل اسم أحد الملوك الحميريين : ضوران بن أنس بن الهان .

توقفنا عند مدخل المدينة ، فلم نر سوى خرائب وتلال من الطوب والاحجار والاتربة ، ، ولم نسمع سوى مواء قطط جائعة ، واصداء أغان حزينة تتردد في جنبات الفضاء ، وأصوات حفر أو نقر ترشد اليه سحابات صغيرة من الاتربة تتسكع فوق الخرائب .

كان هذا هو كل ما تبقى من المدينة ذات الثلاثة آلاف وخمسمائة نسمة ، عاصمة الدولة القاسمية ومقر الامام المتوكل على الله اسماعيل بن محمد القاسم طوال حكمه الذي استمر ثلاثين عاما ، لعب خلالها دورا بارزا في تحقيق وحدة « اليمن الكبرى . . . »

لم يكن في المدينة بيت واحد قائمة أركانه . ما لم يهدم كله ، انهار جزء منه . ومالم ينهر تشققت جدرانه ، ومالت حوائطه ، وبات سقوطه وشيكا . كانت ضوران في طليعة شهداء الزلازل ، حيث سقطت في أول هزة يوم ١٣ ديسمبر ، وكانت وحدها تجسد كل ما جرى ، من حيث طبيعة وحجم الخسائر المادية والبشرية ، وعمق هذه الخسائر ، التي لحقت ـ مثلا ـ بمسجد أثري عمره حوالي ٣٥٠ سنة ، يرتبط باسم بانيه الحسن بن القاسم ، شقيق المتوكل على الله اسماعيل ، الذي حكم لفترة وجيزة بعده ، وكان آخر أئمة الدولة القاسمية .

غير أن ضوران لم تكن تجسد فقط طبيعة وحجم ما أحدثته الكارثة ، وانما تصادف ان كان ما جرى بالمدينة تجسيدا أيضا لمفارقات القدر التي اسفرت عنها الزلازل ، اذ ارتبطت بضوران معظم القصص التي يتناقلها اليمنيون عن تلك المفارقات المثيرة للانتباه والدهشة . قصة الرجل الذي عاد ابنه من السعودية بعد غيبة خمس سنوات ، فاحتفل به وقرر أن يزوجه ، ودعا أقاربه في مختلف محافظات اليمن وألويته . ثم انهار المنزل فوق الجميع ومحيت أهم رموز تلك الاسرة التي قتل منها ٣٦ فردا مرة واحدة . قصة الأم التي انهار فوقها سقف البيت فماتت على الفور ، وعند اخراج جثتها بعد ثلاثة أيام فوجئوا برضيعها ابن الاثني عشر يوما لايزال على قيد الحياة ، ويتغذى من صدرها . قصة المرأة ذات الاربعين عاما التي سقط عليها البيت بينما كانت تملأ جرة ماء ، وظلت خمسة أيام تحت الأنقاض تعيش على ماء الجرة حتى تم انتشالها . .

ربما هذه الاسباب في مجموعها رشحها الدكتور الارياني لتكون ضوران نقطة الابتداء في جولتنا ، حتى نرى فيها ومن خلالها شريطا مصغرا لكل ما جرى .

كان مسجد الحسن بن القاسم ابرز ما واجهنا في مدخل المدينة . ولولا ميضاته التي لاتزال كما هي ، ولولا محرابه الذي نجا من الدمار ، ولولا بعض النقوش والزخارف المتبقية على بعض الجدران ، لما عرف القادم من الخارج ، ان هذا البناء كان مسجدا يوما ما ، فقد انهارت قبته ومئذنته واغلب جدرانه ، التي أشارت بعض الكتابات المحفورة عليها الى أن المسجد اسس في سنة ١٠٦٣ هجرية .

عندما اقتربنا من المكان أكثر ، تبين أن ثمة ضريحا الى جوار المسجد ، للحسن بن القاسم ذاته ، وان ثمة مدرسة ملاصقة للاثنين ، مازالت السبورة معلقة على جدار لاحد صفوفها ، وقد كتب عليها ٢٧ من صفر ١٤٠٣ - ١٣ من ديسمبر ١٩٨٢ . وتحت التاريخ كتب المدرس عبارة : « أكمل الناقص فيما يلي » ثم أورد مجموعة من العمليات الحسابية التي بقيت دون حل .

ولقد كانت مفاجأة لنا بعدما تسلقنا الاحجار وقفزنا الى صحن المسجد ، ان وجدنا وسط الركام والانقاض رجلا جالسا أمام المحراب يتلو القرآن الكريم من مصحف كبير أمامه ، وكان الرجل ، واسمه علي اسماعيل قاضي (٦٠ سنة) - على عتبة المسجد عندما حدث الزلزال وانهار البناء على من فيه ، بمئذنته وجدرانه . زوجته كانت في البيت فتهدم فوقها ، ولم يجد لها أثرا . وأولاده الثلاثة كانوا في صنعاء . وهم كل مابقي له في الدنيا .

مضينا نشهد ما جرى في عاصمة الدولة القاسمية ، التي أصبحت في لحظة زمن مدينة الاشباح والخرائب والقطط الجائعة . لم يكن هناك شارع يمكن اختراقه بسهولة ، وانما كان علينا أن نتسلق تلال الأنقاض ، وان نغطي وجوهنا تجنبا للاتربة ، وان نسد انوفنا عن الرائحة الكريهة المنبعثة من تحت الركام في بعض الاماكن . لم نكن وحدنا على مسرح المأساة ، وانما كان هناك آخرون يبحثون عن أنفسهم وأهليهم وأموالهم ، بأظافرهم وفئوسهم ، في محاولات يائسة للعثور على خيط من ذاكرة البيت أو الاسرة . بينما جلس البعض فوق الاطلال ذاهلا عما يجري ، وغير مصدق لما جرى .

كانت قصة الجميع واحدة . مع اختلاف طفيف في التفاصيل والملابسات في أقل من دقيقة واحدة ، خسر كل واحد اسرته كلها أو بعضها ، وفقد بيته وماله وسلاحه ، وكل ما بناه هو وآباؤه وأجداده منذ عشرات السنين . ثم خرج بعد ذلك لايملك من الدنيا وحطامها ، غير الثياب التي يرتديها .

حدثت بعضهم ، نساء ورجالا ، فكان منهم من فقد أمه وأباه وأربعة من أطفاله وأطفال أخيه ، ومع ذلك فقد كان يروى التفاصيل والاسماء ، بهدوء وثبات عجيبين . ولقيت امرأة فقدت زوجها وأربعة من أولادها ، وبيتا من خمسة طوابق ، ثم وقفت تجيب على أسئلتنا ، دون أن تذرف دمعة واحدة . ورأيت رجلا دفن جثث زوجته وأمه واثنين من أولاده ، وصلى على الجميع وحده ، ثم عاد بعد الدفن مباشرة ، ليساعد جاره على رفع الانقاض واستخراج ماتحتها . وهكذا .

أدهشني هذا القدر من التماسك غير الطبيعي في مواجهة الهول الذي رأيته وسمعت به . خصوصا واني في اطار التهيؤ لاستقبال المشهد ، كنت أتمنى هم مواجهة انفجارات الاحزان من اعين الناس وحناجرهم ، واتهيب لحظة العجز الانساني في مواجهة فيضان النحيب والصراخ والعويل . ثم فوجئت بان شيئا من هذا كله لا اثر له . وعندئذ ايقنت ان دموع الناس تحولت الى براكين خامدة وأن بحار الحزن اليمنى تصب في الاعماق ، ومحظور عليها ان تفيض !

. . وفي البوادي رصابة

بعد ضوران استدارت بنا السيارة الى رصابة ، التي اكتشفت فيما بعد لماذا ايضا كان علينا ان نزورها في اول جولة . ذلك انه اذا كانت ضوران هي شهيدة المدن اليمنية التي ضربها الزلزال ، فرصابة هي شهيدة القرى ، باعتبارها اكبر قرى البلاد على الاطلاق . فسكانها خمسة الاف نسمة ، وذلك رقم ضخم نسبيا اذا قورنت بمثيلاتها . بل انها من هذه الناحية تعد اكبر من مدينة ضوران ذاتها ، ولأنها تحظى بمكانة خاصة لدى اليمنيين منذ القدم ، فالجميع يرددون فيها بيتا شهيرا من الشعر الشعبي نظمه حكيم الزراعة علي بن زايد منذ اربعة قرون ، وقال فيه :

ما في المدن غير صنعا
وفي البوادي رصابة



حملتنا هذه الطائرة الهليكوبتر الى المناطق المنكوبة في عمق الصحراء ، التي يتعذر الوصول عبر الطريق العادية ، ومنها التقط مصور العربي اوسكار متري صورة هذه المجموعة من القرى المتجاورة ، التي تحولت الى قبور بعد الزلازل .



أنقاض ولاجئون ، البناية في الصورة الفوقية كانت من خمسة طوابق ، لم يبق منها شيء ، حتى الأنقاض بات متعذرا اخراج ما تحتها ، بعد ما انتشلوا جثث القتلى والمصابين بصعوبة بالغة ، وفي الصورة التحتية اكثر من تساؤل حول المستقبل المجهول .

اول من لقيناه في رصابة رجل شاحب الوجه في الثلاثينات من عمره اسمه حسين احمد كان يمشي ساهما ، وقد حمل على كتفه فأسا تساقط منها ذرات التراب . قال انه كان خارج الدار عندما انهار المنزل على زوجته وبنته وولده . فاندفع مع غيره ليرى ما حل باسرته . بعدما رفعوا الانقاض اكتشف ان زوجته قد توفاها الله ، وان ابنته اصيبت بكسور شديدة ، لكنها على قيد الحياة ، فنقلت للعلاج في صنعاء . اما ابنه عبد الله ذو الاثني عشر عاما فلم يجد له اثرا . رفع كل حجر ، ونقب كل كومة تراب فلم يعثر عليه ـ قال له البعض انه كان يلهو في الشارع . ولم يتفقوا على شارع بذاته ، اذ تعددت الروايات . ومنذئذ والرجل يفتش في كل الشوارع التي تحدثوا عنها . يحمل فأسا على كتفه ويقضي يومه كله يبحث تحت الانقاض على ابنه عبد الله . وعندما كنا هناك ، كان حسين احمد قد امضى خمسة عشر يوما يفتش في الانقاض التي تملأ شوارع رصابة على ابنه ، دون جدوى !

لم تختلف رصابة عن ضوران الا في حجم الضرر الذي حل بها . كل منها تحولت الى خرائب وانقاض ، وكل منها لم يعد صالحا للسكنى ، وبات مهجورا تماما . لكن الارتفاع في ضوران كان له اثره في زيادة نصيبها من الدمار ، وزيادة عدد بيوتها التي محيت وتحولت الى قبور .

كان البعض ـ ايضا ـ لا يزال يحاول ان يستخرج من تحت الانقاض أي شيء من متاعه او ماله ، بعدما امكن انتشال الغالبية العظمى من جثث القتلى والمصابين .

لم يكن الاهالي وحدهم بطبيعة الحال ، لكن رجال الجيش لعبوا الدور الاساسي ، ورجال القوات الجوية

ادوا مهمة جليلة في عملية النقل السريع للقوات من ناحية ، والمصابين من ناحية اخرى . اما الجهد الذي بذلته القوات الفلسطينية المتمركزة في معسكر صبرا ، واستبسالها في الانقاذ ورفع الانقاض ، فان الجميع لن ينسوه ، وهو ما شهدت به ضوران قبل رصابة ، وبقية المناطق المنكوبة مع الأثنين .

كانت رصابة ، عروس قرى اليمن ، قد تحولت الى معسكر للخيام ، على مرمى بصر من القرية الاصلية . وكان اهلها يصبحون ويمسون واعينهم معلقة بالخرائب والاطلال ، غير مصدقين لما حدث في تلك الثواني التعسة . جميعا كانت لهم قصص دامية ، وكل قصة تمزق القلب ويشيب لها شعر الرأس . لكنهم ـ ايضا ـ كانوا يروون ما جرى بنفس القدر من التماسك والسكينة .

لمن ملك ذمار ؟

في اليوم التالي كنا في ذمار العاصمة والمدينة العريقة ، التي ظلمها البعض ، وادعوا أن اسمها الاصلي هو دمار ، «بالدال وليس بالذال» من الاطلال والخراب وليس من الحمى ، وهو نوع من قراءة الاسماء في ضوء الاخبار ، او نوع من القراءة يعكس احدى درجات الأمية المتفشية . واغلب الظن ان القائلين بذلك وقعت اعينهم على اسم المدينة لأول مرة عندما حدثت الزلازل في شهر ديسمبر الماضي ، في حين ان ذمار لها عمر يمتد في عمق التاريخ بمسافة تزيد على ٢٠ قرنا .

والاتفاق بين الباحثين ان المدينة حملت اسمها ذاك ، منذ سنوات ما قبل الميلاد ، وهو في الاصل اسم لأحد ملوك مملكة سبأ القديمة . لكن الاجتهادات تتعدد في التعرف على اي من هؤلاء الملوك ، اذ كان منهم اكثر من واحد بهذا الاسم . من ذلك ان الباحث اليمني الدكتور عبد الله حسن الشيبة المدرس بقسم التاريخ في جامعة صنعاء ، يرجع في دراسة له ان اسم ذمار ربما يكون نسبة الى احد حكام سبأ الذين حكموا البلاد في القرن السابع قبل الميلاد (ذمار علي) ، او في القرن الخامس (ذمار علي يتوف) .

وينقل ياقوت الحموي في معجم البلدان عن اخرين قولهم ان ذمار على بعد ستة عشر فرسخا من صنعاء . وانه لما هدمت قريش الكعبة في الجاهلية ، وجد في اساسها حجر مكتوب عليه بالمسند : لمن ملك ذمار ، لحمير الاخيار . لمن ملك ذمار ، للحبشة الاشرار . لمن ملك ذمار ، لفارس الاحرار . لمن ملك ذمار ، لقريش التجار !

كما يذكر الحموي اسماء عدد من اهل العلم الذين ينسبون الى ذمار ، منذ عصور الاسلام الاولى ، ومنهم مروان ابو عبد الملك الذماري ، الذي كان يعد « زاهد دمشق » وولي قضاءها .

رغم هذا كله ، تجد من « يفتي » بانها كانت دمار وليست ذمار !

لقد دخلت المدينة سجل التاريخ الحديث من باب العلم والفقه ، اذ عرفت طوال عهود مجد الامامة بانها « كرسي الزيدية » ، اذ كانت تعتبر تقليديا معقل فقهاء المذهب ، واحد المراكز الاساسية للتنظير والاجتهاد فيه . وبرزت فيها مدارس العلم والفقه بشكل اخص منذ القرن العاشر الهجري ، في عهد الامام شرف الدين . وكانت آراء فقهائها هي القانون الذي يطبقه الأئمة في صنعاء .

القاضي احمد زبارة
مفتي اليمن : الزلازل ليست عقابا الهيا

وكان موقعها الجغرافي في نقطة التماس بين نهاية منطقة الجبل التي ينتشر فيها المذهب الزيدي ، وبداية منطقة السهل الذي يسودها المذهب الشافعي ، قد رشحها لتكون ميدانا لحوار دائم بين فقهاء المذهبين ، وهو ما كان يرحب به الأئمة ، بأمل ان يؤدي هذا الحوار الى اختراق المذهب الزيدي لمنطقة الشوافع الجنوبية . وايا كانت الدوافع ، فقد ادى ذلك الى اثراء الحياة الفكرية في ذمار ، حتى ان مؤلف كتاب « مطلع الاقمار ومجمع الانهار في تراجم علماء مدينة ذمار » ، يحصي من هؤلاء العلماء حوالي ١٢٥ فقيها في القرنين الثاني عشر والثالث عشر (الكتاب مخطوط لم يطبع ، وهو من تأليف حسن بن حسين بن حيدرة) .

لكن الأمور اختلفت مع ذمار بمضي الوقت . واهتز كرسي الزيدية منذ انطفأ وهج فكرة الامامة ، بتحولها الى اداة قمع واستغلال وانغلاق ، ثم بذهابها كلية بعد الثورة في بداية الستينات . هكذا يقول مفتي المدينة محمد بن عبد الله الموسوة (٨٥ سنة) ، معتبرا ان تداعي كرسي الزيدية في ذمار ، كان بمثابة زلزال مبكر افقدها الكثير من مكانتها الادبية ، كما ان زلزال الثمانينات افقدها الكثير من قيمتها الاقتصادية .

ويبدو ان ذمار منذ خلعت عباءة الفقه الزيدي لم تكن فقط مضطرة ومغلوبة على امرها ، لكنها كانت ايضا تحاول ان تتعامل بلغة العصر . فقد انتقلت من الفقه الى التجارة والزراعة ، اي من صدارة الدين الى صدارة الدنيا . وباتت ذمار واحدة من اهم مدن الرواج الاقتصادي ، ومنها خرجت اول واكبر موجات المغتربين اليمنيين في الخارج .

كان رفيقي في الرحلة احد ابناء ذمار ، وزميل الدراسة في الخمسينات ، وزير الاقتصاد اليمني الاسبق ، محمد عبد الوهاب جباري ، الذي اكتشفت انه اختير رئيسا

للجنة الانقاذ في المدينة . ومنه عرفت ان الذماريين باتوا يسمون « ألمان اليمن » ، لحيويتهم وشدة طموحهم ، وتحركهم الدائب في مختلف مجالات التجارة والزراعة ، وان كانت خلفية المدينة الفقهية مازالت بصماتها قائمة الى الان ، وهو ما يتمثل في تمسك اغلب اهل البلاد بالتعاليم وتدينهم الشديد .

منه ايضا عرفت ان اهل ذمار لهم بعض السمات الشخصية المتميزة ، التي تجتمع فيها سلاطة اللسان وخفة الظل مع المصارحة والخشونة ، التي قد يجد فيها البعض ما يتعارض مع اصول الدبلوماسية واللياقة .

وهو ما دعا الشاعر اليمني اسماعيل بن احمد الصحيف (توفي سنة ١١٢١ هـ) ان يعبر عن هذا الموقف في بيت شهير يقول فيه :

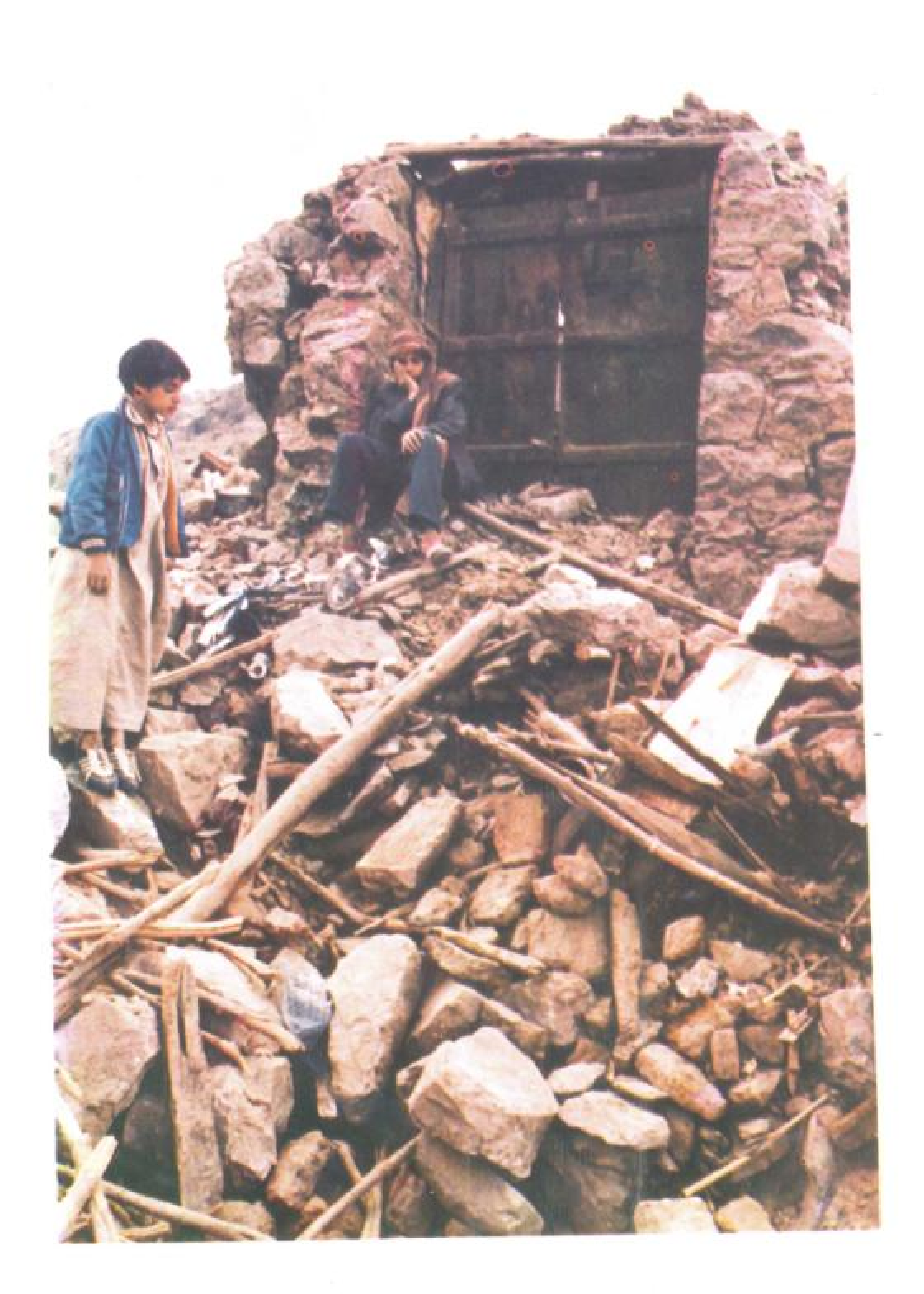
لست أدعى في الوغى حامي الذمار
ان تصبرت على سكنى ذمار

لم يستغرق حديثنا عن اهل المدينة سوى دقائق معدودة ، لأن رحلتنا كانت ابعد ما تكون عن السياحة في ذمار . فشاغلنا نحن الاثنين كان ما جرى لها . بل انه عند هذه النقطة قدر لنا ان نلتقي بعد فراق دام ربع قرن تقريبا ، كما يلتقي الاقران المشتتون بعد غياب طويل في سرادق للعزاء . يختصرون مسافات الزمن في البداية بكلمات شاردة مبعثرة ، ثم لا يلبثون ان يطأطئوا الرؤوس ، وقد استغرقهم المصاب الجلل .

أفظع مما نتصور

قال لي رئيس لجنة الانقاذ في ذمار ان المدينة لم تتعرض لانهيارات ودمار مماثل لذلك الذي شهدته المناطق المحيطة بها ، ولكن الحصر الذي تم اثبت انه من بين ٦٠٠٠ بيت في ذمار ، هناك ٤٠٨٠ بيتا اصابتها الهزات الارضية بشقوق تعرضها للسقوط في اية لحظة ، وبالاخص عندما يحين موعد سقوط الأمطار) هذه البيوت تركها شاغلوها عندما رأوا ما حل بغيرهم ، اذ لم يعد احد مستعدا لكي يبقى حتى يسقط عليه البيت . بعضهم نزح الى المدن الاخرى عند الاقارب ، وبعضهم لجأ الى الخيام وحجرات الزنك . واذا استطاع هؤلاء ان يتعدوا عن احتمالات الخطر مؤقتا ، فان مصيرهم ومصير بيوتهم في علم الغيب ! .. وهي مشكلة المناطق المنكوبة كلها في محافظة ذمار .

وقال ان الصورة في الايام الاولى للزلازل افظع مما يتصورها كثيرون . ذعر الناس من هول ما جرى يفوق





خرائب وخرائب ، هذا كل مابقى من مئات القرى التى كانت عامرة بالحياة . الصورتان - يمين وتحت - ليستا بحاجة الى تعليق،والصورة الثالثة (فوق) لمحافظ ذمار احمد عبد الله الحجرى يستمع الى شكاوى وملاحظات بعض المنكوبين ، وقد وقف الى جواره محمد عبد الوهاب جبارى رئيس لجنة الانقاذ في مدينة ذمار . وقد رافقنا الاثنان في جولتنا بالطائرة الهليوكوبتر .

الوصف . والقتلى بغير عد ، وكل من استطاع ان يستخرج جثث اقاربه حملهم واحدا تلو الآخر في اي قطعة قماش ، ليدفنهم في العراء . لا احد يعزي احدا ، فالكل مفجوع ومصاب . ومنظر الاحياء وهم يحملون موتاهم وقد لفت جثثهم على عجل وبما تيسر من امكانيات ، كان اشبه بالعائدين من السوق . كل واحد يحمل سلة في يده ، يفرغ مافيها ، ثم يعود ليملأها من جديد . وفيات الاطفال الرضع بلغت خمسين طفلا في المتوسط يوميا ، واكثرهم ماتوا من شدة البرد سواء قبل تسلم الخيام او بعدها ، خصوصا وان بعض الخيام التي ارسلت ـ الامريكية تحديدا ـ لم تكن مخصصة للايواء فيما يبدو ، وانما كانت من ذلك النوع الذي يزرع على الشواطيء في الصيف . لأنها كما قال الناس تحولت الى ثلاجات في ليالي الشتاء القارسة . لقد رفض الاهالي ان يودعوا اطفالهم في مستشفى المدينة في الليل ويتسلموهم في النهار ، واصروا على ان يبيتوا معهم ، فكان في ذلك هلاكهم . الاغلبية الساحقة من الاطفال الذين ولدوا بعد الزلازل ماتوا ايضا في الخيام . ويلفت النظر هنا ان من المواليد من تسمي باسم زلزال للولد ، وزلزلة للبنت !.. اما مشكلة الاطفال الذين مات ذووهم ، ولا يعرف لهم أهل ، ولايعرفون لانفسهم اسماء ، هؤلاء لا احد يعرف لهم مصيرا ، وان اعتبرت الحكومة مسئولة عنهم .

ذلك كله في المناطق التي امكن الوصول اليها في وقت مبكر واستكشاف ما جرى فيها . الا ان هناك قرى تقع على قمم او سفوح الجبال العالية . بحث تعذر حتى على الطائرات ان تجد مكانا قريبا منها تستطيع الهبوط فيه . وثمة ٣٢ قرية في تلك المناطق ينطبق عليها هذا الوضع ، اغلبها في نواحي آنس ، وجبل براع ، وجبل صعب .

في ذمار كانت تنتظرنا طائرة مروحية لتقوم بجولة في مناطق الزلازل الاخرى ، وقد صحبنا في هذه الجولة محافظ المنطقة الشاب ، احمد عبد الله الحجري (٢٩ سنة) اضافة الى رئيس لجنة الانقاذ بعاصمة المحافظة محمد جباري ، كان عمر المحافظ مفاجأة لي ، لأنه بدا اكبر من سنه بعشر سنوات على الاقل ـ وعندما ابديت الملاحظة قال لي احد رفاقه انه « كان شابا قبل الزلازل » !

لقد اخلى المحافظ سكنه المشروخ ، وبعث بأسرته الى صنعاء وتفرغ هو لحمل هموم ٨٥٠ الف نسمة يسكنون المحافظة ، ولكل واحد منهم مشكلة قائمة بذاتها . في البدء كان عليه ان يواجه محنة الاغاثة ، التي تمثلت في رفع الانقاض والبحث عن القتلى والمصابين ، بكل ما اعترضها من صعوبات واهوال . ثم كان عليه في الوقت ذاته ان يواجه محنة الايواء ، وتدبير ٤٠ الف خيمة لضحايا الزلازل ، بمعدل خيمة لكل اسرة وتأتي بعد ذلك مشكلة حصر الاضرار ، ثم يتضاعف حجم المشكلة عندما يطرح السؤال الكبير حول المستقبل والمصير !

ورغم ان الدولة كلها تدعمه ، وان كارثة الزلازل فرضت نفسها على رأس شواغل هرم السلطة ، الا ان الامر في النهاية يصب عنده . وعليه ان يكون اداة المواجهة والتنفيذ .

قال لي المحافظ الحجري ان اكثر اجزاء المحافظة تضررا هي تلك التي تقع في غربها . وبالذات في جهران وآنس (ذكر في الانباء ان بعثة اليونسكو اعلنت ان بؤرة الزلزال في تلك المنطقة) وهي المناطق التي شهدت التهدم الكلي بصفة اساسية ، الذي ادى الى تفريغ ٩٦ قرية من سكانها ، وما جرى في ضوران تكرر في مختلف تلك القرى . فقرية قعوان كان بها ٦٠٠ بيت ، لم يبق منها شيء قائما سوى ثلاثة فقط قرية خشرات مسحت تماما ، وكذلك الشليل والمصنعة .. وهكذا .

واضاف الحجري انه فضلا عن البيوت التي تهدمت، والقتلى والمصابين،فهناك الثلاثمائة الف شخص في المحافظة الذين هجروا بيوتهم وتشردوا ، ومطلوب حل مشكلتهم ، وغير ذلك كله ، فهناك ٦٠ مدرسة اختفت ، و١٦٤ مدرسة تشققت ، و٣٢٣ مسجدا انهار وتشقق ، وذلك غير مرافق المياه والكهرباء التي تضررت .

احشاء القرى من الجو !

بعد دقائق قليلة كنا فوق المناطق المنكوبة . وبدت صورة القرى اليمنية من الجو اسوأ بكثير مما ترصده العين على الارض . والفرق بين الصورتين قريب الشبه بمن يرى قتيلا ملقى على تلة ، ومن يصعد الى مرتفع فتقع عيناه على احشائه وقد مزقت شر ممزق .

ظلت احشاء القرى المنهارة تحت اعيننا حيثما ذهبنا ، خصوصا تلك التي شاء لها الحظ التعس ان تتربع فوق قمم الجبال . وكان تمدد تلك القرى في رقعة صغيرة من الارض او الجبل يوحي بان امثال تلك المناطق لم تتعرض للتدمير فقط ، وانما تعرضت للتمثيل ايضا .

كانها فلول منهزمة لجيش عرمرم ، سحقته قوى لا تقهر ، ودكت قواعده دكا ، مصرة على ألا يبقى فيه رمق او تقوم له قائمة .

اما منظر الجبال التي تشققت ، والفجوات السوداء المرتعشة التي تخللتها من القاعدة الى القمة ، فكأنه كان نوعا من الانفلاق الاسطوري الذي يروى ان التنين يخرج منه متبوعا بجيش المردة الذين يهددون بسحق العالم !

نزلت في بعض القرى...العليب وهجره ومنقذه ، التي كانت صورة طبق الاصل لما رأيناه في ضوران ورصابة ،

فيما حل بها من خراب ، وفيما نزل على اهلها من سكينة ورباطة جأش لا نظير لها . وقف احدهم حاملا طفلا صغيرا ، وتحت اقدامه عدة اكوام متناثرة من التراب ، واشار امامنا الى تلك الاكوام قائلا : المتجاوران لاثنين من ابنائي ، وهذا الذي على اليمين ابي ، وعلى اليسار زوجتي . . كان يتحدث دون ان يهتز جفن او يختنق له صوت ، كما لو كان يشير الى بعض المعالم الاثرية والسياحية !

سؤالان كبيران

عدت إلى صنعاء وفي ذهني سؤالان كبيران ، اولهما يدخل في باب الفضول ، والثاني يدخل في باب الحكمة . السؤال الاول هو : اين ذهب حزن الناس في ذمار ؟ . . والثاني هو : ماذا بعد الزلازل ؟

في اجابة السؤال الاول ناقشت عددا من اهل الذكر ، فتعددت الاقوال ، فمن قائل انه الايمان العميق والتسليم المطلق بقضاء الله وقدره . اذ ان الهول الذي جرى لا يمتص آثاره العميقة سوى مستودع الايمان العظيم . ومن قائل انه ـ فضلا عن الايمان بقضاء الله ـ فقد راجت بين الناس تلك الاحاديث النبوية التي تعد من مات له اطفال صغار بالجنة ، مما كان زادا اساسيا للصبر واحتمال الكارثة . ومن قائل انهافوق هذا وذاك ـ الطريقة اليمنية في التعامل مع القدر . اذ ان القيم الدينية والاجتماعية السائدة تعتبر البكاء والعويل نوعا من الاحتجاج على القدر لا يقبله الضمير المسلم . فضلا عن ان الكوارث الطبيعية ، مشكلة ليس لها غريم ، كما يقول اليمنيون . فلو ان فردا في قبيلة قتله اخرون ، لما تنازلت القبيلة حتى ابد الدهر عن حقها في القصاص وقتل القاتل ، ودون ذلك قد يذهب آحاد وعشرات . ولكن قتل الزلازل لا ثأر ولا غريم لهم .

ومن قائل إن حجم الصدمة اصاب الجميع بذهول ولم تكن بحار الحزن قادرة على ان توفيها حقها من الدموع . ومن قائل انها قسوة المعيشة في تلك المناطق ، التي جعلت من حياة الناس حلقات متصلة من الشقاء والعذاب ، لا مكان فيها لترف الراحة او هدوء البال . الامر الذي هيأ خلفية لاستقبال الكوارث الطبيعية باعتبارها حلقة اضافية في ذلك المسلسل ، مع جرعة مضاعفة وزائدة من الشقاء والعذاب .

وضعت السؤال الثاني امام الدكتور عبد الكريم الارياني رئيس الوزراء فكان رده ان موضوع ما بعد الزلازل خاضـ لبحث والدراسة ويحتاج إلى تقييم دقيق لمختلف ابعاد دث الاقتصادية والاجتماعية فالقول بخطورة استم النمط اليمني في البناء فوق الجبال حق لا جدال فيه .

ولكننا لانستطيع ان نقول للناس : انزلوا من فوق الجبال فينزلون . اذ ان دون ذلك عقبات لاحدود لها . من بينها ارتباط هؤلاء الناس باراضيهم الزراعية ومصادر مياههم ونطاق قبائلهم ، والدعوة الى اعادة النظر في ظاهرة التشتت السكاني وتجميع الناس في محلات سكنية واحدة او متقاربة ليسهل تقديم الخدمات للجميع ، حق وعدل ايضا ، لكن اسباب التشتت لها جذورها في التركيبة الاجتماعية والقبلية . وليس من الحكمة ، بل ليس من الممكن ايضا ، ان تصدر الحكومة قرارات بتغيير السلوك الاجتماعي للناس .

ثم اضاف الدكتور الارياني ، لقد نبهتنا الزلازل ايضا الى انه يجب ان نولي مزيدا من الاهتمام للدراسات الجيولوجية في بلادنا ، وان نعيد النظر في اسلوب البناء وخاماته ، فاستخدام الطين في البناء ، مع الاحجار دون اية خامات اخرى قوية تسهم في تماسك تلك الاحجار أدى الى سرعة انهيار كثير من المنازل .

وقال ان هذه الامور تتعلق باليمن ككل في حاضره ومستقبله . وهي على اهميتها البالغة تأتي في مرحلة تالية في الترتيب لمشكلة القرى المهدمة كليا وجزئيا ، والبحث عن طريقة مناسبة لاعادة تسكين هؤلاء الناس في المستقبل . وذلك همّ عظيم يتجاوز قدرة اليمن ومواردها العادية لعدة سنوات قادمة .

واضاف : تسألني عن الحل ؟ . . وردي ان هذه مشكلة . . . الداء فيها معروف والدواء ايضا معروف . لكن من يدفع ثمن بطاقة العلاج ، اذا كان هذا الثمن يتجاوز ما في الجيب اليمني اليوم وغدا وبعد غد . سوف نعيد النظر في اشياء كثيرة بالنسبة لاولويات الخطة ، وسوف نفتح الابواب لعون المنظمات الدولية ومختلف الدول العربية التي لم يقصر اكثرها في حقنا ، في مرحلة الاغاثة والايواء . وسنمد ايدينا لكل فكرة جديدة كالتي طرحها الامير طلال بن عبد العزيز لانشاء منظمة خاصة للاغاثة العربية . لكن هل هذا سيقربنا من الهدف الذي ننشده ؟ المستقبل هو الذي سيجيب على السؤال .

في الطريق الى المطار ، كان راديو صنعاء في جولة بالمناطق المنكوبة ، وعندما استوقف المذيع واحدا من الاهالي وسأله عن قصته ، فكان رده انه فقد امه وزوجته واولاده الثلاثة ، كما قتل شقيقه وزوجة احدهما ، وفي نهاية الحوار طرح عليه المذيع السؤال التقليدي : لمن تريد ان تهدي سلامك ؟ واذا بالرجل ينفجر فيه قائلا باللهجة اليمنية : اكدض (اي افهم يا بني ادم) . . قلت لك ان كلهم ماتوا !

في آخر ايامه ، لم يجد الرجل في دنياه احدا يبعث اليه سلاما عبر الاثير ! ○



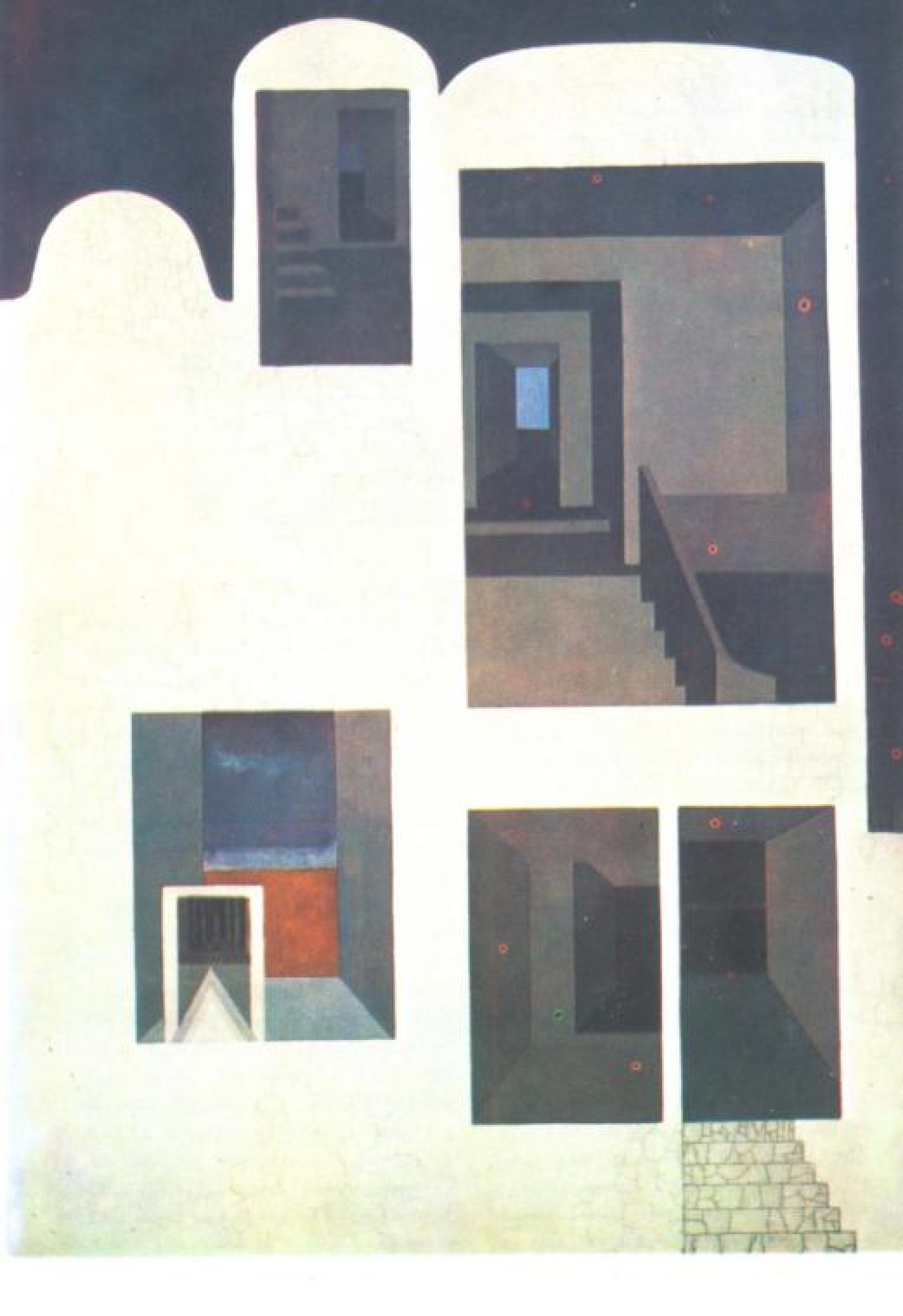
● مع الحب من وإلى شمس الدين ١٩٧٨

الفنان باسل القاضي

والتزاوج بين الفن والتصوّف

بقلم : اياد الموسوي

الفنان الكويتي باسل القاضي تعرفه اوروبا اكثر مما يعرفه العالم العربي ، وهو الذي أختار ان يعتزل ويعيش عالمه الخاص .



للتيارات الفكرية رؤى متباينه من اجل الوصول الى تفسير الوجود والاشياء التي تولد فيه وتعود اليه ثانية ، في دورتها الحياتية المغلقة ... والمفتوحة ... !

والفكر الصوفي يبحث في دورة الوجود المفتوحة وسمو الوجود المطلق . فهو يدعو الى صفاء النية ، وتجرد الروح البشرية من مغريات الدنيا .. بحثا عن نقاء المشاعر وصدق توجيهها ، ثم صدق النوايا والاعمال . والفنان الكويتي باسل حمد القاضي توجه في فضاء صوفي بعيد ... بعيدا عن انظار الناس ونفوسهم (الاماره بالسوء) معتزلا العالم .. متفردا بعالمه الروحي الذي يرفل بالنقاء والسؤال والتأمل ... باحثا عن حقيقة وجوده ، وفقراء انسانيته ودوره في هذا العالم وذلك من خلال تلك الطاقة الروحية التي يبثها القاضي في لوحاته .

نشأة باسل

باسل حمد على القاضي من أبوين عربيين ... اصل الأب يعود الى عنزه ، وامه من عائلة النصار ... وعرف حمد القاضي (والد باسل) باسفاره البعيدة وراء تجاربه . واحدى محطات حمد كانت الهند ، حيث استقرت اسرته هناك لمدة من الزمن .... وولد باسل في الهند عام ١٩٣٨ .

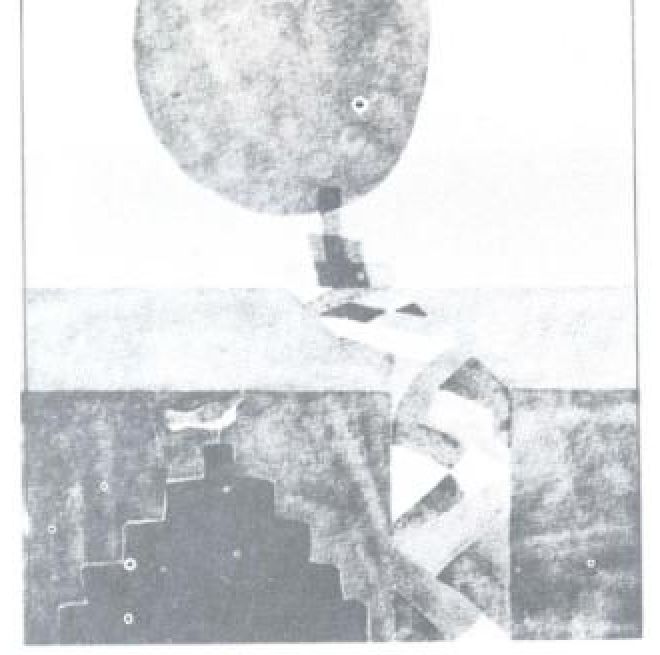
وكان لباسل عمان الاكبر اسمه محمد والاصغر اسمه عبد الرحمن ، الاول كان شاعرا والاصغر كاتبا ، وقد ذاع صيتهما في منطقة الجزيرة العربية .

اكمل باسل مراحل دراسته الاولى في لبنان وتنقل وهو في سن الصبا والشباب المبكر في عدن وأقاليم شبه الجزيرة الهندية ، وبلدان آسيا وبعد أن ذهب الى لندن لاكمال دراسته الثانوية ، تجول في عواصم أوروبا ... وكان للمتاحف والمعارض الفنية نصيب وافر من وقته واهتمامه بالمدن التي زارها .. وهو بعد لم يذهب الى أكاديمية الفنون .. وكانت عينه وعقله وذاكرته نشطة في التقاط مفردات الفن ، وتمثلها واختزانها في ذاكرته وخبرته الفنية . وانتسب باسل وشقيقته منيرة القاضي (وهي فنانة مبدعة تعيش خارج الكويت) الى المدرسة المركزية للفنون والحرف في لندن ، ودرسا فيها الفن والمسرح لمدة ثلاث سنوات مواصلا باسل بذلك رحلة التحصيل الفني ... ومواصلا كذلك رحلة تجميع المشاهدات والاطلاع على الخبرات والتجارب الفنية .. وذلك من خلال عشقه للسفر والتجوال في البلدان ، فقد واصل باسل رحلاته في العواصم الأوربية .. خلال سني دراسته ، وذلك مع بداية تحديد مفاهيمه الفنية الخاصة به ... كان ذلك عام ١٩٦٠ عندما كشفت أولى أعماله عن معالم عالمه الفني ، وشفافية الوجود الذي يعيش فيه واتجه في نهج حياته الخاصة ، وبحثه التأملي في الوجود بعيدا عن كل المؤثرات ... بعد أن انتهى باسل من مدرسة الفنون ، قرر الانقطاع عن العالم سبع سنين متواصلة ... باحثا في عالمه الشفاف عن شيء صادق وحميمي من نفسه وروحه ، بعيدا عن بصمات الحياة .. وحركتهاالمتشابكة ، ولبعيد توازنه الداخلي .. ويجدد علاقاته الجديدة مع فنه من جهة ، والعالم الخارجي من جهة أخرى فاختار لفنه عالما داخليا خاصا .. بمفرداته وطقوسه .. واختار الصوفية لتكون صلة بينه وبين العالم الخارجي ... فهو يعيش في العالم ويشاهد حركته لكنه لايتجاوب الا في نطاق مستويات الوجود الروحية وذخيرة العالم من القيم الانسانية والأخلاقية السامية ...

اقمار ... صحارى وصمت

بعد سبع سنين من البحث والتأمل ... ظهرت أعمال باسل القاضي في معارضه الشخصية .. فمنذ عام ١٩٦٨ وحتى معرضه الأخير الذي أقامه هذا العام في لندن ، انتقل باسل عبر عالمه الخاص نقلات وشيجة الصلة ببعضها تزيد تكوينه الوجودي (بابعاده واتجاهاته البيئية والتاريخية والثقافية والدينية والعرقية) ارتباطا وعمقا في تجربته الفنية .. ففي معرضه الأخير الذي أقامه في (دربان غاليري)في لندن ، وكان معرضا شاملا ... في هذا المعرض وزع باسل كتابا يحمل مذكراته اليومية ويلقي مزيدا من الضوء على تجربته الفنية التي اختار لها ان تكون في الظل لأكثر من عشرين سنة متواصلة ، وكان كتابه الموسوم بعنوان (قلبي مفتوح لكل شكل : فن باسل القاضي) ... وقدم للكتاب الكاتب المعروف ماكس دايكس جويس .

بدأ باسل بالألوان المائية سنة ١٩٦٨ ، ورسم الأفق يرتفع عاليا فوق قلعة او بوابة" ... (بتكوين منصة" مسرح) ... وفوقها قمر وليد .. او في طريقه الى الاكتمال او مكتمل . واخذ الصمت يتسع وتتسع معه فسحة الصحراء .. وليس سوى رعشات الضوء المنبثقة من القمر الوحيد ... تضيءالصحارى والمساحات الشاسعة والمظلمة ... والمقلمة برومانسية وشوق



مدرج وطير

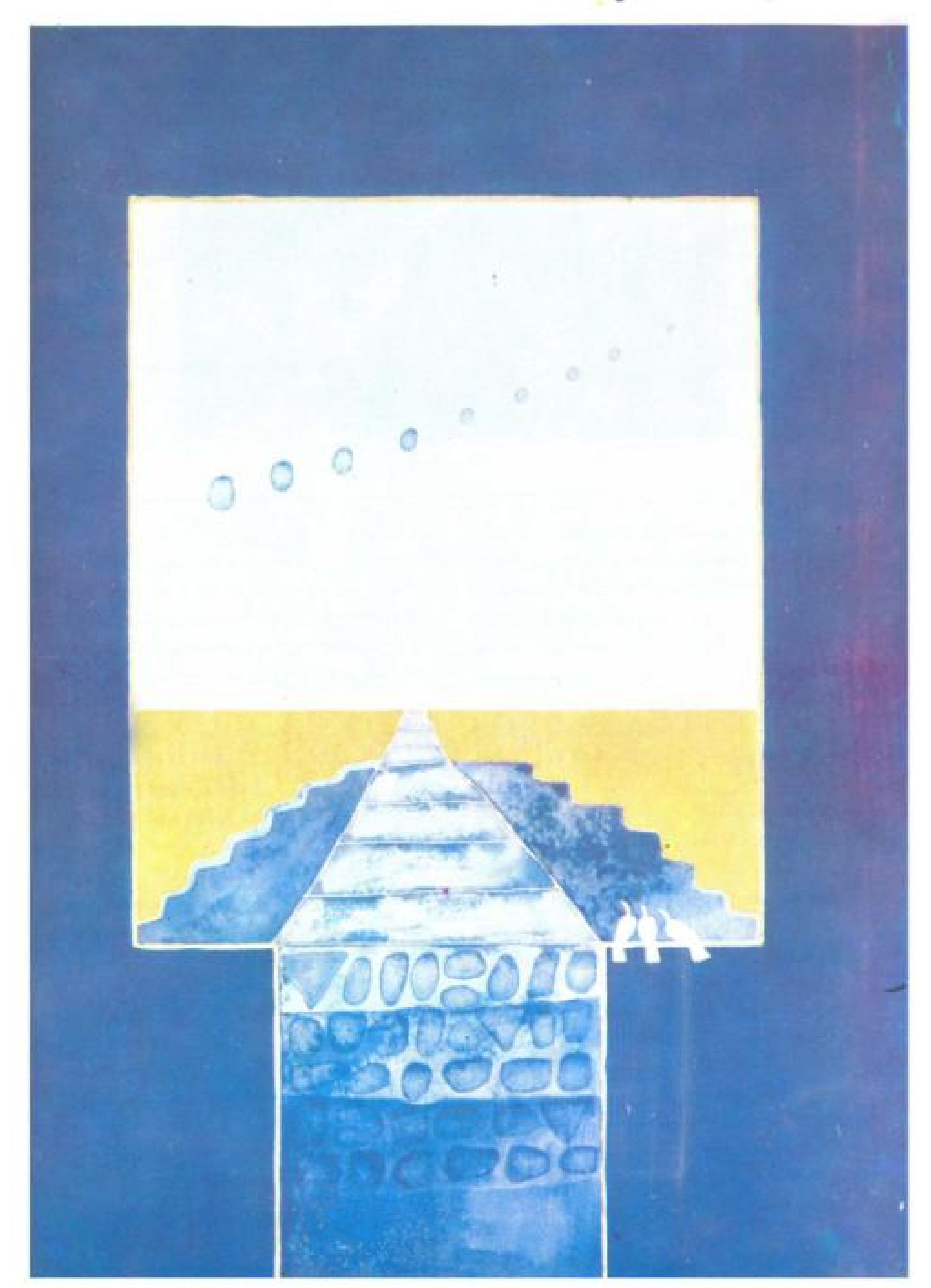
شديدين (في لوحة تحولات العشاق) . . . وكتب عن ذلك القمر الذي يرتفع في مجموعة من لوحاته منبثقا من زرقة السماء المسائية الداكنة يقول (يأخذ القمر اشعته من الشمس . . . ليرسلها في الليل فوق جميع المخلوقات ، فوق اولئك الذين يذبحون ويقتلون ، مثلما يرسلها فوق اولئك الذين يفعلون الحب . كما انه يفترض كيف يمكن لافكار المرء حول الحياة ان تصم الاذان في الصمت العظيم للصحراء) .

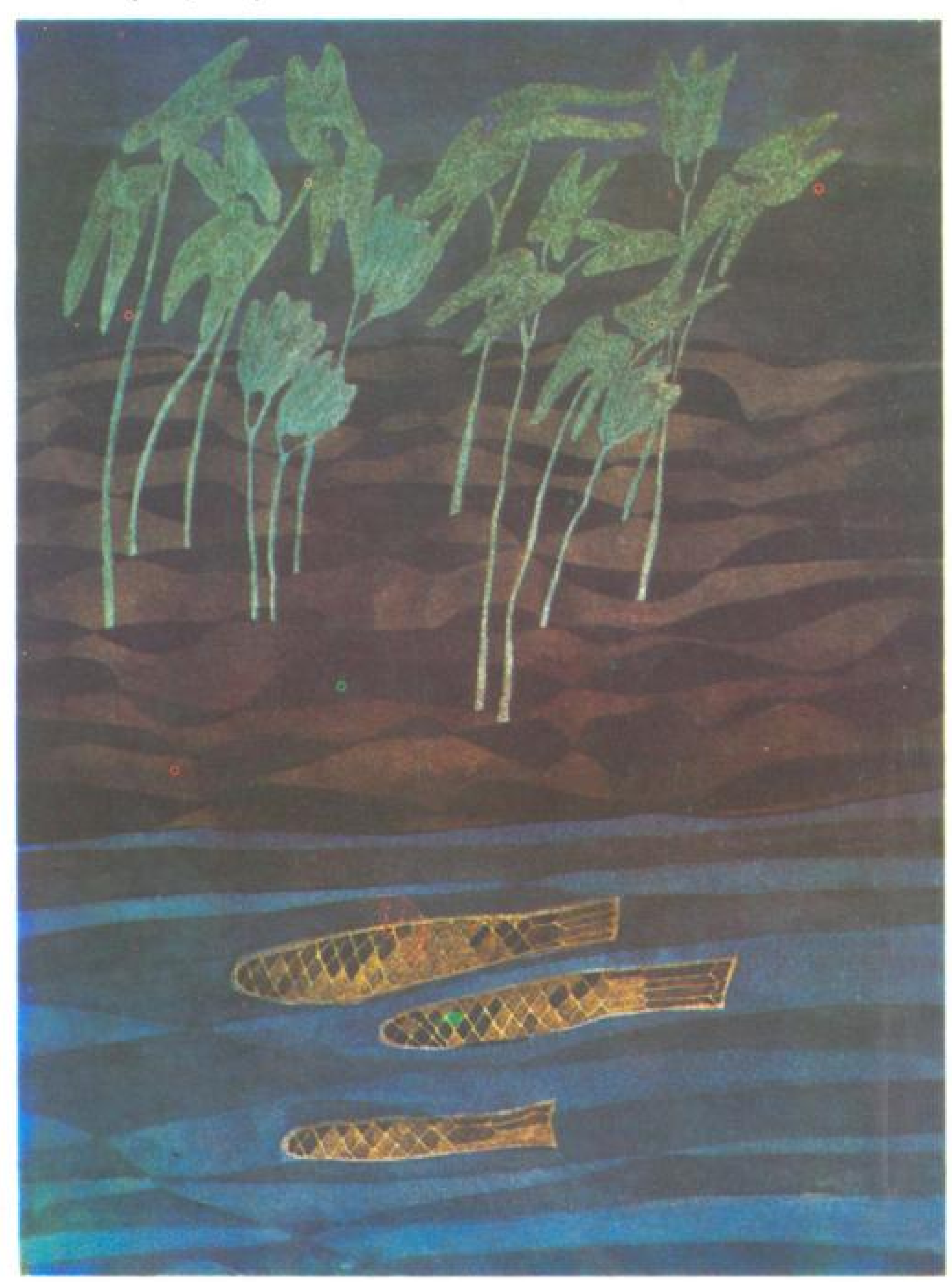
في عام ١٩٧٠ ، اتجه باسل الى استخدام الالوان الزيتية . . . وصاحب ذلك كبر حجم لوحاته . . وامتداد اكثر لصحاريه ، وتحول منصته المسرحية الى اشكال جديدة تعبر عن حالات جديدة ، بنفس الاستغراق والتواصل للهدوء والمساء الازرق ، والتغذي على رعشات الضوء القمري الذي يتوارى احيانا ، ويبقى نوره الخافت . . . ويبقي الافق ازرق داكنا . . يزداد لونه عمقا كلما تعالى . . . وتمتد المنصه التي تتحول الى بوابة او قبه . . . او حجاره مرصوفه بنظام شديد ودقة متناهية مشكلة سدا عاليا . . . تتخلله نوافذ صغيرة تنفتح على الافق . . . وتستأنس بنوره وتقنع بزهده . . . ، تومىء : باب مفتوح لضيوف غرباء والنافذة لنواح الطيور ، وهمس الريح وضحك اطفال يتناهى من الشوارع والحدائق » .

تأثره بالصوفية

بالرغم من الغموض الذي يكتنف حياة باسل الفنية وتطورها . . لكن مرحلة تأثره بالشاعر الصوفي جلال الدين الرومي والتي ظهرت في اعماله منذ ١٩٧٥ ، وحتى معرضه الاخير اكدت انسجام حياته الخاصة ومعتقداته الدينية والفكرية مع التجربة الفنية التي يخوضها . . . فقد أضافت الاجواء الصوفية لاشعار جلال الدين الرومي شخوصا جديدة الى الافق العالي . . . والضوء القمري ، والمساء العميق والمنصه المسرحية ، ذات الحالات العديدة ، . . اضافت حركة جديدة في لوحاته . . وحركة جلال الدين في لوحة (مع الحب من والى شمس الدين) فقد ظهرت حركة جلال الدين الرومي في مجموعة من لوحاته التي لفها جو قدسي وهدوء ، وانكشف الظلام عن عالم الصحارى و الوديان البكر وتحولت المنصه واستحالت حجارتها الى تكوين الكهف . . . او المعبد الزاهد . . او القلعة التي يحيطها الخشوع ، وتقف على اطرافها طيور تتطلع الى الاعلى بصورة دائمة . . . . وتتحول الفتحات الى ممرات متداخلة ذات شكل قببي (مقوس) . . . . او الى محراب عميق . . . يقول باسل في مذكراته ، كيف لايتسنى اذن للروح ان تلثم وتعانق مثلما يفعل البحر مع الضفاف الكثيرة جدا والمختلفة ؟ الا تستطيع المياه التي تعانق مولد المرء ان تعانقه الان لتحمله الى شواطىء يختارها ، شواطىء عشقه التي هي شواطىء عشقي ؟) .

وفتحت امام باسل الافاق لاستلهام الصورة القرآنية والتفيؤ بفيها الروحي وسموها فرسم مريم العذراء وجذع النخله ، مستوحيا من الاية الكريمة ، فأجاءها





● بحر وسمك ١٩٧٣

المخاض الى جذع النخلة قالت ياليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا » . . وصور تلك اللحظة في ليلة مظلمة ، وجعل مساحة اللوحة باطارين ، اطار دنيوي يخرج منه جذع النخله التي تمتد اوراقها عاليا . . واطار سماوي يتحرك فيه نسيج وليد في طريقه الى الانتظام من الزاوية اليسرى . . ويتحقق الجو القرآني في المناظره بين النطاقين فمن الترقب والقلق والحذر الذي اعترى مريم (في الاطار الدنيوي) . . . الى الطمأنينه واليقين والايمان والرسالة (في الاطار السماوي) . . .

وكذلك استوحي من سورة ليلة القدر « انا انزلناه في ليلة القدر وما ادراك ماليلة القدر ليلة القدر خير من الف شهر ، تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل امر سلام هي حتى مطلع الفجر » كذلك يرتكز بناء اللوحة على تداخل تكوينات إطارين، إطار ارضي واطار سماوي مفعم بالروعة والنور والرهبة ، والبناء الارضي يستضيء بنور ليلة القدر . . . في جو المساء المفعم بعطاء الايمان . . .

واستوحى من قصة الاسراء والمعراج للرسول الاعظم « سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله » ، وكان تصوره لحركة الاسراء تصورا غاية في الروعة والشفافيه . . . فقد شكل الحركة (حركة الاسراء) على شكل دوائر شفافه متقاربة ذات اتجاه عال متجه من السماء نحو الارض . . . ويستخدم في اغلب الاعمال المستوحاه من الايات القرآنية فكرة الاطارين يفصل بها حياة البشر في الارض حيث الابتلاء والخطايا والقلق والترقب والسؤال والتوجه . . . والنطاق السماوي حيث المد الروحي والمعين الرباني ، والغاية المطلقة والدواء الشافي لخطايا الانسان .

تميز باسل

ان الغالبيه العظمى من الفنانين التشكيليين العرب في مختلف البلدان العربية تأثروا بتيارات الفن الغربي . ولايسعنا الا ان نعترف بحالة الاستلاب الفني والثقافي التي ابتلينا بها نتيجة لظروف وعوامل موضوعية . . . لم يتمكن من تخطيها الا مجموعة قليلة جدا من الفنانين العرب ، الذين تمكنوا بأصالتهم وبوضوح رؤيتهم الابداعية ان يفلتوا من سحر تلك التيارات التي جرفت الغالبية العظمى من الفنانين ، وهؤلاء القلة سرعان ماتفردوا بتجربتهم واعمالهم التي اثرت بعمق في الحياة الاجتماعية والثقافية لمجتمعهم .

والفنان التشكيلي الكويتي باسل حمد القاضي واحد من الفنانين العرب الذين افلتوا من تأثيرات الفن الغربي . . . بل أنه تجاوز كل الخبرة الفنية الحديثة وكل طروحاتها التشكيلية ، ولم تأخذ تجربته الفنية من اطلاعاته للفن المعاصر واساليبه برغم متابعته القديمة والعميقة لهذا الفن . . .

بل ان للفيض اللاشعوري وامتلاك القيم الروحية والانسانية مكانتها الراسخه في كيانه . . . كانت المحرك الوحيد لتجربته الفنيه . ويرسم باسل القاضي عالمه الخاص باستقلاليه تامة ويبني مقاييسه في الطرح (الشكلي) . . . بعيدا عن التصنيفات الفنيه المتعارف عليها ، وخارج التسميات الاسلوبية الشائعة . . . وكتب الناقد الانجليزي جورج وتت مقالا عن باسل القاضي بعد زيارته لمعرضه الاخير في لندن ونشرته مجلة فنون عربية الفصلية المتخصصه . . . يقول جورج وتت في مطلع مقاله (يندر ان تصادف فنانا معاصرا تتطابق هوية اعماله الفنيه مع ثقافته ومعتقداته الشخصية ، ويكون قادرا على التعبير عن ذاتيته الفردية من دون الالتفات الى آخر الصرعات الفنية التي يهلل لها النقاد في لندن او نيويورك . . . باسل القاضي يمثل هذه الظاهرة الفريدة . فهو واحد من القلة من الفنانين الأصلاء بحق ، الذين التقيت بهم خلال ثلاثين عاما من تجريبي كناقد . انه يأسر المشاهد ويخلب لبه الى ماوراء سطح اللوحة نحو الاعماق السرية للسحر والرمز »

وعلى الرغم من اهمية اعمال الفنان باسل القاضي . . . واصالة التجربة التي يخوضها فانه بعيد عن انظار الناس والاوساط الفنية والثقافية العربية كذلك . . . ذلك لاسباب منها رغبته في العزله الدائمة ، وغرابة أسلوبه (على الكتاب الذين تعودوا على ارجاع الاساليب الفنية الى التصنيفات الاسلوبية المعروفة) الذي لايندرج تحت تسمية اسلوبية متعارف عليها من قبل . . لان اسلوبه الفني خاص به ويندرج تحت تسميته الخاصة به والتي اختارها بنفسه .

ومن المفارقة ان باسل القاضي عرفته اوساط الفن في العديد من العواصم الاوربية ، حيث اقام معارضه الشخصية فيها ولم يقم معارض جماعية ولا شخصية لافي الكويت ولافي اي قطر عربي . ○

اياد الموسوي

« . . . نقلت اليهم العلوم الفاخرة من اللغات التي لا يحسنونها ، ولا يهتدون اليها ، ولا يعرفون شيئا منها ، في نهاية ما يكون من حسن العبارة والفصاحة » ـــ حنين في سيرته الذاتية .

حنين بن اسحق
شيخ المترجمين العرب

بقلم : محمد علي الزركان

كانت حركة الترجمة من أنشط الحركات الفكرية في التاريخ العربي واشملها واطولها نفسا ، فقد ساهمت فيها الدولة والافراد على السواء ، واعدت لها العدة التي تمثلت في انشاء بيوت للحكمة ، يلتقي فيها المترجمون وتحفظ فيها مترجماتهم . وقد ارسلت البعوث شرقا وغربا للبحث عن الاصول والمراجع فقصدت الاسكندرية وبيزنطة بوجه خاص ، وهما وريثتا الحضارة الرومانية اليونانية .

استقدم المترجمون الذين يعرفون لغتين او اكثر ، وكلهم من السريان النساطرة واليعاقبة ويعدون من اوائل المعلمين في العصر العباسي . ولم يلبث المسلمون انفسهم ان انضموا اليهم وحملوا العبء معهم .

وكان للمترجمين منزلة خاصة لدى الخلفاء والامراء ، وكثيرا ما اغدقوا عليهم العطاء وقد عمرت هذه الحركة ثلاثة قرون او يزيد فقد اسهم فيها الامويون ودفعها الخلفاء العباسيون دفعة قوية ، وبخاصة المنصور والرشيد والمأمون ، واستوعبت مواد مختلفة واصبحت بغداد (وريثة اثينا وروما والقسطنطينية) كعبة يحج اليها الباحثون والدارسون من اطراف العالم الاسلامي .

ولا نزاع في ان حنين بن اسحق من شيوخ هؤلاء المترجمين ان لم يكن شيخهم على الاطلاق ، فقد ترجم عن اليونانية والسريانية ، ويقال انه ألم بالفارسية ، ولكن لم ينسب اليه شيء ترجم عنها ، وراجع كثيرا مما ترجم غيره ، واصلح او اعاد فأساءت ترجمته ، وانشأ مدرسة لتكوين المترجمين فمن هو حنين هذا ؟

رحلته من البداية

هو حنين بن اسحق العبادي المكني بابي زيد اسمه يكتب باللاتينية JOHNNIT ، والعباد (بكسر العين وفتح الباء) من بطون القبائل العربية التي تنصرت في



القرون الاولى للمسيحية واستوطن قسم منها الحيرة ، والحيرة معناها بالأرامية (جيرتا) الحصن او المبكر ، مدينة قديمة شهيرة ، وهي قرب الكوفة ، وكانت عاصمة اللخميين في جنوب العراق ، وكانت تنتمي الى كنيسة المشرق المسماة بالنسطورية .

ولد حنين في الحيرة سنة ١٩٤هـ الموافق ٨١٠م ، وكان والده اسحق صيدلانيا ولا يذكر التاريخ اسم امه ، ولا يعلم ان كان له اخوة او اخوات ما عدا اخته ام حبيش تلميذه ، وعلى الرغم من وضوح الانتماء الطبقي لحنين فان (دي لا سي اوليري) يشير الى انه لم يكن من الطبقة الحاكمة التي كانت تتكلم العربية ، وان ذلك يفهم من اسمه العبادي) .

نشأ مولعا بصناعة الطب كأبيه ، كما انه تلقى مبادىء العلم الاول في الحيرة مسقط رأسه ، فتمكن من السريانية لغة كنيسته التي كان فيها شماسا ولبس الزنار . وتخلص حنين من ركاكة لغته العربية المشوبة بالفاظ سريانية بان درس لغة الضاد في البصرة معتمدا في ذلك على كتاب (العين) للخليل بن احمد الفراهيدي ويقال انه ادخل كتاب العين هذا الى بغداد .

سمع في شبابه دروس يوحنا بن ماسويه في (جنديسابور) ، وترى بعض المصادر انه تتلمذ على يد يوحنا بن ماسويه في بغداد ، في حين ان ابن ماسويه ترك جند يسابور الى بغداد في اول القرن الثالث الهجري ، كما يروي ابن جلجل في طبقات الاطباء والحكماء وتوفي سنة ٢٤٣هـ . وقد نال رضا معلمه ، الا انه اغضبه بكثرة اسئلته ولجاجته في المعارضة فنهره قائلا له : « ماذا يصنع اهل الحيرة بالطب ؟ عليك ببيع الفلوس في الطريق ، فذلك خير لك . . فانصرف حنين تاركا مجلس معلمه وهو يبكي لهذه الاهانة ، ويبدو ان هذه الحادثة قد اثرت كثيرا في نفس حنين ، مما جعله يغادر بلاده قاصدا بلاد الاغريق حيث تعلم لغتهم ، ومكث هناك مدة لا يمكن تحديدها .

ان اقامته في بلاد فيها مدارس ذات ثقافة عالية وانصرافه الى العلم واللغة ، قيضا له ان يصيب من الفكر الهيلنستي قسطا وافرا كما تمرس على الترجمة والطب ، واكتسب ثروة من المنهجية والعلم الى جانب اللغة التي كانت يومذاك مفتاح الثقافة ، وقليل هم الذين كانوا يمتلكون زمامها من العرب .

وعاد حنين الى العراق بعد ان تعلم الاغريقية وصار ماهرا في اللغات العربية والسريانية فضلا عن الاغريقية ، فانصرف الى الترجمة وهو في ميعة الصبا ، واقر له بالفضل استاذه الاول الذي كان قد عيره فكانت له هذه الواقعة بمثابة الدافع الى تحصيل العلم ، وأضحى حنين حجة بالطب بعامة وطب العيون بخاصة ، ووضع فيه عدة كتب .

ولما عاد حنين الى بغداد احتضنه جبرائيل بن بختيشوع كبير الاطباء في بلاط المأمون ، ولم يستطع حنين خلال هذه الفترة ان يحقق منزلة مرموقة ، الا انها كانت بمثابة مرحلة الاعداد للمستقبل ، لقد اعجب جبرائيل بترجمة حنين ، فكان ان عرفه بـ (محمد واحمد وحسن) اولاد موسى بن شاكر ، وكان الثلاثة يرعون النشاط العلمي ، فقام هؤلاء بتقديم حنين الى المأمون الذي كان قد اسس بيت الحكمة دارا للترجمة ـ فعهد الى حنين بادارتها ، والتي كان لها الاثر الكبير في التطور الحضاري ، اذ ترجمت العديد من الكتب العلمية والفلسفية الى العربية ، وكان يعمل مع حنين فيها عدد من المترجمين .

ويبدو ان احسن الترجمات واكملها واتقنها تمت في عهد المتوكل لأن خبرة المترجمين مع حنين قد ازدادت وصقلت .

مدرسة للترجمة

وتقديرا لمهمة الترجمة وتيسيرا لاسبابها رأى حنين من الضروري ان ينشيء حوله مدرسة خاصة به يمد فيها مترجمين ومساعدين ، وكان من تلامذتها ابنه اسحق وابن اخته حبيش بن الحسن الاعسم ، فقام ثلاثتهم بعمل جماعي نافع ، اذ يترجم حنين من اليونانية الى السريانية ثم يقوم حبيش بالنقل الى العربية ، او يترجم اسحق من اليونانية الى العربية رأسا ويراجع عليه ابوه .

واشترك في هذه المدرسة موسى بن خالد ويحيى بن هارون واصطفان بن باسيل . . . هذا الذي كثيرا ما اقترن اسمه باسم حنين او اسحق في بعض الكتب المترجمة .

وقد عني الاستاذ بان يرسم لتلاميذه بعض الخطط ، وان يضع للترجمة بعض القواعد وان يمرنهم عليها عمليا ، ولعله وضع من اجلهم كتابه (احكام الاعراب على مذهب اليونانيين) وهو دون نزاع المسؤول الاول عن النصوص التي ترجمت ، فقد اسهم في جمع مخطوطاتها وتخير اصلحها ، ونصح باعادة ما لم تستقم ترجمته من قبل .

وقد كان القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) عامرا بكبار المترجمين ، فقد ظهر فيه الى جانب حنين واسحق وحبيش مترجمون كبار آخرون مثل : ثابت بن

قرة الحراني الذي كان رئيسا لطائفة الصابئة الوثنية عبدة النجوم والكواكب السيارة ، فقد ولد سنة ٢٢٢هـ وتوفي ٢٨٨هـ - قسطا بن لوقا البعلبكي الذي اشتهر بالفلسفة والهيئة والهندسة والحساب والموسيقا ولد سنة ٢٠٤ هـ وتوفي سنة ٢٩٩هـ - يوحنا البطريق - يحيى بن عدي التكريتي وهو تلميذ حنين ولد في تكريت سنة ٢٨٠ هـ وتوفي في بغداد سنة ٣٦٤هـ - ويوحنا بن ماسويه النصراني المتوفي سنة ٢٤٣ هـ ، وهو تلميذ جبرائيل بن بختيشوع واستاذ حنين ، وكان هناك غيرهم ، مما لا مجال لذكره هنا . . وكانوا علماء ملمين بموضوع المؤلفات التي تصدر لترجمتها . وقد استنوا لونا من التأليف يحاول ان يعطي فكرة عامة عن علم او فن معين ، وهو اشبه ما يكون بتمهيد او مدخل لذلك العلم ، ودرجوا على ان يسموه (مدخلا) اسوة بـ (ايساغوجي) فهو مدخل للمنطق الصوري لفورفوريوس .

وقاموا ايضا بدراسات (بيبلوغرافية) لحصر مؤلفات كبار الباحثين ، ومن ذلك رسالة حنين الى علي بن يحيى في ذكر ما ترجم من كتب جالينوس .

حنين المترجم

بدأ حنين في الترجمة حين كان في السابعة عشرة من عمره ، وليس من شك في ان ما ترجمه آنذاك لم يكن على درجة من الجودة ولذا كان من البديهي ان يعيد النظر فيما ترجم بعد ذلك .

اما انواع المعرفة التي ترجم فيها حنين فهي العلوم الطبية بشكل عام ، ولما كان الرأي انذاك هو ان يكون الطبيب فيلسوفا ، فاننا نجد حنينا يترجم في المنطق والفلسفة . وتختلف ارقام الكتب التي يقال انه ترجمها . ولسنا في مجال الخوض في تحقيق ذلك ، الا ان الامر الذي يجب الالتفات اليه ، هو اختلاف الروايات في نسبة بعض المؤلفات الى حنين . فمما يذكره ابن النديم : ان من سعادة حنين ان ما نقله حبيش بن الحسن وعيسى بن يحيى وغيرهما الى العربية ينحل الى حنين كما يشير القفطي ، الى ان من جملة سعادة حنين صحبة حبيش له ، فان اكثر ما نقله حبيش نسب الى حنين ، وكثيرا ما يرى الجهال شيئا من الكتب القديمة مترجما بنقل حبيش ، فيظن الغر منهم ان الناسخ اخطأ في الاسم ، ويغلب على ظنه انه حنين وقد صحف فيكشطه ويجعله « حنين » .

وقد اثبت البحث العلمي ان بعض الكتب التي نسبت اليه انما هي من عمل تلاميذه ومدرسته لا من عمله .

والامر الآخر الذي يجب الانتباه اليه هو ان المؤرخين يختلفون حول تسمية الكتاب الواحد لحنين ، فيصار الى التوهم بتعدد الكتب حسب تعدد العناوين ، وواقع الحال ان الكتاب واحد . . . اختلف المؤرخون في عنوانه .

ومهما يكن من امر الكتب التي ترجمها حنين وعددها واختلاف المؤرخين حول اسمائها فان حنينا احدث آثارا مهمة تتلخص فيما يلي .

- عظم الفائدة التي قدمها بنقله نتاج العقل اليوناني الى العربية سواء بترجمتها عن السريانية او عن اليونانية الامر الذي اغنى الفكر العربي فقد ترجم ما يزيد على ٢٠٠ كتاب من اليونانية الى العربية منها ٩٥ تخص جالينوس .

- ان حنينا في عملية الترجمة التي قام بها جوبه بالعديد من الكلمات اليونانية التي لم يعرف لها نظير في السريانية او العربية ، من مصطلحات طبية وفلسفية واسماء نباتات وحيوان وعلم هيئة ، وكان عليه ان يوجد لتلك المصطلحات الفاظا عربية تقابلها ان استطاع ذلك ، او يصقل الكلمات الاجنبية صقلا عربيا ان لم يستطع وقد نجح حنين في ذلك .

- كانت ترجمة حنين وافية دقيقة في حين كانت ترجمات من سبقوه ركيكة حافلة بالاخطاء والاغلاط ، ومما يروى ان ابن ماسويه ، قرأ قطعة من ترجمة حنين فكثر تعجبه وقال : « ترى اوحى الله في دهرنا الى احد ؟ فقيل له كيف فقال : ليس هذا الا اخراج مؤيد بروح القدس » .

ويرى (مايزهوف) ان ترجمات حنين تكشف عن حرية تصريف الترجمة ، ومقدرة عجيبة في اللغة العربية ، واسلوب سهل خال من التعقيد ، اذا ما قورن بأصله اليوناني مع دقة في التعبير وخلو من الحشو والركة .

- كون حنين مدرسة للترجمة لها طريقتها الخاصة التي لم تكن معروفة من قبل واستطاعت هذه المدرسة ان تقوم بترجمة الكثير من المخطوطات الاغريقية الى العربية والسريانية ، فحلت محل الترجمات الرديئة التي كانت موجودة وقد اعتمدت هذه المدرسة على وضوح المعنى ، وجودة الاسلوب ، وان اضطرت الى استعمال المصطلحات العلمية بألفاظها ، فانها تتبعها بشرح معناها ، الى ان تؤلف الكلمة في العربية وتتحدد مدلولها .

وكان حنين يضع المتن بين قوسين ويتبع ذلك ما عنده من شرح ، وقد جرى على هذا النمط علماء المسلمين بعده في كتبهم .

طريقته في الترجمة :

اذن تختلف طريقة حنين في الترجمة عن طريقة ابن البطريق الذي كان متقيدا بحرفية النص ، اذ كان حنين يتوخى اداء المعنى بتعبير سلس ودقة علمية ، متحاشيا الغموض ومتجنبا التحوير ، وامتلاكه زمام اللغات يساعده على ذلك ، كما انه اتصف بالفصاحة وسلاسة الاسلوب وهو من الاوائل الذين استنبطوا الطريقة العلمية والنقدية في الترجمة ومارسها بنجاح ، فهو لم يكن يكتفي بمخطوطة واحدة يترجم عنها ، بل كان يعمد الى جمع اكبر عدد من المخطوطات للكتاب الواحد قبل اقدامه على ترجمته ، كما كان يرجع الى ترجمات سابقيه ويستنير بآراء العلماء القدامى ، حتى الوصول الى درجة كبيرة من اتقان الترجمة وجودتها ، فحنين دار البلاد في جمع الكتب القديمة ، وسافر الى مناطق كثيرة ووصل الى أقصى بلاد الروم لطلب الكتب التي قصد نقلها ، والح على ملك الروم ان يفتح له الهيكل المختوم وما فيه من الكتب القديمة . ويقول حنين في طريقة ترجمته لكتاب البرهان : « لم يقع الى هذه الغاية الى احد من اهل دهرنا لكتاب البرهان نسخة تامة باليونانية ، على ان جبرائيل قد كان عني بطلبه عناية شديدة وطلبته انا بغاية الطلب ، وجلت في طلبه بلاد الجزيرة والشام كلها وفلسطين ، ومصر الى ان بلغت الاسكندرية فلم أجد منه شيئا الا بدمشق نحوا من نصفه ، الا انها مقالات غير متوالية ولا تامة . وقد كان جبرائيل ايضا وجد منها مقالات ليست كلها المقالات التي وجدت باعيانها وترجم له ايوب ما وجد منها . واما انا فلم تطب نفسي بترجمة شيء منها الا باستكمال قراءتها لما هي عليه من النقصان والاختلال . وللطمع وتشوق النفس الى وجدان تمام الكتاب . ثم اني ترجمت ما وجدت منه الى السريانية وهو جزء يسير من المقالة الثانية ، واكثر المقالة الثالثة ، ونحوا من نصف المقالة الرابعة من اولها ، والمقالة التاسعة ما خلا شيئا من اولها فانه سقط . واما سائر المقالات الاخر فوجدت الى اخر الكتاب ما خلا المقالة الخامسة عشرة فان في آخرها نقصانا » .

وكان حنين يتوخى الكمال في اعماله الادبية لذا نراه لا يرتاح الى الترجمات التي قام بها وهو في سن الحداثة المبكر ، فيراجعها او يترجمها من جديد ، فيقول في كتاب الفرق : « ترجمته وانا شاب من نسخة خطية يونانية مشوهة ، ثم لما بلغت الاربعين من عمري طلب الى تلميذي حبيش ان اصلحها بعد ان كنت قد جمعت قدرا من المخطوطات اليونانية وعند ذلك رتبت هذه بحيث نسقت منها نسخة صحيحة ، وقارنتها بالنص السرياني ثم صححتها وتلك عادتي التي اتبعتها في كل ما ترجمته » .

ولم يكن حنين يؤمن بالعمل الانفرادي وانما بالجماعي ، لذا نراه يختار له معاونين يعهد اليهم ما ينقله من اليونانية الى السريانية فينقلونه الى العربية ، او ينقلون الى السريانية ما يضعه حنين بالعربية ، ولا يتوانى عن مراجعة ترجماتهم وتدقيقها .

وقد ذكر السيدان عامر رشيد السامرائي وعبد الحميد العلوجي في كتابهما (آثار حنين بن اسحق) الذي طبعه مجمع اللغة السريانية في بغداد ، ٦٦٩اثرا وشرحا كل ما يتعلق بهذا الاثر بشكل موجز ، والمصادر التي ورد فيها هذا الاثر ثم انهما ادرجا بالتفصيل الاثار التي ترجمها حنين الى العربية وعددها ٩٧ اثرا والاثار التي ترجمها الى السريانية وعددها ٢١ اثرا . واثار حنين الضائعة او التي يحتمل ضياعها وعددها ١٠٨ اثار . ثم الآثار التي راجع حنين ترجمتها وعددها ١٥ اثرا . كما ذكر ٥٣ اثرا من مؤلفات حنين باللغة العربية . وثلاثة مؤلفات بالسريانية . كما ادرجا اثاره المطبوعة وعددها ٢٥ اثرا ، والمخطوطة وعددها ٦٥ اثرا .

حساده ومحنته

لقد بلغ حنين ذروة المجد حين عينه الخليفة المتوكل رئيسا للاطباء ، وامتحنه قبل تعيينه ، وفي ذلك حادثة طريفة ذكرتها كتب التاريخ والتراجم وملخصها : طلب الخليفة منه ان يضع له دواء يقتل به عدوا ، فامتنع حنين ، وعذره انه لم يتعلم سوى الادوية النافعة للناس ، ولعل حنينا ادرك شكوك الخليفة به فاعتذر . وقد ضغط الخليفة عليه فسجنه ، ولكنه ما لبث ان عفا عنه واعاده الى عمله . وهذه الرواية معقولة تاريخيا ، فالمعروف عن المتوكل تشدده تجاه اهل الذمة وشكه في ميل فئة منهم الى اعدائه البيزنطيين ، ولما كان حنين نصرانيا ، قد تجول في بلاد الروم ومكث هناك مدة ، مما اثار شكوك الخليفة فيه ، وانه على اتصال بهم ، وربما نجحوا في استخدامه عينا لهم على تحركات العباسيين وسياستهم ، او قد استخدموه لقتل الخليفة نفسه ، خاصة وان البيزنطيين نجحوا في ايجاد روابط بينهم وبين نصارى الجزيرة الفراتية ولبنان وارمينية ، وان بلاد الروم كانت ملجأ لبعض الثوار

والمتمردين من النصارى وغيرهم في هذه الفترة[1] .

ثم ان الحساد اثاروا عليه قضية الايقونة ، اذ يؤكد ابن جلجل وابن الداية والقفطي وابن ابي اصيبعة رواية الايقونة مع اختلاف في الاسماء والتفصيلات وهي ان صديقه الطيفوري كان يحسده ، فلفق له تهمة البصق على الايقونة ، كما يروي ابن العبري ، ثم عاقبة الجاثليق والاساقفة فأوجبوا حرمانه وقطع زناره .

كما اثاروا عليه قضية الزندقة والكفر ، فقد اشار ابن اصيبعة الى ان بختيشوع بن جبرائيل ذكر للمتوكل بأن حنينا لا يحترم السيدة مريم والسيد المسيح وهو زنديق ملحد لا يقر بالوحدانية ولا يعرف آخرة ، ويستتر بالنصرانية مع انه معطل مكذب بالرسل . . يقول الدكتور العمر معلقا : وربما كانت هذه التهمة الاخيرة هي التي كانت سببا مباشرا في محنة حنين في عهد المتوكل لأنه اعتبر الفلسفة والمنطق خطرا على العقيدة والمجتمع مما توضحه رسالة حنين الجدلية التي ناقش فيها بطريقة ذكية بعض المسائل الاسلامية ، ولعل محنة حنين هذه تذكرنا بمحنة عبد الله بن المقفع واحمد بن حنبل والحلاج والسهروردي وابن العربي وغيرهم من رجال الفكر والمعرفة في كل زمان ومكان .

واخيرا لنستمع الى حنين نفسه حين يسرد بألم ومرارة نتفا من محنته ، في رسالة موجودة لدى ابن ابي اصيبعة اذ يقول :

« انه لحقني من اعدائي ومضطهدي ، الكافرين بنعمتي ، الجاحدين لحقي ، الظالمين لي المعتدين علي ، من المحن والمصائب والشرور ما منعني من النوم واسهر عيني وشغلني عن مهماتي ، وكل ذلك من الحسد لي على علمي ، وما وهبه الله عز وجل من علو المرتبة على اهل زماني ، واكثر اولئك اهلي واقربائي ، فانهم اول شروري ، وابتداء محنتي ، ثم من بعدهم الذين علمتهم واقرأتهم واحسنت اليهم وارفدتهم ، وفضلتهم على جماعة اهل البلد من اهل الصناعة ، وقربت اليهم علوم الفاضل جالينوس ، فكافئوني عوض المحاسن مساويء » ويعدهم ابن ابي اصيبعة بستة وخمسين شخصا .

ويروي ابن جلجل ان حنينا مات بعد غضب الخليفة عليه في المرة الثانية ، غير ان الاستاذ فؤاد سيد محقق كتابه يقول : ان هذه الرواية قد انفرد بها ابن جلجل ونقلها عنه الآخرون ، وان الادلة التاريخية تثبت ان حنينا عاش بعد المتوكل ، وقد آثر العزلة والانصراف الى بحوثه وترجماته الخاصة وبخاصة وان وضع البلاط العباسي ، وسيطرة الاتراك الذين لم يكونوا ليفهموا حنينا ، ادت الى الابتعاد عن الاضواء .

وهكذا توفي حنين يوم الثلاثاء لست خلون من صفر سنة ٢٦٠هـ الموافق للاول من كانون الاول سنة ٨٧٣م وكان اقوى شخصية علمية عرفها القرن الثالث الهجري .

○

حلب ـ محمد علي الزركان

---

(١) حنين بن اسحاق والسلطة العباسية د . فاروق العمر .

ملعونان

سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يقول :

ـ الشحيح أعذر من الظالم .

فقال :

ـ لعن الله الشحيح ، ولعن الظالم .



في عيدها ...

حكاية «أم» !

بقلم : منير نصيف

ابطال هذه القصة يعيشون بيننا . الأم وحدها رحلت بعد أن أعادت الابتسامة للذين أحبتهم وعاشت لهم .. رحلت وهي تحمل سرها في صدرها .

جلست بجوار الفراش الذى وضعت فيه صغيرتها ، وكانت تبكى كما لم تبك من قبل فى حياتها .. حتى عندما رحل عنها زوجها الشاب قبل أن يحتفلا بعيد زواجهما الثالث . حقيقة آلمها الفراق ولكنها وجدت السلوى والعزاء فى هذا الوجه البرىء الذى ملأ دنياها ، فعاشت لطفلتها ووهبت نفسها وحياتها كلها من أجل اسعادها ، كان المال يعوزها ، ولكن رحلتها مع البحث عن عمل ترتزق منه لم تطل .. فقد عثرت على وظيفة فى مصنع للغزل قريبا من الغرفة الصغيرة التى استأجرتها ، لتعيش فيها مع الطفلة التى أحبت الدنيا كلها من أجلها ..

ولكن حتى هذه الحياة البسيطة السعيدة ، شاء القدر أن يحرمها منها ... فقد اصيبت بداء الصدر ، وكان لابد من أن تفترق عن طفلتها خوفا على الصغيرة من العدوى ... غدا ستذهب الى المستشفى الذى ستعيش فيه وحدها ، فقد رق قلب مدير المصنع وهو يستمع إلى مأساتها ترويها له إحدى زميلاتها فى المصنع ، وقرر أن ينفق على علاج الام من جيبه الخاص . ولكن عندما نقلوا اليها الخبر فوجئوا بها تصرخ فى فزع ، ثم تركع على ركبتيها وتتوسل : لا .. لاتحرمونى منها .. ماذا ستصنع الصغيرة المسكينة التى لم تكمل بعد عامها الثانى وليس لها فى هذه الدنيا سواى ... لقد كنت غصنا فى شجرة جف جذعها ، وماتت اغصانها وتساقطت أوراقها .. أحرقتها قذائف الاعداء فى الحرب .. وعشت، أنا مع الذكريات والاحزان ..

كان شتاء طويل .. ثلاثة أشهر بنهارها وليلها ، قضيتها وحدى فى بيوت الأسر التى كنت أتردد عليها ، وأغسل لها ملابسها ، حتى إذا ماغابت الشمس ، وبدأت أستعد للرحيل بعد يوم طويل ملىء بالعمل ، سألت سيدة البيت فى توسل : « لست فى حاجة الى النقود بقدر حاجتى الى مأوى .. هل أبيت الليلة عندكم ؟ فقد كان منظر الشارع المظلم من وراء النافذة يثير فى نفسى الخوف والرعب ! » .

كانت تقف فى ركن من المصنع تحكى وكأنها تحدث نفسها ، ومن حولها زملاؤها يستمعون .. وتمضى فى رحلة ذكرياتها :

« فى بعض الأحيان كنت أجد هذا المأوى .. ولكنهم فى أحيان كثيرة كانوا يبخلون به على ، لم يكن صعبا أن أعرف لماذا ؟ لقد كانوا يخافون منى .. كانت نظراتهم إلى تحمل مجموعة من التساؤلات ربما كان اكثرها وضوحا .. ترى من تكون هذه الفتاة التى تعيش فى الشارع ؟ ! وكنت أضطر فى كل مرة أن أروى لهم مأساتى ، وكان البعض يصدقنى ولكن أكثر من هؤلاء هم الذين كانوا يستمعون الى قصتى بقدر كبير من الشك والارتياب .



« ومضت الليالي الباردة تزحف زحفا ، وكأنها قرون لاتريد أن تنتهي . . الى أن ساق لي القدر أخيرا الرجل الذي انتشلني من حياتي مع الوحدة والالم . كان يعمل سائقا لسيارة أحد أصحاب البيوت التي كنت أتردد عليها بحثا عن العمل . ورآني في نهاية اليوم والشمس توشك على الغوص في الأفق البعيد . . وكنت أبكي . . ولكنني كنت اعرف طريقي . والى أين انا ذاهبة . . سأعود الى السيدة الطيبة التي كانت تسمح لي بقضاء الليلة في غرفة ابنتها التي خلت بعد أن كبرت وتزوجت . . واستوقفني السائق . .

مابك ؟ هل أساء اليك أحد . . ؟

لا . ابدا . . . ابدا . . فقط أريد أن اذهب بسرعة ، قبل أن يحل الظلام ، فالبيت بعيد .

وقبل أن اقول شيئا آخر ، وجدته يفتح باب السيارة الخلفي ويدعوني الى الركوب .

السيد لن يخرج قبل مضي ساعة على الاقل ، سأوصلك بالسيارة ، هيا عجل . . » ولم يترك لي فرصة للتفكير ، وجدت نفسي أصعد الى السيارة ، ثم مالبثت أن انطلقت بنا حتى وصلنا أخيرا الى البيت الذي أقصده . . وودعته شاكرة . . واتجهت مسرعة الى البيت اطرق بابه ، وفتحت لي السيدة ودعتني الى الدخول . . كنت أشعر بارتياح كلما وجدت نفسي في هذا البيت وسط هذه الأسرة الكريمة الطيبة . . وربما كان هذا الشعور الذي لم أحس به في أي مكان آخر ، هو الذي دفعني الى التفكير في أن أعرض خدماتي على سيدة البيت مقابل إيوائي عندها . . ولكنني لا أدري لماذا ارجأت الحديث في هذا الموضوع ، رغم أنني كنت واثقة من أنها سوف ترحب بي . . وذهبت الى الغرفة التي اعتدت على النوم فيها ونمت ، فقد كنت متعبة مكدودة !

« وأشرقت الشمس ، وكنت أحب الشروق بنفس القوة التي أكره بها الظلام . . فقد كان الليل عندي ضياعا ووحدة وألما . . ودق جرس الباب الخارجي . . واسرعت افتحه ووجدتني أقف وجها لوجه أمام سائق السيارة ، الشاب الطيب الذي اوصلني أمس ، ووفر على مشقة المشوار الطويل في الظلام . . قال : لقد جئت من أجلك . . جئت لأقول لك انني شاب يتيم مثلك ، لقد عرفت كل شيء عنك وأريد أن أتزوجك ! وأحسست بقلبي يقفز من ضلوعي ، خشيت أن تستيقظ صاحبة البيت على هذا الحوار وتظن بي سوءا ، فهي لن تصدق ، مهما أقسمت لها أنني أمام رجل غريب لا أعرفه ، وأنني لم أره الا مرة واحدة في حياتي بالأمس . . نعم بالأمس فقط !

« ورأيتها قادمة . . وازدادت دقات قلبي وأسقط في يدي واقتربت مني ، وسألت عن القادم الذي يقف على عتبة الباب ، وحرت بماذا أجيب ؟ وكيف أفسر مجيئه الى بيتها . . ولكن حيرتي لم تطل . . فقد ازدادت اقترابا حتى رأته وهو يقف في أدب شديد ثم ينحني تحية لها ويقول : أنت لا تعرفينني ياسيدتي . . ولكنني جئت اليك برجاء . . أريد أن أتزوج هذه الفتاة التي تقف أمامك وتعمل عندك . أرجوك أن تساعديني !

سأفعل . . . فقط أرجوك أنت أن تدخل وتغلق الباب .

« ودخل ، واتجهت بعيني الى وجه هذا الشاب الذي خيل الي في هذه اللحظة أنه ليس غريبا علي وأنني اعرفه منذ سنوات . . ورحت أنقل عيني من وجهه الى وجه السيدة التي احببتها واحسست بشعور غريب لم أشعر به من قبل طوال الشهور التي قضيتها وحدي بعد رحيل أسرتي . .



لأول مرة أحس بانسانيتي وأنوثتي . . هل يمكن أن تكون هذه الدقائق القصيرة التي مرت علينا خلال الرحلة بالسيارة كافية لأن تدفعه الى اتخاذ هذا القرار . . أن يتقدم ويطلب الزواج مني ؟

انني لم أشعر للحظة واحدة أنه كان يتطلع الي . وكيف له ذلك وأنا جالسة في المقعد الخلفي للسيارة . . .

هل هو الشعور بالعطف على إنسانة ضعيفة مسكينة ؟

لقد قال انه يعرف قصتي ويعرف كل شيء عني !

وأسلمت أمري الى الله . وعدت الى غرفتي أجمع ملابسي وأستعد الى الذهاب في رحلة جديدة . . رحلة البحث عن العمل التي أقوم بها في صباح كل يوم .

ولكن سيدة البيت استوقفتني . . أما هو « الشاب » سائق السيارة فكان قد ذهب . .

أنت منذ هذه اللحظة لن تخرجي للبحث عن عمل مرة أخرى . . . هل تفهمين ؟ بعد لحظات قصيرة سوف تصبحين زوجة لهذا لشاب الذي وقف يطرق الباب منذ قليل . .

لقد ذهب ليأتي بالمأذون . .

« وتزوجنا . . وانتقلت لأعيش معه في بيته الصغير المتواضع في احدى العمارات القديمة . . وفي هذا « العش » امضيت معه أجمل أيام عمري ثم جاءت ثمرة زواجنا بعد عام واحد . . وكانت طفلة حلوة . . ومضت الأيام . . وأنا اعيش في هذا الحلم ، وأرفض أن أصدق أنه لن ينتهي !

وانفجرت المسكينة تبكي . .

كانوا يعرفون بقية مأساتها . . حتى هذه الحياة البسيطة السعيدة ، شاء القدر ان يحرمها منها ، فقد رحل عنها زوجها وتركها مع صغيرتها تواجهان الوحدة والألم . . وعادت الأم تصرخ :

« لا . . أتوسل اليكم ألا تحرمون منها ماذا ستفعل طفلتي . . . ؟ وليس لها في الدنيا سواي . . أين تذهب ؟ وكيف تعيش ؟

وأحست في هذه اللحظة أن نهاية العالم قد اقتربت من عشها السعيد الذي كان يجمعها بأحب وأعز مخلوقة الى قلبها !

وخرجت من المصنع عائدة الى بيتها . . الى عشها الصغير في الغرفة التي ستصبح خالية مع طلوع شمس يوم جديد . . لم تشعر بالسيدة العجوز ـ صاحبة البيت ـ التي كانت تترك صغيرتها في رعايتها عندما تغيب هي عنها في عملها . . واتجهت بعينيها الى هذا الوجه الجميل البريء النائم على الفراش الصغير . . وتمنت لوأنها استطاعت أن تحملها بين ذراعيها وتضمها الى صدرها ، ولكنها تذكرت الداء الذي يأكل صدرها . .

في تلك الليلة لم تنم . . ولأول مرة تمنت لوأن الدنيا بقيت غارقة في الظلام الذي طالماكرهته وخافت منه ، تمنت لو لم تطلع الشمس التي أحبتها . . فغدا سيكون الفراق . . سوف تحمل بيديها طفلتها التي ملأت حياتها بالأمل الى بيت السيدة الطيبة التي عرفتها أيام شقائها ووحدتها ووجدت عندها الدفء والحنان والحب . . . تلك العواطف التي حرمت منها .

وطلعت الشمس أخيرا ، وحملتها بين ذراعيها وهي تحاول أن تبعد انفاسها عنها ، وراحت تمشي في الشارع الى المكان الذي سيحتضن حبيبتها الصغيرة . . كانت تشعر أن ساقيها لم تعودا قادرتين على حملها ، وان قدميها قد توقفتا عن السير ، تمنت في هذه اللحظة لو أنها مضت تمشي . . . وتمشي الى آخر الدنيا . .

وأخيرا وصلت ، وحملت السيدة الطفلة وانحنت الام المسكينة تقبل يدها . . « اتوسل اليك أن تعتني بها . . . مازلت آمل في العودة اليها في يوم قريب بعد أن يفارقني المرض . . ولم تنظرورائها !

ومضى الزمن . . وما أسرع ما يمضي . . واشتدت وطأة المرض على الأم واصابها الضعف والوهن . . وكبرت الطفلة الصغيرة ، كانت السيدة الطيبة ترعاها وتحنو عليها وتحملها بين الحين والحين الى المستشفى حيث ترقد الأم . . وكانت المسكينة تقنع نفسهابالنظرالى وجهها الصغير البريء ثم لا تلبث الدموع تملأعينيها فتسرع إلى اخفاء وجهها بيديها ، وهي تتوسل اليهم أن يعيدوها الى البيت خوفا عليها من العدوى .

وكانت تحس بقلبها يكاد يقفز من صدرها وينطلق ورائها وهي تشير اليها بيدها الصغيرة مودعة !

الى ان جاءت اليها يوما . . وسحبت الصغيرة الى الفراش الذي كانت ترقد عليه أمها . . وقالت :

انى أذهب الى المدرسة الآن . . . تأخذنى « أمى » اليها فى الصباح ، وأجدها دائما فى انتظارى عندما تنتهى مواعيد الدراسة لتعود بى الى البيت !

وصدمتها كلمة « أمى » . . أحست بجرح يصيب قلبها المرهف . . لقد نسيتها الصغيرة . . نسيت أن أمها هى تلك السيدة المسكينة التى ترقد فى المستشفى مريضة حزينة لفراقها تنتظر المعجزة . . تعد الأيام والشهور والسنين التى أمضتها بعيدا عنها . . وتنتظر ـ بعد ذلك ـ اليوم الذى يأتون اليها فيه بالخبر الذى سيعيدها الى الحياة مرة أخرى « لقد شفيت وتستطيعين العودة الى ابنتك ! وبيتك ! »

وجاء اليوم الذى انتظرته طويلا بعد ست سنوات كاملة ، كانت تقترب خلالها من الموت ، ثم لاتلبث أن تعود الى الحياة من جديد . . الحياة التى أحبتها من أجل طفلتها . . وراحت تلملم نفسها وحاجياتها الصغيرة . . . ولم يعد باقيا أمامها الاهذا الممر الطويل الذى سوف تجتازه . . . ثم تنتهى رحلتها مع العذاب .

ولكنها مالبثت أن توقفت . . وسألت نفسها الى أين ؟

ومن وراء نافذة حجرتها رأت الشارع وارتدت مذعورة . ! لا انها لن تعود اليه مرة أخرى . . لن تعود الى الضياع ! سوف تذهب الى البيت الذى احتضن صغيرتها . لعلها تجد فى قربها منها السلوى التى تبحث عنها .

وطرقت الباب ، واستقبلتها صديقتها فى ذهول .

هل شفيت تماما ؟

نعم ، وقد جئت اليك . . الى السيدة التى رعت طفلتى وأحبتها وحنت عليها . . ليس لى من أمل فى هذه الدنيا اكثر من ان اكون قريبة منها . . أرقبها وهى نائمة ، ثم وهى تلعب وتجرى أمامى . . هل تقبلينى خادمة فى بيتك . . أرجوك أن تحققى لى هذه الامنية !

وكان لها ماأرادت . . وعاشت الأم المسكينة بجوار ابنتها ولكن لا كأم ، فلم تشأ ان تدمر الحياة السعيدة الحلوة الجديدة التى اعتادت عليها ابنتها ! وقنعت بأن تدعوها طفلتها « دادة » كانت تصطحبها الى المدرسة ، وتعود بها الى البيت بعد انتهاء الدراسة . . كانت تلعب معها وترافقها فى نزهاتها ، وتجلس بجوار فراشها تحكى لها القصص التى حفظتها فى طفولتها السعيدة قبل أن يتدخل القدر بكل قسوته لينتزع منها الذين أحبتهم .

وعادت الدنيا تبتسم لها من جديد مع الطفلة الصغيرة التى عادت تملأ دنياها مرة أخرى .

ومضت السنون . . وكبرت الطفلة وأصبحت فتاة جميلة حلوة . . أصبحت عروسا وتزوجت . . وعندما وقفت الأم ترقب ابنتها وهى تذهب فى هذه الرحلة الجديدة مع الشاب الذى اختارها لتشاركه حياته ، أحست بقلبها يخرج من صدرها ويتعلق بردائها الأبيض الذى راحت تخطر به فى دلال .

فى هذه الساعة تمنت لوأنها ذهبت معها . . ولكنها ما لبثت أن سخرت من نفسها ومن الفكرة السخيفة التى قفزت الى رأسها . . عروسان فى شهر العسل . . أين مكانها معهما ؟

اذن عندما يعودان ؟

وعادا ، وسألت العروس عن « الدادة » التى رافقتها فى طفولتها وصباها وشبابها . . واسرعت الأم تلبى النداء . . « اريدك أن تعيشى معنا هنا فى بيتنا الجديد ! »

وعاشت . . كانت لها صديقة ورفيقة ثم « دادة » للضيف الجديد الذى جاء بعد عامين من الزواج . . وكان طفلة جميلة عادت بالأم الى ذكرياتها هى مع طفلتها عندما كانت فى مثل سنها !

ونامت الأم فى احدى الليالى مع ذكرياتها . . كانت سعيدة فى هذا البيت الصغير الجميل بجوار ابنتها وحفيدتها . . ولكنها كانت آخر ليلة تمضيها مع أحلامها ! ففى الصباح كانت قد وصلت الى نهاية رحلة الحياة ! لقد رحلت فى هدوء ومعها سرها الذى رفضت أن تبوح للانسانة التى أحبتها وأعطتها عمرها وعاشت لها ومن أجلها . .

ولكن السر لم يبق دفينا معها ، فقد رأت السيدة الطيبة التى احتضنت الابنة فى طفولتها أن واجبها أن تنقل لها الحقيقة : نعم . . لقد كانت هذه السيدة التى كنت تناديها « دادة » ، هى أمك ياحبيبتى . . وهى جدة ابنتك الصغيرة ثم أعطتها مصحفا وفتحته وبين صفحاته الكريمة وجدت نفسها . . صورتها هى عندما كانت طفلة فى عامها الأول وقد حملتها أمها فى حنان ، ووقف الاب الذى لم تره وقد رفع اناملها الصغيرة الى شفتيه وراح يلثمها بكل الحب القصير الذى عاشه معها .

○

منير نصيف

اسكندر بك الألباني

الرجل الذي أوقف مد الإسلام إلى أوروبا

بقلم الدكتور / محمد موفاكو

في تاريخ الاسلام في البلقان وفي أوربا لدينا شخصية مثيرة ، كتب وألف عنها مئات الكتب والدراسات الطويلة ، بالاضافة الى مئات الأعمال الشعرية والأدبية والفنية التي استلهمت هذه الشخصية ، بينها لا نكاد نجد عنها شيئا في اللغة العربية أو لدى العرب .

اشتهرت هذه الشخصية باسمين ، الأول مسيحي هو جيرج كاستريوتي **Gjergj Kastrioti** ، والثاني مسلم هو اسكندر بك **Skenderbeg** مع أن الأسم الثاني هو الشائع .

ومن المعروف أن العرب اهتموا كثيرا بنشر الاسلام في أوروبا ، ونجحوا في هذا في اسبانيا الى أن وصلوا الى جنوب فرنسا . وفي النصف الأول للقرن التاسع الميلادي ، مع فتح جزيرتي كريت وصقلية ، اقترب العرب المسلمون من مدخل البحر الأدرياتيكي ، الذي كان يتيح لهم الوصول الى عمق أوربا . وقد ركز العرب المسلمون اهتمامهم في البداية على الشاطىء الغربي للأدرياتيكي ، ففتحوا سنة ٨٤٠ بارنتو **Brannto** ، وانتصروا في السنة اللاحقة (٨٤١) على الاسطول البيزنطي ، مما فتح لهم أبواب البحر الأدرياتيكي . وبعد هذا الانتصار دفع العرب المسلمون باسطول كبير في هذا البحر ، وتمكنوا من السيطرة على مدينة باري ، التي تحولت الى مركز أساسي لهم خلال ثلاثين سنة (٨٤١ - ٨٧١) . وخلال هذه الفترة ، وبعد أن نجح العرب المسلمون في السيطرة على جزء كبير من ايطاليا الجنوبية ، التفتوا أخيرا الى الساحل الشرقي للأدرياتيكي ، في اتجاه البلقان . ومع أنهم تمكنوا من عدة مدن كبودفا **Budva** وكوستور **Kostur** ، إلا أن محاولتهم الحاسمة للسيطرة على الشاطىء البلقاني تأخرت حتى سنة ٨٦٦ ، حين حاصروا مدينة راغوصة (دوبروفنيك الحالية) ، التي كانت عاصمة لجمهورية معروفة في ذلك الوقت . وقد استمر هذا الحصار لمدة خمسة عشر شهرا ، نظرا للاهمية الاستراتيجية لهذه المدينة ، الذي كان يعني سقوطها انفتاح البلقان أمام العرب المسلمين . وقد اضطر هؤلاء الى فك الحصار بعد أن وردتهم معلومات عن تحرك اسطول بيزنطي كبير لحصارهم في البحر الأدرياتيكي الضيق . ومع أن العرب المسلمين اضطروا أخيرا الى التخلي عن مدينة باري (٨٧١) . إلا أنهم عادوا ثانية الى الساحل البلقاني في السنة التالية (٨٧٢) واستمروا في محاولاتهم هذه الى سنة ١٠٢٣ ، حين قاموا من صقلية بآخر هجوم لهم على هذا الشاطىء .

التقدم نحو البلقان

إلا أن البلقان انفتح أخيرا أمام الاسلام في بداية القرن



اسكندر بك كما يبدو اليوم
في الأعمال الفنية المعاصرة

الرابع عشر ، مع نجاح العثمانيين في عبور البوسفور والتغلغل في اتجاه الشمال . وقد أدى هذا النجاح ، بعد سلسلة من الانتصارات الكبيرة ، الى استنفار الممالك والامارات المسيحية في البلقان التي تجمعت في حلف مقدس . وهذا الحلف ، في الواقع ، كان يغلب عليه الطابع الصليبي أكثر من الطابع القومي ، لأنه كان يهدف الى وقف تقدم « الخطر الاسلامي » في البلقان . وقد تجمعت جيوش هذا الحلف في سهل كوسوفا **Kosova** ، حيث تمكن العثمانيون من الانتصار في أحد أهم المعارك الحاسمة سنة ١٣٨٩ . وكان من نتيجة هذه المعركة توسع الانتشار العثماني الاسلامي في البلقان ، بما في هذا المناطق الالبانية التي دخل معظمها في اطار الادارة العثمانية الجديدة . وفي البداية كانت سياسة العثمانيين تقوم على الاعتراف بالأمراء الاقطاعيين المحليين مقابل اعترافهم بالسيادة العثمانية ، مما كان يشمل تقديم مساعدتهم العسكرية في وقت الحاجة الى الامبراطورية العثمانية بالاضافة الى دفع خراج سنوي . والى جانب هذا ، كان على الأمراء أن يرسلوا أبناءهم كرهينة الى البلاط العثماني في أدرنه ، حيث كانوا يكتسبون ثقافة عسكرية رفيعة ويعينون بعد ذلك في أهم المراكز الادارية والعسكرية في الامبراطورية العثمانية .

ومن هؤلاء الامراء الاقطاعيين في المناطق الالبانية كان جون كاستريوتي **Gjon Kastrioti** الذي كان يحكم منطقة واسعة في شمال البانيا في ذلك الوقت . وقد اعتنق هذا الأمير الاسلام فيما بعد وبدل اسمه المسيحي باسم عربي هو حمزة **Hamza** . وحسب التقليد المتعارف عليه في ذلك الوقت ، فقد أرسل هذا الأمير أبناءه الأربعة الى البلاط العثماني في أدرنة ، بما فيهم ابنه الاصغر جيرج . وتذكر المصادر أن هذا الفتى قد لفت الانتباه اليه لذكائه وشجاعته ، مما دفع السلطان مراد الثاني (١٤٢١ ـ ١٤٥١) الى إحاطته برعايته بعد أن اختار له اسماً جديداً هو اسكندر ، تيمنا بالقائد المعروف الاسكندر ذو القرنين ، نظرا لانهما من جنس واحد . وفي هذا البلاط نشأ اسكندر الالباني مع الأمير محمد ، السلطان محمد الفاتح لاحقا ، حيث اكتسب ثقافة عسكرية رفيعة وأصبح من الشخصيات العسكرية المعروفة في ذلك العصر . وقد تبعت شهرته من المعارك الكثيرة التي خاضها سواء في آسيا أو في أوروبا ، حيث كان يقود المعارك لتثبيت الوجود العثماني الاسلامي في هذه المناطق . وقد كان السلطان في ذلك الحين قد أنعم عليه برتبة سنجق بك ، حيث اشتهر بعد هذا باسمه المركب اسكندر بك .

ونظرا لمكانة عائلته في المناطق الالبانية ، فقد كان هذا الرجل مؤهلا للقيام بدور كبير فيما يتعلق بالاسلام في هذه المناطق وما يحيط بها ، حيث كان ينتظر أن يرث حكم أبيه في المنطقة التي كانت له . وقد قام فعلا بهذا الدور فيما بعد ، ولكن في اتجاه معاكس ضد الاسلام ! وهذا الانعطاف يحتاج في الواقع الى مزيد من البحث ، مع أن هناك بعض العوامل التي قد تساعدنا على فهم دوافع هذا الانعطاف .

دور الفاتيكان

ومن أهم هذه العوامل على مايبدو كان دور الفاتيكان ، الذي كان يتابع باهتمام الصعود السريع لاسكندر بك ، والدور الذي يقوم به لاجل الاسلام .

وفي ذلك الحين كان على رأس الكنيسة الكاثوليكية البابا أوجين الرابع (١٤٣١ ـ ١٤٤٧) الذي لجأ الى الاتصال باسكندر بك بواسطة الرسل والرسائل لاقناعه بالارتداد عن الاسلام . وحول هذا تضيف المصادر أن اسكندر بك ، بعد نجاح البابا في كسبه ، قام باعمال عظيمة لصالح المسيحية ، التي توازي الاعمال السابقة التي قام بها ضد هذا الدين ، أي لصالح الاسلام .

وفي الواقع لقد نجح البابا في مبادرته هذه نظرا للظروف التي كانت تحيط في ذلك الحين باسكندر بك وعائلته . فقد كان والد اسكندر بك ، جون كاستريوتي ، حريصا على الاستمرار في حكم منطقته الاستراتيجية ، مما دفعه هذا الى تغيير دينه ومذهبه حسب الظروف السائدة وحسب القوى التي كان يتعامل معها . فقد كان في البداية كاثوليكيا في فترة تحالفه مع جمهورية البندقية خلال سنوات ١٤٠٧ ـ ١٤١٩ ، ثم أصبح أرثوذكسيا بعد تقاربه مع ملك صربيا خلال سنوات ١٤١٩ ـ ١٤٢٦ ، ومع اندلاع الحرب بين العثمانيين والبندقية سنة ١٤٣٠ ، تخلى جون عن العثمانيين وانضم الى البندقية . إلا أن النصر كان لصالح العثمانيين الذين سيطروا على مدينة سالونيك في الجنوب وهزموا قوات جون في الشمال . وقد لجأ جون الى اعتناق الاسلام في هذه اللحظة لانقاذ ما يمكن انقاذه قبل أن تصل الجيوش العثمانية الى عاصمته . وقد اضطر جون ، الذي اصبح يدعى الآن حمزة **Hamza** نتيجة لما حدث أن يتخلى للعثمانيين عن قسم كبير من امارته ، وأن يتحول الى تابع **Vassal** للعثمانيين على ماتبقى من امارته .

ويبدو أن هذا الوضع لم يعجبه ، مما دفعه سنة ١٤٣٨

الى الارتداد عن الاسلام والى الاستعداد للقيام بعمل ما . وتظرا للمكانة التي كان يتمتع بها اسكندر بك في ذلك الحين في البلاط العثماني ، فقد كان من المتوقع أن يرث سلطة أبيه على المنطقة التي كان يحكمها حسب التقاليد السائدة آنذاك . إلا أن هذا لم يحدث . ويبدو أن هذا قد أحدث ردة فعل لدى اسكندر بك ، مما دفعه للتفكير في طريق آخر لاسترداد حقه في حكم المنطقة ، ومن ناحية أخرى كانت جمهورية البندقية ، ومن ورائها الفاتيكان ، يراهنان على الماضي المسيحي لاسكندر بك لقلب الوضع في اللحظة المناسبة . وفي هذا الاتجاه كان البابا أوجين الرابع ، كما مر معنا يلاحق اسكندر بك بالرسل والرسائل لاقناعه بالارتداد عن الاسلام . وقد جاءت هذه اللحظة مع الخيبة التي أدركت اسكندر بك نتيجة لتقلب الوضع في إمارة أبيه . ويبدو أن هذه الصلات بين الطرفين قد توطدت بسرعة ، اذ أن جمهورية البندقية أعلنت اسكندر بك مواطنا فخريا لها سنة ١٤٣٩ ، مما كان يشير الى أن اسكندر بك كان يستعد للقيام بانعطاف جديد بالتعاون مع والده .

ومع هذا ، يبدو أن هذه الصلات والاستعدادات كانت تتم من وراء ظهر العثمانيين ، نظرا لأن ثقة السلطان باسكندر بك استمرت على ما هي عليه الى سنة ١٤٤٣ ، حين توفي والد اسكندر بك ، وقد حانت الفرصة في هذه السنة لاسكندر بك ، حين أرسله السلطان لقتال الهنغاريين في البلقان ، بالقرب من مدينة نيش **NISH**، إلا أن اسكندر بك استغل فرصة وجوده في هذه المنطقة وذهب مع نخبة من جنوده الالبانيين الى مدينة كرويا **Kruja** المنيعة التي استولى عليها وأعلن منها الحرب على العثمانيين في ٢٨ تشرين الثاني ١٤٤٣ . وقد صاحب هذا فورا إعلان اسكندر بك عن عودته الى دينه القديم ودعوة الآخرين الى الارتداد عن الاسلام ، الا أن هذا للأسف تم وسط مجزرة واسعة لا مبرر لها .

لولا اسكندر بك !

فقد تم استدعاء كل الالبانيين الذين كانوا قد اعتنقوا الاسلام الى مدينة كرويا ، والى المدن الاخرى التي اعترفت بسلطة اسكندر بك ، حيث وضعوا أمام خيارين : الارتداد عن الاسلام أو الموت . وتذكر المصادر أن غالبية هؤلاء قد رفضوا الارتداد عن الاسلام ، مما أدى الى تصفيتهم في مجزرة واسعة لم تبق على أحد منهم ، لقطع كل صلة بالماضي وفي الواقع لم يبق من هذا الماضي إلا اسم اسكندر بك نفسه ، الذي لم يرغب صاحبه في تغيير واسترداد اسمه القديم جيرج نظرا لأن شهرته كانت قد ذاعت بالاسم الذي كان السلطان مراد الثاني قد منحه له .

كان انقلاب اسكندر بك يشكل ضربة قاصمة للعثمانيين ، نظرا لأن استقرار وضعهم في المناطق الالبانية الحدودية ، التي كانت تفصل بينهم وبين الغرب المسيحي ، كان قد ساعدهم بمساندة الالبانيين للتوسع في البلقان ، في الشمال والشرق ، حيث كان الهدف الرئيسي لهم هو القسطنطينية . ولهذا أدى انقلاب اسكندر بك الى تبدل كبير في أولوية الأهداف ، بحيث أصبح الهدف الرئيسي للسلطان العثماني هو القضاء على اسكندر بك لكي يتفرغ لبقية الفتوحات . وقد أرسل السلطان العثماني لهذا الهدف جيشا كبيرا الى المناطق الالبانية سنة ١٤٤٤ ، إلا أنه أصيب بهزيمة فادحة . ومن هذه السنة أصبحت الحملات العثمانية التي توجه ضد اسكندر بك شبه دورية ، في كل سنة تقريبا ، إلا أنها كانت تفشل في إحراز أي انتصار ، مما أدى الى اهتزاز هيبة الامبراطورية العثمانية . وقد دفع هذا أخيرا السلطان مراد الثاني ليثأر لهيبة الأمبراطورية ، فجمع ما لديه من جيوش من آسيا وأوروبا وتوجه سنة ١٤٥٠ الى المناطق الألبانية ليقضي على قوة اسكندر بك .

وفي شهر آيار حاصر السلطان مراد الثاني بجيوشه الجرارة مدينة كرويا ، عاصمة اسكندر بك حيث بقي يشدد الحصار لمدة خمسة أشهر الى أن أدركه اليأس من اقتحام المدينة مما دفعه للعودة من حيث أتى .

وقد عاد السلطان مراد الثاني الى عاصمته أدرنة وهو يحمل خيبة مريرة لاخفاقه في الانتصار على اسكندر بك ، الذي شغله عن تنفيذ ما كان يحلم به حول فتح القسطنطينية . وقد صعب على السلطان مراد الثاني أن يرحل عن الدنيا دون أن يتمكن من فتح القسطنطينية وترك هذا لابنه محمد ، السلطان محمد الفاتح لاحقا ، الذي ودعه بقوله : « كان بامكاني في أن أفتح القسطنطينية لولا اسكندر بك » . وفي هذه الحالة توفي السلطان مراد الثاني سنة ١٤٥١ ، بعد أن ترك هذه الوصية لابنه ، الذي عرف كيف يستفيد منها .

ومع أن هزيمة السلطان مراد الثاني أمام أسوار مدينة كرويا هزت أوربا وجعلت من اسكندر بك أعظم شخصية في ذلك الوقت ، إلا أنه كان واثقا من عودة السلطان الجديد للأخذ بالثأر ، مما دفعه الى الاتصال بالدول المجاورة طلبا للمساعدة . إلا أن البندقية ، التي كانت وراء اسكندر بك في البداية ، تخلت عنه بسرعة ، مع أن اسكندر بك عرض عليها مرتين أن يضع نفسه ومنطقته تحت حمايتها ، مقابل بعض المساعدات المادية

والعسكرية . وقد رفضت البندقية هذا العرض حينذاك لخشيتها من تحول اسكندر بك الى قوة منافسة لها في المنطقة . وبعد هذا التراجع من جانب البندقية توجه اسكندر بك الى ملك نابولي ، الفونس الرابع الذي كان يحلم بقيادة حملة صليبية جديدة تقضي على العثمانيين في البلقان وتؤدي الى خلق إمبراطورية متوسطية تحت زعامته . وقد انتهز الفونس الرابع حاجة اسكندر بك الى المساعدة الماسة ، ففرض عليه التوقيع على اتفاقية قاسية في شروطها ، في ٢٦ آذار ١٤٥١ ، التي تضمن له السيطرة على المناطق الألبانية في اتجاه طموحه الكبير :

١ ـ تسليم اسكندر بك وبقية زعماء قومه إماراتهم ، بما في ذلك مدينة كرويا ، الى نائب للملك الفونس .

٢ ـ على هؤلاء أن يدفعوا للملك الفونس الخراج ، الذي كان يطلبه السلطان منهم ، بعد تحرير أراضيهم من الأتراك بمساعدة الفونس .

٣ ـ كل المناطق المحررة من الأتراك ستكون ملكا للفونس ، الذي سيمنح اسكندر بك وبقية زعماء قومه ما يريده من هذه الأراضي .

٤ ـ على اسكندر بك أن يأتي شخصيا الى نابولي ، بعد استرداد أراضيه من الأتراك ، لكي يعلن شخصيا خضوعه لسيادة الفونس .

٥ ـ لا يحق لاسكندر وبقية زعماء قومه شراء الملح إلا من نابولي .

٦ ـ يبقى الأمر للملك الفونس في تثبيت امتيازات مدينة كرويا وامتيازات رؤساء العشائر الألبانية .

رأس جسر معاكس

وفي الواقع كانت هذه الاتفاقية تعني الكثير بالنسبة للامبراطورية العثمانية ، نظرا لأنها جعلت من غرب البلقان رأس جسر للغرب المسيحي ، يمكن أن ينطلق منه لتصفية الوجود العثماني الاسلامي في البلقان . إلا أن الموقف تغير في ذات السنة مع صعود محمد الثاني المعروف بالفاتح الى عرش السلطنة ، الذي استفاد من تجربة أبيه الفاشلة . وكان السلطان محمد الثاني قد اشترك مع أبيه في حصار عاصمة اسكندر بك ، الذي انتهى الى الفشل سنة ١٤٥٠ . والى جانب هذا كانت قد بقيت في ذاكرته كلمات أبيه الأخيرة : « كان بامكاني أن أفتح القسطنطينية لولا اسكندر بك » ، ولذلك تجنب تبديد طاقته العسكرية في قتال اسكندر بك ، وتفرغ عوضا عن ذلك للاهتمام بفتح القسطنطينية . ولأجل هذا ، ساد نوع من الهدوء بين العثمانيين واسكندر بك ، قام خلاله السلطان محمد الثاني بتوجيه أفضل جيوشه الى القسطنطينية ، التي تمكن من فتحها أخيرا سنة ١٤٥٣م . ومع سقوط القسطنطينية في أيدي العثمانيين أصيب الغرب المسيحي بهلع كبير ، لما كانت تمثله القسطنطينية في ذلك الوقت بالنسبة للعالم المسيحي . وفي الواقع ، كان السلطان محمد الثاني يحركه طموح كبير لفتح عاصمة الشرق (القسطنطينية) والغرب (روما) معا . وكان من الطبيعي في هذه الحالة بعد انتصاره الكبير الأول ، أن يلتفت صوب الغرب ليتابع فتوحاته . إلا أن هذا التقدم كان يفترض بالضرورة القضاء على قوة اسكندر بك . فقد كانت مدينة كرويا ، عاصمة اسكندر بك ، في منتصف الطريق بين القسطنطينية وروما ، ولذلك كان لابد له من إزاحة اسكندر بك عن طريقه لكي يصل الى روما .

وفي سنة ١٤٥٧ قام السلطان محمد الثاني بأول محاولة لفتح هذا الطريق ، فأرسل جيشا كبيرا لقتال اسكندر بك إلا أن هذا الجيش مني بهزيمة فادحة ، مما دفع السلطان الى تأجيل مواصلة القتال معه الى فرصة أخرى . وقد حانت هذه الفرصة سنة ١٤٦٢ ، حين توترت العلاقات بين اسكندر بك ، وجمهورية البندقية الى أن وصلت الى الحرب غير المعلنة بين الطرفين . وقد رأى السلطان محمد الثاني في هذا الموقف الجديد الفرصة التي ينتظرها ، فقام في السنة اللاحقة ١٤٦٣ بتوجيه حملة عسكرية للقضاء على اسكندر بك ، وحين هزمت هذه الحملة أرسل وراءها حملة أخرى انتهت الى الاخفاق أيضا ، مما دفعه الى إرسال حملة ثالثة كبيرة في نفس السنة إلا أنها تعرضت أيضا الى هزيمة فادحة .

وبعد هذه المحاولات الثلاثة انتهت الأمور في أواسط سنة ١٤٦٣ الى اتفاقية سلام بين الطرفين . وقد وقع كل طرف على هذه الاتفاقية رغبة في تجميع قواه للاستعداد لجولة قادمة وحاسمة . وفي الواقع لقد شجع هذا الموقف الغرب المسيحي على التفكير في انتهاز هذه الفرصة والانتقال من الدفاع الى الهجوم . وقد بدأت الأمور تجري في هذا الاتجاه منذ شهر آب ١٤٦٣ ، حين عقدت معاهدة جديدة بين اسكندر بك وجمهورية البندقية لشن الحرب ضد العثمانيين . وبعد عدة شهور ، وفي تشرين الثاني ١٤٦٣ ، أعلن البابا بيوس الثاني (١٤٥٨ ـ ١٤٦٤) عن حرب صليبية جديدة ضد العثمانيين ، ووجه نداء الى كل الشعوب المسيحية للمشاركة في هذه الحملة ، وفي ٢٧ تشرين الثاني ١٤٦٣ أعلن اسكندر بك الحرب على العثمانيين ، وشن عدة حملات على المناطق العثمانية المحيطة به . وقد تطور الموقف في بداية ١٤٦٤ ، حين ذهب البابا بيوس الثاني الى أنكونا لينطلق من هناك بالحملة الصليبية الى مدينة راغوصة (دوبروفنيك الحالية في يوغسلافيا) حيث كان سيلتقي باسكندر بك وملك

هنغاريا . إلا أن البابا توفي فجأة في آب ١٤٦٤ ودفن معه حلمه في هذه الحملة الصليبية .

هيبة العثمانيين

وكان من الطبيعي أن تحدث هذه المبادرة ، التي كانت ترمز الى انتقال الغرب المسيحي من الدفاع الى الهجوم ، ردة فعل عند السلطان محمد الثاني الذي كان يطمح في الوصول الى روما . وقد اكتفى السلطان في البداية بتوجيه عدة حملات عسكرية خلال تلك السنة ١٤٦٤ الى مدينة كرويا ، إلا أنها تعرضت جميعا للهزيمة ، مما أثر على الامبراطورية العثمانية . وللحفاظ على هيبة الامبراطورية ، اضطر السلطان محمد الثاني في سنة ١٤٦٦ الى الذهاب بنفسه على رأس جيش هائل مؤلف من مئة وخمسين ألف مقاتل ومجهز بأحدث الأسلحة والمدافع الثقيلة للقضاء على اسكندر بك . وفي منتصف حزيران ١٤٦٦ وصل السلطان مع هذا الجيش الكبير الى مدينة كرويا واحكم الحصار عليها ، وعلى الرغم من الحصار العنيف والقصف المتواصل لاسوار المدينة ، فقد استمرت كرويا في المقاومة الى أن يئس السلطان من فتحها واضطر للعودة بعد أن ترك نصف جيشه الكبير حول المدينة الى أن تستسلم من الجوع .

وفي صيف ١٤٦٧ فقد السلطان محمد الثاني أعصابه ، حين عرف ان اسكندر بك لم ينجح في فك الحصار وحسب ، وانما توجه أيضا لحصار قلعة الباسان المنيعة ، التي كانت مركزا عسكريا مهما للعثمانيين في هذه المنطقة . ونظرا لأن هيبة الامبراطورية العثمانية أصبحت لا تحتمل المزيد من الهزائم ، قام السلطان محمد الثاني بحشد مالديه من الجيوش من آسيا وأوربا وتوجه بنفسه على رأس هذه الجيوش في شهر تموز ١٤٦٧ ليحاصر ثانية مدينة كرويا . وعلى الرغم من تشديد الحصار والقصف العنيف لأسوار المدينة ، بقيت كرويا صامدة في وجه الحصار ، بينما كان اسكندر بك خارج المدينة يشن هجماته القصيرة والخاطفة على الجيش العثماني لتخفيف الضغط على المدينة . وحين يئس السلطان محمد الثاني من فتح المدينة قرر العودة بعد أن ترك جيشه هناك ليتابع الحصار الى أن يقضي الجوع على المواطنين في المدينة .

وفي غضون هذا كان المرض قد تمكن من اسكندر بك الى أن توفي في بداية ١٤٦٨ ، ودفن في مدينة ليجا **Lexha** القريبة . وعلى الرغم من وفاته ، بقيت عاصمته كرويا تقاوم الحصار العثماني الشديد لمدة عشر سنوات كاملة ، الى سنة ١٤٧٨ . بعد أن نفد كل مايمكن أن يؤكل فيها . وبعد سقوط كرويا تابع الجيش العثماني تقدمه وتمكن من فتح مدينة ليجا ، التي كان قد دفن بها اسكندر بك . ونظرا الى أن اسكندر بك كان قد تحول الى اسطورة في نظر العثمانيين فقد قام الجنود بنبش قبره ليأخذوا ما بقي من عظامه ليستخدموها كتمائم واقية من الموت .

وفي النهاية لم يبق أمام السلطان محمد الثاني : إلا مدينة شكودرا **Sgkodra**، فقاد بنفسه الحصار الى أن استسلمت له سنة ١٤٧٩ .

كانت لهذه الحرب الطويلة التي قادها اسكندربك ، والتي أنهكت الامبراطورية العثمانية لاربعين سنة تقريبا ١٤٤٣ - ١٤٧٩ ، نتائج خطيرة وبعيدة المدى فيما يتعلق بالاسلام ، سواء على المستوى البلقاني أو الاوربي ، وحتى العالمي ، كما ترى الباحثة السوفيتية ايرينا سنكفيتش **Irina Senkevic** . فهذه الباحثة المعروفة والمختصة في التاريخ الالباني تشدد هنا على أهمية دور اسكندر بك في إعاقة التوسع العثماني الاسلامي في اوربا ، سواء في الشمال (هنغاريا) أو في الغرب (ايطاليا) ، الشيء الذي لو حدث لكانت له نتائج لا يمكن التنبؤ بها الآن .

وحول هذا يتفق المؤرخون على أن اسكندر بك ، الذي تمكن من شد جيوش الامبراطورية العثمانية لفترة طويلة من الزمن ، قد شغل هذه الجيوش عن متابعة فتوحاتها في اتجاه أوربا الغربية . وقد كان هذا واضحا في ذهن السلطان محمد الثاني الذي كان يحلم بفتح روما بعد القسطنطينية ، ليحول البحر الأبيض الى بحيرة اسلامية . إلا أن عاصمة اسكندر بك ، مدينة كرويا التي كانت في منتصف الطريق كانت هي العقبة في وجه مشروعه . ولهذا قاد السلطان محمد الثاني بنفسه أفضل جيوشه للقضاء على اسكندر بك . وحين سقطت مدينة كرويا أخيرا سنة ١٤٧٨ ، انفتح الطريق فورا الى روما . وقد أعقب هذا مباشرة الانزال العثماني على الشاطىء الايطالي في ترانتو **Tarento** سنة ١٤٨٠ . إلا أن وفاة السلطان محمد الثاني في السنة اللاحقة ١٤٨١ أدت الى انقاذ روما ، لأن خليفته السلطان بايزيد الثاني لم يكن مهتما بمتابعة الفتح في هذا الاتجاه .

وحول هذا الدور الخطير الذي قام به اسكندر بك ، من مقاتل في سبيل الاسلام الى منقذ للمسيحية في أوربا ، لدينا اعترافات البابا كاليكستوس الثالث (١٤٥٥ - ١٤٥٨) ، التي لا تحتاج الى أي تعليق . ففي إحدى رسائله الى الملك الفونس ، التي تحمل تاريخ ٨ شباط ١٤٥٧ ، يستعمل البابا أفضل العبارات لتمجيد اسكندر بك « الذي أقام سدا منيعا أوقف وراءه الفيضان التركي ومنعه من أن يجتاح أوربا المسيحية » . ○

د . محمد فاكو

برشتنا - يوغوسلافيا



ج



الجنرال جورج براون

أصابت قنابله «قلب» اسرائيل !

● هل صحيح أن في أمريكا أصواتا بدأت تعلو مدافعة عن حق العرب في القضية الفلسطينية محذرة من الخطر الاسرائيلي الذي بات يهدد مصالح أمريكا نفسها ويشوه صورتها أمام العالم الخارجي ؟

نعم صحيح . ففي أمريكا خلاف على مدى التأييد الذي يتحتم على الولايات المتحدة أن تقدمه لاسرائيل ، وهو خلاف قديم بدأ عندما كان بن جوريون رئيسا لحكومة العدو في الستينات ، ثم كان أن وجه نداء الى يهود أمريكا يدعوهم فيه الى اعلان ولائهم لاسرائيل أولا . وثار اليهود وقالوا : «بل نحن مواطنون أمريكيون !» ، وحتى قبل ذلك في عهد الرئيس الأسبق أيزنهاور . أما الدفاع عن قضية الفلسطينيين . وان كان غير مباشر الا أنه كان ملموسا في التغطية «غير المتحيزة» للمذابح التي ارتكبها الاسرائيليون أخيرا في لبنان الشقيق .

نتذكر كلمات جاءت على لسان واحد من كبار العسكريين الامريكيين ، وهو الجنرال جورج براون رئيس هيئة أركان حرب القوات المشتركة في أوروبا ، قال براون : «اسرائيل طفل مدلل . اسرائيل أصبحت عبئا عسكريا على أمريكا . اليهود يملكون الولايات المتحدة . يملكون بنوكها ، ويملكون صحفها» .

وقامت قيامة اسرائيل . فقد كان الجرح الذي أصابها في حرب اكتوبر عام ١٩٧٣ ما زال ينزف .

وكانت هذه هي المرة الاولى التي تسمع فيها اسرائيل مثل هذه الكلمات من مسؤول أمريكي كبير ورجل عسكري كره الحروب بنفس القدر الذي كان يدعو فيه الى السلام وهو يرى بلاده تخرج من حرب لتدخل حربا جديدة . . حرب كوريا ، ثم حرب فيتنام ، ثم حروب صغيرة أخرى في أنحاء متفرقة من العالم .

كانت اسرائيل اذن تلعق جراحها عندما دوت هذه الكلمات وتناقلتها الصحف في شهر يونيو من عام ١٩٧٤ . ومن هنا ازداد الجرح عمقا . . ومر عامان . وفي عام ١٩٧٦ ألقى براون قنبلة ثانية عندما عاد يردد قناعته بأن اسرائيل ما زالت تشكل عبئا عسكريا ثقيلا على بلاده . وقد كان وقع القنبلة الثانية لايقل عنفا عن آثار التدمير التي كانت تحدثها القنابل التي كان يلقيها على قوات المحور في الحرب الثانية ، عندما كان يعمل قائدا لسلاح قاذفات القنابل الامريكية .

ورحل الجنرال براون بعد مرض عضال في عام ١٩٧٨ ، فقد كان مصابا بالسرطان ولكن كلماته بقيت من بعده شاهدا على العلاقة التي قامت بين الولايات المتحدة

الامريكية واسرائيل .

ولعلنا نجد في كلمات الرئيس الامريكي الأسبق الجنرال ايزنهاور عن جورج براون شاهدا آخر على المكانة التي كان يتمتع بها هذا المواطن الامريكي الذي قال كلمته وذهب ، فقد قال عنه وهو يمنحه وسام البطولة في الحرب العالمية الثانية : « انه طيار جريء ومقاتل شجاع ، ثم هو يحمل قلبا من ذهب .. اننا نشترك في أشياء كثيرة ، لعل أهمها كراهيتنا الشديدة للحروب وما تجره من ويلات على البشرية » .

(م . ن)



روبنسون كروزو العرب !

● من مؤلف « حي بن يقظان » وما « فلسفته » ؟

« حي بن يقظان » عنوان ثلاث رسائل ، أو ثلاث قصص لثلاثة من فلاسفتنا الاعلام ، أقدمهم وأشهرهم الشيخ الرئيس ابن سينا (٣٧٠ - ٤٢٨ هـ) والثاني ابن طفيل الاندلسي الذي عاش في القرن السادس الهجري (ت ٥٨١ هـ) ، وآخرهم شهاب الدين السهروردي الذي عاش في القرن الثامن الهجري وقد قتل سنة ٧٥٨ هـ وهو في السادسة والثلاثين ، وقد طبعت القصص الثلاث أخيرا في كتاب واحد في مصر بعنوان « حي بن يقظان » ، بتحقيق الاستاذ أحمد أمين « رحمه الله » .

أما قصة « ابن سينا » فتقع في نحو تسع صفحات ، وتقع قصة « ابن طفيل » في خمس وستين صفحة ، وقصة « السهروردي » فيما دون أربع صفحات .

وقصة ابن طفيل اشهرها ، فاذا ذكرت « قصة حي بن يقظان » انصرف الذهن اليها دون القصتين الأخريين ، وفوق أنها أطول وأشهر ، هي أيضا أبلغ بيانا ، وأيسر فهما وأكثر تفصيلا ، يرجع ذلك في نظرنا الى أن ابن الطفيل كان أقوى شغفا بالادب وأوسع اطلاعا عليه ، وأشد تمكنا منه ، كما كان صاحب مزاج فني أو شاعري وبصيرة بطرائف الكلام .

أما الرسالتان الأخريان فقد كتبتا باسلوب رمزي مركز مستغلق ، وقصة السهروردي أقصر وأشد تعقيدا وغموضا .

والمجال هنا لايسمح بتعريف كل فيلسوف منهم وقصته وفلسفته ولو بالاجمال ، ولهذا نكتفي بأشهر القصص الثلاث وصاحبها وفلسفته .

ولد ابن الطفيل في جيرة مدينة غرناطة في الاندلس ، ولا نعلم شيئا عن اسرته وتربيته ، ولكن يظهر من أحواله عند كبره أنه كان متبحرا في معظم علوم عصره ، اذ كان فيلسوفا وأديبا وشاعرا وطبيبا وعالما رياضيا وفلكيا ، فهو ممن يمثلون عصرهم في العلوم الحكمية أعظم تمثيل ، الى جانب تبحره في الادب ، وكل هذا يدل على أنه كان على حظ وافر من العبقرية والجد في التحصيل ، وأن أحوال بيئته قد يسرت له أن يكشف عن جوانب عبقريته ، ويرضي طموحه الى تحصيل المعارف المتنوعة نظرية وعملية وكان الى جانب ذلك بصيرا بامور السياسة والادارة وقد تولى عدة مناصب سياسة وادارية فكان فيها موفقا ، بل نال فيها التقدير والمودة .

درس الطب في مدينة غرناطة ثم زاول الطب فيها ، وصار الى جانب ذلك كاتب السر لوالي اقليم غرناطة بالاندلس ، ثم استدعاه حاكم سبتة وطنجة في المغرب ليكون كاتب السر في ولايته وكان هذا الحاكم من أولاد عبد المؤمن مؤسس دولة الموحدين في المغرب ثم الاندلس ، فلما ارتفعت شهرته استدعاه السلطان الموحدي ابو يعقوب ليكون طبيبه ووزيره أيضا فبقي كذلك نحو اثنتين وعشرين سنة ، ولكن صلته بالسلطان واعماله في خدمته لم تحل دون اشتغاله بالفلسفة وتعليمها لطلابها الشبان ، فكان له تلاميذ يهتم بتعليمهم الفلسفة وتنمية مواهبهم العقلية ، وكان يضع أمامهم مشاكلها

ويوعز اليهم أن يحلوها ، ويبصرهم بطرق البحث فيها . وكان يقرب الى السلطان كثيرا من العلماء والنوابغ في دولته ، ويوصي برعايتهم وأشهر هؤلاء ابن رشد الذي كان فيلسوفا وطبيبا وفقيها أيضا وهذا يدل على سماحة اخلاقه وعظم نفسه . لأن العادة في المحيطين بالسلاطين والملوك أن يغادروا على مناصبهم ، ويحولوا دون أن ينافسهم أحد ممن يصلحون لمثل مناصبهم من النوابغ ،وحين تقدمت السن بابن الطفيل أوصى السلطان أن يحل ابن رشد محله في تطبيب السلطان فاتخذه السلطان طبيبا وبقي فترة بعد ذلك في الوزارة ثم تركها ولكن بقيت محبة السلطان له واعتماده عليه في المشورة بعد تركه الوزارة حتى توفي السلطان وهو يحارب الافرنج في الاندلس سنة ٥٨٠ هـ ، وحين ولي السلطنة بعده ابنه يعقوب الملقب بالمنصور أبقى كأبيه على محبة ابن الطفيل والاعتماد عليه في المشورة ، ولما توفي ابن الطفيل في السنة التالية سنة ٥٨١ بمدينة مراكش ، حضر هذا الخليفة جنازته ، ومشى فيها تكريما لهذا الرجل النبيل الذي أخلص له ولأبيه .

ومن آيات لباقته وحضور بديهته أنه مدح والي اقليم غرناطة حين كان في خدمته ، فاقسم الوالي أن لايعود ابن الطفيل الى بيته الا ماشيا على الذهب . ولما كان كل ما في خزينة الاقليم من الذهب لايكفي ليقاطر متصلا من قصر الوالي الى بيت ابن الطفيل ، اقترح ابن الطفيل فورا ان تركب بعض الدنانير الذهبية في أسفل نعليه ، ولما تم ذلك لبسهما ورجع الى بيته ماشيا ، وبذلك برت يمين الوالي ، وخرج من ورطته التي لم يكن ليخرج منها بغير هذه الحيلة .

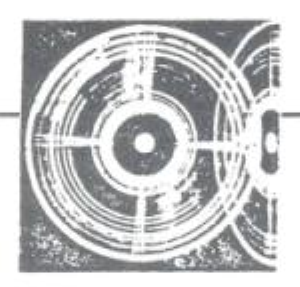
ويكفينا هذا للتعريف بابن الطفيل ، أما فلسفته فتظهر من قصته حي بن يقظان ، وخلاصتها أن حيا نشأ بعد ولادته في جزيرة صغيرة فاحتضنته ظبية وارضعته ، ثم عنيت به حتى استطاع تحصيل قوته ، ونما عقله ، فبدأ يفكر فيما حوله وفي نفسه حتى السماء بكواكبها ونجومها ، ومن ملاحظاته وتجاربه معتمدا على حواسه وعقله أدرك أنه محاط بعالم كبير يجري على نظام متقن ، وحاول أن يكشف هذا النظام ويعمل على وفقه ، وأخيرا وصل الى أنه لابد أن يكون وراء العالم إله يدبره .

وهكذا بقي يبحث وينقب حتى انتهى الى هذه النتيجة حين بلغ الخمسين ، وقد توصل اليها بالتدرج بعد عناء وعذاب طويل .

وكان على مقربة من جزيرة حي جزيرة أخرى ، يتدين أهلها على وفق ملة من الملل الصحيحة مأخوذة عن أحد الانبياء السابقين ، وكان بها فتيان من أهل الفضل والرغبة في الخير اسم أحدهما « ابسال » والآخر « سلامان » تقبلا هذه الملة خير قبول ، والتزما جميع شرائعها ، واصطحبا على ذلك ، ثم تعلق ابسال بالعزلة لانه كان نزوعا الى الغوص على المعاني ، وتعلق سلامان بملازمة الجماعة ، ولهذا تفرق الصديقان ، فارتحل ابسال يطلب جزيرة منفردة يعبد فيها الله ويقدسه فوقع مصادفة في جزيرة حي ابن يقظان ، ولقيه فيها وبعد أحداث جمة خلال مدة طويلة تعلم حي لغة ابسال ، وتباحثا حتى وصل كل الى ماعند الآخر من معارف وعقائد ، وعلّم ابسال حيا جميع ما ورد في ملته من تعاليم ، ومنها وصف العالم الالهي ، وأحوال الآخرة ، ومنها العبادات كالصلاة والصوم فتلقى عنه حي ذلك بالقبول .

والقصة حافلة بكثير من التفصيلات بعضها مرتب على بعض منطقيا ، ويكفينا منها ما تقدم . أما فلسفة ابن الطفيل فهي واضحة من قصته ، وهو لم يكتبها الا لتوضيح هذه الفلسفة ، وخلاصتها ان في وسع الانسان أن يتدرج في المعرفة معتمدا على فراسة عقله ليصل من المحسوس الى المعقول ثم يرتقي حتى يتصل بواجب الوجود الذي هو الله ، ولكن هناك درجة أعلى وأكمل من هذه المعرفة وهي الوصول الى درجة مشاهدة الأسرار الالهية ، عن طريق الذوق ، وهذه المرحلة تقترن بالغبطة واللذة .. فالعقل يصل عن طريق العلم الى الله فيبلغ سعادته ، ولابد له أن يبلغ بالارادة والرياضة النفسية الى أن يرى الحق في كل شيء فيحس غاية الالتذاذ ، والوصول الى هذا لايتم إلا عن طريق الذوق والبصيرة ، لاعن طريق العقل ولا الادراك الفطري الذي يلتزم القياس ، ويقيم المقدمات ليبني عليها النتائج .

(م . خ . ت .)



ك كتب المستقبل

● الاسطوانة أو اللفافة التي ترى في الصورة ليست شريطا خاصا بجهاز تسجيل من الطراز القديم .. انها كتاب كبير ، بل موسوعة تقع في نحو ١٠ مجلدات ، وفي حوالي ٦٠٠٠ صفحة ، لو كانت لتطبع على ورق على نحو ما تطبع كتب هذه الايام .. انها - باختصار - كتاب المستقبل .

ولعل أول ما يلاحظ المرء في كتب المستقبل هذه التوفير في الحجم ، وبالتالي في الحيز الذي تشغله الكتب .. اضف الى ذلك الوضوح وسهولة القراءة .. قراءة محتويات الكتاب ، بل الشريط ، بواسطة المنظار الخاص به ، ولو نحن ذكرنا أن كتب المستقبل هذه ليست أغلى من الكتب الورقية .. بل انها أرخص منها بنسبة كبيرة لما شك أحد في أن كتب المستقبل .. ستكتسح الاسواق دون منازع .. فالثمن الذي تدفعه لشراء موسوعة كالتي في الصورة (١٠ مجلدات × ٦٠٠٠ صفحة) لايزيد على ٧ دولارات يضاف الى ذلك ٣ دولارات ثمن المنظار .. تلك هي أسعار الوقت الحاضر .. وأغلب الظن أنها ستخفض كثيرا لدى شيوعها في المستقبل .

على أن اسلوب التسجيل في الكتب الجديدة ليس اسلوب الفيديو .. ولعله أقرب إلى اسلوب الميكروفيلم ، فالاسطوانة الأم تصور عليها محتويات الكتاب بواسطة الاشعة الالكترونية ... مصغرة بمقدار ١ : ٨٨ - بالنسبة الى حجمها الاصلي ، ويسهل بعد ذلك صنع نسخ بلاستيكية (Thermoplastic) عن تلك الاسطوانة بكميات كبيرة وتكاليف زهيدة .

وتجدر الاشارة الى أن هذه الكتب مجهزة بكمبيوتر يمكنك من العثور على الموضوع الذي تريد ، وفتح الكتاب عند الصفحة الذي تريد .

ويقال ان ربات البيوت ستتخلصن من النعرة التي يحملنها ضد الكتب الورقية .. وذلك على الاقل بالنظر لما تتيحه الكتب الجديدة من توفير في المكان .

(ى . ز)

الرئيس .. والقائد !
أيهما أنت ؟

الرئيس يدفع رجاله الى العمل .

والقائد يعلم رجاله ويدربهم .

الرئيس يعتمد على سلطته

والقائد يعتمد على النوايا الطيبة

الرئيس يثير الخوف في نفوس مرءوسيه

والقائد يثير الحماس في قلوبهم .

الرئيس يقول « أنا قلت ، وأنا فعلت ! »

والقائد يقول نحن .. دائما نحن .

الرئيس يقول : « يجب أن تحضروا في الوقت المحدد لبدء العمل ! » والقائد يحضر الى عمله قبل موعد بدء العمل .

الرئيس يحدد الشخص الذي يلومه على الخطأ الذي حدث .

والقائد يتقدم في هدوء ويصلح الخطأ .

الرئيس يعرف كيف يتم انجاز العمل المطلوب .

والقائد يشرح لهم ما خفي عليهم .

الرئيس يحول العمل الى مهمة شاقة عسيرة .

والقائد يجعل من العمل مباراة يتسابق الجميع على الفوز فيها !

(م . ن)

نحن والتلفزيون

○ حرب الشبكات والأجهزة هي أول الحروب "المقدسة" في قارة التكنولوجيا

○ من يخاف التلفزيون : نحن .. أم الأطفال ؟

بقلم : فاروق عبد العزيز

هذا الذي بات يسكن في كل بيت ـ التليفزيون ـ ماذا يمكن ان يفعل في واقع الأسرة ومستقبلها ؟

بامكاننا اليوم ان نسلم بان ما سيحدث في العالم خلال عام ١٩٨٤ سيكون هو تطبيقاً دقيقاً لما تخيله الروائي البريطاني جورج أورويل قبل نحو ثلاثين عاما في روايته « ١٩٨٤ » . العالم مقسم سياسيا ، واقتصاديا بين قارتين عظيمتين . . الأمم القديمة تلاشت والايدلوجيات اختفت . . حروب « مقدسة » مستمرة وقارة غنية وأخرى فقيرة . . واحدة بوليسية والأخرى لا نعرف ماذا . . .

القاسم الوحيد المشترك بينهما هو انتماؤهما لقارة التكنولوجيا . وفي احدى القارتين تدور الأحداث ويكون الصندوق الكبير المثبت فوق كل الجدران هو وسيلة الحكومة للاتصال بالمواطنين . إنه الستار الناقل الذي يستتر تحته ونستون بطل القصة ليتذكر الكتابة والتفكير اللذين محتهما الحكومة من ذاكرة الناس ومن التاريخ .

فحضارة اليوم تتلخص في استقبال سلبي للصور والأحداث على ستار ناقل . وهذا الستار المخاتل نفسه هو الذي يكشف ونستون ويقدمه الى غرفة التعذيب « التي ليس فيها ظلام » . إنه التليفزيون !

لحظات معتادة !

إنها العاشرة ليلاً . . . تدخل أي بيت لتجد أقصى تجسيد « لحضارة الاستقبال السلبي للصور » . العائلة جالسة في حضرة الصندوق ـ التليفزيون . على هذه القناة عمل درامي فقير يؤدي تلقائيا بالتكرار اي الحاق اضرار جسيمة بذوق المشاهد العادي وغير العادي . على تلك القناة تلتقي مع « ستارسكي وهتش » (ثنائي بوليسي

جذاب يقوم بمغامرات بوليسية تتضمن عنفا وإيحاءات جنسية) ، أو مع « تشيبس » ثنائي بوليسي من راكبي الدراجات النارية . . . جاذبية . . . عنف . . . إيحاءات جنسية ، أوكوجاك (بوليسي . عنف . جنس) أو مسلسل دالاس ، (صراع عائلي . عنف مكتوم وعلني . إيحاءات جنسية قوية) . . .

حرك مفتاحا هوائيا ليستقبل لك ارسالا تليفزيونيا شقيقا . . . « بيلامي » (بوليس . عنف . جنس) « شوسترنج » . . . كولومبو . . . « الجريمة الغامضة » . . . وتخيل هوائيا يستقبل من محطات بعيدة غير شقيقة في تمام الساعة العاشرة مساء (بالتوقيت المحلي !) وستجد ملائكة تشارلي (بوليس . عنف . جنس) أو « الفارس الازرق » أو « دخان البنادق » (وسترن . عنف) أو « سيربيكو » وعشرات العشرات من المسلسلات والمواد التليفزيونية التي يجري انتاجها في مصنع التسلية الاميركي .

العائلة في حضرة التليفزيون . تستقبل الزوار والموجات التليفزيونية بنفس الحماس . صوت التليفزيون يمكن أن يخبو قليلاً لكنه يجب ان يظل هناك « . . .

وفي قلب هذا كله تجد الاطفال متكومين على أرضية الغرفة فاغري الأفواه ويتابعون بعيون زجاجية ـ كشار مستقبل نشط آخر ـ احداثا وشخصيات يعرفون مبتداها ومنتهاها ، ومع ذلك مادة التليفزيون التي احكمت قبضتها على العائلة لا تترك لأحد خياراً .

من أمثال هذه العائلة في العالم العربي هناك أكثر من ٣٤ مليون عائلة تملك أجهزة تليفزيون . (في اميركا يرتفع الرقم الى ٤٣ مليون بيت) . وقد غدا التليفزيون جزءا « تقليدياً » من متاع أية أسرة عربية . ولم يحدث أن طالعنا دراسة تفصيلية حول انتشار هذا الصندوق بكل ما يحمله عبر البيوت العربية . ولكن ثمة احصائية تقول بأن متوسط التشغيل اليومي لجهاز التليفزيون في العالم العربي تصل الى ست ساعات . وبالطبع فان هذه الساعات ينعكس تأثيرها على افراد العائلة حتى ولو لم يجلسوا طوال الوقت أمام الصندوق .

في الولايات المتحدة تبلغ المشاهدة اليومية ست ساعات أيضا . ولكنها هنا مشاهدة خالصة بحكم تنوع المحطات بين شبكات تجارية وأخرى للتليفزيون العام غير التجاري .



ـ الشرطيان في مسلسل « تشيبس » : جاذبية وعنف وإيحاءات جنسية تؤدي الى خلق نموذج للتقليد .



ـ من قتل جي . آر : مسلسل دالاس حصل على أعلى معدلات المشاهدة في العالم عنف وجنس وتحلل عائلي .

تلك اللحظات المعتادة . ماذا تقدم ؟

مسلسلات تعرض بالآلاف في اميركا تصدر تلقائيا الى المستهلك العربي تتميز جميعها بالنمطية وأحادية النظرة تجاه الضحايا والقتلة : الدوافع والايماءات والتعبيرات وما يبدو أنه طاقة نشطة للموسيقى وللمونتاج . وما تحتويه من مضمون معروف سلفا . تخلو من الامتاع ومسطحة بصريا .

متجوها يملئون ساعات المحطات في جو تنافسي محموم . نحن المستهلكين نعبيء ساعات الارسال منها تعبئة بنسبة بلغت في كل محطاتنا ٤٠٪ من ساعات الارسال الكلية .

حروب الشركات والشبكات والأجهزة

في مرحلة ما بعد الصناعة التي تعيشها الشركات العملاقة في أميركا واليابان يعتبر الجهاز التليفزيوني والمحطة التليفزيونية مادة قابلة للتغيير اليومي . فكل يوم تقريبا تعلن هذه الشركات عن ابتكار جديد وعن تطوير ملموس في اجهزة الارسال والاستقبال . ومنذ أعوام قليلة أصبح « تليفزيون الكابل » شيئا مشاعا في اميركا ويبلغ عدد قنواته هذا العام مائة قناة . وتليفزيون الكابل هو قناة تليفزيونية خاصة يتم توصيلها الى المشتركين لكي يستقبلوا في منازلهم المواد والافلام والبرامج التليفزيونية التي يرغبون في مشاهدتها بعيدا عن سطوة الاعلان التجاري الذي يحتل ركنا في كافة المواد التليفزيونية التي تقدمها المحطات التجارية (المحطات التجارية هي محطات الارسال للشبكات الثلاث الكبرى NBC,ABC,CBS ويبلغ عددها نحو ٣٥٠ محطة) التي تعتمد أساسا على نظرية العرض والطلب والربح أو الربح !

ورغم أن التليفزيون الاميركي العام PBC (الذي ينسق عرض انتاج نحو ٣٥٠ محطة غير تجارية اخرى) يحتوي على مواد جادة ومعظمها يخلو من العنف غير المبرر أو المجاني ، إلا أن المنافسة الكبرى قد حسمت ظهور تليفزيون الكابل الذي يمكن أن يوصل لك الى منزلك أفلاما لم تخضع لأية رقابة وبدون إعلانات ولا يكون قد مضى على إنتاجها أكثر من شهرين أو ثلاثة . وبإمكانك أن تتخيل ماذا يخلقه هذا الجو التنافسي المحموم بين شركات الكابل . فمن طريق مزيد من العنف والجنس يتم



ـ ايحاءات جنسية وعنف متوقع في مسلسل « هازارد »

إغراء المشاهدين بالاشتراك في هذه القناة أو تلك . وقد سموها بالفعل « حرب القنوات » و « حروب الهواء » و « حروب الموجات » .

ولكي يظل هناك مكان للشبكات التجارية فإن جرعة العنف والايحاءات الجنسية لا بد أن تزيد

وفي خلال العامين الأخيرين تم تطوير « الكترونيات وقت الفراغ » ، وهذه قنوات تليفزيونية أخرى تقدم لمشتركيها مواد أو برامج « خاصة » ، وبناء على رغبة المشترك . وبالطبع فانها لاتخضع لأي نوع من أنواع الرقابة . هذا بالاضافة الى مجموعة قنوات تتكاثر هذا العام مخصصة لتزويد المشاهد المشترك بخدمات خاصة بناء على طلبه .

هنا في قارة التكنولوجيا تستمر حروب الشركات والشبكات . وبالطبع فإن التطور في أجهزة البث والارسال قد حقق معدلات عالية الى الحد الذي يكاد فيه جهاز هذا العام أن يلغي جهازاً اشتريته منذ عامين والفجوة الزمنية تضيق بمرور الوقت .

في جو هذه الحروب تلجأ الشركات التكنولوجية الكبرى - في سبيل تسويق منتجاتها - الى المساهمة في التمويل والدعاية لمسلسلات العنف والجنس . والنتيجة هي انتشار مرض واحد ثابت الأعراض من أمراض التليفزيون : ساعات إرسال بلا معنى ولا هدف . والنتيجة : قصور متزايد في التفكير واعتماد تدريجي لنظرية التلقي السلبي وافتقاد الاثارة وابتزاز للوقت وهدر للامكانية .

محاولات مستميتة للدفاع

منذ أعوام قليلة ماضية بدأت في أميركا حملات ضد العنف التليفزيوني المجاني . ماذا يمكن أن نفعل به ؟ وهل يدفع الصغار الى ارتكاب جرائم عنف تشبها « بأبطال » هذه المسلسلات ؟ هل توحي هذه الأمراض التليفزيونية بإحساس رهيب بالعنف في المجتمع ومن ثم يلجأ الفرد - كبيرا كان أو صغيرا - الى تحصين نفسه واتخاذ موقف الدفاع ؟ وصدرت بضعة آلاف من الدراسات عن هذا الموضوع .

منظرو ومحللو الشركات والشبكات يدفعون بالقول بأن التليفزيون ليس استثناء في الوسائط الاعلامية . فقبله كانت أفلام الدرجة الثانية في هوليود (أفلام حرف ب) وروايات الجيب والقصص البولسية . وقد قال الكاتب نورمان ميلر في هذا الصدد « نصف أميركا يعيش في القرن التاسع عشر والنصف الآخر في القرن العشرين وأن الهجوم على عنف التليفزيون يحمل في طياته ضغينة قرن مضى تجاه قرن جديد » بالاضافة الى ذلك كان بوسع أنصار العنف أن يلجئوا الى موقف رجال الأعمال زاعمين « أن قضايا القصة والفن يصعب تحديدها في الوسائط الاعلامية » ، لكن العامل الأكثر تأثيرا هو - كما صرح به ويليام جيمس في مقالاته عن البراجماتية (فلسفة الذرائع) - القيمة النقدية (المالية) للأعمال » .

ومنذ أعوام قليلة قامت وكالة ج . و . ت . للاعلان بدراسة تليفزيونية مصورة بعنوان « تجريد أميركا من الاحساس » عن العنف والايحاءات الجنسية في المسلسلات . وقد كانت ردود الفعل كالتالي : أربعون بالمائة من المشاهدين قالوا انهم يتجنبون مشاهدة المواد التي يعتبرونها مفعمة بالعنف . عشرون بالمائة من الرجال والثلث من النساء قالوا انهم يمنعون أطفالهم من مشاهدة هذه المسلسلات . ثم جاء العنصر البراجماتي : فقد طالب واحد من كل عشرة بمقاطعة البضائع والشركات التي تعلن عن منتجاتها في هذه المسلسلات . وذهب ثمانية بالمائة الى القول بانهم قاطعوا فعلياً أية بضائع أعلن عنها خلال هذه المسلسلات . وهذا موقف جماهيري مثير . فمجرد الامتناع عن شراء علبة « تونا » ، واختيار أخرى لمجرد أن هذا البرنامج يحتوي على عنف يمكن أن يكون له - في مجتمع مثل المجتمع الاميركي - تأثير كرة الثلج التي تكبر بمضي الوقت كلما تدحرجت . هذه قوى سلبية في مواجهة ما اعتقد الجميع أنه قوة جبارة خرافية وهي قوة الوسائط الاعلامية في المجتمع المعاصر .

. . . والفيديو

هذه قضية ساخنة نحو الطرف الاول فيها لاننا الطرف المستهلك لموضوعات لاعلاقة لها بنا ومن ثم فإن الحكم عليها تقل شدته بوضوح عن مستهلكيها هناك.بالاضافة الى ذلك فان الوسائط الاعلامية عندنا لا تدور الحروب بينها - ولا شركات ولا شبكات - لانها مملوكة للدولة . ومن ثم فإن هذا السلاح المزدوج الحدين (إمكانية فرض رقابة اجتماعية مستنيرة وفي نفس الوقت ضعف قوة الرأي العام أمام الوسيط الاعلامي الرسمي) يمكن استخدامه عندنا بالاجابه . على هذا السؤال . . . من يخاف التليفزيون ؟

ولكن من يخاف الفيديو أولا . . ؟

فهذا خطر جديد واهم (وهو ككل اختراع نعمة ونقمة في نفس الوقت) يبدو كسلاح رهيب ، اللعب به يؤدي فعليا الى اضمحلال القدرة على التفكير تماما وتوديع أيام القراءة الى غير رجعة .

تقول احصائيات إحدى شركات بيع أجهزة « الفيديو » في الشرق الاوسط انها تبيع سنويا ما معدله ثلاثة ملايين جهاز فيديو . الاحصائية صدرت منذ عامين . الامر الذي يدعونا الى مضاعفتها الآن .

ان الطاقة العملية لجهاز الفيديو التي تسبق وتلحق ساعات البث العادية والتي تمكن المشاهد من استرجاع واعادة الفيلم أو البرنامج مرات ومرات ، تولد طاقة استلابية لدى مشاهدين لم يصلوا بعد الى مرحلة التميز

(الاطفال) وآخرين لم يصلوا بعد الى مرحلة الرفاهية التي يفترض أن تخترعي الفيديو المنزلي قد أرادوها .

فالفيديو نتاج تكنولوجي لحضارة تكنولوجية في قارة للتكنولوجيا دخلت مرحلة ما بعد الصناعة (أو الاتمتة الكاملة على حد تعبير الكاتب الفرنسي جان جاك سيرفان شرايبر في كتابه التحدي الاميركي) . أية تحديات تواجهنا حتى يشيع استخدام الفيديو في عرض مواد وشرائط بعيدا عن أية رقابة ذاتية . ان الفيديو يحطم قدرة المشاهد الانتقائية باحتكامه الى ما هو متوفر في السوق ليعرض منه . وما هو متوفر هو سيل من الأفلام والمسلسلات التي انتجتها حضارة التسلية والتسويق والقيمة النقدية البراجماتية . وتستمر الدائرة الجهنمية المفرغة لتودي بآخر ما تبقى من امكانية تربية المشاهد الكبير . . . والصغير . .

هل يخاف الاطفال التليفزيون ؟

أشار الدكتور روبرت كولز اخصائي في العالم النفسي للاطفال بجامعة هارفارد (ومؤلف كتاب « أطفال الأزمة ») الى حوار بينه وبين الشاعر والكاتب الاميركي ويليام كارلوس ويليامز دار في مطلع الستينات . قال كولز أنه مفاجأ بالهوة بين الاجيال . جيل الراديو وجيل التليفزيون . « قلت له انني اعتقد أن الجيل القادم سيكون مختلفا عنه بكل وضوح بسبب التأثير القوي والمتواصل للخبرات البصرية التي يتلقاها الطفل في منزله ، ووافقني كارلوس على أن التليفزيون سيتحول بسرعة رهيبة الى أن يكون ـ فعليا ـ ميراث كل طفل اميركي . وأوضح كارلوس أن أيا مما يسمعه أو يراه الاطفال سيجد له مكانا في حياتهم » وروى كولز حالة مدرسة في الاربعين عملت لمدة خمسة عشر عاما في مدرسة في المرحلة المتوسطة قالت : « انني لم أعد أعرف أطفالي مرة أخرى . لقد راحت الأيام القديمة الطيبة . لقد أصبحوا أطفالاً دنيويين . انهم يعرفون موسيقى الروك آندرول اكثر من أي شيء . انهم لا يستجيبون للأنغام بل يحفظون الكلمات بكل مافيها من ايحاءات . اذا كانوا صبيانا يقلدون ما يرونه على الشاشة ويظهرون قوة غير طفولية ، واذا كن فتيات أظهرن من الانوثة ما يفوق أعمارهن بكثير . انهم يتذوقون الخمر والمخدرات من الشاشة وأصبحوا أكثر وعيا بملابسهم وتصفحوا « البلاي بوي » . انهم لم يعودوا أطفالا ، لأجد نفسي مضطرة كل يوم الى أن أفرض نفسي متسائلة : كيف حدث هذا كله ؟ !!

لو تأملت وجوه أطفال يطالعون ما يرونه في كل بيت . . . التليفزيون . . الفيديو . . المسلسلات . . . الافلام،ستجدهم في حالة خدر يحملقون بعيون زجاجية ويتابعون كل صورة . وعندما تتحدث اليهم تجد كثيرا من البرامج والافلام والاعلانات تجري على ملامحهم وألسنتهم .

اذا كانت هذه ثورة العصر واستهلاك العصر في أكبر اسواق التليفزيون . . . فكيف نرى اطفالنا وكيف نخاف التليفزيون ؟

ان الاجابة على هذا السؤال تحتاج الى دراسة مستقلة بالتأكيد . . . ولا ينبغي الانتظار الى أن تظهر الكاميرا المجولة الحنون . . .

فالصندوق في بيوتنا .

فاروق عبد العزيز

الجنة والنار

أسماء الجنة : جنة الفردوس ، جنة النعيم ، جنة الخلد ، جنة المأوى ، جنة عدن ، دار السلام ، دار المتقين ، دار القرار . .

أسماء النار : جهنم ، الجحيم ، اللظى ، السعير ، الحطمة ، الهاوية ، سقر .

طبيب الأسرة

المضادات الحيوية

* منذ اشهر اصبت بنزلة صدرية شديدة عالجني منها الطبيب باعطائي جرعات قوية من مضاد حيوي فانتهت خلال عشرة ايام .. حاليا عاودتني فبادرت باستخدام ذات المضاد الحيوي لكني للاسف لم احصل على نفس النتيجة بل زادت حالتي سوءا .. ؟ ..

منذ اكتشاف المضادات الحيوية عام ١٩٢٨ بداية بالبنسلين على يد الكسندر فيلنج .. وهي دائما السلاح الاقوى ضد المرض لكنها ايضا السلاح ذو الحدين .. فاستخدام المضادات الحيوية يجب أن يتبع نظاما خاصا يتيح الفاعلية الحقيقية في مجابهة الميكروب لذا كان يجب على الاطباء وحدهم اجادة فنون وقواعد اللعبة .

وكان من الممكن ان تستجيب للعلاج لو انك اصبت هذه المرة بنفس الميكروب السابق ولو أنه في الوقت ذاته كان يمكن ان تصاب بذات الميكروب الذي غير شكله هذه المرة وعثر على منفذ آخر فخدع المضاد الحيوي ولم يعد يجدي غير مضاد حيوي آخر .

ان المضادات الحيوية تقتل كل البكتيريا النافعة والضارة معا ، لذا ينصح الاطباء البعض من المرضى بتناول اللبن والخمائر خلال فترة العلاج حتى يتم تعويض البكتيريا النافعة في الامعاء والتي تفرز بعض الفيتامينات والانزيمات الهامة . وينصح دائما في الحالات الهامة باجراء مزرعة بكتيرية من المريض لقياس درجة حساسية هذه الميكروبات للمضاد الحيوي ليتمكن معها الطبيب من اختيار المضاد الحيوي الاكثر فتكا ، وذلك اختصارا للوقت الذي هو دائما في مصلحة الميكروب .

ان تعاطي المضادات الحيوية كيفما اتفق ودون استشارة طبيب قد يؤدي الى عواقب وخيمة ، اولها تعرض المريض لخطر الحساسية بالذات للبنسلين فمن الممكن اى يتعرض المريض لموت مفاجيء بعد حقنة من البنسلين لاصابته بما يسمى بصدمة البنسلين . لذا يجرى دائما للمريض الذي يتعاطى البنسلين لاول مرة اختبار حساسية بجرعات صغيرة منه تحت الجلد ، وتقاس بعد ذلك درجة التفاعل على الجلد لتحديد ما اذا كان ممكنا تعاطيه ام تبديله بمشتق آخر . أما الخطر الاقل فهو تعرض المريض لاعراض الحساسية مثل احمرار الجلد او الحكة المستمرة وربما تورم الاغشية المخاطية في كل مكان في جسمه ، لكن هذه التفاعلات لا تقف عند هذا الحد فقد تتفاقم فينتج عنها نوع من الانيميا الشديدة في كرات الدم البيضاء مما يتيح الفرصة لأى ميكروب آخر يعيش في لعاب الفم او ثنايا الامعاء ليس له اى دور يذكر ، ان ينقض وتبرز له اسنان فتاكة فيتحول لميكروب ضار .

وهناك بالطبع ما هو اخطر من ذلك فالبكتيريا وهي كائنات حية دقيقة لها القدرة على التكيف مع المضاد الحيوي بتطوير جهاز دفاعها لتتمكن من الرد على خطر المضاد الحيوي باللامبالاة والانتشار بصورة اكثر كثافة متى تيسرت من شكلها الامر الذي يجعل المضاد الحيوي اقل قدرة على قتالها .

ومن ناحية اخرى فان المضادات الحيوية يمكنها التسلل الى الجسم عن طريق الاغذية المحتوية سلفا على المضادات الحيوية : كالحليب ولحم الابقار التي اعطيت لسبب او آخر مضادا حيويا .

ويجب استشارة الطبيب قبل تعاطي اي مضاد حيوي حتى يمكن اختيار مضاد حيوي ذي فاعلية في قتل الميكروب وليس اثراثه .

طفل الانابيب

● سمعت عن طفل الانبوب . . دون ان اعرف الطريقة التي تتم بها هذه العملية . .

ـ ان قصة طفل الانابيب هي قصة نجاح الاطباء في استخدام منجزات التكنولوجيا الحديثة وتطويعها حتى تمكنهم من حل عدد كبير من المشكلات التي تواجههم .

والاخصاب يتم عندما تستطيع الخلية الذكرية القادمة من الزوج ان تعبر مهبل الزوجة وجوف الرحم ومعظم قناة هذا الرحم حتى تلتقي بالخلية الانثوية او البويضة القادمة من مبيض الزوجة عبر الجزء المهدب من قناة الرحم .

بعد هذا اللقاء تندمج الخليتان لتكونا الخلية الاولى الملقحة التي تبدأ في الانقسام والتزايد في عدد الخلايا وحجمها اثناء مرورها عبر قناة الرحم الى جوفه حيث تستقر وتنمو لحين مولد الجنين .

فاذا قامت عوائق لا يمكن التغلب عليها في طريق لقاء الخليتين فان الحمل يصبح مستحيلا ، ومن هذه العوائق غياب الانبوبتين الرحميتين خلقيا او استئصالهما جراحيا بعد حدوث حمل فيهما او ان تصابا بالتهابات تسبب انسدادهما بحيث لا يكون مرور الخليتين عبرهما ممكنا . وربما كان سبب منع هذا اللقاء تكون اجسام مضادة لخلايا الزوج داخل الاعضاء التناسلية للزوجة او في دمائها ، وهذه الاجسام المضادة تقتل خلايا الزوج الذكرية عند وصولها الى جسد الزوجة .

عند وجود مثل هذه العوائق التي تحول بين لقاء الخلايا والتلقيح فان الحمل بالطريقة الفسيولوجية المعروفة يكون مستحيلا ولا بد من المساعدة على حدوث هذا اللقاء خارج جسم الزوجة ثم اعادة زرع الخلية الملقحة في جوف رحمها . وهنا تبدأ قصة التكنولوجيا فعندما تم اكتشاف الالياف الضوئية التي تحمل النور الى اي مكان رغم الانحناءات والزوايا ، وعندما تم تطوير العدسات التي تمكن من الرؤية الواضحة رغم صغر حجمها ، امكن بعد ذلك صنع منظار البطن الذي يمكن غرزه في جدار البطن لينظر الطبيب الى المبيض في توقيت معين ، ويستطيع من خلال المنظار ان يمتص الخلية الانثوية المعدة للتلقيح الى خارج جسم الزوجة ثم يضعها في المحلول الغذائي المناسب لحياتها ويفحصها ليتأكد من سلامتها ، وفي هذه الاثناء يكون قد تمكن من جمع خلايا الزوج الذكرية ثم يعرض الخليتين لبعضهما في الجو الحراري والغذائي المناسب حتى يتم التلقيح ويبدأ انقسام الخلية الاولى الى العدد المناسب وبعدها يكون على الطبيب ان ينقل هذا الجنين الى جوف الرحم بواسطة انابيب دقيقة مجهزة لهذا الغرض .

وبعد زرع الجنين في رحم الزوجة تبقى في سريرها فترة لا تزيد عن يومين ثم تعود الى بيتها لتعامل معاملة الحامل العادية حتى الولادة . وكما نرى فليس في الامر خلق او صفة جديدة ولكنه استخدام ذكي لمنجزات التكنولوجيا . غير ان الامر مكلف حقا ومرهق كثيرا للام وللطبيب بحيث يصعب جدا مقارنة هذا الجهد الكبير والتكلفة المرتفعة بالنتائج . ذلك ان حوالي (١٦٨) امرأة في العالم قد عرضت حتى الآن لهذه العملية ولقد امكن تثبيت الحمل في ستة فقط منهن لم يستمر الحمل بشكل طبيعي الا في مرتين فقط كان ناتج الاولى بنتا وكان ناتج الثانية ولدا .

هكذا يبدو ان الفكرة ما زالت في مرحلة البداية لكن الدأب كفيل بتحسين النتائج اذا توفر الحماس عند الاطباء لهذه الفكرة وهو امر غير ملحوظ لأن مشكلة الانفجار السكاني تطغى على تفكير العاملين في حقل الانجاب وتدع أغلبيتهم مشغولين بالابحاث في الميدان المعاكس وهو ميدان الحد من الانجاب .

ضغط الدم

• أعاني من صداع مستمر .. وعندما ذهبت إلى الطبيب قاس ضغط دمي فوجده مرتفعا ، واعتبره سببا لهذا الصداع .. فما هو ضغط الدم وكيف تتم هذه العملية ؟

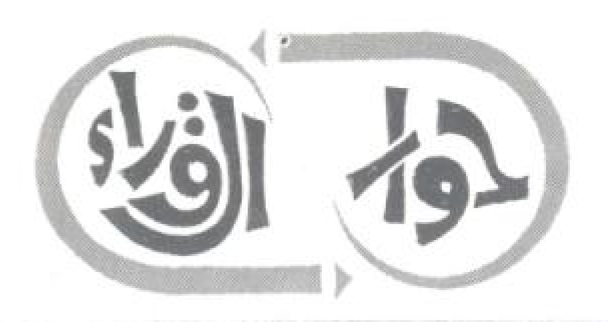
ـ لكي يجرى اى سائل داخل انبوبة لا بد من قوة تدفعه للامام وتولد ضغطا يكفل استمرار جريان السائل داخل هذه الأنبوبة . والقلب هو المضخة التي تولد ضغطا تدفع به داخل الشرايين ثم الاوردة ، وهي انابيب من انسجة حية . الاولى وهي الشرايين تبدأ عند القلب وتحمل عنه سائل الدم ، والثانية هي الاوردة التي تنتهي الى القلب وتحمل اليه سائل الدم ليدفعه من جديد الى الشرايين . وتتصل الشرايين والاوردة عبر شبكة هائلة جدا من الشعيرات الدموية ، وهي انابيب ايضا ، لكنها دقيقة جدا ، ووظيفتها ان تحيط جميع خلايا الجسد بسائل الدم فتأخذ منه ما تشاء مما ينفعها وتدفعها اليه بما تشاء مما يضرها او ينفع غيرها . وهكذا تكون الدورة كاملة . ويقع القلب في وسطها يدفع الدم عند كل انقباضة ويرتخي ليندفع اليه الدم من الجهة الاخرى .

وطبيعي ان يولد انقباض القلب ضغطا داخل الاوعية الدموية كلها ، اعني الشرايين والشعيرات والأوردة . ولقد امكن قياسها جميعا ولكن الذي يهمنا ، والذي يعتبر مؤشرا حساسا على الدورة الدموية هو الضغط داخل الشرايين والذي كان قياسه لحسن الحظ امرا سهلا وميسرا ، ذلك انه بلف كيس حول الساعد فاننا نحيط بشريان الساعد ، ويتصل هذا الكيس بعمود من الزئبق يجرى امام مقياس فاذا اوجدنا ضغطا داخل الكيس بواسطة نفخه بالهواء فانه سيضغط على شريان الساعد حتى يساوى الضغط داخل الشريان وسيظهر عمود الزئبق مقدار هذا الضغط على المقياس بالضبط .

ولا بد ان نتوقع ان يكون الضغط في اعلى مستوى عندما يتقبض القلب لانها لحظة الدفع القوية كما يكون الضغط في اقل مستوى عندما يرتخي القلب لان قوة الدفع تنعدم تماما في هذا الوقت . ولذلك فان الاطباء يقرأون للضغط قراءتين : العليا والسفلى ويكتبونها غالبا على شكل الكسر الاعتيادى له بسط في الاعلى يمثل الضغط عند انقباض القلب وله مقام في الاسفل يمثل الضغط عند ارتخاء القلب والعلاقة بين القراءتين تعني الكثير عند الاطباء ولقد كان من المتوقع ان تكون القراءة عند ارتخاء القلب صفرا او دون الصفر ذلك لأن القلب عند الارتخاء لا يولد ضغطا بالمرة ولو حدث ان انخفض الضغط الى هذا القدر لتسبب في اضرار كثيرة ولكن التنظيم الألهي خلق ما يسميه الأطباء القلب الثاني وهو جدران الشرايين العظيمة كالاوردة ، وهي جدران عضلية ترتخي امام الضغط العالي عند انقباض القلب وبذلك يتسع جوف الشريان فيستوعب كمية كبيرة من الدم القادم من القلب ، وعند ارتخاء القلب فان جدران هذه الشرايين تعود الى وضعها الاول فتدفع ما في جوفها الى باقي الشرايين ولا يعود منها شيء الى القلب لان بينها وبينه صمام لا يسمح بذلك . وهكذا ضمن الخالق سبحانه لنا جريان الدم المستمر في اوعية الدورة الدموية رغم ارتخاء القلب وتوقفه عن الدفع ولو للحظات .

اذا فلا بد من وجود ضغط داخل الشرايين ولا يجب ان نسمي ذلك مرضا لان انعدامه يعني الوفاة . لكن الذي يسمى مرضا هو ارتفاع ضغط الدم عن المستوى الطبيعي ولهذا اسباب يجب مراجعة الطبيب بشأنها . لكن المعدل الطبيعي للضغط داخل الشرايين هو بين ١٠٠ الى ١٤٥ سنتيمتر مكعب الزئبق عند انقباض القلب وبين ٦٥ الى ٨٥ سنتيمتر مكعب الزئبق عند ارتخاء القلب .

ولعل ارتفاع الضغط هو الذي يعني السائل ، واهم اعراضه الصداع الشديد ويجب ملاحظة انه ليس كل صداع يكون بسبب الضغط ولكن عند حدوث الصداع المستمر فيجب التأكد انه ليس بسبب ارتفاع الضغط خصوصا عند كبار السن .



انتحار ... خليل حاوي

● قرأت في العدد (٢٨٦) من مجلتكم القراء مقالا حول انتحار الشاعر الدكتور - خليل حاوي - ولقد اهاب الكاتب بموقف الشاعر وصوره لنا كأنه بطل حتى انه قال عنه « ولكن كم كان موته كبيرا ... » فكأنما أبى الشاعر الا ان يكون لموته معنى ومغزى كبيران .. وقد مثل موته حالة احتجاج سلبية شديدة الأسف .

وقد نهى الاسلام عن الانتحار في قول الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام « ومن وجأ بطنه بحديدة ، فحديدته في يده يجأ بها بطنه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها ابدا ... » او كما قال عليه الصلاة والسلام ..

حمدو احمد الحمدو
سدير/ المملكة العربية السعودية

الجنوب اللبناني

● قامت العربي ، ولاتزال تقوم باستطلاعات عربية تلقي فيها الضوء على الكثير من المرافق المختلفة في اقطار الوطن العربي . لكن الملاحظ انكم تجاهلتم منطقة الجنوب المحتل من لبنان في استطلاعاتكم ، فهل نسيتم هذه المنطقة التاريخية أم ان هناك اسبابا اخرى ادت الى عدم استطلاع الجنوب اللبناني .

خضر رمال
بيروت - لبنان

العربي :

حرصنا منذ بداية صدور العربي على استطلاع الكثير من المناطق العربية ، واستطلاعاتنا كثيرة متنوعة ، ولكننا مانزال ايضا نستطلع المناطق التي لم تقف عليها عدسة العربي ، والجنوب احد هذه المناطق التي سوف نلقي الضوء عليها في استطلاعاتنا القادمة بعون الله .

بطاقة تهنئة

● يسرني وانتم تحتفلون بالذكرى الرابعة والعشرين من عمر مجلتنا « العربي » أن أقدم لكم باسم قراء المملكة المغربية كل تهنئة وتبريك ، واني على يقين من ان الطريق الذي وضعه الدكتور احمد زكي - رحمه الله - لهذه المجلة حين صدور العدد الاول في ديسمبر ١٩٥٩ مازال ساريا ، وان .. « العربي » .. برئيس تحريرها الجديد الدكتور محمد الرميحي سوف تستأنف الدور الطلائعي الذي قامت به لمصلحة القارىء في كل قطر عربي ..

مراد بلعباس
سطات - المغرب

ألفية ابن مالك ولغتنا

● قرأت بعض أبيات من « الفية ابن مالك » في النحو ، فكم أود ان تنشروا منها جزءا كبيرا على صفحات مجلتكم ، حتى نستطيع أن نتعلم لغتنا العربية على أصولها ، فاننا لا ننطقها النطق السليم ، وأرجو أن تلبوا طلبي هذا مع الشكر .

محمد هشام أمين - أسيوط / مصر

العربي :

لا حاجة الى أن تنشر شيئا من الفية ابن مالك ، لانها في متناول طلابها في كل بلادنا العربية ، ويلاحظ ان حفظها هي وأمثالها من كتب القواعد العربية منظومة أو منثورة لا يكفي لتعلم لغتنا واتقان نطقها . لان اللغة - أي لغة انما تكتسب بالممارسة ، لا

اعداد
يوسف الشهاب

بدراسة علومها من نحو وصرف وعروض وتجويد، فلا بد لتعلمها من الاستماع الى نصوصها الادبية البليغة صحيحة، وصحة تلقنها، وحفظ الكثير منها نثرا وشعرا، حتى تستقر في الذاكرة صورة قوالبها وأنظمتها الصوتية والصرفية والنحوية والعروضية، مع ممارسة الكلام بها طويلا، وننصح قارئنا العزيز بمراجعة صفحات اللغة في أعداد العربي (٢٧٩، ٢٨٠ • ٢٨١ ٢٨٢٠) وشكرا ....

الصفحة الثانية

● كانت الصفحة الثانية في مجلتنا «العربي» تزينها لوحة فنية تحمل تعليقا طريفا يتناول جوانب حياتنا اليومية، لكن وضع مكان هذه اللوحة اعلان تجاري كان يمكن ان يوضع في صفحة اخرى من صفحات المجلة ،ولذا فانني اقترح اعادة اللوحة الى ما كانت عليه ويزحزح الاعلان الى مكان آخر بالمجلة للمحافظة على تراثها لتظل هي الرائدة ...

يوسف سيد محمد ـ مصر
العربية/ الوادي الجديد

المعلومات الطبية

تحية الى الدكتور محمد الرميحي الرئيس الجديد للعربي، وتهنئة له بهذا المنصب .. ولدي بعض الملاحظات ارجو لو تفضلتم بالالتفات اليها ـ اولها ـ ان ارتباطي بمجلتنا العربي قديم جدا اي منذ صدور العدد الاول منها في ديسمبر ١٩٥٩م وهي المجلة الوحيدة في عالمنا العربي التي حظيت برضاء القراء لعرض ثقافتها ولكونها جامعة مفتوحة الصفحات لقرائها لما تحويه من علوم ومعارف وما نتمناه ان تلقى البحوث الطبية فيها اهتماما اكبر من خلال زيادة صفحات مثل هذه البحوث لكونها ذات مساس مباشر بصحة الانسان .

ثانيا ..

ان المجلة يربط اوراقها دبوس واحد بدل دبوسين كما هو في السابق مما يؤدي الى تساقط صفحاتها نتيجة تداولها بين الايدي، وارجو ربطها برباطين، ولكم الشكر ..

حسين كاظم يوسف
البصرة ـ العراق

العالم عام ٢٠٠٠

● تكثر المقالات في الصحف والمجلات هذه الايام، حول عام ٢٠٠٠م وكأنه عام الغموض والمفاجآت، او كأن هناك قنبلة موقوتة ستنفجر في تلك السنة بالذات لتحطم هذا العالم وتدمر وأرى أنه في تلك السنة لن يكون العالم اسوأ مما هو عليه الآن بكثير، وفي اعتقادي ان هذه الكلمة تستغل اعلاميا لتضخيم الواقع والتأثير على القارىء الذي ينجذب نحو العناوين الغامضة .

ياسين نصري ..
دمشق ـ سورية

العربي :

يبدو ان القارىء العزيز متشائم من المستقبل لهذا العالم .. وما نتمناه ان يأخذ قارئنا بما جاء في الأثر .. «تفاءلوا بالخير تجدوه ..» . ويتذكر الآية الكريمة .. «ان مع العسر يسرا ....» ..



ماري عجمي تسيناها كما تسينا سائر عظماء الجهاد الوطني والفكري

ماري عجمي
عبقرية شامية منسية

بقلم : عبد الغني العطري

ستشرق الشمس في دمشق كل يوم وتغفو . وسيهل القمر كل شهر ويذوب . وستورق الاشجار وتتساقط أوراقها مع كل ربيع وخريف . . ولكن هذه الانسانة العجيبة ، ستبقى خالدة في الاذهان ، وستبقى صورتها مثالا يحتذى للرجال والنساء على السواء .

إنها امرأة لاكالنساء ، وانسانة لاكالآخرين .

انها شعلة من الذكاء ، وكتاب من النبوغ ، وسفر من العبقرية والحيوية والابداع .

في كل سطر من حياتها كفاح . . .

وفي كل كلمة من وجودها نضال . . .

وفي كل ومضة من حياتها ثورة . . .

انها اديبة كبيرة ، وشاعرة مجيدة . . . وصحفية مبدعة ، واستاذة لأجيال ، وانها كذلك رائدة نضال ، ومثال يحتذى في الوطنية والتضحية والشجاعة . .

ابصرت النور في عصر ساده الظلم والظلام ، وسيطر عليه الجهل ومحاربة العلم والمعرفة . . . ولكنها أبت الا أن تكون الأديبة والشاعرة والصحفية ، والثائرة على الجهل والتخلف والانحطاط .

أبت الا أن تكون المشعل الذي يبدد الظلام ، ويثور على الظلم ، والرائدة التي تقرع طبول الثورة ، وتدعو الآخرين الى اللحاق بها ، وحمل الراية معها ، لدك صروح الجهل ، وإيقاظ الغافلين ، والمطالبة بالحقوق المهضومة ، من قبل الاجنبي الغاصب .

ولدت ماري عجمي في العام١٨٨٨ ، ابّان الحكم العثماني ، الذي فرض الجهل على البلاد ، وحارب العلم ورفع راية التخلف . لم يكن هناك مدارس وطنية ، فانتسبت الى المدرستين الروسية والأرلندية ، ونالت شهادتها من المدرسة الأرلندية في العام ١٩٠٣ . . . مارست التعليم عاما ، ثم التحقت بمدرسة التمريض في الكلية الاميركية ، وعينت بعدها معلمة أولى في المدرسة الروسية . وعشقت الصحافة ، فاخذت تراسل عددا من كبريات الصحف ، كالمقتبس في دمشق ، والمهذب في زحلة ، وعددا آخر من الصحف والمجلات .

أنشأت مجلة العروس في العام ١٩١٠ ، واستمرت في اصدارها أربع سنوات . وحين اشتعلت نار الحرب ، اضطرها أزمة الورق لايقافها ، وأسست بدلا منها مدرسة خاصة . وفي العام ١٩١٨ أعادت اصدار « العروس » وانشأت النادي الأدبي النسائي ، في العام ١٩٢٠ ، كما أسست جمعية نور الفيحاء ، ومدرسة لبنات الشهداء ، في العام نفسه .

وتوقفت « العروس » في العام ١٩٢٥ ابان الثورة السورية على الانتداب الفرنسي ، وأقيم لها في بيروت حفل يوبيل فضي بمناسبة مرور ربع قرن على كفاحها .

وأقيمت لها حفلات تكريم في حيفا ويافا وفي دمشق . . . كما أسهمت بتحرير مجلة الاصلاح في بونس آيرس ، ومجلتي العروسة والأحرار المصورة المصريتين .

(أستاذة وصحفية وثائرة)

وعينت أستاذة لتدريس العربية في مدرسة الفرنسيسكان مدة أربع سنوات . . . وفي بغداد عينت أستاذة للأدب العربي عام ١٩٤٠ . . . وعادت الى دمشق وبيروت لتسهم في المجالات العلمية والأدبية ، وفي نشاط الجمعيات والاذاعات . . . وتابعت نشر قصائدها وبحوثها في عدد من الصحف والمجلات .

وكانت ماري عجمي ـ عدا ذلك كله ـ تتقن العزف على بعض الآلات الموسيقية ، وتتمتع بصوت رخيم جذاب . وانتقلت الى جوار ربها في الخامس والعشرين من كانون الأول « ديسمبر » من العام ١٩٦٥ ، وأقام لها اتحاد الجمعيات النسائية حفل تأبين على مدرج جامعة دمشق ، تكلم فيه عدد من كبار الأدباء والأديبات .

كافحت ماري عجمي الجهل في عصر الجهل ، وحملت مشعل النور في عهد الظلام ، وثارت على الظلم الذي كانت الدولة تحميه وتفرضه على الشعب باصرار .

عشقت ماري عجمي الصحافة منذ نعومة أظفارها ، وتعلقت بها تعلقا شديدا ، ووجدتها المنبر المفضل للتعبير عن أفكارها ، والدعوة الى تحرير المجتمع ، ومكافحة الأمية والجهل ، ومناهضة الاستعمار ، واليقظة القومية الشاملة . فاخذت تراسل عددا من الصحف في دمشق وبيروت وحماة وزحلة . ولكنها ما لبثت أن أدركت أنه من الخير لرسالتها الفكرية والاجتماعية ، أن تعبر عنها من خلال مجلة خاصة بها فأنشأت مجلة « العروس » ، وظلت تصدرها الى ان دقت طبول الحرب ، فاضطرت لايقافها . وعندما وضعت الحرب العالمية الأولى اوزارها ، استأنفت ماري اصدار مجلتها . وبقيت تصدر باستمرار حتى العام ١٩٢٥ ، حين اوقفت في ظروف الثورة السورية العارمة على الفرنسيين .

ومرة أخرى عادت ماري الى مراسلة بعض المجلات في مصر والارجنتين ودمشق ، ونشر نتاجها الفكري والشعري هنا وهناك .

نشأت ماري عجمي ، وفي دمها الثورة على المستعمر العثماني ، والحقد على تخلف المرأة ، والحرص على العمل والحركة في كل مكان ومجال ، من أجل تحقيق السيادة للوطن ، والحرية للمرأة ، ونشر العلم والمعرفة في كل مكان . من أجل هذه الأهداف سعت ، وعملت ، وكرست حياتها ونشاطها . أنشأت الجمعيات ، وألقت المحاضرت ، وحاربت المستعمر العثماني ، ثم الفرنسي في عقر داره ، وغضبت وثارت من أجل المناضلين الاحرار ، الذين أعدمهم جمال السفاح ، في ساحة الشهداء بدمشق وبيروت .



ناضلت ماري من أجل هذه المبادىء ، وبثت الشعور القومي ، وأذكت روح الثورة في كل مكان ، استطاعت كلماتها الوصول اليه ، حتى كادت النار أن تحرقها . كيف لا وقد أمكنها ذات يوم أن تقابل السفاح التركي جمال ، وتناقشه في عدد من الامور ، وأن تسرد عن بعض طغيانه ! وخرجت من المقابلة لتنشىء مقالا في وصفه ووصف أعماله . وكادت النقاط في هذا المقال أن تسقط فوق الحروف وان تدل على الطاغية الحاكم بنفسه . وكادت الكاتبة الجريئة أن تدفع حياتها ثمن هذه الجرأة . . .

والواقع أن ماري كانت كما وصفها ايليا ابو ماضي .

بنت سورية التي ابكى لها همة الليث وروح الحمل

مشانق الأحرار

وحين أطل صباح السادس من آيار ١٩١٦ ، ورأت مشانق الأحرار معلقة في دمشق وبيروت ، انفجرت تبكي وتخاطب الشهداء

أما تبرحون غارقين في سباتكم أيها النائمون ؟

أما تعبت أجنابكم من اللصوق بالرمال ؟

قوموا فقد نمتم نوما طويلا .

ان نفحات الربيع مالئة الفضاء .

والأطيار تتسابق على الأفنان

والجداول تناديكم : أن هيا عودوا الينا

لقد كفى القلوب وجدا وأنينا

لم تعط ماري عجمي الشعر الاجانبا محدودا من اهتمامها ، ولو تفرغت له ، كما تفرغ فحول الشعر لكانت شاعرة تقف الى جانب كبار الشعراء دون ريب . ولكن الشعر لديها كان جانبا يسيرا من اهتماماتها المختلفة . وبالرغم من كل ذلك فقد كان شعرها آية في الرقة والعذوبة ، ومتانة القافية ، وبلاغة المعنى ، واختيار الكلمة . الا أن نفسها في الشعر لم يكن طويلا . ومعظم ما وصلنا من شعرها قصائد قصيرة ، ومقطوعات لاتكاد أبياتها تزيد على بضعة عشر .

وقد أهدت قصيدتها « الحنين الذي بقي » الى الأديبة المعروفة السيدة وداد سكاكيني . ومن الانصاف للشاعرة الراحلة ، ولكي تعطي صورة صادقة لتفوقها في الشعر أن نورد هذه القصيدة القصيرة بكاملها . وقد ذكرت الشاعرة في مقدمتها أنها نظمتها في مصيف برمانا اللبناني ، بعد انقطاع طويل عن الشعر :

عروسة شعري أين أنت فنلتقي
لقد زاد بعد الشوق حر التشوق
تبعتك لاأدري مكانك إنما
لمحتك ليلا بين ظل ورونق
فهمت بوادي الشعر أنشدك الهوى
وقلت :أيا كأس الغرام تدفقي
وسرعان ما غاب الخيال مودعا
فأصبح شغلي بالحنين الذي بقي
سألت نجوم الليل عنك فخلتها
عيونا تحدق في ضياك وتتقي
وساءلت أزهار الربا : هل عشقتها
فقالت بلى ، لكنها لم توفق
وساءلت غصن البان ، قال سرقتها
إلا أنها إن تأمر القلب يخفق
وقهقهت الأنهار هاتفة بنا :
لقد كانت الحسناء تأتي فتستقي
ولكنها غابت عن العين بعد ما
أساء إلى عشاقها كل أخرق

وشعر ماري اللذي تركته يغلب عليه الوصف ، وتبدو فيه الصور الحسية ، الى جانب طابع من الكآبة .

[مع الربيع والصباح]

لنستمع اليها ، وهي تصف الربيع :

نضا الروض عنه رداء المنام
وألقى عليه وشاح الزهر
الا افسحوا للربيع المقام
فقد اقبل الكوكب المنتظر
على السهل منه بساط نضير
توشي بازهى فنون الخيال
ترقرق فيه لجين الغدير
وشدت إليه الطيور الرحال

××××

ولنصغ اليها ، وهي تتحدث عن الصباح ، وتتغنى بجماله :



جانب من غلاف مجلة « العروس » التي كانت تصدرها . .

هلل الروض للصباح وكبّر
يا له شاعرا تغنى فأسكر
هبّ والزهر في الغلالة يشدو
ما أحيلى الصباح ، الله اكبر
شهد الفجر اروع الأيات
ان حب النهوض سر الحياة
فاتر العزم ، قم من النوم وانظر
انما الفجر معرض المعجزات

××××××

وحين كبرت ماري وشاخت ، ودب اليأس في اعطافها ، وباتت أسيرة الوحدة القاسية ، أصبح جهاز الراديو أنيسها الوحيد ، وسميرها المفضل ، فقالت تناجيه :

أنام والانغام في مسمعي
تدوي وحرّ الشوق في اضلعي
تردد الأصداء مخضوبة
بما نزا في كبد موجع
على جناح الليل في وحشة
معقودة الأطراف ليست تعي
ياصلتي بالكون في وحدتي
إذا دجا ليل النوى الأروع
مكّي بهذا الصوت يا طالما
حملت إلى الملأ الأرفع
أكل ما يبقيه دهر لنا
سلك من الفولاذ في المخدع ؟

[لعله نائم !]

وحين أذيع نبأ وفاة أمير الشعراء أحمد شوقي ، واهتز العالم العربي حزنا وأسى لهذا النبأ الأليم ، أقبل شيطان الشعر يحمل إلى الشاعرة الرقيقة مطلع قصيدة في رثائه . . . وكان هذا المطلع :

« هزوا الغصون لعله نائم . . . » وأنشدت الشاعرة قصيدتها أمام الشاعر الكبير أمين نخلة ، فاهتز طربا ونشوة ، وخاطبها بلهجته اللبنانية الحلوة :

« دخيلك أعطيني اياها ، وخذي من شعري ما شئت » ، ويردد من جديد ، وهو في نشوة : « هزوا الغصون لعله نائم » .

ويوم وقف أمين نخلة يرثي ماري عجمي في حفل تأبينها ، خاطب جمهور المستمعين بقوله :

« مالهم لا يهزون الغصون لعلها نائمة ؟ ما لهم لا يرون في يومها ما رأته في يوم شوقي ؟ » وجدير بالذكر أن الشاعرة خاضت غمار مسابقة شعرية أقامتها إذاعة لندن في العام ١٩٤٦ ، فكانت قصيدتها في وصف الفلاح ، وتصوير نضاله وكده ، الفائزة بالجائزة الأولى بهذه المسابقة ، التي شارك فيها عدد كبير من شعراء الوطن العربي . وكررت الاذاعة نفسها المسابقة في العام التالي ، وكانت ماري عجمي الفائزة الأولى للمرة الثانية .

xxxxxxxxxxxxxx

إلى جانب كل ما تقدم من ألوان النشاط ، الذي أسهمت فيه ماري عجمي ، أدلت دلوها في ميدان الترجمة فنقلت إلى العربية عددا من المؤلفات الروائية والفكرية لبعض كبار الادباء والمفكرين في العالم ، منها كتاب « أمجد الغايات » لباثيل ماثيور ، ورواية « المجدلية الحسناء » . وكانت اديبتنا المفكرة مجلية ومحلقة فيما ترجمت ، كما كانت مبدعة ورقيقة فيما كتبت ونظمت .

أخيرا ، ماهو رأي كبار المفكرين والادباء والعظماء في هذه الانسانة ، التي جمعت المجد من اطرافه ؟

سئل ذات يوم الزعيم والعالم والسياسي فارس الخوري عن رأيه فيها ، فأجاب بهذين البيتين ، وقد قارن فيهما بين ماري عجمي ومي زيادة :

يا أهل العبقريه سجلوا هذي الشهاده :
إن ماري العجميه هي مي وزياده

وقال عنها الأمير مصطفى الشهابي ، رئيس مجمع اللغة العربية ما نصه : « إن ماري عجمي من أكتب كتاب العربية وكاتباتها ، وإن مجلة « العروس » كانت فريدة بين المجلات العربية .

أما شاعر الشام خليل مردم بك فقال فيها :

« لا أحب من غواية المرأة الاغوايتها في الأدب . وأكثر ما يعجبني من أدب المرأة هو سحر الحياء ، وهذان المعنيان ماثلان في الآنسة ماري عجمي وفي أدبها » .

وقالت الأديبة الكبيرة وداد سكاكيني :

« كان الفرزدق إذا سمع شعرا للخنساء قال : تلك أنثى غلبت الفحول . . . وفي زماننا هذا لو يسأل فحول الادب عن ماري عجمي ، لأعادوا قول الفرزدق في الخنساء » .

[هل نسيناها ؟]

ويطول بنا الحديث كثيرا ، إذا ما رحنا نسرد كل الآراء السديدة التي قيلت فيها ، ونشير الى كل الذين مجدوها وكرموها بآرائهم وشهاداتهم ، وقدّروا جهدها وجهادها ، وأشادوا بعبقريتها وذكائها الخارقين . . إلا أننا ما نزال جد مقصرين في تقدير هذه الانسانة النابغة .

فنحن لم نقم لها تمثالا في حيها ، وهي جديرة بذلك .

ولم تطلق اسمها على شارع ، وهي اهل لذلك أيضا .

ولم تحمل مدرسة اسمها ، وهي التي حملت راية نهضة نسائية وعلمية شاملة ، وكانت استاذة لأجيال عديدة .

ولم نجمع آثارها المشتتة في مجلتها ، وفي عشرات الصحف والمجلات .

ولم نحدث الجيل الصاعد في الكتب المدرسية ، بشيء من أخبارها ، ولم نرو له صفحة من كفاحها .

لقد نسيناها كما نسينا سائر عظمائنا في الجهاد الوطني والفكري والعلمي .

واكتفت بعض الجمعيات النسائية باقامة حفل تأبيني كبير لها . . . وطويت صفحة ماري عجمي ، كما طويت صفحات عظماء السياسة والأدب والفكر في بلادنا ، الذين رحلوا ، فنسيناهم ونسينا بعد رحيلهم حتى الذكريات . ○

دمشق : عبد الغني العطري



دراما الطفل

بقلم : دكتور نبيل سليم

ليس من قبيل المبالغة في القول ان التقدم الانساني والحضارى الذي تنشده دولة من الدول أومجتمع من المجتمعات انما يعتمد الى حد كبير على التوسع المقصود فى معرفة القوى والعوامل التى تتحكم فى حياة افراده فى مرحلة الطفولة . ففى هذه المرحلة تشرع قوى الحياة عند الانسان فى الانبثاق والنمو ، والتعامل بصدق وواقعية مع الظروف والمؤثرات التى تحيط بها ومن هنا تتحدد المعالم الاساسية التى تتشكل لهذه القوى فى المستقبل .

ومن مجموع هذه القوى وعلى نحوما ستصير اليه يكون ذلك النمط الانسانى والحضارى لهذه الدولة أو تلك ، اولهذا المجتمع أو ذاك . ولهذا السبب ، ولغيره من الاسباب العلمية أيضا ، اخذ علم النفس يفسح مجالا واسعا لعلم نفس الطفل ، واخذ هذا المجال يتسع ويتسع حتى اصبح الآن محورا اساسيا تدور حوله كل الموضوعات الاخرى لهذا العلم وتستند اليه ، وتستمد اصولها منه واصبحت تلك التجربة الفريدة والعزيزة فى حياة الانسان وهى مرحلة الطفولة ، مصدرا لاغنى عنه لتفسير اشكال السلوك الانسانى وصوره المتعددة والمتباينة فى المستقبل . لهذا قيل ايضا ان من يريد ان يتفهم تطور علم النفس الحديث فعليه ان يلم اولا بما تجمع لدينا من اكتشافات ومعلومات عن الاطفال والطفولة على مدى الاعوام المائة الاخيرة .

وتكاد تجمع كافة الدراسات التى تناولت حياة الطفل منذ ولادته حتى الرابعة عشرة أو الخامسة عشرة من عمره رغم ما بينها من تباين وتمايز،تكاد تجمع على ان النشاط الاساسى للطفل انما يتخذ شكلين اساسين يستندان الى النشاط الحيوى للطفل وهما : :-

١ ـ الاستعدادات العضوية التى تتوفر له بواسطة أجهزته الجسمية باعتبارها مكونات هذا الكائن الحى

٢ ـ أهداف المحافظة على الذات ودعمها عن طريق التعرف على البيئة التى تحيطه ، ومايزخر به من عناصر وأدوات تعينه على تحقيق هذا الغرض .

ولهذا فقد جاءت مناهج البحث في علم النفس ، والنتائج التي انتهت اليها تؤكد على مفهوم هام هو مفهوم « النمو » والعوامل التي تؤثر فيه ، ولسنا بصدد حصر هذه العوامل المتعددة وما تخضع له من مؤثرات ، فهي كثيرة ومتشعبة .

ولكننا الآن امام قضية تربوية ونفسية من اهم واخطر القضايا التي تتصل بنمو أطفالنا وتطور شخصياتهم من خلال ما ينبغي ان يكتسبوه من قدرات ومهارات ومعرفة صادقه بالحياة من حولهم .

فاللعب شكل واقعي من اشكال النشاط عند الطفل لايمكن اغفاله أو اهماله ، فهو الطريقة الفطرية التي يتعرف بها الطفل على نفسه ، وعلى غيره ، وعلى البيئة التي يعيش فيها ، ومن ثم فان كل جهد يبذل من أجل استكشاف حقيقة هذا النشاط الفطري الاصيل هو اضافة لها قيمتها العلمية والعملية في مجال علم نفس الطفل بصفة عامة وعلم نفس النموبصفة خاصة .

بناء حياة الطفل

وهناك تجربة حول الدور التربوي والتعليمي لدراما الطفل لاكما يراها الكبار ولكن كعملية بناء لحياة الطفل الراهنة والمستقبلة في آن واحد .

وقد بنيت هذه التجربة على اسس ثلاثه هي :

ـ دور اللعب كنشاط حيوي أولي عند الطفل يبدأ به حياته ككائن حي ،مع بيان أهمية دور الاشكال التلقائية التي يتخذها هذا النشاط في تحديد السمات الشخصية التي سوف يكتسبها الطفل في حياته فيما بعد ، وكان من الطبيعي ان يعنى بالشروط التي ينبغي ان يتيحها المربون للوصول بهذا النشاط الحيوي الهام الى المستوى الذي يتيح لاطفالنا فرصا حقيقية للنمو واكتساب الشخصية التي تكفل لهم النجاح في الحياة .

ـ دور التمثيل كمظهر متطور لنشاط اللعب عند الاطفال ،ويجب ان نعنى عناية مركزة بابراز المفهوم العلمي للفظ « دراما »والخصائص المشتركة بين اللعب والتمثيل ، وكذلك الشروط التي ينبغي ان نوفرها لهذا النشاط حتى يجد فيه الاطفال فرصاحقيقية للنمو القائم على تنشيط الاستعدادات الحيوية عندهم ، وايضا على التعرف على اساليب النشاط القائمة حولهم في المجتمع ،وهي في تقديري لون من الوان الدراما أو التمثيل يعتمد على الفعل والحركة من منطلق المواقف المتغيرة والمتفاعلة بين الأفراد والواقع الحي لهذا المجتمع او ذاك .

ـ ان شخصية الفرد في نهاية الامر ليست الاحصيلة لما تمرس به خلال اللعب والتمثيل اذا ما توافرت له الفرص لممارستها في طفولته ،ومن ثم يتكون كل ما تتمتع الشخصية به من قدرات اهمها القدرة على الانهماك في العمل والصدق فيه ،وهما معا قاعدتا القدرة على التركيز ، ثم يأتي الابداع والابتكار .

دراما الطفل

هناك دراسات تحليلية كثيرة عن « دراما الطفل » كنشاط ابداعي ، وهو العمل الذي يجد فيه الاطفال ،مالم يقعوا تحت سيطرة الكبار وسطوتهم ،تلك الوسيلة الفعالة للتعبير عن ذواتهم ،ومن ثم ينفسح امامهم الطريق الى تمام نموهم واكتمال شخصياتهم .

ان العلاقة بين الدراما عند الطفل وفن الاطفال مثيرة للاهتمام . لقد اسعدني الحظ ان اتابع وأشاهد بعض الرقصات التلقائية الممتازة في احدى المدارس الابتدائية . شاهدت طفلا صغيرا لا يتجاوز العاشرة من العمر يرقص مع جماعة من رفاقه ولكنه كان يرقص باسلوبه الخاص . اسلوب يتسم بالفخامة والروعة بقدر مافيه من البهجة والانطلاق مما لايسعني أن أنساه مدى الحياة .

كما تأثرت كثيرا بما لمسته في احدى المدارس الثانوية من جهد غير محدود قام به التلاميذ انفسهم للسيطرة والتحكم في ذواتهم دون أية مساعدة أوعون من مدرسيهم .

لقد كانوا يؤدون تمثيلية كبيرة واسعة النطاق تعبر عن جماعة من المهربين يتبعهم رجال الشرطة في قوارب بخارية تنتشر على طول القاعة وعرضها وفوق المسرح ، ومع ذلك لم ألحظ حادثة واحدة بين الاطفال ، وفجأة انتهى كل شيء وذاب في هدوء وصمت عميقين ، دون ما حاجة الى مدرس ينفخ في صفارته ،أو يصرخ فيهم لكي يتوقفوا .

ولاشك اننا اذا تفهمنا معنى الدراما وطبقناها بطريقه علمية صحيحة فاننا سوف نجد ان بعض اشكال الدراما الاجتماعية بهذا المعنى هي أفضل الطرق للبدء بها مع الاطفال الذين اصبحوا فعلا حساسين لذواتهم .

ان لدى هؤلاء الاطفال شعورا نحو احتقار هذا الفن الااننا اذا لم نبالغ في استخدام كلمتي الدراما والمسرح فانهم قد يصبحون على استعداد تام لمناقشة موضوعات الحياة المختلفة والاستعداد لها لا سيما تلك الشئون الحيوية التي تنتظرهم بعد الدراسة . ان هذا مما يكسبهم الشعور بأنهم كبروا ، واذا ما ارتاحوا الى ذلك فيصبح من اليسير علينا بعد ذلك ان نتقدم بهم الى جوانب أخرى من الدراما في جملتها . ان التمثيليات التي تعتمد على

النصوص المكتوبة كوسيلة لخلق القدرة على الابداع لدى التلاميذ لاقت فشلا ذريعا فى استخدامها ، لان المدرس يشجع التمثيل الخلاق المبدع « فى الفصل » ولكنه يطبق اسلوبا مختلفا تماما فى البروفات التمثيلية التى يجريها « لحفلات المدرسة التمثيلية » فى الوقت الذى يجب ان تكون فيه الطريقة واحدة لاجدال فيها أوترددا فى كلا الموقفين .

ومن الوهله الاولى يتحتم على الممثل سواء أكان طفلا أم مراهقا أم بالغا ان يرى فى الدراما عملا قائما على الوجود والفعل ، وفى الشخصيات الحية التى يجرى تمثيلها ، ما يجده فعلا فى الحياة الحقيقية .

انى أصر على ان المدخل الى النصوص المكتوبة يجب ان يتم من خلال التمثيلية « الاجتماعية المرتجلة » وذلك يؤكد بوضوح أهمية العلاقة بين الارتجال والدراما التقليدية مما يبدو ان بعض المربين يجد صعوبة فى الاخذ به ـ نعم يجب الاتكون هناك هوة نضطر غالبا الى عبورها ـ ان العملية كلها فيما يختص بالتطور الابداعى فى الدراما كشكل من اشكال الفن يجب ان تكون عملية مستمرة ، ذلك لان الطفل والفنان كليهما من عائله واحدة ، والفنان البالغ انما يؤكد فى كل ما يقوم به من عمل وحدة العقل عند الطفل اثناء انهماكه فى العمل .

اللعب عند الطفل

فالدراما عند الطفل هى شكل من اشكال الفن فى ذاته ، فهى ليست من قبيل النشاط الذى يختلقه شخص ما ، ولكنها السلوك الواقعى لكائنات بشرية . ويتعين علينا نحن البالغين حين نتصدى لدراسة الشكل الدرامى عند الطفل ان نميز بين ما يقوم به الطفل فعلا من سلوك ، وبين ما نعرفه ونفهمه نحن عن المسرح ، ربما ان جذور دراما الطفل هى اللعب فانه يتحتم علينا ان نعنى أولا ونركز بدرجة كبيرة على اللعب ذاته . فاللعب سلوك فطرى وحيوى فى حياة الطفل الصغير ، انه ليس النشاط الذى ينم عن الكسل أو التعطل ولكنه فى الحقيقه النشاط الذى يعبر عن طريقة الطفل فى التفكير والتدليل ، والاسترخاء والعمل والتذكر ، والاقدام ، والشجاعة والاختيار ، والابداع ، وتمثل العالم الخارجي وتفهمه، انه فى الواقع الحياة ذاتها ، وافضل لعب للطفل يكون عند ما يعطيه الكبير الفرصة والتشجيع عن قصد ووعى، أى ان واجب الكبير ان يغذى لعب الطفل دون أن يتدخل فيه ومن الضرورى اكتساب ثقة الطفل بالصداقة ، وخلق الجو المشبع بالعطف والرعاية .

وفى لعب الطفل توجد لحظات يقوم فيها بتمثيل الشخصيات ، كما توجد ايضا مواقف عاطفية ، وهذا ما جعلنا نطلق عليه اسم اللعب الدرامى . وهذا الاصطلاح يبدو دائما مفيدا لاننا عندما نفكر فى الاطفال وعلى الأخص الصغار منهم يجب أن نميز بعناية بين الدراما بمعناها الواسع والمسرح كما نفهم نحن الكبار ، فالمسرح معناه فرصة اعدت للترفيه والخبرة الانفعالية المشتركة فيوجد به ممثلون ومتفرجون يمكن التمييز بين كليهما ، بينما لا يشعر الطفل مالم يكن قد أفسد سلوكه ـ بهذا الاختلاف بين الممثل والمتفرج ، خاصة فى سنوات عمره المبكر فكل فرد عنده ممثل ومتفرج فى آن واحد وهذه هى أهمية كلمة الدراما ، فهى مستمدة من الكلمة اليونانية (DRAO) ومعناها « أنا أفعل ، أنا أناضل » وفى الدراما ، اى فى الفعل وفى النضال يكتشف الطفل الحياة والنفس عن طريق المحاولات النفسية والانفعالية ثم عن طريق التدريب المتكرر ، وهذا هو اللعب الدرامى . ويمكن ان تتطور التجارب الفردية المثيرة الى تجارب جماعية ولكن فى التجارب الفردية أو الجماعية لايوجد أى اعتبار للمسرح بالمعنى المفهوم عند الكبار . ويجب ان نعلم ونعى دائما الحقيقة العلمية التى تقول ان الطفل لاينمو الا وقت اللعب والنمو هنا هو النمو النفسى والذهنى والجسمى .

ان هذا العمل نداء وطنى من أجل الالتفات الى طرق التدريس المستخدمة فى المدارس الابتدائية والاعدادية حيث لايلقى أطفالنا سوى العنت والعناء من أجل تحصيل شذرات من المعلومات والحقائق لا رابط بينها ولا مدلولات واقعية أو حياتية لها ، ولعلنا نجد من خلال تطبيق هذه التجربة ان تكون دعوة صادقة الى ما يمكن ان نسميه أو نطلق عليه « درمتة طرق التدريس » ممايجعل حياة ابنائنا وبناتنا فى مراحل حياتهم المبكرة مملوءة بالبهجة والسعادة فضلاعن اكتساب القدرة على تحمل مسئولياتهم والقيام بأدوارهم الحقيقية فى مستقبل حياتهم ولقد تكونت فى جميع دول العالم المتقدم جمعيات تعنى بهذا الموضوع الهام ،

انى أدعو كل الهيئات العلمية فى الوطن العربى الى تكوين (جماعة دراما الطفل العربى) تكون مهمتها الدعوة الى « درمتة » حياة الطفل فى البيت والمدرسة ، على ان نضع فى اعتبارنا الاطار الثقافى للطفل العربى وما يتطلبه من التطورات اللازمة .

الاسكندرية ـ دكتور نبيل سليم

قصة قصيرة :

القاتل الذي وشى بنفسه

تأليف : ادجار ألان بو

(ولد « بو » في بوسطن سنة ١٨٠٩ وتوفي في بالتيمور سنة ١٨٤٩ . بدأ حياته الادبية بكتابة الشعر ، ولكنه برز في تاريخ الادب كرائد لكتابة القصة البوليسية .

يتميز اسلوبه بالخيال والاغراب ، وفي نفس الوقت بالواقعية الدقيقة . يبني عالمه في الضباب ، والظلمة والاماكن المعزولة والاقبية ، ويحرك فيها مشاعرنا بالرعب والتوجس ، حول جريمة مستقطبة في غرابتها وفي واقعيتها معا ، ونلهث وراء حوادثها ، حتى لتتقطع منا الانفاس .

وهذا التوتر في عالم « بو » وأسلوبه ، ينعكس ايضا على لغته ... فتتقطع الأنفاس فيها أيضا .. وهذه الترجمة تحاول بقدر المستطاع ... المحافظة على هذه الخاصية .) .

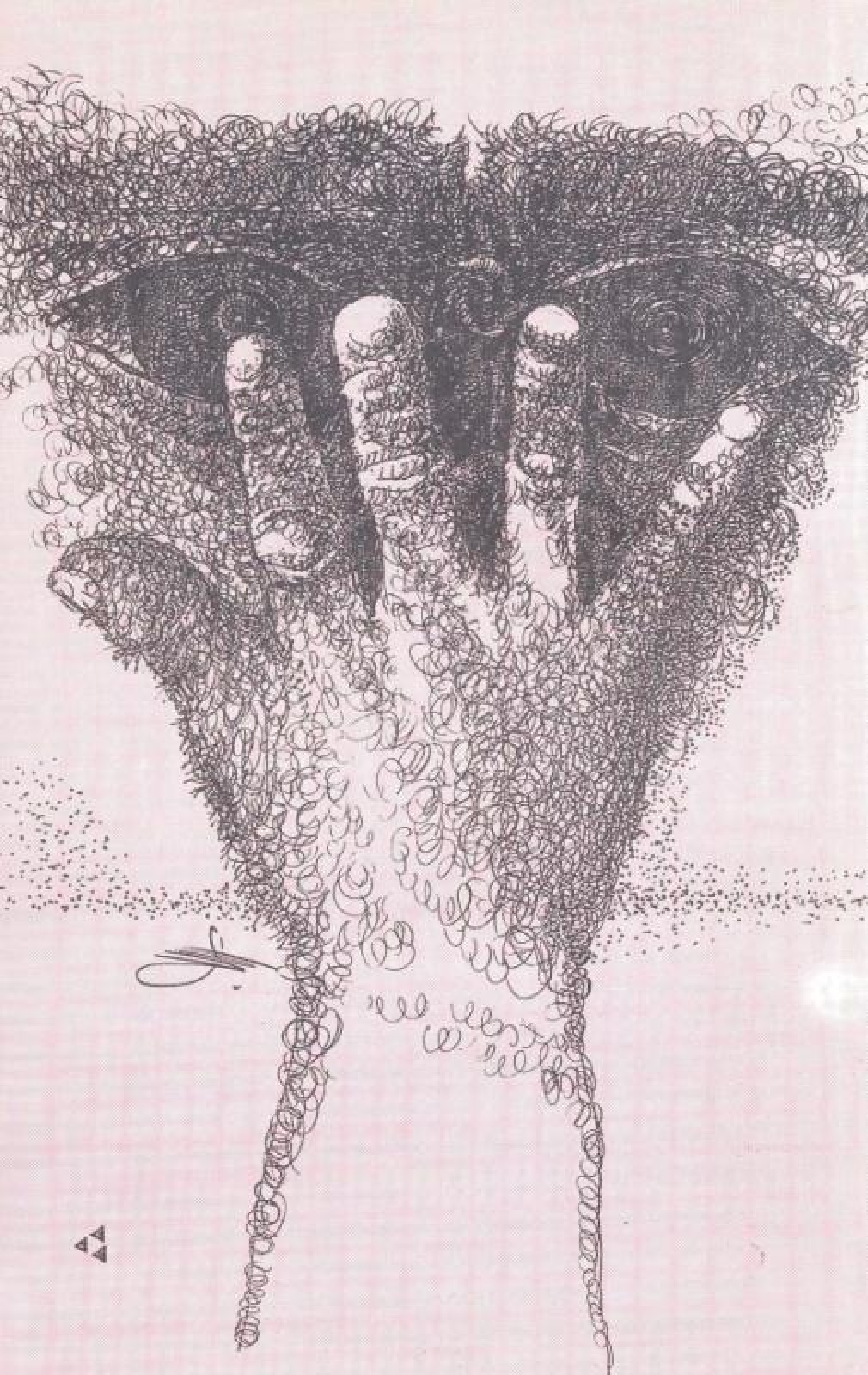
حقا ، لقد كنت عصبيا جدا الى درجة الفظاعة . هكذا كنت وما أزال . ولكن لماذا سينتهي الامر بكم الى القول بانني لابد أن أكون مجنونا . ان المرض الذي اصابني ، أرهف حواسي ولم يحطمها أو يصبها بالتبلد والخلل : وكانت حاسة سمعي - بحدتها الفائقة - تفوقها جميعا .

فلقد سمعت كل شيء في السماء وفي الارض ، وسمعت اشياء كثيرة مما يجري في الجحيم . كيف اذن ؟ ، هل انا مجنون ؟ ولكن فلتصغوا وتروا كيف أنني بمنتهى التعقل والرزانة استطيع ان احكي لكم القصة كلها ؟ .

من المستحيل أن اقول كيف جاءتني هذه الفكرة أول مرة ، ولكنني بمجرد ان تبصرتها لم تلبث ان سيطرت علي ليلا ونهارا . كانت الفكرة بلا موضوع ولا انفعالات . ولقد احببت الرجل العجوز . فانه لم يسيء الي قط . ولم يوجه الي اهانة مطلقا . ولم يكن لي رغبة في ثروته واظن ان ما كنت أرغب فيه هو عينه ... أجل ، هذا هو الامر . كانت عينه عين نسر ، عينا زرقاء شاحبة تعلوها سحابة ، وكلما سقطت علي ، شعرت بدمي يجري باردا . وبالتدريج وعلى درجات ، قررت أن اسلب الرجل حياته . هكذا اخلص نفسي من هذه العين الى الابد .

والان هذه هي المسألة . انتم تتصورون انني مجنون . ولكن المجانين لا يعرفون شيئا . ليتكم كنتم معي لتروا كيف اتصرف ، بعقل وروية . وبأي قدرة هائلة على الحذر والتبصر ، ودونما أي تصنع أو مواربة ، أقدمت على العمل .

ولم اكن قط طيبا في حياتي بقدر ما كنت طيبا مع الرجل العجوز طوال الاسبوع الذي سبق قتلي له . كنت كل ليلة - في منتصفها - أقوم وازيح مزلاج بابه وافتحه . ويالي من الرقة التي كنت أحرك بها الباب ! وحينما فتحته - بالقدر الذي استطيع ان ادخل رأسي منه - دفعت الى الداخل بمصباح داكن ، أحكمت تغطيته حتى لايتسرب منه الضوء ، ومن ثم دفعت برأسي الى الداخل - ببطء وببطء شديد جدا ، حتى لا ازعج الرجل العجوز في نومه . وقد استغرقني - ساعة من الزمن - أن أضع رأسي كلها خلال فرجة الباب ، بحيث استطيع ان أراه ممددا على سريره . ويالي من رجل ! هل كان لرجل مجنون ان يكون عاقلا الى هذا الحد ؟ ومن ثم حينما اصبحت رأسي بكاملها داخل الغرفة ، رفعت ذبالة المصباح بحذر شديد (وكنت سمعت صرير الباب) بحيث انبعث شعاع ضئيل واحد ، وسقط على العين النسرية . لقد كررت ذلك على مدى سبع ليال طوال ، وفي منتصف الليل تماما . وكنت



اجد العين دائما مغلقة . وبذلك كان من المستحيل انجازي العمل ، ذلك ان ماكان يغيظني ويثيرني ليس الرجل العجوز ، انما عينه الشريرة . وفي كل صباح حينما يتألق نور النهار ، كنت اذهب بجرأة الى الغرفة ، واتحدث اليه بشجاعة ، مناديا عليه باسمه في نغمة قلبية ، وسائلا اياه كيف امضي الليل .

وهكذا ترون ، كيف كان هذا الرجل العجوز من عمق الثقة بي بحيث لايشك مطلقا في انني اذهب اليه كل ليلة في الثانية عشرة تماما ، والقي عليه نظرة وهو نائم .

وفي الليلة الثامنة كنت اكثر حذرا من المعتاد في اثناء فتحي للباب . ان يدي لتتحرك ببطء شديد لعله يشبه حركة عقرب الساعة . ولم يحدث قط من قبل ان شعرت كما اشعر الآن بمدى مالدى من قدرات خاصة ، ومن حدة في الفكر كان من الصعب ان اتمالك مشاعري بالفخر والانتصار ، حينما اتصور انني هناك ؛ افتح الباب قليلا قليلا ، بينما هو لا يمكنه ان يتخيل ، او حتى يحلم بما اديره سرا او افكر فيه ولقد غلبتني ضحكة بمجرد ان فكرت في الموضوع ، ولعله ان يكون قد سمعها - ذلك انه تحرك في فراشه فجأة كأن شيئا ما قد ازعجه ولعلكم تظنون انني قد كررت راجعا ، ولكن لا ، فقد كانت حجرته غارقة في عتمة كثيفة داكنة (وكان الرجل قد احكم اغلاق ضلف الشبابيك خوفا من اللصوص) . ومن ثم فقد كنت واثقا من انه لا يستطيع ان يرى الباب وهو يفتح ، وظللت ادفعه رويدا رويدا وبثقة .

وكانت رأسي داخل الحجرة ، وكنت على وشك ان اضيء المصباح حينما انزلق اصبعي على علبته المحكمة ، ولم يلبث الرجل ان انتفض في فراشه وهو يصيح : من هناك ؟

وظللت واقفا في سكون ولم اقل شيئا ، ومكثت ساعة لا تتحرك في عضلة واحدة ، وفي هذه الاثناء لم اسمعه يتمدد في فراشه . فقد ظل جالسا في السرير ينصت كما كنت افعل انا كل ليلة - لدقات الساعة المعلقة على الحائط كأنها دقات الموت .

والآن ، سمعت انينا خفيفا ، انه انين الرعب القاتل . انه ليس انين الالم او الحزن ، كلا ، لقد كان صوتا خفيفا مختنقا كهذا الذي ينبعث من اعماق روح مثقلة بالرعب . لقد عرفت هذا الصوت جيدا ، كان يتردد في صدري ليلة بعد ليلة وتماما في منتصف الليل حينما تكون الدنيا كلها قد نامت وانه لينبعث في نفسي باصدائه الرهيبة فيبعث فيها هذه المخاوف التي تشتتني . انني اعرف هذا الصوت جيدا ، وادرك كيف يعاني منه الرجل العجوز . ولقد اشفقت عليه على الرغم من انني ضحكت بيني وبين نفسي ، كنت اعلم انه كان يتمدد في فراشه مستيقظا منذ ان سمع اول مرة هذا الصوت الضعيف الذي قام على اثره . لقد اخذت مخاوفه منذ ذلك الوقت تطغى عليه ولعله كان يحاول ان يتصورها مجرد اوهام ولكنه لم يستطع ، وقد يكون قال لنفسه : ان ليس هناك شيء الا ان يكون صوت الريح في المدخنة ، او فأر يعبر الغرفة او صفير صرصار ، اجل : لقد كان يحاول ان يريح نفسه بهذه التخمينات ولكنه وجدها جميعا بلا جدوى . كلها بلا جدوى . ذلك لان الموت في اقترابه منه كان ينمو بشبحه الاسود امامه ثم يلتف حول الضحية ويطويها .

ولقد كان هذا التأثير المفجع لذلك الشبح غير المدرك هو الذي جعله يشعر بوجود رأسي داخل الحجرة دون ان يراني او يسمعني . وحينما بقيت وقتا طويلا وانا في غاية الصبر انتظر ان يتمدد في فراشه عقدت العزم على ان افتح في المصباح كوة صغيرة جدا جدا . لقد فتحتها بحرص شديد جدا لا يمكن ان تتصوروه حتى تسرب منه اخيرا شعاع ضئيل كانه خيط من خيوط العنكبوت لم يلبث ان سقط مباشرة وكاملا على هذه العين التي تشبه عين النسر .

وكانت مفتوحة انفتاحا كاملا واشتعل الغضب في دمي وحملقت فيها لقد رأيتها بمنتهى الوضوح والتمييز . . . انها عين زرقاء كابية تجللها سحابة كريهة اقشعر لها بدني حتى النخاع ولكنني لم استطع ان ارى شيئا اخر من وجه الرجل العجوز او شخصه ، ذلك انني كنت قد وجهت الشعاع الساقط من المصباح مباشرة وكأنما ذلك بالغريزة على هذه البقعة الملعونة .

والآن ألم أكن قد قلت لكم ان ما تظنونه جنونا انما هو حدة في الحواس ؟ لقد طرق سمعي صوت خفيض سريع مكتوم كأنما هو صوت دقات ساعة غلفت بالقطن . وانني لاعرف هذا الصوت جيدا . انه صوت خفقات قلب الرجل العجوز . ولقد زاد ذلك الصوت من غضبي حتى لكأنه صوت الطبول تثير شجاعة الجندي للحرب .

ولكنني كنت الى ذلك الوقت اتمالك نفسي وأقف ساكنا وأمسك أنفاسي . ولقد وقفت حاملا المصباح بلا حراك وكنت أحاول دائما ان اثبت الشعاع على العين بينما تزداد دقات القلب الجهنمية انها لتزداد سرعة وارتفاعا في كل لحظة ، ولابد ان يكون ذعر الرجل قد بلغ أقصاه . انني اقول لقد ازدادت ارتفاعا وظلت تزداد ارتفاعا في كل لحظة ، هل تلاحظون ما اقول جيدا ؟

لقد قلت لكم انني شخص عصبي . وانني لكذلك . وهأنذا في هذه الساعة الحاسمة من الليل ، وسط السكون المخيف في ذلك البيت القديم يثيرني هذا الصوت الغريب لدرجة الرعب ، ومع ذلك ظللت لبضع دقائق متمالكا نفسي ، وواقفا في سكون بينما خفقات القلب تعلو وتعلو ، حتى لقد ظننت ان القلب لابد أن ينفجر .

وهنا تملكني قلق جديد . فلعل الصوت أن يصل الى الجيران ! لقد حانت ساعة الرجل ! وبصيحة عالية أضأت المصباح ، وقفزت داخل الحجرة . ولقد صرخ مرة واحدة والى الابد . وفي لحظة ، جذبته الى الارض ، وقلبت السرير الثقيل فوقه . ومن ثم ابتسمت بفرح . فقد انجز العمل الذي ازمعته . ولكن لبضع دقائق ظل القلب يدق بصوت خفيض . ولم يغضبني ذلك هذه المرة . فانه لا يمكن أن يسمع من خلال الجدران . وفي النهاية توقف الصوت . لقد مات الرجل العجوز . رفعت السرير عنه وفحصت الجثة . أجل لقد كان جثة هامدة تماما . وضعت يدي على قلبه وابقيتها هناك لبضع دقائق . لم يكن هناك ثمة نبض . كان ميتا كحجر . ولم تعد عينه تضايقني بعد ذلك .

واذا كنتم لاتزالون تظنونني مجنونا ، فانكم ستقلعون عن ذلك ، حينما اصف لكم الاحتياطات الحكيمة التي اتخذتها لاخفاء الجثة . فلقد اوشك الليل على الانتهاء ، بينما كنت أعمل بسرعة ولكن في هدوء . بدأت أولا بفصل أعضاء الجثة بعضها عن بعض ، فقطعت الرأس ثم الذراعين ثم الساقين . وبعد ذلك انتزعت ثلاثة الواح من ارض الغرفة ، ووضعت الاشلاء في تجاويفها . ثم أعدت الواح الخشب بحذق وخبث بحيث لاتستطيع اي عين بشرية حتى « عينه » ان تكشف الامر . ولقد ضحكت حينما نظرت الى المكان وبعد ان نظفته جيدا ولم يعد ثمة أثر لأي شيء ، ولا لأي بقعة دم . وكنت حريصا على ذلك كل الحرص .

وحينما انتهيت من كل هذه الاعمال ، كانت الساعة قد بلغت الرابعة ، والظلام لايزال،كأننا في منتصف الليل . ولما دقت الساعة في ذلك الوقت ، سمعت طرقا على الباب الخارجي ، ولم البث ان نزلت لأفتحه ، وأنا منشرح الصدر ، فلم يكن هناك ما أخشاه . ودخل ثلاثة من الرجال ، قدموا انفسهم بكل لطف ، على انهم من ضباط البوليس . لقد سمع احد الجيران صرخة في الليل فأثارت الشك في أن شيئا مريبا قد حدث . وتم تبليغ مركز البوليس ، وكلف هؤلاء الرجال لكي يبحثوا الأمر .. ابتسمت . فهل هناك ما يخيفني ؟ رحبت بالسادة القادمين ،واخبرتهم ان الصيحة انما كانت صيحتي تحت وطأة كابوس . وذكرت في أثناء الحديث أن الرجل العجوز لم يعد بعد من المدينة ، ورافقت زواري في كل ارجاء البيت ، وحثثتهم على أن يبحثوا كل شيء بعناية . وقدتهم في آخر الامر الى غرفته ، حيث أريتهم ثروته مصونة لم تمس . ومن فرط ثقتي بنفسي اجتاحتني موجة من الحماس ، وأحضرت بعض المقاعد في الغرفة ، ورجوتهم أن يستريحوا هنا مما اصابهم من تعب ، وبينما اشعر بلذة انتصاري الوحشي الفظ تخيرت لمقعدي نفس المكان الذي تقبع تحته جثة الضحية .

وكان ضباط البوليس الثلاثة راضين تماما حيث اقتنعوا بتصرفاتي ، وكنت انا شخصيا منشرحا تماما . لقد جلسوا ، وبينما انا اجيب على اسئلتهم بمرح ، كانوا يتحدثون فيما بينهم عن أشيائهم المعتادة . ولكن قبل ان يمضي وقت طويل ، شعرت بشحوب يجتاح جسدي ، وتمنيت لو انهم ذهبوا . انتابني صداع شديد ، وتمثل في اذني رنين متصل ، بينما ظلوا جالسين يتبادلون حديثهم . وأصبح الرنين أكثر تميزا ، واستمر يشتد ويتضح أكثر وأكثر . ولقد انطلقت في الكلام اتحدث بسرعة حتى اتخلص من هذا الشعور ، ولكن ظل الصوت مستمرا ، وزاد وضوحا ، حتى ادركت في آخر الامر ان هذا الصخب لم يكن في نطاق اذني ، وانما كان في الخارج .

وما من شك أن شحوبي وصل الآن الى اقصاه . لكنني كنت أتحدث بطلاقة أكبر ، وبصوت مرتفع . وظل الصخب في داخلي مكتوما ، كأنما هو صوت دقات ساعة غلفت بالقطن . وقد شعرت باختناق . ومع ذلك لم يسمع رجال البوليس شيئا مما اسمعه ، واسرعت في الكلام بعنف ولكن ظل الصوت يزداد على التوالي .

لقد قمت من مقعدي ، وأخذت اجادل في موضوعات تافهة ، بنبرات عالية ، وبحركات واشارات عنيفة . ولكن الصوت ظل يزداد . لماذا لم ينصرفوا حتى الآن ، وذرعت الغرفة جيئة وذهابا بخطوات واسعة . ولعل نظراتهم الي قد أشعلت في الغضب ولكن ظل الصوت يزداد . يا الهي ، ماذا أستطيع أن أفعل ؟ لقد أرغيت وأزبدت ، وغضبت وشتمت . لقد قذفت بالمقعد الذي كنت أجلس عليه وجعلت أحك به ألواح الخشب . ولكن الصوت يطغى على كل شيء ويزداد باستمرار ، وظل يرتفع ، ويرتفع وظل الرجال يتكلمون بمرح ، ويبتسمون : هل من الممكن أنهم لم يسمعوا شيئا ؟ . يا اله السموات . لا لا ! لقد سمعوا ! لقد بدأ الشك يساورهم ! لقد اكتشفوا الأمر ! . انهم يسخرون من فزعي . هكذا ظننت وهكذا أظن . ولكن ، أي شيء آخر أرحم من هذا العذاب ؟ .

ان اي شيء آخر يمكن احتماله أكثر من هذا الهزء والسخرية . انني لم أعد استطيع أن أحتمل هذه الابتسامات المرائية . وشعرت انني لا بد أن أصيح أو أموت ! والآن مرة أخرى استمعوا . ان الصوت يعلو !ويعلو ! وصحت : أيها الاوغاد ، كفاكم تصنعا وتظاهرا . انني اعترف بما فعلته . ارفعوا هذه الالواح من الخشب . هنا ! هنا ! ان الصوت انما هو دقات قلبه الكريه .

○

مقالات في كلمات

■ أقوى مخدر تستعمله البشرية . . هو الكلام !

(كبلنج)

■ اننا لا ندرك قيمة الماء . . الا عندما تجف البئر !

(توماس فوللر)

■ ان المال الذى في يدك ، هو وسيلة الحرية . . وأما المال الذى تسعى اليه فهو طريق الى العبودية !

(روسو)

■ أى جمال في الطبيعة يستطيع أن ينافس جمال المرأة التي تحب .

(لا مارتين)

■ ان صورة أجمل امرأة رأتها عيناك . . لن تكون في مخيلتك سارة مرضية كصورة المرأة التي لم ترها قط .

(جورج مور)

■ أول مطامح المرأة وآخرها . . أن تظل جميلة

(لورد لتلتون)

■ ان الزواج هو أعجب مغامرة يمكن للمرأة أن تعيشها ، ولكنها لا تعرف ذلك

(روث ستافورد بيل)

■ زواجك من امرأة غبية هادئة . . أفضل من زواجك من امرأة ذكية مشاكسة

(مثل قديم)

■ قد يتزوج الشاب فيعيش مع امرأة بنفس المبلغ . . ولكنه لن يعيش بنفس الهدوء

(آرثر ميللر)

■ الحب رسالة القلب في الحياة

(بايلي)

■ قلب المحب مصدر الحكمة

(دكنز)

■ الحكمة الشريرة اعظم اداة في يد الشيطان .

(تشارنوك)

■ ان تكون خير من ألا تكون ، ولو ان حياة الانسان تبدو مأساة

(سبنسر)

هَا أنَا ذا عُمَر، أو هَا أنا عمر

بقلم : محمد خليفة التونسي

في غزوة « احد » كانت قيادة المسلمين للنبي (ص) ، وقيادة جيش قريش لأبي سفيان بن حرب ، وفي بداية المعركة كان النصر للمسلمين حتى اضطروا القرشيين الى الفرار منهزمين ، وأخيرا تخاذلت صفوف المسلمين لمخالفة فرقة منهم تعليمات النبي (ص) ، حتى اضطر المسلمون الى التقهقر الى جبل أحد خلفهم ليحموا ظهورهم به ، وانتهت المعركة بالمتاركة بين الجيشين دون نصر أو هزيمة ، وشاع حينئذ أن النبي وبعض كبار صحابته قتلوا ، فتقدم ابو سفيان بين الجيشين يسأل عما اذا كان محمد وأبو بكر وعمر أحياء ، فلم يستطع عمر الصمت ، فأجابه بان النبي حي ، وأبا بكر ، وختم جوابه قائلا « وها أنا عمر »

ويعنينا هنا من جواب عمر جملته الاخيرة « ها أنا عمر » فان « ها » التنبيهية هنا دخلت على ضمير رفع منفصل ، هو المبتدأ وخبره « عمر » ، وهذا مخالف لما يكاد يجمع عليه النحاة واللغويون ، من ان الخبر في مثل هذا التركيب لا بد أن يكون إشارة ، لا أي نوع آخر من أنواع الخبر المعروفة ، فتكون الجملة هكذا عندهم « ها أنا ذا عمر » ، وسنرى ان اشتراطهم الاشارة في الخبر هنا تعنت لا مبرر له ، بل هو خطأ ، وان تمحلوا لرأيهم تعلات أو تخريجات للمغالطة قد تدل على براعة ذهنية ولكنها أشبه بالحيل البهلوانية ، وبعض هؤلاء قد وقعوا فيما أنكروه ، ولو سهوا .

الأصل في قواعد أي لغة هو نصوصها الفصيحة ، فمن النصوص يستنبط الباحثون القواعد فاذا خالفت قواعدهم النصوص ، فالقواعد خطأ أو قاصرة .

ونحن هنا ـ كعادتنا في هذه الصفحات ـ لا نقتصر على ما يقوله علماء القواعد ، بل نحتكم الى النصوص ، والنصوص هنا تخذلهم ، إذ وردت أخبار المبتدآت في مثل هذا التركيب بأنواعها المختلفة ولم تقتصر على الاشارة .

وأقدم ما وقع لنا اتفاقا من التراث الفصيح :

١ ـ قول الشاعر أبي كبير الهذلي في احدى مناجاته (وهو شاعر مخضرم) .

ألا يا حمام الأيك ، إلفك حاضر
وغصنك مياد ، ففيم تنوح ؟
أفق ، لا تنح منْ غير شيء ، فإنني
بكيت زمانا ، والفؤاد صحيح
ولوعا ، فشطت غربةً دار زينب
فها أنا أبكي ، والفؤاد قريح (١)

والشاهد هنا في الشطر الأخير ، « فها أنا أبكي » اذ الخبر جملة فعلية .

٢ ـ وقول الشاعر سحيم عبد بني الحسحاس ، وهو مخضرم ايضا :

ماذا يريد السقام من قمر
كل جمال لوجهه تبع
لو كان يبغي الفداء قلت له :
ها أنا دون الحبيب ، يا وجع (٢)



(١) شرح أشعار الهذليين ٣ / ١٣٣٣ (٢) عيون الشعر ٤٢٢

والشاهد في الشطر الأخير(ها أنا دون الحبيب) اذ الخبر شبه الجملة .

٣ ـ عبارة عمر المتقدمة« ها أنا عمر » والخبر مفرد (٣)

٤ ـ قول خالد بن الوليد ـ وهو يحتضر ـ في النعي على الجبناء « لقد لقيت كذا وكذا زحفا وما في جسدي موضع شبر الا وفيه ضربة او طعنة او رمية ، وها أنا أموت حتف أنفي ، فلا نامت أعين الجبناء » والشاهد « ها أنا أموت » والخبر جملة فعلية (٤)

٥ ـ من خطبة للمستورد بن علفة من بني سعد بن زيد مناة ، وكان من الخوارج على الامام علي « كرم الله وجهه » قصّ فيها بعض السير الكريمة للنبي وأبي بكر وعمر ، ثم قال : « وها أنتم تعلمون ما حدث » (٥)

والشاهد هنا « ها أنتم تعلمون » فالخبر جملة فعلية

٦ ـ قول شاعرنا المفكر النابغ صالح بن عبد القدوس ، (ت ١٦٧هـ) وكان يميل الى العزلة منقبضا عن السلطان وأهله وعن العامة : ـ

رضيت بوحدتي ولزمت بيتي
فها أنا لا أزار ولا أزور
ولست بقائل ـ ما عشت ـ يوما :
« أسار الجند ، أم ركب الامير ؟ »

٧ ـ قول المتنبي في بداية شبابه من قصيدة له وهو في السجن أرسلها إلى الوالي الذي اعتقله ـ يعتذر له ويتبرأ مما اتهم به ، ويصف حاله بين السجناء

وكنت من الناس في محفل
فها أنا في محفل من قرود (٦)

والخبر هنا شبه جملة « جار ومجرور »

٨ ـ وقوله من قصيدة يمدح سيف الدولة عند رحيله من انطاكية والمطر شديد ، فرجاه البقاء قليلا حتى يهدأ السحاب ويكف عن سماحه بالمطر ، لأن هذا السماح يكدر الطريق .

وكنت أعيب عذلا في سماح
فها أنا في السماح له عذول (٧)

فالخبر هنا مفرد .

٩ ـ قوله في آخر قصيدة قالها يمدح عضد الدولة ، ويودعه معلنا أسفه لفراقه :

وكيف الصبر عنك ، وقد كفاني
نداك المستفيض وقد كفاكا
وهذا الشوق قبل البين سيف
وها أنا قد ضربت ، وما أحاكا (٨)

والشاهد في الشطر الاخير « ها أنا قد ضربت » والخبر جملة فعلية ، فعلها ماض .

١٠ ـ قول شاعرنا الكبير ابي العلاء المعري من قصيدة يفخر فيها بقناعته التي رفعت قدره فوق الدنيا

كأني حيث ينشأ الدجن تحتي
فها أنا لا اطل ولا اجاد (٩)

١١ ـ في مادة « ها » من « لسان العرب » لابن منظور ، يذكر ان العرب تقول : « ها أنت تفعل وهأنت تفعل » يعني بذكر ألف « ها » أو حذفها » ، والخبر هنا جملة فعلية .

١٢ ـ في مادة « عين » من « القاموس المحيط » للفيروز ابادي ينقل عن العرب « هاهو عرض عين ، اي قريب » والخبر مفرد .

وكل هذه الشواهد تنفي شرط الاشارة في خبر الضمير اذا دخلت عليه « ها » التنبيهية ، فقد رأينا أن الخبر فيها يكون مفردا أو جملة أو شبه جملة ، وأن الجملة تكون مثبتة أو منفية وفعلها ماض أو مضارع .

ويلاحظ في الاخبار الاشارية التطابق بين المبتدأ

---

(٣) تفسير ابن كثير ١ / ٤١٢

(٤) عيون الأخبار ١ / ١٦٥ (أشير في الهامش الى ان العبارة في العقد الفريد جاءت هكذا « ثم ها أنا ذا أموت » فلا يكون فيها شاهد .

(٥) الكامل للمبرد : ٢/١٢٥ (٦ ، ٧ ، ٨) ديوانه ، ، شرح [illegible] : ٤٩ ، ٢٦٩ ، ٦٣١

(٩) شروح سقط الزند١/٢٨٤

(الضمير) والخبر (الاشارة) في العدد والجنس ، فاذا عرفنا ان الضمير يكون للمتكلم أو المخاطب أو الغائب ، مذكرا أو مؤنثا ، مفردا أو مثنى أو جمعا ، فلدينا إذن ثماني عشرة صورة لهذا التركيب ، فتقول مثلا : « ها انا ذا أسمعك » و« ها نحن أولاء منتظرون » و « ها أنتما ذان في الظل » و « ها انتما تان تستريحان » و « ها هو ذا قد نام » «وهاهم أولاء يتكلمون »

ويجوز تكرار « ها » التنبيهية داخلة على الاشارة ، كما في قوله تعالى محذرا المسلمين من الاطمئنان الى من يخالفونهم « ها انتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا » (النساء ١٠٩)

ويجوز عدم تكريرها ، وهو الأشيع استعمالا ، كما في الامثلة السابقة ، وكما في قوله تعالى « ها انتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم »(آل عمران : ١١٩)

كل هذا ، إذا قصدنا الاشارة إلى القريب فنستعمل إشارته ، مثل ذا ، وذي ، وذان ... وهذا وهذي ... ولكن إذا قصدنا الاشارة الى البعيد استعملنا إشارة البعيد ، مثل : ذلك ، وتلك ، وذانك فنقول : « ها هو ذلك » و « ها هما تانك » . . و« ها هم اولئك » ، وكذلك نستعمل للقريب « هنا » ، وللبعيد « هناك » ، او « هنالك » او « ثم » فنقول : « ها أنت هنا » ، « وها هم هنا » . . أو « هنالك » أو « ثم » بالمعنى نفسه .

وممن يرون أن « ها » التنبيهية إنما تدخل على الضمير المخبر عنه باشارة ـ الفيروز ابادي اللغوي وابن هشام النحوي

اما الفيروزا بادي فقد ذكر رأيه حين ذكر « ها » في باب الالف اللينة في ختام معجمه « القاموس » مع انه نقل قبل ذلك في مادة « عين » قول العرب « ها هو عرض عين » ، أي قريب » كما ذكرنا قبل ، ثم انه استعمل في مقدمة كتابه ما يخالف رأيه » فقال » : « وها أنا اقول » ٧/١ وقد أخذ عليه هذا التضارب بعض شراح المقدمة .

وأما ابن هشام فذكر رأيه عند كلامه على « ها » في كتابه« مغني اللبيب » ٢/ ٣٤٩ ، ومع ذلك استعمل في مقدمته ما منعه ، فقال : « وها أنا بائح بما أسررته »١٠/١

وأما حجج المانعين فشواهد ها كثيرة ، ومنها ما جاء في القرآن الكريم ، وهو الآيتان السابق ذكرهما : « ها انتم أولاء» و « ها انتم هؤلاء » والآيتان ونظائرهما من شواهدهم ـ تفيد أن « ها » تدخل على الضمير المنفصل المخبر عنه باشارة ، ولكنها لا تمنع أن يكون الخبر غير إشارة ، فالاحتجاج على المنع بمثل هذه الشواهد مغالطة مكشوفة ، وطالما نبهنا في هذه الصفحات أن شواهد الاثبات تفيد الاثبات ، ولكنها لا تفيد المنع أي أن ورود الكلام على وجه لا ينفي ان يرد على وجه آخر ، فيكون صحيحا أيضا . ودخول « ها » التنبيهية على الاشارة « ذا ، وذي . . . » في الكلام الفصيح قد يكون أشيع من دخولها في مواضع أخرى ولكن لا يفوت أحدا أنها كلمتان لا كلمة واحدة ، ولكن يظهر انها كالملتصقتين في اذهان بعضهم ، فابن هشام مثلا يذكر الآية : « ها أنتم اولاء . » ، « ثم يروي عن بعضهم تخريجا متهافتا لهذا التركيب ، هو ان « ها » فيه داخلة على الاشارة « أولاء» ولكن توسط بينها الضمير « انتم » ، ثم روى اعتراضا على هذا التخريج بالآية الاخرى « ها انتم هؤلاء » ، كما روى الجواب على هذا الاعتراض هو ان « ها » اعيدت في الآية الاخرى للتوكيد ، وهذا تخريج متهافت أيضا (المغني ٣٨٢/٢)

وبمثل هذه المماحكات المتهافتة ينكر كثير من اللغويين والنحاة كثيرا مما أجازه الفصحاء ، ولهذا ضرب المثل في الضعف بحجج النحاة فقيل « اضعف من حجة نحوي »

ولنتأمل قول المتنبي من قصيدة قالها بعد هروبه من كافور في مصر وقد قارب الكوفة مخاطبا إبله التي كانت سبب نجاته .

وقلنا لها :«أين ارض العراق
فقالت ونحن بتربان ـ « ها »(١٠)

فان « ها » تشير الى قرب ما يسأل عنه ، وكذلك يمكن شخصا ـ إذا سئل « أين أنت » ، أن يجيب « ها » كجواب المتنبي ، أو « ها أنا » أو سئل : « أين صحبك » أن يجيب « هاهم » ، ومثل ذلك « ها نحن » « وها هي » اذا كان المسؤل عنه قريبا وهكذا ، دون حاجة الى ذكر خبر ، من إشارة أو غير إشارة لأن الجواب مفيد ، والحرف « ها » وحده جواب كاف مثل سائر حروف الجواب ، وحذف ما يعلم جائز في كل اللغات

محمد خليفة التونسي

---

(١٠) ديوان (شرح اليازجي /٥٥٢



كتاب من موسكو



رسائل من لبنان

تأليف : اغا فانغل كريمسكي

تقديم الدكتور هاشم حمادي

يعتبر الاستشراق الروسي فالسوفييتي حديث العهد بالمقارنة مع الاستشراق الغربي ،فاذا كان الغربيون قد بدأوا الاهتمام بالعلوم والابحاث الشرقية وكرسوا لذلك العديد من الدراسات ، التي جاء الكثير منها حصيلة عمل البعثات العلمية والاثرية ، التي بدأت بالتوافد على الوطن العربي منذ صدر الاسلام ، وازدادت بشكل خاص مع بداية عصر النهضة ، فان روسيا لم تدل بدلوها في هذا المجال الا في وقت متأخر نسبيا ، خاصة فيمايتعلق بالاستعراب ، وعلى الرغم من أن اسم كراتشكوفسكي معروف لدى القاصي والداني ، بوصفه من كبار المستعربين السوفييت ، فان قلة من القراء تعرف المستشرق الاوكراني الكبير اغافانغل يفيموفيتش كريمسكي، الذي وصفه كراتشكوفسكي نفسه بأنه « معلمه الروحي » ، والى أعمال كريمسكي يعود الفضل في اثارة اهتمام كراتشكوفسكي بالعالم العربي .



أغا فانغل يفيموفيتش كريمسكي

ولد أغا فانغل يفيموفيتش كريمسكي في الخامس عشر من كانون الثاني ١٨٧١ في مدينة فلاديمير فالينسكي ، في اسرة بولونية ـ بيلوروسية ، من أب بيلوروسي وأم ليتوانية . درس كريمسكي العربية في معهد لازاريف للغات الشرقية في موسكو ، وعلى الرغم من أن مدير المعهد حاول توجيهه نحو الاستعراب فقط ، فقد انكب الطالب الشاب على دراسة الفارسية والتركية الى جانب العربية ، وبدأ يترجم من اللغات الثلاث ، وقبل بلوغه الثلاثين من عمره كان يتقن ١٧ لغة من اللغات الحية .

بحث عن مصادر الثقافة العربية

ومع بداية القرن العشرين يكرس كريمسكي الكثير من وقته وجهده لدراسة الدعوة الاسلامية ، ويؤرخ للجزيرة العربية قبل الاسلام ، ويضع دراسة مفصلة بما فيه الكفاية للشعر الجاهلي ، بحثا عن مصادر الثقافة القومية العربية ، ومحاولة للكشف عن سماتها المميزة .

ومنذ خطواته الاولى في ميدان العلوم اتجه كريمسكي لدراسة التيارات الدينية ـ الفلسفية لدى الصوفية ، وركز على الخيام وحافظ وسعادة ، وفي عام ١٩٠٠ يكتب كريمسكي رسالة ، ظلت مخطوطة ، عن الاسماعيليين ، وفي عام ١٩١٠ يتناول تاريخ الوهابيين والبهائيين وغيرهم .

ومنذ عام ١٨٩٣ بدأ كريمسكي المساهمة في « القاموس الموسوعي » بروكفاوز ويفرون ، فكتب فيه كل المقالات المتعلقة بتاريخ الشرق الاسلامي وثقافته ـ « القرآن » ، « محمد » ، « الموالي » ، « الاسماعيليون » ، « القرامطة » ، « جلال الدين الرومي » ، « المهدية » ، « الصوفية » ، « عمر بن الخطاب » ، « عثمان » ، « الأمويون » ، « الاخشيديون » ، « نور الدين » .

وبعد التخرج من الجامعة بدرجة شرف ، شد كريمسكي الرحال الى الشرق العربي ، وكانت مصر هي قبلته ، ولكن تفشي وباء الكوليرا فيها جعله يلقي عصا الترحال في بيروت ، شتاء ، وجبل لبنان صيفا ، ومن هنا كان يزور سورية الداخلية وفلسطين .

١٢٣ رسالة

أمضى كريمسكي في لبنان ما يقرب من عشرين شهرا . . . من تشرين الأول ١٨٩٦ وحتى أيار ١٨٩٨ ، كرسها كلها للالمام بمختلف جوانب الحياة الفكرية والاجتماعية ، وقد انعكست ملاحظاته واستنتاجاته في رسائله الموجهة الى ذويه ، والصادرة عن دار « العلوم » في

موسكو في كتاب يحمل عنوان « رسائل من لبنان » . ويعتبر هذا الكتاب ـ الواقع في ٣٤٠ صفحة من الحجم العادي ـ نافذة جديدة ، واطلالة مشوقة على مختلف جوانب الحياة في لبنان عشية حلول القرن العشرين ، وتسجيلا صادقا للشرائح الحية ، المستقاة من الواقع العربي ، وتحليلا علميا للظواهر المختلفة لواقع الحياة العربية في نهاية النصف الثاني من القرن التاسع عشر .

وكان كريمسكي قد اختار بنفسه الرسائل المخصصة للنشر ، وهي تلك الموجهة الى أبيه وأخيه وزوجة أخيه وأخته الكبرى ، ويبلغ عددها ١٤٣ رسالة ، ويتضمن الكتاب ١٢٣ رسالة منها ، بعد حذف المواد ، التي لاتمت بصلة مباشرة الى مواضيع الاستشراق أو الى نشاط كريمسكي في الميدان الاجتماعي والعلمي .

والواقع أن كريمسكي كان يريد اصدار هذه الرسائل تحت عنوان « رسائل من سورية » لأن بيروت والساحل اللبناني كانت آنذاك جزءا من سورية ، وكانت المنطقة الجبلية هي وحدها المسماة باسم جبل لبنان » .

وقد كان منذ كتابتها ينوي نشرها ، وعلى ذلك تدل رسالته الى أخيه وفيها يطلب منه « لاتمزق رسائلي البيروتية ، بل احتفظ بها ، فأنا لاأسجل أي يوميات ، وفي هذه الرسائل أسجل كل ما يثير اهتمامي » .

ومن خلال الاطلاع على هذه الرسائل يبدو واضحا أن المعلومات في الرسائل الاولى سطحية وناقصة ، ومع مرور الاسابيع تزداد اتساعا وعمقا ، وخاصة تلك المرسلة من جبل لبنان . وفيما بعد كتب كريمسكي يقول : « كنت خلال العامين ، اللذين أمضيتهما في سورية ، في وضع يمكنني من التعرف على الشرق من مختلف جوانبه . ولكن يجب أن أعترف أن اهتمامي ، قبل الحياة في الشرق ، وأثناء وجودي هناك ، كان يتركز على كل تيار ينبض بالحياة ، على كل ماله علاقة من قريب أو بعيد بالاهتمامات الاجتماعية من أدب وفلسفة ودين وحياة اجتماعية وأتنوغرافيا . . .

كنت منكبا على دراسة فقه اللغة العربية بكل حماسة ، ولكن كل اهتمامي هنا كان منصبا على العلاقة بين صوتيات اللغة العربية القديمة واللغة العربية المعاصرة وفي رسائله يشير الى أنه في أحاديثه مع استاذه نجيب طراد كان يحاول التطرق لمسائل الاخلاق والاتجاهات الفكرية العربية والتاريخ العربي .

الامثال والحكم

وفي رسالته الى أبيه ، التي تحمل تاريخ ٣٠ حزيران / يونيو / ١٨٩٧ ، كتب كريمسكي يصف سمات التفكير التقليدي لدى العرب ذوي التعليم الأوروبي بقوله : «لايحب العربي السوري ، ذو التحصيل الغربي ، المنطق الصارم والممل ، ولا البراهين الموضوعية ، بل يقدر بالدرجة الاولى الاقوال المأثورة والكلمات الصائبة ، فهي تعتبر بالنسبة له ، برهانا أكبر من أية بديهية » . وهذا ما دفع كريمسكي الى الاهتمام بجمع الامثال والحكم ، التي يستخدمها فيما بعد في مؤلفاته اللغوية للكشف عن نفسية العربي في العصر الوسيط ونمط تفكيره .

ثم ان رسائل كريمسكي غنية بالمعلومات المستقاة من واقع الحياة الاقتصادية والاجتماعية في بيروت في تلك المرحلة ، التي يعتبرها المستعرب مرحلة انعطاف في تطور لبنان ، حيث كانت النهضة الاقتصادية العاصفة في ذروتها في ميدان التجارة بشكل خاص ، فقد كانت أغلبية سكان المدينة ، وعددهم يربو على ١٠٠ الف ، تشتغل بالتجارة ، وهكذا نمت وترعرعت البورجوازية المرابية ، التي راحت ، دون خوف أو وجل ، على خلاف البورجوازية في دمشق مثلا ، توظف الرساميل في بناء الفيلات والقصور العصرية ، التي غيرت معالم المدينة .

ونخرج من قراءة الرسائل ، التي يسلط فيها كريمسكي الضوء على الندوات ، ذات الطابع التنويري ، بتصور واضح الى حد ما عن تطور الفكر الاجتماعي القومي ، حيث يشير كريمسكي الى أن أحد الاسباب الاساسية الكامنة وراء تدني هيبة روسيا في الاوساط العربية يعود الى وقوف الديلوماسية الروسية ضد اجراء الاصلاحات في الامبراطورية العثمانية ، ويقول في احدى رسائله : « بدأت عملية صوغ مشاريع الاصلاحات لتركيا ، وكانت الاقتراحات البريطانية أكثرها ليبرالية ، أما روسيا فقد وقفت الى جانب السلطان ، وأكدت أنها لن تسمح باجبار السلطان بالاصلاحات : ومازلت أذكر أنني في اليوم الذي تناقلت فيه الصحف هذا الخبر ، عرجت على صيدلية حلو ، ولم يكد صاحبها يعرفني روسيا حتى قال لي بلهجة أقرب الى الصياح ، وهو يهدد بقبضة يده : « ان اتفاقكم مع فرنسا غاية في الدناءة والخسة ، وهو معاد لكل تقدم » .

فالعرب كانوا يقاسون الأمرين في ظل الاستعمار التركي ، وقد ازداد الطين بلة في العقد الاخير من القرن

الماضي بشكل خاص ، فلا غرابة أن يطلق على تلك الفترة اسم عهد « الظلم » ، الذي تميز بالنير البوليسي القاسي ، وقمع الحركات الوطنية ، وتفسخ الجهاز البيروقراطي .

فقد كان العرب محرومين من الحقوق السياسية ، ومن تبوء المناصب والمراكز الادارية والعسكرية ، وكانت الرقابة صارمة على الصحف والكتب العربية ، حتى الكلام بالعربية كان محظورا .

وقد وصف كريمسكي هذه الرقابة بقوله : « ان المواطن في سورية وفلسطين يعاني في وطنه من ظروف غاية في الفظاعة : فلا يمكن تصور رقابة أكثر صرامة وتعسفا من رقابة الامبراطورية العثمانية ، حتى أن أكثر فترات الرقابة الروسية صرامة تعتبر غاية في الليبرالية بالمقارنة مع الرقابة العثمانية » .

أين يكمن الداء ؟

ولكن ما الذي يمنع هذه الشعوب الرازحة تحت نير الاحتلال العثماني من اللحاق بركب الحضارة الغربية ؟ يدحض كريمسكي الادعاءات والمزاعم حول الدور الرجعي « للاسلام » في تاريخ العرب . وعلى سؤال « هل بوسع العالم الاسلامي التقدم نحو الامام ، واللحاق بالعالم الغربي ، مع المحافظة على اسلامه ؟ » يجيب كريمسكي : « يجب أن يكون الجواب بالايجاب » .

ويخلص المستعرب الى القول ان الاستعمار التركي هو السبب الاساسي الكامن وراء تخلف العالم العربي الرازح تحت نير هذا الاستعمار .

ولابد من الاشارة هنا الى أن رسائل كريمسكي خالية من الحديث عن النشاط السياسي السري لرواد القومية العربية والحركات القومية وعن الصحف المصرية والاوربية التي كانت تصل سورية سرا ، والتي كان لها الفضل الكبير في منع الحكومة التركية من عزل سورية عن قطار الحياة السياسة .

وترى سميليا نسكيا في تقديم « رسائل من لبنان » أن السبب في هذا الصمت يعود الى الرقابة لاالى افتقار كريمسكي الى المعلومات ، فقد أشار في احدى رسائله الى أخيه « انني بين العرب باستمرار . وبالطبع فان لدي تصورا كاملا عن تفكيرهم . . . ولدي تصور تام عن شتى جوانب الحياة العربية السياسة والروحية والعقلية . . .

بعض العادات والتقاليد

يخصص كريمسكي صفحات العديد من رسائله لوصف الحياة الاجتماعية في لبنان ، ويركز بشكل خاص على العادات والتقاليد سواء في المدينة أو الجبل ، وينتقد بشكل لاذع بعض العادات البالية ، بما فيها التالية ، التي وصفها في رسالته الى أخيه في ٢٩ نيسان ١٨٩٧ بقوله : حين يلتقي اثنان يسأل كل منهما الآخر عن صحته أكثر من خمس مرات :

« كيف صحتك ؟ » ، « كيف حالك ؟ » ، « كيف الاحوال » ، « كيف وكيف ؟ » ، ثم ينتقلان للسؤال عن صحة العائلة والاولاد والاقرباء .

وفي رسالة أخرى في ١٦ حزيران ١٨٩٧ يصف كريمسكي الحياة المسرحية في بيروت ، فقد زار مسرح الجزويت ، حيث تقدم العروض التعليمية ، في النهار فقط ، أما في المساء فيعتبر عرض المسرحيات غير لائق ، ثم ان من شروط عرض الدراما عدم اشتراك النساء في أداء أي دور ، كما ان المشاهدين كلهم من الرجال .

ويتحدث كريمسكي عن احياء الامسيات الادبية ، التي كان يحضرها الكثيرون ، بمن فيهم النساء ، ولكن أحدا من الحاضرين لم يكن يهتم بكلام الخطباء ، أو يفهم شيئا من أحاديثهم المنمقة ، بل كان معظمهم يتفرج على أزياء جيرانه .

ويتوقف كريمسكي طويلا عند وصف عادة البكاء على الميت وتشييع جنازته ودفنه ، فيصف ذلك في أكثر من رسالة ، تارة يتحدث عن هذه العادة في المدينة ، وفي الجبل تارة أخرى .

ففي رسالته الى أخيه في ٢ أيار ١٨٩٨ يصف كيف مات ابن صاحب البيت ، الذي يقطنه ، في الواحدة ليلا ، وكيف أن الأم منعت ابنتها ماريا من البكاء « اسكتي » وإلا أيقظت إخوتك » ، وكيف ظل الصمت مخيما على البيت طوال الليل .

ولم يكد ينبلج الفجر ، ويتوافد الاقرباء والمعارف لتقديم التعازي ، حتى بدأ العويل والبكاء ، وكانت موجة البكاء تعلو كلما وصلت دفعة جديدة من المعزين ، وكانت

الأم ، التي منعت ابنتها من البكاء ليلا ، خوفا من أن يستيقظ الصغار ، أكثر الباكين صراخا وعويلا . . . والا اتهمها الجيران والمعارف بأنها لاتحب ابنها .

ولما كانت التقاليد تمنع النساء من الذهاب الى المقبرة مع الفقيد ، وتلزمهن بالبقاء في المنزل . فانهن يلجأن الى سلوك مضحك ومبك في آن واحد : فالرجال يريدون وضع الفقيد في النعش ، ولكن النساء لايسمحن لهم ، ويبدأن الصراخ والعويل ، ويحدث الصراع بين الطرفين من أجل الجثمان ، وينتهي هذا الصراع بانتصار فريق الرجال ووضع الجثمان في النعش . وحين يهم الرجال باخراج النعش من المنزل تعود النساء الى البكاء والصراخ : « الى أين تأخذونه » الخ .

كانت تلك آخر رسالة يكتبها كريمسكي من لبنان ، وقد ظل بعد عودته الى بلاده منكبا على دراسة اللغة العربية والتراث العربي ، وخرج من ذلك كله بكتابه المكرس لتاريخ الادب العربي الحديث . وكان كريمسكي قد جمع خلال اقامته في سورية عددا من المخطوطات العربية ، العائدة الى القرون الثلاثة الأخيرة « السابع والثامن والتاسع عشر » فجاءت هذه المخطوطات رافدا بالغ الاهمية لمجموعة المخطوطات العربية ، التي بدأها المستشرقان الروسيان بازيلي وبارفيري أوسبينكي .

وفي بداية القرن الحالي مر كريمسكي بمرحلة تقوقع وانعزال عن العالم وعن النشاط الاجتماعي والفكري ، ولكنه لم يلبث أن عاد الى نشاطه في بداية العقد الثاني ، واستمر في القاء المحاضرات على طلاب معهد لازاريف للغات الشرقية ، وبعد ثورة ١٩١٧ بدأ كريمسكي يكرس الكثير من وقته وجهده لتطوير الادب الاوكراني الأم . إلى أن وافته المنية في عام ١٩٤٢ .

« مستقبل الاسلام »

قبل انهاء هذه العجالة أود التوقف قليلا عند أحد كتب كريمسكي بعنوان « الاسلام ومستقبله » ، الذي انجزه في نهاية اقامته في سورية . وفيه يتطرق المستعرب الى مشكلة الانبعاث الثقافي للشعوب الاسلامية ، ويعتبر هذا الانبعاث عملية تأثر وتأثير بين الثقافة الغربية المعاصرة والثقافة الشرقية الوسيطة . ومن هنا يحدد كريمسكي اتجاهين أساسيين في الحركة الثقافية العربية : الاتجاه الغربي ، الذي يهفو الى مناهل الحضارة الغربية على قاعدة التراث القومي ، والاتجاه الاسلامي ، المعادي للتأثير الغربي ومن هذا المبدأ يصنف كريمسكي الصحافة المصرية ، ويعتبر تقسيم الصحف والمجلات الى محافظة وليبرالية أو معتدلة غير مناسب .

أخيرا فان هذا الكتاب يمكن ، فيما لو ترجم الى العربية ، أن يسد ثغرة في تاريخ الحياة الاجتماعية والسياسية والفكرية في نهاية القرن التاسع عشر ، ولبنة هامة في توسيع وتعميق تصوراتنا ومعارفنا عن عادات المجتمع العربي وتقاليده ، من خلال أمثلة حية ، مستقاة من الواقع اليومي ، في واحدة من الفترات العصيبة ، التي خيمت بكلكلها على هذا المجتمع ، وألقت بكل أرزائها واعبائها على كاهل الجماهير العربية المغلوبة على أمرها ○

دمشق ـ الدكتور هاشم حمادي

المرأة والضحك :

■ الضحكة الساخرة تؤلم المرأة أكثر من سيل جارف من الشتائم .

(لا مارتين)

■ اذا أضحكت المرأة أحبتك .. ولم تحب مجلسك .

(برنارد شو)

■ حاول أن تطري امرأتك وتمدحها .. حتى لو راعها ذلك وأخافها .

(جورج صاند)



التراث والتجديد

● المفكر الدكتور حسن حنفي صدرت له عدة كتب خلال العام الماضي صب معظمها في معالجة قضايا فكرية اهمها : التراث وتجديده ، ومنها كتابه « التراث والتجديد ـ موقفنا من التراث القديم » .

احتوى الكتاب على خمسة أبواب هي : ـ

مـاذا يعني التـراث والتجـديـد ، وازمـة التغير الاجتماعي ، وأزمة المناهج في الدراسات الاسلامية ، وطرق التجديد ، ثم موضوعات التجديد .

وقد جاء تحت العنوان الأول ـ حول التراث والتجديد ما يلي :

(التراث هو نقطة البداية كمسؤولية ثقافية وقومية ، والتجديد هو اعادة تفسير التراث طبقا لحاجات العصر ، فالقديم يسبق الجديد ، والأصالة اساس المعاصرة، : والوسيلة تؤدي الى الغـاية ، التـراث هـو الـوسيلة ، والتجديد هو الغاية ، للمساهمة في تطوير الواقع ، وحل مشكلاته ، والقضاء على اسباب معوقاته . والتراث ليس قيمة في ذاته الا بقدر ما يعطي من نظرية علمية في تفسير الواقع والعمل على تطويره) .

تأليف : د . حسن حنفي

الناشر : دار التنوير ـ بيروت

الحب والطبيعة في شعر « أبو سلمى »

أبو سلمى هو الشاعر الفلسطيني عبد الكريم الكرمي الذي توفي سنة ١٩٨٠ بعد أن عايش قضايا وطنه قبل نكسة سنة ١٩٤٨ وبعدها . . واستمر يحمل المشعل حتى توفاه الله .

واذا كان الشاعر قد عايش مرحلتين ، فإن شعره يجمع بين متانة النماذج المبرزة من الشعر القديم وبين روح المعاصرة والحداثة . .

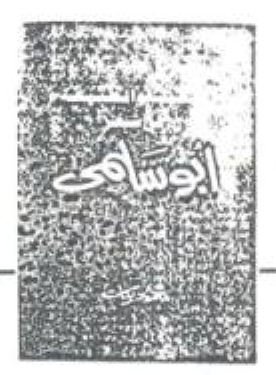
وقد قسم المؤلف الكتاب الى ثلاثة فصول : حياة الشاعر وشعره ، شعره قبل النكبة ، شعره بعد النكبة .

وقد اشتهر ابو سلمى بأنه شاعر الوطن والوطنية ، إلا ان المؤلف التفت الى جوانب أخرى في شعر الشاعر وخرج بنتيجة مؤداها :

« لكن جانبا آخر من حياة أبي سلمى ظل بعيدا عن الضوء . وأعني به شعر الطبيعة ، فقد استوحى ابو سلمى تشبيهاته واستعاراته وكناياته من الطبيعة بكل ما فيها حتى أن اشعاره الوطنية كانت مزيجا من الطبيعة وتستمد معانيها من جمال بلاده وصور بقصائده كل بقعة فيها » .

تأليف : محمود بركات

الناشر : شركة كاظمة ـ الكويت





الايديولوجية الصهيونية
الجزء الاول والثاني

* تعتبر دراسة الدكتور المسيري من أهم الدراسات في موضوعها . وقد صورت الدراسة في جزئين أي في كتابين تناول فيها المؤلف دراسة الأيديولوجية الصهيونية كحالة في علم اجتماع المعرفة واستخدمها كحالة للدراسة من خلال علاقة الافكار بالمجتمع ، وكيفية تشكل الافكار ، وكيفية تبني بعض الأفراد مجموعة من الافكار المحددة المشتركة ليكونوا جماعة انسانية لها فهم خاص ورؤية خاصة تحدد سلوكهم السياسي .

* وقد تناولت الفصول الثلاثة الاولى من الكتاب وضع يهود شرق أوروبا وكيف أفرز هذا الوضع المسألة اليهودية والافكار الصهيونية بملامحها وسماتها الخاصة ، أما الفصل الرابع فتناول علاقة الصهيونية بالاستعمار ، وكيف استفادت الصهيونية من حاجة الاستعمار الغربي الى قاعدة في الشرق الاوسط ، وكيف استفادت من المناخ الفكري والحضاري الذي خلقته الامبريالية . وأما الفصل الخامس فقد عرض للسمات الخاصة والفريدة للاستعمار الصهيوني . وفي الفصل السادس والسابع والثامن فان المؤلف تناول فيها نشأة الأيديولوجية الصهيونية وجذورها بوصفها نسقا فكريا متكاملا يتسم بالاتساق البالغ مع نفسه . وتناول المؤلف في الفصل التاسع علاقة الصهيونية بيهود العلم . وهي علاقة عنصرية في جوهرها . أما في الفصل العاشر فانه تناول الاستجابة اليهودية للصهيونية وأشكالها الواضحة النادرة واشكالها المستترة الكثيرة . وفي الفصل الحادي عشر يتناول علاقة الصهيونية بالعرب وخاصة بالفلسطينيين منهم ، وهي علاقة عنصرية تقضي بتفريغ « ارض الميعاد » من سكانها الاصليين .

* أما الفصل الاخير الثاني عشر فيتناول المجتمع الاسرائيلي ذاته الذي هو في نهاية الامر ـ نتاج الايديولوجية الصهيونية .

تأليف : د . عبد الوهاب المسيري

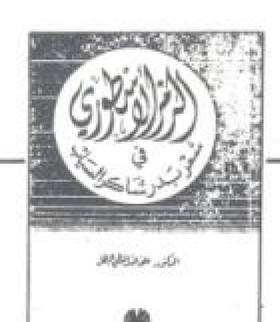
الناشر : المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ الكويت

الرمز الاسطوري
في شعر بدر شاكر السياب

* كل الدراسات او معظمها تعترف للسياب بريادته للشعر الحديث . وتعترف له ايضا بانه كان من أفضل شعراء مرحلته . ومازالت تجربته الشعرية تسحب نفسها على الكثير من التجارب الشعرية الحديثة والكتاب الذي نعرض له درس الرمز الاسطوري في شعر الشاعر

ويمكن اعتبار الفصل الاول مدخلا لدراسة الاسطورة عندالسياب . وقد مهد لذلك بدراسة الاسطورة حسب ورودها في الشعر العربي حتى مطلع هذا القرن ، ثم دخول الاسطورة في الشعر العربي المعاصر منذ ترجمة البستاني للالياذة عام ١٩٠٤ وتجربة جماعة « ابولو » في هذا المجال . وينتهي الفصل الى بيان وصول الاساطير الى شعر السياب وكيف تعرف على المنهج الغربي الحديث في استخدام الاساطير .

ثم درس المؤلف المصادر الميثولوجية التي استقى منها السياب مادة أساطيره .



ثم حلل المؤلف الرموز الاسطورية في شعر الشاعر وكشف عن دلالاتها .

ودرس كذلك تجربة الشاعر واستفادته من الأساطير دراسة فنية ، فأكد على اهمية ما تتيحه الأسطورة للتجربة الفنية الحديثة من أوجه الثراء ، وفاعلية الدراما ، وتوكيد الطابع الموضوعي واحياء النزعة الملحمية .

تأليف : د . علي عبد المعطي البطل

الناشر : شركة الربيعان ـ الكويت

المسيح يصلب من جديد

هذه هي الطبعة الثانية من رواية الكاتب اليوناني نيقوس كازانتزاكس ، والذي كتب في المسرح والقصة والرواية والمقالة والشعر .

روايته « زوربا » التي تحولت الى فيلم سينمائي لفتت الانظار الى اعماله الأخرى فترجمت بعض اعماله المسرحية والروائية الى العربية منذ ستينات هذا القرن .

ورواية « المسيح يصلب من جديد » حسب رأي المترجم :

« من نوع القصص السيكولوجية الاجتماعية ، وهي صورة ملحمية عن صراع الانسان على طول التاريخ من أجل حياة أسمى ، وبالرغم من مسحة التشاؤم في جوانب الرواية الا ان الكاتب : « لا يترك الانسان يتردى في وهدة اليأس المطبق ، بل ثمة أمل على البعد قد يكون عسيرا بعيد المنال ولكنه قائم على أي حال وعلى الانسان أن يسمى ، وعلى قوى الخير أن تتضافر ابتغاء هزيمة قوى الشر » .

المؤلف : نيقوس كازانتزاكس

المترجم : شوقي جلال

الناشر : دار الوحدة ـ بيروت



محمود شوقي الأيوبي
حياته وتراثه الشعري ـ عرض ونقد

« محمود شوقي الأيوبي هو أحد الشعراء الأوائل القليلين في الكويت ومنطقة الجزيرة والخليج العربي . ولد في بداية هذا القرن وتنقل بين العراق والكويت وسوريا ولبنان وفلسطين ومصر والبحرين والسعودية واندونيسيا وغيرها .

أما البلدان التي قضى فيها معظم أيام عمره فهي الكويت والعراق واندونيسيا جاعلا من تعليم العربية رسالة له .

وتتبع اهمية الايوبي حسب اجتهاد الدكتورة الرومي الى : « أن محمود شوقي الايوبي قال الشعر منذ وقت مبكر يعود الى السنوات الاولى من حياته التعليمية في الكويت والعراق ، وقد خلف تراثا ضخما من الشعر ، طبع منه خمسة دواوين كبيرة » .

وقد صب جل شعره لمتابعة الأحداث في المنطقة وفي الوطن العربي عامة ، وسجل ذلك في قصائد شعرية طويلة شخص فيها مأساة الوطن العربي مع الاستعمار الغربي الذي تسلط عليه ، وأضاف الى التخلف الاجتماعي والحضاري عقبات أخرى امام تحرره ووحدته .

« أما شعر الايوبي من الناحية الفنية ، فان الدكتورة نورية الرومي سجلت عنه ما يلي :

« وشعر الأيوبي تحمل نماذجه الفنية المختلفة بدايات التطور اللغوي والعاطفي ، الذي نقل الحركة الشعرية في الكويت خاصة الى المرحلة الرومانسية » .

تأليف : د . نورية الرومي



معركة بلاسلاح

« يجب أن يكون الدور وحدة قائمة بذاتها بفكرة قائدة توجه جميع النقلات من الابتداء الى الانتهاء » .

اليخين (١)

سبق أن أشرنا الى التضارب الكبير في أقوال المؤرخين حول منشأ الشطرنج وأصله . ولكن الرواية الأكثر تواترا في كتابات هؤلاء المؤرخين تزعم ان الشطرنج هندي الاصل وان الفضل في اختراعه ـ او على الاقل تعديله ـ يعود الى وزير هندي يقال ان اسمه « صصه بن داهر » . فقد اراد هذا الوزير ان يبعد السأم والملل عن نفس مليكه ويدخل البهجة الى قلبه فاخترع لعبة الشطرنج او عدلها عن لعبة هندية قديمة ، واهداها للملك الذي بلغ اعجابه بها حدا جعله يطلب من وزيره ان يتمنى عليه ما شاء،فما كان من الوزير الماكر الا ان طلب مقدارا من الحبوب ينتج من وضع حبة من القمح على المربع الاول من رقعة الشطرنج ، ثم حبتين على المربع الثاني ، واربع على الثالث ، وثمان على الرابع ، وهكذا بمضاعفة العدد مرة بعد مرة حتى المربع الرابع والستين . فتعجب الملك من تواضع وزيره واعرب عن استعداده لمنحه ما هو افضل من هذا الطلب بكثير ، ولكن الوزير شكره واصر على طلبه . فأصدر الملك امره لمن يلزم بتلبية الطلب ، وكم كانت دهشته بالغة عندما أبلغ بان حبوب الهند جميعا لا تكفي لتلبية هذا الطلب الغريب ، وبيّن له اهل العلم بالحساب ان هذه الحبوب لو نثرت على اليابسة من سطح الكرة الارضية لغطتها ملايين المرات ، فزاد اعجاب الملك بوزيره وقال :

« لعمري لاادري مما أعجب أكثر . . . أمن الشطرنج أم من الامنية ؟ » . (٢)

---

١ ـ بطل العالم في الشطرنج (١٩٢٧ ـ ١٩٣٥) و ((١٩٣٧ ـ ١٩٤٦ سنة وفاته)

٢ ـ الرقم الصحيح الذي اظهره الحساب الحديث هو ١٨٤٤٦٧٤٤٠٧٣٧٠٩٥٥١٦١٥

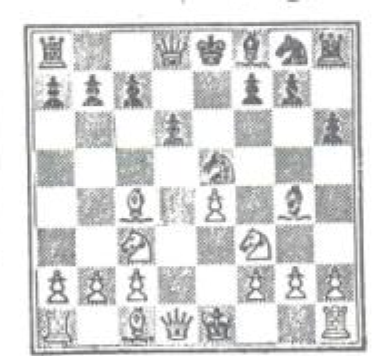
وهذه الكمية من الحبوب تكفي لفرش اليابسة بارتفاع ١١ مليمترا فقط وليس ملايين المرات كما ورد في الرواية الفارسية .

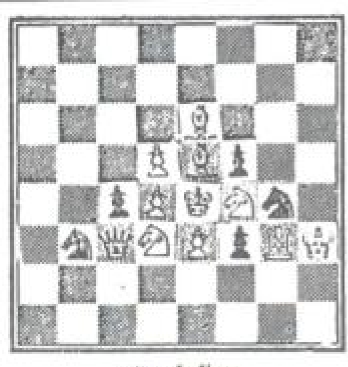
● انظر « كتابة الشطرنجي العصري » من تأليف جبرائيل نصرة المهندس

مسائل شطرنجية

مسألة رقم (١)

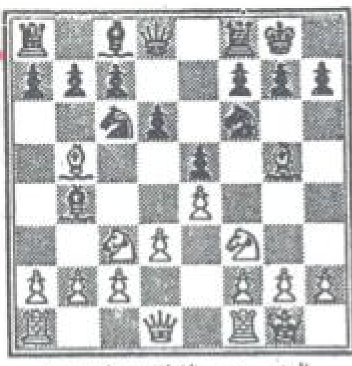
الابيض يلعب ويكسب قطعة كبيرة او يكش مات بثلاث نقلات اذا ابتلع الاسود الطعم .





مسألة رقم (٢)

الابيض يلعب ويكش مات بنقلتين



الوضع بعد النقلة ٧ : ف - ح ٥

افتتاحات الشطرنج

الافتتاح أو مطلع الدور هو مجموع النقلات الاولى القليلة التي تستهل بها الادوار ، والهدف الأساسي من مناورات الافتتاح هو الاسراع باخراج القطع للاشتراك في المعركة ومصادمة قطع الخصم . وتنسب الأدوار عادة للافتتاح فيقال افتتاح « الابين » او « فيليدور » او « روى لوبيز » ، وهي افتتاحات تنسب الى اسماء لاعبيها .

وتقسم افتتاحات اللعب الى نوعين رئيسيين : الاول هو اللعب المنفرج ، والثاني هو اللعب الضيق ، ويشمل اللعب المنفرج الأدوار التي تبدأ بالنقلة : ١ : ب - م ٤ .. ب - م ٤ اما اللعب الضيق فيشمل كل ما عدا ذلك من الافتتاحات ، ولكل واحدة من الافتتاحات جملة مسلسلة من التنويعات المدروسة على مدى القرون والتي ترقى الى مرتبة العلم ، اذ ليس الشطرنج لعبا فحسب بل هو لعب وعلم في آن واحد . وسنبدأ في هذا العدد بالحديث عن اللعب المنفرج والذي يبدؤه الابيض عادة بالنقلة ب - م ٤ ويرد عليها الأسود بالمثل ، وهي نقلة جيدة علميا لانها تفتح الاوتار للفيل والوزير في آن واحد . ويسير الدور في هذا النوع من اللعب عادة كما يلي :

١ : ب - م ٤ ب - م ٤

٢ : ح - ف م ٣ وهي نقلة هجومية وانتشارية في آن واحد ، ويجيب عليها الأسود عادة :

٣ : ...... ح - ف و ٣ بهدف الانتشار ايضا وحماية بيدق الملك

٣ : ح - ف ٣ ح - ف ٣ وهما نقلتان انتشاريتان

٤ : ف - ح ٥ كان بالامكان نقل الفيل الى (ف ٤) لتهديد بيدق الملك الضعيف ، غير ان من الانسب عادة مزج الهجوم بالانتشار كلما امكن ذلك

٤ : ...... ف - ح ٥ مهددا بتبديل الفيل بالحصان ثم ح × ب

٥ : ت لمنع ٥ : ..... ف × ح واخراج الرخ الى منطقة الوسط

٥ : ..... ت مقلدا الابيض

٦ : ب - و٣ ب - و٣ في هاتين النقلتين حماية لبيدق الملك في م٤ وفتحا لطريق الانتشار امام الفيل الآخر

٧ : ف - ح ٥ نقلة قوية تمهد الطريق لمناورات اواسط اللعب بنقل الحصان الى و ٥ والذي يشكل تهديدا كبيرا للاسود ويسد عليه الطريق بالاستمرار باللعب مقلدا الابيض ويجعله مضطرا لان يلعب ف × ح لمنع ح - و ٥ المتوقعة . وبهذه النقلات السبع يتم الانتشار التام لقطع اللاعبين وتنتقل الى مناورات وتعبئات أواسط اللعب والدور الآن متعادل تقريبا .

حل المسائل اقلب الصفحة

حل المسألة رقم (١)

١ : ح × ح فاذا اخذ الاسود الحصان : ب × ح ربح الابيض الفيل اما اذا ابتلع الاسود الطعم ولعب

١ : ... ف × و يلعب الابيض كما يلي

٢ : ف × ب + م - م ٢

٣ : ح - و ٥ ‡

حل المسألة رقم (٢)

١ : ب - ٦ و م × ب

٢ : و - ١ م ‡

او

١ : .... ب × ح

٢ : و - ٦ ف ‡

او

١ : .... ح - ٧ ف +

٢ : ح × ح ‡

مسابقة العربي الثقافية

تستهدف هذه الأسئلة امتحان معلوماتك العامة وسرعة خاطرك . . . وتستهدف بخاصة تشجيعك على البحث عن الردود الصحيحة وذلك بالرجوع الى المصادر الموثوقة :

وهي اثنا عشر سؤالا ، عليك ان تجيب على عشرة منها اجابة صحيحة لتظفر بجائزة . .

الجائزة الأولى قيمتها ٣٠ دينارا
الجائزة الثانية قيمتها ٢٠ دينارا
الجائزة الثالثة قيمتها ١٠ دنانير

ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي - صندوق بريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العربي الثقافية » العدد ٢٩٢ - وآخر موعد لوصول الاجابات الينا هو أول مايو ١٩٨٣

اسئلة جغرافية

١ - ماهي اكبر شبه جزيرة في العالم ؟

ا - شبه الجزيرة العربية

ب - شبه جزيرة ايبريا (اى اسبانيا+البرتغال)

ج - شبه الجزيرة الاسكندنافية (اى السويد + النرويج + فنلنده)

٢ - الاسم اسبانيا (أو هسبانيا كما هو أصلا) . . معناه « جلد الأرنب » وقد اطلقوه على البلد الذى اطلقوه عليه نظرا لكثرة ما فيه من ارانب . . ترى من الذى اطلق هذا الاسم . . ؟

ا - الرومان . وقد احتلوا اسبانيا زمنا طويلا . .

ب - العرب وقد أطلقوا اسم الاندلس على جنوبي تلك البلاد واسم اسبانيا على شمالها .

جـ - الفينيقيون . . وهم الذين اكتشفوا اسبانيا وسموها بهذا الاسم .

٣ - نهر النيل هو بلاريب أطول أنهار العالم جميعا . . ترى ما هو أعرض الانهار واغزرها ماء . . ؟

ا - الدانوب

ب - المسيسبي

جـ - الامزون

٤ - أى الدولتين ، او المنطقتين ، من كل مجموعة من المجموعات الثلاث التالية ، هي الاكبر مساحة والاكثر سكانا ؟ وقد تغنيك الخرائط الثلاث المرفقة عن الرجوع الى الاطالس . . . . لتقدير المساحة ولكنها لا تفيدك بالنسبة الى عدد السكان . .



ا ـ القارة الافريقية

أم الاتحاد السوفياتي بكلا جناحيه الاوروبي والآسيوي

ب ـ الهند

ام شبه الجزيرة الاسكندنافية

جـ ـ الصين

أم جزيرة جرينلند .





٥ ـ ما الفارق ـ ان كان ثمة فارق ـ بين المنطقتين القطبيتين . . منطقة القطب الشمالي ومنطقة القطب الجنوبي . .

ا ـ لا فارق بينهما . . فكلتاهما أرض يابسة تغطيها الثلوج وتخفي معالمها . .

ب ـ لافارق بينهما . . فكلتا هما بحر تغطيه الثلوج فتخفي معالمه .

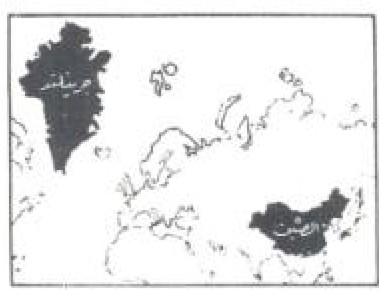
ج ـ المنطقتان مختلفتان اختلافا كبيرا ، ان لم تكونا على طرفي نقيض . . فالثلوج المتراكمة انما تغطي ارضا يابسة في منطقة القطب الجنوبي ولا تغطي الا ماء البحر في المنطقة القطبية الشمالية . .

٦ ـ في أى الدول العربية وغير العربية تقع المواقع الأثرية التالية :

ا ـ هليوبوليس

ب ـ برسيبوليس

جـ ـ أكروبوليس



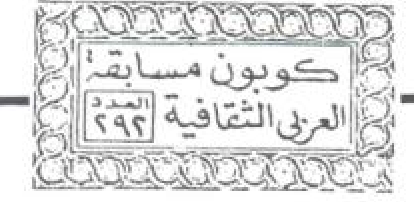
٧ ـ ألبا هي الجزيرة الصغيرة الواقعة في البحر المتوسط بالقرب من الساحل الايطالي .

وهي المكان الذي نفي اليه نابليون سنة ١٨١٤ ـ ١٨١٥ . . . فما هي أبلا . . . ؟

الولايات المتحدة الامريكية دولة اتحادية كبرى تضم ٥٠ ولاية . . ترى اى البلدان أو الاماكن التالية تدخل في عداد تلك الولايات الخمسين :

ا ـ بورتوريكو

ب ـ هواى



جـ ـ نيومكسيكو

د ـ كولمبيا (وهي المنطقة التي تقع فيها العاصمة واشنطن ويرمزون اليها بالحرفين : دي . سي . . D .C)

٩ ـ «الجزيرة» اسم يطلق على منطقتين زراعيتين عربيتين . . تقع الاولى في اقصى شمال العالم العربي وتقع الثانية في اقصى الجنوب . . وقد اشتهرتا بزراعة القطن ـ فما هما الدولتان العربيتان اللتان تقع فيها هاتان المنطقتان . . او « الجزيرتان » . . ؟

١٠ ـ جزيرة سُقُطْرى . . تقع في المحيط الهندي عند مدخل خليج عدن » راجع الاطلس » ترى هل تتبع هذه الجزيرة اليمن الجنوبي ام الصومال . . ؟

١١ ـ الكثيرون ممن يحتفلون بعيد الميلاد وعيد رأس السنة الميلادية يحتفلون بها في فصل الصيف بدلا من فصل الشتاء . . فمن هم هؤلاء ؟

ا ـ أتباع مذهب المورمون في امريكا . . فهم يمتنعون عن التدخين وشرب الخمور ويخالفون سائر الفرق المسيحية في كثير من الشعائر والعادات .

ب ـ سكان جزيرة جرينلند وألاسكا وسائر الأصقاع الشمالية . . فبرد شتائهم قارص جدا ولا يسمح لهم بالاستمتاع بأعيادهم اذا هم احتفلوا بها ايام الشتاء . . لذلك كان لامفر لهم من الاحتفال بتلك الاعياد في فصل الصيف ، حين تخف حدة البرد .

جـ ـ سكان نصف الكرة الجنوبي . . كاستراليا واتحاد جنوب افريقيا . . فهؤلاء يحتفلون باعياد الميلاد ورأس السنة في ٢٤ ديسمبر و ١ يناير على التوالي ، تماما كغيرهم . ولكن هذه الأوقات التي تقع في فصل الشتاء في نصف الكرة الشمالي انما تقع في فصل الصيف في نصف الكرة الجنوبي

١٢ ـ لم سموا جزر الكناري بهذا الاسم . . ؟

ا ـ لكثرة ما فيها من عصفور الكناري . . فهي موطن هذا العصفور الاصلي . . . وقد اطلق عليها هذا الاسم الرحالة العربي ابن بطوطة .

ب ـ لكثرة ما فيها من مصانع تعليب سمك السردين . . فلفظ(كان can)

معناه العلبة او يعلب في اللغة الانجليزية ولما كان الانكليزهم الذين انشئوا تلك المصانع . . . كانوا هم الذين سموا تلك الجزر بجزر الكناري .

جـ ـ لكثرة ما فيها من كلاب . . فاسمها لاتيني الأصل (كناريا ـ canaria) ويعني الكلاب . فالرومان هم الذين سموها بهذا الاسم لدى فتحهم اياها .



سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت

مارس "آذار"
١٩٨٣ م

الإسلام والاقتصاد

تأليف

الدكتور عبد الهادي علي النجار



الكتاب الثالث والستون

المراسلات :

توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص ب ٢٣٩٩٦ الكويت

مجلة العلوم الاجتماعية



تصدر عن جامعة الكويت

فصلية اكاديمية علمية مختصة بالشؤون النظرية والتطبيقية في مختلف حقول العلوم الاجتماعية

رئيس التحرير د. أسعد عبد الرحمن

سكرتير التحرير عبد الرحمن فايز

يحوي العدد حوالي ٣٠٠ صفحة تشتمل على :

- ابحاث بالعربية تعالج مختلف حقول العلوم الاجتماعية.
- مراجعات لكتب حديثة تبحث الموضوعات التي تعالجها المجلة.
- ملخصات .
- ابواب ثابتة : تقارير علمية. دليل الجامعات والمؤسسات التعليمية العليا.
- ندوة العدد .

الاشتراكات :

للمؤسسات والدوائر الحكومية : في الكويت ١٢ دينارا ، في الخارج ٤٥ دولارا أو مايعادلها.

للأفراد : في الكويت دينارات كويتيان ، دينار للطلاب .

في الوطن العربي : ديناران ونصف كويتيان أو مايعادلها ، ديناران للطلاب.

في الدول الاخرى : ١٥ دولارا امريكيا أو مايعادلها

توجه جميع المراسلات والابحاث باسم رئيس التحرير على العنوان التالي :
مجلة العلوم الاجتماعية - جامعة الكويت - ص. ب : ٥٤٨٦ الكويت
هاتف : ٥١٠١٨٨ / ٢٧٢ / ٢٥٠

من المسرح العالمي

سلسلة ثقافية

تصدرها في مطلع كل شهر

وزارة الإعلام في الكويت

أول مارس ١٩٨٣

٢٦١

ليلة تبكي الملائكة

تأليف : بيتر ترسون

ترجمة : الشريف خاطر

مراجعة وتقديم : محمد الحديدي

مجلة
دراسات الخليج والجزيرة العربية

تصدر عن جامعة الكويت

رئيس التحرير
الدكتور عبد الله الغنيم

صدر العدد الأول في كانون ثاني (يناير) ١٩٧٥

تصل أعدادها الى أيدي نحو ١٢٥٫٠٠٠ قارئ

يحتوي كل عدد على حوالى ٢٥٠ صفحة من القطع الكبير تشتمل على : -

- مجموعة من الأبحاث تعالج الشئون المختلفة للمنطقة بأقلام عدد من كبار الكتاب المتخصصين في هذه الشئون .
- عدد من المراجعات لطائفة من أهم الكتب التي تبحث في المناحي المختلفة للمنطقة .
- أبواب ثابتة : تقارير - وثائق - يوميات - بيبليوجرافيا .
- ملخصات للأبحاث باللغة الانجليزية .

ثمن العدد : ٠٠ فلس كويتي أو ما يعادلها في الخارج .

الاشتراكات : للأفراد سنويا ديناران كويتيان في الكويت ، ١٥ دولارا أمريكيا في الخارج (بالبريد الجوي) .

للشركات والمؤسسات والدوائر الرسمية : ١٢ دينارا كويتيا في الكويت ، ٤٠ دولارا أمريكيا في الخارج (بالبريد الجوي) ؛

منشورات المجلة :

تصدر المجلة أيضا دراسات مستقلة متعلقة بشئون المنطقة صدر منها

١ - كتاب التكامل الاقتصادي في الخليج العربي (د . محمد هشام خواجكية) . ١٩٧٩ .
٢ - كتاب آفاق التنمية الصناعية في دول الخليج العربي (د . عبد الاله أبو عياش) . ١٩٧٩ .
٣ - كتاب حقوق الطفل في دولة الكويت (د . بدرية العوضي) . ١٩٧٩ .
٤ - كتاب الاحصاءات الاقتصادية في المملكة العربية السعودية (بدوي خليل) ١٩٨٠ .
٥ - دور جريدة فتاة الجزيرة في أحداث عام ١٩٤٨ بصنعاء (سلطان ناجي) ١٩٨٠ .

سلسلة وثائق الخليج والجزيرة العربية لعام صدر منها :

الكتاب الأول وثائق الخليج والجزيرة العربية لعام ١٩٧٧ . ١٩٧٩ .

العنوان : جامعة الكويت - كلية الآداب والتربية - الشويخ - دولة الكويت .
ص . ب : ١٧٠٧٣ - الخالدية
الهاتف : ٨١٦٨٠٧ - ٨١٦٧٩٩ - ٨١٦٨٢

جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير .

أفكار مسلية من توشيبا

AUTO REVERSE DR-01

تتلخص أفكار توشيبا الكثيرة في استخدام الخبرات التقنية المبدعة لجعل أجهزة التسلية المنزلية أكثر تشويقاً وإثارة.

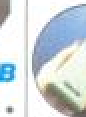
فجهاز الفيديو مثلاً إضافة إلى أن فيه منظم آلي للفلطية فهو قابل للتعديل حسب أنظمة بال، سيكام و إن. تي. أس. سي. كما أن معادلة ٢ - في ١ التي تتبعها هي الأولى التي تقدم لكم جهاز تسجيل يعمل دون توقف وذاتي الإنعكاس (أوتو ريفيرس). جربوا أيضاً أفكار التسلية الأخرى التي نتيحها لكم.



AUTO REVERSE HR-01

- قوة الخرج ٣٢ واط (الحد الأقصى)
- أربع موجات (أف. ام/متوسطة/قصيرة ١/قصيرة ٢)
- نظام ستيريو
- نظام مكبرات صوت قابلة للفصل





Beta

V-9680

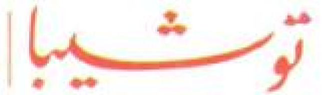
- بال/سيكام/إن. تي. أس. سي ٤،٤٣
- آلية للتحكم عن بعد
- منظم آلي للفلطية ٩٠ - ٢٥٠ فولت



C-2057QB

- جهاز ٢٠ إنشاً "بلاك سترايب ٢"
- بال/سيكام/ان. تي. أس. سي ٣،٥٨/٤،٤٣
- منظم آلي للفلطية





TOKYO, JAPAN

لكافة المناسبات والأهواء

FASHIONABLE

إن مسجل الستيريوكاسيت / راديو ٤ موجات MINI & SLIM
من سانيو ملائم في تصميمه الأنيق لكافة المناسبات
الرسمية والعرضية. مجهز بآلية الإنتقاء الموسيقى الأوتوماتيكية
لبرمجة ١٥ أغنية، ونظام ٤ سماعات باتجاهين مع سماعتين
١٠ بوصة من السيراميك لموسيقى السوبرانو والباص. متوفرة
للإختيار باللونين الأسود أو الأبيض إضافة إلى العديد من
ممتيزات تحسين الأداء لأجهزة MINI & SLIM من سانيو
لتكون مثالية لكافة المناسبات والأهواء!

M 7770K

صغير وتحميل

• راديو ستيريو MW/SW1/SW2/FM • آلية AMSS لبرمجة ١٥ أغنية مع شاشة عرض LED • إمكانية استعمال الشريط المعدني • إمكانية مزج الصوت بالميكروفون • الطاقة: ٦ بطاريات حجم "C"، منظم للتيار المتردد أو منظم إختياري لبطارية السيارة
• متوفر في لونين الأسود أو الأبيض.



M 7880K

صغير وتحميل

• راديو ستيريو MW/SW1/SW2/FM
• آلية AMSS لبرمجة ٣ أغنيات • إمكانية استعمال الشريط المعدني • إمكانية مزج الصوت بالميكروفون • الطاقة: ٧ بطاريات حجم "C"، منظم للتيار المتردد أو منظم إختياري لبطارية السيارة • متوفر في اللون الرمادي اللامع





الجمهورية الاسلامية الموريتانية
REPUBLIQUE
العربي
جمادي الآخرة ١٤٠٣ هـ
أبريل (نيسان) ١٩٨٣ م
ADMINISTRATION
Zemmour
Adrar
Inchiri
OCEAN
في انتظار القمر الصناعي العربي
موريتانيا.. صراع اللسان واللون

فيشر



FISHER

The first name in high fidelity

System R550

أروع أجهزة السمعيّات المحترفة من منتجة أول ستريو.

ان ستريوهات فيشر بمختلف أحجامها تعني الفخامة. غنية بأناقتها مع أحدث مفاتيح التحكم وصوت طبيعي يشعرك وكأنك تعيش في عالم ما تسمعه.
ستريوهات فيشر ذات مزايا لا تضاهى فهي مقدمة من شركة تملك رصيدًا من الخبرة في عالم الستريو والهاي فاي أكثر من أي شركة أخرى في العالم، فلقد اخترعت فيشر الستريو ومازالت تطوره منذ أكثر من ٤٥ سنة.

System R550 نظام ستريو مع تحكم عن بعد بكافة الوظائف، مضخم صوت قوة ٨٠ واط للقناة، الموالف ٢٤ موجة، فونوغراف ودوران مباشر قابل للبرمجة، موالف ستيريو، دك كاسيت دوران مباشر، نظام ٣ مكبرات للصوت بطريقة اتجاهات مع حاملات المكبرات وحاملة للأجهزة.

عزيزي القارئ

من أعقد مشكلات العقل العربي المعاصر أن « الأحادية » في عالم السياسة تركت بصمات قوية على عالم الثقافة والفكر ، الذي أصبح يعاني بدوره من أحادية مماثلة . حتى بتنا نعيش مناخا يستريح لظاهرة الرأي الواحد ، ويتمنى في ظله الكثيرون أن يستمعوا الى مايوافق قناعاتهم ومسلماتهم ، وربما اهواءهم أيضا . الأمر الذي يبدو معه الرأي الآخر شذوذا مستغربا ، وصوتا ناشزا في معزوفة مقررة .

ونحن على ثقة من أنه اذا كان لنا أمل في التقدم وارساء القيم الايجابية التي تسهم في النهوض بأمتنا ، فان أحد أبواب هذا الأمل يتمثل في ضرورة اتاحة الفرصة للاستماع الى الرأي الآخر ، بغير حساسية ولا استنكار ولاغضب .

واذ ندرك ان تلك مشكلة مستعصية في عالم السياسة ، الا أننا ينبغي ألا نغلق الباب أمام الرأي الآخر في عالم الفكر والثقافة ، رغم تسليمنا بصعوبة الفصل بين المجالين .

وقد كان هذا هو موقفنا ـ في مجلة العربي ـ في معالجة كافة القضايا الخلافية . فالاتفاق في الرأي ليس شرطا من جانبنا لنشر أي مقال ، وانما التزام الكاتب بالحقيقة وبالقيمة العلمية هو الفيصل فيما ينشر ومالاينشر . والذين يطالبوننا بنشر رأي دون آخر ، لايفسدون على المجلة رسالتها الثقافية فقط ، وانما يهدرون أيضا قيمة أساسية في الحوار الايجابي ، الذي نعلق عليه تلك الآمال الكبار في الخروج بأمتنا من مأزقها التاريخي الذي تعيش فيه .

ان الشجاعة الحقيقية اذا تمثلت في أن يبادر المرء بأن يعلن رأيه بغير مداهنة والتواء ، فإنها أيضا تتمثل في ترحيبنا باستقبال آراء الآخرين ، وقبولنا بما يخالفنا من آراء .. لأننا عندئذ ـ فقط ـ نستطيع أن نقف بثقة على عتبات جادة الصواب .

المحرر

العربي

العدد ٢٩٣ - ابريل ١٩٨٣

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

رئيس التحرير: الدكتور محمد الرميحي

مدير التحرير: فهمي هويدي

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت للوطن العربي وكل قارىء للعربية في العالم . الوزارة غير مسؤولة عما ينشر فيها من آراء . والمجلة غير ملتزمة باعادة أي مادة تتلقاها للنشر .

ثمن العدد . بالكويت ٢٠٠ فلس ، السعودية ٤ ريالات ، العراق ٢٠٠ فلس ، الأردن ٢٠٠ فلس ، سوريا ٢٠٠ قرش لبنان ٢٠٠ قرش ، مصر ١٥٠ مليما ، السودان ١٥٠ مليما ، المغرب ٣ دراهم ، تونس ٣٥٠ مليما ، الجزائر ٣ دنانير ، البحرين ٣٠٠ فلس ، قطر ٤ ريالات ، الامارات العربية المتحدة ٤ دراهم ، اليمن الشمالي ٣ ريالات ، اليمن الجنوبي ٢٥٠ فلسا ، ليبيا ٢٥٠ درهما .

الاعلانات : يتفق عليها مع الادارة - قسم الاعلانات

المراسلات : باسم رئيس التحرير

عنوان المجلة بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ - تلفون ٤٢٧١٤١ ٤٦٨٢٤٢

تلغرافيا « العربي »

الاشتراكات

ترسل الطلبات الى :

قسم الاشتراكات

المكتب الفني - وزارة الاعلام

ص . ب (١٩٣) - دولة الكويت

على طالب الاشتراك تحويل قيمة الاشتراك بموجب حوالة مصرفية أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الاعلام ، طبقا لما يلي :

البلاد العربية ٥٠٠ر٣ (ثلاثة دنانير ونصف)

بلاد غير عربية ٠٠٠ر٥ (خمسة دنانير)

AL — ARABI , No 293 April 1983

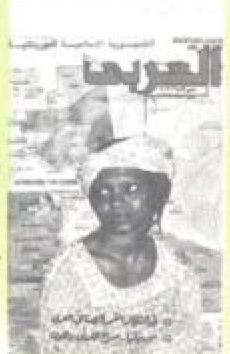
P . O . Box, 748, KUWAIT

محتويات العدد

قضايا عامة :

عروبة واسلام :

صورة الغلاف



استطلاع هذا الشهر حول موريتانيا أرض السحر وهمزة الوصل التاريخية بين العرب وأفريقيا . نستعرض معا معركة التنمية والتطور التي تعيشها والعقبات التي تواجهها ، ننتقل في مناطقها التاريخية وصحرائها ، ومدنها الصناعية الكبرى . .

ونشاهد صراعها الحاد من أجل تأكيد هويتها ، واستردادها لدورها التاريخي كجسر بين العرب في شمال الصحراء وبين افريقيا جنوب الصحراء . .

وهي رحلة بين الماضي والحاضر والمستقبل .

طب وعلــــوم :

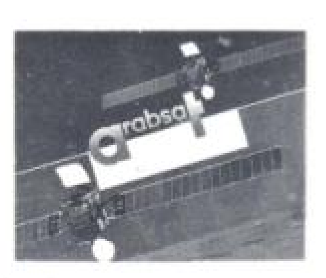
آداب وفنـــون :

رحلة !

هناك مثل شائع في عمان يقول : « العلم باض في مكة وفرّخ بالمدينة وطار الى البصرة ثم نهض الى عمان » .

ماذا جرى له بعد ذلك ؟ حاول فهمي هويدي في رحلة البحث وراء إجابة على السؤال الذي طرحه أن يرى الصورة عن كثب وينقلها لقراء العربي على صفحة (١٢٤)

تاريخ وشخصيات



القمر الصناعي العربي

انتقل مشروع القمر الصناعي العربي من دائرة الحلم الى دنيا الحقيقة ، ففي شهر نوفمبر من العام الماضي انتهت الجولة الأخيرة من حلقات التخطيط لمشروع عربي مشترك سيكون له أثره على الأمة العربية . ان موعدنا معه وموعد القمر العربي مع الفضاء خلال شهر مارس من العام القادم ١٩٨٤ ..

(اقرأ مقال المهندس سعد شعبان ص ٣٠) .

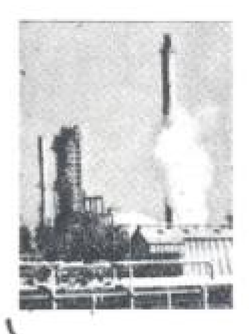
استطلاعات مصورة :

العرب في الأمم المتحدة



خطا الشعب الفلسطيني خطوة في الطريق الى الأمم المتحدة حين اعترفت المنظمة الدولية بأغلبية كبرى بمنظمة التحرير الفلسطينية واشتراكها في الأمم المتحدة بصفة مراقب دائم ، ثم حين وقف ياسر عرفات فوق منصة الجمعية العامة يخاطبها ويخاطب العالم من خلالها ويقول : باسم الشعب الفلسطيني لا تسقطوا غصن الزيتون من يدي ، ولكنهم أسقطوه (اقرأ « العرب في الأمم المتحدة » للدبلوماسي الصحفي عبد الحميد الكاتب ص ٢٦) .

صدمة النفط الثالثة



هل نحن على استعداد للتعلم من دروس تجربتنا مع النفط ؟ مع بداية السبعينات بدأ اسم الأوبك يفرض نفسه في اسواق النفط العالمية ، وجاءت حرب اكتوبر عام ١٩٧٣ ، ومعها أصبح « الأوبك » على كل لسان بعد صدمة النفط أو سلاح النفط الذي استخدمه العرب في حربهم ضد العدو .. ما الذي حدث للأوبك بعد ذلك . الدكتور حازم ببلاوي يجيب على هذا التساؤل في مقاله (ص ٣٥) .

أبواب ثابتة :

بين الروح والأمر



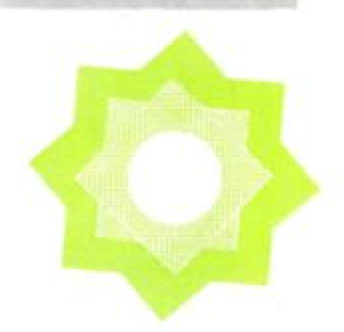
جعفر دشتي فنان كويتي أصيل مرهف الحس ، نقلنا أحمد غانم الى معرضيه « بين الروح .. والأمر » .. فلنستمع اليه وهو يحدثنا عن فنه في شاعرية .. ترى ماذا يقول : « إلهي ، خذ بيدي الى صفاء الأعماق حيث الجنة .. إلهي إني انسان شفاف فزد شفافيتي حتى أصل اليك شفافا نقيا » (المقال واللوحات ص ١٤٩) .



العربي الصغير

مجلة أبناء العرب

توزع مجلة العربي الصغير مجانا مع العدد وتقع في ١٦ صفحة بالالوان - وفي هذا العدد يقرأ صغارنا قصته « الحصان والظبي » وأصل حكاية « الورق » - وبحر المعرفة - وفيلسوف العرب « الكندي » ويتبادلون المعلومات في باب « بنك المعلومات » - كما يتسابقون لحل مسابقة الكلمات المتقاطعة واسئلة « ان كنتم أذكياء » .



حديث الشهر

بقلم

الدكتور محمد الرميحي

صوت عدم الإنحياز

هل آن الأوان لكي تسترد حركة عدم الانحياز دورها الذي افتقده المجتمع الدولي طويلا .. ؟ ! لقد أدى غياب هذا الدور الى أخطار الاستقطاب الدولي ، وتقسيم دول العالم الثالث الى مناطق نفوذ للدول الكبرى ، كما أدى الى تعاظم الأزمة الاقتصادية العالمية التي تمثلت في انخفاض أسعار المواد الخام كإحدى نتائج الركود العالمي التي مازالت تنذر باخطار عميقة ..

ان انطلاق هذا الصوت من نيودلهي بالهند في الشهر الماضي ، خلال اللقاء السابع لحركة عدم الانحياز ، هو بعث لهذه الحركة من جديد ، بل ان مجرد عقد هذا الاجتماع وحضور ممثلين عن مائة دولة ودولة من قارات العالم المختلفة يعني أن دول العالم الثالث مازالت تعمل جاهدة على تخطى أزمتها الدولية الخانقة .

ونتيجة لهذه الصعوبات واجهت التجمعات الاقليمية ـ خارج حركة عدم الانحياز ـ مشكلات جعلت حتى من مجرد التئام شملها عملية مستحيلة ، كما حدث لمؤتمر الوحدة الافريقية ، التي فشلت حتى في عقد مؤتمر قمة لأعضائها . لذلك فان مجرد نجاح عقد مؤتمر القمة للدول غير المنحازة يعتبر في الظروف الدولية الراهنة خطوة ايجابية.

كثيرا مايؤرخ لحركة عدم الانحياز بدءا من مؤتمر باندونج في اندونيسيا الذي عقد في سنة ١٩٥٥ أو مؤتمر بريوني في يوغسلافيا سنة



يرتفع من جديد

١٩٥٦ والذي كان لقاء بين ثلاثة من قادة العالم الثالث الكبار في ذلك الوقت وهم جمال عبد الناصر وجواهر لال نهرو وجوزيف بروز تيتو ، الا أن هذين اللقاءين رغم أهميتهما لحركة عدم الانحياز ، لم يكونا نقطة الانطلاق الحقيقية .

مؤتمر باندونج في سنة ١٩٥٥ كان مؤتمرا للدول الافريقية الآسيوية ، ولم تشترك فيه أية دولة من أوربا ـ في الوقت الذي اشتركت يوغسلافيا في مؤتمر بريوني والذي لم يوسع فقط المجال الجغرافي لاهتمامات دول العالم الثالث الافريقية والآسيوية ، بل أيضا تخطى الحاجز الايديولوجي الضيق ليتسع للطموحات الحقيقية لشعوب الدول الصغيرة والمتوسطة التي تطمح في أن تبقى بعيدة عن التأثير والاستقطاب العالمي للمعسكرين الكبيرين بصرف النظر عن الاجتهادات السياسية والاجتماعية التي تطبقها هذه الدولة أو تلك .

وأصبح الانتقاد لهذه النواة والطموحات الجديدة يأتي من المعسكرين على السواء . ففي الوقت الذي رأي فيه جون فوستر دالاس وزير خارجية الولايات المتحدة العتيد في الخمسينات أن هذه الطموحات مضادة لأهداف الولايات المتحدة في الحرب الباردة ـ وقال كلمته المشهورة في السياسة الدولية : « أن لاحياد بين الحق والباطل » . ويعني بالطبع أن الحق بجانبه والباطل في الجانب الآخر ـ نظرت وسائل الاعلام السوفيتية من جهة أخرى لموقف يوغسلافيا في هذا التوجه





الجديد بعين الشك واستنكرت سياسة اللاانحياز هذه على أنها تبعية جديدة .

لقد ساعدت ظروف مابعد الحرب العالمية الثانية وتطور حركات التحرر من الاستعمار واشتداد الحرب الباردة بين المعسكرين الى نضوج الأفكار التي طرحت في مؤتمر باندونج سنة ١٩٥٥ والمؤتمر الثلاثي الذي عقد بعده بسنة في بريوني في يوغسلافيا . فدعت مجموعة من الدول المستقلة حديثا من آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية وأوروبا لعقد مؤتمر غرضه الأساسي اعلان وتحديد سياسة عدم الانحياز ومحاولة فرضها على الساحة السياسية الدولية .

اللاانحياز في السنوات العشر الأول

أصبح من المتعذر أن يعقد مؤتمر آخر في اطار التجمع الأفروآسيوي بعد مؤتمر باندونج في سنة ١٩٥٥ نتيجة الخلاف في الرأي حول أفكار الاستقلال عن الدول العظمى وامكانية الواقعية ، فقد حضرت دول في ذاك الاجتماع التاريخي ودافع مندوبوها بشدة عن « محاسن » الانحياز وايجابياته ـ وكان هناك رأي آخر لبعض الدول الأخرى بالسير بعيدا عن الاستقطاب ـ

وكانت بعض البلدان الآسيوية والأفريقية ترى في اللاانحياز الطريق الأسلم للانعتاق من الاستعمار القديم والجديد ـ ومن الحجج القوية ماقدمه مندوب سوريا آنذاك حيث قال مخاطبا زملاءه « اننا نمثل اكبر قارتين في الارض ـ افريقيا وآسيا ـ وفي أقاليمنا اهم القواعد والمناطق الاستراتيجية.فاذا قررنا بارادتنا مجتمعين ألا تقع الحرب . . فان مثل هذه الحرب لايمكن أن تقع

وبسبب الخلاف في وجهات النظر لم يكن ممكنا الرجوع الى صيغة باندونج ، وفي اجتماع بريوني وضعت الأسس لحركة عدم الانحياز ـ وبالفعل دعى الى مؤتمر عقد في بلغراد عاصمة يوغسلافيا في أوائل سبتمبر ١٩٦١ واعتبر المؤتمر التأسيسي الأول لحركة عدم الانحياز وقد حضره وقتها ثمانية وعشرون بلدا منها خمسة وعشرون كاملة العضوية ـ وأصبحت هي المؤسسة لهذه الحركة التاريخية .

ولقد اصبح اعلان بلغراد في سنة ١٩٦١ المكون من خمسة «مبادىء» رئيسية هو حجر الزاوية لحركة عدم الانحياز في السنوات المقبلة وكانت هذه المبادىء الخمسة هي :

١ ـ ان تنتهج الدولة (المنضمة لحركة عدم الانحياز) سياسة مستقلة قائمة على تعايش الدول ذات النظم السياسية والاجتماعية المختلفة وعلى عدم الانحياز أو ان تظهر اتجاها يؤيد هذه السياسة .
٢ ـ ان تؤيد الدولة غير المنحازة حركات الاستقلال الوطني .
٣ ـ ألا تكون الدولة غير المنحازة عضوا في حلف عسكري ، تم في نطاق الصراع بين الدول الكبرى .
٤ ـ ألا تكون الدولة غير المنحازة طرفا في اتفاقية ثنائية مع دولة كبرى .
٥ ـ يجب ألا تكون الدولة قد سمحت لدولة اجنبية باقامة قواعد عسكرية في اقليمها بمحض ارادتها .

اعلان بلغراد السابق الذي هو اساس انطلاق حركة دول عدم الانحياز اختلفت المصادر التاريخية في تفسيره . حتى صياغة كلماته تختلف من مصدر الى آخر ، ولكنه اجمالا يمثل هواجس الدول الصغيرة التي استقلت بعد الحرب العالمية الثانية ، وتريد ان تشق طريقها دون ضغوط خارجية مهما اختلفت اجتهاداتها السياسية والاجتماعية في الامور الداخلية وفي المجال الدولي المتأزم بالاستقطاب والحرب الباردة ، وفي الوقت الذي تهتم أساسا بالموضوع السياسي وهو الاستقلال الوطني ومساعدة الشعوب الأخرى للتحرر من الاستعمار ومحاربة الانضمام الى أحلاف تخدم مصالح تلك الدول الكبرى . هذه الهواجس اغفلت متطلبات التحولات الاقتصادية المرجوة في هذه الاقطار ، لذلك نجد ان اندفاعة حركة عدم الانحياز في الستينات كانت كبيرة وايجابية رغم انها لم تعقد في ذلك العقد الا مؤتمرين للقمة أحدهما المؤتمر التأسيسي في بلغراد والثاني مؤتمر القاهرة في أكتوبر ١٩٧٤ .

حركة عدم الانحياز في السبعينات

خلال السبعينات وحتى مارس الماضي (١٩٨٣) عقدت حركة عدم الانحياز ـ عدا مؤتمريها في الستينات ـ خمسة مؤتمرات قمة أخرى ، كان أولها في ذلك العقد في لوساكا عاصمة زامبيا في سبتمبر ١٩٧٠ ، ثم في الجزائر في سبتمبر ١٩٧٣ ثم في كولمبو عاصمة سيرالنكا (سيلان) في اغسطس ١٩٧٦ ـ ثم في سنة ١٩٧٩ في هافانا عاصمة كوبا ، واخيرا هذا المؤتمر الأخير في بداية الشهر الماضي في نيودلهي .

لقد قفز عدد الدول المشتركة في هذه المؤتمرات من خمسة وعشرين دولة في بداية الانطلاقة الى مائة دولة ودولة في نيودلهي .



ولقد واجهت الحركة مجموعة من الصعوبات الداخلية والخارجية في هذه الفترة التي انطبعت بطابع التغيرات الدولية السريعة ، فقد غاب مؤسسوها وأركانها واحدا بعد الآخر - وتحولت الحركة من الاعتماد على قيادات شخصية وعالمية لها تأثيرها ، الى البحث في قضايا أساسية واجهت المجتمع الدولي ودول العالم الثالث .

واصبح بعض من المبادىء الخمسة التي أعلنت في بلغراد غير ذات موضوع ، اذ تجاوزتها الممارسات الفعلية في العلاقات الدولية ، اما نتيجة للضغوط والاغراءات من جهة ، أو نتيجة لخيارات وطنية رأت هذه الدولة او تلك من الدول المنضمة الى الحركة ان من مصلحتها الوطنية القيام بها . فقد وقعت اكثر من دولة من دول عدم الانحياز اتفاقات مع دولة عظمى في هذا المعسكر او ذاك وسمحت دول اخرى في الحركة أن تستخدم دولة عظمى جزءا من أراضيها لأغراض عسكرية خاصة بتلك الدولة العظمى .

هذا الاختلاف في الاجتهادات بجانب كثرة عدد المنضمين من الدول وفي غياب تفسير قاطع مانع لاعلانات المبادىء المتعددة التي تبنتها مؤتمرات القمة المتعاقبة ، مع عدم خلق مؤسسات للحركة لمتابعة قرارات الحركة وتوجهاتها عندما ارتضت أن تعمل فقط في اطار الأمم المتحدة . . كل هذه العوامل جعل فاعلية دول عدم الانحياز تتدنى في الستينات من هذا القرن .

يلاحظ توم ستيسي **Tom stacey** مراسل الصنداي تايمز اللندنية - وهو يغطي مؤتمر عدم الانحياز التأسيسي (الأول) في بلغراد - ان الدبلوماسيين الغربيين في العاصمة اليوغسلافية قد اختفوا عن الانظار اثناء انعقاد المؤتمر حتى لايظهروا وكأنهم يتصلون بأعضاء المؤتمر للتأثير عليهم . فقد كان النشاط الاجتماعي الوحيد للسفير الامريكي وقتها جورج كنن **George Kennan** في العاصمة اليوغسلافية هو اظهار الكرم لشقيقي رئيس الجمهورية الامريكية السيد كندي عند تواجدهما في بلغراد في طريقهما الى بولندا .

واذا قارنا هذا الوضع بالتصريح الذي نشر على لسان السيدة انديرا غاندي رئيسة وزراء الهند عشية انعقاد المؤتمر السابع والذي علقت فيه على العدد الكبير من الدول الذي سيحضر اجتماع نيودلهي بقولها : « ان هناك اكثر من حصان طروادة في داخل حركة عدم الانحياز » . . اذا قارنا الوضعين نخرج باستنتاج واضح وهو انه في الستينات كانت

حركة عدم الانحياز عقيدة ، أما اليوم فأصبحت على أقل تقدير مجموعة من المصالح .

عدم الانحياز والقضية العربية

من أهم القضايا الأساسية التي يحاول العرب شرحها وكسب أنصار لها في الساحة الدولية ، القضية الفلسطينية . ولقد كان أحد المبادىء الأساسية لحركة عدم الانحياز - كما اسلفنا - أن تؤيد الدول غير المنحازة حركات الاستقلال الوطني . لذلك حظيت القضية الفلسطينية في حضن دول عدم الانحياز بالرعاية ، على الرغم من ان القضية الفلسطينية لم تطرح بوضوح خلال مؤتمر القمة الأول والثاني لحركة عدم الانحياز ، الا أنها في المؤتمر الثالث بدأت تظهر بقوة في وثائق الاعداد لمؤتمرات القمة . وقد اشار البيان الصادر عن المؤتمر التحضيري لدول عدم الانحياز المنعقد في دار السلام - تنزانيا - ابريل ١٩٧٠ - تمهيدا لمؤتمر القمة الرابع - الى : « ان المجتمعين اعتبروا ان استمرار احتلال (اسرائيل)للاراضي العربية وتصعيد أعمالها العسكرية ضد السكان المدنيين يعتبر عقبة في سبيل التوصل الى السلام والحل العادل ، واكدوا عدم جواز اكتساب الاراضي المحتلة بعد ٥ يونيو ١٩٦٧ واحترام حقوق الشعب العربي في فلسطين كشرط مسبق لاحلال السلام في المنطقة » .

وتصاعدت صلابة حق الشعب الفلسطيني خلال السبعينات في جميع مؤتمرات حركة عدم الانحياز منذ ذلك الوقت وكان ذلك دحرا للاعلام الصهيوني لدى اعداد كبيرة من شعوب العالم الثالث التي ثبتت الحق العربي في فلسطين ، وسارت في تأييده الى أبعد الحدود .

هذا الكسب العربي المركزي يجب عدم التفريط فيه بادخاله مع الاختلافات الجديدة والثانوية بين بعض أعضاء الحركة ، ولكن يجب اعتباره قضية مركزية لايمكن التنازل عن تأييدها .

عدم الانحياز الى أين ؟

وعلى الرغم من أن بعض مبادىء حركة عدم الانحياز المكتوبة قد تجاوزها الزمن ، وعلى الرغم من تحرك الساحة السياسية الدولية واختلافها من فترة الى أخرى ، نجد ان روح فكرة عدم الانحياز مازالت تلقى كثيرا من التأييد لدى جميع شعوب العالم الثالث ، ومنها الشعب العربي ، فعلى الصعيد السياسي مازالت فكرة عدم التدخل في

الشؤون الداخلية لدولة من جانب دولة اخرى تلقى قبولا واسعا من قطاع كبير في دول العالم الثالث ، وهذا يعني ترك تلك الدول تقوم باجتهاداتها الاجتماعية والسياسية بحرية كاملة تمليها عليها فقط مصلحة شعوبها . كما ان فكرة ديمقراطية العلاقات الدولية هي الأخرى محط ترحيب واسع ، وهذا يعني ألا يجوز لأي دولة ان تضغط على دولة اخرى كي تكيف سياستها الخارجية وفق ما تمليه مصالح تلك الدولة الأجنبية بدلا من مصالحها القومية . فمازالت النزعة الوطنية وعشق الانعتاق من السيطرة الأجنبية هما الدافع الأساسي لسير حركة عدم الانحياز ، وبوجود هذه الدوافع يمكن تفسير الخطوات التي تتخذها هذه الدولة أو تلك ، ان كانت تلك الخطوات نابعة عن قناعة مجتمعية داخلية . أما على الصعيد الاقتصادي فان المواجهة تكون اكبر واكثر اتساعا ، فقد تحول الصراع في جزء منه بين الشرق والغرب والذي كان سائدا في الستينات من هذا القرن الى صراع بين دول الشمال ودول الجنوب .. بين الغنى والفقر ، وبين امكانية النمو والتنمية وانعدامها ، واصبحت القضية الاقتصادية احدى المعضلات الكبرى التي يواجهها العالم في الثمانينات . واذا كان الاستعمار والامبريالية هما صيحات الستينات ، فإن حركة عدم الانحياز يمكن ان تكتشف صوتها الحقيقي واهدافها الأساسية في الثمانينات عن طريق المساهمة في ايجاد حلول لثلاث قضايا رئيسية هي الوصول الى نظام اقتصادي دولي عادل ، وتخفيف سباق التسلح العالمي والاقليمي ، وحل المشكلات القائمة بين اعضائها بالطرق السلمية . في هذه القضايا الثلاث ترتفع الأصوات من جديد .

الا ان القضية المركزية والتى ثبتت نتيجة غياب معظم دول العالم الثالث فى ربع القرن الاخير منذ التفكير بفلسفة عدم الانحياز ، هذه القضية هى علاقة الوضع الداخلى السياسى لأية دولة ومدى نجاحها بتحقيق الابتعاد التكافؤء ـ فقد ثبت ان علاقات التبعية تزداد كلما قلت فرص المشاركة الشعبية والوطنية ـ وينتج الابتعاد المتكافىء ، ويزدهر كلما كان هناك مشاركة شعبية واسعة لدى هذا البلد من العالم الثالث او ذاك . من هنا ، فان عدم الانحياز اصبح له معنى آخر في الثمانينات ، هذا المعنى هو تحقيق المشاركة الوطنية من اجل التقدم والتنمية ، وهذا هو التحدى الكبير لحركة عدم الانحياز . ○

د . محمد الرميحي

ثقافة بلا أمن!

وقع المحظور وأصبح تعبير « الأمن الثقافي » متداولا على الألسن ، ونشرت مجلة « العربي » مقالا يحمل هذا العنوان لصديق أصبح يحمل على أكتافه في الآونة الأخيرة ، مسئولية ضخمة عن شئون التخطيط الثقافي في العالم العربي (*) .

بقلم الدكتور : فؤاد زكريا

وغدا التعبير شائعا بين المعنيين بالسياسة الثقافية في بلادنا واكتمل احساسي بالاستياء ، وبأنني أحارب معركة خاسرة ، عندما وجدت تعبير « الأمن الثقافي » ، الذى لا أتوانى عن محاربته كلما واتتني الفرصة ، يصبح هو ذاته ولا شيء غيره ، عنوانا لمؤتمر سيعقده وزراء الثقافة العرب في اطار المنظمة العربية للثقافة والتربية والعلوم . وكانت المفارقة الساخرة هي أن المشرفين على تنظيم المؤتمر قد كلفوني أنا ، دون غيرى ، بكتابة بحث عن « مفهوم الأمن الثقافي » . وهأنذا أستجيب لدعوتهم الكريمة ولكن على طريقتي الخاصة .

لقد كانت الظروف التى نشأ فيها هذا التعبير ظروفا مريبة . وأذكر أن أول مرة صادفته فيها ، كانت في مقال صحفي ظهرمنذ عدة سنوات لكاتب لم يصبح له اسم الاحين حوربت الثقافة الشريفة في مصر وبنى سمعته على أساس تملق مبتذل لمن كانت بيده عندئذ مقاليد الأمور . وكان واضحا في ذلك الحين أن تعبير « الأمن الثقافي » لم يظهر الاتمشيا مع اتجاه كان سائدا عندئذ لاقحام « الأمن » في كل شيء ، وتصورت أن استخدام التعبير ما هو الاموجة وقتية سرعان ماتنحسر غير أن الأحداث التالية أثبتت أنني كنت في هذا التفاؤل على خطأ .

فى البدء كانت الشرطة

ليس أمامنا اذن الا أن نحلل معنى لفظ « الأمن » لنرى ان كان من الممكن ، على أى نحو الجمع بينه وبين « الثقافة » ، أم أن الاثنين مفهومان متنافران بحيث يكون من يجمع بينهما أشبه بمن يتحدث عن « الرذيلة الملائكية » أو عن « الطين الشفاف » !

لقد عرف الناس مفهوم الأمن أولا في مجال عمل الشرطة فالشرطة توفر للمواطنين الأمن اذ تصد عنهم عدوان المنحرفين ولكن سرعان ما اكتسب هذا اللفظ ذاته مفهوما مشوبا بالرعب بعد أن أصبحت « قوات الأمن » مثلا مرادفة لتلك الصفوف المتراصة من الجند الذين يفضون المظاهرات السلمية بقوة وقسوة وأصبحت « أجهزة الأمن » مرادفة للتجسس على المواطنين وقمع حريتهم ، وهلم جرا . . . في هذا الميدان اذن فقد لفظ « الأمن » براءته ووداعته الأصلية ، وتحول في أحيان كثيرة الى نقيضه .

وعرف الناس مفهوم « الأمن » في الدبلوماسية الدولية حين تتحدث عن « مجلس الأمن » وهو المجلس المكلف بمنع المنازعات بين الدول ولكن سرعان ما كشفت الممارسات الفعلية عن وجه آخر لهذا « الأمن » الذى يتولاه المجلس ، فاذا به خدمة مصالح الدول الكبرى ، والتغاضي عن كثير من الحروب والصراعات مادامت تخدم أغراض تلك الدول .

(*) انظر مقال « الأمن الثقافي من يحميه » للدكتور شاكر مصطفى . مجلة العربي يناير ١٩٨٢

وعرف الناس معنى عسكريا للأمن ، حين تتحدث الولايات المتحدةمثلا عن ضرورة تدخلها اذا هدد الأمن والسلام في منطقة الخليج وهو معنى سرعان ماتبين الناس أنه في حقيقته معنى عدواني ، وأن « الأمن » المزعوم لا يعدو أن يكون ضمان استغلال نفط هذه المنطقة والانتفاع بموقعها الاستراتيجي . ومثل هذا يقال عن معاهدات « الأمن » التي تحمل جوانب عدوانية أكثر مما تحمل من معاني السلام والاطمئنان .

ثم بدأت الموجة تتسع في السنوات الأخيرة ، فاذا بنا نسمع عن « الأمن الغذائي » ، الذي يعني ضمان حد أدنى من القوت للناس ، وعن « الأمن الكسائي » الذي يعني ستر أجسادهم بما هو ضروري من الملبس ، و « الأمن الاعلامي » الذي يعني توفير حد أدنى من المعرفة الاعلامية ، وغير ذلك من أنواع « الأمن » التي يتبارى الكتاب في صياغتها .

ولكن ما المعاني التي يستطيع المرء أن يستخلصها من وراء هذه الصياغات المتعددة التي يرد فيها لفظ « الأمن » ؟

١ ـ أول هذه المعاني هو أن الأمن بطبيعته سلبي . فتوفير الأمن على يد الشرطة هو تهيئة الظروف التي تتيح للناس أن يعيشوا مطمئنين عن طريق « منع » الجريمة والانحراف وبعبارة أخرى فان ما تفعله الشرطة لايعدو أن يكون الحيلولة دون حدوث ما يعكر صفو حياة الناس ، ولكنه لا يمكن أن يكون « ملء » هذه الحياة بمحتوى ايجابي . وهذه حقيقة ينبغي أن نعيها جيدا : لأن من يوفرون لك الأمن لا يقدمون اليك شيئا وانما يصدون عنك خطرا ويتركونك بعد ذلك لكي تسير في حياتك كما تشاء . وقل مثل هذا عن كل ضروب « الأمن » الأخرى : فكلها سلبية المعنى أما المحتوى الايجابي فيأتي من جهد الانسان الذي يبذله بعد أن يكون قد توافر له « الأمن » .

٢ ـ أما المعنى الآخر فهو معنى الوقوف عند « الحد الأدنى » فسواء أكان الأمن غذائيا أو كسائيا ، فانه يتوقف عند حدود أقل قدر لازم لاستمرار الحياة . ولا أظن أن تقديم وليمة شهية يدخل في باب « الأمن الغذائي » أو أن ارتداء أحدث خطوط « الموضة » في الأزياء يندرج ضمن « الأمن الكسائي » . فالأمن هنا لايعدو أن يكون توفير حد أدنى يضمن تهدئة مطالب الناس ، ومن هنا كان الكثيرون ممن يتحدثون عن الأمن بمعناه الغذائي أو الكسائي ، لايقصدون أمن المواطن العادي في هذه الميادين فحسب بل يقصدون أيضا أمن نظام الحكم الذي ينتمي اليه هؤلاء المواطنون لأن من مصلحة هذا النظام أن يضمن لشعبه حدا أدنى من الغذاء يقيه الجوع ، وحدا أدنى من الكساء يقيه العرى ، حتى لايثور عليه .

٣ ـ وأخيرا ، فقد خرج اللفظ عن معانيه الأصلية ، واصبحت له في أحيان كثيرة ارتباطات عدوانية ، كالقمع والتجسس والحرب ، وهي ارتباطات تبعد كل البعد عن « الأمان » بمعناه التقليدي ، وعن كل ماله صلة بالفكر والثقافة وتهذيب الروح .

عن الخطر الداخلي والخارجي

فأين الثقافة من هذا كله ؟

ان الثقافة بطبيعتها جهد ايجابي خلاق ، لا يكتفي بتأمين الناس من شيء ، أو إبعاد غائلة خطر عنهم وانما يقدم اليهم محتوى متجددا يثري حياتهم ويزيدها امتلاء . ومن جهة أخرى فان طريق الثقافة لا نهاية له ولا معنى للحديث عن « حد أدنى » يتم توفيره للناس في حالة الثقافة ذلك لأن من طبيعة الثقافة أن تفتح أبوابا لاتنتهي وكل من ذاق طعم الثقافة يعرف أن المثقف الحقيقي لا يعرف الشبع ولا يتوقف عند لحظة معينة لكي يقول : لقد أخذت كفايتي !

واذن فالثقافة بطبيعتها ايجابية ، لاتصد عن العقول شيئا أو تبعد خطرا كما أنها عملية مستمرة لا تتوقف عند حد أدنى تكتفي بتوفيره للناس أي أنها بعيدة كل البعد عن تحقيق الشرطين الضروريين لمفهوم « الأمن » . . . . . . فكيف اذن يستبيح البعض لأنفسهم الكلام عن « أمن ثقافي » في هذه الأيام ؟

ان الحجة التي يرتكز عليها هذا البعض هي أننا حين نطالب بأمن ثقافي نقصد تأمين الثقافة من خطر داخلي وخطر خارجي .

أما الخطر الداخلي فهو العدوان على حرية مبدع الثقافة وحرمانه من أبسط شروط الخلق والابتكار ، وذلك من خلال الممارسات القمعية التي تكبت الحريات وتحول دون انطلاق المثقف في التعبير عن نفسه وعن مجتمعه ولن ينكر أحد أن إزالة القيود التي تقف في وجه المثقف هدف نبيل وشرط أساسي للابداع الفني والفكري ولكن الكفاح في هذا الميدان لا يشكل « ثقافة » بالمعنى الحقيقي لهذه الكلمة . فالمطالبة بحرية المثقف هي في أساسها كفاح سياسي ، وأساليب القمع التي تمارس ضد المثقف تنتمي الى ميدان التشريعات والاجراءات الادارية والقانونية وهذه كلها أمور على أعظم جانب من الأهمية ولكنها ليست « ثقافة » ، وانما الثقافة هي ما يأتي بعد ذلك أي بعد تأمين المثقف من القمع والقهر ، وهذا التأمين لايتحقق الا على مستوى الكفاح السياسي . ومن المحال أن يتحقق للثقافة

« أمن » بهذا المعنى مالم يتحقق مثله للصحافة ولوسائل الاعلام ، وللأحزاب ، وللنقابات الخ . . . وبعبارة أخرى فان أى تجمع للمثقفين من حيث هم مثقفون لايستطيع أن يفعل شيئا لتحقيق مثل هذا « الأمن الثقافى » ، وأقصى مايمكنه أن يفعله هو أن « يطالب » أو « يناشد » أو غير ذلك من التعبيرات التى لاتقدم ولا تؤخر أما السعى الحقيقى الى تحقيق هذا النوع من « الأمن » فلا يستطيع المثقف أن ينجز منه شيئا الا بقدر ما يكون ممارسا للنشاط والكفاح السياسي في الوقت ذاته ـ لا سيما اذا ادركنا ان هذا « الامن » ليس على الارجح ، من النوع الذى « يطلب » ، بل من النوع الذى « ينتزع » .

أما الخطر الخارجي الذى يبرر المطالبة« بالأمن الثقافى » ، فيوصف بأنه تلك المؤثرات الثقافية الدخيلة التى يمكن أن تهدد عقولنا وتشيع فيها الاغتراب والتبعية والمحاكاة الممسوخة لعادات الغير وأساليب تفكيرهم وليس المقصود فى هذه الحالة هو عناصر الثقافة العالمية الرفيعة ، اذ لايوجد أحد سوى المتعصبين المنغلقين ينظر الى هذه الثقافة على أنها خطر نحتاج الى « تأمين » ضده وانما المقصود هنا هو تلك الثقافة المشوهة اللاانسانية ثقافة الجريمة والجنس أو ثقافة التسلط الاستعماري التى تحاول أن تغزونا بامكانيات تكنولوجية ضخمة لاقبل لنا بمواجهتها أو مقاومتها من تليفزيون وسينما ومؤسسات اعلام عالية وأقمار صناعية الخ . . .

هذا الخطر الخارجي يعد اذن أحد المبررات الأساسية التى تساق للدعوة الى تحقيق « الامن الثقافى » . ولكن ، دعونا نتساءل : ما أفضل الوسائل لحماية أنفسنا من هذه الأخطار . الثقافية الخارجية ؟ هل يكمن الحل في البحث عن « الأمن والأمان » ؟ هل الغزو الفكرى ، اذا كان هذا تعبيرا صحيحا معادل للغزو العسكرى وهل تستطيع أن تحمى ثقافتنا اذا جعلناها تقف في خط الدفاع الأخر وتكتفى بصد الهجمات أو حفر الخنادق والاختفاء داخلها ؟

الثقافة معركة

لابد لنا أن ندرك بوضوح أن الثقافة هى قبل كل شىء « معركة » ، ومن المحال أن نؤمن أنفسنا ضد خطر ثقافي خارجي ما لم نقم نحن أنفسنا بهجومنا المضاد الذى نسعى فيه الى التخلص من الثقافة الفاسدة أو المنحلة عن طريق احلال ثقافة أخرى ايجابية وانسانية محلها . فالصد والدفاع وحده قد يكون مجديا في ساحة المعركة الحربية ولكنه في ساحة المعركة الثقافية لا يفيد وانما هو أقصر الطرق الى الهزيمة والتسليم وبالفعل فان المجتمعات التى تحاول صد الأخطار الثقافية الخارجية عن طريق سن تشريعات المنع والحظر والرقابة ، هي أكثر المجتمعات تعرضا لهذه الأخطار . أما المجتمعات التى تصنع ثقافتها الخاصة المستنيرة المتفتحة ، وتواجه بها تلك الثقافة الانحلالية فهى وحدها التى تستطيع أن تصمد وتنتصر .

وهكذا فان « الأمن الثقافي » ، مفهوما بمعنى الاحتماء السلبى من الثقافة الأجنبية لن تكون له أدنى فعالية على حين أن الحوار والعراك والصراع بين وجهات النظر ومقارعة الثقافة الدخيلةبثقافة أخرى ، هو وحده الذى يقضى على أخطار هذه المؤثرات .

واذن فسواء أكان الأمر متعلقا بحماية الثقافة من خطر داخلى أو من خطر خارجى ، فان مفهوم « الأمن » لا يصلح علاجا للمشكلة وهو مفهوم لا يؤدى الا الى موقف سلبى قد يصلح في أى ميدان ما عدا الثقافة .

وأخيرا فان من حقنا أن نتساءل : على أى أساس يؤكد دعاة « الأمن الثقافى » أن الثقافة ، أو المثقف في حاجة الى الأمن أصلا ؟ صحيح أن الأمان على العيش وعلى العمل وعلى المستقبل مطلب مرغوب فيه على جميع المستويات ولكن الثقافة مثلما تزدهر في ظل الأمان تزدهر أيضا في ظل انعدام الأمان . وكلنا سمعنا عن تلك الثقافة الرائعة التى تظهر « تحت الأرض » فى أوقات القهر السياسى أو الاحتلال الأجنبى أو في ظل أنظمة الحكم الغاشمة ـ وكلنا استمتعنا بتلك القصائد والقصص والأوراق الباهتة التى كانت تحوى روائع منسوخة باليد أو مطبوعة ومتداولة سرا ـ ثقافة المقاومة ، أو الثقافة غير الرسمية التى لاترعاها حكومة والتى يبدعها أصحابها رغم أنف قوى « الأمن » .

وأخيرا ، فلنتذكر دائما أن الثقافة الحقيقية ليست أمانا واطمئنانا ، وليست دعة وهدوءا ، وانما هى ـ كما أكد الكثيرون ـ العيش في خطر ، وهى قلق وتوثب وترقب دائم . ان الكتاب العظيم ، والقصيدة العظيمة ، والفيلم العظيم يعكر صفو حياتك ، ويقضى على استقرارك ، ويجلب لك القلق والانشغال ويثير فيك من الأفكار ما لم يخطر ببالك من قبل . ان العمل الثقافي العظيم ينقلك من حالة الرتابة والسكينة ، ويبعث فيك قلقا وتمردا ، ويقلب مسار القيم التى اعتدت عليها وسكنت اليها ورتبت حياتك على أساسها .

ان الثقافة الحقة ، في كلمة واحدة ، تقضى على كل ما كنت تحس به من « أمن » . ولو كان الأمر بيدى لحذفت من قاموسنا على نحو نهائي قاطع ذلك التعبير المستحدث المتبلل ، « الأمن الثقافى » ولدعوت بدلا منه الى « القلق الثقافى » و « الخطر الثقافي » . . . فبهذا وحده يحقق ذلك الجهد العقلي والروحي الرائع الذي هو أخص ما يميز الانسان ، رسالته ومعناه . ○

د . فؤاد زكريا



بقلم : أحمد عبد المعطى حجازى

جيوم أبو للنيير شاعر مفتون بباريس ، رغم أنه لم يكن باريسيا ، ولم يولد حتى فرنسيا ، ولد فى روما عام ١٨٨٠ لأم بولونية معروفة وأب مجهول يظن أنه ايطالى . وفى ايطاليا عاش طفولته وصباه ، ثم انتقل مع أمه الى جنوب فرنسا . ولم يعرف الاقامة فى باريس الاوهو شاب فى التاسعة عشرة من عمره . لكن هذا لم يمنعه من أن يكون واحدا من أشهر شعراء هذا القرن فى فرنسا ومن أكثر الشعراء الفرنسيين تعلقا بباريس التى ألهمته عدة قصائد جميلة ، لحن بعضها وصارت أغانى مشهورة مثل قصيدته « قنطرة ميرابو » التى سمعنا سيرج ريجيانى يغنيها بألحان لويس بيسيير .

واذا كانت باريس هى المدينة التى قدر لها أكثر من غيرها أن تشهد ميلاد أهم التيارات والمدارس الأدبية والفنية التى ظهرت فى الربع الأول من هذا القرن كالدادائية والسوريالية والوحشية والتكعيبية وغيرها من مدارس الشعر والتصوير التى فصلت ثقافة القرن العشرين عن ثقافة القرون السابقة ـ اذا كانت باريس هى المدينة التى شهدت ميلاد هذه التيارات الثورية واحتضنتها فى تلك الفترة ، فقد قرر لابوللنيير أن يكون شاعر المكان والزمان ، فقد ارتبطت شاعريته بباريس ونضجت فى العقدين الأولين من هذا القرن ، وكان شعره حلقة الوصل ونقطة الفصل بين الموروث والمعاصر .

لقد بدأ النظم مع اكتمال الرمزية ومات عام ١٩١٨ عشية وصول الدادائية الى باريس ، ومن ثم ميلاد السوريالية فيها . واذا كان قد شب فى بداية القرن العشرين بما شهد من انقلابات فكرية واجتماعية ، ونضج فى أتون الحرب العالمية الاولى التى خاض غمارها متطوعا ، مما أرهف حساسيته لقضايا عصره الجديد ولكل اشكال الحداثة فيه ، فان هذا لم يؤد به الى رفض الشعر الموروث . لقد تأثر أولا بشعراء القرن التاسع عشر وخاصة ببودلير وفرلين ، بل ان قصائده الأولى تنبىء عن افتتانه بعالم العصور الوسطى وأساطيره ورموزه المسيحية ، لكنه كان فى الوقت نفسه شديد الحساسية نحو مشاهد الحياة العصرية . قادرا على نقل تفاصيلها الظاهرة والخفية الى مرتبة الرمز الروحى المشع المفعم بجاذبية وصحو وغنائية . ولقد حافظ فى جانب من شعره على الاشكال التقليدية كالسونيت والمقاطع الرباعية السكندرية ، لكنه كتب أيضا قصائد حرة ، وهو بهذا قنطرة بين الرمزيين والسورياليين ، أو أنه ـ كما تقول احدى الموسوعات ـ يمد يدا نحو فرلين ويمد الاخرى نحو اندريه بروتون .

هذا الشاعر الذى كان يحمل جرثومة التحولات الكبرى فى الشعر الفرنسى الحديث والمعاصر ، كان مفتونا بمدينة كانت هى الأخرى تبدل ثيابها العتيقة الموروثة وتظهر فى شوارعها الترامواييات والسيارات ومصابيح الكهرباء والمحلات الكبرى بينما تنسحب بقايا القرن التاسع عشر وما قبله مثيرة لدى هذا الشاعر المتعدد الانساب مشاعر يختلط فيها الفرح والالتياع والحنين .

مشهد عظيم ، هو مشهد الميلاد والموت والفتح والاستسلام يتجلى فى باريس وفى شعر أبو للينير ، وفى هذه القصيدة التى لا تصف مجرد أمسية من أمسيات باريس أوائل القرن ، ولكنها بالأخرى تصف اختلاط عالمين وصراعهما : عالم الحلم برموزه الدينية وعالم الواقع برموزه الباريسية ، ان فيها مزجا متعمدا بين المقدس واليومى وبين الطبيعى والصناعى والسماوى والأرضى . تقاطع بين عالم الظاهر وعالم الباطن . واذا كانت الصور والرموز الكاثوليكية واضحة من أول بيت فى القصيدة ، ففيها كثير من الصور والرموز التى تبناها السورياليون من بعد فى الشعر والتصوير كرمز البهلوان ، والمعدن ، والفاكهة . بل ان بعض صورها مشتركة بين التراث المسيحى القديم والتراث السوريالى المعاصر . كما أن الشاعر يخرج بعض الصور المسيحية القديمة اخراجا سورياليا جديدا ، كما تجد فى صورة القديس المعلق ولعابه يسيل .

مدينة أبو للنير فى هذه القصيدة هى اذن مدينة التبدل والتحول واصطراع الاحلام القديمة مع واقع جديد يبحث له عن معنى جديد .

مَسَـاء

شعر : جيوم أبو للنير

نسر تحدر من هذه السماء البيضاء ذات الملائكة
فأغيثينى أنت
اتركى كل هذه المصابيح تضطرب طويلا
وصلى . صلى من أجل
المدينة معدنية ، وهذا هو النجم الوحيد
غارق فى زرقة عينيك
حين كانت الترامواييات تندفع ، كانت الشرارات الشاحبة
تتجسس فوق طيور جرباء
وكل هذا الذى كان يرتعش فى عينيك من أحلامى
لم يكن الاشراب رجل واحد
تحت مصابيح الغاز الشقراء كالبرتقالات الصناعية
أيتها المكتسية بذراعها الملتف
ها هو البهلوان يخرج لسانه للنساء المتبهات
شبح المنتحر
القديس معلق بشجرة التين ولعابه يسيل ببطء
فلنلعب النرد اذن على حبنا
كانت أجراس جلية الصوت تبشر بمولدك
انظرى
الطرقات تزهر والسعفات تتقدم
نحوك

مستقبل العلاقات العربية الإفريقية

١

الحذر المرتاب والحرص المذل

بقلم جمال محمد أحمد

الكتابة عن العلاقات العربية الافريقية تجارة نافقة ، كذلك الحديث عنها . توحي كثرتها أن هناك علائق وأن هذه الأحاديث والكتابات ظل لها ، وما كذلك الأمر .

بين الذي يشتهي المؤمنون بجدوى هذه العلائق ، وبين القدر القائم منها فجوة ، لايمكن للكلام أن يملأها ، وان كان دقيقا حيا . وأكثر الكلام في الحقيقة ينقله الكاتبون مما يقرؤون ويعجلون به للنشر . والساسة يبدئون ويعيدون في الذي قيل من قبل ، والدقيق الحي منه قليل . الكاتبون ينقلون عما يقرءون ، ولا تصل أياديهم سريعا كتابات العارفين ، الا بعد حين تكون قد تغيرت معه الأفكار والنظرات ، لأن العارفين ليسوا هنا ، انهم في أوروبا . الساسة بدورهم يبدئون ويعيدون في أمان تقية ساذجة العبارات قالها الأولون بلغة تجاربهم وازمانهم ومضوا . بعضهم قالها أوقع أثرا وأفعل في النفوس . والمشرفون على ادارة الثقافة تصرفهم هياكل الادارة عن فحوى الثقافة تصبح مع الوقت هي الشغل والمشغلة .

هذه هي حال الكتابة والأحاديث والادارة وبعيد أن يصدر عنها شيء يحمل الواحد على الظن بأن هناك علائق عربية افريقية تبرر هذا اللهاث . ينقلب ظن الواحد يقينا ان هو ألطف النظر في الذي يكتب الكاتبون في افريقيا ، والذي يقول الساسة والذي يعمل القائمون على شئون الثقافة هناك . لايلومنك عادل ان قلت ان الأفريقي لاتعنيه العلائق العربية معه بالقدر الذي يبرر كتابات وأحاديث ومنشآت العرب على النقيض . الأفريقي ان كتب عن العرب حاذر وهو قليلا ما يكتب . ان تحدث السياسيون ، ما عدا حديثهم عبارات تعقل بعضها بعضا ، تلجم ثم لاتقول كثيرا آخر الأمر . حرص من العربي مذل وحذر الأفريقي مرتاب . يهرول العربي حتى ليتعثر ، ويتمهل الأفريقي باردا ، مرات ترى خيلاء في

الاستاذ جمال محمد أحمد ليس بحاجة الى تقديم للقارىء العربي ، الذي عرفه واحدا من اعلام الفكر والسياسة البارزين في جمهورية السودان ، وله اسهاماته القيمة في مختلف الشئون العربية والافريقية ، ليس فقط منذ أن كان وزيرا لخارجية بلاده ، ولكن أيضا بعد أن ترك موقعه الدبلوماسي ، وكرس نفسه لموقعه الجديد كأمين للمجلس القومي للفنون والآداب بالسودان ، وقد خص الاستاذ جمال مجلة « العربي » بهذه الدراسة الهامة حول مستقبل العلاقات العربية الافريقية ، التي ننشرها في ثلاث حلقات ، ابتداء من العدد الحالي .

المشية .

لا أرى حاضرا في العلائق العربية الافريقية أطمئن له وأرضاه ، ولك على أن أسوق الشواهد لهذا الذي أقول ، فقد يجيء في خاطرك أنها دعوى عريضة ، ولك الحق ان فعلت حتى تمضي معي في الحديث . على أن أسوق الشواهد ، وسأسعى أفعل .

اقترح أن نقضي بعض وقت مع حاضر العلائق الذي لا أراه . نربطه من بعد بالذي كان من ماضي العلائق القريب ، هو الذي هيأ لهذا الحاضر ، أعد لسماته المخلوطة وملامحه . أقترح أن نمضي من بعد للقابل ، قاعدته هذا الحاضر المتأرجح النافر . تماما كالذي كان من أمر الماضي القريب معه أعد له وهيأ . الزمان لاينفصم . تتداخل دقات ثوانيه ، تصنع الدهر . رؤيتنا العلائق على هذا النحو في اطارها الزمني ، أجدر أن يعيننا على خلق قابل أنفع من هذا الحاضر ، لايرى الواحد فيه نفعا على أية حال . قابل جدير بالماضي البعيد . كان ذلك أثمر . سأبين عن الذي أعنيه بالماضي القريب والماضي البعيد بعد قليل ، للعرب في القارة الأفريقية ماضيان ـ ان أذن لنا النحاة بتعبير كهذا ـ بالطبع لن نستطيع أن نعالج هذا جميعه في الساعة المتاحة لنا ، دعنا نقنع بالذي نستطيع في ساعة زمان . ان أوحي القليل الذي نستطيعه الآن لمزيد من الفكر فالعمل ، كان عنواننا هذا الذي ننفقه في الكتابة والحوار ، عونا على العلائق الكفاء ، لاحرص مفرط ولا برود مرتاب .

نظرة على الواقع

لنقف عند حال العلائق الآن اذن ، أولى المراحل في مسارنا للقابل :

كثيرة المظاهر التي توهم . بينها رحلات رؤساء أفريقيا لعواصم المال في المنطقة العربية ، وما يصحب هذه الرحلات من أحاديث نقية عن العلاقات الخاصة الحميمة بين العرب والأفارقة . يروح هؤلاء القادة عواصم المال في الشرق وفي الغرب ، ولا تسمع شيئا عن حرارة العلائق بين تلك العواصم وعواصم القارة الأفريقية . وسوق العرب المالية رغم الكلام النقي ، ربما لسببه ، سوق أخرى كغيرها من الأسواق . كانت أولى بجهد أكثر صدقا ، فلا ينكر عادل يدها الأندى من أية يد ، على اقتصاد العالم . لا أحسب عاقلا يريد صراخا من على المآذن يذكر هذه اليد ، ولكن العقل لا يحول دون رعايتك الصمت الافريقي الكامل عن هذه اليد الاندى ، حين يكون هناك مبرر لكلمة طيبة ، وكثيرة هذه الاحيان التي يحتاج العرب كلمة طيبة .

مثلا حين يكتب بعضهم ، ينسبون لنفط العرب كل نأمة ضيق في الاقتصاد العالمي ، وحين تتهيأ لواحدهم الفرصة ، تتاح له . كان في وسع الرئيس كاوندا مثلا ان يقول هذه الكلمة الطيبة وهو يقدم لكتاب سفيره في المانيا الاتحادية عن دولارات العرب . الاحصاءات والبيانات التي ارفقها السفير الكاتب ، كان من شأنها ان تحمل الرئيس كاوندا ، على كلمة طيبة عن اعانات عرب النفط للبلاد المفردة وللمنشآت العالمية ، تجزل العطاء وهي التي رغم كل الذي يقول عن ثرائها الناس ، ما بلغت لليوم ما بلغته اقطار غرب اوروبا واليابان من اقتدار مالي . دخل الفرد هنا أعلى من دخل الفرد في بلاد النفط والغرب ينفق حين ينفق عن اقتصاد ذي سعة وكل حين وآخر يتسع والعرب يسعون لهذا وما بلغوا غير اول الطريق . احجم صاحبنا عن كلمة الحق الامين وهو امرؤصدق . على ايام عمله للاستقلال من فوق بسكليت كانت فلسفته « الانسانية » كما عبر هو . اثار حفيظة المستوطنين بلاده (روديسيا الشمالية) انذاك حين كتب يقابل بين المسيحية والاسلام في رؤيتها المؤمنين . اطيب المقاعد في الكنيسة لا يقربها السود ، وقف على البيض وما في المسجد مقعد لذا وآخر لذاك ، المؤمنون بالاسلام سواء سودهم والبيض ، المؤمنون بالمسيحية طبقات بعضها بعد بعض . سنذكر تفاصيل الذي ارويه عن كاوندا الاول ان عدت ثانية لكتابه « زامبيا ستحرر » .

بعد ثلاثين سنة من كتابه هذا الذي عدت اليه منذ أيام ، وبعد سنة من استقلال زامبيا وعمله الأمين من أجلها ، أصبح يخطو على وجل . ما عاد يجسر على الذي كان يجسر عليه في قابل العمر . بعض الحق معه . خالطت صدقه القديم حذق الضرورات . كان وطنيا لايزعه غير وازع الصعاب في طريق التحرر . أمسى رجل دولة ، لايستطيع القيادة بالصدق خالصا والحقيقة أمينة .

ما الذي يلجم الصدق ويؤدد الحقيقة ، هذا الحد الذي يزيد على الضرورات ؟ أرى عاملين في الذي يتصل بالأخيار أشباه كاوندا . أحدهما خشيته من أن يظن به الذين يحورون الكلمة عن مواضعها . انه مع العرب . يجد زامبيا اذن في وجه أخصام العرب ، وما هناك ما يفيده في صراعه للبقاء في قيادتها ، ولا يفيدها بلدا قرب اللهيب على أطراف جنوب افريقيا . وأخصام العرب اشداء كلهم « داجي السلاح مدجج » كالذي قال حافظ ياسي لسعد يفاوض « في كفه منديل » ثاني العاملين ان عيشه الذكية لاتخطيء عاطفة الافريقي نحو العربي ، لا ودودة هي ولا حادة . تلح على نفورها رغم سنين اللقاء بين القادة من هنا وهناك منذ أخلى السبيل النفوذ الأجنبي في المنطقتين ، وكان ذاك النفوذ يكره أن يلتقيا ويشيع في النفوس الظنون والريب . بدأ اللقاء حديثا حالما مع نكروما ١٩٥٨ ، وتجهد الحلم واقعا١٩٦٣ . الرئيس كاوندا يعرف أن الحاح النفور بعد هذه السنين من التعارف واللقاء أوهام ، ويعرف أن الأوهام عصيه : تحارب المنطق بمنطق أقوى ، ويسود من بعد وحي العقل . ما هناك سبيل لحرب الاشباح . انك لاتنرى الأوهام وهي في الحق هناك ، اشباح . يسكت صاحبنا الطيب ، وبعض تجاربي تشفع له سكوته ، ولا أحسب كاوندا يحتاج مني لشفاعة . أسوق تجاربي عليها تشفع لي أنا رؤيتي الحرص المذل عندنا والنفور المرتاب عندهم .

عن حامد المرجبي

تحدثت ضحى يوم بأكمله عن الاطار التاريخي للعلاقات الافريقية العربية في ندوة بالشارقة ١٩٧٧ ، ووقفت دقيقتين أو ثلاثا عند حامد بن محمد بن جمعة المرجبي ، تيوتب ، وهو من تعرف من الأفارقة العرب الذين لايكتمل تاريخ لافريقيا دون وقفات طوال عنده . ذكرت ذكرا فقط أيامه في ستانلي فيل وأثره في الحكم هناك والتجارة في النصف الآخر من قرننا الفائت . اشارة لاغير . والرجل جدير بأكثر . جاءني بعد ظهر يومي ذاك شاب ربعة عشب الذقن ، قال لي انه سفير لزائير في دولة من دول الخليج . أخذ على أني أعطيت تيوتب مكانا ما ينبغي له في تاريخ القارة . ما كان غير تاجر رقيق افسد الحريم وافني الحيوان وأذل الانسان الافريقي . سعيت جاهدا - وصادقا - ان يفهم عني ان الذي يقول بعض الحق ، لايكتمل ان لم تذكر أيضا مواهبه في الحكم والادارة سخرها لتنظيف أرض الحشائش والغابات ، احالها أرض زرع ، وسخرها لبناء المراكب والطرق . أمور يسرت عيش الافريقي ، أصبح بعده هو واخوته من العرب الخلص والعرب المزيج أقل غلظة من عيشه الأول .

شق على السفير أن يرى هذا الوجه في حياة حامد المرجبي ، وهو واحد من الصفوة في الذي عرفت منه . ثقف في ليبج ، ولوفان ، ولم تعنه واحدة من الجامعتين العظيمتين على ثقافة محيط . ما كان في وسعهما . اتاهما وقد صنعت في نفسه مدارس التبشير ما أرادته له من الهدى والضلال . واشباه السفير كثير . يحاذر كاوندا وغيره من قادة فكر وساسة القارة أن يثيرهم بالحديث عن الخطل في رؤاهم على ضوء تجاربهم هم مع مبادىء الاسلام . « الرقيق اخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يطعم ولباسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم ، فان كلفتموهم فأعينوهم » بعيدة تجارب ومعارف محمد من معارف وخبرات بولس ، وكان ابن خطاب النصارى - عمرهم . صدر عن معارفه تلك في رسالته الى أهل افسس حين قال فيها « أيها العبيد أطيعوا سادتكم في هذه الدنيا بخوف وتوقير وقلب صاف كما تطيعون المسيح ، لاطاعة عبيد العين بل طاعة عبيد للمسيح ، تطيب نفوسهم أن يعملوا بمشيئة الله ، ولتكن خدمتكم لهم صادقة كأنكم تخدمون الرب لا الناس » « عبيد العين » في الذي تقول تفاسير الرسالة هم « الذين يخدمون ما دامت عليهم عيون سادتهم » أربعة قرون بعدها في حيث عاش تيوتب كتب ديوارت برباروسا ١٥١٨ عن « حال الرقيق في مومباسا قال أنها » تدل على ما لأسيادهم من انسانية . يعجز الواحد أحيانا أن يميزهم من أسيادهم . قلب السفير موغر ان سمع بهذا انكره .

كلمة رؤساء العرب والأفارقة

لحظات قليلة أخرى مع شواهد الحذر الأفريقي

والحرص العربي . أدعوك أن ترى المنشآت التي قال رؤساء العرب والافارقة انها مواعين التعاون العربي الافريقي الذي تجمعوا من أجله في القاهرة ربيع ١٩٧٧ ، رؤية لايضلها الرجاء والأمل . سترى انها ابتعدت على نحو يرصد رصدا كل نأمة في كل واحدة منها ، هذه رقيبة على تلك ، تلك رقيبة عليها . الكل للكل راصد . مبرر السدود والقيود حول المنشآت هو أن يستوثق الذين تعمل من أجلهم هذه المنشآت أوثق الوثوق قبل أن يتخذ قرارا وبعد أن يتخذ ، انه أوفق القرارات لأنه يرضى الفريقين أكمل الرضا وكأن هذا مستطاع ميسور . أعني أن ترضى الكل أكمل الرضا . لنفترض أن هذا الرضا الاكمل مستطاع ميسور ساعة اتخاذ القرار ، اني لأحد أن يقدر على تنفيذه ، والعيون أجمع عليه ، تحصى الخطوات بعين لاتقنع الكمال الكامل لتنفيذ القرار ؟ انظر :

١ / تجتمع قمة للرؤساء العرب والافارقة مرة كل ثلاث سنوات .

٢ / يجتمع مجلس وزراء مشترك مرة كل ١٨ شهرا .

٣ / يكون الرؤساء مجلسا من ٢٤ وزيرا ، مناصفة بين العرب والافارقة يجتمع مرة في أديس مقر المنظمة ، ومرة في القاهرة مقر الجامعة .

٤ / تشرف على التعاون ٨ لجان متخصصة في التجارة والتعدين والصناعة والزراعة والغابات والأسماك والطاقة ومصادر المياه والنقل والمواصلات السلكية واللاسلكية والشئون المالية والتعاونية والتعليم والاجتماع والثقافة والعلوم والتعاون الفني . لكل لجنة من اللجان الثمان رئيسان أحدهما عربي والآخر افريقي .

٥ / يكون المجلس الدائم لجنة تنسيق من الجامعة والمنظمة وتقوم على سكرتاريتها الأمانة العامة في المنظمة والأمانة العامة في الجامعة .

٦ / يتكون مال خاص لعمل المنشآت وموظفيها ، مناصفة بين العرب والأفارقة .

٧ / تكون محكمة عربية افريقية لتفسير اللوائح والقوانين التي تصدر عن المنشآت .

ليس حذرا ولكنه ريبة

وما هذا حذر انها ريبة غطاؤها يشف . كان كلاما « فض مجلس » كما يقول الحذقة العرب عندما لاتقول ألسنتهم كل الذي في القلوب خشية الشقاق العلن . « بلاقار » كما يقول العابث الافريقي . « كلام والسلام » أقرب عباراتنا لها . وكان حقا ذاك . وعد العرب بلا بين حين أنذر الندوتيريري وأخاف . راح الجمعان من القاهرة في جوانحهم روح المنشآت يرقب بعضهم بعضا ويرصد . صمت الجانبان حتى كانت السنة الماضية ١٩٨١ ، أربع سنوات بعد لقاء القاهرة ، سبع سنوات بعد نشأة فكرة التعاون العربي الافريقي في مقديشو ربيع ١٩٧٤ ثمان عشرة سنة بعد اللقاء الكبير في اديس صيف ١٩٦٣ . سنوات طوال كانوا يفكرون فيها ويقدرون . ولنا أن نسائل فيم ، يعيننا الجواب في بحثنا عن بدء الطريق للقابل . ما نحن بصدد الفكر المجرد ولا المتعة الذهنية . نريد لنرى طريق القابل في العلاقات الافريقية العربية .

أجهد لاوجز ايجازا يخل ، أجيب ، انهى هذا الشطر من حديثي عن الحذر المرتاب والحرص المذل : كانت الطريق وعرة من أديس لمقديشو للقاهرة للسنغال قله خيرة من الجانبين تحته جوف صخور الحرص العربي والريبة الافريقية . امسكت هذه القلة بتلابيب اللهفة العربية حذر أن تزيد تلك الريبة ريبة فرط الحرص . انا كتبت على أيامنا تلك على عجل مذعور اقتضته خيبات اجتماع القمة في موريشص ، أصف الذي كان من أمر الذين أعدوا لاجتماع القاهرة ربيع سنة ١٩٧٧ ، في كتابي « عرب وأفارقة » قلت في الذي قلت أحث على الاجتماع في القاهرة ، رغم العوائق :

« يوما سيعرف الناس عذابات وزرائهم وسفرائهم حين يباح الكلام وتتاح مسودات الفكر التي كانت الأصل في وثيقة التعاون العربي الافريقي التي سيدرسها الملوك والرؤساء حين يلتقون . شيء واحد لاحرج ان نقوله الآن قبل أن يباح الكلام للذين كانوا هناك وتتاح للمؤرخين تلكم البحوث المضنية ، انها قاعدة الوثيقة : لولا فئة صابرة في الجانب العربي على سذاجة حرص الحريصين ، وأخرى صابرة في الجانب الافريقي على دهاء ومكر الحذرين ، لما تيسر حتى الذى يتيسر الآن من جهد لاهث يسعى ليؤلف القلوب لحد يستطيع فيه العرب والأفارقة الكلام ، مجرد الكلام في شؤونهم معا وشؤونهم لقاء العالم حولهم . كانت الفئتان الصابرتان كعهدك باشباهها من القلة العازمة ، ذات بصيرة وبصر ، وان لم تكن دربة على أزقة السياسة ودهاليزها المرجة ، عزمها غناها والدهاليز والأزقة قائمة عتمات بعضها فوق بعض ، صنعتها سنون النفرة بين الأفارقة والعرب » . ○

الخرطوم ـ جمال محمد أحمد

العرب في الأمم المتحدة

بقلم : عبد الحميد الكاتب

اذا كانت الحماسة فى التعبير وارتفاع الصوت فى الالقاء والاسهاب والاطناب من سمات فن الخطابة العربية التقليدية ، فقد عرفت الأمم المتحدة عددا من العرب الخطباء المتحمسين فى التعبير والالقاء بصوت جهير يريد التأثير . وفى مقدمة هؤلاء الخطباء العرب الخطيب المصقع ، والمحامى القدير ، الذى دوى صوته فى قاعات الأمم المتحدة سنين طويلة ، الأستاذ أحمد الشقيرى ، عليه رحمة الله .

واذا كان هدوء الصوت ووضوح الالقاء ، واختيار الكلمات والعبارات الموزونة أسلوبا جديدا فى الخطابة ، لعل الذى ابتكره هو طه حسين مثلما ابتكر أسلوبا جديدا فى الكتابة . فقد عرفت الامم المتحدة عددا من المتحدثين العرب الذين كانوا يتحدثون فى المشاكل السياسية وغير السياسية ، مثلما يتحدث الأستاذ المحاضر فى قاعة الدرس الجامعى . وقد تمثل هذا فى المفكر الكاتب المصرى محمود عزمى كما تمثل أيضاً فى أبرز من مثل مصر فى الأمم المتحدة سنين طويلة ، وهو محمود فوزى ، رحم الله الرجلين .

واذا كان فن الخطابة « البرلمانية » هو الفن المطلوب فى الأمم المتحدة لأنها فى واقع الأمر برلمان عالمى يجادل فيه ممثلو الدول بعضهم بعضا جدالا هادئا أو عنيفا ، فقد شهدت الأمم المتحدة عددا من العرب من طراز الخطباء البرلمانيين البارعين فى عرض قضيتهم والذين يزدادون براعة عندما يردون على خصومهم ويهاجمونهم ويفندون اقوالهم وحججهم ، ولا أستطيع ان اذكرهم جميعا ، فأذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر : شارل مالك ممثل لبنان ، وعدنان الباجهجى ممثل العراق،واحمد بنهيمه ممثل المغرب ، ومحمد الفرا ممثل الأردن .

واذا كان قليل من ممثلى الدول فى الأمم المتحدة قد عرف واشتهر بتعبيراته الساخرة وكلماته اللاذعة ، دون أن يفقد بهذا « الوقار » . . الذى يجب أن يتسم به ممثل الدولة فى هذا المحفل الدولى الكبير . . ومن أشهر هؤلاء فيشنسكى ممثل روسيا ، ومونتاهان ممثل امريكا . . فلاشك فى أن أشهر هؤلاء وابرزهم جميعا هو جميل بارودى الذى مثل المملكة السعودية ثلث قرن متصل السنين . .

اللغة فى الأمم المتحدة

واذاكان اختلاط الثقافة العربية الأوربية ظاهرة من ظواهر



الأستاذ عبد الحميد عبد الغني ، السفير المصري السابق كاتب المقال ؛ عمل في الأمم المتحدة على مدى ثلث قرن أو أكثر ، وأتاحت له الظروف المشاركة في مجالات عديدة بالمنظمة الدولية .. سياسية واقتصادية وحقوق الانسان ، والعلاقات الدولية في المجالات العلمية ، وهو من الرواد الأوائل الذين التحقوا بالسلك الدبلوماسي في مصر ، ولكن صلته بالصحافة والكتابة لم تنقطع فقد مضى يكتب ولكن باسم آخر .. « اسم القلم » وهو الذي وقع به هذا المقال .

الجيل الذي نشأ وتعلم في البلاد العربية عندما كان التعليم فيها بلغة أجنبية هي الانجليزية ، كما كان من تقاليد الطبقات والطوائف المميزة تعليم اولادهم في المدارس الأجنبية أو الفرنسية ، نبغ منهم افراد اختارتهم حكوماتهم لتمثيلها على المسرح الدولي لأن من مؤهلاتهم إتقان احدى اللغتين .. فقد شهدت الأمم المتحدة عددا من المندوبين العرب يتكلمون الانجليزية مثلما يتكلمها أبناؤها المثقفون ، « وكان من هؤلاء الفلسطيني ، واللبناني والعراقي والمصري والسوداني والكويتي » ..

وغريب أن من الجيل القديم الذي تعلم في المدارس بالفرنسية او الانجليزية من كان يتقن اللغة العربية اتقانا تاما .. بل كان له اسلوب رصين وبليغ في كتابة العربية والخطابة بها ... وأذكر من هؤلاء على سبيل المثال فقط ، عبد الحميد بدوي رئيس وفد مصر الى مؤتمر سان فرنسيسكو الذي وضع فيه ميثاق الامم المتحدة ، ومحمود فوزي الذي وصف بأنه أديب اختطفته الدبلوماسية .. ثم أذكر الرئيس التونسي حبيب بورقيبة واذكر الرئيس الجزائري هواري بومدين الذي خطب في الجمعية العامة للأمم المتحدة باللغة العربية في سهولة ووضوح .. أما ابلغ وابدع من يتكلم بالعربية في عبارات مختارة وفي تدفق بليغ ، فهو ملك المغرب الحسن الثاني .

عشرون دولة عربية

على ان اللغة وغيرها من الأمور التي تتعلق بالاشخاص الذين يمثلون دولهم في الأمم المتحدة ليس شيئا بالغ الاهمية .. وانما المهم في أي ممثل - سواء كان سفيرا يرأس وفد بلاده أو شابا في أولى مراحل العمل الدبلوماسي - هو « جنسيته » هو الدولة التي يمثلها ، وهو أخيرا الخط العام الذي تتبعه هذه الدولة في سياستها الخارجية ، وفي اوضاعها الداخلية التي تؤثر في هذه السياسة الخارجية وتتأثر بها .

وقد كان التمثيل العربي - ومازال وسوف يظل - معبرا الى اقصى حد عن الاوضاع القائمة في العالم العربي .

إنه صورة مطابقة للأصل كما يقول التعبير الجاري لما يجري في العالم العربي ، تضامنا وتعاونا إن كان هناك شيء من هذا .. وخلافات ونزاعات ومصادمات طالما كان هذا هو الوضع السائد والمسيطر في علاقات الدولة العربية

ومحاورها المختلفة .

وفى الأمم المتحدة عشرون دولة عربية ، تتفاوت اعمارها فى المنظمة الدولية بين ما يزيد على سبع وثلاثين سنة ، وما يقل عن اثنى عشرة سنة .

فهناك ست دول اشتركت فى مؤتمر سان فرنسيسكو ووقعت ميثاق الأمم المتحدة وصارت من الدول المؤسسة لها وذلك فى سنة ١٩٤٥ .. وهى مصر وسورية ولبنان والعراق والمملكة السعودية واليمن .

وبعد عشر سنوات دخلت الى الامم المتحدة دولتان عربيتان ، هما الأردن وليبيا .. أما الاردن فقد دخل ضمن مجموعة من الدول كانت عضويتها موضع مساومة بين واشنطون وموسكو .. وطالت المساومات عدة سنين ثم اتفقت العاصمتان الكبيرتان على « صفقة كبيرة » ودخلت بمقتضاها عدة دول الأمم المتحدة فى يوم من أيام شهر ديسمبر سنة ١٩٥٥ .

أما ليبيا فكانت لها قصة اخرى .. لقد عرضت قضيتها على الأمم المتحدة منذ البداية تقريبا لانها كانت مستعمرة ايطالية سابقة ... وكانت الدول الكبرى التى انتصرت فى الحرب العالمية الثانية قد اتفقت على ان اعداءها الثلاثة فى تلك الحرب « المانيا وايطاليا واليابان » لا تقبل فى المنظمة الدولية التى اتفقوا على اقامتها بعد ان يتم لها الانتصار ، اما مستعمرات هذه الدول فينظر فى أمرها بعد ذلك .

ليبيا والسودان

ونظروا فى امر ليبيا .. وقرروا تقسيمها ثلاث مناطق تعطى كل منطقة الى احدى الدول .. فتذهب برقة إلى بريطانيا ، وتذهب طرابلس الى ايطاليا التى كانت قد كفرت عن سيئاتها أيام موسوليني وأخذت تتودد الى امريكا وروسيا معا .. وتبقى فزان على حدود تونس ، وهذه تذهب الى فرنسا .

وهكذا قسموا ليبيا فى سنة ١٩٤٩ الى ثلاثة اشلاء ، وتقاسموها بينهم وصوتت اللجنة السياسية فى الأمم المتحدة فوافقت على هذا التقسيم والتوزيع ... ولم تصوت ضد هذا القرار سوى الدول العربية الست ومعظم الدول الاسلامية والاتحاد السوفيتى واربع دول اشتراكية فى منطقة نفوذه .. أما إيران .. « المسلمة » .. وأما تركيا « المسلمة » أيضا فقد صوتتا مع تقسيم ليبيا وتوزيعها ..

وكانت مصر تحتضن قضية « وحدة ليبيا واستقلالها » الى اقصى حد .. وتساندها فى هذا دول عربية واسلامية وآسيوية .. فلما صدر هذا القرار تألم المصريون كثيرا ، وتألم وزير خارجيتها حينذاك احمد محمد خشبة باشا ، الذى عرض القضية بنفسه فى الأمم المتحدة .. فلما صدر هذا القرار الجائر سمعته يقول عن موقف ايران « المسلمة » لاحول ولا قوة الابالله .. حتى قبائل الديلم صارت تتحكم فى مصائر العرب !

وجرت المساومات الدولية فأسفرت عما عرف باسم اتفاق « بيفن - سفورزا » نسبة الى ارنست بيفن وزير خارجية بريطانيا ، والكونت سفورزا وزير خارجية ايطاليا .. واقرت الامم المتحدة هذا الاتفاق الذى قضى بالابقاء على وحدة ليبيا ووضعها تحت ادارة الامم المتحدة ثلاث سنوات ، وبعدها تصيردولة مستقلة .. وتصير عضوا فى الامم المتحدة .

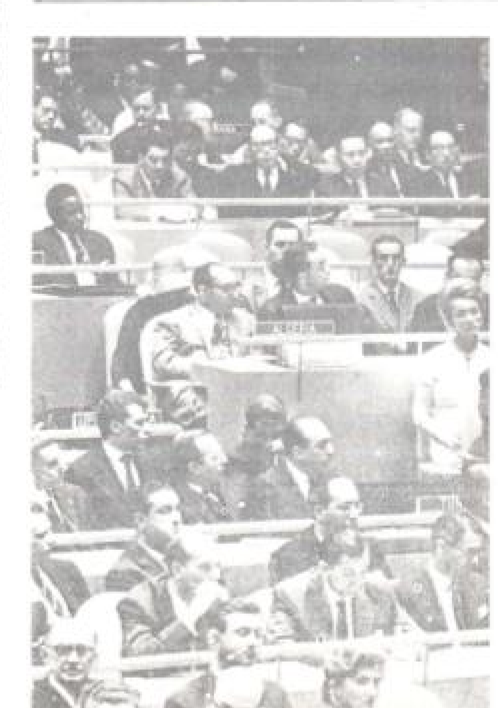
وفى السنة التالية ١٩٥٦ ، دخلت ثلاث دول عربية نالت استقلالها .. هى المغرب وتونس والسودان .. جلا الاستعمار الفرنسى عن الدولتين العربيتين فى شمال افريقيا وركز جهده فى البقاء والاستيطان فى الجزائر . أما السودان ، فقد تحدت مصر بريطانيا وطلبت استفتاء الشعب السودانى فى مصيره بعد أن تجلو عنه القوات البريطانية التى تحتله وتحكمه وكان موضوع الاستفتاء : هل تريد وحدة السودان مع مصر أم هل تريد استقلال السودان ؟ واختار السودانيون الاستقلال . وبعد هذا ، صار السودان عضوا فى الأمم المتحدة .



الجزائر ودول الخليج

وبعدها بسنوات ، شهدت الامم المتحدة مشهدا رائعا فى شهر اكتوبر سنة ١٩٦٢ . . شهدت احمد بن بيلا زعيم الثورة الجزائرية يتجه الى منصة الجمعية العامة للامم المتحدة بينما وقفت وفود جميع الدول ووقف الزائرون الذين ازدحموا فى القاعة الكبرى ، يصفقون تصفيقا حادا تحية للدولة الجديدة التى جاء زعيمها يلقى كلمة تحية للمنظمة التى تناولت قضية الجزائر سبع سنوات متتالية . . سنوات من الخطب الرنانة تؤكد فيها فرنسا أن الجزائر جزء من أرضها ولهذا لايجوز للأمم المتحدة أن تتدخل فى شؤون فرنسا الداخلية . . بينما تنادى اغلب دول العالم بأن الشعب الجزائرى شعب له جميع مقومات الشعوب ، فله حق تقرير مصيره وله حق الاستقلال . . . وكانت الثورة الجزائرية ، فى ساحة القتال وبدم المقاتلين البواسل قد حسمت الأمر قبل ان تحسمه الأمم المتحدة وقررت وفرضت حق الشعب الجزائرى فى حريته وحقه فى إقامة دولته المستقلة التى تأخذ مكانها فى الأمم المتحدة الى جانب الدول المستقلة الأخرى .

ثم جاء دور الكويت ، وكان قد نال استقلاله واراد ان يأخذ مكانه فى الامم المتحدة ، وقبول دولة جديدة فى المنظمة الدولية يمر بمرحلتين اولاهما موافقة مجلس الامن بأغلبية أعضائه على شرط الا تعترض إحدى الدول الخمس الدائمة ، وثانيهما موافقة الجمعية العامة بأغلبية أعضائها . . . وكان الاتحاد السوفيتى غير مستعد أول الامر للموافقة على عضوية الكويت ثم عدل عن موقفه . . فوافق مجلس الامن ووافقت الجمعية العامة ، وصار الكويت عضوا فى الأمم المتحدة يوم ١٤ مايو ١٩٦٣



وبعد هذا بثمان سنوات أى فى سنة ١٩٧١ ، انضمت سائر دول الخليج : البحرين وقطر ، ثم عمان ثم الامارات . . وهكذا أخذت جميع الدول العربية مكانها فى الامم المتحدة .

ثم صارت اليمن دولتين : اليمن التى تعرفها الأمم المتحده ودولة اليمن الشعبية التى صارت عضوا فى سنة ١٩٦٧ .

هل يرتفع علم فلسطين

فوق الامم المتحدة

فلنتذكر أنه عندما قامت الأمم المتحدة ، كان فى العالم أقل من خمسين دولة مستقلة استقلالا يؤهلها لعضوية المنظمة الدولية . . وكان فى العالم اكثر من مائة أمة تسعى الى حريتها واستقلالها وكان بعضها يجاهد فى سبيل الاستقلال وكان بعضها ينتظر ان يأتيه الاستقلال من أيسر الطرق . . . وقد استقلت هذه البلاد جميعا وارتفعت اعلامها فوق الأمم المتحدة . . فكيف لايتحقق مثل هذا للشعب الفلسطينى الذى يجاهد ويضحى ويثور ويحارب فى سبيل حريته من سنة ١٩٣٦ ؟ . . ولقد اصابته النكسات والهزائم والكوارث مرارا ولكنه نهض من كل هذا مرة بعد مرة فازداد على مر الأيام تصميما وازدادت قيادته تجربة ومقدرة على اجتياز الصعاب وممارسة القيادة وازداد العالم ادراكا واقتناعا بأن هذا شعب له كيانه وله مقوماته ، وان له حقوقا طبيعية مثل سائر الشعوب . .

وقد خطا الشعب الفلسطينى خطوة فى الطريق الى الامم المتحدة حين اعترفت المنظمة الدولية بأهمية كبرى بمنظمة التحرير الفلسطينية واشتراكها فى الأمم المتحدة بصفة مراقب دائم ثم حين وقف ياسر عرفات فوق منصة الجمعية العامة يخاطبها ويخاطب العالم من خلالها ويقول لهم باسم الشعب الفلسطينى : لا تسقطوا غصن الزيتون من يدى .

الحرب الباردة العربية

من المفارقات ان تكوين المجموعة العربية في الأمم المتحدة كان من نتائج الحرب الاهلية في لبنان سنة ١٩٥٨ ، هذه الحرب التي خلقت محاور عربية وألقت بالعالم العربي في حومة صراع واسعة النطاق وولدت ما يمكن ان يسمى بالحرب الباردة العربية .. والتي عاش فيها العالم العربي منذ ربع قرن ومازال يعيش فيها حتى الآن .

لقد احتدمت تلك الحرب الباردة بين الجبهة الناصرية في مصر وسورية ونصف الشعب اللبناني وبين الجبهة المعارضة في الأردن والعراق والنصف الآخر من الشعب اللبناني ... بينما كانت بعض الدول العربية الأخرى أطرافا جانبية في تلك الحرب الباردة ..

وكان لابد في نهاية الأمر من طريق يلتقي فيه اطراف النزاع ... وكان هذا هو الطريق الى الامم المتحدة ، حيث عقدت الجمعية العامة دورة خاصة في سنة ١٩٥٨ اسمها « دورة مشكلة لبنان » .. وجاء العرب يمثلهم وزراء الخارجية والسفراء والخطباء ، ودوت في القاعة الكبرى في الامم المتحدة اصواتهم بخطب ملتهبة يهاجم ويتهم فيها العرب بعضهم بعضا ، بينما جلست وفود الدول الاخرى تستمع .. ولعل اكثرها كان مستريحا الى ما يستمع ـ فقد بدا العرب وكأن قلوبهم وعقولهم قد خلت من كل شيء الا الاتهامات وشتائم يتبادلونها !

ولكن من وراء ستار كانت تجرى مفاوضات ومباحثات ، وفجأة وبدون مقدمات توقفت الحرب الباردة ... وأصدرت الجمعية العامة قرارا إجماعيا صاغته الوفود العربية بنفسها ... يدعون فيه أنفسهم الى التفاهم فيما بينهم ، ويدعون جامعة الدول العربية الى أن تقوم بدورها في جمع كلمة العرب ، ومنح الجامعة مقعد المراقب الدائم في الجمعية العامة للأمم المتحدة .

ورغم ان مجموعة الدول العربية في الامم المتحدة قد تكونت منذ ربع قرن ، فانها لم تستطع ان تقوم بالدور الذي انشئت من اجله اساسا ، وهو تنسيق العمل بين اعضائها في مواقفهم المختلفة بحيث يكمل بعضها بعضا ، وبحيث يسودها طابع واحد من التضامن والتساند .. وليس هذا ذنب مندوبي الدول العربية في الامم المتحدة ، ولكنها تلك الحرب العربية الباردة التي تنغمس فيها دول المنطقة من وقت الى آخر .. وهي حرب « محلية » من جانب ، ولكنها من جانب آخر امتداد للحرب الناشبة في المجال الدولي الفسيح بين الدولتين الكبيرتين ، وبين المعسكر الشرقي والغربي .. وقد وجدت الدول العربية ، ـ معظمها أو كلها ـ نفسها وسط الدوامة الهائلة التي تثيرها الحرب الباردة الكبرى ، أو القت بنفسها فيها . ولو اننا وضعنا خريطة بيانية ترسم الفترات التي احتدمت فيها الحرب الباردة بين المعسكرين الكبيرين والفترات التي هدأت فيها رياح تلك الحرب الباردة وانحسرت تياراتها لوجدنا أنها قد انعكست في الحالتين على علاقات الدول العربية بعضا ببعض في صورة واضحة جدا .. ولنتذكر مثلا ايام اشتداد الحرب الباردة بين الشرق والغرب منذ الحرب الكورية سنة ١٩٥٠ وحتى انتهاء أزمة الصواريخ في كوبا سنة ١٩٦٠ . فنجد ان الخلافات بين الدول العربية احتدمت خلال ذلك العقد احتداما شديدا وصار مجلس الامن في الامم المتحدة مركزا لشكاوى عدد من الدول العربية بعضا من بعض . وكانت مصر في فترة ما هي محور هذه الشكاوي .. وذلك حين قطعت العلاقات بين مصر على وجه أوآخر مثل سحب السفراء أو اغلاق السفارات ، وبين معظم الدول العربية .. وعلى وجه التحديد وقعت الوقيعة بين مصر وبين كل من الأردن ، العراق ، لبنان ، سوريا ، السعودية ، ليبيا ، تونس ، المغرب ، السودان ، اليمن ..

كان هذا الموقف في العالم العربي ينعكس بصورة واضحة على الموقف في الأمم المتحدة .. ومضت فترة فيما بين ١٩٥٨ وأوائل الستينات لا يكاد ينعقد مجلس الأمن ـ وكان ينعقد كثيرا ـ إلا لينظر شكوى موجهة من دولة عربية ضد دولة عربية أخرى .. وصارت محاضر مجلس الأمن ومحاضر الجمعية العامة مليئة بالخطب التي يهاجم فيها ممثلو الدول العربية بعضهم بعضا .. كل بطريقته الخاصة .

موقف العقلاء

ولكن من الانصاف ان نقول ان بعضا من ممثلي الدول العربية كان يفطن الى ان هذه حالات عابرة وسوف تنتهي ، وأنه مهما يكن من أمر الخلاف والصراع في داخل بلادنا ، فلا يجوز ان نعري انفسنا ونفضحها أمام العالم على المسرح الدولي ، وكان هذا الفريق من العقلاء يرى أنه مهما كانت اسباب هذا الخلاف ودوافعه واغراضه ، فان هناك نقطة التقاء بين الدول العربية لا خلاف عليها وهي أن وطنا عربيا قد سلب واحتلته قوة دخيلة وإن هذه القوة الدخيلة تستندها وتمدها بكل وسائل العون والتدعيم والبناء قوى أجنبية عديدة وكلها تستهدف العالم العربي جميعا .. وكان موقف هؤلاء العقلاء من المندوبين العرب يساعد على تخفيف حدة الخلاف والصراع بين الحكومات المتخاصمة .. وأذكر على سبيل المثال أنه عندما تقدم

السودان الى مجلس الأمن بشكوى ضد مصر لخلاف نشب بينهما في أواخر الخمسينات حول منطقة على الحدود بينهما ، بدأت الجلسة بأن وقف سفير مصر عمر لطفي وسفير السودان يعقوب عثمان جنبا الى جنب ، يتصافحان بينما مصورو الصحف الامريكية يلتقطون صورهما . . ثم اخذ كل منهما مقعده حول مائدة مجلس الأمن . . وانتهى الامر بقرار من مجلس الأمن يدعو الطرفين الى التفاوض حول ما بينهما من خلاف . . ولم يلبث الخلاف ان انفض، لأن مياه النيل التي تجري وتروي جنوب الوادي وشماله أقوى كثيرا وكثيرا من خلاف الحكومات ومن قرارات الامم المتحدة .

القضية الأولى في الأمم المتحدة

ومهما يكن من عوامل الخلاف التي تسود العالم العربي وتتسرب منه الى وفوده ومندوبيه في الامم المتحدة ، فان الدول العربية ، فرادى ومجموعات ، لم تكن في أية مرحلة دولا منزوية في ركن من اركان المنظمة الدولية . . ولم تكن اصوات مندوبيها خافتة لا تُعنى الدول الأخرى كبيرها وصغيرها بالانصات اليها والاهتمام بها . . بل على النقيض من هذا كان التمثيل العربي ملحوظا وملموسا سواء عندما كان مقصورا على ست دول أو عندما اتسع نطاقه ليضم عشرين دولة ترفع اصواتها في الامم المتحدة ويرتفع معها دائما صوت منظمة التحرير الفلسطينية .

والسبب الاساسي في ان التمثيل العربي لم يكن في يوم من الايام منزويا ومتواريا في الامم المتحدة ، هو ان المحور الذي يدور حوله اساسا ذلك التمثيل العربي ، هو القضية التي بدأت منذ بدأت الامم المتحدة تقريبا ، ثم لازمت الامم المتحدة في كل اطوارها ومازالت تلازمها حتى الآن ، بل هي القضية التي اخذت من الامم المتحدة وما تزال تأخذ اكثر جهدها وأكثر وقتها حتى لو عددنا هذا الجهد وهذا الوقت ، بعدد الخطب وعدد الجلسات التي استغرقتها ، وعدد الصفحات التي سجلت فيها هذه الخطب . . فما من قضية في تاريخ الامم المتحدة اخذت من جلسات مجلس الأمن ، ومن جلسات الجمعية العامة في دوراتها السنوية ودوراتها الاستثنائية ، ومن جلسات عديدة من اللجان . . مثلما اخذت القضية الفلسطينية التي عُرضت في الامم المتحدة تحت اسماء مختلفة . .

في مرحلة طويلة على مدى سنين عديدة كانت الجمعية العامة لا تعرف شيئا « اسمه القضية الفلسطينية » . . ورغم هذا فقد كانت الخطب تدوي . . وهي تدور حول موضوع عنوانه « تقرير وكالة إغاثة اللاجئين الفلسطينيين » .

وكان جدول أعمال مجلس الأمن يضم بندا عنوانه « قضية فلسطين » . . وكان المجلس يعني بهذا جانبا واحدا من جوانب القضية . . هو في احسن الظروف الكلام . . . مجرد الكلام ، عن اختراق خطوط الهدنة التي عقدت بين ثلاث دول عربية وبين اسرائيل او مثل قضية الملاحة الاسرائيلية في قناة السويس . . ولكن بعض ممثلي الدول العربية ومنهم فارس الخوري ومحمود فوزي وأحمد الشقيري لم يفوتوا هذه المناسبات دون أن يتكلموا عن القضية الفلسطينية في جوهرها .

ثم كانت الصحوة الفلسطينية الجديدة ، منذ رفع الشعب الفلسطيني عن نفسه وصاية بعض الدول العربية ، وكون لنفسه قيادة فلسطينية من أبناء الوطن الفلسطيني ، فانتقلت القضية الفلسطينية في الأمم المتحدة وعلى المسرح الدولي الى مرحلة جديدة . . فصارت القضية الفلسطينية هي اهم القضايا جميعا أمام الجمعية العامة وامام مجلس الأمن وامام عدد من اللجان الرئيسية واللجان الخاصة . . وصارت القضية تعالج من جميع الجوانب . . ابتداء من قضية اللاجئين الى قضية الاراضي المحتلة بعد سنة ١٩٦٧ ، الى قضية انتهاكات حقوق الانسان في الارض المحتلة الى قضية القدس ، الى قضية حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني . . حتى ان الجمعية العامة في دورتها الاخيرة أصدرت ستة عشر قرارا في شأن القضية الفلسطينية فضلا عن قرارات لم تصدر إما لأنها لم تنل الأغلبية الكافية من الأصوات وإما لان مقدميها عدلوا عنها بعد ان خطبوا وتحدثوا في الموضوع كما أرادوا .

المهم . . ان القضية الفلسطينية التي وضعتها بريطانيا في «حجر» الامم المتحدة سنة ١٩٤٧ قامت ورفعت رأسها وسط هذا الركام وصارت هي القضية الاولى في الامم المتحدة . . وان كانت الامم المتحدة ليست الا ميدانا واحدا من الميادين التي تشغلها القضية التي صارت قضية دولية بكل ما في القضايا الدولية من ابعاد ومن اخطار .

أما في الأمم المتحدة فهي القضية الاولى . . وهي لهذا جعلت من مجموعة الدول العربية التي تشارك جميعا في الدفاع عنها كل بطريقته الخاصة ، ومجموعة بارزة على مسرح الامم المتحدة . . وجعلت من عدد من ممثلي الدول العربية بل ومن ممثلي دول اخرى ، شخصيات بارزة على مسرح الامم المتحدة . . ولعل الحديث عن بعض هذه الشخصيات « العربية » و « غير العربية » ودورها في القضية الفلسطينية وفي القضايا العربية بوجه عام ، يلقي ضوءا اوضح على العرب في الامم المتحدة . . وعلى الامم المتحدة ذاتها . ○

عبد الحميد الكاتب

القمر الصناعي العربي

في الفضاء خلال مارس ١٩٨٤

بقلم المهندس سعد شعبان

يبدو أن مشروع القمر الصناعي العربي سوف ينتقل من دائرة الحلم الى دنيا الحقيقة .

في نوفمبر من عام ١٩٨٢ انتهت الجولة الأخيرة من حلقات التخطيط لمشروع عربي عام ، ستكون له آثاره على الأمة العربية ، هو مشروع « شبكة القمر الصناعي العربي » . فقد وقعت العقود الخاصة باطلاق قمرين صناعيين عربيين للاتصالات سيأخذان مكانيهما في الفضاء خلال عام ١٩٨٤ .

وحقيقة الأمر أن هذا المشروع ظل قيد البحث والدارسة مدة تقرب من خمسة عشر عاما ، وبدأ بتوصية اتخذت في اجتماع لوزراء الاعلام العرب في مدينة بنزرت بتونس عام ١٩٦٧ . ثم تبلورت التوصية بقرار اتخذ في ابريل عام ١٩٧٦ في المؤتمر الثالث لوزراء المواصلات العرب الذي انعقد بمقر جامعة الدول العربية بالقاهرة . حتى أخذ المشروع صورته المكتملة بتوقيع العقود مع الشركات والمنظمات المتخصصة عام ١٩٨٢ وأصبح القمر العربي للاتصالات الذي يحلو للبعض أن يطلقوا عليه اسم « أرابسات » (Arabsat) حقيقة ستأخذ طريقها الى الفضاء بعد شهور قليلة ، ليصبح المولود الفضائي الاول لاحدى منظمات الجامعة العربية . لقد اسفرت هذه



منطقة تغطية القمر الصناعي العربي

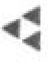
الجهود المتصلة عن جعل مشروع القمر الصناعي حقيقة قريبة التحقيق .

تكنولوجيا الاتصالات الفضائية

ان اقتحام الأمة العربية للفضاء . بهذه الشبكة من الأقمار الصناعية أمر يحمل مدلولات كثيرة ، من أهمها الانفتاح على أهم تكنولوجيا في عصرنا الذي تنعته بأنه عصر الفضاء . وبه سيواكب العرب انجازات الفضاء التي أخذت بها الأمم المتحضرة ، تيسيرا على شعوبها في حياتهم اليومية . فقد أصبحت الأقمار الصناعية ذات أثر فعال في كثير من الأمور ، فبها يتم التنبؤ بالطقس ، وعن طريقها تتم الاتصالات الهاتفية وتنتشر الاذاعات المسموعة والمرئية وبها تمسح الأرض وتصور المعالم وترسم الخرائط وتستطلع المعادن في بطن التربة ، وتنظم حركة الطائرات في الهواء ، والبواخر في الماء ، وتستشعر المعالم الأرضية المتباينة بالاشعاع . ولكن على رأس هذه التطبيقات كافة تقف الأقمار الصناعية للاتصالات بمعناها الشامل الذي يعني الاذاعات الصوتية والمرئية أي التليفزيونية وتوفير الاتصال التليفوني والتلكس .

وتتصدر الأقمار الصناعية للاتصالات قائمة التطبيقات الفضائية حيث تدخل في حياة ملايين البشر ، لأنها تغمر قارات كاملة باشعاعاتها واذاعاتها . اذ تتيح لها ارتفاعاتها العالية في الفضاء أن تطل على مساحات شاسعة فتغمرها بما تعجز عنه مئات من محطات الاذاعة الأرضية ، والمحطات التليفزيونية ومئات السنترالات الهاتفية وآلاف الكيلومترات من كوابل التليفون التي يلزم دفنها تحت الأرض .

ويرجع الانجاز الفضائي الأول لأقمار الاتصالات الى عام ١٩٦٤ عندما تحقق نقل مباريات دورة طوكيو للألعاب الأوليمبية من اليابان الى كثير من مدن أوروبا وأمريكا عبر القمر الصناعي الأول من سلسلة أقمار « سينكوم » الأمريكية . ولقد استمتع ملايين البشر في هاتين القارتين بمشاهدة هذه المباريات على شاشات التليفزيون وقت اقامتها في اليابان رغم انها تقع في قارة ثالثة . وبذلك بدأت البشرية عهدا جديدا تخلصت فيه من قصور انتشار الموجات الكهرومغناطيسية التي تنقل الاذاعات المسموعة والمرئية عبر الهواء والفضاء وأمكن وصولها لمسافات بعيدة باستخدام الأقمار الصناعية للاتصالات . فالمعروف أن المحطات الأرضية للاذاعات التليفزيونية لا يمكنها نقل البرامج الا لمدى يقل عن ١٠٠ كيلومتر ، وتحتاج بعد ذلك الى اعادة اذاعة ، بينما الاذاعات التليفزيونية من قمر صناعي واحد يمكن أن تغمر قارة بأكملها ، بل يمكن أن تغطي ثلث مساحة الكرة الأرضية تقريبا في آن واحد . ولذلك لو أريد تغطية قارات الكرة الأرضية كلها باذاعة تليفزيونية واحدة فانه يكفي



استخدام ثلاثة أقمار صناعية لهذا الغرض . وتطلق أقمار الاتصالات لتتخذ مداراتها في الفضاء على ارتفاع موحد هو ٣٦,٠٠٠ كيلومتر ، وبحيث يكون هذا المدار فوق خط الاستواء تماما . والسبب في ذلك هو جعلها تدور بنفس سرعة دوران الأرض . ولذلك تظل أقمار الاتصالات معلقة فوق خط الاستواء لأن سرعة دورانها تتوافق أو تتزامن مع سرعة دوران الأرض ، وعادة يختار مكان تعليقها فوق المحيطات حتى تغمر باذاعاتها اليابسة في قارتين .

وهناك على المستوى الدولي نظامان للاتصالات أولها أمريكي ويعرف باسم نظام « انتلسات » (Intelsat) ومعناها الأقمار الصناعية للاتصالات الدولية وقد بدأ منذ عام ١٩٦٤ يقدم خدمات الاتصالات الدولية للدول المساهمة فيه تجاريا . ولذلك توالى اطلاق سلسلة من الأقمار الصناعية تحمل نفس اسم المنظمة (Intelsat) بلغت حتى اليوم ستة أقمار ، لأن لكل منها عمرا لا يزيد عن ٧سنوات . وتوفر هذه الأقمار خدمة الاتصالات الهاتفية والتلكس والتلفزيون (والفيديوفون) أو التخاطب المرئي ونقل المعلومات وتصوير الوثائق وخدمة الصحافة .

وتشترك حاليا ١٠٦ دول في نظام « انتلسات » الذي يمثل أكثر من ثلثي حجم الاتصالات الدولية ، وتخدمها ٣٠٠ محطة أرضية تستقبل اذاعات الأقمار ، وثاني نظم الاتصالات الدولية هو نظام « انترسبوتنيك » (Lnterspotnik) بتقديم نفس الخدمات لدول المعسكر الشرقي .

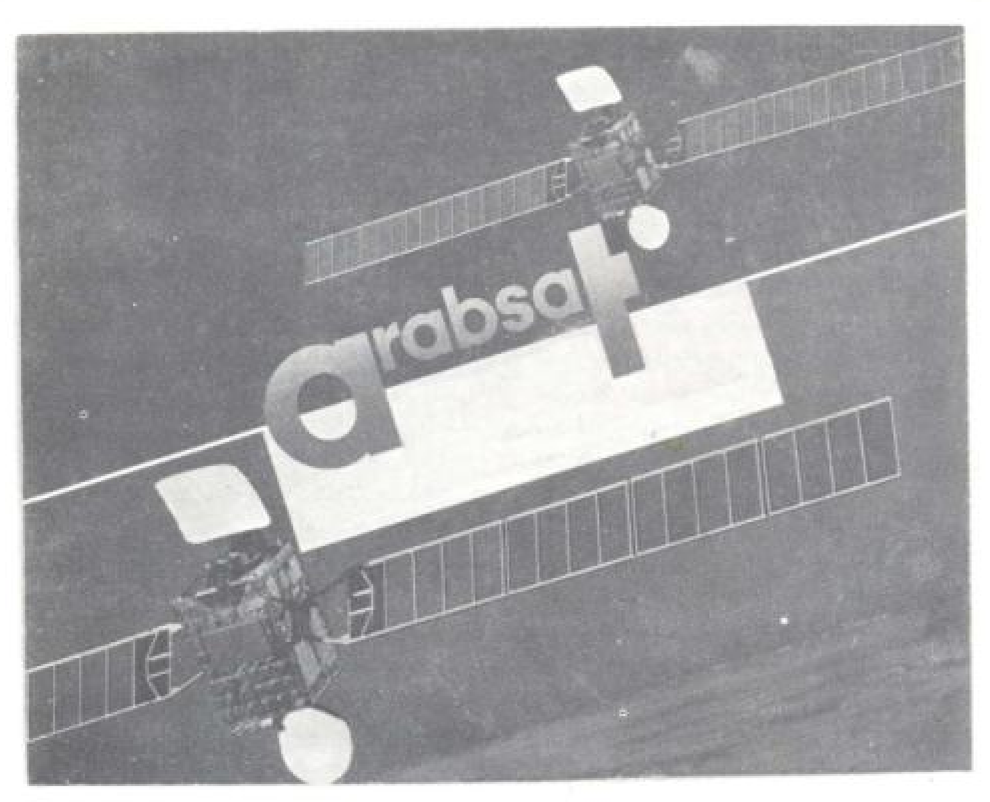
أين سيعلق القمر العربي

ويطلق على قمر الاتصالات عادة أنه معلق في الفضاء وعادة يعلق فوق المحيط الأطلسي أو الهندي أو الهادي ، لأنه يبقى ثابتا فوق النقطة التي يبلغها على ارتفاع ٣٦,٠٠٠ كيلومتر .

ولكن كلا من القمر الصناعي العربي الأول والثاني سيعلقان فوق خط الاستواء بحيث يحققان التغطية الاذاعية لرقعة الدول العربية التي يسكنها ١٢٠ مليون نسمة موزعين في ٢٢ دولة والتي تمتد من الخليج العربي شرقا حيث امارات الخليج والكويت والعراق حتى المحيط الأطلسي غربا حيث المغرب وموريتانيا ، ومن سوريا شمالا حتى السودان والصومال جنوبا . ولا شك أن الدول المتاخمة للرقعة العربية كايران وتركيا وحوض البحر الأبيض المتوسط ستغمر بهذه الاذاعات . وقد اختير للقمر العربي الأول موقع تقاطع خط طول ١٩° شرقا مع خط الاستواء ، وللقمر الثاني موقع تقاطع خط طول ٢٦° شرقا مع خط الاستواء . ولذلك فسيكون القمران العربيان معلقين فوق منطقة الكونغو .

وقد تحدد لاطلاق القمر الأول شهر مارس من عام ١٩٨٤ ليطلق بصاروخ دفع من طراز « اريان - ٣ » الذي تنتجه المنظمة الأوروبية لأبحاث الفضاء المعروفة باسم « اسرو » (ESRO) والتي مقرها في باريس ، وسيكون مكان الاطلاق من قاعدة في امريكا الجنوبية وقد عهد الى شركة ايروسبيسال الفرنسية (Aerospa-tiale) ببناء جسم القمر بالتعاون مع شركة « فورد ايروسبيس آند كومينيكاشن » Ford Aerospace (&Communication &) وهي احدى فروع شركة فورد الأمريكية . بينما تحدد لاطلاق القمر الثاني شهر أكتوبر من نفس العام ١٩٨٤ وتطلقه وكالة أبحاث الفضاء الأمريكية المعروفة باسم « الناسا » (NASA) بواسطة حمله على « مكوك الفضاء » الى مدار عال وبذلك سيكون المكوك بمثابة منصة اطلاق عالية بدلا من استخدام صاروخ دفع ضخم . وبعد انطلاقه من فوق متن المكوك سيكمل ارتفاعه في الفضاء حتى مداره على ارتفاع ٣٦,٠٠٠ كيلو متر بواسطة صاروخ دفع أمريكي تصنعه شركة « ماكدونالد دوجلاس » الأمريكية . وفي الحقيقة سيكون لشبكة الأقمار الصناعية العربية قمر ثالث ، سيبقى كاحتياطي في التخزين على الأرض .

ولا شك أن شبكة القمر الصناعي العربي اذا تحققت ستكون انجازا حضاريا هاما بالنسبة للأمة العربية . ولكن الأهم من ذلك أن هذا المشروع قد طفا الى الوجود عام ١٩٨٢ ورسخت بوجوده أقدام منظمة عربية جديدة هي احدى تنظيمات الجامعة العربية . وقد أسميت « المنظمة العربية للاتصالات الفضائية (A . S . C . O . (Arab Satellite Com-munication Organisation) ولئن كان المولود الأول لهذه المنظمة سيظهر الى الوجود في مارس ١٩٨٤ فان الأمل معقود عليها في أن تواصل الجهد لتحقيق مزيد من الانجازات الفضائية على المستوى العالمي المشرف ، لتلحق الأمة العربية بركب التقدم وتبتعد عن ركب التخلف . ولئن كانت هذه المنظمة قد انشئت عام ١٩٧٦ فان مامضى من وقت قبل هذه الانطلاقة سيجعلها على المستوى الدولي الذي يسمح لها بانطلاقات أخرى .



شكل تصوري للقمر الصناعي العربي

وستتكلف عملية اطلاق القمر الصناعي العربي الأول مبلغ (٢٣) مليون دولار أمريكي ، بينما يتكلف القمر الثاني (٥و١١) مليون دولار لاطلاقه من المكوك ، ويتكلف صاروخ الدفع الأمريكي (٥و٨) مليون دولار .

وقد قام بتمويل المشروع كل من المملكة العربية السعودية بنسبة ٢٦,٦٪ ، والجماهيرية العربية الليبية بنسبة ١٨٪ وأسهمت باقي الدول الأعضاء في المنظمة العربية للاتصالات الفضائية بنسب أخرى متفاوتة ومنها منظمة التحرير الفلسطينية بمبلغ رمزي .

وقد اختير للمنظمة مجلس دائم يتكون من مندوبي خمس دول هي المملكة العربية السعودية ، والجماهيرية الليبية ، والكويت ، والعراق ، وقطر ، وبالاضافة الى هذا المجلس أربعة أعضاء يتم اختيارهم بالانتخاب كل سنتين .

خواص القمر

يبلغ وزن القمر الصناعي العربي ٦٨٠ كيلوجراما ، وأبعاده هي (٢,٢ مترا × ٥و١مترا × ١,٦ مترا) . وله جناحان تثبت عليهما الخلايا الكهروضوئية ، التي تقوم بتوليد طاقة كهربية تبلغ ١,٣ كيلووات وتبلغ المسافة بين طرفي الجناحين ٢١مترا .

ويمكن أن يستمر أداء القمر في الفضاء مدة تبلغ (٧) سنوات . والعنصر الحاكم في هذا الأمر هو وجود مستودع لغاز الهيدرزين على متن القمر ، ينفث من فتحات ضيقة لتصحيح مدار القمر وجعله ثابتا فوق خط الاستواء بتحكم من محطة المتابعة الأرضية .

وقد صمم القمر الصناعي العربي لكي يحقق (٢٦) قناة اتصال منها (٢٥) قناة عامة وقناة واحدة جماعية ، وبالاضافة الى ذلك (٨٠٠٠) دائرة تليفونية و (٧)

قنوات اذاعة مرئية (تليفزيون) .

وقد اختيرت مدينة الرياض لتقام فيها المحطة الرئيسية لمتابعة القمر الصناعي العربي ، كما اختيرت مدينة تونس لتقام فيها محطة متابعة احتياطية تعمل عند توقف المحطة الرئيسية .

وقد اختير لقنوات الاتصال في القمر ـ عدا القناة الجماعية ـ النظام الذي يطلق عليه « الارسال غير المباشر » ، وهو يعتمد على تعامل القمر مع محطة ارسال واستقبال تليفزيون رئيسية بينما توجد في الدول المشتركة في المشروع محطات استقبال تليفزيون تستقبل اذاعات القمر المرئية بواسطة هوائيات (طبقية) قطرها ١١ مترا وترسلها الى محطة اعادة اذاعة تليفزيونية محلية لتبثها في المجال المحلي للدولة ضمن برامجها . وفي هذه الحالة تستقبل في المنازل برامج القمر المختارة بواسطة السلطات المحلية .

لكن قناة الاتصال الجماعية الواحدة التي ستتوفر في القمر فستعمل بنظام ارسال آخر يعرف باسم « الارسال المباشر » . ويعتمد على اشعاع ارسال تليفزيوني غزير من القمر الصناعي ليغمر البلدان العربية كلها ، ويمكن على هذه القناة بث برامج جماعية تفيد كل الدول الأعضاء في الشبكة بطريقة جماعية . ولذلك فستخصص لخدمة البرامج الاعلامية أو التربوية أو التعليمية أو محو الأمية . ويطلق على هذه القناة اسم « القناة الجماعية » لأنها تعتمد على الالتقاط المباشر للبرامج المرسلة من القمر الصناعي بواسطة هوائيات طبقية ذات أقطار تبلغ ثلاثة أمتار تقريبا . وقد تفيد هذه القناة في اتاحة الفرصة للقرى النائية والمناطق غير المأهولة التي لا تغطيها الاشعاعات التليفزيونية المحلية ، للتمتع بمشاهدة برامج القناة الجماعية للقمر العربي . وفي هذه الحالة يكتفي باقامة محطة استقبال صغيرة ، لتغذي المشتركين حولها في نطاق ضيق في هذه الأماكن . وقد تفيد في تعامل الجامعات ودور التعليم معها مباشرة .

ماذا سيحقق القمر للأمة العربية

ان التحدي الحضاري يفرض على الأمة العربية أن يتحتم ... يرتفع التقدم ازاء هذا الانجاز الجديد ، حتى لا يرتفع ... دونها ، ولذلك فسيكون على كافة الدول العربية كثير من الواجبات . ولاشك أن من معالم عصرنا ، تدفق المعلومات الى العقول بغزارة ليعينها على التصدي لهذا التحدي . وكما تسهل الحياة على الأرض بغزارة الطرق وسهولة الانتقال من مكان لآخر ، كذلك تصحو العقول بغزارة الاتصالات وسهولتها ، فهي بمثابة الشرايين في الجسد ، تمد الحياة باكسير الحضارة . ولذلك فالأمل معقود على أن يكون القمر الصناعي العربي وسيلة ربط بين شعوب الأمة العربية لتبادل المعلومات والبرامج ، فهو بمثابة وسيلة فعالة لنشر الثقافة والفكر وتعميم نور التعليم والوصول ببرامج محو الأمية الى الكفور والواحات والنجوع والأماكن المقفرة التي لا يؤمها الكثيرون . وما أكثر هذه الأماكن وسط الرقعة العربية سواء في صحاري السعودية أو فيافي مصر أو تيه الصحراء الكبرى في الجزائر أو فوق قمم جبال العراق واليمن .

ويهيء المناخ الملائم لنشر معطيات واذاعات القمر الصناعي العربي على مدى واسع للعناصر المشتركة في الأمة العربية القائمة على وحدة اللغة ، والتقارب الفكري والعقائدي وتوحد المشاكل السياسية والأماني القومية . ولذلك فان الربط بالاتصالات الذي ستحققه شبكة الأقمار الصناعية العربية ستفلح في التقريب بين شعوب المنطقة العربية فيما لم تفلح فيه تجارب الوحدات السياسية .

ولاشك أن هذه لبنة فعالة في بناء صرح القومية العربية ، ورأب الصدع وتضييق هذا التمزق بين هذه الشعوب . كما سيكون القمر العربي عامل بناء فعال في التبادل الاعلامي والثقافي ، ووسيلة علاج ايجابي لمحاربة الأمية حتى في الأماكن النائية وغير المأهولة . ويمكن به ملء الفراغ الذهني المسيطر على عقول كثير من شعوب هذه المنطقة الذين لاتصلهم الصحف . والارسال التفزيوني .

والذي لا شك فيه أن شعوب الأمة العربية سيكون أمامها نوع من التحدي لتحميل قنوات الاتصالات الاذاعية والمرئية في القمر ببرامج ذات قيمة تعلو عن سفاسف الترفيه السطحي ، والمعلومات التافهة ، الى آفاق يمكن أن تعمق مفاهيم الانسان العربي . ولذلك أحسب أن من أهم واجبات الأمة العربية حاليا الشروع في تعليم كوادر من المتخصصين تستطيع التعامل مع هذه الشبكة فنيا واعلاميا بالمستوى اللائق للاستفادة منها . ○

القاهرة ـ سعد شعبان

عضو لجنة الفضاء باتحاد الطيران الدولي بباريس

هـــل نتعـــلم مـــن

صدمة النفط الثالثة؟

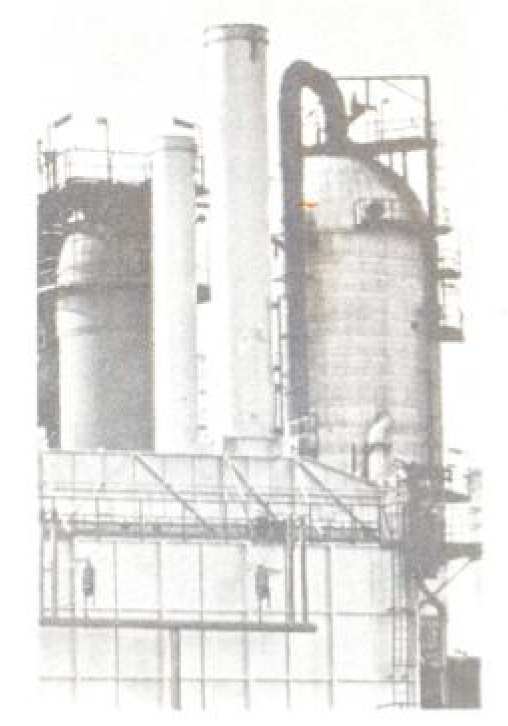
بقلم الدكتور حازم الببلاوي

هل نحن على استعداد للتعلم من دروس تجربتنا مع النفط ؟ لقد كان ثمن برميل النفط في أوائل هذا القرن ١,٢ من الدولار في الولايات المتحدة الامريكية . وبعد اكثر من نصف قرن كان برميل النفط يباع بما لايجاوز ١,٥ دولار ، بل ان شركة ستاندر نيوجيرسي (اكسون الآن) وجدت ان هذه الاسعار مرتفعة مما يتطلب التخفيض وهو ماتم في ١٩٥٩ / ١٩٦٠ .

وقد كان هذا التخفيض لأسعار النفط هو السبب المباشر لتكوين منظمة الأقطار المصدرة للبترول (أوبك) . فبعد اجتماع البترول العربي في القاهرة ١٩٥٩ وجد الشيخ عبدالله الطريقي الخبير السعودي المعروف والفونسو بيرز الفينزويلي الفرصة مواتية للدعوة لعقد اجتماع في بغداد في سبتمر ١٩٦٠ . وكانت بداية الأوبك .

وقد ظل اسم الأوبك خلال الستينات غير معروف كما ظل تأثيرها على سوق النفط محدودا ان لم يكن منعدما . ولكنها كانت سنوات الاعداد وبناء الأجهزة والتعرف الى هذه السوق الهائمة . ومع بداية السبعينات بدأ اسم الاوبك يظهر وخاصة مع اتفاقات طهران في ١٩٧٠ بالتأثير على اسعار النفط . وجاءت حرب اكتوبر ١٩٧٣ ومعها اصبح اسم الأوبك على كل لسان . ففي اجتماع عقد بالكويت في ١٦ اكتوبر ١٩٧٣ بين الدول العربية الاعضاء في الاوبك،تقرر رفع الاسعار من ٣,٠١ من الدولار للبرميل الى ٥,١٢ من الدولار مع تخفيض الانتاج شهريا . وكانت صدمة النفط وسلاح النفط اللذان طالما كثر الحديث عنها . وفي ٢٣ - ٢٤ ديسمبر ١٩٧٣ اجتمعت الاوبك من جديد وقررت رفع الأسعار الى ١١,٦٥ من الدولار للبرميل . ثم توالت الاجتماعات الدورية لمجلس وزراء الأوبك مع تقرير زيادات هنا وهناك . ولكنها محدودة حتى قامت الثورة الايرانية فارتفعت الاسعار من جديد خلال ١٩٧٩ من ١٣,٣٤ من الدولار للبرميل في اول يناير ١٩٧٩ الى ٢٦ دولارا للبرميل في اول يناير ١٩٨٠ . وكانت الصدمة الثانية للنفط . وبعدها ايضا استمرت الاجتماعات مع ارتفاعات هنا وهناك حتى بلغ السعر المعلن ٣٤ دولارا .

وفي ٢٤ يناير ١٩٨٣ اجتمعت الأوبك من جديد في ظل ظروف مختلفة تماما . حيث تحول السوق من سوق بائعين الى سوق مشترين . والمنافسة بين اعضاء الاوبك



على أشدها . كل منهم يعطى خصومات لايعلن عنها ويبيع بما يجاوز الحصة المتفق عليها . ويخرج وزير البترول والثروة المعدنية في السعودية الشيخ زكي اليماني ليعلن فشل الاجتماع .

ويتساءل العديد هل هي الصدمة الثالثة للنفط ؟ ولكنها صدمة عكسية تحولت منها الرياح على غير ما تشتهي دول الأوبك بعد عشرة أعوام من الظروف المواتية . فانتاج الأوبك انخفض من ٣١ مليون برميل يوميا في ١٩٧٩ الى حوالى ١٧ مليون برميل ١٩٨٢ وانخفضت حصتها في تجارة النفط من حوالي ٦٧٪ في منتصف السبعينات الى أقل من ٤٦٪ الآن . وبدلا من نمو الطلب السنوي على النفط بمعدل ٦ ـ ٨٪ في الخمسينات والستينات . أصبح الحديث الآن عن تخفيض الطلب والمحافظة على الطاقة .

فماذا حدث . . ؟

دروس التجربة

ليس الغرض من هذا المقال التعرض لمستقبل سوق النفط . وهل الأزمة الحالية عارضة أم أزمة هيكلية . وانما الغرض هو الوقوف على بعض الدروس المستفادة . ومع ذلك فلا بأس من الاشارة الى اننا نعتقد ان ظروف سوق النفط الحالية لاتعكس أوضاعا دائمة . وانه من المتوقع أن تعاود السوق نشاطها خلال النصف الثاني من الثمانينات مع احتمال زيادة أهمية الطلب على النفط من دول العالم الثالث بشكل أكبر .

والآن نلقي بعض الأضواء على تجربة الماضي .

ان مايسمى بصدمة أو صدمات النفط المرتبطة برفع الأسعار في ٧٣/ ١٩٧٤ ثم في ١٩٧٩ كان لها تأثيران : احدهما على الأثمان والآخر على توزيع الدخول في العالم . وفي كلا المجالين هناك من الدروس المستفادة الكثير .

فمن حيث الأسعار اظهرت تجربة النفط خلال العقد الفائت ان جهاز الثمن جهاز فعال يؤدي وظائفه بنجاح . فأي ارتفاع في الأسعار لابد وان يؤدي الى التغيير في ظروف الطلب والعرض بما يساعد على الوصول الى نوع من التوازن الجديد . وليس من الممكن ان يسيطر أحد على الأسعار دون ان يغير في سلوك الآخرين . فارتفاع اسعار النفط في الفترة السابقة أدى الى تغير ملموس في سلوك المستهلكين . فظهرت موجة المحافظة على الطاقة وبدلا من ارتفاع الاستهلاك السنوي في عدد من الدول الصناعية اذ بها تحقق وفرا يبلغ حوالى ١٥٪ في كثير من الأحوال . كذلك ساعدت الأسعار المرتفعة على الاستثمار في البدائل للنفط . ومن ناحية العرض أدى ارتفاع الأسعار الى زيادة المعروض من النفط من دول خارج اعضاء الأوبك كما ازداد الانتاج في عديد من الدول الاخرى (الولايات المتحدة الامريكية) . وبطبيعة الاحوال فان الاثر الكلي للأسعار يحتاج الى فترة زمنية . ففي الفترة القصيرة لابد من تحمل الأسعار الجديدة ولكن مع مرور الزمن يمكن التخفيف من ذلك عن طريق التغير في ظروف الطلب والعرض . وقضية المدة القصيرة والمدة الطويلة هامة جدا . ويبدو أن العقل العربي غير قادر تماما على ادراك آثارها .

ففي تجربة سابقة عندما اغلقت قناة السويس في ١٩٥٦ لم يستطع العالم تحمل آثار هذا الاغلاق لأكثر من ثلاثة شهور . وعادت القناة من جديد للعمل في ديسمبر من نفس العام . واعتقد العالم العربي ان قناة السويس لابديل لها . فجاءت حرب ١٩٦٧ واغلقت القناة من جديد . ولكن العالم كان قد استعد لهذا الطارئ ومالم يكن محتملا من العالم لأكثر من شهور في ١٩٥٦ اصبح محل لامبالاة العالم بعد عشر سنوات . فلم تفتح القناة عند اغلاقها الثاني الا بعد ثماني سنوات وبجهود مصرية كبيرة لهذا الغرض . وبين الحدثين ظهر او أظهر النفط غرب قناة السويس (ليبيا ـ الجزائر ـ نيجيريا ـ جابون) كما ظهرت الناقلات العملاقة . فلم تصبح القناة بتلك الحيوية التي كانت لها في ١٩٥٦ . وعلى نفس المنوال كان رفع الأسعار في ١٩٧٣ ـ ١٩٧٤ صدمة لم يستطع العالم التخلص منها . ولكن بعد عشر سنوات ظهرت البدائل وجهود خفض

الطاقة واكتشافات النفط خارج الاوبك . وعلى ذلك فالدرس الأول هو أن جهاز الاثمان جهاز فعال ، وان فاعليته في المدة الطويلة كبيرة جدا حتى وان كانت قدرته في المدة القصيرة محدودة .

اعادة توزيع الدخول

أما من حيث توزيع الدخول ، فان ارتفاع اسعار النفط لم تكن مجرد رفع اسعار سلعة وانما هو في الواقع اجراء لاعادة توزيع دخل العالم لصلحة الدول المصدرة للنفط . والجديد هنا هو انه مالم تحمل الدول المستفيدة من هذه الدخول الجديدة على استمرار رفاهية العالم ، فان هذه الدخول نفسها تكون مهددة بالزوال . فالدخول والثروة ليست اشياء في ذاتها وانما هي علاقة مع الآخرين . ويجب ان يكون الآخرون قادرين على الانتاج أكثر حتى تكون لهذه الدخول والثروة معنى . فدول الاوبك وكانت تعرف فائضا قدره ٥ مليارات دولار في ١٩٧٣ ارتفع الى ٦٨ مليارا في ١٩٧٤ مع الصدمة النفطية الاولى وانخفض من جديد الى ٥ مليارات في ١٩٧٨ ليرتفع من جديد مع الصدمة النفطية الثانية لاكثر من ١٠٠ مليار في ١٩٨٠ لكي يزول أو يتحول الى عجز اكبر من ١٨ مليارا في ١٩٨٢ .

وفي نفس الوقت فان الارصدة المتراكمة لعدد من دول الاوبك والتي تبلغ حوالي ٣٥٠ مليار دولار يقابلها ديون لدى الدول النامية وحدها تجاوز ٥٥٠ مليار دولار ويعلم الله متى يتم سدادها . والوسيط بين اصحاب الفوائض وبين المدينين في الدول النامية هي نفس البنوك التجارية والاستثمارية الدولية . وأي انهيار في الدفع من جانب هذه الدول الأخيرة لابد وان ينعكس على حقوق الدول الدائنة .

ومن هنا فان الجميع في زورق واحد ، ومصير البعض مرتبط بمصير الأخرين . وفي وقت من الاوقات كانت الدعوة لانشاء نظام اقتصادي عالمي جديد تدعو الى اعادة توزيع الثروة والدخل العالمي لمصلحة الدول الفقيرة . وجاءت ثورة النفطوحققت جزءا من ذلك لمصلحة الدول المصدرة للنفط وحدها . والآن يتضح اكثر من أي وقت مضى ، ان مصلحة هذه الدول الاخيرة هي في قدرة العالم على السداد وهو امر لايتحقق الا بانتعاش اوضاع الدول النامية الاقتصادية .

لا أحد له مصلحة في استقرار وتحسن اوضاع المدين اكثر من الدائن . لأن هذا هو السبيل الوحيد لاستيفاء حقوقه . والدول المصدرة للنفط وخاصة دول الفائض هي صاحبة المصلحة الأولى في تحسن اوضاع المدينين الاقتصادية ، اذ ان هذا هو الضمان الوحيد لاستعادة حقوقها . وهكذا يتضح ان الثروة ليست اشياء في ذاتها ، وانما هي علاقة وان مصلحة اصحاب الثروة هي اكبر مما يكن في حماية قدرات المدينين وتحسين اوضاعهم . فالنظام الاقتصادي العالمي الجديد ليس فقط مطلبا للفقراء وانما ايضا وبنفس الدرجة مطلب للدائنين . وليس اكثر من دول الفائض النفطي مصلحة في تحسين احوال الفقراء . فمساعدة العالم الثالث ليست فقط عملا من أعمال الشفقة والتعاون الانساني ، ولكنها مصلحة اقتصادية اكيدة للدول الدائنة .

الوضع المالي مهدد

لقد كانت النظرة الأساسية القائمة لدى دول الفائض النفطي هو ان مجال الاستثمار هو الدول الصناعية ، وان الدول النامية تستحق فقط المساعدات والدعم ، حقا لقد انفقت دول الفائض النفطي على المساعدات والدعم لدول العالم الثالث نسبا مرتفعة ليس لها مثيل في التجارب السابقة ، ولكن النظرة كانت بشكل عام هو ان هذه الدول غير قادرة على استيعاب الاستثمارات الكافية . وقد اظهرت التجربة ان استثمار اموال الدول النفطية في الدول الصناعية لم يساعد على مزيد من الانتعاش الاقتصادي في هذه الدول ، وتحول معظم هذه الاستثمارات الى انواع من التوظيف المالي الذي ساعد على زيادة الادوات المالية دون ان يؤدي الى زيادة حقيقية في الاستثمارات المنتجة . وكانت النتيجة هي ارتفاع الأسعار والتضخم والذي لم يلبث ان انتقل الى دول العالم الثالث .

واصبحت هذه الدول في حاجة الى الاقتراض ليس لمزيد من التنمية والاستثمارات وانما لمواجهة ارتفاع الاسعار . وهكذا اكتملت الدورة وانتقلت اموال الدول النفطية عبر البنوك والمؤسسات المالية الى دول العالم الثالث دون ان تساعد على مزيد من تنميتها . فازدادت المديونية دون تنمية ، واصبح الوضع المالي العالمي مهددا بشكل لم يسبق له مثيل .

والآن وسوق النفط تواجه نوعا من التراخي فانها مناسبة جيدة للتأمل والتدبير لجولة قادمة تكون فيها أكثر استعدادا وافادة من تجارب الماضي . والعاقل من اتعظ بغيره ان لم يكن بنفسه ، يقولون ان النيل لاينسى شيئا ، وأخشى ان يقولوا ايضا ... اننا لانتعلم شيئا ... والله أعلم .

○

د . حازم الببلاوي



التهويد والتهجير

وضرورات المواجهة السريعة

بقلم : بلال الحسن

اذا كان الكثير قد كتب حول الاستيطان الصهيوني وما يرافقه من تهجير للفلسطينيين ، فان الحاجة ملحة في هذه الظروف ، لتركيز الانظار على هذه المسألة ، بسبب التسارع في عمليتي الاستيطان والتهجير اللتين يمارسهما تكتل ليكود الحاكم بزعامة مناحم بيغن ، وما يؤدي اليه ذلك من خطر تهويد المناطق التي احتلت في العام ١٩٦٧ وخطر ضياعها نهائيا .

اذا لم يبذل العرب جهوداعربية حثيثة لتأمين انسحاب إسرائيلي سريع تحت شعار استعادة الأرض والحفاظ على عروبتها ، خاصة وأن تكتل ليكود الحاكم لا يخفي مواقفه الايديولوجية التي تعتبر الضفة الغربية وقطاع غزة جزءا من دولة إسرائيل الكبرى التوراتية ، وهو لا يخفي أيضا مواقفه السياسية الداعية الى ضم هذه الاراضي رسميا الى اسرائيل ، وهي مواقف تكاثر الحديث عنها والتركيز عليها بعد حرب لبنان الاخيرة ، وبرزت بشكل حاد اثناء مفاوضات الحكم الذاتي بين مصر واسرائيل ، حيث اعتبرت اسرائيل ان الحكم الذاتي يشمل السكان دون الارض ، وأن الارض وما تحتويه من ثروات معدنية أو مائية يجب أن تضم الى دولة اسرائيل بعد انتهاء فترة السنوات الخمس الانتقالية .

وحين تطرح إسرائيل هذه المفاهيم ، فهي لا تنتظر أن ينتهي النقاش والجدل والصراع حولها لكي تبدأ التنفيذ ، بل هي تشرع في التنفيذ فورا ، قبل أن يبدأ النقاش وقبل أن ينتهي ، عملا بالقاعدة التي تقول بـ « خلق الوقائع على الارض » ، وهي القاعدة التي سنها موشي دايان وزير الدفاع الاسرائيلي السابق بصفته أول حاكم عسكري للضفة الغربية وقطاع غزة .

ويمكن القول بشكل عام ، ان الاستيطان الاسرائيلي تحكمه ثلاثة اتجاهات :

اتجاه الاستيطان من خلال الهجرة اليهودية الى فلسطين ، وهو اتجاه بدأ منذ القرن الماضي ولا يزال



أصحاب الأرض « الفلسطينيون » في الخيام
ومستعمرات العدو تحتل الأرض التي اغتصبها

مستمرا حتى الآن ، مع أن وتيرته قد خفت كثيرا في السنوات المتأخرة ، وبرزت بالمقابل هجرة مغادرة من داخل اسرائيل الى خارجها سببها الرئيسي حروب اسرائيل المتكررة ، وعدم رغبة الكثيرين في العيش داخل مجتمع لا يضمن السلام لأبنائه .

وهناك ثانيا اتجاه الاستيطان الزراعي الذي يركز على أن الهجرة اليهودية إلى فلسطين ، ليست هجرة من أجل الاقامة في المدن ، بل هي أساسا هجرة من أجل استملاك الارض وزراعتها . وفي المؤتمر الصهيوني العالمي الذي عقد في العام ١٩٧٢ ، وضع تعريف للاستيطان الاسرائيلي يربطه بالارض والزراعة ، ثم جعل ذلك سياسة رسمية للحركة الصهيونية العالمية .

وهناك ثالثا اتجاه الاستيطان الذي يمكن أن نصفه بالاستيطان العنصري ، وهو الاستيطان الذي يتم من خلال التركيز على « وحدانية القومية » ورفض واقع ثنائية القومية » وقد برز النقاش بشكل حاد حول هذه المسألة داخل اسرائيل ، بعد حرب حزيران ١٩٦٧ وما تم فيها من احتلال للضفة الغربية وقطاع غزة . فالتوجه الرسمي لضم هذه الاراضي الى اسرائيل طرح مسألة ثنائية القومية بين العرب واليهود داخل دولة اسرائيل ، الامر الذي يعتبرونه خطرا على البيئة اليهودية للدولة ، ويفرض بالتالي اتباع سياسة تفريغ المناطق المحتلة من سكانها .

اتجاهات ثلاثة

وبديهي أن هذه الاتجاهات الاستيطانية متداخلة فيما بينها ، ويجري تطبيقها على الارض كسياسة استيطانية واحدة ، والفصل الذي نقيمه هنا فيما بينها ، انما هو للتوضيح من جهة ، ولشرح أساليب الاستيطان من جهة أخرى .

وبما أن الاستيطان لا يمكن أن يتم في فراغ ، وهو يقوم بالضرورة على حساب سكان الأرض الأصليين ، فان التهجير بالقوة ، أو من خلال الأمر الواقع هو النتيجة الطبيعية والمنطقية لسياسة الاستيطان ، وهنا أيضا يمكن أن نرصد ثلاثة اتجاهات في التهجير الاسرائيلي للفلسطينيين .

الاتجاه الاول : هو التهجير الجماعي الذي يتم في فترات الحروب ، حيث يكون العنف والتدمير والرعب هو القانون السائد ، وقد مارست اسرائيل هذا النوع من التهجير خلال حرب عام ١٩٤٨ على نطاق واسع ، كما مارسته مرة أخرى في حرب عام ١٩٦٧ .

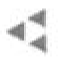
الاتجاه الثاني : هو تهجير الفلاحين من أراضيهم ، إما مباشرة او من خلال احداث تغيير واع ، ومتصل بالبيئة الاقتصادية للمنطقة المحتلة ، تخلق من خلاله ظروف عيش صعبة للفلاحين في اراضيهم ، مع فتح مجالات عمل مغرية لهم خارج نطاق الارض ، ويؤدي ذلك تدريجيا الى اهمال الارض والابتعاد عنها ، الى حين يتم الاستيلاء الاسرائيلي عليها .

الاتجاه الثالث : هو تهجير القيادات السياسية والكفاءات العلمية ، بحجة النشاط المعادي للاحتلال ، أو تحريض الشعب على المقاومة ، او الارتباط بمنظمة التحرير الفلسطينية ، وقد مورست هذه السياسة على نطاق واسع منذ عام ١٩٦٧ حتى الآن ، وتم وضع عشرات القيادات عند نقاط الحدود العربية دون السماح لهم بالعودة .

واذا نحن توقفنا عند التهجير الذي تم منذ حرب حزيران ١٩٦٧ فاننا نستطيع أن نسجل الوقائع التالية :

التهجير الجماعي : (٤٠٠ الف نازح)

وقد بلغ عدد الذين اجبروا على الهجرة بسبب ظروف الحرب حتى نهاية شهر أيار ١٩٦٨ حوالي ٤٠٠ الف نازح ، معظمهم من الضفة الغربية لنهر الاردن (حوالي ٣٥٠ الفا) ، والباقون من قطاع غزة (حوالي ٥٠ الفا) ، وذلك حسب تقرير سكرتارية اللجنة الاردنية الوزارية العليا للاغاثة ، وبناء على قرار مجلس الامن الدولي الصادر في ١٤/٦/٦٧ . والقائل بضرورة عودة



الذين نزحوا بسبب حرب حزيران ، أخذ كثير من الفلسطينيين يسعون للعودة الى بلدهم ، ولكن إسرائيل لم تسمح لأكثر من ٥٠ عائلة بالعودة تحت اشراف الصليب الأحمر ، ثم أوقفت هذه العملية بحجة ازدياد أعمال المقاومة الفلسطينية . وتحت وطأة الضغوط الدولية ، وعدت إسرائيل باستئناف السماح بعملية العودة إنما بموجب استمارات تصدر عنها ، ومع الاصرار على اعتبار يوم ٣١ أيار ١٩٦٧ موعدا نهائيا لهذه العودة . وخلال ثلاثة ايام فقط قام ١٧٠ ألف فلسطيني بتسجيل اسمائهم ولكن اسرائيل لم تسمح لغير ١٥ ألفا منهم بالعودة ومارست خلال ذلك وسائل تعجيزية واضحة القصد ، فحين كانت تسلم استمارات الأشخاص الذين توافق على عودتهم كانت تحدد مهلة للتنفيذ لا تتجاوز ١٢ ساعة ، ومن أجل عدم الاستفادة من هذا الوقت كانت اسرائيل تقصد أن تشمل قائمة الموافقة الواحدة ، مجموعة من العائلات التي تقيم في اماكن متفرقة بحيث يصعب تجميعها في الوقت المحدد . وضمن هذه العملية ، منعت اسرائيل عودة أي مواطن فلسطيني من سكان القدس أو أريحا أو بيت لحم ، وكذلك منعت أي فلسطيني من لاجئي ١٩٤٨ من العودة . وحين اكتشفت اسرائيل ان هناك من يخاطر بحياته من الفلسطينيين من أجل العودة عن طريق المخاضات النهرية او التسلل عبر الطرق الجبلية وضعت كمائن عسكرية على هذه المعابر ، ثم سنت قانونا يقضي بالسجن لمدة ١٥ عاما لكل من يحاول العودة من هذا الطريق . وإزاء تصاعد الضغط الدولي أعلنت اسرائيل في تشرين الأول من عام ١٩٦٧ مشروعا أطلقت عليه اسم « برنامج جمع شمل العائلات » ، ولكن هذا القانون لم يشمل خلال ستة أشهر من إعلانه سوى ١٣٣٦ شخصا ، وكنتيجة لذلك كله بقي الجزء الأكبر من الذين فرضت عليهم الهجرة بسبب ظروف الحرب ، مهجرين بالاكراه حتى الآن .

تهجير الفلاحين

جاء في الفقرة ١٦ من اتفاقية الهدنة الموقعة عام ١٩٤٨ ما يلي :

« حيث تتأثر قرى بخطوط الهدنة التي حددت بموجب الفقرة الثانية من هذه المادة ، فإن سكان هذه القرى يجب يمنحوا حقوقهم الكاملة في المسكن والملكية والحرية وان تحمي هذه الحقوق » . واستنادا الى ذلك ، كان يجب أن يسمح للمزارعين باجتياز خطوط الهدنة لزراعة أراضيهم ، وجني محاصيلها والعودة بها الى قراهم . ولكن



[illegible]

ما حصل فعلا هو أن الاسرائيليين سمحوا في البداية لسكان بعض القرى بزراعة أراضيهم ولكنهم منعوا من جني محاصيلها تحت وطأة التهديد بالقوة العسكرية ، وبعد ذلك بقليل تم الاستيلاء عليها (سامي هداوي - الحصاد المر - ص - ١٣٥) . ومن أبرز القرى التي شهدت هذه المأساة قرية « عمواس » ، فقد شطرت خطوط الهدنة هذه القرية عام ١٩٤٩ بحيث أصبحت منازلها في الجانب العربي بينما أراضيها في الجانب الاسرائيلي . وفي حرب حزيران ١٩٦٧ نسف الجيش الاسرائيلي هذه القرية عن بكرة أبيها ، وطرد سكانها ، ولم يبق سوى دير عمواس شاهدا على وجود سكان في هذه المنطقة (تقرير عن التنمية الاقتصادية للاردن - بلتيمو - ص ٤٥) .

ومن بين الاساليب التي اتبعتها اسرائيل للسيطرة على أراضي الضفة الغربية الخصبةأسلوب المبادلة العشرية ، اذ كانت تضع المزارعين العرب أمام خيار صعب ، فاما القبول بمبادلة أراضيهم بقطعة أرض أخرى في مناطق بعيدة وغير خصبة ولا تتوفر فيها مصادر المياه واما أن تصادر الأرض من دون أي تعويض . وقد اتبع هذا الاسلوب بصورة أساسية في أراضي قرية طوباس الخصبة ، وفي منطقة بردلة ، وفي مقابل أراض غير خصبة في « خربة ابزيق » في منطقة جنين (دونم ونصف الدونم مقابل دونم واحد) . وقد ساهم هذا الاسلوب في تفتيت أراضي طوباس وضمها الى المستوطنات الاسرائيلية (المستعمرات الاستيطانية - وليد الجعفري) .

وبين عامي ١٩٧٧ - ١٩٨٠ ، أقامت الحكومة الاسرائيلية (الليكود) عددا من المستوطنات استنادا الى حجج مختلفة . فقد أقامت مستعمرة « شيلو » داخل منطقة ادعت أنها خاضعة للتنقيب عن الآثار . وأقامت العدد الأكبر من مستعمرات منظمة « غوش أيمونيم » ،

وهي منظمة لا تخضع نشاطها للاستيطان الرسمي ، داخل معسكرات الجيش ، ثم كان الجيش يقوم بالتخلي عن هذه المعسكرات ، وتبقى المستوطنات قائمة في مكانها ، ومن الحجج أيضا القيام بالاعلان عن توسيع المستوطنات القائمة بدل الاعلان عن انشاء مستوطنة جديدة ، وفي أواخر آب ١٩٧٩ اتخذت اللجنة الوزارية لشئون الأمن في اسرائيل قرارا بتوسيع أربع مستعمرات قائمة .

التهجير بالقوانين

سنت سلطات الاحتلال كتبرير قانونا تعسفيا للاستيلاء على الأراضي وانتزاع أملاك العرب ما أسمته بقانون أملاك الغائبين ، ومن أجل توسيع هذا القانون بما يخدم الهدف من مصادرة الأملاك ألحقت السلطات الاسرائيلية به قانون « الحاضر الغائب » ، حيث تعتبر المالك غائبا عن المدينة التي يملك فيها بيتا ، وان كان أثناء ذلك حاضرا في مدينة أخرى داخل المنطقة نفسها .

وفي ظل حكومة مناحيم بيغن صدرت عدة أوامر وقرارات تشكل تغطية قانونية لعمليات المصادرة والتهجير ، ابرزها اعلان حق دولة اسرائيل في مصادرة الأراضي العامة والأراضي الصخرية في الضفة الغربية ، وهي تقدر بمليون و ٢٠٠ دونم .

ثم أصدر الحاكم العسكري للضفة الغربية الأمر رقم ٥٩ الذي يستطيع بموجبه أن يعلن أي قطعة أرض على أنها ملكية عامة ، ويعطي أصحاب هذه الأرض مهلة ثلاثة أسابيع للاعتراض أمام لجنة تابعة للحاكم العسكري ، وقد تمكنت اسرائيل بهذه الوسيلة من مصادرة ما يزيد على ٣٠٪ من مساحة الضفة الغربية ، وبلغ مجموع ما صودر بهذه الطريقة حوالي ٢ مليون و٧٠٠ ألف دونم ، ٩٤ ٪ منها ملكية خاصة . ومن ١٦ / ٩ / ١٩٧٩ صدر القرار الاسرائيلي الذي يسمح للافراد والشركات بحرية شراء الأراضي في الضفة والقطاع . وبهذا أصبحت عملية الاستيلاء على الأرض وتهجير أصحابها عملية يحميها القانون ، بعد ان كانت عمليات سرية تفرض بقوة السلاح .

تهويد القدس

ويمكن اعتبار مدينة القدس نموذجا لسياسة الاستيطان والتهجير ، نظرا الى أن كافة الوسائل والاساليب التي أشرنا اليها أعلاه استخدمت ولا تزال تستخدم على طريق السيطرة عليها وتهويدها . فمن الناحية السياسية كان قرار ضم القدس للدولة الصهيونية أول قرار اتخذ أثناء حرب حزيران ، وذلك في ٢٧ / ٦ / ١٩٦٧ ، الى أن تم في العام الماضي تثبيت هذا القرار بقرار صادر عن الكنيست الاسرائيلي . أعلن القدس عاصمة رسمية لدولة اسرائيل . أما من الناحية العملية ، فقد شهدت المدينة اسلوب التهجير عن طريق هدم الأحياء ، كما حدث مع حي المغاربة الذى هدم بكامله وأدى هدمه الى تدمير ٣٥ منزلا وتشريد ٦٥٠ شخصا . كما شهدت المدينة تطبيق المصادرة استنادا للقوانين التعسفية ، فبموجب قانون أملاك الغائبين صودر في المدينة ما مساحته ٤٥١ دونما ، (روحي الخطيب ـ أمين القدس) . وقدر بيان صادر عن أهل القدس ، أعلنه المرحوم سليمان النابلسي رئيس وزراء الأردن الأسبق ، في مؤتمر صحافي عقد بتاريخ ١ / ٧ / ٦٨ أن مجموع ما صادرته سلطات الاحتلال من أراضي مدينة القدس بلغ ٤١٢٦ دونما ، منها ١١٦ دونما مجاورة للمسجد الأقصى وفي اجراء من نوع آخر ، طلبت اسرائيل من المواطنين اثبات ملكيتهم للمنازل التي يعيشون فيها ، تحت طائلة المصادرة ، ولما كان متعذرا على الكثيرين منهم ابراز الملكية بسبب قدم العقارات ، أو بسبب ظروف الحرب ، تمت مصادرة ممتلكاتهم . وكذلك استعملت اسرائيل حجة المناطق الأثرية لتبدأ في عملية حفر وتنقيب تحت المسجد الأقصى أدت الى هدم العديد من الآثار الاسلامية من مدارس ومساجد وأحياء عربية ملاصقة له وفي ٢٠ / ١ / ٧٦ كتبت جريدة دافار الاسرائيلية تقول : أن عدد سكان المدينة قد أصبح ٣٩٠ الفا ، منهم ١٠٠ ألف عربي فقط مقابل ٢٩٠ الف يهودي ، وذكرت أنه بفضل المصادرة أصبحت الملكية العقارية في المدينة تتوزع كما يلي : ١٤ ٪ للعرب ، و٨٤ ٪ لليهود ، و ٢ ٪ للاجانب .







السياسات الرسمية :

يستند كل هذا الذي ذكرناه ، الى خطط رسمية اسرائيلية وضع بعضها ونفذها حزب العمل الاسرائيلي الذي كان يحكم باسم تجمع المعراخ ، ووضع بعضها الآخر ونفذها حزب مناحم بيغن الذي لا يزال يحكم باسم تجمع الليكود ، ومع أن وسائل الاعلام تتحدث أحيانا عن فروقات نوعية في نظرة كل تجمع من هذين التجمعين الى قضية الاستيطان والتهجير مبرزة اعتدال تجمع المعراخ وتطرف تجمع الليكود ، الا أن نظرة متأنية تبين تلاقي التجمعين الاسرائيليين في الهدف الاستراتيجي ، واختلافهما فحسب في وسائل التنفيذ التكتيكية .

فتكتل المعراخ يعمل حسب قاعدة أقل عدد ممكن من السكان العرب ، وأكبر مساحة ممكنة من أراضيهم . بينما يعمل تكتل الليكود حسب قاعدة السيطرة على الأرض أولا ، ثم تتبع ذلك عمليات تهجير السكان العرب بأساليب الضغط السياسية والاقتصادية والارهابية .

فبالنسبة لتكتل المعراخ كان المشروع المعروف باسم « مشروع يغال الون) هو الأساس في عملية الأستيطان ، وهو مشروع يركز على ما يسميه بالمناطق الأمنية وضرورة السيطرة عليها ، وخاصة في منطقة الغور ، بحيث يبلغ مجموع ما يراد السيطرة عليه حسب هذا المشروع ٤٠ ٪ من أراضي الضفة الغربية ، وأثناء عملية الاستيلاء يتم بهدوء تنظيم ضغط تدريجي على السكان لكي يهاجروا باتجاه الأردن أو باتجاه البلاد العربية الأخرى ، وتطبيقا لهذا المشروع صادرت اسرائيل في منطقة الغور ٨٩ ألف دونم ، وأقامت حكومة المعراخ خلال فترة السنوات العشر الممتدة من ٦٧ ـ ١٩٧٧ ، ٧٦ مستوطنة تمتد من الجولان الى مشارف رفح ، ويستند مشروع الون هذا الى جملة توجهات سياسية ترفض قيام دولة فلسطينية ، وترفع شعار عدم العودة الى حدود العام ١٩٦٧ مع التأكيد على ضرورة الفصل بين الاستيطان ، والتسويات السياسية ، وهو ما يعني أن هذه المستوطنات ستبقى كقاعدة سكانية وعسكرية حتى لو عادت الأرض الى أصحابها .

سياسة الاستيطان

أما بالنسبة لتكتل الليكود ، فان أساس سياسة الاستيطان لديه هو مشروع أريل شارون الذي وضعه عندما كان وزيرا للزراعة ويسعى هذا المشروع الى نشر الاستيطان الاسرائيلي في خطين متوازيين تربط بينها شبكة واسعة من الطرق الطولية والعرضية هذان الخطان هما الشريط الساحلي حيث يعيش ٧٥ ٪ من الاسرائيليين ، والشريط الشرقي المقابل له والممتد من الجولان شمالا حتى شرم الشيخ جنوبا على طول ٧٠٠ كلم (المستعمرات الاستيطانية ـ وليد الجعفري) ويربط بين هذين الشريطين مجموعة من الطرق تقام عليها معسكرات للجيش ومستوطنات ومشاريع صناعية وقد أوضح شارون أن مشروعه هذا يستند الى ضرورة الانتشار الاستيطاني الواسع الذي يأخذ في الاعتبار احتمالات الزيادة السكانية اليهودية في المستقبل ، وقد أشرف بنفسه على تنفيذه ، ورصد له ميزانيات ضخمة ، ولا تزال عملية التنفيذ مستمرة حتى الآن .

ويكفي هذا العرض الموجز الذي قدمناه ، لنسف الفكرة التي تروج لها اسرائيل في أجهزتها الاعلامية ، وهي الفكرة التي تقول بأن مايعيق اعادة الأراضي المحتلة عام ١٩٦٧ هو رفضهم للاتفاق السياسي مع اسرائيل ، وبدأ الاعلام الاسرائيلي يركز مؤخرا على الاتفاق السياسي مع مصر ، وكيف أن هذا الاتفاق قد أعاد اليها سيناء ، ولكن هذا الاعلام الاسرائيلي موجه للاستهلاك الخارجي ، أما على أرض الواقع فان الضم الزاحف للارض ، والتهجير اليومي للسكان هو القاعدة المتبعة وهي قاعدة تجد لها أسانيد في القرارات السياسية وفي القوانين التي توضع لتنظيم عملية الاستيلاء على الأرض وتشريد سكانها ، وكذلك في المؤتمرات التي تعقد ليهود العالم . أما ما جرى تطبيقه بصدد سيناء فهو مرفوض من قبل اسرائيل بصدد المناطق الأخرى ، اذ يعتبرون جميعا أن الضفة الغربية وقطاع غزة جزء من اسرائيل الكبرى ، التي يسعون لانشائها وهدفهم في أي مفاوضات سياسية أن يصلوا الى اقرار عربي بحرية الاستيطان الاسرائيلي فيها ، مرة بحجة الأمن من قبل المعتدلين ، ومرة أخرى بحجة الحقوق التاريخية من قبل المتطرفين ، بحيث يصبح الفارق الوحيد بين المعتدلين والمتطرفين هو نوع الحجج المعلنة ، لا من أجل تطبيق السياسات الاستيطانية نفسها .

ويفرض هذا على القيادات الفلسطينية والعربية انطلاقا من واقع مخطط الخصم ، والسرعة التي يعمل بها من أجل الوصول الى هدف التهويد الكامل للمناطق المحتلة سرعة مماثلة في حركة العمل العربي يكون هدفها الجوهري والمركزي استعادة الأرض وتثبيت السكان العرب فوقها قبل ان يفوت الأوان . ○

بلال حسن

حوار حول ترجمات معاني القرآن

بقلم الدكتور عبد العزيز كامل

هذا الحديث ليس حصرا ولا عرضا لترجمات معاني القرآن المتداولة . دعاني الى كتابته ثلاث ترجمات . لكل منها طابع خاص . ومن عرض بعض جوانبها . أود أن انتهى الى أن الامر أصبح الآن يحتاج الى رصد على مستوى اسلامي عالمي . هو بطبيعته . فوق طاقة فرد واحد . وهو من صميم عمل المجامع والمنظمات الاسلامية ذات الطابع العالمي . حيث تتوفر امكانات المتابعة لكل مايصدر باللغات غير العربية . وبخاصة اللغات الاوربيةالحديثة . وتستطيع هذه المجامع أن تنسق العمل فيما بينها : يتولى أحدها ـ كمثال مايصدر باللغة الانجليزية . والثاني مايصدر بالفرنسية وهكذا . . وتحاول ـ متعاونة ـ أن تضع مقاييس المراجعة . وان يستمر بينها التعاون والحوار . وان تتفق على أساليب اذاعة ونشر نتائج اعمالها .

ولأعرض بعض ما قرأت :

التفسير العثماني :

صدر هذا التفسير أولا باللغة الاوردية . التي يتكلم بها مسلمو شبه القارة الهندية الباكستانية . ثم صدرت بعد هذا الاجزاء العشرة الاولى منه مترجمة الى الانجليزية . على أن تتبعها الاجزاء العشرون الباقية . وحول ما صدر بالانجليزية أدير الحديث .

التفسير بقلم استاذ جليل هو مولانا شبير احمد عثماني . كانت ولادته في الهند عام ١٨٨٥ م . من اسرة علمية في ديوبند (شمال شرق دلهى) . حيث مركز اشعاع علمي له تقاليده واتجاهه الاسلامي المرموق .

وفي دار العلوم بديوبند تلقى علومه . ومارس التدريس . وظهرت مواهبه كحافظ لكتاب الله وعالم وعابد وخطيب . وشرح في دار العلوم صحيح الامام مسلم . واضطرته ظروف السياسة الى الهجرة الى دابل على ساحل الهند الغربي جنوب بومباي . وفيها ألقى محاضرات وشروحا لصحيح الامام البخاري .

واعظم أعماله تفسير القرآن باللغة الاوردية اعتمد فيه على ماكتب كبار المفسرين السابقين وأعانه على هذا تمكن علمي وتقوى . وهما أهم ماينبغي توفره في المفسر . وكتب الله القبول لتفسيره وهو واسع الانتشار في الهند وباكستان . .

وشارك مولانا شبير في الجهود التمهيدية التي قامت بها الرابطة الاسلامية لانشاء دولة باكستان الاسلامية . وتعاون مع القائد الاعظم محمد علي جناح فكريا في ارساء دعائمها الاسلامية .

وقد توفي الى رحمة الله عام ١٩٤٩ ودفن في مدينة كراتشي .

المنهج :

اعتمد مولانا شبير على التفاسير المأثورة . والتزم بقواعد اللغة العربية . مع تحليل مبسط للآيات بربطها بسياقها في نفس الموضع . وبنظيراتها في مواضع أخرى من الكتاب . ويقسم اهداف الآية الى نقاط مبسطة محددة تعين القارىء . واذا تعددت الآراء في الآية يرجح واحدا منها . مع الاشارة الى الآراء الاخرى . ويربط بين الوحدات الفكرية الكبرى في السورة . حتى يحافظ القارىء على مساره الفكري . وهو ينتقل من فكرة الى أخرى .

مشكلة المترجم :

ولو اقتصر المترجم على النص الذي خطته يد مولانا شبير أحمد عثماني . وفاض به فكره وقلبه . لكان في هذا خدمة جليلة لهذا التفسير . ولقرائه باللغة الانجليزية . ولو كانت اضافاته شروحا في نفس النهج تقتضيها طبيعة اللغة الانجليزية . أو الفكر الغربي لكان على طريق الاحسان في عمله .

ولكن الذي يصدم القارىء ماأضافه المترجم من التعليقات والشروح . وحدد نسبتها اليه . وهاجم فيها غيره ولنأخذ نماذج من ذلك :

١ ـ ففي ص ٢١ من المقدمة ـ التي اضافها ـ قال ان من اهداف ترجمة هذا التفسير : « ازالة الافكار الخبيثة والعقائد الخاطئة التي انتشرت بين المسلمين والمعاصرين في الشرق والغرب باسم الاسلام النقي والقرآن عن طريق جماعات المودودي والقادياني » .

ومن الغريب أن يضع المودودي والقادياني في نسق واحد . رغم ما كان للمودودي من مواقف فكرية وسياسية في مقاومة القاديانية .

٢ ـ وعاد مرة أخرى في ص ٢١٩ عند شرح الآية ٧٩ من سورة آل عمران وهي قوله تعالى « ماكان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة . ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون » .

فقال في الفقرة ٢ من التعليق رقم ٩٦ وهو مما اضافه الى الشرحة « ذكر المودودي في تفهيم القرآن : أن سيدنا ابراهيم قال عن النجم والقمر والشمس « هذا ربي » وهذه كذبة لاحياء فيها ضد سيدنا ابراهيم . وهو اعظم من رفع لواء التوحيد . . . هذه كذبة صارخة من المودودي الذي كتب واحدا من اكثر التفاسير خطأ عن القرآن . . انتهى .

٣ ـ وعاد مرة أخرى الى سب ومهاجمة المودودي في ص ٥٩٤ وذلك في تعليقه على شرح مولانا شبير احمد عثماني للآيات ٧٥ ـ ٨٣ من سورة الأنعام . والتي تبدأ بقوله تعالى « وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين . فلما جن عليه الليل رأى كوكبا . قال : هذا ربي . فلما أفل قال : لا أحب الأفلين . . . الى قوله تعالى : وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه . نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم » .

ومع أن القصة تبدأ في القرآن الكريم بقوله تعالى « واذ قال ابراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناما آلهة إني أراك وقومك في ضلال مبين » ثم بعدها مباشرة « وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السماوات والأرض » .

مع كل الوضوح . اقرأ للمترجم هذا الهجوم العنيف على الأستاذ المودودي رحمه الله . . .

٢ ـ مع تفهيم القرآن :

وقد رجعت الى الترجمة الانجليزية لتفهيم القرآن لمولانا المودودي وجاءت هذه الدراسة في الجزء الثالث (ص ١٢١ ـ ١٣١) . وقد درس فيها قضية الايمان عن طريق العقل بكثير من التفصيل . بالاضافة الى ماكشفته البحوث الاثرية في منطقة أور (حيث كان يعيش سيدنا ابرهيم في العراق) ودرس العلاقة هناك بين العقيدة وبين النظام الاجتماعي والاقتصادي . ولم أجد فيما ذكره المودودي أي

اثارة مما قاله مترجم التفسير العثماني ولا مايدعو الى الهجوم على فكره وتفسيره .

كلمة عن المودودي وتفسيره :

كانت ولادة مولانا أبي الأعلى المودودي ، في عام ١٩٠٣ ووفاته في سبتمبر (أيلول) ١٩٧٩ .

وفي نفس عام الوفاة صدر عن المؤسسة الاسلامية بالمملكة المتحدة وبالتعاون مع دار النشر السعودية بجدة ، كتاب بالانجليزية عنوانه ، نظرات اسلامية ، دراسات لتكريم السيد أبي الأعلى المودودي .

وقد بدأ اعداد الكتاب من مطالع السبعينات عندما بدأت تتدهور صحة المودودي وأراد عارفو فضله أن يقدموا هذا العمل العلمي الاسلامي تحية له .

كتب المقدمة (١٩٧٨) الاستاذان خورشيد احمد (وزير سابق) وظفر اسحاق أنصاري . وهما استاذان جامعيان باكستانيان من تلاميذ المودودي ويحوي الكتاب ثلاثا وعشرين دراسة قام بها اعلام مختصون على الصعيد العالمي ، كل في مجاله . ويمثلون جغرافيا مواطن الثقافة الاسلامية المعاصرة من الشرق الأقصى الى العالم الجديد .

وفي المقدمة عرض موجز لحياة المودودي وتكوينه العلمي والروحي . وكيف أنه بدأ النشر العلمي منذ عام ١٩١٨ . عندما كان في الخامسة عشرة من عمره . وأن هذا العطاء استمر حتى السبعينات وكيف ان حياة المودودي كانت جمعا بين القول والعمل : تكوينا للأفراد . وتكوينا للجماعة الاسلامية التي انشأها عام ١٩٤١ . ودخوله باسم الاسلام المعترك السياسي والدور الذي قامت به مجلته ، ترجمان القرآن . وكفاحه فيها منذ انشأها عام ١٩٣٤ . وكان يتولى كل أمر فيها من التحرير الى المراجعة الى حملها الى مكتب البريد .. وكيف وهب حياته وجهده في دأب وصبر جميل عرفته به قاعات المحاضرات . ومقاعد المؤتمرات ومنابرها العالية والسجون الصامته وأقفاص الاتهام في قاعات القضاء . وقد ظل يحمل مسئولية الجماعة الاسلامية حتى عام ١٩٧٢ . وحتى عندما قعدت به ظروف صحته ، ظل يوالي توجيهه وارشاده حتى لقي ربه .

وفي الفصل الاول من كتاب ، نظرات اسلامية ، بيان بالنتاج المودودي العلمي . وما كتب غيره عنه :

عدد اللغات التي ترجمت اليها أعماله اثنتان وعشرون . النتاجه العلمي والمسجل في الكتاب مائة وثمانية وثلاثون كتابا ما بين صغير وكبير . الدراسات التي كتبت عنه اثنتان وستون بلغات متعددة .. ومن الفصل الثاني في الكتاب تبدأ دراسات العلماء الذين قدموا انتاجهم العلمي في هذه المناسبة تحية لهذا العالم الجليل .

أما عن تفهيم القرآن ، فقد قال عنه المودودي وهو يقدمه : ، كنت أشعر منذ زمن أن عطش المثقفين المسلمين لفهم روح القرآن ومقصود آياته يزداد يوما بعد يوم رغم مساعي المفسرين قبلي في هذا الشأن . وكنت أشعر بقدرتي على أن اقدم اليهم ماقد يروي عطشهم . فشرعت في محاولتي هذه ولم أضع أمامي وأنا اكتبها . اشباع حاجات العلماء والباحثين . ولا من درسوا العلوم العربية والدينية . ويريدون دراسة القرآن دراسة عميقة . انما اردت أن أقدمها للمثقفين غير المتخصصين . الذين لا يستطيعون الافادة من كنوز العلوم القرآنية الضخمة كذلك وضعت نصب عيني أن يفهم القاريء العادي ـ وهو يقرأ كتابي هذا ـ معنى آيات القرآن فهما جيدا

وكنت بدأت هذه المحاولة في المحرم عام ١٣٦١ هـ (فبراير ١٩٤٢) ووصلت في مدى سنوات خمس الى نهاية سورة يوسف . ثم وقع ما منعني من مواصلة الكتابة ، أو حتى مراجعة ما كتبت . الى أن أودعت السجن عام ١٩٤٨ . فكان سجني فرصة استطعت فيها اعداد هذا الكتاب للنشر . وما توفيقي الا بالله العلي العظيم ، وقد صدر ، تفهيم القرآن ، أولا باللغة الأوردية . وبدأت ترجمته الى اللغة الانجليزية ١٩٦٧ . وتسير سيرا حثيثا . وصدر منها الجزء السابع عام ١٩٧٧ حتى نهاية سورة الحج ثم صدر من الترجمة العربية الجزء الأول (١٩٧٨) ويحوي مقدمة التفسير (وهما اكثر من طبعة مستقلة وهي أوسع المقدمات انتشارا) وتفسير سور الفاتحة والبقرة وال عمران ويمتاز ، التفهيم ، ببساطة العرض والدراسات المقارنة بين الأديان والربط بين التفسير والبحوث التاريخية والاثرية واضافة الخرائط الى الشرح : كخرائط الجزيرة العربية وقبائلها . والمغازي ومناسك الحج .. مع بيان المراجع التي استند اليها

حوار:

ومن مقدمة التفسير تقتبس هذه الفقرة المحورية . وعليها مدار بحوثه كما يراها المودودي

« موضوع القرآن هو الانسان . حيث يناقش انماط وأنواع حياته التي تقوده الى النجاح المحقق أو إلى دار البوار . وبحثه الرئيسي هو توضيح هذه الحقيقة وعودة البشرية الى الطريق الذي يتخذ الحقيقة له أساسا فالقرآن يبين أن الحقيقة هي بعينها التي أوحاها الله بذاته الى أدم عند تنصيبه خليفة (في الأرض) والى كافة الرسل من بعده . وأن المسلك الصحيح هو الطريق الذي علمه الانبياء جميعا . وأن كل النظريات التي تخالف هذه الحقيقة والتي ابتدعها الناس ووضعوها عن الله . والعالم . والانسان وعلاقاته بالله . وبقية خلقه . انما هي نظريات فاسدة . وان كل نظم الحياة التي تتخذ أيا من هذه النظريات ركيزة لها وعمادا . انما هي نظم عقيمة وفاسدة تورث الانسان دمارا وبوارا » انتهى .

ولقد اختلف مع المودودي نفر من كبار علماء باكستان والهند ومصر ممن يحملون له أكبر الاحترام والتقدير . اختلفوا معه في بعض ما ذهب اليه .

ومن نماذج هذا الحوار ذي المستوى الاخلاقي الطيب ما جاء في كتاب الاستاذ حسن الهضيبي دعاة لاقضاة (١٩٧٧) وما جاء في كتاب مولانا ابي الحسن الندوي « التفسير السياسي للاسلام » في مرآة كتابات الاستاذ أبي الأعلى المودودي والشهيد سيد قطب (١٩٨٠) وما اكتبه هنا ليس انتصارا لرأي على رأي وانما هو انتصار لأدب الحوار والمجادلة بالتي هي أحسن وبخاصة اذا كان الأمر يتعلق بالقرآن الكريم وتفسيره .

٣ - ترجمة ظفر الله خان :

صدرت الطبعة الاولى هذه الترجمة عام ١٩٧١ وتتابعت طبعاته . وبين يدي الآن الطبعة الثالثة المراجعة (١٩٨١) الصادرة عن دار كرزون - لندن - ودبلن . والسيد محمد ظفر الله خان كان وزيرا لخارجية باكستان ١٩٤٧ ورأس الجمعية العامة للامم المتحدة في دورتها السابعة عشرة . ثم أصبح قاضيا في محكمة العدل الدولية . ورئيسا لها .

ومن الناحية الدينية عاش ظفر الله خان قاديانيا . ومع كفاءته العلمية ومكانته العالمية . كان هذا مما أثار الرأي العام الباكستاني ضده .

ومن القاديانيين - قبل ظفر الله خان - أصدر مولانا محمد علي ترجمة لمعاني القرآن تجمع بين النص العربي والترجمة الانجليزية والتعليقات .

وكانت طبعتها الاولى عام ١٩١٧ وتتابعت طبعاتها عن الجمعية الاحمدية لاشاعة الاسلام - لاهور باكستان - وبعضها مطبوع في عواصم الغرب .

ترجمة ظفر الله خان لاتعتمد على الشروح . وللشروح فائدتها في انها تعطي المعاني المتعددة للنص القرآني الواحد بينما الاكتفاء بالنص الواحد في الترجمة يقصرها على اختيار واحد . وقد صرح المترجم بهذا في مقدمته .

المنهج الذي اتبعه المترجم أن كتب مقدمة طويلة في نحو خمسين صحيفة درس فيها القضايا الرئيسية التي يعرض لها القرآن : الوحي . معنى القرآن . حفظه . القرآن والكتب الدينية السابقة . موضوع الخطيئة الاولى (قصة ادم) . المغفرة والتوبة . معنى الجن . معنى الفاتحة . بعض مميزات القرآن . نزول الوحي منجما . تفسير القرآن . تتابع القرآن هدف القرآن . اسلوبه في الاقناع ..

تأتي بعد هذا ترجمة المعاني . ولم يذكر المترجم انها ترجمة القرآن . وان كان الناشر قد اكتفى على الغلاف الخارجي بكلمات القرآن (بالانجليزية) وتحتها قرآن مجيد (بالعربية) ظفر الله خان بالانجليزية . وفي الصحيفة الداخلية : القرآن وتحته هذا البيان : الوحي الخالد الموحى به الى محمد خاتم الانبياء . النص العربي مع ترجمة جديدة لظفر الله خان ثم : قرآن مجيد .

وألحق المترجم بالكتاب فهرسا موضوعيا لموضوعات القرآن مع ارقام الآيات التي عرضت له .

نماذج من اختياراته :

١ - من المقطعات : وهي الحروف الواردة في اوائل السور مثل : ألم - في أول سورة البقرة . لم يضعها - كما هي كما التزم بهذا اكثر المترجمين مثل عبد الله يوسف علي ومولانا عبد المجيد الدار يابادي . ولكنه ذكر ما يعتقد انها معانيها . وأنها رموز لاسماء الله الحسنى : فالألف واللام والميم عنده في أول سورة البقرة : أنا الله العليم . وهكذا في بقية أوائل السور .

٢ - في قوله تعالى : أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها ؟ فأماته الله مائة عام ثم بعثه . قال : كم لبثت ؟ قال : لبثت يوما أو بعض يوم . قال : بل لبثت مائة عام .. الى قوله

تعالى : قال أعلم أن الله على كل شيء قدير (البقرة : ٢٥٩) .

قال في ترجمتها : فألقى الله عليه النوم ورأى في منامه أنه مات ثم بعث بعد مائة عام ولكي تنسق الترجمة من وجهة نظره يسمع بعد أن أجاب بقوله : لبثت يوما أو بعض يوم . ماترجمته عن الانجليزية : الامر كذلك ولكنك شهدت أحداث مائة عام ، (انظر ص ٤٢ من الكتاب) .

ورجعت الى ترجمة مولانا محمد على فاذا به يذكر الموت كما تنص على ذلك الآية ويذكر البعث . ولكنه في الشرح يرجح أن القصة رمزية ويستند في هذا الى ما جاء في العهد القديم في سفر حزقيال (انظر التفسير : ص ١١٣ ، ١١٤) .

وما ذكره مفسرونا في هذا هو الموت والبعث (كمثال انظر تفسير ابن كثير في هذه الآية) .

٣ ـ في قوله تعالى عن أيات نبوة عيسى عليه السلام :

« أني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله . . .

(آل عمران : ٤٩)

قال المترجم : اني اخلق لكم (أو أصور) من بين الافراد القادرين على تقبل هذا التأثير صورا وأنفخ فيهم روحا جديدة وعندئذ سيحلقون كالطير بإذن الله . (ص ٥٤ من الكتاب) .

وبالرجوع الى ترجمة مولانا محمد على ص ١٤٤ نراه ، يذكر الترجمة حرفية ولكنه يضيف في تعليق طويل : ان هذا تشبيه . وان المقصود هو أحياء البشر بنور الوحي حتى يستطيعوا التحليق في الآفاق الروحية العالية ، بل إنه ليعقب على الصورة الحسية للآية بقوله : وإن كرامة النبي أعلى من هذه الافعال كصناعة لعب الطير » .

يقول ابن كثير في تفسيره هذه الآية وتأكيده صورتها الحسية . وكذلك كان يفعل يصور من الطين شكل طير ثم ينفخ فيه فيطير عيانا باذن الله عزوجل . انتهى .

٤ ـ وفي ترجمته لقول الله تعالى في قصة سليمان :

« حتى إذا أتوا على واد النمل قالت نملة : يأيها النمل ادخلوا مساكنكم . . . . لايحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون » (النمل ١٨)

قال المترجم : « حتى إذا أتو على وادي النمل قالت أمرأة من قبيلة النمل : يأيها النمل ادخلوا مساكنكم . (ص ٣٦٩ من الكتاب)

وتعليق مولاي محمد علي يفيد هذا المعنى وان كانت ترجمة النص كما هو (قالت نملة) وينقل عن تاج العروس أن وادي النمل بين جبرين وعسقلان وأن نملة اسم قبيلة مثل مازن ومعناها بيض النمل (ص ٧٣١ من الترجمة) وفي تفسير ابن كثير لهذه الآية يقول ، ومن قال من المفسرين أن هذا الوادي كان بأرض الشام أو بغيره فلا حاصل لها . انتهى .

فما كان عند مولاي محمد على في التعليقات والشرح أصبح عند ظفر الله خان في المتن والترجمة المختارة .

والخلاصة :

وبعد : فهذه بعض الترجمات المتداولة . في اتجاهاتها الفكرية مابين اثبات المعجزات . ومحاولات تأويلها . وما بين اثبات اتجاهات ومذاهب والانتصار لها . وما بين اتخاذ بعضها وسيلة لطعن علماء اعلام بتعليقات مضافة الى الترجمة بعد وفاة المفسر ودون اذن منه .

وتزداد الترجمات والكتب على أرفف المكتبة الاسلامية والفصل بينها يحتاج الى تخصص ومتابعة وتوجيه .

فهل لجامعتنا الاسلامية أن تقوم بدور ايجابي في هذا المجال ؟ خصوصا وان هناك اقبالا لاريب فيه على القرآن ودراسته . في الغرب وفي الشرق الاقصى . وفي أقطار تقدمت في الحضارة والعلم .

وما ذكرته من نماذج الترجمات لايصورها جميعا . وما اذكره في هذا المقال ليس اغفالا له وانما رغبة في استعداد أكثر للكتابة عنه .

وارجو أن يوفقني الله الى عرض ثلاثة منها هي ترجمات : عبد الله يوسف علي وعبد القادر الدار بابادي ومحمد أسد وهو أحدثها ولا تزال ترجمة وشروح عبد الله يوسف علي هي الاوسع انتشارا وقبولا على الصعيد العالمي . وفقهم الله جميعا الى الخير . وهدانا واياهم بنور القرآن الكريم . ○

الكويت د . عبد العزيز كامل



ليبراليون وسلفيون

ومسميات أخرى

بقلم : فهمي هويدي

نحن بحاجة لأن نعيد النظر في مصطلحات قاموس حوارنا ، اذا أردنا له أن يتصل ويثمر ، ولا يتحول الى حوار طرشان ! واذا كنا نعاني من غيبة الحوار - كقاعدة - عن حياتنا العقلية ، فانه في الحدود الضيقة قد يتاح لنا أن نمارس فيها مثل هذا الحوار ، يجب أن ندقق في لغة خطابنا ، حتى لانستخدم كلمات ومصطلحات فقدت قدرتها على التعبير فضلا عن التوصيل .

فنحن نتداول كلمات مثل ليبرالية وعلمانية وسلفية وتقدمية وعصرية ، ويمين ويسار ، وفي ذهن كل منا معنى مختلف لكل كلمة ، الأمر الذي يهدر قيمة المصطلح ، ويفسد عليه وظيفته ورسالته .

وقد مررت مؤخرا بتجربة من هذا النوع ، اذ نشر لي « العربي » استطلاعا عن منطقة « الهونزا » في أقصى شمال باكستان (عدد ديسمبر ٨٢) ، أعربت في مقدمته عن الأسف لأني وجدت أغلب أهل المنطقة من أتباع الطائفة الاسماعيلية ، الذين لم أجد في قراهم مسجدا واحدا يذكر فيه اسم الله ، وقال لي بعض كبارهم انهم يتجهون بقبلتهم - عبر قلوبهم - الى حيث يقيم امامهم في احدى ضواحي باريس ، وذلك أفضل عندهم من التوجه بالحركات - مثلا - الى قبلة مبنية من الحجر في مكة ! .. أدهشني وصدمني ما سمعته ، فلم يزد ما كتبته في التعبير عن مشاعري على استخدام كلمة « الأسف » ، في حين أن الأمر يحتمل وقد يستوجب ما هو أكثر .

لكن ما رأيته وسمعته لم يكن المفاجأة الوحيدة ، اذ ما ان تم النشر حتى فوجئت بما هو أغرب وأدهى . فقد قال لي استاذ جامعي كبير المقام ، قرأ ما كتبته ، ان هذا الأسف الذي عبرت عنه ، قد يرضي المسلمين « المتشددين » ، في حين أنه يزعج - كثيرا - المسلمين « الليبراليين » ! لم أصدق اذني ، فسألته مستفهما عما يقصده ، فكررها على مسامعي قائلا ان المسلمين الليبراليين لا يكترثون بمثل تلك الأمور التي عبرت عن أسفي لافتقادها ، ثم أضاف ناصحا : كفانا

تزمتا يا أخي !!

عقدت الدهشة لساني ، فقلت : يبدو أن الليبرالية عند البعض يمكن أن تقودنا الى درجة يصبح معها الشرك إحدى شعب الايمان !

ثم توالت ردود الفعل . وتلقيت خطابات من بعض القراء الذين توحي خطاباتهم بأنهم اسماعيليون ـ من القطر السوري في الأغلب ـ تعاتبني على تلك الكلمة الوحيدة والنيمة التي ذكرتها بقلب كسير . ولم يكن في ذلك غضاضة ، أن يعترض أي قارىء على ما يكتبه الكاتب . انما الذي أزعجني حقا ، هو تلك الحجج التي استخدمها المعترضون في ردما كتبت . فقد قال أحدهم انني كشفت أوراقي . فقيا تنبىء كتاباتي عن خط « عصري » و « تقدمي » اذا بي أسقط « القناع » واسجل بيدي اعترافا بأنني رجعي التفكير ، متشبث بالشكليات والمظاهر . وسأل آخر : كيف تدعو الى العقلانية والتركيز على مضمون الاسلام ومقاصد الشريعة ، وتروج لفكرة التجاوز عن القشور والتفاصيل ، ثم تخرج علينا بثياب أخرى ، رأينا فيها التعصب (!) والتعلق بتلك القشور والتفاصيل !

وفي احدى الندوات التي شهدتها ببيروت ، قدم أحد الاساتذة المغاربة بحثا بعنوان « قراءة في الخطاب السلفي » تدعو في مجملها الى ضرورة التحلل من كافة « قيود » ذلك الخطاب السلفي . لأنها تمثل في رأيه العائق الأساسي للتقدم . وسألته : هل يعد القرآن الكريم داخلا ضمن الخطاب السلفي . فامتنع عن الرد . وقال أنه أوضح مقصده في الورقة المقدمة ـ وكان مضمون الورقة يوحي للأسف ـ أيضا ! ـ بأن كتاب الله في عرف صاحبنا ، مصنف ضمن ذلك الخطاب المطلوب الغاؤه

وكان ذلك اكتشافا جديدا بالنسبة لي ، أعقبه اكتشاف آخر لفريق أكثر « اعتدالا » ـ ! ـ يخرج القرآن من دائرة التراث ويكتفي بالاحاديث النبوية ـ في حين أن ثمة فريقاثالثا ـ تصورناه الأوحد ـ يقصد بالتراث اجتهادات الفقهاء وحدهم .

وهذا الفهم المتعدد للكلمة الواحدة ينسحب أيضا على وصف « السلفية » . وهي القضية التي خصص لها الداعية الشيخ محمد الغزالي فصلا بعنوان : « نحو سلفية داعية » ، في كتابه دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين . وفيه يذكر أن السلفية عند البعض هي فرقة من الناس تسكن بقاعا من جزيرة العرب ، وتحيا على نحو اجتماعي معين . وهي عند آخرين فقه الامام أحمد بن حنبل دون غيره . وعند غيرهم هي مدرسة النص ، دون مدرسة الرأي . ومن مدرسة النص من تسموا بأهل الحديث « وسيطرت عليهم أفكار قاصرة في فهم الأخبار المروية ، واحدثوا في الحرم فتنة منكورة » . . وهكذا .

والشيخ الغزالي ينقض هذه الرؤى المتعددة لمفهوم السلفية ، ويقدم تعريفا مختلفا لها بقوله انها : « نزعة عقلية وعاطفية ترتبط بخير القرون ، وتعمق ولاءها لكتاب الله وسنة رسوله . . . وفهمها للاسلام وعملها له يرتفع الى مستوى عمومه وخلوده وتجاوبه مع الفطرة وقيامه على العقل .

بالمناسبة فان السلفية عند مسلمي الصين تعني التمسك بالتقاليد والبدع الموروثة مثل زيارة الاضرحة والتلحين في القرآن ، واباحة التدخين . أما الذين يحاربون مثل هذه البدع ، فانهم يشكلون فريقا آخر مناقضا للأول يطلق على أصحابه وصف « المحدثون » .

ونستطيع أن نرصد في هذا السياق عديدا من الكلمات والمصطلحات الأخرى ، التي تلعب دورا هاما في مخاطبة العقل العربي ، وتتعدد في شأنها المفاهيم وتختلف الاتجاهات التي تحمل بها ، من فريق الى آخر . من ذلك ـ على سبيل المثال ـ كلمة « علمانية » أو « علمنة » التي تتردد على ألسنة الكتاب والمناظرين ، اذ قد تلقى وتستقبل ، على أنها نداء للالتزام بمنهج العلم وأساليبه . في حين يرى فيها آخرون أنها صيغة تنظم علاقة الدين والدولة . فمن قائل أنها دعوة للفصل الكامل بينهما ، بحيث تقف الدولة محايدة تماما ، لا تنحاز الى هذا الجانب أو ذاك . ولا تشجع الايمان الديني



بأي صورة من صوره . وقائل بأنه حياد ايجابي تدعم فيه الدولة القيم الدينية في عمومها ، لكنها تقيم في تشريعاتها سورا حاجزا **Wall of Separation** بين الدولة وبين التورط في تأييد أو تشجيع مذهب ديني معين ، وهو ما ذهبت اليه المحكمة العليا الامريكية في العديد من أحكامها . وقائل بأن العلمانية تعني وقوف الدولة ضد الدين ، فيما يسمى في الاتحاد السوفيتي بضمان حرية الدعوة الى الالحاد . بل أن ثمة تيارا اسلاميا حديثا(من رموزه الامام محمد عبده) يقبل بفكرة العلمنة ، وان حملها بمفهوم مختلف تماما ، يقوم على رفض فكرة حكم رجال الدين ، أو ما يسمى بالثيوقراطية ، ويدعو الى ضرورة « التمييز » بين الدين والدولة (والتمييز درجة بين الفصل والوصل) بحيث ، يكون الحكم في الدولة مدنيا ، بمعنى أن القائمين به يستمدون سلطانهم من رضا الناس واختيارهم . وان حكموا باسم الاسلام والتزموا في حكمهم بشرائعه .

وهذا اللبس قائم أيضا في تلقي مصطلحي العصرية (العصرنة عند البعض) والتقدمية . بين فريق يفهم العصرية على أنه التحاق كامل بالموقف الغربي في مختلف القيم الدينيةوالاجتماعية والسياسية السائدة . وفريق ثان يرى فيها تحديثا للاحكام الفقهية بحيث تصبح أكثر ملاءمة لروح العصر ، مع التزام بالأصول والكليات في الرسالة الالهية . وطرف ثالث يفهمها باعتبارها « تجديدا » في الدين ذاته ، يحتمل الانخلاع من الاصول - بعضها أو كلها - ولا يمانع من أن ينتقي من الخطاب الالهي ما يوافق تصوره للمصلحة ، متبنيا بعض النصوص أو المواقف ، ومعارضا أو متحفظا تجاه نصوص ومواقف أخرى ، وهو المنهج الذي عبرت عنه بعض الرسائل التي عقبت على موضوع الهونزا .

نفس الشيء ينطبق على « التقدمية » التي يتعامل معها البعض بالتفسير الأول لكلمة العصرية ، ويقبلها البعض بالتفسير الثاني ، في حين أن بين التيارات الاسلامية من يشك كثيرا في المصطلح ، ويعتبره غطاء أو تمهيدا للشيوعية .

وقد تكفينا هذه الأمثلة . فلبس تتبع المصطلحات هو هدف هذه المناقشة ، وإنما قضية « الانفراط الفكري » في ساحة الحوار العربي الاسلامي ، هي موضوعنا الأساسي . وقد نرصد في تحديد أسباب هذا الانفراط ودوافعه عوامل عديدة من بينها :

طبيعة العصر الذي نعيشه ، الذي يوصف - بحق - بأنه عصر التفاصيل . الامر الذي يعطي للظاهرة أبعادا تتجاوز حدود الواقع العربي . ذلك أن الاتساع الهائل في المدارك والمعارف ، فتح الباب لمزيد من التدقيق في المصطلحات الفكرية السائدة ومزيد من الفرز في المواقف التي تعبر عنها . والخلاف حول مدلول كلمتي اليسار واليمين وتعدد درجات كل من الاتجاهين ، نموذج لذلك .

اختلاف طبيعة الممارسات التي تمت في ظل تلك المصطلحات . ذلك أن المصطلح يظل متوهجا وجذابا ، طالما ظل أملا وحلما لحملته ، لكن انتقاله الى حيز الممارسة والتطبيق ، وتداخل القيم التي حمل بها في البداية مع عناصر الواقع ، من تركيبة بشرية الى مصالح سياسية وقومية ، الى خلفيات تاريخية ، هذا الاختبار قد يشكل صياغة جديدة للمصطلح ، سلبا أو ايجابا.وفي ساحة الفكر الاسلامي فان كلمة السلفية نموذج اخر ، بل أن كلمةالاجتهاد التي تتعلق بها في المشرق العربي باعتبارها أحد أبواب الفقه التي تعود الى مواكبة التقدم وملاحقة ما يستجد في مسيرة الانسان ، هذه الكلمة محل شبهة في المغرب العربي « تونس » خاصة ، اذ تعتبر هناك غطاء مزيفا لمخططات التحلل من الاسلام واسقاط بعض تعاليمه ، ولم يكن لهذا المفهوم أن يسود لولا الدور الذي لعبته بعض الممارسات في الاساءة الى المصطلح ، والقاء الشبهات من حوله .

اختلاف الانتماءات والمدارس الفكرية . فغير المسلمين الذين كانوا الاكثر تحمسا لمصطلح العلمانية ، لايتوقع منهم سوى تفسير واحد للمصطلح ، هو عزل الدين (الاسلامي في هذه الحالة) عن الدولة . وقد تبرر مخاوفهم الحقيقية أو الوهمية هذا الموقف ، ومن الماركسيين من لايفهمون العلمانية الا بأنها شل لحركة الدين ، والعمل على تقليص دائرة نفوذه . والعرب من أبناء الثقافة الغربية ، الذين عادوا الى وطنهم بانسحاق حضاري وتمثل لمختلف

صياغات وافرازات الحضارة الغربية ، مؤهلون بطبيعة اختيارهم لتبني التفسير الغربي للعلمانية . وابناء الثقافة الاسلامية المعاصرة يعذرون أيضا في قبولهم للمصطلح بتفسير مختلف عن هؤلاء وهؤلاء .

ثمة عنصر آخر في دائرة الأسباب ناشيء عن تفشي ظاهرة انفصال القول عن الفعل في العالم العربي ، على المستوى الثقافي فضلا عن السياسي مما فتح الباب لمختلف الانتهاكات والتجاوزات التي فرغت المصطلحات من مضامينها ، وأصبح من الممكن أن ينضوي أي شيء تحت أي شعار . وما يحدث باسم التصوف أو السلفية نموذج لذلك ، أما مآسي الساسة فيما يجري باسم الاشتراكية والديمقراطية والثورية ، فحدث ولا حرج !

أخيرا فان الأمر لايخلو أيضا من تمويه وتزييف . فاذا كان مقبولا في الغرب أن يعلن الانسان عن موقفه الفكري والعقيدي ، أيا كان شذوذه ، دون أن يتعرض لأية ردود فعل سلبيا . فالمناخ العام لا يقبل هذا الأمر بسهولة ، في أكثر الأقطار العربية . الأمر الذي يضطر معه البعض لأن يتخفى وراء صياغات تقبل اجتماعيا وسياسيا ، ولا تضر باصحابها . فحظر التنظيمات الشيوعية في أكثر البلدان العربية ، اضطر معظم تلك التنظيمات الى استخدام لافتة « التقدمية » . واذا كانت الضرورة هي التي أملت سلوكا كهذا للتعمية والتمويه . الا أن هناك آخرين زيفوا على الناس شعارات تخفي مواقعهم الحقيقية ، مثل أولئك الذين يلتحفون بالليبرالية للتنصل من الدين والانتقاء من تعاليمه .

ان الأمر أكبر وأعقد من أن يحسمه فرد أو سلطة . واذا كانت حكومة ماليزيا قد أعلنت منع استخدام كلمة الاسلام بين المرشحين في الانتخابات ، منعا للمزايدة واستثارة المشاعر الدينية لدى المسلمين . فان ذلك يعد من قبيل التسكين المؤقت ، الذي لايحل ولا يربط .

وحتى تفرز الممارسات والاجتهادات الفكرية مصطلحات ومسميات أخرى ، تعبر بأمانة عن مضمونها الحقيقي ، فقد لانجد مفرا من الحاق الاوصاف بالاسماء ، اذا لم نستطع أن نقدم الافكار بعيدا عن المصطلحات والشعارات ، واذا كان الغرب لجأ في السنوات الأخيرة الى استخدام عبارة « يوروكوميونيزم » ، أو الشيوعية الأوروبية ، ليميزها في الضمير الغربي عن شيوعية العالم الاشتراكي ، وربما لينقي الماركسية من شوائبها التي يرفضها المنطق الغربي ، خاصة في مجال الحريات والديمقراطية ، واذا كان الاقتصاد الغربي قد أطلق وصف « بترو دولار » على أموال الفوائض النفطية ، ليميزها عن رأس المال الغربي الخالص . واذا كان الفقه الدستوري قد لجأ الى نفس الاسلوب في تحديد هوية أنظمة الحكم ، ففرق بين ديمقراطية رئاسية ، يتمتع فيها الرئيس بسلطة أوسع ، مثل الولايات المتحدة ، وديمقراطية برلمانية يتمتع فيها البرلمان بسلطة أوسع مثل انجلترا وفرنسا . اذا كان مبدأ اضافة الوصف الى التسمية معمولا به ولا شذوذ فيه ، فلماذا لا نحاول أن نستخدم المنهج في علاج التشويش والاضطراب في حياتنا الفكرية . فنقول علمانية كذا أو سلفية كذا أو ليبرالية كذا ، بدلا من أن نلقي الكلمة ونظل نضرب أخماسا في أسداس لنعرف ماذا يعني بها المتكلم . خصوصا وان كافة المصطلحات المتداولة بدأت أوصافا ومواقف ، قبل أن تصك وتصاغ في مسميات وشعارات .

وفي المربع الاسلامي ، فان الداعين الى رؤية واعية لرسالة السماء ، ترتكز على اقامة علاقة صحيحة وحميمة بين الدين والدنيا ، تنقذ الأجيال من دوامة الصراع المفتعل بين الوحي والواقع ، وبين الضمير والفعل .. هؤلاء ، كتب عليهم أن يخوضوا معركتهم الضارية والشرسة على جبهتين عريضتين ، جبهة الذين يخاصمون الدنيا ، وجبهة الذين يخاصمون الدين . وستظل مشكلة حملة تلك الرؤية الواعية هي أن يصدوا سهام هؤلاء وهؤلاء ثم يواصلوا تقدمهم في الوقت ذاته على طريق رحلة الألف ميل .

وهي معركة لا بد من كسبها يوما ما ، لأنها في حقيقة الأمر معركة أغلبية المسلمين بملايينهم الساحقة والصامتة .. أما الانهزام فيها فبعده الطوفان !

حدث ذات ليلة ممطرة

بقلم : فهد الدويرى

اثنان وأربعون سنة مرت ولم يبرح ذاكرتي ذلك اليوم الممطر من شتاء قارس البرد ، برد بلدنا الصحراوي الذي ينخر العظام ، لاتدفئة ملابس ، ولا تخفف من غلوائه نار .

ولكـــن . . لنبدأ القصة من أولها . .

صاحبي الذي أقص قصته شاب عرفته منذ الطفولة طويل القامة نحيفها . . بل لقد بلغ منه النحول حدا جعلنا نطلق عليه اسم « المسلول » ، ومع ذلك فقد كان يتمتع بصحة جيدة ، لايشكو مرضا ولا تنتابه وعكات ولعل نحول جسمه كان وراثة في عائلته فقد كان شبابها كلهم جلدا على عظم ، حتى ابنة عمه كانت مثل عود الخيزران . وكان مرحا طلق المحيا تضحك من قفشاته ونكاته ونستزيده ، على أنه كان يتعرض أحيانا لحالات من الشرود والكآبة فيبدو قليل الكلام منطويا لايرد على حديث ولا يجيب على سؤال إلا باقتضاب شديد يدعو الى الاستغراب .

وكان يتيم الأم يعيش في محلتنا وسط البلدة هو وأبوه وزوجة أبيه في بيت عادي كبقية بيوت المحلة ، تجاوره منازل يعيش فيها أقاربه من أعمام وأخوال . ومع أننا كنا نسمع أحيانا عما مايلقاه من امرأة أبيه من معاملة قاسية ومع أننا كنا نسمع أيضا عن إهمال أبيه له الا انه لم يكن يشكو أحدا قط . فكنا نرد إهمال أبيه الى كثرة تجارته وأسفاره أما معاملة امرأة ابيه فهي أمر شائع لا غرابة فيه .

وكنت القاه يوميا بحكم الصداقة وبحكم الجوار يوم كنا طلابا نلتقي عصرا في مكتبة المدينة حيث نقرأ ما جد من صحف ومجلات وكتب وبعد أن نتداول ما نقرأ نمضي للسير في الأسواق المختلفة دون قصد كما يفعل من ليس له من عمل ثم نعود كل الى بيته . وحين افتقده يوما أذهب سائلا عنه في بيته فكنت أبحث عن ابنة عمه أولا فاذا وجدتها تقدمتني نحو المنزل بقامتها الطويلة ، عاضة طرف « بخنقها » بأسنانها راكضة أمامي فان كان صاحبي مريضا أستأذنت لي الصبية وعدته راجيا له الشفاء ، وان لم أجده عدت أدراجي .

***

والتحقت انا بأحدى الوظائف في حين ظل صاحبي يعيش في فراغ بعد أن اكمل دراسته ، وكنت أعرف أنه حاول الحصول على وظيفة ولكن أباه كان يمنعه من العمل بل ويحذر أصحاب الأعمال من توظيف ابنه . . لماذا ؟ ذلك مالم اكتشف سببا له .

والحياة في مدينتنا في تلك الحقبة مملة ، رتيبة ، والعيش في محلتنا لايتحول ولا يدخله التغيير مثل جريان ماء في



جدول لذلك لم يطرأ طارىء على مسيرة حياتنا أنا وصاحبي غير أني اذكر عصر يوم أخبرني فيه بطريقة سريعة أنني لو احتجت الى من يدلني عليه يوما فلن أجد عائشة فقد (خفروها) ولم أر في مثل هذا النبأ شيئا غير عادي فكل البنات يخفرون حين يبلغن الثانية أو الثالثة عشرة ولكن وجه صاحبي القاتم الحزين دفعني الى سؤاله :

وماذا في ذلك كل البنات مصيرهن ، الخفر ، وسوف أجد من يدلني عليك غير عائشه ؟

وتطلع فيَّ برهة ثم صمت صمتا أدركت معه أنه لم يكن يتوقع هذه الاجابة مني ولم يلبث أن غير موضوع الحديث وانطلق يتحدث عما قرأنا حول المشادة الأدبية الشهيرة التي كانت قائمة بين الدكتور زكي مبارك واحمد أمين على صفحات مجلة الرسالة التي كنا نتخاطفها كل أسبوع شراء من يقدر منا على الشراء واستعارة لمن لا يملك قيمة المجلة التي كان لها قراء كثيرون وكنا أنا وصاحبي بجانب الدكتور يجذبنا أسلوبه الشيق المتوثب فمن ذا الذي لا يجذبه عناوين مقالات الدكتور العظيم مثل ، جناية أحمد أمين على الأدب العربي ، وكانت تشدنا إلى زعيمنا الدكتور هذه الثروة من الحجج والبراهين يقذفها الزعيم في وجه خصمه سريعة .. أسرع من رصاص مسدس آلي ، وأذكر أنه لم يكن يعنينا يومها أن نمحص تلك الحجج والبراهين فنحن معه على مذهب شاعرنا .

لايسألون أخاهم حين يندبهم

للنائبات على ما قال برهانا

بل كنا لا نأبه بآراء الرجال الكبار الذين كانوا يرموننا بالتعصب والانقياد والنزق فان آراءهم تلك مثلهم سنا .. تجاوزها الزمن

***

وانتقلت الى حي جديد بعيد بعض البعد عن حينا القديم ولكن صحبتي لصاحبي ظلت موصوله كما كانت وبقينا نواصل الحياة المتماثلة سنوات حاول فيها صاحبي أن يلتحق بعمل فكان له أبوه بالمرصاد ، وحاول الزواج من ابنة عمه إلا أنها رفضته هي وأبوها وأمها كذلك ..

وعجبت لهذا الرفض فهي ابنة عمه لحا ، ولم تكن جميلة باهرة الجمال ولم يكن هو قبيحا ولم يكن أهلها أثرياء ولم يكن أهله فقراء واصابتني حيرة الصديق إذ لم أكن أجرؤ على سؤاله مقتحما حياته الخاصة ولم يكن هو يبثني نجواه ... كنت أعرف هذا الصديق المثقف الواعي القارىء لكل ما تقع عليه عيناه ، الشاب صاحب تلك الابتسامة الحنون ، والقلب الطيب ، حقا كنا حين نمر في بعض الاسواق يستوقفني فجأة ليطلب مني النكوص عن سوق من الأسواق ليعترف لي في بساطة ومرح أن في هذا السوق صاحب دكان يديه روبية أو روبيتين لم يسددها له بعد وكنا نعود الى هذا السوق فيما بعد فادرك أنه قد سدد دينه .

وذات عصر استوقفتني وصاحبي حادثة في السوق . كان رجل ستيني العمر يمسك بيده غلاما في نحو الثالثة عشرة ، كان الرجل في قمة غضبه وكان يضرب الصبي في عنف بالغ وكان يصيح فيه بين آونة وأخرى ضيعت الفلوس .. هه .. خذ ويعود إلى ضربه من جديد .

وتدخلنا مع بعض من في السوق وخلصنا الصبي من بين يدي الرجل بعد أن شبع ضربا .. واستأنفنا سيرنا قليلا ثم استوقفني صاحبي ليقول: ذكرتني هذه الحادثة بمثيل لما جرى لي حين كنت في سن هذا الغلام ..

واستطرد يحكي لي قصته

كانت أمي رحمها الله بعكس أبي تحبني حبا أشعر الآن انه كان أكبر حب عرفته في حياتي وكنت مدللا معززا عندها لايرد لي طلب ولا أشتهي شيئا الا وقدمته لي أما أبي فقد كان يحاسبني عن الهفوة الطفولية ويعاقبني أقسى العقاب على الخطأ التافه . وأذكر بين ما أذكر في ايام طفولتي أنه أعطاني ذات يوم أربع آنات لكي أشترى « حبا » لعلف الغنم في البيت وقبل أن أنطلق لأداء المهمة امسكني بيد ولطمني بالأخرى لطمات أحمر لها خداي ، فلما رآني أتألم ورأى دهشة صديق كان يقف معنا قال أبي لصاحبه

هذه حكمة يابو محمد .. أضربه الآن كي لا يضيع الدراهم غدا !

ثم التفت الي معنفا : :

هيا أذهب

وعدوت الى سوق (الجت) شادا على قطعة الأربع آنات بكل قوتي وكأنها تحاول أن تتملص من يدي كانت نفسي مليئة بالخوف وجسمي يرتعد كله فكنت وأنا أسير لا أسمع ولا أرى شيئا مما يجري حولي .

كان طعم فمي الجاف مثل من ألقم طينا حامضا .. كنت ذاهلا تماما حين وقفت أمام البائع ولم أعرف كيف عرضت له طلبي ، فلما وزن لي « مدوار الجت الصغير » راح يتطلع إلي في استغراب وشعرت أخيرا أنه يطلب مني الثمن وهنا أسقط في يدي ... لم أجد الأربع آنات ! ... باالله ، هلكت .

هنا صور لي الخوف حجم الطامة ، وجسم الفزع كارثتي المقبلة ولا أدري كيف انطلقت أركض عائدا الى البيت ... غريزة النجاة أركضتني حتى أصل الى البيت قبل أن يفرغ ابي من صلاة المغرب في المسجد لكي ألجأ الى

وانتهت حكاية صاحبي فضحكنا ، وأستأنفنا مسيرنا .
هذه هي الحكاية الوحيدة التي أعرفها عن طفولة صاحبي

***

أدخلنا جديدا على نمط حياتنا اليومية أنا وصاحبي صرنا بعد أن نخرج من المكتبة ونتجول في الاسواق نجلس في مقهى شعبي في طريقنا قبل أن نعود إلى البيت . كنا نجلس على أريكه خشبية طويلة تسع ثلاثة أو أربعة من الرواد وكانت الأريكة عارية تماما ، ومتكأ اليدين فيها متسخان ، وقد مد فوقها حصير ممزق .

وكانت أريكتنا تلك قريبة من الراديو الذي انطلقت منه أغاني صاخبة ولم تكن من هواة هذه الأغاني المزعجة ولكنا كنا نصبر عليها انتظارا لنشرات الأخبار التي نسمعها من إذاعات أنقرة ولندن تحمل لنا الجديد من أحداث الحرب العالمية الثانية . وكنا في الحرب كما كنا في الأدب لانتوسط بينا ولا حياد فنحن مع هتلر وموسوليني والميكادو ، نقف معهم ونتعصب لهم . لاحبا ولكن كرها للانجليز .. ذلك الكره الذي كان يملأ قلوبنا بلا حدود .

وكان صاحبي الهادي،ذو الابتسامه الرقيقة يتسربل حزن حزن العالم كله إن سمع خبرا في غير صالح المحور ، في حين ينطلق ضاحكا شامتا بكل فتونه العارمة حين يذاع خبر فيه هزيمة الحلفاء .

وفي إحدى الأمسيات وبعد أن انتهينا من شرب الشاي قفز صاحبي كمن نسي شيئا وقال لي :

ـ أتأتي معي ؟

ـ خير إن شاء الله

فأجابني :

لن نذهب بعيدا .. أول السوق .. دقائق ثم نعود قبل نشرة الأخبار . وسرت معه .

كانت بوادر المساء تغشى السوق وأصحاب المتاجر يغلقون محلاتهم والحرس يجسون أقفال الدكاكين في قعقعة مسموعه لتأكد إقفالها . ووقفت أنا وصاحبي أمام دكان نعرف صاحبه وكثيرا ما وقفنا عنده ، وأخذ صاحبي يقلب كومة من الحبال معروضة في الدكان يقيس هذا ويشد ذاك ويجس الأخر حتى انتهى الى حبل متين اختاره ونقد البائع ثمنه ، وشيعنا البائع وهو يقول لصاحبي : ـ

ـ لن تفلت معزاك من هذا الحبل .. إن قطعته سأعطيك آخر مجانا .

وعدنا الى المقهى .

كان هناك حشد كبير اناس جلوس ، واناس لم يبق لهم ما يجلسون عليه فوقفوا ينصتون للمذياع . كان الصمت

أمي لتنتشلني من هذه المحنة . ورحمني الله فلم أجد أبي في البيت . وحين هممت بالاندفاع نحو أمي وقفت مصعوقا . أحسست كأن شيئا ما يشد شعر رأسي كان العرق يتصبب من جسمي كله . ونظرتي الفزعة مركزة على يدي .

كنت أمسك بالأربع آنات التي كادت تقطر من عرقي . كانت هناك في يدي طول الوقت .

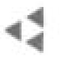
وبهتت أمي ، ووقفت شاخصة تنظر إلى كانت هلعة متوترة حائرة لأنها كانت تعرف أبي .

ومرت دقيقة قبل أن تهتف بي :

ارجع الى السوق واشتر (الجت)

وحين درت مأخوذ اللب صاحت بي ثانية :

ـ إذا وجدت السوق مقفلة فقل لأبيك عند العودة انك لم تجد « حيا » صالحا . وانك تأخرت في البحث .



سائدا تماما الا من صوت المذيع وفجأة انفلت الضجيج وتهللت الوجوه وساد المقهى فرح غريب .

لقد أغرق الألمان غواصة انجليزية .

هتف واحد كان يقف بجوار الراديو

يعيش ابو راكان

كان يقصد هتلر فكب على الرقباء ماء النورة . .

وصاح آخر تبدو عليه آثار النعمه

- عباس . . . شاي للجميع على حسابي .

وزعق صاحب المقهى في الصبية العاملين ليوزعوا الشاي فيما وقف هو يعد الفناجين

وبدأ الحشد ينفض ولم يبق الا رواد قلائل فاستطعنا انا وصاحبي أن نحصل على مقعدين على إحدى الأرائك . . لم يكن في منازلنا راديوات ، وحتى لو حصلنا على الراديو فأين الكهرباء . . رحنا نعلق مع الرواد على ماسمعنا من أخبار .

حتى الهنود لن يستجيبوا لنداء الانجليز ، ولن يقاتلوا هتلر . . انهم آريين مثله

ورد آخر .

- لا . . شيء آخر أيضا ، سمعت من صديق وصل من بومباي أمس أن الجنود المسلمين في الهند امتنعوا عن استلام بنادقهم واستعمالها فقد انتبهوا الى أن الانجليز يزيتونها بشحم الخنزير !

وطارت قهقهه مجلجله

وعلق صاحبي على هذه الاحاديث في نبرة متزنه تذكرك بمعلمي المدارس .

- لن يقف في وجه المحور شيء . . . عزيز المصري انضم الى صفوف الألمان في الصحراء الغربية .

من داخل المقهى سمعنا صوتا لرجل بالغ الأناقة ، يعتلي رأسه عقال مكسور دلالة واضحة على أنه توخدا سفر قال وهو يلم بشته خارجا :

- غدا . . اذا غرقت للانجليز سفينة ، الشاي ، على حسابي .

وراح الجميع يحلمون بنصر المحور الأكيد ، والتفت إلى صاحبي اذكره بتأخرنا عن موعد العودة الى البيت ولكنه كان راغبا في البقاء مدة اطول . قال :

هل سئمت هذه الجلسه الطيبة ، لا خيب الله لنا وهم أملا . . فلو أذن الله أن ينتصر جون بول لكانت كارثة انسانية .

فقاطعته .

أفرض . . يعني . . انكسر المحور

فزعق

- أخرجها من فمك

- أخرجتها . .

وانتهت السهرة وكانت الليلة حالكة الظلمة والغيوم ملبدة في السماء منذ ثلاثة أيام والبرد قارس تصطك منه الاسنان .

وبقايا مياه المطر صنعت بركا صغيرة موحلة على طول طريقنا ، وكان بيته هو الأقرب فسرنا نحوه ندوس الطين اللزج متحاشين المياه القذرة حذرين من الانزلاق على أطراف الطرق وكانت جدران البيوت التي نسير تحتها مبنية من الطين التيء كأغلب بيوت المدينة ، وكانت المزاريب القائمة تحت الأبواب تشكل حفرا كثيرا ما نتكفىء بها وبين حين وآخر يمر شبح إنسان . . امرأة ملتفه بعباءتها يسير أمامها صبي بيده سراج ينير ها الطريق . أوشيخ عائد من صلاة العشاء وضع عباءته فوق رأسه يخشخش بسبحته أو شاب بيده مسحاة يشق للماء طريقا يخرج من بيته الى الشارع .

- تصبح على خير . . . في أمان الله .

وأجبت صاحبي :

- في أمان الله

***

عند دخولي في صباح اليوم التالي كنت في أحسن حالاتي ، فقد خرجت من البيت بعد دعاء الوالدة لي بالتوفيق وجملتها المفضلة ، الله يكفيك شر الحساد ، . . . كأنني قارون الزمان .

وعند دخول المكتب صفعني أحد زملائي بقوله :

- الظاهر انك تأخرت في المقبرة

- مقبرة . . أي مقبرة ؟

- وتسمرت أمام محدثي فاغر الفم ، وعلى وجهي سؤال هائل

من مات ؟

- ألا تعرف . صاحبك . . انتحر البارحة . . وجدوه معلقا بحبل في سقف غرفته .

وجلست أمام مكتبي إذن مات صاحبي المسكين أنهى حياته بيده . وأحسست بجسمي وقد تصلب تماما . .

انتهى . . ألقيناه في سفينة الأحياء الماخرة عباب الدهر ونحن نتصوره الآن يتقاذفه موج العدم ، ونحن في السفينة ننتظر . .

انتحر صاحبي بالحبل الذي اشتريناه معا . .

ولكن لماذا ؟

ماالذي دفعه الى هذا المصير ؟

قسوة امرأة الأب ؟

إهمال الأب ؟

حبه الفاشل ؟

إنه لم يذهب وحده

لقد أخذ سره معه .

فهد الدويري

لقاء الشهر

مع : الدكتور خير الدين حسيب

الدكتور خير الدين حسيب القائم بأعمال مدير مركز دراسات الوحدة العربية ، شخصية عربية معروفة بنضالها ودورها القومي ، تولى الوزارة في العراق ، قبل تولي منصب مدير البنك المركزي العراقي .



مركز دراسات الوحدة العربية الدور.. والمستقبل

حوار : مصطفى نبيل

ذهبت اليه لمناقشة قضايا الوحدة التي رغم خفوت أصوات المنادين بها ، الا أنها اكثر الأصوات صدقا ، وأكثر الأهداف حيوية ، فوجدته يقودني معه بعقليته التنظيمية الى مركز دراسات الوحدة العربية وخططه ونظمه وانجازاته .

فهي بالنسبة اليه الوليد الذي أشرف على ولادته ، ويراه الآن شابا ، ويكفيه أن المركز في أكثر الأوقات صعوبة وفي ظل الاجتياح الاسرائيلي للبنان أصدر خمس دراسات ، واختار الرد على الهزيمة بتكثيف عمله الوحدوي .

لقد قام هذا المركز في إحدى مراحل الجزر التي تمر بها الأمة العربية بدوره في حمل الرسالة وانعاش الفكر الوحدوي العربي ، بعد أن غابت أعمال العديد من الجهات مثل معهد الدراسات العربية الذي تولى من قبل هذه المهمة .



وبدأت حوارى معه

قلت : قام مركز الوحدة العربية للحفاظ على فكرة الوحدة حية . واقتحام مفكريها للمشاكل وتقديم حلول علمية مدروسة حول كل قضايا الوحدة العربية . في أي ظروف قام المركز . وما هو الأساس الذي قام عليه ... ؟ وهل العقبة التي تواجهها مسيرة الوحدة العربية هي عدم الوعي بأهميتها ؟ .

قال : - بدأ التفكير في إنشاء المركز بعد هزيمة يونيو حزيران عام ١٩٦٧ . وبعد فشل التجارب الوحدوية السابقة . وتكونت قناعة لدى عدد من المفكرين الوحدويين بأن الفشل يعود في بعض جوانبه الى تخلف الفكر العربي الوحدوي عن الواقع والحركة السياسية التي تواكبه . مما يستوجب قيام مؤسسة فكرية تعمل في المجال الفكري والثقافي . تعنى بمختلف نواحي شؤون الوحدة بصورة عقلانية وموضوعية . وقامت اتصالات بين عدد من هؤلاء المفكرين وتبلورت في أوائل عام ١٩٧٥ في بيان تأسيس صدر عن ٣٢ شخصية منهم . وأعلن البيان قيام المركز . وحدد أهدافه . ووسائله لبلوغ تلك الأهداف .

وقد تلى البيان التأسيسي في يناير كانون الثاني في عام ١٩٧٦ في أول اجتماع للمركز . وأقر النظام الأساسي والداخلي . وتم تشكيل مجلس أمناء المركز من المؤسسين . وتم انتخاب اللجنة التنفيذية التي حدد لها مدة ثلاث سنوات . وتقرر أن يكون مقر المركز في بيروت . وجرت محاولة لم تنجح لاقامة فرع للمركز في الكويت للعمل مؤقتا . وعاد المركز وباشر نشاطه الفعلي في بيروت في أوائل عام ١٩٧٨ . أي انه الآن في السنة السادسة من عمله الفعلي .

انحسار الفكر القومي

قلت : مقارنة بالظروف التي نشأ فيها المركز والظروف الراهنة هل ترى انه حدث تغير في المناخ الفكري أو في الأوضاع السياسية . مما يقرب إنجاز الوحدة العربية ... ؟

قال : - يبدو لأول وهلة أن هناك انحسارا في المد والفكر القومي . وأن هناك انحسارا أيضا أصاب فكرة

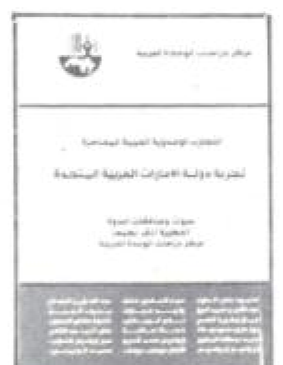


بعض الكتب التي صدرت عن مركز دراسات الوحدة العربية .

الوحدة العربية ويكشف الواقع العربي الراهن اكثر من دليل على هذا . ولكننا في المقابل نرى أن الأحداث التي مرت على الوطن العربي خلال السنوات الخمس الأخيرة أثبتت بما لا يدع مجالا للشك أن قضية الوحدة العربية ليست مسألة عاطفية ووجدانية فقط . بل هي ضرورة لمجابهة الأخطار وحلها . فمستقبل كل قطر عربي على حدة بات مهددا . والأمة العربية كلها تعيش هذه الأخطار . وتظهر الحاجة الآن اكثر مما كانت عند تأسيس المركز الى تكثيف النشاط الفكري والثقافي والوحدوي لتبصير الأمة العربية حكومات وشعوبا بما ينتظرها . إذا استمر الحال على ما هو عليه . وبما يمكن أن يكون عليه حالها اذا اتجهت الى قدر متزايد من التعاون والتضامن والتوحد . والفشل الذي حصل في السنوات الأخيرة يثبت صحة فكرة الوحدة العربية أكثر مما ينفيها . وتصبح الحاجة للنشاط الفكري الوحدوي أكثر إلحاحا . فمثلا أصبح من ضمن المعرفة العامة أنه من الصعب تحقيق تنمية قطرية حقيقية في أي بلد عربي . وأنه من المستحيل تحقيق الأمن القومي لأي بلد عربي على حدة وبدون تحقيق تلك الوحدة .

وتساءل الدكتور خير الدين حسيب : كيف يمكن مواجهة الصلف الاسرائيلي الذي طال المفاعل الذري العراقي وأعلن ضم الجولان . وبعد أن أصبح الجميع معرضين للخطر الاسرائيلي ؟ ولا سبيل لمجابهة هذا الخطر الا بتكاتفنا ووقوفنا صفا واحدا فلا يوجد بلد عربي يستطيع وحده مجابهة الخطر الاسرائيلي أو ينجو من هذا الخطر







وهل هناك طريق غير الوحدة للوقوف أمام عربدة اسرائيل ؟ ! .

قلت : ألا ترى أن تجربة المركز تحتاج الى الانتقال من مجرد تنمية الوعي بفكرة الوحدة العربية الى مجال جديد للعمل الوحدوي . . ؟

مثل . . ولم أكمل حديثي . .

فقد قاطعني قائلا : لقد كنا واضحين منذ البداية في هذا الموضوع . مؤكدين على طبيعة العمل الفكري والثقافي للمركز أملا في أن تترجم الجماهير العربية والمؤسسات العربية المختلفة هذا التيار الفكري الى حقيقة ملموسة . وقد أكدنا على أن المركز لا يهدف الى قيام حزب أو تجمع أو جبهة سياسية . وكانت تجربتنا في السنوات الخمس الماضية أكثر من مشجعة . فقد أصدر المركز مجلة المستقبل العربي في مايو أيار عام ١٩٧٨ . وكانت تصدر مرة كل شهرين . وأصبحت تصدر شهريا منذ أوائل عام ١٩٨٠ . وقد صدر منها حتى الآن ٤٨ عددا . والاقبال المتزايد على هذه المجلة التي توزع ما يزيد عن عشرة آلاف نسخة حاليا ووصولها الى جميع الأقطار العربية فيما عدا بعض الاعداد القليلة التي تمنع هنا وهناك . هو نجاح كبير للدور الذي تستهدفه . .

كما أن صدور ٣٦ دراسة عن المركز تتناول القضايا الوحدوية المختلفة . وتزايد الاقبال على هذه المطبوعات حتى بلغ عدد النسخ التي وزعت من كتب المركز خلال عام ١٩٨٢ وحده ورغم الظروف التي مرت ببيروت ما يزيد عن ٣٠ ألف نسخة . وإعادة طبع بعض كتب المركز ٣ طبعات . كل ذلك يشير الى حاجة ورغبة المواطن العربي وتجاوبه مع ما نطرحه من بحوث وأفكار . وتبقى هناك - بعد هذا - الحاجة الى توسيع نشاط المركز حتى تصل مطبوعاتنا الى شرائح أخرى من المجتمع العربي من غير المثقفين . وهو ما نحاول أن نتصدى له خلال هذا العام . وتقرر اصدار سلسلة جديدة من الكتب تحت عنوان « الثقافة القومية » تكون في حجم كتاب الجيب وتعالج الأمور بأسلوب سهل ومبسط دون أن يكون على حساب الموضوعية بحيث تصل هذه الكتب الى قطاعات أوسع من الشعب العربي . ولا تستطيع أن تستوعب كتب المركز الحالية . . .

لقاء المفكرين

قلت : لعل حيوية الموضوعات التي تتناولها ندوات المركز . واجتماع عدد من المفكرين العرب من البلدان العربية المختلفة . يؤدي الى التعرف على التيارات السائدة في كل جزء من أجزاء الوطن العربي . وتبين نقاط الاتفاق ونقاط الاختلاف . . خاصة مع حيوية الموضوعات المطروحة . . مثل القومية العربية والاسلام . والأمن العربي . والعمالة الأجنبية في الخليج . وتوجيه النقد العربي . . ؟

قال : بالنسبة للندوات أعد المركز حتى الآن عشر ندوات . يدعى لكل ندوة ما بين خمسين وستين مفكرا عربيا في المجالات المختلفة . ويحرص المركز على أن تعرض وتناقش وجهات النظر المختلفة . وغالبا ما تكون هذه الندوات مغلقة لتتمتع بالحرية الكاملة . ثم تنشر جميع البحوث والمناقشات في كتاب يصدر عن المركز .

وبعد ندوة العمالة الاجنبية ستعقد في بيروت ندوة حول العرب وأفريقيا . كما ستعقد في سبتمبر أيلول القادم ندوة عن ازمة الديمقراطية في الوطن العربي .

وانتهى اجتماع مجلس الأمناء الذي عقد في البحرين من اقرار برنامج ثقافي لمدة أربع سنوات .. ويدور هذا البرنامج حول قضايا ذات علاقة بقضية الوحدة والتنمية بالمفهوم الواسع لكل منها . أي انه يتناول الجوانب السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية . كما أن في برنامج الدراسات التي سيصدرها المركز .. دراسة حول الأقليات والوحدة العربية يصدرها الدكتور سعد الدين ابراهيم تقوم على أساس عدد من الدراسات الميدانية . ودراسة أخرى يقوم بها فريق من الباحثين حول استشراف مستقبل الوطن العربي حتى آخر القرن الحالي . ودراسات خمس أخرى تدور حول موقف الدول الكبرى من الوحدة العربية منذ نهاية الحرب العالمية الأولى حتى الوقت الراهن . وتتناول مواقف كل من بريطانيا وفرنسا وايطاليا والمانيا والولايات المتحدة الامريكية . كما نأمل أن نصدر دراسة مشابهة عن موقف الاتحاد السوفييتي ..

التعاون بين المؤسسات الوحدوية

قلت : هل يدخل ضمن خطط المركز القيام بدور « الغدة » المنشطة للمؤسسات الوحدوية القائمة بالفعل . ودور المنسق بينها ؟ ومتى يقيم أرضية للتعاون المشترك بين كل هذه المؤسسات سواء كانت اقتصادية أو تربوية أو سياسية .. ؟

ـ لعلك تعلم أن المركز قام بتنظيم ندوة في ابريل نيسان عام ١٩٨٢ في تونس تناولت جامعة الدول العربية الواقع والطموح . وعالجت الندوة المنظمات الاقليمية العديدة . كما أن عددا من هذه المنظمات يقوم بتمويل نشاطات المركز والمساهمة في اعداد بعض الدراسات . وقد مول وساهم صندوق النقد العربي والصندوق العربي للتنمية ومعهد الانماء الاقتصادي والاجتماعي والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم عددا من ندواتنا ..

وفيما يتعلق بالتمويل فالمركز ما زال يعاني من نقصه . وقد قام بتمويل ندوة العمالة الأجنبية في الكويت أحد أعضاء مجلس الأمناء وهو السيد عبد المحسن القطان .

ويتلقى المركز مساعدات من كل من دولة الامارات العربية والكويت والعراق وليبيا وقطر والبحرين . ولم تكن أي من تلك المساعدات مصحوبة بأية قيود أو شروط تؤثر على استقلال المركز أو على خطه الثقافي والفكري كما أن الموارد الداخلية الذاتية للمركز من مبيعات مطبوعاته قد تزايدت . واستطاع المركز خلال عام ١٩٨٢ أن يغطي أكثر من ٦٠٪ من مصروفاته . ولكنه ما زال يعاني من عجز مالي كبير عام ١٩٨٣ . فبرغم تزايد نشاطه فقد قلت المساعدات الحكومية وكادت تتوقف .

ولا يمكن لمركز جاد ومستقل للبحوث والدراسات أن يغطي تكاليفه من موارده الذاتية . واذا لم يحصل على موارد مالية اضافية فسيواجه أزمة مالية قد تؤثر على مستقبل نشاطه ...

مجلس التعاون الخليجي

سألت : ألا يدخل في برنامج المركز دراسات حول التجمعات ذات الطابع المحلي مثل مجلس التعاون

- قام المركز بعد هزيمة يونيو ، وبعد فشل التجارب الوحدوية العربية
- أزمة التيار الوحدوي تعود الى تخلف الفكر عن الواقع السياسي ..
- الفشل العربي في السبعينات يؤكد صحة الوحدة العربية ولا ينفيها ..
- على الجماهير والمؤسسات العربية ترجمة التيار الوحدوي الى واقع ملموس
- سيقدم المركز الأعمال الفنية المختلفة ، ويخاطب الوجدان العربي ..

الخليجي .. ؟ والتكامل بين مصر والسودان ؟

أجاب : « لقد أشاد البيان التأسيسي للمركز بأي محاولة لتحقيق الوحدة ولا يتبنى أسلوبا بعينه . وانما يرى أن يفسح المجال وتتسع الفرص العملية لسلوك جميع السبل . وهذا يشمل امكانية قيام تعاون أو وحدة أو اتحاد أو تكامل بين بلدين عربيين أو أكثر في أي اتحاد اقليمي .

إلا أنه من الضروري أن يكون في اتجاه تحقيق تعاون عربي أوسع وليس على حساب اضعاف العمل القومي الوحدوي » .

سألت : لماذا لم يقدم المركز دراسات عن التجارب الوحدوية التي شهدها الوطن العربي والتجارب الوحدوية التي شهدتها كل من المانيا وايطاليا .. ؟

قال : « البرامج الثقافية السابقة والقادمة تضمنت التجارب الوحدوية المعاصرة والتجارب الوحدوية التي شهدها العالم . ولكن بسبب امكانات المركز فقد كان أمامنا أولويات في أن تتناول الأمور الأقل حساسية وننتقل منها الى تلك الأكثر حساسية . وقد حان الوقت الآن لدراسة التجارب الوحدوية المعاصرة . وانتهى المركز قبل ما يزيد عن عام من دراسة تجربة دولة الامارات العربية ونشر كتاب حولها . وسنقوم باعداد دراسات التجارب الأخرى العربية والعالمية ... » .

قلت : ألا ترى أن مركز الوحدة لا يهتم بالقدر الكافي بالجانب الفني أين الشعر وأين المسرح . وأين الرواية . وأين الفنان التشكيلي ؟ ان هذه الاعمال تؤثر في الوجدان العربي ..

وإذا ألقينا نظرة على مطبوعات المركز ومجلته . لوجدنا غياب البعد الفني . حتى أنه يمكن القول إن هذه المطبوعات تطل علينا « متجهمة » ؟

قال : « هذا النقد صحيح وموضوعي . وقد سعى البرنامج الثقافي الجديد الى أن يعالج هذا النقص بوضوح . كما تسعى المجلة في خطتها الجديدة أن تتلافى ذلك . ولكن تبقى المشكلة . وهي قلة الكفاءات المتوفرة للكتابة في هذه المواضيع والقادرة على معالجتها . أو لنقل انشغالها بأمور أخرى ولكن ذلك ليس عذرا كافيا ومبررا لهذا النقص ... » ○

مصطفى نبيل

البيان التأسيسي لمركز دراسات الوحدة العربية

ان وسيلة المركز في تنمية الوعي الوحدوي هي اعداد دراسات وبحوث ، او القيام بترجمة بحوث ، تحلل الواقع العربي في شتى مظاهره وجوانبه والعراقيل التي تعترض سبيل الوحدة العربية واستجلاء وسائل توحيد اجزاء الوطن العربي وصيغها في مختلف الحقول .

ان توحيد الوطن العربي ليس عملية متعددة الجوانب فحسب ، بل متعددة المراحل ايضا . وليس التوحيد السياسي سوى الشكل الأكثر اكتمالا للوحدة .

ان التجارب الوحدوية المعاصرة خارج الوطن العربي ذات فائدة ودلالة في الدراسات المقارنة وتستوجب الدرس والتمعن من اجل تعميق فكرة الوحدة .

ان غايات المركز واهدافه تتطلب ان يعمد الى مخاطبة جميع طبقات وفئات المجتمع العربي ومختلف شرائح الاعمار والاختصاصات بالشكل والاسلوب المناسبين .

يحاول المركز ان تمتد المشاركة بنشاطه الى جميع الاقطار العربية منه خلال قيام أكبر عدد ممكن من المثقفين العرب الاختصاصيين في مختلف الحقول بمجهودات فكرية ضمن نطاق مهمته .

التأكيد الجازم ان هذا العمل لا يهدف اطلاقا الى تكوين تجمع سياسي او حزب او جبهة سياسية . وانما هو يهدف فحسب الى اعادة الزخم الى التيار الفكري الوحدوي .

ان المساهمة في عمل المركز لا تشترط شروطا مسبقة من حيث هوية المثقف ولا تتطلب الا ان يكون مؤمنا بالوحدة العربية . بغض النظر عن المعتقدات والنظريات التي يؤمن بها .

ان دراسات المركز وبحوثه وندواته وكافة اشكال نشاطه الأخرى لا تتناول الأوضاع السياسية القائمة في الوطن العربي . كما أن المركز لا يتخذ اية مواقف سياسية مباشرة ، ولا يسهم في النشاط السياسي ولا يدخل في الصراعات او الخلافات السياسية . ولا يرتبط باية حكومة ولا يتبنى اى نظام ولا يدخل في محاور او تحالفات او جبهات .

المعهد العربي للتخطيط بالكويت

الدكتور . مجيد مسعود

ينبغى أن نضع فى عداد أهم العناصر لمدخلات العملية الانمائية مخرجات مؤسسات التعليم والتدريب المهنى . فقد قال فى هذا الصدد أحد المفكرين (جان فوراستيه) ان البلد المتخلف اقتصاديا هو البلد المتخلف تربويا .

ان تحقيق التنمية الشاملة الملائمة لظروف الوطن العربى يتطلب على الصعيد العلمى ـ التكنولوجى ، العمل على تطويع الممكن من منجزاتها ، وعدم الاكتفاء بنقلها . وهذا الموضوع يعنى بالضرورة السير على الدرب الذى يوصلنا الى مرحلة الابداع ، والابتكار ، التى يمكن ان تتحقق بالمزيد من التعليم والتدريب لتأهيل العمل المنتج وللمسيرين والمخططين له . وذلك ابتداء من اجتثاث جذور الأمية وغلق المنابع التى تتدفق منها بالممارسة الفعلية لالزامية التعليم الأساسى لكل المستعدين له . والميل به فى مراحله المتوسطة نحو التوجه المهنى التطبيقى (البولوتكنيكى) وكذلك المتخصص والعالى منه ، باتجاه تعزيز التوجه التكنولوجى والبحوث التطبيقية ، بمضمون يكفل مصالح الجميع فى إطار الاختيار الاجتماعى . من أجل ربط التعليم والتدريب المستمر بمتطلبات الارتقاء بالانسان (المجتمع) والوفاء باحتياجاته الأساسية فى كل طور من أطوار تقدمه .

ان اعداد المختصين والفنيين الى جانب العمال الماهرين يساعد على تنفيذ الخطط الانمائية ، كما أن النتائج الايجابية للمحاولات الانمائية تخلق الامكانيات للتوسع فى التعليم والاعداد المهنى بمختلف مستوياته وانواعه وتأمين نفقاته .

تشير تجارب البلدان التى سبقتنا على طريق التنمية الى أنه بعد أن كان حتى بداية هذا القرن ، حوالى أربعة أخماس الناتج القومى ، تعود الى مايسمى بالعناصر الانساعية ، مثل التوسع فى استصلاح الاراضى الزراعية والتوسع فى حجم الاستثمارات الأخرى والتوسع فى حجم العمالة فى المشاريع الجديدة والموسعة ، قد انعكست هذه النسبة فى الوقت الراهن حيث صارت هذه الاربعة أخماس تقريبا من حجم الدخل الاجمالى تعود الى ما

يسمى بالعناصر المكثفة ، لاسيما مايتعلق منها بالترشيد العلمي للعمل . باستخدام التخطيط الشامل حتى مستوى الوحدة الانتاجية وبادخال منجزات التقدم العلمي ـ التكنولوجي ، بالقدر المستطاع وتطويرها ، لترتفع بمستوى اداء العاملين الى ما يماثلها في البلدان المتطورة . وبتحديث الادارة وما يلازمها من ديمقراطية المشاركة الفعلية للعاملين ، والالتزام بالانضباط وبمنظومة من المبادىء القيمية الأخلاقية التى تحث على خلق روح المبادرة وتعزيز المراقبة الذاتية والجماعية ، وتعميم الفوائد للجميع بتغليب المصلحة العامة على حساب المصلحة الذاتية الطبقية . . . الخ .

وتجاوبا مع متطلبات التنمية في الوطن العربي برزت الحاجة الى إنشاء المعهد العربي للتخطيط الاقتصادي والاجتماعي ليهتم اساسا بتدريب الكوادر المؤهلة لاعداد ومتابعة تنفيذ الخطط الانمائية . ولتعميق التجارب بين الأقطار العربية في مجال التخطيط للتنمية ، من خلال البحوث والندوات والاستشارات .

يعود تاريخ المعهد الى عام ١٩٦٦ عندما تأسس بمبادرة الحكومة الكويتية بالتعاون مع برنامج الأمم المتحدة للانماء ، وفى عام ١٩٧٣ تم تحويله الى مؤسسة عربية إقليمية ساهمت الدول المؤسسة له في تغطية جميع تكاليف الخبراء المحليين إضافة الى نفقات الادارة والتدريب والمكتبة .

فى مطلع عام ١٩٨٠ تم الاتفاق بين الدول العربية المؤسسة على اقرار المعهد العربي للتخطيط كمؤسسة عربية مستقلة لمدة عشرين عاما (قابلة للتجديد) . وقد وقع هذه الاتفاقية كل من الدول الأتية : الأردن ، البحرين ، الامارات العربية ، تونس ، السودان ، سورية ، الصومال ، العراق ، عمان ، فلسطين ، قطر ، ليبيا ، موريتانيا ، اليمن الشمالى ، اليمن الجنوبى . ومازال باب العضوية مفتوحا أمام بقية الدول العربية .

يتيح المعهد الوطنى للدول الأعضاء فرصا متكافئة فى الدراسة والتدريب ، مع مراعاة احتياجات هذه الدول وامكانياتها الذاتية ، كما يوجه رعاية خاصة للدول العربية الأقل نموا ، بغض النظر عن مدى مساهمتها المالية فى المعهد وهو يقدم خدماته لجميع الأقطار العربية المشاركة منها وغيرها .

يعتبر مجلس الأمناء المكون من أعضاء تختارهم حكومات الدول التى يمثلونها ، الهيئة العليا المقررة لشؤون المعهد والمسؤولة عن رسم سياسته العامة ومتابعة تحقيق اهدافه . وللمعهد مدير متفرغ يختاره مجلس الأمناء من مواطنى الدولة المضيفة ، ووكيله يعينه مجلس الامناء من غير مواطنى الدولة المضيفة . وهيئة استشارية فى عضويتها بالاضافة الى مدير المعهد ووكيله ورؤساء الاقسام العلمية فى المعهد ، ثلاثة خبراء ، تقدم الى مجلس الامناء توصياتها بشأن تقويم برامج المعهد وتطويرها .

يضم المعهد فى هيئته العلمية كادرا متخصصا يقوم بأعمال التدريب والبحوث والاستشارات فى مجالات التخطيط للتنمية بصفة شاملة وعلى الصعيد المتخصص ، الزراعى والصناعى ، المالى والتجارة الخارجية ، الديمقراطى الاجتماعى والتعليم الاقليمى ، الاحصاء والحسابات القومية وأساليب التخطيط المتقدمة .

إن هيكل ومحتوى البرامج والأنشطة التى يقوم بتنفيذها المعهد تنطلق من اعتباره للتنمية بأنها عملية مجتمعية شاملة تتطلب إعادة بناء الهياكل الاقتصادية والاجتماعية الموروثة فى سبيل دفع إنتاجية العمل الاجتماعية وتأمين العدالة الاجتماعية . وان التنسيق فى المجال التخطيطى التنموى يعتبر أحد المداخل للتكامل بين الأقطار العربية ، ويعضد من اعتمادها الجماعى على الذات ، وتدخل الدولة باستخدام التخطيط الشامل للمجالات الاقتصادية والاجتماعية ضرورى فى هذه المرحلة وهذا كله يتطلب زيادة قدرات الأجهزة التخطيطية بالكوادر المؤهلة .

اهداف المعهد

وقد حددت اتفاقية المعهد أهدافه على النحو التالى :

أ ـ تأسيس مركز رئيسي فى المنطقة العربية للاضطلاع بشؤون تخطيط التنمية وتنفيذها ومتابعتها .

ب ـ تطوير نشاطات ذات نفع متبادل فى البحوث والتدريب والخدمات الاستشارية فى مجالات تخطيط التنمية من منظور إقليمى ، بالتعاون مع المعاهد والمؤسسات الوطنية والاقليمية والدولية .



ج ـ توفير منتدى لتبادل الأفكار والخبرات والتجارب ذات العلاقة بتخطيط التنمية وتنفيذها وتقييمها على النطاق الاقليمي والدولي . كذلك تقديم الخدمات للمؤسسات العلمية ذات العلاقة وللباحثين المهتمين للاضطلاع ببحوث تعتمد أسلوب حل المشكلات ، ووفق منهج يسمح بمعالجة الموضوعات المطروحة بكافة أبعادها المختلفة .

د ـ العمل على تقوية أجهزة التخطيط ومؤسساته في الوطن العربي عن طريق برامج التدريب وبشكل دورات إقليمية أو شبه إقليمية ودورات عمل ميدانية وندوات فكرية .

هـ ـ تقديم الاستشارات للحكومات العربية ، والتدريب على الموقع استجابة لطلبها .

البرامج التدريبية

أ ـ الدورة السنوية لتخطيط التنمية وهي تهدف لزيادة وكفاءة العاملين في مجالات التخطيط للتنمية الاقتصادية والاجتماعية ممن ترشحهم حكوماتهم من الحاصلين على درجات علمية جامعية حيث يمنح الدارس الذي يتم متطلبات الدراسة بنجاح ، دبلوم الدراسات العليا في تخطيط التنمية . وقد عقد المعهد فيما بين عام ٦٦ / ٦٧ وعام ٨١ / ١٩٨٢ خمس عشرة دورة سنوية تخرج منها ٤٢٥ متدربا من مختلف الأقطار العربية .

ب ـ الدورات القصيرة المتخصصة (٤ ـ ٦ أسابيع) وتعقد في الكويت أو في أحد الأقطار العربية ، وتكون مركزة على موضوع محدد مثل التخطيط المالي ، الزراعي ، الصناعي ، تقييم المشروعات ، متابعة تنفيذ الخطط الانمائية ، التخطيط الاقليمي ، التنمية الريفية المتكاملة حيث يجري فيها الاطلاع والتداول حول ماهو جديد للمختصين في مثل هذه المجالات . وقد عقد المعهد العديد من هذه الدورات القصيرة المتخصصة وشارك فيها فيما بين عام ٦٦ / ٦٧ وعام ٨١ / ١٩٨٢ من مختلف الأقطار العربية ١٢١٩ متدربا .

الندوات والحلقة النقاشية

اعتاد المعهد أن يعقد ندوات يعرض فيها مجموعة أوراق وخلاصة أبحاث حول موضوعات محددة . ويوثق هذه الاوراق مع موجز للمناقشات في مطبوعة تكون جاهزة للمهتمين والراغبين باقتنائها . والحلقات النقاشية تقليد من أجل تعميق الحوار الجاد ، اعتاد المعهد ان يكرره كل عام حول موضوع محدد ، يغطي في عشر جلسات بواقع جلستين كل شهر ، كل جلسة يتفق مع متخصص بعد ورقة بموضوعها المحدد ويدعى من يهمهم الموضوع لمناقشته .

اجتماعات الخبراء

بالاضافة الى ماتقدم يقوم المعهد بدعوة حوالي العشرين خبيرا بالمشاركة في دراسة موضوع راهن له أهميته في عملية التنمية في الوطن العربي . وقد عقد بعض الاجتماعات التي شارك فيها مجموعة من الخبراء من الأقطار العربية ، وتوجد لدى المعهد مطبوعات بمحتويات مادار فيها

الابحاث

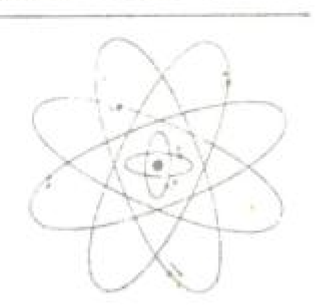
يقوم المعهد بالاعداد لنوعين من النشاط البحثي ، أحدهما يغذي برامجه التي سبقت الاشارة اليها ، بالاضافة الى مايقوم بتكليفه لمختصين من أجل استكمال هذا الجانب ، والثاني باعداد بحث مؤسسي على مدى عامين أو أكثر يشارك به مجموعة من العاملين في المعهد . وقد سبق للمعهد أن أعد تقييما لتجربة التنمية في الوطن العربي صدر بجزئين للفترة فيما بين ٦٠ / ١٩٧٥ ويواصل حاليا لاستكمال هذا الموضوع مع التركيز على الجانب التخطيطي فيه .

المكتبة

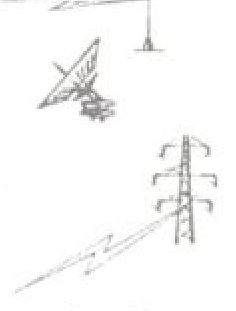
يوجد في مكتبة المعهد حوالي ثلاثين ألف كتاب من إنتاج فكري عربي وأجنبي ، وقد خصصت قاعة للباحثين . وبالاضافة للكتب تحتوي مكتبة المعهد على الدوريات والمطبوعات الحكومية العربية ومطبوعات الأمم المتحدة وبحوث ودراسات أعضاء الهيئة والمدربين كما تضم مكتبة المعهد دوائر المعارض والقواميس والاطالس والأدلة وغيرها . ○

د . مجيد مسعود

اعـداد : يـوسف زعبلاوي









عـمليـات حـصى الكلى
أصبحت قريبة المنال
وسهلة للغاية

نجح علماء الطب الغربية والمانيا في تطوير منظار للكلى (Nephroscope) يمكن الاطباء من استخراج الحصى من كلى المريض عبر ثقب ضيق يفتحونه في ظهره .. او تفتيت تلك الحصى اذا تعذر استخراجها . وتحويلها الى فتات صغيرة لاتضر ولا تنفع . وذلك بواسطة الموجات الصوتية التي يقذفونها بها على نحو من التركيز .

أما الثقب الضيق فلا يزيد قطره على $\frac{1}{4}$ بوصة بخلاف الجرح او الشق الذي تتطلبه العمليات الجراحية التقليدية . والذي يبلغ طوله مابين ٨ ـ ١٠ بوصات .. ثم يدخل الطبيب في ذلك الثقب قسطلا (Catheter) يصل به الى حيث توجد الحصاة .. ويمضي اسبوع بعد ذلك تنمو اثناءه أنسجة الجسم التي تحيط بالثقب . بحيث يصبح التخدير او البنج الموضعي كافيا لاستكمال المعالجة بهذه الطريقة .. ويعود المريض الى غرفة العمليات فيدخل الطبيب منظار الكلى ـ النفروسكوب ـ في الثقب عبر القسطل .. ولا يلبث الطبيب ان يرى بوضوح حصاة الكلوة وما حولها . وعندئذ يدخل عبر النفروسكوب نفسه . الأداة اللاقطة التي تشبه السلة الصغيرة . وما اسرع ما يلتقط بها الحصاة ويخرجها من الجسم عبر جهاز النفروسكوب ايضا

وقد تكون الحصاة كبيرة . أكبر من ان تلتقطها الأداة وتخرج بها عبر الجهاز .. وفي تلك الحال يدخل الجراح قضيبا معدنيا يستطيع نقل موجات صوتية ذات ذبذبات عالية الى الحصاة . فتتفتت هذه بتأثير تلك الموجات .. عندئذ يعمد الى التقاط أجزاء الحصاة او شظاياها

وتستغرق هذه العملية مايتراوح بين نصف ساعة وساعتين .. وينهض المريض من فراشه صبيحة اجراء العملية وقد شفي من الآمه علما بان العمليات التقليدية تتطلب بقاء المريض في



الجديد في العلم والطب

فراشه طيلة ٣ ـ ٤ ايام لايسمح له فيها بالمشي اطلاقا . فالوقت الذي ينبغي للمريض قضاؤه في المستشفى في حالة العمليات التقليدية يتراوح مابين ١٠ أيام و ٨ اسابيع ، اما في حالة عمليات النفر وسكوب، فباستطاعة المريض الرجوع الى عمله في غضون أسبوع واحد او أقل .

وتجدر الاشارة الى اسلوب آخر يعمل به اطباء جامعة ميونخ وذلك في مستوصف المجاري البولية التابع لتلك الجامعة ، فمع ان هذا الاسلوب يعتمد على الموجات الصوتية ايضا .. الا انه يستغني عن الجراحة تماما ، ولا يفتح ثقبا في ظهر المريض ولا في بطنه ، فهو يستعيض عن ذلك بأجهزة أخرى خاصة ... اذ يوضع المريض في حوض ماء ثم تسلط الموجات الصوتية الى كليته والى حيث توجد الحصاة بالذات وذلك تبعا لما يراه الطبيب في صورة الأشعة ، التي تظهر أمامه ويرقبها في الوقت نفسه ... وهكذا يتم تفتيت الحصاة دون جراحة ، وتترك الأجزاء المفتتة لتخرج من جسم المريض بصورة طبيعية . وقلما اخفقت هذه الطريقة واستوجبت اجراء العملية الجراحية التي ذكرنا عبر الثقب الضيق . والغريب ان اجهزة هذه العملية غير الجراحية لاتوجد الا في جامعة ميونخ بالذات .

ولعل الاقبال الهائل الذي لقيته هذه الطرق المبتكرة ومازالت تلقاه أكبر دليل لا على نجاحها فحسب ، ولكن على كثرة الذين يعانون من آفة حصى الكلى ايضا . والآفة المذكورة تسبب ألما مبرحا يفوق الكثير من الآلام الأخرى تبريحا كما هو معروف وهي تصيب مايقارب ٢٠٠١٠٠٠ نسمة سنويا في الولايات المتحدة وحدها .

كوكب الزهرة كان كوكبا مائيا كالارض في الماضي البعيد

● نشرت مجلة سيانس المعروفة في عدديها الصادرين في السابع من شهر مايو الماضي تقريرا علميا خطيرا عن كوكب الزهرة (فينوس) . وتعزى خطورة التقرير إلى أن المعلومات الجديدة التي تضمنها إنما جاءت حصيلة للجهود المتواصلة التي بذلها العلماء في تحليل الرموز والاشارات التي كانت سفينة الفضاء الامريكية (بيونير فينوس **Pioneer Venus**) قد وافت بها المحطات الأرضية في شهر ديسمبر سنة ١٩٧٨ .. فقد عبرت تلك السفينة جو فينوس ـ دون ان تهبط على سطحه ـ وأرسلت إلى الأرض سيلا من تلك الرموز والاشارات التي لم يكن في إمكان العلماء استكمال تحليلها واستخلاص المعلومات منها إلا بعد مضي أربع سنوات أو تقل قليلا . وقد قام بتلك الدراسات فريق من علماء الفضاء المتخصصين باشراف العالم توماس دوناهيو **Th. M. Donahue** أحد كبار الاساتذة في جامعة متشيجان .

وليس هنا مجال التفصيل ، وحسبنا التعرض بايجاز لأهم اكتشاف توصل إليه اولئك العلماء عن الكوكب اللماع البراق .. كوكب الزهرة ... وقد عرف الفلكيون منذ زمن أن السحب الكثيفة البيضاء التي تلف الكوكب هي التي تعكس اشعة الشمس فتسبب بريق كوكب الزهرة ولمعانه .

أما الاكتشاف الجديد فهو وجود غاز ديتيريوم (**Deuterium**) في جو الزهرة بكميات كبيرة تفوق كمية الهيدروجين فيه . واكتشف العلماء أيضا أن النسبة القائمة بين هذه الكميات في جو الزهرة تبلغ اضعاف النسبة القائمة حاليا في بحارنا الأرضية ، (١٠٠) ضعف على وجه التحديد . ويستدل العلماء من ذلك على أن كوكب الزهرة كان كوكبا مائيا أو بحريا في الماضي السحيق كالكرة الارضية حاليا وان كمية البحار او المياه السائلة التي غطت سطحه آنذاك بلغت ١٠٠ ضعف كمية البخار او المياه الغازية الموجودة

في جوه في الوقت الحاضر ومعنى هذا أن مياه البحر لم تغط نحو ٧٠٪ فقط من سطح الزهرة كما هي الحال على سطح كوكب الأرض وانما غطت سطح الكوكب بكامله تغطية كاملة وبعمق بلغ بالمتوسط ٩أمتار .

ولكن أين ذهبت كل تلك المياه .. وكيف اصبح كوكب الزهرة كوكبا جافا وحارا وبلا ماء على الاطلاق ... ؟ وتزداد حيرة المرء لو علم أن كوكب الزهرة وكوكب الأرض شقيقان توأمان في نظر العلماء ... لا بسبب المياه التي غمرت أحدهما ومازالت تغمر الثاني ولكن لأن حجميهما واحد تقريبا وكذلك كتلتيهما وبعدهما عن الشمس .. بيد أنهما تطورا في اتجاهين متضاربين حتى أصبحا عالمين مختلفين تماما .. وأصبح كوكب الزهرة قاعا صفصفا ومرتفع الحرارة (٤٢٦ درجة مئوية) وأصبح جوه مشحونا بغاز ثاني اكسيد الكربون .. وضغطه الجوي يبلغ اضعاف ضغط الجو على الأرض .. (٩٠ ضعفا بالتحديد .)

ويعتقد العلماء أن كوكب الزهرة فقد بحاره ومياهه قبل حوالي ٤,١ ـ ٣,٦ الف مليون سنة .. وذلك بسبب الشمس التي تضاعفت حرارتها في تلك الفترة .. فتحولت مياه كوكب الزهرة إلى بخار وأدت أيضا إلى تصاعد غاز ثاني اكسيد الكربون من تربة الكوكب الكلسية .

واجتمع هذا الغاز ببخار الماء وتراكم في جو الكوكب ... حتى كانت الظاهرة الخطيرة . ظاهرة تصيد حرارة الشمس .. أو كما اشتهرت .. ظاهرة بيت النبات الزجاجي ..

ويطرح المستر دوناهيو السؤال الذي طالما ردده العلماء في المدة الأخيرة ... هل تتجه الكرة الأرضية إلى المصير نفسه ، الذي انتهى اليه كوكب الزهرة ... وقد بدأ غاز ثاني أكسيد الكربون يزداد تراكما في جو الارض وبدأت الكرة الأرضية تعاني من آثار الظاهرة الخطيرة ... ظاهرة تصيد حرارة الشمس ... ؟

رجل آلى مهمته التدريس

انتشر الرجل الآلى (robot) فى الدول المتقدمة وفى مصانعها بالذات حتى اصبحت هذه المصانع تشترط فى الفنيين الذين تريد توظيفهم أن يكونوا مؤهلين للتعامل مع الرجل الآلى ! ولكن المعاهد والكليات التكنولوجية في تلك الدول لم تستطع حتى الآن تخريج الطلاب الذين تحتاجهم تلك المصانع بأعداد كافية ولا بالمؤهلات اللائقة المطلوبة .. لذلك كان لا بد من حل هذه المشكلة الملحة .. وقد وجدت احدى الشركات الامريكية ذلك الحل : ووجدته في جيل جديد من الرجل الآلى ، جيل مبرمج لتدريب الفنيين والتقنين من بنى الانسان وتأهيلهم للتعامل مع الرجال الآليين .

والغريب ان الشركة امريكية لا يابانية .. وقد نجحت فى صنع الرجل الآلى المدرس (انظر الصورة) ... وسمته البطل رقم ١ (Hero I) .. أما الاعمال التى يستطيع هذا البطل القيام بها فكثيرة .. تشمل فيما تشمل التقاط الاجسام الصغيرة بيده الملقط ... ويستطيع ايضا ان ينطق بكلمات وعبارات وأن يتنقل من مكان الى مكان ويؤدى وظائف تحدد له بواسطة جهازه الالكترونى الخاص .. دون الاصطدام بأى من العقبات التى تعترض سبيله .. كالجدران وقطع الاثاث الخ .. والأهم من ذلك كله ان البطل (رقم ١) مبرمج لاداء اكثر العمليات التى يقوم بها أقرانه الرجال الآليون فى المصانع .

وتفخر الشركة التى صنعت البطل رقم ١ بأنه مجهز بمجسات الكترونية للضوء والصوت .. ومجسات فوق صوتية .. أما الصوت الذى يتكلم به فصوت مخلق بالكمبيوتر ... يضاف الى ذلك الذراع الآلية التى تجدها فى كل الرجال الآليين الصناعيين بلا استثناء .. بيد أنها متقنة فى البطل رقم ١ ، بحيث تستطيع الانثناء فى اكثر من مكان عند المعصم وعند الكتف.

ولما كان البطل رقم ١ مدرسا قبل كل شىء ، كان لابد ان يكون فى حوزته كتاب مفصل يشمل التعليمات والنظريات التى يريد من طلابه دراستها فى بيوتهم قبل التوجه الى « استاذهم » لتلقى التدريب العملى اللائق وفق محتويات الكتاب !

محمود حسن إسماعيل

شاعر يغني

بقلم : عبدالله زكريا الأنصاري

منذ بضع سنوات انتقل الى جوار ربه الشاعر المبدع محمود حسن اسماعيل ، وقد قضى سنواته الأخيرة في الكويت ، وكان كثير الغناء ، يعبر عما تعانيه نفسه شعرا غنائيا مؤثرا ، والشعر المؤثر هو الذي ينبع من عميق النفس ، ويترجم وجدان الشاعر ، وينطق بمعاناته ، والمعاناة الناطقة هي عصارة الروح .

والشعر الغنائي هو الذي يتغنى به شاعره ويغنيه للناس ، ويجعلهم يتغنون به

محمود حسن اسماعيل يغني معاناته شعرا .

ذلك أن من الصعب أن يتغنى الانسان بالشعر أو حتى يقرأه قراءة سليمة ان كان هذا الانسان لايتذوقه ولا يزنه بميزانه الصحيح وميزان الشعر ميزان دقيق بنطق كلماته واخراج حروفه ، وضبط مقاطعه ، والتوقف أو الاستمرار في ابراز موسيقاه الى غير ذلك من اشباع لرنينه ، ورنين الشعر انما هو في الموسيقى والمقاطع ، وفي الحروف والكلمات ، ولهذا نقول ، لايستطيع قراءة الشعر الا المتذوقون للشعر هؤلاء الذين يستطيعون أن يتغنوا بالشعر .

الغناء تعبير عن معاناة النفس ، ولا غناء بدون شعر ، ذلك أن الشعر هو روح الغناء والانسان تفيض نفسه معاناة فيغني ، ويجيء غناؤه تعبيرا عن شجا ، من هم أو حزن . ويجيء أيضا تعبيرا عن فرح وسرور . اذ تمتلىء النفس بمعاناة الفرح كما تمتلىء بمعاناة الحزن ولابد لهذه المعاناة أن تخرج ، فتخرج كما هي من داخل الانسان ،



وللشعر أنغام تختلف في قوتها وضعفها ، وتختلف في تأثيرها أيضا ، فكلما كان الشعر متمكنا من الشاعر كان تأثيره أقوى ، اذ أن هناك من الشعراء من يتكلف الشعر تكلفا ظاهرا وهذا هو الذي لايكون الشعر متمكنا منه ، ويصعب عليه التعبير عن معاناته الا بعد جهد جهيد ، ولهذا ترى شعره متكلفا يضعف ويرك .

نسيج مبتدع

بقدر ضعف روح الشعر فيه وبقدر صدق المعاناة ، أو بقدر قوتها وضعفها ، يجيء الشعر فكلما كانت قوية جاء شعره أقوى وكلما كانت ضعيفة جاء شعره أضعف وهكذا .

وشاعرنا الذي نتحدث عنه اليوم يعرفه الوطن العربي كله ، فقد جاب أنحاءه طولا وعرضا ، وغنى مآسيه مدا وجزرا ، وشارك في منابر شعره ، وغنى عليها وتغنى بها ، وكان غناؤه أشبه بالسبحات التي تنطلق من الروح الى العالم الشعري ، وعالم محمود حسن اسماعيل الشعري عالم محلق ، وفي شعره ضرب من الابداع ، والشعر المبدع هو الذي يكون نسيجه نسيجا مبتدعا ، يختلف عن نسيج غيره ، كيف ؟ نقول ان هناك شعراء ، ولديهم ابداع شعري ، والابداع الشعري لايقتصر على نسيج واحد ، ومع ذلك نجد ابداعهم الشعري هذا ناطقا في شعرهم الذي لايختلف عن نسيج غيرهم من الشعراء ، أعني أن النمط الشعري الذي يسيرون عليه سار ويسير عليه كثير من الشعراء ، لكنهم مع ذلك يبدعون ويأتون بالجميل من المعاني والجديد من الصور .

فأحمد شوقي مثلا ، الذي أطلق عليه كثير من شعرائنا لقب ـ أمير الشعراء ـ لم يكن نسيجا وحده في الشعر ، ولم يخرج في شعره عن نهج الشعراء الآخرين ، في القديم وفي الحديث ، وقد حاكى كثيرا من قصائد الشعراء من البحتري الى ابن زيدون ، ونسج على منوالهم ، وعارض بعض قصائدهم ، لكنه في نفس الوقت أبدع وأجاد ولعل القارىء يعرف ذلك جيدا اذا ما تمعن في قصيدته « البردة » التي يحاكي فيها بردة البوصيري ، أو سينية التي يحاكي فيها سينية البحتري ، أو نونيته التي يحاكي فيها نونية ابن زيدون ، أو داليته التي يحاكي فيها الحصري ، أو غيرها وغيرها ، قد يحاكي ويبز ، ويقلد ويبدع ، ويسير على نفس المنوال فيفوز بالسبق ، اذن فشوقي شاعر ليس نسيجا وحده لكنه شاعر أبدع لوحات شعرية جميلة وجاء برؤى شعرية رائعة ، وأبدع وبز كثيرا غيره من الشعراء الذين سبقوه أو الذين عاصروه أو الذين جاءوا بعده

كان يخاف الموت

أما شاعرنا محمود حسن اسماعيل فلم يقف غيره من الشعراء ، ولهذا نقول إنه شاعر نسيج وحده ، في اسلوبه وفي ابداعه ، وفي اللوحات التي يرسمها ، وفي خياله المطلق الرحب وفي تحليقه وفي موسيقاه ، ولعله من الشعراء الذين يغلب على شعرهم طابع الحزن ، والقلق مثلما كان هذا الطابع متغلبا على كثير من الشعراء ، الا أنك تشعر أن لدى هذا الشاعر شيئا يبحث عنه ، وأن معاناته تختلف عن معاناة غيره ، ومن يدري لعل شبح الموت كان يخيفه ، والموت حق ، لكن من الصعب أن يزول هذا الحق من بعض النفوس التي تخاف الموت .. لقد زاملت الشاعر في مصر وزاملته في الكويت ، وكثيرا ما تحدثنا في مختلف الأمور لاسيما الشعر ، وكنت الاحظ عليه شبح الخوف من الموت من جراء العلب المتناثرة حوله من الأدوية المختلفة ، ومن جراء معرفته بالوان من الأدوية ، وكان يقول لي هذه الحبوب تفعل كذا وكذا ، وتلك الحبوب



تقضي على كذا وكيت فقد كان يحرص على تتبع كل ما يأتي به العلم الحديث من أنوا ع متنوعة من الأدوية ، وفي نفس الوقت تجد في بعض تصرفاته وفي أقواله ، انه مذعور من الموت ، ويريد محاربته بكل السبل والوسائل ! !

في حديثه لي اثر وفاة جمال عبد الناصر الرئيس العظيم الذي فقدته الأمة في أحلك أيامها والتي انطلقت من أقصاها الى أقصاها تبكيه ، وتشعر بالرعب والخوف من المصير بعده ، يقول شاعرنا محمود حسن اسماعيل : انني تأثرت بوفاته ورحت أرثيه بقصيدة امتد نفسي بها وامتد ورحت أكتب وأكتب متحدثا عن الموت وعن فلسفة الموت وعن حقيقة الموت . فاذا بي أمام ملحمة شعرية طويلة عن الموت عبرت فيها عن كل معاناتي ومشاعري وأحاسيسي . ووعدني بأن يبعث لي بنسخة منها . دار هذا الحديث بيننا في الكويت والقصيدة في القاهرة على أمل ارسال نسخة منها واحضارها لي معه عند سفره الى القاهرة وعودته منها ، ومضت الأيام وانتقل الى رحمة الله تعالى فقد هاجمه الموت الذي يخافه وطواه . وترك أدويته وعلبه المليئة بالحبوب ، وأوراقه من جرائد ومجلات تتحدث عن أحدث ما توصل اليه العلم من أدوية لمكافحة الأمراض التي تحل بالانسان وتقضي عليه .

موسيقى الجنائز

بعد وفاته علمت أن ملحمته عن الموت التي يرثي فيها الراحل العظيم تطبع في بيروت تحت عنوان (موسيقى الجنائز) ولم تصدر بعد ، وأنا حريص كل الحرص على هذه الملحمة الشعرية عن الموت ، ولا زلت أتتبعها والاحق المطبعة التي تطبعها مع بعض من دواوينه ، والغريب أننا لم نجد بعد من كتب عن هذا الشاعر الرقيق المبدع الذي تركت شخصيته وأعماله في نفسي أثرا لاينسى .

لقد وجدت بين أوراقي بضع قصائد كنت أخذتها من الشاعر لعلها لم تنشر ، ومن هذه القصائد قصيدة تتحدث عن الموت ضمن القصائد التي كنت آخذها منه وهذه القصيدة بعنوان (موسيقا من الموت) تاريخها ٣٠ / ٩ / ١٩٧٠ ، لعلها جزء من ملحمة (موسيقى الجنائز يقول فيها : -

لاأرفض الموت لكني أسائله
هل ذقت ما أنت بالانسان فاعله
شيء هو الموت يا جبار تكتمه
خطاك أنت وراء العين حامله
مقنع بمتاهات وأودية
وأغصن ، زهرها ماتت بلابله
وتحر الناس تأوى في مخادعهم
وفي خطاهم بكهف لاتزايله

نعم انه الموت الجبار الذي لم يذق طعم ما يسقيه للناس الذين أبدا يأوى في مخادعهم ! ! هكذا يخاطبه ، وهكذا يتحدث عنه ، وهل الموت لايعرف الموت ؟ ثم يقول : -

تمشي بلا شبح ، تسقي بلا قدح
وكل باب ومهما ، أنت داخله
اعمى ، عصاك بلا درب ولا بصر
ولا صدى يرشد الآذان قائله
ولا يقودك الا الغيبُ ، تعلمه
وكل حي بوجه الارض جاهلهُ
تزور لاأدب التزوار تعرفه
ولا لديك الى إذن وسائله
ولا تبالي اذا داهمت منتهيا
يدعوك ، أم فارسا تأتي تصاوله

وهكذا يمشي الموت ، ليس له شبح ، ويسقي وليس له قدح ، ويدخل كل باب ، فهل هو أعمى ؟ ولماذا يداهم الناس ويدخل عليهم غير عابىء بهم ، وليس يخاف من الذي يقبع وراء الباب مهما كان ؟ انه الموت لايعرف حرمة البيوت ، ولا يحترم آداب الزيارة ، ولا يأخذ الاذن من أحد ، انه واثق من نفسه يبطش بالفارس الشجاع ، ويطعن القائد العظيم ، وينهي حتى المتهالك المنتهي المشرف على الموت ، يكتم أنفاسه لأنه هو الموت . . ويقول مندمجا في الموت وماهية الموت وكنهه : : -

سكنتَ في شرك الأنفاس ترصدها
كصائدٍ لم تخب يوما حبائله

الى أن يقول : -

كل البرية طير أنت تنفته
اذا جفت لحنه يوما خمائله
تميل بالذرة البلهاء تلقفها
من الخلية في نبض تغافله

ويقول : -

سبحان حاديك لايدرى له نغم
ولا لأي مدى تسري قوافله

●●●

وراقد في يمين الشمس طفت به
ورحت والومض خطاف تنازله
أتيته وسواقي النور قيدها
بحر الغروب كظيمات سواحله

والنيل يرزم كالمجنون أذهله
على الضفاف سكون أنت خاتله
والريح مأخوذة الأبعاد ، لاأفق
ولا اتجاه ولا خطو تناقله
والنخل شايت من التحديق نظرته
ومن ذهول الرؤى ذابت فسائله
والكوخ مغرورق الاغصان مندهش
يبكي وتسأل عينيه منادله
والناس منصلب فيها تحيرها
والافق مصطخب فيه تسازله
وفجأة كنت في صدر الشعاع وما
الا الخلود أتى شوقا يُزايُله
ويترك الدرب للساربن موقده
على خطاهم وضيئات مشاعله

ثم يمضي الشاعر مغنياالموت ، ومغنيا فعله الكبيرة هذه ويقول : -

يهدي ويكشف من دسوا غياهبهم
في حومة النور حتى تاه كاهله
ولم يبالوا جراح الأرض خضبها
عاد يكل مدى فينا نقاتله
ان لم تكن وحدة شهاء رافضة
ذل التراب وقد ديست منازله
فغن يا موت واشرب كلنا قدح
وأنت ساق غبي الحان جاهله

هذا هو محمود حسن اسماعيل ، وهذا هو غناؤه بالموت ، وهذه هي صوره ورؤاه الشعرية فيه ، وسوف نجد المزيد من الرؤى والصور عن الموت في ملحمته الكاملة(موسيقى الجنائز) .

(هكذا كان يغني)

ان للشاعر محمود حسن اسماعيل دواوين كثيرة ، وفيها يرسم نهجه الشعري وطريقته الخاصة التي يسير عليها ، وفيها يمد خياله الشعري الواسع الى ابعاد كثيرة ، وهي متوفرة في المكتبات ، ويعرفها الأدباء ومحبو الشعر ، ولعل ديوانه الأول (هكذا أغني) مفتاح لمعرفة الشاعر ، ومدخل الى عالمه الشعري المتميز الرحب .

وقفنا أمام قصيدته عن (موسيقا من الموت)فقد كان الشاعر يهابه ويخشاه كما قلنا من خلال معرفتنا به ، أما شعره الهادر الكثير فالوقوف أمامه يطول ، ولنترك ذلك للذين يبغون المزيد من معرفة الشاعر ومعرفة شعره ، ومعرفة الاسلوب الذي انفرد به أو كاد ، والتمتع بنفحاته المحلقة ، وموسيقاه الشجية ، وخياله الرحب ، على أن لنا وقفة أخرى معه أمام قصيدة من قصائده الحديثة التي قالها في ١/١/١٩٧٠ بعنوان (التزام) لما فيها من لمحات شعرية خاطفة ، أيضا لاتخلو من لمحة عن الموت .

والالتزام الذي يعنيه الشاعر انما هو التزام بالحقيقة ، كما يقول ، فما هي الحقيقة التي يعنيها ويلتزم بها ؟ علينا أن نمعن النظر جيدا ونتغنى معه بهذه القصيدة (التزام) . . . التي يبدؤها بالقول : :

متلازمان . . . متعانقان . . . في كل آونة وآن
كالظل في كبد الغدير يهومان
وكالشعاعة في تلفت نجمة وحشا هجير ، يهبطان
كالوهم . . حين تروغ حيته بأغصان الشعور . . يداهمان
كالحلم . . يخلق من خريف النفس أجنحة تطير . .
يرفرفان

كالشك . . يلمح في السريرة طيف هاجسة
تزور . . يخافتان

كالصمت . . في الموت المصفد في القبور . . يشارفان
كالعطر في العبق المقيد في الزهور . . . يجنحان
كربابة سكنت ، وعازفها يدور على المدى متداخلان
كصدى صدىً ، لصدىً تنكب في العبور . . مع الصدى
متكاملان

بصدي الصدى متساقيان
والكأس خلف الصوت ، ساقيها زوالٌ في عيان
متراليان ، متخفيان . . . متلازمان ، متعانقان
أنا والحقيقة كل آن

هو والحقيقة

هكذا يقول شاعرنا محمود حسن اسماعيل ، انه والحقيقة متلازمان كالظل في القدير ، وكالوهم والحلم والشك والصمت والعطر والربابة وصدى الصدى ، وعليك أن تتمعن في هذه الأوصاف التي يرسمها لك الشاعر ويرسم حركتها ، ويصف التزامه والحقيقة بها ، وتتمعن في الحلم الذي يخلق أجنحة تطير من خريف النفس ، والشك الذي يلمح طيف هاجسة تزور في السرير ، والصمت في الموت المصفد في القبوز ، والعطر في العبق المقيد في الزهور .

كيف ذلك ، وكيف نسج الشاعر هذه الأوصاف وحللها

وركبها وصاغها بقصيدته هذه ؟ تقول هذا هو النهج الذي انتهجه ، وهذا هو الاسلوب الذي سار عليه ، حيث أبدع وتميز في هذا الخط الشعري عن غيره ، ولهذا قلنا انه شاعر نسيج وحده ، لم يقلد ولم يقف أحدا غيره ، وليس معنى ذلك أن الشعراء الذين ينهجون نهجا واحدا مقلدون ، لانقل ذلك أبدا ، وانما نقول قد يوجد بينهم مقلدون ، وقد يوجد بينهم مبدعون أيضا ، وهذا يعود الى مدى عمق الشاعر وأصالته الشعرية ، أو ضحالة الشاعر وعدم أصالته الشعرية ، ويعود أيضا الى بعد خياله وسعة أفقه ، أو قصر خياله وضيق أفقه .

الشاعر محمود حسن اسماعيل يختلف . وفي هذه القصيدة (التزام) نماذج لما نقول ، فبعد الأوصاف التي أطلقها مدللا على التزامه والحقيقة ، يقول :

فاذا بكيت فدمعتان

واذا ضحكت فبسمتان

واذا انتشيت فطائران محلقان

بالدمع قد يتبسمان !

بالصفو قد يتناوحان

وعلى المدى المسكوب من قدح الزمان يهاجران ..

الى آخره الى آخره : -

في الجوع يشبعان من البيادر ، ومن السراب يشربان ،

وعلى السلاسل في رقاب الذل عشهما أمان ..

كما يقول : -

يتأملان ... ويصفيان

ويخطفان ... ويهدلان

ويمعن الشاعر في صوره ، ويمعن في تخيلاته ، ويروح يغني ويغني ويقول : -

ومن اندلاع القهر في خرس العروق بلاغيان

وبنظرة المظلوم في غلس العدالة يسكنان

وبآهة المحروم في نفس العواصف يجريان

متكلمان وصامتان

وشاديان وأخرسان

لغة السماء عوت .. وما نبضت يدان

ويداهما بيد السياط

يداهما مشلولتان

فهل نمضي مع القصيدة ، ونمضي مع صورها الرمزية الشعرية المحلقة ؟ اذن سنحتاج الى المزيد من المقال ، والمزيد من المقام ، والمزيد من الوقت ، الا تكفي هذه الصور مجهرا لرؤية الشاعر ، ورؤية صفائه الفكري والروحي ، ورؤية ابداعه ؟

في الحب ضمهما زمان

وهما على نعش الهوى يتطارحان

.... متلازمان متعانقان

ذاتا موحدة الكيان

في الله لايتفارقان

....

متعانقان .... متلازمان

خلف الجماجم يبكيان ويضحكان

....

أنا والصدى .. بيد الحقيقة نغمتان

من عازف .. مالي بريشته الخفية أي شان

هو في دمي .. وعلى فمي

وعلى انسكاب الروح مسحور الدنان

يسقي ويشرب لايمد يدا ولا يجري لنشوته لسان

وله الكروم كما تشاء غصونها .. لاما تشاء لها بنان

تعطي فيقطف .. لايمس ، ولا يحس

ومنه تهدر موجتان

نغم وساقية تدور وجدولان

متلازمان متعانقان

ظل الوجود وذاته لهما كيان

ريح تهب .. ولا يقيدها زمان أو مكان

وعلى أناملها يغرد طائران

عبدا ملاك مستبد عبقري الصولجان

بجناحه ، وصباحه ، وصداحه ، متعلقان

متعانقان ، متلازمان

أنا والحقيقة ، كل آن

انه كلام قليل عن شاعر له شعر كثير ، وهو كلام اقتصر على نموذجين من قصيدتين له ، عن الموت الذي كان يهابه ويخشاه ، والحقيقة التي يلتزم بها ويتغنى .

انه حديث عن قصيدتين للشاعر محمود حسن اسماعيل ، وهو يحتاج الى حديث طويل طويل ولكنها مجرد اشارة الى هذا الشاعر الذي لما نجد من خاض بحور أشعاره المتلاطمة ودخل عالمه الشعري المتميز .

عبد الله زكريا الأنصاري

من دفتر الذكريات



المأساة



بقلم الدكتور : عبد السلام العجيلي

عرفناه نحن اصحابه ، كما عرفه من سمعوا به او قرأوا له ، امرءا كثير التنقل بين المدن القريبة والرحلة الى البلاد القصية ، منطبقا عليه قول علي بن زريق البغدادي :

كأنما هو في حل ومرتحل
موكل بفضاء الله يذرعه

على ان اسفاره ليست كأسفار ابن زريق هروبا من الفاقة او طلبا لمتع من الرزق . انما هو رجل طلعة ، نهم الى المعرفة،يحرص على ان يكون ترويحه لنفسه من العمل الشاق برؤية بلاد الله الواسعة ومخالطة الناس من كل لسن وامة.لذلك دأب معارفه ، كلما التقوا به في بلدة غير بلدته ، على ان يسألوه : أأنت قادم من سفر ام متهيىء لرحلة ؟ اي بلد زرت في الصيف الفائت واى بلد تزمع زيارته في صيفك القادم ؟

ظل هذا سؤال معارفه الدائم له على الرغم من التبدل الذى طرأ عليه في مجال الاسفار . فلقد تناقص في السنين الاخيرة عدد رحلاته،والاهم من تناقص عددها هو تقلص أبعادها وصغر مسافاتها . لم يعد يتكلم عما شاهده في ابسالا في السويد ، او في لشبونة بالبرتغال او ريودو جانيرو في البرازيل ، او يروى ذكرياته عن غرينزغ فيينا وحمراء غرناطة ونارا في اليابان . تنقلاته التي ماهجرها هجرا دائما امست محصورة بين مدن قطره،واذا تجاوزت تلك المدن لم تتعد البلدان القريبة ، وليست القصية ، من وطنه العربي . لماذا ؟ حين يفطن بعض اصحابه الى هذا التبدل ويسألونه عن السبب يجيب اجابات متضاربة متعللا بالعمل المتراكم او بواجبات الاسرة بعد ان اصبح ذا عيال ، واحيانا بضيق ذات اليد الان الذين يعرفونه حق المعرفة،وانا من بينهم،لايجدون في هذه العلل جوابا شافيا وفي ذات يوم الححت فيه عليه مستفسرا عما حدا به الى العزوف عن رحلاته التي كان يكسبنا بها احاديث ممتعه وقصصا جميلة ، باح لي بما لم يبح به لغيري.قال :

ـ صحيح ما تظنه من ان أمورا اخرى هي التي قصرت



خطوات سفري في السنين الاخيرة وباعدتني من العودة الى بلاد الغرب التي كنتم تعرفون كثرة ترددي اليها . انها امور لا اميل الى الحديث فيها ، قد يستبعد صحتها كثير من الناس ، وقد يرون فيها تبجحا وادعاء مني او فرط اعجاب بالنفس . والحديث عنها على كل حال لايتعدى ان يكون شكوى لافائدة من بثها . وما دمت انت تريد معرفتها فلا بأس في ان اذكرها لك ، فيا احسبك من اولئك الناس الذين اعنيهم .

كنت اكثر من الاسفار الى بلاد الغرب في زمن لم يكن فيه كل عربي يملك سعة من الرزق يسافر اليها . كان الغرب آنذاك قليل المعرفة بالعرب المعاصرين ، وما يعرفه عنهم لايصورهم له بصورة حسنة ، فهو معلومات منقولة من اشخاص سيئي النية او قليلي الاحاطة بما ينقلون . طالما اصطدمت هناك بالاجفال الذي يصيب محاطبي حينما اقول له اني عربي . فالعربي عنده ، اذا كان مغربيا من شمالي افريقيا ، رجل شر عنيف يتربص للمارة في الازقة المظلمة ليعتدى عليهم ويسلبهم ما يحملونه من مال . اما اذا كان عربيا مشرقيا فهو بدوي يركب الجمل ويحيط نفسه بحريم من الزوجات.والخطايا هذا اذا لم يكن يحمل بقية ذنب في عجزه ! هذه صورة العربي ، كفرد ، عند كثير من مخاطبيّ في تلك الايام . أما العرب كمجموع فهم زمر من الجهلة المتخلفين ، منهم من يعيش في بلاد تستعمرها فرنسا وانكلترا وهم يطمحون الى استقلال لايستحقونه ، ومنهم اشرار يعارضون بالقوة تجمع اليهود المساكين في بقعة من الصحراء لاينتفع بها العرب انفسهم بينما يملك اولئك المساكين صكوك ملكيتها منذ الفي سنة !

●●

لست ابالغ فيا اذكره لك.طالما التقيت في تنقلاتي بين بلدان اوروبا وامريكا باناس يملكون معرفة ثقافية لابأس بها وهم يحملون مع ذلك عن العرب هذه الصور باقتناع . كان ذلك يدفعني الى ان ابرهن لهم بسلوكي وباحاديثي وبالمعلومات التي أبسطها لهم على خطأ تصوراتهم.ولست ازعم لك اني كنت ملاكا معصوما في سلوكي او عبقريا في ذكائي ، ولكني في كل مرة خضت فيها حديثا مع مخاطبيّ في هذا الموضوع كنت افلح في ان ادلهم على الحقيقة واصحح لهم ما تشوّه من افكارهم.هل تعرف سيمون دو بوفوار ، الكاتبة الفرنسية المشهورة ورفيقة جان بول سارتر في حياته ؟ لقد جمعتني بها الصدفة في باريس،اذ جلسنا على مائدتين متجاورتين في احد مقاهي تلك المدينة،كان ذلك منذ ثلاثين عاما ، فقادنا هذا التجاور الى تبادل الحديث دون ان يكون بيننا تعارف .

دار حديثنا حول حضارة الامم وعما اذا كان العرب خلّفوا اوابد حضارية او آثارا فنية . قلت لها آنذاك ان الاوابد الضخمة مثل الاهرام والكوليزيوم والبارثينون ليست كثيرة في تراث العرب الخلّص،لان الحضارة عندهم عمل يفيد منه الحيّ ويخلد به الانسان الصالح ، وليست حجارة مركومة يشقى ببنائها الفرد البشرى المستضعف لتخلد بها اسماء الجبابرة والطغاة . اوضحت لها ما اقوله بكلمة لعمر بن عبد العزيز بعث بها الى عامله على حمص حين استأذنه هذا في ان يبني على مدينته حصنا يقيها بها من هجمات الاعداء ، كان جواب الخليفة قوله : حصن مدينتك بالعدل ! اثّرت هذه الكلمة في جليسق آنذاك واقتنعت بها وشكرتنى على ما صححته لها من نظرتها الى تاريخ العرب وروحهم في الحضارة والفن .

حقا،لم يكن كل من حادثته سيمون دو بوفوار . ولكني لا ازال اذكر بطاقة تلقيتها من فتاة بلجيكية جمعتني بها سيارة الرحلة بين مدريد وطليطلة ذهابا وايابا . لقد افترقنا بعد عودتنا الى مدريد،فتابعت هي رحلتها جنوبا الى الاندلس بينما عدت انا الى الوطن عن طريق باريس . في تلك البطاقة تقول لي : « اكتب اليك من الكازار ـالقصر في اشبيلية ... بكيت تأثرا امام روعة الزخارف العربية وجمال ما خلّفه ابناء امتك الذين عرّفتني بتاريخهم في هذه البلاد» اما الدكتور ن . ا . ، الاختصاصي بامراض الغدد الصم،فهو يهودى معرق في تلموديته ، لايعرف عن اسرائيل الاانها دولة شرعية قامت على حق لامراء فيه ، ولا عن العرب الاانهم شرارذم اقليتهم محدثو نعمة واغلبيتهم لاتزال تعيش في عقليتها وفي ظروف حياتها في عصور ماقبل التاريخ.هذا الاستاذ الكبير الذي يدفعه وجدانه العلمي الى ان يضع الحقيقة فوق كل اعتبار،والذى فتحت احاديثنا المشتركة عينيه على حقائق لم يعرفها من قبل، فاجأني مرة ونحن في طريقنا بين نيوجرسي ونيويورك بقوله لي،بلهجة المستحي من نقص معلوماته : اريد ان تسدى اليّ جميلا تشكر عليه ... دلّني على كتاب بالانكليزية يعطيني معرفة حقيقية بالعرب !

عن العرب وقضيتهم الكبرى ، فلسطين وعن اسرائيل، لم اكن بحاجة الى بلاغة كبيرة لابين للناس في تلك البلاد وجه الحق.كل ما كنت احتاجه كان الاذن الصاغية .

وهذه كنت اجدها عند كثير ممن لاقيتهم من مثقفين، ورجال فن،وحتى من الفتيات التي كان يقرب بيني وبينهن اعجاب بلوحة في متحف او وقفة امام اثر قديم او تجاور مقعدين في صالة مسرح . ومع ذلك فقد كنت ادرك اني مجرد فرد،وان صوتي لايستطيع ان يصل الى اكثر من عشرات ممن تتاح لي ملاقاتهم ومحادثتهم في تلك البلاد . في تلك الايام وانا ارى اثر كلماتي البسيطة في نفوس الجاهلين بنا والمخدوعين بدعايات اعدائنا،تمنيت امنيتين : الاولى ان

يكثر تردد ابناء قومي على بلاد الغرب ليرتفع عن عيون اهل تلك البلاد قناع الجهل بنا ، والثانية ان يسمح الزمن بجولات صراع جديدة ليفصح العرب عن قوتهم ، وعن وحدتهم؛فيحققوا ما كنت احدث به اولئك الجاهلين والمخدوعين عن مجيء زمن انتصارنا لخذلاننا واستعادتنا ما غصب من حقنا . .

وانت تعرف مثلي ان الامنيتين تحققتا . وتعرف كذلك ان تحققهما كان ابعد ما يكون عما بشرت نفسي ومعارفي بوقوعه حين تتحققان . لقد انكشفت كثرة المترددين من ابناء قومنا على الغرب عن ان جلّ ما صنعوه هو انهم راحوا يشترون المتعة الرخيصة بالثمن الغالي.لست اعني بالثمن المال ، فالمال اهون مبذول في استحقاقه ، ولكني اعني السلوك الحسن والكرامة الشخصية والقومية . حدثني صديقي ع . وهو رئيس وزراء سابق في احدى دولنا ، عندما لقيته في بلده منذ عامين ، قال : كلما زرت لندن نزلت فيها في فندق د . الفخم . وقد خجلت خجلا شديدا عند نزولي به هذا العام . . فقد فوجئت بأن جدران الممرات التي كنت اخترقها متجها نحو الغرفة المحجوزة لي قد علقت عليها لافتات كتب عليها بالعربية ، وبالعربية وحدها : لاتبصق على الارض !

هذا عن الامنية الاولى . اما عن الثانية فانت ادرى بالرزايا التي تتالت على العرب في السنين الماضية البائسة، رزايا لم ينزلها بهم عدوهم بقدر ما انزلوها هم بانفسهم، انزلها بعضهم ببعضهم الآخر الفرقة والتخاذل ، والتآمر والخيانات ، والكذب الذي نكذبه على انفسنا ويضحك منه علينا اعداؤنا بينما يخجل له أصدقاؤنا .بعد كل الذي سمعه مني اصدقائي ومعارفي في بلاد الغرب؛وبعضهم لايزال يكاتبني ، ومنهم من ينتظر مني في كل رحلة لبلده زيارتي ويترقب محاورتي؛كيف تريدني ان اعود الى اسفاري الى تلك البلاد ؟ بأي وجه افعل ذلك وبأي جنان ؟

●●●

نطق صاحبي كلماته الاخيرة بجد وحماس ، وبتأثر بالغ لم اجد ان الموضوع يستحقه فابتسمت وانا اقول له :

هوّن عليك ياصديقي . انت تتكلم كأن همّ الامة ملقى على كتفيك وحدك . لماذا تحرم نفسك اسفارك التي اعرف كم انت متعلق بها ، في حين لايدرى بك احد ولا يشقى بافكارك غيرك ؟ احسب نفسك مواطنا عالميا ، لاهوية له ، متع نفسك بما تحب.لست انت على كل حال من جلب الشرور على العرب . . .

سكت صاحبي لحظة؛ثم مالبث ان هز رأسه بعد ان انبسطت اساريره ، كأنما اقتنع بصواب رأيي ، وقال :

انت محق فيما تقول لو كان للانسان ان ينسلخ من جلده . القضية بالنسبة لي مأساة.لاتقتصر المأساة على الخجل من مواجهة اغراب اعطيتهم ذات يوم صورة معينة عن امتك ثم بينت الوقائع بعد ذلك كذب تلك الصورة . بل انها؛اعني المأساة؛هي في انتسابك الى مجموعة بشرية لاترضيك تصرفاتها؛وتحمل شئت ام ابيت هويتها ونصيبك من مسؤولياتها ، ثم لاتستطيع ان تغير فتيلا من تلك التصرفات ولا ان تتبرأ من ذلك الانتساب ثم قال؛ سأضحكك بحكاية : منذ سنوات مضت كنت اقرأ في احدى الجرائد وقائع محاكمة سياسية كانت تجرى آنذاك لانقلابيين تولوا أعنة الامور في ذات يوم ثم انتهوا الى السجن والمتابعة القضائية . رآني زوجتي ابتسم فسألتني عما اقرأ في تلك الجريدة؛فقلت لها ان احد المتهمين اورد اسمي في استجوابه امام القضاة . . لقد حاول ان يدفع عنه تهمة النفعية والعمل للصالح الشخصي فادعى انه رشح لتولي الحكم اناسا معروفين بعروبتهم مثل فلان وفلان؛وعدّني شخصيا بين اولئك المرشحين . حينئذ انتفض النائب العام؛كما تقول الجريدة؛وصاح : فلان ؟ ! ومتى كان فلان عربيا ؟ لهذه الصيحة تذكرت حكاية ارجو ان لاتجدي فيها مايمسك ياعزيزتي : على الحدود وقف زوجان امام ضابط الامن وهو يتفحص جواز سفرهما المشترك قبل ان يسمح لهما بمغادرة البلاد.قال الضابط للرجل : هذه صورتك انت على الجواز ، ولكن الصورة الاخرى ليست لهذه المرأة التي ترافقك.انها ليست زوجتك . كانت المرأة هي صاحبة الصورة ، وهو ما اكده الرجل للضابط بكل حرارة ، الاان هذا لم يقتنع.وعبثا حاول الزوج ان يبين له انه اذا كان ثمة خلاف بين الصورة وسحنة الزوجة فمرجعه الى تصرف المصور بالرتوش أو الى تفنن المرأة بالماكياج.قال له الضابط:هذه المرأة ليست امرأتك الشرعية . . اثبت لي انها زوجتك كي اسمح لها بمرافقتك فقال له الرجل : سيدى الضابط ، ارجوك . . . اثبت لي انت انها ليست زوجتي ولك مني؛فوق الشكر الجزيل ما تريده من مكافأة . . .

ضحكت انا لحكاية صاحبي هذه؛بينما عاد هو الى جديته؛ وقال لي وهو يتهيأ لمفارقتي :

قلت لزوجتي يومئذ حبذا لو استطاع ذلك النائب العام غفر الله له؛ان يبرهن على صحة استنكاره . . . اذن لكانت له مني؛فوق جزيل الشكر والامتنان ، المكافأة التي يريد . ولو استطعت انت ياصديقي ان تجعل مني مواطنا عالميا لاهوية له ، كما دعوتني الى ان احسب نفسي ، لكان لك مني مثل ذلك لو . . . ولكن ألست معي اذن في انها مأساة ؟ ○

د . عبد السلام العجيلي

كلود ليـڤي - ستروس

عميد البنائيين في فرنسا

بقلم : الدكتور أحمد ابو زيد

في استفتاء أجرته مجلة LiRe الفرنسية بين قرائها بمناسبة مرور عام على وفاة الفيلسوف الشهير جان بول سارتر عن : أي المفكرين الفرنسيين أشد تأثيرا في الفكر الفرنسي المعاصر ؟ حصل عالم الأنثربولوجيا البنائي كلود ليڤي - ستروس على اكثر الاصوات ، وجاء بعده - على الترتيب - المفكر الاجتماعي السياسي الليبرالي ريمون آرون ، فالفيلسوف ميشيل فوكو ثم عالم النفس التحليلي جاك لاكان .

وتكشف نتيجة هذا الاستفتاء عن بضعة أمور هامة قد تصلح أن تكون علامة ومؤشرا على الاتجاه العام الذي تسير فيه الحركة الثقافية في فرنسا في الوقت الحالي ، ولو الى حد .

وأول ما يستحق الملاحظةهنا هو أن الاثنين اللذين تصدرا القائمة وحصلا على اكثر الاصوات ينتميان الى الجيل الاكبر سنا . فكلاهما تجاوز السبعين من عمره ، كما أن جاك لاكان كان في الثمانين حين توفى قبل عام كامل من اجراء الاستفتاء . والوحيد الذي ينتمي الى الجيل الاكثر شبابا هو ميشيل فوكو الذي لا يزال في الخمسينات من عمره . ولم تضم القائمة غيره من المفكرين الشبان مع أن بعضهم أفلح في تحقيق شهرة واسعة عريضة ويحظى بكثير من الاحترام كما هو الحال بالنسبة لجاك دريدا مثلا .

الامر الثاني الجدير بالملاحظة هو أن ثلاثة من هؤلاء الاربعة الكبار ينتمون بشكل أو بآخر الى المدرسة البنائية التي تقف موقف المعارضة الصريحة من الماركسية ، ولو أن بعضهم كان قد اعتنق تعاليم كارل ماركس في فترة سابقة من حياتهم . أما المفكر الرابع (ريمون آرون) فانه يوصف في العادة في الدعاية السوفيتية بأنه (أكثر المفكرين الايديولوجيين تعصبا في الدفاع عن البورجوازية الفرنسية)



كلود ليفي بريشه توني رابوت

وأخيرا ، فانه على الرغم من كل ما حققه رجل مثل جاك لاكان من شهرة وذيوع صيت ، وعلى الرغم من تأثيره القوي الفعال واسهاماته في مجال التحليل النفسي بوجه خاص وما أثارته كتاباته من جدل ونقاش وعواطف فكرية (انظر مقالنا في مجلة العربي ، العدد ٢٨١ - ابريل ١٩٨٢) فانه لم يحصل الا علي نصف عدد الأصوات التي حصل عليها ليفي - ستروس . وهذا يكشف بغير شك عن المكانة التى يحتلها ليفي - ستروس في الحياة الثقافية وعن مدى سيطرة كتاباته علي الفكر الفرنسي . أو على الاقل على قطاع هام وكبير من المثقفين الفرنسيين ، وذلك على الرغم من كل ما يشاع عن انحسار البنائية التى وضع ليفى - ستروس أسسها ، وعلى الرغم أيضا من ظهور بعض الحركات المتمردة داخل المدرسة البنائية ذاتها وقيام ما يعرف عموما باسم (البنائية الجديدة) أو (ما بعد البنائية) التى يرفع لواءها جاك دريدا (انظر مقالنا في مجلة العربى ، العدد ٢٩١ ، فبراير ١٩٨٣)

منهجه فى الكتابة

وقد يكون من الصعب لأول وهلة تفسير شيوع وانتشار كتابات ليفى - ستروس ومؤلفاته واحتلاله هذه المكانة الرفيعة بين المفكرين الفرنسيين . فهو لا يتناول في كتاباته الموضوعات العامة التى تهم الرجل العادي أو عامة المثقفين ، وانما يعالج على العكس من ذلك تماما موضوعات صعبة ومعقدة وبعيدة كل البعد عن الاثارة والتشويق مثل القرابةوقواعد الزواج المفضل في بورما ، أو الاساطير التى تدور حول صيادي الطيور عند قبائل الامازون ، وما الى ذلك من الموضوعات المتخصصة . ويلتزم ليفى - ستروس فى كتاباته التزاما شديدا وصارما بالمنهج العلمى والاسلوب الاكاديمي بكل ما يتطلبه ذلك من دقة وعمق . فهو يراعى (اصول المهنة) وتقاليدها حسب تعبير الاستاذ آدم كوبر . ثم انه يملأ كتاباته بالتفاصيل الدقيقة التى يجمعها في صبر وأناة ويرتبها ترتيبا منطقيا ويربطها بعضها ببعض في دقة واحكام شديدين ، لدرجة أن كتاباته كثيرا ما توصف بأنها أشبه بتقارير المحقق الشرعى الذى يبحث عن أسباب جريمة القتل ويحاول أن يجمع الأدلة والقرائن التى تؤدى الى الكشف عن أسرار تلك الجريمة . ومع ما قد يكون فى هذا الرأى من صحة وصواب ، فان (تقارير) ليفى - ستروس لا تخلو من الحياة بحال ، بل انها على العكس من ذلك تفيض بالحيوية . يضاف الى ذلك أنه يعتمد فى دراسة هذه الموضوعات كلها على التحليل اللغوى ، شأنه فى ذلك شأن غيره من البنائيين الفرنسيين .

ومنهج التحليل اللغوى منهج بالغ الصعوبة والتعقيد ، يتطلب من المؤلف كثيرا من الجدية والاحاطة ، كمايتطلب من القاريء كثيرا من القدرة على التركيز والمتابعة . الا أن هذا كله لم يمنع من انتشار كتابات ليڤي ـ ستروس ومن ذيوع اسمه ، لدرجة أن قراءة مؤلفاته كانت تعتبر ـ وبخاصة في الستينات ـ احدى العلامات على متابعة آخر تطورات الفكر الفرنسي .

ومن الانصاف على أية حال أن نعترف بأن ليڤي ـ ستروس يتميز على بقية المفكرين البنائيين الفرنسيين بوضوح تفكيره بدرجة غير مألوفة لديهم جميعا . فصعوبة الموضوعات التي يعالجها وكثرة المعلومات التي يزخم بها كتاباته ، والتحليل اللغوى الذي يعتمد عليه في محاولته فهم الاشياء وتفسيرها لم تمنعه من أن يظل أمينا على التقليد الفرنسي الذي يؤمن بالوضوح . وهو من هذه الناحية يختلف تماما عن جاك لاكان الذي كان يتعمد الغموض لدرجة ترهق القاريء ، بحجة أن هذا الغموض ضروري لاظهار مدى تعقد التجربة الانسانية .

وليس من شك في ان ليڤي ـ ستروس هو اكثر مفكري فرنسا البنائيين تمسكا بالبنائية كمنهج وأسلوب للتفكير والبحث . فهو لم يحاول كغيره أن يتجاوز هذا المنهج في دراساته وبحوثه فضلا عن أن يتنكر له أو ينفي عن نفسه الانتماء للمدرسة البنائية كما فعل دريدا وجاك لا كان . ولعله الوحيد من بين البنائيين الفرنسيين الذي يستخدم كلمة (بناء) أو (بنائية) صراحة في عناوين كتبه ومقالاته ، ابتداء من مقاله عن « التحليل البنائي في اللغويات وفي الانثربولوجيا » الذي كتبه عام ١٩٤٥ والذي يعتبر بحق « ميثاق » النزعة البنائية ، الى كتاب « الأبنية الأولية للقرابة » الذي كان سببا في ذيوع اسمه وشهرته ، والذي يعتبره الكثيرون أهم وأفضل إنجاز في الانثربولوجيا الفرنسية على الاطلاق ، الى كتابه « الانثربولوجيا البنائية » بجزئيه اللذين يجمع فيهما عددا كبيرا من مقالاته ودراساته الهامة .

تحليل للفكر الانساني

وعلى الرغم من كل الانتقادات التي وجهت اليه فلا يزال يؤمن بأن البنائية هي اكثر المناهج قدرة على فهم وتحليل المعلومات الاثنوجرافية وتقريبها الى الاذهان ، وانها في الوقت ذاته أفضل وسيلة يمكن بها تجاوز تلك المعلومات والوقائع العيانية المشخصة والوصول الى الخصائص العامة للعقل الانساني . فالبنائية تهدف في آخر الأمر الى الكشف عن الصيغ الكلية التي تكمن وراء الفكر الانساني بصرف النظر عن اختلافات الزمان والمكان وتباين المجتمعات والثقافات . ومن هنا كان ليڤي ـ ستروس يهتم في كتاباته بتحليل عمليات الفكر الانساني في عمومه اكثر مما يهتم بأعمال ومنجزات (عقول) معينة بالذات في (أزمان) معينة بالذات . وهو من هذه الناحية يشبه سير جيمس فريزر صاحب كتاب (الغصن الذهبي) الشهير مع الفارق الكبير بغير شك في المقدرة على التحليل . وليڤي ـ ستروس نفسه يزعم في هذا الصدد أنه تمكن بالفعل من أن يكتشف وجود (أبنية) عقلية وفكرية عامة وكلية وراء تنوع الحقائق والوقائع الامبيريقية . وحول هذه القضية تدور غالبية أبحاثه وكتاباته ، ولكنها أوضح في كتابه الضخم المؤلف من أربعة أجزاء يخصصها لتحليل حوالي ألف أسطورة من أساطير الهنود الحمر . ويطلق ليڤي ـ ستروس على كتابه اسم **Mythologiques** وهي كلمة تترجم في العادة الى (أسطوريات) كتسمية متفردة ومتميزة عن « أساطير **Mythes** » ولكن الكلمة تهدف في الحقيقة الى أبعد من ذلك اذا نحن اعتبرناها مكونة من مقطعين **Mytho — Logiques**، اذ سوف تشير في هذه الحالة الى الأبنية الفكرية الكامنة وراء الاساطير ، أو بقول آخر منطق الاساطير . وحتى كتابه الشيق **pensée sauvage** لا يقصد به « تفكير البدائيين » كما يظن البعض ، وانما المقصود به (الفكر الوحشي) أو الفكر الخام الذي يشارك فيه كل البشر قبل أن تطرأ عليه عوامل الصقل والتهذيب والتعقيد . والمهم في هذا كله هو أن مختلف صور وأشكال الحياة الاجتماعية تمثل في رأيه (اسقاطات) لقوانين عامة كلية تنظم الانشطة اللاشعورية للعقل . ومن هذه الناحية تختلف بنائية ليڤي ـ ستروس عما يفهمه علماء الانثربولوجيا البريطانيون من الكلمة . فمفهوم البناء عندهم يعني شبكة العلاقات المتبادلة بين الأجزاء المكونة للنسق الاجتماعي ووظيفة هذه

العلاقات في استمرار ذلك النسق .

ماركسية لا تاريخية

والغريب في الأمر أن كلود ليڤي - ستروس الذي يعتبر أشهر الانثربولوجيين والمفكرين البنائيين على الاطلاق لم يبدأ حياته بالتخصص في الانثربولوجيا ، ولم يقم كغيره من الانثربولوجيين بدراسات حقلية بين الشعوب المتخلفة التي يطلق عليها اصطلاحا اسم (الشعوب البدائية) الا في مرحلة متأخرة نسبيا من حياته . وحين قام بهذه الدراسات (في البرازيل وشرق باكستان) فانه لم يعش طويلا بين الجماعات التي درسها . بل كان يمضي هناك فترات قصيرة - ومتباعدة في معظم الاحيان ، وهو الامر الذي يتعارض تماما مع التقليد الانثربولوجي الذي يحتم على الباحث أن يعيش عاما كاملا على الاقل في الجماعة التي يدرسها مهما صغر حجم هذه الجماعة . ومع ذلك فانه أفلح في أن يحقق للبنائية مالم يحققه غيره . فقد خرج بها من مجال الانثربولوجيا الى مختلف ميادين الفكر الواسعة الرحيبة وجعل منها بذلك اتجاها فكريا ومنهجيا يهدف الى الكشف عن العمليات العقلية العامة ، وله تطبيقاته في الأدب والفلسفة واللغة والميثولوجيا والدين والفن . وبلغ من قوة البنائية أن أصبحت في البداية تمثل تهديدا مباشرا للوجودية التي تركز على الفرد والسلوك الفردي . فلما انحسرت الوجودية وقفت البنائية موقف المعارضة والتحدي من الماركسية .

ولقد كان ليڤي - ستروس نفسه ماركسيا في وقت من الاوقات ، وله في ذلك عبارة شهيرة تقول : « ان لي ثلاث معشوقات هن : الماركسية والجيولوجيا والتحليل النفسي » . ويقصد بذلك أن هذه هي العلوم الثلاثة الأثيرة لديه والتي كان لها دخل كبير في تشكيل فكره وتوجيهه . وقد نعود لهذه المسألة في مقال آخر . ولكننا نكتفي هنا بأن نذكر أن ماركسية ليڤي - ستروس ماركسية لاتاريخية . فليس هناك في رأيه قوانين للتاريخ . وما التاريخ الا عملية احتمالية أو ترجيحية . انها أشبه شيء بلعب القمار على موائد الروليت . فحيث تكون اللعبة ناجحة وموفقة فانها تؤدي الى التراكم التدريجي للنقود (وللثقافة في حالة التاريخ) ، بينما اللعبة الفاشلة أو غير الموفقة تؤدي الى الخسارة على مائدة القمار (والى تجمد الثقافة أو تخلفها أو حتى تراجعها) . ولكن ذلك لا يعني أن يغفل الباحث الانثربولوجي أحداث التاريخ التي تعتبر بالنسبة له مصدرا هاما للتجارب التي يمكنه الافادة منها في محاولته الكشف عن البناء التحتي اللاشعوري للظواهر . ونظرا لعدم امكان التنبؤ في التاريخ فانه يصبح من الضروري الاحتفاظ بسجل دقيق ومضبوط الى أبعد حد للأحداث . ويشير صراحة في كتاب (الانثربولوجيا البنائية) الى عبارة ماركس الشهيرة « البشر هم الذين يصنعون تاريخهم ولكنهم لا يدركون هذه الحقيقة » ، ويرى أنه اذا كانت هذه العبارة تبرر التاريخ فانها تبرر الانثربولوجيا أيضا .

دور النشأة

وربما كان لنشأة ليڤي - ستروس وتربيته واعداده العلمي دخل كبير في اتساع أفقه . فتنوع اهتماماته العلمية تنوعا شديدا كما يتمثل في حبه الشهيرة عن الماركسية والجيولوجيا والتحليل النفسي الى جانب دراسته للقانون والفلسفة وعلم الاجتماع ثم اهتمامه بالفن والموسيقى ، كل ذلك ساعده بغير شك على الخروج من نطاق الانثربولوجيا المحدد المتخصص ومحاولة تطبيق منهجه واتجاهه الفكري في بعض المجالات الأخرى .

وقد ولد كلود ليڤي - ستروس — Claude Levi Strauss عام ١٩٠٨ في بروكسل حيث كان والداه يقيمان لبعض الوقت . فقد كان أبوه فنانا يقوم برسم لوحات لعدد من الشخصيات هناك ، وبمجرد أن انتهى الأب من مهمته عادت العائلة الى باريس حيث نشأ ليڤي - ستروس وتعلم وحصل من جامعة باريس على شهادتين في الفلسفة والقانون في وقت واحد . وكان لاتصاله أثناء التلمذة بزملاء أصبحوا فيما بعد من كبار الكتاب والفلاسفة والمفكرين والعلماء والفنانين ، وبخاصة زمالته وصداقته لجان بول سارتر وسيمون دوبوفوار قبل اختلافه معهما ، وكذلك اتصاله بعدد من الاساتذة الكبار ، دور كبير بغير شك في اتساع أفقه وتنوع اهتماماته .

ويمكن القول ان ليفي ـ ستروس (عثر على) الانثربولوجيا بطريق الصدفة البحتة . فقد رشحه الأستاذ سلستان بوجليه (مدير الايكول نورمال سوبيريور في ذلك الحين وأحد اعلام المدرسة الفرنسية في علم الاجتماع) لشغل وظيفة مدرس علم الاجتماع بجامعة ساوباولو بالبرازيل عام ١٩٣٤ . وعاش في جنوب أمريكا حتى عام ١٩٣٩ ، وأتيحت له الفرصة لأن يتعرف على أعمال كبار الانثربولوجيين الامريكيين من أمثال روبرت لوى وفرانزابواس والفريد كروبر ، كما أمكنه القيام ببعض الزيارات الميدانية لعدد من قبائل الهنود الحمر في وسط البرازيل . ورغم قصر الفترات التى أمضاها بينهم فانها كانت كافية لأن تجعله يتشكك في كثير من آراء اميل دوركايم مؤسس المدرسة الفرنسية في علم الاجتماع وأن يتمرد على منهجه الوظيفي ، وأن يتجه تدريجيا ولكن بقوة وثبات نحو الانثربولوجيا الاجتماعية . وساعده على السير في هذا الطريق النجاح الذي لقيه المعرض الذي أقامه في « متحف الانسان » بباريس وعرض فيه بعض صناعات الهنود الحمر . فقد بدأ (اساتذة العصر) من أمثال مارسيل موس وبول ريفيه وليفي بريل يمتدحون عمله وجهده كأنثربولوجي ناجح .

في عام ١٩٣٩ عاد ليفي ـ ستروس الى فرنسا من أمريكا الجنوبية ولكنه لم يلبث أن غادرها الى نيويورك عام ١٩٤٠ بعد احتلال النازي لباريس ، وهناك قام بالتدريس في « المدرسة الجديدة للبحث الاجتماعي » ، كما اشترك مع عدد من المثقفين الفرنسيين الذين كانوا قد نزحوا من فرنسا في تأسيس ما يعرف باسم « المدرسة الحرة للدراسات العليا بنيويورك **Ecole Libre des Hautes Etudes de New York** واتصل اتصالا وثيقا ببعض الفنانين والادباء والكتاب السيرياليين الفرنسيين مثل أندريه بريتون وماكس ارنست الذين كانوا يعيشون في امريكا . وفي الفترة من ١٩٤٥ حتى ١٩٤٨ شغل منصب المستشار الثقافي بالسفارة الفرنسية في واشنطون ، ثم عين عام ١٩٤٩ مديرا مساعدا لمتحف الانسان بباريس ثم مديرا للدراسات بالمدرسة العملية للدراسات العليا في الفترة من عام ١٩٥٠ حتى عام ١٩٧٤ . وفي الوقت ذاته ، أو على الاصح ابتداء من عام ١٩٥٩ ، شغل كرسي الانثربولوجيا الذي أنشىء له خصيصا بالكوليج دوفرانس . وواضح من هذا العرض السريع أن ليفي ـ ستروس ينتمي الى ذلك الفريق من المفكرين البنائيين الفرنسيين الذين أفلحوا في أن يمدوا نشاطهم ونفوذهم الفكرى الى امريكا وأصبحوا يمثلون بالتالي علامة واضحة في الحياة الثقافية الأمريكية .

الانسان واللغة

ورغم كل ما يقال عن انتباه ليفي ـ ستروس الى المدرسة الاجتماعية الفرنسية ومحاولات ايجاد صلة مباشرة بين اميل دوركايم مؤسس هذه المدرسة وبينه ، عبر مارسيل موس (أحد أقطاب هذه المدرسة وابن اخت دوركايم) فالظاهر أن معظم التأثيرات التى خضع لها في تشكيل موقفه الفكرى جاءت من خارج فرنسا . فقد تأثر كغيره من البنائيين الفرنسيين باللغويات البنائية عند فردينان دوسوسير .

ويعطى ليفي ـ ستروس أهمية بالغة للغة ويعتبرها أحد الأركان الاساسية في علم الانسان ، إن لم تكن هى حجر الزاوية في ذلك العلم ، وذلك على اساس أن اللغة هى الخاصة الرئيسية التى تميز الانسان عن بقية الكائنات ، ولذا فانه يعتبرها الظاهرة الثقافية الأساسية التى يمكن عن طريقها فهم كل صور الحياة الاجتماعية . ويقول في ذلك في كتابه « المناطق المدارية الحزينة **Tristes Tropiques** الذي يعرف في العالم العربي باسم « الآفاق الحزينة » ، وهو نوع من السيرة الذاتية في قالب انثربولوجي : « حين نقول الانسان ... فاننا نعنى اللغة ، وحين نقول اللغة ... فإننا نقصد المجتمع » . وهذا هو الذي دفعه الى استخدام مناهج وأساليب اللغويات الحديثة في تحليله للمعلومات الثقافية وكل المادة غير اللغوية ، كما أنه هو الذي جعله يعطى الكلمة أو (الدال) من الأهمية اكثر مما يعطى للمعنى أو (المدلول) خاصة وأن الدال الواحد (أو الكلمة الواحدة) قد يكون لها مدلولان مختلفان بالنسبة لشخصين مختلفين تبعا لاختلاف تجاربهما ، بل إن الدال الواحد قد تكون له مدلولات مختلفة بالنسبة للشخص نفسه في أوقات أو

ظروف مختلفة . ومن هنا كان ليفي ـ ستروس يحرص على تقديم وعرض تفسيراته وتأويلاته الخاصة لأساطير الهنود الحمر مثلا على انها مجرد تفسيرات أو تأويلات (ممكنة) أو (محتملة) ويترك الطريق مفتوحا أمام الاجتهادات الأخرى التي قد تفلح في تقديم تفسيرات بديلة .

واثناء اقامته في نيويورك أيضا تعرف على عالم اللغويات الشهير رومان ياكوبسون الذي فتح امامه أبواب الفونولوجيا البنائية وآراء مدرسة براغ اللغوية على مصاريعها . وقد نشأت بين الاثنين علاقات صداقة وزمالة علمية وطيدة وطويلة تمثلت في تبادل الآراء والتأثيرات وتعميق الروابط بين اللغويات والأنثربولوجيا . ويبدو ذلك واضحا في اشتراكهما معا في دراسة قصيدة الشاعر الفرنسي الشهير شارل بودلير : « القطط **Les chats** » . كذلك أتيحت له الفرصة في نيويورك لمعرفة آراء فاينر عن السيرناطيقا ، وذلك فضلا عن اهتماماته الواسعة بالانثربولوجيا الثقافية كما تتمثل في مدرسة فرانز بواس وأتباعه ، والانثربولوجيا الاجتماعية كما تتمثل في مدرسة رادكليف براون الذي كانت آراؤه « تأسر ليفي ـ ستروس وتثير حنقه وتفكيره » في آن واحد ، على ما يقول بيير ماراندا . وليفي ـ ستروس نفسه يعترف بأنه يدين لعلماء الانثربولوجيا الاجتماعية بالذات اكثر مما يدين لعلم الاجتماع الفرنسي ، خاصة وأن دوركايم كثيرا ما كان يحاول تسخير علم الاجتماع لأغراض وأهداف ميتافيزيقية . كذلك تكشف كتاباته الاكثر حداثة عن متابعة للتطورات الحديثة في بعض مجالات العلوم الطبيعية وبخاصة في ميدان الفسيولوجيا العصبية . وهذه كلها علوم تبدو بعيدة عن مجال « العلم الاجتماعي » بالمعنى التقليدي للكلمة ، ولكن الواقع أنها تصب كلها في آخر الامر في تفكيره وأعماله ، كما أن البنائيين المحدثين يولونها كثيرا من العناية ويسترشدون بمناهجها وبكثير من قضاياها في دراستهم للثقافة والمجتمع بل والأدب ، حتى وان لم يذكروا ذلك صراحة .

من أشهر مهندسي الفكر

في كتاب صدر منذ عشر سنوات (١٩٧٢) عن « كلود ليفي ـ ستروس » يقول الكاتب الامريكي جورج شتاينر : ان ليفي ـ ستروس يعتبر واحدا من اكبر « مهندسي الفكر » في عصرنا الحديث ، ويضعه جنبا الى جنب مع فرويد وكارل ماركس . فاذا كان فرويد اهتم بالبحوث الدقيقة الميكروسكوبية التي تغوص في تاريخ الفرد ، واذا كان ماركس اهتم بالبحوث العامة الشاملة للتاريخ الاجتماعي ، فقد جاء ليفي ستروس لكي يذكرنا بأن التاريخ ـ وشأنه في ذلك شأن الانثربولوجيا ذاتها وكل العلوم الاجتماعية ـ هو عملية ذات طبيعة أسطورية تحاول ان تعطي معنى للانسانية والجنس البشري .

وسواء اتفقنا مع شتاينر أو لم نتفق فالذي لا شك فيه هو ان ليفي ـ ستروس أفلح بكتاباته في أن يجعل من نفسه مركزا لاهتمام الكثيرين جدا من الباحثين والمفكرين . وخير دليل على ذلك هو الاعداد الهائلة من الكتب والمقالات التي تتناول حياته وتفكيره وتناقش أعماله واسهاماته . ومن الطبيعي أن تتفاوت آراء الباحثين بشأنه كما هو الحال بالنسبة لكل المفكرين والباحثين الذين يتبنون موقفا محددا يتمسكون به ويدافعون عنه ، ولقد أحصى فرانسوا لابوانت ما يزيد على الف عمل ما بين كتاب ومقالة وتعليق ، تدور كلها حول ليفي ـ ستروس ونظرياته . بل ان هذا الاهتمام تعدى نطاق الانثربولوجيين والمؤرخين والفلاسفة بحيث نجد الشاعر البريطاني روبرت لويل **Robert Lowell** يكتب فيه قصيدة بعنوان « ليفي ـ ستروس في لندن » ، والموسيقى الايطالي لوتشيا بريو **Luciano Berio** يضمن احدى سيمفونياته بعض المقتطفات الغنائية التي يستمدها من كتابه « النيء والمطبوخ » وهو الجزء الاول من كتابه الضخم (أسطوريات) ، بل ان الروائية البريطانية الشهيرة آجاثا كريستي تشير اليه في احدى رواياتها البوليسية وهي رواية « مسافر الى فرنكفورت » ، وهكذا .

ولكن ما هي طبيعة هذه الأعمال التي أثارت كل هذا الاهتمام وأصبحت أحد معالم الفكر الغربي الحديث والتي جعلت من صاحبها « بطلا ثقافيا » حسب تعبير بيير ماراندا ؟ الاجابة على ذلك تحتاج اكثر من مقال ، ولذا نرجو أن نعود للموضوع مرة أخرى . ○

د . أحمد أبو زيد

قدرتك على ضبط النفس

اعداد الدكتور خليل فاضل

هل تؤمن بأن قدرة الانسان على التحكم في انفعالاته وعلى ضبط نفسه مقياس حقيقي لشخصيته ؟

اذا دققت النظر في حياة اي شخص ناجح ، فلسوف تجده قادرا على ضبط نفسه . بشكل آخر يجد البعض في تحكمه لنفسه مدعاة للفخر والثقة ، المهم أن يكون هذا باعتدال لأن المغالاة فيه خطر .. والآن أجب على هذه الأسئلة بصدق .. ثم راجع الاجابة .. واعرف نفسك .

(١) اذا آذى مشاعرك شخص تعرفه معرفة سطحية : ما هو رد فعلك ؟

أ ـ تكظم غيظك .

ب ـ تنفجر في الحال .

جـ ـ تهز كتفيك غير مبال .

د ـ تتكلم وتنتظر .

(٢) تنتظر شيئا هاما ـ المفروض لمدة نصف ساعة . الظروف اضطرتك للانتظار ساعتين : ما هو رد فعلك ؟

أ ـ ستحاول أن تنسى .

ب ـ تململ واضح .

جـ ـ تنفجر بحدة .

د ـ صبر طويل مؤلم .

(٣) عندما تلتقي وشخصية جذابة من الجنس الآخر هل :

أ ـ تكون حذرا ولا تورط نفسك .

ب ـ لا تهتم بشكل مباشر .

جـ ـ تندفع وتظهر اهتمامك بوضوح .

د ـ تغامر .

(٤) أي من هذه الأمور يزعجك بسرعة ؟ :

أ ـ غباء تصرف بعض الناس .

ب ـ تلكؤ البعض أو تأجيلهم للأمور .

جـ ـ عدم الواقعية والشهامة .

د ـ الآخرون بشكل عام .

(٥) تخيل أنك ستتبع نظاما لتخفيف وزنك . في النهاية ماذا سيحدث ؟

أ ـ فشل ذريع من البداية الى النهاية .



ب ـ بداية جيدة ثم فشل تدريجي .

جـ ـ بداية سيئة ثم نجاح .

د ـ بالفعل يخف وزنك ولكن لا تعرف كيف ؟

(٦) أنت بمفردك في البيت ، ترتكب شيئا سخيفا وليس هناك من تلومه ، هل :

أ ـ تلعن بصوت عال ثم ترتاح .

ب ـ تظل مؤنبا نفسك .

جـ ـ تختزن ضيقك ثم تنساه .

د ـ ترى كل شيء بوضوح ولكنك تحاول ان تلوم بشكل مباشر أي انسان آخر .

(٧) لسبب أو لآخر ، وبشكل مخفف ، استخدم انسان آخر القوة تجاهك ، رد فعلك الطبيعي سيكون :

أ ـ اعتراض شفوي فقط .

ب ـ ترد بالمثل .

جـ ـ ترد بأكثر مما حدث لك .

د ـ تهمل الأمر قدر إمكانك .

(٨) هل ترغب في سماع وجهة نظر تصفك بأنك :

أ ـ غير نزيه وغير أمين .

ب ـ انسان جامد بدون مشاعر

جـ ـ انسان غير متوازن .

د ـ انطوائي وسهل الانقياد .

النتيجـــــة

	أ	ب	جـ	د
١	٦	٣	١٠	٢
٢	٥	٧	١	١٠
٣	٩	١٠	٤	صفر
٤	٩	٧	٥	١٠
٥	١	٦	٩	١٠
٦	٨	٤	١٠	٦
٧	٨	٣	١	١٠
٨	٥	٤	٨	١٠

أكثر من ٦٠ : تملك تحكما حديديا في نفسك ، يفيدك في بعض الاحيان ولكنك قد تكون عنيفا مع نفسك ومع الآخرين كذلك .

من ٤٠ ـ ٦٠ :

قدرتك على ضبط نفسك فوق المتوسط ، ولكن هذا يجعلك في حدود المشاعر الانسانية .. هذا أفضل مستوى .

من ٢٠ ـ ٤٠ :

تحتاج الى ضبط مشاعرك أكثر من ذلك ـ بقليل من المجهود تستطيع الوصول الى المستوى المطلوب .

أقل من ٢٠

للأسف ... ان تحكمك في نفسك ضائع . وانت تحتاج لمجهود حقيقي ... الى عزم واصرار لتحسين أمورك ولكنك ستجد نفسك قادرا بالفعل .. حاول وستنجح .



نهضة الهند

تشهد الهند في الوقت الحاضر نهضة علمية طبية . ويعجب المرء كيف امكن للهند ان تنعم بهذه النهضة وهي على ماهي عليه من فقر وتخلف !



تبين الصورة العلوية الى اليسار انتاج وقود زركون الآخريان فتمثلان اقساما مختلفة من مصانع

فالهند تؤوى أكبر وأفقر مجموعة من الفقراء في العالم .. وفيها ينام الكثيرون في العراء وعلى أرصفة الشوارع ، لافتقارهم الى منازل يأوون اليها . والهنود يعانون من المجاعات سنة بعد سنة .. ثم ان الهند تتعرض لضروب شتى من كوارث الطبيعة .. تنكبها السيول والفيضانات حينا ويضربها القحط والجفاف حينا آخر .. أضف الى ذلك اتساعها ... فهي شبه قارة ولا تقل مساحتها عن (٥٠٠ , ١٣٦ , ٣ كم) .. ويزيد عدد سكانها على (٢ , ٦٨٦) مليون نسمة وهم يتكاثرون بنسبة عالية كفيلة بمضاعفة عددهم ضعفين ليصبح ٣٧٢ , ١ مليار نسمة في غضون ٣٧ سنة .. مالم تنجح الجهود المبذولة لتحديد النسل ...

وفوق ذلك كله تأتي معتقدات الهنود الدينية وتقاليدهم الاجتماعية .. فهذه راسخة في النفوس رسوخ الجبال وتقف حجر عثرة في طريق النهضة .. اى نهضة .. على أن الهنود لم يستسلموا لاوضاعهم .. واخذوا على عاتقهم وضع حد للفقر والجوع وتحقيق التنمية وحرصوا على تجنب الارتجال وعلى العمل وفق مخططات دقيقة ... أدركوا ان العلم والتكنولوجيا هما اساس التنمية والتقدم ... فأقبلوا عليها بنهم في مطلع الخمسينات .. وثابروا على ذلك وأمعنوا حتى كانت النهضة العلمية التي نحن بصددها ...

فما هي نهضة الهند هذه وما هي ابعادها وخلفياتها .. ؟ وماهي الثمار التي جنتها الهند من نهضتها ، ان كان ثمة ثمار .. والى اى حد باشرت الهند مسيرتها على درب التنمية بفضل نهضتها العلمية هذه ... وأصبحت في عداد الدول الآخذة في النمو ... !

خلفيات

تستطيع الهند ان تفخر بتراث علمي ضخم .. ذلك التراث الذى تألق في عهد الاباطرة (جوبتا) ، في القرون الاولى من التقويم الميلادى ايام سقطت الدولة الرومانية وانهارت معها الحضارة الكلاسيكية ، وراحت اوربا تغط في سباتها العميق سبات العصور الوسطى . اى ان الهند شهدت نهضتها العلمية الاولى قبل النهضة الاوربية الحديثة بنحو الف عام .

وليس هنا مجال الحديث عن تراث الهند العلمي بتفصيل وحسبنا الاشارة الى ارقام الحساب الهندية .. حقا كان للخوارزمي فضل نشر هذه الارقام وتعميمها ، سواء في الشرق او الغرب وسماها الاوروبيون « الارقام العربية » اما الفضل في ابتكار تلك الارقام فانما يعود إلى العلماء

العلمية

بقلم : يوسف زعبلاوى



الذرى في مركز بهابها للابحاث الذرية .. اما الصورتان
هندستان للادوات الميكانيكية في بنجالور .

الهنود دون غيرهم وتلك حقيقة يسلم بها الخوارزمي والفزارى وسائر العلماء العرب وغير العرب .. وقد لا يستثنى من ذلك سوى الصفر ، اهم ارقام الحساب جميعا .. فهو ابتكار عربي كما يؤكد ذلك بعض المستشرقين ، ولكنه ابتكار هندى خالص كما يجمع المؤرخون والعلماء الهنود ... والكثرة الغالبة من المختصين من اهل الغرب .

ولو ذكرنا خطورة ارقام الحساب ، لا في حياة الانسان اليومية فحسب ولكن في كل ما احرزته البشرية من تقدم في العلوم والعمران ايضا ، لامكننا تقدير تراث الهند العلمي حق قدره .

ولكن للعلماء الهنود الاوائل افضالا اخرى غير ما ذكرنا . فقد اكتشفوا فيما اكتشفوا دوران الكرة الارضية حول نفسها وشقوا طريقهم الى الرياضيات العليا . الى المعادلات الثنائية والجذور التكعيبية ، وكانوا اول من حدد النسبة التقريبية (ط pi) بـ ٣٫١٤١٦ وادركوا كذلك مفهوم اللانهاية الى اخر ما هنالك .

وجاء يوم فقد فيه تراث الهند العلمي حيويته وعراقته ، ورزح تحت طغيان الخرافات ومذاهب النسك وعبادة الماضي ... فانطفأ نوره ايام تألق نور الثورة العلمية الصناعية في اوربا ..... وكأن التاريخ يسير متراوحا . وهكذا تحولت الحياة الفكرية العلمية في الهند من نهر غزير المياه متدفق الى جدول ضحل متعثر ... كما وصفها جواهرلال نهرو ومرت القرون تلو القرون دون ان يتعرض الجدول لاى تغيير يذكر .

ثم كان الاستعمار البريطاني وبدأ الهنود يتعرفون الى معالم الحضارة الغربية الحديثة .. وما اسرع ما اتخذوا موقفا ايجابيا من تلك الحضارة فأقبلوا عليها بحماسة دون تردد .. ودون ان يسمحوا لتراثهم العلمي الضخم ولا لمعتقداتهم وتقاليدهم بالحد من اقبالهم عليها .. فاقاموا المدارس الحديثة واوفدوا ابناءهم للدراسة والتخصص في شتى الجامعات البريطانية والامريكية وغيرها .. ثم مالبثوا ان احتضنوا اللغة الانجليزية لغة رسمية ثانية لهم .. حتى اذا انتصف القرن التاسع عشر بدأت تظهر في الهند بوادر حركة علمية ، حركة عفوية فردية لا شأن للحكومة فيها ... وحسبنا الوقوف قليلا عند اهم العلماء الهنود الذين ظهروا فيما بين النصف الثاني من القرن الماضي والنصف الاول من القرن الحالي .. ليس فقط لان أولئك العلماء مهدوا السبيل لقيام النهضة العلمية الحالية ولكن لأن ما قاموا به من ابحاث وما توصلوا اليه من مكتشفات كان ذا مستوى رفيع عالميا ووفق شتى المقاييس . نذكر من هؤلاء العالم بو ب٦٠٠خف ت . لا . 'حىق (١٨٥٨ - ١٩٣٦) وقد نجح في سبر الامواج الكهرومغناطيسية ، ٥ - ٢٥ مليمتر ونجح ايضا في انتاج هذه الامواج ، الى جانب الاجهزة الدقيقة التي صنعها هذا العالم لرصد نمو النبات ورصد سلوكه . على ان العالم الذى أدت ابحاثه الى ما يعرف باحصاءات بوز أينشتين Bose Einstein ليس العالم بوز الذى ذكرنا وانما عالم آخر هو : S N Bose .

ولعل العالم رامان sir C V ¾ Raman (١٨٨٨ - ١٩٧٠) هو اشهر تلك الفئة من العلماء الهنود .. فهو مكتشف مايسمى بالأثر الراماني Raman Effect وقد نال على اكتشافه جائزة نوبل سنة ١٩٢٨ ... ومما يذكر عن هذا العالم انه كان فنانا موسيقيا .. وان احد معاهد بنجلور الشهيرة في الابحاث العلمية انما سمى the Raman Research Institute نسبة اليه .



ونذكر من تلك الفترة ايضا العالم (مج ناد صاها Meg Nad Saha ١٨٩٣ ـ ١٩٥٦ ، صاحب المعادلة المعروفة باسمه « معادلة ساها saha equation .. ومؤسس معهد الفيزياء النووية في كلكتا (١٩٥٥) . وقد قام هذا العالم بابحاث قيمة فيما يتصل بنشر موجات الراديو في طبقات الجو العليا . .

اما العالم الدكتور هومي بهابها DR . Homi B'habba (١٩٠٩ ـ ١٩٦٦) فلعله في طليعة اولئك العلماء جميعا . . فهو ابو البرامج النووية في الهند . . وقد حظي برعاية خاصة من جانب نهرو رئيس الوزراء . ومات بهابها في حادث طائرة قبل ستين فقط من افتتاح محطة الطاقة الذرية الاولى التي كان له فضل كبير في انشائها .

بقي ان تذكر العالم خورانا . . المتخصص في الكيمياء العضوية . . والحائز على جوائز عديدة وعلى جائزة نوبل أيضا . . ويعتبر من الرواد في انتاج الجينات الاصطناعية . وهو يعمل حاليا ومنذ سنة ١٩٧٠ في جامعة M . I . T في الولايات المتحدة . . حيث يشغل منصبا هاما في مجال المواضيع الكيماوية والبيولوجية .

رائد النهضة ومؤسسها : نهرو

على ان البانديت جواهرلال نهرو ، وهو صاحب الفضل في بناء الهند الحديثة ، هو ايضا صاحب الفضل في بناء نهضتها العلمية الراهنة . . فهو الذى ارسى دعائم الحكم الديمقراطي في شبه القارة ووطد حكم القانون ونزاهة القضاء ومكن للهنود من التمتع بمختلف الحريات الفردية التي يحسدهم عليها الكثيرون من مواطني الدول النامية الاخرى .

ولعلنا لا نستغرب هذه المنجزات اذا عرفنا ان نهرو ولد لعائلة كشميرية عريقة في نسبها وعريقة في خبرتها بشؤون الحكم والادارة . . وقد اقتفى اثر ابيه فدرس القانون في لندن والاهم من ذلك ما فطر عليه نهرو من صفات الزعيم القائد . وما توفر عليه من ثقافة سياسية واسعة وعميقة . . فلم يكد ينتسب الى حزب « المؤتمر » أو « الكونجرس » ـ حزب المهاتما غاندى ـ حتى اصبح رئيسه في غضون عشر سنوات . ثم تولى منصب رئيس اول وزارة في الهند في عهد الاستقلال الذى بدأ سنة ١٩٤٧ ، وبقي في هذا المنصب ١٧ سنة حتى وفاته سنة ١٩٦٤ .

ولكن البانديت نهرو كان له فضل اخر هو الذى يبعث على العجب حقا . . . . فهو الذى انشأ النهضة العلمية التكنولوجية التي تعيشها الهند في الوقت الحاضر . . . وانشأ معها نهضة تعليمية تكنولوجية واسعة تكفل اعداد الطاقات البشرية اللائقة .

ثم ان نهرو هو الذى اسهم شخصيا وعلى نحو فعال في السير بهذه النهضة العلمية قدما.فكيف استطاع نهرو ـ وهو رجل سياسة وقانون ـ التفكير بهذه المنجزات اصلا . . ناهيك بالعمل على تحقيقها . . وكيف اتسع وقته ، وهو رئيس وزراء للاشراف على اعمال المؤسسات التي انشأها . . . ؟

يعزى ذلك الى أن نهرو كان عالما أو رجل علم قبل ان يكون سياسيا ورجل دولة.فقد انصرف الى دراسة العلم في جامعة كمبردج طيلة ثلاث سنوات . . وذلك عقب السنتين اللتين قضاهما في كلية هارو . . . وقبل دراسة القانون في جامعة لندن . . . وتجلى عمق الاثر الذى تركته



عمود من الحديد في دلهي (٢٣ قدما) مضى عليه ١٥٠٠ سنة دون ان يصدأ ولا يعرف كيف عالجه الاقدمون ليجنبوه الصدأ .

دراسة العلم في نفس نهرو في آرائه في قيمة العلم وخطورته .

فالعلم في نظره هو النشاط الانساني الأبعد أثرا في حياة الانسان ... وهو يفوق في ذلك سائر المناشط الاخرى ... من فلسفة وأدب ودين الخ .. والعلم هو الاداة الفعالة لتحقيق اي تغيير جذري في حياة الافراد والمجتمعات .. وهو السبيل الوحيد للتنمية الاقتصادية فان بدت هذه بعيدة المنال كالسراب في بعض الاحيان ، فما ذلك الا لافتقارها الى القاعدة العلمية ... ذلك أن التنمية لا تقوم لها قائمة بدون تصنيع وتحديث زراعي وأن هذا التصنيع والتحديث الزراعي لا تقوم لهما قائمة بدون العلم والتكنولوجيا ...

ولم يغفل « نهرو » عن امكانية الحصول على العلم والتكنولوجيا بالاستيراد من الدول الصناعية ... ولكنه آثر الاعتماد على الذات وصمم على غرس العلم والتكنولوجيا في تربة الهند غرسا .. اذ لاقيمة لتنمية

الباندیت جواهرلال نهرو (١٨٨٩ ـ ١٩٦٤) من مواليد الله آباد . سجنه الانجليز تسع مرات خلال ربع قرن (١٩٢١ ـ ١٩٤٥) وذلك لأسباب سياسية .

اقتصادية تقوم اساسا على الاعتماد على الغير .. فهذا ضرب من ضروب الاستعمار ولا سبيل الى تنمية سوية الا بالاعتماد على الذات .. فالأصل في النهضة اذن هو الاعتماد على الذات فليس الاكتفاء الذاتي ... ولا التنمية بمعناها الدقيق ممكنتين بدون الاعتماد على الذات

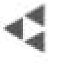
وهكذا انطلق نهرو فأسس المجلس المسمى في الهند « مجلس الأبحاث العلمية والصناعية » (csir) وقد تولى رئاسته شخصيا .. وأسس الكثير من المختبرات التابعة له .. ثم انشأ مركزا للطاقة الذرية .. وشجع العمل على تطوير هذه الطاقة ... وخص برعايته الدكتور هومى بهابها bhabha رائد الطاقة الذرية في الهند ، وقد سبقت الاشارة اليه ... وأقام نهرو خمسة معاهد تكنولوجية : في بومبي ودلهي ومدراس وغيرها .. ثم مضى يؤسس الجامعات والمعاهد والكليات الزراعية والطبية بالجملة .

على ان حرص نهرو على اقامة هذه الجامعات والمعاهد في الهند لم تحد من حرصه على ايفاد البعثات للدراسة في جامعات الغرب ، ولم يغير من تقديره لمستوى الدراسة في تلك الجامعات بل أنه أقام وزنا كبيرا للدراسة في الخارج بحيث اشترط في شتى المعاهدات والاتفاقيات التي عقدها مع بريطانيا والولايات المتحدة وغيرهما ، اشترط ان ترحب جامعات تلك الدول بالطلبة الهنود الراغبين او الموفدين للدراسة فيها .

النهضة في سطور

وقد لا تختلف المسز أنديرا غاندى عن نهرو ـ وهو أبوها كما هو معروف الآن ذهابها الى أبعد مما ذهب اليه في الاهتمام بالعلم والاسهام بنهضته. فقد رأت في اتساع مساحة الهند واكتظاظها بالسكان ما يضاعف حاجتها الى النهضة التكنولوجية .. وتحسست رئيسة وزراء الهند (أم الهند كما يلقبونها) حاجة الدولة الحيوية ، أية دولة، لاستكمال قوتها وكفاءتها العسكرية وذلك من أجل الدفاع عن أراضيها واستقلالها .. وأي سبيل غير العلم والتكنولوجيا يضمن لتلك الدولة امتلاك ما تحتاجه من أسلحة للذود عن الوطن .. لاسيما في هذه الايام التي برزت فيها خطورة الاسلحة المتطورة صغيرة كانت أم كبيرة وبدت أبعد أثرا في تقرير مصير الحروب من الاساطيل والجيوش الجرارة ..

ولنا في حرب فوكلاند الاخيرة مثل .. فقد كادت الارجنتين الدولة المتخلفة الضعيفه أن تحرز النصر على بريطانيا في تلك الحرب بفضل صاروخ فرنسي صغير ، اسمه أكزوست Exocet فهذا الصاروخ الذي لم يزد ثمنه على ١٠٠,٠٠٠ جنيه ، هو الذي أغرق السفينة



الحربية البريطانية (شفيلد) التى لا يقل ثمنها عن ٨٠ مليون جنيه وذلك بالرغم من اطلاقة من مسافة ٦٠ كيلو مترا ... فلو كان لدى الارجنتين عشرة صواريخ اكزوست فقط لكان النصر حليفها فى تلك الحرب ، كما يؤكد الخبراء الانجليز أنفسهم ... ولكنها لم تكن تمتلك لسوء حظها الا نصف تلك الكمية أو أقل.وفى هذا المثل دليلان لا دليل واحد ... فهو يكشف عن مدى خطورة العلم والتكنولوجيا المتطورة فى تقرير مصائر الشعوب ... فى هذا القرن العشرين ... ويؤكد مدى الحاجة الى غرس العلم والتكنولوجيا غرسا بدلا من استيرادها من الخارج ... أو ان شئت ، الاعتماد على الذات فى نهضة علمية تكنولوجية أصيلة .

وترى المسز غاندى ان الاعتماد على الذات لايعنى صنع كل شيء بأيدينا وانما تنمية القدرة على ذلك ... ، وأن الابحاث الفرعية الجانبية ذات الفوائد العملية ضرورية ولا شك على الا تنتقص من الابحاث العلمية البحته **basic research** التى تحظى فى الهند بالاولوية تمشيا مع مبدأ الاعتماد على الذات .

وهكذا نمت نهضة الهند العلمية واتسعت ... وحسبك ان عدد الفنيين والتقنيين الهنود يزيد فى الوقت الحاضر على ٢,٥ مليون نسمة وعدد العلماء المؤهلين الذى يستحقون هذه التسمية لايقل عددهم عن ١٦٠,٠٠٠ عالم ... وعدد المختبرات والمؤسسات ومراكز الابحاث بلغ بمجموعه ١٠٠٠ ... هذا الى جانب المراكز العلمية الاستشارية التى انشئت مؤخرا وقد بلغ عددها ١٥٠ مركزا تضم حوالى ٢٠,٠٠٠ خبير أو أخصائى .

اما المخصصات المالية فقد بلغت فى الخطة الخمسية الأخيرة (١٩٨٠ -٨٥) ١,٨ الف مليون دولار ... وهى تشكل ٠,٦ ٪ من مجمل الناتج القومى وتنفق بنسب متفاوته على أبحاث الطاقة والفضاء والصناعة والزراعة التى تستأثر بنصيب الاسد من تلك المخصصات .

وتتركز نهضة الهند العلمية التكنولوجية فى مدينة بنجالور ، عاصمة ميسور الواقعة على ارتفاع ٣٠٠٠ قدم فى وسط المثلث الجنوبى من البلاد ، بموازاة مدراس .. وقد اشتهرت بنجالور بصناعة النسيج فى الماضى واصبحت مركز الصناعات الالكترونية وصناعة الطيران والاتصالات والآلات والادوات فى الوقت الحاضر ..

انها بلا ريب مركز النهضة العلمية التكنولوجية فى الهند. فهى مقر شركة هندستان للطيران **Hal** .. وهى التى تصنع طائرات (ميج ٢١) بطراز محسن وتصنع ايضا طائرات جاكوار المقاتله البريطانية ... هذا الى جانب محركات الطائرات المختلفة التى تصنعها الشركة.ويعجب المرء للتقدم الهائل الذى أحرزته شركة (هال) هذه . فهى لم تكن ابان الحرب العالمية الثانية سوى شركة صغيرة تقدم بعض الخدمات التى تحتاجها الطائرات .. واذا بها تصبح شركة هندسية من الطراز الاول .. تقوم بتصميم الطائرات وصنعها فضلا عن تجميعها وتحسينها .. ولو لم تحظ الشركة بثقه السوفيات والانجليز الكاملة من حيث مستواها التكنولوجى لما تم الاتفاق معها على صنع طائرات (ميج ٢١) وجاكوار .. وقد بلغ من ضخامة هذه الشركة ان زاد عدد الفنيين والتقنيين العاملين فيها على ٤٠,٠٠٠ نسمة ... وبلغ عدد مهندسى التصميم منهم ٢٠٠٠ !

ومدينة بنجالور هى أيضا مقر لشركة أخرى هى شركة هندستان للادوات الميكانيكية (**machine tools**) وتسمى اختصارا (**HMT**) . وهذه شركة حديثة نسبيا انشئت سنة ١٩٥٣ بالتعاون مع شركات سويسرية ... وقد بلغ عدد العاملين فيها ٢٧٠٠٠ نسمة واصبحت تصدر منتجاتها الى أكثر من ٥٠ دولة . هذا الى جانب الفروع والمصالح المشتركة التى انشأتها الشركة فى الجزائر وسيلان وكينيا والفلبين والولايات المتحدة الامريكية .

أما انتاجها فمتنوع الى حد كبير ... فهى تصنع الساعات وتصنع أيضا التراكتورات وقد باشرت مؤخرا صناعة الكمبيوتر ...

على ان الالكترونيات ككل هى من اختصاص شركة « بهارات الهندية (**BEL**) ومقرها مدينة بنجالور أيضا .. (لفظ بهارات هو الاسم الذى يطلقه الهنود على بلادهم ولا علاقه له هنا بالفلفل والبهار) . وتتفوق هذه الشركة على ما سواها من حيث السرعة التى تتقدم بها ... شأنها فى ذلك كشأن سائر الشركات الالكترونية فى العالم ... ويبلغ عدد العاملين فيها ١٧٠٠٠ نسمة .

ونأتى أخيرا الى شركة أسترا (**ASTRA**) احدى الشركات الكبيرة العاملة فى مدينة بنجالور .. والمختصة فى مجال تطبيق العلم والتكنولوجيا لصالح المناطق الريفية . وقد اشتهرت هذه الشركة بابتكار وصنع الدواليب المطاطية الخاصة بالعربات .

وتصنع الشركة ايضا مجمعات الطاقة الشمسية للاستعمالات المنزلية والصناعية .. ومصانع البيوغاز **biogas** وهى التى تستخرج الطاقة من النبات .. وهى تصنع أيضا غاز الميثين للاستعمال فى المنازل للطبخ وغيره غير انها تصنعه من روث البقر وذلك بالتبخير . ويعتبر هذا الغاز مصدر الوقود رقم ١ فى الهند . هذا الى جانب ما تصنعه شركة أسترا من طابوق واسمنت التربة (**soil cement**) وافران الجير ومراوح الهواء ومعدات انتشال الماء لاغراض الرى . ○

يوسف زعبلاوى





صفة مذمومة

● قال الأحنف بن قيس : لاصديق لملول ، ولا وفاء لكذوب ، ولا راحة لحسود ، ولا مروءة لبخيل ، ولا سؤدد لسيء الخلق .

صداق النساء

● قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « لا تغلوا صدقة النساء ، فانها لو كانت مكرمة في الدنيا او تقوى في الآخرة ، كان اولاكم بها النبي صلى الله عليه وسلم . ما أصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة من نسائه ولا امرأة من بناته اكثر من اثني عشرة اوقية » (اى قريبا من خمسمائة درهم .)

بيت الحكمة

● المعروف أن العصر العباسي كان عصر النقل والترجمة في دولة الاسلام، فقد استقدم الخلفاء العباسيون العلماء واغدقوا عليهم المال ، فترجمت العلوم عن اليونانية والسريانية والفارسية والهندية .

يقول ابن خلدون في مقدمته : كانت كتب اقليدس في الهندسة هي اول ما ترجمه العرب ايام الخليفة المنصور وسموه كتاب « الاصول » .

والمؤسسة التي انشأها هارون الرشيد والتي تعرف باسم بيت الحكمة وتعهدها من بعده الخليفة المأمون ـ لم تكن خزانة للكتب فحسب ، بل كانت مؤسسة علمية ، اشبه بالاكاديميات في وقتنا الحاضر ، عنى فيها بجميع الاصول والمراجع والنقل والترجمة والتأليف العلمي ، واعمال الرصد وتنمية العلم واجراء البحوث ، وكان بيت الحكمة قسم اشبه بمركز الوثائق المعروفة اليوم .

تولى امر بيت الحكمة في أيام الرشيد عالم فلكي هو « ابن سهل : الفضل بن نوبخت » كما تولى امرها في ايام المأمون عالم الرياضيات الاول في الاسلام « الخوارزمي » ولقب بعض اعضاء بيت الحكمة بلقب « صاحب بيت الحكمة » .

ومن هؤلاء يوحنا بن ماسويه وحنين بن اسحاق ، وكانا طبيبين توليا رئاسة الترجمة ، ثم يحيى بن منصور الفلكي وجماعة من علماء الفلك تولوا اصلاح آلات الرصد والقيام بالرصد المأموني في جبل قاسيون بدمشق ، وفي الشماسية في بغداد ، كما اشتهر ابناء موسى الثلاثة ببحوثهم الفلكية والهندسية والميكانيكية وقد ثبتوا بأمر من الخليفة المأمون في بيت الحكمة مع يحيى بن منصور .

أماني طفيلي

● قصد قوم من الطفيليين الى وليمة فقال رئيسهم : اللهم لاتجعل البواب لكّازا في الصدور ، دفاعا في الظهور ، طراحا للقلانس . اللهم هب لنا رأفته ورحمته ويسره ، وسهل علينا اتيه . فلما دخل الطفيليون البيت تلقاهم البواب ـ فقال احدهم : غرة مباركة ـ موصول بها الخصب معدوم معها الجدب .

فلما جلسوا على الخوان قال آخر : جعلك الله كعصا موسى وخوان ابراهيم ، ومائدة عيسى في البركة .

ثم قال رئيسهم لأصحابه : افتحوا افواهكم واقيموا اعناقكم ، وأجيدوا اللف ، وأترعوا الأكف ، ولا تمضغوا مضغ المتعللين الشباع المتخمين ، واذكروا سوء المنقلب وخيبة المضطرب ، كلوا على اسم الله تعالى .

خير منك وشر مني

● ذكر الامام الغزالي ان رجلا دخل على الخليفة المأمون العباسي يأمره وينهاه ، فأغلظ له في القول ، وكان المأمون على قدر كبير من الحلم ، فقال للرجل : ارفق ، فان الله بعث من هو خير منك الى من هو شر مني ، وأمره بالرفق . انه بعث موسى وهارون عليهما السلام ـ وهما خير منك ـ الى فرعون وهو شر مني ، وكانت وصية الله لهما (فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى) .

من التراث البلقاني

المخطوط بالأبجدية العربية

ترجمتان لقصيدة البردة للبوصيري

في التراث البلقاني تحظى قصيدة البردة بمكانة بارزة ، جديرة بالرصد ، ذلك أن قصيدة الشاعر البوصيري « الكواكب الدرية في مدح خير البرية » التي اشتهرت باسم « البردة » من الأعمال النادرة التي حظيت بشهرة واسعة في العالم الاسلامي ، ومع أن الشاعر شرف الدين أبا عبدالله محمد بن سعيد البوصيري المصري قد خلف لنا أعمالا كثيرة ، الا أن اسمه اقترن بهذه القصيدة ، التي جعلت منه شاعرا معروفا في أرجاء العالم الاسلامي .

بقلم الدكتور محمد موفاكو

وقد دفعت هذه القصيدة لشهرتها ، عشرات الشعراء الى تقليدها أو الى ترجمتها الى لغاتهم المختلفة ، وتجدر الاشارة هنا الى ان هذا الاهتمام الواسع بهذه القصيدة ، قد صاحبه تبلور نظرة قدسية لدى الجماهير الشعبية حول هذه القصيدة ، حتى أصبحت هذه القصيدة كالأسطورة ، ففي بعض الأماكن أصبحت هذه القصيدة تستخدم كالرقية أو الحجاب لأصحاب القناعات التي تشكلت حولها ، تحمي من يحملها من البلاء والمرض الخ . وقد تجاوز الاهتمام بهذه القصيدة العالم الاسلامي وترجمت الى عدة لغات أوربية:اللاتينية والألمانية والانجليزية والفرنسية .

ونود هنا أن نتعرض الى ترجمتين غير معروفتين لهذه القصيدة من البلقان ـ الأولى في اللغة الألبانية والثانية في اللغة البوسنوية [١] . ومع أن هاتين الترجمتين في لغتين مختلفتين تماما : نجد أن هناك ما يجمع بينهما ، اذ أن كل واحدة منها كتبت بالأبجدية العربية ، ومن المعروف أن انتشار الاسلام في البلقان قد أدى الى تحول بعض الشعوب الى الكتابة بالأبجدية العربية ، كما حدث بشكل خاص في البوسنة وفي المناطق الألبانية ، حيث كانت الأبجدية العربية أبجدية الغالبية لعدة قرون ، كما تشكل أدب غني بهذه الأبجدية في اللغتين البوسنوية والالبانية . وحول هذا تشير الوثائق الى أن الكتابة بالأبجدية العربية قد بدأ أولا في البوسنة ، لأن لدينا من القرن السادس عشر قصيدة بها لشاعر يسمى محمد الأردبلي ، ثم أخذ بها الألبانيون المسلمون في كتابة لغتهم منذ القرن السابع عشر ، وقد استمر المسلمون في البوسنة وفي المناطق الألبانية في الكتابة بهذه الأبجدية الى هذا القرن ، مما أدى الى تشكل تراث واسع بهذه الأبجدية في اللغتين البوسنوية والالبانية،ومن هذا التراث لدينا مخطوطتان في الأبجدية العربية ، تتضمن الأولى الترجمة الالبانية لـ « قصيدة البردة » بينما تحتوي الثانية على الترجمة البوسنوية . وسنتعرض هنا أولا للترجمة الألبانية نظرا لأنها تعود الى فترة أقدم .

تعود الترجمة الألبانية لـ « قصيدة البردة » ـ الى النصف الأول للقرن التاسع عشر ، وهي في الواقع من جملة الأعمال الكثيرة التي خلفها لنا الشاعر الالباني المعروف محمد تشامي (١٧٨٤ ـ ١٨٤٤) . وقد ولد هذا الشاعر في قرية كونيسبول ، في أقصى الجنوب الألباني ، وذهب في شبابه الى القاهرة للدراسة في الأزهر ، حيث بقي هناك إحدى عشرة سنة قبل أن يعود الى مسقط رأسه . ولا شك في أن هذه الاقامة الطويلة في القاهرة التي صاحبت دراسته في الأزهرقد ساعدت كثيرا الشاعر محمد تشامي على التعمق في اللغة العربية والاطلاع على الأدب العربي حتى

(١) كان المثقفون البوسنويون ، وكما يبدو من هذه الترجمة ، يطلقون على لهجتهم السلافية الجنوبية اسم « اللغة البوسنوية » لما تتميز به عن غيرها . أما اليوم فهذه اللهجة تدخل في اطر مايسمى « اللغة الصربوكرواتية » في يوغسلافيا .

ذلك الوقت ، مما يبدو في أعماله اللاحقة التي جعلت منه علما من أهم أعلام الأدب العربي الالباني القديم ، ولقد خلف الشاعر محمد تشامي أهم الأعمال الابداعية في هذا الأدب ، كالقصص الشعرية بالاضافة الى الترجمات الشعرية التي قام بها من اللغة العربية الى الألبانية وفي أعماله بالاضافة الى ترجماته ، يبدو بوضوح تأثر الشاعر باقامته الطويلة في القاهرة .

ومن هذه الترجمات الشعرية التي قام بها الشاعر محمد تشامي تبرز ترجمته لـ « قصيدة البردة » للبوصيري .

ويبدو أن الشاعر تشامي قد اطلع على هذه القصيدة خلال اقامته الطويلة في مصر ، في أوائل القرن التاسع عشر ، وحمل من هناك القصيدة وفكرة ترجمتها الى لغته الالبانية وحتى الآن لانعرف زمن ترجمته لهذه القصيدة ، لأن النسخة الأصلية من الترجمة لم يتم العثور عليها ، بل كل ما نعرف عنها مخطوطة منسوخة لهذه الترجمة تعود الى سنة ١٨٨٤ . وتتألف هذه المخطوطة من أربعين صفحة ، وهي محفوظة اليوم في مركز الدولة للوثائق في البانيا .

وفيما يتعلق بالترجمة البوسنوية لـ « قصيدة البردة » تجدر الاشارة هنا الى أن هذه الترجمة بقيت مجهولة الى فترة قريبة الى أن اكتشفها الاستاذ قاسم دوبروشا ، وكتب عنها دراسة وافية في مجلة « أنالي » التي تصدرها مكتبة الغازي خسرو بك في سرايفو . وقد وجد الاستاذ دوبروشا مخطوطة هذه الترجمة في القسم الشرقي من مكتبة الغازى خسروبك وهي محفوظة الآن في هذه المكتبة .

لدى مسلمي البوسنة

وحول هذه الترجمة تجدر الاشارة الى أن قصيدة البردة كانت تتمتع بشهرة واسعة لدى المسلمين في البوسنة . فقد كانت هذه القصيدة تنشد في الاحتفالات الدينية ، كما كانت تشرح وتفسر لطلاب المدارس الدينية التي كانت منتشرة بكثرة في البوسنة . ويذكر الاستاذ دوبروشا أن الجيل البوسنوي الذي أنهى تعليمه في تلك المدارس يحفظ غيبا هذه القصيدة ، أو بعض مقاطعها على الأقل ، وينشدها لنفسه أو لأولاده . ويبدو هذا مثلا في قصيدة للشاعر البوسنوي المعروف صفوت باشاغيتش (١٨٧٠ - ١٩٣٤) ، حيث يتعرض فيها لذكريات الطفولة :

هل تتذكر
حين كنت تستمع

الى قصيدة البردة من أبيك !

ويبدو بوضوح أن هذه الترجمة البوسنوية لـ « قصيدة البردة » جاءت لتعزز مكانة هذه القصيدة في البوسنة ، لكي يتعرف عليها بقية البوسنويين الذين لايتقنون العربية ، والذين لايستطيعون بالتالي أن يتمتعوا بهذه القصيدة في أصلها العربي .

وهذه الترجمة البوسنوية تقع في مخطوط يتألف من تسع وثلاثين صفحة ، وفي نهاية الصفحة الأخيرة لدينا جملة واضحة في اللغة العربية ، مع بعض الأخطاء ، وجملة أخرى تجمع بين العربية والتركية . ومن هذه الجملة يبدو أن « مصنف هذه القصيدة هو خليل بن علي من مدينة استولجة ، الذي انتهى من تصنيفها في شهر صفر سنة ١٢٨٥ هجرية ، أي ١٨٦٨ ميلادية ، وهذه الجملة الأخيرة تثير الشك حول هذه الشخصية ، وبالتحديد حول صاحب هذه الترجمة . ففي هذه الجملة لايفيد فعل « صنف » بالضرورة ترجمة هذه القصيدة . وكان الاستاذ دوبروشا قد أثار الانتباه الى مسألة أخرى الى الأخطاء الواضحة في اللغة العربية التي لا يمكن أن يقع فيها المترجم الذي يفترض أن يكون على معرفة جيدة باللغة العربية .

ولهذا يرى الاستاذ دوبروشا ان الاسم الوارد في الصفحة الأخيرة يمكن أن يكون مجرد ناسخ للترجمة الأصلية . وفي هذه الحالة لانعرف شيئا عن الشاعر الذي قام بترجمة هذه القصيدة الى اللغة البوسنوية مما ينطبق ايضا على «خليل بن علي » الذي يعتبر اسما مجهولا في الأدب البوسنوي .

وتتميز هذه الترجمة البوسنوية في أنها تتألف من قسمين ، من المقدمة التي نظمها الشاعر - المترجم حول « قصيدة البردة » ثم من الترجمة البوسنوية لأبيات البوصيري . وفي الصفحة الأولى المخطوطة الترجمة ، وتحت العنوان مباشرة ، نجد الوزن الشعري الذي استخدمه الشاعر - المترجم سواء لنظم أبياته في المقدمة أو لترجمة أبيات البوصيري ، وهذا الوزن يتألف من فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن فاعلن ، بينما الوزن الاصلي لقصيدة البوصيري هو بحر البسيط . ويبدو هنا بوضوح تأثر الشاعر - المترجم بالأوزان الشعرية العربية ، الا أنه مع هذا لم يعتمد على واحد من البحور المعروفة بل لجأ الى تركيب بحر جديد لا وجود له عند العرب .

وفي الصفحات الأولى نجد أولا مقدمة الشاعر التي تتألف من أربعة وعشرين بيتا ، وفي الأبيات الأولى يكثر الشاعر من الحمد الذي يرفعه الى الله ثم يوضح في البيتين الأخيرين أنه قد قام بترجمة « قصيدة البردة » الى اللغة البوسنوية لكي يتمكن الناس من قراءتها والاطلاع عليها بسهولة ، وبعد هذا مباشرة تبدأ أبيات البوصيري التي ترجمها الشاعر ، وحول هذه الترجمة يلاحظ الاستاذ دوبروشا أن الشاعر حاول في البداية أن يترجم القصيدة حرفيا ، الا أن النجاح لم يصادفه دائما في هذا ، ولذلك عمد في بعض الأبيات الى التصرف في الترجمة ليعطى فقط معنى الأبيات . ○

لماذا تقصر قامة الطفل ؟

بقلم الدكتور غسان حتاحت

يعد طول الطفل او قصره ، واحدا من اكثر الامور اثارة لاهتمام الاهل فيما يتعلق بنمو طفلهم . وكثيرا ما يسبب هذا الاهتمام الشديد القلق لديهم أو يدفعهم الى ارتكاب اخطاء كثيرة لا داعي لها ، أو البحث عن علاجات اسطورية غالبا ما تكون غير ذات فائدة .

ولا بد قبل الكلام على قصر القامة عند طفل ما ، من التأكد هل هنالك حقا قصر في القامة لديه أم لا ؟ ويتم هذا الأمر بمقارنة طول الطفل بجداول خاصة وخطوط بيانية ، تمثل نتائج احصاءات وقياسات لأطوال الاطفال الطبيعيين في منطقة ما ، بحيث ان الاطوال التي تبتعد عن المتوسط بدرجة معينة ـ تقدر احصائيا ـ تعتبر غير طبيعية . ولقد أجريت في بلادنا احصاءات أظهرت ان القياسات لا تختلف كثيرا في سني الطفولة الاولى عنها في الدول الاخرى . كما ان اشكال الخطوط البيانية تبقى متماثلة تقريبا مع الخطوط البيانية العالمية .

وعندما نقوم بدراسة طول الطفل لا يفيدنا قياس الطول مرة واحدة ، قدر ما يهمنا تطور الطول خلال فترة من الزمن . كذلك فان مقارنة الطول مع الوزن والمقاييس الاخرى كمحيط الرأس والصدر وتناسب الجسم مع طول الأطراف هي ذات أهمية بالغة .

وان تغيرات الطول الكبيرة هي التي يجب ان تثير اهتمامنا . اذ قد تشير الى وجود اضطراب غدي او سواه . لأن الاطفال عادة يبقون محافظين على درجة مناسبة من تطور الطول سواء أكان ذلك في الحدود العليا أم الدنيا للارقام الطبيعية ؟ .

دور الوراثة

وطول الطفل هو محصلة عوامل كثيرة ، لا يمكن للطب ان يؤثر على كثير منها . وتلعب الوراثة الدور الاكبر في هذا ، وهذه الوراثة هي بحد ذاتها متعددة العوامل والمورثات . وهذا النمط هو أشد أنماط الوراثةاته هي أصعب الاحتمالات تخمينا وتوقعا .

وبما ان الوراثة تلعب دورها الكبير فان تطور الطول لدى الطفل يختلف من عائلة لاخرى . فبعض العائلات قد يحصل لديهم تطور سريع في فترة ما كفترة البلوغ مثلا ثم يتوقف هذا التطور بسرعة . بينما في عائلات اخرى يكون التطور بطيئا ، ولا يزداد كثيرا ابان البلوغ ، لكنه يستمر لفترة أطول بحيث قد يكون الطول النهائي متساويا في العائلتين .

ويزداد الطول عند البلوغ لدى الاناث اكثر منه عند الذكور ، ويستمر ازدياد الطول عادة عند الاناث حتى السلأة لغامنة عشرة غ بينمافي الذكور حتى السنة الحادية والعشرين .

وبما ان ازدياد الطول يتسارع لدى الفتيات ابان البلوغ ، لذلك كثيرا ما نلاحظ ان متوسط طولهن أعلى من متوسط طول الذكور في ذلك الوقت ، ثم مع مرور



وثمة اسباب اخرى لقصر القامة ، كسوء الامتصاص ، أو وجود امراض مزمنة منهكة ، أو اصابات اصابت الجنين داخل الرحم . وبعض هذه الامور لها علاج وبعضها الآخر لا يطولها الدواء .

ومن اسباب قصر القامة ايضا ـ وهو ليس أقلها شأنا ـ الحرمان العاطفي للطفل وهو سبب شائع ، اذا كان الطفل غير مرغوب به في العائلة ، أو كانت العائلة غير مترابطة ، أو اذا أهمل الطفل عاطفيا لسبب أو لآخر ، فكل هذه الامور قد تؤثر على افراز الهورمونات وبالتالي يصبح الطفل قصير القامة .

السنين يستمر الذكر في النمو ويتوقف نمة الانثى ، وهكذا نلاحظ فرقا في طول الانثى .

ان العوامل المؤثرة صدرها العوامل الوراثية او البنيوية التي تكلمت عنها . كذلك تلعب الكروموزومات الجنسية دورا في طول القامة . فالذكور عادة أطول قامة من الاناث ، ويعزى هذا الى وجود كروموزوم Y لديهم ، كما ان بعض الذكور يكون لديهم ـ بصورة مرضية ـ اكثر من كروموزوم Y واحد فيكونون اطول من سواهم .

كذلك فان كروموزوم X يلعب دوره ايضا

ومعروف ان بعض الاناث ينقصهن خ كذم X فيكن قصيرات القامة .

وللغدد دور كبير في الطول . خاصة الغدة النخامية والغدة الدرقية .

وتؤثر الغدة النخامية على الطول عن طريق هورمون النمو . وثمة اضطرابات كثيرة تتعلق بهذا الهورمون . فقد يكون افرازه ناقصا من حيث الكمية ، أو غير طبيعي من حيث التركيب ، وقد يكون طبيعيا من حيث الكمية والنوعية ، لكن الاعضاء التي تتأثر به عادة قد لاتستجيب له لاضطراب في مستقبلات الهورمون .

وثمة أمراض خلقية كثيرة يعتبر قصر القامة عنصرا رئيسيا من مظاهرها . وكون هذه الامراض خلقية يجعلها بعيدة عن الاستجابة للعلاجات الهورمونية وسواها . ويترافق قصر القامة في هذه الامراض مع مظاهر أخرى قد تكون جلية للشخص العادي وقد لا يلاحظها الا الطبيب المهتم بهذه الامور .

ما العمل ؟

ونأتي الآن الى السؤال المهم : وهو كيف تطمئن على طول طفلنا ؟ ان أول ما يجب ان نفعله هو ان نجري قياسا دقيقا للطفل ، ثم نقارن طوله مع الجداول الخاصة والخطوط البيانية الاحصائية ، ومع طول الطفل ووزنه في مراحل سابقة ومع طول إخوته . فاذا كان الطول ضمن الحدود الطبيعية لهذه المجموعة كلها فلا داعي لفحوص اخرى .

أما اذا كان طوله دون الحدود الطبيعية فهنا نبحث عن مظاهر الامراض الخلقية التي قد تترافق بقصر القامة . فاذا لم توجد هذه المظاهر نتحرى العمر العظمي للطفل باجراء صورة شعاعية للمعصم . فاذا كان العمر العظمي متناسبا مع العمر الفعلي فالطفل قصير لا محالة .

أما اذا كان العمر العظمي أقل بكثير من العمر الفعلي ـ وهنا توجد ايضا حدود محسوبة مقبولة ـ فقد يعنى هذا ان ازدياد طول الطفل سيستمر بما يتناسب مع عمره العظمي لا الفعلي،وقد يعني هذا وجود اضطراب في الغدة النخامية أو احد الاسباب التي ذكرتها آنفا .

وفي هذه الحالة يمكن ان نلجأ الى الخطوة التالية وهي معايرة هرمون النمو . وهو فحص معقد . فاذا كان دون الحدود الطبيعية فيمكن ان يستفيد الطفل من اعطاء هذا الهورمون . وهو في الوقت الحاضر يستخرج من الغدد النخامية للاموات ، ولذلك فهو غير متوفر بسهولة وغالي الثمن ويستعمل تحت إشراف طبي دقيق . وحتى يأتي اليوم الذى يتوصل العلم فيه الى تصنيع هذا الهورمون ، يبقى كثير من الاطفال المحتاجين اليه محرومين منه .

دمشق د . غسان حتاحت

حل مسابقة العدد

(١) نظم الخيام شعره بالفارسية . . اما كتبه العلمية فقد الفها باللغة العربية . هذا هو الجواب الصحيح على السؤال الاول .

وتجدر الاشارة الى ان الخيام - او ان شئت الدقة - عمر بن ابراهيم الخيامي (المتوفي سنة ١١٥٣ م / ٥١٧ هـ) كان عالم رياضيات الى جانب كونه شاعرا . . ولعله لم يعرف في ايامه بشعره بقدر ما عرف بعلمه . . ويعتبر كتاب « الجبر » في طليعة ما ألف الخيام من كتب علمية . . اما اختياره اللغة العربية لغة لكتاباته العلمية فمرده الى ان لغة الضاد كانت لغة العلم الحية في تلك الايام .

(٢) القنبلة الهيدروجينية هي الأقوى كما لا يخفى ، قوتها التفجيرية تفوق قوة القنبلة الذرية بألف مرة او تزيد .

القنبلة الذرية تقوم على أساس انشطار الذرة الواحدة بينما القنبلة الهيد روجينية تقوم على أساس الاندماج بين ذرتين . . . وحسبك تمييزا بين القنبلتين من حيث قوتها التفجيرية ، ان قوة القنبلة الذرية غالبا ما تقدر بعشرات الكيلوطن من مادة T. N. T. (الكيلو طن = ١٠٠٠ طن) بينما قوة القنبلة الهيدروجينية تقدر بعشرات الميجاطن من مادة T. N. T (والميجاطن = مليون طن) .

(٣) نهر الفرات هو الأطول . . اذ يبلغ طوله ٢١٠٠ ميل بينما لا يزيد طول نهر دجلة على ١١٥٠ ميلا .

وكما هو معروف فالنهران ينبعان في تركيا . . الا ان الفرات يجتاز الحدود السورية ويجرى في سورية طويلا قبل دخوله العراق بخلاف نهر دجلة . . فهذا يقف عند الحدود السورية دون ان يجتازها . . ويكون جزءا من هذه الحدود السورية التركية قبل دخول العراق . . ويمضي النهران في مجريين مستقلين في العراق حتى يلتقيا بالقرب من بلدة القرنة ليكونا نهرا واحدا هو شط العرب .

(٤) شارلز دارون هو العالم وهو الذى دار حول الكرة الارضية لافاسكودى جاما .

وتجدر الاشارة الى ان الرحالة فاسكودى جاما لم يحاول أصلا الدوران حول الكرة الارضية كما فعل مجلان من بعده بل ان كل ما طمح اليه فاسكو هو مجرد الوصول إلى بلاد الهند بحرا ، وقد قام برحلته الاولى سنة ١٤٩٧ ونجح في الوصول إلى شبه القارة الهندية بمساعدة الملاح والعالم العربي الشهير ابن ماجد .

أما شارلز دارون عالم الأحياء البريطاني الذى اشتهر بنظرية النشوء والا رتقاء فقد قام برحلة بحرية حول العالم اشتهرت باسم (بياجل) Beagle وهو اسم السفينة التابعة للبحرية البريطانية التي قام برحلته عليها وذلك بتكليف من سلطات البحرية . . وقد طاف دارون في تلك الرحلة التي استغرقت ٥ سنوات (١٨٣١ - ١٨٣٦) بالأماكن التالية : جزر الرأس الاخضر في افريقيا وشواطىء البرازيل والارجنتين وشيلي في امريكا الجنوبية ومر بجزر فوكلاند ثم طاف بشواطىء استراليا ونيوزلنده فضلا عن جنوب افريقيا . (انظر خريطة الرحلة) .

(٥) الصحيح هو : قيس هَوِىَ ليلى . .

يقول المنجد (صفحة ٩٧١) هَوِيَ - هوى اى عشق . . وهَوَى تعنى سقط من علو الى اسفل . . وهوى يهوي - هَويا - وهويا وهويانا . . ومنها الهوة . . ما اهبط من الارض ومنها الهاوية . . من اسماء جهنم . .

(٦) لايبعد الأفق عن الناظر اليه سوى كيلومترين (٢ كم) او نحو ذلك .

على ان بعده هذا انما يعتمد على طول قامة ذلك الناظر ، فضلا عن مدى ارتفاع المكان الذى يقف عليه بالقياس الى سطح البحر . . كما يتبين في الأمثلة :

على ارتفاع ٥ اقدام يرى المرء لمسافة ٣ اميال - على ارتفاع ٢٠ قدما يرى المرء لمسافة ٦ اميال - على ارتفاع ٥٠ قدما يرى المرء لمسافة ٢٥ , ٩ من الميل - على ارتفاع ١٠٠٠ قدم يرى المرء لمسافة ٤٢ ميلا - (المرجع) : الموسوعة البريطانية طبعة سنة ١٩٧٣ ومابعدها

(٧) الدجاجة تبيض بيضها سواء وجد الديك او لم يوجد . . . فوجود الديكة في احدى المدجنتين

وعدم وجودها في الاخرى لا يؤثر في كمية البيض التي تجود بها المدجنتان . اما العامل الذى يؤثر في هذه الكمية فهو نوع الدجاج في المدجنتين . فان كان هذا من النوع البياض .. تكاثر البيض الذى يبيضه .

وليس معنى هذا ان لا اثر للديك فيما تبيضه الدجاجة من بيض ... فحسبك الاخصاب ... فالبيض المخصب او الملقح لا تجود به الا المدجنة التي فيها ديكة ، اما المدجنة الاخرى التي لا ديكة فيها ، فبيضها عقيم غير مخصب لا يفقس ولا تخرج منه صيصان .

(٨) ابن خلدون هو المؤرخ العربي الذى اجتمع بتيمورلنك عند أبواب دمشق ...

تجدر الاشارة الى ان ابن خلدون كان يسكن القاهرة .. في تلك الايام ، أيام السلطان ناصر فرج احد سلاطنة المماليك ... وقد عينه هذا السلطان قاضيا وشمله بمزيد من رعايته وثقته . حتى اذا توجه هذا السلطان الى دمشق على رأس حملة عسكرية بقصد انقاذ العاصمة السورية من الحصار الذى ضربه حولها القائد المغولي الطاغية ... اصطحب معه ابن خلدون ... واتفق ان خرج من دمشق وفد من اهلها لمقابلة تيمورلنك ... في الوقت الذى تواجد فيه الجيش المصرى هناك .. لا عجب اذن أن رافق ابن خلدون الوفد الشامي وترأسه . وقد عقد الاجتماع بين الفريقين عند باب الجابية خارج اسوار دمشق .

والغريب ان المجاملات غلبت على ذلك الاجتماع .. ومن طريف مايروى ان تيمورلنك سأل ابن خلدون عن المبلغ الذى يطلبه ثمنا لبغلته .. فما كان من المؤرخ الا ان قدم البغلة لتيمورلنك هدية بلا مقابل !

(٩) حرب الاستقلال الامريكية هي السابقة وقد وقعت في ١٩ / ٤ / ١٧٧٥ وانتهت بهزيمة الانجليز المستعمرين واعلان الاستقلال من قبل الكونجرس الامريكي في ٤ / ٧ / ١٧٧٦ .. اما الثورة الفرنسية فقد اندلعت في ١٧ / ٦ / ١٧٨٩ ، اى بعد الثورة الامريكية بحوالي ١٥ سنة .

(١٠) سرنديب وذيبة المهل هي تسميات السلف لجزيرة سيلان وجزر مالديف بالتوالي .

(١١) سموها « القارة السوداء » نظرا لتأخر اكتشافها وبقائها هي وحدها في عالم المجهول حتى القرن التاسع عشر .

فالدكتور دافيد لفنجستون ـ على سبيل المثال ـ لم يتوجه الى افريقيا ويقوم باعماله التبشيرية والاستكشافية الا سنة ١٨٥٨ .. والمقصود هنا هو الداخل من القارة الافريقية لا الساحل .

تسلمت خطابك هي الأصح .. يقول المعجم الوسيط (الجزء الاول صفحة ٤٤٨) . « تسلم الشيء » اخذه وقبضه ، ويقول ايضا ... « استلم الزرع » خرج سنبله ...

واستلم الحاج الحجر الأسود بالكعبة = لمسه بالقبلة او اليد ..

الفائزون في المسابقة الثقافية لعدد يناير رقم ٢٩٠

الجائزة الأولى : (٣٠ دينارا)/ محمود آدم حسب الله ـ تعز ـ ص . ب ٥٨١١ الجمهورية العربية اليمنية .

الجائزة الثانية : (٢٠ دينارا) / مجد محمد مروان/ ثانوية الرابية /ص. ب ١٩٠٢٨ الكويت .

الجائزة الثالثة : (١٠ دنانير)/ الباهي العايدي/ شقة (٥) شارع الفوارات (٧٠) الدار البيضاء ـ المغرب .

٨ جوائز تشجيعية بقيمة (٥) دنانير لكل منها للتالية أسماؤهم :

١ ـ مرشدة محمد مرشدي زهران /أبها/ المجارده/ المجمع القروى/ المملكة العربية السعودية

٢ ـ عماد أحمد محمد عطا الله /ص . ب ٨٤٣٣/ عمان / الأردن .

٣ ـ نجيب عبد الأحد ديزه /ص . ب ٢٩٧/ بغداد/ العراق .

٤ ـ محمد رفعت محمد/ مديرية التربية والتعليم / سوهاج / مصر

٥ ـ اليوسفي أحمد بن العربي/ درب الزاوية رقم ٩ / الجبابرة/ مكناس/ المغرب .

٦ ـ صلاح الدين عبد الرحيم شيخ نور الدين / الخرطوم/ بحري / السوق الجديد .

٧ ـ ملازم أول راشد ابراهيم جداح / المديرية العامة للشرطة / أم القيوين ص . ب ٧٨٩ / الامارات العربية المتحدة .

٨ ـ رقية صالح طه/ كلية الآداب / جامعة دمشق / سورية .

خطبة طارق بن زياد هل قالها حقاً ؟

بقلم الدكتور : احمد بسام الساعي

لايملك الباحث الا ان يطرح العديد من التساؤلات امام صحة نسبة تلك الخطبة الشهيرة التي تتناقلها كتب التاريخ عن القائد الاشهر طارق بن زياد

يقول نص الخطبة : « أيها الناس ، أين المفر ؟ البحر وراءكم ، والعدو أمامكم ، وليس لكم والله الا الصدق والصبر . واعلموا انكم في هذه الجزيرة أضيع من الأيتام في مأدبة اللئام ، ولا أقوات لكم إلا ما تستخلصون من ايدي عدوكم ، وإن امتدت بكم الايام على افتقاركم ولم تنجزوا لكم أمرا ذهب ريحكم ، وتعوضت القلوب من رعبها منكم الجرأة عليكم . فادفعوا عن انفسكم خذلان هذه العاقبة من أمركم بمناجزة هذا الطاغية ، فقد ألقت به اليكم مدينته الحصينة ، وان انتهاز الفرصة فيه لممكن ان سمحتم لأنفسكم بالموت . واني لم أحذركم أمرا أنا عنه بنجوة ، ولا حملتكم على خطة ـ أرخص متاع فيها النفوس ـ أبدأ منها بنفسي . واعلموا أنكم إن صبرتم على الاشق قليلا استمتعتم بالألذ الأرفه طويلا ، فلا ترغبوا بأنفسكم عن نفسي ، فما حظكم فيه بأوفر من حظي . وقد بلغكم ما أنشأت هذه الجزيرة من الحور الحسان ، من بنات اليونان ، الرافلات في الدر والمرجان ، والحلل المنسوجة بالعقيان ، المقصورات في قصور الملوك ذوي التيجان . وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك أمير المؤمنين من الابطال عربانا ، ورضيكم لملوك هذه الجزيرة أصهارا وأختانا ، ثقة منه بارتياحكم للطعان ، واستماحكم بمجالدة الابطال الفرسان ، ليكون حظه منكم ثواب الله على إعلاء كلمته وإظهار دينه بهذه الجزيرة ، وليكون فتحها خالصا لكم من دونه ومن دون المؤمنين سواكم . والله تعالى ولي إنجادكم على ما يكون لكم ذخرا في الدارين . واعلموا اني أول مجيب لما دعوتكم اليه ، واني عند ملتقى الجمعين حامل بنفسي على طاغية القوم لذريق فقاتله إن شاء الله تعالى ، فاحملوا معي ، فإن هلكت بعده فقد كفيتكم أمره ، ولن يعوزكم بطل عاقل تسندون أموركم اليه ، وإن هلكت قبل وصولي إليه فاخلفوني في عزيمتي هذه واحملوا بانفسكم عليه ، واكتفوا اليهم من فتح هذه الجزيرة بقتله ، فانهم بعده يخذلون »[1]

علامات استفهام

إنها خطبة من الخطب التي علا اسمها مع خطب قليلة أخرى فوق كل العناوين التي حملها تراثنا النثري العربي ، فمناسبتها كبيرة الخطر : دخول المسلمين أوروبة لأول مرة بعد خوضهم بحرها لأول مرة أيضا ، وقائدها بطل مسلم ضربت شهرته آفاق الغرب قبل الشرق ، حتى نسجت عليه الحكايات والأساطير ، ودعيت باسمه قطعة استراتيجية هامة من أوروبا اسمها جبل طارق ، والمعركة التي خاضها هذا القائد لم تكن معركة ثانوية ، أو ضد ملك ضعيف قليل القدر ، بل كانت نقطة تحول تاريخي خطير في التاريخ العسكري والحضاري للعرب من ناحية ، وكانت ضد ملك من أخطر ملوك أوروبة في ذلك الوقت وأكثرهم منعة وقوة ، وهو لذريق (رودريك) ملك طليطلة عاصمة اسبانيا ، من ناحية ثانية .

---

(١) نفح الطيب ، المقري ، ج ١ ، ص ١١٣ .

ومع كل هذه الخطورة التي تحيط بالخطبة ، والمكانة التي احتلتها في تاريخنا الأدبي والعسكري ، لا يملك الباحثون(٢) إلا أن يشكوا أكبر الشك في نسبتها الى من تنسب اليه . فاسلوبها ليس أسلوب ذلك العصر - ٩٢ للهجرة - أي أواخر القرن الهجري الأول . فالسجع الذي انتظم كثيرا من عباراتها ، والذي كان يتتالى على مدى خمس جمل أحيانا ، لم يعرفه العرب في أساليب تلك الفترة . ثم ان طارق بن زياد كان أول عهده بالاسلام والعربية عام تسعة وثمانين للهجرة ، وهو العام الذي استولى فيه موسى بن نصير على بلاد المغرب ، فاستولى الاسلام على قلوب أهلها ، واستولت لغته العربية على ألسنتهم . فهل يعقل أن يكون قد اكتسب في هذه السنوات الثلاثة اللسان العربي الفصيح والملكة البلاغية الرفيعة التي تؤهله لالقاء مثل هذه الخطبة التي احتلت تلك المكانة الرفيعة بين خطب فصحاء العرب ؟ أما العربان الذين ذكرهم طارق في خطبته « وقد انتخبكم الوليد من الابطال عربانا » فلم يكونوا في حقيقة الامر ، وتبعا للمصادر التاريخية الموثوقة ، عربانا ، بل كان معظم أفراد الجيش الذي جهز منه طارق حملته من برابرة المغرب .

واذن فلا بد من الوقوف وقفة شك كبير أمام هذا التنافر بين الواقع التاريخي بجوانبه المتعددة وواقع الخطبة التي بين أيدينا .

ومما يزيد هذا الشك رسوخا تلك الحقيقة التاريخية التي عرفت عن الجيوش الاسلامية عامة - ولاسيما في تلك القرون الأولى من حملات الاسلام - وهي ان هذه الجيوش لم تكن تغزو للغزو وللغنائم التي ينالها الغزاة عادة ، بل كانت تغزو في سبيل فكرة وعقيدة

عن الخطيب والجمهور

إنها شكوك واتهامات تستحق منا الوقوف عندها مليا ، ومراجعة حساباتنا أكثر من مرة مع هذه الخطبة المشهورة ، ومع ذلك فنحن لا نملك أن نجزم بأنها ليست لطارق بن زياد حقا .

وفيما يتعلق بكلمة (عربان) فقد وردت في بعض النسخ بالزاي المعجمة (عزبان : جمع عزب) وعلى هذا الوجه ينتفي الشك الذي استندنا اليه في تدعيم رأينا بعدم صحة إسناد هذه الخطبة الى قائد لجيش من البربر .

ونحن نميل هنا الى القول بان طارق بن زياد لابد أن يكون قد خطب جنوده خطبة أثارت حماستهم ، ولا شك أن ظروف هذه المعركة الفريدة كانت تستدعي خطبة فريدة أيضا ، لعلها كانت في أصلها باللغة البربرية لأنها وجهت من قائد بربري (٣) الى جنود من بني جلدته ، إذ لو افترضنا في هذا القائد عبقرية متميزة منحته القدرة على أن يكون خطيبا عربيا على مثل هذه الدرجة الفائقة من الفصاحة بعد ثلاث سنوات فحسب من تعلمه العربية ، فكيف سنفترض وجود مثل هذه العبقرية في كل جنوده من البربر أولئك الذين وقف ليخطب فيهم بتلك اللغة الرفيعة ولما يمض على تعلمهم إياها ثلاث سنوات ، ثم ينتظر منهم بعد ذلك أن ينفعلوا بها ويتحمسوا للحرب والقتال ؟ إن من المحتمل أن يكون قد تهيأ للخطبة ، بعد ذلك بقرون ، من ترجمها الى العربية ، واذا كان لها من أصل عربي فربما كان دون هذا الذي بين أيدينا حجما ودونه بلاغة ، ثم تهيأ له في وقت لاحق من أدخل عليه تعديلات وأضاف اليه اضافات ، مثلما أضافوا الى سيرة صاحبه اضافات اسطورية غريبة رغم أنه حقيقة واقعة ، وأن عبوره العظيم للبحر وانتصاره على ملوك الأندلس وفتحه الطريق للمسلمين نحو قلب أوروبا لم تكن أسطورة على الاطلاق . ان هناك جزءا كبيرا من الواقع التاريخي لهذا البطل أحيط بهالات من الاقاصيص والخيالات الشعبية ، وإن هناك خطبة حقيقية دون النص الذي بين أيدينا أحيطت ايضا بهالات واضافات وتعديلات من قبل الاجيال اللاحقة حتى انتهت الى هذا الشكل الأخير المعترف به (٤) .

---

(٢) وعلى رأسهم د . احمد هيكل في كتابه (الادب الاندلسي من الفتح الى سقوط الخلافة) وهو أصل لمعظم الدراسات التي ظهرت بعده في هذا الموضوع .

(٣) وقيل انه من أصل فارسي ، وهو مذهب ضعيف كما يذكر الدكتور هيكل ، ص ٦٩ . ط دار المعارف ١٩٦٨

(٤) أقدم مصدر للخطبة ، فيما نعلم ، كتاب المقري المتوفي عام ١٠٤١ هـ أي بعد أكثر من تسعة قرون من تاريخ الخطبة ، وهو زمن أخطر من أن يستهان به .

ووقفة متأنية عند المقومات الفكرية والخيالية والاسلوبية لهذه الخطبة ستساعدنا على الخروج بأحكام أكثر رصانة وموضوعية . فمن الناحية الفكرية نجد قائدا فذا يدفع بجنوده نحو الموت في سبيل الحياة ، في سبيل إعلاء كلمة الله وفتح آفاق جديدة أمام دعوة الاسلام

وحضارته الوليدة ، وهو يستوحي في سبيل هذا الهدف كتاب الله تعالى ، منطلقا من مضمون آياته . ليبث في نفوس جنوده مزيدا من العاطفة الدينية التي تكسبهم القوة على الاندفاع والنصر . واذا خيل الينا أحيانا أنه يقع في تناقض فكري عندما يغريهم بالحور من بنات اليونان - ولا ندري لم اليونان ؟ - اللواتي يرفلن بالللاليء والذهب

ونفيس الثياب ، وهن بنات الملوك والأمراء ، فأغلب الظن أن هذا القائد ، وهو في نقطة انطلاق خطيرة من أفريقيا الى اوروبا ، كان يتخيل - أو يخيل لجنوده - أنهم في انتقالتهم هذه كأنهم ينتقلون من الارض الى السماء ، وأن الجنة التي تنتظرهم في العالم الجديد - اسبانيا - قد تكون

صورة دنيوية مصغرة للجنة التي تنتظرهم في السماء ، ولذلك راح يصور لجنوده مشاهد تلك الجنة وكأنه يرى في عرض مثل هذه الصورة الحسية عرضا حلالا متأثرا بالعرض الحلال الذي يعرضه الله تعالى للمؤمنين في كتابه العزيز عن الحور العين والجنة التي وعد بها المتقين .

ومما يؤكد هذا الاتجاه الديني لدى طارق ما ذهب اليه في معظم أفكار خطبته ، ولاسيما في القسم الاخير ، حين يعرض لجنوده أهداف جهادهم في سبيل الله ، لان حظ الخليفة منه لن يكون الا ثواب الله على اعلاء كلمته واظهار دينه في تلك الارض ، ويذكر جنوده بأن الله سيكون في عونهم على هذا الذي يحققونه من أجل حسنة الدارين .

وفضلا عن هذه الافكار الاسلامية المباشرة ، تعم الروح الدينية معاني الخطبة ، فنلحظ تأثره بأفكار القرآن الكريم والحديث الشريف ، ولا سيما حين يتحدث عن الاثر السلبي للتقاعس واحتمال تجرؤ العدو عليهم بعد جبنه أمامهم ، ثم حين يغريهم بالالذ الارفه بعد الأشق القليل ، وكأنه يقيس تلك المكافأة الدنيوية على العمل الطيب بمكافأة الآخرة على الدنيا .

وتمسك القائد باحترام السلطة العليا للدولة وتوطيد مكانتها ، حين يعيد فضل اختيارهم الى الخليفة الوليد ، كما يعيد كل فضل في هذه المعركة اليه ، يمنح الخطبة مسحة واقعية تزيد من احتمالات صدقها .

تناقض في الاسلوب

ولكن أهم عنصر يجدر بنا أن نتوقف عنده في هذه الخطبة هو العنصر اللغوي ، فهل كانت لغة طارق هنا جديرة بلغة قائد حربي يريد أن ينتزع من أعماق جنوده كل ما يختزنونه من قوة لينصبوا بها على اعدائهم ؟ وهل واكبت لغته هذه الافكار المثيرة للحماسة والقادرة على انتزاع تلك القوى من قلوب الجنود ؟

في بداية الخطبة نجد القائد وقد لجأ الى العقل أولا دون العاطفة ، عندما يضع جنوده في الاطار الحقيقي الذي رسمه لهم بعد احراق سفنه ، وحين يسيطر العقل على العاطفة في الخطبة تغيب الصور عن الساحة ويتوقف الخيال عن التدخل ، وتسيطر اللهجة الهادئة والعبارات الاقل جهورية والالفاظ الأدنى ضوضاء ، فحديث العقل حديث هامس هاديء ، أما حديث العاطفة فحديث قارع ضاج يستثير النوازع البدائية في النفوس كما تستثيرها الطبول بأصواتها القوية المدوية .

ويبدهي ان نلاحظ أخيرا التناقض الاسلوبي ضمن فقرات الخطبة ، فالفارق واضح بين لغة المقدمة مثلا ولغة الفقرة التي يغري طارق فيها جنوده بفتيات الاندلس ، فهي فقرة طغى عليها السجع طغيانا لم نجده في سائر الخطبة من ناحية ، وانحطت لغتها في الوقت نفسه الى درك لا يمكن أن نظن معه أنها والمقدمة والخاتمة أجزاء من عمل ادبي واحد .

ننتهي من كل تلك التفاصيل والشكوك الى الظن بأن هذا النص المتوارث للخطبة ما هو الا ترجمة عربية لأصل بربري هو الذي جاء على لسان طارق ، ثم تهيأ له في وقت متأخر - ربما يكون القرن الثالث أو الرابع الهجري - أحد بلغاء العرب - وربما أكثر من واحد - فصاغه في هذه الصياغة المتميزة الرفيعة ، ولكن الهادئة ، البعيدة عن اصوات الحرب وضجيجها ، وأغلب الظن أنه لو تهيأ لنا سماع كلمات طارق البربرية نفسها تلك التي خلدت هذه المناسبة لسمعنا من خلال ألفاظها وحروفها هدير الرجال وقعقعة السلاح وقرع الطبول تطغى على صوت العقل والحكمة ، من غير ان يختفي صوت هذين الأخيرين بطبيعة الحال . ○

د . احمد بسام الساعي

المدينة المنورة - الجامعة الاسلامية

حل مسابقة العدد

● ٢٩٠ ●

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥
١	ج	غ	ر	ا	ف	ى	ا	■	ا	ب	ن	س	ى	ن	ا
٢	ل	ا	ج	ر	ا	ن	ج	■	ب	ل	ق	ى	س	■	ق
٣	ا	ف	■	■	ز	ا	ن	■	و	ا	ف	ر	■	خ	ط
٤	د	ر	و	ب	■	ى	ك	■	ظ	ل	■	ى	ت	ب	ع
٥	ى	■	ا	ل	ا	ر	و	✪	ب	■	ا	س	خ	ر	■
٦	و	د	■	ع	ل	■	ر	ا	ى	ا	ث	■	ل	ا	م
٧	س	ر	ا	و	ى	ل	■	ب	■	ل	ى	س	و	ت	و
٨	■	✪	ع	م	ر	و	ب	ن	ه	ش	ا	م	■	■	■
٩	ن	ق	س	■	ق	ى	ث	ا	ر	ه	■	ا	ت	و	م
١٠	ا	ل	م	ع	ه	د	■	ل	ب	ن	ا	ن	■	ا	ى
١١	ب	■	ه	ق	■	ج	م	ع	■	ا	ن	■	ق	ل	م
١٢	ل	م	■	و	ا	و	■	ر	و	م	ا	ن	ى	ا	■
١٣	ى	غ	ر	ب	■	ر	ا	ب	ع	ه	■	و	ا	س	ع
١٤	و	ى	■	ا	ل	ج	ل	ى	د	■	د	ا	م	■	س
١٥	ن	ب	ا	ت	ى	■	ف	■	ت	ف	ر	ح	■	ع	ل

اثنتان في واحدة :

أفقيا : عمرو بن هشام

رأسيا : ابن العربي

(٨) أفقيا : عمرو بن هشام . هو أبو جهل ، زعيم بني مخزوم في قريش . من اللذين عادوا الدعوة الاسلامية للتوحيد . وقد قتل في معركة بدر .

(٨) رأسيا : ابن العربي . ولد بالاندلس وتوفى في دمشق . من الصوفيين ، ، اطلق عليه لقب الشيخ الاكبر . له اربعمائة مؤلف ، منها « الفتوحات المكية » ، و (فصوص الحكم) و« جامع الاحكام » .

الفائزون بالجوائز

الجائزة الأولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها : بلقاسم رمضان/ قابس/ الجمهورية التونسية .

الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها : خالد عبده صالح/ عدن / اليمن الديمقراطي

الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها : محمود ابراهيم اسماعيل الفقي/ الاسماعيلية / مصر .

٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها ٥ دنانير فاز بها كل من :

١ ـ السليماني فتيحة محمد/ الناظور/ المغرب .

٢ ـ فاروق عبد الرزاق المهايني / دمشق / سوريا

٣ ـ محمد قرشي عبدالله/ الخرطوم/ السودان

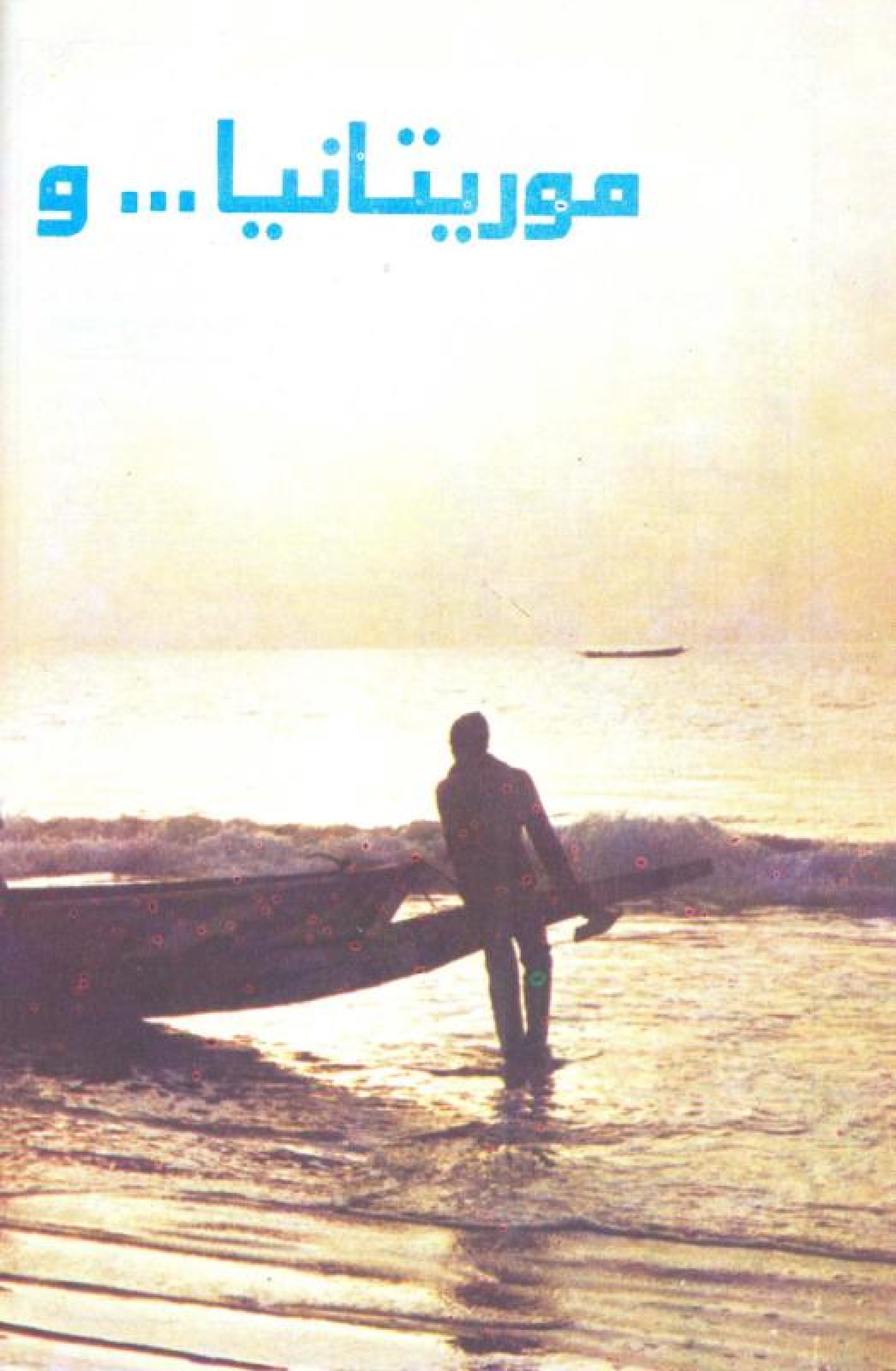
٤ ـ محمود أحمد اسعد /صنعاء/اليمن الشمالي

٥ ـ عدنان أحمد أبو عودة / المدينة المنورة/ السعودية .

٦ ـ أحمد محمد البكري/ أم القيوين/ الامارات العربية .

٧ ـ معتصم زيد ميرزا / الصباحية / الكويت .

٨ ـ طه خضير علي / بغداد/ العراق .


موريتانيا... و

صراع اللون واللسان

استطلاع : مصطفى نبيل تصوير : طالب الحسينى

○ أقدم فى هذا الاستطلاع موريتانيا همزة الوصل التاريخية بين العرب وأفريقيا ، وهى تعيش معركة التنمية والتقدم بكل مصاعبها ، ومعركة تأكيد الهوية معا ، بعد أن رسمت حدودها سكين الاستعمار الحادة .. والتى مازالت تعيش أوضاع الماضى وتتطلع إلى المستقبل .





مرح الاطفال رغم

مازال الوصول إلى نواكشوط عاصمة موريتانيا يمر عبر باريس ، والتي مازالت أقرب العواصم اليها ، وتأتي بعدها دكار عاصمة السنغال ، تزدحم الطائرة بالموريتانيين العائدين الى بلادهم ويتبادلون الحديث بالفرنسية ، وعندما تحدثت إلى أحدهم أجابني بلغة عربية سليمة ، وعندما عرف مهمتي أخذ يتحدث عن موريتانيا وتاريخها ومستقبلها . .

نقلتني الطائرة وحديثها والجو الذي أحاطني بالعديد من الصور التي أحملها لموريتانيا التي أزورها لاول مرة . .

أخذت استرجع تلك الصور التي قرأناها عن أدباء شنقيط - اسم موريتانيا القديم - والتي كانت تعتبر احدى المدن المقدسة . يتجمع فيها الحجاج كل عام ، وتقصد قافلتهم مكة والمدينة وينتظرها الشعراء في المدن التي يمرون عليها . وأينما يحلون تبدأ المناظرات والمحاورات التي تكشف عمق الحياة الفكرية والثقافية في شنقيط ومنها الشيخ الشنقيطي صديق الشيخ محمد عبده والذي حقق كتاب الاغاني .

تطلعت لمشاهدة المخطوطات القديمة والمباني التاريخية ذات العمارة المميزة ، فمن شنقيط التاريخية خرج كل من المرابطين والموحدين بكل أمجادهم التاريخية . . .

وأخذت أستحضر دور شنقيط التاريخي كهمزة وصل بين افريقيا البيضاء وافريقيا السوداء عندما كانت احدى بلاد التخوم العربية ، ونقطة تماس داخل الحزام الافريقي ، وعندما حملت خلال عدة قرون مشعل الحضارة الاسلامية إلى ماوراء الصحراء ، بعد أن قام بدو الصحراء بعبورها وامتلاكها وهم على ظهور الابل واصبحت أهم مراكز تبادل السلع والافكار ، وأحد مراكز الابداع ومصدر إشعاع حياة دينية وثقافية غنية . . وأخذت رمال الصحراء تبتلع شنقيط الحاضر ويتهددها الجفاف !

ومن الامور التي مازلت أتذكرها . ماشاع خلال الحرب العالمية الثانية ، من صعوبة الطيران فوق موريتانيا ، عندما تتعطل أجهزة الطائرات التي تحلق فوقها مما اصاب الطيارين بالحيرة ، حتى تبين أن اضطراب أجهزة الطائرات يعود الى غنى صحرائها بالأنواع المختلفة من المعادن ومنها الحديد واليورانيوم اللذان جعلا لها مجالا مغناطيسيا يفسد عمل بوصلة هذه الطائرات . .

ننتقل من الخيال إلى الواقع ، ومن التحليق في السماء الى الهبوط على أرض مطار نواكشوط ، والذي وجدته من أكثر المطارات التي زرتها تواضعا ، وهو أقرب ما يكون إلى أحد مطارات السودان . . المطار قريب من العاصمة التي قطعتها متصورا أنها مجرد ضاحية ، وقد نبهني مرافقي بأننا قد عبرنا نواكشوط كلها في الطريق الى الفندق الواقع على المحيط . !

ومن النظرة الأولى تلمس البؤس الذي يلف كل ما حولك . . ترى الأهالي بوجوههم المميزة وزيهم الخاص يجابهون قسوة الحياة بقصائد الشعر والتغني بالماضي ويواجهون الفقر بالكبرياء الحزينة وهنا يتصافح المحيط الأطلسي الذي كان يطلق عليه بحر الظلمات - مع رمال الصحراء المتاهية ، فبين صحراء المحيط وبحر الرمال ترى نواكشوط بين العواصف الرملية . .

ولعل نواكشوط هي أقل العواصم العربية عمرا ، وقد قامت وتطورت مع الاستقلال ، فهي ليست عاصمة تاريخية مثل شنقيط ، بل قامت بدافع سياسي خاص وكحل لاحدى مغامرات فرنسا ، التي كانت تدير موريتانيا من خارجها ، من مدينة سانت لويس الواقعة على نهر السنغال ، فالعاصمة الجديدة تعكس رغبة سكان موريتانيا في التعبير عن شخصيتهم المستقلة ، وكرمز لوحدتهم الوطنية واختيرموضعها إلى جوار الرباط الذي أسسه المرابط يحيى بن ابراهيم ، والذي بدأت حركة المرابطين منه انطلاقها ، ولم يكن مكان نواكشوط سوى ثكنة عسكرية فرنسية على الطريق الامبريالي الذي يربط شمال افريقيا بغربها ، وجاءت متوسطة نسبيا ، المناطق التعدينية في الشمال ، والمناطق الزراعية في الجنوب ، وبين المناطق السكانية ذات الكثافة جنوبا وتلك المخلخلة شمالا . .



الظروف المعيشية القاسية .

خلف ظهورهن . .

ومن النادر أن تلتقى بأحدلا يحمل الحجاب الذى يوضع بحرص فى كيس جلدى ويغلق جيدا ، ويربط فى الذراع أو يعلق على الصدر ، بل ومنهم من يحمل اكثر من حجاب ، واحد للحسد ، والثانى لطول العمر والثالث لمواجهة الفاقة وهو بعض آثار الصحراء الواسعة وما تحمله من مجهول ، ويطلق على الحجاب هنا اسم « حرز الناقة » ويكتب هذه الاحجبة رجال يعيشون فى أعماق الصحراء . .

وتتوالى المفاجآت لمن يزور نواكشوط لأول مرة ويتدافع حشد المعلومات والأفكار التى جمعتها خلال جولتى وتركتها تتتابع كما خطرت على بالى ، ولعلها فى مجموعها تشكل صورة عن هذا الجزء البعيد من الوطن العربى .

فإذا كان أول متطلبات الدوله النامية أدوات اتصال حديثة ، تدهش إذا عرفت أن الصحيفة العربية الوحيدة قد توقفت عن الصدور بسبب عجز مطبعتها والاذاعة التى تبث باللغتين العربية والفرنسية ثم اللهجات الافريقية الثلاث تسمع بصعوبة خارج نواكشوط وتسعى الحكومة إلى دعم الاذاعة حتى تصل إلى كافة أنحاء موريتانيا كأداة لتوحيد الشعب ثقافيا وحضاريا ، وقد تأخر فيها البث التلفزيونى الذى بدأ تجاربه الأولى بدعم فنى وبرامجى من التليفزيون العراقى . .

التنمية والتحديث

وتواجه موريتانيا ظروفا اقتصادية صعبة ويكفى أن تعرف أن متوسط دخل الفرد لايزيد عن ٣٢٠ دولار فى السنة ويبلغ دخلها القومى ٥٣٠ مليون دولار كما جاء فى آخر احصاءات البنك الدولى ، وأهم مصادر العملة الصعبة يأتى من تصدير خام الحديد والثروة السمكية . .

وموريتانيا أرض صحراوية تصل مساحتها الى مليون و٣٠ الف كيلو متر مربع ولا تملك سوى شريط زراعى ضيق على نهر السنغال . وهى خامس دولة عربية من حيث المساحة ، بعد السودان والجزائر والسعودية وليبيا ، وأقل الدول العربية كثافة فى السكان وقد تركتها فرنسا وليس بها شارع واحد مرصوف وبقيت مدن القوافل القديمة فى الصحراء على حالها مما جعلها تستهلك دخلها المحدود فى بناء البنية الأساسية ، ورغم أنها قامت خلال السبعينات بوضع خطة استثمارية طموحة إلاأن انخفاض ناتج القطاع الرعوى أدى إلى وضع حرج لميزان مدفوعاتها ولدى البلاد خطة خمسية « ٨١ ـ ١٩٨٥ » تهدف إلى رفع

وبدأ بناء البنية الأساسية عام ١٩٥٨ ، مع قرار منحها الحكم الذاتى . . وأقيمت على عجل . وتلحظ العجلة فى كل شىء ، غياب الطراز المميز ، ونقص الخيال ، ولم يكن ذلك غريبا إذا علمت أن الذى وضع المخطط الرئيسى لها اثنان من المهندسين الفرنسيين ، وأغفلا احتمالات التوسع وظاهرة الترحال التى تميز الشعب الموريتانى ، لذلك سرعان ماتنمت العاصمة نموا شيطانيا لم يكن فى حسبان مخططيها ، حتى بلغ معدل نموها السنوى ٢٣ ٪بين عامى ١٩٦٢ و ١٩٧٥ . !

وخلال اقامتنا فى نواكشوط ، لم ينقطع الهواء الصحراوى المحمل بالرمال ، فتتأثر العاصمة بالمناخ الصحراوى من الشمال والجنوب ، وتعانى من نقص مياه الشرب التى تصلها خلال أنبوب يربط العاصمة بعيون أدينى التى تبعد ٦٠ كيلو مترا ، كما تعانى العاصمة من عدم صلاحية عمق مياه البحر لميناء حديث ويتم تفريغ البضائع من السفن عن طريق زوارق فى عرض المحيط ، وتقوم الصين الشعبية بأنشاء ميناء حديث مع تعميق الساحل . .

الدراعة والحجاب

ترى الرجال فى الطرقات يرتدون زيهم المميز ، وفى الاغلب ترى السواك فى أفواههم ، وكأنه بديل للسجائر أو الدخان الذى يدخن هنا فيا يشبه « البايب » الطويل الذى يحمل فى كيس جلدى ملون ، ويسيرون على مهل ، ويرتدون الدراعة وهى عباءة خاصة مفتوحة من الجانبين بلا أكمام ، وغالبا ما يكون لونها أزرق ، وتشبه البرنس الذى ينتشر فى تونس والمغرب . .

أما النساء فيرتدين « الثوب » الذى يشبه ما ترتديه النساء السودانيات ، وكثيرا ماترى النساء يحملن أطفالهن





احدى البائعات في نواذيبو . (الى اليمين فوق)

سوق نواذيبو المبنى من الصفيح ، وتظهر القدور ، وآنية لبن الناقة . (الى أعلى)

بائعة السمك على شاطىء نواكشوط . (الى اليمين)

الصناعات اليدوية في نواكشوط . (الى اليسار)





امرأة تعرض الاعمال الجلدية التي تصدر الى اوروبا ، وفوقها صور الشيخ يعقوب التي تنتشر في كل مكان .

احدى الأمهات الحريصات على نظافة رؤوس اطفالهن .



مستوى معيشة السكان وتقليل الاعتماد على الخارج ، وقد حققت ارتفاعا في معدل النمو من ناقص ٢٪ عام ١٩٧٨ الى ٨٪ عام ١٩٨٠ ، وتم علاج العجز في ميزان المدفوعات عن طريق المساعدات العربية واعادة جدولة ديونها . . .

وتساهم الكويت في العديد من مشروعات التنمية ، وبلغت المساعدات الكويتية تسعة ملايين ونصف مليون دينار كويتي بالاضافة إلى مستشفى الصباح في نواكشوط ومستشفى عام في تجكجك ومطبعة عربية حديثة وعدت بتقديمها وإقامة عدد كبير من المساكن وحفر الآبار في المدن الموريتانية المختلفة .

كما ساهمت في مشروعات اقتصادية بتقديم القروض التي بلغت قيمتها ١٧٠ مليون دولار وتتضمن المساهمة في مشاريع نهر السنغال الذي تشترك فيه كل من السنغال وموريتانيا ومالي بالاضافة الى ٣٢ مليون دينار مساهمة الصندوق الكويتي في مشاريع متعددة .

وما زال نقص الموارد يضع الكثير من العقبات أمام التحول نحو التحديث . .

الثابت والمتحرك

ومن يتجول في شوارع نواكشوط وفي المدن الموريتانية المختلفة ، لا يغيب عنه النقاط القضية الرئيسية فيها ، وهي تلك الحيرة بين الماضي والمستقبل بين المجتمع التقليدي الضارب بجذوره في الصحراء والذي ما زال يقوم على أسس عشائرية وبين المستقبل الذي يتساوى فيه المواطنون في إطار الوطن الواحد . .

ففي موريتانيا ـ كما سنرى في رحلتنا ـ كل شيء يتحرك حتى الرمال التي تزحف باستمرار ويبقى الزمان واقفا بثبات ورسوخ . وفي الصحراء الواسعة ترى مجتمع شنقيط التاريخ حيا ماثلا للعيان . ولعل اكثر الكلمات تعبيرا عما تشهده في موريتانيا هي الكلمات التي تتردد طويلا عن الماضي والمستقبل . التاريخ والحاضر . القديم والجديد التقليدي والمعاصر . وكلها تحمل قطبي الرحى في الصراع الذي يرى الزائر بعض جوانبه .

المعهد والمحظر

لا يدعي أحد أن نواكشوط تمثل موريتانيا كلها فلا تلمس فيها وحدها معالم شخصيتها ولابد أن تتجول في

صحرائها الشاسعة ، ومدن القوافل القديمة ففي الشمال المناجم والمعادن وفي الجنوب الزراعة بوادي نهر السنغال ، وفي الشرق المراعي وفي الغرب المحيط الزاخر بالثروة السمكية . .

ويمكن أن نعرف الكثير من ملامح شخصيتها ودورها ومستقبلها عند زيارة المعهد الموريتاني للبحث العلمي والذي يهتم بكل ما يتعلق بموريتانيا ، الدراسات اللغوية واللهجات المحلية والأوضاع السكانية والعادات الاجتماعية وحتى الأمثلة الشعبية المروية . .

التقيت فيه بالسيد عبد الودود ولد الشيخ أحد الباحثين في المعهد كما التقيت مع مسيو افيز روبير الباحث الفرنسي الذي يعيش في موريتانيا منذ ٢٥ عاما . .

يتلقى المعهد مساعدات من فرنسا وألمانيا ، توصلت عمليات التنقيب التي قام بها المعهد الى محل عاصمة المرابطين في « أوز وغي » القرية من أطار والتي قامت في القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي والتي كانت مطمورة تحت الرمال كما تختفي شنقيط القديمة اليوم ، كما سجل المعهد بالتصوير الفوتوغرافي بلدة ولاته وشنقيط يقول عبد الودود ولد الشيخ : يسعى المعهد الى جمع وترتيب المخطوطات التي تنتشر في البادية : والذين يحتفظون بها باعتزاز كبير كأحد مقتنيات القبيلة ، وقد تمكن المعهد حتى الآن من حصر ثلاثة آلاف مخطوط واتفق مع بعض الجامعات الاوربية وبالتحديد جامعة تيوبنجن الألمانية على تصوير هذه المخطوطات وفهرستها . .

ويضيف الأستاذ الفرنسي . . إن المعهد يولي اهتماما بالغا بمشكلة التصحر وزحف الصحراء بعد أن ثبت أن كل عشرين عاما تزحف الرمال على نحو ٦٠ كيلو مترا مربعا ، وتخفي الرمال الواحات والأشجار والبحيرات وتبتلع حتى المدن . . »

ويكمل عبد الودود قائلا : « يقوم المعهد باعداد قاموس خاص للهجة الحسانية ولدى قسم الدراسات اللغوية خطة لكتابة اللغات المحلية الثلاث بالحروف اللاتينية (لغة التكرور والسوننكه أو السراكولي والوولف التي تقطن أساسا عند نهر السنغال) بعد أن كان المعهد منذ انشائه مركزا لصراع حاد ففي البداية عمل على كتابة هذه اللغات بالحروف العربية وبعد أن قطع شوطا كبيرا توقف أمام معارضة بعض عناصر هذه القوميات ، وخشيتهم من الابتلاع الثقافي وتآكل ثقافتهم المحلية ثم تحول الاتجاه عقب التغير السياسي الذي شهدته البلاد في عام ١٩٧٨ ، واتجه المعهد إلى كتابة هذه اللغات بالحروف اللاتينية ووضع الأبجدية اللازمة لذلك وبدأت بالفعل تجربة تدريسها بعد كتابتها بالحروف اللاتينية . . !

ويلقي والي روصو رشيد بن صالح بعض الضوء بقوله : « لقد أدى الصراع الثقافي الذي نشب منذ الاستقلال إلى عرقلة التعريب في موريتانيا ، وكانت نتيجة هذا الصراع استمرار اللغة الفرنسية في المدارس والدوائر الحكومية وقد قررنا وضع حد له بالبدء بتدريس اللغة العربية إلى جانب اللغات المحلية حتى لو كان ذلك بالحروف اللاتينية كبديل لاستمرار التدريس باللغة الفرنسية ! .

الواح تحت الشجر . . !

واستمرت الحيرة في العاصمة بين الحروف العربية والحروف (اللادينية) كما أطلق عليها أحد معلمي المحاظر ، أما في بقية أنحاء موريتانيا فالصورة تختلف جذريا ، والمؤسسة التعليمية التقليدية ما زالت تقوم بدورها ، وقد شاهدت في التيكيت ـ الكوخ المكون من سعف النخيل ـ في روصو ، وفي خيام من وبر الجمال في بوتيلميت وفي الجامع في تواذيبو ، والمحاظر بمستوياتها المختلفة وتقاليدها القديمة ، تقوم بتدريس القرآن الكريم واللغة العربية ، والمحاظر تشبه الكتاتيب في الشرق العربي ويستمر فيها التعريب والنسيج الواحد للشعب الموريتاني ، على أرضية العقيدة الواحدة التي تجمع كل أبناء موريتانيا ، وهذه المحاظر احدى ايجابيات موريتانيا التاريخ ، وفيها ما تبقى من مزايا الأوضاع التقليدية ، وقد انتقلت المحاظر من تمبكتو الى ولاته الى كل أنحاء موريتانيا . .

ويعود تاريخ هذه المحاظر الى القرن السادس الهجري ولعل اسمها كان في البداية أيام صنهاجة « الزوايا » والتي تحولت الى المحاظر وفيها يبدأ الصبي بحفظ القرآن الكريم المكتوب على الواح بالخط المغربي الجميل ، واللوح في ذاته تحفه فنية ، وكان دورها التاريخي اعداد الدعاة وسط الصحراء وعند التخوم لحمل الرسالة الاسلامية ، وامتزجت فيها الحركة الصوفية مع البيئة الصحراوية وحولت المحاظر الشعب الموريتاني من مجموعة من الرعاة الى شعب يملك تقاليد ثقافية عميقة الجذور .

ويشترك البنات والأولاد في الدراسة في المحاظر ، ويعيش التلاميذ ظروف تقشف قاسية ، يأتي الدارس ببقرته أو عنزته التي يشرب لبنها ويعيش في خيمة متفرغا

نقطة الاتصال بين موريتانيا والسنغال ، هنا يتنقل الأهالي بالبواخر والقوارب .



الطبيب التقليدي مع مرضاه .
(الى اليسار)

النساء في وداع أو استقبال المسافرين عند نقطة الحدود .
(الى اليمين)



▲

بنات روصو في الحقول . (فوق)

◀ المعلم في المحظر . (الى اليسار)

للثقافة والرياضة الروحية ، والتعليم في المحاظر مجاني . ويكتفي المعلم بتلقي الهدايا التي تسمى « جراي القرآن » .

وقدمت المحاظر والطرق الصوفية تيارا مناهضا للاستعمار الفرنسي ، ويتعرف المتصوفة بعضهم على بعض بعصور شتى من بينها نوع المسبحة التي يحملونها ،وانفردت موريتانيا عن الاقطار الاخرى في شمال وغرب افريقيا بمقاومتها للتعليم الفرنسي وكانت المحاظر مراكز هذه المقاومة .

أما بعد الاستقلال فقد انتشرت الثقافة الفرنسية لدواعي الحاجة للاطارات وعندما اصطدمت الحكومة بأن الذين تلقوا ثقافتهم في المحاظر لايجيدون الأعمال الحكومية المتعددة ، وجدوا في مسلمي السنغال ضالتهم والذين تحولوا الى مواطنين موريتانيين ، كما ساهم في انتشار الفرنسية تأخر انضمام موريتانيا الى الجامعة العربية وقد استقلت عام ١٩٦٠ وانضمت الى الجامعة العربية عام ١٩٧٣ ، وكانت طوال هذا الوقت تتلقى المساعدة الثقافية والفنية من فرنسا ، والدول الأفريقية الأخرى التي أيدت استقلالها ومازالت جامعة دكار حتى اليوم أقرب مثالا من العديد من الجامعات العربية .

ومع مضي الزمن تحول النظام التعليمي المتمثل في المحاظر الى الاقتصار على الشكل مع فقدانه لمضمون العملية التعليمية.وتدهور مستواه واستعاض عن التعليم بالتلقين . أما أولئك الذين حصلوا على منح في الجامعات الأجنبية فان نسبة ضئيلة منهم تعود الى البلاد . وما أحوج موريتانيا اليوم ، الى بعث الروح من جديد في نظام المحاظر ، وأن تتركز المعونات التي تقدم اليها بدلا من ضخها في المباني الضخمة وتتدفق في صور معلمين عرب مع الألواح الخشبية التي يكتب عليها سور القرآن الكريم ، مما يدفع الدماء من جديد في نظام حافظ على وحدة موريتانيا على مر التاريخ ، وما ينقصه هو القليل من الامكانيات والكثير من التطوير . .

بين الفرنسية والعربية

رأينا أنه منذ الاستقلال وتتعرض موريتانيا الى شد وجذب بين أنصار اللغة العربية والداعين الى الفرنسية صحيح أن المشكلة اللغوية هي جزء من فوضى اللغات في أفريقيا ، فكل قبيلة لها لهجتها الخاصة مما يؤدي في النهاية الى سيادة لغة المستعمر القديمة سواء الفرنسية أو الانجليزية .

وقد وقعت أول أزمة في هذا المجال عام ١٩٦٦ بسبب تنامي الأقليات التي تتكلم اللغات الزنجية والتي رأت في الفرنسية أداة لتأكيد ذاتها ، وبتشجيع من الرئيس السنغالي ليوبولد سنغور ، ومن الدوائر الفرنسية ،وشهدت المدارس اضرابا وصدامات بين كل من أنصار العربية والفرنسية . .

وتعقدت الأزمة عام ١٩٦٨ ، عندما أصدرت الحكومة قرارا يجعل اللغة العربية لغة رسمية الى جانب الفرنسية ، واعلنت الحكومة عزمها على احترام اللغات المحلية المختلفة ، وخصصت وقتا خاصا في الاذاعة لتلك اللغات .

وكانت آخر احصائية حول عدد الطلبة الحاصلين على الثانوية في عام ١٩٧٥ تشيرالى أن الحاصلين على الثانوية بالفرنسية يبلغ عددهم ٣٠٠ طالب والحاصلين على الثانوية المزدوجة أقل من ٢٠٠ طالب !

وأخذت اللغة العربية تواجه صعوبات : فرنسية الادارة وفرنسية التعليم ووجود اللغات الافريقية الاخرى ، ولا تزال اللغة الفرنسية تسيطر على المكاتب

الرجل والحصان في مياه نهر السنغال .



الحكومية التي يوجد بها حتى الآن الرئيس الذي لايجيد سوى الفرنسية والمرءوس الذي لا يجيد سوى العربية ولا يلتقيان الا وبينهما مترجم . !

وأصبح المجتمع الموريتاني متعدد اللغات ، وهذه اللغات هي العربية واللغات الأفريقية الثلاث . وصدر قرار بالغاء اللغة الفرنسية ابتداء من المراحل الأولى في العام الدراسي ٨٤ ـ ٨٥ ، وأصبحت الاجازة الاسبوعية منذ بداية عام ١٩٨٣ يوم الجمعة بدلا من يوم الأحد . .

الحكيم المداوي !

وتعاني الخدمة الصحية مثل غيرها من الخدمات نقصا فادحا في عدد الاطباءوعدم توفر الأدوية ، وبعد الاستقلال كان في موريتانيا طبيب واحد وطني و١١ طبيبا أجنبيا وارتفع عام ١٩٧٥ الى ١١ طبيبا و ٦٤ أجنبيا . .

وتمضي الحياة ، فكان من الطبيعي أن يستمر دور الحكيم التقليدي في المجتمع الموريتاني . ووقف هذا الحكيم الى جانب الأطباء خريجي أحدث الجامعات كما استمرت المحاظر الى جوار المدارس والمعاهد ، ولكن الخطير في الطبيب التقليدي أنه يتعامل مع صحة وحياة السكان الذين يعالجهم عن طريق الأعشاب والكي والفصد والرقى والأحجبة ، وقد تبين أنه يعالج ٨٠ ٪ من المرضى . !

والتقيت بأحد هؤلاء ، والذي يتمتع بشهرة واسعة ، وله مؤلفات كان آخرها بحث حول علاج السرطان ويسمى عبد الله بن أوفى . يجلس خلف مكتبه الخشبي والى جواره منضدة للكشف ، ولديه مكتبة ظاهرة تضم خمسة أجزاء من كتاب ابن سينا ، وكتاب الحاوي للرازي ، والجامع لمفردات الأدوية والأغذية لابن البيطار وتذكرة الأنطاكي والموسوعة الطبية الحديثة المنشورة في القاهرة والمعجم الطبي الجديد ، مكتبة واسعة للطب باللغة العربية .

فوق مكتبه أوراق مالية مختلفة فهو لا يتقاضى اتعابا ، بل يتلقى مايدفع له ثمنا للأدوية التي يقدمها ويرفض تقاضي اي اتعاب اذا لمس فقر مريضه .

انتظرته حتى يفرغ من مرضاه ، يقيس لكل مريض نبضه ويستمع لشكواه بانصات ، ثم يقدم له كيسا به الدواء ، ولاحظت أنه قدم الصمغ كعلاج لأغلب الحالات وسألته بعد أن انتهى : كيف تعلمت الطب . . ؟ . . قال لقد تعلمته من أبي الذي ورثه عن جده ، وبدأت أمارسه عندما كنت في الثامنة عشرة واني أستطيع أن أشخص المرض وأصنع الدواء في نفس الوقت ، واضاف : يقول أبو قراط « عالجوا كل مريض بعقاقير أرضه فان ذلك أجلب لصحته » . . وهو ما يفتقر اليه الطب الحديث الذي يعتوره النقص لتوقف علمه على صناعة غيره ، فاذا غاب الدواء وقف الطبيب عاجزا ، ولكني قمت باعداد مزرعة للأعشاب في رصو تمدني بكل ما أحتاجه للعلاج .! وعدت أسأله وهل يمكنك الاحاطة بالتخصصات المختلفة ، وخاصة بعد استخدام وسائل تقنية متقدمة ؟ أجاب « ان التقنية الحديثة ضرورية ، ولكني ما زلت أستطيع معالجة ما بين ٦٠ أو ٧٠ ٪ من الحالات ، بدون اللجوء الى التحاليل والأشعات ، والباقي ، أنصحهم باللجوء الى المستشفى ، وتبقى الجراحة ربع الطب والاعشاب نصفه والبصيرة والتوفيق ربعه الباقي . .

واني أدرك ماحققه الطب الحديث . ولكن الطب الحديث ينظر الى الطب التقليدي نظرة شك كأنه كله باطل ، ولكن هناك نظريات حديثة ثبت بطلانها ، ففي الوقت الذي يرى فيه الطب التقليدي أن نفع الدواء منوط

أدوات عمل المنزل المميزة .







ثلاث لقطات للصيد في نواذيبو ومصنع حفظ الاسماك ، والمصنع الوحيد للحديد والصلب الذي يحول الحديد الخردة الى قضبان .





نقل خام الحديد الى البواخر للتصدير .





الابل حول استاد نواكشوط الجديد .

بالموازنة بينه وبين العلة تأتي نظرية صموئيل الألمان وتقول : « ان الدواء أكثر نفعا كلما قل . . » وهذا هراء . !

قلت لعله يقصد الأدوية الكيمائية . . ولكن . . ماذا عن خطر المدعين الذين يمكن أن يقتحموا مهنة الطب بلا خبرة وبلا بصيرة ، وكيف نأمن على صحة المرضى وحياتهم . . ؟ واذا وفقت عندما كنت في الثامنة عشرة . . فماذا عن الذين لم يكتب لهم التوفيق . . ؟ قال : أرى أن تجري اختبارات يقسم على أساسها الاطباء التقليديون الى مستويات مختلفة تبدأ بالمرض وتنتهي بالحكيم وأن يتحول كلا النظامين الى نظام واحد . . »

وتركته وأخذت أعيد النظر في موقف الرفض الذي بدأت به ، بعد أن وجدت أن لديه الكثير مما يستطيع تقديمه ، في ظروف العجز القائمة عن الوفاء بالاحتياجات الطبية

وتأملت النظام التقليدي الذي كان يمكن فيه للمرء أن يتعلم مجانا داخل المحاظر ويعالج مجانا لدى الطبيب التقليدي فكلاهما رسالة وخدمة انسانية ، في هذا العالم القديم الذي لم يعرف الخدمات الباهظة التي يعرفها عالم اليوم .

الصحراء والجفاف

لا يمكن الالمام بطبيعة الصعوبات التي تواجه موريتانيا ، اذا اقتصرت زيارتها على مدنها الساحلية ، ويمكن الوقوف على بعض أسرارها عند التجول في الفيافي الشاسعة والوقوف عند محطات القوافل التي تزدهر فيها حياة البادية ، وتراها وجها لوجه في مدن مثل بوتيلميت وكيفه ونعمة وأطار ، وهي أقرب الى القرى الكبيرة منها الى المدن ، والتي فيها تكونت النواة الاولى لموريتانيا ، واليها تقاطر العرب وسيطروا على مصدر الحاصلات الغذائية وطرق تجارة الصمغ ، وعندما اصطدموا بالأوربيين ، القادمين من الجنوب ، في المرحلة الاستعمارية ، تخصص بدو الصحراء في الطريق القاري وسط الصحراء ، وتخصص الاوربيون في الطريق البحري وبقي التكوين البدوي ، وظلت مجتمعات القرون الوسطى ، وبلاد الأمراء ورؤساء العشائر مع ضعف السلطة المركزية . .

ففي رحلة الى بوتيلميت وريشة شنقيط تعاملنا مع الصحراء ، وقطعنا ١٥٣ كيلو مترا وسط الرمال والكثبان ، كانت مخيمات الرعاة متناثرة على طول الطريق ، نلتقي بقوافل الجمال والماشية مع الرعاة ، لقد كانت هذه الصحراء يوما صحراء الملثمين يقيهم اللثام رمال الصحراء ، إنها صحراء غير مضيافه أحدث الجفاف تصدعا كبيرا في مجتمعها الرعوي ، مجتمع الاكتفاء الذاتي القديم بعد أن نفق حوالي ٨٠٪ من حيوانات المرعى ، وهاجر الى الغرب اعداد كبيرة من رجال القبائل ، وجف العديد من الآبار .

وموريتانيا هي الصحراء التي تتشكل منها أجزاء واسعة في العالم العربي وهي جافة قاسية عندما تخلو من الحياة الطبيعية والبشرية ، والمدن واحات ومحطات حياة وسط خلاء موحش ، والنطاق الذي ضربه الجفاف واستمر عشر سنوات هو جزء من نطاق عام في شمال افريقيا ، وحدودها تتسع او تنكمش تبعا لكمية الامطار التي تسقط عليها او تنقطع عنها وتمتد من موريتانيا غربا الى تشاد وحدود السودان . .

ويتنقل البدو في هذه الصحراء متجاهلين الحدود السياسية بين كل من موريتانيا ومالي والسنغال حسب وفرة المياه وكثافة المرعى ، ويحضرني قول مسيو روبير الخبير الفرنسي : « إن أكبر الأخطار التي تهدد موريتانيا هو التصحر واقتلاع الاشجار ، وقد بينت الأبحاث أن هذه الصحراء كان بها العديد من البحيرات التي تقلصت . . . »



« التيكيت » المنتشر في بوتيلميت .

« شاريت » ، عربة النقل في روصو .

لم يكن غريبا ذلك اللقاء الذي تم وسط الصحراء مع أحد الامريكيين الذي يعشق الصحراء والحياة البرية واسمه جورج كريسي ، جاء ليقوم بجولة وسط الصحراء الموريتانية على ظهور الابل واستأجر ثلاثة جمال ودليلا ليقطع دائرة قطرها ١٠٠ كيلو متر . ويقول الرجل : « سبق أن قمت بزيارة كل من نيبال وافغانستان » . وسألته وما هو الخيط الذي يجمعها مع موريتانيا ؟ قال : انها متاحف حية للقرون الوسطى بتقاليدها وازيائها وطريقة حياة أهلها . .

وقد قام بذات الرحلة من قبله الرحالة ابن بطوطه ، وألقى الضوء على الحياة الاجتماعية فيها ، ووصف نساء ولاته التي اعتبرها أول اعمال السودان بأنهن أتم النساء جمالا وابدعهن صورا ، والمرأة في هذه البلاد أعظم شأنا من الرجال وأن الرجال لا يظهرون غيرة على النساء ، ولا ينتسب أحد لأبيه بل لخاله ولا يرث الرجل ابناؤه بل يرثه ابناء أخته . .

شجرة العائلة . .

ويحافظ رجال البادية في الصحراء على النظام العشائري ، ويشكل استمرار قيم البادية وأوضاعها قيدا على انطلاق موريتانيا وتحديثها . .

ففي البادية قوة موريتانيا وضعفها وفي البادية رموزها الخاصة وزعامتها . ولم تكن مصادفة وجود أحد صور أولياء الله الصالحين وهو الشيخ يعقوب في كل مكان نذهب اليه من روصو شمالا حتى نواذيبو جنوبا ، والتي اكتشفت وجودها مع السائق الذي يقود سيارتنا والتي يحتفظ بها تبركا ، وعندما سعيت إلى لقائه في بوتيلميت علمت أنه في أحد جولاته في الصحراء .

وتمر البلاد بمرحلة انتقالية دقيقة بين مجتمع العشائر ومجتمع الدولة الواحد ، ولعل صدور قانون الاصلاح الزراعى الذي يلغي ملكية القبيلة هو أول محاولة لاقتحام أوضاع الصحراء والتأثير عليها ، والذي لم يتم تنفيذه بعد . .

وما زال المجتمع ينقسم بحدة إلى فئات اجتماعية في سلم صارم ، يقوم على الانساب ، ومن المألوف أن تحتفظ كل قبيلة في مكان أمين بشجرة العائلة التي تحدد القبيلة الأصلية التي تنتمي اليها ، ويتمثل مقياس الشرف عند البدوى في نقاء نسبه ، ويرفض الاعتراف بأبناء القبيلة اذا كانوا ثمرة اتصال غير متكافىء !

وتناول عدد من الباحثين تقسيم سكان موريتانيا ، يقوم التقسيم التقليدى على أساس البيضان والسودان ، ويطلق وصف البيضان على الذين يتكلمون العربية من عرب أو بربر أو زنوج تم اندماجهم في مجتمع البيضان ، بينما السودان تطلق على الذين يتحدثون باللغات الافريقية وليس لهذا التقسيم علاقة باللون أو العنصر . .

ويقول الدكتور محمد أبو العلا : « لا يعنى الاسم أن بشرتهم دائما فاتحة اللون ، بل يعنى الذين يعتزون بثقافتهم العربية مهما اختلف لونهم ، كما لم تمح سيادة اللغة العربية (الحسانية) العديد من التنظيمات الاجتماعية البربرية ، فلا تزال النساء من قبائل الرقيبات مثلا يلعبن دورا هاما في حياة المجتمع . . »

وهناك تقسيم للسكان يشيع في كتابات الأوربيين والذي يقوم على التركيب (الأثنى) للسكان ، والذى يقسم الشعب الموريتاني من حيث الجنس إلى العرب الذين وفدوا مع الفتح الاسلامي وتزايدوا أيام بنى حسان ، ثم البربر الذين شكلوا مجموعة صنهاجه واخيرا الزنوج .

وربما كان التاريخ أصدق قولا ، وقد وقع تغير في حياة شمال أفريقيا في منتصف القرن الحادى عشر عندما انطلق إليها بنو هلال وبنو سليم خلال حكم الدولة الفاطمية من

أبقار الرعاة التى تنتشر فى الجنوب والابل فى الشرق والاغنام
فى الشمال . (فوق) وخيام الرعاة وسط الصحراء . (الى
اليسار) وجانب من المشروع الزراعى الصينى فى روصو .
(الى اسفل) الأدلاء وأحد الامريكيين يجوبون الصحراء
مع الابل . (الى اليسار اسفل)



وادي النيل للقضاء على الحركة الانفصالية في المغرب العربي ، وأدى وصولهم إلى انتشارهم في الصحراء وامتزاجهم بالبربر في عملية استغرقت ثلاثة قرون . .

وتحدث ابن خلدون عن شعب صنهاجه فذكر أنهم أوفر القبائل البربرية ، وأنهم سكنوا الصحراء منذ دهور قبل الفتح الاسلامي لا يعرف أولها ، وتبذوا العمران وفضلوا الصحراء وعاشوا على ألبان الأنعام ولحومها . .

وعرف بنو معقل الذين وفدوا مع بني هلال ، وسيطروا على أدرار عام ١٦٦٨ م ، ثم تجانت عام ١٦٨٠ م ، وبلغوا حدود السنغال وتأسست إمارة الترازرة من قبل عام ١٦٣٢ وقد اعترف بها سلطان فاس بعد أن تولى هذه الامارة صفوى حسن . . وخلال هذه الفترة التاريخية استنجد الصنهاجيون بالمعاقل ضد غارات الزنوج ، ونجحت مجموعة تنتسب إلى صفوى حسن في السيطرة على البلاد ، وعرفوا منذ هذا الوقت ببني حسان واندثرت اللغة البربرية وتخلى أبناء صنهاجه عن اللثام ، وشاعت اللهجة الحسانية التي تتضمن بعض الفاظ صنهاجه . وتم الامتزاج بين البربر والعرب ، وأطلق على سكانها « المور » أي السمر باللغة اليونانية كما أطلق الاسبان اسم المور على العرب الذين غادروا الأندلس .

ومن ناحية اخرى شهدت بعض مناطقها الجنوبية قيام عدة امارات سودانية مثل غانا في القرن السابع ، والتكرور وأودغشت في الجنوب الشرقي ، وأمكن للاسلام في النهاية خلق وحدة في البلاد .

السلم الصارم

ومن التاريخ الى الحاضر : فالتاريخ ما زال حيا محفوظا يلقي بظلاله على العديد من جوانب الحياة الاجتماعية ، فما زال التميز القديم في أعماق الصحراء بين البدو الأنقياء وغيرهم من الهجناء ؟ واستمر البدوى يتعالى على العمل اليدوى ، ولا يعترف سوى بالرعى حرفة له ، ومازال تقسيم البيضان إلى خمسة اقسام قائما : المحاربون ورجال العلم والمحاظر والحرفيون والحراطون ، ثم الأتباع والخدم .

وبقي المحاربون وإن تركوا السلاح ، وبقي « الحراطون » يشكلون أغلبية الرعاة ، وقد يستقلون بذاتهم ويكونون جماعات مستقلة ويملكون قطيعهم الخاص . . ولكن دائما يلاحقهم وضعهم الاجتماعي ويلتحقون بالقبيلة التي يحملون اسمها ، ويأتي « الحراطون » في درجة أدنى من السلم الاجتماعي ، والكلمة تعني الحر الطارىء والذين يتألف منهم العتقاء الذين نالوا حريتهم ، وفي الجماعات المستقرة يشكل الحراطون الأيدي العاملة الزراعية الرئيسية . .

وما زالت فئات أخرى في قاع السلم الاجتماعي مثل (الأكاون) الموسيقيين والمغنين والمداحين والمضحكين والمهرجين ، الذين يقومون بدور الترفيه ، ولم يواجهوا صعوبة في استمرار عرض فنونهم ولم يعودوا في كنف قبيلة كما كان في الماضي .

ومن بقايا هذه الفئات أيضا « الايمراجين » الذين يمارسون بعض الحرف مثل صيد الاسماك ، ويربط بينهم الاكواخ والخيام ويعيشون في منطقة تمتد من تيميراس حتى نواذيبو ، وما زالت بقية منهم تعيش في مجتمع مغلق له عاداته وتقاليده وتمتلك قطعا من أخشاب الشجر لصنع القوارب . ويأتي دخل الايمراجيين من البحر ، ومنهم من يعيش بعائلاتهم في قوارب كبيرة ويتحركون في البحر وراء الاسماك ، وأحيانا يبقون في البحر ثلاثة شهور بين اكتوبر وديسمبر . . وقد حدث تغير جوهري في حياتهم بعد تطوير ميناء نواذيبو ، وفضل الكبار البقاء على الساحل وفضل الشباب مغادرة أكواخ القش المتواضعة وانتقلوا الى ميناء الصيد الحديث .

القرآن الكريم معها في كل مكان .



وبقيت مخلفات هذا التقسيم في عصر لا يعرف العزلة وأصبحت المساواة احدى سماته الرئيسية ، مما جعل ثمن بقاء هذا السلم الاجتماعي فادحا ، فمثلا يتضامن الجميع ضد هيمنة الأسياد القديمة ، وكان لهذا التضامن أثر على كتابة اللغات الافريقية بالحروف اللاتينية بدلا من العربية ، ويتحالفون مع استمرار اللغة الفرنسية في التعليم والدوائر الحكومية . كأحد اشكال التعبير عن الاحباط الناتج عن القهر الاجتماعي !

ولا يمكن أن تعود موريتانيا كهمزة وصل ونقطة اتصال بين العرب وافريقيا الا اذا أصبحت وطنا للجميع على اساس المساواة الكاملة والا فستحول من همزة وصل الى بؤرة صراع . !

مشروع لم يكتمل

وربما أدت هذه الاوضاع التقليدية الى أن تصبح مشروعا لم يكتمل ، وقد تنازعها قبل اتجاهان ، أحدهما الارتباط بالمغرب ، والثاني الاتحاد الكونفدرالي بينها وبين مالي والسنغال ، وعند استقلالها وقفت الدول العربية مع انضمامها للمغرب ووقفت الدول الافريقية مع استقلالها . .

ويتجاذبها اليوم غرب أفريقيا من جانب وشمالها من جانب آخر ، فهي تقع في الركن الجنوبي الغربي لافريقيا في النطاق الصحراوي الذي يعتبر أكبر اتساع للاراضي الجافة في العالم ، وهي عضو مؤسس في منظمة الوحدة الافريقية والمنظمات الافريقية المختلفة ، وعضو ايضا في جامعة الدول العربية ومنظماتها المختلفة من جانب آخر ، وهي تشترك في ذلك مع كل الدول العربية الافريقية ، وهي عضو في المنظمة الافريقية لاستثمار نهر السنغال ، وعضو في المجموعة الجمركية والاقتصادية لافريقيا الغربية ، واللجنة الدولية لمقاومة الجفاف . وعضو في مجموعة دول برازفيل ، أي المجموعة الملجاشية الفرنسية . .

ولعلنا نستطيع من خلال نواذيبو ، المحطة الاخيرة في رحلتنا ، أن نطل على موريتانيا المستقبل ونشهد جانبا من محاولتها كسر طوق الماضي ، ومنها أيضا نطل على الوضع الاقتصادي وآفاقه ونرى الفجوة الكبيرة بين غناها بالمصادر الطبيعية مثل الحديد والجبس والنحاس الاصفر وبين عجزها الاقتصادي . .



أحد الجوامع في نواذيبو على طراز الملوية في العراق ، وابن طولون في القاهرة .

نواذيبــــو

ان نواذيبو بحق هي العاصمة الاقتصادية لموريتانيا ، التي تقع وسط منطقة غنية بالمناجم والمعادن فمطارها اكثر حداثة من مطار نواكشوط ، وعلى اتصال مباشر مع سان دلماس (جزر الكناري) وباريس . .

وهي منطقة أكثر تميزا من نواكشوط ، سواء في دورها الاقتصادي أو مينائها الحديث أو جوها المعتدل ، أووحدة سكانها . ونلمس فيها ايضا الثمن الفادح الذي تدفعه موريتانيا نتيجة استمرار نزاع الصحراء المتاخة لحدودها الشمالية . .

أطلق عليها في العهد الاستعماري « بورت آتين » ، ثم عاد اليها اسمها التاريخي عندما كانت العاصمة نواذيب ، وتقع في اقصى الجهة الشمالية الغربية في و الرأس البيضاء ، وتبعد عن نواكشوط العاصمة نحو ٢٨٠ كيلو مترا . .

وقد اقيم ميناؤها عام ١٩٠٥ ، ويتميز بالهدوء لعدم وجود عواصف بحرية ، ويقع على أغنى المناطق البحرية بالأسماك ، وقد تم توسيعه ليتم منه شحن المعادن المستخرجة من المناجم المحيطة ، ويبلغ عمق المرفأ ١٥ مترا ، وغدا الميناء منذ عام ١٩٦٣ قادرا على استقبال بواخر سعة ٣٠٠ طن ، وزود بغرف للتبريد لحفظ الأسماك وشحنها الى الخارج .







ملامح عربية وزنجية ، والثوب والدراعة ، والعمامة والطربوش واللثام وشرب لبن الناقة والسواك ، من مظاهر التنوع البشرى فى موريتانيا .





شهدت المدينة نموا سريعا ، فبينما كان عدد السكان عام ١٩٦٢ حوالي خمسة آلاف و ٢٨٣ نسمه ، ارتفع عددهم عام ١٩٧٢ الى ٢٤ الف نسمه وعام ١٩٧٥ الى ٢٩ الف نسمه ، وتتكون غالبية السكان من عمال المشروع الصناعي لاستخراج الحديد ، وعمال مشروعات الصيد والصيادين التقليديين،وتتكون الطبقة العمالية من المهاجرين البدو الذين تركوا مهنه الرعي والتحقوا بالعمل في الشركات الصناعية ، ومن الفلاحين المعدمين الذين أتوا اليها بحثا عن العمل ، وضعفت فيها العلاقات القبلية وقام مجتمع جديد .

أما المناجم المحيطة بها فكان أقدم ما كتب عنها ، ما سجله الرحالة العربي البكري الذي وصفها عام ١٠٦٧ ميلادية ، عندمااسترعت انتباهه خامات الحديد في « كدية الجل » بلونها الأسود وارتفاعها الشاهق ، والذي تبين انه يقع في « أدرار التوازل » على الطريق بين درعه وغانه كما ذكر جبل لمتونه بمنطقة أدرار .

وفي البحث المغناطيسي الجوى الذي قامت به السلطة الفرنسية عام ١٩٥٥ ثبت وجود مركزات الحديد في موريتانيا ، وتجمعت حصيلة وافية عن موارد موريتانيا المعدنية والتى أهمها خامات الحديد في كديه الجل ، والتى لا تحتاج الى جهد كبير لاستخراجها والتى قام عندها أضخم مشاريع استخراج الحديد في العالم العربي ، ويقوم خط سكة حديد بربط مناجم الزويرات بميناء التصدير في نواذيبو ، وهو أطول قطار سكة حديد اذ يبلغ عدد عرباته ١٩١ عربة ، وتقع المناجم على بعد ٦٥٠ كيلو متر . وقد ثبت وجود كميات كبيرة من النحاس في منطقة أم قرين على بعد ٤ كيلو مترات غرب اكجوجت ، وتبلغ احتياطيات النحاس ٦٠٠ الف طن من فلز النحاس ومعها ٤٧٫٣ طن من الذهب .

وثالث المشروعات التعدينية يقوم على استخراج الجبس ، الذي قدرت احتياطياته بحوالي مليون طن .

وشاهدنا مشروعا ضخما يعمل فيه عدد كبير من العمال الموريتانيين عندما زرنا مقر الشركة الوطنية للصناعة للمناجم (سنيم) ، التى تساهم في رأسمالها عشر دول من بينها الكويت وأنشئت الشركة أيام الاستعمار الفرنسي تحت اسم « ميرفيرما » ، وتم تحويلها الى شركة وطنية عام ١٩٧٤ ، وزاد رأسمالها عن طريق الاكتتاب العام ، وتصدر مناجم الزويرات الحديد لأغلب دول السوق الاوربية واليابان ، وتم تصدير ٩ مليون طن في عام ١٩٨٢ .



عبد الودود ولد الشيخ

وتعتبر الصعوبة امام استغلال مناجمها نقص رؤوس الأموال ، والتقنية القادرة ، وخاصة بعد أن انخفضت أسعار المواد الخام خلال العام الماضي ، ولايوجد في موريتانيا سوى مصنع لتحويل الحديد الخردةالى قضبان ويلاحظ أن التبادل التجاري بين موريتانيا والعالم العربي ومع الدول الافريقية لايكاد يذكر مما يجعلها أسيرة للأسواق الغربية . .

صيد السمك

رغم غنى الأرض بالمعادن ورغم غنى الساحل بالثروة السمكية تعانى من نقص رأس المال ، وتعتبر نواذيبو عاصمة الصيد وعاصمة تصدير الاسماك ، واقتصرت علاقة موريتانيا بثروتها السمكية حتى عام ١٩٧٩ على مجرد إصدار التراخيص ، فكانت أساطيل الصيد التابعة للدول الأجنبية تستغل سواحلها كلها ، ولا يعود على موريتانيا شيء من ثروتها . .

وفي إطار البحث عن موارد ، قامت الحكومة باستبدال التراخيص بتأسيس شركات تضم طرفا موريتانيا سواء كان حكوميا أو خاصا كشرط لاصدار تصاريح الصيد وقامت شركات مشتركة مع كل من الجزائر وليبيا والعراق وكوريا الشمالية والجنوبية ونيجيريا والسنغال والاتحاد السوفيتي وأسبانيا وفرنسا والمانيا .

يهدد العاصمة الصناعية ، وأعلنت موريتانيا استعدادها للانسحاب عندما ينتهي النزاع حولها ، وقد أدى موقف موريتانيا من قضية الصحراء الى توتر علاقاتها بالجزائر حينا وبالمغرب حينا آخر ففي البداية عقدت اتفاقية بين موريتانيا والمغرب حصلت موريتانيا بمقتضاها على الثلث الجنوبي من الصحراء ، التي تضم حوالي ربع السكان وتقطنها قبائل الرقيبات المنتشرة شمال موريتانيا وحول نواذيبو .

ودفعت موريتانيا في هذا الصراع ما لاطاقة لها به بعد أن أصبح لها ٢٠ الف جندي في الصحراء ، وهو ما لا يتحمله الاقتصاد الموريتاني ، وجاءت الغارة التي قام بها البوليزاريو على نواكشوط مستخدمين الابل وسيارات اللاندروفر في منتصف عام ١٩٧٦ لتحدث أكبر الأثر في الحياة السياسية الموريتانية بما اعقبه من تداعيات أدت إلى اتفاقية الجزائر بين موريتانيا والبوليزاريو والتي انسحبت على اثرها القوات الموريتانية من الصحراء ، لكي تحل محلها القوات المغربية . وبسبب هذا الصراع قطعت علاقاتها بالجزائر وتحالفت مع المغرب ، ثم عادت وتوترت مع المغرب وتوثقت مع كل من الجزائر وليبيا .

وقد اعلنت الحياد الذي ثبت صعوبته نتيجة التصاقها بالمشكلة ونتيجة الامتدادات السكانية ، فالرقيبات يمتدون عبر الحدود القائمة ، من تندوف حتى شمال موريتانيا . وأدت هذه الصراعات الى صياغات جديدة لم تستقر بعد ، لعلاقات موريتانيا بدول شمال افريقيا .

وأخيرا .

يظهر في القول الذي كثيرا ما تردد على مسامعي في موريتانيا فكرة المشروع الذي لم يكتمل ، يقال ، إن نواذيبو ذات علاقة خاصة بالصحراء ، ولروصو علاقة خاصة بالسنغال ، ولنعمه علاقة خاصة بمالي ، وللزويرات علاقة خاصة بالجزائر ولأطار علاقة خاصة بالمغرب !

أما المشروع الذي قطعت فيه موريتانيا خطوات واسعة ، فهو أن تعود جسرا بين الدول العربية في شمال افريقيا ، وهمزة وصل بين العرب والزنج ، .

ويومها يعود دور شنقيط التاريخ . . ○

مصطفى نبيل



والي القوارب أو روصو

واستمر السمك يسوق خارج موريتانيا ، فلم يوجد ما يشجع سفن الصيد على احترام العقود وتقدير كمية السمك المصدر لكي تتقاضى الدولة حقها من الضريبة ، وكانت حجة الشركات عدم كفاية الخدمات البرية كالمخازن وعدم توفر المازوت والثلج وارتفاع تكاليف الخدمات ان وجدت ، وعدم انتظام الجمارك واجراءاتها بالمقارنة مع لاس بالماس أو دكار .

وعادت الحكومة واتخذت قرارا بضرورة تسويق السمك بعد وصوله الى نواذيبو ووضعت خططا جديدة لكي تصبح نواذيبو مركزا دوليا لتسويق السمك ، وضمان الحصول على الرسوم المقررة ، وأخذت البحرية الموريتانية تشرف على تنفيذ هذا القرار ، مما أدى الى أزمة سياسية حادة مع أسبانيا .

القويرة !

وتطل من نواذيبو أيضا على الصراع الذي يجري في الصحراء ، والذي كثيرا ما تقع البلاد فريسته . وفي الطريق الى مصنع وميناء تصدير الحديد تشاهد مدينة القويرة أقرب مدن الصحراء الى موريتانيا والتي تقع على مرمى البصر ، وقد بقيت تحت السيطرة الموريتانية رغم انسحاب القوات الموريتانية من الصحراء فالانسحاب منها

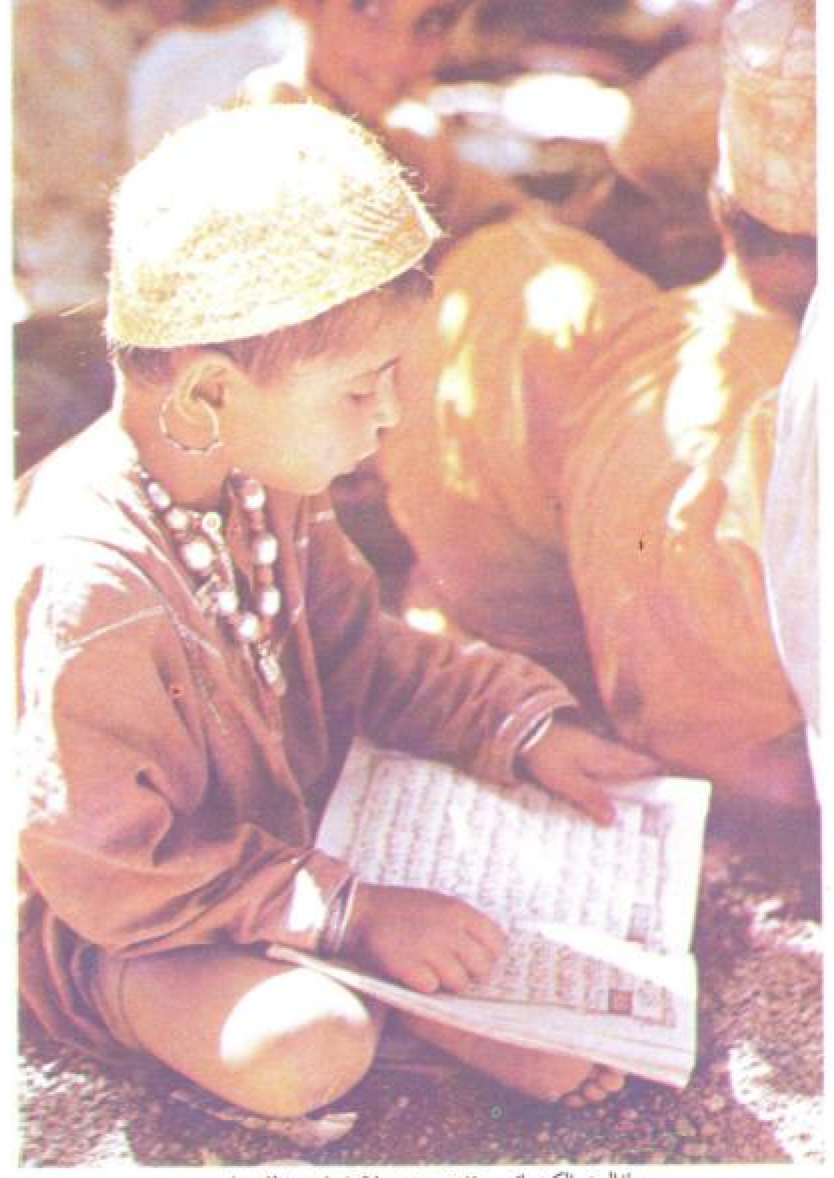
ذكر ما جرى للعلم الذي باض في مكة ونهض إلى عُمان

بقلم : فهمي هويدي

ثمة مثل شائع في عمان يقول ان العلم باض بمكه ، وفرخ بالمدينة ، وطار الى البصرة ، ثم نهض الى عمان . . ماذا جرى له بعد ؟ . . هنالك حاولت العثور على اجابة للسؤال .

ولأن الأمر متعلق بالعقل العماني ، فان رحلة البحث وراءه لم تكن سهله بأية حال . فعمان ليست من البلدان التي يمكن ان يستوعبها المرء من قراءة كتاب أو اثنين أو حتى خلال زيارة لبعض المعالم والارجاء . ليست بلدا مسطحا تكتشفه من أول نظرة وانما هي بلد له أعماقه واسراره ، وله قدمه الراسخه في التاريخ ، وان جار عليه الزمن ، ، وشاء مقسم الارزاق أن يعطي لعمان حظا أوفر من الماضي ، ويعطي لغيره حظا أوفر من الحاضر والمستقبل . بحيث اصبحت خزائن الكتب من نصيب عمان ، وخزائن المال من نصيب غيرها .

واذا جاز لي أن ألخص الاجابة التي حصلت عليها بعد ثاني رحلة الى عمان ، فقد أقول انّ ما نهض اليها من علم منذ قرون خلت ، لا يزال في اطاره الذي كان عليه منذ نزح عن البصرة طائرا من المدينة . فاذا كان الفقه والشعر هما أساس المعمار الثقافي في ذلك الوقت المبكر ، فهما



مازالت الكتاتيب تؤدي دورها كقاعدة للتعليم .
تقوم اساسا على حفظ القرآن الكريم والاحاديث النبوية .

لايزالان يؤديان هذه الوظيفة في عمان حتى الآن . وتلك رحلة يمكن رصد بدايتها في القرن الثاني الهجري بكتاب الديوان للامام جابر زيد العماني مؤسس المذهب الاباضي الذي يقال انه أول ما ألف في الاسلام . وقد صنف في عشرة أجزاء كبار ، حتى يروى انه كان في حجمه حمل بعير . وآخر ما يمكن ان نقف عنده في تلك الرحلة هو كتاب سلاسل الذهب في الاصول والفروع والادب الذي صدر في آخر اعوام القرن الرابع عشر الهجري . وهو من تأليف أحد الفقهاء العمانيين الأحياء ، القاضي محمد بن شامي البطاش .

ومن مصادفات القدر ان يكون الكتاب الاخير في عشرة اجزاء ايضا وان يكون قوامه الفقه كما في كتاب الامام جابر ، وان اختلف الاثنان في ان الاول كتب نثرا ، والثاني كتب شعرا في مائه الف بيت . وهي مصادفه كذلك

ان يكون خطاب أول من اسلم من اهل عمان الى النبي صلى الله عليه وسلم بالشعر ايضا . اذ تذكر المراجع التاريخية ان مازن ابن غضوبه كان أول عماني دخل الاسلام ، وانه ذهب الى النبي صلى الله عليه وسلم وقدم نفسه بأبيات من الشعر قال في مطلعها :

اليك رسول الله خبت مطيتي
تجوب الفيافي من عمان الى العرج

واذ يلاحق المرء اينما اتجه هذا التماثل المثير للانتباه في أسس المعمار الثقافي ، فإنه قد يلتبس عليه بين الحين والآخر حتى يخيل اليه ان الطائرة التي حملته الى العاصمة مسقط لم تكن واسطة نقل من مكان الى مكان ، وانما كانت التقله من زمان الى زمان آخر . وكلما اوغل المرء في عمان للداخل ، تملكه شعور بأنه يغوص في أحد مستودعات التاريخ ، مقتربا من عصور خلت واندثرت ، وانه يقينا ـ ليس في القرن العشرين .

شاهد الماضي والحاضر

فأنت في عمان تطوف بمتحف مسكون ، ارتدت بعض اركانه اقنعة عصرية ، لكنها من ذلك النوع الذي يظل عاجزا عن تغير المعالم والقسمات ، لا لضعف في الأقنعه ذاتها ولكن بسبب القوة الكاسحه التي يتمتع بها حضور التاريخ .

فلقد قدر لهذا الكيان العربي الأصيل أن يولد في عصر ما قبل الميلاد وان تتكون بذرته في التقاء هجرتين عربيتين ، احداهما تمت في زمن غير معروف (ربما كان القرن السابع ق . م) من نجد في قلب الجزيرة العربية . وذلك في اعقاب جفاف حل بتلك المناطق فنزحت قبائلها ممن يعرفون بالنزاريين الى جبال عمان وسواحلها ، وثانية الهجرات جاءت من اليمن في القرن الثاني قبل الميلاد ، بعد انهيار سد مأرب وما احدثه من اغراق ودمار ، الأمر الذي دفع بموجات من القبائل اليمنية التي هاجرت الى ارض عمان ممن عرفوا فيما بعد بالقحطانيين او الازديين . وهناك ـ في عمان ـ تعايش عرب الشمال وعرب الجنوب منذ اكثر من عشرين قرنا ، كانوا خلالها شهودا لكل التقلبات والتحولات التاريخية التي شهدتها الجزيرة العربية ، من الجاهلية الى الاسلام ، ومن المجد الى القحط الى النفط .

ولم تكن عمان شاهدة على تاريخ شبه الجزيرة العربية فقط ، وانما ساعدها اطلالها على خليج عمان وبحر العرب على أن تكون شاهدة على العديد من حضارات العالم القديم . اذ انها باتت ـ وما زالت ـ تسيطر على اقدم واهم الطرق التجارية البحرية في العالم وهو الطريق البحرى بين الخليج والمحيط الهندى . الذي كانت تعبره القوافل التجارية فيما بين الشرق الاقصى وفينيقيا والبندقية على ساحل البحر الابيض واوربا .

هذا الموقع الفريد اسهم في ازدهار النشاط الملاحى التجاري لدى العمانيين . حتى قيل ان عمان عاشت عصرا ذهبيا استمر سبعة قرون فيما بين القرنين الثاني والتاسع الهجريين (٧٥٠ ـ ١٥٠٧ م ـ) حيث لعبت المنطقة دورا بارزا كوسيط تجارى بين الشرق والغرب . واشتهرت مسقط وصحار بين مدن عمان باعتبارها من اهم المراكز التجارية ، حتى قال بعض الجغرافيين عن عمان انه (يقصدها كل سنة من تجار البلاد مالا يحصى عددهم) ووصفها آخرون بانها (دهليز الصين ، وخزانة الشرق والعراق ، وغوث اليمن) .

ورغم أن هذا هو شأن عمان فيما يتعلق بخطوط التجارة والملاحة بين الشرق والغرب ، الا انها بحكم موقعها في الركن القصى جنوب شرقي الجزيرة العربية ، ظلت في الوعى العربي بلدا بعيدا ونائيا . حتى قيل ان عبد الله بن عمر روى عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله « اني لأ علم ارضا من ارض العرب يقال لها عمان على شاطىء البحر ، الحجة فيها أفضل أو خير من حجتين من غيرها » وروى عن الحسن البصرى ان المراد بقوله تعالى (يأتين من كل فج عميق) ، أي يأتين من عمان .

ولم ينشأ هذا الانطباع من فراغ ، وانما هو تعبير عن واقع جغرافي عاشته عمان كاد يعزلها عن شبه الجزيرة العربية والعالم عامة . وقد لا نبالغ ان ثمه حصارا فرضته الطبيعة حول عمان ، حيث طوقتها المياه من ثلاثة جوانب (الخليج العربي شمالا ، وبحر العرب جنوبا ، وخليج عمان شرقا) ، في حين وقفت صحراء الربع الخالى كحاجز برى حجب عمان من الغرب . وقد ادى ذلك الى جذب انتباه العمانيين الى البحر باكثر من البر . ولذا لم يكن غريبا ان تزدهر فيها صناعة السفن والملاحة . فتنطلق منها رحلة السندباد الى جنوب الصين ، ويبرز بين رجالها ملاح ماهر وشهير مثل احمد بن ماجد (الذي يقال انه هو الذي ارشد الملاح البرتغالي فاسكو دجاما الى الهند في اواخر القرن الخامس عشر) ، ولم يكن غريبا ان يكون امتداد عمان وتوسعها في منطقة شرق افريقيا ، حتى اصبحت زنزبار جزءا من السلطنه ، واتخذ منها السلطان

سعيد عاصمة لمملكته عام ١٨٣٢ م ، وكان يحكمها وال من قبل سلطان عمان حتى ستينات القرن الحالي . ولم يكن غريبا ان تكون عمان هي ثاني دولة ـ بعد المغرب تعترف بالولايات المتحدة الامريكية وتعقد اتفاقا تجاريا معها سنة ١٨٣٣ ، بينما لم تلتحق بالجامعة العربية الا في عام ١٩٧١ .

وكما لعبت الجغرافيا دورها في عزل عمان عن العالم العربي فإنها أحدثت تأثيرا مماثلا في داخل البلاد ذاتها . فثمة جبال شاهقة تقطع عمان من الشمال الى الجنوب ويصل ارتفاع بعضها الى عشرة آلاف قدم فوق البحر كما في الجبل الاخضر ، وهذه السلاسل قسمت البلاد الى مناطق متباينة تعاني من صعوبة الاتصال فيما بينها ، بسبب وعورة الطرق الجبلية . وذلك خلق نوعا من العزلة بين المناطق الساحلية والداخلية . ففي حين أصبح الانفتاح على عالم وراء البحار والتجارة والملاحة والصيد والغوص من نصيب مناطق الساحل ، ظلت مناطق الداخل اكثر انغلاقا وانعزالا للعالم ، واكثر اشتغالا بالرعي والزراعة .

ومن مصادفات القدر أن يتوفر لعمان تنوع في المواد الاقتصادية يهيىء لها امكانية الاعتماد على النفس كأنما كتب عليها ان تعيش ثنائية الاكتفاء والانكفاء . وربما كانت عمان هي الدولة الوحيدة في شبه الجزيرة العربية التي بلغت شأوا مرموقا في مجالات الزراعة والصيد والملاحة والتجارة (اضيف النفط الى الموارد بعد اكتشافه في أواخر الستينات) ، وتوفر لها ذلك على مدار التاريخ ، حتى وصف البشار المقدسي بلدة صحار ـ قصبة عمان ـ بأنها « بلد عامر ، آهل ، حسن طيب ، نزه ، ذو يسار وتجار ، فواكه وخيرات ، اغنى من زبيد وصنعاء » . وقال ابن بطوطه عن عمان « كلها ذات انهار وحدائق واشجار ونخل .. بينما قال عنها ابن خلدون « بها مياه وبساتين واسواق ، وشجرها النخيل » .. وحتى شاعت بين العرب مقولة ، ينسبها البعض الى النبي صلى الله عليه وسلم مؤداها انه : من تعذر معه الرزق فعليه بعمان .

الجغرافيا كتبت التاريخ !

والثابت أن تلك العزلة التي فرضتها الجغرافيا على عمان عكست آثارا بعيدة المدى على مسارها عبر القرون ، حتى اننا لا نبالغ اذا ما قلنا ان جغرافية عمان هي التي كتبت تاريخها . والقاريء لمؤلفات العمانيين وبالأخص ما كتبه مؤرخهم الأشهر نور الدين السالمي في تحفة الأعيان » ، فضلا عن ابحاث ندوة الدراسات العمانية التي عقدت بمسقط في أواخر عام ١٩٨٠ ، يستطيع ان يرصد العديد من تلك الآثار .

أول هذه الآثار وأهمها ان عمان باتت معقلا للاباضية الذين ينسبون الى عبد الله بن اباض ، وإن كان المؤسس الحقيقي للمذهب هو الامام جابر بن زيد العماني الذي يعد من أبرز التابعين وأوسعهم علما . فقد هيأ البعد والانعزال الجغرافيين الفرصة لدعاة المذهب الاباضي لكي يبثوا فيها افكارهم بعيدا عن الملاحقات التي كانت تتعقبهم منذ العصر الأموي . وهذا شأن الفرق التي رفضت التحكيم بين الامام علي بن أبي طالب ومعاوية ، والتي عرفت فيما بعد بأسم الخوارج وعبرت عن رفضها هذا بأساليب تتراوح بين الكلمة والسيف . وعندما تمكن معاوية لاحقهم جميعا . فانتشروا في الاماكن القصية من عالم الاسلام وقتئذ . وبالنسبة للاباضية فقد احتموا بعمان وحضرموت واليمن وبلاد المغرب العربي .

وقد لعبت الجغرافيا دورها في تحديد حجم نفوذ المذهب الاباضي في كل من تلك المناطق . ففي حين قضى الأمويون في وقت مبكر على إمامة الاباضيه في حضرموت واليمن ، حتى لم تقم للمذهب قائمة بعد ذلك . وفي حين قضى الفاطميون في آخر القرن الثالث الهجرى على الدولة الرستمية الاباضية التي قامت في المغرب ، الأمر الذي قلص نفوذ الاباضية ودفعهم الى الاعتزال في اعماق الصحراء الكبرى ، فان الامر اختلف تماما مع عمان . فرغم أن الأمويين ممثلين في الحجاج بن يوسف قضوا على امامة عمان الاولى في النصف الاول من القرن الثاني الهجرى ، الا أن الامامة استمرت بعد ذلك ، وكانت الجغرافيا هي خط الدفاع عنها ، وظلت السيادة للمذهب الاباضي منذئذ وحتى الآن . وارتبطت عمان بالاباضية ارتباط مصير ، بحيث لم يعد ممكنا فهم عقل هذا البلد بمعزل من تاريخ المذهب الأباضي .

من بين تأثيرات جغرافية عمان على تاريخها أن المجتمع ظل محتفظا عبر مساره الطويل بشخصيته وتقاليده وأعرافه ، بل وأنسابه وقبائله ، دون أى تأثير او تطعيم من الخارج . واذا كانت كل دول المنطقة قد تعرضت بدرجات متفاوتة لتيارات التغيير الاجتماعي والثقافي الوافدة من هنا وهناك ، فان العزلة الجغرافية التي توفرت لعمان جنبتها مواجهة هذه التيارات ، فضلا عن أن بعد عمان نسبيا عن قلب الدولة ومركز السلطة ايام سطوة الخلافة الاسلامية جعل أهلها قادرين على الاحتفاظ بحريتهم ليس السياسية والادارية فحسب ، بل والفكرية والعقائدية أيضا .



بسم الله الرحمن الرحيم

الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين

الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلوة

ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما انزل

اليك وما انزل من قبلك وبالاخرة هم يوقنون

اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون



نموذج لاحد المصاحف المخطوطة المنتشرة في البيوت العمانية القديمة (يمين) والصورة الفوقية لحلقة . علم في العراء يتصدرها شيخ الحلقة وقد جلس حوله التلاميذ الذين تجاوزا مرحلة الكتاب .

وبسبب عزلة عمان فانه لحق بها ظلم كبير في التاريخ الاسلامي ، تمثل في تجاهل ما يجرى فيها أو الجهل به . اى أنه ظلم من شقين ، احدهما عام اصاب كافة مناطق الاطراف في العالم الاسلامي ، حيث كان المؤرخون المسلمون يركزون كل عنايتهم واهتمامهم بما يجرى في قلب الدولة وعواصم الخلافة فيها ، والثاني خاص ، نشأ عن الربط بين الاباضية والخوارج ووضع الجميع في سلة واحدة ، وفي خانة الاتهام على الدوام . ورغم ان النقطة الاساسية التي التقى فيها الاباضية مع الخوارج هي فقط رفضهم التحكيم بين علي ومعاوية ، في حين اختلفوا معهم في غير ذلك - الا ان عزلة عمان لم تتح للعلماء والمؤرخين المسلمين ان يتعرفوا عن قرب على المذهب الاباضي ليضعوا تعاليمه وأتباعه في كتاباتهم وكان من نتيجة ذلك أن قوطعت عمان تقريبا في المصنفات الاسلامية العامة . فعلماء الاباضية ، وهم كثيرون لا يشار اليهم في كتب الطبقات التي تعرِّف بكافة الفقهاء .

بسبب الجغرافيا أخيرا فان عمان اصبحت اكثر - استعدادا للانعزال والانغلاق . حتى بات يسيرا على السلطان - اذا اراد - ان يوقف عجلة التاريخ فيها ، ويحكم سد المنافذ من حولها . واقرب مثل على ذلك هو ما حدث خلال عهد السلطان سعيد بن تيمور . الذي حكم عمان حوالي اربعين سنة كبيسه ، عاشت البلاد خلالها في ظل تعتيم مطلق ، لم تتحلل منه الا في بداية السبعينات عندما تولى الحكم السلطان قابوس بن سعيد .

أول الشهود وزارة التراث

تشكل هذه الاعتبارات في مجموعها مفاتيح ضرورية لفهم طبيعة الواقع العماني ، وقراءة الواقع الثقافي بالتالي . ولعلها تشكل - ايضا - حيثيات تدعم الانطباع الذي خرجت به من زيارة عمان ، والذي سجلته في البداية ، محاولا تلخيص الاجابة عن السؤال : ماذا جرى للعلم الذي نهض الى عمان من البصرة ؟

وكما يحدث في كل قضية يرجع فيها حكم وتطرح حيثيات ، فلا بد ان يتم ذلك في ضوء استماع لأقوال الشهود ، وجمع للأدلة والقرائن .

وزارة التراث القومي والثقافة هي الشاهد الاول في القضية ، وسلطنة عمان هي الوحيدة في العالم العربي على الأقل التي انشأت في عام ١٩٧٦ وزارة للتراث القومي ، وجعلته مقدما على الثقافة ، بل ان المسئولية تجاه التراث طغت على الثقافة ، حتى باتت بعض الاوراق الرسمية لا تعنى كثيرا بذكرها ، مكتفية بالاشارة الى انها وزارة التراث وكفى .

وبالاضافة الى ذلك فان المرء يلاحظ من قراءة الخارطة الاداريه انعكاسا ملفتا للنظر للمفهوم الخاص للثقافة - بالمعنى الاصطلاحي وليس العلمي - المستقر في عمان . يلاحظ مثلا أن وزارة التراث تعنى أساسا بالمخطوطات والشعر ، بينما يعنى جهاز رعاية الشباب بالقصة ، فيما ترعى الموسيقى وزارة التربية والتعليم !

واذا كانت وزارة التراث والثقافة تعنى أيضا بالفنون الشعبية الا انه يفترض في التصور العادي أن مختلف الوان الادب والفن هي من صميم اختصاصها ، سواء تعلق ذلك بالقصة او المسرح او الموسيقا . واذا كان هذا هو التصور الطبيعي الذي يمكن ان ينتهي اليه الامر مستقبلا ، الا ان ما يستوقفنا في الوقت الراهن هو التركيز العماني على الشعر واعتباره المقابل الأساسي للثقافة . وذلك ليس مستغربا في عمان ، فاذا كان الأصل في المثقف أن يكون فقيها ، فالاصل في الأديب أن يكون شاعرا . ولا أريد أن أقول أن الأصل في العماني أن يكون شاعرا ، اذ الشعر فيه تعبير فطرى ، بينما الفقه علم مكتسب ، وتلك نقطة سنعود اليها بعد قليل على أية حال .

في الشق المتعلق بالتراث القومي نجد أن الاهتمام الرسمي توزع بين الآثار والمخطوطات . والآثار تتمثل أساسا في القلاع والحصون التي اقيمت منذ احتلال البرتغال لعمان في مطلع القرن السادس عشر . وهي فضلا عن قيمتها الأثرية والمعمارية الكبيرة ، فهي ايضا منتشرة بكثافة على طول الساحل العماني اساسا ، حتى يبلغ عددها اكثر من ٥٠٠ قلعة و حصن .

وربما كان الجهد الذي يبذل في المخطوطات أبرز وأظهر مما يبذل في صيانة الآثار وترميمها . ربما لأن المخطوطات تحقق وتنشر على الملأ بين الحين والآخر . ولعل ذلك يعد من أهم انجازات الوزارة التي استطاعت خلال ست سنوات أن تهيل التراب المتراكم على التراث العماني وتنبه الباحثين وجمهور المثقفين الى اهميته . وليس يهم عدد المخطوطات التي تم تحقيقها وطبعها ، ولكن الاهم هو هذا الحضور الذي تحقق للتراث العماني خلال تلك الفترة الوجيزة .

ولعل ما أنجز حتى الآن هو قطرة في بحر ، أو قل انه خطوة في رحلة الالف ميل . ذلك ان عالم المخطوطات العمانيه زاخر بالكنوز التي قد تحتاج الى عشرات السنين لاكتشافها . وللعمق التاريخي فضلا عن التعلق بكل ما يتعلق بالثقافة الدينية ، دورهما في إثراء هذه المخطوطات التي لا يكاد يخلو منها بيت قديم في عمان . وثمة تقدير مبدئي يقول أن بين يدى دار المخطوطات العمانية حوالي أربعة آلاف مخطوط ، بينما هناك مالايقل عن ٣٠ الف مخطوط عند مختلف الأسر والرقم قابل للزيادة . وتذكر المراجع التاريخية أنه في بداية القرن الثامن عشر شب حريق كبير في بلده الرستاق ، التي كانت وما زالت احد معاقل العلم ، فأتى على حوالي عشرة آلاف مخطوط ولم يبق منها على شيء . وهناك افراد من شيوخ البلاد لا يقل ما يقتنيه الواحد منهم عن الفين او ثلاثة آلاف مخطوط وهؤلاء لا يسمحون لاحد - ولا للدولة - بأن يطلع على تلك المخطوطات ، لأنهم يعتبرونها جزءا من رصيد الأسرة ومكانتها الاجتماعية . الأمر الذي منع الكثيرين من الاستجابة لنص قانون حماية التراث الصادر في عام ٧٧ ، والذي يطالب كل من لديه مخطوطات بأن يبلغ عنها الى وزارة التراث خلال عام واحد .

وقد أذن لي واحد من علماء عمان ان اطلع على مكتبته في بلده « بديه » التي تبعد ١٨٠ كيلو مترا جنوبي العاصمة مسقط ، وهو الفقيه المؤرخ الشيخ محمد بن عبد الله بن حميد السالمي ، وكان لديه فيما ذكر ، عدد « متواضع » من المخطوطات ، في حدود ٥٠٠ مخطوط فقط .

وتحتل كتب الفقه صدارة المخطوطات ، وهي تدور حول الفقه الاباضي بطبيعة الحال . ومنها كتاب « بيان الشرع ، لتضمنه معان من الاصل والفرع » ، الذي صنفه الشيخ ابو عبد الله محمد بن ابراهيم الكندى ، واكثر ما يلفت النظر في الكتاب حجمه وعدد أجزائه ، الذي يصل الى ٧٢ مجلدا . وفي المجلد الأول باب في الحث على طلب العلم ، وفيه يذكر الفقيه العماني انه سأل ابا مالك الذي يفهم من السياق أنه واحد من فقهاء الاباضية البارزين : ايهما افضل ، تعلم القرآن او تعلم العلم ، فقال فيه خلاف . فمنهم من قال تعلم القرآن أوثق لأنه الأصل ، ومنهم من قال تعلم العلم أولى ، لأن القرآن يؤخذ عن الثقات وغير الثقات ، والعلم لا يؤخذ الا عن الثقات .

وفي هذا الباب يسجل الفقيه الكندى مقولة العلم الذي باض بمكة وفرخ بالمدينة .. الخ ، ويتبعها بذكر قائمة الفقهاء الذين نقلوا العلم من البصرة الى عمان .

لكن كتاب بيان الشرع بأجزائه التي تجاوز السبعين لم يشف غليل فقيه عماني آخر هو العلامة جميل بن خميس السعدى ، فكتب منذ قرن ونصف قرن تقريبا تنقيحا له

الصفحة الأخيرة من مخطوطة كتاب الجامع لابن جعفر .

واضافات عليه ، واصدره تحت اسم آخر هو « قاموس الشريعة ، الحاوى طرقها الوسيعة » ، وجعله في ٩٢ مجلدا .

واذ يدهش المرء لتلك الهمة الجبارة التي دفعت فقهاء عمان الى الصبر على كتابة مصنفات بهذه الضخامة والشمول ، فانه لا يستطيع أن يحجب دهشته لاستمرارية هذا النهج ، الذي دفع مؤلف كتاب « الكفاية » لان يصدره في ٧٠ مجلدا ، « والخزانة » في عدد مماثل من المجلدات ، وكتاب المصنف في ٤١ جزءا ، وكتاب الضياء في ٢٤ جزءا ، وهكذا .

وغير هذه الكتب التي تعد في مرتبة الأمهات ، ففي الفقه الاباضي مجموعة أخرى من الكتب الجوامع ، مثل جامع ابن بركة ، وجامع ابن الحسن البيدى ، وجامع ابن جعفر الازكوى .. الخ

من ناحية اخرى ، تحتل كتب التاريخ والنحو والسير نصيبا متواضعا بين المخطوطات العمانية ، وأقل منه نصيب كتب الفقه والطب والعلاج الشعبي . ومن أهم المخطوطات التاريخية التي طبعت فيما بعد ، كتاب تحفة الاعيان ، للشيخ محمد بن عبد الله بن حميد السالمي (توفى سنة ١٩١٤) ، الذي الف حوالى ٢٢ كتابا بعضها في الفقه الاباضي ، الا ان « تحفة الاعيان » يظل ادق واوفى مرجع عن تاريخ عمان .

ومن المؤلفات الشهيرة في عالم الطب كتاب « الازرق » لمؤلفه محمد بن ناصر بن سليمان « وشذور الذهب في الصنعة الشريفة الكيمائية » ، وقد كتب شعرا ونظمه الحكيم الشزورى على بن موسى .

لماذا الفقه والشعر

ثاني الشهود هو مفتي عمان الشيخ احمد الخليلي ، الذي تولى منصب الافتاء ، وهو في سن الثالثة والثلاثين ، ولا يزال يعد أصغر المفتين سنا ، وان كان من المعهم واحفظهم للنصوص الشرعية والتاريخية ، وهو ان لم يكن شاعرا على غيرما جبل عليه الفقهاء العمانيون ، الا أن حصيلته من حفظ القصائد تعوضه عن نظمها .

والشيخ الخليلي يرى ان العلوم الشرعية هي المحور الذي تقوم عليه الثقافة عند المسلمين ، وان كل علم - وهذا نص كلماته - « اما ان يكون لخدمة الكتاب والسنة والعقيدة ، واما ان يكون قد وجد عند المسلمين بدافع من الشريعة » ، وان « معرفة تفسير الكتاب العزيز تتوقف في شق منها على معرفة العلوم الطبيعية والكونية » .

وتذكرنا كلمات مفتى السلطنة بالحوارات التي كانت تجرى قبل قرون بين الفقهاء حول العلوم النقلية والعقلية ، فيما انحاز بعضهم الى الأولى التي اصطلح على انها العلوم الشرعية ، واتخذوا موقفا سلبيا ومهاجما للعلوم العقلية ، وان قصد بها بالدرجة الاولى - وقتئذ - الفلسفة وعلم الكلام .

وكان مما قاله الشيخ احمد الخليلي أن حلقات العلم في المساجد لا تزال تشكل المعمل الاول الذي فيه تتشكل عناصر الثقافة العمانية ، وان بلدتي ازكي ونزوى تتصدران مراكز العلم والفقه ، فبهما تتعدد حلقات الدرس ويكثر الفقهاء وتتوفر المراجع والمخطوطات ،



فضلا عن وفرة الساخين الذين لا يزال جيل منهم على قيد الحياة ، وان كان زمن النسخ قد ولى .

وثالث الشهود هو كبير شعراء عمان الشيخ عبد الله الخليلي - الذي لا تربطه صلة قرابة بالمفتي - وقد طغت شهرته كشاعر على وظيفته كوكيل لوزارة العدل . وفي عمان - بالمناسبة - ليس هناك من هو متفرغ للشعر ، لا لتعذر ذلك من الناحية العملية فقط ، اذ الاكثرية شعراء ، ولكن ايضا لان التفرغ للشعر يشكل قيمة سلبية في المجتمع العماني فالتفرغ قد يبدو تعبيرا عن الارتزاق بالشعر والاتجار به ، وهو أمر لا يليق في بلد يعتبر الشعر خبزا يوميا يتعاطاه الجميع ولذا لا تستغرب ان يكون رئيس لجنة فحص الانتاج الشعري في مسابقة العام الماضي هو كريم الحرمي ، وزير البرق والبريد والهاتف ، فالرجل شاعر له باعه . ولا تستغرب ايضا ان يكون اشعر الشباب هو سالم الكلباني الذي يعمل شرطيا في العاصمة . . وهكذا . . .

والشيخ الخليلي يقول في تشخيصه للواقع الثقافي في عمان : ان ظروف السلطنة جعلتها أقرب ما تكون الى البيئة العربية الاولى . والعرب الاولون في رأيه ما كتبوا النثر الا في الفقه . لم يكتبوا الرواية او القصة ، وفي غير ذلك فقد ظلوا يعبرون عن وجدانهم شعرا . ولأن ثقافة الفقيه او الاديب والشاعر تظل محكومة بدائرة المعرفة والخبرة التي يكتسبها كل منهم ، فان عزلة عمان الجغرافية منذ القديم ، والسياسية فيما بعد ، وضعت حاجزا امام هؤلاء حجب عنهم الكثير مما يجري في العالم . . وكانت النتيجة أن ظلت معاناتهم الفكرية محدودة بابواب الفقه التي لم تتغير منذ قرون . كما ظلت الموضوعات الاساسية التي يعالجها الشعراء غير بعيدة عن تلك التي كان يطرقها شعراء العصور الاسلامية الأولى . ومنها التفاخر بالامجاد والمديح والحرب والغزل ، وان كان شعر المدائح النبوية او الشعر الصوفي (يسمونه السلوكيات) قد اختفى من الساحة العمانية منذ زمن . ويضيف الشيخ الخليلي انه بسبب التعليم الديني الذي ساد البلاد طوال القرون الماضية ، فان الادباء - كقاعدة - ظلوا يدخلون الى عالم الثقافة من باب الفقه . فالاديب يبدأ فقيها ، وقد ينتهي كذلك ، لكنه ايضا قد ينتهي شاعرا او مؤرخا او نحويا .

وبلدة « سمايل » التي تعد احد مراكز العلم والفقه ، هي ابرز معامل تفريخ الادباء والشعراء . وفي تقدير الشيخ الخليلي أن أكثر من ثلث الشعراء العمانيين البارزين نشأوا في سمايل . وهو يرجع ذلك لاسباب متعلقة



مخطوطة لقصيدة نهج البردة للبوصيري ، تقرأ في اكثر من

بالتاريخ ، حيث تميزت البلدة التي تتمتع بجمال طبيعي وبطقس معتدل ، بحيوية مناخها ، حتى اطلقوا عليها وصف « فيحاء عمان » . بالمناسبة ، فان مازن بن غضوبه الذي كان اول من اسلم من العمانيين ، وانشد الشعر أمام النبي صلى الله عليه وسلم كان من أبناء البلدة ذاتها) .

وفي رأيه ان الشعر العربي الاصيل - المقفى - سيظل يتربع على عرش الادب في عمان لاجل ليس بالقصير ، اما الشعر الحديث فلا يزال مستغربا على الاذن العمانية ، ولم يطرقه احد من شيوخ الشعراء (وان كان للخليلي محاولة واحدة من هذا النوع ، عالج بها مسرحية شعرية) اما الشعراء الشبان - يضيف الشيخ الخليلي - فربما كان بينهم من يكتب الشعر الحديث ، لكنها تظل محاولات محدودة وغير مرئية .

وهو يذكر بأن الشعر الحديث يحمل إيقاع عصر وبيئات لم تلحق بها عمان بعد ، وسيظل هذا اللون من



... وضع ، مرة بطريقة افقية ، ومرة بطريقة راسية .. وهكذا .

الشعر متسما بالشذوذ ، ما لم يكن نابعا من واقع اجتماعي وبيئي ينسجم معه .

ولأسباب متعلقة بالبيئة والمزاج الثقافي في عمان ، الذي لا يزال مشدودا الى أسلوب التعبير في المجتمعات العربية القديمة ، فإن مختلف ألوان الأدب والفنون الاخرى لم تأخذ مكانها المناسب في الساحة العمانية ، ينطبق ذلك على القصة والمسرح والموسيقى والفنون الشعبية وغيرها .

وقد كان هذا الواقع الثقافي لعمان سببا أساسيا في ترشيحها لتكون مسرحا لاسبوع الشعر الذي تنظمه دول مجلس التعاون الخليجي كل سنتين ، فيما اختيرت البحرين لمهرجان الاغنية الخليجية .

ورغم أن وزارة التراث والثقافة تتبنى تشجيع حركة الشعر في مسابقات سنوية إلا أن بعض الاجهزة

● العلم الذي باض في مكة

البيروقراطية تحاول أن توظف هذه المسابقات بشكل يضع بعض القيود على حرية ابداع الشعراء . والاعلان السنوي عن المسابقات يحدد نوعية القصائد المقدمة في موضوعين اثنين هما : نهضة عمان الحديثة ، وأمجادها القديمة ، الأمر الذي يقلل من اسهام هذه المسابقات في دفع حركة الابداع الشعري ، وان آثرت شعر المدائح والتغني بالامجاد دون غيرها .

رابع هؤلاء الشهود هو واحد من ابرز شعراء جبل الوسط ، سليمان بن خلف الخروصي الذي يعمل مديرا للعلاقات في وزارة التراث ، الذي يتفق تماما مع الشيخ الخليلي في تشخيصه للواقع الثقافي العماني ، ولا يعترف الا بالشعر ادبا ووسيلة للتعبير عن الوجدان . ويقول ان الشعر سيظل ديوان العرب ـ وهو لا يجد للشعر الحديث ايقاعا او معنى او قيمة فيما يقرر أنّ منابعه الشعرية تمتد الى العصر الجاهلي ، وبالأخص الى أربعة من الشعراء ، هم كما وصفوهم : اشعر الناس امرؤ القيس اذا ركب ، وزهير اذا غضب ، والنابغة الذبياني اذا رهب والاعشى اذا طرب . وفي العصر الاموي فانه تتلمذ على ثلاثة : الفرزدق وجرير والاخطل . وفي العصر العباسي تتلمذ على ثلاثة : أبي تمام وأبي الطيب المتنبي والبحتري . وهم من وصفهم ابن الاثير بقوله (هم لات الشعر وعزاه ومناته ، الذين ظهرت على ايديهم حسناته ومستحسناته) . وقال عنهم ابو الطيب نفسه (انا وابو تمام حكيمان ، واما الشاعر فهو البحتري) .

ولا يعترف بشعراء العصر الحديث الا بثلاثة خارج عمان ، هم : محمود سامي البارودي واحمد شوقي وحافظ ابراهيم ، واربعة من شعراء عمان هم : ابو مسلم البهلاني والنبهاني والستالي والخليلي .

في بحور الشعر

اننا اذا حاولنا ان نرصد انعكاس هذا كله على الانتاج الشعري العماني ، فسوف نجد انفسنا وسط بحر بلا قرار ولا شطآن ، وقد لا نملك سوى رصد بعض العلامات في الساحة الشعرية ، التي لا تجاوز هذه الحدود الى تقييم الانتاج الشعري .

الملاحظة الاولى هي ان ثمة مساحة كبيرة من الشعر العماني الحديث يحتلها الفقه الاباضي . ومن الفقهاء الشعراء من عرض كافة ابواب الفقه واحكامه في نظم متصل ، مثل البطاش في سلاسل الذهب ، ، وسيف بن

شيخان الاغيرى في « فتح الاكمام عن الورد البسام في رياض الاحكام .

والقاضي البطاش يذكر في مقدمة المجلد الاول من سلاسل الذهب انه نظم كتابه شعرا : لأن النظم على الاسماع ـ أشهى وارجى ان يعيه الواعي .

وهو يقدم في البداية فصلا في تفسير غريب القرآن ، يستهله بالفاتحة ويقول في تفسير آية : الحمد لله رب العالمين شارحا اياها بابيات من بحر الرجز :

العالمين جمع عالم عرف
وذلك العالم في قول السلف
جمع ولكن ماله من واحد
من لفظه بل هكذا في الوارد
والعالمون الجن والانس معا
عن ابن عباس لنا قد رفعا
وقيل كل الخلق وهو يرفعن
الى مجاهد قتاده حسن
وعن ابي عبيد في قول علم
بانهم لاربع من الامم
ملائك الرحمن والانس معا
جن شياطين تمام اربعا
وذاك مشتق من العلوم
ولا يقال قط للبهيم !

والحوار الفقهي بأبيات الشعر باب له رواده وأعلامه ، وكتاب « الدر المنتخب في الفقه والادب » للشيخ سعيد بن خلف الخروصي نموذج لذلك ، اذ انه في شق كبير منه عبارة عن فتاوى وردود على اسئلة موجهة اليه . منها سؤال عن بيع عقار مشفوع له اثناء غياب صاحب الشفعة ، وقد قدم اليه حمد بن احمد النبهاني في ٢٦ بيتا من الشعر ، يقول صاحب السؤال في بعضها :

ماذا ترى في رجل
من ارضنا قد رحلا
في بعض اسفار له
الى العراق مثلا
فبيع مشفوع له
بثمن قد فصلا
قد بيع هذا بالندا
أو باتفاق حصلا
فجاءه يسعى طالبا
شفعته مهرولا

وفي قصيدة من ٤٠ بيتا على الوزن ذاته رد الشيخ الخروصي بابيات قال فيها :

فقيل : لا حق له
ان خلف بحر قفلا
الا لمن جمع ومن
لغزو خصم عملا
اهل عمان عندهم
هذا مقال قد حلا

والشيخ الخروصي يعمل قاضيا الى الآن ، وقد اهل للدراسة الفقهية العليا في جامع نزوى ، وفي مقدمة كتابه يذكر اشارة متابعه العلمية ، التي من بينها كتاب « ارشاد الانام في الاديان والاحكام » وهو يقع في حوالى ٦٠ الف بيت من بحر الرجز . ثم يشير الى انتاجه الفقهي الشعرى ، ومن بينها « احكام الصنعه في احكام الشفعة » وهي قصيدة في ٤١٦ بيتا ،و« معالم التبين في الاقرار وليبان اليمين » في ٧٦٠ بيتا .

ـ الملاحظة الثانية ، ان هناك قطاعا لا يستهان به لا يزال يتبع نهج شعراء العرب الاولين في معالجاتهم الشعرية ، من حيث انهم يبدأون قصائدهم بالغزل ، من باب فتح الشهية ربما ، ثم يدخلون في الموضوع . نموذج لذلك قصيدة الشاعر سليمان الخروصي التي يستهلها بقوله :

مالي وغيداء بيضا الوجه معطار
تبدو كبدر تمام ذات انوار
خود خدلجه في الحسن كامله
تختال تيها وتخطو خطو جبار
وردية الخد عطرى مقبلها
رحيبة القد حور ادمية الدار
دعها وكن رجلا بالعلم مشتغلا
تنل به المعالى كل اوطار

ثم يقول متسائلا ومستفتيا بعد التمهيد :

ما رأيكم سادتي في قارىء لسن
يتلو الكتاب على مذياعه الطارى
لسنا نرى الشخص في تلاوته
كأنما هو رجع تحت احجار
هل ننصتن له ونسجد ان
آى السجود تلا ذيالك القارى
وهل ترى الهاتف اللاسلكي معتبرا!
في نقله ان أتى يوما باخبار

كفن ممات وميراث وعدته
وعن هلال بصوم او بافطار

وهذه التساؤلات حول موقف الشرع من مختلف المنجزات العلمية ، هي ذاتها التي كانت تطرح في مختلف انحاء العالم العربي والاسلامي حتى أوائل القرن الحالي ، وكلها تعكس حيرة مجتمعات المسلمين ، بعدما افاقت على عوالم غريبه عليها . وهي التي يعبر عنها شاعر آخر هو موسى بن علي العبري في قصيدة يقول فيها :

ثمفالقوم قد بلغوا قمر السما
واتوا بما بهر العقول وحيرا
جاءوا بأحجار وقالوا انها
من سطحه عجبا لهذا يا ترى

ـ ثالث تلك الملاحظات ان الشعراء العمانيين ، برغم جدران العزلة الطبيعية المفروضه ، لم يكونوا بعيدين عن احداث الامة العربية وهمومها الصغيرة ، والكبيرة . وللشاعر محمود الخصيبي قصيدة في وفاة أم كلثوم يقول فيها :

يا كوكب الشرق اي جند مضطرب
للنعى مذ جاء في الاخبار والكتب
لقد نعوك فلم اصغ لقولهم
وقلت شائعة للدس والكذب
القى بها في صفوف العرب ذو غرض
وسيىء القصد والافعال والارب

ولشاعرهم الكبير عبد الله الخليلي « ديوان الخليلي » الذي حذفت منه القوميات عندما طبع في السلطنه منذ عدة سنوات ، فاصدرها في القاهرة بعنوان « من نافذة الحياة » واهداها « الى الشعب العربي الكريم ، لاخى العربي الثائر في وجه العدو المشترك بقلمه ، بلسانه بسنانه بكل مشاعره واحاسيسه .. للجندى الصامد في وجه التحديات ... ؟ »

وفي ملحق ديوانه يحيى الخليلي ثورات مصر والجزائر واليمن ، ويتحدث عن الصراع العربي الاسرائيلي . ومما قاله في هذا الصدد :

بالعدو لا بالدعاوى والدعايات
وبالسطا لا بحملات الاذاعات
وبالصواريخ بالاقدار نافذة
لا بالصراخ باعواد المنصات
وبالهجوم على الاعداء في جلد
تحت الرصاص ونار المدفعيات

والطائرات كاسراب القطا ترمى
العدا شرارا كالقصر مختنات

وفي ابيات يختلط فيها الحزن بالمرارة والسخط ، كتب سالم الكلباني :

أسفى أن أرى شرائم منا
يستريحون في فراش الغباء
لا يبالون بالمصير كما لو
لم يجيئوا الا لعيش وماء

وفي قصيدة آخر ما يقول :

أو يكفي بأن نشيد قصورا
زاهيات بمنظر فتان
وتجوب الاسواق تبحث عما
احدثته مصانع الجابان
كلما اوردت طرازا جديدا
قيل هذا في غاية الاتقان
كل يوم نضيف فتحا مبينا
لفتوحات مالنا الخسران
نحن ناس تقدميون جدا
حين نأتي قباله الدكان
نملك النفط وهو حرز حريز
ليس يخشى طوارق الحدثان
هو استاذنا الذي قال ربحوا
واستريحوا في نعمة وجنان
وارفقوا بالجسوم لا تجهدوها
انما الجهد والفنا توأمان

إن ثمة أشياء كثيرة تتحرك الآن في عمان ، لكن ادارة عجله التاريخ لها نواميس وقوانين ، والزمن عنصر هام فيها حتى اذا ما توفرت الرغبة والارادة .. ويخطىء الذين يتصورون أن التاريخ يمكن أن يتغير في سنة او اثنين أو خمس ، كأنما هو مركبة يمكن أن تنطلق بمجرد اعتلاء عجلة القيادة وادارة المحرك .

نعم لقد بدأت الرحلة ، وهو ما سوف ينعكس على مسار الحياة الثقافية مستقبلا ، الأمر الذي يمنحنا شحنة من التفاؤل تمكننا من أن نحسن الظن بالمستقبل ، ونأمل في أن نستخدم وصف نهضة العلم في السلطنة بدلا من مجرد نهوض العلم الى عمان . وسيظل ذلك مشروطا بامكانية توفير المناخ الصحى الذي يحول النهوض في الماضى ، الى نهضة للمستقبل ! ○



بالحب وحده

بقلم : منير نصيف

ابتسمت الزهور . وغنت الطيور . واكتست الأرض باللون الأخضر . . ، وصاح وهو يستقبل نسمات الصباح وعطر الحياة : « انني على موعد . موعد مع الربيع ! » ويقول روبرت لويس ستيفنسون : « ومضينا نلتقي في الحدائق والحقول مع خرير الماء وزقزقة العصافير . . هناك كان لقائي بالحب . عرفت ما هو ، وكيف نتعلمه ، وماذا يحدث لنا اذا عشنا بدونه . . وهناك ايضا عرفت الخير والشر ، وحاولت ان اصورهما في احد مؤلفاتي . . ولكنني اكتشفت ان أحسن اعمالي هي التي جاءت مع محاولاتي معرفة المعنى الكبير للحب » .

في تعريف آخر للحب الذي حدثنا عنه ستيفنسون يقول الدكتور سمايلي بلانتون عالم النفس الذي ساعد الألوف على فهم المعنى الحقيقي للحب : « انه اكبر بكثير من مجرد الحب بين الجنسين . . انه الحب بمعناه الواسع . . حب الطبيعة والناس والأرض والوطن وكل شيء جميل يعيش معنا وحولنا . . فهو حارس حياتنا ، ومن خلال الحب وحده نستطيع ان نتغلب على المتاعب التي تصادفنا ، والعقبات التي تعترض مسيرتنا ، وبه ومعه تزداد قدرتنا على تحقيق السعادة والنجاح ! » .

في قمة العذاب

هذه قصة امرأة افتقدت الحب . . حب الحياة والناس :

« كانت تعيش مع زوجها وطفليها ، وكانت حياتها مليئة ولكنها لم تكن تحبها . . لم تكن راضية عنها رغم انها قد اعطتها كل شيء تتمناه امرأة . . فهي سيدة مثقفة تشغل مركزا مرموقا في عملها ، وزوجها رجل ناجح في عمله ، ولكنها كانت مع كل هذا دائمة الشكوى . كانت تعيش في صراع مع نفسها . . فهي تبحث عن شيء ، ولكنها لا تعرف على وجه التحديد ما هو ، أو ماذا تريد ؟ لم يكن مظهرها ولا حديثها يوحي بهذا البركان الذي لا يكف عن الثورة في داخلها ، فقد كانت شكواها من نوع آخر . . نوع غريب . . كانت تتلذذ بتعذيب الآخرين ، والتحقير من شأنهم ، وكأنها تقف وحيدة فوق قمة الجبل .

كانت تفتعل الأزمات مع زوجها وطفليها ، حتى بعد أن كبرا ، والتحقا بالجامعة . . وكانت قمة العذاب الذي



عاشته عندما وقفت يوما ترقب ابنتها وهي تتجمل وتتزين امام مرآتها الصغيرة .. لقد اصبحت عروسا جميلة ، بلغت السن التي تؤهلها للزواج ، وهي التي كانت بالامس طفلة صغيرة تحبو .. ما أسرع ما يمضي الزمن .. واسرعت الأم الى مرآتها هي ، وأفزعها ما رأت . كانت الصدمة أقوى مما تحتمله اعصابها وهي ترى آثار السنين محفورة على هذا الوجه الذي كان يوما ينبض بالحياة ، والشعيرات البيضاء تنتشر في تحد ، وهي تفسح لنفسها الطريق معلنة عن مجيء الخريف !

افتقدت الحب

وأحست بجسدها كله ينهار .. لا بد انها اصيبت بعلة لا تعرف ما هي ، ولا أين تكمن ، ولزمت الفراش ، وعادها الطبيب اكثر من مرة .. ثم همس في اذن زوجها : « امرأتك ياسيدي بخير .. انها ليست مصابة باى مرض عضوى .. علاجها ليس عندي على أية حال ! » وانقضت اسابيع طويلة قبل ان يكتشف الطبيب الأسباب التي تكمن وراء هذه العلة المفاجئة : « زوجتك افتقدت اجمل واعذب عاطفة .. افتقدت الحب .. انها تعاني من حالة نفسية .. إن روحها هي التي تحتاج الى علاج ، وليس جسدها .. لقد امتلأت نفسها بالصراعات والخوف من المستقبل .. ومع هذا الشعور كرهت نفسها ، وكرهت الناس !! » .

ماذا تفعل هذه السيدة ، وكيف تتخلص من هذا الشعور الذي لازمها طوال سني حياتها مع زوجها وطفليها ، حتى اذا كبرا ، كبرت معهما مشاكلها ! .

يقول سمايلى بلانتون عالم النفس : « لا شيء .. فسوف تكتشف الأم وحدها وبفضل ما يختزنه العقل .. أى عقل من طاقة وحكمة وشجاعة ، مدى الخطأ الذي وقعت فيه وأدى إلى احساسها بالتعاسة التي تحتويها الآن في هذه الفترة من الحياة التي تترقب الأم مجيئها ، وهي ترى أنها قد ادت رسالتها او أوشكت على اتمامها .. والتفسير الواضح عنده يكمن في العقد النفسية التي ربما تكون قد تراكمت في طفولة هذه الأم وسببها في الغالب الحرمان من عاطفة الحب التي تبخل بها على غيرها فهي لم تعرفها .. ثم كبرت وعرفت ما الذي يمكن ان يحدث لها وهي تعيش حياتها بغير حب !

قصة حب كبير

وفي حياة الكاتبة الانجليزية جين أوستن قصة حب كبير ، ما زال الانجليز يحتفلون ببطلته حتى اليوم . كانت آخر مناسبة منذ سبع سنوات ، عندما أقامت المكتبة البريطانية معرضا استمر عدة اسابيع شاهدوا فيه وقرأوا الخطابات التي كتبتها جين بريشتها ، وكانت المناسبة ذكرى مرور قرنين من الزمان على مولد هذه المرأة التي قال عنها سومرست موم : « لقد وجدت المرأة نفسها عندما ولدت الكاتبة جين اوستن ! » .

هذه الفتاة الجميلة النحيلة التي كانت كل سنوات حياتها على الأرض لا تزيد على الاربعين عاما .. عاشت قصة حب من أعظم القصص التي عرفها التاريخ ..

لم يكن لها زوج ولقد قضت حياتها القصيرة وحدها بلا شريك يقاسمها حياتها .. انها لم تتزوج ، لا لأنها لم تجد الرجل الذي تحبه ، ولكن لأنها وجدته ، وأحبته واعطته قلبها ، ولكن القدر قسا عليها ، فقد مات خطيبها .. والتقت خلال رحلتها في الحياة برجال كثيرين غيره ، حاولوا ان يعطوها الحب الذي افتقدته ، ولكنها اعرضت عنهم .. فقد كانت حياتها قد امتلأت بأشياء أخرى أهم بكثير عندها من الحب الذي ينشأ بين الرجل وامرأته .. كانت تعشق الكتابة .. وكانت تحب الاطفال حتى اصبحت أما لكل طفل عرف طريقه اليها حتى قالوا عنها : « لقد كانت جين أما عظيمة ، من اعظم امهات العصر الذي ولدت وعاشت فيه » . وقد شاء القدر ان يجعل منها خالة لعدد كبير من البنات والاولاد الصغار الذين انجبهم

اشقاؤها وشقيقاتها وكانوا ثمانية . وكانت هي الطفلة رقم (٧) في هذه الأسرة الكبيرة التي نشأت فيها . . وتمضي الأيام ويتزوج كل اشقائها وشقيقاتها ، وتقنع هي بالحياة مع كتبها وريشتها وحرصها الشديد على ان تكون قريبة من كل حادث سعيد .

أم عظيمة

جاءتها زوجة أحد اشقائها يوما تقول لها : « إنني لا اريد هذا الجنين الذي بدأ يتحرك في احشائي . . لا بد من أن اتخلص منه . فطفلي الأول ما زال طفلا ، وهو في حاجة الى رعايتي . إنني لا استطيع أن اعطيه كل وقتي ، لأن بطني بكبير ، وطفلي الآخر الذي لم ير النور بعد في حاجة الى رعاية اكبر ! »

ونهرتها : « تريدين ان ترتكبي جريمة قتل ! عودي الى بيتك فورا واستلقي على الفراش . غدا سأكون معك وسوف اساعدك بقدر ما استطيع . يجب ان تعلمي ان اجمل شيء في الدنيا هو هذا الجنين الذي يكبر ويتحرك في احشائك . . فهو روح جديدة ومن حقها ان تعيش ! »

في احد الايام حمل البريد اليها نبأ وفاة زوجة شقيقها الأكبر . . وحزمت جين ملابسها وحملت حقيبتها وذهبت لتعيش في بيت الشقيق الذي فقد زوجته ، ولتصبح أما للأطفال الصغار اليتامى وكانوا احد عشر طفلا . .

وفي هذا البيت قضت « العمة » جين اكثر سني حياتها إنتاجا . . كانت تقول : ان الحب الذي امتلأ به قلبي لهؤلاء الاطفال كان حافزا لي على ان امضي في الكتابة وامضي »

وعرف اهل قرية « شوتون » في مقاطعة هامبشاير ، « العمة » الطيبة التي وهبت نفسها لتربية الاطفال الصغار الذين فقدوا امهم . وكانت العمة جين تكتب في الليل على ضوء الشموع بعد ان تطمئن الى ان اصغر « اطفالها » قد اغمض عينيه ونام وهي تحكي له قصة من قصصها الصغيرة الكثيرة . ثماني سنوات انقضت وهي ترعى ابناء شقيقها ، قبل ان يداهمها المرض وتذهب في رحلتها الطويلة بعيدا عن الأرض التي عاشت فوق ترابها والناس الذين احبتهم . . كل الناس . .

الاب والابنة

كتبت يوما في مذكراتها تروي إحدى تجاربها مع أبيها الذي أعطاها كل حبه قبل أن يكتشف العالم الكاتبة المؤلفة « جين اوستن » بسنوات طويلة : « كنت في الثالثة والعشرين عندما انتهيت من الفصل الأخير من كتابي « رغبة وكبرياء » . وحمل والدي الكتاب وذهب به الى إحدى دور النشر في هامبشاير ، وطالت غيبته ، واستبد بنا القلق ، فقد انقضى النهار ولم يعد أبي .

« وعاد اخيرا . . ونظرت اليه فوجدته يبحث عني بين ابنائه الذين التفوا حوله يسألونه في قلق عما حدث له . . والتقت عيوننا . . ولم يكن صعبا ان ارى دمعة حائرة تقف هناك في عينيه ، ولكنها ما لبثت ان سقطت على خديه عندما اغمضهما محاولا ان يتفادى نظرات التساؤل في عيني . واسرعت اشعل نار المدفأة واقدم له الحساء الساخن . . فقد كانت ليلة باردة ممطرة . . وعندما بدأ ابي يحس بالدفء ، نظر الي في دهشة وقال : « ولكنك لم تسأليني عن كتابك يا جين ؟ »

وقلت : « لا تيأس يا أبي فغدا سوف يبحثون هم عنك ويسألونك عن كتاب ابنتك ! »

« وعاد ابي المسكين يبتسم . . لقد كان يشفق علي من الصدمة . . انه لم يمض كل هذا الوقت في دار النشر محاولا اقناع صاحبها بقبول الكتاب ، لقد كان يجلس ولأكثر من ثماني ساعات كامله على مقعد في حديقة القرية يفكر في شيء يقوله لي عند عودته الى البيت دون ان يجرح شعوري ! »

والحياة مليئة بالوان من قصص الحب التي ظلت تعيش في قلوب اصحابها . .

الاستاذ والتلميذ

يروي سمايلي بلانتون قصة حب من لون آخر :

« في احد المستشفيات الجامعية جلست استمع الى قصة الأستاذ الذي أحب عمله واحب تلاميذه واحب الحياة كلها وما تحمله من أجلهم . كان استاذا في كلية الطب ، وكان بين طلبته شاب لامع ، لم يشأ ان يتوقف عند تلك المرحلة التي يركن اليها الكثيرون بعد اتمام دراستهم الجامعية ، فراح يمضي في طريق العلم ينهل منه حتى حصل على

الماجستير ، ثم بدأ يعد للدكتوراه ، اختار موضوع بحثه الجديد ، وقصد استاذه الذي اصطفاه بين طلبته فكان يساعده ويشجعه ، ويمد له يد العون كلما راه يتعثر . وقضى الأستاذ شهورا طويلة ساهرا يبحث مع طالبه عن كل جديد في موضوع بحثه الى ان انتهى منه اخيرا وصادفه التوفيق بالنجاح .

« وكانت سعادة الأستاذ بطالبه لا تفوقها سعادة وهو يرى صديقه الصغير يجني ثمار الجهد الكبير الذي بذله .. وفي مساء ذلك اليوم ، يوم حصول تلميذه على الدكتوراه ، جلس الاستاذ في غرفة مكتبه في البيت ينتظر . لم يكن يطمع في اكثر من زيارة قصيرة يرى فيها فرحة النجاح على وجهه ، ويسمع منه كلمة صغيرة يعبر فيها عن مشاعره نحو أستاذه . وطالت جلسته في مكتبه ، وانقضى الليل ، وليال اخرى كثيرة ولم يأت الصديق الشاب لقد اختفى تماما ، لم يعد له اثر ، لا في الجامعة التي كرمته ، ولا في البيت الذي عاش فيه سنوات دراسته وكفاحه ، ولا في المدينة كلها ! .

حب ووفاء

« وانقضت اربع سنوات ، ثم شاء القدر ان يجمع بينهما .. بين الأستاذ وتلميذه ، وكان اللقاء في نفس المكان الذي طالما امضيا فيه الليالي في البحث والعلم والعمل .

« لقد اصيب الأستاذ في حادث سيارة ، ونقل الى المستشفى وهو بين الحياة والموت ، كانت دماؤه تنزف بغزارة بعد الصدمة العنيفة التي تعرضت لها سيارته . وفحصوا فصيلة دمه فوجدوه من النوع الذي يمكن أن ينقل الى جسم أي انسان آخر ، ولكن لا ينقل إليه إلا دم من فصيلته .. حتى الدماء التي تجرى في عروقه كانت تعبر عن الحب الذي يحمله قلبه لكل الناس .

« وبحثوا في المستشفى كلها عن فصيلة دمه ، وأخيرا وجدوها عند طبيب شاب التحق بالعمل منذ اسبوعين فقط بالمستشفى . ونقلوا الاثنين الى غرفة الجراحة وبدأت عملية نقل الدم من الطبيب المعالج الى الطبيب المصاب .

« وبدأت الحياة تدب من جديد في جسد الطبيب الجريح ، وفتح عينيه ونظر الى الوجه الذي كان صاحبه يرقد على الفراش المجاور له . وافلتت من شفتيه صيحة خافتة تحمل معاني كثيرة لم يفهم منها احد شيئا . والتقت العيون وتمتمت الشفاه وامتدت اليدان تتعانقان بعد اربع سنوات كاملة .

كانت أروع صورة من صور الحب والوفاء الذي تأخر اربع سنوات كاملة ، فلم يكن هذا الطبيب الذي اعطاه دمه ، سوى تلميذه الذي غاب عنه كل هذه السنين بعد تخرجه . وقال الاستاذ يسأله في صوت ضعيف خافت :

ـ اين كنت . ما كل هذه الغيبة ؟

ـ في رحلة طويلة مع الفتاة التي أحببتها وتزوجتها وأصبحت اما لابني . سامحني يا سيدي ؟

وعادت الابتسامة الى وجه الأستاذ المصاب .. لقد اعطاه علمه وفكره ، فاعطاه تلميذه دمه ، واعاد اليه الحياة .

كيف نحب الحياة

هل نستطيع ان نتعلم كيف نحب الحياة ؟

في قصة من القصص القصيرة التي كتبها الكاتب الروسي ديستويفسكي ، يصور لنا كيف امتلأ قلب الزوجة الشابة بالحب حتى عندما مرت باقسى تجربة يتعرض لها إنسان ، رفضت أن تستسلم ، لأن حبها لزوجها واطفالها وبيتها الصغير كان اقوى من التجربة ذاتها . لقد سقطت المسكينة تحت انقاض البيت الذي تهدم في وجه عاصفة هوجاء ، عندما كان زوجها واطفالها الثلاثة خارج البيت . واصيبت بشلل في كلتا ساقيها . ولكنها مضت تتحامل على نفسها وهي تستند على عكازين ، والابتسامة لا تفارق وجهها الجميل السعيد . كانت تطهو الطعام لهؤلاء الذين احبتهم وعاشت لهم ، وكانت تنظف البيت وتعنى باطفالها ، لقد مضت تؤدي رسالتها مع عكازيها حتى كبر الابناء وتزوجوا وحملت احفادها بين ذراعيها .. لقد عاشت هذه السيدة بعد ذلك لتروى لأبناء أحفادها الصغار قصتها مع البيت والعاصفة والعكازين ، ثم توصيهم : « عندما تشيدوا بيوتكم يا ابنائي لا تنسوا ان تتأكدوا انكم شيدتموها فوق الصخور ! »

○

منير نصيف .





م

المنبوذون في الهند يبحثون عن القرآن الكريم

● هل تحسنت أوضاع الهرجنا في الهند عما كانت عليه قبل ظهور غاندي ...؟

(الهرجنا-هم طبقة المنبوذين في الهند .. يمثلون حوالي ١٥٪ من مجموع السكان ، البالغ ٦٨٥ مليونا حسب الاحصاء الاخير ، ويجاوز عددهم ١٠٠ مليون نسمة .. عمل المهاتما غاندي من أجل انصافهم .. فسن القوانين من أجل مساواتهم بأقرانهم وسماهم الهرجنا (أبناء الله) .. فتحسنت أحوالهم كثيرا .. ولكنهم ما زالوا مضطهدين ومنبوذين الى حد كبير .. انهم بلا ريب أفقر الهنود وأتعسهم ... ولعلهم أفقر البشر جميعا وأتعسهم دون استثناء .

ذلك أن أوضاع المنبوذين لها جذور في مشاعر ومعتقدات رسخت في أعماق النفوس ، وازدادت رسوخا على مر القرون .. انها المشاعر والمعتقدات التي غرسها في النفوس نظام الطبقات عند الهنود ...

فهذا نظام فريد يجمع في جذوره بين المعتقدات الدينية والتقاليد الاجتماعية والفوارق الاقتصادية .. فضلا عن الرواسب العاطفية .. يصنف الناس أربع طبقات متميزة .. ان لم نقل متحجرة ... ويقيم بينها من الحواجز ما يجعلها أشبه بالجزر التي تفصل بينها مياه المحيط ... فأفراد الطبقة الواحدة في الهند ملزمون بالانتماء الى الطبقة التي ولدوا فيها ، سواء شاءوا أم أبوا .. ويحظر عليهم الانتقال الى غيرها مهما أصابوا أو فقدوا من مجد أو ثراء .. أما التزاوج بينهم وبين أفراد الطبقات الاخرى فمحرم عليهم تحريما مطلقا ولا يشفع لهم في ذلك حب أو خلاقة .

وتأتي طبقة رجال الدين (البراهما) على رأس تلك الطبقات الاربع .. تليها الطبقة الملكية والمحاربة (كشاتريا Kshatriga) فطبقة العمال الفلاحين (فايشيا Vaishya) وأخيرا الطبقة الدنيا التي تقوم بأعمال الجزارة وحفر القبور والاعدام وما الى ذلك .

أما المنبوذون فهم أدنى وأحط من أن يكون لهم مكان بين هذه الطبقات ... انهم ملوثون في صميم أرواحهم وأجسامهم ، ويجب على الآخرين تحاشيهم والابتعاد عنهم خشية التلوث ...

لذلك حظر على المنبوذين في الهند العيش مع غيرهم في المدن أو القرى .... وفرض عليهم التزام معازلهم الخاصة بهم ، التي يقيموها خارج المدن والقرى في منأى عن أبناء الطبقات المعترف بها ...

وحظر على المنبوذين أيضا الشرب من ماء الآبار والا تلوثت مياهها وامتنع سائر الهنود عن الشرب من تلك الآبار ....

وحظر عليهم كذلك دخول المعابد وأكثر المدارس ...

أما الملكية ... فمحرمة عليهم بحيث لايستطيعون شراء أرض أو بيعها .. زراعية كانت أم غير زراعية ..

وذهب الهنود في جنوب الهند الى أبعد من ذلك .. فقد اعتقدوا أن رؤية المنبوذين ... مجرد مشاهدتهم ... ناهيك بملامستهم .. كفيلة بتلويثهم ... الامر الذي يضطرهم للقيام بشعائر عديدة وطقوس معقدة من أجل تطهير نفوسهم .



التقطت هذه الصورة للمحامي الشاب غاندي في جنوب افريقيا عام ١٩١٣

تلك هي الأوضاع التي سعى غاندي الى تصحيحها . . . وهي كما لايخفى شبه مستحيلة ، ولا يجرؤ على التفكير باصلاحها الا الانبياء وكبار المصلحين . . . .

وكان غاندي من كبار المصلحين حقا ، بقدر ما اتخذ من انصاف المنبوذين ومن التسامح بين الهندوس والمسلمين ، رسالة تفانى في أدائها وأنجز الكثير على درب تحقيقها . فلم يكد يمضي على استقلال الهند في سنة ١٩٤٧ سنتان حتى أقرت الجمعية التأسيسية المبادىء التي قام عليها تصحيح أوضاع المنبوذين ، ولم تكد تحل سنة ١٩٥٥ حتى ظهر القانون الجنائي الذي انزل العقوبات بحق الذين يسيئون معاملة المنبوذين أو يحولون دون تمتعهم بالحقوق والمزايا التي منحتهم اياها القوانين .

وما لبث أن أصبح من حق المنبوذين أن ينتخبوا وينتخبوا للبرلمان الهندي . . . وأصبح لهم ثمانية وسبعون مقعدا من مجموع ٥٤٢ مقعدا في هذا البرلمان . . . وخصتهم تلك الاصلاحات أيضا بمقاعد في الجامعات . . هذا الى جانب المنح الدراسية التي حصل عليها خريجو الثانوية العامة منهم ، وقد بلغت ٦٨٢٠٠٠ منحة سنة ولم تتجاوز ٢٠٠ منحة سنة ١٩٤٧ .

وأقبل المنبوذون على طلب العلم بعد اصلاحات غاندي بحيث تقلصت الأمية بينهم وأصبحت نسبتها ٣ . ٨٥ ٪ في سنة ١٩٧١ ، وقد بلغت سنة ١٩٣١ حوالي ١٠٠ ٪ و ١ . ٩٨ ٪ على وجه التحديد .

وفتحت ابواب الوظائف الحكومية أمام المنبوذين وأزيلت العقبات التي حالت بينهم وبين أعلى المناصب الوزارية . وحسبك أن جاجيفان رام **Jaggivan Ram** الذي شغل منصب رئيس الوزارة بالوكالة في حكومة جناتا التي سبقت حكومة أنديرا غاندي الحالية ، هو واحد من المنبوذين .

ومهما يكن من أمر فان إصلاحات غاندي لم تنجح بعد في اجتثاث المشاعر والمعتقدات الراسخة في نفوس الهنود . فهذه الرواسب ما زالت قائمة كثيرا أو قليلا والهرجنا ما زالوا منبوذين في الهند كثيرا أو قليلا . . . لاعجب اذن أن أقبل المنبوذون في المدة الأخيرة على اعتناق الاسلام والمسيحية والبوذية . . .

ترى هل في الامكان استكمال ما صنعه غاندي من أجل المنبوذين قبل نحو خمسين سنة . . . . ؟؟ وهل في الامكان تحقيق ذلك في غضون خمسين سنة أخرى . . . . ؟

بقي أن نذكر أن المنبوذين في الهند شيء والسيخ شيء آخر تماما . . . . . .

(ي . ز .)

ط الطماطم سامه

لعلك تعلم ان الطماطم حديثة عهد بالنسبة إلينا والى سكان العالم القديم عامة فهي من نباتات العالم الجديد - امريكا - ولم يعرفها اهل اوربا وآسيا وافريقيا الا قبل نحو ٤٠٠ سنة ، في القرن السادس عشر ، حينما عاد بها الاسبان من بلدان امريكا الوسطى والجنوبية موطن الطماطم الأصلي . .

ولعلك لاتعلم ان الاوروبيين اعتقد وا في بادىء الامر ان الطماطم ضاره ، بل سامة ، فامتنعوا عن اكلها وقصروا استعمالها على التزيين الداخلي في البيوت وطال امد ذلك الخطأ الشائع اكثر من ٢٠٠ سنة الى القرن الثامن عشر حين اكتشف الطليان ان الطماطم ليست سامة وانها ذات فوائد غذائية كبيرة ، منها انها تحتوي على الفيتامنات (أ)و (ج) .

وهكذا انتشرت زراعة الطماطم في كل مكان واقبل الناس على اكلها نيئة او مطبوخة حتى اصبحت في طليعة الخضروات انتشارا في العالم كله ، ويكاد لايخلو منها مطبخ من المطابخ . .



ش الشجرة التي تثمر خبزا . . !

انها لشجرة عجيبة حقا . . فهي تثمر خبزا !! أرغفة من الخبز يأكلها اهل الجزر التي تنمو فيها الشجرة كما نأكل نحن ارغفة الخبز التي نشتريها من الافران . . مع الفارق . . فخبز الشجر جاهز للاكل ولايحتاج الا الى قليل من الشي بالنار . . بخلاف خبزنا الذى يفترض زرع القمح اولا ثم طحنه وعجنه وتخميره ثم خبزه بالفرن . اضف الى ذلك ان رغيف الشجر اقرب الى الشكل الكروى واكبر وزنا من رغيف خبز القمح . . الا ان نوعي الخبز لايختلفان من حيث تركيبهما . . فالنشويات هي قوام النوعين على السواء . . وشجرة الخبز تنمو في بعض جزر المحيط الهادى . . وهي شجرة كبيرة وقد يبلغ ارتفاعها ٩٠ قدما . . وتحمل الشجرة ارغفة الخبز في نهاية اغصانها وذلك بمعدل رغيفين او ثلاثة في آن معا .

بقي ان نذكر ان شجرة الخبز هذه لها قصة طريفه في التاريخ . . فرحلة السفينة « باونتي » الى جزيرة تاهيتي بقيادة الكابتن (بلاي) انما استهدفت شجرة الخبز ولاشيء غير ذلك فقد ارادت الحكومة البريطانية نقل زراعة شجرة الخبز من جزيرة تاهيتي الى مستعمراتها في جزر الهند الغربية وذلك بقصد القضاء على المجاعات هناك . وتم لها ذلك ونجحت زراعة الشجرة في موطنها الجديد . . الاان خبزها لم يصادف استحسانا لدى سكان جزر الهند الغربية .

وتجدر الاشارة الى أن السفينة باونتي اشتهرت بالتمرد الذى قام به بحارتها ضد قائدها اكثر مما اشتهرت بشجر الخبز الذى ذكرنا . . وقد الهب هذا التمرد خيال الكتاب فظهرت قصص المغامرات العديدة التي اتخذت من (تمرد باونتي) محورا لها . . وظهرت بعض هذه القصص على شاشة السينما والتلفزيون .

كلمات شائعه . . بين معانيها



كلمة كرنفال

● يعجب المرء لهذه الكلمة الشائعة في اكثر اللغات ان لم نقل كلها دون استثناء . . وهي تعنى « المهرجان » او « الهرج والمرج » في كل الحالات . . فما اصلها . . وكيف آل امرها الى ماهي عليه . . ! ؟

الكلمة لاتينية الاصل وهي مشتقة من عبارة لاتينية هي (**carnem levare**) وتعني « استبعاد اللحم » وكان الطليان اول من اختصر هذه العبارة بكلمة كرنفال واول من استعمل هذه الكلمة للدلالة على اسبوع الصيام عند المسيحيين . . وهو الاسبوع الذى يمتنعون فيه عن اكل اللحم .

وتطورت الكلمة بعد ذلك حتى فقدت معناها الاصلي (الصيام عن اللحم) واكتسبت معنى (المهرجان) .

ق

نحن والقطارات

○ قررت المانيا الغربية مؤخرا انشاء قطارات تنطلق بسرعة (١٩٠) ميلا في الساعة (٣٠٠ كيلو مترا أو تزيد قليلا) .. وهذه سرعة كبيرة وتفوق السرعة التي بلغتها قطارات فرنسا (T G V) وقد بلغت في أقصاها (١٦٠) ميلا (٢٧٠ كيلو متر) فضلا عن السرعة القصوى التي بلغتها قطارات اليابان (البولت Ballet) وقد بلغت (١٣٠) ميلا (٢٠٠ كيلو متر أو تزيد قليلا) .

والأسئلة التي غالبا ما تمر بالخاطر لدى قراءة هذا الخبر ، هي :

لم هذا الجفاء بيننا نحن العرب وبين السكك الحديد ؟ أوليس في وطننا العربي الكبير من المساحات الشاسعة والمسافات الواسعة ما يجعله بحاجة الى القطارات مثل حاجة المانيا وفرنسا واليابان ، على أقل تقدير .. ؟

أوليست سكك الحديد هي واسطة للنقل والانتقال المفضلة على السيارات ..... لا سيما في السفريات الطويلة عبر الطرق الصحراوية غير الآهلة بالسكان .... ؟

أوليست القطارات آمن وابعث على الراحة ... وقد تحد كثيرا من المضايقات التي تشهدها مراكز الحدود على طرق السيارات أيام الصيف ...

ثم أوليس في القطارات توفير على الركاب في وقت ارتفعت فيه أسعار البنزين ارتفاعا كبيرا ... وتوفير أيضا على الحكومات في المدى البعيد ..

الاصلية .. ومعانيها الحالية



كلمة شوفير

ومعناها السائق سائق السيارة بخاصة وتكاد تكون منتشرة في كل البلدان وسائرة على كل الالسن ..

ولكن الكلمة فرنسية وتعني في اللغة الفرنسية « مضرم النار » او « واقد الموقده »ولعلك تعجب للبون الشاسع بين « سائق السيارة » و « مضرم النار » .. وتظن ان اجيالا عديدة لابد انقضت قبل ان تكتسب كلمة شوفير معناها الجديد ...

والحقيقة هي ان الكلمة ادت كلا معنييها الجديد والقديم معا منذ البده .. ذلك انها استعملت ، اول ما استعملت ، ايام كانت السيارة تسير بالبخار لا بالبنزين .. ففي تلك الايام كان الشوفير يقوم بمهمتين .. مهمة اضرام النار تحت غلاية السيارة لتوليد البخار .. ومهمة قيادة السيارة .. ولو ذكرنا ان السيارات لم تزد سرعتها على بضعة كيلو مترات في الساعة آنذاك لادركنا ان مهمة قيادتها كانت اقل اهمية من مهمة اضرام النار تحت سخانها .. وادركنا ايضا سر تسمية السائق بمضرم النار بدلا من قائد السيارة !



٥٠ مليون جرثومة تحملها الذبابة!

بقلم : عبد النبي الجحمى

لانها حشرة كريهة ومقلقة في نفس الوقت . وبالاضافة الى كونها ناقلة للأمراض بل والاوبئة . ولأن بعض أنواعها يشكل خطرا أكيدا للحيوان والنبات . ولانها تعد واحدا من أخطر أعداء الانسان . . لكنها تبقى ـ رغم كل ذلك ـ مثارا للعجب ، والدهشة . فقدراتها على التكيف مع البيئة لا تعادل . ومحاولة السيطرة عليها وإفنائها ليست بالامر الممكن التحقيق . . حاليا على الاقل .



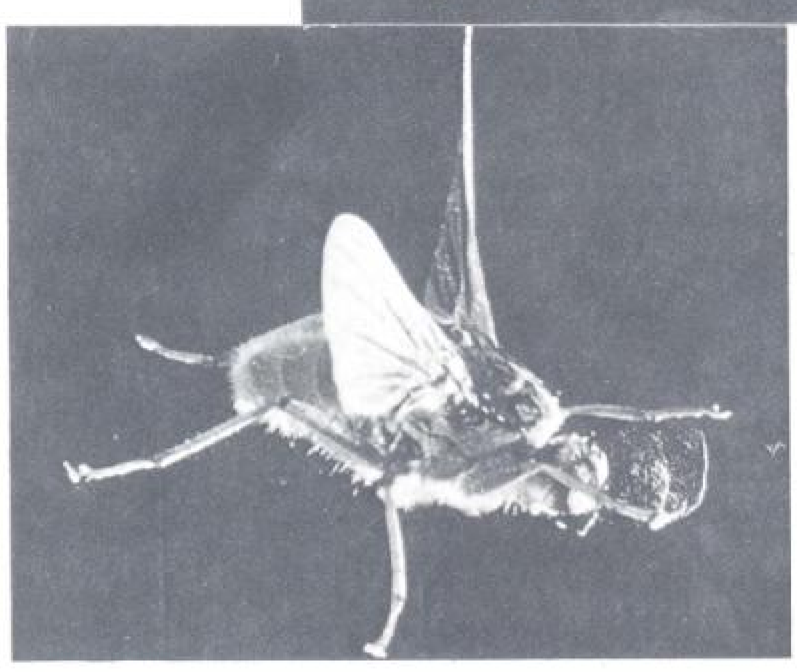
ذات فترة من فترات تاريخ الصين ، جند الزعيم الصيني الراحل ماوتسي تونغ شعبه كله معلنا حربا شعواء على الذبابة . لكن هذه الحرب لم تنه وجودها فما زال تعدادها هناك يتجاوز تعداد الصينيين . وخسارة ماو الحرب امام الذبابة ذات مبرر معقول . . لان الذبابة تنتهي لتبدأ ، من جديد ، وقد ثبت بالتجربة انه بالامكان ان تقتل ذبابة واحدة ولكن ـ للاسف ـ ليس الذباب كله .

الف بيضه في الشهر

على كل سطح الأرض . وحين تبدأ اولى اشعة الشمس في البزوغ تبدأ الذبابة معها في التكاثر والطنين الملح . ومع ذلك فان أول ذبابات فصل الربيع هي الذبابات الناجية من قسوة فصل الخريف المنصرم . فمعظم رفيقاتها القديمات ماتت ، باعداد هائلة ، أثناء الفصل القاسي .



ذبابة القمامة تعيش في المناطق الرطبة . بعد اقلاعها تدفع بأرجلها الامامية الى الامام قبل ان تنقض على حشرة صغيرة كما يبدو في الصورة (٣)



أما تلك التي تمكنت من قضاء فصل الشتاء مختبئة في عمق أحد الثقوب ، شبه مخدرة ، ودون تدفئة ، وبكل تأكيد ودون تغذية على الاطلاق ، فانها وبمجرد خروجها من ديرها الشتوي ، تبدأ ـ ودون اضاعة للوقت ـ في اعادة تنظيم صفوفها وبسرعة لا تصدق ، وكما لو كانت مهمتها الوحيدة والمقدسة هي مضاعفة اعدادها باكبر صورة ممكنة وكما لو كانت تعرف مقدما ان خروجها من فصل الشتاء

يعني أنه لم يتبق لها في الحياة سوى أسبوعين أو ثلاثة . لكن ، وخلال هذه الفترة الوجيزة من الوقت ، فان عملية اخصابها تتجاوز حدود المخيلة . ففي أقل من شهر ، تبيض كل واحدة منها في المتوسط الف بيضة . تنتهي بطن انثى الذبابة بأشرة أو مرز (وهو عضو قابل للتمدد والانكماش ويشبه انبوبا) تستعمله لغرز بيضها سواء في القمامة أو الاقذار أو في بعض المواد المتحللة الاخرى



- كالفضلات الانسانية - حيث تضع في كل مرة ما بين المئة والمئة وخمسين بيضة .

خروج السرقات (صغار الذبابة) ووصولها سن البلوغ يتم في فترة قصيرة تتراوح ما بين اثنى عشر وخمسة عشر يوما فقط . حيث تبدأ الذبابات الجديدة - ودون تكاسل - في الاباضة بدورها . وهكذا ، وفي الفترة ما بين فصلي الربيع والخريف تتم اباضة ثمانية أجيال كاملة .

وقد حسب علماء الحشرات (نظريا) أن ذبابة واحدة ناجية من فصل الشتاء المنتهي ودون أن يؤخذ في الاعتبار تعداد نسلها السابق - أن الجيل الخامس فقط من احفادها يبلغ عدده حوالي ثلاثين مليارا . اما تعداد الجيل الثامن .. فلا يعد . لانه يفوق التصور .

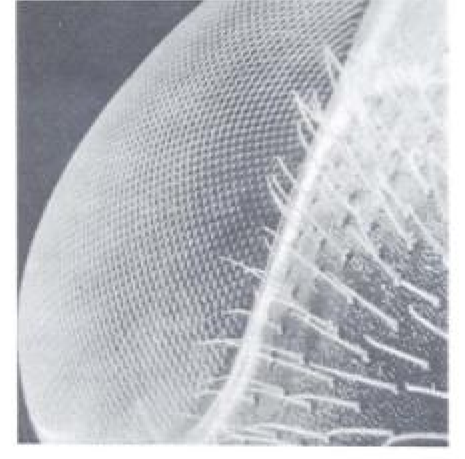
تفقس البيضات بعد ثمانية واربعين ساعة على الأكثر من وضعها وتخرج منها السرفات المبيضة اللون والتي لا أرجل لها . والمجهزة بشهية لا تناظر . فستة أيام فقط بعد خروجها من البيضة كافية لان تضاعف فيها وزنها الأصلي ثمانمائة مرة .

تتم عملية تغذية السرفات بفضل قدرتها على افراز رشح خميرى قوى جدا يقوم بتحليل المواد الصلبة - كجلود الحيوانات الميتة - وتحويلها الى سائل تمتصه بواسطة عضوها الفمي . فجثة حصان - مثلا - تشكل لعدة ملايين منها وجبة شهية . وهي تلعب هنا دون قصد - دور عامل نظافة للبيئة بتخليصها لها من الرمم . ثم وبعد مرور عشرة ايام من الأكل بشهية لا تنقطع ولا تمل فان السرفات تقرر الاختباء عدة سنتيمترات تحت سطح الارض ، حيث تأخذ يرقتها شكل برميل بني صغير صلب وشديد المقاومة .

بداخل هذه اليرقة ، تتحول السرقة الى حوراء ثم الى الذبابة بشكلها المعروف وتستغرق العملية كلها أسبوعين . وعملية خروج الذبابة من يرقتها - في حد ذاتها - غريبة . فهي ، ولكي تخرج من سجنها ، تبدأ في شد عضلات معينة تدفع بالدم الى رأسها . مما ينفخ بصورة غير عادية جبهتها محدثة بذلك فتقا كبيرا في جسم اليرقة . تخرج من خلاله الذبابة كاملة التكوين . الا الاجنحة التي تبدو لزجة ومنكمشة . لكن ساعة واحدة في الهواء الطلق كافية لتمديدها . ثم ها هي جاهزة للطيران .

الذبابة المنزليه

والذبابة مختلفة الأنواع . منها ذبابة الجبن وذبابة الكرز وذبابة الخيول وذبابة الخل وذبابة اللحوم الزرقاء وذبابة



عين الذبابه مكبرة ٢٠٠ مرة وتعطي صورة فسيفسائية اقل دقة ٥٠ مرة من الرؤية البشرية .

الجثث الخضراء ... الخ وانواعها - اى الذبابات لا تعد ، لكن أكثر انواعها المعروفة هي الذبابة العادية التي تسمى بالذبابة المنزلية **Musca Domestica** وهي موضوع هذا المقال .

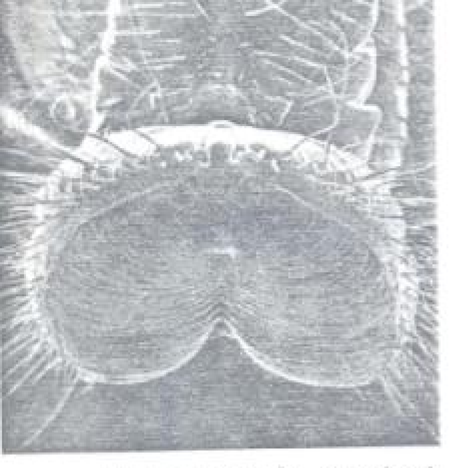
تختلف الذبابة المنزلية عن الباعوضة او ذبابة التسي تسي بكونها غير قارصة وتكتفي بالعيش قرب الانسان راضية بفضلاته واكلاته الشهية في نفس الوقت كغذاء لها . فهي تتغذى بكل شيء يقع عليه فمها . وان كانت تحب بصورة جلية الحليب والسوائل السكرية والمواد المتخمرة ثم اللحوم والفواكه . بالاضافة الى حبها لكل المواد التي تصدر رائحة قوية ، لكن وجبتها المفضلة - بكل تأكيد - هي المواد المتحللة - فهي ليست عفيفة النفس . انها باختصار حشرة قذرة .

مع هذا ، فان الروح العلمية يتملكها الاعجاب بقدراتها البهلوانية التي لا يمتلكها او يمارسها اى مخلوق آخر سواها بكل تلك السهولة في تنقلاته . فحفظ التوازن على حافة كوب او السير عرضيا على زجاج نافذة او التعلق عكسيا بسقف الغرفة . كلها قدرات صعبة تشكل جزءا عاديا من حياة الذبابة اليومية .

تشبه ارجل الذبابة الشفاطات . وكل واحدة منها مجهزة بمخليين ومدبستين لا صقتين مركبتين من آلاف الشعيرات الدقيقة المتشعبة الأطراف . وعملية وقوف الذبابة على أى سطح كان وفي أى وضع بواسطة هذه الأرجل . تساعدها افرازات لزجة تخرج من أطراف الارجل ذاتها . ولذلك فهي لا تسقط أبدا . أما امكانياتها في الطيران فهي ليست أقل مثارا للدهشة . انها تتفوق فيه على طائر الضريس الذي يعيش في المناطق الاستوائية والذي يعد بطلا في



رجل الذبابة (مكبرة ٢٠٠ مرة) تنتهي بمخلبين حادين وبعدة شعيرات حساسة ومدبستين لاصقتين .



طرف الفم (مكبر هنا ٩٠ مرة) نرى على الجوانب الاهداب الحساسة ومن الداخل بما يشبه الشق المجهز بشبكة من الانابيب الماصة .

الطيران الاهتزازى . واذا كان الضريس يسجل ثمانين ضربة من جناحيه أثناء الطيران في الثانية الواحدة ، فان الذبابة وفي نفس المدة تسجل متين . ومشاهدة الشريط الذي صور لعملية طيرانها بالحركة البطيئة ؟ ان جناحيها تبدأ بالحركة من اعلى الى اسفل مغطية في كل دفعة كاملة من دفعاتها زاوية بمقدار تسعين درجة . ومعروف أن الجزء الحامل من صدرها للعضلات الجناحية تام بصورة كبيرة لذلك فهى قادرة على اجتياز مترين فى الثانية الواحدة مما يعتبر مسافة طويلة جدا بالقياس الى حجمها الذى يتراوح ما بين الستة والثمانية مليمترات .

وهي - كالباعوضة - من ذوات الجناحين . وتختلف في ذلك عن معظم الحشرات لأن الحشرات في العادة مجهزة بأربعة أجنحة . أما طنينها المعروف والذي يزعج اغفاءه بعد الظهيرة فناتج في الحقيقة عن دفعاتها السريعة لجناحيها أثناء الطيران . وقد عوضها الله عن الجناحين الناقصين بجنيحين صغيرين جدا تستخدمهما في حفظ توازنها . ويقول العلماء ان هذين الجنيحين كانا في الأصل جناحين عاديين .

هذه الجنيحات حساسة جدا وقابلة للحركة في كل الاتجاهات وبمرونة لا تضاهي وعن طريقها تتمكن الذبابة من تحديد خطة سير طيرانها . وقد اثبتت التجربة انه عند انتزاع واحد منها . فانها تبدأ في السقوط أرضا كالطائرة عند سقوطها دواميا - وبتحريك هذه الجنيحات بصورة قوية جدا فانها تعمل عمل جهاز الجيروسكوب . فهي تحفظ توازنها وتؤمن طيرانها . الذبابة اذن ابنة غير عادية من بنات الفضاء . اسمها في اللغتين الانجليزية والالمانية يعني بكل بساطة ، الطيران .

في مواجهة الاعادى

ولان اعداء الذبابة كثيرون [كالطيور والقطط والضفادع دون ان نحسب الانسان] - فهي كرة لردود الفعل اليقظة . وعيناها ترصد الحركة من حولها دون انقطاع . هذه العين (اليقظة) تتركب من أربعة آلاف صفيحة تتجه كل واحدة منها ناحية اتجاه يختلف قليلا جدا عن الصفحة المجاورة ومعطيا جزءا منفصلا من صورة المنظر الذي تنظر اليه . وتجميع هذه القطع من المنظر يعطي نظرة عامة تشبه الصورة فيها الفسيفساء أو البزل (**Puzzl**) . لذلك فهي قادرة على رؤية ما يحدث أعلاها واسفلها وعلى جانبيها وبالتأكيد وفي مواجهتها . ولأن الذبابة تتميز بهذه الرؤية البانورامية ، فانه من الصعب جدا خداعها لانها قادرة على رؤية كل ما يقترب منها مثيرا شكوكها وبالتالي تحاشيه والهرب منه بالطيران في فترة لا تكاد تلحظ بادئة برفع جسمها على أرجلها الداخلية ثم محركة جنيحاتها - كالنفاثات - ثم جناحيها لترتفع في الفضاء .

قدرتها على الحركة وكثرة تكاثرها تجعل منها اكثر الحشرات شهرة . وهي (حشرة عالمية) حسب تعريف علماء دراسة الحشرات لها . لكنها مع ذلك حشرة مقيمة ومكان اقامتها في معظم الاحيان لا يتجاوز دائرة يبلغ قطرها (٣٠٠) و (٤٠٠) متر لكنها قادرة في حالات الخطر على اجتياز البحيرات أو الطيران لمسافة عدة كيلومترات دون انقطاع . بل ان بعض انواع الذبابات الاستوائية - ولا نتحدث هنا عن الذبابة المنزلية - قادر على القيام برحلات حقيقية مغطيا مسافة (٣٠٠) كيلومتر

خلال شهر من السفر .

ورغم قصر حياة الذبابة . الا ان السرفات قوية جدا وشديدة المقاومة لكل الظروف الصعبة المحيطة . هذه القدرة مكنتها من العيش في كافة الاوساط . فبعضها قادر على العيش في مصادر المياه الحارة حيث تصل درجة الحرارة الستين درجة أو في البحار القوية الملوحة . بل وقد اكتشف بعض منها في حجرات التشريح ببعض المستشفيات داخل محلول الفورمول ـ (وهو مطهر طبي قوي جدا) ـ وحتى في البترول الخام .

اما دورة الحياة الجنسية عندها فعادية جدا وتتم سواء اثناء الطيران او الراحة وتتجامع الذبابات المنزلية ببساطة بالغة لكن بعض الانواع الاخرى تلجأ الى المناورات لجذب شريكتها كاصدار رائحة طيبة ـ بواسطة غدد خاصة ـ او باهداء الشريكة وجبة طعام .

حاملة الجراثيم

رغم كل المميزات التي ذكرناها . فان الذبابة حشرة خالية من كل ذوق فيما يتعلق بغذائها سواء كان ذلك عرقا إنسانيا أو لحما متعفنا او فاكهة عاطبة . لا فرق . فكل ما هو رديء كاف لسعادتها . انها تحط على وجبتها وتبدأ في إسالتها بلعابها ثم مصها بعد ذلك بواسطة انبوب يؤدي دور فمها . فالذبابة غير قادرة لا على القطع ولا على المضغ . وحبها للقمامة والرمم ثم مرورها على غذائنا يشكل خطرا على الصحة العامة لانها تنقل اكثر من جيد للجراثيم . واذا كان عدد الجراثيم التي تم احصاؤها في وتيم الذبابة يصل الى الثمانية والعشرين مليونا في المتوسط واذا عرفنا أنها تضع هذا الوتيم مرة كل ثلاثين دقيقة في اطباقنا واكوابنا ووجباتنا . دون التحدث عن الجراثيم الملتصقة بارجلها وبقية جسمها فانه يمكننا ان نشبهها بطائرة قاذفة للقنابل مجهزة باكثر من خمسين مليون قنبلة جرثومية تطير حول مائدة الاكل .

اما الجراثيم نفسها فلا تؤثر في الذبابة باي شكل من الاشكال . لان دور الذبابة هو نقلها الينا ثم علينا ان ندفع الثمن .

قائمة الامراض التي تنقلها الذبابات للانسان . طويلة بصورة كافية ، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر أمراض : الزحار والجذام والتيفوئيد والجدري والكوليرا . وصحيح ان هذه الأوبئة نادرة الوقوع في منطقتنا ، لكن الذبابة تشكل رغم ذلك خطرا كبيرا في البلدان الاستوائية مثلا حيث يبلغ معدل تكاثرها في تلك المناطق المناسبة جدا لهذا الغرض اوجه .

وهي بحطها على جلودنا واعيننا او حتى مخاطنا ـ ودون اعادة تكرير غذائنا ـ تشكل خطرا لا جدال فيه لكل البشر في كل مكان .

ك من الذبابات الخطيرة جدا نذكر ذبابة الشذاة . ابنة عم الذبابة المنزلية ـ والمعروفة اكثر بأسم ذبابة التسي تسي التي تستعمر المناطق الرطبة الاستوائية وشبه الاستوائية من أفريقيا والمسببة لمرض النوم الخطير لكل من الانسان والحيوان ، ثم ذبابة اللحم الزرقاء التي تضع سرفاتها في الاغشية والتجويفات الحيوانية والبشرية . بالاضافة الى ان الذباب ـ عموما ـ يختار بصورة عادية الجروح العارية لبيض فيها .

والذباب عدو لدود للفلاحين في البلدان الزراعية . فهو يسبب نقص انتاج الحليب عند الابقار باصابتها بمرض الحرارة البشورية وتخريب ثمار الخوخ والكرز والزيتون . الخ . . انها باختصار كارثة حقيقية .

لكن . توجد ذبابة واحدة تنعم بتقدير المختصين . وهي ذبابة الخل الصغيرة الحجم جدا . وذلك بفضل قدرتها التي لا تعادل في التكاثر وهي تربى في المعامل الاختبارية خصيصا لدراسة الخيط الصبغي الذي يوجد في الخلية الحية لغددها اللعابية حيث ساعد ذلك على دفع دراسة الأمراض الوراثية دفعة قوية الى الأمام .

استعمال المبيدات الحشرية لمحاولة القضاء عليها سيف ذو حدين . فدور هذه المبيدات الذي يقضي على بضعة ذبابات اكثر خطرا على الانسان لانها عبارة عن سموم كيماوية مركزة جدا . تنتهي الذبابة دائما بالتكيف مع مفعولها والتحصن ضده . دافعة بشركات انتاج المبيدات الى تسويق محاليل أخرى اكثر خطرا على البيئة من سابقاتها .

الوسيلة وغير الخطيرة ـ حاليا ـ للحد من نشاطها تكمن في اعدائها الطبيعيين كالعنكبوت مثلا . . ولكن هل نتخيل خمسة او ستة اعشاش عنكبوتية في كل غرفة من غرف منازلنا ؟ . . لا اظن . لذلك لنكتف اليوم بكمية قليلة من سموم المبيدات لقتل بعض منها . متناسين ان السم مادة قابلة للتراكم !!!

○

عبد النبي الحجمي .



الفنان جعفر دشتي

"بين الروح .. والامر"

بقلم : أحمد غانم



الفنان جعفر دشتي

بين الروح .. والامر

عن الفنان والظاهرة يرسل كاتب المقال عبر « العربي » رسائل ثلاث الى القارىء ، والمشاهد ، والفنان ، تضيء كل رسالة نقطة حول تجربة المصور . ثم يفرغ بعدها الى ملاحظاته النقدية .

يقدم الفنان جعفر دشتي معرضه الاخير . . هكذا :

« نشوة الحب في أعماقي ، فأين الاعماق ؟
شفافية الروح في جسدي ، فأين الروح ؟
نسيم البنفسج يحملني الى أعماق الروح .
والروح كانت شفافيتي ، روح بالروح .
الدمعة سالت من عمقها متأملة الخالق ،
بجمال شفافية الروح . . »

الرسالة الاولى :

عزيزي القاري

لم يكن عالم النفس الشهير « يونج » بعيدا عن الحقيقة حين قال « النفس بناء كالجسد » ، فمرة بعد مرة تظهر « قاعدة ذهبية » تحكم قوانين الحركة الطبيعية أو المادة ، كما تحكم بنفس القدر عالم السلوك الانساني افرادا وجماعات . ففي معرض الفنان جعفر دشتي ـ الثاني ـ اسمعه يقول :

الهي : خذ بيدي الى صفاء الاعماق حيث الجنة . إلهي : إني إنسان شفاف فزد شفافيتي حتى أصل اليك شفافا نقيا » . ويعنون لوحاته هكذا : حالقا في الفضاء ، سابحا في الاعماق ، حاملا نقاوة الكويت الى البشرية جمعاء » و « جزيرتي الجميلة كم أنت شفافة . . شفافة . . شفافة » .

وها هو بنزعته الاخلاقية ـ كوجه براءة الطفلة ـ يحدث عن معرضه لجريدة « الانباء » الكويتية (عدد ٢٨ ـ ١ ـ ٨٣) فيقول : . . تعالوا وشاهدوا المعرض . . اغسلوا نفوسكم من عالم الدينار ، وربما أستطيع أن أشارك في الحل بطريقة الفن فهذا هو دوره . أقول ثانية إنها دعوة لمن تضرر . . رحلة مجانية لاكتشاف النفس . . لقد نسينا وخلطنا بين ما يجب أن ينسى ، وما يجب أن يذكر . » آه من رحلة البندول بين الاقصى والاقصى . . بين الماء والنار والحجر ، وعبر الانكسارات يصعد الحلم في المرايا . قلت للفنان في اليوم الاخير : اتظنهم يسمعون . . دعوتك ؟ ! أجاب قاطعا . . أبدا » . تشاغل عني وكررت الى لوحاته ، كان يصنع فوق بساط القاعة قلبا دافئا ورديا من وريقات الورود ، وسهما أبيض أصفر . خيل الى أن هذه أعظم لوحاته . . نفسه . . كطائر . يبحث عن رحلته بين القلب والسهم . طائر يخطر بين خطى السماء والارض ، الحياة والموت ، يستنهض الروح « اليا » أو « الامة » أو « العنقاء » أو « الرخ العظيم » طيور المنطقة المقدسة من مصر الاولى الى



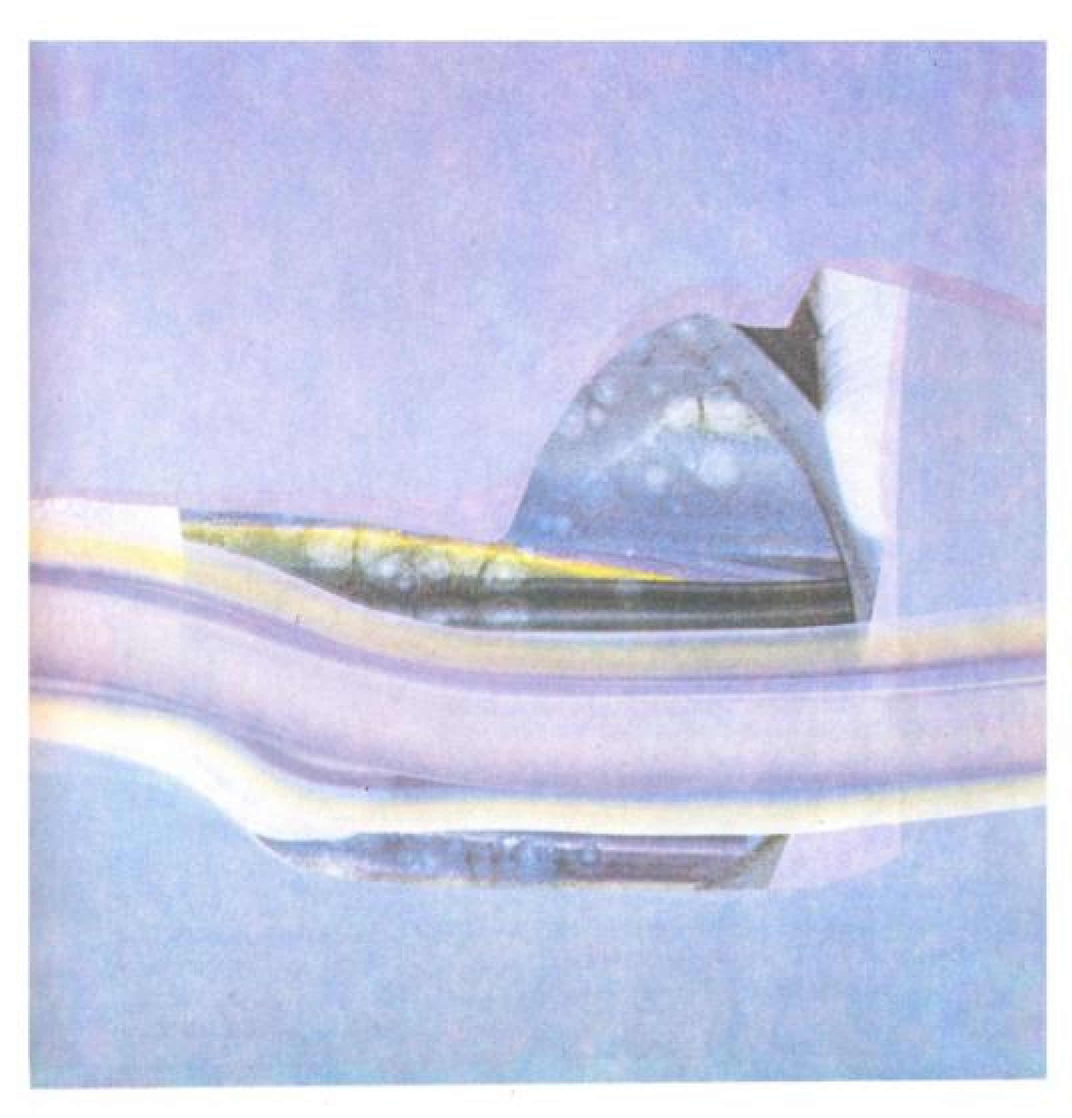
العرب الأقدمين الى شواطىء فينيقيا الى عرب الحضارة الاسلامية الزاهرة .

الرسالة الثانية : عزيزى المشاهد

عيناك تغتسلان . . تلمسان الوانا عذبة ، مجهورة بضياء . فموعدك وفنان يقول « اهى : كم تمنيت أن اكون طائرا أحلق في الفضاء » . . فأعذب الحان الموسيقى الخفيفة الناعمة مرسومة أمامك . ألوان ظلالها الماء . أخلع عنك الفكر والتفكير فوعدك اختيال ، ولعلك ترى مثله « جزيرتى كم أنت جميلة » أو « تطير عاليا في سماء الكويت . . انها الحرية » . . وبهدوء ترى . . تلمس تسمع فهذه باقة من أسماء لوحاته . . وتأمل معى هذه المجموعة اللونية التى يختارها فنان لعملة وكم تراه متيما بها ، كطفل يكتشف الماء أول مرة وبالفرح ينثره على وجوهنا كندى صباح . . ثم . . لا تسأل . . وهل يبقى الرذاذ على الوجوه ؟ !

الرسالة الثالثة : عزيزى الفنان

في معرضك الاول ، خشيت عليك من اكتشافك الاول ، لموسيقى الصحراء وشاركتك الفرح . وها أنت ترتاد الفضاء وحيدا ، ولا تريد أن تعود ، بل تريد أن . . « أترك شيئا شفافا للبشرية قبل رحيلي من الدنيا » . . تراك تركتنا نحارب البحر ، ومضيت لا تمسك زهرة أو غصنا ، ولا تجرحك شوكة . ونحن نريدك ظهرا لظهر ، ومن فضائك البعيد لم تعد ترى اضواء للبحر المجروحة . . أو المدارات الجريحة للاقمار . . . فظهرك لنا . . . وظهرك



للنجوم الثواقب .

أراك تتحدث عن دنيا لم تطأها قدم ، عن ارض السعادة ، عن يوتوبيا الفضاء ، ويوتوبيا الأعماق .

تأمل .. ما أتعس الشاعر الذي يقول « أنظر .. تلك اللآلىء التي كانت عينيك » و « القطارات ترحل فوق قضيبين .. ما كان ما سيكون » (*)

« فبين القلق » وبين « الوجل » يكون عرس الانسان . أبدا لن تترك موقع الرماد .. فالامور هي المواجهة . صديقي تأمل : ومن الماء قد يولد الزجاج .. شظايا من

(*) الاشارة لشاعرين : ت . اس . اليوت (الارض الخراب) وأمل دنقل (العهد الآتي) .



مرايا أعين . . والعين والماء استيعاب .

عزيزى الفنان . .

أنت تفتح أبوابا . . ولا تغلقها .

أنت تأتى بسؤال . . وتكف عنا الجواب ،

أنت تنكأ جراحا ، تبحث عمن يداويها .

ملاحظات نقدية

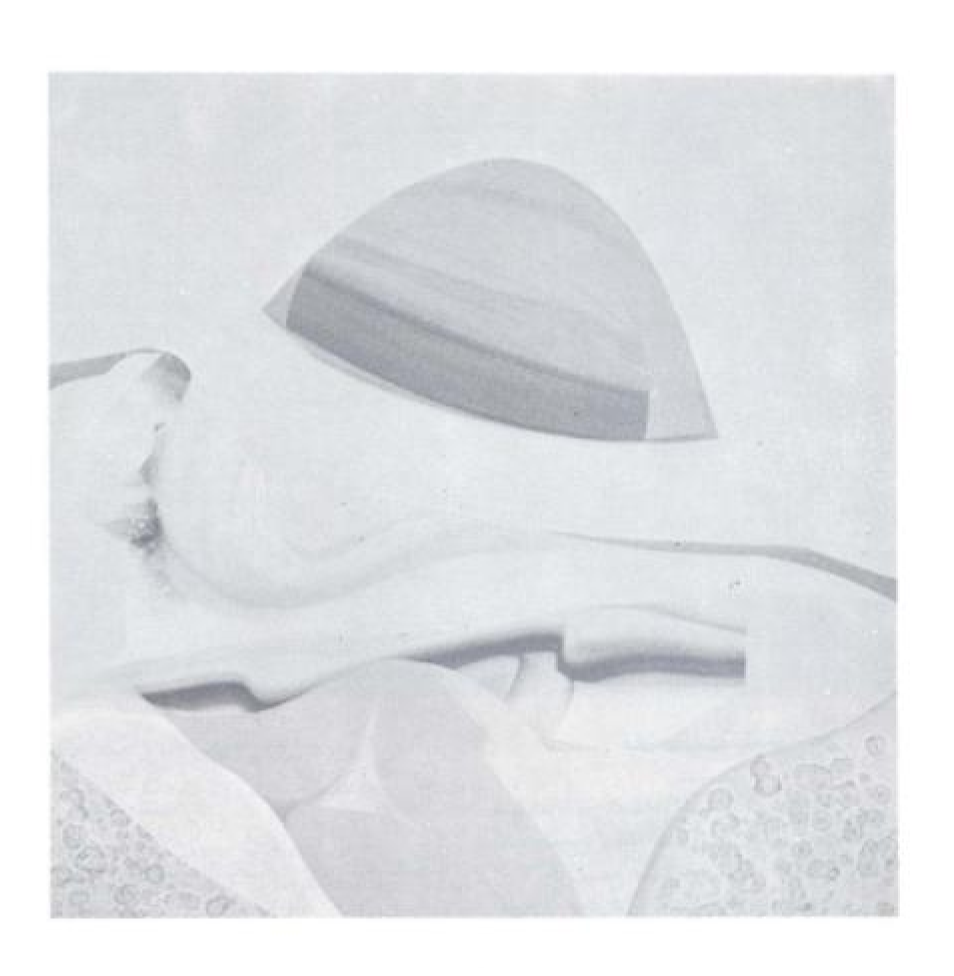
هذه الطاقة من الصفاء والحساسية التى لمستها عند المصور أثارت شجوننا . لماذا الفنان العربي وحيد الى هذا الحد ؟ ! انه لا يكاد يسمع صوتا سوى صدى افكاره . وكلمات المديح لا تصنع فنا . لقد صرنا متيمين بالذاتية في الفن ، وبأكثر مما فعل الفنان الغربي الحديث . ان الاخرين الاكفاء (الجماعات الفنية بأشرطها ـ القوى النقدية ـ الرعاية الاجتماعية لقوى الابداع والتوثيق الثقافي) ، هم

جزء لا يتجزأ من الموازنه النفسية للذات . وكل هذا بعض من مشكلات التصوير العربي في عالم متغير . .

عن النظرة الاولى في المعرض الاخير للفنان ، فان عين المشاهد تسبح في نغمة لونية « مستمرة ، استطرد طويلا ، ربما أوحى بأن كل شيء على ما يرام .

. . واذا كانت القاعدة الثابتة في طبيعة الفنون التشكيلية والخبرة البصرية أنها الفن الاكثر ثباتا وصلابة في الذاكرة . فان اعمال دشتي تنساح هاربة أمام النظر ، وكأنها أثر صوتي لا شكلي . انها تجرى مع الذاكرة ولا تستطيع احتواءها . ان رقتها البالغة تخدشها وطأة النظر . هذا الانسياح يفتقد شيئا من الضوابط الايقاعية أو الصرامه العقلية التي يتحلى بها الفنان القاصد .

ويدرك الناقد المدقق رويدا رويدا لماذا جاء هذا النسيج الجميل على هذا القدر من الفتور . ، انه يعود الى عاملين محركين : لا شك أن العامل الاول سيكلوجي ظهر أو بطن ، واذ « يتشتت » الفنان في متاهات اجتماعية وموضوعية (من الموضوع الادبي) تفقده التركيز في بناء اللوحة وتقتحم نسيجها (كمحاولة لتعقيل التجريد) . ومن ناحية أخرى فان حالة الاسترخاء اللذيذة التي يمارسها



الفنان حين يعمل قد تعود الى عدم وعيه بطبيعة التيار الفنى الذي ينتمي اليه عمله ، وقد تعود الى « ترجسيته » اللونية وقد تعود الى روح الاكتشاف التى بلا ضفاف والعامل الثاني تشكيلي بحت ، فألوانه المدهشة ، بل طريقة ادائها (التكنيك) فيها مكمن الخطر على فنه . انه تكنيك مراوغ وزئبقى ، ينتمى الى أساليب « الاستكشاف اللونى » لحن مستمر يعبر السطوح ولا يغوص . ويحتاج الفنان للسيطرة عليه لصالح القيم الايقاعية للتكوين (لونيا كان أو خطيا) الى أقصى طاقات الضبط العقلي . ان اللوحة كبناء درامى تلزمها ارادة مغايرة تضع للاسترخاء حدودا لا يتعداها . ويحتاج الفنان الى نوع من الحياد أمام عمله ووسائله .

وعن العامل الثانى نسأل : أين يقع فن دشتى فى عوالم التجريدية المحدثة ؟ فلا شك انه وثيق الصلة بالتجريد العاطفى » . تشى بهذا فرشاته الحرة ، ووطء اللون ، ناهيك عن الكلمات . والغاية منه هو « تحرير لون الشيء ليحوله الى أثر مستقل عنه » على حد زعم المصور كاندنسكى (١٨٦٦ - ١٩٦٤) . ونلاحظ أن دشتى يخلع عن لوحاته رويدا رويدا اسقاطاته على الوحدات الشعبية (الفلكلور) والتى صارت تعيق حركته فى بحثه عن « موسيقى الأعماق » .

واذا كانت التجريدية العاطفية تبحث عن « ما تحتمه





الضرورة الداخلية » للفنان ، واذا كان دشق يحاول المواءمة « بين » موسيقى الأعماق الذاتية وحقيقة الكون ومشبعا بنزعة رومانتيكية صوفية واضحة . فان نجاحات الفنان الكبيرة المتوقعة لن تتم في غيبة عن مدارسة التراث الانساني وتجاربه الشاهقة . وهنا لا بد من العودة الى أصول هذا التيار ونعني بها هنا نتاجات الفنان الصيني والياباني . فخبرة الفنان الصيني بالفراغ واللون والطبيعة عريقة شاهقة . إنه ينشد ـ مثل دشق ـ اللا متناه . لكنه يتوسل الى هذه الغاية بأعمق خبراته الارضية ، الفكرية والمادية ، المنظورية والرمزية ، فهو استاذ ماهر في حبكته الخطية وفن التكوين . وهو يعي مقدما أن خطوطه الدقيقة المدروسة سيقدمها قرابين امام معبد اللون والفراغ والتسامي واذا كانت تصاوير حضارتنا العربية الاسلامية في العصور الوسطى قد تعلمت درسا من تصاوير الشرق الاقصى فلم لا نتوجه ثانية الى هذا التراث ، لنستقي من الاصول ؟



أعتقد أن فناننا العربي جعفر دشتي قد خاض غمار « استحضار الرؤيا » بنجاح ، وكأنه يرتاد « كونا » لنا فيه لحن عربي مفقود ولربما مفتقد . وتؤكد أعماله أن صفاء « الذهن العربي » حقيقة وجدانية أصيلة ومستمرة . لكن حاجة الفنان الى الانضباط الذاتي ، والى الترشيد والتكثيف الذي تهبه الحدة الذهنية والحسابات التشكيلية الخطية الرصينة ، هي حاجة ماسة . إننا نهيب به أن يتخلى عن استرخائه وضعفه العاطفي أمام ضربات فرشاته ، والتي تقوده بأكثر مما يقودها . لكن تصميمات كتالوجات معرضه وملصقاته ، وما يتبدى فيها من الحسن الفائق الجميل ، والبراعة التصميمية والقصد ، تظهر أن فناننا يستطيع امتلاك نفسه لو أراد . واذا كان فارسنا قد مضى في هذا الاتجاه الصعب فلعله لا يمضي وحيدا ، ولعله لا تتنكب به الوسائل المعقدة وتحديات المادة التشكيلية عن إدراك الغاية القصوى في الدروب الصعبة المجهولة . ○

أحمد غانم

العجوز والحرب!

قصة : عمر سيف الدين

ترجمة الدكتور : محمد حرب

○

مثل حديقة ورد صغيرة ، كان هذا التل الذى يرنو إلى الآفاق اللانهائية في البحر الأبيض المتوسط . مرتع الاساطير والظلال الملونة التي تعكسها أشجار اللوز الرقيقة ذات الأغصان الطويلة تتساقط على طريق الماعز وهو طريق مؤد الى الشاطىء . طيور المارطي تشوى برياح الربيع العذبة تملأ الجويصياحها المجنون . وخلف حائط صغيرمبني بالأحجار البيضاء ، كانت تقبع حديقة زيتون تمتد نازلة حتى الوادي .

وفي وسط الحديقة كوخ مهدم له مدخل ينقصه الباب . خرج من هذا المدخل شيخ طاعن في السن يجلل البياض الشعر في رأسه وفي لحيته . شد هذا الشيخ ظهره كما لو كان يريد أن يعدل من حدبته . كانت ساقاه ترتعشان ، وكذلك كانت يداه . نظر مليًا الى البحر الخالي خلو الفضاء ، والساكن سكون السماء وقال :

ـ خيرا إن شاء الله .

جثا على أكوام الحجارة أسفل الحائط ، وأخذ رأسه بين يديه . كان يرتدى جوالاممزقا من الجوت . قدماه حافيتان تدغمان الظفن بابها قدًا من الأرض . كان لون ذراعيه النحيلتين في لون البرنز المتسخ . رفع الشيخ رأسه من جديد ، وتمعن بدقة في خط الدخان الذى يربط السماء بالبحر . ولم يكن هناك شيء في الأفق .

كان هذا الشيخ يحلم كل ليلة بان عدة سفن شارعة أشرعتها آتية لانقاذه . مضى عليه أربعون عاما منذ أن وقع أسيرا في أيدى قراصنة مالطة . عندما كان رجلا في الثلاثين من عمره يتدفق قوة وحياة ، أجبره القراصنة على العمل في التجديف في سفنهم مدة عشرين عاما . . . وعاش العشرين عاما في قاع سفينة رطب ، قدماه مربوطتان بسلسلتين من حديد . لكن هذه الأعوام العشرين بكل ما فيها من صيف وشتاء ورياح وعواصف وشمس لم تستطع أن تذيب جسمه الجرانيتي . . . الصدأ والتآكل والتكسر أصاب السلاسل الحديدية التي تقيده . . القراصنة الذين أسروه غيروا وبدلوا خلال هذه العشرين عاما ، هذا القيد الحديدى الذى يقيد الشيخ والمسامير التي فيه مرات ومرات ، إلا أن شيئا لم يصب ساقيه اللتين كانتا أشد من الصلب ! لم يكن يحزن الشيخ في فترة الأسر هذه على شيء قدر حزنه لعدم تمكنه من الوضوء . كان يتجه نحو الناحية اليسرى قليلا بعض الشيء من المكان الذى تشرق منه الشمس ويتجه بناظريه نحو القبلة ليؤدى الصلاة خفية وبالاشارات خمس مرات في اليوم . وعندما بلغ الخمسين من عمره ، أخرجه القراصنة من السفينة وباعوه في إحدى الجزر لأنه : « لم يعد يستطيع تحريك المجاديف » . فاشتراه رجل مزارع . اشتغل الشيخ مع صاحبه الجديد عشر سنوات لقاء خبز جاف يقيم به أوده لكنه كان يشكر الله كثيرا لأن قدميه لم تعودا مقيدتين.ولأنه أصبح يستطيع أن يتوضأ بل وأن يقف بالفعل أمام القبلة ليؤدى الصلاة بالآيات التي مازال يحفظها ، ولأنه أيضا أصبح يستطيع أن يمد يديه بالدعاء بلا قيد . كان كل أمله يتركز في العودة الى قصبته أدرميد من بلاد الأناضول . لم ييأس الشيخ من تحقق هذا الأمل ولو للحظة واحدة خلال ثلاثين عاما . كان يقول : كما اني أؤمن بأني سوف أبعث



بعد الموت ، فاني أؤمن أيضا بأني سأعود الى وطني بعد حياة الأسر الطويلة »

كان من أعظم وأشهر البحارة العثمانيين ، اجتاز وهو في الثلاثين من عمره مضيق جبل طارق . وكان يبحر الأسابيع والشهور الطوال دون أن تقع عيناه على يابس . فرض الجزية على الجزر البعيدة التي اعترضت طريقه . هزم بسفينته الخفيفة سفنا مختلفة الأحجام ما بين صغيرة وكبيرة . وكان اسمه في ذلك الوقت اسطورة في ديار الترك العثمانيين تتناقلها الألسن ، بلغت شهرته مسامع القصر السلطاني فدعاه السلطان لمقابلته ليستمع الى مغامراته ، كل ذلك لأنه جاب الديار التي جابها الخضر عليه السلام من قبل . أبحر الى بحار غربية تسبح فيها قطع جليدية ضخمة ، أضخم من الأمواج ومن الجزر . كانت هناك دنيا مختلفة تماما عن دنياه حيث يمتد النهار إلى ستة أشهر ويمتد الليل الى ستة أشهر أخرى . ومن هذه الدنيا التي يتكون العام فيها من نهار واحد عظيم وليل واحد هائل ، أخذ امرأته عائدا الى وطنه ليتزوجها وسط البحر الذي لايتبين له شواطيء،بوفوق سفينة محملة بالذهب وبالفضة واللؤلؤ والماس والأسرى.وبينما كانت السفينة تعبر مضيق الدردنيل ولد له ولد أسماه طورغود . لابد أن يكون ابنه الآن في الخامسة والأربعين من عمره ، ترى هل مازال ابنه طورغود على قيد الحياة ؟ ترى هل مازالت زوجته صاحبة البشرة البيضاء اكثر من بياض الجليد الذي تسيه خياله منذ أربعين عاما ؟ إن أفق العاصمة استانبول بمآذنه الكثيرة لم يمح من خياله . كان يفكر قائلا : « آه لو كانت لي سفينة لأغمض عيني وألقي مراسي السفينة على شاطيء قاباطاش باستانبول ! » .

بلغ الشيخ الستين من عمره فأطلقه سيده ولم يكن هذا في الواقع عتقا بل كان تسليما للشارع وللجوع وللاضطراب . عثر هذا الشيخ الأسير على هذا الكوخ المهجور في هذه الحديقة المهجورة . كان أحيانا ينزل الى القصبة فيرق لشيخوخته بعض الناس ، فيعطونه قطعا من الخبز يجمعها ليعود بها . ومرت حياته على هذا المنوال عشر سنوات أخرى حتى وهنت قواه . كما أن صاحب الحديقة لم يعد يريده ، فالى أين سيذهب ؟

لكنه في أثناء ذلك أخذ يرى فيمايرى النائم ذلك الحلم القديم الذى كان يراه منذ أربعين عاما مضت « قدوم الأتراك ووصول السفن العثمانية » .

فرك الشيخ عينيه جيدا بيديه المعظمتين ، وتطلع من جديد الى المكان الذى يتعانق فيه البحر والسماء . نعم ! إنهم ـ بالتأكيد ـ لابد قادمون وكان واثقا من هذا الى أقصى حدود الثقة . كان يقول « لايمكن لرؤيا أراها منذ أربعين سنة أن تكون كاذبة ! » .

تمدد بجوار حائط الكوخ ، ورويدا رويدا أخذت عيناه تغمضان . كان الربيع ينير كل مكان وكأنه طوفان أمل . نام الشيخ وهو يسمع أصوات طيور المارطي الحلوة وكأنها تقول له : إنهم قادمون ! إنهم قادمون ! قادمون لانقاذك ! »

كانت السحالي تخرج من شقوق الحائط ، تجرى فوق جسمه ، تهرب الى داخل الجوال الجوت الذى يتخذه الشيخ ثوبا . تأخذ السحالي في اللعب فوق لحيته البيضاء الكثة وفي أثناء ذلك كان الشيخ يرى فيا يرى النائم أن أسطولا عثمانيا كبيرا يدخل الميناء لتخرج منه عدة كتائب من الجنود يتجهون نحو الطريق الموصل الى القصبة . ولقد عرف الشيخ من بعيد العلم العثماني الأحمر ذا الهلال . وكانت دروع الجنود وسيوفهم تلمع نتيجة لانعكاس الشمس عليها . »

استيقظ الشيخ من نومه صائحا :

ـ انهم رجالنا ! انهم رجالنا !

وعندما اعتدل الشيخ تدافعت السحالي هاربة بعد أن كانت منذ برهة نائمة فوقه . وتطلع الشيخ نحو الميناء ، فاذا به يجد أسطولا قد رسا أمام القلعة . تطلع الى السفن . . . إلى طرازها وأشرعتها ومجاديفها فامتقع لونه وانتابته صفرة ، فتح عينيه أكثر . بدأ قلبه يدق دقات سريعة . عقد يديه فوق صدره . لقد كانت السفن سفنا عثمانية بالفعل تقترب من الشاطيء . لم يصدق عينيه انتابه الشك فخاطب نفسه قائلا : هل هي رؤيا تلك التي أرى ياترى ؟ ولكن كيف تكون الرؤيا أثناء اليقظة ؟ ولكي يتأكد الشيخ من الأمر عض يده وتناول قطعة من الحجر الحاد الطرف من الأرض وضرب بها جبهته . نعم ، لقد تألم . . . لقد كان بالفعل يقظا ، ولم يكن مايراه رؤيا لابد وأن الأسطول قد ظهر فجأة بينما كان يغط في النوم !

وبين الفرحة والحيرة أصابه الخوف والعجز ، فوقع على الأرض ، كانت كتائب الجنود التي نزلت من الأسطول العثماني في ذلك الوقت قد أخذت تتجه نحو القلعة حاملة العلم الأحمر ذا الهلال ، أخيرا بعد أن صبر بآخر ما في إيمان الانتظار مدة أربعين عاما جاء الفرج ، وأخذت عظام الشيخ تطقطق فجأة ثم سار في الطريق الذى تغطيه الظلال

الوردية المنعكسة عن أشجار اللوز . وأخذ الشيخ يجر ساقيه نحو شاطيء البحر مسرعا ، وعندما رأى الجنود الذين نزلوا الى الشاطيء الشيخ العجوز بلحيته البيضاء يتجه اليهم مسرعا صاحوا به قائلين :

- قف !

ولم يتوقف الشيخ بل صاح بهم قائلا :

- أنا تركي يا أولادي ! أنا تركي مثلكم !

انتظر الجنود اقتراب الشيخ منهم ، ولما وصل اليهم أمسك بأول جندي قابله وأخذ يقبله . كانت الدموع تذرف من مآقيه . رق كل الناظرين لحاله . وعندما استرد هدوءه ، وأخذ تأثره في السكون سألوه :

- منذ كم سنة وأنت أسير في هذه الديار ؟

- أربعين .

- ومن أي بلد أنت ؟

- أدرميد .

- ما اسمك ؟

- قراما ميش .

- أأنت القبطان قرامامیش ؟ !

- نعم



اختلط الشيخ بالجنود . وعلت الصيحات تقول : ! أخبروا!!القائد أخبروا القائد !، وأخذوا الشيخ من يديه . وضعوه في مركب صغير وأصعدوه على سفينة ضخمة . لقد عرفه الجنود فليس فيهم من يجهل مناقبه ولا يعرف سيرته . لم يكن بينهم أحد لم يسمع بشهرته . وقف الشيخ على سطح السفينة قليلا . أصابته الدهشة وأخذت الحيرة بتلابيبه من جراء رؤيته لمواطنيه الذين اشتاق اليهم طوال أربعين سنة . ألبسوه سروالا وألقوا على ظهره قفطانا ووضعوا على رأسه قلنسوة وقالوا له :

- هيا الى أميرنا القائد ! ،

ـ تقدم الشيخ نحو طرف السفينة الضخمة برفقة الجنود ثم وجدنفسه في النهاية أمام رجل فارع الطول يحاكي شاربه الأسود شكل السيف،يرتدي ملابس مقصبة بالذهب مدرعة بالحديد والصلب .

ـ هل أنت القبطان قراماميش ؟

ـ نعم .

ـ هل أنت الذى جبت الأماكن التي مربها الخضر عليه السلام ؟

ـ أنا .

ـ هل تقول الحق ؟

ـ ولم أكذب ؟

ـ إذن أرني ذراعك الأيمن .

أخرج الشيخ ذراعه من تحت القفطان ، شمر عنه ، مده الى القائد . كان في عضد الشيخ أثر جرح غائر على شكل صليب أصيب به عندما كان ينقل زوجته من جزيرة يطول ليلها ستة أشهر ، أمسك القبطان بيد الشيخ واخذ يقبلها ويقول :

ـ أنا ابنك .

ـ أأنت طورغود ؟

ـ نعم .

أغمي على الشيخ الأسير ، فقد وعيه ، وعندما أفاق قال له ابنه :

ـ اني جئت هنا لكي أحارب . أما أنت فخذ قسطك من الراحة في السفينة .

ـ لا . . . أنا أيضا سأخرج معكم للحرب

ـ أنت طاعن في السن يا أبي !

ـ لكن قلبي قوى .

ـ استرح وتفرج علينا .

ـ ان شوقي للقتال يمتد الى أربعين سنة خلت .

أراد ابنه أن يتركه في السفينة لذلك قال له :

قد تصاب ياأبي.والعودة الى الوطن الذى طال شوقك اليه أفضل من الحرب .

اعتدل قراماميش فجأة في تلك اللحظة كما لو كان فهدا ، لم يستطع أن يتمالك نفسه .طلب درعا وسيفا ، ثم أشار الى العلم الذى يرفرف على طرف السفينة وقال :

ـ اذا نلت شرف الشهادة ، فكفنوني بهذا ، أليس الوطن هو المكان الذى يرفرف عليه هذا العلم الأحمر الذى يزينه الهلال ؟ !

د . محمد حرب

قلب الأم

تزوج فتى بامرأة وله أم عجوز ، فقالت له زوجته لا يمكن أن نستريح الا اذا ذهبت هذه العجوز عنا ، فلما ألحت ، حمل أمه على ظهره وذهب بها ليلا الى واد كثير السباع فرماها فيه ، ثم تنكر ومر عليها فرآها تبكي ، فقال ما يبكيك يا عجوز ، فقالت « ان ابني تركني هنا وذهب وأخاف أن يفترسه الأسد ، فقال لها : تبكين ، وقد فعل بك ما فعل ـ ألا تلعنين هذا الابن العاق ؟ » قالت:« يأبى قلبي ذلك » فأشفق عليها وأرجعها معه !

طبيب الأسرة

الأنيميا الخبيثة

● أصبت بهزال شديد فقال لى الطبيب ان ما أعانيه هو انيميا خبيثة .. فهل لكم ان تنشروا شيئا عن المرض وطبيعته ؟ .

○

لقد وصف اديسون عام ١٨٤٩ نوعا خبيثا من الأنيميا يتميز بتغير فجائى يطرأ - لغير ماسبب معروف - على كريات الدم الحمراء ، فتفقد القدرة على النضوج ، ومن ثم تعجز عن نقل الاوكسجين والغذاء الى مختلف انسجة الجسم ، فيضعف المصاب وينتهى به الأمر الى الهلاك المحقق .

وهذا المرض ينتشر فى جميع انحاء العالم .. وقد سجلت الاحصائيات أن عدد ضحاياه بلغ فى امريكا وحدها ، خمسين الف نسمة كل سنة .

وقد بذل العلماء محاولات كثيرة للتعرف على كنه هذا الداء ... ولكنها لم تتجاوز جميعا حد الحدس والتخمين ، فظل أمره مجهولا ، الى عهد غير بعيد - هو عام ١٩٢٦ على وجه التحديد ، حينما لاحظ مارفى ولو فلين تحسنا مدهشا يطرأ على المصابين بمرض الانيميا الخبيثة ، اذا اكان غذاؤهم يحتوى على رطل من الكبد الطازج كل يوم .

وفى هذه الاثناء كان كاسيل ، استاذ الفسيولوجيا بجامعة هارفارد ، يجرى أبحاثه على المعدة ... فوجد ان هناك أنواعا من الاغذية ، عندما تضاف الى العصارة المعدية ويتناولها مرضى الأنيميا الخبيثة ، يظهر عليهم تحسن ملموس .

وهذا هو أساس النظرية السائدة التى تتلخص فى احتواء بعض الأطعمة على عامل خارجى ، يتفاعل مع العامل الداخلى الذى يفرزه الغشاء المخاطى المبطن للمعدة ، فيتكون نتيجة لذلك العامل الواقى من الانيميا الخبيثة ، الذى يختزن بعدئذ فى الكبد .

ولما كان التركيب الكيميائى لهذه العوامل مجهولا ، أصبح طريق العلاج الوحيد هو التغذية بالكبد الطازج مدة قد تطول مدى الحياة .

والواضح أن هذه طريقة بدائية لاتستسيغها النفس اطلاقا وقد تنافس الكيميائيون فى تحضير خلاصات .. من الكبد ، تصلح للتناول عن طريق الفم أو الحقن فى العضل وتحتوى على هذا العامل المجهول الذى يقى السليم ويشفى المصاب بالانيميا الخبيثة .

ولقد أحرزت حقن خلاصة الكبد نجاحا يذكر فى معالجة هذا الداء ولكنها أخفقت فى علاج مضاعفاته العصبية ... هذا الى أنها تسبب للمرضى آلاما عنيفة مما استلزم اضافة مخدر موضعى فى الدواء .

وتتابعت البحوث ، واصبح الهدف هو التعرف على حقيقة هذا العامل الواقى والشافى معا ... ففى عام ١٩٤١ وجد انه اذا أعطيت خلاصة السائل المركزة للجرذان المصابة بالأنيميا ، شفيت وزاد وزنها ، وفى عام ١٩٤٣ ، أمكن استخلاص عامل له نفس التأثير ، من خلاصة الكبد والخميرة والسبانخ على هيئة بلورات نقية ونظرا لوجوده فى لاوراق الخضراء ولتأثيره الحمضى سمى حامض الفوليك .

وفى عام ١٩٤٥ امكن تكوين هذا الحامض وتشييد هيكله الكيميائى ، وكان عليه - شأن أى



عقار جديد ـ أن يجتاز عدة اختبارات اكلينيكية دقيقة ليتبوأ مكانه الحقيقي في عالم العلاج . وقد ثبت أن حامض الفوليك وحده لايمنع أو يوقف حدوث الأنيميا الخبيثة المصحوبة باعراض عصبية ، بينما يظهر تحسن كبير على هذه الحالات نفسها اذا عولجت بخلاصة الكبد . ومن هذا نشأ الاعتقاد بأنه يوجد في خلاصة الكبد عامل آخر غير حامض الفوليك . لاغنى عنه لحفظ الجهاز العصبي من مرض الأنيميا الخبيثة .

وفي عام ١٩٥٠ وفق القائمون بالابحاث في معامل الأدوية العالمية الى فصل بلورات حمراء ابرية الشكل من الكبد ، أطلق عليها اسم « فيتامين ب ١٢ » .

ويمكننا ان نتصور مبلغ العناء الذي صادفه اولئك الافذاذ ، اذا علمنا أنه قدثبت أن كل مليون جزء من الكبد الطازج يحتوي على جزء واحد فقط من هذا الفيتامين الذي كان يعرف قبلا باسم « عامل الأنيميا الخبيثة » .

وليس ذلك فحسب . . . بل انه ـ نظرا لتعقيد طريقة التحضير ، تفقد منه كميات كبيرة نسبيا ، وقد قدر أن كمية الفيتامين ب ١٢ التي يمكن الحصول عليها من مقدار طن من الكبد الطازج لاتتجاوز ٢٠ ملليجراما ، في أحسن الاحوال ، ولكنها ـ على أية حال ـ تكفي لعلاج ٢٠٠٠ مريض بهذا الداء .

وتتركز أهمية هذا الفيتامين في علاج المضاعفات العصبية للأنيميا الخبيثة ، وقد أمكن تحضيره كذلك بالتخمير العميق للفطر الذي يفرز مادة الاستربتوميسين .

تضخم غدة البروستاتا

● لاحظت منذ فترة أن معدل مرات التبول قد ازداد عندي بصورة ملحوظة رغم أنني لاأعاني من أي أعراض أخرى وقد أجريت التحاليل الطبية اللازمة للتأكد من أنه ليس مرض السكر فهل يمكن أن اكون مصابا بالبروستاتا علما بأنني أبلغ من العمر الخامسة والاربعين ؟

○

ان زيادة مرات التبول ليلا ونهارا هي اشارة الانذار الاولى لاينتبه الى ذلك نظرا لعدم وجود أي أعراض اخرى لنزول الدم في البول أو الالم لكن تفاقم الحالة بالتدريج وبفعل الاهمال يعرض الى ترسلها غدة البروستاتا محذرة من أنها بدأت في التورم اذ انها غدة صغيرة طولها حوالي أربعة سنتيمترات تحيط بعنق المثانة وجزء من بداية العضو التناسلي ووظيفتها الأساسية هي افراز سائل يحتوي على بروستاتا وانزيمات ومواد دهنية ومواد سكرية وأملاح ومعادن بهدف اثراء السائل المنوي وتنشيط الحيوانات المنوية وابطال مفعول الحوامض الموجودة في الجهاز التناسلي للمرأة حتى تتاح أكبر فرصة للحيوان المنوي للانطلاق نحو هدفه الاساسي ، « البويضة » ، والملاحظ أن البروستاتا تميل للتضخم في سن النضج عند الرجل أي بداية الاربعينات لأسباب غير معروفة بدقة ربما لأسباب تتصل بتغير الافرازات الهرمونية .

وحينما تتضخم غدة البروستاتا الى الدرجة التي تضغط فيها على عنق المثانة فان الملاحظة الاولى ـ نظرا لأنها تقلل حجم المثانة الذي يستقبل البول القادم من الكلى عبر الحالبين ـ هي كثرة مرات التبول سواء اثناء النهار أو الليل لكن المريض قد المريض لانتفاخ الحالبين نظرا لتراكم البول في المثانة التي تضغط البروستاتا على مخرجها . وقد يؤدي ذلك الى مايسمى«بانحباس البول» والذي معه يضطر الطبيب لاخراج البول عن طريق انبوب من المطاط « قسطرة البول » مما يعرض المريض لأخطار الالتهابات والعدوى .

وتورم البروستاتا ليس بالامر الصعب اكتشافه إذ أن طبيب المسالك البولية يمكنه اكتشافه بسهولة بعد فحص غير مؤلم وإن كان غير مستحب فاذا تأكد الطبيب من تورم الغدة وتضخمها ، فانه يعمد الى اجراء

أشعة الليزر والعين

* أعاني من اضطرابات بصرية ناشئة عن مرض السكر الذي أصابني منذ اكثر من عشرين عاما وأقوم دائما بالكشف الدوري على قاع العين وقد نصحني الطبيب هذه المرة باجراء فحص اكثر دقة بمنظار خاص يمر عبر العضو التناسلي الى داخل المثانة ليحدد مقدار الضرر الذي يكون قد وقع عليها من الداخل كالالتهابات أو القروح فيتمكن بذلك من علاج كل آثار تضخم البروستاتا في جلسة واحدة .

وتأتي بعد ذلك العملية الجراحية والتي لا تستغرق وقتا طويلا وان كانت بحاجة الى جراح ماهر يمكنه ازالة وصقل جزء من غلاف الغدة مع محاولة الابقاء على أكبر قدر ممكن من نسيجها اذا كان التضخم حميدا وليس خبيثا . .

وتتم الجراحة الآن كاملة عن طريق المنظار وجهاز آخر صغير يمكن عن طريقه كيّ مواضع النزيف بعد اخلاء قطع النسيج المتهتكة يغادر بعدها المريض المستشفى مع بعض النصائح الطبية كعدم بذل المجهود العضلي أو حمل الاثقال الى جانب التنبيه الى الاكثار من السوائل خاصة الماء لتنشيط عمل الكلى وقد يصحب ذلك بعض المشاكل في التبول أو الألم بنسب متفاوتة لكن سرعان ما تزول مع الوقت .

جراحة بما يسمى أشعة الليزر . . فما هي . . وما جدواها ؟

بالفعل قد تبدو أشعة الليزر مفيدة جدا في علاج حالة كحالتك . . اذ أن تدهور حاسة البصر عند مريض السكر في كل الحالات تقريبا ناشئة عن عمليات النزيف الدائمة الحدوث في شبكية العين مما يؤدي بالطبع الى تدهور البصر لأن الشعيرات الدموية تحل محلها أنسجة ليفية تلغي عمل الخلايا الحساسة التي تبطن الشبكية .

ففي عام ١٩٦٣ استطاع آرثر تبولو في تجربة فريدة أن يثبت أن أشعة الليزر يمكن تصويبها بدقة - وتمريرها عبر أي مجال دون أن تحدث فيه تأثيرا - على جسم محدد لتدميره فأدخل بالونا ملونا داخل آخر شفافا . . وركز أشعة الليزر التي حصل عليها من ياقوتة زرقاء (sapphire) على البالون الداخلي الملون فانفجر داخل الشفاف ومنذ ذلك الوقت اهتم الاطباء اهتماما غير عادي بأشعة الليزر وبرز اسم « الجراحة البيضاء » التي لايسيل فيها الدم كما هي العادة .

تركيب العين مثلا يشبه البالونين فالعين طبقة شفافة خارجية هي القرنية وطبقة قائمة هي الشبكية وتسلط الاشعة بدقة وتركيز عبر القرنية يمكنه أن يلحم تمزق الأوعية الدموية بواسطة الحرارة الشديدة التي تتولد عن امتصاص اشعة الليزر والذي يحدث بشدة

وباستخدام النظرية ذاتها يمكن تدمير كل الخلايا غير المرغوب فيها كالأورام حتى انه حاليا تجرى في فرنسا محاولات جادة وباهرة لاستئصال أورام الرئة بأشعة الليزر .

وفي مجال الطب أيضا تستخدم أشعة الليزر بأمان في علاج تسوس الأسنان وازالة الوحمة التي تشوه الجلد وفي حالات نزيف المعدة والامعاء بل وعلاج الأحبال الصوتية وتجاعيد الوجه كذلك اذا تعرضت تجاعيد الوجه لأشعة الليزر فانها تزيلها بتحفيزها للنشاط العضلي وتحسين سريان الدورة الدموية بنشاط اكبر وان كان هذا يحتاج الى حوالي عشرين جلسة على فترات متقاربة للغاية مرة كل سنة .

أما عن الليزر نفسه فهو ببساطة تكثيف اشعاعي نقي ينبعث دون تشتت وبذلك يسهل توجيهه الى نقطة صغيرة جدا بتركيز مكثف للغاية يمتص الاشعاع امتصاصا يكاد يكون كاملا فينشأ عنه طاقة حرارية هائلة تعمل على تفتيت الخلايا غير المرغوب فيها والتحام الاوعية النازفة .

وبناء على هذه الخاصية الفريدة تجرى في بريطانيا تجارب رائدة في حقن مادة ملونة لاتمتصها غير الخلايا السرطانية التي يمكن تتبعها وتدميرها بأشعة الليزر واذا كتب النجاح لهذه التجارب فانها بلاشك ستنقلنا الى عالم « الليزر في خدمة المجتمع » بدلا من استخدامه كأشعة للموت في الحروب !



صدى التاريخ

● التاريخ هو معرفة اخبار واحوال الأولين ونوع معيشتهم وسياستهم واعتقادهم وأدبهم وتراثهم . وهو اعظم لمن اراد ان يكون خير تلميذ في تاريخ الامم المنتصرة والأمم المنهزمة .

وهذا التاريخ يكشف عن عوامل النصر وعوامل الهزيمة بشكل واضح وملموس . وخير دليل على ذلك شخصية النبي عليه الصلاة والسلام . تلك الشخصية المتكاملة نفسيا واخلاقيا وسياسيا . والشخصية التي اكملت رسالتها على حسابات مستقبلية وثيقة ومبرمجة وسليمة . بنيت على اساس الاستفادة من المعضلات والانتكاسات الاجتماعية المدنية دهورا طويلة . ولو نتعرض على حساب الاستقراء ، اهم اسباب نجاح هذه الرسالة العظيمة نجد ما يلي :

أولا : الفكرة الصائبة السليمة

ثانيا : القيادة المتكاملة البصيرة

ثالثا : الايمان المطلق بشخصية قائد الرسالة

ثالثا : الاستعداد الدائم والتضحية

كل هذه الاسباب جعلت هذه الرسالة المقدسة السامية تأخذ مجراها الطبيعي والمنطقي متحدية بذلك كافة الحوائل والعقبات الاعتراضية . اولئك ضربوا نواقيس التاريخ الخرساء ليوقظوا بها من أغفلتهم الحقيقية . وبقي رنين تلك النواقيس الى يومنا هذا ـ نتعم به وننشده كسيمفونية تاريخية أصيلة . ولكن المعضلة التي تعيد نفسها تكمن لنا فيما لو شكل لنا ذلك الرنين « المحمدي » المقدس غسيلا للمخ او الانعام باشعاع الواقع الاسلامي .

عادل علي عبيد ـ البصرة

شخصية العدد

● أقرأ صفحات مجلتنا العربي في كل شهر وأستمتع بكل ما فيها واعتقد انها المجلة المحبية لدى كل العرب . ولكننا نعرف عن الكثيرين الذين خلدت أسماؤهم في هذه الدنيا سواء كانوا فنانين او كتابا او مفكرين عالميين .

السرقة المشروعة

ليست العربي .. كغيرها من المجلات التي عمرت العالم بدون جدوى ـ وانما هي موسوعة علمية كاملة ، فعلى صفحاتها يلتقي القارىء بالسياسي والكاتب والشاعر والعالم ، لما تنشره من مواضيع قيمة وبذلك أصبحت هذه المجلة منافسة بل ورائدة لمجلات العالم العربي . وأحيطكم علما بأن هناك جرائد ومجلات تسرق ما ينشر على صفحات مجلتكم . وقد اكتشفت

أسرة .. التحرير

● في البداية أقدم لكم شكري وتقديري على ما تبذلونه من جهد في سبيل اصدار مجلتنا « العربي » . ولدي بعض الاقتراحات التي أتمنى ان تأخذوا بها . لانها تدخل في سياق عمل مجلتنا وهذه الاقتراحات هي :

اولا .. تقديم الاستطلاعات عن البلدان بالتساوي . ذلك لانكم تعطون بعض الدول اهتماما اكبر بالاستطلاعات من الدول الأخرى .

وهذا أمر ـ عز في نفوسنا لأننا نشعر بشغف لمعرفة الخبايا الدول الاخرى التي تسلطون الضوء عليها في استطلاعاتكم .

ثانيا .. تقديم استطلاع عن مجلة العربي من الداخل . لمعرفة سيرة الحياة اليومية لدى أسرة التحرير .

محمد توسرين ـ المدية ـ الجزائر

العربي :

فـيـي ـسـعـاق

اعداد
يوسف الشهاب

ولدى اقتراح أقدمه لكم الاوهو تخصيص صفحة أو اكثر عن أي شخصية من هؤلاء ، ونأخذ اسم شخصية العدد .. حتى يستطيع القارىء التعرف على جوانب حياة هذه الفئة ..

قائد محسن ناجي ـ اليمن الديمقراطي

العربي :
بخصوص اقتراح القارىء العزيز ، فان العربي قد بدأت منذ فبراير الماضي باضافة باب جديد بعنوان ـ لقاء ـ الشهر ـ حيث تستضيف احد المفكرين أو الأدباء او العلماء في حوار يتناول مختلف القضايا العامة .

ذلك أكثر من مرة حين تقع بين يدي احدى هذه الصحف فأقرأها واكتشف رائحة العربي عبر مقال تنشره للقارىء بعد نشره لديكم ..

نقاش خليل ـ القرارم ـ الجزائر

العربي / شكرا لقارئنا العزيز على ملاحظته ـ ويكفي أن تكون العربي « كنزا » تسرق منه الصحف التي قلت عنها ـ وهي سرقة مشروعة ان شئت

بالاستطلاعات فان العربي تحرص على التساوى بين الدول لانها للجميع دون استثناء . أما بخصوص اقتراحك حول استطلاع عن أسرة التحرير ، فنظن أن اسرة التحرير تقدم نفسها كل شهر على صفحات المجلة

الحرية والديمقراطية

● مرت على الوطن العربي تجارب كثيرة . أثبتت نتائجها ان فقدان الحرية والديمقراطية في اقطار وطننا العربي هي السبب الرئيسي فيما أصابنا من فرقة ومذلة وهوان بين الشعوب ..

ونظرة واحدة الى أوضاع عالمنا العربي المتمزق تعطينا فكرة واضحة عما وصلت اليه حالنا من تعسف واستكانة مما أطمع فينا اعداءنا ، ولم يكسبنا احترام اصدقائنا . وهانت امورنا وقضايانا حتى على أنفسنا .

ان الدروس التي يمكن استخلاصها من مجرد مراجعة ممارسات انظمة الحكم في البلاد العربية في الربع من القرن الماضي ، يعطي كل ذي بصيرة نتيجة واحدة ظاهرة لا يمكن تكرارها ـ وهذه النتيجة هي أن على الشعوب العربية أن تنهج في سيرها خطا جديدا لأن ذلك هو الطريق الوحيد لكي يكون لهذه الأمة امل في مستقبل واحد مشرق تحصل فيه على حقوقها وتؤمن فيه العيش الكريم لمواطنيها . وتنتشر في ارجائها موازين العدالة والرخاء والمساواة ـ وهذه كلها لا تأتي الا اذا تحققت لدينا الحرية والديمقراطية .

ان الديمقراطية ممارسة وقناعة والتزام . فرجل الدولة في النظام الديمقراطي يلزم حقوقه عن قناعة بجدوى النظام وعن ايمان بأن حقوقه تقف عند حد معين . وسلطاته أعطيت له لخدمة المواطنين لالارهابهم والاعتداء على حقوقهم وحرياتهم ـ والمواطن يلتزم بالنظام لا خوفا من العقاب ولكن عن قناعة بأن ذلك هو السبيل للمحافظة على حقه وضمان عيشه في مجتمع حر يعطيه ماله اذا دفع ما عليه ...

المحامي هاني الدحلة ـ عمان ـ الأردن

العربي . . .
منبع الثقافة

● أتابع صدور العربي وأقرؤها قارئ فيها ما يملأ الذهن بالمعلومات القيمة من البحوث في شتى المجالات ومايشرح الصدور . وأراها مرجعا لمن اراد التزود بسلاح العلم والمعرفة والثقافة الأدبية .

وأشكر الله تعالى على انه مازال هناك مثل هذا المنبع الوفير الذي هو مجلتكم التي تنطلق من اهدافها بنشر المعرفة وتزكية العقل . وايقاظ الضمير ليهب من مرقده الى عالم البحث والتنقيب عن كل جديد ومفيد .

ولقد شغفت كل الشغف بالثقافة من فترة ليست قريبة حيث كان الملهم هو الخالق - سبحانه - أولا ثم مجلتكم الفريدة . تلك الأم التي تنبع بكل ما ادخرت ولا تبخل بشيء .

سعد عبد المقصود محمد - محافظة بحيرة - مصر العربية

الانسان . . والضجر

● الضجر من أخطر الامراض التي تصيب الانسان ، واذا أردنا أن نبحث عن اسبابه فان الفراغ هو السبب المباشر ، وهو الذي يأتي على الانسان بالضجر . كما أن التفكير السابق لأوانه في موضوع لم يأت من الاسباب غير المباشرة . ثم ان فكرة الفشل الراسخة في عقل الانسان - نتيجة احداث او مواقف - كانت نتائجها ذات تأثير عليه . وكذلك التفكير بأشياء متعددة ومختلفة ، وتصور الانسان بأنه المسؤول عن اخطاء الجميع بالاضافة الى المفاجآت السيئة التي تطرأ على حياة الانسان اليومية . والتفكير في خطأ ارتكبه عن غير قصد - كل هذه وغيرها من الاسباب المباشرة وغير المباشرة لحالة الضجر التي يتعرض لها الانسان . وعندما يتعرض الانسان لهذه الحالة فانه يرغب بعمل أي شيء ليخرج من الفراغ الكبير الذي يجده في مواجهته ، لانه يشعر بضيق شديد في المخيلة والنفس ، ولذلك فانه يرغب في ان يلغي الوجود ببضع ثوان ، وان الضجر يفقد الانسان لفعل أي شيء مقابل مرور الوقت الباقي لفناء البشرية التي يفتقدها الانسان نتيجة لضجره لكنه رغم كل شيء يظل الانسان في حالة يرثى لها من القلق الشديد ، والتوغل في أعماق الحياة حيث يظن الفرد حين ينظر الى الانسان المصاب بهذا المرض بأنه قد نكب نكبة كبيرة ، وان الضجر مرض يصيب كل كائن حي سواء أكان حيوانا أم انسانا .

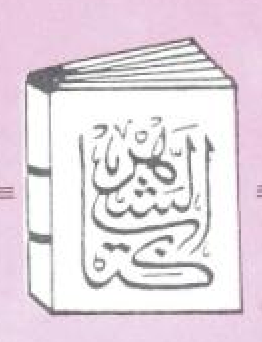
والانسان المصاب بهذا المرض يرتكب أي شيء في سبيل ملء دماغه بشيء يمنعه عن التفكير الدقيق واختلاط افكاره التي تعكر صفو حياته ، ويضطر احيانا الى مخالفة قوانين الحياة الطبيعية وقوانين نفسه ويرتكب بعض المعيبات - والضجر حالة عابرة تصيب الانسان ، وحين يصحو منها ينسى كل ما ارتكبه من اخطاء . .

د . أحمد سعيد بانياس - سوريا .

الحضارة والأخلاق

● يظن البعض ان الغرب وصل الى ما عليه من تقدم وحضارة ، رغم انهم لايمسكون بالحد الأدنى من الاخلاق او العادات الحميدة التي نجدها في مجتمعاتنا - لكن هذا البعض ربما لا يعرف ان للانسان حاجات فيها ما هو موافق للاعراف الدينية ومنها ما هو غير موافق ، وهؤلاء الناس اعني الغرب تخلوا عن تلك الاعراف واوقفوا الاخلاق وحين يصل الانسان الى مرحلة التخلي عن اعرافه الخلقية وعلى مستوى الامة فانه لايبقى امامه الا ان يبدع ويبتكر طرقا جديدة تملأ الفراغ المادي والخلقي الذي أشبعه واذا كان للانسان حاجات فان منها ما هو متاح ومشروع ومنها ما هو غير مشروع اخلاقيا - وباسم التقدم أيضا شعروا أن الحاجات التي يريدونها متاحة لكنها جاءت على حساب القيمة الروحية وبالنسبة لنا فأننا امة لها دين اسلامي جامع شامل لكل نواحي الحياة ، ولها عادات وتقاليد وحضارة كانت أعظم حضارة على وجه الأرض وما حدث لنا يتطلب العودة الى الاخلاق ، الدعوة المحمدية ، تتدبر ها ونأخذ منها وبعدها سوف تصل الى مانريد

فيصل المجالي . . السفارة الاردنية - الكويت



H. V. F. Winstone

The Illicit Adventure



JONATHAN CAPE
THIRTY BEDFORD SQUARE LONDON

المغامرة غير المشروعة

قصة الجاسوسية السياسية والعسكرية في الشرق الأوسط من ١٨٩٨ - ١٩٢٦

تاليف : هـ . ف . ونستون   تقديم : سليمان موسى

لايزال الشرق الاوسط ، وعلى الاخص بلاد العرب ، موضوعا يثير اهتمام الكتاب والقراء على السواء . وقد يتبادر لذهن القارىء أحيانا ، أن الموضوع اشبع بحثا ولم تبق فيه زيادة لمستزيد ، ولكن لا تلبث دور النشر حتى تطلع بكتاب جديد تعلن أن مؤلفه استطاع ان يأتي بمعلومات وبيانات جديدة لم تكن معروفة من قبل ، وانه كشف النقاب عن حقائق ظلت مجهولة حتى ذاك الحين ، وانه اطلع على اوراق ووثائق وأسانيد كانت ستبقى لولاه في مجاهل النسيان .

هذا هو حال الكتاب الذي أخرجته احدى دور النشر البريطانية في أواخر ١٩٨٢ لمؤلفه ونستون ، والذي قال الناشر انه يروي قصة الجاسوسية في الشرق الاوسط ، بما فيها من جراءة وتعقيد لايتصورهما الانسان ، ومن صراع الدول الاوروبية الكبرى في أوائل هذا القرن من أجل ان تكون لكل منها المنزلة الاولى في المنطقة . وعلى رأي الناشر ايضا أن المؤلف قضى اثنى عشر عاما يبحث في مصادر هذا الكتاب ، وانه ـ الكتاب ـ لايقلب التاريخ المعروف للمنطقة رأسا على عقب ، فحسب ، بل يقدم أفضل بحث موثق عن منابع الصراع الراهن في الشرق الاوسط ، وان المؤلف جاء بوثائق جديدة لم يكشف أحد قبله النقاب عنها ، وان روايات لورنس عن « مغامرة الحجاز » تبرز هنا من خلال رؤية جديدة ، وان المؤلف قدم قصص مغامرات ضباط استخبارات وجواسيس لم تكن تفاصيلها معروفة من قبل ، ومن بين هؤلاء « البطلة » اليهودية سارة آرونسون التي انتحرت بعد ان اكتشفت السلطات العثمانية شبكة التجسس التي كانت تديرها مع شقيقها آرون آرونسون . وفي هذا المجال لا بد من القول ان اهتمام الغربيين بكتابة المذكرات والتقارير والرسائل ، وحرصهم على حفظها وصيانتها ـ سواء في دور الوثائق الرسمية ، أو في خزائن الجامعات ، أو في صناديق ممن ورثوها عن أسلافهم ـ يتيح للباحثين مجال الاغتراف من معينها ، واغناء عالم الثقافة بمؤلفات جديدة .

ليس من شك في ان المؤلف بذل جهدا كبيرا في جمع البيانات وتنسيق المعلومات ، وفي البحث والتنقيب في دور الوثائق المختلفة وفي مجموعات الأوراق الشخصية . ولكن ليس المهم فقط في تأليف كتاب من هذا الطراز أن يحشد المؤلف ، مئات المصادر والمراجع ويستعين بآلاف الملفات ، بل المهم ايضا ـ بنفس المستوى وربما أكثر ـ الروح التي يكتب بها : هل هو يريد الحق لوجه الحق ، أم يريد أن يحرف الحق قليلا لتأييد وجهة نظر يحملها ؟

في جلابيب البراءة

يضم الكتاب بين دفتيه قصة البدايات الاولى للتدخل الاوروبي في بلاد العرب . وقد أطلق المؤلف عنوان كتابه على أساس أن الرواد الأوائل لذلك التدخل كانوا حفنة من الرحالين وضباط الاستخبارات الذين قاموا بمغامراتهم وهم يرتدون جلابيب البراءة ، بينما كانت كل مجموعة منهم تسعى لخدمة بلادها . وقد اعتبر المؤلف زيارة غليوم الثاني امبراطور المانيا الى استانبول ودمشق والقدس سنة ١٨٩٨ ، بداية للتنافس الأوروبي في الشرق الاوسط ، بل في أقطار العرب الآسيوية على وجه التخصيص . . تستدل على هذا من انه لم يستهل كتابه بدخول الانكليز الى مصر سنة ١٨٨١ وقضائهم على الحركة الوطنية التي تزعمها أحمد عرابي يومذاك .

لقد سبق زيارة غليوم وأعقبها عدد من الرحالين ورجال الاستخبارات الذين ألفوا شبكات التجسس وأخذوا يكتبون التقارير عن أحوال البلاد وظروف اهلها واتجاهاتهم . في باديء الامر كان السبق لضباط المخابرات الانكليز والالمان ، ثم تبع هؤلاء ضباط مخابرات من فرنسا وروسيا والنمسا .

كان الويس موزيل من أكثر الرحالين الاوروبيين نشاطا في التعرف على بلاد العرب ، وقد كتب عن رحلاته عدة مؤلفات مهمة في بابها . يقول المؤلف ان موزيل هذا كان يهوديا من بوهيميا (احدى مقاطعات امبراطورية النمسا) . ولكن الغريب ان موزيل تلقى علومه في جامعة كاثوليكية وأحرز الدكتوراه في اللاهوت ، وتعلم اللغات الشرقية في عدة معاهد من بينها الكلية اليسوعية في بيروت . فهل كان يهوديا وتنصر ، ثم شاء المؤلف ان يحتفظ له بيهوديته ؟ (يقول قاموس المنجد ان موزيل كان عضوا في المجمع العلمي العربي !) . كانت اول رحلة له الى بادية الاردن لدراسة قصور الخلفاء الأمويين ، وخاصة قصر عمره (ذي الرسومات الرائعة) وقصر المشتى ، وكان مستشرقا لامعا يجيد اللغة العربية . وقد أطلق عليه البدو اسم (موسى الرويلي) ، لانه أقام شهورا عديدة مع قبيلة الرولة (١٩٠٨ ـ ١٩٠٩) ، أكبر القبائل في بادية الشام ، وكان صديقا لشيخها الكبير نوري الشعلان . كما كان يعرف ايضا باسم (موسى النمساوي) . وفي اثناء وجوده مع قبيلة الرولة التقى بعودة ابو تايه وبالشيخ طلال زعيم قبيلة بني صخر ، وعمل على تزويد بني صخر بكميات من عتاد البنادق النمساوية . وفي اثناء تلك الفترة قام موزيل (بناء على تكليف حكومته) برحلة دراسية لخط سكة حديد الحجاز ، ووضع دراسة قيمة عن طريق الحاج الشامي ، تدل على سعة الاطلاع . ثم عاد الى الشرق عام ١٩١٢ وقام برحلة واسعة من دمشق الى تدمر فالرصافة (على نهر الفرات) ثم سار مع مجرى النهر الى الرمادي

The Illicit Adventure : by H.V.F. Winstone: Jonathan Cape, London, 1982, pp543
The Story of political and Military Intelligence in the Middle East from 1898 to 1926

وبغداد . وفي خريف ١٩١٤ جاء موزيل مرة أخرى الى دمشق ثم رافق نوري الشعلان الى الجوف ، ومن هناك مضى الى جبل شمر في نجد . كانت مهمة موزيل (التي قيل ان أنور باشا وزير الحربية العثماني وضعها) أن يعمل على اصلاح ذات البين بين ثلاثة من زعماء العرب هم : ابن السعود وابن الرشيد ونوري الشعلان ، وأن يقنعهم بالولاء لحكومة السلطان . ولكن موزيل لم ينجح في مهمته ، واضطر أن يقطع ٤٥٠ ميلا الى محطة العلا (سكة حديد الحجاز) من أجل ان يرسل تلغرافا الى انور .

لم يتلق جوابا فعاد الى القصيم ، ومن هناك مضى الى النجف وبغداد ، ثم الى دمشق . في خلال ستة اشهر قطع موزيل أكثر من ثلاثة آلاف ميل على ظهور الجمال ، على الرغم من انه كان يعاني أحيانا من المرض . كانت تلك الرحلة من الرحلات التي يقل نظيرها بين رحلات الصحراء ـ بالنسبة للاجانب . وفي تلك الرحلة التقى مرة أخرى بعودة ابو تايه ووصفه بأنه « أكثر من عرفت من رجال العرب جرأة وقسوة » .

يقول المؤلف انه قصد في باديء الامر أن يضع كتابا يروي فيه قصة (المكتب العربي) الذي انشأته الحكومة البريطانية في القاهرة في اثناء الحرب العالمية الاولى ، ولكنه لم يلبث ان تبين ـ على حد قوله ـ ان قصة ذلك المكتب لم تكن سوى قصة (لورنس) التي ذاعت وأصبحت معروفة . واستدار يبحث عن منابع أخرى للاستخبارات في الشرق الاوسط . وقاده البحث الواسع الى رسم قصة نشاط الاستخبارات البريطانية ، واستخلاص الحقيقة للصراع الذي دار بين الفلسفتين الاستعماريتين : فلسفة وزارة الخارجية وفلسفة وزارة الهند . وهكذا نراه من خلال فصول كتابه يروي بالتتابع جوانب من نشاط الرحالين وضباط المخابرات البريطانيين من أمثال جرترود بل وشكسبير ولورنس وسايكس ولشمان ، ويروي الى جانب ذلك الجوانب الرسمية لذلك النشاط .

ضد الثورة العربية

ولكن اذا كان القاريء قد عرف الكثير عن أولئك الرحالين ، فانه لايعرف الا القليل عن قصة آرون ارونسون وشقيقته سارة ، وهما من يهود فلسطين في العهد العثماني ، وقد أنشا شبكة للتجسس وجعلا مركزها مستعمرة (زخرون يعقوب) بالقرب من عتليت على شاطيء فلسطين . وقد ساعده على رواية التفاصيل انه اطلع على يوميات كان آرون يكتبها بالعبرية . (هل قرأها بالعبرية ؟) وفي الواقع ان المعلومات الأساسية عن آرون وسارة معروفة منذ زمن بعيد ، ولكن المؤلف توافر على رواية تفاصيل قصة ذينك الجاسوسين لأسباب لن تلبث أن تتضح لنا . فهو يحدثنا عن مجيء آرون مع والديه الى فلسطين عام ١٨٨٢ ، حينما كان في السادسة من عمره ، وقد أتيح له أن يتعلم في فرنسا وان يختص في الزراعة (بفضل منحة قدمها الثري اليهودي روتشيلد) . وعاد آرون الى فلسطين وسافر الى الاناضول وساح في بعض المناطق السورية ، بصفته مواطنا عثمانيا مثل غيره من ابناء سوريا الطبيعية . ويزيدنا المؤلف علما بآرون فيقول إنه كان ذا مواهب غير عادية وإرادة من حديد ، ثم يصفه بأنه « كان يحمل على كاهليه مطامح شعب أذله الاضطهاد الاوروبي » . وزار آرون امريكا (بدعوة من المؤسسات اليهودية هناك) ثم عاد وفي جيبه مبالغ من المال . وكان أحمد جمال باشا (وزير البحرية العثماني) قد جاء الى سوريا قائدا عاما للقوات العثمانية فيها . وقد وصف أحد موظفي الاستخبارات الانكليز جمالا بأنه « شخص وحشي ، مصاب بجنون العظمة ، منحرف عقليا مع ميل الى القتل » . تزوج يهودية نمساوية عند بدء الحرب وأخذ يرعى اليهود في فلسطين ، ولكنه في خريف ١٩١٥ ترك المرأة اليهودية وتعلق بأخرى فرنسية ، واخذ يضطهد اليهود (على حد قول المؤلف) .

الف آرون مع شقيقه ألكس وشقيقته سارة خلية للتجسس على الدولة العثمانية التي كانوا يحملون جنسيتها . وبدأوا يسربون المعلومات الى الانجليز في مصر . واستطاع آرون ان يقنع جمال بمواهبه فعينه مستشارا زراعيا له (؟) وأعطاه مكتبا في قيادة الجيش الرابع في دمشق . كانت سفينة تجسس بريطانية تأتي من مصر الى شاطيء فلسطين للاتصال بالجواسيس اليهود والحصول على معلومات منهم . وقد حدث ان جنود الدولة قبضوا على أحد اولئك الجواسيس في سيناء ، ولكن جمال باشا أطلق سراحه بناء على وساطة آرون . ولم يلبث آرون حتى خدع « جمال » ، فحصل منه على اذن بالسفر الى اوروبا ، ثم مضى الى المانيا زاعما انه اكتشف معلومات مهمة عن استخراج الزيت من السمسم ، ومن هناك تحول الى الدانمرك ومنها الى بريطانيا حيث تقدم « أشهر مشاهير الجواسيس » في تلك الحرب (كما يصفه المؤلف) بما لديه من معلومات الى المخابرات البريطانية .

نكتشف مما رواه المؤلف ان آرون عمل ضد الثورة العربية وعلى تحريض من كان يتصل بهم من الانكليز

ضدها ، وان نحو ١٥ شخصا من يهود فلسطين عملوا في شبكة التجسس . وقد أخذ هؤلاء يبعثون برسائلهم بواسطة الحمام الزاجل الى القيادة البريطانية في العريش . وذات يوم أمسك أحد الموظفين الاتراك بواحدة من تلك الحمائم وأخذ الرسالة المربوطة على ساقها . وقامت السلطات بتحريات ناشطة ، نتج عنها القاء القبض على سارة وأعوانها ، فانتحرت باطلاق النار على نفسها . هنا يبالغ المؤلف في الاشادة بخدمات الجواسيس اليهود ، حتى ليقول ان نجاح الهجوم البريطاني على غزة وبئر السبع ـ مدين بالكثير للمعلومات التي قدمتها شبكة التجسس اليهودية . وهو يصف انتحار سارة وصفا يقصد منه التأثير العاطفي . ويبالغ في تضخيم شخصية آرون ، اذ يروي انه في صيف ١٩١٨ ذهب الى باريس « وعقد محادثات مهمة مع القيادة العليا للحلفاء ومع الحكومة الفرنسية » . ويقول المؤلف إن آرون هو الذي حصل على « الرسالة الشهيرة » من فيصل الى فرنكفورتر ، ولكنه لا يذكر ان فيصل نفى نفيا قاطعا انه وقع على الرسالة المزعومة ، وان عوني عبد الهادي ، امين سر فيصل آنذاك ، قال ان الرسالة لا بد ان تكون مزورة . وانتهت قصة آرون أرونسون بمصرعه في صيف ١٩١٩ عندما تحطمت الطائرة التي كان يسافر فيها . وهنا يحاول المؤلف ان يضفي نوعا من الغموض والاثارة على حادث تحطم الطائرة ، ليعطي الانطباع بأن الحادث ربما كان مدبرا . ولكن محاولته جاءت باهتة على الرغم انه خصص الصفحات الأخيرة من كتابه لتمجيد ذلك الجاسوس .

صراع بين جاسوسين

وهناك قصة ليشمان ، الضابط البريطاني الذي كان يخدم في الهند ، والمولع بالمغامرة والشديد التعصب لوطنه المؤمن بأمجاد بلاده ، الى حد انه « كان كثيرا مايتصرف كأنه يحمل مسؤولية الامبراطورية البريطانية على كتفيه » . كانت أول رحلاته في بلاد العرب ، أنه أخذ إجازة عام ١٩٠٩ وجاء الى البصرة ومنها الى بغداد ، ثم مضى متنكرا الى النجف وكربلاء ، ومن هناك الى جبل شمر وهو يرتدي الملابس العربية . وكان ليشمان قد تعلم اللغة العربية في الهند . وفي رحلة ثانية جاء الى العراق مرة أخرى وذهب الى الكويت وفي نيته ان يسافر منها الى نجد ولكن الامر بلغ الشيخ مبارك الصباح أمير الكويت ، فأرسل عددا من رجاله فأعادوا ليشمان (ورفاقه من البدو) وبعد ان عنفهم الامير أمرهم بالعودة الى البصرة . ولكن ليشمان أعاد الكرة عام ١٩١٢ فوصل الى دمشق ومنها مضى مع أحد قوافل التجارة الى بريدة فالرياض . كل هذه الرحلات قام بها ليشمان بدافع من حب المغامرة وعلى نفقته الشخصية . ولكن عندما نشبت الحرب بين بريطانيا والدولة العثمانية ، نقل ليشمان الى البصرة لكي يعمل تحت إمرة برسي كوكس كبير الضباط السياسيين في الحملة البريطانية في العراق . وكانت مهمته ان يتنقل بين القبائل ، متنكرا ، لكي يفسد تدابير غريمه العميل الالماني اللامع بروسر . وعلى رأي المؤلف ان الصراع بين الرجلين استمر ثلاث سنوات ، وكل منهما يعمل جاهدا على إحباط مساعي الآخر . وكثيرا ما كان ليشمان يتجول وراء خطوط العثمانيين متنقلا بين القبائل . وقام في سني الحرب بعدة مهام مما يقوم به ضباط الاستخبارات . وقد عُرف بشدته وقسوته ومقدرته على احتمال الشدائد ، وظل يعمل في العراق بين القبائل حتى قتله خميس بن الشيخ ضاري ، قرب الفلوجة ، في آب ١٩٢٠ ، اثناء الثورة العراقية .

اما الكابتن شكسبير ، فقد عُين عام ١٩٠٩ وكيلا سياسياً لبريطانيا في الكويت . وقام بعدة رحلات ، وأعجب بالسلطان عبد العزيز آل سعود وأخذ يؤيد وجهة نظره في القضايا السياسية . ومن رأي المؤلف ان شكسبير وليشمان ألمع رحالين في بلاد العرب في أوائل القرن العشرين . ولم يكن شكسبير يعيش كما يعيش البدو مثلما كان لورانس وليشمان يفعلان ، بل كان يحتفظ بعاداته الاوروبية فلا يأكل الا على الطريقة الغربية ولا يبيت أو يقيم الا في خيمة خاصة به ينصبها خدمه . وقد قتل شكسبير في معركة جراب التي وقعت سنة ١٩١٥ بين السلطان عبد العزيز آل سعود وبين ابن الرشيد امير شمر . وجاء في احد المصادر العربية ان ابن السعود ألح على شكسبير أن يبقى بعيدا عن ساحة المعركة ، ولكن هذا أصر على الذهاب معه قائلا : انه لا يجوز له ان يرى حليف بلاده يدخل في معركة مع أعدائه دون ان يقاتل الى جانبه . وكان شكسبير يرتدي بزته العسكرية وقبعته ، فكان هدفا واضحا لرصاص فرسان ابن الرشيد .

كانت لكل واحد من هؤلاء قصة . بعض هذه القصص كتبها أصحابها ، وبعضها كتبها أشخاص آخرون . المؤلف نفسه كتب كتابا عن شكسبير وآخر عن جرترود بل (الخاتون) . مارك سايكس ظهرت عن حياته بضعة كتب . لورنس كتب قصة الأحداث التي رافقها في بلاد العرب ، وجد كثيرين يكتبون عنه . المؤلف يكشف عن استيائه لان لورنس كتب قصة الثورة العربية بأسلوب أدبي رائع ومن معين موهبة مبدعة في مجال الوصف . يشعر

القارىء أنه ينفس على لورنس كل ذلك الاهتمام الذي ناله عند القراء والكتاب ، لقد كتبت دراسات لحياة لورنس ، تكاد تفوق ما كتب عن أية شخصية أخرى من شخصيات التاريخ .. حتى الالمان انساقوا مع الاسطورة ، . نراه ينتقد الاسطورة ويستغربها . ولكنه وقع في شرك الاسطورة مثل غيره . فهو يقول بشيء من التباهي انه كان « الاول » الذي « اكتشف أوراق شخصين كانت لهما علاقة وثيقة بلورنس هما باركر ونيوكمب . ولكن هذه الاوراق في الواقع ، لا تضيف شيئا مهما على المعلومات الاساسية المعروفة . انما تمثل وجهة نظر صاحبيها ، ومن الطبيعي أن تكون لكل انسان وجهة نظر خاصة به . كان الفرق بين باركر ولورنس أن الاول عندما ذهب الى الحجاز بعد قيام الثورة العربية لم يستطع أن يفهم حقيقة قدرات العرب ؟ ويتعامل معهم على هذا الاساس ، وان لورنس على العكس منه استطاع ذلك . وينشر المؤلف جزءا من رسالة كتبها فيصل بن الحسين ومعها ترجمة باركر ، الى الانكليزية . فعل ذلك لكي يقول ان ترجمة باركر خالية من الاخطاء . ولكنها في الواقع لم تكن كذلك . اما نيوكمب فقد بقي صديقا وفيا طوال حياته . لم يستطع باركر ان يبقى مع العرب طويلا ، لانه كان يعمل بروح المنتقد . ويبدو انه كان يريد ان يسوق العرب لا أن يسير معهم .

ويروي المؤلف قصة البارون فون ستوتزنجن الذي ارسلته المانيا على رأس بعثة لانشاء محطة لاسلكي تربط اليمن بالحبشة ، ولكي يرسل أسلحة إلى افريقيا الشرقية الخاضعة لالمانيا ويعقد اتصالا مباشرا معها . كانت ترافق البعثة قوة عسكرية منتخبة (٣٥٠٠ رجل) بقيادة خيري بك . ولم تكن المخابرات البريطانية تعرف شيئا عن هذه القوة وهذا دليل على ان هنالك أمورا كثيرة لا يستطيع الجواسيس أن يعرفوها . سافر ستوتزنجن ورفاقه من دمشق في ايار ١٩١٦ وعند وصولهم الى محطة (العلا) كانت الثورة العربية قد نشبت فاضطرت البعثة الى العودة من حيث جاءت ، بينما وقع خيري وجنوده في أسر قوات الثورة .

تحذير واجب

وتمضي فصول الكتاب والمؤلف يحاول ان يربط بين سياسات الدول المعنية وتدابيرها واتجاهاتها ، وبين نشاطات الرحالين وضباط الاستخبارات والمعتمدين السياسيين . فيوفق أحيانا ويخونه التوفيق أحيانا أخرى .

هنا لا أجد مندوحة عن القول ان البحاثة يستطيع ان يكتب تاريخ احداث معينة ، اعتمادا على تقارير اولئك الرحالين ورسائلهم ، من رسمية وشخصية . ولكن يجب التحذير من اعتبار تلك التقارير والرسائل حقائق ثابتة لا يأتيها الباطل ولا يتطرق اليها الشك . هذه مسألة جديرة باهتمام الكاتب العربي لكي يعمل على تمحيص ما تنشره المطابع ويضعه على المحك عن طريق الرجوع الى المصادر العربية . لقد استطاع مؤلف هذا الكتاب - عن طريق الاعتماد على كتابات وتقارير موزيل وجرترود بل وشكسبير وليشمان وغيرهم - أن يروي قصة الأحداث في فترة معينة من تاريخ شبه الجزيرة العربية ، وما كان من حروب ووقائع في البادية السورية وبين قبائل نجد والعراق والكويت وسوريا . وهذه فرصة امام المهتمين بالابحاث التاريخية من أبناء المناطق التي وقعت فيها الأحداث ، للرجوع الى المصادر العربية ومقارنة ما جاء فيها بما جاء في المصادر الاوروبية . من أجل ايفاء الموضوع حقه من المصداقية . وليأخذ الكاتب العربي في اعتباره ان الرحالين وضباط الاستخبارات لا ينفذون دائما الى لباب الحقيقة فيما يتعلق بتفسير الأحداث وتحليل أسبابها ، فهم يشتطون أحيانا ويأتون أحيانا أخرى بتأويلات ما أنزل الله بها من سلطان . وقد حدث ان أحد اساتذة العرب خدعه ما جاء في كتاب للكاتب الصهيوني ايلي خضوري ، فخيل اليه ان ورمه شحما ، ولم يدرك ان الدسم الذي يغلفه كان محشوا بالسم . وسوف اعطي بعد قليل أمثلة ونماذج مما وقع فيه هذا المؤلف من أخطاء ، وما ساقه اليه الهوى من اجتهادات بعيدة عن الصواب .

ولا بد من القول ان اولئك الرحالين كانوا يختلفون عن بعضهم البعض، فمنهم من كان يسافر مع قوافل التجارة أو في رفقة أشخاص من البدو يعطونهم مبالغ من المال لكي يرافقوهم . كان لورنس - مثلا - يعيش مع البدو وأهل البلاد كواحد منهم ، يطعم مما يطعمون ، وينام في البوادي مثلهم ويلبس لكل حال لبوسها . بعض الرحالين كان يقوم بأسفاره في قافلة مستقلة ، تكبر أو تصغر طبقا لامكاناته المالية ، حتى لقد قيل ان مارك سايكس كان يعيش في رحلاته على مستوى الامراء ، وينتقل في قافلة خاصة به مع الرفاق والخدم والادلاء .

يتضح لقارىء الكتاب ان المؤلف من أنصار مدرسة « وزارة الهند » في الحكومة البريطانية . ومن هنا إعجابه بشكسبير وليشمان وأرنولد ولسون ومانيرتزهاجن . ومن هنا سخطه على (المكتب العربي) وعلى الذين عملوا فيه وكانوا يميلون الى سياسته من أمثال هوجارث وكلايتون

وجرترود بل ولورنس وونجت ، حتى انه يطلق لقب « المتطفلون » على موظفي ذلك المكتب . وعلى الرغم من ان المؤلف يؤيد وجهة النظر القائلة بأن الحكومة البريطانية وافقت على طلب الشريف حسين بتأييد قيام مملكة عربية تضم فيما تضم ، فلسطين ، الا انه لا يلبث ان يدعو الثورة العربية باسم « ثورة الشريف » . ويقول ان وعود مكماهون واضحة لاريب فيها ، ولكن الريب والشكوك تحيط بشرعية تلك الوعود ومعقوليتها ! وهو يصف الحركة العربية بأنها « مؤامرة » ، ويقول ان اعضاء المكتب العربي ، (ومعهم ستورس وونجت) هم الذين « صنعوا المؤامرة الشريفية » . وقد جعل همه أن ينتقص من الثورة العربية ومن القائمين بها ، على الرغم من قوله ان الشريف حسين ما كان ليقوم بالثورة لو انه عرف باتفاق بريطانيا وفرنسا وروسيا على اقتسام أجزاء من الامبراطورية العثمانية (مع انه علل قوله هذا تعليلا لثيا) . ولكن مجمل حديثه عن الثورة حافل بالانتقاص والسخرية ، حتى ليصفها بأنها « مغامرة سياسية » . وهو يصف قادة الثورة بقوله « امراء مكة النائمون » ، ناسيا ان ابناء الشريف قضوا نحو ثلاث سنوات متواصلة في البوادي القاحلة . وهو ينتقد الثورة العراقية في صيف ١٩٢٠ ولا يعطيها ما تستحقه من تقدير باعتبارها ثورة شعبية ضد السيطرة الأجنبية . كما يعلن سخطه لان أموال بريطانيا كانت تصل للثوار عن طريق الشريف وابنه فيصل . بل نراه يمجد دخول فرنسا الى دمشق اذ يقول متشفيا « ظهر الفرنسيون في دمشق وألقي بفيصل وبجانبه خارجا دون اعتبار » . وهو ينتقد جرترود بل ولورنس بصورة خاصة ، اذ اعتبرهما من أنصار الهاشميين ، وفي رأيه ان جرترود بل تولت اقناع برسي كوكس بينما قام لورنس بتغذية تشرشل بأفكاره . ولا يتورع عن القول « إن الشبان البريطانيين سنة ١٩٢٠ كانوا يموتون بالآلاف ، وكان مواطنوهم يدفعون ضرائب باهظة - من أجل ان تعاضد بريطانيا إقامة دول على أراض من الرمال والمستنقعات والمراعي .... » وعندما يتحدث عن استسلام الانكليز في كوت العمارة ، يقول انهم ماتوا بالآلاف عندما سيقوا اسرى « ولكن تضحيتهم لم تكن آخر تضحية بالدم البريطاني على أرض ما بين النهرين **mesopotamia ...** وحتى بعد انتهاء الحرب فان آلافا منهم ، لاقوا حتفهم في وحول تلك البلاد وحرها وغبارها ، كل ذلك من اجل ان تتحد وتحمل اسم العراق ، ومن اجل ان يترأسها ملك من الأسرة الهاشمية في مكة » . ويستشهد بما كتبه أحد موظفي وزارة خارجية بريطانيا في قوله انه « كان من الأفضل لبلادنا ، وربما للعالم ، لو ان داوتي ولورنس وجرترود بل ، لم يكونوا كتابا من الطراز الرفيع الذي كانوه » .

من هذا كله نرى المؤلف يسير على خطى ابلي خضوري وأمثاله من الكتاب الصهيونيين المشايعين للصهيونية . وهذا واضح منذ البداية ، فهو يخرج عن سياق موضوعه لكي يقحم حديثا عن مذكرة تقدم بها هربرت صموئيل مقترحا ضم فلسطين الى الامبراطورية البريطانية ، على اساس الزعم بان الاثنى عشر مليون يهودي في العالم يتطلعون اليها . ويخرج عن السياق مرة أخرى لكي يحدثنا عن وعد بلفور والصهيونية قائلا : ان الوعد استرضى اليهودية العالمية ، وانه سمح لليهود « أن يعودوا باعتبارهم امة الى الارض التي تم تشريدهم منها قبل الفي سنة » ! . وهو يهدي كتابه « الى سارة ، فما هي الجاسوسة سارة أرونسون التي تحدث باسهاب عما دعاه بطولتها وبطولة شقيقها آرون ؟ وأخيرا يختتم كتابه بعبارات ذات مغزى :

تأخر قيام « صهيون » ثلاثين سنة . قامت بقوة السلاح . واندفع ابناء اسرائيل الى أرض الميعاد . والعرب الذين كانوا سيشاركون في أمجادها ورخائها تراجعوا الى المنفى غاضبين . . .

اخطاء واهواء

اما الاخطاء التي ارتكبها فعديدة ، ولا ادعي أنني أحطت بها كلها ومن جملة أخطائه - قوله ان لورنس زار قلعة الصليبيين في الكرك عام ١٩٠٩ بينما في الواقع زار قلعة الحصن قرب حلب . وقوله ان نوري الشعلان كان ممنوعا من مغادرة دمشق الى البادية فيما بين ١٩١٠ و ١٩١٤ ، الى ان توسط له موزيل فسمح الوالي العثماني له بالانضمام الى قبائله في البادية . وقوله ان محمد شريف الفاروقي أفاد بان مركز جمعية العربية الفتاة هو لندن وان الجمعية تضم أعضاء انكليز الى جانب الاعضاء العرب !! وقوله ان الانكليز أرسلوا الفاروقي الى الحجاز سنة ١٩١٥ بينما لم يذهب الا عند اعلان الثورة في حزيران ١٩١٦ . وكذلك الأمر قوله ان عبد الرحمن الشهبندر كان زعيما دينيا وانه ذهب الى البصرة عام ١٩١٦ . وقوله ان جعفر العسكري ذهب الى الحجاز في خريف ١٩١٦ بينما لم يذهب الا في صيف ١٩١٧ . والقول ان فيصل عين عبد الله بن حمزة قائدا عاما ، بينما في الواقع أرسله فيصل الى مصر بناء على طلب الانكليز من اجل الاتصال بقبائل العرب في سيناء واقناعها بأن الانكليز حلفاء للعرب . ومن دلائل خلط المؤلف قوله ان فيصل بن الحسين عرض

على ابن السعود ان يكون معه في القتال ضد ابيه !! وان ابناء الشريف تنكروا له في نهاية الامر . ومن أخطائه قوله ان مصطفى كمال زار دمشق وحلب في كانون الثاني ١٩٢٠ . وعندما يتحدث عن لقاء وايزمن بفيصل في نواحي العقبة (حزيران ١٩١٨) يقول ان فيصل أعطى الانطباع بانه لا يعارض وجودا قوميا لليهود في فلسطين . يقول هذا اعتمادا على زعم وايزمن دون أن يلقي بالا لتقرير الكولونيل جويس الذي حضر المقابلة وترجم بينهما ، وأورد في تقريره قول فيصل لوايزمن : بأنه قائد عسكري ولا دخل له في السياسة ، وان جميع الامور السياسية في يد ابيه . هذا مع العلم ان تقرير جويس موجود في الملفات التي اعتمد عليها المؤلف مصادر له .

وقد وقع المؤلف في « مطبات » عديدة نتيجة اعتماده على تقارير الاستخبارات وحدها . مثال ذلك قوله ان مبايعة الشريف حسين بالزعامة لم تتم من قبل القوميين العرب المقيمين في مصر بل من قبل القوميين المنفيين في اليونان !!! اما حكاية المتنبي محمد حسن ، الذي خيل للمخابرات البريطانية انه سيتولى إثارة حركة الجهاد في العالم الاسلامي ضد الانجليز ، ثم تبين فيما بعد انه رجل ساذج متقدم في السن ـ فخير دليل على أن ضباط المخابرات يقعون احيانا في « مقالب » التهويل والمبالغة .

ومن منطلق الهوى في نظرته الى الثورة العربية ، نراه يهمل قول الاستاذ هوجارث ، رئيس المكتب العربي ، اذ كتب في تموز ١٩٢٠ يقول :

لو لم تؤد الثورة العربية شيئا سوى تعطيلها للزحف المشترك الذي قام به الترك والالمان نحو جنوب بلاد العرب عام ١٩١٦ [يعني بعثة ستوتزنجن وقوة خيري بك] لكان لها في اعناقنا من الجميل ما لا يفي به كل ما قدمناه لها حتى اليوم .

ولست انكر على المؤلف جهده الكبير ورجوعه الى مئات المصادر ، ومتابعته الحثيثة وصبره وجلده ، ولكنني آخذ عليه بالدرجة الاولى اتباعه الهوى في اجتهاداته وتحليلاته وتعليلاته ، ولكونه لم ينظر الى الحركة العربية الحديثة باعتبار أنها حركة شعب يطمح الى الوحدة والحرية ويحمل السلاح في سبيل الحصول عليها .

ومما يثير العجب ان كاتبا في جريدة (الصنداي تايمز) البريطانية (١٩٨٢/١١/١٤) قال عند صدور الكتاب انه جدير بأن يُعتبر مصدرا موثوقا عن الدولة العثمانية في العقدين الأخيرين من عمرها ، وان أرونسون « الشجاع » قدم خدمات ثمينة . . . وفي اعتقادي ان هذه الاقوال وأمثالها جديرة أن تحفز الباحثين العرب الجادين ، على تمحيص ما تخرجه دور النشر الاجنبية عن بلادهم وقومهم ، وتكريس الجهود الصادقة لكشف الحقائق ـ ليس اعتمادا على المصادر الغربية فحسب ، بل اعتمادا ايضا على المصادر العربية ، ـ من أجل الحصول على نتائج متوازنة وأحكام عادلة .

وفي نهاية الأمر تبقى الحقيقة القائمة على أن الحرب العالمية الأولى فصلت فيها الجيوش المحاربة في ميادين القتال ، وليس تقارير الجواسيس وضباط الاستخبارات . ○

سليمان موسى
عمان ـ المملكة الاردنية

الراحل رديارد كبلنج

كان الشاعر الانجليزي الكبير رديارد كبلنج يطالع الصحف ذات صباح ، فاذا به يجد خبر وفاته منشورا في إحدى الصحف . وفي الحال أسرع بتحرير الخطاب التالي الى صاحب الجريدة .

« سيدي المحترم : لقد نشرت جريدتك اليوم خبر وفاتي ، ولما كانت الجريدة من الصحف التي لا تنشر الأخبار الا بعد التحقق من صحتها ، فلا شك اذن في أن خبر موتي صحيح . ولهذا أرجو منك شطب اسمي من قائمة المشتركين لأن جريدتك لن تفيدني بعد اليوم ما دمت انتقلت الى العالم الآخر !

يسير الصبي أثناء النوم

بقلم محمد خليفة التونسي

هل عبارة العنوان هنا صحيحة ؟ أو لابد أن نقول « في أثناء » ؟
بعض اللغويين المحدثين ينكرون أن تكون كلمة « أثناء » ظرفا منصوبا على الظرفية في مثل هذه العبارة ، ويوجبون جرها بأداة الجر « في » وحجتهم أنها اسم فهي جمع ثنى « كجسم » وأثناء الحبل ومثانيه : قواه وطاقاته ، وثنى الطريق : منعطفه أو منعرجه ، ثنيت الشيء عطفته حتى صار اثنين . وكل هذا التفسير صحيح ولكنه ـ كما سنرى ـ ليس حجة لرفض اعتبار « اثناء » ونحوها ظرفا للزمان أو المكان بحسب ما تضاف اليه .

اذا قلنا : تنزهنا عصرا . ننام ليلا . استرحنا ساعة . سرنا ميلا . وثبنا قصبة . انعطفنا يسارا ـ فكل من الكلمات : عصرا وليلا وساعة ، ظرف زمان . لأنه يدل على زمان الحدث من الفعل الذي قبله .

وكل من الكلمات : ميلا ، قصبة ، يسارا ـ ظرف مكان ، لأنه يدل على مكان الحدث في الفعل الذي قبله ، وكل هذه الظروف منصوبة على الظرفية .

وفي لغتنا كلمات لا تستعمل الا للظرفية أو شبهها (الجر بـ « في ») وتسمى غير متصرفة ، لأنها لاتصلح لغير ذلك مثل : بينما وبينا ، وقبل وبعد ، وعند ، ولدى ، وقط وعوض ، فيقال مثلا : بينما أو بينا نبحر اذا دلفين . وأنظف فمي قبل الاكل وبعده ، وعند الشدائد يعرف الاخوان . حفظت لديه كتابي . هذه الكلمات ونحوها تمحضت للظرفية فلا تخرج عنها .

وهناك ما يسميه علماؤنا أسماء الزمان وأسماء المكان . ويبدو لنا انها في الاصل اسماء استعملت استعمال الظروف ، فاعتبرت ظروفا وان بقيت صالحة للاسمية لمراعاة أصلها .

وهي قسمان : زمانية ومكانية ، وكل منها اما مختص (مقدر البداية والنهاية) أو مبهم (غير مقدر البداية والنهاية) أما الأسماء الزمانية فكلها تصلح للنصب على الظرفية سواء دلت على زمان مختص مثل : نستريح يوم الجمعة ، لعبنا ساعة ، اغتربنا سنة أو حولا ، أو شهرا . أو دلت على مبهم مثل سرنا وقتا أو حينا أو برهة أو زمنا . وأما الأسماء المكانية فلا ينصب المختص منها على الظرفية بل يجر بفي فلا يقال : « صليت المسجد » بل « في المسجد » ، وكذلك يقال : « نمت في البيت » ، وتحادثنا في النادي » .

وأما أسماء المكان المبهمة فتنصب على الظرفية ومن ذلك .

(١) أسماء الجهات الست (أمام ، وراء ، يمين ، شمال ، فوق ، تحت ،) ومثلها : (قدام ، خلف ، أعلى ، أسفل ، عليا ، سفلى ، يمنة ، يسرة ،) .

(٢) ومنها المقادير مثل : خطوة ـ شبر ـ متر ـ

قصبة ـ باع ـ ميل (الف باع) فرسخ (ثلاثة أميال) ، بريد (٤ فراسخ) .

(٣) ومنها أسماء مكان مختصة ولكنها تعامل كالمبهمة فتنصب على الظرفية وقد أشار اليها سيبويه وذكرها النحاة من بعده مثل : (هو مني منزلة الشغاف (جلدة القلب) ، وهو مني منزلة الولد ، وهو مني مزجر الكلب (بعيدا) . وأنت مني مقعد القابلة (قريبا) . وهو منك مناط الثريا ،

وقد ذكر قول الأحوص الانصاري (شاعر أموي / ت ١٠٥هـ) :

وان بني حرب كما قد علمتم
مناط الثريا قد تعلت نجومها

وقول ابراهيم بن هرمة (أموي عباسي / ت ١٨٣هـ)

أنصب للمنية تعتريهم
رجالي ، أم هم درج السيول[1]

فالكلمات : منزلة ـ مزجر ـ ومقعد ـ ومناط ـ ودرج ـ منصوبة على الظروفية .

وأجاز سيبويه الرفع في الكلمتين الأخيرتين لأن كل منها خبر ، وذكر أيضا قول العرب (أنت مني مرأى ومسمع) أي قريب .

وهكذا كل اسم ميمي سواء جاء مع فعله أو غير فعله ، كما في الأمثلة السابقة ، وكالبيت الغزلي :

تعرضن مرمي الصيد ، ثم رميننا
من النبل ، لا بالطائشات الخواطف
ضعائف يقتلن الرجال بلا دم
فيا عجبا للقاتلات الضعائف[2]

وهكذا الكلمات الآتية ، وان لم تكن ميمية : (درج ـ أدراج ـ حول ـ حوالي ـ أحوال) وقد تقدم بيت ابن هرمة وفيه كلمة « درج » ، وتقول العرب (ذهب دمه أدراج الرياح) ، « ويطوف الحجيج حول الكعبة » ، « واللهم حوالينا ولاعلينا » ويقول امرؤ القيس : ـ

فقالت : « سباك الله ، انك فاضحي
ألست ترى السمار والناس أحوالي »

ومثل هذا التعبير كل كلمة تدل على باطن الشيء أو بواطنه مثل : « خلل ـ وخلال ـ » .

ويقول نصر بن سيار أمير خراسان لآخر ملوك بني أمية في دمشق منذرا بفتنة أبي مسلم الخراساني ضدهم :

أري خلل الرماد وميض نار
ويوشك أن يكون لها ضرام

ويقول المتنخل اليشكري

وعلى الجياد المضمرا
ت ، فوارس مثل الصقور
يخرجن من خلل الغبا
ر ، يحطن بالنعم الكثير[3]

وفي القرآن « فجاسوا خلال الديار » .

وهكذا هذه الكلمات : « داخل ـ خارج ـ ظاهر ـ باطن ـ تجاه ـ ازاء ـ شطر ـ وجهة ـ جنب ـ جانب ـ جوانب ـ أعالي ـ أسافل ـ نحو ـ وتلقاء ـ وحجرة ـ قال بشار « جلست من الفتاة حجرة » .

وعلى هذا النحو : ثني وأثناء ـ وطي ـ وأطواء ـ تقول « تنحنح الخطيب ثني الخطبة أو أثناءها » ، « وتجد القصيدة طي رسالتي أو طواياها » .

وهكذا يصح التعبير « أثناء » ، « وثني » وما اليها بلا حاجة الى (في) ولو لم يرد في كلام العرب لأنه جرى مجرى كلامهم فكيف وقد وردت في شعر جاهلي في الهجاء : ـ

ينام عن التقوى ، ويوقظه الخنا
فيخبط أثناء الظلام فيول .

ومعروف ان الفعل يدل على شيئين : على حدث (بمادته) وزمن (بصيغته) فالأفعال : « كتب يكتب اكتب » تدل بمادتها المشتركة بينها على حدث واحد ، هو الكتابة ، ولكن صيغها تختلف فتدل كل صيغة على زمن خاص . فدلالة الفعل على الزمان صرفية (علم الصرف) لأنها ناشئة من انها كلمة مستقلة ، وأما دلالة الظروف على الزمان سواء كانت مبهمة او مختصة فانها دلالة نحوية (علم النحو) تستفاد من سياق الكلام ، لأن النحو يبحث في الكلام المركب وعلاقات بعضه ببعض . . .

(١) الكتاب لسيبويه ١/٢٠٦ ـ ٢٠٧ وهناك شواهد وامثلة اخرى .

(٢) الحماسة لابي تمام ٢/٩٨ .   (٣) الحماسة ١/١٤٨ .

وعي الهوية العربية في الفكر التونسي الحديث

تأليف : د . عفيفي البوني

منشورات العالم العربي ـ باريس

● يعيد المؤلف في دراسته الوعي بالهوية العربية في تونس الى الجذور التاريخية التي تم ترسيخها منذ الفتح العربي لافريقية سنة ٥٠ هـ الموافق سنة ٦٧٠ م . ويتابع نمو تلك الغرسة التي تمت زراعتها في تلك التربة .. فيقول في مقدمته .

لقد رجعت الى عشرات المصادر والمراجع التي كتبها تونسيون منذ القرن السابع عشر وحتى حوالي منتصف القرن العشرين ، وحاولت قراءتها قراءة جديدة ومنهجية ، من منظار الايمان بعروبة تونس ، استنادا الى شواهد التاريخ والتراث الثقافي القومي ، وما ينضح به الواقع العربي الحاضر ، ومن منطلق حتمية المصير العربي الواحد ويضيف :

لقد حاولت أن أثبت ، من خلال الشواهد التاريخية الكثيرة التي زخر بها الانتاج الفكري التونسي خلال العصر الحديث ، ان الوعي بعروبة تونس كان حاضرا دائما ، في اعمال الكتاب ووجدان الجماهير العريضة ، وحين قمت بهذه الدراسة لرصد تلك الشواهد وتحليلها ، لم أقصد اثبات عروبة تونس ، وانما التأكيد بأن الوعي بها لم يغب أبدا عن الفكر التونسي الحديث .

++

الزير سالم ابو ليلى المهلهل

دراسة : شوقي عبد الحكيم .

الناشر : دار ابن خلدون ـ بيروت .

● المعروف ان هذه السيرة أو الملحمة تعتبر من أشهر السير والملاحم العربية ، الا انها وغيرها ـ لم تحظ بالدارس المتعمق الذي يبحث عن ركائز موضوعية تاريخية للكثير مما يرد فيها من شخصيات ومواقع وأحداث .

والباحث الذي جعل من البحث في سيرنا وملاحمنا مجالا أساسيا له ، اجتهد في سيرة « الزير سالم » وقدم لنا دراسة تبحث الاشارات والتفصيلات الواردة فيها ، فبين انها جزء من واقع تاريخي حدث ، وليس كما يتصورها البعض جزء من الخرافة .. .

وخلص الى القول : اننا بازاء سيرة ملحمية عربية ، خالية الى أقصى حد من ذلك العالم الخرافي للجن وعوالمهم » .



++

أزمنة التاريخ الاســـلامي

تأليف وتصنيف : د . عبد السلام الترمانيني

مراجعة وتحقيق : د . شاكر مصطفى .

ود . احمد مختار العبادي .

الناشر : المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب واللجنة الوطنية للاحتفال بدخول القرن الخامس عشر الهجري في الكويت .

● يسجل هذا الكتاب لأهم أحداث التاريخ الاسلامي من السنة الاولى للهجرة الى سنة ٢٥٠ هـ .

كما يسجل ترجمات لسيرة حياة أشهر الاعلام والشخصيات في التاريخ الاسلامي ويعرف بالمواقع والبلدان التي ورد ذكرها فيه .

رحيق في غربال

تأليف : كمالا ماركانداياً

ترجمة : احمد خليفة

الناشر : مؤسسة الابحاث العربية - بيروت



● لم تشهد حركة الترجمة في وطننا العربي اتجاها للخروج من أسر النتاجات الأدبية في أمريكا وأوروبا إلا في أضيق الحدود .

ويظهر ان المؤسسة الناشرة استشعرت هذا الأمر فلجأت الى استحداث سلسلة من الترجمات الروائية المنقولة عن آداب شعوب العالم الثالث في قارات آسيا وافريقيا اللاتينية اطلقت عليها اسم « ذاكرة الشعوب » .

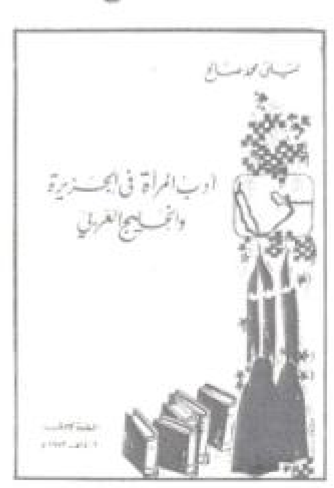
والرواية التي نعرض لها هي السابقة في هذه السلسلة وهي لكاتبة هندية جعلت من مشكلات المرأة الهندية موضوعا لمجمل رواياتها ، وهي في كتابتها عن تلك المشكلات فإنها لاتعالجها بشكل معزول عن اطارها الاجتماعي .

ورواية « رحيق في غربال » تروي قصة امرأة فلاحة عايشت الفقر والجوع ومصادرة الأراضي والاستغلال المركب ، فكانت تروي ما عاشت وما عايشت فتركز تارة على معاناتها الذاتية واخرى تنتقل فيها الى تسجيل عذابات الآخرين ، كأنها كانت تروي مآسي ملايين البشر في عالمنا الثالث وهم يواجهون القوى المتحالفة ضد الانسان في ان يكون انسانا له بيت وكرامة ، ويعيش حياة الكفاف والستر .

++

أدب المرأة في الجزيرة والخليج العربي

تأليف : ليلى محمد صالح



● لجأت المؤلفة قبل التعريف بالشاعرات والناثرات ونقل نماذج من انتاجهن في كل من المملكة العربية السعودية والبحرين ، قطر ، الامارات العربية المتحدة الى القاء الاضواء على الحركة الادبية في كل قطر من الاقطار السابقة . وهي في تعريفها ونقلها للنماذج لم تلجأ الى التحليل ، بل كان همها ينصب على التسجيل لا التعريف ، قالت في مقدمتها للكتاب :

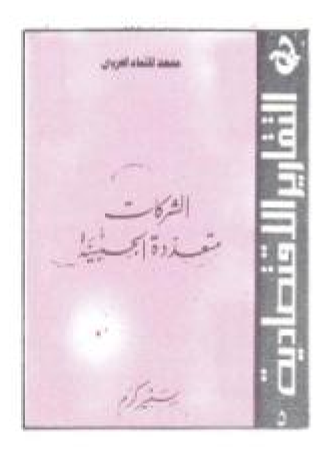
« ان هذا البحث غايته متابعة كتابات المرأة ورصد تطورها رصدا تاريخيا ، اكثر من كونه نقدا وتحليلا ، ثم الكشف عن قيمة الاقلام النسائية بسماتها الايجابية والسلبية من أجل أن يطلع الدارسون على ما في الجزيرة والخليج العربي من حركة فكرية نسائية واتجاهات أدبية تكون منطلقا لمن يريد التقصي ومتابعة الرصد » .

وقد صدر للمؤلفة منذ اربع سنوات كتاب « أدب المرأة في الكويت » رصدت فيه نتاجات المرأة في الكويت ، وهاهي تستكمل رصد المرأة في اقطار الجزيرة والخليج العربي في كتابها الجديد .



الشـــركات متعددة الجنسية

تأليف : سمير كرم .
الناشر : معهد الانماء العربي - بيروت



● المقصود بالشركات متعددة الجنسية هي الشركات الدولية أو العابرة الجنسية والتي لها مشروعات في كل انحاء العالم بما فيه دول الكتلة الشرقية .

وقد نمت هذه الشركات في فترة السنوات الخمس والعشرين الأخيرة واتسع نطاق عملها . واهمية دورها لا يعود الى ما تقوم به في المجال الاقتصادي فقط ، بل كما يقول المؤلف : « الى التأثير العميق في المجالات السياسية والاجتماعية » .

وينقل المؤلف مقطعا من بحث للدكتور جلال احمد أمين قال فيه :

« ان الشركات متعددة الجنسية تشكل اليوم القوة الاقتصادية الثالثة في العالم بعد الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي ، وان انتاجها يتزيد بمعدل يبلغ نحو ضعف معدل نمو الاقتصاد الداخلي لكل من هاتين الدولتين ، وان من المتوقع ان يكون لنحو (٤٠٠) أو (٥٠٠) شركة من هذه الشركات قبل نهاية القرن الحالي ملكية مالا يقل عن ثلثي مجموع الاصول الثابته في العالم بأسره ، وأن تقوم بانتاج اكثر من نصف الانتاج العالمي . فاذا ما استمر نموها على هذا النحو فانه سيأتي اليوم الذي تصبح فيه التجارة الدولية هي التجارة الداخلية بين هذه الشركات وبين فروعها ، وتصبح فيه الرئاسة الدولية لرؤوس الاموال مجرد انتقال لرؤوس الاموال بين واحدة وأخرى من هذه الشركات .

++

أزمة القصيدة الجديدة

تأليف : د . عبد العزيز المقالح
الناشر : دار الحداثة بيروت ودار الكلمة صنعاء .

● المؤلف هو واحد من الشعراء والبحاثة العرب الذين لهم باعهم في الشعر والبحث .

وهو في دراسته يحاول ان يجيب على عدة أسئلة تتعلق بالشعر وغيره من النشاطات الاخرى التي تتداخل مع بعضها البعض . . يقول المؤلف :

« تبدو قضية القصيدة الجديدة أحيانا في الواقع العربي المعاصر وكأنها قضية ادبية بحتة ، بينما هي واقع الأمر قضية الجديد بعامة وقضية الانسان الجديد على سبيل التخصيص ، والانسان الجديد الذي أشير اليه هنا هو ذلك الذي حاول ويحاول بعد مراحل التقطع الحضاري والسقوط أن يصبح جديدا ، وان يجعل أبعاد الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية تكتسب الوعي بالجديد ، وتكون قادرة على التعبير عن هذا العصر وليس عن غيره من العصور » .

ويعطي المؤلف اهمية خاصة للشعر فيقول عنه :

« والشعر كما هو معروف أقدر الظواهر الفنية والثقافية على التطور والتغير ، وهو في معظم المجتمعات صوت الحداثة والتقدم والمعيار النفسي على عافية هذه المجتمعات أو اعتلالها » .

مسابقة العربي الثقافية

تستهدف هذه الأسئلة امتحان معلوماتك العامة وسرعة خاطرك . . .
وتستهدف بخاصة تشجيعك على البحث عن الردود الصحيحة وذلك بالرجوع الى المصادر الموثوقة :
وهي اثنا عشر سؤالا ، عليك أن تجيب على عشرة منها اجابة صحيحة لتظفر بجائزة .

الجائزة الأولى قيمتها ٣٠ دينارا

الجائزة الثانية قيمتها ٢٠ دينارا

الجائزة الثالثة قيمتها ١٠ دنانير

ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي ـ صندوق بريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العربي الثقافية » العدد ٢٩٣ ـ وآخر موعد لوصول الاجابات الينا هو أول يونيو ١٩٨٣ .




١) هاتان دولتان عربيتان احداهما من دول المغرب العربي فما هما الدولتان .



٢) ما اسم شيء حسن شكله — تلقاه عند الناس موزونا

تراه معدودا فان زدته — واوا ونونا صار موزونا

ترى ماهو الشيء الذي يقصده الشاعر ؟

٣) ابتسم الحظ لعربي من أبناء حوران (في جنوب سوريا) في التاريخ القديم .. فقد اعتلى عرش الدولة الرومانية واصبح امبراطورها وامتد حكمه (٥) سنوات .. فمن هو امبراطور روما العربي .. ؟

٤) ابن الاثير لقب اشتهر به ثلاثة من أعلام التراث العربي .. وأحد هؤلاء الثلاثة هو المؤرخ المعروف .. فأيهم هو ذلك المؤرخ ؟

(أ) مجد الدين ابو السعادات المبارك بن الاثير

(ب)عز الدين ابو الحسن على بن الاثير

(ج) ونصر الله ضياء الدين ابو الفتح بن الأثير

٥)فرديناند دلسبس المهندس الفرنسي المعروف الذى اشتهر بانشاء قناة السويس في اواسط القرن الماضي .. ترى هل كان لبطل قناة السويس هذا اى علاقة بقناة بنما ؟ .. وما هي تلك العلاقة ـ ان كان ثمة علاقة ؟ ..

٦) اسكتلند يارد .. الدائرة الحكومية البريطانية المعروفة التي طالما يتردد ذكرها في الأنباء .. ترى ماهي هذه الدائرة ؟.

أ) دائرة مباحث جنائية

ب)دائرة مباحث سياسية وأعمال جاسوسية

ج) دائرة البوليس الخاص بالعاصمة لندن ..

٧) كنْ جميلا تر الوجود جميلا . . . ، هذا هو الشطر الثاني من بيت شعر عربي . . فما هو الشطر الاول ؟ ومن هو الشاعر ، قائل هذا البيت ؟

٨) الدب القطبي أبيض اللون كما هو معروف . . ترى أيها اكبر حجما : دب القطب الشمالي أم دب القطب الجنوبي ؟ . .

٩) طير البطريق طير قطبي يقف ويمشي على قدمين كالانسان . . ترى أيهما اكبر حجما : بطريق القطب الشمالي ام بطريق القطب الجنوبي ؟ . .

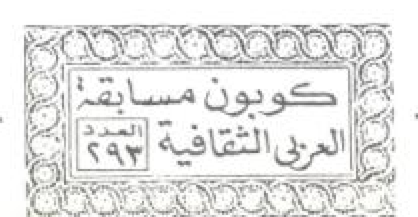
١٠) (هيرو هيتو) و (هاراكيري) كلمتان يابانيتان ، احداهما تعني الانتحار الطوعي الذي يقدم عليه أهل اليابان احيانا . والثانية هي الاسم الذي يطلقونه على امبراطورهم . . . فأيها هذه ؟ وأيها تلك ؟

١١) شاعران من فحول شعراء السلف الصالح . . اسم احدهما (علي ابو الحسن بن جورجيوس) واسم الثاني : (حبيب بن اوس) . . ولكننا نعرف هذين الشاعرين بلقبيهما . . فماهما اللقبان !!





١٢) هاتان دولتان من دول المغرب العربي . . فهل تستطيع تسميتهما ؟ .





معركة بلاسلاح

« ليس الشطرنج لعبا فحسب ، بل هو لعب وعلم في آن واحد »

« نابليون الأول »

ذكرنا في العدد السابق أن الافتتاحات أو مطالع الادوار في الشطرنج تهدف الى الاسراع بنشر القطع للاشتراك في المعركة ، وتقسم هذه الافتتاحات الى قسمين رئيسيين هما اللعب المنفرج واللعب الضيق ، ومن أهم الافتتاحات في اللعب المنفرج الافتتاح المعروف بافتتاح « روي لوبيز » والذي ينسب الى راهب اسباني عاش في القرن السادس عشر ، وهو افتتاح متين جدا في الدفاع والهجوم والذي يفسر ما يتمتع به من شعبية كبيرة لدى اللاعبين في مختلف العصور ، وللالمان دور كبير في دراسة هذا الدور وبحث دقائقه ، ولذا فان الكثير من اللاعبين يطلقون عليه اسم الطابق الالماني ، ويسير اللعب في هذا الدور كما يلي :

١ : ب ـ ٤ م   ب ـ ٤ م
٢ : ح ـ ٣ ف م   ح ـ ٣ ف و
٣ : ف ـ ٥ ح   وهذه النقلة متينة مُرْبكة

للأسود ، وقد اجتهد اللاعبون على مر السنين في اكتشاف الرد الأفضل عليها دون أن يصلوا الى رد قاطع . وفي هذه النقلة تهديد غير مباشر لـ ٤ م (بان يلعب الأبيض ف × ح ثم ح × ب) وبذلك يتمكن من احكام سيطرته على الوسط . ومن مزايا هذه النقلة انها تمنع الأسود من تقديم بيدق الوزير خوفا من تقييد حركة الحصان بسبب التّسمير والذي من شأنه أن يمنع الأسود من تطوير جناح الوزير . ومن مزايا هذه اللعبة ايضا انها تمهد الطريق أمام الابيض للتبيت القصير .

٣ . . . . ب ـ ٣ ر و . وبهذا الرد يحتفظ الأسود لنفسه بالقدرة على ابعاد الفيل نهائيا اذا تقهقر الى « ٤ » بأن يلعب ب ـ ٤ ح و

٤ : ف ـ ٤ ر الابيض لايستطيع الفوز ببيدق الملك لأنه لو لعب ف × ح ، ب و × ف ثم ٥ : ح × ب خوفا من أن يلعب الأسود « و × و ٥ » مهددا حصان الأبيض وبيدق الملك في آن واحد

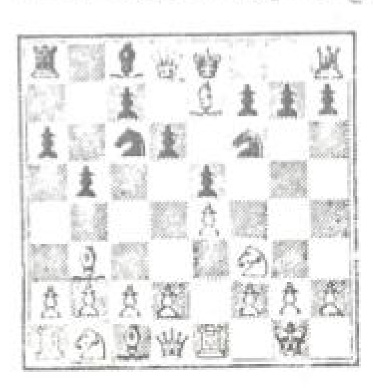
٤ : . . . . . .   ح ـ ف ٣ مهددا بيدق الملك
٥ : ت   متجاهلا تهديد الأسود
٥ : . . .   ف ـ ٢ م
٦ : ر ـ ١ م   لتفويت الفرصة على الأسود

بكسب البيدق فهو يهدد بدوره بأن يلعب ٧ : ف × ح ، ب و × ف ٨ : ح × ب لأن نقلة الأسود « و ـ ٥ و » لم تعد تحدي لأن حصان الأبيض يستطيع أن يقتنص بيدق الملك ويعود الى مكانه السابق بسلام .

٦ : . . . . .   ب ـ ٤ ح و

٧ : ف ـ ٣ ح   ب ـ ٣ و

وهذه النقلة تنقلنا الى مناورات وتعقدات أواسط اللعب : انظر الشكل

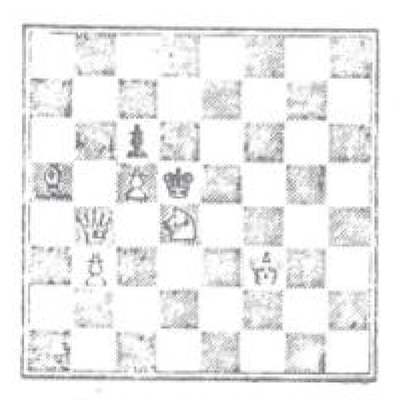


مسائل شطرنجية

في المسائل الشطرنجية متعة للعقل وتدريب للذهن وترويح للنفس وقد اخترنا لك المسألتين التاليتين ، فان وفقت في التوصل الى الحل فلك تهانينا والا . فعليك ان تنظر الى الصفحة مقلوبة

مسألة (١)

الأبيض يلعب ويكش مات بنقلتين



مسألة (٢)

الأبيض يلعب ويكش مات بثلاث نقلات



حل المسائل اقلب الصفحة :

حل المسألة رقم (١)

١ : و ـ ٨ ح للسيطرة على مربع ٥ م تاركا مربعين دون حماية

١ : . . . . م×ب
٢ : و ـ ٥ م ‡

لو ١ : . . . . م×ح
٢ : و ـ ٦ و ‡

حل المسألة رقم (٢)

١ : ب×ح + م ـ ٣ و
٢ : ب ـ ٨ م (و) م ـ ٣ ف (اجباري)
٣ : ر ـ ٦ م ‡

أو ١ : . . . . م ـ ٤ م
٢ : ب ـ ٨ م (ح) م ـ ٣ م
٣ : ر ـ ٧ م ‡
أو ٢ : . . . . م ـ ٥ م
٣ : ر ـ ٣ م ‡

لو ١ : . . . . م ـ ٣ ف
٢ : ب ـ ٨ م (و) + م ـ ٣ و
٣ : ر ـ ٣ و ‡
أو ٢ : . . . . م ـ ٣ ح
٣ : و ـ ٥ ح ‡

مسألة صعبة بسبب الاحتمالات المتعددة للترقية ولكنها لاتخلو من فائدة .

رولكس "آرنولد پالمر" دائمًا تدور ستين

في نادي غولف "بيركديل" الملكي لوحة تحيي ذكرى أشهر ضربات للاعب "آرنولد پالمر".

حدث ذلك أثناء المباراة التي أقيمت عام ١٩٦١ في بريطانيا للاعبين المؤهلين فنيًا لدخول المباراة.

عندما انتهت رمية "پالمر" الخامسة عشرة - وكان "داي ريس" الويلزي ينافسه ويحفزه - بأن استقرت الكرة تحت شجيرة خفيضة.

وما أن أمسك "پالمر" بالمضرب "رقم ٥"، حتى أدركت جمهور النظارة أنه يحاول قذف الكرة إلى المرج الأخضر على بعد ١٥٠ ياردة.

وفيما بعد، قال "پالمر" أنه لم يسبق له أن ضرب الكرة بهذه القوة، حيث انه قطع الشجيرة بضربته وفصلها عن الأرض وانطلقت الكرة بعيدًا نحو الهدف.

ضربات جريئة كهذه هي التي أكسبت "آرنولد پالمر" المقام الرفيع وجميع ألقاب البطولة في هذه اللعبة. والساعة التي يتقلدها شبيهة به من حيث القوة والدقة والشهرة.

إنها "رولكس داي - ديت" التي اكتسبت هي أيضًا أرفع مقام مستطاع ونالت لقب "الكرونومتر السويسري" الذي يصبو إليه كثيرون.

الواقع، وعلى الرغم من أن إنتاجها لا يشكل سوى جزء ضئيل من الإنتاج الإجمالي للساعات السويسرية، فقد حصلت رولكس على ما يقرب من نصف الشهادات التي منحت في أي وقت مضى لصانعي الساعات الكرونومتر.

عندما يقذف "پالمر" الكرة بمضربه تنطلق بسرعة ١٥٠ ميلاً في الساعة. ويساوي وزن قوة الصدمة الدافعة القصوى ما يزيد على الطن.

ومع ذلك، يستطيع "پالمر"، بضربة فنية دقيقة، أن يدخل الكرة في الحفرة ويحرز معها قصب السبق.

هذا الجمع بين القوة العارمة والدقة البالغة هو الذي جعل من "آرنولد پالمر" أشهر لاعب عرفته مضمار الغولف.

إحساس كهذا ليس غريبًا عنا.

ROLEX
رولكس



ساعة رولكس "داي-ديت" كرونومتر مصنوعة من ذهب عيار ١٨ قيراطًا، مع سوار متلائم

مَا هوَ الشيئ المشترك بَين هؤلاء الأشخاص ؟

Na_2CO_3 +

بنك الكويت الوطني طبعاً.

لكل منهم إحتياجات مالية ومصرفية مختلفة ، لهذا فهم يتعاملون مع بنك الكويت الوطني .

الجميع ، من أطباء ومدراء شركات ورجال أعمال وحتى الأطفال ، كلهم يجدون لدى بنك الكويت الوطني خدمات شاملة تناسب كافة المتطلبات والأعمار .

حسابات إدخار ، حسابات جارية ، حسابات أمانات ، قروض شخصية ، حسابات إيداع ، شيكات سياحية وشهادات إدخار . جميع فروع بنك الكويت الوطني تقدم شيئاً مشتركاً ، الخدمة التي تحتاجها .

لكافة احتياجاتكم المالية ، اتصلوا بأي فرع من فروعنا الأربعين المنتشرة في كافة أنحاء الكويت .



بنك الكويت الوطني ش.م.ك.

شارع عبدالله السالم - ص.ب ٩٥ صفاة ، الكويت - تلفون ٤٢٢٠١١ (١٠ خطا) - برقيا : الناشيونال - تلكس : ٢٢٤٥١



سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت

ابريل - نيسان

١٩٨٣م



تأليف :

فرانز مورلاب وجوزيف كولينز

ترجمة :

أحمد حسان عبد الواحد

٥٠٠ فلس

الكتاب الرابع والستون

المراسلات :

توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

ص.ب ٢٣٩٩٦ الكويت

من المسرح العالمي

سلسلة ثقافية

تصدرها في مطلع كل شهر

وزارة الإعلام في الكويت

أول ابريل ١٩٨٣

١٦٣

٥

زواج لوترو هاديك

تأليف : جول رومان - ١

ترجمة وتقديم : عبد المسيح ستيتي

مراجعة : د . سامية أسعد

مجلة

دراسات الخليج والجزيرة العربية

تصدر عن جامعة الكويت

رئيس التحرير
الدكتور عبد الله الغنيم

صدر العدد الأول في كانون ثاني (يناير) ١٩٧٥

تصل أعدادها الى أيدي نحو ١٢٥٫٠٠٠ قارئ

يحتوي كل عدد على حوالي ٢٥٠ صفحة من القطع الكبير تشتمل على : –

- مجموعة من الأبحاث تعالج الشئون المختلفة للمنطقة بأقلام عدد من كبار الكتاب المتخصصين في هذه الشئون .
- عدد من المراجعات لطائفة من أهم الكتب التي تبحث في المناحي المختلفة للمنطقة .
- أبواب ثابتة : تقارير – وثائق – يوميات – بيبليوجرافيا .
- ملخصات للأبحاث باللغة الانجليزية .

ثمن العدد : ٥٠٠ فلس كويتي أو ما يعادلها في الخارج .

الاشتراكات : للافراد سنويا ديناران كويتيان في الكويت ، ١٥ دولارا أمريكيا في الخارج (بالبريد الجوي) .

للشركات والمؤسسات والدوائر الرسمية : ١٢ دينارا كويتيا في الكويت ، ٤٠ دولارا أمريكيا في الخارج (بالبريد الجوي) .

منشورات المجلة :

تصدر المجلة أيضا دراسات مستقلة متعلقة بشئون المنطقة صدر منها

١- كتاب التكامل الاقتصادي في الخليج العربي (د . محمد هشام خواجكية) . ١٩٧٩ .
٢- كتاب آفاق التنمية الصناعية في دول الخليج العربي (د . عبد الآله أبو عياش) . ١٩٧٩ .
٣- كتاب حقوق الطفل في دولة الكويت (د . بدرية العوضي) . ١٩٧٩ .
٤- كتاب الاحصاءات الاقتصادية في المملكة العربية السعودية (بدوي خليل) ١٩٨٠ .
٥- دور جريدة فتاة الجزيرة في أحداث عام ١٩٤٨ بصنعاء (سلطان ناجي) ١٩٨٠ .

سلسلة وثائق الخليج والجزيرة العربية لعام صدر منها :

الكتاب الأول وثائق الخليج والجزيرة العربية لعام ١٩٧٧ . ١٩٧٩ .

العنوان : جامعة الكويت – كلية الآداب والتربية – الشويخ – دولة الكويت .
ص . ب : ١٧٠٧٣ – الخالدية
الهاتف : ٨١٦٨٠٧ – ٨١٦٧٩٩ – ٨١٦٨٤

جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير .

أفكار مفيدة من توشيبا

إنّ الفكرة العامة التي تقوم عليها شركة توشيبا هي إستخدام الخبرة التقنيّة المبدعة لصناعة أفضل الأجهزة الكهربائية وأكثرها جدارة. فسواء أكنتم تستعملون مكنسة كهربائية، مروحة أو مكيّف هواء فإنكم تدركون إن هذه الأجهزة لم تصنع لكي تؤدي مهامها على أكمل وجه فقط بل لتقتصد في استهلاك الطاقة أيضاً ذلك لأن توشيبا تصنع كل محركات أجهزتها بنفسها. خبرة توشيبا الخلاقة تعني الاعتمادية المتناهية والأداء المتفوق. جرّبوا أجهزة توشيبا المنزلية لتدركوا ما تستطيع خبراتنا الخلاقة أن تقدم لكم.





فرن كهربائي — ماكينة للطعام — مكيّف هواء — مروحة مع مصباح ليلي — غسالة كهربائية — مكنسة كهربائية



TOKYO, JAPAN

لكافة المناسبات والأهواء

FASHIONABLE

إن مسجل الستيريو كاسيت / راديو ٤ موجات MINI & SLIM من سانيو ملائم في تصميمه الأنيق لكافة المناسبات الرسمية والعرضية. مجهز بآلية الإنتقاء الموسيقى الأوتوماتيكية لبرمجة ١٥ أغنية، ونظام ٤ سماعات باتجاهين مع سماعتين ١٠ بوصة من السيراميك لموسيقى السوبرانو والباص. متوفرة للإختيار باللونين الأسود أو الأبيض إضافة إلى العديد من مميزات تحسين الأداء لأجهزة MINI & SLIM من سانيو لتكون مثالية لكافة المناسبات والأهواء!

M 7770K

صغير وتحيل

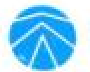
• راديو وستيريو MW/SW1/SW2/FM
• آلية AMSS لبرمجة ١٥ أغنية مع شاشة عرض LED • إمكانية استعمال الشريط المعدني • إمكانية مزج الصوت بالميكروفون • الطاقة: ٦ بطاريات حجم "C"، منظم للتيار المتردد أو منظم إختياري لبطارية السيارة.
• متوفر في لونين الأسود أو الأبيض.



M 7880K

صغير وتحيل

• راديو ستيريو MW/SW1/SW2/FM
• آلية AMSS لبرمجة ٣ أغنيات • إمكانية استعمال الشريط المعدني • إمكانية مزج الصوت بالميكروفون • الطاقة: ٧ بطاريات حجم "C"، منظم للتيار المتردد أو منظم إختياري لبطارية السيارة • متوفر في اللون الفضي اللامع.





رجب ١٤٠٣ هـ - مايو، ايار، ١٩٨٣ م

العربي



- الثقافة مفتاح باب افريقيا
- نبض التاريخ في دار الآثار الإسلامية

عزيزي القارئ

عندما دعونا في هذا المكان من العدد الماضي الي حوار موضوعي وحر ، يقوم علي الاقناع لا الارهاب والتخويف ، ويقارع بالحجة ولا يقرع بالهراوات والاتهامات ، لم نكن ندافع فقط عن قيمة الرأى وحرية الحوار ، انما كنا نمهد أيضا لممارسة هذه التجربة فى « العربي » .

وعلى صفحات هذا العدد محاولة لاجراء هذا الحوار ، وهى خطوة متواضعة على طريق ندرك انه طويل وشاق ، طويل بطموحاته ، وشاق بأشواكه والألغام المبثوثة فيه ، والمحاذير التى تحيط به .

لكن انجاح المحاولة ليس منوطا بالمجلة وحدها ، اذ لا تملك الا ان تفتح الباب للجميع مشترطة ـ بالدرجة الاولى ـ ان تتسم المساهمات فيه بالجدية والموضوعية . ومشترطة بالدرجة الثانية ان يراعى الكتاب الاقتصاد فى القول وتوخى الالتزام بما « قل ودل » ، بحيث لا يتجاوز التعقيب الف كلمة ، حتى تتاح الفرصة لأكبر عدد من المتحاورين لكي يدلوا بدلوهم فيما يهم الجميع . واذ نتمنى ان يلتزم الكتاب بهذه الحدود ، فقد نعْذر اذا لم نلتفت الى التعقيبات التي تتجاوزها ، لأن ذلك لن يكون فقط بمثابة جور على المساحات المخصصة لمواد أخرى في المجلة ، ولكنه سيكون ايضا جورا على حق الآخرين في ابداء الرأي والتعبير . .

لقد اخترنا لهذا الجزء من المجلة اسم « منتدى العربي » ، آملين ان يتحقق فيه لقاء فعلى بين مختلف الآراء ، وان يشكل نافذة صغيرة تطل بنا على حلم اجراء حوار عربي أوسع وأشمل .

والمنتدى يفتح ذراعيه للجميع ابتداء من هذا العدد . . وفى كل عدد مقبل باذن الله .

المحرر

العربي

العدد - ٢٩٤ - مايو ١٩٨٣

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

رئيس التحرير : الدكتور محمد الرميحي

مدير التحرير : فهمي هويدي

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت للوطن العربي وكل قارىء للعربية في العالم . الوزارة غير مسؤولة عما ينشر فيها من آراء . والمجلة غير ملتزمة باعادة أي مادة تتلقاها للنشر .

ثمن العدد . بالكويت ٢٠٠ فلس ، السعودية ٤ ريالات ، العراق ٢٠٠ فلس ، الأردن ٢٠٠ فلس ، سوريا ٢٠٠ قرش لبنان ٢٠٠ قرش ، مصر ١٥٠ مليما ، السودان ١٥٠ مليما ، المغرب ٣ دراهم ، تونس ٣٥٠ مليما ، الجزائر ٣ دنانير ، البحرين ٣٠٠ فلس ، قطر ٤ ريالات ، الامارات العربية المتحدة ٤ دراهم ، اليمن الشمالي ٣ ريالات ، اليمن الجنوبي ٢٥٠ فلسا ، ليبيا ٢٥٠ درهما .

الاعلانات : يتفق عليها مع الادارة - قسم الاعلانات

المراسلات : باسم رئيس التحرير

عنوان المجلة بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ - تلفون ٤٢٧١٤١ ٤٢٨٢٤٢

تلغرافيا « العربي »

الاشتراكات

ترسل الطلبات الى :

قسم الاشتراكات

المكتب الفني - وزارة الاعلام

ص . ب (١٩٣) - دولة الكويت

على طالب الاشتراك تحويل قيمة الاشتراك بموجب حوالة مصرفية أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الاعلام ، طبقا لما يلي :

البلاد العربية ٥٠٠ر٣ (ثلاثة دنانير ونصف)

بلاد غير عربية ٠٠٠ر٥ (خمسة دنانير)

AL—ARABI, No. 294, MAY 1983

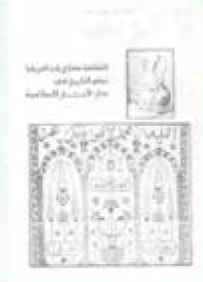
— P. O. Box 748, KUWAIT.

محتويات العدد

قضايا عامة

عروبة واسلام

صورة الغــــلاف



وسقط حاجز الزمن .. ودخلت العربي تجوب دروب التاريخ وتنتقل من عصر الى عصر ... كانت رحلة استعادت من خلالها عظمة الحضارة الاسلامية .. كانت أيضا رحلة بحث عن الجذور والأصول في التراث الذي تركه لنا اجدادنا . لقد ذهبوا هم وبقيت آثارهم تدل عليهم ... هنا في الكويت جمعوا بعض هذه الآثار في متحف كان افتتاحه حدثا في تاريخ هذا البلد الناهض . (اقرأ ص١٠٠) .

طب وعلوم

آداب وفنون

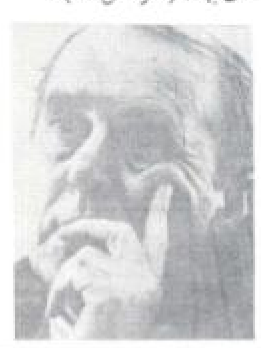


يريد أن يصبح مؤرخا

لقاء الشهر مع المؤرخ البحريني مبارك الخاطر، لقد ولد مبارك «مؤرخا»، فقد كان تلميذا صغيرا في بداية الأربعينات عندما سأله أستاذه: «ماذا تود أن تصبح في المستقبل؟» وأجاب التلميذ: «مؤرخا». (اقرأ حكاية مبارك مع التاريخ ص٤٠).

ويلات الحرب في كتاب

«هاينريش بل»، أهم كاتب في ألمانيا بعد أن حصل على جائزة نوبل عام ١٩٧٢، وهو أحد الكتاب القلائل الذين كتبوا بعمق لا مثيل له عن الحياة في بلاده خلال سنوات ما بعد الحرب وكيف تمكنت ألمانيا من التخلص من ويلات الدمار الذي حاق بها. (اقرأ ص٥٥).



منتدى العربي

مقال «القرآن وهموم المجتمع» للدكتور محمد احمد خلف الله (العربي العدد ٢٩١) آثار الكثير من التساؤلات..

البحث العلمي

ـ يحدثنا الدكتور عبد اللطيف ابو السعود عن مستقبل البحث العلمي في وطننا العربي.

معنى البروليتاريا

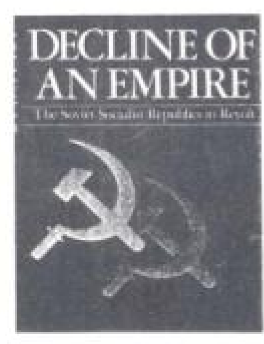
ـ يتناول المهندس حافظ احمد امين موضوعا ثالثا عن اصل كلمة «بروليتاريا»، وماذا تعني ومن أين جاءت؟ يقول: «إنها كلمة قديمة كان معناها عند الرومان «الأجانب» او «الأغراب» عن المدينة.

علم نفس واجتماع



الجنين في بطن أمه

الأبحاث الأخيرة المدعمة بالصور لمراحل حياة وتطور الأجنة في الأرحام قلبت المفاهيم التقليدية رأسا على عقب ، فالجنين في ظلمات الرحم يحيا حياة كاملة . لقد أثبتت البحوث أن الجنين في بطن أمه يرى ويسمع ويشم وينام . (اقرأ المقال ص١٢٤) .



مشكلة القوميات في روسيا

أزمة امبراطورية القلق ، كتاب وضعته هيلين كارير دانوس رئيسة قسم اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية في مركز العلاقات الدولية بجامعة باريس . وهو دراسة دقيقة توضح كثيراً من الغموض الذي يحيط بأوضاع الاتحاد السوفيتي الداخلية ، (اقرأ ملخص الكتاب يعرضه الدكتور أحمد عبد الرحيم مصطفى (ص١٧٣) .

قصة المعجم التاريخي للعربية

ما هي قصة المعجم اللغوي التاريخي .. الدكتور محمد طه الحاجري يكتب « للعربي » قصة البداية والنهاية ... لقد كانت البداية مع مولد مجمع اللغة العربية في ١٣ ديسمبر سنة ١٩٣٢ عندما نص المرسوم الذي قضى بإنشاء المجمع وفي مادته الثانية والتي جاءت عقب الهدف الاساسي من إنشائه وهو « المحافظة على سلامة اللغة العربية وجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون في تقدمها » ، على أن يقوم المجمع اللغوي بوضع معجم تاريخي للغة العربية . ترى كيف كانت النهاية ؟ (اقرأ ص٨٨) .

تاريخ وشخصيات

استطلاعات مصورة :

ابواب ثابتة

حديث الشهر

بقلم

الدكتور محمد الرميحي

الصراعات العربية العربية

مجموعة من الممارسين العرب السابقين وآخرون من المثقفين والمراقبين التقوا في اواسط شهر مارس الماضي في القاهرة على شكل مجموعة دراسية للتداول في موضوع هام ، لا يشغلهم هم فقط ولكن يشغل الكثيرين من المهتمين بالشأن العربي العام في الوطن العربي من أقصاه الى أقصاه .

كان الموضوع المطروح للتداول هو « ماذا حدث في الساحة العربية خلال عقد السبعينيات المنصرم ؟ »

فبعد الزخم الذين شهدته الساحة العربية في الخمسينيات والستينيات من هذا القرن ، خاصة تجاه رفض العضو الغريب المفروض على الأمة وهو إسرائيل ، وكذلك موجة التحرر من الاستعمار بأشكاله المباشرة .. وغير المباشرة :

بعد هذا الزخم ماذا حل بنا ؟

أقطار الأمة العربية أصابها التفكك والتناحر الى درجة استشرى فيها خطر الأعداء الظاهرين والمخفيين .

(لمـــــاذا ؟)

هنا لا بد لنا من وقفة نتساءل معها لماذا حدث ما حدث ؟ وهل أصبحت القوة النفطية التي تعاظمت خلال الثلث الأول من السبعينيات عاملا من عوامل الضعف أم هي أحد عوامل القوة ؟ هل كل ما حدث حتى الآن هو شيء طبيعي

.. إلى أين ؟

نتوقع حدوثه مع مسيرة تطور الأمم ورقيها ، أم هو عارض مرضي تكمن عوامله في داخل تركيبة الأمة ؟

تلك بعض الأسئلة وأمثالها مما كان مطروحا على طاولة المناقشات خلال الأيام الثلاثة التي التقى فيها ذلك الجمع .

بالتأكيد لم يكن أحد يتوقع أن يصل الى إجابات قاطعة مانعة لهذه الأسئلة الجوهرية خلال الندوة أو حتى بعدها . . إذن فهي ما زالت مطروحة وتحتاج الاجابة عليها لعشرات وعشرات من المفكرين والأقلام . إلا أن خريطة الواقع العربي ـ كما تظهر اليوم أو على الأقل خطوطها العريضة ـ يمكن ملاحظة ملامحها .

هذا الواقـــــع . !

ملامح الواقع العربي خلال السبعينيات يمكن أن نتبينها من خلال ثلاثة مظاهر رئيسية ، ليست بالطبع هي كل الملامح ولكنها فقط الخطوط العريضة . يمكن تلخيصها في الآتي :

العنصر الأول :

هو وضع النفط العربي والثروة العربية في مسار السياسة العربية القومية





وتأثيرها وتأثرها . فقد لعب النفط قبل سنة ١٩٧٣ بشكل جزئي وبعد ذلك بشكل أساسي دورا في الساحةالعربية ، أثر من خلاله على العلاقات المتبادلة بين العرب والعرب وبين العرب والعالم .

فقبل سنة ١٩٧٣ كان التأثير الأول والملحوظ ما حدث بعد نكسة حزيران ١٩٦٧ ، وقتها وفي الخرطوم بدأ التفكير الذي ساد في الخمسينيات والستينيات والذي كان يحكم العلاقات العربية ، ينقلب من عداء بين اجتهادين في تطور الفكر السياسي العربي إلى وحدة هدف وهي الوقوف أمام اسرائيل بعد اجتياحها لأراض عربية جديدة ، وفكر البعض وقتها ، وبعد ذلك أصبح هذا التفكير هو السائد : « ان النفط يجب أن يلعب دورا إيجابيا للوقوف أمام التحدي الحضاري والاستيطان الاسرائيلي ، كشكل واضح من أشكال التحدي وكذلك للوقوف أمام التحديات الأخرى المبطنة عن طريق مساهمته في تقوية المجهود الحربي لدول الطوق العربية » . كانت البداية مصر والأردن ثم امتد هذا التفكير ليشمل بقية الدول المحاربة .

صورة قريبـــــة

وبعد ١٩٧٣ تعاظم دور النفط بسبب ارتفاع ثمنه وبالتالي اتساع قاعدة مساهمته في الاقتصاد العربي حتى أصبحت كما يقول لنا الاقتصاديون العرب « مصادر النفط العربية المباشرة وغير المباشرة تموّل حوالي ٨٨٪ من واردات الوطن العربي من محيطه الى خليجه من السلع والخدمات (١٩٨٠) » .

أي أن الوطن العربي ، لو قدّرنا نظريا فقط اختفاء عائد النفط منه لم يكن ليستطيع من خلال موارد الانتاج الأخرى غير النفطية إلا أن يمول ١٢٪ فقط من احتياجاته من السلع والخدمات لتلك السنة .

فالأقطار العربية كلها وبلا استثناء ، ما زالت تعتمد للأسف الشديد على ما تستورده من الخارج . هذا التقدير الأخير افتراضي بالطبع ولكنه يعطينا صورة فقط للدور الذي لعبه النفط والأموال النفطية العربية في الساحة القومية خلال فترة السبعينيات

وهذا الدور ـ لا شك ـ قد صاحبه دور أو أدوار أخرى في الساحة العربية والعالمية ، وتبعته مظاهر عدة ، على رأسها ممارسة جديدة لدول النفط في الساحة العربية لم تكن موجودة في السابق وتطور اقتصادي واجتماعي جديد خلق حاجات ومطالب جديدة وأثر على الخريطة العربية عن طريق الهجرة الداخلية بين الأقطار العربية وما تبع كل هذه الظواهر من إيجابيات وسلبيات .

وتلوح الاجابة على هذا العنصر الأول بأن العرب مطالبون في هذه الفترة بالذات باستخدام عائداتهم النفطية لبناء قاعدة إنتاجية بديلة أو موازية للدخول النفطية . هذه القاعدة الانتاجية هي الضمان الحقيقي للتطور في المستقبل .

العنصر الثاني :

ويمكن أن يلخَّص تحت عنوان عام هو « الصراعات العربية ـ العربية » . ذلك أن هذه الصراعات لم تظهر الى الوجود خلال السبعينيات فقط فقد كانت موجودة قبل ذلك ، الا أن طبيعتها قد اختلفت في السبعينيات . في السابق كانت هناك خطوط حمراء في الخلاف او الصراع العربي ـ العربي .

كان وجود الأخ الأكبر يحدُّ من هذه الصراعات ويضعها في أحجام لا تتخطاها مهما إحتد الخلاف أو الصراع واحتلام . أما في السبعينيات فقد أصبحت الخلافات والصراعات مريرة لأسباب متعددة سواء كان ذلك في المغرب العربي أو في المشرق ـ وأصبحت لعبة التحالفات العربية والمحاور المختلفة تخرج في بعض الأوقات عن تلك الخطوط الحمراء التي قيدتها مواثيق جامعة الدول العربية كي تتحول الى صراع طويل ومرير ، بين أكثر من قطر او في القطر الواحد كما حدث في لبنان .

وقد تعرض أهم هدفين من الأهداف العربية العليا للخطر ، وفي بعض الأوقات ، للخطر الشديد ، وأعني بهما الأمن العربي والرفاهية العربية ، فقد واجه الأمن العربي خلال تلك الحقبة أشكالا متعددة من الأخطار عن طريق فرض العدو شروطا صعبة يصنع بها التعايش الذي يريده ويبتغيه أو عن الطريق



الآخر باحتلاله أرضا عربية جديدة .

وتبدو الاجابة على هذا العنصر من جديد بأنه لا مفر من حد أدنى للتضامن العربي . فالتهديد الخارجي والاسرائيلي هو تهديد وجود لا حدود ، والخلاف بين الأشقاء يسهل عملية قضمهم واحداً بعد الآخر . وأول طريق التضامن العربي هو الاعتراف بالاجتهادات السياسية والاجتماعية التي يتبناها البعض كواقع موجود على أن تدرس الأمور على أساس إيجاد العوامل المشتركة والجوهرية للحفاظ على الأمن والرفاه العربي .

العنصر الثالث :

بقي بعد ذلك العنصر الثالث والأخير الذي يشكل مع بقية العناصر إطار ملامح الوضع العربي في السبعينيات وهو التغيير في الأدوار القيادية العربية . فبعد أن كانت مصر هي مركز القيادة العربية لأسباب كثيرة منها امتلاكها لموارد القوة المتعارف عليها ، كالكثافة البشرية والقاعدة التكنولوجية النسبية والتعليم ، وكانت هذه العناصر مع غيرها تشكل بنية مصر .

هذه القاعدة كانت تمارس نفوذها ، وكان هذا النفوذ مقبولا أيضا من العرب الآخرين . كل ذلك تحول خلال السبعينيات ، إن لم يكن كليا فجزئيا على الأقل ، فقد انتقل ثقل مركز القيادة لأقطار عربية أخرى منفردة أو مجتمعة نتيجة لأسباب موضوعية منها الثروة النفطية . هذا التغيير الموضوعي خلق على أقل تقدير تعددية في مراكز القوة العربية فأصبح للقاعدة البشرية صنو آخر هو القاعدة الاقتصادية .

وتظهر وجهة النظر هذه ، أى تعددية المركز في استضافة أقطار عربية لعدد كبير من المؤسسات العربية المشتركة ، والتي لم تكن حتى بداية السبعينيات الاعددًا محدودا جدا ، وبالتالي أصبحت تلك العواصم العربية مركز اتخاذ قرارات لا تتعلق بأقطارها فقط ، بل تتعلق أيضا بأقطار عربية أخرى ، بجانب عنصر هام وهو المساعدات الاقتصادية . كما برزت خلال هذه الفترة مراكز إعلام مؤثرة خارج مراكز القوة العربية التقليدية . ولقد ساهم عنصر آخر هام في هذا الاتجاه وهو التعليم والتدريب العالي الذي وفرته الثروة النفطية لأعداد ليست قليلة من المواطنين المحليين في تلك الأقطار ، تساووا فيها مع اخوانهم

الذين سبقوهم الى رحاب العلم والمعرفة في الأقطار العربية التي سبقت في هذا المضمار .

أمام هذا الواقع لا بد من التفكير في « توزيع الأدوار » بدلا من احتكارها والأخذ بمبدأ التشاور وبيان المصلحة المشتركة بعيدا عن الوقوع في خطأ الانفراد بالقرار .

ومـــاذا بعـــد ؟

وفي النهاية وصل المفكرون الى أن الخطوات السياسية التي اتخذت في الوطن العربي خلال السبعينيات وأوائل الثمانينيات ، خطوات بعثرت بأشكال متعددة التوجه العام للأمة ، وأصبحت بعد أن وصلت الى أول طريق التضامن والتكامل أقرب ما تكون الى التشرذم والفرقة .

لقد ساهمت عناصر كثيرة داخلية وخارجية وإقليمية للوصول الى ما وصلنا اليه .

ولكن السؤال الأهم هو : وماذا بعد ؟

المطلوب هو نظرة جديدة الى الواقع العربي من أجل انتشاله من هذه الوحدة ، ولن يتأتى ذلك من خلال الأماني والرجاء ـ بل من خلال خطة أو خطط متكاملة نعود معها الى المباديء الرئيسية التي كانت .

فلا الأرض العربية ، أية أرض عربية ، مستباحة ، ذلك مبدأ أساسي لا بد من الرجوع اليه ، وهذا يجعلنا كعرب نقف جميعا أمام كل غاز ومغتصب دخيل طامع في الأرض العربية مهما كانت وأين كانت .

ثم تجميد ومن ثم حل الصراعات العربية/ العربية التي طال أمدها نتيجة لطول الجفوة والاختلاف الحاد في الاجتهادات الاجتماعية والسياسية . وبالطبع اذا أخذنا بعين الاعتبار أن الأرض العربية والمصلحة العربية كلها تفوق وتتعدى حساب عمر جيل واحد أو حساب عمر أفراد بعينهم ، نصل الى الاقتناع الذي مفاده أن التغيير المطلوب هو في الذات لا في الآخرين .. من أجل الشعب العربي ومن أجل الأرض العربية ولأجيال طويلة مقبلة ، فهي الباقية .

هل للتقدم حدود ؟

بقلم الدكتور : برهان غليون

من بين المفاهيم العصرية الكثيرة التي دخلت الفكر العربي مفهوم التقدم . فنحن لانكف عن ذكر التقدم في كل مناسبة ، فنتحدث عن التقدم العلمي والعقلي والاقتصادي والاجتماعي والسياسي . ونربطه بالتحضر والتمدن والنهضة وما سوى ذلك . ولايعرف كثير من الناس ان هذا المفهوم حديث النشأة ، لم يتبلور فعليا ويأخذ معناه التاريخي الا في القرن التاسع عشر . وكان من نتائج تأمل اوربا وتفكيرها في نهضتها وحضارتها .

لقد وجد مفكرو القرن التاسع عشر أن الانسانية مرت منذ عصورها الاولى حتى ذلك الوقت بمراحل عديدة من الوعي والتنظيم الاجتماعي والسياسي واساليب الانتاج ، وان المرحلة الراهنة هي قمة هذه المراحل جميعها واكملها . وهكذا اصبح لدى اوربا الشعور او الوعي بانها تتمتع بالنظام الافضل انسانيا ، والمتفق اكثر مع قوانين التاريخ ، واعطاها هذا الشعور ثقة بتفوقها على غيرها . وبحقها في فرض نظامها على الامم الاخرى لصالح الانسان عامة . وبهذا بدأت كما هو معروف حروب الاستعمار أو « التحضير » . ويعني الاستعمار حرفيا بناء الارض والزرع ، إيحاء بان ما وجد قبل النظام الاوربي لم يكن الا خرابا وصحارى جرداء لاقيمة لها . وكان الناس يعتقدون في الغرب أن هدف هذه الحروب هو انقاذ « الأمم المتوحشة » من مصيرها السيء ومساعدتها على تجاوز العقبات التي منعتها من الوصول الى ماوصل اليه الغرب . وقد شاركهم اعتقادهم هذا بعض ابناء البلاد المستعمرة (بالفتح) لانهم وجدوا في هذا الاستعمار تأمينا لمصالحهم الخاصة ، أو لانهم آمنوا بانه يمكن ان يفتح لابناء بلدهم آفاقا ارحب في العلم والثقافة والصناعة والاقتصاد .

واكتسب مفهوم التقدم هذا معنى جديدا بعد ثورة اكتوبر الروسية وانتشار المذاهب الاشتراكية فاصبح الناس يربطون بين كلمة تقدمي وبين التمسك ببعض المبادىء الجذرية المنادية بالتغيير الاجتماعي على طريقة اوربا . وجاء هذا المعنى الجديد من الاعتقاد بان بعض الاجراءات التحديثية والتخطيطية والاجتماعية كفيلة بالاسراع في وتائر التقدم الصناعي والاقتصادي بحيث ان كلمة تقدمي اصبحت تشير الى انصار التنمية السريعة مقابل انصار الاصلاح او المحافظة والبطء في السير .

جنة التكنولوجيا

وقد بدأ هذا المعنى يفقد من بريقه ، بسبب التقلبات

السياسية العديدة ، ويترك مكانه لمفهوم اعم فرضته المكتسبات الكبرى في حقل أبحاث الفضاء والتكنولوجيا المتقدمة . وعادت فكرة التقدم لترتبط كما نشأت بالعلم . وكان الفيلسوف الفرنسي « كوندرسيه » قد اعتقد أن تقدم العلم لاحدود له ، وان المجتمع لابد أن يتقدم مع تقدم التربية والتعليم ويسود اليوم الاعتقاد بان التحسينات التي يستطيع أن يجريها الانسان على اطار حياته وعلى وسائل سيطرته على الطبيعة وعلى نفسه لا نهاية لها . فالتقدم أصبح أيضا مرادفا لغزو العوالم الجديدة وفتح الافاق اللامحدودة امام الانسان ، اي باختصار اصبح واقعا وحلما او اسطورة في الوقت نفسه . فما ان يخطو الانسان خطوة على طريق غزو الفضاءاو السيطرة على مصادر الطبيعة والطاقة حتى يحلم الناس بخطوات اخرى تاركين لخيالهم العنان كما يحدث في افلام الخيال العلمي . وهم يستبشرون بهذا التقدم آملين ان يسقط قسم من آثاره وقوته اللامحدودة عليهم فتخرجهم مماهم فيه من فاقة وعوز .

ومما يساعد على تدعيم هذا الاعتقاد مايوحي به الكتاب والصحفيون في العالم اجمع من قدرات خارقة للعلم ومنتجاته . وافضل مثال على ذلك ماكتبه في العام الماضي جان ج . س . شرايبر في « التحدي العالمي » وترجم الى العربية حيث يجد القارىء نفسه فجأة في جنة التكنولوجيا المعلوماتية المحرمة التي تستطيع ان تقوم بمحو الامية في العالم كله خلال ايام وتقدم لكل فلاح وعاطل عملا بسيطا ومربحا جدا في الوقت نفسه . اما دخول هذه الجنة فلا يتوقف الا على ارادة الدول النفطية في توجيه اموالها في اتجاه الاستثمارات الاوروبية !!

ولاشك ان الانسان العادي الذي يقرأ عن التقدم ويسمع عنه يتساءل بينه وبين نفسه الى اين يسير العالم ، وماسيكون عليه بعد خمسين او مئة سنة ، وماهو نصيب اسطورة التقدم من الصحة والوهم ، وماهي حدود هذا التقدم وعطالته . هل هو جريان لاينقطع نحو زمان ومكان لانعرفهما ام هو دوران في حلقةمغلقة لاتلبث ان تتغلب فيها المحافظة ويسود الجمود بعد التقدم والحركة ؟

لو فكرنا اكثر بمفهوم التقدم لوجدنا انه اصبح من الاتساع لدرجة يصعب ضبطه فيها . فهو يقال للانسان لتمييزه فرديا او جماعيا عمن هم اقل تطورا منه ، وهو يقال عن المجتمع ،فيوصف هذا بالتقدمي والرجعي ، او بالمتقدم والمتأخر ،وهو يقال عن التقنية فمنها التقنية البدائية والتقنية الشديدة التطور . والمقصود في كل هذه الحالات معان مختلفة بعضها عن البعض الاخروان اتفقت جميعها في النظرة التاريخية الاساسية التي تكمن وراءها . وحتى لو نظرنا الى استخدام هذا المفهوم في كل حقل على انفراد لاختلف المعنى ايضا .

لنأخذ على سبيل المثال القدرة الجسدية او العقلية للانسان الفرد . هل يمكن للعداء الرياضي يوما ان يتقدم على كل من سبقه فيقطع المسافة نفسها في نصف الفترة المعروفة ، او الى اى حد يمكن للانسان ان يخرق سقف القدرات التي زودته بها طبيعته فيصبح انسانا اعلى كما طمح الى ذلك بعض الفلاسفة الالمان . اما اذا انتقلنا الى الحقل الاجتماعي سألنا انفسنا فيما اذا كان من الممكن أن يصل المجتمع الى تنظيم عقلاني وعضوي بدون اي اداة قسر ،حيث تصبح حرية الفرد وحرية الجماعة شيئا واحدا . او سألنا فيما اذا كانت وتيرة تقدم العمران سوف تستمر حتى تصل الى بناء ناطحات سحاب تتجاوز في ارتفاعها آلاف الامتار . والامر اسهل من ذلك في الميادين التقنية . فتقدم « الاتمتة » او التسيير الذاتي للالة حتى تقوم

كلية مقام الانسان في عمله يبدو حثيثا ولا يترك مجالا للتفكير .

وبالتأكيد ان لقدرة الانسان على تحسين لياقته البدنية حتى يصل الى سرعة اكبر في عدوه ومهارته سقفا ضمته الفزيولوجية البشرية . وفي هذا المجال لن يستطيع الانسان ابدا ان يسبق الالة . وهو أن تقدم في هذه المنطقة او تلك وتحسنت مهاراته في هذا الزمان او ذلك ، عائد لامحالة الى طبيعته الاساسية ، وهو مايخلق هذه اللحمة العميقة التي تميز تاريخه على مدى الاف السنين . ولايعني هذا بالطبع ان الانسان كعضوية لايحرز اي تقدم مع مرور الزمن ، وانما يعني بالدرجة الاولى ان التقدم الفعلي الشامل يظل محدودا جدا ، بطيئا وغير اكيد .

اختلافات وتناقضات

والامر يختلف عن ذلك بالنسبة للتقدم في تنظيم الفضاء والزمان وتطوير اشكال التبادل والتعاون الانساني في المجتمعات . فلاشك ان تنظيم المعرفة الانسانية الاجتماعية بدءا بالكتابة وحتى الوصول الى الحاسبات او الناظمات الالكترونية اليوم قد تقدم بصورة لايمكن انكارها واعطى للانسان كجماعة عقلا جماعيا وبصيرة ونفاذا لم يعرفها اجدادنا . لكن التقدم يصطدم هنا باستمرار بقدرات المجتمع على استيعابه دون ان يختل توازنه الذاتي ، وتختلف طاقة الاستيعاب هذه من مجتمع الى آخر . وهناك ايضا العوائق المادية والسياسية والمالية والنفسية ، وكلها تشكل كوابح تحد من التحقيق العملي لامكانية مفتوحة نظريا بدون حدود . وقد تصطدم الجدوى العلمية لمشروع ما بجدواه الاقتصادية او السياسية فتوقفه .

وهكذا فللتقدم هنا مردود معين اذا قورن بالوظيفة التي يتوقف عليه حلها . فالتقدم في فن العمارة مثلا يهدف الى تأمين راحة اكبر للانسان وتأقلم افضل مع البيئة التي يعيش فيها . واذا عنينا بالتقدم بناء المدن ذات الابنية الشديدة الارتفاع اصطدم ذلك بحاجة الناس العميقة الى الوصول الى منازلهم بسهولة والى التواصل فيما بينهم ، وهو غاية التمدن . واهم مافي الحياة المدنية هو انها تتيح للفرد ان يعيش معا حياته الخاصة المستقلة وحياة الجماعة ، وأن يشارك اكثر في تكوين شخصيته وتقرير مصير مجتمعه فيغتني نفسيا وثقافيا وهذا جوهر الحضارة .

ويختلف الامر اكثر في حالة تقدم التقنيات . فليس هناك نظريا ما يمنع أن تسير الصناعة مثلا في اتجاه التخلي التدريجي عن العمل اليدوي واستبداله بالعمل الآلي . ومنذ اليوم أصبحت بعض الالات تسير ذاتيا . وتطور المعلومات يفتح طريقا جديدا للتنفيذ العمل لهذا الاتجاه . فغاية التقدم في العمل هي الحصول على أفضل نتيجة بأدنى طاقة . ولا يحول أحيانا دون تحقيق ذلك الا قوانين الصراع الاجتماعي ذاته ، وهي قوانين تاريخية متحولة ونسبية لا علاقة لها بالقوانين الطبيعية الثابتة . فتعميم العمل الآلي في الصناعة يقتضي التخلي عن اعداد كبيرة من العمال ودفعهم للبطالة أو اعادة تأهيلهم . وهو يعني اذن تمركز الثروة في أيدي اولئك الذين يتحكمون بالقطاعات المتقدمة الجديدة ، شركات كانوا أم أفرادا . واذا لم يحصل ضمن وتيرة تسمح باعادة التأهيل والتدريب اصبح تبذيرا للطاقات البشرية والمادية . وكل ذلك يشكل كابحا اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا أمام التقدم المتسارع في تعميم الآلية رغم أنه لا يجعله مستحيلا .

ويجب أن نضيف الى هذه التناقضات الاجتماعية التي تنجبها عملية التحديث هذه تناقضات دولية ذات تأثير حاسم . فالبلد الذي ينجح قبل غيره في رفع انتاجية العمل لديه يقلل من حظ البلاد الاخرى في القيام بذات القفزة التكنولوجية ، اذ يفرض عليها وتيرة اعادة تأهيل شاملة وسريعة لتقنياتها وعمالها ، ويعرضها بالتالي لهزات عنيفة يمكن ان تؤدي الى وقف العملية في الأساس أو اجهاضها .

هذا هو الوضع الذي يحكم العلاقات بين اليابان مثلا والى حد ما الولايات المتحدة من جهة وبقية دول أوربا من جهة ثانية . فهذه الأخيرة تجد نفسها في مواجهة مسألة القيام بقفزة تكنولوجية بما تعنيه من زيادة حجم الاستثمارات المنتجة في ميدان التجديدات التقنية وزيادة في تعويضات البطالة والاتفاق على اعادة التأهيل المهني في الوقت ذاته . وتقسيم هذه الاستثمارات بدل تركيزها على ميدان واحد ، هو التجديد التقني ، يقود الى إبطاء التقدم وبالتالي التخلف النهائي عن الركب . وتوجيهها بشكل أساسي الى الاستثمار المنتج يعني مواجهة خطر الانفجار الاجتماعي خاصة مع وجود ملايين العاطلين .

وضع العالم الثالث

ولاشك أن وضع العالم الثالث والبلاد العربية هو أفضل مثال على ذلك مع فارق أن هذا العالم قد فقد الأمل في استدراك التأخر ، وتخلى عن السباق دون أن يستطيع بعد أن يجدد لنفسه معايير أخرى أو غايات اجتماعية ثابتة تحل محل شعار التقدم السريع الذي حكم الفترة السابقة وتعمل كمقياس للصحة الاقتصادية أو للازمة .

فكي يزيد العالم الثالث وتائر نموه ليلحق بالغرب

عامة ، عليه أن يوظف في الاستثمارات المتجة القسم الاكبر من ناتجه الوطني . لكن هذه الاستثمارات تفترض زيادة القوة الشرائية لدى قسم من السكان وزيادة الانفاق على تأهيل الاطارات واليد العاملة . وكل عملية من هذه العمليات ضرورية للاخرى ومنافسة لها في حيازة الموارد المتوفرة في الوقت ذاته . وهذا ما يدفع الى القبول بمعدلات نمو ضعيفه تزداد ضعفا كلما زادت الهوة الفاصلة بين البلاد المتأخرة والمتقدمة اتساعا .

هكذا نرى أن التقدم يرتبط بتفوق بلد أو مجموعة بلدان على غيرها تفوقا يزداد كلما زاد سبقها ، في حين تتساقط على الطريق واحدة بعد الثانية البلاد الاخرى .

ومأزق التقدم القومي يتحول إذن بسهولة الى مأزق عالمي . فالعالم الثالث الذي فرض عليه بسبب آليات التقدم التكنولوجي ذاتها التراجع أكثر فأكثر أصبح بشكل بؤرة دائمة للاضطراب وخطرا كامنا ضد مجموعة البلاد القليلة التي تعيش كواحة مشرقة في وسط صحراء قاحلة . ومن الطبيعي أن تفكر هذه الشعوب الفقيرة المحولة الى عشائر متحاربةومتطاحنة في الضغط على هذه الواحات واختراقها بصورة أو أخرى ، سواء أكان ذلك عن طريق الهجرة الكثيفة لليد العاملة أو الحروب المضادة لنفوذها ، أو معارك التصدي السياسي للدول المصنعة وتعقبها في المؤسسات والمؤتمرات الدولية . وكل ذلك يفرض على الدول الغنية أن تخصص قسما من نفقاتها على الأمور العسكرية والاستراتيجية مثل شراء الانظمة الممالئة ورشوة الطبقات الحاكمة وإفسادها وتعقب القيادات الوطنية وتصفيتها ، إضافة الى الانفاق العسكرى العادى . ولابد أن تصبح هذه التكاليف عاجلا أو آجلا صعبة الاحتمال أمام اتساع رقعة الاحتجاج والمعارضة .

نفهم من كل ذلك أن التقدم يعنى تحسين تأدية وظيفة قائمة لاتبديلها ، وهذا التحسين يعنى زيادة الفعالية بالدرجة الأولى . لكن ما الذى يمنع أن تؤدى هذه الزيادة يوما ما الى تغيير في وظائف أخرى ، ومن ثم في حدوث طفرات انسانية واجتماعية وتقنية لا تعرف بعد أبعادها .

هناك مع ذلك كوابح كامنه في قلب التقدم ذاته تحد من غروره ومنها أن التقدم الانساني والتقدم الاجتماعي والتقدم التقنى لايسيرون معا في نفس الظروف وبالوتائر نفسها . فكلما زادت سرعةالتقدم نشأ بين الناس والمجتمعات تفاوت متزايد كما هو عليه الحال اليوم بين البلاد النامية والمتطورة ، ذلك أن كل تقدم تكنولوجي يحمل في ذاته امكانية سيطرة عظمى لابد أن تتحقق . فبعكس ماتشيعه الفكرة العامة المتداولة ، لا يمكن للتقدم أن يكون وسيلة لازالة التفاوت بين الناس وان ساهم في رفع المستوى العام ، فهو أساسا محاولة للسيطرة أو تكتيك للتفوق . ألاترى أمام اعيننا كيف أن الطفرات التكنولوجية الكبرى تواكب بصورة دائمة النزاعات العميقة والمستمرة ، وغالبا مايسبق التقدم العسكرى أى تقدم من نوع آخر . والتسابق اليوم على امتلاك صناعة معلوماتية متطورة هو صراع على احتلال الاسواق المتوفرة وحرمان الخصم منها .

من مفارقات التخلف

والمفارقة أن الشعوب النامية التى كانت الضحية الاولى وما تزال لهذا التقدم التقنى الهائل هى الاكثر استلابا واستهلاكا لأسطورته معتقدة في حرمانها أنه سيكون يوما مصدر الوفرة والسعادة . وبالعكس لايرى العالم المتقدم منه الاالجانب الانسانى الاجتماعى فهو لايبرر قيادته للعالم وسيطرته عليه بتفوقه التكنولوجي ولكن برعايته لحقوق الانسان وحرياته وكرامته . ولو تأملنا قليلا في الموضوع وجدنا أن هذه السيطرة هى التى تكون أرضية التسامح والحرية القائمة ،بينما الحرمان هو مصدر التعلق بوهم التقدم .

والمفارقة الاكبر أن المجتمعات المتقدمة التى تملك السيطرة على العالم وعلى التقنية معا تبدو متضامنة ومتحدة لضبط حركة التقدم ، في حين أن المجتمعات النامية التى لاترى في الحقبة المعاصرة إلا التقدم تفتقد الى الحد الأدنى من التضامن من أجل البقاء وهي لاتملك أي قدرة على التحكم بمصيرها .

والحرى أن يكون التقدم لحمة المجتمع الصناعى المتطور وأن تكون الانسانية والعدل والاحترام والتسامح والأخوة لحمة المجتمع النامى المحروم من ثمرات التقدم .فبهذا يحفظ المجتمع النامى وحدته واستقراره . ولا شك أنه سوف يسير في هذا الاتجاه بعد أن يلفظ الوهم السالب والتضحية بالقيم الانسانية لصالح وهم المكاسب المادية . لكن التقدم الاجتماعى يظل دون شك أبطأ من التقدم التقنى . فللأنظمة الاجتماعية دفاعاتها وقوانين تحركها وتبدلها الخاصة التي تستدعى تغير طبقات كاملة في بنيتها وتفكيرها . ولا تتغير الطبقات الا عبر صراعات وحروب داخلية وتبدلات لاسابق لها في موازين القوى والمواقف والحالات .

فعضوية الانسان تقاوم التغير الوظيفى بشدة ولا تسمح به ، والنظام الاجتماعى يقاوم التغيير الوظيفى بشكل أقل لأن إمكانية تغيير اتجاهاته وبنائه الاساسية وان كانت ممكنة فهى صعبة وبحاجة الى وقت ، في حين أن تغيير وتطوير المنظومات التكنولوجية والصناعية يمكن ان يحدث في كل جيل وبدون مقاومة ذاتية تذكر .

مأساة الغذاء العالمي

بقلم الدكتور سعيد عمر قنان

برغم وجود فائض من الانتاج الغذائي في الدول المتقدمه ، وبرغم المساعدات الغذائية للدول النامية ، فلا تزال مأساة الغذاء قائمة عالميا . ففي فترة المجاعة في اوروبا اقدم الفقراء على تناول القطط والكلاب والطيور في طعامهم ، وفي القرن العشرين عندما اشتدت حدة المجاعة في الاتحاد السوفيتي ، تحول المواطنون الى أكلة لحوم بشر . وفي عام ١٩٤٣ م عندما دمرت الفيضانات المحاصيل قضى ملايين البشر نحبهم جوعا .

هناك حوالي نصف بليون شخص في العالم يعانون من الجوع حاليا منهم عشرة الآف يموتون جوعا كل اسبوع في قارة افريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية . ونقص الغذاء بشدة ملحوظه الآن في دول تشاد وجامبيا ومالي وموريتانيا والسنغال والنيجر واثيوبيا وشمال شرق البرازيل والهند وبنجلاديش وتقدر احتياجات الهند بمفردها بحوالي ٨ - ١٠ مليون طن من الغذاء سنويا يلزم ان تحصل عليها من دول خارجية تفاديا لهلاك ٣٠ مليون شخص جوعا .

ومشكلة نقص الغذاء اقل حدة في هندوراس وبورما وبوروندي وراوندا والسودان واليمن . كذلك انخفاض المحصول يهدد الحالة الغذائية في نيبال والصومال وتانزانيا وزامبيا ، بل والفلبين والمكسيك ايضا . وقد حذر من ذلك نورمان بورلانج بقوله « لا تتوقع ثباتا سياسيا قائما على معدات خاوية وفقر فعندما ارى مستويات الغذاء في الدول النامية اوقن ان هذه الحكومات تقع تحت ضغوط ومهددة بالسقوط » فنقص الغذاء وتزايد الأسعار ساعدا فعلا في سقوط حكومات اثيوبيا والنيجر وتايلاند .

وفي ساحل افريقيا هطلت الامطار خلال شهر يونيو من عام ١٩٧٩ م معلنة انتهاء فترة ستة اعوام من الجفاف ، ومع ذلك فالخمسة والعشرون مليون شخص يعانون من سوء التغذية ويجب امدادهم بمساعدات غذائية لمدة عامين آخرين على الأقل . ويوجد ضمن الأربعة مليون لا جيء



الانفجار السكاني

ويبدو ان المعضلة الرئيسية في حل مشكلة الغذاء هي الانفجار السكاني في الدول الفقيرة . فالعالم يزيد سكانه ٢٠٠٠٠٠ نسمه يوميا ، أي ٧٥ مليون نسمه سنويا . وهذا يعني أن عدد سكان الكرة الارضية البالغ الآن ٣,٩ بليون نسمه سوف يصبح ضعف هذا العدد خلال ٣٥ عاما ، ما لم توضع ضوابط للحد من تزايد النسل . وفي الهند بالذات سوف يتضاعف عدد سكانها البالغ الان ٦٥٠ مليون نسمه عام ٢٠٠٠ لو استمر المعدل السنوي للنمو السكاني على ما هو عليه الان وهو ٢,٢٪ .

وهناك عوامل اخرى لاستهلاك الطعام بخلاف الانسان . ففي الدول المتقدمة تزداد نسبة الاطعمه المقدمه للحيوانات والأطعمه الملقاه كلما ارتفع مستوى المعيشة . فبينما يستهلك الشخص في الدول النامية ٤٠٠ رطل من الحبوب سنويا تكاد تكفي لسد الحد الأدنى من احتياجاته للبقاء ، نجد ان الشخص الامريكي يستهلك خمسة أمثال هذا القدر ، معظمها في صورة علف لابقاره وطيوره وهذا يتمشى مع ما ذكرته جين ماير بجامعة هار فارد اذ تقول و نفس كمية الطعام التي تغذي ٢١٠ مليون امريكي يمكن ان تغذي ١,٥ بليون صيني في حدود متوسط غذاء الفرد الصيني اليومي .

ويلاحظ ان الاشخاص في الدول الصناعية الغربية يتناولون من البروتين ما يزيد على احتياجاتهم اليومية ، ويعلل ذلك بميلهم لنكهة اللحوم ، كما أنه في الوقت نفسه أحد مظاهر ارتفاع مستوى المعيشة .

كيف يكون الجوع قاتلا ؟

لتباين ظروف البيئه ونوعية النشاط الممارس والحالة العامه للشخص فليس يمكننا تحديد القدر اللازم من السعرات الحرارية للبقاء بصفه مؤكدة ومحددة للشخص . ففي الدول الشمالية الصناعية يحتاج الشخص البالغ من العمر ثلاثين عاما ووزنه ١٥٠ رطلا حوالي ٣٠٠٠ سعر يوميا ، بينما المرأة زنة ١٢٥ رطلا والولد البالغ من العمر ست سنوات يحتاج كل منهما ٢٠٠٠ سعر . أما في المناطق الحارة حيث لا يحتاج الجسم الى قدر كبير من السعرات

المقيمين في مخيمات ، عدد كبير من الاطفال تلفت ابدانهم بسبب سوء التغذية واصبحوا معرضين للاصابة بامراض متنوعة ، بل انهم اصبحوا يعجزون عن تناول الطعام والشراب دون معاونة . وقد بلغت معاونة الساحل اثناء النكبه ، ٥٦٠ ألف طن من الاطعمه ، من دول العالم وخاصة الدول الافريقية . وهنا يجدر بنا أن نتساءل عما اذا كان العالم سوف يلجأ الى انقاذ عشرات الملايين من الاشخاص الذين تهددهم المجاعة في دول الهند والصين وغيرهما من الدول المكتظة بالسكان في حالة حدوث الكارثه .

للحفاظ على درجة حرارة الجسم فالمقادير سالفة الذكر تصبح أكثر انخفاضا . ولكنه من المعترف به تماما أن الطفل او الشخص البالغ إذا انخفضت كمية السعرات في طعامه اليومي عن القدر الذي يستنفذه في صورة طاقة أدى ذلك الى هدم جزء من انسجة جسمه لتعويض النقص في هذه الطاقة واذا ما استمر الحال على ذلك وقتا طويلا اقترب من الموت جوعا . فضحايا الجوع يهدمون دهون اجسامهم وعضلاتهم وانسجة اجسامهم من اجل الحصول على الطاقه ، كما ان الكليتين والكبد يضطربان وتضعف طاقتها الحيوية . وقلة الكربوهيدرات بالذات تؤثر على عقلية الشخص لانها تلعب دورا حيويا هاما في كيمياء المخ ، فيظهر الارتباك وتنخفض مقاومة الجسم وكثيرا ما تحدث الوفاة بتأثير الامراض قبل أن يصل الشخص الى مرحلة الموت جوعا . وبداية الشعور بالجوع عندما يفقد الشخص حوالي ثلث وزن جسمه العادي فاذا ما تجاوز الانخفاض حد الاربعين في المائه فليتوقع الشخص الموت .

وأيضا سوء التغذية

واذا كان الجوع احد مسببات الموت ، فسوء التغذية الناشيء عن غياب احد العناصر الضرورية قد يؤدي الى الموت ايضا . فغياب الأحماض الامينية الضرورية التي تتوفر عادة في اللحوم والاسماك والفاصوليا والبقل يسبب مرض الكواشيوركور ، وهو مرض يقتل عشرات الآلاف من الاطفال سنويا في افريقيا والهند وجنوب شرق اسيا وبعض مناطق امريكا الجنوبية .

وضحايا الكواشيوركور الذين تتورم انسجتهم لامتلائها بالسائل يتعرضون لمتاعب كبدية . وأمراض سوء التغذية الأخرى تؤدي للموت ايضا . والكساح الناشيء عن نقص فيتامين د يؤدي الى ليونة وتشوه العظام عند الأطفال ومرض البري بري الناشيء عن قلة فيتامين الثيامين الذي يوجد عادة في الخضروات والكبد والبيض والحبوب الكاملة ، منتشر فعلا . ومرض البلاجرا ينشأ عن غياب فيتامين النياسين ويؤدي الى الوفاة

والحلول

وخلاصة ما تقدم ان المساعدات الغذائية ما هي إلا علاج مؤقت لمشكلة الجوع في العالم . وهناك وسائل أخرى يلزم انتهاجها للمساعدة في حل المشكلة وهذه هي :-

١ ـ توسيع رقعة الأرض الزراعية . فالانسان يزرع الآن نصف الأرض البالغة ٧,٨ بليون فدان ويبدو ان الأراضي الممكن اضافتها الى الرقعة المتزرعة تقع الان ، وفق توصيات منظمة الاغذية والزراعة في حوض الامازون شمال شرق البرازيل وفي كولومبيا وفنزويلا واكوادور ، وفي الشريط الممتد وسط افريقيا والموبوء بذبابة مرضية ومساحته ١,٧ بليون فدان ، وفي بعض مساحات ماليزيا وتايلاند وبورما وأندونسيا .

ولا توجد اراض بكر الآن في كل من الهند والصين . اما الولايات المتحدة الامريكية فما يزال بها ٢٦٤ مليون فدان يمكن محاولة زراعتها .

ومن الاعتبارات الهامه انه يجب المحافظة على الأراضي الخصبة ومنع استغلالها في اغراض اخرى غير الزراعية . ففي الولايات المتحدة الامريكية تفقد حوالي ٦٠٠ ألف فدان سنويا من الأراضي الخصبة بتحويلها الى مشروعات الطرق والاسواق والمباني السكنية .

٢ ـ التوسع في استخدام المخصبات . فقد لوحظ ان اضافة طن من الاسمدة الى الأراضي المتوسطة المتزرعة بالحبوب قد يزيد المحصول بما يقرب من عشرة أطنان . إلا أنه لا يخفي أن اسعار الاسمدة مرتفعة مما يؤدي الى الحد من انتشارها .

٣ ـ زيادة المياه

٤ ـ تحسين سبل نقل وتوزيع وتخزين الطعام اذ المعروف ان ربع كمية الطعام العالمي على الأقل تضيع في المراحل الواقعه بين مزرعة الانتاج و بين فائدة المستهلك .

وفي الدول الفقيرة يتلف جزء من الطعام بسبب سوء التخزين . لهذا ينصح بتحسين وسائل النقل والتخزين والتسويق الحديث بقصد توفير مزيد من الطعام للدول النامية .

٥ ـ انتخاب اصناف جديدة من المحاصيل . فما يزال العلماء يحاولون تطبيق مجهودات مماثلة لما بذلوه على القمح والارز على محاصيل اخرى مثل الشعير والزمير والذره الرفيعة .

٦ ـ انشاء مراكز بحوث زراعية في الدول المتخلفة لمعرفة انسب الحبوب الممكن زراعتها ولدراسة العوامل الاخرى من تربة ومناخ وخلافه المؤثرة في الانتاج الزراعي .

٧ ـ تنظيم النسل . فازدياد التعداد بنسبة ٣٪ سنويا يرهق الانتاج الغذائي في الدول النامية .

د. سعيد عمر قنان
كلية الزراعة ـ جامعة الفاتح ـ ليبيا



بقلم : جمال محمد احمد

لسنا بصدد التاريخ هنا ، لكنا في شطرنا الثاني من حديثنا هذا الذي يسعى يفسر اسباب النفرة التى يشير اليها كتاب عرب وافارقة . حين يتحدث عن « سنون النفرة » نحتاج قدراً منه يعين على فهم علائق الحاضر المرتاب عند الافارقة الحريص عند العرب .

وللتاريخ العربي في القارة ماضيان كما قلت . واحد يمتد لصبا الزمان وان كان عمره المكتوب خمسة قرون واحسبه لا يعنينا كثيرا الآن ، فعل فعلته ومضى ، ما بقي غير ان ندرسه في المدارس والمعاهد والجامعات ، انه تراثنا الملهم الموحي . الماضي الاخر لا يعدو كثيرا القرن الواحد ويعنينا كثيرا . فنحن نحيا معقبات اللقاء العربي الافريقي الذي كان منتصف قرننا الفائت . قليلة هذه السنون حين نحصيها بعداد الزمن في موكب البشرية ، وتكاد ان تكون مئين لا مائة في حساب الاثر الذي تركته في النفس الافريقية وفي النفس العربية . مقت هناك واحساس جريمة هنا . سفير زائير الذي لقيته معي في ندوة الشارقة في شطر حديثنا الاول ، وعالم التاريخ الذي ستلقاه معي في تلك الجامعة العتيدة في امريكا ، وصاحبي بوث دبو وصديقي آفري جادين ، اللذان سأشير لهما بعد قليل كلهم نماذج مختلفة ، لاخلاف قر في وجدانهم كل الذي قال الرحالة والمبشرون والتجار عن العرب . مائة سنة . ثلاثة اجيال لا اكثر .

كل الذين وقفنا معهم في مسارنا قص عليه جده اقاصيص الاوروبيين عن العرب ، ما عندهم حسنة . حين يقظ في معاهد العلم الاوروبية وجامعاتها ما قرأ غير الذي قال له جده او ابوه . حجب المعلمون عنه كتابات العدول ، والكثرة الاغلب من الدارسين افريقيا هذه السنين ، كالكثرة الاغلب من الدارسين العرب واقطار العرب ، قوم اعدهم أنا سواح علم ان قيسوا بالذين كانوا قبلهم من الدارسين الاوروبيين لتاريخ وحضارة العرب . اكثرهم يدمنون الندوات ادمانا . العلم عندهم بضاعة اخرى . سلعة للتقدم في الوظيفة . موهبتهم الكلام الكثير ، طغيان اللسان .

نماذج من الساسة والعلماء

نعم ما كان العرب الذين لقى التجار من اوروبا والمبشرون والرحالة من ابرع العرب او أكثرها فضائل . لاذ آباؤهم بالقارة من صعاب الصدام بين الملل والنحل في فارس والعراق والشام . والشيعة باصنافهم والسنة بمذاهبهم كل لكل عدو . يحتربون . ما راى مهاجر للقارة الافريقية ما يحمله على الظن بأن الناس للناس . كل فرد ناب . ذاك ما عرفه . اتوا الاقليم يعنيهم الذي يقتطعون من جسده ، والتجارة منافع ، كل الاحايين تتضارب . رأي المبشرون فيهم مقاتل تعينهم على اذاعة كل قبيحة يلصقونها بهم ، ينفسون عليهم وجودهم ذاته ، ودوا لو رأوا آخرتهم ، وعملوا لهذا بكل سبيل . أهاجوا العواصم الاوروبية فأغدقوا عليهم المال . ظن الناس في اوربا وامريكا ان صليبية جديدة تثور في القارة السوداء . واتت « حرب العرب » شاهدا اشار اليه سالسبري الذي قال عبارته الغليظة ، يبرر احجامه عن نجدة المقاتلين الذين جندتهم الشركات التجارية لحرب اهل الارض في نياسلاند « ملاوي » روديسيا الجنوبية « زمبابوي » وروديسيا الشمالية « زامبيا » . قال :

« اننا لن نحسن الى تلك الجهود العظيمة التي انفق المبشرون في تبشير هذه البلاد وتمدينها ان نحن استجبنا لاستفزاز قاذورات البشرية هذه التي تنتشر في ذلك الاقليم الذي يحكمه عرب دواب رأينا نماذج من حيوانيتهم في السودان . يملكون قوة ضاربة جماء وعصبية دينية عمياء . جيش بشع من النكر لن تقضي عليه الحروب ، يقضي عليه انتشار المسيحية » علقت انا على هذا الفحش في مقدمتي لتعريبي كتاب بازل دافدسن « افريقيا تحت اضواء جديدة » قلت انه « كان غير عادل . لان العرب وان كان من حق التاريخ ان يصم تجارتهم للرقيق اقبح الوصم ، تركوا حيث حلوا اسواقا زاهرة وطرائق للتجارة مطروقة ، ونواة للادارة والحكم وسبلا للزراعة والحصد ثقفها الافريقيون وعلى هذه جميعها بنى الاوروبيون حين غلبوا وتسلموا الامر من بعد . لا . ما عدل حين اسماهم قاذورات البشرية » الى اخر الذي قلت في مقدمتي تلك صيف سنة ١٩٦١ .

ذا حديث الكتب والتاريخ . حديث التجارب يعززه . أنا كنت هناك يوم وقف بوث ديو في الجمعية التشريعية عندنا ١٩٤٨ . قال ان تسبي احد للشمال العربي في السودان « انتحر » قال انه جنوبي من افريقيا . الشمال السوداني اهله مسلمون ، ما بينه وبين الجنوب واثقة . وكنت هناك يوم اطل على المائدة المستديرة عن الجنوب في الخرطوم ١٩٦٨ ، اقرى جادين . حزن له أصدقاؤه وزملاؤه الاولون في جامعة الخرطوم لانه غالي في حديث الرق مغالاة افسدت عليه مواقفه ، وكان من شأن مواقفه انذاك ان تجد قدرا غير يسير من الاحترام لصدقه في ايمانه . وفي جامعة في الولايات المتحدة يعرفها الناس بمقامها العتيد في حياة امريكا ، دعيت لاتحدث في جلسة لطلاب واساتذة الدراسات الافريقية عن العلائق الافريقية العربية ، ١٩٧٨ وكان يرأس تلك الدائرة شيخ من اشياخ التعليم والكتابة والسياسة في بلد افريقي يكاد ان يكون الولايات المتحدة في القارة لتراثها وتاريخها وقدر رجالها زمانا والآن . جاءني يريد ليعرف اي جانب من العلائق سيكون موضع الحديث في الندوة . وكان حوارا في دائرة ، كاد لا ينتهي لشيء ، فقد كان كارها عبارة « التعاون » وعاجزا عن ان يجد بديلا لها في اطار دعوته المكتوبة لي . اوحى الى منطقه المعذب انه يبحث عن سبيل تقيه شر الحديث عن التعاون العربي الافريقي . اتفقنا على شي لا يراه يضر .

هذه نماذج من الساسة والعلماء ، تقود الحس الافريقي والفكر وتلقي الكثير من التشجيع وعين الرضا عند بعض قادة الرأي والعمل في الغرب ، وعلى النقيض تماما القلة التي تجهر على غير هذا النغم الكاره الاسلام ، الشامت بالعرب . سيذكر بعضنا الذي كان من امر الاستاذ مزروعي ، على . ما قال كثيرا يهيج الكارهين الشامتين في محاضرات ريث ، لكن بعض الدارسين الحوّل رأي ان يأخذ عليه ما لم يقله عن تجارة المسلمين للرقيق في القارة ، ووقفوا عند كل محاضرة من المحاضرات العشر ليجدوا فرجة يدخلون منها

خلاصة الذي قلت حتى الآن ، هو ان العلائق العربية الافريقية ليست اصفى وأنقى وأثمر العلائق كما يجب لنا ان نعتقد بعض ساسة وكتاب العرب . وكثيرة الشواهد على دعواي هذه ، تجدها بعض الاحايين في احساس من تلقى من الافارقة السود ، وتراه في الصمت المعتم عن اعانات وقروض العرب ، وهي اكبر الاعانات حجما والقروض ، وتراه في الكثير الذي يصدر عن كتاب وشعراء القارة ، ما فيها كثير يشير الى ان الافارقة يشركون العرب القارة او الحس او المنفعة ، ووقفت عند الظنون والريب التي صاحبت نشأة منشآت التعاون العربي الافريقي ، وقلت غير غريب الحذر في نفس انسان افريقيا ، كان الحذر السبيل الى قلبه ، حين اخرجت اوروبا العرب من القارة بالسلاح تارة وبالدهاء تارة غلبته على امره بعد ان انتفعت من تجاريه ، وباعدت بينه وبين الافريقي ، ونقلت الصراع الذي لا يهدأ بين المسيحية والاسلام من مواطنه في

اوروبا والشرق الاوسط الى القارة الافريقية ، حين اقتدر بالكلمة المضلة والنار الحارقة منتصف القرن الماضي . وقادني هذا للذي قلت عن الماضيين العربيين في القارة : القريب الذي رأيت بعض جوانبه المقهورة ، راحت على أيامها الاندلس الافريقية في الذي راح من اقاليم العرب . والماضي البعيد كان أوفرحظا . سنلقاه في الشطر الاخير من حديثنا هذا حين نتصدى لمستقبل العلائق . الماضي القريب هو الذي ازعم لك انه خلق في النفس العربية احساس الجريمة ، والمقهور يضخم عنده الاحساس لا يعرف ما الصحيح مما يقول القاهروه عنه . ذاك تأويل حرصه المذل الآن .

الثقافة : مفتاح باب اللقاء

اول ما احب ان اؤكد وقد بلغنا غايتنا في الطريق للقابل هو ان المستقبل رهن بلقاء العقلين العربي والافريقي . بعبارة اخرى ، مفتاح باب اللقاء الثقافة . لقاء الثقافات احر اللقاءات كل مكان وكل حين ، لا صدام أدمى من صدام الثقافات او امر ، والافريقي دون الكثيرين ممن يعودون ثانية لموكب البشرية وكانوا حينا من الدهر قد غفوا عنه ، كشعوب امريكا الجنوبية مثلا ، مغري بالثقافة مفتون بأجنحتها كلها ، الادب ، الموسيقى ، التصوير ، الرسم ، الرقص . ما نجح الافريقي في تجارة او زراعة او صناعة نجاحه في هذه السبيل بعد استقلاله ، اشعاره في عواصم اوروبا موضع التقدير . مسرحياته المسرحية وجدت الطريق لمسرح لنكولن في نيويورك ورويال كورت في لندن . مسرحياته الاذاعية لا تكاد تغيب عن اذاعات العواصم الكبرى . كلها هناك كل فترة واخرى . الوجود الافريقي وجود ثقافي ، ما عرف كثيرا بعد عن فنون وعلوم الصناعة والتجارة والزراعة والادارة الحديثة . تغيرت هذه تغيرا ابعد بين ماضيها في هذه الجوانب من حياته وحاضره . لو ان الماضي الافريقي يزور الحاضر من غيبه احتاج ذاك الترجمان الذي احتاجه سليمان . العكس في شؤون الثقافة . لو بعث حيا ماضيه لما انكر حاضره . على النقيض لاحتفي به حفاوة الاشقاء غاب طويلا بعضهم عن بعض . كل الذي عرف من ملامحه هناك . مألوفة عنده ، زادت بهاء وزينة . يسائل عن تأويل هذا ، وكان يتوقع تجاعيد الهرم . انه البعد الجديد ، الذي جاء ينعش الثقافة الافريقية ، عند لقائها ثقافة اوروبا . كتابات الافريقي من شعر ونثر فيها مشاعره الاولى واحاسيسه . اخذت عن اوروبا وسائل التعبير والبناء ، كما فعلت في اجنحة الثقافة الاخرى ، الغناء والرقص والتصوير والرسم ونحوت الاقنعة . الأداء من اوروبا والحس من افريقيا ، الفكر من هنا والشعور من هنا . البناء من هناك لن اعجب ان اتى مشهد الدنيا الادبية اميوس تتوالا بعد طاغور وقارسيا ذاك ترتيب القدم الادبي عند الذين يختارون نوبل ، آسيا ، امريكا اللاتينية ، افريقيا . لا يكابر كثيرون ان تتوالا مارسل افريقيا . لن اعجب ان يلي تتوالا قارسيا .

كان بارعا وجسورا سنغور حين وصف نفسه قال انه « خلاصة ثقافية » يعني انه جمع في جنبيه سمات من الزنج اهله ، واخرى من صناع فكره في السوربون وباريس . ما استحى . قال انه هجين ثقافي . وأحب لنا ونحن نذكر سنغور في قولته هذه ، ان كثيرين من نقاد اوروبا وقادة فكرها يرون في الذي انشأ هو من شعر وكتب غيره من رواية « صورة لافريقيا ادق وامتع من تلك التي يكتبها العائدون من رحلات صيدهم وابتياع العادات من افريقيا . هذه ما مبو جامبو ، تلك تنير الطريق للقارة الظلام » . والواقع المرصود يقوم شاهدا على هذا الذي يقول العدول . عجز الافريقي بعد ان استعاد استقلاله عن ان يزرع الذي يكفيه من طعام ، والطعام حاجة الواحد الاولى ، لكنه ما عجز عن ان يحفظ عليه ثقافته ، بأي معنى اردت الثقافة ، الشعر والرقص والغناء والحكاية كما اراد القدماء ، اللباس والاواني والطقوس والميراث كما يريد المحدثون . ارفد ثقافته القديمة بآليات وفكر اوروبا فتفوق كما لم يتفوق في تجارة او صناعة او زراعة . الثقافة لهذا موضع فخاره ، مفتاح شخصيته ، كما زعمت لك ، وما من عزمي الحديث عن هذا . اذن لوقفت بك عند عدد الكتب التي نشرت واللغات التي بها كتبت والقدر الذي وزع في القارة من مجموعات شعره ومسرحياته ورواياته والقدر الذي وزع في عواصم العالم الكبيرة « امريكا » والاخرى الصغيرة « رومانيا » .

انا لا اسعى لهذا الان . اسعى لتذكر ان رحلات قادة القارة لعواصم المال في بلاد العرب رابطة واهنة ، الرابطة الاقوى الافعل رابطة الثقافة ، وما هذا بجديد . هذا حال العلائق بين الشعوب عبر كل تاريخ الشعوب . ما اغنت التجارة حتى ولا الدين غناء الثقافة في علائق الشعوب . كانت التجارة رائجة بين مصر والشام والبندقية وفلورنس ، والبابا ينذر قطيعه بالشر ان هو اتجر مع « الكافرين » . واتجر الكفره في زعمنا مع الكفرة في زعمهم . ما مست التجارة حبا هنا ولا حبا هناك . قلب التجاره لا يخفق . قلب الثقافة يخفق . اجدني وانا ذاك النتاج المزيج من تراث الاسلام ولغة العرب قبل الاسلام وبعده ، ان اقباط المسالة واسيوط اولى لي فأولى من

المسلمين في الفلبين وباقوتا . ان كتب علي ان اقضي زمانا في جزيرة لا يصحبني فيها غير واحد اختاره ، لا خترت صاحبي من اسيوط او المسالمة لا مسلما من باوقتا او الفلبين .

ما الذي نفعل ؟

ما الذي نفعل اذن لنقترب من ازاحة الاذي عن طريق العلائق الافريقية في القابل ، وقد رأيناها قائمة على حاضر نافر وحرص شديد ؟ حاضر يقوم على ماض قريب شائه ما كان للعرب فيه يد كبيره ، واخر بعيد جدير بأن يعود ، كان للعرب فيه « ايراد الامور واصدارها » كما قلت في مقدمتي التي اشرت اليها لكتاب « اضواء جديدة على افريقيا » ماض كان معتدلا ، تسير التجارة جنب الثقافة تصل الاقليمين صلة يفتقدها الواحد الان « يجد العرب لمواهبهم التجارية والثقافية مجالا احدث اثره لا على الساحل وحده بل على الحياة في البلاد العربية ، زخرت اسواقها في القرن الثامن بمصنوعات الحديد من زمبابوي في اعماق القارة الافريقية .

ويدل على هذا النشاط الجديد بين القارة والجزيرة ايضا كثرة الزنج في بلاد العروبة ، كان لا يفقد غائبهم في الحرب ، ايام ثورتهم في فرات البصرة ٢٢٥ هجرية ، « كلما قتل واحد سد مسده غيره فلا يظهر فقده » ، كما يقول ابو الحديد في حديثه عن ثورة الزنج . . فجر القرن العاشر زمان شرع سلطان العرب في بلادهم يهوي ويمتد في شرق القارة الافريقية يصل « قبالة جنوب الجزيرة العربية حتى سفالا قرب واق الواق الشهيرة شهرة رمت بها لاحضان الاساطير ، ولا غرابة . كانت الحياة الثقافية باهرة كاختها التجارية . ذاك هو الزمان الذي « كانت تتجمع فيه قصص الف ليلة وليلة . . يقودك الاهلون حتى يومنا هذا الى صخرة في مالندى يقولون لك انها صخرة السندباد » كالذي رويت لك بتفصيل في « مطالعات افريقية » .

ذاك ماض بعيد بينه وبيننا عشرة قرون واكثر لكنا نقرأ « الف ليلة وليلة » نمتع به وتقرؤه الدنيا تدرسه في ذكاء احيانا وحتى بعض الاحايين تحسبه صورة العربي كلها ، وما هي غير شق من حياته ذلك العهد الذكي المترف والماضي البعيد . ان استحال على العرب ان يعيدوه ، لن يستحيل عليهم ان يستلهموه وان يتخذوه المثال الذي اليه يطمحون . ما عندنا اليوم مسعودي ليترحل على مهل يكتب عن سفالا وواق الواق وما عندنا ادريسي يجلس في مكتبات العرب والاوروبيين يرسم خريطة افريقيا وما عندنا اهل يسار يترحلون في الغابات يصيدون ويعودون يكتبون تجاريبهم ، كالذي فعل يوسف كمال مثلا ، والعهد به غير بعيد .

واختلفت اهتمامات العرب عما كانت عليه ايام المسعودي وايام يوسف كمال . لكن حيوات هؤلاء عبر . تعود ببصرك لايامهم فترى ان بالعرب حاجة لصلة اخرى تقوم مقام تلك ، تكون استمرارا له ، تسعى تمحو ما ترك الظالمون منا ومنهم من آثار في النفس الافريقية وآثار في النفس العربية ، تسعى في الوقت عينه لتشيع في النفس العربية أمنا بعد خوفها الذي حسب الحرص الجزع ترياقا لأوجاعه هذه السنين ، فراح يطلب الود في الشرق وفي الغرب وعاد بالخيبة الكساح . رأى الشرق كل لائذ به عالة وراءه من اجل هذا مأمون الجانب ، أقل القليل من الجهد يكفيه . عليه ان يرضي به ، ما حيلته . ورأى الغرب كل لائذ به عين هذه الرؤية . بين هذين ضائع عربي هذا الزمن . خصي .

حتى يلتقي العقلان

أحب ونحن بصدد الف ليلة وليلة وصدد المسعودي قبلها والادريسي ، من بعد يوسف كمال امس فقط ، ان تشرع في الحديث عن المستطاع عمله الان كي يلتقي العقلان ، الذكاءان ـ ان شئت ـ لتكون نقطة اللقاء ماعون العلائق الافريقية العربية . اداتها . يحسن العربي لمنافعه ان هو عرف الافريقي خلال وجدانه وروحه ، وهكذا يفعل الافريقي ، سيما حياته الحذرة ـ الكارهة بعض الاحايين ـ ان عرف العربي في روحه وفي وجدانه لا أعرف سبيلا لهذا النوع من المعرفة غير المعرفة المتذوقة للذي يصدر عن العربي والذي يصدر عن الافارقة من شعر ونثر ورواية وقصة وغناء ومسرحيات اذاعية وتلفزيونية وتمثيليات مسرحية ، كل الذي عنى الاقدمون من كلمة ثقافة ، الاقدمون المحدثون ، ان صح ان نقول هذا عن توماس ارنولد ، واضع هذا الفهم عن معنى الثقافة منتصف القرن الفائت . ان الذي يصدر عن العرب في لغتهم والذي يصدر عن الافارقة في لغاتهم ، هي مداخلهم لبعض هذه الايام . عوض فحول الترجل الذكي في قارة الظلام ، عوض كل الذي عرف العقل العربي المعاصر ، ثقافته . وعوض الاستجابة لكل الذي قاله المبشر والتاجر والحاكم الاوروبي ، على العربي ان يسمع الافريقي صوته الاصدق مباشرة ، لتكتمل اكتمالا الصورة التي يريد لنفسه ، لا عوج فيها ولا هوى عقيم . انا لا أذهب المدى كله مع قرجينيا وولف لكني أرى في

الذي قاله عن الثقافة ، بالمعنى الذي قلت قبل قليل ، شيئا على العربي ان يتملاه ، وهو يسعى ليلقي الافريقي يتخذه واحدا من اقرب الناس انفعهم له ، اكثرهم امتاعا لذهنه ، وعلى الافريقي ان يقف طويلا عند سيدة العصر في الذي عاشت وكتبت . في بالي وان اقول هذا ، حديثها الفظ المبين عن قادة فكر زمانها ، شو ، ولز ، بنت :

« انهم ماديون عمايا ، لا يبدون يعرفون ما الحياة ، ما الذي تحويه . حسبوا ظاهرها من الحوادث ، الجوانب التي ما كان لها ان تعنيهم انها السر والحياة وهي في الحقيقة ، بعيدة ابدا عن روح الانسان ، مكانها منه خارج الروح ، يسمونها حقائق السياسة والاقتصاد ، تقوم عنهم مقام ما هو اصيل عميق ، لا اصالة دونها ولا عمق . وضعوها مكان الخبرة التي يعيشها الانسان الفرد ، اعني صلة هذا الانسان الفرد بسائر الناس حوله ، والظلال والضياء ، والطيب من الريح والخبيث منه ومذاق الاشياء ، ونغم الاصوات ، ووقع حركات الناس والاشياء على الارض ، ما يحبون ، ما منه يفيرون ، ما يكرهون ، كل الذي هو موضع النزعات والاهواء ، تلكم اللحظات القليلة التي تبصر بعين القلب ، واللحظات المضيئة تهل على الانسان ، تستحيل معها حياته بهاء ، والعادي الذي يحياه من يوم ليوم لا يتبدل وتكون آخر الامر كل شيء ، يلهم العيش ما هو جدير ان يكونه » .

اكرر لا اعتذر ، هذه العبارة المتحدية تستحق عناء العربي حين يشرع يجدد ماضيا بعيدا ازهر في علاقته مع الافريقي ، على نهج زماننا الحاضر . لك ان تقول اسرفت سيدة الكاتبات على ايامها ، لكنك تظلم الحقيقة ان لم تقف متأملا جوهر نقدها اصدقاءها ، فكل الذي عاشوا له من مذاهب سياسية وكتبوا يدعون لها لم تعد باقية بقاء كتاباتها هي ، تبقى بها صقل الاحساس عندك وعندي ، وتبقى بها وجه القيم الخالدة ، ولعلي احسن للذي اريد ان اقول عن مكان الثقافة ان ختمت هذا الشطر من حديثي بكلمات اكثر وضوحا واهب عدوانا من كلمات فرجينيا وولف في عشرينات هذا القرن ان انا رجوتك ان تذكر كلمات شولستين نصف قرن بعد ، على لسان واحد من شخوصه في « الدائرة الاولى » يثور يضيق صاحبنا بالذي يبدي ويعيد فيه الناس عن « التقدم » التعمير ، التنمية ، بألفاظنا المعاصرة ، ينفجر مغيظا قلب ترشن :

« تقدم ؟ ومن يريد التقدم ؟ ذاك هو الذي يستهويني في الفن . انه لا يعرف التقدم ، عاش رامبرانت في القرن السابع عشر مثلا ، وما هناك من فاقه في فنه . وتدبر البصر في التقدم التقني الذي كان على ايامه ، فتراه اليوم بدائيا . . . « ما عاد يصلح » . ويمشي طويلا ترشن مع خاطرته هذه يتحدث عن « التقدم » ، الذي طرأ على فروع الهندسة ، ويسأل صحابه يقول « ومن الذي يمكن له ان يدعي بأن تقدما طرأ من بعد على أنا كارنينا رائعة تولستوي ، التي كتب في السبعينات من القرن الثامن عشر ، عين الزمان الذي تقدمت فيه علوم الهندسة ذاك التقدم الذي تعرفون ؟ بقيت أنا كارنينا . وما بقي التقدم التقني على عهد تولستوي . جاء تقدم جديد عوض ذاك الذي كان » .

منطق مقبول كل هذا عن الرباط الثقافي في اطار العلائق العربية الافريقية ، ما وسائل تحويلها وقائع ، تحتاج كتباأو صحفا ان اردت الحديث عن اجنحة الثقافة كلها وتحتاج معارف عدة . أنا أدعونا لنقف عند بعض الذي كتب الافارقة من شعر ونثر . ذاك ما اتقنه وذاك ما ادعي لك انها النافذة الاضوأ لعقله . ونقف عند بعض الذي كتب العرب ، ولن تكون وقفتنا طويلة . اريد ان نعيد لذهنا اراه عن بعض الذي قرأناه . اكثر من هذا لا يتيسر في وقتنا المتاح . اكتفي من الكتابات الافريقية بروايات وشعر ومسرحيات الصقها في ملحق لهذا الحديث ، ولن تكون اكثر من اختيارات شخصية اراها اوفق ما تقرأ أو تعرب من كتابات بعض اهل الحس والقلم المقتدر في القارة . يختلف الامر حين تتصدى للذي ينبغي ان يقرأ الافريقي من كتابات العرب يطل منها على الذكاء العربي . ارى ان نفصل قليلا تدبر الرأي في مختاراتي الشخصية .

> قيل لأعرابي : « كيف تصنع في البادية اذا اشتد القيظ وانتعل كل شيء ظله ؟
> قال : وهل العيش الا ذاك ؟ يمشي احدنا ميلا فيرفض عرقا ، ثم ينصب عصاه ويلقي عليها كساءه ويجلس في فيئه يكتال الريح فكأنه في ايوان كسرى .

لقاء الشهر مع : المؤرخ البحريني مبارك الخاطر

خالد البسام ـ البحرين



المؤرخ البحريني مبارك الخاطر ..

* من مواليد البحرين عام ١٩٣٥ ..
* نشر له في صحف : الرسالة المصرية ، القافلة ، صوت البحرين ، الخميلة ، هنا البحرين .. وكل الصحف البحرينية .. اضافة الى البلاغ والمجتمع الكويتيتين و « الشهاب » اللبنانية .. وغيرها ..
* له من الكتب المطبوعة :
١ ـ عبدالله الزائد .
٢ ـ قاسم بن مهزع .
٣ ـ الكتابات الأولى الحديثة لمثقفي البحرين .
٤ ـ المنتدى الاسلامي .
٥ ـ ناصر الخيري .
* المخطوطات :
١ ـ شيء من الأصفياء ياسادة (ديوان شعر)
٢ ـ « ابن مانع » بين الخليج والجزيرة العربية .

* كتب عدة دراسات منها : « التبشير في البحرين والخليج » ، « طباعة البحرين من ١٩١٣ ـ ١٩٤٨ » ، « مقدمة في تحديد مفهوم اصطلاحي للتراث الشعبي في الخليج » .. وغيرها ..

في أحد الفصول الدراسية العتيقة بمدرسة « الهداية » بالبحرين في بدايات الأربعينات ، استغرب استاذ الفصل اللبناني كثيرا عندما جاء دور التلميذ « مبارك الخاطر » ليجيبه على سؤاله الذي طرحه على تلاميذ الفصل : ماذا

تـود ان تصبح في المستقبـل ؟ . . حين أجـاب بصـوت مسموع « مؤرخ » !

لم تعبر دهشة الاستاذ حينها الا عن خروج هذه الأمنية او المهنـة عن النمط الذي يحلم بـه التلاميـذ كل عـام : طبيب ، مهندس ، طيار كاتب . . ولهذا لم يحاول اخفاء تساؤله للتلميذ : . . . . « ولماذا مؤرخ ؟ . . » وبالسرعة نفسهـا اجـاب « الخـاطـر » : بـاختصـار لانى احب التاريخ . . ودرجتي الكاملة التي أنالها في المادة تدل على ذلك . . كما انني اطمح لان اكون كاتبا لتاريخنا !

. . هنـا سكت الاستاذ ، واكمـل التلاميـذ ترديـد امنياتهم . . وشرد خيـال « المؤرخ » الصغير بعيدا . . الذي لم يوقفه الا امساك مشرف المدرسة بالجرس الحديدي الصغير . . وشرع في هزه بعنف !

انتهت الحكـايـة الصغيـرة في وقتهـا . . حيث نسي الأستاذ ماقاله التلميذ . . وبدأ « الخاطر » في محاولة تحقيق طموحه ، فكان أن تأثر في عام ١٩٤٨ بتوجيهات بعض الأدباء والمفكرين في البحرين ، من امثال : « الشيخ محمد بن عيسى الخليفة » ، « محمد صالح يوسف » ، « عبد الله الطائي » ، « عبد الرحمن المعاودة » . . وراح يقرأ الكتب التراثية وكتب العقاد وطه حسين ومصطفى الرافعي وغيرها . . حتى فوجىء الاستاذ في ٢ يناير ١٩٥٢ بمقال في جريدة « الخميلة » بعنوان : « عبد الله الزائد . . شذرات من حياته الأدبية » . . بقلم : مبارك الخاطر !

مهمة نفض الغبار

ورغم بداياته المبكرة في الكتابة التـاريخية . . الا أن « الخاطر » ادرك ان « أمنيته » ليست بالسهولة التي كـان خياله يحلم بها . . فعشرات الوثائق والمخطوطات محفوظة في كبار المكتبات البريطانيـة ، وأوراق كثيرة متناثرة في البرتغال وفرنسا وتركيا ! اضافة الى ندرة الرواة و « تدني درجة توثيقهم » ـ كما يرى ـ خاصة اذا كانوا غير مهتمين أو أميين . . وفي هذا الوضع لايستطيع أي مؤرخ في منطقة الخليج ان يتوسـع في تحليل ونقـد الشخصية او الحـادثة التاريخية التي يود الكتابة عنها . . بسبب اقتناعه بامكانية الحصول على المزيد من الوثائق او الوقائع لهذه الشخصية في المستقبل . . وليترك بالتالي لغيره من الباحثين مضاعفة بحثهم وتحليلهم !

ومع ذلك . . جاء الخاطر ليدخل في مهمة نفض الغبار المتراكم على الأوراق الصفراء القديمة . ويؤرخ للحركة الثقافية والفكرية في المنطقة . . رغم علمه بأن عدد من يشاركونه في هذه المهمة ـ مهمة نفض الغبار ـ لايكملون عند عدهم عد اصابع اليد الواحدة !

ولكن تلك القضايا . . ليست هي أسباب تخصصه في التـاريخ الادبي والفكـرى ! لأنه يعتقـد : ان المجـالات الأخرى للكتابة التاريخية ـ كالتـاريخ السيـاسي مثلا ـ لا اكتب فيها الا فيما نـدر ، أو عندمـا تستدعي الضـرورة لذلك ! بسبب وجهة نظري الخاصة للفكر السياسي ، في كونه محدود الاطار ، وجميع من اشتركوا في الحركة السياسية كانوا محدودي الفكر نوعا ما . . أي أنهم جميعهم حصروا انفسهم بفكر سياسي معين لايخرجون عنه . اضافة الى ان هذا الفكر لايخرج عن نطاق وطنهم فقط ! ومع هذا فأنا أعتبر الكتابة في الفكر السياسي قضية هامة ! بالرغم من قلة المهتمين وندرتهم في هذا المجال . . الذي يرجـع في تصوري الى ان بلدا مثل البحرين مثلا . . لم تتبلور فيها الحـركـة السيـاسيـة الا في الثـلاثينـات والأربعينـات والخمسينات وآخرها في الستينات كجزء يسير !

وخـلال بحثه الطويل وتعبـه . . الذي عبر عنـه : بزخات العرق الكثيرة والكميات الكبيرة من الغبار التي ابتلعهـا وهو يفتش في اوراق قـديمة ويسجـل من ألسنة شيـوخ مسنين عـاصروا الفتـرات القديمـة . . سجل في الأربعة كتب التي اصدرها : « عبد الله الزائد . . نـابغة



البحرين » و « القاضي قاسم بن مهزع » و « الكتابات الاولى لمثقفي البحرين » .. و « المنتدى الاسلامي » ، بدايات تأريخه للحركة الثقافية والفكرية في المنطقة .. عبر فيها ان اهل المنطقة كانوا يراسلون الصحف المصرية كالمقتطف التي كانت تصلهم .. منذ عام ١٨٩٢ حتى ١٨٩٩ .. وفي البدايات الاولى لهذا القرن أسهم مثقفو البحرين في مراسلة صحف عديدة في مصر أيضا وكانوا يبدون آراءهم وملاحظاتهم .. علاوة على الكتابة في موضوعات مختلفة .. منها الرسالة التي أرسلها الشيخ « مقبل عبد الرحمن الزكير » الى « المنار » والتي يقترح فيها أن تتحد اقطار المسلمين في قضية توحيد رؤية هلال رمضان وتوحيد يوم الافطار .. كما وجدت من خلال هذه الصحف ان أول من دعا لمؤتمر عالمي اسلامي ، شاب من البحرين عام ١٩١١هو « محمد صالح يوسف » .. الذي اقترح كذلك فكرة أخرى هي اقامة ناد للتعارف بين المسلمين في مكة يكون بمثابة مركز اسلامي ..

وظهرت في هذه السنوات أولى المؤسسات الثقافية .. عندما أسس نادي « اقبال ـ اوال » في المنامة عام ١٩١٣ .. ثم « النادي الأدبي » في المحرق عام ١٩٢٠ .. و « المنتدى الاسلامي » عام ١٩٢٨ .. اضافة الى تأسيس اندية خارج المنطقة مثل « النادي العربي » في بومباي عام ١٩٢٤ لأهل منطقة الخليج ..

ومع هذه البدايات المبكرة للحركة الثقافية .. الا أن الخاطر » يلاحظ بأن : التعليم الأهلي كان قد فرض نفسه في المنطقة قبل هذه السنوات .. فلقد افتتحت مدارس التعليم الأهلي منذ عام ١٨٢٠ ، لضرورة التعليم في ذلك الوقت .. حيث كانت المنطقة تشكل مركزا تجاريا هاما .. علاوة على الحاجة لتعلم أصول المحاسبة والمراسلات في أعمال الغوص وتجارة اللؤلؤ .. مع انها ـ المدارس ـ كانت ذات طابع ديني .. وقفت عليها الأوقاف وكانت نموذجا مصغرا للرابطة العلمية التي كانت موجودة في المغرب ايام القرون الوسطى .. وكان عددها في البحرين ما يقارب سبع مدارس ، تتركز في مدينة المحرق العاصمة السابقة للبحرين . واختلفت البحرين عن بقية المنطقة من حيث ان مدارسها كانت منظمة تنظيما جيدا ، يشرف عليها مجموعة من شيوخ الدين .. وكانت تدرس بها مواد مثل : الفقه ، الحساب ، علوم القرآن ، اللغة العربية ، والفلك .. اما بقية المنطقة فقد كانت مدارسها عبارة عن المدارس المعروفة بـ « الملا » و « المطوع » ويدرس القرآن الكريم فيها فقط ..

بين رشيد رضا والخيري

في نفس هذا التاريخ الثقافي والفكري للمنطقة ، بدأ الخاطر بشخصية « عبد الله الزائد » ، « قاسم بن مهزع » ، ووصل حتى الآن الى « ناصر الخيري » : الذي بدأ حياته الفكرية بكتابة رسالة الى الشيخ « رشيد رضا » تشبه القصة القصيرة .. كان يصف فيها ظاهرة اجتماعية في البحرين هي الايمان بالأساطير والخرافات وتحويلها الى شبه واقع .. كان يصفها بالتفصيل وينقدها بشدة .. وأجاب عليها الشيخ في حينها ، كما كانت له رسائل عديدة بينه وبين الشيخ رشيد رضا .. يحكي له الشيخ الاعمال التي يقوم بها مع الشيخ محمد عبده ودرب الشام في المقاومة والاصلاح للسلطنة العثمانية .. ومعروف عن الشيخ



« رضا » بأنه لم يكتب لأحد مثل هذه الرسائل الا لناصر الخيري . .

وكان « الخيري » يراسل جريدة « المقتطف » التي كان يرأسها « يعقوب صروف »و « غمر فارس » . . وكان يسألها فيها عن مسائل التاريخ والتأريخ ، حيث استفاد منها كثيرا في كتابه المسودة التي صاغها عن تاريخ البحرين القديم الذي يمكن على هذا الأساس اعتباره ـ الخيري ـ أول مؤرخ بحريني . .

ولاينسى « الخاطر » التوقف عند شخصية أخرى مثل « عبد الوهاب الزياني » : الذي كان رائدا من رواد التطور الاجتماعي في ثلاثينات هذا القرن . . بما له من آراء تقدمية نابعة من تعليمه الديني الأصيل . . وبالرغم من كونه خطيبا مفوها . . ذاع صيته في كل المنطقة . . الا انه عرف بعمله « الصامت » !

ولقد عاش « الزياني » ٦٠ عاما . . كانت مليئة بالجهاد والكفاح . . حيث بذل جميع ثروته في سبيل الحركة الوطنية . . عندما كان من كبار تجار اللؤلؤ في ذلك الوقت . اضافة الى أنه كان يقف عند جميع الأمور المتعلقة بالبحرين . . فلقد كان من أهم المستشارين لدى الشيخ



عيسى بن علي حاكم البحرين في ذلك الوقت . . يذهب اليه ويخبره عن تغيرات الاوضاع السياسية في العالم والتي يجب على اساسها تغير الأحوال العامة في البحرين نحو الأفضل . . ومن نتيجة آرائه ومواقفه الجزئية التي جاهد من اجلها . . أن أوذي وسجن ونفي ومات غريبا عن وطنه . .

ولقد أصبح الشيخ عبد الوهاب الزياني شخصية عالمية . . فجمعية الحقوقيين الهنود احتضنت قضيته ودافعت عنه في العديد من المحافل الدولية . . وقام حاكم باكستان الأسبق « محمد علي جناح » بتبني قضيته وعرضها على الدول . . كما أن الدولة العثمانية كانت ، تعرف الشيخ وتراقب مايقوم به . لخوفها من شخصيته السياسية الاجتماعية البارزة . .

ولأن « الخاطر » لايتوقف في الكتابة عند شخصية « الزياني » . . فلديه قائمة طويلة من المشروعات في تأريخ حياة واعمال أبرز الشخصيات الفكرية والثقافية وأهم احداثها . .

والسبب الأكثر أهمية الذي يدفعه لذلك هو ان خياله مازال يسرح بعيدا في التاريخ . . عندما يتذكر نفسه صغيرا في بداية الأربعينات يجيب على سؤال أستاذه السابق : أحب التاريخ . . وأتمنى ان أكون مؤرخا !

الحب المستحيل

(تفريعات علي قصيدة للشاعرة السوداء « افوامرجو » بنفس العنوان)

شعر الدكتور عبده بدوى

تنأى من فوق خطوط الوهم الأزرق
تتوارى من بين مسام الساعات العجلى
تعدو هربا من أشواق هدرت في العمر اليك
من بضع حمامات تتمسح بين بريدك في كفيك
من ميعاد في آخر أيام الأسبوع
من قطف ثمار النار الحلوة
من موعدنا في نجم مال قليلا
ـ لما انسينا ان نتوازن من فوق حوافي الضوء ـ
من مائدة للشعر تتنَزَّلُ من شفتيك
من عصفورين ارتاحا فوق الأيك
من قولي : لبيك
لقصائد من فرح في عينيك !

***



يا عصفور الحب الاخضر
فلتذهب حتى حافة هذا الأفق
في مركبة من صنع يديك
وعلى منقارك حرف الحاء وحرف الباء
.. لكن مهما طوفت بهذا العالم
مهما أسندت الظهر لميناء معزول
أوجُزْتَ مطاراً جَهْماً يزرع فيَّ الخوف عليك
.. فستلقى ازهارا نبتت فجأة
طالت فجأة
مالت ليديك
.. ازهارا لم تبصرها عين من قبل
الا في بستانين بخديك
.. ازهارا سوف تقول بصوتي : لبيك
ـ لبيك حبيبي لبيك ـ
لقصائد في عينيك !!

لكني يا الفي في أى مكان كنت
لا ترسل نحوى دمعا ، لا ترسل في أفقي صوت
لا تنزع من عجلات الريح الوقت
ولتترك لي ازهار الموت
أحزان الموت
يكفيني في المنفى قولي : لبيك
ـ لبيك حبيبي لبيك ـ
لقصائد في عينيك

***



بقلم : الدكتور نديم البيطار

للخروج من المأزق الوحدوي الذي اشرت اليه في مقال سابق[1] ، وعندما تكون الظروف الموضوعية غير ملائمة للتدخل السياسي المباشر تزداد كثيرا أهمية التدخل الفكري ، ويتركز الوعي عليه ، ولهذا فان غياب ما أسميه بالوضعية الوحدوية يفرض التركيز على المفكرين الوحدويين وذوي الاستعداد الوحدوي وتجميعهم كقوة فكرية ضاربة في « حرب استنزاف فكري » يحاول فيها الفكر الوحدوي تأمين السيادة الفكرية وانتزاع السلطة الايديولوجية من جميع القوى والاتجاهات الاقليمية . وتصحيح ما يصدر عن التجزئة من افرازات وميول قد تغذي مباشرة او غير مباشرة هذه الاقليمية والانظمة التي تمثلها .

ان المجال لايتسع هنا لاي تحليل عام او مراجعة تاريخية مفصلة لما تعنيه الانتيليجنسيا (intelligentsia) الروسية الاصل ، وقد نرجع الى الموضوع في فرصة اخرى . هنا نكتفي بالقول ان الكلمة تشير هنا - كما كانت تشير تاريخيا عند ظهورها لأول مرة في روسيا أثناء القرن التاسع عشر او ظهور ما يعادلها intellectuel لاول مرة ايضا في فرنسا في او اخر ذلك القرن - الى جماعة من المفكرين الذين يمارسون النقد الجامع المستمر للنظام الاجتماعي - السياسي السائد . هذا إن لم تقل الرفض الفكري الجامع له ، والذين كان يفترض فيهم علاوة على ذلك وبشكل خاص في التجربة الروسية - الالتزام السياسي بالمفاهيم والمبادىء التي يعلنون عنها .

لا الاصل الاجتماعي المتغير للانتيليجنسيا ، ولا تتابع النماذج الفكرية (كالمثالية الالمانية الاشتراكية والفرنسية الطوباوية ، او الاعتقاد بالتقدم العلمي) كانا في اهمية هذا المفهوم حول المسؤولية الاجتماعية في تركيب الانتيليجنسيا ، وذلك لأنه كان يوفر مقياسا في اقصاء من لايمارس سلوكا ينسجم معه . انه مفهوم كان يرى مثلا ان مفكرين من النوع الذي يتكلم باسم الكنيسة او

الأوتوقراطية ، او ليبيراليين موظفين في الدولة او أشخاصا يهتمـون بـالافكـار في ذاتهـا ، كـانـوا لايتنمـون الى الانتيليجنسيا ، لانهم خانوا القضية .

جوهر مشترك

إن مفهوم المسؤولية الاجتماعية السياسية الذى كان يقترن بالانتيليجنسيا كان يتميز بجوهر مشترك وهو الاعتراف بشخص كعضو فيها فقط إن انشغل بقدر الشعب والأمة ، عارض النظام القائم ، اهتم باحداث التغير الاجتماعي عن طريق الافكار ، وكـان قبل كـل شيء مستعدا لأن يخضع كل مصالحه الخاصة لهذا المفهوم . هذا التحديد للكلمة هو الذى كان يساعد في تفسير المناقشات الحامية في أثناء القرن التاسع عشر في روسيا ، التي كـان يمكن في اثنائها الحكم على شخص بانه ينتمي الى الانتيليجنسيا جزئيا فقط ، او في وقت معين من حياته وليس في وقت آخر .

الانتيليجنسيا كانت تعني بكلمة اخرى ، مفكرين ينشغلون بـالايـديـولـوجيـة ،ويشكلون جماعـة من الاخصائيين فيها ، تخلوا تماما عن ولاءاتهم الأخرى بغية الانشغال روحا وجسدا بالصراعات السياسية ، إن الانتيليجنسيا هي التي كان يجب ان تقوم بانتاج الأنظمة والتصورات الايديولوجية ، والاشراف عليهـا ، تطويرها ، ونقلها .

هذا الدور الطليعي الرئيسي الذى تمارسه الانتيليجنسيا كحاملة وداعية لوعي ثوري جديد يعود ـ كما يتضح عند مراجعة تجارب التاريخ الثورية والاشكال والممارسات الفكرية التي رافقتها وعبرت عنها ـ الى طبيعة عملها الفكرى نفسه ، ما يقترن به من مقومات نفسية واخلاقية وما يترتب عليه من مضاعفات ونتائج ايديولوجية وسياسية .

لكى يمكن للفرد أن يمارس النقد للزمان او النظام الذى يحيا فيه ، فيقاومه او يرفضه سياسيا او فكريا ، يجب عليه قبل كل شيء ان يتمكن من الوقوف على مسافة ما منه ، فينظر اليه « من الخارج » وكأنه ليس جزءا منه ، هذا هو دور الوعي وهو دور يزداد اهمية وفاعلية بقدر مايزداد تبلورا ، عمقا واتساعا وعقلانية . هذه هي اولا وقبل كل شيء خصوصية الانتيليجنسيا ، الخصوصية التي تفرز وتفسر تقربريتها ، او تحولها كما يكتب كثيرون من الماركسيين انفسهم ـ الى « الطليعة » الثورية الجديدة .

الانتيليجنسيا تعكس اساسا تطلعات ورغبات ودوافع غير مادية تحرك خيالها وشعورها وتصوراتها[٢] فهي تندفع وراء مثل اخلاقية وانسانية عليا وتصورات أيديولوجية جامعة تحاول فيها بناء التاريخ أوالمجتمع من جديد . انها تتحرك بقوة مبادىء عامة مجردة ترمي الى تفسير مراحل بكاملها او التاريخ نفسه ، وتعني من ورائها تحقيق عدالة معينة في الحياة ، فإن كان العمال والفلاحون ، كما تدل تجارب التاريخ الاجتماعية السياسية الثورية ـ يركزون وعيهم على تحسين اوضاع عملهم ، فان الانتيليجنسيا تميل الى تركيزه على تصورات انسانية وقناعات ايديولوجية تضحي في سبيلها بمصالحها المادية . ان كان « الاستثمار » يشكل المفهوم الذى يعبر عن تطلعات العمال او بالاحرى يفسر سلوكهم السياسي ، فان « الاغتراب » يشكل المفهوم الذى سيصدر عنه هذا السلوك عند الانتيليجنسيا ويفسره . ان « المادية التاريخية » تستطيع ان تفسر حياة العمال السياسية والاجتماعية او ان تكون الايديولوجية التي ينطلقون منها ، ولكن الانتيليجنسيا تحتاج الى ما يمكن تسميته بالمثالية التاريخية كتفسير وكمنطلق لها .

« المناضل الثوري الذى يقبل بان يحيا حياة بطولية كما حدث غالبا في مجرى المائة عام الاخيرة والذى يفضل السجن والتعذيب ، وفي بعض الاحيان الموت على التنكر لمثاله يتحرك » كما يكتب « المفكر فوجيرولس ـ ، بقوة لا تقتصر على مصالح وحاجات طبقة العمال ، أو وعي للضرورة التاريخية . ان قوته تكمن في ارادة تبغي تحقيق مثال أخلاقي ، بناء مجتمع عادل ، حر ، انساني » .[٣]

لهذا كتب مفكر يوغسلافي آخر « ان حوافز الحركات الثورية ليست حاليا العمال بل المفكرين وبين القادة الفوضويين نجد أصحاب الملايين لأن الذين يتألمون من الاستعباد الفكرى أخذوا يتمردون بشكل متزايد . . اننا نلاحظ في مجرى السنين الاخيرة تعدد حركات المفكرين التي تحل محل اتجاهات جماهير العمال الثورية التي اكدت ذاتها اثناء المرحلةالأولى لظهور الرأسمالية . . . هذه الحركات تشكل مؤشرات رائدة لظاهرة ثورية جديدة تضع في الوجهة الأمامية النشاط والخلق الفكريين بدلا من الانتاج العادى . . إن الاوساط العلمية والفكرية تشكل الدماغ الخصب للتطور الاجتماعي ، وهو تطور يستحيل دونها » .[٤]

الثورة ليست فقط تغييرا اجتماعيا سياسيا جذريا بل تجديدا للانسان نفسه ، وتعني ثقافة جديدة يحدث هذا التجديد في ضوئها . الانتيليجنسيا تشكل محور هذا « التجديد » هذا كان ـ على الاقل ـ ، الدور الذى كانت تفرضه لنفسها في التجارب والحركات الثورية الكبيرة . ان هنرى دى مان ـ وكان من اهم المفكرين

الماركسيين في بداية هذا القرن ـ كتب « ان نجاح الاشتراكية يرتبط بقدرتها ليس فقط على تثوير النظام الاجتماعي ، بل على تثوير الحضارة نفسها ، وان هذا التثوير هو حاليا من صنع المفكرين . حتى مبدأ الاشتراكية المضاد للرأسمالية هو في معناه الاخلاقي والحضاري **civilisateur** نتاج خاص لاوضاع حياة المفكرين الاجتماعية .

ان فكرة الاشتراكية لم تنبع من بؤس العامل اليدوي المادي ، بل من بؤس العامل الفكري الاخلاقي فالعمال الذين يستخدمون هذه الفكرة في صراعهم لاجل تحسين اوضاعهم لا يتحركون مقابلها الا بالقدر الذي يصبحون به مفكرين ، اي بالقدر الذي يحدث في عقليتهم نفسها الانتقال من الحافز الرأسمالي الاكتسابي الذي يتفرع من النضال المادي لاجل البقاء إلى الحافز الاشتراكي الذي يدفع نحو الخدمة الانسانية والعمل المنتج اللذين يتفرعان من النوايا الاجتماعية الاخلاقية الطيبة . وعندما ننظر الى الاشتراكية من هذه الزاوية الرفيعة ، يمكن القول ان تحقيق الاشتراكية يبدأ كتحويل للبروليتاريين الى مفكرين . « ثم يضيف في مكان آخر » ان قناعات المفكرين تنبثق من الرأس والقلب وليس من المعدة . . انها تتفرع من استعداد خاص يزود ، من وقت الى اخر كائنا انسانيا بمزيج فريد من الميول الاخلاقية والفكرية . وكي يمكن لفرد ان يكون موهوبا بهذا الشكل يجب ان تكون غرائزه الاجتماعية ذات طبيعة من النوع الذي يدفعه الى اعتبار نظام عصره الاجتماعي نظاما ظالما وبشكل نشيط الى درجة يكون مستعدا معها الى تضحية ذاته في سبيل مثاله . . . ان المفكر يجب ان يكون من ذلك النوع من الكائنات الفذة الفريدة الذين يخضع عندهم النشاط الفكري لرغبة اخلاقية قوية . (٥)

لهذا فان « الاغتراب » (**alienation**) يشكل الحالة الدائمة للانتيليجنسيا ويتفرع من ثقافتها نفسها . فعملها الفكري يخرجها من الواقع والمشاغل المباشرة وذلك لانه في طبيعته غير محدود على الآني والحياة اليومية ، ويتركز على تصورات مستقبلية ترفض الحاضر .

فهي تهتم اكثر من غيرها بمشاكل بعيدة المدى ، وقيم نهائية ، وتميل الى تجاوز التجربة الحسية المباشرة ، التطلع من ورائها والعيش في عالم اوسع يمتد بعيدا خارجها . انها تعمل بوحي قواعد وقيم ونماذج سلوكية عامة ، وكفاءة تنظيرية لاتتوفر للجماعات والطبقات الأخرى التي ترجع في سلوكها عادة ، او على الاقل بدرجة اكبر بكثير ، الى ارتباطات شخصية وولاءات تقليدية . تعبر عن حساسية اكثر حدة بوضعها ونحو استجابة اكبر للفروق التي تميز هذا الوضع . الانتيليجنسيا تلتزم ، على عكس هذه الاخيرة ، بالاحتمالات ، وليس فقط بالوقائع بالاتجاهات التي ينطوي عليها الواقع في المدى البعيد وليس فقط في الحاضر ، وبما يمكن ان يكون وليس فقط بما هو كائن ، وبالاختيارات المتعددة التي قد يكشف عنها وليس بصورة بسيطة متحجرة حوله .

اغتراب الانتيليجنسيا الذي يقترن بتصور عوالم جديدة او يدفع اليها ـ يشتق اذن مباشرة من ثقافتها « الانتقادية » الخاصة ، ويعني ممارسة النقد العقلاني الجذري الذي يخرجها من واقعها ويوجهها الى تصور بدائل عنه . (٦)

ان جورج برنارد شو يصف ثقافة كهذه ، او كأنها يمثل هذه « المثالية التاريخية » في كتابه « الانسان والسوبرمان: **man and superman** » فيقول طالما انني استطيع تصور شيء احسن مني ، فانني لا استريح ابدا ان لم اعمل على تحقيق هذا الشيء او تمهيد الطريق امامه . هكذا تعبر ذاتي عن الطموح غير المحدود الذي يميز كل شيء يعيش بالاتجاه نحو تنظيم اعلى » .

هذه الثقافة « هي التي دفعت التوسير ـ وهو من اكبر مفكري الماركسية في القرن العشرين ـ الى دور المفكر الرائد الاساسي في صنع الثورة والتاريخ وقد قلنا في ذلك . « لا يمكن ادراك التاريخ وصنعه ، كما يعلم التوسير ، الا بتوسط العلماء (**savants**) .

« الجماهير » تصنع التاريخ دون شك ، ولكن ليس اي نوع من الجماهير ، بل تلك التي تثقفها وتنظمها . انها تصنع التاريخ بشرط ادراكه ، فلا تفصل عنه بسماكة « الايديولوجية السائدة » ، بكل هذه التواريخ التي تقصها عليها البورجوازية ، والتي ستصدقها دائما ، حمقاء كما هي ، ان لم تكن هناك كي تعلمها التمييز بين الاطروحات الجيدة والاطروحات السيئة ، خارج الحزب ليس من خلاص ابدا للجماهير ، خارج الفلسفة ليس من خلاص ابدا للحزب » . (٧)

هذه الثقافة هي التي دفعت ايضا مفكرا ماركسيا آخر كبيرا بان يكتب ، في حديثه عن دور الفكر في التحول الاجتماعي السياسي في فرنسا ، « بان التطور الايديولوجي تقدم من ناحية عامة تطور الجماعات السياسية والاجتماعية »

في حديثه عن المفكرين الفرنسيين في القرن التاسع عشر الذين هيأوا الطريق امام الثورة الفرنسية ـ كثيرون من المؤرخين يقولون صنعوا الثورة الفرنسية ، يكتب بول

هازار بأن: الفلاسفة ، اولئك المفكرين الجبابرة ، اشغلوا بمسائل اساسية كانت دائما تير عقل الانسان : مسألة وجود وطبيعة الله ، الواقعية (reality)، والظواهر ، ، الارادة الحرة والجبرية ، حقوق الملوك الالهية ، تكوين الحياة الاجتماعية ، مشاكل جمة ، كل واحدة منها . ماذا يمكن للانسان ان يعتقد ؟ . . ماذا يجب ان تكون شريعة سلوكه ؟ . . ومرة اخرى السؤال القديم الذي ظن الانسان انه انتهى منه ـ برز من جديد : ماهي الحقيقة ؟ » . . .

هذا ، وأكثر منه ينطبق بتوكيدات مختلفة على كل انتيلجنسيا رافقت التجارب الثورية ، ومهدت الطريق لها . فهي ترى ان الانسان لا يستطيع ان يدرك مشاكله او موقعه في المجتمع دون ان يدرك موقعه من التاريخ الذي يحيط به ، ولذلك كانت تحاول فهم طبيعة التاريخ وطبيعة المرحلة التي يعانيها .

وهي كانت تحاول ان تكشف عن طبيعة المجتمع الذي تعيش فيه ككل ، وان تقارن بينه وبين مجتمعات اخرى ، وخصوصا في مراحل متشابهة . كي تستطيع تحديد طبيعة التحول الذي يعانيه ، درجة هذا التحول ، وجهته ، الخ . . .

وهي كانت تحاول أيضا الكشف عن قوانين التاريخ في مجراه العام او قوانين المرحلة المعينة التي يعانيها ، كي تحدد على ضوئها المصير الذي يرقبه . وان توسع عن طريق هذا الادراك نطاق الحرية والارادة الثورية في صنع هذه المرحلة او هذا التاريخ .

وهي كانت تعين طبيعة النظام والطبقة الحاكمة فيه ، وتكشف عن القوى والمتناقضات التي تنكر سيادتها .

وهي كانت أخيرا وليس آخرا نمطا فكريا جديدا او حتى فلسفة حياة جديدة حول التاريخ تعطيه معنى جديدا وتدعو الى مجتمع جديد يحقق هذا المعنى . انها كانت ، بكلمة اخرى تكشف عن عوالم جديدة ، تدعو الناس اليها . وتحركهم نحوها وتدعوهم الى تحقيقها .

هذا هو دور الانتيلجنسيا التاريخي . وهو دور يحتاجه العمل الوحدوي كي يستقيم سيره ويمكن له توكيد سيادته الايديولوجية وانتزاع المبادرة من جميع الاتجاهات والقوى الاقليمية ، وجميع اشكال التجزئة الاليمة التي تخضع لها . المفكرون الوحدويون الذين يمكن لهم تمثيل « روح » هذه الانتيلجنسيا وتطلعاتها يتوفرون . هنا وهناك ، مبعثرين عبر الوطن العربي . ولكن كي يمكن لهم ممارسة دورها بشكل فعال في الواقع العربي ، فانهم يحتاجون الى اللقاء ، وتنظيم جهودهم في قوة فكرية موحدة في معركتها ضد التجزئة والاقليمية . هذا هو التحدي الكبير الذي يواجه الفكر الوحدوي في الدعوة إلى دولة الوحدة التي يرتبط بها مستقبلنا وكرامتنا وخروجنا من الذل الذي نحياه . ○

د . نديم البيطار

---

(١) انظر « العربي » عدد فبراير ١٩٨٣ ـ ص ١٥

(٢) راجع للكاتب « النظرية الاقتصادية والطريق الى الوحدة العربية » ، معهد الانماء العربي بيروت عام ١٩٧٨ ، الذي يقدم تنقيحا جامعا للتفسير الاقتصادي للتاريخ ، وذلك من زاوية النقد السياسي ، النقد السوسيولوجي التاريخي ، النقد الايديولوجي ، ومن زاوية التجربة الشيوعية نفسها .

(3) pierre fougeyrollis i; le marxisme en luestion editions au seiui , 1959 ,p . 113

(4) patko Milisavljevie . environment , ideologie et science. Editions **Anthropos , 1978 . pp . 237 , 253**

(5) Henri de man . au Dela du marxisme , editions du seuil , 1974 , PP . 2071,161 :

(٦) انني ارجع هنا الى مفكرين ماركسيين لانه « يفترض » فيهم ان يكونوا بعيدين عن المثالية التاريخية التي اشرت اليها ولهذا فان شهادتهم على التدليل على دور الانتيلجنسيا وطبيعتها تكون اقوى من شهادة آخرين لا ينطلقون من المادية التاريخية او المفهوم الاقتصادي .

(٧) في كتاب « من الحقيقة الانسانية الى الحقيقة الانقلابية » ، دار الطليعة بيروت ، ١٩٦٨ ، عالجت هذه الناحية ، ويمكن للقارىء الذي يود التوسع فيها الرجوع اليه .



كما تريدون

فهمي هويدي

الآن يحاكم الوحي بالتاريخ !

يقولون : لأي اسلام تدعون ، اسلام آيات الله في ايران ، أم اسلام العسكر في باكستان ، أم أنه إسلام سلاطين العرب ، أم اسلام امراء الجماعات المتطرفة التي تشكلت في الظلام ؟

ويضيفون : ان هذه الخيارات المعروضة امامنا فيها ما يدين الاسلام ، وفيها ما يشينه . وكلها تشكل عريضة اتهام دامغة ، تؤكد فشل التطبيق الاسلامي ، او قصوره في احسن الاحوال .

ويعقبون : اما ان تتفقوا على اسلام غير الذي نرى . او تصرفوا النظر عن الموضوع كله ، وتبحثوا معنا عن بديل آخر .

هذه مقولات باتت تتردد في دوائر عديدة ، في داخل العالم العربي وخارجه ، ارتبط التطبيق الاسلامي في اذهان افرادها بصور الذي يجري في ايران وباكستان وتحت حكم سلاطين العرب ، وبالتالي حاكمت الاسلام والمسلمين بممارسات هؤلاء وهؤلاء ، التي تتم باسم الشريعة وبدعوى تطبيق قوانين السماء . وربما أسهم في ترسيخ هذا الانطباع ان النماذج التي نحن بصددها تجاوزت الصيغ التقليدية السائدة في الارتباط بالدين . فاصحابها لم يكتفوا باضافة كلمة الاسلام الى اسم الدولة كما فعل البعض ، ولم يكتفوا بالاشارة الى ان دين الدولة الرسمي هو الاسلام كما فعل آخرون ابراء للذمة ، ولم يكتفوا بالنص على ان الاسلام هو مصدر التشريع ـ الاوحد أو الاول ـ كما حرصت دول ثالثة . . وانما اعلن اصحاب هذه التجارب أنهم يطبقون الشريعة الاسلامية فعلا لا قولا ولا نصا . وذهبت ايران الى إصدار دستور قيل انه بني كله على الاسلام في أول محاولة من نوعها في عالمنا المعاصر .

والامر كذلك ، فقد خلص كثيرون الى ان ممارسات هذه التجارب هي صور من التطبيق الاسلامي الحق . وازاء تراكم التجاوزات والحماقات الصادرة عن البعض ، والمتمثلة اساسا في القمع السياسي والعبث الاقتصادي والخلل الاجتماعي ، فقد انتهى هؤلاء الى استنتاج آخر ، وضع التطبيق الاسلامي بمقتضاه في قوائم المشبوهين !

واصحاب هذه الرؤية ليسوا فقط من الذين يتصيدون للاسلام ولا يتمنون له خيرا ، في الداخل أو الخارج ، وانما بينهم بعض الحيارى الذين اثارت استياءهم تلك الممارسات بدرجات متفاوتة ، حتى باتوا يتساءلون بقلق عن ملاءمة الحل الاسلامي وجدواه . ومن هؤلاء مثقفون كبار ، ما ان تجيء سيرة التطبيق الاسلامي حتى يقولوا : تريدون ان تكرروا عندنا ما حدث في ايران ، أم أنكم تريدون حكما عسكريا يجلد المعارضين ، كما في باكستان ، أم انكم تريدون لحى وعمائم يسبح تحتها مختلف انواع الفساد السياسي والاقتصادي والأخلاقي ؟

ورغم اننا نبدو على مسافة الف ميل من التطبيق الاسلامي المنشود ، الا ان الامر يظل جديرا بالمناقشة ، من حيث المنهج اولا ، ثم من حيث علاقة هذه النماذج ، وغيرها ، بالاسلام ثانيا .

في البدء لا بد ان نتفق ، من يحاكم من ؟ التعاليم تحاكم التاريخ أم العكس . القيمة تقاس بسلوك الناس ، أم ان سلوك الناس هو الذي يقاس على القيمة ؟

التساؤل هام والاجابة بديهية . اذ لا مجال لمحاكمة التعاليم او القيم او النظريات بتطبيقات الناس وسلوكهم .

يكون إسلامكم

واذا كان هناك اتفاق على صحة التعاليم وايجابيتها ـ وهو ما تسمو فوقه الديانات السماوية ـ فان تطبيقات البشر تنسب اليهم ، والتي تنسب الى تلك التعاليم .

خذ الديمقراطية مثلا . فكل حكام الارض يقولون انهم ديمقراطيون والحمد لله . . . من بوكاسا الذي كان « امبراطورا » لافريقيا الوسطى ، الى ديكتاتور السلفادور الفارو ماجانا ، الى ملكة انجلترا والرئيس الامريكي . مرورا بالجنرال جاروزلسكي في بولندا ، وكيم ايل سونج في كوريا الشمالية . كلهم يحكمون باسم الشعب ، ولا يمسون لأحد شعرة الا من اجل مصلحة الشعب ، تعميقا للديمقراطية وحماية للأمن القومي ! فاذا فتحت السجون والمعتقلات ، وعلقت المشانق للمعارضين ، وصودرت الكلمات في الحناجر ، وتحولت البرلمانات الى متاحف ، وتم ذلك كله باسم الديمقراطية ودفاعا عن حرية الشعب والحزب القائد . . اذا حدث ذلك كله ، فهل نكفر بالديمقراطية ونقول : لأية ديمقراطية تدعون : ديمقراطية بوكاسا أم كيم ايل سونج ام ملكة انجلترا ؟ ؟ !

واذا ظهرت النازية والفاشية والمكارثية في احضان الديمقراطية الغربية ، هل نضع الديمقراطية في القفص ونحاكمها بما اقترف هتلر وموسوليني والجنرال ماك آرثر ، ثم نقول : اصرفوا النظر عن تلك الديمقراطية اللعينة ، وابحثوا معنا عن صيغة للحكم ؟

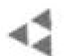
ان شيئا من هذا لم يتم ووجهت التجاوزات التي حدثت وتحدث كل يوم باتفاق عام بين خلق الله الأسوياء ، على انها لا تدين القيمة ولا تشينها ، سواء كانت ديمقراطية أو غيرها ، ولكن الغريب ان الاسلام استثنى من هذا الموقف . وحده بات يتعرض للمحاكمة والادانة بسبب تجاوزات أتباعه . في حين قبل تعدد التطبيقات واختلافها ، وتفهم الجميع حتى عمليات تزوير التعاليم وتحريفها في كل ما يسود الأرض من ملل ونحل ونظريات .

وبات الأمر في حاجة الى تفسير لهذا المنطق المريب ، الذي يتعامل مع كافة القيم ، والتعاليم بمعيار ، ويتعامل مع الاسلام بمعيار مخالف . واصبح من حقنا ان نسأل : لماذا نقول ان النظام الفلاني انتهك الديمقراطية وزيفها وأساء اليها ، وان ما يفعله ليس من الديمقراطية في شيء ، ولانستخدم نفس المنهج في الحديث عن تطبيقات الاسلام الجزئية او المشوهة او الكاذبة ؟

لماذا نريد للاسلام ، دون غيره ، ان يتحول من تعاليم وتكاليف بين ايدي الناس يتعامل معها الجميع كل حسب قدرته ومصالحه واهوائه ، الى معادلات رياضية وتركيبة كيماوية لها منطوق واحد ، وحصيلة واحدة ، ايا كان العقل الذي يتعامل معها ؟

لماذا تطالب تعاليم الاسلام ، دون غيرها ، بأن تشذ على نواميس الكون ، وتتحول من قيم تتأثر بالواقع السياسي والاجتماعي والثقافي السائد في كل زمان ومكان ، الى وصفات سحرية ، تنتمي الى عالم الجن والعفاريت ، وخارجة عن كل قوانين المسيرة الانسانية ونواميسها ؟

ان كونها تعاليم سماوية لا يعني انها تطالب بالمستحيل . وانما يعني انها تحمل « شهادة منشأ » ـ بلغة زماننا ـ متميزة عن غيرها . وخصوصية المنشأ لا تحصن التعاليم من التأثر بقوانين الارض وحركة المجتمع . بل انها اذا انفصلت عن





الارض والناس فانما تكون قد اخطأت هدفها ، فتصبح كالبذرة توضع في غير تربتها الصحيحة ومناخها الطبيعي .

ان رسالة السماء ، بعد التبليغ ـ قد اصبحت « أمانة » في الارض . وبتمام الرسالة فان الله سبحانه وتعالى قد قال كلمته الاخيرة ، وعلى الناس ان يتعاملوا مع هذه الكلمة بالاتباع والابتداع ، حتى تزول الارض ومن عليها .

ان خصوصية المصدر او المنشأ ، لا تعني ان تعاليم الاسلام تحول البشر الى ملائكة ، او تحيل الارض جنة ونعيما مقيما . انما يظل البشر بشرا بمن فيهم من الصالحين والطالحين . وتظل الارض ارضا يتنازعها الخير والشر . غاية ما هناك انها تطرح حلولا اعمق لمشكلات الفرد والمجتمع ، وتوفر امكانية افضل لتحقيق الخير واقامة العدل بين الناس .

وذلك كله لا سبيل الى بلوغه الا بالناس ، وخضوعا لنواميس الكون وقوانين الارض ، وليس بعصا سحرية ولا خوارق او معجزات .

●

منذ تسلم الانسان « الأمانة » وتقلد منصب « خليفة الله في الارض » ، بات مسئولا عن صناعة تاريخه . وابلغ صراحة في البيان الالهي الاخير ان ارادة التغيير ، ايجابا وسلبا ، باتت بيده هو دون غيره من الكائنات ، و « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

منذئذ اصبحت مفاتيح التقدم والتخلف ـ جميعها ـ في حيازة الناسوت وليس اللاهوت واصبحت عمليات التمسح في اللاهوت وتحميله مسئولية ما يجري في الارض ، من قبيل التعبير عن التراخي والتنطع ، او الجهل الفاحش .

وبمقتضى هذه الامانة ، اصبح بين ايدي الناس دليل عمل ، برسم الاطار العريض للمسيرة البشرية ، في اجمال لما يتغير،وتفصيل لما لا يتغير ، كما يقول الفقهاء ، بصورة تستوعب حياة المسلم كلها ، في علاقاته بالارض او بالسماء ، ولم يصمم الدليل عبثا ، وانما جاءت تعاليمه على شكل جرعة متعددة العناصر ، ركبت بمقادير محسوبة ، وبميزان دقيق ، لتحقق هدف الرسالة المنشود ، ولتفتح الطريق امام الانسان ليباشر صلاحياته في اعمار الارض واقامة الحق والعدل والسلام فيها . فالعبادة ليست صلاة وقياما وصياما فقط ، ولكنها ايضا كل خير يزرعه الانسان في هذه الدنيا . والمسلم الحق ليس ناسكا ولا راهبا ، ولكنه كل مجاهدة للنفس تصب في طريق البناء والتقدم . والمسلم الحق مطالب بان يعمل لدنياه كأنه سيعيش ابدا ، وان يعمل لآخرته كأنه سيموت غدا ، كما يقول الحديث الشريف . اي انه مطالب بان يكون اداؤه في الدنيا عطاء ابديا لا ينفد ، وان يكون مستعدا للقاء ربه في كل حين .

وثمة وحدة تربط بين هذه التعاليم . بحيث يمثل الفصل بينها تعسفا وجورا على الاسلام ، وربما افسادا لمفعول هذه التعاليم . فشهادة ان لا اله الا الله اذا لم تترجم الى كبرياء للمسلم ، وخوف من الله وحده ، واعراض عن الامتثال لطواغيت الارض واصنامها ، ورفض للظلم بكل اشكاله ، فقد افرغت من مضمونها ، والصلاة اذا لم تصبح ايضا استقامة في علاقة الفرد بغيره ، وضميرا حيا للمسلم ، فقد تحولت الى شعائر جوفاء . وهكذا

الخلاصة ان جرعة التعاليم جاءت محكمة بصورة تفرض على المسلم ان يتعامل معها بوعي وضبط شديدين ، على اعتبار ان اي خلل في التعامل مع عناصر هذه الجرعة ، سواء بتغيير مقاديرها المستقرة ، او بتبديل اولوياتها ، لا بدّ أن يفرز نتائج خاطئة ، كأي بطاقة علاج ، تضم مجموعة من الأدوية لها مواصفات خاصة ، ويتم تعاطيها في مواعيد بذاتها . اذا اختلت تركيبة اي من هذه الأدوية ، او اذا تعاطى المريض بعضها وامتنع عن البعض الاخر ، او اذا تناولها في غير المواعيد المقررة ، او بغير الجرعات المقررة ، فان نتائج العلاج لا بد أن تختلف بحيث تتراوح بين الشفاء الجزئي وتعريض حياة المريض للخطر

●

وتمثل عملية تجزئة التعاليم مشكلة حقيقية في التطبيق الاسلامي . هذا اذا لم تلق بالا إلى عملية استغلال اسم الاسلام ورسمه . للتمويه ، ثم اقامة واقع متناقض ليس فيه من الاسلام شيء ، اذ ان هذا موقف مفضوح من الاساس . ذلك ان ما يعنينا هنا هو ذلك التطبيق الذي قد يكون فيه من الاسلام « شيء » .

ولتلك التجزئة صور عديدة بينها تطبيق شق من الدين ، وسلخه عن سياق التعاليم واهدافها الكلية . والمثل الصارخ على ذلك ما نراه في التطبيقات المعاصرة من اتجاه الى تطبيق الحدود الشرعية ، في ظل استمرار الظلم الاجتماعي والسياسي . والامر الذي يعكس اختيارا شاذا تقام بمقتضاه جزئية صغيرة في الاسلام ، ثم تهدم قواعد بنائه كلها .

وهناك صورة اخرى من الاجتزاء تتمثل في التركيز على شق من التعاليم ، والمبالغة في حجمه ، ثم رؤية الاسلام كله من خلاله . واكثر افكار التجمعات الدينية المتطرفة تدخل في هذا التصنيف . فمنهم من بالغ في التكفير حتى حكم على المجتمع كله بالجحيم . ومنهم من بالغ في قيمة الجهاد فحول العنف الى عقيدة وشهر السلاح بالباطل في وجه الجميع . ومنهم من بالغ في قيمة الزهد حتى اعتزل الدنيا ورفض المجتمع باسره . وما المتصوفة الا فريق من المسلمين ركز على عالم القلب والروح والوجدان ، ووسع من دائرة هذا العالم بصورة تجاوزت مقداره عند المسلم السوي ، وأخلت بالميزان الذي احكمت ضبطه التعاليم السماوية .

حقا ان ذلك كله له أصل ومقدار في الاسلام ، ولكن المشكلة ـ كما قلنا ـ ان هذا الأصل اعطى حجما اكثر مما ينبغي ، حيث استحضر من « دليل العمل » الاسلامي ، وضرب مقداره في اضعاف اضعافه لسبب او لآخر، ثم تعامل معه كل من هؤلاء ، بحجمه الجديد ، الأمر الذي كان لا بد وان يقود الى نتائج مخالفة ـ او مناقضة ـ لما استهدفته الرسالة السماوية في الأساس .

●

هذه المسارات والصياغات كلها اختيارات انسانية بحتة ، تمت تحقيقا لمصلحة او استجابة لهوى . بحيث يصبح السؤال الجوهري الذي ينبغي ان نطرحه ليس عن محتوى التعاليم ، ولكنه يثور بالدرجة الاولى حول ماهية الاهداف التي يسعى اليها الانسان ، فردا عاديا او حاكما ، والتي يريد ان يوظف التعاليم من اجل بلوغها وخدمتها .

ان كتاب الله مفتوح امام الجميع ، وفي متناول الجميع ، واهداف الرسالة السماوية معلومة للقاصي والداني ، أما اهداف البشر من الرسالة فعديدة ، تتراوح بين اشاعة الحق واقامة الباطل . وليس جديدا ان نسأل : ماذا يريد الدين من الناس ، لان الأهم هو ماذا يريد الناس من الدين ؟

ان الرسالة السماوية لا تملك قسر الخلق على فعل شيء ، فحساب الجميع في الآخرة ، ولكن الخلق هم الذين يملكون تطويع التعاليم وتوظيفها في أي اتجاه يريدون . ولذا فاننا لن نبالغ اذا قلنا ان الاسلام ـ ببساطة ـ هو ماتريده نحن .

ان اختياراتنا السياسية والاجتماعية هي التي ترسم معالم واقعنا الاسلامي . واقحام اللاهوت في هذه الاختيارات يتم عن سوء فهم او سوء نية ، يصب في اتجاه تبرير التقاعس والعجز ، والقاء مسئولية سلبيات الواقع الانساني على الغيب والقدر .

لا تقولوا لنا ان الاسلام صنع كذا بالناس ، لأن الأصح ان يقال ان الناس صنعوا كذا بالاسلام . فطالما ان باب المعجزات والخوارق قد اغلق ، فان قوانين الارض ونواميسها لابد وان تظل سارية المفعول ، وبالتالي فان الحصاد لابد وان يكون من جنس الغرس . وان الذين يزرعون الحصرم بأيديهم ، لن يذوقوا سوى المر !

هل تذكر مرة اخرى باليهود وما فعلوه بالتوراة ! هل نكرر القول انهم استخرجوا من الاساطير والخرافات وحشد الغرائب المدهش الذي اقحم على التوراة ، بناء سياسيا وعسكريا لا ينكر دوره الخطر الذي بات يهدد العالم العربي بأسره ، عسكريا واقتصاديا .

ان الذين يحاكمون الوحي بالتاريخ ليسوا منزهين عن الحماقة والغرض ، وهم أنفسهم من ينبغي ان يحاكموا بتهمة افساد العقل العربي وتضليل الجماهير ، لتنصرف عن مقاومة الظلم السياسي والاجتماعي ، وتظل مشغولة باللغو والسفسطة ، ورجم الغيب او الرجم به .

اما السائلون لأي اسلام تدعون ؟ فاننا نرد اليهم السؤال قائلين ، أي مجتمع تريدون ، وأي جهد بذلتموه وأي ثمن دفعتموه لاقامة ما تنشدون ؟

فكما تريدون يكون اسلامكم ، وبقدر نهضتكم او كبوتكم ، يكون الاسلام لكم او عليكم !



القرآن وهموم المجتمع العربي ٢

بقلم : الدكتور محمد أحمد خلف الله

سبق لنا الحديث عن مدى عناية القرآن الكريم بهموم المجتمع العربي ، وضربنا الامثلة في ذلك من المستوى الفردي . واليوم نعود الى نفس الحديث لنضرب الأمثلة من المستوى الجمعي أو الجماعي .

القاعدة الاساسية في عناية القرآن الكريم بهموم المجتمع العربي هي أن القرآن الكريم كان يتعامل مع الواقع المعاش الذي لم يكن خاليا من الهموم .

لقد نزل القرآن الكريم من السماء ليحدث تغيرات جذرية في ميادين عديدة من حياة هذا المجتمع . في ميادين الآراء والمعتقدات ، وفي ميادين التقاليد والعادات ، وفي ميادين القيم الاجتماعية والمعايير السلوكية التي كان هذا المجتمع يمارس حياته اليومية ، وحياته العامة ، على أساس منها .

والتغير الجذري الذي يستهدفه القرآن الكريم من دعوته التي يدعو اليها ، لا يتحقق إلا بالناس . فهم الذين يحققون التغير ، وهم الذين يستفيدون من هذا التغير حين يمارسون حياتهم على أساس من تلك البدائل التي يجيء بها التغير .

إنه من هنا قلنا بأن القرآن الكريم كان يتعامل مع الواقع .

وتعامل القرآن الكريم مع الواقع انما يبدأ بتقييم الواقع المعاش نفسه . من أجل التعرف على مدى صحته وسلامته ، ومدى فساده وبطلانه ـ كي يتناول الناس هذا الواقع بالاصلاح والتعديل ، أو بالثورة والتغيير .

حوار مع معارضى التغيير

وهذه الحقائق الاجتماعية فيما يخص التغيير هى التي يشير اليها القرآن الكريم في آياته العديدة التي يسجل فيها مواقف المؤيدين للتغيير ، ومواقف المعارضين للتغيير .

لقد كان المعارضون يرون في القيم الثقافية التي توارثوها عن سلفهم الكفاية عند ممارستهم للحياة . وكانوا يقولون للنبي عليه الصلاة والسلام حين يدعوهم للتغيير : « حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا » . وكان النبي عليه الصلاة والسلام يرد عليهم بما نزل عليه من القرآن

الكريم قائلا لهم : « أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون ؟ أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم » ؟

وتفهم نحن من اجابة القرآن الكريم ان الواقع المعاش الذي يستمد قوته من التراث انما يلحقه التغيير في حالتين :-

الاولى : أن يكون هذا الواقع قد قام أصلا على غير أساس من العلم والهداية : « أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون » .

الثانية : - ان يكون هذا الواقع قد قام على اساس سليم من التراث - ولكن جد جديد هو اكثر منه هداية ، وصلاحية عند ممارسة الحياة ! « أو لو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم » .

يبدأ القرآن الكريم في تعامله مع الواقع بتقييم الواقع لبيان مدى ما فيه من صحة أو فساد يترتب عليها التعرف على مدى ما يمكن أن يقوم به الناس من تعديل أو تغيير .

ويخطو القرآن الكريم خطوته الثانية في التعامل مع الواقع بالاعتماد على الواقع نفسه في التغيير من الواقع المعاش ، أو في استقطاب الناس نحو الجديد الذي يدعو اليه ، والذي سوف يصير هو الواقع المعاش عندما يتحقق التغيير .

والقرآن الكريم هو الذى يشير الى هذه الحقائق أيضا عندما يعمل على تغيير الناس من الواقع المعاش ، وعندما يدعو الناس الى المستقبل المرجو . ونضرب في ذلك المثلين التاليين :-

أولا : - من المسلم به في المجتمع العربي كراهية ولادة البنات ووأدهن بعد الولادة مباشرة - الامر الذي أشار اليه القرآن الكريم في قوله : « واذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم . يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ؟ ...... »

ومن المسلم به أيضا أنهم كانوا يعبدون اللات والعزى ومناة ، ويقولون فيما حكى القرآن الكريم عنهم : « هؤلاء شفعاؤنا عند الله ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى » . وكانت اللات والعزى ومناة من الأمهات الاناث التي هى في الوقت ذاته بنات الله .

واعتمد القرآن الكريم على هذا التراث الثقافي عند العرب في تنفيرهم من عبادة غير الله ، من حيث انه لا يصح أن يعبدوا الاناث ، ولا أن يجعلوا لله البنات ولهم الذكور من حيث ان تلك لن تكون القسمة العادلة . والآيات في ذلك عديدة ، ونكتفى منها بالتالى : -

يقول الله تعالى : ، « أفرأيتم اللات والعزى ، ومناة الثالثة الأخرى . ألكم الذكر وله الأنثى . تلك اذا قسمة ضيزى ... »

ويقول : - « أفأصفاكم ربكم بالبنين ، واتخذ من الملائكة اناثا . انكم لتقولون قولا عظيما .... »

ويقول : - « إن يدعون من دونه إلا إناثا ، وان يدعون الا شيطانا مريدا لعنه الله .... »

ويقول : - « وجعلوا له من عباده جزءا - ان الانسان لكفور مبين . أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين ؟

« وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا ! أشهدوا خلقهم ؟ ستكتب شهادتهم ويسألون . وقالوا : لوشاء الرحمن ما عبدناهم . مالهم بذلك من علم ، ان هم الا يخرصون .... » .

وهكذا نجد القرآن الكريم يعتمد على الواقع في تنفيرهم من الواقع . يعتمد على كراهيتهم للأنثى في تنفيرهم من عبادة الآلهة الاناث .

من خلال الواقع

ثانيا - أما المثل الثاني فنضربه نبين به كيف اعتمد القرآن الكريم على الواقع المعاش في استقطاب الناس نحو الواقع الجديد الذي يدعو اليه ، والذي سوف يتحقق في المستقبل واقعا معاشا .

وهنا نشير الى مسلمة لم ينكرها أحد حتى اليوم وهى أن قريشا كانت تشتغل بالتجارة ، وأن جنوب الجزيرة وبلاد اليمن كانوا أيضا يشتغلون بالتجارة . وأن تجارة الشرق الاقصى كانت تصل الى مصر وروما عن طريق البلاد العربية .

هذا الوضع التجارى كان له صداه في ثقافة الناس يومذاك فكانت الأقطار التجارية وما يدور فيها من قيم حول المكسب والخسارة ، وحول الربح ، وحول المكاييل والموازين وما أشبه ، هى الأساس البارز عند ممارسة الناس للحياة .

وجاء القرآن الكريم فاعتمد على هذه القيم التجارية بما

فيها من عمليات البيع والشراء، وما ينتج عنها من مكسب أو خسارة، في استقطاب الناس نحو الدعوة الجديدة.

يقول الله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا، هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم؟ تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ـ ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون....».

ويقول: ـ «إن الذين يتلون كتاب الله، وأقاموا الصلاة، وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية، يرجون تجارة لن تبور».

ويقول: ـ «أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم، وما كانوا مهتدين....».

ويقول: ـ «ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة....».

ويقول: ـ «فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم.....».

وهكذا نرى القرآن الكريم يعتمد على الواقع المعاش عند استقطابه الناس نحو الجديد الذي سوف يتحقق ويصبح واقعا بديلا.

وننتهي من كل ما تقدم الى تأكيد ما سبق أن قلناه من أن عناية القرآن الكريم بهموم المجتمع العربي، انما هي النتيجة لتعامل القرآن الكريم مع الواقع العربي.

ويستوي هنا أن يكون هذا الواقع على مستوى الفرد أو على مستوى الجماعة.

من هموم المجتمع

والهموم التي عنى بها القرآن الكريم تكاد تكون من نوع الهموم التي توجد في العادة في المجتمعات التي تلعب في حياتها الأنشطة التجارية ـ ويبدو ذلك من المسلمات مادمنا نعلم أن النشاط البارز في المجتمع العربي بصفة عامة، وفي المجتمع المكي بصفة خاصة، كان النشاط التجاري.

والأساس في الأنشطة التجارية هو المال من حيث ان العمليات التجارية تقوم على أساس من البيع والشراء ـ أي مبادلة المال بالمال بهدف الربح. ومن هنا يحب التجار المال ويحرصون عليه، ويستهدف التجار الربح الوفير في اسرع وقت، وبأية وسيلة تحقق ذلك.

وتكوين الثروة الطائلة عن طريق الأنشطة التجارية يؤثر في التركيب الاجتماعي الى أبعد حد حيث يقسم المجتمع الى طائفتين من الناس: طائفة هي القلة القليلة في العدد، ولكنها التي تملك أسباب القوة من حيث انها التي تملك المال الذي يستثمر في النشاط، وتمارس به الحياة ـ وطائفة هي الكثرة الكاثرة التي لا تملك من أسباب القوة شيئا، والتي تقف من الطائفة الأولى موقف التابع الذي يؤمر فيطيع. ومن المسلمات في دنيا الناس أن هموم المجتمع التجاري تحيط بالكثرة الكاثرة من الطائفة الفقيرة المستضعفة.

ووقف القرآن الكريم الى جانب هذه الطائفة من حيث انها الكثرة الكاثرة. أولا ـ أي أنها صاحبة المصلحة من التغيير الذي يدعو اليه. ومن حيث انها قد بلغت من الضعف والهوان مبلغا ذابت فيه انسانية الانسان.

لقد بلغت من الفقر حدا ذهبوا فيه الى قتل أولادهم خشية الاملاق ـ وهذا هو الذي يحكيه القرآن الكريم عنهم.

وبلغت من ضياع الشخصية الانسانية في الانسان حدا أصبحوا فيه لا يملكون من أمر أنفسهم شيئا ـ حتى لقد وصفهم القرآن الكريم بأنهم قد ظلموا أنفسهم، وعاب عليهم أنهم قد رضوا لأنفسهم هذا العار. فهم الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم، وهم الذين قيل لهم: فيم كنتم قالوا: كنا مستضعفين في الأرض. فقيل لهم: الم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها؟

عن الغش التجاري

تلك هي بعض الهموم التي لحقت بهذه الطائفة من الناس. الطائفة التي تمثل الكثرة الكاثرة في صنع الحياة، وفي تحقيق الصالح العام، وفي بناء الأمجاد.

ولن نستطيع أن نقف عند هموم هذه الطائفة همّا همّا، وإنما نختار من بين همومها اثنين: الواحد يمثل جشع التجار واستغلالهم هذه الطائفة في تلبية هذا الجشع ـ والثاني يمثل ضياع الشخصية الانسانية للفقراء أمام الشخصية الانسانية للأغنياء الأقوياء، في هذه المجتمعات التجارية التي تعتبر قيمة الانسان فيها بمقدار ما يملك من قوة المال.

والأمر الأول نمثل له بموقف القرآن الكريم من عملية الغش التجاري ـ تلك العملية التي يستغل فيها التجار المواطنين استغلالا بشعا. وتقوم عملية الغش في هذا المجتمع على أساس من التلاعب في الأدوات التي تعارف الناس على انها أدوات الحق والعدل فيما يخص الأنشطة التجارية وهي: المكاييل والموازين.

لقد كان التجار يستوفون أكثر من حقوقهم حين يشترون، ويبخسون الناس حقوقهم حين يبيعون لهم ما هم في حاجة اليه. ووقف القرآن الكريم الى جانب الحق والعدل. الى جانب المصلحة العامة ـ مصلحة الكثرة الكاثرة من الناس. وتوعد هؤلاء الذين يفعلون ذلك، والذين يحبون المال حبا جما، ويأكلون التراث أكلا لما »

الذين يمنعون الماعون ولا يحاضون على طعام المسكين .

جاء في القرآن الكريم فيما يخص عمليات الغش التجاري هذه :-

قال تعالى : « ويل للمطففين . الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون . واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون . ألا يظن أولئك انهم مبعوثون . . . »

وقال تعالى : « وأوفوا الكيل اذا كلتم . وزنوا بالقسطاس المستقيم . . . »

وقال : « والسماء رفعها ووضع الميزان . ألا تطغوا في الميزان . وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان . . . »

والظاهرة القرآنية التي يجب أن نلتفت اليها عند حديثنا عن علاج القرآن الكريم لهموم الغش التجاري . وطلبه الوزن بالقسط . وألا تكون هناك خسارة في الميزان . انه جعل الميزان أداة العدل في الآخرة كما هو أداة الحق والعدل في الدنيا .

جاء في القرآن الكريم فيما يخص ذلك :-

قول الله تعالى : « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا . وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها . وكفى بنا حاسبين . . . »

وقوله تعالى : « والوزن يومئذ الحق . فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون . ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون . . . »

ونشير في نهاية عرضنا لمدى عناية القرآن الكريم بهذا الهم الذي يجلبه النشاط التجاري على المجتمع التجاري . الى الآيات القرآنية الكريمة التي تخاطب المؤمنين والكافرين . وتصور الموقف حين يتعارض النشاط التجاري مع وقت اقامة الصلاة في يوم الجمعة .

يقول الله تعالى : « يأيها الذين آمنوا ، اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة . فاسعوا الى ذكر الله ، وذروا البيع . ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض ، وابتغوا من فضل الله ، واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون . واذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها وتركوك قائما قل : ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة . والله خير الرازقين » .

موقف ضد التبعية

أما الأمر الثاني الخاص بضياع الشخصية فتمثل له بموقف القرآن الكريم من الظاهرة الاجتماعية : السيادة والتبعية .

والقرآن الكريم ضد التبعية . ويعمل على أن يسترد الأتباع شخصياتهم . ويتحملون تبعة أعمالهم . ويعيدون تنظيم العلاقات بمن كانوا يطلبونهم أرفع منهم منزلة . وأعلى درجة . من حيث انهم الأسياد الذين يتحملون تبعة أعمال الأتباع من حيث ان الأتباع لا يصدرون في أعمالهم عن إرادتهم الخاصة . وانما عن ارادة السادة . انهم لا يملكون من أمر أنفسهم شيئا . وليس عليهم الا السمع والطاعة .

ويعمل القرآن الكريم على تغيير هذا النوع من العلاقات . عمل على أن يرد لكل انسان انسانيته التي يتساوى فيها مع غيره . ويملك فيها حرية الارادة . ويحمل المسئولية . وسلك القرآن في سبيل ذلك أداتين من أدوات التغيير الاجتماعي .

أولاهما : توضيح فساد العلاقة القائمة بين السادة والأتباع . والثانية . تقييم الانسان على أساس جديد هو العمل . وليست الثروة وكثرة الأموال والأولاد . وما الى ذلك .

والأداة الأولى نمثل لها في هذا المقام بتلك الآيات التي وردت في القرآن الكريم مصورة فساد هذه العلاقة .

جاء في القرآن الكريم : « وقالوا : ربنا انا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا . ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا . . . »

وجاء فيه : « واذ يتحاجون في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا : انا كنا لكم تبعا . فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار ؟ قال الذين استكبروا : انا كل فيها . ان الله قد حكم بين العباد »

وجاء فيه أيضا : « ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول . يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا : لولا أنتم لكنا مؤمنين . قال الذين استكبروا للذين استضعفوا : أنحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم . بل كنتم مجرمين . وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا : بل مكر الليل والنهار . اذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا وأسروا الندامة لما رأوا العذاب . وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا . هل يجزون الا ما كانوا يعملون »

وجاء فيه أخيرا : « وبرزوا لله جميعا . فقال الضعفاء للذين استكبروا : انا كنا لكم تبعا . فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء ؟ قالوا : لو هدانا الله لهديناكم . سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص ؟ وقال الشيطان لما قضي الأمر : ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم . وما كان لي عليكم من سلطان الا

أن دعوتكم فاستجبتم لي ، فلا تلوموني ولوموا أنفسكم . . . »

وهكذا يمضي القرآن الكريم في بيان فساد هذه العلاقة ليتفر الاتباع المستطعمين منها وتصبح لهم شخصياتهم المستقلة وارادتهم الحرة .

ويحض القرآن الكريم المستضعفين على الهجرة ـ ان هم عجزوا عن ان يكونوا مستقلين عن غيرهم فيما يقولون ويفعلون ، ومتحملين تبعة أعمالهم .

جاء في القرآن الكريم :ـ « إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم . قالوا : فيم كنتم ؟ قالوا : كنا مستضعفين في الارض . قالوا : ألم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها ؟ » .

ولقد جعلهم القرآن الكريم ظالمي أنفسهم من حيث انهم قد تخلوا عن انسانيتهم ، ولم يدافعوا عن شخصيتهم ، واستسلموا للسادة على انه لا إرادة لهم ، ولا عزة ولا كرامة .

ثم انهم بموقفهم هذا قد عرضوا أنفسهم لعقاب الله لهم ـ وهم بذلك قد ظلموا أنفسهم من حيث انهم وضعوها الموضع الذي تستحق من اجله العقوبة .

في قيمة العمل

وكانت الاداة الثانية وضع قيمة جديدة لانسانية الانسان كي تمارس بها الحياة في المجتمع العربي الجديد الذي يدعو القرآن الكريم الى تحقيقه على أساس من النظام الدقيق : الاسلام . هذه القيمة هي العمل ـ العمل الصالح الذي يصلح به حال العامل ، وحال المجتمع الذي يعيش فيه .

لقد كانت القيمة من قبل هي الثروة أو كثرة الاموال وكثرة الأولاد . وكان الذين يملكون ذلك يقولون فيما حكى القرآن الكريم عنهم : من أشد منا قوة ؟ كما كانوا يقولون فيما حكى القرآن الكريم أيضا عنهم : نحن أكثر أموالا وأولادا ، وما نحن بمعذبين .

ورد القرآن الكريم عليهم قيلهم هذا بقوله : « وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى »،« لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا » .

وذهب القرآن الكريم الى ما هو أبعد من هذا حيث جاء فيه ان الثروة سوف تكون اداة تعذيب بالنسبة لمالكيها حين لا ينفقونها في سبيل الله ـ سبيل المجتمع .

يقول الله تعالى :ـ (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم . يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ـ هذا ما كنزتم لانفسكم . فذوقوا ما كنتم تكنزون . . . . »

ليس المال ، وكثرة الاولاد ، هو الأداة في تقييم الانسان ، وانما هو العمل الصالح . العمل الذي به يصلح حال الفرد وحال المجتمع .

وانه من هنا كانت المسئولية في النظام الجديد فردية : كل نفس بما كسبت رهينة ، ومن عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها .

ويستوي في ذلك الذكر والانثى ، فكل واحد منهما مطالب بالعمل الصالح الذي به يصلح حال الفرد وحال المجتمع .

والقرآن الكريم هو الذي يقول : « من عمل صالحا من ذكر أو انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ، ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » .

ويقول المفسرون للقرآن الكريم : ان القرآن الكريم لم يذكر الايمان الا ومعه العمل الصالح .

العمل هو القيمة التي يقيم بها الانسان في الاسلام . « وقل : اعملوا ، فيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » ـ وصدق الله العظيم .

د . محمد احمد خلف الله

> إن الصورة يمكن أن تكون كريمة للغاية ، لأن الوجه الذي يظهر فيها يبقى كما هو ولا يتقدم به العمر ابدا . فالناس يتغيرون أما صورهم فتبقى على ما هي عليه ، وأنت ترى الناس كما تتذكرهم ! »



عيد العمال

مع صدور هذا العدد من العربي لشهر آيار ـ (مايو) يحتفل العمال في جميع أنحاء العالم بعيدهم السنوي . نحن لا نعرف عن قصة هذا اليوم ولماذا اختير ليكون عيدا للعمل والعمال ، أكثر مما تنقله الصحف عن الاحتفالات التي تقام في كل الدول الصناعية حيث يقف العامل في الصف الأول .

إن أول مايو هو اليوم الذي وقع عليه اختيار الاتحادات التجارية والأحزاب الاشتراكية والمنظمات العمالية بصفة عامة لاقامة احتفالات جماهيرية تكريما للعامل والعمل . وربما كانت ايطاليا هي الدولة الوحيدة التي منعت الاحتفال بيوم العمال عندما أفتى رجالها بأن الاحتفال بالتاريخ التقليدي لتأسيس « روما » العاصمة أهم وأجدى . .

كيف ولدت فكرة عيد العمال ؟

لقد بدت محاولات بعض الزعماء الاشتراكيين للربط بين عيد العمال ويوم أول مايو ، خيالية ، فقد كتب روبرت واين رجل الأعمال الانجليزي الاشتراكي في عام ١٨٣٣ يقول : « إن يوم أول مايو هو بداية الألف الثانية من سني التقويم الميلادي » .

ولكن ما علاقة هذا اليوم بالعمل والعمال ؟ لا أحد يدري ! فالثورة الصناعية لم تكن قد بدأت بعد مع بداية الألف الثانية .

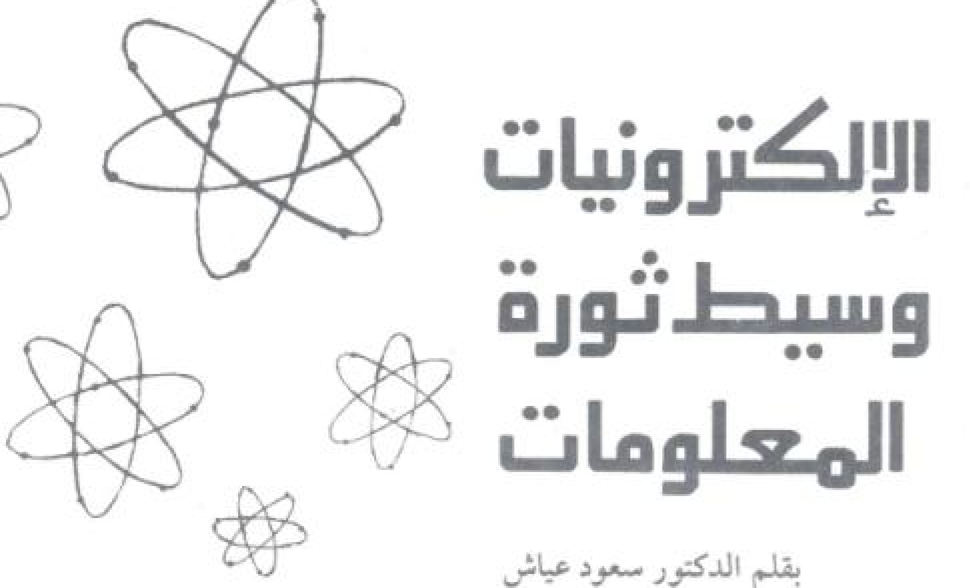
الثابت أن هذا اليوم . . يوم أول مايو لم يكن معروفا قبل عام ١٨٨٩ ، عندما اختار أول مؤتمر للحركة الاشتراكية الدولية الثانية ـ الذي عقد في باريس ، اليوم الأول من شهر مايو لاحتفالاتهم الدولية . في هذا المؤتمر تقرر ان يحصل العمال على عطلة في هذا اليوم مهما كان موقعه من أيام الاسبوع . وفي بريطانيا يقوم العمال باحتفالاتهم في أول يوم أحد بعد عيد العمال في اليوم الأول من شهر مايو . . أي أنه يوم عطلة في عطلة نهاية الأسبوع . . ولم يبدأ الانجليز احتفالاتهم به قبل عام ١٨٩٢ أي بعد قرار مؤتمر باريس بأربع سنوات .

وفي الولايات المتحدة الأمريكية يحتفلون به ولكن في شهر آخر بعد مرور أربعة أشهر على اليوم الأول من مايو . . في أول يوم اثنين من شهر سبتمبر من كل عام . . وكأنهم بهذا الفاصل الزمني يريدون أن يقولوا للعالم هذا هو الفارق بين الاشتراكية والرأسمالية . !

وكانت الدعوة للاحتفال به قد بدأت عندما خرج « فرسان العمل » في أعوام ١٨٨٢ و ٨٣ و ٨٤ في موكب كبير طاف بشوارع مدينة نيويورك ، حتى كان عام ١٨٨٤ عندما وافقت منظمة العمل على مشروع قرار يقضي باعتبار أول يوم اثنين من شهر سبتمبر ، يوما للعمال ، واتخذت الاجراءات للاعتراف به عطلة رسمية ، وساهم جميع العمال في كل المنظمات في هذه الحركة العمالية الجديدة .

واعترفت ولاية كلورادو بيوم العمال في سبتمبر ، وتلتها ولاية نيويورك ثم نيوجرسي وأخيرا ولاية ماساشوسيت ثم بقية ولايات الاتحاد . وفي يوم ٢٨ يونيو عام ١٨٩٤ أقر الكونجرس الامريكي مشروع قانون باعتبار يوم الاثنين الأول من شهر سبتمبر عيدا للعمال في امريكا .

في الاتحاد السوفيتي تتعطل الأعمال رسميا في اليوم الأول من شهر مايو . وفي الولايات المتحدة الأمريكية يعلن يوم الاثنين الأول من شهر سبتمبر عطلة رسمية . . والمناسبة واحدة . . انها عيد العمال . . ترى هل يكفي هذا الفاصل الزمني للتفرقة بين النظامين . !؟



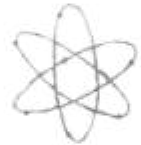
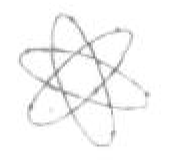
الإلكترونيات وسيط ثورة المعلومات

بقلم الدكتور سعود عياش

يمكن القول ان التطورات التي حصلت في علوم الالكترونيات وانتشار استخدامها بشكل واسع في مجالات حياتية متعددة يعتبر الظاهرة الاكثر اهمية وتأثيرا في الحياة المعاصرة . وتنحو الادبيات المتعلقة بظواهر تطور وانتشار استخدام الالكترونيات الى اطلاق لفظ او اصطلاح « ثورة الكمبيوتر » أو « ثورة المعلومات » لوصف مجمل الظواهر العلمية والاجتماعية التي يفرضها تطور عالم الالكترونيات . وتنحو ذات الادبيات الى النظر الى ثورة الكمبيوتر أو ثورة المعلومات على أنها من الأهمية بمكان بحيث يمكن مقارنتها بثورتين سابقتين في تاريخ الانسان ، وهما الثورة الزراعية والثورة الصناعية .

ان اصطلاح الثورة الصناعية مثلا ما زال شائعا في الكثير من الأدبيات المعاصرة ويستخدم للدلالة على مجمل التغيرات الجذرية التي حصلت على كافة الأصعدة الحياتية حين انتقل الانسان الى الطور الصناعي ، أي الى طور استخدام الآلة محل الجهد العضلي البشري ، أو مرحلة استخدام الطاقة المخزونة في الطبيعة محل طاقة اعضاء جسده ، أو اذا وضعنا المسألة بشكل أكثر شمولية ، حين تمكن الانسان من حمل الطبيعة على استغلال ذاتها وتقديم نتاج جهدها بشكل سلع وخدمات ومنتوجات لتلبية متطلباته المتزايدة .

وقد أدت كل من الثورات السابقة الى افراز عالم جديد يحمل العديد من التجسدات والخصائص والصفات المميزة للمرحلة الجديدة التي دخلها العالم . فالمرحلة الزراعية شهدت ظهور المجتمعات المستقرة المنتجة وبدء اختفاء الجماعات الراحلة والمتوحشة . وشهدت ذات المرحلة ظهور الكتابة والعلوم والمعارف وتشييد الانجازات المعمارية الضخمة . أما المرحلة الصناعية ، والتي بدأت منذ ثلاثة قرون تقريبا ، فقد أحلت الآلة محل الجهد البشري وأفرزت التجمعات السكانية الضخمة وأنظمة الاتصال والمواصلات الواسعة والمعقدة وأحدثت ثورات في مجالات الاقتصاد والعلوم والفلسفة . وفي الوقت الراهن ، يدخل العالم مرحلة جديدة تتميز بالاستخدام المكثف لمنتجات ثورة الالكترونيات .

الالكترونيات والمعلومات :

لا بد من التأكيد بداية على أن ثورة الالكترونيات مسألة تختلف عن ثورة المعلومات رغم العلاقة الوطيدة بينهما فالثورة في عالم الالكترونيات تشير الى التطورات العلمية والتكنولوجية في مجال انتاج الأدوات والعناصر الالكترونية وتطور علومها وتعدد استخداماتها وشيوع استعمالها . وأما ثورة المعلومات فانها تشير الى ظهور أهمية نظم المعلومات ومعالجتها وسرعة نقلها وخزنها واستعادتها وجعلها في متناول القطاع الأوسع من المجتمع واكتساب كل ذلك أهمية أساسية في حياة المجتمعات البشرية ورقيها الحضاري . لكن ، رغم الفارق بين المفهومين والاصطلاحين سالفي الذكر ، إلا أن ترابطهما الوثيق ينبع من حقيقة أن الالكترونيات هي الوسط الأكثر ملاءمة لاحداث ثورة المعلومات ، وانه بدون تطور الالكترونيات لما أمكن تحقيق ثورة المعلومات المعاصرة

ولو قمنا بمقارنة لتقريب وتوضيح الصورة لقلنا ان الكهرباء هي أكثر أشكال الطاقة ملاءمة للعصر الصناعي من تاريخ المجتمعات البشرية . ذلك أنها تتمتع بالعديد من المميزات والخصائص التي تتلاءم واحتياجات العصرية سواء في مجال الانتاج الصناعي أو توفير متطلبات الراحة المنزلية . وعلى نفس الشاكلة تمكن النظر الى وسائط النقل الجوي باعتبارها أفضل الوسائط للنقل البعيد السريع وكما الكهرباء والطائرات بالنسبة للعصر الصناعي كذلك الالكترونيات بالنسبة لعصر المعلومات القادم حيث تشكل المنتجات الالكترونية أفضل الوسائل للتعامل مع المعلومات من حيث معالجتها وخزنها ونقلها . لكن ، جرت العادة حين الحديث عن مراحل محددة في تاريخ المجتمعات البشرية أن يجري وصفها بالانجاز التكنولوجي الرئيسي الذي يعطي المرحلة المذكورة سماتها الأساسية ولذلك فما زالت الأدبيات المختلفة تستخدم اصطلاحات مثل العصر الحجري والعصر البرونزي وعصر الكهرباء وعصر الذرة . وفي المرحلة المعاصرة تحتل الالكترونيات موقعا مهما في تحديد التطورات الحاصلة والفاعلة في حياة المجتمعات مما يجعلها صفة ملائمة لعصرنا الراهن

ثورة الالكترونيات :

لاتخفى أن عالم الالكترونيات يشهد ثورة . فمن جانب ، هناك تطور هائل في علوم وتكنولوجيا الالكترونيات يتجسد في تطورها السريع وفي توسيع علومها ومعارفها . وقد حصلت هذه التطورات في فترة زمنية قصيرة جدا بحيث ان الذين قاموا بتطوير حلقاتها الاولى ما يزالوا على قيد الحياة وقد شهدوا القفزات الواسعة التي حققتها هذه التطورات . ومن جانب آخر ، تتجسد هذه الثورة في سيل متدفق من المنتجات الالكترونية يكاد يطغى على الساحة الاقتصادية . وعلى سوق السلع والبضائع بأنواعها المختلفة بحيث يندر أن يفكر المرء بأي نتاج صناعي دون أن يجد للالكترونيات فيه مكانا . هذا بالطبع اضافة الى سيل مستقل من المنتجات غير المعهودة في السنوات السابقة والتي ما كان لها أن توجد لولا ثورة الالكترونيات .

ان ثورة الالكترونيات هذه تسم مرحلة جديدة من تطور المجتمعات البشرية تستند على الدور المتعاظم الأهمية لنظم المعلومات . تلك الأهمية التي ما كان لها أن تتحقق بدون تطوير الوسائط الملائمة لها . وعلى ذلك فان اصطلاح ثورة الالكترونيات يصف ظاهرة اجتماعية جديدة ذات طابع شمولي ومؤثر على كافة الأصعدة والمستويات الاجتماعية ، وتؤذن ببدء مرحلة جديدة من تاريخ الانسان لها من الاهمية ما للثورات السابقة ، كالثورة الزراعية والصناعية ، من أهمية وافرازات وتحديات .

اذا حاولنا القيام بمقارنة بين الثورة الصناعية مثلا والثورة الالكترونية ، فانه يمكننا تحديد ثلاثة اختراعات شكلت منعطفات أساسية في تاريخ الثورة الصناعية يقابلها ثلاثة اختراعات (حتى الآن) شكلت منعطفات أساسية في الثورة الالكترونية . فبالنسبة للثورة الصناعية فان اختراع الآلة البخارية ثم ادخال سكك الحديد وبعد ذلك تطوير السيارة وتوليد الكهرباء شكلت معالم بارزة في الفترة الممتدة من أواسط النصف الثاني للقرن الثامن عشر الى أواسط القرن العشرين . ومقابل ذلك فان اختراع

الترانزستور في أواخر الأربعينات ثم تطوير الدوائر المتكاملة في أواخر الخمسينات وظهور المعالجات الدقيقة في أوائل السبعينات شكلت المعالم البارزة للثورة الالكترونية . بالطبع ، هناك نقاشات واسعة حول اذاما كانت الثورة الالكترونية تعد بالمزيد من التطورات التثويرية أم أن تكنولوجيا الالكترونيات قد بدأت بالوصول الى آفاقها النهائية ، ناهيك عن النقاش الدائر حول حاجة العالم الفعلية للمزيد من التطور الالكتروني أم أنه يملك ما يكفيه منها . لكن تبقى هناك حقيقة أساسية وهي أن العالم قد دخل مرحلة جديدة من تطور المجتمعات البشرية .

دعونا نلاحظ مما تقدم طول الفترة الزمنية التي احتاجتها الثورة الصناعية كي تكتمل مقوماتها التكنولوجية كما نعرفها اليوم ، تلك الفترة التي امتدت على مدى أكثر من قرنين من الزمن ، وبالمقابل القصر النسبي للفترة الزمنية التي احتاجتها الثورة الالكترونية . بالطبع ، هناك فارق مماثل بين الفترة التي احتاجتها الثورة الزراعية حتى اكتملت مقوماتها وانتشرت في المناطق الرئيسية (حوالي ثلاثة آلاف عام) وبين ما احتاجته الثورة الصناعية كي تنتشر في مراكزها الرئيسية . نود الوصول من هذه المقارنة الى حقيقة أن تطور التكنولوجيا والمعارف عموما يتسارع بدرجة عالية بحيث يصعب حتى على المختص متابعة ما يحصل في حقله العلمي ، ناهيك عن قدرته على الاستجابة لهذه التطورات . ويصدق هذا القول على المجتمع بشكل عام ، ذلك أن استجابة المجتمعات للمؤثرات الداخلية أو الخارجية عادة ما تكون أبطأ من استجابة الأفراد كل على حدة . ويشكل هذا الجانب من الثورة الالكترونية المعاصرة أحد التحديات التي ستواجهها العديد من المجتمعات ، بما فيها المجتمعات الصناعية المتقدمة ، ذلك أن أي منعطف تكنولوجي أساسي لا بد أن يفرز تأثيراته على البنى الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية . وسيتطلب الأمر من المجتمعات التي ستتعرض لتأثيرات الثورة الالكترونية (وهل سينجو منها مجتمع ؟) سرعة الاستجابة لما ستفرزه من تغيرات عملا على الحفاظ على توازنها العام ، أو الخضوع للتغيرات القسرية .

اذن ، يمكننا الاشارة الى جانبين تقنيين من الثورة الالكترونية هما سرعة تطور تكنولوجيا الالكترونيات نفسها وسرعة انتشارها في التطبيقات والاستخدامات المختلفة ، وهو الأمر الذي يتجسد في طوفان من السلع الالكترونية تلائم كل ذوق ومستوى ، وتلبي مختلف الرغبات وتخدم العديد من الحاجات والأغراض .

الجذور الموضوعية لثورة المعلومات :

ثورة الالكترونيات المعاصرة وما يرافقها من تثوير لنظم المعلومات ليست وليدة الصدفة ولا هي جزء من مخطط لمجموعة من الأخيار أو الأشرار كما أنها ليست من نسج خيال عبقري . هذه الثورة ظاهرة علمية ـ تكنولوجية ضمن بعدها الاجتماعي ، بمعنى أن العلم والتكنولوجيا تشكل مقوماتها الأساسية وتزودها بما تحتاجه من معارف وخبرات ضمن بيئة اجتماعية تحتضن هذا الاخصاب العلمي ـ التكنولوجي وتقدم له الأبعاد والمقومات الأخرى الضرورية لتشكيل الوليد القادم . ولا يخفى أنه لو لم تكن هناك حاجة وضرورة لتطوير تكنولوجيا الالكترونيات لتخدم كوسيط لثورة المعلومات لما حصلت التطورات التي نشهدها أو ـ في أسوأ الظروف ـ لما جرى الربط بين ثورة الالكترونيات وثورة المعلومات .

من الجدير بالملاحظة مثلا أن اختراع الترانزستور الذي شكل المنعطف الأساسي الأول في ثورة الالكترونيات لم يكن بهدف استخدامه لأغراض الحاسبات الالكترونية ، بل لاستخدامه في مقسمات الهواتف بدل المفاتيح الميكانيكية والكهربائية . غير أن خصائص الترانزستور جعلت منه نتاجا ملائما للاستخدام في المنتجات الالكترونية بما فيها الحاسبات . وأما السرعة التي تم فيها تطوير النتاجات الأساسية اللاحقة فهي خير دليل على توفر الامكانات العلمية والتكنولوجية للقيام بذلك ودليل على استعداد المجتمعات البشرية ، أو بعضها ، على تقبل واستخدام مثل هذه النتاجات . وبكلمات أخرى ، فان الظروف الموضوعية التي تعيشها المجتمعات البشرية ، خاصة المتقدمة منها ، تفرز ضرورات الحاجة الى الوسائط الالكترونية . وفي هذا السياق يمكننا الاشارة الى مجموعة من العوامل التي مهدت وتمهد السبيل لثورة المعلومات :

١ ـ ان المعارف والمعلومات البشرية قد ازدادت بشكل كبير كما ونوعا بحيث أصبحت معالجة هذه المعلومات أمرا عسيرا ويزداد صعوبة ، وأصبح وجود الآلة القادرة على معالجة المعلومات مسألة ضرورية . فمن جانب نشأت الحاجة مع تطور العلوم الى العمليات الحسابية المعقدة التي يمكن للآلات أن تقوم بمعالجتها أسرع من الانسان وبدقة أكبر دون كلل أو ملل . ومن جانب آخر ، فان كمية المعلومات التي يجري توليدها تتزايد بشكل كبير مما يجعل وسائط خزنها وتجميعها التقليدية غير فعالة وعاجزة عن توفير متطلبات التجميع والتخزين .

٢ ـ تطور قطاع واسع من الاقتصاد يعتمد على معالجة المعلومات وخزنها ونقلها واستعادتها ، وعادة ما يعرف هذا القطاع باسم قطاع الخدمات . ويحتوي هذا القطاع على الفعاليات البنكية والتأمين والمواصلات والاتصالات والتعليم والصحة . وفي كل هذه الفعاليات تشكل نظم المعلومات ركنا أساسيا فيها ويعمل ملايين الأفراد في معالجة المعلومات وتوفيرها سواء للجمهور بشكل عام أو لاتخاذ القرارات . وعلى سبيل المثال ، فان العاملين في القطاع البنكي يتعاملون مع ملايين الحسابات والأرقام التي يتوجب عليهم معالجتها من حيث نقل الأرصدة وتحضير الحسابات ومراقبة أسعار العملات ومتابعة الاستثمارات وخدمة الزبائن . وكما البنوك كذلك المدارس والمعاهد والجامعات التي تقوم بمهمة تقديم المعلومات للأفراد لتحضيرهم وتأهيلهم للدخول إلى مجتمعات تشكل نظم المعلومات ركنا أساسيا منها .

٣ ـ كبر حجوم الوحدات الاقتصادية والاجتماعية وازدياد تشابك وتعقد علاقاتها الداخلية وازدياد اعتمادها على سهولة نقل وتحرك المعلومات بين أطرافها . فالدول الكبيرة تحتاج الى أنظمة مواصلات واتصالات معقدة لتأمين انتقال الأفراد بيسر وسهولة من منطقة الى أخرى وداخل المدن ، كما أنها بحاجة الى شبكات معقدة من الهواتف وأجهزة الاتصالات الأخرى الضرورية لتعامل الأفراد مع بعضهم البعض والضرورية لدفع عجلة الحياة الاقتصادية . وتشير بعض الدراسات على سبيل المثال أنه لو لم يتم تطوير أنظمة النداء الهاتفية الآلية فان شبكة الهواتف الامريكية الحالية كانت ستحتاج الى كل الاناث الأمريكيات العاملات من أجل تقديم خدمات ايصال المشتركين مع بعضهم البعض .

لو نظرنا الى بعض الشركات العملاقة في العالم التي تقوم بتشغيل مئات آلاف الأشخاص وتنتشر عملياتها الاقتصادية في قارات العالم المختلفة ويبلغ حجم تعاملها المالي آلاف ملايين الدولارات ، فان مثل هذه التشكيلات الضخمة لا يمكن ادارتها بكفاءة وربط أجزائها معا بفعالية دون توفر أساليب تسهل من نقل المعلومات في كافة الاتجاهات لتمكين الادارة من التخطيط المستقبلي واتخاذ القرارات الملائمة بالسرعة المطلوبة ، أو تمكين الادارة المالية في الشركة من تحضير الحسابات ودفع الرواتب وعمل الميزانية السنوية وغيرها .

٤ ـ ان المرحلة الصناعية التي أحدثت ثورة في علوم ومعارف الانسان وراكمت أهراما منها في مختلف المجالات ، والتي أفرزت قطاعا اجتماعيا متميزا يقوم على معالجة المعلومات والتعامل بها ، والتي أفرزت التشكيلات الاقتصادية والاجتماعية الضخمة وذات العلاقات المتشابكة والمعقدة ، هي نفس المرحلة التي أحدثت التطويرات التكنولوجية الملائمة واللازمة لتطوير الوسائط الضرورية لثورة المعلومات . ان تطوير العناصر والبنى العلمية والتكنولوجية مثل الترانزستور والدوائر المتكاملة ونظريات النظم والتحكم والشبكات المعقدة يعود الفضل فيها الى ديناميكية التطور الصناعي الذي أوصل الانسان الى القمر ، غير أن ذات هذه الانجازات قد شكلت في نفس الوقت عناصر تطوير الوسائط الملائمة لمجتمع المعلومات الذي يتبلور تدريجيا .

مجتمع المعلومات :

يستخدم اصطلاح « مجتمع المعلومات » للدلالة على الخصائص المميزة للتشكيلات الاجتماعية التي ستفرزها الثورة الالكترونية . وفي المجتمعات القادمة ستؤدي سهولة نقل ومعالجة المعلومات الى احداث تغييرات جذرية في العديد من الاطر والبنى الاجتماعية وفي العلاقات والقيم والمفاهيم الاجتماعية . وسيكون لكل هذا أن يفرز تغيرات وأنماطا جديدة من التعامل تبدو غريبة ومستهجنة بالنسبة لنا . ولنتصور مثلا أننا لن نلجأ مستقبلا الى شراء جريدة أو مجلة أو كتاب بل سندفع اشتراكا يمكننا من استخدام جهاز التلفزيون لقراءة الجريدة أو المجلة ومطالعة الكتاب الذي نرغب في مطالعته . ولنا أن نتصور مثلا أن الموظف الذي يقضي نهاره في طباعة الرسائل والكتب بشركته سيكون باستطاعته الاتصال من بيته مع زملائه أو مديره وأخذ التعليمات المطلوبة ليقوم بعدها بأداء المطلوب منه وارساله عبر شبكة أسلاك الهاتف الحالية أو شبكة جديدة الى الكمبيوتر في الشركة حيث يقوم بطباعة الرسائل أو تحضير قوائم الحسابات .

الحقيقة ، أن المجتمعات المعاصرة قد طورت نظما عديدة تقوم على معالجة المعلومات ونقلها ليس الا ، وأن هذه النظم تتعرض لهزة عنيفة لن تقتصر آثارها على قطاع مهني دون آخر بل ستمتد لتشمل كامل التشكيلة الاجتماعية وعلاقاتها الداخلية . وحول هذا الموضوع لنا حديث قادم . ▢

د . سعود عياش
معهد الكويت للأبحاث العلمية

الصغار يزحفون

من يتعلم في هذا العالم ؟

قد يبدو السؤال ساذجا ولكن وسط خريطة تضم الفقير والغني . الطفل والكهل . المتقدم والمتخلف . المستقل حديثا والمستقل قديما . وسط هذه الخريطة يصبح السؤال هاما لأنه ـ وببساطة ـ يعكس كل المتغيرات التي عاشها العالم خلال حقبتين من المعارك السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي صحبت أو أعقبت الاستقلال للكثير من الدول النامية ، التي استقرت فيها احوال الكثير من الدول الصناعية بعد ان ذهب اثر الحرب العظمى .

المقارنة ـ اذا شئنا ـ بين بداية الستينات ونهاية السبعينات . . والبداية قد تكون مفزعة . . خاصة اذا اخذنا أبسط اشكال التعليم وهو تعلم القراءة والكتابة .

تقول أرقام اليونسكو التي سجلها البنك الدولي في آخر تقرير له ـ ان نصف الفقراء والذين تضمهم (٣٣) دولة منخفضة الدخل ، لايعرفون القراءة والكتابة . وتقول نفس الأرقام ـ وهي تقارن بين عامي ١٩٦٠ / ١٩٧٧ ان ثلث الكبار من الدول الـ (٦٣) متوسطة الدخل ، لايعرفون القراءة ايضا .

صحيح أن النسبة قد ارتفعت في المجموعة الأولى من ٣٦ ٪ الى ٥٠ ٪ . . وفي المجموعة الثانية من ٤٩ ٪ الى ٦٦ ٪ ، غير أن نسبة الذين فقدوا وسيلة الاتصال بالعالم وبالمعرفة ـ الا عن طريق الكلمة المنطوقة او المرئية ـ مازالت نسبة عالية ، خاصة اذا اتفقنا ان الكلمة المكتوبة مازالت لها اليد الطولى في نقل المعرفة .

وبالطبع فان الصورة في العالم المتقدم شيء مختلف ـ حيث تبلغ نسبة المتعلمين من الكبار (وهم من تجاوزوا خمسة عشر عاما) ٩٩ ٪ ممن هم في هذه السن في الدول الصناعية ذات الاقتصاد الحر ، و ١٠٠ ٪ في الدول الصناعية الاشتراكية . . . و . . . لاتطور يذكر خلال الحقبتين السادسة والسابعة لأن المجموعتين قد بلغتا نفس المستوى على وجه التقريب منذ وقت مبكر .

واذا كانت الصورة للكبار على هذا النحو في العالمين : النامي والمتقدم ، فان الصورة تختلف عندما نتجه لقطاع الأطفال الذي يشهد تطورا مثيرا في العالم الثالث .

ووفقا لنفس الاحصاءات فقد ارتفع المسجلون بالتعليم الابتدائي ـ ممن هم في عمر هذا التعليم ـ من ٧٦ ٪ عام (١٩٦٠) في مجموعة الدول منخفضة ومتوسطة الدخل الى ٩٤ ٪ في الدول منخفضة الدخل و ٩٧ ٪ في الدول متوسطة الدخل عام ١٩٧٩ .

الصغار اذن يزحفون ، ويقللون هوة التفاوت بين الأغنياء والفقراء . . عن طريق كلمة مكتوبة يتلقونها في المدرسة . بل انهم في ـ زحفهم ـ يسجلون أمرين : ـ

الأول : ان مقياس الفقر والغنى ليس المقياس الحاسم في ولوج باب التعليم ، وبخلاف الصورة العامة التي تجعل « عموم الفقراء » يقتربون من « عموم الأغنياء » فان الصورة الداخلية في نفس المجموعة تؤكد الظاهرة ولا تنفيها . . .

داخل الدول النامية هناك ثلاث مجموعات دولية وفقا لتقسيم البنك الدولي ـ هناك منخفضو الدخل ومتوسطو

والنساء يتقدمن

محمود المراغي

الدخل . والبلدان المصدرة للنفط مرتفعة الدخل . وبينما كانت نسبة المسجلين بالتعليم الابتدائي عام ٧٩ : ٩٤ ٪ ، ٩٧ ٪ على التوالي للمجموعتين الأولى والثانية ، فان النسبة في المجموعة الثالثة ـ والاكثر ثراء لم تتخط (٨١ ٪) . صحيح أن دول النفط قد قفزت في مجال التعليم ومثلت النسبة الأخيرة ثلاثة أضعاف ما كان عليه الحال عام ١٩٦٠ . ولكن تبقى الظاهرة صحيحة وهي أن

الثراء والفقر لم يكونا العنصر الحاسم في ولوج باب التعليم .

الأمر الثاني : ـ الذى سجلته أرقام الدول النامية التي ترك الاستقلال ـ كما يبدو ـ بصماته على الاتجاه للتعليم فيها . أنها قد شهدت بوادر ثورة نسائية دفعت بالاناث الى مجال التعليم بمعدلات لم تعرفها هذه الدول من قبل .

وطبقا للأرقام فان تسجيل الاناث في المدارس الابتدائية للدول منخفضة الدخل قد ارتفع من ٣٤ ٪ ممن كن في عمر المدرسة عام ١٩٦٠ الى ٨٤ ٪ عام ١٩٧٩ ، وهي قفزة لم يشهدها الذكور بطبيعة الحال حيث كانوا قد سبقوا بالفعل .

واذا كان التعليم الابتدائي يبرز هاتين الحقيقتين اللتين تتصلان بتطور المجتمع فيما بعد الاستقلال ، فان التعليم الجامعي يعكس ـ على الأرجح ـ مأساة الفقر والتخلف . ففي عام ١٩٧٨ لم يتجاوز الذين التحقوا بالتعليم العالي (ممن هم في سن ٢٠ / ٢٤) أكثر من ٣ ٪ في الدول منخفضة الدخل و ٦ ٪ في الدول النفطية ذات الدخل المرتفع و ١١ ٪ في الدول متوسطة الدخل .

ويمكننا ان نقارن ونقول : « وكانت النسبة في الدول الصناعية ٣٧ ٪ في العالم الغربي و ٢٠ ٪ في العالم الاشتراكي ، وكلتا النسبتين تتجاوز كثيرا نسبة التعليم العالي في العالم الثالث .

قد يكون التفسير فقر الفقراء وغنى الأغنياء ، لكن ثمة تفسير آخر لا بد أن تدرجه ، وهو ضيق مجالات العمل والنشاط الاقتصادى الذى يمكن ان يتقبل الخريجين في العالم الثالث .

ولا يغنينا ذلك عن ملاحظتين . . . . .

الملاحظة الاولى : ان نسبة التعليم العالي في الدول المتقدمة تثبت ان حاجة هذه الدول للجامعيين تتزايد ، وليس ـ كما قيل ـ ان عماد العمالة الفنية سيكون من طبقة المشرفين وبما يجعل الاقبال على التعليم العالي يتراجع .

الملاحظة الثانية : ـ انه وسط هذه المؤشرات العامة توجد القاعدة والاستثناء . . وتسجل الدول النفطية اكبر قفزة في التعليم الابتدائي خلال فترة المقارنة (من ٢٨ ٪ الى ٨١ ٪) . وتسجل الكويت في التعليم العالي نسبة ١٢ ٪ . مقابل ٦ ٪ للدول النفطية عام ١٩٧٨ ، و ١ ٪ فقط ممن هم في سن المرحلة عام ١٩٦٠ ، ايضا : تسجل الصين استثناء بارزا حيث يدخل مدارسها الابتدائية ١١٨ ٪ ممن هم في سن المرحلة . . . وتسجل العديد من الدول الافريقية نسبة أمية عند الكبار تزيد عن ٩٠ ٪ .



القاوقجي
بطل نسيناه

بقلم صلاح البزري

ما عرفت من رجال الجهاد في البلاد العربية رجلا عقه قومه العرب في مختلف أمصارهم كفوزي القاوقجي ، المجاهد الذي روى بدمه بطاح القطر السوري في العشرينات ، والقطر الفلسطيني في الثلاثينات والاربعينات والقطر العراقي في الأربعينات من هذا القرن .

أعاد التاريخ نفسه ، فطارق بن زياد مات في شوارع دمشق متسولا والهوام تعلوه من مفرقه حتى أخمص قدميه . وغاب حتى عن التاريخ الفاتح موسى بن نصير ، فما يدري أحد ما صار إليه أمره ، ولقد نشرا راية العروبة والأسلام فوق شمالي افريقية والقارة الأوربية ، فسرت فيها تلك النفحة الحضارية التي بدلتها من أمم تنحدر نحو أعماق التوحش والخراب الى أقوام تتطلع نحو أنوار المعرفة يحملها العرب على بريق سيوفهم . وصاحبنا مات وقد خصصت له أمته راتبا تقاعديا بحدود مائة وثمانين ليرة سوريه . أي أقل من عشرة دنانير كويتية . ولست أدرى إن كانت زوجه تتقاضى الثماني والعشرين ليرة سورية ، مخصصها الشهرى ، وفيما إذا كانت ابنته سورية ، قاطنة اللاذقية ، تتقاضى المائة والثلاثين ليرة سورية ، وهو المبلغ الذي خصص لها بعد موت ابيها .

والآن ، وقد فرغنا من طحن السحام ، ولقد أضحى هذا ديدن العرب من مشارقهم إلى مغاربهم ، ومن صبحهم إلى مسائهم ، فلننتقل الى صفحات أكثر بريقا وأشراقا ، صفحات معجزة لا يخطها إلا من آمن بقومه فجعل من شبابه وكهولته أيام كفاح متواصل ضد المستعمرين الفرنسيين والأنكليز وضد الصهيونية ، غرستهم السامة في شرقنا العربي .

مولد البطل !

لم أعثر على مرجع يعطي تاريخ مولد بطلنا بدقة . وأظنه ولد في مطلع التسعينات من القرن الماضي ، وتخرج من الكلية الحربية في الأستانة عام ١٩١٢ . ولقد تبين من استقراء ماضيه ، ومن أحاديثي معه ، أنه تربى تربية دينية في كنف والده الشيخ الطرابلسي الشامي . ولقد أمده الله ببسطة في الطول ، وبرجولة أخاذة ، وبذكاء عصبي ، وحب للمغامرة وإيمان لا يتزعزع بحسن طالعه ، وبتلك الحاسة التي لا يمكن وصفها والتي تميز قادة التاريخ .

إنه نسيج وحده ، فلقد استهل حياته بمغامرات أسطورية . إذ كان يذهب وبضعة نفر من رجال الجيش يقتحم مضارب العربان لفرض النظام ومنع الغزو والسطو فيما بين قبائلهم . ولقد أقدم ، وهو الضابط الحدث ، على عمليات غاية في الجرأة ، بسط بعدها نفوذ القانون وهيبته على أصقاع ما أظن أن النظام عرف إليها سبيله على مر القرون . ولقد كان خلال الحرب العالمية الأولى مثال الضابط المغامر ، فلم تنته الحرب إلا وكان قد رفع إلى رتبة نقيب ، والرتب حينذاك ما كانت تعطى جزافا ، ووصول صاحبنا إلى ما وصل اليه وهو في العشرينات من سنيه كان يعد شيئا خارقا قد لا يفهمه من يعيش الآن زمن تضخم الرتب والقيم .

لا غرو أن استرعى هذا الضابط المغامر أنظار من كانوا يتآمرون على الدولة العثمانية من داخلها ومن خارجها . لقد فتح عينيه على الدنيا والسلطان عبد الحميد يكاد يهوي عن عرشه لجهله واستبداده ، ولتآمر الأستعمار الأوروبي وبالأخص الصهيونية العالمية التي دفعت رجالها للانضمام الى حزب الاتحاد والترقي ، الطوراني المتعصب ، وإذ شرعت تؤلب اقوام الأمبراطورية على بعضها بعضا ، وجرتها من ثم إلى الحرب العالمية الأولى ، خرجت منها أشلاء ، فكان من السهل الهين تلقفها الواحد والآخر ، وكأن عهد الصليبيين قد عاد بوجه كالح بغيض ، يختبيء وراءه ذلك اللص الزنيم يرفرف بجفنيه وقد خرج لتوه إلى النور .

الاحتلال الفرنسي

لم يرق لبطلنا أن ينتقض العرب على دولتهم وينضووا تحت بنود الأنجليز ، خصوصا وإن الاجتماعات التي حضرها قبل الحرب في الموصل واثناء الحرب في سورية ، تلك الأيام ، كانت اجتماعات كلام بكلام ، لا تبرر ما حسبه القاوقجي انتقاضا ، وخيانة للدولة والدين . ولقد نظر اليه الأتراك المهووسون بطورانيتهم بتوجس وقلق ؛ لأنهم يعرفون ما يتوونه لضابط عربي لامع يخشون انقلابه عليهم . ولم يحمه من شر هؤلاء وأولئك إلا الألمان الذين رأوا فيه ضابطا خارقا ، استهوتهم شجاعته وبراعته في الميدان فقربوه وحارب معظم الوقت إلى جانبهم .

إنهارت الدولة العثمانية وقد حسب صاحبنا أن قدره أضحى في صفوف أبناء قومه في الجيش الفيصلي . سراب أعقبه احتلال فرنسا لسورية متذرعة عليها للأخذ بيدها في معارج الأستقلال . . . وثمة للمسرحية فقد أنشأ الفرنسيون قطعات سورية ادعوا أنها نواة جيش المستقبل عندما تبلغ سورية رشدها فتستقل . وانما أرادوها إحتلال البلد بأبناء جلدته ، فصاحب البيت ادرى بالذي فيه . ولقد انخرط فوزي القاوقجي بهذه القطعات وكان الضابط الوحيد الذي احتفظ له برتبته كنقيب ، بينما أنزلت رتب زملائه كافة إلى رتبة ملازم ثان مهما كانت رتبهم في الجيش التركي .

عرفته بمطلع العشرينات في حماه ، وكان أخوه يحيى زميلي في الصف طيلة ثلاث سنوات . كان يتردد على والدي ، الذي كان في القضاء ، وكنت أراهما يقفان للصلاة في الصف الأول من مسجد الشيخ مسعود . ولكم رأيته يحضر مجلس الفقيه الشيخ سعيد الجابي ، وهو برداله العسكري ، ناصع البياض . كانت تتنازعني نحوه عاطفتان ، عاطفة تقدير لتدينه ولشفافية وفرط أدب أخيه يحيى الذي كان يجلس إلى جانبي ، وعاطفة لا أستطيع اليوم وصفها . وذلك لوقوفه إلى جانب المستعمر المحتل . وانقضى الأمر في مطلع تشرين الأول من عام ١٩٢٥ ، وبدأ فوزي القاوقجي ربع قرن من المجد لا يعلو عليه مجد آخر .

حرب لا ثورة

بدأ حربه (١) للفرنسيين وهو على رأس نفر ما تعدوا المائة محارب . سلاحهم البندقية الصدئة ، وفرنسا آنذاك مليكة البر كما كانوا يدعونها لوفرة جيوشها وعظم تسليحها . وقد دوخ المستعمر وأذنابه ، فتارة هو في غوطة دمشق ، وطورا هو في جبل الزاوية ، وبينهما مفازة مكشوفة طولها أربعمائة كيلومترا . ينازل الفرنسيين ومن تطوع في صفوفهم بأعداد ما تناهت الى عشر تعداد العدو بله أسلحته وذخائره التي لا تنضب ، وهو ورجاله يكادون أن يكونوا بمفهوم القتال عزلا .

انتهت المعارك بوعد خلب أعطاه الفرنسيون للفت في عضد المجاهدين . فقصد صاحبنا مملكة نجد والحجاز ، وكانت حينذاك ومؤسسها الملك عبد العزيز موئل احرار العرب ومحط آمالهم في تحرير أوطانهم . ولقد نبا به مقامه لأنه ما وجد هنا لك الجو المثالي الانساني الذي يتوائم مع روحه الوثابة وأهدافه في تحرير قومه في سورية الشمالية ، وسورية الجنوبية . فقصد العراق ، وقد أعطى هذا البلد آنذاك صبغة استقلال ، وحظي بعضوية عصبة الأمم . ولقد حسب فوزي القاوقجي أن طريق التحرر فتح أمامه ، والعراق قاعدته ، فما تردد عن ولوجه .

قضى أعوامه في العراق يحضر دون توان لاستئناف القتال في سوريّة وفي فلسطين وقد بلغ فيها السيل الزبي . اليهود الصهاينة تحميهم حراب الأنكليز يقضمون البلد قطعة قطعة دونما اعتبار لأبسط القواعد الأنسانية . إله ما ادرى كنهه يعبدون ، وعدهم بارض لا يملكون ، وقد أباح لهم ذبح أهلها نساء وشيوخا واطفالا ، يبقرون بطونهم ويرمونهم في العراء . لقد عادوا لتوراتيهم ، وأضحى كل سفاح منهم يرى في شخصه نبيا من آخر طراز .

---

(١) اصطلح الناس على تسمية حروب الأستقلال العربية بالثورات . والناس تثور على الحاكم وتحارب العدو الغاصب المحتل .

في فلسطين

لم يك فوزي القاوقجي يكره حياة المسرات وحياة الدعة . وكان في بغداد محط الأنظار ، رغم الرتبة الدنيا التي أعطيت له في الجيش للتدريب في الكلية العسكرية . ترك كل هذا وذهب إلى فلسطين عام ١٩٣٦ ، يؤجج ثورتها على المحتل والغاصب . وفي خلال أيام أضحى اسمه صنو الجهاد الصادق وصنو الصمود والظفر . ومرة اخرى يلوح المستعمر بارجاع الحقوق الى أهلها وتشكيل لجان تحقيق لهذا الغرض ، فيأتمر العرب ويقرروا القاء السلاح . وبعد فالحرب وقودها الناس والمال والسلاح ، وهذا يعني الالتزام أمام الشعب العربي في مختلف أقطاره ، والالتزام عبء ، وخير من هذا وذاك سلام مصطنع يوفر الجهد والمال ويحفظ الكرسي والجاه ، والأساس هو ألا نغضب السيد المستعمر .

يعود صاحبنا إلى العراق ، فلا يعتم أن يبلغ بنفيه إلى كركوك جزاء وفاقا لجهاده . ولقد امتشق السلاح مرة اخرى في حرب رشيد عالي عام ١٩٤١ ، فصال وجال في أتون حرب غير متكافئة ، وفي الشعب العراقي من ربط مصيره بمصير الأستعمار . ولقد جرح جروحا بليغة الله وحده يعلم كيف شفي منها

ولقد قضى بقية أيام الحرب العالمية الثانية في ألمانيا . فلم يتبذل ولم يترام على الألمان قبل أخذ العهد الصادق باستقلال أمته العربية جميعها . ولقد امتنع عن السير بركاب هتلر لأن النازيين ما كانوا على استعداد لأعطاء عهد قاطع للعرب بالاستقلال التام لأن لهم أطماعهم وقد اشرأبت لأبعد الحدود بعد الانتصارات الباهرة التي حققوها في أول سني الحرب .

جيش الانقاذ

عاد فوزي القاوقجي إلى بلاده ، وقد نيف على الستين . ولم يعتم إلا وأخذ مكانه في خط النار . قاد جيش الانقاذ ، الجيش العربي الوحيد الذي سجل انتصارات باهرة بأعداد وأسلحة رمزية . كان وجود فوزي القاوقجي وحده ، يدير المعركة ، يكفي لكهربة الجو وبعث الحماس في منطوعة جيشه . وكانت فطرته العسكرية والحاسة المميزة له تمليان عليه التحركات قبل وأثناء المعركة فيخرج منها دوما بأروع النتائج .

هذا موجز مركز أملاه المقام . وبعد فانه ليعجزني أن أحيط بجهاد ربع قرن لرجل فذ كفوزي القاوقجي

بقي أن أذكر لماذا قوبل هذا البطل بما قوبل به وانه الأهمال السبب الرئيسي أن بطلنا نزعته عربية مثالية ترتبط بمصير أمته من مشرقها إلى مغربها . وبعد فهو لم يرتبط بملك او رئيس أو بطل انقلاب ، ولم يسع يوما لنفع او لمغنم . ففي مطلع جهاده في الانتفاضة السورية عانى ما عاناه من فرقة ومن تحاسد ومن حب لنفوذ او جاه تنبو بها أرض المعركة . وفي حرب فلسطين الأولى عام ١٩٣٦ ما انفكت الزعامات المحلية تكيد له ، وهو القادم من بعيد ليقدم لهم فنه العسكري ودمه . ولم يطل جهاده في حرب العراق التحريرية عام ١٩٤١ ، اذ جرح جروحا بليغة ، نقل بعدها إلى ألمانيا . وهنالك عانى ما عاناه في حرب فلسطين الأولى من تحاسد وبغضاء وتشتت . وفي حرب عام ١٩٤٨ ، وقد نالت بعض الدول العربية ما أسمته استقلالا ، إنما تناقضت بتياراتها التي اعف عن سرد سيرتها يومئذ ، وسقط رجلنا وسط الدوامة ، فهو خطر على الأردن يجب إبعاده عن مقره في المثلث الفلسطيني . وهو بالنسبة لسورية خطر لأنه اضحى من أنصار سورية الكبرى ، وكان هذا أبعد شيء عن تفكيره . وهو للبنان خطر لأنه يعد لانقلاب فيه ، وما من عاقل يفكر بأمر كهذا في رقعة التجاذب والتنافر . وشأنه مع الملك والوصي في العراق معروف ، فليس هنالك من داع للتبسط فيه .

ماذا صنعنا له ؟

سألته مرة في فلسطين ، بعد أن سردت أمامه نتائج استطلاعاتي عن استعدادات الصهاينة ، عن جدوى مقاومته بما دعوه مجازا بجيش الانقاذ . وقد أجابني أنه أخذ على عاتقه تعطيل قرار التقسيم ريثما تتدخل الجيوش العربية فتحسم الأمر وتعيد البلد إلى أهله . وأضاف بأنه حتى لو هزم ففي ذلك فائدة اذ يثور الشعب العربي على حكامه ويجبرهم على دخول المعركة والبذل والتضحية في سبيل تحرير البلد الجريح . وسألته بعد أن أخلد الى الراحة في أواخر أيامه عما إذا كان راضيا عما فعل . فقال إنه ما دار بخلده أن ينتصر انتصارا ساحقا على المستعمر والغاصب في معاركه ضدهما . إنما كان يعتقد بأنه يجب أن يكون في هذه الأمة من يجعل مقامها عسيرا وأن يؤجج العواطف والمشاعر فلا تكون هنالك لحمة بينهما وبين أهل البلاد ، فينبو بها المقام ويرحلان . وهذه لعمري ذروة الفداء والتضحية .

هنالك أشياء لم يحن الوقت لاعلانها . إنما يحز في نفسي وقد قدم هذا البطل ما قدم لأمته ألا تزين عواصم البلاد العربية ومدنها وقراها باسمه فتطلقه على أجمل الباحات والميادين والشوارع والمدارس والمعاهد والجوائز ، لاتقديرا له فحسب وانما تمجيدا للفداء وتخليدا للعفة والبطولة الحقة

من أعلام الأدب الألماني المعاصر

هاينريش بُل

المانيا .. امرأة بكماء ...

بقلم : محمود قاسم

هذا الاديب الكبير يلعب الآن دور الأب الروحي للادب الألماني المعاصر ..

في حديثنا حول الكاتب الألماني جونتر جراس في شهر ابريل (نيسان) من العام الماضي أشرنا إلى أنه لايمكن رصد حركة الأدب الألماني المعاصر دون الحديث عن دور الجماعة ٤٧ الأدبية التي تأسست في أوائل عام ١٩٤٧ من أجل « العمل على نهضة الأدب وتشجيع الابداع الادبي واكتشاف المواهب » .. وكان من أبرز الأسماء التي أسست هذه الجماعة « هاينريش بل » الذي يعتبر الآن أهم كاتب في ألمانيا خاصة بعد أن حصل على جائزة نوبل عام ١٩٧٢ وكان هو الكاتب الوحيد الذي فاز في ألمانيا بهذه الجائزة بعد الحرب العالمية الثانية .

ولد « هاينريش بل » في مدينة كولونيا عام ١٩١٨ والحرب العالمية الأولى تكاد تشرف على نهايتها ، وفي كولونيا أمضى بضع سنوات من حياته الى أن حصل على شهادة الثانوية العامة . حيث بدأ يعي الأحداث السياسية التي تسود البلاد . مولد النازية والرايخ الثالث . ثم اندلاع الحرب العالمية الثانية .. كان يبيع الكتب في تلك السنوات ثم مالبث أن جند في الجيش الألماني طوال سنوات الحرب .. وما أن خمدت أوار تلك الحرب وعقدت محاكمات نورمبرج حتى عاد لدراسة الأدب الألماني في الجامعة .. وتعرف على زملائه الأدباء الشبان مثل هانز فرينر ريختر وزيجفريد لينتش وأرنست يونجر ، وعمل معهم على انشاء الجماعة ٤٧ التي حصل على جائزتها في الرواية عام ١٩٥٢ .. ونشر مجموعة من القصص القصيرة تحت عنوان « أيها السائح هل ستعود الى سبا ؟ » .. ثم قدم رواية « أين كنت يا آدم » .. التي فازت بجائزة الجماعة ٤٧ .. ثم توالت رواياته التي من أبرزها « بيت بلا حارس » عام ١٩٥٣ و « آراء مهرج » ١٩٦٢ « صورة للمجموعة مع سيدة » عام ١٩٧٢ « وشرف كاترينا بلوم الضائع » ١٩٧٢ و « حماية تامة » عام ١٩٨٠ وقد ترجمت مجلة العربي في عددها الصادر في ابريل ١٩٨١ احدى أقاصيص « بل » بعنوان « وجهي الحزين » .. وان كانت هذه الأقصوصة بعيدة تماما عن السمات العامة التي يتسم بها أدبه .

و « بل » أحد الكتاب القلائل الذين عبروا بعمق لامثيل له عن ألمانيا في سنوات مابعد الحرب .. وكيف أمكن لهذه البلاد أن تتخلص من ويلات الدمار التي حاقت بها .. ولذا فان رواياته أشبه بأطلال مكتوبة فوق حلم رهيب من خلال ناس يعيشون ماضيهم . وسوف نركز هنا على رواية « بيت بلا حارس » و « حماية تامة » ...

بيت بلا حارس

في « بيت بلا حارس » يتناول « بل » نموذجا لطفلين مات أبواهما خلال سنوات الحرب فشبا في بيوت تحرسها ذئاب من نوع معين .. هي ذئاب لاأنياب لها .. تألمت وتعلمت الصبر .. الصغير مارتن باخ يعيش بين أمه التي تتنقل سريعا بين أحضان الرجال الذين يزورنها في منزلها ، أو التي تذهب اليهم بنفسها .. وبين عمه الذي



هاينريش بل

يعيش في نفس البيت يحاول يوما أن يقنع أرملة أخيه أن تتنازل عن فكرة عزوفها عن الزواج وأن تقترن به .. إلا أنها ترفض .. لكنها لاتمانع من أن تقيم علاقة خاصة معه وتطلب منه ذلك .. فهو لايختلف عن كل من يزورونها .. ان هذه الارملة نيلا التي ترتاد محافل الشعراء والأدباء تحاول أن تمجد ذكرى زوجها الشاعر الذي مات في الحرب ابان مهمة عسكرية كلفه بها الضابط جيسلر كي يتخلص منه .. تعيش في منزل الزوج مع أم زوجها التي كثيرا ماتتهمها في شرفها.

أما الصغير مارتن فهو يحظي باحترام الجميع لأنه ابن أثرياء .. ولأن أباه كان شخصية مرموقة .. ومارتن يعيش حياة جادة، فجدته تعلمه كيف يمكنه أن يكون شديد التعلق بتعاليم دينه .. وهو يجد نفسه في مجتمع متضارب، فبينما يقرأ في كتاب التعاليم يسمع أمه تمارس الحب في الغرفة المجاورة مع رجل غريب .. ويدفعه هذا أن يفكر أكثر في أبيه .. يتوق الى أن يراه مرة في حلم عابر .. انه يضع دائما صورته أمامه .. أما البرت فيكرر الطلب لزوجة أخيه أن تطرد شبح زوجها وأن تفكر في حاضرها دون أن يبذل جهدا للكشف عن حقيقة سلوكها ...

« أنت تتعلقين بحلم .. ماذا لو كان موجودا ؟ » .. ترد عليه بيرود : لست أما ولا أرملة ولا عاهرة .. ولاحبيبة أحد .. تخبره أنها لاتود الزواج من رجل آخر ..

«ساكون رفيقتك اذا شئت ... وساكون أكثر اخلاصا كرفيقة أكثر مني كزوجة .. لكنني لن أتزوج أبدا » .

تحاول أن تعلل سلوكها هذا بأنها لاتود أن تصبح أرملة مرة أخرى .. « لاأصلح أن أكون أرملة مرة أخرى .. ولا أود أن أتزوج غير راي » .. والبرت يحب نيلا أكثر من خلال الطفل مارتن .. « انتم أيها الرجال تودون أن تنشروا الدمار مع المستقبل » .. واذا كان مارتن باخ يعيش وسط هذه العلاقات المعقدة فان زميله في المدرسة هاينريش بريلاخ (عشر سنوات) يعيش تحت سقف يختلف .. هناك رجل صارم يعيش مع أمه دون زواج ويعامله بقسوة شديدة .. كم من مرة اتهمه بسرقة البيض .. بينما هو رجل شره أناني لايهتم سوى بنفسه ..

ولأن هاينريش ابن امرأة فقيرة، فان المدرس لايتورع عن تأنيبه بشدة اذا تأخر في حين يعامل مارتن الذي يتأخر مثله بأدب جم .. والسيدة بريلاخ تعمل في محل خباز كي تعول نفسها وطفلها حماية لنفسها من ذلك الرجل الذي يعيش معها .. وفي المخبز الذي تعمل به يحاول الخباز أن يفرض عليها عواطفه فيطلب منها الزواج المرة تلو الأخرى فترفض مثلما تفعل نيلا ازاء البرت ...

والسيدة بريلاخ الفقيرة لدرجة أنها لاتتمكن من توفير مبلغ تعالج به أسنانها التي تؤلمها .. كما ترفض ذلك المبلغ الكبير الذي يعطيه اياها البرت وهي تجد نفسها بعد مقاومة شديدة قد وافقت على أن تترك الرجل الذي تعيش تحت سقفه كي تنتقل الى سقف اكثر أمانا مع الخباز . الذي يخبرها أن عليها أن تأتي بأسرع مايمكن « لن أحتمل ثانية أن تقضي ليلة واحدة مع « ليو » الشرطي ... » وبالفعل فانها تقوم بنقل أثاث شقتها المتواضع وتذهب الى السكن الجديد .. وفي أول ليلة هناك تخبر ابنها أنها لن تسلم نفسها لرجل آخر مثلما تفعل نيلا .. وبالفعل فانها ترفض أن تفتح باب حجرتها الصغيرة للخباز .. وتفضل أن تضم في فراشها ابنها كي يدفئها .. فدفء أحضان الابن لايضاهيه شيء وتقول لابنها إنها تحب البرت مثلما يحبه هو لقد أصبحت أكثر فهما للأشياء من حولها .. وأصبحت امرأة تختلف ...

أما نيلا فعليها أن تمر بتجربة تؤلمها وتعلمها .. فقد حاول جاسلر أن يصاحبها الى أماكن جديدة .. انه نفس الضابط القديم الذي ساعد في قتل الزوج راي، ويعمل الآن ناقدا أدبيا في احدى الصحف الكبرى .. ويلقي بعض المحاضرات حول الشعراء المحدثين ومن بينهم رايموند باخ زوج نيلا .. فعندما تتأكد الجدة أن جاسلر يحاول أن يرتبط بارملة ابنها تذهب اليه وسط اجتماع للأدباء وتحاول أن تسبه لكن الجميع يطردونها .. وهنا تكون نيلا قد فهمت الأحداث التي تدور من حولها ..

وبالرغم من أن البرت يجعلها تدرك أصول اللعبة التي حاول جاسلر لعبتها الا أنها لاتتغير مثلما حدث مع السيدة بريلاخ .

واذا كانت هذه وضعية سيدتين وطفلين يمثلون المانيا قبل وبعد الحرب .. فان الجدة العجوز تمثل كل أفكار ألمانيا القديمة .. فهي تعلم حفيدها كيف يرتبط بتعاليم

دينه .. عليه ان يكون انسانا جادا وعليه أن يعرف أن ألمانيا المعاصرة هي دائما أمة شامخة مهما تعرض بناؤها للشروخ .. ومع ذلك فان هذه المرأة تعيش بأسلوب ان « دفتر الشيكات يصلح دائما كل شيء » ..

أخيار واشرار

اذا كان هاينريش بل قد القي الأضواء على أسرة ألمانية تعيش سنوات مابعد الحرب من خلال « بيت بلا حارس » .. فانه يعيش مع عائلة ألمانية أخرى طوال سنوات أكثر في روايته الأخيرة « حماية تامة » .. حيث يعود الى نفس الأجواء تقريبا من خلال عائلة تولم التي يرأسها الصحفي الكبير فريتز أحد الذين اشتركوا في اشعال أتون الحرب ولم يحترقوا فيها .. بالرغم أن الأمريكيين قد أسروه بعد انتهاء الحرب .. لم يسعوا الى تعذيبه وايلامه ولكنهم طلبوا منه أن يقوم باصدار صحيفة تكون لسان حالهم .. ويساعدونه في تحقيق النجاح الى أن يتحول الى أحد أساطين الصحافة ويدافع في مقالاته عن أثر الاقتصاد الأمريكي الانفتاحي في البلاد . ويعمل الأمريكيون كذلك على ان يصبح نقابيا كبيرا يحيطه الأصدقاء والأعوان في كل مكان .. هؤلاء الأعوان الذين يتناثرون في أنحاء المدن والقرى بالمانيا للقيام بتغطية صحفية حول ملامح الحياة الاجتماعية الجديدة في البلاد .. ومن خلال تلك التقارير القادمة اليه يمكنه أن يدرك الى أي حد قد أصاب الناس هوس ديني في كل مكان .. وأن الصراعات بين أنصار الاشتراكية والشيوعية تأخذ مكانا هاما بعد الجانب الديني ..

وقد اختار « بل » لبطله أن يجري دراسته على مدينة كولونيا التي ولد بها « بل » وعاش فيها زمنا طويلا . أما فريتز فهو يعيش حياة عائلية هادئة .. زوجته كات توفر له كل أسباب السعادة . كما أنه يعيش تحت حماية تامة من رجال الشرطة . وآل تولم يعيشون أسرى حياة رائعة فوق أعلى السلم الاجتماعي الالماني .. ومثل هؤلاء الناس يسمون في المانيا بالأخيار .. أما الأشرار فهم هؤلاء الفقراء الذين يعيشون في أسفل درجات السلم .. ولايحاول « بل » أن يدين فريتز .. بل انه يدين ذلك النظام الذي صنعه كما صنع من قبل صحفيا آخر هو جاسلر وجعله عنوان الأدب الألماني المعاصر .. يقول ساخرا على لسان أبطاله : « يجب أن يأتي بعض الاشتراكيين ويجب عليهم أن يقوموا بدور ما أو يثرثروا » . ثم يقول ساخرا ان أصحاب رؤوس الأموال يأكلون الكافيار من روسيا .. ويدخنون السيجار من كوبا .. أما الاشتراكيون فانهم يقضون لياليهم يحلمون بممارسة لعبة الاحتكار ..

ولفريتز ابن يدعي رولف .. وهو راديكالي صميم تربي وعاش في زمن مابعد الحرب . لم يعان مثلما عانى أبوه ، ولذا فانه يهجر أسرته كي يعيش مع الفتاة كاترينا التي أنجبت منه ابنا يدعي هولدجر .. ولرولف أيضا ابن آخر يحمل نفس اسم أخيه الذي مات ولكن من أمرأة أخرى تدعي فرونيكا التي عاشت سنوات طويلة في الشرق الأوسط وتركيا مع رجل آخر كانت تحبه .

كما أن لفريتز ابن آخر يدعى هربرت يحيا حياة برجوازي مع زوجته سابين ولايميل الى ممارسة العمل السياسي مثلما يفعل أبوه .. انه ليس سوى انسان يبحث عن توفير كل وسائل الأمان والراحة لزوجته وابنه .

وتولم الذي يشبه رجالا ليسوا من عصرنا لم يعد يتطلع الى تحقيق نجاح آخر فوق نجاحه .. فبعد أن يسقط قلمه ولايعد قادرا على الكتابة ينزوي في منزله وينتهي بأسلوب بسيط حين تسقط به دراجته التي يقلها في حديقة منزله .. وهو الرجل الذي كان لايتمكن من الخروج من هذا المنزل دون أن تحيط به سيارتان ومن أعلى طائرة مروحية .. لقد مات كحطام رجل حطمته دراجة ..

ويقول الناقد الأمريكي ر . زشبيرد في مجلة تايم (٨ فبراير ـ شباط ـ ١٩٨٢) أن رواية « حماية تامة » أشبه بالمسلسل الأمريكي دالاس .. فهي تضم العديد من الشخصيات عكس روايات « بل » الأخرى .. ويقول ان للكاتب مهارته التقنية .. فهو يضع عدسته المكبرة فوق شريحة اجتماعية صغيرة ويأخذ في سرد أدق تفاصيل حياة هذه الشريحة .. سلوكها الاجتماعي بواعثها النفسية .. وأنه لايميل الى معاقبة آل تولم ويتركهم يسلكون سلوكا مغايرا للتقاليد وعلى كل فان هذا سلوكهم وحدهم .

النازية العائده

بين رواية « بيت بلا حارس » و « حماية تامة » كتب

النازية الجديدة في « شرف كاترينا بلوم الضائع »



« بل » مجموعة أخرى من الروايات ساعدت في بلورة العالم الخاص الذي يصنعه الكاتب عن ألمانيا المعاصرة .. فقد أصبح أكثر نضجا في تناوله المعالم الاجتماعية والسياسية التي تمر بها البلاد .. وكما يقول المخرج الألماني فولكر شولندورف فان « ميزة بل أنه يشبه جوركي بعض الشيء في أنه ينجح من خلال سرد قصصه في اعادة نقل رائع معقد جدا وتقديمه كشيء بسيط للغاية وللتعبير عن هذا التعقيد يوفق في خلق شخصيات صحيحة توضع في مواقف صحيحة .. وفي هذا يكمن سره » ...

ففي روايته « شرف كاترينا بلوم الضائع » يصور الكاتب واقع بلاده لفترة ثلاثين عاما .. فهناك ارهاب يسود البلاد وينتشر في كل مكان ... تمارسه الصحافة ورجال العدالة وأقسام الشرطة .. فالناس التي صنعتها النازية تحن دائما الى بعث هذه الأيدولوجية مرة أخرى .. وتمارس طقوسها وأساليبها بنفس الطريقة . العنف والارهاب والتجسس . فكاترينا تجد نفسها مدانة بجريمة لم ترتكبها . انها أشبه بالسيد جوزيف بطل كافكا . لم تفعل شيئا سوى أنها أحبت صحفيا تشتبه الشرطة في اتجاهه الفكري .. يقبضون عليه ثم على عشيقته التي تتعرض لكافة ألوان الاهانة والتعذيب والتشهير .. يقود هذه الحملة مفتش الشرطة الذي يتلذذ بساديته حين يمارسها مع كاترينا .. وهو يرى جنوده يفتشون ملابسها .. ثم يعبثون بجسدها .. يطلب من رجاله معرفة كل اسرار حياة كاترينا الخاصة .. وعلى الفتاة أن تنقذ شرفها الضائع ... وأن تستعيده .. لكن كيف وقد خرجت من هذه التجربة حطاما لاطائل من أشلائه .. ؟

وفي هذه الرواية نجد أنفسنا أمام مجموعة محدودة من الشخصيات لكنها زاخرة بالمشاعر الفياضة .. وكأنما يؤكد « بل » من خلالها أن عودة النازية تتمثل في العديد من الناس الذين يحيطون بنا .. بدءا من رجال الشرطة حتى الجندي الذي يتلذذ مثل رئيسه في ممارسة الوان التعذيب الذي لاسبب له .. انهم أقرب الى رجال العصابات .. ومن جديد يصف « بل » رجال الصحافة وصفا راذلا .. فهم يمارسون ارهابهم من خلال عملية التشهير بكاترينا وبسلوكها وصديقها .. ورجال الصحافة هنا صورة مكررة من جاسلر وفريتز .. يميلون الى العنف بكل مايمتلكون من قوة كلما أتاحت لهم الظروف ذلك ....

واذا كانت كاترينا بلوم امرأة بريئة تتعرض للارهاب من قبل النازية المعاصرة .. فان ليني يفير تعيش تحت وطأة نازية هتلر نفسه خلال سنوات الحرب . وذلك في روايته « صورة للمجموعة مع سيدة » .. ويتحدث الكاتب عن ليني قائلا : ٤٨ عاما ، ١٧٠ سنتيمترا ، ٦٨ كيلو جراما . ولدت في جرميتين وتعبر لألمانيا دون أن تنبس ببنت شفة .. انها امرأة بكماء .. ترمز الى عصر الصمت الذي ساد ألمانيا في تلك السنوات مثلما رمز جونتر جراس الى قزمية بلاده خلال نفس المرحلة بالحالة المرضية التي أصابت بطلة أوسكار في « الطبلة » وليني أشبه بزهرة حمراء تنمو وسط ثلوج الشتاء المتراكمة .. قد يمكنها ان تقف شامخة يلمحها العابرون من بعيد .. أو لاتخرج على الاطلاق من فوق الارض .. وهي بالفعل تعمل بائعة للزهور في حانوت صغير .. ترقب كل مايحدث أمامها دون أن تنبس بكلمة واحدة .. « كل جندي وهب حياته الى الفوهرر والشعب والحزب .. وقد وهب حياته مجانيا لذويه .. لكن اذا كان جسده قد تمدد في احدى الجبهات الشرقية .. فان على ذويه ان يلقوا فوق مقبرته المجهولة بضعة زهور يشترونها من محل ليني » .. « همس أحد أسرى الحرب الروس : كم أنا سعيد أن أربط باقة فوق جثتي » .. لقد أحبت ليني هذا الروسي : « على كل واحدة من النساء أن تبرهن أن جنود الصاعقة الألمان قد ماتوا بعد انتهاء الحرب ...

اذن فليني تسخر من المجتمع الذي حولها بصمتها الذي اختارته .. ويقوم بدور مماثل ذلك المهرج الذي نراه في رواية « آراء مهرج » أو « التكشيرة » ، كما ترجمت في فرنساعام ١٩٨٠ ، يصعد الممثل فوق خشبة المسرح كي يعمل على أضحاك الناس .. عليه أن يقوم ببعض الحركات البهلوانية . لكنه يعيش بعيدا عن المسرح في عالم آخر تملؤه الجدية والاتزان . فهو على وعي تام بما يدور حوله . يرفض سلوك أمه التي تمارس أمور حياتها بسطحية ، وتميل الى ممالئة الآخرين . فبعد هزيمة النازية فانها تحاول أن تمالىء الكاثوليكيين ، كما أنه يرفض أسلوب أبيه في تربيته . فهو رجل يود أن يتعامل مع المجتمع الذي يعيش فيه بأي ثمن ومهما حدث لذا يقرر أن يهجر أسرته ويعيش وحده . يرتبط بفتاة تدعى ماريا ويعرض عليها الزواج . لكن الفتاة لاتكون أفضل من أمه حين ترفضه وتقرر الزواج من رجل منافق وصولي . تصدمه التجربة ، ويصاب بانفصام نفسي . يترك المسرح الذي يعمل فيه ، ويتحول الى انسان قاتم ينظر الى الأشياء بسوداوية فيقرر أن يمارس الشحاذة على محطة القطار ..

في هذه الرواية شهر هاينريش بل أسلحته على الذين يدعون التدين بحثا عن مصلحة أو محاباة للنظام السياسي السائد .. أو بحثا عن منفعة اجتماعية ما .. ففي زمن ما قريب من عصور ألمانيا كان الجميع يتبدلون مثل هذا السلوك ويمجدون فردا ... ثم عندما خابت آمالهم فيه لجأوا الى الكنيسة وبدأوا يبحثون عن مسلاة في كتب الصلوات .. ولعل التعاليم التي كانت الجدة تلقنها

لحفيدها مارتن أشبه بنفس التعاليم التي حاولت الأم أن تعلمها لابنها الممثل الذي رفض كل هذا العالم .. وكل هذا السلوك السطحي .. فلا علاقة عضوية قط بين شدة التدين وشدة النفاق ...

روح اللغة الالمانية

في الكتاب الذي نشره رينيه فيتزن عام ١٩٨٠ حول هاينريش بل بعنوان « ذكريات ألمانية » يقول الكاتب : ان روح ألمانيا المعاصرة تحاول أن تتخلى عن المرارة التي أصابتها لسنوات طويلة وتنبأ بها نيتشة : يقول الألمانيون كل مابوسعهم كي يحققوا معجزة ومصير لاينبس الا عن ابتسامة » .. ويقول ان كولونيا هي مدينة كاثوليكية . انها نفس المدينة التي استقبلت هتلر وقدمت له باقات من الزهور .. واننا نعتقد أن هاينريش بل قد ولد من كاثوليكية ألمانيا .. وأنه فعلا قد رفض أن يكتب أدبا كاثوليكيا .. ولكنه أكسب للألمانية روح اللغة .. مثلما فعل توماس من وأنه قد تأثر بكل من فرانسوا مورياك وجورج برنانوس : « لاعزاء لكل الكتاب أمام مايحدث في العالم وأمام الانسانية .. مستقلين عن النظام السياسي الذين يعيشون تحت ظله ..

ويقول في حديثه للكاتب : « اعرف منذ فترة طويلة أنني أكتب . ولكن ليس هذا بعمل رقيق يمكننا أن نمسكه بأيدينا .. وكأنك تمسك بفرشاة وتتعلق بشراع كما يقول التعبير الفني .. وأن تحس بشعور يملؤه الصدق ..

ويرى « بُل » أن على الكاتب أن يتمتع بأريحية معينة تمكنه من ادراك وضعية العالم الذي يعيش فيه .. وبالرغم من أنه تجاوز الخامسة والستين الا أنه لايزال يبدع ويكتب أكثر من المرحلة الأولى من حياته .. فقد نشر أكثر من ست روايات منذ أن فاز بجائزة نوبل عام ١٩٧٢ حتى الآن .. واذا كانت جماعة ٤٧ قد توقف نشاطها وفقدت حيويتها وتشتت أعضاؤها .. فان هاينريش بُل يلعب دور الأب الروحي للأدب الألماني المعاصر .. وقد نجح في ذلك الى حد كبير .. فهو الكاتب الأول الذي اهتم السينمائيون برواياته .. حيث أخرجت السينما أكثر كتبه في أفلام من أبرزها « شرف كاترينا بلوم الضائع » الذي أخرجه فولكر شولندورف وقامت ببطولته انجيلا وينكلر وماريوادرف ثم « بيت بلا حارس » الذي أخرجه راينر فولفهارت عام ١٩٧٩ و « صورة للمجموعة مع سيدة » الذي أخرجه الكسندر بتروفيتش اليوغسلافي الجنسية في ألمانيا عام ١٩٧٥ وجسدت فيه رومي شنايدر شخصية ليني .. ○

محمود قاسم ـ الاسكندرية



انجيلا وينكلر وماريوا دورف في « شرف كاترينا بلوم الضائع »



طرح .. جمع

قصة : مجيد طوبيا

في المساء كان العشاء لاثنين فقط ، ونام « صلاح » قبل أن يعود والده .. وفي الصباح جرى الى سريره فوجده شاغرا وأجابت أمه في اقتضاب :

خرج منذ قليل !

دهش ، وكان لديه سؤال آخر .. لكنها دفعته الى الحمام ليغتسل ، الى المائدة ليأكل ، الى غرفته ليرتدي .. وضعت حقيبته في يده ، ثم سارت به صوب المدرسة .. في محاذاة البناية التي بها عمل والده ، لاحظ شرودها وتغضن وجهها ، سألها ان كان بالداخل ، فأجابت « نعم » ولم تزد ، وبقيت صامتة حتى ودعته عند باب المدرسة متجهة الى عملها !! .. وقف برهة محتارا يرمقها وهي تبتعد ، ثم استدار الى أرض الفناء ، وسرعان مانسى قلقه واندمج مع أقرانه ، وراح يلعب ..

لكن القلق عاوده بعد الدراسة ، عندما جاءت لتأخذه .. وجدها تمشي الى جواره صامتة بشرود الصباح ، باردة الأنامل ، لاتسأله عن يومه الدراسي ، ولا عن درجته في الحساب ، وها هي تكاد تخطيء وتهم بعبور الطريق واشارة المرور مفتوحة للسيارات ، وهي التى تشدد عليه كل يوم بعدم التحرك الا مع اشارة المشاة الخضراء وبعد توقف العربات تماما !! .. هذا لزم مكانه فوق الرصيف ، جاذبا كفها في عناء ، مشيرا في زهو الى اشارة المشاة الحمراء ! .. أعطته بسمة سريعة راضية فرح بها ، وكان لديه خبر سار هم بأن يعلنه لولا ان الاشارة سمحت لهما بالعبور ، فراح يتسلى بقراءة لافتات المحلات ..

المسألة :

في البيت تناول غداءه سريعا ، وانتهى من المذاكرة ، ووالده لم يعد .. بحث عن أمه ، وجدها مستلقية على السرير محملقة الى السقف مغمومة :

لماذا لم يعد أبي ؟؟

عنده عمل

متى يعود ؟؟

بالليل

ثم أسدلت جفونها تنهي الحوار ، فلم يخبرها بنبئه السار ، وتوجه الى الشقة المجاورة ليلعب مع صديقته « سعاد » .. فوجيء بأمها تحتضنه مقبلة في عطف زائد :

مسكين ياحبيبي !!

نظر محتارا ، لماذا مسكين ؟؟ .. صاح في فوز :

نلت اليوم الدرجة النهائية في واجب الحساب

شاطر ، دائما شاطر

وقالت المدرسة أمام الفصل كله انني تلميذ ذكي ..



طبعا ياحبيبي !
لكنها التفتت الى زوجها :

مسكين ، يقع ماجرى وهو في هذا العمر !

نهرها الرجل :
اسكتي ، لاتعكري صفوه ، لما يعرف بعد !

اندهش صلاح ، وجذبته « سعاد » بفراح يلعب معها ونسى نفسه ، غير انه من حين لآخر كان يسمع حديث الزوجين الخافت ، سمع ان أمه تشاجرت مع أبيه ، أو ربما كان والده هو الذي تشاجر معها ، لم يفهم بالضبط ، ولم يجد في الأمر ما يزعج ، فأحيانا يدب الخلاف بينها ثم سرعان مايزول .. لكنه سمع كلمة جديدة عليه : «الطلاق » !! .. وجم برهة ولم يدرك معناها تماما ، وكان اللعب مستحوذا عليه ، فعاد يندمج مع سعاد .

في المساء رجع الى أمه التي أطعمته وأعدته للنوم ، وبينما هو يدخل السرير عاد الى سؤاله ، نهرته بلهجة ضجرة :
قلت لك في العمل

سكت ، لكنه صمم ألا ينام الا بعد عودته .. فأخذ يحملق الى السقف ، حريصا على ألا يغمض عينيه .. لكن سرعان ما غافله خدر النوم متسللا الى وعيه ، فانسدلت جفونه ، وهو يقاوم ويعاند الى أن نام ، وبينما هو نائم حلم بأن والده قد عاد وقبله قبلة المساء ، واعدا اياه بعدم التأخر ثانية ، مما جعله يبتسم وينام سعيدا !!

الطرح :

أول شيء فعله في الصباح هو اسراعه الى سرير والده ، وجده خاليا وأمه بالصالة مهمومة . أسرع الى الحمام ، ولما لم يسمع صوتا بداخله استدار متسائلا ، قبل ان ينطق قالت تصده :
خرج قبل ان تستيقظ

ثم هبت تطعمه وتلبسه لتتجه به الى المدرسة وليفاجئها في الطريق متسائلا :
هل تشاجرت مع بابا ؟؟
اسكت

سكت عدة خطوات ، وعندما جاور مكتب أبيه ، تذكر نبأه الكبير ، فصاح يبلغها به ، لكن ضجيج السيارات وشرودها منعاها من سماعه ، فتشاغل بالطريق ، و « بالأتوبيسات » المزدحمة ،
وبأقرانه المتوجهين مثله الى مدارسهم .. وقرب المدرسة سألها بغتة :

مامعنى الطلاق ؟؟
معنى ماذا ؟؟
الطلاق
لاأعرف ، ادخل مدرستك وانتبه لدروسك
غير أنه بعد الحصة الأولى خرج وراء مدرسته :
ـ سؤال يأبله ، مامعنى كلمة طلاق ؟؟
ـ ياحبيبي ، لماذا تسأل ؟!

ـ أريد أن أعرف

ـ كلمة سيئة
ـ أريد أن أعرف !

ـ معناها أن يترك الزوج زوجته

ـ وأين يذهب ؟!
ـ بعيدا عنها ، وربما تزوج من امرأة أخرى
ـ وابنها ؟؟ أين يذهب ؟!
ـ اما أن يعيش مع الأم واما أن يأخذه الأب
ـ بعيدا عن أمه
ـ نعم .. لماذا تسأل ياحبيبي ؟! لماذا تسأل ؟!

لم يرد ، ووجد نفسه سائرا بخطو متخاذل الى فصله .. جلس برهة مفكرا حائرا ، ثم هب فجأة يلتقط حقيبته ، مندفعا الى الفناء ، متجها صوب باب المدرسة ، ليغافل البواب خارجا الى الطريق !!

الخطأ :

في مكتبه بالعمل فوجيء الأب بابنه داخلا عليه !! .. نظر الى ساعته صائحا :
كيف تركت مدرستك ؟؟
لم يرد .. وخلف المكتب المواجه توقفت زميلة والده عن عملها هاتفة :
صلاح ياحبيبي ، تعال ..

اتجه نحوها منكس الرأس .. أجلسته الى جوارها وراحت تقبله وتسأله عن أمه ، وهو دائم الرمق الى أبيه ، الذي صاح :
ـ طبعا هي التي أرسلتك !!
ـ هز رأسه نفيا ..
ـ فلماذا تركت مدرستك ؟!
ـ لأنك لم تحضر الى البيت منذ يومين !!

هب الرجل غاضبا ، مندفعا نحوه مداريا ربكته .. قبل ان يصل اليه وجد زميلته تقف في طريقه متنمرة :

ـ لو ابني لتحملت من أجله أي شيء !
تقهقر الى مكتبه ، ليتشاغل خجلا بورقة أمامه ، سرعان مامزقها وقد اكتشف انه بدلا من أن يجمع الارقام أخطأ وطرحها !!

قال صلاح للموظفة ، وهو يرنو بعينيه الى والده :
ـ نلت الدرجة النهائية في الحساب
قبلته المرأة ، ولمح أباه يرمقه اعجابا ، فتشجع وتساءل بصوت مرعوش :

ـ بابا ، هل أنت زعلان من ماما ؟؟
ـ قـل الحقيقـة ، هي التي أرسلتـك .. أليس كذلك ؟؟ .
ـ بابا ، تعرف أنني أكره الكذب

زاد ارتباك الأب ، لم يتحمل نظرات زميلته الموبخة ، نكس رأسه لحظات ، وبعد تردد أغلق أدراجه ونهض منصرفا ، لتسارع كف صلاح الى التشبث بكفه !

الجمع :

وضع « الجرسون » كأس « الأيس كريم » أمام صلاح ، ورشف الأب قهوته السادة ثم قال :
ـ اسمع ياحبيبي ، أريد أن أحدثك في أمر خطير
ـ .... !
ـ أنت ولد نبيه وأظن أنك ستفهمني جيدا
ـ ..... !
ـ عندما تكبر سوف تعرف أن الحياة صعبة ، لاتمنح الانسان كل مايريده
ـ هل ستترك ماما ؟؟

ـ اسكت وحاول أن تفهم .. كثيرا ما تأتي الرياح بما لاتشتهي السفن .. آه .. لكن هذا الكلام كبير على سنك .. بصراحة أنا لم أعد قادرا على العيش مع أمك !!
ـ لكنها تحبك !!
ـ افهمني جيدا
ـ وهي حزينة وصار وجهها أصفر !
ـ اسمعني ....
ـ وكادت تخطىء وتعبر الطريق والاشارة مفتوحة للسيارات !!

أشاح الأب نافخا ، وعاد يرشف قهوته .. ثم لاحظ أن « الأيس كريم » كاد أن يذوب من دفء الجو ، نبه ولده ، الذي أخذ ملعقة ثم سأل :
ـ هل ستطلق ماما ؟؟

ـ نعم
ـ وتعيش بعيدا عنها ؟؟
ـ طبعا
ـ وتتركني ؟؟
ـ ستأتي معي
ـ وأترك ماما ؟؟
ـ اما أنا وإما هي !
ـ أنت وهي
ـ أعوذ بالله .. قم بنا

وهو يدفع الحساب نظر الى ساعته ، سرقها الوقت ، والمفروض ان يكون صلاح في البيت منذ ساعتين ، ولابد أن أمه مرت عليه في موعد خروج المدرسة ، ثم سألت عنه عند الجيران ، والمؤكد انها الآن في حالة يرثى لها ، يعرفها جيدا ، ابنها هو كل حياتها !!

كما توقع وجد باب الشقة مفتوحا ، والوجوم والكرب !! ... و[illegible]فعت الأم تحتضن ولدها باكية عاتبة ... ووقف هو مرتبكا يفكر في الانصراف ، وعندما علم ان جاره خرج يسأل عن صلاح في أقسام الشرطة ، زاد حرجه ، وشهر اصبعه غاضبا :

انظر نتيجة فعلتك ياولد
لكن الولد لم يجفل ولم يهتز ، شد طوله في حضن أمه وصاح :

ـ أنت السبب ، أنت !
جذبت الجارة وابنتها سعاد .. لمعت عينا الأب ، ورق صوت الولد يقربه ويرغبه :
ـ انظر الى ماما ، انظر ، جميلة ولطيفة وشاطرة

ساد الصمت والترقب وسحبت الجارة ابنتها وانصرفت مغلقة باب الشقة في هدوء .. وعلى الفور ترك صلاح حضن أمه ، واندفع يرتكز على الباب بظهره ، يمنع والده من الخروج ان هو حاول .. منحته أمه ابتسامة مشجعة ، ثم رنت في ود ملهوف ترقب رجلها ، الذي وقف محتارا ، يدعك ذقنه بأصابعه ، ناقلا نظراته بينها وبين ابنها !! .. تقدم خطوة صوب الباب .. تحفز صلاح فاردا ذراعيه مستعدا للمقاومة !!

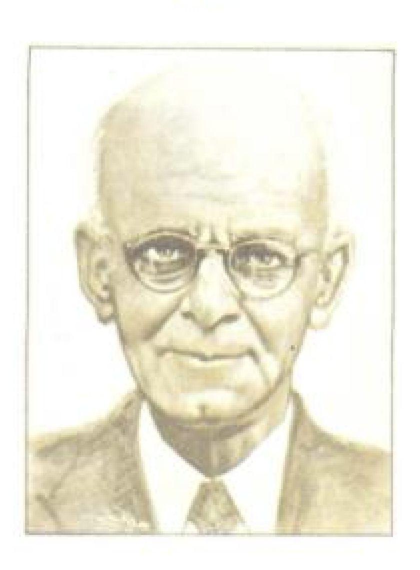
شعر الأب ان يده أضعف من أن تجذب هذا الولد عنه ، فراح يهز رأسه عجبا ، ثم تنهد ، وبعد تردد امتدت أصابعه تفك أزرار قميصه ، ليقفز صلاح هاتفا مصفقا ، ولتهب الأم سعيدة بعينين مغرورقتين الى المطبخ ، تعد طعام الغداء لثلاثة أفراد ...

○

مجيد طوبيا

هل سرق ايليا أبو ماضي

قصيدة الطين ؟!



بقلم : توفيق أبو الرب

. . . في الجزء الثالث من حديث الاربعاء « عرض الدكتور طه حسين بالنقد لديوان ايليا أبي ماضي ، « الجداول » ويلاحظ أن نقده يتشابه من حيث الجدية والاصالة مع نقد العقاد لقصيدة جبران الطويلة « المواكب » وذاك النقد الذي دفع الاديبة مي زيادة الى معاتبة العقاد ، لانه في رأيها قد قسا على جبران !

. . . ولعلي لا أعدو الحقيقة اذا قلت : ان نقد طه حسين لابي ماضي قد كان اشد قساوة من نقد العقاد لجبران ، اذ بينما نجد العقاد قد اثنى ثناء خالصا على ابيات قليلة في المواكب ، فاننا لا نجد في نقد طه حسين أي ثناء خالص ، وانما هو هجوم عنيف في الغالب ، فشعر أبي ماضي كله في رأيه : مضطرب المعاني . ضعيف الموسيقى ، رديء اللغة والقصيدة الوحيدة التي اثنى عليها ثناء غير خالص ، كانت قصيدة الطين ، فقد اعجب منها بمعانيها الانسانية ، وعد ذلك دليلا على حب الشاعر للمساواة بين البشر ، ولذا قال عنه : « . . . تقرأ قصيدته الطين ، فترى أنه بلغ من ذلك ، ما لم يبلغه كثير من الشعراء المحدثين في الشرق العربي » . . . لكنه مع ذلك

حين التفت الى شكل القصيدة الفني ، أعلن عن عدم رضاه ، ثم صب جام نقده على قافيتها فقال : « . . . قصيدة الطين التي كنا نثني منذ حين على معانيها ، وحسن تصويرها للمساواة ، من أردأ الشعر العربي قافية ، وانباء عن السمع والذوق ، ولعل عنوانها كان يحتاج الى شيء من الذوق ، فالشاعر اختار الدال الساكنه قافية لهذه القصيدة ، وسكون الدال ثقيل ، ينقطع عنده النفس ، فاذا طال وتكرر في قصيدة غير قصيرة ، ضاق به السامع ضيقا شديدا ولكن الشاعر يضيف الى هذا الثقل الطبيعي اثقالا اخرى فانظر اليه كيف يضيف سكونا الى سكون ، وانقطاع نفس الى انقطاع نفس في هذا البيت :

« لك في عالم النهار أمان
ورؤى والظلام فوقك ممتد »

فهذه الدال المدغمه لا تطاق ، وانت ان قبلتها على ادغامها كلفت نفسك جهدا ثقيلا ، وانت ان خففت الادغام أفسدت اللغة افسادا بغيضا ، فالدال من الحروف التي تكسب القافيه متانه ورصانة وجمالا ، اذا تحركت باحدى الحركات الثلاث ، فاذا سكنت منحت القافيه ثقلا ثقيلا لا يقبله السمع ، ولا يطمئن اليه الذوق . . »

. . . ثم مضى طه حسين بعد ذلك ، فضرب امثلة على قصائد داليه مشهورة محركة القافية مثل معلقة طرفة ، وقصيدة الحطيئة ، ألا طرقتنا بعدما هجعوا هند » وذلك ليدلل على صحة ما ذهب اليه من قول .

. . . وبعد هذا النقد بسنوات عديدة ، أثيرت حول قصيدة الطين ضجة كبيرة وطريفة لسنا ندري على وجه التحقيق : هل تناهت الى اسماع عميد الادب أم لا ؟ ! . . . وذلك أن الباحث الاردني روكس بن زائد العزيزي قد خرج على الملأ عام ١٩٥٤ بقصة يقول فيها : انه اكتشف أن قصيدة الطين مسروقه المعاني ، سطا بها ايليا ابو ماضي على قصيدة لشاعر بدوي مغمور ، عاش في البادية الاردنية القرن الماضي ، وأن هذا الشاعر يدعى علي الرميثي .

. . . وقد احدثت هذه القصة دويا هائلا في الاوساط الادبية يوم ذاك ، حتى شبهها عيسى الناعوري في كتابه « ايليا ابو ماضي » ساخرا بالقنبلة الذرية ، اذ يقول مصورا سرعة انتشارها « . . . اذيعت هذه القصة الذرية من محطة الشرق الادنى ، ثم نشرت في السائح » وفي صحف اخرى لا اظنها تقل عن خمس عشرة صحيفة . . . » .

« الشبه واضح بين القصيدتين »

. . . والحق أن من يتأمل في المقطوعة البدوية التي أوردها العزيزي للشاعر علي الرميثي ، على أنها أصل قصيدة الطين ، فانه لن يخطيء التشابه غير الطبيعي بينها وبين قصيدة أبي ماضي فبينما نجد علي الرميثي يقول فيها ، مبكتا قريبه الثري الذي يتكبر عليه لفقره :

« ياخوى ما احنا فحمة ما بها سنى
ولا انت شمسا تلهب الدو بضياه »(١)

. . . نجد أبا ماضي يقول :

« يا أخي لا تمل بوجهك عني
ما أنا فحمة ولا أنت فرقد »

. . وبينما نرى الرميثي يقول :

« لصار ما تاكل ذهب يوم تبلى
ياخوى وش نفع الذهب لو تقناه »

. . . نرى أبا ماضي يقول :

« أنت لا تأكل النضار اذا جعت
ولا تشرب الجمان المنضد »

. . . وبينما نجد الرميثي يقول :

« المنوه اللي بضميرك أو هقوى
لي مثلها يا شين بالقلب نهواه »(٢)

(١) الدو : الفلاة أو الصحراء (٢) المنوه : الامنيه

... نجد أبا ماضي يقول :

« لك في عالم النهار أمان
ورؤى والظلام فوقك ممتد »

... وبينما نرى الرميثي يقول :

« نحلم حلوما حلوة يوم نرضى
وغير يوم السعد ما بان طاه »

... نرى ابا ماضي يقول :

« ولقلبي كما لقلبك احلام
حسان فانه غير جلمد »

... وبينما نجد الرميثي يقول :

« كليتنا للترب نمشي ونحيا
ولا توهمك - يا الضبع نفسك بمشهاء »(٣)

... نجد أبا ماضي يقول :

أنت مثل من الثرى واليه
فلماذا يا صاحبي التيه والصد

... وبينما نرى الرميثي يقول :

هذا القمر والشمس والنجم تعلا
ومحو مسك مثل الخرابيش تنصاء ؟(٤)

نرى ابا ماضي يقول :

قمر واحد يطل علينا
وعلى الكوخ والبناء الموطد

... وهكذا يمكننا أن نمضي بالمقارنة بينا بينا بين القصيدتين !

رأى أبي ماضي والناعوري

... وقد وقعت التهمة على نفس الشاعر أبي ماضي وقع الصاعقة ، فهو فضلا عن انكاره الشديد لها ، قد أخذ يدبج بجريدته « السمير » المقالات الادبية ، ليهاجم بها العزيزي باقذع الالفاظ .

ولعل من ابرزها جميعا المقال الذي نشره في العدد التسعين من السمير عام ١٩٥٥ فبعد أن هاجم فيه العزيزي بألفاظ عنيفه .. وعيره بأنه معلم صبيان ! حام حول التهمة قائلا : ينبغي لضفة الاردن الشرقية ، أن يخلقها الله غير بادية ، وفي غير مكانها حتى يصير من الممكن أن تخرج منها قصيدة خالدة على الدهر ، مثل قصيدة الطين ، التي ليس لها أخت ولا ضرة في الشعر العربي كله ، قديمه وحديثه ... » ... ويصور لنا عيسى الناعوري في كتابه « ايليا أبو ماضي » وقع القصة على نفس الشاعر المهجري ، وردة الفعل عنده ، وحدة المعركة بينه وبين خصومه آنذاك بقوله : ان « الشاعر ايليا أبا ماضي ، قد جن جنونه ، فلم يستطع أن يكتم ثورته ، ولم يتورع عن صب نقمته على العزيزي وعبد المسيح حداد معا فما كاد يصل اليه كتابي حتى بادر الى نشر مقال في جريدة « السمير » بعنوان « كذاب عمان » ثم اردفه بمقالين عن عبد المسيح حداد بعنوان « حماد القافلة » وفي نفس الوقت كان عبد المسيح يرسل في جريدته « السائح » تعليقات بقلمه وبقلم العزيزي يتعتان بها أبا ماضي بأنه « نباح بروكلين ... سريق .. ونعوت اخرى كهذه ... » .

... واذا كان عبد المسيح حداد قد وقف بجريدته السائح الى جانب العزيزي يؤازره ويناصره ، فان الناعوري نفسه قد وقف الى جانب الشاعر أبي ماضي ، فكان من اكبر الذائدين عنه التهمة .

وقد حاول الناعوري في دفاعه عنه ان يطعن في قصة العزيزي معتمدا على شيئين رئيسين : الاول أن الرواة الذين نقل العزيزي عنهم القصيدة كانوا اصبحوا في ذمة الله حين خرج العزيزي على المحافل الادبية بالقضية ! والشيء الثاني : أنه سأل عن وجود شاعر بدوي يدعى على الرميثي ، بعض ادباء الأردن المعروفين مثل : عبد الحليم عباس ، وحسني فريز ، والبدوي الملثم ، فأبدى كل منهم استنكاره واشمئزازه من الحكاية ، والناعوري بهذا الطعن حاول أن يوحي بأن القصيدة البدوية منحوله ، نظمها العزيزي نفسه أو غيره ، ونسبها الى علي الرميثي المزعوم !

... وقد رد العزيزي على طعن الناعوري في صحة القصيدة البدوية بأن قام بارسال اسماء خمسة شعراء ورواة احياء مع ارسال صورهم الى مجلة الاديب عام ١٩٥٥ ، وقال انهم جميعا يحفظون القصيدة البدوية منسوبة الى علي

(٣) يا الضبع ، أيها الخسيس والمعروف ان الضبع يأكل الجيف المنتنة ، على النقيض من السبع ، فهي كلمة مدح في لهجتهم .

(٤) محومسي : بيت الشعر الكبير ذو الخمسة اعمدة ، الخرابيش : مفردها خربوش وهو بيت الشعر الحقير المصنوع من الخيش في الغالب .

الرميثي : ثم قام بنشر كتيب عام ١٩٥٦ ، بعنوان « فريسة ابي ماضي » . ترجم فيه للشاعر البدوي المغمور ، وشرح قصيدته الشبيهه بقصيدة الطين . وأورد له ايضا قصيدة ممتازه اخرى طويلة ، تبلغ خمسة وخمسين بيتا ، قال ان البدو يلقبونها بشيخة القصيد لحسنها ! . . . وذكر انني سألت العزيزي قبل مدة وجيزة : كيف يمكن أن تكون قصيدة الرميثي قد وصلت الى الشاعر أبي ماضي ، وهو الذي عاش معظم حياته في مصر وفي امريكا ؟ ! . . فأجاب بأنه ثبت لديه أن والد ايليا ابي ماضي كان يتجر مع البدو في منطقة مادبا ، وأنه لا يزال الى اليوم للشاعر أبي ماضي أقارب في منطقة مادبا ، يحتفظون باسم العائلة ، واذن فمن المؤكد ـ حسب رأيه ـ أن القصيدة قد تسربت الى أبي ماضي عن طريق والده أو أحد اقاربه ! . . . والمعروف أن مادبا مدينة تقطنها الآن عشائر بدوية مسلمة ، وعشائر بدوية مسيحية منها عشيرة العزيزي نفسه .

كيف نتلمس الحقيقة

. . . لا ريب أن الباحث الخالي لا يستطيع أن يقطع بالرأى في القضيه ! فالشاعر ابو ماضي قد غادر دنيانا وهو ينكر القصة جملة وتفصيلا ، ويؤكد أنها مختلقة ، والعزيزي هو الآن شيخ في التاسعة والسبعين ، ولا يزال يؤكد صحة القضية بحرارة وحماسة فائقتين وموقف الناعوري منها ما زال ثابتا لم يتغير ! ومعنى ذلك أنه على الرغم من مرور اكثر من ربع قرن على القضية ، فانه لم يطرأ عليها خلال ذلك ما يظهر دعوى فريق على فريق !

. . . واذن فالباحث لا مناص له من محاولة تلمس الحقيقة من خلال مناقشة اقوال الفريقين والاستئناس بالسلوك الادبي لكلا الطرفين الرئيسين فيها ، وهما الشاعر ابو ماضي والباحث روكس العزيزي .

. . . أما حجة الناعوري بأن الذين روى عنهم العزيزي القصيدة كانوا قد توفوا حين طلع بالقضية ، فيضعفها ارسال العزيزي اسماء خمسة شعراء ورواة احياء مع صورهم الى مجلة الأديب على نحو ما قلنا . . . وأما قوله : انه سأل بعض ادباء الاردن مثل عبد الحليم عباس وحسني فريز والبدوى الملثم عن الشاعر علي الرميثي ، فأبدى كل منهم استنكاره ، فمن خلال درايتي الوثيقة بأدب هؤلاء استطيع أن اقول : انهم ليسوا من الباحثين في الادب الشعبي اردني وذلك على النقيض من العزيزي الذي قصر حياته القلميه الطويلة على نشر التراث البدوى الاردني ! . . . واذن فجهل هؤلاء بعلي الرميثي لا يعني بتاتا انه لم يوجد ، أو أن ليس له قصيدة بدويه تشبه قصيدة الطين ! . . وأما قول العزيزي : ان والد الشاعر أبي ماضي كان يتاجر مع بدو منطقة مادبا ، موطن الشاعر الرميثي ، فيعوزه الاثبات المادى القاطع ! على أنني مع ذلك لا استغربه ولا استبعده ، فالمعروف ان كثيرا من اللبنانيين كانوا يتجرون مع البدو مطلع هذا القرن ، ومنهم على سبيل المثال والد جبران خليل جبران ، زعيم ادباء المهجر اذ ان صديقه ميخائيل نعيمه يذكر لنا في كتابه عنه أن والده كان يتاجر مع البدو ، وأنه كثيرا ما كان يصطحب جبران معه وهو صغير ، كما يذكر أن جبران كان يحفظ بعض الشعر البدوى وأنه كان معجبا بمقطوعة بدويه كان كثيرا ما يتغنى بها في نزعاته ومطلعها يقول : « يا زين على دروب الهوى ضعنا » !

واذن فمتاجرة والد ايليا مع البدو ليست غريبه على أي حال وتبعا لذلك فوصول شعر بدوى عن طريقه الى ابنه ليس بعيدا ايضا !

. . . وأما ادعاء الناعورى بأن القصيدة « البدوية منحوله ، نحلها العزيزي ، وهو أمر ينبغي افتراضه ومناقشته حقا ، فانني بعد تحرى دقيق لحياة العزيزي الادبيه واطلاعي على كل ما كتب تقريبا ، استطيع أن اؤكد بأنني لم المح أى شيء يجرح الثقة فيه ، ولم اعثر له طوال حياته الادبية الحافلة على سابقه شبيهه بدعواه على أبي ماضي ، ولم اجد له أى شعر بدوى من نظمه ، مع أنه ظهر في العام الماضي انه ينظم الشعر الفصيح العمودى ، وذلك حين نشر كتابه « جد الدمع » بمناسبة وفاة زوجته . . . يقابل هذا أن في حياة الشاعر ابي ماضي سابقة شبيهه بالتهمة الموجهة اليه ، وذلك حين اكتشف الدكتور احمد زكي ابو شادي مصادفة أن قصيدة أبي ماضي « هي » ليست سوى ترجمة حرفيه لقصيدة بالانجليزية تحت عنوان « تخب الفارس » .

. . . وقد اثبت الناعورى في كتابه السابق كلا القصيدتين ، وقابل بينهما ، واعترف أنه لام أبا ماضي على نعلته !

. . . واذن فما الذي يمنع ابا ماضي من ان يكون قد نقل معاني القصيدة البدوية الى الفصحى بقصيدة الطين ، كما نقل عن الانجليزية قصيدة « تخب الفارس » بقصيدة « هي » ؟ ؟ ؟

. . . ومع ان هذا قد يرجح صحة دعوى العزيزي في القضية ، الا انه من الانصاف للحقيقه ان نذكر ان العزيزي كان وما يزال من اخلص انصار الدكتور احمد زكي أبي شادي ، خصم الشاعر أبي ماضي في المهجر ، واذن فالترجيح ايضا ينبغي أن نشفعه بالقول : والله علم . . ◯

عمان ـ توفيق أبو الرب



الصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي

بقلم : الدكتور مجيد مسعود

يمكن القول من تحليل معطيات الواقع الموضوعى القائم فى أقطار الوطن العربى ، أن بعض المجهودات الانمائية قد تحققت ، إلا أنها أقل بكثير مما هو مطلوب وممكن . فالتنمية الشاملة هى ثمرة المجهودات الواعية لعملية التغيير الارادى للنمط الانتاجى والاستهلاكى ، عن طريق تعزيز قدرة المجتمع للسيطرة على موارده البشرية والمادية وترشيد استخدامها وتنميتها لصالح المجتمع بأسره . أى أن التنمية تعنى فى الجوهر عمل الناس المتجين لزيادة قدرات المجتمع الانتاجية ، من حيث الحجم والجودة للوفاء بالحاجات الاساسية للمجتمع وجماهيره الواسعة ، وبشكل خاص للفئات الاكثر حاجة لتحسين ظروفها المعاشية . وهذا يفترض بالضرورة خلق القدرة الشرائية لدى هذه الفئات الواسعة من السكان ، من خلال توليد الدخل واعادة توزيعه بعدالة .

يوجد مصدران أساسيان للتنمية ينبغى أن يهتم بهما الصندوق العربى للانماء الاقتصادى والاجتماعى مع بقية الجهات المسؤولة عن التنمية المشتركة والقطرية... مصدر عوامل التنمية الاتساعية ، وذلك باقامة المشروعات الجديدة ، أى بتوسيع حجم الاستثمارات وبتوسيع حجم العمالة . والمصدر الآخر وهو عوامل التنمية المكثفة بالترشيد العلمى للعمل وما يجب ان يرافقه من تخطيط واستخدام لمنجزات العلم والتكنيك وفنون استخدامه (التكنولوجيا) ، وتأهيل العاملين وتحفيزهم معنويا وماديا وتعزيز اخلاقيات العمل بما فيها الانضباط والمراقبة الذاتية والجماعية .

فالتنمية من هؤلاء العاملين جميعا ، وبالتالى يفترض المنطق أن تعود ثمارها اليهم جميعا .

وقد أعلنت الامانة العامة للجامعة العربية فى ١٨ ديسمبر عام ١٩٧١ بأن حكومات (الاردن ، تونس ، الجزائر ، السودان ، العراق ، السعودية ، سورية ، ليبيا ، مصر ، اليمنين ، الكويت ، لبنان ، المغرب ، الامارات ، البحرين ، قطر) ـ رغبة منها فى بناء الاقتصاد العربى على اساس متين قادر على تلبية متطلبات التنمية الاقتصادية والاجتماعية فى بلادها ، وتحقيقا لأغراض ميثاق جامعة الدول العربية ـ قد وافقت على اتفاقية بانشاء الصندوق العربى للانماء الاقتصادى والاجتماعى . .

أغراض الصندوق

يقوم بالاسهام فى تمويل مشروعات الانماء الاقتصادى والاجتماعى فى الدول والبلاد العربية ، عن طريق تمويل المشاريع الاقتصادية ذات الطابع الاستثماري بقروض تحمل شروطا ميسرة للحكومات والهيئات والمؤسسات العامة والخاصة مع منح الافضلية للمشروعات الاقتصادية الحيوية للكيان العربى والمشروعات العربية المشتركة وتشجيع توظيف الأموال العامة والخاصة بطريق مباشر أو غير مباشر بما يكفل تطوير وتنمية الاقتصاد العربى . وتوفير الخبرات والمعونات الفنية فى مختلف مجالات التنمية الاقتصادية .

وحددت اتفاقية انشاء الصندوق رأسماله بمبلغ مائة مليون دينار كويتى قابل للتحويل الى عملات قابلة

للتحويل . وقسمت الاتفاقية هذا الرأسمال الى عشرة الاف سهم ، قيمة كل منها عشرة آلاف دينار كويتي . على أن يكتتب الاعضاء فيها وفقا لمقدرتهم المالية ، يدفع العضو عشرة بالمائة من قيمة أسهمه المكتتب بها عند إيداعه وثيقة تصديقه على هذه الاتفاقية ، وعشرة بالمائة عند وضع هذه الاتفاقية موضع التنفيذ . ثم يسدد باقي الاكتتاب على عشرة أقساط سنوية متساوية . وبالاضافة لرأس المال المكتتب يستطيع الصندوق الاقتراض عن طريق اصدار السندات أوفتح الاعتمادات من المؤسسات العربية العامة والخاصة والافراد والمؤسسات الدولية . ويزيد على كل ما تقدم باموال الاحتياطية المتجمعة من عشرة بالمائة من ارباحه فى كل عام . ثم جرى الاتفاق على زيادة الرأسمال المصرح به الى اربعمائة مليون دينار كويتي حتى نهاية عام ١٩٨١ .

أجهزة الصندوق

مجلس المحافظين المكون من محافظ ونائب له يعينهما كل بلد عضو فى الصندوق لمدة خمس سنوات ، ويمكن اعادة تعيينها . وينتخب المجلس أحد المحافظين رئيسا له فى كل سنة . ويعتبر هذا المجلس بمثابة الجمعية العمومية للصندوق وله جميع سلطات الادارة ، كما أن له أن يفوض بعض سلطاته لمجلس الادارة ، كما تحددها الاتفاقية . وعند التصويت يحتسب مائتا صوت لكل عضو فى مجلس المحافظين بصرف النظر عما يملكه من الأسهم ، ثم يضاف الى ذلك صوت عن كل سهم يملكه العضو ، وحجم ملكية هذه الأسهم متباينة بشكل كبير فيما بين الاقطار الاعضاء فى الصندوق .

ويعين مجلس المحافظين مديرا عاما للصندوق من غير المحافظين أو نوابهم أو اعضاء مجلس الادارة أو نوابهم . والمدير العام هو الرئيس الاعلى لموظفى الصندوق والمسؤول عن جميع الاعمال التى تتحقق تحت اشراف مجلس الادارة . ومجلس الادارة هذا يتكون من اربعة مديرين متفرغين ينتخبهم مجلس المحافظين من العرب المشهود لهم بالخبرة والكفاية ، ويكون انتخابهم لمدة سنتين قابلتين للتجديد .

وللصندوق لجان للقروض تقوم بتقديم التقارير اللازمة عن المشروعات ومدى ملاءمة القروض المطلوبة لها . وكل لجنة تضم خبيرا يختاره المحافظ الذى يمثل العضو الذى يقوم المشروع فى اقليمه ، وعضوا أو أكثر من الفنيين الموظفين فى الصندوق ، يعينهم رئيس مجلس الادارة .

قروض الصندوق

لقد استفادت من قروض الصندوق البالغة ٧٧ قرضا لغاية ٣١ / ١٢ / ١٩٨١ خمس عشرةدولة عربية (باستثناء الكويت والعراق وقطر والامارات والسعودية) ، بلغ مجموع حجمها ٢ ، ٣٩٢ مليون دينار كويتي . امتصت البنية الاساسية (النقل والمواصلات السلكية واللاسلكية والطاقة الكهربائية والمياه والمجارى) غالبيتها العظمى « ٤ ، ٢٨٩ » مليون دينار ، والباقي وهو الجزء اليسير ذهب للزراعة وبشكل اقل جدا للصناعة . واذا اخذنا عام ١٩٨١ وهو عام الاهتمام بالزراعة نجد أن قروض الصندوق كانت موزعة ٧٦ ٪ منها لقطاعات البنية الاساسية ، و ٢٠ ٪ منها للزراعة ، و ٤ ٪ منها للصناعة . وفى اعتقادنا ان التنمية الحقيقية تتطلب عكس هذه النسب لصالح الزراعة والصناعة لتوسيع القاعدة الانتاجية فى الوطن العربي .

مهمة جديدة

أقر مؤتمر القمة العربي الحادى عشر الذى انعقد فى تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٨٠ فى عمان مبادىء اساسية منها المواطنية العربية المشتركة ومنها انشاء صندوق خاص لتمويل ما اطلق عليه حينئذ عقد التنمية العربية الأول لتحقيق تنمية متسارعة فى البلدان العربية الاقل نموا . وتم رصد خمسة آلاف مليون دينار لهذا الغرض ، تودع فى حساب خاص لدى الصندوق العربي وتوجه لتمويل التنمية فى الدول المستفيدة .

صحيح ان التنمية فى ظل ظروف الواقع الموضوعى الراهن ستظل والى حين من الزمن تنمية قطرية ، والمطلوب الممكن تحقيقه فى اطار الوضع القائم ، هو ازدياد توجهها للتعاون والتكامل التدريجي عربيا من خلال المؤسسات القائمة بعد ترشيدها لتتناسب مع الظروف الراهنة ، وطموحات شعوب امتنا العربية بالتلاقى والتعاضد . ولا بد من خلق اطار خطة قومية عربية مشتركة تجمع فى داخلها المشروعات العربية المشتركة القائمة والجارى إنشاؤها والممكن اضافتها فى المستقبل المنظور . وهذا يستلزم بالضرورة وجود هيئة قومية تتمتع بصلاحيات تتساوى مع اهداف مثل هذه الخطة على الصعيد القومى العربي ، واختيار الوسائل الملائمة لتنفيذها وسبل تنسيقها مع الخطط القطرية للتنمية .

لقد قام الصندوق بجهد واضح فى اعداد الكثير من الدراسات والبحوث ، والمطلوب منه اضافة لذلك التوجه نحو دراسة الحاجات الاساسية للجماهير الواسعة وآفاق تطورها وسبل اشباعها ، لتصبح مثل البوصلة الموجهة لعمل المخططين على الصعيدين القطرى والقومى ، عند اعداد الخطط الانمائية وما يغذيها من مشاريع متنوعة .



عن القرآن

بقلم الدكتور : كامل زعموت

« مقال القرآن وهموم المجتمع العربي » الذي نشرته العربي في العدد ٢٩١ للدكتور محمد أحمد خلف الله ، يفتح الباب لعديد من التساؤلات وعلامات الاستفهام ، فالكاتب يركز - ومن غير مبرر فيما أرى - على عبارتي : « المجتمع العربي » - وقد وردت الاشارة اليها احدى عشرة مرة في ص ١٨ منها خمس مرات بلفظ « المجتمع العربي » و « النبي العربي » أربع مرات أيضا في ص ١٨ . علما بأن ص١٨ تضمنت مادة مكتوبة على مساحة نصف صفحة .

استوقفني أيضا ماقاله الكاتب عندما تحدث عن « هموم المسلمين في مكة » . اذ جاء في الفقرة الأخيرة مانصه : « فهذه الشخصيات التي رسمها القرآن لأعضاء الملأ من قريش ، وهي عديدة متنوعة ، تدل دلالة قاطعة على مدى دلالة هذه النماذج البشرية من الحياة العربية على أن القرآن الكريم كان يهتم اهتماما بالغا بشؤون هذا المجتمع دون شؤون غيره من المجتمعات » ص ٢٠ عامود ٢

وعندما تحدث عن « هموم المسلمين في المدينة قال مانصه : « اما هموم العرب المسلمين في المدينة فقد وقف القرآن الكريم عندها وأطال - حتى ليصح القول بأن التشريعات الاسلامية لم تكن الا لعلاج الهموم العربية - الأمر الذي ينتهي بنا الى القول بأن الاسلام ليس الا البدائل التي جاءت من السماء لتحل محل المتغيرات العربية التي أصبحت غير صالحة في المجتمع العربي أولا وبالذات » وهكذا قرر سيادته وانتهى به القول الى ما انتهى . أما بقية المجتمعات فلست أدري ما شأنها وماعلاقة الاسلام بها ؟ وهل يصلح لها ولأحوالها وظروفها وخصوصا اذا كانت هذه الاحوال والظروف تخالف ماعليه المجتمع العربي ؟

وحيث جاءت العبارة الأخيرة من مقاله تعلن وتعلم بأن السيد الدكتور عاقد العزم أن يعود مرة أخرى للحديث عن هموم المجتمع العربي أحببت أن اعقب على المقال بما خطر لي ، عل الدكتور الكاتب يزيل هذا الشك بيقين من عنده . .

لقد بدأ كلامه قائلا :

« قارىء القرآن الكريم في ريث ومهلة وفي تدبر وامعان ، يستطيع ان يدرك في وضوح وجلاء الحقائق الثلاث التالية » :

الأولى : ان القرآن الكريم كان يسجل في دقة متناهية ، وفي توثيق منقطع النظير وقائع الحياة التي تحدث في المجتمع العربي منذ بدء نزوله من السماء يوم بعث الله محمد بن عبد الله لهذا المجتمع نبيا رسولا والى ان توقف عن النزول حين وفاة النبي العربي محمد بن عبد الله عليه

منتدى العربي ساحة للحوار الحر، الذي لا يعبر بالضرورة عن رأي المجلة، وإنما تنسب الآراء الواردة فيه لأصحابها أولا وأخيرا.

وهموم المجتمع العربي

الصلاة والسلام..

الثانية: ان القرآن الكريم قد جعل من النبي العربي عليه الصلاة والسلام الداعي الذي يدعو الناس الى احداث تغييرات جذرية في بناء هذا المجتمع العربي، ويجعل منه ايضا القائد لحركة التغييرات الجذرية هذه........

الثالثة: وهي الحقيقة المؤسسة على الحقيقتين السابقتين، أن القرآن الكريم كان يعالج هموم هذا المجتمع وكان يقدم الحلول لمشكلات الحياة فيه «العربي عدد ٢٩١ ص ١٨

ومن هنا نبدأ «من الحقيقة الثالثة» وهي التي اثارت التساؤل عندي. والا فمن على وجه الأرض ينكر أن محمدا صلى الله عليه وآله وسلم نبي عربي معروف الأصل والنسب والدار ولكنهم في الغرب - وخصوصا بعض المستشرقين - وقد سمعت ذلك منهم اثناء دراستي هناك يعتقدون ان محمدا صلى الله عليه وسلم نبي ولكنه للعرب فقط الامر الذي دعاني الى التساؤل عن مقصد السيد الدكتور عندما رأيته يركز على «أن القرآن الكريم كان يعالج هموم هذا المجتمع - يعني العربي - وكان يقدم الحلول لمشكلات الحياة فيه».

فقلت: اذا فما بال المجتمعات الأخرى ومابال الحلول لمشكلاتها ؟؟ أترك الجواب للسيد الدكتور كي يوضحه قبل ان ينساق في تكميل مابدأ.

ثم أين نحن من قوله تعالى «وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا» (سبأ - ٢٨) ولأمر ما ختم الله الآية بقوله «ولكن اكثر الناس لايعلمون». ثم أين عقيدتنا في أنه رسول للانس والجن معا. فكيف قدم القرآن أو الاسلام أو على الأصح «النبي العربي» هذا الحلول ؟؟ والى الحقيقة الاولى التي أشار اليها سيادته أعود فأقول: اذا كان القرآن الكريم كان يسجل في دقة متناهية وفي توثيق منقطع النظير وقائع الحياة التي تحدث في المجتمع العربي في مكة والمدينة وفي الغزوات ومع نسائه صلى الله عليه وآله وسلم.. أم يسجل لنا القرآن الكريم بدقة اكثر في التناهي وفي توثيق اكبر في انقطاع النظير عندما سجل احوال الأمم الأخرى والأنبياء والمرسلين الآخرين ؟ ولا أريد البحث والتقصي - فليس هذا مجاله الان - ولكن:

ألم يرسل كل رسول بلسان قومه ومن بين مجتمعه.. هذا القرآن الكريم أمامك فاقرأه على مهل ؟

ألم يذكر لنا قصص بني اسرائيل حتى قص علينا قصة البقرة وكيف احتاروا عندما اختاروا حتى تشابه البقر عليهم ؟؟

الم يذكر قصة مريم عليها السلام وكيف عاشت وعوملت وكم مرة ذكرت في القرآن الكريم ؟؟

الم يقص علينا قصة بلقيس وكيف كشفت عن ساقيها ؟ نعم الى هذا الحد في التناهي من الدقة والتوثيق.

الم يحدثنا عن يوسف وامرأة العزيز وتغليق الابواب والعبارة التي تلفظت بها - هيت لك - أفبعد هذا التوثيق توثيق ؟ وسماه أحسن القصص.

ألم يقص علينا قصة موسى عليه السلام في مواضع شتى وأساليب مختلفة. أين منها ما ذكر عن العرب وعن المجتمع العربي ؟؟

ألم يحدثنا القرآن عن استحياء بنت شعيب عندما جاءت تكلم موسى عليهما السلام ؟

ومن هنا - ولا أريد الاستطراد في ذكر حوادث القرآن الكريم وقصصه فهي شتى وفيها عبر لمن اراد ان يعتبر ثارت تساؤلاتي عن القصد الذي يكمن وراء هذا التركيز على عبارتي «النبي العربي» و«المجتمع العربي»، وقد اوضحت السبب سلفا في أن كثيرين من المستشرقين ومن اهل الغرب يقولون أنه دين للعرب فقط وانه نبي للعرب فقط فتأتي أمثال هذه الكتابات لترسخ مثل هذه المعاني وكم سمعنا في أيام شبابنا ان - هذا الدين - الاسلام - جاء نتيجة حتمية لتطور الحضارة العربية.

فهل العرب هم الذين جاؤوا بهذا أم أنزله الله من عنده والى جميع الناس ؟؟

«فالى أي مصير نسير»؟ «ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير».

الدوحة - د. كامل زعموت

حول مستقبل البحث العلمي



بقلم الدكتور : عبد اللطيف ابو السعود

في العدد ٢٨٩ من مجلة « العربي » ، تحدث الدكتور عبد العظيم أنيس عن مستقبل البحث العلمي في وطننا العربي قائلا : « يحزنني ويحزن الكثير من أمثالي المشتغلين بالبحث العلمي ، أن نجد مراكز البحوث والجامعات في الوطن العربي لاتساير التطورات العلمية الرئيسية التي تحدث في أوروبا أو الولايات المتحدة . وقد كنت أظن أن عشر سنوات مدة كافية لكي تستجيب هذه المراكز البحثية لهذه الاكتشافات الجديدة ، على الاقل من باب الفهم والدراسة والنقد ، ولن أقول من باب التطور والاضافة .

« ان مثل هذه الاكتشافات هي ثمرة ديناميكية المجتمعات الصناعية المتقدمة ولذلك يبدو لي أنه الى أن تتحول مجتمعاتنا من مجتمعات متخلفة صناعيا الى مجتمعات متقدمة فليس من المتصور أن تبدأ هذه الاكتشافات عندنا » .

« لكن يكون من الضروري على الأقل أن نتابعها ، وأن نترجم المؤلفات الاساسية التي تصدر في الخارج عنها ، وأن تعقد الندوات التعليمية في مراكز البحوث والجامعات لمناقشتها ، والقاء الأضواء على خفاياها . وبهذا نمهد للزمن الآتي ، حيث نستطيع أن نضيف ونطور ونكون بذلك من المساهمين في حركة البحث الدولية . »

« لا أعتقد أن شيئا من هذا يحدث في أي جزء من عالمنا العربي . وأنا على الاقل واثق من أنه لايحدث في مصر . وسوف أضرب مثلين لتطورين اساسيين في مجال العلوم الرياضية ، وهو المجال الذي أعرفه جيدا ، لم أجد اهتماما في مصر بهما ، ولاشك أن هذا الوضع ينطبق في مجالات أخرى . »

وضرب مثلا بنظرية الكارثة ، التي تتعلق بالتغيرات المفاجئة ، وكيف أن المتخصصين عندنا لايدرون شيئا عن تطبيقاتها ، وربما لم يسمعوا أصلا بهذه النظرية ذاتها .

أما المثال الثاني على النوم الذي تغط فيه مراكز بحوثنا ، فيتعلق بمجال التحليل غير القياسي . »

« هذان اذن مثالان على تطورين أساسين في العلوم الرياضية ، وقعا في السنوات العشر الاخيرة ، لايجدان لهما صدى في دوائر البحث العلمي في الوطن العربي حتى اليوم . ولابد أن تكون العلوم الأخرى حافلة بأمثلة من نفس النوع والمشكلة ليست هي انعدام الباحث العربي المهتم ، وانما هي مشكلة توفر الاتصال الدائم بيننا وبين مراكز البحوث في الخارج وتوفر المكتبات المليئة بالمراجع العالمية الحديثة ، وتوفر الوقت الكافي للاكاديميين ، للانصراف لمثل هذا العمل الجليل بدلا من الجري وراء لقمة العيش » .

يعمل الباحث في موضوع (او أكثر) فضي سنوات عديدة في دراسته والتعرف على الموضوعات المتصلة به وهو يجد في نفسه المقدرة على التخطيط للتجارب التي تلقي مزيدا من الضوء على ماخفي من دقائق هذا الموضوع ، واستخلاص النتائج من هذه التجارب . وهو يتوقف قليلا من حين لاخر ، ليقيم ماتوصل اليه من نتائج ثم يضعها في صورة ورقة علمية يبعث بها الى مجلة علمية متخصصه هي في كثير من الاحوال أوروبية أو امريكية يقوم محررها بعرض هذا البحث على اثنين من كبار العلماء المتخصصين في الموضوع للاستئناس برأيهما فيه . وقد يجدان فيه اضافة

جديدة الى العلم فيقترحان قبوله للنشر أو قد يقترحان ادخال تعديلات عليه ، أو قد لا يقبلونه لأسباب يبينانها .

اذا وجد الباحث انه يعمل في موضوع تطوله دائه ، وأنه قادر على العطاء فيه ، فانه يكون من الطبيعي أن يستمر في هذا الاتجاه . واذا سمع عن اتجاه جديد (وما اكثر الاتجاهات الحديثة التي نقرأ عنها من حين لآخر) ، فانه يقرأ ماينشر فيه من أبحاث ليضيف جديدا الى معلوماته ولكن ليس من الضروري أن ينتقل الى هذا المجال الجديد . ذلك أن الانتقال من مجال بحثي الى مجال آخر مختلف تماما ، أمر من أشق الامور . ان ذلك يستلزم الاطلاع على ماكتب في هذا الموضوع ، والموضوعات المتصلة به ، واعداد التسهيلات المعملية (التي قد لايمكن توفيرها) ، والبيانات اللازمة . ثم البحث عن فكرة جديدة (قد لاتواتيه) وعلى ذلك فان الباحث في كثير من الاحوال لاينتقل من مجال بحثي الى مجال آخر الا اذا تأكد من أنه قد قتل الموضوع الأول بحثا ، بحيث أصبح لايرجى منه خيرا .

وعلى ذلك ، فان من الطبيعي أن تظهر مجالات جديدة مثل نظرية الكارثة والتحليل غير القياسي ، وغيرهما ، وأن لايسارع بالبحث فيها علماء لامن البلاد العربية وحدها ، ولكن من كثير من بلاد العالم .

هذا وقد اتصلت ببعض الزملاء الذين عادوا مؤخرا من بعثات في أوربا وامريكا في تخصص الرياضيات ، فلم أجد عندهم علما بهذين الاتجاهين الجديدين الأمر الذي يدل على ان المدارس العلمية التي كانوا يبحثون فيها ، كانت تهتم باتجاهات أخرى ، وما اكثرها .

أما ماذكره الدكتور أنيس من أن « المتخصصين عندنا لايدرون شيئا عن ذلك ، وربما لم يسمعوا أصلا به » فهو قول يفتقر الى الدقة العلمية . اذ أنه لاسبيل الى الوصول الى ذلك الا عن طريق القيام بحصر شامل لعلماء الرياضيات العرب ، وابحاثهم المنشورة ، وأبحاثهم التي لم تنشر بعد ، وأبحاثهم الجارية واهتماماتهم وقراءاتهم عندئذ فقط يمكننا أن نقرر ما اذا كانوا يدرون شيئا عن ذلك أو لايدرون .

أما حديث الدكتور أنيس عن « النوم الذي تغط فيه مراكز بحوثنا » فلا أساس له من الصحة . ذلك أن مراكز بحوثنا بخير ، وعلماؤنا قائمون بواجباتهم خير قيام . يشهد على ذلك انتاجهم الذي نجده منشورا على صفحات المجلات العالمية المتخصصة ، وفي المؤتمرات الدولية ، ويربط الدكتور أنيس بين الاكتشافات العلمية وبين التقدم الصناعي والواقع أن هذه العلاقة ليست وثيقة ، اذ أن علماءنا يتم اعدادهم على نفس المستوى الذي يتم به اعداد العلماء في البلاد الصناعية المتقدمة وعلى ذلك فان الفرصة للتوصل الى اكتشاف علمي متاحة للجميع بنفس الدرجة . ولكل مجتهد نصيب .

ويعزو الدكتور أنيس هذه المشكلة (التي يراها) الى عدم توفر الاتصال الدائم بيننا وبين مراكز البحوث في الخارج ، وعدم توفر المكتبات المليئة بالمراجع العلمية الحديثة .

ولكن الواقع أن قنوات الاتصال مفتوحة دائما عن طريق البعثات والاجازات الدراسية ، والمهمات العلمية ، كما أن المكتبات لاتتأخر عن تلبية طلبات الباحثين من المراجع الحديثة .

أما دعوة الدكتور أنيس للعلماء الى الانصراف الى البحث العلمي ، بدلا من الجري وراء لقمة العيش ، فهي دعوة لن تجد لها أذنا صاغية ، خاصة وأن المرتبات ثابتة ، والأسعار في ارتفاع مستمر . ان العلماء في البلاد الصناعية لايعانون من هذه المشكلة كما يعاني منها العلماء العرب ، لأن المرتبات في تلك البلاد ترتفع بنفس معدل ارتفاع الاسعار .

كما ضرب الدكتور أنيس مثلا بعالم مصري متخصص في الكمبيوتر ، تقابل مع عالم انجليزي ، فوجده على علم دقيق بموضوع معين لم يكن العالم المصري قد سمع به .

وهذا أمر غير مستغرب ، اذ أن الكمبيوتر يجد اليوم تطبيقات في عديد من المجالات يستحيل على عالم واحد أن يحيط بها . ان نظرة فاحصة للابحاث التي تلقى في المؤتمرات التي تعقد من حين لآخر عن تطبيقات الكمبيوتر ، هي خير دليل وأوضح برهان .

ان البحث العلمي بخير في عالمنا العربي . وعلماؤنا يبذلون قصارى جهدهم ، وهم يعملون بما يتوفر من تجهيزات معملية ، وعليهم أن ينشروا انتاجهم العلمي من حين لآخر وأن يسبقوا الزمن فهناك فوق رقابهم سيف مسلط ، أن انشروا نتائج ابحاثكم والا كنتم من الهالكين

Publish or Perish

د . عبد اللطيف ابو السعود



يا مستهلكي السلاح .. اتحدوا

بقلم المهندس : حافظ أحمد أمين

كلمة (بروليتاريا) كلمة قديمة ، كانت تعني عند الرومان (الأجانب عن المدينة) ، اذ كان الأجانب في تلك البلاد محرومين من كثير من الحقوق التي كان المواطنون يتمتعون بها .

فلما جاء كارل ماركس ، ورأى أن الفلاحين وعمال الصناعة محرومون من الحقوق التي تتمتع بها الطبقة الغنية ، أطلق عليهم اسم (البروليتاريا) .

ورأى ماركس ان البروليتاريا هم وقود الحروب بين الدول ، وأن الأغنياء هم وحدهم المستفيدون من هذه الحروب ، فالأغنياء هم المنتصرون دائما ، والبروليتاريا هم المهزومون دائما ، وبعد أن شرح ماركس رأيه ، قال كلمته الشهيرة (ياعمال العالم اتحدوا) ، حتى يتحول العداء الذي يفتعله الأغنياء بين الدول ، الى ثورة على الأغنياء داخل كل دولة .

وانتهت الحرب العالمية الثانية ، وتقدمت التكنولوجيا تقدما كبيرا ـ تكنولوجيا الانتاج ، وتكنولوجيا وسائل التوجيه والاعلام ـ واكتشف أصحاب رؤوس الأموال أن رفع أجور العمال يخدم مصالحهم أكثر مما يضر بها ـ بشرط أن يذهب أكثر هذه الأجور في شراء المنتجات التي تريد الصناعة بيعها ـ واكتشفوا أيضا أن العمال يخدمون الصناعة كمستهلكين كما يخدمونها كمنتجين ، فوافقوا على تخفيض ساعات العمل ـ بشرط أن تكرس باقي الساعات في الاستهلاك المطلوب .

ساعدت التكنولوجيا الجديدة على مضاعفة الانتاج ، ورفع أصحاب المصانع أجور العمال وانقصوا من ساعات العمل ، واستخدموا التقدم الكبير في تكنولوجيا التوجيه والاعلام للتأثير على الطبقات العاملة حتى لاتتجه أجورهم الا لشراء مايريد أصحاب الصناعة بيعه ، وحتى لاتذهب أوقات الفراغ الا فيما يريد أصحاب الصناعة أن تذهب .

زال كثير من سخط العمال واختفى احساسهم بالحرمان ـ وخاصة في بلاد الشمال ويئس قادة الثورات ـ خلال الخمسينات والستينات ـ من تجنيد العمال للثورة ضد أصحاب النفوذ ، وفجأة قام من يقول ان عمال الصناعة والفلاحين لم يعودوا هم بروليتاريا العصر الحديث ، وانما البروليتاريا الجديدة هم الطلبة .

قام الطلبة والشباب ـ متأثرين بكتابات بعض فلاسفة عصرهم من أمثال ماركيوز وجالبريث وغيرهما ـ ليعلنوا أن العمال قد فقدوا ثوريتهم ، وأن كارل ماركس لو كان حيا في وقتنا هذا لقال (ياطلبة العالم اتحدوا) .

يقول ماركيوز انه اذا كان العامل في الماضي قد فقد حريته في قسوة العمل ، فقد فقدها في الحاضر في سعيه المسعور للحصول على السلع التي يريد أصحاب المصانع بيعها .. لقد نجحت وسائل الاعلام الحديثة في تحويل السؤال الذي كان يشغل بال الانسان في الماضي (ماهي السلع التي أحتاج اليها ؟) الى سؤال جديد (ماهي السلع التي يجب على أن أشتريها ؟) وهو سؤال أدخلته في رؤوسهم وسائل الاعلام الحديثة بطرق في غاية من الخبث

والشيطانية ، بعد أن أخرجت السؤال الأول من الرؤوس .

ويقول جالبريث ان وسائل الاغراء في هذه العملية لاتقل خطورة عن وسائل القهر التي كان يفرضها الرأسماليون الأوائل ، وأن الكثيرين من العمال يقعون في أحابيلها ، وأن الحرية ليست من الأمور التي يسهل الحصول عليها ، بل ليست من الأمور التي يسهل الاحتفاظ بها بعد الحصول عليها ، وأن التنازل عنها ـ عند الكثيرين ـ أسهل من استخدامها ، لهذا انتقلت صفة البروليتاريا من العمال الى الطلبة ، لأنهم أكثر الفئات احساسا بذلك النوع الجديد من الحرمان : الحرمان من القدرة على الاختيار .

وكما خاطب كارل ماركس بروليتاريا عصره ، وطالبهم بالاتحاد لكسر الأغلال ومنع الاستغلال ، طالب زعماء بروليتاريا العصر الحديث (الطلبة) برفض القيم الحديثة لمجتمعاتهم ، وبالثورة على الفكرة السائدة التي تقول بأن الاستهلاك بأي ثمن وبأي شكل هو غاية الغايات .

ويبدو أن السياسيين كانوا دائما ـ ومازالوا ـ أمهر كثيرا من الفلاسفة ومن الثوار ذلك لأنهم أقدر الناس على اللعب بالقوى السائدة في مجتمعاتهم ، وعلى توجيه نشاط هذه القوى لمصلحتهم ، فما أن أحسوا بخطورة الدعوة الجديدة ، حتى وضعوا العمال والطلبة معا في ساحة قتال واحدة ، وخططوا لحرب ضروس بين الفريقين ، فدسوا بين الطلبة من اتهم العمال بأنهم برجوازيو العصر الحديث ، لايفكرون الا في اقتناء السلع والبضائع ، ودسوا بين العمال من وصف ثورة الطلبة بأنها ثورة المدللين الناعمين ، الذين لايحملون من الأسلحة الا الكلمات . . . فشغلوا كل فريق بالآخر ، ليشغل الاثنان عن العدو الأصلي .

هذا عن فلاسفة الغرب وعن ثوراته الأخيرة . . فماذا عن البلاد النامية ؟

أعتقد أنه لو ظهر الآن فيلسوف من بين أهل الجنوب ، وسمحوا له بالكلام ، لقال ان البروليتاريا الجديدة في عصرنا ليست الا الجنوب وسكانه ، المشغولين بقتل بعضهم البعض ، بأسلحة مستوردة من بلاد الشمال ، في حروب يخططها أهل الشمال .

لو ظهر هذا الفيلسوف وسمحوا له بالكلام لنادي : « يامستهلكي السلاح . . . اتحدوا . »

وقد يمكننا ـ بعد هذا الكلام ـ تقسيم القرن العشرين الى ثلاث مراحل :

المرحلة الأولى : عندما كانت مظاهر الاستغلال تتجلى في ضعف أجور العمال وطول ساعات العمل .

المرحلة الثانية : عندما كانت مظاهر الاستغلال تتجلى في فرض أنماط معينة من الاستهلاك على المستهلكين .

المرحلة الثالثة : وهي مرحلة متداخلة مع المرحلة الثانية ، وفيها تقوم معظم رفاهية أهل الشمال نتيجة سياسة تصدير السلاح لأهل الجنوب .

ولضمان استمرار هذه السياسة ، زرع أهل الشمال في كل منطقة من مناطق الجنوب بؤرة مسلحة تسليحا حديثا ، تقوم بتمثيل دور العدو اللدود للمنطقة كلها ، ثم يتم اشعال روح العداء ، والمبالغة في وصف شراسة هذا العدو ، الدخيل على المنطقة حتى تضحى البلاد المحيطة بكل مالديها من أجل استيراد الأسلحة ، لمواجهة هذا العدو المجرم اللئيم .وتستمر هذه اللعبة لمدة عقد أو عقدين ، الى أن تنتبه بعض بلدان المنطقة الى الاستنزاف الذي يحدث لها حتى يعيش أهل الشمال في رخاء دائم ، فترفض مواصلة الحرب وتفضل السلام على الفناء ، فيبتسم الشمال ابتسامة شيطانية ، ويدخل شريكا في عملية السلام ، ويجد في هذا الموقف الجديد فرصة سانحة لتقسيم المنطقة الى قسمين متعادين : القسم الأول يريد السلام ويرفض استمرار الاستنزاف مع البؤرة الداخلية ، والقسم الثاني يريد مواصلة الحرب مع الدخيل حتى يخرج من المنطقة ، القسم الأول يتهم القسم الثاني بالغفلة لأنه لايدرك ماهو فيه من استنزاف ، والقسم الثاني يتهم القسم الأول بالخذلان والاستسلام ، ويتطور الاتهامان الى أن تشتعل الحروب بين القسمين ، وتقف البؤرة موقف الحكم في المباراة .

كما وضع السياسيون من أهل الشمال كلا من العمال والطلبة في ساحة قتال واحدة فقضوا على أي احتمال للثورة ، وضع صانعو الأسلحة من أهل الشمال أيضا كل بلدان الجنوب في ساحات قتال ، كل فريق يحارب جاره ، فضمنوا بذلك تجارة مستمرة في السلاح ، ورخاء دائما لأهل الشمال .

لقد انتقلت كلمة (البروليتاريا) من (الأجانب) الى (العمال) الى (الطلبة) الى (سكان الجنوب) ، واذا كان الفلاسفة في النصف الثاني من القرن الماضي والنصف الأول من هذا القرن قد ظهروا في الشمال ، ليطلبوا من العمال ، ثم من الطلبة أن يتحدوا ، فاننا لن ننتظر هذه المرة أن يظهر الفلاسفة الجدد من بلاد الشمال لأن بلاد الشمال الآن هي المستفيدة من بروليتارية الجنوب . . .

الفيلسوف الجديد لابد أن يظهر من بيننا . . .

وانتظر أن تكون أولى كلماته : « يامستهلكي السلاح . . . اتحدوا » .

القاهرة ـ حافظ أحمد أمين



ظاهرة الأصناف

أو التعاونية في المجتمع الإسلامي

بقلم : الدكتور محمد عيسى صالحة

تنظيم العمال في نقابات وهيئات وتصنيف المهن وتعلمها وحتى أمنها الصناعي نراه في الغرب هو المثال الذي يجب أن يحتذي ، ومرد قوة النموذج الغربي الصناعي انما يعود في الأساس لريادته في تفجير الثورة الصناعية ، ولكن دعني أقدم لك نموذجا برز في المجتمع الاسلامي في قرونه الخمسة الأولى ، غايته تنظيم المهن والحرف ، والحفاظ على مستوى الصنعة ، والاهتمام بمصالح اعضاء الصنعة الواحدة والعناية بالمواد الأولية ، هذا بالاضافة إلى المحافظة على آداب الصنعة والالتزام بسلك فضلائها والتحلي بمحكم اخلاقها . ذاك هو نموذج الأصناف .

والصنف كما عرفه ابن منظور هو الطائفة من كل شيء ، ومعناه في الصناعة الجماعة الحرفية والمهنية في المجتمع مثل صنف النجارين والحدادين والقبارين والقرطاسيين والحراثين والحواصد وعمال الدواليب ومهندسي القنوات وغيرهم . ونستطيع أن نعزو ـ لتوسع الملكيات الزراعية وخاصة في العصر العباسي ـ الفضل في ارتقاء الصناعات الزراعية كصناعة النسيج والسكر والعطور والشموع والصابون ، هذا بالاضافة إلى ازدياد عدد الحرفيين في المدن الاسلامية ، والاهتمام بهم لدرجة تخصيص الاماكن المناسبة لكل حرفة أو مهنة ، ففي مدينة الرملة أفرد سوق للقطانين وآخر للعطارين وثالث للمشاطين ورابع للخشابين وغيره للأكافين والصياقلة والسراجين وغيرها ، وفي مدينة واسط أنزل الحجاج أصحاب الطعام والبزازين والعطارين عن يمين السوق وأنزل البقالين واصحاب الفاكهة في قبلة السوق ، ويظهر مثل هذا التنظيم بوضوح في مدينة بغداد ، فلكل تجار وتجارة شوارع معلومة وصفوف في تلك الشوارع وحوانيت وعراص ، وليس يختلط قوم بقوم ولا تجارة



بتجارة ولايباع صنف مع غير صنفه ، ولايختلط اصحاب المهن من سائر الصناعات بغيرهم ، وكل سوق مفردة ، وكل أهل منفردون بتجاراتهم ، وكل أهل مهنة معتزلون عن غير طبقتهم .

ومن ناحية أخرى فان الخلفاء ساعدوا على ازدياد عدد الصناع والحرفيين في حواضر الدولة ، فالخليفة أبو جعفر المنصور وجه في احضار المهندسين وأهل المعرفة بالبناء والعلم بالذرع والمساحة وقسمة الأرضين ، وأحضر البنائين والفعلة والصناع من النجارين والحدادين والحفارين ، فلما اجتمعوا وتكاملوا أجرى عليهم الأرزاق وأقام لهم الأجرة ، وكتب الى كل بلد في حمل من فيه ممن يفهم شيئا عن البناء فحضر إليه مائة الف من أصناف المهن والصناعات . ومثل ذلك المعتصم حين كتب في اشخاص الفعلة والبنائين وأهل المهن من الحدادين والنجارين وسائر الصناعات ، وغيرهم من الخلفاء

والوزراء سهلوا للصناع السكن في المدن وفي دروب خاصة . وكان لهذا دوافعه في تكتل أصحاب كل حرفة في سوق واحدة ، وأفرزت رابطة المشاركة في الحرفة بين الصناع الشعور بروح الجماعة بين أفرادها ، ومن ثم جعل الصناع يناقشون مصالحهم وأصول حرفهم في مكان واحد ، بل ويتصدون لأساليب التنافس بينهم بضبطها والقضاء على كل مماحكة بين صناع وحرفيّ كل صنف

لكل صنف أستاذ

ان الاهتمام بأسرار الصنعة واتقانها كان أمرا ذا بال لأفراد الصنف الواحد فلا يتقدم للانتماء اليه الا من حذق فيه ، ولايكون ذلك الا على يد أستاذ ماهر بالصنعة قد خبرها ، وعلى المتدرب أن يجهد نفسه في تعلمها حتى اذا ما أتقنها تقدم لامتحان فيها ، فان اجتاز الامتحان سمح له بممارسة الصنعة بعد عقد مراسيم خاصة .

ولكل صنف من الأصناف مراتبه التنظيمية التي لايستطيع الفرد الانتقال من مرتبة الى التي تليها الا بعد اتقانه مهام مرتبته مهنيا وسلوكيا . ويقف على رأس الهيكل التنظيمي للصنف ، شيخ الصنف أو رئيسه ، ويكون أحد أفراده المعروفين بفضله وعلمه وكثرة تجاربه وبراعته في اتقانه للمهنة . وغالبا ما ينتخب من قبل اعضاء الصنف ، وتعترف السلطة بتعيينه ويمثل اعضاء الصنف في قضاياه ، ويستشار في أمور الصنعة وتحديد الأسعار وتنفذ كلمته على بقية اعضاء الصنف ، ثم يتلوه الاستاذ وهو الدليل في الصنعة ، فللقطانين استاذ وللحدادين استاذ وللنجارين استاذ ، وغالبا مايلحق به عدد من الصناع أو الخلفة ، يساعدون الأستاذ في اشغاله ثم التلاميذ واخيرا المبتدىء وهو الذي يرغب في الالتحاق بأحد حوانيت الحرف ليتعلم صنعة ما .

وما من راغب في الصنعة يستطيع ممارستها الا بعد أن يتعلم أسرارها ويجهد نفسه في تعلمها ، فان أنس الأستاذ منه رشدا وبراعة وحذاقة ، أعطاه عهدا بذلك يتضمن التعريف بالصانع وتقبله لأوامر الصنعة والتزامه بأدبيات وسلوكيات أعضائها ، فان حل تذكرته من استاذه رفع أمره إلى شيخ أو نقيب الصنف ، فان قبل أمره طلب استاذه وجرى الحديث عن الصنعة بحضور الأستاذ ، وعندها يطلب الشيخ للصانع أن يعد نفسه ليوم الشد .

عملية الشد

والشد احتفال يقيمه شيخ الصنف ويحضره الأساتذة والتلاميذ وغيرهم ، وتعقد فيه مراسيم وشعائر خاصة يكرس فيها الصانع استاذا في صنعته ويمنح كل امتيازات



الأستاذية ، وغالبا مايتهي الاحتفال بربط حزم من النسيج أو فوطة أو منديل أو زنار من الحرير والصوف في وسط الصانع أو حول رأسه أو كتفه ، وهي علامة عن انتظام الصانع في صنف الاساتذة ، وغالبا مايقصد بعملية الشد هذه تذكير الفرد بضرورة المحافظة على سمعة الصنف الذي ينتمي اليه والبعد عن الفواحش ، ويحظر عليه بعدها تناول افراد الصنف الا بطيب الكلام والدفاع عن افراد الصنف اذا مانهشوا من قبل أحدهم ، وواجب عليه أن يذكر محاسن متقدمي الصنف وظريف اخبارهم وقصصهم ، ويحاول استخراج مايدل على الخصال الحميدة حتى غدا شعارهم « الصناعة نسب » والنسب يجمع على التحاب والتناصر ، ولهذا لانستغرب أن تلحق مسميات الحرف بأسماء الاعلام مثل الساعاتي والنجار والقناديلي والحداد والموقت والأسكافي والخياط والنقاش وغيرهم .

ونقرأ في مصادرنا التراثية عن مظاهر التعاون بين الصناع ، فقد يتفق الصناع على اخلاء السوق لأحدهم ، ويرفعون أيديهم عن البيع حتى تفك ضائقته ، فقد سأل القصري (صاحب سوق سوسة) ، يحيى بن عمر ـ ٢٨٩هـ ، عن الجزارين والبقالين يخلون السوق لواحد منهم يبيع فيه اللحم وحده يوما أو يومين ولا يبيع باقي أهل السوق في ذلك اليوم الذي أخلوه لذلك الرجل وحده ، وانما صنعوا ذلك رفقا بذلك الرجل اذ أفنى مافي يده أو أراد أن يتزوج فيقوى بذلك الربح الذي أمسك هؤلاء عنه ، هل يرى ذلك جائزا أم لا ؟ ، وكان جواب يحيى بن عمر اذا أخلى أهل السوق لهذا الرجل كما ذكر ، وكان في ذلك مضرة على العامة ، فوجب النهي عنه وان انتفى الضرر فذلك لهم : ولمثل هذا أشار الجاحظ أيضا فقال « وانه ليبلغني أن رجلا من القصابين يكون في سوقه فيتلف مافي يديه ، فيخلي له القصابون سوقهم يوما ، ويجعلون له ارباحهم فيكون بربحها مفردا وبالبيع متفردا فيسدون بذلك خلته ويجبرون منه كسره » .

وهل أتاك حديث التاجر العماني الذي صادر منه أحمد بن هلال الوالي على عمان أيام المقتدر العباسي ، اكثر من ٥٠٠ ألف دينار ، وحين رفع أمره الى الخليفة طلب الى واليه ان يرسله اليه ، وحيث ان التاجر كان وكيل المراكب في عمان ، وفي نفيه من البلد تضييق على تجار البلد بحرمانهم من المراكب التي تحمل البضائع اليهم ومنهم ، وازاء ذلك تضامن التجار وأغلقوا السوق وكتبوا المحاضر بذلك . وشهد الناس بأنه متى حمل هذا التاجر لحاضرة الخلافة انقطعت المراكب من عمان وهرب التجار من البلد ، وزيادة في تضامنهم فقد اتفق تجار عمان ألا يطرقوا سواحل العراق ، بل وهددوا بترك البلد بدعوى « ان تم هذا على أصغرنا ، جرى فيما بعد على الكبير منا أعظم منه » فالخروج الى مكان آخر أفضل لنا ، وفي النهاية ألغى المقتدر أمر المصادرة وعادت الأمور الى سابق عهدها .

بل ان التعصب للمهنة بلغ حد الاقتتال بين أصنافها ، فقد اشتبك الاساكفة ذات مرة مع أصحاب المطاعم في بغداد انتصارا لأسكافي اعتدى عليه صاحب مطعم ، ويورد لنا ابن الجوزي في منتظمه : وفي حوادث سنة ٤٢٢ هـ جملة من أخبار الصراع بين أعضاء الاصناف ، كل يتعصر لمهنته ، فقد اقتتل أهل نهر طابق (الدجاجين مع القلائين) واقتتل ايضا أهل سوق السلاح مع أهل سوق الثلاثاء ، وأهل باب الطاق والأساكفة ، وأهل سوق يحيى والرهادرة . وكذا صراع اصحاب الأكسية وأصحاب الخلقان في الكرخ سنة ٤٢٢هـ ، وغيرها من الحوادث التي شهدتها الأمصار الاسلامية ، والتي كانت محصلتها زيادة توثيق الروابط بين أبناء الصنف الواحد وتوطيد الأواصر بينهم ، لا في السوق وحده بل وأيضا في جزء من الليل اذ اعتادوا ان يجتمعوا للمسامرة والمذاكرة عند أحدهم لقضاء أوقات فراغهم بالتسلية والتباحث في أمر مهنتهم ، فكأن السوق تضامنوا فيه نهارا واستغلوا اجزاء من الليل ايضا لاحكام عراهم حيث لا انفصام فيها .

وأخيرا فان الأصناف فقدت دورها الايجابي في تنظيم الصناعة ورعاية الصناع بعيد انقضاء القرن التاسع الهجري (أواخر الخامس عشر الميلادي) لأسباب وظروف خارجة عن نطاق مقالتنا ، ولكن الأصناف كانت تعبيرا عن قوة وديمومة الفرز الحضاري في المجتمع الاسلامي ، وتأصيلا لمبدأ الحيوية والابداع الذي اتصف المجتمع الاسلامي به عبر تاريخه .

لقد كانت ظاهرة الأصناف وان حملت في بعض الأحيان فكرا لانقره ـ تجربة متميزة في تاريخ التنظيم الصناعي ، الحرفي والمهني ، وجدير بتجربة الأصناف أن تحتل مكانها في الفكر الانساني عند التاريخ لتنظيمات العمال والصناع ، فهلا استفدنا من تراث أمتنا وأوقفنا اعجابنا بكل ماهو غير عربي ، فالثقة بالذات تبقى مسألة مهمة في البناء الحضاري ، ولن يكون إلا بتجذير حركة مجتمعنا وأمتنا . ■

د . محمد عيسى صالحية

المعتمد بن عباد والبياتي

في طبعات اسبانية

بقلم : حامد أبو أحمد



استطاع الشعر العربي في السنوات الأخيرة أن يتخطى الحدود الاقليمية للوطن العربي ونعني بذلك أنه بدأ يعرف على المستوى العالمي . وهذا القول ينطبق على الشعر القديم والشعر الحديث على السواء ، وان كان الأول - اى الشعر القديم - قد جذبت بعض مقطوعاته انتباه البعض في بدايات القرن الحالي فأسرعوا بنقلها الى لغاتهم كما سوف نرى في هذاالمقال،ثم ترجمت دواوين كاملة بعد ذلك* اما شعر الشعراء المحدثين فلم يظهر الاهتمام به الا في الستينات والسبعينات تقريبا وذلك بعد ظهور حركة الشعر الحديث التى انتشرت في الخمسينات من هذا القرن ، كما سوف نرى أيضا من تناولنا للطبعات التى ترجمت ونشرت بالاسبانية من دواوين عبد الوهاب البياتي . والنشر بالاسبانية بالذات له أهمية خاصة لانه يعني التعريف بالشاعر في اكثر من عشرين دولة،اى اسبانيا في القارة الأوروبية وكل دول امريكا اللاتينية ماعدا البرازيل .

والأوربيون أو أصحاب الثقافات اللاتينية والجرمانية والانجلوسكسونية بشكل عام عندما ينقلون بعض الاشعار الاجنبية الى لغاتهم يكون معيارهم في اختيارها هو ما فيها من قيم جمالية وفنية تتوافق مع الاتجاهات السائدة عندهم ، ولذلك فإننا نجد مختارات المستشرق الاسباني اميليو جارثيا جوميث المنشورة أول طبعة منها عام ١٩٣٠ ، تتميز بأنها جميعا أشعار وجدانية تعبر عن أعظم العواطف الانسانية وأكثرها خلودا واستمرارا ، وهذا يضع في صفحة الاهداء بيتا لابن اللبانة يعتبر وكأنه دلالة على كل ماسيأتي في المختارات ، يقول :

أراشوا جناحي ثم بلوه بالندى
فلم أستطع من حيهم طيرانا

والبيت السابق على هذا وان لم يذكره جوميث هو :

بنفسي وأهلي جيرة ما استعنتهم
على الدهر إلا وانثنيت معانا

---

* مثل ديوان ابن خاتمة الذى ترجمته الى الاسبانية وكتبت مقدمة له سوليداد خيرت فينيش ، وحصلت بذلك على درجة الدكتوراه في الأدب العربي تحت اشراف اميليو جارثيا جوميث وقد نشرت هذا الديوان كلية الفلسفة بجامعة برشلونة - قسم اللغة العربية والاسلام - عام ١٩٧٥ .

أراشوا جناحي ثم بلوه بالندى
فلم أستطع من حبهم طيرانا

ولا تجد أروع من هذين البيتين في التعبير عن عاطفة الألفة والمودة بين الأهل والجيران، ولا أروع من البيت الثاني في التعبير بالصورة البلاغية والايحاء بها عن هذه الألفة وهذا الارتباط الحميم .

تأثيرات لشعر العرب

وقد أحدثت ترجمات جارثيا جوميث لبعض أبيات الشعر العربي في ذلك الوقت أثرا كبيرا لايقارنه إلا ذلك الأثر الذي أحدثته ايضا دراسات المستعرب الكبير ميجيل آسين بلاثيوس عن الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي، وتأثيره على المتصوفة الاسبان مثل سان خوان دي لا كروث ، ظهرت مختارات جارثيا جوميث في وقت كان الشعر الاسباني فيه قد بلغ قمة العالمية، وذلك بظهور الشعراء الكبار أمثال ميجيل دي أونامونو وأنطونيو ماتشادو وخوان رامون خمينيث من جيل ١٨٩٨ ،ثم فيديريكو جارثيا لوركا وخورخي جيان وفيثينتي الكساندر (نوبل في الآداب عام ١٩٧٧)ورفائيل البرتي وسواهم من جيل ١٩٢٧،وقد جعلت هذه المختارات شاعرا كبيرا مثل خوان رامون خمينيث(نوبل في الآداب عام ١٩٥٦) يؤكد فكرته حول أصول الرمزية الاسبانية:فاذا كان الاتجاه السائد هو تأثرها بالرمزية الفرنسية فإن خوان رامون يرى رأيا آخر هو أن الرمزية الاسبانية هي الأصل لأن جذورها أقدم بكثير من الرمزية الفرنسية ، فهي ترجع أساسا الى شعر الصوفي سان خوان دي لاكروث (من القرن السادس عشر) والشاعر الاشبيلي جوستافو أدولفو بيكر (١٨٣٦ ـ ١٨٧٠)ومن قبلهما الى الشعراء العرب الاندلسيين ، يقول خوان رامون خمينيث : « لقد قرأت سان خوان دي لا كروث وأنا طفل ، إنه رمزي مثل بيكر وكل منهما تشبه أشعاره أشعار بول فيرلين . أيضا الشعراء العرب الاندلسيون رمزيون كما يمكن أن ترى في المختارات التي ترجمها جارثيا جوميث ، ففي هذه المختارات توجد أبيات لشاعر من اقليم ويلبة **Huelva** لاأذكر اسمه الآن،هي أشعار رمزية بمعنى الكلمة » ويقول خوان رامون في محاضرة له تحت عنوان « الشعر المغلق والشعر المتفتح » ما الذي يدفعني للبحث عن تأثيرات ايطالية ولدى هذا الكنز الذي لم يكد يمسه أحد منا حتى الآن وهو شعر العرب الأندلسيين في قرطبة وإشبيلية وغرناطة ، الذين تجمع بين عصورهم وعصورنا التالية روابط قوية ؟ وبقياسي بملامسة هذا الكنز استطعت أن أحقق الرمزية في أشعاري ، وذلك لأن أفضل ماقي الرمزية هو ذلك الجانب الاسباني الذي يأتي من شعر العرب وشعر المتصوفة ويمكن لأي قارىء التحقق من ذلك » .

واذا كان هذا الرأي للشاعر الكبير خوان رامون خمينيث يعتبر فريدا لأننا لم نجده شائعا عند كثير من النقاد الأسبان الذين يحاولون حسبما هو سائد ، استبعاد كل هو ما عربي إلا انه يمثل نقطة انطلاق جيدة لبحث هذا الموضوع بالتفصيل وتأكيده بالبراهين العلمية إن وجدت .

نعود الى مختارات جارثيا جوميث فنجدها تتضمن أبياتا لشعراء أندلسيين كبار مثل ابن زيدون وابن خفاجة وابن شهيد والامير مروان الطليق وابن فرج الجياني وابن هانىء وابن عمار وسواهم ، ولكن مايهمنا هو ما جاء في المقدمة عن الشاعر الملك المعتمد بن عباد ، ذلك أن جارثيا جوميث قد استطاع أن يبرز الجانب الانساني العالمي في أشعار المعتمد فهو يقول : « إذا كان هذا الاتجاه العالمي في الشعر يمكن أن يتمثل في شخص واحد فاننا لا نجد افضل من المعتمد ملك إشبيلية » (١٠٦٨ ـ ١٠٩١) . وكان أبوه الشديد البأس المعتضد (١٠٤٨ ـ ١٠٦٩) وأبناؤه وبالأخص الراضي ملك رونندة شعراء أيضا ، ولكنه بزهم جميعا وبز جميع معاصريه لأنه فرض شخصيته على الشعر من ثلاثة جوانب : فقد كتب اشعارا رائعة ، وكانت حياته العملية شعرا خالصا ،وكان حاميا لكل شعراء اسبانيا بل لكل شعراء الغرب الاسلامي »

ومن اشعار المعتمد التي يعتبرها جارثيا جوميث عالمية قوله :

بكت أن رأت إلفين ضمهما وكر
مساء وقد أخنى على إلفها الدهر

وناحت وباحت ـ فاستراحت ـ بسرها
وما نطقت حرفا يبوح به سر

فما لي لا أبكي ؟ أم القلب صخرة
وكم صخرة في الأرض يجري بها نهر

بكت واحدا لم يشجها غير فقده
وأبكي لألاف عديدهم كثر

بني صغير أو خليل موافق
يمزق ذا قفر ويغرق ذا بحر

ونجمان زين للزمان احتواهما
بقرطبة النكراء أو رندة القبر

غدرت - إذن - إن ضن جفني بقطرة
وإن لؤمت نفسي فصاحبها الصبر

فقل للنجوم الزهر تبكيها معي
لمثلها فلتحزن الأنجم الزهر

وجدير بالذكر أن الشعر العربي الاندلسي قد عرف قبل جارثيا جوميث ترجمات أخرى نثرية وقد اشار خوان رامون في بعض اقواله الى أنه قرأ بعض هذه الأشعار في شبابه أي في بدايات القرن الحالي أو أواخر القرن السابق (ولد خوان رامون عام ١٨٨١) ولكن ترجمات جارثيا جوميث كانت على أية حال هي المنبه الأكبر الذي وجه أذهان بعض كبار الشعراء الأسبان الى هذا الكنز المخبوء للشعراء العرب الأندلسيين .

المعتمد والسيد

لكن هذا الاهتمام بالشعر الاندلسي لم يقف عند حد جيل جارثيا جوميث (ولد هذا المستعرب الكبير عام ١٩٠٥ بمدريد ، وتتلمذ على ميجيل آسين بالاثيوس،ثم خلفه في رئاسة قسم اللغة العربية بجامعة مدريد وما زال حيا وبصحة جيدة) ولكن يبدوأنه اخذ يتواصل خاصة بعد زيادة الاهتمام بالدراسات العربية في اسبانيا . فقد قامت المستعربة ماريا خيسوس روبيرا ماتا بترجمة عدد من قصائد المعتمد بن عباد،نشرت خلال العام الماضي (١٩٨٢) في طبعة مزدوجة أي باللغتين العربية والاسبانية ، بالتعاون بين هيئات علمية ثلاث هي جامعة قطر وجامعة إشبيلية ، والمعهد الاسباني العربي للثقافة بمدريد . وصدرت المجموعة تحت عنوان « المعتمد بن عباد - أشعار » ، وقد كتبت صاحبة هذه المختارات مقدمة لها في حوالي ٧٠ صفحة بالقطع الصغير ، تناولت فيها حياة المعتمد بالتفصيل منذ نشأته في الاندلس حتى موته أسيرا في أغمات . وأبرز ما في هذه المقدمة هو تلك المقارنة التي عقدتها بين المعتمد بن عباد والبطل الملحمي الاسباني المعروف باسم « السيد »،قالت : « لو أن الاندلسيين كتبوا الملاحم لكان بطلها الذي لاينازع هو المعتمد ملك اشبيلية ، ومع ذلك فإن عدم وجود الأدب الملحمي لم يحل دون تحول المعتمد الى بطل أسطوري والى شخصية أدبية تشبه معاصره « السيد » ، إن مأساة شخصيته التاريخية قد أدت إلى ظهور سلسلة ادبية في التاريخ الاسباني العربي يصعب التميز فيها بين ماهو حقيقي وما هو زائف » .

وثمة وجه آخر للمشابهة بين المعتمد بن عباد وبين رودريجيث دياث دي فيفار (السيد) هو أن المعتمد قد أثار اهتمام عالم أوروبي كبير هو المستعرب الهولندي رينهارت دوزي (١٨٢٠ - ١٨٨٣) الذي وجد متعة في طبع كل النصوص العربية المتعلقة بمملكة إشبيلية وقام بكتابة حياة المعتمد بأسلوب رومانسي في كتابه « تاريخ المسلمين في اسبانيا » (١٨٦١) ومنذ ذلك الحين والكتابات عن المعتمد سواء في اللغة العربية أو في اللغات الاوروبية كثيرة ، وان كانت تختلف فيما بينها . أي أن المعتمد بن عباد قد اصبح مثل شخصيات الملاحم تخضع شخصيته وسيرة حياته للاضافات أو للتعديل أو الى غير ذلك مما يدخل في هذا النمط الادبي المعروف في الآداب العالمية وهو « أدب الملاحم » .

وتشير المؤلفة الى خاصية أخرى من خصائص المعتمد هي أنه قد كتب الشعر لنفسه اذ لم يكن في حاجة الى مدح الملوك مثلما كان يفعل عامة الشعراء ، ولذلك فإن شعره صادر مباشرة عن الوجدان ليعبر عن أرقى العواطف الانسانية ، وهذا شيء أشار اليه من قبل جارثيا جوميث ، اذ قال - بعد شرحه للاتجاه الشكلي السائد في معظم قصائد الشعر الاندلسي : « ولكن هذا لا يعني ان الشعر الغنائي العربي الاندلسي يخلو من قصائد الألم الرائعة ، وان كانت هذه القصائد تدور حول شخصية المعتمد ، فقصائد اغمات التي أنشدها الشاعر الملك نفسه وعبر فيها عن مرارة السجن والنفي تعد من أروع الشعر العالمي ، وهناك أيضا القصائد الرائعة التي خصصها ابن اللبانة عن أطلال مملكة اشبيلية ، وتقول ماريا خيسوس روبيرا في معرض حديثها عن شعر المعتمد : « ان مفتاح وضوح هذا الشعر يكمن في حدث ادبي فريد هو صفته الملكية ، ذلك ان هذه الصفة جعلته يستخدم الشعر لا أن يكون خادما له » .

ومن أروع هذه الأبيات التي اختارتها المستعربة الاسبانية قول المعتمد يخاطب زوجه الشهيرة اعتماد التي تحولت هي الاخرى الى شخصية أسطورية :

أغائبة الشخص عن ناظري
وحاضرة في صميم الفؤاد

عليك السلام بقدر الشجون
ودمع الشئون وقدر السهاد

تملكت مني صعب المرام
وصادفت ودي سهل القياد

مرادي لقياك في كل حين
فياليت أني أعطى مرادي

أقيمي على العهد مابيننا
ولاتستحيلي لطول البعاد



دست اسمك الحلو في طي شعري
وألفت فيه حروف « اعتماد »

وهذه أبيات لو حذفنا منها كلمة « اعتماد » لظنها القارىء - اذا لم يعرف ناظمها - إحدى روائع الشعر الوجداني المعاصر ، وذلك لسهولتها وجزالتها وتعبيرها عن أحر العواطف الانسانية واكثرها تأثيرا في النفوس - وهذا الشعر الوجداني الصادر مباشرة عن عاطفة الشاعر ليس كثيرا في الشعر الاندلسي . وشعر المعتمد بن عباد كله تقريبا من هذا النوع ، ولذلك فإن النشوة الناتجة عن قراءته تصيب القارىء العربي كما تصيب القارىء الاسباني او أي قارىء آخر ، ومن هنا فإننا لا نستغرب أن يفكر شاعر كبير مثل خوان رامون خمينيث - قرأ مثل هذه الاشعار الوجدانية المختارة بدقة واحكام - في أن يكون الشعر العربي الاندلسي هو أصل الحركة الرمزية ، ذلك لأن هذه الحركة وان كانت قد بلغت قمة التأمل العقلي وفوضى الحواس الا انها نبعت أساسا من الوجدان،وكان اعظم شعرائها وهو بول فرلين أقرب الى شعر الوجدان منه الى شعر التأمل العقلي الخالص .

خمسة دواوين للبياتي

تأتي الآن الى الشعر العربي المعاصر فنجد أن واحدا من أبرز شعراء الاتجاه الحديث هو الشاعر العراقي عبد الوهاب البياتي ، قد بدأ يغزو الساحة الاسبانية مع نهاية الستينات ، فقد صدرت له بـاللغة الاسبانية حتى الآن خمسة دواوين هي : « اشعار في المنفى » الذي ترجمه فيديريكو آربوس وصدر عن البيت الاسباني العربي عام ١٩٦٩ ، و« الذي يأتي ولا يأتي » الذي صدر عن دار نشر أيوسو عام ١٩٨٢وترجمه فيديريكو آربوس أيضا،كما أصدرت الدار المذكورة عام ١٩٨٠ ديوانا آخر هو « الموت في الحياة » ترجمة المستعرب المذكور ، كما قامت المستعربة كارمن رويث بترجمة مسرحية « محاكمة في نيسابور » ونشرتها عام ١٩٨١ دار نشر « لقاء **ENCUENTRO**» . وقد صدر في شهر اكتوبر ١٩٨٢ ديوان « قصائد حب على بوابات العالم السبع » وسوف ينشر هذا العام ديوان آخر هو « سفر الفقر والثورة » وهذان الديوانان قام بترجمتها أيضا المستعرب فيديريكو آربوس الذي يعد رسالة للدكتوراه بجامعة مدريد عن شعر عبد الوهاب البياتي . وقد ترجم المستشرق المعروف بدرو مارتينيث مونتابيث حوالي خمسين قصيدة عبارة عن مختارات من أشعار البياتي تشمل الفترة من عام ١٩٥٠ حتى عام ١٩٨٠ تحمل عنوان « حبي أكبر مني » وهي عبارة مقتبسة من احدى قصائد المختارات ، وسوف يصدر هذا الكتاب في المكسيك والارجنتين واسبانيا في وقت واحد عام ١٩٨٣ . كما نشر السيد مونتابيث بعض قصائد البياتي في مجلات دورية مثل قصيدتي « الى رفائيل البرتي » و« النور يأتي من غرناطة » وهكذا فإننا حتى عام ١٩٨٣ سوف نجد أكثر من سبعة أعمال منشورة باللغة الاسبانية للشاعر عبد الوهاب البياتي .

وقبل أن نمضي في تناولنا لهذه الأعمال بالتحليل الموجز ، نود أن نشير هنا الى أن اهتمام المستشرقين بالشعر العربي المعاصر عامة ينصب على الشعر الجديد ، أي ذلك الشعر الذي أبدعه جيل الخمسينات في العالم العربي مثل نازك الملائكة وبدر شاكر السياب وعبد الوهاب البياتي وصلاح عبد الصبور ، والسبب الرئيسي في اهتمامهم بهؤلاء على مايبدو هوأن اتجاهات النقد الغربي فيما يخص الشعر العربي ترى في شعر هؤلاء الشعراء التعبير الأمثل عن قضية التطور الابداعي الخلاق في الشعر العربي المعاصر . ومعروف أن المنظور الغربي في النقد يعطي قضية التطور دورا هاما في عمليات الابداع لا يقل بأية حال من الاحوال عن القيم الفنية في الشعر ، ولذلك فإنه بصرف النظر عما أبدعه جيل الخمسينات من قيم فنية وجمالية في الشعر ، فإن دورهم في مجال التطور الابداعي يحتاج الى اهتمام خاص ، وسوف يكون له تأثير حاسم في المستقبل كما أن دورهم سيكون أكبر من ذلك فيما يتعلق بالتعريف بالشعر العربي على المستوى العالمي ، وتجدر الاشارة هنا الى أننا في دراستنا للشعراء العالميين الكبار امثال الشاعر المكسيكي أوكتافيو باث والاسباني خوان رامون خمينيث أو جارثيا لوركا او سواهم نجد وجوه شبه كثيرة معظمها فيما نعتقد جاءت مصادفة بين أشعارهم وأشعار جيل الخمسينات العربي ، وما ذلك إلا لأن شعراءنا العرب المحدثين قد استطاعوا أن يبلغوا بأشعارهم قمة الابداع الانساني ، ولعل هذا سوف يقرب مستقبلا بين عمليات الابداع في الشرق وعمليات الابداع في الغرب ، والدليل على ذلك هو أن أشعار عبد الوهاب البياتي والسياب وعبد الصبور وسواهم من الشعراء الكبار المحدثين أصبحت قريبة من أفهام القراء الغربيين ، وبدلا من أن يجد هؤلاء القراء أنفسهم في بعض مقطوعات فقط من الشعر العربي القديم وبالأخص الشعراء الكبار الجاهليين والاسلاميين وفي شعراء مثل المعتمد بن عباد ،سوف يقرؤون كل أشعار البياتي فلا يجدون فيها ما يخالف أمزجتهم واهواءهم .

وليس معنى هذا أن شعر هؤلاء أرفع من شعر القدامى ، كلا ، ولسنا هنا في مجال المقارنة بين الشعراء القدامى

والمحدثين . ولكننا نعني جانبا ظاهرا في أشعار المحدثين هو أنهم أقرب الى الروح العالمية والى روح العصر وأكثر تهيؤا للدخول في هذه الساحة وأكثر سهولة بالنسبة للقارىء الاجنبي . ثم إن شعرهم كله صادر عن الوجدان مباشرة أو من منظورات حديثة مما يجعله مؤهلا كله لان يدركه ويفهمه أي قارىء .

عملية تجديد حاسمة

ويتحدث فيديريكو آربوس عن دور هؤلاء الشعراء في تطور الشعر العربي في مقدمة ترجمة ديوان« قصائد حب على بوابات العالم السبع » فيقول : « معروف تماما لدى كل المهتمين بالأدب العربي المعاصر ان الشعراء العراقيين من الجيل المسمى بجيل الخمسينات قد قاموا بعملية تطوير عميقة في بنية الشعر العربي وبحوره التقليدية . وهذه العملية مرتبطة ارتباطا وثيقا بالتجديد الجذري الذي استحدثوه سواء بالنسبة للموضوعات والمضمون أو بالنسبة للرؤية الشاملة للقصيدة . أي أنهم مما استحدثوه من مفهوم مختلف للقصيدة ووظيفتها ومما أثاروه من طرح حيوي وادبي لقضية الارتباط الضروري بين التفكير والصور والاشكال التعبيرية لم يعد الشكل المحافظ للقصيدة القديمة الذي ظل سائدا حتى جيلهم - يصلح كأداة للتعبير بالنسبة لهم بأية حال من الاحوال . ومن ثم فقد حاولوا إدخال تغييرات كبيرة عليه . إن مهمة إبداع الشعر الجديد التي واجهها هؤلاء الرواد في نهايات عقد الاربعينات تمثل عملية تطور طويلة شيقة وأبوابها بالطبع لم تقفل بعد .

وقد شارك في هذه العملية - كل من منظوراته الخاصة ومواقفه - كل شعراء العالم العربي الذين الوا على أنفسهم القيام بهذه التجربة ، وفي إطار المنظور العام للاوضاع الايديولوجية المتغيرة والمضطربة التي تدخل ضمنه هذه الاعمال ، نجد أن موقف كل منهم يتراوح بين الرفض الكامل للتراث الشعري العربي وبين مواقف أخرى أكثر اعتدالا ، تحاول صياغة القصيدة في إطار الثقافة العربية بعامة والأدبية بخاصة ، مع الاستفادة من قيم معطيات الشعر العالمي العظيم في القرن العشرين وبالأخص المكتوب باللغات : الانجليزية والفرنسية والروسية » .

ويرى هذا الناقد أن عبد الوهاب البياتي هو الذي حمل هذه المهمة التجديدية الحاسمة في الشعر العربي الى نتائجها الأخيرة . ذلك لأن بدر شاكر السياب قد توفي في ريعان شبابه بعد مرض عضال عام ١٩٦٤ ولم يبلغ عمره الاربعين عاما (ولد عام ١٩٢٦) . ونازك الملائكة قررت التخلي عن تجربتها الأولى وعادت الى القوالب التعبيرية القديمة ، أما عبد الوهاب البياتي فهو الذي ظل مؤمنا بهذه التجربة الجريئة ، وما زال يواصل العطاء حتى الآن وقد بلغ البياتي في ثنائية «الذي يأتي ولا يأتي » و « والموت في الحياة » قمة النضج الفني . وهذان الديوانان يمثلان تكثيفا للموضوعات الرئيسية في شعر البياتي ، وأول تطور كبير منظم في عالمه الشعري . فقد استخدم فيهما عناصر من الميثولوجيا اليونانية ووادي الرافدين حيث مزج بين هذه العناصر في نضج فني عظيم ، كما استطاع تطويع بعض أدوات الحضارة العربية القديمة ، فضلا عن معطيات تاريخية وثقافية معاصرة . وقد قدم الشاعر في هذين الديوانين رموزا أسطورية - شعرية عن المحبوبة والمدينة والبطل ، وذلك بهدف إرساء قواعد عالم جديد وثقافة إنسانية جديدة ، لابد وأن تمضي الى الامام ، وسط الموتى وانبعاثاتهم«نحو العدالة والحرية .

ويشير آربوس الى أن الدواوين الخمسة التي نشرها عبد الوهاب البياتي منذ عام ١٩٧١ حتى عام ١٩٧٩ تمثل عملية تجديد حاسمة في لغة وايقاع وبنية القصيدة ، وتعمقا أكثر في الرموز والموضوعات المطروقة ، وحضورا أكثر للتصوف العربي القديم ، وهو أمر واضح في كل اعمال البياتي منذ الستينات ، وهذا يعني أن شعر عبد الوهاب البياتي ظل يتواصل في عملية تجديد مستمرة . فدواوينه الأولى التي نشرت في الفترة من عام ١٩٥٠ حتى عام ١٩٦٠ وعددها ستة«تمثل في البداية«امتدادات لما بعد الرومانتيكية الاوروبية والعربية ، فضلا عن اتجاهات التجديد العروضي والنغمي في القصيدة وهي أشياء سوف تختفي عندما تظهر الطروحات الوجودية وغلبة الالتزام السياسي على المضمون ، مما ساهم بشكل كبير في إضفاء صورة الشاعر المقاتل الثوري على البياتي لدى القراء العرب وبالأخص من الشباب .

أما ديوانا « النار والكلمات » و « سفر الفقر والثورة » اللذان نشرا عامي ١٩٦٤ و ١٩٦٥ على التوالي فيمثلان مرحلة انتقالية ، لعل طابعها الرئيسي هو استخدام الرمز كأساس للخلق الشعري . ثم يأتي بعد ذلك ديوانا « الذي يأتي ولا يأتي » (١٩٦٦) و« الموت في الحياة » (١٩٦٨) وهما يمثلان - كما ذكرنا - اول تطور كبير منظم في العالم الشعري عند البياتي .

ولا شك أن اهتمام هذا الناقد الأسباني بديواني« الذي يأتي ولا يأتي » و« الموت في الحياة » يأتي من قيمتها الفنية والجمالية والانسانية التي يمكن أن يدركها أي ناقد غربي . فبالاضافة الى ما ذكره هو نفسه في تحليله لكل منهما في المقدمة التي كتبها لترجمته الى الاسبانية ، نجد مثلا أن عبد الوهاب البياتي في ديوانه « الذي يأتي ولا يأتي » يبلغ قمة التعبير الشعري عن الوضع العربي بخاصة«والوضع العالمي بعامة ، فهذا الديوان كما نرى عبارة عن صرخة في

عالم الاكاذيب واللامعقول والعبث الذى يعيشه الانسان العربي منذ فترة كتابة الديوان فى الستينات حتى الآن.كما أنه صرخة فى الوضع الانسانى المتدهور الذى عبر عنه أيضا أدباء اخرون مثل البير كامى وكتاب العبث أو اللامعقول .

ولذلك فان التيار السائد فى الديوان هو التيار العبثى ، وعبد الوهاب البياتى مدرك جيدا لهذا الاتجاه وواع تماما بما يقول ، ومن ثم فانه يبدأ الديوان بكلمة لشيخ كتاب العبث « البير كامى » تقول : « كل فنان يحتفظ فى أعماقه بينبوع فريد ، يشكل مصدر تصرفاته وأقواله طوال حياته ، إن هذا الينبوع بالنسبة إلى ، يظل أبدا ذكريات عالم البؤس والضوء الذى عشت فيه لفترة طويلة » .

العبث فى مواجهة العجز

وتستطيع أن تقرأ أى قصيدة فى هذا الديوان كى تجد تيار العبث ساريا فى كل كلماتها . وليس هذا بغريب على شاعر حساس مناضل مثل عبد الوهاب البياتى ، بعد ان رأى العجز العربي يستشرى فى كل مكان من المحيط الى الخليج : عجز عن مواجهة الاعداء فى الخارج والداخل ، وعجز عن ادراك سبل التقدم ، وشلل كامل إزاء القيود المفروضة على الانسان العربي من داخله ومن خارجه ، واستسلام أكثر يوما بعد يوم لهذه القيود والاغلال . كل هذا أدركه الشاعر الكبير عبد الوهاب البياتى فى الستينات إبان بداية انحسار الثورة العربية وعجزها حيال الدسائس الخارجية والداخلية ، واذا اضفنا الى ذلك عجز الانسان عامة عن بلوغ المدينة الفاضلة فإننا نجد قصائد عبد الوهاب البياتى عبارة عن صرخة فى واد أو نفخة فى رماد كما يقال . ولهذا فإن البياتى يستخدم فى هذا الديوان رموزا شرقية وأخرى غربية مثل « الخيام » و« عائشة ـ الحبيبة » و « لوركا » . ولنقرأ بعض الأبيات من قصيدة « الليل فى كل مكان » كى نجد الشاعر قد بلغ به « القرف » أقصى الدرجات و هى خاصية من خصائص الكتابات العبثية يقول :

الليل فى كل مكان ، وأنا أنتظر الاشارة
وددت لو أغرقت هذا المركب الملىء بالجرذان
وهذه المدينة المومسة الشمطاء
لوعلق الشاعر ـ هذا الببغاء الأعور السكران
من ذيله ، بالكلمات ـ والدمى الصلعاء
الساسة المحترفون ورجال المال والملوك
سادة هذا العالم المنهوك
وأنت سيد بلا مملوك
عليك مكتوب بأن تحوم حول السور
تلتقط الفتات والقشور
تجوب هذا العالم الماخور
مسحقا مقرور

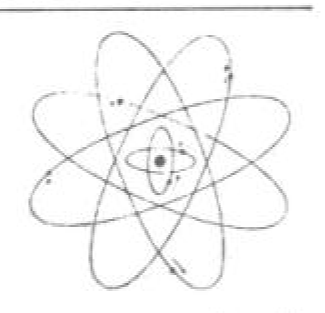
ويقول فى قصيدة « طردية » :

أهكذا يتحب العشاق ؟
ويغرق النهار فى البحيرة الكبيرة ؟
وترحل الطيور
والأرنب المذعور
يموت تحت قدم الصياد
مخضبا بدمه الأوراد
لوركا يجر واقفا للموت فى الميلاد
أمامه كانت كلاب الصيد تجرى
تتبع الجلاد
أهذه الآلام ؟
وهذه السجون والاصفاد
شهادة الميلاد يا خيام
فى هذه الأيام ؟

هذه ـ اذن ـ هى صرخة عبد الوهاب البياتى فى عالم يمتلىء بالمآسى،ويعدم فيه الاحرار،وتنتهك فيه أقدس القيم الانسانية ، وتنعدم الفروق بين الخير والشر بحيث يختلط كل شىء ، وفى عالم كهذا لا يجد الشاعر الا ملجأ وحيدا هو الينبوع السارى فى داخله ، والبياتى بالرغم من هذه العبثية لا يصيبه اليأس لانه يحلم بعالم جديد يظهر من بين حطام الموتى وانبعاثاتهم . وهكذا فان تجربة عبد الوهاب البياتى تجربة انسانية ، ومن ثم فانها يمكن أن تثير انتباه القارىء الاجنبى قبل العربى . ونحن نزعم بأنها سوف تجذب قراء كثيرين فى اسبانيا وامريكا اللاتينية ، مما سوف يساهم فى فتح عوالم جديدة أمام الشعر العربي المعاصر . وحسب علمنا فان بعض المجلات المتخصصة التى تصدر فى امريكا اللاتينية قد اهتمت بنشر بعض القصائد المترجمة للشاعر عبد الوهاب البياتى فضلا عن احاديث أجريت معه حول اشعاره ، ومعروف ان الشعر فى امريكا اللاتينية قد بلغ درجة عظيمة من الشهرة والانتشار على المستوى العالمى ، وتجمعه بالشعر العربي المعاصر وجوه شبه كثيرة تأتى فى معظم الاحيان مصادفة نظرا لان شعراء امريكا اللاتينية مازالوا مجهولين حتى الآن فى العالم العربى ، كما أن الشعر العربي ايضا مازال مجهولا فى هذه القارة الواسعة . ومن هنا يكون لنشر قصائد عبد الوهاب البياتى بالأسبانية أهمية أخرى كبيرة تضاف الى أهمية النقل الى لغة أجنبية فى حد ذاته .

مدريد ـ حامد أبو أحمد

اعـداد : يـوسف زعبلاوي





الجديد في العلم والطب



القلب الصناعي والمستقبل

عندما نتحدث عن عملية القلب الصناعي فاننا نتحدث عن عملية واحدة فقط .. تلك التي اجراها الدكتور وليم ديفريز W. Devries (٣٨ سنة) لطبيب الاسنان المتقاعد ، باري كلارك (٦١ سنة) ، وذلك في شهر ديسمبر الماضي (١٩٨٢) في مدينة سولت ليك Salt Lake وفي مستشفى Utah Medical Center وقد استغرقت ٧,٣٠ ساعات .. وتكللت بزرع القلب الاصطناعي المصنوع من الالومنيوم والبلاستيك والمسمى (جافريك ٧) مكان قلب كلارك الطبيعي .. بل مكان البطينين المتأصلين .. لان الأذينين الطبيعيين بقيا مكانها ولم يتأصلا .. اما صانع هذا القلب الاصطناعي فهو الدكتور جافريك (٣٦ سنة) وقد نبغ في مجال اختصاصه .. تطوير القلوب الاصطناعية .. ومن ثم كانت تسمية القلب المصنوع باسمه ..

وعملية ديفريز / كلارك هذه تعتبر رائدة لا لانها نجحت في زرع قلب اصطناعي مكان قلب طبيعي ، ولا لانها نجحت في زرع ذلك القلب في صدر انسان .. ولكن لانها نجحت في زرع ذلك القلب المصنوع من الومنيوم وبلاستيك ليبقى في صدر كلارك بصفة دائمة ..

وتجدر الاشارة هنا الى عمليات الزرع التي اجراها الدكتور Denton Cooley في الصيف الماضي وفي مستشفى هيوستون في تكساس . فهذه عمليات تختلف عن عملية ديفريز ر كلارك اختلافا كليا .. ولا يجوز الخلط بينها في أي حال من الاحوال . فهذه عمليات اجريت في تكساس لأوتا ولجأت الى زرع القلوب الاصطناعية بصفة مؤقته ريثما يتم العثور على قلب طبيعي موهوب ... وقد منيت تلك العمليات بالفشل على كل حال ..

على ان القلب الصناعي (جافريك ٧) مازال في مرحلة بداية ويعاني من سلبيات عديدة . فقد لايمضي سنة او اقل من سنة حتى ينهار القلب الصناعي ويفارق كلارك الحياة .. وقد بلغت اقصى مدة عاشها عجل بقلب اصطناعي كقلب جافريك ٧ تسعة شهور تقريبا (٢٦٨ يوما بالتحديد) وحتى لوكتب لطبيب الاسنان المتقاعد ، باري كلارك ، ان يعيش بقلبه الاصطناعي (جافريك ٧) سنوات وسنوات



فان حياته المطولة هذه لايمكن ان يحسد عليها من قريب او من بعيد . . . بل قد لاتعتبر حياة بالمعنى المفهوم . فالقلب الاصطناعي المذكور (جافريك ۷) محدود ولايستطيع ضخ الدم الا بكميات قليلة تكاد ألاتكفي لاكثر من اداء حركات عادية بسيطة فممارسة الجنس ، مثلا تتطلب من الدم مالا يستطيع القلب الاصطناعي جافريك ۷ ضخه !

اضف الى ذلك السلبية الكبرى لهذا القلب . . وهي اعتماده - واعتماد بارني كلارك معه - على معدات واجهزة يبلغ وزنها ٣٧٥ رطلا . . وتوجد خارج الجسم وعلى بعد ٦ اقدام منه ثمة انابيب تصل بين هذه الأجهزة وبين القلب الصناعي المزروع . . لتمده بالهواء المضغوط ومعنى هذا ان صاحب القلب الاصطناعي معرض للموت المحتم فيما لو قطعت هذه الانابيب او تلفت تلك الاجهزة . . وهو مقيد بها لايستطيع التحرك ولا مفارقتها . .

من هنا كان الاهتمام البالغ الذى حظي به الطراز الجديد من القلب الاصطناعي الذى يعمل الدكتور جافريك حاليا على تطويره والذى ينتظر أن يستكمل صنعه في غضون ٣ سنوات فاجهزته ومعداته مصغرة وخفيفة الوزن بحيث يسهل صاحب القلب الاصطناعي حملها بيده . . والانتقال بها من مكان الى مكان . اما القوة الكهربائية فيتم توليدها بواسطة بطارية صغيرة تثبت على وسط صاحب القلب الاصطناعي . . . بدلا من الحصول عليها من تيار مصلحة الكهرباء .

الجديد في العلوم والطب

الامطار الحمضية قضت على الغابات الاوروبية

يظن الكثيرون ان خطر التلوث الذى تسببه الامطار الحمضية انما هو خطر كامن وان البيئيين الذين يتحدثون عن الامطار الحمضية انما يتحدثون عنها بقصد التحذير من خطر مقبل . . والحقيقة خلاف ذلك . .

فقد تبين ان تلك الامطار قد قضت على مالايقل عن ٥٠,٠٠٠ هكتار من غابات جبال اور في تشيكوسلوفاكيا في المدة الاخيرة وانها تهدد بالقضاء على ٦٠,٠٠٠ هكتار اخرى من تلك الغابات في مستقبل قريب . . علما بان الخراب الذى حل بهذه المساحة الثانية قد بلغ من السوء مالايسمح باعمال الانقاذ .

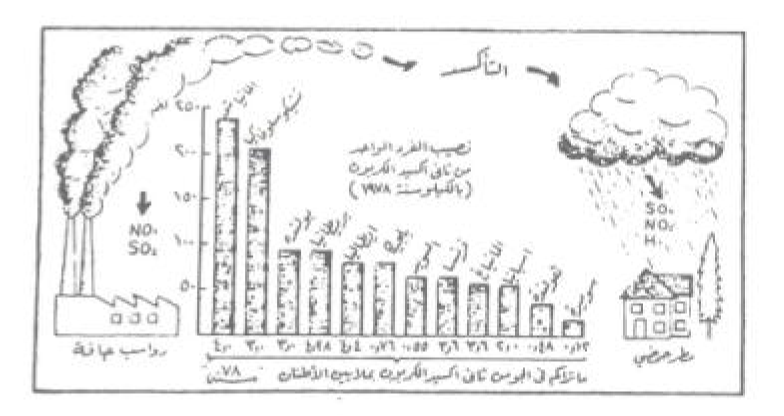
اما التلوث الذى تسبب بهذا الدمار فمرده الى الغازات التي تتصاعد من محطات توليد الكهرباء القائمة في منطقتي تشب cheb وسوكولوف في شمال غرب البلاد . ويأتي غاز sul-phurdioxide في طليعة تلك الغازات الملوثه التي تطلقها المحطات المذكورة والتي دمرت أول ما دمرت ، غابات الصنوبر وذلك في مطلع السبعينات . ولو ذكرنا ان وقود هذه المحطات انما هو الفحم الحجرى البني او الفاتح اللون ، لما عجبنا لغاز ثاني اكسيد الكبريت الذى اطلقته ولا للدمار البالغ الذى احدثه هذا الغاز . .

وقل مثل ذلك في المناطق المجاورة من جنوب المانيا

سيارة الشمس . . في خدمتكم

السيارة الاولى من نوعها . . التي تعمل بالطاقة الشمسية . . عوضا عن البنزين ، كما هي الحال في السيارات التقليدية ، او الكهرباء ، كما هي الحال في السيارات التجريبيه التي تعمل بالكهرباء أو بالبطاريات . . .

والسيارة الشمسيه ، وقد سموها « المنجز الهادىء » (Quiet achiever) صنعتها شركات استراليا وجربتها في قطع القارة من اقصاها الى اقصاها . . اى مسافة ٤٠٠٠ كيلومتر او يزيد . .



الغربية .. فقد قضى التلوث على نحو نصف الغابات الالمانية القريبة من الحدود ، حيث تفشت الامراض في اشجارها وقضى كذلك على حوالى ٢٥٪ من غابات بفاريا الشهيرة .. ويشمل هذا الدمار الاشجار بشتى انواعها .. وما كانت هذه الاشجار لتتعرض لسوء لولا الامطار الحمضية التي جردتها من كافة اوراقها الخضراء .

ويصدق ذلك ايضا على غابات جبال بكسايد وجبانت الواقعة على الحدود بين تشيكو سلوفاكيا وبولنده . فقد اتى التلوث على ٣٢٠٠٠ هكتار من تلك الغابات .

ومما يذكران الغزلان في المانيا الشرقية قد امتنعت عن اكل الحشيش في تلك المناطق في المدة الاخيرة .. وما ذلك لان الحشيش بات ملوثا وبسبب التسمم لتلك الغزلان .. لاعجب اذن ان اقبلت تلك الظباء على اكل لحاء الاشجار الصغيرة .. وعملت بالتالي على تلف تلك الاشجار .. فزادت الطين بلة ...

وتجدر الاشارة الى ان الامطار الحمضية وتلوثها ليس وقفا على غابات اوربا .. فالولايات المتحدة الامريكية هي الاخرى تعاني من هذه الامطار وذلك في ولاية جورجيا وسائر ولايات الساحل الغربي (حيث نيويورك وواشنطن الخ ..) حتى الحدود الكندية .. اما على الساحل الشرقي فقد بلغ تلوث المطر الحمضي اقصاه في فيرمونت ومين وبعض المناطق في كليفورنيا ..

وتقدر الاضرار التي يحدثها التلوث في الولايات المتحدة بحوالي ٣٠٠٠ ـ ٤٠٠٠ مليون دولار سنويا .

والطريف ان هذه الرحلة الطويلة .. وهي اطول من اى رحلة قامت بها سيارة شمسية تجريبية حتى الان .. لم تكلف شيئا يذكر .. ولعل كلفتها الوحيدة كانت الرسم الذى دفعته لاجتياز جسر الميناء في سيدني .. اى مايعادل ٧٥ فلسا كويتيا !!

اما التكاليف التي انفقت في صنع تلك السيارة فقد بلغت ١٥٠٠٠/ـ دولار . وهو مبلغ زهيد تافه لو قورن بملايين الدولارات التي يتكلفونها في امريكا وغيرها في سبيل ابتكار طراز جديد لسيارة قديمة .. ناهيك بتكاليف تطوير سيارة جديدة .. كالسيارة الشمسية ..

المعجم التاريخي للعربية

قصة البداية والنهاية

بقلم الدكتور : محمد طه الحاجرى

ما هى الحقيقه في قصة معجم تاريخ اللغة العربيه ؟

منذ بدا في جو الحياة الفعلية للعالم العربي ما يؤذن ببدء طور جديد من النشاط اللغوى ، يتمثل في مجمع ينظمه ، ويستجيب به لهذا الوجه من وجوه حاجات امتنا العربية ، وذلك بصدور المرسوم القاضي بانشاء مجمع اللغة العربية في الثالث عشر من شهر ديسمبر سنة اثنتين وثلاثين وتسعمائة والف ، كان من أول ما جعل يلفت النظر فيه أن كانت مادته الثانية ، أى التي تلي المادة الأولى التي تنص على أن أول أغراضه هو « أن يحافظ على سلامة اللغة العربية ، وان يجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون في تقدمها » والتي كان من الطبيعي أن تحتل المكان الاول فيه ، هذه المادة الثانية تنص على أن من أول اغراضه ، بعد هذا الغرض الأساسي ، أن يقوم « بوضع معجم تاريخي للغة العربية ، وان ينشر أبحاثا دقيقة في تاريخ بعض الكلمات ، وتغير مدلولاتها » .

وكأنما كان الأمر الماثل في ذهن المشرع ، وهو يحرر ذلك المرسوم ، أن مثل هذا المجمع لا بد أن يتحقق به غرضان ، لا يغني أحدهما عن الآخر : غرض عملي عام ، وهو الذي نصت عليه مادته الأولى ، وفسرت ما جاء فيها بما اردفته بها ، من أن تكون « ملائمة على العموم لحاجات الحياة في العصر الحاضر ، وذلك بأن يحدد في معاجم او تفاسير خاصة ، أو بغير ذلك من الطرق ، ما ينبغي استعماله أو تجنبه من الالفاظ وتراكيبها » ، وغرض علمي أكاديمي ، يتمثل في وضع هذا المعجم التاريخي ، وفي نشر الابحاث الدقيقة في تاريخ بعض الكلمات وتغير مدلولاتها ، ثم فيما جاء بعد ذلك في المادة الثالثة الخاصة بالمجلة ، اذ يقول : « يصدر المجمع مجلة تنشر فيها تنشر

ابحاثه التاريخية » . وواضح انه انما كان يعني الأبحاث اللغوية التي تعالج من الوجهة التاريخية . وفيها يقول بعد ذلك : « وينشر على الطريقة العلمية من النصوص القديمة ما يراه لازما لأعمال المعجم » ، اذ ليس المعجم هنا الذي تعتبر هذه النصوص القديمة لازمة له غير المعجم التاريخي .

فالى هذا الحد كان اهتمام المشرع ، وهو يضع مرسوم انشاء المجمع ، ويحرر مواده ، بالمعجم التاريخي ، فكان من ذلك حرصه على أن يخصه بمادة على حدة ، وعلى النص على كل ما هو بسبيل منه .

عثرات في الطريق

ولست ادرى ، في الحقيقة ، مأتى هذا الاهتمام ومنشأه : ايرجع الى ما أصابه معجم اكسفورد ، فيما اتخذه من اتجاه تاريخي ، من اعجاب به ، وما تردد في أوساط العلماء من ثناء عليه ، فكان من ذلك أن ودت كل أمة أن تظفر لغتها من ذلك بما ظفرت به اللغة الانجليزية ، أم كان يرجع الى ما كان يتردد بين علماء اللغة عن شيخهم (أوجست فيشر) ، وما تواتر لديهم من صرفه الكثير من عنايته ، فيما انصرف عليه من درس العربية ، الى هذه الوجهة التاريخية ، حتى يكون للغة العربية معجمها اللغوى التاريخي ، يثبت حيويتها ، ويكشف عن اسرارها ، الى جانب ما يسبغ عليه مثل هذا العمل بين علماء اللغة من مجد خالد .

ومهما يكن من أمر ، فلم يكن هذا المجمع الناشىء في قلب الأمة العربية ليغفل في تكوينه رجلا مثل أوجست فيشر . فلم يكد يتحول من مرسوم مكتوب الى كائن واقع ، ويتألف من علماء مصر وعلماء الشعوب العربية وعلماء المستشرقين ، حتى كان فيشر في طليعة هؤلاء ، وحتى أقبل عليه وملء قلبه ذلك المشروع الذي كان مايزال معقد هواه ومشغلة عقله وموطن تفكيره وتدبيره . وان من تمام التوفيق أو حسن الطالع أن يكون المعجم التاريخي من أول ما يهدف هذا المجمع الى تحقيقه . فقد أتيح اذن لمشروعه الذي كان عاكفا عليه من هذا المجمع ما هو جدير أن يتقلب به على كل ما يكتنف سبيله من عقبات أو صعاب .

انه المشروع الذي ما زال ، منذ أخذ فيه من عهد غير قريب ، يستغرق تفكيره ، ويستنفد الكثير من وقته ، رسما لما ينبغي أن يكون منهجه فيه ، ونقضا لمصادره ، وجمعا لمادته ، ونظرا فيه ، والذي كان كلما أوغل فيه تبين له مبلغ ما يقتضيه من جهد ، لا يملك ان يبذله له وحده . وقد دأب على أن يلقى به المستشرقين في مجتمعاتهم ، ومؤتمراتهم ، ليمدوه بآرائهم ، وربما استطاعوا أن يقدموا له من العون ما هو في حاجة اليه .

فها هو ذا يلقى به المستشرقين الالمان في (بازل) سنة ١٩٠٧ ، يتحدث اليهم فيه ، ويكشف لهم عن الصعوبات التي تعترضه ، ويود لو اشترك معه من العلماء من يصل جناحه ، ويشد أزره ، ويسدده في سبيله وينشر حديثه هذا في كتاب محاضراتهم ومناقشتهم .

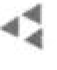
واذا كان هؤلاء الذين استمعوا الى حديثه ، واقتنعوا به ، لم يستطيعوا أن يقدموا اليه ما كان يرجو أن يجده لديهم من ذلك العون ، فان ذلك لم يثبطه ولم يتقاعس به عما هو ماض فيه ، فاذا كان العام التالي ، وانعقد مؤتمر للمستشرقين في (كوبنهاجن) ، بادر الى المشاركة فيه ، وعرض مشروعه عليه ، ولكنه لم يستطع أن يظفر بأكثر من الموافقة ، مشفوعة برجاء قلبي أن يوفق الى كسب معاونين له ، والى أن يحصل على ما لا بد له منه من المال ينفقه لتحقيق مشروعه .

ومن أجل ذلك كانت مشاركته في مؤتمر المستشرقين التالي الذي انعقد في (اثينا) . سنة ١٩١٢ . وما نحسب أنه ظفر منه باكثر من التأييد الأدبي ، والرجاء القلبي .

وهكذا ظل مشروع المعجم التاريخي الذي انطوت عليه جوانح فيشر عملا يؤديه له بقدر ما يستطيع ، وجهدا يبذله فيه ، ودعوة في المؤتمرات ينادى بها ويلح فيها . أما ماكان يرجوه من معاونين يتقصون ما هو في حاجة اليه ، ومن مال يوضع بين يديه ، ينفقه فيما هو بسبيله ، فلم يظفر من ذلك بشيء ، ومن ذلك ظل المشروع يتعثر .

٤ سنوات من الركود

ولم يستقم أمره الا في سنة ١٩١٤ ، السنة التي نشبت فيها الحرب العالمية الأولى ، وقد أصبح في ذلك العام مدير (القسم العربي الاسلامي في معهد أبحاث الاستشراق) وهو أحد معاهد الأبحاث الكونية في مدينة (ليبسك) ، فقد أتاح له هذا المنصب الذي أسند اليه ، وما ترتب على ذلك من حق له في أن يتصرف في ميزانيته بما يقدر أنه يؤدى به جزءا من نشاطه ، ان يستعين بمن يرى أنه ضرورى لتحقيق هذا الوجه من وجوه النشاط . وبذلك وجد من ذلك الشاب الدانيمركي الذي كان



يدرس العربية عونا غير هين في استخراج الالفاظ التي يحتاج اليها مشروعه ، مقرونة بشواهدها مصحوبة بدلالاتها . ولا ريب أنه أحس لذلك بغير قليل من الروح ، إذ رأى أنه خرج بمشروعه من المأزق الذي كان يعانيه ، على الرغم مما كانت المانيا تكابده في ذلك الوقت من صعوبات يتبع بعضها بعضا .

ولكن سنوات الحرب هذه التي وجد فيها شيئا من الروح لم تكد تنتهي بهزيمة المانيا في ميادين القتال ، ثم بما فرضته عليها معاهدة الصلح من قيود شديدة واعباء ثقال ، حتى انهارت ماليتها ، وتقلصت الى أقصى حد وجوه الانفاق فيها ، فكان من ذلك أن أصاب معاهد الاستشراق فيها ما جعلها تذبل ، وجعل نشاطها يتوقف . واذا بفيشر يجد نفسه ، مرة أخرى ، وحيدا ، انفض من حوله من كانوا يعاونونه ، وتضاءل أمله في ان يمضي بمشروعه . حتى اذا وجد أن ما قد تم له منه قد يصلح أن ينشر ، لم يجد بين الناشرين من يستطيع أن يتكفل باخراجه ، ويتحمل ما يقتضيه ذلك من نفقات باهظة .

وبذلك ابتدأت في حياة فيشر ، أو في حياة مشروعه ، مرحلة ركود ، امتدت اربع سنوات ، من سنة ١٩١٩ حتى سنة ١٩٢٣ ، ذوى فيها الأمل ، وانقطع العمل ، ولم يبق ثمت من رجاء غير بصيص يومض بين حين وحين يؤذن بان المانيا لا بد أن تنهض من كبوتها ، وتخرج من محنتها ، وتسترد كيانها ، وأنها توشك أن تستأنف حياتها في اصرار وقوة وعزم ، فتولى معاهد الابحاث فيها ، وهي مجالات فخرها وشواهد مجدها ، لعله تستطيع ان تمضي بها - على نحو ما - في طريقها الى الغاية التي أنشئت من أجلها . ومن بين هذه المعاهد معهد ابحاث الاستشراق الذي يتولى فيشر أمره ، كما تقوم به دراساته ، ويتنفس فيه مشروعه .

واستجاب الله لذلك الرجاء ، وأذن لألمانيا ، في سنة ١٩٢٣ ، أن تفيق من تلك الغاشية ، وتسترد ، على وجه ما ، مكانها . فكان مما أولته رعايتها ذلك المعهد الذي يتولاه فيشر ، فاستطاع بفضل ما خصه من نصيب في ميزانيتها ، أن يدير أموره ، وان يستخدم ، من وقت الى آخر ، مساعدا له ، يعينه فيما اتجه إليه من أمر ذلك المعجم .

ولم يكن لفيشر بد من أن يقنع بما اتيح له من ذلك النصيب من العون ، وذلك القدر من العمل . فقد كان يقدر - ولا ريب - ما كانت المانيا تعانيه اذ ذاك من ضائقة شديدة ، الى أن آذنت الأمور بالانفراج ، وكان من مظاهر ذلك أن يرى حوله من تلاميذه من اقبلوا عليه ، يبذلون له فيما هو آخذ فيه ، ما يستطيعون من جهد ، وما يملكون من عون ، وكان من هؤلاء التلاميذ جوتهلف برك شتريزر الذي جرى العرف بين كتاب العربية على تسميته برجستريزر ويوسف شخت . ولا ريب أن ذلك وقع من نفسه أجمل موقع ، لولا أن ما كانوا يبذلونه له من ذلك العون انما كان محدودا بحدود ظروفهم الخاصة ، واعمالهم التي يجب عليهم أداؤها .

وهكذا نرى مبلغ ما كان فيشر يعانيه من أمر ذلك المشروع الذي استبد به . فقد كان - فيما يبدو - أمرا عسيرا غاية العسر أن يظفر ، في مقامه الذي يقيم به ، وفي تلك الاحوال المضطربة التي تمر بها بلاده ، بمن يستطيع أن يفي بحاجاته ، أو حاجات ذلك المشروع الذي أخلص أشد الأخلاص له ، والذي ما يزال يتكشف له كلما نظر فيه عن جوانب لا بد له ، ليبلغ به المبلغ الذي يطمح اليه ، ان يستوفيها .

تاريخ حافل بالصعاب والعقبات والمثبطات هذا الذي حاولنا أن نتعرف بعض جوانبه ، والذي كان ما يزال ماثلا له . ولعلنا نستطيع بما قدمنا من ذلك أن نتمثل مبلغ تقديره لما اتيح له من أن يكون عضوا في مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، اذ يتوفر له فيها ما ظل زمانا يفتقده في المانيا من العون الصادق ، ومن مصادر الدراسة ومراجعها ، الى جانب ما لا مراء فيه من أثر الجو العربي ، وما لا بد أن يفيض من تذوق سليم وادراك صائب .

بمثل هذا - فيما نقدر - كانت نفس فيشر تناجيه فتشرق به آماله وأحلامه ، وهو يتهيأ ليحتل مكانه في هذا المجمع .

التطور السعيد

واكبر الظن عندنا أن أول ما لفت نظر فيشر في مرسوم انشاء مجمع اللغة العربية هو هذا الذي نصت عليه المادة الثانية فيه من وضع المعجم التاريخي ، وان هذه المادة هي التي ايقظت مطامحه الكامنة في صدره واشعرته انه قد وضع في مكانه الطبيعي ، وانه في هذا المكان قد اقترب من المجال الذي يرجوه والأمل الذي يراوده ، ليبذل فيه جهده ، وبهذه الروح - فيما نقدر - أقبل عليه واطمأن له .

ولكن شيئا من هذا الذي كان يراوده ويدور في خاطره لم يكن قد خطر في بال الذين وكل اليهم أمر المجمع ، ينظمون دوراته ، ويحددون اختصاصاته . ولم يكن عندهم غير عضو كسائر الأعضاء أو على الأقل كسائر

زملائه من المستشرقين ، إلا انه أقل منهم دربة ، وهم وحدهم الذين يعرفونه حق المعرفة ، ويعلمون حق العلم وجوه نشاطه وسائر اتجاهاته .

وقد كان من الطبيعي ان يشارك في دورة المجمع الأولى التي انعقدت في شهر يناير سنة ١٩٣٤ ، وفي دورته الثانية التي انعقدت في أوائل عام ١٩٣٥ ، كما كان يشارك فيها سائر الأعضاء . ومضت الدورتان وقد استغرقهما من شؤون المجمع ما لا يتصل بموضوع المادة الثانية في مرسوم انشائه ، ودون أن يخطر ببال أحد من أعضائه المصريين أن من بين اعضائه المستشرقين من ظل حياته العلمية كلها مشغولا بالمعجم التاريخي ، معنيا بمتابعته ، وانه هو الجدير بان يوكل اليه تحقيق ما تنص عليه تلك المادة ، وان كان الحديث عن ذلك ما زال يدور بين هؤلاء المستشرقين ، في مجالسهم .

ولم تلبث هذه الاحاديث ان بلغت آذان ولاة الامور . وكان الذي تولى ذلك هو المستشرق الأيطالي ، قديم العهد بمصر منذ أواخر القرن الماضي ، كارلوا الفونسو نلليتو ، فكان هو الذي فاتح وزير المعارف آنذاك ، الاستاذ محمد علي علوبه ، في ان يتبنى المجمع مشروع المجمع التاريخي . وكان نلينو هذا ـ كما يصفه الاستاذ محمود محمد شاكر في فترة قريبة من هذه الفترة ـ شيخا مهيب الطلعة ، كث اللحية ، فصيح اللسان بالعربية ، فاستطاع الرجلان أن يتفاهما والتقت الرغبتان : رغبة فيشر وسائر المستشرقين في تحقيق هذه الغاية العلمية ، ورغبة الدولة في تحقيق ما نص عليه قانون المجمع .

وهكذا لم يجد وزير المعارف بأسا في أن يستجيب لما عرضه نلينو عليه من أمر المعجم التاريخي . ولم يكد يحل خريف سنة ١٩٣٦ حتى كان الاتفاق قد تم ، والعقد قد أبرم . وأصبح هذا المعجم موكولا أمره الى فيشر . ولا يكاد يداخلنا شك في أن نفسه قد اطمأنت الى هذا الذي أصاب مشروعه من توفيق ، بعد طول تعسر وتعثر ، والثلج صدره ما كفلته الحكومة له ، ليمضي في عمله مسدد الخطى ، وليبلغ هذا المشروع غايته ، على النحو الذي يمكن ان نتمثله فيما ذكره هو به ، في المقدمة ، التي أراد أن يحملها بين يدي المعجم ، اذ يقول :

« واخيرا بدأ في سنة ١٩٣٦ التطور السعيد ، إذ قررت الحكومة المصرية في خريف هذه السنة ، بناء على اقتراح مجمع اللغة العربية في القاهرة ، السماح لي باتمام العمل في معجمي في القاهرة ، وان تتحمل نفقات طبعه ، وقد تفضل كرمها في تحملها تكاليف اقامتي في القاهرة طول أشهر الشتاء من كل سنة ، الى أن يتم معجمي ، وكذلك في السماح لي بمساعد مصري ، وبعدد من الشبان المصريين يعملون قراء ونساخين ، رغبة منها في انجاز العمل . كما هيأت للمجمع ، خلال سنتين ، شراء عدد وافر من الكتب التي كانت تنقصه ، وكنت أنا في حاجة اليها من أجل عملي . وهكذا برهنت الحكومة المصرية والمجمع على أن رعاية اللغة العربية ـ وفق ما تجلى في المرسوم الخاص بانشاء المجمع ـ أمر يعنيها كل العناية » .

ولا ريب عندنا في أنه كان لهذا كله أثره فيما جعل يسيطر عليه من تصميم ، دون أن يخشى مما كان يعرض له ، فتتعثر فيه خطاه ، من قبل . وأن يمضي في عمله دون أن يعبأ أو يلقي بالا الى ما لابد أنه كان يشعر به ، وخاصة من خلال بعض المناقشات التي كانت تدور في اجتماعات الدورة ، من اتجاه آخر معارض لاتجاهه ، يرمى الى أن يكون عمل المجمع الذي ينبغي الا يصرفه عنه شيء ، أو يشاركه فيه أمر آخر ، متجها الى الناشئة من أبناء الشعب في المدارس الاولية والابتدائية ، بحيث يكون لهم معجم خاص بهم ، يسهم في تنشئتهم وتربيتهم ، ويستجيب لهم في أداء حاجاتهم .

مقدمة ذات دلالة

واذا كان هذا الاتجاه الذي كان ، فيما خلص لنا من مناقشات المجمع ، الشيخ السكندري هو الذي يتزعم المناداة به والدعوة اليه ، تعبيرا عن أحد الغرضين اللذين أنشىء المجمع لبلوغهما ، وهو الغرض العلمي فما كان له أن يعترض سبيل الغرض الآخر العلمي الاكاديمي ، الذي يتمثل في المعجم التاريخي ، فلكل منهما مذهبه ، وأي بأس في أن يمضي كل الى غايته ، فتتحقق بهما معا الصورة المثلى المرجوة للمجمع .

ومهما كان من أمر هذا التعارض بين الاتجاهين ، فانه لم يكن لينال من عزيمة فيشر واصراره وقد كان الى جانبه من يميلون ميله رجل مثل علي الجارم من الاعضاء المصريين ، وآخرون من علماء الاقاليم العربية مثل انستاس ماري الكرملي ، وعيسى اسكندر المعلوف ، الى جانب المستشرقين وكان من أرجحهم وزنا واقواهم أثرا المستشرق الالماني : ليتمان ، وبذلك مضى فيشر بخطى وئيده في اعداد مواد معجمه ، او المعجم اللغوي التاريخي ، ومراجعتها ، بعد ان رسم خطته له وبين حدود منهجه فيه .

ولعل من اول ما ينبغي ان يعرض له هنا هو هذا المنهج الذي رسمه لنفسه ، وجعله مبدأ عمله ، وليس لنا بد من



أن نرجع في ذلك الى ما كتبه هو ضمن المقدمة التي اعدها للمعجم ، وأن تكن مؤرخة بالعاشر من شهر مارس ، سنة ١٩٤٧ ، فمهما يكن تاريخها ، فان لها دلالتها الثابتة على ما كان يتمثله في أمر هذا المعجم منذ استقر له أمره فيه .

وها هو ذا نص ما قاله فيها عنه ، بعد أن ذكر المعجمات السابقة له ، عربية وأوروبية ، وعرض فيما يذكرها به ما يراه فيها ، وما يأخذه عليها :

« .. ومن أجل ذلك كانت الرغبة ملحة في اصدار معجم عربي كبير جديد . وهذا ما أشار اليه المرسوم الخاص بانشاء مجمع اللغة العربية ، اذ تنص المادة الثانية (ب) على (أن يقوم المجمع بوضع معجم تاريخي للغة العربية) .

فكيف إذا يجب أن يكون معجم اللغة العربية ملائما للتطور العلمي للعصر الحاضر ؟

الجواب : يجب أن يشتمل المعجم على كل كلمة - بلا استثناء - وجدت في اللغة وان تعرض على حسب وجهات النظر السبع الآتية : »

وبعد أن سرد وجهات النظر هذه وذكر أسماءها بالعربية والانجليزية ، اخذ في شرح أولاها ، وهي وجهة النظر التاريخية التي هي أول مناط عمله ، وهي التي تعنينا هنا ، كما يعنينا أن نعرف مراده بها ، ومكانها في معجمه ، فقال :

« فالوجهة التاريخية للكلمة تجاوز كل وجهات النظر هذه في القيمة ، وذلك لانه ، اذا أخذنا اللغة على أنها دائمة التطور ، فلا شك أن لكل كلمة تطورها التاريخي الخاص .

ويجب ان يوضح هذا التطور التاريخي بمقتضى ما لدينا من وسائل . وهذه الوسائل قاصرة . ونحن - في الواقع - ملزمون بان نقتصر على استغلال موارد ومصادر كثيرا ما تكون متعارضة وغير وافية . ومن شأن المسائل التاريخية أن البحث فيها عرضة للنقص ، قل أو كثر . لذلك وجب الحرص والعناية بتقييد كل كلمة وعبارة وصلت الينا فعلا ، والانتفاع بها . وليس معنى هذا أن من الضروري اثبات كل الشواهد التي وردت على كل كلمة في المعجم ، إذ ان هذا قد يؤدي الى البلبلة عند اثبات كلمة كثيرة التداول ، كما يتطلب تطويلا لا موجب له . بل يجب الاقتصار على اثبات الشواهد ذات الطابع الخاص ، أعني تلك التي تدل ، بحال من الاحوال ، على الأطوار التاريخية للكلمة . إلا أنه ، للتحقق من استخراج هذه الشواهد ذات الطابع الخاص ، لابد من امكان مراجعة كل المواضع التي وردت فيها هذه الكلمة ، فانه بهذا وحده يمكن تحديد قيمة كل شاهد لمعرفة الأطوار التاريخية للكلمة وتراكيبها .

اللغة كائن حى

والاهمية العظمى - مهما تكن الحال - هي للموضع الذي وردت فيه الكلمة ، في آداب اللغة ، لأول مرة . ولكن يجب الا يغرب عن البال أن كل كلمة قد مضت مدة طويلة في أفواه الناس قبل أن تجد لها مكانا في الكتب . وكما يجب أن يعني بمبدء تطور الكلمة ، كذلك من واجب اللغوي العناية بآخر تطورها ، وهل لاقت موتا في الزمن القديم أو الحديث ، أو اندثر معنى من معانيها ، واستعيض عنها بمرادف لها ؟ ويجب أن تقيد - على حسب الترتيب التاريخي بين أقدم الشواهد وأحدثها - المواضع التي يتبين منها أنها تقدم أوضح صورة من التطور التاريخي للكلمة ، ولكن هذه الطريقة تتطلب حتما من القارىء أن يكون ملما من قبل بتاريخ آداب اللغة العربية ، واقفا على تاريخ حياة الناظمين والناثرين من ابنائها ، وبذا يكون في مقدرته ان يدرك النتائج اللازمة في التطور التاريخي للكلمة ومعانيها . ويحسن حين الاستشهاد بمؤلف أو كتاب غير معروف أن يذكر عصره باختصار .

واذا تعددت الشواهد يقتصر على أوضحها معنى ، ويقدم المنسوب الى قائله ، ويهمل غيره » هذه هي وجهة النظر التاريخية التي تمثل المبدأ الاول للمعجم الذي اقبل على وضعه كما شرحها ، وكما بين الطريقة المثلى في اعتبارها . على أن هذه الوجهة لا تقف عند هذا الحد ، بل انها لتداخل أحيانا وجهات النظر الاخرى ، وتفرض عليها ما ينبغي لها ، كما نرى في كلامه عن وجهة النظر التعبيرية **the sem,asiological** اذ يقول :

« تتناول الناحية التعبيرية تحقيق معنى الكلمة أو معانيها . وفي حالة وجود عدة معان ترتب هذه المعاني على حسب علاقتها التاريخية والعقلية » ثم يأخذ في شرح ذلك ، وبيان ما يقتضيه من واضع المعجم ، « وفق سير التطور البشري ، ورعاية ما لا يصح التجاوز عنه فيما يرجع اليه الفارق بين الكلمات المتقاربة في المعنى ، من أسباب تاريخية أو جغرافية » .

ذلك هو الأساس الذي أراد فيشر أن يرسى عليه ما هو مقبل على اعداده ، وتصنيفه بحفزه الأمل الغامر في اخراجه . والأصل الاول فيه هو هذه البديهية الأولى : ان اللغة كائن حي ، فلا بد بحكم ذلك ، أن تتأثر بكل ما يحيط بها

وبلابسها من مظاهر الحياة ، فيما تدل عليه وتعبر عنه ، وليس يعنينا كثيرا الوقت الذي دون فيه ما كان قد استقر عنده من ذلك ، وما كان لا بد ملتزما به . وليس ما نراه بين أيدينا إلا الصورة المكتوبة من هذا الذي كان يحكمه فيما يمارس من عمل ، يريد أن يبلغ به ما كان يرجوه من ابرازه في شكله النهائي وقد توفر له ـ في تقديره ـ كل ما كان يطمح اليه .

وفي هذا الجو الذي لم يكن ، فيما كان يقدر ، امثل منه للمضي في عمله ، وانفاذ مشروعه على خير وجه ممكن ، اكب على ما بين يديه من جزازات اجتمعت له على المدى الطويل ، وعلى ما كان يقدمه اليه معاونوه من مادة ، وجعل ذلك دأبه كل عام ، حتى يحين له أن يعود الى موطنه ، حين يقبل فصل الربيع ، منذ استقر أمره من هذا المعجم التاريخي .

الى أن كانت سنة ١٩٤٠ ، فمضى كعادته الى المانيا . وكانت الحرب قد نشبت بينها وبين جيرانها ، ثم لم تلبث ان اشتد اوارها واشتعلت نيرانها في غرب اوربا ، وامتدت الى البحر تصليه حميمها ، فاحتجزته ، وحالت بينه وبين معاودة مصر . وبدأت بذلك مرحلة جديدة في حياته ، وفيما كان يقدر من حياة لمشروعه .

وكان قد بلغ في ذلك الوقت الخامسة والسبعين أو تجاوزها ، ولكن هذه السنين ما ليؤوده حملها لو أن تلك الشرارة التي كان يحملها في صدره ماتزال على وقدتها . فقد اجتمع عليه مع وهن الشيخوخة ما كان دائم الدوي من كوارث الحرب وفجاءاتها ونذرها ، فكان من ذلك أن جعل يحس احساسا قويا بأن شعلة الأمل في تحقيق حلم حياته قد اخذت تتضاءل وتخفت ، ذلك الأمل الذي ما كاد يشرق في افقه ، ويفجر جوانب صدره ، ويشعر بطعم الحياة ، حتى جعلت الرياح تهب حوله وتعصف به .

ولا نكاد نشك في أنه كان مما يضاعف العبث بمشاعره أن يرى نفسه في معزل عن الجو الذي أنس به ، وعن الصحاب والأعوان الذين اطمأن اليهم وتوسم الخير فيهم ، والذين كانوا يشاركونه هموم ذلك المعجم ، ويحملون عنه غير قليل من عبئه . لقد تركهم وراءه وليس له من ذلك الذي كان حلم حياته غير ما استطاع أن يحمله معه من جزازاته ، على أمل ينظر فيها أثناء غيبته ، فهل هو واجد فيها بعض ما يمكن أن يزجي به وقته ، حتى يقدر له أن يعود الى مصر ويستأنف فيها ما بدأه وانقطع عنه ؟

ولكن ها هي ذى الحرب تشتد وتعنف يوما بعد يوم بل ها هي ذى قد بلغت غاية ضراوتها حين عبرت البحر الى الشاطىء الأفريقي ، ثم مضت في زحفها حتى بلغت حدود مصر . ومع هذا الذي بلغته الحرب في تفاقم شرورها ونذرها ، تضاعفت وطأة السنين على كاهل فيشر ، وجعل الوهن والمرض يسريان حثيثا في أوصاله ، وربما لم يعد له مما يمكن ان يمسكه بالحياة الا هذه البقية من الأمل التي استطاعت أن تصمد لكل هذه الاحداث ، بفضل ما مردت عليه ، مما سبقت الاشارة الى شيء منه .

وبهذه البقية من الأمل التي كانت تدفع عنه وتستبقي حياته ، والتي كانت ما يزال متشبثا بها ، اذ يرى فيها حياة ذلك المشروع ، استطاع ان يشق بينه وبين مصر التي تنفس فيها مشروعه طريقا ، ومن هذا الطريق عبرت الينا هذه المقدمة التي بعثها اليها لتكون بين يدي ما قدر له ان ينجزه فيها من معجمه اللغوى التاريخي .

وبهذه البقية التي كان ، فيما يبدو ، دائم التشبث بها ، على وهنها ، جمع اليه بعض تلاميذه في المانيا ، فجعلوا يحفون به ، ويستمعون اليه . انه صورة المجد العلمي الذي كانت المانيا تمثله . ولا ريب أن مما كان يتحدث به اليهم ما اتيح له أن يؤديه لذلك المعجم ، وما يعقده من أمل في اتمامه . فكان من ذلك ما جعلهم يقدرون مبلغ ما يقع هذا المشروع من نفسه ، وقدر ما يبذله ويحرص به عليه . فاذا قضى نحبه سنة تسع واربعين ، فقد كان من أمارات وفائهم لاستاذهم أن يأخذوا على انفسهم ان يخلفوه فيه .

فكان من ذلك أن استطاع شبيتالر **Spitaler** وكريمر **Kremer** ان يصدرا من هذا المعجم أول ملزمة ، بعد وفاته بثماني سنين .

ونحسب ان هذه الملزمة هي آخر اثر من آثار المعجم الذي ظل فيشر يحلم به ، ويعيش معه ، ويعمل فيه ، على الرغم من كل العوائق والمثبطات ، مدة تقرب من خمسين عاما ، بعد تلك المقدمة التي اشرنا اليها ، وما جاء في عقبها من مواد لغوية تمثل الجزء الاول من ذلك المعجم من اول حرف الهمزة الى كلمة (ابد) .

وقد كان هذا القسم قد القي الى المطبعة الاميرية ، فجمعت حروفه ، ورتبت صفحاته وظل كذلك في صورة تجربة من تجارب الطبع ، الى ان قدر له ان يطبع ، ويوضع بين ايدى الباحثين « تقديرا لما يشتمل عليه من آراء لغوية ، وملاحظات منهجية » .

وبهذا تنتهي قصة المعجم اللغوى التاريخي ، كما تنتهي به قصة هذه المرحلة من تاريخ مجمع اللغة العربية . ○

محمد طه الحاجرى .

حل المسابقة الثقافية

عدد فبراير ١٩٨٣ رقم ٢٩١ .

الردود الصحيحة

هذه هي الردود الصحيحة على أسئلة مسابقة عدد فبراير ١٩٨٣ (رقم ٢٩١) . . . أما الفائزون في هذه المسابقة فتجد أسماءهم في ذيل هذه الردود .

١ - استخرج البترول في منطقة الشرق الأوسط أول ما استخرج سنة ١٩٠٨ وذلك في :

ايران

٢ - محمد بن موسى الخوارزمي عالم رياضي عربي عاش فيما بين منتصف القرن الثامن ومنتصف القرن التاسع . أما العلم الذي كان من ابتكار هذا العالم فهو :

حساب الجبر والمقابلة

٣ - أشهر لاعب كرة قدم في العالم هو - ادسون ارانتس دونا سيمتو ، وهو برازيلي من مواليد عام ١٩٤٠ ويعرف بلقبه بيليه .

٤ - درجة حرارة ٥٠ مئوية تقابلها درجة حرارة .

١٢٢ فهرنهيت

٥ - يزداد وزني عند القطبين . . إذ أكون أقرب من مركز الكرة الأرضية المفلطحة وبالتالي أخضع لمزيد من شد جاذبيتها . .

وتجدر الاشارة الى أن قطر الأرض الاستوائي يبلغ ٧٩٢٦ ميلا بينما قطر الأرض القطبي لا يزيد على ٧٨٩٩ ميلا .

٦ - الأفق هو ما ترى من التقاء السماء بالأرض أو بالبحر . . . والمسافة التي تفصل ما بيني وبين تلك النقطة على افتراض أني أقف على مستوى سطح البحر ، هي :

٢ كم

٧ - أيهما يعمر أطول من الآخر : الانسان أم الفيل . . . . ؟

الانسان هو الذي يعمر أكثر من الفيل

٨ - أي القردة التالية لا يمشي على أربع أبدا وإنما يمشي على قدمين كالانسان ؟

الجبـون

٩ - مفرد الأجرام السماوية :

جِرم . . . بكسر الجيم

١٠ ـ يفرز الانسان اللعاب ويفرز العرق . . . أي الكميتين المفرزتين أكبر ؟

اللعـاب

وتجدر الاشارة إلى أن كمية العرق التي يفرزها الرجل الصحيح الجسم تبلغ ١,١٤ لتر . . . أما كمية اللعاب فتبلغ لترين . . . وذلك خلال ٢٤ ساعة .

١١ ـ أشعة رونتجن وأشعة إكس واحدة . . ومكتشف الأولى ـ رونتجن ـ هو اذن مكتشف الثانية . . .
وتجدر الاشارة إلى أن رونتجن هذا عالم فيزياء الماني (١٨٤٥ ـ ١٩٢٣) واسمه بالكامل : البروفسور ولهلم كونرادفون رونتجن . .

١٢ ـ ليبيريا هي الدولة الأولى من حيث حجم الأسطول التجاري التابع لها . . . ويعزى ذلك إلى أن الرسوم التي تتقاضاها ليبيريا من السفن التي تحمل رايتها أقل بكثير من الرسوم التي تتقاضاها سائر الدول .

جوائز المسابقة الثقافية

الجائزة الأولى (٣٠ دينارا) شاهر علي حمدان ـ ص . ب ٣٩٤ ـ الكويت .
الجائزة الثانية (٢٠ دينارا) : يس محمد جمعة قطب ـ الاسكندرية / جمهورية مصر العربية .
الجائزة الثالثة (١٠ دنانير) :
Mr.N. Abdullatif ,
Islamiya College ,
P.O.B . 679325 Santapuram
Malappurum DT , Kerela — India

٨ جوائز تشجيعية بقيمة (٥) دنانير لكل من الآتية أسماؤهم :

١ ـ عبد القادر بورحله ـ الخطاطبة/ الجزائر .
٢ ـ محمد رمضان محمد سالم ـ المنامة / البحرين
٣ ـ عبد الحميد علي رحال ـ برج البراجنه ـ لبنان
٤ ـ حسام الدين محمد بسام ـ جامعة القاهرة .
٥ ـ سهام محمد ابراهيم عوض آغا ـ ص . ب ٤٣٣٣ ـ دبي .
٦ ـ محمد عثمان سعيد خيال ـ بورتسودان /السودان .
٧ ـ عمر دياب ـ حمص / سوريا .
٨ ـ عبد الرحمن محمد الحلال ـ الرياض ـ المملكة العربية السعودية .

هنغاريا احدى الدول الاشتراكية الاعضاء في منظمة المعونة الاقتصادية المتبادلة « الكوميكون » وهي من الدول الصناعية الصغيرة الحجم القليلة السكان بدليل أن مساحتها تبلغ ١٣ ألف كم ٢ وان عدد سكانها في عام ١٩٨١ كانوا ٧ , ١٠ ملايين نسمة .

وبالرغم من اشتهار هنغاريا بصادراتها من المنتجات الزراعية ، لكن القطاع الصناعي هو القطاع الرئيسي في الهيكل الاقتصادي الهنغاري اذ أنه يساهم بقرابة ٤٩ ٪ من مجمل الدخل القومي الهنغاري البالغ ٤ , ٦٣١ مليار فورنت عام ١٩٨١ . أي ما يعادل ٨٤٠ , ١٦ مليار دولار ، بينما كانت حصة القطاع الزراعي ١٦ ٪ وقطاع البناء ١٢ ٪ وبقية القطاعات الاقتصادية ٢٣ ٪ .

وهنغاريا كغيرها من الدول الاشتراكية الاعضاء في منظمة الكوميكون كانت تطبق منذ نشوء الاشتراكية فيها عقب الحرب العالمية الثانية النظام الاشتراكي التقليدي الذي ينطلق من الفكر الاقتصادي الماركسي وفقا لتجربة الاتحاد السوفيتي ، والمعروف أن معالم هذا النظام تتحدد بمجموعة من المؤشرات أهمها ملكية الدولة لوسائل الانتاج والتخطيط الشامل للاقتصاد الوطني ، والانطلاق في تحديد اسعار السلع والخدمات من قيمها التي ينبغي أن تتحدد بالعمل الاجتماعي الضروري المبذول فيها .

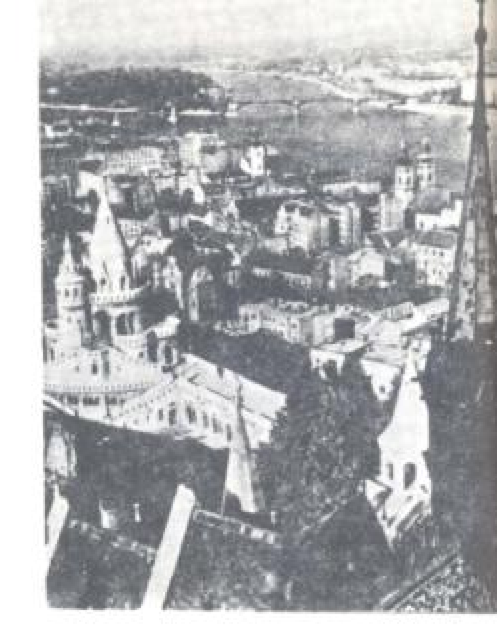
نموذج جديد في التجربة الاشتراكية

بقلم الدكتور عبد الامير رحيمة العبود

بدأت هنغاريا منذ عام ١٩٦٨ بتطبيق سياسة اقتصادية جديدة ، توضحت معالمها في الستين الاخيرتين . وما يميز هذه السياسة هو اتجاهها نحو الانفتاح الاقتصادي والتقليل من الاعتماد على التخطيط الاقتصادي بشكله المعروف في الانظمة الاشتراكية التقليدية .

الكثير من المصادر الرسمية الهنغارية التي تتحدث عن السياسة الاقتصادية الجديدة تشير الى أن مشكلة العجز في الميزان التجاري وميزان المدفوعات التي ظلت هنغاريا تعاني منها طوال سنوات تطبيقها للنظام الاشتراكي وحتى عام ١٩٦٨ ، كانت هي السبب الذي يقف وراء الانعطاف الذي حصل على السياسة الاقتصادية الهنغارية بعد عام ١٩٦٨ .

ذلك لأن السياسة الاقتصادية قبل هذه الفترة كانت تقوم على أساس الاكتفاء الذاتي والانغلاق في التعامل التجاري على دول المنظمة الاشتراكية « الكوميكون » ، وقد أفضى هذا الاتجاه الى تخلف الاقتصاد الهنغاري عن مواكبة التطور التكنولوجي في مستواه العالمي وتخلف الانتاجية والنوعية في هذه الدولة عن مستوياتها الدولية ، الامر الذي انعكس في عجز الصادرات الهنغارية عن منافسة مثيلاتها في السوق العالمية ، وكانت حصيلة ذلك بطبيعة الحال هي طغيان العجز سواء في الميزان التجاري أو ميزان المدفوعات ، لأن هذه الدولة لم تكن قادرة على تقليص استيراداتها خاصة من العالم الرأسمالي لشدة تبعية الكثير من قطاعاتها الاقتصادية للاستيراد . ولذلك كان البديل الوحيد لمعالجة هذه المشكلة هو الانفتاح على الاقتصاد العالمي بقصد استيعاب التكنولوجيا الحديثة في تطوير المؤسسات الانتاجية والارتقاع بها نحو المستويات الدولية لكي تكون منتجاتها قادرة على منافسة مثيلاتها على المستوى



من هنغاريا

العالمي ، وتوفير كافة المستلزمات التي تضمن توسيع موقع هنغاريا في الاقتصاد الدولي وزيادة صادراتها ، كتطوير القاعدة التحتية وتطوير الكفاءة التسويقية للمؤسسات التجارية وفقا لما تتيحه طبيعة النظام الاشتراكي . بمعنى أن هذا الاتجاه ـ وفقا لما تدعيه تلك المصادر لايعني انعطافا « أو تغييرا »في نمط النظام الاشتراكي وانما اجتهادا « وابداعا » في تطبيقاته .

الا أن تحليل طبيعة الاجراءات التي طبقتها هنغاريا منذ عام ١٩٦٨ وبخاصة خلال السنتين الاخيرتين ، انما يتيح المجال للاجتهاد بأن تلك الاجراءات لم تكن مجرد تطبيق حي لجوهر النظام الاشتراكي ، انما هي تمثل انعطافا « واضحا » في جوهر التطبيقات الكلاسيكية للنظام الاشتراكي التي تأخذ بها دول المنظومة الاشتراكية منذ ظهور الاشتراكية فيها .

السياسة الاقتصادية الجديدة

من الممكن تلخيص الاتجاهات الأساسية للسياسة الاقتصادية الهنغارية الجديدة في أنها تعتبر مسألة اصلاح الاسعار احدى القضايا الاساسية لهذه السياسة ، فالاسعار لم تعد تتحدد حسب اهداف السياسة الاقتصادية ، بمعنى ليس حسب معطيات الكلفة الداخلية ، أو موازنة السعر ارتفاعا أو انخفاضا « حسب أهداف الدولة » تطبيقا للمقولة الاشتراكية بأن للاسعار مضمونا « اجتماعيا واقتصاديا » ، وانما أصبحت أسعار الجزء الأكبر من السلع تتحدد وفقا لمستويات الاسعار الدولية ، ولهذا يجري الحديث الآن في هنغاريا عن تطبيق ما يسمى بالاسعار التنافسية .

ليس في اطار التصدير والاستيراد وإنما حتى أسعار السلع الداخلية ، وهي تعني أن أسعار السلع تتحدد وفقا لتيارات العرض والطلب في السوق الدولية .

وطالما أن الاسعار الدولية تتأثر بتغيرات سعر الصرف ارتفاعا « أوانخفاضا » لذلك خرجت هنغاريا منذ عام ١٩٨٠ عن نظام اسعار الصرف المتعددة ، ولجأت الى تطبيق سعر الصرف الموحد ، بمعنى لم يعد هنالك سعر صرف للتصدير يختلف عن الاستيراد ، أو يختلف عن سعر الصرف المحدد للسياحة ، وانما هنالك سعر صرف واحد للفورنت الهنغاري ، وان هذا السعر يتغير تبعا لمعدل التغيرات التي تحصل على أسعار الصرف الدولية للعملات الرئيسية .

واذا كانت اسعار السلع تتحدد وفقا لاتجاهات الاسعار الدولية فان المؤسسات الاقتصادية هى المسؤولة عن مجابهة التغيرات في الاسعار الدولية ارتفاعا « أوانخفاضا » ، بمعنى أن السياسة المالية اصبحت في النظام الجديد تتجنب الاخذ بنظام دعم الاسعار أو الاستثناءات الضريبية بالنسبة لغالبية السلع باستثناء السلع الاساسية ، هذا يعني في الوقت ذاته بأن المؤسسة هي المسؤولة عن مجابهة عوامل الكلفة والسعر وليس لها أن تتكل على دعم الدولة .

كذلك فان النظام الجديد لم يعد يحدد المؤسسة بمجموعة من الضوابط التخطيطية التي تحدد حجم ونمط الانتاج والتسويق وغير هذه من الامور التي تحدد نشاط المؤسسة في اطار معين ليس لها أن تخرج عنه ، انما يطلب من المؤسسة أن تحاول تحقيق اهداف عامة ترسمها خطة الاقتصاد الوطني كتحديد معدل معين من النمو أو التركيز على أفضليات معينة وفيما عدا ذلك يترك لادارة المؤسسة رسم كافة الخطوط العامة والخاصة التي توصلها لتلك الاهداف . بمعنى آخران السياسة الجديدة لم تعد تتقيد بنمط التخطيط المعروف في الانظمة الاشتراكية والذي يعني أن أجهزة التخطيط المركزية بعد أن تراعى رغبات المؤسسات الاقتصادية عن طريق اسلوب المركزية



الديمقراطية تنفرد باتخاذ القرارات حول مجمل نشاطات المؤسسات الاقتصادية ، بل ان ما يميز السياسة الاقتصادية الجديدة ، أن المؤسسات الاقتصادية هي التي تضع خططها حسب ما تراه ممكنا ثم تضطلع اجهزة الدولة التخطيطية بهذه الخطة ، ومن مجمل هذه الخطط تضع الدولة خطتها العامة .

اي أن دور الدولة ـ والحال هذه ـ هو تهيئة الظروف الاساسية التي تساعد المؤسسات على القيام بعملها وليس الموجه المباشر لكافة نشاطات المؤسسات ، بمعنى آخر أن نهج التخطيط أصبح يقترب الى حد بعيد من ذلك النهج الذي تطبقه بعض الدول الرأسمالية المتطورة كاليابان مع فارق واحد هو أن نهج التخطيط في الدول الرأسمالية يأخذ مجراه بتوسط مؤسسات كالاحتكارات الكبرى وبيوت التجارة والمال ، أما هنا فالعلاقة تكاد تكون مباشرة بين المؤسسات والدولة وهي تنظيم عن طريق الوزارات والمؤسسات النوعية .



ملامح الانعطاف في التجربة الاشتراكية

ومن كل هذا يبدو أن السياسة الهنغارية الاقتصادية الجديدة أصبحت تنطلق الى حد بعيد من حلقة التبادل في تحديد اتجاهات النشاط الاقتصادي ، في حين تنطلق الانظمة الاشتراكية بمجموعها سواء على المستوى النظري أو التطبيقي من حلقة الانتاج ، أما تفصيلات حلقة التبادل سواء السعر وسعر الصرف والتسويق والخزن والحفاظ ، فما هي إلا نتيجة لما تتطلبه أو تقتضيه حلقة الانتاج تطبيقا للمقولة الاشتراكية التي تعتبر الانتاج هو القاعدة المادية والتكتيكية للاقتصاد الوطني .

وهكذا نلاحظ بأن عنصر السعر في السياسة الاقتصادية الجديدة ، لم يعد يتحدد وفقا للعمل الاجتماعي الضروري المبذول في البضاعة وهو الجوهر المميز للنظرية الاشتراكية ، انما هو الآن ينطلق من السعر العالمي ، والسعر العالمي أصبح المعيار الذي تتحدد بموجبه أسعار الكثير من السلع سواء في افق التجارة الخارجية أو التجارة الداخلية وسعر الصرف لم يعد يتسم بالاستقرار والثبات انطلاقا مما تعارفت عليه أنظمة احتكار النقد الاجنبي في غالبية الدول الاشتراكية ، انما اصبح يتغير تبعا « للتغيرات التي تحصل في أسواق العملات الرأسمالية » .

والتخطيط لم يعد هو الاسلوب الذي بموجبه تتحدد كافة النشاطات الاقتصادية وصولا لتحقيق الأهداف الرئيسية للدولة ، ، انما أصبح التخطيط مجرد اهداف رئيسية تضعها الدولة بناء على المعلومات التي تصلها من المؤسسات كتحديد معدلات النمو أو تحديد الافضليات لنمو القطاعات الاقتصادية ، ويترك للمؤسسات الاقتصادية حرية اختيار السبل الملائمة لتحقيق تلك الأهداف ، بمعنى آخر أن الاشتراكية في هنغاريا لا تقوم الآن على عمودين هما ملكية الدولة لوسائل الانتاج والتخطيط الاقتصادي للاقتصاد الوطني ، انما تقوم الآن على عمود واحد هو ملكية الدولة لوسائل الانتاج ، ذلك أن نمط التخطيط الآن في هنغاريا لا يختلف كثيرا عن ذلك الذي تطبقه بعض الدول الرأسمالية المتطورة .

العوامل النفسية

ويبدو أن أسباب هذا الانعطاف الهام في السياسة الاقتصادية الهنغارية لم يقتصر على مشكلة العجز في ميزان المدفوعات ، بل ان العجز في الميزان التجاري وميزان المدفوعات لم يكن سوى مجرد القشة التي قصمت ظهر البعير ، ذلك أن أسباب هذا الانعطاف انما تغور في عوامل كثيرة ـ في مقدمتها عجز السياسة الاقتصادية الاشتراكية الكلاسيكية عن النهوض بالاقتصاد الهنغاري بالاعتماد على قوالبها القديمة المتمثلة بالانطواء في التعامل على دول المجموعة الاشتراكية والتقيد بالقوالب الصارمة للتخطيط الاقتصادي ، وتجاهل العوامل النفسية المؤثرة على سلوك الافراد .

وربما كان السعي وراء استيعاب العوامل المؤثرة على سلوك الافراد هو العامل الرئيسي الذي دفع الهنغاريين الى

ابتداع هذا النهج الجديد في السياسة الاقتصادية ذلك لأن الخط الكلاسيكي الاشتراكي القديم كان لايراعي الجانب السيكولوجي لأفراد المجتمع . فالفرد مجرد رقم ضمن المجتمع ، يتحرك ضمن حركة المجتمع التي تحددها خطوط السياسة الاجتماعية والاقتصادية المخططة تخطيطا صارما ، وكانت حصيلة ذلك بطبيعة الحال ضمور عنصر الاندفاع الذاتي للافراد في تحريك عجلة الاقتصاد الوطني . والمثير للالتفات في غالبية النظم الاشتراكية الكلاسيكية هو أن هذه الظاهرة قد مارست آثارا سلبية على الانتاجية والنوعية والانتاج والتصدير .

وقد كان ذلك - بتصورنا - أحد العوامل الرئيسية لخطل السياسة الاقتصادية الهنغارية القديمة الى حد كاد يؤدي الى تهديد وجود النظام الاشتراكي برمته وحوادث المجر في عام ١٩٥٦ قد تكون شاهدة على ذلك .

ومن هنا يبدو أن إعادة النظر في تلك السياسة الاقتصادية واستبدالها بسياسة أخرى تحاول استيعاب مشاعر الأفراد واهتماماتهم وتغذية عوامل الاندفاع الذاتي وحب العمل كان أمرا لابديل له .

وهكذا نلاحظ بأن محور السياسة الاقتصادية الهنغارية الجديدة ليس جهاز التخطيط إنما المؤسسة الاقتصادية لأنها هي القاعدة التي يرتكز عليها المجتمع برمته . فضلا عن اهتمام السياسة الاقتصادية الجديدة بالفرد الهنغاري ذاته ، عن طريق توفير الكثير من السلع والخدمات الضرورية والكمالية التي تقتضيها متطلبات معيشته ، وفتح المجال لكفاءته عن طريق توفير الكثير من المجالات الرسمية وغير الرسمية لنمو القطاع الخاص بحدود معينة خاصة في مجال الخدمات والتجارة الداخلية والحرف وتحويل الفرد من مجرد رقم مجهول في المجتمع الى عامل مؤثر ومتفاعل مع حركة المجتمع .

وعلى أية حال فان السياسة الاقتصادية الهنغارية الجديدة انما تمثل نموذجا جديدا من نماذج الانفتاح على الاقتصاد الحر مع الاحتفاظ بالجوانب الاساسية للنظام الاشتراكي كملكية الدولة لوسائل الانتاج ، انها تحتفظ باهم مقومات النظام الاشتراكي ، لكنها بكل الاحوال أصبحت تقتبس من النظام الرأسمالي ما يساعد على ديمومة النظام الاشتراكي والحفاظ على عناصره الاساسية .

مستقبل السياسة الجديدة

لكن السؤال الذي قد يتوارد الآن : هل ان هذا الاتجاه الجديد سوف يضمن التطور الحثيث للنظام الاشتراكي الهنغاري ، أم أنه مجرد المحاولة الاولى في تطبيق بعض اجراءات الاقتصاد الحر ضمن قالب الاقتصاد المخطط ، التي قد تقترن بمحاولات اخرى تستهدف تطبيق المزيد من اجراءات الاقتصاد الحر في المدى القريب أو المتوسط الذي يفضي الى مسخ الوجه الاشتراكي للنظام الاقتصادي الهنغاري .

لا يدري أحد ، لكن بعض الكتاب والمتخصصين يشيرون الى أن نتائج هذه الاجراءات لم تعد مضمونة باستثناء انعكاساتها الايجابية على حالة الافراد في المجتمع الهنغاري ، بل ان البعض يشير الى ان حرية السوق وابتعاد الدولة عن اجراءات الدعم قد أفضت في الكثير من الأحوال نحو ضمور التصدير وطغيان الاستيراد، الأمر الذي قد ينعكس في المستقبل القريب في زيادة المديونية الخارجية لدولة هنغاريا وليس تناقصها ، ويؤكد آخرون بأن هذه الاجراءات لايمكن أن تقترن بجوانب ايجابية مضمونة ما لم تقترن بتطبيق المزيد من اجراءات الاقتصاد الحر عن طريق تبديل طبيعة الأجهزة المصرفية والمؤسسات التجارية .

على أية حال فان تلك الاجراءات لم تكن في تصورنا مجرد اجتهاد في التطبيقات الاشتراكية ، انما هي انعطاف واضح وجريء في النهج الاشتراكي باتجاه تطعيم النظام الاشتراكي ببعض تطبيقات الاقتصاد الحر ، وقد يفضي ذلك في المستقبل الى نموذج جديد في التجربة الاشتراكية .

د . عبد الأمير رحيمة

كلية الادارة الاقتصادية - البصرة

بلاطات تركيا القرن ١٥ م





زجاجة ـ مصر القرن ١٤ م



لوحة من القاشاني ـ مصر ـ القرن ١٥ م







بلاطة - سوريا القرن ١٥ م

نبض التاريخ في
دار الآثار الإسلامية
بمتحف الكويت الوطني

بقلم : هبة عنايت

المتاحف ودور الآثار هي الواجهة الحضارية لأي بلد . وبقدر ما يهتم البلد بمتاحفه ، تتسع رقعته على أرض الحضارة الانسانية .

« من فات قديمه تاه » . . . هذا مثل شعبي يقال في مصر ، وربما في بلاد عربية أخرى . ولكي لا نتوه ، نبحث دائما عن جذورنا ، عن أصولنا ، عن تاريخنا ، وعن تراثنا . نلملم شتاته الذي تبعثر بفعل ظروف لم تكن نملكها . وننفض عنه غبار سنين الضياع . ونعيد إليه رواءه وبهاءه . نجمعه في مكان واحد . نحقق وندقق في نسبه . نسلط عليه الضوء لتنكشف الرؤية من حوله ، فنرى تاريخنا يتجسد أمامنا . . نسمع نبضه ، ونشم رائحته .

وما دار الآثار الاسلامية غير ذلك . إنها جزء من متحف الكويت الوطني . لكنه يقلب نظرية « الكل مجموع الأجزاء » فهو جزء أكبر من الكل . . . موقعه على شارع الخليج العربي لا يثير الانتباه برغم ضخامة مبناه ، وربما تثير الانتباه تلك السفينة الخشبية الكبيرة التي لا أدري كيف عبرت الشارع من شاطيء الخليج لتستقر في باحة المتحف ، الذي وضع تصميمه المعماري الفرنسي ميشيل ايكوشار سنة ١٩٧٥ والذي يتكون من أربعة مبان ، تحتل دار الآثار الاسلامية واحدا منها .

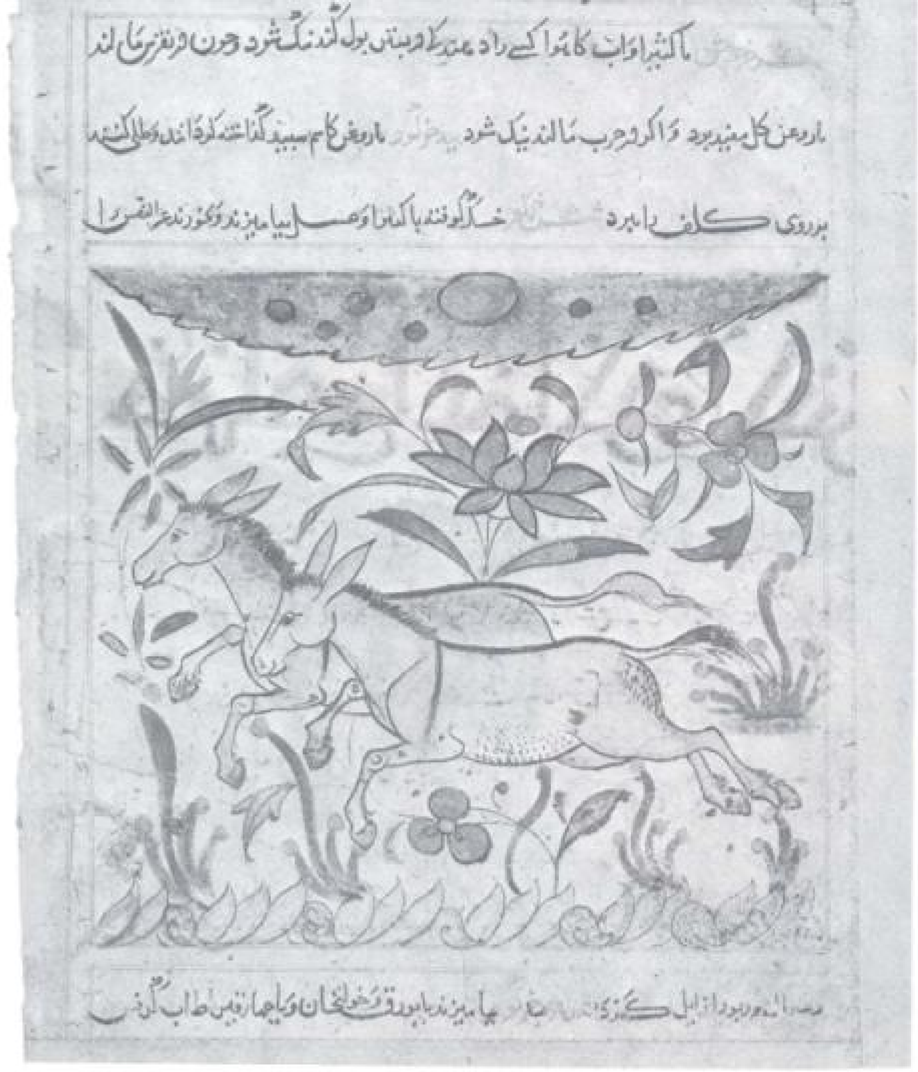
سياحة في التاريخ

استوقفني الحارس عند الباب . ولم يسمح لي بالدخول وأنا أحمل آلة تصوير فوتوغرافي . حاولت أن أشرح له مهمتي ، لكنه ضغط على جهاز اللاسلكي الذي يحمله . فجاء رجل في ملابس كويتية وخاطبني بثقة وحزم وبكلمات محددة . التصوير ممنوع الا باذن خاص من المديرة الشيخة حصة . فاذا وافقت تحدد لك موعدا . . اترك الكاميرا عند الباب ، وعد لتأخذها بعد أن تفرغ من الزيارة . . !

وفيما بعد علمت سر تلك اللهجة الحاسمة . فالرجل هو العميد ناصر عبد العزيز مدير أمن دار الآثار الاسلامية . . . ولم يكن أمامي إلا أن أذعن للتعليمات وأترك الكاميرا عند الباب .

نقلتني أولى خطواتي فجأة إلى عالم آخر . وسقط حاجز الزمن . ووجدت نفسي أجوب دروب التاريخ . أتنقل من عصر إلى عصر ، ومن قرن إلى قرن . أستعيد في نفسي اكتشاف عظمة الحضارة الاسلامية . . . وقطع من التراث الفني تطل علي من كل جانب . . تفاجئني سجادة تركية من أوشاك تعود إلى القرن السابع عشر الميلادي معلقة على الحائط . أسرح ببصري فوقها فأكاد لا أدرك نهايتها التي ترتفع لاكثر من سبعة أمتار . وبالطبع ليست هي الوحيدة . بل تجاورها أخرى من قونية تعود إلى العصر نفسه . ثم ثالثة من الهند عرضية بطول خمسة أمتار تعود أيضا الى القرن الخامس عشر الميلادي . ورابعة عجمية من كيرمان لها نفس المساحة تقريبا وتعود الى القرن نفسه . . كلها آيات من جمال التصميم والنقش واللون وكلها تشترك في سمة واحدة وإن اختلفت بيئاتها . . من الهند وإيران وتركيا . لكنها ترجع إلى مصدر إلهام واحد وهذه عظمة الحضارة الاسلامية .

ومن السجاد أنتقل إلى المنسوجات الأخرى . . قميص من الكتان مطرز بالحرير ، من مصر ، يعود إلى مطلع القرن الخامس عشر الميلادي ، وقلنسوة من الحرير ذات زخارف نباتية باللونين الأخضر الداكن والبني الفاتح ، ربما أتت من مصر أو سوريا وتعود إلى القرن الرابع عشر الميلادي . ثم قطعة من الكتان من مصر مطرزة بكتابات بالحرير تحمل تاريخ ٣٠٢ هجرية (٩١٤ - ٩١٥ ميلادية)



صفحة من مخطوط منافع الحيوان ـ فارس ـ القرن ١٤ م

ليس سهلا أن انتقل من أمام ما أبدعته أيدي النساجين المسلمين ، لكن بريق الخزف يجذبني .. شيء محير هذا الكم الهائل من الخزف على أشكاله المختلفة وزخارفه ومصادره وتنوع الغرض من صنعه ... هذا طبق فارسي يعود إلى القرن الثالث عشر الميلادي رسم عليه براقان متواجهان تحتهما جملان متعاقبان ، وتحتهما عنقاوتان متواجهتان . وريشة الفنان تجري بهذه الأشكال بطلاقة ودون تكلف .. وطبق آخر من فارس يعود أيضا إلى القرن العاشر الميلادي . عليه رسم خطي لحمامة دون تلوين ، فيه عفوية ورشاقة بالفنان ... ليس غريبا إذن أن تكون مثل هذه الأعمال مصدر إلهام لكبار فناني الغرب في القرنين التاسع عشر والعشرين ... وأنتقل من أمام طبق إلى جرة ، وسلطانية ، وابريق ، وبلاطات من القاشاني بعضها مزجج لامع وبعضها غير مزجج . بعضها يحمل رسوما نباتية وحيوانية ، وبعضها يحمل رسوما هندسية . والبعض الآخر لا يحمل سوى كتابات بحروف عربية صممت بشكل يغني عن أي رسم . وهذه روعة الخط العربي ... الخط العربي ليس شكلا فقط . إنما هو شكل يضمر روحا تجيش في داخله ... ما بين استقامة « الألف » ، وانتصابها وشموخها وسموقها وبين انحناء « الياء » ، ونعومتها وليونتها ، مخلوقات تتنفس .



دينار من الذهب ـ سوريا ـ القرن ١٧ م



مرطبان ـ سوريا القرن ١٤ م



كاليان ـ فارس القرن ١٧ م



لوحة من بلاطات القاشاني ـ تركيا ـ القرن ١٦ م



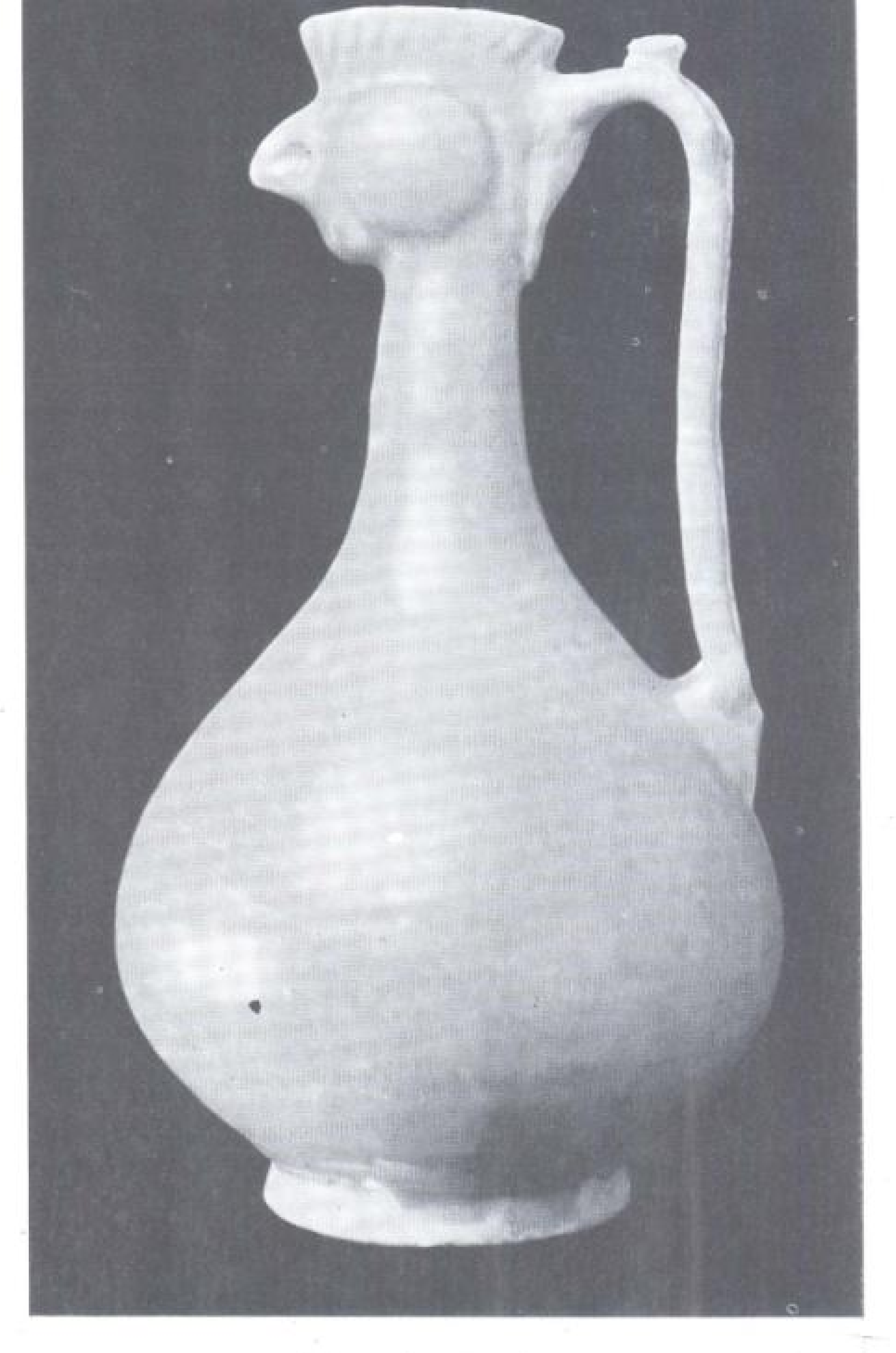
سواران من الذهب ـ سوريا ـ القرن ١١م

زجاجة ـ فارس القرن ١٧ م



كاليان ـ فارس القرن ١٧ م





ابريق من الخزف ـ فارس ـ القرن ١٢ م

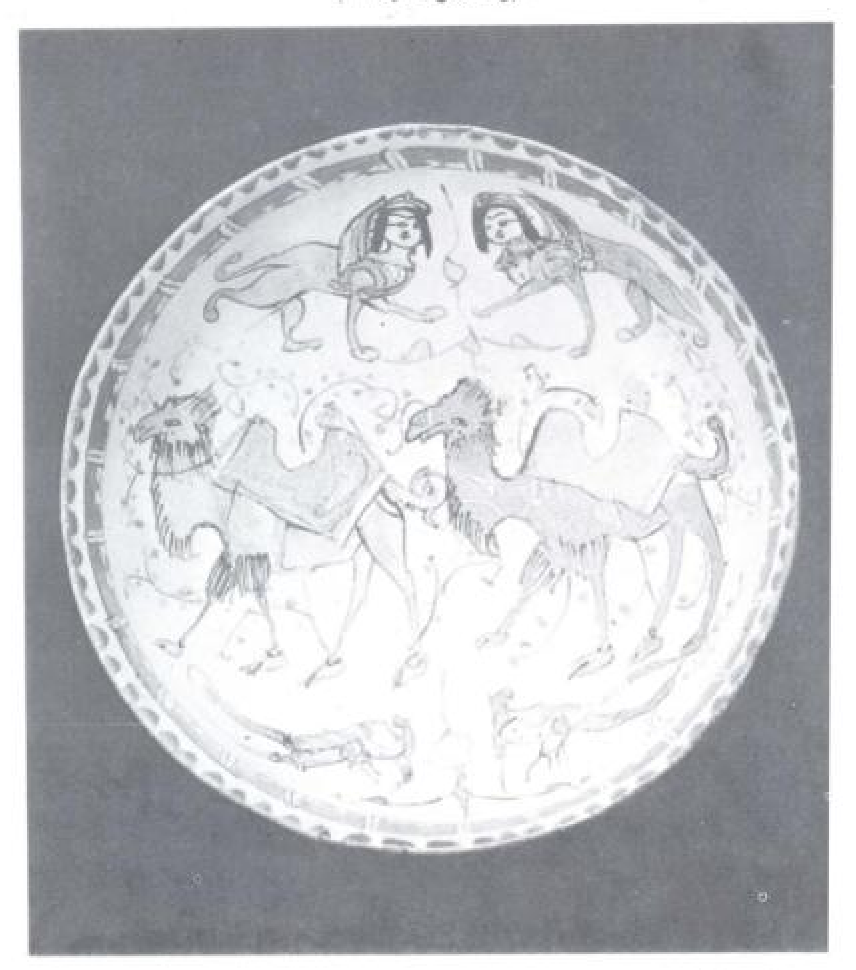
الذهب معدن نفيس والحديد معدن رخيص . لكنها يستويان في دار الآثار الاسلامية . كلاهما له القيمة ذاتها . كلاهما قد تخلى عن هويته الكيماوية ليكتسب هوية فنية وأثرية . الصائغ والحداد فيها سوقف نفسي وروحي واحد . لا فرق عندي بين الدينار الذي سك من الذهب في دمشق سنة ٧٨ هجرية وبين ذلك الاسطرلاب ، الذي صنع من البرونز في العراق في سنة ٣١٥ هجرية . المهم هو القيمة الفنية والدلالة الأثرية .

قطع أثرية إسلامية كثيرة تشارك في هذا الحفل الصامت المتكلم .. أكاد أسمع صوتها ينفذ خلال الزجاج الذي احتواها ، تحكي أطرافا من قصة الحضارة الاسلامية وتراثها الفني . ولكل قطعة من هذه القطع حكاية . فهي ليست الأولى ولا هي الأخيرة . هي إحدى حلقات سلسلة من التراث الانساني ، توارث صناعتها الابن عن الأب عن الجد . هي تجربة عملية تناقلتها أيدي أبناء المهنة الواحدة ، يضاف اليها ، ويتغير شكلها بانتقالها من جيل إلى جيل لاحق . ومن وطن لآخر . لكنها دائما تحتفظ بخصائص وسمات وروح واحدة . وهذه عظمة الحضارة الاسلامية .

الخشب خامة شائعة في حياتنا منذ عرف الانسان كيف يقطع فرع شجرة ليبني بيتا يؤويه أو يصنع قاربا يبحر به . وقد عرف الانسان أيضا كيف يضيف من حسه الجمالي إلى هذه الخامة الصماء ما يجعل منها شيئا يتجاوز الهدف النفعي منها . وقد بلغ هذا المنحى قمته في عصر النهضة الفنية الاسلامية الذي بدأ بامتزاج الحضارتين البيزنطية والساسانية في فكر جديد .

وأمامي نماذج من التحف الخشبية تعيد إلى الذهن ما كانت عليه حرفة التجارة الفنية من ازدهار وما بلغته من

طبق ـ فارس ـ القرن ١٢ م







باب من الخشب المعشق - فاس - القرن ١٤ م

سجادة - حيدر آباد - القرن ١٧ م



سجادة - تركيا - القرن ١٨ م

مستوى رفيع . . باب عملاق يرتفع لأكثر من أربعة أمتار يتكون من مصراعين ، لكل منهما ضلفة داخلية ، وقد صنع في فاس بالمغرب في القرن الرابع عشر الميلادي من الخشب المعشق الذي حفرت على حوافه آيات من القرآن الكريم . كما حفرت حشواته بزخارف هندسية وطليت بألوان فيها تجانس بليغ . . . تحفة رائعة أرجح أن تكون الوحيدة من نوعها الباقية في العالم الآن .

. . ظللت شاخصا ببصري إلى ذلك العقد من الخشب على شكل قوس من المقرنصات تحف به حشوات محفورة بزخارف نباتية . وقد اكتسى بطبقة من لون جنزاري داكن . هو أيضا من المغرب ومن العصر نفسه . وأمام هذه التحفة يغيب عن بالك أنها كانت في الأصل قطعة من شجر . . ومن القرن نفسه لوحة من مصر صنعت من الخشب المعشق طعمت بقطع من العاج بأشكال هندسية ، لولا إطارها لامتدت هذه الزخارف في كل اتجاه إلى ما شاء الله . لكل من هذه الوحدات الهندسية المتساوية المتكررة جمالها الخاص كشكل واحد . كما أنها ـ وهي متراصة كمجموعة ـ تعطي جمالا آخر . إنها تعكس فكرة « الكل والواحد » كما تحمل المعنى الاخلاقي للمساواة . وفي امتدادها الذي لا تعرف أين يبدأ وأين ينتهي تعبير عن « الأزل والأبد » هي بلاشك تعبير تجريدي عن الفكر الاسلامي . وسواء كان الفنان المسلم مدركا ذلك أو غير مدرك ، واعيا به أو غير واع ، قاصدا إياه أو غير قاصد ، فإن وجدانه الذي يفيض بروح الاسلام قد دفع إبداعه الفني في هذا الاتجاه . . . وهكذا تختزن هذه القطعة الخشبية التي لا يزيد ارتفاعها عن متر واحد . . . كل تلك المعاني . . . وهذه عظمة الحضارة الاسلامية .

فوهة اناء من البرونز ـ تركيا أو العراق ـ القرن ١٣ م

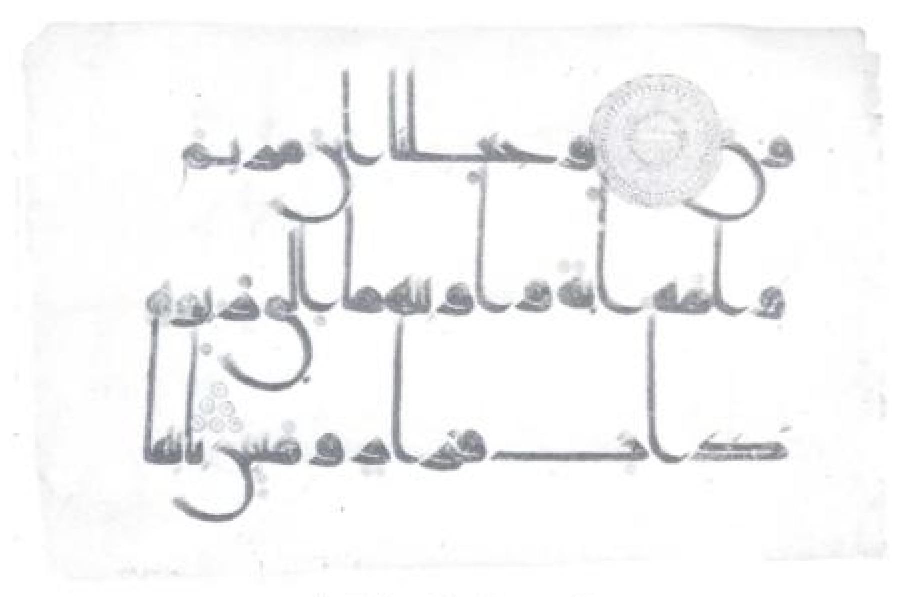
للزجاج في دار الآثار الاسلامية نصيب . وأقف أمام إبريق فارسي من الزجاج المشكل بالنفخ ، يعود إلى القرن العاشر الميلادي . ومنه نستشف قدرة الفنان على تصميم الشكل والحذق في صنعه . ثم أرى قنينة من الزجاج المنفوخ ربما من مصر أو سوريا من القرن الرابع عشر الميلادي ، دخلت إليها زخارف مطلية بالمينا ، الأمر الذي يحتاج إلى درجة عالية من الدراية والمهارة بالاضافة إلى جمال الشكل .

وعن الحلي والمنمنمات ، فقد عرضت مجموعة من التحف لا تملك إلا أن تقف أمامها متأملا ومنبهرا . . . مجموعة من الخناجر كلها من العصر المغولي في الهند في القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين . الخنجر ساكن في غمده . وأشك أنه خرج منه منذ أن صنع . ذلك أن المقبض والغمد في الحقيقة تحفة متمنمة مكسوة بالذهب ومرصعة بقطع الماس ذات الثمانية أسطح ، تجاورها قطع من العقيق والزمرد والياقوت والعاج ، تحف بها خطوط دقيقة من المينا . وقد انتظمت جميعا في زخرف بديع . . ومن الهند المغولية أيضا قلادتان إحداهما من الماس تنتهي بفص من الزمرد على شكل كمثرى ، والأخرى كلها من الزمرد . وتسترعي الانتباه قطعة حلي أخرى ، أغلب الظن أنها « دلاية » من شمال الهند تعود إلى القرن الثامن عشر الميلادي . صنعت على شكل صقر من الذهب ومرصعة بالماس والزمرد والياقوت والبلور الصخري . وتتدلى من منقار الصقر لؤلؤة ، ومن ذيله ثلاث لآليء أخريات . قطع تثير الاعجاب حقا . ليس لنفاسة محتوياتها ، بل لتصميمها البديع الذي يجسد لنا نموذجا لشكل فني إسلامي يأتينا من الهند

العثور على مخطوط قديم أمر بالغ الصعوبة . فما بالنا اذا كان المخطوط قطعة من الفن . وما بالنا إذا كان المخطوط صفحات من « كتاب في معرفة الحيل الهندسية » للجزرى أو « الشاهنامة » للفردوسي . أو « منافع الحيوان » لابن بختيشوع ؟ ! انها أمامى هنا مع غيرها من المخطوطات الأثرية . .

ومن القطع النادرة حقا صفحتان من مصحف كريم كتب بالحبر على رق ، يعود الى شبه الجزيرة العربية فى القرن الثامن الميلادى . وبالطبع ليس سهلا قراءة ما هو مكتوب . لكن البطاقة التي أرفقت بها تقول ان النص المكتوب يبدأ من جزء من الآية ٩٨ من سورة المائدة ويستمر الى الآية ١٢ من سورة الأنعام . . انها كنوز تفوق قيمتها أي رقم يوضع أمامها .

رأسي يزدحم بملامح رحلة طويلة عبر القرون ، آثارها أمامي مجسدة ، تقدم دعوة لكل البشر أن يعيشوا بعضا من الوقت مع عظمة الحضارة الاسلامية .



صفحة من مصحف ـ تونس ـ القرن ١٠ م

ولم يكن باستطاعتي أن أنتزع نفسي من هذا المكان لولا صوت الجرس الذي أعلن موعد انتهاء الزيارة .. وخرجت عاقدا العزم على زيارة ثانية وثالثة .. الكاميرا .. لقد نسيتها . ورجعت فورا لآخذها وأنتظر حتى تتاح لي فرصة استعمالها .

صاحب المشروع

في مكتبة بالطابق العاشر من احدى العمارات في الكويت كان موعدي مع الشيخ ناصر . وما إن بدأت الحديث عن الفنون الاسلامية حتى وجدته يندمج في تاريخ الفن الاسلامي تماما وينسلخ بسرعة عن أعماله .

الشيخ ناصر صباح الأحمد شاب في الثلاثين تقريبا بشوش ومتواضع ، بدأ اهتمامه بالتراث الاسلامي عندما بعثه والده الشيخ صباح الاحمد الجابر الى القدس ليتلقى العلم . هناك جذب اهتمامه واستحوذ على وجدانه جمال العمارة الاسلامية بتركيبها المتميز وزخارفها البديعة .

وفي فترة لاحقة تلمس آثار الأمويين في دمشق ، والعباسيين في بغداد والفاطميين في القاهرة والسلاجقة في قونية . عندئذ لم تعد صلته بالفنون الاسلامية مجرد إعجاب ، بل أصبحت اهتماما يوميا ينحت من وقته كرجل أعمال . واتسعت دائرة رحلاته بحثا عن المعرفة في مجال التراث الفني الاسلامي ، فامتدت من فاس والقيروان وغرناطة إلى صنعاء ودلهي وبخارى .

ولم تكن زوجته الشيخة حصة بعيدة عن هذا بل كانت ومازال ـ تشاركه هذا الاهتمام وتشجعه على تحويله من هواية مجردة الى عمل منظم .

وفي عام ١٩٧٥ بدأت مرحلة الاقتناء . وكان أول ما اقتناه زجاجة من العصر المملوكي ... قطعة أثرية واحدة جرت خلفها عشرين ألف قطعة ، تمثل كل جوانب التراث الفني الاسلامي .

سألت الشيخ ناصر عن القيمة المادية لمقتنياته . فقال : إن القيمة المعنوية أكبر بكثير من القيمة المادية ، وعلى العموم ، وكما ترى ، أنا رجل أعمال ، وأعمالي ـ ولله الحمد ـ ناجحة . ومن أرباحي أستطيع أن أدفع ثمن هذه القطع الأثرية .

قلت : هناك سعر تقريبي للأشياء المتداولة بين الناس ، لكن بالنسبة للآثار كيف يتحدد سعر الشراء ؟ وكيف يتم ذلك ؟

قال : هناك تجار ووكلاء للآثار ، وهناك هواة جمع الآثار . وأنا على صلة ببعض هؤلاء في عدة عواصم ، وأحيانا أتلقى منهم صورا للقطع التي تظهر أو تعرض للبيع متضمنة مواصفاتها . فإذا أعجبتني واقتنعت بقيمتها أسافر

صورة رسام ـ الهند ـ القرن ١٧ م

سلطانية ـ فارس القرن ١٢ ـ ١٣ م



زجاجة من البلور الصخري ـ مصر ـ القرن ١١ م





محراب قبلة من الفسيفساء - مصر - القرن ١٥ م



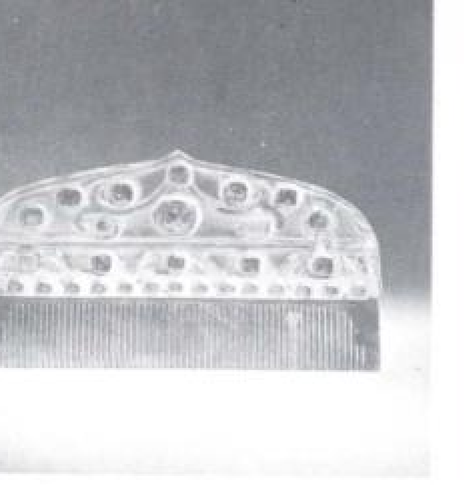
لوحة من القاشاني - تركيا - القرن ١٧ م



صندوق مطعم -
الهند - القرن ١٧ م



دلاية من الذهب والاحجار الكريمة ـ الهند ـ القرن ١٨م



مشط مطعم بالاحجار الكريمة ـ تركيا ـ القرن ١٧ م

إلى مكانها وأعاينها وأستشير بعض الخبراء ممن أتعامل معهم حتى يكون التوثق والتدقيق كاملين .

قلت : بالمناسبة لقد رأيت في دار الآثار الاسلامية بابا خشبيا ضخما من المغرب كيف حصلت عليه ؟

ابتسم الشيخ ناصر وقال : لقد كان يتنافس عليه متحفان أوربيان : هما متحف اللوفر ومتحف برلين ولكني كنت مصرا على ضمه إلى مجموعتي وقد كان والحمد لله . . . الواجب يقتضي أن نعمل بقدر الامكان على إعادة هذه الآثار الاسلامية المشتتة في أنحاء العالم إلى أرض إسلامية ، فبلاد المسلمين أولى بآثارهم . وفي آخر الأمر ستكون معروضة أمام الناس جميعا . . . ومن كل بلد . وستعم الفائدة على الكل من عرب ومسلمين وغيرهم .

وعدت أسأل : كيف كنت تخطط لاقتناء هذه المجموعة ؟

فقال : الحقيقة أنه لم يكن في نيتي أول الأمر عند الاقتناء أن تكون هذه المجموعة للعرض العام . وهذه المقتنيات لم تجمع اصلا لتمثل عصرا معينا ، أو اتجاها تاريخيا مسلسلا ، ولكن عندما كثر عدد القطع رأينا ـ أنا وزوجتي حصة ـ أنها تغطي كل أنواع الفنون الاسلامية ، وأن عرض بعضها يساهم في تأكيد الروابط الروحية التي توحد الشعوب الاسلامية . وعندما اكتمل بناء متحف الكويت الوطني ، وجد المكان المناسب للعرض . وقد كنا في أول الأمر نشك في مدى ملاءمة المكان لعرض هذه المجموعة ، لكن النتيجة جاءت مرضية والحمد لله .

قلت : هذا تواضع مشكور . فالنتيجة ليست مرضية فحسب ، بل إنها رائعة . واسلوب العرض ممتاز . لقد زرت الكثير من متاحف العالم . وأشهد بصدق أن أغلبها ينقصه أسلوب للعرض يتيح للزائر الحركة السهلة والمنظمة والرؤية الواضحة .

قال : الحمد لله .

موعد مع المديرة

دق جرس التليفون في مكتبي وكان المتكلم العميدناصر عبدالعزيز ، وأبلغني أنه قد تحدد لي يوم السبت موعد لأقابل الشيخه حصة وأصور ما أرغب في تصويره .

قلت : ولكن يوم السبت هو يوم عطلة المتحف .

قال : ولهذا السبب تحدد الموعد لأنه من غير المستحب التصوير أثناء مواعيد الزيارة . وستكون الشيخة حصة في انتظارك بمكتبها العاشرة والنصف صباحا .

في الموعد المحدد كنت أجلس أمام الشيخة حصة صباح السالم مديرة دار الآثار الاسلامية . . . شابة رقيقة مهذبة ، سلوكها يكبر سنها . . ربما لطبيعة عملها وحجم المسئولية التي تحملها .

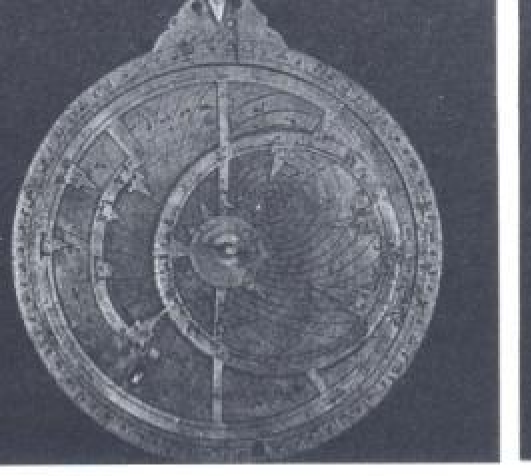
وسألتها : هل تداومين على العمل أيام الاجازات ؟

قالت : في الغالب ، نعم . فمازال امامنا الكثير من العمل .

كسرة من سلطانية ـ مصر ـ القرن ١١م



تاج عمود من الرخام ـ الأندلس ـ القرن ١٠ م



اسطرلاب من البرونز ـ العراق ـ القرن ١٠ م

قلت : ألم تكتمل دار الآثار الاسلامية ؟

قالت : دور الآثار والمتاحف لا تكتمل أبدا . وما هو معروض الآن ألف قطعة فقط من مجموع عشرين ألف قطعة .

قلت : كم من الوقت استغرق الاعداد ؟

قالت : تسعة أشهر . وهي مدة قصيرة إذا ما قورنت بحجم العمل . وقد عاونتنا فى ذلك خبراء من متحف متروبوليتان بنيويورك ، ومازال بعضهم يعمل معنا حتى الآن . لأن العمل كما قلت لم ينته . إننا نعد حجرة خاصة للدارسين والباحثين الى جانب المكتبة الموجودة الآن والتي تضم أربعين ألف كتاب ومرجع ، وأمامنا مشروع عقد ندوات نستضيف فيها بعض الخبراء والمختصين للحديث حول الجوانب المختلفة للآثار الاسلامية

قلت . هل تضم المكتبة مخطوطات أخرى غير المعروضة ؟

قالت : هذه ستكون من نصيب حجرة البحث الخاصة .

لوحة من البرونز مذهبة



فلدينا الجزء الأكبر من كتاب الحيل الهندسية للجزرى ، والباقى موزع بين متاحف برلين واللوفر والمتروبوليتان . كذلك توجد صفحة من مقامات الحريرى للواسطى إلى جانب مخطوطات أخرى كثيرة .

قلت : ألا يحتاج الزوار إلى دليل يشرح لهم شيئا عن المعروضات ؟

قالت : أنا ضد فكرة الدليل . وأفضل أن يكتشف الزوار الأشياء بأنفسهم . لكن بالنسبة لطلبة وطالبات المدارس ، فسنخصص لهم أياما معينة ، وقبلها ندعو مدرسيهم ومدرساتهم لتزويدهم بالمعلومات وتوسيع معارفهم .

قلت : ماذا عن نظام الامن ؟

قالت : اطمئن . لدينا نظام أمن دقيق ، وقد حسبنا لكل شيء حسابه . وتركت لى الشيخة حصة الفرصة لأصور ما أشاء .

وتركونى وحدى بلا مرافق ، أتجول بين المعروضات من جناح لآخر . التقطت ما استطعت من الصور فى حدود الوقت المتاح . لا أحد غيرى بين هذه التحف . أين نظام الأمن ؟ وأين العميد ناصر ورجاله ؟ !

وعند خروجى لمحت حجرة صغيرة اجتمع فيها عدد من رجال الأمن ، وكل منهم يجلس أمام شاشة تليفزيون يظهر عليها جانب من قاعات العرض . . .

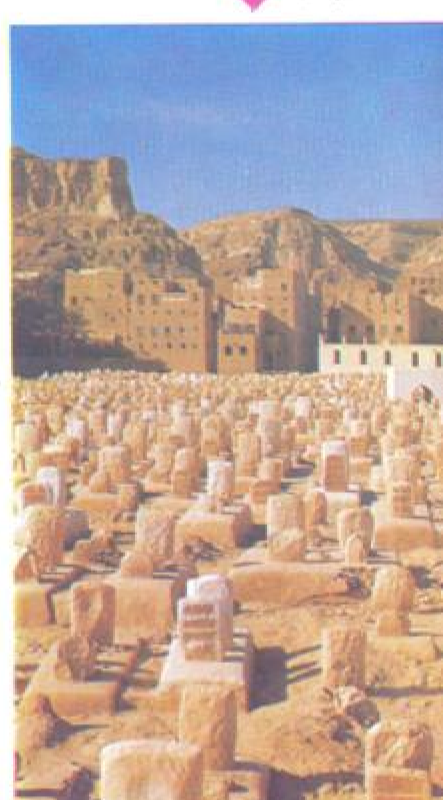
إذن ، لم أكن وحدى ! لقد كانت كل هذه العيون تراقبنى وترصد حركتى . . لا بأس . فهذه التحف النادرة التى جمعت من أنحاء متفرقة من العالم ، واجتمعت هنا فى مكان واحد ، لابد لها من حماية لصالح هذا العمل العظيم ، ولصالح أهل الكويت ولصالح من يفدون من الخارج . ولصالح كل غيور على التراث الفنى الاسلامى .

هبة عنايت

عمائر مدينة شبام

من نافذة بقصر تريم

مقابر المدينة



● عين اوربية فى اليمن الجنوبي ●

ناطحات السحاب في شبام

بقلم : هيلين كيزر

ترجمة : عصام عسيران

هذه زيارة مشوقة إلى ناطحات السحاب في اليمن الجنوبي ..
اما الزائر أو الزائرة فقد كانت الكاتبة السويسرية : « هيلين كيزر » صاحبة كتاب (جزيرة العرب : arabia) الصادر بالفرنسية قبل سنوات قليلة والمتضمن تفاصيل رحلتها الطويلة عبر بلاد شبه الجزيرة العربية وتجربتها الجريئة في معايشة البدو الرحل تحت مضاربهم في عيشهم اليومي . .
وأما « ناطحات السحاب » فهي الوصف الذي اطلقته الكاتبة على مباني بلدة (شبام) في حضرموت . . حيث استقبلها مضيفوها بالكرم المعهود فيهم وبتكريم تجاوبت اصداؤه مختلف جوانب كتابها المتصف .
ومن هذا الكتاب اخترت هذا الفصل الطريف . . .

نطرق بابا رائع الزخرفة فتتناهى إلينا أصوات حركة آتية من الغرف البعيدة . ثم يصعد الباب صريرا أثناء فتح مغلاقه الخشبي ، *المزخرف أيضا* . ويقابلنا الترحيب والتكريم ففي ناطحات سحاب حضرموت كما في غيرها من بلاد شبه الجزيرة العربية تعتبر الضيافة قاعدة مقدسة .

بعد دخولنا حسبتني اعود على جناح الماضي الى عصر ملكة سبأ فأجواء البيت المعتم تعبق بالبخور . والشيخ حسين لاجم يشير إلينا بأن نتبعه . وها نحن نرقى بضع درجات توصلنا الى قاعة فسيحة مخصصة لاستقبال المدعوين ومضيفنا كدليلنا : يعقوب - ينتمي الى اسرة محترمة من « السادة » الذين يرقى نسبهم الى النبي محمد . السقف المدعوم بالعوارض يقوم على أربعة أعمدة والشعرية الخشبية في النوافذ توزع الضوء الى مستطيلات براقة ، فوق السجاجيد ذات الألوان الوادعة وأمام المطارح الواطئة مباخر فخارية يعس الجمر وتبدأ عبر بخورها .

قريبا سيحل المساء . وتأتي من الحجرة القريبة همهمات صلاة ويدب النشاط في المنزل بالتدريج ويدخل الخدم صامتين ويمدون سماطا عريضا فوق أرضية القاعة .

ثم يأتون بصحاف وصحون صغيرة كل ما فيها غير مألوف لدى بل إن طعام بعضها هو من أغذية الشرق الأقصى .

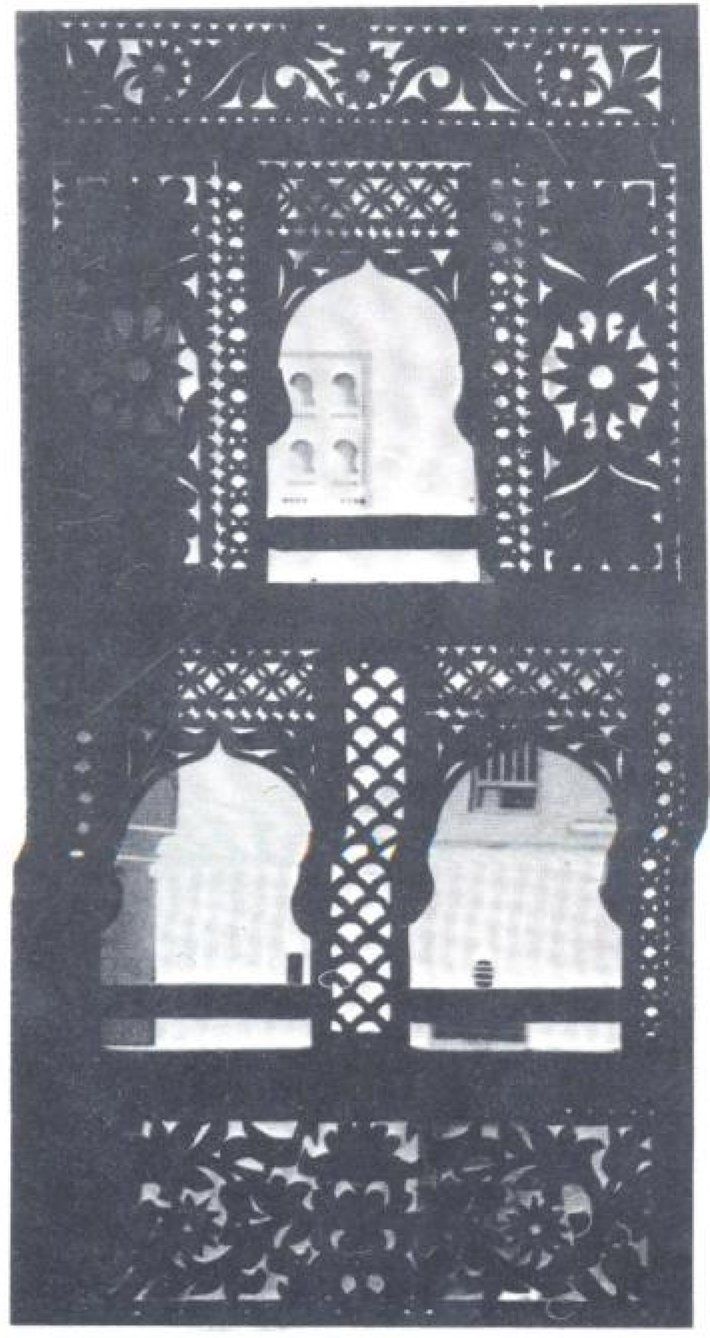
وأطل الآن رجال يرتدون الأثواب التقليدية الطويلة المعروفة بـ « الفتاح » والمستوردة هي أيضا من أقاصي الشرق . . . وهي ضيقة عند الخصر وتصل الى الكاحل كما أنهم يعتمرون كوفية أنيقة . وكانوا يجلسون الواحد بجانب الآخر بمحاذاة الجدران دون أن ينبسوا ببنت شفة إنهم أسرة الشيخ حسين : الأخوة وأبناء العمومة والخؤولة الذين يقطنون هذا البيت العائلي الكبير أما الآن فهم قابعون شابكي السيقان على طريقة بوذا بانتظار انتهاء نهار الصوم .

وانطلق مدفع الافطار

وكما حدث لي مرات عديدة من قبل فقد وجدتني في شهر رمضان الذى يصوم فيه المسلمون فلا يأكلون ولا يشربون ولا يدخنون بين شروق الشمس وغروبها . .

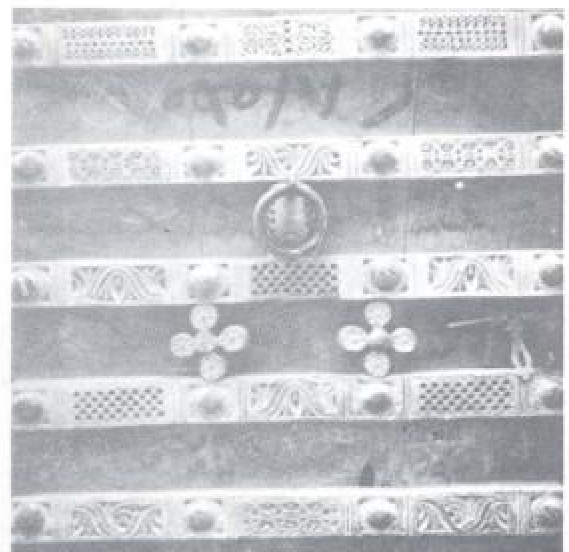
وسرعان ما أقبل الغروب فانطلق مدفع الأفطار بشيرا للصابرين على الجوع والعطش فأقبل الجميع على السماط الحافل بكل ما لذ وطاب وفي هذه المنطقة يستحيل على أى كان حتى على المسيحي - أن يحصل على أى مأكل خلال نهار رمضان الذى تقفل فيه المطاعم ودكاكين البقالة حتى المساء . .

وأخوض « غمار » وجبة الطعام فأفاجأ باصناف الحساء ذات المذاق المز ، وبشرائح من لحم الغنم مشبعة باغرب الصلصات ، ثم بمعكرونة « سباغيتي » على طريقة أهل « نابولي » الايطالية . وقبل أن تطول دهشتي من وصول « السباغيتي » الى هذه الأصقاع تبدد الوهم حينما أحرق فلفل هذه المعكرونة سقف حلقي الى حد مسارعتي الى اطفاء لهيبه بتناول أكلة مألوفة لدى هي التمر المهروس كما استعنت ببعض الاناناس للتخفيف من ألم الحروق وبين الحين والآخر كان طباخ ملوح الوجه يذكي الجمر في إحدى



نموذج لجمال النوافذ

درس في المسجد



جزء تفصيلي من باب قديم



جامع المحضار

ضواحي المدينة



الواجهة الجنوبية للمدينة

شارع في شبام

زوايا القاعة . مما جعلني أتشوق لتناول بعض القهوة المركزة عقب وجبة كهذه وخاصة أن من هذه البلاد تأتي أنواع قهوة « الموكا » المعطرة بل إن في اليمن ميناء عند البحر الأحمر يحمل اسم « موكا » او مخا .

لكن ما يقدمه النادل الينا الآن في فناجين خزفية صغيرة لا علاقة له بالقهوة على ما يبدو ، اذ هو خليط شفاف ذو لون يميل الي الأصفر المخضوضي . سألت بحذر وتردد عما اذا كان هذا : شايا فسألني يعقوب بدوره الم تشربي « القشر » من قبل

ـ وما « القشر » ؟

ـ يعرف كذلك « بالقهوة البيضاء » . . . ويؤخذ من قشور ثمار شجيرات البن فيحمص ويطحن ويضاف الى مشروبه الزنجبيل والهال . . .

ويضيف مشجعا إياي قائلا :

ـ . . وشراب القشر هذا مهضم ممتاز ! . .

حينئذ جمعت أطراف شجاعتي وتناولت « القشر » والشوق يحملني الى مجالس القهوة المرة اللذيذة تحت خيام البدو في الصحراء لكن المقام لم يطل بي لعقد مقارنات أخرى بين العادات والشعوب إذ نادني صاحب الدار الى جناح « الحريم » ومثل هذا الجناح في ناطحات السحاب الحضرمية يتواجد دائما في الأدوار العليا لدواع أمنية بالطبع . وهنا أيضا تقوم الأسطح المحاطة بالجدران والمستخدمة للنوم صيفا في الليالي الشديدة الحرارة .

مع زنوبيا وأخريات

« زنوبيا » : : : ابنة الشيخ حسين اللطيفة ذات العينين الواسعتين غمرتني بفيض من الوسائد الحريرية التي وجدتني بعد لحظات اكاد أغرق فيها ورأيت زنوبيا المنطلقة بثوبها الحريرى المقصب الطويل والمشدود الى قامتها بسلسلة من الذهب أقرب شبها بساكنة أحد قصور القرون الوسطى !!

وما ان اطمأنت زنوبيا الى إغراقها إياى بجميع وسائد البيت حتى قبعت أمامي على السجادة برشاقة وظرف بعد أن رفعت أطراف ثوبها الفضفاض . . ومضت تطرح على آلاف الاسئلة : عن أسرتي . . عن والدى واخوتي وأخواتي وأبناء عمومتي ثم عن عمرى وعدد أولادى وتساءلت : « لم أنت فقيرة الى هذا الحد فلا حلية من ذهب تزين جيدك أو يديك ؟ ! . . » ولم تدرك وهى ترثي





قصر في مدينة الناطحات

لحالي هكذا أن بامكاني أن أكون في أتم السعادة دون أن أزدان بالحلي والجواهر ! . .

وشعرت ببعض الضيق حينما أقبلت سيدة الدار مسربلة بدورها بأحلى الحلي والحلل وفي أثرها حشد من النساء بأثواب براقة وتحلق الجميع حولي مما أتاح لي أن اتنازل عن بعض الوسائد لهن وارتفعت أصوات الثرثرة والضحك والصياح وكأن الجمع في قفص لغرائب الطيور !! ذلك أن الاخوات والقريبات والجارات والصديقات قد تواعدن على اللقاء ههنا وكل منهن تروم منافسة الأخريات في الجمال والبهاء وروعة الملبس ! . .

وتنهمر الأسئلة على من جديد . وإذا بتلك النسوة اللابسات لأبهى الثياب ، المتبرجات بأحلى زينة يطلبن مني أن احدثهن عن مستحضرات التجميل . .

انا المغطاة بالغبار المتدثرة برداء صوفي خشن ذات الأنف الذى أحرقته الشمس والشعر الكث القذر ! . .

ولا شك في أن ما أعرفه عن المساحيق وأحمر الشفاة وكحل العين لايوازى جزءا يسيرا من معلومات الأميرات المتحلقات حولي ولا غرو في ان يكن قد توارثن أسرار الجمال عن ملكة سبأ الأسطورية

وأضحكتني الخاطرة . . وكانت ضحكتي وسيلة لبقة للتخلص من المأزق .

ولمحت استعدادا لتقديم قهوة حقيقية ذات حبوب من البن اليمني يتم تحميصها فوق الجمر . . فتثير رائحتها الزكية تلهفي الى الاستمتاع بمذاقها المميز .

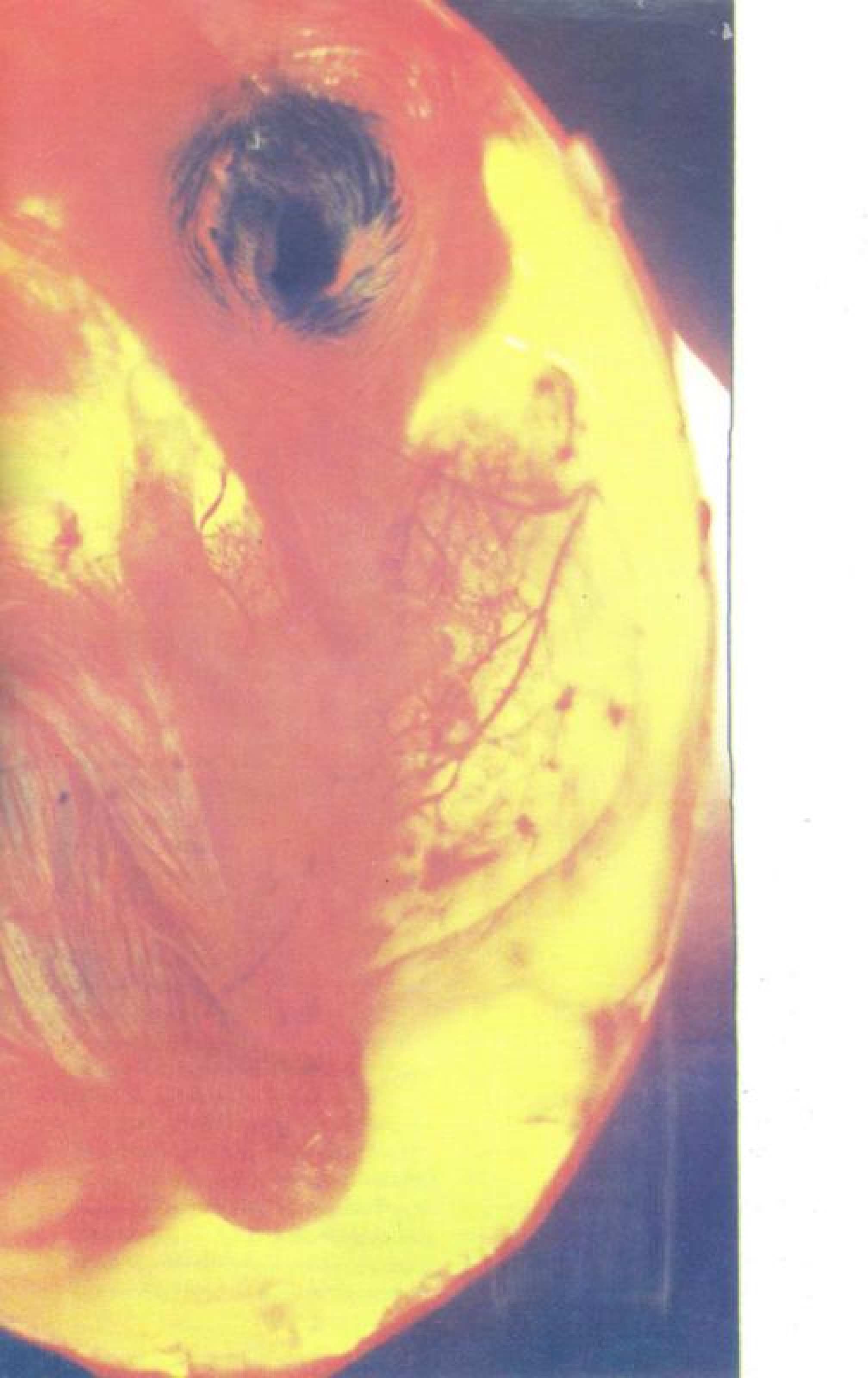
لكن اللهفة سرعان ماتبددت حينما تبين لي أن تناول القهوة هنا هو وضع حبة من البن المحمص في الفم وطحنها ببطء بين الأسنان !!

ولم يكن امامي سوى مسايرة النساء في هذه التجربة الجديدة بالنسبة لي بعد تجربة منقوع « القشر » . فالقهوة في بلاد القهوة في جنوب الجزيرة العربية لاتشرب إذن بل تؤكل !! لكم تهيىء الأسفار لصاحبها من تجارب وتوفر له من معارف . . هيهات ان تدرك لولا الارتحال . . !

وتتويجا لجلسة مؤنسة كهذه تنقل وعاء البخور المشتعل من يد الى يد . . وكانت كل واحدة من النساء تنحني فوق الوعاء معرضة لعبقه الداخن شعرها المسترسل تحت خمارها .

وهكذا يبدو أن قضم البن والتعطر بالبخور هما من صميم العادات الخاصة بهذه المنطقة .

وأخيرا غادرت هذا المبنى الحضرمي العالي منتشية بعبق البخور ومذاق البن وسعادة غامرة . . . ○



الحياة قبل الحياة

اكتشاف مثير في عالم الأجنة

بقلم : عبد الرحمن حريتاني

صوص دجاجة (فروج) ضمن قشرته في اليوم (١٩) من عمره .. وبعد ثلاثة أيام سينقر القشرة ليخرج الى النور .

الجنين في بطن أمه :

استخدم العلماء تقنيات جديدة بارعة للكشف عن نوعية الأحاسيس التي تتشعرها أجنة الحيوانات والانسان وهي في أجواف الأرحام تعوم في السائل الامينوسي . وكشف العلماء في أبحاثهم عن أشياء كثيرة . فالجنين في ظلمات الرحم يحيا حياة كاملة ، يحس وينفعل ويتأثر بجميع نشاطات العالم الخارجي الذي حوله . . وأكثر بكثير مما كنا نتصور أو نتخيل .

وبحسب الصورة التقليدية التي نظر اليها العلماء لفترة حياة جنين ما قبل الولادة ، فهي حياة أقرب الى الجماد منها الى الحياة ، فالجنين يحيا في هدوء وسكون الا من بعض حركات خفيفة لا تدل على حس أو شعور أو بوادر تفكير ، وهو يعوم في مهد من سائل دافء دون أن يميز أو يعي ما حوله أو بعيدا عنه .

ولكن الابحاث الأخيرة (والكثيرة) والمدعمة بالصور العظيمة الرائعة لمراحل حياة وتطور الاجنة في أجواف الارحام غيرت هذه المفاهيم التقليدية ، ان لم نقل انها قلبتها رأسا على عقب ، وأثبتت صدق حدس الصينيين الذين اعتبروا ـ ومنذ زمن بعيد ـ أن حياة الانسان الفعلية تبدأ منذ لحظة تكونه في رحم أمه وليس من لحظة ولادته ، والعلماء أصبحوا الآن يدركون الحركات التي يقوم بها الجنين في بطن أمه ، كما أنهم باتوا يعرفون تأثير ما تسمعه الأم أو ما تحس به أو حتى ما تزدرده من طعام على جنينها ، والجنين يتصل بأمه بواسطة المشيمة التي تربط الحبل السري للجنين بجدار رحم الأم ، والمشيمة عبارة عن نسيج متشابك مكون من الأوعية الدموية والأغشية المختلفة ، وهي بمثابة نظام ترشيح معقد مهمته منع جميع المواد الضارة من الوصول الى الجنين ، وبواسطتها أيضا يستمد الجنين غذاءه واكسجينه اللازم لحياته من دم الأم ويطرح فيها فضلاته عن طريق دم الأم أيضا . . علما بأن عملية الاخذ والعطاء هذه تتم دون أن يختلط دم الأم بدم الجنين . . وتكون المشيمة كالمنخل الذي يمنع الكثير من الفيروسات والبكتريا والجراثيم والعقاقير الضارة من الوصول الى الجنين .

ونتائج الابحاث الحديثة في علوم الأجنة أثبتت بأن الجنين يقضي بعضا من وقته في بطن أمه وهو نائم ، كما انه يقضي بعضا من وقته وهو مستيقظ ، وأن سعال الأم أو القيء أو الرقص أو حتى الدوران هي أشياء قد تقلق الجنين وتقطع عليه سكينته وهدوءه ، وأنه حتى عملية تناول الطعام العادية وهضمه ، فيها ما يزعج الجنين لأن فيها قرقرة هي بمثابة ضجيج بقرع طبلات آذانه الناميات ـ علما بأن الصوت ينتقل في الماء أسرع من انتقاله في الهواء ـ اضافة الى أنه يسمع ـ وبوضوح ـ النغم الايقاعي الموزون لنبضات قلب الأم . . هذا وقد ركز الباحثون العلماء في دراساتهم على التجربة السمعية التي يحياها الجنين في بطن أمه ، وخلصوا إلى أن التجربة السمعية لجميع أجنة الثدييات في الارحام تعتبر مرحلة هامة جدا من مراحل تطور الجنين وتكونه النفسي والفيزيولوجي ، كما أن هذه المرحلة آثارا شاملة تؤثر وبشكل كلي في بنية وتأهيل الوليد بعد الولادة بأكثر مما نتصور أو نتخيل .

حياة شبه كاملة

أثبت العلماء أن الجنين وهو في كيسه المائي في بطن أمه في مراحل الحمل المتأخرة يرى الضوء الضعيف الباهت الذي يخترق جدار بطن أمه ، كما أنه يقوم بعملية التنفس ، ويمص أصابعه ، ويمسك بالاشياء (كأن يمسك بحبله

يرى ويسمع ويبتسم وينام

السرى) ، وينام ويستيقظ ، ويبتسم . وقد نشر المصور العالمي (لينارت نلسون) صورا رائعة تبهر في كتابه النادر (طفل مولود) لأجنة مختلفة التقطت من داخل الارحام وهي تبتسم وتفكر وتمص الابهام . كما يمكن مراجعة دراستنا (قصة الخلق . من النطفة الى الجنين) - مجلة (الفيصل) - العدد (٤٠) ففيها هذه الصور .. والتجارب غير العادية التي يتفاعل معها الجنين وهو في بطن أمه تنمي وتطور مراكز دماغه المختلفة (مراكز البصر . مراكز السمع . مراكز الحركة ...) وتنقش عليها بدايات لذاكرة بدائية عاش فصولها داخل الرحم ، وقد يستطيع استرجاعها في مستقبل الأيام ، وأثبت العلماء في بحوثهم الاخيرة أن المولود حين يولد قد يكون في دماغه آثار لذكريات عايشها في مرحلته الجنينية .

ولكن .. كيف تبدو هذه الحياة التي يحياها الجنين في عالمه المائي ؟ ان الجنين ينمو وتتطور جميع أعضائه وأجهزته بتناسق وتماثل تام ، ولانه يكون كالمعلق في عمق السائل فانه يعوم تحت ضغط مواز (معادل) يلفه من جميع الجهات ، وعومه في هذا السائل يكون عفويا وهينا ودون بذل أي جهد ، وتجربته في العوم هذه تجعله حين يظهر للوجود يجيد السباحة قبل المشي بفترة طويلة .

وفي تجارب رائعة أجريت لتعليم المواليد حديثي الولادة السباحة قبل المشي في اكثر من بلد (الاتحاد السوفيتي . فرنسا . الولايات المتحدة . اليابان . استراليا . المانيا الاتحادية . تشيكوسلوفاكيا) . وكان الهدف منها فهم العلاقة بين المولود لحظة خروجه من بطن أمه وبين الماء ، وتأثير تعلمه المبكر للسباحة على صحته البدنية والنفسية والعقلية في مستقبل أيامه ، والعلماء لا يعرفون حتى اليوم ما هي أحاسيس الوليد لحظة خروجه من بيته المائي الى عالمه الارضي الجديد ، ولكنهم يؤكدون بأن الوليد يحس بثقل عظيم يلف جسمه بعد أن خرج من بيئة مائية كان يسبح فيها ، وتتحمل عنه ثقل جسمه الى بيئة أرضية مقوماتها الجاذبية والوزن . فجسمه يصاب بصدمة جاذبية قوية ، كما يتضاعف استهلاكه من الأكسجين بمقدار ثلاثة أو أربعة أضعاف ، وذلك بعد أن كان يأتيه محمولا في دم أمه مباشرة عبر الحبل السري ، وتتجمع كل قوى جسم المولود وجميع آليات الحماية فيه والطاقة في عملية واحدة متناسقة هي تحييد قوى الجاذبية المفاجئة بما يكفي لتكيف الجسم مع بيئته الأرضية الجديدة ، والمولود في هذه اللحظات يكون مازال مخلوقا مائيا أكثر منه مخلوقا أرضيا ولا يخاف الماء الذي اعتاده شهورا ، وآلية الخوف من الماء عند الاطفال تترسخ فيما بعد .

وقد دلت الابحاث على أن المولود الذي يتعلم السباحة قبل أن يتعلم المشي ، يتعلم الوقوف على رجليه والمشي قبل أنداده بمدة طويلة (معظم الذين أجريت عليهم التجارب بدءوا المشي منذ شهرهم السادس) ، كما أن المواليد الذين يتعلمون السباحة يصبحون أقل تعرضا للامراض ويكتسبون مناعة طبيعية ضد تقلبات الجو ، كما انهم يكونون أهدأ طبعا وأقل حدة وأعمق نوما من سواهم ، فضلا عن أنهم اكثر ممارسة للحياة النشطة وأقوى بنية وأحد ذكاء وأعظم قدرة على التنسيق بين حركات أعضاء الجسم .

والاكتشاف الأحدث في مجال علم الأجنة اثبت أن الجنين يستجيب الى الأصوات التي لا يستطيع الكبار سماع تردداتها ، فالكبار عادة يستطيعون سماع الاصوات التي تقع تردداتها بين (٣٠ - ١٨٠٠٠) هيرتز (ذبذبة في الثانية) .. فهل يكون للجنين الانساني القدرة على سماع الأصوات التي تستطيع سماعها بعض الثدييات البحرية (كالحيتان والدلافين) والتي تستطيع سماع الاصوات التي تقع تردداتها بين (١٦ - ١٨٠٠٠٠) هيرتز ؟ واذا كان الجنين الانساني يمتلك هذه المقدرة العجيبة على السمع فياترى ماذا يستطيع أن يسمع وهو في بطن أمه ؟ وأين وكيف من ثم تذهب هذه المقدرة العجيبة على السمع بعد الولادة ؟ السر ما زال غامضا وتجرى عليه التجارب والبحوث .. وإن كانت إحدى النظريات قد اقترحت بأن الجنين ربما يسمع عن طريق الجلد ، أقدم أعضاء الحس ، والذي يستجيب لهذه الذبذبات القصيرة التردد كما في بعض الحيوانات التي تسمع عن طريق جلدها .. هذا مع العلم بأن السمع العادي عن طريق الأذان يتطور مبكرا بدءا من منتصف الحمل .

لقد استطاع العلماء اختبار السمع عند جنين عمره ستة أشهر ، وذلك باصدار لحن مميز من هزازة موجهة الى بطن الأم ، وسجلت تبدلات مفاجئة في نبضات قلب الجنين تشابه بايقاعها نغمات اللحن المرسل .. وثلاثة بحاثين



صورة اكثر من رائعة لجنين انسان (١٦) أسبوعا وطول (١٦) سنتيمترا ويلاحظ بوضوح (ومن النموذج الشكلي) اتصال الجنين بحبله السري بالمشيمة برحم الام ليستمد الغذاء والاكسجين ويطرح الفضلات .

علماء من معهد فيزيولوجيا الحيوان في جامعة كامبردج (انكلترا) زرعوا المسماع المائي (آلة اصغاء لصوت مرسل خلال الماء) بجانب الاكياس الامينوسية لنعاج حبلى .. وخرجوا بنتائج مذهلة .. فانه حتى الأصوات العادية التي تصدر عن محادثة عادية تنفذ الى الرحم وتصل الى مسامع الأجنة . وفي تجارب أخرى ثبت بأن الاجنة تسمع أيضا نبضات قلب الأم . والدراسات حثيثة لمعرفة تأثير هذه الاصوات على الحياة الرحمية للاجنة الذين يسمعون أصواتا كثيرة لا نسمعها .

وفي دراسات أخرى أجريت بعد اجهاضات طبيعية أو بعد اجهاضات محضرة من أجل دراسات علمية ، وجد العلماء بأن للجنين نظاما عصبيا بدائيا منذ أن يكون طوله لا يتجاوز الأربع بوصات ، ذلك أن الجنين في هذه المرحلة قد لوحظ عليه أنه بدأ وبحركات متكررة ضرب المنطقة التي ستكون فمه الصغير .. وفي دراسة بجامعة كارولينا أجريت على مواليد جدد لا تتعدى أعمارهم الثلاثة أيام أسمعوا تسجيلات لاصوات أمهاتهم وهم يرضعون بطريقة معينة ، ثم أسمعوا تسجيلات لاصوات أمهات بديلات وهم يرضعون بطريقة معينة .. وكانت مفاجأة مدهشة للعلماء عندما استطاع هؤلاء المواليد الصغار تمييز أصوات امهاتهم عن اصوات الامهات البديلات من المرضعات بسرعة مذهلة . وزالت الدهشة عن العلماء فيما بعد عندما أكدت الدراسات اللاحقة أن الجنين يتكيف ويتناغم مع صوت أمه وهو في الرحم تلك المدة الطويلة من الحمل ، ذلك رغم أن الصوت ينفذ عبر طيات اللحم والسائل المائي مما يغير من نغمات توافقه .. وربما أن الجنين قد احتفظ بذاكرة بدائية سمعية لصوت أمه في مراكز السمع في دماغه ، ثم عاد وقارن ما احتفظ به مع ما يسمعه من أصوات وهو خارج الرحم اضافة لما أكدته الدراسات السابقة من أن الجنين وهو في بطن أمه يتمتع بحس وسمع مرهف دقيق ..

ولعلنا نعلم الآن وبعد هذه الابحاث والدراسات الجادة التأثير الضار الممكن للموسيقى العنيفة الصاخبة ، والضجة التي ترافقها على الجنين في بطن أمه ، بل وحتى التأثير الضار للمناقشات الحادة والعالية بين الزوج وزوجته ، ولربما كان لهذه المشادات آثار جانبية تؤثر على سلوك ومنحى حياة الطفل المستقبلية .

وحالتها النفسية بالكامل

لسنوات سابقة كانت الفكرة التي تقول بأن الحالة النفسية للأم وانفعالات عواطفها واحساساتها المختلفة لها ما يشابهها انفعالا وتأثرا عند الجنين تبدو غريبة ومضحكة . ولكن الدراسات الحديثة أثبتت بما لا يدع أي مجال للضحك أو الغرابة أن حالات الأم النفسية المختلفة لها تأثيرها التام على الحالة النفسية للجنين وهو في بطن أمه



الأطفال حديثي الولادة في الماء .. يعلمونهم السباحة قبل المشي !

(بل وحتى تأثيرها النفسي في تكوينه الذي سيكون عليه) ، وان القلق والاكتئاب الشديد للأم الحامل يزيد من معدل سرعة نبضات قلب الجنين ، ذلك لأن القلق وهو حالة نفسية خاصة يتسبب في زيادة معدل جريان الهرمونات في الدم ، هرمون الأيبنفرين الذي يقلص الأوعية الدموية ويعوق تزويد الرحم بالدم .. وكذلك فان الضغط أو الاجهاد ربما يعرض النساء الحوامل لولادات الخديج (المولود بعد فترة حمل تقل عن ٣٧ أسبوعا) ويسبب عدم اكتمال نمو الجنين .. وربما كان السبب في هذا هو التوتر العضلي والتبدل في معدلات نسب الهرمونات ..

وقد اكدت الدراسات وبوضوح أن حالات الجنين النفسية تتأثر بمزاج الأم النفسي حين الحمل،وفي احدى التجارب الهامة على امرأة حامل من المدخنات منعت من التدخين لمدة (٢٤) ساعة ، وفي اليوم التالي قدم الاطباء السجائر .. ولوحظ فورا أن قلب الجنين تسارعت نبضاته حتى قبل أن تشعل الأم المتلهفة السيجارة .. وثبت بلا شك أن للجنين علاقة حميمة مع أمه ، وأنه يشاركها جميع عواطفها وأحاسيسها وحالاتها النفسية المتغيرة ، وأن لسلوكها العام خلال فترة الحمل تأثيرات عميقة في تكوينه النفسي والفيزيولوجي .. وأن حياة ما قبل الولادة بشكل عام لها تأثير أساسي في تطور الدماغ وعما يمكن للدماغ أن يكونه أو يؤهله له .. وأهلية الدماغ ـ بحسب رأي الدكتور (دومينيك بيربورا) عميد مدرسة الطب في جامعة ستانفورد ـ تبدأ مبكرا ومنذ ما قبل الشهر السابع للحمل ، ومرسمة موجات الدماغ للجنين أظهرت موجات دماغ تشابه موجات الدماغ لمواليد ولدوا حديثا .. وهذا .. بحد ذاته يزعزع الفرضية القديمة التي تقول بأن الدماغ لا يعمل الا بعد ظهور المولود في دنياه الجديدة .

هل الجنين يحلم ؟

جميع حالات النوم بما في ذلك حركة العين السريعة سجلت في حالات الكبار والأولاد والصغار . وفي الدراسات الحديثة سجلت في حالات أجنة في بطون أمهاتهم ، وحركة العين السريعة غالبا تشير الى الاحلام .. فهل الجنين يحلم وهو في بطن أمه ؟ واذا كان يحلم .. فبم يحلم ؟ وهل له أساس من تجربة تكون له عوالم الخيال التي تشكل أسس عالم الاحلام ؟ أم يا ترى انه يحلم بما يشكل له عسر هضم والذته من تصورات أو بما تشكل له حالة العوم في السائل الدافيء الذي يسبح فيه من أخيلة .. في الحقيقة ان العلم يجهل أسس وقواعد هذه التصورات والأخيلة ، إن وجدت ، وهو في طريقه الآن ليمسك بأول الخيط في دراسات كثيرة متعمقة .

ثم إن الجنين وهو يعوم في سائله الامينوسي في بطن أمه يتنفس ، وسجلت بيانيا حالات تكرار الصعود والهبوط لصدر الجنين بموجات صوتية نشطة ذات تردد منخفض ، والتبدلات في حركة الصدر تعطي مؤشرا تحذيريا أفضل لما يقوى الجنين من اضطراب أو لحالة نبضات القلب الجنينية ، والصور فوق الصوتية أظهرت الجنين وهو في بطن أمه يمتص ابهامه ، وأيضا أظهرته وهو يمسك بقبضة يده حبله السري وايضا وهو يفكر ، وهو يبتسم ، وهو يتمايل ، وهو يتمطط .. بل يرفس وكأن جميع هذه الحركات التعبيرية التي يقوم بها الجنين في بطن أمه هي بمثابة بروفة للنشاطات اللاحقة التي عليه القيام بها في مستقبل أيامه حين ينزل لتجربة الدنيا وبلائها ، وهي بالتالي حالات تنقله بصورة تدريجية مطردة للحالات النشطة اللاحقة .. وهي أيضا تدلنا وبصورة أكيدة على أن الجنين يحيا حياة كاملة وهو في بطن أمه ، وانه حين ينزل من بطن أمه ينزل وقد قطع من النضج شوطا .. ذلك أن تطور الدماغ وتطور النظام العصبي وتطور النظام الغددي تبدأ والجنين في الرحم وتستمر بعد الولادة .. ومن ملاحظات عالم الأجنة (كيث ل . موري) من جامعة تورنتو قوله انه لمن المألوف الآن أن تقرر بأن بدء التطور في حياة المولود يعود الى ما قبل الولادة وهو جنين ، والى ما بعد الولادة أيضا .. وأن عملية الولادة بحد ذاتها ما هي الا مجرد فصل جديد « مجرد تغير في البيئة فقط » .

وقد دل واحد من أعظم الاكتشافات الحديثة الملفتة للنظر في أبحاث الرحم على ان « المشيمة » تحتوي على (بتيا ـ اندروفين) ، وهي المواد الطبيعية المورفينية المسكنة للألم الجسدي والنفسي) التي ينتجها الدماغ وتنساب في الدم ، ولكل مادة في هذه المجموعة خاصة في التهدئة وتسكين الالم الجسدي والنفسي تختلف عن غيرها ، ومنها ما يهديء بمفعول (٥٠) مرة أقوى من العقاقير المهدئة والمخدرة كالمورفين .. وقد دلت الابحاث أيضا على ان هذه المواد المسكنة للالم ترتفع معدلاتها في الدم عندما يقترب موعد الولادة .. « فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون ، وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون ، يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحي الارض بعد موتها وكذلك تخرجون » (صدق الله العظيم) .. انها عظمة خلق لا تدرك والخلق عنها غافلون ......

حلب ـ عبد الرحمن حريتاني

الخيال العلمي

إثـــارة للإنســـان
أم اقتحـــــام لمستـقبـله؟

بقلم : محمود محمود

من القصص مايقوم على افتراض علمي ان لم يكن قد تحقق فهو ممكن التحقيق ، مثل امكان بلوغ الانسان كوكب المريخ ، غير ان نقاد الادب لم يعدوا هذا اللون من الوان الخيال ضربا من ضروب الادب كغيره من القصص الذي يجعل موضوعه تحليل السلوك البشري .

ولم يكن من سبيل التحيز للقديم أن أهمل النقاد الخيال العلمي لانه في الاغلب من الاشكال الادبية الحديثة . بل لعل مادفع الكتاب الى عدم الاعتراف بالقصص العلمي بابا من ابواب الادب ، أن بعض ماكتب فيه لايعدو ان يكون سخفا او مجرد خرافة لاتنطوي على حكمة ولاترمي

الى هدف كتلك الروايات التي نشاهدها في التليفزيون او نستمع اليها في الاذاعة او نراها في افلام السينما أو نقرؤها في الكتب الرخيصة التي لاهم لها الا اثارة عامة الجماهير المتعطشة الى المغامرات التي لم تقع ، ولايمكن أن تقع ،

كأن تعرض معركة ضارية بين سكان الارض وسكان كوكب مجهول باسلحة لم يخترعها الانسان بعد ، أو وحوشا عجيبة الاشكال والخلقة ، تباغت فتيات ساحرات فاتنات وتهاجمهن بشراسة عجيبة حتى يأتي أبطال شجعان ينقذونهن من براثن هذه الوحوش . وقد يستخدم كتاب هذه القصص حيلا علمية ، ولكنها لاتمت بأية صلة إلى امكانات العلم كما نعرفه ، وتفتقر الى خصائص القصة العلمية التي سوف نحاول ان نحددها في هذا المقال .

الانسان هو الاهم

والواقع ان القصص العلمي طريقه من طرق التفكير في مستقبل الانسان وليس مجرد استرسال في شطحات الخيال ، وينطوي على نقد لاذع لاتجاهات البشرية ، وعلى قدر من التنبؤ بمصير الانسان ، وعلى مخاطرات ومغامرات ، وكتابه ـ كغيرهم من كتاب القصص في فروعه الأخرى ـ ينشدون الى جانب ذلك امتاع القراء والترويح عنهم ، وحثهم على التأمل والتفكير في حياتهم مع تطور العلم بصورة لم تكن تطرأ على اذهانهم من قبل . ماذا يكون وضع الانسان في عالم تتحكم فيه الآلة والعقل الالكتروني ؟ وماسئوليته في دنيا عجيبة لاسلطان له عليها ؟

ونستطيع ان نقول ان نشأة هذا القصص ترجع الى الحكايات القديمة التي كانت تروي عن أرض العجائب ، والى الاساطير التي كانت تنسب الى الآلهة قدرات خارقة ، والانسان بطبيعته يميل الى الحكاية ، وبخاصة ماكان منها مدعاة للتعجب ، ويستطيع الكاتب بمهارته الادبية ان



يستميل القارىء اليه فيجعله مصدقا لما يحكيه مهما استغرق في خياله .

حدث ذلك من قديم ، فأنت تجده في « الاطلنطيق » التي ورد ذكرها في محاورات افلاطون ، ووصف مابها من حضارة رفيعة ، اخذت تزدهر حتى اتي عليها بركان ثائر فدمرها تدميرا . وقد حذا حذوه الكاتب الانجليزي فرانسيس بيكون عندما كتب « الاطلنطيق الجديد » ووصف فيه عالما آخر غير عالمنا الذي نعيش فيه وفي القرن السابع عشر الميلادي ظهر في فرنسا كاتب اسمه سيرانودي بر جراك ، تخيل رجالا يطيرون في الفضاء فيما يشبه سفن الفضاء التي عرفها الانسان في العصر الحديث . وسبقه في ذلك مجهولون تصوروا امكان صعود الانسان إلى القمر .

ومن الخيال العلمي القديم البحث عن عوالم جديدة تسكنها كائنات غير بشرية ، وتستطيع ان تعد « رحلات جلفر » للكاتب الانجليزي الساخر من هذا القبيل . كما تستطيع ان تحسب « المدن الفاضلة » التي صورها توماس مور وصمويل بتلر والفارابي وغيرهم ، من الخيال العلمي الذي يبني قصة على اساس من الواقع يناله التطور والتغير والارتقاء . وكذلك قصة « حي بن يقظان » لابن طفيل ونظيرتها بالانجليزية « روبنسون كروزو » لدانيل دي فو . وقد كان « التحول » من مادة الى مادة من الموضوعات التي شغلت علماء الكيمياء في كل العصور ، فالتقط الأدباء هذه الفكرة واستخدموها في قصص اساسه تحول المخلوق من صورة الى أخرى ، او من انسان الى حيوان ، ومن هذا الكتاب المعروف «الحمار الذهبي» الذي ألفه أبوليوس باللاتينية ، وكان له أثره في ماوراه الرواة عن قدرات السحرة .

والواقع ان كثيرا مما تحقق في عالمنا المعاصر كان خيالا جري على اقلام الأدباء قبل أن يصبح حقيقة علمية واقعة . فقد كان فرانكشتاين انسانا آليا ، كما أن قصة « العالم الطريف » التي اشتهر بها اولدس هكسلي تتصور العالم كيف يكون اذا انجبنا الاطفال في الانابيب بدلا من الارحام ، وهو ماحدث بالفعل من عهد قريب .

ولكن اذا كانت القصة العلمية اليوم تشترك مع الحكايات القديمة في رواية « العجائب » لاثارة القارىء واشباع حبه الطبيعي « للتعجب » فهي ـ فوق ذلك ـ لون جديد من ألوان الأدب له خصائصه التي تميزه عن انواع الكتابه الأدبية الاخرى . الصفة المميزة لكاتب الخيال العلمي هي اهتمامه بالانسان في ظروف ومواقف لم تنشأ بعد ولكنها ممكنه الوقوع وان كان ذلك في المستقبل البعيد . يتساءل كاتب القصة العلمية : « ماذا يحدث للانسان لو تحقق كذا . . . »

ويحاول أن يجيب عن هذا السؤال مستعينا بمعرفته العلمية وخياله الادبي ليصور النتائج المحتمله لحقائق علمية او تكنولوجية اذا هي تطورت الى ما يجاوز حدودها المعروفة لدينا في حياتنا المعاصرة .

كاتب القصة العلمية

كاتب القصة العلمية يؤمن « بأن مايتخيله الانسان اليوم يستطيعه في الغد » ، وهي فرضية ثبتت صحتها في كثير من الأحيان . ومن الامثلة لذلك قصة « الموعد النهائي » التي كتبها في عام ١٩٤٤ الكاتب الامريكي كارتميل **Cartmill** وهي قصة عن قنبلة ذرية بلغت من الدقة في تفصيلاتها العلمية ماجعل مكتب المخابرات الامريكية يشك في أن الكاتب قد تسلل الى المعلومات السرية الخاصة بهذه القنبلة . وتبين من التحقيق ان المعلومات في الواقع ميسورة متاحة وينحصر جهد الكاتب في نفاذ الخيال الذي استطاع به ان يتوقع ماحدث في عالم الواقع .

ومثال آخر للتنبؤ بالخيال العلمي قصة « الانسان في السماء » التي كتبها بودريس **Algis Budrys** وصور فيها بالتفصيل الدقيق أول كبسولة فضائية مزودة بالرجال .

وهناك كثير من القصص العلمية الاخرى غير هاتين القصتين ، لم يكتبها « علماء » ، وانما تخيلها « أدباء » على المام عام بالامكانات العلمية والتكنولوجية المعاصرة ، وميزتهم الكبرى هي انهم يستطيعون بخيالهم ان ينفذوا الى مجاهل المستقبل واذا اهتم الكاتب بماهو اليوم في الامكان لم تعد روايته ان تكون من قصص المغامرات التي يحارب فيها ـ مثلا ـ سكان المعمورة سكان القمر . اما اذا هو جاوز بخياله حدود العلم والتكنولوجيا المعاصرة فانه يستطيع ان يصور لنا عالم المستقبل ومصير البشرية .

وارجو الايغيب عنا ان الكاتب اديب وليس بعالم ، فهو لايأبه بالتفصيلات العلمية الدقيقة ، وانما يشغله مصير الجنس البشري في عالم كلما زادت فيه المعرفة العلمية استعصي على الانسان حل لغزه وتفسير ما أبهم فيه .

واذا كان التنبؤ الدقيق بتطورات العلم والتكنولوجيا ليست مما يهدف اليه كاتب القصة العلمية ، حق لنا أن نتساءل : ماذا عسى اذن ان يكون الهدف ؟ واذا كان القصص العلمي ـ كما قال أحد النقاد ـ « لم يكتب للعلماء ، كما ان قصص الاشباح لم يكتب للاشباح » فلمن يكتب كاتب القصة العلمية ؟ وللاجابة عن هذا التساؤل ينبغي

لنا ان تنعم النظر في استخدام كاتب القصة العلمية للعلم . انه ينطلق مما هو معروف وماهو بالامكان الى ماليس بالمعروف وليس بعد في حدود الامكان وهو اذ يفعل ذلك قد يقع على مكتشفات او يصف تطورات تتحقق فعلا في وقت لاحق لقصته . ولما كان كاتب القصة العلمية على المام - ولو يسير - بحقائق العلم ، فان ذلك لايدعونا الى العجب . غير ان العلم المعروف لايمد الكاتب بخلفية كافية لخياله وتصوراته ، لذلك تراه يلجأ الى مانسميه « العلم الزائف » الى جانب العلم الصحيح .

العلم الزائف

ماذا نعني « بالعلم الزائف » ؟ العلم هو مانعرف او مانتنبأ بامكانه في حدود هذه المعرفة .

اما « العلم الزائف » فهو مايقع خارج مجال مانعرفه او مايمكن ان يقع في هذا المجال ، وحدوثه ليس بمستبعد اطلاقا . ولتوضيح ذلك نسوق هذا المثال : السفر بين كوكب وآخر امر ممكن في حدود ماتعلم ، اما السفر من نجم الى نجم فهو من العلم الزائف وان كان ليس ببعيد المنال . ذلك ان السرعة المطلوبة للانتقال من نجم الى آخر هي سرعة الضوء وهو مالا يستطيعه الانسان حاليا وفقا لاحدث نظريات العلم . غير ان كاتب القصة الخيالية - كما ذكرنا من قبل - لايهمه منطق العلم المعروف لانه انما يكتب عن الجنس البشري عندما يجابه الظروف والتحديات والمخاطر في مستقبل يكون من الممكن فيه ان يستخدم المرء سفنا فضائية يقفز بها من نجم الى آخر .

ولايصح ان نرفض هذا الذي نسميه « العالم الزائف » لانه ان كان كذلك اليوم فقد يكون من « العلم الصحيح » في مستقبل الايام - ككثير مما جاء في القصص العلمية التي قدمها لنا الكاتب الانجليزي هـ . جـ . ولز ، وما تخيله أولدس هكسلي في قصته « العالم الطريف » من توليد الاطفال في انابيب المعامل الكيماوية .

واهتمام القصص العلمي بطبيعة الانسان وسلوكه الممكن او المحتمل في عوالم المستقبل يتطلب من الكاتب التضحية برسم الشخصيات لبيان الفوارق الدقيقة بين مسلك انسان واخر في موقف واحد او متشابه . لان الفكرة او الصورة العامة للانسان هي مايشغل الكاتب وكأنها بطل الرواية في القصة العلمية . لذلك كان اشخاص الخيال العلمي لايتميز احدهم عن الاخر ولا يتفرد بصفات خاصة ، لان الشخص في هذا الخيال ليس الا « ممثلا » للانسان وحسب ، ويكفي فيه ان يكون على صورة مقبولة لدى القارىء . بل ان تصوير الشخصيات في القصة العلمية يكاد لايفرق بين الرجل والمرأة ، لان الفرد لايكون سوى نموذج للجنس البشري الذي يحاول ان يكيف نفسه لظروف جديدة من العيش تجاوز قدراته العقلية والخلقية والروحية التي يتصف بها في عالمنا المعاصر المعروف .

ان كاتب القصة بالاسلوب المألوف يفترضه كثيرا من المسلمات وهو على ثقة تامة بعلم القارىء بها ، وبالجو المحيط بشخصيات الرواية الذين يعني عناية تامة بتصويرهم . اما كاتب الخيال العلمي فهو - على نقيض ذلك - يخلق جوا حيويا جديدا ليس القارىء على علم به ، ولذلك فهو يبذل جهدا كبيرا في وصف تفصيلات هذا العالم الجديد الذي خلقه من بنات خياله ، وأقامه على اساس « علم جديد وتكنولوجيا غير مسبوقة ، ونظم للحكومات وللعادات والاخلاق والتقاليد غير معروفة ، وازياء ومساكن ليس لها وجود ، وافكار وآراء في عالم لم يولد بعد - وكل ذلك بتفصيلاته المعقدة ولايترك مجالا للكاتب لتصوير الشخصيات الفذة . فهو مضطر اضطرارا الى عرضها عرضا مبسطا لايكاد يتميز فيه فرد عن فرد .

ويمكن تصوير المستقبل باشكال تتعدد بتعدد من يكتبون عنه . ويجب ان يكون لدى الكاتب من المهارة الادبية مايمكنه من تجسيد خياله في صورة محسه . وبذلك فقط يقبل القارىء على متابعة القصة مؤمنا بامكان حدوث وقائعها وهو يتأمل ويتدبر مصير الانسان المحتمل . وتفصيل الاشخاص في هذه الحالة يعيق ولايعين . ويكفي القارىء ان يرى نفسه في مستقبله بصورة انسانية مجملة تمثل الجنس ولاتأبه بالفوارق الفردية .

ان مادة الكاتب العلمي هي « الانسان » في عالم جديد يسوقنا اليه تقدم العلم المنظور وغير المنظور ، وما يترتب على ذلك من وجود انسان جديد يختلف عن انسان اليوم سواء في سيكولوجية الفرد او الجماعة .

والانسان الحالي عاجز في كثير من الاحيان امام الكوارث المادية والاجتماعية التي تهدد كيانه ، فكيف يكون وضعه في عالم جديد ؟ هل يترك الظروف تتحكم في مصيره ، ام يخطط لهذا المصير من الآن ؟ هذه أمور جادة يتعرض لها كاتب القصة الخيالية ، ولكي لايصدم القارىء بتصويره لعجز الانسان ، ولكي لايكون داعية لليأس والتشاؤم ، نراه يلجأ الى الفكاهة والدعابة واسلوب الامتاع والمؤانسة يجتذب بها عامة القراء . ○

محمود محمود

أسرار العقم والخصوبة

بقلم الدكتور احمد السيد طوبا

اذا كانت الزيادة المطردة في تعداد السكان تؤرق معظم حكومات العالم ، فان هناك ما يؤرق الكثير من الأسر وينغص عليهم حياتهم بل ويجعلها جحيما في كثير من الأحيان . . وهو موضوع العقم ، أي عدم القدرة على الانجاب .

ويجدر بنا أن نبدأ حديثنا في هذا الموضوع ببعض التعاريف العلمية فنعرف العقم بأنه عدم الانجاب بعد ثلاث سنوات من الزواج مع المعاشرة الطبيعية . وقد وجد البروفسور مائيوس دنكان أن متوسط المدة بين الزواج وبين انجاب أول طفل هو سبعة عشر شهرا ، في حين وجد البروفسور سيجلر في بحث قام به ان ٢٢ في المائة من المتزوجات حديثا حملن في خلال عام واحد و ٢٩ في المائة في خلال عامين ، ٢٠ في المائة في خلال ثلاث سنوات .

ويسمى العقم ابتدائيا اذا لم يحدث انجاب بالمرة ، ويسمى مكتسبا أو ثانويا اذا حدث بعد فترة انجاب ولو لطفل واحد . ويوصف العقم بأنه مطلق اذا كان هناك من الأسباب ما يمنع الانجاب مثل الأورام الخبيثة أو الاصابات الجسيمة أو العاهات الخلقية في أحد الزوجين . ويكون العقم نسبيا اذا نتج عن سبب قابل للعلاج . وقد يحدث لزوجين أنهما لا ينجبان رغم المحاولات والعلاج الطويل فاذا انفصلا وتزوج كل من آخر فقد يحدث الانجاب . والعقم في مثل هذه الحالة يكون سببه ضعف الخصوبة عند أحد الزوجين . ويقال ان الزواج بين جنسين من البشر مختلفين اختلافا بينا مثل الزواج بين اليابانيين والأمريكان أو بين الهنود والبريطانيين او الاسكندنافيين والزنوج او

الاسكيمو والعرب ، قد يتمخض عن عقم ابتدائى ، ولكن هناك أمثلة تعيش بين ظهرانينا تفند هذا الزعم وتقيم الدليل على عدم صحته وان صدق فى بعض الحالات القليلة .

وكثيرا ما يشير اصبع الاتهام الى المرأة في حالات العقم ، وهذا خطأ فاحش . فقد ثبت من الاحصائيات الدقيقة أن من ٤٠ الى ٤٥ في المائة من حالات العقم كان الأزواج هم السبب . ولذا يجب أن يشمل الفحص الطبي الزوج والزوجة على السواء .

ومما يضيء اشراقة أمل على هذه الصورة المظلمة أن كثيرا من الزيجات التى وصفت بالعقم قد أنجبت بعد خمسة عشر عاما بل وبعد عشرين عاما . ولعل الكثير منا قد يعرف أو يعلم عن أسرة عقيمة قد استبد بها اليأس فتبنت طفلا أو طفلة واذا بالزوجة تحمل بعد التبنى بعدة شهور قليلة . وهذا يمكن تفسيره بأن حائلا ما في الزوج أو الزوجة كان يحول دون الاخصاب ، فلما انقشع وتبدد هذا المانع حدث الانجاب . وهذا الحائل قد يكون اضطرابا نفسيا ، أو نقصا في بعض مواد التغذية الأساسية ، أو فشلا في عملية الهضم أو الامتصاص أو التمثيل الغذائى ، أو اختلالا في توازن الهرمونات أو عدم الاستقرار في الحياة الزوجية أو حتى في البيئة .

العقم فى الرجال :

نقول ان الرجل قادر على الانجاب اذا توافرت فيه ثلاثة شروط :

أولا : ـ انتاج العدد الكافى من الحيوانات المنوية القوية . وتكون قذيفة الرجل عادة من خمسة الى ثلاثة سنتيمترات مكعبة في المرة الواحدة تحتوى على ما بين ٥٠٠,٠٠٠,٠٠٠ ، ٢٠٠,٠٠٠,٠٠٠ حيوان منوى ، اى بواقع من ١٠٠ الى ٦٠ مليونا في السنتيمتر المكعب الواحد ، لكن مما يبعث على الاطمئنان أنه من الممكن الانجاب بعدد يتراوح بين ١٥ ، ٢٠ مليونا في السنتيمتر المكعب الواحد ، على أن تكون جميعها حية متحركة لمدة ثلاث ساعات في درجة حرارة الغرفة ، ويكون ٥٠ في المائة منها حيا متحركا لمدة ثمانى ساعات ، ١٠ في المائة لمدة أربع وعشرين ساعة ، وأن تكون نسبة الحيوانات الشاذة أو غير الكاملة النمو أقل من ٢٠ في المائة .

ثانيا : ـ أن يكون افراز القناة التناسلية قادرا على حفظ سلامة الحيوانات المنوية وسهولة حركتها والاحتفاظ بنشاطها ، وهذا يعنى سلامة البروستاتا والحويصلات المنوية التى تفرز هذا السائل الواقى .

ثالثا : ـ توصيل الحيوانات المنوية فى حالة صحية جيدة وبعدد كاف الى القناة التناسلية للمرأة ، هذا ويمكن للطبيب الاخصائى اكتشاف الخلل فى إحدى هذه النواحى القابلة غالبا للعلاج .

ومن العوامل الأخرى المسببة للعقم فى الرجال ، التهاب الخصيتين ، وهنا يجب الاشارة الى أن افراز الخصية للحيوانات المنوية يبلغ ذروته فيما بين سن العشرين وسن الثلاثين ، ويبدأ فى التناقص بعد سن الأربعين ، وتقل الخصوبة الى أدنى درجاتها بين سن ٥٥ ، ٦٠ عاما . فاذا حدث انجاب بعد ذلك فهو من الحالات الشاذة التى نسمع عنها من حين لآخر . وثمة عوامل أخرى كذلك هى عدم توازن افرازات الغدد الصماء وأهمها الغدة النخامية ، والأمراض المختلفة مثل الزهرى والسيلان والتدرن الرئوى أو السل الموضعى وكذلك العيوب الخلقية فى أى جزء من أجزاء القناة التناسلية ، وكذلك الافراط في الجماع ، وتناول الكحول والمسكرات والمكيفات والتدخين ، والسمنة الزائدة ، وأخيرا القلق والاجهاد الجسمانى وعدم الراحة الكافية .

ومن الواضح أن تحليل السائل المنوى يقدم المعلومات الدقيقة عن الحيوانات المنوية ونسبة الصالح منها ، ويشير

كذلك الى مواطن الخلل في الجهاز التناسلي للذكر .

العقم في النساء

يبدو أن العقم في النساء أكثر أهمية منه في الرجال ، أو بمعنى أصح تهتم النساء أكثر من الرجال بموضوع العقم والخصوبة وخصوصا في البلاد الاسلامية حيث تخشى الزوجة في حالة عدم الانجاب أن يتزوج زوجها من غيرها رغبة منه في ضمان الانجاب . ولكن لم يثبت أن عاطفة الامومة أقوى من عاطفة الأبوة . غير أن الزوجة غالبا هي التي تبادر بالسعي وراء الانجاب . وهي في لهفتها لا تستنكف التردد على الدجالين والمشعوذين لتتحصن بالأحجبة والتمائم ، على عكس الزوج الذي قد يلجأ الى الوصفات البلدية والدهانات ، وكل هذه الاشياء كما نعلم لا تساوي شروى نقير ، بل قد تزيد من عقدة الزوجين .

ومما يبعث على الأمل أن الوعي قد زاد حديثا بفضل انتشار التعليم وتطويره ، وانتشار العيادات الحكومية المجانية لرعاية الطفولة والأمومة وعلاج العقم الذي قد يبدو مناقضا لسياسة تحديد النسل . لكن الواقع ان الحكومات وخصوصا في الدول النامية تستهدف قصر الأسرة على طفل أو اثنين ، كيما يتمكن الوالدان من توفير الرعاية الكاملة لهما دون ارهاق ، وحتى يتسنى لباقي الأسر الانجاب ، فلا تحرم أسرة من النسل والذرية بدلا من ان تنفرد أسرة واحدة ببضعة أطفال لا يلقون غير الاهمال ، ويكون نصيب أغلبهم التشرد ، هذا ويقول الخبراء إن زيادة عدد السكان ليس نتيجة لزيادة عدد المواليد وحده ، بل للتقدم الطبي المذهل ، سواء في التشخيص أو في العلاج ، مما نجم عنه انخفاض في عدد الموتى من الأطفال ، سواء أثناء الولادة أو في غضون ثلاثة شهور من الميلاد ، وكذلك للتغير في متوسط العمر الذي كان يقرب من الستين عاما ، فأصبح يربو الآن على السبعين .

وهكذا يمكننا الآن التعرض لمشكلة العقم في النساء بمفهوم أحسن ، ووجهة نظر أوسع . ولكي ندرك ماهية العقم في النساء يجب ان نعرف أولا ـ وباختصار ـ تركيب الجهاز التناسلي عندهن ووظيفة كل جزء . فالمبيضان الأيمن والأيسر ، كل منهما جسم بيضاوي الشكل في حجم الليمونة الصغيرة ينتج البويضة في وقت معين من الشهر ، وكمية من الهرمونات التي تختص باعداد جدار الرحم لاستقبال البويضة بعد تخصيبها . وتتم عملية التخصيب أو التلقيح عندما يتقابل الحيوان المنوي مع البويضة في قناة الرحم (قناة فالوبيان) التي تتفرع من جسم الرحم : قناة من كل جانب من جانبي الرحم عند قاعدته ، ويمكن أن نتخيل الرحم كمثلث قاعدته الى أعلى وقمته الى أسفل ، وهذه النهاية السفلى تكون اسطوانية الشكل وتمتد قليلا الى داخل تجويف الفرج الذي ينتهي عند الفتحة الخارجية أو المهبل . ويختص هذا الجزء الأخير بافراز سائل لزج يسهل مرور الحيوانات المنوية حتى تصل بسلام الى بوق القناة الرحمية المقابل للمبيض .

ومن الواضح أن أي عائق يحول دون مرور الحيوانات المنوية الى القناة الرحمية ، أو أي تقصير في وظائف أي جزء من أجزاء الجهاز التناسلي يتسبب بالتالي العقم . ومن هنا لايكون من السهل تحديد موضع الخطأ المسبب للعقم ، ولذا يستعين الطبيب الاخصائي بالأجهزة الطبية ، وبالتحاليل المعملية والباثولوجية وأشعة اكس ، والى كل ما من شأنه توضيح الصورة وتحديد موضع الخلل .

وليس في نيتنا التوسع في ذكر العوامل المسببة للعقم ، إذ أن ذلك قد يسبب القلق ويزيد من المخاوف ، أو على النقيض قد يعطي الأمل الكاذب لمن يهمهم الأمر . فالشرح المستفيض المدعم بالصور والجداول يهم طلبة الطب ، بينما تفاصيل العلاج وتطويره يهم المؤتمرات الطبية . لكن ما يعنينا هنا هو عجالة خاطفة تشمل كل ذلك ، والغرض منها التثقيف أولا ، ثم اعطاء الفكرة الصحيحة منعا لاستغلال المشعوذين والدجالين وبعض القابلات (الدايات) للأمهات المتلهفات على الانجاب حتى يثقن في طبيبهن المعالج الذي يبذل قصارى جهده لصالحهن .

ولنبدأ حديثنا بالأسباب العامة للعقم وأولها عمر المريضة . فالخصوبة في المرأة تكون في ذروتها فيما بين سن ٢٠ ، ٢٥ عاما ، ثم تأخذ في الضعف تدريجيا حتى سن ٣٥ ، ويزداد هذا الضعف ـ بعد ذلك ـ بسرعة حتى سن ٤٥ ، ولا حاجة لنا بالقول بأن الكثيرات قد حملن بعد هذه السن ، وهذا عامل يشجع ويبعث على الأمل في النفوس . (ولما كان الشيء بالشيء يذكر ، فجدير بنا أن نقول إن ٥ , ١٢ في المائة من النساء يبلغن سن اليأس الذي ينقطع فيه الطمث بين الخامسة والثلاثين وبين الاربعين ، ٢٥٪ يبلغنه فيما بين الأربعين والخامسة والأربعين ، ٥٠٪ فيما بين الخامسة والأربعين ـ والخمسين ، والـ ٥ , ١٢٪ الباقية بعد الخمسين) .

وتأتي الأمراض العضوية في المرتبة التالية ، وهي تسبب الضعف والهزال ، وترتبط بالدرن والبول السكري والتهاب الكليتين المزمن . ولما كانت هذه الأمراض يصاحبها اضطراب التغذية فإن ذلك يؤثر تأثيرا عكسيا على كل الغدد الصماء وخصوصا الغدة النخامية .

ويلي ذلك ما ذكرناه توا من اضطراب التغذية ، فإن سوء التغذية يسبب انقطاع الطمث ، وتفاهة المأكل تسبب توقف إنتاج البويضة ، كما أن الاكثار من الطعام والتهامه

في نهم يسبب السمنة المفرطة ، وهي بدورها تسبب الخلل في توازن إفرازات الغدد الصماء وإنتاج الهرمونات . فيجب أن يكون الغذاء في مواعيد معينة ، وأن تكون الوجبات متوازنة من حيث المواد البروتينية والدهنية والنشوية وكذلك من حيث احتواؤها على الفيتامينات اللازمة . فالنقص في فيتامين أ يسبب التحلل في المبيض ، ويوجد هذا الفيتامين في زيت الكبد وصفار البيض والزبد والجزر والخضراوات والسبانخ ، والنقص في فيتامين ب المركب يسبب عجزا في نشاط الغدة النخامية وفي نشاط المبيضين ، ويوجد هذا الفيتامين في الخميرة والقمح والشعير والشوفان واللبن الطازج والكبدة والكلاوي . أما النقص في فيتامين هـ " E " فإنه يسبب الاجهاض وضمور أعضاء التناسل ، ويوجد هذا الفيتامين في الخس والبازلاء وزيت القمح والذرة .

أما الأسباب المحلية أو الموضعية فهي تشمل جميع أجزاء الجهاز التناسلي من المهبل صعودا إلى الفرج ، فالرحم فالقناة الرحمية إلى بوقها ثم تنتهي عند المبيض . ويوجد فيما عدا ذلك أسباب أخرى قد تبدو طفيفة لكنها في الواقع بالغة الأهمية ، وتستحق الاهتمام وأهمها عدم التوافق الجنسي بين الزوجين ، والتزاوج في غير ميعاد نزول البويضة ، وارتخاء جدران الفرج والمهبل فلا تحتفظ بالحيوانات المنوية المدة الكافية .

موضع الخلل

ويتبع الطبيب الاخصائي نظاما متسلسلا في الكشف عن موضع الخلل في الجهاز التناسلي . وهناك أسباب مشتركة بين الأجزاء المختلفة مثل العيب الخلقي ومثال ذلك عدم وجود مبيض او القناة الرحمية أو انعدام تجويفها أو عدم وجود رحم ، أو وجود حائل يسد القنوات أو المدخل إليها كأن تكون كتلة مخاطية متجمدة تسد القناة الرحمية أو عنق الرحم ، وأخيرا التهاب أي جزء من هذه الاجزاء ـ بحيث يتورم ويسد الطريق .

وحتى تكون كل سيدة على علم بخطوات الكشف بحيث لا تعترض على أي اختبار يقترحه الطبيب المعالج ، ولزيادة اطمئنانها في أن كل الاجراءات الممكنة قد تمت لها ، سوف أذكر فيما يلي مراحل الكشف على كل جزء من اجزاء الجهاز التناسلي في كلمات مقتضبة تعني الكثير لمن يهمهن الأمر .

تاريخ الحالة : عمر المريضة ، مدة الزواج ، السن عند الزواج ، الأمراض التي أصيبت بها في طفولتها ، تاريخ أول طمث ومدته وفتراته ، تفاصيل العلاقة الزوجية ، العقم أو الخصوبة في بقية أفراد العائلة .

الكشف العام : الكشف على جميع الأجهزة : الجهاز الهضمي والتنفسي والعصبي والقلب والأوعية الدموية مع ملاحظة توزيع شعر الابطين والعانة وأي سمنة مفرطة وحالة الثديين .

الكشف على الحوض : لاستبعاد أو تأييد وجود أي خلل في هذه المنطقة مثل جود وصلابة غشاء البكارة ، تآكل وقروح في عنق الرحم ، زوائد تسد عنق الرحم ، انحرافات في وضع الرحم (الميل إلى الخلف أكثر من القدر الطبيعي او الالتواء إلى الأمام) ، الأورام الليفية .

وإلى هنا يجب إرجاء المزيد من الكشف والاختبار حتى يتم الكشف على الزوج واختبار مدى حيوية حيواناته المنوية وعددها . وإذا لم يتضح سبب يدعو إلى تأييد العقم في أحد الزوجين فيجب التوقف عن إجراء أي اختبار آخر لأحد الزجين إلا إذا استمرت حالة العقم لمدة تتراوح بين ثلاثة وستة شهور يتبع خلالها الزوجان نظاما خاصا قياسيا (رجيم Strict Regime) يتلخص في تحسين الصحة العامة ، النوم والراحة المدة الكافية ، الرياضة البدنية والترييض . تجنب الافراط في الجماع أو المغالاة في أي شيء بل التزام التوسط وتصحيح الاخطاء الغذائية بحيث لاتحدث سمنة أو نحافة ، معالجة جميع الأمراض العضوية التي يسفر عنها الكشف ، وتنظيم العادات وإلى غير ذلك مما يشير به الطبيب المعالج .

فإذا استمر العقم بعد ذلك بستة أشهر فالأمر إذن يدعو الطبيب إلى مواصلة ابحاثه واختباراته على المبيض والقناتين والرحم وافرازات الفرج والمهبل ، وعلاج ما يرى أنه يستدعي العلاج ، وإعطاء الأدوية سواء عن طريق الحقن الوريدي أو العضلي أو عن طريق الفم أو كلبوس مهبلي .

يتصل بالسياق الذي نحن بصدده . موضوع التلقيح الصناعي وأطفال الانابيب ، وهو عبارة عن حقن تجويف الرحم بحيوانات منوية مأخوذة من الزوج أو من متطوع مجهول ، أو تلقيح البويضة في أنبوبة خاصة بها سائل مغذ وواق مدة معينة ، ثم حقن البويضة المخصبة في رحم الأم لتكمل عدتها حتى يوم الوضع .

وهذا الموضوع الشائك مازال يتأرجح بين الاعتراض والتأييد في كل الدول وبين كل الأوساط الاجتماعية بدافع من أسس دينية أو مبادىء خلقية . لكن الحالات التي تمت وفق التلقيح الصناعي ، أو حسب نظام أطفال الأنابيب قد نجحت نجاحا باهرا . وفي انجلترا حديثا رزقت أم بثاني طفل لها عن طريق الأنابيب ، وسعد بها الزوجان . وسوف يتمخض الغد عن اكتشافات في هذا السبيل قد لا تعنينا اليوم ، لكنها ستكون حتما مثار جدل الأجيال القادمة . ○

د . احمد السيد طوبا

تنظيف العقل
صـــار
غسيل المخ

اعداد الدكتور خليل فاضل

فى سبتمبر (ايلول) عام ١٩٥٠ نشرت جريدة (ميامى نيوز) مقالا بقلم ادوارد هنتر تحت عنوان (غسيل المخ) ، ويقال انها كانت المرة الاولى التى يستخدم فيها مثل هذا التعبير مكتوبا أو مطبوعا فى أية لغة فى العالم والذى سرعان مااصبح تعبيرا شائعا خلال الحرب الباردة .

أصل تعبير (غسيل المخ) هو الكلمة الصينية (شى تساو) أى « لتنظيف العقل » to cleanse the mind وإدوارد هنتر هذا كان عميلا للـ C. I. A. يعمل تحت غطاء مراسل صحفي وبالطبع استجاب الرأى العالم الامريكي لأطروحات هنتر عن عمليات غسيل المخ والتى كان يقصد بها دول المعسكر الشيوعى .

غير أن الحرب الكورية عام ١٩٥٢ صارت نقطة تحول هامة وبارزة فى تاريخ عمليات « غسيل المخ » ، حيث استطاعت القيادة الصينية آنذاك أن تحصل على عدد لابأس به من الاعترافات المسجلة من الطيارين الأمريكيين استخدمتها فى شن هجوم سياسى قاس على الولايات المتحدة الأمريكية وعملائها فى المنطقة وكانت أكبر ضربة هى اعتراف بعض الطيارين الأمريكيين بأن قيادتهم قد استخدمت (الجرائيم المحرمه دوليا) فى الحرب الكورية مما أحدث ضجيجا عالميا ووجه باستنكار شديد من قبل الولايات المتحدة الأمريكية .

وبانتهاء الحرب الكورية كان لدى الصينيين ٧١٩٠ أسيرا أمريكيا ٧٠٪ منهم إما اعترفوا شفاهة خلال التحقيقات بأقذر العمليات الحربية للولايات المتحدة الامريكية أو وقعوا على التماسات ونداءات للرأى العام الامريكي والعالمى بضرورة وقف التدخل الامريكي فى جنوب شرق آسيا بينما أصبح ١٥٪ من مجموع الأسرى عملاء للصين أما الـ ٥٪ الباقين فلقد قاوموا بشدة ! الملفت للنظر هنا هو سهولة كسر معنويات الجنود الأمريكان

وتحطيم معنوياتهم حسب التقارير الموجودة حول هذا الموضوع حيث أنه كان هناك أسرى من دول أخرى مثل بريطانيا واستراليا وتركيا (دول حلف شمال الاطلنطى) لم يبرز جنودهم ماابرزه الجنود الأمريكان من ضعف التكوين الشخصى علما بأنه طبقا للتقارير - قد تمت معاملة الجميع بنفس الدرجة . وازاء هذه النتائج والتقارير كان أول رد فعل للصحفى عميل ال C . I . A ادوارد هنتر هو :

(لقد غسل الصينيون مخ أولادنا) . .

البحث عن الحقيقه

كيف ؟ ! هل هى قوى شيطانية شيوعية تملك القدرة على تحويل عقول البشر ؟ ! هل هى قوى خفية تـزرع الافكار الشيوعية ؟ هل هم يحملون علب رش spray ملأى بالافكار الحمراء يرشونها داخل جمجمة الانسان فتحوله بقدرة قادر الى شيوعى !! أم أن للمسألة تفسيرا علميا جادا . العالم لم يستجب للنظرة السطحية للامور ولم يكن هناك أى رد فعل حقيقى لمسألة غسيل المخ الشيطانى ولكن بدأ البحث عن الحقيقة .

فى كتاب وضعه « يوجين كينكاد » بعنوان لماذا أصبحوا عملاء » ؟ ! وضح كل الأحداث المؤسفة التى تمت فى معسكرات كوريا الشمالية ، حيث مورست عملية غريبة سميت بـ (غسيل المخ) لم تقتنع أجهزة الـ C . I . A بهذا التفسير المبهم كذلك فان وزارة الدفاع التى دفعت بالجيش الى تلك الحرب بحثت فى الامر . . ولوحظ ان حوالى ٣٨ ٪ من الأسرى الامريكيين ماتوا فى الاسر ولم يكن هذا أبدا بسبب سوء المعاملة ولكن بسبب جهل الجنود المطبق بعملية الاسر ولانخفاض روحهم المعنوية بشكل هائل انقص بشدة مقاومتهم للمرض والجروح والكسور فمن مجموع ٧١٩٠ أسيرا مات فى الاسر ٢٧٣٠ ، وأثناء عملية تبادل الأسرى رفض ٢١ أسيرا أمريكيا العودة الى بلادهم وفضلوا البقاء فى الصين وكانت حادثة فريدة من نوعها لم تقف عند هذا الحد ، بل بدأ هؤلاء الجنود فى كتابة دعاية مضادة للجهاز الأمريكى وللامبريالية العالمية على شكل تهانى عيد الميلاد (الكريسماس) عبر الاذاعة . . كذلك فان بعض الأسرى تصرف بغدر تجاه زملائهم ، ووصل الامر الى حد القتل وهى مسألة مفزعة توضح بنية الجيش الامريكى وتكوين شخصيات افراده المختلفة ، ويصف بعض العائدين الطريقة التى عوملوا بها وهى الطريقة التقليدية فى عمليات الاسر ، الترحيب ، التحقيق والتلقين .

مقارنة

وبمقارنة سجلات الامريكان بسجلات الاتراك وجد ان ٢٢٩ جندى تركى لم يسجل لأى واحد منهم التعامل مع مخابرات عدوه رغم أن نصفهم قد جرح فى مرحلة ماقبل الحرب ولم يمت أحد منهم فى الأسر وفى الوقت نفسه فقد الأمريكان مابين ٤٠٠ - ٨٠٠ أسير وكان تفسير الأمريكان لهذا هو ان التسلسل القيادى للاتراك بقى سليما ولم يكسر حيث أخبر الضابط التركى اعداءه أنه المسئول عن الفصيل المأسور وانهم اذا ارادوا أى شىء من الجماعة أو الفصيل فعليهم الاتصال به واذا حدث له أى شىء فستؤول مسئولية الفصيل الجاويش أو الرتبة التى تليه . . وهكذا . . ثم نجده بعد هذا يقول :

« كان من الممكن أن يقتلونا . . هذا شىء طبيعى ولكنهم لم يستطيعوا إجبارنا على فعل شىء لم نود فعله . . قوتنا كانت فى اتحادنا وفى انضباطنا . . »

كان أول عمل للـ C . I . A من خلال مديره (الان دولس) الذى كان صديقا للدكتور (هارولد وولف) أشهر اخصائى أعصاب فى العالم واختصاصى فى علاج الصداع والصداع النصفى والألم بشتى انواعه وكان ابن (دولس) قد اصيب بجرح فى المخ خلال الحرب الكورية عام ١٩٥٣ . وكان وولف يعالجه من الاعراض



العصبية التي اصيب بها .

كلف (دوليس) الدكتور (وولف) رسميا بعمل دراسة عن عمليات غسيل المخ لصالح الـ C . I . A . ووافق (د . وولف) واحيطت العملية بالسرية التامة ولم يكن غريبا على (وولف) أن يوافق لأنه سبق وأن خدم في مراكز طبية مختلفة تابعة لأجهزة المخابرات المركزية الامريكية .

تقرير وولف هنكل

قام بمساعدة (وولف) طبيب آخر اسمه (هنكل)وأعدا تقريرا هاما باسم (وولف ـ هنكل) يعد حتى الآن أشمل دراسة ومرجعا في أساليب اعادة التعليم السياسي والتلقين وكانت الطرق المعتمدة والمعروفة عالميا وقتذاك هي وضع الأسير في زنزانة انفرادية تحت حراسة مشددة بحيث لاتتاح له أية فرصة للمحادثة أو عمل أي شيء خاص بينما يقوم الحرس بدور إيجابي في تحطيم معنويات الأسير لدى أي كلمة يتفوه بها هذا بجانب عزله تماما عن العالم الخارجي ويقول ((وولف وهنكل) في تقريرهما انه خلال ستة اسابيع من عمليات التحطيم الذهني وانهيار نفسية الأسير تماما يبدأ في البكاء والهلوسة والهذيان ، وهنا يبدأ التحقيق معه ليلة بعد ليلة في غرفة خاصة حيث يواجهه المحققون بالتهم والمعلومات المطلوب الحصول عليها . يحاول الأسير إثبات براءته ويحاول المراوغة وهنا يتطرق المحقق الى موضوع آخر حيث يبدأ في استعراض حياة الأسير بالتفصيل الممل ، ويحاول المحقق السخرية من الأسير والتحقير من شأنه غير أن الاسير يكون في هذه الحالة سعيدا لتكسر حاجز العزله الرهيب ولوجود إتصال انسانى معه أيا كانت طبيعته وتبدأ العلاقة التقليدية بين المحقق والأسير بسيجارة وحديث عائلي وفجأة يواجهه بالاسئلة المطلوبة وبالتهم الموجهة اليه دفعة واحدة وهنا قد يعتقد الاسير انه لامناص ولا مفر وانه لابد من الاعتراف ويعتقد (هنكل وولف) أن ٩٩ ٪ من الأسرى يوقعون اعترافات عند هذه النقطة ثم تبدأ المرحلة الثانية وهي « اعادة التعليم »أو « التلقين » حيث يوضع الأسير مع مجموعة أخرى من عملاء الـ C . I . A ويبدأون في قراءة ودراسة وتلاوة التعاليم المطلوبة لمدد تصل الى ١٦ ساعة يوميا وتمتد الاقامة الجماعية من ٦ ـ ٨ أشهر ، وتعد هذه الطريقة في غسيل المخ وقتذاك ـ طريقة بدائية حيث بدت أوساط الـ C . I . A . غير مرتاحة وغير مقتنعة بها وكانت قيادات الـ C . I . A في أشد الشوق الى اختراع جهاز (لغسيل المخ) .. (آلة الكترونية تتمكن من أداء هذا العمل) وبالفعل قرروا تخصيص ميزانية ضخمة ووضع احدث ما وصلت اليه التكنولوجيا الامريكية تحت يد من سيساعد أجهزة الـ C . I . A من أجل إعادة تركيب البشر .

كاميرون وطرقه الاجرامية

وقد توصل د . أوين كاميرون الذي انتخب عام ١٩٥٣رئيسا للمجمع الدولي للأمراض النفسية إلى أختراع طريقة تعد أبشع مافكر فيه البشر في عصرنا هذا وهي طريقة (اعادة التشكيل) **Depatterning** وهي طريقة تعتمد على تحطيم بناء الانسان النفسي والعضوي من خلال استخدام الصدمات الكهربائية على المخ مع أدوية مخدرة ومنومه لمدد طويلة والصدمة الكهربية العلاجية أساسا عبارة عن تيار قوته حوالي ١١٠ فولت تعطى عن طريق محول خلال قطبين مغموسين في سائل موصل للكهرباء على جانب الرأس ، وهي تستخدم في علاج الأمراض النفسية مثل الاكتئاب الحاد ، الهوس ، والهذيان والفصام ونظرية العلاج تعتمد على إحداث صدمة كهربية في الدماغ تؤدي الى تشنجات في جسم الانسان شبيهة بالصرع والتفسير العلمي يقول أن هذه التشنجات عبارة عن شحنات كهربية عالية نسبيا الى الشحنات الاساسية التي تمر في الخلايا العصبية وتؤدي الى تغيير التركيب النفسي للمريض وهي تعطى تحت تخدر عام واستنشاق اوكسوجين مرة كل ثاني يوم لمدد تتراوح من ٣ ـ ٩ صدمات ككل حتى يتماثل المريض للشفاء ولكن في بعض البلاد مثل مصر في مستشفى العباسية تعطى بدون تخدير أو اكسوجين وتعطى كذلك كعقاب للمرضى حوالي ثلاث مرات يوميا . والذي فعلته أجهزة الـ C . I . A من خلال د . كاميرون كان أمرا مفزعا فلقد استخدم د . كاميرون مزيجا من الصدمات الكهربية العنيفه والمكثفة ثلاث مرات وبقوة ١٥٠ فولت ولمدة زمنية اطول ٢٠ ـ ٤٠ مرة من الصدمة العلاجية بجانب إعطاء الضحية « كوكتيل منومات وهو عباره عن مزيج رهيب مكون من خمسة عقاقير منومه » !!

ويظل الانسان تحت تأثير هذه المنومات والمخدرات وتحت تأثير الصدمات الكهربية لمدد تتراوح مابين ١٥ ، ٣٠ يوما .. في نوم متواصل في غرف خاصة بعدها تتشتت ذاكرة الانسان وتشل قدرته على التفكير ويصبح عبارة عن جثة حية تتبول وتتبرز بصورة لاارادية .

مرحلة الدفع النفسي

خلال فترات النوم يتم إيقاظ الأسير لاعطائه وجبات

الطعام واقراص المخدرات والمنومات والصدمات الكهربية ، ولا شيء سوى ذلك . على أن تتخلل المدة الكاملة فترة ثلاثة ايام من الراحة بدون نوم أو حبوب أو صدمات (إبقاء على حياته .. !!) وهنا تتم عملية قتل محتويات وادراك الانسان وتحطيم شخصيته تماما ويدفع الى الجنون دفعا كاملا ، ويبدأ عادة بسؤال نفسه : أين أنا كيف جئت هنا ثم تبدأ بعد ذلك مرحلة ما اسماه كاميرون بـ (الدفع النفسي) فالضحية الآن امامه خالية الذهن محطمة الوجدان . وهنا قام فنى الكترونيات بتصميم جهاز تسجيل ضخم يبث ثمانية شرائط مختلفه لثمانية أسرى مختلفين في وقت واحد ولمدد تصل الى ١٦ ساعة متواصله ، وتقوم المرحلة الأولى على سلبية بمعنى (الغاء مايرى الغاؤه من تفكير وجوانب في شخصية الأسير) ويعتمد في هذا على سلسلة التحقيقات والملفات الشخصية المتعلقة بالاسير وتكون في صورة رسائل صوتية قصيرة تذاع على مسامعه بين الحين والحين تقوم بالغاء النواحي المراد الغاؤها تماما . أما المرحلة الثانية فتسمى (المرحلة الايجابية) وفيها يستخدم جهاز تسجيل ضخم موصل بسماعات (مكبرات صوت) تحت وسائد الأسرى يتم عن طريقها بث الأفكار الجديدة و (التلقين) ـ علميا وأخلاقيا ـ عملية بشعة لا إنسانية شجبها كل من سمع بها من الاخصائيين في طب النفس في العالم ووصفوها بالقذارة والحقارة والحيوانية ، بينما يصف كاميرون هذه العملية بأنها (تغيير شامل ومباشر للشخصية) وبناء على الأسس العلمية فإن هذه الطرق تنجح إلى حد ما ولكنها في المقابل فاشلة ١٠٠٪ نظرا لأن الاسير يخرج منها بلا نفع لاى أحد ولا يمكن إعادته الى حالته الاولى الا بنفس الطريقة أى بأعطائه جرعات من المنومات والصدمات الكهربية والغاء الجديد واحياء القديم وهى في النهاية مسألة قاسية جدا من الصعب أن يتحملها الجسد البشرى مرتين !!

ان اجهزة الـ C. I. A. وغيرها تستطيع من خلال أعمال كاميرون وأمثاله أن تخلق من الأسرى أناسا بلداء بلهاء يظلون بلانفع أو قيمة في أى مجتمع .

فمن خلال التعذيب تستطيع إجبار الانسان على قول أى شيء ولكن من الثابت أنه ليس هناك علم على وجه الارض يضمن لك أنه سيقول الحقيقة وهذه نظرية علمية ثابته يجب أن يضعها نصب عينيه كل مقاتل وأن يركز عليها دائما خلال أى المراحل التى قد يتعرض لها .

هل كان طعما ؟

وليس هناك ماهو ادل على ذلك من قصة (يورى نوتيسكو) كادر المخابرات السوفيتى kgb الذى هرب الى الولايات المتحدة الامريكية في فبراير (شباط) عام ١٩٦٤ والذى أدلى بأقوال مضمونها أن السوفيت قد لغموا السفارة الامريكية في موسكو بأجهزة التجسس وبأن لهم ضلع في مقتل الرئيس السابق (جون كينيدى) وأنه رأى بنفسه ملف (لى هارفى أوزوالد) في أرشيف الـ kgb ، كذلك فانه ادلى بأسماء بعض عملاء الـ kgb في الغرب والسؤال هو : هل كان نوتيسكو يقول الحقيقة أم انه كان طعما من الـ kgb أرسل ليقلب الـ C. I. A. رأسا على عقب هل كانت معلوماته عن اختراق السوفيت لأجهزة أمن الغرب صحيحة أم انه هو كان الاختراق ؟ !

انقسمت اجهزة الـ C. I. A. الى قسمين ، قسم يحس بأن (نوتيسكو) يقول الحقيقة ، والقسم الآخر يشك فيه تماما . ولم تحاول أجهزة الـ C. I. A. استخدام الطرق المستحدثة معه مثل (الصدمات الكهربية ، المنومات ، العقاقير .. الخ) ولكنها استخدمت الطريقة البدائية في التحقيق حيث سجنوه في زنزانه انفرادية ، حرس دائم ليل نهار ، لايسمح له ولو للحظه بالانفراد بنفسه غير مسموح له بقراءة أى شيء حتى لو كان من غلاف معجون اسنان ولما حاول نوتيسكو عمل شطرنج من قطع الكتان المغطى به سريره اكتشفه حراسه واحرقوه له كذلك فان زنزانته لم يكن لها نافذة كانت زنزانه خاصه مغطاه بالصلب سمك ٣٠ سم لمنع الصوت ... وفي النهاية انهار وبدأ يهلوس ويصرخ وسلم نفسه لمحققيه الذين ظلوا يستجوبونه لمدة ٢٩٢ يوما متواصلة وقيدوه الى جهاز كشف الكذب (عن طريق قياس ذبذبات الصوت) .. واذا كان نوتيسكو قد قال الصدق فلم يصدقوه لأن أجهزة الـ C. I. A. كانت في حالة تخبط شديد فلم تكن تعرف ماهية الاعترافات التى يجب انتزاعها منه واطلق سراحه بعد ٣ سنوات ونصف ومازالت بعض القيادات العليا في الـ C. I. A. تؤمن بأنه كان طعما سوفيتيا وما زال هو حتى يومنا هذا سؤالا محيرا ولغزا عاصيا داخل اجهزة الـ C. I. A. وهم مازالوا منقسمين حوله .. من هو ؟ وما هى الحقيقة ؟ ! وبقصة (نوتيسكو) كادت خطط الـ C. I. A. أو علها وصلت فعلا الى طريق مسدود في عمليات غسيل المخ .

وتحاول اجهزة المخابرات في كل انحاء الارض .. بالتكنولوجيا وبالبحث المضنى الوصول الى قوة شيطانية تمكنهم من التحكم في الانسان غير أن الانسان يظل أقوى واكثر ثباتا اذا آمن بقضيته بشكل حاسم وعندئذ يصبح غسيل المخ عملية تشبه غسيل العين لا اكثر ولا اقل !! ؟

د . خليل فاضل
طبيب الامراض النفسية ـ مقاطعة سري ـ إنجلترا

الشعر

ووصف التجار في ألف ليلة

بقلم : عباس خضر

o للشعر وظيفة تعبيرية ثابتة في حكايات ألف ليلة ، وفي سائر القصص الشعبية العربية على وجه عام . وهو فيها شعر فصيح سهل مستقيم الوزن ، كثيرا ما نسمعه من أفراد قومنا العرب ، وخاصة كبار السن الذين قرؤوا تلك القصص أو سمعوها شفاها من القُصاص . وقد يرددها آخرون نقلا عن أولئك .

وتعد سير الأبطال مثل سيرة عنترة وذات الهمة وسيف بن ذي يزن وحمزة البهلوان ـ ملاحم عربية تمتاز عن الملاحم اليونانية بأنها مزيج من النظم والنثر ، كل في موضعه ، فالسرد يجرى بالنثر ، فاذا وصلنا الى موقف حماسي أو عاطفي فالشعر خير معوان على التعبير وملاحمنا العربية تختلف في ذلك عن الملاحم اليونانية التى تكون منظومة كلها .

ونحن هنا في حكاية من ألف ليلة عنوانها « حكاية علي نور الدين مع مريم الزنارية » ـ نرى أنفسنا أمام ظاهرتين تفشيان في سائر الحكايات ، وتأخذ هذه الحكاية مثلا لها .

الظاهرة الاولى وصف التجار في ذلك الزمان ، فالتاجر هو السميدع » باللغة الفصحى ، أو « الجنتلمان » بلغة عصرنا ، ذلك الذي بلغ في شهامته ومروءته مبلغ الفرسان في سالف العصر والاوان .

« نور الدين » من أكابر التجار في القاهرة ، مولع بالسفر الى جميع الأقطار ويحب السير في البرارى والقفار والسهول والأوعار وجزائر البحار في طلب الدرهم والدينار ، وكان له عبيد وخدم ، وكان بطبيعة الحال كثير الأموال ، وكان صاحب أفضال على كثير من معارفه في مختلف البلاد .

له ولد اسمه علي « كأنه البدر اذا بدر في ليلة أربعة عشرة بديع الحسن والجمال ظريف القد والاعتدال » .

الشعر في القصص

وقبل أن نمضي في الحكاية نشير الى الظاهرة الثانية ، وهي التعبير بالشعر في وصف الشخصيات ومشاعرهم وما يجول في خواطرهم . وقد عرفنا في تراثنا العربي الحديث أشباها لذلك ، في القصص مترجمة ومؤلفة ، وكان ذلك

أكثر ما كان في ترجمات المرحوم محمد السباعي ، وكان يحسن إيراد الأبيات الشعرية في موضعها من السياق القصصي ، فلا يشعر القارىء بأنها غريبة مقحمة على السياق ، فهو يوظفها في القص توظيفا عضويا . وكان السباعي يتصرف في الترجمة بحيث لا يتقيد بالأصل ، حتى كان يقال عنه إنه يؤلف اذا ترجم ويترجم اذا ألف . . اذ كان ينحو فيما الفه نحو الاتجاه الغربي . وكان التصرف في الترجمة شائعا عند روادنا الأوائل ، وهو ظاهر جداً في الروايات والقصص التى كتبها المنفلوطي بعد ما ترجمت له حرفيا ، اذ كان لا يعرف اللغة الأجنبية ، والواقع أن ذلك العمل الأدبي كان إنتاجا رائعا يجمع بين موهبتين :

الموهبة الاولى الأصلية والموهبة المترجمة ، وذلك حينما يكون المترجم ذا موهبة أدبية وذا محصول ممتاز من اللغة العربية . وأعتقد أن « فيتز جرالد » فعل مثل ذلك في ترجمة رباعيات الخيام من الفارسية الى الانجليزية .

وذلك كله بصرف النظر عن دعوى « تشويه الأصل » التى لا تكون دائما صحيحة ، وانما يكون هذا التشويه في حالات تنعدم فيها موهبة المترجم واجادته للغتين أو احداهما .

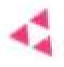
وقد حاكى يوسف السباعي والده محمد السباعى في إيراد الشعر بالسياق القصصى ، وأخذ عليه بعض النقاد هذا الصنيع ، ولم يعبأ بهم .

ونعود الى موضوعنا ، وهو الظاهرة الشعرية وظاهرة وصف التجار في حكايات الف ❊ ، والملحوظ أن الظاهرتين تمتزجان بمعنى أن الأولى تدخل في الثانية اذ يستخدم الشعر في وصف التجار الى جانب النثر .

تصف الحكاية التاجر نور الدين فتروى ما قاله فيه بعض واصفيه :

وتاجر في أصله زارنا
والقلب من ألحاظه حائر
فقال لى : مالك في حيرة
قلت : على عينك يا تاجر

وقد عرفنا « التضمين » في المحسنات البديعية اذ يأتي في سياقه بعبارة من شعر سبق أو آية قرآنية أو من حديث شريف . وهنا يأتى التضمين من الكلام السائر الدارج فيقول « على عينك يا تاجر » وان كان يعرف العبارة عما



يقصد بها في الكلام العادي وهو أن فاعل الفعل يأتيه جهارا غير مهتم باخفائه .

أما ولده « علي » فهو كما قال فيه الشاعر :

ومليح قال صفني
أنت في الوصف رجيح
قلت قولا باختصار
كل ما فيك مليح

جلس علي يوما في دكان والده للبيع والشراء ، والتف حوله أولاد التجار ، فكان بينهم كالقمر بين النجوم . قالوا له :

ـ نريد أن نذهب وإياك لنتنزه في بستان .

ـ انتظروا حتى يحضر والدي وأستأذنه .

وأتى الوالد ، فقال ولده :

ـ يا أبي ، هؤلاء أولاد التجار قد عزموا على أن أذهب معهم للتنزه في البستان ، فهل تأذن لي في ذلك ؟

ـ نعم يا ولدي ، وخذ هذه الدنانير .

الشعر في الفواكه

ركب أولاد التجار حميرا وبغالا ، وركب علي نور الدين بغلة ، وقصدوا بستانا فيه ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين . وهنا يمر بنا القاص الفنان على ما يحوي البستان من أنواع الفاكهة ، ويقول شعرا في كل نوع ، فالعنب :

عناقيد حكت لما تدلت
على قضبانها جسمي تحولا
حكت عسلا وماء في إناء
وعادت ـ بعد حصرمها ـ شمولا

وفي الرمان يقول :

ورمان رقيق القشر يحكي
نهود البكر اذ برزت فحولا

ويقال في العامية عن الرمانة الكبيرة : « فحل الرمان »

وفيه أيضا :

ورمانة شبهتها اذ رأيتها
بنهد العذارى أو بقبة مرمر
وفيها شفاء للمريض وصحة
وفيها حديث للنبي المطهر
وفيها يقول الله جل جلاله
مقالا بليغا في الكتاب المسطر

وفي التفاح يقول :

تفاحة جمعت لونين قد حكيا
خدي حبيب ومحبوب قد اجتمعا
لاحا على الغصن كالضدين من عجب
فذا أسود والثاني به لمعا

وفي المشمش :

والمشمش اللوزي يحكي عاشقا
جاء الحبيب له فحير لبه
وكفاه من صفة المتيم ما به
يصفر ظاهره ويكسر قلبه

وفي التين :

قالوا وقد ألفت نفسي تفكهها
بغير فاكهة في حبها هاموا
لأي شيء تحب التين قلت لهم
للتين قوم وللجميز أقوام

والشطر الاخير من الكلمات السائرة دال على التفرقة في الحظوظ بين الناس .

وفي الكمثرى يقول الشاعر :

يهنيك كمثرى غدا لونها
لون محب زائد الصفرة
شبيهة بالبكر في خدرها
والوجه منها مسبل الستره

وفي اللوز :

أما ترى اللوز حين تظهره
من الافانين كف مقتطف
وقشره قد جلا القلوب لنا
كأنه الدر داخل الصدف

أما الخولنجان فقد قال فيه الشاعر الوطان :

وحمراء مثل الكف تزهو بحسنها
فظاهرها نار وباطنها ثلج
ومن عجب ثلج من النار لم يذب
ومن عجب نار وليس لها وهج

وفي النارنج :

وأشجار نارنج كأن ثمارها
اذا ما بدت للناظر المتفرس
خدود نساء قد تبرجن زينة
بأيام عيد في غلائل سندس

ونلاحظ في أكثر ما يصف من فواكهه التشبيه بها أو تشبيهها بالحسان الجميلات وأحوال المحبين والمحبات ، وتكوين الصورة الشعرية من ذلك .

سكر فلطم أباه

ولأن البستان يشبه الجنة فان له بوابا يسمى « رضوان » جلس أولاد التجار يتحدثون ويضحكون وقد طرحوا العمائم عن رءوسهم وتخففوا من الأردية . وما هي الا ساعة من الزمان حتى أقبل خادم يحمل سفرة طعام أوانيها من الصيني والبلور ، لأن بعضهم أوصى أهل بيته بها قبل خروجه الى البستان . ويدل وصف هذه المائدة على ما كان عليه أبناء التجار من الترف الذي يشبه ترف الملوك وأولادهم . وبعد أن أكلوا غسلوا أيديهم ومسحوها بالمناديل الحريرية المقصبة ، وقدموا لعلي نور الدين منديلا مطرزا بالذهب الأحمر ، فمسح به يديه . وجاءهم رضوان بواب البستان بالورد ، فأخذوا في مدح الورد بالأشعار التي منها :

دونك يا سيدي وردة
يذكرك المسك أنفاسها
كهيفاء أبصرها عاشق
فغطت بأكمامها رأسها

وأحضر البستاني « الدام » على صينية مزركشة بالذهب الأحمر ، وأنشد :

هتف الفجر بالسنا فاسق خمرا
عاتقا تجعل الحليم سفيها
لست أدري من لطفها ومعناها
أبكأس ترى أم الكأس فيها

أبى علي نور الدين أولا أن يشرب ما فيه اثم كبير وقد حرمه الله في كتابه . ولم يقتنع بما قال البستاني من أن الانسان يشرب والله غفور رحيم يغفر الذنب العظيم ورحمة الله وسعت كل شيء ، كما قال الشاعر :

كن كيف شئت فان الله ذو كرم
وما عليك اذا أذنبت من باس
الا اثنين فلا تقربهما أبدا
الشرك بالله والاضرار بالناس

ثم الح الجميع أن يشرب علي نور الدين ، وهو يأبى ، حتى حلف أحدهم عليه بالطلاق والقناين يديه وبيده الكأس ، فاستحى علي نور الدين وشرب من الكأس جرعة ، ثم أخرى ثم ثالثة . . . وأتوا بصبية كأنها « دينار في صينية أو غزال في برية » قال في مثلها الشاعر :

ولو أنها في الشرق لاحت لراهب
لخل سبيل الشرق واتبع الغربا

وغنت الصبية على عود من صنع الهنود فأطربت . ولا تسل عن أبيات كثيرة غنت فيها وتفننت حتى هام بها علي نور الدين ، وقد طال عقله منها ومن الشراب . وبادلها شعرا بشعر ، ورأى منها ما لم يره من قبل .

وعاد علي نور الدين الى داره ثملا . . قالت أمه فيما قالت :

كيف يا ولدي بعد الصلاة والعبادة صرت تشرب الخمر وتعصي من له الخلق والأمر ؟

وقال أبوه :

ويلك . . هل بلغ بك السفه الى هذا الحد وتشرب الخمر ؟

واشتد أبوه في تعنيفه ، فما كان منه الا أن رفع يده ـ تحت تأثير الخمر ـ ولطم أباه . . فوقع الأب مغشيا عليه .

تركته أمه الى أن نام ، وعند الفجر أيقظته وقد زال عنه السكر ، وقالت له :

ما هذا الذي صنعته مع والدك ؟ !

وماذا صنعت ؟

انك لطمته بيدك ، وقد حلف أنه اذا أصبح الصباح أن يقطع يدك فتندم علي على ما فعل أشد الندم ، قالت أمه :

يا ولدي ان الندم لاينفعك ، فاهرب عند أحد من أصحابك حتى تتدبر الأمر . وأعطته مائة دينار ، وكان عنده الف دينار ، أخذ هذه وتلك في كيس ربطه على بطنه ، وخرج متوجها الى بولاق (حي من أحياء القاهرة على النيل) حيث رأى سفينة ترفع الأقلاع وتزمع الاقلاع والسفر الى الاسكندرية ، فركبها .

دخل الاسكندرية فوجدها كما قيل فيها :

قد قلت يوما لخل
له مقال فصيح
اسكندرية صفها
فقال ثغر مليح
قلت : وفيها معاش ؟
فقال : ان هب ريح .

والتقى هناك برجل كبير السن ، تاجر كبير « سميدع » اسمه الشيخ العطار ، كان لنور الدين (سميدع القاهرة) عليه فضل كبير . وحكى علي للشيخ العطار حكايته ، فأشفق عليه وأخذه الى داره وأكرمه غاية الاكرام جزاء على فضل والده . ثم أعانه على التجارة بسوق الاسكندرية .

تقول الشعر فيمن يشتريها

وذات يوم . بينما هو في السوق رأى أعجميا يقبل وبصحبته جارية :

كأنها مثل ما تهواه خلقت
في رونق الحسن لا طول ولا قصر
الورد من خدها يحمر من خجل
والغصن من قدها يزهو به الثمر
البدر طلعتها والمسك نكهتها
والغصن قامتها ما مثلها بشر

وصاح الرجل على الدلال ، فحضر بين يديه ، فقال له : خذ هذه الجارية وناد عليها في السوق . فأخذها الدلال وأجلسها على كرسي ، ثم قال للتجار منادياً : كم تدفعون في درة الغواص وظبية القناص ؟ قال واحد : مائة دينار وقال آخر : مائتين ، وقال ثالث : ثلثمائة وجعل التجار يزيدون حتى وصل ثمنها الى تسعمائة وخمسين دينارا . قال الدلال لسيدها الأعجم : هل تبيع ؟ قال :

- اني أحب مراعاة خاطرها ، لأنها خدمتني أحسن خدمة ، فحلفت أن لا أبيعها الا لمن تشتهي وتريد ، وجعلت اختيار من يشتريها بيدها ، فشاورها في الأمر .

وهنا يقف القصاص وقفة فنية رائعة ، اذ يجعل الدلال يدور بالجارية على أنواع من الناس تقول فيهم شعرا ظريفا دقيق الوصف لكل من أرادها وهي ترفضه .

قالت عن شيخ كبير السن أبياتا خجل منها ، ولهذا تتجاوزه الى غيره ، ثم ذهب الى رجل كبير آخر ، فقالت للدلال : هل أنت مجنون أو مصاب في عقلك ، حتى تطوف بي على شيخ بعد شيخ ، وكلاهما آيل للسقوط ؟ أما سمعت قول الشاعر :

قالوا بياض الشيب نور ساطع
يكسو الوجوه مهابة وضياء
حتى بدا وخط المشيب بمفرقي
فوددت أن لا أعدم الظلماء
لو أن لحية من يشيب صحيفة
لمعاده ما اختارها بيضاء

ثم عرضها على ثالث فنظرت اليه وقالت : يا أنحس الدلالين ، أتعرضني على رجل فيه ثلاثة عيوب ، الأول أنه قصير ، والثاني أنفه كبير ، والثالث أن لحيته طويله ، كما قال الشاعر :

ما رأينا ولا سمعنا بشخص
مثل هذا بين الخلائق أجمع
فله لحية ذراع وأنف
طول شبر وقامة طول أصبع

فغضب الرجل وقال للدلال :

يا أنحس الدلالين ، كيف تأتي الينا بجارية توبخنا وتهجونا واحدا بعد واحد ؟أخذها الدلال وهو يقول لها :

طول عمري أعمل في هذه الصناعةوما رأيت جارية أقل أدبا منك ولا أنحس على من تجمك ، فقد قطعت رزقي وما ربحت منك شيئا ، ثم وقف بها على تاجر صاحب مال وعبيد ، وقال لها : أتباعين لهذا التاجر ؟ فنظرت اليه فوجدته أحدب ، فقالت : انه أحدب قال فيه الشاعر :

قصرت مناكبه وطال فقاره
فحكاه شيطان يصادف كوكبا
وكأنه قد ذاق أول مرة
وأحس ثانية فصار محدبا

وأصل هذين البيتين لابن الرومي غير فيها القصاص ،

وكثيرا ما يفعل في أشعار أخرى لمناسبة الحال ، والأصل هكذا :

قصرت أخادعه وطال قذاله
فكأنه متوقع أن يصفعا
وكأنه قد ذاق أول صفعة
وأحس ثانية لها فتجمعا

ومثل هذا صنع ببيتين لأبي العتاهية في الخليفة عند ولايته وذلك عندما تم شراء هذه الجارية لعلي نور الدين ، اذ قال له الدلال : تسلم جاريتك ، الله يجعلها مباركة عليك وأنشد البيتين :

أتته السعادة منقادة
اليه تجرجر أذيالها
فلم تك تصلح الا له
ولم يك يصلح الا لها

غير كلمتين في البيت الأول ، فقال : « السعادة » بدل «الخلافة» و«تجرجر» بدل « تجرر » . وبهذه المناسبة أذكر أن الشاعر المرحوم عبد الوهاب البياتي كان قد نشر قصيدة في مجلة « الرسالة » وفيها كلمة « تجرجر » فأخذها عليه بعض المعقبين ذاهبا الى أنها غير موجودة في اللغة وأن الصواب أن يقول « يجرر » وهو تشدد في اللغة أكثر من اللازم .

ونعود الى تمرير الدلال للجارية وعرضها على من يريد أن يشتريها ، فلا يعجبها فتهجوه بشعر. رفضت رجلا « أعمش » وقالت فيه :

رمد أمراضه
زهدت قواه لحينه
يا قوم قوموا فانظروا
هذا القذا في عينه

ورفضت رجلا طويل اللحية قائلة للدلال : أما سمعت ما يقول من أن من طالت لحيته قصر عقله ؟ كما قال الشاعر :

ما رجل طالت له لحية
فزادت اللحية في هيبته
الا وما ينقص من عقله
يكون طولا ذا في لحيته

لما رأت الشاب الجميل

فلما رأت الشاب الجميل علي نور الدين مال اليه قلبها ، فقالت للدلال هذا الشاب الجالس بين التجار وعليه « الفرجية الجوخ » أما زاد في ثمني شيئا ؟

يا سيدة الملاح ، هذا شاب غريب مصري (قاهري)ووالده من أكابر التجار بمصر (القاهرة)وله الفضل على كثير من التجار والأكابر ، وهو هنا في الاسكندرية من مدة يسيرة ، مقيم عند رجل من أصحاب أبيه ، ولم يتكلم فيك بزيادة ولا نقصان . نزعت من أصبعها خاتم ياقوت وقالت للدلال :

أوصلني عند هذا الشاب ، فان اشتراني كان هذا الخاتم لك .

فرح الدلال وتوجه بها الى علي نور الدين . نظرت الى الشاب وقالت له : يا سيدي بالله عليك أما أنا مليحة ؟

ياسيدة الملاح هل في الدنيا أحسن منك ؟

رأيت التجار يزيدون في ثمني ، وأنت ما تكلمت بشيء ، كأني لا أعجبك . استحى من كلامها وقال للدلال :

ـ كم بلغ ثمنها ؟

تسعمائة وخمسين دينارا .

ـ خلها علي بألف دينار .

أسرعت الجارية تقول :

ـ بعت نفسي لهذا الشاب ..

وأنشد الدلال بيتي أبي العتاهية مع التغيير السابق بيانه .

اسم الجارية « مريم » وقد يكون أصله « ماري » فهي رومية الأصل . ولها مع علي نور الدين حكاية غريبة نرجئها الى المقال التالي .

بقي أن أقول :

ان صنيع القصاص في عرض ما قالته الجارية من شعر في وصف من عرضت عليهم من أنماط الناس ـ ولو ذكر في كتاب أدب لكان أدبا تقريريا ، ولكنه هنا في سياق قصصي لا ابالغ اذا قلت بأنه معجز . . . ○

عباس خضر





قصة امرأة عظيمة من حيدر أباد

بقلم : منير نصيف

كل شيء في البيت القديم أصبح ذكرى .. الصور المعلقة على الحائط .. السجاد المهترىء الذي يغطى أرض الغرفة .. المصباح الكهربائى القديم الذي يتوسط المائدة الصغيرة بلا اضاءة .. لعل أشعة الشمس التى تسللت فى رفق من خلال النافذة الصغيرة المطلة على الحديقة هى الشيء الوحيد الذى بقى على ما هو عليه .. قوية مليئة بالحياة ، لم يفعل بها الزمن ما فعله بكل شيء حولنا ! كانت خيوطها الصفراء الدافئة تملأ المكان .

قال صديقي الهندى ناظر المدرسة ونحن نجلس على المقاعد المتهالكة ، والهنود يهوون الفلسفة ، وهم يفلسفون كل شيء ، قال : « ألا ترى أننا وحدنا الذين وقفنا عند الباب الخارجى نطلب الاذن بالدخول .. انظر الى هذه الشمس التى تغرق المكان ، إنها ليست في حاجة الى دعوة للدخول فهى تدخل من كل ثغرة ، من كل نافذة وكأنها على موعد مع صاحب البيت ! »

وسمعنا صوتا ضعيفا يدعونا الى الجلوس : « أرجوكم أن تعتبروا البيت بيتكم .. سأكون معكم بعد لحظات ! » وكنا قد جلسنا بالفعل ، وقلت لصاحبي : « هل تعيش وحدها ؟ »

وقال : « نعم ، فهى لم تتزوج ، وقد رحل والداها قبل أن تكمل عامها الرابع والعشرين وكانت وحيدتهما ، ولكنها أبدا لم تعرف الوحدة منذ ذلك اليوم الذي عرفت فيه اصدقاءها الصغار فى المدرسة التى ظلت تنقل فيها ما حوته ذاكرتها الى العقول الصغيرة الناشئة .. فقد اختارت التدريس وقضت أكثر من ثلاثين عاما مع أطفالها ، ووقفت ترقبهم وهم يكبرون ، ثم يمضون في الطريق .. نفس الطريق الذي سارت هى فيه قبلهم .. الى الجامعة !

ـ والآن .. ماذا تفعل ؟

ـ لقد أحيلت الى التقاعد .. ولأول مرة بدأت تشعر بالوحدة بعد حياة حافلة امتلأت بالعمل .. كانت مفاجأة عندما تلقت خطاب احالتها الى التقاعد ، فهى قد بلغت

عامها الخامس والخمسين ، وكان سن التقاعد في الثامنة والخمسين ولكن الدولة قررت أن تخفضه ثلاث سنوات لتفسح المجال للعناصر الشابة . لم تكن وحدها التي فوجئت بهذا القرار .. ولكنني لا أدري لماذا أحسست عندما لقيتها في نهاية العام الدراسي الماضي . آخر عام لها في المدرسة ، أنها قد أصبحت أتعس انسانة في الدنيا ، حتى خيل الي أنها لم تعرفني رغم أنها وقفت تبادلني التحية وأنا أشد على يدها .. وقد كنت من أقرب الناس الى أسرتها ، حتى بعد أن رفضت يدي التي مددتها اليها عارضا عليها الزواج ، أكثر من مرة وفي أكثر من مناسبة ! كانت تبدو يومها كما لو كانت قد فقدت أجمل شيء في الحياة ، فقد كانت تعبد عملها ، وتحب أبناءها الصغار وتكره أن تفترق عنهم لحظة واحدة .. كانت تقول لي ان الحياة عندها تبدأ مع الشروق وتنتهي عندما يغوص قرص الشمس في الأفق البعيد .. ومع البداية والنهاية كنت كلما لقيتها وجدت دائما امرأة جديدة ! امرأة تمتلىء حيوية وشبابا حتى بعد أن جاوزت الخمسين .. قد تدهش لو قلت لك انني ما زلت أحبها ..

وأراد صاحبي أن يسترسل ، ولكنها كانت في هذه اللحظة قد خرجت من غرفتها لترحب بنا .. وقدمني صاحبي اليها ، وقالت : « أهلا بكم في بلدكم . نعم أنا أسمع وأقرأ كثيرا عن الكويت . في العام الماضي فقط وبعد أن أحالوني الى التقاعد ، سافرت لأداء فريضة الحج .. أعلم أنني تأخرت ولكن أولادي كانوا يأخذون كل وقتي .. حتى في عطلة الصيف »

وتطلعت الى وجهها الأسمر .. ولمست مسحة من الحزن تكسو ملامحها الدقيقة،كانت تتحدث الانجليزية بطلاقة .. وكانت تختار الكلمات قبل أن تخرج من شفتيها ، وكأنها تلقي قصيدة شعرية . كانت ترتدي « الساري » الذي تلف فيه نساء الهند أجسامهن ، لكن في وقار وحشمة فلم تسمح لأي جزء من جسمها أن يظهر عاريا .. وجلست أمامنا تحدثنا في صوت هادىء خجول ، وكانت تبتسم كلما اقترب حديثها عن حياتها مع الأطفال الصغار الذين أعطتهم كل وقتها وحبها في المدرسة التي عملت بها لأكثر من ثلاثين عاما .

قالت تسألني : « ما الذي جاء بك إلى الهند ، وإلى حيدر أباد بالذات ؟ » قلت : « أسباب كثيرة من بينها هذا الاحساس القوي بأنكم هنا في هذه المدينة وفي غيرها من مدن الهند ، تسمعون صوتنا ـ نحن العرب ـ في كل مرة وقفنا نطالب بحقنا المشروع .. حق شعب في الحياة والوجود . بل وأكثر من ذلك ، لقد كان صدى الصوت يدوي عاليا عندكم وتخرج المسيرات في الشوارع تأييدا لقضية فلسطين .. قضية كل العرب .

قالت : هذا واجب كل أخ مسلم نحو أخيه المسلم .

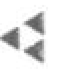
قلت : حدثينا عن نفسك .. ماذا تفعلين الآن .. ؟ كيف تقضين وقتك !؟

وانطلقت تحكي وتحكي في هدوء حافل بالذكريات وبالمعاني الكبيرة للحياة التي عاشتها وتعيشها بعد أن اقتربت من خريف العمر ..

قالت « زهرة » وهذا اسمها : « قصتي يا أخي هي قصة الحياة ذاتها .. العمر يجري والحياة تمضي والناس يأتون ويذهبون ، ويأتي بعدهم كثيرون ، ثم لا يلبث أن يذهب هؤلاء أيضا ليفسحوا المجال للأجيال الشابة القادمة من بعدهم .. الذكرى الحلوة التي يتركها الناس والنفوس الوفية التي تحفظ هذه الذكرى هي الشيء الوحيد الباقي أبدا .

« لم اكن أختلف عن أية امرأة أخرى من النساء اللواتي وهبن حياتهن لأنبل مهنة .. تعليم النشء . كنت أعرف رسالتي في الحياة .. وكنت أعرف هدفي ، ولم أخطيء هذا الهدف مرة واحدة في حياتي .

« قد تدهش إذا قلت لك إنني لا أذكر بالضبط كم مضى علي من السنين وأنا اقوم بتأدية عملي ؟ فهو لم يكن عملا بالنسبة لي .. كان حياتي كلها .. لقد كانت رحلتي معه



طويلة ، ولكنها تبدو لي اليوم كما لو كانت قد بدأت بالأمس القريب .. لقد مر الزمن سريعا .. سريعا جدا نسيت معه كل شيء حتى نفسي .. كانت صورة أبنائي في المدرسة هي الشيء الوحيد الذي يملأ مخيلتي ، كلما ابتعدت عنهم في نهاية اليوم الدراسي .. حتى عندما تقدم هذا الرجل الطيب - وأشارت الى صاحبي - يطلب يدي ، قلت لا .. إنني لا أنوي الزواج ، فأنا لا أريد أن يشغلني عن أبنائي أي شيء او أي انسان ، حتى لو كان زوجي ! » .

ونظرت إليه ، ورأيت عينيه تغرورقان بالدموع !

هي أيضا ، رفعت منديلها تجفف به دمعة سالت على خدها ..

ومضت تحكي قصتها : « لن أنسى صباح ذلك اليوم الدافىء من أيام الصيف الماضي والعام الدراسي يوشك على الانتهاء .. كنت اجلس في غرفتي مع زميلاتي المدرسات في المدرسة ، ومن وراء زجاج النافذة رحت أتطلع إلى تلك المجموعات من التلاميذ الصغار والكبار وهم يروحون ويجيئون في فناء المدرسة وقد حملوا كتبهم في أيديهم وراحوا يستعيدون ما استذكروه .. فقد اقترب موعد الامتحان .. كل هؤلاء كانوا بالأمس أطفالا .. كلهم كانوا تلاميذي وأبنائي .. وكنت أرقبهم وهم يكبرون وأحفظ أسماءهم .. هم أيضا كانوا يذكرونني ، وكم من مرة جاءوا إلى حاملين « مشاكلهم ومتاعبهم » مع الحياة ! فأستمع إليهم باهتمام حتى إذا ما انتهوا ضحكت ، وضحكوا معي .. وانتهت المشاكل ! » .

وتوقفت عن الحديث برهة .. فهي لم تضحك في هذه اللحظة عندما وصلت إلى هذا الجزء من حديثها عن تلاميذها وأبنائها .. لقد كانت تبكي !

وعادت تجفف دموعها بمنديلها وتعتذر .. ثم ابتسمت ابتسامة رقيقة ومضت تكمل ذكرياتها : « ودق جرس المدرسة معلنا بداية الحصة الأولى ، وتركت الغرفة متثاقلة على غير عادتي .. ومشيت في اتجاه الفصل الذي سألتقي فيه بتلاميذي .. كنت أجر قدمي جرا ، فقد كنت أعلم أن هذا هو آخر يوم لي في المدرسة التي قضيت فيها كل سنوات شبابي .. اليوم سوف أترك تلاميذي .. وسأفترق عنهم .. لقد وصلت رحلتي إلى خاتمتها .. كانت رحلة طويلة ، ولكنها كانت ألذ وأمتع رحلة في حياتي .. فهي رحلة العمر كله

«واقتربت من الفصل الذي اعتدت أن أدخله في هذه الساعة كل يوم .. ودخلت .. ووقف التلاميذ الصغار يؤدون تحية الصباح .. ودعوتهم إلى الجلوس ، لكن عيونهم بقيت تلاحقني وترقب كل حركة آتي بها .. كانوا هم أيضا يعلمون أنني ، إنما جئت اليوم لأودعهم ..

« ووجدت نفسي أقف أمامهم ساكتة لا أتكلم .. ماذا أقول ؟ هل أقول لهم إن هذه هي « حصة الوداع » ، وأن هذه هي آخر لحظاتي أقضيها معهم قبل وصول المعلمة الجديدة ، التي ستحل محلي .. إنهم يعرفون ، لكنهم كانوا يريدون أن يسمعوا الخبر مني ، وكأنهم كانوا يتوقعون أن أقول لهم شيئا آخر .. من يدري ، فربما « أغير رأيي » وأبقى معهم ! وراحوا يتأملونني في دهشة .. أنهم لم يعهدوا مني هذا السكوت .. »

ومضت « زهرة » تكمل قصتها : « كنت أعلم أن المعلمة الجديدة ستصل بين لحظة وأخرى لتتسلم عملها الجديد مني .. ولم أكف عن التطلع الى باب الفصل .. وأخيرا جاءت .. سمعنا طرقا رقيقا ، ثم فتح الباب واتجهت إليها استقبلها .. كانت فتاة حسناء تخرجت لتوها في الجامعة ، ورأيت فيها شبابي .. ومددت اليها يدي أصافحها ثم دعوتها للدخول ، ولا أعرف ماذا حدث لي في تلك اللحظة .. كان المفروض أن أقدمها لتلاميذي وأبنائي الصغار ، ولكن الكلمات تعثرت على لساني .. وأحست المعلمة الجديدة بما كان يعتمل في داخلي في تلك اللحظة ، فقالت : « لقد جئت اليوم للقائكم ، وانا سعيدة بكم ! » ويبدو ان كلماتها شجعتني على أن أقول ما كنت أريد أن أقوله لأبنائي : « انها سيدة لطيفة رقيقة كما ترون .. إنها معلمتكم الجديدة وانا واثقة أنكم سوف تحبونها كما كنتم تحبونني ! »

وتوقفت « زهرة عن الحديث لتمسح الدموع التي كانت قد ملأت عينيها .. كانت بادية التأثر وهي تستعيد ذكرى تلك اللحظات التي ستبقى معها دائما : « وترك التلاميذ مقاعدهم .. نسوا النظام الذي علمتهم إياه ، وتجمعوا حولي .. راحوا يمسكون بيدي وثوبي وكأنهم يتوسلون إلي ألا أتركهم ، وملت برأسي ورحت أقبلهم ، الواحد بعد الآخر .. وكنت أبكي فسارعت بترك الفصل وأغلقت الباب ورائي ، حتى لا يرى الأطفال دموعي ! وعاد الصغار إلى مقاعدهم - ووقفت المعلمة الجديدة تغني لهم .. وبعد دقائق قصيرة كان تلاميذها الصغار يرددون معها النشيد » ..

لكنهم لم ينسوها .. لم ينسوا صديقتهم التي عرفوها وأحبوها .. وفي مساء ذلك اليوم وعقب انتهاء اليوم الدراسي ، كانوا كلهم عندها في البيت !

وأقامت المدرسة حفلا لتكريمها بمناسبة تقاعدها وتركها للمهنة التي اعطتها كل حياتها ولكنها لم تحضر الحفل .. وبحثوا عنها ، ولكنهم لم يجدوها ، فقد أشفقت على نفسها من ألم الفراق ، عرفت أنها لن تحتمل رؤية أبنائها وهم ينشدون لها أنشودة الوداع ، فآثرت أن تبتعد !



قالت زهرة : « تركت البيت الذي عشت بين جدرانه كل هذه الاعوام الطويلة وتركت المدينة التي عرفت أهلها وعرفوني ، وجمعت كتبي وأوراقي وذكرياتي وذهبت لأعيش في الريف .. في ضاحية صغيرة لا تبعد كثيرا عن المكان الذي ألفته وأحببته ، وتصورت أنني اختفيت من حياة أبنائي إلى الأبد .. ثم كانت المفاجأة عندما صحوت يوما في ساعة مبكرة من الصباح على صوت صخب وضجيج أمام باب البيت .. وفتحت النافذة ، ووجدتهم .. وجدت أبنائي الصغار والكبار بوجوههم الحلوة وابتساماتهم التي لم تفارق مخيلتي لحظة واحدة طوال الفترة التي غبت عنهم فيها .. وخرجت أرحب بهم وأمد ذراعي أحتضنهم وأدعوهم إلى الدخول .. كانت فرحتي بهم لا توصف وأنا جالسة بينهم أحدثهم ويحدثونني .. ثم يرجونني ويلحون في الرجاء أن أعود معهم إلى بيتي في المدينة .. البيت الذي عرفوه وأحبوه .

« وعدت معهم .. ولم تعد الذكريات مجرد صور صماء لا تتكلم ـ أعلقها على الحائط ـ لقد أصبحت ذكرياتي حية ، فلم يكن هذا اللقاء بتلاميذي هو الأول والأخير .. لقد كان بداية للقاءات كثيرة كل أسبوع .. في كل مرة كنت أستقبل وجوها جديدة غير تلك التي جاءت تزورني بالأمس .. كانوا كلهم أبنائي وتلاميذي » .

وتركت مقعدها ، واتجهت إلى صورة قريبة كانت معلقة فوق رأسي تماما .. وقالت : « هذه صورتي مع تلاميذي الصغار في أول عام دراسي منذ ثلاثين عاما ! » .

ثم دارت حول نفسها واتجهت إلى الحائط المقابل ووقفت تتطلع إلى صورة أخرى ، ووقفنا نحن على مقربة منها ـ صديقي ناظر المدرسة وأنا ـ ، ورحنا ننتظر ماذا ستقول ، وتكلمت : « وهذه صورتي مع تلاميذي في العام الماضي .. في نهاية رحلتي مع الحياة التي احببتها » .

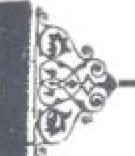
وفجأة سمعت صوت صديقي ناظر المدرسة .. إنها المرة الثانية التي تكلم فيها .. وكانت المرة الاولى عندما قدمني إلى زهرة .. قال : « ولكن رحلتك لم تنته ياصديقتي .. تعالي نكملها معا .. هل تقبليني زوجا لك .. إنني ما زلت أحبك يا زهرة ! » .

وأذهلتني المفاجأة .. هل يمكن أن يعيش حب كل هذه السنين ؟ ! سألت نفسي وأنا أتفرس في صاحبة هذا الوجه الهادىء الوقور .. ووجدتني أجيب على السؤال بيني وبين نفسي : « نعم » ، فهذه سيدة غير عادية .. كل تفاصيل قصتها الطويلة مع الحياة ، تلك التي حاولت أن أقدمها في هذه السطور القصيرة ، تقول إنها إنسانة رقيقة مرهفة الحس تحمل قلبا من ذهب !

وابتسمت « زهرة » وهي تستمع إلى كلمات صاحبي ، ولم ترد .. وفجأة سمعنا طرقا على الباب أعقبه صياح وضجيج .. وأسرعت إليهم وهي تكاد تقفز قفزا ، ودخلوا .. كانوا مجموعة من الفتيات والشبان الذين ربتهم وعلمتهم صغارا .. وقد جاءوا جميعا لزيارتها كما تعودوا أن يفعلوا في نهاية كل أسبوع .. وقالت زهرة وهي ترحب بهم ، موجهة كلامها إلى صاحبي : « نعم إن رحلتي لم تنته ، ما دام أبنائي يأتون الى حاملين كل هذا الحب والوفاء ! » .

وتركناها مع ذكرياتها الحلوة وذهبنا .. انها أبدا لم تشعر بالوحدة كما تصور صاحبي .. لقد بدت في هذه اللحظة أسعد امرأة في الدنيا ! ○

منير نصيف .



موسوعة العربي




تبين الخريطة موقع قناة جونجلي أو مجرى النيل الأبيض الجديد .


دولاب الحفارة قطره ٤٠ قدما ويحمل ١٢ طن .

أكبر قناة في العالم

يجرى العمل حاليا في مشروع قناة جونجلي في جنوب السودان .. ويؤكد المراقبون ان القناة المرتقبة ستكون أطول قناة في العالم (٢٢٠ ميلا) ، وان مشروع تنفيذها هو - بلا نزاع - أضخم مشاريع القارة الأفريقية كلها .

فهذا المشروع الذي تتولى تنفيذه مجموعة من الشركات الفرنسية المسماة اختصارا CCI يستخدم من المعدات والآلات الضخمة مالا يخطر ببال . ولعل « سارة » هي النجم الساطع بين تلك المعدات .. انها حفارة ألمانية تبلغ زنتها ٢٣٠٠ طن وارتفاعها يمثل ارتفاع بناية ذات ثمانية أدوار .. مهمتها شق الأرض وعزق التراب .. ويقدر مجموع ماستكون قد عزقته من هذا التراب في النهاية ٣,٤ الف مليون قدم مكعب ! وقد بلغ من ضخامة « سارة » هذه أنهم لم يتمكنوا من شحنها الى السودان الا بعد ان جزءوها (٧٤٢) جزءا .

والشركة المتعهدة محقة - ولا ريب - في الاعتماد على « سارة » وامثالها من الآلات . فهي ملتزمة باستكمال المشروع سنة ١٩٨٥ وقد باشرت العمل فيه في شهر يوليو سنة ١٩٨٠ وانجزت حتى الآن اكثر من نصفه . . أضف الى ذلك ان قناة جونجلي ستبلغ من الطول بالقدر الذي ذكرنا ومن العرض ١٧٠ قدما والعمق ١٥ قدما . . اما قيمة الالتزام الاجمالية فلاتزيد على ٢٦٠ مليون دولار . .

على ان القيمة التنموية لقناة جونجلي اضخم بكثير من قيمتها المادية . . وحسبك انها تستهدف تحويل النيل الأبيض عن منطقة المستنقعات الى منطقة أخرى صالحة للزراعة . . ذلك ان منطقة المستنقعات او السدود كما يسمونها ، لايرجى منها خير . . فالزراعة مستحيلة فيها نظرا لان تربتها رخوة بل تربة اوحال ولأنها ملأى بالاعشاب الضارة وقصب البابيروس البرى . . وتنتشر فيها الحشرات وتتفشى الأمراض . . ولعلها المنطقة الاولى

في العالم من حيث انتشار البعوض ، وقد بلغت فصائله في تلك المنطقة ٦٣ فصيلة ! ، ولو ذكرنا أن مساحة منطقة السدود هذه تتراوح بين ٧٠٠ - ٤٣٠٠ ميل مربع ، لأدركنا فداحة مشكلتها .. اما التراوح في مساحتها فسببه ان نهر النيل الأبيض يجرى فيها وأنه يفيض بين شهر مايو واكتوبر ، فيضاعف مساحة المنطقة ستة اضعاف .. ولايخفى أن جانبا كبيرا من مياه هذا النهر تتبخر أو تذهب هدرا في منطقة السدود تلك ... ان لم تعمل على تفاقم أضرارها .. فلو حول مجرى نهر النيل الابيض عن منطقة المستنقعات بحيث يجرى في منطقة اخرى قد تكون صالحة للزراعة ولاتحتاج الا الى مياه الرى لتجود بالمحاصيل والخيرات لكان ذلك في صالح السودان واهله ..

ولكن هذا هو بالضبط مايهدف اليه قناة جونجلي .. فهي تعمل على تحويل نهر النيل الابيض الى منطقة اخرى خصبة التربة ولاتقل مساحتها عن ٦٠٠,٠٠٠ فدان ، ولكنها عطشى ولم تزرع بسبب افتقارها الى الماء .. فالقناة اذن تضمن الرى لهذه المساحة الواسعة ،ولكنها تضمن شيئا آخر لعله أهم من اغراض الرى هذه .. فهي تضاعف كميات مياه النيل التي تصل الى شمال السودان والى جمهورية مصر العربية .. لتستغل في شتى الاعمال الزراعية والمشاريع .. وبذلك تكون مهمة القناة الجديدة ثلاث مهمات لامهمة واحدة .. الأولى انقاذ مياه النيل الابيض التي كانت تذهب بخرا أو هدرا في المستنقعات .. والثانية الافادة من بعض هذه المياه في استصلاح مساحات لايستهان بها في جنوب السودان ، والثالثة الافادة من بقية هذه المياه في شتى المشاريع التنموية في شمال السودان وفي مصر ايضا .

وتقدر مياه النيل الأبيض التي ستحولها القناة عن مجراها بحوالي ٣٠ ٪ من مجمل مياه النهر او مايعادل ٢ ,٥ ألف مليون جالون يوميا .

السحر والشعوذة .. وكبير أساقفة زامبيا

استدعى الفاتيكان كبير أساقفته في لوزاكا (عاصمة زامبيا) .. كان ذلك قبل نحو سنة وبقصد التحقيق مع المونسنيور امانويل ميلنجو واستجوابه .. ومازال كبير الأساقفة الافريقي قيد الضيافة الجبرية في أحد أديرة رومه حتى كتابة هذه السطور .. ومازال رهن التحقيق من قبل محكمة تشبه محاكم التفتيش الى حد كبير .

اما التهمة الموجهة الى المونسنيور فتهمة السحر والشعوذة .. واقامة الحفلات المريبة بحجة تطهير الافراد من الأرواح الشريرة التي تلبستهم ، وشفائهم من الامراض التي حلت بهم تبعا لذلك .. وهذه تصرفات ومعتقدات تتنافى وتعاليم الدين المسيحي ولايمكن ان تسكت عليها الكنيسة ..

يقول المونسنيور ميلنجو : منذ سنة ١٩٧٣ وأنا أقوم باعمال التطهير وطرد الارواح الشريرة .. لافي البلدان الافريقية فحسب ولكن في شتى البلدان الأوروبية والامريكية ايضا .. فالارواح الشريرة موجودة في كل مكان .. وقد تتقمص الانسان اينما كان .. في الولايات المتحدة او البرازيل او حتى في الفاتيكان .. فتسبب له مايعاني من أمراض ..

ويضيف كبير الأساقفة إلى ذلك قوله : « واعمال التطهير هذه تفترض قوة روحانية ، شبه خارقة في الذين يقومون بها .. كالقوة الروحانية التي تتمثل في القديسين الأوروبيين .. وانا اشعر بمثل هذه القوة تجرى في دمائي ... وتدفعني إلى مساعدة الآخرين بالقدر الذى أستطيع ... .

والغريب ان الكثيرين من الذين تلقوا تلك المساعدة كانوا من الأوروبيين ، وقد اقروا بفضل كبير الاساقفة الافريقي في شفائهم مما عانوا منه من عاهات وآفات . نذكر من هؤلاء الراهبة الامريكية ، الأخت رندال **Randall** التي كانت تشكو من كسور في العصعص .. وقد لجأت الى المونسنيور ميلنجو بعد ان عجز الأطباء عن معالجتها .. وتؤكد الأخت راندال على رؤوس الاشهاد ان كبير الاساقفة عالجها ونجح في شفائها .

ولعل ما قالته الراهبة الامريكية عما يجرى في حفلات التطهير تلك هو خير وصف لها .. تقول الراهبة : « يسمع المرء في تلك الحفلات أصواتا خافتة ولكنها مسموعة .. تفزعه وتشعره بأنها غيبية وآتية من العالم الآخر .. وهي الأصوات التي تحدثها الأرواح الشريرة .

ويأمر كبير الأساقفه تلك الأرواح بالخروج من ذلك الشخص المريض فتجيب الأرواح بأصواتها الغريبة :



كبير الاساقفة في إحدى جلساته .

(لن نتخلى عنه .. ولن نخرج من جسمه .. فاين نذهب .. لامأوى لنا الاهنا) .

« ويكرر الأسقف أوامره ... بجزم وحزم حتى تقفز تلك الارواح الشريرة وتخرج من جسم المريض الذى كانت فيه .. ولكنها كثيرا ماتخرج منه لتتقمص جسم شخص آخر .. وهي تضحك وتصرخ ساخرة .. وكثيرا مايرى الحاضرون تلك الأرواح وهي تسبح في الجو او تزحف على الارض كالثعابين » ..

والطريف أن كبير الأساقفة غالبا ما يتحدث الى مرضاه باللغة الانجليزية .. فيجيبه هؤلاء بالانجليزية ايضا ولكن بأصوات غير أصواتهم ..

بيد ان المونسنيور ميلنجو لايردد اية تعاويذ أورقيات افريقية .. وينفي بقوة تهمة السحر والشعوذة ، إذ يقول : أنا لست طبيبا ساحرا ولا مشعوذا ، ولو كنت كذلك لحوكمت وسجنت وفق القوانين المرعية في زامبيا .. فانا مسيحي مخلص وأحب كنيستي .... »

على ان المونسنيور ميلنجو يعترف بتأثره بالتراث الافريقي والمعتقدات الدينية (An imism) التي تذهب الى ان لكل شيء في هذا الكون روحا تسكنه وتتقمصه .. ويؤكد ضرورة تكيف الكنيسة الكاثوليكية مع ذلك التراث وتلك المعتقدات بقدر الامكان ..

ولعل هذه الآراء هي التي تبعث على حيرة الفاتيكان ازاء كبير أساقفة زامبيا الذى استدعته في شهر مايو سنة ١٩٨٢ ولم تستطع البت في قضيته حتى الآن . اضف الى ذلك مناصرة الاغلبية الساحقة من الاساقفه الافريقيين للمونسنيور ميلنجو .. وقد رفعوا الى الفاتيكان في نوفمبر الماضي مذكرة يعبرون فيها عن تعاطفهم مع المونسنيور ميلنجو .. ولعل الباعث على الصاق التهمة التي الصقت به هو الغيرة التي شعربها بعض الاساقفة البيض العاملين في زامبيا ..

بقي أن نذكر أن امانويل ميلنجو يبلغ من العمر ٥٢ عاما، وقد ولد مسيحيا كاثوليكيا ، ونصب كبير اساقفة زامبيا سنة ١٩٦٩ اثناء الزيارة التي قام بها البابا بولس السادس لافريقيا .. ومما يذكر عنه انه على ثقافة دينية واسعة ، وقد درس اللاهوت في المدرسة اليسوعية في روما وفي دبلن بعد ذلك .

التفاحة هل سقطت حقا على رأس نيوتن ؟

● قصة نيوتن والتفاحة قصة مطعون في صحتها ، والمرجح انها مختلقة ولا اساس لها من الصحة .. فالسير اسحق نيوتن لم يرو تلك القصة في اى من كتبه او مقالاته . وقل مثل ذلك في كتاب سيرة نيوتن الأوائل ، بمبرتون (Pamberton) و (ووستون whiston) وكولن ماكلورين Maclaurin . C .. فان احدا منهم لم يتعرض لقصة التفاحة ابدا لامن قريب ولا من بعيد .

ومع ذلك فقد راجت القصة حتى بلغت حد التواتر .. وحسبك ان الكتب المدرسية تسرد قصة التفاحة وكأنها حقيقة مسلم بها .. ترى لم كان ذلك ؟

لعل السبب الأول في انتشار قصة التفاحة هو طرافتها والفائدة المتوخاة منها . فمن شأنها ان تجعل الحديث عن جاذبية الأرض مشوقا وجذابا ، فتقربه من الاذهان ، وهو حديث علمي جاف أصلا !

أما السبب الثاني فهو فولتير .. الفيلسوف الفرنسي المعروف .. فقد روى هذا الكاتب الكبير قصة التفاحة في كتابه « مبادىء فلسفة نيوتن » .. ولو ذكرنا ان فولتيركان من المتحمسين لنيوتن الراغبين في شد قرائه اليه ، لأدركنا

مثلث برمود (١) بين الحقيقة والخيال

في اليوم الخامس من شهر ديسمبر سنة ١٩٤٥ أقلعت خمس طائرات حربية أمريكية من أحد مطارات ولاية فلوريدا .. وما كادت تلك الطائرات تعبر أجواء مثلث برمودا (انظر الخريطة) حتى اختفت جميعها ..

وانطلقت احدى طائرات النجدة .. القوية الضخمة للبحث عن قاذفات القنابل الخمس ، وكانت من طراز (أفنجر) واذا بطائرة النجدة العملاقة ، واسمها مارتن ماربنر تختفي هي الأخرى في ظروف مريبة ولأ سباب غامضة .. وأحجم سلاح الجو الامريكي عن ارسال طائرة نجدة ثانية واكتفى بما مني به من خسائر ..

ذلك هو المصير الذي لقيته كثرة من السفن والطائرات التي دخلت مجال مثلث برمودا .. والذي لم تنج منه حتى الغواصات النووية .. كالغواصة الرائدة « اسكوربيون » التي غاصت في اعماق مياه المثلث وبقيت غائصة .. حتى الان .. دون ان يعرف لغرقها سبب .. ولايتسع المجال هنا لتعداد احداث مثلث برمودا كلها ... فهي كثيرة جدا ، وقد بدأت الجهات المعنية حصرها منذ أواسط القرن الماضي حين اختفت السفينة الفرنسية (روزالي) فجأة ، وكأن شيئا لم يكن وذلك سنة ١٨٤٠ على وجه التحديد .

فالذي يهمنا هنا انما هو اعمال البحث والتفتيش التي كانت تتولاها هيئات دولية وحكومات مختلفة منذ سنوات والتي غالبا مافشلت حتى الآن في العثور على حطام الطائرات والسفن التي ابتلعها المثلث الخطير ..

من هنا كان الاهتمام البالغ باخبار الفريق الايطالي الذي نجح في مطلع هذه السنة في اكتشاف حطام الطائرة الامريكية التي اختفت في المثلث قبل اربع سنوات والتي كانت من نوع **super constellaton** .. فقد اقلعت تلك الطائرة من مطار ميامي عاصمة فلوريدا واخذت طريقها الى جزر العذارى .. ولدى وصولها منطقة المثلث انقطع اتصالها بالمطارات فجأة واختفت دون ان تطلب النجدة **distress call** . ومنذ ذلك الحين واعمال البحث عن تلك الطائرة على قدم وساق ، بلا طائل حتى تكللت جهود الغواصين الطليان بالنجاح .

اما الموقع الذي اكتشفوا فيه حطام الطائرة المختفية فيقع ضمن منطقة مثلث برمودا بالذات .. على بعد ٣٠ ميلا من سواحل بورتوريكو .. وعلى عمق في البحر لايزيد على ٥٥ قدما .

وقد حاول الغواصون الطليان دخول الطائرة الجاثمة على تراب القاع ولكنهم عجزوا عن فتح ابوابها نظرا للانبعاج الذي تعرض له هيكل الطائرة .. ويعتقد رئيس الفريق الايطالي واسمه بيبو كوبلانو أن جثث طاقم الطائرة مازالت داخل حجرة القيادة ..

ومما يذكر أن الجهة التي تنفق على أعمال هذا الفريق هي المجلة الايطالية الدورية ، موندو سومرسو **Mondo sommerso** ، وهي المجلة المختصة باعمال البحث والاستكشاف في أعماق البحار ..

مثلث برمودا



(١) كثرت رسائل القراء التي يستفسرون فيها عن مثلث برمودا . وكانت آخر تلك الرسائل رسالة الاخ السيد فيصل البلخي ، دمشق ، سوريا .

حرصه على ايراد قصة التفاحة حتى لولم يكن مقتنعا بصحتها .. أضف الى ذلك ان مرجع فولتير في هذه القصة لم يكن سوى امرأة عجوز كانت من اقرباء نيوتن الأبعدين .

ونأتي الآن الى السبب الثالث من اسباب انتشار قصة التفاحة .. فقد وردت في كتاب واحد من كتب سيرة نيوتن العديدة . والغريب ان هذا الكتاب ، الذي كتبه وليم ستوكلي ، كتب سنة ١٧٥٤ ولكنه لم ينشر الا بعد نحو قرنين من الزمن .. سنة ١٩٣٦ بالتحديد .. وقد زعم الكاتب انه سمع قصة التفاحة من نيوتن نفسه .. ولو كان هذا صحيحا لعجبنا لامتناع نيوتن عن ذكر تلك القصة لأي من اصدقائه ومعارفه الآخرين .. فضلا عن اغفالها كليا فيما كتب من كتب ومقالات كما أسلفنا .

هذا وقصة التفاحة قصة لطيفة ... تروي كيف كان نيوتن جالسا في الحديقة ، في أحد ايام صيف عام ١٦٦٥ ، وكيف سقطت التفاحة على رأسه فدفعه سقوطها الى التفكير في قوة جاذبية الأرض والى اكتشاف قوانين هذه الجاذبية .

بين التحرير والكتابة في الصحافة

بقلم : محمد خليفة التونسي

من أشيع الكلمات استعمالا في مجال الصحافة بيننا اليوم كلمة« التحرير » واخواتها في الاشتقاق للدلالة على الكتابة ، او على إصلاحها احيانا ، فيقال : هذا محرر ، وهذا مدير تحرير ، وهذا رئيس تحرير ، اذا كان المشرف العام على الصحيفة ، سواء كان مؤسسها او صاحبها أو لم يكن .

وقد كانت كلمة محرر وتحرير مستعملة عند اسلافنا ، وذلك قبل قيام الصحافة العربية في بلادنا بقدوم الحملة الفرنسية على مصر (١٧٩٨ - ١٨٠١ م) أو بإنشاء محمد علي باشا حاكم مصر صحيفة الوقائع المصرية سنة ١٨٢٨ بالتركية ثم بالعربية ، أو بانشاء الصحف الأهلية بعد ذلك في مصر وغيرها من بلادنا العربية .

ودليل هذا ورودها في تراثنا العربي قبل ذلك ، فالزمخشري (٤٦٧ - ٥٣٨ هـ) في معجمه « أساس البلاغة » يقول : حرر الكتاب حسنه ، وخلصه باقامة حروفه ، وإصلاح سقطه .

وابن منظور (٦٣٠ - ٧١١ هـ) في معجمه « لسان العرب » يقول « تحرير الكتابة : اقامة حروفها واصلاح السقط ، وتحرير الحساب : اثباته مستويا ، لاغلث فيه ولا سقط ولا محو . »

وتلاه الفيروزابادى (٧٢٩ - ٨٢٧ هـ) في معجمه « القاموس » فقال « تحرير الكتاب وغيره : تقويمه .»

ومن اجل هذا يشكل المعنى على بعض اللغويين المعاصرين فيرون ان كلمة « التحرير » ينبغي ان تنحصر دلالتها في « التصحيح » وحده ، وهذا خطأ منهم ، اذ فاتهم ان عمل « المصحح » في الصحيفة او الكتاب ونحوه لايتعدى تقويم الأخطاء اللغوية والاملائية ، وان التحرير في الصحيفة ، وغيرها ذو معنى أوسع كما سنبين .

ويظن هؤلاء المنكرون ان المشتغلين بالصحافة عدلوا عن كلمة « الكتابة » في الدلالة على عملهم ، واختاروا بدلا منها كلمة « التحرير » كما اختاروا كلمة محرر بدل « كاتب » ورئيس تحرير بدل « رئيس كتاب » لتوهمهم ان الكلمات التى اختاروها افخم واعظم ، وليس الأمر كما ظن هؤلاء المنكرون .

ولكلمة « التحرير » في لغتنا معان كثيرة تدور حول معنى عام هو اصلاح الشيء من كل خلل او نقص ، او تخليصه او تصفيته من شوائبه ، او اطلاقه من قيوده ، ومن ذلك « تحرير العبد » اي تخليصه من الرق . ومنه ماجاء في القرآن على لسان امرأة عمران « رب ، اني نذرت لك ما في بطني محررا » اي جعلته خالصا لعبادتك او الخدمة لك ، ومنه : « ابدأ بتحرير الميزان قبل الوزن به » اي اصلاحه او التثبت من صلاحه ، والا اوقع في الخطأ ، ومنه : « عليك بتحرير الخيط قبل استعماله » أي تخليصه من العقد والمشاكل او التثبت من ذلك .

وقديما ـ كما هي الحال اليوم ـ كان الكاتب في الأعمال الرسمية أو غيرها ، يكتب مايريد في أي موضوع ، وغالبا ما كان يراجع ما كتب ليستكمل نقصه ، ويصوب خطأه حتى ينتهي منه بصورة متقنة يرتضيها ، وكانت هذه المراجعة هي مايسمى « التحرير » وقد يراجع عمل غيره او يحرره على هذا النحو .

والقائم بالتحرير في الصحيفة انما يقوم بمثل هذا العمل : تأتي اليه الموضوعات على اختلاف انواعها ، فيفرزها ويستبعد مالا يليق منها ، أو ما لايتناسب مع موضوعات صحيفته ، أو مايزيد عن الحد الذي يراه فيحذف الزيادة ، وقد يحذف عبارة او كلمة ، وقد يستبدل بها سواها ، ويصلح أخطاءها من أي نوع ، وقد يعقب عليها بهامش أو نحوه . وهذا اوسع من عمل مصحح الصحيفة .

وكذلك يسير من يقوم على تحرير كتاب

والمحرر لمشروع ثقافي كمعجم أو دائرة معارف يخطط له بمحاولة الاحاطة بكل آفاقه ، ويختار له مواده وكتاب هذه المواد ومراجعيها ، ومصححيها وواضعي رسومها . وقد لايكتب القائم بتحرير الصحيفة أو الكتاب أو المعجم أو دائرة المعارف اي مادة فيها ، ولكنه يكتفي بالتوجيه والاشراف العام حتى ينتهي العمل .

فمهمة المحرر غير مهمة الكاتب وغير مهمة المصحح .

ومن واجب اللغويين ان يتثبتوا من المدلول وحدوده قبل ان يلتفتوا الى الالفاظ ودلالتها المعجمية ، وإلا وقعوا في الخطأ ، وأوقعوا غيرهم في الحيرة .

متعلق الظرف والجار والمجرور

أشرنا في الصفحة الماضية (العربي العدد ٢٩٣) الى ظروف الزمان وظروف المكان ، ومتى تنصب (او تفتح) ومتى يجب جرها بـ « في » ، ولم يتسع المجال هناك لملاحظة مهمة في متعلق الظروف فرأينا اضافتها هنا .

ان النحاة حيثما ذكروا الظرف اوجبوا له متعلقا : اما فعلا او مشتقا ، فان وجدوه في العبارة جعلوا الظرف متعلقا به ، مثل:جلست عند صديقي ، والصديق ساكن عندك ، او محترم عندك ، فان لم يجدوا فعلا أو مشتقا يتعلق به الظرف أسرعوا كعادتهم الى التأويلات الركيكة فقدروا متعلقا له : فعلا ، او مشتقا ، ومن العجيب هنا انهم ـ مع تقديرهم هذا المتعلق ـ ، يوجبون حذفه . وهذا حين يقع الظرف خبرا مثل : الكتاب عندك ، أو « كان الكتاب عندك » أو « إن الكتاب عندك » ، أو حين يقع صفة أو حالا ، مثل : « رأيت كتابا عندك » أو « رأيت الكتاب عندك » . فهم يقدرون هنا : استقر او مستقر او كائن .

فلماذا هذا التقدير ؟ وليس يشفع لهم فيه مثال واحد من كلام عربي فصيح ؟ أليس الأولى بهم ان يعدلوا القاعدة ولا يوجبوا متعلقا للظرف أو الجار والمجرور اذا لم يجدوا متعلقا له ، فاذا وقع موقع خبر جعلوه خبرا ، أو موقع حال أو صفة ، اعربوه حالا أو صفة .

ومثل هذه التأويلات الركيكة المتعسفة تزيد النحو تعقيدا ، والعقل بلبلة . وواجبنا ان نراجع أقوال أسلافنا بنظرة ناقدة ، لنميز فيها السليم من السقيم ، وألا نتلقى مقرراتهم او مسلماتهم بالتسليم مهما تكن ظاهرة الوجاهة ، وقد منحنا الله المدارك لاعمالها ، لا لاهمالها أو اراحتها ، فمن آثر الراحة فهو وشأنه ، ولكنه لاينبغي ان يلزم غيره بالتسليم معه لما يسلم به ، أو يلومه اذا رآه يجتهد باخلاص ، سواء أصاب او أخطأ ، فإن شغل المدارك بالاجتهاد في طلب الحقيقة ، أو طلب الصواب ـ خير من تركها معطلة ، فليس وراء تعطيلها الا موتها . ○

محاولات السعادة

= ١ =

مثل كل سنة
عندما يعلنون النهاية ثم البداية كل سنه
أتساءل في حيرة من أنا
عشت خمسين مثقلة بالهموم
جمعت فيها تشردت حوربت حاربت لكنها المسكنه
تلبدني كل عام بكل الغيوم
فياهل ترى من أنا
لأحمل هذا العذاب الثقيل
وليلي هذا الكليل

= ٢ =

قد كنت في المقهى
جاءت وسلمت ثم أدارت ظهرها
وغاب وجهها في دفتر صغير
وغبت بعد شهقة في كأسي الأخير
قلت لصاحبي ، لنترك المكان : فالمكان لم يعد يحملنا
قال : اصطبر لعلها تفيق من فجأة اللقاء !
أما ترى ركبتها ترقص بانتشاء
قلت تعاني إنها رقصة طائر قتيل
والتفتت ، ومن خلال الآس والنخيل
والهم في دمي له عويل
رأيت في عيونها وجهي الذي شاخ من انتظاري الطويل
أردت أن أقوم أن أضمها ، أحضنها بكل ما حملت من مرارة التهجير
لكن واحدا لا أدري من أين أتى
رش دمي بنظرة فاشتعل الحريق
بكل عرق فيّ حتى صرت لا أرى الطريق !



الذاكرة

شعر علي السبتي

= ٣ =

حبيبتي التي أخشى على اسمها حتى من الأشعار
أمس مررت حول دارنا تلك التي
نلعب عند بابها « الحجلة »
لمحت حرفين من اسمينا
على الذي بقى من الجدار
أردت أن أقبل الجدار أشرب الغبار
غير أنني في لحظة النشوة
سال دمي علي الجدار
ومن خلال الدم والفرح
ودمعي الذي انسفح
رأيت وجهك المكتظ بالأفكار
فبسته وصارت القبلة
تربط بين حرفينا على الجدار

= ٤ =

غدا يجيء عيد
أتذكرين ما نفعله حتى يجيء عيد
لا زلت أذكر الذي . . . . !
بالرغم من مرارة الخمسين
أتعرفين ما الذي . . . . ؟
يا وجع الخمسين !
آتيكم اليوم والخمسون ترعبني
بكل ما حملت من ماضي الزمن
كم ذا أعاني ولا صدر يهدهدني
إذا ادلهمت وليل الهم يأكلني
خمسون مرت وما متعت واحدة
كأنني لست في أهلي ولا وطني





الطائرة الخفيفة تحلق في الهواء مثل فراشة صغيرة ، بألوانها البديعة .

الطائرات الخفيفة جداً

آخر صيحة لدى هواة الطيران

واشنطون ـ اسامة صادق

بدأ ينتشر في الولايات المتحدة وأوروبا نوع جديد من الطائرات الصغيرة التي يطلق عليها اسم « الطائرات الخفيفة جدا » (ULTRALIGHTS) وأصبحت قيادة هذه الطائرات هواية شعبية رائجة تغطي على هواية قيادة الطائرات الشراعية وسباق السيارات وغيرها من الهوايات التي تبدأ في الانتشار بين الحين والآخر .

الطائرات الخفيفة لاتكاد أن تكون طائرات بالمعنى المفهوم ، فيما عدا أنها لها جناحان وذيل ، ويمكنها أن تطير في الهواء مثل أي طائرة أخرى . وهي أقرب ما تكون للفراشة ، اذا قورنت بالطائرات الأخرى التي نعرفها .

ووزنها لايزيد في العادة عن ١٩٠ رطلا ، أي ما يعادل وزن دراجة بخارية صغيرة . ومحركها لايزيد حجما أو قوة عن محرك الدراجة البخارية الصغيرة ، أما سرعتها فهي في العادة ٥٠ ميلا في الساعة . ويقول عنها مريدوها انها مثل « سيجار طائر » ، لخفتها ورشاقتها .

سئل أحد عشاق هذا النوع من الطائرات عن سبب ولعه بها ، فقال : « ما أمتع أن تطارد صقرا أو عصفورا في الهواء ، وأنت تجلس في هذا المقعد الطائر ، الذي يصدر عنه أزيز مثل أزيز المكنسة الكهربائية الصغيرة ، ويطير مثل الفراشة ! » وكثيرا ما يسمع مثل هذا الوصف الحالم من هواة هذا النوع من الطائرات في كل مكان .

مجرد مقعد وجناح !

ويقول هاو آخر : « ان التحليق في هذه الطائرة تجربة ممتعة ، لايمكن وصفها ، فأنت تحس بكل نسمة هواء من حولك تسري في عظامك . وتشعر أنك جزء من الطبيعة وند لهذه الطيور الصغيرة التي تحلق من حولك . »

وقد بلغ به الولع بطائرته مبلغه ، الى أنه طار بطائرته الخفيفة المسافة بين مدينة سان دييجو بولاية كاليفورنيا على



طيار يستعد للاقلاع من حقل صغير دون مطار أو ممر خاص .

الساحل الغربي للولايات المتحدة وبين مدينة نيويورك على الساحل الشرقي . استغرقت هذه الرحلة - التي يبلغ طولها ٧٤٤١ ميلا - ٥٣ يوما ، كان يحط فيها رحاله كلما حل المساء ، أو اشتد به الجوع ، فكان يهبط الى أقرب مطعم أو استراحة يلمحها بعينيه المجردتين . وقد تطورت هذه الطائرة من الطائرات الشراعية التي بدأت تنتشر في الستينيات عندما قرر هواة الطائرات العودة الى المحاولات الأولى للطيران ، قبل اختراع المحركات . ولكن الطائرات الشراعية الخفيفة كانت تحتاج الى مكان مرتفع ينزلق منه المغامرون في الهواء ، ويحلقون فترة قصيرة قبل أن تهبط بهم الريح الى الأرض . ولكن هذا النوع من الطائرات الشراعية يحتاج الى أماكن جبلية مرتفعة ، يمكن الصعود اليها قبل التحليق في الهواء . فماذا يفعل الهواة في المناطق السهلية المنبسطة ؟ . ويقول المتابعون لهذا النوع من الطائرات أن الهواة أعادوا اختراع « العجلة » و « الجناح » اللذين كان الانسان قد اخترعهما منذ زمن طويل . وباضافة العجلات والأجنحة الخفيفة الى هذا النوع المبسط من الطائرات الشراعية ، تمكن الهواة في السهول والوديان من التحليق في الهواء ، دون حاجة للصعود الى أماكن مرتفعة . والطائرات الخفيفة لاتحتاج في اقلاعها أو هبوطها الا لمساحة صغيرة لايزيد طولها عن مائة قدم .

والطائرات الخفيفة ليس لها جسم مثل جسم الطائرة العادية ، فكل ما هناك مقعد صغير في مقدمتها يربطه بالجناح أنابيب خفيفة الوزن من الألومنيوم . أما الجناح نفسه فهو مصنوع من نوع خفيف من القماش أو « المشمع » غير السميك .

والمحرك الصغير معلق مثل خفاش صغير في وسط الجناح ، أعلى مقعد الطيار مباشرة . وهو محرك مروحي صغير ، له « سلندران » ، مثل محرك الموتوسيكل ، وأطرف ما فيه خزان الوقود ، الذي يتسع لقدر بسيط من الوقود العادي ، مثل البنزين المستخدم في ادارة السيارات . ويخلط الوقود بمحلول كيماوي خاص ، لمنع تجمده في طبقات الجو العليا حيث تنخفض درجة الحرارة .

أما التحكم في اتجاه الطائرة وحركتها فيتم عن طريقين : اما التحكم في جسم الطيار نفسه ، بالميل الى الأمام أو الخلف أو الى اليمين واليسار ، واما عن طريق « مقابض » يدوية صغيرة ، يتحكم الطيار بواسطتها في زعانف الطائرة الموجودة بالجناح والذيل .

وتستطيع الطائرات الخفيفة أن تحلق على ارتفاع يتراوح ما بين ٥٠٠ و ١٠٠٠ قدم (٣٠٤,٥ مترا) . وقد حقق طيار انجليزي رقما قياسيا عندما حلق بهذه الطائرة على ارتفاع يزيد عن ١٦ ألف قدم .



طائرة تدريب خفيفة بمقعدين للمدرب والمتدرب ، ويرى المحرك الصغير مثبتا تحت الجناح .

ما أفسدته التكنولوجيا

وهذه الطائرات تشبه طائرة اخوان رايت ، وهي أول طائرة تحلق في الهواء عام ١٩٠٣ . ويقول أحد الهواة الأمريكيين عن الطائرات الخفيفة : إنها محاولة لاصلاح ما أفسدته التكنولوجيا الحديثة بالنسبة لمتعة الطيران ، بعيدا عن التعقيدات الاليكترونية والهندسية التي أدخلت على الطائرات الحديثة . ويضيف قائلا ان الطائرات الخفيفة حققت حلم « الكثير من البشر الذين ظلوا يحلمون بالتحليق في الهواء ، خارج كابينة الطائرات الحديثة التي يتولى الكمبيوتر ادارتها .

والتحليق في الهواء ليس المتعة الوحيدة لهواة هذا النوع الجديد من الطائرات ، فلها مزايا اقتصادية كثيرة أيضا . اذ أن ثمنها يكاد أن يعادل ثمن سيارة من السيارات العادية غير المكلفة . ويتراوح سعرها حاليا في الأسواق الأمريكية والأوربية بين ثلاثة آلاف وستة آلاف دولار . أما تكاليف تشغيلها في الساعة فلا تزيد عن دولارين ، أي أرخص من تكاليف السيارات العادية .

وبالرغم من أن الهدف الرئيسي وراء اختراع هذه الطائرة وتطويرها كان العودة بالطيران الى بداياته الأولى ، والاستمتاع بالهواء الطلق والطبيعة ، فقد أصبحت هذه الطائرات الخفيفة محل اهتمام خاص للخبراء في الشئون الدفاعية والعسكرية . ويبحث الخبراء العسكريون الأمريكيون والغربيون حاليا امكانيات استخدام هذه الطائرات الخفيفة في الأغراض العسكرية .

كما بدأت بعض الشركات المصنعة لهذه الطائرات نفسها في الاهتمام بالفكرة ، لا للتخلي عن هواة هذا النوع من الطائرات ، وانما بحثا عن الربح . ويقول المسئولون في شركة « ايير فورمانس » ، احدى الشركات التي تنتج هذا النوع من الطائرات ، انهم صمموا طائرة من هذا النوع لتلبي احتياجات الأسلحة المحمولة جوًا ، مثل التجسس الجوي والاتصالات العسكرية ، وبعض الأغراض الأخرى . كما يستخدم هذا النوع من الطائرات حاليا بعض ادارات الشرطة في ولايتي فلوريدا وكاليفورنيا لاستخدامها في مطاردة المجرمين الهاربين ، نظرا لقدرة هذه الطائرة على التحليق على ارتفاع منخفض جدا .

انها حكاية الصراع التقليدي بين ملكة الاختراع وحب الاستطلاع عند البشر ، وبين تحويل ما تنتجه يد الانسان الى أسلحة للدمار والفتك . ○



الذبحة الصدرية

س ١ : شعرت بآلام في منطقة الصدر نقلت على اثرها الى المستشفى . وبعد الفحص ، قال لي الطبيب ان ما عانيته من الم كان بسبب ذبحة صدرية .. لذا ، ارجو ان اقرأ شيئا عن الذبحة الصدرية في « العربي » .

« الذبحة الصدرية » تعبير يشير الى حدوث الالم الشديد داخل القفص الصدري . والحقيقه انه ليس مرضا في حد ذاته بقدر ما هو وصف لحالة الالم الشديد التي يسببها مرض آخر في القلب ، لذلك سموها « ذبحة » تعبيرا عن شدة الالم . والمعروف ان القلب عضله وكل عضله يمكن ان يصدر عنها الالم عند بذل مجهود اذا كانت هي مصابه بمرض يعقيها عن القيام بهذا المجهود ، أو اذا لم يصلها الهواء والغذاء الكافيان لاداء هذا المجهود ، ذلك ان النتيجة الحتمية لحدوث اي مجهود عضلي هو انتاج بعض المواد التي يجب ان تغادر نسيج العضله كي تحل محلها مواد اخرى ، فان اي تأخير في هذه العمليه تجهد العضله نفسها في حاله عجز عن تنفيذ الاوامر الصادرة من الجهاز العصبي ، وهذا يسبب ألما شديدا . كذلك فإن المواد الناتجة عن المجهود هي أصلا مواد تستطيع أن تؤذي أنسجة العضلة»ورغم ان هذا يحدث في كل العضلات ، الا ان القلب عضله متميزة«فأهم مميزاتها انها تستمر في الحركه تحت كل الظروف ، ففي عضلات الساق مثلا يستطيع الانسان ان يوقف الحركه اذا حدث العجز في الهواء والغذاء ، اما عضله القلب فليس للانسان سيطرة عليها لهذا نجدها تستمر في العمل رغم حدوث العجز ، ولذلك نجد ان الشعور بالالم يستمر ويزداد . ولان اسباب حدوث العجز في الهواء«والغذاء متعددة ومتفاوته في الشدة ، فان اسباب آلام القلب متعددة ومتفاوته الخطورة ايضا ، لكنها كلها تتصل بالشريان التاجي وفروعه ، وهو الشريان الذي يورد الهواء والغذاء في سائل الدم الى انسجه العضله القلبيه ولذلك فان اي ضيق في مجرى الدم في الشريان التاجي او احد فروعه .

سيكون سببا في حدوث الالام القلبيه ، وكلما ازداد الضيق ازداد الالم وما يترتب عنه من خطورة . وعندما يحدث الالم بعد مجهود كبير لا اثناء المجهود العادي فهذا يعني ان القلب سليم ومعافى وقد قام بواجبه على النحو الكامل اثناء المجهود ولكنه يشد قدرا اكبر من الراحه ويحدث هذا لكل الاصحاء اذا بذلوا مجهودا غير عادي ولذلك فهي تسمى « الذبحه الكاذبه » ولا علاج لها غير الراحه ثم الابتعاد عن بذل مثل هذا القدر من المجهود .

إلا ان تقلصات في عضلات الشريان التاجي أو بعض فروعه قد تحدث بسبب البرد خصوصا بعد تناول وجبه دسمه وهذه التقلصات قد تسبب ضيقا في جوف الشريان أو تسبب ألما شديدا في القلب يستمر فترة اطول ولكن علاجه ايضا هو شرب أي شيء دافىء في حينه ثم الامتناع عن الاكلات الدسمه .

غير ان الضيق العضوي يحدث اما في جدار الشريان التاجي أو في جوفه . فالتصلب في الشرايين يحدث في الجدار بسبب ضيق في مجرى الدم للقلب ويزداد هذا الضيق بزيادة حاله القلق والتوتر

النفسي ، وتعاطي المشروبات الكحوليه ، والتدخين ، وعند حدوث اي مجهود ، وربما بلا مجهود ، فان الالم الشديد يبدأ في الصدر ويزداد وهو الم قاس يتولد عنه شعور باليأس القاتل ، ولا يزول هذا الالم الا بالعلاج المناسب في حينه . وهذا مرض خطير يجب الوقوف على اسبابه وعلاجه عند الطبيب . اما اذا حدث الضيق في جوف الشريان فهذا يمثل اخطر حالات الذبحه . ذلك لانه يكون بسبب جلطه قد انتقلت الى الشريان التاجي وسدت مجراه . وسينتج عنها اضرار بالغه بانسجه القلب اذ ربما يموت بعضها . وتتوقف حاله المريض على درجه الانسداد ولذلك فان المريض الذي يشكو لاول مرة من آلام القلب او الذبحه الصدريه يجب ان يلقى العنايه الكافيه حتى يمكن الطبيب من معرفه اي نوع السابقه كان سببا لهذا الالم . وحتى لا يكون ضحيه للسببين الآخرين وهما التصلب في الشرايين أو التجلط في جوف هذه الشرايين . اذ أن الفرق في العلاج والرعايه بين هذه الانواع كبير ويجب ان يحدده طبيب مختص .

النبض

س ٢ : لست ادري لماذا يلجأ الطبيب ـ في معظم الاحيان ـ الى معرفه نبض مريضه .. وهل هذه طريقه ناجحه لتشخيص الحاله المرضيه ؟

يجمع الاطباء ومن زمن بعيد على ان المعلومات عن نبض المريض ودرجه حرارته وضغط دمه وسرعة تنفسه من المعلومات الاساسية جدا لمعرفه حالة المريض بل ان النبض وحده قد يكفي عن كل المعلومات الاخرى التي يمكن ان يستقيها الطبيب من الادوات الالكترونيه والابحاث . وربما امكن الاستغناء عن هذه الادوات والابحاث ولكنه لا يمكن الاستغناء عن المعلومات التي نحصل عليها بمجرد ملامسه شريان المريض لمعرفة نبضه ذلك لانها وسيله سهلة وسريعة وغير مكلفه بالمرة بالاضافه للمعلومات الكثيرة التي تقدمها فورا للطبيب عن حالة مريضه .

وينشأ النبض من قوة دفع القلب للدم التي تسري في الشرايين كلها ، ولكن الاطباء قد تعلموا ان يتلمسوا النبض من مفصل الرسغ من الجهه الخارجيه ، ذلك لأن شريانا يمر من هناك ويمكن الضغط عليه مقابل الجزء الأسفل من عظمه الكعبرة وهي العظمة الخارجية من عظام الساعد . وتظهر الشرايين في اماكن اخرى من الجسد ويمكن قياس النبض من هذه الاماكن غير ان أفضلها وأسهلها على الطبيب ، وايسرها على المريض ، هو المكان الذي وصفته .

ويكشف تحس النبض عن احوال القلب بصفه خاصه والجسد بصفه عامه فعدد ضربات القلب يمكن عدها من فوق الرسغ واذا زادت أو قلت عن المتوسط الطبيعي ، وهو حوالي الثمانين ضربه في الدقيقه الواحدة فلا بد من التنبه لاخطار معينه . وربما يكون هذا العدد هو المتوسط الطبيعي الا ان الضربات لا تأتي منتظمه بمعنى ان الفترة الزمنيه بين ضربه وضربه لا تكون متساويه فقد يدق القلب في فترة معينه دقتين او اكثر بدل الدقه الواحدة ثم يتوقف عن الدق فترة او اكثر ورغم ان عدد الدقات في الدقيقة يبقى حول المعدل الا ان عدم الانتظام هو علامه اخطر من زيادة او نقص العدد عن المتوسط وقوة الضربة ذاتها يمكن تقسيمها عند قياس النبض ومقارنه قوة الضربة مع عدد الضربات . فالضربات الضعيفة مع العدد الذي يفوق المتوسط يعني ان المريض يغالب صدمه خطيرة يمكن ان تودي بحياته اذ لم يتلق الاسعاف السريع . وهكذا فالنبض اذن يعكس حاله القلب ، وهي اما نابعه من القلب نفسه ، اي ان المريض هناك ، او انها انعكاس لمشاكل الجسم على القلب ، ولكل من هذه الاحوال نمط خاص يظهر على النبض مباشرة

في العدد او الانتظام او القوة . ومن الامراض المزمنه ما يمكن الكشف عنه عن تحسس النبض . فتصلب الشرايين مرض يحسه الطبيب وهو يلامس الشريان تحت الجلد فمن طريق التحسس يستطيع الطبيب ان يكتشف بطريقه مباشرة ما يمكن ان تكشف عنه التحليلات ومن الامراض التي يمكن تشخيصها عن طريق تحسس النبض ، امراض الغدد الصماء ، وذلك قبل ان تظهر اعراضها في اماكن كثيرة من الجسد وقد بلغ من اهميه تحسس النبض عند الاطباء انهم يتحسسونه عند المريض وهو مستيقظ ثم وهو نائم او وهو مستلق ثم وهو قائم او من الذراع اليمنى ثم من الذراع اليسرى او قبل اعطاء عقار معين ثم بعد اعطاء هذا العقار . المهم انهم يتحسسون النبض في اوضاع مختلفه ثم ينظرون في الفروق ، ويمكنهم بذلك الوصول الى التشخيصات الدقيقة فقط من متابعه تحسس النبض واستخداماته المختلفة .

○ ارتفاع ضغط الدم والحمل

س ٣ : هل هناك خطر من ارتفاع ضغط الدم على الحامل ؟

ج ـ قياس ضغط الدم لكل حامل هو اول الامور التي يجريها الطبيب كل مرة تزوره فيها الحامل . ويجب ان يتكرر ذلك مرة كل شهر على الاقل في النصف الاول من الحمل ، ثم مرة كل اسبوع بعد ذلك لأن ارتفاع ضغط الدم عند الحامل علامه طيبه ، فهي تعني ان صحه الام وصحه الجنين مهددة بأخطار قد تكون بالغه الاثر وتقع الحامل المصابه بارتفاع في ضغط الدّم في واحدة من مجموعتين ، الاولى : هن الحوامل المصابات بالمرض من قبل امهاتهن . ومثل هؤلاء الحوامل لا يجب ان يسمح لهن بالحمل في اي مرة الا بعد مراجعه الطبيب الذي يجب ان يجرى لهن تقييما كاملا بدعم الاكلينكي والتحاليل المخبريه لمعرفه درجه خطورة الحمل على صحتهن من جهه ومن جهه اخرى تقدير الاضرار التي قد تصيب الجنين . وقبل تصحهن بالحمل يجب ان يوضح لهن مدى الفرصه المتاحه لنجاح هذا الحمل .

ومن المجموعه الثانيه الحوامل اللواتي يصبن بارتفاع ضغط الدم لاول مرة اثناء الحمل خصوصا في الفترة الاخيرة من الحمل . فاذا كان الحمل وحده هو سبب ارتفاع ضغط الدم ففي هذه الحاله يمكن للطبيب المختص ان يمنع ضررها في وقت مبكر . ويكون ارتفاع ضغط الدم عند الحامل عن المعدل المسموح به مع علامات اخرى ، انذارا لمرض يسمى « تسمم الحمل » وهو مرض يجب علاجه بشكل سريع وفوري ، حتى لو كان الثمن هو انهاء الحمل قبل موعده باستخدام التحريض الصناعي للرحم او حتى بالعمليه القيصريه . ذلك لان النتائج تقول ان ابقاء الجنين في رحم الام المصابه بهذا المرض لا فائدة منه للجنين بالمرة ، بل الضرر كل الضرر في استمرار الحمل في هذه الظروف على الام ، وقد يكون سببا في وفاتها .

غير ان القرار بانهاء الحمل ليس بالقرار اليسير ، ولذلك فان اطباء الولادة يقعون في حيرة عند مواجهه هذه الحالات ويتحتم عليهم ـ وبسرعه ـ تقدير الموقف ، بين امكانيه الاضرار بصحه الام وبين فرص النجاح لهذا الحمل . ويسهل مهمتهم كثيرا عندما يكون لديهم كل المعلومات عن تاريخ الام المرضي ، واهمها كل قياسات الضغط منذ بدء الحمل وربما قبل ذلك . لان معرفه هذا القياس طول هذه الفترة سيكون عونا كبيرا لهم في تقرير ما اذا كانت الام مريضه بمرض « تسمم الحمل » ، وان عليهم ان ينهوا هذا الحمل فورا لصالح الام والجنين معا ، ام انه يمكن الابقاء على الحمل الى نهايته دون الاضرار بصحه الام . وهكذا نرى ان تكرار قياس ضغط الدم وتدوينه في سجل الحامل امر ضروري ، وأن العلاقه بين الحمل وارتفاع ضغط الدم علاقه مهمه يجب الانتباه لها .



قصة : اوسكار وايلد

ترجمة : الدكتور على حسن تقى

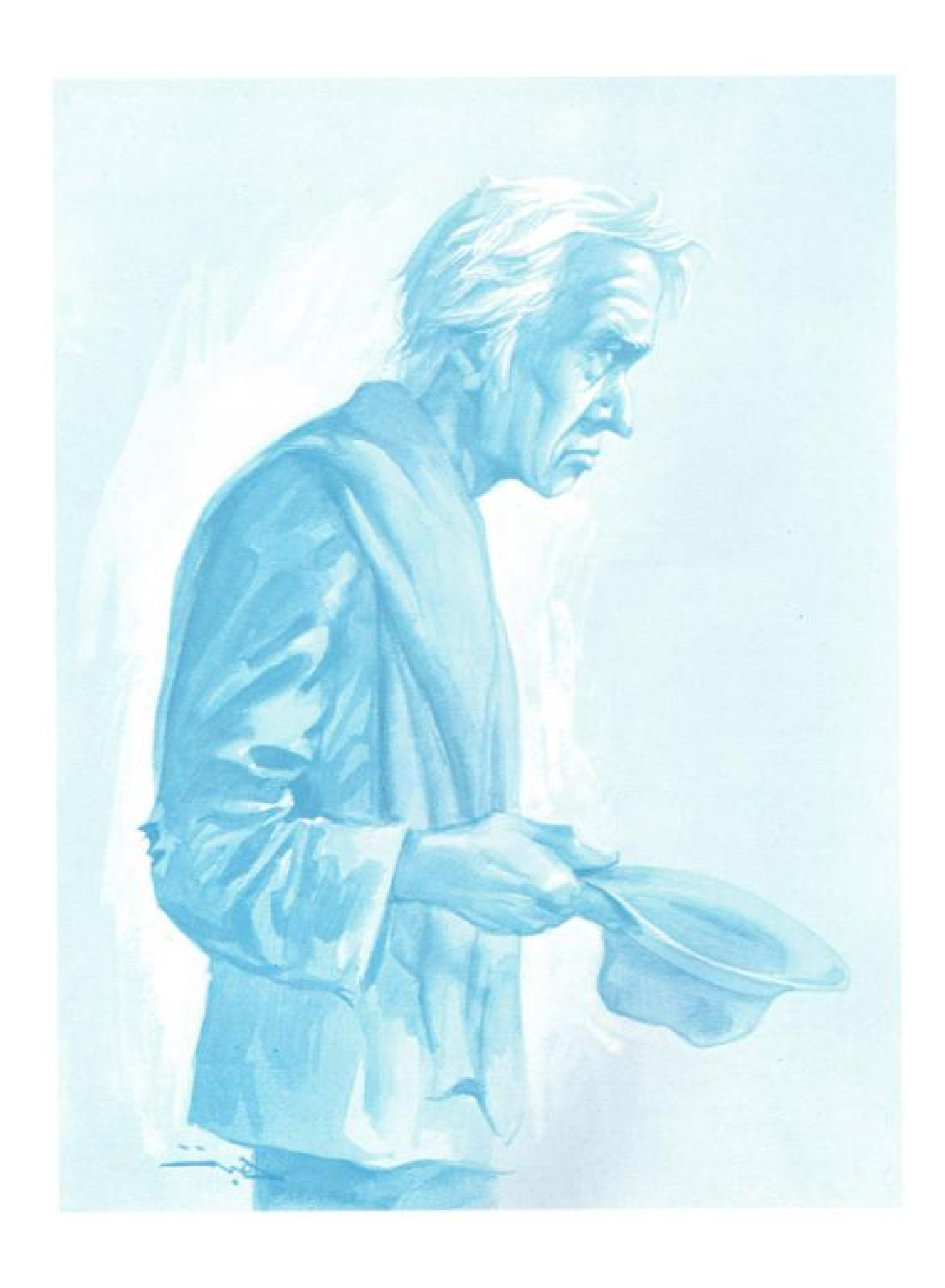
اذا لم يكن المرء غنيا فليس هناك فائدة من أن يكون شخصا فاتنا .

« الرومانسى » هو امتياز الاغنياء ، وليس وظيفة العاطلين عن العمل . الفقير يجب أن يكون عمليا وواقعيا . الأفضل أن تحصل على دخل مستمر لأن تكون فاتنا . هذه هى حقائق الحياة الحديثة التى لم يدركها هيوى إرسكين .

مسكين هيوى ! من الناحية الذهنية يجب أن نقر أنه لم يكن ذا أهمية تذكر ، لم يقل قط شيئا ذكيا ولم يكن شكسا فى حياته . ولكن مع ذلك كان رجلا حسن الطلعة للغاية بشعره البنى المجعد ومعالمه الجانبية المحددة وعينيه الرماديتين .

كانت له شعبية عند الرجال والنساء على حد سواء ، وكانت لديه جميع المآثر سوى مأثرة الحصول على المال . لقد خلف والده له سيفه وكتاب تاريخ الحرب فى شبه الجزيرة فى ١٥ جزءا . علق هيوى السيف فوق مرآته ، ووضع الكتاب على رف بين دليل روف ومجلة بيلى ، وأصبح يعيش على مائتى جنيه بالسنة أدخلتها فى حسابه عمة مسنة له . لقد حاول كل شىء . ذهب الى البورصة لمدة ستة شهور ، ولكن ماذا تستطيع الفراشة أن تعمل وسط الثيران والدببة . أصبح تاجر شاى لمدة ما ولكنه سرعان ماتعب من فرز انواع الشاى . ثم حاول بيع النبيذ ولكن ذلك لم يحل المشكلة ، . وأخيرا أصبح لاشىء ، شاب مبهج غير فعال بملامح كاملة وبدون وظيفة .

ومما يزيد الأمر سوءا انه كان يحب . والفتاة التى أحبها هى لورا مرتون بنت عقيد متقاعد فقد هدوءه ، ويسر هضمه فى الهند ولم يستعد أيا منها مرة أخرى . لقد أحبته كثيرا وكان هو بدوره مستعدا لعمل أى شىء من أجلها .



كانا أجمل شاب وفتاة في لندن وكانا لا يملكان بنسا واحدا . أما العقيد فكان يحب هيوى ولكنه لم يكن مستعدا لتقبل فكرة زواجه بابنته !

كان يقول له : « تعال إلي ، ياولدي ، عندما يكون لديك عشرة آلاف جنيه وسوف نرى ما يمكن عمله » وكان هيوى يبدو مكتئبا في تلك الأيام ويذهب الى لورا يشكوها كلما سمع هذا الكلام من والدها !

في يوم ماعندما كان هيوى في طريقه الى هولاند بارك حيث تعيش عائلة مرتون ، صعد ليرى صديقا عزيزا عليه هو « آلان تريفور » . كان تريفور رساما ، في الحقيقة كان هناك رسامون كثيرون في تلك الايام . ولكن تريفور كان فنانا أيضا والفنانون نادرون . كان مظهر تريفور غريبا وغليظا لايمت إلى الفن بصلة ، ذا وجه منمش ولحية حمراء كثة . ولكنه كان عندما يمسك بالفرشاة ، يصبح سيدا حقا ، ورسوماته مطلوبة كثيرا . لقد كان منجذبا لهيوى في البداية بسبب فتنة هيوى الشخصية . وكان يقول : الاشخاص الوحيدون الذين يجب أن يعرفهم الفنان هم الاغبياء والجميلون ، الاشخاص الذين يكون النظر اليهم متعة فنية والحديث اليهم راحة ذهنية ، الرجال المتأنقون والنساء الفاتنات يحكمون العالم أو على الاقل يجب أن يفعلوا ذلك » على أي حال عندما عرف تريفور هيوى أكثر ، أخذ يحبه بنفس القدر بسبب روحه المرحة المشرقة وطبيعته الكريمة . وهكذا أعطاه تصريحا بدخول الاستديو التابع له بصفة دائمة .

عندما دخل هيوى وجد تريفور يضع اللمسات الأخيرة للوحة جميلة بالحجم الطبيعي لشحاذ . . الشحاذ نفسه كان واقفا على منصة مرتفعة في ركن من الاستديو . كان رجلا عجوزا ذابلا له وجه كأنه ورق متجعد وتعبير يرثى له وقد رمى فوق كتفه معطفا بنيا خشنا كله ثقوب ، وحذاؤه الغليظ مرقع وقد انحنى بيد واحدة على عصا غليظة ، وأمسك باليد الثانية قبعته البالية من أجل الصدقة .

ياله من نموذج مدهش ؟ » همس هيوى وهو يصافح صديقه تريفور . « موديل مدهش » صاح تريفور بكل صوته ، أظن ذلك ! شحاذون من أمثاله لن تجدهم كل يوم . انها لقطة رائعة ياعزيزي ، انها قطعة حية من قطع فيلا سكويز ! يالهي ! أي كليشيه كان من الممكن أن يخلق منه رمبرانت !» أي عجوز فقير ! « قال هيوى » كم هو يبدو بائسا ! ولكن أظن انه بالنسبة لكم ـ معشر الرسامين ـ فان وجهه هو ثروته ؟

« بالتأكيد ، أجاب تريفور » إنك لاتريد أن يبدو الشحاذ سعيدا أليس كذلك ؟ »

« كم يحصل الموديل مقابل الجلسة ؟ » سأل هيوى وهو يجلس على كرسى مريح

« شلن واحد للساعة »

« وكم تحصل من بيع اللوحة يا ألان ؟ »

« آه لهذه سأحصل على ألفين »

« جنيه ؟ »

« نعم جنيه ، الرسامون والشعراء والاطباء يحصلون دائما على جنيهات » .

« على أي حال ، انى أعتقد أن الموديل يجب أن يحصل على نسبة مئوية . » صاح هيوى ضاحكا ،

« فهو يعمل بنفس القدر مثلك » .

« هراء ، هراء ! انظر الى اعداد الأصباغ فقط والوقوف يوما كاملا على الحامل ! إنه ليس بالسهولة التى تتصورها . . سهل عليك ياهيوى أن تتكلم ولكن أؤكد لك أن هناك لحظات يصل فيها الفن الى شرف العمل اليدوى . يجب ألا تثرثر كثيرا ، إنى مشغول جدا كماترى ، دخن سيجارة والتزم الهدوء »

بعد مدة دخل الخادم وأخبر تريفور بأن صانع الاطارات يريد التحدث اليه .

« لاتذهب ياهيوى ، » قال تريفور وهو يخرج « سأرجع بعد لحظة » استغل الشحاذ غياب تريفور ليستريح للحظة على كرسى خشبي خلفه . لقد كان منظره بائسا لدرجة أن هيوى لم يستطع إلا أن يرثى له ، وأخذ يفتش في في جيوبه ليرى مالديه من نقود . كل ما حصل عليه هو جنيه ذهبي وبعض القطع النقدية النحاسية» ياله من بائس عجوز » وراح يحدث نفسه : إنه يحتاجها أكثر منى ، كما انها لاتعنى ترفا كثيرا ثم اخترق هيوى الاستديو ووضع الجنيه في يد الشحاذ .

جفل الشحاذ ومرت على شفتيه ابتسامة باهتة « شكرا ، سيدى شكرا » .

عندها دخل تريفور واستأذن هيوى في الانصراف خجلا بعض الشيء مما عمله . لقد قضى اليوم مع لورا التى لامته بشكل لطيف على تبذيره ثم رجع ماشيا الى البيت .

في تلك الليلة ذهب هيوى الى نادى الباليت حوالى الساعة الحادية عشرة ، ووجد تريفور جالسا بمفرده في حجرة التدخين يشرب نبيذا أبيض .

« آه ، الآن هل انتهيت من اللوحة ؟ » قال هيوى وهو يشعل سيجارته ، وأجاب تريفور : « لقد انهيتها ووضعت إطارا لها ياولدى ! ثم قال وعلى أي حال لقد أحرزت أنت انتصارا . ذلك الموديل العجوز الذى رأيته وق لك ! لقد قلت له كل شيء عنك ، من أنت وأين تعيش . ماهو دخلك وما هى امكانياتك ؟

« وصاح هيوى ، ربما سأجده ينتظرنى عندما أعود الى البيت . ولكن بالطبع انك تمزح فقط . مسكين ذلك البائس العجوز !

ليتنى أستطيع عمل شيء مامن أجله . انى اعتقد أنه شيء مؤلم أن يرى المرء شخصا ما بهذا البؤس . ان لدىّ كومة من الثياب العتيقة فى البيت ـ هل تعتقد أنه يريد بعضها ؟ إن ثيابه مهترئة للغاية ! »

قال تريفور : « ولكنه يبدو عظيما فيها ، إننى لن أرسمه بسترة ثمينة لقاء أى مبلغ‹ما تسميه أنت اسمالا أسميه أنا رومانسية . مايبدولك فقيرا يبدولى فاتنا . على أى حال سأخبره بعرضك » .

« الآن ، قال هيوى بجدية ، إنكم ـ معشر الرسامين ـ قوم لاقلوب لكم » ان قلب الفنان هو رأسه » اجاب تريفور ، عدا ذلك ، ان عملنا هو أن نصور العالم كما نراه ، والآن أخبرنى كيف حال لورا ؟ ان الموديل العجوز مهتم بها جدا ؟ »

قال هيوى « هل تقصد ان تقول انك تحدثت معه عنها أيضا »

« بكل تأكيد فعلت ، انه يعرف كل شيء عن العقيد القاسى‹وعن الجميلة لورا وعن العشرة آلاف جنيه » .

« لقد أخبرت ذلك الشحاذ العجوز . عن كل أمورى الخاصة » صاح هيوى وهو يبدو غاضبا .

« ياولدى» قال تريفور باسما ، ذلك الشحاذ العجوز كما تسميه ، هو أحد أغنى الرجال فى أوربا . انه يستطيع أن يشترى لندن غدا دون أن يتجاوز رصيده فى البنك ، ان لديه بيتا فى كل عاصمة ، ويأكل فى طبق ذهبى ويستطيع أن يمنع روسيا من شن الحرب عندما يختار ذلك

« ماذا بالله تعنى ؟ صاح هيوى .

« إن ما أريدأن أقوله هو أن الرجل العجوز الذى رأيته اليوم فى الأستديو هو البارون هو سبرج . انه صديق عزيز على ، يشترى كل لوحاتى وقد كلفنى قبل شهر واحد ان أرسمه كشحاذ .

« إنها نزوة مليونير ! ويجب أن أقول انه كان رائعا فى أسماله أو بالأحرى أسمالى أنا ، إنها بدلة قديمة اشتريتها من اسبانيا »

البارون هو سبرج ! « صاح هيوى » يالهى ! لقد أعطيته جنيها ذهبيا « ثم غاص فى كرسيه مكتئبا »

« أعطيته جنيها ذهبيا ! » صاح تريفور ، ثم انفجر فى نوبة من الضحك .

« ياولدى العزيز ، لن تراه ثانية . ان عمله هو أموال الآخرين »

« أعتقد أنه كان عليك أن تخبرنى بالآلان » قال هيوى بتجهم « حتى لاأبدو بهذه الحماقة » .

« قال تريفور » لم يدر فى ذهنى انك ستوزع الصدقات بتلك الطريقة المتهورة . انى أفهم أن تقبل موديلا جميلة ، ولكن أن تعطى جنيها ذهبيا لموديل قبيح ، فهذا شيء غير مألوف ! عدا ذلك ، فالواقع انى لم اكن مستعدا لاستقبال أى شخص فى بيتى يومها ، و عندما دخلت لم اكن أعرف ما إذا كان هوسبرج يريد أن يذكراسمه . كذلك فانه لم يكن مرتديا ملابسه العادية » .

« أى أحمق قد ظننى » قال هيوى .

« ليس على الاطلاق . كان مزاجه جيدا عندما غادرت ، لقد ظل يضحك بينه وبين نفسه ويفرك يديه ، لم أعرف لماذا كان مهتما بمعرفة كل شيء عنك ، ولكننى عرفت سبب ذلك الآن . إنه سوف يستثمر جنيهك الذهبى لك ، ياهيوى ، وسوف يدفع لك الفائدة كل ستة شهور ويروى لك قصة مسلية بعد العشاء »..

« انى شيطان غير محظوظ » دمدم هيوى « ان أفضل شيء أستطيع عمله الآن»هو أن أذهب الى الفراش ، وياعزيزى الآن ، لاتخبر اى شخص . انى لا اجرؤ أن أظهر فى أى مكان عام .

« هراء ! انها تشير الى خضرة عالية لروحك الانسانية . هيوى ، لاتخرج . خذ سيجارة أخرى ، وبامكانك أن تتحدث عن لورا كما تريد . »

ولكن هيوى لم يتوقف ومضى الى البيت شاعرا بتعاسة بالغة وتاركا الآن تريفو فى نوبة من الضحك .

فى الصباح التالى ، عند الفطور ، جاء الخادم وقدم له بطاقة مكتوبا عليها « مسيو جوستاف نودان من طرف البارون هو سبرج » أعتقد أنه جاء من أجل الحصول على اعتذار » قال هيوى لنفسه ثم أمر الخادم أن يدخل الزائر .

دخل رجل عجوز بنظارات ذهبية وشعر أشيب الى الحجرة وقال بلكنةفرنسية بسيطة« هل لى الشرف أن أخاطب المسيو ارسكين »انحنى هيوى

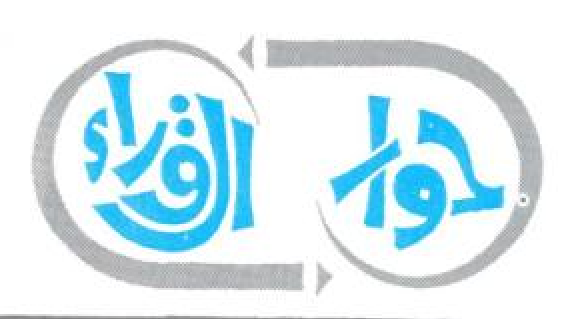
« لقد أرسلنى البارون هو سبرج » ثم أراد الرجل أن يواصل حديثه ، ولكن هيوى قاطعه :

« أرجو ياسيدى أن تقدم له أخلص اعتذاراتى »

« ان البارون ، قال السيد العجوز بابتسامة ، قد كلفنى أن أحمل اليك هذه الرسالة » ثم قدم ظرفا مختوما

على الغلاف كان مكتوبا ، هدية زواج الى هيوإرسكين ولورا مرتون ، من شحاذ عجوز ، وداخل الظرف كان هناك صك بعشرة آلاف جنيه ! ○

الدكتور على تقى



حرف .. الضاد

من مميزات لغتنا العربية الجميلة ، انها اللغة الوحيدة من بين اللغات الاخرى التي تحوى من بين حروفها « حرف الضاد » وكل عربي يعتز بهذا الحرف ، لأن العرب يعرفون بقوم الضاد ، ولغتنا العربية تسمى لغة الضاد ، لكنه ـ وللاسف ـ حتى هذا الحرف الواحد لم تعد تحافظ عليه من التحريف ، فقد اخذت « تلفظه » بعض الاقوام العربية « زاء » وهذا دليل على عدم تمسكنا في هذه اللغة .

على زويع الجبورى ـ نينوى / العراق .

العربي :

شكرا لقارئنا العزيز على اهتمامه بلغتنا العربية ، لكننا ايضا نود ان نقول له بانك ايضا اخطأت في كتابة « تلفظه » اذ الصحيح انها تكتب « بالظاء » اما بالنسبة الى « الزاء » التي قلت ان بعض الاقوام تنطقها بدلا من « الضاد » فانك اخطأت ايضا ، اذ المعروف ان حرف « الذال » هو الذى ينطق عادة « بالزاء » وشكرا مرة اخرى .

العلماء العرب

قاد العرب مسيرة الانسانية نحو المجد والقوة بفضل نفر من العلماء العرب حملوا المشعل واضاءوا دياجير الجهل في الوقت الذي كانت فيه اوربا غارقة في ظلماتها ، ولعلنا من الناحية العلمية اغنى الامم تراثا ، واذا اعتز العصر الحاضر بنفر من العلماء ارسلوا الصواريخ وغزوا الفضاء ، فلا ينبغي ان نغفل علما منا الذين نقل عنهم الغرب في سالف الايام .

ولست ادرى كيف تقبل اسماعنا آراء « جالينوس » وغيره من علماء العصر الاغريقي او من

المتبرع .. بالكلى

قرأت في أعداد مجلتنا العربي « عن تجربة زرع الكلى في الكويت ، واني اذ أقدر قيمة هذه التجربة في دفع مسيرة التقدم الطبي في وطننا العربي الكبير لأعرب لكم عن استعدادي للتبرع باحدى كليتي وبكل اخلاص لمن يريد من الأخوة العرب الذين يعانون من مرض الكلى ـ وقد راعني ما قرأته في مجلتكم عن تبرع مواطنين عربيين أحدهما من اليمن والآخر من الأردن في كليتيهما ـ واني على استعداد أن أكون ثالث المتبرعين واليكم عنواني لمن يريد .

عبد الله صالح الخرشة ـ محافظة الكرك ـ الهاشمية ـ الاردن

الكوفية والعقال

اقترنت صورة الانسان العربي في ذهن الاجنبي بذلك الشخص الذى يرتدى الكوفية والعقال ، فمن اين قدم هذا الزى ؟ ولماذا اقتصر فقط على سكان آسيا العربية دون افريقيا العربية وحتى في آسيا لم يدخل جنوبها كالصين وحضرموت وعمان ؟

دياب عيسى / الجهراء / الكويت

العربي :

لا سبب رئيسي في وجود الكوفية والعقال في منطقة آسيا العربية ، لكن الذى يبدو ان ذلك يعود لظروف البيئة واختيار المواطن لها يعود الى تناقل هذا الزى من السلف الى الخلف ..

علماء النهضة الاخيرة في حين تـاهت اسماء ابن الهيثم وابن النفيس وغيرهم من علماء يزدهي بهم العلم في كل عصر وان ، وقد فتك الغرب اسماعنا في ادعاءات كثيرة كقوله انه مكتشف الدورة الدموية ، مع ان مكتشفها الأصلي هو ابن النفيس الطبيب العربي الشهير ، وشهد له « ماكس مايرهوف » في مقالته عن ابن النفيس ، التي نشرها في مجلة« عام ١٩٣٥ » ونحن كعرب علينا ان نحمل الامانة التي تركها لنا الرعيل الاول من العلماء العرب .

هشام مصطفى الفار / اربد الأردن .

الهرم الاكبر

● اختلفت الآراء في باني الهرم الاكبر ، فبعض الباحثين يقولون انه . . خوفو . . احد ملوك الفراعنة وانه استعمل العنف مع العمال في بنائه ـ وكان غرضه منه أن يكون مدفنا له بعد مماته ليكون بعيدا عن اعتداءات لصوص المقابر .

ويرى بعضهم أنه لا دليل على أن القوة هي التي دفعت الشعب لبناء الهرم ، وانما بنوه ليوحدوا قوتهم في صرح شامخ يصل الى عنان السماء ـ وفي ذلك قال العالم الفيزيائي « كورت متدلسون » في كتابه . . « لغز الهرم » ـ وهو أحدث كتاب في موضوع الهرم « لم يكن الهرم هو الذي يهم الفراعنة وانما كان في بنائه بناء الشعب المصري ايضا ، فالبناء حشد وتنظيم وتذويب وهندسة وفن رفيع . . . »

وهناك آراء تقول . . ان الذي بنى الهرم هم أناس من القارة الغارقة ـ اطلنطا« والدليل على ذلك انه لا يوجد على جدران الهرم اي نقوش فرعونية أو هيروغليفية ـ كبقية اعمال الفراعنة والذي اتى بهم الى مصر وجعلهم يبنون ذلك الهرم هو غرق قارتهم اطلنطا ـ التي كانت متطورة جدا في جميع المجالات وكانت على دراسة فائقة بالذرة وأشعة الليزر«وقد تنبأ بعض علماء هذه القارة ـ بعد بحث ودراسة ـ بغرقها«فهرب هؤلاء العلماء الى ذلك المكان وبنوا فيه الهرم الاكبر« ليخلدوا فيه علمهم وثقافتهم ، وقد حدث ذلك قبل طوفان نوح عليه السلام .

نها السيد عبيد ـ طنطا
مصر

ندرة في الأعداد

نعاني كثيرا قبل الحصول على مجلتنا العربي في بلادنا ، ولا نجدها متوفرة في السوق حيث انها تنفد بسرعة واحيانا في يوم واحد ، وهذا يعود الى قلة الاعداد التي تصل بلادنا من مجلتكم الغراء التي نحرص على اقتنائها جميعا .

فتحي الصادق ـ بنغازي ـ الجماهيرية

هدية العربي

لفت انتباهي في هدية العدد (٢٩١) من مجلة العربي الغراء ورود بعض الاخطاء ، ففي معرض تعداد قرى الجولان العربية ورد اسم قرية « عين كينيا » والمقصود كما اظن قرية « عين قنية » التي كانت احد معاقل انتفاضة السكان العرب في مرتفعات الجولان ضد سلطات الاحتلال الاسرائيلي ، وهو خطأ سافر سببه الاخذ عن المصادر الاجنبية وورود اسم قرية « رجاز » ولا وجود لقرية بهذا الاسم ، ولعل المعدين يقصدان قرية « الجويزة » كما ان المصادر التي اعتمدها المعدان قديمة نسبيا ففي الاحصائيات الاخيرة وصل عدد العرب الفلسطينيين في الضفة الغربية الى (٨٥٠) الف نسمة ـ والاحصائيات التي ذكرتموها غير ذلك

سمير مخلص/السويداء /سوريا .



صفحـات .. الـعلوم التجارية

ان مجلتكم القراء كتبت في كل ناحية من : ادب وسياسة وطب وخلافه ، فغطت بذلك صنوف العلوم جميعها ، ولدى اقتراح يتضمن امكانية ايجاد صفحات للعلوم التجارية ، مثل انواع المحاسبة المختلفة ، واقتصاديات العالم مع الاحصاءات الحيوية للسكان في العالم العربي ، والتنمية والتخطيط للدول النامية . واعتقد ان هذه العلوم واستخداماتها سوف تفيد الوطن العربي في التعرف على مشاكله المالية ومعالجة اوجه القصور ليس بالحال ولكن تدريجيا حتى نصل الى المستوى المطلوب .

أيمن علي ابراهيم / المنصورة
مصر

الكوبون .. والرياضة

لدى بعض الملاحظات احب أن اطرحها امامكم حرصا منا نحن القراء ـ على ان تكون مجلتنا في الصفوف الامامية دائما ـ واول هذه الملاحظات تتعلق في كلمة « كوبون » التي ترفق مع المسابقة ، وهي كلمة غير عربية واظنكم تدركون ذلك جيدا ، فلم لاتستبدل بكلمة « مقتطع » او غيرها من الكلمات التي تزخر بها لغتنا الجميلة ، كما وانكم تشترطون ارسال « الكوبون » مع اجابة المسابقة وهذا يشوه الصفحة خاصة ونحن نحرص على جمع اعداد « العربي » . اما الملاحظة الثانية فتتعلق بإمكانية تخصيص باب للرياضة . . يستطيع من خلاله القارىء العربي ان يتابع النشاط الرياضي في اقطار وطنه العربي الكبير والعالم اجمع .

الصادقي محمد ـ اقليم الرشيدية / المغرب

العربي :

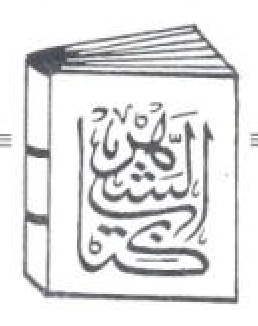
نحن مع القارىء في ان كلمة « كوبون » غير عربية ، لكن العربي بدأت بها منذ صدورها وسارت عليها ، وهناك كلمات كثيرة غير عربية تستخدم في لغات الشعوب ولهجاتها ، اما بالنسبة للرياضة فان المجلة الشهرية لا تستطيع متابعة الاحداث الرياضية اليومية ، لكننا لانعارض اى مقالة علمية رياضية حين تكون صالحة للنشر وفي مستوى المجلة الثقافي العلمي .

أسنان الحامل

ورد في زاوية طبيب الاسرة ـ العدد ٢٨٩ ، في سياق الحديث عن نخر الأسنان العبارة التالية « وكما ان الالم هو اول علامة على تسوس الاسنان ، فالحامل مثلا تشعر بالالم حينما يبدأ الجنين في سحب رصيدها من الكالسيوم المتخزن فى العظام والاسنان » وهنا نقطة الخلاف التي احب ان اوضحها لكم وهى ، « ان الاعتقاد السائد بان نقصا يحدث في كلس الاسنان لدى المرأة الحامل بسبب حاجة الجنين اليه ، هو اعتقاد يفتقر الى اثبات علمي وليس الى مجرد شائعة ، اذ لم تظهر الفحوص المخبرية لميناء وعاج اى اسنان ازيلت لنساء حوامل اى نقص في معادنها او كلسها وكذلك لم تثبت اى من التجارب الحديثة ان الكالسيوم يمكنه أن يغادر الاسنان البازغة التامة النمو ، ولتفسير زيادة نسبة النخر اثناء الحمل يعتقد ان ذلك يعود الى تأثير مفرغات القيء الغزير اثناء الحمل عند بعض النساء ،وتغيير درجة حموضة اللعاب ومؤثرات البيئة الوضعية .

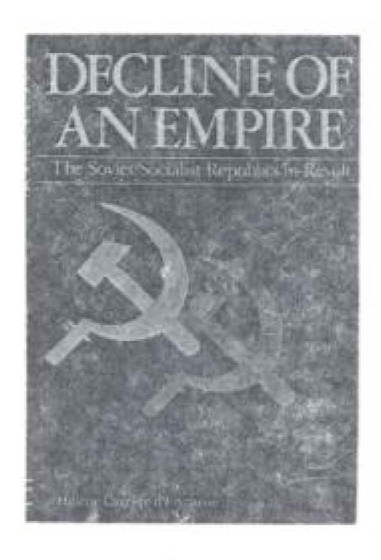
على ان الكثير من العلماء يؤكدون ان نسبة حدوث النخر خلال فترة الحمل هي نسبة طبيعية .

د . تيسير الصديق / كلية طب الاسنان / حماة / سوريا .



أزمة امبراطورية القلق

في الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية



تاليف

هيلين كارير دانكوس

ترجمه الى الانجليزية

مارتن سوكولنسكي وهنري لافارج [١]

(نيويورك الطبعة السادسة - ١٩٨٢)

عرض وتقديم

الدكتور أحمد عبد الرحيم مصطفى

(1) Helene Carrere d' Encausse, Decline of an Empire : The Soviet Socialist Republics in Revolt- translated by Martin Sokolinsky & Henry A. Lafarge. (Newsweek Books, New York, sixth printing, 1982)

مؤلفة هذا الكتاب هيلين كارير دانكوس ـ أستاذة في معهد العلوم السياسية بباريس ، ورئيسة قسم اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية في مركز العلاقات الدولية بجامعة باريس ، وهي تعتبر حجة عالمية في شئون الاتحاد السوفيتي . فقد ولدت في باريس من أبوين ينتميان الى جورجيا وبولندة ، وبالتالي فهي تتقن اللغة الروسية ، مما مكنها من التنقل بسهولة في الاتحاد السوفيتي والاطلاع على المصادر الرسمية للمعلومات التي قد يصعب على الآخرين الحصول عليها .

وهذا الكتاب الذي نقدمه الى قراء العربية قد أتاح لها الحصول على « جائزة اليوم » في فرنسا في عام ١٩٧٨ ، وذلك نظرا لنهجه الموضوعي ، ولأنه يشكل دراسة موثقة الى حد كبير تجلي كثيرا من الغموض الذي يحيط بأوضاع الاتحاد السوفيتي الداخلية ، وتحاول التركيز على احدى المشاكل الرئيسية التي يواجهها وتحاول أن تضع لها حلولا ، وهي مشكلة القوميات العديدة التي تضمها هذه الدولة العظمى .

رحلة الكتاب

فالاتحاد السوفيتي يمتد في مساحة ضخمة في قارتي آسيا وأوربا ، ويقطنه أكثر من مائة جنس وشعب يتكلمون لغات عدة ويعتنقون ديانات مختلفة ويمارسون عادات متباينة ، وينتمون الى اصول متفاوتة لكل منها تاريخها الخاص . وقبل ثورة اكتوبر ١٩١٧ كانت هذه الشعوب والأمم ترزح تحت نير قياصرة آل رومانوف الذين اعتبروا أملاكهم بمثابة مستعمرات ، بحيث اطلق على امبراطوريتهم اسم « سجن الشعوب » الذي قيل ان لينين فتح أبوابه . ولم تكن ثورة لينين لتصادف النجاح لولا ضمانها لمساندة شعوب الامبراطورية القيصرية التي كانت تتطلع الى التحرير . ولكن ما ان استقرت الثورة حتى اكتشف لينين أن هذه الشعوب ، ـ وقد تحررت ـ لم تكن تهتم بخدمة الدولة الماركسية الجديدة بقدر ما كانت تسعى لتحقيق استقلالها . وكان هذا التطلع الى تقرير المصير نقطة البداية في مشكلة القوميات التي شغلت بال القادة السوفيت ، وأثارت قلقهم حتى الوقت الحاضر .

والكتاب الذي نقدمه يحاول أن يناقش مدى نجاح تطبيق النظرة الماركسية التي تهدف الى تطوير المجتمع السوفيتي بحيث تختفي الفوارق الجنسية بالتدريج ، وتنصهر من خلال استعمال لغة مشتركة هي اللغة الروسية ، وتطبيق ثقافة سياسية تقوم على النظرية الشيوعية مما يبشر في نهاية الأمر بظهور انسان جديد هو الانسان السوفيتي

يناقش الكتاب كل هذا ويستعرض واقع الأماني القومية لدى شعوب الاتحاد السوفيتي ، ويحلل كيفية تنظيم الدولة والحزب والجيش باعتبارها جميعا أدوات للتكامل الاشتراكي ، وكيفية استعمال تدريس اللغة الروسية باعتبارها وسيلة للادماج والتقدم الاجتماعي ، ويناقش في النهاية قضية الاستقلال الذاتي الممنوح للأمم التي يضمها الاتحاد السوفيتي . فرغم الجهود التي بذلت بهذا الصدد ، ظلت مشاكل عدم الانصهار والحساسيات وأثر معدلات النمو السكاني المحتمل على التوازن القائم بين السكان الروس ، وغير الروس من المشاكل التي تؤرق ساسة

الكرملين . كما أن انتعاش الاسلام لدى سكان آسيا الوسطى والقوقاز - الذين يقدر أن عددهم في عام ٢٠٠٠ سيمثل حوالي ثلث مجموع السكان السوفيت مما ينذر بظهور الانسان « الاسلامي » عبر الاتحاد السوفيتي .

وبمعنى آخر فان الكتاب يحاول أن يجيب على التساؤلات التالية : كيف استطاعت دولة أوجدتها ثورة الطبقات العمالية - التي تعتنق ايديولوجيته ، وتذهب الى تساوي الناس في العمل ورأس المال - أن تقر التعايش السلمي بين مختلف الشعوب ذات الأصول المتباينة ، ؟ وهل استطاعت الأيديولوجية الماركسية التي تهدف الى خلق مجتمع متشابه أن تفرض سلطانها على هذا المجتمع المتنوع ؟ وبمعنى آخر هل الاتحاد السوفيت دولة عمال أو أنه امتداد للامبراطورية القيصرية ؟ وهل توصلت الماركسية الى تحقيق هدفها الخاص بخلق مجتمع جديد يعلو فوق مستوى الفروق القائمة بين مختلف شعوبه أم على العكس؟هل غطى التنوع في القوميات والوراثات والعقليات التاريخية على ايديولوجية وحكومة لا تعنيان سوى بشيء واحد هو جماعة العمال والروابط الأخوية التي تعلو فوق الاختلافات الجنسية والثقافية ؟

أول من واجه المشكلة

أما وقد عاش الاتحاد السوفيتي اكثر من نصف قرن فبالامكان الحكم على تطوره ، خاصة وقد نما فيه جيلان لم يعرفا سوى النظام السوفيتي الذى أتيحت له فرصة تعليم الناس وفق نمط تفكيره ، وأول من واجه مشكلة القوميات فى الاتحاد السوفيتي هو فلاديمير لنين الذى تكمن عبقريته فى ادراكه مدى قوة رغبات التحرر لدى الشعوب السوفيتية

واستغلاله لهذه الرغبات فى ضمان انتصار الثورة العمالية فى بلده . فلقد نجح فى تكتيل القوميات المضطهدة مع العمال (الذين لم يزد عددهم على حوالى ثلاثة ملايين) ، واستطاع أن يقضى على دولة القياصرة وأن يقيم الدولة السوفيتية على أنقاضها ، وبعد ان استقر نظامه فى الاتحاد

السوفيتى وأمكنه دحر الثورة المضادة (البيضاء) والتدخل الخارجى من جانب المعسكر الرأسمالى ،كان يأمل فى نشر الثورة فى أوربا ، ولكن ما ان حل عام ١٩٢٠ حتى أدرك أن البروليتاريا الاوربية غير مستعدة للانخراط فى تيار الثورة العالمية ، وأن الثورةقد تركزت فى بلد واحد هو الاتحاد السوفيتى . ولكى تستمر الثورة كان لابد أن تمتد

خارج حدودها . ولما كانت أوربا قد أوصدت ابوابها فى وجهه ، خاصة وقد اكتمل حصار الغرب للاتحاد السوفيتى وعزله بمجموعة من الدول الجديدة التى أقيمت على حدوده الغربية ، فقد كان عليه أن يخاطب الشعوب المضطهدة فى آسيا والشرق ، وفى باكو اجتمع - تحت اشراف الكومنترن - مؤتمر الشعوب المضطهدة فى الشرق وهدفه

مناقشة وسائل تنظيم الثورة في المستعمرات بشكل يضمن نجاة الثورة الروسية من العزلة والهزيمة . وفي باكو فزع زعماء الكومنترن حين اكتشفوا أن الشعوب المضطهدة لم تكن على استعداد لان تكون أداة للثورة الاوربية أو ذيلا لها . فقد اظهر مندوبو هذه الشعوب بجلاء انها ترغب في تقرير مصيرها والعمل لصالحها هي - وذهبوا الى أن الثورة لايجب أن تقتصر على خدمة أوربا ، وبروليتاريتها وانه يوجد عالم من الشعوب الاسيوية التي استعبدتها أوربا وان الثورة والماركسية لا تعنيان بالنسبة اليها سوى التحرر القومي لا الصراع الطبقي ، وان الثورة في اوربا تختلف عنها خارجها ، وأن ثورتهم تهدف الى التحرير العالمي للشعوب المضطهدة .

وهكذا برز في باكو مفهومان للثورة : مفهوم ماركس ولنين الذي كان يستهدف اثارة الثورة البروليتارية في شتى انحاء العالم ، ومفهوم ثورة الأمم المضطهدة التي لا تعترف الا بهذه الأمم ولا تنظر الى البروليتاريا الأوروبية الا باعتبارها أوربية في المحل الاول وبالتالي مضطهدة . لهذا أدار لنين ظهره لهذه الشعوب المضطهدة وقرر انقاذ ما يمكن انقاذه ببناء الثورة في بلد واحد هو روسيا .

دور ستالين

أما ستالين فهو مهندس اعادة بناء الدولة السوفيتية متعددة الأجناس التي توخى أن تلتحم فيها شعوب الامبراطورية القيصرية .

ففي عام ١٩٢١ اعتقد ستالين (الذي شغل منصب قوميسير القوميات) أن حق تقرير المصير الذي عرض على الأمم في عام ١٩١٧ يمثل مرحلة عفا عليها الزمن . ففي عام ١٩٢١ عقدت المعاهدات الثنائية التي وحدت أمم الامبراطورية السابقة بروابط تعاقدية وفرت قدرا من وحدة العمل . ولكن هذه الروابط لم تكن تكفي لتوفير وحدة في الروح من شأنها أن تعلو فوق الفوارق التي كانت تشعر بها كل أمة ، وشعور النخبات والكوادر القومية بوجود هيمنة تتخفى وراء علم الدولية ولا تقل عن هيمنة الامبراطورية القيصرية . لهذا انتقل البلشفيك في عام ١٩٢٢ الى المرحلة الثانية من مراحل تنظيم دولتهم القومية ، وذلك بوضع خطة للاتحاد الفدرالي تضم كل الأمم وتضمن المساواة بين الأمة الروسية والأمم غير الروسية . ولكنهم ما لبثوا أن اختلفوا حول وسيلة تحقيق الاتحاد : فقد كان من رأى ستالين أن يجرى تشكيل الاتحاد عن طريق انضمام الجمهوريات التي كانت لا تزال مستقلة الى جمهورية روسيا السوفيتية الاشتراكية المتحدة - فهذه الجمهوريات بامكانها بعد - انضمامها - أن تتمتع بوضع استقلال ذاتي دون سيادة ، وان تقبل أدوات السلطة الفدرالية في الجمهورية الروسية . الا ان لنين كان يرى أن تبنى دولة السوفيتات على اساس جديد يوحد كل الجمهوريات على قدم المساواة ، وأنه لا يمكن القضاء على السخط والفوارق القومية الا بتحقيق المساواة التي تضمن لكل أمة التخلص من الهيمنة السابقة القائمة على عدم المساواة .

وفي ٣٠ ديسمبر ١٩٢٢ أقر المؤتمر الثالث للسوفيتات معاهدة الاتحاد التي شكلت اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية ، ووقعت عليها جمهورية روسيا السوفيتية الاشتراكية المتحدة والجمهوريات السوفيتية في أوكرانيا وروسيا البيضاءوجمهورية ما وراء القوقاز المتحدة . وقد أقرت هذه المعاهدة الأسس الرئيسية التي قام عليها الدستور السوفيتي في عام ١٩٢٤ . ولكن كان لا مناص من اختلاف القانون عن الواقع . فقد أدرك ستالين انه لا بد من مواجهة حقائق الموقف على اعتبار انه لا يمكن تجاهل الدور الرئيسي الذي تلعبه جمهورية روسيا المتحدة من حيث السكان والسياسة ، ولا بد من اقرار هذا الوضع - ومن ثم خطته الخاصة بمنح الاستقلال الذاتي . ولكن لنين لم يتخل حتى النهاية عن مثله الأعلى الخاص باختفاء الأمم وافساحها المجال لجماعة بشرية جديدة يوحدها التضامن الطبقي الذي يتحقق من خلال التعليم والمساواة في الحقوق والثقة . وهكذا أكد القانون الدستوري مبدأ المساواة بحيث أفسحت الفدرالية المجال لقوانين شديدة التعقيد ، استجابت من حيث المبدأ لمواقف شديدة الاختلاف . فقد انتظمت بعض الأمم في دول ذات سيادة (الجمهوريات القومية الفدرالية) . أما الأمم الصغرى ، أو التي لا تتوفر فيها متطلبات السيادة ، فقد أصبحت دولا ناقصة السيادة (الجمهوريات ذات الاستقلال الذاتي) . واخيرا حصلت القوميات - أي الوحدات الجنسية التي لا تصل الى مرتبة الأمة - على الاعتراف بثقافتها الخاصة وأصبحت ولايات ذات استقلال ذاتي أو ولايات قومية لها حقوقها الثقافية الخاصة . وهكذا نجد أن التنظيم الداخلي السوفيتي يعكس تعقيد المجتمع من الناحية الجنسية ووجود جماعات في داخله تختلف اختلافا شديدا في تطورها السياسي والثقافي . وقد ضمن القانون المساواة للجمهوريات ، بحيث لا يوحدها سوى الرغبة في العيش معا بمعنى أن تتاح لها حرية الانسحاب في أي وقت ، على أن تقوم النخبات المحلية بالاشراف على شئون

الجمهوريات القومية وبعد أن تقرر ذلك سعت السياسة القومية للاتحاد السوفيتي خلال العشرينات الى اصطناع اللبرالية ، والاشراف لخلق جماعة جديدة « أمة »سوفيتية برولتارية بامكانها أن تؤكد أن التضامن الطبقي أعلى مرتبة من الشعور القومي .

محاولة تذويب القوميات

وحين استقر ستالين في السلطة وانفرد بالزعامة بعد وفاة لنين كانت التجربة العملية قد أوضحت صعوبة القضاء على الشعور القومي في بداية الأمر وبخاصة في روسيا البيضاء . هذا لجأ الى حل هذه المشكلة عن طريق تصفية النخبات القومية المنشقة وتعمده نقل شعوب بأسرها من أماكن اقامتها ، وذلك بعد أن رفضت سيطرة روسيا باعتبارها « الأخ الأكبر » في عائلة الأمم السوفيتية .

وبعد أن تخلص ستالين من كل خصومه في أوائل الثلاثينات امكنه أن يفرض منطلقاته على المشكلة القومية . وهكذا نجد أن دستور ١٩٣٦ يشبه دستور ١٩٢٤ في كونه يستوحي مبدأ الفدرالية . ومع احترام ستالين النظري للكيان الاتحادي فانه عمد الى إجراء تغييرات على المجتمع بحيث تفقد القومية كل وجودها . وقد جرى هذا التحويل قسرا : فبعد القضاء على كل الظروف التقليدية للحياة بالنسبة الى المجتمع ككل ، مضى يصفي النخبات القومية التي برزت خلال العشرينات ، وهكذا فقبيل نشوب الحرب العالمية الثانية ، كانت نتائج عمليات التطهير قد اتضحت حين أفسح ستالين المجال لنخبة جديدة تعتنق مفهوما للعلاقات بين أمم الاتحاد السوفيتي ، لا يقوم على مبدأ المساواة بقدر ما يعتبر امتدادا للعصر القيصري . ولم يبرز هذا المفهوم بصفة رسمية حتى عام ١٩٤٥ ـ فحين جرى الاحتفال بالانتصار على الفاشية في ٢٤ مايو ١٩٤٥ شرب ستالين نخب « الشعب الروسي » لا الشعب السوفيتي وأعلن أن روسيا « هي التي تقود الاتحاد السوفيتي » وأنها « حصلت في هذه الحرب على حق الاعتراف بها باعتبارها معلم الاتحاد بأسره » .

وهكذا اختفت المساواة التي كان يتكرر ذكرها في التصريحات الرسمية وأفسحت المجال لمنظومة أمم تلتف حول « أخ أكبر » هو الشعب الروسي . . اذ أن ستالين لم يكن يتصور سوى سيطرة أمة على أخرى كوسيلة لتخفيف حدة الخلافات القومية داخل بلده . بل انه طبق هذه النظرة خارج بلده فقام بتصدير كل حلوله الى الدول الاشتراكية الجديدة التي قامت في شرقي أوربا . وفرض السيطرة السوفيتية عليها وعمل على الاستبداد المنظم للقيادة القومية المحلية ، بحيث جعل الكتلة الشرقية نسخة طبق الاصل من النظام الروسي أحادي النظام .

إعادة أنفاس الأمم

وحين سيطر خروشوف على مصائر الاتحاد السوفيتي في أعقاب وفاة ستالين في عام ١٩٥٣ أعلن في حملته على الستالينية أن الاتحاد السوفيتي قد أساء استخدام سلطته وانه أضر بالتضامن الاشتراكي حين تعمد فرض هيمنته ، وان كل امة اشتراكية لا بد أن تكون حرة في اختيار النهج الذي تتبعه ، ومن ثم الاعتراف بالشيوعية القومية ـ والهدف من ذلك هو مصالحة يوغوسلافيا التي حاول ستالين أن « يؤدبها » باعلان الحصار الاقتصادي عليها ، مما ترتب عليه استغلال الولايات المتحدة للموقف أملا في فصل يوغوسلافيا عن المنظومة الاشتراكية .

وكان معنى هذا الاتجاه الذي اختطه خروشوف اعادة انفاس الأمم واقامة علاقات متكافئة فيما بينها حتى في مرحلة تطبيق الاشتراكية ، وتخلي روسيا عن النظرية القائلة بأنها لا تخطيء . والسبب الكامن وراء هذا الاتجاه ، هو سخط البلدان الاشتراكية على هيمنة الاتحاد السوفيتي ، فضلا عن ان سياسة ستالين الخارجية القائمة على الانعزال وعدم الثقة ، جعلت الاتحاد السوفيتي موضع حصار حقيقي . خاصة وان الولايات المتحدة لم تلبث أن عمدت الى تطويقه بسلسلة من القواعد والمحالفات .

وقد برزت الافكار الجديدة في المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفيتي الذي أعلن رسميا مساندته للحركات القومية في العالم الثالث وأن الاتحاد السوفيتي هو نموذج للتحرر الوطني . وهكذا ندد خروشوف بكل « الجرائم » التي ارتكبها ستالين بحق الأمم غير الروسية من حيث تصفية قياداتها المركزية الصارخة والسعي الى فرض الطابع الروسي والعودة الى الاشادة بالكولونيالية الروسية واقامة علاقات جديدة مبنية على عدم المساواة ، وحث خروشوف الأمم على استعادة حقوقها الثقافية والعودة الى ممارسة تقاليدها وابراز كوادرها التي ما لبثت أن لعبت دورها في تخطيط وتنفيذ سياسة الاتحاد السوفيتي الخارجية . ومن أهداف خروشوف بهذا الصدد ، ابراز الاتحاد السوفيتي باعتباره مجتمعا متعدد الجنسيات تتساوى فيه جميع الأمم .

وبعد هذا الاستعراض تعود المؤلفة الى تلخيص السياسة القومية التي اتبعها الاتحاد السوفيتي فيما بين عامي

١٩١٧ و ١٩٦٤ وتبين أنها لم تسر على وتيرة واحدة ، برغم ما جرى من التهوين من شأن المشكلة القومية وعدم الادراك الكافي للحقائق . فلنين ـ في رأيها ـ لم يكترث بالأمة الا باعتبارها أداة تضاف الى الرصيد الثوري ، على حين أن ستالين كان يعتقد أن سلطة الحكومة المركزية ستتاح لها السيادة . وأن خروشوف ـ الذي عاد الى المفهوم اللينيني ـ حاول أن يغير المجتمع الشيوعي بأسره في أقصر وقت دون ادراك كاف لحقائق الحياة . وملخص الأمر ـ في رأيها ـ أن كل القادة السوفيت اعتبروا المشكلة القومية من مخلفات الماضي وأنها ناتجة عن أخطاء سياسية ، وعمدوا الى حلول اعتقدوا انها تمكنهم من استئصال شأفة هذه المشكلة نهائيا ، وان لم يلبثوا أن أدركوا أبعادها الحقيقية والخطر الحقيقي الذي تشكله بالنسبة الى النظام السوفيتي بأسره . ومن ثم اشتراكهم جميعا في اعتقادهم بأن الحل الوحيد للمشكلة القومية لن يأتي الا باستئصال شأفة الفوارق القومية ، بحيث لم يختلف كل منهم عن الآخر الا في الأسلوب .

فلنين كان يرى الحل في التربية ، على حين أن ستالين اصطنع العنف ، وأن خروشوف اتجه الى التخلي عن الأساليب الستالينية والأخذ بالعقلانية السياسية والاقتصادية . ورغم ذلك فحين أزيح خروشوف من السلطة ، نجده يترك لخلفائه موقفا أبسط مما واجهه لنين وستالين ، خاصة وقد نضجت ثمار الثورة في نهاية الأمر : فلقد اجتثت كل جذور العلاقات غير المتكافئة القائمة في ظل « سجن الشعوب » الذي فتح البلشفيك أبوابه . وكان على خلفاء خروشوف أن يبذلوا قصارى جهدهم لتطوير المنظومة الجديدة للشعوب (الجماعة الاشتراكية) بحيث تحتل مكانة المجموعات العرقية غير المترابطة ، خاصة وقد بدأت مرحلة « الشعب السوفيتي » .

انتصار لنظرية القومية

فلقد ترك خروشوف لخلفائه هدفا واضحا بالامكان تحقيقه وهو « دمج الأمم » ، وهو المبدأ الذي ساروا عليه ، فحتى المؤتمر الخامس والعشرين للحزب الشيوعي السوفيتي الذي انعقد في عام ١٩٧٦ ، ظلت المجموعة الحاكمة تؤكد ولاءها لهذا الهدف الساعي الى الوحدة وان لم تلبث بعد وقت قصير أن واجهت عداء النخبات القومية لهذا السبب بالذات . وهكذا بات المؤتمر الخامس والعشرون وكأنه سجل لانتصار نظرية القومية . فللمرة الأولى منذ عام ١٩٦١ أشارت كل الخطب الى نجاح سياسة القوميات السوفيتية حيث « ازدهار » و « صداقة » الشعوب ، وتجاهلت هدف « الصهر » الذي أثار كثيرا من الخلافات .

وفي الفصل الخامس الذي تخصصه المؤلفة للغات في الاتحاد السوفيتي (هل هي أدوات للادماج أو لترسيخ الأمم) ، تقر بأن الاتحاد السوفيتي أكثر اهتماما بمشكلة اللغات التي يتكلمها مواطنوه من أي دولة أخرى . فلقد أدرك البلشفيك على ضوء التجارب أن اختيار لغة سياسية ولغات تعليمية من المسائل الرئيسية في مجتمع متعدد الجنسيات ، بحيث ان النمط السياسي وطبيعة العلاقات بين المجموعات الجنسية كانت تتوقف على هذا الاختيار . وجريا وراء المساواة أخذ السوفيت بتوحيد هذه الجنسيات مع السماح لها بالمحافظة على مقوماتها الخاصة ومنها لغاتها .

وأخيرا برزت مشكلة سرعة تربية كل مجتمعات الاتحاد السوفيتي ، فرئي ان اسهل وسائل التربية الشاملة هي استعمال لغات معروفة لدى الناس . وهي اللغات القومية المتعددة التي اعتبرت جميعها متساوية . وهكذا نص الدستور السوفيتي على أن بامكان كل المواطنين « أن يستعملوا لغتهم الخاصة ولغات شعوب الاتحاد السوفيتي الأخرى » دون اشارة الى لغة معينة . ولكن بمرور الزمن برزت أربع مجموعات لغوية : (١) فاللغة الروسية هي لغة العلاقات الدولية بالنسبة الى شعوب الاتحاد السوفيتي (٢) اللغات الأدبية القومية للجمهوريات المتحدة (٣) اللغات الأدبية للجمهوريات والأقاليم المتمتعة بالاستقلال الذاتي (٤) اللغات المكتوبة التي تحقق مهام اجتماعية محدودة جدا في الولايات القومية لشعوب قليلة العدد في الشمال وغير ذلك .

وقضي على اللهجات بحكم تفضيل الجميع استعمال لغة مشتركة تتيح لهم الانخراط في الحياة القومية بدلا من مواصلة استعمال لغة لا تجد من يفهمها في بقية انحاء البلاد . على أي حال فنحن نجد أن حوالي سبعين لغة تتعايش سلميا في الاتحاد السوفيتي مما مكن الجماعات القومية من المحافظة على هويتها في ظل نظام يسعى الى تحقيق توحيد الثقافة السياسية ، فاللغات القومية تنقل أو يفترض أنها تنقل ثقافة مشتركة تقوم على الاشتراكية والمعاصرة . ورغم ذلك فان المساواة اللغوية ليست هدفا في حد ذاتها في ظل التخطيط السوفيتي ، اذ انها المرحلة الأولى صوب الانتقال الى الثنائية اللغوية المتوخاة بحيث تقدم اللغة القومية المحلية جنبا الى جنب مع اللغة الروسية باعتبارها لغة كل الشعوب السوفيتية ، خاصة وان النظام السوفيتي ازداد اهتمامه منذ عام ١٩٥٨ بالدور الذي تلعبه

اللغة الروسية في تماسك الأمة ، وذلك بعد أن اتضح أن الثنائية اللغوية أمر ضروري في كل مكان .

أما النظام التعليمي السوفيتي فانه يشتمل على ثلاثة أنماط من المدارس :

(١) المدارس التي يمارس فيها التعليم باللغة القومية (٢) المدارس التي تعلم باللغة الروسية (٣) المدارس التي تميز التعليم اللغوي المختلط . وهكذا لا يوجد بالاتحاد السوفيتي نظام تعليمي واحد ، بل هناك اختلافات وفوارق عدة من مكان الى آخر .

خلاف حول الدين

وتخصص المؤلفة الفصل السابع للدين والشعور القومي ـ ولعل هذا الفصل أكثر فصول الكتاب اثارة للتساؤل . فالدستور السوفيتي يقر حرية الأديان جميعا بما في ذلك الالحاد الذي تأخذ به الدولة رسميا باعتباره يتمشى مع المادية الديالكتيكية . ووجود الشعور الديني أو انتعاشه في الاتحاد السوفيتي يشكل حقيقة اجتماعية يقرها كل من الحكومة السوفيتية والمراقبين الاجانب . فالمطبوعات المعادية للأديان التي كانت في الماضي تهاجم الأديان وتتنبأ بحتمية اختفائها ، عادت من جديد لتؤكد قدرة الدين على البقاء والتكيف لمجتمع غيرت الاشتراكية ملامحه : خاصة وان الحكومة قد تبينت أن الانحرافات الناتجة عن الحياة الحضرية لا تتمشى مع الأخلاق الدينية والأخلاق الاشتراكية . ورغم ذلك فلا يزال المحللون السوفيت مختلفين حول دور الدين وطبيعة المتدينين ، وهم يعزون محافظة الأديان التقليدية على فعالياتها في الاتحاد السوفيتي الى عدم كفاية التعليم .

وتوجه المؤلفة اهتماما الى وضع الدين الاسلامي ، بحيث تتنبأ بقرب ظهور « الانسان الاسلامي » في الاتحاد السوفيتي وتبوئه مكانة بارزة فيه ، خاصة وان معدل النمو العددي لدى المسلمين السوفيت يفوق غيره بالنسبة الى معتنقي الأديان الاخرى ـ ففي عشر سنوات ارتفع عدد المسلمين السوفيت من ٢٤ الى ٣٥ مليونا ، ويتوقع انهم سيشكلون ثلث السكان السوفيت في بداية القرن الحادي والعشرين . وتشير الدراسات المتزايدة التي أجريت على خمسين مليون مواطن سوفيتي مسلم الأصل الى أن المجتمع الاسلامي لا يزال متمسكا بعقائده ـ فقد أجاب حوالي نصف الأشخاص الذين أجريت عليهم الدراسات في المناطق الريفية بوجه عام بأنهم مؤمنون ، وذلك برغم كل الضغوط التي واجهها الاسلام ـ شأنه شأن غيره من الأديان منذ نشوب ثورة اكتوبر ١٩١٧ . ففي خلال الثورة الأولى ألغيت المقومات الأساسية للجماعة الاسلامية : النظام القضائي والمؤسسات القانونية والقواعد المالية . ولما كان الاسلام قد هبط الى مستوى ديانة أشخاص لا ديانة جماعة ولما كان قد حرم من مؤسسات واستبعد من نطاق الحياة العملية ، فهنا يتبادر السؤال التالي : هل الاسلام بشكله المنظم لا يزال قائما في الواقع ؟ أوانه لا يعدو كونه هيكلا على وشك الانهيار بعد وفاة آخر المؤمنين ؟ على العكس من كل التوقعات نجد أن الاجابة على هذا التساؤل تشير الى أن ثمة كثيرا من المؤشرات التي توحي بأن الاسلام في الاتحاد السوفيتي يمر بمرحلة انبعاث وسط ظروف جديدة وان نهضته ليست عفوية ، بل انها مقصودة ومرغوب فيها . ومما يساعد على ذلك ويوجهه وجود رجال الدين المسلمين الذين كرسوا جهودهم بوجه خاص الى ناحيتين أساسيتين : تسهيل ممارسة الاسلام بمواءمته مع متطلبات الحياة الحديثة وخلع السلطة الزمنية عليه بتوحيده مع الايديولوجية السوفيتية ، خاصة وأن ممارسة الفرائض الاسلامية ـ وبخاصة الصلاة والحج وصوم رمضان ـ لا تلقى تشجيعا من السلطات .

المهم هو الانتماء للاسلام

ورغم ذلك فان كبار رجال الدين المسلمين حاولوا ايجاد حلول للمشاكل عن طريق جعل ممارسة الاسلام أمرا ممكنا بالنسبة الى كل المؤمنين ، وذلك بتكييف العقيدة للاطار السوفيتي العام ، وبخلع مفهوم مناسب على الجماعة الاسلامية ومسئولياتها . فقد ذهبوا الى أن بامكان المسلم أن يمارس دينه بقدرما تسمح به الظروف ـ فاذا كانت المسئوليات الاجتماعية في الاتحاد السوفيتي لا تتيح له اداء الصلوات الخمس ، فما عليه الا ان يصلي صلاة واحدة في اليوم في الوقت المناسب . ولأن صوم رمضان يواجه معارضة صريحة وقوية من جانب السلطات ، استلزم الامر ايجاد تفسير يناسب روح العقيدة لا حرفيتها : فقد اعفى العمال من الصوم وأذن لهم رجال الدين المسلمون بتخصيص يوم واحد في رمضان للصوم . أو استبدال الصوم بجهد خاص في حياتهم الروحية أو في عملهم ، على ان يكون من المفهوم أن الشيء المهم هو احساس المسلم بالاشتراك في واجبات جماعته . ويحافظ الزعماء الدينيون على روح الجماعة باحياء الاحتفالات التقليدية كعيد الفطر مثلا ، وفي عيد الأضحى يتم الاستغناء عن الأضاحي لانها لا تتمشى مع النظام الاقتصادي السوفيتي . ولقد ذهب المفتون في آسيا الوسطى الى أن

الاضحية ـ على أهميتها ـ ليست اجبارية . ولهذا تتلقى المساجد تبرعات بقيمة الذبائح وتستخدمها لخدمة أغراضها أو توزعها على المحتاجين .

أما الاحتفال بالمولد النبوي فانه يجري في المنازل ، ويستعاض عن الحج الى الحجاز الى الاماكن المحلية المقدسة . ويحتفل الشيعة بعاشوراء وبمناسباتهم الدينية الخاصة بقدر ما تسمح به الظروف وتمارس الطرق الصوفية ـ وأهمها النقشبندية والقادرية ـ طقوسها واحتفالاتها ، خاصة وان التصوف يشتد ساعده لدى مسلمي الاتحاد السوفيتي .

وهكذا يبدي المسلمون شعورهم بالانتماء الى جماعة فوق مستوى العلاقات الفردية ، ومما يدل على ذلك محافظتهم على عادة الختان وعدم ترحيبهم بالزواج المختلط خاصة فيما يتعلق بزواج المسلمة من غير المسلم ، وتحايلهم بمختلف الوسائل للمحافظة على طقوسهم وعاداتهم ومعتقداتهم الموروثة . وفوق هذا فان الزعماء الدينيين المسلمين في الاتحاد السوفيتي يحاولون تفسير الاسلام تفسيرا لا يتعارض مع الاهداف الشيوعية واثبات امكان تعايشهما،ويتجاوبون مع المنظمات السوفيتية ويحثون الشباب على الانخراط فيها ، مما يختلف عن سلوك بعض المجموعات الدينية الأخرى التي تقاطع مثل هذه المؤسسات وتحرض شبابها على عدم الانخراط فيها .

من عوامل القلق

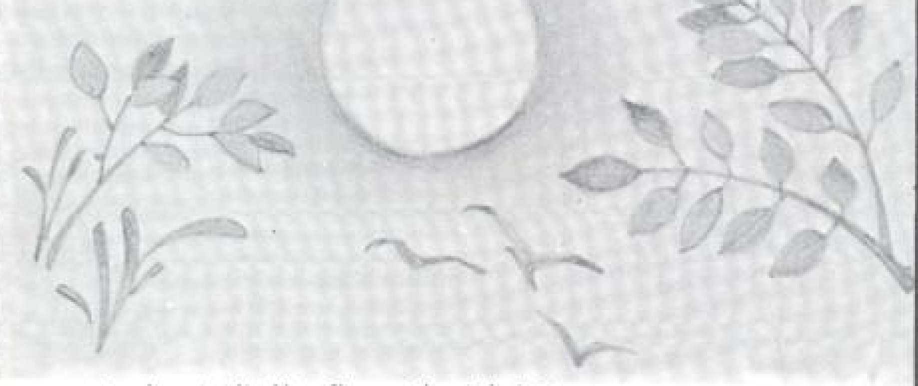
الى جانب حيوية الاسلام في الاتحاد السوفيتي فثمة حقيقتان فرعيتان تؤرقان السلطات السوفيتية بصدد الموقف في المناطق الاسلامية . فالشباب في هذه المناطق يدركون أبعاد هذه اليقظة الدينية ، والنخبات الجديدة مهتمة على الأقل اهتماما سلبيا ان لم تساهم في هذه اليقظة بنشاط . ويبدو أن القيود المفروضة على اشتراك شباب المسلمين في الاحتفالات الدينية لا تجد الاحترام الكافي ـ بل ثمة تطرف احيانا في تجاهل هذه القيود مما يقلق السلطات الى حد كبير ، خاصة وان التقاليد الدينية التي تشكل الأنماط الذهنية تسيطر على الأطفال وتحدد بعض ألعابهم ، كما أن طقوس الميلاد والزواج والوفاة تتيح للمسلمين فرصة ابداء ولائهم لأساليب أجدادهم . ومما يثير قلق النظام السوفيتي ، لكل هذه الملامح أن المسلمين يشكلون كتلة كبيرة متماسكة داخل الاتحاد السوفيتي وانهم يتميزون بديناميكية ديمغرافية ويقطنون منطقة تقع على حافة عالم يتنافس فيه الاتحاد السوفيتي مع الغرب . ونفس هذه العوامل المثيرة للقلق هي ذاتها التي تحول دون لجوء النظام الى اجراءات متشددة وترغمه على توخي الحذر . ومن ناحية أخرى فان دواعي السياسة الخارجية تملي على الكرملين أن يحسب حساب المسلمين في داخل الاراضي السوفيتية وخارجها وان يحاول توظيف مسلمي الاتحاد السوفيتي لخدمة اهدافه العامة .

وتخلص المؤلفة الى ان النظام السوفيتي قد أفلح في تحويل مجتمعه الى حد كبير خلال المدة القصيرة نسبيا التي حكم فيها البلاد ، وان يكن الكرملين لا يزال يواجه مشاكل كثيرة:أهمها مشاكل الاقليات القومية التي استعصت على الحل برغم مختلف الجهود المبذولة بهذا الصدد ـ على أن القومية في الاتحاد السوفيتي تتخذ طابعا خاصا ـ فهي ليست مسألة تتعلق بسعي مجموعات جنسية معينة الى تحقيق الاستقلال القومي ، وذلك بحكم أن القومية داخل الاتحاد السوفيتي تتطور داخل اطار خاص هو الايديولوجية السوفيتية ومؤسساتها . ورغم التغيرات السكانية التي تبين المؤلفة بالاحصائيات أنها غير متوازنة ، ورغم نواحي التقدم التي تحرزها الجمهوريات (القوميات) السوفيتية ، فليس ثمة دليل على ان الروس في سبيلهم الى فقدان دورهم البارز داخل الاتحاد السوفيتي في المستقبل القريب . ذلك أنهم لا يزالون يحظون بنصيب الأسد في الحزب والجيش واللجنة المركزية للحزب الشيوعي ومجلس السوفيت الأعلى . وليس ذلك من قبيل المصادفة ، بحكم أن روسيا أكثر مناطق الاتحاد السوفيتي تطورا من الناحية التاريخية ، ولأن الحركة الشيوعية قد نمت في هذا القسم من الاتحاد السوفيتي الذي لا يزال يحظى بالتفوق العددي بالنسبة الى الجمهوريات الاخرى ، خاصة وانه قد لعب الدور الرئيسي في مقاومة الغزو النازي ، وخربت أراضيه وقدم الملايين من الضحايا . وستثبت الأيام ما اذا كانت روسيا ستلعب دور « الأخ الأكبر » بالنسبة الى الجمهوريات الاخرى أو أن مبدأ المساواة المطلقة هو الذي سيتغلب في نهاية المطاف .

ويبدو ـ آخر الأمر ـ أن القومية ، بكل مقوماتها ، لاتزال اكثر من ند للأممية بكل مثالياتها وطموحاتها الانسانية . وستشهد الاجيال القادمة نتائج الصراع الحتمي بين هذين النقيضين في ظل معادلات الرعب النووي الذي يهدد مجرى الحياة على وجه الارض : وتلك قصة لا نهاية لها . ○

د . احمد عبد الرحيم مصطفى

القمر العاشق



● مهداة الى الشاعر القصصي الكبير الأستاذ ابراهيم العريض

تقول سعاد في حنان لأمها
هل البدر ـ ياأماه ـ في الليل يعشق ؟

فهشّت وقالت في دلال ورقّة
وكانت لاحساس الصبية تشفق :

يقولون : كانت في القديم صبية
تضيء بآفاق الجمال وتشرق

تطل من الشباك كل عشية
وفي وجهها من معدن الحسن رونق !

فلما رآها البدر في الليل راعه
جمال صباها وهو بالسحر ينطق

فهمّ يزور الارض من أجل حسنها
ويعصي لظى للجاذبية يصعق

تراءى وأومى من بعيد بقلبه
اليها وفي عينيه شوق معتّق

وقال : ألا هل تقبلين زيارتي
فاني الى خدر الهوى أتشوّق

سأهبط في رفق اليك لأنني
لمرآك ـ من بعد ـ أغص وأشرق !

وبي منك أشواق ولا قلب في الورى
يحس بها ـ حيث المحبة تحرق

وحاول خلع الجاذبية فانبرى
لهيب يدوّي في السماء ويبرق

وغطى اللهيب الارض واحتدم اللظى
وأوشك ـ يوم الحشر ـ بالخلق يطبق

وما العشق الا ثورة النفس في الورى
تحل لمن في الحب بالوعد يصدق !!

احمد محمد آل خليفة ـ البحرين

الأسماء المتغيرة

المؤلف : احمد ولد عبد القادر
الناشر : دار الباحث ـ بيروت .

هذه هي الرواية الأولى التي تصلنا من البلد الشقيق موريتانيا . كتبها رئيس رابطة ادباء موريتانيا احمد ولد عبد القادر وسجل فيها باسلوب فني المراحل التي مرت على موريتانيا تاريخيا واجتماعيا منذ سنة ١٨٩١ حتى ١٩٧٧ .

قال الناشر عنها :

« الأسماء المتغيرة » تنحدر الى اعماق الواقع النفسي بكل جوعه الى الطمأنينة وشوقه الى الخبز ، والحب ، والحرية ، وتتصدى لتحليل فترة حية من تاريخ الحركة الوطنية الموريتانية . دون ان يتحول عرض الكاتب لهذا الواقع الى خطابات وتقارير » .

الدول الصغيرة والنظام الدولي : الكويت والخليج

المؤلف : د . حسن علي الابراهيم
الناشر : مؤسسة الابحاث العربية ـ بيروت .

يتناول المؤلف في كتابه هذا موقع الدول الصغيرة في الخريطة العالمية والتغيرات التي حدثت على النظام الدولي اثر الحرب العالمية الثانية . وخص منطقة الخليج العربي والدول القائمة فيها بفصول تناول فيها الكثير من شؤونها وشجونها .

وقد توصل الكاتب في خاتمة كتابه الى :

« ان الدول الصغيرة تعاني عادة من العوائق الناجمة عن حجمها وعن محدودية سكانها ومحدودية مواردها ومحدودية فرص النمو والتطور ، ومن الاعتماد على الثبات الحسنة للدول الاكبر والاغنى ، وتزايدها داخل الامم المتحدة يجب الا يكون سببا للقلق نظرا لان الدول الصغيرة لعبت عبر التاريخ دورا هاما كوسيط » .

جاذبية الاسلام

تأليف : مكسيم رودنسون
الناشر : دار التنوير ـ بيروت

يحتوي هذا الكتاب على عنوانين اساسيين هما :

١ ـ مراحل النظر الغربي على العالم الاسلامي
٢ ـ الدراسات العربية والاسلامية في اوروبا .

استعرض الكاتب فيها نوعية العلاقة التي قامت بين العالم الاسلامي واوروبا عبر مراحل زمنية ، بدأها في العصور الوسطى وصولا الى مرحلة الاستشراق ، وما اكتنف هذه المراحل من علاقات التنافر والصراع والتعايش والافادة والاستفادة . لان حركة الاستشراق ذاتها عرفت عدة مراحل وعدة وجوه وعدة مدارس .



الابداع في الفن

تأليف : قاسم حسين صالح
الناشر : وزارة الثقافة والاعلام ـ العراق .

اجاب المؤلف في كتابه هذا على مجموعة اسئلة تتعلق بالفن والابداع مثل علاقة الشخصية بالابداع في الفن ، والنتاج الفني هل يأتي رهين لحظة الالهام والتجلي ، وهل تأخذ العملية الفنية نسقا او وتيرة واحدة ، ام انها تمر بمراحل زمنية متعددة ؟

ويتناول المؤلف « ايضا » اهم نظريات الابداع الفني في العالم وركز على الفرويدية والسوريالية .

ثم طبق تحليلات بعض الاتجاهات والمدارس على « هاملت » شكسبير .

الشخصية اليهودية في الأدب الفلسطيني الحديث

تأليف : حمودة زلوم

الناشر : رابطة الكتاب الأردنيين ـ عمان

تناول المؤلف في كتابه هذا الشخصية اليهودية كما تجلت وانعكست في بعض النتاجات الابداعية لبعض الكتاب العرب الفلسطينيين . ومهد لذلك بدراسة الشخصية اليهودية عبر محطات زمنية بدأها منذ ارتحال سيدنا ابراهيم الخليل عليه السلام من « اور » في العراق ووصوله الى ارض كنعان التي عرفت باسم فلسطين فيما بعد . وصولا الى قيام الحركة الصهيونية ونشوء دولتها في فلسطين .

وركز على دراسة ملامح الشخصية اليهودية من خلال عناوين رئيسية لجأ الى توكيدها باستشهادات من دراسات نقدية لمجموعة من الكتاب العرب والاجانب . والعناوين هي :

- الشخصية اليهودية شخصية قلقة
- الشخصية اليهودية شخصية عنصرية عدوانية
- الشخصية اليهودية شخصية منحلة اخلاقيا
- الشخصية اليهودية شخصية ايجابية طيبة

ملحوظة : من المؤكد ان المؤلف استعان بمجلة « عالم الفكر » الفصلية التي تصدر عن وزارة الاعلام في الكويت . وليس « بعالم المعرفة » سلسلة الكتب التي تصدر شهريا عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب في الكويت .



في السياسة والأمن

تأليف أمين هويدى

الناشر : معهد الانماء العربي ـ بيروت .

يؤكد الكاتب على ان الأمن العربي في خطر ، بسبب وجود ما أطلق عليه « فجوة الامن العربي » ، ويرجع سبب هذه الفجوة الى غياب الارادة العربية وتضاؤل القوة الذاتية العربية » .

ويقول عن السياسة انها لا ترتكز على القواعد الاخلاقية ، فهى حسب رأيه « غابة كبرى » و « مسرح كبير » بل هي « سوق تجارية نشطة » يعتبر اى اتفاق يتم فيها ترجمة حقيقية لقوى الموقعين عليه .

لذلك فإنه يؤكد على توفير عدة متطلبات اذا ماأريد استعادة « الأمن العربي » والتوجه للعمل الجماعى ، ومنها :

- توفر وحدة الأهداف والمصالح
- الاتفاق على تحديد الاعداء والاصدقاء .
- وجود قيادات سياسية واعية متفهمة وقيادة عسكرية واحدة .
- التنازل المتبادل في المتطلبات القطرية لصالح الاهداف القومية
- التفهم الكامل للفرق بين الخلاف في الرأى والقطيعة بين القيادات
- تنويع مصادر التسليح على المستوى القومى
- الوعى بلغة الحوار المستخدمة في ادارة الصراع الاقليمى والعالمي
- التعامل مع المتغيرات المحلية والعالمية
- الوعى بالمخاطر القائمة لتداركها ، والتهديدات المحتملة لتفاديها والى ايمان كامل بالمصلحة الجماعية .

نود أن نشكر قراءنا لاقبالهم على الاشتراك في المسابقات الثقافية .. فقد جاوز عدد المشتركين فى مسابقة عدد (٢٩٠) وحدها ... ٤ ، علما بأننا اضطررنا لاغفال مجموعة كبيرة من الرسائل ، لواحد او أكثر من الأسباب التالية :

■ وصول تلك الرسائل متأخرة ، بعد حلول الأول من شهر مارس

■ عدم ذكر الاسم والعنوان داخل الرسالة ، بالاضافة الى ذكرهما على ظهر الغلاف ..

■ عدم وجود كوبون المسابقة ملصقا على الرسالة

والمسابقة الثقافية لها هدفان ، كما سبق ان ذكرنا .. أولها امتحان معلومات المشتركين العامة ، وكذلك امتحان سرعة خاطرهم في استنتاج الرد الصحيح من التفاصيل التي يتضمنها السؤال نفسه . أما هدفها الثاني ، والأهم ، فهو تشجيع المشترك على البحث والعودة الى المراجع للعثور على الردود الصحيحة او بقصد التأكد من صحتها .. وجاءت ردود المسابقات الأربع الماضية مرضية فيما يتصل بالهدف الأول .. اما فيما يختص بالهدف الثاني فلم تكن تلك الردود مرضية ، مع الأسف ، وقد دلت على تقاعس المشتركين في الرجوع الى المصادر .. فكثرت الردود الخاطئة على الأسئلة اللغوية علما بان الرد الصحيح عليها يسهل الحصول عليه بالرجوع الى أحد المعاجم .. ! وقل مثل ذلك في الأسئلة الجغرافية والتاريخية .. نرجو ان تنجح المسابقات المقبلة حيث فشلت المسابقات الماضية .

١ ـ الرجلان المتزوجان من شقيقتين ..

هل نسميها (عديلان) ام (سِلْفان) .. ؟

٢ ـ البترول والنفط .. اسمان لشيء واحد ..

الاسم الأول لاتيني ، وقد أطلقه الرومان ومعناه زيت الصخر .. فمن أطلق الاسم الثاني ؟ :

■ العرب

■ الاغريق

■ الروس

٣ ـ البلدان التالية كلها متجانسة ما عدا واحدة :

■ كولونيا (كولن في المانيا ، حيث صنعت الكولونيا لأول مرة)

■ برلين (في المانيا)

■ افيون قره حصار (في تركيا وشهيرة بزراعة الافيون)

■ فرجينيا (في الولايات المتحدة وشهيرة بزراعة التبغ)

فأى هذه البلدان نشاز ولا يتجانس مع البلدان الثلاث الأخرى ؟

٤ ـ دول أمريكا الجنوبية وأمريكا الوسطى .. كلها تتكلم باللغة الاسبانية ماعدا واحدة .. تتكلم باللغة البرتغالية .. فأى دولة هذه ؟

■ بورتوريكو كما يستدل من اسمها (بورتو ..)

■ هايتي .. اذ كانت اول بقعة من العالم الجديد وطئتهاقدم كريستوفر كولمبس .. وكولمبس هذا برتغالي كما لايخفى ، وان كان ايطالي الأصل ..

■ البرازيل وذلك لوقوعها ضمن منطقة النفوذ البرتغالية لا الأسبانية ، وذلك وفق التقسيم الذى وضعه البابا آنذاك .

٥ ـ كريستوفر كولمبس هو مكتشف أمريكا ، وفاسكودى جاما هو مكتشف الطريق البحرى الى الهند ، فمن هو مكتشف خط الاستواء . . ؟

٦ ـ الطاووس طائر جميل جدا، ولاريب . وسر جماله انما هو في ريشه البديع الذى ينشره او يطويه حسبما يشاء . . ترى هل ريش هذا الطاووس جزء من جناحيه أم هو ذنبه . . أم ماذا . . ؟

٧ ـ صمويل كولت ، من أبناء الولايات المتحدة الامريكية . . اشتهر باختراع شيء ما ، سنة ١٨٣٥ ،كان له أثر بالغ في التاريخ الأمريكي . . فما هو هذا الشيء . . ؟

٨ ـ متى ولد السيد المسيح ؟

■ سنة ١ ميلادية . .

■ ولد المسيح سنة ٤ قبل الميلاد

■ ولد المسيح سنة ٦ بعد الميلاد

٩ ـ الكَرْج والباشْقَنْطش . . اسمان أطلقهما السّلف الصالح على بلدين او شعبين مختلفين ، أحدهما في شرق العالم العربي والآخر في غربه . .

فما هما الاسمان اللذان يعرف بهما الشعبان أو البلدان المقصودان في الوقت الحاضر . . . ؟

١٠ ـ الهيدروكربونات . . والكربوهيدرات . . .

أيها بترول وأيها غذاء . . ؟

١١ ـ تمثال الحرية القائم في مدخل ميناء نيويورك في الولايات المتحدة . . مصنوع من النحاس . . فأين صنعوه . . ؟

■ في الولايات المتحدة طبعا

■ في بريطانيا . . لأن الولايات المتحدة كانت في أول عهدها من التقدم وعاجزة عن صنعه ،

■ في فرنسا . . لأن تمثال الحرية هو الهدية التي قدمها الشعب الفرنسي الى الشعب الامريكي . .

١٢ ـ اوبرا عايدة مقطوعة موسيقية شهيرة عزفت لأول مرة في حفل افتتاح قناة السويس . .

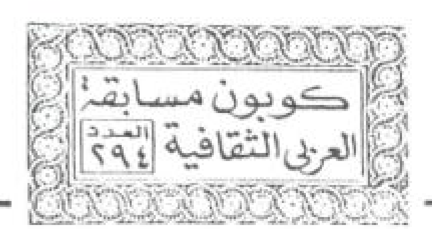
فمن هو الموسيقي الذى لحنها :

■ بيتهوفن

■ فِردى

■ شوبان

هذا وتخضع هذه المسابقة لنفس الشروط العامة التي خضعت لها المسابقات الثقافية السابقة . . كضرورة الاجابة على عشرة أسئلة اجابة صحيحة للفوز بجائزة . . الخ .





الافتتاحات أو مطالع الأدوار
مباديء عامة

تهدف الافتتاحات بشكل عام الى التعجيل باخراج القطع للاشتراك في المعركة ومصادمة قطع الخصم والذي يملى على اللاعب أن يسرع باخراج قطعه الضاربة بأسرع مايستطيع ، غير أن من الخطأ مهاجمة الخصم بقطعة كبيرة واحدة، لأن الخصم سيوجه جميع قطعه لمهاجمتها واقتناصها او على الأقل إجبارها على التراجع والعودة من حيث أتت وما ينطوي عليه ذلك من هدر للوقت وإتاحة الفرصة لقطع الخصم بالانتشار .

والافتتاحات عديدة ومتنوعة غير أنها جميعا تخضع للقاعدة الأساسية التالية :

« الاسراع بنشر القطع من الخطوط الخلفية »

ويمكن تلخيص الخطوط العامة لنشر القطع بالمباديء التالية :

١ : ابدأ بتقديم أحد البيادق لفتح خطوط الانتشار أمام قطعك

٢ : أسرع باخراج الأفراس لأنها أقوى ماتكون بعيدا عن الخطوط الخلفية او المربعات الجانبية ، وأفضل المواقع للافراس هو منتصف الرقعة حيث تسيطر على اكبر عدد من المربعات .

٣ : أسرع بنشر الأفيال ، ومن المستحسن أن تحتل مربعات متجاورة كي تتآزر في مهاجمة خطوط الخصم

٤ : سارع بالتبييت لأن في ذلك حماية للملك بالاضافة الى أنه خطوة مبدئية لنشر الرخاخ

٥ : اسمح للرخاخ باحتلال خطوط الوسط وسارع بتحسين مركز الوزير

والطابق التالي والذي يعرف بالطابق « الاسكتلندي » يوضح أهمية المباديء المذكورة .

ويعتبر الطابق الاسكتلندي من أبسط الافتتاحات وأتبسها ويهدف إلى تركيز الهجوم على الوسط ....

ويجري الدور كما يلي :

١ : ب ـ ٤ م   ب ـ ٤ م
٢ : ح ـ ٣ ف م   ح ـ ٣ ف و
٣ : ب ـ ٤ و

لعبة قوية تضطر الأسود للمبادلة

٣ : ....   ب × ب

ومن الاخطاء التي يرتكبها المبتدئون

(أ) ٣ : ......   ب ـ ٣ و
٤ : ب × ب   ح × ب
٥ : ح × ح   ب × ح
٦ : و × و +   م × و
٧ : ف ـ ٤ ف و

وهكذا يكون الأسود قد خسر حقه في التبييت كما أنه سيخسر مزيدا من الوقت في حماية بيدق « ف م » .

(ب) ٣ : ....   ح × ب
٤ : ح × ح   ب × ح
٥ : و × ب

وبالرغم من أن التبادل عامة في صالح الجانب المدافع فان المركز الممتاز الذي احتله وزير الأبيض يرجع له الفوز

٤ : ح × ب   ح ـ ٣ ف

وكان بامكان الأسود ان يرد كالتالي

٤ : ....   ف ـ ٤ ف
٥ : ف ـ ٣ م   و ـ ٣ ف
٦ : ب ـ ٣ ف و   ح م ـ ٢ م   ويكون الدور متعادلا
٥ : ح ـ ٣ ف و   ف ـ ٥ ح   وهو أفضل الردود

وينطوي على هجوم معاكس على بيدق الملك الأبيض

٦ : ح × ح   بهدف حماية بيدق الملك
٦ : ....   ب ح × ح

ومن الأخطاء التي يقع فيها اللاعب المبتديء

٦ : ....   ب و × ح
٧ : و × و +   م × و
٨ : ف ـ ٥ ح م   الابيض يهدد بكسب قطعة بأن يلعب
٩ : ب ـ ٥ م

٧ : ف ـ ٣ و   ب ـ ٤ و !   نقلة ممتازة يتمكن فيها الأسود من احتلال المربع « ٤ و » محققا بذلك مركزا دفاعيا رائعا .

٨ : ب × ب   ب × ب
٩ : ت   ت (تبييت قصير)
١٠ : ف ـ ٥ ح م

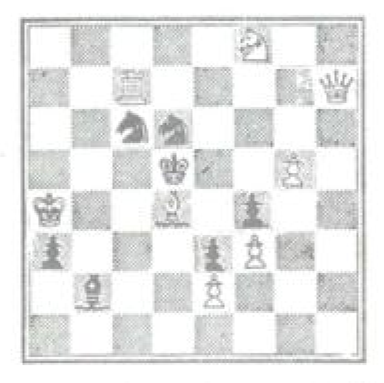
. نوبة النقل للأسود

نقلة هجومية خطرة لأن الأبيض يهدد بيدق الوزير
فإما (أ) ١١ : ف×ح و×ف
١٢ : ح×ب و×ب
١٣ : ر - ١ ح ويفوز الأبيض بالفيل
أو (ب) ١١ : ح×ب و×ح
١٢ : ف×ح ب×ف
١٣ : ف×ب + ويفوز بالوزير
١٠ : ...... ف - ٣ م لدعم « ٤ و » والرد على تهديد الأبيض
١١ : و - ٣ ف استعدادا لنقل « ر و » إلى « ١ و » أو « ١ م » مع التهديد بالمبادلة ليصبح الثاني من بيادق الأسود على خط واحد إضعافا لها
١١ : ... ف - ٢ م
١٢ : ر و - ١ م ر - ١ ح وبهذه النقلة يصبح الدور متعادلا تماما وتنتقل بعدها إلى مناورات وتعبئات أواسط اللعب

مسائل شطرنجية

مسألة رقم (١) الأبيض يلعب ويضرب مات بثلاث نقلات

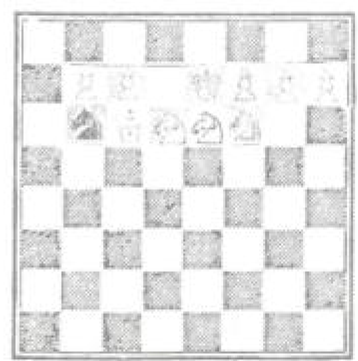
مسألة رقم (٢) الأبيض يلعب ويضرب مات بنقلتين





(١) ◄

(٢) ►





حل مسألة (١)
١ : و - ٧ م ! (رائعة) ح×و
٢ : ر - ٥ ف + م×ف (اجباري)
٣ : ح - ٦ م ≠
أما لو : ١ : ...... م×ف
٢ : و×ح + م - ٥ ف (اجباري)
٣ : ر×ح ≠
أما لو : ١ : ..... ح×ف
٢ : و - ٥ م + م×و (اجباري)
٣ : ر - ٥ ف ≠
أما لو : ١ : ..... م - ٥ ف
٢ : ر×ح + م×ف
٣ : و×ح ≠
أما لو : ١ : ..... ح×ف
٢ : و - ٥ م + م×و (اجباري)
٣ : ر - ٥ ف ≠
أما لو : ١ : ..... ف×ف
٢ : و - ٦ م + م - ٤ ف (اجباري)
٣ : ح - ٧ و ≠

حل المسألة رقم (٢)
١ : ب - ٨ ف م (ح) يلعب مايشاء
٢ : ب - ٨ ح (ح) ≠

ملاحظة : مهما كانت لعبة الحصان الأسود فانها لن تمنع الأبيض من هذه الضربة او ما يماثلها





اللهم اهد ثقيفا

● حاصر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الطائف وفيها ثقيف ، اكثر من عشرين يوما فلما استعصت على المسلمين ، امر النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ اصحابه بالرحيل عنها فقال له قائل : « يارسول الله، ادع على ثقيف » ، فرفع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يديه قائلا : « اللهم اهد ثقيفا وأت بهم مسلمين » .

وجدت فيها ثلاث نعم

● روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : ما اصابتني مصيبة الاوجدت فيها ثلاث نعم : الاولى ، انها لم تكن في ديني ، والثانية : انها لم تكن اعظم مما كانت ، والثالثة : ان الله يجازى عليها الجزاء الكبير ، ثم تلاقوله تعالى (اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون) .

جئنا للطعن والطاعون

● عندما هم الزبير بن العوام ـ رضي الله عنه ـ بفتح انطاكية قال له عمر بن الخطاب « رضي الله عنه » : يا ابا عبد الله هل لك في ولاية مصر ؟ فقال : لا حاجة لي فيها ، ولكن أخرج مجاهدا وللمسلمين معاونا ، فان وجدت عمروبن العاص قد فتح مصر ، لم اعرض لعمله، وقصدت الى بعض السواحل فرابطت بها ، وان وجدته في جهاد كنت معه .

وقدم الزبير على عمرو ، فوجده محاصرا حصن بابليون في الفسطاط، فلم يلبث الزبير ان ركب حصانه وطاف بالخندق المحيط بالحصن ، ثم فرق الرجال حول الخندق، وطال الحصار حتى بلغت مدته سبعة اشهر، فقيل للزبير ان بها الطاعون ، فقال : انما جئنا للطعن والطاعون .

وأبطأ الفتح على عمرو بن العاص ، فقال الزبير : اني أهب نفسي لله ، ارجو ان يفتح الله بذلك على المسلمين . . . فوضع سلما واسنده الى جانب الحصن وامر رجاله اذ سمعوا تكبيره أن يجيبوه جميعا، فما شعروا الا والزبير يكبر ومعه السيف .

وتحامل الناس على السلم حتى نهاهم عمرو خوفا من ان ينكسر ، فلما رأى الروم ان العرب قد ظفروا بالحصن انسحبوا، وبذلك فتح حصن بابليون ابوابه للمسلمين، فانتهت بفتحه المعركة الحاسمة لفتح مصر .

هند بنت النعمان

قيل ان خالد بن الوليد دخل يوما دير هند بنت النعمان بن المنذر ، فقال لها : أسلمي حتى ازوجك رجلا من المسلمين شريفا اصيلا ، يشبهك في حسبك فقالت : « اما ديني فمالي عنه رغبة ، ولا ابتغي به بدلا ، واما التزويج فلو كانت ليّ بقية ما تزوجت ولا رغبت فيه، فكيف وأنا عجوز هامة » (اى انها ميتة عن قريب)

قال لها : فسليني حاجة أقضيها ، قالت : « اكبر حاجتي هؤلاء النصارى الذين في ذمتكم » قال خالد : « نعم هذا فرض علينا في ديننا ، أوصانابه نبينا ـ صلى الله عليه وسلم ـ فهل غير هذا ؟ » قالت : « انا في هذا الدير ملاصقة لهذه الاعظم البالية من اهل بيتي وملتي حتى الحق بهم . » فأمر خالد بن الوليد لها بمال وكسوة فقالت : « مالي بشيء مما بذلته حاجة ، معي عبدان يزرعان مزرعة أتقوت منها بما يمسك رمقي ، وأصرف ما بقي في ضعفاء اهل ديني ، وقد اعتددت بقولك فعلا ، وبعدتك نقدا ، لا ملكتك يد افتقرت بعد غنى ، ولا ملكتك يد استغنت بعد فقر ، وأصاب الله بمعروفك مواضعه ، ولا ازال عن كريم نعمة الاجعل سبب ردها على يديك . »

لاصوت آخر يصف ساعة رولكس بمثل هذا الجمال



أحيت «كيري ﭫي كاناوا» أولى حفلاتها الغنائية، وهي في الخامسة عشرة، أمام جمهور من السيدات ينتمين إلى جمعية نسائية محلية في أوكلاند، نيوزلندا.

ولربما لامس صوت "كيري" وتراً حساساً في نفوس هذا الجمع من السيدات، إلا أن أياً منهن لم يخطر لها ببال ان الفتاة سوف يلمع نجمها لتصبح من أشهر مغنيات سوبرانو الأوبرا في العالم.

وكان ما تقاضته مقابل ظهورها على خشبة المسرح آنذاك مبلغاً سخياً مقداره جنيهان استرلينيان.

واليوم، وبعد قيامها بدور « دونا الڤيرا » من مسرحية « دون جيوڤاني » في باريس، أو دور الكونتس في مسرحية « عرس فيغارو » في كوفنت غاردن، بلغ التأثر منتهاه بكثير من النقاد حتى وصفوا صوتها بأنه لا يقدر بثمن.

وحينما غنت هذه النجمة العالمية، إن في نيويورك، لندن، باريس أو ميلانو، تلاقي تجاوباً رائعاً وحماساً منقطع النظير. يضاف إلى ذلك النجاح الخارق لفيلم " دون جيوفاني "- إخراج جوزيف لوسي - الذي تألقت فيه كيري بدور "الڤيرا".

تقول كيري، " إني مدينة بالكثير للتدريب والتكنيك الفني الذي اعتمدته أساساً حيث أصبح صوتي مكيفاً للغناء متخطياً كل المصاعب ". واختيار "كيري ﭫي كاناوا" ساعة لمعصمها لأمر يغمرنا بالسرور، حيث تقول: " بكل بساطة، رولكس اويستر ليدي - ديت جست الذهبية هي ساعة رائعة. وطوال سنوات، وأنا أستعملها، لم يحدث أبداً أن زلت أو أخلت ... وأنا أعلم كم من الصعب أن تبلغ الأمور مرحلة المئة بالمئة.

وكل يوم، وحيثما كنت، أمضي ساعة على الأقل في غناء دور مسرحي لأحافظ على صوتي نقياً رخيماً. لذا، أقدر الوقت حق تقدير، وكذلك المهارة والمجهود الذي يبذل لابداع شيء في منتهى الجمال والدقة، كهذه الساعة. "

"كيري ﭫي كاناوا" وساعتها رولكس ليدي - ديت جست.

لم يصدر عن أي صوت آخر تعبير بمثل هذا الجمال.

ROLEX
رولكس



ساعة رولكس ليدي - ديت جست المصوغة من الذهب عيار ١٨ قيراطاً أو من فولاذ لا يصدأ مع سوار ينسجم معها.



سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت

مايو - أيار
١٩٨٣م

مدخل إلى

تاريخ الموسيقا العربية

تأليف :
عبد العزيز بن عبد الجليل

الكتاب الخامس والستون

٥٠٠ فلس

المراسلات :
توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص ب ٢٣٩٩٦ الكويت

من المسرح العالمى

سلسلة ثقافية

تصدرها فى مطلع كل شهر

وزارة الإعلام فى الكويت

أول مايو ١٩٨٣

١٦٤

الأعزب

تأليف : إيفان تورجينيف - ٣

ترجمة وتقديم : د. سمية عفيفى

مراجعة : د. فوزى عطية

المجلة العربية للعلوم الإنسانية

مجلة فصلية محكمة ، تقدم البحوث الاصيلة والدراسات الميدانية والتطبيقية في شتى فروع العلوم الانسانية والاجتماعية باللغتين العربية والانجليزية .

تصدر عن جامعة الكويت

صدر العدد الأول في يناير ١٩٨١

رئيس التحرير د. عبدالله العتيبي

مدير التحرير عبدالعزيز السيد

- تتناول المجلة الجوانب المختلفة للعلوم الانسانية والاجتماعية بما يخدم القارىء والمثقف والمتخصص .
- تعالج موضوعات المجلة الميادين التالية :

اللغويات النظرية والتطبيقية – الآداب والآداب المقارنة – الدراسات الفلسفية الدراسات النفسية – الدراسات الاجتماعية المتصلة بالعلوم الانسانية – الدراسات التاريخية – الدراسات الجغرافية – الدراسات التربوية – الدراسات حول الفنون (الموسيقى – التراث الشعبي – الفنون التشكيلية – النحت ... الخ) – الدراسات الاثارية (الاركيولوجية) .

- تقدم المجلة معالجاتها من خلال نشر :

البحوث والدراسات – مراجعات الكتب – التقارير العلمية – المناقشات الفكرية .

- مواعيد صدور المجلة : كانون ثاني – نيسان – تموز – تشرين أول .
- تنشر المجلة ملخصات للبحوث العربية بالانجليزية ، وملخصات بالعربية للبحوث الانجليزية .

ثمن العدد : للأفراد ٤٠٠ فلس

للطلاب ٢٠٠ فلس

الاشتراكات السنوية

	داخل الكويت	في الخارج
– للمؤسسات	١٠ د.ك.	٤٠ دولاراً أمريكيا
– للأفراد	٢ د.ك.	١٥ دولارٌ أمريكيا
– للاساتذة والطلاب	١ د.ك.	١٠ دولارات أمريكية

- تقبل الاشتراكات في المجلة لمدة سنة أو عدة سنوات .
- قواعد النشر تطلب من رئيس التحرير .
- جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير :–

ص.ب : ٢٦٥٨٥ (الصفاة)

الكويت – الشويخ – ت : ٨٢١٦٣٩ – ٨١٧٦٨٩ – ٨٤٥٤٥٣



مجلة العلوم الاجتماعية

تصدر عن جامعة الكويت

فصلية اكاديمية علمية مختصة بالشؤون النظرية والتطبيقية في مختلف حقول العلوم الاجتماعية

رئيس التحرير د. أسعد عبد الرحمن

سكرتير التحرير عبد الرحمن فايز

يحوي العدد حوالي ٢٠٠ صفحة تشتمل على :

- ابحاث بالعربية تعالج مختلف حقول العلوم الاجتماعية.
- مراجعات لكتب حديثة تبحث الموضوعات التي تعالجها المجلة.
- ملخصات .
- ابواب ثابتة : تقارير علمية . دليل الجامعات والمؤسسات التعليمية العليا .
- ندوة العدد .

الاشتراكات :

للمؤسسات والدوائر الحكومية : في الكويت ١٢ ديناراً ، في الخارج ٤٥ دولار وما يعادلها.

للأفراد : في الكويت ديناران كويتيان ، دينار للطلاب .

في الوطن العربي : ديناران ونصف كويتيان أو ما عادلها ، ديناران للطلاب ،

في الدول الاخرى : ١٥ دولارا أمريكيا أو ما يعادلها

توجه جميع المراسلات والابحاث باسم رئيس التحرير على العنوان التالي :
مجلة العلوم الاجتماعية - جامعة الكويت - ص. ب ٥٤٨٦ الكويت
هاتف : ٥١٠١٨٨ / ٣٧٣ / ٢٥٠

مجلة
دراسات الخليج والجزيرة العربية

تصدر عن جامعة الكويت

رئيس التحرير
الدكتور عبد الله الغنيم

صدر العدد الأول في كانون ثاني (يناير) ١٩٧٥
تصل أعدادها الى أيدي نحو ٠٠٠ر١٢٥ قارئ

يحتوي كل عدد على حوالي ٢٥٠ صفحة من القطع الكبير تشتمل على : -

- مجموعة من الأبحاث تعالج الشئون المختلفة للمنطقة بأقلام عدد من كبار الكتاب المتخصصين في هذه الشئون .
- عدد من المراجعات لطائفة من أهم الكتب التي تبحث في المناحي المختلفة للمنطقة .
- أبواب ثابتة : تقارير - وثائق - يوميات - ببليوجرافيا .
- ملخصات للأبحاث باللغة الانجليزية .

ثمن العدد : ٥٠٠ فلس كويتي أو ما يعادلها في الخارج .
الاشتراكات : للافراد سنويا ديناران كويتيان في الكويت ، ١٥ دولارا أمريكيا في الخارج (بالبريد الجوي) .

للشركات والمؤسسات والدوائر الرسمية : ١٢ دينارا كويتيا في الكويت ، ٤٠ دولارا أمريكيا في الخارج (بالبريد الجوي) ؛

منشورات المجلة :

تصدر المجلة أيضا دراسات مستقلة متعلقة بشئون المنطقة صدر منها

١- كتاب **التكامل الاقتصادي في الخليج العربي (د . محمد هشام خواجكية) . ١٩٧٩ .**
٢- كتاب **آفاق التنمية الصناعية في دول الخليج العربي (د . عبد الاله أبو عياش) . ١٩٧٩ .**
٣- كتاب **حقوق الطفل في دولة الكويت (د . بدرية العوضي) . ١٩٧٩ .**
٤- كتاب **الاحصاءات الاقتصادية في المملكة العربية السعودية (بدوي خليل) ١٩٨٠ .**
٥- دور **جريدة فتاة الجزيرة في أحداث عام ١٩٤٨ بصنعاء (سلطان ناجي) ١٩٨٠ .**

سلسلة وثائق الخليج والجزيرة العربية لعام صدر منها :
الكتاب الأول - **وثائق الخليج والجزيرة العربية لعام ١٩٧٧ . ١٩٧٩ .**

العنوان : جامعة الكويت - كلية الآداب والتربية - الشويخ - دولة الكويت .
ص . ب : ١٧٠٧٣ - الخالدية
الهاتف : ٨١٦٨٠٧ - ٨١٦٧٩٩ - ٨١٦٨٤

جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير .

أفكار مسلية من توشيبا

AUTO REVERSE Bombeat DR-01

تتلخص أفكار توشيبا الكثيرة في استخدام الخبرات التقنية المبدعة لجعل أجهزة التسلية المنزلية أكثر تشويقًا وإثارة.

فجهاز الفيديو مثلاً إضافة إلى أن فيه منظم آلي للفلطية فهو قابل للتعديل حسب أنظمة بال، سيكام و إن. في. أس. سي. كما أن معادلة ٢- في-١ التي نتبعها هي الأولى التي تقدم لكم جهاز تسجيل يعمل دون توقف وذاتي الإنعكاس (أوتو رڤيرس). جربوا أيضًا أفكار التسلية الأخرى التي نتيحها لكم.



AUTO REVERSE Bombeat HR-01

- قوة الخرج ٣٢ واط (الحد الأقصى)
- أربع موجات (أف. أم/متوسطة/قصيرة١/قصيرة٢)
- نظام ستيريو
- نظام مكبرات صوت قابلة للفصل







Beta

V-9680

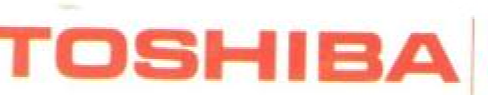
- بال/سيكام/إن. في. أس. سي ٤,٤٣
- آلية للتحكم عن بعد
- منظم آلي للفلطية ٩٠ - ٢٥٠ فولت





C-2057QB

- جهاز ٢٠ إنشًا «بلاك سترايب ٢»
- بال/سيكام/ان. في. أس. سي ٣,٥٨/٤,٤٣
- منظم آلي للفلطية





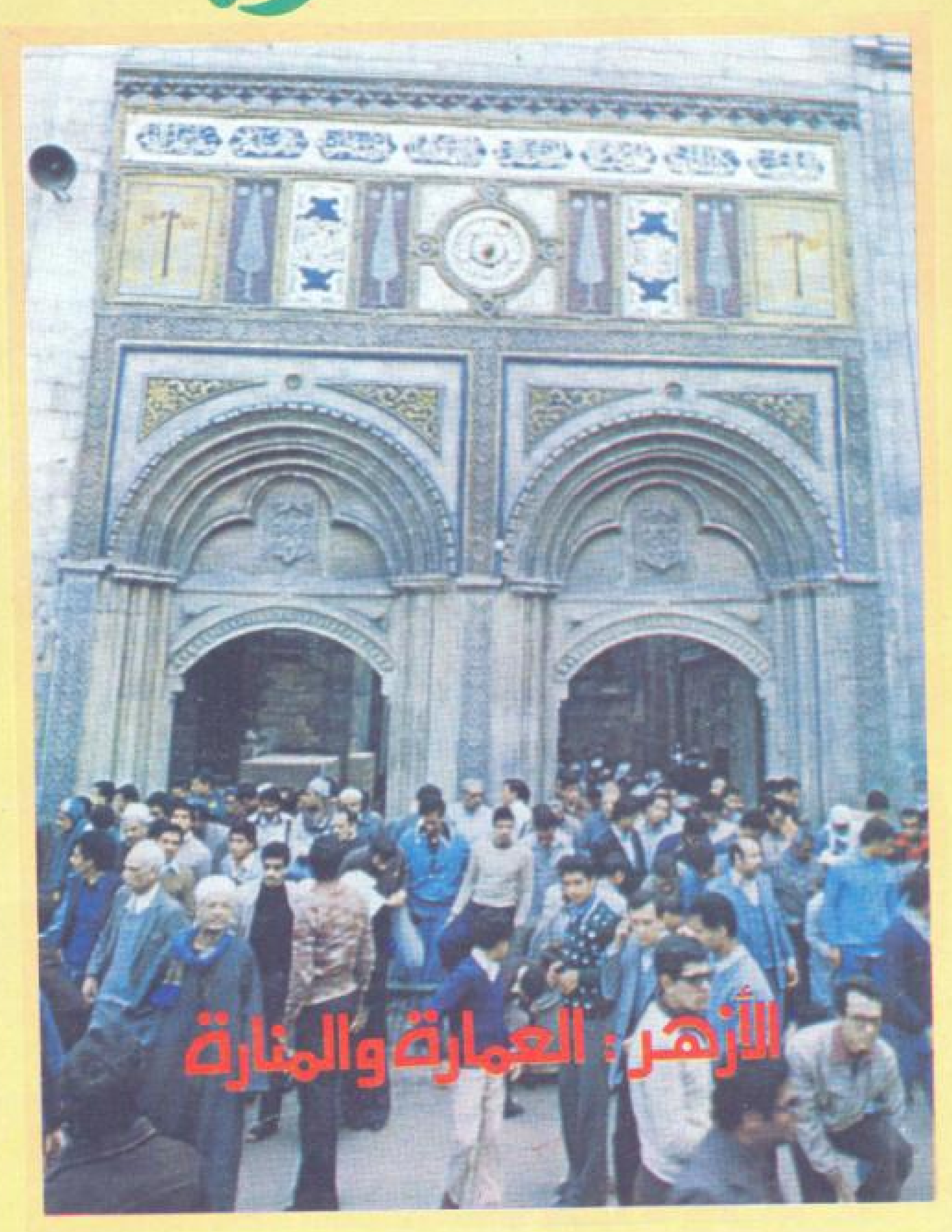
TOKYO, JAPAN



اولمبياد لوس انجلس ١٩٨٤
يختار
منتجات سانيو للڤيديو
فلماذا لا تختارها أنت؟
المهرجانات والمباريات المثيرة للألعاب الاولمبية الصيفية تحدث مرة كل ٤ سنوات.
ولهذا تفتخر سانيو باختيار منتجاتها للڤيديو لتنقل إليكم أكثر المباريات إثارة لكافة الأحداث الرياضية العالمية.
إن منتجات سانيو للڤيديو تحتوي على أحدث الأجهزة الفنية المتطورة:
مفاتيح تحكم متعددة الأغراض تعمل ببساطة ودقة للتسجيل والمشاهدة.
أجهزة مدمجة وخفيفة الوزن. متينة وتخدم لمدة أطول. تشغيل وتخزين سهل لأشرطة بيتاكورد كاسيت التي تعمل لمدة ١٩٥ دقيقة للتسجيل أو للمشاهدة.
المزيد من الناس في جميع أنحاء العالم يختارون منتجات سانيو للڤيديو لتسجيل أعز الذكريات.
فلماذا لا تختارها أنت؟
أنظمة ڤيديو نقالة
VSC 5800* كاميرا ڤيديو ملونة بسرعتين - تقريب آلي كهربائي «زوم» من ٦ إلى ١ - ميكروفون مثبت بالداخل.
VPR 5800* مسجل ڤيديو نقال بآلية البحث عن الصورة بسرعة عالية - وقف فوري للصورة - متوقف بلمس الريشة. بطارية يعاد شحنها - الموديل VPA 5800* مع موصل / شاحن للبطارية.
VTT 5800* منغم / مؤقت للڤيديو مع ١٢ مفتاح للقنوات للاعداد المسبق تعمل باللمس الخفيف.
إنتقاء ٥ برامج / لمدة أسبوعين.
* نظام بال.
متوفرة ايضاً بنظام NTSC
Beta
VPR 5800
VTT 5800
VSC 5800
SANYO
منتجات الڤيديو الرسمية لاولمبياد لوس انجلس ١٩٨٤
سانيو
SANYO

العربي

شعبان ١٤٠٣هـ - يونيو (حزيران) ١٩٨٣م



الأزهر: العمارة والمنارة

عزيزي القارئ

ثمة معان جليلة وعظيمة تتداعى عندما يقبل شهر رمضان ، الذي يمثل في حياة المسلم مناسبة سنوية للتطهر والاغتسال من الداخل وتجديد الصلة بين الانسان وبين الله سبحانه وتعالى .

أبرز هذه المعاني وأهمها ان الصيام الحقيقي ليس امتناعا عن الطعام والشراب ، ولكنه في حقيقته موقف . هو امساك عن الأذى واللغو ، وترفع عن الصغائر واقبال على الله بالقلب والحواس . فكما ان الصلاة ليست فقط وضوءا وقياما وقعودا ، ولكنها بنص البيان الالهي ، تنهى عن الفحشاء والمنكر . هي أيضا موقف ، اذا لم ينعكس على سلوك المرء وأدائه ، فانه يظل مؤديا شكل العبادة معطلا وظيفتها .

وهذه النظرة الوظيفية للتعاليم تحتاج منا الى تأكيد والحاح دائمين . ذلك أن الدين عند كثيرين : هو فقط امتثال للتعاليم وأداء للطقوس . لكن هذه الحدود وحدها لا تكفي ، فالامتثال ضروري والطقوس لازمة . ولكن هذا وذاك ليس الا وسيلة تخدم وظيفة معينة ، وقصدا مرصودا يصب في غاية بذاتها . اذ ليس ادخال الناس في سلطة الدين هدفا لذاته ، ولكنه سبيل يرسم للمؤمنين لكي يوظفوا هذه التعاليم من أجل بناء أفضل في الدنيا ، ومآل أعظم في الآخرة ، وذلك لا يتحقق إلا بترجمة التعاليموالطقوس الى سلوك ايجابي وأداء مستمر واعمار مستمر .

ان مدارس النصوص والطقوس استغرقت الكثير من حياتنا العقلية ، وآن الاوان لأن نفتح الباب على مصراعيه لمدارس المقاصد والوظائف .. فهو الباب الذي يحول الدين الى سلاح نافذ وفعال للتقدم ..

وكل رمضان وانتم طيبون .

« المحرر »

العربي

العدد ٢٩٥ - يونيو ١٩٨٣

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

رئيس التحرير الدكتور محمد الرميحي

مدير التحرير فهمي هويدي

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت للوطن العربي وكل قارىء للعربية في العالم . الوزارة غير مسؤولة عما ينشر فيها من آراء . والمجلة غير ملتزمة باعادة أي مادة تتلقاها للنشر .

ثمن العدد . بالكويت ٢٠٠ فلس ، السعودية ٤ ريالات ، العراق ٢٠٠ فلس ، الأردن ٢٠٠ فلس ، سوريا ٢٠٠ قرش لبنان ٢٠٠ قرش ، مصر ١٥٠ مليما ، السودان ١٥٠ مليما ، المغرب ٣ دراهم ، تونس ٣٥٠ مليما ، الجزائر ٣ دنانير ، البحرين ٣٠٠ فلس ، قطر ٤ ريالات ، الامارات العربية المتحدة ٤ دراهم ، اليمن الشمالي ٣ ريالات ، اليمن الجنوبي ٢٥٠ فلسا ، ليبيا ٢٥٠ درهما .

الاعلانات : يتفق عليها مع الادارة - قسم الاعلانات

المراسلات : باسم رئيس التحرير

عنوان المجلة بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ - تلفون ٤٢٧١٤١ ٤٦٨٢٤٢

تلغرافيا « العربي »

الاشتراكات

ترسل الطلبات الى :

قسم الاشتراكات

المكتب الفني - وزارة الاعلام

ص . ب (١٩٣) - دولة الكويت

على طالب الاشتراك تحويل قيمة الاشتراك بموجب حوالة مصرفية أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الاعلام ، طبقا لما يلي :

البلاد العربية ٣٫٥٠٠ (ثلاثة دنانير ونصف)

بلاد غير عربية ٥٫٠٠٠ (خمسة دنانير)

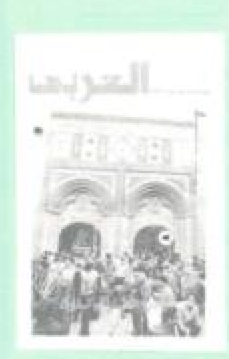
AL—ARABI, No. 295 June 1983

— P. O. Box 748, KUWAIT.

محتويات العدد

قضايا عامة :

عروبة واسلام :



صورة الغلاف

* بوابة الجامع الازهر بعد صلاة الجمعة . وقد تزاحم الخلق حولها ، في مشهد يتكرر منذ أكثر من ألف عام ، ظل الأزهر خلالها منارة لم ينطفىء نورها .

(اقرأ الاستطلاع - ص ٦٨) .

طب وعلـــوم :

اللاسلم واللاحرب !



.. وما الانتحار في نهاية الأمر ؟ هو ذروة الحرب الأهلية داخل النفس البشرية ، والتعبير النهائي عن تدمير جزء من الذات الواحدة للجزء الآخر منها . مسيرة الانتحار تبدأ عندما تدخل الجماعة في حالة أطلق عليها في القاموس السياسي والصحفي العربي « حالة اللاسلم واللاحرب ! » فهي أفضل بيئة لتفريخ الانتحار . (اقرأ المقال ص ٢٠) .

على هامش

الحياة الكونية

حول موضوع « البحث عن أذكياء فيما وراء الأرض » ، تلقى الكاتب الكثير من التساؤلات ، وتركزت معظم الأسئلة على نوع وشكل هذه الكائنات ، وهل هي تشبهنا أم تختلف عنا ؟ وفي هذا المقال يجيب الدكتور عبدالمحسن صالح عن الاستفسارات التي تلقاها . . . انه يقول ان المخلوقات الكونية ليست بالضرورة أن تكون تكرارا للمخلوقات الأرضية ، فالكائنات ربيبة بيئتها . .

(اقرأ المقال ص ٣٠) .

آداب وفنـــون :

اجتمـــاع :

تاريخ وشخصيات :



رمضان كريم

شهر رمضان ، شهر متميز عند المسلمين ، فقد احتفى المسلمون به في سائر الاقطار ، واحاطوه بأنواع التكريم وأحيوا لياليه بصنوف العبادة ، وأغدقوا فيه الخير على الفقراء والمعوزين ، وامتدت عنايتهم برمضان حتى قبل بدايته والى آخر يوم فيه . . . انه شهر الخير . . . شهر البر والتقوى .

« يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام » (اقرأ المقال ص ٥٦) .

حوار مع عملاق

المهندس حسن فتحي حياته ملحمة نضالية مستمرة ، واجه الاحباط في كثير من مشاريعه ، ولكنه بقي صامدا يقول ما يؤمن به ، وما أكثر ما تحولت كلماته الى سهام . . . أصابت الذين ابتعدوا بالفن الذي وهب حياته له .

انه أستاذ أساتذة فن العمارة المعاصر .

(اقرأ الحوار مع عملاق الهندسة ص ٩٥) .

بين الدين والابداع

الابداع الفني الاسلامي ـ بمفهومه الواسع ـ لغة يحاول فيها الفنان أن يعبر تعبيرا جماليا في اطار عقيدته .

ونحن مع الابداع الفني الاسلامي في متحف كبير ، تمتد قاعاته من اليابان والصين شرقا ، الى المحيط الاطلسي غربا ، وينتشر في افريقيا جنوبا واوروبا شمالا ، ومنه الآن فروع في العالم الجديد واستراليا . . . هناك تستقر جماعات اسلامية نقلت معها أقباسا من هذا الفن .

(اقرأ المقال ص ١٣١) .

استطلاعات مصورة :

أبواب ثابتة :

حديث الشهر

بقلم

الدكتور محمد الرميحي



الحكمة

يسجل لنا التاريخ العربي والاسلامي الحديث مجموعة من الأعلام المجددين الذين واجهوا تحدي الاندفاع الغربي الأوربي نحو الوطن العربي ، بتحد داخلي في الاصلاح والتطوير . من هذه الأسماء رجال عرف فضلهم وانتشر كالشيخ محمد بن عبد الوهاب في نجد ، والشيخ محمد علي السنوسي في المغرب وآخرون حفظ لهم التاريخ سير حياتهم وأعمالهم . أما بعضهم الآخر فلم يذكرهم تاريخنا الحديث الا لماما من بينهم محمد بن علي الشوكاني ، الذي لم يعرف على نطاق واسع الا في الفترة الأخيرة ، حيث قام مجموعة من الشباب اليمني بتحقيق تراثه ونشره .

هذا الامام نشأ قريبا من صنعاء ونبغ في مجاله الديني الى أن تولى القضاء في تلك البلاد في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر ١٧٩٥م ، وقد كتب مجموعة من الكتب في الفقه ، اصبحت بعد ذلك مرجعا للباحثين والمجددين . ومن أشهر هذه الكتب مؤلفه الكبير « نيل الأوطار من اسرار منتقى الأخبار » ـ ٨ أجزاء ـ لكن كتابه الهام « أدب الطلب » لا يحظى بنفس الذيوع ، وان لم يكن أقل أهمية . وعنوان الكتاب يفهم منه انه يدور حول أدب طلب العلم وما يجب أن يتحلى به





طالب العلم من منهج ـ على حد التعبير الدارج اليوم ـ وهذا الكتاب نشره مركز الدراسات والأبحاث اليمنية ، وحققه الباحث عبد الله محمد الحبشي ، وهو عبارة عن سيرة علمية كتبها الشوكاني بنفسه ولطلابه تميزت بصراحة وعمق ، وبمقارنتها اليوم بما هو موجود ومطبق من اخلاقيات العلم والعلماء يمكن اعتبار تعاليم الشوكاني متقدمة كثيرا على ما هو موجود .

فهو ارشادات مطولة واستشهادات تاريخية لما يجب أن يكون عليه طالب العلم . وهي تستغرق ثلثي الكتاب البالغ حجمه ١٧٥ صفحة من القطع المتوسط . أما الثلث الباقي فهو مقسم الى فصول صغيرة في بيان ما ينبغي لطالب العلم تعلمه ، ثم تصور الشوكاني لما سماه بالطبقات الأربع من حملة العلم ، تبدأ بالطبقة الأولى وتنتهي بالطبقة الرابعة ـ ثم فصل صغير اخر تحت عنوان : بناء الشريعة على جلب المصالح ودرء المفاسد ، ثم ينتهي بفصلين صغيرين يتكلمان على التوالي حول موضوعات انكار المؤلف لحيل الفقهاء ، وابتلاء الاسلام بالمذاهب وتقديس الأموات .



عقبات ما زالت قائمة

وبمقارنة ما كتبه الشوكاني في اطار التحليل العلمي الحديث ، يجب ألا يغيب عن أذهاننا أن ما كتبه كان منذ أكثر من مائة وخمسين سنة (١٢٤٠ هـ -١٨٢٥م) وبروح العصر يومئذ وفي الظروف الاقتصادية والاجتماعية التي كانت تمر بها اليمن نستطيع أن نفهم ما كتبه الشوكاني على انه متقدم كثيرا على عصره بل ان بعض الأسس التي ذكرها في طلب العلم لا يمكن ان تطبق بكل سهولة في عصرنا هذا - فلا زالت عقبات كثيرة ذكرها في كتابه قائمة الى يومنا هذا .

ليس كل ما كتبه الشوكاني في هذا الكتاب لا يحتمل المناقشة ، الا أن جوهر الكتاب يحث على بعض الفضائل التي يجب أن يتحلى بها أهل العلم وعلى الطريقة التي يجب أن يتبعوها في مناقشة الآخرين واقناعهم .

وعلى الرغم من أن الشوكاني ينقد نقداً شديداً بعض علوم (المقلدين وأهل الرأي) الا أنه ينصح الطالب بدراسة كل العلوم ، والا يترك شيئا منها الصالح والفاسد - العلوم الشرعية والعلوم الوضعية فيقول :

« لا بأس على من رسخ قدمه في العلوم الشرعية أن يأخذ بطرف من فنون هي من أعظم ما يصقل الأفكار ويصفي القرائح ، ويزيد القلب سروراً ، والنفس انشراحاً ، كالعلم الرياضي ، والطبيعي ، والهندسة والهيئة والطب » .

التعصب ضد العلم

تحدث الشوكاني كثيرا حول ظاهرة التعصب وينقدها بعنف وضراوة ، فهي ضد العلم - والتعصب مذموم عند الشوكاني لأكثر من سبب - فالتعصب قد يكون لأحد علماء الاسلام .

(بأن تجعل ما يصدر عنه من الرأي ويروى له من الاجتهاد حجة عليك وعلى سائر العباد . فانك ان فعلت ذلك كنت قد جعلته شارعا لا

متشرعا . ومكلّفا لا مكلّفا)

ففي رأي الشوكاني أن مثل هؤلاء مجتهدون يمكن ان يصيبوا أو يخطئوا ولكن لا يجب التعصب الأعمى لما يقولونه .

ويضرب الشوكاني مثلا لقارئه بنفسه في تقصي الحقائق ومقارنتها في حالة اختلاف الرأي فيها فيقول :

(ثم ما زلت بعد كما وصفت لك انظر في مسائل الخلاف وادرسها على الشيوخ ولا اعتقد ما يعتقده أهل التقليد من حقية بعضها ، بمجرد الإلف والعادة والاعتقاد الفاسد ، والاقتداء بمن لا يقتدى به ، بل أسائل من عنده علم بالأدلة عن الراجح) .

ومن أسباب التعصب للرأي الجدل وحب الغلبة حتى لو كان هذا الجدل بغير أساس صحيح من العلم فيقول .

(ومن جملة الأسباب التي يتسبب عنها ترك الانصاف وكتم الحق وغمط الصواب ما يقع بين أهل العلم من الجدال والمراء ، فان الرجل قد يكون له بصيرة وحسن ادراك ومعرفة بالحق ورغوب اليه ، فيخطيء في المناظرة ويحمله الهوى ومحبة الغلب وطلب الظهور على التصميم على ما قاله وتصحيح خطئه وتقويم معوجه الجدال والمراء ، وهذه الذريعة الابليسية والدسيسة الشيطانية قد وقع بها من وقع في مهاوي من التعصبات ومزالق من التعسفات عظيمة الخطر مخوفة العاقبة) .

ومن آفات التعصب ان لا يرجع المرء بالصواب ان صححه من هو أصغر منه سنا ، وأقل مقاما ، فالحق لا يعرف السن ، أو الفئة الاجتماعية أو الشهرة بين الناس . يقول في ذلك :

(ومن الآفات المانعة عن الرجوع الى الحق أن يكون المتكلم بالحق حدث السن بالنسبة الى من يناظره ، أو قليل العلم ، أو الشهرة في الناس ، والآخر بعكس ذلك ، فانه قد تحمله حمية الجاهلية والعصبية الشيطانية على التمسك بالباطل انفة منه عن الرجوع الى قول من هو أصغر منه سنا ، أو أقل منه علما ، أو أخفى شهرة ، ظنا منه أن في ذلك عليه ما يحط منه وينقص ما هو فيه) .

ولكن شروط الشوكاني (للمتكلم بالحق) شروط علمية وافية ـ فهو لا يقر خلاف الكبير ضد الصغير ،أو ذي الشهرة على فاقدها ، ولكن يحرص على الشروط



الموضوعية لطلب العلم والتحدث فيه ومنها فهم اللغة ، ودراسة المجتمع والحرص على دراسة العلوم الأخرى .

(قلت أعلم أن ما كان من أصول الفقه راجعا الى لغة العرب رجوعا ظاهرا مكشوفا كبناء العام على الخاص ، وحمل المطلق على المقيد ، ورد المجمل الى المبيَّن وما يقتضيه الأمر والنهي ونحو هذه الأمور ، فالواجب على المجتهد أن يبحث عن مواقع الألفاظ العربية) .

ليس ذلك فحسب فالمتكلم بالحق عليه ألا يتكلم في علم لا يعرفه بل من الواجب عليه أن يتعلم ذلك العلم ويتقنه حتى تأتي اجتهاداته بشمولها مقنعة ـ ويتحدث الشوكاني بفيض رائع في ذلك فيقول :

(واني لأعجب من رجل يدعي الانصاف والمحبة للعلم ويجري على لسانه الطعن في علم من العلوم ، لا يدري به ولا يعرفه ولا يعرف موضوعه ولا غايته ولا فائدته ولا يتصوره بوجه من الوجوه ، وقد رأينا كثيرا ممن عاصرنا ، ورأيناه يشتغل بالعلم وينصف في مسائل الشرع ، ويقتدي بالدليل فاذا سمع مسألة من فن من الفنون التي لا يعرفها كعلم المنطق والكلام والهيئة ونحو ذلك نفر منه طبعه ونفر عنه غيره ، وهو لا يدري ما تلك المسألة ولا يعقلها قط ولا يفهم شيئا منها ، فما أحق من كان هكذا بالسكوت والاعتراف بالقصور والوقوف حيث أوقفه الله) .

لو قدر للشوكاني العيش بيننا واللحاق بثورة المعرفة والعلم لكان اجتهاده أوسع بكثير من طلب تعلمه المنطق والكلام ـ بل ليذهب الى جميع العلوم المعروفة حتى يمكن التكلم بالحق من أن يصل الى معرفة شاملة بالموضوع الذي يريد . وربما أضاف علوم القانون والاجتماع وعلم النفس والعلوم الطبيعية .

البنية الاجتماعية

يفرد الشوكاني في رسالته هذه أكثر من فقرة ليناقش البنية العامة التي تحيط بالعالم فيتأثر بها ـ فيقول في أحد المواقع في كتابة هذا :

« واعلم أن سبب الخروج عن دائرة الانصاف والوقوع في موبقات التعصب كثيرة جدا فمنها ـ وهو أكثرها وقوعا ، واشدها بلاء ـ أن ينشأ

طالب العلم في بلد من البلدان التي قد تمـذهب أهلها بمـذهب معين واقتدوا بعالم مخصوص . . واعتقادهم أن الحق مقصور عليه منحصر فيه وأن غيره ليس من الدين ولا هو من الحق » .

ويعود في موضع آخر ليناقش الجو الاجتماعي حيث يقول

(فالناشيء في دولة ينشأ على ما يتظهر به أهلها ويجد عليه سلفه فيظنه الدين الحق والمذهب العدل ثم لا يجد من يرشده الى خلافه ان كان قد تظهر أهله بشيء من البدع وعلموا على خلاف الحق)

في هذين النصين السابقين تبدو لنا محاولة هذا العالم الجليل ربط ما نسميه اليوم بالواقع الاجتماعي الاقتصادي بفكر ومعتقدات الناس ، وكيف يؤثر هذا الواقع على تقبلهم أو رفضهم لهذا الفكر أو ذاك .

ولكنه عندما يوجه طالب العلم الى الدعوة أيضاً يأخذ في حسابه التدرج المنطقي . فالدعوة الى الحق تستبعد الارهاب والتخويف وتأخذ بالمنطق والمجادلة الحسنة . وهو يقول في ذلك :

« انك لا تأتي الناس بغتة وتصك وجوههم مكافحة ومجاهرة ، وتنعي عليهم ما هم فيه نعيا صراحا وتطلب منهم مفارقة ما الفوه طلبا مضيقا ، وتقتضيه اقتضاء حثيثا ، بل اسلك معهم مسالك المتبصرين في جذب القلوب الى ما يطلبه الله من عباده ، ورغبهم في ثواب المنقادين الى الشرع ، المؤثرين للدليل على الرأي وللحق على الباطل » .

ويشير المؤلف الى أن هناك ثلاث فئات اجتماعية في أي مجتمع يجري محاورتها واقامة الدليل العلمي من أجلها ، وهم من اسماهم بالعامة والخاصة وطبقة متوسطة بين العامة والخاصة ـ ويذهب في شرح خصائص كل فئة بما يقارب التحليل الاجتماعي الحديث .

الجبهة الداخليـــــة

من أطرف ما يشير اليه الشوكاني في كتابه هذا (أدب الطلب) تصوراته حول ما نسميه اليوم بالجبهة الداخلية ـ وكيف أنه ان قويت هذه الجبهة قويت الأمة في مواجهة اعدائها وان ضعفت حصل العكس . واقرأ معي تجربته هذه . يقول :



(ومن غريب ما احكيه لك من تأثر هوى الملوك والميل الى ما يوافق ما ينفق عندهم واقعة معي مشاهدة لي وان كانت الوقائع في هذا الباب لا يأتي عليها الحصر ، وهي مودعة بطون الدفاتر ، معروفة عند من له خبرة باحوال من تقدم) .

ثم يشير الى تجربته بقوله : « عقد خليفة العصر (الامام) مجلسا جمع فيه وزراءه وأكابر أولاده وكثيرا من خواصه ، وحضر هذا المجلس من أهل العلم ثلاثة أنا أحدهم . وكان عقد هذا المجلس لطلب المشورة في فتنة حدثت بسبب بعض الملوك ووصول جيوشه الى بعض الأقطار الأمامية وتخاذل كثير من الرعايا واضطرابهم وارتجاف اليمن باسره بذلك السبب ـ فأشرت الى الخليفة (الامام) بأن أعظم ما يتصول به الى دفع هذه النازلة هو العدل في الرعية والاقتصار في المأخوذ منهم على ما ورد به الشرع وعدم مجاوزته في شيء واخلاص النية في ذلك » .

من هذا النص تبين لنا أن الشوكاني لم يذهب في تفسير الهزيمة والخوف الى أمور غير عقلانية ولكنه أصاب كبد الحقيقة عندما أشار الى اصلاح الواقع الاقتصادي الاجتماعي واشاعة روح العدل .

فالعلم لديه قول الحق لا ابتغاء (مكسب ولا منصب) فالعلماء ليسوا طالبي المكسب والمنصب . وله فيمن يعمل لذلك رأي واضح .

(فإن من كان طالبا للوصول الى شيء من هذه الامور « مكسب من مكاسب الدنيا أو منصب من مناصب الاسلاف » ذهب الى مدارس العلم يتعلم ما يتأهل به لما يطلبه .. فيكون ذهنه كليلا وفهمه عليلا ونفسه خائرة ونيته خاسرة) .

ويتوجه الشوكاني الى أهداف الشريعة فيراها أنها تُبنى على جلب المصالح ودرء المفاسد ، وطريقته الى ذلك الارشاد والتيسير دون التعسير ، والتبشير دون التنفير ـ ويضرب في ذلك أمثلة كثيرة مما قرأه او من ممارسة الحياة وخبرته .

اذا عرفت في النهاية أن الشوكاني قد كتب هذا الكتاب الذي وضع فيه تجربته وآراءه واسدى فيه نصائح لطالب العلم في الربع الأول من القرن التاسع عشر (حوالي ١٨٢٥) تعرف ما لهذا العالم الجليل من أفق واسع في ذاك الزمان جعله محط سخط كثير من أقرانه ومعاصريه ، ولكننا عندما ننظر اليه من منظور من جاء بعده نعرف مقدار ما يعاني المصلحون من صعاب في سبيل قول الحق لأهل زمانهم . ونتذكر القول المأثور بأن الحكمة يمانية .



بقلم الدكتور : أحمد كمال أبو المجد

من واجب الجميع ـ عربا ومسلمين ـ أن يرهفوا السمع ويدققوا النظر الآن ، لكي يستقبلوا بالحفاوة والترحيب موكبا جديدا من مواكب الخير تلوح شواهده من بعيد .



فمن خلال السحب الكثيفة التي حجبت وجه الاسلام المشرق عن الدنيا مئات من السنين . . ووسط المشاعر المعقدة المختلطة التي أثقلت حياة الملايين من العرب والمسلمين . . ، احساسا بالحيرة ، وادراكا لحقيقة التخلف الذي أحاط بالأمة فنزع منها قيادة الدنيا وردها الى وراء . . ونزع من قلوب أبنائها الثقة في النفس والأمل في

المستقبل . . وبعد سنوات طويلة استسلمت فيها جماهير العرب والمسلمين لصراع ظاهر معلن أحيانا ، وخفي مستتر بأثواب ملفقة أحيانا أخرى ، بين مدرستين فكريتين تنازعتا ساحة الأمة من أدناها الى أقصاها : مدرسة الجمود على الموجود ، والوعيد لدعاة التجديد . . والصياح ـ مع كل صباح ـ بأن آخر هذه الأمة لايصلح الا بما صلح به

أولها . . صيحة حق لايمكن أن تؤتي أكلها الا اذا عرف الصالحون حقيقة هذا الذي صلح به أول الأمة . . والا اذا ميزوا فيه بين الجوهر والعرض . . وبين « المعاني » « والمباني » ، وبين الغايات والوسائل . . والا اذا أدركوا ـ فوق ذلك ـ ماوقع بين أول الزمان وآخره من تغير هائل في أحوال الدنيا وواقع الناس .

ومدرسة أخرى ضاقت بنفسها ، وكفرت في أعماقها بحضارتها ، وزهدت الزهد كله في ماضيها وأنكرت حلوه ومره وصحيحه وسقيمه . . فهي تتعجل اللحاق بالآخرين ، تطاردها ـ فيما تقول وتفعل ـ فتنة مبهورة بكل جديد . . ولو استطاعت لجمعت ماضيها كله في قبضة يدها وألقت به بعيدا ـ الى غير رجعة ـ في بحار الضياع

والنسيان . . وبالمدرستين جميعا ضاقت جماهير المسلمين . . وبدأت تدرك أن الخيار بينهما خيار ظالم ، وأنهما جميعا تتغذيان على مابقى من رحيق الحياة في كيان الأمة وأن منهجها منهج خوف . . وهلع . . لاتستقيم به حياة ، ولاتقوم عليه حضارة . . فأما إحداهما فهي في خوف مقيم على الاسلام ، وهلع مذعور على المسلمين . . من كل نغمة جديدة تجتاز السدود الكثيفة الى آذان أولئك

المسلمين ، كأنما استحفظوا وحدهم على دين الله . . وعلى ضمائر العباد . وأما الأخرى فهي في خوف من حضارتها وشك عميق الجذور ـ في تلك الحضارة . . تستره بالمداراة أحيانا . . وبالتأويل الفاسد ـ بعيدا عن كل دليل ، أحيانا أخرى . . وبمحاولة الاحتماء بالثقافة العالمية التي تتسع للجميع . . تارة ثالثة أخرى .

موجة غضب

وحين دخل الصراع بين هاتين المدرستين مرحلة « الأزمة » ، خلال السنوات العشرين الأخيرة . . ظهرت على سطح الحياة الفكرية والاجتماعية والسياسية « موجة احتجاج وغضب » هالها جمود الجامدين . . وتفريط المفرطين . . . وأطلق شرارة الغضب في وجدانها ماتراه من تهديد لأصولها الحضارية . . وما عاناه جيل الشباب من أزمة في معرفة « المعالم الذاتية » لعقيدته وثقافته ونظام حياته . . وسط طوفان من الحوادث المتلاحقة والتغيرات السريعة التي تصيب وجدان الأمة وعقلها بالدوار . . . فكانت هذه الموجات المتلاحقة من جماعات « الغضب الاسلامي » التي قامت لتعلن براءتها من عصرها ، وانكارها لواقع الضعف والهزيمة والافتتان بالآخرين . . ولو اقتضاها هذا الانكار أن تهجر المجتمع بأسره وتعتزل أهله ونظمه ومؤسساته وتفر منه بالشعور ، أو بالكيان المادي كله . . الى عزلة بعيدة ، ومهجر مؤقت جديد . . ولقد أتيح لنا جميعا أن نعرف أطرافا من المعالم الفكرية والسلوكية والحركية لجماعات شتى من هذه الجماعات . . ولقد كان غضبها نبيلا . . ولكن أثره كان وبيلا . . فلقد أحسن هؤلاء الشباب صناعة الهدم . . ولم يحسنوا صناعة البناء . . وضاقت نفوسهم بكثير من صنوف الفساد والعوج . . ولكنها لم تتسع لكثير من صور الاستقامة والاجتهاد في طلب الحق وماينفع الناس . . ولقد عرفوا كيف يكونون أعزة على الكافرين ، ولم يعرفوا كيف يكونون أذلة على المؤمنين . . فملئوا نفوس الناس حرجا ، وحياتهم عنتا ، وقدموا للدنيا كلها صورة الداعية المسلم في اهاب من ضيق الصدر ، وعبوس الوجه ، والاشتغال الدائب بتعقب عورات الناس ، والتفنن في الانكار عليهم . . واضفاء أوصاف الكفر والجاهلية على الأفراد والمجتمعات بغير علم ولا هدى ولاكتاب منير . .

فزعة النائم

ولقد أخطأ أشد الخطأ من حاولوا تصوير فكر هذه الجماعات وسلوكها وأسلوب عملها ، على أنه التعبير الحقيقي عن « الصحوة الاسلامية » الجديدة . . فلقد كان

ظهور هذه الجماعات ثم انتشارها السريع أشبه بفزعة النائم منه بصحوة المستيقظ . . . .

أما الصحوة الحقيقية التي تكتب هذه السطور حديثا عنها وتنبيها الى مقدمها ، فانها ليست حركة جماعات منحازة الى ركن بعيد ، أو متعزلة عن تيار الحياة والناس . . وانما هي ـ فيما نرى ـ احساس جماهير ، ووعي صفوة . . وهذا مايميزها بوضوح عن كل ما عداها . .

الجماهير على امتداد العالم العربي والاسلامي بين يديها قائمة مطالب مشروعة لم تعد ترضى بها بديلا . .

انها تريد المحافظة على هويتها الحضارية . . وعلى قيمها الأساسية التي عاشت بها ولها . . فهي جماهير مؤمنة بالله ، مصدقة برسالاته ، طامحة الى مرضاته . . حريصة على طاعته . . ولم تعد تقبل أن يجادلها أحد في ايمانها هذا أو أن يساومها عليه ، أو يخيرها بينه وبين شيء آخر .

وهي تعرف أن في الاسلام سماحة . . تنطق بها آيات الكتاب الكريم ، وتجسدها سيرة النبي العظيم . . وتقوم عليها شرائعه وشعائره وآدابه . . فهو دين توسط واعتدال وتيسير . . . رحمة الله فيه قريب من المحسنين ، ومغفرته تنتظر المخطئين التائبين . . وهو سبحانه لايرضى لعباده الكفر ولايغفر أن يشرك به ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » .

وهي تعرف أن الله لم يبعث أنبياءه ورسله الا مبلغين ومبشرين ومنذرين ، وأنه ليس لأحد من العباد وصاية على العباد . . . عقائدهم ونياتهم وأفكارهم . . كما تعرف أن الدعوة الى الله انما تكون بالحكمة والموعظة الحسنة . . ولا تكون بايغار الصدور ، واذلال النفوس ، والاستخفاف بالعقول . .

وهي تعرف أن الله تعالى هو رب الكون كله . . وصاحب اسراره كلها ، ما أودعه منها في كتبه ، وأجراه على ألسنة ملائكته ورسله . . وما بثه منها في الكون ووزعه في الأنفس والآفاق . . وهي توقن بحسها وفطرتها وعقلها جميعا أنه يستحيل ـ لذلك ـ أن يتعارض يقين مع يقين . . وأن صحيح المنقول أي الثابت المحكم المفسر من النصوص ، وهو كل ماقي كتاب الله تعالى ، وما ثبت وصح رفعه الى رسول الله (ص) لايمكن أبدا أن يعارض صريح المعقول ، وهو ماثبت يقينه ببداهة منطقية أو بتجربة عملية تفيد اليقين . وأن التعارض اذا وقع فانه لايمكن أن يمثل « أزمة » فكر ولا أزمة دين . . اذ أنه لن يخرج أبدا عن أن يكون واحدا من ثلاثة : اما أن يكون تعارضا ظاهريا موهوما يحتاج كشفه الى اعادة تفسير للنص الديني . . أو للحقيقة العلمية . . أو أن تكون الحقيقة العلمية ليست الا واقع حال عارض في مسيرة العلم يمثل حلقة من حلقات السعي للمعرفة دون أن يمثل الحلقة النهائية الحاسمة في تلك المعرفة . . أو أن يكون النص المنقول غير صحيح في نسبته الى النبي (ص) ، أو يكون النص القرآني يحتمل التأويل . . يحمل من المعاني ما يخالف المتبادر من نصه وظاهره . .

وهي تعرف أنها ـ بحكم دينها ـ مأمورة بالبحث في الآفاق وطلب الحكمة من مصادرها . . والسعي وراء الحقيقة بكل منهج يوصل اليها . . وأن هذا السعي لايمكن أن يكون افتئاتا على حقائق الاسلام ، أو انتقاصا من كمال النصوص الدينية . .

وتعرف الجماهير بحسها كذلك أن الزمن يتحرك . . وأن حاجات الناس ومطالبهم تتغير باختلاف الأزمنة والأمكنة وظروف الحال . . وأن الأحكام الشرعية لابد أن تشتمل ـ في داخلها ـ على وسائل الاستجابة المرنة لهذه الأحوال . . وأن هذا ـ عند التأمل ـ هو المعنى الحقيقي لخلود رسالة الاسلام ، وصلاحية نظامه لكل زمان ومكان . .

بطلان الادعاء

وفي النهاية تعرف الجماهير ـ عن حس سليم وتجربة متصلة الحلقات ـ بطلان الادعاء بأن الاسلام لاشأن له بأوضاع المجتمع ومبادىء السياسة وإدارة المال وتوزيع الثروة وتنظيم حياة الناس . . كما تعرف فساد منهج « الغاضبين » الذي يتخذ صورة مأساوية واحدة . . ذات حلقات ومراحل يسلكونها جيلا بعد جيل ، وجماعة في أثر جماعة . . تبدأ بالانكار الشديد على المجتمع ـ حكاما ومحكومين ـ ثم باعتزالهم . . ثم بالخروج من العزلة الى محاولة التغيير باليد . . وهي محاولات وجهتها دائما حسابات خاطئة ، وأحكام خاطئة ، وانتهت دائما الى صدام دموي . . انفجرت به موجة الغضب على



أصحابها . . وعلى الناس تاركة في الساحة . . احباطا ومرارة وحزنا ودما حراما مسفوحا تحت رايات « التأويل » الفاسد ، وشبابا غضا هو الجاني والضحية وهو « الجرح والسكين » . . وهي تعرف بعد ذلك كله أن واقعها سقيم ، وأن أداءها الحضاري هابط ومنقوص ، وأن قيمها الثابتة في كتبها المقدسة ، ووثائقها المعلنة وحضارتها المسجلة عبر التاريخ . . لم تعد تحكم واقعها الذي يتراجع عاما بعد عام . . وهي متطلعة الى الخروج من هذا التخلف . . مصممة على فعل شيء لكسر الدائرة الخبيثة التي وقعت فيها ، والتي قضت بالتردي والتراجع على أوضاعها السياسية والاجتماعية والعسكرية والثقافية . . وهي لهذا لاتقبل من أحد فكرا لايعين على الخروج من هذه الدائرة . . أو لا يلقى بالا الى هذه الهموم المصيرية . . مشغولا عنها بأي قضية يزعم أنها أصولية أو ثقافية . .

الجماهير على امتداد العالم العربي والاسلامي تعرف ذلك كله وتستريح اليه . . ولكنها تنتظر « الصفوة » التي تحسن صياغة تلك الرؤية ، وتحسن العمل المنظم لترجمتها الى قوى محركة للتغيير ، كما تقدر على تحمل العبء التاريخي الذي يحمله التصدي للتعبير عن هذا التيار الجديد . .

مستويات ثلاثة

والصفوة من الرواد والمثقفين التي تشارك الجماهير هذه الرؤية . . . أمامها مسؤوليات جسام لا فكاك من مواجهتها . . . على مستويات ثلاثة :

١ ـ فهناك مسئوليتها تجاه روافدها المختلفة . . وهي مسئولية تقوم على ركنين اثنين . . أولهما : مواصلة العناية باستخلاص معالم هذه الرؤية التي يحملها ضمير الجماهير . . وطرحها على الناس . وصياغتها صياغات عملية مرتبطة بالواقع . . متصلة بمشاكله وهمومه . . ولن تستطيع هذه الصفوة انجاز تلك المهمة الا اذا توجهت اليها بطاقاتها كلها . . والا اذا عزمت عزما لانقض له ولاتردد فيه على الامتناع عن المشاركة في المعارك الجانبية ، . . والقضايا المغلوطة . . والمبارزات اللفظية التي شغلت ضمير الأمة ، واستهلكت طاقة أجيال متعاقبة منها . . والتي لاتزال عشرات من الحناجر تشق بها من فوق المنابر . . انزلاقا الى الفخاخ المنصوبة لاصطياد المثقفين وانصاف المثقفين . . والعلماء وأشباه العلماء . . في دوامة تبتلع الداخلين اليها . . وتعزلهم عن المعركة الحقيقية المنتظرة .

الركن الثاني : الاصطلاح مقدما على منهج للحوار والعمل . . يتسع لاختلاف الرؤية وتباين الرأي . . ولايسمح أبدا بتحولها الى سبب للقطيعة . . ومدخل للمبارزة والخصومة . . وسبيل تشرذم به الجماعة الى جماعات . . وقد يعين على هذا كله أن تستبين هذه الصفوة أنها ليست جماعة ولاحزبا ولاحركة . . وأن يعرف أفرادها أنهم أصحاب فكر ، يجتهدون في أمر صعب . . ويعبرون ـ ماوسعهم ـ عن أشواق الجماهير وتطلعاتها . . ويقدر ماتتضح هذه الحقيقة ، تنتشر سماحة الفكر . . ويعذر ـ المجتهدون ـ بالفكر والعمل ـ بعضهم بعضا ، ولايشتغل أحد بالحكم على أحد . . ويحرصون ـ في اصرار وخشوع وتواضع ـ على تحري مواضع الاتفاق . . وتنميتها . . وتوسيع نطاقها . . ذاكرين جميعا أن مستقبل الموكب المنتظر معلق كله بهذه القضية . . وأن ائتلافهم على هذه الرؤية الجديدة هو الضمان الأكبر لاتساعها ولالتفاف الجماهير حولها . .

٢ ـ وهناك بعد ذلك مسئولية تلك الصفوة ازاء ماتزخر به ساحة العمل العام ، باسم الاسلام وباسم العروبة ، وباسم الاصلاح بصوره وأسمائه المختلفة . . من حركات وجماعات ولافتات . . ومن الضروري أن يعلن المعبرون عن هذه الرؤية الجديدة موقفهم في صراحة كاملة لامداراة فيها ولا مجاملة ، حتى تعرف الجماهير مواضع أقدامها . . وحتى يعرف كل أحد أن أصحاب هذه الرؤية يرفضون منهج « الجمود على الموجود » ، ويرفضون محاولات « التزييف » التي تمزق وحدة الاسلام وتوشك أن تعطل أداءه لدوره الحضاري المنتظر . . في تحريك واقع العرب والمسلمين والاسهام في ترشيد حركة الحضارة الانسانية . . وأنهم يرفضون ـ مع ذلك ـ منهج « الغاضبين » لأنه منهج خاطىء . . ولأنه فوق ذلك عقيم . . وأنهم يرفضون قبل ذلك كله محاولات الذين يحرثون في البحر محاولين بناء مشروعهم الحضاري على اساس القطيعة مع عقيدة الأمة وقيمها ورؤ يتها الشاملة للحياة ، وهذا الاعلان ـ مع ذلك ـ ليس خصومة مع أحد . . ولا هو أذان بالدخول في معارك جديدة مع أحد . . فلا وقت لشيء من هذا . . والأمر ـ فيما نرى ـ لايمكن الا أن يكون محسوما لحساب هذا

الموكب الجديد الذي ينتظره السواد الأعظم من الناس . . ولو تطقوا لنطقوا به . . ولاشك ـ مع ذلك ـ في أن الحقيقة الكاملة لايحملها تيار فكر واحد . . ولايزال للمجتهدين ـ أفرادا وجماعات ـ فضلهم ومنزلتهم وجهدهم المشكور .

ومن هنا ينبغي الابتعاد عن التجريح والانتقاص ، وانكار الفضل على الآخرين . . فتلك كلها أمور تغري باللدد في الخصومة . . . وتحرك بواعث الانزلاق الى الشقاق . . وتباعد بين شركاء في قضية واحدة . . وجهتهم واحدة وعدوهم واحد . . وان قاتلوا في خنادق مختلفة . .

٣ ـ وفي النهاية فان على المتحدثين باسم هذه الرؤية الجديدة واجبا لافكاك منه ، وان بدا غريبا في هذا السياق ، ونعني به واجب الافصاح عن أهدافهم ووسائلهم في مواجهة أولي الأمر والقائمين بالحكم في بلاد العرب والمسلمين . نعم . . . إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومناصحة المسلمين حكاما ومحكومين . . ستظل دائما أمانات يحملها الدعاة والمصلحون . . أحب هذا من أحب ، وكرهه أو ضاق به من كره . . وضاق . .

ولكن الجماهير العربية والمسلمة لم تعد تحتمل مزيدا من الصراعات العقيمة التي تحكمها مخاوف متبادلة غير مبررة في كثير من الأحوال . . ولابد أن يعرف الناس جميعا أن الموكب القادم موكب سماحة ورحمة واصلاح . . يريد أن يرفع الحرج . . وأن يجمع الشمل يضم الصفوف . . وأن يضع خاتمة لكل الحروب الأهلية في حياتنا الداخلية . . هكذا يتحدث ضمير الناس . . وبه تنطق ألسنتهم . . في مجالسهم . . وحين يلتقون . .

ويبقى بعد ذلك كله سؤال . . يطرحه كثير ممن سمعوا أطرافا من الحديث عن هذا الموكب القادم الجديد ؟؟

يقول السؤال :

هذا الذي جرى وصفه . . واستطال الحديث فيه . . أهو ـ حقيقة ـ موكب قادم من قريب أو بعيد . . أم هو أمنية تتمناها بعض النفوس . . وتتشوقها بعض العقول . . ؟؟ فرارا من واقع مر ومستقبل غير مأمول ؟ .

والجواب القاطع الذي يلقاه أصحاب ذلك السؤال . .

ان الأمر حق لاشك فيه . . وأن الذين يقرءون للمثقفين والباحثين والساسة والمتصدين للاصلاح في عالمنا العربي من المحيط الى الخليج . . وعالمنا الاسلامي من مشرقه الأدنى الى مغربه الأقصى ، ومن ثمراته المتنامية في أقصى شمال الشمال الى ثمراته المتنامية كذلك في أعماق جنوب الجنوب . . يعرفون أن أصحاب هذه الرؤية يكتشف بعضهم بعضا ، يوما بعد يوم . . في لقاءات مرتبة أو غير مرتبة . .

وفي ندوات ومؤتمرات يرى بعضهم بعضا فيها على غير موعد . . وعلى صفحات كتب ومجلات ونشرات . . يقرأ بعضهم فيها لبعض ، فكأنما يقرءون نجوى نفوسهم هم . . ومعالم فكرهم هم . .

تطلعات أمة

ويبقى أن نقول للموافقين والمخالفين جميعا . . حذار من محاولة التصنيف واطلاق الأسماء والأوصاف . . . فليس هؤلاء مجددين كبعض المجددين ، تبدد شملهم صيحة اتهام أو تردهم عن وجهتهم سهام مسمومة تتناوشهم من الصدور أو في الظهور . . ولا هم معتزلة جدد كما يحلو للبعض أن يقول . . فالتاريخ لايعيد نفسه . . والتجربة الثقافية والاصلاحية تولد وسط نسيج حيوي يتجدد مع تجدد الظروف والملابسات . . ولسنا هنا أمام صالون ثقافي جديد . . أو مدرسة فلسفية ولدت في كنف الفراغ من الهموم . . وانما نحن إزاء استجابة جادة . . لهموم عصر . . وتطلعات أمة وتوجهات الملايين من الناس . . نحن أمام موكب للصحوة الحقيقية . . يتخلق شيئا فشيئا وتتضح قسماته المشرقة يوما بعد يوم . . ولا يعلم الا الله ما ينتظره وينتظر أصحابه في مقبل الأيام . . وان كان من المحقق أن المأزق التاريخي عصيب ، وأن مخاض الخير ـ في هذا الظرف التاريخي ـ مخاض عسير . . وحسب المشاركين في هذا الموكب ، أنهم يريدون الاصلاح ، وأنهم يعلمون أن مع العسر يسرا ، وأنهم ينتظرون الصبح . . . « أليس الصبح بقريب » ؟ .

المنتحرون العرب

إني أتهم هـذا المشبوه .. بقتلهم !

ظاهرة الانتحار لا تتفشى في الأمة بسبب هزائمها الخارجية على يد الأعداء الخارجيين ، مهما كانت فداحة الهزائم وضراوة الأعداء .

بقلم : الدكتور محمد جابر الانصاري

ظاهرة الانتحار[1] هي تعبير عن نزيف وتشقق داخلي يباعد بين خلايا الأمة ، فتصبح كل خلية بمعزل عن الأخرى ، ويتنابها الشعور بأنها قد تم التخلي عنها ، قد تم هجرها ، قد حوصرت وتقطعت شرايين اتصالها بالخلايا الشقيقة في النسيج الداخلي المحيط بها ... عندها تبدأ رحلة الانتحار .. كما تتساقط الأوراق الصفراء من الشجرة الأم .. وما الانتحار في نهاية الامر ؟

هو ذروة الحرب الأهلية داخل النفس الانسانية .. والتعبير النهائي عن تدمير جزء من الذات الواحدة للجزء الآخر منها .

وهذه الحرب الأهلية تبدأ عندما تشعر النفس أن الأهل قد تخلوا عنها ولكل نفس أهلها الذين تعتبرهم أهلا .. فالانسان العادي أهله أسرته .. والانسان ذو الشعور الوطني أهله مواطنوه .. والانسان المفكر أهله حاملو فكرته .. والانسان الداعية أهله جند دعوته .. والانسان المقاتل أهله جند رايته ...

وطالما ان « أهل » كل نفس انسانية بهذا المعنى محيطون بها احاطة السوار بالمعصم .. وهي ثابته بينهم في موقعها الطبيعي الذي ارتضته لنفسها وارتضاه أهلها لها ، فان أية معارك خارجية لا يمكن أن تؤثر فيها داخليا .. ولا يمكن أن تفتح لها جبهة صراع داخلي ، بل على العكس من ذلك

1 ـ نتحدث عن الانتحار في هذا المقال كظاهرة نفسية متأخرة تصيب أفراد أسوياء الى حد معقول لهم نشاط بارز في مجتمعاتهم . وليس عن الانتحار كمرض عقلي لدى المعاقين نفسيا وذهنيا .



خليل حاوي

يدفعها التحدي الخارجي على يد الأعداء الخارجيين الى مزيد من التلاحم مع خلاياها الشقيقة في النسيج الداخلي للجماعة والاهل

مسيرة الانتحار

من هنا فان ظاهرة الانتحار لا تتفشى في أمة مندفعة الى قتال اعدائها ، مصممة على التصدى لهم ، مهما كانت ضراوة المعارك .

مسيرة الانتحار تبدأ عندما تدخل الجماعة في حالة أطلق عليها في القاموس السياسي والصحفي العربي : « حالة اللاسلم واللاحرب » .

اللاسلم واللاحرب هي أفضل بيئة لتفريخ الانتحار والمنتحرين . واذا ما قررت جهة قضائية عربية ملاحقة قضايا الانتحار الاخيرة في العالم العربي ، والبحث عن الجاني الحقيقي ، فاني أتقدم برفع الدعوى على .. كائن مشبوه اسمه : اللاسلم واللاحرب !

قبل اللاسلم واللاحرب لم نكن نسمع بحوادث انتحار في عالمنا العربي ومنذ أقبل علينا هذا الكائن أقبل معه الانتحار من المشير عبد الحكيم عامر الى عبد الكريم الجندي الى خليل حاوي الى راشد الخاطر .. على اختلاف المواقع والمواهب والمسببات التفصيلية والخلفيات الجزئية .

في ظل اللاسلم واللاحرب ، أي اللاإستقرار واللامعركة ، يبدأ النسيج الداخلي لخلايا الأمة بالتفسخ .. فتريد بعض الخلايا أن تحارب بأي ثمن .. . وتجنح بعض الخلايا الى أن تسالم بأي ثمن .. وتبقى معظم الخلايا في حالة اللامبالاة .. (وهذه الخلايا أيضا تتفسخ وهي لاتدري متوهمة أن اللامبالاة ستنقذها من حتمية القرار .. فتقرر لها الأحداث الهائجة مصيرها وهي تتفرج على سكين الجزار) .

في هذا التيه المتشعب الاتجاهات بين محاربة ومسالمة ولا مبالاة تدخل كل خلية صحراءها المتعزلة الخاصة بها .. ، وتنقطع طرق التواصل والتعاطف والتعاون بينها وبين خلاياها الشقيقة الأخرى .. وتبدأ تنسج من افرازتها الذاتية المرضية شرنقتها المغلقة من جميع الاتجاهات بلا أبواب ولا نوافذ ولا سبل سالكة باتجاه الآخرين من الأهل ، وما تلك الشرنقة في حقيقة الامر سوى حبل الانتحار وكفن النهاية .

قافلة منعزلة تائهة !

في ظل هذه القطيعة للذات عن أهلها ، بمفهوم « الأهل » الذي أشرنا إليه في البداية ، تصبح النفس الانسانية كالجسم الذي فقد حصانته الاساسية المركزية ضد الجراثيم والعدوى .

أما الحادث المباشر المؤدى عادة لتنفيذ الانتحار ، والذي يتصور الناس أنه هو السبب ، فليس في حقيقة الأمر سوى القشة التي قصمت ظهر البعير .. البعير الحامل لأثقال الحياة ، المتحمل لصراعاتها داخل النفس الانسانية .

وتبقى حالة القطيعة التي وقعت فيها النفس هي السبب الحقيقي .. أما الحادث المباشر فلم يكن سوى قاطع الطريق الذي هجم على قافلة منعزلة تائهة في الصحراء فوضع حدا لسفرتها الضالة التعسة . فالنفس في الحياة قافلة سير يتحدد مصيرها بخارطة السير .

وجوهر الشعور بهذه القطيعة لدى الفرد الذي يحمل مشروع الانتحار في حقيبته النفسية الداخلية ، هو إحساسه الملح ، الفادح بأنه قد تم التخلي عنه من أقرب المقربين اليه .. من عزوته وعصبته وأهل نصرته .. من الذين ظل يتصور مدى العمر انهم معه وانه معهم ، بغض النظر عن الأساس الموضوعي لهذا الشعور . المهم انه شعور قائم في النفس بقوة ومسيطر عليها (تأمل مثلا في علاقة المشير عامر بالرئيس عبد الناصر .. كيف بدأت

واستمرت .. وكيف انتهت بعودة عبد الناصر الى القيادة ، أي إلى الأهل ، بالمعنى الذي حددناه وبقاء المشير بعيدا عن « اهله » « في الظل » أي في القطيعة ، على طريق الانتحار .. مع تضخم احساسه بأن أقرب المقربين قد تخلى عنه ..)

وعلى كثرة عوامل الانتحار وتشابكها ، فاني أرى بأن الاحساس بالتخلي هذا من جانب أحب الناس إلينا ، هو العامل المشترك والقاسم الأعظم بين مختلف حالات الانتحار .. من المحب الذي ينتحر لان حبيبته قد تخلت عنه .. إلى القائد الذي ينتحر لأن رئيسه وجنده قد تخلوا عنه الى الشاعر الذي ينتحر لأنه يتصور بأن أمته قد تخلت عن مبادئها التي هي مبادئه وجوهر كيانه .

« مهيار وجه خانه عاشقوه ! »

هذا الشطر الشعري للشاعر أدونيس في ديوانه « أغاني مهيار الدمشقي » يمكن أن نستعيره من موضعه ، لنلخص به العامل المشترك في كل انتحار أو مشروع انتحار » .

« مهيار وجه خانه عاشقوه .. » تلك هي خلاصة القضية .. وانتبه الى ان الذين خانوا مهيار هم « عاشقوه » وليس « اعداؤه » فخيانة الاعداء تحصيل حاصل .. أما خيانة العاشقين .. فذلك ما تقتل النفس نفسها من أجله !

والعاشقون كما قلنا ليسوا هم أهل الصبابة الغرامية بالضرورة فهم ما شئت بالنسبة لمن شئت .. من الجند للقائد .. الى القراء المخلصين للكاتب .. الى المواطنين للوطن .. الى الدعاة لصاحب الدعوة .

والمتحرون العرب تكاثروا .. لا لأن العدو متطاول ، ولكن لأن الحبيب متخاذل .. !!

* * *

من بين المنتحرين العرب الأربعة الذين ذكرتهم في بداية المقال ، أعرف « خليل حاوي » عن كثب وبشكل شبه حميم .

عرفته أيام الجامعة ، كنت طالبا وكان استاذا ، وعرفته بعد ذلك صديقا ومحاورا ، وكتبت نقدا لبعض أشعاره في مجلة « الآداب » وغيرها ، وتنامت بيننا صداقة مودة مع صداقة الفكر .

وليس هنا مجال الاسهاب عن خليل حاوى الانسان والشاعر الذي أعرف .

ولكني فقط سألمح الى خليل حاوي كمشروع انتحار[٢] .. كان مصدر الألم لخليل حاوى على الدوام هو ذلك الاشكال الصميمي الذي عبر عنه أدونيس بعبارة : « مهيار وجه خانه عاشقوه » ..

وبالنسبة لخليل حاوي فقد « عشق » هؤلاء :ـ

١ ـ قراء الشعر وأهل النقد والفكر ، أى الادباء والمفكرون العرب بعامة .

٢ ـ الامة العربية بحضاراتها الشاهقة التي ظل خليل يؤمن بأنها ستنبعث من جديد ، بعد عصور الجليد ، حية موحدة فاعلة .. وقد تخطى خليل بهذا الايمان مسيحيته الموروثة ، كما تخطى التزامه القومي السوري السابق ، وراهن على العروبة بكل ما يملك من أعصاب شاعرية متوترة ، ونفس جبلية عنيدة وحساسية مفرطة وأخلاقية مستقيمة كحد السيف ..

٣ ـ أهل ضيعته الجبلية الذين عمل معهم بناء في صباه ومطلع شبابه قبل أن يلتحق بركب الدراسة متأخرا بعض الشيء ، (ولكنه نال الدكتوراه في الأدب من جامعة كيمبردج غير متأخر) وقد ظل خليل معتزا بأهل الضيعة الجبلية لا عن تفاخر محلي إقليمي ولكنه ظل يعتبرهم رمزا للأصالة اللبنانية الضائعة في وجه طغيان الموجة التجارية السياحية الانخلاعية التي أغرقت بيروت وصارت تزحف الى جبل .. وكان خليل يتحدى دائما النماذج الانخلاعية في الفكر والسياسة والتجارة والاخلاق والحياة الجامعية ، بنماذج الأصالة الجبلية .. وكانت كلمة السر دائما في حربه هي « الأصالة » في كل شيء .. ضد « الزيف » في كل شيء .. ومنه تعلمنا المعنى الحضاري لهذه الكلمات

وباختصار ، فقد كان « أهل » خليل : أدباء العربية ، والأمة العربية ، والضيعة الجبلية الاصيلة

رسالة انتحاره

وتساقط هؤلاء الأهل ، في نظر خليل ، واحدا بعد الآخر .. أدباء العربية ذهبوا أيدي سبا بين خالف ومتواطىء وسمسار ولم يبق الا النادر من أهل الشعر الاصيل والفكر الاصيل الذي عاش من أجله خليل .

٢ ـ حاول حاوي الانتحار قبل خمس سنوات في مطار دولة عربية بشمال أفريقيا عندما منع من دخولها ولم يشفع له كل شعره العربي الحضاري ! كما حاول الانتحار في بيروت قبل سنتين وأنقذه الاطباء .

تخلو رسالة منتحر من مغزى ! « مهيار وجه خانه عاشقوه » .

فيأيها المحبون كونوا حيث أنتم من أحبابكم ، زمن تساقط الأحباب ، كي لا يكثر في أمتنا الانتحار . . فهي لم تعرف في تاريخها عادة الانتحار . . لم تعرفها من قبل ، قط !

نعم . . لاحظ المستشرقون باستغراب ان الامة العربية المسلمة لم تعرف في تاريخها ظاهرة الانتحار كما عرفتها الأمم الاخرى . .

ولا غرابة في الامر ، فالاسلام حرم قتل النفس . . الا بالحق .

وتدل الاحصاءات العالمية المقارنة الى وقت قريب على أن البلدان الاسلامية تتميز بانخفاض نسبة المنتحرين فيها قياساً بسواها من بلدان العالم الثالث المماثلة لها في المعيشة ونوع المشكلات .

وقد كتب سامي الجندي في كتابه « عرب ويهود » عن أول حادث انتحار في مرحلة ما بعد حزيران ، وهو حادث انتحار المشير عامر ، بقوله :

« كان حادثا استثنائيا ونذيرا بتحول ذهني غير معهود في طبيعة هذه المنطقة » وقد صدق الكاتب حقا في حدسه هذا . .

فطبيعة منطقتنا العربية الاسلامية هي طبيعة توحيد على كافة مستويات الوجود والحياة ، من توحيد الخالق الأعظم سبحانه الى التوحد مع الأهل والعشيرة . . أهل العقيدة ، وعشيرة الوطن الكبير .

وبفضل التوحيد ، في وجه الثنائية وصراع الاضداد ، تشيع في صميم الفرد والجماعة حالة من الاتساق والطمأنينة الداخلية ، والانسجام مع النفس ، تخفت بفضلها حدة التوتر النفسي والعقلي ، وتغدو الحضارة حضارة انسجام وتوفيق ، لا حضارة صراعات ، وتضمحل لذلك ظاهرة الانتحار (وهذا طبعا في الاحوال الطبيعية لحضارتنا ، لا في الوضع الراهن .

والمستشرقون الذين فسروا اختفاء المسرح التراجيدي من الحضارة العربية بأنه قصور في الخيال الفني ، لم يدركوا جيدا ان التوحيد ينقض التراجيديا ، أي صراع الاضداد في الوجود ، وهي الفكر الأساسي لمسرح التراجيديا » .

وهكذا يمكننا القول أن اختفاء فن التراجيديا في تاريخ الاسلام ، هو مظهر آخر لغياب ظاهرة الانتحار في المجتمعات الاسلامية .

فالاسلام ، في العقيدة وفي السلوك الفردي والجماعي ، يرفض الثنائية أو التعددية من مانوية فارسية أو تراجيديا إغريقية ، ويطرح التوحيد ، بديلا لصراع العناصر المتضادة في الوجود ، فيتآلف الفرد مع الكون ،



و « تعهرت اللغة » كما قال في رسالة انتحاره . . أصبحت تباع وتشترى . . وفقدت شرف الصدق .

أما الامة العربية فتعرف ما حل بها . وإذا كان المواطنون العاديون اليوم يشعرون بعبء المأساة . . فان خليل كان يذبح كل يوم بألف سكين بين سقوط الكلمة ، وسقوط الأمة ، وانحسار الاصالة الجبلية .

ثم جاءت ثالثة الاثافي ، كما كشف طبيبه في حديث خاص مؤخراً بعد شهور من انتحاره ، بحادث سرقة بيته العائلي القديم في ضيعته الجبلية ! وكما ذكر الطبيب ، فان هذا الحادث كان له وقع الكارثة عليه « معنويا » . . حدث هذا قبل انتحار خليل بأيام . وكان ذلك يعني آخر غدر من آخر أهل . . أفبعد كل هذا الايمان بالأصالة الجبلية يسرق بيت خليل حاوي في ضيعته . . من أحد أبناء الضيعة ؟!

من بقي إذن من « الأهل » لدى خليل حاوي ؟ على صعيد الشعر والكلمة : المتنبي اشتراه كافور . .

وعلى صعيد القومية : اسرائيل اصطادت كافور باسم السلام . . وعلى صعيد الضيعة . . انتحرت الأصالة بسرقة بيت الشاعر ، وبقاء بيت السمسار عامرا !

ولم يبق غير الانتحار . فالاحبة شطر النفس وعند ما يذهب شطر يسقط الشطر الآخر هكذا ـ إذن ـ لا ينتحر منتحر الا بفجيعته في أعز من يحب وفي آخر من يحب ، ولا

ويتآلف مع « الأهل » ومع المجموع البشري ككل ، فتتلاشى بذور الانتحار لديه منذ البداية ولا يتعرض لامتحان تراجيدي .

أضف الى ذلك ان الاسلام يعني في جوهره الكوني الوجودي العميق الاستسلام الحكيم لارادة الله في كل شيء : « قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا » والاستسلام للارادة الالهية فيما لا تقدر عليه ، ولا تستطيع تغييره هو لب الحكمة الكونية ، فهل بامكان فرد واحد ، في لحظة زمنية ، تغيير طبيعة الكون وسنن التاريخ وقوانينه الفاعلة منذ آلاف السنوات ؟ وماذا سيجدي انتحاره في تغيير ذلك كله ؟ .

وعندما يتحدث المفكرون المعاصرون عن « حتمية التاريخ » و « حتمية القوانين الطبيعية » فانهم يقولون للفرد الانساني ، بلغة مختلفة لفظا ، ما قاله الاسلام للانسان من قبل : « هناك ارادة عليا في الكون فوق رغباتك وآمالك . وعليك ان تدرك بوضوح الخط الفاصل بين ما تستطيع تغييره وما لا تستطيع » . والاستسلام للارادة الالهية في الاسلام هو غير الاستسلام للظلم والخطأ والجور . فهذه مظاهر ضد الارادة الالهية والمسلم المعتمد كليا على تلك الارادة ولا يخشى إلا الله يتحول حربا على مظاهر الظلم والجور . واذا كان الانسان متيقنا أن الله معه ، وانه مع ارادة الله ، فمن يستطيع أن يقف في وجهه ؟ .

هؤلاء الجند . . . من هم ؟

وهكذا تتحول التضحية بالذات لدى المسلم الى مقارعة الظلم والخطأ لنيل الشهادة ، ويتحول الاستسلام العميق للارادة الالهية الى قوة هائلة تدفع المسلم الى ساحة النضال بارادة لا تلين وعزم لا يعرف التراجع :

« وإن جندنا لهم الغالبون » . ومن هم هؤلاء الجند المقتدرون على الانتصار والغلب ؟ هم الذين استسلموا بداية لارادة الله استسلاما كاملا فحررهم هذا الاستسلام الكوني العميق من كل عبودية وقيد في هذه الدنيا المتقلبة المتغيرة ، المحدودة . وهذا معنى : إن قبول القدر هو الحرية الحقيقية !

وهكذا تتحدد العلاقة ، وتتوازن المعادلة بين الاستسلام لارادة الله ، من ناحية ، والقدرة على التغيير والعمل والنضال من ناحية أخرى .

وتأتي الآية القائلة : « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » والحديث القائل : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده . . الخ » ليكملا الوجه الآخر للآية السابقة : « قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا » ، ويصبح القدر هو الحرية .

وفي ظل هذا التوازن بين الاعتماد على الله ، والاقتدار في الحياة لا تجد بذور الانتحار مجالا للنفاذ الى نفس المسلم .

الاسلام والتضحية بالنفس

واذا كان علماء النفس يذهبون الى القول ان التضحية بالنفس أي النزعة الانتحارية ، كامنة في اعماق الانسان وتبرز في أوقات التأزم والأخطار والمهانات ، فان الاستشهاد في الاسلام هو الذي يلبي نداء التضحية بالنفس ويحول النزعة الانتحارية الى قوة نضالية فاعلة . .

واذا كان الانسان مستعدا للتضحية بنفسه . . فلماذا لا يدمر بهذه التضحية عدوه أو قيوده . . بدل تدمير ذاته ؟

لماذا لايستشهد . . بدل أن ينتحر ؟

هذا سؤال جوهري وأساسي وحتمي أمام كل نفس عربية تشعر اليوم بعمق الكارثة وتطمح الى التضحية بذاتها للرد على المهانة .

وقد لاحظت من رسائل القراء وتعليقاتهم في عدد كبير من الجرائد والمجلات العربية ، على حوادث الانتحار العربية الأخيرة ، ان الفكرة الجامعة بينهم هي رفض الانتحار وتقديم الاستشهاد بديلا مشرفا عنه . لماذا تدمر أنفسنا . . ولا تدمر عدونا طالما قررنا أن نموت ؟

ذلك سؤال في منتهى البساطة والعفوية . . وفي منتهى الصواب والعمق .

والاجابة السليمة عليه تتطلب الا يجد الانسان العربي نفسه دائما بين عدو متطاول وحبيب متخاذل . . وأن يشد الأحبة العرب - أحبة الحق وأحبة الحياة وأحبة الكرامة - أزر بعضهم بعضا . .

وإذا كان يراد دفع أمتنا الى الانتحار ، فانها تستطيع الرد بالاستشهاد . . فعندما لا يكون خيار إلا بين أن يذبحك عدوك وأنت نائم في دارك ، وبين ان تنتحر في دارك من شدة القهر ، وبين أن تقاتل وتموت وأنت واقف في واجهة الدار . .

فهل من داع لاضاعة الوقت في البحث عن الخيار الأسلم ؟

ان الجواب الحتمي ، في هذه الحالة ، أوضح من الشمس في رائعة النهار . وكل عربي يحمل اليوم مشروع انتحار ، عليه أن يتذكر بأنه قادر على تحويله الى مشروع جهاد واستشهاد .

ايديولوجية جوش أمونيم

من التعاليم الدينية الى العمل السياسي



بقلم - ليلى ويزبرود

تعريب وتعليق :

د. عبد الرحيم حسين

ارتبط تأسيس المستوطنات في الضفة الغربية من نهر الأردن بعد الاحتلال الصهيوني لها عام ١٩٦٧ بفئة صهيونية جديدة أطلقت على نفسها اسم جوش أمونيم « جماعة المخلصين » . ويعالج المقال الفكر الديني اليهودي الذي اعتمدت عليه هذه الجماعة وأصوله ، كما يقارن بينه وبين العقيدة التي اعتمد عليها حزب العمل الصهيوني من قبل . ولا يخرج هذا المقال الذي نشرته مجلة دراسات الشرق الاوسط باللغة الانجليزية في عددها رقم ٣ مجلد ١٨ بتاريخ يوليه ١٩٨٢ عن كونه تبريرا دينيا لمرحلة توسعية يعيشها الكيان الصهيوني . وينبغي أن نتوقع تفسيرات جديدة للديانة اليهودية حسب كل مرحلة ووفق كل ظروف جديدة تعيشها الصهيونية .

كان أول عمل لبيجن بعد انتخابات ١٩٧٧ هو ذهابه الى الون مور المستوطنة التابعة لجماعة جوش أمونيم في منطقة نابلس - (السامراء) واعلانه وعدا بانشاء المزيد من المستوطنات المثيلة لها ، وما ان كلف بتشكيل الحكومة حتى ذهب من مقر رئيس الجمهورية رأسا الى الحاخام كوك الابن لتقبل تبريكاته . ولم يزر كبير الحاخاميين في الكيان الصهيوني كما كان مفترضا ، وفي مناسبة أخرى شوهد بيجن يقبل يد الحاخام كوك وهي اشارة تبجيل غير مألوفة في(اسرائيل) الاشتراكية !

كانت مستوطنات جوش أمونيم غير قانونية في عهد حزب العمل ، ولكن في سبتمبر ١٩٧٧ أعلنت قانونية (٣) مستوطنات من قبل الحكومة ، كما أعلن عن تأسيس ثلاث أخرى ، حدث ذلك بعد طلب الولايات المتحدة وقف الاستيطان في الضفة الغربية لمدة (٣) شهور . وبعدها بشهر واحد رصدت وزارة المالية الاسرائيلية (٦) ملايين ليرة لهذه المستوطنات التي وصل عددها في يوليه ١٩٨٠ الى « ٦٤ » مستوطنة ، واصبح عددها في ١ اكتوبر ١٩٨٢ مائة وثلاث مستوطنات « المترجم نقلا عن الرأي العام الكويتية » .

ان هذه الحقائق تثبت أن حكومة بيجن تدعم وتمول مشروعا يعتبره الرأي العالمي معطلا للحكم الذاتي الفلسطيني في الضفة الغربية الذي ووفق عليه في كامب دافيد . كما يعوق مفاوضات السلام مع مصر . ونظرا للدعم المحدود الذي تتمتع به الأحزاب الدينية في اسرائيل - (لم يحدث أن حصلت الأحزاب الدينية على اكثر من ١٥,٤٪ من اصوات الناخبين في أي انتخابات) - والمعارضة المستمرة من زعماء العالم والرأي العام العالمي للاستيطان في الضفة الغربية ، كان دعم الحكومة وجزء من الجمهور الاسرائيلي لجوش أمونيم مستلزما لبعض الايضاح .

«أصول جوش أمونيم »

نظم هـ . بورات مباشرة - بعد عدوان عام ١٩٦٧م واحتلال الضفة الغربية - مجموعة من الشباب استطاعت بناء مستوطنة في كفار صهيون . وفي عام ١٩٦٨ انشيء حي ديني يهودي في مدينة الخليل باسم كريات ٤ بزعامة الحاخام لفنجر الذي شكل مع بورات وزملاء لهما نواة ما أصبح يسمى جوش أمونيم(مجموعة المخلصين) . وهم خريجو« يشفات هسيدر » الكليات التلمودية التي يشارك طلابها في تأدية الخدمة العسكرية . وتلقى معظمهم تعاليمه في كلية الحاخام كوك الابن الذي كان تأثيره عليهم حاسما .

أعلن عن تأسيس جوش أمونيم رسميا في فبراير ١٩٧٤ بعد حرب اكتوبر كاحتجاج على عودة الأراضي التي اشارت اليها مبادرة كيسنجر ، وهدفت جوش أمونيم بذلك الى مواجهة سياسية عملية وايجابية مع حكومة حزب العمل الصهيوني من خلال استيطان هذه المناطق .

أحيا الحاخام كوك الابن تفسير تعاليم والده العالم الديني وأول كبير للحاخاميين في فلسطين . لذا فان تعاليم الحاخام كوك الاب هي التي ينبغي الالتفات اليها أولا . ومن الطبيعي أن نحصر أنفسنا في تعاليمه الدينية المتصلة بالايدلوجية السياسية الناتجة عن هذه التعاليم .

« تعاليم الحاخام كوك الصهيونية » .

« يعتبر الاعتقاد المسياني(الخلاص) في العودة الى صهيون أساس الهوية الذاتية اليهودية القومية في المنفى . وتقول الفكرة المسيانية الأصلية بان اليهودي سيتحرر سياسيا على يد منقذ مرسل من الله . وسيظهر من نسل النبي داود ملك شرعي مرسل من الاله يهزم مضطهدي اليهود ويعيد اليهم استقلالهم . وكملك لليهود سينشيء نظاما اجتماعيا يسوده العدل والسلام ، وتعرف دولته بدولة الخلاص الديني الأخلاقي ، وانطلاقا من هذا الاعتقاد لم يكن مسموحا لليهود ترك بلاد المنفى والعودة الى فلسطين ، بل كان يجب عليهم اعداد انفسهم اخلاقيا ليوم الخلاص غير المعروف هذا .

كانت الأسباب التي أعطيت لشرح عدم عودة اليهود الى فلسطين دون مجيء المنقذ متعددة :

ينبغي عدم تدخل الانسان في ارادة الاله أو مشاركته .

كان الاله في المنفى مع الشعب اليهودي ، لذا فان العودة الى فلسطين ستكون عقيمة ما لم يعد الاله الى الارض المقدسة .

وما دام هذا سيحدث مع مجيء المنقذ ، فان عودة الشعب اليهودي الى فلسطين لن تقرب الشعب من الاله . ولن تعجل من الخلاص .

كانت المعاناة في المنفى واجبا مفروضا من الاله على شعب اسرائيل وكانت وسيلة للتطهر والنقاء ، لذا فان من تعجل النهاية اعتبر آثما .

وعندما ظهرت الحركة الصهيونية مع نهاية القرن التاسع عشر قوبلت بمعارضة قوية من المؤسسة الدينية التقليدية لأنها اعتبرت الصهيونية مجرد هرطقة مثل الحركات المسيانية الأخرى المزيفة .

ومع هذا حاجج بعض علماء الدين اليهودي في القرنين


الاستيطان الصهيوني في الأرض العربية المحتلة

مدارس يشفات هيدر واستطاع أن يخلق مجالات تنشر فيها افكاره المبتكرة . وحسبما يدعي أتباعه ، يعتبر الحاخام كوك الابن أول من أدرك مسبقا الاحساس بملكية أرض اسرائيل بما في ذلك الضفة الغربية ! ذلك الاحساس الذي أصبح شائعا عند اليهود فيما بعد . ورأى أن وصية الهجرة الى فلسطين وبنائها تعني الاستيطان في كل الأراضي المحتلة بعد حرب يونية ١٩٦٧ ، ان جميع هذه الاراضي هي ملكنا ولن تعود الى أحد ، لأن خالق الكون وعدنا بها ، شبه بورات - تلميذ كوك وزعيم جوش اموتيم - الهجرة الى كل الارض المقدسة بعودة الزوج (الشعب اليهودي) الى زوجه (أرض اسرائيل) والعودة الى أرض صهيون ستخلص اليهود باعادتهم من المنفى . ونظرا لعظمة العودة المقدسة تطلب الاستيطان تكريسا كليا .

واعتبر كوك التحرر عن طريق استيطان الارض أمرا يستحق النضال الى درجة الموت . كما رأى كوك وتلامذته في استيطان الضفة الغربية عودة الشعب اليهودي الى أرضه الحقيقة الموعودة له من الخالق ، وما احتلال الضفة الغربية الا تحرير لأجزاء من الأرض المقدسة ، ويعتبر اعجوبة كاحدى الضربات الست لمسيرة الخلاص . مثلما اعتبر كوك الأب - فكرة العودة الى فلسطين هي المسيا نفسها . وبذا نقلت جوش اموتيم التوقيت المسياني الى الحاضر . وكما روى عن احدى مستوطنات جوش اموتيم « زوجي وأنا نعتقد باننا نعيش اكثر الفترات حرجة . واذا ما اثبتنا باننا - نحن - مالكو أرض اسرائيل ، مالكو الاجزاء التي تمكنا من تحريرها ، فان ذلك سيعجل الخلاص .

وما دامت العودة الى الارض المحتلة في نظر كوك مهمة مقدسة فلن يتسامح مع اية معارضة لها . وأعلن أن الحكومة ليست شرعية اذا لم تمثل مصالح الشعب في حق والخلاص عن طريق الاستيطان ، (والذين يطالبون اسرائيل بالانسحاب من « يهودا ، أوه السامره » فين يصغون لهذا المطلب (الحكومة) سيلعنهم الله . « نحن نؤمن بالتوراة لا بالحكومة ، والتوراة فوق الحكومة لأنها خالدة والحكومة زائلة وغير دائمة . [illegible] فان الاستيطان فوق القانون » ، وكما أعلن الناطق باسم الحركة « اننا نعترف بوجود دولة اسرائيل ، ولكننا نقول ان أرض اسرائيل فوق كل قوانين الكنيست » .

« ظاهرة غير عادية »

أظهر الحاخام كوك الأب تسامحا تجاه الرواد الدنيويين الذين استوطنوا فلسطين ، اما تلاميذ ابنه فقد طبقوها على الثامن عشر والتاسع عشر بأن التفسير المعطى للفكرة المسيانية من المؤسسة الدينية التقليدية كان خاطئا ، فقد أعلن كل من الحاخام يهودا القلعي والحاخام زفي (كاليشر) بأن من الممكن أن يهاجر بعض الأفراد الى فلسطين ويعبدوا الطريق أو حتى يبنوا الهيكل كما أكد الحاخام كاليشر على أنه بدون الهيكل يمكن تحقيق وصايا أكثر في فلسطين منها في المنفى .

وبناء عليه ، فان الهجرة الى فلسطين ليست اثما . وذهب الحاخام راينز reins الى القول بأن العيش في فلسطين وصية دينية كالوصايا الأخرى وينبغي عدم تجاهلها

« عقيدة جوش امونيم »

وكأي تعاليم روحية لم تنتشر أفكار كوك الا عندما ترجمت الى واقع مادي ، وهذا ما فعله كوك الابن الحاخام زفي يهودا رهاكوهين كوك ، وتم ذلك عندما ترأس

جميع الشعب اليهودي ، اني لا أقبل هذه المفاهيم الدينية . وغير الدينية . الشعب اليهودي وحدة واحدة ، وهناك آلاف الدرجات من اليهودية » . ووضعت هذه القاعدة موضع التطبيق العملي عندما توجهت جوش امونيم بنداء الى الهيئات غير الدينية لتشارك في حملتها ، وعقد أتباع الحاخام كوك ندوات مع اعضاء الكيبوتز . واخيرا تعاونت جوش امونيم مع حركة ارض اسرائيل ودائرة عين قيرد وكلتاهما غير دينية ، والأخيرة عبارة عن مجموعة من اعضاء الكيبوتز والمستعمرات الجماعية . كل ذلك حدث دون تعصب ديني **Coescion** ، ولم تحدث محاولة للضغط من اي نوع على غير الملتزمين **Non obser-vants** ويعتبر هذا تفردا في العلاقات بين الاسرائيليين . . . بين التقليديين المتدينين والمجموعات غير الدينية .

« وظهر تسامح اعضاء جوش امونيم اكثر بادخالهم اعضاء غير دينيين في مستعمراتهم مع بقاء العلاقات المتسجمة بين الجميع .

وبينما خضعت العلاقة بين التقليديين والدنيويين من اعضاء جوش امونيم الى بعض التحفظ الا ان الحركة لم تتراجع وما زال الدنيويون ينضمون الى الحركة .

ولما كانت هذه الصهيونية الجديدة دينية ، فانها تعطل المفاهيم الغربية التي هي اساسا دنيوية وتؤكد وتبرز الديانة اليهودية التي هي في نظرها عقيدة وهوية قومية . اما المفاهيم الغربية عن الاستهلاك ، الانجاز المادي والاباحية فهي غريبة ، غير أخلاقية وممزقة للمجتمع . وسيؤدي الخلاص السياسي من خلال استيطان الارض المقدسة الى الخلاص الاجتماعي .

« وهنا خالفت الحركة ، ادعاء أساسيا من دعاوى الصهيونية - الذي ما فتئت تكرره وهو : ان الصهيونية حركة رائدة للحضارة الغربية في عالم متأخر » .

مناقشة أو مداخلة

كانت الصهيونية العمالية تفسيرا دنيويا لفكرة المسيا ، بينما تعتبر صهيونية جوش أمونيم نظيرها الديني ، وقد نجحت الاثنتان في تعبئة الدعم لها لأنها ادّعتا نظاما اخلاقيا مركزيا يتغلف بالبهودية القومية . يقول هابر ماس : بان عدم الشرعية تحدث عندما يفشل النظام السياسي في تمثيل وتطبيق القيم التي تشكل اساس اليهودية الاجتماعية ، وهذا ما حصل فعلا في اسرائيل . » ويقصد بهذا القول الاشارة الى فشل عقيدة حزب العمل الصهيوني » .

قامت الصهيونية العمالية (العقيدة المسيطرة في اسرائيل حتى وقت قريب) بتوضيح الرسالة المسيائية كلها في اطار دنيوي ، وجعلت الخلاص القومي بالهجرة الى فلسطين ، اما الخلاص الاجتماعي فيتم ببناء مجتمع المساواة الذي كان الكيبوتز اول نموذج له ، اما الخلاص الفردي فيأتي عن طريق العمل في الارض من خلال الاتصال المباشر بالتربة . ولكن في الوقت الحالي جردت هذه العقيدة من محتواها عندما قدمت « دولة اسرائيل » كتحقيق للرسالة المسيائية ، فكل من لا ينضم الى مملكة السماء هذه على الارض يعتبر تافها . بينما اظهرت عقيدة حزب العمل تمييزا بين اليهود الذين استوطنوا فلسطين وبين اليهود الآخرين الذين اعتبروا تافهين ما داموا قد اختاروا البقاء في المنفى .

« يهود المنفى ! »

وبقدر ما أبعدت العقيدة العمالية الصهيونية الدنيوية الاسرائيليين عن العقيدة الهودية ، أبعد التميز بين اليهود واليهود الاسرائيليين أنفسهم عن الشعب اليهودي كثيرا ، فقد اعتبر الشباب في اسرائيل يهود المنفى جبناء وغير مخلصين . وأظهر الكتاب المولودون في اسرائيل الاحتقار ليهود المنفى مع شعور بالعظمة نحوهم ، وكان شباب اسرائيل غير مبالين بيهود المنفى ، ورفضوا التاريخ اليهودي الحديث لأنه تضمن الحديث عن حياة المنفى ، وفي دراسة اجريت في ٦٤/١٩٦٥ سئل الشباب الاسرائيلي عن الأهمية النسبية بين يهوديتهم واسرائيليتهم في حياتهم ، ٦٨٪ فقط اعتبر يهوديته أهم ، بينما اعتبر ٩٠٪ اسرائيليته أهم من يهوديته . كما أدت دراسة اخرى الى النتائج نفسها .

أما بعد احتلال الضفة الغربية فقد أظهرت الاجابة على التساؤلات ان احتلال الاقاليم خارج حدود « اسرائيل » يمكن تبريره اخلاقيا . وجمع الشباب اليهودي بين نقيضين في محاولة تبريرية كما يظهر من قول البعض : « كان احتلال الاراضي غير اخلاقي في حد ذاته ، وقتل الناس

من اجل هذا الغرض أسوأ من ذلك بكثير ». لم يكن لدى تأنيب ضمير عندما أطلقت النار ، ولكنني كنت سعيدا عندما رأيت العدو يفر هاربا ».

حديث المحاربين

كان الاحتلال المقرون بالحرب ، التراث اليهودي ، العقيدة العمالية الصهيونية الصلبة ... موضوعات متكررة في كتاب « حديث المحاربين » . قال أحد المتحدثين ان الحرب جعلتنا نفكر اكثر في الصهيونية وحقنا في ارض اسرائيل . بينما أفاد الآخر بأن عقيدة الصهيونية ، عقيدة الهجرة الى ارض اسرائيل مرتبطة مع مشكلة الصراع مع العرب ، الذي يعتبر في مجمله لا أخلاقيا كما كان استيطان فلسطين في الماضي ، وكما سيكون في المستقبل ، اذا لم يكن متأثرا ومقترنا بمطالبة اليهود بتراثهم .

نوقشت هذه المعضلة في ندوة عقدها عام ١٩٦٨ مجموعة من الشباب الذين أجريت معهم مقابلات نشرت في « حديث المحاربين » ، وطلاب في مدرسة الحاخام كوك الابن . وهي مناقشة ذات اهمية خاصة ، فقد كانت حوارا بين يهود تقليديين من اليشوف ، اصبح بعضهم قادة لجوش امونيم فيما بعد ، وبين اعضاء غير متدينين في الكيبوتز ، وكان جميع المشاركين في النقاش قد شاركوا في حرب يونيه ١٩٦٧ ، نظمت الندوة هيئة تحرير مجلة شدموت ، وشباب الكيبوتز الذين شعروا بشكوك حول يهوديتهم ، وقد ظهر احساس اعضاء الكيبوتز المشاركين بالذنب تجاه العدو المهزوم عندما عبر أحدهم بقوله : « اني أعلم ان إحدى مشاكلنا المركزية هي تجنب الحرب ، ولكن مشكلة اخرى لا تقل اهمية ، هي أن نجد طريقة لحفظ الصورة الانسانية للانسان . واحد مظاهر حفظ هذه الصورة هو الاهتمام بقدسية حياة الانسان » . مثل هذا الصراع بين الوطنية (التي تعني تجنب الحروب في المستقبل بمحاربة العدو الآن) وبين حل المشاكل بالسلام التي تعطي اهتماما بحياة الانسان يكون ممكنا عندما تثار الشكوك حول التبرير الأخلاقي للحرب » .

ولكن الهوية اليهودية أعطت حلا للمعضلة « انني مقتنع بان نضالنا عادل يبرر قتل أي انسان يأتي لقتلنا » ... اني أعلم ان قلبي تألم وحقيقتنا تجب ان تكون الحقيقة » .

لم يكن لدى هؤلاء شكوك حول هويتهم اليهودية التي تعتبر هويتهم العرقية ايضا مما اعطاهم إحساسا بالوحدة مع اليهودية العالمية . وكونهم طلابا من يشفات هسيدر يؤدون الخدمة العسكرية تطوعا ، لم يكن لديهم شكوك حول هويتهم الاسرائيلية ايضا ، وبالنسبة لهم فان ازمة الهوية اليهودية لا توجد حقيقة ، أو على الأصح وجدوا طريقة لحلها من خلال اطار قومي ديني .

الحرب ضد العرب !

وهكذا أعطت جوش أمونيم الجواب الذي ما زال المشاركون في كتاب « حوار مع المحاربين » عاجزين عن اعطائه كما لاحظ احد الكتاب ، وحسب رأي جوش امونيم في ان الصهيونية الدنيوية تبرر العودة الى صهيون ، والحرب ضد العرب بسبب نقص الخيار ، بينما تبرر الصهيونية الدينية الاهداف نفسها بالايمان والارادة « وكل من لا يعتقد ولا يتحدث عن حب الأرض يشبه عبدة الاشجار والحجار » . والصهيونية المغرقة باصطلاحات دينية .... من الطبيعي ان تندمج مع اليهودية العالمية ما دام عاد التأكيد ثانية على كل الشعب اليهودي الذي يشكل الاسرائيليون مجرد طلائعه فقط . وعندما دعى احد قادة جوش امونيم للتحدث الى السيدات الأميركيات الصهيونيات قال : « اننا نرفض هذه المؤسسة الصهيونية التي تدعى بان وظيفة يهود المنفى جمع المال وتعبئة العون السياسي لاسرائيل . اننا نعتقد بأنكن شريك كامل ومتساو في كل نضالنا وفي كل ما يحدث هنا » .

لكن هذا لا يعني بأن الايديولوجية تعطي التفسير الوحيد لسياسة اسرائيل الخارجية ، اذ أن هناك عوامل أخرى لا تقل عنها أهمية مثل مبادرة السادات والضغط الاميركي الاقتصادي والسياسي ... الخ .

وفي الختام ، نأمل أن يكون هذا العرض لعقيدة جوش أمونيم التي تتبناها حكومة الليكود في اسرائيل ، قد بينت البعد التوسعي الذي تتطلع اليه حكومة بيجن من خلال اعتمادها على مقولة صهيونية جديدة قائمة على تفسير مرحلي جديد لما جاء في صلب العقيدة اليهودية حول مجيء المنقذ ، مسقطة بذلك تفسيرات حزب العمل للاستيطان اليهودي وللديانة اليهودية في المراحل الأولى من تأسيس الصهيونية . ومن يدري ماذا ستكون عليه التفسيرات الصهيونية للديانة اليهودية في المراحل القادمة » . ○

ليس حتما أن تكون المخلوقات الكونية تكرارا للمخلوقات الأرضية ، فالكائنات ربيبة بيئتها ، لأن عوامل البيئة ذاتها تؤثر فيها ، ولقد علمتنا الحياة على الأرض دروسا كبيرة ، وبهذه الدروس نستطيع أن نستنبط ما يمكن أن تكون عليه المخلوقات من تنوع هائل ، ليس على المستوى الأرضي فقط ، بل على مستوى الكواكب الأخرى المنتشرة في الكون العظيم .. لهذا ، قل لي ما هي البيئة المتاحة ، أقل لك ما هي صفة الكائنات التي تعيش فيها !

على هامش الحياة الكونية

قل لي : ما البيئة أقول لك : ما المخلوق ؟

بقلم : د . عبد المحسن صالح

بهذه المقدمة المختصرة نستطيع أن نجيب على بعض التساؤلات التي تلقيناها من بعض القراء حول موضوع « البحث عن أذكياء فيما وراء الأرض » الذي نشر قبل ذلك على صفحات هذه المجلة (انظر عدد يناير - كانون ١٩٨٣ من العربي) ، والذي ناقشنا فيه احتمال ظهور كائنات كونية ، وكيفية الاتصال بيننا وبينهم .

ولقد تركزت معظم الأسئلة والاستفسارات على نوع وشكل وسلوك هذه الكائنات ، وهل هي تشبهنا ، أم تختلف عنا ، وطبيعي أن أحدا لا يستطيع أن يقدم صورة واضحة عن طبيعة تلك الحياة ، وكل ما قيل في هذا المجال هو تصور نابع من أنماط الحياة الأرضية ، ثم إن الأرض تحكمها عوامل كثيرة ، فمن بيئة ترابية الى أخرى مائية أو هوائية ، ومن جو شديد الحرارة ، الى آخر شديد البرودة ، فليست أنماط الحياة مثلا عند خط الاستواء ، كأنماط الحياة في ثلوج القطبين ، وليست أنماط كائنات المياه الضحلة ، كتلك التي تسكن أعماق البحار والمحيطات ،

وليست الحياة عند قمم الجبال العالية ، كالحياة في السهول والوديان ، كما أن الحياة في المياه ، غيرها على اليابسة ، وعلى مثل هذه الوتيرة يمكن الاستدلال على كيفية تأقلم الكائنات بالبيئة التي تعيش فيها .

أضف الى ذلك أن قوى الجاذبية تختلف من كوكب الى كوكب ، فكلما كانت الكتلة أكبر ، كانت الجاذبية أعظم ، فلو أن مخلوقا أرضيا يسير على قدميه ، أو يمشي على أربع ، أو يحلق بجناحيه ، قد حط على كوكب أكبر كتلة من الأرض بعشرات أو مئات المرات ، فان هيكله العظمي الأرضي لا يتناسب مع قوى الجاذبية الجبارة التي تشده شدا ، فلا يستطيع لها مقاومة أو صدا ، وعندئذ قد ينهار ، ما لم يأت هيكله ببناء أشد ، ليساير به نهم ذلك الجذب ، ومن هذا المنطلق يتصور بعض العلماء أن بناء كائنات الكواكب الكبيرة الصالحة للحياة تختلف عن بناء كائنات الأرض ، اذ لابد أن تكون العظام أمتن ، والعضلات أضخم ، والأطراف والأقدام أصلب ، وبالاختصار يجيء المخلوق المناسب ، بالبناء المناسب ، للكوكب المناسب ، فيكون كل كائن قد جاء لما هو له ميسر !

وعكس ذلك صحيح مع الكواكب الأصغر كتلة من كوكبنا الأرضي ، لأن الجاذبية ستكون أضعف ، والحركة أخف ، ولا يتطلب ذلك - بطبيعة الحال - بناء جسديا قويا ، لأن ذلك يعتبر اسرافا في الخلق ، وما رأينا في الخلق اسرافا ، بل جاء كل شيء بمعايير مضبوطة ، ونسب موزونة ، وأعضاء تساير ظروف بيئتها التي عليها نشأت ، وبها تأقلمت وتكيفت .

أضف الى ذلك أن الاختلاف في جاذبية الكواكب ، يتأسس عليه اختلاف في أغلفتها الهوائية ، وبحيث تأتي ذوات الجاذبية الأخف ، بغلاف هوائي أرق ، والأثقل بغلاف أكثف ، وقد يؤثر ذلك تأثيرا واضحا في الجهاز التنفسي ذاته ، اذ لو فرضنا أن بعض مخلوقات الكواكب الأخرى تتنفس مثلنا ، ولها أنوف وقصبات هوائية ورئات مثل ما لنا ، فان عمليات التنفس في الأجواء الخفيفة ، تستلزم مسالك هوائية أوسع ، ورئات أكبر ، ليتناسب ما رق من الهواء ، مع ما اتسع من مرافق التنفس ، فلا يحدث الاختناق البطيء نتيجة عدم ملاءمة هذا لذاك .

ان مثالا عابرا نقدمه من حياتنا الأرضية ، قد يوضح ذلك أبسط توضيح ، فلو أن انسانا يسكن السهول والوديان ، قد صعد الى احدى قمم الجبال العالية جدا ، فلاشك أنه سيشعر بفرق بين سهولة التنفس وهو تحت ، وصعوبته وهو فوق ، وكلما كان المستوى أعلى ، كان التنفس اشق ، لأن كثافة الهواء في طبقات الجو العليا

احتفلت جامعة هارفاد الشهيرة مؤخرا (منتصف مارس الماضى) باكتمال انشاء تلسكوب - الراديو الذى أقامته خصيصا من اجل البحث المركز عن مخلوقات ذكية في الفضاء .. والهوائي الضخم الذي ترى (٨٤ قدما) انما هو هوائي التلسكوب المذكور ، المسمى SETL اختصارا .. أو تفصيلا Search for Ex traterrestrial intelligence

أقل ، ولكي يعوض ، فلابد أن يتنفس أسرع ، أو لو فرض وكانت لديه رئات أكبر ، فسوف يحل بها الاشكال !

ما يحيينا .. قد يميتها !

لكن .. قد يطرأ على الأذهان تساؤل وجيه : ما يدرينا مثلا أن أغلفة الكواكب الأخرى لها نفس تكوين غلافنا الهوائي ؟

ليس ذلك مهما ، لأن أنماط حياة الكائنات تختلف باختلاف بيئتها ، فنحن نعتمد على أوكسيجين الهواء في تنفسنا ، وكذلك معظم الكائنات التي تشاركنا الحياة على كوكبنا ، فلو غاب الأوكسيجين ، لاختنقنا واختنقت ، لكن أليس من المحتمل أن تنشأ الحياة وتشق طريقها بغير هذا الأوكسيجين الذي يعتبر ـ من وجهة نظرنا ـ أكسير الحياة ، وموقد جذوتها ، ومانح طاقاتها ؟

لاشك أن تصور حياة بدون أوكسيجين ، تصور صعب ، كما أنه يناقض كل المبادىء التي قامت عليها التفاعلات الحيوية ، في الكائنات الأرضية ، لكن لا يجب علينا أن نقارن حياتنا بحياة غيرنا ، فربما سلكت الحياة طريقا آخر غير الطريق التقليدي الذي نعرفه ونعيش به وفيه ، وقد يبدو أن تصوراتنا تلك قد قامت على غير أساس ، ومع ذلك فالأساس موجود .. ليس هذه المرة في كواكب أخرى غير كوكبنا ، بل في كوكبنا ذاته ، اذ توجد صور من الحياة يتوقف نشاطها في وجود الأوكسيجين ، فاذا غاب عنها ، دبت فيها الحياة ، وعندئذ تتغذى وتنقسم وتتكاثر ، وتكون لها ذرية .. اي أن ما يحيينا يقتلها ، وما يقتلنا يحييها !

وهل هذه الكائنات الغريبة موجودة حقا في أرضنا ؟ .. واذا كان الأمر كذلك ، فكيف توجد ، مع ان الأوكسيجين يتخلل كل شيء في كوكبنا ؟

الواقع أنها موجودة ، وتعرف باسم الكائنات اللاهوائية ، تمييزا لها عن الكائنات الهوائية التي تنتمي اليها ، وينتمي إليها عالم الحياة المتطور .. أي أن هذه الكائنات اللاهوائية ـ كما هو واضح من اسمها ـ تعيش في معزل عن الأوكسيجين ، وهي تمثل لنا أنواعا كثيرة من الكائنات البكتيرية ، وهي صورة من صور الحياة على أية حال ، ولقد كانت هي أول من عمر هذا الكوكب منذ حوالي ٢٥٠٠ مليون عام ، ولم يكن الأوكسيجين قد ظهر عليه بعد ، أي أن جو الكوكب كان خاليا من الأوكسيجين ، وفيه تكاثرت وازدهرت لعشرات الملايين من السنين ، ثم تطورت الحياة في خطوات جد بطيئة ، وظهرت كائنات نباتية دقيقة (الطحالب) ، فقامت بعملية التمثيل الضوئي او الكلوروفيلي ، وهي عملية مسئولة عن تغيير تكوين الغلاف الأرضي تغييرا جذريا ، لكن شرح ذلك قد يطول ، ولهذا يكفي أن نقول ان الأوكسيجين بدأ يتجمع على مر ملايين السنين ، واكتسبت بعض الكائنات البدائية صفات وراثية جديدة ومتطورة ، واستطاعت بها أن تستخدم الأوكسيجين ، وتؤكسد به المواد العضوية ، لتحصل على طاقتها الحيوية ، وتحولت الى كائنات هوائية ، لكن هذا التغير لم يقض قضاء مبرما على بعض الكائنات اللاهوائية ، بل ظلت تعيش الى اليوم في جيوب لا هوائية منتشرة في قاع البحيرات والبحار ، أو في الطين الغني بالمواد العضوية ، أو في المياه الملوثة تلوثا شديدا ، ومن مثل هذه « الجيوب » يمكن عزل هذه الكائنات اللاهوائية ، بوسائل يعرفها علماء الكائنات الدقيقة تمام المعرفة .

حياة غريبــة !

وماذا نقصد بكل هذا مثلا ؟

نقصد أن الحياة لها وسائلها الكثيرة التي يمكن أن تتخطى بها كل العقبات ، اذ ليس وجود الأوكسيجين أو غيابه عقبة في استمرار الحياة وتطورها على أية صورة من الصور ، وكان من الممكن أن تتطور الكائنات على هذا الكوكب بطريقة تتناسب مع جو خال من الأوكسيجين ، لكن جزيئا كيميائيا واحدا هو الذي لعب اللعبة ، فحول الغلاف الهوائي من حالته المختزلة الى حالته المؤكسدة التي استمرت منذ نشأته حتى اليوم . وجزيئنا هذا هو جزيء الكلوروفيل .

من أجل هذا لا يجب علينا أن نحكم على الكواكب الأخرى نفس حكمنا على كوكب الأرض ، فنستبعد امكان نشأة الحياة وتطورها في غياب الأوكسيجين ، بل يمكن أن يكون جو بعض الكواكب خانقا بالنسبة لنا ، لكنه ليس كذلك بالنسبة لكائناتها ، لأنها قد تستمريء الحياة في

جو تنتشر فيه السموم ، ومع ذلك لا تعتبرها هي سموما ، بل يكون لها وبها حياة .. أرغد حياة !

ان جو بعض الكواكب في مجموعتنا الشمسية يتكون من غازات قاتلة بالنسبة لنا ـ غازات مثل الأيدروجين والميثان وأول أوكسيد الكربون والنشادر ، ولا يمكن للحياة الأرضية أن تعيش في مثل هذا الجو الخانق ، لكن لاشيء يمنع ان تنشأ فيها حياة وتتطور وتعيش على غاز الأيدروجين أو الميثان أو أول اوكسيد الكربون ، أو حتى على حامض حارق مثل حامض الكبريتيك أو النيتريك ، وهي التي يطلق عليها العامة اسم « ماء النار » !

وليس الأمر مقصورا على بعض كواكب مجموعتنا الشمسية ، بل قد يتعداه الى كواكب كثيرة جدا تنتشر حول نجوم السموات ، اذ ليست الكواكب نسخة طبق الأصل من بعضها ، بل تتباين أجواؤها بين كثيف وخفيف ، ومختزل ومؤكسد ، وحامض وقاعدي ، وشديدة البرودة ، أو شديدة الحرارة .. الخ ، كل هذا يختلف باختلاف كتلة الكواكب وتكوينها ، أو بعدها عن شموسها ، أو التفاعلات التي تتم بين مركباتها ، أو الحياة التي يمكن أن تتكيف بحسب الظروف التي بدأت بها ، ونشأت عليها .

وقد يعتبر البعض أن هذه الاستنتاجات ليست الا من قبيل التصورات الرديئة ، أو الشطحات السقيمة .. لكنها ليست حقا كذلك ، لأن الأسس التي يمكن ان تنشأ بها وعليها موجودة في كوكبنا ذاته ، أي أن هناك بالفعل كائنات دقيقة تعيش على الأيدروجين ، ولها فيه حياة ، طالما كان متاحا ، لأنها تؤكسده أو « تحرقه » ، وتحصل منه على طاقتها الحيوية التي تسير بها دفة تفاعلاتها الكيميائية من خلال خمائر أو انزيمات مهيأة للاستفادة بهذا الغاز ، فهو يغنيها عن الطاقة الموجودة في أي طعام آخر ، لأن الطعام في حد ذاته مصدر للطاقة الحيوية التي تغذي الكائنات ، لتدير بها عجلة الحياة .. لا طاقة ، اذن لا حركة ولا حياة ، لا في آلة ولا في مخلوق !

وقد يقال ان غاز الأيدروجين مصدر من مصادر الطاقة التي يمكن بها ادارة الآلات ، لكن هذه الكائنات التي تعرف باسم بكتيريا الأيدروجين قد استخدمت هذا الغاز في ادارة ميكانيكيتها البيولوجية قبل أن يظهر الانسان على هذا الكوكب بحوالي ٢٥٠٠ مليون عام !

ولها في السموم حياة

من الخطأ ـ اذن ـ أن نتصور الحياة الكونية على أنها صور مكررة لحياتنا الأرضية ، لأن الظروف تختلف ، والوسائل التي سارت بها عمليات التطور من الأبسط الى الأعقد تختلف كذلك .

لو أن غاز السيانور القاتل قد حل محل الأوكسيجين مثلا ، وجاء بالنسبة ذاتها التي نعرفها في غلافنا الهوائي ، فقل على الحياة السلام ، لكن ليست كل حياة بطبيعة الحال ، لأن السيانور (أو حامض هيدروسيانيك أو أحد مركباته) خامة حياة لبعض صور الحياة الدنيا الموجودة في أرضنا .. فهناك مثلا بعض أنواع البكتيريا والفطريات التي تستفيد بهذه المركبات السامة ، وتحولها الى بروتينات من خلال نظام خاص من انزيماتها أو خمائرها ، وكاتب هذا المقال قد استخدم هذه الكائنات يوما كأداة حية لتخليص بيئة بعض المخلفات الصناعية من هذه السموم ، حتى لا تأخذ طريقها الى البيئة المحيطة . فتهلك الزرع والضرع .. أي أن ما نعتبره سما بالنسبة لنا ، أو بالنسبة للحيوانات التي دوننا ، قد يصبح خامة حياة هامة بالنسبة لكائنات غيرنا .

ومن هذا المنطلق ، لا يجب علينا أن نقول ان كوكبا آخر لا يمكن أن تنشأ فيه حياة ، لأن بيئته تحتوي على السيانور السام ، ولو قلنا ذلك ، فقد نكون مخطئين ، اذ ما يدرينا أن مخلوقاته قد بدأت به ، وسارت ميكانيكيتها البيولوجية من خلال انزيماتها التي جاءت مناسبة له ، ثم تطورت الى مخلوقات أعقد ، لتستخدم السيانور في حياتها « كأكسير » حياة ، فتستنشقه كما نستنشق نحن الهواء بأوكسيجينه على أرضنا ، وتستفيد به حيث لا نستطيع نحن ذلك ، لأننا سلكنا طريقا مغايرا لطريقها .. ان كل شيء جائز ، خاصة وأن بعض صور الحياة على كوكبنا قد علمتنا درسا مؤداه : ان التنوع الهائل ناموس من نواميس الحياة ، ليس على أرضنا فقط ، بل ربما في أكوان أخرى تمتد حولنا بغير حدود !

وكالسيانور يكون أول أوكسيد الكربون ، وهو غاز معروف بضراوته وعداوته للحياة ، وهو من السموم القاتلات ، فاذا دخل مع هواء الشهيق ، انتقل الى الدماء ، ليتحد بكرات الدم الحمراء ، وهو هنا كالسيانور

سواء بسواء ، لأن لكليهما نهما شديدا لاحتلال مواقع استقبال الأوكسيجين على جزيئات الهيموجلوبين ـ احدى مكونات الدم الهامة ، ويعني هذا أن الاحتراق سيتوقف ، والكائنات تتسمم أو تختنق ، فلا مكان للأوكسيجين بعد أن احتل غيره موقعه ، لكن ما يوقف سريان طاقة الحياة في المخلوقات ذات الدماء ، قد يدفع سريان الطاقة في كائنات أخرى بدائية ليس لها في الهيموجلوبين نصيب ، لأن هذه الكائنات تلتقط أول أوكسيد الكربون ، وتؤكسده الى غاز ثاني أوكسيد الكربون ، ومن هذه الأكسدة ، تنطلق الطاقة ، وبها تسير دفة العمليات الكيميائية التي تسيطر على حياتها .. أي ان هذا الغاز قد يحيي ويميت ، يحيي كائنات ، ويميت أخرى ، يتوقف هذا على طبيعة العمليات الحيوية التي تسري في هذه او تلك ، ومن هنا فقد تقوم الحياة في كواكب أخرى ذات بيئة سامة بالنسبة لنا ، لكنها واحة الحياة لمخلوقاتها التي تكيفت وتأقلمت بيئتها التي تخالف بيئتنا .. فكل شيء جائز !

وكغازات السيانور أو أول أوكسيد الكربون ، تكون غازات أو مركبات أخرى مثل الميثان (غاز المستنقعات) والايثان والبروبان .. الخ ، فلها مجموعة من الكائنات البدائية تعيش عليها وتحرقها ، تماما كما نعيش نحن مثلا على السكريات والنشويات ، فيستخلص كل مخلوق منها طاقته ، حسب ما تيسر له من نظم حيوية ملائمة لهذا المركب أو ذاك ، ولهذا ، فليس شططا في القول ان تنشأ حياة متطورة في مكان ما بالكون على ما نعتبره نحن غير صالح لحياتنا الأرضية .

سوق تجارية غريبة

والذين يدرسون ويتأملون ويبحثون في صور الحياة الأرضية ، يعرفون أن الحياة أخذ وعطاء ، أو أن نهاية حياة ، هي بداية لحياة جديدة ، أو ما قد نعتبره نحن نفاية ، هو في الحقيقة خامة حياة لكائنات أخرى ، والأمثلة على ذلك لا تعد ولا تحصى ، ولنأخذ هنا مثلا عابرا بين مملكتي النبات والحيوان ، فالأولى هي المنتجة ، والثانية هي المستهلكة ، لكن بعد أن تستهلك تُستهلك (الأولى بفتح التاء والثانية بضمها) ، وتعود الى الأرض ، ليبنيها النبات من جديد ، وهكذا تدور الدورة بتوازن بديع .. أضف الى ذلك ان الكل يحرق الطعام بالاوكسيجين ، وينتج ثاني أوكسيد الكربون كنفاية ، فيأخذه النبات ليبنيه ، وينتج مادة الاستهلاك ، ومعها ينتج أيضا غاز الأوكسيجين ، ليساعد على الاحتراق .. وهذه ببساطة الصورة المتطورة التي نعرفها .

لكن هناك صورا أخرى أغرب ، أو أسواقا تجارية كيميائية بين كائنات تعيش على كبريتيد الأيدروجين ، وهو غاز كريه يخرج من تحلل المواد العضوية (كما نحسه بأنوفنا من البيض الفاسد ، او من البحيرات الملوثة أو المستنقعات) .. المهم ان هذه الكائنات البدائية (وتعرف باسم بكتيريا الكبريت) تعيش على مركبات الكبريت ، فمنها ما يختزل المركبات الكبريتية المؤكسدة (أي الكبريتات والكبريتيت) ، ومنها ما يؤكسد المركبات المختزلة ، فحيث تأخذ مجموعة منها كبريتيد الايدروجين الكريه وتؤكسده وتحوله الى كبريت ثم الى حامض الكبريتيك ، تجد المجموعة الأخرى تعيش على هذا الحامض الكاوي أو أملاحه ، وتختزله ، فتحوله الى كبريتيد الأيدروجين ، وهو بالنسبة لها نفاية ، لكنه بالنسبة لغيرها بداية ، وعليه تعيش !

كذلك الحال مع مجموعات أخرى تعيش على النيتروجين أو مركباته ، فمنها ما يختزل هذه المركبات ، ويحولها الى امونيا (نشادر) ، ويتخلص منها كنفاية ، ومنها ما يأخذ هذه النفاية (أي الأمونيا وأملاحها) ويؤكسدها الى مركبات (مثل النيترات) .. وفي كل هذه العمليات التي تتم بين أكسدة واختزال ، تحصل تلك الأنواع من الكائنات على طاقتها الحيوية ، وتدير بها عملياتها الكيميائية ، وبها تهدم وتبني ، وما الحياة الا هدم وبناء ، أو آكل ومأكول « ولكن اكثر الناس لا يعلمون » !

وثمة صورة اخرى غريبة من الكائنات تعيش على مركبات مثل الحديد أو المنجنيز ، فتؤكسد صوره المختزلة ، ومنها تحصل على الطاقة ، ولهذا تعرف باسم بكتيريا الحديد .

هذه ـ اذن ـ صور غريبة من الحياة قدمناها باختصار شديد ، لأن ضيق المجال هنا لا يسعفنا ، لكي نقدم بعض ما عندنا ، ومع ذلك فان ما قدمناه يشير الى أن الحياة ذاتها على كوكبنا تجمع بين كل ما هو مثير ومتناقض وغريب ، وكان من الممكن ان تتطور هذه الكائنات وتتميز الى صور

راقية ، هذا لو أن ظروف البيئة قد واتتها ، لكن ما قدر يكون ، ولحكمة بالغة كان هذا التقدير ، فليس هناك اجمل من حياة بهذه المعايير .. طبعا بالنسبة لنا ، وقد يكون ذلك ليس كذلك بالنسبة لغيرنا !

« ويخلق ما لا تعلمون »

لكن مما لاشك فيه أن التنوع في الخلق له أصول ، وتحكمه عوامل .. أهمها وجود خطط وراثية قابلة دائما للتغيير والتبديل والتطور (وهو ما يعرف بظاهرة الطفرة) ، والذي يغير هذه الخطط عوامل بيئية قد تكون اشعاعية أو كيميائية أو حرارية او بيولوجية .. الخ ، وقد يتلاءم هذا التغير مع البيئة أو قد لا يتلاءم ، فان توافق وتلاءم عاش ، وان كان غير ذلك ، فمصيره الانقراض ليصبح من الحفريات .

ان هذه العملية قد استمرت على كوكبنا ألفي مليون عام ويزيد ، فتمخض عنها أكثر من مليوني نوع مازالت تعيش بيننا ، وتتوزع في بيئات شتى ، ولكل بيئة ظروفها ومقوماتها وحياتها ، هذا غير حوالي ١٥ مليونا من الأنواع التي لم تستطع ان تتكيف مع البيئة ، فانقرضت ، ومن المعروف أيضا في زماننا هذا ان بعض أنواع الكائنات الحية كادت ان تنقرض ، ولهذا ارتفعت الأصوات منادية بضرورة الحفاظ عليها ، حتى لا يسري عليها ما سرى على اسلافها ، لكن كل هذا يشير الى أن الحياة غنية إلى أبعد الحدود « بتاكتيكات » من التنوع لا حصر لها ولا عد .. ليس ذلك فقط على مستوى الارض ، بل قد يكون ذلك أيضا على مستوى الكون ذاته ، ولا يهم بعد ذلك ان تجيء الكواكب ببيئة معتدلة أو متقلبة أو سامة أو حامضية أو كاوية أو باردة أو حارة .. الخ ، انما المهم ان تكون البيئة ممهدة لنشأة البدايات الأولى للكائنات الحية ، فاذا نشأت ، كان عليها ان تشق طريقها ، فتتنوع ثم تتكيف حسب الظروف التي تسلط عليها ، وتوجهها سواء السبيل ، وهنا يحق القول الكريم « ويخلق ما لا تعلمون » !

ثم انه ليس حتما ان تجيء المخلوقات الكونية الذكية بصورة تشبه صورتنا الأرضية ، اذ ما يدرينا مثلا انها قد جاءت بعقول وأحاسيس وأطراف وأجهزة وأنسجة تتوافق مع المركبات الكيميائية المتاحة ، فتحصل منها على الطاقة ، وقد يكون الحصول عليها بطريق آخر غير طريق الطعام الذي تتناوله على أرضنا ، بل قد يأتي ذلك من أكسدة بعض المركبات التي أشرنا اليها ، أو قد تستفيد بالطاقة الضوئية التي تنبعث من شموسها ، أو بوسائل أخرى قد لا تطرأ لنا على بال .

ولك بعد ذلك ان تطلق لنفسك عنان الخيال ، اذ قد تأتي المخلوقات الذكية بعدد من الأطراف اضعاف ما نملك ، لتقوم الأطراف بالتحكم في أكثر من عمل في وقت واحد ، ولابد أن يتبع ذلك تطور في مراكز المخ ، ليسيطر على هذه الأطراف ، ويستوعب سيل المعلومات الواصلة ، ليوجه كل طرف في مهمة تختلف عن مهمة الطرف الآخر ، أو قد تأتي هذه الكائنات الكونية بحاسة بصر أقوى ، وأوسع من الحدود التي تعمل فيها عيوننا ، أي ترى في موجات أقصر وأطول من موجات الضوء الذي نرى به عالمنا ، بمعنى انها قد تكشف عالمها في الظلام التام (طبعا ظلام بالنسبة لنا ، لكنه بالنسبة لها نور) ، أو قد تأتي بحاسة سمع تتعرف بها على الموجات فوق وتحت الصوتية ، فتسمع مالا نسمعه ، أو قد تكون لها حواس مغناطيسية ، أو « بصيرة » كيميائية تستلزم وجود مستقبلات حية ، لتستقبل بها الجزيئات الكيميائية ، وتحدد مصادرها ، وتوجهها اليها ، حتى لو كانت عنها خافية .

شطحات خيال .. أليس كذلك ؟

لكن هذه « الشطحات » موجودة على كوكبنا ، ونحن نستطيع ان نعد منها الآلاف ، فكل الحواس التي ذكرناها والتي لم نذكرها موجودة في مخلوقات أرضنا ، فمنها ما يرى بالأشعة تحت الحمراء ، أو بالأشعة فوق البنفسجية ، ومنها ماله حاسة مغناطيسية ، او اذن فوق صوتية ، أو حاسة كيميائية ... الخ ... الخ ، وقد نعود اليها في دراسة قادمة لنوفيها حقها .

انه ثراء التنوع في الكائنات ، سواء في الأرض أو السموات ، ولهذا فكل شيء جائز ، لكننا نعود لنذكرك بقولنا السابق : قل لي ما نوع البيئة ، أقل لك ما طبيعة المخلوق ، أما شكله فمتروك لتقديرك وخيالك .. اذ ان كل ما يخطر ببالك ، فالحياة أغنى من ذلك ، « وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » . ○

الجامعة العربية
والعمل الثقافي

بقلم : الدكتور شاكر مصطفى

قبل ثمان وثلاثين سنة ، وبالضبط في يوم ٢٢ آذار (مارس) ١٩٤٥ وبينما كانت مدافع الحرب العالمية تطلق قنابلها الأخيرة ، نشرت الصحف العربية صورة أخذت في قصر الزعفران ، في مصر ، كانت كالفرحة المتفجرة وسط مأتم من الدمار .

الصورة كانت لمندوبي سبع دول عربية يوقعون باسمها ميثاق جامعة تربط ما بين هذه الدول خططا وعملا ومصيرا .

الفتيان الصغار الذين كنا هم تلك الايام رقصت قلوبهم للصورة ، وللميثاق الذي رافقها ـ يتحدث عن « تأييد الأماني القومية وخدمة مصالح العرب في الحاضر والمستقبل،وعن التعاون الوثيق في الشئون الاقتصادية والثقافية والاجتماعية والصحية . . . » ، رأوا في الجامعة تحول قبضة من احلامهم الخضراء الى واقع على الارض الصلبة ، تجسدها في كيان جامع ، رقصها والربيع الى اقبال . رأوا فيها الخطوة الاولى في نقلة لا تزيد ـ في زعمهم ـ على بضع خطوات . أبدا لم يخطر في البال أنها أكثر من بضع خطوات ، ويتحقق الحلم الكبير : الوحدة العربية . ما خطر لأقسى المتشائمين أنها سفرة ألف ميل او تزيد . ما خطر لهم ان كل قوى الشيطان تجند ضدها . ما خطر لهم ان المزار القريب هو كمزار حبيبة امرىء القيس :

فيا دارها في الخيف ان مزارها
قريب ولكن . . . دون ذلك أهوال

وحين أقف الآن على مشارف السنوات الثماني والثلاثين وأنظر في العيون ذلك الظل الباهت الذي يحيط باسم الجامعة . وذلك التساؤل الانكاري عما فعلت وتفعل ؟ وأرى ـ ولكن صرحاء ـ الاتهام لها بالعجز واللهاث وراء الاحداث وعبثية المسعى ، حين أرى ذلك كله في العيون أتذكر تلك الاماني العراض ، وتتداح امامي اشارة الاستفهام الكبيرة : لماذا ؟

لقد كانت جامعة الدول العربية اول منظمة اقليمية ظهرت في عالم ما بعد الحرب العالمية الثانية . فقد قامت قبل الأمم المتحدة بثلاثة اشهر ، وقبل منظمة الدول الامريكية ـ في وضعها الحالي ـ بثلاث سنوات ، وقبل المجلس الاوروبي بأربع سنوات ، وقبل مجلس الشمال والجماعة الاوروبية الاقتصادية بثلاث عشرة سنة ، وقبل



● اجتماع المجلس الجامعة العربية عام ١٩٥٠

منظمة الوحدة الافريقية بثماني عشرة سنة.وهي الى هذا كله المنظمة الاقليمية الوحيدة في العالم التي تتسم بالطابع القومي وتضم أبناء أمة واحدة ذات فكر ديني واحد وثقافة تاريخية موحدة وتستخدم لغة واحدة ....

سياسيون يبحثون عن عروبتهم

يبقى بالمقابل أن نذكر أنها نشأت والوطن العربي كله تحت الاحتلال المربع : الافرنسي والانجليزي والايطالي والاسباني ... (فلم يكن ناجيا من الاحتلال سوى الحرمين وصحراء نجد وبعض اليمن !!) ، وأنها قامت في المشرق بينما المغرب عنها في واد آخر ، وقد أسسها سياسيون « يبحثون عن عروبتهم » كما قال عبد الرحمن عزام أمينها الأول.ولا يكادون يدركون من السياسة ولا من لعبة الأمم سوى المطالبة بالاستقلال !.. وبالرغم من ان الذين أسسوا الجامعة ووقعوا ميثاقها وقادوا خطاها ... كانوا من السياسيين ، فان الأساس الذي بنيت عليه كان - وما زال - الأساس الثقافي . على الصخرة الثقافية قامت الجامعة . تلك هي الحقيقة التي يجب أولا ان نعرف ... وثمة بجانبها بعض الحقائق الأخرى ...

الحقيقة الثانية هي ان هذه الثقافة تتميز بميزات ثلاث :

الأولى :

انها ثقافة قديمة ، دهرية ، أفنت القرون ، ولم تزل تغذي القرون . من آلائها الأديان السماوية الثلاثة ، وأسس الفلسفة والميتافيزيك ومبادىء العلوم من فلك وحساب وجبر وهندسة وطب ، ومذاهب الفنون والعمارة ، وقيم المجتمع والأسرة ، والحرف الابجدي ، عدا الزراعة والتكنولوجيا الأولى وهزيمة البحر بالمجداف ... ثقافتان أخريان فقط تشاركانها القدم وان لم تشاركاها التواصل العالمي : الهندية والصينية .

الثانية :

انها ثقافة صراع ، ثقافة مواجهة . نشأت وتكونت وعاشت في المعركة الأبدية بين شرق وغرب ومغول . المنطقة العربية كانت منذ الأزل الأقدم منطقة لقاء وصراع بين الشعوب والأفكار والقيم . وبينما كسبت من ذلك المقاومة والصلابة ، كسبت في الوقت ذاته نسبية القيم ، وتعايش الطوائف وتسامح الافكار ...

الثالثة :

انها ثقافة واحدة موحدة : توطدت أسسها الواحدة بصورة خاصة بعد الاسلام ، ومن خلال الثقافة العربية الاسلامية التي كانت غذاء الفكر والقيم للناس أربعة عشر قرنا ، والتي كان الشيخ في بغداد يسير في ظلها ليكون قاضيا في فاس،ويهاجر الحجّام من القيروان فينتقاه اهل حرفته في البصرة واحدا منهم ، وتكتب قصيدة في الشام

فيتغنى بها أهل صنعاء وتطوان . . . الحكام كانوا يقتتلون . يختصمون . تسكرهم عروشهم التافهة ، أما الناس والحياة والثقافة فكانت من ورائهم تسير . ومن ورائهم تصل ما يقطعون ، وترأب ما يصدعون ، أو لاتقيم وزنا لهم ولما يأفكون . لا تصدقوا أبدا تلك الصورة النزاعية السياسية التي يصورونها عن التاريخ العربي . ان لكم في الوحدة الثقافية التي تعيشونها اليوم لمثلا . أليست تلتقي شعوب الأرض العربية كلها بعضها مع بعض على الأخوة والمحبة والتعاون وتترك للفئة الحاكمة صغائر الخصومات . وان يأكل بعضهم لحوم بعض ؟ .

الحقيقة الثالثة : ان الجامعة غرقت او أغرقت مبكرة في المستنقع السياسي،لأنها منظمة دول كان عليها ان تكون مرآة السوء لكل نزاعات الدول والأهواء الحمقاء . ولأنها المصنع الذي قد يجمع القوة العربية ، توجهت اليها كل القوى الضاغطة بالهجوم والتعطيل . حاولت الجامعة الهرب الى الأمام . حاولت حرق المراحل والوصول من أقصر الطرق،فوقعت في الطريق الاطول وفي حقول الالغام ومهاوى الشوك والهزائم . لو انها بذلت في بناء الاقتصاد العربي وفي البنية الثقافية العربية ، ومنذ الأيام الاولى ، عشر ما بذلت في السياسة ، بل لو أهملت السياسة ـ رغم صعوبات الفصل التي تعرفون واعرف ـ وكانت جامعة للاقتصاد العربي ومصالحه ، وللثقافة العربية وروابطها،لكانت الدنيا العربية اليوم دنيا أخرى . . . ولكان القرار السياسي العربي بالرغم منه قرارا وحدويا وقرارا قويا . هل أريد القول ان الجامعة ضلت الطريق ؟ لعل الأصح ان اقول انها لم تكن لا في الكيان ولا في القوة بالتي تستطيع الوقوف للقوى السياسية المدمرة التي تفجرت بعد سنوات فقط من تكوينها : التغيرات التي استجدت في هذه القوى لم تكن في الحسبان ، دعوني أجملها في ثلاث :

- ظهور اسرائيل ضمن لعبة الامم وهي القفاز في التحرك الامبريالي في المنطقة العربية .

- دخول النفط في اللعبة وتحوله التدريجي الى قوة معاكسة ضاغطة وان بدا في لحظة من اللحظات انه سلاح مقاومة .

- دخول التكنولوجيا المتقدمة في ميزان القوى السياسية الضاغطة سلاحا ووسيلة تجسس واعلام وغسل دماغ !

مشجب الهزائم

وقد فشلت المنطقة العربية على المستوى السياسي والاقتصادي . سلسلة من الهزائم أضحت تجر وراءها منذ الحرب العالمية الثانية . ولا اقصد مسرحيات الحروب التي تعرفون ، ولكن هزائم المواقف والقرارات المصيرية . وقد اعتدنا ان تحول الجامعة الى مشجب للهزائم ! ان تسقط عليها الأزمات وتسأل لماذا لا تقرر ؟ لا تفعل ؟ لا تتحرك ؟ ونحن عليها باللوائم تجعل منها تيس الخطايا . . . اعرفتم ذلك التيس الذي كان يطلق الهواء في نهاية كل سنة في ازقة البلد،ويلقون عليه بالأقذار ثم يطاردونه خارج الأسوار ليتطهروا من الخطايا ؟ وما الجامعة الا الدول نفسها . ليست حكومة الحكومات . لا قوة ذاتية لها . ليست شيئا آخر إلا ما يريدون لها ان تكون . قراراتها هي دوما في الحد الأدنى ، لأن الحد الأدنى هو أقصى ما يمكن الاتفاق عليه . واذا أرادوا جرجرة الحلم الى مواقع الأوحال فما ذنب الحلم ؟

إن اخطأ الخزاف في جبلة الطين فأى ذنب للآنية ؟

أبو حزرة ، في القصص القديم ، ولدت له امرأته بنتاً فغضب وقاطع خباءها لا يقربه ، ولما طال بها العناء ، رصدت مروره ذات يوم وأخذت ترقص ابنتها قائلة :

ما لأبي حزرة لا يأتينا ؟
يبيت في البيت الذي يلينا
غضبان ألا تلد البنينا !
وانما نعطيه ما يعطينا !!

مع كل هذا فإن أهم انجازات الجامعة انما كانت على الجبهة الثقافية ، بلى ! وربما كان ذلك لأنها أخفى الجبهات وأبعدها عن الضجيج والخلاف . مصيبة الجامعة انها تفكر على النطاق العربي وتطبق على الأساس الاقليمي . مصيبتها ان القرار السياسي فيها يتخذ عربيا في الشكل ولكنه اقليمي في المحتوى والتنفيذ . وان القرار الاقتصادي يتخذ في الاطار العربي لكنه ينفذ ضمن المصلحة الاقليمية .



واما القرار الثقافي فيتخذ على المستوى العربي وينفذ حين ينفذ في الاطار العربي . صحيح ان هذا القرار الثقافي كان يتعثر احيانا ، وقد ينام على الدروب ، وينتظر « طبلة » المسحر . ولكنه كان يسير . هكذا كانت المعاهدة الثقافية أول مسعى تحقق في نطاق العمل العربي المشترك ، وأول وثيقة وقعتها الدول العربية بعد وثيقة انشاء الجامعة . . . وهكذا كانت الادارة الثقافية من أولى الادارات المختصة التي قامت في نطاق الأمانة العامة تنفيذا للمعاهدة الثقافية . واقيم بعد سنوات معهد المخطوطات العربية لحفظ التراث ، ثم معهد الدراسات العربية العليا لتعميق الفكر القومي ، ثم المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الرباط ، ثم الجهاز الاقليمي لمحو الأمية ، ثم قسم العلوم والتكنولوجيا . . .

وحدة الفكر والثقافة

وكانت قد مضت عشرون سنة على ميثاق الجامعة حين وافق مجلسها سنة ١٩٦٤ على اتفاق الوحدة الثقافية ، وعلى دستور المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم « ايمانا بان وحدة الفكر والثقافة هي الدعامة الاساسية : للوجود القومي وللوحدة ولتماسك الأمة العربية . وقامت سنة ١٩٧٠ تلك المنظمة كوكالة متخصصة تجمع الأجهزة الثقافية العربية في مؤسسة عربية واحدة تعمل على التخطيط الاستراتيجي لنواحي الحياة الثقافية والتربوية . . . وهكذا وضعت سنة ١٩٧٨ استراتيجية التربية العربية ، والاستراتيجية العربية لمحو الأمية وتعليم الكبار ، وهي تضع الآن التخطيط الشامل للثقافة العربية بمختلف ميادينها واستراتيجية العلوم ، واستراتيجية المعلومات والاعلام . كما وضعت وتوضع - من خلال أجهزة أخرى، استراتيجية العمل الاقتصادي العربي المشترك واستراتيجية التنمية الاجتماعية . . . في الصمت ، وعلى الدأب ، ومن خلال التصور المستقبلي الواعي، توضع السياسات المخطط الطويلة المدى تصورا وتنظيرا وتنفيذا في أسلوب وظيفي يستجيب للحاجات العربية من جهة ، ويتكامل مع الاستراتيجيات العربية في القطاعات الأخرى، وعلى المستويات القطرية والقومية من جهة أخرى .

ان الانسان العربي هو نقطة الانطلاق ونقطة العودة في كل هذه الاعمال . لا بوصفه الثروة الكبرى ولكن بوصفه أيضا المعنى الأول والأخير للوجود القومي .

لو كانت الأماني بالتمني ، لو كانت الجامعة تملك استقلالية القرار فلا تتجاذبه قبلها ، اثنان وعشرون يدا تطمس منه حتى الملامح ، لكان لهذه الأماني دورها . . . لكن وتتنزل . . . . لكن هنا تلجم الانطلاق وراء الربيع . . . لكن ثمة منجلان يحصدان كل الزهر وكل البراعم :

الأول :

غلطة الطلائع القيادية العربية منذ الخمسينيات . لقد تصورت أن الأماني القومية تحمل قوتها التنفيذية بذاتها ، ظنت ان حرق المراحل ممكن عن طريق النظم العسكرية . وتخلت بالتدريج عن دورها النضالي ومهمتها القيادية لهذه النظم ، مما جعلها بالتدريج أيضا مجرد تابع ذيلي . . . للأهواء الحاكمة الاقليمية ، وسهل سحقها بالمجان . انها تصرخ الآن مستجدية الحرية التي تخلت بنفسها عنها . تصرخ . تصرخ . حتى متى تصرخ ؟ .

الثاني :

ان القوى المدمرة للمنطقة العربية ، بعد أن نجحت على الجبهة السياسية فجعلتها في مرحلة انعدام الوزن . وعلى المستوى الاقتصادي فامتصت نخاعها الشوكي والدماء ، وصلت بالمعاول ، ومنذ سنوات ، الى الجبهة الثقافية ! منظومة القيم الفكرية هي التي يجرى فيها الهدم اليوم ، لأنها الحصين الأخير . الأمن الثقافي العربي هو الآن المهدد . لأن الثقافة القومية هي الصخرة الأصلب ، فان الهزيمة لا تكون كاملة الا بسحقها . هزوا العصا الاسرائيلية الغليظة في المنطقة ، فالنظم العربية بين « المنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع » واستلبوا القوة الاقتصادية مالا وخبرات بشرية وثروات طبيعية ، فالمنظمة العربية هيكل تنمية من جلد وعظم ولا تنمية . . . وبقي البنيان الثقافي يتحدى . . . ان استطاعوا زلزلته - وانهم ليحاولون ذلك بكل قوى الشر - انتقلنا من مرحلة انعدام الوزن الى مرحلة انعدام الوجود . . .

وعند ذلك فلا يلومن ابو حرزة العربي الا نفسه ! او لعله لن يستطيع لومها لأنه حكم على نفسه مسبقا بالغاء الوجود !

واذا كنا نحتفل اليوم بعيد الجامعة ، فليس ذلك احتفالا بالحلم الذي كانت تمثله منذ ثمان وثلاثين سنة ، ولكن لأنها أحد خنادق المقاومة الأخيرة التي تصرخ بأن هذه المنطقة الحضارية العربية واحدة ومعطاء ولا يمكن ان تموت . . . ○



المشروع الإسلامي

عن الجنين الأكيد والميلاد المنتظر

بقلم : فهمي هويدي

ينبغي أن تستوقفنا وتثير انتباهنا تلك المحاولات الجادة لصياغة « مشروع اسلامي » ، وهي محاولات لا تباشرها جماعات من الهواة أو الغلاة أو المحترفين أو المرتزقة ، وانما مؤسسات علمية لها وزنها واحترامها .
وأهم ما في تلك الظاهرة انها تمثل انتقالا نوعيا في الموقف ، يتمثل في حسم السؤال : ما العمل ؟ ، والسعي اللحوح وراء اجابة لسؤال تال في الترتيب ومساو في الأهمية هو : كيف ؟
ذلك يعني أن ثمة اختيارا اسلاميا قد تحدد ، وان المشروع الاسلامي لا بد وأن يطرح ـ أولا ـ لأنه تعبير أمين وصادق عن أحلام وطموحات الأمة . وثانيا ، لأنه اذا لم تقم بتبني هذا المشروع المؤسسات العلمية القائمة وأهل الحل والعقد ، فستقوم بالمهمة جماعات سرية ، مما يعرف الجميع مخاطره ، تحت قيادة تلاميذ الخوارج أو تلاميذ الثانوية العامة ، أو غيرهم من مجتهدي الظلام وأمراء ممالك الأوهام . وثالثا ، لأن ذلك هو الخيار الوحيد الذي ينبغي التعامل معه ، بعدما أدرك كثيرون ان الانحياز الفكري والحضاري للغرب أو الشرق لن يحل مشكلة الواقع العربي والاسلامي . وانما غاية ما يمكن أن يحققه هو أن يؤدي مهمة الترقيع أو التسكين ، التي تقود الى مزيد من الانسحاق والتبعية الفكرية

واذا كان الباحثون الغربيون ، ومن ورائهم بعض المقلدين في بلادنا ، قد رأوا الصحوة الاسلامية في ظاهرة الجماعات السرية ورواج الأفكار الغريبة المنسوبة للدين ، فاننا اذا فسرنا الأمر ببراءة وحسن نية ، سنقول ان ذلك خطأ في الرؤية فادح وجسيم . واذا نحينا البراءة جانبا وافترضنا سوء النية ، فسنقول ان ذلك « فخ » منصوب لنا ، يراد به امتصاص المد الاسلامي وايهام المسلمين ان حلمهم قد لاحت بوادر تحققه ـ أخيرا ـ وان العصر الاسلامي الأول ـ والذهبي ـ بسبيل العودة . فها قد ألقى الناس ثياب الكفر وارتدوا الجلابيب البيضاء ، وها هم قد انفصلوا عن مركبة عصر الفجور والالحاد ، وأغلقوا على أنفسهم الأبواب ، حيث تمثلوا مجد السلف ، ابتداء من اللحى والحجاب (لاحظ ان النقاب لم يكن معروفا وقتئذ) وانتهاء بالأكل بالأصابع ، ومرورا برفض كل مستحدثات العصر ، خاصة تلك اللعب الشيطانية المتمثلة في الراديو والتليفزيون والفيديو !
وفي هذا المكان قلت من قبل ان هذه الظواهر ليست من الصحوة في شيء ، وانها بمثابة ورم في الجسم الاسلامي ، وليست تعبيرا عن الصحة والعافية بأي حال .
ان الصحوة الحقيقية تتمثل أولا في وقوع الاختيار الاسلامي ذاته . وتتمثل ثانيا في توظيف هذا الاختيار ليس فقط لملء المساجد واشاعة الفضيلة وزيادة ساعات بث البرامج الدينية في أجهزة الاعلام ، وانما أيضا ـ

وبالدرجة الأولى ـ لصالح اقامة مجتمع العدل والحرية والتقدم .

من هذا المنظور تصبح محاولات طرح المشروع الاسلامي بمثابة تعبير عن تلك الصحوة ، يكتمل اذا اقترن الاختيار بتوظيفه في ذلك الاتجاه الايجابي، الذي يصب في المصالح الحقيقية للجماهير .

• •

لست أتحدث هنا عن « تطبيق » ، فنحن ما زلنا في بدايات طريق طويل . . . طويل ، فضلاً عن أن التدرج من سنن الكون ، لكني أتحدث فقط عن تصور وطرح نظري وموضوعي .

وقد يستغرب البعض اعتبار مجرد الاختيار الاسلامي من قبيل الانجازات وعلامات «صحوة» ، وبالأخص في مجتمعات أغلبيتها الساحقة من المسلمين ، يشهدون أن لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله ، ويقيمون الصلاة ويصومون ويحجون ويؤدون الزكاة . لكن تلك حقيقة لا سبيل الى انكارها ، لأن هذا الاختيار كان موضع أخذ ورد في دوائر الساسة والمثقفين ، منذ تكرست الهزيمة وخيم التدهور والانحطاط على الأمة في أواخر العهد العثماني ، أي منذ أواخر القرن الثامن عشر على وجه التقريب .

في ظل تلك المرحلة القاتمة كان السؤال : « ما العمل ؟ » مطروحا بقوة . وكان البحث عن مخرج من مستنقع الانحطاط والتدهور يشغل الجميع ويؤرقهم . وفي معقل الخلافة ، تركيا ، امتد بصر السلطان سليم الثالث الى الغرب لينقذ بعضا مما فسد في ملكه ، وكان هدف النظام ـ وكل نظام ـ أن يحمي نفسه لا أن ينقلب على مؤسساته . فاستقدم « الخليفة » الخبراء من أنحاء أوروبا لاصلاح الجيش « أداته العسكرية » حيث كون أول فرقة نظامية في الجيش التركي عام ١٧٩٦ م .

ولكن الوضع كان مختلفا في الدول الخاضعة للتبعية العثمانية ، اذ لم يكن المشروع الغربي هو المطروح كمخرج من الأزمة فقط ، ولكن المشروع العثماني كله كان مرفوضا . ولأن الخلافة الاسلامية كانت أحد أعمدة هذا المشروع المرفوض ، فان الاختيار الاسلامي ـ لسوء حظه ـ لحقته الادانة ، وأصبح محل شبهة

واذا كان تعلق السلطان سليم الثالث بالنموذج الغربي قد صدر في صيغة اقتباس فنونه ونظمه العسكرية وآلاته الحربية ، فان أوضح تعبير عن الانحياز للغرب في ذلك الوقت المبكر تمثل في موقف محمد علي باشا والى مصر الذي فصلها عن الدولة العثمانية ، وحكم البلاد حوالي ٤٤ عاما (١٨٠٥ ـ ١٨٤٩) . ذلك أنه منذ توليه السلطة كان اختياره واضحا . عندما سارع بدعوة الخبراء الأجانب للاشراف على بناء جيشه واقامة نظام تعليمي جديد ، وأرسل دفعات متتالية من المصريين في بعثات الى فرنسا بوجه أخص . وكان هؤلاء هم دعاة الاستنارة في مصر حقا ، لكنهم كانوا أيضا دعاة التغريب . وعلى سبيل المثال فان رفاعة الطهطاوي، (١٨٠١ ـ ١٨٧٣) وهو الأزهري الذي كان من ألمع الذين أوفدهم محمد علي للدراسة بالخارج ، عاد مبهورا بالحضارة الغربية ، ورغم تبنيه خطا فكريا متفتحا ومتقدما ، الا أنه وقع في محظور التعلق بالنموذج الغربي ، حتى خصص في مؤلف له باسم « مباهج الألباب المصرية في مباهج الآداب العصرية » فصلا مستقلا بعنوان « في أن أعظم وسائل تقدم الوطن في المنافع العمومية رخصة المعاملة مع أهالي الممالك الأجنبية ، واعتبارهم في الوطن كالأهلية » !

وفي تلك الفترة كان باي تونس أحمد باشا (حكم فيما بين سنتي ١٨٢٧ و ١٨٣٧) يمضي في ذات الاتجاه . حيث افتتح لأول مرة مدرسة للعلوم العسكرية بادارة واشراف ضباط من ايطاليا وفرنسا وانجلترا . وهي المرحلة التي سافر فيها المصلح التونسي الشهير خير الدين ـ أول مدير لتلك المدرسة ـ الى باريس (أقام فيها من ١٨٥٢ الى ١٨٥٦) ، ليعبر عن تعلقه بالنموذج الغربي أيضا في مؤلفه المعروف « أقدم المسالك في معرفة أحوال الممالك » .

وكما ظهرت بذرة التغريب في معقل الخلافة (الأستانة) وفي قلب الوطن العربي (مصر) ، وفي جناحه



الغربي (تونس) . ظهرت أيضا في أقصى الجناح الشرقي ، في ايران ، حيث اختارت أسرة القاجار الحاكمة أن تدخل النظم الغربية في اداتها العسكرية ، وافتتحت عام ١٨٥٢ « دار الفنون » ، التي كان كل أساتذتها من الأوروبيين .

* *

على الدرب ، وباندفاع أكبر ، سار الجيل التالي من الساسة والحكام . ففي حين سعى الخديوي اسماعيل باشا (تولى سنة ١٨٦٣) لكي يجعل مصر قطعة من أوروبا ـ على حد تعبيره ـ جاء كمال أتاتورك وأسقط الخلافة في تركيا ١٩٢٣ معلنا الانحياز الكامل للغرب . ووقف في المربع ذاته شاه ايران رضا بهلوي منذ توليه السلطة عام ١٩٢٥ . وكانت تونس بعد استقلالها في الخمسينيات من الدول التي اختارت النموذج الغربي مشروعا لبناء الدولة الحديثة .

وفيما كانت الاختيارات واضحة ومعلنة من جانب المؤسسات الحاكمة في تلك الدول ، فان بقية الدول العربية توزعت بين اختيار غير معلن للنموذج الغربي ، أو جدل غير محسوم حول جدوى المشروع الاسلامي. وكان أطراف هذا الجدل بالدرجة الأولى هم أبناء الثقافة الغربية المتترسون وراء مختلف المواقع القيادية والفكرية البارزة ، ومعهم بعض المفكرين غير المسلمين في جانب ، ودعاة المشروع الاسلامي في جانب آخر .

ومع بروز حركة التحرر الوطني بعد ثورة يوليو المصرية في الخمسينيات ، كان طبيعيا أن يطرح المشروع الحضاري المستقل ، كاحدى الصيغ المنطقية والضرورية لتكريس الاستقلال والافلات من قيود التبعية . وكان المشروع القومي العربي ، الذي نمت بذرته في العقد الثاني من بدايات القرن الحالي كرد على الهيمنة العثمانية ، هو المرشح لتحمل هذه المسؤولية التاريخية .

وفي وقت لاحق ، ظهر البعد الاسلامي بقوة في الساحة . وكان ظهوره رد فعل لاستمرار موجة التغريب التي كانت تمثل تحديا استفزازيا ودائما للمشاعر والهوية الاسلامية . كما ارتبط هذا التطور الجديد بالمرحلة التي برزت فيها بعض السلبيات التي حدثت في ظل المشروع القومي ، وتجسدت أساسا في أزمة الديمقراطية وهزيمة ٦٧ . وفوق هذا وذاك ، فقد تلقى التيار الاسلامي دعما معنويا ضخما بالانتصار الذي حققته الثورة الاسلامية في ايران عام١٩٧٩ .

في ظل هذا المناخ ، تحقق طرح البعد الاسلامي على مستويين : فهو عند البعض سبيل الى انضاج المشروع القومي وتأصيل وترسيخ تعبيره عن طموحات الجماهير العربية . وهنا ينبغي أن نسجل لمنظري ذلك المشروع أنهم لم يغفلوا البعد الاسلامي من البداية ، وانما اعتبروه أحد الأعمدة والعناصر المعتمدة . وكان ذلك تعبيرا منقوصا عن حجم وأهمية دور الاسلام ، الذي يتجاوز حدود العمود أو العنصر ، ليشكل في الحقيقة حجر الأساس في بنية المجتمع العربي وفي مشروعه الحضاري المستقل .

والمستوى الثاني الذي طرح عنده البعد الاسلامي ، تمثل في اعتبار المشروع الاسلامي بديلا عن المشروع القومي . وفي هذه الدائرة فان هناك من اعتبر المشروع الأول هو الأصل والكل ، بينما الثاني هو الفرع والجزء ، وهو ما عبر عنه الدكتور محمد عمارة ، أحد رموز هذا الاتجاه ، بقوله ان المحيط الاسلامي يحتمل ـ ولا يمنع من ـ وجود عدة جزر قومية في داخله . واستشهد في ذلك بما قاله الامام حسن البنا من أن الوحدة العربية طريق الى الوحدة الاسلامية .

غير أن هناك أيضا من اعتبر المشروع الإسلامي يتجاوز المشروع القومي بل ويرفضه ، مستندين في ذلك الى فكرة عالمية الاسلام ، واستنكاره لدعاوى التميز العرقي . وليس بمستبعد أن يكون أكثر هؤلاء متأثرين برواسب المحنة القاسية التي تعرض لها التيار الاسلامي في الحقبة الناصرية .

وأيا كانت الدوافع والملابسات ، فالثابت أن الاختيار الاسلامي الصريح بات حقيقة واقعة ، وان

المشروع الاسلامي بات مطلبا ملحا .

وهنا ينبغي أن نوضح أمورا أربعة :

ـ الأمر الأول ان الاختيار الاسلامي وان كان في أصله اختيارا قائما على الانتماء العقيدي الا أنه يتسع بطبيعة الحال لانحياز يقوم على الانتماء الحضاري ، فالحضارة الاسلامية شارك في صنعها المسلمون وغير المسلمين ، وهؤلاء وهؤلاء هم الآن أبناء شرعيون لهذه الحضارة ، سواء تعاطاها البعض من باب العقيدة ، أو تعاطاها الآخرون من باب الثقافة .

ـ الأمر الثاني انه قد يكون من المبالغة القول بأن قضية الاختيار الاسلامي قد حسمت تماما على كل المستويات في العالم العربي ، وانما الأكثر دقة أن نقول بأن الأمر محسوم فعلا وبقوة على مستوى الشارع ، ولدى أكثرية المتعلمين وقطاعات متزايدة من المثقفين في عديد من البلاد العربية . غير أن المد الاسلامي لا يزال يواجه مقاومة من جانب دوائر الرافضين والمتغربين في بعض الجيوب الموزعة ما بين المشرق والمغرب .

ـ الأمر الثالث انه من المغالطة تصوير المشروع الاسلامي على أنه « الدواء المعجزة » لهموم الخلق أفرادا ومجتمعات . فليس هناك مشروع يستطيع بذاته ـ أيا كانت عبقرية واضعيه بل حتى لو كانت ينابيعه سماوية ـ أن يحل تلقائيا مشكلات البشر . انما الأمر مرهون بكيفية توظيف هذا المشروع واستثمار عناصره لصالح الحاضر والمستقبل ، وتهيئة المناخ المناسب ـ بالحرية والديمقراطية ـ لجني ثماره في نهاية الأمر .

ـ الأمر الرابع أن المشروع الاسلامي لا تضعه مؤسسة أو فرد ، وانما هو يتبلور من خلال معالجات واجتهادات كل الذين يشغلهم الهم العام ويستشعرون الانتماء الاسلامي ، لفترة زمنية تطول أو تقصر لا يهم . لأن الأهم هو جدية الالتزام وعلمية المنهج . فلسنا نريد في النهاية موعظة تدغدغ مشاعرنا وتملؤنا زهوا ، ثم تعود بنا الى نقطة البدء مختصرة مصير الأمة في عبارتين هما : ان القرآن حوى كل شيء ، وانه صالح لكل زمان ومكان ، فيما يتصور القائلون بذلك ان المشكلة حلت وانتهت ! . واذا كان هذا التبسيط المخل هو أحد أسباب مأزق التطبيق الذي واجهته الثورة الاسلامية في ايران ، فان أي طرح علمي للمشروع الاسلامي لا بد أن يتجاوز مخاطبة العواطف والمشاعر الى مخاطبة العقول والمصالح . ولا بد أن يتجاوز الهتافات والشعارات والصياغات المختزلة ، الى المواقف المبرمجة والمحسوبة . ولا بد أن ينجو من أسر الماضي ليواجه بشجاعة تحديات الحاضر والمستقبل .

* *

لهذه المبررات كلها ، فان ترحيبنا لا بد وأن يكون كبيرا وحميا بكل جهد يبذل لبحث ذلك المشروع الاسلامي ووضع معالمه ، حتى ان كان هذا الجهد ما يزال جنينا يتشكل في الرحم . وينبغي ألا نستعجل لحظة الميلاد ، فطالما ظلت الروح تدب في الجنين ، فالميلاد آت باذن الله .

أقول ذلك بعدما تابعت مؤخرا أعمال المجمع الملكي لبحوث الحضارة الاسلامية في عمان ، الذي أنشأ خمس لجان عمل تغطي بعضا من أهم مجالات المشروع الاسلامي مثل الشورى ـ والادارة المالية ـ والفكر التربوي ـ ومعاملة غير المسلمين ـ وموسوعة الحضارة الاسلامية .وبعد ما شهدت أيضا ـ في الكويت ـ مناقشات لجنة الفكر الاسلامي التي شكلت في اطار محاولة التخطيط الشامل للثقافة العربية ، التي تقوم بها لجنة الثقافة والعلوم بالجامعة العربية .

اننا أمام حمل حقيقي وليس كاذبا ، ورعايتنا للجنين ينبغي أن تكون بغير حدود . ولقد عبر أحد شيوخنا الأجلاء عن هذا الشعور أمام الأمير حسن ولي عهد الأردن داعيا للمجمع في عمان بالتوفيق والسداد . وبعد ما أتم الشيخ دعاءه قال له الأمير ضاحكا : لولا بللته بشيء من القطران !

وفهم الجميع الاشارة الذكية ، فقد كان الشيخ قادما من « أبو ظبي » !



● قضية وشخصية

ظفر الله خان بطل قضية فلسطين في الأمم المتحدة

بقلم : عبد الحميد الكاتب

فلسطين هي الدولة الوحيدة التي اصدرت الامم المتحدة قرارا بتقسيمها واسرائيل هي الدولة الوحيدة التي اصدرت الامم المتحدة قرارا بانشائها وهذا هو اهم واخطر قرار اصدرته المنظمة العالمية طوال عمرها الذي يبلغ الان الثامنة والثلاثين ، ومن المؤكد انها لن تستطيع ان تصدر مثل هذا القرار مهما طال عمرها وامتدت بها السنوات .

ان من يريد ان يدافع عن الأمم المتحدة يستطيع ان يقول ان قرارها في نوفمبر ١٩٤٧ لم يكن الا اقرارا للامر الواقع في فلسطين ، اذ كانت « مقسمة » فعلا بين العرب واليهود أرضا وسكانا .. فقد اجتاحت فلسطين طوال عهد الانتداب البريطاني موجات متتابعة من الهجرة اليهودية ، ونزح اليها افواج تلو أفواج من اليهود منذ قام الحكم النازي وبسط سيطرته في اوربا ، وامتلك اليهود النازحون مساحات كبيرة من الارض اشتروها واقاموا فيها المستوطنات التي تحولت الى قرى عامرة ومدن كبيرة .. فصارت مدينة تل ابيب مثلا مدينة يهودية محضة بينما بقيت نابلس او الخليل او غزة مثلا مدنا عربية صرفة ، فجاءت الأمم المتحدة وأقرت الوضع القائم فعلا .

ولكن هذا الكلام ، الذي ردده دعاة تقسيم فلسطين داخل الامم المتحدة وفي اجهزة الاعلام الدولية ، لاتسنده الارقام والحقائق .

فعندما القت بريطانيا بما سمته « مسألة فلسطين » على الامم المتحدة كان عدد سكان فلسطين أقل قليلا من ٢ مليون نسمة ، بينهم ٦٠٨ الف يهودي ، واكثر من مليون وثلاثمائة الف عربي . اي ان اليهود كانوا اقل من ثلث سكان فلسطين .

اما قرار التقسيم الذي اصدرته الامم المتحدة فقد اعطى ثلثي الأرض لاقل من ثلث السكان .. اما العرب الذين يشكلون اكثر من ثلثي السكان فقد أعطاهم القرار ثلث الارض .. وانتزع منهم ايضا مدينة القدس التي قررت الامم المتحدة ان تكون منطقة ذات طابع دولي ولها ادارة خاصة !

أما واقع الأرض فقد كان اكثر دلالة على مدى الظلم الذي انطوى عليه قرار الامم المتحدة .. فحتى اليوم الذي صدر فيه قرار التقسيم لم يكن ما يملكه اليهود من الارض يتجاوز ٦ ، ٤٪ من مساحة فلسطين ، اما ٩٥،٤٪ من الارض فكانت ملكا للعرب ، لم يفرطوا فيها رغم ما كان يعرضه اليهود ، وتعرضه هيئاتهم الامريكية والاروبية التي كانت تمول حركة الهجرة والاستيطان ، من اسعار مغرية ..

ما الحقيقة ؟

وقد سمعنا وقرأنا مرارا وتكرارا حتى كدنا نصدق ان العرب في فلسطين باعوا ارضهم لليهود ! .. وهذا افتراء ، أما الحقيقة فهي أن اكثر ما اشتراه اليهود من الأرض لم يكن ملكا للفلسطينيين ، لا للاغنياء منهم ولا للفقراء ، وانما كان لآخرين يملكون مزارع وبساتين هناك ويعيشون من ايرادها الكبير عيشة باذخة في أوربا وفي لبنان ، ويحمل بعضهم اسماء عربية طنانة .. وبعضها اسماء مسلمة ، وبعضها اسماء مسيحية !

كان قرار الامم المتحدة بتقسيم فلسطين قرارا خاطئا وظالما من حيث المبدأ وهو ان الامم المتحدة لاتملك بتاتا الحق في تقسيم وطن من الاوطان .. فارتفعت حينذاك اصوات عربية ، واصوات اسلامية ، واصوات اخرى تنكر على الامم المتحدة ان يكون لها الحق في تقسيم فلسطين ، وتسوق البراهين التاريخية ، والقانونية ، والواقعية ، التي تبين ان تقسيم فلسطين ظلم .. وخطأ .. له ماله من نتائج وعواقب وخيمة .. وكان من تلك الاصوات صوت محمود فوزي ممثل مصر ، وصوت فارس الخوري ممثل سورية ، وصوت شارل مالك ممثل لبنان ، وصوت الشيخ حافظ وهبة ممثل المملكة السعودية ، ولكن اقوى الاصوات واكثرها قدرة على

اقناع العقول لو ارادت ان تقتنع .. وعلى النفاذ الى القلوب لو ارادت ان تستشعر المأساة التي تبدو نذرها في الافق .. كان صوت محمد ظفر الله خان ، وزير خارجية باكستان حينذاك ، والذي كان علما بارزا في الامم المتحدة على مدى عشرين سنة ، بمواقفه العظيمة في كل قضية عربية واسلامية .. قضية فلسطين ، وقضية كشمير ، وقضية ارتيريا ، وقضية الجزائر .. وكل ما قام وثار من قضايا الشعوب المقهورة .

وقد توافرت في ظفر الله خان ثلاث صفات جعلته من ابرز الشخصيات في الامم المتحدة .. فكان وراءه تاريخ حافل في سياسة بلاده ، كما كان خطيبا قديرا ومحاميا فذا ، وكان حجة في القانون من جانبيه الدولي والاسلامي .

فاما دوره في سياسة بلاده فلعله كان ثالث الثلاثة الذين تزعموا حركة انشاء دولة باكستان ، مع زعيمها ورئيسها الاول محمد علي جناح ، ومع لياقت علي خان اول رئيس وزارة لها . واما مقدرته القانونية فقد اهلته فيما بعد ليكون قاضيا في محكمة العدل الدولية ، ثم رئيسا لها لسنوات عديدة ختم بعدها حياته السياسية ثم اوى الى بيته في باكستان بعيدا عما جرى فيها من احداث حزبية في السنوات الاخيرة .. او لعله امضى وقته في كتابة تفسير للقرآن الكريم ، فقد كان مسلما متدينا وكان يؤدي الصلاة في وقتها في قاعة صغيرة عند مدخل مبنى الامم المتحدة .. وهو قدياني المذهب ولكنني اعتقد انه كان يدين بالاسلام على وجه صحيح سليم .. اما قدرته في الخطابة فكانت تشد اليه الاسماع والعقول حتى وهو يرتجل على مدى ست ساعات ، استغرقت جلستين كاملتين في مجلس الامن ، خطابا عن قضية كشمير وحق اهلها في تقرير مصيرهم !

الدولة اليهودية !

وكان ظفر الله خان هو « بطل » قضية فلسطين في مرحلتها الأولى حين ألقيت تلك القضية الكبرى في حجر الامم المتحدة .. بعد أن تعقدت هذه القضية وتشابكت أطرافها منذ أصدرت بريطانيا ـ قبل هذا بثلاثين سنة ـ وعد بلفور « الذي وعدت فيه » بالمساعدة على انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين ، على الا يكون في هذا مساس بحقوق الطوائف الاخرى في فلسطين » .

وارادت بريطانيا ان تنفذ وعد بلفور بشقيه : الشق الخاص بانشاء وطن قومي لليهود ، وليس انشاء دولة يهودية .. والشق الثاني وهو عدم تأثير قيام هذا الوطن القومي على حقوق العرب واولها حقهم في السيادة على ارض وطنهم .. اي أن السياسة البريطانية ارادت ان تنفذ أمرين متعارضين ، متناقضين ، في وقت واحد .. وكان لابد ان تسلك الى هذا طرقا ملتوية أدت الى تحويل فلسطين التي كانت نموذجا في العالم لالتقاء اتباع ثلاثة اديان ، وسلالات اجناس مختلفة ، الى ساحة للصراع والصدام والقتال .

وحاولت بريطانيا ان تحل المشكلة التي خلقتها بوسائل سياسية دبلوماسية كان منها ايفاد لجنة برئاسة اللورد بيل التي ذهبت الى فلسطين في سنة ١٩٣٦ ، واستمعت الى وجهة نظر العرب كما قدمها الحاج امين الحسيني مفتي فلسطين ورئيس اللجنة العربية العليا ، واستمعت الى وجهة نظر اليهود كما قدمها حاييم وايزمان رئيس الوكالة اليهودية .

وكان من بين اعضاء اللجنة استاذ جامعي اسمه ريجنالد كوبلاند ، الذي طرح لأول مرة فكرة تقسيم فلسطين .. وطرح هذه الفكرة الخطيرة في سؤال وجهه الى وايزمان قائلا : مارأيك يادكتور وايزمان في موضوع أفكر فيه من باب الافتراض فقط .. وانا اعرف ان الحكومة البريطانية لاتفكر فيه وقد لاتقبله .. ما رأيك في تقسيم فلسطين بين العرب واليهود على أساس الحادي ... أعني ما رأيك في ان تقوم الحكومة البريطانية بعد خمس أو عشر سنوات بتقسيم فلسطين الى قسمين ، تقوم في كل منها حكومة مستقلة ومرتبطة مع بريطانيا بمعاهدة تحالف مثل المعاهدة التي تربط بين بريطانيا ومصر ، أو بين بريطانيا والعراق .. مارأيك في هذا ؟ »

وتردد وايزمان في ابداء رأيه .. وطلب امهاله بعضا من الوقت ليفكر في هذا الامر ويصف سكرتيره زخاروف الروسي كيف كان وايزمان منفعلا .. وكانت نفسه تجيش بالعواطف ، وعيناه تفيضان بالدموع ، وهو يقول محدثا نفسه : يجب ان اقبل جزءا من فلسطين ، حتى لو كان جزءا صغيرا ، أقيم عليه الدولة اليهودية .. فهذا هو حلمي واملي طول حياتي !

وتقابل كوبلاند ووايزمان مرة أخرى في مدرسة زراعية للبنات من تلك المدارس التي أقامها اليهود فيما أقاموا من مستوطنات ليعلموا اولادهم وبناتهم الزراعة التي لم يمارسها اليهود دهرا طويلا .. وفي تلك المدرسة الصغيرة تبلورت فكرة التقسيم ، وربما رسمت فيها خريطة جديدة لفلسطين .

بريطانيا تهادن العرب !

ورفض العرب مقترحات لجنة بيل جملة وتفصيلا ، وانتقد

اليهود التقرير من حيث مساحة الأرض المعطاة لليهود وطالبوا بمساحة اوسع .. وفي وجه المعارضة العربية من جانب والمساومة اليهودية من جانب ، طوت الحكومة البريطانية تقرير اللجنة الذي بذر البذرة الاولى في تقسيم فلسطين ..

فلما بدأت نذر الحرب العالمية تبدو في الأفق وأخذت سحبها تتراكم ، راحت السياسة البريطانية تؤمن جانبها بتهدئة مناطق التوتر في ارجاء امبراطوريتها مثل الهند ومصر وفلسطين .. فدعت الى عقد مؤتمر لندن في سنة ١٩٣٩ .. وحضرته وفود كبيرة من الدول العربية كان من بين رؤسائها الامير محمد عبد المنعم ، احد اعمام الملك فاروق والذي خلفه وصيا على العرش الى ان الغيت الملكية في مصر .. والأمير فيصل وزير خارجية المملكة السعودية وعاهلها العظيم فيما بعد .. ورفضت بريطانيا دعوة الحاج أمين الحسيني زعيم العرب في فلسطين ـ مثلما رفضت أخيرا ان يأتي اليها ممثل « حمة التحرير ضمن وفد عربي ! ـ ودعي بدلا منه ابن عمه جمال الحسيني .. ودعي أيضا حاييم وايزمان ممثلا للوكالة اليهودية .

وفي هذا المؤتمر ابدت الوفود العربية وابدى الوفد الفلسطيني ادراكا سياسيا ناضجا .. فالى جانب المطالبة بانهاء الانتداب البريطاني واعلان استقلال فلسطين وبالغاء وعد بلفور ووقف الهجرة اليهودية ، أعلنوا قبولهم ان يكون لليهود الموجودين في فلسطين حق المواطنة وأن تحترم حقوقهم الثقافية والدينية وأن توزع الادارة الحكومية المستقلة بين العرب واليهود حسب نسبة السكان .

ولكن اليهود اصروا على استمرار الهجرة اليهودية دون قيود أو تحديد .. وطالبوا بتقسيم فلسطين على شرط ان تعطي لهم مساحة كبيرة تمهيدا لاقامة الدولة اليهودية على ارض فلسطين

وانفض المؤتمر دون ان يصل الى اية نتيجة فقررت بريطانيا ان تفرض الحل الذي تراه ، فاصدرت في مايو ١٩٣٩ « الكتاب الابيض » المشهور .. الذي سماه اليهود « الكتاب الاسود » .. فقد اعلنت بريطانيا انها لن تقسم فلسطين ، وانها لاتقبل قيام دولة يهودية هناك .. واعلنت ان سياستها ترمي الى قيام دولة تتألف حكومتها وبرلمانها من العرب واليهود بنسبة عدد السكان ، على ان يتحقق قيام الدولة بعد عشر سنوات .. اما الهجرة لليهود فستعمل على تحديدها ، فلا تتجاوز خمسة وسبعين الف يهودي ، يهاجر منهم الان خمسة وعشرون الفا ويهاجر باقيهم على مدى خمس سنوات بمعدل عشرة آلاف كل سنة ..

ثورة اليهود !

وثارت ثائرة اليهود ، لافي فلسطين وحدها ، بل في بريطانيا وأمريكا وكل مكان فيه يهود .. وغمرت فلسطين موجة من الاضطرابات العنيفة ، واخذت جماعات الهجاناة ـ وهي نواة الجيش الاسرائيلي ـ تحارب العرب وتحارب الانجليز معا .. وقامت الى جانبها جماعات ارهابية عديدة ، تقتل العرب وتقتل الانجليز وتدمر المرافق .. وكانت هذه الجماعات الارهابية التي برأس مناحيم بيجن احداها ، هي اول ماعرفته هذه المنطقة من اعمال الارهاب في العصر الحديث .

ثم خمدت هذه الحركات او اخمدت خلال سنوات الحرب العالمية الثانية فلما وضعت الحرب اوزارها تجددت الاضطرابات في فلسطين ، ووجدت بريطانيا التي ارهقتها الحرب وانهكتها واخذت تصفي امبراطوريتها الواسعة انه لاقبل لها بحل مشكلة « فلسطين » فألقت بها في حجر الامم المتحدة ، وبعثت الى امينها العام تطلب اليه عقد دورة خاصة للجمعية العامة لبحث ما اسمته « مسألة فلسطين » .

وفي ٢٨ أبريل ١٩٤٧ انعقدت الجمعية العامة في دورة خاصة ، واستمعت الى بضع خطب تؤيد تقسيم فلسطين وبضع خطب تعارض التقسيم .. وقررت تشكيل « لجنة فلسطين » لتقصي حقائق الوضع في فلسطين ، وكانت اللجنة مكونة من احدى عشرة دولة من الدول الصغيرة بعد ان استبعدت اقتراحا سوفيتيا لتكوين اللجنة من الدول الخمس الكبرى : الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي وبريطانيا وفرنسا والصين .

وسافر اعضاء اللجنة الى فلسطين ، واتصلت بكثير من العرب واليهود من قيادات ومن اساتذة وصحفيين وعامة الناس .. ثم وضعت تقريرا .. اتفق فيه اعضاء اللجنة على بضع نقط أهمها ضرورة إنهاء الانتداب البريطاني على فلسطين لان العرب واليهود جميعا ضد استمرار الادارة البريطانية في فلسطين ، ثم اختلف اعضاء اللجنة فيما ينبغي ان يحدث بعد انتهاء الانتداب : هل تقوم دولة فلسطين المستقلة ، الموحدة ، التي يعيش فيها العرب واليهود معا تحت حكومة ائتلافية تمثل الفريقين ، أم هل تقسم فلسطين ، فيأخذ اليهود جزءا وجزء يبقي للعرب .

وايد قرار التقسيم سبعة اعضاء هم ممثلو كندا وهولندة

والسويد وتشيكوسلوفاكيا وجواتيمالا واورجواي ، بينما طالب مندوبو الهند وايران ويوغوسلافيا باقامة دولة موحدة تجمع العرب واليهود في نظام فيدرالي ، وامتنع ممثل استراليا عن تاييد الجانبين على اساس ان مهمة اللجنة هي تقصي الحقائق وليست وضع الحلول ، فهذا متروك للجمعية العامة . ونلاحظ هنا أن الدول التي ايدت قرار التقسيم كانت تمثل المعسكر الغربي والمعسكر الشرقي معا ، وتمثل دولا أوربية صناعية ودولا لاتينية في دور التنمية . أما الدول التي تؤيد قيام دولة موحدة فاحداها اسيوية يعيش فيها عشرات الملايين من المسلمين والاخرى اسلامية ، والثالثة دولة تحاول ان تنهج طريق الحياد .. اما استراليا فتمثل وجهة نظر بريطانيا التي كانت ماتزال حائرة بين التقسيم والتوحيد ، وتود الا تجد الامم المتحدة حلا لمشكلة فلسطين ، فتطلب الى بريطانيا ان تستمر في حكم فلسطين وادارتها

ميلاد اسرائيل

وعرض تقرير تلك اللجنة على الجمعية العامة عندما انعقدت في دورتها العادية في سبتمبر ١٩٤٧ .. وتوالى مندبو الدول يخطبون عدة اسابيع ، منهم من يؤيد تقسيم فلسطين ومنهم من يعارضه .. وكان أعلى الاصوات واكثرها حماسا في المطالبة بتقسيم فلسطين اثنين يمثلان دولتين لم يسمع باسميهما من قبل اهل فلسطين ! .. هما ممثلا جواتمالا واورجواي ولهذا فان في تل ابيب وفي مدن اسرائيلية اخرى تجد اليوم شوارع تحمل اسم جرانادوس ممثل جواتيمالا .. واسم فابريجات ممثل اورجواي . وقد أمضى هذان الرجلان بعد هذا عدة سنين يدعيان الى القاء الخطب في الاجتماعات التي تنظمها الهيئات الصهيونية في أمريكا لقاء مكافآت مالية سخية ، ووضع جراناودوس كتابا عنوانه « ميلاد اسرائيل » اشترت منه هذه الهيئات آلاف النسخ ووزعتها في كل مكان ..

أما بطل الدفاع عن مشروع فلسطين الموحدة فكان محمد ظفر الله خان الذي حشد في دفاعه عن الحق العربي في فلسطين كل مواهبه ومقدرته الخطابية ، والقانونية ، والسياسية .. كما كانت خطبه تنبض بروح اسلامية صادقة ، وبايمان قوي بان الشعب الفلسطيني جدير جدارة الشعب الباكستاني وغيره من شعوب العالم بان يتحرر من الحكم البريطاني ، ومن الزحف الصهيوني ، على السواء .. وقد كافأته احدى الحكومات العربية على هذا الدفاع المجيد عن الحق العربي في فلسطين وعن كل قضية عربية واسلامية طرحت على الامم المتحدة في ذلك



الوقت ، بأن الصق به « مفتي الديار » في مصر تهمة الخروج على الاسلام ، بل تهمة الكفر ، والعياذ بالله ، لانه طالما كان يقول في احاديثه ومحاضراته أن تدهور امور المسلمين يرجع الى تدهور أولي الامر فيهم .. ولم يرض هذا الكلام ملك مصر حينذاك فصدرت عن المفتي فتواه المشينة .. ولكن الشعب المصري كان اكثر وفاء وأحسن تقديرا من ملكه ومن مفتيه ، وعبر عن هذا الاستاذ احمد ابو الفتح في مقال نشرته صحيفته « المصري » عنوانه « انعم به من كافر » تحدث فيه عن مواقف ظفر الله خان الاسلامية المجيدة .

وكانت من الحجج القانونية التي ساقها ظفر الله خان ان الامم المتحدة لاتملك بتاتا الحق في تقسيم ارض اية دولة من الدول .. حتى لو كانت هذه الدولة مستعمرة او محمية وانما هذا متروك لشعبها وسكانها وحدهم .. وليس في ميثاق الامم المتحدة ولا في قواعد القانون الدولي ، مايبيح للامم المتحدة ان تفرض على شعب من الشعوب ان يقسم نفسه ويوزع ارضه قطعة هنا وقطعة هناك .. وطلب أن تستفتى محكمة العدل الدولية في هذا الامر ، وان يوجه اليها هذا السؤال :

« هل تملك الامم المتحدة .. او هل يملك اي عضو من اعضائها ـ ان تفرض قرارا او ان تصدر توصية يتعلق اية خطة لتقسيم فلسطين ، او تقسيم اي وطن في العالم ، ضد رغبة سكانه وبدون موافقتهم عليه ؟ »

وعرض هذا الاقتراح البسيط العادل للتصويت في اللجنة السياسية للجمعية العامة .. فرفضته .. ورفضته بصوت واحد ! ؛ فقد أيدته عشرون دولة ، وعارضته احدى وعشرون دولة ، وامتنعت عن التصويت ثلاث عشرة دولة !

وبنفس العجلة والاندفاع الذي رفضت فيه اللجنة السياسية للجمعية العامة كل مقترح للابقاء على فلسطين موحدة .. اسرعت واندفعت الى الموافقة على المقترح الباقي امامها وهو تقسيم فلسطين الى ثلاثة اجزاء .. فايدته خمس وعشرون دولة ، منها الدولتان الكبيرتان الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفييتي .. وعارضته ثلاث عشرة دولة اكثرها من الدول العربية والاسلامية ، وامتنعت عن التصويت سبع عشرة دولة من بينها بريطانيا .. وتغيبت دولتان عن حضور الاجتماع .. وصدر القرار لان المؤيدين اكثر من المعارضين .

ولكن اجراءات الامم المتحدة بان يعاد التصويت الذي جرى في اللجنة السياسية على الجمعية العامة لكي تصدر القرار النهائي .. وهذه القرارات تقتضي موافقة ثلثي الدول التي تشارك في التصويت .. فلو صوتت الدول هذه المرة كما فعلت في المرة الاولى لسقط قرار التقسيم ، لان الاصوات الخمسة والعشرين التي ايدت التقسيم اقل من ضعف الاصوات الثلاثة عشرة التي عارضت التقسيم ، اي انه مطلوب صوت واحد على الاقل ينضم الى مؤيدي التقسيم .

المواقف الانسانية !!

وفي خلال يوم أو يومين نشطت الأجهزة الصهيونية في كل مكان . داخل البيت الابيض وداخل الكونجرس ، وداخل وزارة الخارجية الامريكية ، وداخل وزارة الخارجية في بلاد عارضت التقسيم مثل الفيليبين أو امتنعت عن التصويت مثل ليبريا .. وحتى داخل مكتب الامين العام للامم المتحدة الذي كان أكثر الناس حماسا لتقسيم فلسطين واقامة الدولة اليهودية .. فلما صوتت الجمعية العامة انقلبت اصوات عدد من الدول ، وصدر القرار النهائي باغلبية ثلاثة وثلاثين صوتا مع التقسيم وثلاثة عشر صوتا ضد التقسيم ، وعشرة أصوات ممتنعة عن التصويت .. أي ان قرار التقسيم ظفر بالاغلبية اللازمة وعليها سبعة اصوات اخرى !

وهنا يجب ان نذكر دائما ان اعضاء الأمم المتحدة وقد بلغ عددهم الآن مائة وسبعة وخمسين دولة .. ليس من بينهم سوى ثلاث وثلاثين دولة ايدت قرار تقسيم فلسطين .. أما المائة وعشرون دولة او اكثر اي اربعة امثال الدول التي ايدت التقسيم .. فليست مسؤولة عن هذا القرار ، فمنها من عارضه ، ومنها من امتنع عن التصويت ، ومنها وهي الأكثرية الكبرى من الدول العالم الثالث ، لم تكن هناك .. ولو كانت حينذاك عضوا في الامم المتحدة لما امكن صدور هذا القرار الظالم والخطير ..

ووقف ظفر الله خان على منصة الجمعية العامة للامم المتحدة يلقي خطابا يفيض بالمرارة .. ولكنه ايضا ينظر فيه الى بعيد .. ويتنبأ بما سوف يترتب على هذا القرار من نتائج وعواقب ، لن تنجو منها تلك الدول التي تحمست واندفعت لتقيم الدولة اليهودية فوق انقاض الوطن الفلسطيني .. قال ظفر الله خان في خطابه المدوي في ذلك اليوم الحزين :

« تقولون اننا لم تفعل أكثر من أن نأخذ جزءا من فلسطين لنقيم فيه اليهود لان هذا امر تقتضيه « الانسانية » تجاه هؤلاء « المضطهدين » .. لو كان ما تقولونه صدقا لقبلتم مقترحاتنا بأن تفتح كل دولة أبوابها لتأوى عددا من اليهود الذين لاوطن لهم ولامأوى .. ولكنكم جميعا رفضتم .

« استراليا .. قارة باكملها .. تقول لا ، فأنا بلد « صغير المساحة ، ومزدحمة بالسكان ! وكندا تقول لا ، فانا ايضا مساحتي صغيرة وارضي مكتظة بالسكان

« والولايات المتحدة ، بمثلها الانسانية العظيمة ، وبمساحاتها الشاسعة ومواردها الهائلة ، تقول : لا ، ليس هذا هو الحل ...

« ولكنكم جميعا تقولون : دعوا اليهود يذهبون الى فلسطين .. فهناك الاراضي الفسيحة ، وهناك الاقتصاد المزدهر .. فليذهبوا اليها ، بعيدا عنا .. ولن تكون هناك متاعب ولامشاكل .. !!

وينقلب صوته الساحر وهو يتحدث عن المواقف « الانسانية » التي تدعيها هذه الدول الى صوت من التحذير والنذير وهو يوجه كلامه الى امريكا واشياعها قائلا :

« انصحكم ان تتذكروا الان انكم سوف تحتاجون غدا الى اصدقاء

انصحكم ان تعرفوا انكم في حاجة الى اصدقاء في الشرق الاوسط .. فلماذا تجعلون من شعوب تلك البلاد اعداء لكم .

لاتحطموا بايديكم مصالحكم في تلك البلاد » .



بقلم : جمال محمد احمد

○ في هذا الجزء الثالث والاخير من دراسة العرب وافريقيا ، يلقي الاستاذ جمال محمد احمد اكثر من ضوء على دور الترجمة والكلمة في تحقيق اللقاء العربي الافريقي .

أكتب للقاريء العربي في المقام الاول وله ـ بل عليه ـ ان يشركني الحديث في هذا الجانب من سعينا لنعرف . اجدني وأنا اقول هذا أعود بالذاكرة لنحو عشر سنين خلت حين كتبت « وجدان افريقيا » . كنت اعالج قضية « الصراع على روح افريقيا » والذي كتبت آنذاك عن الكتب الاسلامية التي رأيتها تصل الافريقي بالعربي عبر اسلامه ومسيحيته ، والكتب المسيحية التي رأيتها تصل العربي بالافريقي غير بعيدة من هذا الذي أحسن الان .

قلت ان « العزلة التي يعيشها المسلم الافريقي اتعس من جهل الذين لا يعرفون القارة يحسبونها بلدا واحدا . وانا لا اتحدث عن العامة . اتحدث عن الصفوة . كتابات خالدة لم تصل الا القلة من الذين درسوا العربية من هذه الصفوة ، قلة تعدها ، فشل سيظل معنا ان لم تتيسر سبل الطبع والنشر للذين يترجمون ، يسير جنبا لجنب معها تقويم ذكي لما يترجم ويطبع . . . فشل مماثل ان كتابات القسيسين الأحرار ما وجدت طريقها للعربية بعد . . جاك متدلس مثلا . « الله والمسيح والجوجو في افريقيا » لا اعرف كتابا صغيرا حقيقا بأن يقرأه القاريء العربي ان اراد ليبدأ يعرف شيئا عن اثر الدين في العقل الافريقي ، جاك متدلس هو خالد النصارى . هذا على الصعيد الذي ينفع الجمهرة . ان رحت لغيرهم ، تجد اشياخنا العقاد وهيكل ومحرم ، ما وجدوا طريقا للقاريء الافريقي . وترمتقهام ، قل ما شئت عن نهجه . لم تجد كتبه ، وجماعها موسوعة ، مناجم معرفة . . . . . » الى آخر الذي قلت وان كنت نسيت ايامي تلك موسوعة احمد امين في فجره وضحاه وظهره ، وهي موسوعة جديرة بأن يبدأ بها الذين سيترجمون يفتحون نوافذ عقل العرب لأني لا اعرف كتبا ككتب هذه الموسوعة بينة في سردها الأحداث ، عادلة في تقويم صاحبها للاحداث صفات في قلم الرجل العظيم ، تيسر ترجمته اوفر تيسير . عالج بعض هذه الشئون طه



حسين واحسن العلاج لكني اخشى على قلمه الا يجد كثيرا من الاقلام تنقله للغات الاوروبية ، طه يكتب بحس والحس صعب ان تنقله ، واحمد امين يكتب بمنطق والمنطق لا يعصي على ناقله .

تسائل مالي عنيت في شطر حديثي هذا بالذين ارخوا للحياة العقلية عند العرب وما عنيت بالرواية والشعر هناك كما عنيت بها هنا . السبب يا سيدي انك لا تستطيع ان تقول الذي تحب ان تقول دفقة واحدة . انا اعرف للتاريخ مكانه وللرواية مكانها في كشف الحقيقة ، كل باسلوب . وهذا هو الذي اعالج في بحثي عن « الرواية والتاريخ » ارجو ان اجد المزاج والفراغ لاعده قريبا للنشر . ستجد حين يرى النور بحثي هذا أني وقفت طويلا عند امير الرواية في زماننا نجيب محفوظ . أحب للذين سيأخذون الترجمة مأخذ الجد ان يشرعوا توا في ترجمة الثلاثية . انها وان كانت مصر مسرحها ، اطلالة على العرب اجمع ، كالذي تفعل روايات يوسف عواد « القميص » مثلا و « الرغيف » . امير الرواية محفوظ والكاتب القادر عواد عقلان حساسان جديران بأن يعرفها الافريقي ، للذي يقولان من ناحية ولنموذج عقليها وروحيها من ناحية .

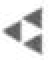
الذي يقولان يضيء الطريق لعقل العرب ، ونموذج عقليها روح من العبقرية العربية ، محفوظ الامير وعواد يؤرخان للحياة الفكرية عندنا بالرواية ويبلغان بعض الاحيان ما لايبلغه المؤرخ الراصد .

مظاهرات ولجان !

كلمة عن وسائل الترجمة . من ينقل عقل العرب للافارقة ، ومن ينقل عقل الافارقة ؟ سترى اجابة من نوع في كتابي « وجدان افريقيا » اخلص من حديث عن لقاء الفكر والوجدان بين العرب والافارقة اقول « يهمنا الآن ان تشرع المؤسسات العلمية في الاتصال الفكري عبر كتابات علمائنا وعلمائهم وقادة فكرنا وقادة فكرهم لتقضي على هذه العزلة الفكرية في يوم ارجو ان يكون غير بعيد . » انا اليوم وبعد عشر سنين أعقل . ارجو ذاك . كنت اكتب وأنا اقرأ ما تبعث به لي مؤسساتنا الثقافية ، ومضت السنون فاذا الذي تستطيعه هذه المنشآت قليل ، والذي يستطيع القائمون على ادارة الثقافة قليل . عندنا وعند غيرنا . التقت تجربتي بحديث قرأته منذ ايام فحسب لواحد من سادة المسرحية في الزمان المعاصر ، يوجين ايونسكو . طوف بقلمه في الذي سمع عن السياسات الثقافية في اوروبا ،كما وصفها له وللمنتدين معه « مئات الوفود . الموظفون المدنيون ،والاداريون من كل بلد في اوروبا تجمعوا في هلسنكي بدعوة من اليونسكو . عبث بهم وبها . كما يستطيع خياله وقلمه وحدهما ان يعبثا . خلص من عبثه الى قالة غليظة لا اشركه كلماتها ولا اجدني بعيدا عن جوهر الذي انتهي اليه منطقه الساخر . قال نهاية حديثه عن « موظفي الثقافة » :

« ربما كان صحيحا ان اليونسكو تملك ان تعين في محو الامية ، ولها ان تتصدي لهذا الذي تستطيعه . وان كانت لا تستطيعه الا بقدر . لكني احب لنا ان نحاذر . اليونسكو طموحة بنفسها معتزة . تسعي لكثير ولا تستطيع غير قليل . تشيع بين الناس انها تصل نهاية الطريق ، تذيع انها بدأته . ادعو أنا الناس ليأبوا عليها ان ترسم سياسات الثقافة للحكومات وادعوهم ليأبوا علي الحكومات ان ترسم هي السياسات »

أنا قريب من هذا الذي يقول اينسكو ، وما كنت كذلك علي ايام كتابتي « وجدان افريقيا » ما كنت اعرف غير الذي يقول لي القائمون عليها . اجدها اليوم وقد اقتربت انا قليلا منها انها جوفاء صاخبة عندنا . تقيم كل



حين وآخر مظاهرة . وتعد بين هذه الاحيان لمظاهرة قادمة . هي في شغل عن الذي في دساتيرها باللجان . اقرأ منذ زمان مثلا عن الترجمة ومكانها في اثراء فكرنا ، ولا ارى حتى يومي هذا غير لجان كونتها المنظمات ومجالس دعت لها وتوصيات خرجت عنها وقرارات ، عين الذي عرفت منذ سنين ، ما وجدت مثلا قائمة بالكتب التي ترجمت المنشآت فيا هناك ما ترجمته في الذي اعرف . ما وجدت غير اماني اكثرها معنا منذ كانت هذه المنشآت وقبل هذه المنظمات . كنت احسب ان هذه المنشآت ستقوم مقام الخلفاء والامراء في القرن الثامن ، يرعون العلماء يحثونهم على الترجمة ويوفرون لهم المقام العزيز والرزق الموفور كي يتصرف الواحد لعمله الجليل هذا هادي البال ما به حاجة ، حسرة . يقوم على منشآتنا قوم من افطن الرجال عندنا ، يجمعون للذي تالوه من علوم الجامعات خبرات أعمار عريضة . يجيء في البال وانا ادير الرأي في هذا ان فتحي وزعيتر ولطفي ما رعى احدهم امير او خليفة ، ولا أظلتهم منشآت في بلادهم ولا منظمات في اقليمهم . كانوا كالذي يقول عن اشباههم في اوربا جورج ستاينر صاحب . بعد بابل » مؤمنين منذرين انفسهم ، تركوا جانبا مواهبهم في الكتابة وجعلوا يترجمون على غلظة عيش المترجم ، فيا كان واحدهم يتقاضى على عنائه على مقدار ذاك العناء .

حجم الأنسان وحجم الدولة

اسرف على نفسي مع هذا ان ظننت ان عهد فتحي وزعيتر ولطفي يمكن له ان يعود ، تغيرت بالطبع حالنا . أضحى مكان في حياتنا للحكومات ما كان لها على ذلك العهد ، نحيا زمانا تحيط الدولة فيه بكل شيء ، زمانا يتغير كل صباح معنى الدولة في اذهان الناس ، وهي كل حين الأقدر الافعل . صغر حجم الانسان كبر حجم الدولة ، وتحجم عن شؤون الثقافة احجاما يخيف على قابل الفكر والعاطفة الملهمة . لا احسبني استطيع ان ابين عن ذاتي في الأمر خيرا من ان انقل لكم نقلا كاملا رؤية لورد كينز لمكان الدولة في الفنون ، ينعي عليها احجامها والدولة في اوروبا كانت منذ الزمان القديم ايام الأغريق والرومان وقبل أيامهم الزاهرة تولى الثقافة جهد فكرها ومالها ، تعرف مقدارها في صقل الاحاسيس وفي العون على العيش الأعز ، قال كينز :

أدرك العالم القديم ان بالانسان حاجة للهو . يريد ليلهو أحيانا ، لا يكفيه ان يوفر له القائمون على امره طعامه وشرابه ، فاتفق قادته على عهد اثينا في البدء وروما من بعد ، شطرا غير هين من ثروته ووقته على هذا الجانب ، يدير المواكب تغنى والملاهي ترقص ، والزينات في الطرقات تبهج النظر . وعكف بعضهم على العمارة فكانت الابنية نرى آثارها الباقية اليوم في أثينا وروما وفي العواصم الكثيرة التي كانت بأمرهم على ايام سلطانهم الظافر ثم زينوا هذه العمارة والمعابد التي شيدوا بتماثيل وصور تأخذ العين حتى اليوم وسجاد ومقاعد وأباريق .

بين الخبز والجمال

وما كان هؤلاء القادة بمعزل عن قومهم في صنعهم هذا ، ولا كانوا يريدون بالذي يفعلون قربي للعوام . كانوا يرضون باديء ذي بدء حسا عندهم هم انفسهم بالجمال ، حسا كان يدفعهم دفعا لهذه الأعمال . يستجيبون لهذا الحس يعملون بيد قادرين على الغناء والرقص والعمارة والتجارة وما من هذه بسبيل . وكانوا مع هذا عقل ووجدان دنيا عرفها قبلهم بكثير الانسان ولما يكتمل انسانا بعد . نرى شواهد هذا في الذي ترك الانسان القديم في الكهوف من آثار مصورة ومخطوطة تشير جميعها لغريزة فيه حتى فجره ذاك في الحياة تريد لترضى تلكم الفطرة . فتح عينيه فرأى كثيرا يعجب وكثيرا يروع وكثيرا يفزع . تتمثل افراحه هذه ومخاوفه في تماثيل وصور وتمتمات وهمهمات في الطقوس ، اتت مع الانسان منذ اك البسيطة واتتنا بعد القرون الطويلة في صيغ تحمل في مرآها وفي جوفها ، أثر القرون والتجاريب على تلكم الصيغ الأولى ، التي نفخ فيها الأغريق والرومان روحا جديدة ، اوحت للانسان عصر العمارة الباهرة بكنيسة سالسبري والعمارة التي يتصل نسبتها باسم كرستفرون ، ويتصل بعهد لويس الرابع عشر وبطرس الأكبر ، اعني جماع التقاليد في القدم ، معها الروح الجديدة اعطت العالم المعاصر هذه العمارة وهذه الأشياء ، ذات القدرة المعجبة تلت بعضها بعضا حاملة ارث الأولين فجر الزمان حفروا بأظفارهم على الصخور التماثيل وبأياديهم الصغيرة حلوا الألوان من لحاء الشجر يرسمون .

وفي القرن الثامن عشر والتاسع عشر وليت أمر الفنون طائفة النبلاء والأثرياء شرعت تقوم بالذي كانت تقوم به الدولة ويقوم به الملك وكان قد ضمر صوت الكنيسة في الفنون على ذلك العهد وذوي . اتخذت الكنيسة مكانا بعيدا عن الصدارة . جنبا لجنب مع هذا الذي كان من أمر النبلاء والأثرياء والفنون بدأ حديث جديد خافت عن دور الدولة في حياة الناس . بدأ القرن الثامن عشر ووصل اوائل القرن التاسع عشر مداه . اتسعت هذه النظرة



الجديدة للدولة مكانا عليا ، لا زالت تقتعده اليوم ، ورؤيته هي التي تحكم قدرنا الواقع الآن ومصائرنا من بعد .

قالت هذه النظرة التي تسود الآن وتحكم ان الجماعة في الدولة هدفها الأوحد هو أن تعمل للتقدم الاقتصادي والسياسي ، تنطلق في هذا من مذهب المنفعة ، لا شيء ينبغي ان يشغل بال الجماعة في الدولة . قالت ان المثال الذي ينبغي للجماعة مثال مالي اذ على قدر ما لها يكون مقام الدولة . النجاح والاخفاق مرهونان بالقرب والبعد من هذا المثال . وكان أكبر الحاد عرفه الانسان في عصر الحضارات . اشوه النظرات التي عرفها الناس تاريخهم الطويل . به آمنوا وضلوا ! قالوا الخبز لا شيء غيره الخبز في الفجر ، في الضحى ، في الظهيرة ، في المساء . وذهب الناس المذاهب في الذي آمنوا به من ضلال فاكتنزوا الخبز اكتنازا أمسى معه صخرا ، كومه تكويما الربح المركب . راع الكتاب والفنانين والشعراء ما يرون من عدوان على القيم والمثل باسم الخبز ، لكن اصواتهم الحيية كانت أضعف من أن تقف وجه الزعيق والصراخ عن الخبز واكتنازه . تحرس كفرها المقامات العالية ، بعض الأحايين هي التي تدفع دفعا مذهب المال ، يريحها من أهل الفكر انهم لا يقتنعون بالذي يرون ، ينزعون لما لا يريح . تلكم المقامات تملك ان تسكت تلكم الأصوات . يخال لي ان آخر المقامات التي وقفت جانب الكاتبين والفنانين والشعراء كان الأمير البرت (زوج الملكة فكتوريا .) عمل ليقاوم الالحاد ، لكن الخزانة الحت علي ، قاومت الروح التي اراد الامير وغلبت الفضل والخير ، لا في انفاقها البخس البخيل على الفنون والآداب . كانت الخزانة أكثر قسوة من هذا . نجحت في اشاعة ذكر نظرها ، جعلت افئدة الناس تهوى اليها للذي تقول انها تعد من بركات لهم وعيش رافه . خبز اكثر . خال لنا ونحن اسرى دعاة مذهب المال ان كل فلس عندنا يجب ان تنفقه في أمر يعود على المجتمع بفلوس « عائد » . اقنعنا الصاخبون انا نجرم أكبر الجرم ان انفقنا على مظاهر للحياة لا ترد لنا الفلس فلوسا . وكانوا آثمين .

حلوا أهل المثل على ما يكرهون . شرعوا يدورون حول قوانين الدولة ولوائح الخزانة ، كي يجدوا مكانا للتعليم والصحة في مال الدولة . ما اقتنعت الخزانة حتى قيل لها ان للتعليم « عائدا » ، وللصحة « عائدا » ، يقيني انها ما اقتنعت . بدت كذاك كيلا يضيق بها ضيقا الناس ، يعملون للخلاص منها . انقذنا السفطة ، لذنا بها من عسف الخزانة ، حراس « العائد » .

حياة اسيفة

تجادل ونحن نحيا في ظل هذه الفكرة الجديدة ، المثال المال ، مذهب « المنفعة » ، ان شئت في كل شأن من شؤوننا . اللبن مثلا اندفقه في المجاري أم نطعمه الأطفال في المدارس ؟ ايها الأنفع ، الأجدى على الاقتصاد ؟ ان لم يكن هذا الخبل ، ما هو الخبل ؟ اريته . تجادل بحساب التجارة وحدها ، ما هناك حساب آخر ينفع . اعني ينفع الاقتصاد الذي يراه القائمون على أمرنا في الخزانة . ما بقي من الارث الانساني غير ارث واحد لا تعالجه بحساب الربح والخسارة - الحرب . وحتى هذا الارث الخراب يجد من يدفع عنه من أهل المثال المال - يقول لنا له « عائد » ،

امست البقية الباقية من بطولات الزمان القديم تقاس بالعائد المالي على اقتصادنا وتضلنا الخزانة ان رأت ذاك ينسق ويمجها في العمل بالرؤية الجديدة مذهب المنفعة . ونقول معها غافلين « العائد » مها يفوق الذي ننفق ، نسائل ما الضرر اذن ؟ ننسى ونحن في اسار الذي نسمع كل ساعة عن « العائد » انا حين يلح علينا عمل نعرف معرفة اليقين انه ينفع روح الناس ووجدانهم ، عملا لا يجد سجن الاقتصاد مكانا له في زحمة الأعمال ذات « العائد » ، نجد انفسنا نطوف منازل الناس نرجوهم العون عليه . يستجيب أهل الخير الحياء .

هذا المعنى الجديد للدولة اتانا مع القرن الفائت ، ابعدنا عن المعنى الأقدم للدولة . كانت الدولة قبل هذا تعمل لتجد مكانا في النفوس وللمجد ، الخبز بغية كالمجد والشرف لكنه ليس البغية التي تدق من أجلها الأعناق ، تبرع له بكل سبيل .

الفنانون والكتاب والشعراء يحيون في ظل هذا المثال حياة اسيفة ، ذاك لأن الفنان شخص فريد ، حبه فنه ، وانذاره نفسه قلمه ، يباعد بينه وبين العلائق التي تنفع جيبه ، انه مع نثره وشعره وصوره ، وأي ضرب من ضروب الفن يحياه ، الوقت اجمعه . عقله وروحه غير عقل ووجدان جاره الذي لا يعنيه الا ان يربح . انه اعجز ما يكون عن الصلات التي ترفد ماله . مواهبه لا تعرف تلك الطريق وهو يدعوك لعطفك ، انه شخص لا يعرف ابدا ان يقر : يتأرجح بين الخرق والجشع تغشى نفسه غثيانا ان رأى رابطة بين عمله الفني وثواب ذلك العمل . يتملكه الهلع ان رأى ان فنه ما عاد عليه بثواب يتفق والجهد الذي انفق . يحتاج ليطمئن مالا ينفق على ذويه وذاته بالقدر الذي يخليه من هموم العيش ، ينصرف لمواهبه ، ويحتاج لتتركه وحاله يقول الذي يجيء في باله نغما او صورا او كتابات ، انه سيد مواهبه . له ان يختار اللغة التي يحذق والاداة التي يحب وهو في الوقت عينه خادم الناس ، لا يعرف سيدا يسوده ، ولا يعنيه ان يكون سيدا يطاع .

شخص هذه حاجته وهذه منازعه ، صعب ان تعينه . يحتاج من عصره روحا تستجيب لهذه الحاجات والمنازع ، وما ذاك بالسهل تستطيعه بالحساب العمد او النية . ظني انا نستطيع عونه وعون أنفسنا به فذاك عين كل الذي نريد ، بأن تعمل ليحيا في مناخ رخي اليد ، غير مغلولة لأعناقنا ، ندية وهي تجود لا تمتن ، لا مقتا للمن ذاك ميسور لكل ذكي وغبي ، بل جهلا به لصدق الطوية فيه . لا تعرف النفس ذات الصدق انها تجود حين تفعل . سلوك غريزة . لن يكتمل جهدنا لخلق هذا المناخ دون نزوع منا نحن للحرية يعبر عنا هو بأداته ، وبالتسامح يراه حوله كل مكان ، وايمان بالكلمة المعبرة يرى معها الوجود جيلا والجميل ازهر ، لا عتمات . العتمة عثرة . يتوقع ان يرى الخير كثيرا كل ركن ، ولا يهاب ان يجرب ذا وذاك من الفكر ومن الرأي ولا يعرف القنوط ان خابت له تجربة . تخذل الفنان ان لم توفر له هذا الذي أقول ، خلصنا من جحيم المثال المال ، مذهب المنفعة ، يمتد بصرنا للخير نستبين معالمه أكثر مما نفعل الآن ، لا تنفق مالنا العام الا في الذي يجيء بالعائد نأكله طعاما ونكتنزه كما قلت خبزا ، يصير فرط تراكمه صخرا ، نحيا معه اغلظ العيش . لا انكر علينا الانشغال بالمنفعة . تلك حاجة . انكر علينا الا ننفق الا من أجل « عائد » . احب لروح الزمان القديم ان يعود بمواكبه وشعره ورقصه ونثره وعمارته ومسرحه وتماثيله وصوره . »

نقلت لك حديث واحد من صناع الفكر والعمل الاقتصادي في القرن العشرين . يخفى هذا الجانب من عبقريته عبقرية أخرى هي ولوعة بالفن وأهل القلم وعيشه معهم هم قدر عيشه مع أهل النظر الاقتصادي والعمل . وعامدا اطلت . اردت لنا ان تذكر ان الذي تتحدث فيه من حين لحين عن مكان الدولة في رعاية الفنون كان موضع الحديث عند غيرنا قبل خمسين سنة . بمثل هذا الحديث يصدر عن ائمة الفكر ، سخت يد « الخزانة » وازدهرت جهود الجماعات والجمعيات في اوروبا ، ويقيني أنا شرعنا خطوات نحو هذا المثال الذي نبغيه تشهد على هذه الخطوات الحوليات والصحف التي تصدر في عواصم العرب الأقدر مالا . تعدوا جميعها حدود تلكم العواصم تحسن أكبر الاحسان للعلوم عندنا والفنون . وغير بعيد ان تقوم في هذه العواصم جماعات ترصد ما تستطيع من مال لترجمة بعض الذي اشرت من كتب للغات اوروبا التي يقرأ الأفارقة ، وترجمة الفكر الأفريقي في رواياته وشعره ومسرحه للغة العربية . غير بعيد ان ترصد جماعات أخرى مالا تنفقه في اذاعاتنا عن محاضرات شبيهة بمحاضرات ريث التي اشرت اليها عند حديثي عن علي المزروعي ، وهياج الظالمين . أكبر ظني انهم نفسوا عليه ان دعي لهذه المحاضرات ، وهي التي استأثرت به اوروبا والولايات المتحدة حتى اخترق السدود منذ سنين تعدوا العشرين ، روبرت غاردنر وان بعده المزروعي قبل سنتين . غير بعيد ان يرصد احد القادرين مالا لمثل هذه المحاضرات وفاء لذكرى رجل عمل فاحسن للعرب مثلا . يحملني على ظني هذا ان قيادة هذه الحوليات العربية والصحف في يد رجال من اهل الفن والعلم والقلم تعنيهم ان تستقيم العلائق العربية الأفريقية ، لا تظل على حالها هذا الواهم الغافل . وهم اجدر من يقدر أن الثقافة ، بأي معنى اردت الكلمة هي الطريق السوية ، وغيرها تعين فحسب . ما هي الأصل . النهج الثقافة . ○



عبد الحفيظ يونس فى ذمة الله

فقدت مجلة « العربى » أحد الاعمدة التى استندت اليها فى مسيرتها عبر ربع القرن الأخير .. رحل بعد مرض أصاب قلبه المرهف الذى أثقله بالهموم . كان يحب عمله ويخلص له ويتفانى فيه .. عاصر « العربى » منذ مولدها ، وكان قبل مجيئه اليها موظفا فى دائرة المطبوعات والنشر . وعمل سكرتيرا لرئيس التحرير ، ثم مديرا لمكتبه ، ثم مشرفا اداريا .

جاء الى الكويت شابا صغيرا فى السابعة عشرة من عمره بعد ضياع فلسطين ، ولما يكن قد أكمل تعليمه بعد ، ونظر حوله .... كل الذين يعرفهم ـ بحكم صلته بالرجل الأول الذى يقوم على هذا العمل الكبير ـ يحملون مؤهلات عليا ... وشعر أنه صغير وسطهم ، وأنه لابد أن يكمل تعليمه إذا كان يريد أن يكبر مع العمل الذى يقوم به ، فحصل على الثانوية العامة والتحق بجامعة بيروت العربية طالبا منتسبا ، ودرس القانون وحصل على ليسانس الحقوق . ولم يتوقف . أحس بلذة النجاح فمضى فى الطريق الذى أوصله اليه ، وراح يعد لدراساته العليا حتى حصل على الماجستير . وكان ينوى المضى فى رحلته مع الكتب حتى يحصل على الدكتوراه . ولكنه أحس بالارهاق يصيب قلبه .. فنقل الى المستشفى عدة مرات للعلاج والراحة .. ولكنه لم يكن يستريح .. كان يهرب دائما من فراشه ليعود الى مكتبه والى العمل الذى أحبه .

وكانت المرة الأخيرة التى دخل فيها عبد الحفيظ يونس المستشفى منذ شهر تقريبا .. وقال له الأطباء : « أنت فى حاجة الى راحة لمدة شهر على الأقل تنسى فيها عملك ومتاعبه ومسئولياته ! » ولكننا فوجئنا به يعود الى « العربى » بعد عشرة أيام من اصابته بالنوبة الأخيرة .. وعبثا حاول رئيس التحرير أن يقنعه بالعودة الى بيته وفراشه ليستريح !

وبعد منتصف ليلة اليوم الأخير من شهر ابريل الماضى ، ذهب عبد الحفيظ يونس فى رحلة طويلة ، ووراوا جثمانه تراب الأرض التى احتضنته شابا ورجلا وزوجا وأبا لخمسة أطفال ... أكبرهم فى السابعة عشرة ، وأصغرهم فى السادسة ، وهو ـ بعد ـ لم يكمل عامه الثامن والأربعين ..

كان حلمه الذى يعيش من أجله « العودة إلى فلسطين » ولكنه ذهب قبل أن يرى هذا اليوم .

لقد فقدت « العربى » برحيله أخا وزميلا مخلصا كريما .

تغمده الله برحمته الواسعة ..

« إنا لله وانا اليه راجعون »

« العربى »



رمضان في ليالي العرب

بقلم : الدكتور : محمد عيسى صالحية



الآية القرآنية الكريمة « إني نذرت للرحمن صوما ، فلن أكلم اليوم إنسيا » ، هي آية مكية نزلت والرسول صلى الله عليه وسلم في مكة ينشر الدعوة ويتحمل أذى قريش ، فهل يتضمن معنى الآية ان العرب القريشيين قد عرفوا الصيام مع ان الشطر الثاني من الآية يبن نوعية الصيام فيها ، بالامتناع عن الكلام ، غير ان حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها يعلم منه أن قريشا كانت تصوم يوم عاشوراء قبيل الاسلام ، وان الرسول صلى الله عليه وسلم أمر بصيامه حتى فرض صيام شهر رمضان فترك الرسول صلى الله عليه وسلم الحرية للمسلمين في صيام يوم عاشوراء من عدمه . وبعد هذا نقرأ في شعر النابغة الذبياني .

خيل صيام وخيل غير صائمة   تحت العجاج واخرى تعلك اللجما

كل هذا يعطينا الحق في توجيه سؤال ، وهو هل كان العرب يصومون قبيل الاسلام ، واي نوع من الصيام يكون ؟ أم تراه صوما للأحناف فقط .

ان شهر رمضان شهر متميز عند المسلمين ، فقد اعتنى المسلمون به في سائر الاقطار واحاطوه بأنواع التكريم واحيوا لياليه بصنوف العبادة ، واغدقوا فيه الخير على الفقراء والمعوزين . وامتدت عنايتهم برمضان حتى قبل بدايته والى آخر يوم فيه . فاذا اقبل شهر رمضان عهد الى قضاة مصر مثلا بالطواف قبل حلوله بثلاثة أيام بالمساجد والمشاهد ، حيث يدورون على جامع المقس وجوامع القاهرة ، ومشاهد وجوامع الفسطاط ثم المشهد الحسيني ، وخلال طوافهم يتفقدون ما تم اجراؤه فيها من اصلاح وفرش وتعليق قناديل وتفقد زيت الاضاءة ، والشموع والفتائل وغيرها . وفي بدايات الشهر ايضا يأخذ نظار الاوقاف (المشرفون على الأوقاف) في تنفيذ شروط الواقفين على المساجد من تجديد الحصر ونظافة المساجد وطلائها وعمل ما يلزم لزيادة الاضاءة فيها واعداد القناديل اللازمة لاضاءة المنارات طوال الليل . وقد جرت العادة في بغداد ان تشعل مصابيح المسجد طيلة ايام شهر رمضان وتخرج الانعامات (الهدايا) من دار الخلافة الى الخاصة والعامة طيلة الايام الاربعة الأخيرة من الشهر . ويمدنا المقريزي بأخبار سوق الشماعين في مصر في القرنين الثامن والتاسع الهجريين حيث يحتفل أهل السوق بتعليق القناديل وانواع الفوانيس المتخذة من الشمع بأوزانها واشكالها المتعددة والمختلفة .

وقد وصف المقدسي استعدادات اهل عدن لاستقبال الشهر ، اذ كان من عادتهم ان ينشطوا لرؤية هلال رمضان قبل يومين من موعده فتزين اسطح المنازل وتضرب الطبول والدبادب حال ثبوت الهلال ، وغالبا ما تجتمع الفتية قبل صبيحة يوم الصيام ويسرجون المدينة حتى الصباح ، وفي مكة تضرب الطبول والدبادب والبوقات اشعارا بانها ليلة الموسم .



ان ما أورده الاخباريون يفيد ان قريشا كانت تصوم عاشوراء ، وفيه يحتفلون ويتعبدون ويكسون الكعبة ، وحجتهم ان قريشا اذنبت ذنبا في الجاهلية ، فعظم ذلك في صدورهم وارادوا التكفير عن ذنبهم ، فقرروا صيام يوم عاشوراء شكرا لله على رفعه الذنب عنهم . ومهما قيل في هذا الصدد ، فان روايات الجاهلية في كيفية الصوم لا تتفق والروايات التاريخية المؤكدة في هذا المجال ، ولنا ان نقول ان الاحناف قد عرفوا نوعا من الصيام . الا ان صيام رمضان بمفهومه الحالي كان فرضا اسلاميا خالصا .

رؤية هلال رمضان

ويكاد ان يكون ثبوت رؤية هلال رمضان هو الاعلان الفعلي لبدء شهر الخير ، ولذا ترى الناس ينشطون لرؤية هلاله ، ويبدو ان المسألة كانت تمر ببساطة ويسر في صدر الاسلام ، حتى اذا كانت الدولة العباسية اكتسبت الرؤية طابعا رسميا ، وغدا القضاة يترأسون موكب رؤية الهلال ، وكان القاضي ابو عبدالرحمن ، عبدالله بن

لهيعة ، قاضي مصر سنة ١٥٥هـ ، اول من خرج بالناس لرؤية هلال رمضان ، ولعله فعل ذلك لاضطراب وقع للناس فيه ، فالبعض أكد هلال الشهر والبعض الآخر نفاه ، فخرج القاضي من ساعته بنفسه ونظر الهلال ، وغدت تلك سنة متبعة فيما بعد ، فقاضي مكة صعد جبل ابي قبيس ونظر الهلال ، ومثله فعل قاضي مصر ، ابراهيم بن محمد بن عبدالله حيث خرج بالناس الى مسجد عبود بالقرافة لرؤية الهلال ، واحيانا يواظب القاضي على الخروج لرؤية هلال رجب وشعبان احتياطيا لشهر رمضان . وقد اعدت هناك دكة عرفت بدكة القضاة على مكان مرتفع بجبل المقطم واستمرت حتى بنى مكانها في الدولة الفاطمية مسجد ، وصار القضاة يرصدون هلال رمضان من فوق منارات المسجد .

ويبدو ان العصر الفاطمي شهد تحولا في اجراءات رؤية الهلال ، فاستبدلوه بما يسمى بركوب اول الشهر ، وهو يقوم مقام رؤية هلال رمضان ، ولعل ذلك يعود الى ان الفاطميين قد ابطلوا رؤية هلال رمضان وجعلوا الشهور ٢٩ يوما و ٣٠ يوما ، فاذا وقع رمضان في احدهما أمضوه كما هو ، واستعاضوا عن ذلك بالركوب اول يوم في الشهر ، وقد قدم القلقشندي لنا وصفا مسهبا لموكب الفاطميين تناول فيه ترتيبه وخط سيره ، اذ يصل الوزير والامراء الى قصر الخلافة في أبهة عظيمة من الثياب ، وامامهم ما شرفهم به الخليفة من شارات الملك ، فاذا وصل الجميع الى باب قصر الخلافة ، ترجل الامراء ودخل الوزير حتى يصل رواق دهليز العمود . ويمضي القلقشندي فيصف الموكب وما فيه من سلاح ولتوت ودبابيس وعمد الحديد والسيوف والدرق او الدروع والوية واعلام وعماريات . بالاضافة الى الخيول المسرجة بسروج مذهبة ومفضضة وبعضها مرصع بالجواهر ، وأعناق الخيل طوقت بأطواق الذهب وقلائد العنبر وفي أرجلها خلاخل الذهب والفضة . ويشارك في المواكب الحاشية ورجال الدولة وترى والي القاهرة ذاهبا وعائدا لفسح الطرقات وتسيير من يقف ، ويخترق الموكب باب النصر ـ باب الفتوح ـ بين القصرين ـ الجامع الأحمر ـ ثم القصر الخليفي مرة ثانية ، فاذا ما دخل الخليفة الى دوره كتب فيه بالمخلقات بالبشائر لكافة الأمصار وترسل الكتب الى الأمصار والولايات تصف ركوب اول شهر رمضان .

اما الأيوبيون والمماليك فقد عادوا للركوب لرؤية هلال رمضان بموكب يشارك فيه اهل الحرف والطرق حيث يخرج قاضي القضاة والقضاة الاربعة ومعهم الشموع لرؤية الهلال ، ويشاركهم المحتسب ذلك اليوم ، وينتظم في الموكب جماعات التجار ورؤساء الطوائف والصناعات حتى اذا ما انتهوا الى منارة مدرسة المنصور بالنحاسين ، ترقبوا الهلال ، فان تحققوا من ذلك أضيئت الانوار على الدكاكين ، ويعود قاضي القضاة والمشاعل والفوانيس تحف به حتى يصل الى داره ، ومن ثم تتفرق الطوائف الى احيائها معلنين الصيام .

ومن الجدير بالذكر ان الرحالة ابن بطوطة قد شارك في احتفال الركبة في مدينة إبيار المصرية ، حيث وصل المدينة في رمضان سنة ٧٢٧هـ ، وهناك التقى بالقاضي عز الدين المليجي الشافعي ، وحضر عنده يوم الركبة لرؤية الهلال ، وعندهم يسمى « يوم ارتقاب هلال رمضان » . .

ووصف اليوم بقوله « وعادتهم ان يجتمع فقهاء المدينة ووجوهها بعد العصر من يوم ٢٩ شعبان بدار القاضي ، ويقف على الباب نقيب المتعممين وهو ذو شارة وهيئة حسنة فاذا أتى احد الفقهاء والوجوه تلقاه ذلك النقيب ومشى بين يديه قائلا ، بسم الله ، سيدنا فلان شمس الدين ، فيسمع القاضي ومن معه ، فيقومون له ويجلسه النقيب في موضع يليق به ، فاذا تكاملوا هنالك ركب القاضي وركب من معه أجمعون ، ويتبعهم جميع من بالمدينة من الرجال والنساء والصبيان ، ينتهون الى موضع مرتفع ، وهو مرتقب الهلال عندهم ، وقد فرش ذلك الموضع بالبسط والفرش ، فينزل فيه القاضي ومن معه ، فيرتقبون الهلال ، ثم يعودون الى المدينة بعد صلاة المغرب ، وبين ايديهم الشمع والمشاعل والفوانيس ، ويوقد اهل الحوانيت الشمع ، ويصل الناس مع القاضي الى داره ثم ينصرفون . وهكذا بقية البلاد لا تخلو واحدة منها بوحي من دينها من جماعة ترصد هلال رمضان وترقبه ليكون لها شرف رؤيته ، وهذا التقليد لازال مستمرا الى يومنا بالرغم من منجزات العصر الفلكية ، وتطور دراسة الأرصاد .

التسحير

واذا ماثبتت الرؤيه ، فان القوم يستعدون لبدء شهر الصيام ، وليتغلبوا على مشاقه فقد كان السحور هو وسيلتهم لذلك ، ولذا فان عملية التسحير لقيت عناية من



والسحور كما هو معلوم ، دعوة لايقاظ النيام ليتزودوا بالطعام والماء استعدادا لمواجهة مشاق اليوم التالي قبل فوات الأوان ، ومن يتولى هذه المهمة يسمى « بالمسحراتي » ، وقد ذهب المسلمون مذاهب شتى في كيفية الايقاظ ، فقد يكون بترديد بعض العبارات النثرية ، وبقراءة آيات من القرآن الكريم ، فينبه المسحراتي بقوله « تسحروا ، كلوا ، واشربوا » ، ويقرأ المسحر الآية القرآنية « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام . . . . » ومن ثم ينتهون الى الشرب بتلاوة الآية القرآنية « ان الابرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا ، عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا . . . » الى آخر الآيات .

ويؤثر عن عنبسة بن اسحق والي مصر سنة ٢٣٨هـ ، انه كان يذهب الى جامع عمرو بن العاص ، ماشيا من مدينة العسكر ، وكان ينادي في طريقه بالسحور ، وفي مكة كان المؤذن الزمزمي يتولى التسحير في الصومعة التي في الركن الشرقي من المسجد ، فيقوم في وقت السحور داعيا ومذكرا ومحرضا على السحور ، ومعه اخوان صغيران يجاوبانه ويقاولانه'. وفي نفس الوقت نصبت في اعلى الصومعة خشبة طويلة في رأس عمود وفي طرفه بكرتان صغيرتان ويرفع عليهما قنديلان من الزجاج كبيران ، لا يزالان يوقدان مدة التسحير ، فاذا قرب ميعاد الامساك والتنبيه عليه ثوب المؤذنون من كل ناحية بالأذان ، فمن لم يسمع نداء التسحير من أهل مكة يبصر القنديلين يوقدان في أعلى الصومعة ، فاذا لم يبصرهما علم ان الوقت قد انقطع .

اما انشاد بعض انواع من الشعر عند التسحير ، فقد بدأت في بغداد حيث بدأها ابن نقطه المزكلش المتوفي سنة ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م ، وكان موكولا اليه ايقاظ الخليفة الناصر للسحور ، ويسمى هذا النوع من الشعر القوما ، ولعله مأخوذ من قول بعضهم قوما نسحر قوما أو نياما . . قوما للسحور قوما ويكون في اربعة ادوار ، ومن امثالها نورد ،

ايها النوام قوموا للفلاح
واذكروا الله الذي اجرى الرياح
ان جيش الليل قد ولى وراح
وتدانى عسكر الصبح ولاح
معشر الصوام يابشراكمو
ربكم بالصوم قد هناكمو
وجوار البيت قد اعطاكمو
فافعلوا افعال ارباب الصلاح

المسلمين وافردت لها الأشعار ، حتى غدا شعر ونثر السحور أدبا يستحق ان يدرس من باحثي الأدب العربي ، وكان السند الشرعي الذي سوغ لهم السحور ، قوله صلى الله عليه وسلم « تسحروا فان في السحور بركة » . ولكن كيف كان يدعي اليه ، وكيف يحدد وقته ؟ تلك مسائل تناولتها كتب التراث عرضا ، ومن الشذرات المتناثرة نستطيع ان نقول بان المسلمين في عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) عرفوا جواز الأكل بأذان بلال ، وعرفوا قطعه بأذان ابن مكتوم ، فما بين السحور والامساك أذانان يمكن تمييز الصوت فيهما .

من التراث

اشربوا عجلى فقد جاء الصباح

وفي الدور الرابع تكون التذكيرة

يا من يروم توسلا وتوصلا

صم رغبة في قول رب قد علا

الصوم لي وانا الذي اجزي به

وحيث انكر ابن الحاج (محمد بن محمد ، ابو عبدالله العبدري ت ٧٣٧هـ) بدعة ما احدثه المؤذنون في شهر رمضان من التسحير ، وطالب بضرورة العودة الى السنة النبوية في ذلك ، الا انه عقد فصلا لعوائد المسلمين في التسحير في مختلف اقطار الدولة الاسلامية ، ففي القاهرة والفسطاط مثلا يسحرون بالطبلة ، يطوف بها اصحاب الأرباع وغيرهم على البيوت ويضربون عليها ، واهل الاسكندرية واليمن وبعض اهل المغرب يسحرون بدق الأبواب على أصحاب البيوت وينادون على اصحابهم بقولهم ، « قوموا كلوا » .

اما اهل الشام فانهم يسحرون بدق الطار وضرب الشباية (القيثارة) والغناء والهنتوك والرقص واللهو واللعب ، هذا شنيع جدا من اهل الشام ، كما ان بعض اهل المغرب يفعلون فعل اهل الشام حيث يضربون بالنفير على المنار ويكررونه سبع مرات ثم بعده يضربون بالأبواق سبعا أو خمسا ، فاذا قطعوا حرم الاكل .

والى يومنا ، فان بعض البلدان مازالت تعتمد على المسحراتي في ايقاظهم وتقال الاشعار الزجلية في ذلك ، فاذا قارب الشهر الفراغ ، وحش المسحر للشهر بقوله « لا اوحش الله منك ياشهر الصيام ، لا اوحش الله منك ياشهر الصيام » وفي صبيحة يوم العيد يطوف على أهالي الحي مهنئا بالعيد ، وكل منهم يبذل له بقدر استطاعته جزاء ما عاناه طوال الشهر الكريم .

احياء ليالي رمضان

لعل من ابرز مظاهر احياء ليالي رمضان عودة الناس الى نفوسهم ، يحاسبونها ويتعبدون ويتوبون ، فترى جموع المسلمين تقيم صلاة التراويح ، وبعضهم يقوم الليل ، وفي العشر الأواخر منه يعتكف البعض اقتداء بالسنة النبوية ، وقد ذكر القضاعي ت ٤٥٤هـ في دقائق الأخبار ، ان عجائب الاسلام اربع وهي : عرض الخيل بمصر ، ورمضان بمكة ، ثاني عجائب الاسلام ، حيث تحيا لياليه بتلاوة القرآن والصلوات ، فيجتمع اهل مكة ، فلا تبقى منه زاوية ولا ناحية الا وفيها قارىء او مصل ، فيرتج المسجد لاصوات القراء من كل ناحية ، وقد صادف استهلال رمضان سنة ٥٨١هـ ، وابن جبير في مكة ، فقدم وصفا لما يجري في الحرم ، وشاهد الائمة الاربعة وقد افترقوا فرقا لاقامة التراويح فالشافعية فوق كل فرقة نصبت لها اماما ، وكذا الحنفية والزيدية والمالكية ، والطريف في رواية ابن جبير هو الضرب بالفرقعة ، وهي عود في طرفه جلد رقيق يمسكه احد القومة بالحرم وينفضه في الهواء ، فيسمع له صوت عال ، يسمع في انحاء الحرم ، فيكون اعلاما بخروج الخطيب ، وقد سمع ابن جبير الضرب بالفرقعة عند الشافعية ، وذلك عندما اكمل الامام الشافعي التراويح وطاف مع جماعته ، ولما عاد الى المسجد لاقامة تراويح اخرى ضرب بالفرقعة ، ويبدو ان هذا التقليد كان معروفا قبل سنة ٣٠٠هـ ، فقد ذكر الطبري انها كانت تضرب ثلاث ضربات عند الفراغ من اذان المغرب ، وعند الفراغ من اذان العشاء الآخر .

وبالاضافة الى التراويح وقيام الليل والاعتكاف ، فقد شهدت مساجد الدولة الاسلامية انواعا اخرى من الاحتفالات التي تعقد بمناسبة ختم القرآن الكريم او ختم قراءة صحيح البخاري ، وهو ما سنشير اليه لاحقا .

وقد كان شهر رمضان ومازال هو الشهر الذي يتجلى فيه منتهى الكرم عند المسلمين ، ومع ان الدعوة لتقديم الطعام لكل جائع مسألة اهتم بها خلفاء الاسلام على طول عهودهم ، فان الاهتمام بالاعلان عن موائد الافطار في رمضان اكتسب اهمية خاصة ، فقد اقيمت دور الضيافة في بغداد ،وجهزت في كل ليلة من ليالي رمضان بخمسمائة قدح والف رطل من المطبخ الخاص والخبز النقي والحلوى وغير ذلك ، وينادي على الفقراء والجائعين ان يتوجهوا الى دور الضيافة للافطار بها ، وعلى الصعيد الفردي ، فان حوادث سنة ٣٠٨هـ ، اشارت الى سماط يأنس الصقلبي ، صاحب الشرطة السفلي في القاهرة والذي كان يطوف في شوارع المدينة ويوزع الطعام والسكر والحلوى على فقراء القوم ، وكذا الصاحب بن عباد ، والذي روى عن داره انها ما خلت من ألف نفس تفطر عنده في رمضان وان صدقاته في هذا الشهر كانت تبلغ ما يطلق منها في جميع السنة . وشهر بين الفقراء ايضا ان لؤلؤ الحاجب كان يوزع في كل يوم اكثر من ١٢ الف رغيف مع قدور الطعام ويشرف بنفسه على توزيع الصدقات ، واعد ثلاث مراكب طول الواحدة منها ١١ ذراعا ، وقد ملئت بالطعام ، ويدخل الفقراء اليها افواجا ، وهو قائم مشدود الوسط كأنه راعي غنم ، وفي يده مفرقة ، وينتقل بين

الفقراء مصلحا للطعام ومقربا اياه ، فاذا فرغ من اطعام الفقراء رجالا ونساء وصبيانا ، نصب الموائد لحاشيته وصحبه .

ولو استرسلنا في وصف الموائد الرمضانية لضاق بنا المقام ، وسوف نقتصر على ذكر سماطين منها ، الأول ذكره ابن الساعي في جامعه المختصر في حوادث سنة ٦٠٤هـ ، والثاني ذكره اليونيني في ذيله على مرآة الزمان .

اما الأول ، فقد تقدم الناصر لدين الله سنة ٦٠٤هـ بانشاء دور الضيافة لفطور الفقراء في شهر رمضان في سائر محال بغداد شرقيها وغربيها ، فوقع الشروع في ذلك على يد قوام الدين نصر بن ناصر ، صدر الدين ، وحيث انتهى سلم الى كل ثقة من اهل محلة مقدارا من العين ، وامر باثبات فقراء اهل كل محلة (لعله الصوفية) وان يجري لكل واحد منهم في اليوم رطلين من الخبز وقدح طبيخ فيه نصف رطل لحم ضأن .

اما الثاني ، فقد عقده لاجين بن عبدالله الأمير حسام الدين الجوكنداري العزيزي سنة ٦٥٩هـ ، للفقراء (الصوفية) ، فاحضرت المآكل والمشارب والارايج الطيبة والشموع ، وكان السماط على اربع نوبات

النوبة الأولى : مائة زبدية عادلية ، في كل واحدة منها خروف صحيح رضعي وثلاث مائة زبدية اخرى ، في كل واحدة ثلاثة طيور من الدجاج وغيره .

النوبة الثانية : شملت أطباقا وصحونا مملوءة بالحلوى والقطائف الرطبة والمقلوة والمشبك وغير ذلك مما جميعه بالسكر المصري المكرر والفستق والمسك .

النوبة الثالثة : قدم فيها انواع الفواكة النادرة من سفرجل وتفاح وكمثرى ورمان والعنب النادر والبطيخ ، وكلها قدمت في غير موسمها .

النوبة الرابعة : قدم فيها انواع المكسرات من قسب عراقي (نوع من تمور العراق ، يابس يتفتت بالفم) والفستق والبندق والزبيب الجوزاني والفستق المملوح والخشكنان (اقراص من الدقيق والحلوى) والكعك المحشو والبقساط والمعمول بالسكر والسمن وغير ذلك .

هذا بالاضافة الى ان كل ما شرب مصنوع بالثلج والسكر وماء الخلاق (نوع من الصفصاف المصري ، كان معروفا بدمشق يستقطر منه ماء تطيب به الأشربة) وزهر النارنج والورد والمسك ، وكان يلاحظ السقاة وهم يدورون لملء الكيزان ، والمباخر تعمل بالند والعنبر والعود الهندي .

الاحتفالات الرمضانية الأخرى

وتشهد العشر الأواخر من رمضان احتفالات اخرى غير التي ذكرناها ، منها على سبيل المثال ، احتفال الركوب ايام الجمع الثلاث في شهر رمضان ، وهو تقليد فاطمي ما سمع بمثله في صدر الاسلام ولا الدولة العباسية . وانما هي بدعة فاطمية ، والاحتفال بختم القرآن الكريم ، واحياء ليلة القدر ، ومن ثم الليلة الاخيرة من شهر البركة والخير .

وقد كان ابن جبير شاهد العيان لهذه المناسبات في مكة ، فقد افاض في وصف الليلة المعظمة ٢٧ رمضان ، حيث اقيمت عند الحطيم خشب عظام انتظمت كالسوار حول نصف الحرم وعلقت في طيقانها القناديل والشموع والفوانيس ونصبت انوار الشمع عن يمين المقام ويساره واوقدت ، وكان يقف في شرفات الحرم كلها صبيان ، بيد كل واحد منهم كرة من الخرقة المشبعة زيتا أو سليطا ، فوضعوها متقدة ، ويقرر ابن جبير بان الابصار يكاد يعشى من هول ايقاد جميع ما ذكر ، وتسمع اصوات المرتلين والداعين تتردد في جنبات الحرم بذكر الله ، جل جلاله ، فيكون اثرها في النفس عميقا بالغا .

وكان ابن جبير قد حضر ختم احد ابناء المكيين من ذوي اليسار للقرآن ليلة ٢٣ من رمضان ، حيث وصف الاشجار الشمعية التي اعدها ابوه له وحين استوى الفتى على المنبر ابتدره القراء بقراءة عشر من القرآن ، ثم قام الفتى خطيبا فصدع بخطبته ، وحوله نفر يدعون له عند كل فصل من فصول الخطبة ، وفي النهاية توزع الهدايا والخلع .

وحضر ايضا ختم الامام الحنفي ليلة ٢٥ رمضان ، وقدم وصفا له ، ونقرأ في الدولة المملوكية ان احتفالا كان يقام عند ختم قراءة صحيح البخاري ، اذ كان يقرأ الصحيح في الأزهر ، ويختم ليلة القدر ، في حفل يحضره القضاة الأربعة وتوزع الهبات والخلع والهدايا على العلماء والفقهاء .

ويكون خاتمة الاحتفالات يوم ٢٩ رمضان ، تختم فيه التراويح وتطفاء الانوار والثريات والشماعد ، وينتظر في اليوم التالي اما استكمال الشهر او الاستعداد للاحتفال بعيد الفطر .

حل مسابقة العدد رقم ٢٩٢

١ ـ شبه الجزيرة العربية هي أكبر شبه جزيرة في العالم . . .
مساحتها = مليون ميل مربع .

٢ ـ الفينيقيون هم الذين سموا أسبانيا بهذا الاسم . .

٣ ـ نهر الأمزون هو ـ بلا نزاع ـ أعرض انهار العالم واغزرها ماء . .
يبلغ عرضه عند مصبه ٨٠ كيلومترا . .
ويتدفق ماؤه العذب مسافة ٦٤ كيلومترا في المحيط الاطلسي . . وقد اعتاد البحارة شرب الماء عند الحاجة .

٤ ـ افريقيا تفوق الاتحاد السوفياتي من حيث المساحة وعدد السكان وكذلك الهند تفوق شبه الجزيرة الاسكندنافية والصين تفوق جزيرة جرينلند . . .
ولعل الذين اخطأوا في الرد على هذا السؤال اكتفوا بالاعتماد على الخرائط المعطاة مع السؤال ، وهي خرائط مغلوطة ، ولم يعودوا الى كتب الجغرافيا . .

٥ ـ يختلف القطب الشمالي عن القطب الجنوبي في أن الثلوج تغطي ماء البحر في الأول ، وتغطي اليابسة في الثاني . . . يابسة القارة القطبية الجنوبية .

٦ ـ المواقع الأثرية الثلاثة ومواقعها كالتالي :

هيليوبوليس	مصر
برسيبوليس	ايران
اكروبوليس	اليونان

أبلا مملكة قديمة سادت في سوريا قبل حوالي ٤٥ قرنا من الزمان . وقد اكتشفوا آثارها مؤخرا بالقرب من مدينة حلب .

٨ ـ هواي ونيو مكسيكو فقط تدخلان في عداد الولايات المتحدة الخمسين . . أما كولومبيا فليست ولاية بل مقاطعة تبلغ مساحتها ٦٩ ميلا مربعا ، كمساحة العاصمة واشنطن تماما . وأما بورتوريكو فهي الأخرى ليست ولاية . . كانت بمثابة مستعمرة ولكنها أصبحت تتمتع بوضع الكومونولث في ارتباطها بالولايات المتحدة وذلك منذ عام ١٩٥٢ .

٩ ـ الجزيرتان هما الجزيرة السورية فى الشمال والجزيرة السودانية فى الجنوب . . وتقع الجزيرة السورية على الحدود مع تركيا ، وهى أرض خصبة واسعة ويخترقها نهر الفرات . . . وأحد روافده نهر الخابور ، أما جزيرة السودان فتقع عند النيل الأزرق جنوب الخرطوم ، وتعتمد على مياه سد سنار لأغراض الرى . ويزرع القطن فى كلتا الجزيرتين . . اضف الى ذلك القمح والشعير ويزرعان فى الجزيرة السورية ، والذرة وتزرع فى الجزيرة السودانية .

١٠ ـ جزيرة سقطرى جزء من اليمن الجنوبى .

١١ ـ سكان نصف الكرة الجنوبى هم الذين يحتفلون بأعياد الميلاد ورأس السنة الميلادية فى فصل الصيف . . .

علما بأنهم يحتفلون بها فى ٢٥ / ١٢ و ١ / ١ تماما كسكان نصف الكرة الشمالى .. ذلك ان هذه المواعيد التى تقع فى فصل الشتاء فى نصف الكرة الشمالى انما تقع فى فصل الصيف فى نصف الكرة الجنوبى .

١٢ ـ سميت جزر الكنارى (Canaria) بهذا الاسم نظرا لكثرة الكلاب فيها ... فاللفظ لاتينى ويعنى الكلاب فى اللغة اللاتينية ، لغة الرومان الذين اطلقوا عليها هذا الاسم ... والمعروف ان المؤرخ الرومانى بلاينى (Pliny) الأكبر هو الذى سماها بهذا الاسم بسبب كثرة ما كان فيها من كلاب فى تلك الأيام ... والمؤرخ المذكور سبق الرحالة العربى ابن بطوطة بعدة قرون . والجزر صغيرة تبلغ مساحتها (٢٨٠٧) أميال مربعة ... وعدد سكانها حوالى مليون او يزيد .. وهى تابعة لاسبانيا وتقع على بعد (٦٠) ميلا الى الشمال الشرقى من القارة الافريقية . ويرتادها السياح فى فصل الشتاء للاستمتاع بطقسها الصحى اللطيف .

ونذكر فيما يلى أسماء الفائزين فى هذه المسابقة :

الجائزة الأولى (٣٠ دينارا) سارة بنت رياض الحارس / مدرسة الرعاية ـ باب توما دمشق ـ سورية .

الجائزة الثانية (٢٠ دينارا) أحمد محمد يوسف عطا الله / ص . ب : ٨٤٣٣ عمان ـ الأردن .

الجائزة الثالثة (١٠ دنانير) بوجليدة نور الدين / ٣٩ شارع المدارس ـ حى الهواء الجميل حسين داى ـ الجزائر .

٨ جوائز تشجيعية بقيمة (٥) دنانير لكل من :

١ ـ **كطوى بوعزة** ـ زنقة جامع الشلوخ رقم ٩٩ / الدار البيضاء ٥١ ـ المغرب .

٢ ـ **من الله الربيع عبد الباقى الربيع** / ص . ب : ٣٨٢ ـ الجامعة الا سلامية ـ أم درمان ـ السودان .

٣ ـ **نوال يعقوب جاسم** / ص . ب : ٧٠ صفاة الكويت ـ شركة البترول الوطنية ـ قسم التأمين .

٤ ـ **عدنان على محمد أمين** ـ محافظة التأميم ـ ساحة العمال ـ قرب جامع ملاحس ـ العراق .

٥ ـ **حسن عبد الله باوزير** ـ كلية التربية ـ المكلا ص . ب : ٨٣٧٠ ـ اليمن الجنوبى .

٦ ـ **سيف عبد الله سعيد العبرى** ـ ولا ية الحمراء ـ منطقة الداخلية ـ سلطنة عمان .

٧ ـ **نصرة انور على مشالى** ـ شقة (٥) عمارة ٣٦ ـ حى ناصر ـ بورسعيد ـ ج . ع . م

٨ ـ **آمنة محمود جويح** ـ شارع العباس بن عبد المطلب المتفرع من شارع بن عاشور ـ طرابلس ـ ليبيا .



قصة : محمد عبد الملك

تلقى السيد حامد فرج مدير مستشفى الولادة المركزي مكالمة هاتفية هادئة تقول :

زوجة سعود الذهب في الطريق اليكم .

وما كان من حامد فرج بعد سماع هذه الجملة الا أن استدعى طبيبة النوبة الرئيسية الى مكتبه وقال مفتصلا الهدوء :

عند الامتحان يكرم المرء أو يهان .

وبنبرة جادة عكستها خطوط جبهته وتحجر عينيه وتدخينه المتلاحق ، وهو الذي نادرا ما يدخن الا في السر بعد أن أعلن في الصحف المحلية عن انضمامه الى جمعية مكافحة التدخين . لم يكن ذهن السيد حامد فرج في لحظة صفاء ليفكر ويجسم قراراته الجديدة ويحدد خطواته . ولما لاذت طبيبة النوبة بالصمت منتظرة تفسيرا محددا للامتحان ـ أضاف السيد حامد فرج بيسر وكشف سر اضطرابه المفاجيء الذي حاول أن يخفيه وهو الضايع في افتعال الهيبة فقال :

لايخفى عليك يا سيدة نوال ما لهذه الزيارات من أهمية في تاريخ المستشفى .

وما كان من هذه الجملة الا أن زادت من غموض الموقف فقالت السيدة نوال :

أي زيارة يا سيد حامد ؟

فقال بلا تردد :

زوجة سعود الذهب

وماذا تفعل هنا في المستشفى ؟

ستلد .. تلد مثل النساء .

وبدا أن كل شيء بات واضحا فقالت نوال :

سنفعل الواجب بطبيعة الحال ..

فقال حامد فرج :

هذا لايكفي ..

سنعد غرفة خاصة ..

هذا لايكفي .

سنستقبل زوجة الذهب عند البوابة الكبيرة .

وأضافت بنبرة جادة :

على غير العادة .

فقال :

وأيضا :

وبعد أن نظر اليها بطرف عينيه :

لايكفي .

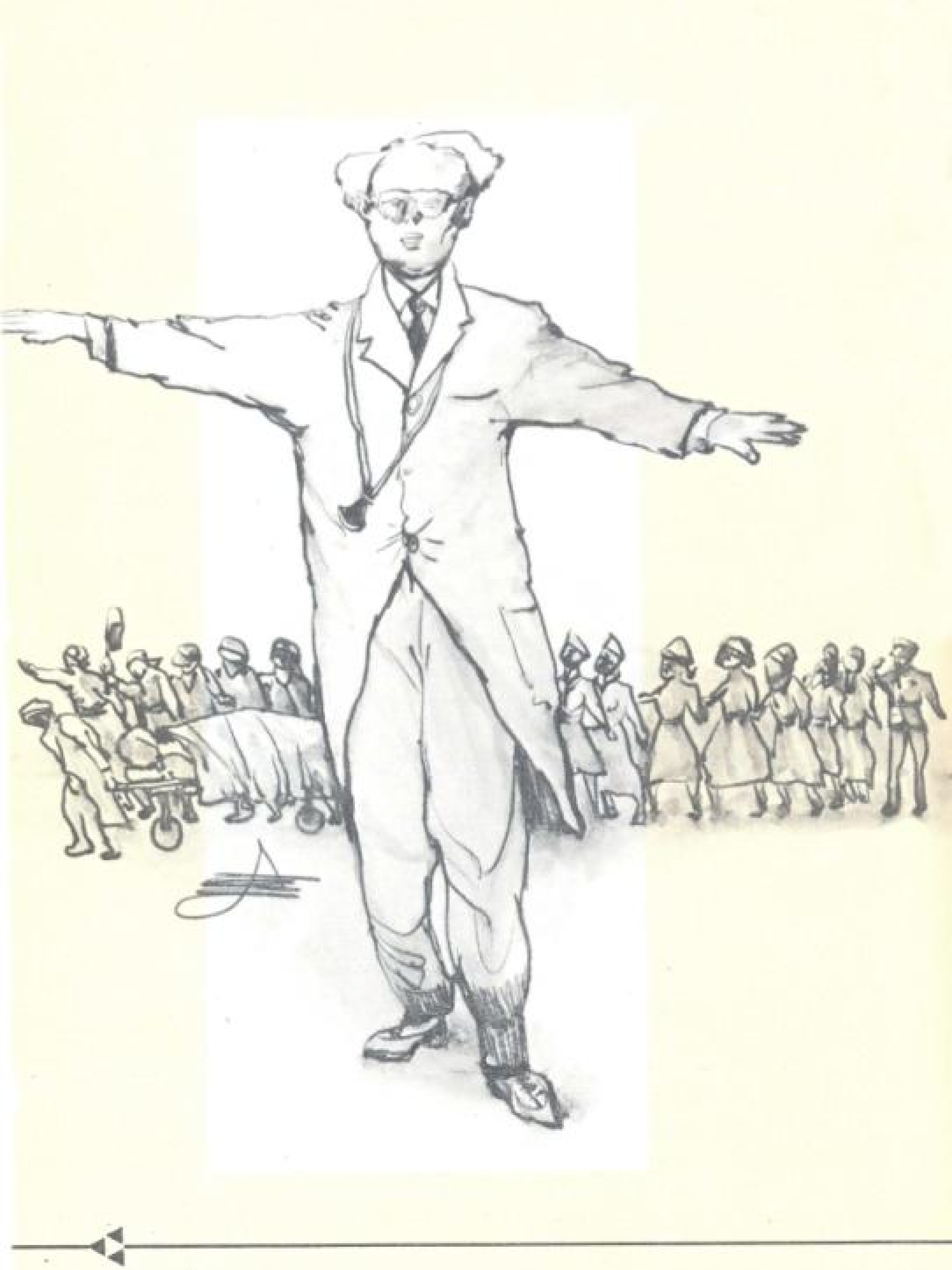
ماذا سنفعل اذن

سوف تفهمين ، فيما بعد ..

ورفع سماعة التيلفون . اتصل بأقسام المستشفى المختلفة . قال كلمات مبتورة ، واضحة ، آمرة . سحب سيجارة أخرى جديدة بينما الأولى في يده تشتعل . ذكر ذلك الدكتورة نوال برئاسته لجمعية مكافحة التدخين ثلاث سنين على التوالي . هبطت السماعة من يده محدثة صوتا مضطربا .

خطا حامد فرج خطوات ثابتة وهو يقول :

لاتتركي غرفة العمليات ..





وفي مستشفى الولادة المركزي أعلنت حالة الطوارىء القصوى . دبت حركة غير عادية في الأقسام . تحول المستشفى الى ثكنة عسكرية في حالة حرب . اندفعت الممرضات بأسرة من فوقها مفارش وأغذية ومرضى وتقاطعن في الممرات . وهن . . في لقائهن السريع يقلن لبعض كلمة واحدة فقط ثم يندفعن . وارتفعت أصوات جلبة تنادي ، وأصوات تردد النداء ، وايقاع كعوب وأحذية ، وزحفت المريضات عند الأبواب يستفسرن في دهشة :

ماذا حدث ؟

وكان من الصعوبة بمكان أن يجدن اجابة شافية فالوقت ليس وقت الكلام . والسيد حامد فرج يقف في قلب العاصفة ويشرف بنفسه على تحركات الجميع ومدى انصياعهم للأوامر وسط سفينة المستشفى الكبير الغارقة . ودفعته المفاجأة الجديدة الى حالة من الفوضى النفسية حين اكتشف أن الغرفة الخاصة المطلة على الحديقة الشرقية مشغولة منذ يومين ، فارتفع صوته وهو في نوبة غضب عارم يقول

يجب أن تنقل المريضة في الحال .

فقالت رئيسة الممرضات :

كل الغرف الخاصة مشغولة .

الى الجحيم . . . الى الجحيم . . . يجب أن تفرغ الغرفة في الحال . . .

الجراحة ما زالت طرية . .

خذوها الى القسم الجمعي .

حاضر . . . في الحال . . . في الحال . أهذا كل شيء ؟

فقال السيد حامد فرج وقد انفرجت ملامح وجهه :

انها البداية .

وانطلق في الممر الطويل متوجها كالشهاب الى غرفة العمليات يتبعه جمع من الممرضات والعمال والطبيبات . لقد تحول حامد فرج الى رجل في قمة نشاطه وحيويته التي هجرته سنين منذ أن أرهقته عمليات ثلاث في الأمعاء . ووصل الى غرفة العمليات في ثوان قليلة . واستقبلته طبيبة شابة قائلة :

كل شيء تمام .

ستساعدين الدكتورة نوال طول الوقت .

حسبت حساب ذلك . .

من بعد العملية تتابعين تطورات الحالة الصحية ساعة بساعة . .

اذن يجب أن أتخلص من دورة الجناح رقم ٤ . .

سأدبر الأمر . . بلغي كبيرة الممرضات « روز » أن تأتيني بأخبار الرضيع أولا بأول . .

حسنا . . . أي خدمة أخرى ؟

وخطا السيد حامد الى البوابة الرئيسية يتقدمه كرسي ذو عجلات تتبعه الدكتورة نوال ، وبعض المرضى ، والزوار . انتظم الجميع في صفين متقابلين يحملون الأدوية والملاءات والمباخر حين اقتربت من البوابة سيارة مرسيدس زرقاء . وخلال لحظات كان السيد حامد فرج يفتح باب السيارة بنفسه يتبعه الكرسي ذو العجلات . وانحدرت امرأة متوسطة العمر من فوق الكرسي . فطار . . . نعم . . طار الكرسي بين الأيدي والرؤوس والأقدام ، وكادت المرأة وهي في حالة « طلق » شديد أن تسقط . وكان السيد حامد فرج هو أيضا في حالة « طلق » حقيقية اذ أن زوجة سعود الذهب قد تسقط ويخرج المولود على الأرض أو فوق مقعد العجلة . . . وياللكارثة . . كان السيد حامد فرج أعجز من أن يتابع الموكب المتحرك السريع فأرسل نداءاته من بعيد :

حذار . . . حذار . . . على مهلكم بسرعة .

ولم يكن راشد عسكر سائق سيارة المرسيدس في حالة يحسد عليها ، فقد شمله الذهول أيضا واضطره الموكب للركض ممسكا نعليه بين يديه . تمتما وهو في حالة اضطراب أن الجماعة قد قرروا خطف زوجته لسبب ما خفي ومجهول .

توقف الموكب عند غرفة العمليات الكبيرة . ولم تكن الغرفة تسع كل هذا الحشد الهائل . وأشار السيد حامد فرج الى الممرضات فتوزعن في جماعات صغيرة . ها هنا التقي السيد راشد عسكر بالسيد حامد فرج فقرر أن يلقي بجميع أسئلته دفعة واحدة رغم اطمئنانه بعد أن توقف موكب زوجته في المكان المناسب والصحيح .

وسبقه صوت السيد حامد فرج يقول :

كل شيء سيكون على ما يرام .

فقال راشد عسكر :

وأنا واثق من ذلك .

فاضاف حامد فرج :

أرجو أن ينال ذلك استحسانكم ؟

فقال راشد عسكر :

نحن عاجزون عن الشكر .

وانفرجت أسارير السيد حامد فرج . وفي نشوة غامرة خفت أقدامه على الأرض واستأذن عدة مرات دون أن يشعر بأن باب غرفة العمليات يفتح وتندفع الى الأمام ممرضة تدفع سريرا طويلا وعلى وجهها بدت ابتسامة انتصار وزهو . قالت الممرضة موجهة الكلام الى السيد حامد فرج تزف اليه الخبر قبل الجميع :

ولد . .

فاستدار حامد فرج الى حيث يقف العسكر وقال :

مبروك . . مبروك . . ولد .

وارضاء للسيد حامد فرج زغردت ممرضة في الخامسة والأربعين وعمت ابتسامة واحدة كل الوجوه ، ثم توجه الموكب من جديد الى الغرفة الخاصة التي أعدت لزوجة سعود الذهب بعد أن تمت ابادة الصراصير والفئران والحشرات الضارة والبعوض وبصورة جماعية لم يشهدها المستشفى من قبل . كان الموكب الكبير قد سبق خطوات راشد عسكر المشية الذي وصل متأخرا بعض الشيء . كانت زوجته تبتسم محاطة بحاشية كبيرة من الأطباء والممرضات ورؤساء الأقسام والعمال . ومن حول السرير كانت الطبيبات والممرضات يحملن الملاءات ، ومقياس الضغط ، والتقارير . وحين توسط راشد عسكر الغرفة قال للجميع :

اني عاجز عن الشكر .

فقال حامد فرج :

نحن نعتذر عن التقصير .

وبعد تردد كبير سأل :

متى سيأتي سعادته :

وفي الحال تذكر راشد عسكر ذلك الوهم الذي صاحبه منذ أن تم ذلك الاستقبال الغريب . وها هي الكلمة تحط كالطير الغريب من أمامه دون مقدمة ، وقد كاد أن ينسى كل شيء . . ها هو الوهم يعود وقد سكن جسده وقلبه معا ، وها هو حلم اليقظة الذي روعه في أول الأمر ثم استراح في وديانه . ولم يسترسل في التفكير اذ بادره السيد حامد فرج قائلا :

ان كان سعادته يضيق بالزوار سنقوم باجراء الترتيبات اللازمة .

وتطلع راشد عسكر الى السيد حامد فرج في دهشة بينما كان يواصل :

بالمناسبة ماذا ستسمون سعادة المولود الجديد ؟

وتبادل راشد عسكر النظر الى زوجته . وحين كان السيد حامد فرج يهم بوضع استفسارات جديدة وأسئلة جديدة استوقفه صوت جاء من آخر القاعة ، صوت توقف يلهث ، ويلهث ، فاتحا فمه ولسانه متعثرا في الحديث قبل أن يلفظ ثلاث كلمات مع آخر أنفاسه :

زوجة سعود الذهب وصلت .

فركض . . . ركض السيد حامد فرج رغم شعوره بالارهاق الشديد . وبدأ الركض في المستشفى من جديد ، وفي كل الاتجاهات ، ومن كل الاتجاهات ، في الممرات ، والغرف ، والساحات ، والشارع المقابل للبوابة الرئيسية ، وغرف العمليات ، والحمامات وغرفة العمليات ، وعنابر المرضى ، الوحيد الذي ظل واقفا في المستشفى هو راشد عسكر سائق مدير شركة الاستثمار الذي أسعفته وظيفته كسائق لأول مرة في حياته . وفي أصعب لحظات العمر فقال منتشيا يخاطب زوجته :

المرسيدس بطل .

ثم تعانقا في الخلوة ، اذ أن المستشفى كله كان قد انتقل عند البوابة الرئيسية قبل أن يأتيها أمر باخلاء الغرفة. ○

■ من كان ضميره مطمئنا ، نام والرعود تقصف .

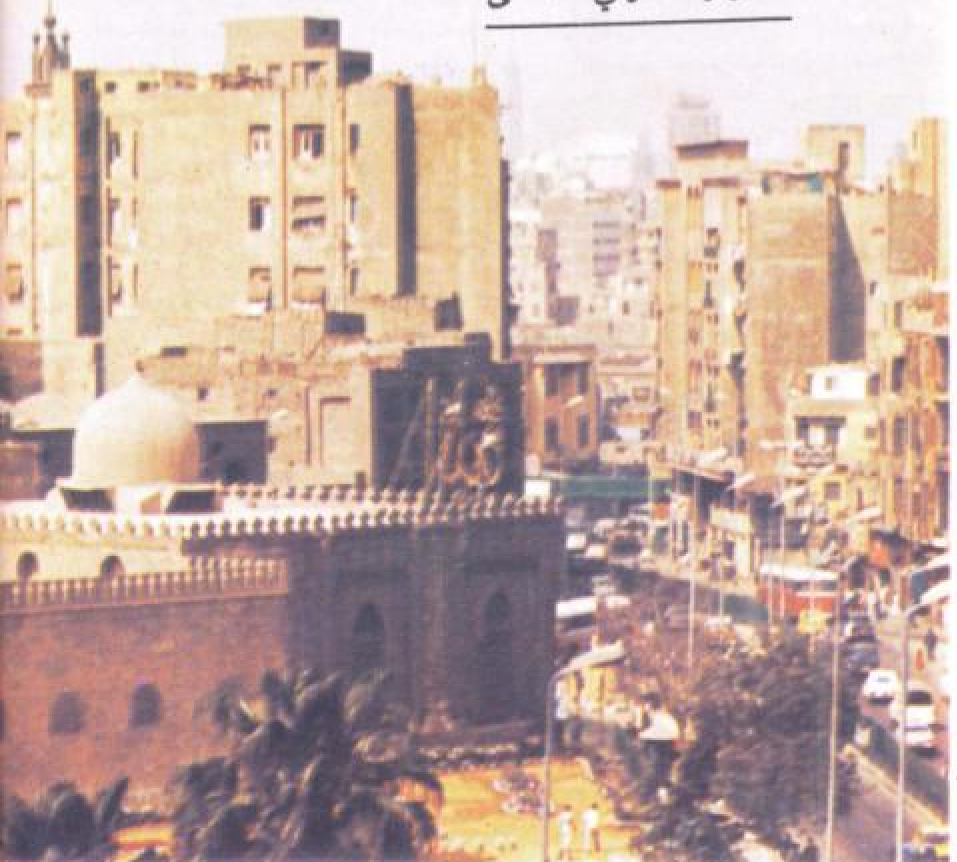
■ من لا يستطيع أن يفكر فهو مجنون ، ومن لا يريد أن يفكر فهو عنيد متعنت ، ومن لا يجرؤ على التفكير فهو عبد .

في عيده الألفي

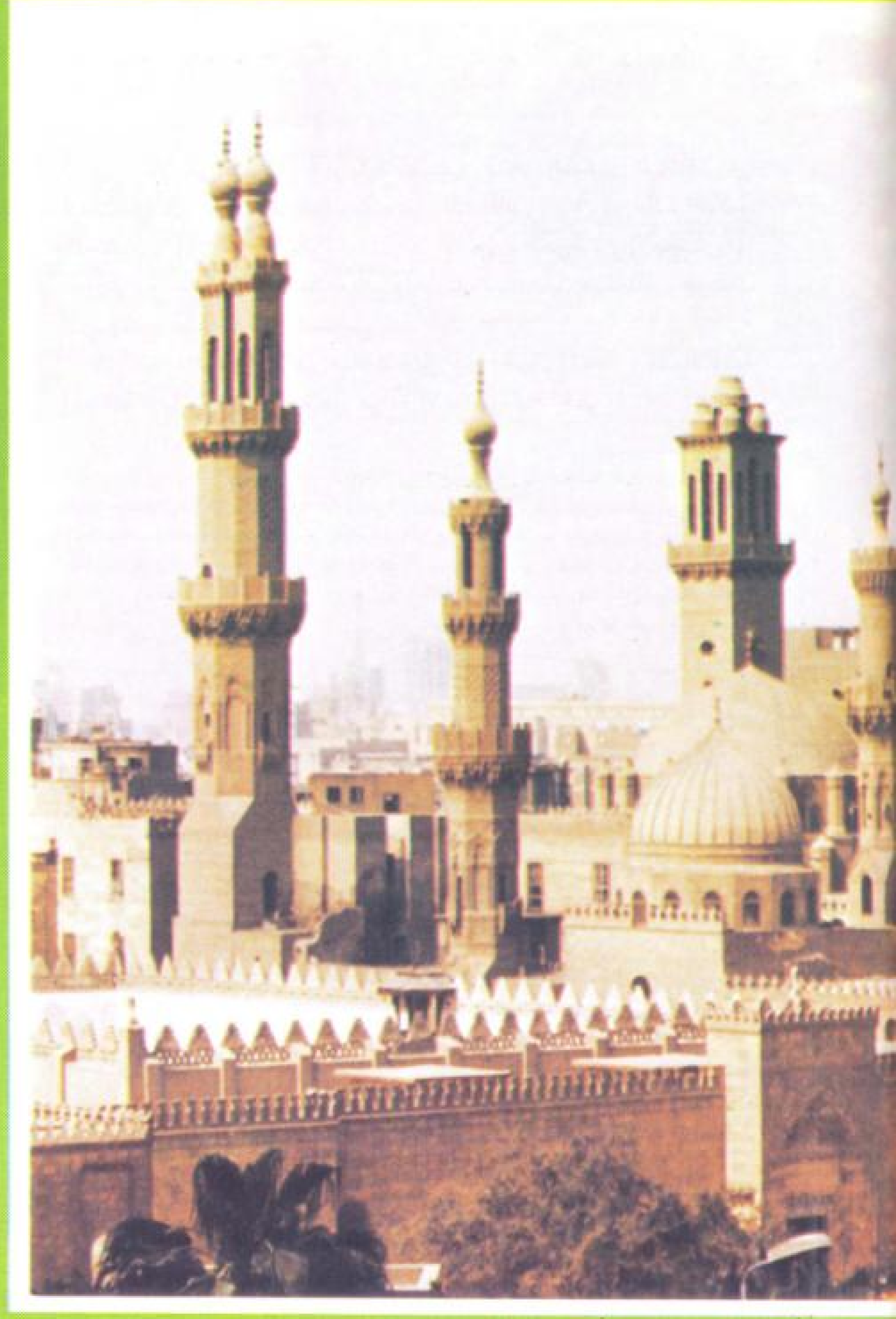
الأزهر
العمارة والمنارة

استطلاع : فهمي هويدي

تصوير : شوقي مصطفى



الأزهر كما يبدو في النصف الثاني من القرن العشرين ، لم تعد مآذنه وحدها تملأ الأفق ، وإنما أصبح محاصرا بعديد من



البنايات التي أفقدته تفرده الذي تميز به منذ أنشئ.

كما ان للازهر العمارة بابا مزدوجا يصب في صحنه العتيد ، كذلك الازهر الرسالة والمنارة . اما ان تدلف اليه من باب الماضي ، او من باب الحاضر والمستقبل ، وفي عيده الالفي كانت كل الابواب مفتوحة على مصاريعها للداخلين والخائضين ، باستثناء باب واحد بدا مستعصيا ومستغلقا ، هو ذلك الذي ينفتح على الحاضر والمستقبل .

ففي حين ظلت كل الأعين شاخصة الى آفاق الجمال والمجد ، فان الاغلبية الساحقة فاتها أن تلقي نظرة على مواقع الاقدام واتجاه الخطى !

وقد يخطىء القادم الى القاهرة في أي شيء ، الا الازهر ! فحتى الاهرامات متعددة ، فضلا عن ان الهرم الضاحية أو الحى ، يكاد يطغى ويبتلع الهرم الأثر والخبر . بل ربما تجد من بسطاء الناس وعامتهم من لم يسمع باسم « ابو الهول » فضلا عن رؤيته .

أما الازهر فلا . لن تجد عربيا في مصر أو خارجها ، ولن تجد مسلما في أي بقعة من بقاع الارض ، الا وللازهر موقع في ذاكرته او في أعماقه . بل لن تجد غربيا أو شرقيا من أي ملة وجنس يطأ القاهرة بقدميه الا واتجهت عيناه الى الازهر .

ورغم ان الأزهر العمارة بات محاصرا ببنايات ارتفعت حتى كادت تغلق الأفق امام مآذنه . ورغم ان الازهر المنارة لم يعد له نفس قوة الاشعاع والتوهج التي كان عليها في عصور خلت . ورغم أن الأزهر الحي بات مأوى للبسطاء والتجار والحرفيين والدراويش ، واختفت منه تلك القصور « الزاهرة » التي احاطت به في العصر الفاطمي ، بل ورغم ان أشهر حي تباع فيه المخدرات بمصر يلتصق بحرم الازهر (وتلك سبة تقررت ازالتها اثناء الاحتفال بعيده الالفي) ، أقول رغم هذا كله ، فان الازهر لا يزال هو الازهر بكل ما تحمل به الكلمة من وزن تاريخي . عمارته ذروة في الابداع والجمال تتحدى بصمات الزمن وآثار الاهمال (في العيد الالفي تبين ان تجديده يحتاج الى ٣٠ مليون جنيه مصري ، ولم تستطع الحكومة المصرية ان تعتمد له اكثر من مليون فقط بسبب اعباء ميزانيتها) والمنارة فيه نستطيع ان نقول بحقها أي شيء ، الا انها انطفأت !

ينوء حي الازهر بحالة التكدس التي تطبق عليه ، أما شارعه فيكاد يختنق تحت وطأة الزحام البشري . وقوافل السيارات من فرط استمرار تدفقها يخيل للمرء أنها مثبته في الارض طوال الاربع والعشرين ساعة . أما في المناسبات الدينية « شهر رمضان أو مولد الامام الحسين ، وغير ذلك » فان الطوارىء تعلن في الحي كله ، فهو لا يعرف النوم ابتداء ، ثم يبلغ فيه الزحام مبلغ يوم الحشر ، الامر الذي يضطر السلطات الى اغلاقه ومنع دخول السيارات اليه .

في البدء كان في قلب القاهرة المعزيه ، ثالث عواصم مصر بعد الفسطاط التي بناها عمرو بن العاص ، (٢١ هـ ـ ٦٤١ م) ومدينة العسكر التي انشأها العباسيون بعد انتزاع الحكم من الامويين (١٣٣ هـ ـ ٧٥٠ م) والقطائع التي اقامها احمد بن طولون (٢٥٦ هـ ـ ٨٧٠ م) .. لكنه في عامه الالفي يقف ـ جغرافيا وبالكاد ـ في قلب ذلك الحي الشعبي الذي يقع في طرف المدينة القديمة ، الى جواره جامعة الازهر وامامه مقر مشيخة الازهر ومسجد الامام الحسين ، في حين يحيط بالجميع ذلك العالم الذي لا ينتمي الى القاهرة الحديثة ويعيش في رحاب القاهرة المعزية . مآذنه الخمس ترشدك اليه من أي مكان بالمنطقة ، وبالاخص تلك المأذنة ذات الرأسين التي اقامها السلطان قانصوه الغوري ، وقد تفرد بها في زمانه (القرن العاشر الهجري ـ السادس عشر الميلادي) ثم صارت بدعه معماريه انتشرت في القاهرة بعد ذلك .

امام باب المزينين

وسواء قصدت العمارة او المنارة في الازهر فثمة عبور واجب ، تجتاز بمقتضاه ذلك الباب المزدوج الذي بناه الامير المملوكي عبد الرحمن كتخدا في منتصف القرن الثاني عشر الهجري ـ الثامن عشر الميلادي ولا يزال يعرف الى

الآن باسم باب المزينين » (من الزينه) . . يبهرك الباب لأول وهلة بجماله وهيبته . بالالخشوات الملونه التسع التي تطل من فوق عقديه ، وقد اكتسى بعضها بالأحجار والبعض الآخر بالرخام . فيا كان قوام زخرفتها بلاطات من القاشاني رسمت عليها شجرة السرو ، رمز الحياة الخالدة عند الاتراك ، وقد احاطت بها وتخللتها بعض الرسوم البالغة الدقة . فوق الخشوات صفت خراطيس باحجام متساوية ، ملئت فراغاتها بابيات من الشعر كتبت بحروف مذهبة ، فيا كتبت تحتها بعض آيات القرآن الكريم . تقع العين مع ابيات الشعر على اسم كاتبها « علي البغدادي بينما تقول كلماتها » :

ان للعلم ازهرا يتسامى
كسماء ما طاولتها سماء
حيث وافاه ذا البناء ولولا
منة الله ما تسامى البناء
رب ان الهدى هداك وآيا
تك نور تهدى بها من تشاء
من تشاها أرخت باب علوم
وفخار به يجاب الدعاء

وفي حاشية أخرى كتب : الصلاة عماد الدين ، عجلوا بالصلاة قبل الفوت .

كتب الخطط (المقريزي والتوفيقية) تقول انه بعد دخول باب المزينين ، توجد الى اليمين « المدرسة الطيبرسية » وهي احدى المدارس التي الحقت بالازهر ، انشأها نقيب الجيوش الامير علاء الدين طيبرس (عام ٧٠٩ هـ) وجعلها بيتا لله زيادة على الازهر ، وقرر بها درسا للشافعية . وأنشأ بجوارها ميضأة وحوض ماء سبيل ترده الدواب . وتأنق في رخامها وتذهيب سقوفها بابدع الزخارف الاسلامية . واقام بها خزانه للكتب ، ومحرابا من الرخام الدقيق الصنع ، المزخرف باشكال محاريب صغيرة محموله على عمد رخامية .

تشير كتب الخطط ايضا الى انه الى اليسار ثمة مدرسة اخرى (الاقبغاوية) أنشأها بعد ذلك الامير عبد الواحد اقبغا ، استادار الملك الناصر (رئيس ديوانه) ، وخصصها لدروس الشافعية والحنفية ومأوى للصوفية . وبها من الداخل محرابات استخدمت فيها الفسيفساء المذهبة والمطعمة بالأصداف التي تأخذ شكل الثمار الخارجه من آنيه الزهور . مما اعطى محاريب المدرسة شكلا جميلا مميزا ، حيث احاطت بها تلك الاطر الخشبية المحفورة بالكتابات الرائعة . وجعل الامير اقبغا للمدرسة منارة ، ما زالت باقية . وهي احدى منارات الأزهر الخمس .

وما تقوله كتب الخطط حق ، وان كان الواقع يقول بغير ذلك لاول وهلة .

ذلك انك ما ان تجتاز الآن باب المزينين ، حتى تفاجأ الى اليمين ببناية متواضعة من طابقين ، تشي عمارتها بانها عضو مزروع ودخيل على جسم الازهر . قيل لي انه شيد حديثا ـ ربما في عهد الملكية ـ لاستقبال الشخصيات الهامة الزائرة (الملوك والوفود والرؤساء) ، وفي زمنه الغابر ، كان هؤلاء يكرمون بالجلوس في داخل بيت الصلاة . وفي « الخطط التوفيقية » انه منذ قرن ونصف قرن فقط ، كان حاكم مصر الخديو عباس ، يذهب الى الأزهر لزيارة شيخه ابراهيم الباجوري اثناء الدرس « فلا يقوم له بل يوضع له كرسي من جريد يجلس عليه خارج الدرس هنيهة ثم يخرج) ! لكن شيئا ما تغير ، ليس في الخطط فقط ، وانما في موازين العلاقة بين الازهر والسلطة ، كان من نتائجه انشاء هذا المبنى وتخصيصه لكبار الزوار . ورغم ان هذا الخلل في الموازين لا يزال قائما ، الا ان المبنى اصبح يؤدي وظيفة اخرى ، بعدما اصبح مقر شيخ الازهر في المبنى المقابل والجامعة الازهر مبنى ثالث .

الآن تشغل الطابق العلوي للمبنى « ادارة القسم العام للأزهر » التي تتولى رعاية الذين فاتهم قطار الدراسة ثم تعلقوا به على كبر . فيما تحتل طابقه الارضي لجنة الفتوى بالازهر . التي تجتمع يوميا في قاعة داخلية لتجيب على تساؤلات الناس فيما يستشكل عليهم من أمور دينهم .

في التاسعه من صباح كل يوم يتوافد على القاعة خمسة من الفقهاء ، أربعة منهم متخصصون في فقه مذاهب السنه الاربعة ، اما خامسهم فهو رئيس اللجنة فضيلة الشيخ عبد الله المشد ، العميد السابق لكلية الشريعة ، وهو متخصص في الفقه المقارن . الأربعة يفتى كل منهم على اصول مذهبه ، في حين يتولى الشيخ المشد الرد على اسئلة المنتمين الى بقية المذاهب الاخرى . ورغم أن الافتاء هو المهمة الاساسية للجنة ، الا انه يجيء اليها ايضا الراغبون في اشهار اسلامهم من غربيين وآسيويين وافارقه .

اكثر ما يستفتون فيه امور المواريث والزواج والطلاق . وبوسع اى مسلم ان يدخل عليهم في أي وقت ، يطرح قضيته ويجاب على استفساره دون اجراءات او رسوم . فالفتوى تصدر بالمجان . غاية ما هناك ان صاحب الفتوى يجب ان ينتظر حتى يملى الفقيه المختص رأيه على احد الكتبه ، حيث تدفع بعد ذلك الى الطباعة ليتسلم الرجل أو المرأة الفتوى مكتوبة بوضوح وموقعه ، منعا للبس أو اساءة التفسير أو الادعاء .



عادت حلقات الدرس الى بيت الصلاة ، لكل شيخ عمود يستند اليه ،
وحوله يتجمع طلاب معهد الدراسات الاسلامية .

ما زالت الأروقة كما هي على جانبي
صحن الأزهر ، مغلقة على ثروة من التاريخ لا حدود لها .

محنة المكتبة

بعد لحظات قليلة يكتشف المرء أن المدرسة الاقبغاوية على اليسار حقا وان المدرسة الطيبرسية محجوبة الى يمين بناية لجنة الفتوى ، وان المدرستين صارتا مسرحا لمحنة مكتبة الازهر . والتعبير فيه قدر من التجاوز ، لان مكتبة الازهر حلم سعى لتحقيقه الامام محمد عبده منذ اوائل القرن ، وتبناه الشيخ محمد مصطفى المراغي في سنة ١٩٢٨ ، ولكنه لم يدخل حيز التنفيذ الى الآن ! الادق ان تقول انها مخازن للكتب وليست مكتبة ، وهي مخازن ستة تحتل المدرستان الاقبغاوية والطيبرسية مقدمتها . في حين ان المخازن الاربعة الاخرى موزعة على أروقة المغاربه والعباسي والاتراك والشوام .

في المدرسة الاقبغاوية مقر ادارة « المكتبة » وفي قبتها يجلس مديرها محمد عميره ، الذي يلخص المشكلة في عبارات قليلة . فنحن بازاء ثاني اهم مكتبة في مصر ـ بعد دار الكتب العمومية ـ وفي المدرستين والاروقه حوالي ١٠٠ الف كتاب تقع في حوالي ٢٠٠ الف مجلد ، و ٣٤ الف مخطوط ، وتلك الكنوز الغالية والنفيسه موزعة على مختلف علوم الشرع واللغة والتاريخ والادب . لكنها ايضا مشتته بين المخازن السته التي اقل ما يمكن ان يقال في حقها انها ليست مهيأة أساسا لهذه المهمه ، الامر الذي تستطيع ان تتصور في ظله مصير ثروة الكتب والمخطوطات ، ومنها ما يرجع تاريخه الى القرن الثالث الهجري .

ومع ذلك ، يضيف الاستاذ عميره ، فان هذا الوضع المؤسف ، قد يكون أقل سوءا من فصول سبقت في محنة المكتبة ، التي يمتد عمرها الى العصر الفاطمي ، اى مرحلة ميلاد الازهر ذاته . اذ يذكر ابن ميسر في اخبار سنة ٥١٧ هـ انه قد استند الى داعي الدعاة (الفاطمي) ابو الفخر صالح منصب الخطابه بالجامع الازهر مع خزانه الكتب » . وداعي الدعاة عند الفاطميين ليس منصبا هينا ، ولكنه رئيس الدعاة في الدولة ، الذي يأتي في الترتيب بعد قاضي القضاه مباشرة . وقد كان من تقاليد الأروقة ان يخصص لكل رواق مكتبة تخدم طلابه وعلماءه . واذا علمنا ان عدد هذه الأروقة منذ ٧٠٠ سنة كان حوالي ٣٠ رواقا كما يذكر المقريزي ، فقد نتصور مدى توزع الكتب ، ومدى الفرصة التي توفرت لنهب الكتب وتسريبها الى الخارج ، بعد ما تخصص كثيرون في هذه العملية خاصة في ظل الهجمة الاستعمارية طوال القرن التاسع عشر . وليس أدل على فداحة هذا النهب من أن ديوان الاوقاف قرر في عام ١٢٧٠ هـ (١٨٥٣م) جرد مكتبات المساجد والتكايا واروقة الازهر وحاراته وقيدت هذه الكتب في سجلين ، احدهما للازهر ، والآخر لبقية المساجد والتكايا وبلغ عدد كتب الازهر والاروقه في ذلك الحين حوالي ١٩ الف مجلد . « واذا رجعنا الآن الى هذا السجل التاريخي ، فلن تجد من أثمن الكتب وأنفسها الا اسماءها » . هكذا يقول الاستاذ عميرة ، ثم يضيف ان هذين السجلين كانا في الواقع ، مرشدين لايدي الاغتيال التي عمدت الى أنفس ما في المكتبات من المؤلفات القيمة فانتهبتها انتهابا ، وهو يقول ايضا ان السجلين ذاتهما ، كانا قد تسربا ايضا الى أيد أجنبية خارج الازهر ، ولم يعودا اليه الا بالشراء سنة ١٩١١م . بعد دفع ثمنهما ، وأعيد قيدهما بالمكتبة !

بعد الكلام « الرسمي » المخصص للنشر ، واثناء طوافي بين مكتبات أبرز العلماء والفقهاء المهداه الى الازهر والمكدسة في المدرسة الطيبرسية ، جاءني اكثر من واحد قائلا : تريد الصراحة ؟ .. ان هذه الكتب والمخطوطات تتعرض الآن لاغتيال أخطر وأفدح . فإذا كان جزء من تلك الكنوز قد سرق ونهب وتسرب الى الغرب والشرق ، فعلى الاقل ، كان هناك من استفاد منه تحقيقا ونقلا أو حتى قراءة ومعرفة . لكن ما بالك اذا كان الجزء المتبقي من الكتب والمخطوطات مهدد أكثره بالاندثار دون ان يستفيد منه بشر ، بسبب القوارض والحشرات القارضة ورطوبة الارض ؟ !

وعندما هممت بالخروج من مدرسة نقيب الجيوش علاء الدين طيبرس استوقفني في محرابه الرخامي الجميل والمزخرف ، انه تحول الى ركن لصنع الشاي والقهوة ، تناثرت فيه الأوعية حول مشعل صغير ، وسبقت خطواتي الى الخارج قطتان سمينتان من سكان المدرسة وروادها » !!

وطوال جولتي بالجامع العتيق والعتيد كان السؤال ملحا : لماذا لا تتضافر جهود المسلمين اصحاب كل الحق في الازهر ، لكى ينقذوا مكتبته من مصيرها المحزن ؟

الى الصحن العتيق

ثمة ردهه بين المدرستين ، او بالدقة بين بناية لجنة الفتوى والمدرسة الاقبغاوية ، تؤدى الى مدخل الجامع الفاطمي . وقد اختفى الباب الاصل للجامع بعدما هدم في عصر السلطان الاشرف قايتباى ، الذي [illegible] عمارة الازهر عناية خاصة من جانبه . اذ تذكر المراجع التاريخية

انه زار الجامع في سنة ٨٨١ هـ (١٤٧٦ م) ، وامر بازالة الخلوات التي كانت بسطح الأزهر ، بناء على فتوى صدرت بذلك ، وامر بتجديد مدخل الجامع ، ليكون اكثر تعبيرا عن جلال المكان وعظمته . وبمقتضى ذلك اقيم باب جديد يبهر العين وانشئت فوقه منارة رشيقة اكتست بثروة زخرفية نادرة .

والباب ليس ضخما وشامخا في حجمه فقط ، وانما سمحت الأيدي الماهرة التي صنعته لان تجسد فيه هيبة الدخول الى بيت متميز من بيوت الله . فقد حولت زخارفه المنقوشة على الحجر الى تحفة فنية رائعة . اذ نحتت تلك الزخارف باسلوب الحفر البارز متمثلة تكوينات « الارابيسك » ذات الاشكال النباتية المحورة عن الطبيعة بصورة افرغتها من ملامحها الاصلية ، وحولتها الى قيمة فنية جديدة من خلال العلاقات الهندسية المتشابكة . وهو ما يسود العقود الثلاثة التي تعلو فتحة المدخل ، حيث اضاف الفنان المسلم بعض الطاقات الصغيرة المليئة بالزخارف ذاتها . واسقط من تلك الطاقات « دلايات » حجرية في خطوط رأسية وصلت بين كل اثنتين منها ، جاءت موشاة بزخرفة غاية في الدقة والابداع ، تسمى « المبرقعات » . وهي اشبه بالبراقع ، من حيث انها تخفي ولا تخفي . ولم ينس الفنان الماهر ان يحيط كل تلك الموسيقى الزخرفية بالاشرطة الكتابية ذات الخط الثلثي المملوكي الجميل ، ليضيف عليها مزيدا من سمات الروعة والجلال .

يؤدي بنك باب الاشرف قايتباي الى صحن الازهر مباشرة .

حقا انها خطوات لا تتجاوز اصابع اليدين ، تلك التي تنقلك عبر الباب إلى قلب صحن الجامع الفاطمي ، كما بني منذ الف عام . ولكنها بحساب الحقيقة التاريخية شيء مختلف تماما .

الساحه يملؤها الضوء الساطع ، المنعكس على الحوائط البيضاء التي احاطت بالمكان من كل جانب. في حين قامت الحوائط على اعمدة فاطمية رخامية ، وانتهت من اعلى بشرفات مسننه بها زخارف نباتية مخرمة . . في حين توزعت على الاركان اربع مباخر مرتفعه وتناثرت الحنايا الزخرفية بين العقود ، وقد أحيطت بأفاريز من الكتابات الكوفية المورقة لبعض آيات القرآن الكريم . على جانب الصحن تصطف بعض الاروقة ، التي كانت مقار دائمة (اجنحة) لابناء المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، تجرى عليها الأوقاف والمخصصات « والمحبوسات » رعاية لاهل العلم وقربة الى الله سبحانه وتعالى . ويذكر المقريزي « انه لم يزل هذا الجامع منذ بني ، عدة من الفقراء يلازمون الاقامة فيه . وبلغت عدتهم في هذه الايام (اوائل القرن التاسع الهجري أو الخامس عشر الميلادي) سبعمائة رجل . ما بين عجم وزيالعة (افارقة) ومن أهل ريف مصر ومغاربه ، ولكل طائفة منهم رواق يعرف بهم » .

مسلمون ومجاورون

ولأنهم كانوا الى جوار الجامع الأزهر وفي صحنه ، فقد سموا مجاورين ، ويذكر علي باشا مبارك في خططه (بداية القرن الرابع عشر الهجرى ، اى منذ مائة عام) انه كان بالأزهر ١٠,٧٨٠ مجاورا ، منهم ٣٦٥١ شافعيا و ٣٨٢٦ مالكيا و ١٢٧٨ حنفيا و ٢٥ حنبليا .

في القرن التاسع عشر كان عددها ٢٥ رواقا . ولا يزال الرقم كما هو الى الآن . ولكل رواق شيخه . والأروقة جميعها كانت مخصصة اما لأبناء منطقة جغرافية في مصر او خارجها (وهي القاعدة) او لاتباع مذهب بذاته ، وهذا استثناء يكاد يكون محصورا فقط في رواقي الاحناف والحنابلة . ورواق ابن معمر ، المخصص للشافعية .

وقد كانت الأروقة المصرية تمثل النسبة الاقل (الخمس) من اروقة الازهر ، واهمها واكبرها رواق الصعايدة ، يليه رواق الشرقاوية ثم البحيرة والفيومية . اما اروقة غير المصريين فهي الاكثر عددا وفي مقدمتها رواق المغاربة ، ولا يستحق من اوقافه الا من كان مالكي المذهب . ثم رواق الشوام المخصص لطلاب سوريا وفلسطين والأردن ولبنان . ورواق الاتراك ، الذي يلحق به طلاب تركيا واليونان والبانيا ويوجوسلافيا وتركستان .

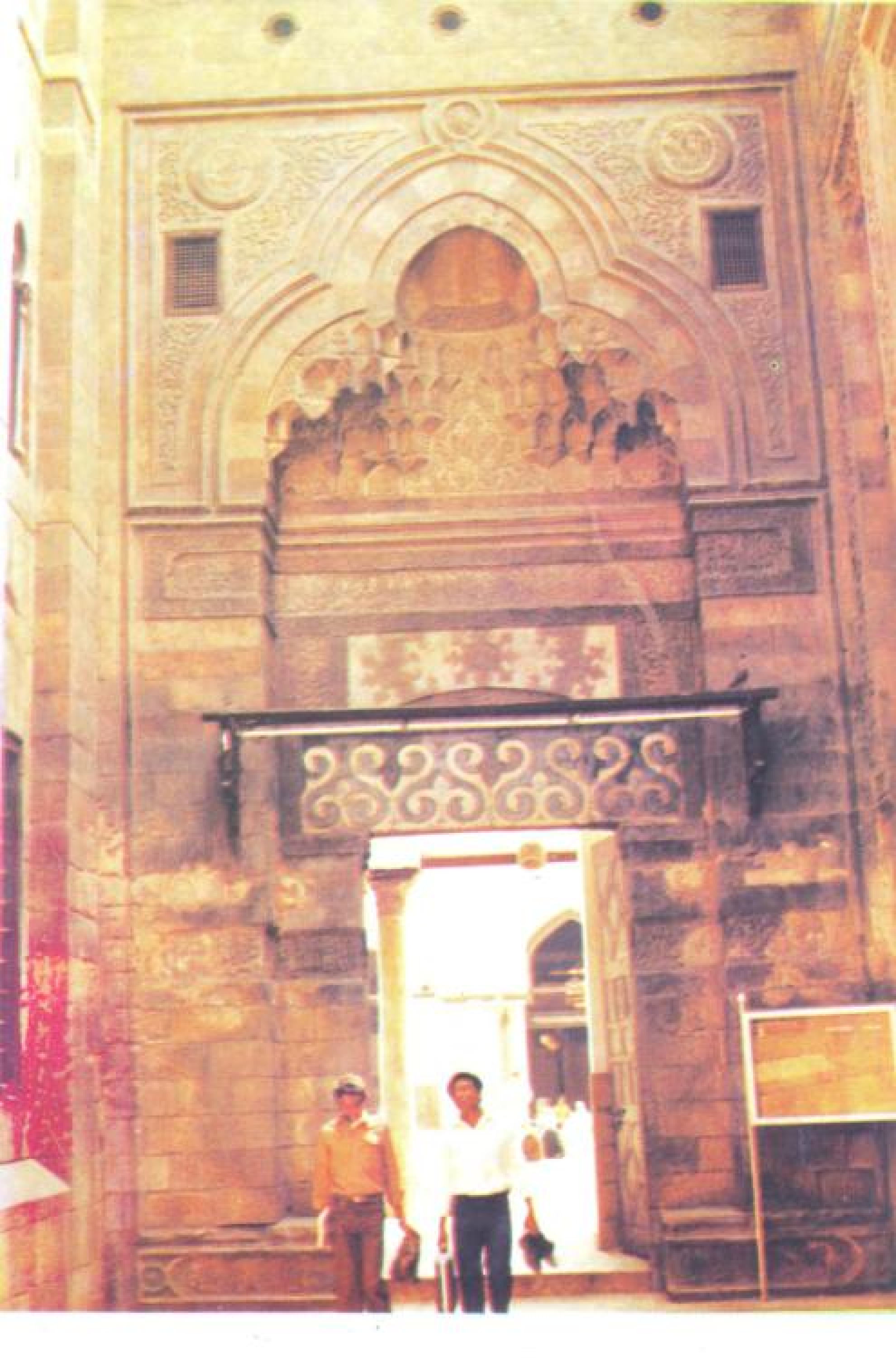
ولافريقيا عديد من الاروقة : السنارية (لمناطق السودان) والجبرت (لابناء الحبشة واريتريا والصومال) . والبرنو أو البرناوية (لغرب افريقيا) . رواق صليح أو دكارنه صليح (تشاد واواسط افريقيا) . رواق البرابرة (للبربر) . رواق جنوب افريقيا (لابناء اوغندة وزنجبار وكينيا وجنوب افريقيا) . . وهكذا

وغير اروقة البلاد العربية (اليمنية - الحرمين - البغدادية) . هناك اروقة مسلمى أسيا (الهنود - جاوة (اندونيسيا) - الافغان - الصين) .

وقد ظل عالم الاروقة مليئا بالعلاقات المتشابكة . الايجابي منها والسلبي . اذ كان المجاورون اطرافا فيما شهده الازهر من ظروف مد وجزر . لكنهم بقوا مجتمعا



المدخل الأول للأزهر ، باب « المزينين » المزدوج الذي
أنشأه الأمير عبد الرحمن كتخدا



المدخل الثاني الذي لابد من اجتيازه قبل
الوصول الى الصحن ، وقد أنشأه السلطان الأشرف قايتباي .

التقى افراده على الاسلام عقيدة ، وعلى المعرفة هدفا . الامر الذى وثق من روابطهم ، وهو ما عبر عنه مرسوم المؤاخاة الذى صدر فى عهد السلطان « برقوق » . وهو ينص على ان من مات من مجاورى الازهر عن غير وارث شرعى وترك شيئا ، فانه يؤول الى المجاورين فى الجامع . ونقش هذا المرسوم على حجر لا يزال باقيا فى مدخل المكتبة الى الآن .

وبعد انشاء مدينة البعوث الاسلامية فى الستينات ، ألحق بها اكثر الطلاب الافارقة والآسيويين ، مما قلص اعداد المجاورين المقيمين فى الاروقة ، وان كان بعض الافارقة (١٢٠ شخصا) لا يزالون يقيمون الى الآن برواق السنارية ، وزحفت اعداد منهم على رواق الاتراك . ويتعيشون ـ ولا يزالون ـ على اوقاف المسلمين ، حيث يتقاضى كل منهم معاشا شهريا قدره ٢٠ جنيها مصريا ، فضلا عن الاقامة المجانية بطبيعة الحال .

على ان بقية الاروقة ليست خالية من اى نشاط علمى وانما يستغل بعضها كقاعات لاستذكار الطلاب ، فى حين حول رواق المغاربة الى مدرسة ابتدائية لتحفيظ القرآن .

وفى قلب الصحن ، وعلى الافريز الممتد بطول اضلاعه ، لا تتوقف حلقات الدرس والعباده ، ويتناثر الطلاب فى الاركان وقد انكبوا على كتبهم حفظا وتحصيلا . وان كان الشيخ محمد الهمدانى ابن شيخ مقرأة الجامع يفضل ان يعقد حلقته اليومية بالصحن إلى جوار جدار رواق السنارية . ورغم ان عمره الآن ٨٣ عاما ، الا أنه يواظب على جلسته تلك منذ ترك التدريس فى معهد القراءات عام ١٩٦٧ . اى انه طوال الخمسة عشر عاما الماضية وهو يواظب كل يوم على الجلوس فى الركن الايمن لصحن الازهر . يأتى فى التاسعة صباحا وقد تأبط حقيبة سوداء صغيرة بها بعض كتب القراءات ، ليجلس على حاشية من القطن موضوعة فوق قطعة من الصوف الشعر ، هى فى الاصل جلد خروف . واليه يفد الطلاب ، مصريون وغير مصريين يقبلون يده ويجلسون للقراءة فى خشوع . وبتجربته العريضة ، وبحاسة نمت عنده ، اصبح قادرا على ان يسمع قراءة ثلاثة او اربعة فى وقت واحد ، ويلتقط اخطاء كل منهم على حده ، ويستوقف القارىء ليصحح عليه ، فيما اثناء تتابع الآخرين ، وهكذا . ولا يغير الشيخ الهمدانى جلسته الا مره واحدة فى الاسبوع ، كل ثلاثاء ، حيث يستقر عند المحراب الاصلى للجامع ، ويحيط به تلاميذه فيما يشبه الامتحان الاسبوعى ، حيث يقرأ كل واحد منهم ، ربما ، بقراءة مختلفة عن الآخر .

وفى الخامسة مساء يغادر الشيخ الهمدانى صحن الجامع ، وسط تلاميذه الذين يحيطون به حتى الباب ، ويقبلون يده المعروقة لحظة الفراق .. ويذهب الرجل الى بيته قرير العين .

الابداع فى بيت الصلاة

يحجب صحن الجامع عن بيت الصلاة سياج خشبى من الخرط العربي الدقيق ، له اهمية خاصة ، من الناحية البصرية ، حيث يحدث من الخارج تناقضا لونيا بين الحوائط البيضاء ولونه الخشبى البنى . اما من الداخل فان السياج يترك الضوء ينساب من بين فتحات مشربيته فى هدوء ووقار ، حتى يصل الى بيت الصلاة . وفى الوقت ذاته فانه يحجب الرؤية من الخارج الى الداخل . فيما يشكل تنغيما دقيقا بين زخارفه وزخارف الجدران .

يتكون بيت الصلاة من جزأين ، الاول المسجد الفاطمى الاساسى ، وهو عبارة عن خمسة اروقة تحملها ٧٦ عمودا من المرمر الابيض ذات تيجان مختلفة . ويشطره من الوسط مجاز يتجه الى القبلة مباشرة حيث يوجد المحراب الاصلي (الفاطمى) . وقد ارتفعت عقود هذا المجاز وسقفه عن مستوى ارتفاع سطح الجامع ، وما زالت عقوده هى الباقية الى الآن ، بزخارفها التى تبلغ قمة الروعة والاعجاز من الناحية الجمالية والفنية . اما الحائط المواجه للقبلة ، فما زال محتفظا بزخارفه المحفورة والبارزة فى ثلاثة مستويات للحفر . وهى بهذا الشكل ، تعد اضافة جديدة الى تاريخ الزخرفة الاسلامية . الامر الذى حول سطح الحائط الى معزوفة سيمفونية رائعة الاداء ومحملة بشحنه ضخمة من الثراء الفنى .

ولم يكتف الفنان المسلم بذلك ، بل اضاف اليها طاقات صماء بعقود نصف دائرية ليحدث ترديدا للنوافذ الموجودة على الجانبين . وهذه الاضافة تربط بين العناصر الزخرفية والمعمارية . وفى الوقت ذاته ، تهدىء من ايقاعات الزخارف المتلاحقة . وبذلك استطاع الفنان بنجاح كبير أن يستغل عنصرى الحركة الزخرفية والسكون المعمارى الرصين . كما ان هذه الطاقات تعتبر كل واحدة منها لوحة قائمة بذاتها ، لما تحويه كل منها من تكوين فنى ذى مركز بصرى تخرج منه العين ، لتدور فى باقى الأجزاء ، وترتد اليه ، مما يشعر المشاهد بمزيد من الراحة والهدوء .

اما اضاءة المكان ، فتأتى اليه من خلال النوافذ الجصية الموجودة فى نهاية كل رواق (باق منها خمس نوافذ فقط)

وهى مغطاة بستائر زخرفية من الجص مخرمة ، تكسر حدة الضوء الساطع ، وتعطى المكان ضوءا خافتا [١] .

يوجد المحراب الفاطمى فى نهاية المجاز القاطع لبيت الصلاة ، وهو مصنوع من مادة الجص المحفورة بزخارف مورقه بارزة فى مستوى واحد . وتعتبر وحيده من نوعها فى ذلك العصر ، ولا زالت محتفظة بعناصرها الى اليوم وربما يرجع ذلك الى انها كانت مختفية وراء طاقة خشبية على الجزء العلوى من المحراب ، يرجع انها كانت للظاهر بيبرس . مما ادى الى احتفاظ المحراب بهذا الاثر الكبير ، الفنى بالزخارف ، التى تخرج على هيئة فروع نباتية مقلوبة ، ذات انحناءات متسقة لا نهاية لها ، تخرج منها اوراق صغيرة مجنحة هنا وهناك ، مما يشكل لوحة فنية بديعة ، تكاد تتوج الفن الفاطمى .

ولم ينس الفنان اضافة شريط كتابى ، جلل به العقد الخارجى للمحراب ، حيث كتب بالخط الكوفى المورق الآية الكريمة : قد افلح المؤمنون ، الذين هم فى صلاتهم خاشعون .. الى آخر الآية .

لقد استغرق بناء جامع الازهر (كان يسمى جامع القاهرة فى البداية) ٢٧ شهرا ، حيث اقيمت فيه اول صلاة للجمعة فى السابع من رمضان سنة ٣٦١ هـ (٩٧٢ م) . ولم يمض عقدان حتى بدأت يد التجديد والعمارة تمتد اليه ، حيث تعهده الخلفاء الفاطميون من بعد المعز ، واولهم العزيز بالله (٣٧٨ هـ) ومن بعده ولده الحاكم بامر الله . لكن اعظم عمارة اضيفت الى الازهر كانت على يد الامير عبد الرحمن كتخدا (القرن الثانى عشر الهجرى) فى العصر التركى . حيث زاد من مساحة بيت الصلاة بمقدار النصف ، ولا زالت الاضافة مرتفعة بدرجتين عن البيت الفاطمى ، وذكره المؤرخ الجبرتى بقوله انه « انشأ مقصورة مقدارها النصف طولا وعرضا ، تشتمل على خمسين عمودا من الرخام ، تحمل مثلها المقصورة المرتفعة المتسعة من الحجر المنحوت ، وسقف اعلاها من الخشب . وبنى محرابا جديدا ، ومنبرا (يطلق عليه الآن اسم منبر عبد الناصر ، بعد ما اعتلاه الرئيس المصرى الاسبق اثناء العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ ، وقال كلمته : سنحارب) وأنشأ له بابا عظيما . وبنى اعلاه مكتبا يقوم على قناطر معقودة على اعمدة من الرخام لتعليم الايتام ، وجعل بداخله رحبه متسعة وصهريجا عظيما ، وسقاية لشرب العطاش . وعمل بنفسه مدفنا بتلك الرحبة ، وجعل عليه قبة معقودة ، وتركيبة من الرخام البديع الصنع ، عليها اسماء العشرة المبشرين بالجنة ، ووصفا للنبى (ص) وبعض الاشعار » .

ويلفت النظر فى هذا الجزء المضاف ، جمال الاعمدة الرخامية المشوقة ، بتيجانها البسيطة ، التى زخرف كل منها باربع وردات لترتفع فوقها عقود الزيادة المدببة . كما تميز بوجود ممر طويل ، به سياج حجرى من حشوات عددها ٢٠ ، مزخرفة باشكال نباتية وهندسية بالتبادل ، ويؤدى السياج وظيفة تنظيم وتحديد عملية تقديم الطعام فى هدوء ، حتى لا يؤثر ذلك على هدوء المكان المخصص للصلاة والدرس . اذ كان المجاورون يقفون اسفله ، لتلقى الطعام الذى يدخل من خلال باب حجرى يؤدى الى المطبخ ، عرف باسم باب الشوربة (الحساء) ، وكان يطلق عليه وقتئذ صور الصفة .

كواكب ونجوم

فى محراب المسجد الجامع لا تأخذك الرهبة والجلال فقط ، وانما لا بد وان تتتابع امام عينيك صور التاريخ بقوة ، وتفرض نفسها فرضا على وعيك وكل مشاعرك . حتى ليكاد المرء يلمح اسراب الأرواح الهائمة وهي تسبح فى ارجاء بيت الصلاة . ارواح الخلفاء والسلاطين والمماليك ، والقضاة والفقهاء والفلاسفة ، والثوار واللاجئين والدراويش . جميعا تحيط بهم جيوش المجاورين التى تعاقبت على اروقة الازهر وحاراته عبر مسيرته الحافلة .

هناك تلمع أسماء نجوم الازهر وكواكبه على مر العصور . ابو الحسن الحوفى امام اللغة ، وابو القاسم الشاطبى امام القراءات ، وفقيه مصر ومؤرخها الحسن ابن زولاق . وشرف الدين عمر بن الفارض استاذ التصوف الاشهر ، وشمس الدين بن خلكان صاحب وفيات الاعيان ، والمقريزى والعسقلانى ، والسخاوى والسيوطى وابن تغرى بردى ، أعلام الفقه والتاريخ ، وابن خلدون فيلسوف التاريخ . والى جوار هؤلاء يقف الشيخ الثائر سليمان الجوسقى رئيس طائفة العميان الذي اعدمه الفرنسيون ، وسليمان الحلبي قاتل الغازى الفرنسي كليبر ، وشيوخ الازهر العظام حسن العطار وعبد الله الشرقاوى والبشرى وعبد المجيد سليم ومصطفى عبد الرازق والمراغى وشلتوت . وابناؤه البرره عبد

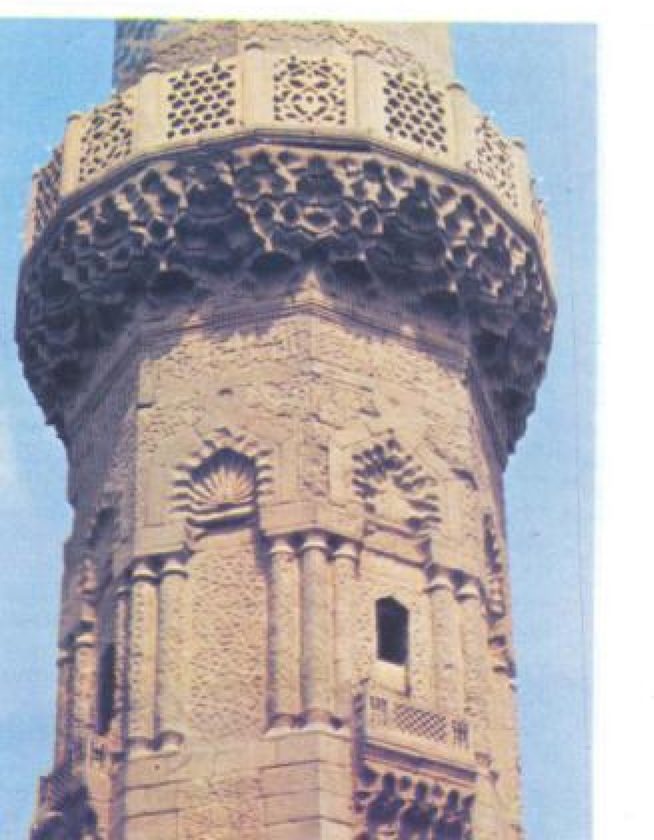
---

(١) انظر الدراسة التى نشرها الاستاذ محمد قنديل فى مجلة المصور المصرية عدد ٣٠٤٩ فى ١٨ مارس ١٩٨٣ .



لقطة جانبية تظهر فيها مئذنة الأشرف قايتباي التي تتربع فوق الباب الذي
بني في عهده ، وإلى جواره القبة الوحيدة التي تظهر فوق سطح الأزهر .

نقوش وزخارف تبهر العين وتشد انتباه كل داخل الى الأزهر ، لاحظ الحشوات الملونة وزخرفة بلاطات القاشاني .



مقطع من مئذنة قايتباي التي تتميز برشاقة بالغة ، وحفر دقيق وبديع ، لايزال صامدا رغم مضي حوالي خمسة قرون عل ابداعه .

الرحمن الجبرتي وعمر مكرم والطهطاوي ومحمد عبده . واعلام زماننا من طه حسين واحمد امين والزيات الى مصطفى المنفلوطي ومحمد شاكر وزكي مبارك ، وغيرهم وغيرهم .

(كلهم مروا من هذا المكان سواء كانوا ممن اعتلى منبر الجامع ، او ممن أهلتهم مواهبهم وقدراتهم لمهمة « التصدير » التي ذكرها القلقشندي في موضع الاشارة الى العلماء الذين كانوا يتصدرون المجالس مفسرين ومرشدين ومعلمين ، او كانوا ممن أجيزوا لوظيفة « شيخ العامود » ، الذي كان يجلس الى جوار اي من أعمدة الازهر استاذا لفرع من فروع العلوم الشرعية واللغوية . . سواء كانوا من هؤلاء وهؤلاء ، او كانوا ممن فرضوا انفسهم على التاريخ بفيض علمهم الغزير ، وعقولهم الجبارة وكبريائهم العريضة وثوريتهم المتأججه ، فان الجميع وطئت اقدامهم هذه الارض ، وأدوا ادوارهم الجليلة مبتدئين بالجلوس تحت سقف هذا الجامع .

يدرك المرء وصفحات التاريخ تتوالى بسرعة امام عينيه ، كيف ان الازهر كان دائما ذلك النهر الهادر ، الذي استقبل برحابه كل ما اتت به الروافد الضاربة في كل اتجاه . واستوعب كل ما القى فيه ، وظلت مياهه الكاسحه تتدفق بقوة ، فلا تأثر مجراه ، ولا تغير صفاؤه ، ولا انتقص من عذوبته ورواه .

يستوقف المرء في تاريخ الازهر - مثلا - ان الذى اقامه « صقلي » هو القائد جوهر بعد ما فتح مصر وانشأ القاهرة لتكون مقرا للخليفة الفاطمي « المغربي » المعز لدين الله . وانه بدأ منبرا لبث الدعوة الشيعية ، حتى ذكر المقريزى انه في سنة ٣٨١ هـ - في عهد العزيز بالله ابن المعز - قبض على رجل وجد عنده كتاب « الموطأ » للامام مالك ، وجلد بسبب ذلك . لكن الازهر انتهى بعد ذلك قلعة لاهل السنة وللاسلام كله . وان قاضى القضاة «ابو الحسن علي بن النعمان » « القيروانى » من علماء المغرب هو اول من القى فيه دروس الدعوة الفاطمية (٣٦٥ هـ - اكتوبر ٩٧٥ م) في حين ان اول من هيأ الازهر ليكون جامعة علمية ، وليس جامعا فقط ، هو يعقوب بن كلس اليهودى البغدادى الذى اسلم ، وصار وزيرا للمعز ومن بعده ولده العزيز . وان اهم من سهر على عمارته كان المماليك والاتراك ، وابرزهم الامير عبد الرحمن كتخدا القازد غلي . وممن قاموا بالتدريس فيه الطبيب اليهودي المعروف موسى بن ميمون ، الذى القى على طلابه دروسا في الرياضة والفلك والطب ، بينما كانت ابوابه مفتوحة للاقباط الذين كان بعضهم يقبل على دراسة العلوم المنطقية واللغوية والشرعية . ومن اشهر خريجيه اولاد العسال ، وهم من كبار مثقفي القبط . ومن اساتذته التابعين ، الذين تصدروا حلقاته العلامة الحسن بن الخطير « الفارسي » ، وشمس الدين « الاصبهاني » الذى وصفه ابن بطوطة بانه امام الدنيا في المعقولات ، وابن حيان « الغرناطي » العالم اللغوى وعبد اللطيف « البغدادي » استاذ علم الكلام والمنطق ، ومرتضى « الزبيدى » اليمنى صاحب شرح القاموس . اما حلقات جمال الدين (الافغاني) في الازهر فهي مما يحتاج الى بحث خاص .

وكما توزع أساتذة الأزهر على أنحاء العالم الاسلامي ، فانه كان من شيوخه البارزين واحد من أصل مغربي هو الشيخ حسن العطار ، والثاني تونسي المولد ومن خريجي جامع الزيتونة ، وهو الشيخ محمد الخضر حسين . بينما تولى المشيخة أيضا سكندري مصري كان أبوه قبطيا وأسلم (وفي رواية أخرى انه جده) ، وتبحر في العلوم الشرعية حتى تولى منصب الافتاء ، وكان أول « حنفي » يعين شيخا للأزهر (١٢٨٧ هـ - ١٨٧٠ م) .

أما طلاب الأزهر الذين قدموا اليه من كل بقاع الأرض ، والذين لا يزال بعضهم يسكن أروقته الى الآن ، وأكثرهم في مدينة « البعوث الاسلامية » ، فليسوا بحاجة الى تقديم أو تعريف .

الجناب الشريف

تشدنا صفحات المجد في سجل الأزهر ، يوم كان منارة سامقة تشع نورا باهرا في عالم الاسلام . يوم كان مستودعا للهداية والمعرفة ، وحصنا للدين واللغة ، وصوتا عاليا يعبر عن ضمير الأمة . حتى تجاوز في دوره اطار المنارة التي تضيء للكافة ، ليعزز مكانته كقيادة للجماهير ، تتصدى للظلم والعسف ، وترفع راية الثورة ضد الطواغيت والغزاة .

لقد كان دوره كمنارة يبرز كلما حل بالأمة العربية خطب جلل . ففي أواخر القرن السابع كان التتار قد خربوا بغداد وكانت قرطبة قلعة الثقافة الاسلامية في الأندلس قد سقطت ، ولم يبق الا الأزهر ، الذي اتجه اليه الجميع ، ينهلون منه ويجتمعون بأروقته كما تشير مختلف المراجع التاريخية . وعندما كان الشام يعاني من وطأة الحكم العثماني ، كان للأزهر دوره الفاعل الذي سجله

الدكتور أسعد طلس في كتابه (مصر والشام في الغابر والحاضر) وقال فيه : ولولا الأزهر في مصر لانطفأت شعلة العلم بالشام . .

ولقد تعزز هذا الدور في القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) عصر السلاطين والمماليك ، الذي يعد بحق عصر الأزهر الذهبي من حيث الانتاج العلمي ، وعنه يقول الأستاذ محمد عبدالله عنان في كتابه (تاريخ الجامع الأزهر) « انه لم يجتمع في عصر سابق من تاريخ مصر الاسلامية مثل هذه الجمهرة الممتازة من العلماء الاعلام في كل علم وفن ، ولم يصدر مثل هذه الثروة الفكرية الضخمة » . وهو العصر الذي ظهرت فيه كوكبة من أعظم العقول الاسلامية ، وخلفت العديد من المؤلفات والموسوعات الهامة والضخمة . ومنهم أعلام سبقت الاشارة اليهم مثل الحافظ بن حجر العسقلاني ، وأبي العباس القلقشندي صاحب الموسوعة الدبلوماسية الكبرى المسماة « صبح الاعشى » ، ومؤرخ مصر الكبير تقي الدين المقريزي صاحب الخطط الشهيرة وابن تغري بردي صاحب « النجوم الزاهرة » وشمس الدين السخاوي صاحب « الضوء اللامع » وجلال الدين السيوطي ، وبدر الدين العيني وسراج الدين البلقيني وغيرهم من أقطاب التفكير والبحث . . . حتى بدا « كما لو أن مصر غدت في هذا العصر بقواها ومواردها الزاخرة ومدنيتها وأزهرها ومدارسها العديدة ، وعلمائها الاعلام ، قوة لا تقهر » - عنان ص ١٢٥ . . . وكان من أشهر العلماء الذين وفدوا على مصر في ذلك العصر ، واشتركوا في حلقات الأزهر بقسط بارز ، العلامة الفيلسوف المؤرخ عبد الرحمن بن خلدون ، الذي درس على يديه وقتئذ جماعة من أكابر العلماء ، مثل ابن حجر والقلقشندي والمقريزي .

ومما أورده القلقشندي في صبح الاعشى (جـ ٦ و ١١) ندرك القيمة العالية التي كان يتمتع بها العلماء وقتئذ . حيث كانت مناصب التدريس بالأزهر - مثل مناصب القضاة - من أرفع الوظائف العلمية والدينية . وكان الأستاذ يعين في منصبه بمرسوم خاص ، يودع في الجامع ويقرن اسمه بألقاب وصفات متعددة ، ومقسمة الى مراتب ، مثل « الجناب الشريف » ثم « الجناب الكريم » أو « الجناب العالي » . والى جانبها القاب مختلفة مثل : الأمامي ، العالمي ، الكاملي ، الأوحدي ، المفيدي ، القدوى ، المحققي . . . شرف العلماء العاملين ، أوحد الفضلاء المفيدين ، قوة البلغاء ، حجة الأمة ، عمدة المحققين . . وما الى ذلك ، وكان العلماء والقضاة يخاطبون بألقاب أرفعها « سيد العلماء والحكام » يليها « أوحد العلماء الاعلام » ثم « شرف العلماء » . . .

الأزهر قائدا وملاذا

ان الدور « المعرفي » للأزهر ليس بحاجة الى برهان أو مزيد ايضاح ، لكن دوره القيادي هو الذي ينبغي أن نتمثله ونتأمله في مرحلتنا الراهنة .

يسجل الأستاذ محمد عبدالله عنان الأزهر استرد عاليته منذ عادت اليه صلاة الجمعة بعد قرن من التوقف والحظر (كان صلاح الدين الأيوبي عندما استولى على السلطة من الفاطميين قد أبطل المراسم والتقاليد ذات الصبغة الشيعية الفاطمية وعطل صلاة الجمعة بالأزهر) . وتدريجيا بدأ الأزهر يحتل مكانته الحقة في الحياة العامة ، حتى بات منذ القرن السابع الهجري عنصرا بارزا في توجيه أمور المسلمين .

نلاحظ مثلا ما يذكره ابن اياس - المؤرخ المصري - من أنه عندما وقع الغلاء العظيم في مصر - أواخر القرن الثامن الهجري - توجه قاضي القضاة الى الجامع الأزهر وحوله حشود عظيمة ، وصلوا صلاة الابتهال والدعاء بكشف الغمة . غير أنه بعد أربعة قرون شكا الفلاحون في بلبيس من فداحة الضرائب وظلم المماليك ، فلجأوا الى شيخ الأزهر وقتئذ - الشيخ عبد الله الشرقاوي - فأنذر الرجل زعماء المماليك ، ولما لم يوقفوا الظلم ، اجتمع المشايخ وأغلقوا باب الأزهر ، وأمروا الناس باغلاق الأسواق والحوانيت . ثم توجهوا في جمع كبير يتقدمه شيخ الأزهر الى الوالي . « فارتج على المماليك ، وخافوا مغبة الموقف ، فردوا المظالم لأهل بلبيس . لكن شيخ الأزهر والشيخ السادات أصرا على أن يكتب وثيقة يتعهد فيها بعدم فرض ضرائب أو تكرار ذلك . فامتثل الوالي ووقع الوثيقة .

أمام المماليك والفرنسيين

وفي تلك المرحلة المبكرة - القرن الثامن الهجري - كان شيوخ الأزهر يتعاملون مع المماليك من مركز الثقة والقوة ، فرفضوا بالاجماع - على لسان القضاة الأربعة - اصدار فتوى طلبها السلطان برقوق لقتل خليفة الوقت (المتوكل على الله العباسي) ، بعدما اتهم بتدبير مؤامرة لقتل السلطان . ورفضوا أيضا الاذن للسلطان برقوق أن يستولي على أموال الأيتام وموارد الأوقاف بحجة دعم جيشه . وعندما جهر ثلاثة من الأمراء المماليك بالفسق



صحن الأزهر من الداخل ، وهو الصحن الملحق
بالجامع الكبير منذ بناه الفاطميون قبل ألف عام .
لاحظ مساحات الضوء التي تملأ الصحن .
خاصة بعد انعكاسها على الحوائط البيضاء



خطيب الجامع الأزهر على بابه يتحدث مع أحد طلاب الجامعة .





أحد المجاورين من السنغال ،
وقف يراجع دروسه وسط الصحن .



الشيخ الحمدان في جلسة القراءة اليومية بصحن الأزهر

والفجور ، حكم عليهم القاضي الدكراكي بالقتل بعد التحقيق في دعوى قدمت بحقهم ، ونفذ الحكم بالفعل ، وعلق على ذلك ابن الفرات بقوله (ولم نسمع أن اتفق لأحد من الأمراء ذلك في زماننا ، فقد كان الناس يخافون سطوة المماليك ، لكن العلماء لا يخافون الا الله) .

أما شيخ الاسلام العلامة زكريا الأنصاري قاضي قضاة الشافعية ، فقد عارض والعلماء معه الضرائب التي أراد السلطان قايتباي فرضها على الأملاك والأوقاف بصورة مؤقتة (سنة ٨٩٦ هـ) وأغلظ له في الكلام أمام الناس ، حتى قال : تذكر أنك كنت عبدا فأصبحت سيدا ، وكنت مملوكا فأصبحت مالكا ، وكنت رقيقا فأصبحت حرا . . . فيجب عليك ألا تتكبر وتتجبر . .) .

واستقبل السلطان هذا الكلام الجارح دون أن تبدر منه بادرة تذمر أو اعتراض .

وقد ثار الشيخ الديروطي على السلطان قانصوه الغوري عندما علم أن السلطان متخاذل عن الجهاد . فذهب اليه وألقى عليه التحية ، لكنه تباطأ في الرد . وهنا ثارت ثائرة الشيخ وقال : ان لم ترد السلام سقطت وعزلت . . . وهنا رد السلام ثم سأل الغوري الشيخ : لماذا تحط علينا بين الناس بترك الجهاد ، وليس لدينا مراكب نحارب بها . فرد عليه قائلا : عندك المال الذي تعمرها به . . . وطال بينهما الجدل حتى قال الشيخ الديروطي للسلطان محتدا : قد نسيت نعم الله عليك ، وقابلتها بالعصيان . أما تذكر أنك كنت أسيرا وباعوك من يد الى يد ثم من الله عليك بالحرية ، وأنذره ثم انصرف . وقال مؤرخو ذلك العصر أنه في هذا الموقف ، لم يكن هناك أعز من الشيخ ، ولا أذل من السلطان » .

وثمة قصص بغير حصر ، تعكس دور الأزهر كمعبر عن ضمير الأمة ، فضلا عن تلك التي تعبر عن كبرياء شيوخ الأزهر واعتزازهم بقيمتهم أمام السلطة مهما بلغ نفوذها وجبروتها .

غير أن وقفة الأزهر أمام الغزاة الفرنسيين أواخر القرن الثاني عشر الهجري تمثل أفضل وأقوى تعبير عن دوره القيادي . فقد قاد شيوخ الأزهر حركة المقاومة ضد الغزاة ونظموا المظاهرات العنيفة التي اجتاحت العاصمة في ثورة القاهرة الاولى والثانية ، حتى لم يجد الفرنسيون مفرا من ضرب الأزهر بالمدافع ، واقتحامه بخيولهم ، ثم القاء القبض على بعض شيوخه واعدامهم سرا . . . ثم كان قتل القائد الفرنسي كليبر على يد الطالب الأزهري سليمان الحلبي .

وقد كان الشيخ عمر مكرم الذي قاد ثورة القاهرة الثانية من قلب الأزهر ، هو ذاته الذي ثار فيما بعد على الوالي محمد علي باشا ، ونادى بمقاومته لعدم فرض ضرائب جديدة على الجماهير ، والغاء الضرائب المستحدثة . وقال عبارته المدوية (ان هذا الحاكم محتال ويجب ازالته !) .

ولما نفاه محمد علي من منصبه ، رد على ذلك بقوله : ان النفي والموت غاية مطلبي حتى لا أكون مسؤولا أمام الله عن ظلم يقع على الشعب .

جريمة محمد علي باشا

لقد ظل الأزهر يحتل موقع القيادة بجدارة طوال ثلاثة قرون ، أي حتى القرن الثاني عشر الهجري أو الثامن عشر الميلادي . واذا كان الحكم العثماني وما صحبه من تدهور سياسي وثقافي قد أصاب الأزهر بقدر ، فان عصر الوالي

محمد علي باشا يكاد يمثل منعطفا أساسيا في رحلة افول نجم الأزهر ، وضمور دوره الثقافي والسياسي .

ومن مفارقات القدر أن يقوم شيوخ الأزهر بعزل الوالي العثماني خورشيد باشا ، (سنة ١٢٢٠ هـ ـ ١٨٠٥ م) احتجاجا على المظالم العثمانية ، ثم يعينوا بدلا منه محمد علي باشا ويشترك شيخ الأزهر ـ الشرقاوي ـ مع عمر مكرم في الباسه « خلعة الولاية » مشترطين عليه أن يكون عادلا بين الرعية ، ثم تتوالى الضربات القاصمة على الأزهر في ظل الحكم الجديد ، وبمبادرة منه !

وكان أخطر ما فعله محمد علي باشا أنه صادر الأوقاف ونزع ملكية الأراضي التي كانت تابعة للأزهر ، تغطي نفقاته وتمول نشاطاته ، الأمر الذي أصاب الأزهر بضربة قوية ، أثرت على مسيرته وركود الحياة الثقافية فيه .

لقد كان محمد علي واليا شديد الطموح ، وكانت عيناه ـ وهو ذو الأصل الألباني ـ مشدودة الى الغرب الذي كان في فتوته ابان القرن التاسع عشر . وكان الأزهر وقتئذ يعاني من عثرات المرحلة العثمانية التي انخفض في آخرها عدد طلاب الأزهر الى نحو ألف ـ كما يذكر عبدالله عنان ـ بعد أن كانوا عدة آلاف ـ فلم يلجأ الى انهاضه من عثرته ، ولكنه اتجه بعيدا عنه ، فأنشأ المدارس المختلفة ، الابتدائية والتجهيزية ، ومضى بسرعة في ارسال البعثات الدراسية الى الخارج ، التي كان طلابها من الأزهر حقا ، ولكنهم عادوا متخصصين في علوم اختفت من الأزهر أو لم تعرفها مناهجه ، ومشبعين بروح ثقافة أخرى وحضارة أخرى .

وكان من جراء ذلك أن أصبح الأزهر ـ لأول مرة ـ عاجزا عن مواكبة عجلة التطور ، ومتخلفا عن ركب القيادة ، ومعزولا عن المسار الجديد الذي شقه محمد علي في الحياة الثقافية بمصر . وفيما كانت عافية الأزهر قد تضعضعت ابان الحكم العثماني ، جاء قرار محمد علي بمصادرة أمواله بمثابة قطع لشريان أساسي له ، الأمر الذي ضاعف من تدهوره .

وبدأ أزهر القرن الثالث عشر الهجري (١٩ م) كيانا مريضا وهزيلا ، مختلفا تماما عن صورته الباهرة التي انطبعت في الأذهان ، فقد جرد من قيادته ، وبعد أن كانت الصدارة في أبرز شؤون الدولة لأبنائه ، اذ كان المؤسسة الثقافية الوحيدة في مصر ، ظهرت على السطح طبقة أخرى من المثقفين ورجال الدولة ، لا يدينون للأزهر بالولاء ، فضلا عن انحيازهم الحضاري للغرب .

لكن ماران على الأزهر في الداخل من جمود وركود كان هو الأهم والأخطر .

فبعد أن كان للعلوم البحتة (الطب والفلك والرياضة) مكانها في الأزهر ، حيث تولى تدريسها لفترة ـ كما أشرنا ـ الطبيب اليهودي موسى بن ميمون ، فيما ذكر السيوطي في ترجمة شمس الدين ابن عبد الرحمن المصري المتوفي سنة ٧٧٦ هـ أنه كان يتولى تدريس الطب ـ أيضا ـ بجامع ابن طولون . بعد هذه المرحلة ، بدت تلك العلوم غريبة عن الأزهر ، حتى يذكر المؤرخ الجبرتي ان الوالي العثماني أحمد كور باشا قدم الى مصر عام ١١٦٢ هـ (١٧٤٨) وكان من هواة العلوم الرياضية ، ولما التقى علماء الأزهر حاول أن يحدثهم في هواياته العلمية . فاعتذروا بأنهم لا يعرفون عنها شيئا . وحتى كان موضوع ادخال العلوم الحديثة في الدراسة الأزهرية ميدانا لمعركة شرسة جرت بين شيوخ الأزهر خلال القرن التاسع عشر . وفشل محمد عبده في ادخال علم الطبيعة أو الفيزياء ضمن المناهج الأزهرية ، رغم أنه أسماه « علم خواص الأشياء التي أودعها الله في الأجسام » ! وعندما أفلح الأستاذ الامام ـ عندما كان مفتيا ـ في أن يقنع صديقه الشيخ حسونة النواوي شيخ الأزهر بادخال بعض العلوم العصرية (الرياضيات والجغرافيا والتاريخ) ضمن المناهج ، فان شيخا آخر للأزهر هو عبد الرحمن الشربيني ، تصدى بضراوة لهذه المحاولة وأعلن في الصحف المصرية عام ١٩٠٥ : « ان الذي حدث من شأنه أن يهدم معالم التعليم الديني في الأزهر ، ويحول هذا المسجد العظيم الى مدرسة فلسفة وآداب تحارب الدين » . وأضاف انه سمع من سنوات عن حركة الاصلاح . فسماها « فوضى » ! .

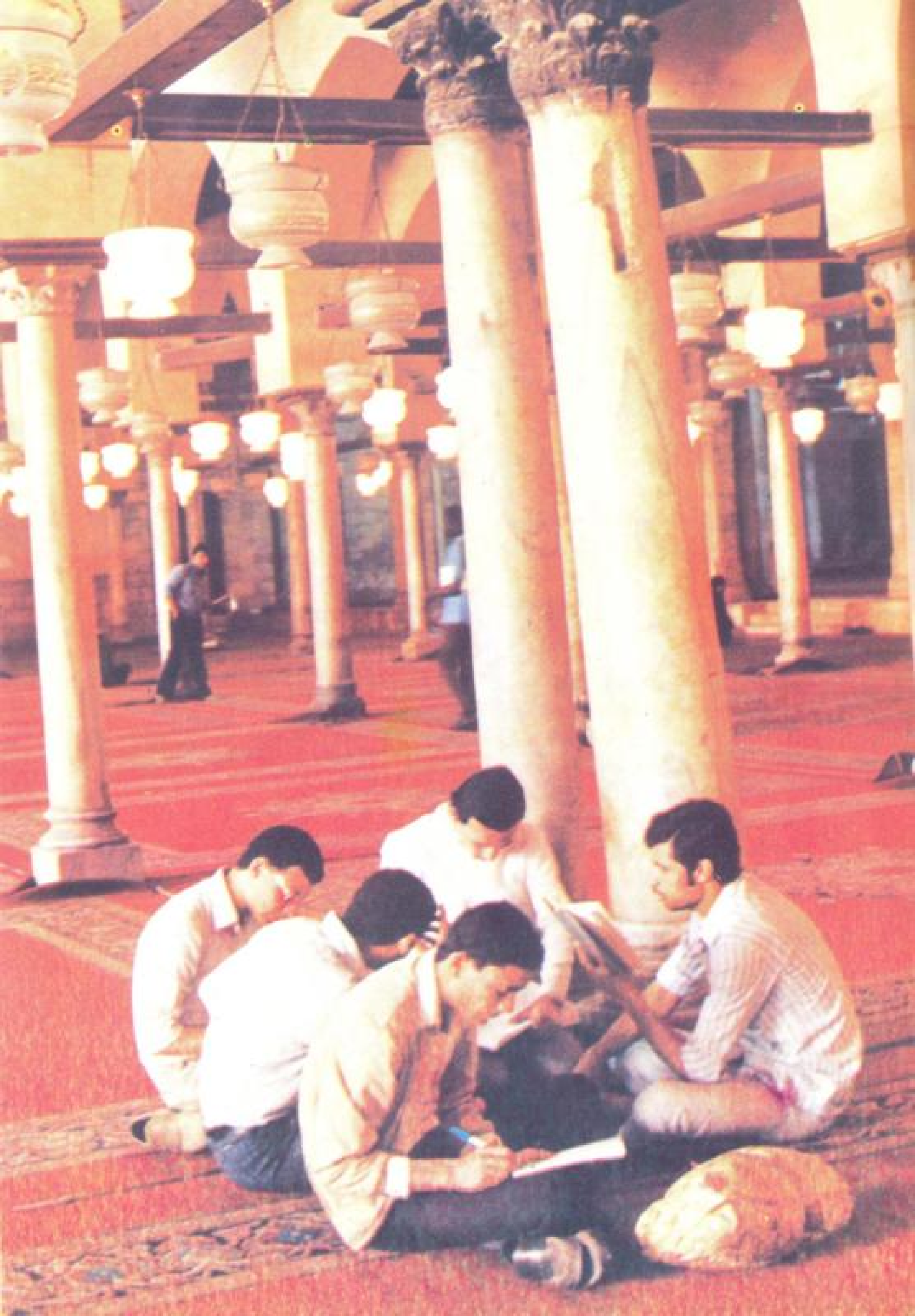
ولما تجرأ أحد علماء الأزهر ، الشيخ محمد ابراهيم الظواهري ، ودعا الى اصلاح الأزهر في كتاب أسماه « العلم والعلماء » ، فان الشيخ الشربيني لم يتردد في جمع نسخ الكتاب واحراقها ، وعزل كل من كان يثبت أن لديه نسخة منه !

عندما هبت ريح التطوير

لقد بدأت ريح التطوير والاصلاح تتجمع في صحن الأزهر منذ قدمت الحملة الفرنسية الى مصر في أواخر القرن الثامن عشر (أول يوليو ١٧٩٨ م ـ ١٧ محرم ١٢١٣ هـ) ذلك أنه بقدر ما كان احتلال مصر بواسطة الفرنجة صدمة للضمير الاسلامي ، اذ كانت مصر هي أول بلد عربي يحتل بواسطة الغرب في العصر الحديث ، فان البعثة العلمية التي قدمت مع الغزاة أحدثت صدمة مماثلة في معقل الثقافة الأول بمصر : الأزهر .

لقد انبهر علماء الأزهر بما استقدمه الفرنسيون معهم . ووصف الجبرتي مؤرخ تلك المرحلة غريب فنونهم ومخترعاتهم ، وأسهب في وصف دار الكيمياء ودار

لحظة الصلاة . في كل وقت ، تظل الصفوف مزدحمة دائما داخل بيت الصلاة ، وفي يوم الجمعة لا يكون هناك موضع لقدم . (الى اعلى) اثنان من أبناء ريف مصر ، قصدا الأزهر لاستفتاء علمائه في مشكلة تتعلق بالوراثة (الى اسفل) . وجلسة استذكار للدروس داخل بيت الصلاة . . هنا تمارس العبادة مع العلم منذ ألف عام . (الى اليسار)



التصوير التي أنشأوها ومصانع الهندسة وآلاتها . وتحمل كلمات الجبرتي انطباع الذاهل الذي وقع على كوكب آخر . وهو انطباع لم يتفرد به ، وانما كان ذلك شعور جمهرة المثقفين في مصر ، الأمر الذي طرح أمام الجميع ضرورة التحرك لملاحقة ذلك الركب المتقدم ، حتى نقل صاحب الخطط التوفيقية عن الشيخ حسن العطار ، شيخ الأزهر ، قوله : ان بلادنا لا بد أن تتغير أحوالها ، ويتجدد بها من المعارف ما ليس فيها .

وفي عصر خديوي مصر اسماعيل باشا كانت بشائر الغرس الذي زرعه جده محمد علي باشا قد بدأت في الظهور . كان مبعوثوه الى الخارج قد بدأوا في العودة ، وكان أبناء الثقافة الجديدة ـ العصرية ـ في طريقهم لتولي موقع الصدارة ، وفي ذلك الوقت ـ النصف الثاني من القرن التاسع عشر ـ كان جمال الدين الافغاني قد وصل الى مصر ، وأخذ مكانه في الأزهر ، وأخذ يبث دعوته الى التجديد والتنوير ، مما كان عاملا أسهم في تحريك الركود الذي ران على الأزهر .

ويعتبر الباحثون والمؤرخون ان صدور أول قانون نظامي للأزهر في سنة ١٢٨٨ هـ (١٨٧٢ م) ـ في عهد الخديوي اسماعيل ـ هو ثمرة لتلك العناصر المجتمعة ، ابتداء من تأثير البعثة العلمية التي صحبت الحملة الفرنسية ، وانتهاء بجهد الأفغاني وافاقة الأزهريين من سباتهم الطويل ، وبمقتضى هذا القانون دخل نظام الامتحانات الى الأزهر ، وأصبح اجتياز الامتحان شرطا للحصول على شهادة العالمية ، وكانت هذه العملية تتم بواسطة « الاجازة » من قبل ، وهي الشهادات التي كانت تمنح للطلاب من جانب أساتذتهم من العلماء والفقهاء .

وبعد الأفغاني جاء الامام محمد عبده الذي خاض بقوة معركة تطوير الدراسة بالأزهر . وكتب في بداية القرن الحالي يقول صراحة : إن بقاء الأزهر متداعيا على حاله في هذا العصر محال ، فهو إما أن يعمر وإما أن يتم خرابه ، واني أبذل جهد المستطيع في عمرانه . وفي الجزء الثالث من أعماله الكاملة ، رصد لجهود الأستاذ الامام في سبيل اصلاح الأزهر . التي تمثلت في المقالات التي كان ينشرها بالصحف ردا على التيار الذي وقف ضد عصرنة الدراسة وتطويرها ، والمناقشات التي خاضها مع رموز هذا التيار على مختلف المنابر ، وفي مقدمتهم شيخ الأزهر وقتئذ ، الشيخ عبد الرحمن الشربيني . وقد اضطر محمد عبده للاستقالة من منصبه عام ١٩٠٥ ، عندما أدرك أن جهوده من أجل اصلاح الأزهر لم يكتب لها النجاح .

على أن الخطوة الأبعد ـ نسبيا ـ في مسيرة تطوير الأزهر ، طرحت بجهد من الشيخ محمد مصطفى المراغي الذي أعد في سنة ١٩٢٨ مشروع قانون لهذا الغرض ، أهم ما فيه أنه كان يقضي بانشاء ثلاث كليات بالقسم العالي للأزهر ، كانت بمثابة نواة للجامعة الحديثة ، هي : أصول الدين ، والشريعة ، واللغة العربية . وقد استقال المراغي عندما تعثر المشروع الذي صدر في عهد خلفه الشيخ محمد الظواهري سنة ١٩٣٠ .

تدهور متسارع

وبينما كانت خطى التطوير تمضي متثاقله كان العالم من حول الأزهر يتغير ، وكانت مؤشرات عديده تنمو من حوله ، تقلص من دوره وتحاصره ، وتسحب منه الكثير من عناصر قوته . وكانت هناك جبهة ـ رفض للتطوير قوية وراسخه داخل الأزهر . وكان تيار التغريب كاسحا في مصر والعالم العربي . وفي الوقت ذاته كان هناك اهمال للازهر تمثل في تواضع ميزانياته وضعف فرص العمل امام خريجيه . وثمة من يشير الى ان هذا الهدف كان مقصودا من قبل السياسة الاستعمارية الانجليزية التي كانت تحكم مصر . وفي وقت لاحق جاءت مجانية التعليم المدني في مصر ، فشجعت الكثيرين على التحول من التعليم الديني الى المدارس المدنية .

تجمعت هذه العناصر كلها لتضعف من شأن الازهر وتؤدي الى تدهوره . وهو تدهور اصاب قيمته في المجتمع ومصير خريجيه . وكما يقول مدير جامعة الازهر الحالي ، الدكتور الطيب النجار ، فان العالم الازهري ـ كقاعدة ـ لم يكن يجد وظيفة توفر له رزقا معقولا ، فكان اكثرهم يلجأون الى ممارسة اعمال متواضعه وبسيطة ، مثل قراءة القرآن في المآتم وعلى المقابر وعمل الاحجبه وما الى ذلك . كان راتب الواعظ يتراوح بين خمسة وستة جنيهات مصرية في الشهر ، ولكي يعيش كان عليه ان يبحث عن مصادر اخرى للدخل ، ايا كانت قيمتها .

النتيجة ـ يقول رئيس جامعة الازهر ـ ان الازهريين اصبحوا مرتبطين في اذهان الناس ببعض الاعمال المتدنية وغير الكريمه ، حتى كان البعض يهرب من زيه ويرتدي ثياب « الافندية » . ويذكر الدكتور النجار انه ، وهو طالب في المعهد الديني منذ نصف قرن ، كان واكثر زملائه ، يخبئون عمائمهم في ادراج أنضادهم بالمعهد ويخرج كل منهم عاري الراس ، حتى لا يقل شأنه في اعين الناس . بل انه لا يزال يذكر كيف كان بعض الصبيه يطاردونهم ساخرين منهم عندما كانوا يرتدون العمائم ، وكانوا يرددون وراءهم زجلا من الشعر الشعبي تقول كلماته :

يـاجمـاور عـمـتـك دايـت
مـن الـسـلطه والـقـول الـثـابـت

وهو من قبيل التنديد بالمجاورين الذين تزعم كلمات الزجل ان عمائمهم صارت باليه ، بسبب استخدامها كوعاء للطعام !

لقد انصرف الناس عن الازهر ، واصبح خريجوه يهربون من تهمة الانتساب اليه ، حتى ان اكثر علمائه وشيوخه دفعوا بابنائهم الى التعليم العام والجامعات العصرية .

باختصار ، اصبحت المنارة في خطر ، وان كان الانصاف يقتضينا ان الازهر ـ رغم ذلك كله ـ ظل يؤدي دوره التعليمي ، وظل يوفد مبعوثيه الى انحاء العالم الاسلامي دون توقف .

الازهر واحلام عبد الناصر

غير ان قيام ثورة يوليو عام ١٩٥٢ ، ارتبط بمحاولة لبعث الروح في الازهر . ذلك ان دور مصر القيادي كان شاغلا يلح على قائد الثورة جمال عبد الناصر . وعندما مد بصره الى العالم الاسلامي ، او الدائرة الاسلامية كما اسماها في كتابه فلسفة الثورة ، ادرك ان الازهر هو الجهة الوحيدة المؤهلة للقيام بالدور الذي كان يطمح اليه .

يروي الشيخ احمد حسن الباقوري ، وزير الاوقاف والازهر الأسبق ، ان الرئيس عبد الناصر كان يزور الهند في اواخر الخمسينات ، والتقى بممثلين للمسلمين هناك ، الذين نقلوا اليه صوره لواقعهم والفرص الضيقه المتاحة امام تعليم ابنائهم ، مما شجعه على المضي في طرح فكرة تطوير الازهر ، لكي يتحول الى جامعة دينية عصرية ، تستقبل ابناء المسلمين في العالم ، وتخرج في الوقت ذاته مبعوثين متخصصين في فروع الحياة العملية ، الى جانب كونهم على المام كاف بالعلوم الشرعية . وربما استهوته الاساليب التي يتبعها المبشرون في بث تعاليمهم ، ومنها اقامة المستشفيات وقيامها على اكتاف اطباء وممرضين يتولون عملية التبشير .

وبعد اهمال الازهر لسنوات طويلة ، اصبح له دور مطروح في خريطة السياسة المصرية وطموحاتها .

في هذا المناخ صدر قانون تطوير الازهر في عام ١٩٦١ ، الذي يعتبره الكثيرون منعطفا هاما في تاريخه ، فيما يراه آخرون « انقلابا » خطيرا . وبمقتضى هذا القانون اضيف التعليم المدني الى مناهج التعليم الديني العام ، وحولت كليات التعليم العالي الثلاث الى جامعة كاملة ، بدأت بعشر كليات ، ووصل عددها الان الى ٣٤ كلية ، مبثوثه في انحاء مصر ، وتغطي مختلف المجالات النظرية والعملية ، او المعملية كما يطلق عليها الشيخ الباقوري .

كان للتطوير الجديد هدف واضح يلتقي مع طموح القيادة السياسية المصرية وقتئذ ، وهو عصرنة الدراسة الازهرية ، وتحويل هذه القلعه العتيده والراكده الى مؤسسة فاعله ومؤثره في العالم الاسلامي بوجه أخص .

هل تحقق التطوير ؟

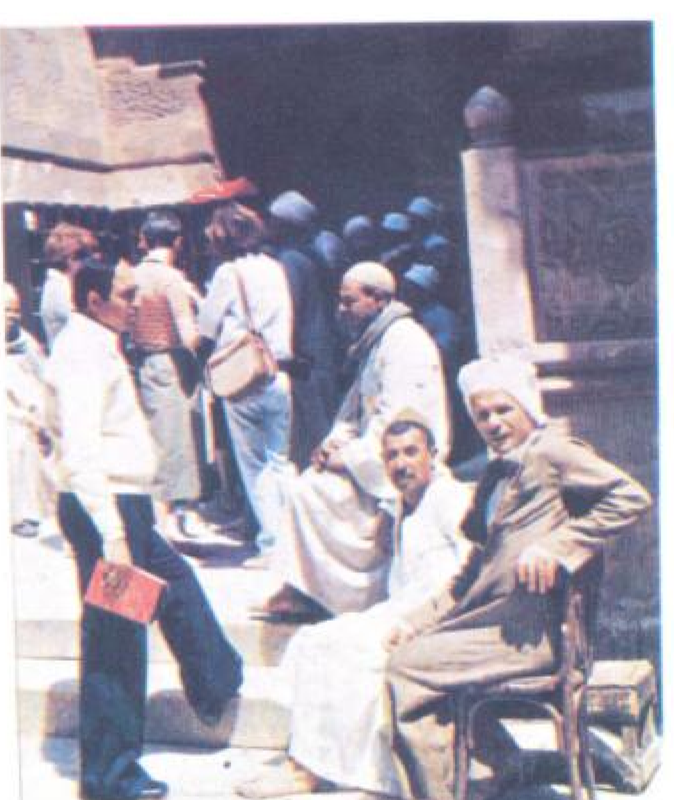
وبعد اكثر من عشرين عاما على تلك الخطوة الهامة ، هل حقق التطوير هدفه ؟

ناقشت الامر مع عدد من المسئولين عن الازهر ، السابقين والحاليين ، وكان الاجماع منعقدا على أن نتيجة التطوير سلبيه الى الآن ، فالمناهج لم تتطور ، وإنما اصبح طالب المعاهد الازهرية محملا بمناهج التعليم العام فوق مناهج دراسته الاصلية . ويرى شيخ الازهر ـ الشيخ جاد الحق على جاد الحق ـ ان هذا العبء الثقيل كان سببا في اضعاف الاقبال على المعاهد الازهرية . فضلا عن أن أمل تخريج الطبيب والمهندس الداعية لم يتحقق ، ولم يحدث خلال العشرين عاما ان اوفد الازهر مبعوثا من هذا النوع ، وانما ظل مبعوثوه بعد التطوير هم انفسهم نوعية ما قبل التطوير ، الوعاظ والقراء ، في حين ان خريجي كليات الازهر العملية انخرطوا في الحياة العامة ، وفضلوا العمل في المؤسسات الخاصة المصرية او العمل في بلاد النفط !

ويذهب الشيخ عبد العزيز عيسى ، وزير الاوقاف والازهر الاسبق ، الى ان التطوير ادى الى ضمور رسالة الازهر . « قالوا لنا ان خريج جامعة الازهر سيدرس علوم الدين والدنيا لكنهم في التطبيق » ضحكوا علينا « واكتشفنا انه يدرس علوم الدنيا وحدها في الكليات التي استجدت وان ٩٠٪ من خريجي الجامعة ليسوا من حفاظ القرآن الكريم ، في حين ان حفظ القرآن كان امرا مسلما به في الماضي ، بالنسبة لخريج الازهر ، وهي مشكلة طرحت على مجمع البحوث الاسلامية في الاحتفال بالعيد الالفي ، واقترح لها بعض الحلول » .

ويسلم الشيخ احمد حسن الباقوري (وزير سابق) بان التطوير لم يحقق ما كان معقودا عليه من آمال ، ويرى ان علاج ذلك لا ينبغي ان يتم بالرجوع عن التطوير ، انما بالمضي في تطبيقه على اسس سليمه وفي ظل اهداف واضحة لرسالة الازهر ، لان فكرة التطوير نبتت في ظروف سياسية خاصة تأثرت برؤية القيادة المصرية ، وهي الرؤية التي تغيرت فيما بعد .

الحياة حول الأزهر مليئة بكل صور النشاط التجاري . وفي الصورة العلوية واجهة مليئة بالمصاحف المزينة ، وفي الصورة التحتية احدى بنات البلد تبحث عن حاجتهامن المصاغ .



الصورة العلوية تمثل جانبا
آخر من النشاط المحيط
بالأزهر ، كتب قديمة للبيع
بنصف الثمن ، في حين
تسجل الصورة التحتية
الزحام التقليدي عند أحد
مداخله ، حيث يتجمع أولاد
البلد والسياح .

وللانصاف لابد ان اسجل هنا رأيين لوزير الاوقاف ومدير جامعة الازهر الحاليين . في رأي الوزير الشيخ ابراهيم الدسوقي ان التطوير خطوة عظيمة الى الامام وبه اصطدنا عصفورين بحجر واحد . فقد كسبنا مجالات اكبر لحركة الأزهر ، بعدما اراده البعض دينا فقط ، واراده الله دينا ودنيا . واذا كانت الجامعه لم تخرج الداعية الطبيب او المهندس فذلك خطأ في التطبيق يجب ان يعالج .

وفي رأي مدير الجامعة الدكتور الطيب النجار ، ان هناك انجازا تحقق بالفعل بالتطوير ، وان الجور الذي حدث على الدراسات الاسلامية بالجامعة عولج بقصر الالتحاق بكلياتها على حملة الثانوية الازهرية ، الذين يفترض انهم على احاطة بالثقافة الاسلامية الاساسية ، وهو ما لم يكن متوفرا في حملة الثانوية العامة ، وهذا القرار مطبق منذ ٥ سنوات بالجامعة .

أزمة متعددة الجوانب

قبل الحديث عن المستقبل ، سألت اهل الذكر : هل يواجه الازهر ازمة الان ؟

كان رد الدكتور عبد العزيز كامل نائب رئيس الوزراء ووزير الاوقاف والازهر الأسبق ان الازهر يخوض معركة الحاضر والمستقبل وليست في يده كل اسلحته ، ومن بينها الاوقاف والموارد والدور الثقافي والتوجيهي ، الامر الذي يتعذر في ظله ان نطالب الازهر بان ينجز ويتقدم . وتطويره ضرورة حيوية ، ولكن هذه الخطوة يجب ان تخضع لدراسة معمقه واعداد كبير ، حتى لا يظل شعارا بدون مضمون حقيقي كما حدث .

وفي رأي الشيخ عبد العزيز عيسى ان الهدف المطلوب من الازهر وجامعته غير واضح . فليس معروفا على وجه التحديد ما هو المطلوب من الازهر : التدريس ام الافتاء ام الدعوة ام توجيه المجتمع في ظل اختيار حقيقي للتطبيق الاسلامي . وستظل هذه هي الازمة الحقيقية ، التي تكمن في السؤال التالي : ماذا يراد من الازهر ؟

ويضيف الوزير الأسبق ان ازمة الأزهر ليست من خارجه فقط ، ولكنها لها منابعها في داخله ايضا . فقد تراخى بعض شيوخه فيما باشروه من مسئوليات ، فضلا عن ان مجمع البحوث الاسلامية لم يحسم مشكلات للمسلمين معروضه عليه منذ اكثر من ١٥ عاما ، مثل اعلان الراي الشرعي في التامين وشهادات الاستثمار .

ويطرح الشيخ الباقوري بعدا آخر للازمة ، عبر عنه بصورة « الافندية » التي تلاحق زائر الجامعة الازهرية ، سواء كان هؤلاء الافندية طلابا او اساتذة ازهريين . وقال ان عدم تمسك الازهري بزيه يعبر عن عدم قناعته بدوره ، وهذه ازمة كبرى .

يسجل الشيخ الباقوري ايضا ملاحظه على اساتذة الازهر الذين يفضلون لقب « دكتور » على لقب المشيخه الذي يحمله . وهي عدوى سرت الى شيوخ الازهر انفسهم ، حتى بات لقب دكتور ينافس لقب الامام الاكبر . وكان الشيخ محمد الفحام ـ عين عام ١٩٦٨ ـ هو اول شيخ للازهر يظهر اسمه مقترنا بكلمة دكتور (كان يحمل دكتوراه في النحو من السوربون في باريس !) . ويذكر الشيخ الباقوري ان مصطفى عبد الرازق باشا الذي كان وزيرا للاوقاف في عهد الملكية ، عندما عين شيخا للازهر عام ١٩٤٥ ، وكان يحمل شهادة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة السوربون ، فانه رفض ان يستخدم لقب الباشوية فضلا عن الدكتوراه . ورأى ان قيمته كشيخ للازهر اكبر من اللقبين . وكتب الى فاروق ملك مصر يستأذنه في الايستخدم لقب باشا ، وهو الذي منحه له !

لما سألتهم عن المستقبل ، قال شيخ الأزهر الشيخ جاد الحق ان دور الازهر القائد والزعيم السياسي قد انتهى بحكم تطور اوضاع كثيرة . وان الأزهر في السياسة صار مواطنا وليس زعيما ، غاية ما يطلب منه هو اما ان يشارك في السياسة ، او ينفذها . وهو يؤدي دوره هذا بوصف المواطنه وليس بوصف الاختصاص . واذا استطاع الازهر ان يؤدي دوره في الدعوة الاسلامية داخل مصر وخارجها ، وفي تجلية احكام الشريعة فيما يواجه الناس من مستحدثات اذا انجز هذه المهمة بنجاح ، فلا يطلب منه اكثر من ذلك .

وقال وزير الأوقاف الحالي الشيخ ابراهيم الدسوقي ان للازهر الان ٥ الاف مبعوث في الخارج وان معاهده في مصر وصل عددها الى حوالي ١٢٠٠ معهد في مختلف مراحل التعليم يدرس فيها اكثر من ٣٠٠ الف طالب ، وفي كليات جامعة الازهر الـ ٣٤ اكثر من ٨٥ الف طالب وطالبة ، وتلك مسئولية كبرى تجاه الحاضر والمستقبل والازهر يتحملها بكفاءة محققا رسالته في الحفاظ على الكتاب والسنة .

اما الشيخ عبد العزيز عيسى فقال ان اي حديث عن المستقبل لا جدوى ولا فائدة ترجى منه قبل الاجابة على سؤال واحد هو : هل نحن بحاجة الى الازهر ام لا ؟

وعندما اعدت على مسامعه اعداد المعاهد والطلاب والمبعوثين ، رد ببيت من الشعر يقول :

اني افتح عيني على كثير

لكني لا ارى شيئا !! ○

المهندس حسن فتحي :

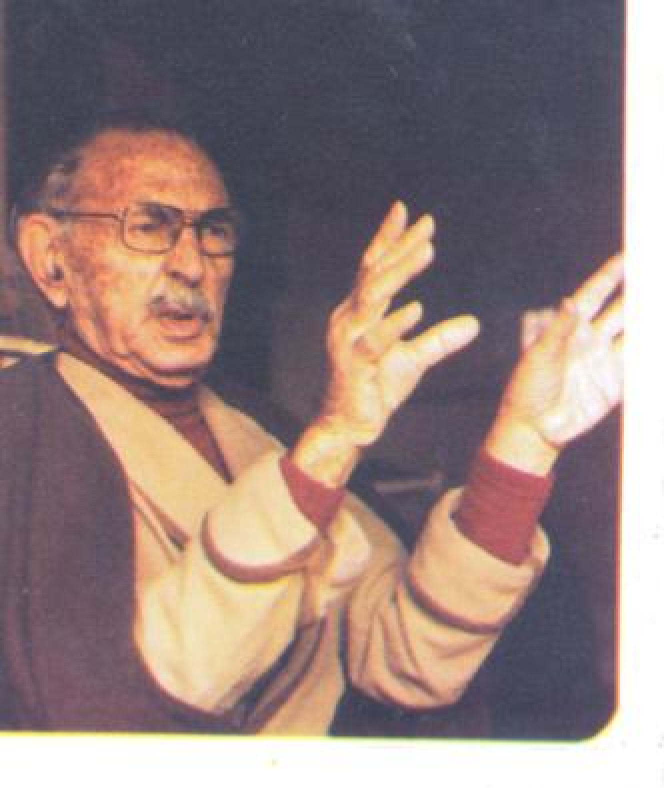
رجل يملك عقله !

بقلم : مصطفى نبيل

المهندس حسن فتحي محارب فوق الثمانين ، يدافع بجسارة عن أفكاره . ولا يمل من الدعوة الى نظريته ، ويقدم حلولا عملية لمشاكل الاسكان في الوطن العربي . تقوم هذه الحلول على معادلة دقيقة بين الأصالة والمعاصرة ، وأداته التشكيل وليست الكلمة وحدها ، ينادي بعمارة ترتبط بالواقع والبيئة وتعبر عن شخصية وحاجة ساكنها . .

ويؤكد ـ الى جانب تبشيره بما يؤمن به ـ أنه لا توجد مهنة في معزل عن المجتمع ، وهو يمزج العمارة بالسياسة ، والتاريخ بالفن . . صاحب نظرية متكاملة أخذ يدعو اليها خلال نصف قرن ، وتوحد مع قضيته وأصبح رمزا لها ، ونال التقدير في المحافل المعمارية الدولية ولم يواجه سوى الصعوبات من بني قومه . !





■ المبنى كالنبات
يخرج من الأرض
التي يقام عليها

■ إذا صح التقدم
والتخلف في الصناعة
فلا يصح في الثقافة
والفنون

■ بيت أبي
كل خطوة فيه لها معنى



حسن فتحي في شرفة منزله وخلفه مسجد السلطان حسن .

وقصة حياته ملحمة نضالية مستمرة ، ولد حسن فتحي في مطلع هذا القرن ودرس العمارة في مدرسة المهندسخانه في القاهرة ، وبعد تخرجه جاب بلاده مهندسا ، وكان أول من نبه إلى قيمة وعمق التراث المعماري العربي ، وعمل أستاذا للعمارة في كلية الفنون الجميلة ، فتربى على يديه جيل من المعماريين الذين عشقوا العمارة التقليدية القديمة ، وكرس حياته لبناء قرية عصرية على أسس البناء القديم ، فمنذ مشاهدته تعاسة القرية العربية وشقاءها اكتشف أن أفضل مهندس هو الفلاح ذاته ، وأخذ يبحث في ضوء العلم الحديث : كيف يبني قرى أفضل . . . ؟ ثم كيف يصل الى معمار أكثر أصالة ، والعمارة عنده موسيقا جامدة تتكون من ايقاعات وأنغام ، ويدرك أن كل الفنون لابد لها أن ترتبط بالبيئة واقتصادياتها . .

واجه الأحباط في الكثير من مشاريعه ، وأثارت قرية « القرنه » التي صممها جدلا لم يتوقف حتى الآن ، فأثارت أكبر قدر من الاعجاب ، وكتب الروائي الكبير فتحي غانم قصة « الجبل » دفاعا عن حسن فتحي ، وقدم رؤيته من أن فشل « القرنه » يعود الى تحالف غير مقدس بين حراس الآثار المصرية ومهربيها ، فبعد أن كانت « القرنه » أيام الفراعنة مقابر مدينة طيبة في الأقصر ، ودفن فيها الملوك والأشراف ، اكتشف الاهالي أن تحت بيوتهم كنوزا ، وأخذوا ينقبون عن الآثار ويبيعون ما يعثرون عليه ، وعندما قررت مصلحة الآثار بناء قرية جديدة ، كان من الطبيعي أن يقاوموا ذلك ، وقد صممها حسن فتحي ، ولم يستورد لها « اسمنت » ولا حديد ، فعنده البيوت المبنية من الحجر أو الطمي أصلح البيوت لسكن المناطق الحارة ، ونجح في أن يتكلف المتر من مباني هذه القرية ثلاثة جنيهات وستين قرشا فحسب ، ورغم

الديكور الداخلي لمنزل المهندس حسن فتحي .



عظمة الانجاز الذي حققه ، لم ينتقل اليها أحد ، ولكن كان لها صدى واسع في الأوساط العالمية ، فقام معهد العمارة الاستوائية بلندن ، ومعهد أثينا التكنولوجي وجامعة أريزونا بوضع نموذج قرية « القرنه » ضمن مناهج دراستها ، ويحتفظ متحف بوسطن بنموذج « القرنه » كمثل لتطور العمارة الريفية ، ونظمت جامعة أثينا رحلة سنوية لطلبة العمارة لدراسة القرنه . .

ولقي كتابه الذي سماه « العمارة للفقراء » نجاحا واسعا ، وقد أصدره باللغة الانجليزية ـ لعدم وجود ناشر بالعربية ـ ، وترجم الكتاب الى خمس لغات ، وراج لأول مرة كتاب عن العمارة في فرنسا ، وصدرت منه ثلاث طبعات ، وكتبت عنه مجلة نوفيل أبزرفاتور قائلة : « لم يسبق أن وضع مهندس برنامجا مدروسا بدقة ، واحترام شديد ، راعى خلاله كل المميزات والحاجات والملامح الثقافية والاجتماعية والاقتصادية لمجموعة انسانية .

وقالت عنه منظمة اليونسكو أنه أحسن مهندس للبيئة في العالم ، وقامت بانتاج فيلم وثائقي عنه وعن أعماله المعمارية . .

وأصبحت « القرنه » عنوانا لمزيج عجيب من النجاح العظيم والفشل الكبير وبعدها هرب من فشله ، وسافر الى الخارج ، ولكنه سرعان ما عاد ، ويعلق بمرارة على ذلك بقوله : « لقد رفضت عروض العمل في المؤسسات العلمية الأجنبية ، وأدرك الآن كم كنت مخطئا ، فلو قبلت ما عرض علي ، لنقلت الى جامعاتنا ما توصلت اليه من الجامعات الأجنبية ، ولم أتكبد كل ما عانيته !

ومازال المعماريون يختلفون حول فتحي ، فمن قائل : « ان تأثيره كأستاذ أعمق بكثير من تأثيره كممارس . . . » وقال آخر : « انه يعمل كمهندس مملوكي في العصر الحديث . . . » ويقول الكثيرون : « إن أفكاره لم تنفذ بالكامل بعد ، فلا قرية القرنه اكتملت ، ولا قرية باريز نفذت ، فالمؤسسات المهيمنة لم تستوعب مفاهيمه ، وحالت دون اكتمال تجاربه » .

في بيت حسن فتحي

ولعل لقاء المهندس حسن فتحي يلقي الضوء على نظريته ، ويساعد على الوقوف معه أو ضده . .

يقودك الى بيته في درب اللبانه العتيق في حي القلعة بالقاهرة حيث يعيش في بيت مملوكي قديم ، يفوح منه عبق الماضي ، يقوم على ربوة يلتقي عندها جبل المقطم وقلعة صلاح الدين في أحد بيوت القرن الثامن عشر ، يعيش وحده بلا زوجة ولا أبناء ، هنا يلتقي بتلاميذه ومحبيه ، حياته حلم متصل لأبناء شعبه . .

يأتي صوته عميقا متهدجا وهو يقول عن بيته : « لقد نشأت بين أهل هذا الحي ولا أستطيع العيش في مكان آخر ، وأشعر بالغربة في حي مثل الزمالك ، فهنا تحيطني القباب والمآذن التي تضفي على المنطقة طابعها العربي والاسلامي ، ولا أظن أن هناك ما يفوق هذا البيت روعة وجمالا ! . . » يأخذني الى شرفة بيته التي تطل على مآذن مسجد السلطان حسن ومسجد الرفاعي والقلعة ، وأمامها بانوراما القاهرة ويكمل : « على أرضنا بدأت العمارة وأصبحت فنا مقدسا ، فالبناء إبداع يبثه المعماري كل روحه ، ويمجد به الحياة ، وقدرة الانسان . .

ولا يكاد المعماريون عندنا يعثرون على طراز للعمارة ظهر في الخارج الا ويسارعون بنقله باسم المعاصرة ، وأصبحت مدننا وعواصمنا خليطا يمثل طمس الانسان العربي ، وخنق شخصيته وروحه وحبسها في مكعبات معمارية . . واتسعت المأساة وانتقلت من المدينة الى القرية والبادية . . » ويضيف : « لقد وقع ذلك الافتراق بيننا وبين عمارتنا مما أوصلنا الى حالة الاغتراب التي نعيشها ، وبعدت الشقة بيننا وبين تراثنا المعماري الأصيل ، ويمتد ذلك الى بعيد . . الى زمن الاحتلال عندما خضعت البلاد العربية جميعها للاحتلال العسكري ، واتجه فيها التعليم نحو الحضارة والثقافة العربية ، ووصلت ثقافتنا المعمارية والفنية الى ازدواج الشخصية « فرانكو آراب » وظهر ما نعيشه من حيرة ، فاما أن تكون مجتمعاتنا عربية ، فنعمل على تثبيت ميراثنا وتطوير فننا ، ليس لمسايرة الزمن فقط ، بل وسبقه أيضا أو أن تكون أوربية فنسير في طريق الغرب ، ولا أقصد أن نغلق أعيننا وندير ظهورنا لنتاج الثقافات أو الحضارات الأخرى ، غربية كانت أو شرقية ، نافعة أو ضارة ، ففي بعض منتجات الثقافة المعمارية الأجنبية التخطيط الحديث ، والأشكال المعمارية المبتكرة ، والاستخدامات الانشائية التي تستخدم الخرسانة المسلحة ، بما يحل مشاكل قائمة في البلدان العربية والافريقية أكثر مما تتعلق بالبلاد الغربية ذاتها ، وكأن المسائل التي تتطلب الحل عندنا بقيت سابحة في الهواء حتى قابلت ذكاء المهندس الغربي ، بينما لم يهتم المهندس ابن المنطقة بوضع رأس مسألته الحائرة ، ولهذا فمن الضروري التعرف على طبيعة المجتمع الذي نخطط له ،

واذا أخذنا ـ كنموذج ـ ما جرى في مصر ، وجدنا أن التحول عن العمارة التقليدية بدأ خلال فترة الاستعمار في عهد الخديو إسماعيل ، والذي نادى بأن تكون مصر قطعة

من أوروبا ، وأخذت تحل محل العمارة الاسلامية ، العمارة كما ظهرت في عصر النهضة في إيطاليا مما انعكس على تخطيط المدن ، ولعل شارع محمد علي في القاهرة الذي أقيم في هذه الفترة شاهد على ذلك ، فقد نقل عن شارع بوليفار هوفمان في باريس .

وبدأ الخديوي وقلده الباشوات ، وقلد الباشوات البكوات ، وقلد الأفندية البكوات ، وأخيرا قلد الفلاحون الأفندية ، ففقدت العمارة كل أصالتها وطابعها الخاص والمميز . !

وكان وصول هذا التقليد الممسوخ الى الريف من أخطر الظواهر بعد أن احتضن الريف طويلا الطابع الخاص ، واستمر يحمي ما يمكن تسميته بالجينات وكروموزات الأمة ، التي تحفظ طابعها وعندما يصل المسخ الى الريف ، تصبح الأمة في خطر عظيم . !

هذا بعد أن كانت العمارة هي الاضافة الحضارية لمصر القديمة ، فكما اشتهرت إيطاليا بفن التصوير وتخطيط المدن ، وكما اشتهرت المانيا بالموسيقا ، اشتهرت مصر القديمة بأعمالها المعمارية الفذة . .

ودخلت العمارة الاسلامية الى مصر في مطلع القرن الهجري ، وشهدت أهم مراحلها في العصر الفاطمي وهي مازالت ماثلة في الأزهر الشريف ، ومسجد الحاكم بأمر الله ، ووصلت الى ذروتها والى أدق مراحلها في العصر المملوكي ، عندما أعطيت الفرص كاملة للحرفيين والمعماريين ، وعمروا حسب مواهبهم وتفجر فيهم الابداع ، حتى وصلت العمارة العربية في مصر الى قمتها في القرن الرابع عشر . .

وضاعت معالم عمارتنا

وبدأ التوقف في القرن الخامس عشر ، ثم أعقبه الاضمحلال ، ودخل عصر اسماعيل مرحلة الاغتراب الكامل . !

وعندما كنت أدرس في المهندسخانه، لم تدرس العمارة الاسلامية ، فالأساتذة الذين كانوا يدرسون العمارة من البريطانيين ، ودرسنا العمارة الأوربية ثم النهضة الأوربية الأغريقية والرومانية ، أما اللمحات التي ذكرت عن العمارة الاسلامية فكانت في إطار العمارة التاريخية وفنون البلاد البعيدة **Exotic Architect** وهي من حولنا . .

ومن قبل أخذ السلطان سليم كل البنائين والحرفيين من مصر ، ثم جاء اللورد كرومر المندوب السامي البريطاني ، فقضى على النقابات وتجمعات الحرفيين المختلفة ، فأضاع آخر ما تبقى من التراث المعماري ، ولكن ـ بحمد الله ـ بقي عدد قليل من الحرفيين ، الذين يضيفون بعض التكوينات الزخرفية ، مثل المشربيات أو المقرنصات على البيت الأوربي ، وهذا ليس طرازا عربيا ، فالعمارة الاسلامية هي التشكيل القائم في الفراغ ، والذي تشغله مجموعة المباني والطرق والساحات التي تتكون منها ، يقوم الانسان بتكوينه لايواء كافة نواحي النشاط الحضاري التي تعبر عن ثقافة وشخصية ساكنيها ، أي أنه تشكيل ثقافي ، اجتماعي واقتصادي . .

الاستعمار الذاتي !

ويضيف المهندس حسن فتحي ، يقول جوستاف بتول رئيس إحدى لجان الأمم المتحدة : « قديما كان الاغتراب الثقافي والحضاري يفرض من قبل الحكام ، هذا ما قام به الامبراطور الاسكندر في روسيا ، ومصطفى كمال اتاتورك في تركيا ، أو يفرض بقوة الاحتلال الأجنبي ، ولكن اليوم تحولت الظاهرة الى ما يمكن تسميته بالاستعمار الذاتي عندما تبدأ أمة بتقليد أمة أخرى برغبتها ، وليس بقوة الحكام ولا بقوة الاحتلال ، وهو ما تشهده دول العالم الثالث ، والتي تسعى الى تغيير لون جلودها معماريا وحضاريا وثقافيا ، أي تغيير ملامحها الحضارية والثقافية ، وهذه بلا شك نكبة كبيرة ، وتؤثر تأثيرا مدمرا على الشخصية المحلية ، وعلى نضوب ينابيع الابداع في هذه الدول . . . »

قلت : ولكن الصيحات التي اطلقتها منذ نصف قرن ، أخذت تلقى استجابة في العديد من البلدان العربية ، وأخذنا نشهد تحولا ملحوظا في اتجاه العمارة الاسلامية . . ؟

قال : « نعم . . لقد ارتفعت اليوم صيحات الأصالة والبحث عن الهوية وانعكست هذه الصيحات على اتجاه جديد نحو العمارة الاسلامية ، وأخذت الندوات العلمية عن العمارة الاسلامية تعقد في كثير من البلدان العربية ، وأقام الأمير أغاخان جائزة لأهم عمل معماري إسلامي ، وقد قلت للأمير : « ان هذه الأموال التي تنفق على الجائزة من الأفضل انفاقها على البحوث العلمية التي تؤدي الى إقامة نماذج للعمارة الاسلامية التي تراعي النواحي الوظيفية والجمالية ، وتقوم بتحليل البيت العربي ، كما سبقنا الى ذلك دانيال دالام ، وأثبت بالبحث العلمي سحر البيوت ذات الصحن ، كمنظمة للحرارة ، وكان من الأجدر أن يقوم أصحاب العمارة أنفسهم بهذه الأبحاث وأن تتوسع في الدراسات العلمية التي قام بها الدكتور أمين يونس في معهد أبحاث البناء في القاهرة ، والذي أثبت أن

درجات الحرارة في البيوت الاسلامية أقل خمس درجات مئوية على الأقل عن مثيلتها الحديثة في الصيف ، وأكثر دفئا في البرد ، أي أن البيوت الحديثة متخلفة عن البيت العربي ما بين ٥ و ١٠ درجات ، والأجدى تشجيع أولئك الباحثين التي جذبتهم تلك الدراسات .

بل عندما زرت خان الخليلي بصاحبة فيليب جونسون المعماري الأمريكي المعروف ، ذكر لي : أن ايكوربورجيه أخذ أعماله الرائعة من خان الخليلي ، فالأجانب يستوحون من أعمالنا القديمة ، واكتفينا نحن بالنقل عنهم « نقل المسطرة .. »!

وتأتينا بينة أخرى من جامعة الأمم المتحدة في طوكيو ، عندما قام الدكتور عبدالرحمن سلطان أستاذ العمارة بها بدراسة حول النسب الجمالية للقاعة الاسلامية ، وأثبت أن نسبها وأبعادها الهندسية تخضع للنسبة الذهبية ، وان ايقاعها منتظم مثل قطعة موسيقية ، وأدخل عامل الايقاع في دراسة الشكل ، وتقوم على نسب هندسية رياضية تستريح لها العين ، ولها « ريتم » خاص يريح العين والنفس معا . »

وعلميا لابد أن تخضع العمارة الاسلامية الى التحليل ، والى مكوناتها الرئيسية ،وتطبقها على التصميمات الجديدة ، ونحافظ على ما يستحق أن يبقى ، ونتخلص مما يجب أن يزول ، ولا نأخذها على أنها مسألة تاريخية ثم انتهت . فالعمارة لا تهم مثل العديد من الأشياء مثل حاجة الانسان الى الخبز مثلا .

وبقى ان تدخل العمارة الاسلامية الى الجامعات العربية ، وأن نلجأ الى الحلول التي ابتكرها القدماء ، واستخدام التشكيلات القديمة ذات الفعالية المستمرة ، واستخدامها في عمارة جديدة .. »

البيت العربي

سألته : ما هو ملامح البيت العربي ..؟ وكيف تتحدد مواصفاته .؟

قال : العمارة الاسلامية تسبق الثورة الصناعية ، وقامت قبل استخدام المواد المصنعة . عندما كان الانسان يتفاعل مع المواد الطبيعية : الطوب والحجر والخشب ، وكان يقوم بينه وبين المادة حوار خلاق ، وكان المعماري يعمل بلا مهندس وبلا لوحة رسم ولا ورق شفاف . وهنا توقف عن الحديث وسرح ببصره الى الافق الممتد أمامه من شرفة بيته ، ثم مضى يقول : « ويظهر جمالها في القباب التي تراها من حولنا .. وكانت الحرف متوارثة ، ولتتصور مثلا نحت الحجر ، كان النحات يزيل الزائد ، وعندما يفعل ذلك يضفي روحانية خاصة على الحجر ، ويستخدم مواهبه في علاقة جدلية مع ذلك الحجر الذي سيضعه في المئذنة أو في القبة ..

وهناك قصة تروى عن رجل قابل ثلاثة كل منهم ينحت الحجر ، فسأل الاول ، ماذا تفعل ..؟ أجاب : « اكسب عيشي » وسأل الثاني : فأجاب : « أنحت الحجر .. » وسأل الثالث فقال : أبني الجامع .. » وهناك فرق جوهري بين الثلاثة الذين يقومون بذات العمل ، ففي العمارة الحديثة ، غاب التفاعل بين الانسان والمادة التي يقيمها .

وعاد يطل على مسجد السلطان حسن ويقول : « إن جامع السلطان حسن أقدم بكثير من جامع الرفاعي المقابل له ، ومع ذلك يبدو جامع السلطان حسن جديدا ، لأن جامع السلطان حسن روعي عند اختيار احجاره ، توجه كل صخرة ، وفقا لتوجهها السابق قبل القطع ، وبقيت في ذات الوجهة نحو الشمس والهواء ، أما تلك الصخرة التي تصبح بعد قرون لا تشرق عليها الشمس ، عندما يعاندها البناء ويوجهها غير وجهتها الأصلية ، سريعا ما يصيبها الهرم .! ، فالمبنى خارج من الأرض المقام عليها مثل النبات .

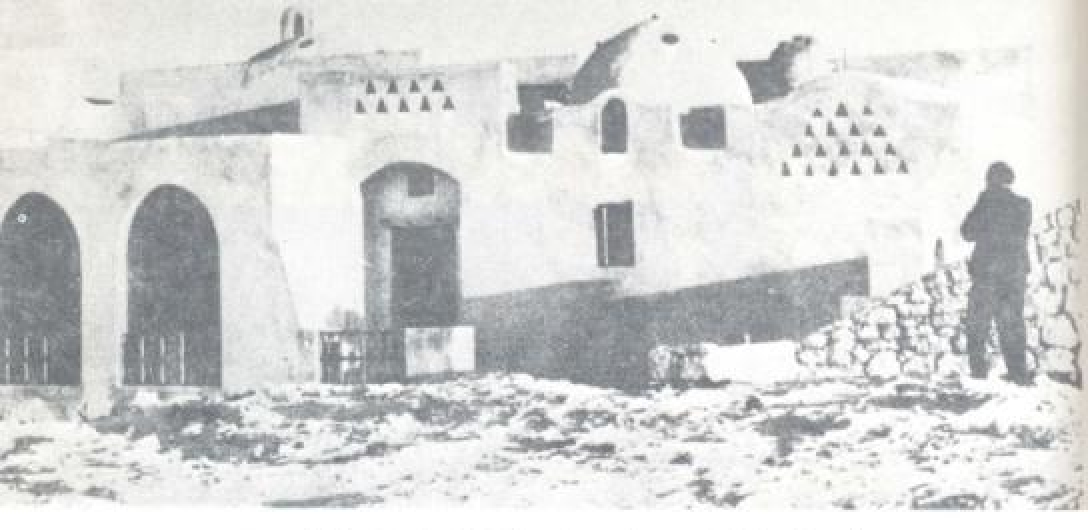
فالبيت العربي يهتم براحة ساكنه ، راحة مادية ونفسية ، ويوفر له الخصوصية التي ينشدها ، ويراعى في تصميمه أيضا معالجات الصوت والاضاءة والحرارة وكذلك يهتم بالروابط الأسرية داخل البيت ، وبالروابط الاجتماعية داخل المجتمع ..

والقاعة هي أهم عنصر في البيت العربي ، وهي عبارة عن فناء مفتوح تحيطه ايوانات في كل الاتجاهات ، كما ان القباب وملاقف الهواء التي ورثناها هي أصلح أساليب البناء في الصحراء وفي الريف ..

والبيت العربي هو بيت المستقبل ، وقد اعترف الباحثون الأجانب بذلك ، ففي اسكتلندا وايرلندا تنتشر البيوت المبنية على الطراز العربي ، وتقام البيوت ذات الصحن التي تفتح أبوابها الى الداخل ، وبها عدد من الاحواض التي تساهم في تلطيف الهواء الذي ينتشر في كل اركان البيت .

الأصالة والمعاصرة

وسألته : إن ما يدور في مجال العمارة ، والتراوح بين العمارة العربية والعمارة الحديثة ، ما هو إلا صورة من الصراع بين القديم والحديث ، فما هو حل المعادلة في نظرك بين الأصالة والمعاصرة ، وإلى أي حد ينبغي المزج بينهما .. بعد التغيرات التي شهدها العالم ، سواء في وسائل المواصلات ، أو الثورة الصناعية أو التغير الذي



أحـد النمـاذج الـتي صممها حسن فتحي على شاطىء البحر في سيدي كريم .

تم في التقاليد والأزياء ودور المرأة . . ؟

وقال : « إني لا أعترض على العمارة الافرنجية ، بل إني أراها تناسب أهلها ولكنها لا تناسبنا ، فهناك متبادلات ثقافية بين الثقافات والحضارات المختلفة ، وهناك ما لا يقبل التبادل ، والعمارة ليست من هذه التبادلات ، فلا يمكن أن نأخذ عمارة أجنبية ونزرعها في بلاد شرقية ، دون مراعاة للعادات وظروف البيئة والوضع الاقتصادي ، فمثلا هناك بحث عن العمارة في السعودية ، يوضح اختلاف العمارة بين الشمال والجنوب ، وبين الشرق والغرب داخل البلد الواحد ، وعندما يصمم المهندسون الأجانب أو العرب العمل المعماري ، فليس لديهم فرصة لمعرفة ما قام به القدماء ، ونجد أن عمارة جدة تختلف عن عمارة الدرعية ، وكل منها بها حلول لظروف البيئة لا تجدها في العمارة الحديثة . .

« تجاهل المصمم الحديث كل ذلك ، واستخدم العمارة الافرنجية ، وأقام بيوتا من الخرسانة والألمنيوم والمعادن المنفرة ، وأقام الواجهات الزجاجية في بلاد صحراوية ، والزجاج شفاف تخترقه الأشعة فوق البنفسجية ، واذا تعرضت واجهة غرفة مساحتها ٣ متر × ٣ متر لأشعة الشمس دخل الغرفة ما قيمته ألفا سعر حراري في الساعة ، ويحتاج بالتالي الى « ٢ طن » تبريد . ولا شك في أن المهندس الذي أقام هذا المبنى متخلف ، ويمكن قياس درجة تخلفه ، بـ ٢ كيلو سعر حراري . . !!

ولا يوجد في الواقع دول متقدمة وأخرى متخلفة ، إنها أسطورة ابتدعتها الدول الصناعية لكي تجذب الى فلكها الدول الصغرى ، فاذا صح التقدم والتخلف في الصناعة ، فهو لا يصح في الفنون والثقافة والتي منها « المعمار » ولكل دولة طابعها الخاص الذي تتميز به عن غيرها . .

والمشكلة الحقيقية أن شعوبنا ـ كما ذكرت ـ عانت من عملية غسيل المخ والتفرنج ، مما صور لها أن التطور والتقدم هما التفرنج ، وعندما ترجع لأصلك يسارعون لاتهامك بالتخلف . .

وهناك جملة أحبها ولا أكف عن ترديدها ، قرأتها في رواية للكاتب انطوان دي بري ، تدور أحداثها في قلعة لأحد أمراء الطوارق ، وجاء على لسان أحد أبطالها : « منزل أبي الذي كل خطوة فيه لها معنى . . » لقد أدرنا ظهورنا لمنازل آبائنا ، وأصبحنا لا نبني لمتعتنا ، انما نقيم منزل العم سام الذي كل خطوة فيه لا تخلف سوى « الدوار » !

وأتساءل : هل حدث تغيير في نظام العائلة العربية ، وأصبح الأب والأم والبنات والأولاد يقوون في الشارع ، اذا كان الأمر كذلك ، فاذن أنا أوافق على واجهات الزجاج الجديدة ، أما اذا كان نظام العائلة مازال قائما كوحدة أساسية في المجتمع العربي ، فالعمارة الاسلامية مازالت هي الأساس ، فالصفة الرئيسية التي تميزها هي الانعكاف على الداخل وليس على الخارج ، واذا كانت الأسرة العربية مازالت تنظر الى قدسية السماء وليس لقدسية الشارع بتلوثه وضجيجه وسياراته ، فالعمارة العربية هي الحل ، أما اذا ثبت أن هناك ما هو ضار فيجب الغاؤه . .

الصحن في دترويت !

بل لقد بدأت مدينة مثل دترويت معقل صناعة السيارات في الولايات المتحدة تنفذ فكرة اقامة بيوت مفتوحة على صحن داخلي ، وأخذت البيوت المقامة على

هذا الطراز تباع على الخرائط ، بعد أن أدركوا أن المدينة اصبحت ملوثة بالضجيج والاشعاعات المختلفة . .

وقد صممت دار الاسلام ومستوطنة للمسلمين في بلدة ب . كيو B.Q شمال « سانتافي » بنيومكسيكو بأمريكا ، فأثارت ضجة كبيرة في الأوساط المعمارية ، وعندما ذهب عدد من البنائين من النوبة لاقامة القباب والقبوات ، لقط الأمريكيون الحرفة وجاء الجميع ، حتى السيدات للمشاركة في البناء . .

وأصبحت هناك مناطق بأكملها مبنية من الطوب الأخضر ، وحتى المطار يوجد به حائط واحد استخدمت فيه مواد غير الطين ، فكيف لا نستخدمها بعد أن اثبتت البحوث انها اقتصادية وحضارية . . »

وعدت أسأله : لقد وقع تغير في وسائل المواصلات من الجمل الى السيارة ، وتلحظ أثر الجمل في عمارة سيؤون في اليمن ، الذي اقيم للجمال طريق يدور حول المبنى ، ونلحظه في أزقة غدامس بليبيا التي تكاد تسمح بمرور قافلة الجمال ، واليوم اصبحت السيارة هي وسيلة المواصلات . . ألا يؤثر ذلك على العمارة وتخطيط المدن . . ؟

قال : « ان دخول السيارة كان يتطلب تعديلا في عقل المخطط المعماري وتكوينه . بعد أن ظهر أمامه « مشكل جديد » وعندما لم يكن على مستوى هذه المشكلة ، عالج الموقف علاجا مبتسرا ، فوسع الشارع على حساب البيت العربي ، ليثبت أنه يعرف ، وهو جاهل ! لأن هناك حلولا سليمة في تخطيط المدن ، تعمل على الحفاظ على التصميم الأصلي ، وليست السيارات مبررا لالغاء البيوت التي تطل على الداخل .

نعم . . هناك اختلافات في العمارة العربية بين مكان وآخر ، وهذا الاختلاف ناتج عن اختلاف البيئة ، ولكن هناك وحدة تصميم مثل الانعكاف كما ذكرت - ووحدة الزخرفة ، فمثلا جدة على ساحل البحر ، والمناخ رطب ، والدرعية وسط الصحراء ، وترتفع درجة الحرارة في الجو الصحراوي الى درجة عالية وتهبط نحو ٢٠ درجة مئوية ، لذلك أدخل المعماري في عمارة الدرعية الصحن ، ولكن في جدة لا تهبط درجة الحرارة التي تعكسها الرطوبة ، ولذلك يستخدم المعماري الفتحات ، والواجهة كلها مشربيات للتهوية . .

المعمار والابداع

قلت : كان الوعاء الذي عرفت منه ، هو بيت الفلاح ، فما هو تفسيرك في أن الفلاح الذي عملت من أجل إعادته الى بيته القديم - مراعيا العناصر الجمالية والاعتبارات المناخية والعادات والتقاليد - رفض ما قدم له . . ؟

يقول بحرارة : لقد كانت العمارة الشعبية النوبية من أجمل ما خلف من العمارة ، فيها البساطة وصفاء الروح ، كان كل بيت تحفة ، ومحيت العمارة الشعبية النوبية ، وأقيمت بدلا منها منازل يعيشون فيها غرباء ، ولو بناها النوبيون على نمط عمارتهم ، وتعبيرا عن حاجتهم . . فأي أثر جمالي سيقوم الى جوار السد العالي ؟

اننا اذا أقمنا القرية التي تحقق للفلاح ذاته ، وتسكن فيها روحه ، فاننا نحرر كل قدراته على الانتاج والابداع ، وسوف يفيض سيل من الفن الذي يبدعه روح فنان وجد ذاته .

والفلاح مظلوم ، منذ أدخل محمد علي نظام الالتزام ، وتحول الفلاح الى أجير ، وعندما يتطلع الى التغيير يقلد الطبقة الوسطى المتفرنجة ، ولا يقلد تراث أجداده الذي اندثر او كاد ، والقيمة التي بذرها الطبقة الوسطى أنه لكي يتطور ، يستخدم الخرسانة المسلحة مقلدا الطبقة المهيمنة ، وهي طبقة متخلفة تقلد الافرنج ، وبدلا من إقامة عمارة ما فوق الفلاح ، تقام عمارة ما تحت الأفندي ! . . وتصبح العمارة العربية ماتحت العمارة الافرنجية ، فالمقلد مهما بلغت قدرته ، فقد حكم على نفسه أن يكون أدنى من الذي يقلده . !

وتقع مسؤولية ما يقع على المثقفين الذين ينشرون الوعي والمعرفة ، فاذا كان الرجل العادي لا يملك أدوات التحليل العلمي . . فماذا تنتظر منه ؟»

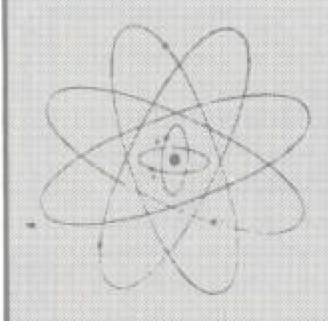
قلت : أنت القائل ، البيت يسكنه واحد ويبنيه عشرة فماذا تعني . ؟

قال : « نعم الواحد لا يستطيع ان يبني بيته ، ولكن عشرة يمكنهم أن يقيموا عشرة بيوت ، ومازالت بقايا هذا النظام قائمة في المجتمعات النائية ، فعندما زرت قرية « جناح » بالواحات الخارجة ، شاهدت تجربة هامة ، فعندما ردمت رمال الصحراء القرية ، قرر الأهالي إقامة قرية جديدة ، ورفض كهل تربطه ذكريات عاطفية بمنزله مشاركتهم ، وسألت عمدة هذه القرية : ماذا سيفعل هذا الكهل عندما تردم الرمال بيته . . ؟! فأجابني : لا تفكر ، لقد بنينا له بيته معنا » ففي مجتمع الصحراء مازال الحس الجماعي قائما . . ومازالت العمارة الاسلامية باقية على تقاليد التعاون التي تفتقدها المدينة . . »

وبعد ، فان الذي يميز المهندس حسن فتحي هو الصدق مع البيئة دون انحراف ، وادراكه لأثر الثقافة والفنون والتقاليد والوضع الاقتصادي ، واستطاع بفكره الثاقب أن يتجاوز عالما تهيمن عليه الحضارة الغربية بحلوها ومرها . ○

الجديد في العلم والطب





اعداد :

يوسف زعبلاوي

حقن جديدة لمنع الحمل ..

آمنة وفعالة ..

منذ حوالي عشرين سنة وعقار منع الحمل الجديد يستعمل على نطاق واسع في عدد كبير من الدول .. اطلقت عليه الشركة التي تصنعه وهي أب جون (upjohn) اسم ديبو - بروفيرا (depo — provera) .. وهو يحقن حقنا في الذراع فيمنع الحمل طيلة ٣ شهور .. وانتشر العقار في ٨٠ بلدا واستعملته ١١ مليون امرأة .. وثبتت فاعليته في اكثر الحالات ، ان لم تقل كلها . وقد أقرت هذا العقار منظمات صحية عالمية مختلفة .. نذكر منها : منظمة الصحة العالمية .. ومنظمة ترشيد الأبوة الدولية .. وكلية امراض النساء والتوليد الامريكية وكلية الطب في جامعة امروى Emroy في الولايات المتحدة .. اضف الى ذلك ان العقار ليس جديدا بحد ذاته .. فقد كان معروفا ومرخصا منذ زمن لمعالجة بعض اورام الكلى السرطانية ، والجديد انما هو استعمال العقار لاغراض منع الحمل .. وقد اكتشفت فاعليته لهذه الأغراض منذ الستينات .. ومنذ ذلك الحين والعقار يصدر الى دول العالم الثالث .. وكأنها حقل للتجارب البشرية ، التي تحتاجها الشركات الامريكية .. وثبتت فاعلية الدواء كما اسلفنا وثبتت افضليته على وسائل منع



الجديد في العلم والطب

الحمل الاخرى المعروفة .. حبوبا كانت ام لوالب ..

بيد ان وكالة الغذاء والدواء في واشنطن حظرت قبل مدة استعمال حقن منع الحمل الجديدة في الولايات المتحدة .. كان ذلك سنة ١٩٧٨ وفي اعقاب التجارب والدراسات التي اجريت للعقار على الحيوانات والتي اشارت الى احتمال الاصابة بسرطان الثدي بسببه ، وقد ظهرت اعراض هذا السرطان في الكلاب التي شملتها بعض تلك التجارب.كذلك ظهرت اعراض سرطان الرحم (uterus) في القرود التي حقنت بالعقار الجديد بقصد التجربة .

ويطعن اطباء شركة اب جون وغيرهم في هذه التجارب . ذلك ان الجرعات التي اعتمدتها كانت كبيرة جدا ، أكبر من الجرعات البشرية العادية بحوالي ٢٥ مرة ! ويعيد هؤلاء الاطباء الى الذاكرة قصة السكارين .. كيف حظرت استعماله الوكالة الامريكية المذكورة استنادا الى تجارب مفتعلة ومضللة ، وذلك بالنظر للجرعات الكبيرة جدا التي اعتمدت عليها تلك التجارب .. وكيف تراجعت الوكالة بعد ذلك وسمحت باستعمال السكارين الذي مالبث أن عاد الى الاسواق كالسابق . لاعجب اذن أن عمدت شركة اب جون مجددا الى مطالبة وكالة الغذاء والدواء برفع الحظر عن عقار الديبو ـ بروفيرا والسماح باستعمال حقنه لاغراض منع الحمل ..

وقوام العقار المذكور هرمون البروجسترون المستحضر اصطناعيا .. فمن شأن هذا الهرمون ان يمنع الغدة النخامية (pituitary) عن افراز هرموناتها الكفيلة باحداث الاباضه (ovulation) في المرأة .. ومعنى هذا منع البويضة عن الظهور .. وبالتالي منع احتمال تلقيحها .. ومنع حمل المرأة ، تبعا لذلك .

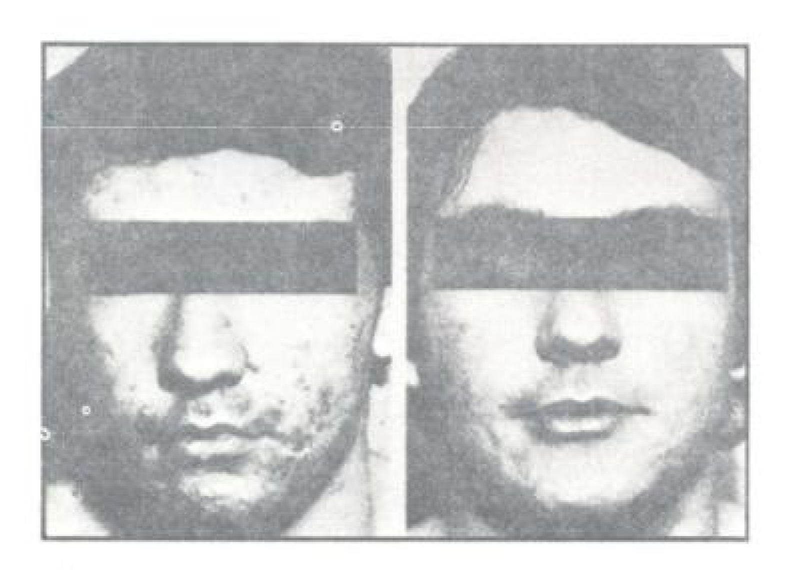
اما رد وكالة الغذاء والدواء على طلب الشركة فدليل على عدم اقتناع الوكالة بوجاهة قرارها بحظر العقار.اذ شكلت لجنة تحكيم ثلاثية للاستماع لحجج كلا الفريقين واتخاذ القرار المناسب الذي يضمن صالح المرأة الامريكية .

حب الشباب . . . لم يعد تلك الآفة المستعصية

ثمة عقار جديد سينزل الأسواق قريبا .. وهو كفيل بالقضاء على حب الشباب بنوعيه .. العرضي ، الذي يصيب المراهقين ولا يلبث ان يزول مع زوال المراهقة .. وحب الشباب المزمن .. المكيّس **cystic** .. ذي الحبوب العميقة الحمراء ، التي كثيرا ما تتحول الى ندوب أو شقوق تشوه الوجه مدى الحياة ... فالعقار الجديد يبشر بالشفاء التام من حب الشباب المزمن هذا .. فضلا عن حب الشباب العادي ..

هذا على الأقل هو ما تؤكده الشركة التي تصنع العقار الجديد .. شركة لاروش (في نيوجرسي في الولايات المتحدة) .. فقد أجرت تجارب لا تعد ولا تحصى على العقار الجديد (**Accutane**) الذي لايعدو كونه مستحضرا مركبا من مشتقات فيتامين **A** .. وله اسمان علميان :

13- cis- retinoic acid



وأيضا Isotretinoin وقد اشتهرت الشركة الأم (روش السويسرية) بصنع مركبات هذا الفيتامين منذ زمن بعيد .. أما التجارب التي أجروها علي(الاكيوتين) طيلة السنوات السبع الماضية .. والتي أجروها من أجل الظفر بموافقة دائرة الغذاء والدواء في واشنطن ، والحصول علي ترخيصها للعقار الجديد ليسمح بتوزيعه في أسواق الولايات المتحدة الامريكية . . . هذه التجارب قد تكللت بالنجاح بنسبة ٩٥٪ ، علما بأنها شملت المئات من المصابين بحب الشباب بكلا نوعيه . . .

ومما يذكر أن المركبات المشتقة من الفيتامين A وتسمى Retinoids طورت او ما طورت قبل بضع سنوات وذلك بقصد معالجة السرطان . . . وما زال أحدها قيد التجارب حاليا لمعالجة سرطان الرئة . . .

أما العلاقة بين النقص في فيتامين A وحب الشباب فقد بدأ اكتشافها في الأربعينيات .. حين تبين لهم ان النقص المذكور يتسبب بحبوب تشبه حب الشباب .. ولكن فيتامين A لم يكن متاحا آنذاك الا علي هيئة غسول ، وقد جرب غسوله هذا فأفاد .. ولكن فائدته كانت محدودة .

وتجدر الاشارة الى أن حب الشباب يبدأ تحت الجلد .. وتحت جريبات الشعر folli-cles مباشرة .. حيث توجد الغدد ، subaceous وتكبر هذه الغدد أيام المراهقة وتفرز مادة زيتية sebum ..ومهمة هذه المادة تزييت الجلد وتطريته بقصد الحيلولة دون موته .. فاذا انسدت الثقوب القريبة من تلك الغدد ـ وهي تنسد نتيجة تراكم خلايا الجلد الميت ـ حبست المادة الزيتية المذكورة وتراكمت وتسببت بالتهاب الجلد الذي حولها .. ويتفاقم الأمر عندما تتكاثر البكتيريا في تلك المادة فيتضاعف التهابها ..

ولو تركت وشأنها لهان أمرها .. الا أن الكثيرين يعمدون الي حكها وفركها .. فتتحول من حبوب شباب عادية الي حبوب ضخمة ومؤلمة ومشوهة للوجه ومستعصية علي العلاج .. وقد تعذر القضاء عليها حتي بالكورتيزون الذي حقنوه فيها .. ولكن بلا طائل ..

من هنا كان عقار الشباب الجديد بمثابة الضالة المنشودة للملايين .. من الشباب .. لا سيما الصبايا اللواتي يتمتعن بوجوه حسنة ولكنها مشوهة بالحبوب .



أزمة الترجمة إلى العربية

بقلم : الدكتور عبد الوهاب العشماوي

تابعت على صفحات « العربي » ما كتبه الدكتور صفاء خلوصي (فبراير ١٩٨٣) ومن قبله الدكتور مصطفى كامل فودة (نوفمبر ١٩٨٢) عن الترجمة في عالم اليوم . ولست أنكر ما أضافه المقالان من حقائق وطرائف ، ولكنني كنت أرجو الى جانب هذه المساجلة الثنائية أن تحظى قضية الترجمة على صفحات « العربي » بمزيد من الدراسة أو البحث الذي يستهدف الكشف عن تاريخها وحاضرها وما نرجوه لها من مستقبل بعد أن أخذت اللغة العربية مكانها بين لغات العالم الأساسية ، وفرضت وجودها في المنظمات الدولية العامة والمتخصصة على السواء . بفضل ما مارسته الدول العربية وعلى رأسها السعودية والكويت من ضغوط سياسية ، وما قدمتاه من معونات مالية من أجل أن تصبح اللغة العربية لغة عمل دائمة في تلك المنظمات .

ولقد ترتب على ذلك ، ودون استعداد سابق ، أن اشتد الطلب والاقبال على سوق الترجمة الى اللغة العربية ومنها الى اللغات الحية الأخرى ، وغدا المترجمون عملة صعبة بلغة الاقتصاديين المعاصرين . وأدت الحاجة الملحة والعاجلة الى أن دخل المهنة غير أصحابها أو من ليسوا أهلا لها . وساعدت الترجمة ، التي اصطلح على تسميتها بالفورية ، وهي الأسلوب السائد في الأمم المتحدة ومنظماتها ، على إخفاء هذا العيب والتعمية عليه . فالترجمة الفورية ، على غير ما يظنه الناس ، هي بطبيعتها أدنى درجات الترجمة من الناحية الفنية والعلمية واللغوية . ولعل ذلك مرجعه الى الطريقة التي يتم بها اختيار المترجمين الفوريين في أغلب الحالات والذين يتم اختيارهم على أساس أن « المتحجن ليس بأعلم من الممتحن » والذين اذا ما مارسوا عملية الترجمة فغالبا ما تنتهي مهمتهم بانتهاء الجلسة أو الاجتماع ، فلا يسجل ما ترجموه بحيث يمكن الوقوف على مدى دقته وانضباطه وصحته كما هو الحال في الترجمة التحريرية ، بل لا يكاد يستمع الى الترجمة الفورية الا من يجهل اللغة الأخرى جهلا كاملا ، وبالتالي فهو

منتدى العربي ساحة للحوار الحر ، الذى لا يعبر بالضرورة عن رأى المجلة ، وإنما تنسب الآراء الواردة فيه لأصحابها أولا وأخيرا .

يستسلم لما يصل الى أذنيه فيقبله دون تفحص أو مناقشة . ولقد شهدت قاعات الاجتماعات الكثير من الجدل والخلاف والاحتداد نتيجة خطأ أو عدم فهم أو عدم دقة من جانب المترجم الفوري ، أو نتيجة إغفاله لجملة أو جملتين في محاولة منه للحاق بالمتكلم الذي يترجم عنه كلامه .

وهكذا أصبحت الترجمة في المجال الدولي وظيفة لها كوادرها المالية وتسعيراتها المعترف بها ، مع أن الواجب كان يقضي بأن تكون مهنة لها ضوابطها وكوادرها الفنية المعتمدة وقواعدها التي ينبغي أن تمارس على أساسها .

اعتزال الصفوة

هذه واحدة من القضايا التي تمس الترجمة كقضية عربية عامة ، والقضية الثانية هي ما تعانيه الترجمة من العربية واليها في الوطن العربي ، من صعوبة ولا أقول محنة ، نتيجة اعتزال صفوة من المترجمين الأكفاء هذا الميدان ... وأعني به ميدان الترجمة التحريرية الخلاقة ، وليس ميدان الترجمة الفورية أو التجارية العارضة . وذلك أولا بسبب طغيان الجانب التجاري واتجاه رجال الأعمال الى الترجمة كوسيلة للتعامل التجاري مع الخارج ، وهو جانب لم يألفه ولم يعتد عليه المترجم الأصيل الذي يرى في الترجمة علما وفنا وملكة وموهبة ، لا مجرد الالمام بلغة أو بلغتين يستطيع بهما أن ييسر التفاهم بين متعاملين أو متحدثين أو متفاوضين . وثانيا بسبب أن الترجمة التحريرية لم تعد مهنة معطاءة لمن يمارسها ، فالدولة بدلا من أن تشجع هذا المجال نراها تبخس المترجم حقه وتحدد فئات الترجمة على نحو يزهد فيه الزاهد ، فما بالك بمن تلح عليه مطالب الحياة وتكاليفها . وثالثا بسبب أن الترجمة عملية ذهنية مضنية تحتاج ـ فضلا عن الكفاءة والتمكن ـ صبرا لم يعد موجودا عند الناس في هذا الزمان ، ومعاناة لم يعد يطيقها أحد ، في وقت تكفلت فيه الآلة برفع المعاناة عن الناس على حساب الصنعة والفن والذوق والملكة والموهبة .

فاذا طرحنا جانبا ما كان للعرب الأوائل من فضل السبق في ميدان الترجمة ، يوم نقلوا الى العربية عن اليونانية والفارسية كتب العلم والطب والفلسفة ، واذا تجاوزنا ذلك الى القرن الماضي عندما نهضت حركة الترجمة في مصر على يد محمد علي ومن تلاه من حكام ، فاستطاع بعض رجالات العرب وفرنسا أن ينقلوا الى العربية ومنها العديد من كتب العلوم والآداب والتاريخ . اذا طرحنا هذا وتجاوزنا ذاك ، فسوف نتوقف عند الثلاثينيات والأربعينيات بل الخمسينيات والستينيات ، ففي هذه الحقبة شهدت الترجمة نهضة أصيلة واسعة ساهمت فيها هيئات وأفراد من شتى أرجاء الوطن العربي . فقد قامت في القاهرة لجنة التأليف والترجمة والنشر والتي استطاعت في بضع سنين أن تقدم للمكتبة العربية روائع الأدب الغربي وعيونه مترجمة الى العربية في لغة رصينة أصيلة متمكنة ، حتى ليحسب القارىء لها أن ما بين يديه أصل عربي وليس ترجمة عن أصل أجنبي . ومن الانصاف أن نذكر في هذا المجال رجالا كانوا روادا في علم الترجمة ... منهم الأساتذة : الدكتور زكي نجيب محمود ومحمد بدران وعلي أدهم وأمين سلامة ، والذين تتلمذ على أيديهم صفوة من المترجمين العرب .

جهود وجهود

ولقد شهدت بيروت قبل محنتها حركة رائدة في مجال الترجمة ، واستطاعت أن تنقل الى القارىء العربي مؤلفات كتبت بلغات لم يألفها من قبل ، فقد كانت الترجمة في أغلبها الأعم نقلا عن الفرنسية والانجليزية ، فأضافت حركة الترجمة اللبنانية اليها لغات جديدة نقلت الجديد الى مدارك القارىء العربي ومفاهيمه ومعارفه ، وتلك مهمة رئيسية من مهام الترجمة وهي أنها « سبيل أساسي من سبل المعرفة » .



ومما يذكر للحركة اللبنانية بالفضل أنها قد برعت في مجال إصدار القواميس العامة والمتخصصة والتي هي عدة المترجم ورفيقه على طريق الترجمة . وإعداد القاموس عمل شاق يحتاج فوق العلم والخبرة الى دقة وصبر متناهين . ولكن مع ما شهدته لبنان من مأساة ، خمدت جذوة الترجمة التي أشعلتها بيروت ، وكان لزاما على غيرها من العواصم العربية أن تحمل الشعلة وأن ترعى الأمانة ، ولكن ترى هل فعلت أو رعت ! ! وبأي قدر والى أي مدى ! ! .

وينبغي أن نذكر لجامعة الدول العربية ما قامت به من دور في مجال الترجمة ، وان كان في اتجاه واحد ونعني به الترجمة من اللغة الأجنبية الى اللغة العربية ، فقد استطاعت الادارة الثقافية في الجامعة على زمان أمينها العام الأسبق عبد الخالق حسونة وتحت إشراف عميدين جليلين من عمداء الأدب والثقافة العربية هما أحمد أمين وطه حسين ، أن تترجم الى اللغة العربية موسوعة « قصة الحضارة » للمؤرخ العالمي ول ديورانت والتي تقع في حوالي ثلاثين جزءا من الحجم الكبير ، وكذلك مجموعة مسرحيات شكسبير ، وغير ذلك من الكتب . ولكن من المؤسف حقا أن يأتي تمويل هذه الحركة من تبرع فردي قدمه عدد محدود من المواطنين العرب .

والى جانب ذلك كانت جهود مكتب التعريب في الرباط ، الذي أصدر مجموعة من الكتب لم تحظ باعلام أو تعريف كافيين على المستوى العربي رغم مالها من قيمة علمية كبيرة . كذلك كانت هناك جهود بعض المنظمات العربية المتخصصة التي ساهمت في حركة الترجمة عن طريق ترجمتها لعدد من المجلات الدولية أو مطبوعات الأمم المتحدة ، ونذكر منها على سبيل المثال المنظمة العربية للدفاع الاجتماعي والتي كانت - وما زالت - تتولى اصدار الترجمة العربية للمجلة الدولية للشرطة الجنائية .

ولا نستطيع أن نغفل جهدا مشكورا لمجمع اللغة العربية بالقاهرة . ولكننا ما زلنا نلوم مجمع الخالدين على السياسة اللا إعلامية لي يتبناها إزاء أنشطته وما يصدر عنه ، والتي تعتبر عنصرا أساسيا من عناصر التجهيل بالمجمع وجهوده بالنسبة لقطاع ضخم من قراء العربية على المستوى العربي والعالمي على السواء .

ولقد كان المرجو من قيام المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، وقيام مكتب التربية لدول الخليج العربي ، أن تحظى حركة الترجمة بمزيد من الدعم وأن يتحقق لها ما نرجوه من تقدم وازدهار . وعلى هاتين المنظمتين أن تقدما الدليل على أنهما قد حملتا الأمانة وقدمتا للترجمة ما هي جديرة به من اهتمام ، فهي سبيل أساسي من سبل انتشار حضارتنا وتوفير ما نحتاجه من علم وفن لكي نخوض معارك التنمية والتقدم التي تواجهنا .

وفي ختام هذا الحديث أود أن أشير الى ما تحدث عنه الدكتور خلوصي عن دخول الآلة مجال الترجمة فأقول : ان أخشى ما أخشاه على الترجمة أن تشوه الآلة جمالها وأن تنال من حلاوتها وطلاوتها ، فان للمركز الدولي للترجمة في القاهرة تجارب في هذا المضمار جعلته يجزع من ترك الحبل على الغارب لكل من أراد أن يترجم ، سواء كان معتمدا على حصيلة علمه أو آلة زودها هو بعلمه ، فقد وقع المركز على بعض الأخطاء الفادحة التي تسببت فيها الترجمة الحرفية أو الآلية ان صح التعبير ، وخاصة في الترجمات الشائعة للقرآن وعدد من كتب السنة وكتب التفسير . وهو خطر يوشك أن يستفحل أمره اذا ما تمت تغذية « المترجم الآلي » بغذاء تنقصه الدقة ويعوزه الانضباط . وعلى أي حال فكيف يتسنى لمترجم آلي أن تكون له الملكة والموهبة والحس المرهف ، والتي بغيرها لن تكون هناك ترجمة فنية علمية صحيحة تشبع حاجة القارىء والباحث الى المعرفة وتضيف جديدا الى علمه ومداركه .

إنني أدعو المعنيين بشئون الترجمة الى حوار أرجو أن يتسع له صدر مجلة « العربي » ، حوار يستهدف مواجهة قضية الترجمة كقضية أساسية على المستوى العربي الواسع ، بعد أن أمضت ردحا طويلا من الزمن وهي قضية فرعية على المستوى المحلي الضيق وعلى الله قصد السبيل . ▢

الإسلام يعترف بالقومية ولا يدعو اليها

بقلم : الدكتور أحمد عبد الرحمن عيسى

أثار الدكتور محمد جابر الأنصاري عدة تساؤلات في مقاله القيم في العدد ٢٩٠ (القومية في القرآن الكريم حقيقة مؤكدة) ودعا الى مزيد من الحوار في ختام مقاله ، استشعارا منه بأن الحديث في هذا الموضوع ، حديث ذو شجون .

وأبادر فأقول : ان حديث القرآن الكريم عن القومية ، انما يراد به التقرير ، تقرير أمر واقع وتسجيل ظاهرة اجتماعية دون توجيه الى التكتل القومي باستغلال هذه الظاهرة التي صاحبت نشأة المجتمعات ، وستظل سمة من سماتها . وسأحاول تحديد حجم هذه القومية التي هي - كما يقول الدكتور - حقيقة مؤكدة . نعم هي كذلك ، ولكنها حقيقة لها محاذير نسأل الله السلامة منها .

ان حديث القرآن الكريم عن القومية ، ليس دعوة قرآنية صريحة كما يقول الدكتور ، وانما - كما يقول هو - أيضا : من حقيقة تقرير التنوع والتعدد والاختلاف في واقع البشر . فكيف يجتمعان اذن ؟ : القومية تقرير بمنطق القرآن . ودعوة صريحة بمنطق القرآن أيضا . كيف هذا ؟ وشتان ما بينهما .

الاسلام دين عام شامل طابعه الصبغة الانسانية التي بدأ العصر ينزع اليها ، حيث بات ينظر الى الانسان من حيث هو انسان ، اذ قامت دعوات المصلحين في كل مكان تنادي بحق كل انسان في أن يحيا ويسعد ويتمتع بخيرات مجتمعه . فكل انسان له حقوق لأنه بشر .

والاسلام هو ضميمة المجتمعات الاسلامية كلها ، لا فضل لعربي على عجمي الا بالتقوى أو بعمل صالح . وقد قال الرسول صلوات الله عليه وهو النبي العربي : « لو كان العلم في الثريا لناله رجال من فارس » ، وهذا القول هو مقطع الحق في نبذ القوميات والعصبيات .

في مجلة العروة الوثقى

والتكتلات القومية نزعة قديمة ، ولو ذهبنا نستقريء ظواهر المجتمعات منذ فجر الانسانية ، لوجدنا زئير القومية يعلو على كل صوت . ولكنا سنقترب في حديثنا عنها الى العصر الحديث ، فنعرض مثالا لذلك ما قاله القطبان الكبيران جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده في مجلة « العروة الوثقى » منذ مائة سنة .

في العدد الثاني من مجلة « العروة الوثقى » الصادر في باريس يوم ٢٠ مارس سنة ١٨٨٤ جاء مقال (الجنسية والديانة الاسلامية) وهو عنوان مباشر لما يحمل من فكرة قرآنية غابت عن حياة المسلمين ، فجاءت مجلة « العروة الوثقى » لتبرزها في آفاق المسلمين - بدأ المقال بالحديث عن التعصب للجنس وهو (النعرة القومية) عند بني الانسان فقال :

« إن استقراء حال الأفراد في كل أمة واستطلاع أحوالها ، يثبت لجلي النظر ودقيقه ، وجود تعصب للجنس ونعرة عليه عند الأغلب منهم . . . ولا نذهب الى



أنه طبيعي ، ولكن قد يكون من الكلمات العارضة التي تحتمها الضرورات . . . وعدوان الناس بعضهم على بعض ، دعاهم الى الاعتصاب بلحمة النسب على درجات متفاوتة حتى وصلوا الى الأجناس ، فتوزعوا أمما كالهندي والانجليزي والروسي والتركماني . . . وكل جنس يأنف من سلطة الجنس الآخر . . . فلو زالت الضرورة لهذا النوع من العصبية ، تبع هو الضرورة في الزوال كما تبعها في الحدوث بلا ريب »

والمقال بهذا يمهد لزوال ضرورة الجنسيات بين المسلمين (القوميات) لوجود بديل طبيعي لها هو جنسية الاسلام . ثم يدخل في صميم الفكرة فيقول : « وتبطل الضرورة بالاعتماد على حاكم (هو الاسلام) تتصاغر لديه القوى وتتضاءل لعظمته القدرة وتخضع لسلطته النفوس بالطبع ، وتكون بالنسبة اليه متساوية الأقدام . وهو مبدأ الكل وقهار السموات والأرض . . . ثم يكون القائم من لدن الاسلام بتنفيذ أحكامه ، مساهما للكافة في الاستكانة والرضوخ لأحكام أحكم الحاكمين . فاذا أذعنت الأنفس بوجود الحاكم الأعلى الذي يشارك عامة المسلمين في النزول على ما أمر به الاسلام ، استغنت عن عصبية الجنس لعدم الحاجة اليها ، ومحي أثرها من النفوس . . . وكل رابطة سوى رابطة الشريعة الحقة ، ممقوتة على لسان الشارع ، والمعتمد عليها مذموم ، والمتعصب لها ملوم ، فقد قال صلى الله عليه وسلم : « ليس منا من دعا الى عصبية ، وليس منا من قاتل على عصبية ، وليس منا من مات على عصبية » . . . ويمتاز بالكرامة والاقدام من يفوق الكافة في التقوى (ان أكرمكم عند الله أتقاكم) . . . قام بأمر المسلمين في كثير من الأحيان من لا شرف له الا خضوعه للشرع وعنايته بالمحافظة عليه . . . هذا ما أرشدتنا اليه سير المسلمين من يوم نشأة دينهم الى الآن ، لا يحتدون برابطة الشعوب وعصبات الاجناس ، وانما ينظرون الى جامعة الدين . . . ولو أن حاكما صغيرا بين قوم مسلمين من أي جنس ، كان قد تبع الأوامر الالهية وثابر عليها وأخذ الدهماء بحدودها ، لأمكنه أن يحوز بسطة في الملك وعظمة في السلطان »

ان رابطة القومية في مقال الدكتور الأنصاري ، هي رابطة النسب اللغوي في العروبة ، وقد أجرى الدكتور هذا النسب اللغوي مجرى دم القربى بين العرب ، فالقومية عنده قومية لغوية لا قومية دم يجري في عروق أشقاء ينحدرون من صلب أب واحد ، فالأب اذن هو اللغة وليس الدم . أليس الأولى والأحق أن يكون الأب هو الاسلام حتى ينهض هذا الأب فيوقف الشقاق بين أبنائه ؟

الأمة في القرآن

في مقاله أيضا يقول الدكتور الأنصاري : « وأصحاب الرأي الذي ينكر هذه الحقائق ويرى أن الاسلام ينفر بين الأديان والدعوات بالعمل على خلق « أمة » اسلامية واحدة تصهر القوميات وتلغيها ، يستشهدون بالآية : « ان هذه أمتكم أمة واحدة ، وأنا ربكم فاعبدون » سورة الأنبياء/ ٩٢ .

ولمناقشة هذا الأمر ، يتطلب البحث دراسة أخرى للتمييز بين ثلاثة مفهومات للأمة وردت في القرآن الكريم مختلفة ومتباينة لا يسع تفصيلها المجال المحدد لهذه المقالة » .

ونحن نقول ان كلمة « أمة » في القرآن الكريم مهما اختلف مفهومها حسب مقتضيات الأحوال في سياق الآيات الكريمة ، فانها في جميع الآيات تتضمن معنى عاما مشتركا في كل موقع قرآني ، الى جانب المعنى الخاص الذي سيقت من أجله ، هذا المعنى العام المشترك لكلمة أمة هو (التجمع حول شيء) وهذا مقرر في فقه اللغة وسر العربية ، ولا اختلاف ولا تباين في أي معنى سيقت من أجله هذه الكلمة في القرآن الكريم ، وقد جاءت في مواضع كثيرة منه . وسنختار منها خمسة مواضع تفي بالمراد وغيرها يقاس عليها .

١ ـ معنى كلمة « أمة » في قوله تعالى « ان هذه أمتكم أمة واحدة ، وأنا ربكم فاعبدون » معنى « أمتكم » هو ملتكم وديانتكم الاسلامية التي جمعتكم حولها وتمسكتم بها ، وهي ملة واحدة لا اختلاف في عقائدها وأصولها ، ولهذا أتبعها الله سبحانه بآية تسجل ما حدث في غيرها من الملل التي اعتراها الاختلاف والتقطع فقال سبحانه : « وتقطعوا أمرهم بينهم ، كل الينا راجعون » اقتسموا

دينهم بينهم وجعلوه قطعا حتى أصبحوا في عقائده وأصوله فرقا شتى وأحزابا متناحرة . وقد تحقق هذا في أهل التوراة وأهل الانجيل .

٢ ـ معنى كلمة « أمم » في قوله تعالى : « وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم . . . . » ـ سورة الأنعام/ ٣٨ ـ أمم جمع أمة وهي كل جماعة يجمعهم أمر كدين أولغة أو صفة أو عمل . فدواب الأرض وطيور الجو جماعات مثلكم تجمعهم أمور خاصة بهم مثلكم ، ولهم أرزاق وآجال ونظام محكم وطبائع تتناسب مع خلقتهم وتكوينهم الذي جعلهم الله عليه كما جعلكم في كل ذلك بما يتناسب مع خلقتكم أيضا .

٣ ـ معنى كلمة « أمة » في قوله تعالى : « ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » آل عمران/ ١٠٤ ـ معنى « أمة » جماعة دعاة الى هذا الدين ، وهي جماعة خاصة تتوافر فيها شروط علم الدين وشروط علم الدنيا . وواجب المسلمين هو تكوين هذه الجماعة في كل مجتمع من مجتمعاتهم لتنهض بأعباء الدعوة عن اقتدار وتمكن .

٤ ـ معنى كلمة « أمة » في قوله تعالى : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم ، منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون » آل عمران/ ١١٠ ـ معنى « أمة » جماعة المسلمين عامة ، وهل هي الجماعة الأولى التي أقامت هذا الدين مع الرسول صلوات الله عليه ؟ هذا رأي . ويكون معناها : كنتم خير أمة الآن حين نزول القرآن والنبي قائم بينكم . ورأى يقول « كنتم » بمعنى صرتم ، فهي تفيد الدوام والاستمرار دون انقطاع ، أي صرتم دائما خير أمة مفضلة على سائر الأمم تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر دون الأمم جميعا الى يوم القيامة . وهذه خصيصة في أمة عليه الصلاة والسلام .

٥ ـ معنى كلمة « أمة » في قوله تعالى : « ليسوا سواء ، من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون » آل عمران/ ١١٣ ـ معنى « أمة قائمة » جماعة مستقيمة ثابتة على طاعة الله مثل عبد الله بن سلام واخوانه الذين أسلموا من أهل الكتاب وصدقوا في ايمانهم .

فهذه خمسة مواضع وردت فيها كلمة «أمة » في القرآن الكريم ، ولا أثر للتباين في معانيها ولا تصلح شاهدا لما أراده كاتب المقال . ▢

دفن للأساطير أم خلق لأساطير جديدة ؟

بقلم : محمد فواز الحلو

▢ كتب الدكتور محمد مهدي في العدد ٢٨٩ تحت عنوان ـ فلندفن أساطيرنا بشجاعة ـ مقالة حاول فيها مراجعة الذات العربية لكشف اسباب هزائمنا المتلاحقة أمام العدو الصهيوني منذ عام ١٩٤٨ . وانتهى إلى أن السبب هو « الأساطير » كما أحب أن يدعوها أو المبررات والمقولات حول طبيعة الصراع العربي الصهيوني وأسلوبه المناسب ـ التي كنا نوجدها نحن ثم



نصدقها ونسير وراءها فتقودنا من نكبة إلى نكسة إلى انتصار مزيف إلى الهجرة الرابعة للشعب العربي الفلسطيني . تلك الأوهام والأساطير ابتداء من « رمي اليهود في البحر » والوصول لتل أبيب بساعات ، إلى القول بفشل اسرائيل في حرب الـ ٦٧ لأنها لم تستطع إزاحة الأنظمة العربية القائمة آنذاك ، إلى عدم القدرة على استمرار الحرب بعد التدخل الأمريكي المباشر . . . هذه هي أوهامنا التي اكتشفناها بعد فوات الأوان ، والتي عرضها الدكتور محمد مهدي .

ولكنه بعد ذلك انتقل من الاستقراء إلى استنتاج الحلول . فقال : « يجب أن نعترف أولا أن جهودنا الحربية ـ على أحسنها ـ هي غير قادرة على التغلب على أمريكا واسرائيل .

ثانيا : أننا بحاجة إلى استراتيجية جديدة : « القلم قبل السيف » . ويوضح الكاتب كيف يستخدم القلم قبل السيف فيقول : « إن أمريكا بلاد مفتوحة لمن يعمل فيها . . ولكن العرب لا يستغلون الظروف بحملة إعلامية أمريكية التفكير والأسلوب والحجم للتأثير على الرأي العام الأمريكي وبالتالي السياسة الأمريكية » . ثم يورد الكاتب بعض الأفكار الغريبة مثل « إن ٨٠٪ من الشعب الأمريكي يتعاطف مع العرب وأنه يجب توجيه هذه الأغلبية لترسل ١٠ ملايين بطاقة للبيت الأبيض تطلب فيها إيقاف المساعدة الأمريكية لاسرائيل » ؟ ! ! أي المطلوب نقل المعركة إلى أمريكا لأنه كما يقول هناك رأس الصهيونية وليس في اسرائيل إلا ذنبها .

هذا ما انتهى إليه الكاتب .

ومن المنطلق ذاته ـ منطلق مراجعة الذات والماضي ـ كخطوة أولى وأساسية على طريق مواجهة العدو ، أريد أن أتساءل : كيف قرر الكاتب أن جهودنا الحربية ـ على أحسنها ـ غير قادرة على التغلب على أمريكا واسرائيل ؟ هل لأننا هزمنا خمس مرات ؟ أعتقد أن في هذا ظلما للتاريخ ومغالطة للواقع ، فلا شك أن الكاتب يعرف ـ والكثيرين يعرفون ـ أننا لم نخض حربا حقيقية مع اسرائيل حتى الآن ، وأن كل ما جرى هو هجوم اسرائيلي وتراجع عربي دون احتكاك فاعل ، والمرة الوحيدة التي حصل فيها مجابهة حقيقية كانت بداية حرب ٧٣ ، وحقق فيها المقاتل العربي نجاحا باهرا ، ولكن سرعان ما انتزع منه ليس بطريق استمرار المعارك أو تحت ضغط الحرب ، وانما بطريق آخر نعرفه ولا شك . إذن فما قيل حول جهودنا الحربية ليس صحيحا لأنه لم تكن هناك جهود حربية أصلا . ويجب أن نعرف أو بالأحرى نعترف : أن صراعا مسلحا له مقومات الحرب من حشد وأداء وصدق لم يحصل بعد في تاريخ الصراع العربي الاسرائيلي ، وأن إسرائيل لم تختبر بعد بحرب حقيقية . وندفن بذلك « أسطورة » قديمة لا يمكن البناء عليها أو الاستنتاج منها . أما إذا كان الكاتب قد يئس من حصول هذا الحدث وقرر عدم جدوى جهودنا الحربية لأنها غائبة وغير موجودة فذلك شيء آخر .

أية قواعد وأية أسس ؟

ونعود للحملة الاعلامية . فلا شك أن الاعلام بات عنصرا هاما في توجيه الرأي العام ، ومازال العالم يستطيع بشكل أو بآخر في بعض دول العالم (ومنها الولايات المتحدة الأمريكية) أن يؤثر في الموقف السياسي للدول . ولكن أية قواعد أو أسس نملكها لترتكز عليها الحملة الاعلامية التي تستطيع أن تؤثر في الناس . إننا لا نملك في الواقع سوى صور أطفالنا المذبوحين ونسائنا

المشردات .. وهذه لا تستطيع أن تحرك أكثر من نظرة أسف وإشفاق عابر . أنا هنا لا أنكر أن في كل شعب مجموعة من الشرفاء لا يرضيهم استلاب الحقوق وقتل الانسان ، ولكن هؤلاء لا يشكلون الرأي العام ولا يكفون لتحريكه مهما كانت القضية عادلة ، بل العكس قد تستطيع قوى الظلم والعدوان أن تجذب الرأي العام نحوها عندما تعرض تفوقها وقدرتها على البطش . وأذكر هنا الصور التي وزعتها الصهيونية بعد ٦٧ التي توضح الطائرات العربية المحطمة والدبابات المحترقة ، وتشرح كيف استطاع الجندي الاسرائيلي أن يسلب أكثر من ضعفي حدود ٤٨ في ٦ ايام .

لا يمكن أن ننسى تعاظم شأن إسرائيل بشكل يثير الدهشة في الغرب بعد حرب ٦٧ ، مثلما لا يمكن أن ننسى أن عشرات الدول قطعت علاقاتها مع إسرائيل مباشرة بعد بداية حرب ٧٣ دون دعاية عدا اخبار تهاوي الفانتوم وتحطم « بارليف » (مع العلم أن زائير إحدى هذه الدول أعادت علاقاتها بعد حرب ٨٢) .

ودرس آخر من التاريخ لا بد أن نذكره في معرض الاستقراء الصحيح قبل الاستنتاج لأنه كان أهم قرار سياسي ساهم الرأي العام الأمريكي في اتخاذه ، لنذكر سحب الجيوش الأمريكية من فيتنام ١٩٧٣ . هل تم ذلك لاقتناع الشعب الأمريكي أن للفيتناميين الحق في الحياة بالطريقة التي يختارونها دون تدخل خارجي ؟ ! ! أم لأن الفيتناميين أوصلوا رائحة الحرب لكل بيت امريكي بعد رفع الضرائب المتوالي وتدفق الجنود القتلى والجرحى والمشوهين ؟ فكان أن تحرك الشارع الامريكي .

يجب أن نذكر الحقائق كاملة لا أن نزيح أساطير لتضع مكانها أساطير أخرى حول قدرة الاعلام المجردة . ويصبح واجبا علينا أن نعكس التساؤل الذي أورده الكاتب مشككا حيث قال : « فكيف يستطيع العرب النجاح في حرب السلاح وهم لم يستعدوا إلى الآن للحرب الاعلامية في امريكا ؟ »

ليس صحيحا

بقيت هناك « أسطورتان » اعتمد عليهما الكاتب لا بد أن نذكرهما لنحدد معالم الطريق الصحيح الذي نريده من وراء مراجعة الذات . والأسطورتان تتلخصان بالعبارة التي وردت في المقال المذكور : « والمعلوم أن المصالح الاقتصادية للشعب الامريكي هي مع العرب وليست مع الدولة المفلسة إسرائيل » . !!

فأولا : ليس صحيحا أن مصالح أمريكا في أيدينا لأن يدنا مكفوفة عن ثرواتنا ومقدراتنا منذ زمن طويل ، ومن الصعب التصور أن هناك خطرا حاليا يهدد مصالح أمريكا في المنطقة ، وإن كان ثمة خطر مستقبلي فإن وجود إسرائيل ودعمها كفيل بمنع وقوعه . وأسطورة البترول تمت وكبرت في أحضان الغرب وأمريكا لتزيدنا تكبيلا وإغراقا في الأوهام . ومشاكل الأوبيك من فائض الانتاج وانخفاض الأسعار دليل حديث على ذلك .

وثانيا : إسرائيل لم تعد الدولة المفلسة ولم تعد ذنبا لغيرها . قد يكون هذا الكلام صحيحا فيما مضى ولكن الآن لا . فقد رتبت الصهيونية نفسها لتكون لها مقومات البقاء والاستمرار الذاتي المنشأ . وليس خفيا أنها تملك أعلى نسبة في العالم من العلماء العاملين في مجال البحث العلمي . ولم يعد سرا أن المفاعل النووي والطائرة الحربية والدبابة تصنع في إسرائيل بل وتصدر للخارج ، وقبل ذلك وبعده ديمقراطية الحكم في اسرائيل وحرية القضاء . كل ذلك موظف لبناء صرح بني إسرائيل من الفرات إلى النيل على أشلائنا ورفات اطفالنا .

وخلاصة القول : لا طريق ولا نجاة إلا بالاعتماد على الذات . أما الدعم الخارجي فهو تحصيل حاصل للجهد المبذول في الداخل . ولا أقلل أبدا من دور الاعلام الخارجي ولكن أهتم بالقاعدة القوية التي يجب أن يرتكز عليها .

أخيرا : أشكر الدكتور محمد مهدي لأنه طرق بابا مغلقا أمام التفكير العربي بشجاعة ، وأتمنى على العربي التي فتحت الباب . أن تتركه مفتوحا لتدخل آراء القراء حتى لا تمضي حرب ٨٢ كما مضى غيرها .



معركة بلاط الشهداء
كادت ان تغير مجرى التاريخ

● نرجو ان تحدثونا عن معركة بلاط الشهداء وتبينوا لنا كيف استطاعت جيوش الفرنجة ان تحرز النصر على الجيوش العربية . . ؟

الجيوش العربية لم تنهزم في معركة بلاط الشهداء أو (تور) كما يسميها اهل الغرب . . . وانما انسحبت من ارض المعركة في هدوء وانضباط ، وذلك بسبب مقتل قائدهم عبدالرحمن الغافقي وكان امير الاندلس آنذاك . . ومعنى هذا ان جيوش الفرنجة لم تحرز نصرا في تلك المعركة . . ولو كان النصر حليفها حقا لما بقيت في مكانها ولطاردت الجيوش العربية اثناء انسحابها . . واوقعت فيها مزيدا من الخسائر . ولكن شيئا من هذا لم يحدث ابدا . .

ومهما يكن من امر فان معركة بلاط الشهداء تعتبر من المعارك الهامة ، ولربما الفاصلة في التاريخ . . التاريخ العربي والاوروبي على السواء . وقعت سنة ٧٣٢ ميلادية في مكان وسط بين بلدة بواتييه وبلدة تور القريبة من باريس . . وكانت بين الجيوش العربية الغازية المهاجمة وبين جيوش الفرنجة المدافعة . . وكان قائد العرب هو عبدالرحمن الغافقي امير الاندلس كما ذكرنا وقائد الفرنجة هو شارل مارتل . . جد شارلمان .

على ان هذه الحملة العسكرية الكبيرة لم تكن الاولى التي شنها العرب على فرنسا . . فقد سبقها حملة كبيرة اخرى قام بها الامير السمح بن مالك الخولاني . . سلف عبدالرحمن الغافقي في امارة الاندلس . . وقد بدأ تلك الحملة الاولى سنة ٧٢٠ واستغرقت شهورا عديدة احتل العرب اثناءها مناطق واسعة في جنوب فرنسا ، وفتحوا مدينة ناربون وكادوا ان يفتحوا مدينة تولوز ايضا . . لولا ان استشهد الامير السمح في معركتها . . وبذلك انتهت تلك الحملة الاولى . .

وجاءت الحملة الثانية ، بعد ذلك بأعوام قليلة ، استكمالا للفتوحات التي حققتها الحملة الاولى ، وانتقاما للامير السمح . . وشاء عبدالرحمن الغافقي ان تكون بداية حملته هذه في احد ايام الربيع من سنة ٧٣٢م . . حين انطلق بجيوشه عبر الحدود وقطع جبال البرنيز وراح يسرح ويمرح في المناطق الجنوبية من فرنسا دون ان يلقى اي مقاومة،ولا عجب فقد خضعت تلك المناطق لحكم العرب المباشر او لنفوذهم غير المباشر . . وتابع عبدالرحمن زحفه على هذا النحو حتى وصل الى نهر الجارون . . حيث وجد جيش الفرنجة في انتظاره . . ونشبت المعركة على ضفاف ذلك النهر . . وما اسرع ما انتصر عبدالرحمن على الفرنجة نصرا مبينا ومزق شملهم شر ممزق .

الا ان قائد الفرنجة في تلك المعركة ، الدوق ايود ، نجا من الموت وتمكن من الفرار متجها الى الشمال ، قاصدا تور عاصمة فرنسا الدينية آنذاك . . فتعقبه عبدالرحمن يريد الفتك به قبل ان يصل الى تلك المدينة . . ولعل عبدالرحمن شعر بدافع قوي لقتل ايود بالذات نظرا لانه كان قائد الفرنجة في معركة تولوز . . تلك التي استشهد فيها الامير السمح قبل ١١ سنة .

ولم يكن في استطاعة عبدالرحمن وجيوشه اللحاق بأيود ، لا سيما وانه شغل بفتح مدن كبيرة وهامة اثناء مطاردته . . ونذكر من تلك المدن بوردو في اقصى الغرب



شجرة . . . .
أقدم من الاهرامات

هذه الشجرة الطاعنة في السن . . . كانت قائمة قبل تأسيس روما . . . وقبل العصر الذهبي في أثينا . . . ولعل مولدها في التربة الصخرية الجبلية في كليفورنيا زامن بناء الاهرامات في مصر . . . لقد بلغت من العمر ٤٦٠٠ سنة وفي استطاعتها العيش ١٠٠٠ سنة أخرى تقريبا كما يؤكد العلماء . . . والغريب أن هذه الشجرة ، وهي من نوع الأرز وتسمى (متوسيلة Methuselah) قد نمت في أرض صخرية - كما ذكرنا - وعلى ارتفاع يزيد على ٩٠٠٠ قدم ، فوق سطح البحر . . . وأنها لو نمت في تربة أخرى زراعية لتعذر عليها بلوغ السن الذي بلغته . .

ومدينة بواتييه القريبة من تور . . وعلم القائد العربي ان مجموعة كبيرة من جيوش الفرنجه وامرائهم تجمعوا في توره وقد سهل على ايود استنفارهم على جيوش المسلمين الغازية . وسارعت جيوش الفرنجة وكانت بقيادة شارل مارتل . . جد شارلمان . . الى الخروج من مدينة تور والمرابطة على الطريق المؤدي الى تلك المدينة وذلك بقصد الدفاع عنها وتجنيبها ويلات الحروب .

والتقى الجيشان . . الجيش العربي وكان كله من الفرسان وجيش الفرنجه وكان اكثره من المشاه ، حملة الدروع . . وغني عن البيان ان جيش شارل مارتل كان اكبر بكثير من جيش عبدالرحمن الغافقي .

ومضت ستة ايام كاملة دون ان يلتحم الجيشان او يتحرش احدهما بالاخر . . ثم كان احد ايام السبت من شهر اكتوبر سنة ٧٣٢م وبدأ القتال . . وكان المحاربون العرب هم الذين بدأوه . .

غير ان جيش الفرنجة بقي واقفا في مكانه دون كر او فر . . وقد التصق افراده بعضهم ببعض حتى بدت دروعهم كالبنيان المرصوص .

وواصل العرب القتال ، وراح فرسانهم يقومون بالغارة تلو الغارة ، وكثر القتل في الجانبين . . حتى جن الليل ، فتوقف القتال بطبيعة الحال . . وما لبث العرب ان اكتشفوا ان قائدهم عبدالرحمن كان بين الذين استشهدوا في تلك المجابهة الاولى . . فكان لوفاته اثر الصاعقة في نفوس رجاله المقاتلين . . ذلك ان الجيوش في تلك الايام اعتمدت اعتمادا كبير ان لم نقل كليا على قوادها . . اضف الى ذلك تعلقهم بشخص عبدالرحمن وشعورهم بالولاء لامير البلاد . .

لا عجب اذن ان قرر العرب الانسحاب في صمت وانتظام وانضباط . . وهذا انسحاب القوى ، كما ترى ، لا انسحاب الضعيف المهزوم . . والآ كان كيفيا يشجع العدو على مطاردته والبطش به . . بيد ان جيوش الفرنجة بقيت مكانها واحجمت عن المطاردة . . ولعلها شعرت بالفرح والنشوة لانسحاب الجيوش العربية . . وذلك لخلاصها من هزيمة منكرة كانت تلك الجيوش ستوقعها فيها لا محالة لو لم تنسحب . . وهكذا انتهت معركة بلاط الشهداء . . دون ان ينتصر فيها الفرنجة او ينهزم العرب .



أمريكيون .
ينكرون كروية الأرض

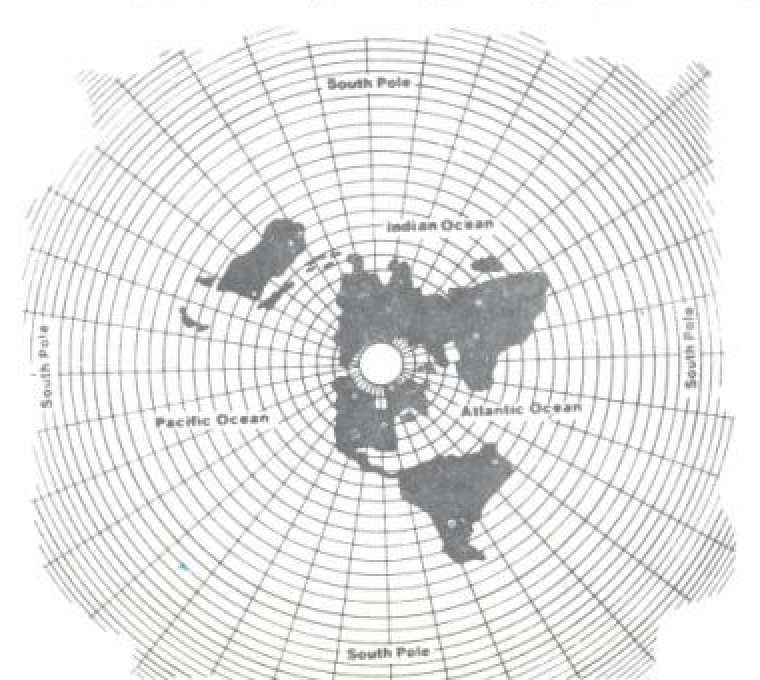
قد لا يستغرب المرء وجود من ينكر كروية الأرض بين سكان حوض الأمزون . . . أو سكان بورنيو . . . فهذه مناطق نائية وأهلها ما زالوا بعيدين عن العلم والحضارة . . . وأقرب الى العصر الحجري منهم الى عصر الفضاء . .

والمفروض بهم أن يأخذوا بالمعتقدات الفطرية الساذجة . . . وأن يعتقدوا بأن الأرض قرص منبسط . . . تماما كما اعتقد سائر الناس في الماضي البعيد . . .

أما أن يوجد أمثال هؤلاء في الولايات المتحدة نفسها ، وفي زمننا هذا بالذات . . . فهذا ما يبعث على الاستغراب حقا ، بل يتعذر تصديقه على الكثيرين . . . والغريب أن هؤلاء يشعرون بأنهم على حق وان سائر الناس جميعا على باطل . . . فهم إذن ذوو رسالة ، وعليهم تنظيم صفوفهم وتوحيد جهودهم من أجل نشر تلك الرسالة . . .

من هنا كانت جمعيتهم . . . « جمعية الأرض المنبسطة الدولية » . . . **Internatopnal Flat Earth Society** فهذه جمعية معروفة ومسجلة في ولاية كليفورنيا . . . وفي مدينة لانكستر من تلك الولاية . . . ولا يقل عدد أعضائها عن المائة ، أكثرهم ، ان لم نقل كلهم ، من المثقفين .

وهدف الجمعية ، كما هو مبين في نظامها الأساسي ، العمل على نشر الحقيقة . . . حقيقة أن الأرض قرص مسطح ومنبسط ، وإنها ثابتة في مكانها ، وان الشمس هي



التي تدور حولها . . . وان القول بكروية الأرض ودورانها حول الشمس هراء وكذب وخداع . . . بل انه الخدعة الكبرى التي نسجها ووقع في أحابيلها الجنس البشري ككل . . . وقد أخذت الجمعية على عاتقها تفنيد تلك الخدعة والعمل على انقاذ بني الانسان من خلالها . .

وتعتقد هذه الجمعية أيضا ان مركز الأرض انما هو القطب الشمالي . . تحيط به القارات اليابسة وبحيط بهذه القارات شتى البحار والمحيطات . . . ثم يأتي شريط من الثلوج والجليد فيلف تلك البحار والمحيطات . . وشاء أهل العلم والمستكشفون أن يسموا هذا الشريط بالقطب الجنوبي . . . أو القارة القطبية الجنوبية . . . وظنوا أن أجهزتهم العلمية ستهديهم سواء السبيل . . . ولكنها خدعتهم وضللتهم فراحوا يتخبطون فيما يعتقدون وينسجون من أوهامهم ما ينسجون . .

أما القمر فلا يعدو كونه جرما صغيرا لا يزيد قطره على ٣٢ ميلا ، أي حوالي ١,٥٪ من قطره الثابت والبالغ ٢١٦٠ ميلا . . . وهو قريب من الأرض ولا يبعد عنها سوى ٢٥٥٠ ميلا . . أي نحو ٠,٨٪ فقط من المسافة المقررة بين الأرض والقمر والبالغة ٢٩٣٠٠٠ ميل . . . وقل مثل ذلك في الشمس . . . فهي لا تبعد عن الأرض سوى ٣٢٤٠ ميلا علما بأن بعدها عنها يبلغ ٩٣ مليون ميل . .

هذا وجمعية الأرض المنبسطة ليست حديثة العهد . . . فقد كان تأسيسها سنة ١٨٠٠ وذلك في بريطانيا وأمريكا في آن معا . . . ولكنها عرفت باسم آخر آنذاك هو **Zetetic Society** . وظل هذا اسمها حتى سنة ١٩٥٦ . . حين تولى المستر وليم شنتون (وهو بريطاني من أبناء مدينة دوفر) أعمال سكرتيريه الجمعية . . وقرر استبدال اسمها القديم باسمها الحالي . . .

بقي أن نذكر أن الجمعية تواصل اصدار النشرات والكراريس والكتيبات . . . من أجل التبشير بمعتقداتها والتنديد بكروية الأرض وسائر الأضاليل العلمية . .

ونرفق بهذا الكلام خريطة العالم التي توزعها جمعية الأرض المنبسطة . . فلعل فيها ما يبين معتقدات الجمعية الجغرافية بما لا يقبل الشك ، وما يبرىء ذمتنا . . .

الامبراطور نيرون
هل احرق رومه حقا . . ؟

من الشائع المسلم به أن نيرون أمبراطور رومه المعروف أشعل النار في عاصمته ثم صعد الى أحد الابراج العالية وراح يغني ويعزف الكمان ويستمتع بمنظر النيران الرهيب . .

وهذا تصرف شاذ ، بل جنوني كما لا يخفى . . ولعله التصرف الذي يتوقعه المرء من نيرون . . الذي طالما اشتهر بفساده وفسوقه وشذوذه . . الا ان نيرون بريء من التهمة التي الصقها به الكثيرون . . تهمة احراق رومه والاستمتاع بمنظر الحريق . .

ذلك ان نيرون كان على بعد حوالي ٥٠ كيلومترا من رومه اثناء احتراقها سنة ٦٤م . . . اذ كان يقضي وقته آنذاك في قصره في ضاحية أنتيوم . . كما يؤكد المؤرخ الروماني تاسيتوس وهو من معاصري نيرون . . . أضف الى ذلك انه لم يعرف العزف على الكمان اطلاقا ! فهذه الالة الموسيقية لم تخترع الا في القرن السادس عشر ولم تكن معروفة في أيامه . . ولعل الآلة المقصودة في تلك القصة الملفقة هي القيثارة ، لا الكمان . .

وتجدر الاشارة الى أن نيرون اشتهر باضطهاده المسيحيين وبتلذذه في تقديمهم لقمة سائغة للاسود الجائعة . . واشتهر ايضا بخلاعته ودعارته العلنية التي لم يضاهه فيها أحد من معاصريه . .

وحسبك أنه اتخذ من امه أجريبنا **Agrippina** خليله له ، كان ذلك في بداية حكمه . . وقد أرقه ضميره ، والحق يقال . . وشعر بعقدة الذنب لارتكابه تلك الفاحشة . . فأراد التكفير عنها . . فلم يجد سبيلا الى هذا التكفير خيرا من قتلها . . فقتل أمه ليريح ضميره . .

ثم عمد الى زوجته فقتلها . . بحجة انها زانية . . وهو يعلم انها بريئة . . ولم يكن له من باعث على ذلك الا رغبته في الزواج من (سابينا) . وكانت من النبلاء الاغنياء . .

وظل نيرون على امعانه هذا في الفسق والفساد حتى سنة ٦٨ ميلادية حين اقدم على الانتحار ، فطعن نفسه في عنقه . . ومات . .



اكتشاف امريكا :
من كان صاحب الفضل فيه ؟

● كانت جلسة صاخبة .. تلك التي عقدتها الجمعية العامة في المنظمة الدولية في الثلاثين من شهر نوفمبر الماضي (١٩٨٢) . فقد احتدم النقاش فيها حول اكتشاف امريكا وما اذا كان كريستوفر كولمبوس هو الذى اكتشفها حقا .. اما المناسبة التي مهدت السبيل لتلك المناقشة فهي مشروع القرار الذى تقدمت به ٣٦ دولة من الدول الأعضاء . وكانت دول امريكا اللاتينية ودول البحر الكاريبي من تلك الدول ، وكانت اسبانيا وايطاليا في طليعتها .. وقدطالب ذلك المشروع هيئة الأمم بالاعداد المناسب للاحتفال اللائق بمناسبة مرور (٥٠٠) سنة على اكتشاف امريكا .. علما بان تلك المناسبة غير آتية في غضون سنة او سنتين ، وانما بعد عشر سنوات .. اى سنة ١٩٩٢ ، وفى الثانى عشر من شهر اكتوبر منها بالتحديد .. على ان مشروع القرار هذا ذكر اسم كريستوفر كولمبس باعتباره مكتشف العالم الجديد .. ومن هنا هبت عاصفة من النقاش والخطابة قلما شهدت مثلها الهيئة العامة حول المواضيع الساخنة الخطيرة ، ناهيك بالمواضيع الاكاديمية البعيدة عن مشاكل الساعة !

وكان مندوب ارلندة المستر (نويل دور) اول الذين أثاروا الجدل ، اذ قال : « أوليس من المبالغة ان نتحدث عن كولمبس وكأنه هو مكتشف امريكا حقا .. علما بأنه لم يصل الى البر الامريكي (سنة ١٤٩٢) وانما وصل الى جزيرة سان سلفادور ، احدى جزر البهاما ، ولم يتعدها » واضاف المستر دور الى ذلك قوله ان امريكا لم تكن من المجاهل غير المكتشفة حين وصل كولمبس الى جزرها .. بل ان فئة من الاساقفة الارلنديين كانوا قد قطعوا المحيط الاطلسى ووصلوا الى امريكا قبل كولمبس بنحو تسعة قرون ، في القرن السادس الميلادي على وجه التحديد .. وذلك وفق مازعمه بعض المصادر الارلندية .. ولكن المستر دور سارع الى القول بأن الكثير من الشك مازال يكتنف رحلة الاساقفة الارلنديين .. اذ ليس ثمة مايثبت ان القديس برندان ، قائد تلك الرحلة ، كان رحالا مكتشفا ، ولا أنه قام هو وصحبه بتلك الرحلة المزعومة . . .

ولم يكد مندوب ارلنده ينهي كلامه حتى قفز الى المنصة سفير أيسلنده ، المستر هودور هلجاسون .. فذكر الحضور بأحد اجداده الفايكنج المدعو لايف اريكسون الذى اكتشف فنلند(vinland) أو نيوفوند لند ، حوالى سنة ١٠٠٠ ميلادية .. وقال فيما قال : « ومع ان هذا الحدث ثابت تاريخيا .. إلا أن مشروع القرار المطروح على الهيئة يتجاهله ويغفل ذكره تماما .. لذلك فاننا نمتنع عن التصويت » .

ولا يخفى ان مندوب اسبانيا كان من بين الذين دافعوا عن مشروع القرار ، وكذلك مندوب ايطاليا .. ومندوب كولمبيا .. ولاعجب .. فقد قام كولمبس برحلته الى العالم الجديد في السفن الأسبانية الثلاث (بنتا) و (نينا)و(سانتا ماريا) .. وذلك بتشجيع من البلاط الاسباني وبأموال اسبانية .. ولكن هذا لاينفي انتماء كولمبس الى ايطاليا .. وهو من ابناء جنوه كما يجمع المؤرخون .. ولاينفي كذلك مدى الاعجاب الذى تكنه كولمبيا للبحار المكتشف ، وقد سمت نفسها بهذا الاسم نسبة الى كريستوفر كولمبس .

ولاندرى ان كان في الامكان اعتبار تلك المناقشات في عداد المناقشات البيزنطية التي كثيرا ماتغرى الهيئات فضلا عن الافراد على الدخول فيها .. ولعل خير تعليق على ماجرى في تلك الجلسة .. جاء في الملاحظة التي أبداها أحد المندوبين اذ قال : « نحن لانريد ان نبخس كريستوفر كولمبس حقه ، ولكننا نتساءل عن مدى الحكمة في حرص الهيئة العامة على اتخاذ قرار مسبق والالتزام بالاحتفال بمناسبة ما وذلك قبل وقوعها بعشر سنوات !!



القتل العصري

الدكتور : عبده بدوى

أعرف الدقات تجرى فى الدماء
دقة تهوى كنسر جارح
قفز الطفل لها من حلمه
وهوى من فوق طرس قلم
.. آه منها وهى تغتال المنى
لم تزل تقلقنى أصداؤها
كلما أبصرت وجها باكيا
وتولاني وجوم فى الضحا
وتسمعت غرابا حائما

قبل أن تهتز أرجاء الفضاء
دقة تنهش فى لحم النقاء
وتمطى بين عينيه البكاء
كان مملوءا بأشواق السماء
فى ربانا ، وتميت الأبرياء
رغم ما مرّ من الرعب وجاء
قلت : « قد عادت بواكير الشقاء »
وتغشانى نواحٌ فى المساء
حول رأسى ! وبقايا من عواء !

* * *

عند فجر اليوم كانت دقة
من تراه قد أتى فى غضب ؟
كلما حدقت فيه لم أجد
هل ترى « وحشىٌ » يخطو بيننا ؟
« تم تتم تم » ، ثم صمت خانق
ما اسم من يحصد فى العصر الشذا ؟

ثم أخرى . ثم صمت فى الهواء
من تراه يطفىء العمر المضاء ؟
غير وجه من وجوه الأصدقاء !
او « ابو لؤلؤة » فى العصر جاء[1]
ثم تطفو جثة فوق الدماء
ما اسم من يقتل بعد الحاء باء ؟

---

(١) وحشى : العبد الحبشى الذى قتل حمزة عم النبى فى موقعة أحد ، وأبو لؤلؤة هو المجوسى الذي اغتال عمر بن الخطاب (العربي)



معاً إلى الأبد !

بقلم : منير نصيف

بعد أيام سيناقشون رسالته . . سوف تنتهي رحلته مع الكتب . كانت رحلة طويلة ولكنها تمنت لو أنها مضت تسير فيها معه الى مالانهاية . . فقد كانت تجد فيها السلوى اما هو فقد كانت كتبه هي دنياه الجديدة التي يعيش فيها مع الفتاة التي أحبها وتزوجها وأصبحت كل شيء في حياته .

وأحست بالخوف لأول مرة ، وهي جالسة على مقعدها بجوار النافذة الصغيرة ، ترقب الطريق من وراء زجاجها البارد في الشتاء . . كانت عيناها مع الناس والسيارات وكل شيء يتحرك في الشارع . . ولكنها كانت في داخلها تفكر في شيء آخر بعيد لايمت الى هذه الصور القريبة بصلة . . كانت مع الرحلة القادمة بعد أن يكمل زوجها دراساته العليا ويحصل على الدكتوراه . . ترى أين ستكون ومن أين تبدأ وكيف ؟

وتركت الشارع وادارت رأسها الصغير الى حيث كان يجلس فوق مقعده المتحرك ذى العجلات التي يدفعها بيده . . نفس المقعد الذي بقى يلازمه طوال السنوات الخمس الماضية ، منذ ذلك اليوم الذي تدخل فيه القدر بكل قوته ليضع نهاية لقصتها مع الأحلام الحلوة التي عاشت معها طوال سنى الصبا والشباب . . كان منهمكا في القراءة . . ولكنه لايدرى كيف أحس بانها تتطلع اليه ، فوضع الكتاب جانبا وعقد يديه فوق صدره ، والتقت عيونهما وأشرق وجهه بابتسامته الحلوة التي لم تفارق وجهه لحظة واحدة حتى في أكثر اللحظات ظلاما وهم يحملونه الى المستشفيات ثم وهم ينقلونه الى الخارج بالطائرة ، لعله يجد عند أهل العلم علاجا يعيد الحياة الى نصف جسمه الأسفل الذى اصيب بالشلل التام ، واصبح عاجزا تماما عن الحركة . . انه لم ييأس من رحمة الله لحظة واحدة ، حتى وهو يرى الأطباء يهزون رؤوسهم في أسى ويعلنون في همس : « لقد فعلنا كل مافي وسعنا ! »

في طريق آخر

وكان آخر المطاف ، المستشفيات المتخصصة في الولايات المتحدة الامريكية . . هناك بدأت رحلته مع العجز والمرض تسير في طريق جديد . . كيف يساعدون الزوج الشاب على بدء حياة جديدة يعتمد فيها على نفسه في كل شيء . . وبدأت مرحلة التدريب في معهد خاص بالمقعدين . . كيف يتنقل من فراشه الى كرسيه المتحرك . . كيف يؤدى كل ما يحتاج اليه من أعمال تعتمد في الانسان السليم على ذراعيه وساقيه ، وهو جالس على مقعده دون أن يضطر الى طلب المساعدة من أحد . . حتى قيادة السيارة ، تعلم كيف يقودها ويصعد اليها بمقعده

فقد كانت تشعر فى داخلها بقلبها يتمزق . . كانت تخفى عنه مشاعرها حتى اذا عادت الى البيت ، وانتقل هو الى سريره لينام ، ذهبت الزوجة الشابة تبحث لنفسها عن مكان فى ركن بعيد عن فراشه ، تفرغ فيه احزانها وتطلق دموعها التى ظلت تحبسها عنه طوال ساعات النهار . .

فى البداية كان قانعا سعيدا . . يكفى أنها معه ، فقد كان وجودها قريبة منه حافزا على استمراره فى الحياة التى أحبها من اجلها . . هي أيضا كانت أسعد لحظات يومها هى تلك التى تقضيها بجواره تحدثه ويحدثها ، ويستعيدان معا ذكرياتها الحلوة . . حقيقة أن المال لا يعوزهما ، ولكن هناك فراغ فى حياته ، وقد بدأ يحس به . . انه لا يفعل شيئا نافعا . . لقد اكمل تدريبه فى المعهد ، واستطاع الآن ان يعتمد على نفسه فى كل شيء . . لماذا لا يكمل دراساته العليا . . وفعل ، وعاد طالبا من جديد . وحصل على الماجستير ، ثم بدأ يعد للدكتوراه ، وبعد أيام سيناقشون رسالته . . . وسمعته يناديها بالاسم الصغير الذي يدللها به ، وأسرعت اليه :

لقد فرغت من إتمام رسالتي ! واطلق ضحكة من أعماقه . . وكأنه يريد ان ينقل لها مدى السعادة التي احتوته وهو يحقق هذا النصر الجديد في ظلام الحياة التي يعيشها ، والتي تقف هي في وسطها شمعة صغيرة تضيء له الطريق . . ولم يدر وهو يطلق ضحكة النصر ، أنه أحيا جرحا قديما في قلب زوجته الصغيرة ، كانت تتمنى لو أنه بقى ساكنا لاينزف !

حيرة وقلق

وحاولت ان تصطنع ابتسامة ، حتى لاتشعره بما حدث لها في تلك اللحظة ، وراحت تبحث لنفسها بسرعة عن مقعد قريب ألقت بجسمها عليه . . فقد أحست انها تتهاوى .

أهنئك ياحبيبي ، ولكنك فاجأتني ، فلم أكن اتوقع أن تنتهي من رسالتك بمثل هذه السرعة !

وأحست أنها بدأت تستعيد قواها ، فقامت من مقعدها واتجهت اليه وطبعت على جبينه قبلة ، ثم تركته عائدة الى المطبخ لتنتهي من إعداد وجبة العشاء .

ولم تشأ ان تفكر طويلا فى هذا الخبر الذى نقله اليها زوجها منذ لحظات . . . صحيح أنه كان يشغلها منذ فترة ، كلما سمعت منه أنه اوشك على إتمام رسالته . .



وينزل منها ايضا وهو جالس على مقعده . . انها سيارة خاصة ، كل شيء فيها يعمل بمجرد الضغط على الأزرار . عجلة القيادة هى الشيء الوحيد الذى كان يمسكه بيديه ليوجهها الى حيث يريد !

وكانت هى دائما معه . . دائما بجانبه . . اذا خرج للنزهة على كرسيه ، خرجت معه تمشى وهى تحتضن رأسه بيدها . . كان حديثه الحلو يسعدها . . انه لم يتغير أبدا . . حتى أنها كانت تنسى فى بعض الأحيان أنه كسيح وأنه يتحرك على كرسي . . كان يطلق النكات ويضحك عليها من أعماقه . . وكانت تضحك معه وتداعبه . وكان يحدثها عن المستقبل وعن أمانيه وعن حياتها معا ، ومشروعاتها للغد . . وكانت تستمع اليه فى ذهول فى كثير من الأحيان . . ولكن دون أن تجعله يشعر بما كان يدور فى رأسها فى تلك اللحظة التى تستمع فيها الى الحديث عن الغد والمستقبل . . الى هذا الحد كان قلبه ممتلئا بالأمل والايمان . .

ولكنها لم تكن تتوقع أن ينتهي منها بمثل هذه السرعة .. وكان السؤال الذى يحيرها دائما .. ماذا بعد ان يحصل على الدكتوراه ؟ هل نستمر في حياتنا هنا .. ام نعود الى بلدنا واهلنا ؟

حكايته مع القطة

ورأت ان تسكت الآن على الأقل .. انها لاتريد ان تجعله يشعر بان هناك شيئا يشغل تفكيرها او يشغلها عنه .. لاتريده ان يحس انها تحمل هما من أجله . إن كل شيء يجب ان يبدو طبيعيا كما كان خلال السنوات الخمس التي امضتها معه في محنتها التي بدأت بعد زواجهما بأيام .

ووجدت نفسها تحدث نفسها وهي تقف أمام المائدة تعد الطعام .. « في الليل أستطيع ان أخلو الى نفسي وافكر في هدوء ، بعد ان اطمئن الى انه قد خلد الى النوم ! »وناداته ، وجاء مسرعا ..

انا جائع فعلا ياعزيزتي ، ولكنني في حاجة أكثر الى النوم ..

وجلسا يتناولان العشاء ، ولم يكف عن مداعبتها .. وضحكت طويلا وهي تستمع اليه يروى لها قصته مع الجارة العجوز التي جاءت تبحث عن قطتها ، ولم تصدقه عندما قال لها انه لم يرها . وأصرت على الدخول لتبحث عنها بنفسها .. ودخلت .. والعجيب أنها وجدتها فعلا تحت فراشه !

- لقد رمقتني بنظرة مليئة بالشك وكأنها تريد ان تحذرني من « سرقة » قطتها مرة اخرى !

- متى حدث ذلك ، وكيف دخلت القطة ؟

- عندما ذهبت الى السوق .. أما كيف دخلت فلا أدرى ؟

وذهب لينام . وبقيت هي ساهرة . قالت انها سوف تقرأ في كتاب جديد اشترته هذا الصباح ، ثم تذهب الى النوم ، وتمنت له ليلة سعيدة .

مع الذكريات

ومالبثت ان عادت الى مقعدها .. وجلست مع كتابها .. وفتحته .. وبدأت تقرأ .. لم يكن كتابا جديدا . ولكنه كان صفحات من مذكراتها التي سجلتها على مدى سنوات طويلة مضت .. صفحات من حياتها مع الشاب الذى اصبح فيما بعد زوجا لها .. ولكن هل كانت في حاجة الى العودة الى مذكراتها تقرأ منها ؟ إن قصتها كلها معه في رأسها وفي قلبها ، وكأنها قد حفرت فيها حفرا بكل تفاصيلها ودقائقها .. عرفته صبيا في المدرسة .. كانت تنزل الى الحديقة الصغيرة القريبة من البيت مع مربيتها الطيبة ، وهي تحمل عروستها التي لم تكن تفترق عنها .. ولكنها لاتعرف لماذا تركت العروسة في هذا اليوم ، وأسرعت تخطف الكرة التي كان يلعب بها ابن الجيران مع اصدقائه .. يومها كانت طفلة في السابعة من عمرها ، وكان يكبرها بعام أو عامين .. وأراد ان يستعيد كرته ومد يده يأخذها منها ، وبكت هي وألقت براسها فوق ركبتي مربيتها التي كانت تجلس قريبة منها ترقب نهاية هذه « المعركة » التي بدأت صامتة ثم انتهت بالبكاء !

ورق قلب الصبي الصغير .. لم يحتمل أن يراها تبكي .. فاقترب منها وأعاد اليها كرته ، وقال : « هذه هي .. فقط لاتبكين .. العبي بها وتستطيعين ان تحتفظي بها اليوم ، ولكن لاتنسى ان تحضريها معك غدا ! »

ولكنها لم تأخذ الكرة .. وكأن حواء الصغيرة كانت تمتحن عواطفه !! كل مافعلته أنها رمقته بنظرة فاحصة ، وكأنها تريد ان تشكره على مشاعره الرقيقة ، ثم حملت الكرة بيدها واعادتها اليه ..

وعندما عادت الى البيت ، جلست المربية تروى لأمها قصتها مع الكرة وابن الجيران ، والتقيا بعد ذلك كثيرا .. في المدرسة الابتدائية التي كانت تراه فيها كثيرا ، وفي سيارة الأوتوبيس التي تنقل التلاميذ الصغار .. البنات والأولاد الذين يسكنون في حي واحد .. ولكن أحدا لم يعرف ماذا كان يدور في رأسيهما الصغيرين كلما التقيا ..

ومضت الأعوام .. وافترقا .. فقد كبر الاطفال الصغار .. وذهبت الفتيات الى مدرسة البنات ، ودخل الأولاد مدرسة البنين .. واكمل الاثنان تعليمهما الثانوى .. كانت تقاليد الأسرة في هذا المجتمع المحافظ لاتسمح بقيام صداقات بريئة بين الشباب من الجنسين .. ولم يكن ممكنا ان يلتقيا .. ربما كان هناك لقاء صامت بين العيون ، ولكن لاشيء اكثر من هذا .. وكأنه كان يريد ان يقول لها كلما لقيها : « هل تذكرين ؟ »

نعم كانت تذكر ؟ انها لم تنس ابدا صاحب الكرة .. الولد الأسمر الطيب القلب الذى لم يحتمل أن يراها تبكي .. هل يمكن أن يولد الحب في قلوب الاطفال في هذه السن المبكرة ؟

وتمضي أيام الشباب

الذى تذكره الطفلة ذات الأعوام السبعة ولن تنساه ، أنها احبت الولد الصغير صاحب الكرة ، وتمنت في ذلك

اليوم لو أنها ذهبت لتلعب معه بكرته الصغيرة . . شيء ما ربط بين هذين القلبين في الحديقة الصغيرة التي كانت تزورها مع عروستها ومربيتها . .

وتدخل الفتاة الجامعة لتدرس القانون الذى ولعت به وهي تقرأ في الكتب التي ازدحمت بها مكتبة والدها ، المحامي المعروف . . ويذهب الشاب في طريق آخر . . فقد اختار العلوم السياسية والاقتصاد . .

وتمضى ايام الشباب الحلوة . . ويتخرج الاثنان . . ويلتحق الشاب بوظيفة مرموقة ، ويتقدم الى والد صديقته الصغيرة طالبا يدها . . ويلتقيان أخيرا . . لقد اصبحا زوجين . . ويسألها : « هل تذكرين ؟ » وتبتسم وهي تتعلق بذراعه وتميل برأسها الصغير على كتفه : « ولن انسى أبدا ياحبيبي ! »

وتنتهي الاحتفالات التي أقامها والدا العروسين اللذين حزما حقائبها استعدادا للسفر . . ولكن إلى اين ؟ الى هذا الشاطىء الجميل على البحر ، في أهدأ وأجمل بقعة يهرب اليها كل عروسين يريدان ان ينعما باسعد لحظات العمر بعيدا عن العيون . .

ويستقلان سيارتها الصغيرة . . السيارة التي أهداها والد العروس لابنته ليلة زفافها وينطلقان في الطريق الى عشهما الجديد الصغير فوق الرمال الناعمة ، حيث اللقاء الازلي بين الماء والارض . .

وتمر أيام العسل كما لو كانت لحظات قصيرة . . وتحت ظلال أشجار النخيل كانا يجلسان ويتناجيان . . ويحكى لها . . وتحكي له . . ثم ينتهي الحديث من حيث بدأ ، مع الكرة والحديقة والدموع والقلب الرقيق الذى تاه عنها صاحبه قبل ان يصبح ملكا لها وحدها !

وقررا ان ينتقلا الى مكان آخر ، على الشاطىء أيضا . . لماذا يبقيان في نفس المكان كل الوقت ومعهما سيارة يمكن أن تحملها الى شاطىء ثان وثالث . . وجمعا حاجياتها واستيقظا في الفجر قبل طلوع الشمس ، وراحا يستعدان لترك عشهما والبحث عن عش جديد . .

في صباح يوم

انها مازالت تذكر صباح ذلك اليوم « الغريب » الذى مضى عليه الآن اكثر من خمس سنوات كاملة . . ثمة شعور كان ينتابها وهي تجمع ملابسها وتضعها في الحقائب التي كانا يحملانها . . انها لاتريد ان تترك هذا المكان . . لقد أحبته ، فلماذا لايستمران فيه . . ثم هذا الكابوس الذى ايقظها من نومها . . لقد كان شيئا مزعجا افلتت معه صرخة أيقظتها من النوم . . ولكنها لم توقظ زوجها !

لم تكن تدرى وهي جالسة بجواره في سيارتها ان القدر يخبىء لها أقسى تجربة تمر بعروسين في أحلى ايام عمرهما . . كان هذا اليوم هو بداية رحلتها مع العذاب والألم والأحزان . .

في الطريق الذى يمتد بجوار الشاطىء مباشرة ، ظهرت سيارة ضخمة في الاتجاه المضاد يقودها سائق مجنون . . وكانت منطلقة باقصى سرعة . . وكان هذا هو آخر شيء تذكره قبل ان يتحول كل شيء جميل من حولها الى ظلام !

أيام العسل القصيرة

وعندما أفاقت في المستشفى الذى نقلا اليه ـ زوجها وهي ـ لاسعافها بالعلاج ، علمت بالخبر الحزين . . « لقد أصيب زوجك ياسيدتي بشلل نصفي ، ولاسبيل لعلاجه هنا في هذا المستشفى الصغير على الأقل ! »

كان قد مضى على زواجها ثلاثة عشر يوما . . وبعدها بدأت رحلتها مع الألم والأمل في كل مستشفى ، عند كل جراح يمكن أن يعيد الحياة الى زوجها المقعد ، ويعيده الى حياته معها !

كان قلبها يتمزق وهي ترى الأطباء يهزون رؤوسهم في أسى ! ولكنها لاتكاد تنظر اليه وهو راقد في فراشه يبتسم ويداعب والديه واخوته ، حتى يفارقها ألمها . . خمس سنوات كاملة لم تره فيها يوما عابسا حزينا متألما حتى عندما كان يتألم . . كان يخفى ألمه عنها ويرسم على شفتيه ابتسامته الحلوة التي بقيت تلازم هذا الوجه الأسمر الوسيم خلال هذه الرحلة الطويلة مع الأحزان . .

وكانت قد وصلت الى نهاية مذكراتها ، فطوتها ووضعتها في درج مكتبها حيث كانت طوال هذه السنين . . ثم أخرجت منديلها لتمسح به الدموع التي كانت تغرق عينيها . . واخيرا أمسكت بالقلم لتكتب رسالة قصيرة الى والديها : « تعود اليكم او لاتعود . . الامر يستوى عندى ، ثم انني لم اعرف رأيه هو بعد . كل الذى اريد أن أقوله لك يا أمي ، وأؤكده لك ياأبي العزيز . . انني سعيدة سعيدة في حياتي مع هذا الرجل العظيم . . فقد علمني هو كيف اكون دائما سعيدة . . مسح دموعي وانا طفلة أحبو . . ثم عندما كنت أنظر في وجوه الناس حول فراشه فأجدهم كلهم يبكون . . وكان هو وحده الذى يضحك !

لقد ودعت دموعي الى غير عودة منذ لحظات ، وقبل ان أمسك بالقلم لأكتب لكم هذه الكلمات ، فأنا أعيش مع الرجل الذى أحبه . . مع الرجل الذى لم يفقد إيمانه بالله لحظة واحدة ! » ○

.. وولى الشتاء ببرده وبرده .. وكان شتاء غريبا هطلت فيه الثلوج ، فغطت الأخضر واليابس .. كان شتاء لم يعهده العالم منذ حقبة بعيدة !

مناخ العالم.. إلى أين؟

بقلم : الدكتور محمد علي الفرا

في البدء لابد وان نفرق بين مفهوم كل من الطقس والمناخ ، لأن هناك من يخلط بينها ، ويظن انها كلمتان لمفهوم واحد ، وهذا خطأ - وان كان شائعا - عند الكثيرين . فالطقس **Weather** مصطلح يدل على حالة الجو من حرارة ، وضغط ورياح ، وتساقط (مطر ، ثلج ، برد) وجفاف ، وساعات سطوع الشمس ورطوبة وغبار ، ونحوه ، في فترة قصيرة من الزمن ، وفي مكان محدد على سطح الأرض . وغالبا ما تقتصر الفترة الزمنية للطقس على يوم أو بضعة أيام . وبهذا المفهوم يمكن القول بأن الطقس عبارة عن حالة متغيرة وغير مستقرة حتى في اليوم الواحد الذي قد يتغير فيه الطقس مرارا ويتقلب . ودراسة الطقس من اختصاص الميتورولوجيا **Meteorology** أو علم الارصاد الجوية .

اما المناخ **Climate** (بضم الميم) فهو الصورة العامة لحالة الطقس في منطقة أو إقليم بصرف النظر عن حجمه واتساعه ، فقد يمتد ليشمل العالم بأسره أو قد ينكمش ليصبح جزءا من المنطقة او الاقليم . ويمكن معرفة مناخ المنطقة بعمل المتوسطات اليومية والفصلية والسنوية لعناصر المناخ الهامة كالحرارة والضغط والرياح والتساقط ونحوه . وحتى تكتمل دراسة المناخ لأي مكان ، لا بد من عمل متوسطات عناصر المناخ لمدة لا تقل عن ثلاثين أو أربعين عاما وهي مدة الدورة المناخية التي تتوالى فيها جميع السنين العادية والشاذة .

ودراسة المناخ من اختصاص علم المناخ - **Climatology** . وعلى الرغم من كونه علما مستقلا إلا انه يرتبط ارتباطا وثيقا بعلم الأرصاد الجوية . فالعلمان يتصلان ببعضهما ويعتمدان على بعضهما اعتمادا كبيرا .

المناخ العالمي في الماضي والحاضر

شهدت الأرض قبل حوالي سبعمائة الف سنة ، أي في عصر البليستوسين ، ذبذبات مناخية شديدة ادت الى حدوث ثمانية عصور جليدية استمر الواحد منها نحو تسعين الف سنة . وتخللت تلك العصور فترات دفيئة بلغ طول كل منها نحو عشرة آلاف سنة . ويرى البعض أننا اليوم نعيش في نهاية الفترة الدفيئة الأخيرة ، وأننا مقبلون على عصر جليدي !

ويرى العلماء بأن سبب تلك العصور الجليدية يعود الى حركات القشرة الأرضية التي نتج عنها ارتفاع في سطح اليابس مما أدى الى صد التيارات البحرية والهوائية الدفيئة ، ومنعها من الدخول إلى وسط القارات في العروض العليا والتي أصبحت تحت سيطرة الرياح القطبية الباردة .

وبناء عليه غمرت الغطاءات الجليدية معظم الأجزاء الشمالية من قارات آسيا وأوروبا وامريكا الشمالية في حين اصبح مناخ المناطق الجنوبية من آسيا وأوروبا والشمال الافريقي يميل الى البرودة مع سقوط امطار غزيرة سمحت بنمو الاشجار والنباتات .

ويقول الدكتور جيمس هايز **James D. Hays** ، رئيس الفريق العلمي بجامعة كولومبيا بنيويورك : ان



تبين الخريطة مقدار سقوط الأمطار في شتى مناطق العالم . . . فحيث ترى اللون الأسود تسقط الأمطار بمعدل ٢٠٠٠ ملم أو يزيد ، سنويا . . . . وحيث ترى اللون الرمادي الداكن يبلغ سقوط الأمطار ما بين ١٥٠٠ ـ ٢٠٠٠ ملم سنويا . . . . . أما اللون الرمادي الفاتح فيرمز الى ١٠٠٠ ـ ١٥٠٠ ملم سنويا . . . وتنزل كمية المطر السنوية لتصبح ٥٠٠ ـ ١٠٠٠ ملم حيث تجد الخطوط العمودية . . . . و ٢٥٠ ـ ٥٠٠ ملم حيث ترى الخطوط المنحرفة . . . أما المناطق البيضاء فيتراوح سقوط الأمطار فيها من صفر الى ٢٥٠ ملم سنويا .

الأرض بدأت تشهد تحولا نحو البرودة . وهذا الاتجاه البارد سيستمر لمدة عشرين الف سنة .

ويتساءل الكثيرون عن مدى تغير مناخ العالم وطقسه في عصرنا الراهن ، وهل بالامكان التنبؤ به ، وما انعكاس ذلك على حياة الانسان على سطح هذا الكوكب . إن الاجابة على مثل هذه التساؤلات ليست بالأمر الهين ولا يمكن الاجابة عليها بكلمتي لا ونعم ، إذ أن هناك امورا لاتزال غامضة لم يكتشفها العلم بعد ، علاوة على تشابك كثير من الظواهر وتعقدها مما يجعل مسألة التوقعات صعبة او مستحيلة ، طالما ان معظمها تنقصه الحقائق الثابتة التي تدعمها او تثبتها او تنقضها وتبطلها .

وفي حين ان الخصائص العامة للمناخ العالمي ظلت ثابتة تقريبا منذ نهاية العصر الجليدي الأخير ـ أي قبل أحد عشر الف عام تقريبا ـ فان السجلات تشير الى تغيرات كبيرة من سنة الى أخرى ، ومن عقد إلى آخر ، ومن قرن إلى قرن .

وعلى الرغم من أن هذه التغيرات كانت بسيطة بالمقارنة إلى التغيرات الجوهرية المرتبطة بالعصر الجليدي ، إلا أن لهذه الذبذبات نتائج اقتصادية واجتماعية . فزيادة سكان العالم وارتفاع مستويات المعيشة أدت الى زيادة الضغط على الموارد الطبيعية التي لم تعد قادرة على تلبية متطلبات الانسان المتزايدة . إن المناخ ـ ولا شك ـ يؤثر على الانتاج الزراعي والحيواني قلة أو كثرة ، ووفرة أو عجزا . فعلى سبيل المثال انخفض المخزون العالمي للقمح عن ذي قبل . وتدنى الانتاج في الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الامريكية ، وتعرضت مناطق كثيرة من العالم للقحط والمجاعة والجفاف كما حدث في الساحل الافريقي نتيجة تغير واضح وذبذبات حادة في المناخ العالمي طوال السبعينات .

ويقول « ميسن » **B. J.Mason** مدير عام مكتب الارصاد الجوية في بريطانيا بأن هناك تغيراً واضحا في المناخ في العصر الحديث ، فان فحصاً دقيقاً للسجلات في السنوات الخمس الماضية والتي تسجل العناصر المناخية في طبقات الجو الدنيا في منطقة القطب تثبت لنا بأن هناك ارتفاعا في درجات الحرارة بنحو ٠,٢ درجة مئوية . وصحب هذا الارتفاع الحراري تخفيض ملحوظ في الغطاء الجليدي البري والبحري ، وقلة سماكته . وأصبحت الرياح الغربية ـ وهي دفيئة رطبة ـ أكثر شدة وفاعلية ، وبالمقابل قل مفعول الرياح الشمالية القطبية الباردة واصبحت قليلة الهبوب مما أدى الى تتابع خمس شتويات لطيفة .

ارتفاع وانخفاض

ويرى « ميسن » بأن تتبع سجلات الارصاد الجوية ابتداء من عام ١٦٦٨ يكشف للمشتغلين بها عن مظاهر في غاية الأهمية ، لعل من أبرزها ان الحرارة بدأت ترتفع منذ عام ١٨٨٠ . واستمر هذا الارتفاع حتى عام ١٩٤٠ . ولكن الوضع انعكس ابتداء من عام ١٩٤٠ أي ان الحرارة اخذت في الانخفاض التدريجي لتعود الى نصف المعدل



الذي وصلت اليه في عام ١٨٨٠ . وان الجفاف زاد عن ذي قبل ، أي ان المعدل السنوي لتساقط الأمطار في العالم أصبح حوالي ٨٢٦ ملليمترا وهو أقل من المعدل العام في سنة ١٨٥٠ . إن معدل ما يعكسه سطح الأرض من الحرارة يبلغ نحو ١٥ ٪ من الأشعاع الشمسي الساقط على هذا السطح مع وجود تغيرات بحسب طبيعة الظاهرات الارضية . فالانعكاس يقل ويصل الى ٨ ٪ فقط في المناطق التي تكسوها الغطاءات النباتية شديدة الخضرة . ويزداد بشكل ظاهر حتى يصل الى نحو ٨٠ ٪ في الجهات التي يكسوها الثلج الساقط حديثا . وبناء عليه فان التباين الكبير ، والتنوع الشديد في توزيع الحياة النباتية والغطاءات الجليدية تؤدي كلها الى تغيرات هامة في الميزانية الحرارية لسطح الأرض والتي بدورها تؤثر في المناخ بشكل مباشر .

ويرى فريق من العلماء من جامعة « وسكنسن » **Wisconsin** بالولايات المتحدة أن مناخ العالم شهد فترة من البرودة النسبية حيث اتسع في أثنائها المناخ الشمالي شبه البارد أو الحقبة البارة الجديدة **neoboreal** والتي استمرت طوال قرنين من الزمان اي من عام ١٦٠٠ الى عام ١٨٥٠ . وقد تميزت هذه الفترة بالجفاف مما أدى إلى حدوث المجاعات ، وانتشار امراض في اوروبا وجهات متفرقة من آسيا (كالهند) وافريقية . وفي مقابل ذلك نعمت المناطق الجنوبية من حوض البحر المتوسط بالأمطار الكافية لازدهار الزراعة ، ومختلف الفعاليات البشرية . وقد ارتبطت بهذه التغيرات المناخية حركات وتطورات سياسية واقتصادية واجتماعية كان لها تأثير واضح على الحياة الأوربية .

وهذه الأراء مستمدة في الأساس من بحث هام كان قد اجراه عالم الارصاد الجوية الشهير بجامعة « وسكنسن » الاستاذ « ريد برايسون » **Reid Bryson** وتنبأ فيه بأن العالم مقبل على فترة مناخية باردة شبيهة بتلك التي حدثت بين ١٦٠٠ و ١٨٥٠ . ويتركز بحث « برايسون » حول تردي الطقس في نصف الكرة الشمالي . اذ يقول انه ابتداء من عام ١٨٩٠ وحتى منتصف الأربعينات من هذا القرن (اي عام ١٩٤٥) زادت حرارة الجو بنحو ٠,٥ درجة مئوية . ولكن منذ سنة ١٩٤٥ بدأت درجات الحرارة في الهبوط التدريجي بمعدل يقدر بنحو ٠,٣ درجة مئوية . وترتب على ذلك برودة الأرض ، وأن هناك إمكانية لاتزال قائمة نحو مزيد من التبريد والذي ستكون له نتائج في غاية الخطورة . فالغطاء الثلجي والجليدي في العالم زاد بنسبة تقدر ما بين ١٠ الى ١٥ ٪ ، وأصبحت الرياح الموسمية في آسيا غير منتظمة ، وقد عانى الساحل الافريقي الشرقي من فترات جفاف طويلة لم يسبق ان عاناها من قبل في التاريخ الحديث . وفي أوروبا الغربية شهد شتاء ١٩٧٦ جفافا لم يسبق له مثيل منذ مئات السنين .

اختلاف آراء العلماء !

في الثاني عشر من شهر فبرابرعام ١٩٧٩ اجتمع في مدينة جنيف بسويسرا نحو ثلاثمائة عالم وباحث وخبير من أكثر من خمسين قطراً لبحث موضوع التغيرات المناخية ، وهل يتجه مناخ العالم الى الحرارة او البرودة . وقد دعت الى هذا الاجتماع المنظمة العالمية للأرصاد الجوية التابعة لهيئة الأمم المتحدة .

ومنذ بداية الاجتماع بدا واضحا بأن الرأى العلمي كان منقسما حول اتجاه التغير المناخي للعالم . فالبعض كان يميل الى الأخذ بفكرة برودة الارض في حين يرى البعض الآخر بأن سطح الارض يتجه نحو الدفء . فالدكتور « روبرت وايت » **Robert White** الرئيس الأمريكي للمؤتمر قال : بأن معظم الشواهد والاثباتات تبرهن على ان الحرارة السطحية للارض آخذة في الارتفاع . وقال البروفسور « فيديروف » **E.K.Federov** من الاتحاد السوفيتي بأن من الممكن جدا أن يكون التسخين الآن في بدايته في نصف الكرة الشمالي .

اما البروفيسور « كنيث هير » **Kenneth Hare** الكندي الجنسية فاعتقد بأن الارض تتجه نحو التبريد . هذا وقد اعطى كل فريق ما عنده من أدلة وبراهين تثبت وجهة نظره وتؤيد فرضياته . وفي اعتقادنا ان من الصعب ترجيح رأى على آخر . فالمسألة ليست بمثل هذه البساطة . كما ان العلم ما زال مطالبا بالكشف عن الكثير من اسرار الكون الغامضة التي لو عرفت لأمكننا عمل التوقعات المناسبة . وعلى أية حال فان الشيء الذي يمكننا تأكيده هو ان مناخ العالم غير ثابت ، وانه اليوم يمر في حالة تغير . وقد يكون من المناسب ان نحلل اسباب هذا التغير ونتائجه .

لانسان والطبيعة:

يرى أنصار نظرية التسخين بأن حرارة سطح الأرض آخذة في الارتفاع نتيجة ما يسمى بعملية اختلال في التوازن البيئي اى العلاقة بين الانسان والبيئة . فنظرا الى تحكم الانسان في كثير من عناصر الطبيعة وسيطرته على الموارد المتاحة ، بدأت تبرز ظواهر ذات انعكاسات سلبية على مختلف انواع الحياة على سطح الأرض . فانتشار ظاهرة التصنيع عالميا وازدياد نسبة التحضر وزيادة اعداد السيارات والأسراف في حرق الوقود الحفري ، وبخاصة الفحم الحجري ، أدى الى ارتفاع نسبة ثاني اكسيد

الكربون في الجو . فعلى الرغم من ضآلة نسبة هذا الغاز في الجو والتي تبلغ نحو ثلاثة اجزاء من كل عشرة أجزاء من حيث الحجم الكلي لمختلف انواع الغازات (٠٫٠٠٣ ٪) إلا أن له اكبر الأثر في تمكين الارض من الاحتفاظ بحرارتها . فهو أشبه بالبيوت الزجاجية التي تتصيّد حرارة الشمس ولا تسمح لها بالنفاذ لكونه أقل شفافية مما يجعله يمنع الموجات الطويلة التي تحمل الاشعاعات الأرضية من التسرب الى الفضاء ويعيدها الى الأرض . ولكنه في نفس الوقت لا يحول دون مرور الاشعاع الشمسي الى الارض .

وكلما زادت نسبة ثاني اكسيد الكربون في الجو ، ارتفعت حرارة سطح الارض . ولو ضوعفت كمية ثاني اكسيد الكربون في الجو ، فان درجة الحرارة سترتفع من ٣ الى ٤ درجات مئوية . ومما لا شك فيه أن زيادة اعتماد العالم على الفحم الحجري قد يولد أكبر تهديد خطير للمناخ العالمي نتيجة زيادة ثاني اكسيد الكربون المنبعث من عملية الاحتراق . وقدر بأن حرق الوقود الحفري وتدمير الغابات قد زاد بالفعل من نسبة ثاني اكسيد الكربون في الجو بنحو ١٠ ٪ في النصف الأخير من هذا القرن . هذا وقد فحص الدكتوره « ميسن » مدى تأثير الانسان في تسخين الجو . فقال بأن الحرارة الناتجة بشكل مباشر من نشاط الانسان وفعالياته تقدر بنحو ٠٫٠١ ٪ من الاشعاع الكلي الذي يصل سطح الأرض .

وعلى الرغم من وجاهة فكرة التسخين الناتجة عن زيادة نسبة ثاني اكسيد الكربون في الجو ، إلا أن ذلك لا يرقى الى مرتبة الثبات التام ، ذلك بأن حرارة الجو توقفت عن الارتفاع واتجهت نحو الهبوط في الثلاثين سنة الماضية . فمنذ عام ١٩٦٠ ودرجة الحرارة تميل نحو الانخفاض . وزيادة على ذلك فان أقدم سجلات الرصد الجوي في مختلف جهات العالم ـ وبخاصة الأقطار الواقعة في نصف الكرة الشمالي ـ تدل على ان التسخين الحالي والذي يمكن تتبعه من بداية الرصد أي منذ القرن الثامن عشر في أوروبا ومنذ القرن السابع عشر في بريطانيا ، مر بمرحلة من الارتفاع والانخفاض . وهذا ان دل على شيء فانما يدل على ان التسخين بدأ قبل الثورة الصناعية ، وبذلك فانه لا يعزى الى نتائج النشاط البشري الذي تسبب في زيادة ثاني اكسيد الكربون في الجو .

الانفجارات البركانية

ويقول دعاة نظرية التبريد بأن زيادة ثاني أكسيد الكربون في الجو يتعادل مفعوله بتأثير الغبار المنبعث طبيعيا من البراكين والزلازل ونحوه ، وكذلك الغبار الذي يسببه الانسان بفعل نشاطاته وفعالياته . ذلك أن الغبار يمنع وصول الاشعاع الشمسي ويحجبه عن سطح الأرض مما يؤدي الى تخفيض درجة الحرارة . وبناء عليه فبعض الآراء ترى بان الفترات الباردة التي شهدتها الارض في تاريخها البعيد ترتبط بعملية الانفجارات البركانية وما نتج عنها من رماد وغبار أصبح معلقا في الجو ، وحال دون وصول اشعة الشمس الى سطح الارض فانخفضت درجة الحرارة وسادت البرودة . وقد اجريت بعض التجارب على نماذج مصغرة للارض تبين منها ان طبقة الغبار استطاعت امتصاص نحو ٤ ٪ من الاشعاع الشمسي القادم نحو الأرض،وهذا بدوره ادى الى انخفاض درجة الحرارة بنحو عشر درجات مئوية .

ويعتقد الدكتور « جيمس هيز » وهو من القائلين بأن الارض تتجه نحو البرودة بأن هناك ارتباطا قويا بين التغير المناخي العالمي وتغير ميل محور الأرض وموقعه من الشمس . وهذا القول ترديد لنظرية « ميلاتن ميلانكوفتش **milutin milankovich** العالم اليوغسلافي في العشرينات من هذا القرن،والتي تربط بين حدوث العصور الجليدية ودوران الارض حول الشمس ، وان اي تغير في ميل محور الارض يترتب عليه بعدها او قربها من الشمس ، والبعد معناه البرودة بينما القرب يؤدي الى زيادة الحرارة . وبموجب هذه النظرية يمكن معرفة بداية العصر الجليدي ونهايته .

وهناك من يرجع أسباب التغير المناخي الى قوة الاشعاع الشمسي او ضعفه . وضعف الاشعاع يكون في العادة نتيجة وجود ما يسمى بالكلف الشمسي وهو عبارة عن بقع لونها اسود تبدو على وجه الشمس . وهذا الكلف يحجب الاشعاع الشمسي ويقلل من مفعوله .

ومهما كانت الأسباب ومايتنج عنها من تبريد الأرض أو تسخينها،فان لكل منها نتائج خطيرة على الحياة فوق هذا الكوكب . فالتسخين يؤدي ـ كما قلنا ـ الى ذوبان كثير من الغطاءات الجليدية التي تشكل ثقلا وتوازنا ارضيا يحافظ على نسبة كل من اليابس والماء . فاذا ذابت هذه الغطاءات فان معنى ذلك ازدياد كمية المياه ، وفي نفس الوقت فان ارتفاع بعض جهات الأرض يقابله انخفاض في الجهات الأخرى ، وتكون المحصلة طغيان البحار والمحيطات على مناطق من اليابس .

اما التبريد فيؤدي الى جفاف اقاليم واسعة من العالم نتيجة هبوب الرياح الباردة الجافة وتدهور الزراعة والانتاج الحيواني ، مما نتج عنه انخفاض انتاج العالم من الغذاء ، وحدوث مجاعات في مناطق واسعة من العالم ، وما ينجم عن ذلك من اضطرابات تعصف بالعالم ومن فيه ، وقانا الله شرها . ○



ارتفاع ضغط الدم

● ما هى اعراض ارتفاع ضغط الدم ، لانى أشعر أحيانا بصداع يستمر عدة ساعات .

عندما يتحدث الناس عن « مرض الضغط » فهم يعنون بالضرورة ارتفاع ضغط الدم في الاوعية الدموية عن المعدل . ذلك ان وجود ضغط في الاوعية الدموية امر ضرورى لاستمرار الحياة بحيث ان انعدامه يعني انعدام الحياة،والمعدل الفسيولوجي او الطبيعي يكون بين ١٠٠ الي ١٤٥ سنتيمتر زئبقي تقريبا عند انقباض عضلة القلب وبين ٦٥ الي ١٠٠ سنتيمتر زئبقي تقريبا عند ارتخاء هذه العضلة . ويلاحظ ان المتوسط في القراءتين كبير بحيث يكون حوالي ٤٥ سنتيمترا عند انقباض القلب وحوالي ٣٥ سنتيمترا عند ارتخائه ذلك انه تجب ملاحظة عوامل كثيرة تؤثر في اختلاف الضغط الطبيعي في شخص عن الآخر .

. فالعمر مثلا من العوامل التي تؤخذ في الاعتبار والسمنة كذلك، ولكن هذه العوامل كلما ازدادت فانها تجعل القراءة في الاتجاه المرتفع حتي ولو بقيت في حدود المتوسط .

غير ان هناك عوامل كثيرة تسبب ارتفاع ضغط الدم فوق المعدل بشكل مرضي،ولقد قسم الاطباء اسباب ارتفاع ضغط الدم الي قسمين : القسم الاول هو الذى لا يعرفون له اسبابا اخرى محدودة ويكون سبب ارتفاع الضغط في اكثر من ٩٥ ٪ من المصابين فوق سن ٣٥ سنة وقدلوحظ ان الوراثة من العوامل المشتركة عند معظم هؤلاء المرضي،كما ان حياة الصخب في المدينة والاضطراب النفسي والقلق الشديد من العوامل ذات الاثر الكبير في ارتفاع الضغط عند هؤلاء المرضي،اما السمنة نتيجة الافراط في تناول الطعام فقد تأكدت علاقتها بهذا المرض عندما اختفي الضغط بعدهبوط الوزن . غير ان هذه العوامل لا تفسر وجود الضغط الاعند نسبة محدودة من المرضي وتبقى نسبة كبيرة منهم بدون معرفة الاسباب الحقيقية .

والقسم الثاني من حالات ارتفاع ضغط الدم يكون انعكاسا لمرض آخر في الكلى مثلا او في احدى الغدد الصماء التي تفرز الهرمونات بحيث اذا عولج العضو المريض فان ارتفاع ضغط الدم يختفي ويعود الضغط الى المعدل الطبيعي .

واهم اعراض ضغط الدم هو الصداع الشديد المستمر ويجب ان يلاحظ ان ارتفاع ضغط الدم ليس هو السبب الوحيد الخطر

للصداع الشديد المستمر واسباب هذا الصداع عند مرضى ارتفاع ضغط الدم يكون بسبب ورود كميات كبيرة من الدم الى شرايين المخ مما يهدد بحدوث انفجار في هذه الشرايين وهو امر يخشاه الاطباء كثيرا .

ويمكن علاج ارتفاع ضغط الدم بالوقاية الفعالة وأهمها عدم الافراط في تناول الطعام وكذلك الامتناع عن التدخين والمشروبات الروحية ثم عدم التعرض لعوامل القلق والتوتر والانفعال .

كذلك ننصح بمراجعة الطبيب عند الشكوى من الصداع الشديد المستمر .

وهناك علاجات يقررها الطبيب من شأنها ان تبقى الضغط عند معدله الطبيعي .

التهابات الفم

● أعاني من التهابات بالفم تسبب لي آلاما مبرحة خصوصا عند الأكل . . . . فما أسباب هذه الالتهابات . . . وكيف السبيل الى الوقاية منها ؟

كثيرا ما يصاب تجويف الفم بالتهابات تتفاوت شدتها بتفاوت أسبابها ، وهي تظهر على شكل تقرحات صغيرة تنتشر في باطن الخدين وعلى اللسان وأرضية تجويف الفم ، وهي مصحوبة بدرجات متفاوتة من الألم والاحمرار والورم ، وفي الحالات الشديدة قد تصاب الشفة بالتورم والاحمرار ، وتصبح رائحة التنفس غير طيبة ويسيل اللعاب بدرجة مزعجة .

وأبسط أنواع هذه الالتهابات ما يسببه التهاب اللثة أو الأسنان ، ويظهر على شكل احتقان في الغشاء المخاطي المبطن لجدار الفم وربما الأنف والحلقوم .

فان اشتدت التهابات اللثة بحيث تصبح تقرحات ، فانها تنتشر الى باقي تجويف الفم فتغزوها البكتريا بحيث يحتاج علاجها الى استخدام المضادات الحيوية .

وكثيرا ما يصاب تجويف الفم بأنواع من الفيروسات تسبب كثيرا من الأورام الصغيرة التي تنفجر وتترك تقرحات صغيرة منتشرة في كل مكان من تجويف الفم ، وتصاحبها آلام شديدة وصعوبة في المضغ خصوصا عندما يلامسها طعام أو شراب حمضي كعصير البرتقال . ومن هذه التقرحات الصغيرة التي تصيب تجويف الفم ، تقرحات لم يعرف سببها حتى الآن ، وقد أشيع ان لها علاقة بعسر الهضم أو الامساك ، ولكن ذلك لم يثبت بشكل علمي حتى الآن ، وهذا النوع يظهر كثيرا في السيدات قبل ظهور الطمث الشهري ، وهو ينتشر فوق الشفتين واللسان وخصوصا عند طرفه الأمامي وعلى جانبيه وعلى اللثة ، ويسبب آلاما مزعجة قد تعيق المضغ وحتى الكلام ، لأن ملامسة القرحة للأسنان عند الكلام أو المضغ تكون مؤلمة للغاية ، ولقد لوحظ ان المريض عادة لا يشكو من أي مرض آخر بخلاف هذه التقرحات وآلامها ، ولذلك فلا داعي لربط وجود هذه التقرحات بأي اضطرابات في الجهاز الهضمي .

والوقاية من هذه الالتهابات تبدأ بالوسائل البسيطة كالعناية بالصحة العامة ، وذلك بتوفير الغذاء الكافي والهواء النقي ثم بالمواظبة على نظافة الفم المستمرة خصوصا بعد الوجبات وفي الصباح وقبل النوم ، ثم الرعاية الدورية للأسنان ، وعلاج المصاب بها أو التخلص منه اذا تعذر علاجه ، واذا كان المريض يستخدم أسنانا اصطناعية فلا بد من العناية بها بنفس درجة العناية بالأسنان الطبيعية بل ربما أكثر . ويجب أن تكون الأسنان الاصطناعية محكمة التثبيت بحيث لا يكون عدم احكام تثبيتها سببا في جرح اللثة ، ويجب ألا تكون شديدة التثبيت بحيث تصيب اللثة بجروح تكون عرضة للالتهابات بسبب الجراثيم المتواجدة في تجويف الفم .

أما اذا حدثت الاصابة فان العلاج يكون موضعيا بالمضمضة بالمطهرات التي يصفها الطبيب ثم ازالة الأسباب . واذا زادت حدة المرض فقد يحتاج الأمر الى استخدام المضادات الحيوية المناسبة ، وربما يحتاج أيضا الى استخدام المسكنات للتخلص من أزمة الألم التي تصاحب هذا المرض أحيانا .



طبيب الأسرة

الفــواق
(الزغطة)

● أنا شاب صحيح الجسم ولكني كثيرا ما أعاني من الزغطة . . . فما هي طبيعة هذه الحالة ؟ وكيف تحدث ؟ وما علاجها ؟

عضلة اللهاة صغيرة وتقف بين المريء حيث يمر الطعام الى المعدة وبين القصبة الهوائية حيث يمر الهواء الى الرئتين ، وهي تقوم بوظيفة الحارس الذي ينظم المرور عند آخر تجويف الفم الى المعدة ومن ثم الى الرئتين ، ولا تسمح بمرور الهواء الى المعدة أو الطعام الى الرئتين ، وهي تفتح بابها في تزامن دقيق مع انقباض عضلة الحجاب الحاجز الموجودة بين تجويف الصدر وتجويف البطن ، وهي العضلة الرئيسية في عملية التنفس .

وتحدث الزغطة أو الكحة الحادة المميزة التي نعرفها جميعا نتيجة للتقلص المفاجيء وغير المنتظم لجانب واحد أو للجانبين من عضلة الحجاب الحاجز ، وفي أثناء انغلاق فتحة اللهاة بدلا من تزامن هذا التقلص مع انفتاح هذه الفتحة كالمعتاد .

وهكذا يبدو أن السبب المباشر للزغطة ، هو التنبيه غير العادي لعضلة الحجاب الحاجز والذي يمكن أن يكون نتيجة لأسباب عديدة ، ولعل أهمها حدوث اضطرابات في الجهاز الهضمي ، وأشهر هذه الأسباب هو زيادة حجم المعدة عند تناول وجبة كبيرة أو بلع كميات من الهواء أكثر من اللازم ، والمعدة كما هو معروف تقع أسفل الحجاب الحاجز وهي بذلك تستطيع أن تثير العصب المغذي لهذه العضلة فتنبهها للتقلصات المفاجئة ، كذلك فان وجود الغازات الكثيرة في الأمعاء عند الامساك أو اضطراب الهضم أو حتى عند وجود انسداد معوي ، يجعل الأمعاء تضغط على عضلة الحجاب الحاجز وتثيرها ، وكذلك فان (الزغطة) تحدث كثيرا عقب العمليات الجراحية أو الالتهابات داخل الباطن . .

ولأن الحجاب الحاجز يفصل بين تجويف الصدر والبطن فان تقلصاته المفاجئة والتي تسبب (الزغطة) يمكن أيضا أن تنتج عن أسباب داخل تجويف الصدر ، ويبقى أن نعرف أن هذه الأسباب كلها - لكي تثير عضلة الحجاب الحاجز - يجب أن تثير العصب الذي يغذيها ، وقد يأتي هذا التنبيه لهذا العصب بعيدا عن البطن والصدر أي من المخ ذاته ، ولذلك فان (الزغطة) قد تكون عرضا لعدد من الأمراض داخل المخ كالأورام وخلافه .

مما سبق يتضح أن الأسباب العضوية (للزغطة) تبدو خطيرة ، غير أن الأمر ليس كذلك من الناحية التي تهم عامة الناس لسببين : الأول أن (الزغطة) في هذه الأمراض تكون في المراحل النهائية للمرض . والثاني ان هذا النوع من (الزغطة) نادر الحدوث ، وليس هو النوع المشهور بين الناس والذي لا بد أن يكون قد مر بمعظم القراء دون أن يكون أحدهم مصابا بأي من الأمراض السابقة . أما أسباب هذا النوع الأخير ، فالمعروف أنها أسباب نفسية بحتة ، وربما ساعدتها أي اضطرابات في الجهاز الهضمي عقب وجبة كبيرة أو وجبة غنية بالمشهيات والتوابل . ولذلك فان علاجها يكون سهلا وميسورا ، فأولا يجب تهدئة روع المصاب في حينه وطمأنته ثم العمل على اعادة تنظيم تقلصات عضلة الحجاب الحاجز الى دوراتها الطبيعية المتزامنة مع انفتاح بوابة اللهاة . وذلك بشرب بعض الماء أو الامساك عن التنفس لفترة قصيرة ، ويلاحظ أن شرب الماء أو بلعه - بمعنى أدق - يؤدي الى توقف التنفس للحظات ، وهذا التوقف يجبر عضلة الحجاب الحاجز على اعادة تنظيم تقلصاتها بعد أن تجبر على ايقاف التقلصات غير العادية التي كانت تسبب (الزغطة) .



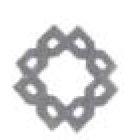
الفن الإسلامي

بين الدين والإبداع

بقلم : الدكتور عبد العزيز كامل



نموذج للجمع بين الكلمة
الطيبة والزخارف النباتية



تقوم الحياة الاسلامية على أصول ثلاثة : القرآن الكريم والسنة النبوية والاجتهاد . وتبدو في الشريعة الاسلامية صور من التفاعل الخصب بين المصدرين الأساسيين والثابتين ـ وهما القرآن والسنة النبوية ـ وبين الاجتهاد ، وهو المصدر الثالث الآخذ في الاتساع المستمر ، واليه يدعو المصدران الأساسيان . واستطاع هذا التفاعل أن يثري الفكر التشريعي الاسلامي ، وهو يقابل القضايا والمشكلات التي يظهرها تطور الحياة .

وامتدت العناية الى اللغة العربية وعلومها وآدابها : ذلك لأن العربية ـ لسانا وقلبا ـ هي لغة القرآن ، والرسول ، والذين حملوا الاسلام من مهده في الجزيرة العربية .

ويجمع بين الاسلام واللغة العربية ، أن لهما وسيلة تواصل أساسية هي « الكلمة » : فالقرآن كلام الله . والسنة كلام الرسول وفعله وتقريره . . والأدب العربي كلام العرب . ومن أجل ذلك استمرت العناية « بالكلمة » قولا وخطا . وكان أكثر التذوق الفني ، في مجال « الكلمة » شعرا ونثرا .

أما الابداع الفني الاسلامي ـ بمفهومه الواسع ـ فهو لغة يحاول فيها الفنان أن يعبر تعبيرا جماليا في اطار عقيدته .

١ ـ ولهذا الابداع وسائل تواصل متعددة تجمع الكلمة والخط (في استقامته وانحنائه) والشكل والحجم واللون والكتلة .

٢ ـ وتتنوع المواد التي يعالجها فتشمل الورق والجلد والحجر والمعدن والزجاج والفخار والخشب والصخر .

٣ ـ وتتنوع الآفاق التي يضمها لتشمل الكلمة المكتوبة والرقش (الزخرفة) والرسم والنحت والعمارة والفنون التطبيقية والصورة .

٤ ـ وتتنوع الحجوم التي يعمل فيها : من تخطيط مدينة كاملة الى مسجد وقصر وقلعة ، الى تصميم وتزيين كتاب أو حلية أو سلاح أو أداة من أدوات الحياة اليومية .

ونحن مع الابداع الفني الاسلامي في متحف كبير ، تمتد قاعاته من اليابان والصين شرقا الى المحيط الأطلسي غربا ، وينتشر في أفريقيا جنوبا وأوروبا شمالا ، ومنه الآن فروع في العالم الجديد واستراليا حيث تستقر جماعات اسلامية نقلت معها أثوابا من هذا الفن ، وتضيف اليه ابداعا يحمل روح الاسلام ، وان تأثر بدرجات متفاوتة بمؤثرات محلية سابقة أو معاصرة عالمية مكتسبة .

بين المنابع والابداع

ونستطيع أن نشبه الفن الاسلامي بمنشور ثلاثي متساوي الأضلاع :

الركن الأول من قاعدته هو الاسلام عقيدة وشريعة .

الركن الثاني هو الحضارات المحلية التي لقيها الاسلام في مهده وانتشاره .

والركن الثالث هو الحضارات العالمية التي عاصرت الاسلام وكان لها تأثيرها الذي تخطى مواطن نشأتها .

أما القمة فتمثل الابداع الذي يستلهم أركان القاعدة .

ان الابداع الفني في ذاته اجتهاد . ومحاولة تفسيره اجتهاد آخر . وبينما وجدت الدراسات التشريعية عناية كبيرة في تأصيلها ، ووضع مناهجها . ، فان الابداع الفني الاسلامي لا يزال بحاجة الى مزيد من الاجتهاد : أولا في الابداع ذاته ، وثانيا في تفسيره .

وتختلف مدارس تفسير الفن الاسلامي في بيان الأهمية النسبية لكل من أركان القاعدة ومدى تأثر الابداع بكل منها .

واذا كانت هذه المنابع متوفرة أمام الفنانين فان عبقريته هي « القيمة المضافة » بحيث يصبح هذا الابداع مصدر الهام جديد مضاف الى المنابع . وبهذا يبدو الحوار الدائم : أولا فيما بين أركان القاعدة ، وثانيا بين الأركان والابداع في اضافاته المتجددة ، وتتطور معه صورة المنشور الثلاثي الى رباعي يصبح فيه الابداع ـ الذي تلقاه المسلمون بالقبول ـ ركنا رابعا في القاعدة ومصدرا للالهام . وتظل قمة الابداع ترتفع باضافات جديدة ، لا تلبث أن تتحول الى تراث مضاف يغذي الابداع الجديد .

والآن ، نصل الى مفرق طريقين في هذا البحث :

أولا ـ أن نتخذ طريق الدراسة المقارنة بين مقومات وتطور المدارس الفكرية الثلاث في دراسة أصول الفن الاسلامي : المؤثرات الاسلامية الذاتية ، والتراث المحلي (القومي) ، والتراث العالمي وحجم كل منها .

ثانيا ـ أن نوجه أكبر الجهد الى تأصيل المؤثرات الاسلامية وردها الى أصولها في العقيدة والشريعة مع افادتها من التراث القومي والعالمي . وهذا الاختيار الثاني هو الأقرب الى هدف البحث .

وفي دراسة العقيدة والشريعة سنعمد الى الايجاز ليتسع القول للربط بين الأصول الدينية وبين الابداع عن طريق تحليل النماذج .

وهذا التحليل لن يزيد عن كونه « اجتهادا » في التذوق والربط . يبدأ أول أمره « فرديا » ، ثم ينقله النقد والتنقيح والاضافة الى أرض الحوار ، اذا كان فيه ما يستحق القبول . وهذا هو المأمول .

العقيدة كمصدر الهام

١ ـ « أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله »

هذه الشهادة هي مدخل الاسلام : أن تؤمن بالله وتصفه بما وصف به ذاته المقدسة في كتابه . فهو تعالى الموصوف بكل كمال المنزه عن كل نقص . . . « ليس كمثله شيء وهو السميع البصير » (الشورى : ٤٢ ـ ١١) .

وجاءت السنة النبوية مبينة للقرآن الكريم ، وبها اجتنب المسلمون ـ وبخاصة في بيوت الله ـ تصوير أو تجسيد الانسان والحيوان ، وحلت « الكتابة » مكانا رفيعا في تمجيد الله .

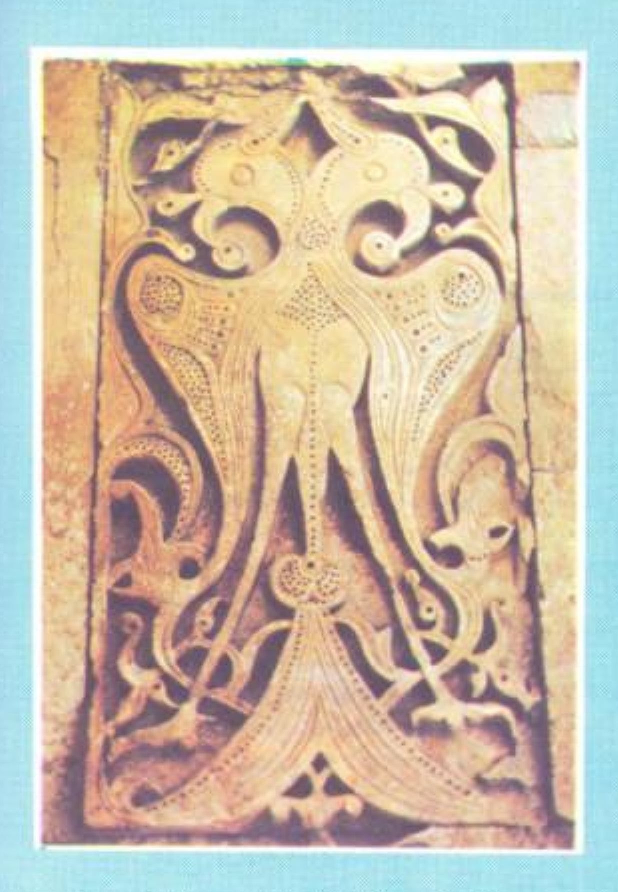
٢ ـ ولقد خلق الله الكون في نظام دقيق . يقول تعالى واصفا ذاته : « ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم . الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين » (السجدة ٣٢ ـ ٦ ـ ٧) . والآيات كثيرة في القرآن تدعو الى التأمل في بديع صنع الله .

٣ ـ وخلق الله الانسان وجعله خليفته في أرضه ، لم يأتها ليكفر عن خطيئة أب أول . وأرسل اليه الرسل مبشرين ومنذرين ، ودعاه الى التأمل في جمال الخلق ، وجعل هذا التأمل سبيلا الى الايمان ودعوة الى العمل الصالح . وعمارة الحياة . ووعده بالمثوبة على العمل الصالح .

فالعلاقة في الاسلام بين الكون والانسان علاقة مودة . يقول تعالى « والله أنبتكم من الأرض نباتا » (نوح ٧١ ـ ١٧) ويصف الآخرة وجزاء المتقين فيها بقوله « لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون (الأنعام ٦ : ١٢٧) . والناس جميعا اخوة لأب وأم . والانسانية كلها أسرة كبيرة مترابطة ، والتفاضل بين الناس بالتقوى والعمل الصالح .

الشريعة كمصدر الهام

وتأتي الشريعة تفصيلا للعقيدة في جوانب ثلاثة



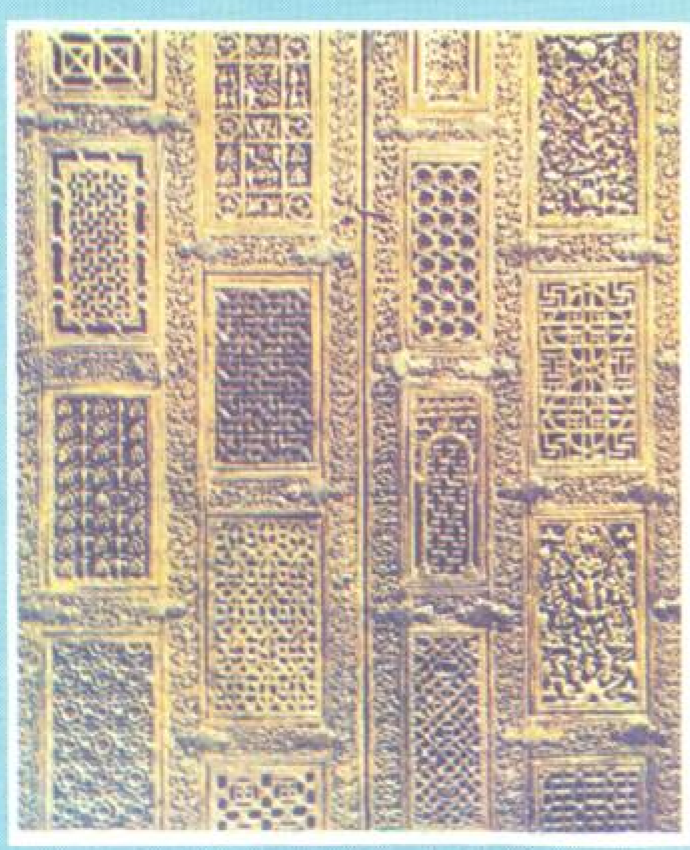
نموذج للتحوير النباتي والحيواني ليبتعد به الفنان عن معناها ، خلق الله : النسر ذو الرأسين شعار دولة السلاجقة

رئيسية : العبادات والمعاملات والأخلاق .

١ - فالصلاة عبادة شاملة . وأقصد بالشمول انها تستغرق حركة الجسم واللسان والقلب والفكر . وأنها تدعو الى النظام وروح الجماعة . الجماعة الصغيرة في انتظام صفوفها . والأمة في اتجاهها - حيث تكون - الى القبلة متخطية حدود المكان والزمان : كيف ؟ لأن الصلاة صلة بين المسلم وربه ، وبين المسلم والرسول ، وبين المسلم والمسلم . لك أن تقول بين المطلق والمحدود . بين الأرض والسماء .

٢ - واذا كان خشوع الصلاة يغلب فيه عنصر السكون عند أداء الفرض الواحد ، فان خشوع الحج يغلب فيه عنصر الحركة : الطواف . السعي ، الدفع الى عرفات .. وهو عبادة تتجلى فيها روح الجماعة في وحدة الملبس بثياب الاحرام ، ووحدة المكان والزمان في أداء المناسك .

والمسلمون في كل من الصلاة والحج يرسمون بأجسادهم « لوحات » تستقر مبانيها ومعانيها في أعماقهم . وتعود لتظهر بعد هذا في صور مجردة من الفن الاسلامي .



تفصيل في منبر مسجد القيروان (تونس) وكل حشوة من حشوات المنبر لها تصميمها وتفردها ، ويبرز المنبر قمة « العمل الانساني » في الفن

٣ ـ والزكاة بدورها رباط اقتصادي واجتماعي وله نظامه الرياضي الدقيق ، وتتدرج أنصبة الزكاة ـ وفق قواعد شرعية معروفة ـ من الخمس الى ربع العشر . وهي ليست عملية حسابية صماء ، ولكنها قاعدة لها جسم وروح . يقول الله تعالى فيها : « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها . وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم » (التوبة ٩ : ١٠٣) .

وأنت تجد النظام الحسابي الدقيق ، مع المرحمة ، في أنصبة المواريث والتوزيع الرأسي والأفقي للثروة فيها : أعني بين الأجيال المتتابعة ، وأفراد الجيل الواحد .

٤ ـ يبقى بعد هذا الصوم ، ولنذكر فيه صلة المسلم بالكون : شمسه وقمره ، وبخالق هذا الكون ، وتربية الضمير والرقابة الذاتية وهي أساسية في أي عمل ناجح . والارتباط بين النفس والكرم في أثناء الشهر ، وزكاة الفطر في آخره .

٥ ـ فاذا انتقلنا الى المعاملات وجدنا فيها صورا أخرى من العدل والدقة والأمانة :

« والسماء رفعها ووضع الميزان . ألا تطغوا في الميزان . وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان » (الرحمن ٥٥ : ٧ ـ ٩) .

هذه آية في المعاملات تذكرنا بآية في دقة خلق الكون والانسان :

« والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شيء موزون » (الحجر : ١٥ : ١٩) .

٦ ـ وتأتي الأخلاق في الاسلام متناسقة مع هذا كله . ويكفي وصف الله لرسوله في القرآن : « وانك لعلى خلق عظيم » . (القلم ٦٨ : ٤) .

ويبدا هذا الخلق بين المسلمين في معاملة بعضهم بعضا ، وسعة أفقهم في التعامل والتعاون مع غير المسلمين ما دام هؤلاء لا يؤذون الاسلام وأرضه وأهله . وحق في الحروب : للمسلمين أخلاقهم التي جاء بها القرآن ، وجاءت تطبيقاتها العملية في حياة الرسول والذين معه والذين اتبعوه باحسان . ويجمل هذا في حسن تقبلهم للحضارات الاخرى والافادة من التراث المحلي والانساني . فالاسلام في ذاته دين الفطرة : « فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها » (الروم ٣٠ : ٣٠) . فأي انتاج انساني هو في أصله من فضل الله ، ولا تثريب على المسلم أن يطلب وأن يتقبل الحكمة من أي مصدر .

وفي هذه الدراسة نتناول ظاهرات وعناصر من الفن الاسلامي ، ونحاول ردها الى أصولها في العقيدة والشريعة .

التوضيح بالرسم

كان النبي (ﷺ) أميا ، لا يقرأ ولا يكتب . وفي هذا يقول الله تعالى :

« وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك ، اذا لارتاب المبطلون . بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا الا الظالمون » . (العنكبوت ٢٩ : ٤٨ ـ ٤٩)

ولكن في بعض الأحيان استعان الرسول بالرسم على توضيح قوله : ويذكر الامام البخاري في صحيحه الحديث التالي من رواية عبدالله بن مسعود :

« خط النبي (ﷺ) خطا مربعا ، وخط خطا في الوسط خارجا منه ، وخط خططا صغارا الى هذا الذي في الوسط ، من جانبه الذي في الوسط . وقال : هذا الانسان ، وهذا أجله محيط به . وهذا الذي هو خارج : أمله . وهذه الخطط الصغار : الأعراض ، فان أخطأ هذا ، نهشه هذا . وان أخطأه هذا ، نهشه هذا » .

وكان فيهم أنس بن مالك فوصف فقال :

« خط النبي (ﷺ) خطوطا ، فقال : هذا الأمل ، وهذا أجله ، فبينما هو كذلك اذ جاءه الخط الأقرب » .

التوضيح بالتشبيه

وفي القرآن والحديث تشبيهات ملهمة . ولكل منها مراجع متخصصة ، ولكن الذي يعنينا منها ما استوحاه الفنان المسلم منها في ابداعه ، ومن نماذجها قول الله تعالى :

« الله نور السموات والأرض . مثل نوره كمشكاة فيها مصباح .. المصباح في زجاجة . الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية . يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم » (النور ٢٤ : ٣٥) .

ـ « ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين باذن ربها . ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون » (ابراهيم ١٤ : ٢٤ ـ ٢٥) .

فالتشبيهات البعيدة عن التجسيد الانساني والحيواني ، والتي تحمل بشارة الخير من القرآن والسنة النبوية ، وجدت طريقها الى الفن الاسلامي ، كما سترى بعد قليل .

الخط

ويرتبط أساسا بالقرآن الكريم : وكانت العناية به تجويدا في النطق ، وتجويدا في الكتابة ، وتطبيقا في الحياة .

وكان مما امتاز به الخلفاء الراشدون الأربعة ونفر من كبار الصحابة أنهم كانوا من « كتاب الوحي » .

ومع تطور الحياة الاسلامية اجتماعيا وسياسيا ، وزيادة العناية بكتابة المصاحف وانتشار الاسلام ظهر خطاطون كبار أبدعوا في وضع قواعد الخط ومقاييسه الجمالية وظهرت المؤلفات التي تتناوله ، وهي عناية لا نجد لها نظيرا ـ بنفس الوزن ـ في مجالات الابداع الفني الاسلامي الأخرى .

واذا كان ارتباط الكلمة بالقرآن والخط قد أزهر كل هذا الابداع ، فان ظاهرة أخرى تستوقف النظر وهي ثنائية نراها في أكثر من مظهر من مظاهر حياتنا الفنية .

فمهما تكن أنواع الخطوط العربية فانها ترجع الى قسمين كبيرين : اليابس واللين . أو قل : المزوي (ذي الزوايا) والنسخي ذي الانحناءات . هل تذكر مع هذه الثنائية ، ثنائية قرآنية نباتية : وهي « النخيل والأعناب » النخل اليابس . الأعناب اللينة ؟

ثم هذه المزاوجة بين الكلمة والنبات . فلكل منها ثمر . الكلمة الطيبة كالشجرة الطيبة . ألا يوحي هذا بالتوريق في الخط ؟ وان تدخل الزخارف النباتية المصاحف . وجدران المساجد : فاذا كلمات الله مزهرة مثمرة ؟ (لوحة ١)

ضوء على الزخارف النباتية

تناول الابداع الفني الزخارف النباتية اليابسة والمنحنية كالنخيل والأعناب - كما سبق القول - .

ومما يسترعي النظر كثرة الأوصاف النباتية في القرآن الكريم ، وان كانت دعوته الى التأمل في الخلق جميعا :

في وصف الجنة وما أعد الله فيها للمؤمنين نقرأ الوصف النباتي غالبا :

كلمة « جنة » في ذاتها نباتية ، والقرآن يتحدث عن نبات الجنة وظلالها وثمرها « ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا » (الانسان ٧٦ : ١٤) . ولا نكاد نقرأ وصفا لحيوان الجنة الا ما جاء في طعام أهلها .

كذلك نجد ما جاء عن ثمار الجنة في القرآن الهاما للفنان المسلم : فبالاضافة الى النخيل والأعناب : التين . الزيتون . الرمان . الشجر والفاكهة بعامة . الزهر . السنابل .

ومن هذه القاعدة انطلق الفنان في الحياة النباتية يحمل الى النفس أقباسا من ثمر العمل الصالح في الدنيا والآخرة .

يقول الله تعالى في وصف ثمر الجنة :

« وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابها . ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون » (البقرة ٢ : ٢٥) .

ونقف قليلا عند قوله تعالى « وأتوا به متشابها » يذكرون به ثمر الدنيا وليس منها . ألا يوحي هذا الى النفس اتجاها في تحوير الرسم النباتي ؟ وحتى بعض الرسوم الحيوانية ، فاذا مجرد « وجه شبه » يربطها بالأصل ، ثم تنطلق منه لتحلق في آفاق أخرى . (لوحة ٢) .

وبدأ خلق الانسان من طين

تتأمل قول الله تعالى « الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين . ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين . ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون » (السجدة ٣٢ : ٦ - ٩) .

الآيات كلها في موضع الفضل من الله والشكر من عباده . ومهين هنا ضعيف . ومع هذا الضعف اكرام من الله بأن نفخ فيه من روحه وجعل لنا السمع والابصار والأفئدة .

ليس في الآية أي « احتقار » للطين . فالله أكرم الانسان بقوله للملائكة « اني خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين » (ص ٣٨ : ٧١ - ٧٢) .

فبكرامة الخلق وكرامة العلم يرتقي الانسان من بدئه ضعيف لا يكاد يرى ، الى كائن يعمر الأرض بابداعه ، ويحس في هذا افتقاره الى الله واستمداده منه . من هذا البدء الضعيف : « الطين » جاء الأنبياء والمرسلون الذين تلقوا الوحي وأناروا الدنيا به . والاسلام يعلمنا « ان أكرمكم عند الله أتقاكم » (الحجرات ٤٩ : ١٣) .

ولنا أن نرجع الى سورة الحجرات - كنموذج - لنرى هذا الأدب القرآني في المساواة بين الناس والكرامة بالعلم والتقوى .

وامتدت أيدي الفنانين المسلمين الى الطين والحجر وقطع الأخشاب والزجاج : مواد رخيصة الثمن ، كثيرة التداول ، وتناولها الابداع فأخرج منها آيات باقيات .

تماما كما حدث في كتابة المصاحف وزخرفة الكتب : ما رأس مال الخطاط وما أدواته ؟ عبقريته وأقلام وحبر وألوان وبعض أدوات يحملها بين يديه . . . وفي هذا يختلف الابداع الاسلامي عن حضارات أخرى اعتمدت على الذهب والفضة والجواهر الثمينة . إن حشوات المنابر قطع صغيرة من الخشب لكل منها ذاتيتها ، وطريقة « تعاونها » مع غيرها ، حتى يستوي المنبر على أعواده . (لوحة ٣) .

وهنا نجد جانبا من الالهام الاسلامي في اختيار مادة الابداع . وفي ابراز العامل الانساني فيه . ومن هنا يبدو أن هذا الابداع أوسع وأعمق « انسانية » ، من كثير مما حفظ ويحفظ التراث الحضاري البشري .

أقرب التشبيهات الى ذهني الآن هذا الابداع هو الصناعات الالكترونية التي ترتفع فيها قيمة العامل البشري : ابداعا ودقة وتطويرا . وتتراجع قيمة « المادة » التي يستخدمونها في الصناعة .

ونقف الآن عند هذه المرحلة ، على أمل اللقاء في آفاق أخرى ، وسنتابع الحديث - باذن الله - في تحليل الزخارف الهندسية (الأرابيسك) وعناصر النور والماء في العمارة . . من حيث صلتها بالاسلام عقيدة وشريعة .



الزمن في حياة الإنسان

بقلم : عبد الرزاق البصير

فكرة الانسان عن الزمن أو احساسه به من الأمور المعروفة التي لا تحتاج الى بيان ، لأن كل إنسان يدرك الوقت الذي يحيا فيه ، وينطبق ذلك على المكان أيضاً فالإنسان يدرك المكان الذي يعيش فيه أيضاً ، ولكننا اذا رجعنا الى ما أطلقه علماء اللغة والنحاة والفلاسفة من تعريفات للزمان ، نجد أنفسنا امام آراء وأفكار واسعة متفرعة ، الأمر الذي مكّن كثيراً من الباحثين من تأليف كتب كثيرة في هذا الموضوع مما يجعل هذا المجال يضيق عن الالمام بذلك كله ، ويكفينا أن نقف على آية واحدة مما جاء في القرآن الكريم وهي قوله تعالى « هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدّره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق يُفَصِّل الآيات لقوم يعلمون » .

فهذه الآية تعلمنا أن الانسان لا يمكنه أن يستغني عن معرفة الزمن ، لأن تنظيم حياته كلها يرتكز على معرفة الزمن وتستطيع أن تتصور ذلك حين تنظر الى أي جانب من جوانب حياة الانسان ، فهل يستطيع الزارع مثلاً أن يغرس الأشجار بطريقة نافعة بدون معرفة الزمن ؟ وهل يستطيع المسافر أن يسافر بصورة متقنة بدون معرفة الزمن ؟ وينطبق ما ذكرناه على جميع نواحي حياة الانسان .

تقسيم الزمن

لهذا قسم الانسان الزمن الى شهور وأسابيع وأيام منذ أقدم العصور ، لأن حياته تعتمد على هذا التقسيم،فعمر

الانسان ينقسم الى مرحلة الطفولة ثم الى مرحلة الشباب ، ثم مرحلة الكهولة ، ثم مرحلة الشيخوخة ، ولكل مرحلة تأثيرها المادي والمعنوي في حياة الانسان ، وقد تحدث الأطباء وعلماء النفس وعلماء التربية أحاديث كثيرة عن كل مرحلة من هذه المراحل . وعلى كل حال فان فكرة الانسان عن الزمن تعتمد على مسيرة الشمس والقمر ونزولهما في المنازل التي قدرها الله لهما ، ولقد وجد الشعراء في تناقص القمر وتكامله ميدانا واسعا حيث جادت قرائحهم بأشعار وجدانية ترتاح نفس الانسان لدى الوقوف عليها ، ويكفي ان نعلم بأن التشبيهات التي شبهوا بها الهلال قد بلغت سبعين تشبيها ، وأول هذه التشبيهات وافضلها هو هذا التشبيه الذي جاء في هذه الآية الكريمة والتي تقول : « والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم » . كما شبه بزورق فضة وبالخلخال وبالسوار وبطوق العروس ، وبالراكع المنحني الى غير ذلك من التشبيهات الكثيرة .

قول الشعراء في الهلال

وانه ليطيب لي ان أختار هنا بعض ما قاله الشعراء في الهلال . فمن ذلك ما قاله الصفدي :

حكى هلال الأفق لما مضت
لـه ثلاث واعتل واستنار
مرآة خدٍّ بعضها ظاهر
والبعض منها في غلاف العذار

وقال ابن المعتز :

قد انقضت دولة الصيام وقد
بشر سقم الهلال بالعيد
يتلو الثريا كفاغر شره
يفتح فاه لأكل عنقود

وقال ابن المعتز أيضا :

زارني والدجى أحم الحواشي
والثريا في الغرب كالعنقود
وهلال السماء طوق عروس
بات يجلى على غلائل سود

وقال آخر :

أما رأيت الأفق لما غدا
هلاله ملتقم الزهره
كعاشق قبّل معشوقة
فالتقمت من فمه دره

على ان الشعراء لم يتوقفوا عند الناحية الجمالية ، وانما امتدت نظرتهم الى الناحية الأخلاقية ، فقالوا وأبدعوا في ذلك ، فمن أفضلهم قول عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر بن ابي طالب :

اذا افتقرت نفسي قصرت افتقارها
عليها فلم يظهر لها أبدا فقري
وان الغنى في الدهر مندوحة الغنى
يكن لأخلاقي التوسع في العسر
فلا العسر يزري بي اذا هو نالني
ولا اليسر يوما ان ظفرت به فخري

وقول أبي بكر الخوارزمي :

رأيتك ان أيسرت خيمت عندنا
لزاما وان أعسرت زرت لماما
فما أنت الا البدر إن قل نوره
أغب وان زاد الضياء أقاما

والأصل في هذا كله قول خاتم الانبياء(ﷺ) في وصف الانصار « انكم لتكثرون عند الفزع ، وتقلون عند الطمع » فان الكثرة الغالبة من الناس يقصرون فضل غناهم على أنفسهم ، ولكنهم حين يفتقرون ، تراهم

يزدحمون على أبواب الأغنياء طمعا في فضلهم ، وتعد هذه الحالة من الأخلاق الذميمة لأنها تدل على الصغار .

علم الفلك

ومهما يكن من أمر تأثر الشعراء بالهلال فانه أصبح ميدانا واسعا يفتنون فيه ، وقد نشأ ذلك عن مكانته وأثره في حياة الانسان ـ كما أشرنا الى ذلك قبل قليل ـ من حيث ان الانسان يضبط أموره معتمدا في جملة ما يعتمد على طلوع القمر وتكامله وتناقصه ، ولعل هذا هو الذي دفعه الى أن ينشيء علم الفلك ، هذا العلم الذي تطور من مراقبة النجوم والكواكب بالعين المجردة وملاحظتهم ما تدل عليه من تغير لطبيعة الأجواء من برد شديد وحر لاهب واعتدال في الطبيعة ، وهذا هو الذي دفعهم الى الاهتمام بذلك والعناية به ، هذا أخذ علم الفلك في التطور حتى وصل الى ما وصل اليه الآن بفضل ما اخترع من عدسات تقرب البعيد ، فأخذ هذا العلم يتوسع حتى تداخلت فيه علوم أخرى كالجغرافية وعلم الفيزياء وغيرها من العلوم الكثيرة ، الى درجة أصبحنا فيها نشاهد الانسان يمشي على القمر ويسبح في الفضاء ، ثم يعود الى الارض وكأنه قد ذهب الى نزهة في أماكن طريفة . ومن المحقق أن الانسان لم يصل الى هذه القدرة الخارقة من تسخير قوانين الكون الا بعد أن استطاع أن يعرف مجرى القمر في جميع منازله بكل دقة لأنه لو لم يكن كذلك لما أمكنه أن يرتفع بهذه المراكب الضخمة الى هذا الارتفاع الذي لم يكن يتخيله الانسان اذ أنه لم يكتف بالصعود الى القمر .

إثبات طلوع الهلال

وانما امتدت محاولاته الى كواكب أخرى كالزهرة والمريخ ، ألا يحق لنا بعد هذا كله أن نبدي استغرابنا من توقفنا معشر المسلمين على اثبات طلوع الهلال بالعين المجردة بعد الذي وصل اليه الانسان من فهم واسع دقيق بعلم الأفلاك ؟ فهل من مانع شرعي من أن تكون مشاهدة طلوع هلال شهر رمضان المبارك وهلال شوال معتمدة على قول علماء الفلك المسلمين الموثوق بهم ليقل الخلاف في الصوم والافطار بين الاقطار الاسلامية المتقاربة ؟ أعتقد أن ذلك لا يخالف الشرع الشريف بدليل أننا توسعنا في تفسير قوله تعالى :

« وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم وأنتم لا تظلمون » .

فقد روى عن الرسول (ﷺ) قوله « ألا ان القوة الرمي » ، كررها ثلاثا .

وقد عقب على ذلك بعض المفسرين فقال : « والقصد بيان أهمية الرمي وتأثيره في الحروب وقد أثبت تاريخها صحة هذه النظرية التي نطق بها الرسول (ﷺ) منذ اكثر من ألف وأربعمائة سنة حيث لا قاذفات قنابل ولا صواريخ موجهة ، وقد اتجهت عباقرة العقول في كل عصر الى تقوية الرمي وتطويره من السهم الى الرصاص ومنه الى القنابل ومنها الى الصواريخ والقذائف الذرية والهيدروجينية ، وقد استعمل المسلمون مع الرسول الرمي بالمنجنيق في غزوة خيبر وهذه نظرة صحيحة فيما أتصور لأن هذا هو الاجتهاد الذي يفتح لنا أبوابا واسعة ومجالات واسعة ويحل لنا كثيرا من مشاكل المسلمين التي تنشأ بسبب ما يجري في الحياة من تغير متسارع . ▢

■ اللهم ارزقني امرأة تسرني اذا نظرت ، وتطيعني اذا أمرت ، وتحفظني اذا غبت .

« محمد بن علي »

حماية المستهلك

والدعم الحكومي للمواد الغذائية في الكويت

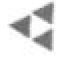
استطلاع : صادق يلي   تصوير : صلاح آدم

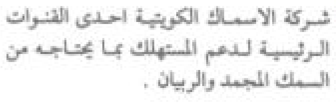
احدى المراحل الرئيسية التي يمر بها تصنيع السمك والربيان ، ليصل الى المستهلك .

الكويت تنفق سنويا مايقرب من ٣٣ مليون دينار كويتي (أي حوالي مائة مليون دولار) لدعم المواد الغذائية وحماية المستهلك من تقلبات اسعار السلع الغذائية . هذا المبلغ ينصب في عدة قنوات مختلفة ، ما هي قصتها ؟

تراعي البلدان التي تنتهج نظام الاقتصاد الحر تطبيق تنظيمات متعددة اهلية او حكومية لحماية المستهلك ابتداء من جمعيات ربات البيوت والجمعيات التعاونية ، وانتهاء بالاجهزة الحكومية للرقابة على الاسعار ، وذلك لأن وسائل الانتاج ومراكز توزيعه تعود ملكيتها الى الأفراد ، ولما كان هامش الربح هو المحرك للأنشطة الاقتصادية في هذه الأنظمة ، لذا قامت في العالم المتقدم اتحادات متعددة للمستهلكين ، تحرص على كبح جماح المعدلات المرتفعة للاسعار التي يفرضها المنتجون ، فضلا عن دورها في توعية المستهلك وترشيد انفاقه .

وقد كانت الكويت من اوائل الدول التي احتضنت حركة حماية المستهلك ، بدأت هذه المحاولة في الستينات نتيجة للتغيرات الجذرية التي لحقت باقتصاد البلاد ، وما نتج عنه من طفرات غير متوقعة في اسعار المواد الغذائية ،





شركة الاسماك الكويتية احدى القنوات الرئيسية لدعم المستهلك بما يحتاجه من السمك المجمد والربيان .

السكر والأرز والدهون النباتية وغيرها هي سلع البطاقة التموينية التي تصرف لكل فرد شهريا .

٣٥ صنفا من السلع الغذائية المدعومة حكوميا تعرض في أقسام مخصصة في الجمعيات التعاونية المنتشرة في انحاء الكويت .


بضاعه
مدعومه من
قبل
الحكومه



قنوات كثيرة تساهم مجتمعة لايصال السلع التموينية للمستهلك بأسعار مناسبة .

فبادرت مجموعة من الأفراد بانشاء جمعية تعاونية استهلاكية يساهمون اختياريا برأسمالها وتدار شؤونها بطريقة دمقراطية . ومع مرور الزمن كثر عدد هذه الجمعيات ، فأصبحت اليوم سمة بارزة من سمات الاقتصاد الكويتي ، كما قامت مؤسسات تجارية تحاول أن تتحكم بقدر ما تستطيع في أسعار العديد من السلع الاستهلاكية ، فضلا عن أن الدولة تستعين بهذه الجمعيات في توصيل السلع المدعمة ماليا من قبلها الى المستهلك بأسعارها المخفضة .

وهكذا أصبحت هذه الجمعيات إحدى الوسائل التنفيذية التي انشأها المستهلك لحمايته نفسه من قوى السوق .

ادارة لحماية المستهلك

وفي سنة ١٩٦٧ وهي السنة التي وقعت فيها الحرب العربية الاسرائيلية حدثت اختناقات تموينية في بعض السلع الأساسية مثل الأرز والسكر فارتفعت اسعارها ارتفاعا باهظا ، الأمر الذي دفع بالدولة الى أن تتحرك على وجه السرعة لضبط الأسعار ، فقامت بالشراء المحلي للسلع الأساسية لتموين وتطرحها لجمهور المستهلكين بأسعار مخفضة ، متحملة في ذلك الفروقات الناتجة عن سعري الشراء والبيع ، كما قامت بالاستيراد المباشر لهاتين السلعتين وغيرها من السلع الضرورية .

وتداركا لاحتمالات تسرب السلع المدعمة الى المحلات التجارية الاخرى او بيعها بأعلى من السعر الجبري أنشىء قسم لحماية المستهلك تحت اشراف وزارة التجارة والصناعة ، ليقوم بهذه المهمة بالاضافة الى قيامه باعداد الدراسات الميدانية المتعلقة بالتدفقات السلعية والمخزون السلعي الفعلي في البلاد ومعدلات الاسعار .

وفي لقاء مع السيد جاسم سلامة مدير إدارة حماية المستهلك قال : « ان موظفي ادارة حماية المستهلك يتمتعون بصفة الضبطية القضائية التي تخولهم دخول جميع المحلات التجارية للتأكد من التزامها بقواعد القانون ، وتحرير المحاضر اللازمة ، في حالات ضبط أية مخالفة واحالتها الى النيابة العامة مباشرة » .

مراقبة التنزيلات

وتقوم ادارة حماية المستهلك الى جانب ذلك بتنظيم البيع بالأسعار المخفضة او ما يسمى بالتنزيلات لتحمي جمهور المستهلكين من بعض التنزيلات الصورية ، فوضع القانون حدا لا يجوز تخطيه للربح في حالة خفض الاسعار وهو ١٠٪ من القيمة الحقيقية السلعية . فقد كانت غالبية المحلات تلجأ الى عمل التنزيلات الوهمية في كافة انحاء البلاد ، ولكن بعد صدور قانون تنظيم البيع بالاسعار المخفضة فان عدد المحلات التي تجري التنزيلات على أسعار بضائعها لا يتجاوز في احسن الاحوال ٥٠٪ من عدد المحلات التجارية في جميع انحاء البلاد .



الاستاذ محمد مشاري الحسن :
لم يعد المستهلك عبدا للعلامة التجارية .

كما أن هناك قانونا خاصا بشأن قمع الغش في المعاملات التجارية في سوقنا المحلية من قبل بعض التجار الطارئين والادعياء ، من أجل هؤلاء وضع هذا القانون حدا لكافة الألاعيب التي يلجأ اليها سواء الغش عن طريق البيع للمستهلك بأعلى من السعر الجبري أو الوزن المقرر أو نوعية السلعة أو مواصفاتها ، أو غير ذلك من صور الغش واشكاله . وقد كان للمشرع الكويتي وقفته المحمودة في وجه هذه الفئة الدخيلة على السوق ، فقد جاء هذا القانون في مجمله « قانون عقوبات » ابتداء من أول مادة فيه .

البطاقة التموينية

ومن أهم القنوات التي تخدم المستهلك هي الشركة الكويتية للتموين . وتقوم بتوفير السلع الأساسية للمستهلك وتزويده بالبطاقة التموينية ، وهذه الشركة

اجمالي الدعم الحكومي المتصرف خلال عام ١٩٨١ لكافة المواد الغذائية والانشائية والأعلاف والمواد الأخرى :

مواد غذائية وأعلاف ومواد أخرى	٣٠,٤٥٩,٣٢٧/٣٠٩	دينار
مواد انشائية	١,٨٣٣,٣٧٤/٨٢٥	«
المجموع	٣٢,٢٩٢,٧٠٢/١٣٤	«

تفاصيل جملة مبالغ الدعم المدفوعة لكل جهة خلال عام ١٩٨١ :

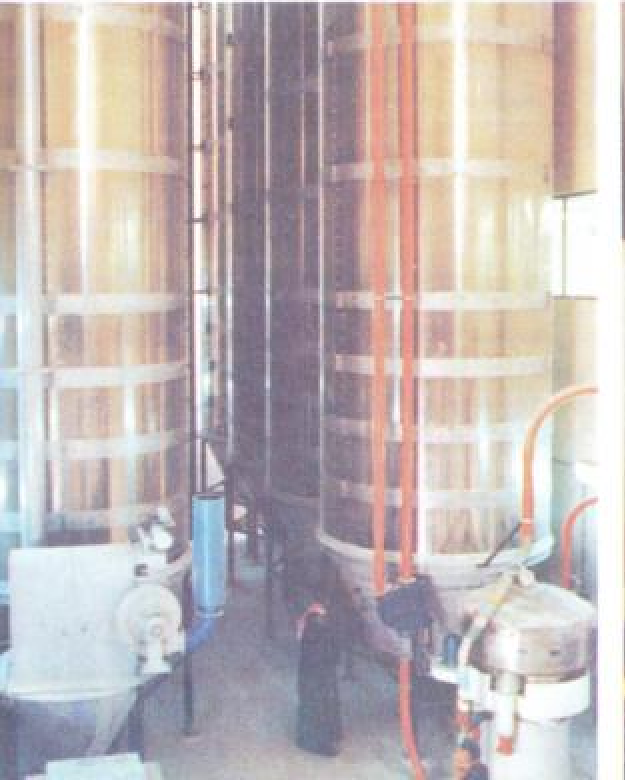
		دينار
١ ـ الشركة الكويتية للتموين	١٦,٢٥٨,٨٤٢/٣٠٨	«
٢ ـ اتحاد الجمعيات التعاونية	١٢٣,٨٦٧/٣١٥	«
٣ ـ شركة اسمنت الكويت	١,٠٢٣,٧٤٦/٣٢٥	«
٤ ـ شركة الصناعات الوطنية	١٥٢,٦٥٦/٢٠٠	«
٥ ـ اتحاد منتجي الألبان الطازجة	٧٩٩,٢٤٦/٧٢٠	«
٦ ـ شركة مطاحن الدقيق الكويتية	٢,٧٠٤,١٩٧/٢٥٠	«
٧ ـ شركة المخابز الكويتية	٢٧٥,٧١٥/٣٨٩	«
٨ ـ الأفران العربية والمخابز الايرانية	١,١١٤,٧٥١/٠٠٠	«
٩ ـ اللحوم الطازجة المذبوحة محليا	٥,٥٤٣,٢٩٠/٩٧٥	«
١٠ ـ الأغنام الحية المستوردة	٣,٣٧٣,٠٥٨/٢٥٠	«
١١ ـ شركة الأسماك الكويتية المتحدة (أسماك مجمدة)	٨٩٧,٤٧٤/٨٦٧	«
١٢ ـ تكاليف نقل المواد التموينية لجزيرة فيلكا	٠٠٢٥,٨٥٥/٥٣٥	«
المجموع	٣٢,٢٩٢,٧٠٢/١٣٤	«

سيارات جمعية الفحيحيل التعاونية تقوم بالتزود بما تحتاجه الجمعية من مواد غذائية من مخازن شركة التموين .

مخازن شركة التموين الكويتية تقوم بتزويد فروع البطاقة التموينية وأقسام المواد المدعومة حكوميا في كل جمعية بما تحتاجه من مواد غذائية .

تنتج شركة المخابز الكويتية مليونا وربع المليون رغيف يوميا .

ميكنة رغيف الخبز هو الاتجاه الحديث الذي ترسمه شركة المخابز الكويتية .





وضع الرغيف في أكياس النايلون هي المرحلة الأخيرة التي يمر بها رغيف الخبز .



تقوم ادارة حماية المستهلك بتنظيم طريقة الحصول على البطاقة التموينية لكل أسرة بعد تقديم الأوراق الثبوتية .

تستورد أكثر من ٣٥ صنفا من السلع وهي التي تطرحها في السوق وتنقسم الى نوعين .

النوع الاول وهو يضم السلع المذكورة في البطاقة التموينية التي تصرف للاسر والافراد شهريا وبأسعار مخفضة وتتكون من الارز والسكر والعدس والدهون النباتية والحليب الجاف ومعجون الطماطم واكياس النظافة .

أما الصنف الثاني فتطرحه الشركة في الاسواق المركزية بالجمعيات التعاونية وبعض المحلات الخاصة وأهمها الزيوت النباتية والدجاج المثلج المستوردة والخضروات المعلبة ، ثم أغذية الاطفال وحليب الاطفال والاجبان والأسماك المعلبة والمربى والشاي والاعلاف .

يقول الاستاذ محمد مشاري الحسن مدير شركة التموين : لقد أدى قيام الدولة بتسويق هذه السلع بأسعار مخفضة الى ايجاد سقف للاسعار في السوق لا يمكن تجاوزه وتقوم المحلات التجارية بطرح هذه السلع حيث ان ارتفاع اسعارها عن الحد المعقول يؤدي الى عزوف المستهلكين عنها واتجاههم نحو السلع المدعمة حكوميا المخفضة الثمن ذات الجودة العالية .

ثم يقول : « ان مما يدعو الى الارتياح حقا ، ان الوعي الاستهلاكي قد انتشر بين كافة المواطنين اذ لم تعد حملات الاعلان والدعاية (للماركات) التجارية التي تنتج هذه السلع تؤثر في المستهلك بشكل أو اخر فالمستهلك تخلص من تحمسه للعلامة التجارية ، كما ان مرونة الطلب على كثير من السلع فضلا عن المنافسة بين الوكلاء في توسيع دائرة التسويق لسلعهم ، وضعت بعض القيود التي تحد من قدرة التاجر في التحكم بالاسعار عن طريق التحكم في العرض .

ان نزول الدولة ممثلة في الشركة الكويتية للتموين الى السوق بطرح العديد من السلع الاساسية للمستهلك في الجمعيات التعاونية قد مكنها بطريقة غير مباشرة من التحكم في أسعار هذه السلع ولا شك ان عمل هذه الشركة يشكل صمام أمان للحالة التموينية في البلاد ، وتجنب الوقوع في أي اختناق تمويني في اية سلعة اساسية .

كما ان الحكومة تقوم بدعم القرطاسية والملابس الرياضية اللازمة لطلبة وطالبات المدارس والجامعة ، وكذلك دعم الاعلاف اللازمة لتنمية الثروة الحيوانية ، مع دعم الاسمنت والحديد والطابوق الجيري الذي يصرف للمستفيدين من قروض بنك التسليف والادخار ، للاستمرار في نمو الحركة العمرانية في البلاد .

قنوات اخرى

وهناك قنوات أخرى تسهم في الدعم منها شركة مطاحن الدقيق الكويتية ، فنظرا لأهمية مادة الدقيق كقوت أساسي للشعب ، لذلك صدر مرسوم يعطي لهذه الشركة امتياز استيراد حبوب القمح وتحويله الى دقيق ، وعليه فان تسويق هذه المادة قاصر على هذه الشركة ، فتقوم بطرح انتاجها لاصحاب المخابز بأقل من سعر التكلفة ، وتقوم الدولة بتعويض الشركة عن كافة خسائرها مع ضمان هامش للربح ، ومن المعروف ان هذه الشركة تصنع الزيوت وانواعا اخرى من الخبز وانواعا اخرى كثيرة من البسكويت .

أما شركة نقل وتجارة المواشي فتعتمد على الدعم الحكومي للاغنام والماشية التي تستوردها من الخارج ،



سيارات شركة المخابز الكويتية تقوم بنقل الخبز الى الجمعيات التعاونية والأكشاك المخصصة لبيع الخبز في كافة انحاء البلاد .

حيث تدفع الحكومة مبلغ دينار وخمسمائة فلس عن كل رأس حي يدخل البلاد عن طريق البحر فضلا عن تعويضها بمبلغ ١٥٠ فلسا من كل كيلوجرام من وزن الذبيحة ، وذلك كله من أجل توصيل لحوم هذه الحيوانات بسعر مناسب لجمهور المستهلكين . اذ لا يزيد سعر الكيلو جرام من لحم الغنم عن ٦٠٠ فلس بالعظم و ٧٥٠ فلسا بدون عظم .

وشركة الاسماك الكويتية تقوم هي الأخرى بتأمين احتياجات الكويت من الاسماك والروبيان فالدولة تسهم في رأس مالها بما يقرب من النصف . أما الشركة فلم تستطع تأمين كل احتياجات الكويت من الاسماك فقط ، فهي تصدر الروبيان الفائض عن حاجة السوق المحلية . وتقوم الدولة بتنظيم عملية الصيد فتمنع صيد الروبيان لفترات معينة من كل عام حفاظا على الثروة السمكية .

كما تلجأ الشركة في بعض الاحيان الى استيراد باقي احتياجات الاستهلاك من مصادر أخرى وتعرض هذه الأنواع المستوردة باسعار مدعومة من الدولة . فقد طرحت الشركة ٥٩١ طنا من الروبيان والاسماك الطازجة عام ١٩٨٢ في حين لم تزد هذه الكمية عن ٢٧٢ طنا في عام ١٩٨١ أي بزيادة بنسبة قدرها ١١٨ بالمائة . أما الاسماك المجمدة فقد بيع منها ، ٣٣٩٢ طنا عام ١٩٨٢ بالمقارنة مع ٢٨٠٢ طن عام ١٩٨١ . وتعرض الشركة ما يقرب من عشرة أنواع من الاسماك يأتي على رأسها سمك الزبيدي باعتباره أفضل الأنواع المحببة لدى المستهلك في الكويت ، ويمثل الزبيدي ٨٠٪ من مبيعات الشركة عام ١٩٨٢ أما الاصناف الاخرى وتبلغ ٢٠٪ فتتمثل في سمك البوري أو ما يسمونه في الكويت البياح » وتعد الهند المصدر الرئيسي لاستيراد سمك الزبيدي وكذلك نيوزيلندا وهي من أكبر مصادر توريد سمك البوري » .

رغيف العيش

ولما كان رغيف الخبز يحتل المكانة الهامة في قوت المستهلك اليومي فكان من واجب الدولة تأمين الخبز والابتعاد بتجارته عن أية قلاقل ، وقد أقدمت الدولة على انشاء هذه الشركة وسلمت اليها مسؤولية تشغيل المخابز الآلية ، وتنتج المخابز ما يقرب من مليون وربع المليون رغيف يوميا بالمواصفات الجيدة وبوزن ١٠٠ غرام للرغيف .

يقول المهندس صلاح الكليب مدير شركة المخابز الكويتية : لدينا الآن خمسة مخابز آلية موزعة في مناطق مختلفة من انحاء الكويت نتوقع ان يصل انتاجها في سنة ١٩٨٣ الى مليون وثمانمائة وخمسين الف رغيف يوميا ، كما ان هناك خطة مستقبلية لانشاء مخبز مركزي في منطقة صبحان الصناعية لانتاج أنواع اخرى من الخبز .

ويقول : لما كانت دول العالم قد اتجهت في الآونة الاخيرة الى ميكنة الرغيف ورفع مستواه من نواح عدة فقد حذت الكويت حذو هذه الدول والنية متجهة الآن لانشاء مركز تدريب لتخريج مجموعة من الايدي المهرة تعمل على ادارة هذه المخابز الآلية بكفاءة كما ان هذا المركز سوف يخدم دول مجلس التعاون الخليجي بهذه المجموعة من العمال لادارة مثل هذه المشاريع الحيوية .

صورة من جوانب الرعاية التي تشمل بها دولة الكويت ابناءها والمقيمين على أرضها .. وما اكثرها من صور تلك التي يلمسها الباحث في شتى مجالات الحياة في دولة الرخاء . ○



من أجل عيونك

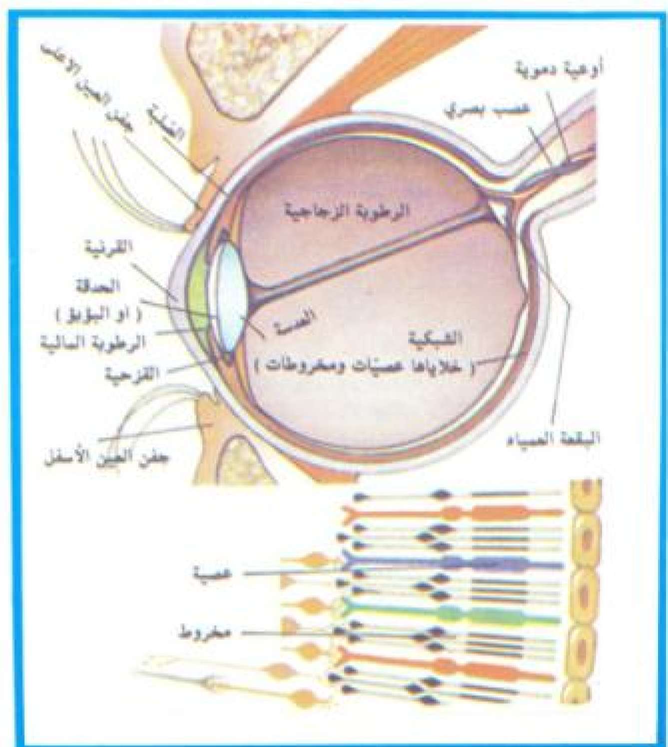
بقلم الدكتورة سرى سبع العيش

مع أن التقدم العلمي قد طوّر كثيراً من المعالجات والعمليات الجراحية في شتى فروع الطب الا أن نصيب العين من التقدم وسرعة التطور في ميدان الجراحة قد فاق أقرانه في فروع الجراحة الأخرى من عامة وخاصة .

ولعل سبب ذلك راجع لأمور عدة منها : ـ التقدم الهائل الذي طرأ على صناعة وهندسة العدسات وأجهزة البصريات ، مما أدى إلى التحسن الكبير في صنع اجهزة فحص العين ومعالجتها . فالمجهر الجراحي اخذ يحتل مكاناً رفيعاً في غرف العمليات وأتاح لجراحي العيون التكبير الواضح والكافي لاجراء أدق العمليات خاصة في القرنية والعدسة والمائع الزجاجي .

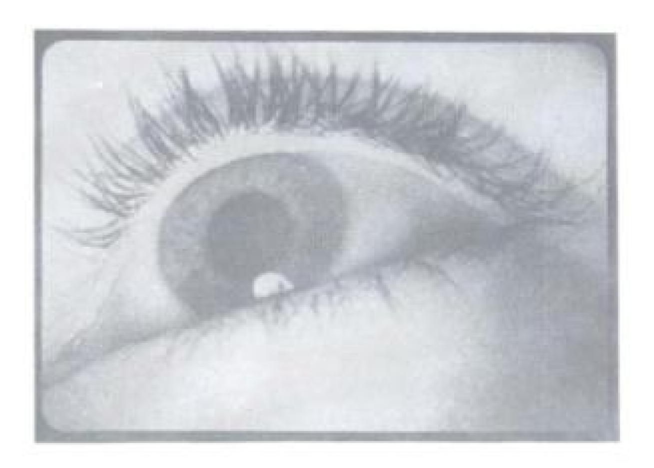
وقد واكب تطور المجهر الجراحي تطور في دقة وصغر وحدة الأدوات الجراحية العينية الدقيقة والتي أصبح ممكنا إدخالها في العين دون أن ترض الأنسجة الحساسة فيها او

مستشفى طائر !



أوعية دموية
عصب بصري
الملتحمة
جفن العين الأعلى
الرطوبة الزجاجية
القرنية
الحدقة
(او البؤبؤ)
الرطوبة المائية
القزحية
العدسة
الشبكية
(خلاياها عصيات ومخروطات)
البقعة العمياء
جفن العين الأسفل
عصية
مخروط





تؤذيها . وطُورت الابرة التي تخاط بها القرنية فاصبحت أكثر صغراً ودقة وأقل أذى للعين . وصارت تصنع خيوط جراحية عينية متناهية الدقة بحيث تصعب رؤيتها بالعين المجردة بالرغم من متانتها وسهولة ربطها وعقدها ، تسهيلا لالتئام الجروح ومنعا من استثارة الالتهابات النسجية ، فأصبح من الممكن ترك الخيوط الطبية في داخل العين دون أن تسبب أذى للعين أو إزعاجا .

إن المكانة الحيوية العزيزة التي تحتلها حاسة البصر في الحياة كانت الحافز إلى صب أموال كثيرة غزيرة في مجال البحوث العينية سواء الدوائية منها أو الجراحية . فكانت تلكم الفتوحات الهائلة في معالجة العمى واسترداد البصر الضائع . وظهرت مؤسسات عالمية لمكافحة العمى ، وأسست بنوك العيون العالمية التي تزود كثيرا من البلدان بعيون الموتى . وفي العالم أربعون مليون أعمى يمكن اعادة ثلثيهم الى عالم المبصرين إذا أجريت لهم العمليات الضرورية . وقد أمكن الآن إجراء عمليات كانت قبل أربعين سنة حلماً يموج في آفاق جراحي العيون .

زرع العدسات داخل العين

عندما تمرض العدسات البلورية وتتكثف او تشيخ تفقد شفافيتها ، وتصبح حجاباً يمنع النور من عبور العين ويعيق الرؤية ، فاذا نزعت دخل النور ولكن دون أن ينظم ويركز على الشبكية بشكل دقيق .

لذلك لا بد من عدسة تحل محل العدسة التالفة التي يستأصلها الجراح ويلقي بها خارج العين . وتعويض العدسة يكون بتثبيت عدسة لاصقة أو بعدسة نظارة طبية أو بعدسة توضع رأسا في داخل العين ... إما مكان العدسة القديمة اى خلف البؤبؤ حيث تثبت بعرى امام وخلف العدسة ، او توضع في البيت الخلفي أو في البيت الامامي من العين ، فيصبح المريض قادرا على الرؤية دون أن يكلف نفسه عناء لبس نظارة أو وضع عدسة لاصقة على القرنية ، ولقد تسابق جراحو العيون في هندسة ووضع أشكال شتى من العدسات . وتنافست الشركات المصنعة في تحسين المادة التي تصنع منها العدسة والعرى التثبيتية المتصلة بها بأحجام وأشكال وقوى متعددة حسب أقطار القرنية وأطوال العين المصابة وقوة العدسة المستعاضة .

جراحة المائع الزجاجي

اعتبر المائع الزجاجي في الماضي سائلا عاطلا لا يؤثر في امراض العين كثيرا ، ولكن الاهتمامات العلمية اتجهت إلى المائع الزجاجي الذي يحتويه القسم الخلفي من العين ، والذي لا يتجدد تلقائيا اذا فقد بعكس السائل المائي الذي يملأ القسم الأمامي من العين .

والمائع الزجاجي هلامي القوام شفاف رائق ، فاذا مرض واعتراه عكر لاختلاطه بالدم والنزوف او بالالتهابات أو بالأجسام الغريبة تستطيع تلك الأجهزة التي تعمل بالأمواج فوق الصوتية تقطيع المائع الزجاجي وهضمه وتبديله فتعيده رائقا . وتعيد البصر للعين بعد أن تكون قد فقدته .

وقد تم تطوير أجهزة عديدة في السنوات القليلة الماضية تستخدم فيها اطوال مختلفة من الأمواج الضوئية لكيّ جروح الشبكية او تخثير الأزلة والعروق الدموية الهشة او

لفتح طاقات في القزحية او لحزع زاوية العين وتصريف ماء العين في مجار جديدة لقطع وتفتيت العدسة أي جراحة العدسة دون اللجوء لأدوات حادة قاطعة ودون اجراء أي جرح أو اسالة قطرة دم من العين .

فأشعة ليزر بأجهزة خاصة تستعمل مزيجا من (حبيبات الياتريوم ، والألمنيوم) تستطيع النفاذ وقطع وتفتيت الكثافات في العدسة وتمهيد الطريق أمام البصر . ولو ذكر ذلك قبل عدة عقود لاعتبر الحديث نسج خيال وحلم ساحر ، اذ يدخل المريض مستشفى العيون أعمى ويخرج بعد ساعة مبصرا ، دون أن يبيت في المستشفى او يخشى عليه من انفتاح الجرح .

الجراحة الباردة :

لم تعد أجهزة التخثير الكهربائي الحرارية وحدها القادرة على كي الجروح وقطع النزوف وتخثيرها في العين ، بل نافستها الجراحة الباردة حيث تطبق الحرارة الباردة بواسطة أجهزة تطلق الغازات السائلة تحت الضغط العالي مثل (ثاني أكسيد الكربون والنيتروجين السائل) ، فتحدث الجلدية على رأس أجهزة وأقلام خاصة فتخثر بها العروق الدموية أو يلصق بها النسيج أو العضو أو الشيء المراد استخراجه من العين .

ولقد أصابت التطورات التي طرأت على جراحة العين مكان الجراحة نفسها . فقامت مؤسسات خيرية خاصة باستخدام مخيمات طبية علاجية يلجأ اليها المرضى الفقراء ، فتجرى لهم عمليات العيون في الهواء الطلق وبكلفة رمزية وبطرق سريعة اقتصادية ، فلا يتكلف المريض أكثر من بضعة دولارات . وبعد العملية يكون الاستشفاء في الهواء الطلق وبالعراء ، فلا يحتاج المريض لأكثر من إحضار فراش وغطاء .

وهكذا يكافح العمى بطرق سهلة مقبولة مجانية بدائية .

مستشفى العيون الطائر :

ولعل أحدث صرخة في جراحة العين ومكافحة العمى ظهور مستشفى العيون الطائر (أوربس) الذي خرج من أمريكا منذ سبعة شهور فقط ، وراح يجوب العالم من بلد لآخر وهو عبارة عن طائرة جزؤها الأمامي يحتوي على القيادة وفسحة توجد بها أجهزة فحص العيون الدقيقة ، وأجهزة أشعة ليزر ، والجزء الوسط منها عبارة عن قاعة تدريس ومناقشة تحتوي على مقاعد مريحة مجهزة بمكبرات الصوت وأجهزة تلفازية تنقل ما يجري في غرفة العمليات أو في غرف الفحص رأسا ، ويستطيع النظارة رأسا سؤال أو مناقشة الجراح الذي هو في غرفة العمليات حيث يراقبون كل خطوات العملية بشكل حي مباشر . أما الجزء الخلفي من الطائرة فيحتوي على غرفة مجهزة بكل ما تحتاجه العمليات العينية من مختلف الأجهزة الدقيقة والمبرمجة والميكرونية إضافة الى ما تحتاجه أية غرفة عمليات من حيث التحضير والتخدير والانعاش ، بشكل يؤمن للجراح الظرف المثالي لاجراء العمليات . اللهم الا عندما تهب عاصفة هوائية شديدة في المطار فتهتز الطائرة الجراحية الرابضة وتهتز معها يد الجراح ويعلم الله ماذا تكون النتيجة . وما عدا ذلك فجراحو العيون الذين تحملهم الطائرة من بلد لآخر يختارون من بلاد العالم أجمع حسب شهرتهم في عمليات معينة ، حديثة ، دقيقة ، وهم يأتون تطوعا ويعملون لمدد تتراوح بين عدة أيام الى اسبوع . وهكذا يهرع اليهم المرضى الذين هبط الطائر المتجول في بلدهم أملا في تحقيق المعجزة والتخلص من عبء العمى الثقيل .

عيون جديدة !

ومع أن في الموضوع الكثير من الدعاية والإثارة وربما الاجحاف بحق إخصائي العيون المحليين الذين زارهم المستشفى الطائر ، اذ لا يحتاج المريض العربي لكثير من الاقناع بأن المعالجة بيد الأجنبي أجدى وأكثر افراء ، ولكن هنالك حقيقة لا بد من معرفتها وهي أن الفكرة الأساسية هي نقل المعرفة وتبادلها وتعليم الجراحة العينية بشكل حي ومرئي لا جدل فيه .

فالكتاب والصورة وقراءة المجلات لا تكفي لتعليم طبيب العين جراحة العين ، اذ لا بد أن يرى بأم عينه كيف تجرى العملية بأسلوب حديث ، ليخرج المريض أكثر إبصارا ونورا مما كان عليه عندما دخل غرفة العمليات . ومهما وصلت اليه جراحة العين من حيث التقدم والتطور والتقنية الرفيعة فما زال القصور كبيرا اذ أن الأمر لا يعدو ترقيع القرنية وإعاضة العدسة ، أما العمى المطلق فلا علاج له والعين التالفة لا يمكن اعاضتها بأخرى صحيحة سليمة . والعصب البصري اذا قطع أو اضمحل لا استعاضة له ولا يمكن للآن خياطته ، والشبكية اذا ذوت خلاياها الحساسة النبيلة كانت القاضية بالنسبة للبصر . هذا في عصرنا الحاضر . . . ترى هل يأتي يوم يعلن فيه . . (عيون جديدة بدلا من القديمة) . . ؟ ○



آخر أيام عرب صقلية

بقلم الدكتور : وهبي البوري

لاخلاف في أن رواسب الفتح الاسلامي لأوروبا ، والحروب الصليبية التي دارت على مدى قرون بين الدول الاسلامية والمسيحية في البحر المتوسط ، قد ولدت جميعها في نفوس الشعوب الأوروبية شعورا عميقا يتميز بالعداء والكراهية للإسلام والعرب ، لا تزال آثاره بادية حتى يومنا هذا ، رغم التطور الكبير الذي احدثه العصر في العلاقات ما بين الشعوب ، ورغم ما يبذله بعض المفكرين من جهد لالقاء ضوء جديد على العلاقات العربية الأوروبية ، وعلى المساهمة الكبيرة التي قدمها العرب للحضارة الانسانية ، من خلال الوجود العربي في اسبانيا وايطاليا . وقد جاء في محاضرة للاستاذ الجليل جارودي القاها مؤخرا في الكويت بأن عصر الإحياء الأوروبي لم ينشأ في ايطاليا وانما في الأندلس العربية .



اذا كانت الأندلس قد فرضت نفسها على التاريخ بتراثها وعلمائها ومفكريها رغم التعتيم الأوروبي المتعمد ، فان تاريخ صقلية العربية ظل على هامش التاريخ العربي ولم يحظ بالكثير من البحث والتحقيق وبدأت في إيطاليا منذ القرن الماضي محاولة لإعادة بناء حقبة التاريخ العربي في صقلية باعتبارها جزءا من تاريخ إيطاليا القومي . وكان رائد هذه الحركة المؤرخ المشهور ميكيلي أماري Michele Amari الذي قضى سنوات كثيرة في البحث والتنقيب ليضع كتابه الشهير « تاريخ المسلمين في صقلية » الذي يعتبر الى يومنا هذا أهم مرجع لكل باحث في تاريخ العرب في صقلية . وقد اعتمد أماري بصورة كبيرة على ابن الأثير وابن حوقل وابن جبير ، من المصادر العربية ، وعلى الوثائق والوسائل والبراءات التي صدرت خلال الحكم الاسلامي وفي العهد النورماني ، وعلى الوثائق اليونانية واللاتينية . واقتفى اثره الكثيرون من المؤرخين الايطاليين ، ومعظمهم من أبناء صقلية ، الذين أغنوا المكتبة التاريخية الايطالية بالعديد من المؤلفات العصرية التي تناولت معظم مراحل الفتح العربي في صقلية وجنوب ايطاليا ، والامارات العربية التي قامت في جنوب ووسط ايطاليا ، واخبار الغارات العربية على مدن شمالي ايطاليا وسردينيا . وتناولوا كذلك بالبحث الجوانب السياسية والاجتماعية والثقافية للمجتمعات العربية في صقلية وجنوب ايطاليا وتأثير الثقافة والعلوم والفن الاسلامي في معظم ايطاليا الجنوبية والوسطى . وكتب أحد هؤلاء الكتاب أن وجود العرب في جنوب ايطاليا قد مكن البلاد من الانفتاح على العالم الخارجي اقتصاديا وأنه حيثما حل العرب حل معهم الازدهار والتطور والتقدم الزراعي نتيجة لتجزئة الاقطاع وتوزيع الملكية على الأفراد[1] .

مجد وحضارة ومأساة

ان الوجود العربي في صقلية ، الذي دام ٢٧٢ عاما ، يمثل صفحة مشرقة في تاريخ العرب والاسلام ، صفحة عامرة بالبطولة والتضحية والاستماتة في سبيل المبدأ والعقيدة ، وان لم تخل من نكسات حالت دون العرب ومواصلة زحفهم في اوروبا وكانت من الاسباب الرئيسية في انحسار العروبة عن وسط اوروبا .

ولعل تاريخ الفتوح الاسلامية لم يعرف فتحا اعنف واقسى وأشق من فتح صقلية التي لم يسيطر العرب عليها سيطرة كاملة الا بعد مرور ثلاثة أرباع القرن على نزول أسد بن الفرات ورجاله الى مرسى مزارا في جنوب غرب صقلية يوم الثلاثاء ١٨ ربيع الأول سنة ٢١٢هـ الموافق ١٧ يونيه ٨٢٧م .

وتعود الصعوبات التي واجهها العرب خلال فتحهم لصقلية الى وعورة طبيعة الجزيرة الجبلية ، وقربها من اراضي الامبراطورية البيزنطية والدول المسيحية الاوروبية ، التي لم تتوان عن تغذية المقاومة ضد العرب ومهاجمة الثغور العربية لادراكها مدى خطورة اتخاذ العرب لصقلية كقاعدة للتوسع والانتشار في اوروبا . يضاف الى ذلك ما كانت تتعرض له الجزيرة من خلافات وثورات وحروب اهلية اثرت في صراع العرب مع بيزنطا . كما ان الصراعات السياسية في الوطن العربي الافريقي والصراعات المستمرة بين المذاهب والاسر الحاكمة كانت تنعكس بصورة سلبية على الاوضاع في الجزيرة وعلى علاقاتها ببيزنطا والدول المسيحية المجاورة لها .

ويبرز من خلال الصراع العربي في صقلية ابطال اسطوريون انحنى امامهم العدو احتراما وتقديرا واشادت الرواية الاوروبية بصلابة ارادتهم ، وحسن قيادتهم ، وتأثيرهم الشخصي على سير الأحداث ، وفي طليعة هؤلاء اسد بن الفرات قاضي القيروان والعالم الجليل الذي بلغ السبعين من عمره وتطوع لقيادة اول حملة لفتح صقلية ، ولولا ايمان وصبر هذا القائد وتأثيره القوي في جنوده لما تحقق الفتح ولعاد العرب الى افريقيا[2] . انبهر المؤرخ الايطالي اماري بشخصية اسد وزهده وايمانه وقال عنه انه رجل يتطلع الى ما وراء هذا العالم ويتخذ من العلم والجهاد وسيلة لبلوغ غايته[3] . ومن بين المجاهدين الابطال

---

(١) Giosue Musca, L'Emirato Di Bari, Dedalo, Bari, 1974, pp. 153 — 155

(٢) د . تقي الدين عارف الدوري ، صقلية وعلاقاتها بدول البحر الابيض المتوسط بغداد ١٩٨٠ ص٥٤

كاتب المقال

تولى عدة مناصب سياسية في بلاده كان آخرها منصب المندوب الدائم لليبيا لدى الامم المتحدة ، الذي شغله لمدة سبع سنوات . يشغل في الوقت الحالي منصب مستشار العلاقات الدولية بمنظمة الأقطار العربية المصدرة للبترول وعضوا في مجلس ادارة معهد التدريب والأبحاث التابع للأمم المتحدة Unitar أتم دراسته الجامعية في ايطاليا حيث حصل على الماجستير في الدراسات الافريقيه من جامعة سان جونس بنيويورك ثم الدكتوراة في الآداب الايطالية . نقل الى العربية عدة كتب من الايطالية .

كذلك ابراهيم الثاني الأغلبي الذي تخلى عن الملك لابنه عبدالله وجاء الى صقلية مجاهدا زاهدا يبغي مجد الاسلام ورضاء الله . وقد استطاع بحزمه وايمانه ان يحقق للعرب السيطرة الكاملة على الجزيرة بعد اقتحام قلعة طبر مينه المنيعة (Taormina) في عام ٢٨٩هـ الموافق ٩٠٢م ، وطرد آخر بيزنطي من صقلية ، واجتاز بعد ذلك ، على رأس قواته ، مضيق مسينا واحتل كالابريا وعاصمتها كوسنزا في شبه الجزيرة الايطالية . وكان ابراهيم يرمي الى مواصلة التقدم في ايطاليا شمالا ، والوصول الى روما وما وراءها . الا ان المرض لم يمهله لتحقيق حلمه ، فقضى نحبه قرب اسوار مدينة كوسنزا (Cosenza) .

والشخصية الثالثة التي نالت تقدير الاعداء واحترامهم هي شخصية عباس بن الفضل الذي قاد جيوش ابي الاغلب ابراهيم ، امير صقلية والذي تولى الامارة من بعده ، وكان له الفضل في استيلاء العرب على قصريانه (Cas-trogivanni) التي كانت تعتبر من اهم معاقل البيزنطيين الدفاعية (٢٤٤هـ - ٨٥٩م) ، وفي الحاق هزيمة نكراء بأسطول بيزنطة قرب سيراكوزا . واعتبر المؤرخون الأوروبيون الفضل بن العباس من أمهر وألمع القادة العرب الذي واجههم بيزنطا في صقلية .

ابن عباد

وكان آخر الابطال الاسطوريين في تاريخ صقلية العربية بطل تحدثت عنه الرواية الأوروبية واطلقت عليه اسم Bonavert ويعتقد غابريللي أنه تحريف لاسم بن عباد . وقد برز ابن عباد في سهل نوتو بجنوب شرق الجزيرة واستولى على امارة ابن ثمة ، الذي سيأتي ذكره ، ووقف في وجه الغزو النورماني ، وحاصر سيراكوزه في العام الذي كان يحتضر فيه الحكم العربي (١٠٨٦م) ، واشترك في معركة بحرية كبرى مع الاسطول النورماني في مياه سيراكوزه ، واستشهد خلال المعركة عندما حاول ان يقفز من مركب الى آخر فسقط في البحر بكامل عدته الحربية [٤] .

أصبح العرب منذ انتصارات ابراهيم الثاني حتى بداية الغزو النورماني اسيادا بدون منازع لجزيرة صقلية لمدة مئة وخمسين عاما تخللتها معارك وغارات وحملات متبادلة بين المسلمين والدول المسيحية ، واضطرابات وثورات داخلية . وقد تأثرت الجزيرة ايضا خلال هذه الفترة بالاحداث في الوطن العربي الافريقي التي كانت تنعكس عليها سلبا أو ايجابا . ومع ذلك ظلت صقلية طيلة هذه الفترة ارضا اسلامية يسكنها قرابة النصف مليون مسلم ، وما بين مليون ومليوني مسيحي . واعتنق الكثير من اهل البلاد الدين الاسلامي ، وانخرطوا في الجهاد وشاركوا في احتلال مالطا ، وبرز منهم كثير من الرجال الذين تبوؤا مناصب هامة في صقلية نفسها وفي افريقيا والاندلس . ويكفي ان نذكر منهم جوهر الصقلي الذي وطد اركان الدولة الفاطمية من المغرب الى القاهرة .

ويعتبر المؤرخون الاوروبيون التسعين عاما التي حكمت الجزيرة خلالها الاسرة الكلبية الموالية للفاطميين ، العصر الذهبي لصقلية من حيث انتشار العلوم والفنون والثقافة ، ومن حيث استقرار الحكم في اسرة واحدة ، ومن حيث ازدياد القوة العسكرية وحماية الجزيرة من الهجمات والغارات المعادية . الا ان آخر



(٣) Michele Amari, Storia Dei Mussulmani Di Sicilia, Catania 1933 — 1934

(٤) غابريللي ، المصدر السابق ، ص٧٤

حكام الكلبيين لم يكونوا في مستوى اسلافهم ، وشاء القدر ان تكون بداية المأساة بسبب عجزهم وسوء تصرفهم وان تشهد صقلية في عهد هذه الأسرة قمة مجدها ومنتهى اذلالها .

بحيرة عربية

وقد انهى الفتح العربي لصقلية سيطرة بيزنطا على البحر المتوسط الذي اصبح بحيرة تحت السيادة العربية الكاملة ، واصبحت صقلية قاعدة تنطلق منها الحملات والغزوات العربية التي شملت جميع انحاء ايطاليا من البندقية وجنوا الى روما وباري وعلى طول ساحل البحر الادرياتيكي والتيرين . واقام العرب امارات في جنوب ايطاليا من بينها امارة باري التي حكموها من عام ٨٤٧ الى ٨٧١ ، وقاريلياتو الى الشمال من نابولي من عام ٨٨٣ الى ٩١٥ ، وريجيو وبرنديسي وتارانتو وغيرها من مدن الجنوب والوسط الايطالي والتي ظلت عمليا في نطاق النفوذ والهيمنة العربية حتى زوال الدولة العربية من صقلية(٥) .

وكانت بالرمو عاصمة مزدهرة تغص بمختلف الاجناس ، وازدهرت فيها الحياة الاقتصادية والزراعية والتجارية ، كما كانت صقلية من اهم مراكز التجارة في العالم الاسلامي . وقد ادخل العرب الى صقلية نباتات لم تكن معروفة ، وحسنوا اساليب الزراعة ، وحفروا القنوات والترع ، واصلحوا الاراضي غير المزروعة ، ونموا الصناعة والحرف اليدوية ، وقضوا على الاقطاع عن طريق تجزئة ملكية الاراضي . وكانت الجزيرة في فترة الحكم العربي مظهرا رائعا للحضارة والتقدم في أوروبا الوسطى كما جلب انتعاشها الاقتصادي الخير والرخاء للوطن العربي في افريقيا . وعرفت اوربا الطب والفلسفة والعلوم والفن المعماري الجيد والحرير المطرز والتحف والنفائس عن طريق صقلية التي ظلت تأثيراتها وآثارها بادية في متاحف ايطاليا وكنائسها وقصورها ، وظل

(٥) راجع F. Gabrielli, Taranto Araba, Cenacolo (1974)

القصر المملوكي ببالرمو في عهد روجر الثاني وهو نموذج رائع للفن المعماري الاسلامي الذي أدخله العرب الى ايطاليا .





صندوق من الخشب مطعم بالعاج بمتحف بالاتينا بپالرمو .

التراث العربي قائما حتى يومنا هذا في اللغة الايطالية وفي العائلات الصقلية التي لا تزال تحمل اسماء عربية مثل علي ومصطفى وسعيد (Saetta) ومظفر (Modafferi) ومرابط (Morabito) وفائز (Lofaso) والطيبي (Taibi) وغيرها .

وكتب اماري : « كانت حياة الطبقة المسيحية المغلوبة في صقلية في ظل المسلمين خيرا من حياة الايطاليين المسيحيين الآخرين الذين كانوا يعيشون في ظل حكم بيزنطة والفرنجة »[٦] . واشار غابريلي الى ان معاملة مسلمي صقلية للمسيحيين واليهود كان طابعها التسامح حيث كانوا احرارا في ممارسة عقيدتهم ، واحرارا في تجارتهم واملاكهم ، وكانوا يتبعون قوانينهم فيما يتعلق باحوالهم الشخصية والدينية وكانت علاقات بعضهم جيدة بالسلطات الاسلامية ، ولم يظهر وجود لأي شكل من اشكال عدم التسامح او التعصب بين المسلمين وغيرهم[٧] .

(٦) غابريلي ، المصدر السابق ص١٥٠

(٧) غابريلي ، المصدر السابق ، ص١٠٤

بداية المأساة

كانت صقلية في اواخر الحكم الكلبي مسرحا للاضطرابات والفوضى والتناحر بين القادة والامراء الاخوة . وقد فقدت الدولة المركزية سيطرتها على الجزيرة ، وبلغت الحالة درجة من التدهور دفعت بأميرها الاكحل الكلبي الى الاستعانة بعدوه التقليدي البيزنطي لمساعدته على اعدائه في الداخل[٨] . واستعان خصومه في الوقت نفسه بالدولة الزيرية في افريقيا ، التي ارسل اميرها المعز ، ابنه عبدالله ، لوضع الامور في نصابها في الجزيرة . وقد قتل الامير الاكحل في قصر الخالصة وتولى بدله اخوه حسن الصمصام الذي سرعان ما عزله رعاياه عن الحكم حوالي عام ١٠٥٣م فانتهى بذلك الحكم الكلبي بصورة غير مشرفة . وقامت في بالرمو شبه جمهورية تحكمها جماعة من اعيان المسلمين . ومن المؤسف ان هذه الفترة ظلت غامضة في تاريخ صقلية ، وان كان من الثابت ان عدة امارات تكونت واستقلت عن المركز على غرار ملوك الطوائف الذي عرفتهم الاندلس فيما بعد ، فقد اقام عبدالله ابن منقوط امارة على الساحل الشرقي من الجزيرة ضمت طرابنش (Trapani) ومرسى علي (Marsa-la) ومازارا والشقة (Sciacca) واقام القائد علي بن نعمه الشهير بابن الحواس امارة في قلب الجزيرة مؤلفة من قصريانه (Castrogiovanni) وجرجنت . وكان هناك ثالث يدعى ابن المقلطي الذي استأثر بحكم قطانيا ، الا أن قائدا آخر هو ابن ثمة اطاح به واستولى على الحكم في قطانيا وسيراكوزا . ويبدو ان الامير عبد الله الزيري وجد ان وضع الجزيرة اصبح ميئوسا منه فعاد الى افريقيا بقواته .

ومما عجل بنهاية المسلمين في صقلية وقوع حادث شبيه بما حدث مع الكونت جوليانا قبل عبور طارق الى الاندلس ، وبما حدث مع اوفيميوس قائد اسطول بيزنطة في صقلية الذي شجع بني الاغلب على احتلال الجزيرة . الا ان الخائن في هذه المرة كان ابن ثمة ، صاحب قطانيا وسيراكوزا ، الذي دخل في صراع مع ابن الحواس صاحب قصريانة وجرجنت بسبب امرأة وحين منى ابن ثمة بالهزيمة اتصل بروجير النورماني وعرض عليه احتلال صقلية على امل ان يقدم له المسيحي المنتصر ، حسب تعبير اماري ، الجزيرة هدية خالصة بعد ان يحررها من العرب . كان ذلك عام ؟١٣٦١م . وهو بداية الغزو النورماني . ويقول ابن الاثير ان مسلمي صقلية ارسلوا وفدا الى المعز بن باديس لطلب النجدة ، فأعد اسطولا وقوات كبيرة ثم وجهها الى صقلية الا انها تعرضت الى عاصفة عاتية قرب بانتللريا فاغرقتها .

وبعد وفاة المعز وفقا لرواية ابن الأثير ، ارسل ابنه تميم ، نجدة الى صقلية بقيادة ولديه ايوب وعلي . وقد استضاف ابن الحواس ايوب في جرجنت وعندما رأى ميل سكان المدينة اليه دخل معه في معركة قتل خلالها ابن الحواس . ووقعت بعد ذلك معارك بين جنود تميم ومسلمي جرجنت ادت الى انسحاب الامير علي والامير ايوب والعودة بقواتها الى افريقيا التي كان حكامها في حاجة اليها في تلك الفترة .

وبالرغم من الخلافات التي كانت تنخر المجتمع الاسلامي في صقلية ، وبالرغم من ضعف القيادات ووهنها وانصراف الدول الاسلامية الأخرى عن الاهتمام بأمرها ، فقد استغرق النورمان واحدا وثلاثين عاما لكي يقضوا على المقاومة العربية ويسيطروا على الجزيرة وقد سقطت بالرمو بعد أحد عشر عاما من بداية الغزو النورماني وبعد ان ظلت ٢٤٠ سنة عاصمة اسلامية .

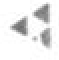
ما بعد الهزيمة

صاحبت الغزو النورماني لصقلية هجرة عربية واسعة الى افريقيا والاندلس ومصر وغيرها من البلدان العربية . وعندما سيطر النورمانيون على الجزيرة قدر عدد المسلمين الذين ظلوا بصقلية ما بين المئة والثلاثمائة الف مسلم من العرب والبربر والصقليين الذين اعتنقوا الاسلام . وقد تجمع القسم الاكبر منهم في بالرمو وساحل مازارا وسهولها . وقد اختلفت معاملة الدولة النورمانية

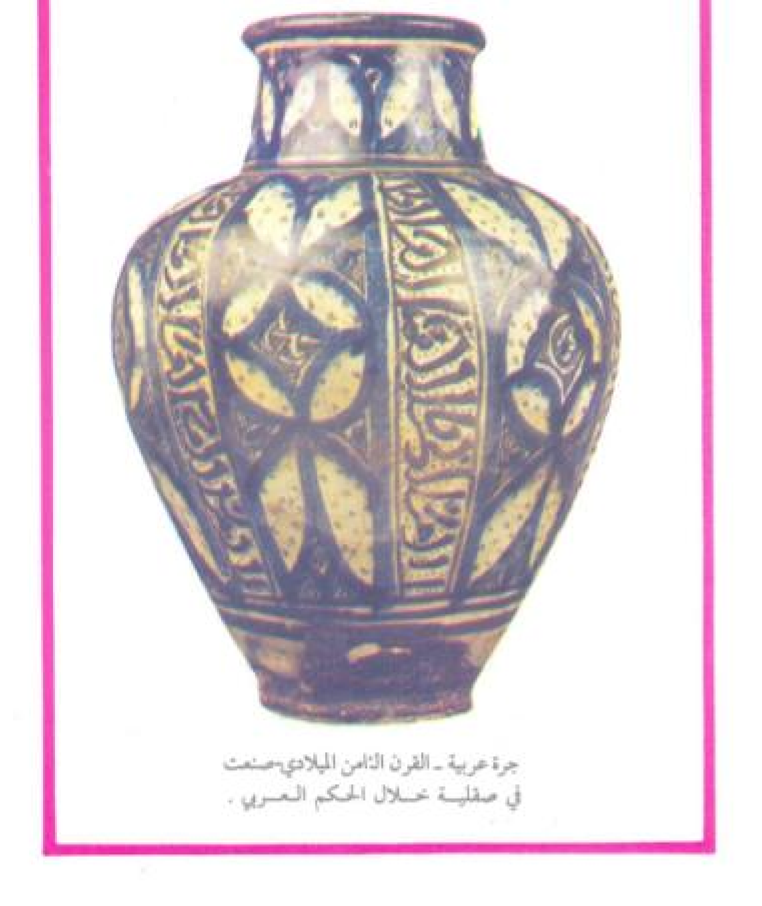
(٨) غابريلي المصدر السابق ، ص٨٥ .



لهم وارتبطت اوضاعهم الاجتماعية والقانونية بالطريقة التي تم بها الاستيلاء على المدن والاراضي . فالاستسلام المشروط ، وهو ما تم في معظم مدن صقلية ، كان يتضمن الحرية الشخصية والاحتفاظ بالممتلكات الخاصة وحرية التجارة والعمل . اما الاحتلال بالعنف فترتبت عليه انواع من العبودية ، منها العبودية الكاملة التي كانت مصير اسرى الحرب ، وعبودية الارض وهي تتفاوت بين العبيد و الحرش ، الذين يرتبطون بالاقطاعي صاحب الارض برباط تبعية شخصية تتضمن بعض الحقوق المحددة التي تميزهم عن بقية العبيد ، والعبيد « الملس » وهم مزارعون احرار يرتبطون بالمالك بشروط معينة لزراعة ارضه وتنتهي علاقتهم به بانتهاء هذه الشروط . وهناك طبقة ثالثة وهم من كان يطلق عليهم « اهل المحلات » الذين كانوا يعيشون في اطراف المدن ، ويقومون بخدمة الاقطاعيين والاديرة والكنائس ويخضعون لبعض القيود[٩] . وكان الجميع يدفعون الجزية ويعتبرون مواطنين من الدرجة الثانية ، وقد فرضت عليهم قيود كمنعهم من تأدية صلاة الجمعة وغير ذلك . وقد اجمعت الروايات العربية والأوروبية على ان ملوك النورمان كانوا متسامحين مع العرب ، وتركوا لهم حرية ممارسة شعائرهم الدينية واستعمال لغتهم وثقافتهم . ولعل ابن جبير ، الرحالة الاندلسي الذي القت به العاصفة على سواحل مسينا في عام ١١٨٤م واخترق معظم الجزيرة ، هو الوحيد الذي استطاع أن يكتب بدقة ويصف احوال المسلمين في صقلية في عهد غليوم الثاني واعجب ابن جبير ببالرمو وبحياة العرب واسواقهم وبكثرة مساجدهم ومدارسهم وباستعانة الملك بهم في البلاط وشئون الدولة . ووصف بلاط غليوم بأنه شبيه بأي بلاط شرقي آخر . والواقع ان النورمان عندما دخلوا بالرمو وجدوا امامهم حضارة وادارات منظمة وبلاطا مترفا كما وجدوا في صقلية انواعا من الرفاهية والبذخ والترف الذي لم يعرفوه من قبل فحاولوا باستثناء المسائل الدينية ، ان يقلدوا امراء العرب في حياتهم وملكهم وخدمهم وحشمهم ولباسهم ومراسمهم ويقول ابن جبير ، نقلا عن الفتيان المسلمين الذين كانوا يعملون بقصر الملك ، ان غليوم كان يجيد العربية كلاما وكتابة . وظلت اللغة العربية لفترة طويلة لغة رسمية الى جانب اللاتينية تصدر بها الوثائق والبراءات وتخاطب بها الدول العربية المجاورة . وظلت المسكوكات تكتب باللغة العربية الى جانب اللاتينية حتى آخر عهد النورمان . ولقب روجير بالمعتز بالله ، ولقب غليوم الأول بالهادي بأمر الله ، ولقب غليوم الثاني بالمستعز بالله . وتظهر كتابة هذه الالقاب في الوثائق الرسمية والمسكوكات . ويقول غابريلي ان المسلمين كانوا يؤلفون طائفة او حزبا له وزنه في حياة الجزيرة واحداثها . وشاهدت صقلية اول مذبحة للمسلمين بعد وفاة روجير الثاني عام ١١٦١ حيث قتل عدد كبير منهم ونهبت أموالهم ومتاجرهم ودمرت أحياءهم السكنية . وشهد عام ١١٨٩ و١١٩٠ زوال الوجود العربي والاسلامي من بالرمو ومن معظم المدن الصقلية وان ظل يقيم بها أفراد غيروا اسماءهم واعتنقوا المسيحية .



(٩) غابريلي ، المصدر المذكور ص٩٥



جرة عربية ـ القرن الثامن الميلادي صنعت في صقلية خلال الحكم العربي .

نهاية بطل

وازاء هذا العدوان الصارخ هب ما تبقى من العرب والمسلمين للدفاع عن أرواحهم، وعقيدتهم وتزعم الحركة عدة قواد برز من بينهم محمد بن عباد الذين عرفته الرواية الاوروبية باسم **Mirabeto** وقام بثورته ما بين العقدين الثاني والثالث من القرن الثالث عشر وشغل قوات فردريك في معارك قاسية رغم يقينه ان معركته ميئوس منها وانه يقودها دون سند ولا معين في الوقت الذي كانت تمتد حوله ثلاث امبراطوريات عربية : الفاطمية والأموية والعباسية التي لم تلتفت ولم تسمع حشرجة الموت في رقاب من تبقى من المدافعين عن الدولة الاسلامية في صقلية . وحاصر الامبراطور فردريك ، ابن عباد في عنتيلا **-En tella** وضيق عليه الخناق حتى استسلم بشرط ان يتمكن مع اولاده وامواله من النزوح الى افريقيا . ووعده فريدريك بذلك الا انه غدر به ونقله الى بالرمو حيث اعدمه مع اثنين من اولاده[١٠] وواصلت من بعده الصراع ابنته التي لم تذكر الروايات اسمها .

واورد الحميري قصة مقاومة محمد بن عباد وابنته في عنتيلا بشكل آخر ، حيث قال ان فردريك وعد ابن عباد بأن يسمح له بالسفر الى افريقيا اذا ما استسلم . الا ان ابنته ، التي لم تذكر الروايات اسمها ، نصحت والدها بعدم الاستسلام ، وعندما رفض العمل بنصيحتها فضلت البقاء في القلعة ومعرفة ما سوف ينتهي اليه امر والدها . وغدر فردريك بابن عباد ، فقد سمح له بالسفر وامر رجاله باغراقه في البحر . وعندما علمت ابنته بذلك واصلت المقاومة والخروج برجالها والاغارة على المسيحيين (٦١٩هـ ١٢٢٢ ـ ١٢٢٣م) ، وصممت على الانتقام لوالدها . وذات يوم ارسلت الى فردريك تعلمه انها تريد

(١٠) غابريلي ، المصدر السابق ، ص١٠٣

الاستسلام ولكنها تخشى ممانعة رجالها ، ولذلك فانها تطلب منه ارسال ثلاثمائة فارس من خيرة رجاله ليلا واخبرته انها سوف تفتح لهم القلعة وتمكنهم من الاستيلاء عليها . وسر فردريك من الفكرة وارسل فرسانه الى القلعة . وفي الصباح توجه الى عتيلا ليرى اعلامه ترفرف عليها وقد استعدت لاستقباله ، الا انه فوجيء برؤية رؤوس فرسانه تتدلى من فوق الاسوار . وحاول فردريك استدراجها بالحيلة والاغراء فأمنها على حياتها اذا استسلمت ووعدها بالزواج الا انها رفضت وظلت تقاوم مع رجالها الحصار الطويل حتى نفدت المؤن واشتدت بها وبرجالها الحال فانتحرت قبل ان يقتحم فردريك القلعة ويستولي عليها[11] . واختتم الفصل الاخير من قصة العرب في صقلية بهذه الصفحة الرائعة من بطولة فتاة عربية ضربت اروع مثل في الشجاعة والاباء والتضحية وسط سلسلة من التخاذل والخيانة والانانية وقصر النظر التي قضت على الدولة الاسلامية الثانية في اوروبا .

النهايــــة

لم تنته المقاومة باستشهاد بطلة عتيلا ، بل استمرت بعض المقاومة المبعثرة وخاصة في جرجنت ، الامر الذي دفع بفردريك الى ابعاد جميع العرب والمسلمين عن الجزيرة ، واختار لهم مكانا في موقع لوتشيرا **Lucera** بجنوب ايطاليا . وتم تجميعهم وابعادهم على فترات زمنية امتدت حتى منتصف القرن الثالث عشر . وتقدر الرواية العربية عددهم بمئة وسبعين الف نسمة في حين ان الرواية الاوروبية تقدرهم باقل من مئة الف . واقام العرب مستوطنة في مقرهم الجديد ، واعتمدوا في حياتهم على الزراعة والحرف اليدوية والتجارة ، والفوا مجلسا من الاعيان للاشراف على شئونهم واسسوا المدارس لتعليم ابنائهم . ويقول إيجيدي ، الذي وضع كتابا عن هذه المستوطنة العربية ، ان عرب لوتشيرا كان لهم بعض النشاط الثقافي ايضا رغم عزلتهم التامة عن بقية العالم الاسلامي والعربي[12] .

وبتولي اسرة انجو **Angio** الحكم بدأت مضايقة العرب في مستوطنتهم ، وبدأ الطمع في اراضيهم وممتلكاتهم ، وساهم رجال الكنيسة والاقطاعيون المحيطون بالمستوطنة في تغذية روح الكراهية والحقد ضد المسلمين ، واطلقوا فكرة ازالة هذا الدمل من الجسد المسيحي . وكان الملك كارلو الثاني يشجع القائمين على الحملة . وفي اواخر القرن الثالث عشر وبالتحديد في صيف عام ١٣٠٠ ، هجم الايطاليون على لوتشيرا ، وكانت حملة صليبية اشترك الجميع فيها وفي ذبح وقتل المسلمين رجالا ونساء واطفالا ، ونهب اموالهم وممتلكاتهم ، ودمروا المستوطنة وتقاسموا اراضيها وقضوا على البقية الباقية من المسلمين ، وازيل الوجود العربي نهائيا من ايطاليا بعد ان دام ٤٧٢ عاما عاش منها العرب اكثر من قرنين ونصف اسيادا والبقية اتباعا وعبيدا . وقد تمت مذبحة المسلمين دون ان تتحرك اية دولة اسلامية لحمايتهم او الدفاع عنهم بل كانت العلاقات بين بعض هذه الدول وملوك ايطاليا جيدة وودية . ومن المعتقد انه خلال المأساة العربية التي دامت قرابة القرنين تنصر العديد من المسلمين وانتشروا في جزيرة صقلية وجنوب ايطاليا واختلطوا بالسكان ، ولا يزال تأثيرهم باديا في العادات واللغة والفكر الايطالي . ❍

---

(١١) ابو عبدالله الحميري ـ روض المعارف في خبر الاقطار ، تحقيق أ . ليفي بروفنسال لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة ١٩٣٧ .

راجع ايضا :

E, Levi Provencal, Une Heroine de la Resistance Mussulmane en Sicile, Orient Moderno, xxxiv, 1954, 283 — 88

(١٢) ب ـ ايجيدي ، المستعمرة العربية في لوتشيرا وتدميرها

P. Egidi, La Colonia S aracena di Lucera el la S ua Distruzione Napoli 1912

هكذا تكلم بشر الحافي

بقلم : الدكتور أديب نايف ذياب

بشر بن الحارث الحافي من أكابر الصوفية الزهاد . سكن بغداد ، وهام في البوادي مدة من الزمن . توفي سنة ٢٢٧ هـ . لم يؤلف كتبا أو رسائل ، انما حفظ أهل التصوف القدماء عنه أقوالا قليلة ، نفاذة ومحكمة وناقدة في كثير من الأحيان . ومنها : « الصبر الجميل هو الذي لا شكوى فيه الى الناس » « شاطر سخي أحب الي من قارىء لئيم » ، « هب أنك لا تخاف ، ويحك ! ألا تشتاق ؟ » وفي القصص القصيرة التالية ، أو المواقف المشخصة أتخيل بشرا يعيش في هذا العصر ويتجول هنا وهناك في عالمنا العربي » .

أقام بشر الحافي يومين في فندق « طاسين » ، على الطريق الصحراوي . نزل الى باحة الفندق في مساء اليوم الثاني فرأى النزلاء وأكثرهم من المسافرين العابرين ، يقفون في حلقة ترقص في داخلها فتاة غجرية كان أبوها ـ وهو كهل أعمى ـ يشارك بالعزف على المزمار . سمع بشر لحنا غريبا ، تمتزج فيه أوجاع الحياة وأشواقها ، كأنما تنفثه عينا الرجل المغمضتان الى الأبد . ثمة ولد صغير يجمع النقود التي يرميها المتفرجون على جسم الفتاة ، ويدسها في جيب العازف الأعمى . كانت الراقصة تتجاهل المتفرجين ونقودهم وترقص رقصا مشحونا بالحرية والكبرياء . يلمح فيه تعبير خفي عن الحياة في عافيتها ، وشدة وهجها . أما معاينات المتفرجين فقد قابلتها الراقصة بإيماءات متعالية . كانت ترقص بتحد شامخ كأنها لا ترى أحدا ولا تكترث لأحد . ترقص لنفسها .

هتف بشر لنفسه « ليس العجب من ورد في بستان ، انما العجب من ورد في أعماق النيران !! » .

وحينما أوى الى فراشه في تلك الليلة ، تساءل : « أي معجزة ، أي سرّ هذا الانسان ! » .

الصباغ الصغير

كان بشر الحافي في مدينة « لام » حين حل كانون الثاني ببرده القاسي . دس قدميه في حذاء ثقيل « بسطار » ، كان يستعمله في مثل هذه الأيام ، واستعمله أيام الشغل مع العمال في تعبيد طريق قروي .

مر بمحطة للسفريات الخارجية فتقدم منه صبي صغير يحمل صندوق الأصباغ . سأله الصبي بلهجة متوسلة « تمسح يا شيخ ؟ » وأومأ الى البسطار .

« ما هذه المهنة الملعونة ، ولماذا جعلت من نصيب أولاد الفقراء ؟ » هكذا صاح بشر كأنما يخاطب جميع المسافرين والعابرين . تحلق بعض الناس حوله ووقفوا صامتين ، ثم هزوا أكتافهم صامتين .

مسح بشر على شعر الصبي بيده . كان يمتلىء بالغبار

منفوشا لم يمسه المشط منذ أسبوع . التحق بشر وأمسك بيدي الصباغ وتتبع بقع الدهان التي تغطي باطن اليدين وتتراكم بين الأصابع وتحت الأظافر . قال الصبي بلهفة : « تقرأ الحظ ؟ انظر لي مستقبل بحق الله ومستقبل أبي السجين ! » لكن بشرا لم يسمع هذا اللغو ، اذ هامت روحه تشكو على عتبة الملكوت الأعلى ، وغمغم كأنما يحدث نفسه : « هاتان اليدان تمسحان الحذاء لبشر !! » . مسح الصبي ما كان يحمله من نقود قليلة . وشلح الحذاء وأعطاه لشحاذ كان يتكور على الرصيف المقابل . عاد بشر يمشي حافيا .

طريق الشوق

عاش بشر الحافي مدة من الزمن في ضاحية « دال » التابعة لمدينة « صاد » وتعرف فيها على نجار توسم فيه الصبر والصمت وحسن السيرة . كان النجار يعمل وحيدا في ورشته الصغيرة ويعامل الناس بلطف ومودة . ذات مساء أغلق النجار باب ورشته ، وصادف بشرا في الطريق فرافقه ، أخذ الرجلان بأطراف حديث هادىء ، بينما عتمة الليل تجتاح بثبات شفق المغيب . والمصابيح الكهربائية تتوهج نورا وهموما على جنب الطريق . وصلا مفرقا تتقاطع فيه الشوارع . دعا بشر النجار لمشاركته في تعليم أميين يترددون على المسجد القريب ، يتعلمون القراءة والكتابة بعد صلاة المغرب . أومأ النجار الى شارع يمضي في اتجاه مضاد وقال « هناك وليمة عامرة يقيمها في هذه الليلة « فضل الناسي » ، وهي للفقراء من « أمثالنا » . يعرف بشر أن المتعهد « فضل الناسي » لا يتورع عن نهب الحكومة والعباد والمشاريع ، ويسمع أنه يعامل العمال والموظفين في مؤسساته بلا رحمة . قال بشر : « سقطت من عيني . هب أنك لا تخاف الله حين تمشي الى هذه الصدقة المشبوهة ، ألا تشتاق اليه ؟ »

قال النجار : « بلى ، أشتاق »

قال بشر : « أمارة الشوق اليه العمل الصالح ، خدمة الناس والتخفيف عنهم ، اما السعي الى الصدقات فطريق مختلف » .

ابتسم النجار محرجا وقال : « ولا تنس نصيبك من الدنيا » احتد بشر ، هز رأسه وهو يقول : « ليست هذه الدنيا التي تحطم كرامة الانسان » ورانت لحظة صمت . ثم غمغم بشر كأنما تذكر شيئا « الدنيا بحر ، والآخرة ساحل ، والناس مسافرون اليه حتف أنوفهم » ومضيا ، كل واحد في طريق .

التليفزيون

اتخذ بشر الحافي مجلسه ذات مساء في مقهى شعبي في مدينة « هاء » . وحين جال ببصره لاحظ كآبة ظاهرة تشيع في أرجاء المكان . تعب ووجوم يسيطران على وجوه الزبائن ، وثمة همود مواز في حركات عمال المقهى . واستدار احدهم فجأة وحرك مفتاح التليفزيون فانثال سيل من دعايات التجارة لم يكترث له أحد . ثم ظهرت طائفة من الممثلين ممن يغسلون أسنانهم بمعجون شركة معينة ويبتسمون بثقة تامة . أخذت الكراسي تتنقل وتشكل دائرة حول الجهاز الجاثم في الركن . بدأت أحوال الزبائن تتغير . علت وجوههم بسمات مشرقة ، وشعت من عيونهم خفة تتوقع عطايا مفاجئة . دهش بشر وزادت دهشته حين رأى أيدي الممثلين تطول وتمتد من حين الى آخر . تخرج من شاشة الجهاز فتدغدغ الأماكن الحساسة في جسوم المتفرجين . كانت هذه العملية تتم بشكل خاطف . تعالت على الأثر أصوات الضحك . ثم انتظمت ضحكات المتفرجين في ايقاع مجلجل يرتفع ثم يخفت في حساب مدروس . انتهت التمثيلية أخيرا فعاد المتفرجون وأحاطوا بمناضدهم المتناثرة . لاحظ بشر أنهم تخلصوا من توتر الأعصاب ومن الكآبة والتعب .

حدث كل ذلك وبشر يراقب ويتعجب . لم يقترب من التليفزيون ، انما شاهد من مكانه في ركن المقهى تفاصيل اللعبة . ويبدو أن أربعة من زبائن المقهى القريبين منه قد انتبهوا لموقفه الشاذ فتهامسوا فيما بينهم ، ثم أحاطوا بمنضدته متحرشين بصخب مسموع استعدى بقية الحاضرين . قالوا :

- « موقفك يشذ عن روح الجماعة » .
- « أنت تحتقر الفولكلور القومي . »
- « أنت جاحد لأثر التقنية في اتاحة الراحة لبدن الانسان وعقله » .

- « انك تقف في صف الثورة المضادة لانجازاتنا الحضارية » .

ارتبك بشر الحافي . صعق من زيف هذه التهم . الحق أنه حاول أن يبتسم مرة ومرتين اثناء التمثيلية لكنه أخفق تماما . عجز إزاء هذا التهجم عن الجواب والدفاع . تحمل هذا العجز اكثر حين قاده رجلان من الشرطة الى المخفر . سجن بشر أسبوعا بتهمة الاخلال بالأمن الثقافي والنفسي الخاص بالجماهير المناضلة .



نهج البردة من البوصيري إلى شوقي

بقلم: محمد خليفة التونسى

لشاعرنا أحمد شوقى ـ رحمه الله ـ قصائد كثيرة، عارض فيها قصائد معروفة لشعراء سابقين، وأشهر معارضاته قصيدته التي عارض بها قصيدة البوصيرى التى شتهرت باسم البردة (١٨٢ بيتا) وقد سمى شوقى قصيدته هذه «نهج البردة»، والنهج هو الطريق، ومعنى المعارضة هنا أن ينظم شاعر قصيدة تماثل قصيدة سابقة في الوزن والقافية وقد تماثلها في الموضوع، فهى تنهج نهجها، والبردة ونهجها من وزن البسيط ورويها ميم مكسورة بعد حركتين، وهذا مطلع البردة الغزلى:

«أمن تذكر جيران بذى سلم
مزجت دمعا جرى من مقلة بدم؟
أم هبت الريح من تلقاء كاظمة
وأومض البرق في الظلماء من إضم

وهذا مطلع نهج البردة الغزلى أيضا:

«ريم على القاع بين البان والعلم
أحل سفك دمى في الأشهر الحرم
رمى القضاء بعينى جؤذر أسدا
ياساكن القاع، أدرك ساكن الأجم
لما رنا حدثتني النفس قائلة:
ياويح جنبك بالسهم المصيب رمي
جحدتها وكتمت السهم في كبدى
جرح الأحبة عندى غير ذى ألم

والبوصيرى صاحب البردة منسوب إلى «أبوصير» قرية في مصر كان منها أحد أبويه والآخر من قرية «دالاص» وفيها ولد ابنهما سنة ٦٠٨، وكانت وفاته بالاسكندرية سنة ٦٩٧، وقبره فيها معروف، والى جانبه جامع البوصيرى نسبة اليه. وقد لقبه بعضهم «الامام»، وليس له أى امامة متميزة معروفة في الدين أو العلم أو الأدب، ومعظم شعره كشعر أهل عصره ضعفا وتكلفا، لاثقاله بالبديعيات التافهة، ومن أفضله البردة، وقصيدة أخرى همزية في مدح النبى أيضا. وقد سمى البوصيرى قصيدته «الكواكب الدرية في مدح خير البرية»، أى النبى، ولكن شهرتها باسم البردة أوسع، حتى انه غطى على اسمها الأصل، فلا تعرف به الاعند المختصين.

وسبب نظم البوصيرى بردته ـ كما ذكر ـ أن صديقا له اقترح عليه النظم في موضوعها فتأخر، حتى أصابه فالج (شلل) نصفى، ففكر في عملها، ثم أتمها، واستشفع بها الى الله أن يعافيه، وكرر إنشادها، وزاد دعاء وتوسلا،

حتى رأى في أحد أحلامه النبي يمسح وجهه ويخلع عليه بردته ، فلما انتبه أحس بخفة ونهضة ، ثم تم شفاؤه ، ومن أجل هذه البردة في المنام سمى قصيدته « البردة » وهي لاشك تذكرنا ببردة حقيقية كان النبي خلعها على كعب بن زهير حين جاءه تائبا ، وأسمعه قصيدته « بانت سعاد » في مدحه ومدح المهاجرين ، فقبل توبته واسلامه ، وخلع عليه بردته علامة رضاه (كعادة رؤساء العرب) وقد سميت قصيدته « بانت سعاد » بأول مطلعها الغزلي :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول
متيم إثرها ـ لم يفد ـ مكبول
وما سعاد غداة البين إذ رحلوا
إلا أغن غضيض الطرف مكحول

والسبب في اشتهار نهج البردة ، وقصائد أخرى لشوقي ، أن السيدة الأعجوبة أم كلثوم غنت أبياتا منها بصوتها الملائكي ، ولكنها لم تلق من سعة الأثر وعمقه ما لقيته البردة بين الجماهير الاسلامية التي تعبد بها منهم عشرات الألوف على مدى قرون ، للصلاة والسلام على النبي ـ وأذكر أنا ـ ونحن صغار منذ ستين سنة في قريتنا الخاملة في قلب صعيد مصر ، كنا نكلف في الكتاتيب حفظ القرآن ، ونشجع بالحاح على حفظ « البردة » لتلقى البركات من وراء ترديدها في الصلاة على النبي ، وكنا نرى الكبار حتى الأميين يحفظونها ويرددونها أيام الاعياد في أدبار الصلوات ، ولاسيما هذا البيت اذ كان يردد عقب كل بيت سواه فيها :

يارب صل وسلم دائما أبدا
على حبيبك خير الخلق كلهم

وكانت تعقد لها المجالس الخاصة في بعض المساجد لترديدها كأحد الأوراد الدينية ، ولم تلق من العناية في بلد كما لقيت في مصر ، فقد نظمت اكثر من مائة قصيدة في مناظرتها وزنا وقافية وموضوعا ، مابين معارضة وتشطير وتخميس وتسبيع وتعشير ، ولها عشرات الشروح ، كما ترجمت الى لغات كثير من الشعوب الاسلامية غير العربية كالفارسية والكردية والتركية والأردية والالبانية والبوسنوية ، ولاتعدلها في هذا الرواج أي قصيدة عندنا في أي عصر ، وأقل منها في هذا قصيدة « بانت سعاد » لكعب بن زهير ، فلها عشرات من المعارضات والتشطيرات والتخميسات والشروح ، وأعربها أحد النحاة (ابن هشام)

وكل ذلك كان خلال الفترة الاسلامية المظلمة فيما قبل قرنين ، حين ضعفت شوكة العرب وانهزم العقل الاسلامي وضعفت الهمم ، وتوقف الاجتهاد ، وساد التقليد ، وركنت الجماهير الى الميول الصوفية ـ المريضة لا الصحية أو الصحيحة ، ومثل هذا ماكان ليشيع في بداية الاسلام وعصور قوته التالية .

ولا ينتظر من عصرنا ـ بعد تقدم نهضتنا الحديثة كثيرا ـ أن يتعرض شعراؤنا لمناظرة « البردة » أو غيرها بمعارضة أو تشطير أو تخميس ، أو يتناولها معجب من الأدباء بالشرح أو الاعراب ، مهما يعظم قدرها وقدر صاحبها ، وان كان بعض الشعراء قد عارضوا « البردة » في بداية عصرنا ومنهم البارودي في القرن الماضي ، إذ عارضها بقصيدة أبياتها ٤٤٧ ، مطلعها :

يارائد البرق يمّم دارة العلم
واحد الغمام إلى حي بذي سلم

وكذلك لاينتظر من عصرنا أن يتناول قصيدة شوقي « نهج البردة » بمثل هذه العناية ، وان كنا سمعنا أن احد الشيوخ قد شرحها عقب نظمها سنة ١٣٢٧هـ (١٩١٠م)

وقد كانت البردة نفسها نهجا لقصيدة صوفية للشاعر المتصوف عمر بن الفارض (٥٧٦ ـ ٦٣٢ هـ ، عاش في مصر وقبره بالقاهرة مشهور) وأبياتها ١٨ ، ومطلعها :

هل نار ليلى بدت ليلا بذي سلم
أم بارق لاح في الزوراءوالعلم ؟
أرواح نعمان هلا نسمة سحرا
وماء وجرة ، هلا نهلة بفم

وللبوصيري قصيدة أخرى همزية طويلة هي أرفع مطلعا ، ولكن بقيتها ضعيفة إلا أبياتا مفردة قليلة ومطلعها :ـ

كيف تعلو علوك الأنبياء
ياساء ماطاولتها سماء
لم يدانوك في علاك وان جا
ل سنا منك دونهم وسناء

انما مثلوا صفاتك للنا
س كما مثل النجوم الماء

وهي في مدح النبي أيضا وهو ليس كمطلع البردة الغزلي التقليدي المصطنع ، لمجرد عادة شعرية بدوية منذ الجاهلية - هي بدء القصائد بالغزل ، ولم يكن مبرر لاستقراره بعد ، ولكنه استمر حتى نهاية الحرب العظمى الأولى (كانت البردة والهمزية تطبعان معا في كراسة)

وهناك قصيدة همزية لشوقي في الموضوع نفسه ... تغنى أم كلثوم بعض أبياتها ، ولاتعد معارضة لهمزية البوصيري ، لاختلافهما وزنا وان اتفقتا قافية مضمومة .. ، ومطلع همزية شوقي

ولد الهدى فالكائنات ضياء
وفم الزمان تبسم وسناء
الروح والملأ الملائك حوله
للدين والدنيا به بشراء

وكلا المطلعين في المدح النبوي مباشرة ، وهذا أفضل ، ومطلع همزية البوصيري أقوى وأرفع ، ولكن بقية الهمزية الشوقية بعد المطلع أفضل من بقية الهمزية البوصيرية التي تقل فيها الأبيات الجياد ، ونهج البردة طويلة (١٩٢ بيتا) ، منها (٣٤) في الغزل و (٤٠) في دعوة نفسه الى التوبة من المعاصي والندم عليها ، مستشفعا بالنبي ، ثم المدح النبوي ، وفي مدحه يذكر صفحات من سيرته في نسبه ونفسه منذ تلقي الوحي في حراء ، ودعوته الى الاسلام وسوء حال العالم قبله ، وحاجة الناس اليها ، وما لقيته من تأييد أو معارضة مع أنها دعوة الى العز بالله ، والتحرر من الطواغيت ثم اسراء النبي ومعراجه ، وما لقي فيها من كرامات وظهر له من آيات ، حين ارتفع مالم يرتفعه سواه ، حتى جبريل ، ثم غزواته للدفاع عن دعوته وبلاء أصحابه في نصرته ، وبقاء ديانته وعلوها على كل ديانة .. وماجاء به من تشريع ، وفضل خلفائه الأربعة ، ثم الصلاة والسلام على النبي وآله ، ويختمها بدعوة الله لانهاض المسلمين من رقدتهم ، والاحسان اليهم في النهاية ، كما أحسن اليهم في البداية .

وتخلل ذلك كثير من الأبيات الحكمية ، ويلاحظ أنه أكثر كالبوصيري من ذكر الارهاصات قبل بعثة النبي ، وأعاجيب كرامته في سيرته ، وليس لكثير منها سند وثيق في المصادر التاريخية الأولى ، كما انها لاتخلو من البديعيات ولكنها أقل مما في البردة .

وقد أحسنت أم كلثوم في اختيار الأبيات التي غنتها ، وكان لها ذوقها المستقل في اختيار كلمات اغانيها ، وان استعانت ببعض نصحائها في ذلك ، والأبيات المختارة تمثل معظم عناصر القصيدة كما لخصناها حتى المقدمة الغزلية ، كما تمثل رتبة القصيدة في البلاغة والابداع ، ويلاحظ أن البوصيري حين نظم بردته كان ينظر الى قصيدة ابن الفارض التي عارضها ، وكذلك كان ينظر اليها البارودي في قصيدته ، وكان شاعرنا شوقي ينظر إلى كل تلك القصائد وغيرها حين نظم نهج البردة ، حتى ليلاحظ هذا النظر في المقدمات الغزلية لقصائدهم ، كما يلاحظ ذلك في المطالع التي قدمناها . عليهم جميعا رحمة الله . ○

مع برناردشو :

يروي أحد أصدقاء برناردشو قصة عن سهرة قضاها مع الكاتب وزوجته ، فكان شو يسوق النوادر تترى وكانت زوجته تشتغل بحياكة الصوف ، فسألها الضيف عما تحوكه ، فأجابت هامسة : لا شيء .. لا شيء ، ولكني سمعت نوادره ألف مرة ، فلا بد لي من عمل أؤديه بيدي ، والا خنقته . » .

مقالات فى كلمات



■ فيا وطنى لقيتك بعد لأى .·. كأنى قد لقيت بك الشبابا .

(شوقى)

■كلمة واحدة رقيقة أسمعها وأنا حىّ . . . خير عندى من صفحة كاملة فى جريدة كبرى حينما أكون قد متّ ودفنت !

(م . ثورينكروفت فولنر)



■ ان كل ما يضايقنى . . هو أننى لاأملك إلا حياة واحدة أقدمها لبلادى .

(صان يات سن)

■ .أن تصل متأخرا . . خير من ألا تصل أبدا .

(مثل فرنسى)

■ الشعب المستعمر كالمريض بالسرطان . . لايمكنه أن يفكر بغير علته .

(برنارد شو)

■ من خلال أشواك الخطر ، نحصل على زهور السلام .

(شكسبير)



■ انهضوا أيها العبيد ، انكم لا ترونهم كبارا إلا لأنكم ساجدون .

(لنكولن)



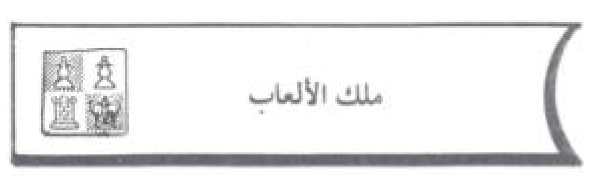
■ ليس هناك دولة ظالمة ولا دولة مظلومة . . . هناك فقط أولئك الذين يسمحون لأنفسهم بأن يتحملوا الظلم !

(مصطفى كامل)

■ لم تقم امبراطوريتنا على المبادىء المثالية التى تزدحم بها الكتب . . إنها قامت على مبادىء عملية عرفنا كيف نطبقها . . . ونفهمها على ضوء مصالحنا !!

(لويد جورج)





« غريب حقا أنا الذي أحكم العالم من نهر الهندوس في الشرق حتى جبال الأندلس في الغرب ، لا أستطيع أن أتدبر الأمر مع ٣٢ قطعة على رقعة شطرنج طولها شبران في عرض شبرين »

الخليفة العباسي المأمون *

من الناس من يتصور أن الشطرنج لعبة عملية لا يتأتى اتقانها الا بالممارسة والمران الطويل ، وهم يرون أن قراءة كتب الشطرنج وتحليل أدوار اللاعبين لايعود على القارىء بأدنى فائدة ، ولا يعدو أن يكون هدرا للوقت واضاعة للجهد ، غير أن العارفين يكادون يجمعون اجماعا تاما على أن الكتاب هو المعلم والمرشد الصحيح لتقويم الاعوجاج والتمييز بين الخطأ والصواب ، فلاعب الشطرنج عن طريق الممارسة والتمرين كثيرا ما يغفل العديد من النظريات والقواعد الثابتة فيظل في مستوى واحد لايتغير سنين طويلة .

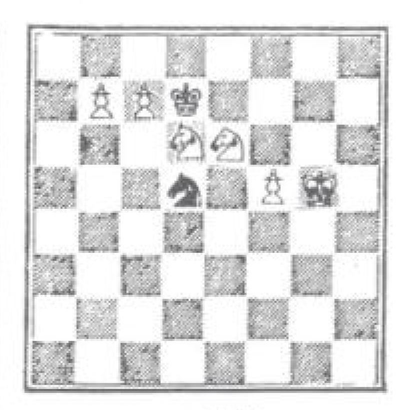
ويرى البعض أن الفرق بين اللاعب بالتمرين واللاعب المتعلم أشبه بالفرق بين الصانع المتمهن الذي يتعلم اصول المهنة بالممارسة والاجتهاد وبين المهندس المتعلم الذي تلقى العلم في المدارس وأغناه بالممارسة والخبرة العملية . وهذا لايمنع على أية حال أن يظهر بين من تعلموا اللعب بالممارسة والتمرين لاعبون أفذاذ ، يبزون أقرانهم ويتغلبون على منافسيهم ويبلغون أعلى مراتب التفوق والاجادة والكمال . . . ومن أمثال هؤلاء : اللاعب الأمريكي الفذ « بول مورفي » الذي احتل بطولة العالم في الشطرنج بين ١٨٥٨ و ١٨٦٣ ، غير أن هذا النوع من التفوق والنبوغ ليس هو القاعدة بل الاستثناء ولا يمكن أن يقاس عليه . . .

ومن اللاعبين الذين نبغوا في هذه اللعبة وحققوا مستويات رفيعة من التفوق عن طريق الممارسة والمران ، اللاعب الفرنسي الكبير « ديشابل » الذي احتل بطولة العالم من ١٨١٥ الى ١٨٢٠ ، وكان ديشابل ينكر أهمية الدرس والاطلاع من الكتب ، ولكنه مالبث أن تراجع عن موقفه ، عندما بدأ يخسر أمام تلاميذه الذين أغنوا ممارستهم وتدريبهم على يديه بالاطلاع والتضلع في نظريات الكتب من أمثال « لا بوردونيه » الذى انتزع منه بطولة العالم في ١٨٢٠ وظل محتفظا بها حتى ١٨٤٠

---

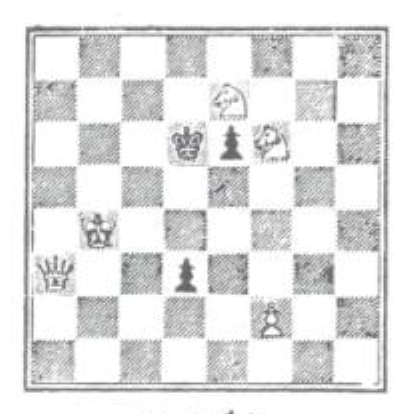
* كان المأمون من هواة الشطرنج ، وكان يستمتع بمشاهدة لاعبيه المشهورين من أمثال : جابر الكوفي وزيرب قطان ، ولكنه هو نفسه لم يكن ممن يحسنون لعبه .

مسائل شطرنجية



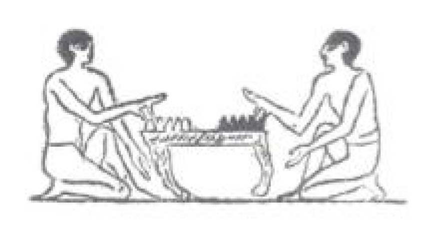
المسألة رقم (١)

الأبيض يلعب ويضرب
مات بنقلتين



المسألة رقم (٢)

الأبيض يلعب ويضرب مات
بثلاث نقلات



عود على تاريخ الشطرنج

عند اكتشاف مقبرة توت عنخ آمون عام ١٩٣٠ عثر علماء الآثار على رقعة صفت عليها قطع الشطرنج مما يشير الى أن الفراعنة قد عرفوا هذه اللعبة منذ أكثر من ثلاثة آلاف سنة ، ولكن اللعبة التي كان يلعبها قدماء المصريين هي أشبه بلعبة « الدامة » حيث ان كل القطع المصفوفة على الرقعة كما يظهر من الرسم أعلاه على نسق واحد ، ولا يوجد ما يميز إحداها عن الأخرى .

كما عثر علماء الآثار في حفريات « أور » بالعراق على رقعة شطرنج مطعمة تعود الى ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد

لحل المسائل اقلب الصفحة

حل المسألة رقم (١)

١ : ب - ٨ ف (ح) يلعب الأسود ماشاء
٢ : ب - ٨ ح (ح) ‡

حل المسألة رقم (٢)

١ : و - ٧ ر

لو ١ : ...... ب - ٧ و
٢ : و - ٥ ف ‡
أو ١ : ..... ب - ٤ م
٢ : و - ٧ و ‡

١ : .... م - ٤ م
٢ : و - ٤ و + م × و
٣ : ح - ٦ ف ‡

مسابقة العربي الثقافية

تستهدف هذه الأسئلة امتحان معلوماتك العامة وسرعة خاطرك . . وتستهدف بخاصة تشجيعك على البحث عن الردود الصحيحة وذلك بالرجوع الى المصادر الموثوقة :

المطلوب الاجابة على عشرة اسئلة إجابة صحيحة ، لكي تكون في عداد المرشحين للظفر بجائزة . . .
ويشترط أن تصلنا الردود في غضون شهرين من تاريخ صدور العدد . . وأن يذكر رقم الكوبون بوضوح على الغلاف . . وأن يذكر الاسم والعنوان بوضوح ضمن رسالة الردود بالذات ، وأن يلصق كوبون المسابقة على تلك الرسالة . .

الجائزة الأولى قيمتها ٣٠ ديناراً

الجائزة الثانية قيمتها ٢٠ ديناراً

الجائزة الثالثة قيمتها ١٠ دنانير

ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي ـ صندوق بريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العربي الثقافية » العدد ٢٩٥ ـ وآخر موعد لوصول الاجابات الينا هو أول أغسطس ١٩٨٣ .

●●●

١) هل يجوز في اللغة استعمال لفظ عروس للدلالة على العريس ولفظ فرس للدلالة على الحصان الذكر . . . ؟

٢) الشمس أكبر حجما من الأرض كما هو معروف . فكم مرة هي أكبر منها . .

× ١٠٠٠ مرة

× ١٠٫٠٠٠ مرة

× ١٠٠٠٫٠٠٠ مرة



٣) حمامتان من حمام الزاجل احداهما قاهرية ودربت في القاهرة ، والأخرى دمشقية ودربت في دمشق . . أطلقت كلتاهما من عمان في رحلة الى القاهرة ، فأيها تسبق الأخرى ؟

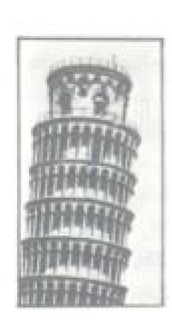
× الحمامة القاهرية هي التي تسبق . . بل انها الحمامة الوحيدة التي تستطيع الوصول الى القاهرة . . فالحمامة الدمشقية تستطيع الوصول الى دمشق ، فحسب . ذلك أن الحمام الزاجل لا يستطيع القيام بأي رحلة الى أي مكان ، ولا يستطيع الاهتداء الا الى حيث يوجد بيته .

× الحمامة القاهرية هي التي تسبق ، فالحمام في مصر كثير ومشهور بسرعته منذ أيام الفاطميين . .

× الحمامة الدمشقية هي التي تسبق . . فقد تفوق أهل دمشق في تدريب حمام الزاجل منذ أيام الأمويين .









٤) الضَنى لغة المرض أو الهزال الشديد . . ولكن لفظ (ضناي) كثيرا ما يتردد في الأفلام المصرية بمعنى ابني . . فكيف تفسر ذلك . . ؟

× تعاني الأم من الضَنى في حمل ابنها ووضعه مما يجعل الابن والضنى مترادفين في نظرها . .

× الضِن والضَن تعني في اللغة الفصحى الأولاد . لا عجب إذن أن تعرض اللفظ للتحوير حتى أصبح (ضناي) في العامية . .

٥) أي مدن العالم تقع في قارتين في آن معا . . ؟

٦) اشتهرت بيت المقدس بمسجد الصخرة والمسجد الأقصى ومسجد عمر . . ترى هل هذه مساجد أم مسجدان أم مسجد واحد . . ؟

٧) من المعروف أن الوطواط يرى حتى لو كان معصوب العينين . . فكيف تفسر ذلك ؟

× لأنه يرى بأذنيه

× لأن له عيونا صغيرة جدا ترى ولا تُرى

× لأنه قادر على تحسس مدى بعد الأشياء عنه أو قربها منه تبعا للأصوات العالية الذبذبة التي يطلقها ويلتقط صداها .

٨) سلسلة جبال الألب تقع في أوربا . . في سويسرة بخاصة ، كما هو معروف . . ولكن هناك سلسلة جبال أخرى تعرف باسم جبال الألب . . فأين تقع جبال الألب الثانية . . ؟

٩) الدم الذي يجري في جسم الرجل الحي السوي . . كم تبلغ كميته ؟

× ٣ جالونات

× ٤ جالونات

× ثلاثة أرباع الجالون .

١٠) برج بيزا المائل . . . لم هو مائل . . ؟

× لأن الأرض التي بني عليها رخوة

× لأن الذين بنوه تعمدوا أن يكون مائلا ليكون معلما سياحيا أو عجيبة من عجائب الدنيا . .

× لأن زلزالا وقع في المنطقة فأدى الى انحراف البرج .

١١) تمثال الحرية القائم عند مدخل نيويورك من البحر . . في أي الدول التالية صنع هذا التمثال ؟

× في الولايات المتحدة الأمريكية . . حيث يوجد التمثال .

× في بريطانيا . . نظرا لتفوق بريطانيا على الولايات المتحدة في النحت قبل حوالي مائة عام أيام صنع التمثال .

× في فرنسا . . فالتمثال كان هدية قدمها الشعب الفرنسي إلى الأمريكيين .

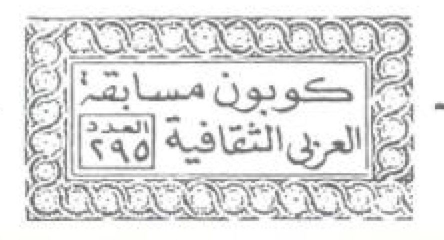
١٢) بعض الدول تعرف باسمين مختلفين ، اسم يطلقه عليها أهلها واسم آخر يطلقه عليها الآخرون . .

فأي الدول التالية يسميها أهلها (بهارات) . . ؟

× أندونيسيا

× ماليزيا

× الهند .





الاستطلاعات العلمية

● لا أكشف لكم سرا ، اذا قلت لكم انى من قراء مجلة العربي الدائمين والمعجبين بموضوعاتها الاستطلاعية العلمية والثقافية والاجتماعية ، وقد أعجبت كثيرا بما كتب عن اكتشاف الانسان لأعماق البحار والتأمل فيما أودع الله سبحانه وتعالى في هذا الكون من أسرار عجيبة وسخرها لخدمة الانسان ، وبالتالى الاستمتاع بها واستخدامها فى أغراضه ، لذلك أرجو أن تسلطوا الضوء على سمك الدلفين او الدورفيل ، كما أرجو مزيدا من المعلومات عن موطنه ، كيف يعيش ويتوالد وأين يكثر وكذلك المزيد عن علاقته وصداقته للانسان . .

يحيى حسن الداري - صنعاء - الجمهورية اليمنية

اقتراحات

● أعرفكم أن هذه هى المرة الأولى التي أكتب اليكم فيها هذه الرسالة ، ولدى بعض الاقتراحات لعلها تنال موافقتكم .

المزيد من باب أقوال معاصرة .

الاكثار من الشعر لأنه لا يتناسب مع عدد صفحات المجلة .

أقترح كتابة أسماء البلاد التى يكتب عنها أى كاتب مقالته حين نشرها فى المجلة .

هذه ملاحظاتى اليكم وأرجو ان تأخذوا بها ان كانت مناسبة ، ولكم الخيار فى ذلك . . .

وفاء ابراهيم حجازى - بورسعيد - مصر العربية

فلسطين

● لازمت مجلة العربي أكثر من عشرين سنة ، منذ صباى فى فلسطين الحبيبة وسنين غربتى فى البرازيل حيث البلاد التى هاجرت اليها

الاخوان القائمين على مجلتنا الحبيبة ، لدى انتقاد على ما جاء فى العدد الممتاز ١٩٨٣ م وأعنى ما جاء فى خارطة وطننا الحبيب فلسطين التى كانت هدية العدد ، وشملت « أنماط العمران فى فلسطين » ١٩٦٧ م ، اذ أنه لايعرف فلسطين غير الذين تربوا وترعرعوا فيها ، واكلوا وشربوا خيراتها

الجانب الآخر - ان المدن العربية كانت قليلة جدا ، اذ انه حينما نشرح للأجنبى خارطة عدة مدن ومئات القرى . . سيقال ان الصهيونية على حق ، عندما تقول انها عمرت فلسطين ، فهناك المدن العربية ما قبل ٦٧ م وقبل ١٩٤٨ م عربية القلب ، والخارطة أغفلت المدن العربية مثل ، اللد - الرملة - طبريا - بيسان ، البيرة - وغيرها من هذه المدن

نزار هلال العورى - البرازيل

اعداد
يوسف الشهاب

عـالم الجماد . . . والأحياء

● في العدد ٢٩١ الصادر في فبراير قرأت رسالة القاريء محمد البلناجي من بنغازي - ليبيا -

والتي يقول فيها بأن مقال الدكتور عبد المحسن صالح ، تضمن عبارة ليست صحيحة كليا ، وأنا أرد على القاريء قائلا - بأنه لم يخالفه الصواب في رده ، وانه ليست هناك عبارة واحدة غير صحيحة في مقال الدكتور عبد المحسن صالح ، ولكن هذا القاريء على خطأ ، بل أخطأ اكثر عندما ذكر ، أن أي كائن حي يستحيل تماما أن يتكون أساسا من الذرات التي تنتظم مكونة الخلايا لكل كائن حي ، وبنظرة شمولية نجد أن عالم الجماد وعالم الاحياء أساسها الذرات ، ولكن في عالم الأحياء تنتظم الذرات من جزيئات ، والجزيئات من خلايا ، والخلايا من كائنات .

وأخيرا أنصح هذا القاريء أن يقرأ أكثر ويبحث بدقة لتتبين له حقائق العلم كما ينبغي ان تكون . .

الشربيني احمد عبد الهادي -
الدقهلية - مصر العربية .

القـرآن . . وهمـوم المجتمع العربي

● قرأت مقال الدكتور محمد أحمد خلف الله « القرآن وهموم المجتمع العربي » الذي نشر في عدد شباط ١٩٨٣ م ، فأرجو نشر ردي مع خالص شكري لكم . .

المسلمون أساس عقيدتهم « الرحمة للعالمين » كما أوردها القرآن صريحة واضحة مثل الشمس في قوله تعالى « وما ارسلناك الا رحمة للعالمين » فالعالمون هنا صيغة نهاية جمع عالم وعوالم والعالمون آخر جمع للخلق أجمعين . .

ونريد ان نتساءل لماذا يريد الكاتب تحجيم القرآن ، والقرآن بالذات في سورة الكهف التي فيها تربية الجيل والشباب المؤمن . يسير الرجل الصالح ذو القرنين من مطلع الشمس الي مغربها لتبليغ دعوة الله وتعميم شرعه ولمساعدة الناس في نشر الأمن والاطمئنان« حتى اذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا ، قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجا علي أن تجعل بيننا وبينهم سدا . . قال ما مكني فيه ربي خير فأعينوني بقوة » صدق الله العظيم - فلماذا ذكر الله هذه القصة ، قصة سياحة رجل مؤمن من مطلع الشمس الي مغربها ، ألا يستطيع هذا الرجل ان يقبع في مجتمعه ليسمع همه ويحل مشاكله ؟ انها عالمية رسالة السماء . .

فلماذا يريد الدكتور خلف الله ، أن يحجم القرآن لتدخله في جسم مجتمع الآلاف بينما جاء من فسيح السماء الي العالمين ان تجعل القرآن للعرب وتبقى باقي الأمم منسية .

هموم القيادة

أما رسول الله يا دكتور خلف الله ، فقد كان همه هم قيادة عالمية تريد أن تبلغ كتاب الله ما بلغ الليل والنهار . فهذه القيادة أدت الامانة وبلغت الرسالة لمن خلفها ومن خلفها من التابعين باحسان - فالفخر كل الفخر للعرب في هذه القيادة ، والويل كل الويل لهم اذا لم يبلغوا تلك الرسالة للعالم ووقفوا تحت رايتها جاهدين لا يوصلونها الي بقية خلق الله .

محمد خلدون خواجكي - دمشق .



العربي .. وسام العربي

● أسهمت مجلة العربي في تنوير الطريق للعديد من المثقفين العرب - وعندما قلبت صفحاتها وجدت فيها الكثير من الأفكار التي استحوذت على ذهني وخاطري - فكنت أنكب عليها كلما ظهرت في السوق ، وكلما أحسست باليأس وبالوحدة أحيانا ، رجعت الى صفحات العربي أتصفحها لأجد الدنيا قد توسعت لي واستنارت - لأن ثقافتها أنقذتني من الوحل الذي كنت أعيش فيه وأروتني ثقافة كنت متعطشا لها .

وحينما تعرضت مدينة الأصنام الى الزلزال الذي هدمها . سارعت بانقاذ حياتي ومعي أعداد مجلتنا العربي التي كانت تحت الحطام ، وما زلت أحتفظ بتلك الاعداد رغم ما أصابها من تلف .

ان العربي نجت من تحت الحطام والدمار ، لأنها في أحد الأيام الخوالك جاءت من بلد شقيق هو الكويت الى أرجاء المعمورة لتنقذ الانسان العربي من موته على يد التيارات الغربية .

انها وسام بيد كل عربي .

سعداد وعبد الوهاب - مدينة الأصنام - الجزائر .

جمعية .. استرداد الحقوق

● قرأت ما كتبه السيد فهد الدويري ، في عدد يناير ١٩٨٣ ، حول ما كتبه السيد عبد الرزاق البصير ، بانشاء جمعية أطلق عليها اسم « جمعية استرداد الحقوق» ولدي بعض الملاحظات حول المطالبة في انشاء مثل هذه الجمعية .

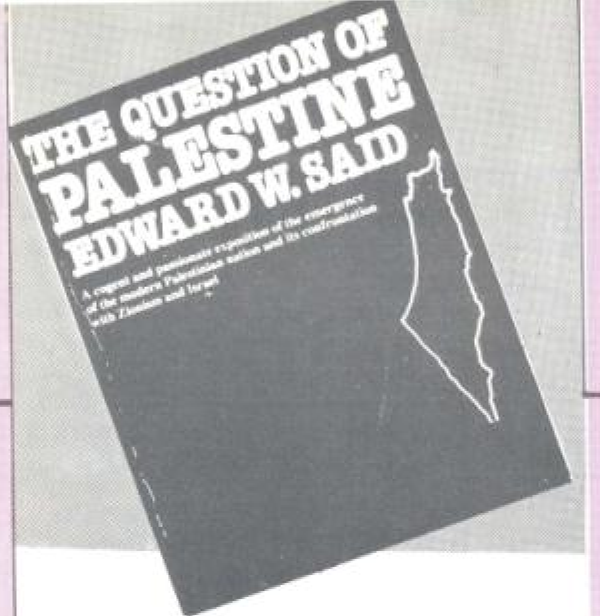
الأولى - يتساءل الكاتب فهد الدويري عن أية جمعية تلك التي تستطيع أن ترد ذلك الحق المغتصب ؟ أين حقوق المواطن ، من هذا يتضح أن الكاتب يجرد الجمعية من أية فائدة من جهة ويحملها اهدافا قد تكون خارجة عن طاقتها من جهة ثانية ، وانه أيضا يريد منها ان تغير الواقع المظلم الذي نعيشه ، وتحرر العباد من الكابوس الجاثم على الصدور .

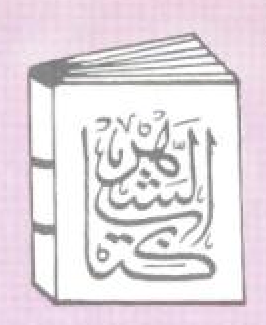
ان مثل هذه الجمعية المثالية التي يتحدث عنها استاذنا الدويري ليست لها وساطة مطلقة تعلو تلك التي للعاملين ، لاسيما اذا اخذنا بعين الاعتبار الواقع العربي ، ويبدو أن السيد الدويري متفائل جدا . حينما يريد من هذه الجمعية تحرير الفكر ، وان يتمتع أعضاؤها بما مضى به . . افلاطون . . في جمهوريته .

الثانية - اذا كان الاستاذ فهد الدويري لا يحمل السياسة والوضع السياسي تبعة التخلف الفكري والتأخر الثقافي والانحطاط الاجتماعي بل يعزو ذلك أكثر الى العادات والتقاليد التي ليست سوى ناحية من المشاكل الاجتماعية والتي تكرست نتيجة ممارسات فكرية من جانب المسئولين في بعض البلاد العربية .

الثالثة - : انه ليس من السهل اتهام الاستاذ عبد الرزاق البصير « بالطوباوية » وصاحب احلام بهيجة ، اذ ليس بالتمني وحده تعود الحقوق وتحرر الاوطان .

بريك أحمد - الدار البيضاء - المغرب .







المسألة الفلسطينية

تأليف : ادوارد سعيد

عرض : د. حسن جميل طه

يعتبر كتاب ادوارد سعيد ، « المسألة الفلسطينية » أنموذجا للكتابات التحليلية المتعمقة التي عالجت المسألة الفلسطينية من منظور غير تقليدي بعيد عن الإثارة الدعائية أو الاستعراض التاريخي الغارق - في كثير من الأحيان في العاطفة القومية ذات البعد الواحد . ومع أن هذا الكتاب الذي نحن بصدد عرضه ، يعتبر واحداً من أصدق التحليلات التي تجيش بالعاطفة الوطنية التي يشعر بها مؤلفه ، إلا أنه في نفس الوقت عمل فكري مجرّد ، موضوعي النزعة ، منطقي المعالجة وشامل الى حد كبير . فهو يتناول جذور المشكلة الفلسطينية ولا ريب ، كما يتناول أيضاً - وبتركيز - واقعها الحالي والتطورات الأخيرة المتصلة باتفاقيات كامبْ دافيد . . ناهيك بمسيرة الشعب الفلسطيني وتطلعاته . . .

M. W. Said, The Question of Palestine (London and Henley : Routledge & Kegan—Paul, 1981)

و « المسألة الفلسطينية » دفاع مجيد ومقنع ، ليس فقط عن حق الشعب الفلسطيني بالوجود ، وحقه في أرضه تاريخيا وقانونيا ، بل هو دفاع مجيد ومقنع كذلك عن الثقافة الفلسطينية والطموحات الفلسطينية . وحقها في أن يكون لها مجال حيوي في الإطار العالمي . فالتجربة/ المحنة التي تعرض ويتعرض لها الفلسطينيون كشعب ، جديرة بالتعبير عن طريق ذلك المجال وضمن ذلك الاطار ، ولا سيما وأن الشعب الفلسطيني قد توفر له من شروط الوجود والاستمرار مثلما توفر لغيره من الشعوب التي تعيش على أرضها وتتمتع بكيانات دولية معترف بها .

ومما يدعو إلى النظر والتأمل في هذا الكتاب ، تلك النظرة الواقعية الأدبية ـ اذا جاز التعبير ـ التي تغلب على موضوعاته ، وتلك الموهبة التي مكنت مؤلفه من النفاذ الى لبّ التجربة الانسانية للشعب الفلسطيني عبر سرده الموفق لأهم الأحداث التي صاغت « إرادة المثابرة » في ذلك الشعب ، كما يسميها ادوارد سعيد .

والكتاب ، كغيره من الكتب التي ألفها ادوارد سعيد ، وعلى وجه الخصوص الاستشراق Orientalism ، والتغطية الإعلامية للإسلام Covering Islam، موجه في الأصل للقراء في العالم الغربي وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية . ولذا فان القارىء الشرقي / والعربي ـ بصفة خاصة ـ قد يجد في هذا الكتاب ما لا يعجبه من واقعية « باردة » بالنسبة لمزاجه العاطفي الحار الذي طوعته النمطية الفكرية لرؤية جانب واحد فقط من الصورة .

إن القضية الفلسطينية ـ كما يقول ادوارد سعيد ـ هي قضية صراع عربي/ اسرائيلي بالنسبة للكثيرين الذين تقف ثقافتهم السياسية عندما يشاهدون على شاشة التلفزيون على اختلاف المسميات التي تطلق على هذا الصراع ، كمشكلات الأمن أو النزاع حول الحدود .

غير أن لبّ القضية وحقيقة المسألة هي الانكار العنيد المتواصل من قبل إسرائيل وكثير من الحكومات الغربية ، لوجود وطموحات أربعة ملايين من المسلمين والمسيحيين العرب الذين تعرفهم إسرائيل وتلك الحكومات بأنهم هم الفلسطينيون . فهؤلاء هم جوهر المشكلة وقضيتها وهم المسألة الفلسطينية ، وإذا كانت لا توجد دولة اليوم اسمها « دولة فلسطين » ، فليس معنى ذلك عدم وجود الفلسطينيين ـ انهم موجودون بالتأكيد . وما هذا الكتاب . . . كتاب « قضية فلسطين » إلا محاولة واعية من مفكر فلسطيني واع لوضع الحقيقة الفلسطينية أمام أعين القراء عامة والقارىء الغربي بصفة خاصة .

ـ المؤلف :

الدكتور ادوارد سعيد فلسطيني الأصل ، أمريكي الجنسية .
ـ درس وعاش في الولايات المتحدة .
ـ يعمل حاليا أستاذا للأدب الانجليزي والأدب المقارن في جامعة كولومبيا ، وقد عمل أستاذا للأدب المقارن بجامعة هارفارد ، وعضوا عاملا بمركز الدراسات المتقدمة للعلوم السلوكية بجامعة ستانفورد .
ـ عضو المجلس الوطني الفلسطيني .
ـ من كتبه الأخرى :

جوزيف كونراد وأدب السيرة الذاتية
Joseph Conrad and the Fiction of Autobiography

البدايات : المقصد والنهج

Beginnings : Intention and Method

الاستشراق **Orientalism**

التغطية الاعلامية للاسلام
Covering Islam

جوهر القضية الفلسطينية

ويقع الكتاب موضوع عرضنا هذا ـ الذي نشر أول مرة عام ١٩٧٩ في الولايات المتحدة ، وأعيد نشره عام ١٩٨٠ في بريطانيا ، وظهرت منه طبعة جديدة بغلاف ورقي عام ١٩٨١ ـ في مائتين وخمس وستين صفحة ، ويتألف من مقدمة وأربعة فصول رئيسية بالإضافة الى هوامش لتلك الفصول وقائمة بالمراجع وفهرس للموضوعات والأسماء . ويجدر بنا ـ قبل التعرض لموضوعات الكتاب ـ التأكيد على عدد من النقاط الأساسية :

● يركز الكاتب في عرضه لجوانب المسألة الفلسطينية على جوهر القضية الفلسطينية وهو ـ في رأيه ـ التجربة الفلسطينية ذات الأبعاد الانسانية المأساوية التي تمخضت

عنها الهوية الفلسطينية المعاصرة . وهو في شرحه للظروف والأحداث والعوامل التي حددت معالم تلك الهوية ، يحلل بتفصيل دقيق عمليات التخريب التدريجي ونزع المقومات الأساسية للهوية الفلسطينية عبر حركة الاستيطان الإسرائيلي وفي ظل السياسات الاستعمارية الأوروبية . ويبين الكاتب النجاح الصهيوني في إزاحة القوى والمؤسسات العربية الفلسطينية وعزلها عن أرض فلسطين ، وكذلك الفشل العربي الفلسطيني في ادارة الصراع مع الصهيونية والقوى الاستعمارية الغربية المؤيدة لها أو الخاضعة لابتزازها . فالتجربة الفلسطينية في نظر إدوارد سعيد لا تعدو كونها معاناة الشعب الفلسطيني في مواجهة القوى العدوة والصديقة على حد سواء . . . والأولى عالية التنظيم والكفاءة ، كما لا يخفى . . والثانية هائلة الإمكانيات ولكن عديمة الفاعلية والجدوى .

● يعتقد الكاتب أن اتفاقيات كامب ديفيد عام ١٩٧٩ كانت بمثابة مفترق الطرق بالنسبة للقضية الفلسطينية ، في واقعها ومصيرها وأساليبها للتكيف مع المستجدات . فهو يعرض في الفصل الرابع والأخير من كتابه ظروف هذه القضية التي أعقبت الاتفاقيات ، ويحاول أن يتنبأ بالاتجاهات السياسية للأطراف المشتركة فيها جميعا ، سواء المؤيدة لها أو المعترضة عليها أو الساكتة عنها . ومع انتقاده لاتفاقيات كامب ديفيد ، وشرحه الموثق لخلفياتها ، فان ادوارد سعيد يقرر في النهاية حقيقتين : بقاء القضية الفلسطينية في مأزقها مع ازدياد التأييد الأدبي للفلسطينيين ولمنظمة التحرير بالذات ، وتفاقم عدوان اسرائيل وتعاظم دعم الولايات المتحدة لها (وهما حقيقتان أكدتها الأحداث الأخيرة في لبنان) .

● يقرر إدوارد سعيد ـ في النهاية وبعد عملية مد وجزر لوجدانه العاطفي الوطني ـ أن الاسرائيليين باقون في فلسطين ، وأن الفلسطينيين أيضاً باقون ، وأن على الجانبين أن يتقبلا فكرة العيش معا على الرغم من أن ذلك قد لا يحدث الا بعد مواجهات عديدة دامية بينها ، ولا ينطلق إدوارد سعيد في طرحه هذا ـ على ما نعتقد ـ من ضعف في وطنيته وانتمائه ولا من وهن في حماسه وعاطفته القومية ، بل من واقعية « باردة » تمليها عليه حقائق الموقف الدولي في الشرق الأوسط . أضف الى ذلك تحليله المنطقي لأمور ثلاثة : « السياسة الأمريكية في المنطقة ، والسياسات العربية الراهنة ، والحقيقة المرّة ـ بالنسبة للفلسطينيين على الأقل ـ إن أية تسوية متفق عليها قد لا تؤدي إلى أكثر من استقلال وطني على جزء من فلسطين ، بالرغم من أنها لا يمكن أن تتم بمعزل عن دور فلسطيني فعّال ومشارك » .

التجربـــة الفلسطينية

يبدأ ادوارد سعيد من قضية ارتباط الفلسطينيين ـ في الذهنية الغربية ـ بالارهاب . وهو لا يطيل في الحديث عن هذه الناحية بل يكتفي بالحديث عما يسمى بالإرهاب الفلسطيني ومقارنته بالارهاب الصهيوني حجما ونوعا واستمرارية ، أي بمقارنة الأضرار التي ألحقها كل طرف منها بالطرف الآخر . والنقطة التي يؤكد عليها إدوارد سعيد هنا ، هي أن العقلية الغربية التي تستنكر الإرهاب الفلسطيني لا تريد أن تدرك حقيقة الإرهاب الصهيوني الذي تمارسه إسرائيل بصورة منتظمة ومخططة . ويعيد إدوارد سعيد هذا الأمر الى تضليل الصحافة الغربية الخاضعة في معظمها للنفوذ الصهيوني والى الاستعداد النفسي المسبق ـ والمحضر جيدا بالدعاية الصهيونية البارعة ـ للنظر الى الفلسطينيين باعتبارهم جزءاً من الشرق العربي الإسلامي المتخلف فحسب ! !

ويقرر إدوارد سعيد بعد ذلك أن حقيقة الأمر ، هي أن فلسطين العربية الجغرافية قد تحولت في معظمها الى ما يسمى الآن « اسرائيل ذات الحدود غير المرسومة والغامضة والقابلة باستمرار للمد والتوسيع باتجاه أرض اسرائيل التوراتية » . بيد أن فلسطين ما زالت تعيش كفكرة حيّة وتجربة إنسانية تعبر عن إرادة شعبية مثابرة لا تعرف الكلل . ويوضح إدوارد سعيد باصرار أن ظهور اسرائيل الصهيونية قد أدى في واقع الحال الى اختفاء فلسطين العربية جغرافياً ، أما فلسطين العربية من حيث هي فكرة وتاريخ وصراع وأمل فما زالت باقية : وإلا فبماذا نفسر وجود أربعة ملايين فلسطيني مشتتين في بقاع الأرض ، ما زالوا يحملون تلك الفكرة في مشاعرهم ووجدانهم وعملهم وتحركهم وتفكيرهم وما زالوا يعيشون « قضية فلسطين » ؟

ويتعرض إدوارد سعيد بعد ذلك لقضية عروبة فلسطين فيذكر كيف أصبحت فلسطين بهذا الاسم قطراً عربياً إسلامياً بنهاية القرن السابع الميلادي ، وكيف دخلت في الربع الأول من القرن السادس عشر (١٥١٦) كإقليم من أقاليم الدولة العثمانية . ويقطع إدوارد سعيد بالأرقام بأنه حتى الأشهر الأخيرة السابقة على قيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٨ ، كانت فلسطين ما تزال عربية في الأغلبية العظمى لسكانها .

ثم يشرح الكاتب بتفصيل دقيق المحاولات الصهيونية الشرسة التي اتخذت في البداية صورة « الاستعمار البناء » ، تلك الصورة التي سيطرت على العقلية الأوروبية الغربية تجاه شعوب الشرق في القرن التاسع



عشر . وبين كيف نجحت هذه المحاولات في ازاحة ما مجموعه ٧٨٠٫٠٠٠ عربي فلسطيني عن الأراضي الفلسطينية عام ١٩٤٨ ، هم اللاجئون الفلسطينيون الذين يبلغ عددهم الآن حوالي المليونين . يقول موشي دايان في تصريح له لصحيفة هآرتس يوم ٤ إبريل (نيسان) عام ١٩٦٩ : « لقد قدمنا الى هذه البلاد (فلسطين) وكانت مأهولة بالعرب لنقيم دولة يهودية . . . وليس ثمة مكان على هذه الأرض لم يقطنه في السابق سكان عرب ! ! » .

فاذا أضفنا الى المليونين من اللاجئين حوالي مليون وسبعمائة ألف فلسطيني محتجزين في الأرض المحتلة منذ عام ١٩٦٧ ، ومنهم نصف مليون في الأرض المحتلة منذ عام ١٩٤٨ ، (بالأبعاد الانسانية الأخلاقية لمعاناتهم) ، لأدركنا حجم الكارثة وثمنها ـ من وجهة النظر الفلسطينية ـ الكارثة التي ترتبت على قيام الكيان الاسرائيلي ! .

الصـــراع !

والجدير بالذكر هنا ـ كما يقول سعيد ـ ان جزءاً هاماً وكبيراً من الصراع للفوز بفلسطين قد خاضتْ الصهيونية على صعيد الإعلام في العواصم الغربية الرئيسية . يقول برنامج حزب العمل اليهودي وذلك قبل إنشاء اسرائيل : « خاطبوا العالم على أنكم المظلومون . . . وأظهروا للغرب « الحر » أن بريطانيا هي عدوتكم . . . وتجاهلوا تماما السكان الأصليين ! ! . لقد كان للحملة الصهيونية التي توجت باغتصاب فلسطين صدى وقبولا في الغرب ـ لا لشعور بالمحبة نحو اليهود أو كراهية نحو العرب ـ ولكن لأن الصهيونية نجحت في طرح نفسها كحركة تحرير لليهود المضطهدين ، وكحل عملي لمشكلة العداء للسامية الذي كان منتشرا في الغرب . لقد قدمت الصهيونية للعقلية الغربية ما كان يتفق وتكوينها في تلك الفترة : مشروعا استعماريا مخططا دقيق التنظيم يعيد « إعمار » فلسطين ، على أسس علمية وحضارية غربية ، ويحلّ في نفس الوقت مشكلة الأقليات اليهودية في العالم ، ويضمن راحة الضمير للأوروبيين . . . وأين ؟ في جزء من « الشرق » العربي الاسلامي « المتخلف » والقابل للاستعمار ! وقد انتقلت فكرة تأييد الصهيونية الى الولايات المتحدة فيما بعد ، وورد في رسالة تأييد لانشاء الدولة اليهودية في فلسطين ، وقعها ستة من رجال الفكر الأمريكيين البارزين عام ١٩٤٧ « هناك عاملان أساسيان للاستقرار في الشرق الأوسط : فلسطين يهودية ولبنان

مسيحي .... وما عداهما ليس إلا شرقا عربيا مسلما لا أمل يرجى منه .. !! » وهكذا كان للتماثل في التفكيرين الصهيونية والعقلية الغربية أثره البعيد ، وقامت إسرائيل كمحصلة واقعية لعملية استعمارية استيطانية محكمة التنظيم ، استخدمت منذ البدء إزاحة شعب فلسطين العربي عن أرضه في مرحلة أولى ، وإنكار وجوده أصلا ، في المرحلة الثانية

لا عجب إذن - كما يقول إدوارد سعيد - أن نجحت الصهيونية في إقامة دولة إسرائيل وأن أدى نجاحها الى شعور العالم الغربي بالنشوة . ولكن هل أدى نجاحها هذا إلى حجب حقيقة الصهيونية عن وجدان الغرب ... حقيقتها بالنسبة الى ضحاياها الفلسطينيين ؟ هنا يأخذ إدوارد سعيد رمزا واحداً ، مناحيم بيجن : رئيس سابق لعصابة إرهابية « إرجون » مسئولة عن قتل مئات بل آلاف الضحايا الفلسطينيين - وبعض الضحايا الانجليز أيضاً ، تمنحه جامعة نورث وسترن الأمريكية درجة الدكتوراه الفخرية عام ١٩٧٨ ، ويتعمون عليه بجائزة نوبل للسلام سنة ١٩٨٠ ! ترى ما هي دلالات هذه المبادرات ؟ انها تزييف متعمد لتاريخ الصهيونية الإجرامي في فلسطين ، وطمس لتاريخ الفلسطينيين العرب . فهل يوجد في سوق الفكر الغربي الآن من يعرف أو يكون مستعداً للاقرار ، بأن دولة اليهود في التاريخ القديم ، وهي أساس حق اليهود في فلسطين كما يعتقد أهل الغرب-لم تدم سوى ستين عاما فقط وذلك قبل ألفين من السنين ؟ وأن إسرائيل إنما قامت على أرض لا صلة لها بها .. بل تخص الآخرين ؟ وأن الصهيونية التي طالما أعجب الغرب بانجازاتها إنما تعني وتهدف إلى القضاء على شعب آخر ؟

لقد قامت الفكرة الصهيونية - فيما يتعلق بفلسطين - على عدد من الركائز : استبعاد سكان فلسطين الأصليين عن أية مشاريع صهيونية للإعمار والاستيطان ، وزيادة عدد المهاجرين اليهود مع تحجيم عدد السكان العرب ، ومواجهة العالم (والغرب على الأخص) بوجه حضاري غربي وديمقراطي ، والعمل سراً وبشتى الوسائل على احتواء ما يتبقى من السكان العرب ، وشل فاعليتهم اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا وعلميا . ولقد نجح البرنامج الصهيوني بصورة مذهلة : فقد تم جمع الشتات اليهودي في دولة ، وحلت مشكلة العداء للسامية ، وكفرت أوروبا عن ذنوبها ، وتمخض الفكر الاستعماري الغربي عن « واحة ديمقراطية » وسط صحراء الشرق وطغيانه ... ولكن ماذا كان الثمن ؟ هل يهم هذا الأمر كثيرا العقلية الغربية البراغماتية ؟

إن ما يلفت النظر - يقول إدوارد سعيد - ذلك التأثير الغريب للتجربة الصهيونية على المفكرين الغربيين الذين استمروا في التهليل للانجاز الصهيوني لمدة تزيد على الثلاثين عاماً دون أن يرمش لهم جفن للمأساة التي نتجت عن هذا الانجاز ، والمحنة التي أحاقت بالفلسطينيين رغم ادعاءاتهم بأنهم أنصار الحرية ودعاة الحكمة والانسانية ! وباستثناء قلة من رجال الفكر في الغرب واليهود الأحرار (يذكر سعيد منهم نوم شومسكي وإسرائيل شاهاك وإلمر بيرغر وجودا ماغنس وستون) فان معظم الذين يوجهون الرأي العام الغربي بصورة عامة لا يتحرجون من مهاجمة النظم العنصرية والتباكي على حقوق الإنسان في الأرجنتين وشيلي وجنوب أفريقيا وزائير ، ولكنهم حين يتعلق الأمر باسرائيل نجدهم يصمتون صمت القبور !

حق تقرير المصير

يقول إدوارد سعيد : مضى عشرون عاما تقريبا على قيام إسرائيل دون أن يسمع العالم شيئا يذكر عن الفلسطينيين . فقد كانوا في نظره مجرد « لاجئين عرب » . ومما زاد في هذا الجهل أو التجاهل أن الفلسطينيين توزعوا بين الداخل والخارج : فالذين بقوا داخل إسرائيل عاشوا حياة النفي الداخلي والاغتراب ، بينما فلسطينيو الخارج تاهوا بين الأحراش القاتلة للسياسات العربية ! غير أن شعور الفلسطينيين بهويتهم الذاتية لم ينقطع منذ عام ١٨٨٠ أي منذ بدء الهجرة اليهودية الى فلسطين وبداية التفكير الصهيوني في وطن لليهود على أرضها . واذا كانت الحقائق اليوم تشير الى أن الفلسطينيين هم جوهر وأساس أزمة الشرق الأوسط ، وأنهم يجب أن يكونوا طرفا رئيسيا في حلها ، فان انتشارهم خارج فلسطين قد يحمل في طياته بذور الخطر بأن يطلب منهم - كحل شامل للأزمة - الذوبان في الكيانات العربية المجاورة لفلسطين ، وبذلك تتلاشى حقيقة تجربتهم المأساوية وتذوب معها خصائص هويتهم الذاتية كفلسطينيين ! !

إن النفي والتشتت قد جعلا قضية تقرير المصير بالنسبة للفلسطينيين بعيدة المنال نسبياً ، ولقد كان من سوء طالعهم أنهم تصدوا لحركة استيطان صهيوني ماكرة استخدمت كافة الأساليب اللاانسانية في تحقيق أهدافها ونجحت ، ليس فقط في تأمين تأييد غربي قوي لها ، بل في تأليب قطاعات كبيرة من الرأي العام الغربي ضد الفلسطينيين !

غير أن هذه الصعاب قد شحذت روح البقاء والتحدي عند الفلسطينيين في مواجهة شتى القوى التي تتمنى لو أنهم اختفوا من على وجه الأرض . وبالرغم من الشتات والقيود ومحاولات التدجين والاحتواء والتحجيم ، استطاع الفلسطينيون الاحتفاظ بوحدتهم الوطنية ووحدة

أمامهم وانتمائهم لفلسطين . ويورد إدوارد سعيد مثلا على صمود فلسطينيّ الداخل وتلاحمهم في التعبير عن هويتهم ورفوفهم في وجه المحاولات الاسرائيلية الرامية الى تذويبهم في المجتمع الاسرائيلي ، انتفاضة يوم الأرض في الثلاثين من مارس (آذار) عام ١٩٧٦ . وقل مثل ذلك في فلسطينيّ الخارج ، وقد استطاعوا على الرغم من شتاتهم وانتكاساتهم وخلافاتهم أن يتجمعوا بصورة رائعة حول رمز وحدتهم الوطنية . . . منظمة التحرير الفلسطينية التي تدير الكفاح الفلسطيني منذ الصحوة الفلسطينية عام ١٩٦٥ حتى اليوم بأسلوب يسميه إدوارد سعيد « سياسة الثورة والأمل » . والسؤال الذي يطرحه الكاتب هنا هو : هل ثمة أمل حقيقي أمام الفلسطينيين في الحفاظ على هويتهم الذاتية ووحدتهم الوطنية في ظل الأوضاع التي يعيشونها ؟ (والمقصود هنا وضع الفلسطينيين بعد نكسة عام ١٩٦٧ وقبل وقوع الأحداث الأخيرة في لبنان) .

لقد ارتبط الفلسطينيون بسياسات الدول العربية كما أثروا وتأثروا بكافة الأفكار والاتجاهات التي سادت المنطقة العربية منذ عام ١٩٤٨ . ولكن دون أرض ثابتة تحت أقدامهم ، كان من الصعب عليهم معرفة الاتجاه الذي يسيرون فيه . ولقد تأرجح موقفهم كثورة بين مفهومي التحرير الكامل لتراب فلسطين وإقامة الاستقلال الوطني على جزء منه مع تعزيز منظماتهم في أماكن تواجدهم . وحيثما مال موقفهم نحو التحرير ، كانوا يصطدمون بواقع القوى الهائلة التي يصارعونها ، وحيثما مالوا الى تعزيز استقلالهم الوطني في أماكن تواجدهم ، اصطدموا بأمن الدول المضيفة لهم ، غير أن منظمة التحرير بقيادة ياسر عرفات قد تمكنت بما يشبه الأعجوبة من التوفيق بين متطلبات التحرير والاستقلال وبناء المؤسسات التي تعبر عن الوجود والحركة والأمل بالنسبة للفلسطينيين !

واليوم تقف منظمة التحرير الفلسطينية بقوة على أعتاب عهد جديد مالصراع السياسي ـ والعسكري جزئيا ـ مع القوى المعادية لها معبرة ـ كمنظمة سياسية واجتماعية وعسكرية ـ عن الأمل في قيام دولة وطنية فلسطينية على أرض فلسطين . لقد اعترفت أكثر من مائة دولة حتى الآن بالمنظمة كممثل شرعي للشعب الفلسطيني ، وبالرغم من إنكار الجهات المسئولة مباشرة عن مأساة الفلسطينيين ـ أي بريطانيا والولايات المتحدة وإسرائيل ـ للحقوق الفلسطينية ، فان الفلسطينيين يتحركون الآن ويبرزون على مستويات مختلفة من الأهمية والنجاح وإثبات الذات والتطور بصورة أكثر وضوحا ومعنى من أي وقت مضى ! لقد تعلم الفلسطينيون كيف يتغلبون على الظروف الصعبة المقيدة لحركتهم ، وتجاوزوا معظم المواقف السلبية المذعنة الى دليل إيجابي قوي على وجودهم وعدالة مطالبهم . غير أن هذا الأمر ليس مسألة ارادة مثابرة فقط ، وانما هو أيضاً مسألة إيجاد الظروف المواتية وحشد القوى الفعالة والمؤثرة في دفع قضيتهم ، وتحريك الطاقات الشاملة للشعب الفلسطيني وأصدقائه . وهي أيضاً مسألة تحرر من آثار الأحداث الماضية المرتبطة بالهزيمة ، وتحقيق الوضوح التام للأهداف الفلسطينية ، وأخيراً هي مسألة النظر الى المستقبل . . . نظرة رجاء وأمل .

يقول إدوارد سعيد : أصبحت الدولة الفلسطينية المستقلة ضرورة ملحة للتعبير عن الحقيقة التاريخية لشعب فلسطين ، وهي ـ بلا ريب ـ البداية الحقيقية لأي نوع من السلام يمكن أن يقوم بين طرفي الصراع الرئيسيين في المنطقة !

ماذا في الأفق العربي ؟

يعتقد كثير من محللي السياسة العربية في الغرب أن الشعور القومي الذي كان يغذي السياسة العربية منذ الحرب العالمية الثانية قد فقد زخمه . وسواء وافقنا على هذا الرأي أو لم نوافق ، فان الظاهر للعيان أن أطياف التفرق والاقليمية تلوح الآن في الأفق العربي . وننظر من حولنا فنجد الواقع الجديد الذي أوجدته المعاهدة الاسرائيلية المصرية/ الأميركية ، والأحداث الايرانية التي أعقبت سقوط الشاه وتأثيراتها في المنطقة ، والمآزق السياسية في القرن الأفريقي والشرق الأقصى ، وكثيرا من القضايا الساخنة بين الشرق والغرب . فكيف يمكن ادراك الأبعاد الحقيقية لمستقبل الفلسطينيين في خضم هذه الصراعات ؟ وحين نمعن النظر في وضع العالم العربي اليوم نجد أنه يستعصي على الوصف والتحديد : فالعالم العربي جزء من العالم الثالث أو النامي ولكنه في نفس الوقت تختلف عنه ، وهو يسبق العالم الثالث في كثير من النواحي وفي نفس الوقت يتخلف عنه في نواحٍ أخرى ؟ وهو يواجه معظم مشكلات العالم الثالث ولكنه في نفس الوقت متميز عنه ! إن العالم العربي يحتل مكانا وسطا وعجيبا ـ تاريخياً وجغرافيا وثقافيا ـ بين دول العالم . ويبدو لإدوارد سعيد أن السمتين الغالبتين على العقلية العربية وهما النزعة للاعتراض والرفض ، ونزعة تعظيم الذات ، قد سلبتا العرب القدرة على تغيير الأمور في منطقتهم لصالح القيم والمثل التي كافحوا طويلا من أجلها . ويضاعف آثار هذا الفشل العربي العام ، السياسة الأميركية في المنطقة ، أو رؤية هذه السياسة لأولوياتها ومصالحها . ولقد حدث تحول خطير بعد اتفاقيات كامب ديفيد في تلك الرؤية . ففي الفترة السابقة على عقد الاتفاقيات عام ١٩٧٩ ، لم يغب عن نظر الولايات المتحدة هدف إقصاء الاتحاد



تقول اسرائيل ان الفلسطينيين ارهابيون وهذه صورة للدمار الذي احدثته القذائف الاسرائيلية في لبنان . . ليست في حاجة الى تعليق .

السوفيتي عن منطقة الشرق الأوسط وتعزيز الوجود الأمريكي المكثف فيها . (كانت هناك قناعة مسبقة لدى راسمي السياسة الأمريكية بأن معظم حكومات الشرق الأوسط تفضل الغرب لأنه يقدم التكنولوجيا المتطورة وأساليب الانتاج والادارة الحديثة اللازمة لتطوير مجتمعاتها) . وبعد ارتباط مصر بالمعاهدة مع إسرائيل، أصبح للولايات المتحدة دور أكبر بكثير من مجرد « ساعي البريد » أو « واسطة الخير » بين العرب والاسرائيليين، وقد أصبحت رؤيتها السياسية والمصلحية لأوضاع المنطقة - كما يقول إدوارد سعيد - هي أساس السياسات الرسمية لكثير من حكومات المنطقة . أما بالنسبة للقضية الفلسطينية فان الأمور كانت أوضح بكثير : يقول هارولد سونلدرز مساعد وزير الخارجية الأمريكي السابق في شهادة له أمام الكونجرس في سبتمبر (أيلول) عام ١٩٧٨ : « في رأينا ، يجب أن يتوقف مستقبل الضفة الغربية وقطاع غزة على ربطهما بالأردن ، أما الدولة الفلسطينية المستقلة فلا تمثل حلا واقعيا تتوفر له إمكانية النجاح والاستمرار » !

وتريد السياسة الأمريكية - كما يقول إدوارد سعيد - أن ترى الصراع العربي الاسرائيلي وقد خفت حدته - ليس بحل المشكلة الأساسية التي هي لب الصراع (الوطن القومي الفلسطيني) - ولكن بالتطبيع التدريجي ، السلمي حينا والمفروض بالقوة أحيانا ، لعلاقات الأنظمة أو الحكومات العربية باسرائيل ، الأمر الذي يستتبع بالتالي تعزيز الوجود السياسي الأميركي في المنطقة . ويقول بيجن في شرحه للاتفاقيات أمام الكنيست « لقد عقدنا صفقة مع مصر وضمنا لاسرائيل منها مكاسب أكبر بكثير من المكاسب المصرية والعربية . وتجدر الإشارة هنا الى أن هذه الصفقة تجنبت إدراج الحكم الذاتي الفلسطيني - على هزاله - في نصوص الاتفاقيات ، واكتفت بالتحدث عنه في رسائل ملحقة بالاتفاقيات تبادلها السادات وبيغن وكارتر . وخضعت تلك الملاحق فيها بعد لتفسيرات إسرائيلية ذرت مع الرياح الآمال الفلسطينية في التحرر والاستقلال !

والغريب في الأمر حقا أن الفلسطينيين أنفسهم - وهم بيت القصيد في ذلك كله - لم يستشاروا أو يمثلوا أو يؤخذوا في عين الاعتبار .

لقد رفض أربعة ملايين فلسطيني وكثيرون من العرب هذه الرؤية الأميركية الاسرائيلية . وأبت أن تصغي الولايات المتحدة لهذا الرفض ، وتحس الظلم الذي تلحقه الاتفاقيات بالفلسطينيين .

من الواضح إذن - كما يقول إدوارد سعيد - أن حجيج السلام في الشرق الأوسط تلك التي تستخدمها الولايات المتحدة دون كلل تتوافق مع رغبتها في تقليم أظافر المقاومة الفلسطينية ، وربما القضاء على آخر ما تبقى من مظاهر القضية الفلسطينية . (وهل يعقل أن تكون محنة الفلسطينيين الأخيرة في لبنان بعيدة عن هذا التصور ؟ !) .

حقائق جديدة في المنطقة

رفض الفلسطينيون اذن الصيغة الاسرائيلية/ المصرية/ الأميركية للحكم الذاتي لأنها ـ كما يقتبس إدوارد سعيد مما كتبه فايز صايغ عن اتفاقيات كامب ديفيد ـ « تعد جزءاً من الشعب الفلسطيني (أقل من ثلث عدد الفلسطينيين) باعطائهم جزءاً من حقوقهم (التي لا تشمل إنشاء الدولة المستقلة) على جزء من وطنهم (أقل من خمس مساحة فلسطين) ، ولن ينفذ هذا الوعد قبل مرور عدة سنوات يمكن لإسرائيل خلالها أن تتحلل من أية اتفاقية ! وما عدا ذلك فان الفلسطينيين قد حكم عليهم بضياع هويتهم الوطنية وبالنفي الدائم والتفرق والبعد عن بعضهم البعض وعن وطنهم فلسطين ـ وهي حياة دون أمل أو معنى ! ! ! » .

ويقول إدوارد سعيد ان ثلاث حقائق رئيسية قد برزت الآن على مسرح الأحداث في المنطقة : أولها ، أن الصهيونية لم تعد بالنسبة للعرب والفلسطينيين مجرد فكرة سياسية ، بل انها واقع ملموس تعبر عنه إسرائيل بممارساتها المتلاحقة يوميا لمصلحة اليهود في فلسطين وضد مصلحة غير اليهود . وثانيتها ، حقيقة التاريخ الفلسطيني من حيث هو محصلة لتجربة إنسانية قوامها الازاحة المستمرة للفلسطينيين من على الأرض ، ومقاومة عنيدة لهذه الازاحة ، وجهود تنشد التطوير والتقدم للامكانيات الفلسطينية . وثالثتها ، أن الصراع الحقيقي انما هو بين الفلسطينيين والصهاينة ، وأنه ليس مجرد خلاف أو سوء تفاهم : وأنه صراع تدخل فيه العوامل الاقليمية والدولية والحضارية بصورة معقدة لم يسبق لها مثيل في تاريخ الصراعات بين الشعوب !

ويقول إدوارد سعيد بأن فكرتين تبرزان في فترة ما بعد كامب ديفيد : تتلخص الفكرة الأولى في أن هناك تحولات هامة للغاية في الموقف الفلسطيني منذ عام ١٩٦٧ .

والفكرة الثانية هي أنه لا يمكن إدراك حقيقة وقوة المسألة الفلسطينية الا بروزيتها في السياق العام للتطور التاريخي لمنطقة الشرق الأوسط . وبالتالي ، فان فلسطين بمفهوم الدولة ـ غير موجودة الآن . غير أن هذه الحقيقة التاريخية لا تحجب وجود فلسطين من حيث هي قضية سياسية .

وجدير بنا أن نسأل الآن ـ على لسان إدوارد سعيد ـ وبعد رفض الفلسطينيين لإطار كامب ديفيد ، ما الذي يريدونه بالضبط كبديل ؟ أو بالأحرى ، ما الذي يمكنهم الحصول عليه ؟

بعد طرح منظمة التحرير لبرنامجها الذي أقر من قبل المجلس الوطني الفلسطيني عام ١٩٧٤ وعدل عام ١٩٧٧ بشأن إقامة الدولة العلمانية الديمقراطية على أرض فلسطين ، وجدت المنظمة أنه كلما ضغطت باتجاه هذا الهدف (أو الهدف الآخر المعلن وهو تحرير كامل التراب الفلسطيني) ، قامت في وجهها ضغوط أكبر وبدا من تجربتي الأردن عام ١٩٧٠ ولبنان عامي ١٩٧٥ و ١٩٧٦ أن جهود المنظمة في تحقيق أهدافها كانت تصطدم دائما بتصلب إسرائيل والولايات المتحدة .

ويبين إدوارد سعيد التحولات التي طرأت على موقف الثورة الفلسطينية فيقول بأنه منذ ظهور ياسر عرفات على منبر الأمم المتحدة عام ١٩٧٤ ، بدا أن الحل العسكري البحت للمشكلة الفلسطينية قد نحي جانبا ، ودخل الفلسطينيون ساحة الصراع السياسي الدولية ، تلك التي سبقهم الصهاينة اليها بقرن كامل !

إن إصرار الفلسطينيين على البقاء والمقاومة (التحدي داخل فلسطين والتنظيم والحركة خارجها) واسماع صوتهم للعالم ، بصورة مزعجة للغرب أحيانا ، هي ضمان حصولهم على حقوقهم الوطنية ، التي يجب أن يحددوها بصورة ثابتة وواضحة مرحليا وعلى المدى البعيد .

ويعتقد إدوارد سعيد أن العالم الغربي بدا في أعقاب ظهور المنظمة على الساحة الدولية ـ لأول مرة في التاريخ الحديث ـ مستعدا على الأقل لسماع وجهة النظر الفلسطينية بعد أن أصم أذنيه عن سماعها فترة طويلة من الزمن . . . ولذلك يتوجب علينا ـ فلسطينيين وعربا ـ أن نضع الحقائق أمام العالم الغربي ، بصورة قوية وواضحة : علينا أولاً ، أن نتوجه نحو رجال الفكر الغربيين واليهود الأحرار الذين يدعون مناصرة الحقوق الانسانية في كل مكان فنصدمهم بوقائع الاحتلال والظلم والقهر والعدوان الإسرائيلي ، وذلك بالحقائق والأرقام وليس بالشكوى والصراخ . وعلينا ثانيا ، أن ندخل ساحة الصراع السياسي والحضاري في الشرق الأوسط بأقصى ما لدينا من قوة ، فلا نكتفي بموقف المتفرج القانع بتكرار مقولة « إن قضية فلسطين هي جوهر الصراع في المنطقة ! ! » .

لقد حقق الفلسطينيون كثيرا من الإنجازات في هذين المجالين بحيث بات العالم أكثر تقبلا من أي وقت مضى لفكرة الحقوق الوطنية الفلسطينية ، وبدا الرأي العام الغربي يكتشف المغالطة في منطق « اعتبار اليهودي المولود في شيكاغو مواطناً إسرائيلياً له حق الحياة في فلسطين ، والفلسطيني المولود في يافا لاجئاً لا حق له بالعيش على أرضه ! ! ! » .

من مكتبة العربي



عالم بلا خرائط

تأليف : جبرا ابراهيم جبرا وعبد الرحمن منيف .

الناشر : المؤسسة العربية للدراسات والنشر . بيروت .

● هذه هي الرواية الأولى - على حد معرفتي - التي يكتبها كاتبان ، ومن المعروف أن الفن الابداعي يتميز بالخصوصية الذاتية ، الا أن صدور هذه الرواية أدخل تجربة جديدة الى عالم الابداع على الأقل في منطقتنا العربية وفي مجال الرواية بالذات .

ويمكن القول باختصار أن من قرأ وتعايش مع أجواء وأسلوب كلا الكاتبين في رواياتهما السابقة يمكنه الحدس وربما التأكد بأن الفصل الفلاني قد كتبه هذا الروائي أو ذاك .

والرواية تؤرخ من خلال حركة بعض الأشخاص فيها للتطورات التي حدثت في مدينة - عمورية - منذ أن كانت مجموعة بيوت ، التصرفات والاتجاهات فيها واضحة ومفهومة . . . ثم حصل الطوفان البشري الذي صب فيها . . . فلاحون وعمال وبدو وقطاع طرق وغيرهم وصلوا للمدينة تحت هاجس تحسين الوضع ، فوقعوا في مصيدتها . . .

وسيطرت عليهم « القيم » المادية ، أو على الأصح على كثير منهم ، واختار الكاتبان كاتبا روائيا جعلاه يقف خارج اطار معمعة الركض المادي وان كانت انعكاسات ذلك الركض المجنون قد انعكست عليه ، ورفداه بشقيق انتقل من صف التردد الى ضفة الفعل والعمل . فأشعاره كانت تكشف ما آلت اليه عمورية من ترد ، وتكشف ممارسات الطبقة الاستغلالية فيها أيضا . في حين أن تجليات الأشعار كانت تنصب في مهمة التطبيق العملي للأفكار ، وذلك من خلال المشاركة الفعلية في العمل الفدائي . . .

ومع أن الكاتبين قد أغرقانا بطوفان الصفحات التي كشفت لنا تفصيلات العلاقة التي تمت بين الروائي علاء الدين نجيب ونجوى العامري ، الا أنهما سربا من خلال تفصيلات تلك العلاقة بعض اللمحات الجوهرية من شهادتهما التي تدين واقع عموريةوترفضه وتحرض عليه .

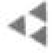
تحولات الأزمنة

المؤلف : د . خليفة الوقيان .

الناشر : دار العروبة - الكويت

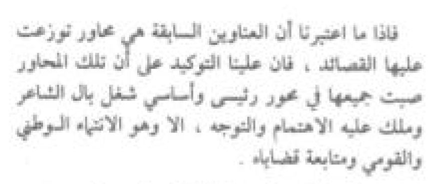
● هذا هو الديوان الثاني للشاعر ، صدر بعد صدور ديوانه الأول « المبحرون مع الرياح » بعد حوالى عشر سنوات ، احتوى الديوان الجديد على ست عشرة قصيدة للشاعر ، وقصيدتين لشاعرين آخرين شاركا الشاعر في التعليق على أحداث معينة . . .

وقد جمع الديوان بعض المراثي المتعلقة بأشخاص أعزاء على المؤلف ، ووجه فيه رسائل الى مدن وأشخاص وأطفال ، ثم طاف بالتساؤلات والأوراق القديمة .



من مكتبة العربي





فإذا ما اعتبرنا أن العناوين السابقة هي محاور توزعت عليها القصائد ، فان علينا التوكيد على أن تلك المحاور صبت جميعها في محور رئيسي وأساسي شغل بال الشاعر وملك عليه الاهتمام والتوجه ، الا وهو الانتماء الوطني والقومي ومتابعة قضاياه .

ويبدو أن الشاعر قد ترك التقاطاته الشعرية تتوجه نحو القالب الذي يتوافق مع مادة « الهامه » الشعري دون ضابط أو رقيب ، لذلك فان قصائده توزعت على مدرستي الشعر العمودي والحديث .

الاسلام والاقتصاد

تأليف : د . عبدالهادي النجار .

الناشر : المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ الكويت .

● منهج البحث في الاسلام يتركز على ترابط عضوي بين الدين والدنيا ، والحياة الآخرة ، فالحياة وسيلة الى



غاية ، فاذا صلحت الوسيلة صلحت الغاية . . . هذا ما يقوله المؤلف في مقدمته للكتاب .

ويضيف : « ولا يعني هذا المنهج عدم جواز الأخذ عن غير المسلمين ، ذلك أن الاسلام أطلق سلطان العقل من كل ما يقيده . وخلصه من كل تقليد للآباء والأجداد ، ورده الى مملكته يحكمه وحكمته ، مع الخضوع في ذلك لله وحده ، والوقوف عند شريعته . »

ويؤكد المؤلف على أن مفهوم الاقتصاد في الاسلام يشتمل على :

« معالجة شئون الحياة ومنها المسائل الاقتصادية بالمفهوم الذي تقدمت الاشارة اليه ، فانه قد عني بها كوسيلة للحياة الكريمة التي ترعى القيم ، وتنمي خصائص الانسان العليا ، وتزكي ثواب الله في الآخرة ، بمعنى أن اهتمامه دنيوي وأخروي » .

قصة عقل

تأليف : د . زكي نجيب محمود .

الناشر : دار الشروق ـ بيروت .

● كان الدكتور زكي نجيب محمود قد أصدر سنة ١٩٦٥ كتاب « قصة نفس » الذي يترجم فيه سيرته الذاتية من خلال ما يمكن أن نسميه بالباطن لا من الظاهر .

وها هو ـ هذا العام ـ يصدر كتاب « قصة عقل » جمع فيه بعض مقالاته المؤرخة منذ سنة ١٩٤٠ حتى الآن .. والتي تجمع بينها رابطة الدعوة الى تغليب العقل والعلم في حياتنا ، قال المؤلف في مقدمته للكتاب :

« فأنا أدعو بكل قوتي الى أن تزيد من اهتمامنا « بالعلم » حتى ولو جاء ذلك على حساب الجانب الوجداني ، وأدعو الى الأخذ بأسس الحضارة العصرية وما يتبعها من ثقافة ، ثم أدعو الى البحث عن صيغة تصون لنا هويتنا دون أن يضيع منا العيش في عصرنا » .

ويمكن القول بأن مقالات الكتاب تعاملت مع صميم الأفكار الواردة أعلاه ، واحتوت على اجتهادات صبت في هذا الاتجاه مع أن لها عناوين مختلفة .

وعلينا أن نشير الى أن الأسلوب الذي يصوغ به الكاتب أفكاره يعتبر من أدق وأسلس الأساليب مع أنه يتعامل مع أصعب الموضوعات .. مع الفلسفة .





مناهج البحث العلمي

تأليف : د . فلاديمير كورغانوف .

ترجمة : د . على مقلد .

الناشر : دار الحداثة ـ بيروت .

● العلم هو أحد المظاهر الأكثر تميزا والأكثر بروزا في عصرنا وفي حضارتنا ، وبما أن العلماء قلما يتكلمون عن العلم ، لذلك فان المؤلف لجأ الى تثبيت شهادات بعض العلماء مثل باستور ، بيير كوري ، روذر فورد ، بافلوف ، أو بنهايمر وغيرهم في مسائل علمية عدة وأضاف اليها مثل : « أزمة نمو البحث العلمي ، والمصادر الرئيسية للعلم وللبحث العلمي وغيرها » .

ومن خلاصة الكتاب يمكن نقل بعض الجمل والعبارات المهمة في مجال البحث العلمي :

العلم هو علم العلماء الذين تطرح انتاجيتهم مشاكل حساسة ، مهملة جدا حتى الآن .

العلم واحد ، لايوجد علم « أكاديمي » وتقنية تطبيقية ، بل يوجد فقط : العلم وتطبيقات العلم .

ان الأمم التي تترك شبابها يهمل العلم ، تحكم على نفسها بالتهاوي السريع ثقافيا وماديا .

اذا كان البحث العلمي يقتضي تثميرات تبدو ظاهريا غير منتجة ، فانه يبقى أوفر المشاريع البشرية انتاجا .

أيّ رحّالة دوليّ حقّ يجد في ساعته رولكس ما لا يقدّر بثمن

في عام ١٩٣٧، راح يراود مخيّلة "ثور هيردال" حلم حول ما إذا كانت الحضارات القديمة لكل من المكسيك والبيرو وجزر الباسفيك ومصر ووادي ما بين النهرين تنبع من مصدر واحد، حلم أراد أن يثبت معه ان عبور المحيطات الثلاثة كان ممكنًا قبل إقدام الأوروبيين على تحقيق ذلك بأمد بعيد.

وبعد عشر سنوات، عام ١٩٤٧، أقلع هيردال من ساحل البيرو بطوف من خشب "البلزا" أطلق عليه إسم "كون - تيكي". مرّ مئة يوم ويوم رسا الطوف "كون - تيكي" بعدها على جزر الباسفيك.

وفي عام ١٩٧٠، غادرت أفريقيا "رع ٢"، سفينة "ثور هيردال" المصنوعة من قصب البردي. وبعد سبعة وخمسين يومًا، وصلت "رع ٢" الى "بربدوس" في الجانب الآخر من الأطلنطي.

وفي العراق، خلال ١٩٧٧ - ٧٨، قام "هيردال" ببناء السفينة "تايغرس"، أي دجلة، من القصب، وأبحر فيها مارًا بمحاذاة باكستان وسلطنة عمان حتى مدخل البحر الأحمر حيث حالت الحرب المحلية دون مواصلة الابحار. ورغم ذلك، أثبتت "تايغرس" انه كان من الممكن ان تتفاعل الحضارات القديمة لكل من سومر ووادي الأندوس ومصر بطريق البحر.

ويقول هيردال، "المحيطات لم تفصل بين الحضارات القديمة، بل انها ربطت فيما بينها."



ويستند نجاح حملات "هيردال" الى التخطيط الواضح والدقة التامة في كل شاردة وواردة.

ويضيف هيردال، "لقد أنزلنا الى البحر نماذج مطابقة تمامًا للسفن الأولى التي بناها البحارة القدماء. واستخدمنا طرقهم في شد الحبال والأشرعة والصواري وفي التوجيه، واقتنا بما كانوا يقتاتون. واختبرنا أجهزة الملاحة البدائية التي استعملوها. ولكن، من أجل تحديد المسار بطريقة علمية دقيقة وبالاتصال اللاسلكي الاضطراري لدى دخولنا الموانئ الحديثة والطرق الملاحية، كنا بحاجة الى ما كان باستطاعة الانسان القديم الاستغناء عنه: ساعة حديثة بالغة الدقة جديرة بالاعتماد."

إنه الاطراء في توجيه مجاملة كهذه الينا، خاصة وقد جاءت على لسان أشهر رحّالة دوليّ في العالم.

الساعات التي كان يلبسها "ثور هيردال" وبحارته هي من صنع رولكس.

ROLEX
رولكس

رولكس "جي. إم. تي. - ماستر" متوفرة بالذهب عيار ١٨ قيراطًا، أو فولاذ لا يصدأ، مع سوار ملائم.

من المسرح العالمي
سلسلة ثقافية
تصدرها في مطلع كل شهر
وزارة الإعلام في الكويت

اول يونيو ١٩٨٣

١٦٥

الآنسة روزيتا العانس
أو
لغة الزهور

تأليف : فدريكو غرسية لوركا
ترجمة وتقديم : ماهر البطوطي
مراجعة : د. يوسف الحشاش



سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ دولة الكويت

يونيو / حزيران
١٩٨٣م

الإسلام و الشعر

تأليف :

الدكتور سامي مكي العاني

الكتاب السادس والستون

٥٠٠ فلس

المراسلات :
توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص ب ٢٣٩٩٦ الكويت



دعـــوة
الى الترشيح لجائزة الكويت

تمشيا مع اهداف مؤسسة الكويت للتقدم العلمي وتحقيقا لاغراضها في تدعيم الانتاج العلمي وتشجيع العلماء والباحثين ، تقوم المؤسسة بتخصيص جوائز في مجالات العلوم والآداب والفنون وذلك وفق برامجها السنوية وخططها على المدى البعيد والقريب .

ومن خلال هذه الجوائز تسجل المؤسسة اعترافها بالانجازات الفكرية المتميزة التي تخدم التقدم العلمي وتساعد على النهوض بالمجهودات المبذولة لرفع المستوى الحضاري في مختلف الميادين .

أ ـ على مستوى الوطن العربي بما فيه الكويت :

تمنح المؤسسة في كل من الحقول الخمسة الآتية :

١ ـ العلوم الأساسية : الجيولوجيا **Geology**

٢ ـ العلوم التطبيقية : الهندسة البتروكيماوية **Petro— chemical Engineering**

٣ ـ الفنون والآداب : تاريخ الأدب العربي الحديث **History of Modern Arabic Literature**

٤ ـ العلوم الاجتماعية والاقتصادية : الاستثمار في الوطن العربي **Lnvestment in the Arab World**

٥ ـ احياء التراث العربي والاسلامي : النبات والفلاحة والري عند العرب **Botany, Agriculture and Lrrigation of the Arabs**

جائزة سنوية قدرها عشرة آلاف دينار كويتي (١٠٠٠٠ د . ك .) لكل من (واحد أو أكثر) أسهم بصورة رئيسية وقدم اضافات جديدة في الحقل .

ب ـ على مستوى دولة الكويت :

تمنح المؤسسة في كل من الحقول آنفة الذكر جائزة سنوية قدرها عشرة آلاف دينار كويتي (١٠٠٠٠ د . ك) لكل كويتي (واحد أو اكثر) أسهم بصورة رئيسية وقدم اضافات جديدة في الحقل .

ويشترط في من يحصل على جائزة الكويت :

١ ـ أن يكون النتاجه مبتكرا وذا أهمية بالغة بالنسبة الى الحقل المقدم فيه خلال العشر سنوات الماضية .

٢ ـ أن يكون المرشح من أبناء الأقطار العربية .

٣ ـ تقبل المؤسسة طلبات المتقدمين وترشيحات الجامعات والهيئات العلمية ، كما يحق للأفراد الحاصلين على هذه الجائزة ترشيح من يرونه مؤهلا لنيلها ولاتقبل ترشيحات الهيئات السياسية .

٤ ـ يتضمن الترشيح السجل العلمي للمرشح ونبذة مختصرة عن حياته والنتاجه العلمي و مبررات ترشيحه لنيل هذه الجائزة .

٥ ـ لايعاد الانتاج المقدم الى مرسله سواء فاز المرشح أو لم يفز .

٦ ـ لاتقبل الاعتراضات على قرارات المؤسسة بشأن منح الجوائز للفائزين .

٧ ـ على الفائز ان يقدم محاضرة عن الانتاج الذي نال الجائزة عنه .

٨ ـ تقبل الترشيحات ابتداء من ١/٣/ ١٩٨٣ الى ٣١/١٠/١٩٨٣

٩ ـ ترفق مع الترشيحات أربع نسخ من الانتاج المقدم وترسل على العنوان الآتي :

السيد مدير عام مؤسسة الكويت للتقدم العلمي

ص . ب . ٢٥٢٦٣ الصفاة ـ الكويت

تقدم المؤسسة مع الجائزة النقدية ميدالية تقديرية وشهادة تبين مميزات الانتاج بصورة مقتضبة .

تمنح جائزة الكويت لاحسن انجاز هندسي أو تقني أو لأحسن اختراع لتطوير العمليات الصناعية في مجال صناعة البتروكيماويات .

مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية

تصدر عن جامعة الكويت

رئيس التحرير
الدكتور عبدالله الغنيم

صدر العدد الأول في كانون ثاني (يناير) ١٩٧٥

تصل أعدادها الى أيدي نحو ١٢٥٫٠٠٠ قارئ

يحتوي كل عدد على حوالي ٢٥٠ صفحة من القطع الكبير تشتمل على : -

- مجموعة من الأبحاث تعالج الشئون المختلفة للمنطقة بأقلام عدد من كبار الكتاب المتخصصين في هذه الشئون .
- عدد من المراجعات لطائفة من أهم الكتب التي تبحث في المناحي المختلفة للمنطقة .
- أبواب ثابتة : تقارير - وثائق - يوميات - ببليوجرافيا .
- ملخصات للأبحاث باللغة الانجليزية .

ثمن العدد : ٤٠٠ فلس كويتي أو ما يعادلها في الخارج .

الاشتراكات : للأفراد سنويا ديناران كويتيان في الكويت ، ١٥ دولارا أمريكيا في الخارج (بالبريد الجوي) .

للشركات والمؤسسات والدوائر الرسمية : ١٢ دينارا كويتيا في الكويت ، ٤٠ دولارا أمريكيا في الخارج (بالبريد الجوي) .

منشورات المجلة :

تصدر المجلة أيضا دراسات مستقلة متعلقة بشئون المنطقة صدر منها

١- كتاب التكامل الاقتصادي في الخليج العربي (د . محمد هشام خواجكية) . ١٩٧٩ .
٢- كتاب آفاق التنمية الصناعية في دول الخليج العربي (د . عبد الاله أبو عياش) . ١٩٧٩ .
٣- كتاب حقوق الطفل في دولة الكويت (د . بدرية العوضي) . ١٩٧٩ .
٤- كتاب الاحصاءات الاقتصادية في المملكة العربية السعودية (بدوي خليل) ١٩٨٠ .
٥- دور جريدة فتاة الجزيرة في أحداث عام ١٩٤٨ بصنعاء (سلطان ناجي) ١٩٨٠ .

سلسلة وثائق الخليج والجزيرة العربية لعام صدر منها :

الكتاب الأول - وثائق الخليج والجزيرة العربية لعام ١٩٧٧ . ١٩٧٩ .

العنوان : جامعة الكويت - كلية الآداب والتربية - الشويخ - دولة الكويت .
ص . ب : ١٧٠٧٣ - الخالدية
الهاتف : ٨١٦٨٠٧ - ٨١٦٧٩٠ - ٨١٦٨٢٤

جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير .

أفكار مسلية من
توشيبا

AUTO REVERSE DR-01

تتلخص أفكار توشيبا الكثيرة في استخدام الخبرات التقنية المبدعة لجعل أجهزة التسلية المنزلية أكثر تشويقاً وإثارة .

فجهاز الفيديو مثلاً إضافة إلى أن فيه منظم آلي للفلطية فهو قابل للتعديل حسب أنظمة بال ، سيكام و إن . في . أس . سي . كما أن معادلة ٢ ـ في ـ ١ التي نبيعها هي الأولى التي تقدم لكم جهاز تسجيل يعمل دون توقف وذاتي الإنعكاس (أوتو ريفيرس) . جربوا أيضاً أفكار التسلية الأخرى التي نتيحها لكم .



- قوة الخرج ٣٢ واط (الحد الأقصى)
- أربع موجات (أف . أم / متوسطة / قصيرة ١ / قصيرة ٢)
- نظام ستيريو
- نظام مكبرات صوت قابلة للفصل





- بال / سيكام / إن . في . أس . سي ٤،٤٣
- آلية للتحكم عن بعد
- منظم آلي للفلطية ٩٠ ـ ٢٥٠ فولت





- جهاز ٢٠ إنشاً ، بلاك سترايب ٢
- بال / سيكام / أن . في . أس . سي ٤،٤٣ / ٣،٥٨
- منظم آلي للفلطية





TOKYO, JAPAN



اولمبياد لوس انجلس ١٩٨٤
يختار
منتجات سانيو للفيديو
فلماذا لا تختارها أنت؟
المهرجانات والمباريات المثيرة للألعاب الاولمبية الصيفية تحدث مرة كل ٤ سنوات.
ولهذا تفخر سانيو باختيار منتجاتها للفيديو لتنقل إليكم أكثر المباريات إثارة لكافة الأحداث الرياضية العالمية.
إن منتجات سانيو للفيديو تحتوي على أحدث الأجهزة الفنية المتطورة:
مفاتيح تحكم متعددة الأغراض تعمل ببساطة ودقة للتسجيل والمشاهدة.
أجهزة مدمجة وخفيفة الوزن. متينة وتخدم لمدة أطول. تشغيل وتخزين سهل لأشرطة بيتاكورد كاسيت التي تعمل لمدة ١٩٥ دقيقة للتسجيل أو للمشاهدة.
المزيد من الناس في جميع أنحاء العالم يختارون منتجات سانيو للفيديو لتسجيل أعز الذكريات.
فلماذا لا تختارها أنت؟
أنظمة فيديو نقالة
VSC 5800*
VPR 5800*
VPA 5800*
VTT 5800*
NTSC
SANYO
Beta
VPR 5800
VTT 5800
VSC 5800
منتجات الفيديو الرسمية لأولمبياد لوس انجلس ١٩٨٤
سانيو
SANYO

العربي

رمضان ١٤٠٣ هـ
يوليو (تموز) ١٩٨٣

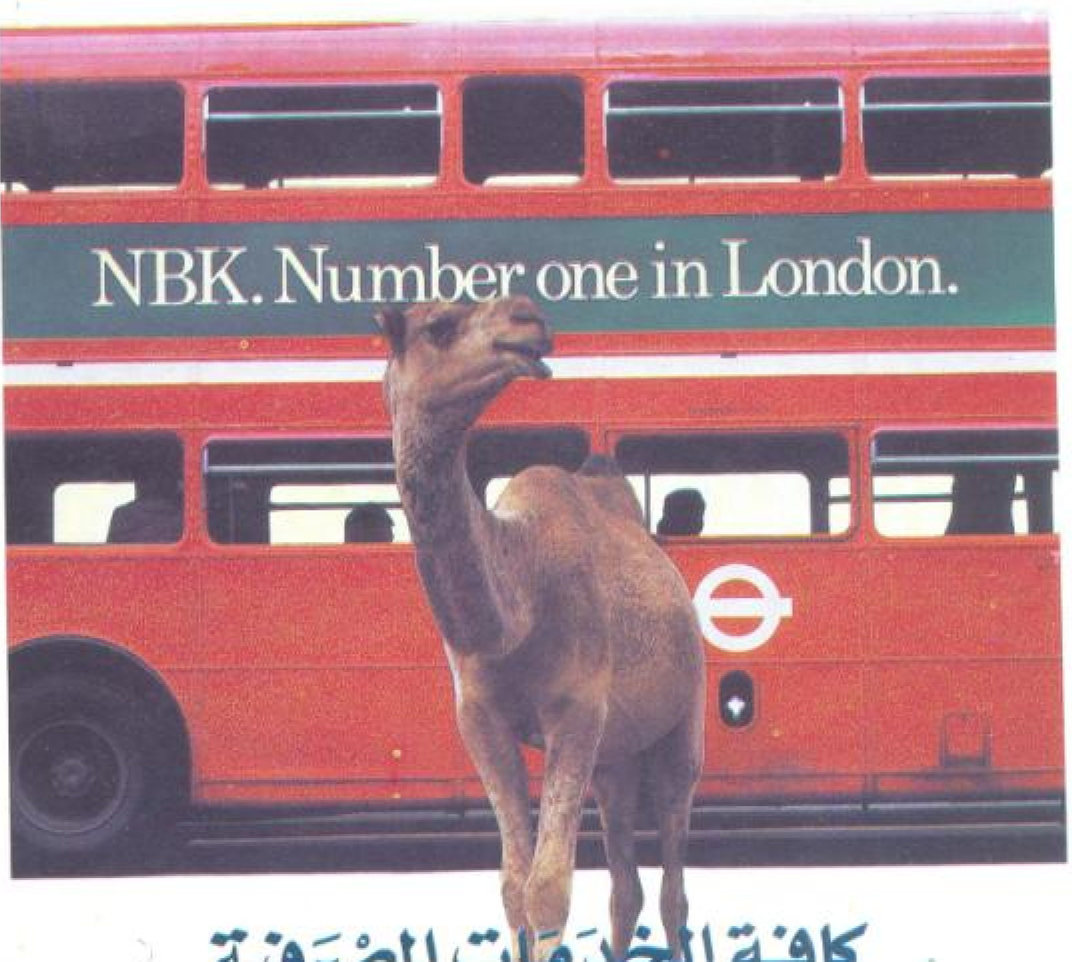
رحلة وراء البانجاراز

•

ظاهرة النـزوح من اسرائيل

•

الأفكار المستوردة والأصالة



كافة الخدمات المصرفية

يقدمها لك بنك الكويت الوطني عند زيارتك القادمة للندن

يسر بنك الكويت الوطني، رائد البنوك الكويتية، أن يعلن عن افتتاح فرع ثالث له في لندن متابعاً بذلك وجوده على الساحة العالمية الذي يشتمل أيضاً على فرع نشط في سنغافورة وشبكة عالمية تشمل أكثر من ٧٥٠ بنكاً مراسلاً.

فرعنا في بيشوبس جايت تأسس لمساعدة الشركات في تطوير عملياتها الخارجية. وبالإضافة الى الخدمات المصرفية الشخصية يقدم فرعنا خدمات عالمية شاملة كالقروض المشتركة، تمويل الشركات، تبديل العملات، إيداعات بالعملات الأوروبية، وتمويل العمليات التجارية كفتح الاعتمادات وإصدار الكفالات المصرفية. هذا بالإضافة الى خدمات إدارة الاستثمارات والمشاريع العقارية المتوفرة من بنك الكويت الوطني لما وراء البحار (لندن) على العنوان نفسه.

فرعنا في الويست إند من لندن تأسس خصيصاً لمساعدة الزوار الكويتيين في جعل زيارتهم للندن كاملة وذلك بتقديم النصح لهم وتوفير مجموعة شاملة من الخدمات المصرفية الشخصية.

خدمات الفرع تشمل: الحسابات الجارية وحسابات الإيداع، منح القروض، أوامر الدفع الثابتة لتسديد الفواتير، خدمة تبديل العملات، شراء وبيع الأوراق النقدية والشيكات السياحية.

كما تستطيع صرف شيكات على حسابك بالدينار الكويتي أو استعمال بطاقة الـ ايزي كويك لسحب ما تحتاجه من النقد من حسابك في الكويت. أوقات الدوام كالآتي: من الاثنين الى الجمعة ٩٫٣٠ إلى ٣٫٣٠ بعد الظهر، أيام السبت من ٩٫٣٠ حتى ١٢٫٣٠ بعد الظهر.

لتكن زيارتك للندن كاملة وذلك باتصالك بمدير فرعنا فور وصولك وكن على ثقة بأنك ستكون موضع عنايتنا وخدمتنا المميزة.

بنك الكويت الوطني ش.م.ك

The National Bank of Kuwait SAK

عزيزى القارئ

رغم أن سنواتنا الأخيرة مليئة بأسباب التوتر وبالمنعطفات الحادة ، الا أننا لا نبالغ اذا قلنا اننا بصدد صيف ساخن حقا ، تتجاوز درجة حرارته السياسية أى صيف آخر فى العقد الذى نعيشه .

عربيا ، فان الصدع يزداد اتساعا ، بالأخص بعد الاتفاقية اللبنانية- الاسرائيلية ، الأمر الذي يفتح الباب لمزيد من شرذمة العالم العربي من ناحية ، ومزيد من الاستقطاب الجارى فيه من ناحية أخرى . ولعل أسرع ماترتب على هذه الاتفاقية من نتائج ، هو تلك المؤشرات السلبية التى اكتست بها العلاقات اللبنانية السورية ، ثم تصاعد احتمالات المواجهة فى البقاع بين سوريا واسرائيل . مما خلق وضعا قابلا للانفجار فى أية لحظة .

وفلسطينيا ، فان الصف الفلسطينى يشهد أعنف هزة في تجربة ثوريته ، تهدد وحدة منظمة فتح ، التى هى العمود الفقرى للنضال الفلسطينى . ورغم ان ثمة مساعى كثيرة تحاول لم الشمل وعدم تعريض منظمة التحرير للانشقاق والشرذمة . وهى الشرذمة التي لم تنجح فى اجتماعات المجلس الوطنى بالجزائر ، الا أن هناك قلقا لايمكن تجاهله فى الشارع العربى . مصدره ان الثورة الفلسطينية ليست بمثابة الأمل الباقى للدفاع عن الحق الفلسطينى . بل نكاد نقول انها ايضا أمل الكثيرين فى الدفاع عن شرف الأمة العربية وكرامتها .

وخليجيا ، فان بقعة الزيت المشئومة لاتزال تسبح فى مياه الخليج العربى . ملوحة كل صباح بأخطار يعلم الله مداها ، وان كان أثرها على مستقبل المنطقة سيمتد لأجل ليس قريبا .

ذلك كله فيما جد على ساحة المنطقة من عوامل أضافت الكثير الى مكونات الواقع العربى وعناصر تأزمه ، التى تتمثل فى استمرار احتلال وتهويد الأراضى العربية ، واستمرار الحرب العراقية الايرانية .

واذا كان المستقبل لايوحى بقدر كبير من التفاؤل ، الا ان ماينبغى ان ننتبه اليه هنا أن هذا المستقبل لن يتغير بالأدعية والابتهالات وانتظار القضاء والقدر . فالمستقبل يصنعه الانسان ، ولن يتغير منه شيء الا اذا سعى هو الى تغييره .

ذلك منطق السماء وتلك سنة الكون !

المحــــرر

العربي

العدد ٢٩٦ - يوليو ١٩٨٣

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

رئيس التحرير: الدكتور محمد الرميحي

مدير التحرير: فهمي هويدي

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت للوطن العربي وكل قارىء للعربية في العالم. الوزارة غير مسؤولة عما ينشر فيها من آراء. والمجلة غير ملتزمة باعادة أي مادة تتلقاها للنشر.

ثمن العدد: بالكويت ٢٠٠ فلس، السعودية ٤ ريالات، العراق ٢٠٠ فلس، الأردن ٢٠٠ فلس، سوريا ٢٠٠ قرش. لبنان ٢٠٠ قرش، مصر ١٥٠ مليما، السودان ١٥٠ مليما، المغرب ٣ دراهم، تونس ٣٥٠ مليما، الجزائر ٣ دنانير، البحرين ٣٠٠ فلس، قطر ٤ ريالات، الامارات العربية المتحدة ٤ دراهم، سلطنة عمان ٢٥٠ بيسه، ١/٢ ريال عماني، اليمن الشمالي ٣ ريالات، اليمن الجنوبي ٢٥٠ فلسا، ليبيا ٢٥٠ درهما.

الاعلانات: يتفق عليها مع الادارة - قسم الاعلانات

المراسلات: باسم رئيس التحرير

عنوان المجلة بالكويت: صندوق بريد ٧٤٨ - تلفون ٤٢٧١٤١ ٤٦٨٢٤٢

تلغرافيا «العربي»

الاشتراكات

ترسل الطلبات الى:

قسم الاشتراكات

المكتب الفني - وزارة الاعلام

ص. ب (١٩٣) - دولة الكويت

على طالب الاشتراك تحويل قيمة الاشتراك بموجب حوالة مصرفية أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الاعلام، طبقا لما يلي:

البلاد العربية ٣٫٥٠٠ (ثلاثة دنانير ونصف)

بلاد غير عربية ٥٫٠٠٠ (خمسة دنانير)

Al-ARABI No. 296 July 1983

-P. O Box 748.KUWAIT.

محتويات العدد

قضايا عامة:

عروبة واسلام:

صورة الغلاف



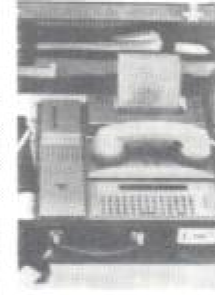
كانت رحلة العربي هذه المرة الى الهند .. شبه القارة الشاسعة التي عرفنا أهلها وزرنا أرضها حتى قبل أن يصبح العالم صغيرا .

وهناك وفي مدينة حيدر اباد عاصمة ولاية اندرابراديش ، كان لقاؤنا بالبانجاراز ، أو اللمبادي ، أو غجر الهند . لقد اذاقوهم كل الوان العذاب في كل مكان حطوا فيه رحالهم في العالم كله ومع هذا فهم مازالوا يبتسمون ويعيشون يومهم حتى لوكان بلا غد .. ويسخرون من الدنيا ويرقصون ! (الاستطلاع ص ١٠٠)

الكومبيوتر الشخصي

بداية ثورة جديدة

ربما يكون التطور الذي تشهده « صناعة الكومبيوتر » أصدق ما يعبر عن « الثورة التكنولوجية » التي نسمع عنها هذه الأيام . ولعل الكومبيوتر الشخصي هو إحدى النتائج التي نلمسها اليوم لهذا التطور . انه بداية ثورة جديدة في ميدان صناعة الكومبيوترات أو العقول الالكترونية (اقرأ ص ٣٢)



الأفكار المستوردة

والأصالـــة

مازال الجدل دائرا حول سبل التعايش مع الآخر بندية وتكافؤ . كيف نتعامل مع الآخر ؟ وبالذات في محاولة اختيار البدائل المناسبة للتنمية الشاملة بمحتواها الفكري غير التابع . إن التقارب الذي حدث نتيجة تطور الاتصال والمواصلات حوّل العالم الى قرية كبيرة لم يعد بامكان أي مجتمع فيها أن يعزل نفسه عن بقية أنحائها (اقرأ المقال ص ٢٨) .

تربية وعلم نفس

حوار مع الموت !

انتحار الكاتب الانجليزي آرثر كيسلر وزوجته مأساة هزت الضمير الانساني أما هو فقد جعل منها قضية لابد أن تستوقفك وتثير حيرتك . فقد كان كيسلر يعد لنهاية . كتب يقول قبل عامين من هذه النهاية المفجعة : « حاربت وجاهدت طويلا من أجل اقرار حق الحياة بالنسبة للمحكوم عليهم بالاعدام والآن أجد من المنطقي أن أنادي بحق الموت بالنسبة للمحكوم عليهم بالحياة الطويلة المملة التي تنتهن كرامة الفرد واحترامه !» (اقرأ المقال ص ٤١) .

الأسبوع الثقافي الكويتي في اليمنين

شهدت منطقة جنوب الجزيرة لقاء ثقافيا حارا بين الكويت واليمنين تمثل في أسبوعين ثقافيين كويتيين أقيما في كل من عدن وصنعاء . ما قصة هذا اللقاء ؟ (اقرأ ص ١٢٢)

حرب لبنان

أطول الحروب

أطول حرب في التاريخ كتاب هام ، لأن مؤلفه صهيوني أولا ، ولأنه ثانيا يحدثنا عن الغزو البربري الذي قامت به اسرائيل للبنان ، وما أحدثه من انقسام داخل المجتمع الاسرائيلي ، ومؤلف هذا الكتاب يعد ذلك ناشر وكاتب وصحفي ومراسل لعدة صحف أمريكية ، ولكنه قبل كل ذلك صهيوني موغل في صهيونيته . (اقرأ ص ١٧٥) .

تاريخ وشخصيات

استطلاعات مصورة

أبواب ثابتة

حديث الشهر





اذا كانت هناك كلمة أو قضية استهلكت من كثرة ترديدها ، فهي بالتأكيد كلمة أو قضية التنمية ، بل أصبح لها أكثر من معنى وأكثر من مفهوم ، واذا نظرنا الى ما أخرجته المطابع العربية من كتب ودراسات حولها ، وجدنا أن لها مفهوما خاصا عند كل من يستخدمها ، وأصبح لدينا « عقد التنمية » و « استراتيجية للتنمية » ، ورغم كل ذلك مازال الكثيرون لا يعرفون بالتحديد ما هو المقصود بالتنمية العربية .

من كثرة تعقيد الموضوع أصبحت قضية التنمية ومناهجها أحد طلاسم المثقفين العرب الذين يحلو لهم ترديدها في المنتديات دون ربطها بالواقع العربي المعاش ، وتكاد تتعدد مفاهيمها بتعدد ما يكتب حولها ، فمن الكتاب من يعتقد أن التنمية تعني ارتفاع متوسط الدخل الفردي في دولة ما أو مجتمع بعينه ، أو تزايدا مطردا في عدد المدارس والمستشفيات ، أو هي اقامة المصانع ، وتوسيع الرقعة الزراعية ، واقامة شبكات المجاري والمياه والطرق ، أو أن التنمية هي كل ذلك مع إضافة عوامل أخرى سياسية أو اجتماعية .

والعذر موجود لمثل هذه التصورات ، فالتنمية مثلها مثل كثير من المفاهيم الاقتصادية والاجتماعية طرحت في وطننا العربي في الأساس نقلا من الخارج ، وبالتحديد من الدول المتقدمة ، ومثلنا مثل بقية ما أطلق عليه العالم الثالث أو العالم النامي ، تعلقنا بالمفهوم ـ أساسا ـ نتيجة رغبتنا لفهم وتحليل ظاهرة التفاوت الدولي ، بين دول غنية أو متقدمة ، أو دول تملك أسباب الغنى والتقدم ودول أخرى فقيرة ، لذلك لابد من معرفة أسباب فقرها وتخلفها وبالتالي وضع الخطط الملائمة (لتنميتها) .

بقلم
الدكتور محمد الرميحي

والإنسان العربي

التنمية لماذا ؟

من هنا فان الطرح الأساسي لمفهوم التنمية هو الوصول بدول العالم الثالث ـ والتي كانت اكثريتها حتى وقت متأخر واقعة تحت السيطرة الاستعمارية ـ الى مستوى الدول المتقدمة ، لذلك فان وجه العملة الآخر لعوامل التخلف وعدم النمو قد فهم على أنه البحث عن سمات وعناصر في المجتمع المتقدم يمكن أن يتبناها المجتمع المتخلف !

من هنا جاء الاشكال والغموض الحقيقي في طرح مفاهيم التنمية في العالم الثالث ـ والوطن العربي ليس استثناء ـ فعند البحث عن سمات وعناصر ومكونات المجتمع المتقدم الذي يعتقد أنها أدت به الى ما هو عليه من تقدم ، وتبنيها او التكيف معها ، وبذلك يمكن تخطي التخلف دون نظر الى السمات والعناصر والمكونات لمجتمعات العالم الثالث ، ومن بينها المجتمع العربي .

فأصبح المثقفون يتحدثون لغة لا تفهمها الجماهير ، لغة ومفاهيم ليس بينها وبين الواقع رابط ، تفترض وجود مكونات اجتماعية واقتصادية وسياسية ليست موجودة بالفعل ـ وذلك يفسر ما آلت اليه كل طموحات التنمية العربية من فشل .

فاستخدمنا كلمات ومفاهيم مثل التساند الاجتماعي ـ التحضر ـ الحراك الاجتماعي ـ تطبيق التكنولوجيا ـ إيجاد قاعدة انتاجية ـ تزايد منتظم في الدخل واخيرا المشاركة والاستقلال الوطني ، وكررناها كثيرا ونحن نعتقد أننا نتحدث عن تنمية ـ وكان الواقع في كل لحظة يكذبنا .



لماذا ؟

لابد أن يكون هناك خطأ في الأساس ـ وكان الخطأ هو محاولة فهمنا لواقعنا من قراءة تاريخ غيرنا ، والأدلة على ذلك كثيرة ـ فلا يوجد كتاب أو مقال في التنمية يحاول الحديث عن تنمية عربية إلا ويبدأ بالحديث عن تطور الفكر الاقتصادي والاجتماعي والسياسي في أوروبا وتطبيقاته سواء كان في الغرب الرأسمالي أو في الغرب الاشتراكي ، وقلما نتعلم من تجارب امثالنا في جنوب آسيا والقارة الهندية وأمريكا الجنوبية ، ونادرا ما نلتفت حولنا نحن لنقيم تجربتنا الخاصة .

القضية المعقدة

بالتأكيد لا يمكن التفكير البتة بأننا في الوطن العربي معزولون عن العالم أو يمكن ان نفكر بمعزل عن العالم ـ ولكن دراسة تجارب الآخرين شيء ، ومحاولة تطبيقها دون فهم للواقع العربي شيء آخر .

وقضية التنمية قضية مركبة ومعقدة في نفس الوقت ، وهي باديء ذي بدء لا تعني ـ ويجب ألا تعني ـ اللحاق بالمجتمعات المتقدمة أو ما يطلق عليها ذلك ، والتبشير بتجاربها جميعا ، فحتى تلك المجتمعات لها خصوصيات تختلف الواحدة منها عن الأخرى ، وإنما المطلوب الوصول الى مستوى حياة معقول للقطاعات الواسعة من الشعب العربي .

وليتحقق هذا الهدف الهام لابد من إطار مفهوم محدد ، إطار أساسي يقود الى أهداف استراتيجية ، ويحكم الخيارات من خلال خطط وسياسات واضحة . .

وهنا تأتي إحدى الخصوصيات الجوهرية للتنمية العربية ، فلا يمكن الحديث عن تنمية حقيقية في الوطن العربي دون هدف الوحدة ، بمعنى توحد واندماج أقاليم الوطن العربي ، إن لم يكن كليا فعلى الأقل جزئيا .

ففي أربعينيات هذا القرن تضاعف عدد الدول المستقلة في العالم ، وكان الوطن العربي يهدف بعد الخروج من الاستعمار بأشكاله المتعددة الى التوحد ، ولكن حال دون ذلك عوامل عديدة معروفة لا داعي لتكرارها هنا ، ولكن هذه الأقطار العربية العديدة ـ مثلها مثل بقية أقطار العالم الثالث ـ فقيرة كانت أو غنية نسبيا ـ أخذت على عاتقها محاولة النمو أو التطور الى الأفضل ، إلا أن نتائج هذا التطور أصبحت مخيبة للآمال ! والسبب بالطبع موضوعي وليس ذاتيا ، فمحاولات النمو والتطور ـ التي يسميها البعض تنمية ـ أخذت شكلها في دول صغيرة مستقلة ، في الوقت الذي وصلت فيه ميكانيكية التنمية الى الاعتماد على

نظام دولي معتمد على بعضه بشكل كبير ، أصبحت من خلاله ـ حتى أقوى الدول وأغناها وأكثرها استقلالا ـ تواجه بشكل مستمر ومتزايد تغيرات داخلية وخارجية تجعلها تعتمد على قوى تصعب السيطرة عليها مركزيا من الداخل ، أي أن هذه الدول تعتمد على أقطار بعيدة تمدها ببعض المواد الخام أو مصادر الطاقة .

اذا كان هذا هو واقع الدول الكبيرة ، فالدول الصغيرة والفقيرة نسبيا في العالم الثالث تواجه عقبات أكبر وأعظم ، وتتناقص في الواقع قدرتها على اتخاذ قرار مستقل بالمعنى التقليدي المتعارف عليه ، إن لم يكن في كثير من المجالات فعلى الأقل في مجال التنمية . هذه الظاهرة سماها البعض تبعية ، وهي بالتأكيد أكبر من سيطرة اقتصادية وسياسية مما هو معروف اليوم بعلاقة دول المركز بدول المحيط ، بل هي أيضا سيطرة ثقافية معاكسة قد لا تكون مقصودة أو متعمدة ، وهو ما يصاحب استخدام التكنولوجيا والاختراعات الحديثة من سلوك أو ما يقوم به الاتصال الجمعي (الاعلام) من تأثير . وهذا التأثير يمتص داخليا لدى مجتمعات العالم الثالث ويظهر أو ينعكس بأشكال من السلوك يتبلور في ولاءات وتوقعات من قوى اجتماعية مختلفة .

واذن ففكرة الاستقلال تتحول في واقع الحال الى المساس بالاستقلال ، وكلما كانت الدولة صغيرة زاد عجزها عن تحديد خياراتها نتيجة الضغوط والتأثيرات الخارجية .

ونلاحظ في التجارب المستقاة من تاريخ الدول التي استقلت بعد الحرب العالمية الثانية أن تجربتها التنموية سارت في أحد اتجاهين :

الأول : أن بعض الدول حاولت الحيلولة دون الوقوع تحت طائلة النفوذ الخارجي الجديد عن طريق وضع هذا النفوذ تحت رقابة شديدة واستعجال استراتيجية وخطط تطوير داخلي مستقل .

الثاني : محاولة وضع خطط تنموية وتطويرية تأخذ في الحسبان مجالا إقليميا وربما في إطار النظام الدولي ، مع قبول لكل ما يترتب على ذلك من ارتباط بالخارج .

الخيار الأول لم يكن متاحا إلا لدول قليلة في العالم الثالث ، ولم تتمكن من تطبيقه سوى دول قليلة اتبعته لما تتمتع به من غزارة في المصادر الطبيعية وكثرة في عدد السكان وانضباطيتها الاجتماعية التي اكسبتها القدرة على مواجهة النتائج السياسية والاجتماعية لاتباع طريق ماسمي بالتنمية المستقلة ، ولكن هذا الخيار من الصعب أن يتوفر لدول صغيرة وفقيرة أو دول غنية نسبيا ولكن مواردها تتجه

للتصدير الخارجي . وتقع معظم الأقطار العربية بين هذين القسمين الأخيرين .

من هنا فان المخرج الحقيقي والموضوعي والممكن والمتاح للأقطار العربية هو توحيد وتكامل إمكانياتها ، ولعل بعض التجارب التي نشهدها اليوم في الجزيرة العربية ، أو وادي النيل أو في الشمال العربي الأفريقي هي مقدمة منطقية للسير في هذا الاتجاه .

فشل أم نجاح ؟

كل الأقطار في العالم الثالث ، التي استقلت أو مارست استقلالها بشكل أكثر فعالية وقوة بعد الحرب العالمية الثانية ، اتخذت خطوات لتحسين نوعية الحياة على أرضها ، ومنذ سنوات قليلة وضعت آمال كبيرة على علوم تحليل النمو والتطور والتخطيط (التنمية) وكان متوقعا منها الكثير ، وأصبح البحث يدور حول تنمية شاملة أو قطاعية ، ومقابلة التنمية بالتخلف ، إلا أن الصورة اليوم أصبحت مختلفة . فليس المطلوب المقارنة بما حققته أو لم تحققه التنمية المنشودة ، بل أصبح المطلوب .... أي الاشكال من التنمية نتبع ..؟

وما هو الثمن الاجتماعي الذي يتعين دفعه ..؟

فاتخاذ قرارات وفرض خيارات وتضحيات باسم التنمية لابد أن يكون مشفوعا بأهداف انسانية ، فان فقدت هذه الأهداف أصبح لا معنى للتنمية إلا في كونها عملية تحاول تطبيق معايير وتكتيكات شكلية بعيدة عن الواقع .

لقد أصبحت هناك سمات ظاهرة لقصور التنمية ، لا في بلدان العالم الثالث ولكن في البلدان المتقدمة أيضا ، منها :

أ ـ الفشل في ايجاد عمل لكل قادر وقابل للعمل ، وهذه ظاهرة نجدها متفشية في البلدان الصناعية بجانب تفشيها في البلدان النامية .

ب ـ عدم القدرة على توزيع حقيقي وفعال لثمار التنمية ، يظهر ذلك في تفشي الفقر في بلدان العالم الثالث وفي الهوة الكبيرة بين من يملك ومن لا يملك في المجتمعات الصناعية .

جـ ـ الفشل في الوصول الى الجماهير سواء لغياب مؤسسات المشاركة الفعلية أو بحرمانها من المشاركة الصحيحة في اتخاذ القرار حتى لو توفرت المؤسسات التي تبدو ظاهريا مؤسسات مشاركة .

د ـ الاضطراب الاجتماعي وتصاعد العنف الذي يأخذ أشكالا مختلفة في البلدان الصناعية والبلدان النامية .

هـ ـ إضاعة مصادر ثروة غير متجددة ، وتلوث في البيئة ولهذا مضاعفات إنسانية وصحية نتيجة التوسع في التصنيع أو التصنيع الزراعي أو من جراء شق طرق المواصلات الكثيفة .

و ـ تصاعد في عدد السكان بغير حدود ، وتضخم في عدد سكان المدن مما يعرض الحياة العامة للخطر ، ويشيع القلق والأمراض الاجتماعية المختلفة .

والكثير من هذه السمات وما يشابهها بتكوينات مختلفة أصبحت ظاهرة في كل من الدول المتقدمة والنامية مما يجعل الكثير منا يتساءل : ما هي المزايا الانسانية التي قدمتها التنمية لتقدم البشرية الحقيقي ؟

وهل ما نراه هو في حقيقته نجاح أم فشل ؟

أي تنمية نريد ؟

التنمية الحقيقية ـ اذن كما حددناها قبل ـ تتناقض مع الافتراض القائل بأنها عملية ميكانيكية تتكون من مدخلات اقتصادية وسياسية واجتماعية تأتي بمخرجات متساوية في كل مكان ، وهي بالتأكيد أعقد من مجرد ارتفاع في مستوى الدخل أو انتشار التصنيع ، وكذلك هي أكبر من تحسين شروط التجارة الخارجية والحصول على المساعدات أو شروط ايجابية للاستثمار الخارجي .

إنما هي نظام شامل مبني على تغيرات اقتصادية واجتماعية وسياسية متعددة ومحسوبة في أي مجتمع أو مجموعة من المجتمعات ، وهي في نفس الوقت ملائمة ومقبولة من قطاعات واسعة في تلك المجتمعات ، لأنها تساعد على تحقيق مصالح هذه القطاعات ، وهي أيضا تعني تخصيص مصادر الثروة العامة بالتساوي بين النمو الاقتصادي والرعاية الاجتماعية ، على أن تكون السياسة الاقتصادية ذاتها في خدمة الأهداف الاجتماعية .

ومن هنا فانها تعني في نهاية التحليل وسيلة لهدف ، وليست هدفا في ذاته .

وبالتأكيد ليست هناك وجهة نظر مطلقة للوصول الى توازن مقبول وملائم في تخصيص مصادر الثروة العامة بين الأهداف الاقتصادية والأهداف الاجتماعية ، إلا أن طريقة تخصيص هذه الموارد وتوزيعها بين تلك الأهداف والمؤسسات التي تقوم بها ومدى تقبلها من المجتمع وملاءمتها له ـ أي طبيعة العلاقات الانسانية وعلاقتها بتوزيع الموارد التي تحقق الحاجات الأساسية للبشر ـ تجعلنا نحدد ما إذا كانت هذه أم تلك تنمية ناجحة أم فاشلة ؟ .

ظاهرة النـزوح من اسرائيل

بقلم : توفيق أبو بكر

○ في الصحافة ووسائل الاعلام العربية ، نادرا ما يقرأ الانسان تحليلات هادئة عن ظاهرة النزوح من إسرائيل ، تخرج باستنتاجات محددة تفيد النضال الفلسطيني والعربي في صراعه مع الكيان الصهيوني ، وتضع أمامه خطوات معينة يمكن أن تساهم في تشجيع ظاهرة النزوح ، التي إن تفاقمت فانها تعني تدمير المجتمع الصهيوني من الداخل ، تدميرا كبيرا .

النزوح من إسرائيل ، ظاهرة تفاقمت منذ حرب أكتوبر لعام ١٩٧٣ م ، حيث هزت تلك الحرب ، بنتائجها المباشرة (التي تم التفريط بأغلبها فيما بعد) ، أسس المجتمع الصهيوني ، وعادت تلك الظاهرة ـ لعوامل عديدة سنناقشها فيما بعد ـ لتأخذ أبعادا خطيرة تستدعي جلسات عديدة في الكنيست الصهيوني في السنوات الثلاث الأخيرة .

وتقول الأرقام التقريبية التي أصدرها المكتب المركزي للاحصاء أن عدد النازحين من اسرائيل في عام ١٩٧٣ كان : ٦٦٠٠ شخص ، ولكن بعد حرب أكتوبر بدأ التصاعد في النزوح حيث شهد عام ١٩٧٤ أول حركة نزوح واسعة ، اذ نزح من إسرائيل في ذلك العام : ١٩٣٠٠ شخص ، وفي عام ١٩٧٥ نزح : ٢٠٢٠٠ شخص . عادت سنوات ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ لتشهد ارتفاعا في النزوح . والأرقام النهائية لتلك السنوات لم تظهر بعد لأن الذين يغادرون إسرائيل ، يفعلون ذلك ، من الناحية الرسمية ، كمهاجرين مؤقتين ، ولذلك لا يمكن تصنيفهم كنازحين قبل مرور أربع سنوات على أقل تقدير ، لا يعودون خلالها للبلاد ، كما أن الطلاب يبقون للدراسة سنوات عديدة وبعضهم يتصرف كنازح لا يفكر بالعودة ، فيما لا يمكن تصنيفه كذلك ، إلا بعد مضي فترة من الزمن . ولكن الأرقام الأولية تشير الى أن نسبة النازحين تفاقمت عاما بعد عام في السنوات الثلاث



الأخيرة ، وتجاوزت رقم الثلاثين ألفا كمعدل وسطي . كما تشير بعض الأرقام الصهيونية الرسمية .

الهجرة والارتداد

هذه الأرقام لا تكفي وحدها لأية استخلاصات ما لم ترتبط بأرقام الهجرة الاسرائيلية من الخارج إلى الدولة ، التي بدأت هي الأخرى في التناقص في السنوات الأخيرة ، حيث باتت منابع الهجرة مهددة بالنضوب وما ترتبط بما يسمى بالارتداد ، وهو ارتداد المهاجرين القادمين من الاتحاد السوفياتي في فينا عن الذهاب الى اسرائيل وتوجههم صوب الولايات المتحدة الامريكية بدلا من ذلك . فالهجرة والنزوح الارتداد عوامل مترابطة .

يقول الكاتب الصهيوني « ن جولاني » : « إن النزوح والهجرة والارتداد أمور مترابطة مع بعضها البعض ، ملأن رفعين ينزح ، شمعون لا يهاجر ، وليفي يرتد من فينا » .

تقول الأرقام الصهيونية الرسمية في هذا المجال ان الهجرة لاسرائيل عام ١٩٨٠ كانت أقل من العام الذي سبقه بنسبة ٤٠٪ اذ وصل عدد المهاجرين الى إسرائيل الى ٢١٨٠٠ شخص ، ثم عادت النسبة للتناقص مرة أخرى في عام ١٩٨١ ، اذ وصل عدد المهاجرين لاسرائيل في العام الماضي الى أقل نسبة منذ قيام الدولة باستثناء عام ١٩٥٣ الذي شهد ضائقة اقتصادية وصعوبة في استيعاب المهاجرين - حيث وصل عدد المهاجرين للدولة الى ١٢ الفا فقط . أما أرقام العام الحالي - عام ١٩٨٢ التي لم تعلن بعد ، فهي الأخرى تبدو قاتمة وبائسة بالنسبة للهجرة لاسرائيل - كما كان العام الماضي .

وهذه الحقائق الرقمية تبدو مرعبة بالنسبة لهم ، مما استدعى أن يناقش الكنيست في جلستين صاخبتين الدلالات الهامة لأرقام الهجرة والنزوح . فبحساب بسيط يتبين أن عدد القادرين يفوق عدد المهاجرين . فقد أصيبت المؤسسة العسكرية الصهيونية بالذعر عام ١٩٧٦ ، حين تساوت أرقام الهجرة والهجرة

المعاكسة . ولكن الأمور ساءت فيما بعد وخاصة في السنوات الثلاث الأخيرة .

اذ أصبحت نسبة النازحين الى المهاجرين في عام ١٩٨٠ : ١٥٠٪ وصلت عام ١٩٨١ حسب بعض التقديرات الى ٣٠٠٪ بينما كانت في عام ١٩٧٣ : ١١٪ فقط .

والمسألة الثالثة - المرتبطة بموضوعي الهجرة والنزوح - هي ظاهرة « الارتداد » ، فالمهاجرون من الاتحاد السوفياتي .. والذين كان يمكن أن يوفروا مصدرا غزيرا للهجرة لاسرائيل ، قرر أغلبهم التوجه من فينا حيث المحطة الأولى بعد مغادرة الاتحاد السوفياتي الى الولايات المتحدة الأمريكية .

اذ تقول الأرقام الرسمية للارتداد أنها كانت ٣٧٪ عام ١٩٧٥ . أي أنه من بين كل مائة مهاجر سوفياتي قرر ٣٧ شخصا فقط ألا يغادروا إلى إسرائيل ، ويرتدوا عنها الى غيرها . بينما ارتفعت نسبة الارتداد في عام ١٩٧٦ الى ٤٨٪ وفي عام ١٩٧٧ إلى ٦٠٪ ليقفز في عام ١٩٨٠ الى ٨٠٪ وتبلغ نسبة المرتدين من اليهود القادمين من المدن السوفياتية الكبرى الى ٩٥ ، ٩٨٪ . ومن جهة أخرى ، فان عدد المغادرين للاتحاد السوفياتي كمهاجرين بدأ يقل كثيرا وانتهى أو شارف على الانتهاء ، العصر الذهبي لهجرة يهود الاتحاد السوفياتي مما يعني كارثة للدولة العبرية . فبحسب الأرقام التي ذكرها مناحيم بيجن في خطاب أخير له أمام مؤتمر يهودي ، فقد هاجر من الاتحاد السوفياتي خلال الشهور الأولى من هذا العام - عام ١٩٨٢ ، ألفا يهودي فقط من الاتحاد السوفياتي مقابل ٥١ ألفا لنفس الفترة عن عام ١٩٧٥ .

هناك أسباب عديدة ومعقدة ومتشابكة لنزوح اليهود من إسرائيل . وفي كل مرحلة من المراحل يصعد عامل أو أكثر من تلك العوامل ليشكل الدافع الرئيس للنزوح في تلك المرحلة .

أسباب النزوح

ولكن بشكل عام ، ثمة أسباب أساسية للنزوح أهمها :

■ صعوبة الأوضاع الاقتصادية في بلد يعتبر اقتصاده طفيليا تابعا ، كما أنه اقتصاد حرب وهجرة . وتلك ثغرات بنيوية في الاقتصاد الصهيوني يصعب حلها دون الانفتاح على المنطقة العربية ، وتخفيف العبء الأمني والتسليحي . ومن هنا خطورة الدعوات للسلام مع اسرائيل ، كأحد الأساليب لتفتيت مجتمعها من الداخل لأن الحقائق تقول بالعكس تماما . فالتضخم في إسرائيل بلغ عام ١٩٨٠-١٣٣٪ وعام ١٩٨١ ، ١٤٢٪ ولذلك شهد هذان العامان نزوحا هائلا . كما أن البطالة في ازدياد تبعا لذلك .

تقول مجلة شتيرن : « بينما يقف صف طويل من طالبي الهجرة أمام أبواب قنصلية الولايات المتحدة في تل أبيب ينتظرون الفيزا ، يقف قليل من اليهود على الأرصفة المقابلة يحملون لافتات تصف الهجرة بأنها خيانة ، ومع ذلك فالواقفون في الصف يتعجلون دورهم . فالبطالة والخوف والبيروقراطية والتضخم عوامل تدفع للنزوح » .

ومن جهة أخرى فالنازحون يجدون أعمالا بسرعة في الولايات المتحدة ، ويحلون مشكلاتهم الاقتصادية .

ففي دراسة قام بها طالبان يهوديان من جامعة كولومبيا تحت اسم « اسرائيليون في الهجرة » تبين لهم أن النازحين الى هناك استطاعوا خلال وقت غير طويل تحسين حالتهم الاقتصادية في الولايات المتحدة بنسبة عشرة أضعاف ما يمكن أن يفعلوا في إسرائيل .

التمييز الأمني وصعوبات الاندماج الاجتماعي بين هؤلاء المهاجرين القادمين من بلدان شتى الى ما يسمونه بأرض الميعاد ،

ويحملون ثقافات وعادات وقيما متباينة يصعب دمجها في بعض الحالات .

يقول د. سامي سموحا عالم الاجتماع في جامعة حيفا ، واصفا التمييز داخل المجتمع الاسرائيلي :

« البنية الاجتماعية عندنا هرم في أسفله عرب المناطق . وفي الدرجة الأولى فوقهم عرب اسرائيل (ويقصد الفلسطينيين الذين بقوا في أرضهم بعد قيام الدولة) وفوقهم في الدرجة الوسطى أبناء الطوائف الشرقية ، وفي قمة الهرم وعلى مسافة طويلة نسبيا الاشكنازيون ، أي اليهود الغربيون » .

ويصف الكاتب اليهودي الروسي افرايم سيفلا في كتابه . . لاوداعا يا إسرائيل . الهوة الاجتماعية بين فئات الشعب في إسرائيل وانعدام الانصهار الاجتماعي بقوله :

« إن إسرائيل وعاء من خزف أعيد الصاقه من ثماني قطع بأحجام مختلفة ولم تزل آثار الترقيع ظاهرة فيه ، كالعنصرية والتفريق في لون البشرة ، والتمييز بين اليهود الشرقيين والغربيين والفوضى السياسية العارمة .

ويقول أحد زعماء الفهود السود من اليهود الشرقيين : « لن يحدث انصهار اجتماعي في اسرائيل ، تستطيع أن تمزج الخمر بالماء وأن تصهر الذرات ، أما البشر فلا » . ومقابل ذلك ، هناك حركة من الاندماج اليهودي في المجتمعات التي يعيشون بين ظهرانيها ، وخاصة في أوروبا والولايات المتحدة . وتلك أخطر الظواهر على العقيدة الصهيونية ، التي تفقد مبرر وجودها اذا توقفت الهجرة ، لأنها حركة تجميع يهود الشتات فيما يسمى بأرض الميعاد .

وكان بن غوريون يقول دائما ، إن يهودية اليهودي لا تكتمل إلا بهجرته الى أرض فلسطين .

وقد عادت لجنة التوضيح العقائدي لتؤكد من جديد في أحد المؤتمرات الصهيونية التي عقدت مؤخرا ، بأن من شروط الصهيوني أن يهاجر الى فلسطين ، ولوبعد حين .

قديما قالت جولدا مائير : لا يوجد سبب يبرر وجود الدولة دون الشعب اليهودي . وحديثا قال المحاضر في جامعة حيفا ـ يوسف ندبة-في ندوة رتبتها بلدية تل أبيب لدراسة مخاطر اندماج اليهود في مجتمعاتهم التي تجاوزت نسبة ٥٠٪ قال :

« يبدو أننا لن نكون شعبا كبيرا ، تارة بسبب كارثة جسدية ، وأخرى بسبب كارثة روحية ، كما هو حاصل اليوم في أوروبا وأمريكا .

■ استمرار حالة الحرب والتوتر الأمني ودعوة الاحتياط ، واستمرار العمليات الفدائية . ففي ندوة عقدتها صحيفة دافار وتحدث فيها عدد من الأدباء الاسرائيليين وكذلك عضو الكنيست عن حزب العمل عوزي برعام ، قال المشاركون ان من بين أسباب الهجرة أن اليهودي لم يعد يثق بأن البيت الذي يسكنه والذي عليه ان يموت من أجله ، هو بيته فعلا . وقال بورام بحنيوك أحد المشاركين بالندوة : ان ثمة مشكلة انتماء لدينا لم تحل بعد . انني أشعر بتناقض داخلي اذ أشعر أنني سأظل هنا الى الأبد ـ ومن جهة أخرى أشعر أن القصة المسماة بأرض اسرائيل ما هي إلا أسطورة عابرة .

ويقول شمشون عوفر : اذا أحارب ؟ هل أضطر أن أحارب كل عدة سنوات ولعل ابنى لن يعفى من نفس المصير ؟ ما معنى دولة يهودية اذن !

ويقول مندوبو الهجرة في الخارج : إن أى توتر أمني يضر بعملنا اذ أننا ببساطة ، لا نستطيع أن نبيع إسرائيل كمكان أكثر أمنا لهم من الولايات المتحدة الأمريكية » .

وتلك حقيقة تثبت بوضوح ، ان العمل الفدائي في الداخل ، في حالة تصعيده ، لن يكون عامل إزعاج وإقلاق فقط ، بل انه سيؤثر على حركة النزوح باتجاه ارتفاع وتيرتها ، وسيؤثر على الهجرة باتجاه انخفاض منسوبها .

■ انهيار القيم الايديولوجية : فقد فقدت الصهيونية بريقها الأول ، لدى كثير من أبنائها ومن يهود العالم . فهجرة أبناء الكيبوتسات - الطلائعين وأكثر المتحمسين للصهيونية لها دلالة هامة على انهيار القيم في المجتمع الصهيوني . وقد أجمع المشاركون في ندوة صحيفة « دافار » السابقة الذكر على ازدياد هجرة شباب الكيبوتسات . كما ذكرت هاآرتس أن أحد النازحين الى لوس انجلوس هو قائد لواء مظلات أقام مستوطنات عديدة في الجليل ، ونفذ عمليات عديدة في اطار عمله العسكري ، وفي أمريكا حيث يوجد ٣٥٠ - ٤٥٠ الف نازح إسرائيلي ، يقول مسئول عسكري إسرائيلي كان في زيارة لواشنطن : « إننا نعقد مؤتمرات لضباط الاحتياط في نيويورك ، التي أصبحت المدينة العبرية الأولى بدلا من تل أبيب » .

كما أن ثلث المهاجرين هم من مواليد البلاد « العابرا » . وفي أمريكا وحدها - كما أشارت دراسة نشرت مؤخرا - ٥٠ الف أكاديمي إسرائيلي تتراوح أعمارهم بين ٣٠ - ٤٠ عاما ، وهؤلاء يفترض فيهم أنهم نخبة المجتمع وأكثر شرائحها التزاما بالايديولوجيات الصهيونية ، وابتعادا عن النزوح .

ولذلك سبق لمناحيم بيجن أن قال في الكنيست . ان من النازحين رجالا من البالماخ واتسل وليحي - وهي منظمات صهيونية مقاتلة ساهمت في بناء الدولة ، ويقول مراسل النيويورك تايمز ان ٨٠٪ من جيل غولدا مائير غادروا البلاد .

وهكذا فان نبوءة شمعون بيرس ان يكون في البلاد ستة ملايين يهودي عام ٢٠٠٠ لتوزيع العبء على أكتاف عريضة ، لن ترى النور وهكذا أيضا ، تدلنا الأرقام الصهيونية نفسها والأدبيات الصهيونية نفسها ، عن عمق الأزمة التي يعيشها هذا المجتمع من الداخل ، رغم سمك الغطاء العسكري الذي يغلف هذا المجتمع ويحافظ على تماسكه في ظل قيادة صهيونية مغامرة وعدوانية .

إن أحدا لا يقلل من صعوبات النضال ضد هذا التجمع الاستيطاني ، ولكن الوجه الآخر لهذه الحقيقة ، أن النضال ليس أمرا مستحيلا ودورانا في حلقة مفرغة ، وحروبا ودماء بلا جدوى . فالامكانات الموضوعية لتفتت تماسكه كبيرة جدا ، اذا امتلكنا المثابرة والتصميم والاستعداد للتضحية .

●●●

في قاعة كرانغ بنيويورك ، أنشدت إحدى الفرق للاسرائيليين النازحين الى أمريكا وقالت :

« من بقي في إسرائيل . . . المجانين فقط » وضحك الجمهور وصفق بحماس كما قالت صحيفة هاتوفيه الاسرائيلية (١٩٨٠/١٢/١٢) .

أليس ذلك أمرا ذا دلالة ، لمن يمتلك رؤيا استراتيجية واضحة أو على الأقل لمن يمتلك خيالا استراتيجيا خصبا . ○

ويلات الأمم لجبران خليل جبران

■ ويل لأمة تنصرف عن الدين الى المذهب ، وعن الحقل الى الزقاق وعن الحكمة الى المنطق .

■ ويل لأمة تلبس مما لا تنسج ، وتأكل مما لا تزرع وتشرب مما لا تعصر .

■ ويل لأمة مغلوبة تحسب الزركشة في غالبيتها كمالا ، والقبح فيهم جمالا .

التنمية الصناعية في الخليج

بقلم الدكتور : عبد الله حمد المعجل

يكثر الحديث هذه الأيام عن قضايا التنمية الصناعية وخاصة في منطقة الخليج العربي ، وهناك مفهوم سائد بأن عملية التصنيع هي عملية احلال للثروة النفطية الناضبة بطاقات انتاجية مستمرة تؤدي الى الابقاء على مستويات المعيشة وعلى مستوى الدخل القومي الناتج من بيع النفط الخام .

في رأينا أن عملية التنمية الصناعية والتنمية بمفهومها الشمولي هي أكثر مما قدمت له بكثير . فنحن هنا نتحدث عن أحداث نقلة نوعية لسكان إقليم الخليج العربي من مجموعة مستهلكة الى مجتمع منتج . . سنحاول في هذا المقال القصير أن نطرح بشكل سريع ومبسط مفهوم هذه النقلة ، ماذا يقصد بالمجتمع المنتج ؟ ماذا يقصد بعملية التنمية الصناعية بمفهومها الشمولي ؟ كيف يتم احداث هذه النقلة وهذه التنمية ؟ ما هي المشاكل والمعوقات التي تقف في طريق هذه التنمية أو تبطىء من سيرها ؟ وما هي طرق مواجهة هذه المشاكل ؟

ان المجتمع المنتج هو النقيض التاريخي لما يسمى بالمجتمع الاستهلاكي والذي ليس هو بمجتمع بالمعنى الدقيق . . ففي المجتمع الاستهلاكي نجد العلاقات الداخلية والتي تؤدي الى خلق الديناميكية الفاعلة المؤثرة والمحركة للتاريخ مفقودة أو مخلخلة الى درجة كبيرة ، ونجد أن كثيرا من القطاعات الرئيسية داخل المجتمع ترتبط بقوى خارجية وعلى ذلك فان عوامل خارجية ، خارجة عن ارادة الجماهير المنتمية الى ما يسمى بالمجتمع الاستهلاكي تتحكم في تاريخ هذا المجتمع ، أي أن المجتمع الاستهلاكي ليس لديه الحركة التاريخية الذاتية بالشكل الفعال والمطلوب ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فاننا نجد أن الفرد في المجتمع الاستهلاكي يستمد قدرته على تحقيق ذاته وانتمائه الاجتماعي والانساني من خلال عملية الاستهلاك حيث نجد ان قيمة الفرد تتحدد بقدرته الاستهلاكية وليس بامكانياته وقدراته الانتاجية ، في حين نجد أن المجتمع المنتج هو الذي لديه الديناميكية التاريخية التي تتحقق من خلال علاقات الانتاج والتي تحدد العلاقات بين الفئات الاجتماعية المختلفة وتؤدي الى خلق ديناميكية من خلال الحوار العملي الذي يأخذ مجراه بشكل طبيعي بهدف تطوير القدرات

الانتاجية والاستفادة الاجتماعية من عمليات الانتاج . . . وعلى هذا فان المجتمع يتمتع باستقلالية اتخاذ القرار ، وباعطاء العوامل الداخلية الدور الرئيسي في إحداث الحركة التاريخية ، كما أن الفرد في المجتمع يحقق ذاته وانسانيته من خلال عملية الانتاج ، فالنقلة النوعية الى المجتمع المنتج تؤدي بالتالي الى خلق الانسان الذي يجد ارضاء في عملية الانتاج والابداع والخلق بمعزل عن ما يمنحه ذلك من قدرات استهلاكية .

هي قضية وجود

ان عملية التنمية بمفهومها الشمولي ، والتنمية الصناعية على وجه التحديد والتي تهدف في الأساس الى احداث هذه النقلة النوعية من مجتمع استهلاكي الى مجتمع منتج يجب أن تأخذ في الاعتبار هذا المفهوم ، ومن هذا المنطلق ايضا ، يتبين لنا أن عملية التنمية الصناعية ليست مجرد احلال للموارد النفطية . وان كانت تخدم هذا الغرض ـ وانما هي قضية وجود . . ومع تحديد التعريف بشكل موضوعي فان عملية التنمية يجب أن تكون عملية واعية تتعامل مع الواقع بهدف تغييره وتستفيد من جميع الامكانيات التاريخية وتوجه جميع الطاقات الاجتماعية في اتجاه أهداف محدده من خلال استراتيجية واضحة ذات مراحل وأهداف بعيدة المدى ، ومن هذا المنطلق فانه يجب الابتعاد عن المفهوم الخاطىء والشائع عن التنمية الصناعية والمتمثل في الخلط بين فكرة هذه التنمية وعملية الزيادة في الانتاج الصناعي فالمقصود ليس اقامة منشآت انتاجية ترتبط باقليم الخليج العربي جغرافيا بينما تستمد بقاءها من عوامل خارجية ، وانما عملية تطوير شاملة في مجالات انشاء وحدات انتاجية وتطوير القدرات الانتاجية للانسان ، وتطوير المعرفة والمعلومات ، وحيازة التكنولوجيا ، وتطويع أجهزة الخدمات ، الى غير ذلك ، كما أن المطلوب أن تكون التنمية الصناعية ملتحمة مع حركة التغير الاجتماعي ومرتبطة مع برامج التنمية الشاملة بشكل مادي بحيث تصبح نتائج هذه البرامج مكملة لبعضها البعض ويصبح وجودها وتطويرها قضية واحدة متشابكة ، أي أن المطلوب كما تعودت أن أكرر في كل فرصة هو اقامة صناعة خليجية وليس صناعة في الخليج .

لقد أدت الطفرة في أسعار الزيت الخام والتي حدثت في بداية السبعينات الى تكثيف عملية التصنيع في منطقة الخليج ، فمن ناحية صاحب هذه الزيادة في الأسعار زيادة في سعر الغاز الطبيعي والذي كان ينتج بكميات كبيرة تهدر حرقا ، كما أن الثروة الناتجة من بيع الزيت الخام كانت في الغالب تستثمر في الخارج أو تودع في بنوك خارجية مع ما يصاحب ذلك من أخطار التضخم وغير ذلك ، من هذا المنطلق فانه كان مجديا اقتصاديا اقامة صناعة تعتمد أساسا على توفر رأس المال بتكلفة رخيصة وتعتمد على الغاز الطبيعي كمصدر للطاقة وكمادة خام في بعض الأحيان ، ويمكن تقسيم هذه الصناعات الى فئتين رئيسيتين :-

الفئة الأولى وتشمل الصناعات الأساسية الموجهة للتصدير ، والتي تتميز باحجامها الاقتصادية الكبيرة مثل صناعات الأسمدة وصهر الالومنيوم والبتروكيماويات الأساسية .

الفئة الثانية وتشمل الصناعات الموجهة أساسا الى الأسواق المحلية ، وهي تتميز بطاقات انتاجية ذات أحجام اقتصادية وفي كثير من الأحيان تعتمد في مادتها الخام على الموارد المحلية وذلك مثل صناعات الأسمنت والزجاج .

من ناحية أخرى فان الزيادة في دخل الفرد والتي صاحبت زيادة أسعار النفط الخام أدت الى تطوير السوق الاستهلاكية المحلية ، وقد كان للقطاع الخاص دور رائد في محاولة الاستفادة من هذه السوق وذلك باقامة منشآت انتاجية صغيرة

الحجم موجهة أساسا الى المستهلك المحلي .

إستراتيجية واعية

ان عملية التنمية الصناعية في منطقة الخليج العربي كانت في الغالب ردة فعل لعوامل خارجية ، وبالذات لعامل الزيادة في أسعار النفط ، ونتيجة لصعوبة وضع استراتيجية واعية لعملية التصنيع فقد تمت هذه العملية بشكل مخلخل متميز بضعف الروابط الخلفية والأمامية للصناعة وبوجود خلل في عملية التكامل الرأسي والأفقي لعمليات الانتاج ، فمن ناحية نجد أن الكثير من المنتجات نصف المصنعة تصدر الى الخارج أو ترتبط في بقائها واستمرارها على المستهلك الخارجي الذي يصنعها وبالتالي يعيدها الى المستهلك المحلي أو المنتج المحلي الصغير ، وينطبق ذلك بوضوح على صناعة الألومنيوم ، ومن ناحية أخرى فان بعض المنتجات التي تحتاجها الصناعة والتي يمكن انتاجها محليا كانت تستورد من الخارج مثل الفحم البترولي الذي يدخل كمادة أساسية في صناعة الألومنيوم الأولى ويستورد من الخارج بينما يمكن تصنيعه من مصافي البترول المحلية .

هناك الكثير من الأسباب التي أدت الى اضعاف القدرة على وضع استراتيجية واعية موجهة نحو خلق صناعة متكاملة رأسيا وأفقيا ومتشابكة مع برامج التنمية الأخرى ، ونجد أن معظم هذه الأسباب تستمد وجودها من الواقع الفريد لدول الخليج العربية والمتمثل في التفاوت الكبير بين عوامل الانتاج حيث نجد أن هناك كثافة في الطاقة ورأس المال والذي يتطلب بالتالي تبني المشروعات كثيفة رأس المال ، والتي يجب أن تقام باحجام كبيرة نسبيا حتى تكون مجدية اقتصاديا . وفي مواجهة ذلك نجد أن ضحالة الكثافة السكانية تؤدي الى ضعف استيعاب السوق المحلية بالنسبة للمنتجات الموجهة للمستهلك المحلي كما تؤدي الى عدم القدرة على مد المنشآت الصناعية بالقوى العاملة المطلوبة . . ومن ناحية أخرى فان الموقع السياسي الضعيف نسبيا لكل من هذه الدول على حدة جعل منها لقمة سائغة للشركات الامبريالية .

لقد جاء اسلوب التعاون الصناعي كمنطلق استراتيجي لمواجهة هذا الواقع وقد فرض هذا الاسلوب نفسه ، حيث أنه في فترة من الفترات كان العديد من دول الخليج العربية يقوم بوضع برامج متشابهة منطلقة من واقع التشابة في الخلفية وفي عوامل الانتاج وقد أدى ذلك في بعض الأحيان الى التخطيط لطاقات انتاجية موجهة للسوق المحلية للخليج العربي أكبر مما يتحمله السوق ، كما أنه في مجال الصناعات الموجهه الى الأسواق الخارجية والتي كانت في الغالب صناعات متشابهة منطلقة أيضا من تشابه الخلفية أصبحت في حاجة الى تنسيق في عمليات التسويق ، هذا بجانب العديد من الصناعات التي كانت تتطلب حجما أكبر من حجم كل من هذه الدول على حدة حتى تصبح مجدية اقتصاديا .

لقد بدأ تبني اسلوب التعاون الصناعي بين دول الخليج العربي عند بداية الستينات ، وتمثل ذلك أساسا في اقامة المشروعات المشتركة بين هذه الدول في مجالات التمويل والانتاج ، وفي سنة ١٩٧٦ ، جاء انشاء منظمة الخليج للاستشارات الصناعية ليمثل منعطفا تاريخيا في تبني هذا الاسلوب ، حيث أنيط بهذه المنظمة تبني اسلوب التعاون والتنسيق الصناعي من منطلق استراتيجي ، فقامت المنظمة بوضع استراتيجية للتنمية الصناعية في كل من قطاعات الصناعة الرئيسية . . كالبتروكيماويات ، الحديد والصلب ، الألومنيوم ومواد البناء ، تم من خلالها تبني مشروعات مشتركة بهدف اخراجها الى حيز الوجود ، كما تبنت منظمة الخليج عدة مداخل استراتيجية أخرى هادفة الى

التنمية الصناعية من منظور تعاوني . من ذلك بناء بنك المعلومات الصناعية . وعقد العديد من الندوات وتطوير برامج تدريبية .

ويمثل اقامة مجلس التعاون لدول الخليج العربية منعطفا تاريخيا آخر في مجال التعاون بجميع أشكاله وقد بدأ الجناح الاقتصادي لمجلس التعاون تكثيف العلاقة مع منظمة الخليج للاستشارات الصناعية بهدف دعم التوجه الاستراتيجي التعاوني في مجال الصناعة .

ظاهرة تاريخية أم ظاهرة ارتجالية ؟ :

ان التحديات التي تقابل منطقة الخليج العربي ، وخاصة في الأونة الأخيرة ـ مع الحديث عن انخفاض أسعار النفط ـ تتطلب الموقف العملي للاجابة على السؤال الذي يطرح نفسه وهو : هل ما نمر به هو فعلا ظاهرة تاريخية تتمثل في عملية تنمية صناعية بكل شموليتها ، وابعادها ، أي اننا بالاستفادة من العوامل الخارجية المحركة والمتمثلة في توفر الثروة النفطية استطعنا بالفعل تحقيق ميكانيكية داخلية تحرك التاريخ في الاتجاه التنموي بفعل العوامل الداخلية المستمدة من ارتباط مصالح القطاعات الجماهيرية الرئيسية بمنافع التنمية وعملية استمراريتها ؟ كما ذكرت فان الاجابة المطلوبة ليست نظرية بل هي اجابة عملية تتمثل في تبني الاتجاهات المؤدية الى خلق هذه الميكانيكية الداخلية . ومن الممارسات الأساسية التي يجب تبنيها كجزء من هذه الاجابة العملية ما يلي :ـ

ـ التوجه نحو التكامل الرأسي والافقي بهدف تحقيق الافادة القصوى من الطاقة الاستيعابية للسوق المحلية .

ـ تحديد الصناعات الاستراتيجية وتنميتها بصرف النظر عن المعايير التقليدية للربحية .

ـ التنسيق في القطاعات الرئيسية الموجهة الى السوق المحلية بهدف الحد من قيام طاقة انتاجية عاطله .

ـ دعم وتطوير قطاع الخدمات الهندسية والبنى الأساسية للصناعة .

ـ تنمية الأبحاث الرامية الى حيازة وتطوير التكنولوجيا .

ـ إعادة النظر في التركيبة الادارية وأساليب العمل للمنشآت الهادفة الى التنمية بهدف رفع كفاءتها .

ـ التعاون على تحقيق التوازن في التنمية بين دول الخليج ، وذلك عن طريق توحيد الحوافز والمؤسسات التمويلية .

ـ التنسيق في مواجهة الحرب الاقتصادية من جانب الدول المتطورة والشركات الامبريالية العالمية التي ترى في الصناعة الخليجية منافسا لها في الأسواق العالمية والمحلية .

ـ الالتحام مع الخطط والبرامج العربية بهدف اخراج مشروعات عربية مشتركة تستفيد من الحجم الكبير للسوق العربية وبهدف الاستفادة من الطاقات والامكانيات البشرية في الوطن العربي .

كما ذكرت سابقا فان التحديات التي تواجهها متمثلة في انخفاض العائدات النفطية تتطلب منا التعامل بشكل عملي مع ظاهرة التنمية ، واضافة الى ما سبق ذكره ، فانه يجب التركيز على اساليب التقليل من الانفاق التبذيري وذلك لصالح الانتاج ، وبجانب اسلوب التوعية المستمرة للمواطن الخليجي فانه يجب عمليا تخفيض كلفة الانتاج على حساب كلفة الاستهلاك ، ويتم ذلك عن طريق منح الحوافز المختلفة لعملية الانتاج وتخفيض أسعار الطاقة والمواد الخام لها . وبالمقابل رفعها على المستهلك ، وهذا يؤدي حتما الى تحفيز عملية الانتاج ، اضافة الى جعل التبذير مكلفا بالنسبة للمستهلك ، كما يؤدي بالتالي الى رفع مستوى الوعي بالنسبة للكلفة ، وهذه في رأينا هي الخطوة الأولى نحو التحول من مجتمع مستهلك الى مجتمع منتج . ○



الدور التشريعي للدولة في نظر الإسلام

بقلم : الدكتور محمد فاروق النبهان

تعتبر الوظيفة التشريعية من أهم الوظائف التي تقوم بها الدولة ، اذ لا يمكن لأية سلطة من سلطات الدولة الأخرى التنفيذية والقضائية ان تباشر مسؤولياتها دون ان تكون هناك قوانين معتمدة ، صادرة عن جهة مختصة ، تملك صلاحية وضع القانون واصداره . .

واذا كانت كلمة « السلطات العامة للدولة » قد اشتهرت لدى فلاسفة القرن السابع عشر والثامن عشر ، وجاءت في بعض مؤلفاتهم وكتاباتهم المتعلقة بالوظائف العامة للدولة ، من امثال الكاتب الانجليزي جون لوك في كتابه « الحكومة المدنية » والكاتب الفرنسي مونتسكيو في كتابه روح القوانين » ، فان من المؤكد ان الوظائف العامة للدولة لم تكن مجهولة المعالم لدى الفلاسفة الأقدمين .

وكان « ارسطو » من اوائل الفلاسفة الذين حددوا وظائف الدولة ، وتصوروا دورها في وظيفة تشريعية ، ووظيفة تنفيذية ووظيفة قضائية ، وهذه الوظائف لا تختلف كثيرا عن



وظائف الدولة في الفكر الدستوري المعاصر ، الذي يدين في كثير من نظرياته الى أصول فلسفية قديمة .

واعتقد شخصيا أن تقسيم وظائف الدولة الى تشريع وتنفيذ وقضاء يخضع لنوع من التصور الفكري الواقعي ، الذي يحدد دور الدولة ، بتشريع للقانون ، وبتنفيذ له ، ويفصل في المنازعات في اطار ذلك القانون وذلك التصور المبدئي لوظائف الدولة،أصبح فيما بعد من المسلمات القانونية والاخلاقية في الفكر السياسي المعاصر . .

ومع هذا . . . فان العبرة ليست في الاعتراف بوظائف الدولة التشريعية والتنفيذية والقضائية وانما في طريقة ممارسة كل سلطة من تلك السلطات لمسؤولياتها ، وفي احترام كل سلطة لحدود السلطة الأخرى ، بحيث تؤدى كل سلطة وظيفتها في إطار التصور الشمولى للدور المحدد لكل سلطة،ومن هنا ظهرت الدعوة ملحة لفصل السلطات عن بعضها ، في كتابات جون لوك ، ومونتسكيو ، وذلك لأن تداخل السلطات مع بعضها لا يحقق الغاية من وجود تلك السلطات ، فضلا عما يمثله تسلط السلطة التنفيذية وتدخلها في اعمال السلطات الأخرى من انحراف عن مبادى العدل ، وبخاصة اذا أدركنا أن فصل السلطات ليس من الاهداف اليسيرة التي يمكن تحقيقها بمجرد نظريات فكرية ، صادرة عن بعض المفكرين . . .

وتعتبر السلطة التشريعية من أهم السلطات العامة في الدولة ، وذلك لأن هذه السلطة تناط بها مسئولية تشريع القوانين ، واصدارها ، وفي ظل هذا الدور الكبير الذي تقوم به هذه السلطة ، فان دور السلطة التنفيذية يعتبر دورا تنفيذيا محدودا ، تحاسب هذه السلطة عند كل تجاوز ، وتنتقد عندما لا تؤدي مهمتها بالشكل السليم ، ويحق للسلطة التشريعية في ظل هذا التصور أن تراقب السلطة التنفيذية وتسحب منها الثقة باسم الأمة عندما لا تؤدي المسئولية التي أنيطت بها . . .

ونظرا الى ان التشريع يعتبر من أهم سلطات الدولة فان مهمته تناط بالأمة ، ويرى « جان جاك روسو » ضرورة ان يتولى الشعب بنفسه مهمة التشريع ، بينما يرى « مونتسكيو » استحالة قيام الشعب مباشرة بمهمة التشريع ، وذلك لأن الأمة لا يمكن بكل افرادها أن تسن التشريع ، ولذا فانها توكل هذه المهمة الى مجلس تختار افراده عن طريق الانتخاب ، ويستمد هذا المجلس شرعية وجوده من اختيار الامة له ، وتفويض امر التشريع له ، وفي هذه الحالة فان من الواجب ان يتوفر لهذا المجلس المنتخب كامل الصلاحيات التي تمكنه من أداء مهمته كما يجب ان تتوفر له الحصانة القانونية التي تعتبر ضمانات فعلية لكي يمارس مسؤولياته بشجاعة واطمئنان . .

الدور التشريعي في نظر الاسلام

لانجد صعوبة في تصور مفهوم السلطات العامة في الفكر السياسي المعاصر ، من حيث قيام كل سلطة بما يفرضه عليه واجبها ، من غير حدود او قيود ، في اطار ما تراه مصلحة ، واذا كانت السلطة التشريعية تملك صلاحية مراقبة السلطة التنفيذية ، فان السلطة التشريعية تملك صلاحيات مطلقة في اصدار ما تراه من قوانين ، وليس من اليسير على الشعب ان يتصدى لتلك السلطة التي فوض اليها امره ، ومنحها ثقته ، واختارها ممثلا عنه . .

وهنا يبرز المفهوم الاسلامي للدور التشريعي

للدولـة ، ويختلف كليـا من مفهـوم السلطة التشريعية في الفكر المعاصر ، وذلك من زوايا عدة ، اهمها :

١ ـ تعتبر السلطة التشريعية في نظر الفكر السياسي المعاصر ، ممثلة للأمة ، ومعبرة عن رأيها ، وتستمد شرعية وجودها من الأمة ، وبالتالي فانها تملك صلاحية مطلقة في مجال التشريع . .

اما في الفكر الاسلامي فإن السلطة التشريعية لا تملك حق التشريع المطلق ، وانما تملك صلاحية وضع قوانين مستنبطة من القرآن الكريم والسنة النبوية ، ويعتبر القانون الذي يتعارض مع احكام القرآن الكريم والسنة باطلا ، ويوجب الاسلام على الامة ان ترفض كل تشريع يتعارض مع شرع الله واحكامه . .

٢ ـ كلمة التشريع في نظر الفكر الاسلامي تفيد معنى وضع تشريع مبدأ ، يمثل مبادىء الاسلام وقواعده واحكامه الاساسية ، وبناء على هذا المفهوم فان كلمة تشريع يراد بها التشريع الالهي ، الوارد عن طريق القرآن ، او عن طريق السنة النبوية ، ومثل هذا التشريع لا تملكه اية سلطة من سلطات الدولة ، كما لا تملكه الأمة ولو اجتمعت له ، وذلك لأن الله تعالى هو المشرع ، بصفته الحاكمية ، اما الانسان ـ في نظر الاسلام ـ فلا يملك حق التشريع المطلق ، سواء كان سلطة أو أمة او فردا . .

٣ ـ تنحصر مهمة المشرع البشري في نظر الاسلام في اطار الاجتهاد ، سواء كان ذلك الاجتهاد استنباطا من نص ، او حكما مستفادا منه ، وفق طريق من طرق الاجتهاد المتعددة . . ويجوز الاجتهاد فيما لا نص فيه ، على ان يكون ذلك محققا لمصلحة عامة ، او مراعيا لمقاصد شرعية مقررة . .

والاسلام لا يقر ما أقرته نظريات الفكر السياسي المعاصر من أن السيادة للأمة ، كما يرفض مبدأ السيادة للحاكم ، واذا انتفت السيادة المطلقة لأي من الحاكم والمحكوم ، انتفت عنهما صفة الاهلية المطلقة للتشريع الاساسي ، وذلك لأن الحاكم في نظر الاسلام مكلف بأن يحكم بما أنزل الله ، ولا يملك بهذا الاعتبار أية صفة تشريعية ، الا فيما يدخل في حدود الاجتهاد الذي يراه ضروريا لتحقيق مصالح الامة . .

والأمة في نظر الاسلام لا تملك حق التشريع ، سواء كان ذلك عن طريق مباشر او عن طريق المنتخبين ، وذلك لأن الأمة ـ في نظر العقيدة الاسلامية ـ محكومة بتشريع الهي لم تشارك في وضعه ، لئلا يخضع للأهواء والمصالح ، ولا تملك رفضه ، لان المسلم لا يرفض ما شرعه الله له ، وأمره به من احكام . .

ولما كان التشريع يرتبط بمفهوم السيادة ، من حيث وجوب صدوره عمن يملك صفة السيادة ، وان السيادة المطلقة لا يمنحها الاسلام للحاكم ، لامكان انحرافه او خضوعه للاهواء ، او تغليب مصالحه او مصالح الطبقة التي ينتمي اليها على المصالح العامة ، كما لا يمنحها الاسلام للأمة ، لأن الأمة ـ وان استحال اجماعها على الخطأ ـ لا يمكن لها ان تباشر بطريقة فعلية ، مهمة التشريع ، وهي مضطرة ان تنيط تلك المهمة بمن تختارهم من ممثليها ، وهؤلاء لا يخرجون في أحسن الظروف عن طبائعهم الانسانية ، بكل ما تتصف به تلك الطبائع من رغبات ومصالح واهواء وصراعات . .

وبناء على هذا . . . فان التشريع الاساسي تكفلت به العناية الالهية ، من خلال القرآن الكريم الذي هو كلام الله المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم ، والذي اشتمل على بيان الاحكام الأساسية التي يجب ان تكون دستور الحياة البشرية ، ثم تكفلت السنة النبوية ببيان تلك الاحكام ، بطريقة تفصيلية ، بما ينسجم



مع حاجات المجتمع الاسلامي ويراعي مصالحه التي تعتبر من اهم المقاصد الشرعية .

وان المسلم بطبيعته يرفض ان تسند مهمة التشريع الى البشر ، وذلك لان احتكام الانسان المحكوم الى من يماثله في صفته الانسانية ، يفقد حكمه صفة القبول والتسليم التي يجب ان تتصف بها الشرائع ، واذا افتقدت الشريعة صفة القبول فقدت احترامها لدى الناس ، وفقدت صفتها الالزامية ، وفي هذه الحالة يجب على الدولة ان تفرضها بقوة السلطة ، وان تسهر على تنفيذ احكامها .

والشريعة التي لا يثق المواطن بعدالة احكامها ، ولا بقداسة مصدرها ، تبقى معرضة للسقوط والانهيار ، في حالة سقوط السلطة التي اصدرتها ، بخلاف الشريعة التي تعتبر جزءا من عقيدة المواطن ، فانه يحتكم اليها ، ايمانا بعدالة احكامها ، ويتقبل حكمها راضيا مطمئنا ، ويجد في اعماق كيانه ما يدفعه باستمرار لاحترامها ، ومراعاة احكامها . .

اختصاص السلطة التشريعية

لا يرفض الاسلام مبدأ قيام سلطة تشريعية ، وانما يرفض ان تتجاوز تلك السلطة الصلاحيات التي يخولها الاسلام لها ، وبناء على هذا ، فان الاسلام يحدد اختصاصات هذه السلطة ، بأن يكون تشريعها سواء كان دستورا او قانونا ، معبرا عن المباديء التي اقرها الاسلام ، سواء في مجال التشريعات القانونية او الاقتصادية ، او في مجال احترام قواعد ومباديء الحكم المقررة . .

ويعتبر دور السلطة التشريعية شكلا من اشكال الاجتهاد المقرر لدى الفقهاء ، ويخضع لما يخضع له من قيود وحدود ، سواء في مجال اشتراط اهلية الاجتهاد في كل فرد من اعضاء هذه الهيئة التشريعية ، او في مجال الالتزام بكل الضوابط التي حددها علماء أصول الفقه في مجال الاجتهاد . .

ويعتبر أي قرار تتخذه السلطة متجاوزة به حدود ما قرره العلماء من ضوابط اجتهادية ، خارجا عن اختصاصها ، ويجرى عليه ما يجرى على كل حكم اجتهادى اذا لم تتوفر فيه شروط الاجتهاد . .

وبهذا الاعتبار فان مهمة السلطة التشريعية في نظر الاسلام تختلف عن مهمة السلطة التشريعية في نظر الفكر الدستوري المعاصر ، وذلك لأن الاسلام يحدد تلك المهمة في اطار وضع القواعد القانونية التي تسهم في دعم التشريع الأساسي ، المتمثل في القرآن والسنة .

وبناء على هذا . . فان أي قانون يجب أن يخضع للرقابة قبل اصداره او مناقشته ، للتأكد من مدى انسجامه مع الاحكام التشريعية الاساسية ، فان ثبت عدم انسجامه مع تلك الاحكام ، فانه يعتبر باطلا ، ومن حق الامة أن ترفضه ، لمخالفته لعقيدة الامة وتشريعها الاساسي . . .

شروط أعضاء السلطة التشريعية

تختلف نظرة الاسلام الى دور السلطة التشريعية عن نظرة الفكر الدستوري المعاصر ، وبناء على اختلاف النظرة ، فان الاسلام يشترط في اعضاء الهيئة التشريعية مالا يشترطه الفكر المعاصر ، حتى في أرقى الدول واكثرها حضارة . .

وبينما يكتفي الفكر المعاصر ببعض الشروط المتعلقة بالقدرة على الكتابة والقراءة ، أو المتعلقة بسلوكيته الاجتماعية ، فان الاسلام يتشدد كل

التشدد في هذا المجال ، نظرا لجسامة المسؤولية التي يجب عليه أن يتحملها . .

وأبسط تلك الشروط أن يتوفر فيه ما يجب ان يتوفر في القاضي او المجتهد ، لأن دوره التشريعي يتطلب منه ذلك ، ويمكننا ان نحدد تلك الشروط بما يلي :

ـ ان يكون عالما بكتاب الله وبسنة رسوله على الوجه الذي تصح به معرفة ما تضمنه كل منها من احكام .

ـ ان يكون عالما بأقوال السلف ، فيما اجتمعوا عليه واختلفوا فيه . .

ـ ان يكون عارفا بقواعد الاجتهاد والقياس لكي يتمكن من رد الفروع الى اصولها ،

ـ ان يكون من اصحاب السمعة الطيبة ، والنزاهة والحكمة ممن يثق الناس برأيه ، ويطمئنون لحكمه واجتهاده . .

وهذه الشروط تستهدف شيئين :

أولها : ان يكون متمكنا من القيام بمهمته التشريعية على الوجه الأكمل ، وذلك لأن مهمته ذات طبيعة علمية ، ولا يمكن لغير المتمكن القيام بها . .

ثانيها : ان يترك انطباعا بالثقة والاطمئنان لدى الناس ، وبخاصة في مهمة النيابة عن الامة والدفاع عن مصالحها . .

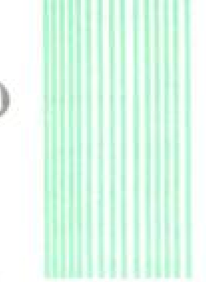
ولا يمنع الاسلام من فكرة الانتخاب ، اذا روعيت شروط الكفاءة العلمية والسلوكية التي اقرها الاسلام . . .

ويعتبر الدور التشريعي الذي تقوم به السلطة التشريعية نوعا من انواع الاجتهاد ، ويجري عليه من حيث الضوابط والشروط ما يجري على الاجتهاد . .

اما الفرق بينهما فيتجلى في صفة الالزام بالنسبة للاجتهاد الذي يصدر عن السلطة التشريعية ، نظرا لأن مهمة اعضاء الهيئة التشريعية هي الاجتهاد في وضع قواعد قانونية فما تراه محققا للمصلحة يعتبر ملزما للأمة ، ويشبه ذلك قضاء القاضي ، فانه يعتبر نافذا وملزما . وكذلك فان اجتهاد الخليفة يعتبر ملزما . وذلك لأن هؤلاء جميعا في موطن اتخاذ القرار ، فما يرونه باجتهادهم محققا للمصلحة العامة ، يجب عليهم الأخذ به . .

بخلاف الاجتهاد الفردي فلا يعتبر ملزما للأمة ، ما لم تعتمده جهة رسمية ، وذلك لأن الاجتهاد ـ في حد ذاته ـ رأي ، فاذا كان صاحبه من اصحاب المسؤولية ، كالخليفة او القاضي فان اجتهاده يلزمه ، ما دام مقتنعا بصحته ، فاذا تبين له خطؤه وجب عليه أن يعود عنه ، الا أن ما يصدر عنه يعتبر نافذا ، لأن الاجتهاد اللاحق لا يلغي الاجتهاد السابق ، لعدم امكان معرفة الصواب في أي منها . . .

وأعتقد جازما ان مفهوم السلطة التشريعية في الاسلام يحقق في النفس الأمن والاطمئنان والثقة ، اكثر مما تحققه مفاهيم السلطة التشريعية في الانظمة السياسية المعاصرة ، والتي تتخبط في متاهات وتقع في تناقضات ، وبخاصة في ظل انتقال الاكثرية من حزب الي حزب مخالف له في التكوين والنظرة والفلسفة والهدف ، وهكذا تهدم السلطة التشريعية الجديدة ما سنته السلطة السابقة من قوانين وتشريعات ، وتضع تشريعات جديدة ، تحقق للطبقة التي تمثلها الاكثرية الجديدة ، امتيازات وحقوقا قد تتجاوز ـ في معظم الاحيان ـ ما تفرضه مبادىء العدالة ، او ما تقرره مصالح الامة ، فضلا عما يمكن ملاحظته من عدم كفاءة الهيئات التشريعية ، وعدم قدرتها على تلمس المصلحة ، وبخاصة في البلدان التي لا تتمتع بقدر كاف من الوعي والنضج السياسي ، فتدفع الي مجالسها التشريعية من لا يحسن الدفاع عن مصالح الأمة ، او من لا يتمتع بالثقة والنزاهة التي تمكنه من ان يؤدي مهمته بصدق وامانة . ○



تعيش المنطقة منذ أول احتكاك لها مع الغرب قضية تحديد نوعية العلاقة مع الآخر . نتيجة لذلك برزت مفاهيم عديدة ذات صلة بهذه العلاقة مثل الخصوصية والأصالة والمعاصرة والتجديد والتراث والحداثة والتقليد .

الأفكار المستوردة والأصالة

بقلم الدكتور حيدر ابراهيم علي

مازال الجدل دائراً حول سبل التعايش مع الآخر بندية وتكافؤ ، ويمكن إرجاع كل التيارات السياسية والايدولوجية والفكرية - دون اختزال - إلى كونها محاولة للاجابة عن السؤال : كيف نتعامل مع الآخر ؟ وبالذات في محاولة اختيار البدائل المناسبة للتنمية الشاملة بمحتواها الفكري غير التابع .

تكمن الاشكالية في التقارب الذي حدث نتيجة تطور الاتصال والمواصلات وأصبح العالم حقيقة قرية كبرى ولم يعد بامكان أي مجتمع أن يعزل نفسه عن بقية العالم . لا توجد الآن أسطورة الستار الحديدي ولا المناطق العذراء التي لم يزرها أي أجنبي أو نعيش بعيداً عن الضوضاء والحركة وكأنها جزيرة « روبنسون كروزو » . المجتمع المنعزل صار مجرد « يوتوبيا » توجد في اللامكان حقيقة . نحن في المنطقة العربية نقع في « سُرّة » العالم أو في الوسط جغرافياً واستراتيجياً لذلك جعلت منا الجغرافيا أكثر مناطق العالم عرضة للاحتكاك والتبادل والتأثر مع الآخر وبالذات الآخر الأقوى - الحضارة الغربية المعاصرة . لم يقصّر التاريخ أيضاً فقد مرت علينا صراعات قوى متعددة وبدءا من هجمات الغزاة القديمة وحتى جيوب الاستعمار الحديث مروراً بحملات الاستعمار التقليدي ، كانت المنطقة المكان - الموقع والحدث والانسان مسرحاً لمعارك اشتركنا فيها أو تفرجنا عليها وهي تدور هنا مؤثرة على مختلف مشروعاتنا الحضارية والسياسية والاقتصادية .

الأفكار المستوردة

هناك جانب آخر في وضعيتنا وهو أننا ننطلق من كوننا أصحاب حضارة تليدة وقادرة - على الأقل - بالقوة أن تكون كفئاً في مقارعتها لعناصر ثقافة الآخر التي قد تحاول التأثير أو التغلغل داخل مجتمعنا . وبالتالي تزداد علاقتنا وتماسنا مع الآخر تعقيداً اكثر ، خاصة وأن هذه العلاقة تتم بعد تاريخ مثقل بالقهر والتبعية والشعور بالدونية . تتراوح هذه العلاقة بين الرفض الكامل أو الانتقاء أو الدهشة العاجزة . على ضوء ما تقدم تبرز مفاهيم مثل الأفكار المستوردة والأصالة وأحيانا التعايش الحضاري أو ما يسميه روجيه غارودي ، حوار الحضارات .

ولنبدأ بمفهوم الافكار المستوردة الذي يتردد كثيراً في الكتابات ووسائل الاعلام والنقاشات .

لدرجة انه يتخطى في بعض الأحيان حيز المصطلح المستعمل لتصنيف فئة معينة من الأفكار ليصل حدود التهمة التي قد تربط صاحبها بجهات فكرية خارجية أو مشبوهة والسؤال هو كيف يمكن أن تستورد الافكار وما هو السبيل الى ذلك ؟

تقود هذه التساؤلات الى وجوب تحديد نشأة الأفكار أولاً . فالمعروف هو أن الأفكار تظهر نتيجة للواقع الاجتماعي وللظرف وللواقع الاجتماعي الذي تعبر عنه وتظهر فيه . من هذا المنظور تبقى الأفكار نسبية بمعنى أنها صالحة في مكان وزمان معينين ولها سياق محدد لا نستطيع أن ننزعها من هذا السياق . وهنا يمكن التحدث عن الأفكار المستوردة بمعنى أن بعض الأفكار قد تكون صالحة في مجتمع ما ، ولكن لو حاول البعض نقلها الى مجتمع آخر مختلف ثقافياً وتاريخياً فهي لا تلبي احتياجاته وتبقى غريبة عن واقعه مثل (عملية زرع القلوب أو الأعضاء التي لا يتقبلها الجسم المتلقي) . وهذا قد يعني انعدام أي تواصل بين ثقافات وأفكار العالم ، فالثقافات تشبه الجزر المتفرقة التي لا يجمع بينها أي شيء مشترك إلا إذا كانت في الأساس من أصل واحد . وهذه نسبية مطلقة أي أنها تستبعد أي تداخل فكري بين الثقافات وهو أمر لا وجود له في الواقع بل فرضيات مجردة ـ كما سيتضح لاحقاً .

الفكرة الأساسية

يشرح « ايكه هولتكرانس » النظرية كما يلي :

« الفكرة الاساسية في رأي « باستيان » هي أن شكلا أساسياً من أشكال الفكر شائع بين الناس ، أو يمكن ان ينشأ آلياً وبشكل مستقل عن أفكار مشابهة في بيئات ثقافية أخرى ، وذلك بسبب الوحدة النفسية بين البشر »[1] .

وجدت نظرية الوحدة البشرية هذه رواجاً عند الاجتماعيين بمختلف تخصصاتهم على أساس أن الجماعات والمجتمعات لها خصائص عامة توجد حيثما وجد الانسان مثل تشكل النظم الاجتماعية . اما عند علماء النفس والتربية فهم يجمعون تقريباً حول وجود عدد من الحاجات والغرائز موجودة طبيعياً أو اجتماعياً عند كل فرد في كل المجتمعات البسيطة (والتي تسمى خطأ بدائية) والمتقدمة . مع وجود اختلاف حول عدد الحاجات والغرائز وأنواعها والفروق بينها .

رغم أن أغلب هذه الحاجات بيولوجية بحتة أو نفسية إلا أننا نحاول أن نوسع من مداها ونتساءل : « ألا توجد حاجات بشرية عامة مرتبطة بالمثل العليا وبالتالي ذات صلة وثيقة بالأفكار ؟ أي نستطيع القول بان هناك حاجة للعدالة والمساواة مثلاً .

البحث عن العدالة

قد ندخل منطقة التخمين والرجم ـ ولكن ليس هناك من يستطيع أن يثبت وجود إنسان في أي مجتمع مهما كانت درجته في سلم التطور الاجتماعي يرضى أن يكون الظلم أو اللامساواة سلوكاً مقبولاً ـ خاصة حين يقع عليه أو حوله ـ وبالتالي يتعامل معه بقبول ورضوخ .

نحن الآن أمام نظرتين متطرفتين في تفسير نشأة وانتشار الأفكار . الأولى تقول بتفرد الأفكار وخصوصيتها والثانية تقول بعمومية ووحدة الأفكار . ولكن في كل واحدة نجد جانبا من الصحة والمصداقية ـ فالحاجات الانسانية في غالبيتها واحدة ولكن طرق التعبير عنها مختلفة وطالما الافكار هي شكل التعبير الذهني عن هذه الحاجات لذلك تبقى احتمالات الاختلاف

---

(1) ايكه هولتكرانس : قاموس مصطلحات الاثنولوجيا والفولكلور ، ترجمة محمد الجوهري وحسن الشامي ، « القاهرة » ، ١٩٧٢ ص ٢٦٦ .

واردة . ولكن ألا يمكن الاستفادة من التاريخ البشري باعتباره ملكاً للانسانية جمعاء وأن كل الثقافات هي مجرد روافد تصب في ذلك النهر العظيم . ويكون لنا بالتالي حق الاستفادة من التجارب المتراكمة بسبب مساهمتنا في وقت ما في تكوين الفكر الانساني ؟

تصعب الاجابة عن هذا السؤال ، لانه لو قلنا نعم فقد نقترب من جعل ثقافات المجتمعات ذات طابع كوني (كوزموبوليتاني) عام وهلامي الشكل ليست لها خصائصها المميزة،وتفقد ميزة التنوع والتعدد وهي الخاصية التي تجعل الانسان في كل ثقافة خلاقاً ومبتكرا وهذا هو مجده الوحيد . وخطورة هذه النظرة الكونية للثقافة تكمن في احتمال أن تقوم ثقافات أخرى بصنع هذا الواحد العام بالانابة عن بقية المجتمعات وهذا قد يعطيها حق الهيمنة الثقافية على البقية ، وهذا الاحتمال غير بعيد وتوحي علاقات التقليد من قبل مجتمعات معينة لنماذج حياة من مجتمع أكثر تطوراً مادياً . أما الاجابة بالنفي فقد تعني أن يبدأ كل مجتمع بدايته الخاصة ، وهكذا يكون تطوره مستقلاً وهذا مستحيل في الواقع نتيجة للتشابك والتداخل والتأثيرات المتبادلة بين المجتمعات المختلفة .

المعادلة الصعبة

هنا يتوجب التوقف لمعالجة المعادلة الصعبة : العلاقة مع الآخر (أو الآخرين) وفي نفس الوقت الاحتفاظ بالخصوصية . وفي حالة مجتمعنا كيف نكون أصيلين وانسانيين بمعنى تحقيق هويتنا الثقافية دون أن نغلق نوافذنا منعاً للتيارات الفكرية القادمة من ثقافات مختلفة ، وتكون لنا القدرة الفكرية على التعامل معها بندية فنتصارع معها في ميدان الفكر وحده وفي النهاية لا يصح إلا الصحيح . وهذا هو الطريق الوحيد في هذا العالم الصغير الذي يمكننا من أن نرتكز على فكر قوي وواثق من نفسه ولكننا ما زلنا نعيش علاقة مزدوجة ـ حب وكراهية معاً ـ في تعاملنا مع الآخر وأعني به الغرب بالذات .

تتضح عدم ثقتنا في الفكر الذي نحمله من خلال رؤية أنفسنا بواسطة أدوات المعرفة والتقويم التي يمتلكها الآخر . فنحن نهتم كثيراً بما يقوله الآخر عنا سلباً أو ايجاباً وكأنه هو الحكم الذي يقرر لنا ما هو الصحيح أو الخطأ .

عندما ينتقد أحد الغربيين فكرنا أو مجتمعنا ـ ناهيك عن صحة أو خطأ مقولاته ـ مبينا جوانب في غير صالحنا ، نجدنا ننفعل بحدة ونكيل التهم « للمغرضين الذين يروجون الافتراءات » وللاستعمار الأوربي والمستشرقين المرتبطين به وللجهات التي لا هم لها الا التقليل من قيمتنا .

ولنفترض أن نفس هذا الغربي مدح مجتمعنا وثقافتنا وأبرز جوانب ايجابية فيها ـ نجدنا بنفس الحماس نحاول ان نستشهد به كدليل « وشهد شاهد من اهله » ويصبح كل الفضل والحق هو الذي تشهد به الأعداء . ونجد في الكتب والمؤلفات التي تتناول قضايا مجتمعنا وثقافتنا أن الاستشهاد والاقتباس ينصب كله على كتابات الأوربيين لتأكيد بديهيات تخصنا نحن ولكن نظن لعدم ثقتنا بأنفسنا أنها لا تكتسب اقناعها الا إذا ذكرها العلامة فلان الذي نال جائزة نوبل في العلوم الطبيعية او الانسانيات .

هناك صعوبة في تحديد الأصالة ومعناها ولذلك تحفظ بعض الكتاب خشية ان تكون الاصالة غطاء لتبرير العزلة أو الاعجاب المبالغ فيه بالنفس دون وجه حق . يقول حسن حنفي في هذا الصدد :

« ولا تعني الأصالة الحرص على التمايز والخصوصية بأي ثمن وعلى اي نحو وبأي شكل حتى ولو كان عن طريق الاعلان التجاري عن النفس والتمايز المصطنع عن الغير في الاشكال والرسوم وفي المظاهر الخارجية ، وأحياناً في العنصر والجنس ، فالأصالة بهذا المعنى وقوع في العنصرية والنرجسية وحب الذات ، وإيثار الانعزال على المشاركة والانفصال على

الاتصال »[٢].

رغم ان الأصالة مطلوبة إلاّ أنها يمكن أن تتحول الى موقف مرضي خاصة في حالات الضعف والخوف من الخطر الخارجي المتوهم أحياناً . فالنهضة أو البعث الحضاري لا يتم إلا بجناحيه :

الأصالة مع معايشة الحاضر دون عقد وتوترات وتشنج في التعامل مع معطيات العصر (أي المعاصرة الايجابية) . عندما نريد إنزال مثل هذه الآراء للواقع فهي عملية صعبة تبدو كما لو كنا نمشي على حد السيف . فالميل الكامل نحو الانفتاح وتمجيد التيارات المعاصرة الخارجية بصورة مطلقة يعني نفي ثقافتنا وقدراتها على المدى الطويل ، كما أن التشبث المتعصب والانغلاق يعني انكفاءة وتحنيطاً لثقافتنا . وهنا أعود وأقول ان المنطلق الصحيح هو الايمان باننا جزء من هذا العصر محكومين بالزمان وبالمكان أيضاً لأننا في قلب هذا العالم المعاصر .

هناك تناقض آخر نعيشه في علاقتنا مع الآخر وهو أننا رغم حديثنا عن الأفكار المستوردة ، نتعامل مع الجانب المادي للثقافة الوافدة برضا تام ودون أن نشعر بالنقص والاستفزاز . نحن نعتمد كلية في الماديات على الغرب ، ننقل التكونولوجيا كلها بل أحيانا يجربها الغرب عندنا بعد أن تدفع ثمنها ، ونستورد كل الآلات والأدوات من الأبرة حتى الطائرة ولكن هذا النوع من الاستيراد لا يثير فينا أي معارضة ونخوة رافضة بل هناك أصوات تدعي أنهم - أي الغربيين - مسخرون لخدمتنا !

استيراد التكنولوجيا والسلع لا يعني مجرد استيراد حديد مثلا لأن التكنولوجيا والسلع هي في الواقع تجسيد مادي لأفكار وعلاقات اجتماعية ، ونحن لا نستطيع أن نستورد الآلة ونترك آثارها الاجتماعية والفكرية . فدخول التلفزيون أو الفيديو يعني ظهور نوع جديد من العلاقات الاجتماعية المرتبطة بالأسرة النووية وارتباط الناس في البيت الواحد أكثر بمنزلهم لتمضية الوقت وللتسلية بصورة فردية بعد أن كانت قديما نشاطاً اجتماعياً يشمل الأسرة الممتدة او القبيلة .

ازدواجية أخرى

وهكذا كل آلة أو سلعة لا تأتي منعزلة عن آثارها الجانبية ومع ذلك نجد أننا نتساهل كثيرا مع هذا الجانب من الاستيراد وكأنه لا يمس ثقافتنا وأصالتها . هذه ازدواجية أخرى في علاقتنا مع العالم الخارجي وهي انتقائية وجزئية .

قضية العلاقة مع العالم على صعيد فكري لا تتجزأ،فهل لدينا القدرة الكافية للاعتماد على الذات فكريا وتكنولوجيا (الجانب المادي للثقافة) وهذا لا يمنع التواصل والاتصال ولكنه يزودنا بالأداة القادرة على تصنيف الأفكار الصالحة وغير الصالحة . وأعتقد أننا في هذه الحالة لن نستعمل مصطلح الأفكار المستوردة بمعنى الادانة والتهمة ، بل بتقويم موضوعي على قدرة أي فكرة مهما كان مصدرها على حل مشكلات هي أساساً مشكلات إنسانية عامة مع اعتبار خصوصية الزمان والمكان . وبالمناسبة يمكن أن يكون الاستيراد الفكري بمعناه الشائع متخطياً لخصوصية الزمان ،! فالمجتمع يمكن - جرياً مع المفهوم - أن يستورد أفكاراً تنتمي الى حقبة تاريخية تخطاها التاريخ والزمن - ومثل هذا الفهم يحجب عنا استلهام التراث إيجاباً واستدعاء للمواقف المضيئة فيه . أعني أن سلاح تهمة الأفكار المستوردة يمكن أن يكون معوقا في طريق الاستقلال الفكري الكامل وليس العكس لأنه لا يمكن أن يساهم في خلق مشروع حضاري متجدد وأصيل . ○

---

[٢] حسن حنفي : الأصالة والمعاصرة . المستقبل العربي عدد ٢٩ يوليو ١٩٨١ ص ١٣٠



الكمبيوتر الشخصي

بداية للثورة الجديدة

اعداد : عدنان عضيمة

يعد الكومبيوتر الشخصي (personal computer) من أحدث الآلات الالكترونية ، اذ تتعدد مجالات استخدامه بحيث لاتكاد تحصى ، ومع ذلك فقد صمم لخدمة الأشخاص الذين لا يملكون فرصة التدريب على البرمجة واستخدام الأجهزة الالكترونية . وبالرغم من بساطة بنائه وصغر حجمه قياسا الى الكومبيوترات العادية إلا أنه يتميز بدقة بالغة في الاداء وسرعة كبيرة في إنجاز العمليات الحسابية ، مما جعل المتخصصون يصفونه بأنه بداية ثورة جديدة في حقل صناعة الكومبيوترات .

لربما يكون التطور الذي تشهده صناعة الكومبيوترات أصدق ما يعبر عن « الثورة التكنولوجية » التي بدأنا نسمع عنها كثيرا . . . والتي أدت حتى الآن الى اختراع أجيال جديدة من الآلات والأجهزة المتقدمة المختلفة . اذ لا يكاد يمر يوم الا ويتم خلاله اختراع آلة جديدة أو تطوير أخرى . ولقد وصف أحد المتخصصين التطور الذي شهده قطاع صناعة الكومبيوترات بقوله :

« لو تصورنا أن هذا التطور خلال ربع القرن الماضي ، قد رافقه تطور مماثل في صناعة الطائرات ، لكنا نشهد الآن عصر الطائرة التي تلف الأرض في عشرين دقيقة دون أن تستهلك سوى عشرين لترا من الوقود ، ولا يزيد ثمنها عن خمسمائة دولار !! »

وتمثل هذا التطور في التحسن المستمر في مستوى الأداء وتعدد جوانبه ودقته ، وفي انخفاض تكاليف الانتاج وسعر البيع وزيادة السرعة الحسابية وتناقص استهلاك الطاقة المستخدمة في التشغيل ، ولقد بينت الاحصائيات أن الكومبيوترات تسجل تناقصا سنويا في سعرها بنسبة ٢٥٪ والذاكرات بنسبة ٤٠٪ ، ولقد زادت السرعة الحسابيه بمقدار ٢٠٠ مرة خلال الخمسة والعشرين سنة الماضية في الكومبيوترات العادية وبأكثر من هذه النسبة بكثير في « السوبر كومبيوتر » .

■ كمبيوتر مخصص لألعاب « الفيديو »

« ولعل الكومبيوتر الشخصي هو إحدى النتائج التي نلمسها اليوم لهذا التطور . والذي لا يزيد سعره عن ٥٠٠ دولار . ومع ذلك فهو يضع أمام مستعمله جميع المواصفات التي تتميز بها الكومبيوترات الكبيرة التي صنعت في الستينات .

أول كومبيوتر شخصي عرض في الأسواق عام ١٩٧٥ ، وفي نهاية ١٩٨١ أصبح عدد الكومبيوترات الشخصية المبيعة في الولايات المتحدة وحدها أكثر من مليون جهاز ، ومن المتوقع أن تبلغ المبيعات من هذه الأجهزة ٦ بلايين دولار عام ١٩٨٥

مم يتألف الكومبيوتر ؟

يعرف الكومبيوتر ببساطة بأنه « جهاز يستقبل ، ويختزن ، ويعالج المعلومات ، ويقدم النتائج » وهو يؤدي هذه المهمات بتجزئة البرنامج الى سلسلة من العمليات التي تحل بطريقة نظام الأرقام الثنائية (BINARY NUMBERS) وهي سلاسل تبادلية للصفر والواحد . مما يمكن من القيام بمئات الآلاف وحتى الملايين من العمليات الحسابية في الثانية الواحدة وفي قلب الكومبيوتر توجد « وحدة المعالجة المركزية (CENTRAL PRO-CESSING UNIT) التي تقوم بإنجاز العمليات الحسابية الاساسية ، كما تقوم بمراقبة وتصحيح العمليات .

وفي الكومبيوتر الشخصي تكون هذه الوحدة صغيرة للغاية بحيث تحتشد الدارات **circuits** بكثافة كبيرة ، وكل دارة تثبت على « رقاقة » من السيليكون التي لا تزيد عن بضعة مليمترات



عرضا وطولا . كما تعد هذه الرقاقات الأجزاء الرئيسية التي تتألف منها « الذاكرة الأساسية » والتي تختزن التعليمات والمعلومات ، كما توجد رقاقات أخرى في مواضع الجهاز المسؤولة عن عمليات التلقين واستخراج المعلومات . وتثبت الرقاقات على لوحة بلاستيكية سميكة تطبع عليها « الموصلات » التي تلعب دور التواقل بين الرقاقات وهي التي توزع القدرة عليها . وتثبت اللوحة ضمن الغلاف ، وفي بعض الحالات يمكن أن توجد في الكومبيوتر عدة لوحات ويلقن الكومبيوتر بالمعلومات بعدة طرق . فإما أن يحدث هذا عن طريق لوحة المفاتيح أو عن طريق « الذاكرات الثانوية » التي تتعدد أشكالها ومواصفاتها فمنها الاقراص والأشرطة المغناطيسية . وتحفظ الرقاقات والأجزاء الألكترونية ، وباقي الأجهزة التي تؤلف الكومبيوتر ضمن الغلاف الخارجي . وهذه الأجزاء بحد ذاتها لا يمكنها أن تفعل شيئا بدون وحدة المعالجة المركزية والتي تعد بمثابة « محطة البرمجة » اذ أن هذه الوحدة تلعب دور الوسيط بين الجهاز ومستخدمه ، وبين الجهاز والبرنامج التطبيقي الذي يراد انجازه .

ويتم خزن المعلومات عادة على ذاكرة ثانوية ويمكن استظهارها عن طريق الذاكرة الأساسية .

جهاز مختلف تماما

يعد الكومبيوتر الشخصي حاسبا صغيرا ، وحدة المعالجه فيه صغيرة جدا ، لذا يطلق عليه « مايكرو كومبيوتر » . ولكن ليست كل الحاسبات الصغيرة هي كومبيوترات شخصية لأن بعضها صمم لأداء مهمات خاصة لايمكنه انجاز سواها ، كذلك المخصص لمراقبة عمل قطع الآلات أو لمراقبة وفود الوقود الى المحركات الانفجارية . كما يمكن أن يكون مجرد معالج للكلمات . والكومبيوتر المخصص لألعاب « الفيديو » أو حاسبة الجيب ، فهذه لا تعد كومبيوترات بالمعنى الصحيح . أما الكومبيوتر الشخصي فهو جهاز مختلف تماما لأنه يضع أمام مستعلمه الامكانيات لحل مشاكل متنوعة ، فهو يتميز بالخصائص الأساسية التاليه :

١ - يحتوي الجهاز على وحدة معالجة مصغرة تتضمن ذاكرة اساسية تبلغ سعتها ٦٤ كيلوبايت **kilobyte**

- والكيلو بايت يعادل ٢^١٠ اثنين - عشرة - بايت أو ١٠٢٤ بايت ، والبايت هو سلسلة تتألف من ثمانية أرقام ثنائية تبادلية للصفر والواحد] .

وهكذا فان الذاكرة ذات الـ ٦٤ كيلو بايت تستطيع أن تختزن ١٠٢٤ × ٦٤ = ٦٥٥٣٦ رمزا أو أكثر من عشرة آلاف كلمة انجليزية .

٢ - اما أن يتضمن الجهاز « ذاكرة ثانوية » أو يمكن اضافتها اليه بصورة أشرطة كاسيت أو أقراص .

٣ - يمكن للجهاز أن يلقن بعدة لغات حسابية رمزية أساسية كلغة (فورتران) **fortran** و (كوبول) . **cobol**

٤ - للجهاز مرونة فائقة في تقبل الأنواع المتعدده من البرامج لذا تعدد استخداماته التطبيقية لأنه لم يصمم لحل مشكلة معينة أو برنامج خاص .

وهناك عاملان محددان للقدرة الحسابية لوحدة المعالجة المصغرة ، أولهما يتعلق بمقدار الرموز التي يمكنها معالجتها ، وثانيهما يتعلق بتواتر الساعة الالكترونية التي تعمل على تنظيم « تواقت » العمليات الحسابية .

وتتجه صناعة هذه الأجهزة نحو تقدم مطرد من حيث زيادة القدرة الحسابية عن طريق زيادة التواتر في الساعة الالكترونية ، اذ يسمح هذا بزياده سرعة انجاز العمليات الحسابية لأن زياده التواتر تؤدي الى نقصان زمن الدورة الالكترونية الواحدة ضمن الجهاز ، كما يسمح بإضافة ذاكرة ثانوية ذات سعة خزن أكبر ، ويصبح الجهاز

■ كمبيوتر شخصي متطور ومتعدد المهام .

قادرا على اختزان مقدار أكبر من المعلومات .

ففي الكومبيوترات الشخصية التي صنعت بين عامي ١٩٧٧ و ١٩٨١ كانت وحدة العمليات المصغرة ذات « ثمانية أرقام ثنائية 8 BIT- » أي لم يكن بإمكان الجهاز أن يختزن أكثر من٨٢ «اثنين أس ثمانية »= ٢٥٦ رمزا ثم أصبحت ذات ١٦ رقما ثنائيا أي يختزن ١٦٢ « اثنين أس ١٦ = ٦٥٥٣٦ رمزا وآخرها ذات ٣٢ رقما ثنائيا يختزن حوالي ١٧ مليون رمز . ويتعلق سعر الكومبيوتر الشخصي وقدرته الحسابية بمقدار الأرقام الثنائية التي تحتويها وحدة العمليات المصغره .

أما الذاكره الأساسيه فإما أن تكون ملقنة ببرامج جاهزة . وفي هذه الحالة لا يمكن استعمالها لخزن برامج أو معلومات جديده ، فهي تحتوي على برامج تطبيقية لا يمكن استبدالها أو تغيير قيمها ورموزها وتدعى في هذه الحالة « ذاكرة اقرأ فقط **read only memory** » .

ويعمل الآن على تطويرها بحيث يصار الى زيادة البرامج التي تختزنها ، فهي تعد هكذا بمثابة « بنك للمعلومات » .

والنوع الثاني من الذاكرات الأساسية يدعى « ذاكرة ـ اقرأ واكتب **read write memory** » وهي تحتوي على برامج جاهزة ، الا أنه يمكن أن تختزن فيها برامج جديده ، كما يمكن تبديل مواصفات البرامج الثابتة المخزونة فيها ، وفي كلتا الحالتين يمكن اضافة ذاكرة ثانوية تتألف عادة من قرص بلاستيكي يدعى « قرص فلوبي » ومن أنواعه « قرص ميلار » والذي يوجد منه طرازان أحدهما نصف قطره « ٥,٢٥ بوصة » والثاني (٨) بوصات . وكلاهما مطلي من أحد وجهيه أو من الوجهين بمادة قابله للتمغنط . وتختزن المعلومات على القرص على دوائر متمركزة معه وبحيث يكون عرض كل حافة ممغنطه متناهيا في الصغر . وتغير جهة المغنطة يطابق احدى ثنائيات الصفر أو الواحد ، وبهذا تختزن المعلومات على القرص . ويمكن استظهارها بواسطة « رأس مسجل » « يتحرك حركه دائرية حوله القرص وعلى محيط معين من المحيطات . ويختلف مقدار المعلومات التي يمكن خزنها فيه باختلاف عدد محيطات التسجيل المتمركزة . ويمكن أن يبلغ ٧٠٠٠ رقم ثنائي لكل بوصة من محيطه أو مايعادل ١٢٥ الى ٥٠٠ كيلو بايت . ويتم الآن تطوير أقراص ذات سعة خازنة أكبر من هذه بكثير .

وهناك قرص آخر أكثر تطورا من قرص (ميلار) ويدعى « قرص ونشستر » والذي تبلغ سعته الخازنة ٥٠ مليون بايت .

ولعل أبسط الذاكرات الثانوية هي التي تتألف من شريط « كاسيت » ممغنط ، سعته الخازنة قليلة كما أن استعادة المعلومات منه أبطأ مما هو الحال في الأقراص ، ولم يزل هذا النوع كثير الانتشار نظرا لرخص ثمنه وسهولة استعماله .

الاستظهار المرئي للمعلومات

تتم عملية استظهار المعلومات أو النتائج الحسابية على شاشة الجهاز بواسطة « أنبوب الأشعة المهبطية كما هو الحال في استظهار الصور على شاشة التلفزيون المنزلي . ويمكن شراء كومبيوتر شخصي بدون شاشة الاستظهار بحيث يمكن استعمال شاشة التلفزيون العادي بدلا منها . ولقد ابتكرت مؤخرا طريقة الاستظهار اعتمادا على تطبيقات « تكنولوجيا البلورات السائلة » كما هو الحال في استظهار الأرقام على الساعة الالكترونية ، وتطبق الآن هذه الطريقة في الكومبيوترات الشخصية التي تحمل ضمن المحفظة العاديه .

كما يمكن تلقي النتائج على أشرطة ورقية بحيث تقوم « وحدة الطباعة » بطبع المعلومات بواسطة إبر ذات رؤوس كاتبة يتراوح عددها بين خمس وثماني عشرة وتتوضع بحيث تواجه ورقة الطباعة . وتأتي الاشارات من الكومبيوتر لهذه الابر بصورة جذبات مغناطيسية متوافقة مع البرنامج المخزون فتسجل النتائج على الشريط الورقي . ويمكن بهذه الطريقة رسم أشكال معينة على الورق . كتصميمات الأبنية والجسور والآلات بعد القيام ببرمجة الكومبيوتر بالرموز المناسبة .

وابتكرت طريقة أخرى تمكن من الحصول على النتائج عن طريق الاتصال التليفوني المباشر بالكومبيوتر اذ تبث المعلومات في هذه الحالة بصورة اشارات خاصه يمكن تسجيلها واستظهارها بواسطة جهاز آخر .

وهناك طريقتان للاستفادة من الكومبيوتر الشخصي ، فإما أن يشترى صاحب الجهاز برامج جاهزة ، أو أن يقضى وقتا طويلا فى كتابتها ، ولقد طورت الشركات المتخصصة فى بيع البرامج التطبيقية الجاهزة انتاجها لدرجة كبيرة وأصبح من الممكن شراء برامج متخصصه كتلك التي تحسب الضرائب على الدخول المالية المختلفة ومنها ما تستخدم في اغراض طبية مختلفة كتحليل آلاف العينات من الدم في الساعة ، أو تلك التي تحتوي على تصميمات جاهزة للجسور ، ومنها ما تستخدم في التصنيف بشكل عام وخاصة (البيليوغرافيا) كتصنيف العناوين والمقالات وأسماء الكتب ومصادر الأبحاث والرسائل والبرامج .

ولعل أكثر البرامج التطبيقية انتشارا في الكومبيوتر الشخصي هي تلك التي تدعي طريقة « فيسي كالك vici calc » التي صممتها وتوزعها شركة « فيسي كوربوريشن » وأحيانا تسمي « طريقة الورقة الالكترونية المتحركة electronic work sheet » اذ يكون البرنامج مخزونا في ذاكرة الكومبيوتر ، وتستظهر المعلومات على الشاشة بواسطة ورقة بلاستيكية مقسمة الى ٦٣ خطا طوليا و ٢٥٤ دورا أفقيا ، وتدخل الورقة في الكومبيوتر ، ويجري تحريكها يمنة ويسرى والى الأمام والوراء لاستظهار مختلف نقاطها على الشاشة ، وكل وضعية للورقه توافق تقاطعا معينا للأعمده والأدوار يوافقه ظهور معلومات مسجلة وملقنة سابقا لذاكرة الكومبيوتر فتظهر على الشاشه . وأخيرا نشير الى التفاؤل المفرط الذي يسود أوساط المتخصصين في الصناعات الالكترونية الذين يجمعون بأن الأجيال القادمة من الكومبيوترات ستكون أكثر تطورا بكثير من تلك التي تستعمل اليوم . . .

ويدعى هؤلاء : اننا نشهد الآن عصر ثورة حقيقية . . . انها ثورة الكومبيوترات . . . التي ستؤدي الى قيام « صداقة خاصة » ولأول مره بين الانسان والآلة . . . !!! كما ستؤدي الى تغير أساليب التعامل التجاري والثقافي والعلمي بين البشر . . . وأكثر من هذا فهي ستؤدي الى تغير أسلوب التفكير البشري برمته . . . !! .

« مترجمة عن مجلة سايتفك اميريكان » ○



هذا الفصل الظالم

بين حقوق الله وحقوق الناس

بقلم : فهمي هويدي

اذا جاز لنا أن ندين أهل الحكم والسلطان في مسئوليتهم عن انتهاك حقوق الانسان في بلادنا ، فاننا بنفس القدر يجب أن ندين أكثر رموز الدعوة الاسلامية المعاصرين ، لمسئوليتهم عن التفريط في تلك الحقوق وتجاهلها .

ان تلك الكثرة من الدعاة ، الذين يرددون من فوق مختلف المنابر وعلى كل الأسماع أن الاسلام عقيدة وشريعة ، أو أنه دين ودولة ، وانه نظام شامل للحياة بأسرها .. هؤلاء نجدهم في الممارسة العملية وفي الاختبار الحقيقي للمواقف والقناعات ، وقد سحبوا نصف كلامهم . وعادوا الى صيغة القسمة بين ما هو لله ، وبين ما هو « لقيصر » .

ولمزيد من الوضوح أقول : ان الصوت العالي للدعاة الاسلاميين في زماننا يشير الى أنهم مشغولون بالسماء بأكثر من انشغالهم بالأرض . مستغرقون في مراقبة عقائد الناس وضمائرهم وفي ضبط موازين الحلال والحرام ، ومفاتيح الجنة والنار . منفصلون ومنصرفون عن حياة الناس وهمومهم ومصائرهم .

لقد أقام هؤلاء حاجزا غريبا بين حقوق الله وحقوق الناس ، انحازوا بمقتضاه الى المربع الأول ، وتخلوا عن دورهم ومسئوليتهم في حراسة حقوق الناس . بل وذهب بعضهم الى اتهام الذين يحاربون في صف الأرض والناس بمختلف تهم المروق والضلال ونقص الايمان .

وابتداء أقول ان القضية ليست في المفاضلة بين حقوق الله وحقوق الناس وترجيح أيتهما على الأخرى ، ولكن الداء والعلة في تلك القسمة الظالمة التي تعكس خللا فادحا في فهم التعاليم . وتهدم ركنا عظيما من أركان الانجاز الذي حققه الاسلام كدين ختم الله به رسالاته الى البشر ، وأقام به جسرا متينا يربط مباشرة ما بين الانسان والله وبين الدنيا والآخرة . وهدفه الأول وحجر الزاوية فيه تحقيق مصالح العباد ، في المعاش والمعاد ، كما يقول فقهاء السلف الذين أدركوا أن للتعاليم مقاصد ووظيفة ، وان تكاليف الدين ليست موضوعة حيثما اتفق لمجرد ادخال الناس تحت سلطته وفي ظل هيمنته .

ان هؤلاء الذين يزعمون لنا أنهم سدنة التعاليم وحراس السماء ، ليسوا في حقيقة الأمر سوى تلاميذ مدرسة الجهاد الأسهل والأسلم . اذ اختاروا أن يحاربوا على جبهة مضمونة ذات مستويين : مستوى لايحتاج الى جهد من أي نوع ، ولا يتطلب النزال فيه سوى الاحتماء باسم الله وآيات القرآن وتوزيع الاتهامات على الآخرين . ومستوى ينصرف الجهد فيه الى معارك لاتقدم ولا تؤخر ، وتثير ضجيجا ولا

تفرز طحنا !

وفي الحالتين منهم فائزون ومنتصرون ، لالقدرة فيهم ولا كفاءة ، ولكن لأسباب مختلفة تماما تتراوح بين مناعة الموقع الذي يدافعون عنه ، أو تفاهة الهدف الذي يصوبون نحوه .

اذ ما أسهل أن يقعد الواحد في صدر مجلس أو يعتلي منبرا ولاهم له الا أن يحذر الناس من الالحاد والشرك ، ملوحا بمختلف صور العذاب في الآخرة . وما أسهل أن يجرح آخرون في ايمانهم لمجرد أن أحدهم أقام قبرا لميت أو أقسم بغير الله أو استمع لصوت الموسيقى . وما أيسر أن يدلي الواحد منهم برأيه في قضية جناح الذبابة التي تقع في كوب ماء ، ومدى الحل والحرمة في لبس النساء للذهب ، وهل هو حلال كله ، أم حرام كله ، أم أن الذهب المقطع جائز ، أما الموصول (كالأساور) فهو محظور . . كما قال أحد الفقهاء مؤخرا .

أما النضال من أجل وقف استيراد الدجاج المذبوح ، أو تقصير جلابيب الرجال أو المفاضلة بين الحجاب والنقاب ، أو ابطال مفعول الاجراس المذمومة في بعض النصوص ، أو الاكل بثلاث أصابع في اليد اليمنى ، فذلك مما لايحتاج الى جهد أو فقه أو حتى شجاعة . . حسب المرء قدر من الفراغ وحظ من ضيق الصدر والعقل !

على هذه الجبهة تجد ألوفا مؤلفة من « المقاتلين » ، مزروعين في مختلف أنحاء العالم الاسلامي ، من أندونيسيا وماليزيا الى الجزائر .

أما جبهة الخلق والأرض . أما جبهة الجهاد الحقيقي ـ والأكبر ـ الذي يتطلب من الداعية المسلم دفعا للظلم وجهرا بكلمة الحق . وتصديا للفساد السياسي والاجتماعي وانتصارا للفقراء والمستضعفين ، فان قلة قليلة تقف على ثغورها . فالأمر هنا مختلف والحسابات اكثر تعقدا وتكلفة ، اذ هي جبهة مليئة بالالغام والمخاطر والتضحيات ، الأمر الذي يمكن تجنبه اذا انتقل المجاهد الى الجبهة الاخرى !

لقد استفز هذا الاعراض المدهش عن تبني هموم الناس الحقيقية ومعايشة واقعهم داعية وفقيها كبيرا مثل الشيخ محمد الغزالي ، فكتب بمرارة لاذعة عن هؤلاء « المجاهدين » في مؤلفه « دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين » ، يقول : ان تزوير انتخابات واغتصاب ارادة الجماهير شيء لا يستحق التفكير الطويل . ان سرقة ثروة بلد وتبديدها في ملذات فرد ، شيء لا يستحق التفكير الطويل . . ما الذي يستحق التفكير اذن ، وتحمل راية الجهاد من أجله ، . . القول بنجاسة ريق الكلب وعرقه ، والقول بأن الكلب الأسود شيطان يقطع الصلاة » !!

وفي ظروف واقعنا العربي الذى لا تخفى معالمه على احد ، والذى يفترض ان يكون الداعية الحق في الصف الاول من المقاتلين الذين يخوضون معركة الدفاع عن الحرية والديمقراطية ، وضد الهجمة الاستعمارية على المنطقة التي يشكل الاحتلال الاسرائيلي احدى حلقاتها ، فاننا نجد المعارك التي يخوضها نجوم المسرح الاسلامي لاعلاقة لها بهذا الواقع كله . وما اتصل منها بالواقع فانه يعالجه مقلوبا ومعكوسا ، خصوصا بين فصائل الشباب . اذ لا يمكن أن يتصور المرء تفكيرا اسلاميا سويا يؤيد منطق بعض شباب الضفة الغربية المحتلة الذين يقولون بأن معركتهم الحقيقية في مواجهة الغزو السوفيتي « الملحد » لأفغانستان ، وليست ضد قوات الاحتلال الاسرائيلي !

ولا يمكن لعقل سوى أن يقبل منطق بعض الشباب المسلم والمتحمس في الجزائر الذين جعلوا قضيتهم هي الصلاة في مساجد منفصلة وخاصة بهم . وقرروا بناء مسجد في العاصمة فاستقدموا ناقة وتبعوها حتى يحددوا مكان المسجد في الموقع الذي تقف فيه الناقة ، وهو الاسلوب الذي اتبع في بناء مسجد قباء بالمدينة عندما هاجر اليها رسول الله قادما من مكة ، وتنازع الانصار استضافته وتجاذبوا ناقته ، فقال لهم النبي : « اتركوها فانها مأمورة » . . واختار مقامه ومسجده حيث حطت الناقة رحالها . وأن يحاول البعض تكرار

المشهد بالجزائر في النصف الثاني من القرن العشرين ، وأن يؤدي ذلك الى صدام بين الشباب والشرطة يسقط فيه ضحايا ويفزع بسببه كثيرون ، فان القضية برمتها تصنف في مربع اللامعقول ، الذي يتعذر على المرء مناقشته على اعتبار أن علاجه يدخل في اختصاص أطباء الامراض النفسية والعقلية .

واذا كان ما يتردد عن شواغل بعض فصائل التيار الاسلامي المستحدثة بين الشباب في مصر يثير العجب ، فان شواغل بعض الشيوخ تثير قدرا لا ينكر من الاستغراب والدهشة . وربما سمع البعض بتلك الضجة التي اثارها الشيوخ عندما بدأ الأديب المعروف توفيق الحكيم كتابة سلسلة من المقالات بعنوان « حديث الى الله » ، والتي قامت على أساس حوار تخيله الكاتب مع الله سبحانه وتعالى . والذين يتابعون رحلة الحكيم يرصدون اقترابه ومعايشته كقارىء وفنان لمنابع الثقافة الاسلامية ، وهو ما انعكس على بعض كتابات البداية مثل رواية أهل الكهف ، أو كتاباته المتأخرة مثل تلخيصه لتفسير القرطبي . فضلا عن أن الرجل أعلن صراحة ، في تقديمه لتلك المقالات ، انه وقد استشعر أن موعد لقائه بربه قد حان ، فانه لن يخاطب سوى الله سبحانه وتعالى .

ولم تكن فكرة مخاطبة الله جديدة بحد ذاتها ، فثلث كتابات الصوفية تتوجه اليه سبحانه فيما عرف « بالمناجاة » حتى فكرة الحوار لم تكن جديدة . فقد مارسها قبل الحكيم بسبعين عاما (١٩١٣) الشاعر ، والفيلسوف ، والمتصوف ، محمد اقبال ، عندما نظم قصيدة موجهة الى الله بعنوان « شكوى » ثم أعقبها بقصيدة اخرى استوحاها من التعاليم والتوجيهات السماوية وتخيل - كفنان - ان هذا هو الجواب الالهي على خطابه . وكان عنوان القصيدة « رد شكوى » . والقصيدتان نشرتا باللغة الاردية في لاهور ضمن ديوان باسم « بانك درا » أو صلصلة الجرس عام ١٩٢٤ ، وترجمها الى العربية الشيخ الصاوي شعلان في كتاب له بعنوان « ديوان اقبال » ، صدر في أواخر السبعينيات .

ورغم تلك الملابسات التي تجعل الأمر مقبولا من فنان مسلم موثوق في اقتداره ، بالأخص اذا ما كان مراعيا للغة وأدب الخطاب الى الله ، فان بعض الفقهاء وغيرهم من المزايدين والمتشنجين تلقفوا ما كتبه الحكيم وفتحوا النارعليه بدعوى الدفاع عن الذات الالهية ، حتى تراجع الرجل عن المضي في الكتابة ، وغير عنوان الحديث الى الله ، الى حديث مع النفس ثم حديث الى القراء . وهلل جمهور المشاهدين للنجاح الكبير الذي أسفرت عنه الموقعة . ووصف أحد الكتاب النتيجة بأنها « انتصار للدين » .

واذا سألت : أين هؤلاء من هموم الناس الحقيقية ، وماذا قالوافي العديد من القضايا الحيوية والمصيرية المطروحة ، فلن تجد جوابا سوى أنهم يحاربون على جبهة السماء وليس على جبهة الأرض !

أحدهم - وهو داعية كبير وشهير - ظل يقدم قصة الاسراء والمعراج في عدة حلقات تلفزيونية بنجاح وبصورة بديعة مست قلوب الملايين ودغدغت مشاعرهم . لكنه عندما سئل عن الشورى في الاسلام قال : انها غير ملزمة للحاكم ، وان الناس عليهم أن يدققوا في اختيار الحاكم من البداية ، وليفعل ما يشاء بعد ذلك . أي أنه بقدر ما أبدع في الحديث عن الاسراء والمعراج فانه عندما اقترب من قضية جادة وبالغة الاهمية مثل الشورى فان موازينه اختلت تماما . وفي كلمات قليلة هدم الركن الاساسي في النظام السياسي الاسلامي ، مهدرا بذلك أهم ضمانة لقيام ديمقراطية حقيقية في المجتمع الاسلامي ، ومنحازا في الوقت ذاته الى سلطة الفرد والحكم المطلق .

ومنذ أشهر قليلة وقعت الواقعة في اليمن الشمالي عندما قام أحد الادباء الشبان بترجمة قصة أو أسطورة اغريقية بعنوان « النبي والذئب » ، لا علاقة لها بالاسلام ولا بالمسلمين ولا بأي نبي حقيقي بعثه الله الى الأرض ، ولكن خطأ مطبعيا حدث في عنوان القصة عند نشرها ، سقط بمقتضاه حرف العطف (الواو) بحيث أصبح : النبي الذئب ، وهو أمر كان يمكن علاجه باعتذار عن الخطأ المطبعي ينشر في عدد لاحق . ولكن ما ان نشرت القصة في الصفحة الثقافية لاحدى الصحف حتى حدث الزلزال الكبير . وانفجر بركان

التحفز والغضب . صعد الخطباء فوق المنابر يندون بالجريمة النكراء ويعلنون ـ جميعا وفي صوت واحد ان مترجم القصة ـ واسمه عبد الكريم الرازحي ـ كافر ومرتد وملعون في السماء والأرض .

نحيت هموم اليمن جانبا ، والغيت قائمة مشكلات الناس المتراكمة منذ عهود الظلم والفساد والتخلف ، واستنفر الداني والقاصي ، واعلن الجهاد ضد الأديب الشاب الذي حاصرته اللعنات وطاردته سهام الكفر والردة ، حتى اختفى من صنعاء لعدة أيام ، لكن « الجهاد » لم يتوقف ، فطورد أطفاله في مدارسهم وأصبحوا يعيرون بأنهم أولاد الكافر ، وكانت الخيارات أمامه محدودة ، فاما أن يعامل في المجتمع ككافر ومرتد بكل ما يترتب على ذلك من عواقب وخيمة يعلم الله مداها ، وأما أن يعلن التوبة عن جرم لم يرتكبه ، ولم يسمع دفاعه فيه . ولأنه كان يقف وحيدا أمام جيش الغاضبين والمتحفزين ، بل لأن السيف كان على رقبته بالفعل ، فلم يملك الأديب الشاب سوى أن يعلن توبته التي كتبها بشعور المظلوم والمقهور في نفس الصحيفة تحت عنوان « كلمات الى الله » ، وهذا نصها .

« كنت قد نشرت في ملحق جريدة الثورة حكاية مترجمة للاطفال هي مجرد اسطورة أجنبية اغريقية . وأقسم بالله العلي العظيم انني لم أكن أقصد الاساءة الى نبينا عليه الصلاة والسلام أو الى أي من أنبياء الله عليهم السلام أو الى الدين الاسلامي . . وهذا هو ردي الى نفسي التي أخطأت وحسب النفس أنها أمارة بالسوء راجيا من الله أن يغفر لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر .

« اللهم اني ان كنت قد أخطأت
جدفت في حق نبيك وحبيبك
خرجت عن سكتك مثل قطار
وانحرفت مثل نجم عن مداره
فاجعلني من أصحاب النار
هشمني مثل اناء خزفي
اقصف عمري اللحظة شوهني
دع الجذام ينتشر بأطرافي
يلمع كالخواتم في أصابعي
واسحب مني يارب نعمة البصر
اجعل من عيني فتحتين للنمل
من جسدي وعاء للحمى
ومن قلبي كوة للسرطان

***

ليس لي أحد يا الهي غيرك
الى حزبك أنتمي وبحبلك أتمسك
لكن عبادك اليوم يتحرشون بي
كلماتهم تركض خلف دمي
وانهم يارب ، ـ فاغفرلهم ـ
يريدون سن سكاكينهم
يودون شحذها في عنقي

***

اغفر لي يارب وسامحني
انه الخوف والله ورغما عني
واني سمعت صوت خطيب الجمعة
يكفرني ويحل دمي فهربت
هربت يا الهي ونسيت الصلاة
نسيتك يارب من شدة الخوف
ومثل أرنب أبصر التماع سكين
ركضت باتجاه بيتي وأطفالي
انتقل ذعري اليهم بالعدوى
فراحوا ينتفضون كأرانب صغار
يثقبون السماء بدمع أعينهم
ويقرأون سورة الفاتحة »

●●

الى أي مدى يعبر هذا الفصل بين حقوق الله وحقوق الناس عن حقيقة الموقف الاسلامي ؟ . . ولماذا يتبنى البعض هذا الاتجاه ؟

دعونا نكمل المناقشة في العدد القادم باذن الله .



حوار مع الموت
انتحار آرثر كيسلر

بقلم : الدكتور أحمد أبو زيد

● يثير انتحار الكاتب البريطاني المجري الأصل آرثر كيسلر وزوجته يوم أول مارس ١٩٨٣ كثيرا من التساؤلات والتعليقات ، نظرا لما يبدو من أن انتحارهما كان الى حد كبير نتيجة منطقية لموقف فلسفي ظل كيسلر متمسكا به خلال الجزء الأكبر من حياته .

وقد عبر كيسلر عن هذا الموقف بشتى الطرق والوسائل في كتاباته وسلوكه وتصرفاته على السواء ، الى أن انضم في أواخر حياته الى جماعة تطلق على نفسها اسم « خروج Exit» وتنادي بمبدأ « الخلاص الذاتي » وتبشر بأن حياة الفرد هي ملك خاص لصاحبها وأنه يستطيع بناء على ذلك أن يتخلص منها بالموت الارادي أو اليوثانيزيا ، حين يجد انها تمثل عبئا ثقيلا عليه بسبب الشيخوخة أو العجز أو المرض .

والظاهر أنه كان يتنبأ بنهايته منذ بعض الوقت . فقبل أن يقدم على الانتحار بعامين كتب مقدمة للنشرة التي تصدرها الجمعية عن تعاليمها وفيها يقول : « بعد أن حاربت وجاهدت طويلا من أجل اقرار حق الحياة بالنسبة للمحكوم عليهم بالاعدام فانني أجد الآن من المناسب والمنطقي أن أنادي بحق الموت بالنسبة للمحكوم عليهم بالحياة الطويلة المملة التي تمتهن بطولها كرامة الفرد واحترامه » . وهكذا نجد أنه حين تقدمت به السن (٧٧ سنة) واشتد عليه المرض (الليوكيميا ومرض باركنسون) وجد أن من حقه أن يتخلص من تلك الحياة بالانتحار وتبعته زوجته سنثيا التي لازمته أكثر من ثلاثين سنة ، عملت خلالها أولا كسكرتيرة له ثم عاشرته بغير زواج لسنوات طويلة الى أن تزوجها بعد وفاة زوجته (الثانية) التي كان قد تزوجها بدورها بعد انفصاله عن زوجته الأولى .

وقد انتحر الزوجان في وقت واحد عن طريق تناول جرعة كبيرة من الحبوب المهدئة ، وعثر على الجثتين جالستين في جلال ووقار على مقعدين بلندن . ولم تكن سنثيا قد تجاوزت الستة والخمسين من عمرها كما كانت تتمتع بصحة جيدة . ولكنها كانت تدرك أنها لن تستطيع العيش بدونه بعد أن ارتبطت به كل هذا الارتباط وطيلة كل هذه الفترة ..فالأمر أشبه اذن بما نجده في التراجيديات الاغريقية كما أنه يدل بوضوح على مدى التعلق والارتباط بالزوج والحبيب والرفيق والزميل . فقد كانت بدأت هي نفسها في كتابة قصة حياتها معا منذ بعض الوقت قبل الوفاة . وليس من شك في أنها كانت تتمتع بقوة ارادة حديدية هي التي حملتها على اتخاذ قرار الانتحار معه ، ولكنها كانت رغم ذلك تلعب اثناء حياتها دور الزوجة المتواضعة التي تضحي بنفسها وتنكر ذاتها في سبيل الزوج . بل انها كانت تتحمل كل ثوراته الهوجاء وميله الطبيعي للشجار ومزاجه المتقلب وسلوكه الصعب المشاكس بحيث وصفها أحد معارفها ذات مرة بأنها تمثل بالنسبة لزوجها ممسحة الأقدام التي توضع أمام الباب .

إعداد منذ الصغر !

والظاهر أن كلا من كيسلر وسنثيا كانا مهيئين منذ الصغر لمثل هذا المصير . فقد أمضى كيسلر طفولته في عائلة كانت تؤمن بضرورة توقيع أشد العقوبات على أهون الهفوات ، وكانت الأم تتمتع بشخصية متسلطة عنيفة بينما كان الأب رجل أعمال لم يحقق سوى القليل من النجاح . وأدى تعرضه للعقاب المؤلم المتكرر الى أن يصبح ميالا للعزلة والانزواء والتعرض لكثير من حالات الاكتئاب من ناحية وثورات الغضب الانفعالي من الناحية الأخرى والى التطرف أحيانا



آرثر كيسلر

في آرائه وسلوكه والتمسك بشدة وحماس بآرائه والدفاع عنها في غير هوادة . كل هذا دفع بعض الكتاب الى وصف شخصيته بأنها شخصية عصابية تتملكها الهواجس التي تمثلت أولا في اعتناقه الصهيونية التي سيطرت على مخيلته في العشرينات أثناء دراسته في فيينا . فقد أصبح وهو في سن التاسعة عشر سكرتيرا خاصا لأحد غلاة المتطرفين وهو فلاديمير جابو تنسكي الذي تتلمذ عليه ارهابي شهير آخر وهو مناحم بيجن . وحين تكشفت له سوءات الصهيونية تملكه هاجس الشيوعية حتى اكتشف زيفها . وليس من شك في أن الظروف التي أحاطت بالقرن العشرين بكل ما فيه من تناقضات وعنف وضغوط وحركات القمع والكبت السياسي والثقافي في المجتمعات ذات نظام الحكم الاستبدادي المطلق ، وعدم الاكتراث بحياة الفرد في تلك المجتمعات وكذلك المجازر البشرية التي كانت ترتكب في كثير من أنحاء العالم كان لها أثرها في أن يصل - على ما يقول برايان مورتون - الى نتائج فلسفية استخلصها من الشعور بالموت والاحساس بأنه قائم دائما الى جواره ويلازمه . حتى انتهى به الأمر الى اعتبار الانتحار هو الخيار الوحيد الذي يجد المرء نفسه أمامه حين تواجهه كل هذه القوى الغاشمة .

وهذه النتيجة الفلسفية كان قد سبق لكاتب فرنسا العظيم أندريه مالرو أن توصل اليها في كتابه « الوضع الانساني » كما ان الكاتب الفرنسي البير كامي يقول ان الانتحار يمكن أن يكون شيئا أكثر من مجرد ايماءة الى التحدي واليأس . وأن يكون على العكس من ذلك تماما فعلا فلسفيا حقيقيا . كذلك لم يكن فعل الانتحار أمرا غريبا بالنسبة لسنثيا نفسها . فقد شهدت على الأقل مصرع ابيها وهي لا تزال طفلة في جنوب أفريقيا حين أطلق على نفسه الرصاص . وهكذا كان سلوكها منطقيا ومتمشيا مع الأوضاع التي نشأا عليها وعاشا فيها وأدت بها ، أوبه هو على الأقل - الى اتخاذ ذلك الموقف الفلسفي المحدد .

واعمال كيسلر في عمومها نوع من التأمل العميق في مشكلة الموت كما أنها تفضح عجز الانسان وقصور قدراته . وقد تطرق لذلك في كثير من أعماله الروائية وبالأخص في أشهر رواياته وأفضلها على الاطلاق وهي رواية « ظلام وقت الظهيرة » التي كتبها في الأصل باللغة الألمانية ثم ترجمت عام ١٩٤٠ الى الانجليزية وبعدها الى اثنتين وثلاثين لغة أخرى . والتي تعتبر بحق أحد الأعمال الكلاسيكية الهامة في العصر الحديث ، ففيها يكشف لنا عن الموت البطيء الذي يتعرض له اعداء النظام في المجتمعات الاستبدادية عن طريق إهدار آدميتهم وتحطيم شخصيتهم بمختلف الوسائل والاساليب التي يتبعها البوليس السياسي لانتزاع اعترافات بأخطاء وجرائم لم يقترفوها . وهذا نفسه هو موضوع روايته (وصول ورحيل) التي ظهرت عام ١٩٤٣ والتي يقدم لنا فيها صورة بشعة للآلام والعذاب النفسي الذي قد يتعرض له الفرد في تلك المجتمعات والنظم ، وان كان يبين أن هناك في الوقت ذاته مبادىء أخلاقية مطلقة لا تعطى أدنى اعتبار للدوافع الشخصية .

بل ان كيسلر لم يكن غريبا في حقيقة الأمر عن تجربة الموت فقد اقترب الموت منه في إحدى فترات حياته اقترابا شديدا وذلك حين ذهب في عام ١٩٣٧ وهو في الثانية والثلاثين من عمره الى اسبانيا كمراسل حربي لجريدة نيوزكرونيكل البريطانية كي يوافيها بتقارير عن الحرب الأهلية هناك . وقد وقع في قبضة رجال فرانكو وحكم

عليه بالاعدام وظل في زنزانته الانفرادية لأكثر من ثلاثة شهور ، يشعر في كل لحظة منها باقتراب الموت منه الى أن أطلق سراحه نتيجة لتدخل الحكومة البريطانية . وقد سجل هذه التجربة الهائلة في كتابه "Spanish Testament" الذي يعتبر بمثابة حوار مع الموت . وفي هذه الناحية يشبه كيسلر الروائي الروسي الشهير دوستويفسكي الذي واجه عقوبة الاعدام في وقت من الأوقات . وواضح من هذا كله كيف أن الظروف والملابسات التي احاطت به كانت تحمل اليه دائما رائحة الموت الذي يؤلف جانبا هاما من تفكيره وسلوكه .

رحلة الى فلسطين

وقد ولد آرثر كيسلر في بودابست يوم ٥ سبتمبر عام ١٩٠٥ ونشأ بذلك في فترة كانت الامبراطورية المجرية النمساوية لا تزال تشغل جانبا كبيرا من وسط وجنوب شرقي أوربا ، لكي يشهد بعد ذلك وهو في سن الشباب تدهور هذه الامبراطورية وتفككها واندثارها . ثم عاصر عالم ما بين الحربين العالميتين بكل ما فيه من تغيرات جذرية وتناقضات جعلته يعتقد كغيرة من الشباب المثقف في أوربا أن الحضارة الغربية برمتها في طريقها الى الزوال .

وقد درس كيسلر في جامعة فيينا (١٩٢٢ ـ ١٩٢٦) حيث درس الهندسة والعلوم وعلم النفس ولكنه لم يحصل على أية درجة جامعية . ومن الجامعة اتجه الى فلسطين حيث عمل لمدة سنة في إحدى المستوطنات اليهودية في وادي الأردن ، واتيح له بذلك الفرصة لأن يكتسب كثيرا من المعرفة والخبرة التي وجدت طريقها الى روايته (لصوص الليل) . وقد أثارت هذه الرواية حنق كثير من اليهود لصراحتها الفجة في تناول الأحداث وعرضها بقسوة . وعاد الى أوربا لكي يعمل بالصحافة التي ارتبط بها ارتباطا وثيقا معظم حياته وانصرف عن الصهيونية بعد أن بان له زيفها .

وكانت أوربا تموج بالتيارات السياسية المتلاطمة كما كان التفكير السياسي يسيطر على الجو الثقافي العام بشكل لم يكن معهودا من قبل . وظهر للمثقفين وبخاصة من شباب المفكرين عجز المذاهب والمدارس السياسية التقليدية في حل مشكلات أوربا الاقتصادية . ووجدت الايديولوجيات المتطرفة المجال أمامها واسعا فاستقطبت الكثير من هؤلاء الشبان المثقفين . وسار فريق منهم مع التيار الفاشستي بينما انخرط البعض الآخر ومنهم كيسلر في الحزب الشيوعي ، فقد كان يرى أن الشيوعية تحمل على أقل تقدير الأمل في امكان الوصول الى المجتمع المثالي أو اليوتوبيا وتحقيقه في الواقع . وكان انضمام كيسلر الى الحزب الشيوعي الألماني في أواخر ١٩٣١ ، وتحمس للشيوعية وللحزب وتعاليمه ومارس شيئا من العنف ، أو على الأقل لم يبد أي اعتراض على ممارسة الحزب لأعمال العنف ولكنه لم يلبث أن فقد ايمانه بالشيوعية بعد أن زار روسيا وشاهد عن قرب حالة المجاعات والتخلف واهدار كرامة الفرد وعرف زيف الدعاية الجوفاء ، كما نفر بوجه خاص من وقوف الحزب ضد النقاش الحر المفتوح ومطالبة الأعضاء بالطاعة العمياء الكاملة والانقياد التام للنمط الحزبي . وزاد الأمر سوءا حركات التطهير التي قامت بها موسكو الستالينية والمحاكمات الصورية التي أدت الى إدانة عدد من الأبرياء ومنهم بعض أصدقائه ومعارفه . وكان ذلك بمثابة إيذان له للهجوم على الستالينية وبخاصة في كتابه **Arrow in the Blue** باعتبارها مذهبا مطلقا بكل معاني الكلمة ، كما انها منهج فكري يزعم لنفسه القدرة على تفسير كل الظواهر في العالم . وقال في ذلك : « انه مذهب ، ما أن تخطو خطوة واحدة داخل حلقته السحرية حتى تجد نفسك وقد حرمت من كل قواك وملكاتك النقدية ومن كل أرض صلبة يمكنك الوقوف عليها . » كذلك عبر عن فقدانه

لايمانه بالشيوعية في الفصل الذي كتبه ضمن كتاب (الاله الذي هوى) والذي اشترك فيه نخبة من كبار رجال الفكر في الغرب ممن اعتنقوا الشيوعية في وقت من الأوقات حتى خبروا زيفها عن قرب ، ومن هؤلاء الكاتب الفرنسي الكبير أندريه جيد . وقد أشرف على تحرير الكتاب السياسي البريطاني ريتشارد كروسمان .

وعلى أي حال فقد هجر كيسلر الحزب الشيوعي عام ١٩٣٨ وقال في ذلك عبارته الشهيرة « لم يحدث في وقت من الأوقات في أي بلد من البلاد أن قتل عدد من الثوار أو ردوا الى حالة العبودية مثلما حدث في روسيا السوفيتية » ثم وصف تطهره من الشيوعية بقوله « لقد انغمست في تيار الشيوعية مثلما ينغمس المرء في نبع من الماء الصافي ، ولكنني انتشلت نفسي منها مثلما ينتشل المرء نفسه من نهر ملوث تغطيه أجساد الغرقى وركام وبقايا حطام المدن التي يدهمها الفيضان » ولكن انتشاله لنفسه استلزم منه عدة سنوات . وكان كيسلر لا يزال في روسيا حين استولى هتلر على الحكم في المانيا ولذا فانه غادر روسيا الى باريس حيث عاش حتى قيام الحرب العالمية الثانية فحارب في صفوف الفرنسيين حيث التحق بالفرقة الأجنبية ثم عمل مع الجيش البريطاني بعد ذلك .

المجتمع المثالي والكابوسي

خيبة أمل كيسلر في الشيوعية كانت مصدر الهام لعدد من كتبه ورواياته مثل رواية (المصارعون) التي نشرها بالألمانية عام ١٩٣٩ ثم رواياته الرائعة التي تعتبر أفضل وأجود ما كتبه على الاطلاق (ظلام وقت الظهيرة) ورواية (وصول ورحيل) وقد سبقت الاشارة اليها . وكما يقول الاستاذ انجل **Ingle** أن كيسلر يكشف في كل هذه الأعمال الروائية عن نواحي الضعف والتناقض والعجز والقصور في طبيعة الثورة أي ثورة . وليس هنا على أي حال مجال تلخيص هذه الروايات . ولكنها تعطينا فكرة واضحة عن موقفه العقلي الذي التزم به طيلة حياته وهو الدفاع عن الفرد وكرامته وانسانيته ، وأن الثورة تمنح قائدها من السلطة ما يؤدي الى إفساده وبالتالي الى فساد الثورة ذاتها فالثورة تحمل في الواقع بين ثناياها بذور فشلها واخفاقها كما انها في آخر الأمر تهدم قيم الفرد ولا تزوده بقيم جديدة تحل محل القيم التي هدمها . وهي من هذه الناحية تساعد على (تقليص) القيم الفردية . وان كان هذا لا يعني ابدا أنه كان ينكر دائما الدور الذي يمكن أن يقوم به الجيش .

والمهم هنا هو أن كيسلر كان واحدا من اوائل المفكرين البارزين الذين اعلنوا في فترة ما بين الحربين أن المجتمع المثالي الذي كان اليسار يحلم به قد تحول ليصبح كابوساً ثقيلا على الصدر وفضحوا حالة التدهور الخلقي والأدبي والمعنوي الذي يتضمن نظاما يقوم على تسخير الوسائل من أجل الغايات والتضحية بها في سبيل الهدف . كما أنه يؤمن بأن هدم الشخصية ومحوها وتحطيمها واذلالها والقضاء عليها افظع بكثير من « القتل الحقيقي البسيط » وأن مهمة البوليس السري هو تطبيق هذا الأسلوب الآلي الجهنمي أو اللاإنساني للقتل البطيء .

ويعتبر الكثيرون هجوم كيسلر على (المادية) هو أهم انجازاته . فقد كان ينظر الى المادية كشكل من أشكال التلخيص أو على الأصح (التقليص) الذي يرى استحالة فهم الأشياء المركبة الا بالاشارة الى العناصر الداخلية في تركيبها وكان معظم هجومه على هذه النزعة في مجال البيولوجيا وتفسيرها للتطور على أنه نتيجة للبيئة وتأثيرها في الامكانات الوراثية . واقترح كبديل لهذه النزعة ـ حسب ما يقول الاستاذ ديفيد مري **Murry** ـ نظرية الانسان التصاعدية أو التدرجية المفتوحة التي ترى أن كل مرب يتصرف كوحدة كلية متماسكة في علاقاته بالمستويات التنظيمية الأدنى منه في المرتبة من

ناحية ، بينما يتصرف كعنصر في علاقاته بالمستويات الأعلى منه في المرتبة أو المكانة أو السلم التدريجي . فكل مستوى من المستويات ابتداء من الذرة الى المستوى الاجتماعي وحتى المستوى الكوني يؤلف وحدة كلية متمايزة ، بينما يحدث التغيير داخل كل من هذه المستويات نتيجة للتفاعل المتبادل بين نوعين من الميول المتعارضة : الميل الى التمايز والاستقلال ، والميل الى التكامل مع الوحدات الكلية الأخرى . ويرى مري أن نظرية كيسلر هي مثال للنظريات التي يحتاجها البورجوازيون ويبحثون عنها .

وكلام كيسلر هنا يشبه الى حد كبير كلام الانثربولوجيين البنائيين الذين ينظرون الى أن كل وحدة من وحدات البناء الاجتماعي ككل متماسك يميل من ناحية الى الاستقلال والتمايز مؤلفا نسقا متكاملا بالنسبة للوحدات الأدنى منه ، ولكنه يعتبر هو نفسه مجرد نظام بسيط نسبيا بالاشارة الى النسق الأعلى منه في المرتبة . ومن هنا كانت التهمة الرئيسية الموجهة الى البنائية الأنثربولوجية بأنها نظرية (بورجوازية) .

عود على بدء

في أواسط الخمسينات بدأ آرثر كيسلر يغير من اتجاهاته في التفكير والكتابة وطرأ تحول جذري على اتجاهه الفكري فقد توقف تماما عن الكتابة الروائية وانصرف عن الاهتمام بالفكر السياسي ووجه اهتماماته الى العلم على اعتبار أن العلم يهدف في آخر الأمر الى تحقيق صالح البشرية وبذلك يكون كيسلر قد عاد الى نقطة البداية التي بدأ بها حياته وهو طالب بجامعة فيينا يدرس العلوم والهندسة وعلم النفس ، وقد زاد عليها فيما بعد الاهتمام بالانثربولوجيا والظواهر الكونية ثم الباراسيكولوجي . ولقد حققت كتاباته العلمية المتنوعة كثيرا من النجاح والقبول وان لم يصل أي منها الى نفس المستوى من الجودة التي وصلت اليه اعماله الروائية وبخاصة رواية (ظلام وقت الظهيرة) . والطريف في الأمر أن معظم شهرة كيسلر في الوقت الحاضر مرتبطة بتلك الأعمال العلمية والفلسفية وكان هو نفسه على أية حال يعتبر نفسه مفكرا في مجالات العلم أكثر منه روائيا وانه كان يجد نفسه دائما ومنذ عهد التلمذه موزعاً بين (الثقافتين) الأدبية والعلمية ، وأنه صاغ رواياته من منطلق الصراع ضد « الوضع الانساني » أو « الحالة الانسانية » وان كتاباته العلمية والفلسفية لا تعدو هي أيضاً عن أن تكون محاولات لتحليل نفسي هذا « الوضع الانساني » ذاته ولكن في مصطلحات وحدود العلم . فالاتجاهان يكملان اذن أحدهما الآخر ويؤلفان معا وحدة كلية متماسكة ومتكاملة وان من الصعب أن يقنع المرء بأحد الاتجاهين دون الآخر لأن أياً منهما لن يغني عن الآخر شيئاً .

وربما كان أهم ما يميز تلك الكتابات العلمية هي أنها تعرض بطريقة نقدية لموقف الكثيرين من العلماء المتخصصين الذين يكشفون ـ في رأيه ـ عن درجة غير قليلة من ضيق الأفق . وكان معظم هجومه وانتقاداته موجها بالذات الى ما يسميه بالمؤسسة العلمية على ما يظهر بوجه خاص في كتابه الشهير « الحالمون » أو على الأصح « السائرون وهم نيام » الذي نشره عام ١٩٥٩ ، وفيه يعرض بالتفصيل لحياة واكتشافات وأعمال عدد من علماء الفلك في القرون الوسطى وكيف أمكنهم الوصول الى تلك الاكتشافات على الرغم ، أو ربما بفضل ، المعتقدات الخرافية السائدة في عصرهم والتي كانت تؤلف جزءا أساسيا من تفكيرهم . وليس هذا الموقف يظهر الى حد كبير في كتابيه الآخرين اللذين يؤلفان مع كتاب « الحالمون » ثلاثيته العلمية الرائعة ونعني بها كتاب « العفريت في الآلة » الذي ظهر عام ١٩٦٧ والذي يكشف فيه عن ميل العلماء المتخصصين المتزمتين الى (تقليص) الانسانية واستعبادها عن طريق إخضاع الانسان للآلة ،

وكتاب « فعل الخلق أو الابداع » الذي تتمثل فيه نزعاته الانسانية وتمجيده للفرد وحريته بأجلى صورها . فالمحور الذي يدور حوله تفكيره وكتاباته العلمية اذن هو الفرد وحريته ، وكما أنه حارب الشيوعية لأنها تنكر القيم الفردية فانه ظل يحارب « المؤسسة العلمية » لتنكرها لتلك القيم ذاتها .

وكان من الطبيعي أن يقابل العلماء والمتخصصون هذه الكتابات بالنقد اللاذع والسخرية التي لا تخلو من مرارة . وقد تكون كتاباته العلمية بعيدة عن روح المنهج العلمي الدقيق ولا تخضع للمعايير العلمية الصارمة ، ولكن المهم هو أنها وجدت تجاوبا شديدا بين القراء على الرغم من أنها بعيدة كل البعد عن التبسيط الشديد والسطحية ، كما أنها تحرص دائما على ابراز الجانب الانساني في العلم وهو الأمر الذي يغفله العلماء المتخصصون في كتاباتهم .

الا أن هذا كله لا يمنع أن يكون لكيسلر كثير من الآراء الغريبة التي لا تجد لها سندا قويا من الحقائق والوقائع العلمية كما هو الحال مثلا في تفسيره لظاهرة الحرب أو على الأصح قتل الانسان لأخيه الانسان ، وهي ظاهرة لا توجد في كل المملكة الحيوانية الا لدى البشر وبعض أنواع النمل والفئران أو كما هو الحال في موقفه من أصل اليهود في شرق أوربا حيث يذكر في كتابه (القبيلة الثالثة عشر) الذي ظهر عام ١٩٧٦ أنهم لا ينحدرون عن الأصل السامي وانما هم نسل جماعات تركية قديمة كانت تعيش في شرق آسيا ثم تحولت الى اليهودية في العصور الوسطى . وكان من الطبيعي أيضاً أن يثير ذلك مزيداً من سخط اليهود عليه مع أنه هو نفسه يهودي .

علامات هامة

وقد تختلف الآراء حول آرثر كيسلر مثلما تختلف حول كل المفكرين والمبدعين . وقد تكون هناك مآخذ كثيرة عليه وبخاصة في تطرفه وتنقله من تيار فكري لآخر وفي تعامله الخشن الفظ مع غيره من الناس وفي أدمانه الشديد للخمر وفقدانه لتوازنه . وقد يكون للعلماء كثير من المآخذ والتحفظات والانتقادات القاسية على كتاباته وتفسيره للحقائق العلمية التي توصل اليها والأسلوب الذي اتبعه للوصول الى تلك النتائج . وقد يكون لنقاد الأدب آراؤهم القاسية ومآخذهم على أعماله الروائية باستثناء رواية « الظلام وقت الظهيرة » . ولكن تبقى بعد هذا كله أشياء هامة هي التي سوف تظل مرتبطة باسم كيسلر . وأول هذه الأشياء هي أنه رغم تحولاته الفكرية وتقلباته السياسية فلم يكن يصدر في ذلك عن الخوف أو النفاق أو الانتهازية . والأمر الثاني هو انه بعد أن تخلص من تلك الانتماءات السياسية ظل يؤمن بحرية الفرد ويدافع عن كرامة الانسان ، ربما كان هذا المبدأ هو الذي جعله يخرج في الأصل على تلك الانتماءات الأيديولوجية والسياسية حين تبين له تعارضها مع ما يؤمن به . والأمر الثالث هو إخلاصه حتى النهاية للمبدأ الذي اعتنقه حول حق الانسان في أن يكون سيد نفسه وسيد حياته بما في ذلك حق التخلص من تلك الحياة اذا وجد أنها لا تتفق مع الكرامة الانسانية نتيجة للشيخوخة أو العجز أو المرض . وتقول باتريشيا بليك أن كيسلر ظل منذ أواخر السبعينات يفكر في أن الموت لا يعني زوال الانسان من الوجود تماما بقدر ما يعني ذوبان ذلك الفرد في الوجود الكوني ككل . انه اشبه شيء بظاهرة فيضان النهر في البحر فعند المصب يكون النهر قد تخلص تماما من الطمى الذي يحمله واستعاد الماء صفاءه وشفافيته وتوحد بذلك مع البحر وامتدت مياهه فوق مياه المحيط بحيث تستقبل كل قطرة من قطراته شعاعا صافيا من أشعة الشمس وتكون هذه بمثابة بداية أخرى جديدة . وحسب تعبيره ، فانه بدلا من القول « يسدل الستار » بالموت يمكن القول (يرفع الستار) . ○



الزخارف والنور والماء من عناصر الفن الإسلامي

بقلم : د . عبد العزيز كامل

لم يكن الفن الاسلامى بعيدا عن العقيدة والتعاليم فى مختلف مراحله ، ويستطيع الباحث أن يرصد آثار الفكرة والعقيدة فى مختلف العناصر التى يقوم عليها هذا الفن ، وفى مقدمتها الزخارف الهندسية والنور والماء .

فى هذا المقال يعالج الدكتور عبد العزيز كامل هذا الجانب ، بعدما طرح فى العدد السابق الأسس النظرية للدراسة ومصادرها من الفكر الاسلامى وتفاعلها مع المؤثرات المحلية والعالمية ، وذلك فى مقال بعنوان « الدين والابداع فى الفن الاسلامى » .

(١) الزخارف الهندسية (الأرابيسك)

بلغ هذا الفن فى الحضارة الاسلامية ذروته العليا .

ولكن ما أساسه ؟ نقطة . خط مستقيم . قوس دائرة .

وتشكيل يتدرج من البساطة الى التركيب وهو محافظ على (١) جماله و (٢) تماسكه و (٣) دقة القانون الرياضي الذى يلتزمه .

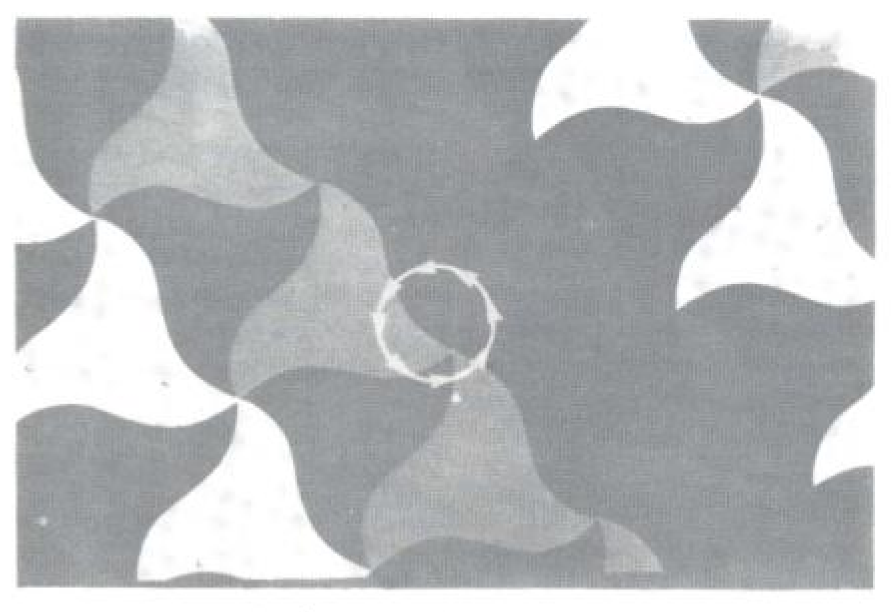
وسنقف عند النقطة والخط المستقيم والدائرة . ما مكانتها فى الحياة اليومية للمسلم ؟

سنبدأ من البيت الحرام ..... مركز الوجود الاسلامى . وحول الكعبة الطائفون والعاكفون والركع السجود .

الكعبة مركز . الدوائر حولها اما متحركة فى الطواف أو ثابتة فى الصلاة . (لوحة ١) خطوط مستقيمة هى فى واقع أمرها أجزاء من دوائر ضخمة مركزها جيما البيت الحرام .

لوحة (١)

الكعبة وحولها الطائفون فى البيت الحرام . والكعبة مركز والطائفون دوائر لتكوين هندسي في حركة منتظمة .



لوحة (٢)

زخرفة نجمية من قصر الحمراء بغرناطة ... تحس الوحدات الهندسية فيها تدور حول مركز . وتستطيع ان تتبادل المواقع كأنها تحمل روح الطواف .



وخطوط العبادة فى البيت الحرام وحوله تتداخل فى نظام وجمال ، يأتى الطائف فينضم أمام الحجر الأسود الى جموع الطائفين ، فاذا فرغ من اشواطه السبعة ذهب الى مقام ابراهيم يصلى ركعتين .

وانظر : ان الدائرة حول المسجد الحرام ، مع المحافظة على نفس الاتجاه الى اليمين ، أصبحت خطين طويلين يتحدان فى الهدف ويختلفان فى الاتجاه ، عندما يؤدى الحاج أو المعتمر منسك السعى بين الصفا والمروة سبعة اشواط . وفى كل لحظة يستقبل المطاف والسعى وافدين جددا ، ويودعه من أدوا المناسك . وتتداخل خطوط العابدين اقترابا وابتعادا . وأى لوحة تصورها لمشهد منها ، تحس فيها النظام والجمال .

واذا كان الحج رمز وحدة المسلمين وتجسيد الأمة الواحدة ، وهى تعبد ربًا واحدا هو رب العالمين ، واذا كان البيت الحرام يبدو بصورة سكونية أثناء الصلاة ، وبصورة حركية وقت الطواف ، أفلا تدعو هذه المشاهد ـ وهى ترسب فى نفس كل مسلم ـ الى صور من التعبير الفنى يظهر فى الأطباق النجمية على جوانب المنابر وفى زخارف الرخام أرضها وحوائطها ؟(لوحة ٣ ، ٤)

وتأخذ هذه الزخارف الهندسية صورتين ، كما اصطلح على التسمية أهل هذه الصناعة : الخيط ويقصدون به الخطوط المستقيمة ، والرمى ويقصدون به الخطوط المنحنية والدوائر .

وننتقل خطوة أخرى من الحركة والعلاقة بين المركز وما حوله الى دقة القانون الهندسي الذى يتبعه الفنان :

انه اصيل فى أكثر من عبادة . ومع أن الصلاة لقاء بين حركة الجسم والقلب والفكر ، وابراز لروح الجماعة فى تماسكها ، الا أنها ـ حسابيا ـ « عدد » من الركعات ، لكل منها « عدد » من قيام وركوع وجلوس وسجود . ومدار مناسك الحج على رقم ٧ ومضاعفاته . وتبلغ دقة التقسيم حدودا أبعد فى أنصبة الزكاة . فاذا أضفنا الى هذا دقة حساب الشروق والغروب والزوال لمواقيت الصلاة ، والأهلة لحساب الشهور والسنين والحج ، استطعنا أن ندرك كم يعنى الاسلام بالحساب والهندسة . وهى اذا كانت فى العبادات نظاما وجمالا واتباعا ، فانها عند الفنان مجال واسع للابتكار والتعبير عن معان يغذيها فيض لا ينقطع من العبادات والمعاملات .

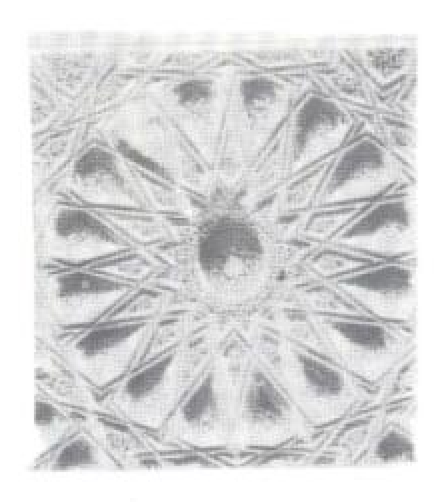
ولما كان الاسلام دين الجماعة ، فان الفنان حرص فى أكثر انتاجه ، أن يربط بين الخطوط والأقواس والمساحات وهو يقرأ قول الله تعالى :

« وتعاونوا على البر والتقوى » (المائدة ٥ : ٢)

وحديث النبى عليه الصلاة والسلام :

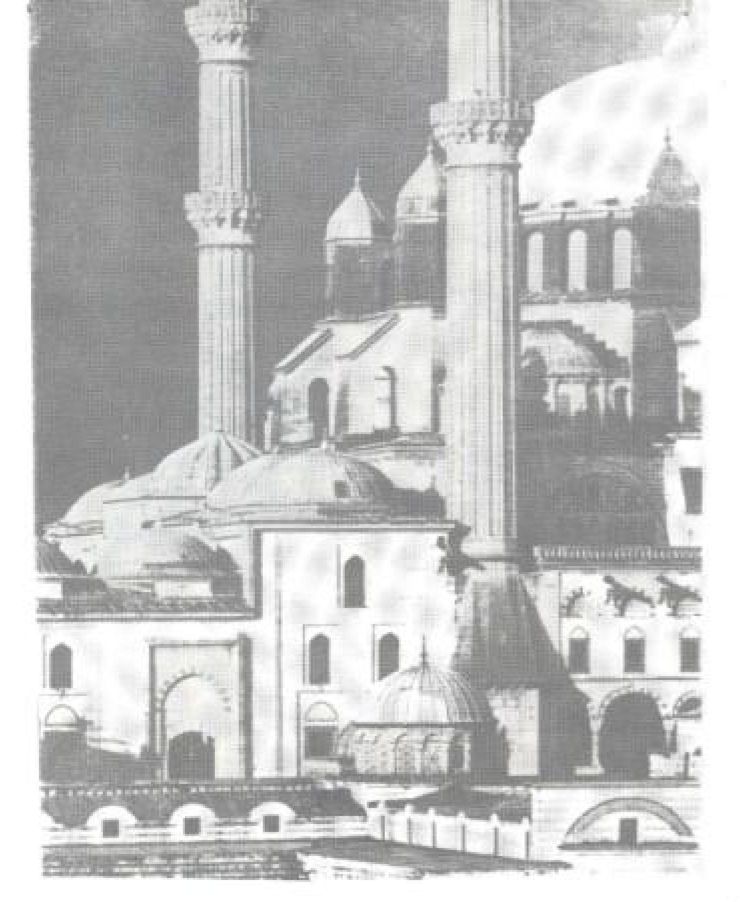
« المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا »

وأنت تحس حين ترى هذه الزخارف أن بعضها يشد بعضا . وان كل مساحة منها لها



لوحة(٣)

زخرفة نجمية كجزء باب مسجد السلطان حسن بالقاهرة . وتبدو فيها الزخرفة سكونية كأنها تحمل روح الصلاة .



لوحة (٤)

القبة الرئيسية لمسجد سليمانية باستانبول الذي بناه عبقري العمارة الاسلامية سنان (١٥٥٠ ـ ١٥٥٧) للسلطان سليمان القانوني ، وتبدو في القبة ، وزخارفها ونوافذها وكتاباتها ، كيف ان كلا منها وحدة متميزة في ذاتها ، ولها في ذات الوقت تكاملها مع غيرها ، كأنها صورة المجتمع الاسلامي في المحافظة على شخصية الفرد والجماعة معا .

ذاتيتها وشكلها ، وانها ليست مجرد بقية من مساحة مجاورة ، تبدو مشوهة . ولكنك حين تعزلها تحس أنها وحدة لها « شخصيتها » ، واذا ضممتها الى غيرها تكاملت معها فى شخصية أكبر . (لوحة ٥)

تماما كنظرة الاسلام الى الفرد والجماعة . لكل منها شخصيته واحترامه . وتتماسك الوحدات المتجاورة فى وحدات أكبر ، فى نمو لا حدود له ، الا الاطار الخارجي ، وهو بدوره قابل للامتداد . قل انه الحوار الدائم بين الأمل والأجل ، وبين البقاء والفناء .

(٢) النور

ـ فى الاسلام « الله نور السموات والأرض » (النور ٢٤ : ٣٥)

ـ والرسول نور فى قوله تعالى : « يأيها النبى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا » (الأحزاب ٣٣ : ٤٦)

ـ والقرآن نور ، في قوله تعالى : « وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا » (الشورى ٤٢ : ٥٢)

ـ والمؤمن في طريق الحق على نور . وذلك قوله تعالى « الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور » (البقرة ٢ : ٢٥٧)

والعمل الصالح نور في الحياة الآخرة . يقول تعالى : « يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم . بشراكم اليوم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها . ذلك هو الفوز العظيم » (الحديد ٥٧ : ١٢)

من أجل ذلك عني المسلمون بعنصر النور في حياتهم . وتمثل هذا بصورة واضحة في المساجد ، حيث يلتقي نور القرآن بنور الايمان بنور الشمس نهارا ، ومصابيح المسجد ليلا .

الصحن المكشوف . النوافذ المفتوحة اذا كانت ظروف المناخ تسمح بذلك . النوافذ الملونة على تباين في مساحاتها بالنسبة الى الحوائط . القمريات حول القبة . والثريات والمشاكي ، والتي تذكر معها قول الله تعالى :

ـ ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح » (الملك ٦٧ : ٥)

والمسجد بهذا كون صغير سماؤه القبة ، ونجومه المصابيح ، والنور يتدفق فيه ليلا ونهارا .

أذكر في لقاء مع أحد مسئولي المساجد في الكويت أن سألته :

ـ هل حدث اعتراض من المصلين على أمر من انشاءات المسجد وزخرفته ؟ فكان مما قال :

ـ في مرة صبغ المقاول المختص حوائط المسجد بلون رمادى داكن ، فاحتج المسلمون ، وأرسلوا الينا قائلين : « أعيدوا صبغ الحوائط بلون فاتح ، فتح الله عليكم . أنيروه أنار الله لكم الطريق » . وأعدنا صبغ الحوائط بلون فاتح رضي عنه المصلون .

وفي هذا يختلف المسجد عن دور عبادة لديانات أخرى تستعين على التأثير في زوارها بالرهبة والظلام أو الضوء القليل .

واذا كان المسجد عند الفنان كونا صغيرا ، فان المحراب في المسجد كون أصغر له جزء من قبة ، وله نور .

وللنور في الفن الاسلامى مكانة أخرى :

يقول تعالى : « وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلا » (الاسراء ١٧ : ١٢)

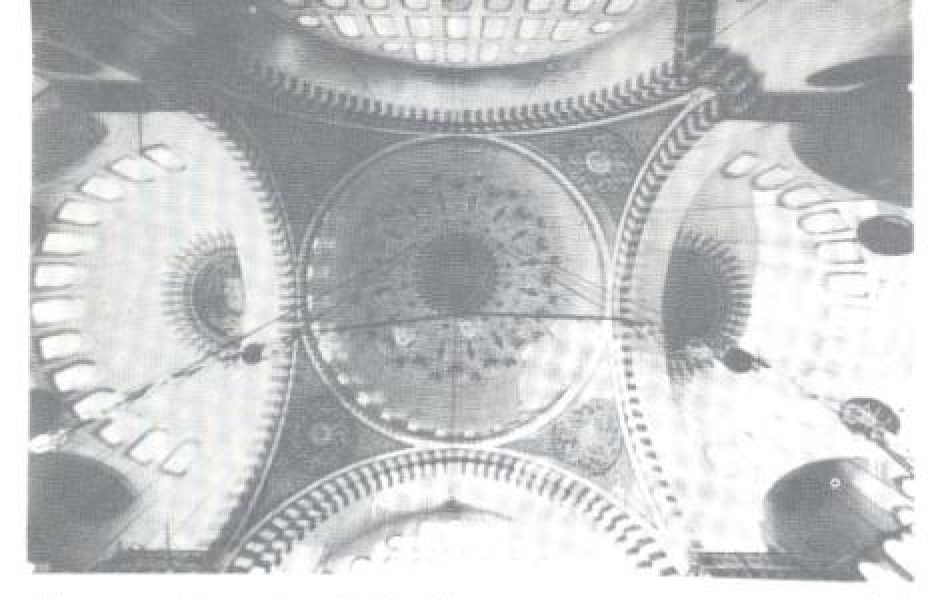
فالصلاة على المسلم كتاب موقوت . وحركة النور في المسجد دليل على مواقيت الصلاة . ولقد عنى المسلمون بالتوقيت وحساب الزمن واقامة المزاول في المساجد وصناعة الاسطرلاب والساعات . وانطلق من النور : الايمان والفن والعلم والنظام والتطور التقنى .

(٣) الماء

ـ يقول الله تعالى « وجعلنا من الماء كل شيء حى » (الأنبياء ٢١ : ٣٠)

وفي أكثر من موضع في القرآن الكريم تربط الآيات الكريمة بين نزول المطر ونزول الوحى ، وبين أثر المطر في احياء الأرض ، وأثر الوحى في احياء النفوس . ونذكر في هذا ـ هذا النموذج التالي :

« أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ، ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع ، زبد مثله . كذلك يضرب الله الحق والباطل ، فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الارض » (الرعد ١٣ : ١٧) ثم يقول الله بعد هذا :



لوحة(٥)

عنصر النور في المسجد ـ شباك من مسجد سليمانية ـ استانبول والآية الكريمة المكتوبة عليه« هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا » . ونوافذ مسجد سليمانية تعتبر من روائع الفن الاسلامي في المزاوجة بين اللون والضوء والنظام الهندسي والتوريق النباتي والخط .
هذا فضلا عن انارة المسجد وحفظ درجة الحرارة فيه لاتقاء شتاءالمدينة وبردها .

ـ أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى إنما يتذكر أولو الألباب .

(الرعد ١٣ : ١٩)

وأكثر من مفسر عرضوا لهذا الربط بعامة ولآيات سورة الرعد بخاصة .

ويدخل الماء في العبادة ، ويصفه الله بقوله : « وأنزلنا من السماء ماء طهورا » (الفرقان ٢٥ : ٤٨) . وكان احدى منن الله على رسوله في غزوة بدر ، فقال : « وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به » . (الانفال ٨ : ١١)

فاذا كان الماء مدخل الصلاة في الاغتسال والوضوء، وهو من أصول الحياة ونعم الله ، فان الفنان الاسلامي أبدع وسائل توفيره واسالته وتيسيره وتسبيله وزخرفته ، وكتابة الآيات الكريمة فوق مصادره« وسقاهم ربهم شرابا طهورا » (الانسان ٧٦ : ٢١)

وكان تصميم الميضأة والمغسل والسبيل ، ثم النوافير في صحون المساجد والبيوت والقصور ، وموسيقا الماء مع درجات الخضرة التي نشاهدها في قصر الحمراء . هذا مع رصانة في الابداع كأنها تقرب الى الله وعباده . حتي المياه التي تنبع من أفواه السباع في الحمراء . تحس أنها ـ بعد تحويرها ـ سباع أليفة وحيوانات منزلية ، لا تثير في النفس رعبا ولا رهبة .

ولعل موسيقا الماء والخضرة في الحمراء في تنوع آفاقها هي القمة التي بلغتها موسيقا وزخرفة الماء في اطار الابداع الفني الاسلامي .

وفي الجناح الشرقي من العالم الاسلامي (وبخاصة في التراث المغولي الاسلامي نري المساحات المائية والروضات(المقابر الخاصة بالحكام) . ولا يزال التقليد موجودا . ولعل من أحدث انشاءاته ما نشاهده في المسجد الجامع في كوالالمبور عاصمة ماليزيا . وأذكر أنني سألت الامام هناك عن عنصر الماء فكان من قوله :
ـ ان الله جعل الأنهار تجري في جنته وهي دار المتقين ، جعلنا الله منهم . . . .

فقلنا : آمين ○

من صحافة الغرب

سادة وعبيـــد
« تقرير من داخل اسرائيل »

■ ■ « في رأيي أن أكبر مشكلة تواجه اسرائيل اليوم ، ليست مشكلة دفاع ، ولا مشكلة أمن ، ولكنها الهوة الاجتماعية التي تفصل بين يهود اسرائيل ! . . . وصاحب هذا الكلام هو عضو البرلمان الاسرائيلي من كتلة ليكود التي يتزعمها مناحم بيجن رئيس وزراء العدو واسمه « مائير شتريت » ، وهو في الوقت نفسه عمدة مدينة يافن الواقعة جنوب تل أبيب .

يقول العمدة في حديث نشرته صحيفة نيويورك تايمز ان هناك نصف مليون يهودي يعيشون في ١٦٦ حيا من الأحياء الفقيرة التي تعاني من الكرب والعوز . . الألوف منهم يقبعون وراء قضبان السجون . . وألوف أخرى من الأطفال الذين يتركون المدرسة قبل أن يكملوا تعليمهم الثانوي . لقد افتقدوا الشعور بالانتماء . إن الأمر جد خطير .

من هم هؤلاء التعساء ؟ يقول كاتب المقال الأمريكي « دافيد شيلر » الذي جمع هذه المعلومات من مدينة القدس المحتلة « إنهم هؤلاء الذين ينتمون الى الأسر التي جاءت من الدول الاسلامية في شمال أفريقيا والشرق الأوسط .

أما اليهود « الاشكنازيون » هؤلاء الذين جاءوا من الدول الاوروبية والذين ينتمون الى جذور أمريكية ، فهم على النقيض في ذلك . إنهم من القمة اجتماعيا واقتصاديا .

« فالصراع اذن ، صراع قوى . . صراع عرق وطبقية . وأشهر هذه الأحياء المزدحمة بالسكان الموسومة بطابع الفقر والرذيلة في مدينة تل أبيب هو حي « هاتيكفا » وهي كلمة عبرية معناها « الأمل » ولكن أي أمل ؟ خليط عجيب من المنازل الجديدة والبيوت القديمة الأيلة للسقوط في الحواري والأزقة القذرة الضيقة . .



ربما استطاعت أسواقها وأحياؤها التجارية أن تضفي عليها جوا من الرفاهية المزيفة التي تشد اليها اليهود الغربيين القادرين الذين يأتون من شمال تل أبيب لتناول وجباتهم في مطاعمها ، وشراء حاجياتهم من متاجرها .. ولكن ٩٠٪ من سكان « هاتيكفا » البالغ عددهم ١٥ ألف نسمة يعيشون في فقر مدقع ، وتنتشر بينهم جرائم الأحداث والدعارة والادمان على المخدرات والخمور .. فهم جميعا من اليهود الشرقيين الذين يعيشون في قاع المجتمع .. أكثر من ثلثي هذه الأسر يعيشون في شقق مكتظة بساكنيها ، تحتوي على غرفة أو غرفتين . وأكثر من نصف الشباب بين الخامسة عشرة والسابعة عشرة يتركون المدرسة ويتجهون الى المدارس الحرفية ، ولكنهم لا يكادون يكملون دراستهم العملية الجديدة حتى يصطدموا بالواقع فليست هناك وظائف لهم !

ويمضي كاتب المقال في نقل الصورة من داخل اسرائيل يقول : « بالنسبة للعديد منهم لا يبدو أن هناك مفرا .. فمستوى الدراسة سيء .. والأسرة ممزقة ، والاصطدام بالقانون هو خاتمة هذه الحياة التعسة .. والشاب الذي يحكم عليه بالسجن مرة يعتبر غير لائق للخدمة العسكرية ويوصم بالعار طوال حياته ، ولا يجد عملا يرتزق منه » !

لقد بدأ الشعور بالألم والغضب يطفو على السطح في هذه الأيام .. ومنذ عدة أسابيع وفي اجتماع عقدته جماعة اليهود الشرقيين ، وقفت امرأة في منتصف العمر تشكو من الرطوبة نتيجة للمياه التي تتسرب الى جدران شقتها الصغيرة التي تتألف من حجرتين في موسم الأمطار .. لقد ساءت صحة ابنتها المصابة بالروماتيزم وقسا المرض على الزوج المصاب بداء القلب .. واحتبست الكلمات في حلقها وهي تتحدث ، وفجأة انفجرت تبكي ! وتلاها كثيرون ممن يعملون في خدمة اليهود الأثرياء في المنازل .

لقد حقق اجتماع فقراء اسرائيل الغرض الذي عقد من أجله .. انه ليس الأول ولن يكون الأخير .. فقد وطدوا العزم على وضع نهاية لخضوعهم واستسلامهم للأمر الواقع والمطالبة بحقهم في حياة أفضل وفي مساواتهم بالسادة اليهود القادمين من الغرب !

مستقبل الهند

بين امرأتين !

■■ قد تصبح هذه السيدة الصغيرة السمراء بالفعل خطرا يهدد رئيسة وزراء الهند انديرا غاندي ! هكذا يعتقد بعض المراقبين السياسيين في نيودلهي . ولكن من هي ؟

انها « مانيكا » (٢٦ سنة) ، وهي أرملة سانجاي غاندي ، الابن الأصغر لأنديرا الذي قتل في حادث سقوط طائرته في عام ١٩٨٠ ، وكانت أمه تعده لزعامة حزب المؤتمر الهندي ، في المكان الذي كان فيه جده نهرو رئيس وزراء الهند العظيم .

لقد رفع الستار أخيرا عن المعركة الدائرة بين الحماة وأرملة ابنها ، عندما وقفت « مانيكا » تعنف أم زوجها الراحل لأنها طردتها من بيت العائلة منذ عام مضى . هل هو مجرد خلاف بين أم مسيطرة وزوجة ابن مظلومة ؟

القريبون من الأحداث التي كانت عاصمة الهند مسرحا لها يقولون : « لا .. ! إنها ليست كذلك ، فهي أكبر من الخلافات العائلية .. إن مانيكا مصممة على المضي في معركتها منذ أن





انديرا غاندي — مانيكا

أعلنت قيام حزبها السياسي الجديد ، وهو الحزب رقم ١٩ في الميدان السياسي الذي ازدحم بالمعارضين . وأكثر من هذا . أنها سوف ترشح نفسها في الدائرة الانتخابية التي يمثلها زوجها ، والابن الأكبر لانديرا غاندي « راجيف » في البرلمان ، وقد بدأت تستعد لهذه المعركة التي تنتظرها الهند من الآن ، رغم أن موعدها لن يجيء قبل مرور خمسة عشر شهرا على الأقل !

ماذا تستهدف ؟ العمل من أجل بناء دولة ديموقراطية اشتراكية وفقا للمبادىء التي آمن بها غاندي . هدف طموح ولكنه في الوقت ذاته مثير للشكوك .. فأي الرجلين تعني ، غاندي العظيم محرر الهند ، أم سانجاي غاندي زوجها الراحل الذي تحرص على وضع صورته قريبة منها في اللافتات التي أعدتها لمعركتها الانتخابية المقبلة .. ان الأول كان قديسا . أما الثاني فكان شابا ذكيا طموحا .

أما هي فتقول : « ان حماتي السيدة انديرا غاندي قد وصلت الى القمة ، وهناك في هذا المكان الذي تقف فيه يبدأ المرء بالشعور بأنه لم يعد مستقرا ، لأنه لا يستطيع أن يتجاوزها وإذن .. فليس أمامه الا أن ينزل منها .. أما أنا فمازلت أقف عند أسفل التل ، وليس أمامي الا أن أمضي في طريقي الى الصعود .. الى القمة ! »

« مجلة تايم الامريكية »

« الأخت الكبيرة »

في الاليزيه !

■ ■ فتح قصر الاليزيه أبوابه ليستقبل شخصية غير عادية ربما لأول مرة في تاريخ فرنسا القريب .. وكانت صاحبتها هي السيدة دنج لينج ، التي تعد من أكبر أدباء الصين .. في عينيها بريق الشباب وفي ابتسامتها تجربة امرأة عاشت عمرها تبحث عن الحقيقة ، وفي رأسها ذكريات تملأ عشرات الكتب ، لا مجرد سطور قصيرة هي كل ما نشرته عنها الصحف الفرنسية ، وهي تقدمها لقرائها في كلمات نقلتها مما تقوله هي عن نفسها ..

ماذا قالت ؟ : « ليس هناك شيء مستحيل »!

كانت المدرسة الوحيدة القريبة من البيت للأولاد فقط . وقررت أن أكون أول تلميذة بينهم . كنت مازلت طفلة لم أتجاوز العاشرة ، ولكنني استطعت أن أفرض نفسي وأقود أول حركة تمرد داخل المدرسة ونجحت !

« إنني أنتمي الى أسرة كبيرة العدد مثل أي أسرة أخرى في الصين ، وكان لي اخوة وأخوات كثيرون ، ولكنني كنت أكبرهم . وكانت تجربتي الأولى مع الظلم عندما التحقت بالحزب الشيوعي الصيني قبل ثورة الصين الكبرى ، وكان وقتها حزبا سريا يعمل تحت الأرض في بداية الثلاثينيات . وقبض عليّ رجال شيانج كاي تشيك ، وأعدموا زوجي !

« وبدأت أكتب . . . وصورة زوجي لا تفارقني . . وحصلت على جائزة ستالين . . ولكن لم يكن هذا هدفي . . كنت أهدف في كتاباتي الى شيء آخر أكبر وأهم بكثير من الفوز بالجوائز ، كنت أحارب الظلم والكذب والنفاق . . حقيقة اختفيت عن المسرح الأدبي ، ولكنها كانت رحلة قصيرة أمضيتها مع قلمي في الظلام ، كان ذلك في عام ١٩٥٥ ، ومرت السنون ثم كانت عودتي من جديد الى الأدب الذي عشقته » .

لقد عادت دنج لينج في ظل سياسة الانفتاح التي يسير عليها النظام الصيني حاليا . . أما الفترة القصيرة التي أشارت اليها وظلت تكتب خلالها في الظلام فقد اقتربت من ربع قرن . . . !

من أعظم أعمالها التي ترجمت الى الفرنسية « الأخت الكبيرة » ، وقد نقلت فيه كل ما يمتلىء به رأسها من الغضب والثورة على الظلم . لماذا جاءت الى فرنسا ؟ « من أجل الصين . من أجل بلادي جئت لأنقل صورة للحياة الجديدة وللفكر الجديد فيها » .

« نوفيل اوبزر فاتر »

« وصيته الأخيرة . . يد ممدودة بالذهب » !

■■ بدأت القصة عندما جلس « جاس كينتبرج » يسأل نفسه : لمن يترك كل هذه الثروة ؟» لقد أصبح الرجل مليونيرا وهو يقترب من عامه الخامس والخمسين ، فهو يمتلك ثلاثين فندقا ومطعما في معظم المدن الهولندية ، ولكنه فوجىء قبل أن ينعم بهذه الملايين بأنه مصاب بمرض خطير في القلب ، زاد من خطورته الارهاق في العمل والتدخين بشراهة ، فهو لم يكف عن إحراق ثمانين سيجارة في اليوم رغم تحذير الأطباء ونصيحتهم له بالاقلاع عن التدخين !

وأدرك المليونير الهولندي أنه قد يموت في أي لحظة ، وانه لن يستطيع بأي وسيلة أن يأخذ ملايينه معه ! فليس عنده أحد يرثها من بعده .

واتخذ قراره في النهاية . . سوف يترك ملايينه للموظفين الذين يعملون في امبراطوريته الواسعة . . سيصافحهم مودعا بيد مليئة بالذهب !

عندما بدأ كينتبرج أعماله منذ خمسة عشر عاما ، كانت كل ثروته ١٦٠ ألف دولار ، استدان بها من أحد البنوك . ونجح ، ومضى في طريقه دون أن ينظر وراءه مرة واحدة حتى بلغت ثروته اليوم ١٧ مليون دولار ، سوف تنتقل كلها الى الموظفين والعمال الذين يديرون فنادقه ومطاعمه التي انتقلت ملكيتها لهم .

وكان الخبر الأول الذي نقلوه اليه . . أن « أصحاب الأعمال » الجدد ، « الموظفين سابقا » اتفقوا على وضع برنامج لتخفيض النفقات من أجل ربح أكثر !

(نيوزويك)

رأسان..وجسد!

قصة بقلم : ليلى العثمان

هو ذا النور يأتي معربداً ، يخترق العين كسهم أزرق ، ما تكاد تبتلعه حتى يرتد من حيث جاء كمجنون تطارده عاصفة من الايدي ، يعود مرتطما بالجدار فيتعانق والضوء الاحمر . يتفرشان على السقف كطرحة عروس . أميل اليه .. أهمس :

ـ هل سنبقى طويلا ؟؟

يشد على يدي :

ـ استمتعي بوقتك .. الليل طويل .

ـ أكاد أختنق .

ـ سيبدأ الآن استعراض الضوء .

***

تتحول الألوان مستطيلات متداخلة .. تتفرع منها مربعات تكبر .. تكبر .. وحين تمتد نحو الجدران المغلفة بأرقى انواع الورق ، تتحول الى دوائر وتعود ثانية الى السقف ثم تنزلق إلى الارض اللامعة بشكل حبات من الزمرد تدوسها أقدام الراقصين ، فتنتفض ثانية ترفض الذل وتعلو الى السقف ، تصير أنياب ثعابين تواصل زحفها على كل الاطراف ، تلعق الوان الوجوه وتضفي على أزياء النساء بريقا يغير الوانها فتصير أزهى واجمل ، أما الشفاه المصبوغة فتكشف كل شفة منها عن مطلب شهواني .

أتململ . أعيد الهمس :

ـ شفتاي جافتان .

ـ بلليهما بالماء .

ـ الماء بارد .. والجو خانق ..

مال محتضنا كتفي :

ـ يا حبيبتي .. استنشقي الهواء ليدخل الى صدرك .

***

صدري محروس بشال من الحرير .. وتلك الصدور التي أمامي شوقها يشق الثياب .

ـ لو كنا في مكان آخر ..

ـ هي ليلة وتمضي .. لا تفسدي على نفسك المتعة .

متعة ؟ !

ما المتعة في أن اراقب هذه الالوان الصارخة المستغيثة التي تهاجم العين لتخطف البصر ؟ ما المتعة في أن أراقب هذه الصدور المأسورة بالعقود وبالسلاسل ؟ من أين جئن بهذه المصوغات ؟ كيف تتحمل أعناقهن هذا الاسر ؟ ولماذا يتمادين في استعراض كل ما تحفل به خزائنهن ؟؟

كأنني داخل خزانة حديدية .. يبطل أنفي عرقا .. تفوح من الراقصين روائح مرشوشة باسراف ، مخلوطة بروائح الجسد الذي لا يستحم الا في مناسبات كهذه . تبتلع رئتاي الروائح .. وعصير الدخان المتطاير .. تتغذيان بالعرق ، وفوح الكؤوس المنوعة .. وبوح الكلمات الملجمة الراغبة في الانفلات . لكنها تخرس داخل حلوق أصحابها فتفوح روائح لغة أخرى .. أنامل تتشابك بعرقها .. عرق عز مفاجيء ! وخدود تتلاصق الوانها .. وعيون



تتناجى مناجاة محروم . الموسيقى هنا تصادر كل صوت . . فيصير لكل شيء عشقه الخاص .
أحرك ساقي الباردة . . الامس ساقه القوية :
ـ هل تتحرك ؟؟
ـ لا يجوز .

قالت عيناه بعتاب واضح . . أخرس عندي كل رجاء .

***

لا رجاء . . ولا أمل في المحاولة . . استسلمت . . أخذت اتابع المشاهد أمامي . الخدم يحومون حول الطاولات كالنحل . . تحط أكفهم فوق الصحون تهيل أشكالا من المقبلات . . ترفع كؤوساً . تملأ كؤوسا . . تمسح اطراف صواني الخضار الطازجة . . لم يكن هذا موسم بعضها ، لكنها جاءت . . فكم دفعوا ثمنا لها ، ومن أين جاء الثمن ؟ كل شيء متوفر هنا . . حتى « لبن العصفور » الذي تحلم به صبيات اليوم كمهر يقدم لأب جشع يهوى صفقات البيع .
الضوء يداعب المكان بشراسة يغزو كل بقعة بتحدٍ وقح . . والصدور والهة . لحمها بارز كبضاعة خاسرة تبحث عن مشترٍ جائع .
الجرسون يقترب . يدس فمه ذا الشفة الغليظة داخل أذني :
ـ الطلب سيدتي . . سكالوب ؟ ستيك ؟
تقزز جسدي . . احداهن تقترب من طرف البيست.تدور بجنون وهي تراقص عجلها كبقرة « صارف » ، فيدو فخذاها المشحمان .
الجرسون يكرر سؤاله مصطنعا الادب . . فأنتبه الى أن فمه لايزال يحاصر أذني .

ـ هه : لحم ماذا ؟ بقر ! ضأن . . أو . . أرانب ؟ ضحك ببلاهة . . تعود أن يفهم رواد هذا المكان الرفيع ما هو الاسكالوب . . والفيليه . . و . . الستيك . وأنا بلهاء اذ اوجه له هذا السؤال . . لكنه يرد وكأنه يمنحني فرصة معرفة شيء جديد :

ـ ستيك عجل . .

هززت رأسي :

ـ طيب . . ستيك . لكن سوه جيدا .

***

بانتظار اللحم . . لحم شفتي بين أسناني . . ترى ! أي لحم سيأتي به . . هل أصدق ! لقد تاجر بعضهم بلحوم الحمير . . والقطط الضالة . . والكلاب . . وفي هذه الدنيا . . هناك من يذبحون بعضهم بعضا . . وقد يعجبهم هذا النوع من اللحوم . . من يدري ما الذي سيدخل معدتي هذه الليلة ؟ .

***

الليل أحسه طويلا . . . شاقا . . وجسدي مستسلم رخو يتراقص عليه الضوء العنيف . . من هنا يأتي كأنه سيف يبتر الذراع فأهتز . . من هنا . . يضغط على الصدر فأتصور أخطبوطا عشق صدري فجأة وجاء يصادره لنفسه . وهاهوذا بنفسجيا كلون دم معتق يأتي من الأعلى خطا رفيعا حادا ينصب على رأسي . . يشقه . . فينشطر كرغيف ساخن .

***

صار لي رأسان . . يستندان على رقبتي الصلبة . . الثابتة على جسدي . . ينفصلان شيئا فشيئا يتابع الأول بنظراته الضوء البهلوان . . يتسلى بالنظر الى الجماعة ، يرضى بحصار الواجبات الاجتماعية . . هذا السلك الشائك الذي لو فررت منه لتمزقت أواصر الصداقة !بينما رأسي الثاني يطوف بأحلام الهروب .

في هذا الكهف تموت الحياة . . سنابل الشمس لاتدخل . . لا تطرد جراثيم البذخ . . والعهر السارية . . فيستشري المرض في

الصدور .. في الضمائر .. في الاجساد . فتنتعش اللذات .. وتنتصر الشهوات .. وتقرر النساء الهاربات الا وقت لتربية الاطفال .

تتوتر أعصاب رأسي .. يميل على الرجل الذي يغرق في بقظة السبات :
- هل سنبقى طويلا ؟
- نحن مدعوان .. ولا يجب أن ننفصل عن الجماعة ..

***

رأسي المنفصل بتمرد .. يبغي انفصالا نهائيا عن توأمه يبدو والاشمئزاز في الأشكال الضوئية المرعبة رغم روعة تكويناتها واضحا على قسماته يؤكد لنفسه :

« كل هذا لا يريح .. الحياة في الخارج رعشة يومية لذيذة فلم الانتظار » ؟؟ يتلفت رأسي .. يخشى أن يلمح أحد الفكرة الطارئة في داخله .. لكن عيون الجميع وعقولهم سابحة في اجواء المكان .. هائمة بروائحه الممتزجة .

ينتهز رأسي الفرصة ... ينفك عن الآخر .. ينسل من على رقبتي .. الى الارض .

***

رأسي ينتبه لرأسي الهارب .. يتابعه وهو يسير متعثرا بين الطاولات المزكومه باللذة .

رأسي يشفق على رأسي .. يخشى أن يفقد السيطرة على نفسه فيتعثر .. وتدوسه أقدام الراقصين أو أحذية الرواد الذين ما زالوا يتهافتون على المكان .

أحذية الخدم السريعة ترحم الرأس .. توسع له الطريق بعضهم يداعبه .. بعضهم يبتسم له مودعا غابطا العين التي سترى ضوء الفجر . أحدهم يدس في ثغر الرأس قطعة لحم .. لكن الفم يلفظها .. يكمل سيره .. ورأسي الاول قلق يتابع الخطوات .. يخشى أن يقع توأمه بين أنياب الرجال .. أو فتنه النساء .. أو تتسلط عليه جنيات الليل .. أو تلمس اطرافه زهرة فتغريه بعطرها فيضل طريقه لكنه سار واثقا مرحا .. جباراً يحمل فرحة بطير بحرية نحو الباب المخملي ... يدفعه .. ويهرب .

***

هرب رأسي .. يحسده رأسي الاخر الذي يئن تحت سيطرة الضوء المجنون .. يأكلني الكرسي المخملي .. كأن آلاف الديدان قد ولدت فيه ... تنبثق في رأسي فكرة .. تلتمع كالتماع البرق في ليلة شتاء مفاجيء . أتلفت أخشى أن يثير البرق فضول الاستفسارات ، فيخمد التمرد الذي ولد مع انبثاق الفكرة . تمرد يدعوني أن أطلق هذا الجسد المدفون الى ساحة رحبة .. الى حيث كركرة العصافير العاشقة .. وزغاريد النهار الذي يولد الآن .. أرفع كفي الى عنقي .. المسه بحذر ثم أرفعها الى قمة الرأس .. أهزها .. أنزلق الى الطرفين .. أحرك .. أتأكد أن فتحة العنق توسعت قليلا بعد أن انفصل الرأس .. أفرح .. أمد اصابعي الرفيعة أدسها في فتحة العنق .. أوسع .. أوسع .. ازلزل الرأس .. يزداد الاتساع .. تصير فتحة عنقي مهبلا طريا في لحظة ولادة يتوسع كلما مارست أصابعي عملية طلق صناعي له . أرخي .. وأشد .. أرخي .. وأشد لم يبق الكثير .. ها هي طلقة أخيرة .. ويولد الرأس كطفل يتيم . امسك به بكفي ، لا أثر لخدوش .. ولا قطرات دم .. ولا بقايا مخاط انظر اليه باشفاق .. ازرعه في كف واحدة كطفل ابله : بالكف الاخرى أوسع مكانا على الطاولة المليئة بعشرات الاصناف المتخمة بالدهون .. أضعه في المكان .. أداعب شفته برقة .. أمسح على شعره أودعه .. وانفلت جسدا بلا رأس لاحقة برأسي الهارب الى الحياة .

***

هي ذي الحياة يصدح فجرها .. بدأ الليل

يتجشأ ظلمته بدت المدينة كعروس خجلى تحت ضفائر الفجر المتناثرة تفوح رائحتها عذرية كأن الليل لم ينتهكها بعد . تتفتح بشائر الصباح شيئا فشيئا كأوراق وردة تتمطى بين ذراعي عاشقها ... وتهب نسيماتها الطرية هبوبا رقيقا يلفح الوجه كقبلة الام .

***

أركض .. تركض الشوارع بأعمدة النور المنحنية المطفأة وتركض الفراشات وأوراق الارصفة .. أهتف .. يهتف ضوء الصباح .. مولود يومي يسمع العالم صوته ويفرح .

أنادي .. تنادي أصوات الباعة النشطين الطيبين ..

أسعل .. ينهق حمار دؤوب .. أتلفت .. تتلفت أعناق الشجر المحملة بخيرها .. أصرخ .. تصرخ الحياة كلها من حولي مبكرة طازجة .. شهية الرائحة كرغوة حليب درها الضرع للتو .

***

أمضي غارقة نحو قلب المدينة ... هي ذي المساكن المتراصة تلفظ أجساد اصحابها الى الشوارع المبللة بندى الصباح وبول المواشي .. يتوزعون في الأزقة الضيقة .. أجساد طموحة تعارك الحياة .. مستوية زاخرة بالحرارة .. عرقها مالح رغم طراوة الصباح .. عروقها ناتئة تستغيث بدمائها هي ذي الرغبة في الحياة .. وفي معاركتها مفروشة في لحومهم السمراء التي صقلتها الشمس .. تشققات محفورة في الاكف الخشنة . وفي الجباه التي تعلو فوق عيون تموج فيها شهوة البقاء .. والعطاء .. رغم التعب .. يتحركون .. لا يستريحون .. لقمة النهار التي تأتي بالاه ... وبالرجاء .

اواصل السير .. أندس في الازقة اندساس الخيط في ثقب الابرة .. أجساد تتوزع تحت جدران الابنية العالية .. وعند أعتاب الجوامع المتناثرة مآذنها نحو السحاب .. وفوق الارصفة .. تحمل عاهاتها ، وبؤسها ، وزخرات الجوع .. والعرى وتحلم بلقمة .. وملابس لعيد يسمعون أنه يأتي .. أتابع اقداما عارية لاطفال تشتهي أعينهم الغفوة في هذا الفجر المتنفس .

يتحلقون حول بائع فطورهم اليومي .. متسابقين الى الرزق .. مهرولين بعد ذلك الى الجحور الضيقة التي يتزاوج فيها أهاليهم كالأرانب .. يجوعون .. ! يتامون .. يستفيقون على أمل أن يندس في الجحر المنسي رغيف خبز تتقاسمه العائلة بالعدل .. وتصوم بعده شهرا .

***

تدخل الى جسدي روائح المدينة الحنون .. رغم بؤسها تنغرز في مساماتي .. تدخلها .. تذوب في دمائي فأشبع أحس للشبع طعما لذيذا .. أحس امتلاء ينسيني رأسي الذي تركته هناك على الطاولة الزاخرة بأشهى الاطباق . وهو يتابع الضوء المتلاعب برشاقة مرعبة وينصت الى الموسيقى المجنونه التي يخرس دونها أي صوت .

هل ترى رأسي هناك يتذكر جسدي المنفصل عنه ؟ هل يتذكر توأمه الذي فر بجلده من ذلك الكهف الصاخب ! ومن حياة ميته رغم صخبها .. أم تراه فقط ينتظر طبق « الستيك » الذي طلبت من الجرسون أن ينضجه جيدا ! هل تراه الآن في الصحن تفوح رائحة شوائه ونضجه ؟ هل هو شهي الراحة كأجساد هؤلاء الكادحين ؟ تستوي الروائح داخل صدري .. رائحة مدينة واحدة شقها السيف نصفين .. كما شق رأسي .. فصارت مدينتين .. مدينة تفقد الوعي بصخبها المجنون .. ومدينة تعيد الوعي للصخب اليومي من أجل اللقمة .. من أجل ان تبقى الرؤوس صلبة فوق الاعناق .

***

أتحسس عنقي .. أتذكر رأسي الذي

هرب .. أين هو الآن .. هل ترى عيناه ما ارى فتمتلان دهشة وفرحة .. وتسبيحا ! هل تتحرك في عروقه نشوة الاكتشاف .. فيمارس عشقه للارض الرطبة .. للأجساد العامرة بنشاطها .. تعانق غصون الحياة الطرية .. تعلق بأذيال أمل لا تطفأ شموعه .

أشتهي عناق رأسي .. تيار الشوق يهزني ... فأسرع .

أضرب الهواء الذى بدأ يتسرب اليه دفء النهار ..

ابصم خطواتي على الارصفة .. أزجها في الدكاكين ..

وداخل الابواب المشرعة .. أبحث .. أصرخ :

- يارأسي .. أين أنت ؟؟

اكرر الصراخ .. ثم الهمس .. ثم الصراخ .. ثم ..

يأتي صوته دافئا :

- أنا هنا ...

وأراه بين أحضان الارض .. الرطبة .. تمرح السعادة على وجهه وتنحدر ابتسامات .. تتوهج شبابيك عينيه المفتوحتين على عرس الحياة الدائم .

ادنو منه .. يبتسم .. أمد كفين مشتاقين .. فيستسلم لطراوتها .. أمسح عليه بحنان فيتذكر أن له قاعدة تنتظر أن يجلس فوقها ويستقر . أوسع فتحة عنقي .. أحمله .. أدسه في الفتحة .. يفرح .. أفرح .. يضحك .. أضحك .. أحسه يلتئم بالجسد بحرارة كحرارة النظرة الاولى بين الأم والوليد المنتظر .

يسأل بصوت عذب :

- الى أين ؟؟

- سنعود ..

يحتج صوته :

- الى ذلك الكهف العاهر !

أربت عليه مطمئنة :

- بل الى توأمك المفصول المنتظر هناك .

***

أعدو .. ورائحة المدينة المرهقة معي .. أحملها .. أريدها أن تبقى اخشى أن تنسلخ عن لحمي وجلدي متصورة أنني سأرفضها .. أو سأخجل منها حين أصل الى ذلك المكان المعبق بأرقى انواع العطور .

أحضن اطرافي .. أخبيء الرائحة في جلدي .. أتنشقها لتبقى داخل صدري تفوح فيه .. وتشعر بالامان .

***

لم يشعر بدخولي أحد .. كأنني ما غادرت ورأسي الى مكان ما .. كأنني لا احمل رائحة تشق بعرقها أنوف الجدران .. وخلايا اللحم .. المشوي كل شيء كما هو .. الروائح .. الاضواء .. الاجساد الراقصة بفراغها .. الطاولات المفروشة بالمأكولات التي لو كانت هناك في تلك الازقة لما بقيت لحظة واحدة .

ادنو من الطاولة .. التي يجلس عليها رأسي .. كان غاضبا ما أن جلست حتى عاتب توأمه :

- لقد تأخرت .

- كانت رحلة لذيذة .

- وأنا جعت .

- وانا لست جائعا .

- هل أكلت في الخارج .

- لا يوجد لحم هناك .

- لكن اللحم هنا كثير .

- سلخ الاجساد التي تكدح تحت الشمس .

الجرسون يقترب .. بأدبه المصطنع يضع طبق « الستيك » المشوي أمامي .. أسمر كأجساد الرجال الحالمين بطعمه .

أمسك بالشوكة .. والسكين .. أضعها فوق قطعة اللحم أهم بذبحها .. أدوس عليها .. أصيب عرقا .. يتفر دم أحمر .. اتقزز .. ترتعش يداي .. ارتعش كلي ... تثور معدتي .. أحس بأنني أمام لحم آدمي . ○



غسان كنفاني وقصصه التي لم تنشر في كتبه

• لماذا لم ينشر غسان كنفاني بعض قصصه ضمن مجموعاته القصصية ؟

• قصة « رسالة من حسن » وارهاصات الخطوط العريضة لرواية « رجال في الشمس »

بقلم : سليمان الشيخ

أشرت في مقال سابق بالعربي إلى ان أربع قصص ورواية نشرت في الصحافة الكويتية ضمن ما نشر للكاتب الشهيد غسان كنفاني،ولم يتم نشرها ضمن مجموعاته القصصية التي صدرت تباعا ، كما أن الرواية لم يتم نشرها في كتاب حتى الآن أيضاً .

وعليَّ أن أضيف الى القصص الأربع التي سآتي على ذكر مضامينها ، قصة خامسة وجدتها منشورة في العدد رقم ٥٠ من جريدة الفجر الأسبوعية الصادرة بتاريخ ٢٨/ ١٠/ ١٩٥٨ تحت عنوان « واحد من الخالدين » وصيغت في قالب التمثيليات الاذاعية التي تعتمد على الحوار والموسيقا . واكتشافي لها جاء لاحقاً على إرسالي للمقال السابق الى المجلة .


العربي
شوال ١٤٠٣ هـ - أغسطس (آب) ١٩٨٣ م
• مدن على دروب الصحراء
• طلائع الرفض الإسلامي

فيشر



FISHER

The first name in high fidelity

System R550

أروع أجهزة السمعيات المحترفة من منتجة أول ستريو .

ان ستريوهات فيشر بمختلف أحجامها تعني الفخامة . غنية بأناقتها مع أحدث مفاتيح التحكم وصوت طبيعي يشعرك وكأنك تعيش في عالم ما تسمعه .
ستريوهات فيشر ذات مزايا لا تضاهى فهي مقدمة من شركة تملك رصيداً من الخبرة في عالم الستريو والهاي فاي أكثر من أي شركة أخرى في العالم ، فلقد اخترعت فيشر الستريو ومازالت تطوره منذ أكثر من ٤٥ سنة .

System R550 نظام ستريو مع تحكم عن بعد بكافة الوظائف ، مضخم صوت قوة ٨٠ واط للقناة ، الراديو ٢٤ موجة ، فونوغراف دوار مباشر قابل للبرمجة ، مولف ستيريو ، دك كاسيت دوران مباشر ، نظام ٣ مكبرات للصوت بذبذبة اتجاهات مع حاملات المكبرات وحاملة للأجهزة .

عزيزي القارئ

قد يلحظ قارىء العربي أن ثمة تغييرات في شكل المجلة ، تمثلت أساسا في أمرين : تكبير حروف الطباعة ، وزيادة مساحة الموضوعات الملونة . وقد كانت الخطوة الأولى استجابة لرغبة القراء ، في حين جاءت الخطوة الثانية استجابة لرغبة من جانب هيئة تحرير المجلة . القراء كانت حجتهم الأساسية أن العربي بمثابة كتاب شهري متنوع المواد والموضوعات ، وأنها ليست بالمطبوعة التي تقرأ وتلقى . ولكنها تضم الى مكتبة القارىء ، وبالتالي فمن الواجب أن تطبع بالحجم المتعارف عليه في طباعة الكتب .

وهيئة التحرير كانت تسعى منذ زمن غير قليل الى توسيع نطاق الخدمة المصورة والملونة ، في اطار السعي المستمر لتقديم المجلة في أفضل صورة ممكنة تحريرا وطباعة ، في النوع والكم .

وخلال الاشهر القليلة الماضية كان الامر محل بحث مستمر مع المسئولين في وزارة الاعلام بدولة الكويت ، والمسئولين عن المطبعة . كان الجميع متفقين على ضرورة توفير كل ما هو متاح من امكانيات « للعربي » ، استشعارا للمسئولية وادراكا لاهمية الدور الذي تؤديه .
واستجابت وزارة الاعلام ، واستجابت المطبعة رغم الأعباء والالتزامات التي تقوم بها . .

ولقد جاء قرار الوزارة أن يتحقق للعربي ما تطلبه من أجل خدمة القارىء وكذلك قرار المطبعة رغم كل الظروف ، ومن العربي ومن أجل قارئها سينفذ كل ما هو مطلوب . .

وبقي دور العربي ، في استمرار تطوير مادتها خدمة للثقافة العربية ، فنحن ندرك أننا كمن يجدف ضد التيار ، اذا توقف لحظة يعود الى الوراء .

المحـــرر

العربي

العدد ٢٩٦ - يوليو ١٩٨٣

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

رئيس التحرير: الدكتور محمد الرميحي

مدير التحرير: فهمي هويدي

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت للوطن العربي وكل قارىء للعربية في العالم. الوزارة غير مسؤولة عما ينشر فيها من آراء. والمجلة غير ملتزمة باعادة أي مادة تتلقاها للنشر.

ثمن العدد. بالكويت ٢٠٠ فلس، السعودية ٤ ريالات، العراق ٢٠٠ فلس، الأردن ٢٠٠ فلس، سوريا ٢٠٠ قرش. لبنان ٢٠٠ قرش، مصر ١٥٠ مليما، السودان ١٥٠ مليما، المغرب ٣ دراهم، تونس ٣٥٠ مليما، الجزائر ٣ دنانير، البحرين ٣٠٠ فلس، قطر ٤ ريالات، الامارات العربية المتحدة ٤ دراهم، سلطنة عمان ٢٥٠ بيسه «½ ريال عماني»، اليمن الشمالي ٣ ريالات، اليمن الجنوبي ٢٥٠ فلسا، ليبيا ٢٥٠ درهما.

الاعلانات: يتفق عليها مع الادارة - قسم الاعلانات

المراسلات: باسم رئيس التحرير

عنوان المجلة بالكويت: صندوق بريد ٧٤٨ - تلفون ٢٧١٤١ - ٤٦٨٢٤٢

تلغرافيا «العربي»

الاشتراكات

ترسل الطلبات الى:

قسم الاشتراكات

المكتب الفني - وزارة الاعلام

ص. ب (١٩٣) - دولة الكويت

على طالب الاشتراك تحويل قيمة الاشتراك بموجب حوالة مصرفية أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الاعلام، طبقا لما يلي:

البلاد العربية ٣٫٥٠٠ (ثلاثة دنانير ونصف)

بلاد غير عربية ٥٫٠٠٠ (خمسة دنانير)

ALARAB - No. 297 AUGEST 1983

P.O. Box. 748 KUWAIT

محتويات العدد

قضايا عامة:

عروبة واسلام:



صورة الغلاف

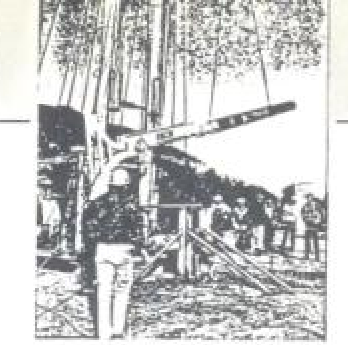
جاءت رحلة العربي هذه المرة الى مدن الصحراء الليبية ، في كل من غدامس وزويلة وقيرعون ، تلك المدن التي كانت همزة الوصل بين العرب وافريقيا ، والتي كانت محطات للقوافل التي تقلت الافكار والمنتجات ، وقدمت موطىء قدم ونقطة راحة لكل من يقطع الصحراء . . .

وتستمر جولات العربي لترصد كل جديد ، وتنقل بالكلمة والصورة الحياة والنكهة الخاصة لهذه المدن (الاستطلاع ص ١٠٨)

طب وعلـــوم :

منتدى العربي :

آداب وفنـــون



التفجيرات النووية والانسان

من قوانين الحياة وجود وجهين للأمر الواحد ، أحدهما مدمر والآخر بناء ، كانت على هذا النحو المخترعات الحديثة ، فمثلا عندما تم استخلاص النيتروجين من الهواء ، أدى الى صناعة المفرقعات الكيمائية ، وأدى الى تطور هام فى صناعة السماد الذى ساهم فى زيادة غذاء الانسان . .

وظهرت منذ استخدمت القنبلة الذرية فى هيروشيما وناجازاكى جهود واسعة لاستخدام التفجيرات النووية من أجل خدمة البشرية . . .

ويقول كاتب المقال ان انفجارا نوويا يزيد معدل انتاج حقل نفط « ابو الغراديق » فى مصر ، وانفجارا آخر يشق قناة منخفض القطارة ويمكن عن طريقه استصلاح الصحراء واعدادها للزراعة . .

فهل تنجح محاولات قصر المخترعات الحديثة على خدمة البشرية ؟

هذا ما يجيب عليه مقال « التفجيرات النووية ايضا فى خدمة الانسان صفحة ٣٠ » .



الفن التركى

بحثا عن نغم الالوان وابداع الخيال ، نطوف أحد معارض الفن التركى المعاصر ، الذى أقيم فى الكويت وعرض خلاله ٨٣ لوحة ، تمثل فن التصوير التركى المعاصر ، فى مدارسه المختلفة وأجياله المتتابعة . . .

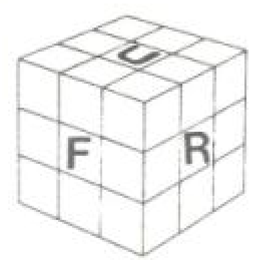
وفن التصوير التركى له قيمة خاصة لدينا ، فقد كان حتى يوم قريب رافدا هاما للحضارة الاسلامية ، والذى ما زالت علاماته على الآثار العثمانية المنتشرة فى العواصم العربية . . .

وتكشف اللوحات ، أن الفنان التركى ما زالت تتصارعه الاجيال والحضارات . (اقرأ ص ٩٧)

تربية وعلم نفس :

استطلاعات مصورة :

المكعب اللغز . .



كأن أحاجي الحياة اليومية وألغازها قد نضبت ، فابتكر الانسان لنفسه ألغازا جديدة ، فكانت أحجية مكعب الالوان الذي يطلق عليه مكعب روبيك الذي تحول من مجرد التسلية ليصبح علما وفنا له أصوله ومسابقاته العلمية ، وغدت هذه الالغاز الشغل الشاغل للمختصين في الرياضيات والهندسة والتربية ، ورشح هذا المكعب الجديد ليكون أحدى الوسائل التعليمية الحديثة ، وصدر حوله عشرات الكتب باللغات المختلفة . . .

يقدم الكاتب دراسة شيقة حول هذا المكعب اللغز ، وكيف كان تصميمه عملا مبدعا ، قام به أحد أساتذة العمارة في بودابست هو ارنوروبيك عام ١٩٧٤ ، ويقوم على علم الاحتمالات والتباديل والتوافيق .

هل تصدق أن البعض يصاب بالهوس والعصاب عندما يعجز عن اعادة المكعب اللغز الى وضعه الاصلي .

(اقرأ القصة كاملة صفحة ١٢٨)

كتاب الشهر

لا يدرك الكثيرون ان وراء العديد من الأزمات التي يشهدها العالم ، تقف ندرة الموارد الطبيعية ، رغم أنه يوجد في العالم موارد تكفي سكان العالم حتى عام ٢٠٠٠ ، واذا كانت ليست كافية فذلك بسبب سوء توزيع الثروة .

فهذه الندرة لم تقع بالصدفة ، انما خطط لها ونتيجة آليات وتخطيط النظام الاقتصادي العالمي القائم . .

هذا ما يؤكده كتاب « السنوات العجاف » الذي كتبه ريتشارد بارنيت ، والذي يعالج كيف تكون عليه السياسة في عصر الندرة ، ويرى الحل في قيام استراتيجية جديدة تهدف الى الحفاظ على الحق السياسي والاقتصادي للجميع دون تمييز ، وتخليص التجارة من سيطرة الشركات متعددة الجنسية .

(اقرأ عرض الكتاب على صفحة ١٦٨)

تاريخ وشخصيات :

أبواب ثابتة :



حديث الشهر

طبائع البشر

« هذا سلوك انساني وذاك سلوك حيواني »

كثيرا ما يردد هذان المعنيان في حياتنا اليومية ، للتعليق على شيء شاهدناه ، أو سمعناه ، أو قرأناه ، والافتراض المبطن هنا ، أن السلوك الانساني ، له مواصفات أفضل من السلوك الحيواني . فهل ذاك صحيح دائما ؟

في بعض الأحيان ، نصف سلوكا ما أنه عديم الانسانية ، أو تنقصه الانسانية ، ولكن في نفس الوقت هو سلوك بشر ، فهل وقعنا في التناقض أم أن ذلك الوصف يطلق تجاوزا من أجل التشديد للتحبيب أو التنفير من السلوك ذاته ؟

الانسان له طبيعة مكونة لنوعه ، ومختلفة عن طبيعة الأحياء الأخرى ، تلك حقيقة علمية ، ولكن بعد تلك الحقيقة البسيطة يجرى الاختلاف في كل التفاصيل ، فليس هناك اتفاق تام شامل ـ خلافا لما هو متصور ـ على خصائص موحدة للطبيعة الانسانية .

بقلم
الدكتور محمد الرميحي

وطبائع الحيوان

في الوقت نفسه فان الطبيعة الانسانية مميزة وغير قابلة للوصف والتحديد في آن ، فقط يمكن ملاحظتها من الخبرة العامة اليومية .
فالطبيعة الانسانية اذن ليست شيئا ثابتا وموحدا في كل البيئات وفي كل الأزمنة وفي كل الثقافات .

معان مختلفة ألحقت بمفهوم الطبيعة الانسانية أكثرها مشاعا تعني أنها مميزات طبيعية مولودة مع الانسان ، الا أن الكثيرين يأخذون على هذا المفهوم أنه تجريدي ، حيث ان الطبيعة الانسانية تلتصق بثبات مع البيئة والخبرة والثقافة المحلية . فليس هناك طبيعة انسانية مطلقة ولكن هناك طبائع انسانية متعددة .

هذه الطبائع الانسانية تتطور كأي شيء آخر خلال الزمن وتتأثر بالبيئة المحيطة وبالتعليم وبدرجة تعقد المجتمع ومكانته في الرقي الحضاري .
الا أن الانسان في أي مجتمع وتحت أية ثقافة .. يحمل في طيات نفسه بذور



تاريخه الطويل ، فهو فخور وحساس ، معجب بنفسه ومتواضع في نفس الوقت ، وهو متفائل وجزع أناني وقادر على التضحية ، يشعر بالفخر والاعتزاز بأعماله ، وفي بعض الأوقات ، يشعر بالذنب والعار من أعمال أخرى ، يحمل في طيات نفسه شيئا اسمه الضمير ، يقوى ويضعف بناء على متغيرات كثيرة ، في نفس الانسان وبيئته .

فالطبائع البشرية ليست ـ كما يبدو لأول وهلة ـ كلها خيرا وسلاما ، وعطفا وشفقة وتراحما ، هي أيضا حروب وجرائم ، واغتيالات وتعذيب ومذابح ، فهل هذه الأخيرة من سلوك الحيوان ؟ أم هي من سلوك البشر ؟

الخبرة القريبة :

في الوقت الذي تظهر فيه هذه الكلمات نتذكر ـ نحن العرب ـ أن سنة قاربت على المرور ، لذكرى مذبحة تاريخية في مخيمي صبرا وشاتيلا في بيروت ، راح ضحيتها شباب وشيوخ ، رجال ونساء وأطفال ، لا لشيء الا لكونهم تواجدوا في ذاك الوقت والتاريخ في ذاك المكان المنكوب ، لا لشيء الا لكونهم فقدوا ـ نتيجة لمؤامرة عالمية غاشمة ـ الوطن والمرفأ ، وتشتت أهلوهم واخوانهم في بقاع مختلفة من الأرض . قبل ذاك وبعده ، هناك دم بشري جديد يسفكه بشر ، من أجل أسباب كثيرة منها السلطة أو التوسع ، التشفي أو حتى الانتقام ، فذاك سلوك اصطلح على تسميته بأنه سلوك حيواني .

وفي التعبير تجنٍّ على الحيوان ذاته ، فالحيوانات لا تقتل الحيوانات الأخرى (لمجرد الابتهاج) ولا تعذب الحيوانات أبناء جنسها الى أن تهلكهم ألما . والحيوانات لا تبني معسكرات اعتقال ، ولا تستطيب متعة جنسية منحرفة من معاناة أقرانها وآلامهم . ولا تطلق القنابل دون تمييز على العزل من السكان . . تلك هي ـ فقط ـ طبائع البشر .

من الخبرات القريبة الأخرى ، ما تقوم به الدول القوية ، من قهر وانتزاع لحقوق الشعوب المستضعفة ، ويدخل في هذا المعنى عشرات الأمثلة ـ ان

عُدّت بتفاصيلها احتاجت الى أسفار - كما يدخل ضمن الخبرة القريبة ، قهر الشعوب نفسها من حاكم ظالم متسلط لا يتورع في استخدام كل ما تفتق عنه عقل الانسان وخبرته وذخيرته من أدوات تعذيب ، فهل ذاك وهذا يدخل ضمن الطبيعة الانسانية ، أم ضمن طبيعة أخرى ؟

التعذيب عبر العصور :

من أكثر ما تفتق عنه ذهن الانسان ايلاما لأخيه الانسان فنون التعذيب المختلفة ، وما من أحد يعرف على وجه الدقة ، متى مورس التعذيب البشري لأول مرة . الا اننا نعرف من خلال مسيرة التاريخ الانساني ، أن التعذيب قد مورس بأشكال مختلفة ، منذ أن عرف الانسان تدوين التاريخ ، وأن أول آلة استخدمها الانسان للتعذيب ، كانت يد الانسان نفسه !

وعندما نقرأ في وسائل تعذيب الانسان للانسان ، والآلات المختلفة التي استعان بها لايقاع أكبر ألم من جراء ذاك التعذيب ، نقف على العجب العجاب . هذا العجب العجاب ليس نابعا من الطرق الوحشية والتفنن في التعذيب فقط ، ولكنه نابع أيضا وبشكل أساسي ، من أن فكرة التعذيب وممارسته ما زالت قائمة بيننا حتى اليوم ، ولا بد لها أن تستمر بيننا في المستقبل ، لأن البشر ما زالوا يحملون نفس التناقضات بين وجداناتهم ، والتي حملها الانسان البدائي الأول .

من ابداعات الاغريق القدماء في التعذيب مثلا ، التعذيب بالكرة النحاسية ، وهي عبارة عن كرة نحاسية مجوفة لها باب في جانبها ، وفتحات لفم وأنف الانسان ، وكانت طريقة التعذيب أن توضع الضحية داخل هذه الكرة الحديدية ويغلق عليه في تلك الكرة ، ثم يتم اشعال نار متأججة تحتها ، وحين يبدأ المعدن بالسخونة تبدأ صرخات الضحايا المساكين تتصاعد ، لقد كانت طريقة العقاب أو التعذيب تحت أشعة الشمس والموت جوعا وعطشا ، المنتشرة لدى الاغريق ، أخف كثيرا من تلك الكرة النحاسية .

أما الرومان القدماء فقد كانوا مهندسين بارعين ، وضعوا فكرهم الهندسي في تطوير أدوات التعذيب التي جاءتهم من الاغريق ، أضافوا عليها تجديدات رومانية ، فالمخلعة وهي أداة ذات أربع قوائم (الحصان الخشبي) تشبه مسند النشر عند النجار ، أو الحاجز المروري الذي تستخدمه الشرطة في بعض الأوقات ، هذا الحصان الخشبي كان من أدوات التعذيب المشهورة ، وكانت طريقة استعماله هي ربط الضحية على القطعة المتعارضة الطويلة في الأعلى ، وتربط ساقا وقدما الضحية بحبال تشدهما الى المحور الرحوي في القاع ، وكان من السهل على شخصين أن يوجها نهاية الحبل في اتجاهين متعاكسين ، حيث يشدان الضحية بما يكفي لتسبب آلام مبرحة ، فان صمدت الضحية لذلك ، تضاف الى الطريقة الأولى في التعذيب طريقة ثانية ، هي تمزيق لحم الضحية بمحشات ذات أسنان حديدية ، أو تكوى بصفائح محماة .

لم يكن كثير من هذا التعذيب فى روما القديمة ، من أجل انتزاع اعتراف من مجرم او الوصول الى حقيقة تفيد الصالح العام ، بل كان كثير منه رياضة وتسلية فى آن . فعرفت روما فى القرن السادس قبل الميلاد ، الألعاب الرياضية والسباق بالعربات ، ولم يمر وقت طويل ، حتى أصبح الناس يستمتعون بمشاهدة حوادث الموت العنيفة ، بدءا بمبارزات المصارعين الذين يتقاتلون حتى الموت في الحلبة ، وانتهاء باطلاق الوحوش المفترسة التي تم تدريبها ثم تجويعها لأيام حتى تصل الى درجة من الجوع تجد أن أكلها للرجال في الحلبة هو فرصتها الوحيدة للبقاء على قيد الحياة ، بعد أن اكتشف الانسان انه ما من حيوان يهاجم البشر غريزيا ، فقط البشر وحدهم يفعلون ذلك ، اذ يوقعون الأذى ببعضهم عن عمد وسبق اصرار .

من أطرف ما كتب حول الموضوع كتاب صدر في نهاية الستينيات يتابع فيه مؤلفه الغربي ، تطور اشكال تعذيب الانسان لبني جلدته خلال عصور التاريخ الى يومنا هذا .

يقول المؤلف فيه : ان حقيقة ما هو معروف ان الشعوب الشرقية أكثر تفننا في التعذيب من الشعوب الغربية ، ما هي الا احدى الشائعات غير الصحيحة المنتشرة في العالم الغربي ، فيتساوى ـ كما يؤكد الكاتب ـ الشرقيون

والغربيون ، المتحضرون وغير المتحضرين من بني البشر في البراعة ، حين يتعلق الأمر بايقاع الأذى والعذاب على بني جلدتهم ، فالقسوة في قلوب البشر واحدة . أما الحكمة - التي وصل اليها الناس والقائلة : « ان العقوبة يجب أن تتلاءم مع الجريمة » ما هي الا حكمة متأخرة يجري تطبيقها في الواقع في أضيق الحدود ، فكثيرا ما يخلط بين العقاب والتعذيب ، وكلما توغلنا في التاريخ أكثر ، وجدنا أن الانتقام هو القوام الأساسي للعقوبة ، فحتى في بلاد مثل بريطانيا - والتي تبدو لنا اليوم اكثر حضارة وتقدما - والى فترة متأخرة هي القرن الثامن عشر ، كانت عقوبة سارق خروف واحد هي الاعدام شنقا أمام الناس .

وكان التشويه عقوبة معترفا بها كسمل العيون وجذع الأنوف والآذان والشفاه ، وفي بعض الاحيان سلخ فروة الرأس ، وقطع الاصابع ، أو احدى اليدين ، او الرجلين ، او حتى كليهما في اوروبا ، في معظم ذلك القرن ، والى فترة طويلة في القرن الذي تلاه .

التعذيب الطوعي :

الانسان لا يوقع الأذى على أقرانه فقط ، ولكن من بني البشر من يوقع الأذى بنفسه ، الى حد التعذيب والقتل ، بسبب طقوس اوابتغاء جمال ، أو غرض اقتصادي .

فالهندوس في الهند - وحتى وقت متأخر من الاستعمار البريطاني - كانوا يوقعون الأذى بانفسهم طواعية ، ومن أشهر هذه الطقوس ، أن تحرق المرأة التي فقدت زوجها نفسها ، تمنيا وابتهاجا باللحاق به .

بعض التعذيب الذاتي قد يكون من أجل الجمال ، كما كانت نساء الصين يحبسن أرجلهن في قوالب حديدية منذ الصغر للمحافظة على صغر الرجلين كنوع من الجمال .

في كثير من الحضارات كان اخصاء الرجال - خاصة العبيد - لابقائهم مع

النساء ، يرفع من ثمن العبد كسلعة مطلوبة في سوق النخاسة ، ويحدثنا التاريخ أن هذه الظاهرة ، انتشرت في ايطاليا في القرون الوسطى ، عندما كان يحتاج الى اولاد مخصيين لتدريبهم كمنشدين في الكنائس ، بل كانت بعض الأسر الفقيرة ، تجري على بعض أبنائها عملية الخصاء حتى تتلقى مبلغا جاهزا من المال ، من عمل ابنها هذا تدفع به عن نفسها غائلة الموت جوعا .

أما التعذيب من أجل الجمال مثلا فهو شائع بين شعوب كثيرة في افريقيا وهنود امريكا الجنوبية وبعض الآسيويين ، فالشلوخ في الوجه « وهي الخطوط التي كانوا يصنعونها في وجوههم » شيء من الجمال لدى بعض القبائل الافريقية ، وكذلك شق الشفة أو الأذن أو الأنف أو شدها أو ثقبها أو تدخيل أجسام غريبة بها ، كلها تعتبر من الاضافات الجمالية .

أما أكثر التشويهات التجميلية ـ ان صح التعبير ـ ايلاما فهي تلك التي تجرى للأسنان ، فشعوب كثيرة تعد الأسنان مظهرا جماليا بالغ القيمة فيجري ترصيعها بمواد براقة ، أو بردها أو ازالة التاج « رأس الضرس » أو حتى قلعها . ومن الأمثلة الشائعة على التعذيب الطوعي الجمالي ، ادخال مواد غريبة في العيون ، يسميها البعض منا اليوم عدسات لاصقة حتى لا يشوه الوجه بلبس النظارات .

وقد يأخذ العقاب الطوعي شكل الاحساس العميق بالذنب ، والرغبة في معاقبة النفس ، وتتنوع أشكال معاقبة النفس بتنوع الثقافات أو البيئات ، الا أن أشهر ظاهرة عرفها التاريخ في هذا النوع من العقاب ، هي ظاهرة « التسوط » ضرب النفس بالسوط ، فقد انتشر هذا النوع من التعذيب الذاتي في أوساط الكنيسة المسيحية في أوروبا في القرون الوسطى ، وكان الزهاد المسيحيون الأوائل يمارسون التسوط بحماس بالغ ، وكانت تعتبر من جملة أمور أخرى تمردا على نزوات الجسد والشهوات الانسانية ، وتقول لنا الموسوعة البريطانية ان ضرب النفس بالسوط ـ كنوع من الورع الخالص ـ

موجودفي الديانات القديمة كلها تقريبا .

التعذيب والجريمة

ليس بالضرورة أن تكون الجرائم كلها محتوية على تعذيب ، ولكن بالقطع ان كل تعذيب جريمة ، والمراد هنا ليس الشكل الشائع من التعذيب المنطوي على جريمة قانونية كانت أم أخلاقية ، فتعذيب الاطفال أو الخدم أو المسنين ، قد ينطوي على جريمة قانونية ، ولكن هناك أشكالا أخرى من التعذيب يوقعها الانسان على أخيه الانسان ، ولا تقع تحت طائلة العقاب القانوني ، ولا تصل الى عناوين الصحف العالمية الكبرى ، ومن أهم هذا النوع من التعذيب النشرات المتوالية التي تخرجها مؤسسة العفو الدولية ، عن حالة أناس في بقاع كثيرة من العالم حرموا من حق الحرية ، أو الحياة ، لا لشيء الا لمجرد أن لهم رأيا تعتبره السلطات الحاكمة في بلادهم رأيا غير مقبول . وتقع تحت سقف هذا النوع من التعذيب الانساني اشكال مختلفة من التعذيب الجسدي والمادي والنفسي ، ويعج مجتمعنا العالمي المعاصر بصور جديدة وقاسية من أشكال التعذيب ، والتي تلعب فيها التكنولوجيا الحديثة دورا بارزا ، فالمذابح التي شهدتها الجزائر في حرب الاستقلال وتعذيب المجاهدين في سجون الاحتلال الفرنسي ، التي دعت جان بول سارتر أن يقول عنها انها (طاعون يصيب عصرنا كله) . وكذلك قتل الأبرياء في فيتنام لمجرد الشبهة . وسيحتفظ عصرنا طويلا بصورة ذاك الضابط الفيتنامي الجنوبي ، الذي يصوب مسدسه الى رأس أسير مكتوف اليدين الى الخلف ثم يطلق الرصاص عليه ببرود شديد ، يتهاوى بعدها الأسير كتلة من اللحم . . . سيحتفظ عصرنا بهذا المشهد ، ويضعه الى جانب أشكال التعذيب المختلفة ، وصولا الى التعذيب الذي يلاقيه العرب الراسخون تحت الاحتلال الصهيوني ، والقتل الجماعي والتسميم والابادة ، والتي تشارك فيها التكنولوجيا الحديثة ، عن طريق رجال تتوفر فيهم صفات كثيرة ، الا صفة الانسانية .

فهل يحق لنا بعد ذلك ان نصف سلوك البشر بأنه انساني ؟! .

في هذه الدراسة ـ وفي حلقتين متتاليتين ـ يعرض الدكتور حسام الخطيب معالم المواجهة بين الثقافة الفلسطينية المقاتلة في الأرض المحتلة والثقافة الاسرائيلية الغربية الغازية .

المعاناة الثقافية في الأرض المحتلة

لوحة جديدة منذ عام ١٩٨٢

بقلم الدكتور : حسام الخطيب

من المتفق عليه نظريا ، ومما أثبتته وقائع القرن العشرين في فلسطين والمنطقة العربية أن الغزو الصهيوني للوطن العربي ليس مجرد حلقة في سلسلة الاستعمار الأوربي المتعددة الحلقات . وليس مجرد عدوان عسكري استيطاني . وانما هو شكل جديد من أشكال الوجود العدواني القائم على نفى الآخر بشريا واجتماعيا واقتصاديا وحضاريا وثقافيا .

منذ القديم هدف التخطيط الصهيوني الى تحقيق هذا الأمر ، فكان من ذلك مثلا حملة طرد الفلسطينيين العرب خلال معارك سنتي ١٩٤٧ ـ ١٩٤٨ بعد ارتكاب المذابح في القرى العربية (دير ياسين) لأن المطلوب هو أرض بلا شعب . ولكن حين لم يتحقق ذلك بسبب بقاء حوالي مائة وسبعين ألف عربي في أرض النكبة الأولى ، سارعت الأجهزة الصهيونية الى محاولة نفي هؤلاء الذين ـ ويا لسخرية القدر ـ أصبح اسمهم (الأقلية العربية) نفيا اجتماعيا ثقافيا بدأ أولا بطمس هويتهم ولغتهم وتراثهم . وكذلك بعد عدوان حزيران ١٩٦٧ استخدمت أساليب التهجير والابعاد والنفي والسطو الحضاري وتشويه الثقافة الوطنية الفلسطينية ، وكان واضحا مثلا أن همّ الحاكم العسكري لم يكن عسكريا خالصا انما كان هناك همّ النفي الثقافي الذي سخرت له مختلف الامكانات والأساليب العسكرية والثقافية أيضا .

ومن الممكن القول ان الصهيونية لم تصب من النجاح في تحقيق هدفها في نفي الثقافة العربية الفلسطينية ما يمكن أن يقارن بشيء مما أصابته من النجاح في تحقيق الهدف العسكري ، ولكن المعركة مستمرة وطاحنة ، وهي تشكل نموذجا مزدوج المعنى ، فمن جهة تحمل دلالة واضحة على ضراوة الغزو الثقافي الصهيوني وخطورة وسائله ، ومن جهة أخرى تحمل تأكيدا جديدا على أن معركة الثقافة الصهيونية ضد الهوية الثقافية الفلسطينية ليست مما يمكن حسمه بسهولة لما تتمتع به الثقافة العربية من عراقة وانفتاح ومرونة .

ومما يزيد في تأكيد هذه الحقيقة ان الثقافة العربية تصمد في فلسطين مع أن ظروف الأرض المحتلة تشير الى أن العدو هو في أحسن وضع يمكن أن يتمناه أي غالب من أجل نشر ثقافته وتحطيم ثقافة الآخر ، في حين ان الثقافة العربية





الفلسطينية تعيش حالة حصار سياسي عسكري نفسي تجعلها موضوعيا ، معرضة للاختراق .

عناصر الحصار

ومن أهم عناصر هذا الحصار :

١ ـ هناك حالة احتلال مباشرة بدأت بالنسبة لأرض النكبة الأولى قبل أكثر من ثلث قرن (١٩٤٨) وبالنسبة لأرض النكبة الثانية قبل سدس قرن (١٩٦٧) ، وفي الحالتين استولى العدو على الأرض والحالة الثقافية فيها غير مزدهرة ولا ناضجة ولا متمكنة .

٢ ـ هناك حالة احتلال شامل لأن الطرف الغازي ملاصق للطرف المغلوب ومتداخل فيه ، فالاحتلال لا يتم عن طريق جيش بعيد عن قواعده ولكن عن طريق جيش وسكان واستيطان وتداخل بشري اجتماعي اقتصادي اداري يجعل الأرض المحتلة منطقة مفتوحة بكل ما في هذه الكلمة من معنى ، ويجعل المستعمرين الصهيونيين في وضع أفضل بكثير مما كان عليه وضع المستعمرين الأوروبيين في الماضي .

٣ ـ يصاحب الغزو الثقافي أشكال أخرى من الغزو المنظم : غزو بشري عن طريق الاستيطان ، وغزو اقتصادي عن طريق الحاق اقتصاد الضفة والقطاع بالاقتصاد الاسرائيلي ، وغزو عسكري مطلق الصلاحية غير متقيد بأي اعتبار .

٤ ـ يصاحب الغزو الثقافي غزو نفسي منظم عن طريق اختصاصيين غير غرباء عن ثقافة المنطقة وعقلية أهلها وكثيرون منهم يتقنون لغة الشعب المغلوب ويعرفون ماله وما عليه ، ومما يجدر ذكره هنا ان الجامعة العبرية في القدس مثلا تعد من المؤسسات التي لها باع طويل في مجال الدراسات المتعلقة بالبلاد العربية ماضيا وحاضرا . كما توجد في فلسطين المحتلة مراكز للدراسات المستقبلية المتعلقة بفلسطين والوطن العربي .

٥ ـ يصاحب الغزو الثقافي للأراضي المحتلة تدهور مستمر في الوضع العربي من حولها لا يسمح باعطاء الصمود الفلسطيني في الداخل أية بارقة أمل ، بل انه يفاجيء المناضلين بموجات من الخلافات والتحزبات تصاحبها ضغوط تشتت نضالهم وتبدده . ولعل أوضح شاهد في هذا المجال المحاولات المشبوهة التي تتم بالتعاون الكامل مع العدو الغازي من أجل خلق مناخ من اليأس يدفع الناس الى القبول بالحكم الذاتي .

٦ ـ يصاحب الغزو تقصير عربي نسبي في دعم الثقافة العربية بأهم ما تحتاجه وهو استمرار التعليم العربي ولا سيما التعليم العالي لأبناء الأرض المحتلة في الجامعات العربية . وباستثناء قطرين عربيين يتحملان الآن العبء الأكبر نجد أن باقي الجامعات العربية تغلق أبوابها في وجه الطلبة الفلسطينيين . ويدل الخط البياني لقبول هؤلاء في الجامعات العربية بوجه عام على تدهور شديد خلال السنوات الأخيرة مما ينذر بأوخم العواقب .

هذه هي صورة الوضع العام في الأرض المحتلة من خلال المنظور الثقافي .

ثقافة مقاتلة

واذا أتينا الى المنظور الخاص أو الذاتي للثقافة الفلسطينية نفسها فاننا نجدها تناضل ضد عوامل عديدة معادية وعوامل أخرى غير مواتية بحيث يصبح صمودها بحد ذاته حالة تاريخية تستحق البحث والدراسة وليس المجال الحالي مجال التفصيل في تفحص هذه الحالة ، ولكن من الممكن ايجاز الخطوط العامة للمعاناة الثقافية الفلسطينية بما يلي :

○ أولا : ان الثقافة الفلسطينية ، في الصورة التي كانت قد وصلت اليها عام الاحتلال الثاني

(١٩٦٧) ، لم تكن في وضع متين يمكنها من المقاومة الطويلة بفضل خصائصها الذاتية ، فقد كانت خارجة من تجارب حديثة مرة ، سواء خلال الفترة التي انقضت بين النكبتين الأولى والثانية (١٩٤٨ ـ ١٩٦٧) أم خلال فترة الانتداب التي سبقتها (١٩١٨ ـ ١٩٤٨) ، أم خلال الحكم العثماني على مدى أربعة قرون من التخلف والانحطاط والانغلاق .

واذا كانت الثقافة الوطنية الفلسطينية تشترك مع ثقافة المشرق العربي عامة من ناحية المعاناة تحت وطأة النير العثماني خلال عصور الانحطاط ، ثم من ناحية محنة المواجهة غير المتوازنة مع الحضارة الأوربية الوافدة ابتداء من عصر النهضة ، فان الثقافة الفلسطينية تتفرد بما يمكن أن يسمى ازدواجية المعاناة ذلك أنها تعرضت للغزو الثقافي البريطاني والصهيوني في وقت واحد مثلما تعرض أهلوها للغزو الاستعماري الصهيوني ، ولم يتح لها يوم واحد بالمعنى الحرفي للكلمة ـ لكي تلتفت الى ذاتها أو تضع لنفسها أسسا وتصورات ، أو تتجاوب مع متطلبات الصراعات الاجتماعية والاقتصادية ، أو تفكر بمشروع استراتيجي أو بناء تأسيسي .

لقد كانت الثقافة الفلسطينية على الدوام ثقافة مقاتلة ، ولم يكن في يدها اختيار موقع القتال أو توقيته أو طبيعة أسلحته ، لذلك كان عليها ـ كأصحابها ـ أن تقاتل بالكلمة النثرية وببيت الشعر وبالخطبة اللاهثة وبالتمثيلية المبتسرة وبالمقالة الصحفية ، تماما مثلما كان الشعب الذي تنتمي اليه يقاتل بالعصى وبالحجارة وبالبندقية العتيقة (العصملية) .

ولم تكن المسألة مسألة قتال فقط بل كانت أيضا مسألة صمود في وجه الاغراء . كان هناك البريق المغري لثقافة بريطانية تسود العالم في القرن العشرين وتقدم معرضا متنوعا لبضائع ثقافية تناسب كل وضع وكل حالة بل تتجاوب أحيانا مع تدرج السلم الاجتماعي . وكانت هناك الثقافة الصهيونية التي لم تكشف بعد عن لاانسانيتها وعنصريتها وانغلاقيتها والتي تسترت برقاع ملونة اقتطعت من مختلف أقمشة الثقافة الأوروبية . وكان على الثقافة الفلسطينية أن تحصن نفسها ضد الاختراق الداخلي وأن تواجه كذلك قوى ثقافية تفوقها من جميع النواحي المادية والمعنوية ، وكان كل شيء يعمل ضدها ، ربما باستثناء عامل واحد أساسي ، هو انتماؤها التاريخي للثقافة العربية وتمسكها بهذا الانتماء الذي سمح لها أن تسند ظهرها خلال القتال بعمق استراتيجي جبار اغترفت منه كيفما شاءت وحسبما أملته ظروفها . ومن حسن الحظ ـ وربما من خلال المقتضيات الموضوعية للصراع ـ أن الثقافة الفلسطينية لم تجعل من انتمائها للهوية التاريخية حاجزا يفصلها عن الواقع ، أو وهما تفزع اليه وتسكن الى أمجاده ، أو عصبة تلفها حول عينها فلا تبصر ما ينبغي أن تبصره من أمامها .

وهكذا لم يحدث في التاريخ الثقافي الفلسطيني الحديث أن اتخذ الولاء للماضي ذريعة لمنع امرأة عن المشاركة في الكفاح ، أو لطي الكشح عن قبس معرفة جديد ، أو للأعراض عن استخدام وسيلة كفاح لا تبدو شديدة الألفة مع معتقدات الماضي . واذا احتمت الثقافة الفلسطينية ببعدها التاريخي الاستراتيجي ولكنها لم تسمح له أن يكبلها ويغل يديها الموقوفتين على المكافحة والمنافحة . ولكن كيف تم لها ذلك ، وقد حدث العكس أو ما يشبهه في تجارب الثقافة العربية الحديثة في بعض الحالات ؟

ربما كانت براءة الثقافة الفلسطينية في كفاحيتها ، وفي ممارستها التي لم تعرف الانقطاع ، فلقد كانت مقتضيات معركة المواجهة فوق كل اعتبار ، ولذلك لم يكن هناك تردد في استخدام أي سلاح وأية فكرة وأية تقنية لأن المسألة بالنسبة لشعب صغير جدا (٥٦٠ ألف نسمة عام ١٩٢٢) كانت فقط مسألة حياة أو موت قبل أن تكون مسألة هوية أو لا هوية ،

ومن يشك لحظة واحدة في هذا الحكم أو ينسب اليه المبالغة فليتذكر ديوان ابراهيم طوقان وحياته المعذبة وليتذكر ديوان عبد الرحيم محمود واستشهاده وليتذكر ريادة نجاتي صدقي وبندلي الجوزي وخليل بيدس وغيرهم . .

ولكن يظل صحيحا أن لكل حالة آفة من جنسها . وفي حالة الثقافة الفلسطينية كان الاندماج في المعركة والانقطاع لها شاغلا عن مقتضيات الصراع الاجتماعي ومناخا مواتيا للتغاضي عن أية ظاهرة سلبية لا تتصل مباشرة باحتياجات المعركة ، ومن هنا لم يتح مناخ المعركة فرصة للتعبير عن ثقافة الطبقات التي كانت هي نفسها الوقود العملي للمعركة ، وظل الفلاح بوجه خاص والعامل بالدرجة الثانية يقاتلان بأسلحة ثقافية تنتمي للقابعين فوقهم في السلم الاجتماعي ، وينطبق هذا الحكم على فترة الانتداب كما ينطبق على فترة ما بعد النكبة ، وتستمر هذه الظاهرة الى اليوم . ويذكر الكاتب الفلسطيني انطوان شلحت في مقابلة معه أجريت في خريف ١٩٨٢ وجود اجماع لدى عدد كبير من أدباء الأرض المحتلة على أن الثقافة الفلسطينية طوال السنوات الماضية اقتصرت على الموضوعات السياسية للاحتلال وأغفلت الجوانب الاجتماعية . وهكذا ظلت قيادة الثقافة بيد الطبقة التقليدية أو من لف لفها من الفئات الصاعدة ، تماما مثلما ظلت قيادة الثورة الفلسطينية في مرحلة الانتداب بيد الأسياد والوجهاء ومشايخ القرى . ولذلك يسأل الانسان بعد كل هذا : ما هو النتاج الذي قدمته هذه الثقافة في مرحلة الانتداب وميزت نفسها به عن محيطها العربي على الأقل ؟ ويكون الجواب لا شيء سوى الانقطاع للروحية القتالية ، وهي ميزة لا يمكن أن نجد تفسيرها في النوعية ، فالثقافة العربية من حول فلسطين ظلت دائما ـ كالثقافة الفلسطينية ـ في معركة قاسية ، ولكن ربما نجد تفسيرها في الدرجة والاصرار والاستمرار .

طمس وسرقة وقمع

○ ثانيا : أتى احتلال عام ١٩٦٧ مكملا لاحتلال عام ١٩٤٨ ، ووقعت الثقافة العربية في فلسطين في قبضة الغزو الثقافي الصهيوني ، الذي لم يكن ليعتمد على التجربة والخطأ في موضوع خطير كموضوع مواجهة ثقافة وطنية مقاتلة قوية الشكيمة . لقد أتى العدو الصهيوني الى الضفة الغربية وقطاع غزة بعد أن كان قد اكتسب خبرة ودراية في معالجة ثقافة الأقلية العربية (يا لسخرية المصطلحات) لعام ١٩٤٨ ، أضافها الى رصيد فترة الانتداب

وهكذا عمل سريعا على شن حملة منظمة على مختلف مظاهر الثقافة الوطنية التي كانت فترة ما بين النكبتين قد ضعضعتها وتخبشتها وأخرجتها مكرهة من خنادقها ، « فما تدري على أي جانبيها تميل » .

ولم يوفر العدو الصهيوني أية وسيلة قمعية ضد الثقافة الفلسطينية العربية ، ولم يكن يرمي الى طمسها بالمعنى المجازي للكلمة بل بالمعنى الحرفي ، وكان يخطط لتجريد الشعب الواقع تحت الاحتلال من مقومات هويته الوطنية وفي مقدمتها اعتزازه الثقافي . وكان من جملة ما لجأ اليه كما يفيد تقرير للدائرة الثقافية لمنظمة التحرير الفلسطينية .

١ ـ طمس التراث الثقافي والحضاري للشعب العربي الفلسطيني وسرقته وانتحاله وتشويهه . وقد شهدت وثائق اليونسكو وهيئة الأمم المتحدة بأن العدو الصهيوني تناول هذا التراث ابتداء من قطعة الآثار القديمة الى الزي الشعبي الفلسطيني كمادة معادية ، وحاول نهبها وتدمير ما لم يستطع نهبه ففي « اسرائيل » مثلا ثلاث مؤسسات مركزية مخصصة للانقضاض على تراث الشعب العربي الفلسطيني ، وهي تقوم بشراء قطع الثياب المطرزة من القرى الفلسطينية وتعمل على تصديرها الى الأسواق الأوروبية والأميركية على

أنها منتجات اسرائيلية ، وهي (ماسكيت Maskit) و (ميزو Mizo) و (باتشيف Batsheve) .

وقد امتدت عمليات السرقة والانتحال الى العديد من الصناعات والحرف الشعبية والى الرقص الشعبي والموسيقى الفولكلورية بل الى الأطعمة الشعبية التي لا يشك في هويتها العربية الفلسطينية كالحمص والفلافل . وقد تسبب انتحال هذه المظاهر من التراث الشعبي الفلسطيني في فضائح عالمية كبيرة للاسرائيليين ولكنهم ماضون في هذه اللعبة ، على الأقل ضمن الولايات المتحدة الأميركية .

٢ ـ اتخاذ التدابير الزجرية ضد الفنانين والكتاب ، وهناك عشرات القوائم من الكتاب الذين يدخلون السجن الاسرائيلي دوريا ، حتى انه أصبح من قبيل التفكه في فلسطين المحتلة أن يدّعى انسان أنه كاتب أو فنان دون أن يكون قد دخل السجن .

وتعتبر سياسة الابعاد رديفا لسياسة الاعتقال ، بل هي السياسة المفضلة حيثما أمكن تطبيقها لأنها تكون جزءا من السياسة الصهيونية الرامية الى افراغ الأراضي العربية المحتلة من السكان ولا سيما من الطليعة المناضلة أو المثقفة . ومن الكتاب المعروفين الذين جرى ابعادهم في السنوات القليلة الماضية : القاص محمود شقير ، والأديب خليل السواحري والصحفي علي الخطيب .

٣ ـ القيام باجراءات قمعية ضد النشاط الثقافي الفني كاغلاق المسارح وحل الفرق المسرحية ومنع المعارض ومداهمة المكتبات ومصادرة الكتب ومنع نشر عدد منها وخاصة تلك التي تتحدث عن القومية العربية والوحدة والنضال العربي أو تلك التي تكشف القناع عن عناصر الأيديولوجية الصهيونية كالعنصرية والتوسعية ، وهناك قوائم تلو القوائم تصدر من مكتب الحاكم العسكري بمنع تداول الكتب العربية ويقدر عدد الكتب الممنوعة حتى مطلع الثمانينات بثلاثة آلاف كتاب وتعمد السلطات كلما صدرت قائمة منع الى مداهمة المكتبات ودور البيع ومصادرة الكتب الممنوعة .

ومما يدل على شدة تخوف السلطات الصهيونية من الكتاب الفلسطيني بوجه خاص أنها تشن حربا شعواء على الكتاب الفلسطينيين خارج الأرض المحتلة ، وقد ذهب ضحية هذه الحرب الشاعر الرائد كمال ناصر والكاتب المعروف غسان كنفاني ومحمود صالح (مكتبة باريس) وماجد أبو شرار وكثيرون غيرهم . كما عمدت السلطات الاسرائيلية الى ارسال رسائل ملغمة لمدير مركز الأبحاث السابق الأستاذ أنيس الصايغ وللصحفي والكاتب بسام أبو شريف اللذين أصيبا في العينين والأصابع من جراء انفجار الرسائل الملغمة ، وكان آخر مظهر من مظاهر النقمة الصهيونية على الثقافة الفلسطينية اقدام الجيش الصهيوني في أوائل شهر أيلول ١٩٨٢ على خرق اتفاقيات خروج قوات منظمة التحرير الفلسطينية من بيروت واتجاهه الى مركز الأبحاث الفلسطيني واعتقال موظفيه ونهب جميع محتوياته . والجدير بالذكر أن مركز الأبحاث تعرض لسلسلة من محاولات التدمير بالسيارات الملغمة أو سواها منذ عام ١٩٧٠

٤ ـ وفي الآونة الأخيرة نشطت بعض الجهات الصهيونية الى اصدار بعض المجلات والكتب التي تمثل وجهة نظر صهيونية أو مشبوهة في أمور الثقافة ، وأبرز مثال لذلك دعم سلطات الاحتلال لمجلة « الحصاد » نصف الشهرية لصاحبها حسين الشيوخي ، الذي يعتبر من الصحفيين القليلين جدا الذين أيدوا مشروع الحكم الذاتي في فلسطين المحتلة ، ومن هذا القبيل أيضا ما تبثه الأجهزة الاذاعية والتلفازية والصحفية الحاكمة من دعاوات ضد العرب ومن تشويه لتراثهم الثقافي ، وكذلك من ترويج للثقافة الصهيونية المريضة .

تغيير المناهج والكتب

○ ثالثا : وبما أن العلاقة وطيدة بين الثقافة والتربية فلا بأس بأن نشير الى الاجراءات القمعية الاسرائيلية في هذا المجال مثل تغيير المناهج وتطهير الكتب المقررة وأخيرا طرد الأساتذة والطلاب واغلاق الجامعات والتحكم برخص افتتاح المدارس بمختلف مستوياتها . وقد أعطى الأمر العسكري رقم ٨٥٤ لعام ١٩٨٠ كل هذه الصلاحيات للحاكم العسكري ، وبناء على ذلك جرى اغلاق جامعة بيرزيت خلال الأسبوع الثاني من شهر تشرين الثاني عام ١٩٨١ لأجل غير مسمى ، وبعد مراجعات كثيرة ونتيجة للضجة المحلية ولتفجر الوضع في الأرض المحتلة عدّل القرار بحيث يستمر الاغلاق لمدة شهرين . وفي الوقت نفسه وجه الحاكم العسكري انذارا شديد اللهجة باغلاق جامعة بيت لحم اذا استمرت موجة الاحتجاج فيها . ويمكن للمرء أن يتصور أي ضرر يلحق بالعملية التربوية والتعليمية من جراء هذا الاغلاق المتواصل للجامعات وشعور كل من الطالب والمدرس بأن الدراسة هي الحالة المؤقتة والاغلاق هو الحالة الأصلية ، ذلك أن تاريخ الجامعات في الأرض المحتلة هو تاريخ حافل بالنزاع والاغلاق والاقتحام واضطهاد الأساتذة والطلبة والحصار العلمي والثقافي ، وقد لوحظ في صيف عام ١٩٨٢ بعد بدء الغزو الصهيوني للبنان تشديد واضح في اجراءات العدو الصهيوني ضد الطلاب والجامعات في الأرض المحتلة ، فمثلا استندت السلطات الصهيونية الى الأمر العسكري رقم ٨٥٤ لتطلب من أساتذة الجامعات الفلسطينية التوقيع على اقرار يعتبر منظمة التحرير الفلسطينية منظمة معادية ويتضمن تعهدا بعدم التعامل معها ، وتتخذ السلطات الصهيونية اجراءات فظة ضد الأساتذة الذين يرفضون توقيع هذا الاقرار ، وتقوم بابعاد المتعاقدين منهم الى خارج الأرض المحتلة ولو كانوا فلسطينيين أو من حملة الجوازات الأردنية ، أما الآخرون من المقيمين في الأرض المحتلة فيتعرضون لعقوبات السجن والطرد من العمل ، والجدير بالذكر أن أساتذة الجامعات في الأرض المحتلة عقدوا اجتماعا عاما لهم وقرروا عدم توقيع هذه الوثيقة ، واذا استمرت السلطات الصهيونية في عمليات الابعاد هذه فان النتيجة ستكون خلو الجامعات من الجهاز التدريسي ، وربما كان هذا الأمر هو ما تهدف اليه الاجراءات الاسرائيلية . وتذكر مصادر الأرض المحتلة ان ٦٩ محاضرا ، ممن يحملون جوازات سفر أجنبية ، مهددون بالطرد من جامعة « بير زيت » والابعاد في أية لحظة (*) .

وفي الوقت نفسه يقوم العدو الصهيوني منذ أيام الاحتلال الأولى باتخاذ تدابير كفيلة بالسيطرة على مضمون العملية التربوية واصابتها بالعقم والكساح ، وتجريد مناهج العلوم الانسانية بوجه خاص من صبغتها القومية .

ومن هذا القبيل بالطبع اقدام السلطات الاسرائيلية على حذف اسم فلسطين وكل ما يتعلق بتاريخها وهويتها العربية من المناهج والكتب المدرسية ، وتشويه التراث العربي والتاريخ العربي والتحكم بطبيعة النصوص الأدبية والفكرية التي تدرس في المدارس العربية ومحاربة اللغة العربية ، يضاف الى ذلك ملاحقة الطلبة والمدرسين واعتقالهم ، وتضييق الخناق على المدارس العربية واخضاع زيادة عدد الصفوف وموظفي الجهاز التعليمي والاداري لأذون مسبقة ولرقابة مستمرة . ○

(*) الوقائع متلاحقة بهذا الصدد وفي كل يوم تحدث تطورات جديدة . ولذا يضطر الباحث هنا للاكتفاء بالأمثلة فقط .

يعرض الدكتور محمد عمارة لجذور أحد تيارات الرفض الاسلامى فى العصر الحديث ، وكيف دخل منعطفا تاريخيا جديدا . . .

طلائع الرفض الإسلامي !

بقلم الدكتور محمد عمارة

○ فى ١٣ ربيع الثانى ١٣٦٨ هـ (١٢ فبراير ١٩٤٩ م) استشهد الامام حسن البنا المرشد العام لجماعة (الاخوان المسلمين) أبرز وأخطر وأوسع دعوات البعث الاسلامى الحديث وحركاته فى القرن الرابع عشر الهجرى ـ العشرين الميلادى . . . استشهد برصاص خصومه السياسيين : أحزاب الاقليات ، أعوان القصر الملكى ، حلفاء الاستعمار . . . وكان استشهاده فى وضح النهار ، وفى واحد من أكثر شوارع القاهرة أهمية وحركة ؟ ! . .

وكان العام الذى سبق اغتيال المرشد العام قد شهد عددا من حوادث العنف التى قامت بها « كتائب الاخوان » . . . وتصاعد الصراع مع الحكومة ، فبلغ الذروة بقرار الحكومة حل الجماعة فى ٦ صفر ١٣٦٨ هـ ٨ ديسمبر ١٩٤٨ م . . فأعقبه بعد عشرين يوما ـ اغتيال الاخوان لرئيس الوزراء محمود فهمى النقراشى باشا (١٣٠٥ ـ ١٣٦٨ هـ ١٨٨٨ ـ ١٩٤٨ م) فتصاعدت حملة القمع ضد (الاخوان) اعتقالا وسجنا وتعذيبا . . . وكانت محنتهم الكبرى ـ الاولى ـ التى بلغت ذروتها الحقيقية « باغتيال المرشد العام . . الامر الذى أدخل الدعوة والحركة فى منعطف تاريخى جديد ؟ ! . .

اسلام المجتمع واسلام الأمة

صحيح أن محنة الاعتقال والسجن والتعذيب قد انتهت بعودة (الوفد) حزب الاغلبية ـ الى الحكم فى ٢٢ ربيع أول ١٣٦٩ هـ ١٢ يناير ١٩٥٠ م . . لكن « المحنة الحقيقية » قد استمرت . . محنة فقد الجماعة لامامها الملهم ، وقيادتها التاريخية ، ومرشدها العام ! . . .

لقد كانت احدى سلبيات هذه الجماعة هى ذلك الفارق الكبير والمسافة الطويلة والمساحة الكبيرة بين القائد المرشد ـ وعيا ووضوح رؤية ، ◄

ومرونة حركة واتساع أفق ، وادراكا لعظم الغاية ، ومن ثم الاصرار على « سياسة المراحل » الرافضة للتعجل والعجلة ـ وبين رجالات « الصف الثاني » في الجماعة . . دعك ممن خلف هذا الصف الثاني ؟! . . فلما افتقدت الجماعة « الربان » والسفينة تكتنفها العواصف ، وتحيط بها ظلمات بعضها فوق بعض في بحر لجى ـ فقدت مع « المرشد » كثيرا من « الرشد » الذى تمثل فيه ؟ ! . . فدخلت بذلك الحدث المأساوي في منعطف تاريخي جديد ؟ ! . .

وعندما كان شباب الجماعة يعذبون في السجون والمعتقلات (١٣٦٨ هـ ١٩٤٩ م) ، ظهرت في فكر بعض من هؤلاء الشباب ـ والطلاب منهم خاصة ـ ولأول مرة في تاريخ الاسلاميين بمصر ـ افكار تساءل عن « اسلام » المجتمع ؟ ! وعن « اسلام » الأمة ؟ ! . .

ان الحكومة تعذبهم ، كما كان المشركون يعذبون الذين سبقوا الى الاسلام ! . . وليس لهم من ذنب الا الدعوة الى الاسلام « دينا ودنيا ، عبادة وشريعة ، مصحفا وسيفا . . (وما نقموا منهم الا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد)

أما الأمة فقد اتسم موقفها بالسلبية ازاء محنة الاسلاميين هذه للاحكام العرفية المعلنة منذ ٤ رجب ١٣٦٧هـ ١٣ مايو ١٩٤٨ م . . ولأن هذه الأمة لاتميل ، بالطبع الى العنف والارهاب . . حتى لقد صنعت أعظم ثوراتها بيضاء ، ولم تستسغ العنف والدم الا في صراعها مع الغزاة ؟ !

فتحت وطأة « المحنة » التى تمارسها « الدولة » . . وأمام سلبية « الأمة » تساءل نفر من شباب (الاخوان) ـ وطلابها خاصة :

* هل المسلمون هم : « جماعة المسلمين » ؟ ! . .

* أم المسلمون هم : جماعة الاخوان المسلمين » ؟ ! . .

بذور التكفير

وكان هذا التساؤل الذى يطرح قضية « التكفير » وعودة المجتمع الى « الجاهلية » ، جديدا ، بل وغريبا على مصر وعلى الفكر الاسلامي بها . . . لكنه كان مطروقا ومتداولا ، بواسطة الاستاذ أبو الأعلى المودودى (١٣٢١ ـ ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩ م) وجماعته الاسلامية ، في الهند ، منذ عشر سنوات . . ومنذ ذلك التاريخ الذى أعقب غياب الشيخ حسن البنا ، بدأ فكر المودودى يجد طريقه الى صفوف نفر من (الاخوان) . . ولعل البداية الحقيقية قد كانت تلك التى يحدثنا عنها أحد الاخوان ، فيقول : « في ١٩٤٩ م أرسلت ، من زنزانتى رقم ٢٢ بسجن مصر ، خطابا الى حلب ، طالبا من مكتبة الشباب المسلم مجموعة كاملة من رسائل أبي الأعلى المودودى ، لأقدم من خلالها دراسة عن فكر المودودى ، لأوقف عبث بعض الطلبة حينذاك . ووصلتنى ١٣ رسالة منها ، وقد علمنا وتعلمنا أن لكل أرض مناخها ومناهجها وأساليبها . والاسلام واحد من لدن عليم خبير ! . . »[1]

لقد ألقيت في أرض الاسلاميين بمصر ، وللمرة الاولى ، « بذرة » أفكار « التكفير » و « الجاهلية » صحيح أن الاغلبية قد رأت ، بعد دراسة فكر المودودى بالسجن ، أن فكره في هذه القضايا هو فكر سياسي ، يرتبط بظرف المجتمع الهندى ولا سبيل له ولا مجال في مصر وما ماثلها . . فوحدة الدين الاسلامي ، لاتنفى « أن لكل أرض مناخها ومناهجها وأساليبها » ؟ ! . .

لكن « البذرة » ألقيت في التربة ، محاولة

---

(١) انظر : غلاف كتاب (أبو الأعلى المودودى . فكره ودعوته) كلمة الناشر : سعد سيد أحمد .

النمو بفعل ظروف « المحنة » التى نزلت بالاخوان ! .. والذين يتتبعون حركة « تأثير فكر » الاستاذ المودودى خارج المناخ الهندى ، ودخوله الى الساحة المصرية والعربية ، لايجدون لهذا الفكر أثرا يذكر الا بعد غياب قيادة الشيخ حسن البنا .. ففى ظل الافتقار الى القيادة الفكرية التى تملأ الفراغ الناجم عن استشهاد المرشد العام ، خلت الساحة الفكرية لأبرز قادة العمل الاسلامى فى ذلك التاريخ : الاستاذ المودودى ! . ومنذ ذلك التاريخ ذاعت ترجمة فكره للعربية ، ونشر عدد من رسائله فى القاهرة .. [٢]

وبعد قيام الثورة المصرية فى أول ذى القعدة ١٣٧١ هـ ٢٣ يوليو ١٩٥٢ م انفتح باب العلاقة بين (الاخوان) والثورة ليفضى الى « المحنة الثانية » والكبرى ، والتى لم يسبق لها مثيل فى تاريخ الجماعة على الاطلاق ... لم تحسن قيادة الجماعة تقدير الظروف التى كانت تحيط بمصر وبالثورة ، وافتقدت « الرؤية التاريخية » التى كانت لحسن البنا .. ولم تبرأ من سلبية « العجلة والتعجل » التى طالما حذر منها المرشد العام الأول ... وكانت « للضباط الاحرار » الذين قادوا الثورة منطلقات فكرية ، ليست هى ، بالضبط ، منطلقات (الاخوان) ، ومن ثم كانت لهم توجهات ليست هى ، بالضبط ، توجهات (الاخوان) .. وكان الغرب والمتغربون من أحرص الناس على الصدام بين الثورة و (الاخوان) .. فبدأ الخلاف .. وتصاعد .. وحلت الجماعة فى ٩ جمادى الاولى ١٣٧٣ هـ ١٤ يناير ١٩٥٤ م فلما حدثت محاولة اغتيال قائد الثورة جمال عبد الناصر (١٣٣٦ - ١٣٩٠ هـ ١٩١٨ - ١٩٧٠ م) بالاسكندرية فى ٢٨ صفر ١٣٧٤ هـ ٢٦ أكتوبر ١٩٥٤ م دخل الاخوان المسلمون فى محنة من السجن والاعتقال والتعذيب لم يسبق لها ، فى تاريخ الاسلاميين ، مثيل ...

تيار الفصام مع الواقع

ولقد بدأت « فكرة الاستاذ المودودي » عن « تكفير » المجتمع و « جاهليته » ترتوي من دماء « المحنة » ، وتنمو في مناخها ... واتسعت المساحة التي بدأت تعمر بفكره الازمة « المتوتر » ، بدلا من « الفكر الطبيعي » ! .. فتخلق في صفوف الجماعة ، من حول الاستاذ سيد قطب (١٣٢٤ - ١٣٨٦ هـ ١٩٠٦ - ١٩٦٦ م) ذلك التيار الجديد .. تيار (الفصام الكامل مع الواقع) ؟ ! .. الذي انطلق من فكر المودودي بل وتصاعد به أكثر وأكثر ! ..

* لقد رأي المودودي في « القومية السياسية الهندية » ذات الاغلبية الهندوكية الخطر الذي سيقضي بـ « ديمقراطية الاغلبية الهندوكية » على ذاتية الاسلام والتميز الحضاري للمسلمين .. فرأي في هذه القومية ، وفي ديمقراطيتها ، وفي سلطة جماهيرها عدوانا على « الحاكمية الألهية » .. فهي اذن ، « شرك » « يرتد » بالمجتمع الى « الجاهلية » ! ..

* ورأى سيد قطب في « القومية العربية » ، التي قاد جمال عبد الناصر مدها ، وفي « ديمقراطيتها الموجهة » ، وفي سلطة الجماهير التي استقطبها المشروع « القومي » الاجتماعي « الناصري الخطر الساحق للاسلاميين المقيدين بالاصفاد ! .. فحكم بعدوان هذا المشروع ، بكل مكوناته ، وجميع توجهاته على « الحاكمية الالهية » وقطع « بكفره » و « بجاهليته » ...

ولما كانت « جماهير » الامة و « عامتها » قد استقطبت للمشروع الناصرى ، وأعطت ثقتها

---

(٢) فى ١٩٥٠ م طبعت فى القاهرة الترجمة العربية لكتابى المودودى ، (منهاج الانقلاب الاسلامى) و (نظرية الاسلام السياسية) وفى ١٩٥٣ م طبعت رسالته (تدوين الدستور الاسلامى) ..

لقيادة جمال عبد الناصر التاريخية .. فلقد خلعها فكر هذا التيار عن « عرش الخلافة » والنيابة، التى قررها الاسلام للانسان والامة، عن الله سبحانه وتعالى، لأنها قد « أشركت » فى « الحاكمية » غير الله، فلم تعد ـ لارتدادها « بالكفر » الى « الجاهلية » ـ قائمة بحق الخلافة، متمتعة بشرفها .. وهنا كان تصاعد سيد قطب بفكر المودوى .. فالشان حكم « بالكفر » و« الجاهلية » على « المجتمع »، ولم يحكم بها ـ صراحة وفى قطع ـ على « الامة » .. أما سيد قطب فلقد حكم « بالكفر » و « الجاهلية » على « الامة » و « المجتمع » جميعا ؟! ..

وبدلا من « خلافة » : « الجماعة : الامة »، قدم سيد قطب، كبديل، « خلافة » : « الجماعة : التنظيم »، التى انفردت وتتفرد بالاسلام من دون الناس والتى عليها أن تبدأ من الصفر، كما صنع الرسول عليه الصلاة والسلام، « وجيل الصحابة الفريد » ..

ان خلافة الامة عن الله، لم تكن تمنع قيام « الجماعة .. الطليعة .. المنظمة » للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، والدعوة الى الخير (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، وأولئك هم المفلحون)[٣] ولكن هذه « الجماعة ـ الطليعة ـ المنظمة » كانت جزءا من « الامة المسلمة »، اما الامة ـ فى فكر هذا التيار الجديد ـ قد « كفرت » وارتدت الى « جاهلية أظلم » من الجاهلية التي عاصرا الاسلام الاول[٤] فلقد انعدم الرباط الايمانى الذى يصل هذه الجماعة ـ الطليعة ـ المنظمة « بـ » الامة .. فغدا « التنظيم الجديد » وحده : الامة المسلمة، بالانفصال عن الجاهلية والاستعلاء على الكفار، والسعى من نقطة الصفر ـ الى بناء « العقيدة »، وتجسيدها « الحركة » فى « الجماعة » التى عليها أن تقيم « المجتمع المسلم » وبنفس المنهج والخطوات التى تمت في « الحقبة المكية » من دعوة الرسول، عليه الصلاة والسلام، الى الاسلام.

ذلك هو « عنوان » الدعوة التى دعا اليها تيار (الفصام الكامل مع الواقع) ..

الحاكمية الآلهية

لم يختلف موقف سيد قطب ـ في الجوهر ـ عن موقف المودودي في نظرية« الحاكمية » الآلهية، فهي بمقتضى« لا اله الا الله ـ كما يدركها العربي العارف بمدلولات لغته ـ : لا حاكمية الا لله، ولا شريعة الا من الله، ولا سلطان لأحد على أحد، لأن السلطان كله لله[٥] والحاكمية الآلهية عامة، في الجانب « الارادي » من حياة الانسان، كما هي في الجانب « الفطري » و « الوجودي » شاملة لما هو « دنيوي » شمولها لما هو « ديني » عامة فيما هو « سياسة » عمومها فيما هو « عبادة »، وهي عند المسلم، المعيار الموجه في « التطبيق » وفي « المعرفة والفكر والنظريات » على حد سواء .. فكما أن الحاكمية هي السائدة في « الكون »، كذلك يجب أن تسود في« عالم الانسان » .. فلقد « جاء الاسلام ليرد الناس الى حاكمية الله، كشأن الكون كله الذي يحتوي الناس، فيجب أن تكون السلطة التي تنظم حياتهم هي السلطة التي تنظم وجوده[٦] ويجب« أن تعود حياة البشر، بجملتها، الى الله، لا يقضون هم في أي شأن من شئونها، ولا في أي جانب من جوانبها، من

(٣) آل عمران : ١٠٤ .

(٤) سيد قطب (معالم فى الطريق) ص ٢١ . طبعة دار الشروق القاهرة ١٤٠٠ هـ ١٩٨٠ م

(٥) المرجع السابق . ص ٢٩ .

(٦) المرجع السابق . ص ٥٣ .

عند أنفسهم ، بل لا بد لهم أن يرجعوا الى حكم الله فيها ليتبعوه[٧]»

وحاكمية الله تتمثل في « شريعته » التي« تعني كل ما شرعه لتنظيم الحياة البشرية . . . وهذا يتمثل في : أصول الاعتقاد ، وأصول الحكم ، وأصول الاخلاق وأصول السلوك ، وأصول المعرفة أيضا[٨] فعموم « الشريعة » يبلغ الحد الذي يجعلها - في نص سيد قطب هذا شاملة « للعقيدة » أيضا ؟ ! . .

وليس بمستساغ الخروج على « الشرع » - أي « الحاكمية » . . بدعوة التعارض بين « الشرع » وبين « مصلحة البشر » . . . « فمصلحة البشر متضمنة في شرع الله . . . فاذا بدا للبشر ذات يوم أن مصلحتهم في مخالفة ما شرع الله لهم فهم : اولا : « واهمون » . . . وهم - ثانيا - : « كافرون » ، فما يدعي أحد أن المصلحة فيما يراه هو مخالفا لما شرع الله ، ثم يبقى لحظة واحدة على هذا الدين ، ومن أهل هذا الدين .

واذا كان غير المؤمن بحاجة الى أن نظهر له محاسن الشرع وحسناته فان المؤمن لا حاجة له الي شيء من ذلك . . فقبول الشرع هو « الاسلام » ومن رغب في الاسلام فقد فصل في القضية ، ولم يعد بحاجة الي ترغيبه بجمال النظام وأفضليته . . فهذه احدى بديهيات الايمان !

وعودة البشر الى« الحاكمية الألهية » تعني العودة الي العقيدة ، تتجسد في المجتمع ، الذي هو« دار الاسلام » . . وفي ذلك الرفض لرموز« الشرك » والخروج على« الحاكمية » من دعوات« قومية » و« وطنية » و « اجتماعية » الخ

لكن اختصاص الله بالحاكمية وشمول شرعه لكل أصول الفكر ، وتضمنه لجميع المصالح ، لا ينفي حق البشر ، في« الاجتهاد » . . بشروطه وفي سيادة الحاكمية فيما لا نص فيه . . « فاذا كان هناك نص فالنص هو الحكم ، ولا اجتهاد مع النص .

وان لم يكن هناك نص ، فهنا يجيء دور الاجتهاد . . وفق أصوله المقررة فى منهج الله ذاته ، لاوفق الاهواء والرغبات (فان تنازعتم فى شيء فردوه الى الله والرسول) . . وليس لأحد أن يقول لشرع بشرعه : هذا شرع الله ، الا أن تكون الحاكمية العليا لله معلنة ، وأن يكون مصدر السلطات هو الله سبحانه ، لا (الشعب) ولا (الحزب) ولاأى من البشر ، وأن يرجع الى كتاب الله وسنة رسوله لمعرفة مايريده الله

فى اثر المورودى

وكذلك . . فان « الحاكمية الالهية » لاتعنى أن « الاجتهاد » هو مهمة فئة أو طبقة تماثل (الأكليروس) فى المسيحية ، و « الثيوقراطية » و « الحكم المقدس » فى الحضارة الاوربية ، قبل عصر نهضتها . . فالسلطة الدينية فى الاسلام هى « للنص الألهى » ، لا « للانسان ! . . فالتشريع بالاجتهاد » لايمكن أن يكون لمن يدعى سلطانا باسم الله ، كالذى عرفته أوربا ذات يوم باسم : « الثيوقراطية » أو « الحكم المقدس » ، فليس شيء من هذا فى الاسلام ، ومايملك أحد أن ينطق باسم الله الارسوله ، صلى الله عليه وسلم ، وانما هناك نصوص معينة هى التى تحدد ما شرع الله[١٥] ومملكة الله الارض فى لاتقوم بأن يتولى الحاكمية فى الارض رجال بأعيانهم . . هم رجال الدين . . كما كان الامر فى السلطة الكنسية . . . ولكن تقوم بأن تكون شريعة الله هى الحاكمة .

ذلك هو مفهوم سيد قطب « للحاكمية الالهية » : العبودية لله وحده ، والتحرر من كل سلطة سوى السلطة الالهية ، كما تحررت فى

---

(٧) المرجع السابق . ص ٥٥ .

(٨) المرجع السابق . ص ١٣٦ .

« الشريعة » الشاملة لكل مناحي الحياة .. وحيث لانص فى الشريعة فالاجتهاد وارد ، لكن مشروعيته مرهونة بسيادة نظرية الحاكمية وهيمنتها .. وهو حق لمن يفي بشروطه ، ولا يكسب صاحبه قداسة تدخلنا في اطار « الثيوقراطية الكنسية » ! ..

ومفهوم « الحاكمية » هذا قد تابع فيه سيد قطب أثر المودودي .. وان يكن رغم اشارته للاجتهاد .. قد أهل ماذكره المودودي من وجود « حاكمية بشرية مقيدة » فيما لانص فيه ، وهو المجال الاوسع في مساحة الشريعة .. لتناهي النصوص وعدم تناهي الحادثات ـ ولوقوف الشريعة عند الكليات ، مع ضرب الامثلة لنماذج التطبيق ، وترك الجزئيات والتفاصيل للاجتهاد ، وفق تغير المصالح بتغير الزمان والمكان .. أهل سيد قطب الحديث عن هذا الجانب الذي « يزن » صورة « الحاكمية » عندما يستكمل ملامح صورتها ! .. وان كنا لانعتقد أن الاستاذ سيد قطب كان ممن يماري في هذه البديهة الاسلامية .. لكنه ركز أضواءه على جانب نزع السلطة من غير الله .. ربما لاعتقاده أن الظرف الذي كتب فيه قد مالت فيه الموازين ميلا شديدا ، حتى لقد انفرد الطواغيت بالسلطة والسلطان جميعا من دون الله ؟ ! ..

لكن القضية التي نقلت سيد قطب خطوات أبعد مما بلغ المودودي بنظرية الحاكمية .. وهي وثيقة الصلة بملاحظتنا الاخيرة .. هي تشخيصه للاسلام و « المسلمين » في عصره ، بل وفيما قبل عصره بقرون ...

لقد كان حسن البنا يتحدث عن مصر التي اندمجت بكليتها في الاسلام بكليته .. عقيدته ولغته وحضارته .. فمظاهر الاسلام قوية فياضة زاهرة دفاقة في كثير من جوانب حياتها .. أسماؤها اسلامية ، ولغتها عربية ، وهذه المساجد العظيمة يذكر فيها اسم الله ويعلو منها نداء الحق صباح مساء .. وهذه المشاعر لاتهتز لشيء اهتزازها للاسلام ومايتصل بالاسلام » ...

وكانت دعوته متوجهة الى تخليص هذا الاسلام مما شابه من موروث أضاف أوانتقص من الاسلام ، بالابتداع ، أو وافد غربي سعى ويسعى لاقتلاع الاسلام من حياة الامة ، فأحدث بوجوده ثنائية في الفكر والسلوك ... [9]

حاكمية الطواغيت

وكان المودودي ـ رغم ريادته ـ في العصر الحديث عن « الحاكمية » و« التكفير » و « الجاهلية » .. قد وقف عند القول « بارتداد » المجتمع دون « الامة » ولذلك كانت « الديمقراطية » والانتخابات سبيلا ، عنده ، للاصلاح المنشود ... فالامة لم تكفر في نظره ومن ثم فالاحتكام اليها سبيل لتخليص الاسلام من « الجاهلية » الموروثة ومن جاهلية التغريب ...... [10]

أما سيد قطب فلقد شخص حال الامة فرآها قد دانت بحاكمية غير الله ، لابمعنى انها ركعت وسجدت لغير الله ، ولكن لأنها تلقت عن حاكمية الطواغيث « كل مقومات حياتها تقريبا » ؟ !

وما دامت قد أخذت « كل مقومات حياتها » عن الطواغيت ، فلقد « كفرت » بالاسلام كفرانا مبينا ؟ ! ...

يقول سيد قطب ، في الحديث عن المجتمعات الاسلامية المعاصرة : « يدخل في اطار المجتمع الجاهلي تلك المجتمعات التي تزعم لنفسها انها« مسلمة » ! .

---

(٩) حسن البنا (دعوتنا في طور جديد) مجموعة الرسائل ص ١٢٠ ، ١٢١ .

(١٠) المودودي (موجز تاريخ الدين واحيائه) ص ٤١ ، ٤٢ .

وهذه المجتمعات لا تدخل في هذا الاطار لأنها تعتقد بألوهية أحد غير الله ، ولا لأنها تقدم الشعائر التعبيدية لغير الله أيضا ،ولكنها تدخل في هذا الاطار لأنها لا تدين بالعبودية لله وحده في نظام حياتها ، فهي .. وان لم تعتقد بألوهية أحد الا الله ـ تعطي أخص خصائص الألوهية لغير الله ، فتدين بحاكمية غير الله ، فتتلقى من هذه الحاكمية : نظامها ، وشرائعها ، وقيمها ، وموازينها وعاداتها وتقاليدها ، وكل مقومات حياتها تقريبا !

هنا ، وبهذا التشخيص ، تجاوز سيد قطب موقع المودودي على درب « تجهيل » المجتمع و« تكفيره » ثم استمر به السير حتى صرح بما لم يصرح به المودودي ، فحكم« بكفر » « الامة » لا « المجتمع» و« الدولة » فقط ..... وقطع في هذا الحكم قطع الواثق المستيقن .. بل لقد حكم بكفر هذه الامة منذ قرون وقرون ! ....

فبعد ان حكم على كل المجتمعات بالارتداد عن « الشريعة » اذ « ليس على وجه الارض مجتمع قد قرر تحكيم شريعة الله وحدها ، ورفض كل شريعة سواها تقدم فحكم بانعدام وجود الامة المسلمة ، لا في عصرنا وحده ، بل ومنذ قرون كثيرة .. « فوجود الامة المسلمة يعتبر قد انقطع منذ قرون كثيرة .... فالامة المسلمة ليست « أرضا » كان يعيش فيها الاسلام . وليست « قوما » كان أجدادهم في عصور التاريخ يعيشون بالنظام الاسلامي .. انما « الامة المسلمة » جماعة من البشر تنبثق حياتهم وتصوراتهم وأوضاعهم وأنظمتهم وقيمهم وموازينهم كلها من المنهج الاسلامي .. وهذه الامة ـ بهذه المواصفات قد انقطع وجودها منذ انقطاع الحكم بشريعة الله من فوق ظهر الارض جميعا !

وفي مكان آخر ، يزيد هذا الحكم تأكيدا فيقول : « ان موقف الاسلام من هذه المجتمعات كلها يتحدد في عبارة واحدة : انه يرفض الاعتراف باسلامية هذه المجتمعات كلها وشرعيتها في اعتباره ....

والافراد غير مسلمين

ومثل « المجتمعات » ، « الناس » أفرادا أو جماعات .. فهم غير مسلمين ، ولابد من دعوتهم للدخول في الاسلام من جديد .. « فالمسألة في حقيقتها هي مسألة كفر وايمان ، مسألة شرك وتوحيد ، مسألة جاهلية واسلام ، وهذا ماينبغي أن يكون واضحا .. ان الناس ليسوا مسلمين كما يدعون ـ وهم يحيون حياة الجاهلية ... ليس هذا اسلاما ، وليس هؤلاء مسلمين ، والدعوة اليوم انما تقوم لترد هؤلاء الجاهليين الى الاسلام ، ولتجعل منهم مسلمين من جديد

وهذا الكفر الذي عم الامة ، لم يقف عند كفر « الشريعة » وحدها .. بل ان للاستاذ سيد قطب اشارة الى أن الامة قد كفرت « بالعقيدة » أيضا .. فهو يقول : « ينبغي أن يكون مفهوما للدعوة الاسلامية أنهم حين يدعون الناس لاعادة انشاء هذا الدين ، يجب أن يدعوهم أولا الى اعتناق العقيدة ـ حتى لو كانوا يدعون أنفسهم مسلمين ، وتشهد لهم شهادات الميلاد بأنهم مسلمون ! . فاذا دخل في هذا الدين .. عصبة من الناس .. فهذه العصبة هي التي يطلق عليها اسم « المجتمع المسلم »

لقد كفرت الامة ـ في رأى سيد قطب ـ عندما خرجت على « الحاكمية » الالهية .. كفرت « المجتمعات » .. وكفر « الناس » .. الا الجماعة الصغيرة الجديدة التي تبدأ معه الدعوة الى الاسلام من جديد ؟ ! ....

وهكذا بدأ تيار « الرفض الاسلامي » للواقع ، على نحو كامل وجاد وعنيف ... ومن تحت عباءة هذه البداية خرجت فصائل وجماعات تملأ السمع والبصر على امتداد الساحة في عالمي العروبة والاسلام ! ... ○

التفجيرات النووية في خدمة الإنسان

بقلم الدكتور : ممدوح عبد الغفور حسن

كل الشعوب تطالب بوقف التسلح النووي من أجل البناء ولكن هل يستطيع الانسان أن يستغني عن التفجيرات النووية ؟

كانت الحرب العالمية الثانية هي المناسبة الوحيدة التي استعمل فيها التفجير النووي بغرض التدمير والقتل ، فقد أزيلت مدينتان كاملتان من الوجود في لحظات . ولم يقتصر أثر التفجير النووي على ذلك فحسب ، بل اننا حتى اليوم نسمع عن حالات مرضية تنشأ بين من تأثروا بالاشعاعات الذرية التي نتجت عن التفجير أو بين ذريتهم .

ولكن . . ألا يوجد جانب خير للتفجيرات النووية ؟ أليس من الممكن وضعها في خدمة البشرية واستخدامها في الأغراض السلمية ؟ قد يتبادر للوهلة الأولى أنه من الأجدر بنا الابتعاد كلية عن هذا الشر المستطير حتى نأمن جانبه . ولكن لنرجع بذاكرتنا الى الوراء قليلا لنذكر موقفا مشابها في سلسلة التطورات والابتكارات العلمية .

عند بداية القرن الحالي تعلم الأنسان كيف يستخلص النتروجين من الجو ، وأدى ذلك الى تطور كبير في صناعة المركبات الأزوتية التي أدت بدورها الى التطور الهائل في صناعة المفرقعات الكيميائية مثل النتروجلسرين والـ ت . ن . ت وغيرها وهذا بدوره أدى الى تطور كبير في صناعة السماد الذي لولاه لما كان هناك الآن الغذاء الكافي لكل البشر . فالمفرقعات اذن هي الجانب الشرير لهذا الاكتشاف والسماد هو الجانب الخير . وبالرغم من هذا فالمفرقعات نفسها لها من المحاسن والطيبات ما لايستطيع أحد انكاره ، فبدونها ما كان هناك تعدين أو طرق أو سدود مثلا ، ولو حسبنا كمية المفرقعات التي تستخدم في الأغراض السلمية لوجدناها تفوق بمراحل كل ما استخدم منها خلال الحربين العالميتين ، بل ان المفرقعات تستخدم الآن

شكل رقم (١)

١ ـ رسم يبين فكرة استخدام التفجير النووي الباطني في تنشيط حقول الغاز الطبيعي . يؤدي التفجير النووي العميق الى تكوين بناء اسطواني ومنطقة تهشم حوله ، حيث تزداد مسامية وتفادية الصخور الحاملة للغاز ، وهذا يزيد من معدل ادرار الآبار زيادة كبيرة .

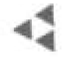
ب ـ رسم مجسم يبين فكرة عمل عدة تفجيرات لتنشيط حقول الغاز الطبيعي .

بشحنات متزايدة لتنفيذ بعض المشروعات الكبيرة ، ففي أحد المجاري المائية في شمال أمريكا استخدمت شحنة واحدة قوتها ٩٠٠٠ طن من المواد الشديدة الانفجار لإزالة صخرة كبيرة كانت تعترض مجرى ملاحي هام ، كما أن هناك معلومات تفيد أنه في الاتحاد السوفييتي والصين تستخدم شحنات تصل الى ١٠,٠٠٠ طن في المرة الواحدة في بعض المشروعات التعدينية .

من الواضح اذن أن المتفجرات لاغنى عنها في العصر الحديث بل اننا نسعى باستمرار الى زيادة قوة التفجير لتنفيد مشروعات كبيرة ، واذا كان الأمر كذلك ، فلماذا لانلجأ الى التفجير النووي الذي يعطينا قوة تفجير بلا حدود ؟ بل ان استخدام التفجيرات النووية في الأغراض السلمية يفتح أمامنا آفاقا واسعة في تنفيذ المشروعات العمرانية لاتكون متاحة بغيرها .

آبار البترول والغاز الطبيعي

هناك العديد من حقول الغاز الطبيعي والبترول التي تحتوى على كميات مهولة ولكنها محبوسة في طبقات ذات مسامية ضعيفة مما يجعل ادرار تلك الآبار بمعدل غير مجد . ان تفجير قنبلة نووية في



مثل هذه الطبقات يحدث بها كثيرا من الشقوق مما يجعل معدل ادرارها يتزايد بدرجة كبيرة ، مثال على ذلك حقل أبو الغراديق بمصر . كما يمكن أيضا استخدام الفراغات الناشئة عن التفجيرات النووية في تخزين المواد البترولية أو للتخلص من النفايات الذرية . كذلك من الممكن شق القنوات بالتفجيرات النووية مثل قناة منخفض القطارة ، وذلك سيأتي شرحة بالتفصيل .

أما من ناحية التكلفة فنجد أن المتفجرات النووية أرخص بكثير من المتفجرات العادية خصوصا كلما ازدادت قوة التفجير ، والجدول رقم (٢) يبين ذلك ، فلو أننا احتجنا الى تفجير ١٠٠ كيلو طن لتنفيذ مشروع معين فانه يتكلف ١٢ مليون دولار لو استخدمنا أرخص المتفجرات العادية ولكنه يتكلف فقط حوالي نصف مليون دولار لو كان المتفجر نوويا .

والبترول والغاز الطبيعي يشكلان معا المصدر الاساسي للطاقة في عالمنا الحالي ، ونظرا للتزايد المستمر في استهلاك الطاقة فان الطلب على البترول والغاز الطبيعي يتزايد بسرعة رهيبة وهذا مانسمع عنه الآن بأزمة الطاقة ، فهناك من يعتقد أن الموارد الحالية للبترول والغاز الطبيعي ستنضب بسرعة ولن ينتهي القرن العشرون الا وستكون هناك أزمة طاقة مستحكمة ، في هذا المجال نجد أن التفجيرات النووية تستطيع أن تقدم لنا الجليل من الخدمات .

فهناك بعض حقول البترول والغاز الطبيعي التي توجد فيها المواد البترولية في طبقات ذات نفاذية ضعيفة مما يجعل ادرار الآبار المحفورة فيها بمعدل بطيء جدا وغير اقتصادي . فاذا ماتم تفجير نووي في هذه الطبقات ، فان الاسطوانة ومنطقة التهشيم التي حولها تزيد من معدل ادرار الآبار زيادة كبيرة جدا . وبالطبع من الممكن عمل عدة تفجيرات على أبعاد مناسبة بحيث يمكن تنشيط الحقل كله (شكل ١) . وقد اجريت تجربة من هذا النوع في أحد حقول الغاز الطبيعي بالولايات المتحدة في عام ١٩٦٧ وسمي المشروع جازبجي **Project Gas Buggy** ومن تحليل نتائج هذا المشروع وجد أن ادرار أحد آبار الغاز بهذا الحقل على مدى ١٧ شهرا بعد التفجير يعادل ضعف ادراره على مدى ١١ سنة قبل التفجير ، وهناك العديد من هذه الحقول التي يمكن رفع كفاءتها بدرجة ملحوظة بواسطة التفجيرات النووية ، ومن أمثلة هذه الحقول حقل أبو الغراديق بمصر .

التفجير النووي الباطني

وفي أماكن عديدة من العالم توجد طبقات سميكة من الطفلة التي تحتوى على مواد هيدروكربونية ثقيلة يمكن أن تعطي مشتقات بترولية عند تقطيرها اتلافيا اي تسخينها الى درجة عالية في معزل عن الهواء حتى لاتحترق ، ويتبقى منها مخلفات تحتوي على نسبة عالية من الكربون ، وتسمى هذه الطفلة بالطفلة البترولية . وكذلك هناك كثير من الحقول التي تحتوى على طبقات سميكة من الحجر الرملي الذي تشغل مسامه مواد أسفلتية لزجة يمكن أيضا ان تعطي مشتقات بترولية عند تقطيرها اتلافيا وتسمى هذه الرمال القطرانية .

ولكن عملية استخراج هذه الصخور من باطن الارض وتقطيرها اتلافيا في معامل خاصة عملية باهظة التكاليف وصعبة التنفيذ ، بالاضافة الى ماتسببه من تلوث البيئة ، وهنا يبرز احد التطبيقات السلمية للتفجيرات النووية ، فمن الممكن تقطير هذه المواد (الطفلة البترولية أو الرمال القطرانية) في مكانها بواسطة تفجير نووى باطني . . . فبعد ان تنتهي عملية التفجير ويتم تكوين البناء الاسطواني ويترك الفترة الزمنية اللازمة للتخلص من الاشعاعات الضارة ، تحفر حفرة تصل بين قمة الاسطوانة وسطح الارض ، وحفرة أخرى أو أكثر تصل الجزء السفلي من الاسطوانة ونطاق التهشم الذي

بمحيطه وبين سطح الارض أيضا ، وهذا الحفر يتم بآلات الحفر المستخدمة في حقول البترول وبنفس الطريقة بعد ذلك يبدأ حرق الجزء العلوي من القطع الصخرية للطفلة البترولية المهشمة التي تمتلىء بها الاسطوانة بواسطة تفجير بعض اصابع الديناميت مثلا ، ثم التحكم في عملية الاحتراق عن طريق التحكم في كمية الهواء التي يتم ضخها الى اسفل . تعمل الحرارة الناتجة عن الاحتراق على رفع درجة حرارة الأجزاء التي تلي منطقة الاحتراق من اسفل ولايصلها الاكسجين الذي يسبب احتراقها ، وهكذا يتم تقطيرها اتلافيا وانسياب المواد البترولية الى اسفل . بعد فترة محسوبة تزاد كمية الهواء المدفوع الى اسفل بحساب بحيث تسمح بامتداد نطاق الاحتراق الى المواد الكربونية المتخلفة في النطاق الذي تم تقطيره . وهكذا باستمرار يمتد نطاق الاحتراق الى المواد الكربونية المتخلفة ، يليه نطاق الطفلة التي يجري تقطيرها حتى يتم تقطير كل الطفلة داخل الاسطوانة ، والتحكم في هذه العملية يتم عن طريق التحكم في كمية الهواء المدفوع الى أسفل ، وتضخ المواد البترولية السائلة بعد تجمعها في الجزء السفلي من الاسطوانة وماحوله . بهذه الطريقة يمكن تقطير الطفلة البترولية دون الحاجة الى عمليات اخراجها الى السطح ودون التعرض لمشاكل التخلص من مخلفاتها . وبنفس الطريقة يمكن معالجة الرمال القارية .
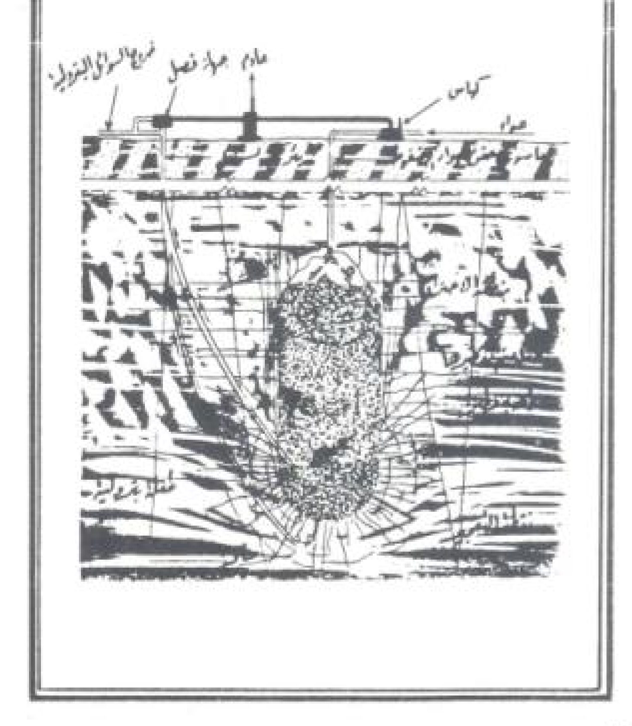
مستودعات التخزين تحت الارض

ومن ناحية اخرى نجد هناك احتياجا مستمرا ومتزيدا الى مستودعات لتخزين المواد البترولية المختلفة وخاصة الغاز الطبيعي ، فمن الصعوبات التي تواجه موزعي المواد البترولية وخاصة في الدول الصناعية المتقدمة هو التذبذب الكبير في معدل استهلاك تلك المواد ، كذلك في الدول المنتجة للبترول يتم اعدام كميات مهولة من الغازات المتصاعدة من الآبار بحرقها وذلك لعدم وجود مستودعات تخزين كافية لاستيعابها ، ومن الممكن أن تكون لهذه الغازات أهمية صناعية اذا ما أمكن اسالتها وتخزينها . وهنا نجد ان اسطوانة أو فجوة نووية في طبقات محكمة وغير منفذة مثل الطفلة أو الملح الصخري يمكن أن تشكل مستودعا مثاليا لهذه الاغراض له ميزات كثيرة تفوق المستودعات التقليدية ، ففي المستودعات النووية يمكن خزن المواد تحت ضغط يعادل الضغط الهيدروستاتيكي عند نقطة التفجير وبهذا ينتفي تماما خطر انفجار المستودعات ، كما أن وجود المواد البترولية تحت الارض تحميها من الاخطار التي قد تنشأ عن التقلبات الجوية أو عمليات التخريب والغارات أثناء الحروب كذلك فان معدل ادرار المستودعات غير محدود الا بحجم أنابيب الضخ الى السطح . أما عن تكلفة تلك المستودعات فقد وجد أنها تقل عن تكلفة المستودعات التقليدية في حالة التفجيرات التي تزيد قوتها عن ٥٠ ك طن ، وطبيعي كلما زادت التفجير قلت التكاليف بالنسبة لوحدة التخزين .

وفي خط الانابيب الذي يمتد في مصر من السويس الى الاسكندرية لابد من وجود طاقة تخزين كبيرة في كل من السويس والاسكندرية حتى يمكن تشغيل الخط بأكبر كفاءة ممكنة وهنا يمكن الاستفادة من التفجيرات النووية خاصة أن هناك طبقات سميكة من الملح الصخري في منطقة خليج السويس تصلح أن تكون موقعا ممتازا للمستودعات النووية .

وفي التعدين أيضا

في تعدين الخامات الفلزية تشكل عمليات



شكل رقم (٢)
رسم يبين فكرة استخدام التفجير النووي العميق في تقطير الطفلة البترولية في مكانها للحصول على مواد بترولية سائلة . بعد اتمام التفجير وتكوين البناء الاسطواني يبدأ الاحتراق في أعلاه ويتم التحكم فيه من خلال كمية الهواء المضغوط من أعلى . تعمل الحرارة الناتجة عن الاحتراق في تقطير الجزء الذي يلي منطقة الاحتراق الى أسفل ، حيث تنساب منها المواد البترولية السائلة وتبقى فيها المواد الكربونية ، وتنطلق الحرارة التي تعمل على تقطير المزيد من الطفلة البترولية . يتم تجميع المواد البترولية السائلة من أسفل البناء الاسطواني حيث يتم ضخها الى السطح .

استخراج الخام من باطن الارض ونقله الى معامل الاذابة والاستخلاص جزءا كبيرا من تكاليف الانتاج وخاصة في الفلزات التي توجد بنسب ضئيلة في خاماتها مثل النحاس ، وكلما ازداد عمق الخام في باطن الارض زادت تلك التكاليف بل وازدادت الصعوبات والأخطار في المناجم ، وهناك كثير من الخامات الجيدة التي توجد على أعماق بعيدة يستحيل معها استخراجها من باطن الأرض ، وهنا نجد أن التفجيرات النووية تقدم حلولا لكثير من المشاكل ، فعن طريقها يمكن استخلاص الفلز من خاماته دون نقلها .

وأوضح مثل لذلك وأكثرها اثارة هو استخلاص النحاس من الخام في موقعه وذلك بتفجير قنبلة نووية في الخام لتكسيره وتكوين اسطوانة نووية فيه ثم تدفع محاليل الاذابة الى قمة الاسطوانة وتترك لتنساب ببطء الى أسفل مذيبة معها النحاس ثم تضخ تلك المحاليل المحملة بالنحاس من قاع الاسطوانة الى السطح حيث يرسب منها الفلز وتعاد المحاليل مرة أخرى بعد تنشيطها الى قمة الاسطوانة ، وهكذا في دورة مقفلة (شكل٢) ، وقد اجريت حسابات دقيقة في الولايات المتحدة عن تكاليف تلك العملية فوجد انها تقل عن تكاليف العمليات التقليدية بالاضافة الى أن بعض الخامات العميقة لايمكن استغلالها بالطرق التقليدية ، وليس النحاس وحده الذي يمكن استخلاصه بالتفجيرات النووية بل أيضا بعض الفلزات الأخرى مثل المولبدينوم والنيكل واليورانيوم بشرط ايجاد وسيلة فعالة لاذابة الفلز من خاماته .

مقابر النفايات الذرية

ويمكن النظر الى الاسطوانة أو الفجوة النووية في صخور محكمة وغير منفذة على أنها مقبرة لدفن المواد غير المرغوب فيها والتخلص منها الى الابد ، وهكذا يمكن التخلص من النفايات الذرية للمفاعلات والتجارب النووية ، ويجب الحذر الشديد عند اختيار موقع مقبرة كهذه حيث يجب أن تكون في مكان لايحتمل أن تصيبه الزلازل الشديدة في المستقبل فتؤدي الى تصدع المقبرة وتسرب مالحتويه من مواد ضارة . .

وكذلك توجد في كثير من أنحاء العالم ، وخصوصا المناطق الصحراوية والشبه صحراوية منخفضات شاسعة صالحة للزراعة ولكنها مملحة نتيجة لتجمع مياه الصرف من الاراضي المزورعة أو المستصلحة المجاورة لها ثم تبخير تلك المياه ، والعقبة الأساسية في استصلاح هذه الأرض المنخفضة هو عدم امكانية صرف المياه منها ، ولكن يمكن بسهولة التخلص من مياه الصرف هذه عن طريق صرفها الى اسطوانة أو فجوة نووية على عمق كبير في مكان مناسب لتلك المنخفضات المراد استصلاحها . ويمكن تطبيق ذلك في وادي النطرون في مصر أو في وادي الأجال ووادي الشاطىء في ليبيا .

وهناك أيضا تطبيقات أخرى كثيرة للتفجيرات النووية الباطنية لايتسع المجال هنا لشرحها .

شق القنوات وانشاء الموانىء

ولعل أهم التطبيقات السليمة للتفجيرات النووية الظاهرة هي في شق القنوات وانشاء موانىء صناعية لرسو المراكب والسفن فالتفجير النووي على عمق معين يسمى العمق الأمثل يؤدي الى تكوين فوهة مخروطية ذات أبعاد قصوى . فاذا ماتم تفجير عدة شحنات على صف واحد وعلى مسافات معينة (يمكن حسابها بدقة) وفي وقت واحد بحيث تتداخل الفوهات في بعضها فانه ينتج عن ذلك حفر قناة مستقيمة ، وبتكرار تلك العملية على خط معين ، يمكن مد القناة على ذلك الخط سواء أكان مستقيما أو منحنيا .

ومن أهم المشاريع التي تم التفكير في تنفيذها بهذه الطريقة مشروع حفرة قناة بديلة لقناة بنما في مستوى سطح البحر لتسهيل عبور السفن دون الحاجة للأهوسة ، وقد أجريت دراسات تفصيلية ومكثفة من قبل الولايات المتحدة لهذا المشروع نظرا لأهميته ، أما المشروع الثاني في هذا المجال فهو مشروع قناة لتوصيل البحر الأبيض بمنخفض القطارة بهدف توليد الكهرباء من مسقط مياه البحر في المنخفض ولكن صرف النظر عن هذا المشروع مؤخرا . كذلك يمكن أيضا التفكير في حفر قناة لتوصيل مياه بحيرة السد العالي الى أراضي الوادي الجديد باستخدام التفجيرات النووية .

وفي كثير من المناطق الساحلية يكون الرصيف القاري غير عميق بالقدر الكافي الذي يسمح باقتراب البواخر والسفن من الشاطىء وهنا يمكن باستخدام التفجيرت النووية الظاهرية بناء موانىء صناعية وممرات بحرية بالعمق المناسب ، كذلك يمكن بناء موانىء محمية في المناطق ذات التيارات البحرية الشديدة عن طريق حفر قناة على شكل حذوة الحصان تبدأ من الشاطىء وتستمر داخل الساحل وتنتهي الى الشاطىء مرة أخرى .

وهناك تطبقات أخرى عديدة للتفجيرات الظاهرية مثل بناء مستودعات للمياه أو بناء السدود أو شق الطرق في المناطق الجبلية واستخدام الريتارك كمصدر لكسر الصخور والزلط في المناطق التي لاتوجد فيها تلك المواد أو استخدامه لاستخلاص النحاس من خاماته القريبة من السطح . ▢

أغنية للحياة

بقلم : الدكتور محمد ابراهيم الشوش

○

المعدة بيت الداء .

صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكان الداء هذه المرة خبيثا مرائيا لم يكشف عن هويته حتى تمكّن .

كانت خبطته مفاجئة . لم يأت متدرجا متأنيا . تسلل متخفيا . اخترق الأسوار والحيطان ، مطفئا كل الانوار ، حاملا نعليه تحت ابطه كاللص الغادر حين يأتي بعد منتصف الليل ، حتى دخل البيت . حينئذ فقط - حين استتب له المقام - أطلق كل أسلحته الكيماوية والعنقودية ، هكذا فجأة وبلا مقدمات .

كان الجو صحوا ، وكان اليوم عطلة اختاره أهل الحي للاجتماع والتعارف ، وبدأ التجمع يتخذ طريقه وسط الشارع المخضر ، وقد ازدان بالشرائط المزركشة والبالونات تتمايل مع الريح بين الأغصان . وكان الاطفال يجرون ويصرخون ويلعبون .

وفي وسط الحديث مع جار توقفت الكلمات عبر الهواء وتجمدت .

كنت قد بدأت جملة - عدت أدراجي - وكررتها ثم توقفت . تاهت المعاني في خضم المبهمات والألم المفاجيء ، وامتدت يدي دون وعي إلى منتصف البطن . وقادتني خطاي نحو باب المنزل لا أدري كيف أبصرته ، وأنا أتمتم بكلمات اعتذار للجار الذي فوجيء بهذه الحركة المباغتة .

كانت زوجتي أول من لاحظ . لم تكن قريبة ، ولم تكن منصتة ، ومع ذلك كانت - من بين كل الجموع التي اكتظ بها الشارع - أول من لاحظ .

بعد لحظات كنت أتلوى على سريري . يا سبحان الله بين العافية المتناهية والألم الممض بضع لحظات .

ما شكوت من المعدة قط . لست منتظما في مواعيد الطعام ، ولي في ذلك أسوأ العادات ، أشارك فيها أبناء جلدتي . لا نأكل الا حين يجن الليل ، ونضرب الاحاديث ظهرا لبطن ، ويأتي موعد النوم . ونحن في السودان قوم كرام لا نفتر من الكلام ، ونساؤنا في الداخل يطبخن ويغالبن النوم .

لست منتظما ولكني لست أكولا نهما ، أطعم لأن وقت الطعام قد جاء لا لأنني مدفوع بالجوع أو الرغبة في الطعام . في بلادنا لا نجوع ولا

ينبغي ان نتحدث عن الطعام ، يعد ذلك من عيوب الرجال . ونحن لا نتساهل أبدا في رجولتنا .

وحماني الله من الغل والحسد والحمق الذي يورث القرحة وضغط الدم .

تعلمت ودربت نفسي بارادة مطلقة أن أستهين بمنغصات الشارع لأنني أقنعت نفسي انها لن تصل الى . لأن الذي أعتز بامتلاكه وأحرص عليه ، لا يأتيني من الخارج ولا هو منة من أحد ، وانما ينبع من داخلي .

ولم يكن هذا التدريب النفسي سهلا . عبرت اليه من خلال تجربة مريرة جاءتني على حين غفلة لن أجعلها تتكرر بعد اليوم . لأنني لم أعد أتطلع الى شيء يمكن ان يمنحني اياه انسان حتى ينتزعه مني ، ببساطة أخرجت نفسي جملة وتفصيلا من سلم الترقي الذي يتزاحم على أعتابه ، ويزحف على بطنه تحت سفحه : العميل المنحل والمنافق ، والقميء المتمسح بالكبار ، والحلاف المهين ، وعالم السوء : عليم اللسان جاهل القلب والعمل ، المستجدي طول عمره ، السقيم بعلم لا ينفع .

وتعلمت أيضا ان أواجه ما يغضب بالضحك . بالضحك كنت أغسل كل قطرة مرارة تتسرب الى داخلي ، اتخذت من الضحك سلاحا في اطار تقليد تربيت عليه ، يعتبر العبوس وقارا ومهابة والضحك ميتة قلب . وضحكت حتى في أحلك اللحظات . وحين بدأت مشاعر الألم تنعكس برغم ارادتي على صفحة وجهي ، وأنا ممدد عديم الحيلة فوق سرير المستشفى ، أصر صديقي وأخي الفنان (عثمان وقيع الله) ألا ألقي سلاحي ، وان أستمر في الضحك حتى وإن أدى ذلك إلى فكاك خيط الجرح العميق في الجنب الأيمن . . وجاء بكتاب يثير الضحك على أناس كسبوا شهرتهم ببلوغهم قمة الفشل في عالم لا يعبأ الا بالناجحين .

نعم ضحكت في أحلك اللحظات ، أو التي كان الناس يرونها حالكة . وأقسم ما ضحكت يوما أرائي أحدا - أستغفر الله - كنت أضحك من أجل نفسي ولنفسي ، حتى الملحة الطريفة كنت أحكيها للناس ، وفي الحقيقة كنت أحكيها لنفسي وأشارك بها الآخرين .

وكشف لي الضحك عن تفاهة الأشياء ، وانه لا شيء في هذه الدنيا الفانية مهم بالقدر الذي نظن ، وندفع به النفس الى التهيج والعراك والشر .

لا لست أشكو مرضا في المعدة . هي بحمد الله سليمة معافاة بزائدتها وأمعائها الغليظة وغير الغليظة . كلها ظلت مستورة كالزوجة السودانية الصابرة لا تشكو ولا تتذمر .

ما شكت مني ولا شكوت منها .

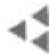
شكوتي الوحيدة انها بدأت مع انتصاف العمر تضخم وتتكور ، وأنا لست مغرما بأصحاب (الكروش) هي عندي دليل النهم والشبق . ولقد ظللت أعالجها حين بدأت أتنبه اليها برياضة أتحمس لها يوما وبضعة أيام،ثم سرعان ما يصيبني الضيق والضجر . وأحيانا أعالجها بضبط الحريات ثم أضيق بذلك أيضا . وهكذا أنا وإياها في مد وجذب . وحين يلتقي الزملاء نتحدث عن مدها وجزرها كما يتحدث الانجليز عن الطقس كل صباح .

صراع وعقليتان

الداء اللعين يضغط . . لا ليس الأمر عابرا . هنالك نية مبيتة للاقامة . تربع الألم في منتصف المعدة تماما .

وتلتقي عيناهما : نظراتها مشفقة ونظراته زائغة .

من صحراء افريقيا جاء ، ومن صقيع الشمال جاءت .



في عروقه تجري تقاليد إسلامية شرقية زنجية عربية متشابكة ، وفي دمها خليط من كل قبائل الشمال .

تقول وقد بلغ بها الضيق أقصاه :

لنذهب الى المستشفى فورا ، هذا الانتظار ضرب من الجنون .

ويقول والألم يعتصر أمعاءه :

بل ننتظر قليلا .

عقليتان مختلفتان :

عقلية منضبطة متكيفة مع واقعها المعاصر متشربة بنظامه تأخذه كما يأتي ، وتحكم عليه بظواهره . كل شيء يؤدي الى الآخر بقدر معلوم مرسوم لا يقبل التأويل والاحتمال .

هنالك مرض ، والمرض يحتاج الى علاج والعلاج في المستشفى . خيط واحد وطريق واحد لا طريق غيره .

وعقلية غير متكيفة ولا مقتنعة بنظام ، ولا تجري الأمور في حسبانها وفق ترتيب دقيق .

عقلية متفتحة لكل الاحتمالات والتفسيرات والتأويلات لا يلزم أن يؤدي الشيء الى آخر بل يؤدي الى مئات الاشياء . واذا كان حتما ان يؤدي المرض الى المستشفى ، فما كل ألم هو بالضرورة مرض يؤدي الى المستشفى . لكم تعلم من تجربة القرون ألا يأخذ الاشياء بظواهرها . ولكم خدع بثبات الاشياء فإذا هي عابرة ، في صحراء فكره ، عرف البرق الخلاب ، وسحابة الصيف التي عن قريب تقشع ، والورم الذي يحسبه الناس شحما .

الداء اللعين يكذب ظنه . لا ليس هو قطعا بالأمر العارض .

ويعود الالحاح :

اذا لم تأت معي سأدعو عربة الاسعاف .

من داخله يبدأ الاقتناع لكنه لا يزال يكابر يتمسك بخيوط الوهم .

لا وهم عندها . العقليتان مختلفتان تماما . عقلية مادية تؤمن بأن مسببات الاشياء مادية محسوسة واضحة لا شيء يغير من مسارها ، وعقلية غيبية متطيرة تؤمن بقوى خفية تؤثر في الاحداث المادية ينبغي ألا تستثار بالتذكير كالفتنة يحسن ان تظل نائمة . فالحديث عن المرض يستثير قوى المرض . والاعتراف بوجوده يؤكده . لهذا يتفادى الناس في بلاده الحديث عن المرض والموت والوصية . ولا يذهبون الى المستشفى الا بعد أن يكون الأمل قد ضاع والنهاية وشيكة . وحين حملت والدته ـ رحمها الله ـ الى المستشفى نصبت الخيام في ساحة المستشفى وعسكر الاقارب أياما بنسائهم وأطفالهم .

وهم في بلادهم يتحدثون عن الموت والاستعداد له في بساطة وعفوية . ونحسب ذلك استعداء لقوى الشر . في أوج الصحة يذهبون إلى الطبيب اطمئنانا وتحسبا ، ونحن نتفاداه خوفا ان يكتشف مرضا كامنا ما كان يظهر لولاه .

من سوء بخته كان القرار قراره .

بعد يوم ونصف كان صبره قد بلغ غايته .

وكان ألمه قد بلغ غايته .

وفي نقطة المنتهى حسم الأمر .

بين المد والجذب كان الداء اللعين قد فعل فعلته . فتك بالزائدة وفجرها .

يا الهي . زائدة ، وزائدة متفجرة دفعة واحدة . يا إلهي أنت الشافي لا شافي غيرك .

الزائدة المتفجرة تعني عنده الموت ، أو ما يشبه الموت . كان يحسب ان الزائدة إنما تزال حتى لا تنفجر فاذا انفجرت كانت النهاية . اذ مافائدة ازالة لغم قد انفجر . قبل اعوام عديدة ، مات أحد طلبة نهائي الطب لأن زائدته انفجرت وما أفلحت كل جهود الأساتذة العظام في انقاذه . وكذلك مات أديب عطبرة (المنبثق) . لكن من حسن حظه لم يكن يعلم ، ولم تكن هي ـ وقد اطمأن خاطرها أخيرا وهي

تراه في الطريق الى المستشفى ـ تعلم . وكما أعياه العلم وأضناه ، جاء دوره ليكون من المستفيدين العديدين بالجهل .

بداية المعركة

لم يكن يدري شيئا آخر .
لم يكن يدري ان جسمه سيتحول الى ساحة حرب ونزال ضارية . .

بدأ كل شئ هادئا هدوءا تكاد تلمسه . بين اليقظة والمنام ، يلفك صمت غريب مفزع : السقف الناصع البياض ، والحيطان النظيفة الملساء ويد لا تراها تدفعك وأنت مستلق على السرير في دهاليز لا يسمع فيها صوت ولا حركة .

في اطار هذا الهدوء الخادع تتجمع قوى الدفاع تشحذ أسلحتها . وفي داخلك يتربع الألم مطمئنا لا يدري ما ينتظره . . في نظام دقيق تترتب خطة الحرب ، يفتح الملف ويبدأ الاستعداد . وللحرب هنا أصولها وقواعدها . لا شيء يتم بغير معرفتك وموافقتك الخطية . وحين توقع على وثيقة الهجوم ، تكون قد اسلمت بدنك بلا قيد ولا شرط ليصبح ميدان قتال . حينئذ يتقدم جنودك في أدب جم يقدمون أنفسهم .

يطل عليك وجه يقف بينك وبين السقف الناصع البياض ليخبرك بانه الجراح الذى سيتولى اجراء العملية وتبتسم مؤمنا فى إعياء . وتمر لحظات . ويطل عليك وجه آخر يعرفك بأنه الطبيب المكلف بتخديرك . وتنظر الى الوجه ثم ينسحب نظرك الى ملاءته البيضاء النظيفة ثم تغيب عن الوعى .

وتعود الى الوعى لتكتشف أن المعركة الحقيقية لم تبدأ بعد .

يا ويحي على هذا البدن كيف يمسى رخيصا تافها . هذا البدن الذى نستذل له ، وندلله ونحشوه ونرتكب به ومن أجله المعاصى والمخازي ، ونصرف في تلذذه الغالى والنفيس ، ومن أجل راحته وفى سبيل خدمته نبذل كل ما نملك من مال ونفوذ وسلطان ، ومن أجل رفاهيته نتعارك ونعصى الله ، كيف يتحول فجأة الى لا شيء ، أو الى مجرد شيء لا عورة . . . لا هيبة . . . لا رهبة .

للوصول الى الداء الكامن فيه تدخل الأجهزة من كل المسارب والدروب . أنابيب تحشر من فوق ومن تحت ومن قدام وعبر الشرايين . دم يستخرج ، ومواد كيماوية ومضادات حيوية تدخل ، وابر ـ على كل الاشكال والاحجام ـ تطعن فى الفخذ والساعد والوريد .

لا شيء يوقف هذه الحملة الضارية الا ان يخرج الداء منهزما مدحورا ، وأنت تعرف أنها معركة لا تملك أن تخسرها . من أجل ذلك تستسلم وتصبح محايدا فى حرب أنت أصلها وفرعها ومنتهاها .

من خلال النافذة

وفى لحظات المدنة القلائل حين لا أنبوبة تحشر فى حلقك ، ولا ابرة تنغرس فى فخذك ، تطل عبر النافذة على الشارع الفسيح ، وترى الحدائق الغناء من بعيد ، وتشاهد الناس يروحون ويجيئون راجلين راكبين .

لهم همومهم ومشاكلهم ومآسيهم ، ولكنك ـ من نافذة المستشفى ـ لا ترى الا التاج المتلألىء على رؤوسهم .

وتقول حين يكتب الله لى الشفاء ، سأسير بأسرتي في نفس الشوارع ، وأتجول فى نفس الحدائق وسأغنى للحياة ، وسأكون اكثر حرصا وأكثر مرحا وأكثر تقديرا وحمدا لنعمة الله عليّ .

يا الهي كم كنت جاحدا . ○



حــق النــاس

إلى أي مدى هو حقيقي أو مفتعل ، ذلك الحاجز الذي أقامه بعض نجوم المسرح الاسلامي في زماننا بين حقوق الله وحقوق الناس ، حتى انفصلوا عن الأرض بحجة الانشغال بالسماء ؟

قبل أن نحاول الاجابة ، قد يفيدنا أن نمر سريعاً ببعض المؤشرات في النصوص والتعاليم الاسلامية ، من باب التمهيد والاسترشاد .

المؤشر الأول نستخلصه من آيات القرآن الكريم ، التي لا تذكر السماء إلا مرتبطة بالأرض ، في أكثر من مائتي آية . بعبارات مباشرة وكلمات لا ينقصها القطع أو الوضوح . حتى ليخرج قاريء تلك الآيات بانطباع الواثق من أنه بصدد حقيقة واحدة ذات وجهين ، وليس عالمين منفصلين ومنعزلين .

المؤشر الثاني نلحظه في كتاب الله وأحاديث نبيه ، حيث لا يكون التوحيد مقصوراً على الكون ، وإنما يمتد ليشمل التكاليف والتعاليم أيضاً . فالايمان يذكر مرتبطا بالعمل الصالح ، ويعد هذا العمل هو الوجه الآخر والترجمة الحقيقية للتعبير عن الايمان ، بحيث القيمة لا تصبح مجردة أو سلبية . ولا يظل الايمان علاقة باتجاه واحد ، من الأرض الى السماء فقط . وانما هو طريق ذو اتجاهين ، يصب في السماء حقا ، لكن ثماره لا بد وأن تنهار على الأرض . بل ان وصل هذا الايمان بالأرض شرط بلوغه هدفه في السماء وشرط اكتمال الايمان ذاته . وفي الحديث الشريف : ليس الايمان بالتمني ، ولكنه ما وقر في القلب وصدقه العمل .

من هذا المنطلق اختلف مفهوم العبارة في الاسلام ، حيث تجاوز الشعائر والفرائض ، وأصبح شاملاً لكل عمل منتج وسلوك إيجابي يلتزم به المسلم بنية خالية من النفاق والرياء . حتى اعتبرت « إزاحة الأذى عن الطريق صدقة » كما يقول الحديث الشريف . ولم يعد الشهيد فقط من مات مقاتلا في ساحة الجهاد . لكنه أيضاً من مات دون ماله ، ومن مات دون عرضه ، كما في حديث رسول الله . وعد « سيد الشهداء حمزة ، ورجل قام الى إمام جائر فأمره فنهاه فقتله » .

المؤشر الثالث نرصده في الموقف الاسلامي من علاقة الدنيا بالآخرة ، وهو موقف يحث المسلمين دائماً على أن يجمعوا بينهما ، والا ينحازوا لأي منهما على حساب الأخرى . حتى ليقول البيان الالهي « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا (القصص ـ ٧٧) » لاحظ التنبيه والتذكير المتمثل في صياغة « لا تنس » وفي الحديث الشريف « ليس خيركم من ترك الدنيا للآخرة ، ولا الآخرة للدنيا ، ولكن خيركم من أخذ من هذه وهذه . » والعبارة الأخيرة تعني أيضاً : من عمل وأعطى لهذه وهذه .

هو حق الله

بقلم : فهمي هويدي

المؤشر الرابع يتمثل فكرة الاستخلاف التي بمقتضاها نصب الله الانسان خليفة له سبحانه في الأرض ، بعد أن خلقه وسواه ونفخ فيه من روحه ـ وتلك أوصاف وردت في القرآن الكريم ـ وهو ما اعتمد عليه فقيه جليل مثل الشيخ محمد الغزالي في القول بأن الانسان في التصور القرآني ذو « نسب سماوي » . . مثل هذه المقومات لا تتوفر لفرد دون آخر ، وإنما وثيقة الصلة بالانسان من حيث كونه مخلوقاً لله ، وبصرف النظر عن مقامه أو حسبه أو لونه أو اعتقاده .

إن الانسان في تصور القرآن مخلوق أرضي حقاً ، ولكنه بحكم تكوينه ووظيفته موصول بالسماء . فبين جنبيه نفخة من روح الله وقبس من نوره ، وهو في الوقت ذاته خليفة الله في أرضه .

المؤشر الخامس يلتقي عليه فقهاء المسلمين ، من سلف وخلف ، الذين قالوا بأن تحقيق مصالح الخلق هو هدف الشريعة ومدارها . وأن الأحكام والتكاليف ترتبط بالمصالح وجودا وعدما . وقد حصر الامام الشاطبي تلك المصالح في أساسيات خمس تتمثل في حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال . وأرجع حفظ النفس والعقل إلى تحقيق عناصر عدة منها ، « المأكولات والمشروبات والملبوسات والمسكونات » (الموافقات جـ ٢ ـ ص٩) .

إن هذه المؤشرات ، وغيرها كثير ، تلغي تلك المسافات المزعومة بين الأرض والسماء ، وتقيم في الوقت ذاته علاقة حارة وحميمة بينهما ، وهو ما يتعذر معه قبول منطق الفصل والعزل ، الذي تعتمده تلك الكثرة من الدعاة الاسلاميين المعاصرين .

ورغم ان فقهاء المسلمين كانوا على وعي بتلك المسلمات في منهج التفكير الاسلامي ، فإنهم لم يترددوا في استخدام صياغات مثل حقوق الله وحقوق الناس ، وذلك من قبل التمييز الذي يتحقق في ظل الفصل ، وليس تعبيراً عن الفصل أو العزل .

فقبل ألف عام أشار قاضي بغداد أبو الحسن الماوردي (ت ـ سنة ٤٥٠ هـ) في مؤلفه الشهير « الأحكام السلطانية » إلى حقوق الله تعالى ، وحقوق الآدميين ، وتلك الحقوق المشتركة بينهما . ووردت إشارته ضمن عرضه لموضوع الحسبة ، وكيف انها تشتمل على فصلين : احدهما أمر بالمعروف ، والثاني نهي عن المنكر . وفي هذا وذاك ، فان المحتسب ـ في رأي الماوردي ـ مطالب بأن يباشر مسؤليته في تلك المجالات الثلاثة للحقوق . واصطلح على أن المقصود بحقوق الله هو إقامة العبادات (بمفهومها التقليدي) والحدود ، في حين أن حقوق الناس تنصب على المعاملات التجارية والمالية للأفراد . أما الحقوق المشتركة بين الله والناس فهي تلك التي تتداخل فيها مصلحة الجماعة مع الفرد .



ومنذ حوالي ستة قرون ، كتب الامام الشاطبي (ت سنة ٧٩٠هـ) يقول : كل حكم شرعي ليس بخال عن حق الله تعالى ، وهي جهة التعبد . فان حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً . وعبادته امتثال أوامره واجتناب نواهيه باطلاق . فان جاء ما ظاهره أنه حق للعبد مجردا (كالقصاص) فليس كذلك باطلاق بل جاء على تغليب حق العبد في الأحكام الدنيوية . . كما أن كل حكم شرعي فيه حق للعباد إما عاجلاً وإما آجلاً . بناء على أن الشريعة إنما وضعت لمصالح العباد (الموافقات حـ ٢ ـ ص٣١٨) .

وهذه الفكرة ذاتها طرحها بصياغة معاصرة الشيخ على حسب الله ، أستاذ الشريعة الأسبق بجامعة القاهرة حيث كتب منذ ربع قرن يقول : التكاليف باعتبار ما فيها من مصلحة الفرد حق للفرد ، وباعتبار ما فيها من مصلحة الجماعة حق لله تعالى (أصول التشريع الاسلامي ـ ص٢٩٣) .

هنا نصل إلى نقطة جوهرية في الاجابة على السؤال الذي طرحناه في البداية . فمصلحة الجماعة وحقوق الجماعة ، هي في واقع الأمر حقوق لله تعالى .

وهذا هو منطق القرآن منذ نزل . فعندما استخدم البيان الالهي تعبيرات مثل مال الله . (وآتوهم من مال الله الذي آتاكم ـ النور ٣٣) أو حكم الله (ان الحكم الا لله ـ الأنعام ٥٧) فلم يكن ذلك سوى تعبير عما نسميه بلغة زماننا المال العام ، وحكم الشعب .

إن تعبير مال الله يمثل صيغة محكمة ورائعة لحرمة المال العام ، الأمر الذي يحرم أي محاولة لانتهاك هذا المال أو العدوان عليه ، في السماء كما في الأرض . إذا ليس هناك جرم أشد من العدوان على حقوق الله . وفي الوقت ذاته ، فان هذه الصيغة تصادر في المنطق الاسلامي أي محاولة لاحتكار مال المسلمين أو الاستئثار به ، وهو ما يعد ـ أيضاً ـ جوراً غير مقبول على حق الله .

وعندما تذرع الخليفة الأموي الأول معاوية بن أبي سفيان ، وهو ينفق عن سعة من بيت المال ، بأن ذلك مال الله ويده مطلقة فيه باعتباره خليفة المسلمين ، فان الصحابي الجليل أبا ذر الغفاري تصدى له معارضاً ومذكراً بأن مال الله هو مال مجموع المسلمين ، وليس له أن يتصرف فيه في غير صالحهم وبعيداً عن مشورتهم .

وفي حديث رسول الله تعزيز لهذه الحرمة وتحذير من انتهاكها . وهو الحديث الذي رواه البخاري ، وفيه يقول عليه السلام « إن رجالاً يتخوضون في مال الله بغير حق ، فلهم النار يوم القيامة » .

وبالمثل فان حكم الله ، وإن كان هدفه تطبيق شريعة الله ، إلا أن وسيلته في المفهوم الاسلامي هي الشورى التي نص القرآن على أنها من لوازم الايمان . حيث وصف المؤمنين بأنهم « والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة، وأمرهم شورى بينهم ، ومما رزقناهم ينفقون » (الشورى ـ ٣٨) .

ولأسباب لا تخفى على اللبيب فان كثيرين يركزون في الدعوة إلى حكم الله على الهدف ويسكتون على الوسيلة ، غير أن ما يثير الدهشة حقاً هو اعتراض نسبة غير قليلة من نجوم المسرح الاسلامي على تعبيرات مثل حكم الشعب وسيادة الأمة ، بحجة أن ذلك يتناقض مع حكم الله أو حاكميته .

إن تعبير حكم الله اذا كان يحمل فكرة نزع سلطان البشر من على البشر ، وإقامة المجتمع القرآني الذي يلتزم بشريعة الله ، فانه يترجم أيضاً على أنه حكم الشعب ، ممثلا فيمن يعبرون بصدق عن ضميره وطموحاته .

●●●

وفي ثنايا التعاليم الاسلامية ، نعثر على شواهد عديدة تحاول أن تبث في ضمير المسلم يقيناً بأن الله سبحانه أقرب الى حياته وواقعه بأكثر مما يتصور .

ففي الحديث الذي رواه مسلم عن النبي ﷺ « أن الله عز وجل يقول يوم القيامة : يابن آدم ، مرضت فلم تعدني .

قال : يا رب ، كيف أعودك وأنت رب العالمين ؟

قال : أما علمت أن عبدي فلاناً مرض فلم تعده ؟ أما علمت أنك لوعدته لوجدتني عنده ؟

يابن آدم ، استطعمتك فلم تطعمني !

قال : يا رب ، كيف أطعمك وأنت رب العالمين ؟

قال : أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه ؟ أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي ؟

يابن آدم ، استسقيتك فلم تسقني ؟

قال : يا رب ، كيف أسقيك وأنت رب العالمين ؟

قال : استسقاك عبدي فلان فلم تسقه . أما علمت أنك لو سقيته لوجدت ذلك عندي » ؟

هذا الحديث لا ينبغي أن يحمل فقط بحدود عيادة المرضى واطعام الجائعين وسقاية الظماء ، فتلك رموز لمسئولية المسلم تجاه غيره . الأمر الذي نستطيع أن ندرج معه عديدا من المسئوليات والتكاليف الأخرى .

والأمر البالغ الأهمية في الحديث أنه يقول للمسلمين ضمنا إن الطريق إلى الله ليس فقط ف الصلاة والصوم والزكاة ، والأدعية والأذكار . كما أنه يقول لهم صراحة إن الله سبحانه وتعالى ليس بعيداً كما يزعم الزاعمون ، وليس منفصلاً عن حياة الناس وهمومهم كما يصور لنا أولئك الذين انعزلوا عن واقعنا بحجة أن قلوبهم تعلقت بالسماء . ولكنه جل جلاله هنا في هذه الأرض . في كل خير يقدمه الانسان لغيره . وفي كل عمل شريف يؤديه . وفي كل خطوة إيجابية وبناءة يخطوها . ذلك على مستوى علاقة الانسان بالانسان ، فما بالكم إذا تعلق الأمر بالتزام الانسان تجاه مجموع الخلق ؟



إن منطق الحديث الشريف ، بل منطق التعاليم القرآنية ذاتها ، يحثنا لأن نقرر أنه كما أن الله يكون هناك في عيادة مريض واطعام جائع ، فانه سبحانه يكون هناك أيضاً حيث مصالح المسلمين وحوائجهم . وهو هناك في تيسير أمور الناس ورعايتهم علاجا وتعليما وسكنا . هو هناك في انتخابات نزيهة تعبر بصدق عن ضمير الأمة ، وفي إنفاق رشيد للمال العام ، وفي استصلاح الأرض وإقامة المصانع تحقيقاً لكفاية الخلق وإعماراً للكون .. إلى آخر المنجزات التي تعبر عن تسخير إمكانات الحياة لصالح الانسان . وهو المعنى الذي أشارت اليه آيات قرآنية عديدة ، أهملها الدعاة ، فاستثمرها غيرهم في التعاويذ والأحجبة واستحضار الجن والأرواح !

ثمة نص قرآني آخر ، ينبغي أن يستوقفنا ، لأنه يعرض لموقف يظهر فيه التعارض بين ما قد نسميه حق الله وحق الناس . والنص يتمثل في الآية التي تقول : « يسألونك عن الشهر الحرام ، قتال فيه ، قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام ، وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل» (البقرة من الآية ٢١٧) .

من سياق الآية نفهم أن الله سبحانه يبلغ رسوله بأن حرمة الشهر الحرام ينبغي أن تصان ، وأن القتال في هذا الشهر جرم كبير ومعصية عظيمة الشأن ، ولكن هذه الحرمة تصمد أمام ظلم يحيق بالمسلمين واضطهاد يقع عليهم . فأمر كهذا بمثابة جرم أكبر عند الله سبحانه . لأن حرمة المسلمين أهم وأعظم . فاذا وقع الظلم وأخرج المسلمون من ديارهم ، فلهم أن يقاتلوا ويدافعوا عن أنفسهم ، حتى وإن حدث ذلك أثناء الشهر الحرام .

نحن هنا بصدد أمر بالغ الدقة ، تعارضت فيه حرمة الشهر الحرام مع مقتضيات الدفاع عن حرمة المسلمين ، وحسمه الله سبحانه وتعالى لصالح المسلمين بأن أجاز لهم القتال : ما داموا قد تعرضوا للاضطهاد والفتنة) .

هذا المعنى ، استخلصه الأحناف فأفتوا بتقديم حق العبد على حق الشرع كما ذكر ابن عابدين في حاشيته (حـ ٢ ـ ص١٤٤) . وضرب ابن عابدين مثلاً على ذلك بقوله إنه إذا اختلف اثنان في طفل ، فادعى المسلم أنه عبد له ، وادعى الذمي أنه ابنه ، حكم ببنوته للذمي ، لأنه بذلك يكتسب الحرية وإن نشأ علي غير الاسلام . في حين أنه إذا حكم به للمسلم ، فقد ينشأ على الاسلام ولكنه قد يظل عبداً فاقدا لحريته .

وخطورة هذا الحكم وأهميته أنه ينحاز إلى الحرية بأكثر من انحيازه إلى الاسلام . ويفضل للمرء أن يعيش حراً على غير الاسلام . من أن يكون عبداً مسلماً . مرجحاً بذلك حق الانسان في اكتساب حريته ، على حق الله في أن يعتنق المرء ختام رسالاته .

وهذا الكلام صادر عن فقيه كبير واسع المعرفة ، وحجة في المذهب الحنفي ، هو احمد أمين ابن عابدين الدمشقي المتوفي سنة ١٢٥٢ هجرية .

إذا كان الأمر كذلك ، فلماذا يتخلى أكثر الدعاة الاسلاميين عن حقوق الناس ، وينسحبون من جبهة الأرض والخلق ؟

السؤال أيضاً مطروح للمناقشة . ولعلي لا أتجاوز إذا قلت أن ثمة أسباباً ثلاثة وراء هذا الموقف المنسحب من جبهة الأرض والخلق .

السبب الأول يكمن في الاستبداد السياسي الذي أرغم كثيرين على الهروب من ساحة الدفاع عن حقوق الناس وهموم الأرض إيثاراً للسلامة وابتعاداً عن المخاطر . فمنذ قال القائل أمام المسلمين عند أخذ البيعة ليزيد بن معاوية : أمير المؤمنين هذا ، مشيراً إلى يزيد . وإن لم يكن فهذا ، مشيراً إلى سيفه . منذئذ برزت مخاطر المشاركة الجادة في هموم الأرض . وإذا كان أبو ذر الغفاري قد نفي في عهد معاوية ، لأنه كان من أبرز المعارضين ، إلا أن الثمن بات أفدح في حالة بيعة ابنه يزيد . اذا رقبة المعترض هي المقابل . هذا الاستبداد السياسي لم يحجب فقط مشاركة الفقهاء والدعاة ، ولكنه أيضاً أغلق الباب دون مشاركة الجميع . وهو أمر ينسحب على الحاضر بأكثر من انسحابه على الماضي . وهنا قد يكون التعميم ظالماً ، لأن بين فقهاء المسلمين في الماضي والحاضر من لم يرهبه سلطان ولا سيف ، وقال كلمة الحق بغير تردد ، وقبل أن يدفع الثمن بشجاعة منقطعة النظير . وكان الثمن هو الموقف بين أيدي الجلاد والسياف حيناً ، وعلى المقصلة حيناً آخر ، لكنني أتحدث عن القاعدة لا الاستثناء .

ومن الظلم للحقيقة أيضاً أن نقول بأن كل الذين سكتوا أو هربوا من ساحة الخلق كانوا مضطرين ، فبينهم من كان راضياً وقانعاً لضعف في نفسه أو هوى تملكه . وحولنا نماذج كثيرة ينطبق عليها هذا التصنيف .

السبب الثاني يتمثل في قصور الفهم وضيق الأفق . وهو داء منتشر بين الأجيال الجديدة من الدعاة أو الاسلاميين . وإذا كان الخوف والضعف أو الطموح سمة بارزة في موقف الصف الأول من نجوم المسرح الاسلامي ، فان هذا السبب الثاني سمة نجوم الصفوف التالية . أولئك الذين يفهمون عبادة الله على أنها صلاة وصوم وتسبيح واعتزال للمجتمع ورفض للعصر . ولا يرون الله إلا في المساجد والأقبية والصحارى النائية .

السبب الثالث من خارج الدائرة الاسلامية . ويمكن في تلك الدعوات التي روج بها بعض المثقفين والسياسيين من أبناء مدارس التغريب ، الذين تبنوا فكرة فصل الدين عن الدولة . مما أدى تلقائياً إلى حصره وحصاره في المساجد . وأقام حاجزاً أمام ممارسات الدعاة الاسلاميين الحقيقيين أصحاب الرؤية الصحيحة للاسلام . إذ ظل هؤلاء يواجهون من جانب « أولي الأمر » برد واحد على الدوام يقول : ما شأنكم انتم بهموم الناس ؟ .

وأياً كانت الأسباب ، فالحاصل أن أكثر الاسلاميين غابوا أو غيبوا ، ولا يزال مكانهم شاغراً على جبهة الدفاع عن حقوق الناس . وهو مكان لن يعوض بأي جهد آخر . حتى اذا توهموا أنهم يؤدون دورهم بالوقوف حراساً على ابواب السماء .

ولو أنهم استردوا وعيهم لأدركوا أن مفاتيح أبواب السماء هي في الأرض التي نقف عليها ، تلك التي تخلوا عنها وأداروا ظهورهم لها ، فظلموا دينهم ودنياهم ! ○



غلاف كتاب « الوباء »

أدبـاء يـملئون أقلامهـم

بدماء الخنازير

بقلم : محمود قاسم



ستيفن كنج

يجد الكثير من كتاب القرن العشرين أن عليهم أن يخرجوا من اطار الواقع الذي يعيشونه .. فينتقلون بخيالاتهم الى ما وراء الطبيعة والى خارج حدود مدارك الانسان العادية .. كي ينتقلوا بأنفسهم وبقرائهم الى عالم خيالي لا يصنعه سوى خيالاتهم وحدها .. وهم يتلذذون بغزو مثل هذه الأجواء ويحاولون امتاع قرائهم أو تعذيبهم كل حسب اتجاهه ومذهبه .. وهؤلاء الكتاب يستخدمون أدواتهم من الواقع الذي يعيشون فيه .. ثم يقومون بصياغة هذه الأدوات بعد اعادة ترتيبها وتركيبها لصناعة واقع لا يعرفه سواهم .

اذا تصفحنا اتجاهات مثل هؤلاء الكتاب الذين ينتشرون الى حد كبير في العالم كله ـ حتى عالمنا العربي ـ فسنجد الكثيرين منهم يميلون الى صياغة أعمالهم في اطار من التخيل العلمي .. حيث يصعدون الى عنان السماء تارة .. أو ينزلون الى أعماق البحار تارة أخرى .. يسافرون الى القرون القادمة .. أو يعودون الى العصور الغابرة .. ولأن عليهم أن يفعلوا ذلك فيجب أن يعيشوا في مثل هذه العصور بواقعها الذي يصنعونه .. وبسبب العلم واكتشافاته واختراعاته فأنهم يلعبون دورا كبيرا في تشكيل هذا العالم .. لذلك فعليهم أن يستخدموا أدواتهم من خلال لغات العلوم التطبيقية والنظرية ومزجها برؤى للمستقبل .. وبعض الكتاب يمزجون واقعهم السياسي والاجتماعي الذي يعيشون فيه فيناقشون قضاياه ويعرضون ملامحه في اطار التخيل العلمي .. من أبرز هؤلاء الكتاب « أرثر كلارك واسحاق ازيموف وراي برادبوري » .

وهناك كتاب آخرون يقومون بالانتقال الى أجواء أخرى مستخدمين أدوات أخرى هي الأرواح الشريرة والظواهر الخفية .. فيختلقون أبطالا تتقمصهم الشياطين أو يتمتعون بقوى خاصة .. يمزجون عالمهم بأجواء من الغموض والرعب

● اشراق . . الغضب والبلطة والسكين

والاثارة والتخويف تثير اشمئزاز القارىء . . واعجابه . . ومن أبرزهم « ويليام بيتر بيلاتي ودافيد سلتزر وستيفن كنج » .

وهناك سمات عامة تتسم بها هذه الكتابات في مجموعها : أن بعضها يتعرض للأديان السماوية . . وبعضها يميل الى احداث التخويف واستخدام الجنس كمنفس هام عن المشاعر الانسانية .

وقد استطاعت هذه الروايات أن تجد أماكن في كثير من البيوت . . ويقرأها أفراد كثير من الأسر من جميع الأعمار . . ووضعت على قمة المبيعات في جميع أنحاء العالم . . تطورت مضامين هذه الروايات وأشكالها لدرجة أنها مزجت في داخلها العديد من التيمات الأدبية المعروفة . . فيمكنك أن تجد رواية تمزج بين الخيال العلمي والسياسي والفانتازيا والتقمص وتناسخ الأرواح معا . كما سترى في بعض روايات الكاتب الذي نتناوله اليوم .

عن القوى الكامنة

وأكثر هذه الأنواع الأدبية جاءت من الولايات المتحدة . . ولاقت انتشارها من خلال ظهور رواياتها في أفلام سينمائية لاقت نجاحا كبيرا وعملت على ازدهار هذا النوع في السنوات الأخيرة . . وسوف نرى أن أبرز روايتين لستيفن كنج قد انتجتها السينما في فيلمين يعدان من أبرز الأفلام الأمريكية في السبعينيات .

وكنج الذي يبلغ الثانية والأربعين من عمره هو أحد مشاهير كتاب هذا النوع ابان السنوات الأخيرة بالرغم من عدد رواياته المحدودة التي نشرها . . من أهم هذه الروايات « سالم » ١٩٧٥ و « كاري » ١٩٧٦ ثم « اشراق » ١٩٧٨ و « الوباء » ١٩٨١ وأخيرا « كوجو » ١٩٨١ .

في روايته « كاري » يتناول الكاتب ظاهرة علمية تكمن في بعض البشر اسمها « القوى الكامنة التليكنتيس Telekinsis وهي قوى تكمن في بعض البشر تجعلهم قادرين على تحريك الأشياء التي أمامهم بمجرد أن يركزوا تفكيرهم فيها . . فهم قادرون على تحطيم الأشياء خاصة الزجاج بمجرد النظر اليها وادارة أشياء يمكن ادارتها كالمراوح الصغيرة .

يحاول كنج الاستفادة من هذه الظاهرة الكامنة



التي لا ينكرها العلم حين يستخدمها من خلال فتاة صغيرة بلغت سن الأنوثة منذ أيام قليلة وتدعى كاري .. هي فتاة بريئة لا تعرف كيف تتعامل مع الأشياء .. تعيش عالمين لا تستطيع أن تتكيف معهما بسهولة .. أمها امرأة متزمتة وجدت في التعلق ببعض مظاهر الدين ملاذا طيبا للهروب من تجربتها الفاشلة مع زوجها .. وعالم المدرسة المليء بفتيات عديدات في مثل سنها .. انهن يسخرن دائما منها .. ومن خجلها وانطوائها .. لا تعرف أشياء كثيرة عما يجري للفتيات في مثل سنها .. لذا فهي تصطدم صدمة شديدة حين تنتابها أعراض البلوغ لأول مرة في حياتها .. تصرخ وسط زميلاتها اللائي استغللن هذا الحادث للتندر عليها أكثر .

وكاري تمتلك من داخلها هذه القوة الخفية التي تستخدمها للمرة الأولى حين تود الانتقام من ناظر المدرسة الذي حاول أن يتهكم على اسمها .. كما استغلتها أيضا حين أرادت الانتقام من زميلاتها فنظرت الى المصباح فتهشم .

واذا كانت هذه المعاناة التي تعيشها كاري في مدرستها ، فان أمها امرأة غير طبيعية .. تضربها أحيانا .. وتعنفها في أحيان أخرى .. تحاول أن تفرض عليها سلوكا معقدا .. فهي تطلب منها أن ترتدي ملابس لا تبدي شيئا من جسدها .. وتأمرها أن تقرأ تراتيل مبتورة .. وأن تعترف بأشياء لم تقترفها .. وكاري لا تعرف أن أمها مرجريت مصابة بهوس جنسي .. وأنها تحاول أن تخفي ما يعتمل في جسدها من رغبة فلجأت الى التدين بهذا الأسلوب الساذج .. تتغذ من تعاليم الدين القشور دون اللباب .. وهي لا تجد أمامها سوى ابنتها كاري فتمارس عليها كل شعائرها وتنفث فيها عقدها النفسية .. تحدثها ان الحب خطيئة كبرى لا يقرها الدين .. وأن الجنس دنس آثم .

وشتان ما بين أم ضغطت عليها تجربة قاسية فجعلتها تنظر الى الأشياء بمنظور أسود .. وبين فتاة صغيرة متوسطة الجمال تتسم بالحياء وتعيش بين تلميذات يعرفن أشياء كثيرة حول ممارسة الحياة وتريد أن تنفتح مثلهن .. ووجود مثل هذا التضاد بين المرأة وابنتها يكشف عن صراع واضح بين الشوتين .. فكاري تحب زميلها « تومي » الذي لا يشعر بها وينظر اليها كطفلة صغيرة .. بينما هو مشغول بحب فتاة أخرى تدعى « سو » .

الأم والابنة

يحاول الزملاء والزميلات السخرية أكثر من كاري فيقررون أن يجعلوا من مشاعرها نحو « تومي » مادة للتندر ابان الحفل الذي تقيمه المدرسة .. يقلن للفتاة أن « تومي » يحبها وأن « سو » بالنسبة له ليست أكثر من زميلة .. وأن على كاري أن تهتم بأنوثتها وأن ترتدي أجمل ملابسها وعليها الحضور الى الحفل .

ترفض الأم مرجريت أن تذهب ابنتها الى الحفل .. فهي لا تميل الى ما يفعله الصبية والبنات في مثل هذه الأجواء .. فتحدث مواجهة دامية بين كاري وأمها وتخبرها أن عليها أن تنسى ماضي رجل هجرها وأن تكف عن جنونها .. وتترك كاري أمها تبكي وتذهب الى الحفل وقد بدت في أحلى صورها .. لقد أصبحت فتاة أخرى تختلف .. انها أكثر جمالا من « سو » .ومن زميلات كثيرات في الحفل .. يتابعها « تومي » بكل حب فيراقصها وسط الآخرين .. انه يعرف مادبره الآخرون من مقالب للفتاة ، ويكتم في داخله ضحكة لا يقدر على إظهارها الا مع الآخرين ، حين يقف بجانبها على المنصة كي يتسلما جائزة أحسن ثنائي راقص .. ويسكب عليها الزملاء وعاء مملوءا بدم الخنزير القاني .. يغرق الجميع في الضحك عدا زميلتها « سو » ، بينما تقف كاري وقد اعتراها الغضب والحزن .. انهم يسخرون منها .. وكم سخروا منها قبل ذلك .. فجأة تتطلع بعينين غاضبتين الى الأشياء من حولها .. تنظر الى الأبواب التي تنغلق من تلقاء نفسها .. تتحرك رشاشات المياه تلقائيا كي ترش مياها قوية نحو الجميع .. ثم تتوقف المياه كي يتحول المكان الى كتلة من الجحيم تشتعل فيه النيران .. يسود المكان الصرخات بعد

الضحكات ، يحاول الجميع الهرب .. لكن الوحيدة التي خرجت حية مع كاري هي صديقتها « سو » .
عادت الى منزلها وقد لطخت بدماء الخنزير .. هال الأم حال ابنتها .. فبدلا من هلعها لما أصاب ابنتها .. فاذا بها تغرس سكينا في ظهرها ظنا منها أن

● كاري قبل أن يسكبوا فوقها دماء الخنازير

كاري وقعت في خطيئة ابان حضورها الحفل .. لكن كاري تحاول أن تستخدم قوتها الخفية في الانتقام من أمها فتنظر الى درج السكاكين في الحمام فتنطلق كي تنغرس في ظهر الأم .

هذه العلاقة بين الأم وابنتها لم تعد غريبة في كتابات ستيفن كنج .. فها هي مرجريت التي تقتل ابنتها التي تقضي بدورها على أمها .. ولم نرقط أية صورة من صور الحنان والتفاهم بين الأم وابنتها .. فمرجريت ليس لها أبناء سوى كاري وهي تمارس عليها عقدها النفسية .. وسنرى أن نفس السكين التي غرستها الأم في ظهر ابنتها قد استخدمها جاك تورنس كي يقتل ابنه وزوجته في روايته « اشراق » .

في فندق معزول عن العالم

ترجمت روايته « اشراق » الى اللغة الفرنسية في يوليو (تموز) عام ۱۹۷۹ بعنوان « الطفل الضوء » .. وقبل أن ينتهي العام كان المخرج الأمريكي المعروف ستانلي كيوبريك قد أخرجها في فيلم سينمائي لاقى نجاحا في كل مكان عرض فيه .

ولم يختلف الفيلم الذي أخرجه كيوبريك عن الرواية التي كتبها كنج ، فهذا الكاتب يستطيع أن يصنع أجواء أكثر اثارة من تلك التي صنعها المخرج في فيلمه .. واذا كان المؤلف قد حاول الاستفادة من مظاهرة التليكنيس في روايته السابقة من خلال كاري ابنة الأربعة عشر عاما .. فانه في روايته « اشراق » يعالج - روائيا - ظاهرة أخرى تسمى بالاشراق .. من خلال الطفل الذي يعيش مع والديه في فندق معزول عن العالم لمدة ثلاثة أشهر .. انه قادر على رؤية أشياء غريبة حدثت في الفندق في سنوات سابقة .. الفندق شديد الاتساع .. به متاهات متعددة لا حدود لها .. تحيطه حديقة كبرى تسمى « المتاهة » ، بها طرق اذا ضل الانسان فيها طريقه فانه من الصعب الخروج منها .

يجد « داني » نفسه محبوسا في هذا المكان المتسع مع والديه اللذين يعيشان : كل بنفصل عن الآخر

بصناعة عالمه الخاص به من خلال وحدته . . ويقدح « داني » قريحته من خلال اشراقه ليرى أشياء كثيرة حدثت في الماضي والحاضر والمستقبل . . وهذا الاشراق يحدث كذلك للأب جاك تورانس لكن بنسبة أقل . . وسوف نرى أنه مثلما قتلت كاري أمها فان داني يساعد أمه في التخلص من أبيه عندما يصاب هذا الأخير بمس من الجنون عندما يصل الاستشراق نهاية مداه . . لقد جاء جاك تورانس الى هذا الفندق لحراسته أثناء فترة البيات الشتوى الطويل حيث لايوجد مريدون . . وعليه أن يقوم بتأليف روايته التي كم تعثر في كتابتها . . يقول له مدير الفندق : « الحارس الذي عمل قبلك في هذا العمل انتابته حالة من الجنون فقتل زوجته وابنتيه ببلطة وقطع أجسادهن الى قطع صغيرة ثم أطلق الرصاص على رأسه » .

ويتحول جاك تدريجيا الى مثل هذا الحارس . . حيث يصاب بحالة من الجنون تدفعه الى التخلص من زوجته وابنه . . لقد أصبحا شاهدين على جنونه وماضيه . . هناك في صالة الاحتفالات الكبرى بالفندق يشع خيال رجل وهو يحاول أن يتخلص من أسرته مثلما فعل الرجل الذي يشبهه وصورته معلقة على الحائط . .

هناك أشياء كثيرة تحدث للرجل وابنه كل منهما على حدة . . ولا نعرف هل تدور داخل رأسيهما أم أنها أشياء حقيقية . . فجاك يرى امرأة جميلة في الغرفة التي حدثه ابنه أنه رأى بها أشياء غريبة . . تخرج المرأة البالغة الحسن من البانيو وتقترب منه وتعانقه . . لكنها فجأة تتحول الى دمية قبيحة تضحك ساخرة منه . . كما أن لقاءه بالعديد من رواد القاعة الباردة قد تم داخل رأسه أكثر . . هذا اللقاء الذي أشرق في ذهنه فكرة التخلص من زوجته وابنه داني .

وكل من جاك وابنه يريان مثل هذه الأشياء التي لاتراها الأم . . وداني يرى طفلتين تلهوان في الردهة الطويلة التي تغرق في بحر من الدماء . . كما أنه يرتبط بصداقة عميقة مع الخادم الزنجي هالللوران الذي يتمتع أيضا بالقدرة على الاشراق . . فهو يعرف ما سوف يحدث لأفراد الأسرة داخل الفندق ابان موسم الجليد . . وهو يحاول انقاذ داني وأمه من بين براثن أبيه حين يتتابه الاحساس أن عليه التخلص من كل من بالفندق . . ويدفع هالللوران حياته ثمنا لهذه المحاولة . .

هلوسات أم ماذا ؟

لقد فشل جاك في كتابة روايته التي جاء من أجلها . . لم يستطع كتابة سوى جملة واحدة فقط . . ولذا فان عليه أن يكتب رواية أخرى . . القلم فيها هو البلطة والمداد هو وزوجته وابنه . . والورق هو الفندق . . لقد انتابته الحالة الجنونية . . استشرى الاشراق بداخله فلم يعد اشراقا قط . . بل أصبح حالة من الاظلام التي عليها أن تطفىء كل الأضواء المحيطة بها . . وهذا التحول الذي أصاب جاك يجيء تدريجيا . . حتى يصل الى أقصى درجات التشبع للنيل من ابنه وزوجته . . يهاجمهما حاملا في يده بلطة . . الا ان وندى تأخذ ابنها وتغلق عليهما باب المطبخ . . يحاول تحطيم الباب ببلطته الحادة . . وعندما ينجح في ذلك يكون الهلع قد دفع وندى أن تهرب وابنها الى خارج الفندق حيث العواصف الجليدية على أشدها . . ولأن جاك قد قرر أن يستكمل مهمته التي دفعته اليها خيالاته السقيمة فانه يطاردها عند متاهة الحديقة . . وتنجح في الهرب بسيارة هالللوران مع ابنها بينما يجمد الجليد جاك بعد أن يدفنه داخله .

يقول الناقد الفرنسي جاك كابو في مجلة لويوان (٢٤ سبتمبر (ايلول) ١٩٧٩) أن : « المؤلف يخلط الرعب بالخوف دون أن يحطم المفاجأة . . يعني الخوف من الهجوم الممتع من تهديد غامض . . أما الرعب فيعني اظهار تنافر الأشياء عندما يصر الباب . . وينفرج الستار عن الموت كاشفا العفونة مادا يديه نحو الطفل الذي يعانق مقبرة واسعة . . كل جملة توحي بالاثارة من خلال قسوة الحدث الذي لا ينتهي . . حين يخرج الموتى الباقين على قيد الحياة كي يرقصوا . . انه الموت الدامي الذي لم نعرفه الا

من خلال « ادجاربو » .

« نحن لا نعرف قط هل ظواهر الطبيعة توحي بما يحدث في حياتنا اليومية ، أم أنها ليست سوى هلوسات من وعي رجل مخمور ؟ . . فنحن دائما أمام الموتى والأحياء الذين يتواجدون حول لحم جسد بريء . . ولكن الأب والابن يمثلان من خلال العادات الأمريكية الكبرى نقيضين من الخير والشر . . لذا نشعر بالأسف لما يحدث لهذه المرأة وابنها » .

أما كيوبريك فيقول عن مثل هذا النوع من الروايات والأفلام : « قال لوثر كرافت انه يجب ألا نبحث عن تفسير الأشياء بأسلوب كي يبعث على الرضاء . . علينا أن نفرح ونحن نضع الشر فوق رؤوس الآخرين . . في نهاية الفيلم نرى أن جاك قد جاء الى هذا الفندق من حياة امرأة أخرى . . هناك احساس ما بداخله أبداه وهو يتكلم مع عامل البار الشبحي الذي حدثه أنه حارس الفندق الأبدي » . .

تخويف من البداية

الأطفال والكبار لا يزالون هم محور روايات ستيفن كنج . . ففي روايته « كوجو » يتناول الكاتب نفس الأجواء أيضا من خلال طفل لما يبلغ بعد سن النضج العاطفي . . ولعل المؤلف ـ ومعه الناشر ـ يميل دائما الى احداث الاثارة فوق صفحة الغلاف لهذه الكتب . . حيث نقرأ هنا مجموعة من العبارات تدعو الى تخويف القارىء وارعابه حتى قبل أن يفتح غلاف الكتاب . . فنحن أمام كوابيس تدور حول وحش يقيم في مكان ناء أشبه بالحصون القديمة . . يسكن هذه القلعة شخص يدعى « فرانك تود » قتل من قبل أشخاصا عديدين من البنات الصغار والنساء ثم قتل نفسه . . أصبح شبحه يجتاز كل جدران القلعة . . الشبح غير هادىء ولا يستطيع أن يستقر . . تمر مائة وخمسون عاما . . يسكن الشبح جسد الصغير « كوجو » الذي في العاشرة من عمره . . ذات ليلة يقرر أحد رجال الأعمال أن يزور القصر بناء على رغبة من ابنه الصغير « تاد » الذي في الرابعة من عمره . . يقود سيارته في ذلك الطريق المظلم المهجور حيث يقابلهم في ركن من الطريق « كوجو » الذي يرغى ويزبد . .

تقف السيارة وينزل الأب وابنه لمساعدة « كوجو » الذي يهلوس وقد أصابه الذعر . . كيف خرج الشيطان من جسدي . . يصاب « تاد » فجأة بهلوسة أخرى . . انه الآخر كان اسمه يوما « كوجو » . . كان يعيش حياة أخرى منذ سنوات بعيدة . . تنتابه حالة من الصرع أثناء انفراده بنفسه . . هناك حالة من الصرع تصيبه . . لكنها ليست صرعا . . انها تقمص . . ماذا يفعل ؟ . . عليه أن يحبس داخل سيارة وسط أشعة الشمس والهواء . . بعيدا عن الناس . . لقد حاولت الأسرة علاج ابنها . . لكن لافائدة . . انه يدفع أباه أن يذهب به الى ذلك القصر حيث روحه معلقة في سد آخر . . انها نفس روح « فرانك تود » الذي مات منذ مائة وخمسين عاما . . لقد خرج الآن من جسد « كوجو » كي تتجسد في « تاد » مرة أخرى . . لكن هل يسعى الصغير الى التخلص من أبيه وأن يسكن القصر وحده . . لقد برأ الصغير « كوجو » وعلى « تاد » أن يقوم بنفس الدور . . ربما لمائة وخمسين عاما أخرى . .

الوبــاء

أما رواية كنج الأخيرة « الوباء » فيعود فيها أيضا الى القرن الماضي . . في صيف عام ١٨٨٢ غزا الوباء شوارع مدينة نيويورك وارتفع معدل العدوى الى ٩٩,٤٧٪ ، هناك العديد من العربات المكدسة في الشوارع . . زنزانات من الحديد التي تحبس في داخلها العديد من الضحايا وسط عفن الطاعون الأسود .

ولاري اندروز يمكنه أن يفهم تلك النظرات الشرسة التي تشع من جنود الحرس الوطني . . يراهم وهم يضربون الفارين من مدينة الموت . . الجميع يعيشون في زمن الهلوسة . . لا توجد سوى دموع وولولة النساء اللائي فقدن ذويهن من الوباء .

لقد أصبحت نيويورك ـ أهم مدن الولايات المتحدة ـ مسرحا دمويا تهرب اليه المخلوقات المجنونة التي بدأت تتدفق من فجوات داخل الأرض . . تزداد الكارثة . . وفجأة يظهر رجل لاوجه له . . ويرتدي حذاء طويلا . . يسير في الشوارع . . لعله

مخلص جديد يبحث عن الباقين على قيد الحياة المحدودي العدد .. وهن ظلال الغروب في المدينة .. يقوم بتجميع الباقين على قيد الحياة ويعلن نفسه ملكا عليهم وتبدأ مملكة جديدة ..

ياله من عالم غريب يصنعه كنج .. ليس جديدا بقدر ما هو مثير .. فالكاتب الفرنسي بيير بول قد صنع نهاية مشابهة في روايته « كوكب القرود » كما صنع المخرج السينمائي « جون كاربنتر جوا مماثلا في فيلمه الذي أخرجه عام ١٩٨٠ بعنوان « الضباب » .

رقص الموت

واذا كان ستيفن كنج قد صنع عالمه الغريب في مجموعة من الروايات التي تحقق أكبر المبيعات في الولايات المتحدة .. وتترجم فور صدورها الى اللغات الأوربية .. فانه قد قدم مجموعة من القصص القصيرة بعنوان « رقص الموت » ولعل أقصوصة « الرجل الذي كان يحب الزهور » هي أبرز أقاصيص هذه المجموعة .. ويهمنا أن نقوم بعرضها مع ذكر بعض مقتطفات منها ..

آخر أيام الربيع .. مايو ١٩٦٣ .. كل علامات فصل الحب تبدو واضحة في عيون ذلك الشاب الذي يسير في شوارع نيويورك .. انه ذاهب للقاء حبيبته نورما في مكان ما بالمدينة .. الفرحة تشع من عينيه .. كل شيء ينبض بالفرحة .. تداعبه عجائز المدينة صائحات « ياله من شاب عاشق » .. « الربيع هو الفصل الوحيد الذي لا يصطبغ فيه الحنين بالمرارة .. » يقف أمام عربة تبيع الزهور هناك راديو يبث أخبار المساء التي تتحدث عن أخبار عالمية ومحلية ويتذكر حبيبته التي تشع الفرحة في عينيها عندما يقدم لها هدايا .. أشياء صغيرة .. تتيحها له امكانياته .. علبة من الحلوى .. سوار أو حقيبة أرجوانية .. انها الأشياء التي تفضلها نورما » ..

يقول بائع الزهور ضاحكا : اذا كانت لأمك فخذ باقة من النرجس والزعفران وقليل من زنابق الحقل .. لن تفسد متعتك وهي تهتف : آه يا ولدى يالها من زهور جميلة .. كم كلفتك ؟ .. أما صديقتك فستأخذ الزهور ولن تسألك عن الثمن .. ولكنها ستضع ذراعيها حول عنقك ..

يشتري الشاب الزهور .. ويستمع الى بقية الأخبار وتبتلعه الشوارع المليئة بالفرحة حتى يدخل الى شارع مظلم سيقابل فيه « نورما » .. انها هناك .. قادمة نحوه .. يقدم لها الزهور .. تنظر له باستغراب .. تخبره أنها ليست « نورما » يتنهد ويخرج مطرقته الصغيرة ويهوى بها على رأس الفتاة .. لم تكن « نورما .. لقد ماتت منذ عشر سنوات .. يلقى الزهور الحمراء في صندوق القمامة .. ويضع مطرقته في جيبه .. ويذهب : « لم يكن اسمها نورما .. انه يعرف اسمها .. اسمها .. اسمها .. الحب » ويعود مرة أخرى الى الشوارع المظلمة متسائلا اذا كان هناك شيء أروع من الربيع .

يا لها من نهاية أتت على كل رومانسية رسمها الكاتب في كل سطور أقصوصته .. فكنج يستعمل عبارات بالغة الرقة .. ويرسم جوا شاعريا للغاية وهو يصف مدى فرحة هذا الشاب الذي لا نعرف اسمه كي يقتل فتاة لا يعرف اسمها متصورا أنها نورما التي ماتت منذ سنوات طويلة .. لقد قتلها هو .. أو لعلها هي التي قتلته قبل أن تموت وأسالت فوقه الكثير من دماء الخنازير التي انسكبت فوق رأس كاري .. أو لعلها نفس الدماء التي تسال في ردهات الفندق الطويلة .. زاحفة نحو داني .

لا نريد أن نحكم على القيمة الأدبية لستيفن كنج خاصة بعد أن قدم هذه المجموعات من الروايات التي لاقت نجاحا منقطع النظير .. ولكننا نود أن نلقي الضوء على ظاهرة أدبية منتشرة في الولايات المتحدة فرضت من خلال السينما وترجمة هذه الكتب الى أوربا .. فالذي يدفع بالكاتب الى انتاج المزيد من هذه الروايات هو التهافت الشديد الذي يحدث لكتبه .. فالقارىء في الغرب يجمع في داخله مزيجا غريبا وشاذا .. فهو شغوف برومانسية اريك سيجال ، يسبح في دماء بيلاتي .. يلهث وراء جاك توراتس .. يطير في فضاء أزيوف .. يتلذذ بالعنف عند أنتوني بيرجيس .. وهو في النهاية يتكون من مزيج من كل هذه الأشياء معا .. ○

مقالات في كلمات

■ لايوجد شيء أعرفه جيدا . . . غير أني لا أعرف شيئا .

(أبقراط)

■ ليس هذا عدمُ قدرة على الكلام ، بل هو عجز عن امساك اللسـان .

(ابيخارموس)

■ لقد وجدت أن نصيب الانسان من السعادة يتوقف في الغالب على رغبته الصادقة في أن يكون سعيدا .

(ابيكتيتس)

■ أعطوني فقط نقطة ثابتة أقف عليها وأنا أحرك الأرض .

(أرخيميد يــس)

■ كما نعرض أحيانا قضيبا معوجا للنار لنقوم اعوجاجه ، يعرضنا الله لنيران الحزن والأسى ، ليقوم نفوسنا ، ويزيد استقامتها واعتدالها .

(ارستوفانيس)

■ ذات يوم بصق الملك دينيس في وجه ارستيبوس ، فاستصعب ذلك الأمر بعض من كان بالمجلس ، فضحك أرستيبوس وقال : « إن الصياد يتحمل مشقة الصيد حتى يبتل بالبحر لصيد سمكة صغيرة ، فكيف لا أتحمل ريق الملك لصيد الحوت الكبير ؟ »

■ الجاهل لايحلو عنده طعم العلم ، بل يجد له ثقلا كما تثقل على المريض الأدوية النافعة ، ويحلو له في فمه غير طعمها .

(ارسطو)

■ سئل الأسكندر الأكبر عن أعدائه وأصدقائه ، فقال : لقد استفدت من اعدائي اكثر مما انتفعت بأصدقائي ، لأن اعدائي كانوا يعيرونني ويكشفون لي عن عيوبي ، وبذلك أتنبه الى الخطأ فأستدركه ، اما اصدقائي فإنهم كانوا يزينون لي الخطأ ويشجعونني عليه . فاللهم احفظني من اصدقائي .

■ لو أن الحقيقة صنعت امرأة جميلة . . لأحبها جميع الناس

(افلاطون)

حتى لا يظلم أدب الروّاد والتراجم عند العرب

بقلم : محمد عبد الله عنان

○ من الحقائق المسلم بها أن الأدب العربي قد تخلف خلال عصور الانحطاط والتأخر في كثير من النواحي عن الآداب الاوربية . ولكن من الحق أيضا ، أن هناك بعض نواح في الأدب العربي ، يمكن أن يقال : انها لا تقل عن مثيلاتها في الآداب الأوربية قوة وطرافة .

أدب الرواد المسلمين أو أدب الاستكشاف والمشاهدة ، بالرغم من قدمه وتوقفه منذ عصور ، يكون بابا من امتع ابواب الادب العربي ، وهو كذلك لا يقل سحرا وطرافة عن أمثاله في الآداب الاوربية .

فمنذ القرن الثالث الهجري أو التاسع الميلادي ، نرى الرّحل والجغرافيين العرب يطوفون أرجاء العالم المعروف يومئذ للوقوف على أحوال مختلف البلدان والامم ، ويدونون مشاهداتهم عن خواصها الاقليمية والاجتماعية في كتب ما تزال تعتبر حجة بالنسبة للعصور التي كتبت فيها .

ولدينا من اولئك الرحل الجغرافيين والوصفيين ثبت حافل ، يتعاقب أبطاله خلال العصور المتوالية منذ القرن الثالث الهجري أو التاسع الميلادي . فنرى اليعقوبي ، في اواخر القرن التاسع ، والمسعودي في أواخر القرن

العاشر ، وهما من أكابر الجغرافيين المسلمين ، يطوف أولهما العالم الاسلامي من السند الى الاندلس . ويتجول ثانيهما في انحاء العالم الاسلامي شرقا حتى الهند والصين ثم يخترق المحيط الهندي حتى شواطئ افريقية الشرقية ، ويترك لنا كلاهما عن مشاهداته الجغرافية والاجتماعية ، كتبا قيمة ممتعة . أولهما في كتابه المسمى « كتاب الملوك » وثانيهما في تاريخه الرائع المسمى « مروج الذهب ومعادن الجوهر » .

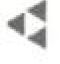
ولدينا كذلك من الرّحل والرواد المسلمين الوصفيين ثبت حافل . وفي مقدمة هؤلاء ابن حوقل البغدادي ، الذي طاف بالعالم الاسلامي من بغداد الى الاندلس ، وذلك في القرن العاشر الميلادي . وكتب لنا عن مشاهداته مؤلفا هو كتاب« المسالك والممالك » يقص فيه اخبار رحلته ، ويدون فيه احوال الامم التي مر بها ، وما شاهده فيها من المناظر والمعاهد والآثار والخواص .

أدب الرواد

وجاء من بعد ابن حوقل بنحو قرنين ، رحالتان مسلمان من أعظم الرّحل في العصور الوسطى ، أولهما يجوب العالم المعروف يومئذ من المشرق الى المغرب ، والثاني يجوبه من المغرب الى المشرق . والاول هو أبو الحسن علي بن أبي بكر المعروف بالسائح الهروي ، نسبه الى هرات بلد أسرته . وقد خرج ابو الحسن من الموصل مسقط رأسه في سنة ٦٨٠ هـ ١١٧٢ م) ، وانفق في تجواله زهاء ربع قرن ، فطاف الشام ومصر وقبرص والاناضول ودخل قسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية ، وتجول في جزائر البحر الابيض حتى صقلية ، ولكنه لم يترك لنا من رحلته سوى سفر صغير ، اذ ضاعت كتبه ومذكراته . وأما الثاني فهو ابن جبير الاندلسي ، وقد خرج من بلده غرناطة الى المشرق ثلاث مرات في اواخر القرن السادس الهجري « الثاني عشر الميلادي » وتجول في جزائر البحر المتوسط ، ومصر ، والشام ، والحجاز ، وكتب لنا عن رحلته كتابا ممتعا ، يقص فيه حوادث اسفاره مفصلة ، ويدون مشاهداته ، في الأمم والبلاد التي زارها ، وذلك كله باسلوب بليغ يعتبر نموذجا بديعا لأدب الرواد .

على ان أعظم الرحل والرواد المسلمين على الاطلاق ، هو الرحالة المغربي أبو عبد الله محمد ابن عبد الله الطنجي الشهير بابن بطوطة . وقد خرج ابن بطوطة من مسقط رأسه طنجة في سنة ٧٢٥ هـ الموافقة لسنة ١٣٢٥ م ، يجوب اقطار العالم ، واخترق بلاد المغرب ومصر والشام ، وبلاد العرب ، وبلاد الروم ، وقسطنطينية وفارس وخراسان وتركستان والهند والصين ، حتى جزائر الهند الشرقية واختراق عند العودة ، قلب افريقية والسودان ، ولم يكن ابن بطوطة رحالة عظيما فقط يجوب انحاء العالم المعروف يومئذ ، بل كان أيضا مكتشفا عظيما يقصد الى مجاهل البر والبحر ، وقد وقف خلال تجواله ، على كثير من الأماكن المجهولة التي لم تكن معروفة يومئذ ، ووصل الى اعالي نهر النيجر والى تنبكتو ، وسكوتو ، قبل أن يصل اليها الرواد الاوربيون بنحو ثلاثة قرون . وسلخ ابن بطوطة في رحلاته نحو ربع قرن ، وترك لنا عن أسفاره ومشاهداته كتابه الشهير المسمى (تحفة النظار في غرائب الأمصار ، وعجائب الأسفار) وهو أجمل أثر عربي من نوعه ، ويعتبر بحق من أبدع آثار السياحة والاستكشاف .

ولقد ترك لنا الرحل المسلمون طائفة كبيرة من الآثار القيمة الممتعة معا ، وامتدت رحلاتهم ، حتى أواخر القرن الثامن عشر الميلادي ، وتوالت آثارهم الوصفية خلال القرون . وهذه الرحلات والآثار الوصفية للرحل المسلمين ، تؤلف حسبما تقدم بابا من امتع ابواب الأدب العربي واذا كان المقام لا يتسع للافاضة في ذكر هذه الآثار ، فإنا نستطيع القول



بأن منها ما يتفوق على كثير من الآثار المماثلة في الأدب الغربي . بل نستطيع القول ، بأن رحلة ابن بطوطة تتفوق من حيث مادتها الغزيرة ومن حيث اسلوبها واوصافها وقصصها الممتع ، ومن حيث عجائبها وروائعها ، على كل ما كتبه الرحل الأوروبيون ، منذ ماركوبولو حتى الكابتن كوك ، ومنجو بارك ولفنجستون وغيرهم .

التراجم الشخصية

هذا عن أدب الرواد والرحل المسلمين . وأما عن التراجم الشخصية ، فانها رغم قلتها في الأدب العربي ، تعتبر كذلك فنا من الفنون الأدبية الطريفة . وما من شك في أن فن الترجمة الشخصية ، قد بلغ في الآداب الاوربية مستوى رفيعا ، وظهرت منه آثار جليلة ، تمتاز ـ فضلا عن مادتها الممتعة ـ بما يطبعها من النوازع والصور الانسانية المؤثرة ، وانا لنكتفي بأن نشير هنا الى ثلاث من التراجم الشخصية الاوربية ، التي تعتبر من حيث قوتها وطرافتها الأدبية والفنية ، نماذج رائعة لهذا الفن من الأدب الانساني .

وأول هذه التراجم ، ترجمة بنفونوتو تشلليني لنفسه ، وهي من أقوى وامتع التراجم الشخصية . وفيها يستعرض هذا الفنان الايطالي العظيم (١٥٠٠ ـ ١٥٧١ م) تاريخ حياته الحافلة بكل ما يتخللها من مغامرات ، وأعمال طيبة وذميمة وعلاقات غرامية عنيفة وابتكارات فنية رائعة ، ويقدم الينا صورا من حياة المجتمع الايطالي في عصر الاحياء ، بكل ما يموج به من ترف ونعماء وفخامة ، ومن نهضة أدبية وفنية عظيمة ، ومن فساد ورذائل اجتماعية .

والثانية هي ترجمة جان جاك روسو لنفسه أو بالأحرى اعترافاته . وقد كان روسو (١٧١٢ ـ ١٧٧٨) أول من سلك هذا المنهج في كتابه : « حياته » يضمن هذه الاعترافات الى جانب



جان جاك روسو

نشأته وسيرة حياته ، طائفة كبيرة من الوقائع والتصرفات الخاصة ، التي تعتبر من الناحية الاخلاقية نقائص ومقالب ، لم يتورع روسو ان يقصها علينا بمنتهى الصراحة ، وفي مقدمتها علاقته الغرامية ، بمن كانت في محل أمه ، ومن تولت رعايته أعني مدام دي رفارنس ، وتعتبر اعترافات روسو ، بالرغم مما يتخللها من النقائص الشخصية قطعة من امتع قطع الادب الفرنسي .

والثالثة هي ترجمة المؤرخ الانجليزي ادوارد جيبون (١٧٣٧ ـ ١٧٩٠ م) ويكتب لنا جيبون سيرة حياته بتحفظ واحتشام ، ويعدد لنا مراحل حياته ، ومن اهم حوادثها قصة حبه للآنسة كيرشو التي منعه والده من الزواج بها ، والتي غدت فيا بعد زوجة للوزير الشهير نكر ، ثم يشرح لنا الظروف التي مهدت له اتخاذ قراره بكتابة تاريخه العظيم عن « انحلال وسقوط الدولة الرومانية » واهم ما يميز هذه السيرة الشخصية هو اسلوبها الادبي الرفيع الذي يضارع اسلوب تاريخه .



ابن خلدون

تعريف ابن خلدون

هذه بعض نماذج الترجمة الشخصية في الأدب الاوربي . فهل لدينا في أدبنا العربي ما يماثل هذه النماذج الرائعة ؟ نستطيع أن نجيب بالايجاب . فقد كتب كثير من الكتاب والمفكرين المسلمين سيرهم الشخصية ، ولكن معظمها بطريقة موجزة . ولدينا أمثلة قليلة فقط من الترجمة الشخصية المفصلة . من ذلك ما كتبه الوزير الأندلسي لسان الدين ابن الخطيب عن حياته ، وما كتبه صديقه ومعاصره المؤرخ الفيلسوف ابن خلدون في (التعريف) بنفسه واذا كانت ترجمة ابن الخطيب لنفسه ، بالرغم من حلاوتها ، واسلوبها الادبي البليغ لا تقدم الينا صورا غير عادية من حياة الكاتب والشاعر ، فان « تعريف ابن خلدون » وترجمته لنفسه تقدم الينا بالعكس من حياة المؤرخ صورا قوية مثيرة . والواقع ان هذا « التعريف » الشامل الذي يتركه لنا ابن خلدون عن نفسه وحوادث حياته قطعة فريدة في الادب العربي ، فهو صورة قوية رائعة لتلك الشخصية الجريئة الممتازة ، رسمت في كثير من الحرية والصراحة ، حتى انها تفضح في كثير من المواطن عن خواص صاحبها النفسية ، وليست هذه الخواص دائما مما يحق او مما تقره الأخلاق الفاضلة فهناك الكبرياء ، والزهو ، والأثرة وهنالك الطمع ، وحب التقلب ، وانتهاز الفرص بأى الوسائل . ولكن هناك في نفس الوقت كثير من خواص العبقرية الممتازة . فالى جانب ما تقدم من الصفات ، نرى الجراءة والاقدام وقوة النفس والثبات والجلد . ووفرة الذكاء والدهاء ، وبعد النظر ، ونرى قوة التأثير والاقناع .

ونرى الفصاحة والبيان الساحر ، فهذه الخلال البديعة كلها ايضا مما نستشف ونشهد في اعمال ابن خلدون ومواقفه . وفي هذا وذاك يحدثنا المؤرخ بصراحة وحرية وبساطة تحمل على الاعجاب . وهذا كله الى جانب ما يستعرضه ابن خلدون من خواص تفكيره وميزاته الشخصية والاجتماعية والتاريخية .

ثم هنالك في « التعريف » ذلك الجانب القصصي الشائق ، وتلك الغمار الخطرة التي تتخلل حياة المؤرخ ، وهي ليست مما يقع في حياة الرجل العادي . فهو يجوز من قصر الى قصر ، ويجوز مخاطر النقمة والاعتقال والمطاردة ، ويقضى حياته السياسية في توجس مستمر ، ويسير في ركب الجند ، ويمثل الى جانب اميره في المعارك الحربية ويقوم بقضاء المهام الخطرة في اعماق الجبال والصحارى والمواقع . اننا حين نقرأ « تعريف » ابن خلدون تتذكر في الحال ، ترجمة شلليني لنفسه ، وما يقصه خلالها من حوادث حياته العجيبة . وهنالك بين السيرتين شبه عظيم رغم اختلافهما في النوع ، وكلاهما تفيض بمواطن الجرأة والمخاطرة ، ومن مواطن الافضاء والصراحة ، واذا كانت ترجمة الفنان الايطالي تعتبر في الادب الغربي ، نموذجا بديعا للترجمة الشخصية وقطعة رائعة من العرض الساحر ، والقصص الشائق ، فان « تعريف » ابن خلدون لا يقل عنها طرافة وروعة ، وهو يتبوأ مثل مكانتها في أدبنا العربي . ○



دروس في ضوء القمر

من المسؤول عن هبوط مستوى التعليم ؟ هذا هو السؤال الذي طرحه الكاتب الأمريكي الساخر آرت بوخوالد في صحيفة هيرالد تربيون ، وهو لم يجب عليه ، ولكنه ترك القارىء يستنتج الاجابة من خلال القصص التي رواها في مقاله تحت عنوان « درس في ضوء القمر عام ٨٣ » !

ماذا قال ؟ (بقلم آرت بوخوالد)

« عندما يهبط مستوى التعليم في الولايات المتحدة يميل الجميع الى توجيه اللوم لهيئة التدريس . أمر سهل لا يحتاج فيه المرء الى مجهود ! ولكن هل توقفنا مرة عند المرتب الذي يتقاضاه المدرس بعد دراسة لمدة أربع سنوات في الجامعة ودراسة أخرى خاصة بعد التخرج تؤهله لمهمة التدريس ..... إنه يتقاضى مبلغا لا يتجاوز ١٧ ألف دولار في السنة .... والنتيجة أن عددا كبيرا من المدرسين يضطرون الى الالتحاق بأعمال أخرى في الليل حتى يتمكنوا من مواجهة أعباء الحياة ، الأمر الذي يضطرهم الى الاكتفاء بقدر يسير من النوم ، فيذهبون الى الفصول في الصباح نصف نائمين !

« أدركت هذا الذي يحدث عندما اصطحبت ابن أخي لتناول طعام العشاء في الخارج . وجلسنا الى المائدة وفجأة صاح الصبي : « هذا هو مدرس اللغة الانجليزية هل تراه يا عمي ؟

قلت : أين ؟

ـ هذا الرجل القادم الينا في ملابس « الجرسون » !

ـ هل هذا هو مدرس اللغة الانجليزية في مدرستك ؟

ـ نعم انه هو ... انه مستر بيترسون ! كيف حالك يا سيد بيترسون ؟

وأجاب بيترسون : « أهلا يامايكل ، ما الذي جاء بك الى هذا المطعم ، وغدا يوم دراسي وسوف تصحو مبكرا ؟

ـ انه يوم عيد ميلادي ، وقد قرر عمي أن يصطحبني للعشاء في الخارج !

ومضى الصبي يحدث مدرسه « الجرسون » : كيف كانت نتيجة الاختبار في اللغة الانجليزية اليوم . هل كانت اجاباتي صحيحة ؟

وقال المدرس : « لم تتح لي فرصة تصحيح الاجابات بعد ، كان عندنا حفل كبير الليلة لاتحاد مديري البنوك وقد أنهكني العمل . ماذا تريد أن تأكل ؟

وأمسك مايكل بقائمة أطباق الطعام وراح يدرسها بعناية ثم اختار طبقا « معينا » ، وفجأة مرة أخرى سمعت مايكل يصيح متسائلا : أليس هذا هو السيد الفريدو مدرس العلوم ... أنا أسأل عن هذا الرجل الذي يحمل الأطباق القذرة ؟ » .

ـ نعم انه السيد الفريدو .... انه يعمل « مرمطونا » هنا ، ولكنه سيحصل على الماجستير في الكيمياء العضوية قريبا ، وأنا متأكد من أن مدير المطعم سوف يسند اليه وظيفة أكبر بعد مناقشة رسالته ، سوف يصبح « جرسونا » مثلي !!

ان المدير رجل محظوظ ، فكل العاملين في مطعمه من خريجي الجامعة وهيئة التدريس من نفس المدرسة وهو يريد أن يلحق في خدمته أكبر عدد ممكن منهم . ان الآنسة بيلوز مدرسة الرياضيات تقف هناك عند الرف المخصص لحفظ قبعات الزبائن ، عند دخولهم !

وكذلك مستر فالوز مدرس التربية البدنية ، انه يعمل معنا هنا ! » .





امرأة في الصين الجديدة وسط نظرات الدهشة .

وسألت أنا السيد بيترسون : « ألا يحط هذا العمل من قدرك كمدرس . ألا تجد فيه امتهانا لكرامتك ؟ » .

- أنا لا أقول أبدا لأحد من ألقاهم بالليل من زبائن المطعم انني أعمل مدرسا .

- أنتم - معشر المدرسين - تحيون حياة قاسية !

- انها أكثر قسوة بالنسبة للكثيرين غيرنا ، فهناك من يسهرون طول الليل في العمل في مطار واشنطون للرحلات الداخلية ، ولا يتقاضون سنتا واحدا بقشيشا !

قال لي ابن أخي مايكل بعد أن ذهب « الجرسون » ليأتي لنا بالطعام الذي طلبناه « هل تعلم أن مستر بيترسون مدرس ممتاز يا عمي ؟ » .

ثم روى لي مايكل قصة أخرى ، قال : « هل تعرف جون ، الصبي الذي ألعب معه الكرة . لقد اكتشف والده يوما أن مدرس اللغة الفرنسية في المدرسة « مسيو ديبوا » يعمل في محطة لتموين السيارات بالوقود . وقد حدث أن أخطأ المدرس ونسي بعد أن ملأ خزان الوقود أن يعيد غطاء الخزان الى مكانه ويحكم اغلاقه . وفي صباح اليوم التالي ذهب والدا جون الى المدرسة وهما في حالة غضب شديد ، وطلبا الى الناظر أن يفصل مسيو ديبوا فورا لأنه ليس من المعقول أن يقوم رجل مهمل مثله على تربية النشء وتعليمهم ؟ .

قلت أسأل مايكل : « وهل فصل مسيو ديبوا المسكين » .

وقال مايكل : « بالطبع لا لأن الناظر نفسه وقع في نفس الخطأ ونسي أن يحكم اغلاق خزان الوقود في المحطة التي يعمل بها ! » .

* * *

هل أجاب بوخوالد على السؤال الذي طرحه في بداية حديثه الساخر عن المدرسين ودورهم في تربية النشء ؟ أظن أنه نجح في أن يقدم صورة لما يلقاه الرجل الذي يحمل عبء أنبل وأصعب مهمة ... مهمة تنشئة وتربية الأجيال الصاعدة ... أطفال اليوم، رجال المستقبل ! ترى ماذا يقول « بوخوالد » العربي عن أحوال المدرسين في البلدان العربية !

وجه الصين الجديد !

« البيريه » أو القبعة الحمراء تغطي رأس السيدة في أناقة ، والبلوزة الحمراء أيضا تتمشى تماما مع الموديل الجديد ... خبراء الأزياء يجمعون على أن ما رأوه كان أجمل وأحدث ما عرض خلال « الموسم . ولكن أين ؟ لم يكن في باريس قطعا ولا ميلانو ، ولا نيويورك ... لقد كان عرض الأزياء الذي يتحدثون عنه في مدينة بكين ، عاصمة الصين ، وكان حدثا لم تشهد له البلاد مثيلا منذ أكثر من ثلاثين عاما . لقد اختفت « الزونجشان » أو البدلة الفضفاضة ، كما اختفت بدلة « ماو » نسبة الى ماوتسي تونج « أبو الصين » ، وبقية الأزياء الأخرى التي كان من الصعب على المرء أن يميز بين من يضع نفسها فيها ، وهل هو رجل أم امرأة ؟! لقد كان عرض الأزياء هو « الثورة » الثانية في بلد البليون نسمة !

كل شيء في الصين بدأ يتغير وبصورة ملفتة للنظر ، الى أن جاء أخيرا « معرض أزياء الربيع والصيف » الذي افتتح أخيرا في المركز المخصص لاقامة المعارض في بكين ، ولم يكن أكبر وأكثر هذه المعارض تنظيما فحسب ، بل كان أيضا وهذا هو الأهم ، يمثل تغييرا راديكاليا في سياسة الدولة بالنسبة للملابس التي يرتديها الشعب . أكثر من ألفي موديل للرجال والنساء والأطفال بألوان لم يكن لهم عهد بها من قبل .

وخرج سكان بكين لزيارة المعرض ... عشرات الألوف ازدحمت بهم القاعة الكبيرة التي لا تتسع لأكثر من ثلاثة عشر ألفا من الزائرين .

وكانت المشكلة أن أكثر من خمسين ألف شخص كانوا يضطرون الى العودة الى بيوتهم كل يوم في انتظار دورهم في اليوم التالي لأن المعرض قد ضاق بزائريه . أما ثمن تذكرة الدخول الذي لا يتجاوز ما يوازي خمسة سنتات أو أقل من خمسة فلوس ، فقد وصل في السوق السوداء الى ما يقرب من دولارين ونصف !

« مجلة تايم »

(لن أترك البيت الصغير ...... ليس الآن !)

ثلاثة ملايين عاطل عن العمل في الشارع ، ومع ذلك عادت مارجريت تاتشر الى الحكم !

المعركة المرتقبة بين حزب العمال البريطاني وحكومة المحافظين ستكون أكثر ضراوة بكثير من المعركة الانتخابية التي حمل فيها الانجليز مارجريت تاتشر إلى الحكم لمدة أربع سنوات أخرى .

نتيجة الانتخابات كانت متوقعة ، وكانت تاتشر نفسها تعرف أن حزبها سوف يفوز . أما الذي لم تكن تتوقعه رئيسة الحكومة التي قالت حتى قبل بدء الحملة الانتخابية وظهور نتيجة الانتخابات : « الوقت لم يحن بعد لكي أخرج من ١٠ داونج استريت ! إن هذا البيت الصغير ـ مقر رئيس الحكومة ـ يعجبني ولا أنوي تركه لهؤلاء الذين يريدون أن يهدموا كل ما بنيته خلال الأعوام الأربعة الماضية ! » .

ماذا ينتظر تاتشر . . . صراع عنيف مع حزب العمال حول كل شيء يتصل بالسياسة الداخلية والخارجية في الوقت نفسه ، وهو أمر نادرا ما كان يحدث في الماضي .

حكومة المحافظين مصممة على المضي في الحد من قوة اتحاد نقابات العمال . والاستمرار في السياسة النقدية التي وضعتها تاتشر والعمل على تخفيض العجز في الميزانية . وأخيرا الارتباط بأمريكا في اقامة دفاع نووي قوي !

بينما ترى المعارضة عكس ذلك تماما ، فالعمال ينادون بتدخل الدولة تدخلا قويا في الاقتصاد الوطني ، وزيادة الانفاق الحكومي لخلق وظائف جديدة للعاطلين عن العمل . واقامة علاقات وطيدة باتحاد نقابات العمال ، واعادة تأميم الشركات الكبرى ، وأخيرا نزع السلاح من جانب واحد .

الغريب أن مطالب حزب العمال . . . تمثل رغبة معظم الناخبين ، ومع ذلك فاز المحافظون .

هل هي شخصية تاتشر . . . ربما !

ولكن ربما أيضا ـ وهذا هو الأرجح ـ شخصية زعيم حزب العمال مايكل فوت ، فهو رجل غريب الأطوار ،



تاتشر . . المعركة المقبلة اكثر عنفا

ولو أن العمال نجحوا في اختيار رجل مثل دنيس هيلي الذي يتمتع بشعبية كبيرة لتغيرت الصورة تماما !

« الأوبزرفر »

أسوأ مجاعة في تاريخ أفريقيا !

القارة الافريقية تقترب من أسوأ مجاعة تتعرض لها في العصر الحديث . والدول الافريقية تبحث عن مبلغ يزيد على الألفي وثلاثمائة مليون جنيه استرليني لشراء الحبوب والمواد الغذائية التي تحتاج اليها شعوبها خلال العام المقبل ، وهو مبلغ يصل الى ثلاثة أو أربعة أضعاف ما كانت تستهلكه في الماضي ، حتى تتمكن من تجنب حدوث مجاعة في القارة كلها .

والسبب الأساسي هو القحط الذي تعرضت له ثماني دول أفريقية في جنوب القارة مما أدى الى ندرة الذرة . وكانت هناك دولتان على الأقل من هذه الدول الثماني تصدران الذرة وهما جنوب أفريقيا وزيمبابوي .

وفي بستوانا يذبحون الماشية لعدم توفر المراعي التي تحتاج اليها في غذائها ، ولأنهم محتاجون الى لحومها في غذائهم !

وتشتد قسوة الأزمة الغذائية في موزمبيق وزامبيا حيث يتعرض أكثر من ثلاثة ملايين نسمة لخطر المجاعة ! وهناك أيضا نقص شديد في المواد الغذائية في دول أخرى في غرب أفريقيا ، من بينها مالي وفولتا العليا وتشاد .

والحبوب بعد ذلك متوفرة بكميات كبيرة في الدول الغنية ، ولكن الدول الفقيرة الجائعة لا تملك المال الذي تستطيع أن تدفعه ثمنا لما تحتاج اليه لانقاذ شعوبها من الهلاك ، فخزائنها فارغة مفلسة !

« الأوبزرفر »



الفكر الإقتصادي العربي وقضايا التحرر والتنمية والوحدة

تأليف : محمود عبد الفضيل

عرض : وليد خدوري

أحد الهموم الرئيسية التي تواجه القارىء العربي اليوم شح الكتب والمقالات التي تحلل وتنتقد بأسلوب علمي رصين التطورات العربية المعاصرة ، فضلا عن صعوبة الحصول على هذه المراجع ما بين بلد وآخر ، أو حتى معرفة صدور هذه المطبوعات وذلك لفقدان الكثير من وسائل الاتصال المكتبية الحديثة ضمن ما هو مفقود في وطننا العربي

ومن ثم فان الكتاب الذي بين أيدينا اليوم هو خير علاج لهاتين المشكلتين في حقل الفكر الاقتصادي العربي . فقد قام الدكتور محمود عبد الفضيل ، أستاذ الاقتصاد في جامعة القاهرة ، بمحاولة هي الأولى من نوعها وذلك بمراجعة أهم ما صدر من كتب ومقالات في الفكر الاقتصادي العربي منذ نهاية الحرب العالمية الثانية حتى أواخر السبعينات وبوضع هذه الأفكار في وسط سياقها التاريخي من ناحية ودورها في المهام والفعاليات الاقتصادية من ناحية أخرى .

ورغم أن الدراسة المعروضة هنا ليست مسحا شاملا للموضوع ، بل عينة مختارة له ، الا أن المؤلف راجع العشرات من الكتب ومقالات الدوريات وأوراق وتقارير المؤتمرات الاقتصادية العربية ودونها في لائحة شاملة في نهاية الكتاب . وقد استثنيت من هذه الدراسة الكتب الجامعية والاطروحات والكتب الأجنبية والتقارير الفنية بالاضافة الى الدراسات القطرية البحتة .

كما أقر المؤلف بأن معظم بحثه ينصب على

---

* صدر عن مركز دراسات الوحدة العربية لسنة ١٩٨٢ ـ بيروت .

المطبوعات الصادرة في المشرق العربي مع القليل من الاستئناس بالذي صدر في شمال أفريقيا .

فكرنا ومشاكلنا

يحاول المؤلف هنا دراسة موضوع محدد : ما هو مدى نجاح الفكر الاقتصادي العربي في استقراء ومعالجة مشاكل المجتمع الاقتصادية وتقديم الحلول الناجحة لها ؟ وفي سبيل دراسة هذا الأمر ، تم الافتراض انه ـ رغم الاختلافات الموضوعية ما بين بلد عربي وآخر ـ هناك فكر اقتصادي عربي موحد « صنعته التحديات والأحداث المشتركة » وهو متفاعل بشكل مباشر مع التاريخ السياسي العربي المعاصر ومتشبع بمدارسه ونزعاته العقائدية المتعددة .

وفي سبيل اعطاء الموضوع حقه ، تم معالجة أهم الأمور الاقتصادية العربية المعاصرة ، وهي قضايا التحرر القومي (التبعية والنفط والنظام الاقتصادي الدولي الجديد) ، التنمية والتخطيط ، الفكر الاشتراكي العربي (الاجتهادات النظرية وأمور القطاع العام والعمالة والاصلاح الزراعي والتجارب الاشتراكية القطرية) ، التكامل والتوحيد الاقتصادي العربي (مفاهيم العمل العربي المشترك والمشروعات المشتركة) ، والمساهمات في مجال الاقتصاد التطبيقي على الصعيد القطري . والى جانب كل هذا وذاك ، استعرض الكاتب من خلال مراجعة نقدية لاذعة ـ تأثير المدارس الفكرية الأجنبية على الفكر الاقتصادي العربي والأزمة الراهنة التي يمر بها هذا الفكر .

ان الاستنتاجات التي توصل اليها الدكتور عبد الفضيل لا تشفع كثيرا في انتاج المفكرين الاقتصاديين العرب خلال العقود الثلاثة الماضية فمعظم الكتابات ـ حسب رأيه ـ تفتقر للأصالة والتعبير عن الهوية الذاتية للمجتمع ، كما تفتقر الى معالجة الخصوصية التاريخية للمنطقة العربية أو مواجهة مشاكل وتحديات المجتمع المعاصرة بشكل واقعي وملموس بعيد عن الغيبيات والأطر النظرية التي لا تمت بصلة الى الواقع الخطير الذي تعيشه الأمة . وقد ضرب عدة أمثلة لذلك .

فرغم الكتابات العديدة حول التبعية الاقتصادية للاستعمار ، هناك شح في الدراسات التفصيلية حول المنطقة العربية التي تأخذ بأسلوب العرض المنهجي للموضوع على نمط مدرسة راؤول بريبش وتلاميذه في المدرسة الأمريكية اللاتينية . والاستثناء الوحيد في هذا المجال هو القطاع النفطي . فنجد هنا العشرات من الدراسات لمسؤولين واقتصاديين وخبراء عرب تبرز وجهات نظر مختلفة حول قطاع اقتصادي مهم على الصعيدين العربي والعالمي . الا أن ما يثير الانتباه هو ان المؤلف عالج بشكل تفصيلي فترة ما قبل عام ١٩٧٣ ولم يشر الا بشكل عابر للتطورات اللاحقة على الصعيد النفطي والانتاج الفكري العربي الغزير في هذا الموضوع . وهذا أمر آخر نرجو أن يتلافاه في الطبعة الثانية للكتاب .

وفي مجالي التنمية والتخطيط ، يقول الدكتور عبد الفضيل ، ان الانتاج الفكري كان معظمه منحصرا في عرض وتلخيص الأفكار الغربية السائدة في حينه ، ولم يحاول الا القلة من الاقتصاديين العرب معالجة خيارات التنمية الأساسية التي تواجه المجتمع العربي بالذات والمتعلقة بمعدلات النمو وأنماط الدخل القومي والتوفيق ما بين أدوار النفط والصناعة والزراعة في المدى البعيد واختيار الأسلوب الانتاجي الملائم للاستثمارات الجديدة .

عيوب كتاباتنا العربية الاقتصادية

كما خلت الكتابات العربية بشكل ملموس

من معالجة تفصيلية ونقدية لقضايا جوهرية مثل التنازع بين الغايات والأهداف التخطيطية والأسس التي يمكن الاسترشاد بها لبناء دالة للتفضيل الاجتماعي تكون أساسا تهتدي به العملية التخطيطية في نشاطها . فقد كانت خطط التنمية والكتابات الفكرية حولها مهتمة أساسا بالاستثمار وتراكم رؤوس الأموال كالعنصر الحاسم في عملية التنمية ، متغاضية بشكل واضح عن التنمية الاجتماعية المرتبطة عضويا بالتنمية الاقتصادية وبالتطوير الفعال للعنصر البشري الحديث الذي يمكن أن يتلاءم مع هذه التنمية ، فضلا عن النواقص والتناقضات الأخرى فيما يتعلق بنوعية المجتمع المرغوب تطويره (ديمقراطي ـ ديكتاتوري ـ وصائي ـ تقنوقراطي) أو التوفيق بشكل عقلاني ـ والى حد أدنى من الصدق على الأقل ـ ما بين الكلام لمدة ثلاثة عقود عن محاربة العدو الصهيوني من ناحية وعدم وضع الخطط الاقتصادية والاجتماعية لذلك من ناحية أخرى ، الا في الخطوات التي تم اقرارها بعد حرب ١٩٦٧ والمتعلقة بتعبئة الموارد من أجل مجهودات الحرب والدفاع الوطني .

ولم تكن حال الفكر الاشتراكي العربي أحسن من بقية الأمور ، اذ لم يكن هناك « نظام فكري شامل لما يصح أن يكون بالتدقيق المحتوى الاقتصادي ـ الاجتماعي للقومية العربية » كما ذكر الدكتور يوسف صايغ في كتابه « الخبز مع الكرامة » ، وكان يعني بذلك أدبيات الدولة والأحزاب والمفكرين ، فقد اتسمت الاشتراكية العربية بمنطلقات أخلاقية ونظرية في العدالة نابعة من التراث الفكري والروحي ونظام القيم الخاص بالمجتمع العربي من ناحية ومن ناحية أخرى كانت انعكاسا للأفكار البعثية والناصرية في الخمسينات والستينات التي أكدت على مفهوم الملكية الخاصة غير المستغلة وعلى مبدأ الكفاية والعدل في توزيع الناتج القومي دون تحديد دقيق ومفصل لهذه المبادىء العامة .

ورغم أن بدايات المنطلقات الاشتراكية العربية يمكن تلمسها بعد حرب فلسطين في عام ١٩٤٨ وذلك من خلال كتابات الدكتور قسطنطين زريق معنى النكبة وقدري طوقان بعد النكبة والدكتور وليد قمحاوي النكبة والبناء ، الا أن البدايات الفعلية لعملية التحول الاشتراكي نفسها لم تبدأ الا بعد التنفيذ في مصر وسوريا ، والعراق والجزائر . ويأخذ الدكتور عبد الفضيل على الأحزاب والمفكرين والاقتصاديين « محاولة اعطاء تبريرات والبسة نظرية لممارسات اشتراكية قائمة بالفعل دون اعطاء أدنى اهتمام لمشاكل فترة الانتقال وتناقضاتها التي ترافق أي عملية جادة للتحويل الاشتراكي » . فالاهتمام كان منصبا على المشاكل القانونية المنحصرة في احلال ملكية الدولة محل ملكية الأفراد في قطاعات معينة ومن ثم كان هناك نقص واضح في معالجة المشاكل الحقيقية التي بدأت بعد سن القوانين ـ بخاصة التعايش ما بين الملكية الجديدة في قطاعات الصناعة والتجارة الخارجية والحال من ناحية والقطاع الخاص في الزراعة والتجارة الداخلية والانتاج السلعي الصغير من ناحية أخرى .

نقد مدارسنا الفكرية الاقتصادية

كما أسهب المؤلف في شرح ونقد مسيرة العمل الاقتصادي العربي المشترك . فاستعرض بشيء من التفصيل المدارس الفكرية التي سادت في عقدي الخمسينات والستينات في هذا المجال وبالذات ما وصفه بمدرسة الأستاذ برهان الدجاني « التي تدعو الى توحيد السوق القومية العربية في اطار من حرية التجارة والليبرالية الاقتصادية » والتي تمثلت أعمالها في المرحلة الأولى بأحداث المجلس الاقتصادي العربي عام ١٩٥٠ كجزء من معاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادي وعام ١٩٥٣ مع اقرار اتفاقية تسهيل التبادل التجاري وتنظيم

الترانزيت ، واتفاقية تسديد المعاملات الجارية ، وانتقال رؤوس الأموال . أما المرحلة الثانية فتمثلت في الاطار التعاقدي لها المتمثل في اتفاقية الوحدة الاقتصادية العربية واطارها التنظيمي ـ مجلس الوحدة الاقتصادية العربية ـ الذي تأسس عام ١٩٦٣ والذي يشمل ، فيما يشمل ، منطقة جمركية عربية واحدة ومحاولات توحيدية لسياسات الاستيراد والتصدير ، وعقد اتفاقيات التجارة أو الدفع بصورة مشتركة ، واتخاذ خطوات منسقة تهدف الى توحيد النقد ، الخ . . .

عدم مراعاة الواقعية في التخطيط

لقد انطلقت هذه المدرسة من فكرة أن الأقطار العربية تشكل « وحدة اقتصادية ـ انتاجية » ولا يمكن استغلالها اقتصاديا وزيادة الانتاج فيها الا على أساس برنامج مشترك لها جميعا .

وبعد أن تبين في أواخر الستينات فشل هذه التجربة ، بمفهومها الواسع الشامل الطموح ، تعرض لها النقاد بالمراجعة والتحليل . فادعى البعض أنها لم تحاول أن تتفهم تعقيدات الواقع الاقتصادي العربي ومشكلاته وأن المطلوب الانعتاق من « المثالية » والولوج في دروب « التدرجية » و « الواقعية » . والبعض الآخر تجاهل معظم هذه الآراء وادعى أن تضارب المصالح الضالعة في اقتصاديات التجزئة ودور القوى الأجنبية والاحتكارات الدولية هو السبب في اخفاق هذه الحركة الفكرية .

وفي اطار النظرة « الواقعية » للتعاون الاقتصادي العربي برزت مدرسة المشروعات العربية المشتركة التي تحاول أن تحقق الاستغلال الأمثل للموارد العربية دون الاصطدام بالمصالح العربية والقطرية المتناقضة . وانطلقت هذه المدرسة الجديدة من قاعدة أساسية هي أن تجربتها لا تمس الا جزءا من الاقتصاد القومي ولا تتعدى تعاون عدد من الدول في مجالات محددة بمبالغ معينة وفي مشاريع كبيرة يصعب على القطر الواحد تحقيقها بمفرده . ومن ثم فان المشاكل أقل عددا من ناحية وأكثر قابلية للحل من ناحية أخرى اذا ما قورنت بالسياسات المشتركة السابقة .

الا أن الواقع السياسي العربي الأليم عصف بهذه التجربة الرائدة أيضا مع بقية التجارب الأخرى ، الا في بعض المشاريع النفطية المشتركة التي استطاعت تحقيق نجاح ملموس رغم التحديات التي تجابهها . ويعزى تعثر مسيرة هذه التجربة وسبب بقائها صيغة محدودة الأثر الى غياب خطة محددة سلفا مبنية على ارادة جماعية تريد لها النجاح ، وعدم وجود تصور استراتيجي لاعادة هيكلة تقسيم العمل بين الأقطار العربية ، بالاضافة الى عدم تمكن هذه المشاريع من أن تلعب دورا قياديا في توجيه النشاط الاقتصادي العربي ضمن اختصاصها .

ويصل المؤلف الى نتيجة مفادها انه رغم كثرة الكتابات حول التوحيد والتكامل الاقتصادي في الخمسينات والستينات ، فقد غلب على معظمها النزعات المثالية والقانونية التي حاولت أن تقفز عن الواقع المعاصر وتتجنب بشكل سافر المناقشات الجدية للخطوات الواجب اتخاذها في الفترة الانتقالية ما بين اقتصاد التجزئة واقتصاد الوحدة المنشود . فلقد كانت هذه الأدبيات بصفة عامة « ترفض اقتصاد التجزئة رفضا أيديولوجيا وتطلق العنان للخيال ليرسم صورة زاهية الألوان لعالم أفضل هو « اقتصاد الوحدة » ، دون الربط الجدلي والعلمي بين « النموذج النظري » لاقتصاد الوحدة والأوضاع الواقعية والتناقضات التي يعيشها الاقتصاد العربي بمكوناته العديدة » .

كما أن تعامل المفكرين العرب خلال العقود الثلاثة الماضية قد انصب على مواجهة مشاكل التجزئة الاقتصادية الناشئة عن تفتيت الوطن العربي ، مع المحاولة الدائمة والدؤوبة للدعوة

الى التكامل والتوحيد . غير أن التعامل مع المنطلقات الأخيرة انتقل من مرحلة المثالية الغيبية في عقدي الخمسينات والستينات ، الى مرحلة « الفكر التقنوقراطي العربي » في السبعينات ، مع وجود حد أدنى مشترك لهذه العقود الثلاثة ، هو انفصام الفكر الاقتصادي عن الواقع السياسي المتدهور يوما بعد يوم .

فشل التجارب وأسبابه

ومن ثم يمكن القول ان الدعوة الأولى في الخمسينيات والستينيات للتعاون والتكامل العربي من خلال النظام الاقتصادي الحر التي استبدلت في السبعينيات بالمشاريع العربية المشتركة قد توج فشلها بمؤتمر القمة العربي الحادي عشر في عمان في تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٨٠ وعقد التنمية الذي انبثق عنه ، ليس لأي نقص في الدراسات الاقتصادية ولكن أيضا ، ولمرة أخرى ، كان هناك افتراق واضح بين ما هو مطلوب اقتصاديا وبين ما هو ممكن تحقيقه سياسيا في تلك المرحلة . ومن ثم الفشل الذريع لعقد التنمية الذي بنيت حوله الطموحات الكبرى والذي أصابه ما أصاب مدرسة النظام الاقتصادي العربي الحر قبله الى جانب المشاريع التكاملية والوحدوية الأخرى في المجال الاقتصادي .

ويستنتج المؤلف كذلك ، ومن خلال مراجعته الواسعة للأدبيات الاقتصادية العربية ، ان الفكر الاقتصادي العربي ، كغيره من الأفكار في العالم الثالث ، كان منصبا خلال الحقبة الماضية حول مشاكل التحرر الاقتصادي ، وتلمس الخطوات للخروج من التخلف ، وبدء عملية تنمية شاملة تحقق تحويلا جذريا في علاقات الانتاج في المجتمع ، الا أن ما يميز الاقتصاد العربي عن غيره في العالم الثالث هو تصوره حل تلك المشاكل في اطار التوحيد القومي .

وفي سبيل هذا طرحت النظريات والآراء من أجل احداث تغييرات هيكلية ومخططة على الصعيد القومي . وشاهدنا خلال ربع القرن الماضي انتقال الفكر العربي من الأفكار المجردة والطوبائية الى الملموسة والتجريبية . الا أن انتقادات المؤلف هنا تنصب بشكل أساسي على عدم مساهمة الفكر الاقتصادي العربي الجادة في البحوث المبتكرة في مجال النظرية والتطبيق ، وعدم ادخال عنصر الابتكار أو التجديد المنهجي على صعيد كتابات التنمية والتخطيط .

وقد حدد المؤلف ثلاثة محاور/ مشاكل للفكر الاقتصادي العربي :

ـ محور الاصالة : حيث يجب ردم النقص الموجود بالتأكيد على الهوية الذاتية العربية في خضم التيارات الفكرية المعاصرة .

ـ محور الخصوصية التاريخية : حيث يجب التأكيد على خصوصية المجتمع العربي بما يعني ذلك من تحديد دقيق للمشاكل المعاصرة التي تواجهها أمتنا وتأتي في الصدارة قضايا التحرر والوحدة .

ـ محور العالمية : حيث يجب تذكير بعض مدارسنا الفكرية بأننا لسنا قابعين في جزيرة منفصلة عن بقية التيارات الفكرية العالمية بل نحن متفاعلون مع بقية شعوب العالم ويجب أن نسعى لنكون رائدين في هذا المحيط بدلا من أن تكون بحيرة تصب فيها الروافد الأخرى فقط .

وفي كلمة أخيرة ختم بها كتابه ، قدم الدكتور عبد الفضيل الاقتراحات التالية لزملائه الاقتصاديين العرب :

الابتعاد عن المغالاة في المثالية التي تقفز « فوق الواقع » ، بأن تحقيق قدر أكبر من الاستقلالية عن المؤسسات الرسمية وبالذات عدم الارتباط بالمصالح القطرية الضيقة ؟ ووجوب تحقيق رؤية أشمل وأوسع من الرؤية الاقتصادية الضيقة وذلك بالسعي والعمل نحو الوحدة الى جانب تحقيق فكر اقتصادي عربي مبدع . ○

حل مسابقة العدد

• ٢٩٤ •

الردود الصحيحة

١ ـ الرجلان المتزوجان من شقيقتين ، يقال لهما سِلْفان أو عديلان .. فكلا اللفظين صحيح في اللغة . ومما يؤسف له أن أكثر المشتركين في المسابقة أخطأوا في ردهم على هذا السؤال . اذ اعتبروا لفظ (عديلان) فقط الصواب واستبعدوا لفظ (سلفان) نظرا لأنه غير مألوف .. ولو رجعوا الى أحد المعاجم لما وقعوا في هذا الخطأ .

٢ ـ الاغريق هم الذين أطلقوا اسم النفط على البترول وقد أخذه العرب عنهم وعربوه .

٣ ـ برلين هي الشاذ .. فهي لا ترتبط بأية سلعة زراعية أو صناعية تستمد منها اسمها (أفيون قره حسار) أو ينسحب اسمها على تلك السلعة (كولن ، وفرجينيا) . وذهب بعض المشتركين الى أن فرجينيا هي الشاذ ، فهي وحدها ولاية والثلاث الأخرى كلها مدن .... واعتبرنا ردهم هذا صوابا .

٤ ـ البرازيل هي الدولة الوحيدة التي تتكلم البرتغالية بين دول أمريكا اللاتينية جميعا . وتجدر الاشارة الى أن البابا الاسكندر السادس قسم العالم بين اسبانيا والبرتغال في القرن الخامس عشر حسماً للنزاع بينهما على استعمار المناطق الجديدة في العالم الجديد . فرسم خطاً سنة ١٤٩٣ يصل بين القطبين ويقطع الكرة الأرضية عند جزر الرأس الأخضر وعلى بعد ١٠٠ فرسخ الى غرب هذه الجزر . وقرر البابا أن تكون المناطق التي تلي هذا الخط الى الغرب من نصيب الاسبان .. وأن تكون تلك التي تليه الى الشرق من نصيب البرتغال ... ولما كانت البرازيل تقع جزئيا شرقي ذلك الخط جاز للبرتغال استعمارها ، عقب اكتشافها ...

٥ ـ خط الاستواء ليس مكانا أو منطقة أو اقليما جغرافيا محددا .. فهو خط وهمي وغير قابل للاكتشاف أصلاً . وخط الاستواء ، كما هو معروف ، يلف الكرة الأرضية في أوسطها .. فهو اذن أحد خطوط العرض .. بل خط الصفر وأطول تلك الخطوط جميعاً ..

ومما يذكر ان أكثر المشتركين أخطأوا في الرد على هذا السؤال .. فذهب بعضهم الى أن كريستوفر كولمبس هو الذي اكتشف خط الاستواء .. وجزم آخرون بأن مجلان أو غيره هو مكتشف الخط ..... !

٦ ـ الطاووس ... ريشه الجميل ليس جزءاً من جناحيه ولا من ذنبه أو ذيله . انه قائم بذاته في جسم الطاووس ويعرف باسم **Display** أو « الواجهة » .

٧ ـ المسدس السداسي الطلقات هو الشيء الذي اخترعه صمويل كولت سنة ١٨٣٥ ، وكان له أثر بالغ في حرب الولايات المتحدة مع المكسيك سنة ١٨٤٦ وفي حرب الابادة التي كانت لا تزال تشنها ضد الهنود الحمر ، سكان البلاد الأصليين ..

٨ ـ ما زال المؤرخون على خلاف بصدد سنة ميلاد المسيح . ولكن الكثيرين منهم يرجحون أن تكون تلك السنة سنة ٤ ق. م. وتجدر الاشارة الى أنهم مختلفون أيضاً حول اليوم والشهر الذي ولد فيه المسيح ، يوم ١٢/٢٥ أو خلافه ، وكذلك حول المكان الذي ولد فيه ، بيت لحم أو الناصرة أو أريحا ...

٩ ـ الكُرج هم شعب جورجيا ، إحدى جمهوريات الاتحاد السوفياتي ، والباشقتطش هم شعب الباسك . . وذلك في عرف السلف الصالح .
وتجدر الاشارة الى أن جورجيا تقع بين البحر الأسود وتركيا وعاصمتها تفليس أو تبليسي . . . وأن بلاد الباسك تشمل بضع مناطق تقع في شمال اسبانيا وجنوب فرنسا .

١٠ ـ الهيدروكربونات هي البترول . . بل المركبات العضوية التي يدخل ضمنها البترول . . والكربوهيدرات تدخل في عداد المواد الغذائية وتشمل المواد السكرية والنشوية بالتحديد . وهي أيضاً من المركبات العضوية . . .

١١ ـ تمثال الحرية ، بل قل تمثال « الحرية التي تضيء العالم » . . . هو الهدية التي قدمها الشعب الفرنسي الى شعب الولايات المتحدة الأمريكية سنة ١٨٨٦ وذلك رمزاً للصداقة بين الشعبين وتخليداً لذكرى مولد الولايات المتحدة . . . وقد صنعه الفنان الفرنسي بارتهولدي من صفائح النحاس ، وصنع قاعدته المهندس الفرنسي المعروف أوغست أيفل ، بأني برج ايفل الشهير .

١٢ ـ اوبرا عايده هي المقطوعة الرائعة التي لحنها الموسيقي الايطالي المعروف جيوسيبو فردي (١٨١٣ ـ ١٩٠١) . وذلك خصيصاً لحفلة افتتاح قناة السويس التي افتتحت سنة ١٨٦٩ .
وتجدر الاشارة الى أن فردي هذا الذي احتل مكان الصدارة بين ملحني الاوبرا جميعا . . حُرم الالتحاق في شبابه بالكونسرفتوار الموسيقي الشهير آنذاك . . وذلك بحجة افتقاره للموهبة الموسيقية وللمستوى الفني اللائق . . .

الفائزون بالجوائز

■ الجائزة الأولى : وقيمتها ٣٠ دينارا فازت بها : منى وحيد مناع ـ الكويت
■ الجائزة الثانية : وقيمتها ٢٠ دينارا فازت بها : د . مايسه عباس محمد عامر لوران / الاسكندرية /ج.م.ع
■ الجائزة الثالثة : وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها : أيمن سعيد الخواجه / جامعة اليرموك ص . ب (٨١) / ، أربد / الاردن

٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها خمسة دنانير فاز بها كل من :

١ ـ محمد مروان جميل مراد / ص . ب (٧١٢٥) دمشق / سوريا .
١ ـ محمد بن ابراهيم منزوى / ص . ب (١٣٨١) الحى المحمدى / مراكش ـ المغرب
٣ ـ مخلص الكيلاني / رأس النبع / شارع عمر بن الخطاب بناية العلايلي / بيروت ـ لبنان .
٤ ـ وحيد حسن علي عبده / ص . ب (١١٠٦٦) / القاع صنعاء / الجمهورية العربية اليمنية .
٥ ـ عارف راشد هلال / ص . ب (٧١٧) / أم القيوين / دولة الامارات
٦ ـ السماني عبيد بلال / السوق الشعبي رقم (٥٧٢) / أم درمان / السودان
٧ ـ عبد الرحمن جاسم العياضي / مدينة عيسى (٨١٢) / طريق رقم (١٢٠٤) منزل (٤٠٤) / البحرين
٨ ـ محمد أحمد محمد نصر / ٦٦ ش صلاح الدين / دمنهور /ج.م.ع .



العجل

بقلم فؤاد قنديل

في الليل الساكن تماما كأنه ينصت لهمس ما ، تنبه نجدى من نومه على أنين ، ولما أفاق ، أدرك أنها البقرة . قفز من فوق الفرن الى « الحظيرة » .

البقرة سوداء والمكان معتم ، وضع يده عليها كأنه يقول لها :

ـ اطمئنى . . . أنا بجوارك .

اقشعر جسدها بهذا الاطمئنان ، أدركت أنه معها . . سيتصرف ولن تحتاج لمزيد من الأنين . عاد الى القاعة التى ينام فيها الأولاد . . خلع اللمبة الجاز من مسمارها وكانت ما تزال تهمس بضوء خافت ، بسبابته وابهامه أدار مفتاح الشريط . . فشاع الضوء فى مكان .

اجتاز عتبة الباب ، أحست به زوجته . . لحقت به ، دار حول البقرة ، تحسس نجدى بطنها المنتفخ .

منذ يومين أعلنت كل الأعراض البادية عليها أنها على وشك الوضع ، تنتظر وتنتظر العائلة معها حادثا سعيدا . لاحظ أبوه أنها بقيت واقفة ، أكد له أنها ستلد فى الفجر على الأكثر . . لما يؤذن الفجر بعد ، وعليه الا يعود الى فراشه الآن .

شجه فجأة صراخ زوجته : لقد أطلت رأس العجل . اقترب نجدى باللمبة . حملتها عنه زوجته . . حدق فى مؤخرة البقرة السوداء . . تطلعت اليه عيون العجل الصغيرة ، كأنه يقول له :

ـ أخرجنى من هنا العجل الصغير يبدو ممتلئا وفي صحة جيدة . . بادى النشاط . قالت



الزوجة بسعادة وعجب : الله يا نجدي . . العجل جيل ووجهه وجه بشر وخير .

كأنه لم يسمعها ، أسرع نجدي يخلع جلبابه . . لقد بدأ العمل . دس يده تحت رقبة العجل يبحث عن ساقيه الأماميتين . المهمة عادة تكون أيسر لو مع الرأس خرجت الساقان . .

لم يستطع نجدي أن يمد يده بعيدا داخل الرحم . . نصف الساعد فقط هو الذي اختفى داخلها ، ولم تقابله ساق واحدة . حاول نجدي بيده اليمنى حينا ، وبيده اليسرى حينا ، دار حولها . توترت أعصابه ، وسال العرق من فرط القلق والجهد والتحفز . .

قالت زوجته

ـ هل أنادي سليمان ؟ . . لا شك أنه أمهر

وكأنه وجد الحل

ـ أسرعي

لم تجد مكانا تضع عليه اللمبة أو مسمارا تعلقها فيه ، فوضعتها على الأرض . أسرعت تنادي جارهم وعادت .

لم تمر دقائق حتى كان سليمان قد حضر ، ودون أن يلقى التحية ، تقدم مباشرة بذراعه المشمرة ، فدسه في البقرة بحثا عن الساقين . كان سليمان ـ كنجدي ـ ضخم الجثة عريض المنكبين مفتول الذراعين . أدخل أولا ساعده الأيمن وأدار كفه في رحم البقرة الصابرة . أخرجه وأدار وجهه ودس الأيسر يفتش . . الى أن قال :

ـ ها هنا . . انهما مبسوطتان تحت بطنه . العرق يتصبب من جبهته الى أنفه كالصنبور . واصل جذبها فلم يستطع . حاول وحاول بلا نتيجة . . قال نجدي :

ـ أليس الأفضل ان أستدعى الطبيب

انفجر فيه صوت :

ـ أي طبيب يا مجنون . . حتى تسوليد بقرة لاتقدر عليه . . .

التوت عنقه الى الوراء مع الصوت القادم في الظلام . . كان والده الحاج عبده يهبط الدرجات مشمرا عن ساعديه .

تساءل نجدي : لماذا يشمر هذا الرجل عن ساعديه وقد تجاوز السبعين . المهمة تحتاج الى جهد كبير . أصبحت المسألة معقدة ، وتحتاج بالفعل الى طبيب . . . ما العمل ؟

البقرة عنده أغلى من روحه ، والعجل الصغير هم في حاجة اليه أيضا ، بل في أمس الحاجة اليه .

تساءل نجدي : وهل سنترك الوقت يمضي ، وكل واحد يتقدم اليها فيعبث في بطنها . . لا . . لقد حاولت أن أقوم بالمسألة وحدي في صمت . . لكنها ليست بيسيرة كما تمنيت .

هم أن ينطق بكلمة ، لكنه أحجم ، فلم يتعود أن يرد على أبيه . . ما يقوله الأب هو أمر رباني ، يجب ان ينفذ بلا أدنى كلمة .

أطل الأب على العجل ، ثم سأل في غضب كأنه يسب ابنه :

ـ لم لم توقظني ؟

ـ كنت متعبا ليلة أمس وتشكو من مفاصلك .

ـ انه تعب الكسل وقلة العمل

مضى العجل يهز رأسه ، ولعله يهز في الداخل جسده ، محاولا أن يشارك بأي جهد ، لتخليص روحه من روح أمه الصابرة أو جسده من جسدها .

في هدوء سحب سليمان الحمارة وأسرع الى الطبيب . .

وضع فمه وهمس بأعلى ما يكون الهمس :

ـ يا دكتور . . يا دكتور عزت . هب الطبيب على الفور . فتح الشيش ربع فتحة :

ـ من ؟

ـ أنا سليمان أبو عمر ، بقرة نجدي . قاطعه الطبيب :

ـ طيب . . انتظرني . . . مجرد ثوان

سألته زوجته :

ـ من ؟

ـ ولادة متعسرة

ـ فى هذا الوقت !

ابتسم مندهشا لسؤالها . كان الطبيب وديعا جدا ومتفائلا جدا . .

الح عليه سليمان كى يركب الحمار ، لكنه رفض بشدة ، ومضى فى سيره متحمسا الى بيت نجدى ، واضطر سليمان أن يسير الى جانبه وكذلك الحمار . الذى كان فى دهشة من أمرهما .

أذن الفجر فترك الأب البقرة فورا . وسعى كعادته الى المسجد ، فلم يكن ليثنيه عن صلاته ، اطلاق الرصاص أو وصول عزيز غائب . شمر الطبيب ذراعه وكان طويلا نحيلا ، تسللت ذراعه داخل الرحم ، وغاصت الى ما بعد المرفق ، وعثر بالساق . . قال بهدوء حزين : وجدتها . . لكنها مكسورة . سحبها فأنت البقرة أنينا ممطوطا وكأنها تقول :

ـ خلصونى . . لقد تعبت ومللت

اقترب رأس الطبيب من رأس العجل . . وضع اذنه عليها . . لم يسمع همس أنفاسه ولا حتى حشرجة ، مد يده . رفع جفنه وقلب عينيه . . حدقت فيه العين بثبات

قال :

ـ لا تبتئسوا

قالت الزوجة بحزن بينّ وكانت ترقبه باهتمام :

ـ مات ؟

ـ المهم الأم

سقط الصمت . . بدا على الكل سهوم .

دس الطبيب ذراعه اليسرى وأخرج الساق اليسرى

توالى أنين الأم وقد زاد من مصابها أدراكها فقد وليدها .

تقاطر الجيران ، كلهم يعرفون أن بقرة نجدى على وشك الوضع . . كم هو محزن أن تئن الأم . قال الجميع :

الرأس الآن ظاهر والساقان الاماميتان ، هذا هو الوضع المناسب . اجذبوا فورا

مد الطبيب يديه وجذب الساقين بكل قوته فلم يفلح .

تقدم سليمان فأمسك بساق ونجدى بساق . . جذبا بكل ما لديهما من قوة ، لكن العجل المولود المفقود لم يتحرك .

عفر رجلان أيديهما بالتراب حتى لا يفلت الساقان من أيديهما . . أخذا مكانى سليمان ونجدى اللذين تراجعا دون كلمة

أطبق كل منهما يديه الاثنتين على ساق العجل ، وجذبا بأكثر مما لديهما من جهد وصلابة ، فلم يتحرك العجل .

أخرج الطبيب من حقيبته علبة صغيرة ، فضها وغرف باصبعه مرهما . مسح منه حول عنق الرحم . . داخله وخارجه ، وتوالى الجذب من جديد . . وسقط البعض بعيدا على الأرض حين انزلقت أيديهم . . وأنت البقرة

اشفق الجميع عليها .

جاء الأب من الصلاة . . أمرهم يربط الساقين بالحبال ، ليشترك الكل فى الجذب مرة واحدة ، لأن بقاء العجل على هذا النحو مدة طويلة . كفيل بالقضاء على الأم .

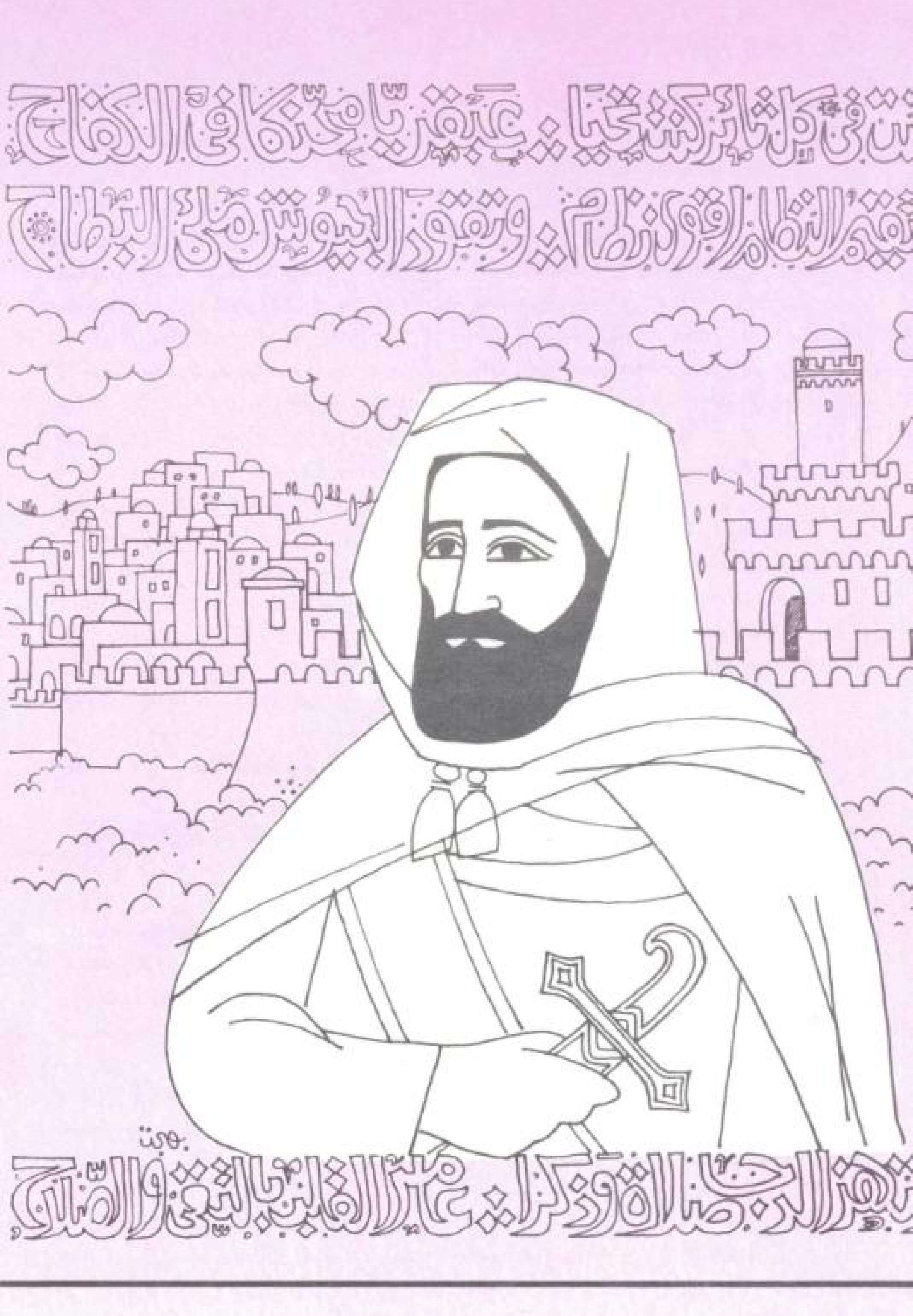
أحضر نجدى حبلين وربط كل منهما بساق . . لف الرجال الحبال حول اذرعهم وهيلا هوب هيلا . . توالى الجذب . . أكثر من سبعة رجال . . أعتى الرجال يجذبون . من جباههم يسيل العرق . . ومن بطن البقرة يسيل الدم والسائل الأصفر الذى كان يسبح فيه العجل المفقود .

و (هيلا هوب هيلا)

والزوجة :

ـ يارب والنبى يارب

رويدا . . رويدا . . خرج العجل وأنت الأم . وبصعوبة سحبت نفسا ممتدا وتلته بأنفاس قصيرة لا هثة ، كأنها تستريح بعد عدو ساعات طويلة . وسقط الى جوارها الجميع . . لكن عيونهم عليها وشفاههم ممطوطة أسفا على العجل الصغير . ○



الأمير عبد القادر الجزائري

البطولة بعين فرنسية

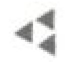
بقلم : جمال الغيطاني

تظل سيرة الامير عبد القادر الجزائرى نموذجا فذا للمجاهدة والبطولة النادرة

. . اعترف اني كنت اجهل هذا الجانب الروحي الكبير العميق في حياة الامير عبد القادر الجزائرى ، كنت اعرف حياته كمجاهد كبير ضد الاستعمار الفرنسي للجزائر ، ومحارب فذ اثار احترام اعدائه ، حتى بدأ اهتمامي بكتاب محى الدين ابن عربي المتصوف الشهير منذ سنوات . وقرأت اهداء الدكتور عثمان يحيى ذلك المجهود الفذ الذى قام به في تحقيق « الفتوحات المكية » الى روح الامير عبد القادر ، تلميذ الشيخ الاكبر ، وناشر كتاب « الفتوحات المكية » لاول مرة . وقد دفعني ذلك الى تتبع اثار الامير عبد القادر ، خاصة في كتابه المواقف الذي اصدرته دار اليقظة العربية في دمشق ، وكتاب آخر عنوانه « المقراض الحاد لقطع لسان منتقص دين الاسلام بالباطل والالحاد » ، وقد بهرني كتاب المواقف ، خاصة فيما يتعلق بثراء افكاره ، وقوة اسلوبه ، ووضوحه ، يعكس كتب التراث الصوفي ، ومنها « الفتوحات المكية » نفسه لاستاذ الامير وشيخة محى الدين بن عربي ،وقد كان سروري كبيرا عندما ارسل الي الاستاذ ميشيل شودكفيتش ، المستشرق الفرنسي ـ الذى اعتنق الاسلام-الترجمه الفرنسية لمختارات من كتاب « المواقف » ، وقد انفق فيها عدة سنوات من عمره ، حتى انه ليعتذر لطفلتيه في المقدمة عن الوقت الطويل الذى قضاه بمنأى عنهما بصحبة هذا الكتاب وماسيحدثه من اثر ، ستغفران له ، وبالفعل ، فان اثر هذه الترجمة سيبدو في المدى القريب والبعيد في الفكر الاوروبي ، ومن المؤسف ان ينشر كتاب « المواقف » باللغة الفرنسية على نطاق واسع ، اصدرته دار « لوسوى » احدى كبريات دور النشر في اوروبا ، والايكون منشورا الاعلى نطاق ضيق باللغة العربية بل ان الحصول على نسخة منه في مصر يكاد يكون متعذرا تماما .

الامير عبد القادر

تقدم حياة الامير المليئة ، المزدحمة ، الدليل القوى ، على عزلة رجل الدين الاسلامي عن واقعه وعصره ، وعلى ان الجهاد في سبيل الله والدين والوطن جزء لايتجزأ من الايمان القوى ، انه الامير عبد القادر ناصر الدين ، الابن الرابع لعبد القادر محى الدين ، وولد في شهر مايو ١٨٠٧ ، في قرية



القيطنة على ضفة وادي الحمام في منطقة اغريس باقليم وهران بالجزائر . ومنذ طفولته المبكرة لاقى عبد القادر عناية خاصة من والده ، وكأن الاب كان يشعر بالدور الذي سيلعبه ابنه في مستقبل بلاده ، بل ان طابعا اسطوريا احاط بظهور الامير منذ صغره (١) ، كانت تظهر عليه علامات خاصة تميزه عمن حوله ، نبغ الامير في العلم ، والفروسية ، والصيد ، كان يقرأ ويكتب وهو في الخامسة من عمره واصبح (طالبا) في الثانية عشرة . اي انه في هذه السن كان متمكنا من القرآن والحديث واصول الشريعة ، وفي الرابعة عشرة حصل على لقب (حافظ) ، وهو الشخص الذي حفظ القرآن ويستطيع ترتيله عن ظهر قلب ، وفي هذه السن بدأ يعطي دروسا في مسجد الاسرة ، حيث كان يفسر آيات القرآن .

كان طموحه في هذه المرحلة ان يصبح (مرابطا) اي متفرغا للعبادة ، في نفس الوقت كان بنيانه الجسدي وقوة تحمله مثار اعجاب المحيطين به ، وكذلك اتقانه للفروسية ، كان يلمس كتف فرسه بصدره ويضع احدى يديه على ظهر الفرس ثم يقفز الى الجانب الآخر ، وكان يصيب الهدف بدقة عجيبة اثناء عدو الفرس ، وهكذا فانه عندما قام في عهد متأخر من حياته بخوض معارك ضارية ، وخوض ظروف صعبة ادت الى عدم نومه لمدة اسابيع ، وخوض المعامع ، وندرة اغمادة سيفه ، قيل عنه ان سرجه كان عرشه ، كان يرتدي الملابس البسيطة ، وكانت بندقيته تونسية الصنع ، طويلة . مرصعة بالفضه ، اما سيفه فكان دمشقيا ، وكان جواده اسود اللون ، فاحم ، وكان بالمقارنة بملابسه البيضاء الناصعة ، يشكلان منظرا مهيبا ، اسطوريا في مضمونه . حج لاول مرة وهو في العشرين من عمره وكان بصحبة والده . وفي القاهرة التقيا بمحمد علي باشا والي مصر ، ولم يكن الامير عبد القادر يدري وهو يتأمل هذا القائد الناجح ، انه هو نفسه سيلعب دورا هاما في القريب العاجل ، ربما فاق الدور الذي لعبه محمد علي باشا اهمية .

وبعد الحج الى مكة ، قطعا الطريق الى بغداد ، لزيارة الولي الاكبر عبد القادر الجيلاني ، « حارس الجزائر » ، فهذا الشيخ له منزلة روحية خاصة لدى اهل الجزائر ، ثم اتجها الى الاراضي المقدسة وعادا الى الجزائر ، قوبلا بالافراح التي استمرت عدة اسابيع ، لقد جاء جميع عرب وهران تقريبا ، وعدد من وفود قبائل الصحراء لاداء التحية وتقديم التهاني الى زعيم قبيلة هاشم المبجل . اما عبد القادر فقد عاد الى عزلته ، لقد قطع على نفسه عهدا ان يلتزم عزلته التعبديه ، لم تكن تخالج صدره اية مطامع دنيوية ، تفرغ تماما للمجاهدة التي تلزم سلوك الطريق ، لم يكن يغادر بيته من شروق الشمس الى غروبها ، وفي هذه العزلة احاط نفسه علما بأعمال افلاطون ، وفيثاغورس وأرسطو ، ودرس مؤلفات كبار العلماء العرب في التاريخ ، والفلك ، والحساب ، واللغة ، والجغرافية ، والطب ، اما استاذه وشيخه فكان المتصوف العظيم محيي الدين بن عربي ، غير ان احداث العالم والواقع لا تمضي دائما كما قدر الانسان ، يقول شارل تشرشل : « ان عبد القادر كان قد اعتزل عن العالم ، ولكنه سيظهر من اكبر ممثليه ، لقد كان يكره المعارك ، ومع ذلك فانه حالا سيلمع اعظم مايكون في جبهة القتال » .

الاحتلال الفرنسي

في ١٨٣٠ ، نزل الفرنسيون الى ساحل الجزائر ، وكان من الواضح ان هدف الجيش الغازي ليس مجرد غارة عابرة ، وسرعان مادبت الفوضى ، خاصة بعد نفي الحاكم التركي ،ولجأ الآلاف من الجزائريين الذين كانوا يسكنون الساحل الى داخل البلاد ،

---

(١) تراجع مقدمة الاستاذ ميشيل شودكفيتش لكتاب المواقف بالفرنسية ، وكتاب « الامير عبد القادر » تأليف شارل تشرشل ، ترجمة الدكتور ابو القاسم سعد الله ، وصدر عن الدار التونسية للنشر .



الامير عبد القادر الجزائري

وكانوا يتعرضون للسلب والنهب ، وهنا بدأ محي الدين والد عبد القادر العمل ، امر ابنه واخوته بالخروج على راس قوة عسكرية لتطوف السهول ، وتؤمن هؤلاء المنكوبين . اتجهت الانظار الى محي الدين ليعلن نفسه سلطانا على البلاد . لكنه اجابهم « لا ، انني لااصلح ان اقوم بواجبات هذا المنصب ، لكنني ساقوم بما يحتمه علي الدين . وسأذهب معكم الى الجهاد » وكان العرب يحاولون استعادة مدينة وهران من قبضة الفرنسيين ، خاصة قلعة فيليب التي كانت تقع جنوب المدينة ، وكانت محاولاتهم جميعها تبوء بالفشل . وهنا حان الحين ليخرج الامير عبد القادر في اول عملياته الحربية ، لقد انتهت عزلته ، وخرج كقائد عسكري شجاع ، موهوب ، على رأس رجاله ، حاصر القلعة ، واطلق الفرنسيون المسلحون جيدا وابلا من قذائفهم عليه ، واثناء الحصار بلغ الامير عبد القادر ان رجاله استهلكوا ذخيرتهم ، وان احدهم لايود ان يخرج من خندقه لاحضار الذخيرة ، صاح بهم ، ايها الجبناء ، اعطوني الخرطوش » ، ولف اطراف عباءته ، وركب فرسه ، عبر السهل بمفرده الى ان وصل الى القلعة فرمى بالخرطوش في الخندق ، وحث رجاله على الثبات والاستمرار في الضرب ، وعاد بدون ان يمسه اذى .

منذ الان فصاعدا ، سيدخل الامير عبد القادر مئات المعارك ، وسيدوخ الفرنسيين ، ويهزمهم ، ويأسر منهم المئات . حتى سرت اخبار شجاعته في جميع انحاء البلاد ، انه يتقدم كافة الصفوف بلا خوف ، يمرق بين صفوف الأعداء الرماة ، يطلق النار مستخدما اسلوب المربعات ، يكتسح حربات البنادق بسيفه ، ويقف بطوله ، مشيرا بلا مبالاة الى القنابل التي تئز من حوله : كان عمره وقتئذ خمسة وعشرين عاما ، وكان يظهر دائما ممتطيا جواده الأسود . وكان يلتحف بعباة بيضاء ذات برنس ، وكان اللون الابيض ، واللون الاسود ، وقامته المهيبة عناصر تشكل مشهدا مهيبا ، صار وصفه على الالسنة بين رجال القبائل ، في هذا الوقت عم الشعور بالخطر ، وساد رجال القبائل احساس بضرورة الحاجة الى قائد ، عقد اجتماع في مدينة معسكر ودعى محي الدين الى حضوره ، وعند وصوله ارتفعت الاصوات تخاطبه ، « الى متى يامحي الدين ونحن بلا قائد ؟ » خاطبوه ثم أحاطوا صدره بسيوفهم ، وقالوا له « اختر بين ان تكون سلطانا او الموت الان » ، طلب محي الدين الاستماع اليه ، قال « تعرفون جميعا انني رجل متفرغ لعبادة الله ، وان الحكم يقتضي استعمال القوة بغلظة وسفك دماء ، ولكن مادمتم تصرون على ان اكون سلطانكم فانني اقبل ، ولكني اتنازل عن ذلك لصالح ابني عبد القادر » .

وتعالت هتافات الحاضرين ، لقد كانت شخصية عبد القادر ورجولته وشجاعته ذائعة ، معروفة .

انه العام ١٨٣٢ الميلادي ، في ٢١ نوفمبر منه . وصل الامير عبد القادر الى مدينة معسكر ، وفي

هدوء قال لمستقبليه ، وبدون زهو : « ان واجبي طاعة أوامر والدي » وفوق كرسي قديم جلس سلطان البلاد الجديد الشاب يتقبل البيعة من الوفود ، وبعد الظهر ذهب الى المسجد الذي كان غاصا بالناس ، وبعد ان صلى بالناس ، امسك مصحفا ، بدأ يقرأ منه ، وبدأ يفسر الايات تفسيرا لغويا ثم انتقل الى المعاني يقول شارل تشرشل :

« ولم يدم الجندي الخطيب على تلك الحال دقائق ، ولكن ساعات ، فقد اندفع اندفاعا في بيان ساحر عذب منسجم ، واطنب في الحديث عن الذنوب ، والمظالم ، والجرائم ، والرعب الذي حل بالبلاد . وفي عبارات صارخة تحدث عن عقاب الله الذي سيأخذ الشعب الذي تخلى عن تعاليم الله وترك نفسه ينغمس في الآثام ، وكان يذكر الجمهور في كل مرة ويناشدهم في عبارات مثيرة ان يتنبهوا الى ماحل بالبلاد من سوء على أيدي المحتلين الاجانب الذين استباحوا ديارهم وانتهكوا حرمة مساجدهم ، ثم ناداهم بكلمات تتألق بنور الوحي ان يصمدوا للدفاع عن دين الله والنبي . وان يلتفوا جميعا حول راية الجهاد ، وان يفعلوا مثل مافعل شهداء الملة السمحة الابرار ، ورسم امامهم لوحة معبرة لارواح الشهداء المرفرفة وهي تدخل المنازل المباركة ـ نهض قومه على اقدامهم ولوحوا برماحهم وعقدوا سيوفهم ، وبكوا بصوت عال ثم بزمجرة مرعبة « الجهاد ، الجهاد » .

القائد العابد

في اليوم التالي ، ٢٢ نوفمبر ١٨٣٢ ، ذهب الى وادي خصيبة حيث اصطف عشرة الاف فارس من مختلف القبائل للترحيب به ، وهناك اعلن فيهم « لن آخذ بقانون غير القرآن ، لن يكون مرشدي غير تعاليم القرآن ، والقرآن وحده ، فلو ان اخي الشقيق قد احل دمه بمخالفة القرآن لمات » .

اتخذ الامير عبد القادر لواء ابيض اللون تتوسطه يد مبسوطة ، وكان يقيم في خيمة بسيطة ، مقسومة الى نصفين ، النصف الاكبر ويستقبل فيه القادمين ويستمع الى الشكاوى ، ويدير شئون القضاء ، والنصف الاخر كان ينام فيه ، الا انه كان يقضي الوقت في القراءة اكثر من النوم ، في نهاية النهار يخلو الى نفسه ، يصلي ، يقرأ القرآن ، ثم يذهب الى النصف الاخر من الخيمة حيث ينتظره ضباطه ، فيناقشون خطط العدو ، الأوامر والرسائل بنفسه ، وعند الغروب يقف امام الخيمة ويبدأ في الوعظ .
كان اثناء الجهاد ضد المحتل الاجنبي يفرض على نفسه نظاما صارما ، فساعات نومه قليلة ، وكثيرا ما كان يقرأ القرآن ويختمه واقفا في الليل ، من جهة اخرى وجه جهده لانشاء نظام قوي في البلاد يمكنه من مقاومة الفرنسيين ، كذلك نظم جيشا نظاميا مكونا من الفرسان والمشاة ، واقام مصاهر للمدافع ، ومطاحن للبارود ، ومصانع للاسلحة الخفيفة ، وكان اهالي البلاد يتعجبون من هذه التطورات الحديثة . من ناحية اخرى كانت هناك اليقظة المستمرة لاكتشاف الجرائم وتأكيد وتشديد العقاب ، انعكس هذا على الاوضاع فعم الهدوء ،وساد الشعور بالامن حتى قيل انه بامكان الفتاة ان تتنقل في طول البلاد وعرضها حاملة سلة من الجواهر فوق رأسها دون خوف وازعاج » .

واعتبارا من عام ١٨٣٢ وحتى عام ١٨٤٧ ، اي لمدة اكثر من خمسة عشر عاما كان على الفرنسيين ان يواجهوا خصما قويا ، نادرا ، ومن نوعية فريدة من الرجال ، ان تفاصيل المعارك التي خاضها الامير عبد القادر غزيرة ، ومن اسف ان المجال لايتسع لذكرها ، لكن يمكن القول ان الفرنسيين طوال هذه المدة لم يستقروا ابدا في الجزائر ، وتكبدوا افدح الخسائر ، وقد بلغ من صيته وسمعته انهم هم انفسهم اعجبوا به ، ودهشوا لبطولته ، وكان موضع فضولهم ، واعجابهم ، وقد تضافرت عوامل عديدة ، اهمها داخلي ، ادت كلها بالامير عبد القادر الى الاستسلام للجنرال لامورسيير ، الذي وعده بان يسمح له بالسفر الى مصر او الى فلسطين ، غيران الجنرال الفرنسي لم يحترم تعهده ، وهكذا ركب الامير عبد القادر في يوم الخامس والعشرين من ديسمبر ١٨٤٧ السفينة اسمودين التي توجهت به الى

ميناء طولون .

يقول هنرى تشرشل في كتابه عن الامير والذى ترجمه الدكتور ابو القاسم سعد الله الى العربية :

« وعمت انباء استسلام عبد القادر فرنسا بحماس طاغ من الفرح والانتصار ، ان الجزائر يمكنها ان تسمى الان بحق « مستعمرة فرنسية » ، وقد نوهت جريدة « المونيتور » في عدد الثالث من يناير سنة ١٨٤٨ بالخبر السار هكذا « ان اخضاع عبد القادر هو حادث في غاية الاهمية لفرنسا ، انه يؤكد طمأنينة احتلالنا ، انه يسمح لنا ان نخفض من عدد الرجال والنقود التي كنا نرسلها الى افريقيا منذ سنوات طويلة ، وهو يساهم ، من هذه الحقيقة وحدها ، في تدعيم قوة فرنسا في اوروبا ، ففرنسا تستطيع اليوم اذا دعت الضرورة ان تنقل المائة الف رجل التي تستخدمها للاحتفاظ بالاهالي المقهورين تحت نيرها الى مناطق اخرى » .

فاى اعتراف في هذه الكلمات بعبقرية وسمو رجل واحد !

مرحلة جديدة

مرحلة جديدة بدأت في حياة الامير ، من ميناء طولون الى قلعة مالق ، وهناك يسألونه عما اذا كان يرغب في الذهاب الى باريس فيجيب « انى اعلم ان ابراهيم باشا (ابن محمد على الكبير والى مصر) زارها واعجب بغرابتها ، ولكن فرنسا بالنسبة اليه كانت ارض الكرم ، انه كان حرا ! اما بالنسبة لي فان كل فرنسا زنزانة كبيرة لي طالما ظللت اسيرا ، انه ليست لي رغبة في ان اكون ضحية مكللة بالزهور » .

في السجن استمر في عباداته ، وشغل نفسه بالكتابة ، وضع كتابين ، الاول « المقراض الحاد في الرد على اهل الالحاد » ، والثاني « ذكرى العاقل وتبيئة الغافل » وقد ترجم الاخير الى الفرنسية ونشر في عام ١٨٥٨ ، وفي نفس الوقت كانت مادة كتاب « المواقف » تتجمع لديه ، في ١٨٤٩ يخرج من السجن ، ويعامل في باريس معاملة الابطال المقهورين ، ثم يسافر الى صقلية ، ثم يصل الى استامبول في يناير ١٨٥٣ ، ثم الى بروسة ، وفي الرابع والعشرين من نوفمبر ١٨٥٦ بدأ رحلته الى دمشق ، حيث يرقد الى الابد شيخه واستاذه ومرشده في الطريق الى الله ، سيدى محى الدين بن عربي ، والان يرقد الامير عبد القادر على مقربة منه .

بعد اقامته في دمشق لعب الامير دورا في تهدئة النزاع الدموى بين الدروز والمسيحيين والذى كان قد اشعله الاتراك ، وكان هذا هو النشاط السياسي الوحيد الذى قام به ، وفي دمشق اصبح مركزا لاهتمام العلماء والمثقفين . وكانت تنتظم حوله في المسجد الكبير حلقة درس ديني ، تماما كما كان شيخه ابن عربي يفعل ، وكان عبد القادر يشرح القرآن ، والمتن ، ويشرح الفلسفة اليونانية ، والفلك ، والطب ، والعلوم .

ان حياته تمضى في دمشق هادئة ، من اهم ملامحها البساطة ، والنظام الدقيق ، قبل الفجر بساعتين يستيقظ ، يصلي ويتعبد حتى الشروق ، ثم يذهب الى المسجد ، وبعد ان يقضى نصف ساعة في الصلاة العامة يعود الى منزله ، يتناول وجبة سريعة ، ثم يأوى الى مكتبته فيدرس حتى منتصف النهار ، ثم يعود الى المسجد حيث تنتظره حلقة الدرس ، فيأخذ مكانه ويفتح الكتاب المعين للمناقشة ويقرأ بصوت مرتفع ، ثم يعود الى البيت حيث يقضى ساعة مع اطفاله الثمانية ، ثم يعود الى المسجد مع الغروب لاداء الصلاة ويواصل الدرس لمدة ساعة ونصف ، ثم يعود الى منزله .

يقول هنرى تشرشل انه كان حريصا جدا على تأدية الصدقات للفقراء ، وفي كل يوم جمعة كان الشارع المؤدى الى منزله يزدحم بالفقراء الذين جاءوا للحصول على نصيبهم من الخبز ، وكان الموتى من الفقراء يدفنون على نفقته .

ومن خلال التفاصيل الدقيقة التي يوردها هذا المؤلف الانجليزى لا أشك لحظة في ان الامير كان يترسم خطى شيخه محى الدين بن عربي الذى عاش في دمشق ، ودفن بها ، وكما جاور الشيخ الاكبر في مكة فان الامير غادر دمشق في يناير ١٨٦٣ ، وبعد اقامة اسبوعين في القاهرة ، سافر الى جدة ، ثم الى

مكة ، وهناك استقبله العلماء بالترحيب ، واقبل عليه الزوار ، وبعد عشرة ايام اعلن أن فترة الاستقبال قد انتهت وبدأ خلوته ، وخلال الاثنى عشر شهرا التالية لم يغادر غرفته الا للذهاب الى المسجد الحرام ، كان ينام اربع ساعات فقط في اليوم ، ولايتناول الا الخبز والزيتون ، ثم امضى في المدينة اربعة شهور مجاورا لقبر الرسول ، وكان حارس القبر يطلب منه احيانا ان ينظر الى الهدايا الثمينة التي ترد من ملوك واثرياء العالم الاسلامي ، لكنه كان يرفض مجرد النظر الى هذه الاشياء ، في نهاية يوليو ١٨٦٤ عاد الى دمشق ، وخلال هذه السنوات الاخيرة من عمره كان ينجز كتابه الكبير « المواقف » . وعندما فاضت روحه ، دفن على مقربة من شيخه الاكبر محى الدين بن عربي ، وعبر هذه الحياة الثرية المضطرمة ، يمكننا ان نرى بوضوح دور رجل الدين الاسلامي الحق . الذى كرس حياته للعمل الديني بمعزل عن الناس ، ولكن لحظة تعرض وطنه للخطر كان في مقدمة صفوف المحاربين ، حتى سطع نجمه كألمع القادة العسكريين الذين حاربوا الاستعمار في القرن الماضى ، في حياته لم ينفصل الجهاد الروحى عن الجهاد الدنيوى ، كلاهما عنصران مكملان لبعضها لاينفصلان .

المواقف : نفثات روحية

في مقدمة كتابه الضخم وعمله الكبير « المواقف » يقول الامير عبد القادر :

« . . هذه نفثات روحية ، والقاءات سبوحية ، بعلوم وهبية واسرار غيبية ، من وراء طور العقول ، وظواهر النقول . خارجة عن انواع الاكتساب ، والنظر في كتاب ، قيدتها لاخواننا الذين يؤمنون بآياتنا ، اذا لم يصلوا الى اقتطاف اثمارها » . . .

يضم كتاب المواقف ، ثلاثمائة واثنين وسبعين موقفا ، والموقف او الوقفة في مصطلحات الصوفية يعني ـ كما شرحه الشيخ كمال الدين عبد الرزاق القاشاني ـ في كتابه « اصطلاحات الصوفية » .

« الوقفه ، هي التوقف بين المقامين لقضاء مابقى عليه من حقوق الاول والتهيؤ لما يرتقى اليه بآداب الثاني »[٢]

وفي « الفتوحات المكية » ، شرح الشيخ الاكبر محى الدين بن عربي معنى الموقف عند حديثه عن مواقف النفرى . يقول الشيخ الاكبر :

« واعلم انه ما من منزل من المنازل ، ولا منازلة من المنازلات ولا مقام من المقامات ولاحال من الحالات الاوبينها برزخ يوقف العبد فيه يسمى الموقف ، وهو الذى تكلم منه صاحب المواقف محمد بن عبد الجبار النفرى رحمه الله في كتابه المسمى بالمواقف » (٣)

ثم يفيض الشيخ الاكبر في شرح معنى الموقف ، ومواقف النفرى يسود اسلوبها الرمزية والغموض ، اما مواقف الامير عبد القادر فقد صيغت باسلوب عربي رصين ، اكثر وضوحا ولكنه وضوح في نطاق لغة التصوف التي تتسم عامة بالغموض ، وهذا يجعلنا نشير الى مدى الصعوبة التي يواجهها المترجم الاجنبي عند التصدى لترجمة مثل هذا العمل ، وقد اختار الاستاذ شود كفيتش الذى اعتنق الاسلام منذ سنوات عددا من مواقف الامير عبد القادر ، اذ ترجم اربعين موقفا من المواقف ، وشرحها ، وعلق عليها ، وفر للقارىء باللغة الفرنسية غموض المصطلحات الصوفية ، وسيرة الاعلام الذين ورد ذكرهم في المواقف ، لقد طبع الكتاب لاول مرة عام ١٩١٠ ، وطبع للمرة الثانية في عام ١٩٦٧ ، غيران هاتين الطبعتين ليستا في المتناول ، ولكن يحز في نفسي ان يصبح مثل هذا الكتاب الهام ميسورا باللغة الفرنسية ، مثيرا للمناقشات والاصداء على امتداد العام الاخير منذ صدوره في فرنسا ، وان يظل مجهولا في عالمنا العربي ، صعب المنال . ○

(٢) اصطلاحات الصوفية ص ٥٤ تحقيق الدكتور محمد كمال ابراهيم جعفر .

(٣) الفتوحات المكية ـ الجزء الثاني ص ٦٠٩ طبعة صادر ـ بيروت .

دعوات مبكرة للسلم الاجتماعي عند العرب

بقلم : الدكتور إحسان صدقي العمد

تاريخنا العربي والاسلامي حافل بالمواقف الاجتماعية والسياسية التي أثرت في كيان العرب والمسلمين . وقد اعتمد هذا التأثير ايجابا وسلبا على مواقف الرجال والقادة في مواجهة تلك الأحداث والملمات التي نعرض لنماذج منها .

فهذه جزيرة العرب تشهد ارهاصات قبل الاسلام للدعوة الى وقف التناحر والقتال بين القبائل العربية . وتحقيق صورة عملية للتعايش السلمي بين عرب الجزيرة والدول المجاورة لها . مكنت العرب من القيام بدورهم التاريخي في نقل التجارة العالمية بين الشرق والغرب .

وكان لا بد للوصول الى هذه الغاية من تحقيق هدفين في المقام الأول : احدهما ، اشاعة جو نسبي من الأمن والسلام داخل ربوع الجزيرة العربية ، والآخر حماية القوافل التجارية على طول طرق التجارة البرية في الجزيرة وعقد المعاهدات التجارية مع جميع الدول المجاورة .

وانبرت صفوة من رجالات العرب لتحقيق الهدف الأول ، بينهم هرم بن سنان المُرّي ، والحارث بن عوف ابن ابي حارثة ، اللذان اسهما بقسط في الجهود الخيرة التي بذلت للصلح بين قبيلتي عبس وذبيان من قبائل قيس المعروفة ، بعد حرب ضروس امتدت بينهما زهاء الأربعين عاماً ، كادت تهدد بفناء القبيلتين ، وهي الحرب التي عرفت باسم حرب داحس والغبراء .

بقي ما أعطاكم

وقد سجل الشاعر العربي زهير بن أبي سلمى نجاح هذه المساعي السلمية في معلقته واشاد بجهود الرجلين فيها بابيات خلدت ذكرهما في التاريخ حين قال فيها :

سعى ساعياً غيظ بن مرة بعدما … تبزّلَ ما بين العشيرة بالدّمِ

فأقسمتُ بالبيتِ الذي طاف حولَهُ … رجالٌ بنوهُ من قريشٍ وجُرهُمِ

يميناً لنعمَ السيدانِ وجدتُما … على كُلِّ حالٍ من سَحيلٍ ومُبرَمِ

تداركتما عبساً وذبيانَ بعدما … تفانَوْا ودقّوا بينهم عِطرَ مَنشَمِ

وقد قُلتما : إن ندرِكِ السّلمَ واسعاً … بمالٍ ومعروفٍ من القولِ نَسْلَمِ

عظيمينِ في عُليا معدٍّ هُديتُما … ومن يستبِحْ كنزاً من المجدِ يَعظُمِ

وقد عظُم الرجلان لنصرتهما قضية السّلم والأمان داخل جزيرة العرب ، وتجاوزت شهرتهما المكان والزمان .

سلامة القوافل

أما الموقف الآخر فيتمثل في حكمة رواد عظام من زعماء قريش ابرموا اتفاقات لضمان سلامة قوافل التجارة داخل جزيرة العرب وعقدوا معاهدات لتأمين التجارة العربية مع الدول المجاورة . ويأتي في مقدمة هؤلاء الرجال هاشم

ابن عبد مناف ، الذي أمن تجارة العرب مع بلاد الشام عن طريق الاتفاق مع جميع القبائل العربية التي تمر قوافل التجارة في مواطنها ، كما اتصل بقيصر الروم لتحقيق هذا الهدف . وقد اورد محمد بن حبيب البغدادي (ت ٢٤٥ هـ/ ٨٥٩م) اخبار هذه المهمة الاقتصادية الخطيرة في كتابه « المنمق في اخبار قريش » . بشكل يبعث على الدهشة والاعجاب بحكمة رجالات قريش وحصافتهم وملكات القيادة لديهم . يقول ابن حبيب : ان قيصر الروم اعجب بحديث هاشم ، فقال له الأخير : « ايها الملك : ان لي قوماً ، وهم تجار العرب ، فان رأيت ان تكتب لهم كتاباً تؤمنهم وتؤمن تجاراتهم ، فيقدموا عليك بما يستطرف من أدم الحجاز وثيابه ، فيكونوا يبيعونه عندكم ، فهو ارخص عليكم . فكتب له كتاباً بأمان من قد أتى منهم » . أي من تجار قريش .

ويضيف ابن حبيب البغدادي ان هاشم « اقبل بذلك الكتاب ، فجعل كلما مر بحي من العرب بطريق الشام أخذ من اشرافهم ايلافاً - والايلاف ان يأمنوا عندهم في ارضهم بغير حلف ، وانما هو امان الطريق - وعلى ان قريشا تحمل لهم بضائع فيكفونهم حملانها ، ويردون اليهم رأس مالهم وربحهم . فأخذ هاشم الايلاف ممن بينه وبين الشام حتى قدم مكة ، فأتاهم باعظم شيء اتوا به ، فخرجوا بتجارة عظيمة وخرج هاشم يجوزهم ويوفيهم ايلافهم الذي اخذ لهم من العرب ، فلم يبرح يوفيهم ذلك ويجمع بينهم وبين اشراف العرب حتى ورد بهم الشام واحلهم قراها ، فمات في ذلك السفر بغزة من الشام » .

ويبدو ان نجاح هذه الخطوة الرائدة جعل قريشا تسعى لاستكمال ضمان المصالح الاقتصادية المشتركة مع الأطراف الأخرى داخل الجزيرة العربية وخارجها ، فيذكر ابن حبيب ان « المطلب بن عبد مناف خرج الى اليمن ، فأخذ من ملوكهم عهدا لمن تجر قبلهم من قريش ، ثم اقبل يأخذ الايلاف ممن مر به من العرب حتى اتى مكة على مثل ما كان هاشم أخذ . . . وخرج عبد شمس بن عبد مناف الى ملك الحبشة فأخذ منه كتابا وعهداً لمن تجر قبله من قريش ، ثم أخذ الايلاف ممن بينه وبين العرب حتى بلغ مكة . . . . . وخرج نوفل بن عبد مناف فاخذ عهدا من كسرى لتجارة قريش ، ثم اقبل يأخذ الايلاف ممن مر به من العرب حتى قدم مكة . وخطا رجال قريش خطوة اخرى تمثلت في زيادة عدد المساهمين في قوافلهم من العرب على اختلاف قبائلهم واحوالهم المادية . فتضخمت قوافل تجاراتهم ، وتعدد المهتمون بحمايتها والانتفاع بارباحها الواسعة . فكان بنو عبد مناف هؤلاء كما يقول ابن حبيب اول من رفع الله بهم قريشاً ، لم تر العرب مثلهم قط اسمح ولا احلم ولا اعقل ولا اجل انما كانوا نجوما من النجوم » .

واحسب ان صاحب المنمق لم يبالغ في هذا الوصف لرجال وقفوا هذا الموقف وحققوا بحكمتهم كل هذه الميزات والتأمينات الاقتصادية لقريش وشركائها من قبائل العرب ، حتى غدا آل مناف بفضلهم اعلاما يشار اليهم بالبنان .

ورحلات الحجاج

ومن المؤكد أن وجود البيت الحرام في مكة المكرمة واستئثار قريش برعايته ، قد كان من أهم العوامل التي رفعت مكانة قريش وساعدت على نجاح مساعي رجالاتها داخل جزيرة العرب وخارجها . وقد ذكر ذلك بوضوح في القرآن الكريم في سورة قريش « لايلاف قريش ، ايلافهم رحلة الشتاء والصيف ، فليعبدوا رب هذا البيت ، الذي اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف » .

كما يعود هذا النجاح الى طبيعة العهود والاتفاقات التي ابرمها زعماء قريش ، من حيث حرصها على تحقيق مصالح اقتصادية حيوية ومشتركة لجميع الأطراف في داخل الجزيرة العربية وخارجها ، وادراك الدول المجاورة صعوبة الاحتفاظ بسيطرتها المباشرة على جزيرة العرب وبخاصة بعد فشل محاولات مماثلة قام بها الاحباش والفرس في الحجاز واليمن وشمال الجزيرة .

وقد استمر جانب من هذا الوضع بعد الاسلام حيث ارتبطت المصالح التجارية لقبائل العرب داخل الجزيرة بقوافل الحج التي ظلت تستخدم طرق التجارة التقليدية المعروفة في طول جزيرة العرب وعرضها . وكان حرص هذه القبائل على استمرار تبادل السلع التجارية معها اهم عامل دفع تلك القبائل الى الحفاظ على قوافل الحج التي تفد الى مكة المكرمة من جميع البلدان في موسم الحج . ويقدم لنا ابن بطوطة وصفاً لتبادل هذه المصالح اثناء مرافقته

لركب الحج العراقي حيث « يتعايش العرب مع الحجاج في البيع والتجارة » وكان اذا توقف الركب في محطة او موضع ، يأتي عرب تلك الأرض بالغنم والجمال والسمن فيبيعون ذلك الى الحجاج بالثياب الخام ، ولا يبيعون بسوى ذلك . » ويروى ابن بطوطة كيف كان رؤساء القبائل يبادرون الى حماية قوافل الحجاج ويحافظون عليها . ويقول ان الركب العراقي صادف في منتصف الطريق من بغداد الى مكة اميرين من أمراء العرب « ومعهم من خيل العرب ورجالهم من لا يحصون كثرة ، فظهر منهما المحافظة على الحجاج والرجال والحيطة لهم ، واتى العرب بالجمال والغنم فاشتروا منهم ما قدروا عليه » . واذا كانت بعض قوافل الحج والتجارة قد تعرضت احيانا في السابق الى اعتداء ، فان ذلك يمثل حالات استثنائية قليلة كانت وراءها دوافع اقتصادية أو سياسية خاصة تزول بزوالها .

وقد ترددت الدعوة الى العدل وإنصاف المظلومين والحيلولة دون تمادي الظالمين بشكل خاص في مكة المكرمة ، باعتبارها اهم مركز تجاري في الجزيرة العربية قبل الاسلام . وكان ذلك طبيعيا بحكم الظروف والمنازعات التي تنشأ عادة بين الناس للاختلاف على المال والثروة ، ومحاولة بعض ذوي الجاه والنفوذ احيانا اغتصاب الناس حقوقهم واموالهم والاعتداء عليهم .

وتحدثنا المصادر العربية ومن بينها البلاذري في انساب الأشراف ، أنَّ السبب المباشر في مبادرة زعماء قريش الى البحث عن سبل لانصاف الناس والعدل بينهم هو « أن الرجل من العرب او العجم كان يقدم بالتجارة فربما ظلم بمكة » . وان احد العرب باع بضاعة له لأحد المتنفذين من قريش فظلمه فيها وجحده ثمنها ، فنادى ذات يوم عند طلوع الشمس وقريش في أنديتها :

يا آلَ قصيٍّ كيفَ هذا في الحَرَمْ
وحُرمةُ البيتِ وأخلاقُ الكَرَمْ
أُظلَمُ ! ، لا يُمنَعُ مني من ظَلَمْ

فقال الزبير بن عبد المطلب : ما لهذا مترك . فجمع اخوته واجتمعت بنو هاشم وبنو المطلب وبنو اسد وبنو زهرة وبنو تيم في دار عبد الله بن جدعان القرشي ، فتحالفوا على ان لا يجدوا بمكة مظلوما الا نصروه ورفدوه واعانوه ، حتى يُؤدى اليه حقه وينصفه ظالمُهُ من مظلمته ، وعادوا عليه بفضول اموالهم ، ما بل بحر صوفة ، واكدوا ذلك وتعاقدوا عليه وتماسحوا قياما . وشهد رسول الله ﷺ ذلك الحلف ، وكان يقول : ما سرني بحلف شهدته في دار ابن جدعان حُمر النَّعم . فسمى حلف الفضول لبذلهم فضولَ اموالهم .

إنصافا للمظلومين

ويتضح من هذا النص ان الظلم كان يقع في مكة من بعض أهلها على بعض النازلين فيها للتجارة ، وأن احد المظلومين طالب زعماء قريش بانصافه ، وهدد بالاعتداء على ظالمه اذا لم ينصفوه منه . فخشيت قريش كما يقول ابن حبيب البغدادي العقوبة واعظمت ما قال وما فعل ، وتكلمت في ذلك المجالس . فكان من أمر قريش ما كان ولجوئها الى الحكمة وتأصيل قواعد العدل في مجتمعها ، حتى لا يضطر احد من المظلومين الى الاجتراء على حرمة ذلك المجتمع .

ويستفاد مما ذكر اليعقوبي في تاريخه ، ان فكرة حلف الفضول وجدت منذ ايام جرهم في مكة وانها سابقة على قريش والزبير بن عبد المطلب الذي أحيا بدعوته الحلف القديم واهدافه .

ويورد الدكتور جواد علي تفسيراً اجتماعياً واقتصادياً لطيفاً في تعليل رغبة قريش في انصاف المظلومين ومساعدتهم ، مؤداه ان أهل مكة بعد ان اجتمعوا وتكتلوا في واد ضيق وفي أرض فقيرة ، وجدوا ان من العسير عليهم رؤية حفنة منهم وقد استأثرت بالمال والغنى ، بينما عاش الكثير بينهم في فقر وفاقة . وانهم ان أصمّوا آذانهم عن سماع نداء الاغاثة ، فان حالة من الذعر ستسود مدينتهم . لذلك تواصوا فيما بينهم على مواساة أهل الفاقة وجبر خاطر المحتاج ، وعلى تراحمهم فيما بينهم وتواصلهم . وكان مما فعلوه لرفع مستوى الفقير وللقضاء على الفوارق الكبيرة التي صارت فيما بين سادات مكة وسوادها ، ان حثوا كل مكي على المساهمة في أموال القوافل حتى اذا ما عادت رابحة ، وزعت ارباحها على هؤلاء أيضاً ، كل حسب مقدار ما ساهم به من مال في القافلة . ○



معارك كلامية

أفسدت القضية العربية

بقلم : حافظ أحمد أمين

المعركة الأولى : أصالة أم معاصرة ؟

من المعارك التي شغلت العرب لفترات طويلة ، وكانت موضوع كثير من الجلسات والخطب والكتابات ، المعركة بين أنصار القديم وأنصار الجديد. الفريق الاول يرفضون التعامل مع الحضارة الغازية ، ويغلق الأبواب عن فكرها ومنتجاتها ، ويغضب من غزوها وتدخلها ، يريد بذلك أن يحافظ على استقلاله وعلى ما يسميه « بشخصيته الأصيلة » . والآخرون منبهرون بالحضارة الفتية التي قدمت الحلول لمشكلات العصر ، حيث فشل غيرها في ذلك ، وعدم تقليدها والنقل منها يعني استمرار الخمول والتخلف .

هكذا تحددت المعركة الأولى :

« لكي نخرج من حالة التخلف ، هل علينا أن ننقل من الحضارة الغربية أفكارها وفنونها وتكنولوجيتها ، أم علينا أن نحيي تراثنا ، ونبحث عن جذور حضاراتنا القديمة ؟ » .

بهذا الشكل تحددت صورة المعركة ، وهو تصوير أفسد قضيتنا ، وعطل نهضتنا التي نسعى إليها ، وذلك لأربعة أسباب رئيسية :

السبب الأول : أن النهضة الحقة لا تحدث عن طريق النقل من نهضة أخرى - حديثة أو قديمة - وإنما تحدث بسبب إيمان بالغ القوة بعقيدة جديدة ، تضع الحلول للمحن المعاصرة الكبرى ، التي يعاني منها الناس أشد المعاناة . أما النقل والمحاكاة - فمهما بلغت قيمة المنقول - فهما لا يشيران إلا إلى ضعف الثقة في النفس ، ولا نهضة لأمة فاقدة الثقة في قدرتها على أن تحدد بنفسها ما تريد ، وأن تضع لنفسها الحلول لمشكلاتها ، وأن تحطم كل ما يعوق العمل لتحقيق أهدافها .

لا بد إذن - إن أردنا لأنفسنا رقيا حقيقيا - أن نسأل أنفسنا : « ما الذي نحتاج إليه حقا حتى نوجده ؟ » بدلا من أن نسأل أنفسنا : « ما الذي يوجد عند غيرنا لنقليده ؟ » .

السبب الثاني : إن وضع السؤال على هذه الصورة يوحي بأن البديلين المعروضين بديلان متناقضان ، وان اختيار أحدهما يعني رفض الآخر ، وهو أمر فيه إفساد شديد للقضية الحقيقية ، فالمتطلع من ثمار إحدى الحضارات - بشرط أن يكون انتفاع الواثق من نفسه ، المؤمن بعقيدته ، المحدد لأهدافه وحاجاته - لا يرى أي عائق من الانتفاع أيضا من ثمار أية حضارة أخرى ، ولا ينظر الى هذا الانتفاع على أنه تقليد أو محاكاة .

السبب الثالث : انه ليس هناك شيئا اسمه (نقل

التكنولوجيا) ، فالتكنولوجيا ليست بضائع تباع وتشترى ، كما أنها ليست علوما تنقل من عقول إلى عقول ، وانما هي الوسيلة التي تفرض على البحث العلمي لتلبية رغبات الفارضين . وهي الوسيلة التي يتم بها الانتفاع بالعلم لتلبية حاجات المتنفعين ، ومن هنا فان (نقل التكنولوجيا) أمر مستحيل ، لاختلاف رغبات وحاجات الباحثين والمتنفعين من مكان إلى آخر .

السبب الرابع : إن اطلاق صفة (التقدم) على الدول كثيرة الاستخدام لتكنولوجيا الحضارة الأوروبية ، وإطلاق صفة (التخلف) على الدول قليلة الاستخدام لتلك التكنولوجيا ، أمر مضلل ، لأنه يوحي بوجود أهداف دائمة ، تشترك فيها جميع الأمم طوال العصور المختلفة ، وأن (التقدم) يعني السير نحو هذه الأهداف والاقتراب منها ، وأن (التخلف) يعني البعد عنها ، مع أن أهداف الحضارات تتغير بتغير أصحابها وعصورها ، وأن كلمتي (التقدم) و (التخلف) يتغير معناهما بتغير أهداف كل حضارة .

المعركة الثانية : بالثورة أم بالسياسة ؟

ومن المعارك الكلامية ، المفسدة للقضية العربية أيضا ، معركة استمرت هي الأخرى زمنا طويلا ، وتحمس لها الناس حماسا قويا ، واختلفوا فيها اختلافا شديدا ، معركة كان عرضها على النحو التالي :

« لكي نحصل على الاستقلال والعزة والكرامة ، هل نعمل على التخلص من المستعمر عن طريق العنف والثورة ، ام عن طريق السياسة والمفاوضات ؟ » .

هكذا وضعوا العنوان للمعركة الثانية ، وهكذا رسموا صورتها ، وهي صورة أراها لا تختلف عن صورة المعركة الأولى ، ولم يكن المشتركون فيها أقل عددا أو حماسا .

وما قلناه بالنسبة للمعركة الأولى ، نقوله أيضا في الثانية ، فقد كانت هي الأخرى مفسدة للقضية ، معطلة للنهضة ، وذلك لأربعة أسباب رئيسية :

السبب الأول : ان وضع السؤال على هذا النحو - ثورة أم سياسة - يوحي بأنهما بديلان لا ثالث لهما ، مع أن مواجهة المستعمر كانت لا بد - لكي تخدم القضية العربية - أن تأخذ أشكالا متعددة ، تتراوح بين الثورة العارمة والسياسة الهادئة - مارا بسياسات المقاطعة ، وعدم التعاون ، ورفض ما يثبت ضرره على الأمة ، والانتفاع بما يفيدها . . . الخ - ويتوقف اختيار شكل المواجهة على قدر خطورة الموضوع واحتمالات الانتصار ، ومقدار النفع أو الضرر .

السبب الثاني : ان الصراع الذي كان يدور بين الجماعات التي تنادي بالثورة على المستعمر والجماعات التي كانت تنادي بالمهادنة والمفاوضة ، أدى الى ألوان كثيرة من الفتنة والتفرقة أضرت بالأمة ضررا بليغا ، إذ أضعفت كثيرا من وحدتها وتماسكها ، ومكنت المستعمر من مواصلة استعماره .

السبب الثالث : ان التركيز على التفكير بأن مجرد طرد المستعمر من البلاد يعني بدء النهضة والعزة ، أضعف من بذل الجهود المستمرة في التخلص من الفقر والجهل والمرض ، والخمول والاستكانة والمذلة ، الأعداء الحقيقيين للنهضة .

السبب الرابع : ان تصوير المعركة بهذا الشكل ، أنسانا المعنى الحقيقي للحضارة ، وأنه لا قيام لنهضة جديدة إلا بحل جذري لمآسي عصرنا ، وبتحطيم الصنم الذي يقدسه الناس في أيامنا ، فكما كان (الاستعباد) هو الصنم الذي بدأت الحضارة الأوروبية بتحطيمه : استعباد الحكام للمواطنين ، واستعباد الرجل للمرأة ، واستعباد رجال الدين المسيحي لرجال العلم والفن . . . الخ . فإن كل من يحاول القيام بنهضة جديدة حقيقية ، عليه أن يبدأ بتحطيم الصنم الذي خلقته الحضارة الغربية .

ورغم الأخطاء التي نجمت عن هاتين المعركتين ، وآثارها السيئة على القضية العربية ، إلا أنه كان لآبائنا وأجدادنا فضلان لا بد أن نذكرهما حتى لا تضيع الحقيقة .

أما الفضل الأول فهو أنهم بدأوا حياتهم بالاغتراف من المنابع العربية الأصيلة ، وباكتساب ذوق عربي أصيل ، مما دعم ثقتهم في أنفسهم ، وجعلهم ينظرون إلى الاستعمارين الانجليزي والفرنسي نظرة واحدة متشابهة ، وهو فضل لم نشعر بقيمته إلا بعد أن خاض جيلنا في الربع الثالث من القرن العشرين معركة (الصداقة الروسية أم الصداقة الأمريكية ؟) .

أما الفضل الثاني لآبائنا وأجدادنا فهو أنهم حصروا معاركهم في الكلام دون المدافع ، كما حصروها بين الأحزاب داخل كل إقليم ، بحيث ظلت الوحدة وظل التماسك بين الأقاليم العربية من أكبر الدلائل على أصالة



الوحدة بين العرب ، وهو أمر لم يحافظ عليه جيلنا ، حيث حولنا المعارك بين الاحزاب داخل كل إقليم الى معارك بين الأقاليم ، ثم زدنا الطين بلة فحولنا المعارك باللسان إلى معارك حربية ، يقتل فيها العربي أخاه العربي .

المعركة الثالثة : الصداقة الروسية أم الصداقة الأمريكية

منذ أن انتهت الحرب العالمية الثانية ، وانتقل النفوذان الانجليزي والفرنسي إلى كل من روسيا وأمريكا ، وكل من الدولتين الأخيرتين تحاول جاهدة ، تمثيل دور صاحبة المبادىء الانسانية العظيمة ، المحبة للسلام ، المخلصة للشعوب الفقيرة .

وقد ظلت هذه التمثيلية دائرة على المسرح السياسي العربي مدة حوالي ربع قرن ، حتى أسدل الستار عليها في يونيو عام ١٩٦٧ ، حيث تبين لمعظم العرب أنهم كانوا مخدوعين من الاثنين .

وقد كانت التمثيلية شديدة الاتقان ، بحيث وقع ضحيتها معظم شباب العرب وشيوخهم . فهناك من تحمس للصداقة الروسية أملا في أن تتحقق العدالة الاجتماعية ، وخوفا من سيطرة الرأسماليين واستغلالهم ، وهناك من تحمس للصداقة الأمريكية ، أملا في أن يتحقق الرخاء ، وخوفا من فقدان الدين والحرية ، بل لقد وقع في نفس الفخ كثير من علماء الاسلام ، الذين ظل شاغلهم الأول إثبات أن الاسلام يحوي قدرا من الاشتراكية لم تصل اليه روسيا ، وقدرا من احترام حرية الفرد لم تصل إليه أمريكا ، وكأن قيمة الاسلام محصورة في عدم التخلف عن الدولتين الكبيرتين .

لم ينتبه العرب من أصحاب معركة (الصداقة الروسية أم الصداقة الأمريكية) الى اتفاق الشمال لاستغلال الجنوب إلا بعد أن فاجأتنا إسرائيل في ٥ يونيو عام ١٩٦٧ بحرب شيطانية من تخطيط أهل الشمال ، فلما فاحت رائحة الفضائح ، وعرف جيلنا أن حضارة الشمال لم تعد المثل الأعلى الذي نرجو الوصول إليه ، بدأنا نفكر من جديد : « ما هي القضية العربية ؟ » .

تهجير الأدمغة .. لا هجرتها

بقلم : ممدوح محمد خسارة

تطالعنا الصحف والمجلات العربية بين الحين والآخر بمقالات وتحليلات قيمة عن هجرة الأدمغة ، تلك الظاهرة التي تعاني منها أمتنا في كثير من أقطارها ، والتي تعني غياب نخبة من الكفاءات العلمية عن الساحة الوطنية أو القومية ، اما ببقائها حيث هي بعد اتمام تحصيلها العلمي ، أو بالرحيل مجددا الى البلدان الصناعية المتقدمة بعد اقامة تطول أو تقصر في أوطانها .

ومما لاشك فيه أن حرمان أمتنا من هذه الكفاءات والاطارات العلمية يفقدها أحد أهم العوامل الضرورية لتطوير مجتمعاتها نحو الأفضل . علما بأن هذه الظاهرة ليست وقفا على أمتنا العربية بل هي تكاد تعم مجمل بلاد العالم الثالث .

ولقد نوقشت هذه الظاهرة مرارا حتى ليبدو الخوض فيها من جديد وكأنه ضرب من التكرار اللاجدي . ومع ذلك فانه يبقى في المسألة ما يمكن أن يقال .

ففي محاولة لوضع الحلول الناجعة لهذه المشكلة تدارس الكتاب والباحثون العوامل والأسباب التي تكمن

وراءها ، وقد أبرزت تحليلاتهم أسبابا وجيهة ، منها : الضغوط المادية المعاشية التى تتعرض لها هذه الكفاءات بعد عودتها واقامتها فى بلدها . ومنها غياب المناخ العلمي الملائم لها لمواصلة بحوثها وعطائها ، كما أشير باصبع الاتهام الى الدول المتقدمة التى تخطط لذلك ، بطريقة مباشرة - كالعروض المادية المغرية - وبطريقة غير مباشرة كسن القوانين التى تسهل دخول هذه الكفاءات الى بلادها واستقرارها فيها . بل يؤكد بعضهم على هذا العامل الأخير مدينا الدول الصناعية الغربية بسرقة هذه النخبة التى بذلت عليها أمتها من عرقها ومن خبز أطفالها لتيسر لها سبل المعرفة الا كاديمية العالية . . . .

هذه الأسباب كلها صحيحة ومقنعة الى حد بعيد . ولكن هل هى كافية وحدها لتبرير رحيل كل الأدمغة العربية المهاجرة التى صارت أسماء بعض رموزها ملء السمع والبصر ؟

ان الاسباب الآنفة الذكر ليست قادرة على أن تغطى رحيل عشرات الآلاف من الاختصاصيين عن بلدانهم العربية .

- فبعض هذه البلدان لا يشكو مواطنوها ومثقفوها أى قصور مادى ، بل تقدم لهم تشجيعات مادية مجزية ، ومع ذلك فالعديد من أبنائها المؤهلين مازالوا بعيدين عنها .

- ثم ان العامل المادى - على أهميته - لايمكن أن يكون الهدف الأول لجميع افراد تلك الفئة التى حصلت على ارفع العلوم العصرية وأدقها ، وما يستتبع ذلك التحصيل المحل العالى من فهم عميق للحياة لايعطى المادة اكثر من حجمها الحقيقى بين القيم . ناهيك عن أن الطبيب الاختصاصى - مثلا - مهما كانت ظروف بلده قاسية فإنه يستطيع أن يعيش بكفاية مادية معقولة . كما أن شواهد القناعة والزهد لدى العلماء - فى تراثنا - اكثر من أن تحصى .

- أما الدول المتقدمة التى تخطط بطرق شتى لاستقدام هذه العقول ، فما كان تخطيطها ليؤتي ثماره لولا أنه يستفيد من الثغرات التى يفرزها واقعنا نحن ومن السلبيات التى تسهل له اداء مهمته فى اجتذاب العديد من أدمغتنا المفكرة . اذن لابد من تلمس عوامل ودوافع أخرى سوى ماذكر . .

اننا نعتقد أن هناك عاملا آخر هاما ، ليس مجهولا ولكنه معتّم عليه لسبب أو لآخر ، وهذا العامل هو الضغط السياسي الذي يحسه ويعانيه كثير من العلماء والاختصاصيين في بعض البلدان العربية . ومن المؤسف حقا أن تلك الفئة المهمة من شعبنا لم تستطع أن تكون بمنأى عن ذلك الضغط الذي قد يصل أحيانا الي درجة القهر السياسي . فمع أن العلماء - علي رأي ابن خلدون - هم أبعد الناس عن السياسة وطموحاتها ومذاهبها ، ومع ذلك فانهم لم ينجوا من حبائلها . قد لا تتعرض الكفاءة العلمية شخصيا لضغط مباشر أو قهر متعمد ، ولكن المناخ العام الذي تعيشه والوسط الذي تتحرك في أجوائه لا بد بأن يفرض عليها ظلاله بشكل أو بآخر . واذا كنا نؤكد أن غياب المناخ العلمي يدفع الكثير من العلماء الي الهجرة بحثا عن أجواء أكثر ملاءمة ، أفلا نستطيع الافتراض اذن بأن غياب مناخ الحرية العامة قادرٌ على أن يحمل الكثير من الاطارات العلمية على الرحيل ؟ ثم أليس مناخ الحرية العامة هو - أصلا - أحدى ضرورات البحث العلمي فضلاً عن الابداع فيه ؟

وهذا السبب دون غيره يفسر نوعا آخر من هجرة الادمغة ، وهو هجرتها الى الصمت والسلبية علي أثر شعورها بعدم القدرة علي التكيف مع الظروف التي احيطت بها ، وهي هجرة ربما تكون أسوأ من الأولى ، لأنها تعطيل للموهبة علي المستويين الوطني والعالمي .

لقد قال ابن خلدون في مقدمته« ان الظلم مذهب للعمران » . وهو يعلل مقولته هذه بأن العمال والصناع في حالة الظلم يتركون بلدهم ويتفرقون في بلاد أخرى طلبا للرزق فيخرب بلدهم ويذهب عمرانه . . فاذا كان الظلم مدعاة لأن يهجر العمال والصناع بلدهم الي آخر ، أليس من باب أولي أن يدفع بالعلماء والتقنيين لأن يهجروا

بلدهم الي مواطن أخرى ؟

وبعد ، فهل نكون مغالين اذا قلنا بأن ما تراه اليوم من هذا التزيف المتواصل للأدمغة انما هو ـ في بعض الأحيان ـ تهجير لا هجرة ؟ وهل نستطيع أن نقرر بأن الأدمغة القادرة علي العطاء تهجر ـ عن قصد أو غير قصد ـ ثم تحير مشكلة التخلف علي حسابها ؟

ان تأمين جو ينتفي فيه شعور العالم والتقني بالخوف واللامساواة سيكون واحدا من العلاجات الملحة لاسترداد عقولنا أو أدمغتنا المغتربة لتشارك في بناء بلادنا التي لا تستغني عن جهود أي من أبنائها .

ظاهرة "التضخم اللفظي" في حياتنا

بقلم : يونس شتات

« في مجتمع العمل تحتفظ الكلمات بقدسيتها وهيبتها في النفوس ، وفي مجتمع الأقوال تكسد الكلمات وتفقد حرمتها تماما كما تكسد العملة المتضخمة » .

كان اكتشاف اللغة حدثا مهما في حياة الانسان ، فحين عرفها ارتقى وصار ناطقا مفكرا ، يعرف كيف يتصل بالآخرين ويتفاهم معهم ، ويؤثر فيهم ويتأثر بهم ، فتكونت بذلك المجتمعات الانسانية وارتبط أفرادها بعلاقات فكرية واجتماعية واقتصادية .

وليست اللغة ، التي أحدثت هذه الطفرة في حياة الانسان ، سوى رموز لما في الحياة من موجودات ، أو رموز لما يدور في خلد الانسان من أحاسيس وأفكار ، ولما يقوم به من نشاط وعمل ، ولما ينتج عن هذا النشاط الانساني من اختراعات ولوازم حياتية .

وفي القديم كان الرمز لاينفصل عن مدلوله ، وكان الانسان في الحضارات القديمة يعتقد أن الرمز ومدلوله شيء واحد ، ومن هنا نشأ اعتقادهم بالقدرة السحرية لبعض الكلمات ، وكان ملوك الفراعنة يكتبون اسماء اعدائهم على ورق البردى ثم يقومون باحراقها ، ظنا منهم أن حرق الأسماء يعني حرق الاشخاص الدالة عليهم هذه الأسماء .

وفي الدراسات الحديثة ، ينظر للغة على انها ظاهرة اجتماعية ، تستطيع الجماعة أن تتفاهم عن طريقها ، فتصبح شؤون الحياة سهلة ميسورة . وعن طريق اللغة تعلم الانسان وتقوّم وبلغ ما بلغ من الرقي الحضاري والعلمي ، ولا انفصام بين لغة الانسان وفكره ، فالفكر لا يظهر دون لغة ، واللغة فكر ناطق ، والفكر لغة صامتة .

ولا خير في فكر لا يثير في نفس صاحبه النشاط ويتحول الي سلوك وعمل ، أو يؤدي الي أدوات واختراعات تعين الانسان علي حل مشكلاته الحياتية .

ويمكن القول ، ان اللغة وجدت في حياة الافراد والمجتمعات لتتحول الى سلوك وممارسات تدفع بالمجتمع

الى الرقي والتقدم في المجالين المادي والمعنوي ، أما المجتمع الذي لا تتحول لغته الى أداء وعمل ، ولا تتحول أقواله الى افعاله ، فأقل ما يقال فيه انه مجتمع متداع آيل للسقوط والانهيار ، ولذلك نجد القرآن الكريم يستنكر ان يفصل بين القول والعمل في مجتمع الايمان ، ويعد ذلك من عظائم الامور « يأيها الذين آمنوا ، لم تقولون ما لاتفعلون ، كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون » وكانت الظاهرة البارزة التي ميزت المجتمع في صدر الاسلام ، انه مجتمع عمل لا مجتمع اقوال ، وجاءت الفاظهم شديدة الالتصاق بما تدل عليه من قيم ومعان ، واتصفت بالايجاز والحكمة ، والحقيقة أن المجتمع الذي يعمل بما يؤمن به من قيم ومثل ، يميل في العادة الى اختصار الكلمات واللغة التي يعبر بها عن تلك القيم والمثل . لأن الكلمة الواحدة عنده صادقة صدقا كاملا ، أو هي قانون نافذ يعمل دون تردد ، فلماذا يعيدها أويكررها ؟ لاحاجة لذلك مطلقا ، أما المجتمع القوال ، الذي يقول ولا يفعل ، فهو يميل الى التعبير عن المثل والقيم بكلام كثير وعبارات مسهبة ، وكأنه يحس في نفسه عدم الصدق ، وعدم الالتزام بتنفيذ ما تدعو اليه هذه المثل والقيم ، فيعوض عن عدم صدقة والتزامه هذا بتضخم الجانب اللفظي . أما الصدق نفسه فلا يحتاج الى تطويل وتضخيم ، والبلاغة تكمن في كمال النفس وصدقها وليس في اجترار الكلمات وتضخيم الالفاظ .

في مجتمع العمل تحتفظ الكلمات بقدسيتها وهيبتها في النفوس ، وفي مجتمع الأقوال تكسد الكلمات وتفقد حرمتها تماما كما تكسد العملة المتضخمة ، ومادام أن الكلمة لم تعد تتحول الى عمل وسلوك فانها تخسر هيبتها .

***

وحين ننظر الى مجتمعنا في واقعه الراهن ، منطلقين من هذه المفاهيم والمعايير ، نجده يقوم على التضخم اللفظي ، فالجانب اللفظي فيه تضخم على حساب جانبي الفكر والعمل اللذين أصيبا بضمور شديد ، وينسحب ذلك على مختلف جوانب حياتنا الحاضرة ، السياسية منها والفكرية والادبية والاجتماعية . فالناظر في هذه الجوانب ، يمكنه أن يرى دون عناء ، هذه المبالغات اللغوية والاستعمالات اللفظية المتضخمة ، كما يرى أن هذه الالفاظ قد انفصلت عن مدلولاتها في الغالب وبقيت مجرد رموز صوتية ، لاتندفع للنشاط ولا تتحول الى أداء وسلوك .

فعندما نلتفت الى حياتنا السياسية ، نجد أن الفكر المطروح أو الذي طرح ، لايعدو أن يكون شعارات ضخمة وعبارات منمقة ، ذات الفاظ لها طنين وبريق ، فهي مثلا تتحدث عن : حرية الفكر والتعبير . . . كرامة المواطن . . . العدالة الاجتماعية . . وحدة المصير والهدف . . . الخ

وفي ظني أن ماطرح في عالمنا العربي من شعارات وأفكار ، يفوق ماهو موجود في دساتير اكثر الدول تقدما ورقيا ، ولكن عندما نفتش عما تحقق في مجتمعاتنا العربية من هذه الشعارات المطروحة ، فان الانسان يصاب بخيبة أمل .

فاذا انتقلنا للأدب ، نجد ظاهرة التضخم اللفظي في اوضح صورها ، فمن يستمع الى خطبائنا يجدهم يعيدون ويكررون عبارات تقليدية محفوظة مليئة بالترادف والزخرفة اللفظية ، والمعنى الواحد يعبرون عنه بحشد من الكلمات والجمل المتشابهة والصفات المتوالية ، وكأن الخطيب يريد أن يشعرك أنه يحفظ القاموس وسائر المتون اللغوية وان له من المقدرة اللغوية الفائقة ما يعجز عنها الآخرون ، وهكذا تتحول الخطبة ، في الغالب ، بفضل ما يحشد لها من الترادف والزخرفة اللفظية الى ضجة لفظية وجعجعة كلامية ، أما ان تكون الخطبة سبيلا لاقناع الناس وتغيير افكارهم واتجاهاتهم ، وتدفعهم للعمل وتحفزهم عليه ، فهذا ما نفتقده ولا نجده في واقعنا الا نادرا ، وفي ظني لو ان الخطيب جعل كلماته في حدود قدرته على تطبيقها ، لكان ذلك أقرب الى تحقيق هدفه ، أما الشعراء فان عندهم من الشطح والمبالغات مايتجاوز كل خيال ، وكثير من شعرائنا ارخى لنفسه عنانُ التبجح

والتفاخر والتغني بالامجاد والمديح المفتعل للأمة والحماسة الكاذبة ، وأغلب شعرائنا تمكن من تحرير فلسطين ومسح الصهيونية من الوجود .

فلسطين اسمحى منا يمينا

وعهدا فى شباب عاملينا

بأننا لن نذوق النوم حتى

بنى صهيون نوردهم منونا

وقد يقول قائل : ان الكلمات الحماسية لاتضر وأنها تخلق الايمان عند السامع .

والحقيقة أن الفرق كبير وشاسع بين التغنى بالمجد ، وصنع المجد ، وأن التغنى بالمجد لايصنع المجد والمديح الكاذب لايقود الا الى الغرور والخيلاء ويضعف الثقة بالنفس ، ويجعل الالفاظ تفقد هيبتها فى النفوس ، فاذا اعتاد الانسان أن يقول الأشياء ولا يحققها ، ذلت نفسه وهانت دون أن يشعر ، ذلك أن النفس فى أعماقها تحس انها جزئت : جزء منها سامي له مظهر الصدق ، وجزء أخر ملوث كله بكذب ، ولا يطلب من الشاعر بالطبع أن يتخلى عن خياله لأن الخيال سلاح الشاعر فى التبشير بواقع جديد وعالم جديد ، ولكن الذى لايقبل من الشاعر أن يوهم الناس انهم يعيشون حالة مجد وفخار وهم غارقون فى الذل والصغار .

ولم تسلم الأغنية العربية من ظاهرة التكرار وتضخيم الالفاظ ، فكثير من المغنين يطيب له أن يقضى وقت غنائه فى تكرار كلمات بعينها . ولست أدرى أى هدف أو أى فن يرمى اليه المغنى عندما يقضى الليل وهو يقول لسامعيه !

ياليل .. ياعين .. ياليل .. ياعين .

قيل لى مرة : ان رجلا اوربيا ، لاحظ أن صديقه العربى يستمع الى اغنية باهتمام ، فسأله أن يترجم له كلماتها فترجم له بعض كلماتها ، ولا حظ الاوربى أن المغنى يكرر الكلمات نفسها طوال الوقت ، فقال لصديقه :

يبدو أنكم ـ معشر العرب ـ لاتفهمون الكلام من مرة واحدة !!

وفى الحياة الاجتماعية ، فاننا نميل فى تقاليدنا وعاداتنا الاجتماعية الى اجترار الكلام وكثرة تكراره والمبالغة فى المجاملات اللفظية ، ويمكننا أن نلمس ذلك فى ظواهر عديدة ، فاذا التقى صديقان مثلا او تحادثا فى الهاتف ، فلا ينسى كل واحد منها أن يسأل صديقه عدة مرات عن حاله وعن صحته ، وبين الحين والآخر يكرر على مسامعه عبارات الترحيب . كما تبرز ظاهرة المجاملة اللفظية فى حالة استقبال الضيوف ، فاننا نحرص عندها أن نسمع الضيف كل ما نحفظه من عبارات المجاملة .

وليس الاعتراض هنا على عادة اكرام الضيف التى هى عادة عربية اسلامية أصيلة ولكن ، الحديث عن لغو الكلام والمجاملات الزائدة التى تكون فى الغالب على حساب جلال الموقف وصدقه .

ان التهويل فى الحديث يدل على عدم صدق الحديث ، والمجتمع الذى يميل الى التهويل غير صادق مع نفسه ، وتخسر الألفاظ فيه معانيها وقوة تأثيرها

ان التهويل فى استعمال اللغة قد أخر حياتنا كثيرا ، وحوّل مجتمعنا الي مجتمع مظاهر جوفاء ، وأبعدنا عن الصدق والالتزام بما نقول ونطرح من أفكار وشعارات .

وان تجديد الحياة في مجتمعنا لا بد أن يبدأ من هذه الظاهرة الخطيرة فنتخلص انفسنا من بقايا عصر الصنعة اللفظية وزخرفة الكلام .

وننتقل من حضارة الكلمة الي حضارة الأداء والعمل ، للوصول الي المجتمع العامل الفاعل الذي ننشده . وعلي هذا الدرب فان كل فرد في المجتمع مدعو الي تدريب نفسه علي تحويل كل الألفاظ التي يقولها الي عمل وسلوك ، وممارسة كل ما يدعو اليه من قيم ومثل ، بمثل هذا السبيل فقط يمكن أن يؤثر في الآخرين ويكون قدوة لهم .

محمد محمود الزبيري

شاعر اليمن التاريخي

بقلم : الدكتور عبد العزيز المقالح

لا تزال الحركة الأدبية في الجزء الجنوبي من الجزيرة العربية (اليمن بشطريها) ، كانت - وما تزال - بالرغم مما تبشر به من عطاء أدبي وفكري تفتقر الى التعريف الجاد والمتابعة الدءوبة . وللانصاف تجدر الاشارة الى بعض الكتابات التي ظهرت عن (الشعر في اليمن) في منتصف الستينيات ثم في أوائل السبعينيات ، والتي كانت بمثابة رحلات استكشافية رائدة . وقد ظن الأديب اليماني يومئذ انه بظهورها قد وجد طريقه الى أشقائه في بقية الاقطار العربية وأنه لن يبقى على هامش النسيان مختبئا على اطراف الرمال بعيدا عن الذاكرة العربية ، لكن الصمت كان أقوى ، وما عتمت تلك الكلمات الرائدة ان توقفت ، وعادت الاصوات اليمانية - القديم منها والجديد - تتكلم في عزلة وتغنى فى الفراغ ، فراغ الصحراء والبحر !!

وقد حاولت في هذه الدراسات السريعة ان تكون قاصرة على الأحياء من القاصّين والشعراء في يمن اليوم ، الا انني وجدت ان بعض الموتى « الاحياء » يفرضون أنفسهم على هذه الدراسات ويقفزون - بما يشكلونه من حضور أدبي - الى الصفحات الأولى ، فالشاعر الكبير الاستاذ محمد محمود الزبيري - مثلا - من الصعب أن يتجاهله الدارس الذي يرغب في الكتابة عن الشعر أو عن النثر في اليمن لا لأنه كان - وما يزال - يحتل مكان الصدارة في شعر

اليمن المعاصر ، ولا لما تربطه بشعبه من ألفة ومحبة ، وانما لأنه يشكل ـ على حد توصيف محمود درويش لأبي سلمى ـ السنديانة التي خرج منها أهم الشعراء في يمن اليوم ، ولأنه منذ اصبح الزبيري مثلا رائدا للوطنية ـ كان شعره قد أصبح مثلا رائدا للقصيدة في اليمن ، ولعله الوحيد بين شعراء اليمن الذي كان له تأثير واضح وكبير على شعراء جيله وعلى شعراء الاجيال اللاحقة .

في ظل ضياع العدل

ولد الشاعر محمد محمود الزبيري في حي بستان السلطان أحدث الأحياء التاريخية في مدينة صنعاء القديمة وزمن الميلاد ١٣٣٧هـ ١٩١٨م . ، ومن اسرة تنتمي الى الطبقة الوسطى ويشتغل بعض أفرادها بالقضاء والبعض الآخر بالتجارة ، وقد ابتعدت به موهبته عن اهتمامات أسرته . وأنشأته ـ منذ الطفولة الباكرة ـ نشأة روحية متصوفة جعلته غير ميال الى القضاء ، وغير مهتم بالتجارة ، وكان الوطن همه الاول والأخير ، وكان الشعر عالمه الجارح الجميل . دخل السجن ، وأمضى أهم سنوات عمره في المنفى ، . كتب الرواية والدراسة الأدبية . . كان خطيبا بارعا وصحفيا شجاعا ، ظل ينادي بالثورة وينسج علمها بالدم والدموع والشعر ، وحين جاءت تلبية لنداء الشهداء لم يتمتع بوعدها الجديد سوى عامين اثنين ، فقد لقي مصرعه في الأول من ابريل ١٩٦٥ بأيدي ثلاثة من الجناة اغواهم بريق الذهب القادم من وراء الحدود ، ولم يفزعهم لون السواد الذي سوف ترتديه البلاد بعد مصرع شاعرها التاريخي الكبير .

كان الشعر في اليمن قبل الزبيري ضائعا ضياع العدل والحرية في تلك البلاد ، وكان أهل اليمن ضحية نظام حكم متخلف بشع امتد في حياة اليمنيين طويلا ، ووصل في النصف الاول من القرن العشرين الى اسوأ مستنقعات الفوضى والتخلف . وكان على الشاعر لكي يصبح كذلك ان يحارب في معركتين : الاولى معركة انقاذ البلاد من نظام الحكم القائم ، والمعركة الاخرى انقاذ الشعر من براثن التقليد والتراكيب المبتذلة . ولم يكن يجرؤ على خوض المعركتين في وقت واحد سوى شاعر تاريخي ، شاعر معبأ بقوة الايمان والعقيدة وبرحابة الموهبة ، وقد ظلت اليمن تبحث عن مثل هذا الشاعر وتنتظر ظهوره في ابنائها حتى وجدته في الزبيري ، الشاعر الذي اهّله عبقريته وتكوينه الصوفي الثوري للقيام بهذه المهمة الخطيرة ، مهمة الريادة الوطنية الأدبية ، مهمة الشاعر التاريخي .

ولعل مواصفات الشاعر التاريخي هي ذاتها مواصفات الثائر الرائد ، إنه ذلك الذي يسعى الى تجاوز الواقع المحيط بالاستبصار وبالكشف والنبوءة ، وبرصد الجوانب الخلاقة التي تكمن في أعماق شعبه ويتغنى بها وجدانه ، وقد حددت فيما كتبته كمقدمة لآخر دواوين الأستاذ الزبيري (صوت الشعب) اهم سمات الشاعر التاريخي وفقا للمعيار النقدي المعاصر ، وأنها هي تلك التي تجعل اسمه يرتبط بتغيير جوهري في تاريخ الشعر ، واليه ينسب ذلك التغيير ، فضلا عن كون التغيير الذي يتركه الشاعر التاريخي يبقى مؤشرا لعملية تحول كبير وأداة استعجال لاشراقة تغييرات عظيمة في الحياة الثقافية . وقد خلصت من ذلك التحديد الى الحديث عن محنة الشاعر التاريخي في ضوء ما عاناه الزبيري ، أو الشاعر التاريخي في اليمن ما يشيب لها الولدان : (ومحنة الشاعر التاريخي وعظمته في آن ، انه يأتي من منعطف تاريخي حاسم ، ويكون همزة الوصل العميقة بين العصر والتراث ، بين الحاضر والمستقبل ، وهذه التاريخية تلقي على كاهله العظيم مسئوليات لا يحملها غيره ، وتضع في رأسه من الهموم مالا تضعه في رأس شاعر آخر

وذلك لسبب واحد ، هذا السبب - في تقديري - انه قبل أن يكون استجابة حقيقية لتحدى زمنه ، وتأكيدا لطابع الابتعاد عن الخط التقليدي والمألوف لذلك الزمن ، يكون مهيئا ومستعدا لتقبل محنة المواجهة والتحدى . والزبيري - في ضوء هذا المفهوم لمحنة الشاعر التاريخي وعظمته - واحد من هؤلاء الشعراء التاريخين الذين كان ظهورهم استجابة حقيقية لتحديات واقع اليمن في أهم فترة من فترات تاريخه المعاصر . ولم يكن استجابة على مستوى التعبير الشعري وحده ، وانما هو - كما سلفت الاشارة - استجابة على مختلف المستويات ، وقد تدرج مع فكر شعبه ثقافيا من قصيدة المدح الى قصيدة التحريض والثورة ، ومن الخطبة المنبرية الى الرؤية الثورية ، وتدرج مع فكر شعبه سياسيا واجتماعيا من هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الى الجبهة الوطنية أو « جبهة التحرير اليمنية » كما سماها في أواخر الخمسينيات وأوائل الستينيات) : مقدمة ديوان « صوت الشعب » دار العودة ، ١٩٨٣ ، ص ٩

تجديد لغة القصيدة

وتتجلى تاريخية الزبيري الشاعر - في مجال الشعر - وهو ما يهمنا في هذه الدراسة القصيرة في محاولته الجادة والناجحة في تغيير مفهوم الشعر في اليمن ، وفي تجديد لغة القصيدة وفي الخروج بها من تقليدية عصور الانحطاط والحاقها بقصائد النصف الأول من القرن العشرين ، فضلا عن متابعة احداث المذاهب الفنية والتبشير بأساليب تعبيرية جديدة كما فعل - على سبيل المثال لا الحصر - في قصيدة « البلبل » التي تعتبر البيان الشعري الأول في اليمن للانتماء الى المدرسة الرومانسية ، صحيح انه سبق هذه القصيدة قصائد أخرى تبشر بمولد هذا التيار وتؤكد تسلله الى الواقع الشعري المتخبط بين الأنقاض اليمانية ، الا ان القصيدة بأسلوبها الرومانسي الغني بالرؤى والصور التعبيرية الشديدة التأثر بهذا التيار الفني وبما تسجله عن مفهوم الرومانسية دون ان تفقد شاعريتها ، كل ذلك يجعلها بداية التحول نحو مدرسة شعرية جديدة :

بعثت الصبابة يا بلبل
كأنك خالقها الأول
غناؤك يملأ مجرى دمي
ويفعل في القلب ما يفعل
سكبت الحياة الى مهجتي
كأنك فوق الربى منهل
ترتل فن الهوى والصبا
شجيا وان كنت لا تعْقل
وما الحب الا جنون الحياة
وجانبها الغامض المشكل
الا أيها البلبل العبقري
والصادح المدره الفيصل
تنفّس فأنفاسك الخالد
ات روح الرياض التي ترفل
حنانك آمن من ظلّها
وريشك من زهرها أجمل
وانت السعيد الوحيد الذي
حباك الزمان بما يبخل
غناؤك للطّبع لم تكترث
أضاعوا فنونك أم سجّلوا
وتنشد وحدك ما إن تحس
بمن يحتفي بك أو تحفل
وتأبى التصّنع بين الجموع
وان صفّقوا لك او هللوا
وتبكي لنفسك لا للخطوب
وان كان فيهن ما يذهل

ديوان الزبيري : ص ٤٣٩

السياسة والشعر

وبالرغم من هذا الالحاح ومن التركيز على

ضرورة خلق عالم جديد في الشعر ، ومن الدعوة الى التحليق في عالم الرومانسيين حيث يكون غناء الشاعر للطبع او لذات الغناء ، وحيث تحرر الشاعر من القيود والتصنع في النظم ، وحيث لا يحتفل الشاعر الا بجودة غنائه ، وحيث يكون بكاؤه للفن لا للخطوب (وان كان فيهن ما يذهل) أقول بالرغم من ذلك الموقف الذي يفصح عن رغبة الشاعر في الانفلات من قبضة الواقع والانجذاب نحو الرؤية الرومانسية ، إلا ان واقع اليمن وما كان يعاني منه الشعب قد جعله يحطم أحلامه وأبقاه قريبا من الالتزام المباشر ، وقد تحدث الزبيري بمرارة عن اثر السياسة السلبي على شعره ، فقد أبعدته عن مجالات الابداع والابتكار ودفعه الانغمار في بحرها الى ان يتجنب لغة الشعر الموحية الهامسة الى الصرخات العالية واختيار الكلمات الثائرة والصياغة التي تقترب من المباشرة . ولنقرأ معا مقاطع من احدى قصائده التي لا بد ان تكون قد تغلغلت الى أعمق أعماق اليمنيين ، واذا كانت قد خسرت شيئا من الشعر وشيئا من فنيته فانها قد كسبت وضوح الرؤية والحضور التام في عالم الممارسة النضالية :

كفرت بعزمتيَ الصامدة
وقدسيّة الغضبة الحاقده
وأنّات قلبيَ تحت الخطوب
وأحلامه الحيّة الصاعده
وعمر شباب نذرْت به
لشعبي وأهدافه الخالده
وبالشهداء ولأرواحهم
تراقبني من عَلٍ شاهده

* * *

هيَ الشّاة تتْبع جزّارها
وتنسى ببرسيمة ثارها
تباع وتشرى .. من الذابحين
وتجهل في البيع اسعارها
يجرجرها الحبل في عنقها
الذليل فتحبه غارها
ترى مدية الذبح مصقولة
تضيء فتكبر أنوارها

* * *

كفرت بعهد الطّغاة البغاة
وما زخرفوه وما زيّفوه
وأكبرت نفسيَ عن أن أكو
ن عبدا لطاغية توّجوه
وعن ان يرانيَ شعبي الذي
يعذّب عونا لمن عذّبوه
أأجثو على ركبتي خاشعا
لجثة طاغية حنّطوه
أأعقهُ خنجرا قاتلا
لشعبي وأكثر فيه الوُلوه ؟
أنا ابن لشعبي أنا حقدهُ الرّ
هيب انا شعره اناشيده
اتعنو لطاغية جبهتي ؟
فمن هوَ؟ من اصله؟ من ابوه؟

* * *

وآمنت بالشعب يوم جثا
أمام الطغاة على ركبتيه
ويوم انبرى في ذهول الهوا
ن يرمي مكاسبه من يديه
ويوم مددنا شعاع الصباح
له فانزوى وحمى مقلتيه
ويوم عصرنا رقاب الطغاة
وسقناهمُ كالجواري اليه
فأطلقهم من هوان الاسار
ذئابا علينا صلالا عليه
هو الشعب .. حق مشيئاتهُ
صواب ورشد خطيئاته
له نبضنا وأحاسيسنا
فما نحن الا نباتاته
له دمنا وله دمعنا
يغذّى عليه ويقتاته

« ديوان الزبيري : ص ١٠١ »

أين هذا الشعر الجماهيري الهادر من أحلام الرومانسيين ومن أشواقهم التعبيرية ؟ أين الكلمات المجنحة والتعابير المبهمة الفردية من هذا الهدير الجماعي ، ومن هذا الايمان الطلق بالشعب في حالات الخطأ وفي حالات الصواب . وشعر في مثل هذا المستوى من الانفعال والاندفاع لا بد أن يكون له اعظم التأثير وفي النطاق الجماهيري بخاصة ، وهو ما كانت تنتظره اليمن في زمن الارهاب والتقتيل ، وفي ظروف المبارزة غير المتكافئة بين الحاكم المسلح حتى أسنانه وبين الشعب الأعزل الممعن في الغربة والهرب عن ذاته وعن العصر .

صوت كل المحرومين

لم يكن الزبيرى شاعرا تأسره عملية الخلق الفني وحسب ، وانما كان كذلك ثائرا تشده هموم الشعب وتتحكم فيه معاناة الالتحام بالواقع ، وكانت القصيده بالنسبة له رؤية ثورية وتعبيرا عن تجربة نضالية يريد لها ان تصل الى الملتقى البسيط واضحة وسهلة التناول ، وبذلك اعطى النموذج الاول لوظيفة الشعر وانقذ الشعراء الذين تأثروا خطاه ـ وهم كثيرون ـ من الدوران في الذاتية المغلقة التي تدور على نفسها دون ان تنتهي الى شيء سوى مجموعة من التعابير اللغوية والصور المخبولة .. انه شاعر الشعب وصوت كل المحرومين والواقعين في قبضة الطغيان الأثم :

أنا شوكة في حلق طغيان يئن لها أنين ..
انا بلسم ابدا اسير من الجريح الى الطعين
اصغى الى نجوى جراح صم عنها البنسلين
انا شمعة كدحت اشعّتها وراء الكادحين
مدت بشعلتها الى احداقهم مدّ المعين
تزكو فتطفئها دموع البؤس من حين لحين
يشكو سناها جهل عميانٍ وغدر المبصرين

« الديوان ص ١٧١ »

اصدر الزبيري في حياته ديوانين من الشعر هما « صلاة في الجحيم » ، وقد صدر في عام ١٩٦٠ ، والآخر (ثورة الشعر) وقد صدر في عام ١٩٦٣ . وكان قبل استشهاده يعد لاصدار ديوانه الثالث ، لكنه لقي مصرعه قبل ان ينجز المهمة ، لذلك فقد تأخر صدور هذا الديوان الى هذا العام « ١٩٨٣ م » . عندما صدر بعنوان « صوت الشعب » ، وللزبيري كتابات نثرية متنوعة ظهر منها في حياته (ماساة واق الواق) رواية من الواقع و « الخدعة الكبرى » و « خطر الامامة على وحدة اليمن » وهما كتابان سياسيان ، وظهر له في العام الماضي كتاب « الاسلام دين وثورة » ، كما ظهر في هذا العام كتاب « المنطلقات النظرية في فكر الثورة اليمنية » ومن اهم قصائد ديوانه الأخير الذي ظهر في بداية هذا العام قصيدة كتبها في غربته الباكستانية ومنها :

حسبي من الايام اني عشت لا
أحتمل الضيم ولا استعبد

ولا يموت ميت ان كان في
ذكراه ، ما يبقى وما يخلد

نحن هدينا الناس من جهالة
وما علينا أنهم لم يهتدوا

نحن زرعنا ، وسقينا زرعنا
دماً ، ويأتي بعدنا من يحصد

حقا ، لقد زرع الزبيري ورفاقه من الشهداء الاحرار أرض اليمن بالثورة ، وسقوا اشجارها بدمائهم الزكية ، وجاءت الاجيال الجديدة لتحصد الثمر الطيب ، وواجب هذه الاجيال ان تتذكر بين حين وآخر ذلك الرعيل من الشعراء الشهداء ، فقد كانوا وسيبقون رموزا تضيء جوانب المستقبل لا شموعا تتوارى في زوايا الماضي . ○

الجديد في العلوم والطب

معالجة العجز الجنسي الكترونيا

العنة حالة من الضعف الجنسي تصيب النساء والرجال سواء بسواء . . فاذا أصابت المرأة أدت معنى البرود الجنسي frigidity . . والمرأة العنين هي التي لا تشعر بالميل الجنسي بالقدر الكافي . . . وقد تكون المرأة العنين منجبة . . فالعنة اذن لا علاقة لها بخصوبة المرأة . . . ولكن لا علاقة للعنة أيضا بخصوبة الرجل أو قدرته على الانجاب . فالرجل العنين عاجز جنسيا (impotent) ، وليس بالضرورة عقيما (sterile) ، فقد يشعر بالميل الجنسي وقد يكون قادرا على الانجاب ولكنه يفتقر في الوقت نفسه الى الكفاءة أو القدرة التي بدونها لا يكون جماع . ولو ذكرنا مدى انتشار العنة بين الرجال ومدى المآسي والمضاعفات العائلية التي تترتب عليها . . ناهيك بمشاعر الفشل وخيبة الأمل التي يشعر بها الرجل العنين في أعماق نفسه . . . لو ذكرنا ذلك كله لشعرنا بمزيد من اهتمام بالخبر الذي ورد الينا حديثا . . خبر الطريقة الجديدة في معالجة عنة الرجال . . .

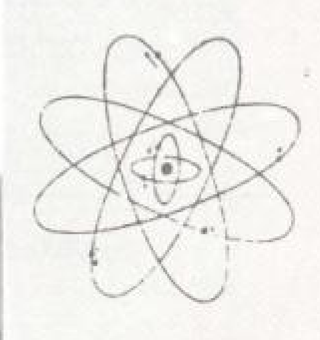
وتجدر الاشارة اولا الى أن هذه الآفة قد استعصت على الطب حتى الآن . . . فلطالما تعذر تشخيصها ولطالما استحال علاجها . . لا عجب اذن أن لجأ بعض الأطباء الى اجراء فحوص الكترونية معقدة للمصابين بالعنة وهم نائمون . . فقد تسمح لهم حالة النوم بمزيد من نجاح في تحديد ما اذا كان سبب العنة سيكولوجيا . . . أم فسيولوجيا أم كليهما معا ! وغالبا ما كانت تلك الفحوص بلا طائل وانتهت الى مثل الحيرة التي بدأت منها .

أما العقاقير والطرق التي عولجت بها العنة حتى الآن فلم تثبت فاعليتها ان لم يثبت فشلها . من ذلك ما عمد بعض الأطباء اليه من تقويم أو تدعيم جراحي لعضو الرجل ، وذلك بواسطة قضيب من حديد يزرعونه داخله أو اسطوانة مطاطية ينفخونها بعد ادخالها فيه . .

من هنا كانت المبتكرات الجديدة التي طورتها احدى الشركات الأمريكية المتخصصة في الصناعات الطبية - الالكترونية جديرة بالاهتمام . . . لا سيما وأن هذه المبتكرات قد جربت عمليا في القردة فثبت نجاحها .

وتشمل هذه المبتكرات جهاز فحص يكفل تحديد ما اذا كانت أسباب العنة سيكولوجية أم غير ذلك . فاذا كانت سيكولوجية . . . وهي كذلك في معظم الحالات ، أوصى الطبيب باستعمال الجهاز الثاني من تلك المبتكرات الجديدة .

والجهاز الثاني المذكور عبارة عن اسطوانة صغيرة يتم تشغيلها بواسطة موجات يصدرها جهاز الارسال الصغير الخاص الذي يمكن تثبيته على المعصم . . أو



اعداد :

يوسف زعبلاوي



حتى على اصبع اليد . والاسطوانة المذكورة لا تبلغ سوى ٧/٨ من البوصة طولا وهي معدة لادخالها بسهولة . . . وعند الحاجة . . . ومن شأن هذه الاسطوانة التي تتلقى الموجات الالكترونية من الجهاز الصغير السالف الذكر . . أن تستثير الرجل الكترونيا فيحدث الانتصاب .

مشلولة ولكنها تمشي . . .

نجح الدكتور جرنفول **Dr. Hugh Grenfall** في تطوير جهاز كهربائي دقيق يمكن المشلولين من السير على الأقدام . . . وقد جرب هذا الجهاز في أواسط شهر أبريل الماضي وكانت المسزجان برجس ، من سكان مدينة سوانسي في بريطانيا ، موضع تلك التجربة . والسيدة برجس مصابة بالشلل الذي شمل نصف جسمها الأسفل - البطن فما دون - . منذ ١٤ سنة . . . ومع أن الحركات الأولى التي مكنتها منها الجهاز كانت فجة . . . الا أنها أحرزت بالمران تحسنا كبيرا في حركاتها وخطواتها وفي التدريب على استعمال الجهاز . لا عجب اذن أن قالت المسز برجس : « أشعر بأن أمامي فرصة أكيدة في مستقبل غير بعيد . . لصعود الأدراج وزيارة الأصدقاء في منازلهم . . . »

والجهاز عبارة عن وحدتين ، والوحدتان مثبتتان ضمن قفص المشي . . . ويمسك المشلول بكلتا يديه بمقبضي هذا القفص أو الاطار . . . حيث توجد أزرار للضغط . . . وتصل الأسلاك الكهربائية بين هذين الزرين وبين العضلات المستعملة في المشي بفئاتها الثلاث : فئة عضلات أسفل البطن **ilio psoas** وفئة عضلات أعلى الساق **(quadriceps)** وفئة عضلات ماتحت الركبة **dorsiflexor** ويضغط المشلول على زر المقبض الأيمن ، وتصل الأسلاك كما لا يخفى بين هذه العضلات وبين وحدتي الجهاز . . . فتشتد العضلة الكبرى في ساقه اليسرى . . . والعكس بالعكس . .

ويؤدي رفع اليد عن الزر الى ارتخاء تلك العضلة . . . وبذلك يتعاقب الارتخاء والتقلص فتكتمل الخطوة . . . خطوة السير بالأقدام . . . ومعنى هذا أن الضغط باليدين على الزرين وكذلك رفع اليدين عنهما ، ضروري لكل خطوة يستطيع المشلول أن يخطوها بواسطة هذا الجهاز . . ولكن مخترع الجهاز الدكتور جرنفل يؤكد أنه لن يستطيع المضي في تطوير هذا الجهاز وتحسينه ، بسبب قلة المخصصات . . والمعروف أن الصندوق الدولي لأبحاث النخاع الشوكي في لندن وهو الصندوق الذي دعم - ومازال يدعم - الدكتور جرنفل في تجاربه وأبحاثه . . هذا الصندوق يمر بضائقة مالية في الوقت الحاضر . . ويرثي المرء لحال المشلولين ولحرمانهم نعمة المشي مرة ثانية . . وألا يكون سبب الحرمان سوى قلة المال المتوفر لأعمال تطويره .




تضغط السيدة برجس على زر الجهاز فيسري التيار الكهربائي في بعض عضلات الساق وتتقلص هذه العضلات وترتفع بذلك الساق والقدم (الصورة الوسطى) .

وتكفّ السيدة برجس عن الضغط على الزر ، فيسري التيار الكهربائي في عضلات أخرى غير الأولى . فتتمدد هذه العضلات وتستقيم الساق كما (في الصورة اليمنى) .



واخيرا . . .
هل تحقق الحلم ؟

ترى هل تحقق الحلم حقا . . ؟! حلم الطاقة النووية الرخيصة الآمنه . . ؟؟ هذا مابدا لعدد من مهندسي وعلماء جامعة برنستون في الولايات المتحدة على نحو خاطف وفي برهة وجيزة جدا لاتزيد على واحد من عشرين من الثانية . . !

بدأت القصة بمعادلة اينشتين الشهيرة (E = mc 2) التي تدل على ان في الامكان تحويل المادة الى طاقة . . وذلك بطريقتين . . الاولى تحطيم الذرة او انشطارها ، وهي الطريقة المتبعة حاليا في المفاعلات الذرية القائمة بالفعل في الوقت الحاضر . . حيث الاعتماد على ذرات اليورانيوم والبلوتونيوم الكبيرة نسبيا . . اما الطريقة الثانية فهي في دمج الذرات . . التي ينبغي ان تكون صغيرة كذرات الهيدروجين ، ابسط الذرات جميعا . . وهذه هي الطريقة التي مازال العلماء في امريكا وروسيا وبريطانيا واليابان وغيرها يعملون جادين من اجل اتقانها . . وما محاولة علماء برنستون الاواحدة من المحاولات العديدة التي يجريها العلماء هنا وهناك والتي تستهدف اتقان تلك الطريقة والسيطرة على الطاقة النووية وليس القدرة على توليدها فحسب . ذلك انهم نجحوا في توليدها ، ولكنهم فشلوا في السيطرة عليها ، وتسخيرها للاغراض السلمية . فقد نجحوا في صنع القنابل النووية التي تبلغ قوتها التفجيرية التدميرية ١٠٠٠ ضعف قوة القنابل الذرية (كالتي القيت على هيروشيما وتكازاكي في نهاية الحرب العالمية الثانية) وكان لهم في نجاحهم هذا خير دليل على امكانية التحكم بالطاقة النووية وخير حافز على السعي للسيطرة عليها واستعمالها لشتى الاغراض السلمية بدلا من البترول والغاز والكهرباء . .

وتجدر الاشارة الى ان توليد الطاقة النووية (الاندماجية) تحت الظروف الملائمة لايسبب التلوث على نحو ما يسببه توليد الطاقة الذرية (الانشطارية) وانه يبشر بتكاليف زهيدة لمقادير من الطاقة لاحدود لها . وحسبك ان كوبا من الماء سيكون كافيا عندئذ لتوليد مايكفي من الكهرباء لانارة مدينة كبيرة بكاملها من مدن الولايات المتحدة الامريكية ، ان لم نقل لكافة مدنها وقراها !

لاعجب اذن ان كان النجاح الذي اصابه علماء جامعة برنستون نقطة تحول هامة في هذا الميدان . فقد تمكنوا من بناء المفاعل النووي التجريبي القادر على تسخين ذرات الهيدروجين ورفع حرارتها الى ١٠٠,٠٠٠ درجه مئوية وتيسير دمجها بواسطة المجالات المغناطيسية للحصول على الطاقة النووية . . ومعنى هذا ان مفاعل برنستون - وقد اطلقوا عليه الاسم الروسي توكاماك (tokamak) ، اعترافا بفضل العلماء الروس في هذا الصدد - قد نجح حيث فشلت حتى الآن سائر المفاعلات الاخرى ، في احتواء درجة حرارة عالية (١٠٠,٠٠٠ درجة مئوية) واحتواء الطاقة النووية التي يتم توليدها بواسطة المجالات المغناطيسية . . على ان درجة الحرارة التي نجحوا في توليدها في مختبر برنستون ليست الا جزءا يسيرا من الحرارة التي يحتاجونها والتي تبلغ ١٠٠ مليون درجة مئوية (اى اكثر من درجة حرارة باطن الشمس بسبعة اضعاف) ! ومهما يكن من امر فان المائة مليون لاتعدو كونها مائة الف درجة مضاعفة الف مرة . . وما استطاعوا توليده بواسطة مفاعل تجريبي صغير يستطيعون توليده بواسطة مفاعل أكبر !

وتجدر الاشارة الى ان تكاليف مفاعل برنستون الحالي والمفاعل المرتقب (سنة ١٩٨٦) تبلغ ٣١٤ مليون دولارو (٥٠٠) مليون دولار على التوالي .

بانوراما تصويرية

لأشواق الماضي والمستقبل

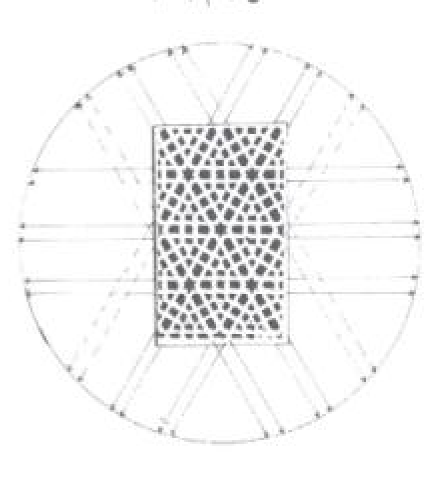
بقلم : احمد غانم

حين تقول « الفنان » ثم لا تضيف شيئا ، فلا شك أنك تعني « الرسام ـ المصور » . فما يزال هو جوهر الحركة التشكيلية في الحضار الحديثة فالتقدم الذى يحرزه في مساحات « الرؤية الفنية » طولا أو عمقا تتحرك به أفرع من الفنون التشكيلية في فعاليات حضارية عديدة .



الرؤية الداخلية

شكل رقم (١)



يمثل الشكلان تحليلا لحركية الخطوط المستقيمة في عملين .

الاول عن نافذة حصية من القاهرة كنموذج لفن « التكوين الاسلامي » الهندسي والثاني عن لوحة بالجبن « قاطفات الشاي » .

الاول ينتمي الى فنون الجماعة ، والثاني ينتمي الى الفن الذاتي .

الاول محايد كالعلم والطبيعة والافلاك . والثاني غناء انسان فردي .

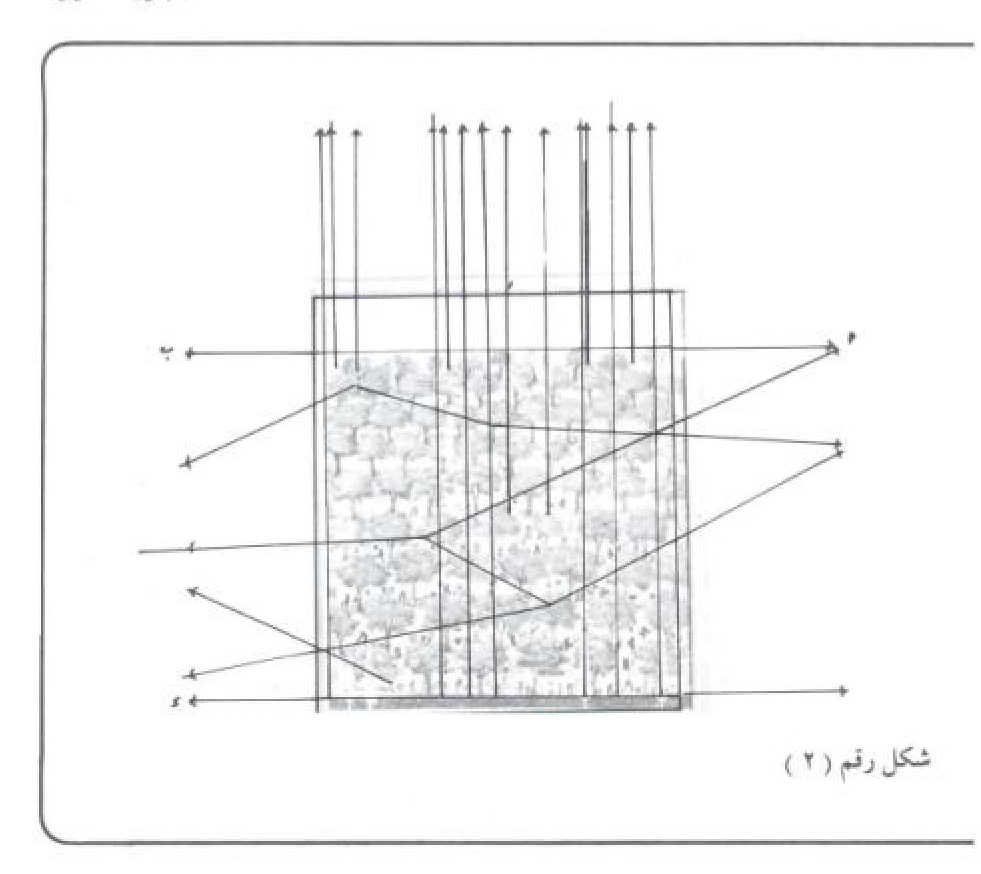
في الشكل الاول تنتشر الخطوط من مركز فلكي ، متماثلة في كل الاتجاهات ، انه عمل موازي للطبيعة جو الكون أو الناموس ذاته . والثاني كعمل مواز للانسان بتقلباته الا أنه يبقى خطوطه الافقية بين الخطين أ ب ، جد كأساس ضابط وتلعب الميول العاطفية الفردية لعبتها في الخطوط المستقيمة المائلة المتقاطعة . أما الخط الرأسي فهو يشبه المسلات المصرية ، صعود مستمر الى أعلى .

واذا كان المُنظر والمصور السويسري بول كلي (١٨٧٩ - ١٩٤٠) في صدر القرن العشرين تكلم بهدوء وثقة عن هذا الفنان « .. ولربما كان فيلسوفا دونما قصد » فانه ما يزال في مركز الصداره ، وعلى الرغم من معطيات التكنولوجيا الحديثة ، بقواها البصرية المناوئة والتي تشتت الانتباه .

إن تحديات المصور تتزايد مع المدى ، لكنه مايزال معنيا « بالاستيعاب والوعي » إزاء مشكلات التراث أو الحاضر ، وكلما جاء عمله أكثر نضجا وتفردا إتضحت لنا أبعاد في المستقبل اللامنظور ذاته .

واذا كان المصور المحدث يبحث لنفسه عن مساحة تخصه ، فهو في تحد دائم ومشبوب مع رؤاه الداخلية ، إلا أنه في نفس الوقت يرتاد لجماعته الانسانية مكانا تحت الشمس .. وانه ليفعل هذا .. ولربما دونما قصد » .

اذا كان ما تقدم يصلح تقديما لفنان واحد ، فما بالك اذا كان المعرض الذي شاهدناه - في يناير ٨٣ - بضاحية عبد الله السالم بالكويت يمثل بانوراما لفن التصوير التركي الحديث ، وحيث اختيرت بعناية مائة وست وثلاثون لوحة لا كثر من سبعين رساما ، اكبرهم سنا هو اليف ناجي المولود عام ١٨٩٨ ، واصغرهم سنا هو بهاء الدين اقاي المولود عام ١٩٦٥ .



شكل رقم (٢)

عن المشكلة التاريخية

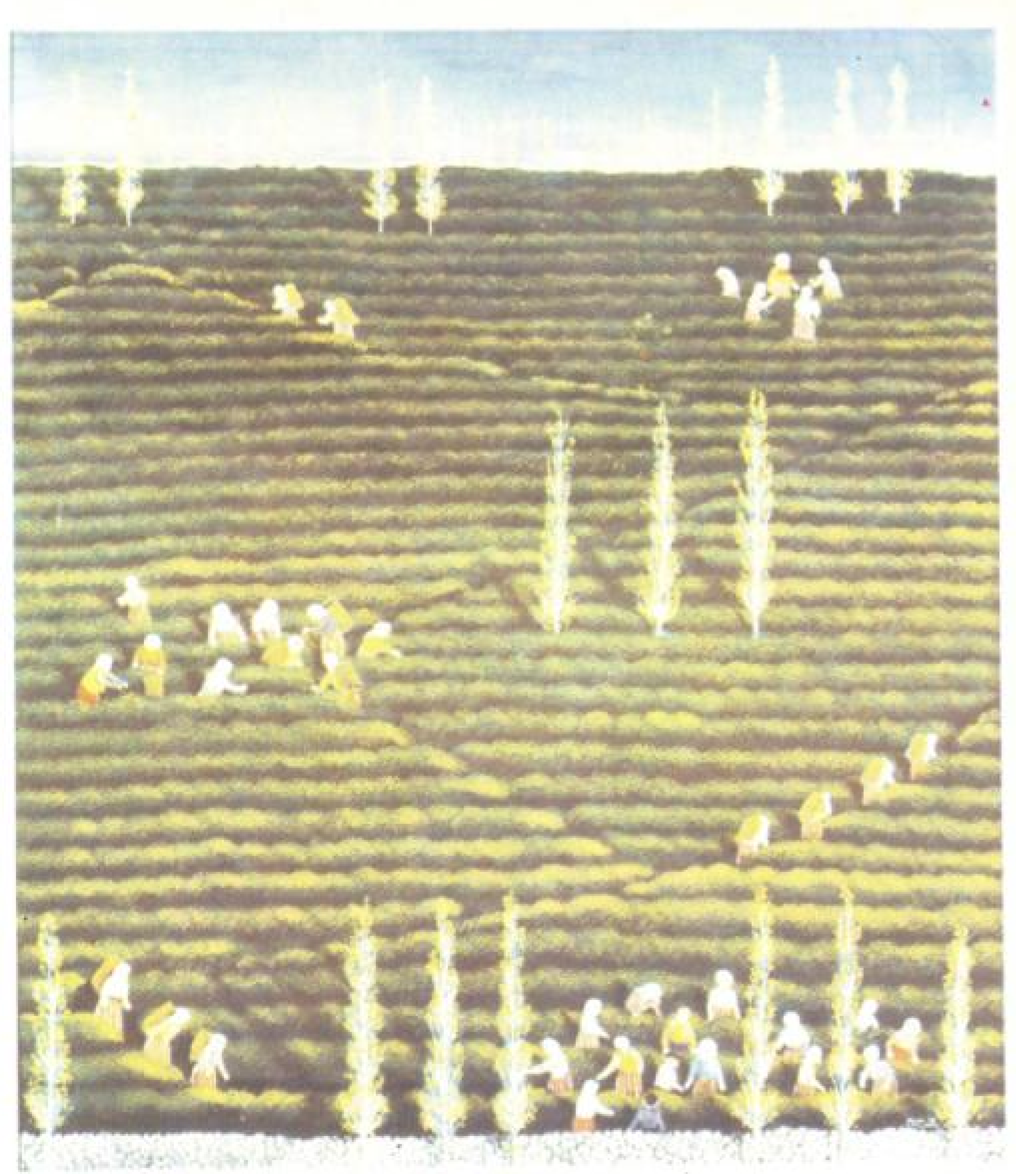
وتستطيع أن ترى في هذه البانوراما التصويرية انعكاسا مرآويا لواقع التصوير العربي الحديث ، فالصلات الثقافية التاريخية بيننا وبين تركيا أعقد من أن يفصم عراها قرن أو قرنان من التباعد الثقافي (والتماهي بالغرب) ، خاصة أننا ندور مثلهم في فلك العالم الثالث بمشكلاته المزمنه وإحباطاته المتواصلة والمتشابهة .

ولا شك أن الحضور السلبي العام للفنون التشكيلية العربية أو التركية الحديثة ، سواء في العمارة أو التصميم أو السينما يعود بسبب أساسي الى عدم وضوح الرؤية أو افتقادها ، (سواء في مدارس التصوير بخاصة او التشكيل بعامه) فما يزال جل مالدينا انعكاسا أو آخر لفنون الغرب .

وتشتد حاجتنا الى « التأسيس النقدي » والذي يتحرك في ثلاثة محاور أساسية :

* استيعاب ونقد تراث المنطقة والتراث العالمي .
* الوعي بالذات (الشخصية) والمحيط (البيئة) وطابعها والمشترك .
* الوعي بالتحديات التي تجابهها على مستوى الشعور والفعل معا .

ولا شك بأن تقدما ما في فن التصوير التركي



- يالجين كوكجه باغ (قاطفات الشاى)

- فاطمة أيا (بلا عنوان)



المعاصر يستطيع أن يفتح نافذة أو بابا أمام مستقبل التصوير في المنطقة خاصة أن الفنان التركي ينتمي الى ذرورة في تراثنا ونعني بها حضارتنا الاسلامية . وأنه من جانب آخر هو الاخف حملا فالفنان العربي في العراق أو المغرب العربي أو مصر أو السودان تحتركه رؤى عدة حضارات ، ولا أحد يمكنه الهرب أمام وعيه بالاصول ، أو يستطيع أن يبدأ من الفراغ متجاهلا ذاته : كموضوع أجتماعي أو المنابع ذات التيارات .

ان المشكلة التاريخية وعلاقتها بمشكلات التصوير الحديث في العالم العربي ، وفي عالم متغير .. وهل بامكان المنطقة (الشرق الاسلامي) أن تجد مرة أخرى نغمة تشكيلية مشتركة ؟ ! تحتاج مقالا مستقلا ، ولا شك أننا سنحاول البحث عن اجابات لهذه المسألة في نتاجات الفنان التركي المعاصر .

التصوير التركي الحديث بين رياح الغرب الباردة والحنين الى الشرق الدافيء

يشترك المصور التركي المعاصر مع زميله العربي في أربعة صفات وتوجهات . نسجلها اولا ثم نشرح محصلاتها السلبية . . .

(١) ما تزال الغالبية العظمى من مصوري العالم الثالث مشدودة بقوى مغناطيسية الى تجارب الفنانين الغربيين خاصة في القرن التاسع عشر الميلادي ثم الى ما قبل الحرب العالمية الثانية . كنماذج واضحة للتغيير الذاتي في الفن .

(٢) ان فريقا آخر منهم يفهم الدلالة الحقيقية لوصول التصوير الغربي الى « التجريد الهندسي » خاصة على يد المصور والمنظر الهولندي بيت موندريان (١٨٧٢ ـ ١٩٤٤) ثم نتاجات المصور المجري فيكتور فازا رايلي (١٩٠٨) وتلامذته . . . وبأثر من رغائب الذاتية اتخذوا طريق المصور الروسي فاسيلي كاندنسكي (١٨٦٦ ـ ١٩٤٤) والمصور الامريكي جاكسون بولك (١٩١٢ ـ ١٩٥٦) نحو التصوير « اللاشكلي » « والروحي » و « التاشي » وما الى ذلك . .

(٣) ان ادراكهم قليل للعالم المتغاير الذي يعملون فيه ، أو العالم المتغير حولهم ، وفيه يقول هربرت ريد « إن النشاز والتعارض قد اصبحا اليوم عنصرين أساسيين في تجربتنا الجمالية » (وهي آخر فقرة في خاتمة كتابه « الفن اليوم ») ولهذا فإنهم لا يدركون حجم الصلابة الداخلية التي ينبغي أن يتسلحوا بها أمام التيارات المصطرعة .

(٤) ان ادراكهم ووعيهم بتراثهم ، وقدرتهم على فهمه هي الاقل من ثقافتهم وجهدهم ، بل انهم ينفعلون به في انعكاساته الباهته في فنون الغرب ، ويقرأونه بأحرف لاتينية من اليسار ودون أن يصلوا ـ الى اليمين ! (ملاحظة : لا علاقة لهذا التشبيه باليسار واليمين السياسي) .

وكنتيجة مباشرة لهذا المسار فاننا نلاحظ الاتي : أولا .. ضاع الفنان الشرقي في القناع الاول ، فلم يستطع أن يؤسس فنا ذاتيا له قيمة تأصيلية جديدة أو موازية . واذا كان أتيح لفريق من المصورين (المصريين أو اللبنانيين أو العراقيين) قدرة على استيعاب تيارات المذاهب الغربية وتجذيرها في التربة العربية ، الا أن هذا النبات ظل استنباتا دخيلا على المنطقة ، وبدا كحلق ثانوي احتل مساحة اكبر من طاقته ، ولم تتولد عنه حركة تشكيلية شاملة عارمه كالتي رأيناها في الغرب .

ثانيا .. أن القناع التجريدي « اللاشكلي » ومهما حاول البعض اسباغ الاثواب الصوفية عليه ، إلا أنه بدا كترجسية مريضة ، وبدت آثار الذهان الفكري والفراغ العقلي عليه . كما أنه في المحصلة النهائية تراجع بفن الاداء ، واساليب العمل بالخامات والالوان .



ـ صبري أقجا (ضيف في القرية)

ـ وورال يورداقول (مخدع العروس)



ثالثا . . ان منجزات التكنولوجيا الحديثة سواء في دوائر التصميم أو الاعلان أو عدسات التصوير وغيرها قد فرضت خبرات وتحديات تشكيلية جديدة . وعلى الفنان ـ الآن ـ أن يستوعبها ويتجاوزها . لكن تشبث فناننا العربي بالامجاد الذهبية للذاتية ، وهذه السهولة المتوهمة في الفن الحديث جعلتهم يزحمون بلوحاتهم المعارض ، لكن الكثير من انتاجهم بدا أقل من الرسوم القصصية العديدة في دوريات حاضرات الغرب ، بل وأقل من رسوم المناظر السينمائية للافلام البديعة ! وكما تظهر تصاميم كتالوجات معارضهم غلظة جمالية إلا فيما ندر !!! وأي سخرية درامية أن تجد في دولة شرق أوسطيه ٥ . . فنان ولا تجد فيها ٥٠ مصمما طباعيا بارعا . ولكن المجتمع العصري يحتاج الى الف مصمم ورسام بارع مقابل مالا يزيد عن آحادٍ من الفنانين . وهكذا اختلت المقادير باضطراب المعايير .

رابعا . . ان اكتشافنا المتاخر للتراث ، جعل آثار الاصالة في تصاويرنا أشبه برجع أحلام لفنان شرقي يستلقي نائما على روابي الغرب الباردة .

فالاصالة بمعنى « الجديد ، الحي ، المتجذر » صارت اشبه بحلم ليلة صيف ولا تؤخذ بأي مقدار من الجدية الاجتماعية . وفي هذا يقول د . عفيف بهنسي في مقدمة كتابه « جماليات الفن العربي » : ليست الاصالة اصلاحا ثقافيا ، بل هي عودة الى الذات ، عودة تقوم على ثورة ثقافية ترفض الدخيل والمستورد والمفروض » .

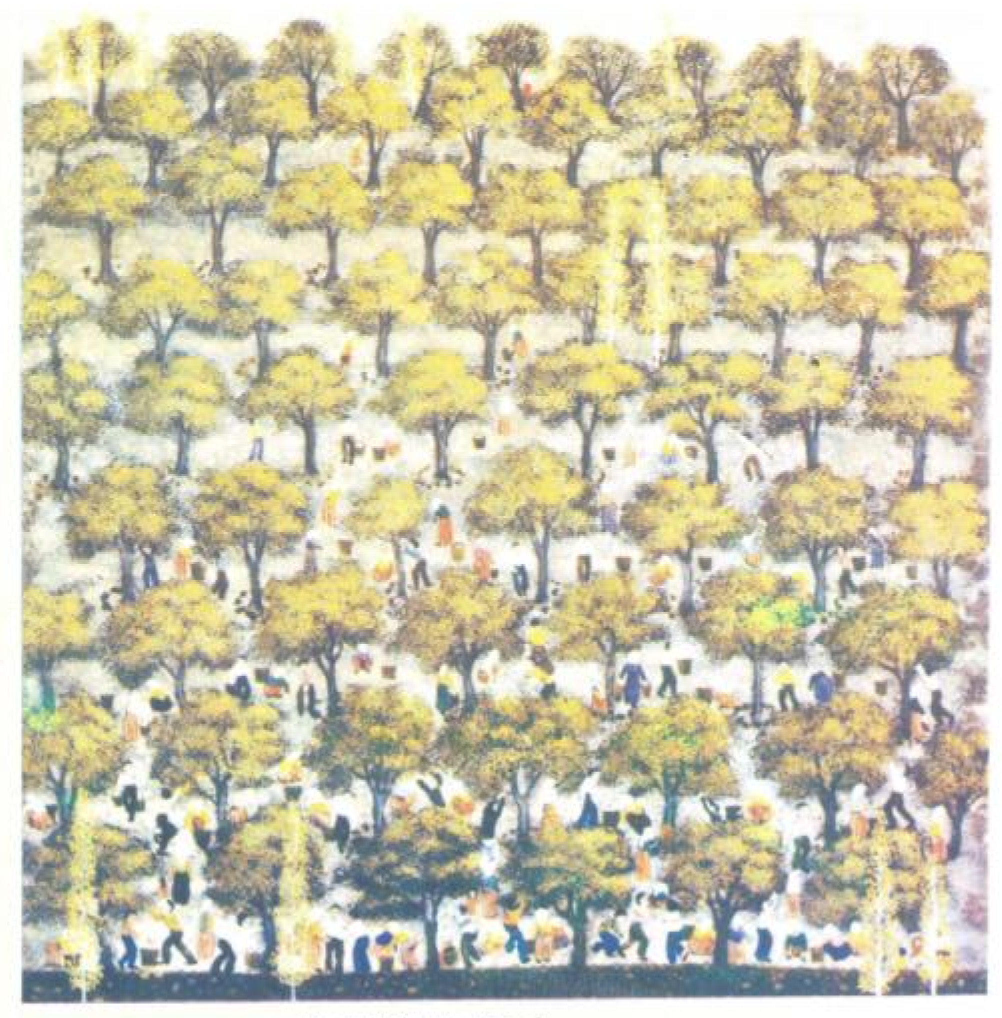
. . هذه « الثورة » ما تزال حلما .

. . . وهكذا في مثل هذه البيئة الثقافية العامة ، وبأثر من هذه التماهيات والاطروحات والوقائع يظهر بين الحين والحين فنانون مجيدون ، وتختفي العبقرية من الامة .

ولا شك أننا نرى أثرا من كل هذه المقولات السابقة في باحة التصوير التركي الحديث ، وبأوضح ما يكون .

شواهد في التصوير التركي المعاصر

الملاحظة الاولى . . يبدو أن المصور التركي الحديث قد أخذ الى الغرب على غرة ولربما بفعل قرار سياسي اعتسافي ، ولدته لحظة احباط تاريخية فأعمال جيل المؤسسين هي الاضعف من كل جانب .



- ياجين كوكجه باغ (التقاط الزيتون)

انها تفتقد لغة الفن والشعر الباطنية « الجوانية » وتبدو أقرب الى لغة نثر ركيكة مصطنعة ، وهي اذ تدعي المهارة تخلو من البلاغة . وتتداعى تعبيريا ونغميا . واذا كان كل انتاج المؤسسين هكذا فليس من المفيد في شيء أن أراه . ويتضح هذا بدءا بأليف ناجي المولود عام ١٨٩٨ ، ومرورا بشفيق بورصلي ، وشمس الدين آرال وجمال بينكوى ، وفروح باشا غا ، ونوري ايم ، ومصطفى اسيركوس ، ولطفي كوناي ، وسادان بزيس وجميل أرن ، وحسين يوجه (مواليد ٠٣ - ٠٦ - ١٢ - ١٤ - ١٧ - ٢١ - ٢٤ - ٢٦ - ٢٧ - ١٩٢٨ م على الترتيب) ومقارنة هذا الجيل بأجيال فنية مؤسسة ظهرت في وطننا العربي (خاصة في مصر) لن تكون لصالحه .

الملاحظة الثانية . . ان الجيل الذي ولد في



ـ نوري أراج (بيت القراقوز)

الاربعينات هو الاق من كل جانب وان كان فيه ـ كأي جيل ـ من يتمثل بسلفه الصالح ، الا أن جذوة الفن ولغة التصوير الحديث متأصلة في نفسه .

الملاحظة الثالثة . . وهنا نتوقف أمام ذروة المعرض ، والمتمثلة في شابين أولهما هو الفنان « التلقائي » يالجين كوكجه باغ (مواليد ١٩٤٤) وله عاملان « قاطفات الشاي » و « التقاط الزيتون » ، وثانيهما هو يوسف جول اوغلو (مواليد ١٩٥٢) وحيث قدم « الطبيعة الزاخرة في كبادوكيا » و « كبادوكيا بعد المطر » ونرى في اعمالها لحظة لقاء نادرة بين فني (بل عقليتي) الشرق والغرب ، لحظة تماس مبدعه لخيط من فجر قادم . ويحملان الامل في تجاوز تراث التصوير الغربي ونحو التراث الشرقي واعادة صياغته . (واعتقد أن اعمالهما مست وترا دفينا

في كل زائر للمعرض . .)

. . وعند كليهما نكتشف ثقل اللوحة الاصيلة بمعايير التصوير الذاتي الحديث رؤية شعرية كثيفة مركبة . صلبة ومتجانسه . طاقة تحمل في باطنها طبقات جيولوجية تراثية ونفسية وغنية . مترعة حتى الثمالة . اضافة بالعمق والاتساع معا الى فن التصوير . الهاما نحو المستقبل . . هذا والا ماذا تكون اللوحة ؟ ! اذا كان المصور الفرنسي هنري روسو (١٨٤٤ ـ ١٩١٠) يمرح خياله « راعيا في مراعي الغابة الافريقية ، فان يالجين يعود الى غابة الخضار كي ينظمها على مسطرة الفنون العربية . فعالم يالجين منظم وهادىء كايقاع الصلوات الخمس . وهذا النظام الفطري المحكم هو الذي يبعث الغناء في أركان المكان . غناء ولا نهاية . تفاصيل للشجر والخضار والبشر ولا توقف . الظل يتكمش أمام النظام ، وهذا النظام الخاص دفق ذاتية مبدعة . وفي هذا المكان يمارس يالجين روح الاسترخاء « وفن الاستطراد » الشرقي الاصيل ، ورياح الأمان والحنان تحمله الى بعيد . . لكن وعيه بنفسه ، بذاته ، يحرك هذه النظم حركة اغصان داخل رياح النفس الهامسه . وترى المصري القديم قد وضع خطا أساسيا في هذا النظام الشرقي ! فالمنظور في اللوحة لا يشبه الفوتغرافيا في شيء لكنه احتواء للرؤية من جوانبها اذ تبدو النباتات الصغيرة المتراصة وكأنها صورت وأشبه بالمسقط الأفقي ، فإن الاشجار السامقة في حنان أقرب الى المنظور الرأسي . وكأنها ذكرى أجداد صالحين . لكن البشر هم الاطفال ، يتحركون في كل اتجاه وفيهم ما يذكر بالفلاحين في رسوم بيتر بروجيل (١٥١٥ ـ ١٥٦٩) ولا شبه وفيهم ما يذكر برسوم الاطفال ، وفيهم ما يذكر بتصاوير الفن الاسلامي . .

أكل هذا قد حمله قلبك « التلقائي » البريء كطفل يايالجين ؟ ! . . ولا شك أن لوحتيه تمثلان مصالحة مع تراثنا التصويري المجهول والمغبون .

وهذا يوسف اوغلو وقد وضعت ريشته البيوت في قلب كبادوكيا الزاخر . وفي قلب الطبيعة والحنان نبتت المكعبات البيضاء . وديعة كأقاصيص الطفولة . وحولها الجبال شاهقة ومستمرة كأقاصيص الف ليلة وليلة . وعرائس الهواء تخطر عابرة في أمان . وتقف الاشجار فوق سطح الارض الافقي ، أغصانها خيوط أعصاب محملة بالذكريات ترددها كي يحملها سطح السماء المتوازي . وهكذا فإن ذكريات يوسف تكمن ما بين الاسطورة والظل ، وما بين الحنان والضوء .

ولعل في أعمال يوسف اوغلو ترجمة شرقية لاعمال « ابو الفن الحديث » المصور الفرنسي بول سيزان (١٨٣٩ ـ ١٩٠٦) وكل منها له منظوره البصري الخاص ، وذلك حين يتأملان الطبيعة . لكنها اشبه بوجهي عملة واحدة ولم لا . . . . ألم يقل جيته « أن الغرب والشرق ، يسلمان في يد الرحمن » .

وآخر ما نقوله في حق يالجين ويوسف أن عملهما كأي فن صادق ليس نبتا من الفراغ ، فلا شك أن اعمال«فاطمة ايا»ذات الميل الزخرفي والتزييني واعمال محمد يسن ذات الميل الاستعراضي ، وأعمال روزين كرجين والتي تحفل رقة وايقاعا وعذوبة واختزالا ، هي الاصول الحديثة التي بنيا عليها رؤيتها النادرة ذات الاكتمال (وثلاثتهم من مواليد ٢٠ ـ ٢٣ ـ ١٩٣٠ م على التوالي) .

الملاحظة الرابعة . . تشمل أربعة من ابناء تركيا ، انهم متغربون مجيدون للغة التصوير الحديثة . وأميز اعمالهم ما قدمته تولين اوزتوك (مواليد ١٩٤٤) وتحت عنوان « داخلي » قدمت عملين ، فيهما إسقاط نادر على ركن داخلي في منزل عصري ، بمكوناته البسيطة . إنها إضافة بل إضاءة جميلة فوق الاطراف الواسعة للسريالية المحدثة . لقد أخذت من المصور السريالي البلجيكي رينه ما جريت قدرته على التركيز

المكاني ، وأظهرت مثله ـ قدرتها على استخدام الزيت في فرشاة رصينه وان كانت الوانها اكثر اقتصادا (تدرجات بنيه يكفيها الضوء مفاجأة) . لكن سرياليتها تهمس بضوء الحباحب ، وليس فيها شيء من مفاجآت ما جريت الصادمه أو ملامسة أو ملامساته الشبحية . كما أنها النقيض لسريالية سلفادور دالي ذات النشاط الهذياني والرؤى الجنونية الشمولية . ان لغتها السريالية مذهبيا ، تذكرنا بأصالة بول كلي فهي أقرب الى « رمزية الاحلام » عنده ، وهي لا تشبهه في ولعه « بالتكوين الخالد » إنها تكتفي باحتواء عميق وهادىء لركن داخلي ، تعلق عليه احزان المساء وذكرى الراحلين وخطايا الزائرين . إن اعمالها تشبه قصة قصيرة مصاغة في جمل شعرية . انها حالة اختزالية نادرة .

أما علاء الدين اكسوي (مواليد ١٩٤٢) فقد قدم لوحتين « في الماء » و « باعة متجولون » ، وهوند لتولين أوزتوك في استخدامه لريشة الزيت الرصينه ، وميولية سريالية أيضا ، لكنه يضرب بسرياليته الى بعيد ، الى اقاصيص القرويين قاطني وهاد وتلال اوربا ، وحواديتهم عن الجنة والنار والغرباء ، وتذكرنا أعماله فورا بتصاوير فناني الاراضي الواطئة ، خاصة هنريموس بوسن وبيتر بروجيل ، انه يعيد لنا من الماضي البعيد ، ولا تشي أعماله المعروضه بأنه يمتلك مثل بوسن أو بروجيل الرؤية البانورامية الواسعة .

ثالث الفرسان الاربعة هو ظافر جنشايدن مواليد ١٩٤١ قدم « منظرين » مستخدما الوانا مائية وفحمية مختلطه . وهو أمين للغة المنظر التجريدي . وذو ذوق رفيع في اختيار الوانه . وبالمنظر التجريدي عنده تماهيات تعبيرية .

أما سوبوتاي أوزر (مواليد ١٩٤٩) فله عملان « راكب الدراجه الوحيد » وراكبو الدراجات » ولا شك انها يتميان الى ريشه « حوشية » جزئية في اقتحام عالم اللون ، لكنها حوشية مختزلة وترتبط تكوينات لوحتيه فأقطار المساحة الصغيرة المربعة بما يوحي بالحركة وأشبه بايماءة من مذهب « المستقبلية » التي تحتضنها رغبة تأثيرية مكتومة .

الملاحظة الخامسة . ثمة محاولات أخرى ذات جودة وثقل نذكر أعمال وورال يوردا قول (مواليد ٤٨) وخاصة « مخدع العروس » انها تستخدم الوانا مختلطه في حنكة ودربه ، تدل على « شبق » عام الوله بالفن الحديث . أما بلال تدل اردوغان (مواليد ٤٤) في لوحتيه « أمام دورهم » « وحائك السجاد » ففيها من الجهد والجمال والفهم والدراسة ما يستحق التقدير ، لكن التعبير الكثيف الذي تتميز به « اللوحة الرؤية » يخونه . ربما لو تفرغ للتصاوير القصصية لأعطى مطبوعات بلاده دفعة ووزنا وجمالا . وما أشبهه بأعمال حياتي ميسمان (مواليد ١٩٤٥) ففي عملية « تكوين أولي » « تكوين ثاني » ـ وهما من اعمال الحفر الحديث ـ ما يشي بمصمم ضل طريقه الى فن التصوير الذي أغواه . وتأتي بعد هذا أسماء كثيرة كان يمكن الاستفادة بملكاتها اكثر فنون التصوير والتصميم القصصي وفن التصميم ، لكنها اغويت برائحة الزيت ونذكر منهم حسن اكن ، واوزركباش ، وجعفر باتر ، ونصرت دمرن ، ودون كاراجا ، وشرف ريكالي ، ورامز ايدين ومولود اقيلدز ، وفوزي قوج وغيرهم .

ومن الصعب في معرض كبير كهذا ان يقال أننا قد أوفيناه حقه ، واحطنا بكافة الملاحظات . غير أنه ينبغي أن نشكر هذه الفرصة التي اتاحها لنا المجلس الوطني لرعاية الفنون والاداب بالكويت وبالتعاون مع وزارتي الخارجية والثقافة والسياحة في الجمهورية التركية . ولعلنا نطمح الى مزيد من الاتصال الثقافي بين البلدان العربية وبلدان العالم الثالث بعضها البعض . فمن الواضح أن اللقاء الثقافي بيننا ستكون له فعاليات على المدى القريب والطويل لا تقل قيمة عن تفاعلنا المستمر مع بلدان الحضارة الغربية .



مدن على دروب الصحراء

استطلاع : مصطفى نبيل
تصوير : طالب الحسيني





الحد الفاصل بين المدينة العتيقة ومزارع النخيل .

أحد الطوارق أو الملثمين الذين يتنقلون بين مدن الصحراء .



البيت الغدامسي من الداخل ، وينظر ساكنه إلى أعمال الزخرفة الزاهية التي تزينه .

جولتنا في مدن الصحراء ودروبها ، في الصحراء الليبية الشاسعة ، ننتقل خلالها بين غدامس وزويلة وقبرعون . .

ونخترق الغلاف الصحراوي الذي يطوق المدن الساحلية ، فلعلنا نشاهد ليبيا بعين جديدة ، خاصة اذا عرفنا أن الصحراء الليبية تغطي ما يزيد عن ٩٥٪ من مساحة ليبيا ، وأن ٢٪ فقط منها تخلو من الصحراء .

كان من الأيسر أن تقتصر جولتنا على مدن السواحل في ليبيا ، التي تضمّ أهم المدن الليبية طرابلس وبنغازي ومصراته وطبرق .. وغيرها ... فهي التي يتردد عليها الزوار والسياح ، وهي التي تقع ضمن المعرفة الشائعة ..

لكننا قمنا بجولة من نوع آخر ، تشمل المدن التاريخية في أعماق الصحراء ، بعد أن عانت طويلا مدن القوافل من النسيان ، وبعد أن تضخمت مدن (السواحل) بلا ضابط ، وامتصت نسبة كبيرة من السكان على حساب الريف ، وعلى حساب الواحات ومدن القوافل في (الدواخل) . !

وتبقى مدن القوافل جزءا هاما من التاريخ ، يوم كانت معقل الزوايا وشهدت بداية الجهاد الليبي في العديد من مراحل التاريخ واحتضنت هذه المدن كل القيم القديمة واحتفظت بها ....

ومن مدن الصحراء نطل على عالم رحب ، ونتنقل بين جزر بشرية تضبطها وتحدد مواقعها المياه والعيون فهي بلاد لا تعرف الأنهار ... والترابط واضح بين السواحل والدواخل ، فبقدر ما تنظر ليبيا إلى البحر ، تعطي ظهرها للصحراء التي تفصلها عن القارة الأفريقية ، وتحددت رقعة ليبيا السياسية تاريخيا في الشمال والجنوب بخط الساحل وخط الجبال ، وكلاهما يكادان أن يكونا متوازيين وتقع شرقا وغربا بين قوسين من الرمال ولا يكادان يخترقان ، ولولا الواحات ومدن الصحراء التي قدمت موطىء قدم ونقطة راحة ، لكانت الصحراء عازلا لا يمكن اختراقه مثل الربع الخالي ولكان ارتباط ليبيا بالقارة الأفريقية أقل مما هو عليه .

عاشت مدن السواحل موانىء صحراوية بقدر ما عاشت موانىء بحرية ، تنتهي اليها وتصب فيها تجارة القوافل ، وتربط بذلك مجتمع الداخل بالساحل ، وتربط الرعاة بالزراع بسكان المدن ، فجمعت ليبيا بين موارد البحر ورعي الصحراء واستثمرت موقعها الجغرافي بين البحر والصحراء في دورها التجاري ،

... وتحولت بعد الفتح الاسلامي ـ وبعد تدفق قبيلتي بني سليم وبني هلال من صعيد مصر ـ إلى حلقة وصل وممر أساسي في هيكل الدولة العربية الاسلامية ، واتصل دورها كحلقة وصل ، من خلال تجارة القوافل ، فكانت تنقل حاصلات أفريقيا من ذهب وريش نعام وعاج ، وكافة المحصولات المدارية الى الشمال مقابل المصنوعات والأسلحة الأوروبية الى الجنوب . ورغم تدهور هذه التجارة مع الغزو الاستعماري حتى قاربت الاندثار ، الا أن ليبيا ظلت مدخل المغرب وبوابة المشرق بفضل موقعها فهي تقع بين كتلتي مصر والمغرب ، وتشكل من هذه الحقيقة الضابط الأول لتاريخ ليبيا ، فكانت ممرا للقوة . ولعل معارك الكر والفر والمد والجزر التي شهدتها الصحراء بين الحلفاء والمحور خلال الحرب العالمية هي الترجمة الحديثة والمكثفة لهذه الحقيقة ..

واليوم تشهد الصحراء أو الدواخل حركة تعمير وتنمية واسعة ، وجهودا كبيرة لزراعة الصحراء ، بل تحدى الصحراء .

ولم تعد ليبيا كما أطلق عليها الدوتشي .. « صندوق من الرمال » ، بل أصبحت « صندوقاً من الذهب » . وهي تشهد جهدا لتحويل الثروة العارضة الى ثروة جغرافية عن طريق التصنيع والزراعة وتغيير هيكل الاقتصاد تغييرا جذريا ..

لؤلؤة الصحراء

غدامس هي مدينة القوافل الأولى التي كنت أتطلع دائما لزيارتها ، لشهرتها التاريخية وعمارتها المميزة ، وموقعها عند نقطة التقاء حدود ثلاث

دول عربية هي ليبيا والجزائر وتونس ، والتي كانت دائما بمثابة القلعة ، فكريا وعسكريا .

وصلت اليها من طرابلس بعد ساعة ، قطعت الطائرة خلالها ٦٠٠ كيلو متر وهي نفس المسافة التي كانت تقطعها قوافل الجمال بمعدل ستة كيلو مترات في الساعة ، وكانت محطات الطريق التي تمر عليها القافلة ، والتي ما زال بعضها قائما حتى اليوم .

وكم كان مدهشا أن ترى من الجو واحات طرابلس الصغيرة ذات الحدود الواضحة ، تظهر كعين خضراء وسط الرمال التي تقف عند حواف عين المياه مباشرة

وعندما لاحت غدامس من الجو وظهرت بقعة خضراء وسط الصحراء الشاسعة ، أدركت معنى غدامس ، معنى مدن القوافل ، الأمل العذب بعد رحلة طويلة في صحراء مكشوفة شديدة الحرارة ، إنها معنى الظلال بعد الشمس الحارقة ، والندى بعد الظمأ ، إنها المدينة التي تحتضن القادم اليها وسط نخيلها وبين أزقتها المسقوفة . .

وترى بوضوح أنها أصبحت تنقسم إلى ثلاثة أجزاء ، المدينة العتيقة بسورها وجوامعها وغابة النخيل التي تتلاصق بها ، والمدينة الحديثة بمبانيها الجديدة . ويحيط بالمدينة العتيقة والغابة والمدينة الجديدة هلال من الكثبان الرملية . .
وخلال الرحلة كان يجلس الى جواري الدكتور صلاح الدين السوري ، أستاذ التاريخ الحديث ، والذي أخذ يروي أطرافا من تاريخ غدامس ، عندما ولع بها وأحبها الحاكم الايطالي بالبو في العشرينات من هذا القرن ، وهو الذي أقام مطار غدامس وأهم فنادقها فندق عين الفرس ، والذي كان يقضي إجازته فيها ويعشق عمارتها ويهوى الصيد في صحرائها ويقدر قيمتها التاريخية والمعمارية .

هبط في المطار الذي يقع بجوار فندق عين الفرس ، والذي لا يبعد عن المدينة العتيقة ، والذي شهد الكثير من التعديل والتجديد . .

وبدأت إحدى أجمل الجولات في المتحف الحي المسكون ، الذي كانت تصل اليه القوافل بعد رحلة طويلة شاقة رأيت أزقتها وطراز عمارتها وجوامعها يصحبني أحد شيوخ البلدة ، ولدى الشيخ الكثير من الحكايات حول ما شهدته غدامس ، وهو نموذج حي للتطورات التي شهدتها البلدة ، فله تسعة أبناء تخرج عدد منهم من الجامعة ، وتوزعوا للعمل في العديد من المشاريع التي تنتشر في ليبيا ، وبعض من أبنائه يعملون في العواصم الأوروبية ، أخذ يروي ذكرياته بينما أخذت أتأمل عمارتها الفريدة ، إنها مدينة مسحورة يخيل اليك أنها شقت في الجبل ، أزقتها المسقوفة وتهويتها المبتكرة جعلتها تتمتع بشتاء دافىء وجو طري في الصيف الحار ، تدخل إليها عبر سور يحتضنها ، بقي منه ما يحيط بجزء من شارع « أولاد بالليل » ابتداء من باب جرسان إلى باب النادر ، بعد أن كان يضمها سوران ، أحدهما داخلي يضم المدينة العتيقة والثاني يضم المدينة والمزارع ، وتدلف إلى حاراتها عبر بوابة على شكل قوس يضيق من أسفل ويتسع من أعلى مثل حدوة الحصان حتى تتمكن قوافل الجمال من الدخول اليها ، وهي أقرب لتلك المدن التي نحتت في أعماق الجبل ، مثل نالوت الليبية ومطماطة التونسية ، ويطلقون على هذه المنازل « الأحواش » وتتشابه في عمارتها مع تلك المدن القائمة في صحراء الجزائر مثل غرداية في وادي مزاب ، ولعل ذلك يعود الى أن الأباضية ظلوا يتحكمون في أهم النقاط الاستراتيجية في هذه الصحراء مدة طويلة ، عندما كانت زويلة وورغله ومزاب وغدامس تقع تحت نفوذهم .

تنقسم البلدة إلى أحياء تسمى شوارع تضم كل منها عائلة أي تنقسم الى وحدات اجتماعية على أساس عائلي ، وكان لكل محلة مجلس أعيان يتكون من رؤساء العائلات ويتكون عادة

إحدى المساحات بخطوطها المميزة ، والتي يجتمع فيها أهل الحي خلال المناسبات الاجتماعية المختلفة .



أحد الشيوخ من غدامس .



وجه من ليبيا ولقاء في الصحراء .





انتقل الغدامسيون إلى بيوت حديثة وأخذوا فنونهم معهم .

من كبار السن وكانت مهمته النظر في مصالح المحله وبحث المنازعات بين العائلات . وتوزيع المياه ، وكان القاضي يعينه المجلس ويستمر في منصبه مدى الحياة ، وجاء الاستعمار الايطالي فألغى هذه الصورة الاجتماعية المتميزة .

وتقترن غدامس بالطوارق (الملثمون) ، وهم بدو رحل يسكنون الواحات ، كونوا عبر العصور مراكز تجارية يتنقلون بينها ، بينما اشتغل أكثرهم بالرعي ، واتصفت حياتهم بالترحال ، وهم يمتدون من أقصى الجنوب الغربي في ليبيا على حدودها المشتركة مع الجزائر والنيجر ، كجزء من امتداد كتلتهم الكبرى في الصحراء ، كما توجد شريحة منهم جنوب فزان ، وعلى سفوح تاسيلي . وهم يجمعون إلى جانب المؤثرات العربية تأثيرات سودانية واضحة .

ولعل ظاهرة انتقال النساء عبر دروب أعدت فوق أسطح المنازل بينما يتنقل الرجال في أزقتها المسقوفة ، تعود جذورها الى الطوارق الذين يتلثم منهم الرجال وتسفر النساء عن وجوههن ، فالنساء يتنقلن في الأفق الرحب فوق الأسطح ويختفي الرجال في الأزقة المغطاة . .

عمارة غدامس

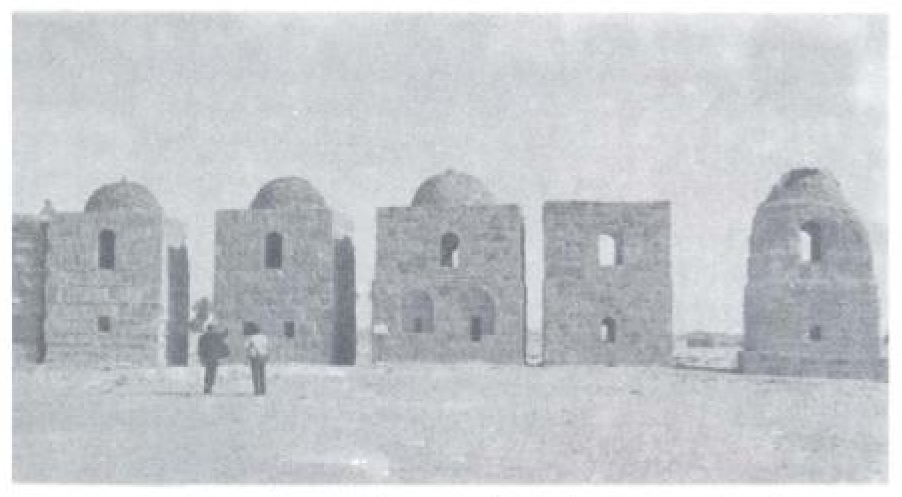
توقفت طويلا أمام عمارة غدامس ، فهي نموذج جدير بدراسة المهتمين بالتراث المعماري العربي ، وقد سبقنا إلى دراسته عدد من الأجانب من هولنديين وايطاليين ، وكان الأولى أن نرى دراسات عربية حولها . بيوت البلدة بالأحجار والطوب الأخضر ، يصل أساس البيت الى عمق مترين أو يزيد ، ويرتفع الجدار مترا وبسمك لا يقل عن المتر ، وكلما ارتفع البناء فوق الأرض يصبح الجدار أقل سمكا وعند الطابق الثاني يتغير نوع الطوب ويصبح الحائط حوالي ٦٠ سنتيمترا ، ويصل ارتفاع البيت إلى خمسة أو ستة أمتار ، وعند ارتفاع ثلاثة أمتار يصبح سمك الجدار نصف متر ، ويرتفع سقف المطبخ عن البيت مترا واحدا فيصبح مثل المدخنة في البيت الحديث ترتفع بالدخان والروائح ، ويصل ارتفاع البيت الى نحو اثني عشر مترا ، ويتكون عادة من ثلاثة طوابق ، ويضم العائلة بأكملها ، أما الأبواب والسقوف فمن أعجاز النخيل والتهوية من أعلى عن طريق الفتحات ، وتتراوح مساحة بيت غدامس ما بين ٣٠ و ٥٠ مترا مربعا . . .

حان الوقت لكي ندخل إلى أحد هذه البيوت ، يقودك الباب الى السقيفة أو الصحن الذي يضم البئر ، وتطل عليه كافة الحجرات ويأخذ كل بيت نصيبه من السماء والقمر والنجوم وعلى جانب الصحن يرتفع الدرج الذي ينتهي بباب وسط الدار . وتنقسم الدار وغرفها الى جزءين أحدهما للزوج على اليسار والثاني للزوجة على اليمين ، وتزين غرفة الزوجة بزخارف زاهية ، ووسط الدار طاقة من الجبس توضع فيها ثلاث جرات من الفخار اثنتان كبيرتان توضعان على جانبي الطاقة والأخرى صغيرة توضع بينهما وتنقش نقشا جميلا ، وهي جزء من جهاز العروس وتسمى باللهجة المحلية « تلفاز » ! »

زوايا الصحراء

ولا تزال بقايا الحياة الاجتماعية قائمة في غدامس ، فمثلا كبير العائلة هو الذي يملك وحده حق تسمية المولود ، وما زالت بعض الزوايا تقوم بتحفيظ القرآن ، في ذات الحجرة الواسعة القائمة فوق الأسقف والتي يصعد إليها الصبية على درج بلا سور وأرضها مفروشة بالحصر ، وبها مكان للمعلم أو الشيخ جانب طاقة صغيرة يضع فيها أدواته .

وهذه التقاليد هي جزء من تنظيم اجتماعي ونمط قديم شهدته الصحراء ، وهو نمط شيوخ



أقدم آثار زويله ، مقابر على الطراز البيزنطي . يقال انها تضم رفات بعض الصحابه .

الطرق وملوك الصحراء ، وقد اعتمد الهيكل المادي على شبكة من الزوايا موزعة في واحات الصحراء ذات المواقع الاستراتيجية والقائمة على خطوط حركة القوافل ، عندما كان الانتاج يقوم على زراعة الواحات وتجارة القوافل ، وكانت كل زاوية مشاعا للقبيلة ومركزا لوحدتها . .

وإذا انتقلنا من المدينة المسحورة بعاداتها وعمارتها إلى خارج السور ، شاهدنا مدينة صغيرة حديثة بكل معالمها ، تقف جنبا إلى جنب مع المدينة القديمة ، وأبناء الأجيال الحالية ما زالوا يحافظون على الاثنين معا في ظل مجتمع يتغير . توفر لهم المدينة الجديدة المدارس المختلطة ، والمستشفيات والادارات الحكومية والكهرباء والمياه العذبة ، وترى الحيرة ظاهرة في عمارتها بين الحفاظ على ملامح القديم وبين سطوة العمارة الأوربية ، وتظهر محاولة التشبث بالقديم في قواعد جمعيات البناء التعاونية التي تشترط أن يكون على التصميم مسحة من المحلية ، ولا تنجح هذه المحاولة دائما فهي في انتظار ظهور جيل من المصممين استوعب معالم العمارة القديمة ودرس البيئة وعرف كيف يستفيد من امكانات فن العمارة الحديث .

وداست الحداثة بقسوة على غابة النخيل وعينها القديمة ، ولم تعد المزارع القديمة تجد من يعتني بها . بعد أن تضاعفت الأجور ، وتزايدت فرص الكسب السهل ، وجذبت أبناء غدامس مناطق العمل في كافة أنحاء ليبيا ، بل وفي الجزائر وتونس أيضا ، وعاد المثل القديم « غدامس تولد وتونس تربي » يعمل عمله وإن كان بصورة مختلفة ، هذا برغم الجهود المتصلة التي تبذل لزراعة الصحراء ، وبرغم المحاولات المستمرة لتوجيه الاقتصاد الى تعدد مصادر الثروة والاهتمام بالثروة الزراعية . !

عين الفرس

تقع وسط المدينة القديمة عين كبيرة للمياه هي عين الفرس عين صافية ما زال يحيطها بعض آثار البناء الروماني القديم ، تستمد منها غدامس الحياة على طول تاريخها وتكاد هذه العين تجف ، والتي كان لها نظام دقيق لتوزيع المياه على كافة أراضي غدامس ، فكان لها خمس سواق توزع مياهها بالعدل على الأهالي ، ويذكرها ياقوت

حركة التغيير تتمثل في المؤسسات التعليمية التي انتشرت في كل مكان .

هكذا تظهر مشارف سبها المدينة الصحراوية .

مازال للجمال مكان في حياة أهل الصحراء .

بعد التجارب الناجحة في زراعة الصحراء ، توفرت الخضروات في مدن الصحراء .

الحموي عندما يتحدث عن غدامس يقول : « مدينة في المغرب في الجنوب ضاربة إلى بلاد السودان (كل ما وراء الصحراء كان يسمى السودان) بعد بلاد زاغون تدبغ فيها الجلود الغدامسية ، وهي من أجود الدباغ لا شيء فوقها في الجودة ، كأنها ثياب قز في النعومة والاشراق . ثم يعرفنا على عينها فيقول : « في وسطها عين أزلية ، وعليها أثر بنيان عجيب رومي ينبض منه الماء ويقسطه أهل البلدة بأقساط معلومة ، ولا يقدر أحد أن يأخذ أكثر من حقه ، وعليه يزرعون . . . »

ومن بقايا الماضي إلى جانب ما تبقى من السور والجامع العتيق والعمارة القديمة هناك العديد من المخطوطات التي تنتظر من يحفظها ويستخرج منها تاريخ هذا المكان الضارب في الصحراء ، وقد عثر « بشير يوشع » مؤخرا على مخطوط يتعلق بحركة القوافل عندما كانت غدامس غنية بتجارتها ، وعندما كانوا يكيلون فيها الذهب كيلا وعندما كانت قوافلهم تصل إلى تمبكتو ، مصدر ذهب ذلك الزمان ، وعندما كانت القوافل لا تكاد تستريح طوال فصول السنة ، لا يلبث أهلها أن يودعوا قافلة حتى يستقبلوا الأخرى والقوافل القادمة لا تستبدل جمالها حتى تستكمل رحلتها ، ويقال إن هذه القوافل قد وصلت الى الكونغو في أعماق أفريقيا ، وما زال في غدامس شارع يسمى شارع كتنغا ، وبها أثواب نسائية ترتدي في الأعراس تسمى كتنغا تجلب من الكونغو . .

والآن ننتقل مما فيها الى ما حولها :

اللقاء الثلاثي

ولعل أهمية غدامس تأتي من كونها نقطة دقيقة استراتيجيا ، بالاضافة إلى كونها ملتقى قديم للقوافل فمن غدامس جنوبا تبدأ الحدود مع الجزائر ، ويتجه خط الحدود جنوبا قرب بلدة العصا ثم مدن نالوت فسيناون حتى يصل إلى غدامس وتستمر الحدود نحو الداخل ، وتبعد غدامس عن أقرب مدينة جزائرية هي الدبداب ١٤ كيلو مترا ، وتبعد عن أقرب مدينة تونسية هي برج الخضراء ١٢ كيلو مترا ، ويعيش في المدن الثلاث جزيرة بشرية واحدة وسط الصحراء ، فالكتلة التي تقوم عليها المدن الثلاث تتلقى بعض الأمطار وتكسوها بعض المراعي ، وبها غشاء من العمران يغطي غدامس وينتشر حولها عبر الحدود شرقا وغربا .

ويقسم سكين الحدود السكان الأقارب على جانبي الحدود ، واذا أخذنا خط الحدود الجزائرية الليبية وجدنا أنه يطل مباشرة على حقول النفط الجزائري ، وفي محاذاة الحدود يمر أنبوب النفط الجزائري إلى بلدة « الصخيرة » في تونس ، وهكذا تحولت القوافل إلى أنابيب ، والحدود هنا تقسم حوضا بتروليا واحدا .

وهناك ترتيبات خاصة لانتقال الأهالي من وإلى غدامس الى كل من الجزائر وتونس واستقبال أقاربهم .

ولم يكن موقع غدامس دائما مصدر خير عليها ، فقد كان وبالا على سكانها خلال الحرب العالمية الثانية عندما كان الايطاليون يحتلونها ، ويقف على الجانب الآخر الفرنسيون الذين يحتلون الجزائر ، ويروي العجائز من الأهالي قصة احدى غارات الطيران الفرنسي على غدامس والتي أدت الى تصدع ما يزيد عن مائتي منزل واستشهاد ٤٠ مواطنا من أهلها ! وكان الجامع العتيق الذي أقيم منذ عام ٥٠ هـ أحد البنايات التي ضربت في تلك الغارة ، وانسحبت ايطاليا من غدامس على اثر هذه الغارة يوم ١٢ يناير عام ١٩٤٣ ، ودخلها الفرنسيون في اليوم التالي .

وكانت أهم ترجمة لموقع غدامس ما شهدته خلال حرب التحرير الجزائرية عندما كانت احدى طرق ثلاثة لادخال الأسلحة للثوار ، كما

كانت تستقبل الثوار وتمدهم بكل المساعدات خلال هذه الحرب ، وهي صفحة ينبغي أن تسجل لكني لم أعثر على توثيق كاف لها . .

مجمع للقوافل

وإذا كانت غدامس اليوم مركزا هاما للتبادل التجاري مع تونس والجزائر فدورها التاريخي كأحد أهم مراكز القوافل يحفل بالعديد من التفاصيل الشيقة حول عصر مضى ، عندما كانت مجمع طرق ونقطة وصل في الطريق إلى بيت الله الحرام للحج ، ومحطة في طريق التجارة مع أوربا ومحطة في الطريق الى أفريقيا ما وراء الصحراء .

عالج طرق القوافل أكثر من جغرافي ورحالة عربي ، منهم من أعطى المسافات مقدرة بالأميال كابن خردادمه ، ومن قدرها بالمراحل أو أيام السير من نقطة الى أخرى مثل البكري ، فقد اهتم ابن خردادمه بالطريق الساحلي الممتد من مصر حتى تونس والذي يمر عبر بعض المراكز الصحراوية أو يتفرع باتجاه مراكز صحراوية مثل غدامس ، ويأتي قدامه بن جعفر بتفصيلات أوفى عن مختلف المراحل التي تقطعها القوافل من مصر حتى القيروان في تونس .

ويحكي ابن بطوطة (طرفا من قصة هذه القوافل) في القرن الثامن الهجري (١٤ م) حول التعامل في السودان وكيف يتم . . .
فيقول : « بالملح يتصارف السودان كما يتصارف بالذهب والفضة يقطعونه قطعا ويتبايعون به . . . » .

وكانت القوافل التي تخرج من غدامس إلى مصر ، تتبادل السلع ولا سيما المنسوجات ، وتتجه الى غات ، ثم تقطع طريق تادمكة (مالي) الذي يزدحم بالقوافل التجارية التي تحمل منتجات غدامس إلى المراكز الواقعة على هذا المحور ، أو تنقل منتجات السودان الى غدامس ، وكان هذا المحور ثريا بالمعادن ولا سيما بعض الصخور الملونة التي تروج منتجاتها في غانا . .

وقد تحدث ابن بطوطة عن مرافقته لقافلة كبيرة من الغدامسيين وصلت القافلة الى كوكو على نهر النيجر ثم الى تكدا ، وأثار انتباهه توفر المواد الغذائية بهذه المنطقة مثل الأرز ، وكانت غدامس تنعم بانتاج كبير من التمر . .

وكان هناك عدد من كبار التجار ذوي الخبرة والكفاءة الخاصة والمعرفة الواسعة يقومون بتنظيم هذه القوافل ، التي نقلت البضائع والأفكار الى أفريقيا وعندما تعود القافلة محملة يباع ما جلبته من سلع ، ثم تخصم المصروفات ورأس المال ويوزع الفائض وفق نسب محددة : النصف لقائد القافلة ، والنصف الآخر يوزع بين قائد القافلة والتجارة بنسب تعادل قيمة البضائع التي شارك بها كل منهم .

وكانت المنتجات الواردة من السودان في آخر عصر القوافل هي الجلود وريش النعام والعاج ، والمنتجات المصدرة من ليبيا هي الأقمشة ، والخرز الزجاجي ، والأواني الزجاجية وبعض المواد الغذائية مع الكثير من البضائع الأوربية .

ريش النعام

وكان ريش النعام هو السلعة التي صمدت حتى النهاية كآخر البضائع التي تحملها القوافل ، وهناك دراسة غنية بالدلالات حول تجارة ريش النعام ، كتبها الدكتور ماريون جونسون من جامعة برمنجهام تحكي عن تناقضات القرن التاسع عشر ، وكيف استنزفت أوربا النعام الذي كان منتشرا في جبال فزان وصحراء غدامس من أجل المدللات في لندن وباريس ، يقول : « من أهم السلع التي شملتها تجارة الصحراء في القرن التاسع عشر ، ريش النعام ، وكانت تجارة المسافات الطويلة تعكس مدى



مصدات الهواء ، الخطوة الأولى لزراعة الصحراء ، ثم تنتعش الحياة الريفية بكل معالمها من تربية الدواجن والماشية .



زحف الرمال إحدى المشاكل الرئيسية في الصحراء .

ما أجمل الخضرة وسط الصحراء .



ونجحت زراعة الموالح في الصحراء .

أهل زويله يجلسون أمام منازلهم الحديثة



الرخاء الذي كانت تتمتع به الدول الأوروبية فحين كان صيد النعام في منطقة الجبال بفزان ، ولا سيما شرقي ودان ، وكانت هناك طيور للصيد في الصحراء بالقرب من غدامس ، وقد نتج عن كثرة الصيد باستخدام الأسلحة النارية القضاء على عدد كبير من طيور النعام في مناطق كثيرة من أفريقيا . .

وقد تحول طريق القوافل في فزان بسبب الثورات في السنوات الواقعة بين ١٨٣٠ و ١٨٤٠ الى طريق غات - غدامس .

وعندما يصل ريش النعام الى موانىء شمال أفريقيا ، يكون قد تخطى أكثر المراحل خطورة ، ولكنه لايزال على مسافة بعيدة من القبعات وتسريحات الشعر وفق الموضة الأوربية .

ويسجل أن اليهود كانوا المستفيدين من هذه التجارة ويسيطرون على تجارة ريش النعام باحتكارهم في تخليص هذا الريش من الجلد ، ثم يبيعونه بما يزيد عن عشرة أضعاف سعره . . !

وبقي لتجارة ريش النعام فضل الحفاظ على طرق القوافل عبر الصحراء بعد أن انتهت تجارة الرقيق ، وأتاحت للمتجين والتجار فرصة للسيطرة على سوق لم يكن في أيديهم »

وتحددت طرق التجارة والقوافل في الصحراء الليبية الى شعبتين رئيسيتين ليس بينهما من اتصال سوى في الشمال .

محور النيجر - فزان (مرزق - سوكنه) - طرابلس (غات - سواكن) محور تشاد - الكفره - برقه (أوجله - احدابية) .

من غدامس وحتى زويله

ونتنقل من غدامس إلى سبها عاصمة فزان ، في نطاق الغلاف الصحراوي أو الظهير الصحراوي نبحث عن مدن القوافل القديمة ، وما تبقى من دروب الماضي وما الذي أحدثته الثورة النفطية ، وماذا أعدت ليبيا لمواجهة المستقبل . . !

وتقع سبها التي وصلتها بالطائرة في موقع متوسط وسط الصحراء تبعد عن بنغازي ١٥٠٠ كيلو متر وتبعد عن طرابلس ١٠٥٠ كيلو متر ، ويضم هذا الغلاف الصحراوي زويلة التي تندر فيها المواقع المائية مع وجود بعض الواحات التي تقطعها القوافل ، ومحور زويله - سبها - ودان الذي يصل إلى طريق الساحل الذي يمتد إلى الاسكندرية ، والذي يبدأ في بعض الأحيان من مكة أو من القاهرة ويصل في نهايته الى فاس ، وأخيرا طريق الجنوب زويلة أو مرزق - بلما وكاتم بتشاد ، وهو الطريق الذي عبرته منتجات برقة ومصر إلى أفريقيا ، مما جعل زويلة أحد المراكز الهامة للتبادل التجاري مع أفريقيا . .

وما زالت آثاره قائمة حتى اليوم فيما تبقى من سور القاهرة « باب زويلة » الذي كانت تدخل اليه القوافل القادمة منها ، بعد أن تعبر الواحات مثل مرزق وجالو وأوجلة متجهة شرقا ومارة بالجغبوب وسيوه والفيوم وحتى تصل الى كرداسة عند سفح الهرم ، كما كانت تصل إلى القاهرة قوافل أخرى من الكفرة عن طريق درب الأربعين الذي يخترق الصحراء بين مصر والسودان . .

وتصورت كم يكون مثيرا ومفيدا إذا سعت الأجيال الجديدة الشابة التواقة الى المغامرة والمعرفة لاكتشاف هذه الدروب من جديد بقوافل الابل كما كان يحدث في الماضي أو حتى بسيارات تناسب الرحلة ، لاعادة اكتشاف هذه الدروب وتسجيل ملاحظاتهم حولها .

إنك تلمس خلال الجولة في فزان كيف يتحول المجتمع الرعوي القبلي القديم الى مجتمع بترول ومدن ، وتراه يتجه جذريا نحو الزراعة والصناعة ، كما تلمس أن التجانس البشري يظهر في وحدة الجنس واللغة والدين ، وهو مرتكز للقوة في المجتمع الليبي ، وهكذا لا تعاني ليبيا أي مشكلة أقليات .

صورة من رسالة وكيل قائمقام غدامس ومصدقة من قاضيها في تقسيم جزء من مياه عين الفرس في مستحقيه .

وفزان التي نزورها أقل مساحة من الكفرة ، إلا أنها أكثر غنى وأكثر ارتفاعا ، فتقع هضبتها فوق حوض كالصحن من الوديان والواحات المترابطة التي تعتمد على المياه الجوفية ، لذلك اختيرت هذه الواحات لكي تشهد أهم تجارب زراعة الصحراء مستفيدة من هذه المياه الجوفية . باعتبار امكانات الأرض مجهولا يحفل بالمفاجآت ، ويمكن لتطور التكنولوجيا الزراعية المميكنة أن تحول الصحراء الجرداء القاحلة إلى رصيد محتمل للقوة ، والهدف هو توسيع ونشر رقعة المعمور ، لكي تصبح فزان احتياطيا لليبيا ورصيدا لمستقبلها ، مستهدفة تحقيق الكفاية الذاتية في الغذاء والحبوب .

المجتمعات الجديدة

وفي الطريق الذي قطعناه بالسيارة من سبها الى زويلة ، مررنا بأضخم مشاريع زراعة الحبوب ، وبلا مبالغة ، شاهدنا أهم تجارب زراعة الصحراء ، وتحويل الصحراء المهملة والرمال الصامتة الى أرض خضراء ، ليتحول الضعف إلى قوة في معركة عنيدة « فلا استقلال لشعب يأكل من وراء حدوده » هذا هو الشعار الذي يطالعك في كل مكان .

وأصبحت القرى الجديدة تتناثر في الصحراء ، وبعد أن يتم استصلاحها يستطيع أي مواطن أن يحصل على عشرة هكتارات وبيت له ولأسرته ، إذا توفرت فيه الشروط لتملكها والقدرة على زراعتها ، ويسبق ذلك مجهود علمي منظم ، تدرس خلاله التربة دراسة تفصيلية وتتأكد قدرتها « الانتاجية » ، وتوفر مصادر المياه ، مع تحديد أفضل الطرق لاستغلالها ، واستكمال مشروعات الري سواء المباشر أو بالرش ، وتستخدم أحدث أنواع التكنولوجيا ، من الطائرات الى آلات الرش الحديثة وبيوت المشاتل التي تقام من النيلون وآلات الحصاد والدرس الذاتية . .

ويبدأ المشروع باقامة مصدات الرياح من الغابات حول قطعة الأرض الصالحة للزراعة ، وتقوم إحدى الشركات الأجنبية بعمليات الاستصلاح ، وكانت هذه الشركة أمريكية سجلت في كندا بعد المقاطعة الامريكية لليبيا . !

وقد أدى نجاح هذه التجربة والدخل المرتفع الذي حققه الملاك الجدد إلى التزاحم على الأرض الجديدة ، بعد أن عانت في البداية من انصراف المواطنين القادرين عن الزراعة ، ويكمل مرافقي الذي يعمل موظفا « لقد أصبح التفكير جديا لعدد كبير من الموظفين الشبان لترك عملهم الوظيفي والحصول على أرض لزراعتها . . »

هجوم عند الفجر

تلوح من بعيد زويلة التي قال عنها ابن حوقل



منظر عام لبحيرة وقرية فرعون التي تبعد ألف كيلومتر داخل الصحراء .

وسط هذه الأكواخ يجد الجيل الجديد فرصة التعليم .

علامات الفقر تظهر في أكواخ قبرعون .

طمست الرمال قبرسيدي
عون ولكنه حمى البحيرة !


أحد أهالي قبرعون .



« بها نخيل وبساط للزرع ومسقى للابل » ، الحداثة درست القديمة بأقدام لا ترحم ، ولم يستمر من القديم سوى القلعة ، والجامع العتيق ، ومقابر على الطراز البيزنطي يقولون إنها تضم رفات عدد من الصحابة الفاتحين منذ أيام الفتح العربي .

وذكر ابن الهيثم فصلا من دخول العرب ، إلى زويلة عندما ذكر نص الرسالة التي بعث بها عمرو بن العاص إلى الخليفة عمر بن الخطاب والذي جاء فيها : ان جميع السكان بين زويله وبرقة أسلم كلهم ، وحسنت طاعتهم ، وأدى مسلمهم الصدقة ، وأقر معاهدهم بالجزية » ويضيف ابن هيثم : « وأنه قد وضع على أهل زويلة ما يطيقونه ، وأمر عماله أن يأخذوا الصدقة من الأغنياء فيردوها إلى الفقراء ، ويأخذوا الجزية من أهل الذمة فتحمل إليه بمصر ، وأن يؤخذ من أرض المسلمين العشر ونصف العشر ومن أهل الصلح صلحهم » . .

ولم تترك الحداثة ما يكشف عن تاريخها سوى الدنانير الذهبية التي صكت في زويلة أيام ازدهارها عندما تمتعت بنوع من الحكم الذاتي ، وهي الفترة التي حكمها الهواريون خلال الحكم الفاطمي ، والتي استمرت بين سنة ٣٠٦ حتى سنة ٥٨٦ ، عندما لم يتمكنوا من السيطرة عليها لبعدها وسط الصحراء واستمرت مرتبطة بالخليفة الفاطمي ، وبعد زوال الحكم الفاطمي ارتبطت بالمرابطين والموحدين والحفصيين ، وخلال هذه الفترة أصبحت مدينة كبيرة لها مسجد وأسواق وحمامات .

وما زالت قلعتها شاهدة على الكثير من الأحداث التاريخية والتي كان آخرها الهجوم الذي شنه الفرنسيون والبريطانيون خلال الحرب الثانية عندما تسللوا في دروب الصحراء الواسعة ، وهجموا على القلعة التي يحتلها الايطاليون في عملية انتحارية عند الفجر ، وتكررت هذه الواقعة في أكثر من موقع في المدن الصحراوية ، فالاتساع يعني التخلخل . . !!

وغابت مدينة القوافل القديمة وبقيت المدينة الجديدة ، وعزاؤها زراعة الصحراء التي أمدتها بوظيفة جديدة تقوم بها ، ويبقى أن أشير الى أحد معالم التغير الذي تشهده فزان ، وهو خط السكة الحديدية بين سبها ومصراته (٩٢٢) كيلو مترا لكي يلغي هذا التخلخل في الصحراء علاوة على قيمته الاستراتيجية ، فهو يربط أطراف ليبيا فإذا كانت الطرق البرية طرق السيارات والشاحنات أساسية ، فان اتساع ليبيا شبه القاري جعلت السكك الحديدية تمثل ضرورة حيوية ، ومن الناحية الاقتصادية فالمسافات كلما طالت يصبح القطار أفضل من السيارة ومشروع سبها ـ مصراته ، هو جزء من شبكة حديدية تلحم أجزاءها وتلم أطرافها ، ويكون بديلا عن طرق القوافل القديمة ، ولن يكون ذلك استثمارا اقتصاديا فحسب بل وسياسيا أيضا ، وسيبعد خط طرابلس رأس اجدير (١٧٠) كيلو مترا وطرابلس مصراته (٢٠٠ كيلو متر) .

مغامرة في الصحراء

قمنا بجولتنا الأخيرة في رحلة لها طابع خاص ، فأخذنا من سبها جمل القرن العشرين ، أي السيارة الجيب ، يقودها سائق موريتاني ، واتجهنا إلى قبر عون وسط الصحراء والتي تبعد عن سبها ١٠٠ كيلو متر . .

تمضي السيارة في طريق بلا معالم وسط الصحراء ، رمال من أمام ومن خلف سلسلة من الكثبان والتلال تلاحقك ، ولا توجد حولك أي معالم للحياة سوى بقع صغيرة خضراء متناثرة ، وكانت هذه المنطقة تسمى وادي الآجال وتغير اسمها فأصبح وادي الأمل والحياة

تقطع الطريق وسط واد من صحراء أوباري تمتد الرمال الناعمة جنوبا والتلال شمالا .

وأرادت الصحراء أن تكشف لنا عن الوجه الآخر ، عندما ضللنا الطريق وأخذت السيارة

تسير بغير هدى ، فكنا نعود الى النقطة التي بدأنا منها ، أو هكذا يخيل لأمثالنا ممن ليس لهم سابق خبرة بالصحراء ، والذين تتشابه عندهم التلال والكثبان ، ولم يكن القلق الذي أصابنا بسبب احتمال نفاذ الوقود فقط ولكن طبيعة الطريق الذي نسلكه عندما تسير السيارة صاعدة التل صعودا تدريجيا وفجأة يهبط التل هبوطا حادا ، وكثيرا ما تعلقت السيارة فوق قمة التل ، أو غاصت عجلاتها في الرمال . .

وأخيرا دلنا على الطريق رجل شارد في الصحراء ، فبعد أن أطفأ ظمأه من المياه التي تحملها ، أبلغنا أنه يبحث في الصحراء عن كلبة عزيزة عليه قيل له إنها سرقت ، وينوي سارقها الفرار بها الى باريس ، وتبينا أنه مصاب بلوثة ، ولكنه أرشدنا عن الاتجاه الصحيح . فهل في غير الصحراء يمكن لفاقد رشده أن يرشد أحدا . ؟ !

وكانت الرحلة تجربة خصبة عندما متنا لسعة المغامرة التي نفتقدها في حياتنا المعاصرة ، وعندما شاهدنا من أعلى التل بقعة مياه زرقاء وسط الصحراء الشاسعة والرمال الناعمة المتحركة تردم النخيل وتصل حتى سعفه الأخضر .

وتتوقف هذه الرمال عند حافة البحيرة الزرقاء ، وحار في هذه الظاهرة العلماء ، ولكن الأهالي الذين يعيشون حول البحيرة في أكواخهم ، لديهم التفسير ، فقبر سيدي عون القائم فوق التل هو الذي يحمي البحيرة التي يستمد منها السكان الحياة !

القرية تطل على البحيرة ، وتظهر عليها علامات الفقر الشديد ، وتتكون من الأكواخ المتلاصقة وبيوت الصفيح ، ولم يمسها أي تغيير ولكنها مثل سواها بها متجر حكومي تتوفر فيه كل حاجات القرية وبها مدرسة ابتدائية ، وتبدو على القرية سمة أكثر أفريقية وأكثر صحراوية . .

ولعل سبب الفقر البادي على القرية ، أنها تدخل ضمن مخطط تجميع بعض القرى الصغيرة في تجمعات سكانية كبيرة تتوفر لها الخدمات المختلفة ، وتقوم فيها المشاريع الانتاجية ، وتقدم فرص العمل والخدمات لأبنائها ، بدلا من تكرارها في كل قرية صغيرة . ولكن الأهالي يرفضون الانتقال والاقتلاع من مكانهم ، وأعترف أني تعاطفت معهم ، فهذا مكان فريد ليس له نظير في ليبيا كلها ، بقعة من المياه الزرقاء وحولها النخيل في صحراء رمالها ناعمة ويمكن أن يتحول إلى مكان سياحي يأتي اليه السياح من كل مكان ، اذا أعد لذلك وأقيم فيه مهبط للطائرات الصغيرة ، وبعض الفنادق والمنشآت السياحية . .

ووظيفة هذه القرية التي عاشت عليها ، انها كانت أحد مراكز القوافل القديمة ، وكان يستخرج منها الملح الذي تصدره ، وتميزت بأنها مصدر للفطريات التي تستخرج من البحيرة وتجفف وتملح والتي كان لها سوق رائجة في أفريقيا ، وتوصف كعلاج للعديد من الأمراض . .

والبحيرة عميقة لا تجف ، ذكرها هيرودت منذ ٢٣٠٠ سنة ، عندما كتب عن بحيرات ملحية في الصحراء تفصل الواحدة عن الأخرى مسيرة عشرة أيام وهي شديدة الملوحة تبلغ ملوحتها ٦ أو ٧ أضعاف ملوحة مياه البحر ، وسبب ملوحتها بخر المياه التي تتجدد من المخزون المائي الهائل القائم تحت رمال الصحراء

ويعيش في هذه البحيرة عدد هائل مما يسمى (دارتيميا) أي القشريات الصغيرة التي يطلق عليها السكان الديدان ، يجمعها الأهالي في فصل الخريف بواسطة شباك ، وكانت تستخدم ليس فقط كدواء بل وكنوع من الغذاء لما تحويه من بروتين ولا تزال توصف شعبيا كنوع من أنواع المنشطات !

وتركت قبرعون أحمل لها الكثير من المشاعر ، وتمنيت أن أعود اليها وأن أقيم فترة أطول الى جانب هذا الجمال الفطري وسط الصحراء ○

المكعب اللغز

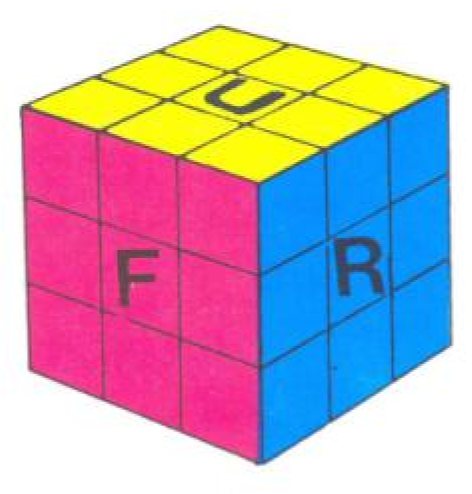
بقلم الدكتور . فوزى مصطفى دنان

قد يكون من النادر أن تشغل أحجية أو لعبة ما عددا كبيرا من الناس ومن كافة المستويات لفترة طويلة من الزمن ، والسبب فى ذلك يعود الى تعدد أمزجة ونوعيات الذين يتعاملون مع الأحاجى ، كما يعود إلى طبيعة تلك الأحجية التى لو تم حل رموزها لأصبحت مسألة معروفة يكتفى الناس بالتندر بها .

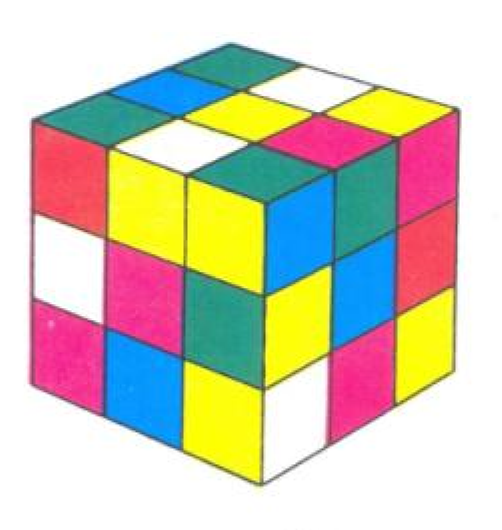
ولعل أحجية مكعب الألوان المعروف باسم مكعب روبيك ، هى من تلك الأحاجى النادرة التى خرجت عن كونها لعبة للتسلية لتصبح علما وفنا ومتعة تطرق باب الصغير والكبير من أجل أن يحل رموزها ويتبين أسرارها .

ولقد حازت هذه الأحجية على اهتمام الكثيرين حتى أصبحت تقام لها المسابقات فى أنحاء مختلفة من العالم . كما شغلت هذه الأحجية المختصين فى الرياضيات والهندسة والتربية ، حيث تجرى محاولات لادخال هذه الأحجية إلى المدارس والجامعات كوسيلة من الوسائل التعليمية الممتازة .

وسوف نتعرض فى هذا المقال إلى التعريف ببعض الجوانب الجادة لهذه الأحجية ، ذلك أن حلها يتطلب دراسة كاملة طويلة استوجبت ظهور عشرات الكتب فى بلاد الغرب .



الشكل (١)



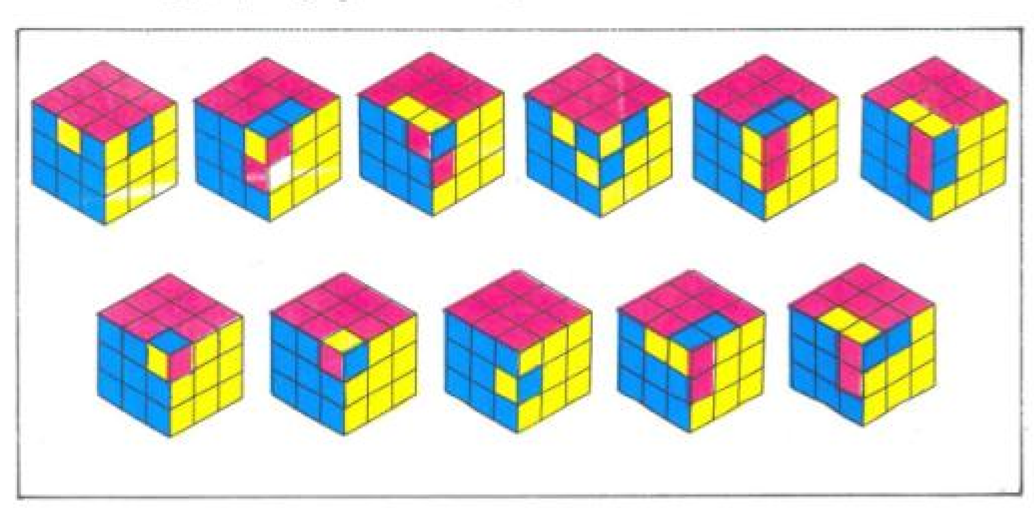
الشكل (٢)

ماهي أحجية المكعب

يتكون المكعب من ٢٧ مكعبا صغيرا تم تلوين بعض وجوهها لتكون بمجموعها المكعب المبين على الشكل (١) بحيث يكون لكل وجه من وجوهه الستة لون واحد ، ونسمى هذا الوضع بالوضع الابتدائي للمكعب . كما يمكن تدوير كل وجه أو شريحة تحتوى على تسعة مكعبات صغيرة حول نفسها لتأخذ وضعا آخر .

وقبل أن تعود الشريحة إلى وضعها الذى كانت عليه فإنها تأخذ ثلاثة أوضاع مختلفة .

فإذا دورنا الشرائح المختلفة للمكعب من وضعه الابتدائى بصورة عشوائية ، فاننا نحصل على مكعب يحتوى



الشكل (٥)

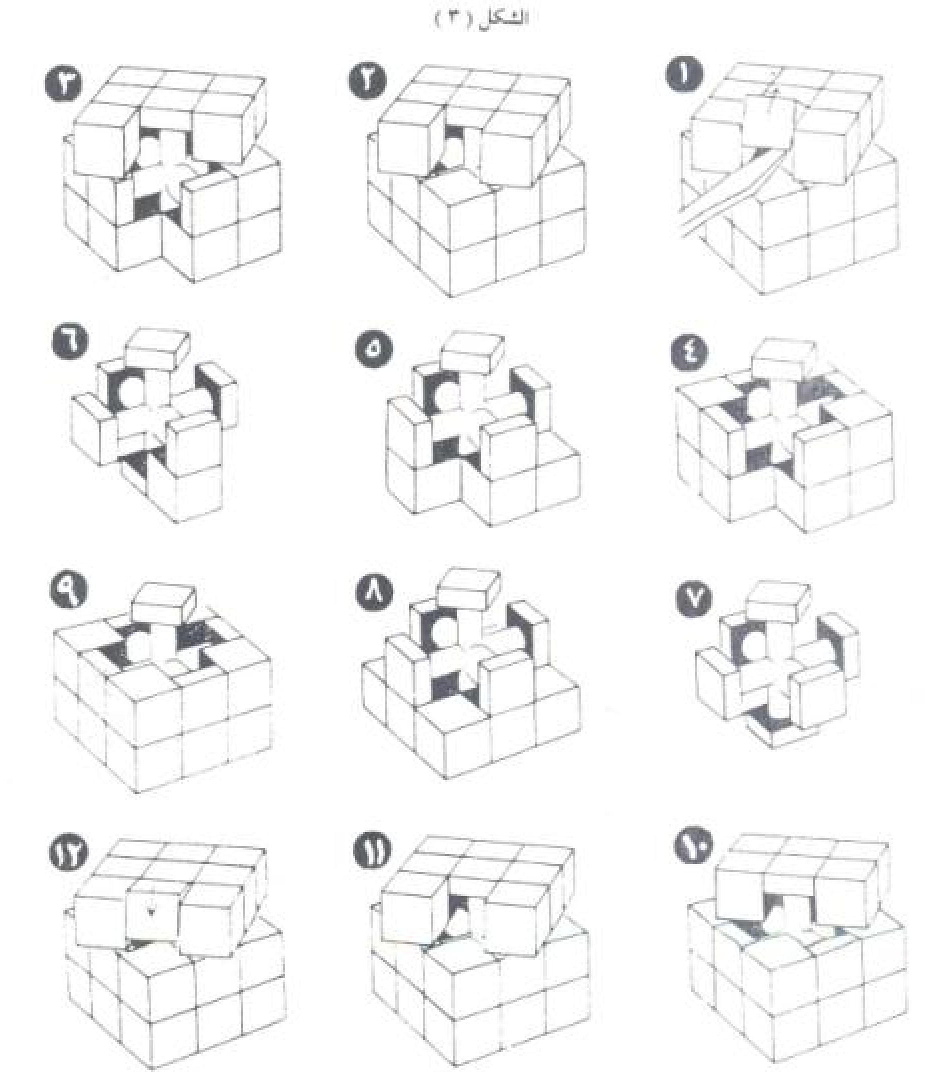
فى الوجه الواحد على عدة ألوان كما هو مبين على الشكل (٢) والمطلوب عندئذ إعادة المكعب إلى وضعة الابتدائى (أى الوضع الذى يظهر فيه لون واحد على كل وجه من وجوه المكعب) وذلك بتدوير مناسب لشرائح المكعب .

تصميم المكعب :

ولا يخفى أن أكثر الذين يحاولون حل مسألة المكعب يغفلون عن الآلية التى تتحرك فيها شرائح المكعب بسبب انشغالهم بحل لغز المكعب . والواقع أن الطريقة التى تتحرك بها هذه الشرائح هى بحد ذاتها أحجية ليست سهلة الحل ، وهكذا فإن تصميم هذا المكعب هو بحد ذاته عمل مبدع ورائع .

ان أول من قام بتصميم هذا المكعب هو الهنغارى ارنو روبيك (**Erno Rubik**) أستاذ الفن المعمارى والتصميم فى مدرسة الفنون التجارية فى بوادبست عام ١٩٧٤ .

الشكل (٣)



ولقد تم تصميم المكعب من نوعين من المكعبات المتشابهة ترتبط مع بعضها بنتوءات نظامية لتتماسك مع بعضها ومع المكعبات الستة الواقعة فى أواسط وجوه المكعب والمرتبطة مع بعضها بأربعة محاور ثابتة .

ولكى يدرك القارىء مدى الابداع فى آلية عمل المكعب ، فما عليه الا أن يتتبع الخطوات المبينة على الشكل (٣) لفك وتركيب قطع المكعب .

لغز المكعب :

لابد أن نشير أولا إلى أن عدد الأوضاع المختلفة لهذا المكعب هى
43252003274489856000 أي ما يقارب
4x 1019

ونترك للقارىء المهتم والمطلع على حساب التوافقات والتباديل فى علم الاحتمالات من أجل برهان ذلك . ولكى نتخيل مقدار هذا الرقم يكفى أن نعرف أن عمر الارض التقريبى مقدرا بالثوانى هو ١/١٠٠٠ من هذا الرقم . كما نشير هنا الى أن الدراسة الرياضية للمكعب تتطلب دراية خاصة بنظرية الزمر (**Group theory**) وهى فرع متقدم من فروع الجبر الحديث ، ولذا فاننا لانريد أن نقتحم القارىء بتفاصيل معقدة جدا لهذه النظرية ، لكننا سنحاول وبشكل مختصر ومبسط عرض خفايا لغز المكعب .

يتبين من تركيب المكعب أنه مكون من ستة مكعبات صغيرة ثابتة تقع فى منتصفات الأوجه الستة ذات الألوان الستة ، بواقع لون واحد لكل وجه . كما يوجد ١٢ مكعبا ، لكل واحد منها وجهان ملونان . بينما يوجد ثمانية مكعبات أخرى هى مكعبات الزوايا ولكل واحد منها ثلاثة أوجه ملونة .

فاذا وضعنا المكعب فى وضعه الابتدائى موجها لنا فاننا نرمز للوجه المقابل لنا بـ**F** وللوجه الخلفي **B** وللوجه الايمن بـ **R** وللوجه الايسر بـ **L** (انظر الشكل (١) وللوجه الأعلى بـ **U** والاسفل بـ **D** (أنظر الشكل (١)) .

ويمكن لكل وجه من هذه الوجوه أن يدور بزاوية **90 , 180 ,270, 360 ..** ونلاحظ هنا أن تدوير أى وجه من الوجوه بزاوية **360** أو مضاعفاتها سوف يعيد الوجه الى وضعه الأصلى ، فإذا دورنا الوجه الأمامى مثلا بزاوية **90** باتجاه عقارب الساعة

انظر الشكل (٤)



مع اتجاه عقارب الساعة



عكس اتجاه عقارب الساعة

فأننا نعبر عن ذلك بالرمز **F** أما إذا دورنا الوجه الامامى بزاوية 180^0 فأننا نعبر عن ذلك بالرمز F^2 وهكذا نجد أن

$$I = D^4 = F^8 = 000$$

حيث رمزنا للوضع الابتدائي بـ **I** ، كما يمكن أن نكتب من أجل الوجه الخلفى

$$I = D^4 = D^8 = 000$$

وهكذا . . .

أما تدوير الوجه الامامى F بزاوية 90^0 بعكس عقارب الساعة فنرمز له بالرمز F^{-1} أو F^1 للسهولة .

وهكذا نجد أن $I = FF^1 = F^1F$ وهذا يعنى أننا نعود الى الوضع الأصلى إذا دورنا الوجه الأمامى باتجاه عقارب الساعة بزاوية 90^0 ثم دورناه مرة أخرى بزاوية 90^0 بعكس عقارب الساعة .

ونرمز بـ F'^2 لعملية تدوير الوجه الأمامى للمكعب بزاوية 180^0 بعكس عقارب الساعة ولكى يشعر القارىء بشىء من المتعة فما عليه إلا أن ينفذ العمليات التالية بالترتيب من اليسار إلى اليمين على مكعب فى وضعه الابتدائى .

(١) $(F R' F' R) (U F' U' F) (R U' R' U)$

(٢) $(F U F U F (U' F' U F' U))$

(٣) $F B R L (F B R L) F B R L (U^2 D^2)$

حيث يتم الحصول على أشكال لطيفة فى كل حالة .

تبقى هناك نقطة غريبة ومثيرة للانتباه وهى أنه توجد 12 حالة للمكعب مبينة على الشكل (٥) بحيث لايمكن الوصول فى إحداها إلى الاخرى بأى عدد وأى أسلوب من تدويرات شرائح المكعب . أما برهان ذلك فيتطلب دراسة اكثر عمقا فى نظرية الزمر الرياضية

وهكذا نجد أن مسألة المكعب قد شغلت الكثيرين لدرجة أن بعض الناس يصاب بالهوس أو العصاب من عدم مقدرته على حل اللغز وإعادة المكعب إلى وضعه الأصلى .

ولذا فإننا ننصح القارىء هنا أن يتعلم فك المكعبات الصغيرة المكونة للمكعب وإعادة تركيبها حتى يستطيع أن ينعم برؤية الألوان الموحدة على وجه من وجوه المكعب . ونشير هنا إلى أن إعادة المكعب إلى وضعه الأصلى فى هذه المكعبات الصغيرة المبعثرة (بعد فكها) ليس بالأمر السهل .

وأخيرا فان مجال المنافسة فى حل هذه المسألة مازال مفتوحا على أن نذكر للقارىء هنا أن الرقم القياسى لاعادة ترتيب ألوان المكعب هو 24 .20 ثانية وقد حققه تلميذ عمره 16 سنة فى أمريكا . ▢

ماذا قالوا في الزواج ؟

الانجليز

- تزوج أولا ، والحب يأتيك بعد ذلك .
- زواج الشاب بالشابة يتم في السماء ، وزواج الشاب بالشمطاء يتم بواسطة الشيطان ، وزواج المسن بالشابة يتم في الارض .
- بين الزوجة الصالحة والطالحة ساعة من النهار .
- الزواج والشتاء القارس يروضان الرجل والحيوان المفترس .
- في كعكة الزفاف ، الأمل هو أحلى الفواكه .

شاعرونجمة

شعر الدكتور عيسى درويش

همست لى نجمة ذات مساء — لِمَ لا تخرج للكون الطليق ؟ !
فلقد عودتنا بعض الغناء — في أماسيك مع الشعر الرقيق
أترى قد عم فى الناس البلاء ؟ ! — فأراحوا الفكر بالنوم العميق
هات يا شعر وأيقظ أمةً — علها من سكرة الموت تفيق

* * *

آه ما أحلاك يا أخت النجوم — أنت فى الضوء ، وإنَّا فى الظلام
نحن حول المجد ما زلنا نحوم — منذ قل الفعل وازداد الكلام
وأرى محنتنا سوف تدوم — طالما نحن عن الحق نيامْ
أى مجد قام او سوف يقوم ؟ — دون أن يسنده حد للحسامْ

* * *

قالت النجمة « عذرا شاعرى — أنا لم أعرف لصمت سببا
كلما هاج الهوى فى خاطرى — خفق القلب به واضطربا
فمشى نحوك مشى القاصر — فاذا أنت تزيد الهربا
يا الهي .. أى حظ عاثر — لفؤاد راح يهوى العربا ؟ ! »

* * *

ايه يا أخت الهوى لا تعتبي — صرت بالصمت أداوى الألما
كان للشاعر دور كالنبي — عندما كان يهز الأمما ..
الف ديوان بليغ معجب — لا يساوى فى زمانى درهما
فابعدى عن ناظرى واحتجبي — فلقد صرت بقومى أبكما



الآبـاء يزرعون الشوك !

بقلم : منير نصيف

« اليتيم ليس من فقد أبويه . . . . . . إن هناك ملايين الأطفال الذين لم يفقدوا آباءهم ، فهم أحياء بينهم ، ولكنهم لا يعرفونهم ، لا يحسون بهم . . . هؤلاء أشد يتما وأكثر بؤسا لأنهم أبناء لآباء أحياء ولكنهم لا يشعرون بوجودهم ! »

(روبرت لويس ستيفنسون)

أحس بالجوع بعد يوم طويل كئيب غابت عنه الشمس وامتلأت سماؤه بالغيوم . كان النهار قد انتصف أو كاد ، وقصد المطعم الذي تعود أن يذهب اليه في مثل هذا الوقت كل يوم بعد أن ينتهي من دراسته في الجامعة . وبحث عن المائدة التي تعود أن يجلس اليها ، ولكنها كانت مشغولة ، فجلس الى مائدة أخرى قريبة منها . . . ورحب به صديقه الذي يقوم بخدمته ويقدم له طبقه المفضل كل يوم !

وأخرج كتابا من حقيبته الصغيرة وراح يقرأ في انتظار وصول طعام الغداء . . . ولكنه ما كاد يفعل حتى وجد نفسه بالرغم منه يتجه ببصره الى مائدته التي كان دائما معها على موعد في مثل هذا الوقت منذ أن جاء الى هذه المدينة ليلتحق بجامعتها ويكمل دراساته العليا . . . ربما كان شعوره بأنه غريب على هذا المكان الجديد الذي يجلس فيه هو الذي دفعه الى العودة ببصره الى المائدة التي ألفها ليرى ، بدافع من حب الاستطلاع ، من يكون هذا الغريب الذي اختارها بين كل موائد المطعم !

وشعر بشيء غريب يشده إلى هذا الوجه الرقيق الذي تجلس صاحبته أمام مائدته . إن هذه هي أول مرة يراها فيها هنا . . . . ولكن ما سر هذا الاهتمام المفاجيء بها . . . لقد طوى الكتاب الذي أخرجه ليقرأ فيه ، وأسند رأسه الى إحدى يديه وراح يحدق في هذا الوجه ، وفجأة رآها تخرج منديلا صغيرا من حقيبة يدها ، وترفع نظارتها من عينيها وتجفف دموعها ، لقد كانت تبكي !

إنها لم تقرب الطعام الذي جاءوا به إليها . . . . كانت



تجلس شاردة ، وقد اتجهت ببصرها الى الشارع الذي يزدحم بالمارة في هذه الساعة ! هل كانت ترقب موكب الحياة من وراء الحائط الزجاجي ... أم أنها قد ذهبت في رحلة بعيدة مليئة بالذكريات ... كل شيء تحمله عيناها الدامعتان يقول انها تتألم !

* * *

وحاول أن يشغل نفسه عنها . جرب العودة الى كتابه ولكنه ما لبث أن أعاده الى حقيبته ... غير وضع مقعده وأدار ظهره اليها ، فوجد رأسه يدور باحثا عنها ... كل هذا وهي لا تشعر به ولا تحس بوجوده ، وكأن المكان قد خلا من الناس ، فلم تعد تسمع أو ترى شيئا مما يدور حولها .... كانت مع نفسها في حديث صامت لا يسمعه أحد إلا هي !

وترك مقعده ، ووقف برهة ، ويبدو أن تحركه المفاجيء قد لفت نظرها ، فاتجهت برأسها إلى مصدر الصوت الذي يحدثه الكرسي الذي كان يجلس عليه وهو يزحف على الأرض . والتقت عيونهما ... وأجفلت !

أما هو فلم يكن يعرف تماما ماذا هو فاعل ! ولكن الذي حدث في اللحظات القصيرة التالية ، قلب الموقف كله ... لقد وجد نفسه يمشي ويتقدم بثبات عجيب ويقطع المسافة بين المائدتين القريبتين وكأنه يمضي في أطول رحلة يقوم بها ... ثم يقف أمامها فجأة ويقول في صوت

هادىء صادق . . . « أسعدت مساء يا سيدتي ! »

وحدث ما لم يكن يتوقعه . . . لقد كان يخشى أن تصدمها المفاجأة فيجيء رد الفعل عندها على غير ما كان يبتغي . . . ولكنها ردت تحيته في هدوء غريب وراحت تتأمله وهو واقف في مكانه حاملا حقيبته ، ثم ما لبث أن أشرق وجهها بابتسامة باهتة قبل أن تعود الى الحديث مرة أخرى ولكن في تحفظ . . . . « هل من خدمة أستطيع أن أسديها لك ؟ » .

ـ نعم . . . أن تسمحي لي بأن أشاركك هذه المائدة !

ـ ولماذا هذه المائدة بالذات !

ـ لأنني تعودت أن أتناول طعام الغداء في هذا المكان كل يوم . . . انها مائدتي ، كما ترين !

ـ هل تريد مني أن أتركها ؟

ـ أبدا . . أبدا . . انها تتسع لنا نحن الاثنين . . . ثم انها لن تزدحم بالاطباق فأنا لم أطلب سوى طبق واحد .

وضحكت . . . وأسعده أن يراها تضحك ، وهي التي كانت تكفكف دموعها منذ دقائق قصيرة مضت !

ـ اذن أستطيع أن أجلس ؟

وجلس . . . . وكان لا بد أن يتصل الحديث . .

قالت : « ألم تنس شيئا ؟ شاب غريب يأتي الى مائدتي ويجلس أمامي دون سابق معرفة ! ألا ترى في هذا خروجا على عاداتنا وتقاليدنا ومجتمعنا المحافظ ؟

ـ معك كل الحق . . . أنا شاب أعد للماجستير بعد أن حصلت على الليسانس في القانون . أعيش وحدي .

« أبي وأمي انفصلا بالطلاق منذ سنوات بعيدة مضت ، وكنت ما أزال صبيا في السابعة من عمري . . . . وتزوج أبي وتزوجت أمي ورزق الاثنان بأبناء ، وذهبت لأقيم في بيت خالتي . . . ولكن حياتي الجديدة لم تطل مع الأسرة التي انتقلت لأعيش وسطها ، فقد كان زوج خالتي رجلا قاسيا لم أحتمل أسلوبه في التعامل مع زوجته وأطفاله . . . . ولم أنج بطبيعة الحال من هذه القسوة . . . وتركت البيت . . . وبدأت رحلة أخرى شاقة أليمة . . . مشيت في طريق امتلأ بالأشواك ولكنني استطعت أن أصل . . . كان من الصعب في البداية أن أرى نهاية رحلة العذاب التي عشتها وحدي مع أحزاني . . . . ولكنها جاءت أو اقتربت من المجيء . . .

***

وسكت . . . وتطلع الى وجهها ، فرأى بريقا غريبا تقرأ فيه معاني كثيرة . ربما كان أهمها ذلك الاهتمام الواضح في نظراتها اليه . .

وقال وهو يبتسم : « أعتذر عما يمكن أن أكون قد سببته لك من ضيق ، فأنا لم أقدم لك نفسي كما ترين ولكنني رويت لك قصة حياتي . . . لا أدري لماذا فعلت ذلك . ولكن ربما يكون هذا الشعور بالارتياح الذي أحسست به عندما لقيتك ، وكأنني أعرفك منذ سنوات بعيدة !

قالت : « أرجوك أن تكمل حديثك . . . كيف قضيت رحلتك وحدك بعد أن تركت بيت خالتك ؟ » .

ـ ولكنها قصة طويلة . . . . لقد كان هذا البيت الذي تركته هاربا هو آخر مكان يمكن أن ألجأ اليه ، فقد طردتني زوجة أبي ، وصدمت عندما وجدت والدي يقف أمامها عاجزا مستسلما . . . حقيقة كانت أمي أكثر رحمة بي ، فهي لم تتخل عني بسهولة ، وحتى عندما طلبت الي أن أذهب لأعيش في بيت شقيقتها ، لم تنس أن تضع في جيبي مبلغا كبيرا من المال ، استولى عليه زوج خالتي . . . وقد مضت أمي تدفع وتدفع في أول كل شهر ، مقابل ايوائي وإطعامي . . . حتى نفقات المدرسة كانت ترسلها لي سرا مع المربية الطيبة التي حملتني طفلا ! ثم توقف كل شيء بعد أن انقطعت صلتي بالبيت وأصحابه !

« في الشارع بعد أن تركت ملجئي الأخير ، كان لقائي بحياة الغابة . . . كنت ما زلت طفلا ، وشعرت بخوف هائل يحتويني وأنا أبحث عن مكان أبيت فيه بعد يوم حافل بالعمل . . . كنت أقوم بكل عمل وأي عمل يطلب مني ، طالما انه عمل شريف ونظيف ، حتى أستطيع أن أكسب قوت يومي . . . الى أن اكتشفت يوما أن الغابة التي أويت اليها مليئة أيضا بالقلوب الرحيمة . . . لم يكن سكانها كلهم وحوشا كما تصورت . !

« فقد ساق القدر في طريقي رجلا طيب القلب ، كان عجوزا جاوز الستين يملك متجرا صغيرا لبيع المواد الغذائية في أحد الأحياء المتواضعة ، وعرض علي العمل في متجره ، مقابل ايوائي ، وغذائي . . . وقبلت على الفور . كان يعطف علي وكان يقول كلما لقيني : « أنت ابني . . . أنا لم أتزوج يا بني ، كان لي اخوة كثيرون ، لم يبق منهم أحد . . . وقد شاء الله أن يرزقني بولد بعد أن بلغت هذه السن ليكون عكازا لي في شيخوختي ! »

« سوف أظل مدينا لهذا الرجل بما وصلت اليه ، فهو الذي كان يدفع لي نفقات دراستي حتى أوصلني الى مرحلة التعليم الجامعي . وبعدها رحل المسكين وترك لي متجره الصغير وبيته القديم المتداعي وكل ما يملك . لم تكن ثروة كما كان يظن البعض . . . ولكنها كانت كافية لأنفق منها على تعليمي . . »

***

وتوقف الشاب عن الحديث ، وعاد يتطلع الى وجه صاحبته ، ولأول مرة منذ هذا اللقاء القصير حول المائدة الصغيرة ، شعر أن شيئا ما قد حدث لها . إنها لم تعد نفس الفتاة التي عرفها منذ لحظات عندما قرر أن يقتحم الوحدة التي كانت تعيش فيها ويقف حاجزا بينها وبين تأملاتها وذكرياتها التي حملت معها الدموع . لقد بدت في هذه اللحظة التي توقف فيها عن المضي في سرد قصته ، بدت كما لو كانت قد عثرت على شيء تبحث عنه ... شيء ربما لم تكن تتوقع أن تجده أمامها بهذه البساطة !

قالت وهي تبتسم : « هل انتهيت من حديثك عن نفسك ؟ » .

قال : « لا ! إن قصتي لم تنته ، فقد التقيت اليوم بفتاة رقيقة لا أعرف شيئا عنها ، ومع ذلك فقد رويت لها قصة حياتي كلها . لقد جاء دورك ... أنت ستكملين القصة ! »

• • •

وأشرق وجهها بابتسامة حزينة ، ولكن بلا دموع ..

قالت : « أنا انسانة غير مرغوب فيها ... إنسانة تعسة تواجه أقسى ما يمكن أن تتعرض له أي فتاة ... أنا أيضا عشت تجربة مريرة لا تختلف كثيرا عن تجربتك مع والديك بل ربما كانت تجربتي أنا أكثر مرارة ... لقد مات أبي عندما كنت طفلة في الرابعة ، وتزوجت أمي رجلا ثريا ، فقد كانت ما تزال شابة وجميلة ... ومضت السنون ، وكبرت الطفلة وأصبحت فتاة ناضجة ، وهي لا تدري أن هذه السن الحلوة التي تمر بها كل فتاة قد جرّت عليها ويلات لم تكن في حسابها . كنت طالبة وقتها في كلية الآداب ، عندما جاءت اليّ أمي في غرفتي في احدى الليالي ، وقالت لي وهي تبكي : « سأكون صريحة معك يا ابنتي ... ان زوجي بدأ يهيم بك . اني أرى في عينيه نظرات غريبة كلما رآك تمرين أمامه ... اني خائفة عليك منه .. سأكون أكثر صراحة يا ابنتي .... لقد بدأت أشعر بالغيرة منك ... سامحيني ! »

ـ وهل كنت ترين ما تراه أمك ؟

ـ ربما ، ولكنني لم أكن أتوقف أبدا لأسأل نفسي ، أو أهتم قليلا أو كثيرا بما أرى ... ولكن عين الزوجة لا تخطىء أبدا ، ثم انها سيدة مسكينة وأم لثلاثة أطفال أنجبتهم منه ... ان بيتها وزوجها وأطفالها هم كل دنياها ... وأنا أحب أمي ، من أجل ذلك لملمت ملابسي في اليوم التالي وذهبت لأقيم في بيت الطالبات في الجامعة ، فقد كنت ما زلت طالبة في كلية الآداب ... ! »

ـ والآن ... أين وصلت وماذا تصنعين بنفسك ؟

ـ غدا سأتخرج ... لقد وجهت الجامعة الدعوة للآباء والأمهات لحضور حفل التخرج ... ولكنني لم أشأ أن أدعو أحدا ... كنت أتمنى أن أرى أمي وأخوتي في الحفل ... ولكنني لن أدعوهم ... لا أريد أن أرى الجرح القديم ينزف بعد أن اندمل ... لقد زارتني جارتنا الطيبة في غرفتي ببيت الطالبات وطمأنتني عليهم ، لقد عادت الحياة تسير في طريقها الطبيعي ، ولا أريد أن أعكر صفوها ... »

وعادت الى دموعها ومنديلها ... وافترقا على أن يلتقيا في الغد ... في نفس المكان حول المائدة الصغيرة .

وجاء الغد والتقيا وتناولا الغداء معا ... وكانت شاردة حزينة ..

قالت : « لا بد أن أذهب الآن ، فلم يعد باقيا على حفل التخرج سوى ساعتين !

قال : « أريد أن أقول لك شيئا هاما قبل أن نفترق مرة أخرى ... هل تقبلينني زوجا لك ؟

نعم ... أنا أتمنى أن أشاركك حياتك !

ربما استطعنا ـ معا ـ أن نجد السعادة التي حرمنا منها ! قالها بسرعة ، وهو لا يدري كيف خرجت الكلمات من شفتيه .

قالت : « لا ... فأنا لا أريد أن أتزوج ... سأبحث عن عمل أرتزق منه ... ولكن أرجوك ألا تظن أنني لست سعيدة بلقائك ... بالعكس ... أرجو أن نكون دائما أصدقاء بلا زواج ، لأنني لا أريد أن تكرر مأساتنا مع أبنائنا ... من يدري ! »

ومدت اليه يدها تصافحه مودعة ....

• • •

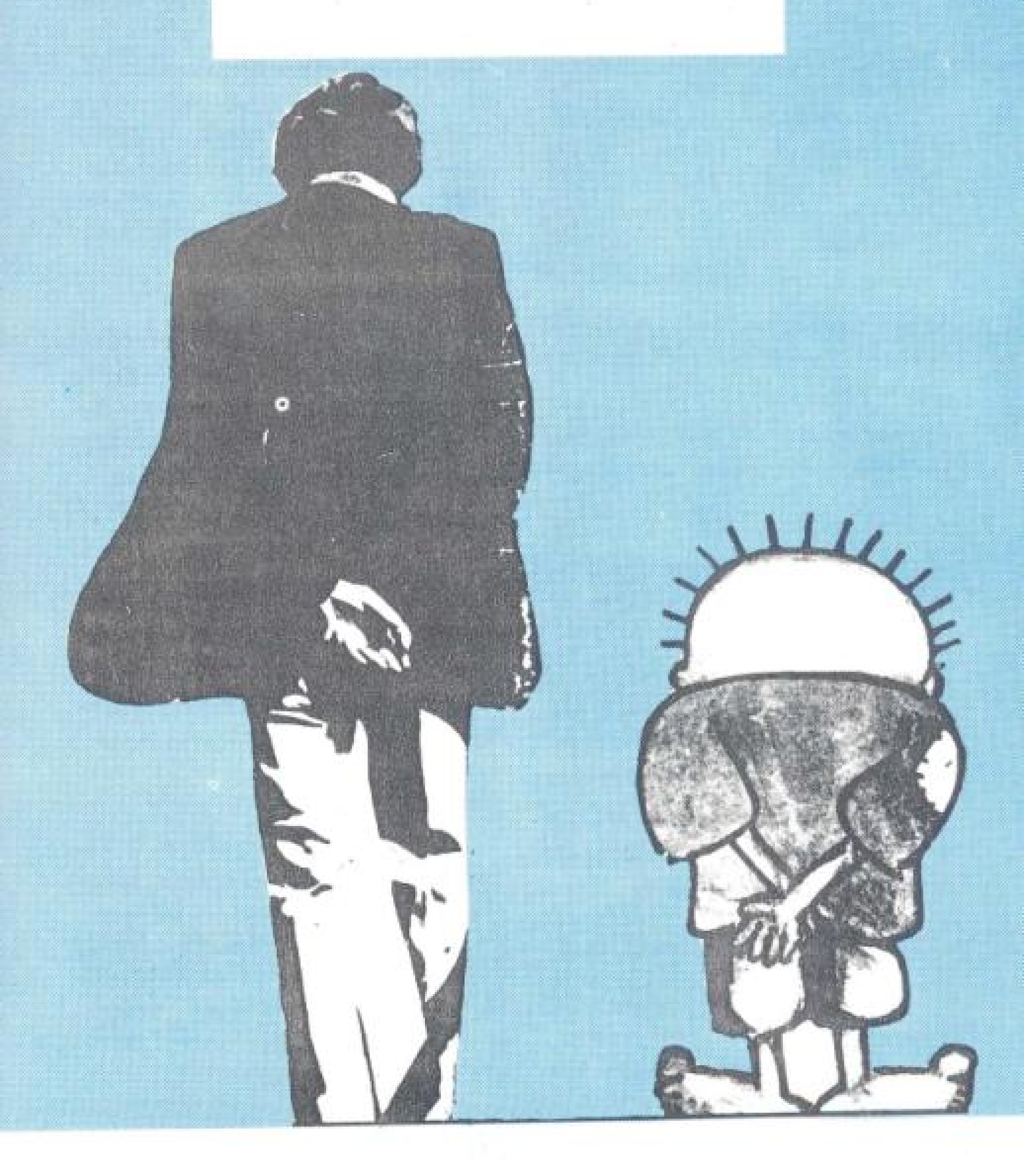
ولكنه كان هناك في حفل التخرج ، ولمحته وهو جالس في الصف الأول المخصص لآباء الخريجين . وعندما جاء دورها ... وقف وتقدم الى المنصة ومد يده اليها مصافحا ومهنئا ....

وسأله مدير الجامعة : « ومن تكون يا سيدي ؟ »

ـ أنا شقيقها ... نعم شقيقها الأكبر !

ـ دعني أهنئك مرة أخرى ، فقد قررت ادارة الجامعة تعيين شقيقتك معيدة بها تقديرا لها على تفوقها !

فنان الكاريكاتير
ناجي العلي



* الفن نوع من المغامرة ، والتعليب والقوالب الجامدة يقتلانه .
* حنظلة هو الضمير الذي لم يتلوث في عالم ملوث !
* قضية فلسطين هي اختزال وتكثيف لحالات الظلم في العالم .

أجرى اللقاء : سليمان الشيخ

* تضاربت الأنباء والأقاويل والاشاعات حول مصير الفنان ناجي العلي اثناء الغزو الاسرائيلي للبنان واستمرار العمليات العسكرية فيه خلال شهري حزيران - يونيو . وتموز - يوليو من سنة ١٩٨٢ .

وقد أفاد بعضها بأن الاسرائيليين قاموا بتصفيته « على حاجز من حواجزهم التي أقاموها في مدينة صيدا » عاصمة محافظة الجنوب اللبناني : وأكد غيرها على اعتقاله اثناء غزو المدينة وان الجنود الاسرائيليين اطلقوا النار عليه بعد ذلك .

* وبعض الصحف والمجلات العربية الصادرة في لندن وباريس كتبت متساءلة عن مصير الفنان أثر تلقيها لسيل الاشاعات والاقاويل التي انصبت على توكيد نهاية مأساوية له . خاصة وانه يقطن بالقرب من مخيم عين الحلوة ، الذي عاش فيه طفولته وسلخ من عمره الكثير بين أزقته وفي مقاهيه وبساتينه ومدارسه مناضلا وعاملا وعاطلا عن العمل ايضا .

* وفجأة توقفت الاشاعات ، وكفت الالسن عن ترديدها والهمس بها .

فقد صدرت نشرة « المعركة » أثناء حصار مدينة بيروت من قبل قوات الغزو الصهيوني والتي حررها الكتاب العرب الذين صمدوا في المدينة ورفضوا مغادرتها وتسربت بعض أعدادها الى مدينة دمشق واحتوت على رسومات للفنان .

ناجى العلى

* من مواليد قرية الشجرة فى الجليل الفلسطيني سنة ١٩٣٦ .
* لجأ الى لبنان وسكن مخيم عين الحلوة فى جنوب لبنان منذ سنة ١٩٤٨ .
* تلقى دورة على التدريب الصناعى فى مدينة طرابلس اللبنانية فى منتصف الخمسينات .
* عمل بعدها لعدة اشهر فى المملكة العربية السعودية ثم عاد الى لبنان .
* التحق بالعمل الصحافى فى الكويت اعتبارا من سنة ١٩٦٣ رساما ومخرجا ومحررا صحافيا .
* ترك الكويت عدة مرات وعاد اليها .
* عمل فى الصحافة اللبنانية منذ بداية السبعينات واستمر يرسم لبعض دور الصحف فى الكويت والخليج العربى .
* اصدر كتابا كاريكاتوريا سنة ١٩٧٦ م .
* حصلت اعماله على الجوائز الاولى فى معرضي الكاريكاتير للفنانين العرب اللذين أقيما فى دمشق فى سنتى ١٩٧٩ و ١٩٨٠ م .
* عضو الامانة العامة لاتحاد الكتاب والصحافيين الفلسطينيين .





كما أن الصحيفة التي كان يعمل بها الفنان ولازال احتوت في اعدادها ، التي صدرت في شهر يوليو ـ تموز على رسومات جديدة أيضا .

* وهكذا مضت زوبعة الاشاعات ، وعادت الريشة الساخرة المختزنه والمستشعرة لهموم العرب واهتماماتهم ، والمعبرة عن نبض توقهم للحرية ، والكاشفة عن المؤامرات التي تحاك ضد مصائرهم وحقوقهم ، الى احتلال مكانها المعتاد في الصفحة الاخيرة من الصحيفة والتي تتلقفها الكثير من صحف ومجلات الوطن العربي وتعيد نشرها مرة أخرى .

* مع ذلك فان ما رسبته الاشاعات بقي منه في الذهن ما بقي . .

* سألت عن حقيقة ما جرى . .

ـ قال : كنت في صيدا أثناء الغزو الاسرائيلي ، وواجهت نفس ما واجهه الناس من رعب وخوف وعشت ايام القصف المدفعي وغارات الطيران وقصف الزوارق البحرية ، ورأيت الدمار والقتل بأم عيني . . ووقفت مع طوابير الناس تحت رحمة البنادق الاسرائيلية والشمس المحرقة على شاطىء البحر دون غذاء أو ماء لمدة يومين وهم يفرزون الناس ويدققون بهوياتهم .

وبقيت في صيدا لمدة شهر بعد احتلالها ، وفي تلك الايام العصيبة فانني لم أرسم ، وحتى لو استطعت فانني كنت غير قادر على توصيل رسوماتي الى الصحيفة التي أعمل بها . وبعد ذلك انتقلت الى بيروت . . في الفترة التي كانت قوات الاحتلال قد فرضت عليها الحصار .

* ألم تصادفك صعوبات أثناء ذلك ؟

ـ لم تكن الصعوبات بالمعنى الخاص ، اذ ان قوات الاحتلال لم تكن متشددة في الايام الاولى للغزو ، فتدبرت امري مع أحد سائقي سيارات الاجرة وأوصلني الى منطقة الشويفات ، ومن هنا انتقلت على رجلي الى بيروت الغربية .

* والقصف والمعارك ؟

ـ كانت حرب القذائف والغارات مستمرة . . وعشت وتعايشت مع مترتبات الحصار كما عاش وتعايش غيري .

* تتحدث ببساطة كأن ما تم كان بسيطا ؟

وضع عينيه في عيني وقطب جبينه . . وقال .



ـ عندما يتساوى الموت مع الحياة فان كل الامور تصبح متساوية مع بعضها البعض .

* ما الذي أثر فيك اثناء نهارات وليالي القصف والغارات والحصار ؟

ـ لقد اكبرت الناس البسطاء الذين برزت معادنهم الشجاعة في تلك اللحظات الحرجة والمصيرية . لقد كان الانسان في تلك اللحظات الرهيبة حائطا وملجأ وملاذا لغيره .

البنايات والحيطان كانت تنهار وتتشظى كأنها كتل كرتونية ، وبدلا من حدوث الانهيار الداخلي عند البشر ،.فان الكثيرين منهم كانوا يجعلون من أجسادهم متاريس وسدودا .

* وما كان يغيظ في ظل ذلك الوضع المأساوي الخطير هو استماعنا للاذاعات العربية وهي تبشرنا « بمواقف حكوماتها » والتي كان قصف كلماتها أشد وقعا في النفوس من وقع أصوات ومواجهة القنابل والغارات من قبل طيران وزوارق ودبابات العدو .

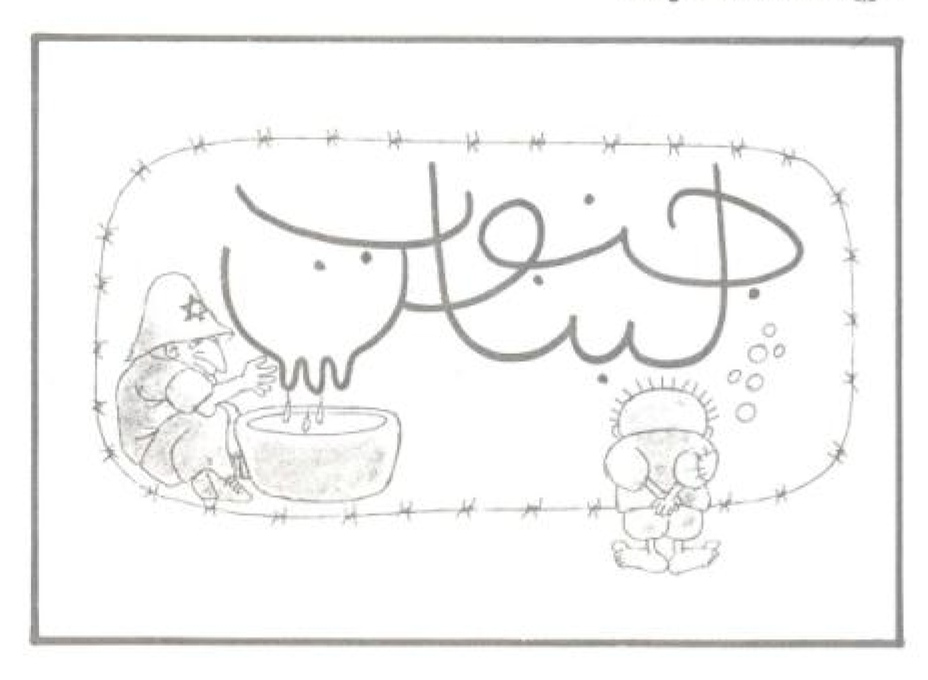
التجريب

* أقلب موجة الحديث وأسأل : أين وصلت في محاولاتك الجديدة في فن الكاريكاتير ؟

ـ أنا من الناس الذين لا يركنون الى الرتابة ، لذلك فإن دأبي التجريب ومن تابع ويتابع تجربتي الفنية فانه يجد انني اتجاوز « الحقائق » التي يحاول البعض تثبيتها حول فن الكاريكاتير من خلال قولهم بأنه يملك مواصفات ثابتة .

ـ وقد بدأت محاولاتي في هذا المجال بالرسومات المرفوقة بالتعليقات ثم انتقلت الى مرحلة الرسومات التي تعتمد على نفسها في التعبير دون وجود الكلمات والعبارات معها .

وربما تجد اختلاطا بين المرحلتين ، من واقع ان الفنان لا يمكنه السير على وتيرة واحدة متصاعدة ، ومن واقع ان الفنان لا يعيش هواجسه الفنية فقط ، بل تجده يتفاعل مع الاحداث الحاصلة في مجتمعه فنراه يغلب هذا



الاتجاه او ذاك في رسوماته من واقع تفاعله وتأثيره بالاحداث .

* وأعمال المرايا . . . ما هو الجديد فيها ؟

ـ قد يكون هذا الاتجاه في التعامل مع المرايا هو احد شواغلي الفنية لتطوير فن الكاريكاتير وادخال مادة جديدة عليه .

وقد أنجزت في هذا المجال لوحات شاركت فيها بمعارض فن الكاريكاتير التي اقيمت في دمشق .

* وقد نلت الجوائز الاولى في تلك المعارض .

ـ نعم . . . ان ما تقوله صحيح .

* هل هناك خصائص خاصة في هذا الاتجاه ؟

ـ اضافة الى ادخال مادة الزجاج في العمل الفني فإنني جعلت المشاهد جزءا من اللوحة . لقد جعلت المشاهد بطلا للوحاتي .

* فهناك لوحة كتبت على زجاجها « مطلوب » والشخص المطلوب هو المواطن الناظر للوحة .

* ولوحة ثانية رسمت على زجاجها قضبانا ، وحين ينظر اليها المواطن فإنه سيجد نفسه داخلها أي وراء القضبان .

* والثالثة رسمت عليها شريطا أسود اشارة الى أن المطلوب المتهم المسجون قد اعطانا عمره . وهكذا ومن وحي مصادرة الحريات في وطننا العربي نبع هذا التسلسل في اللوحات لتكون شاهدة على الادانه والتحريض . ادانة المرحلة وتحريض المواطن على مساوئها .

* وما هي حكاية اللوحة التي قيل انها مكتوبة بالحبر السري ؟

ـ هي لوحة تركتها فارغة الا من التعليق الذي اوردته « لوحة مكتوبة بالحبر السري » وأردت فيها اطلاق مخيلة المشاهد وتوريط ذهنه في استكناه معنى ان تكون اللوحة مكتوبة بالحبر السري . وهي كما لا يخفى عليك تكثيف لحالة القمع في وطننا .



الشكلية :

* الاترى معى ان فى اتجاهك هذا « شكلية » فنية مرهونة فى فهمها وتفسيرها بظروف آنية مرحلية ؟

ـ تدفق الغضب من عينيه ومن قسمات وجهه . . وعلق :

ـ لماذا آنية ومرحلية ؟ ان القمع موجود فى كل زمان ومكان بصورة نسبية طبعا .

ولا يعرف الشوق الا من كابده ويكابده كما يقولون ، لذلك فان اللوحات ستبقى مفهومة مادام الحال كما اعرف وتعرف .

أما بالنسبة لموضوع « الشكلية » التى ذكرتها . فان الفن التشكيلي ومنه فن الكاريكاتير يعتمد على الخطوط والاشكال والكتل التى تجسد مضمونا بطبيعة الحال ، وأن اكشف الفكرة فى فنى وأصبها فى خطوط وأشكال ، أو أتعامل مع مادة جديدة وادخلها فى تجاربى ، فان ذلك يمثل طموحى لتجاوز ما تم ترسيخه عن فن الكاريكاتير ، لذلك فإننى أسعى الى التوسع فى تطويع مادة الزجاج وغيرها من المواد ومواءمتها لخدمة هذا الفن .

وبما ان مادة الزجاج هشة وقابلة للكسر حال نقلها من مكان الى آخر لذلك فإننى ابحث عن المادة البديلة المشابهة لمادة الزجاج .

وقد سمعت ان مادة عاكسة تقوم مقام الزجاج . يتعامل بها الفنانون فى فرنسا ، وانى اسعى للحصول على هذه المادة . .

* يقال ان فن الكاريكاتير له خصائصه المعروفة ، أفلا تخشى ان يفقدها فى محاولتك الجديدة ؟

ـ دأب الفنان ابداع الفن ، والنقاد بعد ذلك يضعون مايتم ابداعه فى قوالب وأطر ، الفن عندى نوع من المغامرة واكثر ما يقتل الفن تعليبه والاحتفاظ به فى قوالب جامدة .

و « مغامرتى » اذا صح هذا القول عنها هى

مغامرة فى الشكل والمضمون أى تطويع الشكل لخدمة المضمون . مع ذلك فان تجربتى الجديدة ليست هى كل ما اقوم به ، اذ عليك ان لاتنسى اننى اتابع عملى العادى فى الصحف والمجلات . مع ذلك فاننى لا استطيع اهمال الهواجس التى تلح على للتطوير والبحث عن مجالات جديدة .

الفطرة :

* اعرفك فنانا فطريا . . . وها أنت تنافس البارزين فى هذا المجال ؟قاطعنى قائلا :

ـ اسمع ياصديقى . . . الفن ليس ابنا للمدارس ، ولا يولد فى قاعاتها ، ولا يطبخ فى مطابخها . الفن مزيج وخليط من الموهبة والدراسة والخبرة والتجربة والاطلاع والمتابعة .

وأعترف لك انا ناجى العلى الفلسطينى ابن مخيم عين الحلوة . اننى بدأت فنانا فطريا ولا زلت . ورسمت على الحيطان وعلى أوراق « الكدش» وعلب الدخان الفارغة ، وقادتنى رغبتي وأتون الاحتراق داخلي الى أن اضع كل ملكاتى فى مجال فن الكاريكاتير ثم جئت الى الكويت فى بداية الستينات وعملت فى صحافتها محررا صحافيا ورساما للكاريكاتير ومخرجا ، ثم عملت فى الصحافة اللبنانية ولا ازال . وقد التحقت خلال ذلك بدورة فنية فى اكاديمية الفنون فى لبنان ، ثم علمت مادة الرسم لاشهر معدودات فى مدرسة من مدارس مدينة صور .

نعم ان البداية كانت فطرية غير مقصودة ، الا ان لقمة العيش والبحث عن وسيلة تعبير قادانى الى ان اتمسك بما لمسته في من موهبة فى فن الكاريكاتير علما أن الاهتمام لم يكن كبيرا فى صحافة الستينات بهذا الفن .





حنظلة :

أراك منذ سنوات متمسكا فى معظم رسوماتك بالطفل الذى اطلقت عليه اسم حنظلة .. فمن يكون .. وعلى ماذا يرمز ؟

ـ حنظلة ياصديقى هو البراءة فى عالم غير برىء ، هو اختزال للطفولة المدهوشة من هذا العالم ، التى يقشعر شعر رأسها لهول ماترى وما تسمع وتحس وتواجه .

قد يكون حنظلة ضميرى المستتر أو المكشوف ، الملتاع مرارة والذائق لحنظل الحياة ، وفى لحظات قد ينفصل عني ويمارس دوره فى نقدى ، فأجده اكثر استشعارا منى لنبض الناس وامالهم وطموحاتهم ، ولأنه كذلك فانى أجد فيه الصفاء والنقاوة فأحاول مصالحته واتباع خطاه ، أو أجعله معبرا عن دواخلى وسراجا لى فى ليالى الضباب والعتمه وزمن الخيانات وبيع الآمال والطموحات .

وقد يكون هو الضمير البرىء الذى لم يتلوث ويتلون بأمراض المرحلة .

* ما الذى تضعه على رأسه ، هل هو اكليل شوك ، أم هو نوع من انواع اجهزة الانذار او الاستشعار ؟

ـ ربما هو مزيج من الاثنين ، وربما يكون من انواع الشوك أو المسامير التى يمكنها ان تدمى من يحاول الانتقاص من شكله وحجمه .

فلسطين :

* الاترى معى ان قضية فلسطين قد أخذت الكثير من جل مارسمت ؟

ـ عادت قسمات الغضب ترتسم على تقاطيع وجهه .... وبرز التحفز واضحا فى عينيه .... ثم قال :

ـ وماذا فى ذلك ؟ اليست فلسطين وقضيتها تكثيف لحالات الظلم وقضايا الحرية والتحرر فى هذا العالم ؟

واليست هى اختزال لكل الفظاعات والتسلط والاقتلاع والارهاب وحرمان الحقوق فى عالمنا هذا ؟

فلماذا لا تكون هى مادة ريشتى ، وحبرى السرى ، وهواجسي وحلمى ، وصورة الوعد وجنة الارض ، والفردوس المغتصب ؟

لماذا لا تكون هواء مع الهواء الذى نتنفس ، وماء مع الماء الذى نشرب ، وطعاما مع الطعام الذى نأكل ؟

انها مستقبلنا ، لان مستقبل هذه المنطقة مرهون بما يتم انجازه بالنسبة لفلسطين .

ومع ذلك ياصديقى فإننى منذ وعيت وأنا اعمل وأناضل فى سبيل وحدة العرب وتحررهم وتحقيق طموحاتهم وآمالهم .

وريشتى كرستها لذلك ، وفلسطين هى فى قلب هذه القضية ... فاذا كان القلب بخير .. فإن جسم القضية سيبقى أيضا بخير . ○



الأطباق الطائرة
بين الحقيقة والخيال

يظن البعض أن ظاهرة الأطباق الطائرة ظاهرة حديثة أو أنها لم تظهر قبل القرن العشرين . والحقيقة هي أنها قديمة قدم التاريخ .. فثمة اشارات واضحة لها في كتب الأغريق والرومان . ويمكن التأكيد أن هذه الأطباق أو الصحون التي تحلق في الجو ولا تلبث أن تختفي قد ظهرت في مختلف العصور وفي شتى البلدان .. الا أنها تكررت وتكاثرت في مدى السنوات الثلاثين التي أعقبت الحرب العالمية الثانية وذلك في أجواء مختلف الدول والأوروبية والأمريكية ... وبخاصة الولايات المتحدة ...

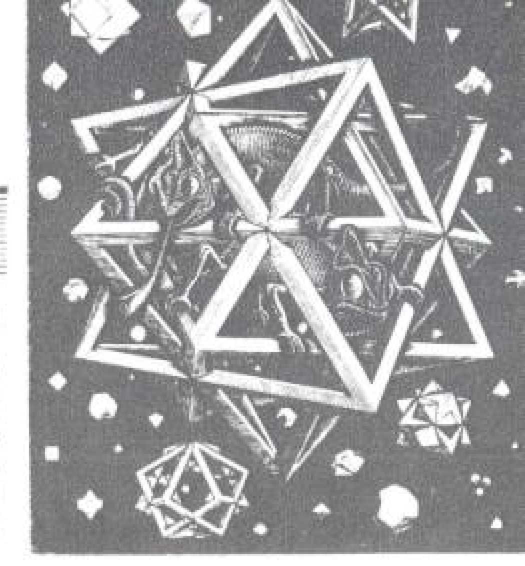
وظهرت الأطباق الطائرة في هذه الفترة بأشكال عديدة مختلفة ... وهبط بعضها إلى الأرض وجثم على سطحها وذلك على مرأى من بني البشر ، فكانت اللقاءات الصامتة .. وتميزت بعض هذه اللقاءات بظهور مخلوقات غريبة عجيبة فكانت اللقاءات الحية ... وأقدمت تلك المخلوقات الغريبة العجيبة على مخاطبة بني البشر في حالات قليلة نادرة فكانت اللقاءات الحية الناطقة .. وكان هذه اللقاءات أبلغ الأثر حيثما وقعت ...

وقد أدت الى وقف التيار الكهربائي في المنطقة حيناً ... والى تعطيل الراديوات والسيارات والطائرات حيناً آخر . وأدت في بعض الحالات الى ايقاع الأذى البالغ في الأفراد الذين واجهوا تلك المخلوقات الغريبة أو سمعوها وهي تتكلم .. وأدت الى موتهم في أكثر من حالة .

لا عجب اذن أن ساد الاعتقاد بين العامة وبعض الخاصة أن تلك المخلوقات العجيبة انما هي من سكان الكواكب الأخرى النائية المنتشرة في الفضاء الخارجي ، وأنها تنتمي الى حضارة بالغة الرقي وتتفوق على حضارتنا تفوقا مطلقا ، وأن الأطباق الطائرة ما هي إلا سفن الفضاء التي صنعتها تلك المخلوقات وقطعت بها المسافات الشاسعة حتى وصلت الكرة الأرضية ... وأجرى معهد جالوب أحصاء شاملا تبين فيه أن مالا يقل عن ١١ ٪ من مجموع الأمريكيين شاهدوا الأطباق الطائرة وهي تحلق في الجو ... أما عدد الأطباق الطائرة التي ظهرت في أجواء الكرة الأرضية ـ سواء شوهدت أم لم تشاهد .. فقد بلغ عددها نحو ٣ ملايين خلال الخمس والعشرين سنة (١٩٤٥ ـ ١٩٧٠)

ومن طريف ما يذكر أن الأطباق الطائرة لا تعرف بهذا الاسم Flying Saucers حالياً إلا في أستراليا وأمريكا الجنوبية وبعض دول أوربا وبعض دول آسيا .. فهي تسمى « المنجل الطائر » في الاتحاد السوفياتي وبعض البلدان التي تدور في فلكه .. أما في الولايات المتحدة وسائر الدول فتعرف باسم « الأجرام الطائرة المجهولة الهوية » Unidentified Flying Objects .. أو ان شئت الاختصار (أوفو) أو (يوفو) (UFO) . فقد حل هذا الاسم في الولايات المتحدة محل اسم الأطباق الطائرة سنة ١٩٥٣ وذلك لدى ظهور التقرير الوافي المستفيض الذي وضعته هيئة البحث الأولى التي كلفت بدراسة الظاهرة دراسة علمية ..

أما الباعث المباشر على تشكيل تلك الهيئة فهو ظهور الأطباق الطائرة بكثرة ، واكتشاف التوافق بين ظهورها وبين اشارات ظهرت على شاشة الرادار في واشنطن العاصمة ، وذلك في شهر يولية سنة ١٩٥٢ . وقد ضمت



رسم سيريالي لنجم تبدو من خلاله مخلوقات بدائية غريبة كمخلوقات الفضاء حسبما يتصورها كتاب الخيال العلمي .

الهيئة عددا لا يستهان به من المهندسين وعلماء الفيزياء وخبراء الأرصاد الجوية وكانت برئاسة روبرتسون H.P. Robertson عالم الفيزياء المعروف آنذاك .. أما الجهة الحكومية التي تولت تنظيم تلك الهيئة ورعايتها فلم تكن سوى وكالة الاستخبارات الأمريكية (CIA) ..

وظهر تقرير الهيئة ، بعد التكتم عليه وأثبت أن ٩٠ ٪ من مما رأى الناس من أطباق طائرة لم يكن أطباقا طائرة من قريب ولا من بعيد بل لم يكن سوى ظواهر جوية ، أو ظواهر أخرى فلكية ، التبس أمرها على من رآها فبدت لهم كالصحون الطائرة ... هذا ان لم تكن من نسج خيالهم ووهمهم ... أو بحكم ابتكار العابثين وخداعهم .... ولكن التقرير أقر في الوقت نفسه بأن ١٠ ٪ مما رأى الناس من أطباق كان بالفعل أطباق طائرة ، أو كما سماها التقرير UFO أي أجراما طائرة مجهولة الهوية ...

وجاءت الستينات وكلفت السلطات الأمريكية المعنية (سلاح الجو) هيئة علمية ثانية شابهت الأولى من حيث أعضاؤها .. ومن حيث التقرير الذي اختتمت به أعمالها ..

ثم كانت المفاجأة الكبرى .. فقد أجمع أثنان من كبار العلماء على أن بعض التقارير الموثوق باصحابها تدل على أن مخلوقات من الفضاء الخارجي تزورنا بين حين وحين . وأن الأطباق الطائرة انما هي سفن الفضاء التي تأتي بتلك المخلوقات من أقاصي الفضاء للقيام بتلك الزيارات ... واعترف العالمان في الوقت نفسه أن هذا الوصف لا ينطبق الا على القلة النادرة من الأطباق الطائرة ، نحو ١٠ ٪ مما يرى الناس منها ، أو أقل من ذلك .... أما العالمان اللذان صرحا بذلك فكانا العالم الفلكي ، ج ألن هاينك Hynek من جامعة North Western والخبير بالأرصاد الجوية (من جامعة أريزونا) جيمس ماكدونالد .. وقد ظهر تصريحهما في أواسط الستينات .. وكان له أثر القنبلة في الأوساط العلمية .

وما أسرع ما شكلت هيئة علمية أخرى سنة ١٩٦٨ برعاية سلاح الجو الأمريكي .. وضمت تلك الهيئة فريقا من علماء الفيزياء والفلك والأرصاد الجوية واشتهرت هي وتقريرها النهائي باسم رئيسها كوندون -E.V.Con

ظهرت الأطباق الطائرة وما زالت تظهر بأشكال عديدة مختلفة .



بروتوكولات حكماء صهيون
أثبتت الأحداث
صدق تنبؤاتها

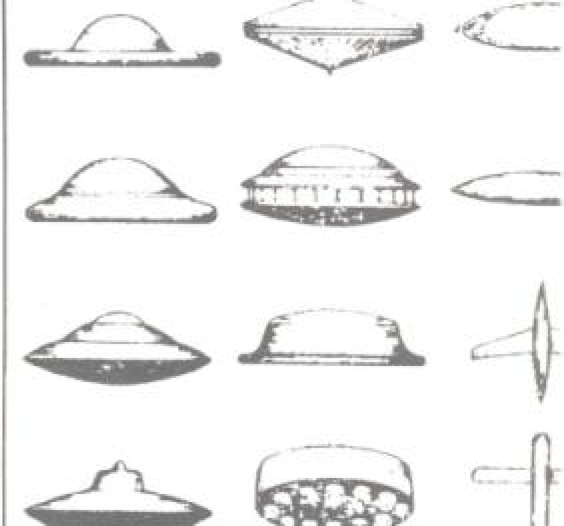
لاجدال في أن بروتوكولات حكماء صهيون وثيقة خطيرة من وثائق التاريخ .. فهي تفضح مخططات الصهاينة الرامية الى الهيمنة على العالم بأسره ، ان لم تقل الى استعماره واستعباده .. ويعجب المرء أكثر ما يعجب كيف استطاع الروس الحصول عليها ونشرها في مطلع هذا القرن سنة ١٩٠٣ بالتحديد، حين ظهرت على صفحات أحدى صحف العاصمة الروسية بعنوان : « برنامج يهودي للسيطرة على العالم ... وقائع جلسة لشيوخ صهيون » .. وقد ذكرت الصحيفة الروسية فيما ذكرت ، أن البروتوكولات كتبت أصلا باللغة الفرنسية ، وأن حصولها عليها لم يكن بالأمر السهل ... الا أنها لم تكشف النقاب عن المصدر الذي حصلت منه على البروتوكولات ..

وانتشرت البروتوكولات بعد ذلك في روسيا وترجمت الى شتى اللغات .. وغني عن البيان أنها ترجمت الى اللغة العربية أيضا ، وأن زميلنا الأستاذ محمد خليفة التونسي هو الذي ترجمها وطبعها في كتاب سنة ١٩٥١ بدقة وأمانة . وقد كتب المقدمة لترجمته هذه الاستاذ عباس محمود العقاد .

وبلغ من شيوع البروتوكولات في روسيا ان راحت الكنائس في العاصمة الروسية سنة ١٩٠٥ تردد عبارات اقتطفتها منها ، وذلك بقصد تحذير المواطنين الروس مما بيت اليهود لهم ..

على أن انتشار البروتوكولات بلغ الذروة في أعقاب الحرب العالمية الأولى .. وفي ألمانيا بالتخصيص .. اذ لم تكد تظهر هذه الوثيقة في اللغة الألمانية حتى بيع منها مازاد على ١٠٠,٠٠٠ نسخة ..

وكان هتلر ممن أقبلوا على قراءة البروتوكولات



يبين الرسم أشكال الاطباق الطائرة الأكثر شيوعا .

don . أما النتيجة التي توصلت اليها هذه اللجنة فكانت سلبية . فقد نفى تقرير كوندون نفيا قاطعا أية صلة لظاهرة الاطباق الطائرة بالفضاء الخارجي Extraterrestrial Hypothesis او اختصارا (ETH) .. وأكد كوندون عدم وجود أية حاجة لمزيد من دراسات أو ابحاث في هذا الصدد . وكان لهذا الموقف أثره البالغ .. وحسبك أن سلاح الجو في الولايات المتحدة أوقف العمل (سنة ١٩٦٩) في مشروعه الضخم ، مشروع الكتاب الأزرق الذي كان بدأه سنة ١٩٤٨ ..

ويذهب كوندون وامثاله الى ان البعد الهائل الذي يفصل بيننا وبين أقرب الكواكب التي يمكن ان تكون مأهولة هو الذي يجعل الحديث عن صلة الاطباق الطائرة بسكان الكواكب الاخرى حديث خرافة وهذيان ... اذ تحتاج سفن الفضاء او الأطباق الطائرة الى ١٠٠ سنة للقيام برحلة واحدة في ذلك الكوكب الى الكرة الأرضية .. هذا اذا افترضنا جدلا ان سرعة تلك السفينة تبلغ ٧٠ مليون ميل في الساعة الواحدة ...



هذا هو بيوتر أيفانوفتش راشكوفسكي ، مدير البوليس السري القيصري في باريس ، ومزور البروتوكولات كما يعتقد اهل الغرب .



تعبر هذه الصورة عن المؤامرة اليهودية التي فشت سرها البروتوكولات وقد ظهرت على كراس أسباني . .

واعتقدوا بصحتها جملة وتفصيلا . وبلغ من تقديره لأهميتها وخطورتها أن احتضنها حتى أصبحت أنجيل النازية فيما يتصل باليهود والصهيونية .

وبالرغم من هذا كله فان الكثيرين من أهل الغرب .. ان لم نقل كلهم .. يعتقدون أن البروتوكولات وثيقة مزوره أو مزيفة .. وان البوليس السرى الروسى (القيصرى) هو الذى زيفها .. وأنه استهدف من تزييفها أضرام مشاعر اللاسامية ضد اليهود والتمهيد لمزيد من اضطهادهم والفتك بهم والخلاص من شرورهم القائمة والمبيته . . . .

ويؤكد أهل الغرب أن تزييف الوثيقة أو تزويرها قد تم فى باريس .. ومن قبل (بيوتر ايفانوفتش راشكوفسكى) رئيس البوليس السرى القيصرى فى الخارج ، وكان مقره فى العاصمة الفرنسية . . . وقد أستدعى راشكوفسكى هذا سنة ١٩٠٢ . ولم تكد تمضى سنة واحدة على عودته الى العاصمة الروسية حتى ظهرت البروتوكولات فى احدى الصحف الروسية ، كما ذكرنا .

ويؤكد أهل الغرب ايضا ان راشكوفسكى هذا لم يكتب البروتوكولات بقلمه ـ رغم أنه كان كاتبا وله عدة كتب ـ وأنما نقلها عن كتاب فرنسى ساخر وضعه كاتبه م . جولى (M. Joiy) وطبعه في بروكسل سنة ١٨٦٤ وذلك بالعنوان التالى : « حوار بين ميكيافيلى ومونتسكيو » . ولم يكن لجولى هذا من قصد سوى التهكم من نابليون الثالث ومن أساليبه فى الحكم . . .

ويذهب اهل الغرب كذلك الى أن حقيقة البروتوكولات بقيت طى الكتمان حتى الثورة البلشفية سنة ١٩١٧ . فقد توجه أحد رجال هذه الثورة الى باريس لتسلم مابقى فيها من وثائق البوليس السرى القيصرى وملفاته . . . واجتمع رجل الثورة المذكور بأحد أعوان راشكوفسكى وفهم منه أن البروتوكولات مزوره وأن مزورها لم يكن سوى راشكوفسكى نفسه . . .

تلك هى الحجج التى يسوقها أهل الغرب لاثبات مايزعمون من أن البروتوكولات وثيقة مزيفة . . . ولعل مواطن الضعف فى هذه الحجج لاتخفى على أحد . . .

فالأخذ بما قاله أحد أعوان راشكوفسكى فى هذا الصدد ، دون التحقيق فيه ، بل ودون ذكر اسم الرجل أو تفاصيل أقواله ، هو أحد تلك المواطن . . أضف الى ذلك أن كتاب جولى السالف الذكر كتاب فى التهكم أو النقد السياسى وهو يختلف ولاريب عن البروتوكولات فى صميم مادته وأسلوبه . . . وقد حاولنا الاطلاع على موجز لهذا الكتاب فى المراجع والموسوعات فلم نجد له أثرا . . .

ويعجب المرء لمزاعم أهل الغرب بأن البروتوكولات وثيقة مزيفة أو مزورة . . . فهل يعقل أن تكون حقيقة هذه الوثيقة قد انطلت على زعماء النازية وعلمائها ومفكريها . . . أو أن يحتضن هؤلاء الوثيقة جمله وتفصيلا

(١) كان قد ترجمها ١٩٤٦ ، ونشر فصولا منها في مجلة الرسالة القاهرية سنة ٤٧ ثم نشرها كلها سنة ١٩٤٨ في مجلة « منبر الشرق » القاهرة لصاحبها على الغاياتى .

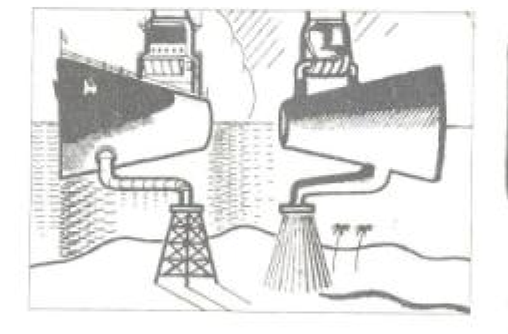


ويتخذوا منها أساسا لفلسفتهم النازية عن علمهم بأنها مزيفة ومزورة . . . .

ثم لم لا نحتكم الى واقع الأحداث . . . أوليس ماحققته الصهيونية في القرن العشرين يفوق كل مابينته مخططاتها التي فضحتها البروتوكولات . . . أوليست اسرائيل هي المهيمنة حاليا في مناطق عديدة من العالم . . . دون أن تستثني من هذه المناطق الولايات المتحدة نفسها . . أو ليس اليهود يسيطرون على ميادين المال والاعلام في العالم الغربي دون منازع . . . . أوليسوا وراء الحروب اذا وقعت ، والاتفاقيات اذا وقعت ؟ يصنعون الحقائق أو يمحونها كما يزعمون ويفخرون دائما . . .

ثم لم لا يكون الطعن في أصالة البروتوكولات التي هي من صنع الاجهزة الصهيونية نفسها . . . اذ ليس من صالح هذه الاجهزة ان ينفضح أمر مخططاتها السرية . . . ومادامت البروتوكولات قد أخذت سبيلها الى النشر ، بطريق اوبآخر ، كان لابد والحالة هذه من الطعن في أصالتها . . ومحو حقيقتها . . وفق اهواء الصهيونية . .

استيراد الماء العذب في اليابان



هل خطر لك ببال أننا قد نفاجأ عما قريب بنبأ وصول أول شحنة من المياه العذبة في اليابان . . . تحملها الي موانيء الخليج ، احدي ناقلات البترول ، وذلك بعد تفريغ حمولتها في موانيء اليابان . . حمولة رحلة الذهاب وهي في النفط . . لتعود بحمولة الماء العذب ، حمولة الاياب . . . !

فهذا مشروع لا تعترض سبيل تنفيذه أي مشاكل مستعصية . . . وقد ثبت جدواه الاقتصادية . . . اذ لن يكلف الماء الياباني المستورد أكثر من دولارين للطن الواحد . . في حين أن كلفة تحلية ماء البحر في مصافي الخليج عامة لا تقل عن ٣ دولارات للطن الواحد . . وقد تزيد . . أما المسافة التي سيقطعها الماء الياباني فتبلغ ١٠٫٠٠٠ ميل أو نحو ذلك . . وسيتم شحنه من جزيرة صغيرة في جنوب اليابان وقد اختاروها لأسباب مختلفة أهمها غزارة أمطارها وهي تبلغ حوالي ٣٢٠ بوصة (= ٨٠٠ ملم) سنويا . . . وستقام علي هذه الجزيرة محطة الضخ وسائر المنشآت اللازمة لشحن ما يقدر بنحو ٢٠ مليون طن ماء سنويا . . . معني هذا أن المشروع لا يقف عند الجدوى فحسب بل يتعداها الي المغريات الاقتصادية فستبلغ ايراداته السنوية حوالي ٤٠ مليون دولار ولن تزيد تكاليف محطة الضخ علي ١٣ مليون دولار . . يضاف اليها نحو ١٠ ملايين دولار لتغطية تكاليف المنشآت الأخري فضلا عن النفقات المالكة . . . . . .

هذا والمفاوضات ماضية علي قدم وساق ، ان لم تكن قد استكملت تماما عند ظهور هذا العدد من العربي . . . ومما يذكر أن الفريق الياباني يضم ثلاث شركات قوية معروفة . . كلها تعمل في بناء السفن . . وتتزعمها شركة نيبون كوكان Nippon Kokan



حامض البوليك

● اصبت بآلام في المفاصل مع شعور بالتعب العام في العضلات ، لهذا فقد أحالني الأطباء الى المختبر لاجراء تحاليل عامة للدم والبول فكانت النتيجة ، كما أفادني الطبيب ، ارتفاع في اليوريك أسيد ، وأكد انه السبب في معاناتي . لهذا نصحني بالابتعاد عن أكل اللحوم ، فما هو ياترى هذا اليوريك أسيد ، وهل هناك منه شفاء ؟

س . ع بغداد ـ العراق

الحامض البولي أو حامض البوليك ، هو الترجمة العربية للاصطلاح الشائع اليوريك أسيد Uric Acid ، وهو مادة بللورية ذات لون أبيض في حال النقاوة . فاذا ما ترسب فان لونه يميل الى الاحمرار ، وهو شحيح الذوبان في الماء ، وهذا سر مشاكله في الجسم ، لأنه يترسب في الكلى والجهاز البولي اذا زاد عن الحد ، مما يؤدي الى حصوات الكلى ، أو قد يترسب في المفاصل ، وينتهي الى اعراض مرض النقرس(بكسر النون والراء) الذي عرف قديما باسم مرض الملوك . ولكن الغريب أن ٥٠٪ من الناس ممن يزيد عندهم هذا الحامض عن نسبته المعتادة في الدم لا يعانون من اعراضه اطلاقا !

ان مصدر املاح الحامض البولي هو الكبد الذي يفرزه ويصبه في الدم حصيلة للتمثيل الغذائي لبعض انواع البروتينات التي تحوي احماضا نووية وهي تتوفر في لحوم الاعضاء كالقلب والكبد والمخ وما اليه . ان هناك نسبة معينة في الدم من احماض الحامض البولي لا بد من وجودها تتراوح ما بين ٣ الى ٦ مليجرامات في كل مائة سنتيمتر مكعب من الدم نتيجة العمليات الحيوية للتمثيل الغذائي كما تقوم الكلى على افراز الفائض منه عبر البول ولهذا يصرف الجسم منه ما يقدر بجرام أو جرام ونصف يوميا تطرحها الكلى خلال سائل البول .

لقد وجد أن بعض الناس لديهم استعداد وراثي لافراز نسبة أكبر من المعدل الطبيعي لهذا الحامض البولي ، وبهذا ترتفع نسبة املاح هذا الحامض في دمائهم كما تزيد نسبة المطروح منه في البول مما يحتمل معه ترسبه في المفاصل وما يتبعها من آلام مرض النقرس او ترسبه في الكلى وما يتبعه من تكون حصوات الجهاز البولي .

ومن الدراسات المكثفة لقضية املاح الحامض البولي التي استقطبت الاهتمام ، وجد الاطباء ان زيادته ترتبط بعاملين :

اولهما : استعداد داخلي وذاتي يرتبط بالوراثة ،

وثانيهما : مصدر خارجي مكتسب في الافراط من تناول الاطعمة الغنية بالحامض النووي



وهي اللحوم ولهذا يسير العلاج لزيادة املاح الحامض البولي عبر طريقين

أولا : العمل علي زيادة افراز املاح هذا الحامض وطرحها خارج الجسم مع البول باستعمال عقاقير معينة مع زيادة شرب الماء

ثانيا : تفادي الأطعمة الغنية بالحامض النووي وهي لحوم الاعضاء(القلب والكبد والمخ الخ) والسردين والانشوجا والبقول الجافة كالفول والعدس والفاصوليا بالاضافة الي الحبوب الكاملة كالقمح ، وعادة ينصح المريض بالاقلال من الدهنيات ما أمكن لأنها تمنع افراز الحامض البولي من الكلى .

أما ما يسمح به للمريض بحرية دون حذر لعدم علاقتها بقضية أملاح حامض البوليك فهي الحليب ومشتقاته(الألبان والأجبان) والبيض والفواكه والسكر والقهوة والشاي .

مرض الفينايل كيتونيوريا

Phenyi Ketonuria

● سيدي الطبيب رزقت بطفل عمره الآن خمسة شهور لاحظت عليه تخلفا في نموه العقلي والعاطفي مما دفعني لاستشارة الطبيب ، وبعد فحص الدم قيل لي ان الطفل يعاني من مرض غريب اسمه طويل ولا أذكر منه الا لفظ الفينايل ولا علاج لهذا المرض سوى حمية خاصة بطعام خاص .

فهل أطمع منكم بشرح لهذا المرض الغريب ، وهل من أمل في الشفاء منه ؟

ع . ف ـ تونس

مرض الفينايل كيتونيوريا لم يجر تعريب متفق عليه لاسمه بعد نظرا لحداثة اكتشافه . وهو مرض وراثي من أمراض سوء التمثيل الغذائي عند الأطفال يفشل فيه الجسم في التعامل مع أحد أنواع الاحماض الأمينية الأساسية وهو الالانين **Phenylalanine**

ان هذا الحامض الأميني هو أحد مجموعة الاحماض الأمينية التي تقارب العشرين وتشكل اسرة الغذاء الزلالي أو البروتين الذي يقوم بدور البناء وتعويض التالف من أنسجة الجسم .

والكبد في جسم الانسان الطبيعي هو الذي يتولي عادة بفضل أنزيمات خاصة أمر تحويل الفينايل الي شكل آخر من الاحماض الامينية يدعي التيروزين **Tyrosine**

غير أنه يسبب خللاوراثيا يفشل الجسم في هذه الخطوة فيتراكم الحامض الأميني الفينايل آلانين في الدم ويتحول الي مركبات ضارة تؤدي الي تدمير خلايا المخ العصبية ومن ثم يصاب المريض بالتخلف العقلي والعجز والعته .

ومرض الفينايل كيتونيوريا وان كان خطيرا الا أنه غير شائع بين الناس . اذ لا تزيد نسبة المصابين به من الأطفال علي واحد بين ٣ ـ ٥ آلاف طفل . لأنه ينتقل وراثيا بواسطة المورثات من الأب والأم معا اذا كان كلاهما حاملين للمرض .

بينما لا تظهر اعراضه علي الطفل اذا انتقلت اليه هذه الصفة من أحد والديه فقط . اذ سيكون في هذه الحال حاملا للمرض فحسب ، وقد قدروا نسبة انتشار حاملي هذا المرض بين الناس بما يقارب ٢٪ .

والأصل في الطفل ان يولد طبيعيا في كل خصائصه الجسدية والعقلية حتي وان كان مصابا بهذا العجز الوراثي . ولكنه ما ان يبدأ الطعام الخارجي المعتاد بما فيه من هذا الحامض الأميني حتي يبدأ التدمير في خلايا مخه العصبية تدريجيا وتظهر عليه أعراض التخلف العقلي الشديد مع زرقة في العين وقلة في الشعر وميل في الجلد الى اللون الأبيض لأسباب لم يصل الطب الى تعليلها بعد ، أما اذا كان الطعام خاليا من حامض الفينايل ألانين ، فان النمو سيستمر طبيعيا دون خلل ، لهذا فان العلاج والوقاية تعتمد اساسا على تغذية الأطفال

المصابين بغذاء خال من هذا الحامض الامينى .

ان هناك نظاما خاصا فى الطعام يجب ان يتبع تحت اشراف طبى منذ الأسابيع الأولى عقب ولادة الطفل حتى لا تصاب الخلايا العصبية بالتلف الذى لا أمل فى شفائه .

والفحص الطبى للدم هو المؤشر لاكتشاف أية زيادة فى مستوى الحامض فى الدم الذى يجب ألا يزيد على عشرة ملليجرامات فى كل ١٠٠ سم³ مكعب من الدم .

قشرة الرأس هل هى معدية ؟

● يشاركنى فى المسكن قريب يعانى من قشرة الرأس بشكل غزير وظاهر للعيان . وبالرغم من محاولاته المتكررة لعلاج هذه الحالة فما زال يعانى منها ولم يصل الى شفاء .

ان القلق يتنابنى من احتمال انتقال العدوى بسبب اختلاط الأدوات كالأمشاط والفوط والأسرة .

فهل لكم أن تفتونى فى الامر .

س . ح . الدوحة ـ قطر

مشكلة قشرة الشعر المعروفة فى العربية باسم (الجبرية) لا تعتبر فى عرف الطب مرضا بالمعنى المحدد ، وانما قد تكون ظاهرة بنشاط فى الجسم يتمثل فى الجلد عامة وبصورة واضحة فى فروة الرأس .

ان هذا النشاط الجلدى قد يكون مجرد افراط الجلد فى أدائه وظيفته وهى تجديد طبقات البشرة الخارجية منه والافراز الدهنى من الغدد الدهنية الموجودة فى الأدمة (وهى طبقته الداخلية) ، أو قد تكون قشرة الرأس هى رد فعل لاختلال هرمونى أو بؤرة مرضية أو عدم توازن الدورة الدموية . .

فى الأصل يقوم الجلد الطبيعى بتجديد ذاته من خلال طرح الطبقات الخارجية الجافة الميتة من البشرة وأحلال طبقات جديدة حية محلها . وهى عملية حيوية تجرى دون أن يحس بها صاحبها ولا يراها بالعين المجردة ، كما أن الغدد الدهنية تفرز دهنا لترطيب سطح الجلد وحمايته وترطيب الشعر ومقاومة جفافه .

فاذا ما زاد طرح الطبقات الخارجية للجلد لسبب ما فانها تتقشر بدرجة أوفر من المعتاد الى الحد الذى تراه العين ، فاذا ما صاحب هذا افراز دهنى وافر فان هذا سيؤدى الى ظهور عجينه لا تلبث أن تتصلب بعد أن تجف وتتخذ صورة قشرة الرأس المعهودة .

ان الامر على هذه الصورة ليس به عدوى خارجية اذ لا يعدو كونه تفاعلات وتغيرات داخلية لا تنتقل من انسان لآخر .

غير أن البيئة التى توفرها قشرة الرأس ، اذا صاحبها اهمال فى النظافة ، تعطى فرصة مواتية للجراثيم والميكروبات لكى تنمو وتترعرع . وهنا يتعدى الامر حدود الاختلال الداخلى ليصبح التهابات ميكروبية معدية للآخرين . ولكن هذه صورة مختلفة عن القشرة العادية التى يعانى منها أغلب الناس .

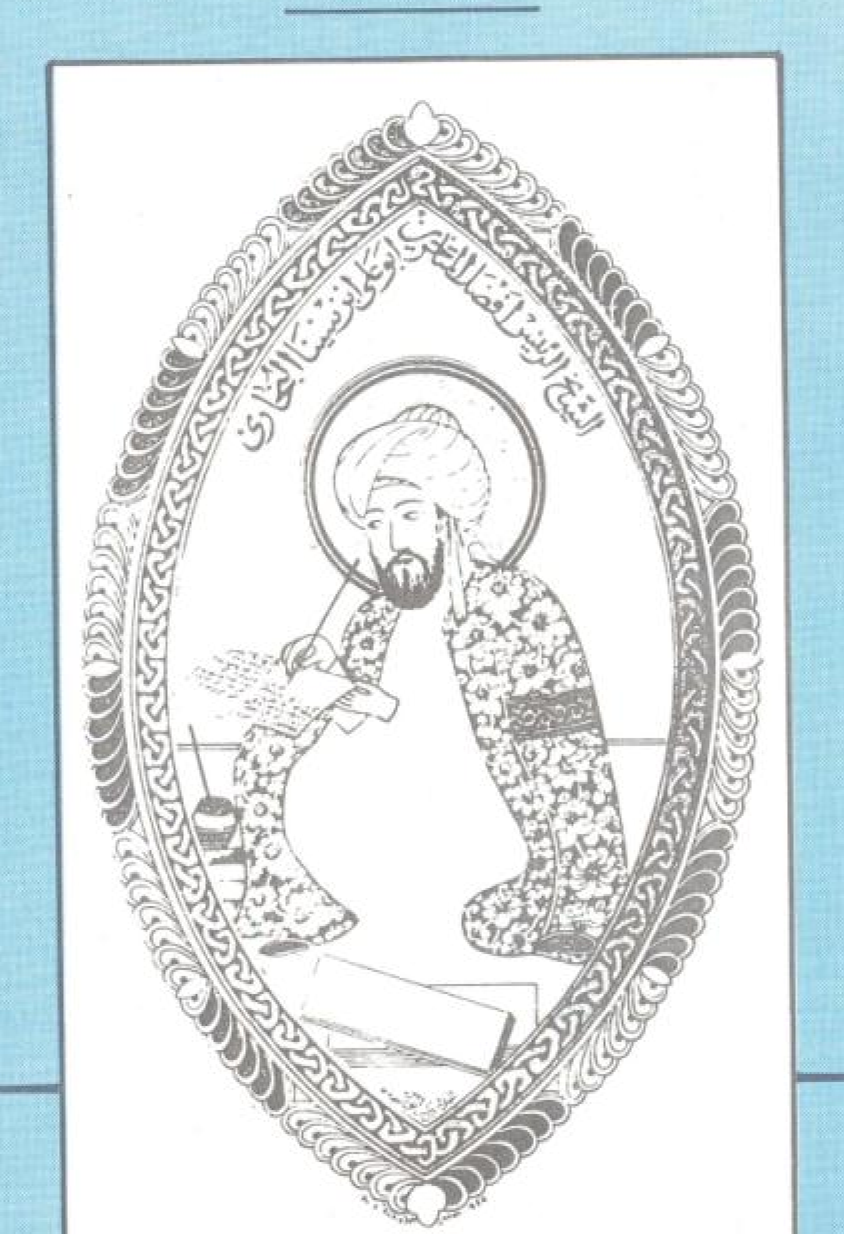
فى حدود الصورة المعتادة ليس هناك من عدوى تنقلها الأدوات المشتركة كالأمشاط والفوط ، أما فى الصورة المرضية الثانية حيث الميكروبات والجراثيم ، فالعدوى قائمة والحذر منها مطلوب .

أما عن أمر العلاج فى قشرة الرأس العادية فالنظافة المطلقة هى محور العلاج مع البحث عن سبب فرط النشاط الجلدى ، وطبيب الجلد كفيل بان يحسم الامر بعد الفحص الطبى ومن ثم وصف العلاج المناسب لكل حاله .

ابن سينا

والطب العربي في الصين

الدكتور : محمد التونجي



يرتبط الحديث عن الطب العربي في الصين ، بالملاحة العربية منذ نشأتها ، وبوصول السفن العربية إلى أقصى المحيط الهادي ، وبالفتح العربي منذ أيام قتيبة بن مسلم الباهلي وفتوحه في المشرق ، وبالغزو للأراضي العربية غربا والأراضي الصينية شرقا ، وبسبل دخول الاسلام الى الصين بحرا جنوبا وبرا شمالا ، وبالعلاقات الصديقة والوطيدة التي تعاقبت عليها مراحل التاريخ بين العرب والصين ، أيام كان العرب يُعرفون باسم « داشي » أي تاجر ؛ يحملون الرايات البيضاء في عصر الأمويين فيسمون داشي الراية البيضاء ، ويحملون الرايات السوداء في عصر العباسيين فيسمون داشي الراية السوداء ، ويحملون الرايات الخضراء في عصر الفاطميين فيسمون داشي الراية الخضراء .

إلا أنني لن أخوض في هذه المعامع كلها ، لأن المقام لايسمح بذلك ، ولأنني أرغب في التحدث عن موضوع علمي بحت ، جاهدا أن ينتهج قلمي الأسلوب العلمي .

لقد لفت نظري ، وأنا في أقصى مدينة من المشرق ـ بكين ، العاصمة الصينية ـ أن كثيرا من الصلات الوثيقة كانت تجري بين بلاد العرب والصين في شتى حكومات الطرفين . وأن من أوثق الصلات صلات تجارية يغلب عليها « الطابع البحري » ، وكيف لا ؟ والبحر العربي كانت تجوبه السفن العربية شرقا وغربا ، وتؤمه السفن المحملة بأفضل ما عند العرب ، لتفرغها في شواطيء الصين . ثم لتحمل منها ما تنتجه الصين لتفرغها في عواصم البلاد العربية . ويكفي أن أذكر لكم أن أحد التجار العرب كان يملك ثمانين سفينة تمخر عباب البحار ، ومركزه أحد موانيء الصين ، وأن رئيس التجارة البحرية في الصين عربي . يكفي أن أذكر هذا لتتضح لنا مدى العلاقات التجارية البحرية بين طرفي آسية .

ولكن أحدا لم ينتبه إلى أن أفضل البضائع التي كانت تصل إلى الصين من الشواطيء العربية ، والتي تلقى رواجا وأرباحا وتهتم لها الدولة ، تلكم هي البضائع الطبية من أدوية وعقاقير وأعشاب وكتب طبية ، حتى الأطباء .

قصة سفينة

ورحت أتقصّى هذا الأمر الدقيق بعناية الطبيب الذي يقدم الوصفة اللازمة لمريضه ، خشية أن أخطيء فألام . ولعل أبرز خبر سمعته لفت نظري وشدّه إلى هذا الموضوع بشكل مباشر ، أن

المكتشفات الأثرية عثرت في شهر آب (أغسطس) من عام ١٩٧٤ على سفينة خشبية في قاع خليج مدينة « تشيوانتشو » إلى الجنوب الشرقي من المدينة . يعود تاريخها إلى ما بين القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين . ويبلغ طول السفينة ٢٤,٢٥م وعرضها ٩,١٥ ، وهي بحالة جيدة . وقد عثر في مقصورتها على خشب معطر ، وعقاقير طبية ، وفلفل ، وبخور ، وزنجفر ، وعنبر ، ولبان ، وصندل ، وزئبق ، وغير ذلك . بعضها من الشواطىء العربية وبعضها من الشواطىء الفارسية . وقد أقيمت صالة عرض لهذه السفينة في المدينة نفسها ، يؤمها السياح والعلماء لكشف مظاهر بناء السفينة النادر والعجيب ، ومحتوياتها المذهلة .

وتوصل الخبراء وعلماء الآثار ـ بعد الفحوص الدقيقة ـ إلى أنها سفينة تجارية ، مخرت عباب البحار من بلاد العرب ـ من غير تحديد للميناء ـ ولعلها من عدن أو جدة أو شط العرب ، قاصدة ميناء « تشيوانتشو » هذا الميناء الذي يمكن للباحث أن يدرسه دراسة دقيقة ، لأنه في الواقع نقطة الاتصال الكبرى بين العرب والصينيين منذ ألفي سنة أو تزيد .

إن اكتشاف تلك السفينة الكبيرة يسلط الأضواء الساطعة على تاريخ العلاقات الطبية والصيدلانية بين العرب والصينيين . كما عثر على لوح خشبي في السفينة حفر عليه اسم « علي » برهانا على عروبية السفينة .

وصف كتاب « الأعشاب الطبية » الشهير الذي تم تأليفه عام ٦٥٩م في عهد أسرة تانغ (٦١٨ ـ ٩٠٧م) خواص الأنجذان ووظائفه وفعالياته . ومن أبرز من ألف في الطب الاسلامي طبيب فارسي الأصل يدعى « لي شيون » والذي عاش بين ٨٥٥ ـ ٩٣٠م . فقد تاجر آباؤه بالأدوية العشبية من وراء البحار ؛ من بلاد العرب وفارس . فجمع أسماء الأدوية الأجنبية في كتاب سماه « كتاب الأدوية العشبية من وراء البحار » ، ويقع الكتاب في ستة أجزاء . ذكر المؤلف فيه ١٢٤ نوعا من الأدوية والأعشاب العربية .

ويعتبر الملاح الصيني المسلم الكبير « تشنغ خه » من أبرز من نقل العقاقير الطبية إلى الصين . فقد سجل مرافقه « ماهوان » في مذكراته أنه شاهد أنواع العطارة مزدهرة في مكة . ومن أبرز ما اشتروه منها : العصفر ، ماء الورد ، العنبر .. ويذكر أن ظفار تنتج : المصطكاء ، دم الغزال ، الصبار ، نبات المر ، الشجر اللبني ، زيت العنبر . كانوا يأخذونها من العرب ، ويقايضون عليها ما يحملونه من حرير وخزف . وقد ساعدته إقامته الطويلة في بعض البلدان العربية على كشف أسرار بعض الأدوية وزراعتها وعصرها وعطارتها . ويذكر مرافقه « ماهوان » انهم استوردوا من الحجاز ٢٦ عقارا طبيا ، ومن عدن ٤١ .

وازدادت اهتمامات الطب العربي في الصين إثر هذه الاشارات والتجارات وتطورت . ومما لا شك فيه أن التجار العرب لم يحملوا معهم العقاقير الطبية بادىء الأمر . بل حملوا بضائع عرفت عند العرب كالتمور وبعض الأحجار الكريمة .. ولمسوا فيما بعد أن الحاجة ماسة الى مثل هذه التجارة ، فراحوا يبحثون عن العقاقير وعن الأعشاب الطبية وعن أفانين العطارة . فنشطت حركة تجارية من نوع خاص ، يجمعون فيها العقاقير من بلاد العرب وفارس ، يحملها التجار العرب ، ويستقبلها الصينيون من شواطىء البحار .

ومما يؤكد اهتمام الصين بالمستوردات الطبية إشراف الأباطرة بأنفسهم على نقل كميات هائلة من المواد الطبية والأدوية العربية ، ولا سيما في عهد أسرتي تانغ وأسرة سونغ (٩٦٠ ـ ١٢٧٩م) . فتذكر كتب التاريخ الصينية أن العنبر والبان والمر والحلبا وحجر الشب والعصفور والقتب من اوائل المواد الطبية التي كانت تصل إلى الصين في تلك المرحلة .

وقد اشتهر في هذه الحقبة تاجر عربي يدعى « لاشين » الذي اختص بتجارة الأدوية والعطارة . فاتفق مع أحد كبار موظفي الدولة على استيراد البضائع الطبية والعطارية وبيعها ، لكثرة ما لمس التاجر من نفع هذه البضائع لسكان الصين . فأطلق الناس عليها لقبا واحدا هو « ابن الأمين » ، لما كانا يقدمانه من خير وفوائد لهم . وكان ذلك عام ١١٣٦م . بل إن الأمبراطور نفسه سُر لتجارة لاشين ، فخلع عليه حلة رسمية ، واهداه الهدايا الثمينة .

وأقدمت الدولة بعد ذلك على منح التجار العرب هدايا تشجيعية ، وإقامات مغرية لمتابعة نشاطهم في

الحقل الطبي . فأوعزت إلى موظفيها بضرورة مراعاة التجار العرب ومساعدتهم وتسهيل مهماتهم في شتى أطراف البلاد .

ولمع اسم ابن سينا

وفي عهد أسرة سونغ (٩٦٠ - ١٢٧٩م) لمع اسم ابن سينا في البلاد العربية . وسرعان ما نقلت مؤلفاته ووصفاته إلى الصين ، فدخلت معها ألفاظه الطبية والصيدلانية . واتجهت الطبابة الصينية عندئذ اتجاه ابن سينا في الطب ، وراحوا يستوردون الأدوية التي كان يصفها ، ويقتبسون موادها ، ويطورونها . ويعتبر عام ١٢١٥م نقطة تحول كبيرة في عالم الطب العربي في الصين ، ومنطلقا هاما في تاريخ الثقافة العربية ، إذ نشطت حركة المؤلفات والترجمات ، بالاضافة الى ازدياد حركة التجارة فقد غزا « قبلاي خان » ملك المغول بلاد الصين في هذا العام ، فتوافدت عقب ذلك الكتب الطبية العربية وعلى رأسها كتب ابن سينا ، ونشط عدد من الأطباء الصينيين ، أو من كان من أصل عربي يترجمون هذه الكتب إلى الصينية ، وكانت مؤلفات ابن سينا حائزة قصب السبق في الترجمة .

وقد سجل تاريخ أسرة « يوان » المغولية (١٢٠٦ - ١٣٨٦م) عددا من النشاطات الطبية العربية . ففي فهرست « كتب الهويين » [1] - وهو مخطوط ومحفوظ - كثير من الكتب العربية المنقولة الى الصينية ، وتختص جميعها بالصيدلة والطب والكيمياء والفلك وغيرها من العلوم . وأنشأ هولاكو « دار النعمة » عام ١٢٧٠م تخصصت بصناعة الأدوية لمعالجة المرضى من حراس القصر والرعايا الفقراء في العاصمة . وعين لهذه الدار طبيبا عربيا مشهورا اسمه « يوسف » يدير شؤونها ، ويشرف على معالجات المرضى الوافدين . وقد بنى هذا المستشفى في عاصمة الملك . وعمل في هذا المستشفى عدد من الأطباء العرب . وتبع تلك الدار « دار الهويين للأدوية والمعالجة » في بكين وأخرى في منغوليا عام ١٢٩٢م .

وفي مكتبة جامعة بكين اليوم بقايا موسوعة طبية ألفت في هذه المرحلة ، تحتوي على ستة وثلاثين جزءا ، لم يبق منها سوى أربعة اجزاء . وردت فيها أسماء الأدوية المنقولة إلى الصينية من العربية ، وقد اتبع مؤلف هذه الموسوعة في ترتيب الأسماء وتصنيفها طريقة ابن سينا في كتابه القانون . وأغلبها مترجم عن العربية ، بمساعدة الأطباء العرب المقيمين في الصين ، من عدد من الكتب ، وعلى رأسها كتاب « القانون » الذي غدا قانون الطب في الصين .

واستمر استيراد الأدوية من البلاد العربية لمعالجة المرضى . إلا أن ازدياد احتياجات البلاد ووجود عدد كبير من الأطباء العرب ساعد على زرع هذه الأعشاب الطبية بعد استيرادها . وقد نجحت تجاربهم بعد جهود متواصلة وسنين طويلة .

واعتبر عطر الورد من الأدوية العربية القيمة التي كانت تستورد بكثرة . إلا أن تجارب العلماء الصيدلانيين في بلدة « قوانغتشو » تمت بنجاح . وأعلنوا أنهم استطاعوا صناعة عطر الورد على طريقة العرب . إلا أنها لم تبلغ مستوى عطر الورد العربي . ولم يجيدوا صناعته إلا عندما أتقنوا عملية التقطير العربية .

كان الصينيون يصنعون خمورهم من الرز اللزج ، ولم تكن طرقهم ناجحة . ويذكر الطبيب « لي شه جن » مؤلف كتاب « الخلاصة الواقية في العقاقير الشافية » - وهو مخطوط ومحفوظ - أن الصينيين استطاعوا أن يبرعوا في صناعة الخمور بعد أن تعلموا عن العرب عملية التقطير إثر تعلمهم طريقة تقطير الورد .

وقد أبى الطبيب « ياوْجن » كتابه « مذكرات الكوخ الشتوي » الذي ذكر فيه قائمة الأدوية المكتشفة في قصور الامبراطور عام ١٨١٤م ، والتي بلغت ١٢٠ نوعا ، معظمها أدوية عربية استخدمتها المستشفيات الصينية ، وعلى رأسها دار النعمة ودار الهويين .

جهد الأطباء العرب

ولمعت شهرة الرازي في أنحاء الصين ، وتسابق

(١) هوي أو خوي احدى قوميات الصين التي ينتمي أصحابها الى الديانة الاسلامية والجذور العربية والفارسية .

الأطباء الصينيون الى بغداد والري لتعلم الطب العربي عن الرازي وعن غيره من الأطباء العرب والفرس ، وترجمة الكتب العربية والفارسية واليونانية . ويحدثنا محمد بن زكرياء الرازي عن رجل قدم من الصين ولازمه قرابة السنة ، تعلم فيها العربية قراءة وكتابة ، حتى صار فيها فصيحا . وقبل أن يسافر إلى بلاده بمدة شهر طلب اليه أن يملي عليه كتب جالينوس في الطب ، وعددها ستة عشر كتابا . فقال له الرازي : ولكن الوقت ضيق ، ولا تكفي مدة شهر لتدوين هذا الكتاب . إلا أن الرجل الصيني استعمل طريقة الاختزال الصينية في كتابة هذه المؤلفات الضخمة في المدة المتبقية له بعد تخرجه . إلا أنه نقل على طريقة الاختزال الصينية . حتى لقد كان الرازي وتلاميذه يملون عليه بأسرع ما يستطيعون ، وهو يكاد يسبقهم في الكتابة . وهكذا شرعت كتب الطب اليونانية تنقل عن العربية الى الصينية .

وقد أثنت كتب تاريخ الطب الصيني على مقدرة الأطباء العرب في الصين . وذكرت العديد من العمليات الجراحية الناجحة . أذكر بعضا مما وصلت اليه معرفتي ، وما زالت الكتب الطبية حبيسة المكتبات الخطية ببكين . من ذلك حكاية اوردها « يانغ يوي » في كتابه « المعتكف في الجبل » ، قال : صادف أحد الأطباء العرب ذات يوم رجلا في الطريق ، كان قد سقط عن دابته ، ولم يعد يستطيع الحراك . فلما أنهضه ليفحصه رأى بصره قد خبا ، ولسانه تدلى . فأمر الناس أن يحملوه إلى المستشفى لمعالجته . وحار الأطباء هناك أمام هذه الظاهرة ، ودهشوا لحالة المريض . إلا ان الطبيب العربي انبرى لمعالجة المريض قائلا : « أستطيع أن أكشف هذه الحالة » . وتقدم لمعالجته فورا ، فسحب لسانه من فمه ، وشقه بمقص حتى أدماه . . وما هي الا مدة وجيزة حتى نهض المريض معافى .

كما ألف العالم « تاوتسونغ » كتابه « ديوان الزراعة » عام ١٣٦٦م ، وتحدث فيه عن عدة عمليات جراحية أجراها بعض الأطباء العرب . فذات مرة شكا صبي من ألم شديد في رأسه ، فأتى الطبيب العربي ففتح له رأسه الصغير بالمشرط ، واستخرج منه مرضا خبيثا ، خف الطفل بعد ذلك في الحال .

واشتهر الطب العربي التجبيري اشتهار الطب العلاجي . بل إن الأطباء المجبرين لمعوا كثيرا . فقد أرخ لهذا الفن العالم الصيني « تشي ده تشي » في كتابه « خلاصة الجراحة » الذي ألفه عام ١٣٣٥م كما برز العرب في مجال الطب البيطري . فقد ذكر « تاوتسونغ » في كتابه « ديوان الزراعة » شيئا من هذا القبيل . واورد عددا من المعالجات ، من ذلك أن جوادا أصيب بتورم في بطنه . . وأعيا مرضه الأطباء . إلا طبيبا عربيا أبدى استعداده في معالجته . كان الجواد مرتميا على الأرض ، لا يستطيع الحراك عندما تقدم الطبيب نحوه ، فأجرى له عملية جراحية ، بأن فتح فخذه اليسرى بالمشرط ، واستخرج منها كتلة مجهولة . فتماثل الجواد للشفاء بعد حين ، ونهض من مضجعه .

قد لا تصور هذه الحكايات مكانة الطب العربي في الصين ، وقد تكون حكايات العمليات الجراحية المهمة ما زالت مطوية في الصحف . إلا أن هذه الحكايات ، على بساطتها ، تدل على أعمال طبية كثيرة ، وعلى أطباء عرب منتشرين ، وعلى اهتمام المؤرخين الصينيين بتدوين نوادر الطب العربي في تلك الأصقاع النائية .

ولولا انطباع الناس ـ قديما ـ بالغبطة والراحة نحو هؤلاء الأطباء لما أقدموا على تسجيل هذه العمليات ، ولما ختم أحد الأطباء كتابه ـ والذي ما زال مخطوطا ـ بجملته المشهورة « ما أبرع الجراحين العرب ! » .

واعترافا بجميل الطب العربي على الصين قديما ، وتقديرا لمكانة علوم ابن سينا في بلادهم ، فقد احتفلت الحكومة الصينية عام ١٩٥٢ بذكرى مرور ألف سنة على مولد ابن سينا ، فأقامت مهرجانا خاصا تخليدا لهذا الطبيب العالمي الذي طبق صيته الآفاق ، حتى طرق أقصى الشرق الأقصى ، على أيدي تلامذته الصينيين الذين درسوا على يديه أو تعلموا من وراء مؤلفاته . وقد أشرفت على هذا المهرجان لجنة التأليف لجمعية العلوم التاريخية والطبية الصينية ، وألقي فيه عدد من المحاضرات حول أثر هذا العلم الفذ بخاصة وحول أثر الطب العربي في

الطب الصيني بعامة . من هذه المحاضرات :
١ ـ ابن سينا أشهر طبيب في الشرق الأوسط .
٢ ـ ذكرى الألف لميلاده .
٣ ـ ابن سينا لمعلم .
٤ ـ مؤلفاته ومؤثراته الطبية في العالم .
٥ ـ ابن سينا وعلوم طبنا (في الصين) .
٦ ـ الأدوية العربية والعلوم الطبية لدى العرب .
٧ ـ تاريخ تبادل العلوم الطبية بين الصين والعرب .
٨ ـ تركة طبية في معهد العقاقير الاسلامي .

وقد جمعت هذه المحاضرات ، وطبعت في عدد خاص من مجلة « تاريخ الطب » الصينية في شهر يونية من عام ١٩٥٢ ، في العدد الثاني من المجلدة الرابعة . وكم نتمنى على الباحثين أن ينقلوا هذه البحوث القيمة إلى العربية وغير العربية .

عقاقير ذات أصل عربي

وما زالت اللغة الصينية تحتفظ حتى اليوم بأسماء كثير من العقاقير ذات الأصل العربي أو الفارسي ، على الرغم من مرور القرون الطويلة ، وتحول زراعتها وصناعتها إلى الصين . ونلاحظ من الجدول التالي أن بعض الألفاظ مازال محتفظا بطابعة العربي ، وبعضها انحرف شكله تبعا لنطق الصينيين لهذه الكلمات . من ذلك :

الحلتيت ـ الياسمين ـ الحناء ـ الترياق ـ الأفيون ـ العنبر ـ الصندل الأحمر ـ حجر ـ الشب ـ العصفر ـ ثم :
الثوم : وتلفظ بالصينية سوان
الحلبا : وتلفظ خلوهبا .
الحليل : وهو نبات سمي لا يؤكل .
اليابلو : من جذور التادورة ، وهو نبات سمي طبي .
التربة : وتلفظ توليا ، ولعلها لفظت للادلال على صلاحية الأرض لزراعة بعض الأعشاب .
القنب : وتلفظ جوبا ، أي الحشيش الصيني ، وجوب كلمة فارسية بمعنى الخشب .
ماء الورد : ويلفظونه (كول) بحسب الكلمة الفارسية (كل) أي زهرة .
نبات المر : ويلفظونه (موياو) وهي كلمة مركبة من (مر) العربية . والصينيون لا يلفظون الراء فبقي من الكلمة الميم والضمة فقالوا (مو) ثم أضافوا إليها (ياو) بمعنى الدواء بالصينية . فصارت موياو أي دواء المر .
العشب : ويلفظونه (أبورساما APURSAMA) من الكلمة الصينية (ابريسم) .
وكثير غيرها لا يسمح المجال بذكر أكثر ما ذكرت .

أما أشهر المؤلفات الطبية التي عنيت بتدوين المعلومات عن الطب العربي ، فمنها :

١ ـ الخلاصة الوافية في العقاقير الشافية ـ مؤلفة : لي شه جن . وعرف في عهد أسرة مينغ التي حكمت بين ١٣٦٨ ـ ١٦٤٤م .
٢ ـ الأدوية العشبية من وراء البحار ـ مؤلفه : لي شيون . عاش ما بين : ٨٥٥ ـ ٩٣٠م .
٣ ـ المعتكف في الجبل ـ مؤلفه : يانغ يوي .
٤ ـ ديوان الزراعة ـ مؤلفه : تاوتسونغ ، ألفه عام : ١٣٦٦م .
٥ ـ خلاصة الجراحة ـ مؤلفه : تشي ده تشي ، ألفه عام ١٣٣٥م .
٦ ـ مذكرات الكوخ الشتوي ـ مؤلفه : ياوخن .
٧ ـ كتب الهويين : نسبة إلى قومية هوي الاسلامية
٨ ـ الأعشاب الطبية .

ولقد تنبه غوستاف لوبون إلى أثر العرب في الثقافة الصينية ، مما دفعه إلى أن يصرح بأن العرب هم الذين نقلوا ثقافاتهم العلمية إلى الصين ، كما نقلوها إلى أوروبة . ولهذا ظن عدد من العلماء الغربيين أن هذه الثقافات العلمية ذات مصدر صيني أو هندي ، حتى خلط بعض المؤرخين العرب فيما هو عربي وما هو صيني .

وبعد أيها السادة فهذا غيض من فيض ، ولمحة مشرقة عن مكانة العلوم عند العرب ، ولا سيما في مجال الطب . ولعل هذه الصفحات والاشارات توجه العلماء إلى كشف الكنوز العربية الثمينة التي أشرقت يوما في أقصى الصين . ومن حسن حظنا أنها وقعت في أيد أمينة واعية ، فما زال كثير من هذه الكتب والبحوث محفوظا في مكتبات العاصمة بكين . ◯



في حب الوطن

○ قيل لأحد الحكماء بأي شيء يعرف وفاء الرجل دون تجربة واختبار ؟

قال : بحنينه الى وطنه وتلهفه على ما مضى من زمانه .

وقيل لأعرابي : أتشتاق الى وطنك ؟

فقال : كيف لا أشتاق الى رملة كنت جنين ركامها ورضيع غمامها .

قال ابن الرومي في حب الوطن :

بلد صحبت من الطفولة والصبا
ولبست ثوب العمر وهو جديد
فاذا تمثل في الضمير رأيته
وعليه أغصان الشباب مديد

وقال الشريف الرضى في ذلك :

فاتني أن أرى الديار بطرفي
فلعلّي أرى الديار بسمعي

مراتب الرجال

○ قال أبو حاتم بن حيان :

اذا كان الرجل في أول درجته سمي أديبا ثم عاقلا ، واذا كان الرجل في أول حد الدهاء قيل له شيطان ، فاذا عتا في الطغيان قيل له مارد ، فان زاد على ذلك قيل له عبقري ، واذا جمع الى خبثه شدة شر قيل له عفريت .

وكذلك الجاهل يقال له في أول درجته المائق ثم الرقيع ثم الأنوك ثم الأحمق .

جيدان وسيدان

○ حكى أنه قدم البصرة أعرابيان يقال لأحدهما جيدان وللآخر سيدان ، فقصدا الوالي وقد امتدحاه ، فبينما هما في بعض الطرقات اذا هما ببرذون عابر ، فاتقاه جيدان فطرده عن نفسه ، فعاج على رجل سيدان فقطع اصبعا من أصابعه ، فتعلقا بالبرذون ولحقا صاحبه ، فقدماه الى الوالي فأخذ منه دية الأصبع وكانت خمسمائة درهم فقال جيدان لسيدان : ما نبغى من الوالي وهذه الدراهم معنا ، مل بنا الى دار الخمار فاذا أنفقنا ما معنا . ، رجعنا اليه ، فمالا الى بيت خمار ، فلما سكر جيدان أنشأ يقول :

فلا عطش ما دام في الدن قطرة
وما بقيت في رجل سيدان اصبع

من آداب المتعلم

○ حدد الامام علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - آدابا عامة لطالب العلم فقال :

يا طالب العلم ، ان العلم ذو فضائل كثيرة ، فرأسه التواضع ، وعينه البراءة من الحسد ، وأذانه الفهم ولسانه الصدق ، وحفظه الفحص ، وقلبه حسن النية ، وعقله معرفة الأشياء والأمور الواجبة ويده

يجمع بين أمر الدنيا والآخرة

○ كتب الخليفة عمر بن عبد العزيز ـ رضي الله عنه ـ الى الحسن البصري يطلب منه أن يجمع له بين أمر الدنيا والآخرة في كتاب.

فكتب الحسن قائلا : انما الدنيا حلم والآخرة يقظة ، والموت متوسط ، ونحن في أضغاث أحلام . من حاسب نفسه ربح ، ومن غفل عنها خسر ، ومن نظر في العواقب نجا ، ومن أطاع هواه ضل ، ومن حلم غنم ، ومن خاف سلم ، ومن اعتبر أبصر ، ومن أبصر فهم ، ومن فهم علم ، ومن علم عمل .

فاذا زللت فارجع ، واذا ندمت فأقلع ، واذا جهلت فاسأل ، واذا غضبت فأمسك .

تنسك ثم قال شعرا غزلا

○ قيل أن أبا العتاهية لما تنسك ولبس الصوف أقسم بطلاق زوجته ألا يتكلم سنة كاملة الا بالقرآن وبلا اله الا الله ومحمد رسول الله ، ولكن الرشيد أمره أن يقول شعرا فامتنع ، فضربه ستين عصا وحبسه ، وحلف ألا يخرجه من حبسه حتى يقول شعرا في الغزل .

وعندما بلغ الرشيد قسمهُ تأسف على فعلته ، وأمر أن يحبس في داره وأن يوسع عليه ولا يمنع من يريد الدخول عليه .

وكان ابراهيم الموصلي المغني الشهير صديقا لأبي العتاهية ، وكانت بينهما مودة ، فكان يرسل اليه مولاه مخارقا ليطمئن عليه ويعرف أخباره ، فكان مخارق يكلم أبا العتاهية فيرد عليه بالكتابة على الورق ، وبقي على هذه الحال حتى انتهى العام ، وكان مخارق هذا أول من أفطر على كلامه .

وسأله هل قال شيئا للتخلص من هذا الموضع ، فقال أبو العتاهية : نعم ، قلت في امرأتي شعرا ، فقال : هاته فأنشدني :

من لقلب متيّم مشتاق
شفه شوقه وطول الفراق
طال شوقي الى قعيدة بيتي
ليت شعري فهل لنا من تلاقي
هيَ حظي قد اقتصرت عليها
من ذوات العقود والأطواق
جمع الله عاجلا بك شملي
عن قريب وفكّني من وثاقي

فكتب مخارق الأبيات وحملها الى الموصلي ، فصنع فيها لحنا ودخل على الرشيد ، فكان أول صوت غناه اياه في المجلس ، وسأله الرشيد : لمن الشعر والغناء ؟ فقال الموصلي : أما الغناء فلي وأما الشعر فلأسيرك أبي العتاهية . فقال الرشيد : أوقد فعل ؟ قال الموصلي : قد كان . فأرسل الرشيد في طلبه ، وسأل خادمه كم ضربنا أبا العتاهية ، قال ستين عصا ، فأمر له بستين ألف درهم وخلع عليه وأمر باطلاق سراحه .

الرحمة ، ورجله زيارة العلماء ، وهمته السلامة ، وحكمته الورع ، ومستقره النجاة ، وقائده العافية ، ومركبه الوفاء ، وسلاحه لين الكلمة ، وسيفه الرضا ، وفرسه المداراة ، وجيشه محاورة العلماء ، وماله الأدب ، وذخيرته اجتناب الذنوب ، وزاده المعروف ، وماؤه الموارعة ودليله الهدى ، ورفيقه صحبة الأخيار فيكون قد أخذ فقهه من أفواه العلماء لا من الصحف .

قد لا نلتقي هنا غداً

بقلم : محمد خليفة التونسي

من يمعن النظر في كتب القواعد النحوية لا يعدم ان يجد بينها قواعد تحكمية ، لاسند لها من نصوص اللغة ولا منطقها ولا ذوقها ، فكم من قاعدة توهمها أحد الباحثين عن جهل أو سوء فهم أوسهو ، فقررها اعتباطا ، ثم جاء بعده من يحسنون به ظنا ، فاتبعوه في تقريرها دون مراجعة دقيقة ، بل كان أمرهم فيها معه كما قال المعرى :

تثاءب عمرو إذ تثاءب خالد
بعدوى ، فما أعدتني الثوباء

وما أكثر الأفكار الخاطئة التي تروج بين الناس كأنها العدوى ، ولا يسلم منها الخواص ، وليس تاريخ الفكر في العالم كله الا تاريخ تصحيح أخطائه .

من هذه القواعد النحوية الخاطئة أن الحرف « قد » لا يدخل الا على فعل مثبت،وللمتمسكين بهذه القاعدة من الأسلاف والأخلاف تعلات كثيرة لا تثبت شيئا مما يريدون اثباته ، وخلاصة ما ذكروه ان الحرف « قد » يختص بالفعل المتصرف الخبرى المجرد من النواصب والجوازم ومن أداة تنفيس (السين وسوف) وكل هذا صواب ، ولكنهم يزيدون شرطا تحكميا وهو ان يكون الفعل مثبتا ، وحجتهم ان « قد » لتقرير الحدث ، فاذا اريد النفي استعمل حرف النفي وحده من غير « قد » حتى لا يلزم التنافي بين الحرفين ، وهنا موضع الخطأ فيما يقولون ، فأين التنافي في مثل هذه الجملة (قد لا نلتقي هنا غدا) ؟ ونزيد الأمر ايضاحا فنقول ان الفعل الذى تدخل عليه « قد » لا بد ان يكون خبريا ، اى ماضيا او مضارعا ، مثل : « قد جاءكم من الله نور وكتاب منير » ومثل : قد تغلب الفئة القليلة الفئة الكثيرة ، ولا يكون فعل أمر ، لأن الأمر انشاء وليس خبرا .

فاذا دخلت « قد » على الماضي فلا بد ان يكون مثبتا ملاصقا لها ، مثل : « قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها . . . » ويجوز فصل « قد » عن الفعل الا بالقسم ، مثل : « قد ـ والله ـ انتصر جيشنا نصرا مؤزرا » ويلاحظ ان « قد » هنا للتقرير والتحقيق » لأن الماضى يدل على حدث انقضى وقوعه قبل وقت الكلام . ولكن اذا دخلت « قد » على الفعل المضارع دلت على ان الحدث كان متوقعا او محتمل الوقوع لذاته على قوة او على ضعف قبل الكلام ، ولذلك فان « قد » في هذه الحالة تفيد القلة او الكثرة ، فمن أمثلة القلة : « قد يسبق الجمل الحصان » ، ومن أمثلة الكثرة : قد يقتل النمس الثعبان ، وقد قلنا ان الحدث مع « قد » اذا

دخلت على المضارع ـ يكون محتمل الوقوع لذاته ، وهذا لاينفي انه يكون يقينا لسبب اخر خارج عنها كما في الآية القرآنية : « قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لا خوانهم هلم الينا . . . » فان الله يعلم ذلك يقينيا . ويكون التوقع لما يرجى او ينتظر ، او لما يتجدد ويتولد ، ولا يكون لما انقضى وانقطع .

فلا توقع مع الفعل الماضي لأنه مضى ، بل مع المضارع لانه للاستقبال ، ولذلك تكون « قد» مع المضارع بمعنى « ربما » ، اى للشك[1] .

فنحن نقول قد يسقط المطر اليوم ، وقد لا يسقط المطر اليوم » ، كما نقول : ربما يسقط المطر اليوم ، وربما لا يسقط المطر اليوم . أو تكون « قد » بمعنى « لعل » مثل : قد لا يدرك المسافر القطار » ونظير ذلك قول النبي عليه السلام في خطبة الوداع« . . لعلي لا ألقاكم بعد عامى هذا بهذا الموقف ابدا . . » فلا تنافي بين هذه الحروف « قد / ربما/ لعل » وبين المضارع المنفي بعدها ، لأن الحدث فى الفعل المضارع هنا محتمل ومتوقع ، وليس بمؤكد .

و « قد » ـ كما قال سيبويه ـ تختص بالأفعال[2] ولكنها حين تدخل على الفعل لاتغير من حاله التي كان عليها قبل دخولها عليه . ونحن نعلم من علم المعاني أن الأخبار سواء جاءت في جملة فعلية أو اسمية ، مثبتة أو منفية ، يمكن ان . . تؤكد بمؤكد أو أكثر ، فالمثبتة مثل : « قد نجحت ، لقد نجحت ، والله لقد نجحت » ، والمنفية مثل : « انك لا تسرع ، والله انك لا تسرع ، والله انك لغير مسرع » ، فالخبر المنفي يمكن توكيده كما يؤكد المثبت ـ

نقول هذا مطمئنين ، ولو لم نجد في النصوص الفصيحة ما يؤيده ، فكيف ولدينا بعض هذه النصوص ، وهي ـ لا شك ـ تزيدنا ثقة ويقينا ، ومن ذلك المثل : « قد لاتعدم الحسناء ذاما » أي ذما قال ابن برى : ومنه قول أنس بن نواس : ـ

وكنت مسودا فينا حميدا
وقد لاتعدم الحسناء ذاما[3]

ومثله بيت النمر بن تولب : ـ

وأحب حبيبك حبا رويدا
فقد لا يعولك ان تصرما

ومنذ اشتغل اسلافنا بالمنطق قبل الف سنة استعملوا في القضايا الجزئية (قد يكون ، وقد لايكون) ونحن لم ندرس تاريخ منع هذا الاستعمال ، ولكن عرفنا من اسلافنا المانعين : ابن هشام الانصارى فى كتابه « مغنى اللبيب » ١ / ١٧٠ والفيروز أبادي في قاموسه ، اذ اشترط كلاهما ان يكون الفعل مثبتا ، وهو شرط يجب اهداره لانه تحكمي وهمي .

---

١) لسان العرب : مادة (قد د)

٢) الكتاب ١ / ٤٥٨ والقاموس ايضا مادة (قد د)

(٣) لسان العرب مادة « زيم »

كلمة السر

بقلم ادواردو لاباركا غودارد

ترجمة : هاشم حمادى

ضغط السائق على الدواسة ، وأغلق الباب ، فقد كان يريد أن يتخلص بسرعة من هذه النظرة الملحة ، التى تلاحقه . ولكنه ، وهو يتابع طريقه نحو الجنوب ، كان لا يزال يشعر بنظرة تينك العينين السوداوين ، اللامعتين ، اللتين تذكران بثمار الخشخاش ، واللتين تتألقان فى وجه الطفلة الرمادى الشاحب ، الذى أضناه المرض ، نظرة ذلك الكائن الصغير ، وهو يرنو اليه من خلف المرأة الخارجة من سيارة الباص . وفي أذنيه كان لا يزال يتردد بكاؤها ، ونحيبها الحزين ، الذى يشبه مواء قط صغير ، لم يخرج الى الدنيا الا منذ لحظات .

توقفت المرأة بعد أن وضعت الحقيبة على الأرض ، محاولة الاهتداء الى الطريق ، وراحت تنظر كيف حلت « العين » الصفراء لاشارة المرور محل الخضراء ، ومن ثم سطعت « العين » الحمراء النارية على خلفية الغيوم البيضاء الكثيفة لهذه الأمسية الخريفية .

« سترين اشارة المرور . لا يمكن ان تخطئيها فهي الاشارة الوحيدة فى المدينة ، والى اليمين منها يمتد الشارع ، الذى يجب أن تسلكيه » .

ومشت المرأة ، دون أن تشعر بهبات الريح ، وهي تهز أغصان الحور فوق رأسها ، أو تحس بحلول البرودة : ودون أن تسمع حتى وقع خطواتها فوق اليابسة ، ولا حتى رنين المهاميز الفضية فى أحذية الفلاحين الذين كانوا يمرون بها . . ودون أن تشعر بشىء ، أو تسمع شيئا ، كانت تردد فى فكرها ، التعليمات التى تلقتها . وكانت كل ارادتها مركزة على تنفيذها .

وما ان اجتازت الحارة الثانية حتى انعطفت ـ كما قيل لها ـ نحو اليسار ، وعلى اللوحة المعدنية طالعها اسم الشارع «مانويل رودريغس » ، انه هو الشارع المطلوب : حتى أنها لم تر أن عربة محملة بالقش شد اليها بغلان متعبان ، تتجه ناحيتها . وكان يبدو أن الحوذى ، وهو لا يزال بعد طفلا ، قد راح فى سبات عميق . ومن جديد أخذت المرأة تبحث بنظرها عن اللوحة ، على جدار المنزل ، فقد أوضحوا لها ان اللوحة يجب أن تكون هنا بالذات : وها هي بالفعل ، وقد كتب عليها « غاراجى الأرجتين » . ومن الجهة الأخرى ، تماما كما قيل لها ، يرتفع جدار مائل الى الزرقة ، خط عليه الرقم ٣٢١ . انه المنزل المنشود . أخيرا سيكون بوسعها ان تنقل تلك الأنباء المفجعة ، والتى نقلها اليها رفاق زوجها فى الصباح الباكر : فقد طرقوا باب منزلها فى السابعة صباحا ، وطلبوا منها السفر على جناح السرعة . ولكنها أجابت بتصلب أنها لا تستطيع السفر ، فالطفلة مريضة ، محمومة ، وتعانى من ألم فى



الامعاء . وقد تموت بين يديها . ولكن رفاق زوجها أوضحوا لها أن الموضوع يتعلق بحياة أو موت الكثيرين ، وأن السلطات عادت مساء البارحة فشنت حملة اعتقالات جديدة ، شملت العشرات ، بل المئات ، وأن عدد المعتقلين يزداد ساعة بعد ساعة ، وأنه قد آن الأوان لخوض المعركة الدامية ، فقد انتقل العدو الى الهجوم . رسيحاول القبض بالدرجة الأولى على عناصر الارتباط ، بهدف التنكيل بهم ، بعد تعذيبهم ، ان رجال العصابات يبثون أعينهم في كل مكان ، وينصبون الافخاخ هنا وهناك .

كما أوضحوا لها أن الخطر يتهدد المنظمة السرية الجنوبية ، التي يمكن أن ينفضح أمرها في أية لحظة ، وأنه يجب انقاذها مهما كان الثمن . والآن كان الأمل كله معلقا عليها وحدها ، ولذا فان عليها أن تسافر حتما ، وتحذر الرفاق ، وتسلمهم المنشورات ، التي تتحدث عن حملة الاعتقالات . وسيضطر رؤساء المنظمة الى الاختفاء ، والانتقال الى العمل السرى ، بعد أن يحذروا عناصر الارتباط كي يتوقفوا عن ممارسة أي نشاط . أما هي فبوسعها ـ ان أرادت ـ أن تبقى هناك في الجنوب . حيث ستحل في احدى القرى ، وترتاح هناك ، سيما وأن هواء الجنوب مفيد لصحة الطفلة .

ـ هل السيد موجود ؟

وأجابتها العجوز ، التي فتحت الباب : انتظري قليلا . ووقفت المرأة قرب الباب . ثم القت نظرة مفعمة بالقلق على عيني طفلتها الطافحتين بوهج الحمي . « ان الحظ يخدمنا اليوم . ان الفضل في نجاتنا يعود اليك . سيكون كل شيء على ما يرام ، وستشفين » . وتنهدت المرأة بارتياح وقد تذكرت أي خوف سيطر عليها منذ ساعة مضت حينما توقفت سيارة الباص ، التي كانت تقلها في أنغد ستور ، وصعد اليها رجال البوليس ، ثم بدأوا يفتشون ركاب السيارة . وقد طلب أحدهم حقيبتها ، وراح يخرج محتوياتها على مهل ، وكأنه يمتحن صبرها ، زجاجة الرضاعة ، الأقمطة ، الكنزة الصغيرة الصفراء ، كما أخرج سجادة صغيرة حيكت بالنول اليدوي ، كانت قد أخذتها معها لتأكيد كلمة السر : وقد نفض كل ذلك بدقة ، وتفحصه بتمعن ، وحينما

بطـاقة

ادواردو لاباركا غودار (١٩٣٨ صحفي وكاتب تشيلي معاصر ، يعيش الآن في المهجر . كتب العديد من المؤلفات والمقالات الاجتماعية ، لعل من أشهرها « تشيلي المعتقلة » (Chile invadido) (١٩٦٨) و « تشيلي في ثار الأحداث » (Chile al rajo) (١٩٧١) وغيرها .

أما قصته القصيرة هذه « كلمة السر » فقد نشرت باللغة الروسية فقط ، وذلك في بداية عام ١٩٨١ المنصرم .

عاد من جديد ومد يده داخل الحقيبة خيل اليها أن أصابعه لن تلبث أن تلامس الأوراق الراقدة في قاع الحقيبة ، انخرطت الطفلة في البكاء فجأة . وهنا التقت عيناه بعيني الطفلة المحمومتين اليقظتين . وفي الحال اندفع باتجاه الطفلة ، بعد أن القي الحقيبة جانبا ، وقد سيطر عليه شك جديد . ثم دفع يده داخل القماط ولكنه سحبها على الفور ، كما لو كان ثعبان قد لدغها ! فقد كانت الطفلة مبتلة !

ونبح العميل ثم ابتعد وهو يسب ويشتم .

أخيرا فتح الباب وظهر على العتبة رجل وخط الشيب شاربيه ، ثم سألها بلهجة ودية :

ـ مساء الخير يا سيدتي ، ماذا تريدين ؟

ـ مساء الخير . هل تشتري السجاد ؟

وراح الرجل ينظر اليها بتمعن ، بينما كانت تنتظر جوابه على كلمة السر « سأشتري بالطبع » .

ـ تفضلي إذن !

ولكن الرجل لم ينبس ببنت شفة ، وزحفت نظرته المفعمة بالدهشة والشك ، والمشوبة بالقلق ، مارة بالمرأة فالطفلة ، الى أن استقرت على الحقيبة التي تحملها ، وعاد ينظر الى القادمة من جديد . وكان يبدو أنه لن يلبث أن يدعوها للدخول ، وكادت أن تتجاوز العتبة ، ولكن صاحب البيت لم يلبث أن قال

بحدة ، وقد اكفهر وجهه :

ـ كلا ، لن اشتري . . .

وفي الحال أغلق الباب في وجهها . وجدت المرأة في مكانها لم تعد قدماها تطيعانها ، وراحت تهيم علي وجهها دون هدف عبر الزقاق ، وهي تضم طفلتها الي صدرها ، وتحمل حقيبتها . وراحت تحدث نفسها ربما وصلت بعد فوات الأوان ـ فقد تحول المنزل الي مصيدة ، وقد يكون ذو الشاربين هذا رجل بوليس . ولكن لماذا لم يلقوا القبض عليها فورا ؟ علي الأرجح أنهم يريدون اقتفاء أثرها . فهم لا يعرفون أنها لا يمكن أن تقصد أي مكان آخر . ثم انها قد أمرت ألا تعود الى البيت في العاصمة ، فمن المحتمل أن تكون شقتها محاصرة ، وأن يكون العملاء قد نصبوا لها كمينا هناك . . بعد لحظات سيخيم الظلام ، وتحل ساعة منع التجول : واذ ذاك سيبدأون باعتقال المارة واطلاق النار عليهم . ماذا تفعل ، والطفلة علي صدرها ، والمنشورات المخبأة في بطن الحقيبة تحت إبطها . . أين ، بوسعها العثور علي ملجأ ؟ . . .

وخروجا علي التعليمات ، عادت المرأة أدراجها ، وطرقت الباب من جديد ، ولاحظت أن يدا قد رفعت طرف الستارة قليلا . كان ثمة من يراقبها . وفتح الباب نفس الرجل ، ذي الشاربين ، فجمعت ثمالة قوتها :

ـ عفوا . . انني قادمة من العاصمة . . . قيل لي ان بامكاني ان أبيعك السجاد . وقد تأخر الوقت ، وليس بوسعي العودة الآن . ولا مكان أقضي فيه الليل مع الطفلة فهي مريضة ، محمومة . . .

وتردد الرجل ، ومع ذلك فقد فتح الباب ، كي تدخل مع حملها ، واذ ذاك التقت عيناه بعيني الطفلة السوداوين . وفي الحال طفت علي سطح ذاكرته عينان أخريان ، سوداوان كهاتين ، ذكيتان ملتهبتان ، وحنونتان في نفس الوقت . . وكان بوسع نظرتها ألا تكون مرحة فقط ، بل قاسية وحارقة ، مثل عيني هذه الطفلة . . كان ذلك في الأول من كانون الثاني ، منذ سبعة أشهر خلت ، فقد انتهز رئيس المنظمة فرصة حلول العيد ، حيث يكون البوليس أقل يقظة ، وزارهم ، كي يؤسس مركزا جديدا للمناطق الجنوبية . وتذكر الرجل بوضوح تام ، كما لو كان ذلك قد حدث البارحة وبدا الحزم في عينيه وهو يقول : « إن الاخلال بقواعد الحذر يعني ارتكاب جريمة ضد المنظمة بكاملها » .

ولدى وداعه لهم ، وتبادل التمنيات بالسعاده والنصر القريب ، قال لهم : « لقد بدأ العام الجديد بداية سعيدة بالنسبة لي ، فقد أخبروني صباح اليوم أنني رزقت بطفلة ، ولست أدري متى سأتمكن من مشاهدتها . . . »

وقد اعتقل بعد أسبوع ـ علي الأرجح ـ لأن أحدا ما قد أخل بقواعد العمل السري ، ومنذ ذلك الحين انقطعت أخباره .

ـ لقد قلت لك يا سيدتي انني لست بحاجة للسجاد . فلا داعي للاصرار .

ـ وأغلق الباب ، ومن جديد وجدت المرأة نفسها هائمة علي وجهها ، وقد أناخ الخوف بكل ثقله علي كيانها .

وعلى حين غرة تناهي الى سمعها صوت باب يفتح ، ووقع خطىً تتردد من خلفها ، وتوقفت وقد شلها الرعب ، وخيل لكل خلية في جسمها أن الايدي الوحشية لن تلبث أن تأخذ بتلابيبها . وتنتزع طفلتها من حضنها . . وتردد صوت الرجل يسأل :

ـ انتظري يا سيدتي . . ما هو تاريخ ميلاد طفلتك ؟

ـ الأول من كانون الثاني .

ـ هل هي ابنة فكتور ؟

ـ نعم .

وحينذاك شعرت بيده تلامس مرفقها ، ثم راح يقودها باتجاه المنزل : وحينما دخلوا المنزل سأل الرجل بقلق :

ـ ولكن لماذا قلت انك تبيعين السجاد ، بينما كان يجب أن تقولي انك تشترينه ؟

وحينذاك فقط أدركت ما وراء الأكمه .

ـ هكذا قيل لي . . ثمة من أخطأ في التعليمات . . هناك هفوة ما . .

ومع ذلك فقد اجتاحتها موجة من الاطمئنان . وابتسم لها الرجل . ومن جديد التقت عيناه بعيني الطفلة السوداوين وهما ترسلان نحوه نظرة ، ملتهبة ، وحارقة .

كانت نظراتها تقول : « نعم . . أنا هي . . أنا طفلتك ! »

○



السنوات العجاف

السياسة في عصر الندرة

تأليف : ريتشارد ج. بارنيت

عرض : الدكتور أمين العيوطي

يتناول هذا الكتاب العلاقة بين ندرة الموارد الطبيعية وبين الأزمات الاقتصادية والسياسية والعسكرية التي تظهر استجابة لهذه الندرة . والكتاب يبين كيف تلعب المضاربات المالية والشركات العالمية وحكومات الدول الصناعية دورا يؤدي الى التضخم ، والى سوء توزيع الثروة والغذاء في العالم ، والى أزمة البطالة العالمية ، أو بمعنى أصح كيف أن الندرة ليست أمرا طبيعياً ، بقدر ما هي نتيجة للتخطيط الاقتصادي العالمي .

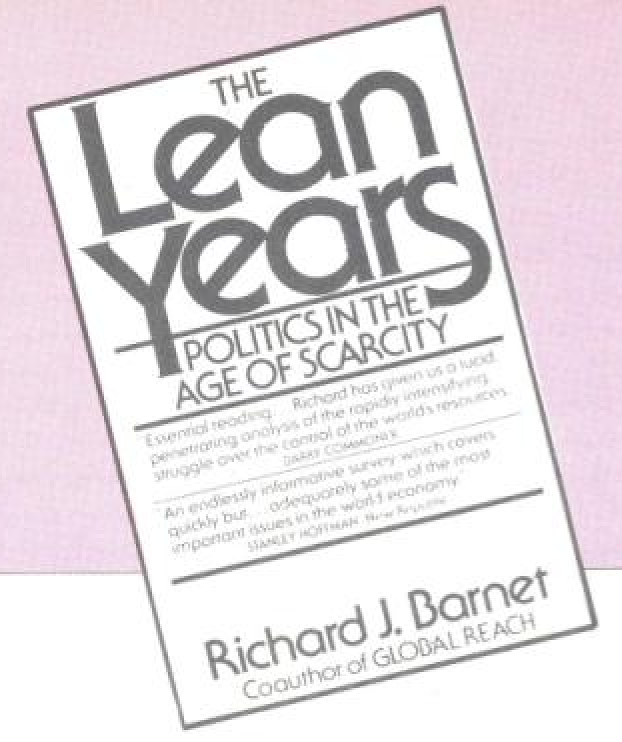
ومن خلال هذا يحاول الكاتب أن يضع حلولا لهذه الأزمة العالمية .

● ● ●

يبدأ الكتاب بمحاولة تحديد طبيعة أزمة النفط ، وألاعيب شركات النفط العالمية ومحاولة البحث عن مصادر طاقة بديلة ، وسياسة مرحلة ما بعد النفط . فالعالم يستهلك ٣٠ ألف برميل بترول كل ثانية ، تقوم الشركات بتوزيعها على مختلف أجزاء العالم حسبما تمليه حسابات الربح والسياسة ، لاحسبما تمليه الحاجات البشرية .

وهي في ذلك لا تخضع لأي سلطة حكومية تحدد لها من أين تستورد النفط ، ولا الطريق الذي يسلكه . هذه أمور تحددها شبكة معقدة من المديرين التنفيذيين ، وشركات أنابيب البترول وناقلات النفط والتجار الذين يعقدون الصفقات على الهواتف .

وفي أمريكا وحدها تبلغ استثمارات البترول



خمس استثمارات الرأسمال الاجمالي ، الأمر الذي ترك أثره على السياسة ، حتى ان السياسيين والرؤساء جعلوا من صناعة البترول همهم الأول . ويفسر هذا الاهتمام السبب في تمويل الشركات للحملات الانتخابية ، وشراء مزارع للرؤساء بعد اعتزالهم . وقد كان النفط دائما المفتاح الى السلطة السياسية في أمريكا لأن شركات النفط تتحكم في الاقتصاد ، وفي استراتيجيات التخطيط الاقتصادي ، حتى ان أرباح هذه الشركات بلغت أقصاها من استغلال أزمة النفط في السبعينات . وحين تزايد غضب الناس من زيادة أسعار التدفئة والجازولين ، راحت الشركات توجه غضبهم نحو الدول المنتجة لكي تحول الأنظار عنها .

والحقيقة أنه ليست هناك أزمة في موارد النفط ، بقدر ما هناك أزمة في تخطيط عمليات استخراجه وتوزيعه . فمن المؤكد أن هناك ٦ تريليون برميل في جوف الأرض ، عدا ٢ تريليون برميل احتياطي .

ويدل هذا على أن الفكرة الشائعة عن تناقص النفط هي نتيجة لتوجهات المصالح التجارية لا لواقع موارد النفط ، فاحتياطي النفط معروف لدى شركات البترول ، لكنها إن لم تستطع استخراجه بربح مجز ، فانه لا يدخل ضمن تقديرات الاحتياطي . لهذا اتجهت منذ ١٩٥٠ الى بترول الشرق الأوسط نظرا لرخصه ، وقبول البلاد العربية بنسبة ضئيلة من الأرباح . وهي تفضل استهلاك المصادر المعروفة حاليا بدلا من التنقيب عنه لتضيف إلى الاحتياطيات الموجودة بالفعل . فما زال ٩٠٪ من احتياطي البترول في أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية ينتظر التنقيب عنه . ولكن الشركات لا تحاول تنمية مصادر جديدة قد تهدد سيطرتها وسيطرة حكوماتها على موارد النفط . وهكذا تحدد قراراتها ، والقرارات السياسية ، مدى تدفق النفط عبر الأنابيب للابقاء على سيطرتها عليه ، والمحافظة على سعره مرتفعا .

كذلك يرجع سوء فهم ندرة الطاقة الى قيام ◀◀

هذه الشركات بتخزين النفط انتظارا لارتفاع أسعاره ، والى تحويل الحكومة الأمريكية كميات هائلة الى احتياطي استراتيجي . فهناك مؤامرة دائمة في عالم شركات النفط نتيجة للجشع . واذا كانت أزمة النفط ستصل الى نهايتها في هذا العقد ، فليس السبب أن البترول سيختفي . ولكن لأن الطلب سوف يتجاوز ما هو متاح منه حاليا .

تحطيم الاحتكار

وقد ظلت اتحادات شركات البترول تتحكم فيما بينها في التسويق بما يتناسب مع احتياجاتها ، وتتقاسم ناقلات النفط وأنابيبه بهدف المحافظة على ارتفاع أسعاره بشكل زائف حتى ١٩٧٤ . غير أن تطورين هامين أديا الى انهاء هذه السيطرة . كان أحدهما هو تدخل شركات مستقلة ، مثلما حدث حين حصلت شركات بول جيتي وانريكوماتيل واليابانيون على شراء امتيازات في السعودية وغيرها ، مما أدى الى اهتزاز العلاقات القديمة حين كانت السعودية منطقة مقصورة على الشركات الكبرى . أما العامل الثاني فهو ظهور الحركات الوطنية . فلم يكن وصول الدول المنتجة للبترول الى التحكم في الأسعار الا ذروة مواجهة أدت الى تغيير النظام الذي كان يجري عليه التعامل ، وذلك حين تأسست شركات حكومية لاستغلال الموارد والتحكم فيها في البلدان الاشتراكية وبلدان العالم الثالث ، وحين تأسست الأوبك في بغداد ١٩٦٠ ، وإن كان هذا لم يؤثر على أرباح شركات النفط الخيالية حتى في فترات تشبع السوق .

غير أن هذه العلاقة الجديدة بين الشركات والدول المنتجة كشفت أيضا كيف أمكن للشركات استغلال قدراتها التكنولوجية في بناء مصانع التكرير ، ومد أنابيب البترول ، ودخولها بنسبة في الأرباح بحيث تظل تستنزف موارد هذه البلاد . ولكي تضمن أيضاً امدادات مستمرة حتى في وقت الأزمات ، أخذت ، تحت شعار تطوير اقتصاد هذه البلاد ، تزود بلدان الشرق الأوسط بمصانع تكرير وبتروكيماويات عتيقة لتظل مسيطرة على التكنولوجيا الأكثر تطورا وربحا .

كذلك سعت هذه الشركات الى إقامة علاقات وثيقة مع حكوماتها للتخطيط لضمان التحكم في النفط . وهكذا ظهرت وكالة الطاقة الدولية ، بحيث أصبح اقتسام موارد النفط فيما بين الشركات سياسة حكومية قائمة بين البلدان الرأسمالية . والحقيقة أن هذه العلاقة قديمة من خلال المعونات ، وتأجير الحكومة الأمريكية للأراضي الفيدرالية ، والاعفاء من الضرائب . بل ان الحكومة الأمريكية هي التي شجعت دول أوروبا بعد الحرب العالمية الثانية على التحول الى النفط بدلاً من الفحم الذي كان معظمه يستورد من البلدان الشيوعية . كما قامت الشركات الأمريكية بمد أنابيب البترول وبناء مصانع التكرير بدعوى أن البترول أقل تكلفة . ومن الصعب الآن أن تتحول هذه البلاد الى الفحم مرة أخرى . ولهذا ستظل تعتمد على بترول الشرق الأوسط مما سيخلق صراعا على النفط بين هذه الدول نفسها .

وقد حاولت أمريكا نفسها التقليل من الاعتماد على النفط المستورد . لكن هذه المحاولة أدت الى زيادة أسعاره بنسبة ٩٪ في شهر واحد حين رفعت دول الأوبك أسعارها في ١٩٧٥ . كما أوضحت محاولة رفع الأسعار لتخفيض الاستهلاك فشلها . كذلك اتضح ان إعانة الشركات البترولية ، والسماح لها بالاستفادة من الامدادات العالمية المتناقصة ، يؤديان الى مزيد من التضخم بدلاً من مزيد من البترول . والنتيجة تزايد الصراع الأوروبي ـ الأمريكي ـ الياباني حول نفط دول الأوبك ، وبين أمريكا وبقية دول العالم الصناعي حول احتياطيات الطاقة العالمية .

الطاقات البديلة

انعكست أزمة النفط على محاولات استغلال طاقات بديلة . من هذه الطاقات تستخدم الولايات المتحدة أكثر من ربع احتياجها من الطاقة « الغاز الطبيعي » لادارة المصانع والتدفئة والتبريد والطبخ . كما أنه يدخل في كثير من الصناعات البتروكيماوية . غير أنه من المشكوك فيه أن يقلل استخدام الغاز من واردات النفط العربي لأن البحث عن آباره مكلف وخطر . وشركات الغاز تفضل شحنه إلى كبرى شركات السماد والتعليب والطائرات والصلب ، وتدفع الشركات الأصغر الى استخدام أشكال الوقود الأخرى ، حتى ترفع سعره . كما أنها تتحكم في البيانات الخاصة بتقديراته وفقا لأهوائها السياسية والاقتصادية ، وفي انتاجه على حساب المستهلك طمعا في ربح أكبر .

وتسعة أعشار سكان البلاد الفقيرة يستخدمون الخشب وقوداً ، حتى ان البنك العالمي يتوقع أنه لن يكون في العالم الثالث عام ٢٠٠٠ سوى ١٠٪ من احتياجاته منه . وبسبب نقص الخشب في الهند يلجأ السكان الى روث البهائم كوقود رغم حاجتهم اليه كسباخ . وقد أدى نقص الأخشاب الى ارتفاع اسعارها بمقدار ٣٠٠٪ وبسبب ارتفاع اسعاره يهرع الناس الى اقتلاع الأشجار مما يسبب أضراراً بالبيئة ، ويؤثر على نظام الموارد الأخرى . فاقتلاعها في البلاد الباردة يحرم المحاصيل من حزام يحميها ، ويحرم الانسان من الحياة النباتية والحيوانية التي تستخدم في صنع الأدوية والمنتجات الصناعية والغذائية ويهدد بزيادة نسبة ثاني أكسيد الكربون في الجو .

أما الفحم فقد اندلع الحماس لاستخراجه وتحقيق اكتفاء ذاتي منه في أعقاب أزمة الطاقة في ١٩٧٥ . ومن المتوقع أن ينتج الفحم نصف احتياجات أمريكا من الكهرباء عام ١٩٨٥ . ورغم ذلك فان قيام نظام طاقة على استخدام الفحم له مشكلات عديدة . فتطوير مناجمه يحتاج خلال السنوات القليلة القادمة إلى ٢٠ بليون دولار . وشركات الطاقة لا ترغب في الارتباط به حتى تتضح جوانبه الاقتصادية . وشحن كميات هائلة منه بالسكك الحديدية يسبب حوادث . وتحديد مواقع استخراجه يهدد مناطق بأكملها بتلويث البيئة . وهناك أيضاً مشكلة تناقص عدد العمال الراغبين في العودة الى حياة عمال مناجم الفحم . وفوق هذا فان استخدام الفحم على نطاق هائل يؤدي الى تزايد نسبة ثاني أوكسيد الكربون مما يهدد بتغيير الرياح والأمطار بحيث تصعب الزراعة في مناطق هائلة من الأرض . واحتراق الفحم يؤدي الى العديد من أمراض سرطان الجلد والرئة . وقد تكون هناك مشروعات لتحويل الفحم الى غاز أو وقود سائل كما حدث في ألمانيا وجنوب أفريقيا . لكنها بالنسبة لأمريكا مقامرة باهظة التكاليف . وبدائل الوقود الباهظة التكاليف تعتمد على سعر النفط . فأي تخفيض في أسعار النفط يؤدي بأي استثمارات في هذه المركبات إلى كارثة .

وتحف باستخدام الطاقة النووية في الصناعة العديد من المخاطر بما تشكله من التلوث الذي تحدثه الاشعاعات والنفايات النووية . كما أن هناك دائما امكانية حدوث خطأ بشري لا يضمن إمكان الاعتماد على أجهزة الأمن الصناعي . فهناك خوف من أن يفشل نظام تبريد المفاعل ، فتثقب النواة الملتهبة أسفل الوعاء الهائل الذي يفصل بينها وبين العالم الخارجي . وهو ما يكفي لتدمير هائل ، وقتل ٤٥ ألف نفس في منطقة الانفجار ، وتهديد دعامات الحياة نفسها : الماء ، الهواء ، التربة . وهذه واحدة من أقوى الحجج ضد اقامة نظام الاقتصاد على الطاقة النووية . فتكاليف أي حادث مدمر لا يمكن حسابها . كذلك فان كل طاقة نووية من بليون وات تنتج ٢٥٠٠ طن من النفاية كافية لأن تقتل ١٠٠ مرة تعداد المدينة المحيطة بها لو أنها تسربت

في الهواء . وفوق هذا فان الطاقة النووية ليست مصدراً رخيصا للطاقة .

الطاقة الطبيعية

ولقد طرح الخيار للاعتماد على مصادر طاقة لا تنفذ مثل الشمس والريح لتجنب الاعتماد على النفط مستقبلا . لكن أصحاب ومديري تكنولوجيا الطاقة النفطية والنووية يدينون المنادين باستخدام الطاقات الطبيعية بالرجعية وبتدميرهم لفرص العمل ، في حين أن الدراسات الخاصة باستخدام الطاقة الشمسية سوف تخلق ٣٧٥ ألف فرصة عمل ، أي أربعة أمثال عدد الوظائف التي يتيحها استخدام الطاقة النووية .

والحقيقة أن استخدام الشمس لانتاج الطاقة ليس أمراً جديداً . فليس النفط الا طاقة شمسية محتجزة بشكل مكثف ٩٥,٠٪ من تدفئة المنازل تأتي من أشعة الشمس . وفي شيلي أقيم معمل شمسي لتحلية المياه عام ١٨٧٢ ، وفي مصر أقيمت أول مضخة ري شمسية عام ١٩١٣ . واعادة تصميم المنازل في أمريكا بحيث تستفيد من الشمس توفر ١٢,٥ مليون برميل نفط يوميا . واليوم تستخدم وحدات التدفئة والتبريد التي تعمل بالطاقة الشمسية في المستشفيات والمدارس والفنادق والاسكان الحكومي ، كما زود الجناح الغربي من البيت الأبيض بأجهزة تدفئة شمسية . ولو أننا قمنا بتحويل الطاقة الشمسية التي تصل الأرض الى كهرباء لبلغت قيمتها بالأسعار الحالية ٥٠٠ تريليون دولار يوميا . لكن شركات الطاقة ترى في هذا ثورة عليها . فكل ما يشغلها هو تحول سطح كل بيت الى مصنع خاص لانتاج الطاقة ، فتفقد بذلك الأموال الطائلة التي تجنيها .

المشكلة أنه طالما ظل البترول يدر أرباحاً خيالية ، فان الاستثمار في البدائل يؤجل . وعدم اتخاذ الحكومة قراراً ، وهي تتقاذفها المصالح المتضاربة ، يعقد المشكلة . ولأنها لا تتحكم في إمدادات النفط وبدائل الطاقة ، فانها عاجزة عن تطوير سياسة قومية للطاقة ، في وقت أصبح التخطيط فيه من أجل مصالح الناس حاجة ملحة من أجل البقاء .

ويطرح الكتاب حلولا لهذه المشكلة : إصدار تشريع تحتكر الحكومة بموجبه استيراد البترول ، وقيام الدولة بالتحكم في استثمار وتوجيه مصادر الطاقة البديلة ، بدلا من ترك هذا في أيدي الشركات ، استثمار النفط المحلي ، التخطيط القومي للتحول الى استخدام بدائل الطاقة وتنويعها في كل منطقة حسب ظروفها الطبيعية ، تأميم الشركات ، وضع خطة قومية للحد من استهلاك الطاقة ، تشجيع تخفيض الانتاج الفائض في الصناعة ، وتطوير تكنولوجيا لا تقوم على استخدام الطاقة .

المعادن : دعامات الحضارة

إذا كانت الطاقة لازمة لتطور الحضارة الصناعية ، فان المعادن هي التي سهلت هذا التطور : الحديد للسكك الحديدية ، المنجنيز للصلب ، الألومنيوم للطائرات ، النحاس لمصانع توليد الكهرباء ، النيكل للطائرات النفاثة ، الجرافيت النقي للقنبلة الذرية ، وهكذا . وموارد العالم من هذه المعادن محدودة . ومشكلة البلاد الصناعية أنها تعتمد على خامات معادن مستوردة من مستعمراتها السابقة .

والصراعات على المعادن تنشأ من حقيقتين : أن الخامات مكثفة في بعض المناطق الجغرافية ، وهذه المناطق الجغرافية وحدات جغرافية مستقلة ، ثم ان استهلاك هذه المواد في العالم غير متكافيء بين البلاد الغنية والبلاد الفقيرة ، وبين البلاد الصناعية القديمة والبلاد الصناعية الجديدة في العالم الثالث . والصراع على هذه المعادن يزداد بسبب الخوف المتزايد من تناقصها لأنها

موارد قابلة للنفاد . والتنقيب عن هذه المعادن يتطلب رءوس أموال ضخمة ، وتكاليف الانشاءات والانتاج في مواقع المناجم ترتفع . كما أنها تثير الكثير من المشكلات البيئية نتيجة الغازات التي تتصاعد من المناجم ومن نفاياتها .

وأحد أسباب ارتفاع أسعار هذه المعادن هو الدور المتزايد للمضاربين في النحاس والفضة والذهب والبلاتين . والدول المصدرة التي تمتلك مناجمها تصدرها لأنها مصدر للعملة الأجنبية التي تدفع منها ديونها وتستورد طعامها . والمضاربون يشترون كميات ضخمة من المعادن حين يكون السعر منخفضا ويخزنونها حتى ترتفع الأسعار . والمضاربة تعمل ضد مصالح الدول المنتجة الفقيرة ، لأن هذه الدول ليست لديها معلومات عن حاجة السوق الأولية ، ونتيجة لمشكلات العمالة وفترات الركود . والباحثون الجيولوجيون الذين يعملون لدى الشركات الأمريكية يعرفون عما في باطن الأرض من هذه المعادن أكثر مما تعرفه هذه الدول نفسها . كما أن الأقمار الصناعية تقوم بمسح الأرض يوميا لتجميع خرائط طبوغرافية عن مواقع المعادن .

والحكومة الأمريكية تشجع استخلاص هذه المعادن في دول العالم الثالث من خلال المساعدات العسكرية والاقتصادية ، بل وتشجع أيضاً فساد النظام مثلا في زائير التي تحتوي على ٩٠٪ من كوبالت العالم و ٦٪ من نحاسه . بل لقد كانت هذه السياسة وراء تدبير المخابرات المركزية لمصرع الزعيم لومومبا . وفي عام ١٩٦٢ كان كل اعضاء البرلمان الكونغولي يتقاضون رواتب شهرية من الحكومة الأمريكية . ولهذا بالطبع آثاره على السكان الذين يعانون من سوء التغذية ونقص الدخل .

وما يقال عن نحاس زائير يقال عن منجنيز وكروم أفريقيا العليا ، وعن حديد جنوب أفريقيا والبرازيل وجابون واستراليا . فجنوب أفريقيا لديها ثلث مخزون العالم من اليورانيوم ، ٨٦٪ من مخزون البلاتين ، ٨٣٪ من الكروم ، ٤٠٪ من الذهب ، ٤٨٪ من المنجنيز . ولهذا كان دعم حلف الأطلسي لحكومتها ضد الحركات الوطنية ، خوفا من توقف امدادات المعادن .

والصراع على المعادن الصناعية مثل المنجنيز والكوبالت يزداد حدة . وبالتالي ظهر الاهتمام بالتعدين في قاع المحيطات والبحار : الذهب من شواطىء ألاسكا ، الماس من المحيط بأفريقيا الغربية ، الحديد من شواطىء اليابان ، الفوسفات من شواطىء فلوريدا وكاليفورنيا ، الزنك والفضة من البحر الأحمر ، النيكل والنحاس والكوبالت من المحيط الهادي . وكذلك يتجه الاهتمام الى التعدين في الفضاء حيث عناصر السبائك أقل تماسكا نتيجة لانعدام الجاذبية ، وبحيث لا أخطار من تلوث البيئة . كما أن المواد التي يمكن استخلاصها من الفضاء تخدم الأهداف العسكرية والتكنولوجية المتطورة .

وقد أدى تزايد الوعي الى أن أصبحت البلاد الفقيرة تطالب بنصيب عادل من مصادر الطاقة ، وبوضع نظام اقتصادي جديد ، ووضع حد لاستنزاف ونهب ثرواتها الطبيعية . والحقيقة أن قيمة العدل غير واردة هنا ، لأن المضاربة والاحتكارات والقوة العسكرية هي التي تحدد شروط استنزاف العالم الثالث وإثراء البلاد الصناعية على حساب الدول الفقيرة . كذلك يطالب العالم الثالث بصندوق لدعم أسعار المعادن في حالة هبوطها ، ومعونات مالية بشروط ملائمة . لكن العالم الصناعي يقاوم هذه الطلبات .

وللانصاف فان التحكم العادل في اقتصاديات التعدين في العالم الثالث يتطلب نقل التكنولوجيا ، وإنشاء صندوق لتثبيت السوق ، وان يوجد معيار دولي لحساب عائد عادل للدول المنتجة ، وإلا فان المواجهة الدموية حول الموارد ستصبح أمرا حتميا . وستكون النتيجة سلسلة مدمرة من الصدمات للعالم الصناعي .

الغـــلال

يشكل نظام التغذية حلقة رئيسية في سلسلة الموارد التي تدعم الحياة والحضارة . ولا ترجع مشكلة الجوع في العالم الى عدم كفاية انتاج الطعام ، بقدر ما ترجع الى سوء توزيعه ، اما لأن بعض البلاد لا تنتجه ، أو لأنها ليس لديها المال الكافي لشرائه ، حتى أن ٤٦٢ مليون نسمة يعانون المجاعات في أفريقيا والشرق الأقصى وأمريكا اللاتينية .

ونظام الغذاء العالمي يتوحد مع الاقتصاد الصناعي الدولي . فالزراعة قد دخلت خط الانتاج من أجل التصدير ، وهذا يؤدي الى تعميق المجاعة الدولية . والبلاد النامية تقوم بالتحديث والتنمية لتحويل اقتصادها من الزراعة الى التجارة والصناعة . وبهذا ينصب الاهتمام على محاصيل التصدير ، ويتدهور الاكتفاء الذاتي الغذائي .

والولايات المتحدة تستخدم قدراتها الغذائية في الشئون العالمية . فهي تمتلك أكبر فائض قمح وأرز وذرة وفول صويا في العالم . وبهذا تلعب دورا أساسيا في اقتصاديات الغذاء في العالم . وتستغل القمح والأرز كسلاح سياسي كما حدث مع الصين في الاربعينات ، ومع السوفييت وكوبا في الستينات ، ومع كوريا الجنوبية في ١٩٧١ . والبلاد التي تعتمد على معونات غذائية من الولايات المتحدة تتأثر بأي تهديد بحظر توريد الغلال اليها . غير ان هذه السياسة لا تنجح دائما . فقد فشلت مع الاتحاد السوفيتي والهند ، في حين نجحت مع كوريا الجنوبية ومصر . والسبب أن الحكومة لا تتحكم في شركات الغلال التي لا تهدف الى تغيير السياسة أو الحكومة في أي بلد .

والمجاعات تهدد العالم ، لا لأنها كوارث طبيعية بقدر ما هي نتائج للقرارات الانسانية . فالانظمة الاجتماعية مسئولة عن نقص الغذاء . بل كثيرا ما يحقق البعض أرباحا هائلة من هذه الكوارث . وهذا يشكل الجوع صلب حقوق الانسان .

لكن تفسير المجاعات غالبا ما ينصب على الطبيعة بدلا من السياسة . فيشير البعض الى زحف الصحراء أو زحف المناطق السكنية على الأراضي الزراعية والمراعي ، وشق الطرق الزراعية السريعة ، وتجريف الأرض ، وإقامة الطرق والمصانع والمنشئات العسكرية ، وانخفاض معدلات صيد السمك ، وتلوث مياه البحار من المخلفات الصناعية ، والانفجار السكاني . والحقيقة أن تكاليف الزراعة ترتفع حيثما تقل موارد الغذاء . وليس لهذا علاقة بقوانين الندرة الطبيعية ، ولكن بالترتيبات الاقتصادية التي تعمل في ميدان الانتاج الغذائي . ومن الممكن انتاج الغذاء بمقدار أربعة أمثال ما هو عليه باستخدام التكنولوجيا الحديثة ، وتنمية مصادر الطعام . لكن هذه الترتيبات تعتمد على ضمير المعونات التي تقدمها الدول الغنية

كذلك فان التصنيع الذي يجذب العمالة الزراعية من الريف مسئول عن زيادة عدد الجوعى في العالم . وأسعار الأراضي والأسمدة والزراعة الآلية تشجع قيام المزارع الكبيرة على المزارع الصغيرة . ولهذا تقع تجارة الغلال في قبضة خمس شركات ، وتجارة الآلات الزراعية في قبضة شركتين . وقد أدت ميكنة الزراعة الى تخفيض العمالة في الريف ، والتركيز على المحصولات التي تدر أرباحا مثل القطن والشاي والأعلاف ، بحيث تحقق شركات السماد والحبوب ، وأصحاب مزارع البن والقمح والموز أرباحا خيالية . وهذه الأرباح تذهب الى مؤسسات لا تهتم أصلا بتغذية البشر بل بمصلحتها فقط .

ويطرح الكتاب لهذا حلولا في مقدمتها اعتبار

الأمن الغذائي حقا من حقوق الانسان ، ودراسة السياسات التي تؤدي الى المجاعات ، وزيادة الاعتماد الذاتي الزراعي في البلاد الفقيرة ، وتحسين شروط التجارة بالنسبة للدول التي تنتج المواد الأولية ، وتخفيض برامج التخزين الاحتياطي ، وإنشاء صندوق مشترك لدعم السلع ، وعدم ممارسة صندوق النقد الدولي للضغوط على الدول الفقيرة لفرض ضوابط على الأجور ورفع أسعار الطعام والغاء الخدمات الاجتماعية للفقراء .

النظام العسكري الدولي

ويمضي الكتاب الى تناول دور القوة العسكرية في نظام الموارد الحالي . فقد اعتمد النظام الاقتصادي العالمي الذي تسيطر عليه احتكارات عالمية على القوة العسكرية ، واستخدمت المساعدات العسكرية والتواجد العسكري لتأمين الوصول الى الموارد . ووراء الحروب كانت هناك دائما الرغبة في الحصول على المواد الخام الحيوية . والتواجد الأمريكي في المناطق الاستراتيجية ليس الا وسيلة لتأمين موارد هذه الدول وبأرخص الأسعار وقد شاركت أمريكا في الفترة ما بين ١٩٤٥ - ١٩٧٥ في بعض الحروب ، إما لاسقاط حكومات معادية (مصدق في ايران ١٩٥٣) . ومحاولة التخلص من (كاسترو في كوبا ١٩٦١) . أو لدعم حكومة صديقة (اليونان ١٩٤٨ ، لبنان ١٩٥٨ ، فيتنام ١٩٥٠ - ١٩٧٥) . غير أنها في كل هذا كانت اهتماماتها تنصب على موارد هذه البلاد . فعملياتها في الشرق الأوسط ترتبط بنفط المنطقة .

وقد أدى انفجار الاستثمارات الأجنبية على امتداد العالم ، وادراك الدول الصناعية لاعتمادها على المعادن والأغذية المستوردة ، وتزايد الانفاق العسكري الى خلق نظام عسكري جديد في المنطقة . فبدلا من الاعتماد على التواجد العسكري قرب الموارد ، بدأ الاتجاه الى بناء قوات محلية مما يخلق صفوة عسكرية موالية للولايات المتحدة تستخدم لقهر الحركات الوطنية والتقدمية ، كما أن مبيعات الاسلحة لهذه الدول تستخدم لموازنة اقتصاديات الدول الصناعية . غير أن تسليح دول العالم الثالث قد أدى الى استخدام هذه الدول لجيوشها ضد شعوبها كوسيلة لقهرها ، وابقاء الأجور منخفضة ، واستخدام العنف ضد نقابات العمال لتأمين السلام الاجتماعي . وهكذا تشجع الولايات المتحدة الانظمة التي تقوم على سياسة القمع . ورغم هذا فان التهديد باستخدام القوة العسكرية يلعب دورا هامشيا في تأمين الوصول الى هذه الموارد ، كما حدث حين قطعت إمدادات النفط الايراني عن اسرائيل وجنوب أفريقيا ولم يستطع الأسطول السادس أن يحافظ على تدفق النفط الايراني .

يوحي المنظر العالمي اليوم بتوزيع جديد للعمل على امتداد العالم كله ، بحيث يتم الانتاج في قلب البلاد النامية ليستهلك في قلب البلاد الصناعية ، ويعتمد هذا الاتجاه على تجزئة عملية الانتاج الى عمليات متنوعة يمكن القيام بها عبر العالم في مواقع انتاج بأجور منخفضة ، ثم تجميعها في منتج عالمي . هذا الانتاج يحدث في مناطق انتاج حرة مصممة لجذب الرأسمال الأجنبي من خلال تقديم حوافز مادية وتجارية ، واعفاءات جمركية وضريبية ، والتحرر من قيود تحويل العملة الأجنبية ، وتوفير مباني المكاتب والمصانع . وهذا بهدف الاشتراك في عمليات الانتاج بدلا من استئثار الدول الغنية بها ، ثم حل مشكلة العمالة .

لكن هذا يعني أن يتقاضى العامل في هذه البلاد ما يوازي ١,٥ دولار عن يوم عمل كامل ، في حين يتقاضى العامل الأمريكي ٧ دولارات عن كل ساعة عمل . وهكذا فان هذه البلاد تبيع عمالة رخيصة ومنتجة . هذا

بالاضافة الى صرامة قوانين هذه البلاد بالنسبة لاتحادات العمال والاضرابات .

واحدى وسائل بيع عمالة البلاد الفقيرة هي تصدير العمال كمهاجرين . ففي الشرق الأوسط نجد العمال الهنود ، وفي السعودية يبلغ تعداد المهاجرين اليمنيين ربع تعداد السكان ، وهكذا . ومنذ أواخر الخمسينات هاجر ١٥ مليون رجل وامرأة الى أوروبا الغربية من تركيا واليونان والبرتغال ويوغوسلافيا والجزائر . وهي عمالة رخيصة خاصة بالنسبة للمتسللين . كما أنه من السهل طردها من البلاد في حالة حدوث كساد اقتصادي .

وينظم تدفق الموارد البشرية هذه عالميا شأنه شأن أنظمة الموارد الأخرى . فهناك من يقوم بالسفر الى القرى حاملا معه بطاقات سفر ووعود بالشراء لتجنيد الفلاحين . وهناك وكالات لابرام عقود العمل في اسطنبول وأثينا وزغرب . وهناك مهربون يتقاضون ٣٥٠ دولارا من كل مهاجر للعمل في فرنسا . ومعظم هؤلاء العمال يعيشون في ظروف سيئة . وأحد أشكال الهجرة العمالية تفريغ البلاد النامية من المهنيين والمثقفين الذين يجذبهم الأمان والحضارة هربا من احباطاتهم وضآلة المرتبات وانعدام الضمان الاجتماعي .

ويلقى هذا النظام التشجيع على أنه يقلل من البطالة في الدول الفقيرة ، ويؤدي الى اكتساب العمال للأساليب التكنولوجية الحديثة . لكن هذا لم يحل مشكلة البطالة في تركيا مثلا ، كما أنه يحرم البلد المصدر من الكفاءات . هذا بالاضافة الى أن الكفاءات التي يكتسبونها لا تفيدهم حين يعودون الى بلادهم .

الفجوة تزداد اتساعا

ويعتقد بعض الاقتصاديين والحكومات ان هجرة المصانع الى البلاد الفقيرة ، وهجرة العمالة الى مواقع الانشاءات في الشرق الأوسط ، وإلى أوروبا دليل على أن السوق يولد توازنا اقتصاديا من خلال اعادة تقسيم العمل . ولا شك أن الشركات المتعددة الجنسيات تستوعب الكثير من عمالة هونج كونج وسنغافورة وكوريا الجنوبية . ولكن هذا لا يعني ارتفاع العمالة . فمع التطور الصناعي تتطلب كل وحدة انتاج عددا أقل من العمال . والعمالة تستجيب للتغيرات الاقتصادية العالمية ولاستراتيجية الشركات . وغالبا ما تكون هذه البلاد مكبلة بالديون بحيث تطلب البنوك من الحكومات سياسة اقتصادية صارمة تمس الفقراء دون الأغنياء في مجال الصحة والتعليم والخدمات الاجتماعية ، ومشروعات التوظيف ، وتقليص الأجور ، مما يؤدي الى توسيع الفجوة بين الطبقات ، وبالتالي الى المجاعات والقهر والجريمة .

ويبدو تزايد رخص العمالة البشرية أمرا حتميا ، اذ أن قوة العمل تتضاعف في حين تتضاءل فرص العمل . ويستطيع العمال أن يغيروا هذا ، لو أنهم رفضوا القيام بدورهم في المصنع العالمي . لكن هذا لا يحدث ـ فهم لا يثورون ضد الفقر في آسيا ، أو ضد حقائق الحياة المروعة في مزارع القصب في أمريكا اللاتينية ، أو في المصانع المدارية حيث يقومون بتجميع الساعات والآلات الحاسبة ، لأنهم تنقصهم الطاقة والقوة اللازمة لذلك . كما أن العمال في العالم الثالث أقل تجانسا من العمال في أوروبا ، بسبب اختلاف اللغة والتقاليد والجنس . كذلك فان الصفوة الاقطاعية تشارك الصفوة المهنية ، وضباط الجيش ، والبيروقراطيين في السلطة ، وتقوم بتنظيم نقابات العمال وتوجيهها ، وتحريم الاضطرابات .

وهذا فان المصنع العالمي بحاجة الى نظام دولي جديد . ولكن أي نوع من النظام ؟

بعد الحرب العالمية الثانية نشأت ثلاث مؤسسات لتحقيق حلم أمريكا بالسيطرة على اقتصاد العالم : البنك الدولي ، صندوق النقد الدولي ، وهيئة التجارة الدولية . كانت مهمتها أن توفر لأوروبا واليابان الدولارات التي تشترى بها البضائع الأمريكية ، وأن تجعل من الدولار عملة دولية . لكن أوروبا واليابان جمعت كميات هائلة من الدولارات مقابل صادراتها ، فتحولت مهمة هذه المؤسسات إلى دول العالم الثالث التي دخلت نظام التجارة العالمي الجديد ، والتي بدأت تعتمد على استيراد النفط والغذاء ، بحيث أصبحت مهمة صندوق النقد الدولي التحكم في اقتصاديات هذه البلاد ، فأصبحت سلطة هذه المؤسسات سياسية واقتصادية .

هكذا تجد الدول الفقيرة نفسها معتمدة على التجارة العالمية في استيراد المواد الأساسية ، وفي تصدير مواردها الطبيعية وسلعها المصنعة ، مما يؤدي الى انعدام المساواة ، لأن العالم الصناعي في وضع يسمح له بابقاء أسعار المواد الخام رخيصة وأسعار السلع المصنعة مرتفعة . كما أنه لا يصدر التكنولوجيا الا بشروط تسمح باستمرار اعتماد هذه البلاد عليه . فالنظام الحالي لا يخدم الا مصالح الدول الغنية ، ومصالح الديكتاتوريات العسكرية الفاسدة التي نشأت في أفريقيا وجنوب شرق آسيا وأمريكا اللاتينية في السبعينات . ورفاهية هذه البلاد لا يمكن أن تتحقق إلا من خلال تطوير سياستها الاقتصادية ما لم يكن للسلطات الشعبية القدرة على المشاركة في تطوير شروط ارتباطها بالاقتصاد العالمي ، والاشراف الشعبي على الموارد المحلية بواسطة مسؤولين يستمدون شرعيتهم من الشعب الذي يخدمونه . فالبلاد النامية في حاجة الى قادة وطنيين شرفاء . ومن واجب البلاد الصناعية أن تؤيد مثل هؤلاء حين يظهرون . ومن واجب نقابات العمال أن تتحد وتضغط في سبيل مساواة الأجور وظروف العمل في العالم كله .

من هذا العرض والتحليل يخلص الكتاب الى أنه على المستوى العالمي ليست هناك ندرة موارد . فنظريا يوجد في العالم موارد كافية لحياة لائقة لسكان العالم عام ٢٠٠٠ ، لكنها ليست كافية لاعالة مجتمع يسوء فيه توزيع الثروة ونهب البيئة المستمر . لكن الندرة موجودة لأن أنظمة التحكم في الموارد يخطط لها بحيث لا يجد العالم ما يكفيه منها . وفي سبيل الابقاء على تحكمها في عناصر القوة تؤجل الشركات تطوير موارد جديدة ، وتتوجه الموارد القديمة لا إلى حيث توجد حاجة اليها ، بل الى حيث يوجد ربح أكبر .

لكن الوصول الى ازدهار الأغنياء والفقراء على حد سواء يتطلب نظام تخطيط جديد لا يقوم على تكديس الثروة ، بل على استراتيجية تتوخى الحفاظ على الحق السياسي والاقتصادي لكل انسان في نصيب لائق من موارد العالم دون تمييز بين الأجناس والأفراد . كذلك لا بد من حماية المجتمعات بحيث لا ترتبط مجتمعات باقتصاديات بلاد بعيدة عنها لا تستطيع التحكم فيها . مثل هذا التخطيط يتطلب تمكين أي بلد من تطوير اقتصاد متوازن وآمن ، واعتماده على نفسه . ويتطلب هذا تغيير سياسات التجارة التي تحافظ على عدم المساواة . وعلاوة على ذلك هناك ضرورة وجود تحكم عمومي في موارد الأمة بدلا من تركها في أيدي الشركات المتعددة الجنسيات بحيث تكفل العمل للجميع ، وحماية البيئة ، واستقرار الأسعار ، والمحافظة على الموارد وتطويرها ، والعمل على تخفيض الاستهلاك وتنمية اقتصاديات العالم الثالث بمعدلات أسرع ، وعدم احتكار العالم الغني للتكنولوجيا المعقدة . ومهمة السياسة أن تعبر عن هذه الطموحات . ○

من مكتبة العربي



*** ساطع الحصري**
من الفكرة العثمانية
الى العروبة .

تأليف : وليام كليفلاند .

ترجمة : فكتور سحاب .

الناشر : دار الوحدة العربية - بيروت

هذا كتاب يرسم فيه مؤلفه الاطار التاريخي الذي نشأ فيه المفكر والمربي ساطع الحصري ، وتناول فيه الحيثيات والتفصيلات والاحداث التي حتمت انتقاله من صف الدعوة للفكرة العثمانية ، الى صف الدعوة للعروبة والقومية العربية .

يقول مترجم الكتاب :

« ان الكتاب يقدم الى الراغبين في دراسة الحصري وعصره صورة واضحة لاتقتصر على ملامحه الشخصية فقط ، بل تضعه في اطار تاريخي مرسوم بعناية وأناة ، تجعل للكتاب مكانة بين الكتب التي أرخت للتاريخ العربي الحديث ، وبخاصة لتاريخ الفكر القومي والتربوي العربي في القرن العشرين » .

ويلم الكتاب أيضا بالاطار التاريخي الذي أحاط بالحصري نشأة وعملا . فجاءت صورة الاطار شديدة الوضوح من واقع كونها اغتنت بكل ما أنتجه الحصري من كتب ومحاضرات وتصريحات وغيرها .

ويضيف المترجم : « وفي امكان التربويين العرب الذي يتلمسون السبيل الى الوجهة السليمة ، أن يتخذوا الكتاب دليلا لفهم علاقة التربية بالسياسة والنهوض القومي في فكر الحصري ، وذاك أمر خطير بعد استفحال الاتجاهات التغريبية في التربية العربية ، وعلاقتها بالتردي القومي والوهن الوطني اللذين يتابان العرب اليوم ، ويوضح الكتاب خطورة اللغة والتاريخ في التربية القومية ايضا » .

دراسات في
الأدب المقارن .

تأليف : د . محمد التونجي .

الناشر : اتحاد الكتاب العربي - دمشق .

الأدب المقارن هو من الآداب الجديدة في أدبنا العربي ، عرفته بعض جامعتنا العربية في زمن قريب ، وهاهو الدكتور التونجي يحاول أن يجتهد فيه ، ... فيقول : ان الأدب العربي من أبرز الآداب العالمية ذات التأثير ، فقبل أن تصل الينا قواعد الأدب المقارن وقوانينه ، كان نقادنا ومؤرخو أدبنا يتلمسون أثر الأدب العربي في غيره ، ويقدرون المدى البعيد الذي يتسرب فيه أدبنا ، وانتشرت عليه لغتنا ، وعرفنا ذلك كما عرف نقادنا القدماء أن الاحتكاك بين أمتين يؤثر في أدبيهما معه .

وهذا الاحتكاك قد يكون جوارا أو اتصالا عن طريق



السلم والحرب أو العلاقات التجارية والسياسية أو بالاحتلال ، أو بنشر الدين والثقافة ، أو بانتقال الأمم والقبائل والأسر ، أو بالترجمات والرحلات .

وقد أفرد المؤلف فصوله الثلاثة لدراسة المقارنات المتعلقة بالأسطورة والملحمة والمسرحية والشعر والقصص الديني وغيرها في الأدب والواقع التاريخي العربيين ، مقارنا اياها بمثيلاتها عن بعض الأمم الأخرى .

نحن والتراث « قراءة معاصرة في تراثنا الفلسفي »

المؤلف : د . محمد عابد الجابري .

الناشر : المركز الثقافي العربي ـ الدار البيضاء ودار الطليعة ـ بيروت .

هذه هي الطبعة الثانية لكتاب « نحن والتراث » للدكتور محمد عابد الجابري ، وكانت طبعته الأولى قد صدرت ١٩٨٠ .

وبدون مبالغة فان الكتاب يمكن اعتباره من الكتب المهمة التي تطرح اجتهادها في كيفية تعاملنا مع تراثنا الفلسفي . وينطلق الكاتب في تعامله مع التراث من سؤال أساسي .. يقول : « هل كانت الفلسفة العربية الاسلامية قراءة لتاريخها الخاص ، أم أنها كان بالعكس من ذلك قراءات مستقلة الواحدة عن الاخرى للفلسفة اليونانية ؟ ويجيب المؤلف :

« ان الفلسفة العربية الاسلامية لم تكن قراءة متجددة باستمرار لتاريخها الخاص كما كان الشأن بالنسبة للفلسفة اليونانية ، وكما هو الحال بالنسبة للفلسفة الاوروبية منذ ديكارت الى اليوم ، بل ان الفلسفة في الاسلام كانت عبارة عن قراءات مستقلة لفلسفة أخرى هي الفلسفة اليونانية ، قراءات وظفت نفس المادة المعرفية لأهداف أيديولوجية مختلفة متباينة » .

ويضيف « ان التمييز بين المحتوى المعرفي والمضمون الايديولوجي في الفلسفة الاسلامية ضروري حتى يمكن أن نتبين فيها ما تزخر به من تنوع وحركة ، ونستطيع بالتالي ربطها بالمجتمع والتاريخ .

لذلك فان المؤلف يطرح التالي :

« ان الجديد في الفلسفة الاسلامية يجب البحث عنه لا في جملة المعارف التي استثمرتها وروجتها ، بل في الوظيفة الايديولوجية التي اعطاها كل فيلسوف هذه المعارف ، ففي هذه الوظائف ، اذن يجب أن تبحث للفلسفة الاسلامية عن معنى وتاريخ .. معنى يجعلها ذات مغزى بالنسبة للبيئة الفكرية ـ الاجتماعية السياسية ، وأيضا بالنسبة لنا كقراء معاصرين ، أي تحويل المقروء الى مادة معاصرة لنا على صعيد الفهم والمعقولية ، لأن جعل المقروء معاصرا لنفسه معناه فصله عنا ، وجعله معاصرا لنا معناه وصله بنا .

وعلى ضوء ذلك فقد درس الكاتب جوانب من فلسفة الفارابي وابن سينا ، وابن باجة ، وابن رشد وابن خلدون تحت عنوان قراءات جديدة لتلك الجوانب .

تاريخ العلاقات السياسة والاقتصادية . بين العراق والخليج العربي

تاليف : الدكتور حسين علي العسري

الناشر : دار الحداثة ـ بيروت .

يدرس هذا الكتاب تاريخ العلاقات السياسية والاقتصادية بين العراق ومنطقة الخليج العربي في العصر العباسي ما بين سنتي ١٣٢هـ . و ٦٥٦ هـ (٧٤٩ م ـ ١٢٥٨ م) . والمقصود هنا بمنطقة الخليج ، بلاد البحرين

وعمان اللتين تطلان على ساحل الخليج العربي ، وبعض المناطق الفارسية التي تطل على ساحله الشرقي .

ويذهب المؤلف الى أن منطقة الخليج العربي شاركت مشاركة فعالة في البناء الحضاري للعالم قبل ظهور الاسلام وبعد ظهوره ، لأن الخليج يشغل موقعا استراتيجيا مهما بين طرق التجارة العالمية .

ويركز المؤلف في أبواب وفصول كتابه على دراسة العلاقات التي قامت بين السلطة المركزية في بغداد من خلال ضعفها وقوتها وانعكاس ذلك على المناطق وتوابعها .

ويفصل في دراسة نشوء دولة القرامطة في البحرين والاحساء وعلاقتها بالسلطة المركزية في بغداد ، ثم علاقتها بالسلطة المركزية بدولتي العيونيين وبني عامر اللتين قامتا في المنطقة اثر سقوط دولة القرامطة .

ثم يدرس بعد ذلك ثورة الزط . . . وبعدها ثورة الزنج وتأثيراتها على المنطقة وعلى الخلافة في بغداد وعلى طريق التجارة .

كما درس تاريخ منطقة عمان قبل الاسلام وبعده . . والعلاقات التي قامت بين السلطة المركزية في بغداد وحكام عمان ، ثم عرج على نشوء مذهب الاباضية فيها واصطدام حكامها بالسلطة المركزية وتأثير ذلك على العلاقات التجارية .

وخصص المؤلف فصلا بعد ذلك عالج فيه طرق التجارة البرية والبحرية التي ربطت بين العراق وأقطار الخليج العربي طوال العصر العباسي وقيام تجار الخليج بدور الوسيط التجاري في نقل السلع التجارية بين عاصمة الخلافة وباقي أقطار العالم .





أمراض القلب والشرايين

تأليف : د . محمد ياسين .

الناشر : دار الكتاب اللبناني .

أفكار كثيرة وخاطئة يتم تداولها بين الناس حول أمراض القلب والشرايين ، خاصة وأن الرعب المتداول عن السكتة القلبية و « الجلطة » وغيرها أصبح « كالشبح » الذي يلوح في أية ساعة وفي كل آن .

لذلك واستشعارا للمسؤولية واستجابة لضمير المهنة وللأسئلة الكثيرة التي تتعلق بالقلب وأمراضه فقد كتب المؤلف هذا الكتاب الذي تجاوز في حجمه الخمسمائة صفحة من القطع المتوسط ، واستعرض فيه رحلة العلم الخاصة بالقلب والشرايين منذ العهود القديمة حتى يومنا هذا .

ودرس فيه التفصيلات الخاصة بالقلب وأمراضه وسبل علاجها ، والأمراض الاخرى التي يمكنها أن تسبب أمراضا للقلب ، كما ودرس الشرايين والتفصيلات المتعلقة بها ، وأسباب تصلبها وسبل علاجها .

أيضا تعرض لعلاقة التدخين وغيره من عوامل برفع ضغط الانسان ، وتأثير ذلك على الصحة العامة .

ثم درس في أبواب أخرى تأثير العوامل النفسية والمشروبات الكحولية وتغييرات الطقس والمناخ وغيرها من عوامل على مريض القلب والشرايين .

حوار القراء

اعـــداد
يـوسـف الشهاب

المواطـــن .. والسياسة

● بسعادة بالغة أكتب رسالتي هذه اليكم ، حول مانشر في العدد (٢٩١) تحت عنوان ـ المواطن والسياسة في العالم الثالث ـ ولأنني شغوف بالمشاركة في هذا الذي تضمنه المقال فانني ارسل اليكم وجهة نظري فيه .

فقد جاء بالموضوع أن هناك اتساعا بالمسافة التي تفصل بين وعي المواطن وارادة السلطة وفقدان الثقة ، وورد بعد ذلك مباشرة عبارة « دخل المواطن للمشاركة في وضع السياسة الخارجية حيث ساهم في تحرير البلد » اذن المواطن هو حاكم والحاكم عند المواطنين ، وبالتالي لم يكن هناك اي اتساع . ثم ورد بالموضوع ذاته ، أن المواطن في دول العالم لا ينفعل مع الأحداث التي تدور حوله ، مثلما ورد عن المواطن الأرجنتيني ..

أقول ان الدول العربية قاطبة من دول العالم الثالث لم تسمح معظم حكوماتها بحرية التعبير لمواطنيها ـ وهذا أدى الى أن المواطن في دول العالم الثالث ظل يعيش بعيدا عن سياسة بلاده ـ أو ليس قريبا منها كما يجب أن يكون ...

حسين علي خضير
ديالي الخالص ـ العراق .

ايضاح لمؤلف كتاب المغامرة غير المشروعة

لقد كان التقديم الذي كتبه الأستاذ سليمان موسى لكتاب (المغامرة غير المشروعة) في عدد جادى الثانية ١٤٠٣هـ ابريل ١٩٨٣م ، يتضمن تلخيصا شاملا ووافيا للكتاب ، غير أنه استخلص استنتاجات مبتسرة . . أود ـ إذا أذنتم ـ أن أقدم عنها التوضيح التالي :

ـ إنني ابتداء معارض كلية لاعلان بلفور مع كل الأثار التي نجمت عنه . وإن النظرية التي تبناها كتابي تتلخص ببساطة في أنه من الخطورة ومما يقود الى الاضطرابات أن تبذل الوعود من قوى خارجية بمنح أراض لا تملكها قانونا .

ثانيا : لم أناقش في كتابي فلسفة أي من المذاهب الصهيونية أو العربية أو الاسلامية ، وانما أبرزت فقط مدى تداخلها في المنازعات الاقليمية التي أعقبت انهيار الامبراطورية العثمانية . وقد حاولت أن أوضح كيف أن تدخل الدول الغربية فيما يخص العرب او اليهود أو حتى الكرد أو الأفغان من مواقف أو صراعات سياسية ليس من شأنه إلا جر المصائب . وأوجه هذا الكلام بالمثل الى الدول الشيوعية .

ثـالثـا :إذا كنت أثنيت على واحد فقط من اليهود وهو(أرونشون) لما قدمته عائلته من مساعدة للجيش البريطاني في فلسطين ، فإنني أسترعى النظر الى انه لم يكن محبوبا من أغلبية زملائه من اليهود ، وإن من الراجح أن مواطنيه من العاملين مع المخابرات البريطانية هم الذين قتلوه(وان لم يكن ذلك مؤكدا وانما من باب التخمين اذ لا يوجد تحت يدي دليل قاطع) .

رابعا : أشير الى أن(سارة) التي أهديت اليها كتابي لم أقصد بها(سارة ارونشون) ، وانما قصدت حفيدتي التي رزقت بها حديثا .

هـ . في . ف . وينستون/المملكة المتحدة

الطابع .. العلمي

● كنت - ولا أزال - أتابع قراءة مجلتكم ، ولقد بدأت العلاقة معها منذ ثمانية أعوام ، ولا أخفي عليكم اعجابي بما تحويه من مقالات مختلفة متنوعة - والذي ألاحظه في صفحاتها هو غياب الطابع العلمي فيها ، ولا أقصد تحويلها الى علمية بحتة بل الذي أقصده أن تخصصوا قسما أكبر من الذي تخصصونه الآن لهذا الجانب من العلم - حتى يستطيع الانسان أن يساير ركب التطور العلمي في شتى مناطق العالم المتطور .

والرجاء تحقيق هذه الأمنية خدمة للعلم والقارىء . . .

أنور يوسف عبدالعزيز - عمان - المملكة الهاشمية .

العربي :

يهمنا الجانب العلمي بالمجلة كما يهم القارىء العزيز ، وسوف نحاول زيادة صفحات العلم خدمة لكل قارىء . . وان كان هذا الجانب قد أوفى حقه على صفحات العربي .

نسيتم .. مدن عمان

● قرأت في العدد ٢٩٣ من مجلتنا « العربي » استطلاعا عن سلطنة عمان ، وللأسف لم تقوموا بجولة في بعض مناطق السلطنة لتقدموها الى القارىء العربي في شتى أقطارنا العربية ليعرف عن تلك المدن بعد طول عزلة استغرقت أكثر من أربعين عاما ، ومن هذه المدن مسقط العاصمة ، والعمران الذي فيها ، وكذلك مدينة ظفار التي تعتبر مدينة زراعية .

سالم سهيل الكبتري
صلالة - سلطنة عمان .

العربي :

شكرا للقارىء العزيز على اهتمامه ومتابعته للعربي ، أما فيما يتعلق باستطلاع سلطنة عمان فان جوهره كان حول الدور التاريخي لها .. لا العمران الحديث فيها . .

استطلاعات كويتية

● انني من قراء مجلة « العربي » ، منذ صدورها عام ١٩٥٩م والتي أصبحت جزءا من حياتي وهواياتي الأخرى ، ومادمت من هواة جمع الطوابع ، فانني أقترح عليكم اجراء استطلاع عن العملة التذكارية الكويتية الحديثة والقديمة وكذلك استطلاع عن الطوابع الكويتية الحديثة والقديمة ، واستطلاع عن الصحافة الكويتية القديمة ، وأول مطبعة اصدرت أول جريدة في الكويت . . .

صالح الشريعة - طهران
الجمهورية الايرانية .

العربي :

شكرا لاقتراح القارىء العزيز ، وبعض ما اقترحه قد نشر باستطلاعات سابقة في العربي - ولو عاد القارىء الى الأعداد السالفة فانه يجد ضالته فيها . . .

خوفو .. والهرم الأكبر

● جاء في صفحة حوار القراء .. العدد ٢٩٤ مايو ١٩٨٣ ، تحت عنوان الهرم الأكبر .. معلومات بعيدة عن العلم والمنطق ، من خلال رسالة أحد القراء .. وللحقيقة أريد أن أبين بعض الحقائق التي غابت عن ذهن صاحب الرسالة .

فالثابت علميا وأثريا أن الملك خوفو ثاني ملوك الأسرة الرابعة - الدولة القديمة - هو الذي بنى الهرم الأكبر وهناك اكثر من دليل .

أولا : أن اسم الملك خوفو ورد في المقابر الخاصة بالأشراف وكبار رجال الدولة المجاورة للهرم من ناحيته الشرقية والغربية - كملك اله - وملك دسؤله - ومنهم من تسمى باسم خوفو - وكان هؤلاء الموظفون المعاصرون للملك يعملون في خدمته أو خدمة أبنائه من الملوك والامراء .

ثانيا : عندما كشف عن مركب الشمس وجد عليها نقوش تفيد بأن الملك « جدفرع » ثالث الملوك والابن الأكبر لخوفو قد قام بدفن أبيه وعثر على توقيعه على أحجار الغطاء الخاص بالمركب .

ثالثا : الأخبار المتوارثة التي دونها المؤرخ « هيردوت » تؤكد عدم وجود نقش من الداخل أو حتى وجود تمثال - لخوفو - في الهرم . وذلك يعود الى أن الملك حرم إنشاء التماثيل في عصره ، واكتفى بالرؤوس دون الأجساد ، كل هذه تؤكد أن الملك « خوفو » هو الذي بنى الهرم الأكبر .

محمد حسين محمود - اذاعة القاهرة - جمهورية مصر العربية

حرف المجلة

● تتمتع مجلتكم الغراء ، بالمقالات القيمة ، وهي صفحة للفكر الحر والمناقشة العلمية التي تؤدي رسالتها على الوجه الأكمل ، لكن الذي تلاحظه بين سطورها أن الأحرف التي تستعمل في الطباعة هي أحرف من النوع الصغير مما يجعل القارىء يعاني منها حين القراءة ، ولأن هناك بعض المقالات تكتب بحرف كبير مما يجعلها مريحة للقارىء ، فاننا نطالبكم باستعمال الحرف الكبير على كافة مقالات المجلة حتى يستطيع القارىء قراءتها دون أي ضرر قد يتعرض له في عينيه . . .

محمد أوسو

حلب - سوريا

العربي : شكرا لاقتراح القارىء . الذي نرجو أن يلاحظ أن الحرف المستخدم في طباعة العربي قد كبر حجمه ابتداء من عدد يوليو (تموز) الماضي .

استعرضوا .. الكتب القيمة

● ورد في عدد فبراير ١٩٨٣ ، مقالا تحت عنوان « صحوة الشباب المسلم ، دعوة للترشيد لا للتبديد » ذكر فيه بأن هناك كتبا تعالج أزمة الواقع الاسلامي المعاصر ، اثنان للشيخ محمد الغزالي وثالثها للدكتور يوسف القرضاوي ، عميد كلية الشريعة بجامعة قطر ، ونظرا لانعدام مثل هذه الكتب القيمة في أسواقنا ، فاننا نقترح عليكم عرض مثل هذه الأنواع من الكتب حتى يستفيد منها القارىء - خاصة وأنها بعيدة المنال عن يده . .

محمد هواري - الجزائر
الجمهورية الجزائرية .

تستهدف هذه الأسئلة امتحان معلوماتك العامة وسرعة خاطرك .. وتستهدف بخاصة تشجيعك على البحث عن الردود الصحيحة وذلك بالرجوع الى المصادر الموثوقة :

المطلوب الاجابة على عشرة أسئلة إجابة صحيحة ، لكى تكون في عداد المرشحين للظفر بجائزة ...

ويشترط أن تصلنا الردود في غضون شهرين من تاريخ صدور العدد .. وأن يذكر رقم الكوبون بوضوح على الغلاف .. وأن يذكر الاسم والعنوان بوضوح ضمن رسالة الردود بالذات ، وأن يلصق كوبون المسابقة على تلك الرسالة ..

الجائزة الأولى قيمتها ٣٠ ديناراً·

الجائزة الثانية قيمتها ٢٠ ديناراً

الجائزة الثالثة قيمتها ١٠ دنانير

ترسل الإجابات على العنوان التالي : مجلة العربي ـ صندوق بريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العربي الثقافية » العدد ٢٩٧ ـ وآخر موعد لوصول الاجابات الينا هو أول اكتوبر ١٩٨٣ .

١ ـ أيهما الصحيح في اللغة ، قولنا :

ولدت المرأة توأما أم قولنا ولدت توأمين ..؟

٢ ـ « القهوة » اسم أطلقه العرب على الخمرة أولا ، ثم أطلقوه على مشروب البن ... ترى ما الحكمة في ذلك ..؟

* لأن مشروب البن يخدر ويسكر كالخمرة ،
* مشروب البن لا يخدر ولا يسكر بل ينبه . ولفظ قهوة يجمع بين أضداد المعاني ، فهو يعني التخدير فيما يتصل بالخمرة ، ويعني التنبيه فيما يتصل بمشروب البن ..
* لأن مشروب البن يقهي عن الطعام ، أي يحد من شهوة المرء له . وشأنه في ذلك كشأن الخمرة ...

٣ ـ أي العواصم التالية أكثر ارتفاعا فوق سطح البحر ..

* بيرن عاصمة سويسره
* كابل عاصمة افغانستان
* لهاسا عاصمة التبت

٤ ـ الأنيميا مرض يصيب الانسان اذا نقصت في دمه ..

* محتويات الحديد
* محتويات الملح
* محتويات المغنسيوم

٥ ـ لمَ سمّوا ميزان فهرنهيت لقياس الحرارة بهذا الاسم . . .؟

* لأن فهرنهيت لفظة ألمانية تعني الحرارة . .
* نسبة الى مخترع الميزان المذكور وهو العالم الألماني جبريل دانيل فهرنهيت

٦ ـ تفرز المعدة أنزيمات أو خمائر مختلفة . . مهمتها المساعدة على هضم الطعام . . . .

وتعرف إحدى هذه الخمائر بأنزيم البيسين . . فأي المواد الغذائية التالية يساعد على هضمها هذا الأنزيم . .

* البروتينات ، كاللحوم
* الدهنيات
* النشويات

٧ ـ كيف يسترون الحليب . . .؟

* بتسخينه حتى درجة الغليان وابقائه على تلك الدرجة نصف دقيقة فحسب . .
* بتسخينه حتى تبلغ حرارته حوالي ٦٠ درجة مئوية على ألا يطول بقاؤه على هذه الدرجة سوى نصف ساعة . .
* يسترون الحليب بتبريده لا بتسخينه .

٨ ـ البيت الأبيض والكابيتول اسمان طالما يترددان في الأخبار . . والأول هو مقر الرئيس الأمريكي ، كما هو معروف ، فما هو الكابيتول . . .؟

* مقر الكونجرس الأمريكي
* مقر وزارة الدفاع الأمريكية
* مقر وزارة المالية والخزينة الأمريكية

٩ ـ يقول الشاعر :

وذي أوجه لكنه غير بائح ... بسرّ وذو الوجهين للسر يظهر
تناجيك بالأسرار أسرار وجهه ... فتسمعها بالعين ما دمت تنظر

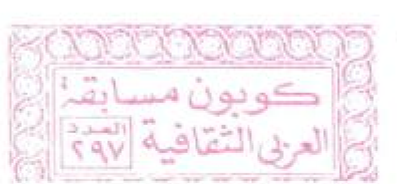
ما الذي يقصده الشاعر ؟

١٠ ـ أيها أطول : المعاء الدقيق أم الغليظ . . .؟

* المعاء الدقيق أطول بكثير . . . بنحو خمسة أضعاف . .
* المعاء الغليظ هو الأطول . . فهو يبلغ ضعفي طول المعاء الدقيق ولكنه لا يبدو كذلك نظراً لغلظته
* متعادلان في الطول تقريبا .

١١ ـ أيها الصحيح لغة : أن نقول العشرة تبلغ ضعف الخمسة ، أم العشرة تبلغ ضعفي الخمسة . .

١٢ ـ أيها أكبر . . البليون أم التريليون . . .؟

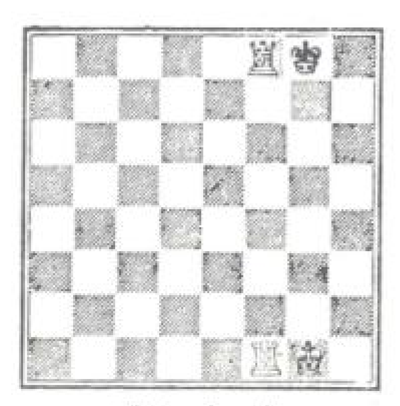




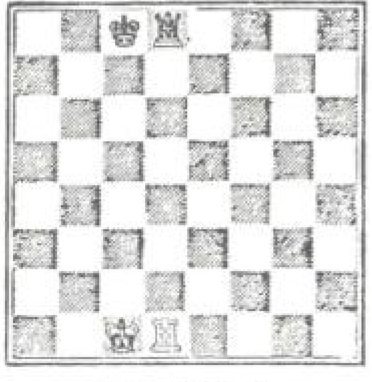
« الشطرنج يسبغ على العقل أسمى آيات النبل »
فولتير



التبييت نقلة قد تحدث أو لا تحدث مرة واحدة في الدور لدى أحد اللاعبين او كليهما ، ويرجع تاريخ هذه النقلة الى القرن السادس الميلادي وقد استحدثت حينئذ لتضفى على اللعب المزيد من الاثارة والحيوية والتشويق . والتبييت على نوعين : تبييت قصير وتبييت طويل ، فأما الأول والذى ترمز اليه بالحرف « ت » فيتم في جناح الملك في حين يتم الثاني والذي ترمز اليه بالحرفين « ت ت » في جناح الوزير . والتبييت عبارة عن نقلة مزدوجة للملك والرخ في آن واحد . . ففي التبييت القصير أي في جناح الملك ينتقل الملك من خانته الأصلية مربعين الى اليمين ، وينتقل الرخ من خانته الأصلية مربعين الى اليسار (انظر الشكل)


التبييت في جناح الملك

أما التبييت في جناح الوزير فينتقل فيه الملك من مكانه الأصلي على الرقعة خانتين الى اليسار ، وينتقل الرخ في نفس الوقت ثلاث خانات الى اليمين . (انظر الشكل)


التبييت في جناح الوزير

ولا بد للقيام بهذه النقلة من توفر الشروط التالية :

١ ـ ألا يكون قد سبق وتحرك أي من الملك أو الرخ من مكانه .

٢ ـ ان تكون الخانات الفاصلة بين الملك والرخ خالية وغير مشغولة بأية قطعة أخرى .

٣ ـ ألا يكون الملك في حالة « كش »

مسألة شطرنجية :



الأبيض يلعب ويكش مات بست نقلات

٤ ـ ألا يمر الملك أثناء القيام بهذه النقلة أو يحل بخانة او بيت مضروب باحدى قطع الخصم .

ومن أهم مزايا هذه النقلة انها تنقل الملك الى مكان حصين وتبعده عن مواطن الخطر ، كما أنها تمهد الطريق لتطوير الرخ وتتيح أمامه الفرصة لاحتلال وسط الرقعة وهي من الأهداف التي ينبغي على اللاعب ان يسعى لتحقيقها منذ النقلات الأولى من الدور .

ومن الأمور التي يجدر الانتباه اليها عند التبييت الابتداء بنقل الشاه أو الملك أولا قبل الرخ ، والا كان من حق الخصم ان يفرض عليك اللعب بالرخ فقط اذا ابتدأت النقلة به .

طرفة شطرنجية

في إحدى المباريات الودية ضحى أحد اللاعبين فرسه للحصول على مركز ممتاز يمكنه من الفتك بخصمه لو قبل التضحية والتهم الطعم ولكن الخصم تنبه الى الشرك المنصوب له وقال ضاحكا :

« لو أن سرجها من ذهب فلست آخذها »

تساءل عدد كبير من القراء حول الرموز الشطرنجية لذلك ، نرجو الرجوع الى العربي عدد يناير وعدد فبراير ١٩٨٣ حيث نشرنا هذه الرموز بالتفصيل .

حل المسألة اقلب الصفحة

الحل :

١ : ر-٨م+ ف-١و
٢ : رxف+ رxر
٣ : ح-٧ف+ م-١ح
٤ : ح-٦ر++ (كش مضاعف) م-١ر
٥ : و-٨ح+ رxو
٦ : ح-٧ف#

مِنَ المسرح العالمي

سلسلة ثقافية
تصدرها في مطلع كل شهر
وزارة الإعلام في الكويت

أول اغسطس ١٩٨٣

١٦٧

١- الطرواديات
٢- أندروماخى

تأليف : يوريبيديس - ع
ترجمة : اسماعيل البنهاوى
مراجعة : د. أحمد عثمان

ما هو الشيئ المشترك بين هؤلاء الأشخاص؟

بنك الكويت الوطني طبعاً.

لكل منهم إحتياجات مالية ومصرفية مختلفة، لهذا فهم يتعاملون مع بنك الكويت الوطني.

الجميع، من أطباء ومدراء شركات ورجال أعمال وحتى الأطفال، كلهم يجدون لدى بنك الكويت الوطني خدمات شاملة تناسب كافة المتطلبات والأعمار.

حسابات إدخار، حسابات جارية، حسابات أمانات، قروض شخصية، حسابات إيداع، شيكات سياحية وشهادات إدخار، جميع فروع بنك الكويت الوطني تقدم شيئاً مشتركاً، الخدمة التي تحتاجها.

لكافة احتياجاتكم المالية، اتصلوا بأي فرع من فروعنا الأربعين المنتشرة في كافة أنحاء الكويت.



بنك الكويت الوطني ش.م.ك.

شارع عبدالله السالم - ص.ب ٩٥ صفاة، الكويت - تلفون: ٤٢٢٠١١ (٢٠ خطاً) - برقياً: ناشيونال - تلكس: ٢٢٤٥١



سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت

اغسطس / آب
١٩٨٣

الثقافة الألبانية في الأبجدية العربية

تأليف :
الدكتور محمد موفاكو

٥٠٠ فلس

الكتاب الثامن والستون

المراسلات :
توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص ب ٢٣٩٩٦ الكويت

هنالك مجموعة مصرفية واحدة فقط في العالم تساهم فيها الدول العربية جميعاً

منذ اثني عشر عاما نشأت فكرة تكوين مجموعة مصرفية فريدة من نوعها تشارك فيها كل دولة عربية ، ممثلة بواحدة او اكثر من مؤسساتها المصرفية أو المالية ، ومن ثم ترتبط هذه المجموعة عن طريق المشاركة في راس مالها مع كبريات المصارف العاملة في المراكز المالية الدولية ، التي تتواجد فيها بنوك المجموعة ، بحيث تهيء كافة الأسباب لتنشيط التجارة بين الدول العربية وبقية انحاء العالم .

وقد أصبحت هذه الأمنية ، اليوم ، حقيقة ناطقة فالدول العربية الاثنتان والعشرون ممثلة كلها في المجموعة عن طريق ٢٦ مؤسسة من مختلف هذه الدول . وبالاضافة الى ذلك فان ٢٣ من كبريات المؤسسات الدولية تساهم في بنوك المجموعة الى جانب المؤسسات العربية بغية تحقيق اهدافنا المشتركة .

وهذا كله يجعل مجموعة بنوك اليوباف AL UBAF BANKING GROUP متميزة عن كل ما عداها ، اذ ان أية مؤسسة تسعى الى القيام بعمل تجاري في أي جزء من العالم العربي ، ستكون على يقين بأن في امكانها ان تعتبر المجموعة بمثابة شريك لها بصورة او اخرى فيما تستهدفه من مشاريع أو عمليات نظرا لتنوع أنشطة بنوك المجموعة وشمولها لمختلف القطاعات المصرفية .

فان اردت السوق النقدية ، وجدت ان رقم اعمالنا في عام ١٩٨٢ بلغ ٣٠٠ مليار دولار ، وان اجتذبتك عمليات تمويل التجارة الخارجية الفيتنا في الصف الاول برقم اعمال يتجاوز الـ ٦ مليار دولار ، كذلك فان مجموعتنا رائدة في مجال تنظيم وادارة القروض المشتركة SYNDICATED LOANS اذ بلغ اجمالي القروض التي شاركنا في ادارتها او تنظيمها ، في ذات العام ، ٦٢ مليار دولار .

وقد بلغ اجمالي اصول بنوك اليوباف ١٤ مليار دولار .



البحرين	بنك اليوباف العربي الدولي
هونغ كونغ	يوباف انترناشونال ليمتد
لندن	يوباف بنك ليمتد . يوباف المحدود للخدمات المالية
لوكسمبورغ	يوباي البنك العربي الالماني . فرع في فرانكفورت ماين
نيويورك	البنك العربي الامريكي . يوباف . فرع في جزر كايمان
باريس	اتحاد المصارف العربية والفرنسية (يوباف)
	فروع في البحرين . سيول . سنغافورة . طوكيو
روما	يوباي البنك العربي الايطالي مكتب تمثيل في ميلانو
بيروت	مكتب تمثيل
القاهرة	مكتب تمثيل

المجلة العربية للعلوم الإنسانية

مجلة فصلية محكمة ، تقدم البحوث الاصيلة والدراسات الميدانية والتطبيقية في شتى فروع العلوم الانسانية والاجتماعية باللغتين العربية والانجليزية .

تصدر عن جامعة الكويت

صدر العدد الأول في يناير ١٩٨١

- تتناول المجلة الجوانب المختلفة للعلوم الانسانية والاجتماعية بما يخدم القارىء والمثقف والمتخصص .
- تعالج موضوعات المجلة الميادين التالية :
  اللغويات النظرية والتطبيقية - الآداب والآداب المقارنة - الدراسات الفلسفية الدراسات النفسية - الدراسات الاجتماعية المتصلة بالعلوم الانسانية - الدراسات التاريخية - الدراسات الجغرافية - الدراسات التربوية - الدراسات حول الفنون (الموسيقى - التراث الشعبي - الفنون التشكيلية - النحت ... الخ) - الدراسات الاثارية (الاركيولوجية) .
- تقدم المجلة معالجاتها من خلال نشر :
  البحوث والدراسات - مراجعات الكتب - التقارير العلمية - المناقشات الفكرية .
- مواعيد صدور المجلة : كانون ثاني - نيسان - تموز - تشرين أول .
- تنشر المجلة ملخصات للبحوث العربية بالانجليزية ، وملخصات بالعربية للبحوث الانجليزية .

ثمن العدد : للأفراد ٤٠٠ فلس

للطلاب ٢٠٠ فلس

الاشتراكات السنوية

	داخل الكويت	في الخارج
- للمؤسسات	١٠ د.ك.	٤٠ دولاراً أمريكيا
- للأفراد	٢ د.ك.	١٥ دولاراً أمريكيا
- للاساتذة والطلاب	١ د.ك.	١٠ دولارات أمريكية

- تقبل الاشتراكات في المجلة لمدة سنة أو عدة سنوات .
- قواعد النشر تطلب من رئيس التحرير .
- جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير :

ص.ب : ٢٦٥٨٥ (الصفاة)

الكويت - الشويخ - ت : ٨٢١٦٣٩ - ٨١٧٦٨٩ - ٨١٥٤٥٣

مجلة
دراسات الخليج والجزيرة العربية

تصدر عن جامعة الكويت

رئيس التحرير
الدكتور عبد الله الغنيم

صدر العدد الأول في كانون ثاني (يناير) ١٩٧٥

تصل أعدادها الى أيدي نحو ١٢٥٫٠٠٠ قارئ

يحتوي كل عدد على حوالى ٢٥٠ صفحة من القطع الكبير تشتمل على : -

- مجموعة من الأبحاث تعالج الشئون المختلفة للمنطقة بأقلام عدد من كبار الكتاب المتخصصين في هذه الشئون .
- عدد من المراجعات لطائفة من أهم الكتب التي تبحث في النواحي المختلفة للمنطقة .
- أبواب ثابتة : تقارير - وثائق - يوميات - بيبليوجرافيا .
- ملخصات للأبحاث باللغة الانجليزية .

ثمن العدد : ٥٠٠ فلس كويتي أو ما يعادلها في الخارج .

الاشتراكات : للأفراد سنويا ديناران كويتيان في الكويت ، ١٥ دولارا أمريكيا في الخارج (بالبريد الجوي)

للشركات والمؤسسات والدوائر الرسمية : ١٢ دينارا كويتيا في الكويت ، ٤٠ دولارا أمريكيا في الخارج (بالبريد الجوي) .

منشورات المجلة :

تصدر المجلة أيضا دراسات مستقلة متعلقة بشئون المنطقة صدر منها

١ - كتاب التكامل الاقتصادي في الخليج العربي (د . محمد هشام خواجكية) . ١٩٧٩ .
٢ - كتاب آفاق التنمية الصناعية في دول الخليج العربي (د . عبد الاله أبو عياش) . ١٩٧٩ .
٣ - كتاب حقوق الطفل في دولة الكويت (د . بدرية العوضي) . ١٩٧٩ .
٤ - كتاب الاحصاءات الاقتصادية في المملكة العربية السعودية (بدوي خليل) ١٩٨٠ .
٥ - دور جريدة فتاة الجزيرة في أحداث عام ١٩٤٨ بصنعاء (سلطان ناجي) ١٩٨٠ .

سلسلة وثائق الخليج والجزيرة العربية لعام صدر منها :

الكتاب الأول : وثائق الخليج والجزيرة العربية لعام ١٩٧٧ . ١٩٧٩ .

العنوان : جامعة الكويت - كلية الآداب والتربية - الشويخ - دولة الكويت .
ص . ب : ١٧٠٧٣ - الخالدية
الهاتف : ٨١٦٨٠٧ - ٨١٦٧٩٩ - ٨١٦٨٢

جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير .

أفكار مسلية من
توشيبا

AUTO REVERSE DR-01

تتلخص أفكار توشيبا الكثيرة في استخدام الخبرات التقنية المبدعة لجعل أجهزة التسلية المنزلية أكثر تشويقاً وإثارة.

فجهاز الفيديو مثلاً إضافة إلى أن فيه منظم آلي للفلطية فهو قابل للتعديل حسب أنظمة بال، سيكام وإن. تي. أس. سي. كما أن معادلة ٢. في ١ التي نتبعها هي الأولى التي تقدم لكم جهاز تسجيل يعمل دون توقف وذاتي الإنعكاس (أوتو ريفيرس). جربوا أيضاً أفكار التسلية الأخرى التي نتيحها لكم.



HR-01 AUTO REVERSE

- قوة الخرج ٣٢ واط (الحد الأقصى)
- أربع موجات (اف. ام/متوسطة/قصيرة ١/قصيرة ٢)
- نظام ستريو
- نظام مكبرات صوت قابلة للفصل





V-9680

Beta β

- بال/سيكام/إن. تي. أس. سي ٤،٤٣
- آلية للتحكم عن بعد
- منظم آلي للفلطية ٩٠ - ٢٥٠ فولت



C-2057QB

- جهاز ٢٠ إنشاً - بلاك سترايب ٢
- بال/سيكام/ان. تي. أس. سي ٣،٥٨/٤،٤٣
- منظم آلي للفلطية





تبريد ٣ غرف نهاراً و ٣ غرف أخرى ليلاً
باستخدام جهاز خارجي واحد فقط

نظام واحد لتبريد ٦ غرف

ترى - كون من سانيو يخفض تكاليف وضوضاء ومعدات تكييف الهواء، بتوفير جهاز خارجي واحد ٥٤,٠٠٠ بي تي يو/ساعة لنظام من ٣ وحدات داخلية وتحويله لتبريد ٣ وحدات داخلية أخرى . وهكذا يمكنك تبريد غرفة الجلوس وغرفة الطعام والمطبخ نهاراً و ٣ غرف للنوم ليلاً . لضمان الرفاهية في النهار/ والليل للعائلة بكاملها .

٣ أنواع من الوحدات الداخلية

تتيح لك سانيو الاختيار بين الوحدات التي تثبت على السقف أو الحائط أو الأرضية باعتماد أجهزة تحكم خاصة لوحدات ترى - كون الستة في الداخل .

تشغيل هادئ جداً

تستخدم ترى - كون كمبريسور سانيو الدوار لهدوئه الموثوق في الخارج فقط وتبقى الوحدات الداخلية هادئة تماماً .

إستعمالات متنوعة إضافية

تفتخر أنظمة ترى - كون باستعمالاتها المتنوعة لقوة تبريدها وهدوئها في المكاتب والمطاعم ، إضافة إلى المنازل حيث تبقى ٣ غرف مكيفة باستخدام جهاز خارجي واحد فقط .

TRI-CON

مكيف هواء متعدد الفواصل

إختر ما يناسبك من طراز الـ ٣ وحدات (كل وحدة توفر ١٨,٠٠٠ بي تي يو/ساعة)



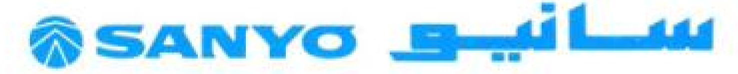
SAP-T180B
وحدة داخلية طراز السقف

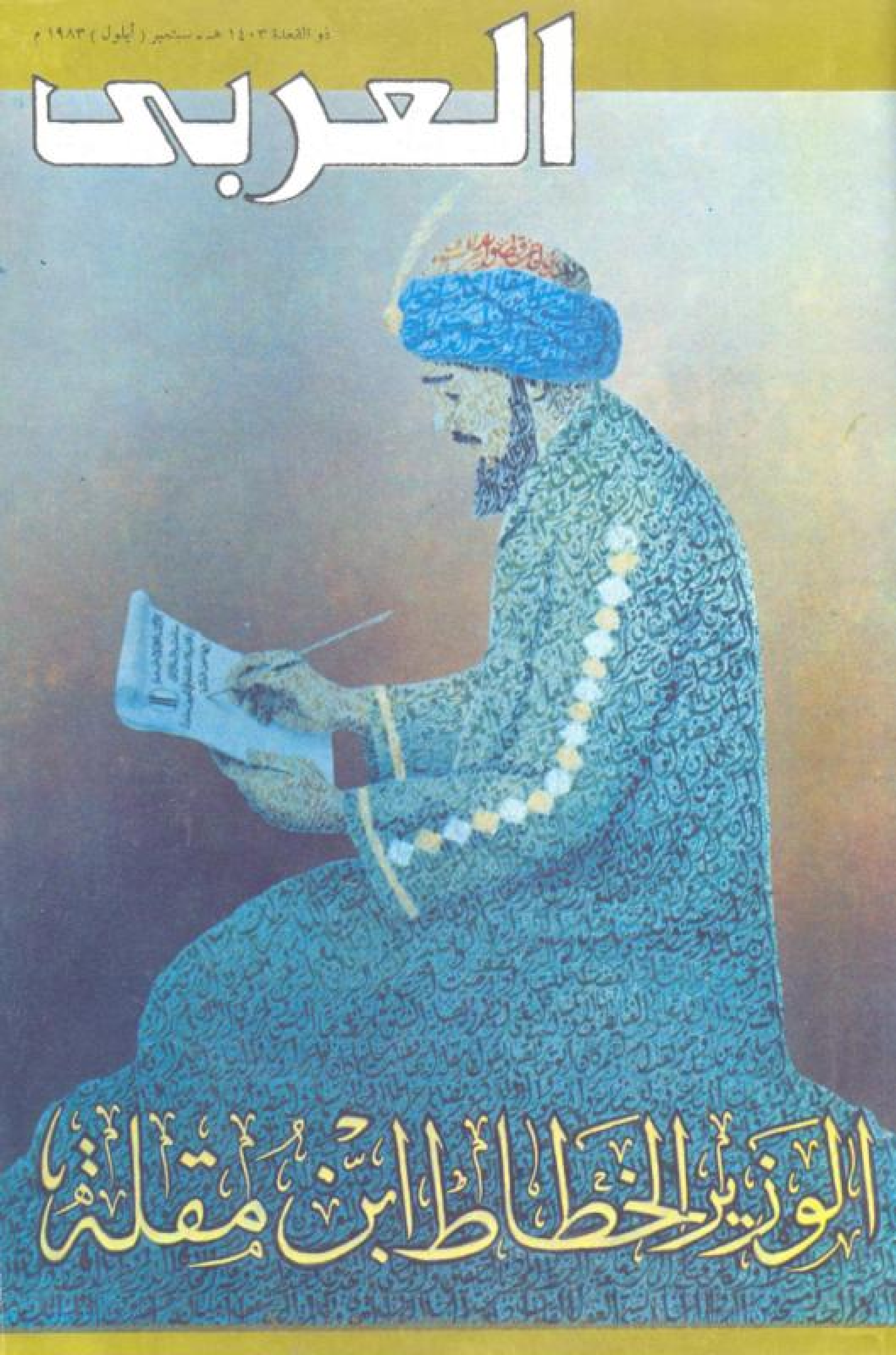
SAP-K180B
وحدة داخلية طراز الحائط .

SAP-MC543B
وحدة خارجية .



SAP-F180B
وحدة داخلية طراز الأرضية .





ذو القعدة ١٤٠٣ هـ ـ سبتمبر (أيلول) ١٩٨٣ م
العربي
الوزير الخطاط ابن مقلة

NBK. Number one in London.

كافة الخدمات المصرفية

يقدمها لك بنك الكويت الوطني عند زيارتك القادمة للندن

يسر بنك الكويت الوطني، رائد البنوك الكويتية، ان يعلن عن افتتاح فرع ثالث له في لندن مثبتاً بذلك وجوده على الساحة العالمية الذي يشتمل أيضاً على فرع تمثيل في سنغافورة وشبكة عالمية تشمل اكثر من ٧٥٠ بنكاً مراسلاً.

فرعنا في بيشوبس جايت تأسس لمساعدة الشركات في تطوير عملياتها الخارجية. وبالاضافة الى الخدمات المصرفية الشخصية يقدم فرعنا خدمات مالية شاملة كالقروض المشتركة، تمويل الشركات، تبديل العملات، إيداعات بالعملات الأوروبية، وتمويل للعمليات التجارية كفتح الاعتمادات واصدار الكفالات المصرفية. هذا بالاضافة الى خدمات إدارة الاستثمارات والمشاريع العقارية المتوفرة من بنك الكويت الوطني لما وراء البحار (لندن) على العنوان نفسه.

فرعنا في الويست اند من لندن تأسس خصيصاً لمساعدة الزوار الكويتيين في جعل زيارتهم للندن كاملة وذلك بتقديم النصح لهم وتوفير مجموعة شاملة من الخدمات المصرفية الشخصية.

خدمات الفرع تشمل: الحسابات الجارية وحسابات الايداع، منح القروض، أوامر الدفع الثابتة لتسديد الفواتير، خدمة تبديل العملات، شراء وبيع الأوراق النقدية والشيكات السياحية.

كما تستطيع صرف شيكات على حسابك بالدينار الكويتي أو استعمال بطاقة الداينرز كلوب لسحب ما تحتاجه من النقد من حسابك في الكويت. أوقات الدوام كالآتي: من الاثنين الى الجمعة ٩,٣٠ إلى ٣,٣٠ بعد الظهر، أيام السبت من ٩,٣٠ حتى ١٢,٣٠ بعد الظهر.

لتكن زيارتك للندن كاملة وذلك باتصالك بمدير فرعنا فور وصولك وكن على ثقة بأنك ستكون موضع عنايتنا وخدمتنا المميزة.

بنك الكويت الوطني ش.م.ك

The National Bank of Kuwait SAK



عزيزي القارئ

تحتفل « العربي » في ديسمبر المقبل بيوبيلها الفضي ، بعد ان قضت خمسة وعشرين عاما تحمل مشعل الثقافة العربية ، وهي مناسبة هامة لتجديد شبابها ، والمحافظة على حيويتها كنقطة لقاء وحوار بين المثقفين العرب . مهما تعددت منابعهم الفكرية من أجل أن تحافظ على انجازاتها في خدمة الثقافة العربية . .

فماذا تقدم « العربي » للقارىء من أجل انطلاقة جديدة في هذه المناسبة ؟ .

*تتوالى علينا رسائل القراء تطالب ببعض اعداد العربي التي نفدت ، فقررنا ان نقوم بتصوير اعداد العربي خلال ربع قرن على الميكروفيلم ، وتوفيرها للقراء والباحثين ومراكز الابحاث .

*ومن جانب آخر انتهى مشروع كتاب « العربي » الذي نجمع فيه مقالات كتبها للعربي كاتب واحد ، في حجم يسهل حمله واقتناؤه ، مما يسد حاجة القراء الذين يسعون لاقتناء مادة بعينها لكاتب بذاته ، ويواجهون صعوبة متزايدة في حفظ اعدادها ، وسيضم الكتاب الأول مقالات الدكتور أحمد زكي طيب الله ثراه . .

*كما ستعقد العربي ندوة خاصة حول رسالة المجلات الثقافية في مطلع النهضة العربية منذ « العروة الوثقى » و « المنار » ، مرورا بمجلات المقتطف ، والرسالة ، والهلال ، وحتى « العربي » .

وستضم الندوة صفوة من المفكرين العرب ، وحددنا موعدا لانعقادها في يناير القادم في الكويت .

وتمضي في التزامنا الذي تحدد منذ العدد الاول في ديسمبر ١٩٥٨ بأن تكون « العربي » للفكرة العربية خالصة ، ولكل ما يتمخض عن الفكرة العربية من معان ، فهي ضد الجهل ومع المعرفة ، في الوطن العربي كله ، وهي ضد المرض ومع الصحة ، ومن الصحة صحة العقول ، وهي ضد الفقر ومع الغنى ، ومن الغنى ما تطلبه للفقير ليستغني وتطلب له من أجل ذلك التعليم الطويل ، والتثقيف الواسع ، والتدريب الصادق ، ليعمل مخلصا ، ويعيش من عمله عيشة كريمة .

وما زلنا على الدرب ماضين . . .

المحرر



العدد ٢٩٨ ـ سبتمبر ١٩٨٣

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

رئيس التحرير: الدكتور محمد الرميحي

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت للوطن العربي وكل قارىء للعربية في العالم. الوزارة غير مسؤولة عما ينشر فيها من آراء. والمجلة غير ملتزمة باعادة أي مادة تتلقاها للنشر.

ثمن العدد. بالكويت ٢٠٠ فلس، السعودية ٤ ريالات، العراق ٢٠٠ فلس، الأردن ٢٠٠ فلس، سوريا ٢٠٠ قرش، لبنان ٢٠٠ قرش، مصر ١٥٠ مليما، السودان ١٥٠ مليما، المغرب ٣ دراهم، تونس ٣٥٠ مليما، الجزائر ٣ دنانير، البحرين ٣٠٠ فلس، قطر ٤ ريالات، الامارات العربية المتحدة ٤ دراهم، سلطنة عمان ٢٥٠ بيسه (١/٢ ريال عماني)، اليمن الشمالي ٣ ريالات، اليمن الجنوبي ٢٥٠ فلسا، ليبيا ٢٥٠ درهما.

الاعلانات: يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراسلات: باسم رئيس التحرير

عنوان المجلة بالكويت: صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤١ ٤٦٨٢٤٢

تلغرافيا «العربي»

الاشتراكات

ترسل الطلبات الى:

قسم الاشتراكات
المكتب الفني ـ وزارة الاعلام
ص. ب (١٩٣) ـ دولة الكويت

على طالب الاشتراك تحويل قيمة الاشتراك بموجب حوالة مصرفية أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الاعلام، طبقا لما يلي:

البلاد العربية ٣٫٥٠٠ (ثلاثة دنانير ونصف)
بلاد غير عربية ٥٫٠٠٠ (خمسة دنانير)

Al - ARABI No. 298 Sebtember, 1983
P. O. Box 748, KUWAIT

محتويات العدد

قضايا عامة

عروبة واسلام



صورة الغلاف

● الوزير الخطاط ابن مقلة ... انسان أمضى أقسى رحلة عذاب مع الزمن ... احتسى كأس المرارة حتى آخر قطرة .. ويمر الوقت البائس من عمره ، وتحفر مأساته في ضمير التاريخ بحروف سوداء لطختها دماؤه الزكية ..

(اقرأ ص ٩١)

طب وعلوم

آداب وفنون

منتدى العربي

علم نفس واجتماع

لمسة وفاء



● مر عام على رحيل خالد العدساني الاديب السياسي . وفي هذا المقال يتذكر صديقه عبدالله زكريا الانصاري ، دور الرجل في الحياة النيابية في الكويت عندما كان سكرتيرا لمجلس الأمة ... لمسة وفاء سطر حروفها رفيق عمره .

(اقرأ المقال ص ٣٢) .



على الطريق بين دول مجلس التعاون

● قامت « العربي » برحلة لعلها الأولى من نوعها ... انطلقت من الكويت بالسيارة عبر الطريق الذي يربط بين دول مجلس التعاون الخليجي من المنطقة الشرقية في السعودية .. وسجلت على الطبيعة الروابط القوية التي قامت لتبقى وتنتعش .

(اقرأ قصة الرحلة ص ٦٨) .

الصهيونية العالمية

● ما قصة الصهيونية العالمية ... كيف تمكنت من اقتحام أهم المؤسسات الأمريكية والتأثير عليها خلال العقود الأربعة الماضية دون مهاجمة جادة من العرب ؟ كيف تستطيع أن تعلل التبني للحركة الصهيونية ؟

(اقرأ الاجابة على هذه الأسئلة في المقال ص ١٧) .

تاريخ وشخصيات

استطلاعات مصورة



أسرار المؤامرة

● تريجفي لي ، أول أمين عام للأمم المتحدة ، اقتحم مشكلة فلسطين بكل ما لديه من قوة ونفوذ ... وكان الهدف الذي سعى من أجل تحقيقه هو تقسيم فلسطين ونجح الأمين العام بفضل المؤامرات الصهيونية ومن ورائها الدول الكبرى ، اقرأ القصة كما يرويها الدبلوماسي الذي عاصر أحداث المؤامرة ص ٤٤ » .



في بيت نهرو

○ دخلم « العربي » بيت نهرو في نيودلهي ... البيت الذي تحول اليوم بعد ذهاب الرجل الذي أسس الهند الحديثة ، الى نصب تذكاري ومتحف ... وعاشت « العربي » لحظات مع التاريخ ومع الذكريات التي امتلأ بها بيت الشعب ..

(اقرأ الاستطلاع ص ١٣١) .

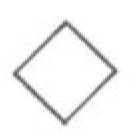
في عالم الطفل

○ هناك بين أحلام الطفولة يشعر المرء بأنه حر ... هذه محاولة قام بها كاتب هذا المقال في عالم الطفل ، أراد من خلالها أن يرى العالم بعيونهم الصغيرة ، ترى كيف وجده ؟ . كيف كان حواره مع البراعم التي لم تتفتح بعد ؟

(اقرأ ص ١٤٨) .



أبواب ثابته



مملكة النحل .. الأسطورة !

○ مملكة النحل حيث العمل ، والعسل ، أكثر من مجرد حياة في خلية ، انها أسطورة ملأت قصتها الكتب ... وكاتب المقال يروي لنا رحلة النحلة وكيف تبدأ ومتى تنتهي ؟ ... انها مع الخاتمة تقدم لنا أحلى مذاق لأحلى غذاء ..

(اقرأ ص ١٤٠) .



حديث الشهر

الإنســان

نعم . . . كم يبلغ جهل الانسان بنفسه ؟ . وبعد السنوات الطوال التي قضاها في سبر اغوار كونه وبيئته . . . هل وصل الى معرفة نفسه المعرفة الحقة ؟

ان اجبنا على السؤال السابق بنعم او بلا ، وبالشكل القطعي نقع في المحذور الذي نحاول تفاديه ، فليس هناك حتى الآن اجابة قطعية عمّا اذا كان الانسان يعرف نفسه معرفة كاملة شاملة أم لا ؟

يعرف الانسان بعضا من مكونات نفسه وتركيب جسمه ودوافع علاقاته نعم ، ولكنه في نفس الوقت يجهل الكثير منها أو هو يتجاهل ذاك الكثير .

من أفضل الدراسات التي طالعتها في هذا الموضوع كتاب أصدره المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت وعنوانه « بنو الانسان » وقد ترجمه الاستاذ / زهير الكرمي* .

« بنو الانسان » كتاب يعالج القضية التي اثرناها سابقا ، وهي مدى معرفة الانسان بنفسه ومدى علاقته ببيئته والطبيعة المحيطة به وهو يضع أمام القراء حقائق جديدة . . وأيضا ممتعة في طريق اكمال معرفة الانسان بذاته .

من هو الانسان ؟

هل الانسان قرد أم ملاك ؟ أم هو بين هذا وذاك ؟ يعالج الكتاب في بدايته

---

* بنو الانسان ـ من سلسلة عالم المعرفة ـ المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت يوليو ١٩٨٣ .
وكان قد صدر بالانجليزية في سنة ١٩٧٩ تحت عنوان : Human Kind By PETER FARB .

بقلم
الدكتور محمد الرميحي

ما أجهله

التعريفات الكثيرة للانسان ، وهل هو الحكيم الماهر ؟ الا ان بعض الحيوانات الأقل رقيا من الانسان تأتي بسلوك وأفعال يبدو عليها انها عقلانية ، ثم هل هو الوحيد بين أصناف الحيوانات التي تستعمل الادوات ؟ ولكن هناك انواعا عديدة من الحيوانات ـ يذكرها الكتاب ـ تستخدم أشكالا مختلفة من الادوات ، وبعد مناقشة مستفيضة وصل الكتاب الى تقرير (أن البحث عن صفة مميزة للانسان أمر غير ذي جدوى ، فالعلماء يعلمون أن الهوة التي تفصل بين الانسان والحيوان ليست بالاتساع الذي كانت تبدو عليه في الماضي) !

وقد شاع أحد تعريفات الانسان في وقت ما .. انه « حيوان منتصب » أي يقف على رجلين ، الا انه ليس الوحيد ـ لا في الماضي ولا في الحاضر ـ المتميز بهذه الصفة ، فالطيور والسحالي والدببة وانواع حيوانية أخرى تسير على رجلين ، كل الوقت أو بعض الوقت ، الا ان الحقيقة الاخرى أن يد الانسان تساعد بشكل ملحوظ على توازنه في مشيته .

الا ان من أبرز الصفات الانسانية المميزة انه يهتم كثيرا بمعرفة هويته ـ اكثر من أي حيوان آخر ، هذه الصفة التي تجعله يبحث بعناد منقطع النظير في تاريخه ، كما أن الصفة الاخرى التي يؤكد العلماء أيضا بأنها لصيقة بالانسان هي انه (حيوان اجتماعي) فالطفل الانساني هو الوحيد الذي يحتاج الى رعاية اجتماعية بعد أن يولد ولفترة يتمثل فيها قيم ومفاهيم المجتمع الذي يولد فيه من خلال اللغة ، فبدون ذلك لا يتمثل هذا الوليد طبائع البشر . ويذكر لنا الكتاب تجربة قاسية ولكنها طريفة لاختبار هذا الموضوع فيما قبل ، ان فردريك الثاني حاكم صقلية في القرن الثالث عشر أمر باجرائها ، وكانت

الفكرة التي يراد اختبارها : أية لغة وبأى أسلوب سيتكلم الاطفال فيما لو عزلوا منذ الصغر ؟ لذلك أمر بدفع عدد من الاطفال حديثي الولادة الى مرضعات ومربيات يعتنين بهم ، ولكن دون ان يصدر عن المربيات أى صوت (لا مناغاة ولا كلاما) ، ولكن الجهد ذهب عبثا اذ مات جميع الاطفال الذين وضعوا تحت هذه التجربة .

وتتقاطر الحقائق العلمية حول أهمية المجتمع والعناية الأسرية بالأطفال حتى يمكن ان يشبوا متوازنين ، ففي بداية القرن الحالي لوحظ في أحد مستشفيات الولايات المتحدة ان نسبة هائلة من الاطفال قد ماتوا بعد أن أدخلوا الى الميآتم ودور الحضانة رغم الطعام الجيد والعناية الطبية الفائقة .

وتتعزز الخاصية الاجتماعية للانسان من تكوينه للعائلة فقد ثبت انه رغم اختلاف التنظيمات العائلية الموجودة في المجتمعات الانسانية المختلفة ، الا انها جميعا تشترك في خاصية واحدة وهي (ان ذكورا معينين يكونون على علاقة دائمة أو شبه دائمة مع اناث بعينهن ، ومع نسل اولئك الاناث ، وفي اطار العائلة يفترض في الذكر والانثى على السواء تحمل واجبات ومسئولية متبادلة تجاه الصغار ، حتى لو لم يكن الذكر أبا لهؤلاء الصغار .)

ذلك هو الاب الاجتماعي ـ بجانب الاب البيولوجي الشائع اليوم .

فالانسان إذن حيوان اجتماعي ذو قدرات عامة متخصصة ، فبصره أضعف كثيرا من بصر النسر ، وشمه أضعف من شم الكلب ، وسرعة ركضه اقل من سرعة ركض الغزال ، ولا يملك قوة الأسد ، الا انه يبصر ويشم ويركض بدرجة لا بأس بها ، فالانسان « متخصص في عدم التخصص » .

الانسان لا يختلف كثيرا في بنية جسمه عن الحيوانات القريبة الشبه به ، ولكنه يختلف اختلافا كبيرا عنها في طريقة سلوكه وقوة تكيفه . فالانسان دون الحيوانات الاخرى ـ باستثناء الكلب والقوارض والقمل ـ يستطيع ان يعيش في جميع البيئات الجغرافية .

الانسان ذاك النوع الخاص

من أكبر الدلائل التي تعزز علاقة الانسان بمن حوله ـ وكونه ـ حيوانا اجتماعيا ـ استخدامه للغة ، فللغة قدرة على الرمز والتواصل ، وعلى الرغم من المحاولات العلمية العديدة لتعليم القردة العليا القدرة على التخاطب ،

الا ان هذه القدرة ـ رغم المجهود ـ ظلت محدودة ، فالانسان يستطيع تحويل الجمل من صيغة المبنى للمعلوم الى صيغة المبنى للمجهول ، ويميز الفروق الدقيقة بين معاني كلمات مترادفة أو متشابهة ، وكذلك يمكن ان يستخدم اللغة كطريقة خداع وتورية . واللغة تسمح لبني الانسان بأن يرتفعوا فوق القيود التي تفرضها عليهم بيئتهم وتعطيهم الفرص للانطلاق الى ما وراء هذه البيئة . ولا يمكن للأصوات التي تصدرها بعض الحيوانات الأخرى أن ترقى الى مستوى التخاطب الذي تفعله اللغة لدى الانسان ، وهي في معظمها ردود أفعال في شكل صيحات أطلق عليها بعض العلماء اسم (نداء الغذاء) وما هي في الحقيقة الا مجرد تعبير عن شعور بالاثارة أو الفرح ، كثيرا ما تكون مرتبطة باكتشاف الغذاء ، غير أنها ترتبط أيضا بحالات أخرى .

فاللغة الانسانية هي الوسيط الاجتماعي ، فهي ليست مطبوعة في صميم النوع الانساني ، والا لتكلم جميع البشر لغة واحدة أو لغات متقاربة ، وعلى العكس من ذلك نجد مثلا أن جميع الكلاب التي تتبع فصيلة معينة تصدر نباحا متشابها سواء ولد الكلب من تلك الفصيلة في أمريكا أو اوربا أو آسيا أو اية قارة أخرى . فاللغة الانسانية اصطلاحية ، والبشر يولدون ولديهم قدرة داخلية تجعلهم يتكلمون لغة ، ولكن اللغة التي يتكلمونها يقررها اصطلاحيا المجتمع الذي يولدون ويتربون فيه ، كما ان للغة الانسانية أنظمة مفتوحة تساعد المتكلمين بها ان يبدعوا باستمرار جملا جديدة ، كما ان من صفات اللغة الانسانية أنها تجعل الانسان قادرا على نقل معلومات عن ازمان سابقة واماكن بعيدة .

ولكن هل اللغة الانسانية قديمة ؟

يؤكد الكتاب انه لا احد يعرف على وجه اليقين .. متى وكيف حدثت اعادة تنظيم الدماغ الانساني التي جعلت اللغة ممكنة ، فقد كان الخلاف حول تاريخ اصول الكلام الانساني محتدما لدرجة انه منذ عام ١٨٦٦ أقرت الجمعية اللغوية في باريس قاعدة تمنع بها أى بحث في أصول اللغة في اجتماعاتها . الا ان الكتاب يؤكد من خلال الدراسات العلمية ان اللغة نشأت حديثا أى قبل حوالى اربعين الف سنة فقط !

السلوك والتكيف

من الحقائق الملفتة للانتباه أن أعداد بني الانسان منذ خلقه الله على الارض

حتى اليوم حوالي (مائة بليون) نسمة ، ومن هذا المجموع التقريبي كان هناك فقط ٦٪ من المزارعين و ٤٪ عاشوا في مجتمعات صناعية ، أما الـ ٩٠٪ من المجموع فقد كانوا صيادين وجامعي ثمار !

علينا ان نتخيل ذلك بشكل آخر ، فقد مرّ على بدء الزراعة فقط حوالى ٥٠٠ جيل انساني ، وأقل من ذلك بكثير منذ العهد الصناعي الحديث ، فالخصائص التكيفية التي اكتسبها خلال فترة معيشته كصياد وجامع ثمار مازالت توفر أسس تكيفه مع العالم الحديث . ويفيض الكتاب في شرح اشكال تكيف الانسان لطرائق الصيد وجمع الثمار ومقارنتها بحياته اليوم ، فلا تزال (شهية الصياد) باقية مع الانسان حتى اليوم في الوقت الذي كان فيه (الانسان الصياد) يملأ معدته عندما يتوفر له الطعام تحسبا من فقدانه في الايام التالية ، ومازال الانسان الحديث ميالا أيضا لملء معدته حتى فوق طاقته اذا سنحت له الفرصة !

كما ان سرّ كون الحياة الجنسية لدى الانسان اكثر ثراء وتنوعا عنها في الثدييات الاخرى ، التي تنقطع لديها الرغبة الجنسية في فترة أو اكثر من السنة ، تلك الرغبة الجنسية الثرية والمتنوعة لدى الانسان ، لها علاقة بتوزيع العمل لدى الصيادين وجامعي الثمار الاوائل ، حيث كان يقسم العمل بين الرجل والمرأة ، الرجل لصيد اللحوم والمرأة لجمع الثمار ، وعند فشل واحد منهما يطمئن الى نجاح الآخر ، لذلك تصبح العلاقة بين الرجل والمرأة علاقة استمرار وضرورة .

الصيادون وجامعو الثمار كانوا يعيشون على حد تعبير أحد علماء الاجناس (حياة مجتمع الرفاه الحقيقي) اذ ان معظمهم لا يجد صعوبة في الحصول على الغذاء ، وكونهم يعرفون معرفة وثيقة البيئة والحيوانات التي تعيش فيها ، لذا يتوفر لديهم وقت فراغ كبير يقضونه في تعزيز الروابط الاجتماعية فيما بينهم ، وكانوا يحلون النزاعات التي تحدث بينهم بطريقة أحكم وأعقل مما يفعل احفادهم اليوم . فالحروب غير معروفة لديهم ، كما ان ملكية الثروة لا تعني تميزا اجتماعيا عندهم . وتكون الهجرة في نهاية المطاف لجامعي الثمار والصيادين أمر تحتمه الضرورة اما لندرة الحصول على الصيد أو الثمار او لترك مجموعة منهم الفريق ناقلين ولاءهم الى جماعة اخرى ، ومن القيم الاجتماعية التي انتقلت مع الانسان من مجتمع الصيد والتقاط الثمار ، قيم مثل : توزيع العمل بين الجنسين ، والتعاون واستمرار الرابطة بين الذكور والاناث . ومن أطرف ما يضيفه الكتاب بهذا الخصوص أن مجتمع الصيد

وجمع الثمار لا يعرف الحرب ولكن أهله (من أكثر الناس كلاما وجدلا ويدور حديثهم الذي يتحول الى جدل حول عدم تكافؤ توزيع الطعام . . ولكن عند وصول الامر الى ثورة الاعصاب يتوقف الجدل ويتحول المتخاصمون الى الضحك . . ويبدو ان جزءا كبيرا من استمتاعهم بالجدل راجع الى حبهم للضحك !)

اما عملية التكيف لانتاج الغذاء والزراعة والتدجين والتي هي حديثة في تاريخ الانسان فقصتها أطرف من جمع الثمار والصيد .

ويبدأ الكتاب في هذا الموضوع بطرح مقولة علمية ذكية هى ان الانسان هو الذي دجن بعض الحيوانات في البداية ، الا انها استفادت هي ايضا من التدجين فلم يكن للاغنام صوف غزير قبل تدجينها ، وكان الدجاج البرى لايبيض الا في مواسم معينة ، كما كانت الابقار والجواميس البرية لا تدر اللبن الحليب الا عندما ترضع صغارها فقط . وجميعها استفاد من تدجين الانسان لها ! أما الانسان نفسه ، فلم يعد قادرا على الانتقال السريع كجده جامع الثمار والصياد !

يضع الكتاب مجموعة متعددة من الاحتمالات التي تفسر كيف تحول الانسان من تكيف الصيد والتقاط الثمار الى تكيف الزراعة . الا انه يدحض الفكرة الشائعة القائلة ان انتاج الغذاء هو المسئول عن استمرار الناس في قرى ومدن ، ويدلل على ذلك بأن الانسان القديم كان مستقرا في قرى ومستوطنات قبل بدء انتقال الانسان الى الزراعة ويضرب أمثلة متعددة ومشوقة في هذا الاتجاه .

الا ان عملية التكيف الانساني لانتاج الغذاء (الزراعة) كانت أول خط فاصل عظيم في تاريخ الانسان ، والذي حدد انتقاله من حالة الى اخرى ، فقد أعطى هذا التكيف الجديد لبني الانسان أساس الحرية للتطور بأساليب جديدة ، لقد حولت الزراعة النوع الانساني من نوع محدود الى نوع تكاد الارض ان تضيق به ، وكانت الحاجة الى العمل لانتاج الغذاء من حوافز الانجاب بكثرة ، كما أن الامراض الجديدة التي ظهرت مع استقرار الانسان في قرى ومدن والتي قصفت اعمار مجاميع عديدة من بني الانسان جعلته يتوجه الى تعويض ذاك العدد بالانجاب الاكثر . كما صاحب إنتاج الغذاء تغيرات ضخمة في الحياة السياسية والاجتماعية للانسان ، فقد جلب التكيف الجديد معه قيما مادية في حيازة الممتلكات والأرض ، فأصبحت ملكية الارض على الشيوع سابقة محصورة في العائلة الواحدة ، ونشأت أنماط سلوكية مثل حماية

الممتلكات الخاصة والتفاوت الاجتماعي في الثراء والقوة ، والمركز الاجتماعي . ونشأت الحروب ، ولأول مرة في التاريخ انقسمت المجتمعات الى حكام ومحكومين ، أغنياء وفقراء . ولعل معظم أبناء البشر اليوم لايبتعدون في تحدرهم من أجداد فلاحين الا بأجيال قليلة ، ومعظم أنماط السلوك المعروفة في العالم اليوم يمكن ارجاعها الى اصولها الفلاحية ـ فالصفات التي من بينها النفور من السلطة الخارجية ، والمحافظة ، والاسراف عند الفقراء ، كلها من سلوك الفلاحين والذين يوصفون أيضا « بأنهم غيورون وعنيفون ومتطيرون وكرماء بغير حرص ، مؤمنون بالحظ الى حد أن قصص أطفالهم التقليدية تدور دائما حول اكتشاف الكنوز والثروات الفجائية . وكل ذلك وغيره من السلوك الظاهر لبني الانسان اليوم ، يمكن ارجاعه للأثر الثقافي لآبائهم غير البعيدين الذين عاشوا شظف العيش كفلاحين .

لهذه الاسباب يبدو الفلاحون للبعض في مختلف ارجاء الارض وكأنهم متشابهون ، الا ان الحقيقة العلمية تقول لنا ان الفلاحين أيضا متنوعون نتيجة اختلاف الظروف البيئية والحوادث التاريخية التي تعرضوا لها .

إلا ان الفلاحين متشابهون بالمعنى المجازي في الفاقة والحرمان أينما كانوا (ففي القرون الوسطى في أوروبا مثلا ، كان الفلاحون ممنوعين من تغيير اماكن سكناهم ، وكانت هناك قيود على انواع الاسلحة التي يسمح لهم بحملها ، وانواع الثياب التي يلبسونها ، والزينات التي يمكن ان يتزينوا بها وحتى الغذاء الذي يتناولونه !)

هذا مما جعل ثورات الفلاحين دائما ثورات غضبى تأكل الاخضر واليابس ، وتفشل في معظم الاحيان لعدم ايمانهم بالقيادة الموحدة الا انهم رغم ذلك نجحوا في بعض من ثوراتهم الحديثة كما في الصين .

لامجال للشك اليوم في أن بني الانسان قد تغيروا كلية نتيجة تكيفهم لانتاج الغذاء والزراعة ـ ربما الى واقع أسوأ ، الا ان الحقيقة الاخرى الملازمة لذلك انهم لا يستطيعون العودة الى عيش أبسط حتى لو ارادوا ذلك !

المدنية والتحديث

من امتع ما يطرحه الكتاب مناقشة السؤال العالق دوما في اذهان كثير من ابناء العالم الثالث والقائل :

لماذا حدث التقدم والتحديث في العالم الاوربي والامريكي ولم يحدث في

العوالم القديمة في آسيا وافريقيا ؟

في محاولة الاجابة على هذا السؤال يشير الكتاب الى ان قفزة التقدم والتطور قد حدثت في حوالي قرن من الزمان ـ بين منتصف القرن التاسع عشر ومنتصف القرن العشرين ـ نتيجة للاكتشافات والاختراعات في اوربا وبشكل اكبر واسرع واشمل مما حدث للعالم خلال العشرة آلاف سنة السابقة !

مما جعل الكتاب والفلاسفة يعرضون عن البحث عن عصر مثالي في الماضي ويتطلعون الى عصر مثالي في المستقبل .

وقبل الاجابة على السؤال يطرح الكتاب بعضا من معايير التحديث فيشير الى انها سكنى المدن ، وحرية الانتقال ، وسرعة الاتصالات ، والتصنيع واستهلاك الطاقة ، وباختصار هي التوسع المستمر في المعرفة وتطبيق هذه المعرفة التكنولوجية في الصناعة .

يقول الكاتب انه لو طرح السؤال نفسه في سنة ١٧٠٠ م عن أية بقعة في العالم يمكن احتمال بدء التطور والتحديث فيها ـ هل هي اوربا أم الصين ؟ لما تردد احد ـ وقتها ـ في القول انه يتوقع أن يبدأ التحديث في الصين ، حيث كانت الانجازات التكنولوجية اسبق بزمن طويل عن مثيلاتها في اوروبا ، فقد كان الصينيون في ذلك الوقت قد اخترعوا واستعملوا الطواحين المائية ، وملح البارود والورق ، والرافعات الميكانيكية والجسور الحديدية المعلقة ، وبوابات قنوات الرى وآلات الغزل ، وغيرها الكثير من المبتكرات التنكولوجية .

فوق ذلك كان لدى الصين القوة البشرية الكبيرة والعمال المهرة والادارة الحكومية المنظمة . كانت الصين في القرن الثامن عشر أي منذ اقل من مائتي سنة فقط على مشارف قفزة التقدم الى درجة ان البريطانيين ارسلوا في سنة ١٧٩٣ وفدا للصين يرجو الامبراطور القوى (شي ان لونج) السماح لبريطانيا ان تتجر مع الصين ، فأجاب الامبراطور على رجاء الملك جورج الثالث ـ بأن الصين ليست بحاجة الى الدخول في علاقات تجارية مع (البرابرة حمر الوجوه) لاننا نملك كل شيء ولا نحتاج منكم الى شيء !

إذن لماذا تخلفت الصين وتقدمت أوربا ؟

على عكس ما يذهب اليه بعض علماء الاجتماع الغربيين في ان سبب تقدم الغرب ، علاقة المذهب البروتستانتي بافكاره الحاثة على العمل والتقتير في الانفاق الذي يتوافق مع روح الرأسمالية الناشئة . فالكتاب يؤكد تصادف

تلك العلاقة لا عليتها ، اما سبب تأخر الصين فهو اعاقة النظام السياسي ـ الاجتماعي الصيني لأهم عاملين من عوامل التحديث الجوهرية وهما : امكانية التعبير ، وامكانية الاختيار ، فعلى الرغم من أن العالمين (الصيني والاوربي) يعتمدان على الزراعة ، الا ان الزراعة في اوربا كانت تعتمد على عامل متقلب غير مأمون هو هطول المطر في حين ان الزراعة في النظام الصيني تعتمد على عامل ثابت مؤكد هو نظام الري . فالتعبير والاختيار في النظام الاوربي الزراعي هو الذي أنقذ أوربا من النمطية ، والوقوع تحت سيطرة حكومة مركزية واحدة كما في الصين ، وكانت النتيجة أن كل وحدة اقطاعية في أوربا طورت ما سمى فيها بعد بالرأسمالية ؛ أي امكان استخدام الثروة وزيادتها . ،أي ان كل وحدة اقطاعية تتنافس مع غيرها في انتاج البضائع وتوزيعها ، وكان التغيير المستمر حتميا في مثل هذا النوع من البيئات الاقتصادية . ولم تكن حركة الاكتشاف باكثر من مغامرة من عمل التجار ، الذين كانوا يمولون هذه الاكتشافات لزيادة ثروتهم ، فكانت التجارة المثلثة وهي نقل صناعة اوربا الى افريقيا وبقية العالم المعروف ، وجلب العبيد الى العالم الجديد لزراعة مواد خام تنقل بدورها للتصنيع مرة أخرى في اوربا ، ومن هذه الثلاثية كانت مجتمعات اوربا تستفيد وتتقدم ، وهي التي وضعت الاصول الاقتصادية للتحديث القائمة على تطور التكنولوجيا العلمية ، والقدرة على التنمية الذاتية المستمرة ، والاقتصاد الموجه نحو الانتاج . في حين ان الصين لم يكن لديها الا واحدة من هذه الضرورات الثلاث ، هي انها تمتلك تكنولوجيا متطورة ولكنها افتقرت الى القدرة على التنمية والحافز على الانتاج .

من هنا بدأ التحديث من اوربا ولم يأت من الصين .

ذلك بعض ما جاء في الكتاب القيّم والمترجم بسلاسة عن « بني الانسان » واختيار بعض موضوعاته هنا لا يعني ان بعضها الآخر والاكبر أقل إثارة أو دافعية للقراءة .

فهناك الكثير من المعلومات الحديثة في هذا الكتاب التي تدحض معلومات قديمة عرفها الانسان عن نفسه ، ولا يعني هذا العرض الا تقديم الكتاب للقاريء ـ وقراءته هي الفائدة الكبرى .

ولا يمكن ترك الامر الا بعد الاشارة الى أن سلسلة عالم المعرفة التي يصدر ضمنها الكتاب وهي تدخل عامها السادس ـ قدمت حتى الآن اضافة حقيقية للثقافة العربية المعاصرة .

من يحكم الولايات المتحدة !

بقلم ابراهيم ابراهيم

الصهيونية العالمية قوة ذات نفوذ ضخم وهيبة كبيرة داخل الولايات المتحدة : فصوتها موجود في أروقة الكونجرس والبيت الابيض ، وفي دهاليز مكاتب الحزبين الديمقراطي والجمهوري

تمكنت الصهيونية من اقتحام أهم المؤسسات الامريكية والتأثير عليها خلال العقود الأربعة الماضية دون مجابهة جادة مع أي طرف عربي ، أي من طرف الجالية العربية الامريكية ، أو السفارات العربية والفئات الأمريكية المتعاطفة معها .

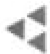
من هنا جاءت السياسة الأمريكية منذ قيام اسرائيل عام ١٩٤٨ حتى اليوم معبرة عن آمال وأحلام الصهيونية دون أي اعتبار لوجهات النظر العربية حول قضية فلسطين بشكل خاص وحول آمال الأمة العربية في التحرر الوطني والاستقلال بشكل عام .

كيف لنا ان نعلّل هذا التبني الامريكي شبه الكامل للحركة الصهيونية ؟

وكيف استطاع التجمع اليهودي الأمريكي فرض نفسه كقوة ضاغطة ومؤثرة في السياسة الخارجية للولايات المتحدة بشكل عام ، وسياستها في الشرق الاوسط بشكل خاص ؟

للاجابة على هذين السؤالين لابد لنا من القاء نظرة خاطفة على الجغرافيا السكانية في الولايات المتحدة وعلى البيئة السياسية/ الثقافية في آن واحد .

تتميز الولايات المتحدة عن غيرها من الأمم من حيث كونها ليست بالأمة ـ الدولة ، ذلك انها تجمع في داخلها خليطا متعددا من الشعوب المختلفة والقوميات المتعددة,انها مجتمع تعددي ، وقد شجعت هذه التعددية على ظهور عصبيات قائمة على العرق أو الدين كما سمح النظام السياسي لها بحرية تنظيم هيئات تخدم مصالحها الخاصة في اطار لا يتعارض مع المصلحة العامة أو ما يسمى بمصلحة الأمن القومي . وقد وجدت الحركة الصهيونية في البيئة الامريكية الاجتماعية والسياسية خير وسيلة للتأثير على النظام لصالح قضيتها مثلما استفادت من وضعها السكاني الممتاز وأستغلته افضل استغلال في التأثير على الانتخابات . فعلى الرغم من ان نسبة اليهود تقل عن ٣٪ من مجموع سكان الولايات المتحدة الا انهم يقطنون في أثنتي عشرة ولاية ذات اهمية استراتيجية بالنسبة للعملية الانتخابية ، وهذه الولايات هي : نيويورك ، ماساشوستس ، نيوجرسي ، بنسلفانيا ، الينوي ، كاليفورنيا



ماري لاند ، فلوريدا ، كاتيكت ، ميتشجان ، تكساس واوهايو .

وقد جاء نظام الانتخابات ليخدم الصهيونية خدمة هامة بسبب تجمعهم في هذه الولايات ذات التأثير الحاسم في نتائج الانتخابات . اذ يقضي قانون انتخابات الرئاسة بانه اذا فاز أحد المرشحين بنسبة ٥١٪ من مجموع الأصوات الشعبية في ولاية معينة ، فانه يضمن بصورة تلقائية كسب جميع أصوات الهيئة الانتخابية في تلك الولاية .

وحيث ان التجمع اليهودي موجود في تلك الولايات التي تملك أكثر أصوات الهيئة الانتخابية لذا وجب على كل مرشحي الرئاسة التنافس فيما بينهم في الاعلان عن ولائهم للصهيونية واسرائيل .

منذ انتقلت المنظمة الصهيونية العالمية خلال الحرب العالمية الثانية من اوروبا الى الولايات المتحدة عملت جاهدة على اقامة مؤسسات يهودية محكمة في تنظيمها غاية الاحكام ، مخلصة في ولائها كل الاخلاص ، نشيطة في عملها كل النشاط ، لاهم لها ولا شاغل سوى كسب الرأي العام الامريكي لقضيتها والتأثير من خلال ذلك « الرأي العام » على الادارة الامريكية وممثلي الشعب (الكونجرس) وعدد هذه الهيئات اليهودية كبير ومتخصص ، وسأخص هنا تلك الهيئات الفاعلة والمؤثرة في الحياة السياسية الامريكية وبالتالي ذات الأثر الفعال في العلاقات العربية / الاميركية .

هناك الفرع الامريكي للوكالة اليهودية المرتبطة بالحكومة الاسرائيلية وهو مسجل في واشنطن تحت قانون « سجل ممثلي الحكومات الأجنبية » وهذا الفرع مقترن بالمنظمة الصهيونية العالمية ، وهدفه جمع المال لتطوير اسرائيل واستيعاب المهاجرين فيها .

وهناك مجلس الكنيس الامريكي ووظيفته ايضا جمع الأموال لاسرائيل . والمؤتمر اليهودي العالمي الذي يستمد كل امواله من منظمة الجباية اليهودية وهي المنظمة الرئيسية لجمع الأموال لاسرائيل .

ثم مؤتمر رؤساء المؤسسات اليهودية الكبرى الذي يضم ٣٤ مؤسسة يهودية والمؤتمر اليهودي العالمي ، ومؤسسة بني بريث واخيرا « هيئة العلاقات العامة الاسرائيلية » التي اتخذت من واشنطن العاصمة مقرا لها ، وهذه الهيئة هي الأداة الفعالة وذات النفوذ الكبير لدى الكونجرس والبيت الأبيض .

ومن المعروف ان كل هذه المؤسسات تعمل على جباية المال لعون اسرائيل ومساعدتها الا ان هذه التبرعات (وهي معفاة من الضرائب) تستعمل ايضا وبشكل مكثف للتدخل في الانتخابات المحلية والبلدية وانتخابات الكونجرس وحكام الولايات ، بل وأهم من ذلك في انتخابات الرئاسة ، أي السلطة التنفيذية ذات الهيبة والقوة التي لا مثيل لها في أي حكومة برلمانية في أي دولة غربية أخرى .

كما ان هذه الهيئات اليهودية تختلف عن غيرها من القوى الضاغطة في الحياة السياسية الامريكية من حيث تنظيمها واهدافها وتشعب اهتماماتها ونشاطاتها ، فبينما يقتصر نشاط جماعات الضغط عادة في ممارسة نفوذ ما على الكونجرس او الحكومة الامريكية من اجل مصلحة معينة محددة ، وفي معظم الاوقات مصلحة آنية ، فاننا نجد ان نشاط جماعات الضغط الصهيونية موجود باستمرار ودائم ، انها أشبه بحكومة داخل حكومة : تعمل ليل نهار وعلى مدى ايام السنة .

وقد وصف هـ . برادفورد دسترفيلد ، من كبار اساتذة السياسة الخارجية الامريكية التجمع اليهودي كما يلي : « ان التجمع اليهودي خلية متشعبة اشبه بمجتمع تربط افراده بعضهم ببعض وباسرائيل صلات بدائية (عصبية) متأصلة تعتمد على النسب والعرق والدين » .

انها جماعة متراصة ذات صلة عضوية بدولة اسرائيل ، واهتماماتها شاملة وعامة لما يجري داخل الولايات المتحدة وخارجها من مشاكل عالمية معقدة لا يمكن لجماعات الضغط في أي دولة الالمام أو الاحاطة بها .

عقل أمريكا

لاشك في ان تواجد اليهود في الولايات الصناعية الرئيسية وفي المدن الكبرى وانخراطهم في الحياة الاجتماعية والثقافية قد ساعد على تقوية نفوذهم كقوة ضاغطة في واشنطن العاصمة . الا ان قوتهم المقارنة مع جماعات الضغط الأخرى نابعة من تفوقهم الثقافي خصوصا بعد وصول تلك الجماعات اليهودية من اوروبا في فترة ما بين الحربين العالميتين وما بعدها . فقد جمعت هذه الفئات المهاجرة « نخبة » من كبار المفكرين والأدباء والعلماء اليهود الأوروبيين ، كان العالم الجديد في اشد الحاجة لها فاستقبلت جامعات الشاطيء الشرقي المشهورة كهارفارد ، وبرنستون ، وييل ، وكولومبيا ، وكورنيل ، هؤلاء القادمين الجدد بشوق وترحاب ، وغني عن القول ان هذه الجامعات وغيرها هي التي تصنع عقل امريكا وروحها وهي التي تصوغ فلسفتها السياسية وتعمل على تطبيقها . كما اتجه اليهود بكل ما لديهم من قوة نحو التعليم . فنحن نجد في منتصف الستينيات ٨٠٪ من الطلبة اليهود قد تخرجوا في الجامعات مقابل ٤٠٪ من مجمل الشعب الامريكي . وكذلك الحال مع اساتذة الجامعات : فان عدد الاساتذة اليهود يزيد على ١٠٪ من مجموع العاملين في حقل التعليم العالي علما بان نسبتهم السكانية تقل عن ٣٪ ، وفي الجامعات المشهورة كهارفارد فانهم يؤلفون حوالي ٣٣٪ من هيئة التعليم .

لقد رحبت الجامعات والمعاهد العلمية في امريكا بالنخبة اليهودية القادمة لا لكونها نخبة اوروبية فحسب ، بل لشعورها بالقرب الروحية ولارتباطها الثقافي الحضاري كجماعة بروتستانتية بالديانة اليهودية .

قد يكون هناك نوع من المبالغة في تفسير الاستاذ ويلسون لظاهرة عقل النخبة الامريكية البروتستانتية وتبنيها المتطرف للقضية اليهودية ، الا انه هناك بدون شك قدر كبير من الصحة في القول بأن التحالف البروتستانتي الصهيوني نابع في الاساس من عداء الطرفين التاريخي والتقليدي للاسلام ولكل من اعتنق هذا الدين الحنيف ، ودافع عنه . والعرب ـ كما جاء في الحديث الشريف ـ هم مادة الاسلام .

وقدمت لاسرائيل صورة ملونة بالوان زاهية وهادئة ، قريبة من قلب الانسان وعقله أينما كان ، سواء للطفل في مدرسته الابتدائية أو لذلك اليافع في المدرسة الثانوية أو لتلك أو ذاك من رواد الكنيسة البروتستانتية بكل فروعها ومذاهبها وهي كثيرة ومتنوعة . ولم تتردد الصحافة الامريكية من تبني المقولة الصهيونية حول الانسان العربي وعقله ، بل سارعت هذه الصحافة ومعها التلفزيون بعرض الموقف العربي كموقف عدائي ظالم ومعاد لمسيرة التاريخ العالمي والتراث الانساني . حقا لم تتعرض صورة أي أمة من أمم العالم للتشويه بالدرجة التي تعرضت لها صورة الانسان العربي ممثلا لتلك الأمة على يد النخبة البروتستانتية والصهيونية .

علينا ان نتذكر دائما بأنه ماكانت الحركة الصهيونية في يوم من الأيام حركة قائمة بذاتها بمعنى انها ليست قوة ذاتية تسير بمحض ارادتها أو بمحض قوتها ، وانما هي بالضرورة جزء عضوي من كُلٍ اكبر منها ، واوسع منها واقوى منها . وقوتها في التحليل الأخير نابعة من قوة ذلك الكل الكبير . وقد وعت الحركة الصهيونية هذه الحقيقة منذ يوم ولادتها ، انها في حاجة دائمة ومستمرة لحماية قوة عظمى تربط نفسها بها وبمصالحها .

في البدء كانت بريطانيا العظمى ويوم شعرت الحركة الصهيونية ـ خلال الحرب العالمية الثانية ـ بقرب أفول نجم الامبراطورية البريطانية انتقلت بكل ثقلها الى الولايات المتحدة ، وقدمت نفسها كحليف أمين للدولة العظمى الجديدة ذات المصالح المتنامية في منطقة الشرق الاوسط .

لقد استفادت الصهيونية بشكل عام افادة هائلة من الجرائم النازية في اوربا وضخمت ـ بسبب تغلغلها في وسائل الاعلام والجامعات ـ من مأساة اليهود في المانيا الهتلرية الى حد كبير ، بحيث باتت ابواب المؤسسات الاميركية الليبرالية مفتوحة لها دون طرق الباب ، واستطاعت من خلال ذلك تحقيق هدفين أساسين :

١ ـ خلق « عصبية » يهودية بين افراد التجمع اليهودي في الولايات المتحدة ، الأمر الذي حول المنظمة الصهيونية من منظمة سياسية ممثلة لأعداد محدودة من اليهود الى منظمة تنطق باسم اليهود ككل .

٢ ـ التشديد على وجود عروة وثقى بل تطابق كلي وكامل بين الصهيونية كحركة سياسية واليهودية كدين ، فكل نقد او رفض للصهيونية من طرف اليهودي او غير اليهودي ـ وهذا ما كان موجودا في اوروبا ماقبل الحرب العالمية الثانية ـ اصبح الان في الولايات المتحدة بمثابة لعنة : انه عداء للسامية وقد استخدمت لاحكام قبضتها على اليهودي (وغير اليهودي) الارهاب الفكري والحرب النفسية والعزل الاجتماعي .

ان بيت القصيدة هنا هو ان جماعات الضغط الصهيونية تتوسل من خلال ذلك الى تضخيم وتكريس دورها كممثلة لليهودية العالمية وخاصة يهود الاتحاد السوفياتي ، وفي ذلك ـ كما هو معروف ـ احراج للنظام السوفياتي بقدر ما هو خدمة عظيمة للولايات المتحدة .

وكذلك الأمر مع الكنيسة ، خصوصا اولئك المسيحيين من اتباع مذهب العصمة الحرفية فقد اوهمتهم بان دولة اسرائيل المعاصرة ماهي الا تحقيق لنبوءة الكتاب المقدس .

واخيرا سعت الى كسب عطف الشعب الامريكي من خلال زعمها بان اسرائيل دولة صغيرة ضعيفة اشبه بجزيرة في محيط من ملايين العرب الاعداء .

والضعف كما هو معروف يستجلب العطف ، وشجاعة الضعيف تستجلب الاعجاب ، (فاسرائيل) الدولةالصغيرة المحاطة ببحر من الاعداء اشبه بالقلعة المستمية في الدفاع عن نفسها وقهر اعدائها .

ولعل في هذا بعض مايفسر الترحاب والحماس الذي لقيه النصر الاسرائيلي وهزيمة الدول العربية في حرب حزيران ١٩٦٧ من طرف جماعات واسعة في المجتمعات الغربية . اذ عملت اسرائيل من ذلك النصر ملحمة عظيمة مجدت فيها شجاعة المقاتل الاسرائيلي وبطولته في الدفاع عن الشعب اليهودي الصغير المسالم والمظلوم .

من يستعمل الآخر . . ؟!

ولقد صدق وليم كواندت ، أحد أعضاء مجلس الامن القومي الامريكي في حكومة الرئيس كارتر حين قال « في معظم الأحيان يستعمل رجال السياسة جماعات الضغط (بما فيها الصهيونية) كحجة لتنفيذ سياسة معينة يرغب هؤلاء الساسة في تنفيذها اصلا .

ويدعم رأي كواندت ما جاء في مقالة هامة نشرها السناتور تشارلز ماثياز مؤخرا ، يقول السناتور « ليس هناك أدنى شك بانه لولا جماعات الضغط الصهيونية لجاءت مساعداتنا لاسرائيل اقل مما هي عليه الآن غير انني على قناعة تامة بانه حتى لو لم تكن هناك جماعات ضاغطة صهيونية فان الولايات المتحدة ستبقى ثابتة في دعمها لدولة

اسرائيل » وشهد شاهد من أهلها .

أنتقل الآن الى زاوية الواقع العربي وموقف الولايات المتحدة من القضية العربية .

من المعلوم ان السياسة الخارجية لدولة ما انما هي تعبير عن العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والحضارية لتلك الدولة من ناحية ، الا انها تتأثر من ناحية اخرى بعوامل خارجية ايضا . فسياسة الولايات المتحدة تجاه اوربا الغربية مثلا لاتنبع من معطيات اميركية بحتة فحسب بل من معطيات اوربية ايضا . غير ان هذا الامر لاينطبق على سياسة الولايات المتحدة تجاه الشرق الاوسط . اذ اهملت الولايات المتحدة العامل العربي واعطت اسرائيل حجما وثقلا لايتفقان باي حال من الاحوال مع حجمها الطبيعي من حيث الكثافة السكانية او التاريخ . نعم لقد احتلت اسرائيل مركز الصدارة لدى اعضاء الكونجرس والحكومة المركزية بحيث اصبحت مع تدرج الايام امتدادا للولايات المتحدة بل ولاية جديدة اضيفت الى الاتحاد الامريكي والحق يقال ، ان غياب العالم العربي واحلال اسرائيل مركز الصدارة لم يكن مجرد صدفة ، او نتيجة جهل او نقص في المعلومات ، وانما هو نابع من الفلسفة السياسية العامة للولايات المتحدة ومن نظرتها الى دول العالم الثالث بما فيها الدول العربية اذ لم تكن الولايات المتحدة مهيأة يوم ظهرت كقوة عالمية في أعقاب الحرب العالمية الثانية لتفهم المسألة القومية او قضية الاستقلال الوطني .

وقد ازدادت حدة العداء تجاه دول العالم الثالث بعد ظهور حركة دول عدم الانحياز ودعوة هذه الحركة الى الاستقلال عن التبعية للدول الاجنبية ، شرقية كانت أم غربية . والاستقلال يعني - في التحليل الأخير - الحد من حرية الحركة بالنسبة للتخطيط الاستراتيجي في الدول العظمى .

ولعله من المفيد ان نذكر هنا بان معظم دول عدم الانحياز وخاصة الدول العربية كانت حتى وقت قريب تحت السيطرة الاوربية . وعندما دخلت الولايات المتحدة العالم في اعقاب ١٩٤٥ كزعيمة للمعسكر الغربي ورثت منه بعضا من فلسفته السياسية ، الى جانب مفهوم « توازن القوى » القديم . وفي ظل هذه المفاهيم حاولت الولايات المتحدة الابقاء على هذه الدول في اطار نظام أمن الدول الغربية .

ومع تطور « الحرب الباردة » بين الدولتين العملاقتين اصبح هاجس « الخطر الشيوعي » بمثابة حجر الزاوية في رسم السياسة الامريكية تجاه المنطقة ، فالشرق الأوسط كما تراه واشنطن انما هو مجرد منطقة جغرافية تقع بين الاتحاد السوفياتي والغرب ، انها مجرد قطعة من الجغرافيا الساكنة التي لاتشكل في التحليل الاخير سوى عمق استراتيجي لحلف الاطلسي ، وعليه فان القضية الفلسطينية ومشكلة الصراع العربي - الاسرائيلي وقضية الأمن العربي وتطلعات الأمة العربية نحو التحرر والاستقلال ، انما هي قضايا ثانوية بالنسبة للقضية الاساسية الا وهي أمن الولايات المتحدة وأمن الدول الصناعية الغربية معها .

وهذا مانجده فعلا في كل البرامج الامريكية ابتداء من مبدأ ترومان ومرورا بمبدأ ايزنهاور الى مبدأ كارتر ومبدأ ريجان - هيج

وقد اثبتت اسرائيل مصداقيتها كقوة ضاربة ضد الدول العربية في حرب حزيران ١٩٦٧ ، ومن هنا ايضاً الترحاب الكبير الذي لقيه ذلك النصر الاسرائيلي في الولايات المتحدة بشكل خاص والغرب بشكل عام .

وفي اعقاب حرب ١٩٦٧ قررت الولايات المتحدة تطبيق خطة الفتنمة على منطقة الشرق الاوسط . وقد وجدت هناك قوتين رحبتا بحرارة لتنفيذ برنامج « الفتنمة » اولاهما : « ايران - الشاه » التي قدمت نفسها «كشرطي »

للحفاظ على امن الخليج ومداخله من ناحية ومن ناحية اخرى اسرائيل : كقوة ضاربة على الشاطىء الشرقي للبحر المتوسط .

قيمة اسرائيل

جاء في دراسة عنوانها « قيمة اسرائيل الاستراتيجية » ونشرتها ووزعتها هيئة العلاقات العامة الاسرائيلية ـ الامريكية في واشنطن في اعقاب الحرب اللبنانية مباشرة ما يلي :

تتمتع اسرائيل بميزات فريدة بالنسبة للاستراتيجية الامريكية لعدة اسباب اهمها : ـ

١ ـ موقع اسرائيل الجيو ـ ستراتيجي بين اوروبا الغربية والخليج العربي ، الامر الذي يؤهلها للقيام بدور رئيسي لخدمة التخطيط الحربي الامريكي في منطقة الخليج وفي البحر المتوسط بل وفي اوربا الغربية .

٢ ـ الاستقرار السياسي ، فبينما تعاني معظم الدول العربية الصديقة للولايات المتحدة من عدم الاستقرار ، فان اسرائيل هي الدولة الوحيدة القائمة على مؤسسات ديمقراطية اصيلة .

٣ ـ تتميز حكومة اسرائيل عن معظم الحكومات العربية المتعاونة مع الولايات المتحدة لوجود قاعدة شعبية عريضة لها ، وعليه فالاعتماد على اسرائيل لا يعني الاعتماد على حكومة اسرائيل فقط بل الاعتماد على الشعب الاسرائيلي ايضا .

لقد لقيت هذه الدراسة المذكورة التي وزعت على رجال الكونجرس والبيت الابيض آذانا صاغية فلغتها ليست غريبة عن لغة الصفوة الامريكية الحاكمة ، بل هناك تطابق كامل بين ما جاء فيها وبين التخطيط الاستراتيجي الامريكي حول « قوات الردع السريعة » فاسرائيل كما صورتها هذه الدراسة لا تزيد عن كونها احدى حاملات الطائرات الامريكية في شرق البحر المتوسط لا أكثر ولا أقل . وهذا هو عين ما ترغب ان تراه القيادة السياسية والعسكرية في واشنطن كما اننا نتمتع هذه الايام اكثر من ذي قبل لوقوف جلة دول العالم الثالث الى جانب قضيتنا فالامم المتحدة باتت وكأنها جامعة عربية بسبب تأييد حركة دول عدم الانحياز للقضية العربية .

المطلوب اليوم ظهور الامة العربية على الساحة ، لا يصح ولا يجوز ان يستمر هذا الغياب العربي عن عقل رجال الاستراتيجية في البنتاجون والبيت الابيض ، بينما تستمر اسرائيل على كل ما يقال تضليلا عن استقلاليتها في صناعة القرار ـ تحتل مركز الصدارة هناك . وقد اصبح من باب البديهيات القول ان قوة اسرائيل وجماعات الضغط الصهيونية نابعة من حالة التشرذم في صفوف القيادات العربية كما أن اهمال السياسة الامريكية للمصلحة العربية عائد في الاساس الى انقسام العالم العربي على نفسه وحالة الضعف الناتجة عن ذلك .

ان تحول العلاقات بين الدول لا يتم عن طريق القوى الضاغطة في هذه الدولة او تلك ، وانما يتم من خلال تغير في المصالح . وقد صدق مايكل هدسون من كبار اساتذة العلاقات الدولية حين قال« ان اهم العوامل الحاسمة في تقرير السياسة الامريكية تجاه الشرق الاوسط انما هي الاحداث التي تقع في منطقة الشرق الاوسط لا الاحداث التي تقع في واشنطن » ! وفي التاريخ المعاصر شواهد كثيرة على صحة هذا القول ، اذ لم يكن هناك وجود لقوى ضاغطة فيتنامية لها نفوذ في واشنطون ، وانما تم الضغط على فيتنام نفسها ولم نسمع عن وجود قوى ضاغطة جزائرية في باريس أثناء حرب التحرير الجزائرية ، وانما تم الضغط على ارض الوطن الجزائري ، ولعل في هذين المثلين خير عبرة لخير أمة اخرجت للناس . ○

حقوق الإنسان في القرآن

بقلم : الدكتور محمد أحمد خلف الله

يمضي القرآن الكريم على أن الانسان هو خليفة الله في الأرض ـ خليفته الذي أنشأه من الأرض ، واستعمره فيها . ويمضي القرآن الكريم أيضا على أن الله قد كرم بني آدم من بين سائر الكائنات وأنه سخر لهم الليل والنهار والشمس والقمر ، والنجوم والبحار ، وخلق لهم السموات والأرض ، وآتاهم من كل ما سألوه ، وأنهم إن يعدوا نعمة الله لايحصوها .

وحقوق الانسان في القرآن مستمدة من هذا الوضع الذي وضع الله فيه الانسان ، فهي حقوق امتيازه عن سائر الكائنات التى سخرها الله له . وهي حقوقه من حيث هو خليفة الله في الأرض . خليفته الذي من حقه أن يستثمر كل ما سخر الله له من الكائنات ، أفضل استثمار .

الحق الانساني الأول

والحق الأساسي الأول للانسان ، والمستمد من هذا الوضع الذي وضع الله فيه الانسان ، هو حقه في اكتساب المعرفة وحصوله عليها ، هو حقه في أن يكون له وجود ثقافي يميزه عن بقية الكائنات الحية ، ويمكن له في الوقت ذاته من استثمار الموارد الطبيعية التي خلقها الله من أجله ، وسخرها له ، أفضل استثمار .

ومن المسلم به ان الوجود الثقافي هو الذي يمتاز به الانسان عن الحيوان ـ اذ لا يملك الحيوان وجودا ثقافيا ، ويمتاز به الانسان عن الانسان ، والشعب عن الشعب ، والأمة عن الأمة .

ان الشعوب الراقية ، والأمم المتقدمة ، هي التي تملك من الرصيد الثقافي ما يسد حاجتها الثقافية ، ويقدم في الوقت ذاته الحلول لمشكلاتها الحياتية .

ويمضي القرآن الكريم الى ما هو أبعد من هذا

حين يبين لنا في قصة الخلق أن آدم كان يمتاز عن الملائكة بهذا الوجود الثقافي .

جاء في القرآن الكريم : « وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة ، فقال : أنبئوني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين . قالوا : سبحانك ، لا علم لنا الا ما علمتنا ـ انك أنت العليم الحكيم . قال : يا آدم ، أنبئهم بأسمائهم . فلما أنبأهم بأسمائهم قال : ألم أقل لكم أني أعلم غيب السموات والأرض ، وأعلم ما تبدون ، وما كنتم تكتمون . . . »

لقد ميز الله آدم عن الملائكة بالمعرفة ، والوجود الثقافي .

ويمضي القرآن الكريم الى أن الله سبحانه وتعالى هو الذي أحق هذا الحق ، وهو الذي رعاه . وأن من رعايته له أنه قد بعث بالنبيين المرسلين من أجل اكساب الانسان هذا الحق ، لقد بعث الله المرسلين من أجل تعليم الناس الكتاب والحكمة ، ولاخراج الناس من الظلمات الى النور ، ولهداية الناس الى الحق والى الطريق المستقيم .

جاء في القرآن الكريم بصدد دعوة ابراهيم واسماعيل عليهما السلام من أجل رعاية الله للعرب : « ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ، ويعلمهم الكتاب والحكمة ، ويزكيهم . . . . الخ » .

وجاء فيه أيضا من حديث موجه للأمة العربية : « كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ، ويزكيكم ، ويعلمكم الكتاب والحكمة ، ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون » .

وجاء فيه بصدد تكليف محمد بن عبدالله عليه الصلاة والسلام بهذه المهمة : « كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم ـ الى صراط العزيز الحميد . . . »

الوجود الثقافي حق أساسي للانسان ، وحق تكفل الله به وبعث بالمرسلين من أجل تحقيقه .

وهذا انما يعني أن الوحي مصدر هام من مصادر المعرفة ، وهو كذلك ـ ولكنه ليس المصدر الوحيد .

هناك العقل البشري ، وهو مصدر آخر من مصادر المعرفة ، وتحصيل الوجود الثقافي .

والعقل البشري لم يعمل من عند نفسه في مجال اكساب المعرفة وتحقيق الوجود الثقافي ، فالله هو الذي وجهه نحو ذلك حين طلب اليه أن ينظر ، وأن يفكر في الكون بمن فيه ، وما فيه ، وأن ينتهي من ذلك كله الى حقائق ثقافية تفسر له سر الكون ، وتبين له السنن التي يسير الكون عليها بانتظام .

لقد وجه القرآن الكريم العقل البشري الى مجال اكتساب المعرفة وتحقيق الوجود الثقافي ، بمثل قوله : « إن في خلق السموات والأرض ، واختلاف الليل والنهار ، والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس ، وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة ، وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون . . . . » .

إن لله كتابين

وانه من هنا ـ أي من توجيه العقل البشري نحو الكون للنظر ، والتفكر ، والتدبر ذهب بعض المفكرين المسلمين الى القول بأن لله كتابين : كتابا منزلا وهو القرآن ، وكتابا مخلوقا وهو الكون ، ولا يغني أحدهما عن الآخر .

ان القرآن الكريم انما يوجه العقل البشري نحو الكون بمن فيه وما فيه ، باحثا منقبا ، وأن العقل البشري ليعود بما حقق من نتائج عن الكون بمن فيه وما فيه الى القرآن الكريم فيعمق مفاهيم الآيات الكونية ، ويبصر الناس بالقوانين العلمية أو السنن التي خلق الله الكون على أساس منها .

وعلى الرغم من هذه العلاقة بين الكتابين : المخلوق والمنزل من السماء ـ الا أن نتائج هذه

العلاقة جاءت في صالح أحدهما دون الآخر . جاءت في صالح الكتاب المخلوق أكثر مما جاءت في صالح الكتاب المنزل .

ان الثقافة التي جاءت نتيجة إعمال العقل البشري هي التي تسيطر على كل مجالات الحياة تقريبا . فالناس اليوم انما يمارسون حياتهم في مجالات : الصحة ، والزراعة ، والتجارة ، والصناعة ، واستخراج المعادن ، والاعتماد على الطاقة في ميادين التكنولوجيا والالكترونات ، بما يقارب من ثمانين في المائة من كل ما يحتاجون اليه من ممارسات .

ان حياتنا العلمية ، وحياتنا العملية ، هي الدليل القوي الواضح على أن المعرفة التي حصلها ، ويحصلها العقل ، هي التي تسود في كل مجال من مجالات الحياة تقريبا .

ولعل هذه السيادة هي التي تزعج الآخرين ، وتدفع بهم الى محاربة كل ما يجيء به العقل من قيم ثقافية ، والى دعوة الناس الى رفض هذه القيم تحت اسم التغريب .

معرفتان ومجالان

والذي أراه أنا في هذا الموقف هو أن لكل من المعرفة العقلية ، والمعرفة الموحى بها مجاله . وأن من واجبنا الا نخلط بين المجالين .

ان للمعرفة الموحى بها مجالاتها الخاصة بها ، والتي ليس للعقل أبدا أن يزج بنفسه فيها .

فهناك مجال المعتقدات الدينية الذي يعجز العقل البشري عن الوصول الى أية حقيقة من حقائقه من حيث أنه من الغيبيات ، والغيبيات لا يمكن أن تعرف الا عن طريق الوحي .

وهناك مجال المعتقدات الدينية ، وهي حقوق الله على عباده ، والله سبحانه وتعالى هو الذي يقرر هذه الحقوق ، وليس لأحد غير الله أن يقرر لنا ماذا يعبد به الله .

ان علينا أن نعتمد في هذا المجال ما حمله الينا رسول الله ، وما بينه لنا . نعتمد ذلك مطيعين ، وصادقين ، ومخلصين .

وهناك مجال التحليل والتحريم الديني ، وحدود الله ، وما الى ذلك من أحكام شرعها الله لنا ، نمارس حياتنا على أساس منها .

أما ما عدا ذلك من كل ما لم يرد فيه نص فان للعقل البشري أن يجتهد فيه ، وأن يصل في اجتهاده الى كل ما يستطيع الوصول اليه من حقائق وقوانين علمية ، ومن قيم ثقافية .

وهنا لا بد من الاشارة الى بعض الحقائق الهامة التي لا سبيل الى تجاهلها ، وهي :

أولا : أن الوحي قد توقف بعد موت النبي العربي محمد بن عبدالله عليه الصلاة والسلام ، ولم يصبح مصدرا لمعرفة جديدة ، بينما العقل لا يزال يعمل ، ويقدم في كل يوم معارف جديدة .

ثانيا : أنه بمضي الزمن ، وتطاوله ، تصبح الحصيلة التي يحصلها العقل من المعرفة نامية ، ومتزايدة ، ومتضخمة ـ بينما الحصيلة التي جاء بها الوحي واقفة عند حدود القرآن الكريم والسنة الصحيحة .

ثالثا : ان الجهود المتزايدة في ميدان الدراسات القرآنية هي جهود عقلية . انها من نتاج العقل البشري في التفسير والتوضيح . ومن هنا تحسب للعقل البشري ، ولا تحسب عليه بأي حال من الأحوال .

بين اقبال ومحمد عبده

وقد يكون من المفيد أن نثبت هنا نصين لمفكرين اسلاميين لها مكانتها البارزة في الفكر الاسلامي . وأحد الرجلين هو محمد اقبال الذي يقول في كتابه : تجديد التفكير الديني في الاسلام : « ان النبوة في الاسلام لتبلغ كمالها الأخير في ادراك الحاجة الى انهاء النبوة نفسها » .

وهو أمر ينطوي على ادراكها العميق لاستحالة بقاء الوجود معتمدا الى الأبد على مقود يقاد منه . .

وأن الانسان ، لكي يحصل كمال معرفته لنفسه ـ ينبغي أن يترك ليعتمد في النهاية على وسائله هو . .

ان ابطال الاسلام للرهبنة ، ووراثة الملك ، وان مناشدة القرآن للعقل ، وللتجربة على الدوام . . .

وان اصراره على النظر في الكون ، والوقوف على أخبار الأولين ـ من مصادر المعرفة الانسانية .

ان كل ذلك ليس الا صورا مختلفة ، وبديلة لفكرة انتهاء النبوة . . .

والحق ، ان القرآن يعد الأنفس ، والآفاق ، مصادر للمعرفة . . .

والذات الالهية ترينا آياتها في أنفسنا ، وفي العالم الخارجي على حد سواء . « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم » .

أما الرجل الثاني فهو الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده ، الذي يقول في تفسيره للآية القرآنية الكريمة : « يؤتي الحكمة من يشاء ، ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا » من تفسير المنار ، ما يلي :

« الحكمة هنا : العلم الصحيح يكون صفة محكمة في النفس ، حاكمة على الارادة ، توجهها الى العمل . . . ومتى كان العمل صادرا عن العلم الصحيح ، كان هو العمل الصالح النافع ، المؤدي الى السعادة . . .

والمراد بايتائه الحكمة من يشاء ، اعطاؤه آلاتها كاملة ـ العقل ـ مع توفيقه لحسن استعمال هذه الآلة في تحصيل العلوم الصحيحة . .

فالعقل هو الميزان القسط الذي توزن به المدركات والخواطر ، ويميز به بين أنواع التصورات والتصديقات فمتى رجحت فيه كافة الحقائق طاشت كفة الأوهام ، وسهل التمييز بين الوسوسة والالهام . .

فالحكمة هي العلم الصحيح المحرك للارادة الى العمل النافع الذي هو الخير .

وآلة الحكمة هي العقل السليم المستقل بالحكم في مسائل العلم » .

العقل لا يزال المصدر النشط ، المتجدد ، الذي يقدم لنا كل يوم مزيدا من المعرفة ، ومن حقائق العلم ، ومن القيم الثقافية .

الحق الثقافي أصل كل الحقوق

وهذا الحق الأساسي الأول من حقوق الانسان ، وهو حقه في اكتساب المعرفة ، وامتلاك الوجود الثقافي النامي المتزايد . فان هذا الحق هو الأصل في بقية الحقوق الأساسية .

الوجود الثقافي أو المعرفة حق لكل انسان مهما يكن دينه أو جنسه أو لونه أو لغته . انه الحق الذي يتساوى فيه جميع الناس ، وتنعدم معه العنصرية . ومن هنا يكون أساسا للمساواة وانعدام العنصرية .

ثم انه على أساس من الشريعة الاسلامية يتحقق العدل الذي يتساوى فيه الناس أمام الشريعة : « ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا . اعدلوا هو أقرب للتقوى » .

وعلى ذكر الشريعة التي يتساوى أمامها جميع الناس ، نذكر حقيقتين :

الأولى : أن واضع الشريعة هو الله ، وأن مبين الشريعة هو رسول الله . وفي هذه الشريعة التي مصدرها النص ، لا فارق بين الحاكم والمحكوم ، اذ الكل أمام الشريعة سواء .

الثانية : أن من له حق وضع التشريعات الاجتهادية فيما لا نص فيه هم أولو الأمر وأهل الحل والعقد ، وليس الحاكم أو الخليفة أو رئيس الدولة ، وهذا انما يعني أنه يخضع للتشريعات الاجتهادية أيضا ، ويتساوى في ذلك مع غيره من الناس ، اذ الكل أمام الشريعة سواء .

وأولو الأمر وأهل الحل والعقد حين يضعون التشريعات الاجتهادية فانما يضعونها على أساس من أنها التي تحقق الصالح العام ، أو على أقل

تقدير صالح الأغلبية ، وليس صالح الأقلية . ومن هنا لا تكون هناك قوانين توضع خاصة لرئيس الدولة كما هو الحال في القوانين المدنية والدستورية .

وأولو الأمر ، وأهل الحل والعقد ، لا يمكن أن يضعوا القوانين التي تصادر بها حقوق الانسان ، أو حتى القوانين التي يعتدى بها على حقوق الانسان ـ والا جاءت تشريعاتهم باطلة ، ولا يعمل بها دينيا .

ما حق الحرية ؟

ثم ان حق الحرية نفسه لا يقوم الا استنادا الى حق المعرفة والوجود الثقافي .

ان الحرية ليست في أن يفعل الانسان ما يشاء ـ استجابة للغريزة أو الهوى ، وانما هي في حرية الارادة ـ أي في حرية الانسان في أن يختار ما هو الأصلح .

وقدرة الانسان على اختيار ما هو الأصلح انما تكون من أساس قدرته على التمييز بين ما هو الضار وما هو النافع .

وهذا التمييز لا يكون الا على أساس من القيم الثقافية ، وهذا الاختيار لا يكون الا على أساس من وجود البدائل التي يستطيع أن يختار من بينها الأساس في الحرية هو الوجود الثقافي والمعرفة .

ولا نريد أن نتتبع أنواع الحرية نوعا نوعا ، وانما نريد أن نقف عند ذلك النوع الذي اذا ملك الانسان فيه حقا ، فانه يملك هذا الحق فيما عدا هذا النوع من أنواع الحرية .

والحق الذي نريد أن نتحدث عنه هنا هو حق الانسان في الحرية الدينية .

والقرآن الكريم يقول : « لا اكراه في الدين » وأنه فمن شاء فليؤمن ومن يشاء فليكفر « وأنه ليس من حق النبي عليه الصلاة والسلام أن يدفع الناس الى الايمان بالقوة دفعا ، أو بالقسر والاكراه : « أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » .

هل يقتل المرتد ؟

ان حكم القرآن هو ليس كما يقول الفقهاء . انه ترك الأمر الى الله مع الحكم بأن المرتد كافر . أما القتل كما يقول الفقهاء فليس له أساس من القرآن الكريم .

وعلى كل فلست أعتبر موقف الفقهاء موقفا شاذا ـ ذلك لأن الآيات القرآنية تشير الى أن هذا الارتداد يقع في حالات الحرب ـ أي أنه تعاون مع الأعداء . وهذا عندي خيانة ، يستحق صاحبه القتل .

اني أخالف الفقهاء ، وأعتمد حكم القرآن الكريم ، في الحالة التي تكون فيها بلبلة ذهنية ، واقتناع بالموقف الآخر . ان هذا يرجأ ، ويترك أمره لله كما هو نص الآيات الكريمة .

وتبقى بعد ذلك اشارة قصيرة الى الحرية الدينية كحق من حقوق الانسان الذى ضمنه القرآن الكريم .

لقد سجل القرآن الكريم كل أقوال المعارضة ثم تناولها بالتفنيد . وكان من هذه الأقوال ما يدخل في باب السباب والقذف وكثير مما يعاقب عليه القانون .

لم يصادر القرآن الكريم أي قول ، وانما سجله ورد عليه . وكان يقول لمحمد عليه الصلاة والسلام : واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا » وكان يقول له : ان الينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم .

فهل يمكن أن نتأدب بآداب القرآن الكريم ، والا نصادر حرية الناس في القول حتى ولو كان هذا القول علينا .

أرجو أن نمارس حياتنا على هذا الأساس ، وأن نناقش الأفكار والآراء ولا نصادرها ولا نعاقب أصحابها ـ اللهم الا اذا كانت هناك نوايا خبيثة .

الفكر العربي
في القرن الثامن عشر
طبيعته وأبعاده

بقلم : الدكتور / نقولا زيادة

استاذ شرف للتاريخ العربي
الجامعة الاميركية في بيروت

حياة العالم العربي في القرن الثامن عشر تظهر فيها ـ في ناحيتها السياسية بشكل خاص ـ متناقضات كبيرة . فقلب العالم العربي (العراق وبلاد الشام ومصر وأجزاء من الجزيرة العربية) كانت تتمتع بحماية الدولة العثمانية . والايالات الأفريقية كانت تعترف لهذه الدولة بالمظلة الرسمية .

ومع ذلك فقد قامت في القلب تحركات سياسية محلية كانت تتراوح بين إعلان الاستقلال (على بك الكبير ١٧٥٧ ـ ١٧٧٢ ومحمد أبو الذهب ١٧٧٢ ـ ١٧٧٥ في مصر) وبين محاولة لتثبيت حكم محلي (أحمد باشا في العراق ١٧٢٣ ـ ١٧٤٧ ، وآل العظم في سورية ١٧٢٥ ـ ١٧٥٧ ، والشهابيون في لبنان ١٧١١ ـ ١٨٤٠ ، والظاهر العمر ١٧٤٦ ـ ١٧٧٥ وأحمد باشا الجزار ١٧٧٥ ـ ١٨٠٤ في فلسطين) . أما في المغرب العربي فقد قامت اسرة القرمنلي (القرامنلي) في ليبيا ١٧١١ ـ ١٨٣٥ ، والحسينيون في تونس بدءا من سنة ١٧٠٥ ، وحكومة الدايات في الجزائر ١٧١١ ـ ١٨٣٠ .

ونحن نعرف أن الدولة العلوية التي قامت في المغرب الأقصى سنة ١٦٣٨ كانت مستقلة عن الدولة العثمانية .

وهذه التحركات المحلية كانت تصاحبها ـ في كثير من الحالات ـ يقظة في الشعور الوطني ، ينميه هؤلاء الحكام أنفسهم ، الذين كان بعضهم على جانب عظيم من الذكاء ، وكانوا يولون الثقافة الاسلامية الكثير من عنايتهم . وهذه الثقافة يجب أن ينظر اليها من زاويتين : الأولى ،

أنها كانت الأساس الذي تسير الحياة العامة والخاصة بموجبه ، على المستويات الرسمية والشعبية . والثانية ان هذه الثقافة بمجملها هي التي حفظت للعالم الاسلامي وحدته الروحية ، لا في ديار العرب فحسب ، بل في جميع الأقطار الاسلامية .

ففي الفترة الممتدة من القرن السابع / الثالث عشر الى القرن الثاني عشر / الثامن عشر ، كانت ضرورات الحياة الروحية والفكرية في العالم الاسلامي التي تتطلبها الجماعات المختلفة تنبع من هذه الثقافة . فهي التي كانت تزود الجماعات ـ حيثما وجدت ـ بحاجاتها . ومن ثم كان هناك توازن تام بين الحاجات والمصدر ، فقد كان الجميع ـ على درجات متفاوتة ـ يعنون بالتفسير والحديث والفقه والشريعة والفرق والطرق الصوفية ، كما كانوا يحتفلون بالعلوم المساعدة كاللغة والتاريخ والأدب . والقرن الثاني عشر / الثامن عشر يمثل القوة في هذا الوضع ، فالعلماء الذين ظهروا فيه لم يكونوا يكتفون ـ كسابقيهم ـ بأن يقرأوا ذلك الذي دونه الأوائل من آراء واجتهادات ، بل كانوا يعيدون النظر في كثير من القضايا التي سبق البحث فيها ، ويكتبون عنها ، أحيانا ، بأسلوب ييسّر على القارىء متابعته . فكأنهم كانوا يتفحصون المسائل ليخرجوا منها بالحلول للأوضاع التي كانت قائمة في أيامهم . فقد تحدث هؤلاء العلماء عن أمور العقيدة وأركان الاسلام وعلم الكلام والتصوف .

وكثيرا ما يقال بأن الثقافة الاسلامية وتقاليدها توقفت بعد أن صاغها الاشاعرة والغزالي (تو ٥٠٥ / ١١١١) . وظلت موضع اهتمام الكثيرين . ؟

والتصوف ، وهو ناحية هامة من نواحي التفكير الاسلامي ، وجد من يعنى به ويكتب عنه ويوضحه . ذلك أن التصوف ، بعد أن اعاده الغزالي الى حظيرة الاسلام السني ، لم يعد يعتبر ـ من حيث الأساس ـ خروجا على الدين . اما اذا كانت بعض الطرق تشتط في تصرفها فذلك أمر آخر .

ويمكن القول إجمالا انه في القرن الثاني عشر / الثامن عشر كانت الطرق الصوفية ، القديمة منها ، وما تفرع عنها أو ما نشأ حديثا ، ينضوي تحت لوائها أكبر مجموعة من المسلمين .

***

يمكن القول اجمالا بأن العلماء المسلمين في القرن الثاني عشر / الثامن عشر كانوا شديدي الحرص على الاهتمام بالمشكلات المختلفة ، السياسية والفكرية والاجتماعية ، التي كانت تجابه المجتمع . والنتاج الذي خلفوه ضخم ، والمواضيع التي بحثوها متنوعة كثيرة ، واهتمامهم في معالجة عناصر الثقافة الاسلامية يتسم بالجدية .

ولم ينل علماء القرن الثاني عشر / الثامن عشر بعد حظهم من الدراسة والبحث الخليقين بهم . ذلك أن الباحثين المحدثين شغلتهم النهضة الحديثة (في القرن التاسع عشر)فانصرفوا الى دراسة مفكريها وأعلامها وآثارهم . ولعل الزخم الذي ظهرت به لفت الانتباه اليها ، وخاصة بسبب اتصال مفكريها بالغرب على مختلف الصعد . لكن الأمر الذي يجب ألا يغرب عن البال هو أنه لولا علماء القرن الثاني عشر / الثامن عشر ، لما كانت نهضة القرن التاسع عشر . اذ أن عمل الأولين هو الذي مهد السبيل للمتأخرين .

فالنهضة أو الحركات أو الاتجاهات الجديدة ما كانت لتقوم في فراغ . وقد ملأ علماء القرن الثاني عشر / الثامن عشر « الجو » بالدرس والكتابة والتعبير ، بحيث وجد خلفاؤهم نقاط ارتكاز أو منطلقات يمكن أن يبنى عليها .

وهؤلاء العلماء كانت أعمالهم واهتماماتهم تنبع من الداخل . ذلك لأنهم لم يتصلوا بالغرب ، بل لعلهم لم يعرفوا عنه الا القليل (أكثر ما عرف هو انه كان عالما متحفزا للوثوب على بلادهم) .

وعدد هؤلاء العلماء كبير (نسبيا) . وقد كانوا ، في الغالب يتمتعون بمركز مرموق في مجتمعاتهم . وكانوا كثيري التواصل واحدهم مع الآخرين . فقد كانوا يتنقلون في سبيل طلب العلم ، وكانوا يقومون بأداء فريضة الحج ، ومن ثم فالتقاؤهم كان طبيعيا . وكان الكثيرون منهم يدونون ما يمر بهم في الرحلة ، ويذكرون الأماكن التي يمرون بها ، والعلماء الذين يلقونهم ، على نحو ما نجد عند عبد الغني النابلسي وابي القاسم الزياني . وكان أكثر هؤلاء العلماء ينتهي الأمر بهم بالقيام بأعمال التدريس ، اذ كانوا يجدون في ذلك المتعة والمجال للقيام بأعمال التأليف .

لكن كان بينهم من تولى مناصب في الدولة . فأبو القاسم الزياني المغربي (١١٤٧ - ١٢٤٩ / ١٧٣٥ - ١٨٠٩) كان وزيرا (وناله ما كان ينال الوزراء من رفع وخفض وما الى ذلك) والشوكاني اليمني (١١٦٢ - ١٢٤٧ / ١٧٦٠ - ١٨٣٢) الذي كان يشغل وظيفة كبيرة في الدولة .

ولم يقتصر الاهتمام بالعلم أي المتابعة التعليمية على عدد ضئيل ، بل كان الجميع يسهمون في ذلك - عالم المدينة أو القرية ، وعالم الجامع الكبير أو عالم المسجد وعالم الزاوية - كل بطبيعة الحال ، على حسب ما تمكنه مؤهلاته وقدراته وظروفها - لكن الذين نود ان نتحدث عنهم هم الكبار من هؤلاء العلماء ، والذين كان لهم في الحياة المعاصرة لهم والفترة التي تلتهم أثر بين .

***

وتنوعت المشكلات التي جهد هؤلاء العلماء في البحث عنها وتفسيرها ، وحتى التصدى لها ، ولعل محاولة فهم هذا التراث الاسلامي الضخم كانت في مقدمة القضايا التي شغلتهم ، فقد كانوا ينكبون على كتب الدين والفكر قراءة وتفهما وكشفا لنواحيها ثم شرحا وتوضيحا وتفسيرا .

فيما كان آخرون يعنون بقضايا طارئة ، مثل شرب القهوة وتدخين التبغ ، ومع أن هذه الأمور تبدو قضايا عادية مألوفة ، واذا عولجت فانها تعالج طبيا ، فقد كانت يومها قضايا اجتماعية هامة .

وعلى سبيل المثال للقضايا الكبرى نقول ان الشوكاني أثار في ذلك الوقت قضية الاجتهاد . وكان ينحى باللائمة على المقلدين الذين يتبعون القدامى دون مناقشة آرائهم . وكان يدعو أهل العلم الى ممارسة الحق والواجب في الاجتهاد . ويتساءل - كما تساءل غيره - عمن أقفل باب الاجتهاد !

ان دراسة المشكلات التي تعرض لها علماء القرن الثاني عشر / الثامن عشر تقتضى التعرف الى آرائهم المنثورة في مؤلفاتهم . ومن ثم فان نشر الكتب التي وضعوها - لم تر النور بعد - والغوص على ما فيها للحصول على الجوهرة ، عمل كبير ينتظر الباحثين النشيطين الصبورين .

ذكرنا أن الشوكاني اهتم بالتقليد والاجتهاد . وشاه ولي الله الدهلوى (تو١١٦٤ / ١٧٦٢) ولنخرج عن نطلق العالم العربي مؤقتا - دعا الى وجوب التعرف الى الأجواء الاجتماعية والسيكولوجية التي تحيط بالكاتب والمفكر ، والى الهيئات والمؤسسات التي تصدر عنها الآراء أو الفتاوى أو التفسيرات كي يكون فهمنا لما نقرأ أصح .

وقد ذكر شاه ولى الله قراءه ومستمعيه بأن الاسلام مبنى - في ادارته وسياسته وتشريعه - على الاهتمام بالمصالح العامة . ومن ثم فانه من واجب الحكام المسلمين أخذ هذا بعين الاعتبار في تعريف الأمور .

وهناك الدعوة الاصلاحية التي قام بها محمد ابن عبد الوهاب (تو ١٢٠٥ / ١٧٩١) والتي كان لها صدى في الهند وفي اقطار المغرب . وهي - كما يعرف القراء - دعوة تشدد على التوحيد والوحدانية ، وتحارب كل ما التصق بالاسلام من عادات وتقاليد وبدع حربا لاهوادة

فيها ، لتعيد الى الاسلام صفاءه الاول على ما عرف في عصر الرسول (ص) وعلى ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية .

وثمة قضية تعرض لها عبد الله السويدي العراقي (تو ١١٦٢ / ١٧٦٠) وهي التوفيق بين السنة والشيعة في كتابه « الحجج القطعية لاتفاق الفرق الاسلامية » ، وهو وثيقة لمؤتمر عقد في النجف الأشرف في منتصف ذلك القرن .

***

ولعل من أبرز ما يمثل العمل العلمي الذي قام به كثيرون من علماء ذلك القرن كتابة تراجم الرجال . وكتب التراجم في الأدب العربي كثيرة ومهمة وتعود الى بدء العرب بالتأليف ، وفي مقدمتها كتب الطبقات . ويعود ذلك - في رأينا - الى ان اسماء الرجال كانت ، في تلك الفترة المبكرة ، مرتبطة برواية الحديث والأخبار المتعلقة بحياة الرسول (ص) والصحابة والخلفاء الأولين . فكان لا بد من التثبت في حياة هؤلاء الاشخاص لتقييم ما يوردون .

وأصبح التأليف في التراجم سمة بارزة من سمات التاريخ العربي ، الى حد انه يمكن القول بأن العرب ، اذا لم يخترعوا هذا الفن انفسهم ، فقد جددوه بحيث أصبح مرتبطا بهم !

وعلماء القرن الثاني عشر / الثامن عشر وضعوا الكثير من كتب التراجم ولعل محمد خليل المرادى الدمشقى صاحب « سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر » وعبد الرحمن الجبرتي المصري مؤلف « عجائب الآثار » ، وحسن خوجه التونسي واضع الذيل لكتاب بشائر أهل الزمان ، تكفينا اسماؤهم نماذج للعمل .

على ان الخط الرئيسي الذي يمكن ان يكتشفه الباحث في عمل هؤلاء العلماء هو محاولتهم ، منفردين ومتفاهمين وان لم يكونوا مجتمعين أو مشاركين لردم الهوة الواسعة التي مرت بالعالم الاسلامي بين أيام الغزالي (تو ٥٠٥ / ١١١١) والسيد مرتضى الزبيدي (تو ١٢٠٥ / ١٧٩٠) الذي ألف كتاب « شرح احياء علوم الدين » ○

وا أسفاه . . . يا سيدي

كان الموسيقار الروسي الكبير تشايكوفيسكي في زيارة لباريس ، وكان على موعد مع أحد كبار الموسيقيين البارسيين ولكن هذا جاء متأخرا عن موعده بيوم كامل وأخذ يعتذر قائلا :

- اعذرني يا سيدي فقد توفيت زوجتي بالأمس .

وأجابه تشايكوفيسكي في تأثر عميق :

- وا أسفاه يا سيدي . .

ثم أخذ يكرر وا أسفاه يا سيدي . . . وأغلق عينيه وهو ينقر باصبعه على الكرسي الذي جلس عليه واذا « بوا أسفاه يا سيدي » تتحول الى نغم موسيقي !

العدساني
وأثره على الحياة السياسية والثقافية

بقلم عبد الله زكريا الانصاري

○ لايوجد من يتصدى للمرحوم خالد العدسانى بالكتابه أو النقد ، وقد كان جزءا من تاريخ الكويت ، وأحد ساستها ، وأحد أدبائها وشعرائها .

انتقل المرحوم خالد سليمان العدساني إلى رحاب ربه مساء يوم السبت السادس عشر من شهر ذي القعدة سنة ١٤٠٢ الموافق الرابع عشر من شهر سبتمبر سنة ١٩٨٢ .

ووجدنا في إحدى أوراقه بعد وفاته تاريخ ميلاده بخط يده حيث يقول :ـ (ولدت في شهر رجب سنة ١٣٢٣ هـ ويوافق شهر سبتمبر سنة ١٩٠٥) . وهذا يعني أنه توفي عن عمر يناهز التسعة والسبعين عاما هجريا . وهذا لا يختلف عما حددناه عن تاريخ ميلاده في المقال الذي سبق أن كتبناه عنه ونشرناه في مجلة العربي .

لقد قلنا ان المرحوم خالد العدساني كان سياسيا وتاجرا وأديبا ، وأنه درس في الكويت ، ثم درس في بغداد ، ودرس في كلية الامام الأعظم في الجامعة الهاشمية ببغداد . ونقول بأنه لبس العمامة ، ولعلها كانت شعارا لطلبة هذه الكلية في ذلك الوقت ، وعلى صورته المنشورة مع هذا المقال تعليق بخط يده يقول (رسمي أخذ في سوق السراي ببغداد في يوم الخميس ٢٧ جمادى (الأولى) سنة ١٣٤٣ الموافق ٢٥ كانون الأول سنة ١٩٢٤) .

كان المرحوم خالد شاعرا وأديبا بجانب ممارسته التجارة وتعاطيه السياسية إن صح التعبير ، وكان متحدثا لسنا ، قوى الحجة ، حاد اللسان ، جريئا في قول ما يعتقد أنه الحق ، واذا أقنعته برأيك بالدليل والمنطق والحجة ، واتضح له خطل رأيه ، عاد واقتنع ، أعني أنه لا يتشبث برأيه ولا يتعصب له ، ولا يتمسك به إذا وضحت الرؤية أمامه بعكس الذين يصرون على رأيهم مهما كان خطأ ، لا سيما إذا أتاهم الرأي المعاكس من أناس أقل خبرة ومعرفة أو علما ، وهذا هو التعصب الأعمى ، أما صاحبنا خالد

العدساني فعلى العكس تماما من هؤلاء الذين يصرون على الخطأ ، ويتمسكون بالخطيئة ، والخطيئة هي الاصرار على الخطأ بلا جدال .

هل نسيناه ؟

العجيب أننا لم نجد حتى اليوم من تصدى للكتابة عن هذا الرجل الذي ترك وراءه شيئا من الفكر ، وترك وراءه معالم بارزة من السياسة ، وأثرا لا ينكر في سياسة الكويت ، ولدينا في الكويت ولله الحمد أقلام تجول في مجالات الأدب وتكتب ، ولدينا أيضا أقلام تخبط في مجالات السياسة ، وترصد وتسجل وتكتب ، وصاحبنا يستحق وقفة لدى هؤلاء ولدى أولئك . وربما كان الوقت مبكرا يحتاج إلى التقاط الأنفاس ثم الانطلاق والكتابة وحفظ تاريخ هذا الرجل ، والملابسات السياسية التي مرت به ومر بها ، والممارسات الأدبية والشعرية التي عالجها .

وللمرحوم بعض القصائد التي نشر البعض منها في (عدسانيات) وهو في حالة معاناته مع الشيخوخة ، وله كتابات منتشرة في بعض الصحف والمجلات ، وله مقابلات سياسية وأدبية وتجارية أيضا يوم كان وزيرا للتجارة .

وقد طبع كتيبا سماه (نصف عام للحكم النيابي في الكويت) يحتوى على بعض الوثائق المتعلقة بالمجلس التشريعي ، من الثاني من شهر جمادى الاولى سنة ١٣٥٧ وحتى ٢٥ من شهر شوال سنة ١٣٥٧ . أي (منذ ٢٩ يونيو ١٩٣٨ إلى ١٧ ديسمبر ١٩٣٨) . وهذا الكتيب الصغير يعطي صورة واضحة لأسلوب المرحوم في الكتابة ، وقد حفظ هذا الكتيب تاريخ فترة هامة من تاريخ الكويت ، وكان المرحوم خالد سكرتيرا لمجلس الامة التشريعي هذا ، وقد طبع هذا الكتيب في بيروت سنة ١٣٦٦ - ١٩٤٧ م وكان لا يزال لاجئا فيها بعد سقوط المجلس وهروبه من الكويت إلى العراق ثم إلى لبنان .

وللمرحوم كتاب أشبه بالمذكرات عن المجلس التشريعي الذي نحن بصدده كتب خطوطه أثناء عمله سكرتيرا له ، وبعد ذلك أعاد كتابته وطبعه على الآلة الكاتبة أثناء عمله سفيرا للكويت في كل من عمان والقاهرة وروما ، ولانشغاله في عمل السلك السياسي اختلطت أوراق هذا الكتاب ، وظل محتفظا بها ، وسبب اختلاط الأوراق أنه طبعها ولم يرقم الأوراق ، وبعد

تقاعده ومكوثه في بيته سلم إلي هذه الأوراق لمراجعتها وترتيبها وترقيمها ، ولم أستلم منه الأصل الذي على أساسه طبع هذه الأوراق على الآلة الكاتبة ، ولعدم علمي به . وفي إحدى إجازاتي سافرت إلى الخارج وأخذت معي الأوراق ، وخصصت جزءا من وقتي لقراءتها وترتيبها وترقيمها بقدر الامكان ، ووجدت أن قسما منها مطبوع مرتين إما بالزيادة أو بالنقصان . لكن الذي سهل علي الأمر وأعانني على الترتيب والترقيم الأحداث المسجلة عليها نفسها ، فمن سياق الأحداث تستطيع ترتيبها ، ومن تسلسلها تستطيع ترقيمها أيضا ، وانتهيت منها خلال هذه السفرة في الخارج ورقمتها بعد ترتيبها حيث بلغ عددها ما بين (١٣٣ أو ١٣٥ صفحة) على ورق حجم (فولسكاب) كما يسمونه .

بعد عودتي من إجازتي في الخارج سلمتها إليه ، وأبدى ارتياحه التام لها ، واحتفظ بها لنفسه ، وكلما طالبناه بنشرها في كتاب اعتذر وتحرج قائلا إن فيها حقائق تاريخية ، ولا أريد أن أغير أي شيء من هذه الحقائق ، ونشرها دون تعديل أو تغيير قد يسيء أو يكدر بعض الزملاء ، وهم أصحاب وأصدقاء لي أعتز بصداقتهم ، وأريد الحفاظ عليها ، ومنهم من لاقى ربه ومنهم من ينتظر ، وكلهم لديهم أبناء أو أحفاد ، أو أقارب وعلاقتي بهم حسنة ، لكن سيأتي الوقت الذي تنشر فيه هذه الأوراق ، وتظهر الحقائق للناس .

إن التاريخ سجل للحقائق ، والانسان ليس معصوماً من الخطأ ، والأهواء تتقاذف النفوس يمنة ويسرة ، والمطامع الدنيوية كثيراً ما تعمي الأبصار ، وتتسلط على البصائر ، ولهذا لا بد من وضع النقاط على الحروف ، وعدم العبث بالتاريخ ، وابراز الحقائق كما هي دون تغيير أو تبديل ، مهما كانت هذه الحقائق شديدة قاسية على نفوس البعض ، فالحق أحق أن يتبع ، ولهذا أود من كل قلبي أن ينشر كتاب المرحوم خالد العدساني هذا كما هو ، وليس فيه كما اطلعت عليه ، أي تعدّ أو تقوّل بحق أحد ممن ذكرهم في الكتاب ، وانما هو سجل أحداث ، والأحداث يصنعها الانسان نفسه ، قد يصنعها إيماناً منه بالاصلاح ، وقد يصنعها للاستفادة منها واستغلال ظروفها ، وقد يصنعها حباً منه في دفع عجلة الحياة إلى الأمام ، وقد يكون صانعو الأحداث على حق في صنعهم ، وقد يكونون على خطأ ، وقد يكون الخطأ مقصوداً وقد يكون غير مقصود ، أعني أن الوقائع يجب أن تأخذ نصيبها من التاريخ وتسجل على صفحاته كما هي ، وكما كتبها كاتبوها ، مهما كانت ، لا سيما بعد أن لاقى كاتبوها ربهم وخلفوها وراءهم ، وكلما كان نشرها قريباً كان ذلك أصح ، حتى لا يتقدم بها الزمن ، ولا ينتهي كل جيلها ، ولكي يكون في المستطاع تثبيتها أو وضع الملاحظات عليها من الذين عاشوا أحداثها ، ونقدها وبلورتها ووضع الهوامش عليها وكذلك التعليقات والملاحظات ومختلف الآراء والأفكار ، إذ يمكن لميزان النقد أن يزن الحقائق وزناً عادلاً دون زيادة أو نقص ، ودون أخذ حق من أحد ، أو إعطاء حق لمن ليس له حق .

قلنا من العجب أن لا نجد من يتصدى للمرحوم خالد العدساني بالكتابة أو النقد وهو الذي كان جزءا من تاريخ الكويت ، وكان أحد ساستها ، وأحد أدبائها وشعرائها مهما كان مقلا في شعره أو في أدبه ، وكما قلنا عنه ، انه ربما أشغلته السياسة عن كثرة العطاء ، كما أن التجارة لها دور في تاريخ حياته ، حيث مارسها في الكويت قبل أحداث المجلس وأثناء المجلس وبعده ، ومارسها في العراق في البصرة ومارسها في لبنان أيضاً ، وتجارنا في الكويت يعرفونه تاجراً أخذت منه التجارة كثيراً من وقته . وربما قال شيئاً من شعره عن التجارة ، وصور بعض

جوانبها ، أما في مقابلاته مع بعض الصحفيين فقد تكلم كثيراً عنها ، ووضح باعه فيها . أما الوزارة التي شغلها وكانت وزارة التجارة والصناعة فقد قال فيها : -

قالوا الوزارة إن المجد رافقها
والأمر والنهي جزء من مزاياها
قلت الوزارة ذلّ لا فكاك له
والقيد والرق بعض من بلاياها

مات الضمير

لاحظ أنه يصف الوزارة بالذل ، ألا يعني ذلك أن السياسة تؤثر عليه وتتدخل في شئونه التجارية ؟ ألا يدل هذان البيتان على أن السياسة والتجارة والأدب تختلط في دمه كما قلنا ؟ ومع ذلك نقول ان السياسة في حياته لها القدح المُعلّى ، اقرأ قصيدته (مات الضمير) تجد صحة ما أقول ، وهي قصيدة يتكلم فيها عن مكر اليهود ودهائهم بمسخهم مبادىء « ولسون » وجر الأمريكان من أنوفهم والسيطرة عليهم وتسخيرهم وتسخير قواهم المادية والمعنوية لخدمة اليهود ، يقول ويعني في قوله « ولسن » : -

حتى إذا ملك اليهودُ زمامه
مُسخت رسالته وعمَّ بلاء
فبكل قطر ثورة وتآمر
وبكل شبر خضة ودماء

ويقول في نفس القصيدة ويعني في قوله قومه العرب : -

نمنا وأيقظنا الزمانُ وإذْ بنا
أسرى يُكبِلُ صحونا الجهلاء
فالعلم كفر والتقدم بدعة
والزهد دينٌ قالها الفقهاء
يا لائمين مع الأذى أحوالنا
إنا وأنتم في البلاء سواء

إنها قصيدة سياسية بغض النظر عن مستواها الفني ، وكل إناء ينضح بما فيه كما يقول المثل العربي .

إن المرحوم خالد سليمان العدساني ذو حسّ وطني قومي منذ صباه ، ولهذا تعرض في حياته لكثير من المشاكل وكان أهمها اشتراكه في المجلس التشريعي عام ١٩٣٨ الذي أدى به إلى الهروب بعيداً عن وطنه الكويت ، كما أنه صريح وجريء في دفاعه عن القومية العربية أمام الذين لا يفهمون معناها ، وأمام الذين يحاولون أن يشوهوها ، وينحرفوا بمفهومها الصحيح إلى مفهوم خاطىء مدسوس . نقول مدسوساً لأننا نفهم القومية كياناً ودعوة إلى لم شمل العرب الممزق ، ودعوة إلى توحيد كلمتهم ، ودعوة إلى وحدتهم كأمة عربية منهوبة بسبب تفرق كلمتها ، وتجزئة ترابها وأرضها التي تعيش عليها ، ووقوعها لقمة سائغة في أفواه الطامعين .

وأين خالد العدساني من الذي يحدث اليوم للعرب ، لا سيما على أيدي اليهود ، وأيدي قوم « ولسن » الذين طبعهم اليهود ودجّنوهم واتخذوهم عبيداً لهم ؟ أين هو اليوم مما يجري في لبنان وهي البلد التي كان يعشقها والتي أقام فيها ردحاً من الزمن ، واتخذ فيها مقراً له ومقاماً كثيراً ما يقيم فيه ، أعني منزلاً كان يقيم فيه أثناء خروجه من الكويت ، ويتردد عليه بعد عودته إلى الكويت ، ألم تسمع ما يقول في لبنان إنه يقول متذكراً أيامه ولياليه : -

لي في مجاليك الحياة تفتحت
أكمامها فغدوت كالسلطان
وعرفت معنى الحب فيك معطراً
ونهلت من ينبوعه الريان
قصر « الصنوبر » في الضحا مأوى لنا
أما العشي « فقهوة الرمان »
« والحرش والعرشات » طاب عبيرها
وجداول « العرعار » للولهان

إلى أن يقول : ـ

يـا آل لـبنـان الحبـيـب ولي بكـم
أمـلٌ تحـلّى بـالـشـذا وأمـاني
إن تنصفـوا . . أهـل وان لم تنصفـوا
لبـنـانـكـم لـكـمـو ولي لـبنـاني

مع السهر والسمر

ولا شك أن هذه الأبيات تدل على حبه للبنان ، وتصور الأيام والليالي التي قضاها في ربوعها بين قصر الصنوبر ، وقهوة برمانا حيث يطيب السهر ويحلو السمر ، ولا زالت نسمات الحرش والعرشات يطيب عبيرها وتكاد أن تسكره ، وخرير جداول العرعار تعزف بأنغامها الشجية للمحب الولهان . فأين هذه وتلك من الأحداث التي تعصف بلبنان اليوم ، وتبطش بهدوئه ، أين من هرولة الذئاب على جنباتها تفترس هنا وتأكل هناك ، وأين غدر الذئاب من غدرها .

نعم تمنا كما يقول ، ولم يوقظنا الزمان ، ومن يدري ، ربما يوقظنا بعد لأي ، وبعد خراب البصرة كما يقولون ، ونقول إنه ليس خراب البصرة وانما خراب الوطن كله ، وخراب الأمة كلها ، والسرطان لا زال يمتد ويمتد ويستشري ، والفقهاء الذين لا يفقهون يرددون بأن الزهد دين !! نعم هكذا . لا شك أن تخوفه من المستقبل طبع بعض ما قاله ونظمه بطابع الألم والأسى ، وقد أثرت عليه نكسة حزيران بمصر عام ١٩٦٧ وانفعل بها وسجلها بقصيدة يرد فيها على الذين تطاولوا على الزعيم العظيم المرحوم جمال عبد الناصر ، وهم هم معاول هدم حيث راحوا يستشفون ويلقون التهم جزافاً ويغمزون من قناة الراحل العظيم ، فراح يخاطبهم بقوله : ـ

أيـعـتـب من كـان مـنـا الملوم
ويـسـخـر ذاك الـدعـيّ الـظلوم
فـهـلْ يـسـيرٌ عـلى نـاقـم
يـردّد دعـوى الـعـدا والخـصـوم

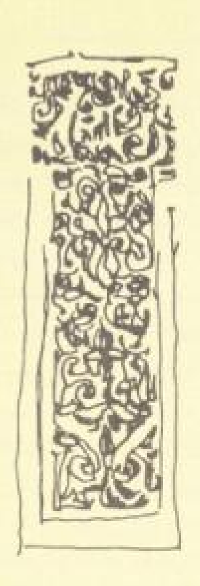
●●●

مصـير العـروبـة رهن الـريـاح
فـلا فضـل إلا لشـاكي الـسـلاح
فـبـالله كفـوا ويـكـفـي الـصـيـاح
فـما عـاد يجـدي عـوا أو نـبـاح

●●●

يقول إن من اليسير على الناقم أن يردد كالببغاء ما يقوله الأعداء ، والناقم الحاقد تطغى أحقاده عليه وتطمس بصره وبصيرته فيروح من غير وعي ولا حس وطني ولا شعور قومي يردد ما يفوه به الأعداء ، وغرض الأعداء القضاء على كل شيء عربي بما في ذلك الحاقد وحقده ، ويحسب الحاقد الببغاء أنه يشفي غليله من الرئيس جمال عبد الناصر بسبب ما أصابه على أيدي الأعداء . ويقول ان مصير العروبة تتقاذفه الرياح إن لم تقم الوحدة بين أمة العرب ، فهي التي تمكنهم من بناء القوة ، وتدفعهم إلى رد الظلم بقوة السلاح ، ودعك من صياح الحاقدين وعوائهم ونباحهم ، إنها أحقاد لا تعمى الأبصار فحسب وانما تعمى البصائر وتعمى القلوب التي في الصدور .

إن الحديث يطول عن خالد العدساني ، ولا بد من أحاديث عنه ، كسياسي وتاجر ، وكأديب له دور في الأدب ، مهما كان هذا الدور ، وله محاولات شعرية مهما كانت هذه المحاولات ، وهناك من هم أقل شأناً منه احتفى بهم الأدب وأعطاهم حقهم ومنهم من أعطاهم أكثر من حقهم وأكثر مما يستحقون ، ولهذا لا بد من أن يأخذ حقه كاملاً كسياسي وطني وكأديب أعطى بقدر ما يستطيع ، وأدى الأمانة بكل صدق وتجرد واخلاص . ○



محمد عبد الولي و بدايات القصة القصيرة في اليمن

بقلم الدكتور عبد العزيز المقالح

اقترن ظهور المحاولات الاولي لفن القصة في اليمن بشطريها بظهور الحرب العالمية الثانية . وكان عام ١٩٣٩ وهو العام الذي انطلقت فيه الشرارة الاولى للحرب ، كان عام المحاولات القصصية الاولى في هذا الجزء الثاني من الوطن العربي . فقد نشرت مجلة الحكمة اليمانية في صنعاء قصة « أنا سعيد » للشهيد أحمد حسن البراق ، كما ظهرت معها في نفس العام قصة طويلة في عدن للكاتب المحامي علي محمد لقمان بعنوان « سعيد » وقد تكررت المحاولات في الشطرين متعثرة ، وصارت في منتصف الخمسينات ـ وفي عدن بخاصة حيث توافرت بعض الشروط الاقتصادية والثقافية ـ صارت اكثر نضجا واقترابا من المفهوم الحديث للقصة .



وقد تأخر الظهور الحقيقي لفن القصة في اليمن الي ما بعد ظهور القاص الاول محمد عبد الولي ، الذي تميزت قصصه بوعي جديد وعبرت عن ادراك سليم لمقومات القصة القصيرة واستيعاب اهم الشروط الفنية للكتابة القصصية . وقد استطاع هذا القاص الشاب الذي لم يعمر طويلا ان يصل بالقصة القصيرة في وقت قصير الى مستوي عال من الاجادة والاتقان ، وترك في اقل من خمسة عشر عاما ـ وهو كل عمره الادبي ـ ثلاث مجاميع وروايتين قصيرتين احداهما لم تتم .

تلقى محمد عبد الولي دراسته الثانوية في القاهرة ، وقبل عام واحد من وفاته كان في زيارة للقاهرة في اثناء ما كنت طالبا فيها ، وقد دعاني يومئذ مع بعض الاصدقاء لكي نزور مدرسته الثانوية ، ثم مكتبته المفضلة في حلوان وفي الطريق مضى يتحدث عن مرحلة الدراسة ، وكيف كان يقطع المسافة بين المعادي وحلوان مشيا علي الاقدام وهو يحلم بماسوف يكتبه من قصص ، وكيف ان اسمه سوف يصبح علي كل لسان . وفي المكتبة الصغيرة القديمة في حلوان توقف يتذكر الاعوام التي امضاها بين الكتب وامتدت يده اكثر من مرة الي الرفوف يتحسس بعض الكتب وعندما كان يفتح بعض الصفحات كان يشير الي بعض التعليقات التي كتبها بخط يده على الهوامش البيضاء .

كان معظم تلك الكتابات من القصص المترجم والقليل منها فقط من القصص الموضوع بالعربية ، روايات ، قصص قصيرة لكتاب كبار وصغار ، واساليب بعض هذه الكتابات تقليدي يميل الى السرد والوصف واساليب بعضها يسعى نحو التجديد ويميل الي تكريس لغة قصصية جديدة والى ايجاد اساليب فنية تخرج بالقصة عن مجال الحكاية وتحاول الوصول بها الى مواقع جديدة ومتقدمة . وكأنما كان محمد عبد الولي وهو يطوف بنا في معالم ذكرياته وفي المناخ القصصي لمنتصف الخمسينات ، كأنما كان يشعر بقرب نهايته على الارض فقد توفي بعد شهور من تلك الزيارة في حادث طائرة مشئوم في الشطر الجنوبي من الوطن في مايو ١٩٧٢م .

وفي الذكري الاولى لرحيل فقيد القصة اليمنية ذهبت مع صديق لي الى مكتبة حلوان التي كان البلي والتدمير يزحف نحوها بسرعة مذهلة لكي يدمرها ويدمر ما جاورها من حدائق خضراء ومناظر جميلة ، وقد حملت معي آلة تصوير لرسم تلك السطور القليلة التي كتبها القاص الراحل على هوامش الكتب التي قرأها في بداية انطلاقته الادبية لتكون مادة في متناول الباحث عن المكونات الاولى في ثقافته القصصية ، الا ان حارس المكتبة العتيقة رفض السماح لنا بالتصوير وصدنا عنها بعنف ومنعنا حتى عن دخول المكتبة الا بتصريح من وزارة الداخلية !!

ولم يتوقف محمد عبد الولي عند حدود مكتبة حلوان وما ضمته رفوفها القليلة من نماذج فن القصة فقد سافر في اواخر الخمسينات الي الاتحاد السوفيتي والتحق هناك بالجامعة وقراء روائع القصص العالمي باللغة الروسية التي اجادها واطل من خلالها على عوالم تشيكوف وتولستوي ودوستويفسكي وجوجول وتورجنيف وبقية اعلام القصة الروسية ،وقد تركت هذه القراءات ـ التي شغلته عن دراسته الجامعية ـ اثرها الواضح في طريقته في الكتابة ، فقد تعلم من شوامخ ذلك الادب المتميز اهم اساليب البناء الفني ، وكيفية التعامل مع اللغة بقدر من الحساسية الشعرية دون ان يفقد الشخوص خصائصها الواقعية او يفقد اجواءها الاستجابة والحضور في الواقع المعاش والراهن .

في موضع الريادة

وقد شكلت الاعمال القصصية التي انجزها



محمد عبد الولي في فترة قصيرة نسبيا الامتداد الطبيعي والمتطور والمتمثل لمستوى القصة القصيرة في عدد من الاقطار العربية المتطورة ، كما وضعته تلك الاعمال بايجابيتها في موضع الريادة في كتابة القصة القصيرة في اليمن ، والتي صار لها فيما بعد كتاب شبان كثيرون يمتلكون من القدرات والامكانيات ما قد يفوق مستوى الرائد الراحل ، وان لم تكن لهم جميعا عمق ثقافته ورؤياه ولا كان لهم في معظم الاحيان صدق معاناته واتساع دائرة تجاربه التي تستند الى معطيات الخمسينات والستينات في الوطن العربي ، والى الحياة الصاخبة التي عاشها مسرفا لا يدخر جهدا ولا مالا وهو ما جعله اكثر عمقا وابعد نظرة ، قفز به الى مستوى الرواد بلا منازع .

وفي كتابة (القصة اليمنية المعاصرة) يشير الدكتور عبد الحميد ابراهيم الى هذه الحقيقة بجلاء عندما يقول (وتميز من بين الكتاب محمد عبد الولي فقد طغت شخصيته على بقية الشخصيات وانطبعت اصابعه على مسيرة القصة في جميع مراحلها ، وبدأ خلال تلك الرحلة شيئا شامخا وملفتا للأنظار . ولو قمنا بتجربة فرضية ومحونا مؤقتا قصص محمد عبد الولي لاهتزت المحصلة النهائية ، ونكاد لا نلتقي بقاص اخلص اخلاصه لهذا الفن واوقف حياته عليه . ان هناك ظروفا شخصية وخارجية ساعدت على بروز هذه الظاهرة ، فهو يملك وقدة العبقرية التي تحترق وتقدم ما عندها او تموت دونه ، وهو قد قام برحلات طويلة المدى ، وعاش فترة في القاهرة والتقى بأدبائها وعقد صداقات شخصية مع بعضهم ، وسافر الى موسكو وقرأ للكتاب الروس واعجب بهم ، وعمل في وزارة الخارجية وتنقل في بلاد مختلفة ، فضلا عن انه ولد في الغربة من اب يمني وام حبشية ، وعاني مشكلة « المولدين » بكل ابعادها . ثم جاء الى اليمن يحمل في داخله القلق والمعاناة ، فهجم على الحركة القصصية من فوق وغير مسارها) .

د . عبد الحميد ابراهيم : القصة اليمنية المعاصرة ـ دار العودة ، ص٣٤٣ ومن الطبيعي ان يوجد بين كتاب القصة في اليمن اليوم من يستكثر هذه المكانة على محمد عبد الولي وهو موقف لا يكاد يختلف كثيرا عن موقف بعض الشعراء الذين يستكثرون اهتمام النقاد والدارسين بالشاعر محمد محمود الزبيري لمجرد وجود شعراء اكثر قدرة منه على الاستفادة مما وصلت اليه القصيدة العربية من تكتيك حديث واستيعاب اوسع واشمل لهموم المرحلة وقضاياها . ولا اظن ان احدا سوف يتهم الباحث الذي اعطى لمحمد عبد الولي تلك المكانة الفريدة بين زملائه كما لا يستطيع احد ان يتهمه بالتحيز او المبالغة عندما اشار الى انه لو قام بتجربته الفرضية وحذف قصص محمد عبد الولي من خارطة القصة في اليمن لاهتزت المحصلة النهائية ، وخسرت القصة القصيرة اهم

فرسانها واهم نماذجها ان لم نقل عمودها الفقري الذي بدونه لا تستطيع الوقوف فضلا عن متابعة السير .

ثلاث مجموعات قصصية :

عندما اصدرت دار الآداب في منتصف الستينات المجموعة الأولى من قصص محمد عبد الولي وهي (الارض ياسلمى) كانت بمثابة تحية من الدار للادب في اليمن وبمثابة شهادة ذات دلالة خاصة تعلن بها عن ميلاد قاص موهوب في الأطراف الجنوبية من الجزيرة العربية ، وفي بداية السبعينات ظهرت المجموعة الثانية بعنوان (شيء اسمه الحنين) وبعد رحيله بعامين تقريبا ، صدرت مجموعته الثالثة (عمنا صالح) وما يزال البحث جاريا عن بقية القصص التي لم تنشر بعد لكي تصدر في مجموعة رابعة ، وقد ظهر بعض هذه القصص المنسية منشورا في (مجلة اليمن الجديد) وفي العدد الاخير من مجلة (الحكمة) عدد ابريل مايو ١٩٨٣ .

اذا كان الدكتور عبد الحميد ابراهيم قد اشار في النص السابق الى ان محمد عبد الولي قد ولد في الغربة من اب يمني وام حبشية والى انه قد عانى من مشكلة « المولدين » بكل ابعادها ، فان تلك الاشارة تقتضي امانة التأكيد على ان الولادة خارج اليمن لم تترك في نفس القاص الكبير اي تأثير سلبي ، وربما جعله ذلك الميلاد البعيد شديد الحب للوطن بعيدا عن احتراف الامراض التي عصفت بكثير ممن ولدوا على اديم اليمن ذاتها ، فقد عاش بريئا من الطائفية والمشاعر الاقليمية ، ولا شك ان للثقافة الجديدة دورا في تكوين احساسه الوطني والارتفاع به عن التلوث بمستنقعات الطائفية وما شابهها من امراض الانفصام الا ان الذين عرفوه عن قرب يتذكرون انه بفطرته وحدها كان يحب وطنه اليمن يحب الأرض والانسان ويتعلق بكل ما يرتبط بحاضرها وماضيها ، ولعل اهم المحاور التي تدور من حولها قصصه القصيرة ورواياته هو الحب . حب الارض اليمنية الحب الذي بدأ عنيفا جارفا في مجموعته الأولى (الارض يا سلمى) واستمر في تصاعده واستمر نبضه الحي يتألق ويتجدد ويكبر الى قصة (النهاية) اخر قصص مجموعته الثالثة (عمنا صالح) . .

الارض يا سلمى

في قصة (الارض يا سلمى) يغوص قلب الانسان في الارض كل يوم كما تغوص المياه ويسقيها الناس بالدموع وبالدم كما تسقيها الامطار . . المرأة تحرث وتحصد ، وترعى المنزل في غياب الرجل المهاجر وهو هناك بعيدا في البحر ، البحر الكبير يجمع ما يستطيع من النقود ويبعث بها الى الزوجة والأولاد حتى لا يفقد من لا يملكون شيئا سوى قطعة ارض صغيرة ارضهم ويستولي عليها من يملكون المال والاراضي الواسعة . ويرى بعض النقاد الذين تناولوا بالكتابة بعض اعمال القاص الراحل ان الغربة وحياة المهاجرين يشكلان المحور الرئيسي الذي ادار عليه محمد عبد الولي معظم كتاباته القصصية الا انني ارى ان حب الارض هو ذلك المحور ، وان القصص التي كتبها عن المغتربين وهي كثيرة لا تشي باي قدر من التعاطف مع محنة هؤلاء البؤساء الذين ابعدتهم الظروف القاسية عن الوطن ، انها قصص غاضبة تدين الغربة والمغتربين معا وتنظر الى كل مغترب باحتقار في الوقت الذي تؤكد فيه حب الارض ضرورة والتمسك بها حتى الموت ، اذ لا قيمة لانسان لا ارض له ، ولا مكان ينتمي اليه ، انه يظل كالمعلق بين الارض والسماء وليس من الضروري ان تكون له ارض يزرعها او يمتلكها ، وانما ارض يعيش عليها وينتمي الى ترابها ، وان يكون له وطن . وبذلك فان القاص لا يصور حال هؤلاء المغتربين ولكنه يصور من خلالهم الوطن وكيفية التفاني في

الدفاع عنه . والقاص لا يحرم المهاجرين من عطفه وحسب وانما هو يتهم كل من يترك بلاده بالجبن والتخاذل كما في قصة « الارض يا سلمى » وقصة « على طريق اسمرا » وكما في « مومس » من مجموعة « شيء اسمه الحنين » وقصص اخرى وكما في رواية « يموتون غرباء » حينما يتهم المغتربين في عهد الامام بالهروب من وجه الظلم . وهؤلاء لايكتفي برفض المبررات التي يسوقونها لتبرير مأساة الغربة وكونها طريقا للخلاص ، انه يضحك لهذا التبرير ويصرخ في وجه احدهم (انك تتحدث اربعا وعشرين ساعة عن تجربة بلادك ولكنك لن تحررها مطلقا . لقد هربت ، اتعرف ؟ من هنا لن تستطيع الا ان تصرخ بملء فمك : ايها الظالم سننتقم ولكنك تفتح فمك ولن يسمع احد صوتك سوانا) وهو ينقل حديثا حزينا لأب مهاجر الى طفله الذي ولد بعيدا عن الارض . ومما جاء في ذلك الحديث (انظر يا صغيري هنا في كل هذه المقبرة ينام الى الابد ، انا س غرباء ، لم تلدهم هذه الارض ، ولم تنشئهم وتربيهم ، ولكنها قتلتهم لانهم قوم غرباء ، لقد خانوا تربتهم لانهم لم يدفنوا فيها ، كم هو سعيد ذلك الذي يدفن في تربته وفي ارضه) يموتون غرباء : ص٢٧

ليس الاحتقار هنا منصبا على الذين يموتون بعيدا عن الوطن ، انه ينصب كذلك على كل من يقبل بالفرار عن الأرض التي ولد عليها وهو يرفض كل انواع المبررات التي يسوقها عادة اولئك الذين تلجئهم ظروف القسوة والاضطهاد الى الاغتراب ، وهو لا يقصر هجومه على الفرار وحده وانما يضيف اليه هجوما مرا وقاسيا عندما يتهم هؤلاء الفارين باصرارهم على زراعة اطفال في الغربة وتعريض هؤلاء الاطفال الغرباء للقسوة في وطن ابائهم وفي وطن امهاتهم على السواء ويصل به العنف الى اتهامهم بالجبن وبالموافقة الضمنية على اضطهاد الوطن وتفريغه من قواه العاملة اذا كان الاضطهاد السياسي هو السبب فليصمدوا في وجهه اما التخلي عنه والاكتفاء بالمناقشات التافهة والاحلام التي يجترونها عن بعد فهي تضاعف المأساة وتخفف من قوة الضغوط المساعدة على التغيير وفي يقيني ان اي دراسة عن الهجرة اليمانية المعاصرة لا بد أن تأخذ في الحسبان ما كتبه الشعراء والقاصون من اعمال ادبية تستوحي هذا الجانب في حياة اليمنيين وما كتبه محمد عبد الولي على وجه الخصوص . فالعمل الادبي احيانا يكون وثيقة اجتماعية اكثر قدرة على تصوير جزيئات الواقع من الدراسات التاريخية والاجتماعية .

وفي محور حب الارض ايضا وهو أوسع المحاور التي تحركت عليها قصص محمد عبد الولي تقف قصة « ياخبير » شامخة ومتألقة بمحتواها الوطني الوحدوي الاخوي ، « والخبير » في اللهجة المحلية اليمنية لا علاقة له بذلك الخبير الاجنبي الذي يسعى بذكاء ودهاء الى تمزيق الوطن العربي والقضاء على مقدراته الاقتصادية والاجتماعية تحت ستار الخبرة . الخبير هنا في قصة محمد عبد الولي وفي اللهجة المحلية« الرفيق » ، وعندما يقال يا خبير فذلك يعني يا رفيق ، قد يكون رفيق الطريق او رفيق العمل وبأختصار شديد . فالكلمة تحمل نفس مدلول كلمة« رفيق » الفصيحة . ولي عن هذه القصة دراسة مطولة لم تنشر بعد ، وقد اسقط فيها القاص او بالاصح حاول ان يعالج ظاهرة الطائفية الاقليمية التي تفشت في اليمن في عهد الامامة الاخير وصلت ذروة تأثيرها البغيض في الاربعينات والخمسينات عندما توهمت السلطة الامامية المنقرضة أن بوسعها ان تجعل افراد الشعب البسطاء يتقاتلون دفاعا عن اوهام وميزات قبلية او اقليمية لا معنى لها ، وحتى يغدو دور السلطة العابثة حينئذ مقتصرا على حفظ التوازن الموهوم ووضع حد للخصومات اليومية ، فضلا عن ضرب قرية بأخرى ومنطقة بمنطقة واستغلال كل ماتصوره الشيطان وما لم

يتصوره من اساليب لتمزيق وحدة الشعب واشاعة اسباب الخلاف بين ابنائه وايقاظ الاشباح النائمة من بطون الكتب او من ثنايا التاريخ ، واطلاقها عمدا ومع سبق الاصرار في وجه الشعب لكي تشغله عن حقيقة التغيرات من حوله ومحاولة تحويل التنوع والاختلاف الجغرافي الى وسيلة هدم للوحدة الوطنية . وقد استطاع محمد عبد الولي من خلال قصته(ياخبير) والتي تجمع بين الرمز والوضوح بين الايحاء والمباشرة استطاع ان يتبين عناصر الهم المشترك بين العسكري والفلاح وقد جمعتهما رفقة الطريق ونجح في ان يجعل منهما رفيقي عمر وكفاح كما نجح في فضح الاساليب التي اعتمد الطغيان عليها لايجاد هوة من عدم الثقة بين من كانوا يسمون بالعساكر ومن يسمون بالفلاحين وهي محنة يعرفها اهل اليمن جيدا اكثر من غيرهم ولو ان حجم هذه الدراسة يساعد على نقل بعض المقاطع من القصة لاوضحت بجلاء مالا تستطيع الاشارات ان تجعله واضحا .

نهاجر .. ونهاجر

وتكاد قصص المجموعة الثانية (شيء اسمه الحنين) تكون مجموعة قصائد من الشعر العذب الذي يتغنى بالارض ويحترق حنينا وشوقا اليها . والقصة التي يحمل عنوان المجموعة اسمها توكد هذا المنحى بطريقة مثيرة للقارىء فهي تبدأ بالهجوم العنيف على (هذه البلاد - اليمن - التي تقتل في الانسان حاسة التفكير وتبلد الحس وتنهي مع مرور الزمن نشاط خلايا المخ القابلة للتفكير) ثم يستمر الهجوم عنيفا الى ان يصل ذروته في منتصف القصه حين يتحول الهجوم الى صرخات متحشرجة(نحن اليمانيين مكتوب علينا ان نهاجر ، ونهاجر ، بلادنا ليست لنا ، هذه حقيقة تاريخية ، ان لعنة ذي يزن تطاردنا وستظل تطاردنا ونحن غزاة غيرنا ، سيوف غيرنا بناة بلاد اخرى . هذه الجبال اللعينة عليها ان تسحق ان تذوب لانها لا تحمي الا من يماثلها في الكآبة والفراغ جرداء هي وجبالها ، وجرداء هي عقولنا وعواطفنا . ماذا نستطيع ان نعمل ؟ طاحونة هائلة تبتلع وتبتلع لا أمل سوى ان نذهب بعيدا لعلنا هناك نستطيع ان نعمل) هذا الصوت الخارجي لكن القصية لا تنتهي الا وقد تغير الصوت ، الى اخر يتصاعد من الباطن من اعماق النفس المرتبطة بالأرض والتراب الذي ينتمي اليه الجسد اليماني (في اعماق كل واحد مناشيء اسمه الحنين اننا نهرب ونغيب ونلعن كل ما هو حولنا لكن الحنين يتغلب في النهاية ، ستعود يوما ما ، هكذا نحن .. ما في بلادنا هذه ... الاستمرار ذلك هو الشيء وانت لا تستطيع هناك الاستمرار لأن التربة ليست في خلايا جسدك وفي خلايا مخك ، في .. خلايا تفكيرك فيك انت وانا وفي كل هو لا في هذه التربة الشي الكثير صدقني هناك سنعقد كل شيء قد لا تندم غدا ولكن اليوم سيأتي سريعا والحنين مع الندم يكونان سيمفونية غنية قاسية ومرعبة لا تستطيع الانفصام عن وجودنا لانه مهما كان الحنين اكبر .)

لقد طرح الجزء الاول من القصة كل المعاذير والمبررات التي يطلقها المواطن المأزوم في حالات الغيظ والقلق وفي لحظات الاستعداد للهروب من واقعه ثم يأتي الجزء الأخير ليدحض كل هذه المعاذير وليثبت من خلال الحوار بين الصديقين ان حب الأرض اقوي من كل المغيرات والمخاويف ، وان اليماني مهما حاول لا يستطيع ان يقطع الحبل السري الذي يربطه بالأرض ، واذا انقطع ذلك الخيط مات اليماني حتى لو بقي حيا فان حياته لا تختلف عن الموت كثيرا .

وفي المجموعة الثالثة(عمنا صالح) قد يختلف الاسلوب ويضطرب بعض الشيء كما تتسع مساحة الحوار الامر الذي دفع بالناشر او معد هذه المجموعة الى اعتبار بعض القصص

الحوارية اعمالا مسرحية قصيرة ، اقول ان الاسلوب قد يختلف لكن الرؤيا تظل هي هي ، منطلقة من نفس المحور الرئيسي التابع من حب الارض والتشبث بها ويلاحظ ان عددا من قصص هذه المجموعة قد كتبها القاص وهو في سجن القلعة واثناء سجنه قبل الاخير ، اما القصص التي كتبها في سجنه الاخير فقد ضاعت معه واحترقت في الطائرة مع كل الاحلام والمشاريع لقصص وروايات اخرى . والآن يجري البحث عن بعض هذه المجموعة الثالثة والتي تمت كتابة معظم أقاصيصها في السجن فقد امتلأت بقدر غير قليل من السوداوية وتسربلت بعض صحاتها بكآبة مرة ساخرة كما في قصة (ذئب اكله) لكن ذلك لايضعف الخط الرئيسي في كتابته ولم يبعده عن تصوير محبة الوطن والحنين اليه بنفس الاسلوب المشوق الجذاب .

روايتان احداهما لم تتم :

كان محمد عبد الولي في ايامه الاخيرة ـ كما تشير الى ذلك رسائله واحاديثه الى اصدقائه ـ يسعى باحثا عن موطىء قدم في مكان ما من اليمن فيستقر عليه ويمضي في كتابة عدد من الروايات التي خطط لتنفيذها في سجنه ، وكأنه اراد ان يهجر القصة القصيرة بعد ان اعطاها شبابه كله واحرز فيها براعة ملحوظة في الحبكة وسرد التفاصيل والحوار ويبدو انه لم يكن راضيا بعض الرضا او كل الرضا عن روايته الصغيرة الأولى (يموتون غرباء) والتي كتبها في ظروف عدم الاستقرار كما ان روايته الثانية التي تركها قبل ان تتم لم تكن ظروف كتابتها احسن حالا فقد بدأها في بعض اسفاره ثم واصل كتابتها في السجن في جو الرقابة وفقدان كل وسيلة للكتابة او التسجيل .

ان كتابة الروايا ـ كما هو معروف ـ تتطلب فسحة من الوقت وهي لا تعكس جانبا واحدا من الحياة او تقف عند نموذج من الشخصيات كما تفعل القصة القصيرة وانما هي قطاع كامل وعريض من الحياة المليئة الصاخبة . وقد حاول محمد عبد الولي من خلال روايتيه (يموتون غرباء) و (ومدينة مفتوحة) ان يرسم صورة واقعية لمعاناة اليمنيين في المهجر وفي الوطن واذا كانت القسوة والعذاب هما القاسم المشترك في حياة اليمنيين في الداخل والخارج فان للقسوة في الداخل كما تعبر عن ذلك رواية صنعاء مدينة مفتوحة ـ طعما خاصا حيث يتحرك الابطال في مجال يعرفونه جيدا ويمتلكونه وان كانوا مملوكين فيه واذا كان احد ابطال الرواية قد ترك صنعاء بعد سقوطها في يد الامام الجديد بعد انتكاسة حركة ٤٨ فانه قد ادرك بعد فوات الاوان ان تلك قد كانت غلطته الكبرى التي ارتكبها في حياته كان عليه ان يظل يقاوم الامام الجديد والاوضاع التي ترتبت على سقوط المدينة حتى تجد الجماهير من يقودها الى طريق الحرية .

لقد اهتم محمد عبد الولي في قصصه القصيرة وفي رواياته بالمغترب اليمني وقام بتصوير معاناته واشجانه وتصوير الظروف القاهرة التي عصفت به والقت به خارج الديار لكنه اهتم اكثر من كل شيء بتصوير الوطن الذي ولد بعيدا عنه وبتمجيد كل ما يرتبط بالوطن من قيم عزيزة غالية على النفس كالثورة والشهداء والعمل والمحبة والوحدة .

وبعد فلعلي بعد تلك الاشارات التي تخللت سطور هذه الدراسة القصيرة العجلى لم اعد بحاجة الى اثبات ان قدرة القاص الراحل على توصيل رؤيته الى المتلقى وعلى الخوض في غمار الهموم المختلفة في الانسان والوطن نابعة من قدرته على امتلاك وسائل التوصيل ومن خبرته بأدوات فنه وكيفية استخدامها ولو قد عاش فترة اطول مما كان قد عاش لأكسب القصة العربية واحدا من اهم كتابها . وهذا ما يضاعف الحزن عليه ويجعل من غيابه خسارة لم تعوض . ○

الأمين العام في خدمة الصهيونية

بقلم : عبدالحميد الكاتب



تريجفي لي

كيف سرقوا فلسطين من أهلها . . هذه قصة المؤامرة التي تزعمها مجموعة من المهرجين لاغتصاب فلسطين ، عاصر كاتب المقال جانبا منها !

المراكز التي تستمد منها الحركة الصهيونية التأييد والقوة والمعونة متعددة متشعبة ، انها تستمد قوتها في الدعاية والتأثير في أفكار الناس من أجهزة الاعلام الكبرى حيث ترتفع فيها نسبة الموجهين لها والعاملين فيها من اليهود . فمثلا شركات التلفزيون الثلاث الكبرى في أمريكا ، إيه بي سي ، وإن بي سي ، وسي بي إس ، وكذلك هيئة الاذاعة البريطانية أخيرا . .

كل من هذه المؤسسات الضخمة الفعالة يديرها مدير يهودي ! وكذلك يكثر العنصر اليهودي بين المالكين والمديرين والعاملين في الصحف الكبرى ووكالات الأنباء في امريكا وأوربا ، وهذه الصحف والوكالات هي المصدر الأساسي من مصادر الأخبار لا في بلادها وحدها بل في العالم كله ، وهي تغرق صحفه واذاعاته بأخبار وتعليقات تجاري الحركة الصهيونية وتنطلق معها . وكذلك الأمر في صناعة السينما ، وفي دنيا المسرح ، وفي كل أمر متصل بخلق الرأي العام وتوجيهه . وأخطر من هذا ، فيما أرى نفوذ اليهود في عالم الكتب تأليفا ونشرا ، فهنا تطغى نسبة الكتب والقصص المعبرة عن اليهود وعن الصهيونية بصورة مباشرة أو غير مباشرة على ما عداها من الكتب واسعة الانتشار . حتى ان المجلة الاسبوعية التي تصدرها صحيفة نيويورك تايمز نشرت مقالا مسهبا عنوانه « ليس من الضروري أن تكون يهوديا لتستطيع أن تنشر كتابا » ! وهو دفاع يثبت التهمة التي صارت حقيقية معروفة .

أما قوتها الاقتصادية فان الحركة الصهيونية لا تعتمد على المال الاسرائيلي وهو قليل ، وإنما تعتمد على المال اليهودي في العالم وهو كثير جدا . فقد نجح دعاة الصهيونية منذ بداية الأمر في أن يحيوا في معتقدات اليهود ضريبة دينية اسمها باللغة العبرية « تزكات » يدفعها اليهودي « كفارة » عن وجوده واقامته خارج « أرض الميعاد » ! . .

مليار دولار سنويا

ونجحت المنظمات الصهيونية المنتشرة في العالم في جباية هذه « الزكاة » من أموال اليهود الذين يعملون ويربحون في شتى بلاد العالم ، وكان نجاحا لا مثيل له ، فهي تبلغ أكثر من مليار دولار في السنة يدفعها الأغنياء والفقراء منهم على السواء . . هذا بالاضافة الى « المساعدات الاقتصادية » الهائلة التي تتلقاها كل سنة من ميزانية الحكومة الأمريكية وميزانيات أخرى في صورة هبات أو قروض أشبه بالهبات . . وقد تجاوزت في مجموعها كل ما قدمته أمريكا لجميع دول أوربا الغربية في مشروع مارشال الشهير ، فقد تلقت هذه الدول وعدد سكانها ثلاثمائة مليون ، مساعدات أمريكية مجموعها ثلاثة عشر الف مليون دولار ، بينما تلقت اسرائيل وعدد اليهود فيها يتراوح حول المليونين ما بلغ سبعة بلايين حتى سنة ١٩٦٧ . . ثم طفر الرقم الهائل الى ما يبلغ الآن عشرين ألف مليون دولار !

وتستمد الحركة الصهيونية قوتها السياسية من مراكز الحكم ، على أعلى مستوياتها في كثير من الدول ، سواء في هذه الدول « البرلمانية » في غرب العالم ، والدول « الشمولية » في شرق العالم .

خذ مثلا تاريخيا واحدا ، عندما اجتمع تشرشل وستالين في مؤتمر يالتا سنة ١٩٤٥ ليبحثا هما وزميلهما في الحرب الرئيس الأمريكي روزفلت تنظيم العالم بعد أن تضع الحرب العالمية الثانية أوزارها ، أي تقسيم العالم الى مناطق نفوذ بين الدول المنتصرة . . فلما تعرضا لمنطقة الشرق الأوسط ، وتعرضا طبعا لفلسطين ومصيرها ، قال تشرشل : أريد أن أبدأ الكلام بأن أعلن مقدما أنني صهيوني . . وأومن بأن من حق اليهود أن يكون لهم وطن قومي وأن تكون لهم دولة يهودية . فعقب ستالين على هذا الكلام قائلا : « تقول انك صهيوني . . فمن قال لك انني لست صهيونيا ؟ . . أنا ايضا صهيوني مثلك ، وأومن بان من حق اليهود ان يكون لهم وطن قومي وأن تكون لهم دولة يهودية » !

حق الرئيس الامريكي

. وسنرى بعد قليل كيف قفزت المؤسسة الصهيونية الأمريكية فوق رأس وزارة الخارجية الأمريكية ، وفوق رأس وزارة الدفاع « البنتاجون » . ووصلت الى الرئيس الأمريكي هاري ترومان وانتزعت منه القرار الخطير الذي تريده ، رغم أنف الدبلوماسيين والعسكريين جميعا . . وأما النفوذ الصهيوني في دوائر الكونجرس والبرلمانات الأخرى ، وفي حملات الانتخابات وما تتطلب من نفقات ومن دعاية ، فأمر معروف كثر فيه الكلام .

كل هذه المصادر والموارد تمد حركة الصهيونية بأسباب التأييد والتدعيم والمعونة السياسية والمادية ، وهذا شيء مفهوم بل وشيء طبيعي ، منذ التف أغلب اليهود في أنحاء العالم حول الفكرة الصهيونية وحلموا بأحلامها ، واقتنعوا بالمشروع الصهيوني وصمموا على تنفيذه . . أما الغريب فهو أن تجد الحركة الصهيونية أصدقاء وحلفاء لها ، ومؤيدين متحمسين لدعواها وخططها ، في مراكز أخرى يتحتم عليها أن تكون محايدة ، كل الحياد ، نزيهة كل النزاهة ، في قضية أقل ما يقال فيها أن لكل خصم من الخصمين وجهة نظر ، إن لم نقل ان التاريخ ،

والأرض والعدل ، والقانون ، والمصلحة والمستقبل .. كل هؤلاء يدعمون وجهة النظر العربية ، ويدحضون وجهة النظر الصهيونية .

. هذا المركز الذي يتحتم فيه الحياد كل الحياد ، والنزاهة كل النزاهة ، هو مركز الأمين العام للأمم المتحدة ..

إن الأمين العام للمنظمة الدولية الكبرى بحكم ميثاق الأمم المتحدة الذي وقعته جميع الدول ، وبطبيعة المنصب الذي يتولاه يجب أن يقف دائما موقف الحياد في أية قضية تعرض على الأمم المتحدة .. لا يأخذ جانبا ضد جانب في أي تصريح يصدر منه أو عنه ، ولا في أي موقف يتخذه أو يوحي باتخاذه .. ولكن من واجبه أيضا ، ومن واجب منصبه الكبير أن ينبه المجتمع الدولي الى الحالات التي يرى أنها تهدد السلم والأمن الدولي . وقد خوله الميثاق هذا الحق ، فنص في مادته التاسعة والتسعين على أن « للأمين العام أن ينبه مجلس الأمن الى أية مسألة يرى أنها قد تهدد حفظ السلم والأمن الدولي » ومن واجبه أيضا أن يعمل بكل ما هو متاح له من وسائل ليتوسط في المشاكل المحتدمة ، وليهدىء الأمور اذا اضطربت .. وأن يقرب أطراف المشكلة بعضا من بعض ، ويحاول أن يجد حلولا وسطا لما هو ناشب بينها من خلاف ونزاع .

تريجفي لي ودور المهرج

ولكن تريجفي لي ـ أول أمين عام للأمم المتحدة ـ دخل في مشكلة « تقسيم فلسطين » بكل مالديه من قوة ونفوذ ووسائل ليزيد المشكلة تعقيدا ، وليهيج الأمور بعد أن كادت تهدأ .. بل قام ـ في هذه المشكلة الكبرى ، كما تتبين من مذكراته ـ بدور المهيج ودور المهرج !

ولم يكن تريجفي لي هذا ، رجلا تنقصه الخبرة الكبيرة والادراك ، فقد كان عصاميا نشأ وسط نقابات العمال في بلده النرويج ، حين كان يعمل « نجار مراكب » في حوض لبناء السفن هناك ، وصار من قادة العمال وشارك في إنشاء الحزب الاشتراكي النرويجي ، وتولى منصب وزير الخارجية ، فلما قامت الأمم المتحدة وأرادوا أن يختاروا شخصية بارزة ، ومن بلد يتسم بسياسة الحياد بين الشرق والغرب ، وقع الاختيار على تريجفي لي .. وكان الاتحاد السوفيتي هو الذي رشحه لهذا المنصب الخطير ، فلقي الترشيح قبولا لدى الدول الأربع الأخرى : أمريكا وبريطانيا وفرنسا والصين ، صاحبة الأمر في اختيار الأمين العام .. ثم انقلب الاتحاد السوفيتي عليه فيما بعد ، عندما وقف موقفا لا يرضي موسكو في مشكلة حرب كوريا سنة ١٩٥٠ ، وكانت النرويج قد خرجت عن موقف الحياد كما تراه موسكو منذ انضمت الى حلف الاطلنطي عند انشائه سنة ١٩٤٩ ، فأصرت موسكو على إخراجه من منصبه .. ولم يجده نفعا تحمس أمريكا لبقائه .. فاضطر الى الاستقالة وجلس يكتب مذكراته التي روى في فصول منها موقفه من قضية فلسطين في مرحلتها الأولى .

تركزت القضية في تلك المرحلة الاولى حول تقسيم فلسطين ، فلما أصدرت الجمعية العامة قرار التقسيم ثار العرب في فلسطين وغمرتها موجة من الاضطرابات ، تحولت الى معارك دامية بين العرب واليهود .. وغضب العرب والمسلمون خارج فلسطين وغمرتهم موجة من السخط على الولايات المتحدة الأمريكية التي برزت في الأمم المتحدة حاملة لواء تقسيم فلسطين ، ولواء إقامة دولة يهودية على أرضها العربية .. وعندئذ بدأت امريكا تتراجع عن قرار التقسيم وأخذ المندوب الأمريكي في مجلس الأمن يقول ما خلاصته : لقد أصدرت الجمعية العامة قرارا طيبا ولكن تنفيذه غير ممكن الآن . إن تنفيذه يتطلب قوة عسكرية تفرضه على العرب الثائرين الغاضبين ، والأمم المتحدة لا تملك هذه القوة العسكرية ، وحتى لو كانت تملكها فليس من الحكمة ان يفرض التقسيم قسرا

وقهرا . .

المشروع الامريكي

ثم راح المندوب الامريكي يقترح ارجاء تنفيذ قرار التقسيم حينا من الزمن حتى تهدأ ثائرة العرب . . وسوف تهدأ حين تخرج بريطانيا من فلسطين وتنهي انتدابها الذي حددت له يوما معينا ، هو يوم ١٥ مايو ١٩٤٨ وعندئذ تهدأ ثائرة الزعماء الفلسطينيين لأن جلاء بريطانيا هو مطلبهم الأول . . فلنرجىء اذن قرار التقسيم فترة من الوقت ، وفي خلال هذه الفترة توضع فلسطين تحت وصاية الأمم المتحدة ، فتديرها كدولة واحدة غير مقسمة بين العرب واليهود . .

ومثلا تقدم الوفد الامريكي بمشروع قرار يطلب تأجيل تنفيذ قرار تقسيم فلسطين ويطلب وضع فلسطين تحت وصاية الأمم المتحدة وفقا لما نص عليه الميثاق في الفصل الثاني عشر الخاص بنظام الوصاية الدولي . . وتتولى الأمم المتحدة . ادارة فلسطين بضع سنين حتى تستبين الأمور ! وصدر مشروع القرار الأمريكي هذا كوثيقة من وثائق مجلس الأمن !

وعندئذ ثار اليهود على هذا التراجع من جانب امريكا صديقتهم ومؤيدتهم الأولى . . وثورتهم هذه أمر طبيعي ، فان تراجع امريكا ومن ورائها الدول الخاضعة لنفوذها وهي في ذلك الوقت الأغلبية الكبرى من الدول الأعضاء ، قد يضيع على اليهود الغنيمة التي امسكوا بها على ملأ العالم بلا حرب ، وبلا عناء كبير . . وقد تضيع الغنيمة الى الأبد اذا صار العرب أكبر مما هم الآن قوة وعدة ، فبدلا من ان يعبروا عن موقفهم بالغضب والهيجان ، فقد يعبرون عنه بالمقاومة والقتال . . وسوف يجدون من ورائهم دولا عربية عديدة لها أهميتها الاستراتيجية والاقتصادية في حساب امريكا وغير امريكا .

كان من الطبيعي اذن أن يثور اليهود . .

ولكن الغريب أن ينضم الأمين العام للأمم المتحدة الى اليهود في ثورتهم على الحكومة الامريكية . . التي أرادت ان تضع فلسطين تحت وصاية الأمم المتحدة ، وتحت ادارة المنظمة الدولية التي يتولى هو نفسه رئاسة جهازها الاداري ! . . بل كان الأمر المنطقي والطبيعي ان يرحب الأمين العام بهذا الاقتراح الذي يعطي الأمم المتحدة قوة ونفوذا واحتراما ، ويعطي أمينها العام اختصاصا سياسيا واداريا واسع النطاق .

ولماذا يتحمس الأمين العام للدفاع عن قرار التقسيم الذي لم يصدر باجماع الدول الاعضاء في الأمم المتحدة ، انما صوتت عليه نصف الدول فحسب . . بينما صوت النصف الآخر إما ضد قرار التقسيم وإما امتنع عن التصويت ؟ . . وحتى بين الدول الخمس والعشرين التي صوتت مع التقسيم كان من بينها من كان مترددا ومضطربا في تصويته حتى اللحظة الأخيرة . . فهناك سبع دول عارضت التقسيم أو امتنعت عن التصويت عندما جرى أول مرة ، فلما أعيد التصويت كما تقضي الاجراءات ، غيرت موقفها وانقلبت الى تأييد التقسيم ، وكان هذا التغيير بعد ضغوط تعرض لها عدد من رؤساء الجمهوريات كما حدث في الفلبين وليبيريا ، أو بعد اغراءات مادية تلقاها عدد من ممثلي الدول الصغيرة ومنها كوستاريكا وباراجواي وهايتي . . وإن كان بعضهم قد رفض الاغراء ، ورد ما ارسل اليه من هدايا ثمينة !

مظاهرة دولية !

رغم هذه النقط البديهية فقد هب تريجفي لي يشارك اليهود في ثورتهم على مشروع وصاية الأمم المتحدة على فلسطين . . فماذا فعل ؟ . . يكفي أن أذكر بعض ما كتبه في مذكراته التي عنونها « في سبيل السلام » .

لقد أعد استقالته ليعلنها على العالم احتجاجا

على أمريكا اذ لم تعدل عن الكلام في موضوع وصاية الأمم المتحدة ، واذا لم تمض في تأييد قرار تقسيم فلسطين بكل قوتها ونفوذها . . ثم طلب الى مندوب أمريكا في الأمم المتحدة ، سناتور وارين اوستن ان يعد هو الآخر استقالته احتجاجا على سياسة حكومته . . وطلب اليه ان يتضامنا معا ، فيعلنا استقالتها في وقت واحد على ملأ العالم .

هكذا خرج الأمين العام للأمم المتحدة . حتى عن الوقار الذي ينبغي ان يتصف به منصبه الكبير . لقد اراد ان يعد « مظاهرة دولية » يسير في مقدمتها ، متأبطا ذراع مندوب أمريكا ، وبذلك يعطي المؤسسة الصهيونية وقودا تلهب به الرأي العام لا في أمريكا وحدها ، بل في العالم كله .

ويقول تريجفي لي في مذكراته أن وارين أوستن قال له انه مستاء من موقف حكومته وترددها ، ولكنه لا يرى من الملائم أن يشترك في مظاهرة علنية ضد حكومته ، أما اندريه جروميكو ، ممثل الاتحاد السوفيتي في الأمم المتحدة حينذاك ، فقد أبرق الى موسكو ، فجاءه الرد بأنها لا توافق على الاستقالة وتلح عليه أن يبقى في منصبه لأن هذا يساعد الأمم المتحدة على المضي في تنفيذ قرار التقسيم .

وفي خلال فترة تردد أمريكا ، ومن ورائها عدد من الدول ، بين المضي في مشروع تقسيم فلسطين ، وبين اقتراح وضع فلسطين الموحدة تحت وصاية الأمم المتحدة وادارانها ، تحرك اليهود من ناحية ، وتحركت المؤسسات الصهيونية من ناحية ، في جبهتين : جبهة القتال ، وجبهة السياسة .

أما في جبهة القتال فقد صمم اليهود على أن يضعوا العالم أمام الأمر الواقع بان يستولوا فعلا وبقوة السلاح على المناطق التي خصصت لهم في خريطة تقسيم فلسطين وراحت قوات الهاجاناه ، نواة الجيش الاسرائيلي ، تستولي على المدن الفلسطينية واحدة تلو الأخرى . . وامام أعين الانتداب البريطاني الذي كان ما يزال بجيشه واسلحته قائما على فلسطين . . ومازالت قواته تحتل مدنه وثغوره . فاستولت قوات الهاجاناه على طبرية في ١٨ ابريل ، وعلى حيفا في ٢١ ابريل ، وعلى صفد في ١٠ مايو ، وعلى يافا في ١٣ مايو ، كما استولت في أواخر ابريل على قطاع كبير من مدينة القدس .

وبينما كانت قوات الهاجاناه تشن غاراتها على المدن الفلسطينية وتحتلها كانت « الوكالة اليهودية » تعمل في المجال السياسي ، فلا بأس من أن تقوم الدولة اليهودية بقوة السلاح التي ترهب العرب حاليا ومستقبلا ، وبتأييد الأمم المتحدة وقرارها الذي يتفع ركيزة سياسية وقانونية لها ، حاليا ومستقبلا ايضا . .

الضغط اليهودي

فماذا فعلت الوكالة اليهودية في المجال السياسي وبالذات في مجال الأمم المتحدة ؟ . إن المشكلة التي تواجه تلك المؤسسة الصهيونية الخطيرة تتركز في أن وزارة الخارجية ووزارة الدفاع في واشنطون قد نشطتا في التنبيه الى العواقب الوخيمة والمخاطر التي ستواجه امريكا إذا مضت في الخطة الطائشة التي رسمتها مراكز النفوذ الصهيوني واشياعها في امريكا ، ودفعتها دفعا الى تأييد مشروع تقسيم فلسطين واقامة دولة يهودية في قلب العالم العربي . . وكان مما يشجع الدبلوماسيين والعسكريين الأمريكيين على اتخاذ هذا الموقف أن الحكومة البريطانية وبالذات وزير خارجيتها « ارنست بيفن » كان يحذر من عواقب الانحياز الى اليهود على حساب العرب ، وكانت بريطانيا حينذاك تحتفظ بنفوذ سياسي في أمريكا اكبر بكثير مما بقى لها فيما بعد . .

فرأت الوكالة اليهودية أن تقفز فوق رأس وزارة الدفاع ، ورأس وزارة الخارجية وتتجه رأسا الى البيت الأبيض ، وتنتزع من رئيس

الجمهورية الاعتراف اللازم بقيام الدولة اليهودية . .

ان هاري ترومان الرئيس الامريكي في ذلك الوقت ، يروي بنفسه ما حدث في فصلين من مذكراته ، فيقول ان الضغط اليهودي اشتد على البيت الابيض ووصل الى اقصى المدن في برقيات تنهال عليه كل يوم من آلاف الأفراد ، ومئات المنظمات ، ومن وفود تأتي حاملة العرائض والشكاوى ، بينما اعضاء الكونجرس يقيمون الدنيا ويقعدونها ، والصحف تطفح بالدعاية الصهيونية . . وكل هؤلاء يطالبون الرئيس بأن يعلن أن الحكومة الأمريكية مازالت متمسكة بقرار تقسيم فلسطين ، ومازالت مؤيدة قيام الدولة اليهودية في فلسطين . . وقد ضاق ترومان بهذا كله ، فقرر ألا يقابل أي صهيوني أو أي أحد يريد أن يتحدث اليه في موضوع فلسطين .

وجاء الى واشنطون رئيس الوكالة اليهودية ، حاييم وايزمان ، الذي نجح في انتزاع وعد بلفور من بريطانيا قبل هذا بثلاثين سنة . . وطلب مقابلة ترومان فرفض البيت الأبيض ، لأن الرئيس لا يريد أن يقابل أحدا من الصهيونيين .

ثم يقول ترومان في مذكراته أن صديقه القديم إيدي جاكسون ، الذي كان شريكه في محل خردوات في مدينة شيكاغو ، جاء يوما لزيارته . . وتحدث اليه حديث الأصدقاء والقدماء ، قائلا : « ماذا جرى لك ياهاري ؟ أنت الرجل المتواضع الانسان كيف ترفض مقابلة رجل مسن مريض هو حاييم وايزمان الذي ينتظر في واشنطون منذ شهرين ملتمسا مقابلتك فلا يحظى بها ! أنا لا أطلب منك ان تقبل أو ترفض ما يقوله وايزمان فهذا متروك لك وأنا لست رجل سياسة وإنما أطلب اليك من الناحية الانسانية أن تسمح لهذا الرجل المسن أن يقابلك وان تستمع اليه !! » .

ويقول ترومان أنه يحب شريكه وصديقه القديم جاكسون ، ويعهد فيه الاخلاص والامانة ويكبر فيه قناعته بما قسمه له الله ، فلم يطلب في يوم ما شيئا لنفسه من صديقه الذي صار رئيسا للجمهورية . . ولهذا رأى أن يقابل وايزمان ويمضي معه ساعتين . . وأسر له ترومان بما سيفعل قريبا !

اسرائيل في منتصف الليل

وجاء اليوم الذي حددته بريطانيا لانهاء انتدابها على فلسطين ، ١٥ مايو ١٩٤٨ في منتصف الليل ، عندما دقت الساعة الثانية عشرة مساء بتوقيت فلسطين ، انتهى الانتداب البريطاني في الساعة الثانية عشرة والدقيقة الواحدة ، أعلنت الوكالة اليهودية قيام الدولة اليهودية في فلسطين . . وسمتها إسرائيل !

في الساعة الثانية عشرة والدقيقة الحادية عشرة . أي بعد قيام اسرائيل بعشر دقائق تماما . . أعلن البيت الابيض اعترافه بدولة اسرائيل . .

وكان مندوب أمريكا حتى هذه اللحظة مازال يتكلم في مجلس الأمن عن تأجيل تنفيذ قرار التقسيم ووضع فلسطين الموحدة تحت وصاية الأمم المتحدة . . فربّت أحد مساعديه على كتفه ، وهمس في أذنه أن البيت الأبيض أعلن الآن اعتراف أمريكا بالتقسيم وبدولة إسرائيل . . وعرف سفير أمريكا في هذه اللحظة ما كان يعرفه وايزمان منذ لقائه بترومان منذ شهور .

ويقول ترومان في مذكراته : إني أعلم أن وزارة الخارجية بالاجماع ، ووزارة الدفاع بالاجماع ، كانتا ضد المضي في قرار التقسيم . . ولكنني لست بالرئيس الضعيف الذي يصغي الى كلام هؤلاء الذين يصفون أنفسهم بأنهم خبراء ومتخصصون . . ولهذا قررت أن اضرب

بكلامهم عرض الحائط وأن أعلن اعتراف امريكا باسرائيل اعترافا واقعيا . . وألا أسمح لروسيا أن تسبق أمريكا الى هذا . . وقد كان ، فكانت روسيا هي الدولة الثالثة التي اعترفت باسرائيل ولكن اعترافها كان اعترافا قانونيا وهو في القانون الدولي ، أقوى من الاعتراف الواقعي . . أما الدولة الثانية فكانت جواتيمالا ، التي احتج مندوبها جرانيا جرانادوس الذي أطلق اسمه على شارع في تل أبيب ، فقد صعد الى منصة الأمم المتحدة واحتج على واشنطون فقد غدرت به ، واسرعت الى اعلان اعترافها ، وحرمت « جواتيمالا » شرط أن تكون أول دولة تعترف بدولة اسرائيل !

انتهى الانتداب البريطاني وانزلت انجلترا علمها الذي ارتفع فوق فلسطين اكثر من ثلاثين عاما وبدأت تسحب قواتها . . وصار العرب في فلسطين وهم يكادون لا يملكون شيئا من السلاح ، يواجهون قوات الهاجاناه بمدافعهم ودباباتهم وما بدأ يصل اليهم من طائرات . . فكان لابد من نجدتهم . . فقررت بعض الدول العربية ان تسارع الى النجدة ، وأرسل وزير خارجية مصر برقية الى الأمين العام . . كما أرسل أمين عام جامعة الدول العربية برقية أخرى . . يبلغانه أن الجيوش العربية قد زحفت الى فلسطين تلبية لنداء إخوانهم العرب الذين غزت القوات الصهيونية وطنهم العربي .

لقد احدثت برقيات الدول العربية دويا أعلى من دوي دخول بعض القوات العربية الى بعض أطراف فلسطين ! او هكذا حولت الدعاية اليهودية هذه العمليات العسكرية المحدودة الى عدوان خطير يهدد العالم كله بالفوضى وبالخراب . . وكان على رأس هذه الدعاية تريجفي لي الأمين العام للأمم المتحدة . . فقد وجه خطابا الى كل من سفراء الدول الخمس الكبرى في مجلس الأمن يطلب فيه ان تقوم دولهم بعمل حاسم لوقف هذا العدوان العربي الخطير .

« عزيزي السفير » . . .

« أعده واجبا على ان اذكر بكل التأكيد أن هذه هي أول مرة منذ وضع ميثاق الأمم المتحدة تصرح فيه دول أعضاء في الأمم المتحدة ، تصريحا رسميا علنيا بانها تقوم بعمل مسلح خارج حدود أرضها . . واكثر من هذا ان يقع هذا التدخل المسلح في اقليم توليه الأمم المتحدة اهتماما خاصا .

« إن اجتماع مجلس الأمن يوم ١٥ مايو ، وعدم اتخاذه الاجراء السريع والحاسم ، ينطوي على خطر كبير يهدد الأمم المتحدة . . وان فشل مجلس الأمن في أن يعمل في هذه الظروف الحرجة لن يؤدي إلا الى افدح الاضرار التي تصيب هيبة الأمم المتحدة وتقضي على الآمال المعلقة على فاعليتها في المستقبل لحفظ السلام في أي مكان في العالم . إنني أحث حكوماتكم ، بكل حزم ، على أن تفكر في مدى الخطورة البالغة التي وصل اليها الموقف الذي تواجهه الآن الأمم المتحدة ، وعلى ضرورة القيام بعمل سريع في هذه اللحظة الحرجة ! » .

هذه فقرات من الخطاب الدرامي « الذي ارسله تريجفي لي مصورا فيه تحرك بعض الدول العربية لكي تنجد العرب المغلوبين على أمرهم في فلسطين بأنه « أول عدوان مسلح يشهده العالم منذ انتهت الحرب العالمية الثانية ، وانه لو نجح هذا العدوان لانتهت الأمم المتحدة وانتهت معها سيادة القانون الدولي ! » .

ومنذ ذلك الوقت ، وعلى مدى أكثر من عقدين طويلين من الزمن ، سارت الأمم المتحدة في الطريق الذي تمناه تريجفي لي أول أمين عام للمنظمة الدولية والذي كان مصدرا أساسيا من مصادر التأييد والتدعيم للحركة الصهيونية في تلك المرحلة الحاسمة . O

من صحافة الغرب



ثمن العدوان !

نار العذاب تطارد بيجن فى نومه !

لم يكن فى حاجة لأن يتجه بعينيه الى هذا الركن الواقع الى الجنوب الغربى من بيته فى مدينة القدس ليكتشف انهم مازالوا يرابطون هناك .. خمسة أو ستة من الاسرائيليين الذين يحملون لافتة راحوا يسجلون عليها بالأرقام عدد الجنود الذين قتلوا بأيدى العرب فى لبنان .. كانوا يعبرون عن احتجاجهم على مدار الساعة بسبب تورط اسرائيل فى لبنان !

وفى كل مرة يسقط جندى اسرائيلى كان المتظاهرون الصامتون يضيفونه الى الرقم الذى يسجل عدد القتلى حتى وصل فى اليوم التاسع عشر من شهر يوليو الماضى الى خمسمائة قتيل ..

لقد رابط المتظاهرون على بعد خطوات من البوابة الخارجية للبيت الذى يقيم فيه مناحم بيجن .. وكان عددهم يتزايد كلما ارتفع عدد القتلى فى لبنان .

يقول زملاء بيجن أنه بدأ يفقد أعصابه فى اجتماعات مجلس الوزراء ، وأنه عندما سمع نبأ مقتل ثلاثة اسرائيليين فى لبنان فى حادث هجوم على سيارتهم المصفحة ، امتقع وجهه وكاد يغمى عليه .

بيجن .. متى يذهب ؟

أما مجلس الوزراء الاسرائيلى فقد انقسم على نفسه بسبب لبنان كما لم ينقسم من قبل فقد تدهور الاقتصاد الاسرائيلى ، وارتفعت نسبة التضخم الى ١٤٠ فى المائة . ووجه البنك الدولى بعد دراسة دقيقة للأوضاع الاقتصادية داخل اسرائيل ، اللوم الى الحكومة لأنها تقود البلاد الى طريق لن يؤدى الى انتعاشها ..

أما مركز بيجن نفسه فقد ضعف الى الحد الذى أصبح فيه شخصية لا وجود لها ، فهو لم يعد قائدا فى نظر الاسرائيليين ، ولم يعد لصوته صدى فى أى مجال .. وقد كتبت صحيفة « جيرو ساليم بوست » أخيرا تقول : إن السبب الأساسى لضياع شعبية بيجن يرجع الى ارتفاع عدد القتلى المستمر فى لبنان ، ثم فقده لزوجته ! »

« صاندي تايمز »



أهوال حرب فيتنام . في « العودة قبل الصباح ! »

* واشنطون :

سافرت ليندا فان ديفانز الى فيتنام ، حيث عملت ممرضة في الجيش الامريكي في عام ١٩٦٩ . . فتاة رقيقة من بنات مدينة ارلنجتون بولاية فرجينيا . ثم عادت ليندا الى بلدها بعد عام واحد كان كافيا لأن يجعلها تكره الحرب التي شهدت ويلاتها وتكره كل ما يمت الى هذه الرحلة التعسة بصلة !

وقضت الفتاة السنوات العشر التالية في أعمال بسيطة ، لم يكن دخلها منها يكفى نفقات معيشتها . . حتى علاقاتها بالناس اضطربت ، فهي لم تعد ليندا التي عرفوها قبل سفرها الى فيتنام . لقد أدمنت المسكينة على الخمر فكانت تعب منها كل ليلة لكي تنسى ولكي تستطيع ان تغمض عينيها لتنام . . ولكنها كانت تصحو من نومها مذعورة على صورة الجندى الصغير الذى انفجرت قنبلة في وجهه فمزقته . . لقد بقيت الصورة في مخيلتها لا تفارقها طوال هذه الأعوام !

ثم استطاعت ليندا أخيرا أن ترسم هذه الصورة في كتاب روت على صفحاته قصة حياتها وقصة الشهور التي عاشتها مع أهوال الحرب في فيتنام ، وأطلقت على كتابها الجديد الذى يعتبر أول عمل تسجله امرأة بقلمها عن الحرب ، اسم« العودة قبل الصباح » .

وقد أثار الكتاب مناقشات عاطفية بين الجنود الاناث اللواتي يؤلفن فئة من المواطنين لم يحسب لهن أى حساب خلال عملية اعادة التقييم القومية لهذه الحرب الامريكية التي كانت أطول الحروب واكثرها تعرضا للسخط الشديد من جانب الشعب الامريكي . .

تقول ليندا : « هذه قصتى ، رغم انني أعلم ان هناك كثيرات غيرى مررن بتجارب مشابهة . . الا أن هذه هي الأحداث التي عشتها في فيتنام . إن الذين يعترضون على محتويات هذا الكتاب ، يفضلون لو انني قلت أننا كنا قديسين وملائكة ، وأن كل شيء كان عظيما ! »



ليندا المرأة في فيتنام .

وتروى الكاتبة كيف كان النعاس يغلب الجراحين الامريكيين أثناء تأدية العمليات الجراحية نتيجة للعمل المتصل الذى كان يستمر أحيانا لمدة ٧٢ ساعة وكيف كانوا يؤدون عملهم وسط الهجمات بالصواريخ التي يشنها الفيتناميون . . . والضحايا يتساقطون بلا توقف ، وكيف كانت تجد نفسها واقفة وسط الوحل الذى اختلط بالدماء في كل مكان .

ثم تقول ردا على الذين انتقدوا كتابها : « أنا لم أكتب من أجل المال . انما أردت ان أنقل تجربتي الى كل هؤلاء الذين نسوا ان المرأة أيضا كانت في فيتنام ! »

وقد بلغ عدد النساء اللواتي عملن في التمريض في فيتنام حوالى ٧ آلاف امرأة من بين مليونين و ٨٠٠ ألف مقاتل أمريكي .

لقد تزوجت ليندا التي تنتمى الى أسرة طيبة لا يعوزها المال ، وهي الابنة الثانية لخمس اخوات . . تزوجت بعد عودتها من فيتنام ، ولكن زواجها ماالبث ان انتهى بالطلاق ، ثم اكتشف طبيبها المعالج أنها مصابة بحالة اضطراب نفسي ، ما زال يعانى منه حتى الآن حوالى ٧٠٠ ألف جندى سابق من الذين حاربوا في فيتنام .

لقد بدأت في وضع كتابها كجزء من العلاج الذى أوصى به طبيبها ، وتقول زميلتها التي كانت تشاركها نفس الغرفة التي تنام فيها وتدعى« لين كول » ردا على الذين يقولون ان ليندا قد بالغت في وصف اهوال الحرب . .



تقول لين : « ان ما سجلته زميلتي كان معتدلا جدا اذا قورن بحقيقة الأحداث التي عشناها في فيتنام ! »

« نعم » للرأسمالية الوطنية في اليونان

*أثينا

: احتدم الصراع بين رجال الصناعة اليونانيين وحكومة بابا ندريو الاشتراكية حتى بات يهدد بنشوب حرب علنية بين الجانبين . ويقول الناطق بلسان الحكومة : « هناك نوعان من أصحاب المصانع في اليونان .. هناك الذين يعيشون فوق أرضها ويعملون ويكدحون ثم هناك الذين يحولون ثرواتهم وأرباحهم الى فيلات يشترونها في الخارج والى حساباتهم في البنوك السويسرية !! »

هذا الفريق الأخير من رجال الأعمال مطالب بإعادة أمواله الى اليونان . ولكن هل هم وحدهم الذين يحتفظون بحسابات في البنوك الأجنبية ؟ لقد شغلت الصحف اليونانية في الأونة الأخيرة بالحديث عن « إقرارات الثروات الخاصة » التي يقدمها السياسيون اليونانيون سنويا ، وخاصة عندما أعلن بعض هؤلاء الساسة بما فيهم الباب ندريو نفسه أنهم يحتفظون بحسابات في الخارج .

إن القانون يمنع المواطنين اليونانيين من فتح حسابات في البنوك الأجنبية خارج البلاد . ولكن بعض الوزراء الحاليين كانوا يعملون في الخارج قبل الاشتغال بالسياسة ، ومن بينهم وزير الاقتصاد الوطني جيراسيموس أرسينس الذي ذكر في الاقرار الذي قدمه انه يحتفظ بمبلغ ٤٦ ألف جنيه استرليني في أحد البنوك السويسرية ، وهو حساب قديم أفتتحه عندما كان يعمل في الأمم المتحدة .

وستعود هذه الأموال الى اليونان ، ولكن بقي ان ترد الحكومة على تحدي رجال الصناعة اليونانيين بأن تثبت ان لهم حسابات وعندهم ثروت في الخارج !

(حوار)

*لندن

*المليونير الامريكي لعامل الفندق الواقف أمام الباب الخارجي :
كم كان أكبر مبلغ حصلت عليه هبة أو بقشيشا من النزلاء في الفندق ؟
العامل : خمسة عشر ألفا من الدولارات ياسيدي !
المليونير : أنا لا أحب أحدا ينافسني في الكرم .. إليك بهذا المبلغ .. انه عشرون الف دولار ! أرجو ان اكون قد أسعدتك !
العامل : اشكرك يا سيدي !
المليونير : ولكنك نسيت ان تقول لي اسم الرجل الذي دفع لك هذا المبلغ الكبير قبلي !
العامل : « لم أنس يا سيدي ، ولكنك لم تسألني .. لقد كنت أنت الذي دفعته لي عندما جئت الينا في العام الماضي » .. هل تذكر !

(القاتل رقم (١)

*شيكاغو

« مجتمع بلا تدخين ، وبلا مدخنين قبل سنة ٢٠٠٠ » . هذا هو مشروع القرار الذي وافقت عليه الجمعية الطبية الامريكية . ولكن القرار لم ينته بعد ، فقد جاء فيه ان الاحصائيات تقول ان القاتل رقم (١) للشبان بين الثامنة عشرة والحادية والعشرين هو المشروبات الكحولية أو الخمور بمختلف أنواعها .

وفي الاتحاد السوفيتي حذرت وكالة تاس السوفيتية للأنباء الشباب من قيادة السيارات وهم فاقدو الوعي بسبب الخمور التي يملأون بها معدتهم . وقالت لا تنسوا الخسائر البشرية والمادية التي تنجم عن حوادث السيارات ، فهي لا تنتهي فقط بوفاة قائد السيارة ، ولكن هناك أيضا نفقات العلاج اذا قدر له النجاة من الحادث ، ثم من يدري فقد يخرج بعد علاجه كسيحا ويصبح عالة على الدولة والمجتمع ! »



للطاقة أبعاد

بقلم الدكتور عبد العزيز الوتاري *

الطاقة فى العلوم والتكنولوجيا والاقتصاد .. وفى السياسة أيضا .

وقد دلل علم الفيزياء على أن الطاقة والمادة مظهران لحقيقة طبيعية واحدة لا يزال العلماء يسعون لاكتشافها منذ أن أتى الفيزيائي النظرى أينشتين بالعلاقة الشهيرة بين المادة والطاقة فى معادلته المعروفة : الطاقة = الكتلة × مربع سرعة الضوء ، وهى الأساس النظرى للقنبلة الذرية والبرهان العملي لهذه العلاقة .

ويسعى أستاذ الفيزياء عبد السلام ـ أول عالم مسلم يحوز على جائزة نوبل للفيزياء ـ منذ مدة لاثبات نظرية « التوحيد » التى تستند الى هذه العلاقة كأساس .

وللطاقة ، سواء تلك التى تحرك أم تضيء عالم اليوم ، مصدران أساسيان : الأول ، أشعة الشمس كمصدر مباشر أو غير مباشر وذلك على شكل طاقة كيماوية مكتنزة في النفط والفحم أو في خشب الأشجار والنباتات المعروفة منذ العصور الجيولوجية الساحقة ، والثاني ، الطاقة النووية على شكل الطاقة الناتجة من الانشطار النووى الذى يحدث داخل المفاعل المولد للطاقة الكهربائية .

وتتحكم بالاستخدامات الحديثة للطاقة هذه ، تقنيات تجسدها الوسائل التى تعمل بالطاقة كالسيارة ، والطائرة ، والأجهزة والآلات الكهربائية المختلفة وغيرها . وتعمل هذه الوسائل التقنية الحديثة بموجب قوانين الحركة الحرارية والكهربائية .

وقد برز موضوع الطاقة فجأة ، فاستحوذ على اهتمام الرأى العام فى بداية عقد السبعينيات نظرا للتحول الكبير الذى طرأ على تكاليف مختلف مصادر الطاقة اثر قيام دول الأوبك برفع

● الامين العام المساعد لمنظمة الأقطار العربية المصدرة للبترول ، ووزير النفط الأسبق بالعراق .

أسعار نفطها بمعدلات تفوق نسبيا ما كانت عليه خلال عقدي الخمسينيات والستينيات ، وما رافق ذلك الارتفاع من تحولات في قطاعات الاقتصاد المختلفة وبخاصة في الدول الرئيسية سواء المنتجة منها والمصدرة للنفط .

وقد دفع ارتفاع كلفة الطاقة للمستهلك ، نتيجة ارتفاع أسعار النفط والكهرباء ، الى الحد من استهلاكها ، وذلك من أجل تقليص الأموال الطائلة التى تنفق على شرائها قدر المستطاع وبخاصة من الجهات ذات الاستهلاك العالى والمتوسط سواء أكانت أفرادا أم مؤسسات اقتصادية أم حكومات . وظهرت مفاهيم الحفاظ على الطاقة واللجوء الى البدائل الأرخص ، كلما كان ذلك ممكنا ، كاستخدام الفحم بدل النفط في محطات توليد القوة الكهربائية الحرارية ، والاعتدال في استعمال وسائل التسخين والتبريد لدى المستهلك النهائي ، والتحول من وسائل النقل الخاصة الى وسائل النقل العامة ، واشاعة استعمال السيارة الصغيرة التى تعطي أداء عاليا لما تستهلكه من وقود البنزين أو الديزل وغيرهما .

واعتمدت الحكومات المحلية والفيدرالية التشريعات التى تشجع على استخدام وسائل العزل الحرارى في جدران البيوت والأبنية ، بل ان بعض هذه التشريعات يمنع منعا باتا استخدام النفط في مجالات كانت تقليدية حتى أوائل السبعينيات ، ورصدت الأموال لمشاريع البحث العلمي والتكنولوجي لاستنباط وسائل لاستخدام أشعة الشمس كمصدر للطاقة عن طريق تركيزها بمساحات صغيرة ، أو تحويل هذه الأشعة الى كهرباء بواسطة الخلايا الشمسية الكهربائية ، وكذلك لتطوير بدائل النفط وتكنولوجيا الانصهار النووى لتحل محل المفاعل النووى التقليدى .

وأصبح موضوع تسعير النفط وبيعه بالمقادير المطلوبة من قبل المنتجين والمصدرين للدول المستهلكة الكبيرة ، وبخاصة دول الغرب واليابان ، أحد أهداف ما أخذ يدعى « سياسات الطاقة » للحكومات في علاقاتها الدولية ، فبرزت مقولات الاكتفاء الذاتي بمصادر الطاقة المحلية في الولايات المتحدة (التي سرعان ما توقف الحديث عنها باعتبارها غير عملية) ، وسياسة مجابهة منظمة الأقطار المصدرة للنفط (الأوبك) باقامة تكتلات لمستهلكي الطاقة الكبار كان أبرزها (وكالة الطاقة الدولية) . وأخذت دول الأوبك ، بفضل ما حظيت به من نفوذ جديد بتحديدها لأسعار النفط وما حصلت عليه من عوائد كبيرة نتيجة لذلك في السبعينيات ، تقوم بمحاولات لدعم مواقفها في عدد من قضاياها الكبرى في الميادين الاقليمية والدولية ، كقضية الصراع العربي الصهيوني ، وقضية العالم النامي تجاه العالم الصناعى (أو ما أخذ يدعى بالنظام العالمي الجديد) . وبما أن مثل هذه القضايا تدخل في نطاق السياسة العامة والعلاقات الدولية ، فقد أصبحت قضايا الطاقة التى أخذت تصب فيها وفي غيرها من قضايا عامة تكتسب هي الأخرى هذا البعد الدولي .

ونظرا لتعدد الأوجه المختلفة لموضوع الطاقة ، العلمية والفنية والاقتصادية والسياسية التى أسلفنا الحديث عنها ، فقد التبس على الكثيرين التداخل بين هذه الأوجه وطبيعة هذا التداخل مما يستوجب التوضيح والتحديد الدقيق عند بحث أي من هذه الأوجه . ان الحديث عن الطاقة يمكن أن يكون حديثا في علوم الطبيعة ، أو في تقنيات واقتصاديات انتاج واستخدام الطاقة بأنواعها سواء أكانت حرارية (كيماوية) كهربائية أم شعاعية (نووية) ، وفي مجال سياسات الدول والتكتلات الدولية والاقليمية . وفي كتابات لاحقة سنتعرض باذن الله لعدد من هذه الاهتمامات .

قصة :

فرصة العمر

بقلم : محمد لبيب البوهي

لم يبرح سعد مسعود قرية العسيرات إلا الى المدرسة في سوهاج ـ ولما حصل على الشهادة الثانوية ، بدا له انه قد أصبح انسانا مرموق المكانة بين أعيان القرية ـ لذلك أطلق شاربه على طريقة ابراهيم عويس ، وحرص بالعطور والدهون على أن يكون طرفا الشارب المحترم مرفوعين الى الأعلى .. واتخذ لزيه بنطالا أسود على جاكت بيضاء على طريقة مهندس الري المحترم .. وكانت نزهة العصاري المفضلة على طريق النزعة ذهابا وايابا أمام دار سمعانة التي قدر أنه يجب عليها أن تشغف به حبا .. وكان لسان حاله حين يحوم حول الدار كأنه يقول : نحن هنا ..

ولم تسع الدنيا فرحته حين جاءته فرصة العمر .. عمل في احدى الدول العربية براتب شهري قدره الفا ريال .. ولما جمع وطرح وضرب وقسم هذا المقدار في محاولة لتحويله الى العملة المحلية ، بدا كأن عنقه قد ازداد شبرا طولا ، وبرم شاربه واطمأن ، وألقى ببصره الى افق شمس السعادة .. وقبل موعد قيام الطائرة بليلة واحدة ركب القطار الى القاهرة ومعه عنوان ابن عمه حمدان مسعود ..

ووصل عصر الخميس وهو اليوم الذي يحرص فيه حمدان ابن عمه على تدخين الكيف ذي السحب الزرقاء ما بين المغرب والعشاء مع نفر من السمارالأحباب ..

ولما كان سعد مسعود المحترم قد أصبح رجلا له قدره والطائرة سوف تحمله الى ارض الألفي ريال في الرابعة صباحا ، فلا ضير ان يحتفي بهذه الفرصة بتناول نفسين من هذا الكيف لأول مرة في حياته .. كي تتضاعف نشوة الاحساس بالحياة الجديدة التي ستبدأ بقيام الطائرة في الرابعة صباحا ..

ولما كان معجبا بالترام الذي يمر بقرب دار حمدان ويقطع القاهرة في ساعة من بولاق الى مصر العتيقة فقد رأى بعد النفسين ألا يحرم نفسه من هذه النزهة ..

وكان محصل الترام رجلا هزيل البدن له



شارب كثيف غزير الشعر يملأ صفحة وجهه ، فأخذ سعد مسعود يحدق في هذا الشارب طويلا ، مما لفت نظر المحصل فاكتفى لأول مرة بأن نهره ثم عاود نهره بعنف مرة اخرى ، ولكن سعد مسعود أغرق في الضحك ، ثم مال على جاره هامسا يقول : ان شارب هذا المحصل الفاضل هو ثروته - ثم سأل كم تساوي هذه الثروة .؟ ولكن جاره لم يجبه بل ازور عنه متباعدا . . وبعد لحظات نعاس عسلية خيل الى سعد مسعود ان شارب الرجل يمتد ويستطيل ويتحول الى حبال هابطة من جانبي الترام ، وتكاد تلتف بعجلات الترام . فوقف وصاح طالبا الى سائق الترام ان يتوقف حتى لا تحدث كارثة . . ودخل في نقاش حاد وسباب مع بعض الركاب ، فجاء المحصل ونفحه على صفحتي وجهه بصفعتين . . وقذف به الى عرض الطريق وهو يردد في نفسه : لا بأس . لا بأس فهذا أهون من الحادث الذي سيحدث للترام المسكين .

وجلس عند احدى المقاهي وقتا ما - ساعة او اكثر قليلا- حتى تقدم الليل ، وقادته قدماه الى شارع الخليج فأخذ يسير بجوار فرع النهر .

ولما اقترب من جسر الملك الصالح انحنى في تقدير لمياه النهر عدة مرات ، فهذا هو النهر المقدس الذي تلقى فيه الخطايا ، ورأى عجوزا مسكينا يقبع الى جذع شجرة غليظة فانحنى له متسائلا عن تمثال براهما يوترا .

فقال العجوز وهو يمد يده انه يريد حسنة لله . . فصاح فيه سعد مسعود انما اسألك عن براهما يوترا .

وخرج صبي مقهى آخر وشاهد الأمر فأخذ بيده الى مقعد يطل على النهر وجاءه بفنجان من القهوة السادة ، فقد ظن الصبي ان هذا النوع من القهوة علاجا . . ولكن سعد مسعود ظل مرة بعد اخرى كلما مرت سيارة وألقت شعاع ضوئها على سطح النهر ، ينهض منحنيا في عبادة للنهر المقدس فقد قرأ تاريخ الهند وفي هذا النهر الكنج يلقي الناس بالخطايا ، ثم سأل صبي المقهى عما اذا كان يسمع أجراس السكون . . انهم يسمونها في بلاد الهند هذه بأجراس السكون ولكنه يفضل ان تسمى بأجراس الصمت .

وسأل فتى المقهى عن الساعة فقال : انها جاوزت منتصف الليل وان هذا هو الترام الأخير العائد الى بولاق . . فاسرع قافزا الى الترام وانحنى لعامل المقهى مرددا براهما يوترا . . واخذه نعاس عميق حتى جاء من ايقظه في المحطة النهائية قبل عودة الترام الى المخزن .

وأسعدته نسمات الليل . . وكان جسر النهر على مقربة منه ، فطاب له المسير عليه والوقوف في منتصفه ناظرا الى جريان الماء مستمتعا بنعمة الله ، فما زالت هناك بضع ساعات قبل موعد الطائرة التي ستحمله الى ارض السعادة والالفي ريال . . انه سيظل مستيقظا حتى يحين الموعد المحدد في المطار . . فما أروع تذوق لحظات السعادة . . . وبعد وقت لا يدري مداه ، قادته قدماه الى حارة العجل الأبيض حيث يقيم ابن عمه . . ان اسم الحارة لطيف - حارة العجل - ان ذلك يذكره بالشواء المستطاب في محلات الكباب .

وعند مدخل الحارة توقف مذهولا مترددا ، فقد كانت ماسورة مياه قد تحطمت وأقامت في الحارة نهرا فتمتم قائلا - انه الفيضان فهذا موسمه - انه خير على كل حال . . وخاض النهر سعيدا بانعكاس القمر على صفحة المياه . .



ولكن اين هو المنزل رقم ٥ ـ لقد راح يذرع الحارة جيئة وذهابا مرات عديدة وهو يحدق في أرقام البيوت متسائلا لماذا اختفى رقم ٥ ـ

واضطر بعد حين ان يذهب الى الكواء الساهر في حانوته وسأله على استحياء بعد تقديم سيجارة .. هل هذه حارة العجل الأبيض أم انها تغيرت مع فيضان النهر ، فلما اجابه الكواء بالايجاب ، طلب منه ان يرسل معه صبيا يرشده الى المنزل رقم ٥ . . . ولما وصل الدار تذكّر ان ابن عمه يسكن الطابق الثالث . . وراح يصعد الدرج ولكنه وجد نفسه في السطح . . فقال في نفسه الطابق الثالث كما اعلم هو دون السطح بطابقين ، فراح يعد الطوابق وهو يهبط على مهل . . ولما قرع الجرس عدة مرات ، ومرت دقائق لا يعلم حصرها خرجت اليه امرأة سمينة وبيدها يد مكنسة غليظة هوت بها على رأسه ، ولكنه تماسك وهو يهتز معتذرا للخطأ وعاود النزول حتى وجد نفسه في ظلام الطابق الأول . . كان السواد يلف كل شيء فجلس على الدرجة الأولى من السلم وأشعل سيجارة بعد أخرى ثم ثالثة ورابعة . . ثم أخذه نعاس لا يدري مداه ولما استيقظ تحسس علبة سجائره ، فقد كان يظنها خالية ولكنه فرح حين وجد بها واحدة فأشعلها سعيدا فرحا ، ولما رمى بعقبها . . بدا له شيء عجيب غريب ان جذوة النار في عقب السيجارة أخذ يستطيل ويمتد رأسيا حتى صار كصاروخ او عمود من نار . . فانطلق يعدوا الى الشارع بكل قواه . . وظل يعدو مخترقا فيضان نهر الحارة حتى وصل شاطيء النهر وجاء جندي الحراسة فراح يحوم حوله مستريبا ، فاقترب من الجندي وانحنى له في أدب ورفع طربوشه في تحية تقدير . . ان الافرنج هم الذين يرفعون قبعاتهم في التحية . . ولكن الطرابيش لا ترفع . . ولكن لا بأس فهي تحية طيبة في تقديره . . وسأل الجندي عن الساعة فلما علم انها الخامسة ترنح ممسكا برأسه من الدوار المفاجيء ، ومن هول الصدمة فقد مضى موعد الطائرة وطارت بدونه الى أرض السعادة والالفي ريال . . وطارت معها فرصة العمر ، ، ، ○



في سبيل ايجاد « هيئة للدفاع عن حقوق الاساتذة الجامعيين » :

عضو هيئة التدريس في الجامعات العربية مكانته ومستقبله

بقلم الدكتور : صفاء خلوصي

الانسان العربي هو الذي يصمد أمام احداث الدهر والزلازل السياسية والاجتماعية ويبقي الخارطة العربية كاملة غير منتقصة الاطراف ولا مشوهة المعالم .

الانسان العربي أقوى من الصواريخ ذوات الرؤوس النووية ، وأبعد أثرا من القنابل النيوترونية والهايدروجينية مجتمعة شريطة أن يكون الانسان العربي وليد التقنية الحديثة التي تنشأ وتتطور في احضان القلاع الفكرية الجبارة والحصون الاكاديمية المنيعة التي تعرف بالجامعات الحرة . Chartered Universities حيث يكون الاستاذ بحق وحقيق لا سلطان عليه غير سلطان خالقه وضميره وانتمائه الوطني ، فاذا خرج عن هذا الخط لم يعد الاستاذ أستاذا ولا الجامعة جامعة انما يصبح موظفا كسائر الموظفين في مؤسسة اعتيادية لا توحي بقوة العلم وجلاله ولم تعد للاستاذ شخصيته التي عهدناها في أزهى عصور الاسلام ، بالامس يوم كان الخليفة هارون الرشيد(٧٦٦ ـ ٨٠٩) يجلس بين يدي مالك بن انس[١](٧١٥ ـ ٧٩٥) ليدرس عليه(الموطأ) ويناديه استاذه باسمه مجردا من الألقاب كأي طالب من طلاب العلم ، وفي ايامنا هذه عندما يشد ايزنهاور رئيس الولايات المتحدة الرحال لزيارة استاذ من الاساتذة في جامعته ليستشيره في بعض ما استعصى عليه ولا يجشم الاستاذ عناء الحضور الى البيت الابيض ، فالعلم يؤتى ولا يأتي كما قال مالك بن أنس لهارون الرشيد عندما بعث في طلبه فأبى الحضور ، فجاء الخليفة اليه بنفسه معتذرا وجلس الى جنبه فأشار اليه أنس بن مالك بأن يجلس بين يديه قائلا : « ما هكذا يجلس طلبة العلم يا هارون » !

ووالله لا أدري أأعجب من جرأة مالك متسلحا بسلاح الايمان والعلم أم من حلم هارون وانصياعه لجلال العلم وهيبته . ذلكم هو العصر الذهبي بحق وحقيق يوم كان هارون خليفة ومالك اماما ويوم لم يكن الاستاذ ليفكر بأمور معاشه لانه كان مكفي المؤونة ، بل قيل ان بعض اساتذة العلم كانت ابوابهم مطلية بصفائح الذهب ، فكان العالم متصرفا للعلم كل الانصراف ليبدع ما شاء الله له الابداع فكان نتاج ذلك كله هذا التراث العربي الاسلامي تشهده اليوم ونقف أمامه حيارى مبهورين .

نعود الآن الى واقعنا اليوم ونعيد النظر في جامعاتنا ومكانة اساتذتنا اننا لا نريد ان نخدع انفسنا وندعي الكمال بل علينا ان نجعل هدفنا المأثورة القائلة بأن« النقد الذاتي أفضل انواع النقد » هذا اذا كان صادقا امينا بعيدا عن كل تملق ورياء ، ونأخذ النقاط التالية بنظر الاعتبار :

١ ـ قبل كل شيء يجب ان نحقق لجامعاتنا الاستقلال الاكاديمي الناجز ونوفر لاساتذتنا الحرية الاكاديمية بحيث تصبح الجامعات العربية حرما آمنا بكل معنى عميق لهذه المقولة .

٢ ـ تحدد معنى الاستاذية **Professorship** فلا تصبح مجرد تعداد سنوات والصعود الى كرسي الاستاذية مع

(١) هو الامام مالك بن انس الاصبحي المدني ولد في المدينة المنورة وأصله من امراء حمير القحطانيين ، وصاحب المذهب المالكي وكتابه الشهير « موطأ الامام مالك » الاساس الذي يقوم عليه مذهبه .

بعض البحوث السطحية التي لا طائل تحتها ولم تأت بجديد ولا اضافت الى تقدم الفكر البشري شيئا يذكر حتى غدت بعض كلياتنا العربية اليوم تحوي، اساتذة ، اكثر مما تحوي معيدين ومدرسين كبعض دوائرنا الرسمية التي تضم مديرين عامين اكثر مما تضم من ملاحظين وكتبة ، لذلك يجب تحديد عدد الاساتذة لكل قسم فلا يعين الاستاذ الا بعد موت استاذ أو تقاعده .

٣ ـ علينا ان نمنع منعا باتا تخطي الدرجات العلمية وان نمنح الشيخوخة العلمية الاكاديمية حقها فلا يجوز لمدرس أو أستاذ مساعد أن يصبح رئيس قسم أو عميدا أو رئيسا لجامعة في حال وجود اساتذة قدامى اكفاء يملأون مثل هذه المناصب بحق وحقيق ، لان المكان بالمكين وان المراكز العلمية لا ترفع قدر ممتطي صهوتها بقدر ما تهبط قيمتها فلا تبقى لها هيبة ولا قدر علمي لضعف كفاءة محتلها .

٤ ـ يكون اختيار رئيس القسم والعميد ورئيس الجامعة بالانتخاب الحر المباشر من بين حاملي مرتبة الاستاذية .

٥ ـ يمنح اعضاء الهيئة التدريسية مرتبات معقولة بحيث يتصرفون عن امور المعاش انصرافا كليا الى البحث العلمي الصرف وقد يكون الصدق فيما قال الشاعر :

ان المعلم والطبيب كلاهما

لا يخلصان اذا هما لم يكرما

٦ ـ يتمتع اعضاء الهيئة التدريسية ، بعطلات معقولة ، ولا يكلفون بالعمل خلالها . وانا اعتقد بأن النظام الانكليزي أفضل نظام في هذا المجال .

يمنح الاستاذ شهرا بعد كل فصل ولا تتجاوز أسابيع الدراسة الاربعة والثلاثين اسبوعا ، وما تبقى يكون من نصيب البحث العلمي المستقل الذي ينصرف اليه عضو الهيئة التدريسية .

٧ ـ لا يجوز لأي عضو من اعضاء الهيئة التدريسية الجامعية ألا يكون مهتما ببحث علمي في أية فترة من فترات حياته التعليمية في الجامعة ، فالعضو العاجز عن البحث العلمي لا يصح أن يبقى في الجامعة فمكانه المدارس الثانوية لا الجامعات . فالبحث العمي يأتي في المرتبة الأولى بل ان بعض الجامعات تجعله فوق التدريس لان البحث العلمي عندها يأتي أولا والتدريس ثانيا ، بل ان هناك في اكسفورد كلية تعرف بالـ All Souls College وكلها اساتذة بدون طلاب ومهمتهم البحث العلمي والتتبع فحسب ، فهي لذلك اشبه باكاديمية جامعية منها بكلية .

٨ ـ ان معظم كلياتنا الجامعية أشبه بثانويات مكبرة لم تسهم في التحقيق العلمي ولا الحضارة المعاصرة على نحو ماتفعل الجامعات الغربية فعنصر الابداع في جامعاتنا ضئيل وصوتنا الحضاري لا يكاد يسمع واذا كان ثمة شيء من التقدم فهو في مجال تحقيق التراث العلمي وحتى هذا لا يكاد يكون على نطاق الطموح القومي المتوقع وها نحن نسمع ان الحكومة البريطانية قد خصصت ١٦,٠٠٠,٠٠٠ « ستة عشر مليون جنيه استرليني » في البايوتكنولوجي Biotechnology .

ولم يستطع استاذ عربي حتى الآن أن يرقى الى مستوى الاستاذ الغربي اللهم الابعد ان يهاجر الى الغرب ويستقر في احدى جامعاتها ، فالنقص اذن ليس في هيئاتنا التدريسية الجامعية بل في انظمتنا الجامعية ومدى ما يتمتع به الاستاذ الجامعي العربي من حرية ومساعدات مادية ومعنوية واحساس بالامان بعيد عن توقع الاعتقال والسجن نتيجة اخباريات ملفقة كاذبة من بعض الطلبة المخفقين في دراستهم وامتحاناتهم . وقد يؤدي ذلك الى الاستنزاف الاكاديمي .

فالاستنزاف الاكاديمي وهجرة الادمغة **Brain Drain** يجب ان يوضع لها حد بتحسين أوضاع جامعاتنا وهيئاتنا التدريسية الجامعية ويجب ان نعمد جاهدين بحيث تبدأ هجرة « أدمغة معاكسة » بهجرة علماء الغرب الى جامعاتنا العربية . فالادمغة عملة نادرة ولايمكن الحيلولة دون هجرتها ، فيوم شدد الخناق على جامعة السوربون هاجر اساتذتها وطلابها حاملين كتبهم معهم واستقروا في مدينة اكسفورد فكان نتاج ذلك ظهور جامعة اكسفورد ويوم ضاق الاساتذة ذرعا بنظام الحكم في اليونان هاجروا الى جنديسابور فاقيمت مدرسة جنديسابور المشهورة في الطب والامثلة على الهجرات الجامعية في التاريخ كثيرة ويجب ان نتعظ بها .

وعلينا ان نتذكر انه ليس كل من يتخرج حاملا شهادة جامعية يصلح ان يكون عضوا في الهيئة الجامعية فما اكثر العلماء الذين يصلحون للبحث العلمي ولايصلحون للتدريس وافضل مثال كلاسيكي على ذلك الرياضي الشهير البرت اينشتاين [٢] فقد كان اكثر الاساتذة اخفاقا في تدريسه فامثال هؤلاء لايصلحون الا مشرفين على رسائل في الدراسات العليا والموضوعات الاختصاصية الضيقة النطاق .

فالتدريس الجامعي موهبة خاصة تجمع بين القدرة على التتبع والتدريس الجامعي بنقل مايتوصل اليه الاستاذ من

---

(٢) لقد قيض لي ان ازور الرجل سنة ١٩٥٣ في جامعة برنستون بامريكا وان اسمع آراء طلابه وزملائه الجامعيين فيه .



حقائق جديدة الى طلابه باسلوب دقيق يقرب الحقائق من المدارك والافهام .

ومن الضروري ان نفكر بصورة جدية في تبادل الاساتذة بيننا وبين الجامعات الغربية واقامة جامعات عربية عالمية في اوربا وامريكا تكون جسورا لعبور الثقافات واظهار القدرة العربية على الاختراع والاكتشاف والبحث المبدع الخلاق ، فضلا عن الاكثار من الدوريات والمجلات العلمية العربية التي تستخدم اللغات الاوربية كمجال لنقل ما استجد الى الادمغة الاوربية لنبرهن لها على أننا لانقل قدرة وقابلية عنها واننا لانعيش طفيليين على مائدة الحضارة الغربية . لا ولا وعالة على علوم الغرب وهذا مافعلته اليابان ببراعة فائقة .

اما الحرية الاكاديمية ومداها فهي مشكلة المشكلات وقد عرفها بعضهم بقوله : « انها حرية التعبير عن الافكار غير المرغوب فيها **Unpopular** ونشرها وهي ضرورية لتتبع ولتطور المعرفة ونموها ، وقد يكون هذا المبدأ جائز التطبيق ضمن الاجواء الاكاديمية حيث يجري البحث والتنقيب ، اما على نطاق الجمهور غير الاكاديمي فلا ، فالاستاذ يجب ان يتمتع « بالحصانة الاكاديمية » التي لاتقل اهمية عن « الحصانة البرلمانية » ، والنقد البناء ضروري بل واساسي في الاستقصاء والتوصل الى حقائق جديدة لفائدة البشرية ، اما « الحياد الاكاديمي » اذا جاز التعبير فسخف مابعده من سخف فمجاهرة « غاليليو » بدوران الارض كان لابد منها للتوصل الى المزيد من الحقائق رغم معارضة الرأي العام يومذاك مدعوما بالهيئات الدينية والعلمانية المتطرفة ، ولكن لابد للاستاذ الذي يتخذ خطة بحث جديدة مناوئة لما تعارف عليه الرأي العام أن يدعم هذه الخطة بالحقائق والبراهين العلمية والاسلام يؤيد اختلاف وجهات النظر البناءة فاختلاف امتي ـ كما يقول الرسول الكريم ـ رحمة ـ ولايجوز معاقبة الأستاذ أو فصله اذا كان مخلصا في وجهة نظره ولايقصد الحاق الاذى والضرر بالمجتمع فسلطان العلم فوق كل سلطان ، وهذا هو الذي رفع من مكانه الاستاذ الجامعي الغربي درجات فوق مكانة الأستاذ الجامعي في معظم الاقطار العربية والاسلامية فلابد اذن من ان يكون أول اهداف اتجاه الجامعات العربية تحقيق هذا الهدف الاسمى فمجرد دفع مرتب الاستاذ ـ كما يقول البروفيسور كينيث سترايك **Kenneth Strike** ـ لايمنح السلطة التي تدفع هذا المرتب حق استعباده وقولبته في وجهة نظرها الضيقة التي قد تكون مغلوطة بل وقد تكون طريقا مغلقا لايؤدي الى فضاء أوسع ، فالجامعات اوجدت للتقدم لاللتخلف ـ وحين أقول التقدم اقصد التقدم الذي لاحد له ذلك الذي اوصل الانسان الى القمر كتوطئة للسيطرة على الفضاء والاجرام الاخرى التقدم الذي فتح امام العلم وسيلة ايجاد سلالات جديدة من الكائنات الحية .

والجامعة حين تعتنق مذهبا سياسيا وتصبح جامعة محافظة أو عمالية او شيوعية لاتصبح جامعة وانما تصبح حزبا سياسيا وتخرج عن نطاقها الاكاديمي المضروب لها فاعضاء الحزب السياسي الواحد يجب ان يتمسكوا بمعتقد سياسي موحد . اما اعضاء الاكاديمية فليسوا كذلك ولا يحكمون رأي رئيس الحزب في كل شيء بل يحكمون اجتهادهم الشخصي وماعليه العقل والضمير الحي والاجتهاد الشخصي النير ، ثم ليس بوسع كل من أراد أن يكون بروفيسورا » بمعنى الكلمة يستطيع أن يصبح « بروفيسورا » متحريا الحقيقة المجردة المطلقة ، فالتكوين البروفيسوري تكوين خاص لايتوفر الا في القلة القليلة من الذين نذروا انفسهم لاستقصاء الحقيقة لوجه الحقيقة ذاتها .

غير اننا يجب الا نغالي في الحرية الاكاديمية فلابد لهذه ايضا من ضوابط والا اصبحت نقمة بدل ان تكون نعمة فالحرية حريتان : الحرية المدنية **Civil Liberty** والحرية الاكاديمية **Academic Liberty** فاستاذ الكيمياء مثلا يتمتع بالحرية الاكاديمية فيما يتعلق بموضوع الكيمياء ولكن ليس من حقه ان يجعل من دروس الكيمياء وسيلة للدعاية السياسية لمذهب سياسي او مبدأ معين فمجال هذا الحرية المدنية التي يتمتع بها المواطن لا كأكاديمي في حين ان استاذ الدراسات السياسية والاقتصادية قد تجتمع لديه الحريتان على صعيد واحد وفي مجال واحد ، ولكن هو الآخر يجب ان يراعي الظروف التي تمر بها بلاده فلا يتجاوز الحدود التي يختطها له وجدانه وضميره ومشاعره تجاه الله والأمة والوطن ، والا عد خروجه عن النطاق المعقول خيانة تعود بالويل والثبور بدلاً من أن تؤدي الى خير المجتمع ورفاهه وعليه فالحرية الأكاديمية خير آجل وشر عاجل . كل هذه أمور يفهمها الأستاذ الذي يعتلي كرسي الاستاذية بجدارة واستحقاق لا الذي يفلت من فجوات بعض الأنظمة المتخلفة ، فيتسنم المركز العلمي الذي لم يخلق له والذي لن يرفع من شأنه وانما يحط من قيمة المركز الذي يحتله

الحقيـــقة في مسـالة الصابئة

بقلم : ناجيه مراني

يقول أبو العلا المعري في احدى قصائده :

لا تظلموا الموتى وإن طال المدى

اني أخاف عليكمُ أن تلتقوا

وأبو العلاء المعرى يدري بأن البعض منا يحلو لـه أن يظلم الموتى فضلا عن الاحياء . تذكرت ذلك القول وأنا أقرأ مقالة السيد محمد على الزركان المنشورة في عدد جمادى الاولى ١٤٠٣هـ (مارس ـ آذار ١٩٨٣) من مجلة العربي الغراء تحت عنوان :حنين بن اسحاق شيخ المترجمين العرب .

فقد لفتت نظري في تلك المقالة فقرة لا تمت اليها بصلة ، حيث يقول الكاتب في معرض ذكره أسماء كبار المترجين الذين ظهروا في القرن الثالث الهجري ـ ومنهم ثابت بن قرة ـ يقول الكاتب : « ثابت بن قرة الحراني الذي كان رئيسا لطائفة الصابئة الوثنية عبدة النجوم والكواكب السيارة » ص ١٣٢ ـ ١٣٣ .

من الواضح ان مقالة الزركان لا تخص ثابت بن قرة لكي يستدعى الأمر ذكر انتماء الرجل المذهبي وشتم أهله وعشيرته ، وانما جاء به شاهدا على وجود مترجمين في ذلك القرن ، ولذلك فإن اللمحة الهامشية التي خص بها هذا الرجل دون سواه ـ لم تزد من قوة حجة الكاتب في تطوير مقالته ، ولم تضف الى المقالة علما أو ادبا ، ولو أنه ذكر عن ثابت بن قرة شيئا مما أورده السلف وخصته دائرة المعارف البريطانية (VOL.IX, mi, 1971,917) ، فقال ان الرجل كان رياضيا وطبيبا وفيلسوفا عربيا وممثلا لعصر ازدهار الحضارة العربية والاسلامية في القرن التاسع للميلاد ، قام بترجمة وتدريس كتب الرياضيات التي خلفها علماء الاغريق . . . لو ذكر الاستاذ الزركان هذه الحقائق أو بعضها في ملاحظته لكانت ذات علاقة بالموضوع ، على الرغم من بقاء أية ملاحظة هي استطراد أو حشو لا داعي له .

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فان تلك الفقرة بينت أن الكاتب لم يراع أصول البحث العلمي الحديث وانما باعها (بيع المجازف لم يحضره مكيال) كما يقول الشاعر العربي ، ولو انه اتبع طريقة البحث العلمي الحديث فاطلع على آيات القرآن الكريم بهذا الخصوص ، وقرأ ما كتبه أسلافنا الأمناء بعناية في هذا الموضوع ، ورأى المصادر والترجمات الأوربية والعربية في هذا المجال ـ اذن لتجنب التطرق الى موضوع لم يلم به إلماما كافيا يخوله الحديث عنه بسهولة وخفة ، كما فعل .

في القرآن الكريم

لقد ورد ذكر الصابئة في ثلاث سور من سور القرآن الكريم ، وهي سورة البقرة وسورة المائدة وسورة الحج . ورد في سورة البقرة قوله تعالى : « ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » . وفي سورة المائدة جاء ذكرهم متوسطا بين اليهود والنصارى ، مما يعين كونهم فئة دينية مناظرة للفئتين المذكورتين وذلك في قوله تعالى : « ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » . وورد ذكر الصابئة في سورة الحج اذ تقوم القيامة ، فيكون الله هو الحاكم الفصل بين المؤمنين وبين المشركين ، والآية في هذه السورة الكريمة كما في سابقتها ، تضع الصابئين بين اليهود والنصارى ، وبذلك تعنى كونهم في فئة المؤمنين لا المشركين ، حيث ورد قوله تعالى : « ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا ، ان الله يفصل بينهم يوم القيامة ، ان الله على كل شيء شهيد » .[1]

أما اسلافنا الذين كتبوا في هذا الموضوع فكانوا أمناء

---

(١) سورة البقرة ٦٢ ، سورة المائدة ٦٩ ، سورة الحج ١٧ .

فيما كتبوا ، لأنهم نقلوا جميع المقالات التي سمعوها ، خيرا كانت أو شرا ، ومن المعروف أن أهم وأقدم المصادر التراثية التي كتبت في موضوع الصابئة هو كتاب « الفهرست » لابن النديم (١) في عام ٣٨٢ هـ ، اذ خصص الكاتب الفن الاول في المقالة التاسعة للحديث عن هذا المعتقد ، وقدم حكايتين حول الموضوع احداهما : حكاية أحمد بن الطيب التي رواها عن شيخه فيلسوف العرب الكندي ، وقد ورد في مطلعها : « حكاية من خط أحمد بن الطيب في أمرهم ، حكاها عن الكندي : اجتماع القوم على أن للعالم علة لم يزل ، واحدا لا يتكثر ، لا يلحقه صفة شيء من المعلولات ، كلف أهل التمييز من خلقه الاقرار بربوبيته ، وأوضح لهم السبيل ، وبعث رسلا للدلالة وتثبيت الحجة ، أمرهم أن يدعوا الى رضوانه ، ويحذروا غضبه ، ووعدوا من أطاع نعيما لا يزول ، وأوعدوا من عصى عذابا واقتصاصا بقدر استحقاقه » .

أما الحكاية الثانية فقد رواها ابن البشع القطيعي النصراني ، كما يقول ابن النديم ويتحدث راويها عن طائفة كانت تسكن بحران زمن المأمون ، وحين طلب المأمون من كبارها ايضاح معتقدهم ، انتحلوا اسم الصابئة ، لكي يبرهنوا للمأمون انهم ذوو عقيدة مقبولة . ولكنهم لم يكونوا صابئة .

ثم يذكر ابن النديم عقائد وعبادات تلك الطائفة المتحلة .(٢)

أما الكتاب التراثي الثاني الذي تحدث عن الصابئة فهو كتاب « الملل والنحل » للشهرستاني (٤٧٩ - ٥٤٨ هـ) .

المؤلف في كتابه هذا يعنى بفلسفة تلقي المعرفة العليا أو العلم الأعلى . فهو يقر بأن الصابئة يوحدون الله تعالى ويؤمنون بتلقي المعرفة العليا بواسطة الروحانيات ثم يعقد بينهم وبين الحنفاء مناظرة يضمنها خلاصة الفلسفات الشائعة في زمانه وهي تدور حول الروحانيات والبشريات . ويقول الشهرستاني في مذهب الصابئة أو أصحاب الروحانيات : « ومذهب هؤلاء : ان للعالم صانعا فاطرا حكيما مقدسا عن سمات الحدثان ، والواجب علينا معرفة العجز عن الوصول الى جلاله وانما يتقرب اليه بالمتوسطات المقربين لديه ، وهم الروحانيون المقدسون جوهرا وفعلا وحالة » .(٣)

الغربيون أنصفوهم

بالاضافة لما سبق ، نشير الى أن الدراسات الاوربية والعربية الحديثة في موضوع الصابئة قد اعتمدت على مصادر علمية أصيلة ، وترجمت الكثير من كتب الصابئة المندائية الأرامية الى اللغات الاوربية كالألمانية والانكليزيه ، كما ترجم الكثير منها الى اللغة العربية . وأبرز المتخصصين بالدراسات المندائية هي المستشرقة البريطانية **E. S. Drower** وقد استخلصت الكاتبة المذكورة من بحوثها في هذا المجال بأن المفكرين الحرانيين كثابت بن قرة ومدرسته كانوا من عباقرة الصابئة الناصوريين المندائيين الذين يمارسون التعميد ، وقد كانوا أوفياء لدينهم الذي ولدوا عليه . وذكرت أن أهم ما يميز معتقدات الديانة الصابئية المندائية نقطتان هما :

١ - الاعتقاد برب عظيم آياته خلق الكائنات الروحية والمادية .

٢ - الاعتقاد بان النفس في الجسم أشبه ما تكون بالأسير ، وهي لا بد عائدة الى موطنها الاصل الذي انبعثت منه ، حيث تتحد بالذات العظمى في عالم الابدية .(٤)

ومن الكتب العربية التي صدرت مؤخرا في هذا الموضوع الكتاب الموسوم : « مفاهيم صابئية مندائية » لناجية مراني ، وقد تضمن هذا الكتاب بحثا موثقا بمصادر عربية واجنبية ، كما اشتمل على نصوص مترجمة عن أصل كتب الصابئة المخطوطة بالمندائية الآرامية ، اخت السريانية . ومما ورد في هذا الكتاب ترجمة افتتاحية كتاب الصابئة الكبير ومنها : « مسبح المولى ومزكاة ذاته ، رب العوالم كلها ، مسبح مبارك ومسبح معظم ، ذو الوقار القيوم ، الله الرب العالي ، الله الحق القوى العظيم الذي لا يحد ، لاكفو له بعظمته ولا شريك بسلطانه ، الله الرب العلي سبحانه ، تباركه العوالم كلها ، واسمه ملء افواه المسلمين المؤمنين بالحق .

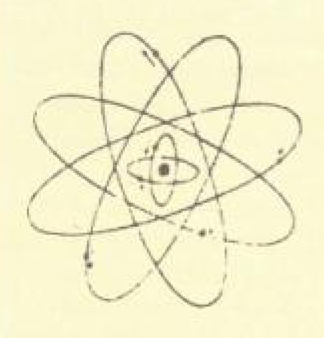
---

(٢) الفهرست لابن النديم ، ٤٤٢ - ٤٤٥ .

(٣) الملل والنحل للشهرستاني ، المجلد الأول ٢٣٠ - ٢٣١ ، المجلد الثاني ٤ - ٥٧ .

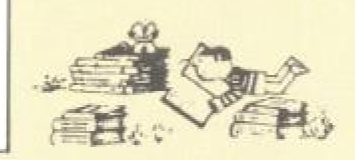
(٥) افتتاحية كتاب آدم مخطوطة في مكتبة المتحف العراقي رقم ١٤٤٠ .

الجديد في العلم والطب



اعـداد :

يـوسف زعبلاوي



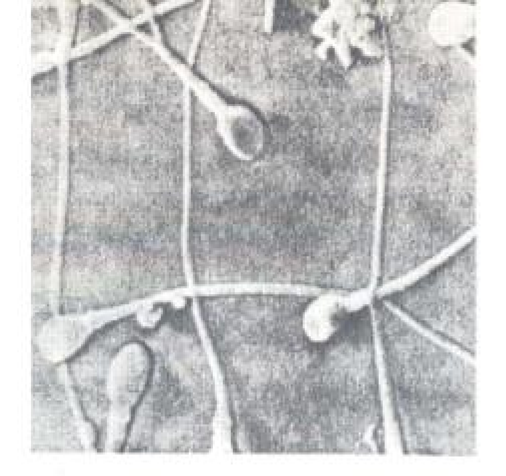


مشلولة أخرى تمشى . .

تحدثنا فى العدد السابق عن المسز برجس ، السيدة البريطانية المشلولة التى تمكنت من السير على أقدامها المشلولة بمساعدة جهاز . . ونتحدث اليوم عن فتاة امريكية فى الثانية والعشرين من عمرها . . الآنسة نان ديفز التى تعرضت لحادث سيارة سنة ١٩٧٨ . . فتسبب لها بالشلل فى نصفها الأسفل . . فهى اذن مشلولة ، ولكنها تمشى بمساعدة جهاز الكترونى طورته جامعة رايت فى مدينة دايتون فى أمريكا . . وقوام هذا الجهاز الكترودات ، تثبت على وسطها ، وكمبيوتر يصدر الأوامر الى الالكترودات . . الأوامر بحركات المشى . . فتسير الفتاة تبعا لذلك ، معتمدة على قضيبين متوازيين . . هذا فى المرحلة الأولى فحسب . . فقد تستغنى الفتاة عن القضيبين فى المراحل التالية .







هل ينجح العلم ... في تحديد جنس الجنين مسبقا ... !

● يعتمد جنس الجنين على ما اذا كان تلقيح بويضة الأنثى قد تم بمنويات تحمل كروموزوم الأنوثة (×) وهو بالطبع نفس كروموزوم البويضة ، او بمنويات تحمل كروموزوم الذكوره (Y) .. من هنا كان من الضروري ، لتحديد جنس الجنين واختياره مسبقا ، عزل هاتين الفئتين من كروموزومات السائل المنوى .. وكانت هذه عملية شاقة ، ان لم نقل مستحيلة ، فيما مضى وحتى الآن .. ولكنها توشك أن تصبح قريبة المنال بفضل علماء اليابان .

فقد تبين لفريق من هؤلاء العلماء الباحثين ان كلا الفئتين تحملان شحنات كهربائية مختلفة .. فاما سالبة وأما موجبة .. وتوصل هذا الفريق برئاسة (هيديو موري) من جامعة طوكيو والدكتور هاشي أيزوكو من جامعة كيو ، توصلوا الى ابتكار طريقة ضمنت العزل المطلوب بين الفئتين في المنويات بنجاح كبير .

والطريقة المذكورة ، واسمها electrophoresis بسيطة للغاية .. بمزج السائل المنوى فيها بمحلول خاص ثم يعرض لقوة طاردة .. ويصب بعد ذلك فيها بين لوحين من الزجاج ، وضعوا بقرب احدهما الكترود سالب ووضعوا بجانب الآخر الكترود موجب .. وما أسرع ما تجمعت كرموزومات الأنوثة (×) عند اللوح الزجاجي القريب من الالكترود الموجب وتجمعت كروموزومات الذكورة (Y) ، ٨٣٪ منها لا كلها ، عند اللوح المحاذي للالكترود السالب . وأمكن التميز بين الفئتين بسبب صبغة الفلورسنت التي أضافوها اليها .. فهذه تؤدى الى الاضاءة في كروموزوم (Y) فحسب . وقد أحرزت هذه الطريقة من النجاح أكثر مما احرزته أية طريقة أخرى .. ولكنه نجاح تجريبي فحسب .. فهي لم تجرب بعد على النساء .

ولا يخفى ما ينطوى عليه هذا المنطلق الجديد من خطورة .. فيما اذا حقق النجاح المطلوب وأصبح في متناول الأفراد دون قيود أو شروط .. فقد تفاجأ البشرية ذات يوم بشعوب كلها من الذكور .. وبلا أناث .. وقد تتزايد الحروب عندئذ بسبب حاجة تلك الشعوب الى الاناث لكي تبقى على قيد الحياة ..

أضف الى ذلك المخاطر البيولوجية .. ومنها احتمال ظهور علل وآفات في المولود الذي يتكون نتيجة عزل الكروموزومات .. ويؤكد علماء آخرون أن هذه المخاطر لا وجود لها ، وقد ثبت لهم بالتجربة العملية أن الآفات التي ترافق الكروموزومات المعزولة أقل بكثير من تلك التي ترافق الكروموزومات غير المعزولة ..

ويذهب علماء آخرون الى أن المجتمع الانساني سيفيد كثيرا من هذه الطريقة الجديدة .. في حالة نجاحها وتطبيقها عمليا .. على أن يجرى ذلك التطبيق تحت شروط وقيود معينة . ذلك أن بعض الأمراض التناسلية التي تحملها الأم تصيب المولود الذكر دون الأنثى .. فقد يصبح في الامكان القضاء على تلك الآفات والعلل بتحاشي الحمل بجنين ذكر حينما تكون اصابة الأم بتلك الآفات مؤكدة أو مشتبها بها .

الرجل الآلى فى ساحة القتال

لعل الحروب هى خير ما يصنع من أجلها الرجل الآلى .. لا عجب اذن أن أصبح لدى الجيش البريطانى فرقة كاملة من (الجنود الآليين) لا يقل عدد أفرادها عن ٦٠٠ جندى !

ولكن لماذا الجيش البريطانى .. لا الجيش الامريكي او اليابانى مثلا ؟ الجواب فى كلمة واحدة : أرلنده الشمالية .. حيث تكاثرت اعمال الارهاب فى تلك المقاطعة المنكوبة .. وتكاثرت معها الضحايا .. ضحايا الانكليز فضلا عن الارلنديين .. وبدا للقادة البريطانيين احتمال استعمال الجنود الآليين احتمالا مناسبا جدا يضمن القيام بعدة أعمال من تلك التى يقوم بها الجنود الآدميون .. والتى قد يلاقون حتفهم فى أدائها ..

وبدا لهم ايضا أن الجنود الآليين أقدر من الجنود الآدميين على القيام ببعض تلك الاعمال .. فباستطاعة الرجل الآلى البحث عن القنابل التى زرعها افراد الجيش الجمهورى المحظور .. وتحديد مواقعها بالضبط ثم وضعها فى سيارة الشحن لتنقلها الى بر الأمان ... باستطاعته أن يقوم بهذا العمل وأمثاله باتقان يتعذر على الجندى الآدمى ، ودون ان يتعرض للمخاطر التى يتعرض لها الانسان .. ولا يخفى انه لو تعرض لهذه المخاطر .. فتفتكت به .. فان الخسارة المترتبة على ذلك ليست « ضحايا » .. ولا تعدو كونها خسائر مادية يسهل تعويضها ..

ولكن الجيوش فى الغرب لا تعمل على أساس الاحتمالات .. وانما على أساس التجارب والدراسات التى تقوم بها انطلاقا من احتمالات وجيهة مقنعة .. وهكذا بدأ الجيش البريطانى تجاربه الميدانية على نطاق واسع منذ حوالى ست سنوات .. ولولا النتائج المرضية التى حصل عليها طوال هذه السنوات لما تكاثر جنوده الآليون حتى كونوا فرقة بستمائة مقاتل .. !

والجندى الآلى صغير الحجم (انظر الصورة) ولا يزيد وزنه على ١٠٠ كيلو غرام كثيرا .. وهو قادر على المناورة حتى فى المأزق .. وهو قادر ايضا على صعود الدرج والهبوط عليه ، وقد جهز بستة اطارات مطاطية وبالأجهزة والتروس المناسبة ..

وللجندى الآلى ذراع طويلة (٥ أقدام) ويمكن تجهيزها باضافات عديدة مختلفة تبعا للمهمات التى ستكلف بادائها ..

فهى تجهز بكاميرات تلفازية وميكروفونات للقيام بدور الوسيط المفاوض من أجل الافراج عن الرهائن التى قد تكون فى قبضة الارهابيين او مختطفى الطائرات ..

وهى تجهز بملاقط كبيرة وقوية لالتقاط القنابل ووضعها فى المركبات المقاومة للانفجار ...

هذا الى جانب جهاز أشعة اكس الذى يمكن الجندى الآلى من اكتشاف القنابل قبل العمل على نقلها .

وحسبك أن التجارب الأخيرة أثبتت قدرة الجندى الآلى على انقاذ رجل آدمى بوزن ٢٠٠ رطل من المأزق الخطر الذى اتفق أن وقع فيه ..

على أن هذا الرجل الآلى ليس وقفا على الجيوش والأعمال الحربية .. ولعله أقرب الى اغراض الشرطة وأعمال الهندسة المدنية ...





الجبال العالية القاسية تراها في جبل القار جوار الهفوف .





الواحات وغابات النخيل تصادفها فى كل من القطيف والهفوف .

المنطقة الشرقية .. ساحل النخيل والذهب

استطلاع : مصطفى نبيل

تصوير : اوسكار مترى

طريق واحد ، ذلك الذي قطعناه من الكويت حتى مسقط ، في جولة بين دول مجلس التعاون ، وهو يبدأ بالمنطقة الشرقية في السعودية . واذا كانت البحرين جزيرة يحيطها الماء فالجسر الذي يجري فيه العمل على قدم وساق سيصلها بذات الطريق .

ويستطيع اليوم المواطن في الكويت أن يخرج بسيارته صباحا ويتناول طعام الغداء في الدمام ، ويقضي ليلة في الهفوف والطريق في معظمه مزدوج وسريع ، وسيصبح في منتصف العام القادم مزودا بكل الخدمات التي يحتاجها .

وهذا الجهد المادي المبذول في اقامة الطريق والجسر ، هو من ذلك النوع الذي تحتاجه التجربة العربية لأنه عمل وحدوي يفوق في أثره العديد من الخطابات والمؤتمرات والبيانات ، فلا يحتاج مواطن دول مجلس التعاون الخليجي اليوم ، لأي اجراء لينتقل بين الدول الست . وهذا الذي يحدث اليوم ليس سوى العودة لوضع تاريخي قديم ، فالسيارة تقطع بنا الطريق ، في ذات البيئة وفي ذات التركيب السكاني ونفس التقاليد والعادات وذات الظروف الاقتصاديه والسياسية وان وجد قدر من التنوع فلا يمس الجوهر على الاطلاق . . ! ، كما شاهدنا طوال رحلتنا .

بدأنا رحلتنا مع خيوط الصباح الاولى ، مما بعث فينا طاقة من النشاط وشحنة من التفاؤل التي تنتقل لكل من يشهد ملحمة انتصار الضوء على الظلام والنهار على الليل .

تحددت المرحلة الاولى من رحلتنا من الكويت وحتى قطر . .

وأول نقطة قابلتنا ـ تبعد عن مدينة الكويت أقل من ساعة بفضل الطريق السريع ـ هي نقطة حدود النواصيب .

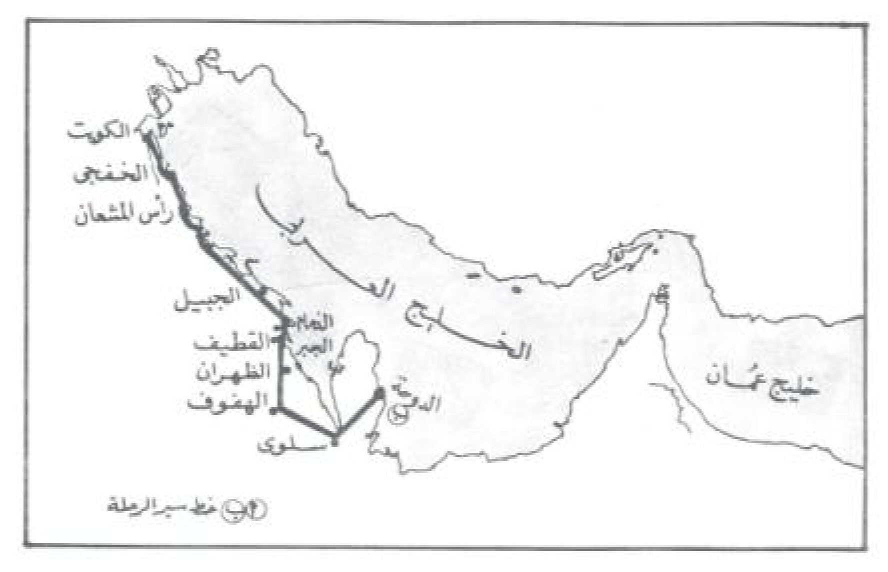
وبعد عبورنا نقطة حدود النواصيب ، دخلنا مدينة الخفجي ، وهي مدينة ظاهرها الهدوءوالوداعة ، وهي في حالة تغير ، شوارع جديدة ترصف وبنايات جديدة تقام ، نحن نقطع المنطقة المقسومة بين الكويت والسعودية ، والتي تستخرج النفط منها شركة الزيت العربة وتحصل الكويت على ٥٠٪ من الانتاج ، وتحصل السعودية على ٥٠٪ الاخرى ، ويتم الاتفاق على الخدمات مناصفة بين البلدين . .

وسرعان ما قابلتنا نقطة حدود السعودية ، التي اقتربت من النقطة الكويتية بعد أن انتقلت من رأس الشعاب الى الخفجي .

قابلنا رجال الجوازات والجمارك بحفاوة ، وأدهشني أن الجوازات تمت بسرعة ، بعد أن تم اختيار شباب متعلم في كل نقاط الحدود .

ودخلنا الى الاراضي السعودية ، وسرنا في الطويل ، ذلك المحور الذي تدور حوله كل الملاحظات والمشاهد التي تنقلها الكاميرا ، يبدأ الطريق مفردا ، ورغم ذلك لا يكف عن التحدث اليك ، بواسطة اللافتات التي تحدد موقفك ، وتسجل المسافة التي بينك وبين المدينة القادمة .

ولم نشاهد على الطريق منذ خروجنا من الكويت أية علامات لحياة البداوة القديمة . وبينما تقطع السيارة الطريق مر بخاطري ، أن البطء في القديم من وسائل السفر أحب من الحديث الذي يطارد الريح وينهب المسافات ، ففي البطء تتعود على الصبر ، والصبر يدعو الى التأمل والتفكير ، وتمنيت لو كانت رحلتنا في قافلة من الجمال بدلا من السيارة ، حتى تتصاعد متعة السفر وتكشف الصحراء عن الكثير من اسرارها التي تمتنع على المتعجل . . !



نتنقل سريعا من أرض رملية الى أخرى صخرية ، ومن اللون الاصفر الى اللون الرمادي ، وتصحبنا على طول الطريق بقع متناثرة من اللون الاخضر مثل الشامات على وجه الصحراء .

نقطة البدء

اذا كانت البوصلة هي التي تحدد الاتجاه خلال السفر ، فنقطة البدء هي التي تضمن الوصول الى الهدف ، ونقطة البدء أننا نقطع أحد أهم مناطق التخوم العربية وقطعت بنا السيارة « حافة » أحدى المناطق المتميزة ، وهي مثل القارة في اتساعها وتنوعها وغناها ، فطريقنا يحاذي الضفة الغربية من الخليج العربي ، في الساحل الذي يتمتع منذ القدم بوفرة مياهه الجوفية التي تتسرب اليه من هضبة نجد ، وتقوم في واحاته البساتين والتجمعات السكانية ؛ وأهمها واحة القطيف وواحة الاحساء ، ورغم أن المنطقة شهدت بعض فترات العزلة عندما ضعف اتصالها ببقية انحاء الجزيرة العربية ، الا انها استمرت تستقبل موجات من الداخل وأخرى من البحر ، مما أكسب هذا الساحل طابعه الخاص ، وتجاوزه للعلاقات القبلية الحادة ، فكان القادمون اليه يمتزجون في نسيج مجتمعه ، وعاش هذا الساحل على توازن دقيق بين الواحة والصحراء ، متفتحا على البحر وعلى العالم ، وقام عمل جزء كبير من سكانه على الزراعة والتجارة وصيد السمك واللؤلؤ .

وتميز بغناه بالتاريخ واحداثه العاصفة ، وشهدت القطيف ثورة الزنج واقام القرامطة دولتهم في الاحساء عام ٣١٧ هـ ، وأخيرا شهد ثورة النفط وآثاره القائمة حتى اليوم .

وأطلق على هذا الساحل قديما بلاد البحرين ، وكان وحدة واحدة ، يحكمه أحد الولاة أيام العصر العباسي ، واستمر كذلك حتى دخل في الحكم العثماني في عام ١٥٥٠م ، وانفصلت عنه جزيرة البحرين .

ومن ضربات القدر الصائبة أن هذا الساحل توحد مع بقية انحاء الجزيرة العربية ، وكانت أول منطقة يكتشف فيها النفط في السعودية ، وليس الذهب الاسود بل والذهب الاصفر أيضا ، بعد أن تم اكتشاف منجم جديد للذهب في منطقة مهد الذهب ، الذي يصل مخزونه الى مليون و ٦٠٠ طن ، ومن ناحية أخرى اشارت الدراسات الجيولوجية الى وجود كميات من الفحم قرب الحدود مع الكويت مما يضع السعودية على مشارف عصر التصنيع . فأصبحت من أكثر المناطق أهمية .

وتخرجني من تأملاتي علامات الطريق





تصل قاطرات السكك الحديدية الى أرصفة ميناء الدمام ، وتنقل الواردات مباشرة الى الرياض العاصمة .
(الى اليمين واسفل) ميناء الخبر الشريان الذى يمد البحرين بالمواد الغذائية (إلى أعلى)

وصوره ، وكلما يبعدني القفار عن العالم ، يعيدني الاقتراب من البحر اليه ، عندما يتلوى الطريق مبتعدا عن الساحل ثم يعود اليه

رأس المشعاب والحصن

نمرُّ على ميناء جديد مجهز بأحدث المعدات هو ميناء رأس المشعاب ، ولعل هذا الميناء والطريق اليه يرويان قصة التغير والحركة على شاطىء الخليج .

ورغم أنه كثيرا ما تردد . . « أنه لا يوجد بين كافة الخلجان خليج يفوق الخليج العربي في أهميته بالنسبة الى علماء الجيولوجيا وطبقات الارض ، وعلماء الآثار ، والمؤرخين والجغرافيين ورجال الاعمال ، ودارسي الاستراتيجية ، الا اني اضيف ان الحافة التي اقطعها أهمها على الاطلاق ، لا لثروتها الضخمة فحسب وانما لوجود الاماكن المقدسة (ضمن حدودها السياسية) أيضا ، مما أدى الى انشاء قوات بحرية تحمي سواحلها ، قوة بحرية قيادتها وقاعدتها في جده على البحر الاحمر وأخرى في جبيل التي تشير علامات الطريق ان سيارتنا تتجه اليها . .

وقد أقيمت مشروعات الميناء من أجل بناء حصن وسط الصحراء للدفاع عن السعودية المترامية الاطراف ، ومشروع المدينة الحصن ، يضم مدينة بكل مرافقها تقع شمال شرق السعودية ، على طريق الكويت والرياض ، وتقع على درب زبيدة التاريخي ، وهو طريق الحج القادم من العراق الى الاراضي المقدسة ، ومشروع المدينة الحصن يبعد عن بلدة حفر الباطن بحوالي ٧٠ كيلو مترا ، وستكون ثالث مدينة عسكرية ضخمة في الجزيرة العربية ، بعد أن اقيمت المدينة العسكرية الأولى في تبوك والثانية في خميس مشيط وستشكل المدن الثلاث مثلثا للدفاع عن الجزيرة العربية . .

وقد بدأ تنفيذ هذا المشروع الضخم في عام ١٩٧٧ ، وسيصبح جاهزا للعمل عام ١٩٨٤ ، وتنتهي كل منشآته عام ١٩٨٧ ، وهذه المدينة التي تنزرع في الصحراء بدأت على الطريقة « الصينية » أي باقامة مساكن للعمال الذين يقيمونها ، وكانت المرحلة التالية اقامة مصانع تنتج احتياجات بناء هذه المدينة مثل مصنع للخرسانة المسلحة وآخر للحديد وثالث للطابوق وهكذا . . وهي تقدم نموذجا حيا لكيفية تحول البادية الى مدن حديثة .

وكان من الضروري اقامة ميناء خاص ، يصل من خلاله كل معدات المشروع واحتياجاته ، وقام ميناء رأس المشعاب بهذا الدور .

تشير علامات الطريق الى مدينة جبيل ، الطريق من حولنا يتغير ، ولكل منطقة ثوبها الخاص ، وحتى زرقة البحر تتغير .

ويتحول الطريق الى طريق مزدوج وسريع ، وعليه جسور حديثة ، وهو جزء من شبكة تربط اطراف السعودية ، وقد تم انجاز هذه الشبكة في زمن قياسي ، بما عليها من عشرات الجسور والانفاق والتي وصلت الى أشد المناطق وعورة . !

أما جبيل التي نمر عليها فقد اصبحت احدى أهم مدن السعودية الحديثة على الخليج ، ليس فقط بقاعدتها البحرية ، بل بقيام مركز تجمع صناعي يشمل عددا من الصناعات البتروكيماوية ، كما صممت مدينتها السكنية على طراز عربي مميز تمتزج فيه العصرية بالطراز العربي الخاص ، ولم نتمكن من التقاط صور لها ، عندما علمنا ضرورة الحصول على تصريح خاص لتصوير أية منشآت نفطية .

وظهرت من بعيد بشائر الواحة ، وبدا لنا اللون الاخضر الذي يقطع رتابة لون الصحراء ، دليلا على اقترابنا من الثقل السكاني والمركز التاريخي للمنطقة واخذنا نقترب من بساتين النخيل والعيون التي تتفجر منها المياه العذبة . .



المدينة العصرية والأنفاق التي تساعد على دخول كافة الخدمات ... أسلاك التليفونات والكهرباء وأنابيب مياه الشرب .. وغيرها .

ووصلنا الى الدمام المدخل الطبيعي لعقد من المدن بعضها قديم وبعضها الاخر لم يكن له وجود منذ مايقرب من نصف قرن ، هنا يمكن ان نتوقف بضعة أيام في عاصمة المنطقة الشرقية .

الدمام يلفها البحر من الشرق ومن الشمال ، وتزحف باستمرار على الصحراء التي تحيط بها ، وهي مدينة كبيرة بمبانيها وشوارعها وفنادقها ، كانت في القرن الماضي قرية وميناء صغيرا ولكنها خربت ، واعاد بعثها من جديد لجوء الدواسر اليها عام ١٩٢٢ ، قادمين من البحرين على أثر أزمة نشبت بينهم وبين الانجليز ، فأقاموا بعض الأكواخ بمساعدة أهالي القطيف ، وتحولت مع الايام من قرية صغيرة الى مدينة كبيرة ، وجاء نموها مع اكتشاف النفط ، وبعد اقامة السكك الحديدية والمرفأ الحديث ، واصبحت بحق البوابة الشرقية للسعودية ، والمدخل لنجد والرياض .

ثورة المواصلات

والتقيت بالسيد فيصل الشهيل رئيس عام مؤسسة السكك الحديدية ، وهو نموذج للجيل الذي حصل على خبرة وثقافة واسعة ، ويساهم في التطور الذي تشهده بلاده .

وبدأت حديثي معه بسؤال حول مشروع ربط دول مجلس التعاون الخليجي بخط سكة حديد ، وهو المشروع الذي تقرر في مجلس



فيصل الشهيل

التعاون الخليجي ..! وعلاقة هذا المشروع بخط الدمام ـ الرياض ، المشروع الوحيد القائم ..؟

فقال : « مازال المشروع في طور البحث والدراسة ، ودعني أحدثك حول رأيي الشخصي ومن واقع خبرتي الفنية ، لا يكفي قيام مشروع خط سكة حديد من الكويت حتى مسقط ، ولكن المشروع تكتمل فائدته اذا امتد حتى البصرة ، فهو بذلك يصل الدول الخليجية بالدول الاوربية ، ويصبح له كل الفوائد الاقتصادية والاجتماعية المرجوة .. »





أسر بكاملها تفضل استخدام القاطرات بدلا من الطائرات والسيارات .

منظر عام فى محطة السكك الحديدية بالدمام .

تسجل عدسة العرب مشهد العبّارة غرق تتجه الى البحرين ، والتى ستصبح صورة من الماضى بعد اتمام جسر البحرين .









صورة فريدة ، ناقة ووليدها عام ١٩١٠



قوات ابن سعود بملابسهم وأسلحتهم ، التقطت في العشرينيات .



جيش ابن سعود قرب الاحساء التقطها شكسبير عام ١٩١١ .

وعدت أسأله ، قامت السكك الحديدية في بريطانيا والولايات المتحدة ، بوظائف متعددة ، ليس في تخفيض تعرفة النقل فقط ، بل وفي اقامة مدن جديدة ، وبناء التجهيزات الاساسية ، فهل يستفاد من هذه التجارب في السعودية ، أو بين دول مجلس التعاون الخليجي . . ؟

وأجاب . . لعبت السكك الحديدية في امريكا منذ ١٥٠ عاما دورا بارزا في النهضة الاقتصادية ، وعلى اساس هذا الطموح نقيم خططنا للمستقبل ، فالخط الحالي يربط ميناء الدمام بكل من الظهران وبقيق والخرج والاحساء ويصلها جميعا بالرياض ويقطع ٥٦٥ كيلومتر ، وعانى الخط من فترة ركود في الستينيات استمرت حتى منتصف السبعينيات ، وبعد الطفرة الاقتصادية اصبحت الحاجة ماسة الى أكثر من وسيلة للنقل ، واستجبنا لهذه المرحلة ورفعنا كفاءة الاداء ، وأقمنا طريقا جديدا يوفر حوالي ١٢٠ كيلومتر ، فانخفضت مدة الرحلة من الدمام الى الرياض من سبع ساعات الى أربع ساعات ، وجعلنا محطة الجمارك في الرياض ، بعد أن تحمل القطارات البضاعة في الحاويات من المرفأ ، ثم تنقل الى المكان الذي يحدده المستورد . .

فالسكك الحديدية تخدم الصناعة من وجوه شتى ، فيعتمد على خدماتها مصنع الاسمنت السعودي في البحرين ، ومؤسسة بترومين . .

وأضاف باعتزاز : « لقد اكتسبت السكك الحديدية خبرات خاصة في مواجهة زحف الرمال على القضبان ، وعندما واجهت المغرب ذات المشكلة ، استعانت بالخبرة السعودية ، فالمشكلة امام القطارات في أوروبا هي الثلوج ، وفي ماليزيا المستنقعات ، أما لدينا فمشكلة زحف الرمال . . »

وتركت رئيس مؤسسة السكك الحديدية لأتجول في الميناء ومحطة الركاب في الدمام حيث يتوغل مرفأ الدمام داخل البحر محاذيا لخطوط السكك الحديدية التي تحمل من البواخر مباشرة .



الشيخ مبارك الصباح أمير الكويت في الوسط وحوله اسرة ابن سعود ، التقطها شكسبير عام ١٩١٠ .



فيلبي بالملابس العربية على رأس قافلة في الهفوف بعد أن قطع صحراء الربع الخالي عام ١٩١٧



سوق الهفوف كما سجلته الكاميرا عام ١٩١٣ .



سوق الخميس في لقطة أخرى للهفوف التقطها باركلاى Barclay عام ١٩١٢ .

وامام العدد الكبير من البواخر تذكرت ما نقله أمين الريحاني ، بقوله : « اني أود ان تكون القطيف ميناء كبيرا لنجد ، ترسو فيه البواخر ، وتتحول اليه التجارة من البحرين الى الكويت . . »

نعم لقد تحولت الدمام من قرية صغيرة تابعة للقطيف الى حاضرة المنطقة الشرقية كلها ، ونشطت حركة الاستيراد واصبحت تتعامل رأسا مع جميع أسواق العالم ، بعد ان كانت تحصل على أغلب حاجاتها من الكويت .

ولكن الرد جاء أخيرا من مجلس التعاون الخليجي ، الذي وضع خطة على مراحل لتنتقل دوله من التنافس الى التكامل .

دم . . . دم . . !

كثيرا ما يكون على الباحث عن الحقيقة الذي يضع الحقائق بعضها الى جوار بعض ، أن يفتح عينيه وان يتحول الى جهاز رصد لكل ما يدور حوله ، صممت على أن التقي بمن عاصر الدمام منذ بدايتها ، انه القادر على رواية القصة كاملة ، التقيت بالشيخ سعود الدوسري الشاعر والخطيب وامام أحد مساجد الدمام والذي يبلغ من العمر ثلاثة وثمانين عاما ، يحكي تجربته قائلا . . جاءت الدواسر من البحرين عام ١٣٤٢هـ ولم يكن في الدمام سوى قصر الدمام وامامه عين عذبة يقال انها كانت تخرج المياه بصوت رتيب ، لذلك سمي القصر الذي امامها بقصر الدمام ، قدمنا من حي البديع في البحرين ، عندما لم يكن يسكن البر كله سوى جماعات قليلة من البدو ، وأقمنا بيوتنا من سعف النخيل وبعضها من الشعر ، وعندما زار الملك عبدالعزيز القطيف ونزل ضيفا في بيت الشيخ محمد بن عبدالوهاب شيخ دارين ، اذن للدواسر للانتقال من البحرين ، وأجابهم انتم « أخوالي » ، وأمامكم من بلبول حتى سلوى ، وأمر لنا بكل سعف نخيل القطيف . .

ولكن كتب الله لنا أن نعيش ونرى الظروف

أحد فنادق مدينة الخبر .

الخضرة تنتشر فى مدينة الخبر .

الشارع التجارى وسط مدينة الخبر .



منظر عام لأحد الشوارع وسط الدمام .

أحد حمامات السباحة قرب الشاطىء في الخبر .





تتغير ، ويظهر الزيت وتنتعش الدمام ، ويأتي اليها خلق كثير ، ولقد عشنا حتى انتشرت مدارس البنين والبنات ، واقيمت المعاهد والجامعات ، وكانت أول مدرسة للفتيات في الدمام عام ١٣٨٣هـ ، وبدلا من بيوت الشعر والخشب أصبحنا نسكن بيوتا من الحصا والبنيان ، حتى نسينا شقاء الماضي ..»



محمد المانع

أول مطبعة في الدمام

ونمضي متنقلين بين المجالس ، عندما يحلو الحديث في جلسات مع احتساء استكانات الشاي وفناجين القهوة المرة ، ونرى نفس العادات على طول رحلتنا ، ويدور الحديث حول بدايات الحياة الثقافية ، ويذكرون بالتقدير انه من رموزها خالد الفرج الذي ولد عام ١٣١٦هـ بالكويت ، واستقر في المنطقة الشرقية ، وكان أول من أسس المطبعة السعودية في الدمام ، وازدهرت الحركة الادبية عند وجود المطبعة والصحافة ، ومع انتشار المدارس والمعاهد ، صدرت اخبار الظهران التي تولى رئاسة تحريرها عبدالكريم الجهيمان ، وأصدر يوسف الشيخ يعقوب صحيفة الفجر الجديد ، كما اصدر علي بوخمسين مجلة « الخليج العربي » والتي كانت تطبع في الكويت وتوقفت ويعد بعض الشباب في الدمام لاعادة اصدارها ..

اما الآن فقد تزايدت المطبوعات ودور النشر ، بل وتصدر صحيفة في الدمام هي « اليوم »

ومن الدمام توجهنا الى مدينة الخبر ، المدينة التوأم للدمام والظهران ، فمازلنا نتجول في عقد مدن النفط الجديدة المتقاربة ، فلم تكن الخبر قبل النفط سوى قرية صيد متواضعة ، وتحولت بفضله الى مدينة ومركز تجاري هام ، يصل تعدادها الى ١٠٠ الف نسمة أي نفس تعداد الدمام ، ولعل من أسباب ازدهارها قربها من الظهران ومن جزيرة البحرين ..

ولعل الخضرة التي تظلل بعض شوارعها هي التي حببتها الينا ، أو لعله الشارع الطويل الذي تظلله الاشجار ، ويتجمع فيه أهلها ساعة الغروب وايام الاجازات يشاهدون واجهات فروع العديد من المحلات الاوروبية .

كنت على موعد مع السيد محمد المانع الذي اتطلع للقائه منذ أن قرأت كتابه القيم « توحيد المملكة العربية السعودية » وروى ذكرياته عندما كان مترجما للملك عبدالعزيز ، ومدير مستشفى حديث يملكه في الخبر ، وربما كان اختياره لهذا العمل يرجع الى تجربته عندما كان يدرس في الهند ، ويستقبل ويترجم للعديد من ابناء الخليج الذين يسافرون الى الهند للعلاج ، فصمم منذ هذه الأيام على ان يساهم في اقامة مستشفى متقدم في بلاده ، يبلغ عمر السيد المانع ثلاثة وثمانين عاما ، ويتمتع بذاكرة قوية ، ويستهويه حديث الذكريات ، روى قصة بناء مدينة الخبر ، قال :

كان لدى شركة ارامكو مخطط خاص لتخطيط مدينة الخبر وجعلها على نسق مدينة مانهاتن الامريكية ، أي من شوارع طولية واخرى عرضية ، وكانت امامهم عقبة الحصول على موافقة بلدية الخبر ، فوعدت الشركة بأن احصل على موافقة البلدية ، وقد سهل تخطيطها على هذا النحو ، انها كانت مدينة جديدة ، وسأختار من حديث الذكريات روايتين تتعلقان بتاريخ

الاحساء ، يحكى انه في عام ١٨١٣م قرر ابن سعود ان الوقت قد حان لاتخاذ مبادرة ضد الاتراك في الاحساء ، وفي الثامن من شهر مايو قاد جيشه الذي يضم الاخوان في هجوم ليلي باغت على مدينة الهفوف ، وكنت اصحب ابن سعود في هذا الهجوم ،وكانت في المدينة حامية تركية مكونة من حوالي الف ومائتي رجل ، ونجح عبدالعزيز في ضم منطقة واسعة الى حكمه ، ووجد أخيرا مدخلا الى الخليج العربي يبدأ من جنوب الكويت حتى شمال قطر . . . »

أما الحكاية الثانية ، عندما كان يقوم بالترجمة في اللقاء الذي تم بين ابن سعود وتشارلز مرين الجيولوجي الامريكي ، ودار الحوار التالي :

ابن سعود : « كيف تعرفون ان في مكان ما يوجد النفط . . ؟ »

جرين : ياصاحب الجلالة ، هل تريد ان تعرف مني في دقائق ما انفقت عمري كله في تحصيله ، ثم صمت قليلا واضاف ، « ان اكتشاف النفط في البحرين يدل على وجوده في الاحساء ، فالاحساء والبحرين منطقة جيولوجية واحدة . . . »

ابن سعود : « نعم هذا صحيح ، فقد جاء في كتب التراث ان بعض الصحابه وصلوا الى البحرين على ابلهم التي خاضت بأقدامها في الماء . . »

المنتجات التي تحملها البواخر من لبنان ، العبارات التي امتلأت بالمسافرين في طريقها الى البحرين ، اغلب عمال الميناء من الهند أو الباكستان ، معدات الميناء صناعة بريطانية ، الشاحنات التي تفرغ احمالها في الميناء كويتية ، ، مراقبو الميناء يتحدثون في اجهزة التوكي ووكي لتنظيم الحركة وضمان سرعة انسيابها ، وتقف في الميناء البواخر الحديثة ، الى جانب البواخر المحلية من البوم ، والبانوش والجلبوت التي تصنع في الهند أو البحرين .



هذا هو ميناء الخبر الذي كان مرفأ صغيرا ، ترسل عن طريقه البضائع والمعدات الى البحرين وميناء رأس تنورة ، وما لبث ان تحول وأصبح مرفأ هاما ونقطة اتصال بين البحرين والمنطقة الشرقية .

الجديد والقديم

بعد تجوالنا في المدن الحديثة ، جاء دور المدن القديمة التاريخية ، فاذا كانت المدن الجديدة ، الدمام والخبر والظهران وجبيل هي التي تقف اليوم في مقدمة الصورة ، وهي التي تحتوي على المطارات ومنشآت النفط والكثير من المصانع ، فان المدن التاريخية القديمة ، القطيف والهفوف ، هي التي تحتفظ بالزراعة وعيون المياه ، وفوق ذلك تحتضن القيم والتقاليد القديمة ، وقد جاء ذكر القطيف في معجم ياقوت عندما وصفها بأنها مدينة بالبحرين ، هي قصبتها واعظم مدنها ، كما وصفها ابن بطوطة في احدى رحلاته « بأنها مدينة حسنة ذات نخيل كثير » .

ولا تزال القطيف تحتفظ ببقايا طابعها القديم ، ولاتزال آثار حي القلعة باقية بأبنيتها المتلاصقة ، رغم اختراق الطرق الحديثة لها ، ورغم ازالة السور الذي حدثنا عنه ابو الفدا في كتابه تقويم البلدان ، ووصفها بأن لها سورا وخندقا ولها أربعة ابواب ، ويصل الى اسوارها البحر عند المد ، ولاتزال تحيط بالمدينة غابة كثيفة

سوق الهفوف الغني بالعاديات .



حمام أبولوزة مابقي من عيون القطيف ، (الى اليسار) .

متحف خاص للسيد محمد صالح الفارس ، ولديه أهم مجموعة من العملات . (الى اقصى اليسار)

قلعة ابراهيم أحد معالم الهفوف .



من اجود انواع النخيل ، ولا يفصل بين بساتينها سوى بعض الضيع والقرى القريبة .

وتستقر واحة القطيف الخضراء في زاوية الساحل الطويل الاجرد ، وتحتضن الواحة المدينة التاريخية ، وتروي الاساطير حكايات عن اناس تاهوا في فيافيها ، وعن اناس طلبوا الماء فبيع لهم بأضعاف وزنه ذهبا ، وما زال في واحة القطيف بستان معروف باعه صاحبه لقاء شربة ماء . .

وكان الخليج يسمى بحر القطيف وخليج القطيف ، وهو ما جاء في كتاب التعريفات الشافية .

وتشهد واحة القطيف محاولات عديدة من اجل الحفاظ على الزراعة فيها ، فتحولت العيون القديمة الى آبار ارتوازية ، وأصبحت المياه تندفع في شبكة من الانابيب للري ، وتدار بطلمبات كهربائية ، واقيمت قنوات الري الاسمنتية التي تنقل المياه من العيون الى الحقول ، وتشهد المشاريع المختلفة لحماية الواحة من زحف الصحراء ، وهنا مشروع زراعة أراضي جديدة تبلغ مساحته ١٢٠ الف هكتار ، ويستمد مياهه من ٣٢ عينا . .

وبقي سؤال هام يرتبط بمستقبل اللون الاخضر ، ويحظى باهتمام كل من يتطلع الى المستقبل ، وهو من الذي يختار الزراعة في بلاد الوفرة ، وفي مجتمع التجارة فيه اكثر ربحية . . ؟ كما ان الوفرة والرضا الوطني يمثلان شعورا عاما ، وفي مجتمع في حالة تحول ويشهد توازنا دقيقا بين القديم والجديد ، بين الثروة وانتشار التعليم ، وفي مجتمع يتعايش فيه الكثير من الازدواجيات ، التقليدي والتحديث ، والقبلية والتمدن ، ولعل المستقبل كله يكمن في ارقام التعليم ، فترسل السعودية ما بين ٧ آلاف وعشرة آلاف شاب سنويا للدراسة في اوروبا الغربية والولايات المتحدة ، كما انتشرت الجامعات في كل ارجاء البلاد ، وفي غضون سنوات قليلة ، سيسيطر جيل جديد على حركة التطور في البلاد ، ولعلنا لم نذهب بعيدا عن سؤالنا ، وكان الحل المؤقت الذي توصل اليه كل صاحب بستان يريد استمرار زراعته ، هو البحث عن عمال زراعيين من مصر أو الباكستان .

قصة مدينتين

كانت الهفوف هي آخر مدن السعودية التي زرناها ، فهي تبعد عن سلوى آخر مدينة سعودية في الطريق الى قطر حوالي ١٤٥كيلومتر ، وهي مثل القطيف في دورها التاريخي ، فكل منهما واحة غنية ببساتينها وعيونها ، واذا كانت القطيف مركز الزنج التاريخي ، فقد كانت الهفوف هي مركز القرامطة . .

يبلغ عدد قراها ٦٤ قرية ، وهي القرى التي تتحول تدريجيا الى مدن ، ويطلق على الهفوف اسم الاحساء وهو اسم المنطقة كلها والذي يعني خرير الجداول .

ويقدم وصف لوريمر في كتابه دليل الخليج ، صورة عن الاحساء في مطلع هذا القرن ، وما كان عليه ثمرها ، «يمثل التمر القسم الاكبر من الزراعة والتجارة في الاحساء ، فانتاجه السنوي لا يقل معدله عن ٧٥ ألف طن ، ٥١ الف طن



لقطة لمدينة القطيف عام ١٨١٩ ، صورها جورج سادلر George Sadler وتظهر قلعة القطيف وأسوارها ، وإحدى عيون القطيف وسط الساحة .

في واحة الاحساء وحدها ، و٢٤ ألف طن في واحة القطيف ، ويعتبر تمر الحسا اجود تمور العالم ، يفوق تمور عمان والعراق ، وثلثه من نوع الخلاص وهو المفضل ، ونصفه من نوع يسمى الوزيرة ، ومعظم الصادر منه الى البحرين او عن طريقها . . »

واليوم تشتري الحكومة التمر من أصحاب البساتين ، وتتولى تغليفه في مصنع للتمور ، وقد قدمت انتاج التمر هذا العام كجزء من المعونات السعودية لبعض دول العالم الثالث .

وعندما تجولنا في اسواقها وبساتينها وقلعتها واسواقها وجبالها كانت من اكثر المدن التي فتحت قلبها لنا ، وتشعر بدفء وحرارة اهلها ، وتقاليدهم العربية الاصيلة . .

وكانت مثل المضخة الماصة الكابسة بالنسبة لأهلها على مر العصور والاحداث ، فأحيانا تدفع بسكانها الى الخارج ، ومازال في العراق حي كبير من مهاجري الاحساء في منطقة المنتفق ويسمى حي القطاقة ، وأصبح الآن يتوافد عليها الكثير من ابناء الجزيرة العربية ، ومن البلاد العربية المختلفة ومن البلاد الأجنبية وخاصة بعد ان قام فيها احد وجوه الخطة الاقتصادية للسنوات ٧٠ ـ ١٩٧٥ والذي يتناول مشروع ري مساحة ٣٠ الف فدان ، وهو المشروع الرئيسي للاستصلاح وري الاراضي وزراعتها وتوطين البدو فيها . .

مع ابن جلوى

والتقيت في مقر الامارة بالامير محمد بن فهد الجلوي ، والذي تظهر في ملامحه الطيبة ، وهو يجلس على مكتبه في قاعة واسعة ، واخذنا نراقبه وهو يتلقى مطالب الاهالي ويبحث شكواهم ،

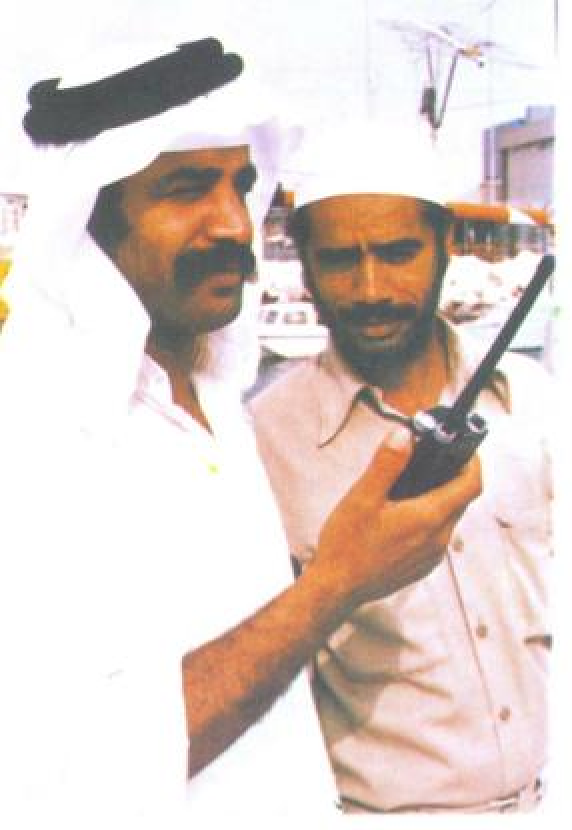


الامير محمد بن فهد الجلوي

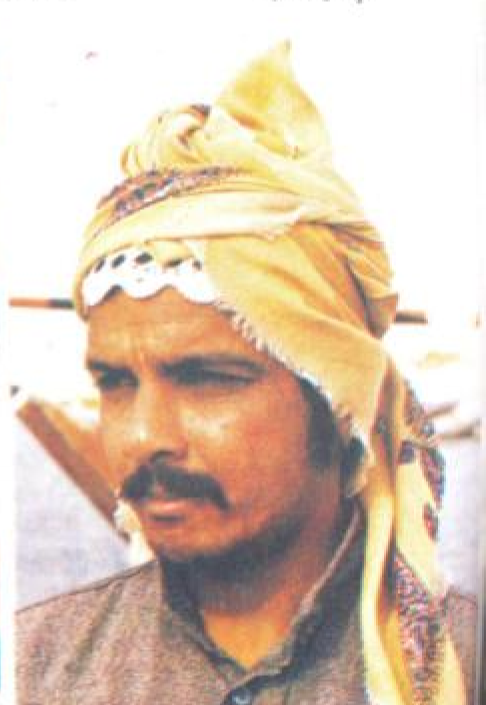




في سوق الهفوف



وجوه من الإحساء ، تعكس مهنها التقليدية في البحر والزراعة .



ثم وجه اهتمامه لأحد مساعديه الذي أوفده الى القاهرة ليجمع صور كافة الوثائق بمرحلة الحكم السعودي الأول ، والمعارك التي دارت مع الاتراك ، وظهر ولعه الخاص بالتاريخ ، وسألته عن اثر التغير السريع الذي تشهده المنطقة ، وكيف يمكن في ظل هذا التغير الحفاظ على ايجابيات الماضي . .

وقال الامير محمد بن جلوي : « لقد بدأ العديد من تقاليد الماضي في الاندثار ، ولكننا نسعى للحفاظ على كل مفيد في القديم ، فمن ليس له قديم لا يمكن أن يكون له مستقبل ، فمثلا كان شباب البلدة يخرجون بعد العصر ويمارسون رياضة ركوب الخيل ، وكانت العناية فائقة بكل ما يتعلق بالخيل ، والسرج العربي المميز ، واختفت اليوم هذه العادات وقام بدلا منها نادي الفروسية ، الذي ليس فيه من الفروسية ولا تقاليدها شيء يذكر ، فالفارس القديم تحول الى « جوكي » ولقد بحثت طويلا عن احزمة الخيل القديمة ، والسرج العربي ، ولم اعثر عليها الا بصعوبة بالغة . . مما جعل اقامة مركز للتراث الشعبي ضرورة ملحة ، ترى فيه الاجيال الجديدة ، صور وملامح حياة آبائهم واجدادهم ، ولا ينبغي ان نكتفي بحصر الماضي بين جدران المتاحف ، بل ونجعله جزءا من الحياة المعاصرة ، وقد قمنا بترميم اول مدرسة قامت في الاحساء والتي اقيمت عام ١٣٥٦هـ وكانت مدرسة الهفوف الابتدائية ، وحددنا اول محطة لاسلكي اقيمت في الهفوف في مقر ابراهيم ، كما سنقوم بترميم العنابر التي اقام فيها الجيش السعودي واول مقر له في منطقة الاحساء . .

ومن ناحية اخرى سنجمع العديد من المخطوطات القديمة والتي تعكس الحياة الاجتماعية وتحققها ، لكي نقدم المادة الخام المفيدة لكل الباحثين والدارسين .

سوق الهفوف

وجذبني في سوق الهفوف سوق البشوت الحساوية ، الذي تصل اليه عبر ازقة في اسواق كالسراديب ، تفوح منها روائح البخور والعطور ، فالبشوت الحساوية افضل انواع البشوت الصوفية ، ومن هذا السوق ترسل البشوت الى كافة ارجاء دول الخليج ، وتقف البشوت الحساوية الى جوار البشوت النجفية والدشتية وهي بشوت حريرية ، ويصل سعر البشت الصوفي اليدوي الى حوالي ١٥٠٠ ريال حوالي ١٢٠ دينار ، اما البشت الحريري فيصل ثمنه الى ٥ آلاف ريال .

وفي سوق الهفوف يُقبل الاجانب بائعين او مشترين ، وكل زقاق يتخصص في بيع نوع خاص من المنتجات .

ويزداد ثمن البشت كلما تم تزيينه بالزري اي نسيج الخيوط الذهبية التي تنسج عند اطراف البشت العليا ، وزيادة ثمنه تدل على مكانة لابسه الاجتماعية .

ويمكن لمن يبحث عن قطعة من الماضي ، ان يجد سوقا رائجة للمباخر والسيوف والبنادق القديمة ، كما حافظ هذا السوق على الصناعات اليدوية التي اندثرت او كادت . . !

واخذني مرافقي الى بقعة لم اكن اتوقعها ، الى نقطة تلتقي عندها بساتين النخيل الممتدة وجبل القارة الشاهق ، فنرى الجبل والصحراء والزراعة يجمعهم منظر واحد ، فهنا التنوع الجغرافي ، ففي المنطقة الشرقية طرف من الربع الخالي ، ويمر بها حزام من رمال الدهناء ، والواحة الخضراء ، وقبل القارة جبل ذو ملامح قاسية ، وبه شقوق حادة ، وكهوف تدخل اولها ولا تصل الى آخرها .

ونكتفي بهذه المرحلة من رحلتنا ، وكانت بداية المرحلة التالية عندما اخذنا العبارة من ميناء الخبر متجهين الى البحرين . ○

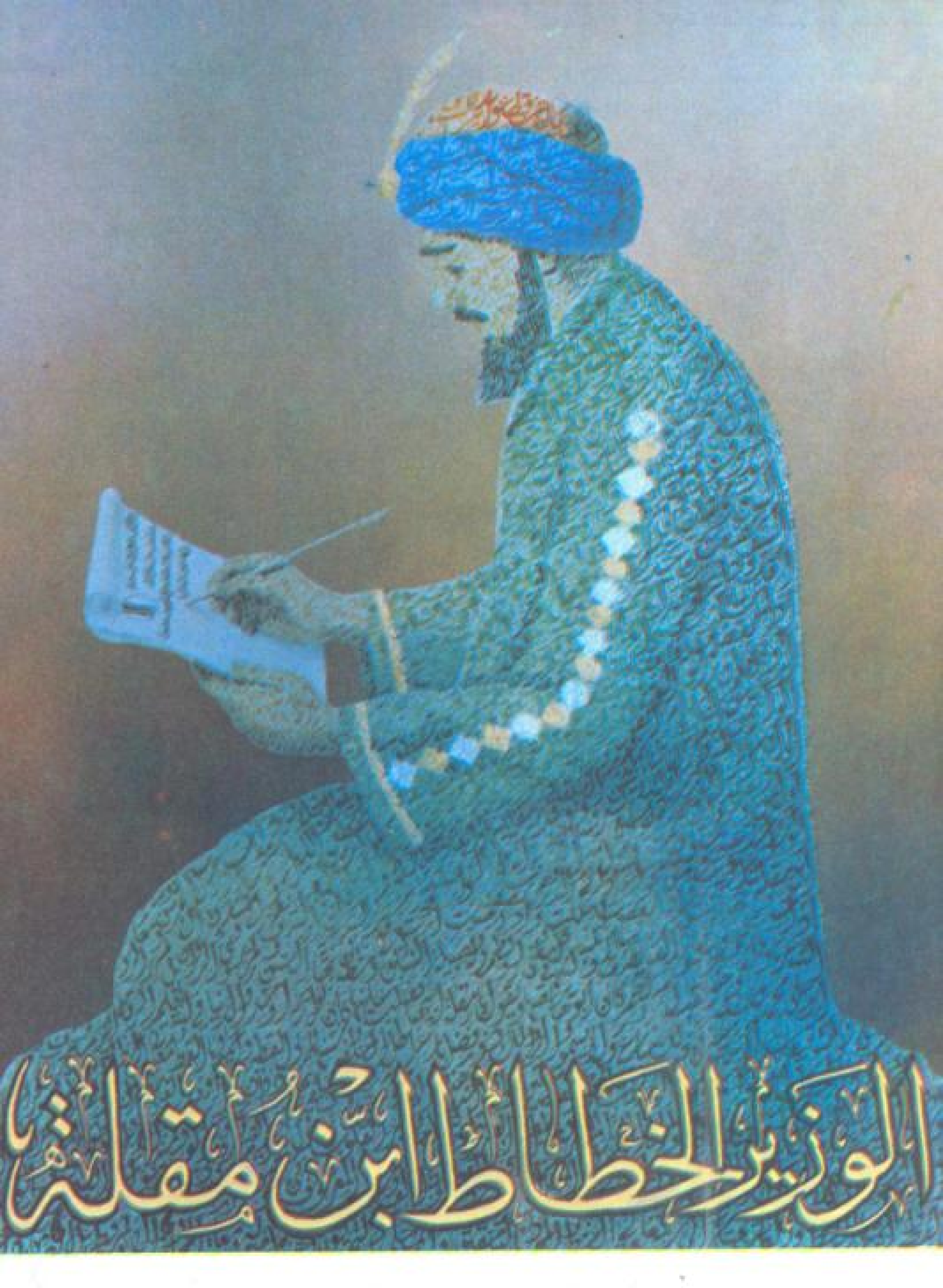


بقلم : عبد اللطيف هاشم



انسان امضى اقسى رحلة عذاب ... بدأت بالحزن واستمرت بالنحيب ..!واحتسى كأس المرارة حتى آخر قطرة ، وتاجر بصفقة الألم الى النهاية . ولم يكتف جلاده بقطع يده ورميه في زنزانة عمياء بل سرعان ما قطع له لسانه وتركه يتأوه وحيداً يعاني اصعب لحظات الاحتضار .. !

ويمر الوقت البائس من عمر الزمن وتحفر مأساة في ضمير التاريخ بحروف سوداء ملطخة بلون كئيب وتخمد الأنفاس ، وتكم الأفواه ، وتنتهي فصول الرواية ... !



الوزير الخطاط بن مقلة بالخط الديواني الجلي كما تخيله ورسمه خطاً عبد اللطيف هاشم



نموذج لتطور الخط العربي لوحة
بخط عبد اللطيف هاشم



ولد الوزير الخطاط أبو علي محمد بن مقلة يوم الخميس ٢١ شوال ٢٧٢ هـ ، ومقلة اسم أم له كان أبوها يرقصها ويقول : يا مقلة أبيها ، فغلب عليها !

كان ابن مقلة في أول أمره يعمل في بعض الدواوين في كل شهر بستة دنانير ثم انه تعلق بابن الفرات واختص به وكان هذا وزيراً أعلى من شأنه ومكث يعرض رقاعا في مهمات الناس وينتفع بسبب ذلك حتى عرض جاهه وتحسنت حاله فأرسل الى بلاد فارس يجبي خراجها .

وفي عام ٣١٦ هـ عزل علي بن عيسى عن الوزارة عندما اختلت اعمال الوزارة وزادت نفقات الجند والخدم والحرم ، فاستعفى عنها واحتج بالشيخوخة .

وكان قد سمىّ ثلاثة للوزارة ، الفضل بن جعفر بن الفرات وأبو علي بن مقلة ومحمد بن خلف النيرماني فقيل للخليفة المقتدر : أما ابن الفرات فقد قتلنا عمه الوزير أبا الحسن وابن عمه وصادرنا اخته ولا نأمنه ، أما ابن مقلة فحدث غرٌ لا تجربة له بالوزارة ولا هيبة له في قلوب الناس ، وأما محمد بن خلف النيرماني فجاهل متهور ولا يدفع عن صناعة الكتابة والمعرفة .

وبلغ الخبر أبا علي بن مقلة ، فجد في السعي وضمن على نفسه الضمانات ، ولما كانت الحياة الاجتماعية في وضع سيء والمنشقون يهددون حدود الخلافة ، ارسل ابن مقلة رجلا الى الأنبار ومعه خمسون طائراً ، فكانت الأخبار تأتيه على أجنحة الحمام في حينها ، فقيل للخليفة : هذا فعله ابن مقلة فيما لا يلزمه فكيف اذا اصطنعته ؟ . . فتولى الوزارة أبو علي بن مقلة . . .

وفي عام ٣١٧ هـ خلع المقتدر من الخلافة وبويع أخوه القاهر فبقي يومين ثم اعيد المقتدر وبقي ابن مقلة في الوزارة ثانية وكتب الى البلاد بما تجدد وأطلق للجند ارزاقهم . وفي عام ٣١٨ هـ عزل الوزير ابن مقلة واحرقت داره ونهب الناس اساسها من حديد وحجارة .

وفي عام ٣٢٠ قتل المقتدر وذلك لأمور تتعلق بالقواد وانشقاقهم والتناحرات بينهم وما كان من مؤامرات وتفتت وتصدع بالسلطة ، وبويع محمد بن المعتضد أخو المقتدر ولقبوه بالقاهر واستوزر أبا علي بن مقلة ، وكان في بلاد فارس فأرسل اليه وعظم شأنه . . !

وكان هناك جماعة من الأمراء تشاوروا في خلع القاهر وتولية غيره سراً ، فوصل ذلك للقاهر ، وهرب ابن مقلة واستوزر غيره ، وأخذ ابن مقلة يراسل الجند والقواد ويخوفهم من بطشه وسطوته ، الى ان هجم الجند عليه وقضوا على خلافته واحضروا أبا العباس محمد بن المقتدر وبايعوه ولقبوه بالراضي بالله سنة ٣٢٢ وسلمت الوزارة لابن مقلة .

واستاءت الأحوال وضعفت يد السلطة عن اطراف الخلافة في الموصل والانبار والبلاد الأخرى وجاءت الجند واحرقت دار ابن مقلة واستوزر غيره ! وضعف أمر الخلافة واستقل نواب الأطراف بالتصرف فيها ، ولا كلمة تطاع . . . !

- البصرة مع ابن رائق وخوزستان الى البريدي وأمر بلاد فارس الى ابن بويه وحدث اضطراب وغلاء في بغداد . .

وفي عام ٣٢٦ هـ عاد ابن مقلة وتقلد الوزارة وكانت ضعيفة هذه المرة وليس له من الأمر شيء بل الأمور كلها بيد ابن رائق فاستاء من ذلك وكتب الى « بجكم » يطمعه في بغداد وان يكون عوضاً عن ابن رائق ، ثم كتب الى الخليفة يطلب منه أن يسلمه ابن رائق ويضمنه بألفي دينار فأطمعه الراضي وهو ينوي شراً ، ولما جاء ابن مقلة الى دار الخلافة ليلا اعتقله الراضي في حجرة ، ولما كان الغد انفذ الى ابن رائق يعرفه

الحال ويعرض عليه خط ابن مقلة ، وهنا ينتقم الظالم شر انتقام ، فيُخرج ابن مقلة من محبسه وبعصبية ودون تردد تقطع يد ابن مقلة . . ! ثم اعيد الى الحبس . . وتبدأ المأساة ويظل الانسان يتعذب وحيداً لكنه لم ييأس ولم تبرد عزيمته ، وشد القلم على يده وكتب للراضي « ان قطع يدي لا يمنعني من الوزارة » ، وفي خبر المحنة قال ثابت بن سنان بن قرة : « أمرني الراضي بالله بالدخول الى ابن مقلة آخر اليوم الذي قطعت فيه يده ، فدخلت اليه فعالجته ، وسألني عن خبر ابنه أبي الحسين فعرفته خبر سلامته فسكن الى ذلك غاية السكون ، ثم ناح على نفسه وقال : « يد خدمت بها الخلافة ثلاث دفعات وكتبت بها القرآن دفعتين تقطع كما تقطع أيدي اللصوص ، أما ترى ما حل بي ؟ »

فقلت : ما بقي بعد هذا شيء والآن يجب ان تتوقع الفرج فانه عمل بك ما لم يعمل بنظير لك ، وهذا انتهاء المكروه . . . . !

فقال : لا تقل . . . ! ان المحنة تشبثت بي تشبثاً تنقلني من حال الى حال وحتى تؤدي الى التلف كما تشبثت حمى الدق بالاعضاء فلا تفارق صاحبها حتى تؤديه الى الموت . ثم تمثل بهذا البيت :

اذا ما مات بعضك فابك بعضا
فان البعض من بعض قريب

ثم نقل من هذا الموضع الى موضع أغمض منه ، ولم يوقف له على خبر ، وحجبت عنه . !

انشاء ابن مقلة وبيانه

ونورد هنا ما روي عنه قوله للشعر أو للنثر ، وهذا لا يعني ان ابن مقلة كان شاعراً ، لكنه قال بعض الأبيات بشاعرية صادقة . . .

حدث ابو الحسن بن ثابت بن سنان عن أبي الحسن علي بن هشام قال : لما تقلد الفضل بن جعفر بن الفرات الوزارة ، لقيت ابن مقلة وكان معزولاً مستتراً . . ! فقلت له :

يقبح بك يا سيدنا ، ان تتأخر عن لقاء هذا الوزير وتهنئته بوزارته ؟ قال : ما آمنه ولا لي حاجة الى الاجتماع به .

فقلت : ينبغي ان تكتب اليه رقعة ، تعتذر عن تأخرك وتهنئه تهنئة تقوم مقام حضورك .

فقال : أخاف أن يجيبني بما يستدعي حضوري وأنشدني :

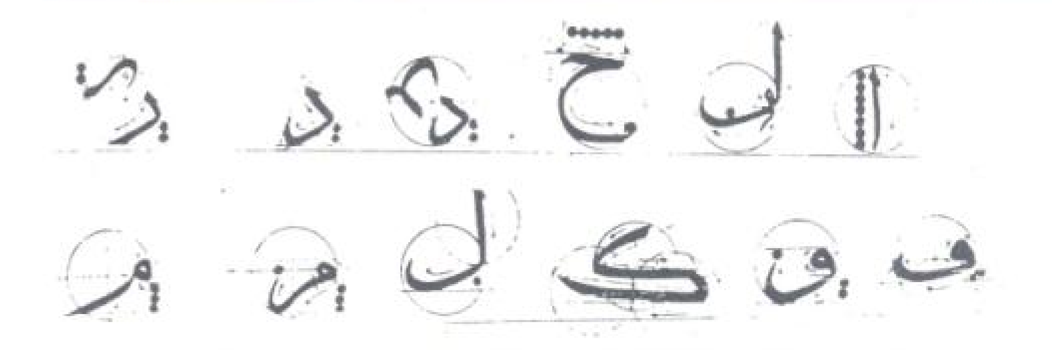
وقائلة : مذ أصخت الصواب
بتركك هذا الوزير الجديدا
فقلت : لها : لا عداك السرور
ولا كان قولك الا سديدا

وله أيضاً :

جربني الدهر على صرفه
فلم أحز عند التصاريف
ألفت يوميه وبا ربما
يؤلف شيء غير مألوف

لقد حزن كثيراً وجرحت كبرياؤه وأهين في السجن ، لكنه مرة يندم وأخرى يتأوه . . قال :

لوحة على هيئة منارة وقبة كتب فيها « محمد رسول الله » موقعة باسم رفيق .

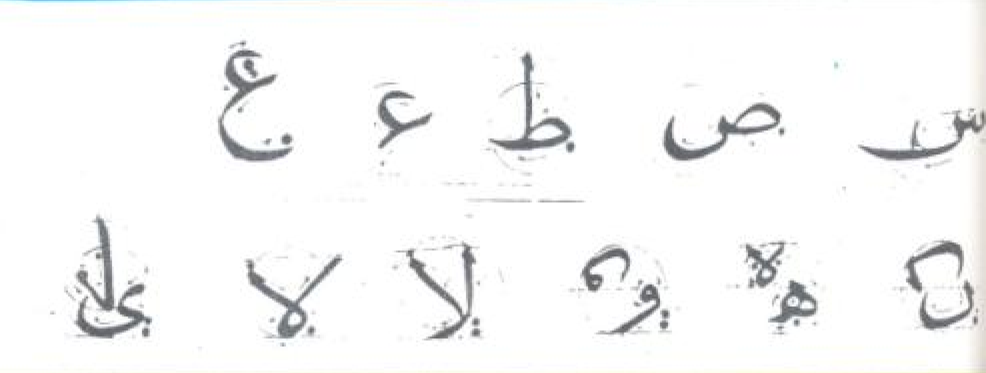


لوحة تصويرية اشترك فيها الرسم والخط ، تحتوي على كلمتي الشهادة بهيئة شخص في وضع الصلاة في حالة تأدية الشهادة قبل التسليم . وفي الأطار كتابات بخط نسخ وديواني لأحاديث شريفة .

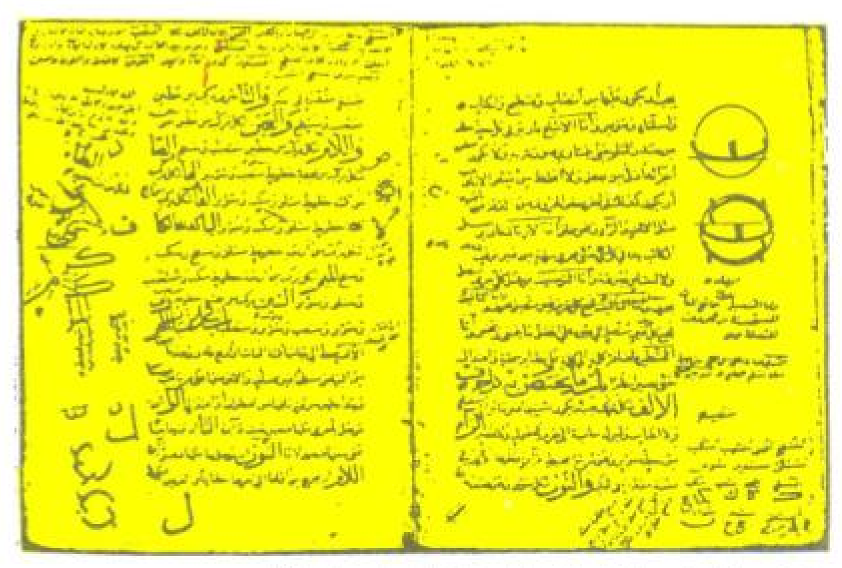




نموذج من خط ابن مقلة بالخط والثلث



اشكال الحروف كما هندسها ابن مقلة



صفحتان من مخطوطة « رسالة علم الخط والقلم » تأليف الوزير ابن مقلة - ٣٢٨هـ - .
تحتوي هذه الرسالة على هندسة الخط العربي الاول حسب القاعدة المبتكرة الذهرة التي وضعها ابن مقلة . وقد التزم أن يكون حرف الألف قطرا للدائرة التي تبنى عليها أقواس الحروف الأبجدية المفردة قبل تركيبها .
قال ابن مقلة عن الخطوط التي كانت متداولة في عصره وقبل عصره : « للخط أجناس قد كان الناس يعرفونها ويعلمونها أولادهم ، ثم تركوا ذلك وزهدوا فيه في سائر العلوم والصناعات وكان أكثرها وأجلها قلم الثلثين ، وهو الذي كانت السجلات تكتب به فيما يقطعه الأئمة ، وكان يسمى قلم السجلات . ثم تقيل الطومار والشامي وكانت تكتب بها في القديم ملوك بني أمية .. الخ . »

واذا رأيت فتى بأعلى رتبة
في شامخ عن عزّه المترفع
قالت لي النفس العروف بقدرها
ما كان أولاني بهذا الموضع

كان متواضع الصفات وعزيز النفس فهو يقول في ذلك :

لست ذا ذلة اذا عضني الدهر
ـ ولا شامخاً اذا واتاني
أنا نار في مرتقى عين الحا
سد ماء جار مع الاخوان

ويقال :

أنا نار في مرتقى نفس الحا
سد ماء جار مع الخلان »

وفي السجن تذكر ولده وخاف عليه وهو مريض فقال :

ـ لقاك ربك صحة وسلامة
ووقاك بي من طارق الأرزاء
ـ ذكرت شكاتك لي وكأسي في يدي
فمزجتها دمعي مكان الماء

حدث أبو عبد الله احمد بن اسماعيل المعروف بزنجي كاتب ابن الفرات قال :

ـ لما نكب ابن مقلة وحبس ، لم أدخل اليه في محبسه ولا كاتبته ولا توجعت له ، على ما بيني وبينه من المودة والصداقة ، خوفا من ابن الفرات ، فلما طالت به المحنة كتب الى رقعة فيها :

ترى حرّمت كتب الاخلاء بينهم
أبن لي ؟ ، أم القرطاس أصبح غاليا
فما كان لو ساءلتنا كيف حالنا ؟
وقد دهمتنا نكبة هي ما هيا
صديقك من راعاك في كل شدة
وكلا تراه في الرخاء مراعيا
فهبك عدوى لا صديقي فانني
رأيت الأعادي يرحمون الأعاديا

وعندما ينفض الناس عنه ويبتعدون يقول :

عاداني الدهر نصف يوم
فانكشف الناس لي وبانوا
يا أيها المعرضون عني
عودوا فقد عاد لي الزمان

وكتب الى ابن الفرات الوزير بعد النكبة :

« أمسكت ـ أطال الله بقاء الوزير ـ عن الشكوى حتى تناهت البلوى ، في النفس والمال ، والجسم والحال ، الى ما فيه شفاء للمنتقم ، وتقويم للمجترم ، حتى أفضيت الى الحيرة والتبلد ، وعيالي الى الهتكة والتشرد ، وما أبداه الوزير ـ أيده الله ـ في أمري الا بحق واجب ، وظن غير كاذب ، وعلى كل حال فلى ذمام وحرمة ، وصحبة وخدمة ، ان كانت الاساءة أضاعتها ، فرعاية الوزير ـ أيده الله بحفظه ـ ولا مفزع الا الى الله بلطفه وكنف الوزير وعطفه ، فان رأى ـ اطال الله بقاءه ـ أن يلحظ عبده بعين رأفته ، وينعم باحياء مهجته ، وتخليصها من العذاب الشديد ، والجهد الجهيد ، ويجعل له من معروفه نصيباً ، ومن البلوى فرجا قريبا » .

ولابن مقلة ألفاظ منقولة ومستعملة فمن ذلك قوله :

« اذا أحببت تهالكت ، واذا أبغضت أهلكت ، واذا رضيت آثرت ، واذا غضبت أثرت » ـ ومن كلامه أيضاً :

« يعجبني من يقول الشعر تأدبا لا تكسبا ، ويتعاطى الغناء تطربا لا تطلبا ، وله كل معنى مليح في النظم والنثر » .

لقد تغنى الشعراء بخط ابن مقلة فوصفوه بالسحر والجمال وانه آخذ بمجامع القلوب فقرن الجميع بين لقبه« ابن مقلة » وروعة العين أيضاً :

قال اسماعيل بن عباد :

خط الوزير ابن مقله
بستان قلب ومقله



لوحة متعاكسة متناظرة الكتابة على هيئة قبة ومنائر جامع السليمانية باستانبول . نصها الثلثي « وهو على كل شيء قدير » والكتابات الدقيقة تضم آيات قرآنية وكلمات مختلفة .

لقد أصبح الاسم رمزاً لمأساة وعنواناً لقصة حزينة .

تسلسل دمعي فوق خدّي ـ أسطرا
ولا عجبا من ذاك وهو ابن مقلة

قال الثعالبي يشيد بجمال خطه :

خط ابن مقلة من ارعاه مقلته
ودّت جوارحه لو أصبحت مقلا
فالدر يصفر لاستحسانه حسدا
والبدر يحمر من أنواره خجلا

خطه مضرب المثل لأنه يعبر عن مراتب الكمال :

فصاحة سحبان وخط ابن مقلة
وحكمة لقمان وعفة مريم
اذا اجتمعت في المرء والمرء مفلس
ونودى عليه لا يباع بدرهم

قال الصولي : ما رأيت وزيراً منذ توفي القاسم بن عبد الله أحسن حركة ، ولا أظرف اشارة ، ولا أملح خطا ، ولا أكثر حفظاً ، ولا أسلط قلما ، ولا أقصد بلاغة ، ولا آخذا بقلوب الخلفاء من محمد بن علي بن مقلة .

وله بعد هذا علم بالاعراب وحفظ للغة .

قال الثعالبي في يتيمة الدهر :

أين خط ابن مقلة ؟ عن جمال الـ
خط في صحن خده المعشوق
ذاك صنع الاله فرداً من الخلـ
ق وهاذاك صنعة المخلوق

ـ وفي سحر قلمه وجمال خطه وقوته بالكتابة :

قال بعض الشعراء :

لئن قطعوا إحدى يديه مخافة
لأقلامه لا للسيوف الصوارم
فما قطعوا رأيا اذا ما أجاله
رأيت الردى بين اللهى والغلاصم

قال أبو منصور الثعالبي :

سقى الله عيشا مضى وانقضى
بلا رجعة أرتجيها ونقله
لوجه الحبيب وقلب الأديب
وشعر الوليد بخط ابن مقله

شهرة ابن مقلة في الخط العربي :

الى الآن لم يعثر على أي نموذج من نماذج كتابة ابن مقلة ، ولكن جميع كتب التاريخ تشهد له ببراعته وتفوقه ، وسر الشهرة هذه لم يأت من جمال خطه ورسالته في علم الكتابة فقط ! وانما لفداحة المأساة التي عاشها ، بعد أن قطعت يده ، وترك محبوساً في سجنه .

وأقرب الخطوط التي تشبه خطه ، بل أحسن الكتاب الذين حسنوا طريقته وأكسبوها طلاوة وبهجة ابن البواب علي بن هلال الكاتب ، وبهذا الخصوص نورد هذا الخبر من معجم الأدباء .

حدث أبو الحسن علي بن هلال المعروف بابن البواب الكاتب قال :

« كنت أتصرف في خزانة الكتب لبهاء الدولة ابن عضد الدولة بشيراز على اختياري وأراعيها له ، وأمرها مردود اليّ ، فرأيت يوما في جملة أجزاء منبوذة جزءاً مجلدا ففتحته واذا هو جزء من ثلاثين جزءاً من القرآن ، بخط أبي علي بن مقلة ، فأعجبني ! ! وأفردته فلم أزل أظفر بجزء بعد جزء مختلط في جملة الكتب ، الى ان اجتمع تسعة وعشرون جزءاً ، وبقي جزء واحد استغرقت تفتيش الخزانة عليه مدة طويلة فلم أظفر به ، فعلمت أنّ المصحف ناقص ، فأفردته ودخلت الى بهاء الدولة وقلت : يا مولانا ، ههنا رجل يسأل حاجة قريبة لا كلفة فيها ، وهي مخاطبة أبي علي الموفق الوزير على معونته في منازعة بينه وبين خصم له ، ومعه هدية ظريفة تصلح لمولانا . قال أي شيء هي ؟

قلت : مصحف بخط أبي علي بن مقلة . ! . .

فقال : هاته وأنا أتقدم بما يريد ، فأحضرت الاجزاء فأخذ منها واحداً وقال : أذكر وكان بالخزانة ما يشبه هذا وقد ذهب عني ، قلت : هذا مصحفك ، وقصصت عليه القصة في طلبتي له على جمعه الا أنه ينقص جزءاً وقلت : هكذا يطرح مصحف بخط أبي علي ؟ . . . !

فقال لي : فتممّه . . .

قلت : السمع والطاعة ، ولكن على شريطة أنك اذا ابصرت الجزء الناقص فيها ولا تعرفه ، أن تعطيني خلعة ومائة دينار .

قال : أفعل .

وأخذت المصحف من بين يديه وانصرفت الى داري ، ودخلت الخزانة أقلب الكاغد العتيق وما يشابه كاغد المصحف ، وكان فيها من أنواع الكاغد السمرقندي والصيني والعتيق كل ظريف عجيب ، فأخذت من الكاغد ما وافقني ، وكتبت الجزء وذهبته وعتقت ذهبه ، وقلعت جلداً من جزء من الأجزاء فجلدته به وجلدت الذي قلعت منه الجلد وعتقته ، ونسي بهاء الدولة المصحف . . .

ومضى على ذلك نحو السنة ، فلما كان ذات يوم جرى ذكر أبي علي بن مقلة ، فقال لي : أما كتبت ذلك ؟

قلت بلى ، قال : فأعطنيه . . !

وأحضرت المصحف كاملاً ، فلم يزل يقلبه جزءاً جزءاً وهو لا يقف على الجزء الذي بخطي ثم قال لي : أيما هو الجزء الذي بخطك ؟

قلت له : لا تعرفه فيصغر في عينك ، هذا مصحف كامل بخط أبي علي بن مقلة ونكتم سرنا . . . !

قال : أفعل .

وتركته في ربعة عند رأسه ولم يعده الى الخزانة ، وأقمت مطالبا بالخلعة والدنانير وهو يمطلني ويعدني ، فلما كان يوماً قلت : في الخزانة بياض صيني وعتيق مقطوع وصحيح ، فتعطيني المقطوع منه كله دون الصحيح بالخلعة والدنانير .

قال : مر وخذه .

فمضيت وأخذت جميع ما كان فيها من ذاك النوع فكتبت فيه سنين . . . . !

●●●

جاء في وفيات الأعيان لابن خلكان :

ـ علي بن هلال ابن البواب الكاتب المشهور ، لم يوجد في المتقدمين ولا المتأخرين من كتب مثله ولا قاربه . . . وان كان أبو علي بن مقلة أول من نقل هذه الطريقة من خط الكوفيين وأبرزها في هذه الصورة وله في ذلك فضيلة السبق ، لكن ابن البواب هذّب طريقته ونقحها وكساها طلاوة وبهجة .

ابن مقلة والكتابة العربية :

خط ابن مقلة يضرب مثلاً في الحسن لأنه

أحسن خطوط الدنيا ، وما رأى الراؤون بل ما روى الراوون مثله في ارتفاعه عن الوصف وجريه مجرى السحر .

جاء في كتاب أبي حيان التوحيدي رسالة بعلم الكتابة : قال لنا أبو عبد الله الزنجي ورأيته بأذربيجان يكتب لابراهيم المرزبان يقول : أصلح الخطوط وأجمعها لأكثر الشروط ما عليه أصحابنا بالعراق ، فقلت : ما تقول في خط ابن مقلة ؟ قال : ذاك نبي فيه ، أفرغ الخط بيده كما أوحى الى النحل في تسديس بيوته .

لقد برع ابن مقلة بالخط مع أخيه أبي عبد الله وولدا طريقة اخترعاها ، وكتب جماعة في زمانها فلم يقاربوهما وتفرد أبو عبد الله بالنسخ والوزير بالدرج وكان الكمال في ذلك للوزير اذ هندس الحروف وأجاد تحريرها وعنه انتشر الخط في مشرق الأرض ومغربها ، فأتم ما بدأ به قطبة المحرر من تحويل الحرف العربي من شكله الكوفي الى شكله الحالي ، وكان له شرف السبق في هندسة الحروف وتقدير مقاييسها وابعادها بالنقط ، وضبطها ضبطاً محكماً ، وأطلق على قلم النسخ اسم البديع ، ووصفت الخطوط الأصلية الموزونة « بالكتابة المنسوبة » فقبلت هذه الكتابة السابقة لخفتها ورشاقتها .

وحين بدأ ذيوع هذا الوصف للخطوط الجميلة المكتوبة وفق الرسوم والقوانين التي ابتكرها ابن مقلة ، زيادة على مبتكرات سابقيه « بالكتابة المنسوبة » ، طفق المتعلمون يتساءلون عن اشتقاقها وسبب تسميتها : أسميت منسوبة لتناسبها ؟ أم لأنها نسبت لواضعها ؟ وما سبب إعجاب الناس كافة بها ؟ وميلهم اليها وخصوصاً أهل الذكاء من سادتهم والألباء من صدورهم وقادتهم ، حتى من كان منهم أمياً . ! ولم اختص هذا بالكتاب العربي حتى اعجبت صوره رائيه ولو كان أعجمياً . ؟ !

فلسفة ابن مقلة في الحرف العربي :

قال المدقق الفاضل الوزير الكاتب أبو علي بن مقلة في وصف القلم : « أطل الجلفة وحسنها ، وحرف القطة وأيمنها ، والقط معاني الخط : والكاتب يحتاج الى سبعة معان : الخط المجرد بالتحقيق والمحلى بالتحديق ، والمجمل بالتحويق ، والمزين بالتحزيق ، والمحسن بالتشقيق ، والمجاد بالتدقيق ، والمميز بالتفريق . .

ـ أما المجرد بالتحقيق : فابانة الحروف كلها ، مثورها ومنظومها ، مفصلها وموصلها بمداتها وقصراتها وتفريجاتها وتعويجاتها ، حتى تراها كأنها تبتسم عن ثغور مفلجة ، أو تضحك عن رياض مدبجة ، فهذا ما يعم الحروف كلها ، وأما ما يختص كل حرف فسأقوله :

ـ وأما المراد بالتحديق : فاقامة الحاء والخاء والجيم وما أشبهها على تبييض أوساطها ، محفوظة عليها من تحتها وفوقها وأطرافها ، أكانت مخلوطة بغيرها أم بارزة عنها حتى تكون كالأحداق المفتحة .

ـ وأما المراد بالتحويق : فادارة الواوات والفاءات والوقافات وما أشبهها مصدرة وموسطة ومذنبة بما يكسبها حلاوة ويزيدها طلاوة .

ـ وأما المراد بالتحزيق : فتفتيح وجوه الهاء والعين والغين ، وما أشبهها كيفما وقعت ، أفراداً وأزواجاً بما يدل الحس الضعيف على اتضاحها وانفتاحها .

ـ وأما المراد بالتعريق : فابراز النون والياء وما أشبهها ، مما يقع في اعجاز الكلمة مثل « من

وعن وفي ومتى والى وعلى » بما يكون كالمنسوج على منوال واحد .

ـ وأما المراد بالتشقيق فتكتف الصاد والضاد والكاف والطاء والظاء وما أشبه ذلك مما يحفظ عليها التناسب والتساوي ، فان الشكل بها يصح ، ومعها يحلو .

ـ وأما المراد بالتنسيق : فتعميم الحروف كلها ، مفصولها وموصولها بالتصفية ، وحياطتها من التفاوت بالتأدية ، ونقص العناية عليها بالتسوية .

ـ وأما المراد بالتوفيق : فحفظ الاستقامة في السطور من أوائلها وأواسطها ، وأواخرها وأسافلها وأعاليها ، بما يفيدها وفاقا لا خلافاً .

ـ وأما المراد بالتدقيق : فتحديد أذناب الحروف بارسال اليد واعتمال سن القلم ، وادارته مرة بصدره ومرة بسنيه ، ومرة بالاتكاء ، ومرة بالارخاء ، بما يضيف اليها بهجة ونوراً ورونقاً وشذوراً .

ـ وأما المراد بالتفريق : فحفظ الحروف من مزاحمة بعضها لبعض ، وملابسة أول منها لآخر ، ليكون كل حرف منها مفارقا لصاحبه بالبدن ، مجامعا بالشكل الأحسن .

القلم وابن مقلـــة :

قال الوزير أبو علي بن مقلة : يجب ان تكون أطراف الأصابع الثلاث « الوسطى والسبابة والابهام » على القلم ، وشرح ذلك ابن العفيف على أن تكون الأصابع مبسوطة غير مقبوضة ، لأن بسط الأصابع يتمكن الكاتب معه من ادارة القلم ، ولا يتكيء على القلم الاتكاء الشديد المضعف له ، ولا يمسكه الامساك الضعيف فيضعف اقتداره في الخط ، لكن يجعل اعتماده في ذلك معتدلاً .

والاتكاء يكون على الخنصر والوسطى من الأسفل والسبابة من اليمين والابهام في دوران وتحريك القلم .

قال ابن مقلة : ويكون إمساك القلم فويق الفتحة مقدار عرض شعيرتين أو ثلاث ، وتكون أطراف الأصابع متساوية حول القلم لا تفضل احداهن على الأخرى .

وأما عندما يوضع القلم على الدرج فقال : ويجب ان يكون أول ما يوضع على الدرج موضع القطة منكبا .

مذهبه في بري القلم :

والبري يستعمل على أربعة معان : « فتح ونحت وشق وقط »

قال ابن مقلة : أطل الجلفة وحسنها ، وحرف القطة وأيمنها . . . والقط خط من الخطوط عطية من الله لا يدرك بالاصطلاح .

وقال : خير الأقلام ما استحكم نضجه في جرمه ، ونشف ماؤه في قشره ، وقطع بعد القاء بذره ، وبعد أن اصفر لحاؤه ، ورق شجره ، وصلب شحمه ، وثقل حجمه .

ـ في مساحة الأقلام وطولها وغلظها ـ

قال الوزير : خير الأقلام ما كان طوله من ستة عشر إصبعاً الى اثنى عشر ، وامتلاؤه ما بين غلظ السبابة الى الخنصر ، وهذا وصف جامع لسائر أنواع الأقلام على اختلافها .

وقال في موضع آخر : أحسن قدود القلم ألا يتجاوز به الشبر بأكثر من جلفته .

في الحث على معرفة البرايـــة :

قال المقر العلائي بن فضل الله : ورأيت بخط أبي علي بن مقلة رحمه الله . نعم ملاك الخط حسن البراية ، ومن أحسنها سهل عليه الخط ، ولا يقتصر على فن منها دون فن ، فانه يتعين على من يتعاطى هذه الصناعة ، أن يحفظ كل فن منها على مذهبه من زيادة في التحريف ومن النقصان منه ، ومن اختلاف طبقاته .

في صفة البرايـــة :

واعلم ان البرى يشتمل على :

المعنى الأول : في صفته ومقداره في الطول

والتقعير :

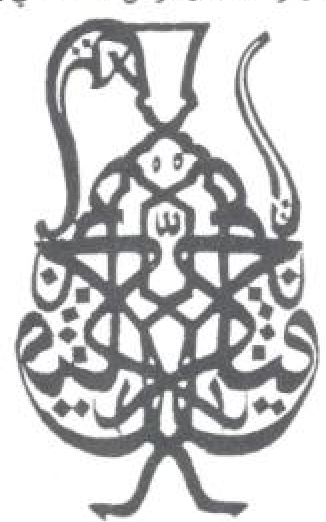
قال الوزير : ويجب أن يكون في القلم الصلب أكثر تقعيراً ، وفي الرخو أقل ، وفي المعتدل بينهما . وصفته أي تبتديء بنزولك بالسكين على الاستواء ، ثم تميل القطع الى ما يلي رأس القلم ، ويكون طول الفتحة مقدار عقدة الابهام ، وكمناقير الحمام .

ـ المعنى الثاني ـ النحت ـ

قال الوزير : وهو نوعان ، نحت حواشيه ، ونحت بطنه .

أما نحت حواشيه : فيجب أن يكون متساوياً من جهتي السن معاً ، ولا يحمل على إحدى الجهتين فيضعف سنه ، بل يجب أن يكون الشق متوسطاً لجلفة القلم ، دق أو غلظ .

قال : ويجب ان يكون جانباه مسيفين ، والتسييف ان يكون أعلاه ذاهباً نحو رأس القلم أكثر من أسفله ، فيحسن جري المداد في القلم ، وقال : أما نحت بطنه فيختلف بحسب اختلاف الأقلام في صلابة الشحم ورخاوته ، فالصلب بالشحمة ينبغي ان ينحت وجهه فقط ، ثم يجعل مسطحاً وعرضه كقدر عرض الخط الذي يؤثر



لوحة متعاكسة متناظرة الكتابة على هيئة ابريق . نصها « يا فتاح يا كريم » .

الكاتب ان يكتبه ، وأما الرخو بالشحمة فيجب أن تستأصل شحمته ، حتى تنتهي الى الموضع الصلب من جرم القلم ، لأنك ان كتبت بشحمة ، تشظى ولم يصف جريانه .

في فائدتـــــه :

قال الوزير : لو كان القلم غير مشقوق ما استقرت به الانامل ، ولا اتصل الخط للكاتب ، ولكثر الاستمداد ، وعدم المشق ، وطال المداد الى أحد جنبي القلم على قدر قتل الكاتب له . في شق القلم وفيه مدركان ـ الأول في قدره في الطول :

قال ابن مقلة : ويختلف ذلك بحسب اختلاف القلم في صلابته ورخاوته ، فالمعتدل يجب أن يكون شقه الى مقدار نصف الفتحة أو ثلثيها ، والمعنى فيه اذا زاد على ذلك انفتحت سنا القلم حال الكتابة ، وفسد الخط حينئذ ، وأما الصلب فيجب أن يكون شقه الى آخر الفتحة ، وربما زاد على ذلك بمقدار افراطه في الصلابة .

قال الوزير : وأضجع السكين قليلاً اذا عزمت على القط ولا تنصبها نصبا .

وقال : واعلم ان للقلم وجهاً وصدراً وعرضا ، فأما وجهه فحيث تضع السكين وانت تريد قطه ، وهو ما يلي لحمة القلم ، وأما صدره فهو ما يلي قشرته ، وأما عرضه فهو نزولك فيه على تحريفه .

قال : وحرف القلم هو السن العليا وهي اليمنى .

وأما عدد أقلام الدواة فقد قال الوزير : ينبغي أن تكون أقلامه على عدد ما يؤثره من خطوط ، وكأنه يريد ان يكون في دواته قلم مبري للعلم الذي هو بصدد أن يحتاج الى كتابته ليجده مهيأ ، فلا يتأخر لأجل برايته .

هذا هو إبن مقله وهذه هي حياته وقصته مع القلم ! ○

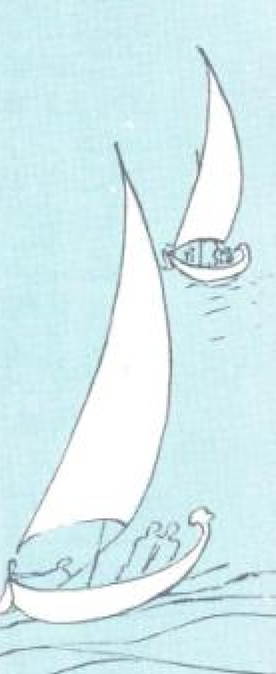
إلى الشاطئ البعيد

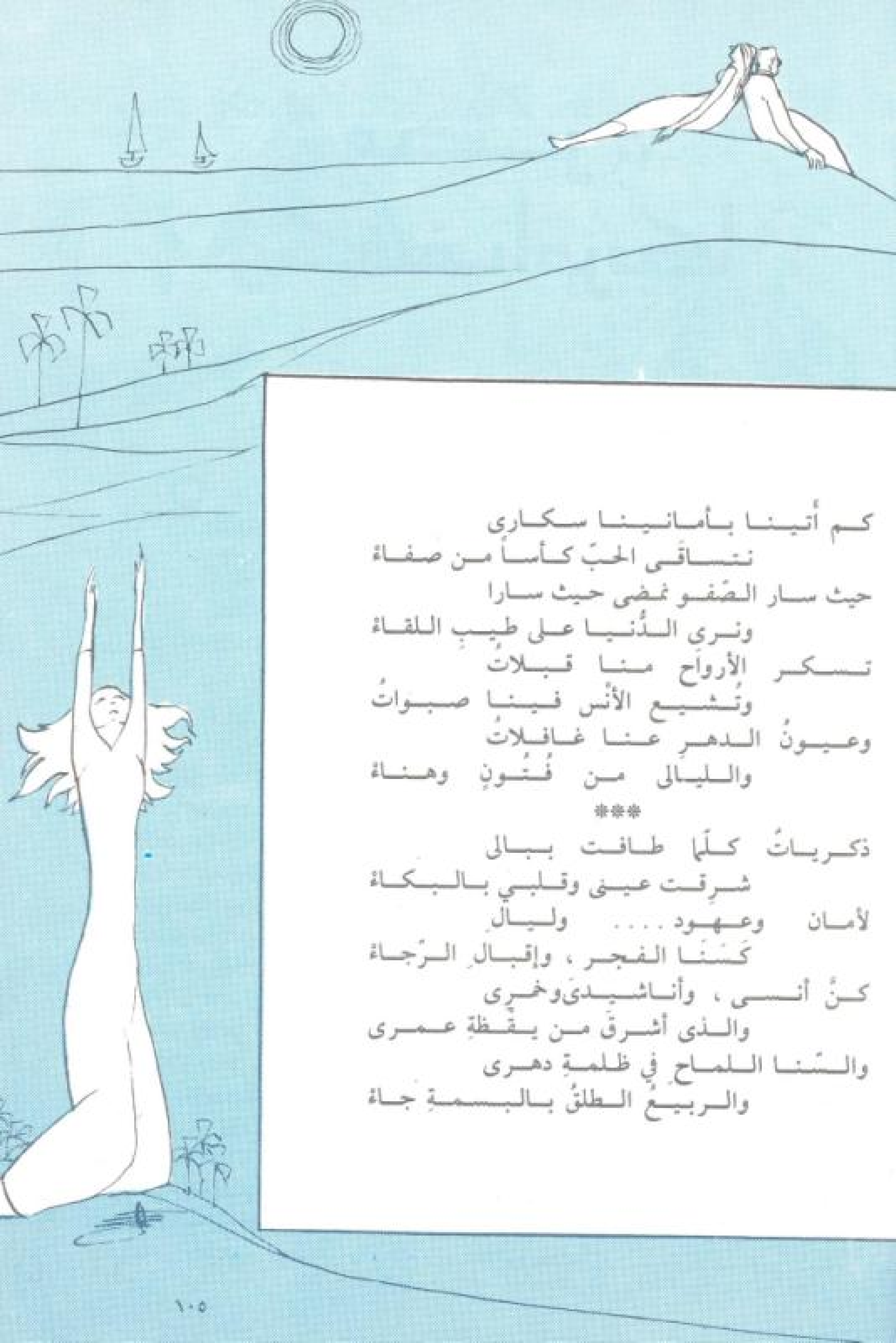
شعر : مصطفى عبد الرحمن

هتف الشوقُ، وناداني إليك
فهفَت رُوحي الى أحلى نداءْ
آه ... لو نرجع، والدنيا لديك
من شباب، وشبابي في نماءْ
نجتلي الفرحةَ في الشط الحبيبْ
والتماع النور في الأفْقِ الرحيبْ
قبلما تذهب شمسي للمغيبْ
ويُوَلِّي من سنا عمري الرُّواءْ

***

أيها الشَّطُّ .... ألا تسمعني
أنا من غنَّى بألحان الوفاءْ
ورفاق العمر، هل تذكرُني
عندما يسمر فيكِ الندماءْ
أبلغ الأحبابَ، يا شاطىء عنِّي
أنَّ نيرانَ الهوى تأكُل منِّي
لتمنَّيت اذا أجدَى التمنِّي
لو على رملك نازعت البقاءْ





كم أتينا بأمانينا سكارى
نتساقى الحبَّ كأساً من صفاءْ
حيث سار الصَّفو نمضى حيث سارا
ونرى الدُّنيا على طيبِ اللقاءْ
تسكر الأرواحُ منا قبلاتٌ
وتشيع الأُنس فينا صبواتٌ
وعيونُ الدهرِ عنا غافلاتٌ
والليالى من فُتونٍ وهناءْ

***

ذكرياتٌ كلّما طافت ببالى
شرِقت عينى وقلبي بالبكاءْ
لأمانٍ وعهودٍ . . . . وليالٍ
كَسَنا الفجر ، وإقبالِ الرّجاءْ
كنّ أنسى ، وأناشيدىَ وخمرى
والذى أشرقَ من يقظةِ عمرى
والسّنا اللماحِ فى ظلمةِ دهرى
والربيعُ الطلقُ بالبسمةِ جاءْ

مصــر :
وكشف أمريكا

بقلم : سمير عطا .

جرت مناقشات كثيرة بين العلماء حول أصول الحضارات القديمة ، وكان السائد قديما أن الأمم تتشابه في المزاج الذهني وأن عوامل الخلاف ان هي الا نتيجة اختلاف البيئة والمناخ .

ألا أن هذه النظريات قد غطت عليها نظرية وحدة الأصل في الثقافة القديمة والتى تعتمد في ردها على النظريات الأخرى بأننا لا نجد التدرج مستمرا على مدى الزمن أو على مدى المسافة في تطور الحضارات المختلفة .

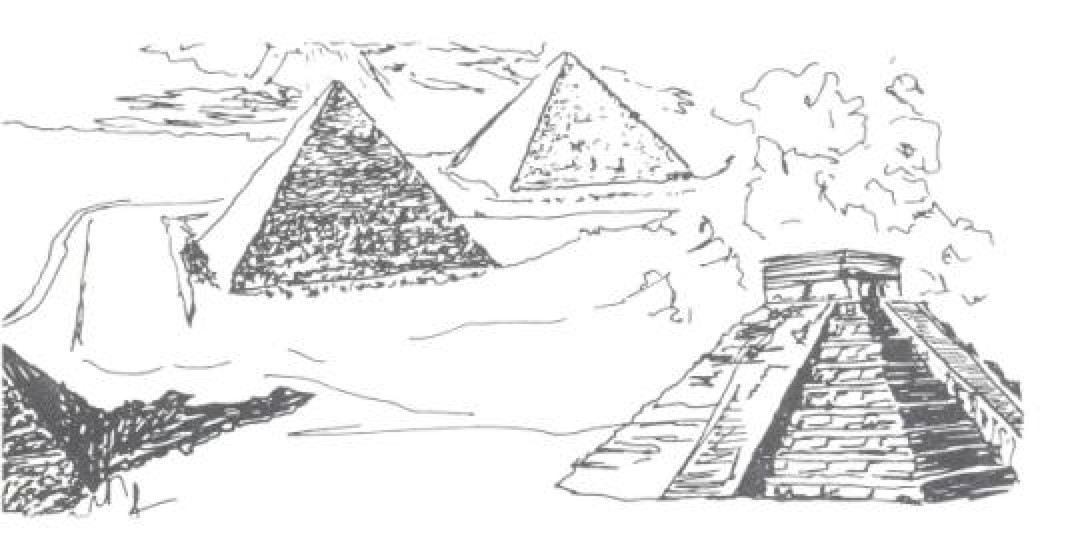
ولقد استغل بعض الباحثين والمؤرخين هذه النظرية في استحداث تفسيرات قد تبدو غريبةللبعض الآخر ، وتحتاج هي نفسها الى دلائل تسند ما تذهب اليه من تفاسير . وقد رأينا مثل ذلك في نسبة أصول الحضارات الانسانية الى قارة « مو » الأسطورية أو الى قارة « أطلانطس » ، وأنها انتشرت من هذه أو تلك الى جميع الأمم الأخرى ، الا أن اثبات وجود هذه القارات كان محل خلاف ونقاش .

لكن مصر .. بلد قديم يرجع تاريخه الى عصور سحيقة . ولما كانت الحضارة المصرية تكاد تكون أقدم الحضارات الانسانية ، فلم يكن غريبا لمعتنقي نظرية وحدة الاصل في الثقافة أن ينسبوا أصول كثير من الحضارات القديمة الى أصل أقدم آت من مصر له أثره على تطوير هذه الحضارات وتكييفها بما يتلاءم مع ما يحوطها من بيئة ومناخ .

في أمريكا وعند الفراعنة

فالحضارة المصرية في رأي البعض قد انتقلت من مصر الى العراق ، ومن العراق الى فارس والهند ، ثم جزر المحيط الهادي .. ثم أخيرا الى أمريكا .. وبعضهم يقول انها انتقلت من مصر عبر الصحراء الكبرى والمحيط الاطلنطي الى أمريكا . ويدلل هؤلاء وأولئك على نظرياتهم تلك بأوجه التشابه التي يجدونها بين آثار الحضارة المصرية القديمة والحضارات الأمريكية التي عرفت في وسط وجنوب أمريكا قبل العصر الكولمبي .. أي قبل اكتشاف كولومبس لأمريكا .

وفي ذلك يقول الكونت بايرون دي بروروك



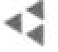
الرحالة البولندي الاصل بعد رحلة له الى بلاد المكسيك وجواتيمالا وأمريكا الجنوبية ، أنه وجد في تلك البلاد كثيرا من الآثار والرسوم والنقوش بينها وبين الآثار والرسوم والنقوش المصرية شبه كبير ، بل أنه يخيل للناظر الى هذه وتلك - كما يقول - ان يدا واحدة قد صنعت جميع تلك البقايا الأثرية ونشرتها من الشرق الى أقصى الغرب . ثم يقول :

« ان الأمر الذي لاشك فيه هو أنني وجدت في أمريكا الجنوبية بين الهياكل المتهدمة والقصور المتساقطة وتحت أنقاض الأعمدة والجدران قطعا من الاسلحة والأدوات المنزلية لا تختلف في شيء عن بعض ما عثر عليه المنقبون في قبور الفراعنة في مصر » .

ومن أوجه التشابه بين آثار الحضارتين وجود الاهرامات في كلتيهما ، والمسلات ، ومظاهر وطقوس التحنيط . كذلك ما أذيع عن معرفة قدماء المصريين والأمريكيين للتقويم الشمسي وهي معرفة بلغت حدا كبيرا من الدقة اذ حسب علماء المايا (احدى الحضارات الأمريكية القديمة في أمريكا الوسطى) طول السنة مع وجود خطأ يوم واحد في كل ٢١٤٨ سنة يقابل ذلك في تقويمنا الحاضر خطأ يوم كل ٣٣٢٣ سنة . وأهم من ذلك عبادة الشمس المعروفة عند قدماء المصريين .. حتى النقائص التي كانت متفشية عند المصريين في فن البناء مثل عدم لجوئهم الى مبدأ العقود في البناء فلم يصنعوا قنطرة ولا قبة الا بعد عصر الاسكندر المقدوني . وجدت مثل هذه النقائص من فن البناء عند الأمريكيين القدماء .. أكثر من ذلك أن كاتبا مثل دونيللي حاول أن يبرهن في كتاب له أن الكتابة المايوية مشتقة من الهيروغليفية المصرية ، ووضع جدولا يوازن فيه بين الرموز المصرية والحروف الصوتية والمايوية كما وضعها الاسقف الاسباني لاندا أسقف مريدا في يوكاتان بجواتيمالا . بل نشرت صورة لرأس حيوان عثر عليها في أطلال أمريكا الوسطى وقد فتح فمه وبدت عيناه وأذناه بما يدعو للظن في أنه فيل رغم عدم وجود خرطومه المعروف ... ثم كشفت الحفريات من الفيوم ، عن أن الفيل قد نشأ هناك قبل ملايين السنين ، ولم يكن في حجمه أكبر من الحمار الصغير . كما لم يكن له الخرطوم الحالي المعروف وانما كان وجهه أشبه بوجه الخنزير ، وهو وصف مطابق لما جاء في الرسم الذي نشر عن رأس الحيوان الذي قيل إن رأسه رأس فيل .

المصريون أو الشيطان

ومثل هذه الأدلة ، بهذه الصورة المترادفة ،



لا تخرج عن مثيلاتها من الأدلة التي تقرن الحضارة المصرية بكثير من الحضارات أو الآثار التي عثر عليها في بقاع مختلفة من العالم .

من ذلك ، الآثار الحجرية البدائية المسماة « أوجام » و « أروم » والتي وجدت في جزيرة العرب والتي قيل عنها ان « أروم » ما هي الا تحريف لكلمة « هرم » ، وأن « الأوجام » هي حجارة بدائية متراكمة بعضها فوق بعض وهي أغلظ وأطول من الأروم وهي من مخلفات عاد .. هذا ما يقوله أحد المعاجم العربية . ثم يقول بعض المعلقين على ذلك انه ليس هناك شك في أن الأوجام والأروم مشتقة من مصر وقد نسي العرب أصلها وقيمتها الدينيةالقديمة حتى ظنوها من صنعة عاد .. ورغم أنه لم يقم دليل علمي على ثبوت ذلك بعد ، الا أن ما نعرفه مثلا أن المدينة المنورة والتي عرفت في الجاهلية باسم يثرب انما كانت تحمل اسم مدينة مصرية اسمها أتريب . وهناك مثلا من يرجع آثار ستون.هنج الانجليزية القديمة الى أصول مصرية .. وقد ظهر ذلك في كتاب انجليزي في أوائل هذا القرن ويقول مؤلفه : ان ثقافة مصر في صناعة البناء والمعابد انتشرت في العالم حتى بلغت انجلترا ..

حتى أننا لنجد علامات المصطبة والهرم والمسلة في آثار ستون هنج هناك ، ويعلق البعض على ذلك بقوله اما أنها من صنع المصريين أو من صنع الشيطان ..

وحينما عثر في جنوب أفريقيا على آثار حضارة بائدة ومناجم للمعادن استغلت ثم هجرت قيل أنه لابد وقام على هذه المناجم شعب راق ربما انقرض وترك هذه الدلائل خلفه . ولما كان المصريون القدماء يرسمون جملة خطوط أحيانا تحت الذقن لكي تقوم مقام اللحية ، ووجد أن أفراد قبائل الزولو في أفريقيا الجنوبية يتزينون الآن بهذه اللحية ذاتها التي تشاهد في آثار قدماء المصريين ، فقد ظهر من يقول بامكانية أن يكون الزولو هم بقايا هذا الشعب الراقي وأن هذه العادة قد انتقلت اليهم منه وأنه كان قد استقاه بدوره من المصريين ، أو أن المصريين هم الذين نقلوا هذه العادة الى جنوب افريقيا مما يدل على وصول الحضارة المصرية في غير ذلك من المظاهر الى جنوب أفريقيا . لكن وجود مثل هذه الأدلة في مثل تلك البقاع يحتاج الى دراسات أعمق وأكثر من مجرد وجودها لاثبات الأثر المصري فيها لا سيما وأن الترادف ينقصه التحديد التاريخي المقارن . فشتان ما بين انتقال الفيل الصغير من ملايين السنين من مصر الى أمريكا ثم انتقال بعض المظاهر الحضارية المصرية منذ آلاف السنين .

وهذا النقص من تحديد التواريخ هو مما يدفع عالما مثل زالف لتتون لأن يقول ان اولئك الذين يدعون التشابه بين الأهرامات والمعابد المايوية ومثيلاتها المصرية انما يتجاهلون حقيقة هامة وهي أنه في الوقت الذي كان فيه المايا يبنون معابدهم كان المصريون قد هجروا معابدهم منذ آلاف السنين .

أما فرانك هيبين فيقول عن أبجدية دونيللي « يظهر أن دونيللي لم يعرف أن الأبجدية المايوية التي أخذها الأسقف لاندا عن الهنود كانت سخرية مقصودة دبرها الهنود ليثأروا من الاسقف الذي أحرق كتبهم الوطنية ، وحتى هذه الأبجدية المزيفة كانت تختلف كثيرا عن الكتابة المصرية مما اضطر دونيللي الى وضع أشكال انتقالية »

مغامرة هايردال

ثم جاء الرحالة النرويجي ثور هايردال فقام برحلتيه الرائعتين على المركب « رع ١ » و « رع ٢ » لاثبات ما يجزم به عن وصول المصريين القدماء الى أمريكا .. وقد استعرض هايردال عددا من الأدلة المناهضة لنظريته على

الوجه التالي :
ان اهرامات أمريكا كلها على هيئة مصاطب مدرجة ثم مسطح علوى مستو .. أما اهرامات مصر فلها جوانب منحدرة تبدأ من طرف القمة المدبب الى مستوى القاعدة العريض .
أهرامات مصر بنيت كمقابر بينها أهرامات أمريكا معابد ولم تحتو على آثار جنائزية .
استخدام العجلة كان مجهولا في المكسيك وكل أمريكا قبل مجيء كولمبس .. وكان لا بد أن تعرف لو أن حضارة من حضارات البحر الأبيض قد وصلت اليها قبل كولمبس .
ان أول أهرامات بنيت في أمريكا تمت بعد عدة قرون من آخر هرم ابتناه قدماء المصريين .
ان المسافة عبر الاطلنطي وبطول البحر الأحمر أوسع وأكبر من أن يقطعها قارب أو مركب مصنوع من البردى أو ألواح الخشب أيا كانت قوة تحمله .
ثم أخذ هايردال يفند هذه الأدلة وغيرها كما يلي :
ان هرم سقارة المدرج هو أقدم الأهرامات المصرية وأولها وأن التشابه يكاد يكون كاملا في الشكل بينه وبين أهرامات المكسيك والبيرو .
ان متوسط أحجام الاهرامات الأمريكية يتناسب مع هذا الهرم وغيره من الاهرامات المصرية المماثلة .
أن أهرامات المكسيك والبيرو ترتبط في نظام بنائها الهندسي بالنظام الشمسي وبعبادة الشمس .
ان نظام البناء ودقته في الأهرامات هنا وهناك متشابه الى حد كبير فالأحجار بلغ صقلها وملامستها درجة كبيرة من الابداع حتى يلتصق الحجر بالآخر ولا يمكن تحديد أي حد بينهما ولو كان طرف سكين .
ان أقدم أهرامات المكسيك لم يتخذ لعبادة الشمس فقط بل كقبر للملوك والكهنة مثلما كان متبعا في مصر .
ان الممرات وطريقة التمويه بها متشابهة هنا وهناك .
نظام التهوية عن طريق الفتحات الجانبية والممرات واحد .
ان حجرات الدفن توضع فيها الكنوز الخاصة بالملك الكاهن . الى غير ذلك من الدلائل الكثيرة التي ساقها هايردال في معرض نقاشه مع العلماء المصريين الذين ناقشوه هذه المرة .
ثم جاءت الكشوف الحديثة لتثبت معرفة أمريكا القديمة للعجلة اذ تم العثور على لعب ودمى لحيوانات تجري على عجل داخل المقابر القديمة (وان كان البعض قد نسبها لكائنات هبطت من الفضاء) .. فضلا عن أن أهرامات أمريكا وأعمدتها الضخمة قامت فجأة وسط الأحراج الأمريكية حيث لا توجد أحجار ضخمة يمكن أن توحي لسكان هذه الغابات بانشاء مثل هذه المباني الضخمة ذات الدلالات الحضارية ..
أما فيما يتعلق بطول المسافة والبعد بين أصل الحضارتين المصرية والأمريكية ، فقد قام هايردال بمغامرته لاثبات مقدرة الانسان على القيام بمثل هذه الرحلة .
ولكن رغم نجاحه في رحلته الثانية الا أنه قد لوحظ ما يلي :
أن هايردال بدأ رحلته من ساحل المغرب المطل على المحيط الاطلنطي وليس من مصر وبذلك اختصر ثلث المسافة .
ان الحالة التي وصلت بها سفينة البردى « رع » الى ساحل العالم الجديد لا تشير الى نجاح كبير لنظرية استخدام مراكب البردى التي مازال العلماء المصريون يصرون على أن استخدامها كان مقصورا على الرحلات الداخلية في النيل وفروعه .
من هنا ، كان لا بد من البحث عن حقيقة تاريخية أخرى يمكن أن تفسر لنا امكانية انتقال بعض مظاهر الحضارة المصرية الى حضارات أمريكا القديمة ...

التوعية الصحية عند العرب

بقلم : د . محمد عيسى صالحية .

يبدو أمرا غريبا ان نقيس ما وصلت اليه التوعية الصحية الحديثة بامكاناتها الهائلة ، العلمية منها والمالية ، فضلا عن تطور وسائل الاتصال بما كانت عليه التوعية الصحية عند العرب في القرون الخمسة الاولى ، ذاك ان قياس الحديث بالقديم هو بالتأكيد ضرب من الخيال ، فان لكل واقع ظروفه ولكل حدث تقييمه بمنظور العصر آنذاك ، ولعله من المفيد ان نحدد المفهوم العربي للتوعية الصحية ، فهو عندهم وبأبسط وصف« تدبير الأبدان وتقويمها وحفظها » وان في تدبر آيات القرآن الكريم ثروة هائلة في تدبير الأبدان وحفظها ونظافتها ، ذاك ان الآيات القرآنية أولت هذا الجانب عناية خاصة ومتفوقة لا بد من اخذها بعين الاعتبار عند الحديث عن التوعية الصحية بشكل عام ، وكذا الاحاديث النبوية التي شكلت ما سمي« بالطب النبوي » حيث تسابق العلماء والباحثون لدرسها وتثمين النتائج منها كما هدتهم اليه بصيرتهم .

غير ان ما يثير الاهتمام هو ان الاطباء العرب قد جعلوا التوعية الصحية عناوين رئيسية لمصنفاتهم لعلنا لا نجد مثله في مصنفات الامم الأخرى الطبية ، وقد تراوحت تلك العناوين بين النصائح والأجوبة لمسائل ، الى تقويم الابدان وتسهيل المنافع فيما يصلح للبدن ، ودفع المضار الكلية عن الابدان وحفظ الصحة « فتياذوق » طبيب الحجاج بن يوسف الثقفي يقدم له النصائح حفظا لصحته وابعادا لشبح المرض عنه ، ومما جاء فيها : « لا تأكل حتى تجوع ولا تتكارهن على الجماع ولا تحبس البول وخذ الحمام قبل ان ياخذ منك » بل انه يرى ان أربعة تهدم العمر ولربما قتلن وهن « دخول الحمام على البطنة ، والمجامعة على الامتلاء وأكل القديد الجاف ، وشرب الماء البارد على الريق » وعبد الملك بن أبجر الكناني ، طبيب الخليفة عمر بن عبد العزيز يوصي الخليفة بان يدع الدواء ما احتمل بدنه الداء » وبذا يؤكد مقولة رسول الله صلى الله عليه وسلم « المعدة حوض الجسم والعروق تشرع فيه ، فما ورد فيه بصحة صدر بصحة ، وما ورد فيه بسقم صدر سقم » وقد كان حنين بن اسحق العبادي (من بني عباد من عرب الحيرة) اكثر طاقة في تحديد مفهوم التوعية الصحية ، فهناك أسباب ستة اذا قدرت بالمقدار الكافي كما وكيفا وفي الوقت والترتيب والزمن أورثت المرض ، وهذه الأسباب هي : الهواء المحيط بأبدان الناس ومايؤكل وما يشرب والحركة والسكون ، والاستفراغ والاحتقان والاحداث النفسانية ، ولقد كانت أسباب حنين موضع عناية العلماء العرب فقد عالجها ابن سينا وأفاض بها ابن بطلان وشرحها أبو الجيش التفليسي .

« صورة موجزة »

ولما كان المجال هنا لا يتسع لمناقشة المسائل جميعا فاني سأكتفي بتقديم صورة مختصرة للتوعية الصحية في الطعام والهواء والنوم واليقظة والباه ، فالطعام اساسي للانسان مذ وجد على سطح الارض ، فوضعت المؤلفات في فوائده ان احسن استعماله كما يجب وكذا مضاره ان أسيء استعماله .

ان القاء نظرة على فهارس المكتبات العربية والأجنبية تبين لنا مدى عناية الاطباء العرب بهذا النوع من التصنيف ، فقد كانت مؤلفات الرازي علامة بارزة بهذا الصدد اذ ألف في كيفية الاغتذاء وفي منافع الاغذية ومضارها ، وما يؤكل وما لا يؤكل في كل فصل من فصول السنة [1] وفصل في أطعمة اعتبرها رديئة للاغتذاء ، مثل السمك المالح والخبز اليابس ، وناقش قوى الاغذية وما تفعله بالبدن المعتدل من تسخين وتبريد وطرق الاستدلال على قواها سواء أكانت حريفة أو مالحة أو مرة أو حامضة أو عفصة أو قابضة أو حلوة أو دسمة[2] وافرد ابن سينا فصلا لما يؤكل في كتابه القانون[3] من حيث الكمية والكيفية والدسومة والمرارة واللزوجة والقبض والنضج ، وكان يفضل ان يتناول الانسان طعامه في اليوم مرة واحدة ، ففي أرجوزته

اجعل غذاءك كل يوم مرة
واحذر طعاما قبل هضم طعام

ولقد كان ابن الازرق اكثر تشددا في مسألة الطعام فيعزو أصل الداء الى البطنة فيحذر من أكل ماتعافه ولا يوصي بادخال الطعام على الطعام ، ولذا اعتاد الرجل ان يتناول ثلاث وجبات في كل يومين وخاصة في اوقات البرد ، فان كانت صيفا أكل مرة في اليوم ، وكثيرا ما ردد قول :

ثلاث مهلكات للأنام
وداعية الصحيح الى السقام
دوام مدامة ودوام وطء
وادخال الطعام على الطعام[4]

وزيادة في توضيح منافع الطعام ومضاره ، فقد نما عند الاطباء العرب نوع من الطب ، سمي بطب الفقراء ، جمع بين الاسرار الالهية والادوية الطبية حسب آرائهم ، وميزة الفقير انه لا يدخل طعام على طعام[5] ولا يشبع .

ومن ناحية أخرى فان اهتمام الخلفاء والوزراء والندماء والتجار والملاحين بكتب الطبيخ شجع المصنفين على الاتجاه نحوها لادراكهم ما لفن الطبخ من الفضيلة والاثر الحميد في تعديل الامزجة واصلاح الاجسام ، فكانت هذه الكتب نموذجا للوعي الصحي مع ما يضاف الى ذلك من لذة ، وانها لميزة لكتب الطبخ المؤلفة في عصور ازدهار الحضارة أن تراعى الصحة العامة للانسان بحيث لا يترك الطعام أية آثار كالسمنة وما يرافقها من أمراض عرفناها في العصر الحديث ، بل ان المصنفات العربية في فن الطبخ حددت كمية ونوع الطعام الذي يؤكل ، وأي طعام يقدم قبل الآخر ، وايها يجوز ان تجتمع معا في المعدة في وقت واحد ، والتي لا يمكن ان تجتمع وكان من اهمها مؤلفات ابراهيم بن المهدي وابن ماسويه ، والصولي وعلي بن المنجم

---

(١) ابن النديم : الفهرست ، ٩١ ، ٣٠٢ ط رضا ـ تجدد
(٢) الرازي : المرشد في الفصول ٤٦ ـ ٤٧
(٣) ابن سينا : القانون في الطب ، ٩٨/١
(٤) ابن الازرق : تسهيل المنافع ، ٥٦ .
(٥) ابن الجزار : مختصر طب الفقراء ، ابن عبد الهادي : طب الفقراء .

وجحظة وابن الداية والوراق ومحمد الكاتب وغيرهم .

الهواء عند الرازي

مسألة الهواء :

عرّف الرازي الهواء المعتدل للبدن ، بأنه الهواء الذي يحيط البدن فلا يعرق ولا يرشح ولا يقشعر ولا يقرص ولا يحس بعرق يكربه ، كما حدد مضار الهواء الحار وفوائد الهواء البارد ، ودرس الرازي موجبات التلاؤم مع تغير الهواء ، فعنده مثلا ، اذا تغير جملة هواء البلد الى الحر فينبغي ان يفرغ الى الخيوش والاسراب وشرب الماء البارد والاكثار من الدخول في الماء البارد ، أما اذا تغير الى البرد فلا بد من الدثار والاكتنان والنيران لانه أحفظ للصحة وأقوى للبدن واصح للشهوات ، وفي حالة تغير الهواء الى اليبوسة فيفرغ الى المساكن النزهة الرطبة والخيوش ، وان تغير الى الرطوبة وكثرت الامطار ، فينبغي ان يفرغ الى المواضع التي تشرق فيها الشمس ويجلس في القلل ويكثر دلك البدن بالخرق اليابسة الخشنة ولا سيما اصحاب الابدان الرطبة ، أما ابن سينا فيرى ضرورة تعديل الهواء في الحر والبرد وفي اليبوسة والبراري والقفار والجبال ، فيعدل (يكيف) عند الانتقال من حر الى برد أو بالعكس ، وعند دخول الحمام ومن هواء نتن الى هواء طيب ومن الشمال الى الجنوب ، ولذا فان ابن سينا يطلب ممن يريد ان يبني بيتا ان يعي جملة من الامور قبل اختيار المسكن وتهيئتها ومنها مثلا ، تربة الارض وحالها في الارتفاع والانخفاض والانكشاف والاستتار ومائها وجوهره والرياح التي تهب على المسكن ، هل هي صحية أم باردة وكذا ما يجاور المسكن من البحر والبطائح والجبال والمعادن ، وحال أهل البلد في الصحة والمرض ، فأي الامراض توطنت الاهالي ومن ثم تمكين الشمس من الوصول الى كل موضع في البيت ، فان الشمس مصلحة الهواء ، وحتى الكوى والابواب تكون شرقية شمالية[٦] لانها ريح معتدلة لذيذة وخصوصا مع الروائح اللطيفة التي تقوي الروح والجسد[٧] واخيرا فان ابن خلدون قد اصاب كبد الحقيقة حين تحدث عن أهمية الهواء والغذاء في حياة البدو والحضر وعقد مقارنة معقولة بين الامراض التي تصيب أهل المدن وندرتها عند أهل الوبر لأسباب عزاها الى الهواء والطعام .

النوم الطبيعي

النوم واليقظة :

عرف الاطباء العرب النوم بأنه رجوع الحواس عن الحركة وسكون النفس وانقباضها مع الحرارة الغريزية من الدماغ الى داخل الجوف ، وبخارات معتدلة تصعد من الجوف الى الدماغ[٨] وعندهم أن النوم يرطب البدن ويسكن الاعياء والقلق ، وقد وضع قسطا بن لوقا كتاباً فيه ، وهذا هو النوم الطبيعي ، أما السهر فيجفف وينحف ويضر بالدماغ جدا حتى انه ربما خلط العقل وجلب الأمراض الحادة ، ولم يكتف الاطباء العرب بهذا بل درسوا أشكال النوم ، مثل النوم على القفا أو على اليمين والشمال أو الوجه ، وبينوا متى يستحب النوم ومتى لا يستحب وقد سماها ابن سينا ، موجبات النوم واليقظة واثرها على جسم الانسان .
وكانت قاعدة عامة ان من رغب في الصحة فعليه ان يقوم من فراشة في السبع الأخير من الليل[٩] .

وتبقى مسألة الباه والتي طالما تعرض الدارسون لها في مختلف العصور ، ذات أهمية خاصة في التراث العربي ، وقد كان موقف الاسلام منها موقف المنظم المراعي لطبيعة الانسان فيها ، فأحل الزواج وحرم الزنا ، وكانت الصحة الجنسية موضوعا لدراسة العديد من العلماء العرب ، فنصحوا بأوقاته متى يصح ومتى لا يصح ومتى يحذر منه ، وشرحوا اضرار احتباسه وتدبيره ، فاطالة تركه تؤذي الجسم وتضعف الاعضاء وتسد المجاري وتعسر الحركات وقد تعرض النفس للكآبة والماليخوليا .

وتقلل شهوة الطعام وهضمه . وعندهم ان أفضل اوقاته عند صدق الحاجة اليه وتعلق النفس به وهيجان الشهوة . وقد حذر الرازي مثلا من الزوجة المكروهة او المستبغضة أو العجوز أو المريضة أو الصغيرة ، ونهى عنه عند الامتلاء أو في ايام الحر الشديد أو البرد الشديد ، ولا عند القيء والاسهال أو التعب لانه يؤدي في مثل تلك الحالات الى الدق (السل) .

وان من اهم وصايا ابن سينا بهذا الصدد قوله « اذا حفظ الانسان نفسه من الانهماك في النكاح بقيت عنده قوة حسنة وخصوصا من غلب سنه وكبر » ومنها ايضا : « ليس أضر على الشيخ من جارية حسناء وطباخ حاذق » .

ان نصائح الاطباء كانت موضع اهتمام المسلمين وأولي الامر ، فقد روى ان بعض الملوك وقد شاخ طبيبه وكبر سنه طلبه الى مجلسه ورجاه ان يصف له ما يعتمد عليه ليدبر بدنه ويحفظ صحته ، وبالفعل فقد استجاب له الطبيب وكتب له وصاياه فما كان من الملك الا ان كتبها بالذهب الاحمر ووضعها في صندوق ذهب مرصع وبقي ينظر فيها كل يوم حتى جاءه الموت الذي لا بد منه ولا محيص عنه .

نصيحة معمر

وفي رواية أخرى ان شيخا جاوز المائة والخمسين من عمره ، أنه قال جوابا لمن سأله كيف حافظ على صحته ؟ قال : « ما اجتمع لي طعامان وما اكلت دون نقاء معدة وتزايد الشهوة وأخذت من الغذاء والراحة بحظ ، وما شربت الماء الا عن رغبة » .

وجدير بنا ان نشير الى تدبير العوارض النفسانية التي تنتاب الانسان والتي تبدو آثارها مهلكة للنفس دون ان تظهر عوارضها على الجسم ، وانما تسري في البدن وقد تفنيه ، وأما الوقاية الصحية من مثل تلك الحالة فقد نصح الاطباء العرب بضرورة تدبر آيات القرآن الكريم بقراءته فهو ربيع القلب ونور البصر وجلاء للحزن وذهاب للهم . وعلى كل فقد درس الاطباء العرب الحالات النفسانية التي تعرض للانسان من هم وحزن وغضب وفرح وسهر وحسد ، وحذروا المهتم والمغتم من ان يضع يديه على صدغيه والرأس بينها ولا يستند على حائط ولا يديم وضع الرأس على الركبة وغيرها من الوصايا التي تقلل من هول الانفعالات النفسانية .

تلك هي قبسات من التوعية الصحية في التراث العربي تلقي اضواء على جهود العلماء العرب في هذا المجال ، وتجعلنا نعيد النظر بما بروج له ، « ان الانسانية ما تقدمت الا بعد عصر النهضة الاوروبية » وما تراني الا قارئا لهذا التراث ، فهل يسر الله له الباحث الجاد والمنقب المنقر ، علنا نصوغ نسقاً لحياتنا يعيد الثقة لأنفسنا وبأنفسنا أم انها صرخة . . !

(٦) ابن سينا : القانون في الطب ، ٩٢/١
(٧) ابن الازرق : تسهيل المنافع ، ٧٦ .
(٨) ابن الازرق ، تسهيل المنافع ، ٩٥ الرازي : المرشد ٤٠
(٩) علي بن ربّن الطبري : فردوس الحكمة ، ٥٦٥



رحلة الحياة .. متى تنتهي ؟

بقلم : منير نصيف

ان عملي هو حياتي .. ويسألونني : متى تتقاعد ؟ « وأنا أقول لهم وكأنكم تريدون ان تقولوا لي متى ستموت ؟ فالتقاعد عندي هو نهاية الحياة !»

« بابلو كاسال » في عيد ميلاده الخامس والتسعين !

في تلك الأمسية الباردة لم يعد الى البيت في موعده .. لقد خرج من مكتبه وراح يمشي في الطريق الطويل الذي يمتد بمحاذاة الشاطيء ، وهو لا يدري الى اين تقوده قدماه ؟ .. واستبد به التعب بعد رحلة طويلة فجلس على مقعد خشبي وأخذ يرقب ماء البحر وهو يصطدم بالصخور ، فيرتد عنها ثم لا يلبث أن يعود إليها في موجة جديدة قوية ، لا تكاد تقترب من الصخرة الكبيرة الرابضة حتى تلقى نفس المصير !

وامتد به الوقت وهو غارق بفكره وبصره في هذا المشهد الذي يتكرر أمامه .. موجات تأتي وراء موجات .... ذهبت لتوها بعد أن اصطدمت بالصخرة الصلبة التي لا تلين .. !

وقال يحدث نفسه : « ما أقوى الشبه بين هذا الذي أراه أمامي وبين الحياة ذاتها .. انها تبدأ قوية ممتلئة حيوية ونشاطا تجرف كل شيء أمامها .. ثم لا تلبث الرحلة القصيرة .. رحلة الحياة ان تنتهي عندما تصطدم بهذا الحاجز المخيف ... حاجز السن الذي يقف عنده الانسان حائرا يسأل نفسه : « لماذا ؟ » .. لقد كان في وسعه أن يمضي في طريقه .. كان من الممكن أن يستمر ، لولا هذا السد الذي أقاموه أمامه ، وكأنهم يريدون ان يقولوا له : قف ، أنت الآن على موعد مع « الموت » . عد الى بيتك واسترح ، فقد بلغت نهاية رحلتك أو كدت ! » كم هي قصيرة رحلة الحياة .. !

ووضع يده في جيبه وأخرج الرسالة التي بعثوا بها إليه في الصباح وقرأها .. إنها المرة الثالثة أو الخامسة ، لا يذكر ، التي عاد فيها اليها يتأمل محتوياتها ويتوقف عند كل كلمة جاءت فيها : « نشكركم على الخدمات العظيمة التي قدمتموها



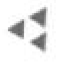
للشركة ، ونود ان نبلغكم بقرار مجلس الادارة باحالتكم الى التقاعد بمناسبة بلوغكم سن الستين ! »

« ولكنني ما زلت شابا » . . ! هكذا كان يهمس لنفسه وهو يتذكر السنوات التي امضاها يعمل في الشركة التي أصبح جزءا منها منذ تخرج في كلية الهندسة قبل اكثر من سبعة وثلاثين عاما . . كل شيء في عمله كان يذكره بالسنين التي قضاها معها وهو يراها تكبر . . شيء واحد فاته ان يلحظه . . هو أنه أيضا كان يكبر ، وكان العمر يتقدم به . . ربما لأنه كان في داخله ما زال شابا ، فهو لم يشك علة طوال هذه الأعوام . . كان دائما ينعم بصحة طيبة . . وهل كانت الأعوام التي تمر بنا مقياسا لعمر الانسان على الارض . ؟ لقد كانت سنوات عمله في هذا المكان الذي تركه لآخر مرة منذ ساعات قريبة مضت ، مليئة دائما بالعمل والخلق والابتكار . . إنه لم يشعر مرة واحدة بأنه قد اصبح عاجزا عن تأدية عمله . . أو أن نشاطه قد تضاءل . . كان يجد متعة في كل عمل يقوم به . . بالأمس فقط كان يشارك المهندسين الشبان في وضع تصميم جديد للمباني التي ستخصص لسكن ذوي الدخل المحدود . . لقد وقفوا جميعا مشدوهين وهم يرونه يضيف ويحذف لكي يعد التصميم في شكله النهائي . . لم يكن يتصور أن نهاية رحلته مع العمل الذي أحبه سوف تأتي بهذه السرعة . . بعد أربع وعشرين ساعة من البدء في تنفيذ اكبر مشروع في تاريخ الشركة التي اعطاها عمره كله دون ان يشعر . .

ولكن لماذا يضعون هذه النهاية ؟ لماذا لا يتركونها تأتي وحدها بلا مقدمات . . لماذا لا يتركون له اختيار موعدها . . هل هم حقيقة ليسوا في حاجة اليه ، أم انه القانون الذي لا بد ان يلتزموا به ؟

ولم يتوقف طويلا ليبحث عن إجابة على الأسئلة التي كانت تدور في رأسه وهو جالس على مقعده الخشبي يحدق في الأمواج وهي تتكسر عند حافة الصخرة الكبيرة . . فقد أحس بالطريق يخلو من الناس ، والظلام يكسو المكان ، وأشعل عود ثقاب وتطلع الى ساعته . . ثم ما لبث ان قفز واقفا يبحث عن سيارة تقله الى البيت الذي ابتعد عنه كثيرا وهو يمشي ويمشي بحذاء الشاطيء منذ خرج من مكتبه في تلك الأمسية الباردة . . لقد اوشك الليل ان ينتصف . . مر كل هذا الوقت دون ان يشعر به . . واطلق ضحكة مكتومة . . اذا كانت رحلة الحياة ذاتها قد مرت دون ان يشعر ، فلا أقل من ان تمر بضع ساعات اخرى . لم لا ! ؟

ولكن الذي أزعجه هو القلق الذى ستشعر به زوجته . . إنها أول مرة يتأخر فيها عن العودة الى البيت في موعده . . ثم ماذا سيقول لأحفاده الذين تعودوا ان ينتظروا عودته ليتناولوا معه



طعام العشاء . ؟ إنه لم يتغيب عنهم مرة واحدة منذ ان تركتهم أمهم لتلحق بوالدهم في عمله الجديد في الخارج .

ووصل الى البيت أخيرا ، ورآها .. كانت تقف وراء زجاج النافذة ترقب الشارع ... ترى ماذا اقول لها ؟ لا شيء .. سأترك الحديث الى الصباح . غدا يوم جديد ، ولن اضطر ان اصحوا مبكرا .. نعم سوف اذهب الى الشركة ، ولكن ليس هناك ما يضطرني الآن الى الذهاب في موعد بدء العمل .. سأذهب فقط لتسوية موقفي ! »

ولقيته عند الباب الخارجي .. وأحس بالقلق باديا على وجهها النحيل ، فقال على الفور : آسف ياعزيزتي ، ولكنني اضطررت الى قبول دعوة أحد الزملاء لتناول طعام العشاء . أعلم انه كان يجب ان اتصل بك تليفونيا على الأقل .. ولكنه كان « عشاء عمل » كما يقولون ، وانت تعلمين انني أنسى نفسي عندما يتصل الموضوع بالعمل من قريب أو بعيد .. أرجو ان تعذريني ! »

وذهب الى فراشه لينام .. ولكنه لم ينم .. لم يغمض له جفن في تلك الليلة ماذا سيقول ؟ ، وكيف يبدأ حديثه معها ؟ .. كيف يشرح لها معنى التغيير الذي حدث في حياته اليوم ؟ كلها اسئلة ظلت تطارده طول الليل ، وهو راقد على فراشه حتى جاء الصباح ودبت الحياة من جديد في البيت ..

وسمع صياح أحفاده الثلاثة قادما من الغرفة المجاورة ، فأسرع اليهم .. لقد افتقدهم . هم أيضا افتقدوه .. فراحوا يلتفون حوله ، وأخذ يداعبهم بينما انهمكت جدتهم في مساعدتهم على ارتداء ملابسهم للذهاب إلى المدرسة ، ولكن هذا كله لم يشغلها . عن رؤية ما كان يحتمل في صدر الرجل الذي شاركته حياته لأكثر من ثلث قرن من الزمان . كان يضحك ويحاول جاهدا ان يخفي حقيقة مشاعره ، ولكن ضحكاته لم تستطع ان تخدعها . فقد ادركت على الفور منذ لحظة لقائها به عند عودته الي البيت بعد منتصف الليل ان شيئا هاما .. حدثا كبيرا .... يستغرق كل تفكيره .. ولكنها لم تشأ ان تسأله .. تركت له هو حرية اختيار الوقت الذي يراه مناسبا ليحدثها فيه إذا شاء ..

وجاء الوقت أخيرا عندما ذهب الأحفاد الى مدرستهم ، وجلس الزوجان يتناولان طعام الافطار .. وروى لها كل شيء ـ من اليوم أنا رجل متقاعد .. لقد اصبحت عجوزا ولا يجوز للعجائز أمثالي ان يستمروا في عملهم ياعزيزتي ! وضحك .. وضحكت هي الأخرى ، ولكنها ما لبثت ان قالت في لهجة يشوبها الاحتجاج والتحدي : « أفهم أن يحيلوك الى التقاعد ، هذا حقهم ، ولكنني لا أوافق على انك قد اصبحت عجوزا ، ولا يجوز لك أن تعمل .. ثم من الذي يستطيع ان يمنعك من العمل .. لقد قضيت حياتك كلها موظفا .. ونحن لا نريد ان تعود الى الوظيفة .. ولكننا نريد أن نعمل .. أنت رجل صاحب مهنة وخبرة .. لماذا لا تفتح مكتبا خاصا بالاستشارات الهندسية .. بعد شهور قليلة ستعود ابنتنا من الخارج مع زوجها ، وسيعود الاطفال الى والديها .. أما نحن فنسافر في عطلة طويلة بعض الشيء نقضيها في الراحة والاستجمام والاحتفال بترك الوظيفة .. لقد أخذت منا يا عزيزي اكثر مما أعطتنا .. اخذت شبابنا كله .. تعال نبدأ من جديد .. سأكون سكرتيرتك ، ومديرة مكتبك اذا شئت .. فأنا أيضا اشعر برغبة في الاستمرار في الحياة والحياة بالنسبة للانسان عمل .. لا نريد ان نجلس على مقعد وسط حديقة مليئة بالزهور ننتظر نهاية رحلتنا على الأرض .. لا ! سوف نمضي في الطريق الذي بدأنا نسير فيه منذ سنوات بعيدة مضت .. هل تذكر ؟ لقد كان طريقا طويلا مليئا بالعمل والكفاح .. ولكنها كانت أجمل وأمتع رحلة .. » ثم سكتت .. ولكنه راح يستحثها على المضي في الحديث ..

ـ ثم ماذا يا عزيزتي . ؟

كانت الزوجة تتحدث في حماس والابتسامة لا تفارق شفتيها لحظة واحدة طوال هذا « الخطاب » الرائع الذي أخرجه من حالة الشعور بالعزلة والكآبة التي احتوته منذ الصباح .. لقد بدت له في تلك اللحظة نفس الفتاة الصغيرة التي عرفها منذ أكثر من ثلاثين عاما عندما زفت اليه عروسا في ثوبها الأبيض ..

ولم تتوقف لتعرف ماذا كان يدور في رأسه بعد حديثها الطويل الذي نسيت هي نفسها كيف كانت بدايته ولا ماذا قالت فيه ؟ .. ولكنها تشعر براحة الآن وكأن عبئا ثقيلا قد انزاح عن كتفيها .. فاقتربت منه ومدت أصابع يدها تداعب رأسه المتعب ، وقالت في هدوء هذه المرة : « لا نريد يا عزيزي ان نقف على رصيف الشارع الصاخب نرقب مواكب الحياة التي تذكرنا بماضينا ، لأننا لم نعد قادرين على العبور الى الرصيف المواجه على الجانب الآخر .. لا ليس الآن على أية حال !»

وانقضت عدة سنوات .. وفي مطعم أنيق باحدى الضواحي الهادئة .. كانت هناك مجموعة من الرجال والنساء يجلسون حول مائدة كبيرة امتلأت بالزهور ، وفي وسطها كعكة تحمل خمسين شمعة .!

وتساءل رواد المطعم الذين تعودوا ان يأتوا اليه في عطلة نهاية الاسبوع هربا من صخب المدينة وضوضائها .. ترى من هو المحتفى به ؟.

ـ إنه صاحب المطعم وزوجته .. انهما يحتفلان بعيد زواجهما الذهبي .. الليلة هي الذكرى الخمسون لهذا الزواج السعيد ، وقد جاء الأبناء والأحفاد وزوجاتهم وازواجهم ليشاركوا في الاحتفال بهذه المناسبة ..

وعزفت الموسيقا ، ثم سكتت واطفئت الشموع .. ووقف المحتفى بهما يتقبلان التهاني .. وعلى مائدة قريبة كان يجلس رجل في منتصف العمر مع زوجته ، وما كادت عيناه تقعان على صاحب الوجه الذي كان يبتسم وسط الدموع التي راحت تتساقط من عينيه مع قبلات ابنائه واحفاده ، حتى همس في اذن زوجته : « إنه هو بعينه .. المهندس الذي أحيل الى التقاعد منذ اكثر من ثلاثة عشر عاما .. الرجل الذي علمنا كيف نصمم المباني الحديثة ، وقضى عمره كله يشرف على تنفيذها وبنائها .. سوف أذهب اليه وأهنئه .. لم أكن اعلم انه صاحب هذا المطعم الذي نتردد عليه كل اسبوع ..

ومدّ اليه يده مصافحا ، فقد عرفه على الفور .. كان من أنشط المهندسين الشبان الذين عملوا تحت رئاسته .. وبحث الرجل عن زوجته فوجدها هناك عند احدى الموائد القريبة تشرف بنفسها على تقديم الطعام لرواد المطعم ، وناداها وجاءت .. وقال الرجل : « أقدم لكم مديرة أعمالي .. المرأة التي شاركتني حياتي ، ووقفت بجانبي تساعدني على البدء في هذا العمل الذي ولدنا معه من جديد .. أقدم لكم زوجتي التي يعود اليها وحدها الفضل في نجاح هذه الاطباق الشهية التي تأتون اليها خصيصا قاطعين عشرات الكيلو مترات ! »

ثم ماذا ؟ انها قصة واحدة من عشرات القصص التي رفض اصحابها أن يقنعوا بهذا المصير الذي ينتظر كل موظف بلغ سن التقاعد .. والتاريخ ملىء بالرجال والنساء الذين مضوا يعملون ويفكرون وينتجون ويبتكرون دون توقف .. بل ان معظم قصص النجاح الكبير التي نقلتها الكتب كان ابطالها أناسا جاوزوا هذه السن بكثير ..

حقيقة ان هناك الملايين من الناس الذين استسلموا لهذا المصير ، وعاشوا في سجنهم المظلم الذي وضعوا أنفسهم فيه .. لأنهم تصوروا ان الشمس لا يمكن ان تنفذ من خلال جدران هذا السجن الصغير .. ولو أنهم حاولوا مرة أن ينفضوا الصدأ الذي اعتلاهم ، ونظروا من خلال ثقب في هذا الجدار الوهمي لوجدوا الدنيا من حولهم مليئة بالحياة والنور ! ○

حل مسابقة العدد

● رقم ٢٩٥ ●

الردود الصحيحة وأسماء الفائزين

١ ـ نعم يجوز فى اللغة استعمال كلا اللفظين (عروس) و (فرس) للدلالة على الذكر .

٢ ـ الشمس هى الاكبر حجما .. وهى اكبر من الارض بأكثر من مليون مرة .. يبلغ قطر الشمس ٠٠٠ر٣٨٢ر١ كيلو متر ..
بينما لايزيد قطر الأرض على ٧٦٠ ر١٢ كيلو مترا ..

٣ ـ الحمامة القاهرية هى التى تسبق .. بل انها الحمامة الوحيدة التى تستطيع الوصول الى القاهرة .. ذلك أن حمام الزاجل قادر فقط على القيام برحلة العودة الى موطنه وبيته ..

٤ ـ « ضناى » مشتقة من ضنْء أو ضِنْء .. ومعنى هذا اللفظ فى اللغة الاولاد . يقول المعجم الوسيط الضنء من كل شىء نسله ، ويجمع على ضنوء .. وضنئت المرأة أو أضنأت ضنْئا وضنوءا أى كثر نسلها .. وضنأ المال .. كثر ..

٥ ـ استانبول هى المدينة التى تقع فى قارتين فى آن معا .. والقارتان هما ـ كما لايخفى ـ آسيا وأوربا .. فهى اذن قسمان .. قسم آسيوى وآخر اوروبى وتصل بينهما جسور منها جسر الغلطه .
واستانبول كانت عاصمة الامبراطورية العثمانية حتى سنة ١٩٢٢ وكانت فى القرون الوسطى عاصمة الدولة البيزنطية وكانت تسمى آنذاك القسطنطينية .. والاغريق هم الذين أسسوا المدينة وسموها بيزنطة .

٦ ـ مسجدان : هما مسجد الصخرة الشهير بقبته والمسجد الأقصى .. اما مسجد عمر فلم يبق منه أى أثر .. حتى اختلف المؤرخون فى تعيين المكان الذى بنى فيه عمر بن الخطاب مسجده هذا .

٧ ـ الوطواط يرى حتى لو كان معصوب العينين ، لأنه قادر ، بحكم طبيعته ، على تحسس بعد الاشياء عنه أو قربها منه تبعا للأصوات العالية الذبذبات التى يطلقها ثم يلتقط صداها لدى ارتطامها بتلك الأشياء . وهذا هو المبدأ الذى يقوم عليه جهاز السونار .

٨ ـ هناك سلسلتا جبال اخريتان تعرفان باسم جبال الألب .. وتقع الواحدة فى استراليا وأعلى قممها هى كوشيوسكو وتبلغ من الارتفاع ٧٣٢٨ قدما ..
وتقع الثانية فى جزيرة الجنوب من نيوزيلنده وأعلى قممها جبل كوك (٣٤٩ ر١٢ قدما)

٩ ـ تبلغ كمية الدم التى تجرى فى جسم الرجل السوى ثلاثة أرباع الجالون أو نحو ذلك .

١٠ ـ برج بيزا المائل . . أقاموه خطأ على أرض رخوة ، مالبث أن هبطت به فانحرف وأصبح برج بيزا المائل . . وهو يزداد انحرافا سنة بعد سنة ، الأمر الذى حمل السلطات الايطالية على مباشرة العمل مؤخرا على وقف انحرافه عند حده الحالى . . وقد ثبت لها أن برج بيزا سينهار لامحالة اذا تعرض لمزيد من انحراف .

١١ ـ تمثال الحرية القائم عند مدخل نيويورك صنع فى فرنسا . . فهو الهدية التى قدمها الشعب الفرنسى الى الامريكيين .

١٢ ـ الهند هى الدولة التى يسميها أهلها « بهارات » .

الفائزون فى مسابقة (٢٩٥)

الجائزة الأولى : هديل مروان موسى ـ أم القيوين ـ الامارات العربية المتحدة .

الجائزة الثانية : نوفل البهاوى ـ ظهر المحنش الأول ٣٤ تطوان ـ المغرب .

الجائزة الثالثة : آمنة محمود جويج . طرابلس / ليبيا .

الفائزون بالجوائز الثماني التشجيعية بقيمة (٥) دنانير لكل من :

١ ـ رشان سعيد Belqique - Piace du Puddieur , I 348 L — L — N

٢ ـ عايدة عبد الغنى يونس / الشارقة / الامارات العربية المتحدة

٣ ـ عبد المجيد شرقى / عمارة رقم ٧ شقة رقم ٥٨ / حى العنق / الدار البيضاء ـ (انفا ـ ١) المملكة المغربية .

٤ ـ نادر مانع محمد المانع / السرة قطعة ٣ / منزل رقم ١٩ ص . ب (٢١٢٣٥) الصفاة ـ الكويت .

٥ ـ عبد العليم أحمد عبد العليم سلامة / محافظة القليوبية ـ ميت العطار ـ مركز بنها ـ ج م ع

٦ ـ صلاح الدين عبد القيوم أبو شامة/ ص . ب . (٣٩٠) بورتسودان/ السودان

٧ ـ وفاء أمين الشيخ / كفر الزيات / ج م ع .

٨ ـ محمد مفيد بصيلة / ص . ب (١٩٠٨٩) المدينة الرياضية / عمان / الأردن .

ديوجين الحكيم الصعلوك !

بقلم : محمد خليفة التونسي

عاش باختياره فقيرا في أحطّ دركات الفقر ، ولكن كانت له عزة ملك ترفعه كما لو كان سليلا لسمط طويل من أسلافه الملوك . لم يكن يملك شيئا خارج جلده ولكن لا ننسى انه كان يملك كساء يستره ، وعباءة مرقعة يلتف بها إذا نام فتكون فراشه وغطاءه ، وخرجا يودعه فضلات زاده ، وكان له دنّ (برميل) خفيف اتخذه بيتا يحمله على ظهره حيث سار ، ليأوي اليه حين يطلب الراحة ، ثم كان له فيما قيل كأس يشرب بها ، حتى كان يوم رأى صبيا يشرب الماء بيديه ، فكسر كأسه مستغنيا عنها ، لأنه لايليق به ان يكون في هذا أقل حكمة من الصبي .

كان يملك داخل جلده ثروة ضخمة نادرة لايتيسر امتلاكها الا لعظماء الرجال ، بعد الكد الشاق الطويل في طلب الحكمة والفضيلة ، حتى يدركوا المثل الأعلى منهما في تصورهم ، أو يقاربوه ، ولا يمكن أن يتحقق ذلك الا بسيطرة المرء التامة على نفسه حتى يتحرر من كل أهوائه ، فلا يكون عليه سلطان لأي مطمع كبير أو صغير . فاذا لم يستطع المرء ان يملك الدنيا جميعا ، فليتركها جميعا كما قال أحد شعرائنا الحكماء أو كما قال شاعرنا أبو العلاء المعري : ـ

وأصبح واحد الرجلين اما
مليكا في المعاشر او أبيلا

وأعظم من المليك ـ مهما يبلغ ملكه من العظمة والسعة ـ كل ابيل (راهب) يملك نفسه ، حتى لا يكون لأحد أو لشيء عليه سلطان ، أو كما قلنا في احدى رباعياتنا : ـ

ان السلاطين من دانوا نفوسهمُ
ودائنو الناس ليسوا بالسلاطين

فيا أكثر ذوي السلطان الذين تحكمهم صغائر المطامع ، فلا يستطيعون أمامها الا الخضوع صاغرين ، ولا يترفعون عن طلبها بكل وسيلة من قوة أو حيلة .

كانت لديوجين داخل جلده ثروة ضخمة نادرة عظيمة القيمة ، فمن ودائع جلده حكمته الرفيعة وأخلاقه النبيلة ، وحبه للناس كل الناس ، واشفاقه الحميم عليهم ، لفرط تهالكهم على زخارف الدنيا ، وشحهم بها ، وظلم بعضهم بعضا بسببها ، مع أنهم جميعا اخوة ، وهذا الى جانب قسوة الأقدار على الظالم والمظلوم ، وماذا تفيد الانسان في نفسه كل هذه الزخارف من ثروة أو شهرة أو جاه أو منصب أو متاع الا أن تشغله حتى عن حياته وقوته وتقف حاجبا بينه وبين مصادقة الناس ومصادقة الطبيعة أو العيش في وفاق معها ، كما تحجب عنه وجه الله ، ثم هي لا تثرى حياته ولا تفيده فيها حكمة ولا فضيلة ، ولا تعينه على استيفاء استعداداته وتحقيق ذاته .

كان شديد الاشفاق عليهم جميعا ـ كبارا وصغارا ـ في كل ذلك ، ولكن الاشفاق كان يتجلى لهم في صورة السخرية اللاذعة حيثما رأى تهافتهم على الصغائر الدنيوية وسقوطهم بسببها في الرذائل ، مع أنهم جميعا اخوة ، والأرض كلها وطن لكل انسان ، كيفما كان شعبه ، وخيراتها تسعهم جميعا لو أنهم اعتصموا ببعض الحكمة أو الفضيلة ، وأعان بعضهم بعضا ، وهل كانت فتن الدنيا التي تخلب نفوس الاخوة حتى تدبر عقولهم وتطمس بصائرهم فتعميهم عن رعاية حقوق الاخوة ، الا صغائر في تقدير صديقنا الساخر ديوجين ؟ وهل الحياة الدنيا كلها الا لهو ولعب كما وصفها بعد ذلك القرآن الكريم ؟ أو كما قال السيد المسيح عليه السلام : ماذا يفيد الانسان ان يكسب العالم وقد خسر نفسه ؟

قد تكون السخرية طبيعة في صديقنا ديوجين ، أو ملكة اكتسبها عقله من طول تأمله في الأحوال العصيبة التي كان يقاسيها الناس حوله ، فقد مر قبله على مدن اليونان أو دولهم نحو قرن في حروب طاحنة بين بعضها وبعض ، حتى ضعفت جميعا ، فسهل أخيرا على مملكة صغيرة تجاورهم أن تغزوهم وتفتح كل بلادهم وتسوسها كما تشاء ، وتسوسهم كما تشاء ، وكان هذا الفتح في عهد الملك المقدوني فيليب والد الاسكندر الأكبر ، وكان من جرائر هذه الحروب الداخلية على مدى قرن ان انقلبت الأحوال فذلت النفوس واسترخت الهمم ، وانهارت القيم ، وفسدت الأخلاق ، وحارت العقول ، وكثرت المخرقة والدجل وتعلق الناس بالخرافات ، فاذا سخر ديوجين فقد كانت سخريته ـ وهي تلذع أو تكوي ـ تعبيرا عن ثورة

نفس حرة أبية ، رحيمة تحاول مغالبة الاحوال العصيبة التي تعذبه وتعذب جميع اليونانيين حوله ، والاحتجاج عليها . ولاشك أن سخريته كانت تستهدف الخير لهم ، وتبصيرهم بطرق التعالي مثله عن تلك الأحوال السيئة دون الخضوع لها ، كما كانت سخريته هي السلاح الاصلاحي الذي انتقاه لايقاظ العقول الغافية ، وتحريك الهمم الراكدة فتعيد الثقة الى النفوس الخائفة فتصلح أمرها وأمور الآخرين .

نشأته وتلمذته

ولد نحو سنة ٤١٢ ق . م بمدينة سينوبي ، وكانت تقع وسط الشاطيء الجنوبي للبحر الأسود ، وفيها نشأ وتلقى معارفه الى ان اشتد شبابه ، وكان أبوه صيرفيا يقوم بمهمة سك النقود ، ويظهر أن ابنه حين كبر كان يساعده في مهمته ، وقد بقي مترجمو ديوجين يذكرون أن أباه حكم عليه بالحبس حتى مات في سجنه لتزييفه العملة كما حكم على ديوجين بالنفي ، أو انه هرب خشية سوء الجزاء . وهم مسئولون عن ترويج هذه التهمة وتناقلها بلا تمحيص ، حتى راجعها الأستاذ سارتون مع صديق سنة ١٩٥١[1] فقد ترجمت الكلمة اليونانية **poraehorattean** قديما بعبارة « تزييف العملة » مع أنها لا تعني الا « النقش على نحو غير صحيح » وقد يعتبر هذا تزييفا لمخالفته الوضع الرسمي ، ولكنه لا يعدو ان يكون خطأ لا يطعن في خلق مهما يكن سببه من اهمال أو عجز ، وقد يستحق صاحبه العقاب لاضراره بالناس ، وأما وضع معدن رخيص بدل معدن أعلى ، فخطيئة شائنة ، وهذا هو الفرق بين الخطأ والخطيئة .

ولما خرج ديوجين من مدينته تنقل في بعض البلاد اليونانية حتى بلغ اثينة ، وكان سقراط قد مات مسموما سنة ٣٩٩ ق . م بعد أن امتدت شهرته في وسع بلاد اليونان ، وكان له عدد من الحواريين منهم افلاطون مؤسس الاكاديمية (وهو اشهرهم) ، واقليدس مؤسس المدرسة الميغارية ، وارستبوس مؤسسة المدرسة القورينائية ، وانتستانس مؤسسة المدرسة الكلبية ، وكان الأخير أشبه بأستاذه سقراط في تقشفه وسيرته البسيطة وانحصار فلسفته في الانسان لتعليمه الفضيلة ، واليه اتجه ديوجين لأنه أقربهم اليه مزاجا وطريقة ، يروى انه لما جاءه ديوجين ـ وكان يحاضر تلاميذه ـ رأى فيه شابا شريدا ، رث الملبس ، أشعث الهيئة كأنه سائل ، فلما أراد أن يجلس معهم ثاروا به غاضبين مستهزئين . . . . « اخرج ايها الكلب الأجرب » فلم يتزحزح ، وقبل ان الأستاذ وكزه بعصاه ، فطأطأ له رأسه ، وقال له في ثبات : « اضرب دون خشية ، فلن تطردني عصاك عن مجلسك » ، فأشفق عليه ، وطلب منه أن يعود الى بيته لاصلاح هيئته ، فأخبره أنه لا بيت له وأنه عازم على ملازمته للتعلم منه ، فرق له وأبقاه في عداد تلاميذه ، وما ان عاشره هؤلاء حتى كسب مودتهم واحترامهم ، لطيبة قلبه ، وقوة عقله ، واستقامة اخلاقه ، واجتهاده في طلب الهداية ، وترفعه عن فتن الدنيا ، وجرأته في الاستهانة بالعرف والتقاليد ، وسخريته بالمتمسكين بها وان كانوا في أرفع منزلة .

وهكذا عاش طوال حياته في أيام أستاذه وبعده ، اذ لم يكن يرى لأي انسان قيمة الا حكمته وفضيلته التي تردعه عن كل المطامع الدنيوية ، وتجعله أشبه بالله ، في الاكتفاء بذاته ، والاستغناء عمن سواه ، ولم يكن يخشى في ذلك أحدا أو يهابه ، مهما تكن وجاهته الاجتماعية وأسبابه الدنيوية ، وهل ذاك فيمن حوله أعظم جاها وسلطانا من الاسكندر الأكبر ، فكيف وأين التقيا ؟ وأيهما كان أعظم .

(١) يراجع : تاريخ العلم لمؤلفه جورج سارتون الفصل ٢٢ الهامش ٢

ديوجين القديس الناسك والاسكندر الملك

كان الاسكندر تلميذ ارسطو ، فان فيليب الثاني ملك مقدونية عهد الى ارسطو والى آخرين بتربية ابنه الاسكندر ، وكان فيليب ـ حين قتل ـ ملكا على مقدونية ومعظم بلاد اليونان ، فورث عنه ابنه ملكه ، وحين عقد اليونان مؤتمرهم العام عند خليج كورنثيه ـ احدى مدنهم ـ لاختيار قائد لجيوشهم ، كي يحرر بلادهم من الفرس ، اختاروا الاسكندر ثم أقبلوا عليه مهنئين بذلك ، وكان ديوجين ـ وقد صار شيخا ـ من حضور المؤتمر ، فلم يهنئه ولم يحاول لقاءه ، بل تجاهله ، وسأل الاسكندر عنه فعرف حاله ، ثم توجه بموكبه اليه ليراه ويحادثه ، فوجده في احدى الساحات متمددا في ضوء الشمس طلبا للدفء ، ورأى ديوجين موكبا ضخما قادما اليه فاعتدل قليلا ، واتكأ على دنه ، فلما رأى العاهل ، تأمل وجهه ، وبادره العاهل بالتحية ثم عرفه بنفسه « أنا الملك الاسكندر » فأجابه : و « أنا ديوجين » ، فسأله : ألا تخشاني ؟ ففوجىء به يسأله : « طيب أنت أم سيء » فأجابه : « بل طيب » ، فرد عليه : « ومن يخشى الطيب؟» وحاوره العاهل معجبا به في مسائل حكيمة ، فلم ير منه الا ما يدل على وفور عقله وحضور بديهته ، فأشفق عليه لسوء حاله ، ثم سأله ديوجين ماذا تتمنى اليوم فأجابه : « أن أجمع كل بلاد اليونان تحت سلطاني » فسأله : « ثم ماذا ؟ » ، فأجابه : « إخضاع آسيا » ، فسأله : « ثم ماذا ؟» ، فأجابه : « اخضاع العالم » ، فسأله : ثم ماذا ؟ « فأجابه « أستريح وأستمتع » ، فقال له : « ولم لا تهدأ منذ الآن وتستمتع » . ثم سأله العاهل : « أراك في حاجة الى ما يصلح حالك ، فهل أستطيع مساعدتك ؟ » فبادره قائلا : بوقوفك بيني وبين الشمس حرمتني من الدفء ، فلو تزحزحت قليلا حتى أتدفأ بحرارتها »! فاستعظمت الحاشية جرأة ديوجين ، ومن عادة أمثالها غالبا أن تكون ملكية أكثر من الملك ، أو تتظاهر بذلك على الأقل ، ولكن العاهل قابل كل أقوال ديوجين بالاعجاب والملاطفة وقال : « لو لم أكن الاسكندر لوددت أن أكون ديوجين » ، وهذا الموقف يشهد لكلا الطرفين بالفضل ويثبت ان الاسكندر كان تلميذ ارسطو في تقديره الفلسفة واهلها .

ومعروف أن الاسكندر كان يدعو الى اخوة البشر ، وكان يعمل لها في فتوحاته ، مخالفا بذلك النزعة العرقية المفرطة عند اليونان ، اذ كانوا يعتبرون غيرهم من البشر برابرة أعداء اما للاستعباد أو الاستئصال ، بل كان الاسكندر في ذلك مخالفا أستاذه ارسطو وقبله افلاطون ، ولكن رواد هذه الفكرة الانسانية النبيلة هم الكلبيون ولاسيما ديوجين ، فهل أخذها الاسكندر عنه ؟ لا نستطيع الجزم برأي ، وقد كانت أحوال الاسكندر وتجاربه مع غير بني قومه توحي اليه بها ، ولكن لاشك ان ديوجين أسبق في الاهتداء اليها ونشرها ، كما أنه اسبق سنا بنحو خمسين سنة ، وقد مات الرجلان في سنة واحدة تقريبا سنة ٣٢٣ق . م ، ديوجين عن نحو تسعين سنة والثاني عن ٣٣ سنة[٢] .

ديوجين حفيد سقراط

كان انتستانس تلميذ سقراط ، ومعلم ديوجين ، ثلاثتهم التزموا السير في طريق واحدة ، بدأها سقراط فأوغل بعيدا ، وتلاه انتستانس فأوغل الى ما هو أبعد ، ثم تلاه ديوجين فكان أشد الثلاثة ايغالا . هذه الطريق هي الطريق الكلبية ، وللكلبية فلسفتها أو مذهبها أو اتجاهها الاخلاقي ، ولكنها أقرب الى

(٢)المصدر السابق فصل بعنوان « الاسكندر »

ان تكون طريق حياة او دستور حياة يلتزمها صاحبها بقوة مهما تجر عليه من محن أو تحرمه من نعم .

ينسب مؤرخو الفلسفة الى انتستانس تأسيس مذهب الكلبيين **Cynics** ، وقيل ان سبب اطلاق هذا اللقب عليه وعلى أتباعه انه كان يعلم في مدرسة كينوسارجيس التي تعلم فيها من قبل ، وكانت تقع خارج اثينا لتعليم غير اليونانيين ، ومن « كينو » احد اصول اسمها اشتقت كلمة كلبي (كلبات **Cyonm Cyons**) لأنها تعني « شبه الكلب » وقيل ان سبب اسم المدرسة انها كانت تضم عمودا عليه نقش كلب ، وقيل انهم وصموا بهذا اللقب لانهم كانوا يعيشون كالكلاب ، متسولين في هيئات زرية ، مع التبذل في مسلكهم ، ونقدهم البذيء للناس ، وطرحهم الحشمة والحياء ، ولكن اتخاذ اتباعهم هذا الأسلوب الفاسد في المعيشة لم يحدث الا في عهد الكلبيين المتأخرين الذين مالوا مزاجيا او نفسيا الى مذهب اللذة ، ولا يكون هؤلاء عادة الا من المنحرفين نفوسا ، فهم كمثل من نلقبهم بيننا اليوم « الخنافس » وهم يسايرون أي مذهب يساعدهم على التمرد ويتمسكون بشعائره دون لبابه العقلي والأخلاقي ، ويتهربون من تبعاته ، فلا لوم على اساتذة الكلبيين ولا مبادئهم اذا اعتنقها المبتذلون أخيرا فبدت مبتذلة ، وينبغي ان نلاحظ ان المبادىء والعقائد والأفكار تتلون وفقا لأمزجة معتنقيها وشخصياتهم فتبدو شريفة عند المتمسكين بالشرف ، خسيسة عند الأخساء .

وقد كان سقراط ـ في رأينا ـ هو امامهم الأمثل وان لم يعده منهم أحد ، أو يلقبه لقبهم احد ، ولقد كان أشبه فلاسفة اليونان بأنبياء الشرق او معلميه الكبار في عظمة شخصيته مع جاذبيتها ، وعفة نفسه وطهارة مسلكه ، وقد كانت فضائله الأخلاقية هي أهم ما لفت اتباعه اليه ، وفتنهم به وان لم يبلغوا مبلغه من فضائله العقلية ، وكان اهم ما عني به سقراط في نفسه التزام الفضيلة الأخلاقية دائما وتعليمها لأتباعه ، كما كانت هذه الفضيلة أهم عناصر فلسفته ، ولم يهتم كسابقيه بالطبيعيات والرياضيات ومنها الفلكيات ولذلك قيل : « انه أنزل الفلسفة من السماء الى الأرض » .

وعلى هديه ومسلكه الاخلاقي سار أتباعه الأولون متشددين مع انفسهم وغيرهم رغبة في الصلاح والاصلاح ، ومن نوادر ديوجين في ذلك انه رئي نهار يوم يحمل مصباحا منيرا والشمس طالعة ، فلما سئل عن ذلك قال : « أبحث عن إنسان » ، ووقف يوما في ساحة وهو يصيح مرددا : « أيها الرجال ، ايها الرجال » ، فلما تكاثروا حوله قال لهم : « لست أناديكم ، بل أنادي الرجال » .

من الانسان ؟

ولا ريب أن ديوجين كان يعني الرجل الفاضل او الرجال الفضلاء ، ولم تكن صورة سقراط غائبة عنه فكرا ولا خيالا ، وان كانت صورة انتستانس أقرب اليه وأشد التصاقا ، وكان هذا أشد تلاميذ سقراط حبا ووفاء له

لم يكن لسقراط مكان أو وقت معين يعلم فيه ، او جماعة يخصها بتعليمه ، بل كان يسير في الشارع متواضعا وقوراً نظيف الهيئة فيحاور من يرى ، ويبدأ الحوار بطرح سؤال ، فاذا سمع الجواب أظهر للمجيب خطأه ان كان مخطئا ، وهكذا يجري الحوار حتى يعرف المسئول الجواب الصحيح أو يرشده هو اليه . وقد سميت طريقته طريقة التهكم والتوليد أي السخرية بالأجوبة الخطأ ، حتى يتولد الجواب الصحيح .

وليست سخرية الكلبيين بغريبة على تهكم سقراط ، وان كانت أشد وقعا على الناس ، ولم يكن سقراط يأخذ على تعليمه أجراً على خلاف ما كان عليه المعلمون في عهده وقبله ، بل كان يعيش هو وزوجته وولده من الهدايا البسيطة التي

كان يقدمها اليه أصدقاؤه حبا واعتزازا ، وكان يرفض كل الهدايا الغالية .

ولم يكن ينكر الملكية الخاصة أو العامة ولا تعرض لها برأي .

وجاء تلميذه انتستانس فكان يعيش كالأغنياء من ماله حتى مات سقراط ، فاشتد على نفسه وعاش عيشة الفقراء ، وكان يحض تلاميذه عليها ليرتفعوا فوق فتن الحياة ، ويتشبهوا بالاله في غناه عما سواه ، وكان يعلمهم في مدرسة كما قدمنا ، وقد تفرغ للتعلم ثم التعليم طوال حياته فلم يتخذ له زوجة ولم يكن له ولد ، بل كان ولده تلاميذه وكان له جانب من سحر الشخصية حتى لقد تبعه كثير من الفقراء ، فجعلوا شدائد الفقر الاختياري حليا لا قيودا ، كما تبعه بعض الأغنياء متخلين عن غناهم ليعيشوا فقراء مثله ، وصاروا جميعا من الزاهدين

واما ديوجين فقد عاش عزبا ولم يتخذ مكانا يأوي اليه او يعلم فيه ، بل كان كسقراط يخرج في الشارع ليعلم من يراه ، أو يسخر من صغائره ، ويرشده الى ما هو أولى بانسانيته وان خالف عرف المدينة وقوانينها ، لأن قوانين الطبيعة أولى بطاعة العقلاء ، وكان أرضى بالفقر من استاذيه ، فكان يكتفي بما يقيم صلبه من البقول والخضروات ، يحصلها من نبات الأرض ، أو يأخذها لقاء تعليمه ان كان جائعا ، لأنه لم يكن يأخذ أجرا غير ذلك ، فقوته النباتي ثمن حكمته ، وكان يأبى أخذ شيء مجانا .

وقد لقي ديوجين احترام العقلاء وعطفهم حيث عاش سواء في أثينا او كورنثيه ، بل في كريت حيث أسر وبيع هناك دون ان ينصرف عن التعليم ، ولا نعجب اذا علمنا ان بعض الأراذل كانوا يتعرضون له بالاستهزاء والايذاء ، وانه كان يحسن الدفاع عن نفسه كما يليق بالحكيم ، هزىء به بعضهم يوما فكان جوابه ان كتب اسماءهم على ورقة وجعلها وراء ظهره ليعرفهم أهل المدينة ويتلقوهم بالاحتقار ، ومر به طائفة منهم وهو في طريقه لمشاهدة الألعاب الأولمبية ، فسألوه في أيها ستشارك ؟ فأجابهم : في العدو والمصارعة ، فليس أحد بأسرع مني في اجتناب الرذائل ، ولا مصارع اقدر مني على هزيمتها ، وهذا يدل على انه كان يهتم بالرياضة البدنية الى جانب النفسية ، وادل من هذا على اهتمامه بهما وقدرته على تعليمهما ، انه كان في سفينة فاختطفه بعض القراصنة فلم يتأثر لذلك ، بل قال لهم : خذوني أيها العبيد فأنتم في حاجة الى سيد ، فأخذوه الى سوق الرقيق في جزيرة كريت ، وقدموه للبيع فلم يأسف على نكبته وطلب من المنادي ان يصيح : من كان في حاجة الى معلم فهنا معلم ، ورأى رجلا تبدو عليه النعمة من اعيان كريت ضخم الجسم فخم الهيئة فقال لهم : « يحسن أن تبيعوني لهذا الرجل ، فاني أرى انه يحتاج الى معلم » وتقدم الوجيه ليساوم فيه فقال له ديوجين : « تقدم أيها الصبي فاشتر لك رجلا » فلما سأله عما يحسن : « اجابه : سياسة الرجال والحكم عليهم » ، فأغرى ذلك به الوجيه واشتراه ، فقال له حينئذ ! « انك الآن تملكني فاستعد لتنفيذ ما أكلفك به ، فأنا معلم لك او وكيل ، وعليك طاعتي عبدا كنت او حرا ، ثم دفع الوجيه اليه أولاده ليعلمهم ، فكان كأعظم معلم اخلاصا وبصيرة ، اذ جعلهم يحفظون ويفهمون كل ما استطاع جمعه من الأشعار المختارة ، والف لأجلهم موجزا في الفلسفة ، ودربهم على العدو والسباحة والسباق ، وفنون الفروسية كركوب الخيل والضرب بالسيف والرمي بالاقواس والمقلاع والصيد ، كما عودهم القناعة في الطعام وغيره وترك الاشربة الا الماء ، وحلقوا شعورهم حتى البشرة وكانوا يسيرون معه حفاة يرتدون الملابس الخشنة ، وقد أحبوا معلمهم وكانوا يوصون اهليهم به خيرا ويظهر انه لم يجد ضيقا في أسره ، ودليل ذلك أن أحد اصحابه جاءه هناك لانقاذه واعتاقه ، فقال له ديوجين على طريقته : « أمجنون انت ام هازيء »؟ ألا تعلم أن الأسد

ليس أسير من يطعمه ، بل مطعمه هو أسيره ، ولكن يظهر انه أعتق ، بدليل عودته الى كورنثيه واقامته فيها حتى موته .

ولاشك انه بلغ غاية الطمأنينة في سريرته ، او هي « السكينة » كما سماها القرآن الكريم ، فكان جلدا صبورا على ما أصابه من النكبات ، ولم يكن يستوحش من فاقته ، بل كان يراها نعمة ، لأنها كانت اختيارية ، ويراها دليلا على فلاحه في سياسة نفسه وجسمه ، ولم يستوحش قط في مكان وجد فيه ، لأنه كان يعد نفسه ، ويعد كل انسان غيره مواطنا عالميا ، فحيثما كان الانسان فهو في موطنه .

وماهية الانسان أنه « حيوان ناطق » ولا يدخل في تعريفه انتماؤه الى وطن أو أسرة ، أو نحو ذلك من العلاقات ، وكان يعد الأرض ملكا لكل البشر ، وقد سئل يوما : من أي البلاد أنت ؟ فقال : « من الدنيا » اشارة الى ان العاقل لا يؤثر بلدا لذاته على بلد . ولهذا كان ينكر الملكية الخاصة بفرد أو جماعة ، ويدعو الى تعاون الناس في كل مرافق الحياة ، ليأخذ كل منها على قدر حاجته أو ما يصلح به ، فالتعاون خير أساليب الاجتماع .

بعض طرائفه

وسئل عن أنسب سن للزواج ، فأجاب : مادام الانسان صغيرا فوقت زواجه لم يأت ، واذا كبر فقد فاته الوقت . وسئل : ماذا ربحت من فلسفتك ؟ فقال : « لو لم تفدني الا تحمل المشاق حتى البعيدة عني لكفاني بها سرورا » .

ورأى يوما جماعة من الحكام يعاقبون رجلا سرق زجاجة من الخزانة العامة فقال : « انظروا ، هؤلاء لصوص كبار يعاقبون لصا صغيرا » .

وسألوه : لم تأكل في الطرق والأسواق فأجاب : ـ لأني أجوع فيها كما أجوع في غيرها .

وسأله صديق يسمي « لوسياس » : هل تعتقد بوجود الله ؟ فأجابه : أتراه يخفى علي مع معرفتي بأنه عدوك الأكبر » .

وسئل : هل الموت مؤلم ؟ فقال : « نحن لا نحسه حين يقع ، فكيف يكون مؤلما ؟ » .

ومن أقواله : « معظم الناس في ذل ، فالعبيد أذلاء لساداتهم ، والسادة أذلاء أهوائهم . وقوله « صلحاء الناس دليل على الله » . وقوله : « أسوأ ما يحل بالانسان الهرم مع الفقر » . وقوله : « المعدة آفة العمر » .

ويلاحظ أن امثاله في مظهره وسلوكه عرضة لايذاء السفهاء حيث كانوا ، الا أن تردعهم عنه حماية العقلاء واحترامهم اياه ، فمن ذلك ان شابا أثينيا تعرض له فكسر برميله ، فعاقبوه جهرة ، وسعوا لارضاء صاحبنا

وسئل قبل وفاته : « أي مكان تريد ان تدفن فيه ؟ » فقال : « في مكان خلاء » ، فسئل : « الا تخاف ان تكون طعما للجوارح من الطير والوحش » ، فقال : « ضعوا عصا بجانبي لطردها » . فقالوا : « ولكنك عندئذ لا تحس » ، فقال : « اذن فما الضرر أن تفترسني » .

قيل انه لما اشتد به الهرم والضعف انتحر ، بان جذب نفسه وكتمه حتى مات ، وهذا أمر مستبعد لأكثر من سبب ، وهناك رواية أقرب وأولى بالقبول : ان أصحابه ذهبوا اليه ذات صباح فلم يجدوه متنبها من النوم كعادته ، ووجدوه قد التف بعباءته ، فلما كشفوها رأوه ميتا . وقد وقع بينهم الخلاف بل التماسك وكل منهم يريد أن يجهزه حتى وقعت بينهم معركة ، وأخيرا جاء بعض حكام كورنثية وأعيانها ، وهدأوا الفتنة ، وشيدوا له قبرا عاجلا ، بجانب باب المدينة نحو البحر ، ودفنوه في جنازة مهيبة ، ثم أقاموا على ضريحه عمودا من رخام جزيرة « باروس » ، وأهدوا الى الضريح جملة صور كتبت عليها عبارات كثيرة في تكريمه . ○



الموسوعة البريطانية

موسوعة أمريكية لا بريطانية

● يعجب المرء لأمر الموسوعة البريطانية .. فهي أمريكية لا بريطانية .. وهي ثلاث موسوعات في آن معا لاموسوعة واحدة .. يبلغ مجموع صفحاتها ٣٣١٤١ صفحة ، ومجموع كلماتها ٤٣ مليون كلمة .. وهي بلاشك أكبر عملية استثمار في تاريخ الطباعة والنشر ، وقد بلغ ما وظف فيها من أموال ٣٢ مليون دولار .. اضف الى ذلك أنها أقدم المراجع المعتمدة في اللغة الانجليزية .. ولعلها في الطليعة بين شتى المراجع والموسوعات العالمية ، الانجليزية وغير الانجليزية ، من حيث وثوق محتوياتها ، الا ان هذه المزايا لم تتسن للموسوعة البريطانية بين عشية وضحاها .. فقد كانت حصيلة تطور طويل ، امتد وتراكم على مدى قرنين ونيف من السنين .

بدأت القصة سنة ١٧٦٨ حين اتفق ثلاثة من الشباب الاسكتلندي على اصدار الموسوعة البريطانية .. وكان أحد الثلاثة عامل طباعة ، والثاني عامل زنكوغراف ، والثالث مفكرا وكاتبا .. وقد تولى هذا الأخير وكان اسمه وليم شميلي وعمره ٢٨ سنة ، امر الكتابة للموسوعة .. فهو الذي كتب كافة محتوياتها متفردا آنذاك ... وكان ـ بلا ريب ـ عملا جبارا بالرغم من ان الموسوعة لم تكن أكثر من نشرة متواضعة في طبعتها الأولى تلك

فقد كانت عبارة عن كراس صغير يصدر بين حين وآخر ، ولا يتطرق الا لبعض المواضيع الفنية والعلمية ، فضلا عن المواضيع ذات الفائدة العملية . أي أن الموسوعة استبعدت في تلك المرحلة المواضيع التاريخية والسير وغير ذلك من مواضيع ...

ومن طريف ما يذكر عن تلك الطبعة انها لم تتحدث عن المرأة من قريب ولا من بعيد ، بل ان كل ما ذكرته عنها وعن بنات حواء جميعا هو « ان المرأة هي أنثى الرجل ..!! » ولكننا وجدت في الخيول ما يستوجب الحديث المفصل وملء الصفحات حتى بلغ عدد صفحات ما أوردته عن معالجة امراض الخيول ٣٩ صفحة ! وحرصت الموسوعة البريطانية في طبعتها الأولى تلك على احصاء انواع الحيوانات التي حملتها سفينة نوح ، فبلغت حسب تحقيقها وتدقيقها ١٧٧ نوعا !

ومرت الموسوعة البريطانية بعد ذلك بمراحل مختلفة .. فأضافت الى مواضيع الطبعة الأولى السير والمواضيع التاريخية والفهرس وذلك في طبعتها الثانية .. ثم شرعت في استكتاب الكتاب من خارج هيئة التحرير في الطبعة الثالثة . وراحت ملكيتها تنتقل من يد الى أخرى حتى انشئت شركتها المعروفة باسم « شركة الموسوعة البريطانية » في لندن ونيويورك سنة ١٩١٠ . ثم اشتراها الناشر المعروف (في امريكا) وليم كوكس سنة ١٩٢٣ .. وآل أمرها بعد ذلك الى شركة سيرز روبك الأمريكية سنة ١٩٢٨ .

وتجدر الاشارة هنا الى رئيس تلك الشركة ... الكان باول (Elkan Powell) . فقد أصبح رئيس مجلس الموسوعة ، ونجح في احداث تغييرات جذرية واسعة في تحريرها . ونجح ايضا في مضاعفة مبيعاتها .. وهو صاحب فضل في اصدار كتاب الموسوعة السنوي ابتداء من سنة ١٩٣٨ Britannica Year Book وهو المجلد الضخم (حوالي ١٠٠٠ صفحة) الذي يصدر عن الموسوعة سنويا حتى الآن ، والذي يسجل الأحداث الهامة وشتى التطورات العلمية والفنية والاجتماعية المستجدة .

وجاءت سنة ١٩٤٣ واذا بالموسوعة البريطانية تصبح ملك جامعة شيكاجو .. فتدخل بذلك عهدها الجديد الذي مازال قائما حتى الآن .. وتجدر الاشارة الى السناتور وليم بنتون ، نائب رئيس تلك الجامعة آنذاك .. فقد بلغ من حماسته للموسوعة ان بذل من الجهد ما ضاعف مبيعاتها ٥٠ ضعفا ..!

على أن أهم ما فعله بنتون هذا هو اجراء الدراسة المركزة للتغييرات الكبيرة التي احتاجتها الموسوعة آنذاك . . . وقد أجريت تلك الدراسة بالتعاون مع « مركز دراسة المؤسسات الديمقراطية » ، واستغرقت ٥ سنوات ، وكانت حصيلتها مشروع الموسوعة الثلاثية الذي وضعه الدكتور مورتيمر ادلر ، والذي احتضنه مجلس الموسوعة ، فكانت بريتانيكا ٣ التي بدأنا هذه الكلمة بالحديث عنها .

ومما يذكر ان عدد العاملين في هيئة تحرير الموسوعة البريطانية يبلغ حاليا نحو مائتين . . اما عدد الكتاب المستكتبين من خارج هيئة التحرير فيبلغ ٤٢٨٧ كاتبا ينتمون الى ١٣١ دولة .

بقي ان نذكر ان الموسوعات الثلاث التي تشملها (بريتانيكا٣) هي :

الموسوعة المفصلة واسمها ماكروبيديا (Macropaedia) ، وتقع في ١٩ مجلدا يزيد عدد صفحات الواحد منها على (١٠٠٠) صفحة . وتستهدف هذه الموسوعة استيفاء المواضيع التي تتناولها مقالاتها البالغ عددها ٤٢٠٧ مقالا والمرتبة ترتيبا أبجديا . . ولعل هذه المقالات هي كتب وكتيبات اكثر منها مقالات . . ولعل ما فيها من عمق ودقة وافاضة يجعلها المرجع الموثوق لمختلف الباحثين والمثقفين . . ان لم نقل للمختصين ايضا .

اما الموسوعة الموجزة (Micropaedia) فتشمل نبذا مختصرة او مجرد رؤوس اقلام لمواضيع الموسوعة المفصلة . . وتشمل ايضا فهرسا مستوفيا لمواضيع تلك الموسوعة . . وتشمل الموسوعة الموجزة كذلك نبذا لا وجود لها في الموسوعة المفصلة ، فمواضيعها محدودة ولا تحتمل الاسهاب . . لذلك كانت هذه النبذ وفقا على الموسوعة الموجزة ، وقد امكنها استيفاؤها في ٧٥٠ كلمة او اقل من ذلك . . وهذا هو أقصى الطول الذي تقف عنده نبذ الموسوعة الموجزة . وتقع الموسوعة الموجزة في ١٠ مجلدات بحوالي ١٠٠٠ صفحة لكل مجلد .

وأما الموسوعة الثالثة فليست سوى موسوعة فهارس ومراجع . . وتقع في مجلد واحد بنحو الف صفحة ايضا .



حول جائزة أوسكار

فاز فلم « غاندي » في شهر ابريل الماضي بثمان من جوائز أوسكار الاثنتين والعشرين . . شملت فيها شملت جائزة خير فلم لسنة ١٩٨٢ ، وجائزة خير ممثل ، وجائزة خير مخرج ، وجائزة خير كاتب ، الخ . . . وفوجئت الاوساط الفنية لحرمان أفلام أخرى من تلك الجوائز ، كفلم E.T الذي كان مرشحا من قبل الكثيرين للظفر ببعض الجوائز التي استأثر بها الفلم البريطاني . . . وفلم غاندي هذا طويل يستغرق عرضه ثلاث ساعات وخمس دقائق . . وقد مثل دور غاندي فيه الممثل الانكليزي بن كنجزلي Ben Kingsley وأخرجه المخرج الانكليزي ايضا ريتشارد أتنبورو Athenborough ويصور الفلم حياة الزعيم الهندي الراحل بكل ما تخللها من جهود مناهضة للاستعمار البريطاني ويصورها تصويرا أمينا الى حد كبير . وترى في الصورة المرافقة ممثل الفلم ومخرجه وترى أيضا تماثيل اوسكار الثمانية التي ظفر بها الفلم . أما الصورتان الأخريان فصورة الممثلة ميرل ستريب الفائزة بجائزة اوسكار لخير ممثلة على دورها في فلم غاندي . . وصورة سبيلبرغ مخرج فلم ET وفلم الفك المفترس

قبله .

وتماثيل اوسكار هذه صغيرة لا يزيد طول الواحد منها على ١٣,٥ بوصة .. ووزنه على ٨,٥ أرطال . وهو يمثل مخلوقا غريب الشكل يبدو وكأنه من مخلوقات الكواكب الاخرى . والغريب أن هذا التمثال الذي له أثر السحر ليس ذهبا ولكنه مطلي بالذهب . أي أن قيمته المادية متواضعة ... والأغرب من ذلك أن المغلف الكبير الذي يقدم الى الفائز مع التمثال لا يحتوي على مال .. وانما فقط على شهادة الفوز الصادرة عن الجهة التي تمنح جوائز أوسكار .. ووجه الغرابة هنا هو أن جائزة أوسكار بلا مردود مادي ، وتحظى مع ذلك بقدر كبير من الاهتمام والتقدير ، يفوق ما تحظى به نظيراتها ذات المكافآت المالية الكبيرة .. فجائزة بوليتزر **Pulitzer** مثلا أقدم عهدا من جائزة اوسكار وتعود على الفائزين بنصف مليون دولار .. ومع ذلك فانها أقل شهرة من جائزة أوسكار ، بل تكاد تكون مجهولة ... علما بأنها توزع سنويا وفي امريكا أيضا وتوزع على المبدعين في الصحافة والآداب والخدمات العامة .. لا عجب اذن أن شعر المرء بحب الاستطلاع ازاء جائزة اوسكار ... وحول الجهة التي تتولى اصدارها ...

اكاديمية الفنون والعلوم السينمائية هي الجهة المسئولة عن جائزة اوسكار . أسسها في هوليوود (٣٦) من كبار رجال صناعة السينما سنة ١٩٢٧ ... نذكر من هؤلاء على سبيل المثال نورما شيرر الممثلة القديرة الجميلة .. ودوجلاس فيربانكس الممثل المبدع في تلك الايام وأول رئيس للاكاديمية . أما هدفها فالعمل من أجل تقدم فنون السينما وعلومها والسعي الى تنشيط التعاون في سبيل التقدم الثقافي والتكنولوجي بأوسع معانيه .

وتضم الاكاديمية ١٢ فرعا .. يمثل كل منها جانبا من جوانب الفن السينمائي .. فأحد هذه الفروع خاص بالتمثيل .. وآخر خاص بالاخراج ، وهكذا .. ويأتي فوق هذه الفروع جميعا مجلس حكام الاكاديمية ، وهو مكون من ٣٦ حاكما أو عضوا .. بواقع ثلاثة أعضاء عن كل فرع ... وهذا المجلس هو الذي ينتخب موظفي الاكاديمية المسؤولين من بين صفوفه ..

وأعضاء الاكاديمية اما اعضاء عاملون ، وقد بلغ عددهم في مطلع هذه السنة ٣٩٥٣ عضوا .. أو اعضاء مؤازرون .. أو اعضاء بلا عضوية وهم الذين يمثلون انشطة اخرى غير التي تشملها الفروع الاثنا عشر ...

ولعل العمل الأهم ، ان لم نقل الوحيد ، الذي تمارسه الاكاديمية ، هو تخير اللائقين للفوز بجوائز أوسكار والاعداد لتوزيع تلك الجوائز عليهم في الاحتفال الكبير الذي يقام سنويا في مركز الموسيقا في لوس انجلوس بكاليفورنيا .. ولهذا الاحتفال رسم دخول ، كما يتوقع المرء في امريكا .. وايراداته هي بمثابة دخل الاكاديمية الرئيسي ، كما قد لا يتوقع أحد يعرف شيئا عن المكانة المرموقة التي تحتلها هذه الاكاديمية ، وعن غنى أعضائها ، وهم يضمون فيمن يضمون أصحاب الشركات السينمائية العملاقة ، كشركة ... ويضمون أيضا كبار الممثلين والمخرجين السينمائيين .. وغيرهم .

بقي أن نذكر أن هذه الأكاديمية حرصت منذ البدء ومازالت تحرص على أن تكون أحكامها وقراراتها نزيهة وموضوعية الى أبعد الحدود .. من هنا كانت الثقة الكبيرة التي تحظى بها تلك الأحكام والقرارات .. وكانت الثمرة الطيبة التي يجنيها الفائزون بجوائز أوسكار .. فهم يقفزون الى قمة الشهرة والتقدير بين عشية وضحاها ، فتعرض عليهم العقود السخية الجديدة صبيحة الاحتفال ، ان لم نقل اثناءه ..

أضف الى ذلك شعور الاكاديمية بأن لها رسالة تؤديها .. فهي ترجح كفة الافلام الجادة على كفة الافلام المسلية .. وأصدق دليل على ذلك حرمان فلم **E.T** من النتائج الباهرة التي ظفر بها فلم غاندي .. ثم أنها لا تتأثر كثيرا ولا قليلا بتكاليف الفلم أو بايراداته .. فقد تبلغ هذه أو تلك عشرات الملايين ولا تمنح جوائزها الا لفلم متواضع النفقات والعائدات .

وتجدر الاشارة الى افلام سابقة شهيرة فاقت فلم غاندي من حيث عدد الجوائز التي فازت بها .. ففلم بن حور فاز بـ (١١) جائزة وفلم (كل ما يذكر عن حواء) بـ (١٤) جائزة . وكانت انجريد برجمان وكاترين هيبورن في طليعة الفائزات بجائزة أوسكار لخير ممثلة .. وقد فازتا بها ثلاث مرات .. ولعل والت ديزني فاق الجميع من حيث عدد التماثيل التي ظفر بها على أفلامه القصيرة (ميكي ماوس) في الغالب ، وقد بلغ عددها ٣٠ تمثالا ..

ومما يذكر في هذا الصدد أن مارلون براندون منح جائزة اوسكار لخير ممثل في فلم **Godfather** سنة ١٩٧٣ ... ولكنه رفض الجائزة وارسل ممثلة هندية صغيرة تحدثت الى المحتفلين عن مآسي الهنود الحمر في أمريكا .. اما فانيسا ردجريف **Vanessa Redgrave** فقد قبلت جائزة خير ممثلة (مساندة) وقد منحتها على دورها في فلم جوليا سنة ١٩٧٨ .. ولكنها لم تقف عند التعبير عن مشاعر الشكر في الخطاب الذي القته بالمناسبة ، وانما مضت تعبر عن موقفها من الصهيونية وتعدد آثامها ومخاطرها .

ويظل اسم جريجوري بك ، الممثل المعروف ، هو الاسم اللامع المتألق في تاريخ الاكاديمية .. فقد احتل منصب رئيس مجلس الاكاديمية السابع عشر ، سنة ١٩٦٧ .. وركز على أنشطة الاكاديمية الثقافية وأنشأ المنح الدراسية التي راحوا يمنحونها للتخصص في شتى مجالات صناعة السينما الفنية والعلمية .

الفولسكاب

تعني الكلمة اصطلاحا طبقا من الورق بقياس ١٧ × ١٣ بوصة . اما معناها في اللغة فهو « قبعة الأبله » .. والطريف ان الكلمة أدت كلا المعنيين في آن معا حينما استعملت لاول مرة . كان ذلك في القرن السابع عشر وفي اعقاب الحرب الأهلية في بريطانيا .. حين ظهر نظام الكومونولث برئاسة اوليفر كرومويل ، ولما كانت صناعة الورق تحتاج الى ترخيص رسمي آنذاك ، أقدم كرومويل على ترخيصها وفق شعاره الذي شهر به الورق .. ولم يكن شعاره سوى قبعته .. او « قبعة الأبله » كما سماها بعض الانجليز ..



نهرو مع أسرته الصغيرة .. زوجته كامالا وابنته انديرا .

في بيت نهرو

استطلاع : منير نصيف

تصوير : علي حسين

« إذا أراد شعبي أن يذكرني ، فأنا أريد أن أسمعهم يقولون : « هذا رجل أحب الهند وأحب الشعب الهندي بكل مافي عقله وقلبه من حب ، والشعب بدوره بادله مشاعره فأعطاه من حبه بسخاء وبلا حساب » .

« جواهر لال نهرو »





▲ جانب من البيت الذى بناه الانجليز للقائد العام للقوات البريطانية فى الهند ، ثم أصبح مقرا لرئيس وزراء الهند بعد أن انتزعت حريتها .

▶ الشعلة التى لاتنطفىء ابدا فى حديقة بيت أول رئيس لوزراء الهند بعد الاستقلال . مضى عليها الآن تسعة عشر عاما منذ رحيل نهرو عام ١٩٦٤ .

كلمات محفورة على حجر بجوار شعلة لا تنطفىء ، في حديقة البيت الذي كان مقرا لأول رئيس وزراء للهند بعد الاستقلال . . ولكنه اليوم أصبح بيتا بلا أناس ، فقد ذهب الرجل الذي شغل البيت لمدة ستة عشر عاما . . . من عام ١٩٤٨ حتى ١٩٦٤ . . . ولم يبق فيه ومنه غير الذكرى . . . ذكرى نهرو العظيم باني الدولة الهندية الحديثة !

وقفت أمام « البيت الأبيض » الهندي أتأمله ، بعد غيبة طويلة امتدت لأكثر من ثلاثة وعشرين عاما . . . في عام ١٩٦٠ كنا نقف مع مئات الألوف الذين جاءوا لتحية نهرو وعبد الناصر ، أثناء زيارة رئيس مصر للهند ، وكنت بين أعضاء الوفد الصحفي الذي رافق ناصر في زيارته . يومها قال نهرو وهو يترك لضيفه مهمة رد تحية الجماهير : « الشرق هو الشرق يا سيدي الرئيس . . . ولن تستطيع بحار الدنيا أن تفصل بين أجزائه ! »

عودة الى الهند !

اليوم نعود الى نفس المكان ، وأقف أمام نفس البيت الذي عاش فيه نهرو ومعه وبصحبته ابنته الوحيدة « أنديرا » رئيسة وزراء الهند اليوم ، فكانت سكرتيرته ومدبرة بيته والمضيفة التي تستقبل زائريه وضيوفه !

وقفنا أمام البيت الكبير « تين مورتي » TEEN MURTI ، ومعناها بالهندية الاله ذو الرؤوس الثلاثة عند الهندوس ، وهو شعار الهند ، وهذا اسمه ، وأحسسنا أننا نقف أمام تاريخ أمة بأسرها ... ففي داخله وبين ردهاته تستطيع أن تقرأ الأحداث في الصور التي امتلأت بها جدران « تين مورتي » ... المكتبة التي كان يمضي فيها نهرو معظم وقته مع الكتب ... القاعة التي تحوي كل شيء عاش معه ، ثم بقي بعد رحيله ليروي قصته مع الأرض التي أحبها والشعب الذي أصبح فيها بعد واحدا من أبنائه .

فهو لم يأت الى هذا المجتمع الكبير المطحون من القاع ... وانما جاء من القمة ... فقد كان ابنا لأحد كبار المحامين الأثرياء .. وصنعت ثروة والده به ما يمكن أن تصنعه بأي شاب آخر لا يعوزه المال . فراح ينهل من العلم في نفس البلد الذي كان يستعبد بلاده ، وبين الناس الذين فرضوا من أنفسهم سادة على هذا الشعب الفقير الكادح ... بريطانيا والبريطانيين وصار محاميا مثل أبيه ..

« وعاش في القاع »

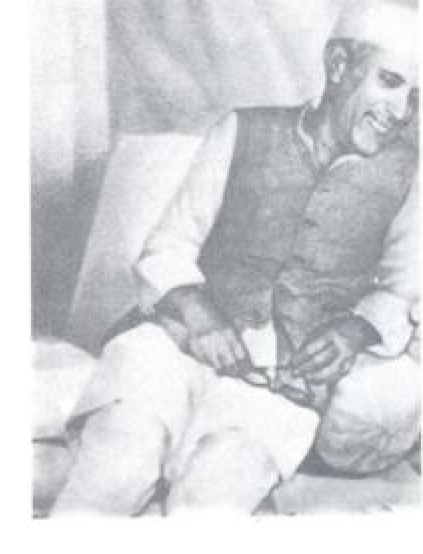
وعندما عاد الى بلاده أخيرا ، راح يهبط الدرج بسرعة ... ترك مكانه في القمة ليعيش في القاع وسط العاملين الكادحين .. ومن هنا بدأت قصة كفاح نهرو من أجل استقلال الهند عند قدمي غاندي « القديس » الذي عاش في العراء واستظل بالسماء ، وشرب لبن عنزته ، وأكل التمر ، وزهد في الدنيا ومتاعها ، وكان سلاحه الوحيد لتحرير الهند ، الاضراب عن الطعام ، ومقاومة العنف بلا عنف ، حتى عندما أطلقوا الرصاص على الملايين الذين تبعوه ، كانوا يسقطون قتلى دون أن تنطلق من جانبهم رصاصة واحدة ترد على القتل بالقتل ... الدفاع المشروع عن النفس أبى غاندي أن يكون سلاحه في كفاحه ... « دعوهم يقتلوننا ، لأنهم سوف يدركون في النهاية انهم لن يستطيعوا أن يبيدوا ثلاثمائة مليون رجل وامرأة وطفل ! (تعداد الهند قبل الأربعينات) .



غاندي ونهرو .. أو محرر الهند ومؤسس الهند الجديدة ،

نصب تذكاري

في « تين مورتي » البيت والمتحف والنصب التذكاري للرجل الذي كان تلميذا لغاندي العظيم ، رأينا بالصورة والكلمة اللحظات الأولى للهند الحرة ... حتى القائد العام للقوات البريطانية في شبه القارة الهندية ، الرجل الذي كان يسكن هذا البيت قبل نهرو ، وقد بناه الانجليز لقائدهم في عام ١٩٣٠ ... حتى هذا القائد تستطيع أن ترى صورته هناك وسط الأحداث ، وقد جلس على الأرض في نفس البقعة التي اختارها غاندي في ظلال الشجرة



وحديث عن الكفاح الطويل من أجل الحرية .

الوارفة بينما ظهر نهرو قريبا منها ، ولكن العنزة الصغيرة التي يتغذى المهاتما على لبنها ، كانت دائما أقرب ، فهي تطل برأسها بين الرجلين وتتبع صاحبها وهو يمشي في صورة أخرى ، وتنام عندما ينام في صورة ثالثة ... هكذا سار بنا التاريخ ونحن ننتقل من مكان الى مكان داخل البيت الذي أصبح مقرا لأول رئيس وزراء الهند بعد الاستقلال بعام واحد أو في عام ١٩٤٨ .

وبين لحظة وأخرى يجد المرء نفسه ، وبالرغم منه ، يتطلع من خلال النوافذ الى ما يدور حول البيت ... وعندها لا تملك الا أن تفعل ما يفعلون فترفع يديك الى المكان المواجه لصدرك تماما وتترك راحتيك تتعانقان ، تحية واكبارا لهذا الرجل الذي ذهب وبقيت ذكراه حية طوال هذه الأعوام منذ رحيله في عام ١٩٦٤ ... فهناك أمام البيت وحوله يحتشد المئات والألوف في المناسبات وحتى بغير مناسبة ... كل يوم تراهم يأتون الى بيت نهرو ... أناس من كل لون ومن كل مكان من الهند الواسعة الشاسعة ... رجال ونساء وأطفال ، البعض جاء مشيا على الاقدام قاطعين مئاتّ الأميال ، فالمشي عندهم وسيلة المواصلات الاولى ، لأنها لا تكلف غير الزاد والماء الذي يحمله « المسافر » على قدميه ...

والبعض يجيئون في سياراتهم الصغيرة أو الفارهة ... المهم انهم جميعا يصلون في النهاية الى نفس المكان ، وكأنهم جاءوا يتعبدون ..

دموع صامتة !

وتنظر إلى وجوههم وهم يمشون في ردهات البيت ويتوقفون عند الصور واللوحات والتماثيل التي تصور تلك الحقبة التاريخية من الزمن ، فترى هذا المزيج من الشعور بالحزن والفخر والاحترام ... وتسيل الدموع في صمت أحيانا فاذا شئت أن تبحث عن السبب ، وجدت عيونهم وقد تعلقت بصورة الرجل الذي شاركهم رحلة الكفاح والمجد ... وهي صورة كثيرة تمثله في مختلف مراحل حياته مع أبويه ... أو مع زوجته وابنتهما الوحيدة انديرا في طفولتها ، أو عندما كان طالبا في كلية « هارو بانجلترا » مدرسة أبناء الأثرياء ، أو وهو يدرس القانون في كامبريدج عندما اصطدم لأول مرة بحقائق الحياة التعسة التي يعيشها الشعب الهندي في ظل الاحتلال البريطاني ... صور عديدة للرجل الذي أكمل مسيرة أستاذه ومعلمه العظيم غاندي ..

ويتطوع احد العاملين في بيت نهرو ليرد على اسئلتك اذا كنت زائرا غريبا فأهل الهند يحفظون كل شيء عن تاريخ الرجل الذي أحبهم وفتح لهم أبواب بيته واستمع الى شكوى كل من له قضية .. في قاعة خاصة بالدور الارضي ، كان نهرو يستقبل الشعب .. البعض كان يأتي ليعرض شكواه على رئيس الوزراء شخصيا ، ولكن الأغلبية كانوا يأتون للقاء نهرو والاستماع الى حديثه ولو للحظات قصيرة !

مع عروسه كامالا

وغضى مع الزائرين لبيت نهرو .. أكثر ما

▲ نهرو مع ابنته وحفيديه ، فى البيت الذى اصبح الآن متحفا مليئا بالذكريات لقد مات أصغر حفيديه فى حادث سقوط طائرة منذ عامين .

▲ مكتب نهرو .. هنا كان يمضى معظم ساعات فراغه مع الكتب .

◀ فراش نهرو .. سرير بسيط يمكن أن تجده فى بيت أى مواطن عادى فى الهند

◀ حارس البيت الذى بقى فيه بعد رحيل صاحبه ، ورفض ان يتركه لأنه يريد ان يعيش مع الذكريات .

الصندوق الخشبى القديم الذى كان نهرو يضع فيه ملابسه فى غرفة نومه . ▼





يشدنا حتى الآن تلك الصور التي تحكي حياة الرجل الذي ما زالت الهند كلها تعيش في ذكراه .. بينها صورته مع عروسه « كامالا كول » .. تزوجها في اليوم الثامن من شهر فبراير عام ١٩١٦ بعد تخرجه من كامبريدج واشتغاله بالمحاماة ، وعودته الى نيودلهي .. في هذا العام أيضا كان لقاؤه الأول بغاندى في اجتماع حزب المؤتمر الهندي بمدينة لكناو . وكان لقاء تاريخيا ، طالما سعى اليه المحامي الشاب العائد من بريطانيا العظمى التي لم تكن الشمس تغرب أبدا عن امبراطوريتها !

واعجب غاندي بالشاب الصغير الذي ما زالت الهند كلها تذكر له تلك الكلمات التي قالها في خطابه التاريخي في اليوم الرابع عشر من شهر اغسطس عام ١٩٤٧ عشية انتزاع الهند لاستقلالها وحريتها « عندما تدق الساعة معلنة منتصف الليل ، وعندما ينام العالم ، سوف تصحو الهند ، صحوة الحياة والحرية . هناك لحظات تأتي ، وهي نادرة في التاريخ ، عندما نجد انفسنا نخطو من القديم الى الجديد ، عندما ينتهي عهد ، ويبدأ عهد جديد ، وعندما تجد الامة روحها تنطلق بعد قمع طويل » .

وفي ركن من البهو الفسيح الذي امتلأ بالصور التي تغطى جدران الحائط ، صورة كبيرة لنهرو وكامالا زوجته وابنته انديرا التي رزقا بها في العام التالي لزواجهما في ١٩ نوفمبر من عام ١٩١٧ بمدينة الله أباد ..

حتى نهاية الدنيا !

كان يحب زوجته ، وكان يجد في حديثها سحرا غريبا يشده اليها .. لم تكن كامالا إمرأة يمكن ان تضيع وسط زحام الحياة .. هل كان جمالها ؟ هل كان ذكاؤها ؟ لا أحد يدري ، ولكن الذي يعرفه ابناء الجيل الذي عاصر رئيس وزراء الهند الراحل مع زوجته ، يقولون ان نهرو كان



ناصر ونهرو وتيتو ابطال عدم الانحياز .

يقول انه يحب هذه المرأة التي تزوجها ، وانه سوف يحبها حتى نهاية الدنيا .. وقد جاءت هذه النهاية بعد عشرين عاما بالضبط من زواجهما بعد مرض طويل عانت منه كثيرا وهي تعيش بعيدة عنه .. هو في الهند مع ابنته وكفاحه .. وهي في الجانب الآخر من العالم .. في مدينة جنيف بسويسرا حيث نقلت الى احدى المستشفيات لعلاجها من داء الصدر الذي كان يأكل رئتيها ..

عودى ياكامالا

كتب اليها يوما يقول : « لم أعد اطيق الحياة بدونك ياكامالا .. ان كل شيء في بيتنا الصغير يذكرني بك .. المقعد الخالي القابع في حجرتك الذي كنت تجلسين عليه تتأملين من وراء النافذة قطرات الندى وهي تبلل اوراق الشجر تمثال بوذا الصغير الذي كنت تناجينه وتحدثينه عن آلام الهند وتضحياتها في سبيل الحرية والاستقلال . الأطفال الصغار الذين كنت تعدين لهم الفطائر والحلوى كلما جاءوا للعب مع ابنتنا انديرا ، وكأنك تبحثين عن أخت لها بينهم ! ان صورتك دائما أمامي وسوف تبقى في مخيلتي ابدا حتى لو ابتعدت عنها .. عودى الينا ياكامالا ! »

ولكن كامالا لم تعد ، فقد ماتت في سويسرا بهذا الداء ، وبقى نهرو وفيا لذكراها لأكثر من ثلاثين عاما .

دخلنا غرفة نوم رئيس وزراء الهند .. سرير خشبي بسيط يمكن أن يكون فراشا لأى فرد عادي من افراد الشعب .. وصندوق خشبي قديم كان يضع فيه ملابسه ، ثم صورة كبيرة لابنته انديرا ، وصورة أخرى لحفيديه اللذين قتل اصغرهما في حادث سقوط طائرة منذ بضع سنوات .. وصورا أخرى لوالديه ، وزوجته ، وأخيرا صورة كبيرة لغاندى ..

في هذه الغرفة ، وعلى هذا الفراش مات نهرو في اليوم السابع والعشرين من شهر مايو عام ١٩٦٤ إثر اصابته بشلل نصفي .

نهرو الانسان !

في غرفة مكتبه عرفنا نهرو الانسان الفيلسوف السياسي .. عرفناه من خلال الكتب التي ازدحمت بها الغرفة حتى غطت جدرانها .. وعرفناه من خلال الصور التي يحتفظ بها لشخصيات أثرت في حياته .. أما الكتب فكانت في التاريخ الحديث والقديم وفي الشعر والعلوم الطبيعية والانسانية والاقتصاد والادب .. لكتاب الغرب والشرق على السواء .. حدث مرة أن توقف مصعد البيت بين طابقيه واستغرق اصلاحه وقتا طويلا ، ولما علم نهرو بما حدث ، قال : « من أجل هذا كنت اقترح دائما ان تكون هناك مجموعة من الكتب في المصعد .. ليس في مصعد هذا البيت فقط ، بل في كل مصعد ! » .

وعلى مائدة صغيرة جانبية بجوار مكتبه صور أخرى لأسرته ، ولكنها اختلطت هنا بصور لشخصيات اختارها نهرو بعناية ، فقد كانت هناك صور غاندى وطاغور وأبو الكلام آزاد وابراهام لنكولن وجورج برنارد شو . ثم بعد ذلك لوحة كبيرة معلقة على الحائط رفي مواجهة المقعد الذي كان يجلس عليه وتمثل منظرا جبليا رائعا ، فقد كان يعشق الجبال !

يد لنكولن

وعلى المائدة ايضا يد من البرونز كتب عليها اليد اليمنى لابراهام لنكولن التي وقع بها وثيقة تحرير العبيد .. وقد اهداها له أحد زائريه الامريكيين . « إنها يد رائعة .. قوية ولكنها مع ذلك رقيقة .. إنني اتطلع اليها كل يوم واستمد منها قوة هائلة ! » هكذا كان تعليقه عليها بعد أيام من وضعها في هذا المكان من مكتبه !

قال زائر امريكي وكان يمشى معنا ويسألنا عن حياة الرجل الذي كان أحد الاقطاب الثلاثة لسياسة عدم الانحياز .. قال : « هذا هو البيت الذي عاش فيه نهرو رئيسا لوزراء الهند بعد استقلالها . فأين بيت غاندي محرر الهند الذي مات قبل أن يرى بلاده تنتزع حريتها ؟ »

ونقلنا السؤال الى مرافقنا ، وكان عجوزا جاوز السبعين . ويبدو أنه استاء لغباء الزائر الأمريكي ، فقد اجاب على الفور وبغيظ واضح : « إن الهند كلها بجبالها ووديانها كانت بيتا لغاندى ! »

ولكن أليست الهند ايضا كلها بيتا لنهرو ؟ ..

لقد كتب نهرو في وصيته الأخيرة .. وهي ليست وصية ، ولكنها شهادة على مدى الحب الذي كان يحمله في قلبه للهند .. كتب يقول : « أرجو ان تحملوا الجزء الاكبر من الرماد المتبقى من حرق جثماني في طائرة على ارتفاع كبير ، ثم تنثرون الرماد في الجو لكي يختلط بالحقول والمزارع التي يكدح فيها الفلاحون الهنود ويعرقون لأنني أريد أن يختلط رماد جثماني بتراب الهند ويصبح الرماد جزءا لا يمكن تمييزه عن بقية تراب الهند ! » ○



عمل وعسل في .. مملكة النحل

بقلم : عبد النبي الجحمي

○ تقول احدى الأساطير بأن عدد النحلات يتجاوز عدد نجوم السماء ! ! أما على الأرض ، فان الانسان حافظ ـ دائماً ـ على علاقاته الخاصة بالنحل . . . وان لم تكن تلك العلاقات تتجاوز اهتمامه بعسلها وشمعها .. وأحياناً لسعاتها . . .

حين يذوب محتوى ملعقة العسل الصغيرة على السنتنا ، فان بعضنا لا يدرك كمية العمل الفائقة للتصور التي تمثلها نقاط هذا الذهب الأشقر . فآلاف النحلات تعاونت فيما بينها ساعات طويلة وعديدة لنتنعم ونشفى به . ان كل نقطة من نقاطه ـ في الواقع ـ نتيجة كد مثابر وثمرة معرفة طويلة وهبها الله لهذه الكائنات ، يضرب لنا بها مثلاً ، لنتأمل . . . . ونفكر .

فالعسل في البداية ، مجرد سائل كدر يحتوي من (٧٠) الى (٨٠) بالمائة من مركباته على الماء ، وعلى الرحيق ـ ان حصلت النحلات مؤونتها من الزهور ـ وعلى مادة عسلية ـ ان حصلتها من الأشجار ـ ، ويتوجب القيام بعدة آلاف من الرحلات للحصول على لتر واحد من هذه العصارة ، التي تتركب قاعدتها من الماء السكري ، الذي يتوجب عليها تحويله الى عسل متماسك .

بمجرد ابتلاع النحلات للرحيق ، فانها تبدأ في اخضاعه لتأثيرات الانبخانة ـ وهي خميرة ذوابة لها خاصية تحويل بعض المواد ـ وذلك



لتحليله بتحويل السكرور الى غولوكوز وسكر ثمار . . لكنها ستتجشأ معظم المحصول لتضعه تحت تصرف عاملات المستعمرة بمجرد عودتها الى الخلية .

تبدأ مهمة النحلات العاملات بتصعيد الماء الزائد حتى تصل درجة تركيز السكر الى ثمانين بالمائة ، ولتفعل ذلك ، فانها تتجشأ عدة مرات ، ولمدة عشرين دقيقة تقريباً ، قطرات الرحيق ، تاركة لجو الخلية الساخن ولعملياتها المضمية مهمة تسريع زموهة [1] المحصول المتنقل من نخروب [2] لآخر ، في حين تقوم نحلات أخرى بتهوية الأقراص بضربات أجنحتها ، ولضمان تصعيد أكبر كمية ممكنة من الماء .

فالنحلة المحصلة عند عودتها الى الخلية قادرة

(١) الزموهة : ارتفاع درجة الحرارة .

(٢) نخروب : الثقب من الشمع الذي تمج فيه النحلة عسلها .

على اعلام رفيقاتها عن نوع الجني الذي اكتشفته وعن الوجهة التي يتوجب اتباعها طيراناً للعثور على الكنز ! !

وبعد تخلص النحلة المحصلة من حمولتها ، تبدأ في تنفيذ حركة فيما يشبه الحلقة على أقراص العسل ، فهي تشرع فجأة في الكردحة [٣] في دائرة ضيقة مع تغيير وجهة دورانها بصورة مستمرة ، راسمة ما يشبه أقواس الدائرة ، ومتجهة أحياناً ناحية اليمين ، وأحياناً أخرى ناحية اليسار .

ويتم تنفيذ هذه (الرقصات) بصورة طبيعية في ظلام الخلية المغلقة ، مما يعني أن بقية النحلات لا ترى (الراقصات) مطلقاً ، وان كانت تشعر باثارتها ، لأنها تبدأ في احتذاء منفذاتها . ويتم ذلك بفضل حاستي الاستشعار والشم القويتيندا عندها ـ تتركب حاسة شم النحلة من (٤٨٠٠) خلية موجودة في قرنيها . ولهذا فهي قادرة على شم ما لا تقدر على رؤيته .

ان الرقص ـ دوراناً ـ يعني ان المصدر الغذائي المتوجب استغلاله يقع على مسافة (تقل) عن مائة متر بعداً عن الخلية .

اما اذا تخلت النحلات المحصلة التي تقوم بالجني على مسافة (أبعد) من مائة متر عن الرقص دوراناً . فانها تقوم في هذه الحالة (بالجري) اهتزازاً ـ على خط مستقيم ، ثم ـ وعلى بعد معين ـ تبدأ في رسم نصف دائرة لتعود بعدها الى نقطة انطلاقها ، لتقوم بالجري من جديد على الخط المستقيم وبرسم نصف دائرة أخرى ، ولكن هذه المرة على الجانب الآخر من الخط (الوهمي) . وهكذا ، ولعدة دقائق ، ثم انها ـ وأثناء رقصها ـ تبدأ في بث دفعات اهتزازية لفترة قصيرة (جزء من الثانية) ـ وفي العادة فان هذه الدفعات تبدو للأذن البشرية فيما يشبه الطنين ـ والتي تعلم النحلات الأخرى ـ بالطبع عن طول المسافة المتوجب قطعها .

تمثل هاتان الرقصتان ـ اذن ـ تعبيرين مختلفين في (لغة) النحل . فواحدة تشير الى (قرب) المحصول والثانية الى (بعده) . ثم ان الرقصة تستطرد طولاً بقدر (بعد) المحصول عن الخلية وتصبح ـ أي الرقصة قياسية ، بحيث تتعاقب الدورات بايقاع أبطأ ، بالاضافة الى أن المسافة التي يتوجب على النحلة قطعها اتباعاً للخط المستقيم (الوهمي) تصبح أطول ولا تتوقف أثناءها بطن النحلة عن الاهتزاز ـ هذا ، وكما ذكرنا فان الرقصة تستمر فترة أطول لكنها تصبح ـ أيضاً ـ أكثر الحاحاً .

لا نشك في أن وجود أزهار الزيزفون ـ مثلاً ـ على بعد كيلومترين من الخلية ، لن يثير أيا من (اهتمامات) النحل ، ان لم تعرف مقدماً الاتجاه الذي يتوجب عليها اتباعه للعثور على غايتها . ولهذا فان الرقص المهتز يحمل في ذاته التوضيح لهذه الغاية ـ أي تحديد الاتجاه ـ .

تحدد النحلة اتجاهها بالقياس الى الشمس التي تؤدي دور البوصلة وهذه الظاهرة ، أي ظاهرة تحديد الاتجاه بالقياس الى الشمس ، معروفة عند كثير من الحيوانات .

ستون ألفا في الخليـــة !!

يتراوح طول عمر النحلة العاملة قياساً الى الموسم ، وأهمية كمية العسل المنتجة ، فالنحلة العاملة ، وفي قمة (موسم الحصاد) تعيش ما بين أربعة وخمسة أسابيع . . . أما اذا ولدت النحلة بعد انتهاء الموسم ، فانها ستعيش كامل الشتاء في الخلية بانتظار حلول الموسم الجديد ، مما يضمن لها عمراً أطول يمتد لعدة أشهر . . .

(٣) الكردحة : سرعة العدو .

فلا شك في أن موسم الجني يمثل أهم معالم النشاط الذي تبنى عليه أسس حياة المستعمرة . .

ولكن الارهاق وفخاخ الطبيعة القاتلة والجوارح من أعدائها الطبيعيين (الطيور وبعض الحشرات) . . كثيراً ما تتغلب على حبها للحياة .

لا تبدأ النحلة في الجني قبل حلول اليوم الواحد والعشرين من أيام حياتها وحتى نهاية عمرها . . لكنها وخلال الثلاثة أسابيع التي تسبق هذه (المهمة) ، لا تجلس دون عمل . . فهي لا تتوقف ومنذ اليوم الأول من عمرها عن تنفيذ المهام التي كلفتها بها الطبيعة . . من عاملة نظافة ، الى سيدة رفقة . الى متخصصة في التغذية ، الى مربية أطفال ، الى مهندسة ، ثم الى جندية . ـ ودون ذكر كامل مهماتها ـ . . . لأن كل نحلة قادرة ومهيأة في الواقع للقيام بكافة المهن التي تستلزمها حياة الخلية كتصنيع الشمع أو تهوية المكان . . الخ . . وحسب برنامج عمل دقيق ومرتب ومتعاقب .

فمنذ اليوم الأول من حياتها وحتى اليوم الثالث تقوم النحلات الصغيرا بتنظيف الخلية ، فهي تنظف النخاريب من الشرانق التي خرجت ـ هي ذاتها ـ منها ، حتى تتمكن الملكة من وضع بيضات جديدة بداخلها بالاضافة الى دورها في الاهتمام بالمحافظة على درجة حرارة ثابتة داخل الخلية ـ حوالي ٣٥ درجة ـ . . . وهذه الدرجة الحرارية هامة جداً ، لاعتبارها شرطاً حياتياً لنمو النحلات الصغيرة . فاذا ارتفعت درجة الحرارة ـ مثلاً ـ فان النحلات الصغيرة تقوم بضرب أجنحتها للتخلص من السخونة أو لتخليص النخاريب من الماء الفائض . . . . وعلى العكس ، فاذا انخفضت درجة الحرارة عن الحد المعقول ، فان النحلات تقوم في هذه الحالة بتحريك العضلات الصدرية ـ دون أن تضرب أجنحتها ـ لأنها قادرة بفضل هذه (الرياضة) على رفع درجة حرارتها الجسدية الى أربعين درجة مما يجعل من مجموعها مدفأة صغيرة يستلقي افرادها في صف متراص على النخاريب لتدفئة مكان الحضانة . . فاذا عرفنا ان عدد سكان الخلية يتراوح ما بين ثلاثين وستين الف نحلة عاملة . فبامكاننا ان نفهم بصورة أفضل مدى فعالية هذه المدفأة . . . !

واعتباراً من اليوم الثالث ، تبدأ في النمو قرب دماغ الحشرة غدتان للتغذية ، وبفضلها تبدأ النحلة العاملة في القيام بواجب المربية بتوزيعها للقاح الأزهار والعسل ، على النحلات الصغيرة . . ولا تتم تغذية اليسروعات إلا لمدة ستة أيام فقط ، لكن هذه الفترة القصيرة نسبياً تتطلب مجهوداً غير عادي . لأنه يستلزم القيام بها الف مرة في اليوم الواحد ! !

لليسروعات الصغيرة الحق في تذوق (الحثيرة الملكية) لمدة ثلاثة أيام فقط . وهذه العصارة الحليبية اللون وذات المميزات الغذائية الخارقة للعادة التي تتمكن النحلات من إفرازها بفضل غددها الحلقومية تتميز بخاصية هامة لأنها تسمح بنمو البذور (أو المبيض) عند الحشرات التي تتغذى بها لتعطي بالتالي (ملكة النحل) . أي النحلة الوحيدة في الخلية القادرة على الاباضة ، والوحيدة التي يحق لها تناول هذا المأكل الباذخ طوال حياتها .

تقوم النحلات المفرزة للشمع ، وكما في المصانع الكبيرة بالعمل تبعاً لنظام العمل المسلسل وذلك بنقل الكريات الشمعية الصغيرة تتابعاً وبقدر افرازه . . . . ويلزم في العادة حوالي مائة وعشرون نحلة عاملة لتشييد قرص عسلي واحد على الصفيحة الملساء التي يعلقها مربي النحل في الخلية . . . وبحيث تبدأ النحلات في تشييد نخاريبها على جانبي الصفيحة





٢



٥



(١) في اليوم الأول :

تقوم النحلات الصغيرة بتنظيف النخاريب من الشرانق التي خرجت ـ هي نفسها ـ منها حتى تتمكن الملكة من وضع بيضات جديدة بها .

(٢) في اليوم الثاني :

تبدأ النحلات في الاهتمام باليـرقـات

٣

(٣) من اليوم الثالث وحتى اليوم الثاني عشر :

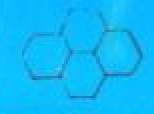
تقوم النحلات بدور المربية بتوزيعها للقاح الأزهـار والعسـل .



٦













(٤) من اليوم الثاني عشر وحتى اليوم الثامن عشر : تكون النحلة في هذه الفترة قادرة على فرز الشمع .

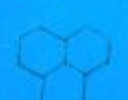
(٥) من اليوم الثامن عشر وحتى اليوم الواحد والعشرين :
تبدأ النحلة في الاتصال بالعالم الخارجي وذلك بقيامها بحراسة مدخل الخلية ومطاردة الدخلاء المحتلين .

(٦) اعتباراً من اليوم الواحد والعشرين من عمرها تبدأ النحلة الحارسة في تزويد الخلية بالمئونة اللازمة .

(٧) حين تبدأ النحلة في رسم ما يشبه الحلقة على أقراص العسل







بادئة البناء من أعلى الى أسفل .

أما أقراص العسل ذاتها فروعة هندسية لا شك فيها ، يتم بناؤها المتداخل بمعرفة غريزية مثيرة للعجب ، والأقراص - كما نعرف - سداسية الأضلاع تشكل ما يشبه الفسيفساء المتكاملة . بالاضافة الى انها تميل قليلاً الى الخلف لتحاشي انسكاب العسل اللزج ، أما سمك هذه الأقراص فيبلغ خمسة ملليمترات ونصف تقريباً .

هندسة الخلية

قد نتساءل عن سبب اختيار النحل للشكل السداسي في بناء أقراصه ، وعدم بنائه لها على شكل مربعات أو مثلثات . والسبب - قد يعود - الى فعالية التطبيق العملي عند هذه الحشرة العبقرية . فالشكل السداسي هو الشكل الهندسي الأصغر محيطاً في كافة الأشكال الهندسية ذات الزوايا . . . وبهذا فان الأقراص السداسية متساوية القدرة ، ولا يتطلب بناؤها كثيرا من الأدوات بالاضافة الى انها تناسب الشكل المكور لليـرقات التي تستعملها لفترة كمرقد مريح . . . وباختصار فان النحلة حشرة (عبقرية) بالفعل . فان النحلة العاملة في اليوم العشرين تصبح جندية ، تقوم بحراسة مدخل الخلية ، وذلك بتواجدها قرب فتحة الطيران لمراقبة الداخلين والخارجين . . . فكل مستعمرة نحلية تتميز برائحة خاصة بها تسمح لأفرادها بتحديد انتمائهم لها - أي أنّ هذه الرائحة تلعب دور البطاقة الشخصية ! ! - وبهذا فان النحلات القائمة بالحراسة قادرة على التعرف على أي دخيل من النحلات النهابة أو الزنابير . أما ، في حالة أن يتم أي تدخل فانها تعطى الانذار ، وتعلن حالة الطواريء العامة داخل الخلية .

حفـــل زفاف

لكل خلية نحل تركيبة اجتماعية منظمة ومطلقة ، ترتكز ملكة النحل المتعمة بكل الامتيازات على قمتها . . . وصحيح أنه يقع على عاتق الملكة ازدهار أو هلاك كامل المستعمرة . . فهي الأنثى الوحيدة المكتملة النمو (بطنها أطول وأكثر رشاقة من بقية النحلات (وهي الوحيدة القادرة على الاباضة (من ألف وخمسمائة الى ثلاثة آلاف بيضة يومياً) ، وهي اذن وبالتالي من يضمن استمرارية النوع ، ثم هي أخيراً الوحيدة القادرة على افراز هرمون الفيرومون **PHEROMONE** الذي يعطي - الرائحة المميزة لو كان مادة مغناطيسية شمسية وان كان يوقف نمو حقة بذورها (أو مبيضها) ليمنع بذلك ولادة ملكة جديدة . . . ان الفيرومون ، في الواقع ، مسئول تماماً عن العبودية الفسيولوجية لآلاف النحلات العاملات .

ورغم ذلك ، فان النحلات العاملات هي من تقرر اختيار البيضة الملكية ببناء قرص شمعي ذي هيئة خاصة ، وبحرمانها لبقية اليروعات من تناول الخثيرة الملكية وبتخصيص الحق في هذه الخثيرة للملكة .

وقد يكون في هذا علامة بارزة من علامات التناقض في مملكة النحل حيث يختار البسطاء الطاغية ويقومون بحمايته حتى النهاية . . . فموت الملكة يعني بكل بساطة تخلخل كامل في تركيبة الخلية وقيادتها الى الهلاك .

تستغرق عملية تحول اليسروع الى حشرة كاملة واحدا وعشرين يوماً . . في حين تكتفي الملكة بستة عشر يوماً فقط لتخرج من برجها الشمعي ولتصعد عرشها بعد قتل مجموعة

الدعيات القليلات من حولها . .

تعيش الملكة في العادة أربع سنوات - يفضل مربي النحل تغيير الملكة حين يبلغ عمرها سنتين لضمان سلالة نحلية جيدة في الخلية - وهي لا تقوم بالجني ولا تمتلك غددا مفرزة للشمع . فلا يتوجب ان يلهيها شيء عن واجبها الأول المتمثل في تجديد السلالة بعد زفافها الذي يتم طيرانا والذي سيجعل منها الملكة الأم .

أما فعل الزواج نفسه فقصير جداً ويتم على ارتفاع بضع مئات من الأمتار عن سطح الأرض ، حيث تنقض حفنة الذكور - حوالي مئتين - لمتابعتها . . ويتم الاخصاب عادة بفضل ستة ذكور - كحد أقصى - وكثيراً ما يحدث أن يتم الاخصاب ذكر واحد فقط . . وهو في العادة الذكر الأول الذي يتمكن من الوصول اليها . . ويحدث أحياناً - وهذا أمر نادر جداً - أن تخرج الملكة مرة ثانية لتجديد اخصابها . . .

ان الاخصاب الأوحد الذي ستتعرض له الملكة ، سيمكنها وللفترة المتبقية من حياتها من الاباضة وذلك حتى حلول أجلها .

وقد لاحظ العلماء أن الذكور تطير طيراناً ثابتاً - وكما لو كانت تتعلق في الهواء - حول إحدى الملكات حتى يتم اخصاب الملكة . لكن الاخصاب في حد ذاته يكلف الذكر القائم به حياته نفسها . . .

فأعضاؤه التناسلية تلتصق بالملكة ولدرجة انفصالها عن جسده ليسقط بعدها ميتاً . . . ، ولينتهي بهذا الحدث الحفل - بالنسبة للذكر المعني على الأقل - . . . بعدها تبدأ الملكات في العودة الى خلاياها لتصبح الاباضة هم حياتها اليومي . . .

أما الاباضة ذاتها فبطيئة الايقاع اثناء فصل الشتاء ، وتبلغ قمتها عند حلول فصل الربيع بحيث يبلغ معدلها بيضة واحدة كل أربع ثوان ، يتم توزيعها بطريقة معينة .

عند حلول موسم الربيع ، تنقسم خلية النحل الى قسمين ، يرحل كل قسم منها لبناء خلية جديدة باصطحاب الملكة القديمة التي تنعم بحرية محدودة جداً ، فهي محاطة بصورة مستمرة بحاشية تتكون من عشر الى اثنتى عشرة نحلة عاملة ، تقوم (بتلقيمها) الخثيرة الملكية . . . وفي الحقيقة فان الملكة لم تنعم بالحرية في حياتها الا مرة واحد ، وهي تلك التي تم فيها زفافها الجوي . . لأنها -ظل بعد ذلك - وحتى موتها - دون عمل أي شيء آخر سوى طاعة ارادة الطبيعة بالاباضة دون توقف .

المنشـــــقون

كل نشاطات النحل الحياتية مطبوعة بالجماعية في المجتمع النحلي الذي يؤدي ف فيه الذكور دور المنشقين عن مفاهيمه . . . وهم ليسوا (سيئي السمعة) دون سبب ! ! فهم كسالى الخلية ، وفي غاية الشره ، ولا يقومون أبداً بالجني - دون أن يكون الذنب - بالضرورة - ذنبهم ، فليس لهم الأعضاء اللازمة لذلك - وحتى تغذيتهم تتم بواسطة العاملات ولا مبرر لوجودهم الا لتلقيح الملكة . . . وان كان وجود أربعة آلاف - تقريباً - منهم في كل خلية لا يمنع ان يقوم واحد فقط من بينهم بأداء واجبه الطبيعي تجاه ملكة خليته . . .

واذا حدث وخرج أحد الذكور لتحريك أجنحته قليلاً في الهواء الطلق . فانه سيمنع عند عودته منعاً باتاً من دخول الخلية . . . . وسينتهي بالموت جوعاً لعدم قدرته على التغذي بنفسه . . ولن يختلف مصير بقية الذكور المتواجدين داخل الخلية عن مصيره . فالذكر يدفع ثمناً مرتفعاً . بل ومرتفعاً جداً لأبناء جنسه بعد اتمامه لقاح الملكة : حياته . . . وحياة الفين آخرين من رفاقه . ○



هكذا يرى الطفل العالم . إنه يجمع بين عناصر الطبيعة وبين البشر وما يصنعون ، كل هذا فى نسيج واحد متصل ، هو صورة واحدة . . وهما بعض مايعطيه التأمل التحليل الذى يتقنه الطفل وشعوره الذى لايخفى بالأمان والبهجة . . عالم منظم لاتستطيع أن تكره منه شيئا . اللوحة منفذة بورق الحائط على سطح خشبى قياس ٤٦ × ٦٠ سم

حوار.. مع الطفل

تجربة في عوالم الطفولة ومنهاج "التكوين"

بقلم : أحمد غانم

هذه تجربة ميدانية تمت تحت سماء الكويت السمحاء في الفترة من العام الدراسى ٧٢/ ٧٣ الى ٧٦/ ١٩٧٧ في مدرسة الفرزدق الابتدائية للبنين بمنطقة الفحاحيل ، ثم في العام الدراسي ٧٧/ ١٩٧٨م بمدرسة سالم الحسينان الابتدائية أتمت فصولها .

وكاتب هذه السطور - صاحب هذه التجربة - يعرضها متقصياً أصولها الرومانتيكية المتفلسفة ثم عارضا الأوجه البانورامية للمشكلة التربوية ثم يعرض المنهاج التربوي الذي أثمر هذا العطاء . ولعلها تجربة تثير انتباه القاريء الى أهمية موضوع « التربية بالفن » في صناعة الأجيال .



باستخدام « القطارة » المتمثلة بالوان الماء ، رسم طفل في الصف الأول : هذين الأخوين ، ولعل كلا منهما يشد عضد الثاني (٢٠ × ٢٠ سم)

عن التجربــــة

أريد أن أرى العالم
يا أطفال
من خلال عيونكم ؟
فهل تسمحون لي ؟

... بخشوع يمكنك أن تقترب . وبالمحبة والتواضع تنفتح أمام ناظريك أبواب من المعرفة . واذا ما كنت صاحب حلم وحلم وحلم [1] ، حينئذ يمكنك أن تلتقط النغمة المفقودة . الخيال قرين الخجل أو التواضع ، أيها شئت ، وقرين العبقرية أيضاً . الخيال الحق يستنطق آيات التحدي ، وحتى يقوم بدوره في اعادة صياغة الواقع ، بل في صنع المستقبل .. وعن الأطفال والخيال فحدث ولا حرج .

وهكذا ذهبت الى الأطفال باحثاً عن الثقافة البديلة ، بل الثقافة المفقودة . فهناك في فطرة الطفولة بذرة الحضارة المدفونة ، الحضارة الحقة ، تكون جمالاً بلا عدوان ، وقوة بلا استغلال ، ومعرفة بلا كراهية .

... وهناك بين جبال الطفولة (وأحلامها) تشعر انك حرّ . ويهتف بك الصوت : آه لو نستطيع أن نضبط التجربة ومن البذرة الأولى . لكن الأطفال الكبار ماذا صنعوا عبر التاريخ ؟ أليس الواقع الانساني ـ عبر العصور ـ استمرارية لدنيا الخيال ؟ آه لو نضبط هذا الخيال في بيضته . وهكذا عندما نغتاظ من دنيا الكبار وعالمهم ، من الفوضى والجهالة ، نرمي شباكنا في بحار الطفولة ، ونلجأ الى الخبرة الأولى .. والدهشة الأولى .. نصطاد اللآليء الغالية .

وكان العصر على حافة اكتشاف رسوم الأطفال ، وفي هذا السياق تم اكتشاف آخر للتربية ، ولم يعد ـ كما كان العهد في الحاضرات الخوالي ـ أن تقام التربية على روح الاملاء ، بل صارت التربية بحثاً عن روح الجمال والامتلاء . الوهج ، الكشف ، الطفل رائد مسيرته . ومكتشف ، وجواب آفاق .

وفي هذا السياق تجاوزت التربية عصر الصناعة الى « فن الحكمة » أو حكمة الفن . ولم تعد التربية صنعة بل صارت رسالة مهمة .

انه ليس مفرداً واحدا بل مفردات كثيرة . التحليل والارشاد والتصور بعض الوانها ، انها الفلسفة في الميدان . وصاحب كل ذروة ينشد أن يكون مربياً . التربية للجميع ـ التربية المستمرة .. نداء العصر ، وهاتف المستقبل ، ولم لا ؟ ألم يحملها الفن منذ عصور قديمة على كاهليه ؟ أليست مهمة الفن ـ منذ نشأ ـ أن يربي حين يسلي ، وأن يسلي حين يربي ؟ أليس هذا جوهر التربية الآن ؟ !

وكل الطفل فنان ، وليس في هذا ـ الآن ـ من شك . انه صاحب الفراسة المفطورة . الدهشة عيناه وأنامله ، والبهجة تصاحبه في اللعب ، منظم بالسليقة ، ومغامر بالطبيعة ، وحالم خجول كصاحب فكرة ، وفوضوي بالرغبة والتحدي .. أعماقه بعيدة .. وأحزانه عابرة .. هو وعينا الغائب ، ومستقبلنا الكامن .

وآن لنا أن نحسن اكتشافه .

يلجأ البالغ الكاتب عادة الى الورق ، ليكتب ، وحتى ينظم افكاره الشتيتة ، وهذه حيلة على بساطتها معقدة . لكن المهارة الفطرية تتقلص فينا آنيا . المعلومة حرف أو رقم ، وفن الحساب وتنظيم الأفكار ـ لغة العلم ـ محاولة لاجتياز التعقيد . فعالم الكبار ـ لأنه يصعب تنظيمه ـ يلجأ الى لغة العلم والمنطق . لكن الطفل ـ كل الطفل ـ يجترح هذه العوالم في خاطره بسرعة . انه يمتلك وسيلته الفطرية البارعة لتنظيم أفكاره ، لا أحد علمه كيف يمسك أداة ، وتراه يرسم باصبعه ويخطط بأي شيء ، وببساطة مدهشة يختزل السماء والأرض

---

(١) الحلم الأولى من الخيالات والرؤى والأحلام ، والحلم الثانية من الصبر والاناة ، والحلم الثالثة من العقل والأفهام ، والألباب وفي اللغة سر مقدس أيضاً ومعرفة مطمورة .



قال سعد الدين : هذا خادم يصب القهوة من « الدلة » لسيدته . الرسم بالقطارة المتلثة بلون بني (٢٥ × ٤٠سم)

والأشياء في رسومه . ان سذاجة الأطفال و « رسومهم » خادعة جداً . . الكبار لا يحسنون قراءتها . وهذه الرسوم تحوي وعيهم الكامل : خط الأفق . الرجال الثوابت . اشارات العالم بل حكمة الفراغ وحكمة الاختزال . وهم يصورون ويحللون ، ويعبرون ويزخرفون ، ويخططون ويلونون في قبضة يد واحدة ، فليس بين الفكرة والرسم أو بين اليد والذهن أدنى الحواجز . . انهم يمتلكون الطلاقة ببساطة مدهشة . وهكذا يعبر الأطفال عوالم الحلم حين يسقط الرجال في تلافيف الحساب . كان هذا حديث التجربة والشعر .

ولننتقل الى حديث الواقع . الى الصعيد الثاني .

المشكلـــــة

(١)

يكفيك أن تعبر الى جوار سور باهت قاحل ممتد ، وحتى تدرك أنك بجوار مدرسة عربية .

ولا شك بأن مشكلة المجتمع العربي الكبرى أنه بكوادره وأمواله وثوراته عبر القرنين التاسع عشر والعشرين ، لم يستطع ـ بعد ـ أن يؤسس مدرسته ، كسفينة تمخر بأجيال قادمة نحو التقدم ، كرأس حربة ثقافية وتنويرية . فالمدرسة العربية ـ كما تخبرها الأجيال ـ ما تزال انعكاساً تاماً لحالة المجتمع العربي (كالسينما والعمارة الخ .) ، لا منارة فيه . ولا شك أن تفصيل هذا يحتاج مقالاً مستقلاً ، غير أن كثيراً من الباحثين قد أولوه عناية وتوضيحاً . ولما كنت أقدم تجربة ميدانية ناجحة ، استطاعت أن تستغل العناصر والامكانات المتاحة ، وأن تحتال لهدفها الابتكاري ، متجاوزة النمطية القائمة ومفردات الواقع المهملة ، فان مهمتنا الأساسية هي تقديم البدائل الايجابية .

(٢)

انني أحاول أن أقدم خبرتي المتواضعة ، واكتشاف « التربية بالفن » كمحيط ومحتوى تربوي كامل ، ليس هذا فحسب بل انها تصلح مسطرة لتقويم وتنظيم العملية التربوية بكاملها . ولعل في هذا ما يثير انتباهكم .



رسم الطفل هذه الأشجار بالقطارة على مساحة ٥٠ × ٧٠ سم ، ثم أخذ بلون المساحات بين الخطوط بنهم يفجره الوعي بالفن الحديث .

فمن جانب أساسي فهي الأكثر تمثلا لقطبي الرحى في أية عملية تربوية سليمة . فالتربية النافعة بحق هي التي توائم ما بين « المعرفة » و « الخيال » . أي ما بين المعلومة أو الخبرة الثابتة أو الوسائل المنهجية ، وما بين استثارة الكوامن الداخلية للفرد نحو التجريب واستثارة الدافع الذاتي للابتكار والتجويد ، ونحو المشاركة الجماعية .

ومن جانب ثان فان التعلم والتربي « يفتقد الكثير من فاعليته اذا انحصر في مجرد التلقي والدرس . ان « المحتوى التربوي » يعتمد على فاعلية « التربية الصامتة » والمقصود بهذا هو خلق المدرسة كبيئة جمالية . وحينئذ فان التربية بالفن تستطيع أن تقدم الاجابات والمساهمات المثلى سواء في العمارة أو الأثاث أو الكتاب أو الملصق أو الحديقة المدرسية ، الخ . وان تحقيق هذه البيئة يقتضي جهداً جباراً وتنظيماً شاملاً ، وهو أمر لمّا يُولَ عناية مناسبة بعد ، ولا شك بأن قوة حضور الجمال يربي الذوق الجمالي والانساني ، ويدعم الرؤية النقدية والتنوع ، كما يعمق من فكرة الحرية والابتكار .

ومن جانب ثالث فان مادة التربية بالفن تبدو مرشحة كمادة تربوية مستغنية ذاتها بذاتها ، وأقرب الى مادة تربوية كاملة ، مادة واسعة بلاضفاف ، وقادرة بمفردها على معالجة جوانب سلبية كثيرة في المدرسة العربية ؛ فأقل ما تفعله هو خلق ذهنية ابتكارية مريدة ، ذهنية تعي ذاتها ، وتعي عالم التنوع من حولها .



على مساحة طبق ورق كامل (٧٠ × ١٠٠ سم) رسم مزاحم بالصف الأول
هذه السمكة الجبارة مستخدما أنابيب الجواش مباشرة .

ويكفي انها مادة الحوار الخلاق بين المدرس وتلميذه ، وهي تجمع بين الفكر والمواد ، وبين الفكرة والتطبيق ، وبين الحلم والتجسم ، وبين الطبيعة والانسان ، وبين الآلة والخيال ، وبين الخيال والواقع ، وبين العاطفة والهندسة ، وبين الصورة والكلمة ، وبين اللغة والوسائل .

.... وغير بعيد عن هذا ، ما أجملته العبارة الدقيقة المبدعة للرسام الكلاسيكي آنجر « الرسم .. كلية الفن المتوحدة » .

وهنا من الأهمية بمكان أن نشير الى أركان العملية التعليمية الأربعة المعاصرة : العقل - اليدوي - الجسماني - الوجداني .

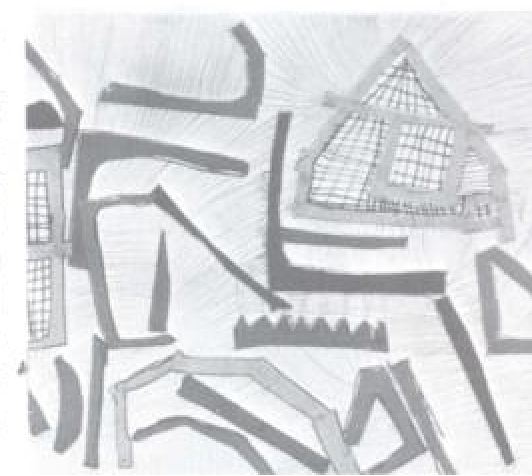
Head — Hand — Health — Heart.

وحيث تمسك مادة التربية الفنية بحظ وافر من هذه العناصر الأربعة .

وأهمية هذا الفاصل أنه يلفت النظر الى حل شامل أو أشبه ، الا أنه يحتاج خطة عمل جبارة تستنهض قرائح الأمة وامكاناتها ، والمشكلة هنا تبدو في الارادة العربية العامة والتي لم تكتشف أبعاد هذا المجال الحيوي . ان خبرتها وتجاربها نمطية أو أشبه ، وتكاد تقصيها بعيدة عن المدخل الصحيح الى الغرض التربوي .

(٣)

لنترك هذه العموميات وننظر في حال « مادة التربية الفنية » في عالمنا العربي على صعيد الفكر والعمل . ونحن بداءة لا نستطيع انكار الجهد



الطفل في صورة واحدة يفك الأشياء ويجمعها . انه صاحب فهم كامل للعبة الهدم والبناء والصورة مرسومة بخطوط من الورق الملون المصمغ ، وقد أضاف اليها الطفل خطوطا مختلفة اللون والسماكة بالأقلام الشمعية (٢٥ × ٤٠ سم)

العلمي والفني الكبير الذي بذلته - بحب واخلاص - أجيال أسست هذه المادة في بلادنا ، وجعلته رقماً في العملية التربوية . الا أن لسان حالنا دائماً : أن المزيد بالامكان .

واذا بدأنا من الميدان ومشكلاته ، فثمة جانبان مهمان يعبران عن وضعية المادة في مدارسنا :

فأولهما يعد تجاهلاً لألف باء تربية فنية ، وحيث يندر أن يستقل مدرس بمرسم ، وترى المرسم الواحد يتبادله مدرسان أو أكثر . والبدهي أن اعداد أي مرسم يتصل عضوياً بخبرة المدرس ومنهج عمله ووسائله . ومن يطلع على هذه المراسم كمن يطلع على أقصوصة قصيرة قد صاغها مؤلفون متضاربو الغايات . وبعد هذا فملاحظاتنا على تشكيل المراسم المدرسية ، سواء من ناحية الامكانات والتجهيزات الضرورية أو من ناحية اجتهادات المدرسين هي سلبية في جملتها . بل ونكاد أن تكون نقيضة للجمال ، كما أنها غير محققة لوظيفتها المثلى .

وثانيهما يتصل بحيرة الادارة المدرسية الشاملة في أمر التربية الفنية ، كما تعبر - هذه الحيرة - عن حاجة تلك الادارة الجوهرية الى « المادة » كمحيط مؤثر . فنرى أنه تلقى على أكتاف المدرسين - سواء بالضغط أو بالعشم - وبطريقة اقتحامية ، أعباء خارج المرسم ، يكون توقيتها أو مهامها عبئاً حقيقياً على الطفل والمنهج . وليس هنالك مدرس تربية فنية مخلص لطلابه وناجح في تدريسه الا بعد تجاوزه هذا المطب بكل ما يستطيعه من حيلة وديبلوماسية .

أما من ناحية الفكر والمنهج الشامل فلنا ملاحظات عدة :

(١) لا شك أن واحدة من ايجابيات الحضارة الغربية هو اكتشافها لرسوم الأطفال وقيمتها وأهميتها . والطبيعي أن نتلقى أصولها على أيديهم . وهكذا توجه الدارسون العرب الى هناك ، ونقلوا الينا خبرة المادة وأصولها . لكنهم اهتموا بالنقل الحرفي ، ولم يدركوا المغزى الجوهري في نشأة المادة في وسط حضاري آخر أو يهتموا بأسلوب البحث الميداني الواسع ، ولهذا فان « الأبحاث الميدانية » و « المراقبة الدقيقة » من داخل الميدان العربي هي قليلة نادرة .

(٢) يغلب على تراث التربية الفنية الغربي ، والمأخوذ به في شرقنا العربي روح الفلسفة التحليلية . ولقد خيل الى - من داخل الميدان التربوي - أن حاجتنا الى فلسفة تركيبية تصورية شاملة هي الحاجة المثلى . (كل ما يتلو هذه العبارة وحتى آخر المقال ، محاولة « طموحة » لشرح هذه العبارة - رغم ضيق المساحة -) :

ان الالتفاتة البشرية الأولى الى علم جديد هي « رؤية » بمنطق الفن . وحين تبرز « العلوم الجديدة » فانها تخط مسارها الفذ بقدرتها على التحليل والتشريح المنهجيين . وعندما تتكاثر مفردات هذا العلم في يدك فانه يحتاج الى ضبطه برؤية أخرى هي « منطق الفلسفة » وان اكتشاف فلسفة تركيبية تصورية لا بد وأن يعطى علاجاً

سلوكياً وعملياً واسعاً . واذا نجحنا في هذا ـ خاصة في علم ميداني ـ فان حجم الهدر وكذا السلبيات العديدة سيتضاءل الى أبعد حد . واننا بهذا نبحث عن الجرعة المركزة المطلوبة .

(٣) وتبدو لي مادة التربية الفنية على النمط الغربي أشبه بوحدة البيت في القصيدة العربية القديمة ، متعة كاملة خالصة ، لعب بناء ، وهدف مستمر في ذاته ، أما المجتمع الغربي ـ التام الصنع ـ فانه يشكل ترددات النغم في قصيدة الحضارة المتكاملة .

ولهذا فقد اعتمد الغرب « المدرس المثقف » كمؤلف وحيد لدروسه ، درساً درساً ومنهاجاً كاملاً . وترك في يده « مساطر » ونظريات متعددة في السلوك الفني ، وهي نظريات ترصد مناحي مختلفة في العملية الابداعية . فمنها ما يقدم حدود الممكن ، بالوصف التشريحي الدقيق لرسوم الأطفال حسب أعمارهم وأطوارهم (نظرية مراحل النمو لواضعها د. لونفيلد) ، ومنها ما يقدم كشافاً لفهم السلوك الفني وترابطه مع الشخصية الانسانية ، وخاصة نظرية « الفروق الفردية » في علم النفس العام (نظرية المجال المستقل والمجال غير المستقبل لـ د. جود آنف) ومنها ما يقدم لطبيعة الادراك البصري للموجودات (النظرية الادراكية لآرنهايم) . . . وهكذا .

كما قدم الغرب تحليلاً للعناصر التشكيلية الأساسية (كالخط ـ اللون المساحة ـ الكتلة ـ الخ) وكأنه قدم الأوزان والتفاعيل الأساسية التي تنسج القصيدة على منوالها ، وجعلها موضع تدبر المدرس وطلابه .

كما قدم الغرب الخطوات العملية للدرس ، وكأنه أعطى لنا كيفية تكوين جملة مفيدة .

. . . ولا شك أن كل هذا مفيد وأساسي .

لكن المشكلة تختلف في الميدان العربي ، وخاصة حاجته الى عملية بنائية مركزة ومحسوبة في الجزء والكل . فالمدرس تحكمه خبراته التشكيلية والثقافية الخاصة ، وفي هذا أذكر بياناً أصدرته



« ضد التدخين » حفر باسل هذا الشخص المدخن على سطح زجاجي مغطى بزيت الطباعة الأزرق ، ثم طبع منها عدة نسخ (٣٠ × ٤٥ سم)

منظمة اليونسكو عن المتعلمين في العالم الثالث ، وقالت انهم عبء على التنمية في بلادهم وبأكثر مما يشكل الأمي ، ذلك بأنهم توقفوا عن التحصيل والتعلم بعد تخرجهم ولا شك أن « البيان ـ النذير » لم يتعرض الى الأسباب الاستلابية الكثيرة التي يقعْ صريعها « المتخرج » في العالم الثالث . ولقد أمكن لي أن أتلمس الآثار السلبية والتي يتعرض لها التلميذ العربي من جراء التكرار ، عاماً بعد عام ، وما يدرس له من دروس التربية الفنية . بحيث يصل المدرسة الثانوية ، وبعد دروس ثمانية أعوام متواصلة متراكمة وقد تعمق في وجدانه أن مادة التربية الفنية مادة سهلة ومكررة بل مادة لهو وتسلية غير نافعة !

واذا سألته : ما هو الفن ، أو ما هو الفن التشكيلي ؟

حار جواباً ، بل قدم خليطاً مشوهاً لا ترابط فيه . ويشعر المرء حينئذ بأن شيئاً ما خطأ ، وبأن المادة قد فقدت وظيفتها ، وأن متوالية الفوضى والتخلف تحصد النتائج . وكأنما كان المدرسون وطلابهم يحرثون في الماء .

لوحة من ورق الحائط لطفل ثرى صبور أمضى فيها عدة أشهر متواصلة من العمل (٨٥ × ٦٥ سم)



يزخرف الطفل زخارف ورق الحائط ، ويبنى بهذه الزخارف الغنائية عالمه البديع (٤٠ × ٤٥ سم)



« الحسناء والقطة » على هذه المساحة الصعبة والمميزة نسبيا (١١٠ × ٣٥ سم) شكل الطفل من أوراق الحائط

واذا سألت : ماذا دُرس للطالب من قضايا الفنون التشكيلية فانك لن تجد هذا جواباً أو تحديداً ، بل الأدهى أنك ستسمع كلاماً عمومياً عن دور الفن وأهمية التربية بالسلوك الفني ! ولا اعتقد أن السبب في هذا المشكل ـ يعود فقط الى ما يتعرض له طفلنا من رؤى متناقضة (أو مكررة) لمجموعات من المدرسين مختلفي المشارب ، تمارس « فتوتها التأليفية » على طفلنا ، بل يعود الى تبنينا الكامل لمنهج الغرب في تدريس الفن .

وأعتقد بأن الوضعية العربية (الطفل والمدرسة والمجتمع) تدفع الى ضرورة البحث الجدي عن بديل لمفهوم تدريس الفن في نطاق المتعة واللعب ، بحيث يصبحان وسيلة لا هدفاً ، أو اطاراً لمضمون محتشد .

وحينئذ يمكن التفكير في « برمجة » قدرات المدرس . . . ماذا يستطيع أن يقدم ؟ ولأي عمر ؟ . . وبأي منهج محدد ؟

ولا شك بأن هذا طموح آخر كبير . يرسي ـ في تدريس الفن ـ فلسفة تركيبية ، تقوم على التصور الشامل ، تكتشف مناهج لكل صف دراسي ذات وظائف محددة ، وتؤدي الى تصاعد تراكمي في المعرفة التشكيلية . وحتى يصير الطالب في النهاية لا مستمتعاً بالفن ومتذوقاً فحسب ، بل كائنامؤهلا الى أن يكون واحداً من بناة الحضارات .

منهاج التكوين

في البدء كان الطموح . وعادة ما يبدو في عبارة بسيطة : كيف يمكنني أن أنقل الى طفلي ـ بمنهاج أكاديمي ـ خلاصة معرفتي وخبرتي الجمالية والتشكيلية ، في عام واحد ؟ !

ليعوض الطفل نسبياً عن الوظائف التربوية والاجتماعية المعطلة

ويتكـون « منهـاج التكـوين » من بنـاء هندسي ، من ثلاث مراحل :

- قاعدة وأشبه بالجذور .
- ثم ساق مديدة .
- ثم أزهار وثمار كثيفة .

فأوله وقت للغرس العميق والبذر المتنوع .

ووسطه وقت للتشييـد الهندسي المنظم ، المتصاعد .

وآخره سمفونية من المبادرات الفـردية والجماعية الحية (والمبرمجة سالفاً) .

انه يتكون من ثلاث دوائر متتالية متشابكة :

الدائرة الأولى (القاعدة)

يعمد المدرس الى إيصال طفله ، بحالة الفن ، كل الفن . وذلك من خلال قرابة العشرة الأولى من الدروس ، والتي وضعت خصيصاً لمواجهة أوجه القصور الثقافي والجمالي في البنية التعليمية العربية .

وان كـانت ـ هذه الـدروس ـ قـد وضعت مستلهمة لغة الفن التشكيلي ، الا أنها لا تهدف ولا تعمد الى نتاج تشكيلي ـ بل تهدف الى تكوين عقلية جمالية متبصرة ونـاقدة ، والى اثـارة شتى الدوافع والخبرات لدى الطفل .

انها تكاد تكون شرحاً منظماً للعبارة الملهمة « الرسم : كلية الفن المتوحدة » . انها تعلم الطفل أن خياله عمل شرعي ، وأنه قابل للنماء ، وأنه جوهر البناء . ثم كيف يرى ، وما هو التأمل الجمالي ، وكيف يمارسه . ثم كيف يمارس حقه في نقد مرسمه وفصله ومدرسته جمالياً . ، وكيف يتخيل الأفضل . كما تعلمه الاصغاء الى الموسيقى والى تنوع الصوت ، بل كيف يوائم بين الخبرتين السمعية والبصرية ، وتعلمه كيف يرسم الموسيقى كما تساعده على تكوين مخزون بصري كثيف راق . وبأشبه « بالصدمات البصرية » تعرض له في صمت عشرات من الصور ذات الرؤي النقيضة .

هـذه الدروس مهمتها أن تفتح أمام أعين الطفل ووعيه ، الف باب ونافذة ، وهي تعرض ولا تفرض ، وتوجه ولا تحتم ، وتدع الطفل مستثارا أمام واقعه وخياله ، وتجعله متنمرا للمشاركة التشكيلية ، نحو الانتقاء والفعالية ، انها تكون « طاقة جمالية » داخل الطفل .

إن مرحلة التأهب للعمل الفني هنا ، ليست جزءا من درس واحد ، بل هي « اولية معقدة » تستغرق عشرة دروس كاملة [٢]

ولا يمكن في هذه العجالة شرح الدائرتين الثانية (البناء) والثالثة (الحصاد) الا باختصار شديد ، فدائرة البناء هي دائرة الخبرات المقننة والتي تدرس العناصر التشكيلية للطفل في منطق هندسي رياضي تـركيبي وتحليلي يبدأ « بالخط » [٣] ثم يثنى بالمساحة ثم يثلث باللون أو بالكتلة ، ويبدأ بالخامات الأيسر ، الا أنه يبدأ من العقلي والتحليل القائم على التأمل والحساب وينتهي الى العملي .

والملاحظ أنه في نهاية دروس العنصر التشكيلي الأول (الخط) يتدافع الأطفال بتشنّ وحضـور ذاتي نحو العمـل بحرية وجرأة مباشرة ، وكأنهم يريدون من معلمهم أن يكف عنهم الضغط « بالضبط والربط » التعليميَّين ولسان حالهم يقول : لقد فهمنا الكثير ولعله يكفي ، ولعلك تسمح لنا بالمبادرة .

وهذا ما يحدث بالضبط في الدائرة الثالثة من « منهاج التكوين » وحيث يصير الطفل « منيرا بذاته » ويعرف جيداً كيف يتحسس طريقه . ان

---

(٢) كل درس واحد مسجل في دفاتري بمتوسط ما بين ١٠ : ١٥ صفحة ، بحيث توضح بدقة خطوات العمل واسلوبه وغايته وتشرح للمتخصص بدقة لماذا جاء على هذا النحو ؟ وفي هذا السياق .

(٣) الخط واحد من أعظم العناصر التشكيلية عبر الحضارات وقابليته شديدة للحساب والادراك .

هوامش حية

■ « الطفل أب للرجل »

من قصيدة « من تأملات في الطفولة الأولى »
للشاعر الرومانتيكي وردث ورث

■ « اننا لا نعرف الطفولة »

صيحة لفيلسوف الطبيعة جان جاك روسو أحد فلاسفة الثورة الفرنسية ، وقد افتتح روسو بمساهماته الفلسفية والروائية « عصر الالهام » في التربية وسمي بحق « نصير الأطفال » .

■ العبقرية هي العودة الارادية الى الطفولة .
من أقوال بودلير .

■ لقد حررت الطفل . .
كانوا يبهرون من قبلي على تخطيطاتهم ورسومهم ، لقد أنقذتهم من هذه المعاملة الظالمة ، وقلت لهم :
ان ما تعملونه هو الصواب . لقد أعطيت الانسانية شيئاً كان الى أن قدمت موضع الامتهان » .
فرانز تشزك مكتشف رسوم الأطفال .

■ « لقد قضيت خمسين عاماً من عمري لكي أرسم مثلهم » .
بيكاسو عندما شاهد معرضاً لرسوم الأطفال .

■ « إن التربية هي المدخل الى العدالة » .
من أقوال الفيلسوف اليوناني افلاطون

■ إن الفن ليصنع الناس ، بأكثر مما يصنع الناس الفن » .
مثل لاتيني قديم

■ حيثما كان الأطفال ، كان العصر الذهبي » .
الشاعر الألماني نوفاليس

المدرس يعيد تشكيل مناضد المرسم وخاماته ، وحتى تشكل مجموعات منفصلة ، وكل مجموعة من التلاميذ تستقل بخبرة تشكيلية معقدة تجد لديها الميل والرغبة الأعمق لها ، ويجد المدرس لديها القدرة الأكفأ عليها .

إن المعلم هنا هو قائد هذا الأوركسترا وهو المراقب الحكيم والذي لا يتدخل الا لضرورة . ولا شك ان أركان الاستديو تتشكل للعمل بالخامات الأصعب أو الأحجام الأكبر أو الأساليب الفنية الأكثر جرأة ، ويكون الطفل مؤهلاً بل ناضجاً لهذا التحول .

وبهذا يتحول جو العمل في المرسم كاستديو الى جامعة تشكيلية مصغرة ونرى من التلاميذ من يستطيع التصميم للأعمال المجسمة ، ومنهم المنفذ الجبار الجسور ، ومنهم الكائن الحساس الخيالي ، ومنهم الحفار ، ومنهم النحات . . . الخ الخ .

وهكذا تتفرع من الشجرة أغصانها وتبرز أزهارها في كل اتجاه نحو تلمس الآفاق .

● ● ●

ويمكننا في هذا الفاصل الأخير أن نوجه الالتفاف الى تلك القدرة المدهشة عند الأطفال ـ وهم فنانون مفطورون ـ على صياغة أعمال فنية عالية القيمة جمالياً وذهنياً . ليس هذا فحسب بل ان « أمخاخهم الغضة الصغيرة » قادرة على التشبع بأساليب تكنيكية صعبة ، المهم هو كيف لا تفقدهم حماسهم حين تقدم لهم الصنعة . وفي حصاد « منهاج التكوين » نحصل على عشرات الأعمال الفنية التي تستطيع مواجهة الظروف الجوية لسنوات طويلة كما تتواءم مع أي سعة في المكان . وقد يدفع هذا الى جعل المدرسة « قلعة أو متحفاً » جمالياً ، وفيما لا يزيد على عشر سنوات من تطبيق مثل هذا المنهاج ، وبهذا تتحول المدرسة الى بيئة جمالية شارك الأطفال فعلياً في صياغتها . وربما يقذف بنا القول (أو الخيال) بأن الفن بمعناه الذاتي في القرنين التاسع عشر والعشرين ، قد يصير واحدة من وظائف الأطفال في حضارة ما قادمة ، يتفرغ فيها جهد « الفنانين » الكبار الى عمليات التصميم والبناء ، أو الوظائف الأكثر حداثة والأشد تعقيداً في عالم يقترب من « الموجة الثالثة » أو مرحلة ما بعد الصناعة . ○

ألف ليلة وليلة في بلاد الفرنجه

بقلم : عباس خضر

في ندوة بالتلفاز المصري تحدث المتحدثون من السينمائيين عن الأفلام التي ظهرت بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ مصورة لهذه الحرب ، فقال المخرج الكبير صلاح أبو سيف ان هذه الأفلام اقتصرت على ابراز بطولاتنا ولم يظهر فيها العدو بشكل يعطى فكرة عمن نحاربهم وعن قوتهم ، وهذا هو الوجه الثاني الذي كان يجب أن تعنى تلك الأفلام بابرازه .

أثار ذلك انتباهي الى ناحية مهمة في قصصنا الشعبي العربي ، وهي تصوير العدو المواجه من حيث قوته التي يتصدى لها الأبطال العرب ويتغلبون عليها . والواقع أن تصوير الجبهة الأخرى بما فيها من هيل وهيلمان ، ثم انتصار الجبهة التي نود انتصارها ، يعد أبرع تصوير لشجاعة الأبطال المحبوبين ، اذ استطاعوا أن يقهروا ما لا يظن أنه سيقهر .

ووقف انتباهي عندما صنعت في حكاية « مريم الزنارية » التي عرضتها من قبل ، اذ اضطررت الى اختصار الحكاية محافظة على الحيز المتاح ، وجاء الاختصار على حساب « بلاد الفرنجة » وما جرى فيها من صراع بين الفرنجه وبين علي نور الدين وحبيبته « مريم » التي هي في الأصل بنت ملك الفرنجة وأسرها المسلمون المجاهدون ، وأسلمت وحسن اسلامها ، وانتهى بها المطاف الى مدينة الاسكندرية ، حيث اشتراها الشاب المصري علي نور الدين ، وأحبها ، وأحبته . ثم جاء وزير ملك الفرنجة ساعيا وراء بنت الملك لاسترجاعها ، وعمل بالحيلة حتى استطاع أن يعيدها الى أبيها الملك .

ومن هنا تبدأ المغامرات : مغامرات علي نور الدين ومريم الزنارية في بلاد الفرنجة للهرب من هناك والعودة الى هنا .



سافر علي نور الدين الى بلاد الفرنجة ، والتقى هناك بحبيبته .

والآن أريد أن أجبر النقص وأحاول أن أعرض « الوجه الثاني » للحكاية .

وقع علي نور الدين في أيدي الفرنجة وملكهم ، وأمر الملك بقتله ، وأنقذته من القتل راهبة عجوز طلبته من الملك خادما في الكنيسة ، وفي الكنيسة التقى المحبان حيث جاءت مريم لزيارة الكنيسة .

قالت له فيما قالت :

ـ هل سرت يا علي في هذه المدينة وعرفت طرقها وأسواقها وأبوابها ؟

ـ نعم . فعلت .

ـ مادمت تعرف ذلك فاسمع ما أقول لك : في الليلة القادمة اذا مضى الثلث الأول من الليل اذهب الى صندوق النذر وخذ منه ما تشتهي وافتح باب الكنيسة القريب من البحر واقصد الى الشاطىء فانك ستجد سفينة صغيرة فيها عشرة رجال ، فمتى رآك « الريس » يمد يده اليك فناوله يدك واطلع الى السفينة واقعد هناك حتى أجيء اليك ، والحذر ثم الحذر من النوم في هذه الليلة .

طلع النهار وانفتح باب الكنيسة ، ودخل الناس فيها ، ولم يزل نور الدين يقوم بعمله حتى أقبل الليل ، فقام وفتح صندوق النذور واخذ منه ما خف حمله وغلا ثمنه من الجواهر . ثم صبر الى أن مضى من الليل ثلثه فقام ومشى الى الباب الموصل الى البحر وفتحه وخرج ، واتجه الى الشاطىء فوجد السفينة ووجد الريس شيخا كبيرا ظريفا طويل اللحية ، وصعد الى السفينة ، وقال الشيخ :

ـ هيا أقلعوا مرساة السفينة قبل أن يطلع النهار .

مصرع البحارة

فقال واحد من العشرة البحارة :

ـ يا سيدي الريس كيف نقلع ونسير والملك أخبرنا أنه في غد يركب في هذا البحر ويراقب ما فيه ، لأنه خائف على ابنته مريم من سراق المسلمين ؟

فصاح الريس :

ـ هل بلغ الأمر بكم أن تخالفوني ؟ .

وسل سيفه من غمده وضرب عنق المتكلم فقال له آخر :

ـ ماذا فعل صاحبنا حتى تضرب عنقه ؟

فمد يده الى السيف وألحق هذا بذاك . ولم يزل يضرب واحداً بعد واحد حتى أتى على العشرة ، ثم التفت الى نور الدين وصاح به صيحة عظيمة أرعبته :

ـ انزل أنت فاخلع الوتد .

واقلعت السفينة والشيخ يصدر الأوامر لنور الدين ، وهذا ينفذ ما يؤمر به ، وسارت السفينة في البحر وهو خائف لا يدري الى أية جهة تتجه . واستغرق في أفكاره ووساوسه ، حتى رأى الشيخ ينزع لحيته ، فاذا هو مريم . . فتعجب من فعلها وشجاعتها .

كانت السيدة مريم قوية القلب وتعرف أحوال سير المركب في البحر وجميع الطرق . قال لها نور الدين :

ـ والله لو طال على هذا الأمر قبل أن أعرف حقيقتك لمت من شدة الخوف ، مع ما أعانيه من الوجد والشوق . .

وأطلعته على ما أتت به من الجواهر والذخائر الغالية التي جاءت بها من قصر أبيها . فلما أشرفا على الاسكندرية قال لها :

ـ اقعدى في السفينة حتى أطلع بك الى الاسكندرية مثل ما أحب وأشتهى .

وربط السفينة في حجر كبير وتوجه الى بيت العطار صديق أبيه واستعار لها من زوجته نقابا وحبره وخفا وازارا مما تلبسه نساء الاسكندرية ، ولم يعلم بما هو مخبوء من تصرفات الدهر . . .

أما ما كان من أمر أبي مريم ملك الفرنجة فانه لما أصبح الصباح تفقد ابنته مريم فلم يجدها ، فسأل عنها الجواري والخدم ، فقالوا له :
ـ يا مولانا انها خرجت بالليل وذهبت الى الكنيسة ، وبعد ذلك لم نعرف لها خبرا .
وسمع الملك صرخة عظيمة ، فسأل عن الخبر ، فقالوا :
ـ لقد وجد عشرة رجال مقتولين على ساحل البحر وسفينة الملك قد فقدت ، وشوهد باب الكنيسة المطل على البحر مفتوحا ، والأسير المسلم قد هرب .
دعا الملك ريس الميناء وقال له :
ـ وحق المسيح ان لم تلحق بسفينتي وتعيدها الي بمن فيها لأقتلنك .
وطلب راهبة الدير وقال لها :
ـ ألم تسمعوا من الأسير الهارب ما يدل على بلده ؟
ـ كان يقول انه من الاسكندرية .

الوزير الأعور

أعد الريس عدته للرحيل الى الاسكندرية وعلى السفينة رجال أشداء ومعهم الوزير الأعور الأعرج المحتال الجبار . أشرفوا على مدينة الاسكندرية في الساعة التي خرج فيها نور الدين وترك السيدة مريم حتى يعود اليها بالملابس الاسكندرانية .
رأوا مريم وعرفوها ، فهجموا على السفينة وأخذوها ومريم فيها ، وعادوا بها الى بلاد الروم ، ودفعوا بالسيدة مريم الى أبيها الملك .
نظر الملك الى ابنته وقال لها :
ـ ويلك يا خائنة . . كيف تركت دين الآباء والاجداد واتبعت دين الاسلام ؟

ـ أنا مالي ذنب . . فقد خرجت ليلا الى الكنيسة لأزورها وأتبرك بها ، وبينما أنا في غفلة هجم علي سراق من المسلمين وسدوا فمي وشدوا وثاقي وحملوني الى السفينة غصبا . ثم جاء رجالك وخلصوني .
ـ كذبت يا فاجرة . . وحق ما في محكم الانجيل من منزل التحريم والتحليل لأقتلك شر قتلة . أما كفاك ما فعلته من قبل أيتها الفاجرة ؟
أمر الملك بقتلها ، فدخل عليه الوزير الأعور ، وكان مغرما بها من قديم ، وقال له :
ـ أيها الملك ، لا تقتلها وزوجنى بها وأنا أبني لها قصرا منيعا لا تخرج منه .
زوجها له ، وشرع الوزير في تشييد القصر .
أما ما كان من أمر نور الدين فانه رجع الى البحر ولم يجد لا السفينة ولا مريم . فمشى على شاطىء البحر متلفتا يمينا وشمالا ، فرأى ناسا مجتمعين يقول أحدهم :
ـ يا مسلمون ، ما بقى لمدينة الاسكندرية حرمة حتى صار الافرنج يأتون اليها ويخطفون من فيها ويعودون الى بلادهم سالمين . .
فسأل نور الدين عن الخبر فقالوا له : ان مركبا من مراكب الافرنج فيها عساكر هجموا على الميناء وأخذوا سفينة كانت راسية هنا بمن فيها .

لما سمع نور الدين هذا الكلام وقع مغشيا عليه والناس حوله يرثون له ، واذا الشيخ العطار قد أقبل ، فلما رأى نور الدين ممددا على الأرض قعد عند رأسه ونبهه برفق ، فلما أفاق قال له :
ـ يا ولدي ، ما هذا الحال الذي أنت فيه ؟
ـ يا عم ان الجارية التي لقيت الأهوال في استعادتها من بلاد الفرنجة جاءوا خلفنا وخطفوها .
ـ اعلم يا ولدي أن الاتصال والانفصال بيد المولى المتعال .
ـ والله يا عم انى ما أقدر أن اسلوها أبدا ولا بد من طلبها ولو سقيت كأس الردى .
ـ وماذا تريد أن تفعل ؟

ـ نويت أن ارجع الى مدينة الفرنجة وأخاطر بنفسي ، فاما لها أو عليها .

وسافر الى هناك على مركب كانت ذاهبة الى بلاد الفرنجة ، وبينما هو ومن معه سائرون في البحر اذ هجم عليهم جماعة من الافرنج مسلحون وأخذوهم الى ملكهم ، فلما رآه الملك عرفه وقال له :

ـ ألست علي نور الدين ؟

ـ لا يا مولاي أنا اسمي ابراهيم

ـ انك تكذب ، أنت الذي وهبتك للكنيسة لتخدم بها .

وبينما هم في الكلام دخل الوزير الأعور الذي تزوج بنت الملك وقال :

ـ أيها الملك اترك لي هذا الأسير لآخذه وأذبحه على باب القصر الذي بنيته للسيدة مريم .

ـ خذه واذبحه وارحنا منه .

فاخذه ومضى به الى القصر ليذبحه ، فقال له الدهانون :

ـ يا مولانا قد بقي من الدهان ما يستغرق يومين ، فأخر ذبح هذا الأسير حتى نفرغ من الدهان .

في الاصطبل

فأمر الوزير بحبس نور الدين ، فأخذوه وقيدوه في السجن .

وكان للملك حصانان أخوان أحدهما أشهب والآخر أدهم كالليل ، وكانا من أجود الخيل التي يعتز بها الملك ، أصيب أحد الحصانين بمرض في عينيه عجز جميع البياطرة عن مداوته .

دخل الوزير الأعور على الملك فرآه مهموما حزينا على الحصان ، فأراد أن يزيل همه فقال له :

ـ أيها الملك أعطني هذا الحصان وأنا اداويه .

فاعطاه له ، ونقله الوزير الى الاصطبل الذي حبس فيه نور الدين . لما فارق الحصان أخاه صاح صيحة عظيمة حتى أزعج الناس من الصباح ، فذهب الوزير الى الملك وأعلمه بالأمر فأمر الغلمان أن ينقلوا الحصان الثاني عند أخيه بدار الوزير .

نظر نور الدين الى الحصانين المرافقين له في الاصطبل ، فرأى على عيني أحدهما غشاوة . وكان عنده بعض معرفة بأحوال الخيل وممارسة علاجها ، ثم قال في نفسه : هذه والله فرصتي ، أقول للوزير أنا اداوي هذا الحصان وأعمل له شيئا يتلف عينيه ، فيقتلني الوزير واستريح من هذه الحياة الذميمة . قال له الوزير :

ـ وحياة رأسي ان داويته لأعتقنك من الذبح وأكافئك .

اخذ نور الدين زجاجا وسحقه وخلطه بجير وبماء البصل ، ثم وضع الخليط في عيني الحصان وربطهما . وفي الصباح جاء الوزير الى الاصطبل وفك الرباط عن عيني الحصان ونظر اليهما فرآهما سليمتين صافيتين . . فقال له :

ـ يا مسلم ما رأيت في الدنيا مثلك . . داويت ما عجز عنه جميع بياطرة بلادنا !

ثم تقدم اليه وحل قيده ، ثم ألبسه حلة سنية ، وجعله ناظرا على خيله ، ورتب له مرتبا .

كان في القصر شباك يطل على الاصطبل ، وكان للوزير الأعور بنت جميلة ، فاتفق أن أطلت من الشباك ذات يوم فرأت نور الدين وسمعته يتغنى بأبيات من الشعر ، فاطربها غناؤه . وكانت مريم الزناريه قد نقلت الى القصر . رأتها بنت الوزير ضيقة الصدر مهمومة ، فأرادت ان تسليها وتسري عنها ، فقالت لها :

ـ لا تضيقي صدرا ولا تحملي هما ، قومي معي في هذه الساعة الى شباك القصر المطل على الاصطبل ، فهناك شاب مليح رشيق القوام حلو الكلام . .

فقامت ومشت معها الى الشباك ونظرت منه ، فرأت محبوبها وسيدها نور الدين ، ولكنها كتمت أمرها ورجعت الى مكانها صامتة ،

ومضت بنت الوزير الى حالها ، وبعد ساعة من الزمان رجعت مريم الى الشباك وصارت تنظر الى نور الدين وتتأمل لطفه ورقة معانيه ، ولكنه شاحب حزين ينشد الأشعار ويبكي .

أحضرت دواة وقرطاسا وكتبت فيه :

« أما بعد فسلام الله عليك ورحمته وبركاته . الجارية مريم تسلم عليك وهي في غاية الشوق اليك ، وهذه رسالتها اليك ، انهض من وقتك وساعتك واهتم بما تقول ، اذا مضى ثلث الليل الأول فخذ الحصانين واخرج بهما الى خارج المدينة ، واذا قال لك أحد الى أين فقل له انك تسيرهما ، وعلى أي حال فلن يشك فيك أحد ، فالجميع يعرفون أن المدينة مغلقة الأبواب » .

ولفت الورقة في منديل حرير ورمتها الى نور الدين ، فأخذها وقرأها وقبلها . ولما جن الليل أخذ في اصلاح الحصانين ، وصبر حتى أتى الميعاد وخرج بهما وسار الى باب المدينة ، وجلس ينتظرها .

أما مريم فانها جعلت تدبر أمرها للخروج واللحاق بحبيبها . رأت الوزير الأعور جالسا متكئا على مخدة ، فلما رأته ناجت ربها في قلبها وقالت : اللهم لا تبلغه مني أربا . أقبلت عليه وأظهرت له المودة . أمر بالطعام والشراب ، فاعد الخدم المائدة ، وعليها من أصناف الطعام ما لذ وطاب ، فأكلا وصارت مريم تسقيه خمرا حتى تمكن منه الشراب ، فأخرجت من جيبها قرصا من البنج ، وغافلت الوزير ووضعته في القدح ، وناولته اياه ، فشرب ، واستغرق في غيبوبة ، فقامت وملأت حقيبتها بما خف حمله وغلا ثمنه وبشيء من المآكل ، ولبست عدة الحرب وتسلحت ، وأخذت معها لنور الدين ملابس فاخرة وسيفا قاطعا ، وتوجهت اليه .

سارق الخيل

كان نور الدين قاعدا ينتظرها عند باب المدينة ومقاود الحصانين في يده ، فأخذته سنة من النوم . رآه أحد سراق الخيل فاقترب منه وهو غارق في النوم ، فنزع المقاود من رأسي الحصانين ، وهم أن يركب أحدهما ويسوق الآخر ، واذا بالسيدة مريم قد أقبلت ، فظنت السارق نور الدين . . فناولته الحقيبة ، وركبت وركب السارق ، وسارا خارجين من باب المدينة والسارق ساكت ، فقالت له : مالك ساكت ؟ فقال لها غاضبا : ماذا تريدين يا جارية ؟ ولما سمعت صوته المغاير لصوت نور الدين رفعت رأسها وتأملته فوجدت له منخارين كبيرين ، فقالت له :

ـ من تكون وما أسمك ؟

ـ يابنت اللئام ، أنا مسعود سراق الخيل .

فما ردت الا بالحسام ، اذ ضربته ضربة جعلته يخر صريعا . ثم عادت وهي راكبة أحد الحصانين وتجر الآخر ، تبحث عن نور الدين ، فوجدته راقدا في المكان الذي واعدته بالاجتماع فيه والمقاود في يده وهو نائم ، فنزلت عن ظهر الحصان ولكزته بيدها ، فانتبه وقال لها :

ـ مريم ؟ الحمد لله على مجيئك سالمة .

ـ قم واركب هذا الحصان وأنت ساكت .

ثم سارا ، ولم يزلا سائرين حتى وصلا الى مرج مخضر الجوانب ، فنزلا به ليستريحا . وجلسا يتحدثان ويقص كل منهما على الآخر ما عاناه ، واذا هما يريان غبارا ويسمعان صهيلا . ذلك أن الملك لما علم بأمر هروبها دعا أولاده الثلاثة ، وكانوا أبطالا شجعانا ، وأمرهم بالركوب ، فركبوا وركب الملك ومعه خواص بطارقته وأرباب دولته ، وصاروا يتتبعون آثارهما ، حتى لحقوا بهما في ذلك المرج . لما رأتهم مريم نهضت وتقلدت سيفها وقالت لنور الدين :

ـ ما حالك وكيف قلبك في القتال ؟

ـ ان ثباتي في النزال مثل ثبات الوتد في النخال .

ابتسمت وقالت له :
- ابق مكانك وأنا أكفيك شرهم .
ركبت جوادها ، وقالت لنور الدين : اركب جوادك وكن خلف ظهري ، واذا انهزمنا فاحرص على نفسك من الوقوع ، فان جوادك ما يلحقه لاحق .

قتال الاخوة

نظر الملك الى ولده الأكبر وقال له :
- يا برطوط ، هذه أختك مريم تتأهب لحربنا ، فابرز اليها واحمل عليها . ان ظفرت بها فلا تقتلها واعرض عليها الرجوع الى ديننا ، فان رجعت اليه فعد بها أسيرة ، وان أبت اقتلها واقتل ذلك الملعون الذي يرافقها .
- سمعا وطاعة يا أبي .
برز برطوط لأخته وحمل عليها ، فلاقته وحملت عليه ، ودنت منه فقال لها :
- يا مريم أما يكفيْ ما جرى منك اذ تركت دين الآباء والأجداد واتبعت دين السائحين في البلاد ؟ وحق المسيح ان لم ترجعي عن ذلك لأقتلنك شر قتلة .
- هيهات هيهات . . لن يعود ما فات . اني والله لا أرجع عن دين محمد بن عبد الله ؟ فهو الدين الحق فلا اترك الهدى ولو سقيت كأس الردى .
فلما سمع برطوط من أخته هذا الكلام صار الضياء في وجهه كالظلام ، والتهب بينهما القتال ، وكلما فتح برطوط لأخته مريم بابا من الحرب تقفله عليه بحسن صناعتها وقوة براعتها وفروسيتها ، ولم يزلا كذلك حتى ضعفت قوته ، فضربته بالسيف ضربة قاتلة .
فلما رأى الملك ولده الكبير قد قتل لطم وجهه وشق ثوبه ، وصاح بولده الثاني :
- ابرز يا ولدي بسرعة ، وخذ ثأر أخيك برطوط ، هيا يابرطوس يا ولدي .
- لك السمع والطاعة يا أبي .

وبرز برطوس لأخته وحمل عليها ، فلاقته ، وتقاتلا قتالا شديدا ، حتى صرعته .
فاشتد غضب الملك وحزنه على ولديه ، فنادى ولده الأصغر :
- يا فسيان ، اخرج يا ولدي الى قتال اختك وخذ ثأر أخويك .
وكان مصيره كمصير أخويه .
لما رأى الفرسان المرافقون للملك قتل أولاده الثلاثة ، وكانوا أشجع أهل زمانهم ، وقع في قلوبهم الرعب من السيدة مريم ، ونكسوا رءوسهم الى الأرض ، ثم ولوا الأدبار . ولما رأى الملك ذلك خاف على نفسه ولوى عنان فرسه عائدا الى قصره .
وسار الحبيبان في طريقهما ، وكانت دمشق أقرب البلاد العربية اليهما ، فدخلاها وتوالت عليهما الأحداث حتى عاد نور الدين وعروسه مريم الى القاهرة حيث فرح به أبواه .
وبعد فان قصاصنا اعتنى أشد العنايه برسم شخصية مريم الزنارية كفتاة رومية دخلت بلاد العرب والاسلام ، واضافت الى حضارتها وحذقها ثقافة جديدة من الثقافة العربية والاسلامية .
وقد ركز على شجاعتها وبراعتها في القتال .
وكثيرا ما نرى في قصصنا العربية الشعبية نساء فقن الرجال في القتال والنزال . من ذلك الأميرة ذات الهمة في سيرتها المعروفة . استطاعت هذه المرأة ان توحد القبائل العربية وتقضي على المنازعات والغارات التي كانت تشنها قبيلة على أخرى ، وتجمع كل القوي في وحدة متماسكة ، وتقود الجيش العربي المتحد وتهزم به جيش الروم الذي كان يغير على الأطراف العربية .
تراثنا العربي الشعبي يرسم لنا الطريق ولكنا نحيد عنه ، فيطمع فينا الطامعون ويذبحنا الجزارون .
يدلنا ذلك التراث على طريق السلامة ، ولكنا ندعه ونسير في طريق الندامة ! ○

طبيب الأسرة

تحديد جنس الجنين

○حضرة الطبيب المحترم
تحية طيبة وبعد ،

سمعت عن طرق مؤكدة حديثة يمكن بها تحديد جنس الجنين . . . فما هي هذه الطرق ؟ وفي أي فترة من الحمل يمكن معرفة جنس الجنين ؟
أرجو أن أجد جوابا شافيا لديكم مع وافر شكري وتقديري .

دمشق ـ سوريا

قضية الفضول البشري في استطلاع جنس الجنين قبل مولده ومعرفة هل هو ذكر أم أنثى شغلت فكر الانسان في العصور القديمة ومازالت وهناك حصيلة كبيرة من المحاولات والمعتقدات والخرافات خلفها لنا التاريخ تدور حول هذا المحور لا أساس لها من الصحة والدقة العلمية ولا مجال لاستعراضها . . .

غير ان الابحاث والتجارب والاكتشافات العلمية الحديثة في السنوات الأخيرة فتحت الباب على طريق علمي صحيح في هذا الصدد يمكن الاعتماد عليه الى حد كبير ـ من هذه الأبحاث ما يلي :

(١) : طريقة البذل الصالي أو الامينوسنتسر **amniocentesis** التي بدأت محاولاتها الأولى في الخمسينات من هذا القرن ، وتعتمد على ادخال ابرة عبر جدار بطن الحامل والرحم والدخول الى السائل الامينوسي أو الصاء(السائل المحيط بالجنين داخل الكيس الامينوسي) وفحصه لاكتشاف طبيعة الصفات داخل الخلايا السابحة فيه .

والعملية تجرى في الأسبوع الرابع عشر أو الخامس عشر من الحمل حيث تؤخذ كمية من السائل وتفحص نواة خلية منه للبحث عن كروموزمات الجنس الانثوي المعروفة . وهذه عادةتأخذ شكلا وصبغة معينة وتدعى جسم بار**Barrbody** فاذا وجدت ، تأكد للفاحص ان الجنين من جنس الانثي ، والا كان ذكرا .

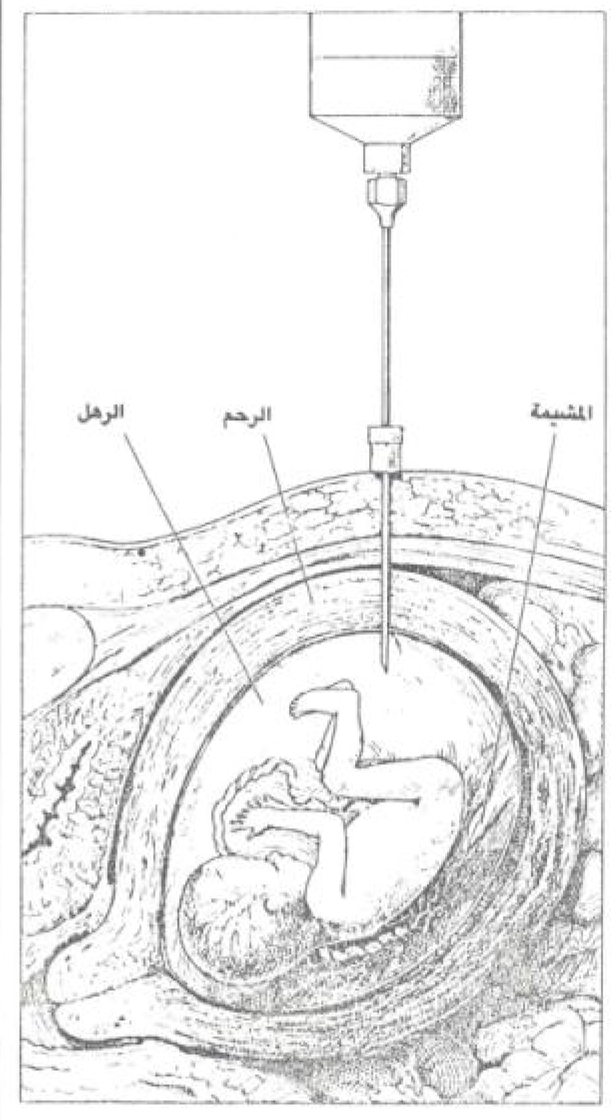
وهذه العملية تجري أصلا لاكتشاف الامراض الوراثية وليس لتحديد الجنين لما لها من متطلبات فنية دقيقة واحتمالات خطر لا توازي مجرد الفضول لمعرفة نوع الجنين ولكنها مع هذا أكيدة بنسبة ١٠٠٪ .

(٢) استعمال السونار أو جهاز الأصوات فوق السمعية الذي يعطي صورة للجنين تظهر فيها أعضاؤه التناسلية . وهذه الطريقة لا تفيد الا في حالة الجنين الذكر . .
هذا اذا كان الجنين في وضع يسمح بتصوير اعضائه ، والا فلا فائدة منها . كما أنها لا تفيد في تأكيد حقيقة الجنين الأنثي .

(٣) عدد ضربات قلب الجنين ، حيث يقال ان عدد دقات قلب الجنين الذكر في حالة الهدوء تتراوح ما بين ١٢٠ - ١٤٠ دقة في الدقيقة ، بينما عدد ضربات قلب الجنين الأنثي ١٤٠ - ١٦٠ دقة في الدقيقة .
ويؤكد البعض ان هذه الطريقة تعطي نجاحا في تحديد نوع الجنين يتراوح ما بين ٦٠ - ٧٠٪ .

(٤) يقال ان الحامل بجنين ذكر أقل معاناة من اعراض الحمل من الحامل بالجنين الأنثي التي قد تعاني من غثيان وقيء وثقل وهبوط عام وان كان هذا لا يعتمد عليه كثيرا .

وعلى وجه العموم فان تكوين الاعضاء الجنسية لدى الجنين وتميزها يبدأ في الاسبوع التاسع تقريبا ، عندما يكون وزنه جرامين فقط وطوله ثلاثة سنتمترات وتكتمل الأعضاء وتتميز في الأسبوع الحادي عشر لهذا كان الكشف على جنس الجنين فيما بين الاسبوع الثاني عشر والثالث أو الشهر الثالث من فترة الحمل .



البذل الصائى

فرط التبول

● منذ فترة وأنا ألاحظ لدى احساسا بالرغبة في التبول بصورة زائدة عن الحد الذي اعتدت عليه ، لدرجة أنها تسبب لي ازعاجا واحراجا في كثير من الأحيان .
ما هي الأسباب وراء الافراط في التبول ؟ وهل هناك من حل ؟
ن . ع / البحرين

ـ تعمل الكلى على تنقية الدم من الشوائب عبر أنابيبها لتجمع على صورة بول يجري في الحالبين حتى يصل الى المثانة أو كيس البول ليتجمع هناك وينطلق بين حين وآخر عندما تمتلىء هذه المثانة ، فتفرغ محتواها نتيجة اشارة عصبية كرد فعل للامتلاء .

ان سعة المثانة في المعتاد هو حوالي نصف لتر تقريبا ، والانسان العادي يفرز عبر الكليتين ما يقدر بلتر ونصف اللتر خلال الأربع والعشرين ساعة . لهذا يشعر الانسان برغبة في التبول ثلاث أو أربع مرات في اليوم ، وهذه هي حدود الانسان الطبيعي .

اما الحدود غير الطبيعية التي تدعو الى الشك في وجود خلل أو حالة مرضية فتأتي تبعا لأحد احتمالين :

الأول : هو زيادة كمية البول زيادة كبيرة تفوق المعتاد بكثير ،

الثاني : هو تكرار عملية التبول في اليوم ولكن دون زيادة في كمية البول نفسه .

في الحالة الأولى قد يكون السبب مرض البول السكري أو خللا في غدة في المخ تسمى الغدة النخامية . وقد يترتب على ذلك ما يسمى بمرض السكري الكاذب ، لأنه يشبه مرض السكر وليس بسكر ، أو ربما مرض ما في الكلى ، كما في حال التهابها حين تعجز هذه الكلى عن حجب الماء المتدفق منها دون حدود .

اما الذين يتعاطون عقاقير مدرة للبول فهم يتبولون بافراط ، كما هو معروف ، وذلك رغبة في التخلص من ماء زائد في الجسم او لتصريف أملاح الصوديوم كما في حال ارتفاع ضغط الدم . هذا الى أن الافراط في شرب الماء يؤدي بالتالي الى فرط التبول ، وهي عملية طبيعية لأن الكلى تعمل على موازنة محتوى الجسم من الماء . وهذه حال مستحبة ومقبولة . أما بالنسبة لحالة تكرار الرغبة في التبول فحسب دون زيادة في حجم البول ، فهذا قد يعزى لالتهاب المثانة التي تتهيج وتتقبض او ربما بسبب تضخم غدة البروستاتا التي تضغط على عنق المثانة ، فيقوم البول على اثارتها عندما تتسرب منه نقطة عبر مجرى البول ، فتثير في الجسم رغبة متكررة للتبول . واحيانا تعمل حصاة كبيرة في المثانة على احتلال حيز المثانة وبالتالي على ضيق حجمها ، فلا تحتمل خزن كمية كبيرة من البول ، وعلى مشاكلتها أيضا تؤثر الأورام الخبيثة في المثانة ، ان كل سبب من هذه الأسباب له أعراضه مما يعين الطبيب على التشخيص . أما حسم الموقف فيحتاج الى تحليلات للبول والدم وتصوير شعاعي ، واحيانا الى منظار يدخله الطبيب الى المثانة ليرى ما بداخلها .

وعندما يصل الطبيب الى قرار في التشخيص يصبح العلاج بعدها أمرا لا خلاف عليه .

بين الخطبة والمحاضرة

بقلم : محمد خليفة التونسي

تقول : عندما كان الأستاذ يحاضر طلابه لم يكن يسمع الا صوته في المدرج ، كأنه قد خلا الا منه ، وبعد المحاضرة انصرف طلابه يثنون عليها وعليه .

كلمة « المحاضرة » (وما يشاركها في الاشتقاق) تدل على ما يلقيه متحدث الى جماعة لتوعيتهم في أي موضوع من موضوعات المعرفة ، على نحو ما يلقى في الكليات والمعاهد التعليمية وما اليها كالأندية والمساجد أحيانا .

ومن آيات الوعي بيننا اليوم ، أن كثيرا من الهيئات على اختلاف أنشطتها الاجتماعية تلزم نفسها باقامة موسم ثقافي كل عام ، تدعو فيه أعلام المفكرين لالقاء بعض المحاضرات في المجالات التي اشتهروا بها ، لتوعية الجماهير .

كلمة المحاضرة للدلالة على هذا النوع من الأحاديث من الكلمات المستحدثة في هذا العصر ، ولعلها استعملت أول الأمر للدلالة على ما يلقى من ذلك في معاهد التعليم ، ثم أطلق على ما يلقى في غيرها .

وكانت أمثال هذه الأحاديث تسمى الدروس ، أو الخطب ، أو الأمالي ، ... وقد تسمى المواعظ حين تكون لترقيق القلوب للترغيب والترهيب .

وقد أنكر بعض اللغويين المحدثين استعمال كلمة « المحاضرة » للدلالة على هذه الأحاديث ، واعتبر ذلك خطأ ، بحجة أنها لم تستعمل بهذا المعنى من قبل ، واقترح استعمال كلمة « خطبة » بدلها ، وتسمية صاحبها خطيبا .

ونقول نحن : ان اسلافنا عرفوا كلمات كثيرة من الجذر « ح ض ر » تناسب هذا المعنى الجديد ، وتكفي واحدة منها لتقبل كلمة المحاضرة اليه ، فهكذا تنتقل الكلمات في كل اللغات من معانيها المتعارفة الى معان جديدة .

عرف العرب كلمة « المَحْضَر » أي السجل الذي يدون فيه كلام مجلس ما ، وعرفوا المحاضرة بمعنى المساجلة الشعرية بين شاعرين ، ومنها المحاضرة بمعنى المجادلة في مجلس الخصومة عند التحاكم ، ومنها المحاضرة بمعنى الحديث في المجالس بالطرائف والنوادر ، ولهذا يقال : هو حسن المحاضرة ، أي حسن المجالسة ، ولا تحسن المجالسة الا بالأحاديث الطريفة ، ومن هنا قالوا هو يحاضر بالنوادر ، وللثعالبي كتاب بهذا المعنى مطبوع يسمى « التمثيل والمحاضرة » .

وكان اسلافنا يعدون المحاضرة من أنواع الأدب الاثنى عشر ، ثم ان اطلاق كلمة « خطبة » اليوم على هذا النوع من الحديث - أي المحاضرة - يعد خلطا بين أنواع الكلام ، ومن هنا الخطأ فيه ، لأن للخطبة اليوم معنى آخر مختلفا عن معنى المحاضرة ، ومعناها اليوم لم يكن مجهولا عندنا منذ العصر الجاهلي حين نتذكر خطب الخطباء المعروفين : كأكثم بن صيفي وقس بن ساعدة ثم في الاسلام سحبان وائل والامام علي وزياد بن أبيه والحجاج بن يوسف ، أو نتذكر خطب نوابغنا المحدثين ، مثل عبد

الله النديم ومصطفى كامل ، وسعد زغلول .

الخطابة عمادها اللسان ، فهي تعتمد على المشافهة في خطابة الجماهير ، سواء كانت معدة او مرتجلة ، ولا بد للخطيب من أمرين : القدرة على اقناع جمهور السامعين بوجهة نظره بما يقدمه في كلامه من حجج حقيقية أو ظاهرية ، وبغير ذلك لا يسمى المتحدث خطيبا .

والقدرة على استمالتهم باثارة عواطفهم حتى يعاطفوه ، ويميلوا اليه .

وبغير هاتين القدرتين مع المشافهة لا يسمى المتحدث خطيبا .

غاية المحاضر هي التعليم ، وغاية الخطيب هي التأثير . والمحاضرة حديث من جانب واحد غالبا ، والخطبة تفاعل بين الخطيب والجمهور ، وقد يجرى فيها الحوار بين الخطيب وجمهوره ، فلا بد أن يكون سريع البديهة في اثبات رأيه ودفع رأى خصمه .

وقد يبلغ من قدرة الخطيب أن يغير شعور الجمهور من وجهة الى وجهة تقابلها كخطبة النبي عليه السلام في الأنصار بعد غزوة حنين حين قسم الغنائم فحرمهم منها ، وأعطى المؤلفة قلوبهم (من ضعاف الاسلام) فوجد الأنصار عليه ، وذهب اليه زعيمهم سعد بن عبادة وأبلغه ذلك ، وأنه كقومه في كراهيتهم هذه القسمة ، فأمره النبي بجمعهم فلما اجتمعوا خرج اليهم ، وذكر لهم فضله عليهم حين هداهم الى الاسلام ووحد قلوبهم عليه ، فأقروا بذلك ، ثم ذكر لهم فضلهم عليه حين جاءهم طريدا فآووه ونصروه ، ثم ذكر لهم انه حرمهم اعتمادا على صدق اسلامهم ، واعطى غيرهم ليتألفهم للاسلام ، ثم سألهم أيما أسعد حظا : هم حين يعودون ومعهم رسول الله أو المؤلفة قلوبهم حين يعودون بصغائر حطام الدنيا من الشاة والبعير ؟ فما أسرع أن أعلنوا رضاهم عما فعله ، ولومهم على ما كان منهم حين وجدوا على قسمة الغنائم[1] .

ومن الأمثلة الفنية الخيالية ما أورده الشاعر الانجليزى وليم شكسبير في مسرحيته « يوليوس قيصر » بعد قتل قيصر على يد صديقه بروتس وآخرين في مجلس الشيوخ ، حين خطب بروتس في الجماهير حتى أقنعها بأخطاء قيصر ضد الشعب ، واستحقاقه لما أصابه من القتل ، فلما انتهى قام في الجماهير نفسها انطونيو صديق قيصر ، فأثنى على بروتس ، ثم[2] بدأ يذكرهم بأيادى قيصر على الشعب وفضائله ، وخيانة قتلته ، ووجوب الانتقام له ، فثاروا على قتلة قيصر ، وبحثوا عنهم ليثأروا منهم بالقتل .

والخطابة أنواع : سياسية وقضائية واحتفالية (للتكريم أو التأبين) ودينية .

وللخطابة أسلوبها الخاص على اختلاف أنواعها ، وقد يكون الانسان كاتبا أو فيلسوفا أو عالما أو شاعرا ، ولكنه لا يحسن الخطابة ، أى تحريك عواطف الجمهور واجتذابه الى رأيه .

وبعضهم يفرق بين المحاضرة كما في الجامعات والأندية وما اليها ، وبين الدرس كما في المدارس العامة . فالمحاضرة لا يسمح أثناءها بأسئلة من المستمعين ، بل بعد انتهائها أحيانا ، والدرس يجوز طرح الاسئلة أثناءه وانتظار الجواب .

وقد كان بعض أسلافنا حين يؤلف كتابا فيكتب له مقدمة يسمى هذه المقدمة « خطبة الكتاب » ، وهو معنى آخر غير الحديث الى الجماهير .

ونحن نعلم أن جذر كلمة محاضرة - وهو (ح . ض . ر) تدل مشتقاته على أكثر من عشرة معان ، ولم يكن الامر كذلك في أصل معناه ، وانما تغيرت دلالات مشتقاته عن معناه الاصلى بالنقل الى معنى بعد معنى حتى صار يدل على كل معان هذه المشتقات ، وكذلك يقال في الكلمات المشتقة من الجذر (خ ط ب) ، وكذلك يقال في معظم الكلمات التى تسمى المشتركة أيا كانت لغتها .

والكلمات المشتركة هى التى تدل على أكثر من معنى . ولولا هذا النقل للكلمة من معنى الى معنى آخر لتحجرت اللغات وماتت . فالتوقف عن نقل كلمة المحاضرة أو الخطبة أو غيرهما من معنى الى معنى آخر يناسبه هو القانون أو التيار الذى تجرى فيه كل اللغات ، وكثير من كلمات اللغات مشتركة .

---

(١) سيرة ابن هشام ٢ /٤٩٨ - ٥٠٠ .

(٢) مسرحية « يوليوس قيصر » الفصل ٣ ، المنظر الثاني .

حوار القراء

مأساة الترجمة

قرأت ما ورد في مقال « أزمة الترجمة الى العربية » بقلم الدكتور عبد الوهاب العشماوي ، في العدد « ٢٩٥ » الصادر في يونيو ١٩٨٣ م . ولقد سعدت بما جاء في تلك المقالة ، فعلى الرغم مما تضمنته من حقيقة مرة وواقع أليم ، فان هناك جزئية من قضايا المصير العربي الذي ينحدر الى الهاوية محذرا بالجهالة والترف الزائف ، ولا أخالف الدكتور العشماوي فيما أورده ، ولكنني أضيف أمرا وأقول ان المأساة التي تحياها الترجمة في واقعنا لا تتركز في مقدرة المترجم ودرجة المامه باللغة الأجنبية التي يترجم منها الى العربية أو العكس ، بل ان المأساة تكمن في مدى المام المترجم بلغته العربية أساسا ومدى ثقافته العربية التي يترجم منها أو اليها .

ان الترجمة بالاضافة الى كونها صيغة وفنا فهي تحتاج من المترجم أن يكون على دراية عميقة بفنون وأسرار علوم شتى ، كالهندسة والطب مثلا ، ولا أقصد بذلك أن يكون دارسا لها ، ولكن أقول ان المترجم المثقف المزود بالأدوات الصادقة لمهنته . يحيل النص من معمار أجنبي الى معمار عربي فلا يفقد بنائية النص ، والعملية ليست صعبة أمام المترجم الصادق المثقف .

ان المأساة تكمن فيما ابتليت به لغتنا الجميلة ، وأقصد من ذلك ما أصابها من طرق التعليم التي تسير نحو الأضعف والأسهل ، ناهيك عن القبح الذي أصبح لازما في كل التغييرات المستخدمة . .

●● حسين عبد الهادي ـ القاهرة ـ ج . م . ع

العرب . . والأمم المتحدة

اطلعت على مقال « العرب في الأمم المتحدة » بقلم الاستاذ الفاضل عبد الحميد الكاتب وذلك في العدد « ٢٩٣ » من العربي .

واني اذ اقدر للكاتب الفاضل غيرته على مصلحة أمتنا العربية في المنظمة الدولية ولاسيما اهتمامه بالقضية الفلسطينية ولما كنت أحد الاحياء الذين عاصروا الأمم المتحدة من ولادتها في « سان فرنسيسكو » عام ١٩٤٥ وكنت الموقع على الميثاق ممثلا للعراق ، حتى عام ١٩٥٨ ، فانني استأذنكم بتصحيح بعض ماجاء في مقال الاخ كاتب المقال .

أولا : ان عدد الوفود العربية في مؤتمر « سان فرنسيسكو » خمسة وليس ستة كما جاء بالمقال المذكور .

ثانيا : المعلومات التي أوردها الكاتب عن القضية الفلسطينية في الأمم المتحدة تحتاج الى تصحيح وتدقيق ، اذ أن الجمعية العامة لم تقر اتفاق (بيفن ـ سفورزا) بل هزم الاتفاق بصوت واحد ، وهو صوت . . هيتي) . .

ثالثا : كانت الوفود العربية في

الأمم المتحدة تعمل منذ تأسيس المنظمة وحتى عام ١٩٥٧ كوحدة منسجمة فى كل مايتعلق بالقضايا العربية مهما اختلفت الحكومات العربية فيما بينها . هذا ماكنت أود توضيحه للأخ كاتب المقال . .

الدكتور محمد فاضل الجمالي - الجامعة التونسية - تونس

العربي . . . والشروق .

مجلة . . الشروق . . التى تصدرها جمعية المكفوفين الكويتية ، أرسلت لنا تستأذن « العربي » بالسماح لها بنشر بعض المواضيع التى تأتى فى اعداد « العربي » مع مطلع كل شهر وحتى الاعداد التى صدرت منها ماضيا .

والشروق . . كما قال رئيس تحريرها تصدر بالخط النقطى البارز « بريل » لتوفير الثقافة لهذه الفئة وتسهيلا لهم بالقراءة .

على حسين الحسيني - الكويت

العربي - يسعدنا ان تطلب منا « الشروق » او غيرها مثل هذا الطلب ، والمكفوفون هم اخوة لنا ، والاخ لايبخل على اخيه بشيء .

طارق بن زياد . . . ليس بربريا

كتب الدكتور أحمد بسام الساعي ، في العدد « ٢٩٣ » من العربي ، مقالا تحت عنوان « خطبة طارق بن زياد . . . » هل قالها حقا ؟ . .

توصل فيه بعد دراسة مقارنة لبلاغة الخطبة وأصل طارق الى نتيجة ، وهي أن طارق بن زياد لم يقل هذه الخطبة وانما قالها باللهجة البربرية ، وترجمت الى العربية بأسلوب بليغ . . . وردي على الدكتور الساعي ، انه اذا كان طارق بربريا فانما يعود ذلك الى أصله وأعني النسب فجده وأبوه كانا قد أسلما لأن كلمة . . . زياد . . . معروفة بين الأسماء العربية ، ولم يكن يستعملها البرابرة قبل اسلامهم ، وقيل ان اسم جده . . . عبد الله . . . ثم ان القائد طارق بن زياد ولد وتربى في جو عربي وعاش في كنف العروبة مسلما ، وليس ثلاث سنوات كما قال الكاتب ، وقد كان مولى للقائد العربي موسى بن نصير ، واذا كان طارق بربريا وسار على قيادة جند معظمه من البرابرة فلا ينسى الكاتب أن من بينهم قوادا من جنود العرب الابطال الذين لا يخفى على أحد قدرة شجاعتهم ولا مدى تأثيرهم اللغوي في غيرهم ، فكيف تعامل هؤلاء القواد العرب مع غالبية الجند البربر ، ثم كيف فهم هؤلاء كذلك أوامر طارق بن زياد من خلال خطبته باللهجة البربرية ، فهل تطوع أحد وترجم لهم معاني الخطبة حتى يفهموا ذلك ، ثم اننا اذا سلمنا بالمدة القصيرة التي قضاها طارق في حضن الاسلام ، ثلاث سنوات ، فهل تشترط العراقة حتى يصبح المرء عربيا خالصا ؟ ! . .

اكرو محمد بن علي - أغادير - المغرب

العلوم والشخصيات . . . الاسلامية .

اذا كانت مجلتنا « العربي » تقدم لنا كل شهر ، طبقا متنوعا من العلوم والآداب المختلفة ، فاننا ايضا نطمع فى زيادة مثل هذه الاطباق ، وخاصة فى العلوم الاسلامية ، واهم الشخصيات الاسلامية التى برزت فى العصور الاسلامية ، وكان لها اكبر الاثر فى اكتشاف الامراض على مدى العصور السابقة وحتى العصر الحاضر . .

ولايزال شبابنا العربي المسلم يعتقد بأن هذه الحضارة التى نعيشها الآن ماهى الامتجزات من الدول الغربية ، متناسين بأن الفضل كله يعود للمجاهدين المسلمين من العلماء - وحبذا لو تساهم فى توسيع مدارك شبابنا عن أهم العلوم والاكتشافات والاختراعات التى برزوا فيها خلال العصور الاسلامية . . .

هند محمد على - الكويت

العربي

الاقتراح جيد . . والعربي لم تغفل هذا الجانب فى أى يوم من الايام وسوف تضاعفه لأنه جزء من دورها الثقافى فى اختلاف العلوم وخاصة الاسلامية منها .

التراث . . . القضية والبعث

تناول رئيس تحرير « العربي » قضية التراث وكيفية بعثه في العدد (٢٩٠) ووصفها بأنها قضية هامة جدا . وهناك أكثر من وسيلة نعتقد بأنها مدخل لبحث قضية التراث ، وذلك من خلال الندوات بين المفكرين والاجتماعيين والسياسيين العرب ، لأنها تجني تقاربا في وجهات النظر ، وان اختلفت في بادىء الأمر على المنهج وكيفية التوظيف ، الا أنها مظهر من مظاهر وعي الذات والسعي لتحريرها - وحتى نجني ثمرات هذه اللقاءات فمن المفيد لنا أن تتوفر فينا جملة من المسائل وهي . .

ضرورة توفر ارادة التفكير والسعي الجدي لدراسة ماضينا وحاضرنا وفهم مقدماتها فهما عميقا ، وكم هو جيد أن تتضارب وتتشعب الحلول اللازمة لكيفية بعث التراث وكيفية توظيفه لخدمة مستقبل الأمة لما يخلصها من التفسخ والتفكك الذي تعيشه ، فليس من شيء يستطيع أن يصل الى الحق مثل البحث عنه والمناقشة به اذا كنا نريد معرفته .

الشيء الآخر ، احترام مفهوم الزمان والمكان ، ولذا فلا يجب أن نصر على بعث الماضي بما فيه اعتقادا منا بأنه صالح لكل زمان ، كما ينبغي ألا نقطع الصلة مع الماضي آخذين بحاضر العصر كما هو ، وصحيح ان الماضي فيه من الشر ، كما فيه من الخير ، لكن علينا السعي لبعث ما فيه من خير لأن الخير الذي تجسد في تراث أمتنا ليس آخر مراحل التطور العربي .

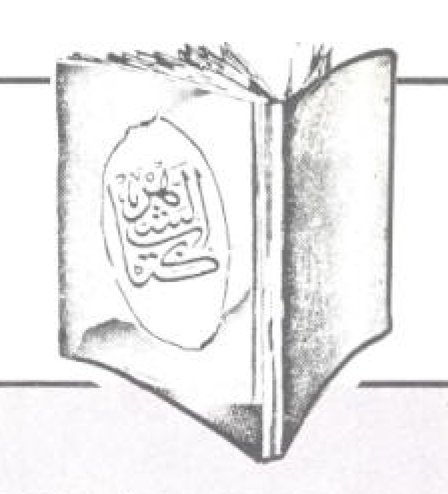
كذلك ، فالحضارة الانسانية وحدة شاملة ليست للشرق ولا للغرب وهي غير خاصة كما يعتقد العرقيون بالعرق الآري . .

كما ان حضارتنا العرقية غير مهددة بالزوال ، كما يعتقد البعض ، فالتراث العربي في ذات الحضارة الانسانية ، والعرب ساهموا كما ساهمت الشعوب الاخرى في بناء الحضارة الانسانية وان كانت هذه المساهمة تختلف من حيث الكمية ، لكنها متساوية من حيث القيمة فكل أمة ساهمت بدورها في بناء الحضارة الانسانية وقدمت أقصى ما استطاعت في ظل الظروف الطبيعية والاقتصادية المحيطة ، ولذا فالحضارة الانسانية متماسكة تعمل كل الأمم على زيادتها وغنائها كل حسب أهميتها وكفاءتها وظروفها ، فالحضارة الغربية مثلا ليست للغرب وحده ، كما لم تكن الحضارة العربية من قبل للعرب وحدهم بل كانت للجميع .

ياسر مرشد - السويداء - سوريا

New Crops
in the Early
— Islamic World

A Study in Diffusion
Dr . Andrew M . Watson, 1978
University of Toronto



دراسة في انتشار محاصيل جديدة في الأيام الأولى للعالم الاسلامي

للدكتور أندريه م . واطسون

عرض وتلخيص : الدكتور محمد نذير سنكري

أستاذ بكلية الزراعة ـ جامعة حلب

مقدمة هذا الكتاب تقول ان الجغرافيين وكتاب الزراعة والكتاب الآخرين يذكرون جميعا أن الأراضي في العالم الاسلامي وزراعتها قد تغيرت بشكل معنوي خلال الفترة الاسلامية الأولى بالمقارنة مع الأزمان السالفة ، وخاصة بالنسبة لزراعة أنواع وأصناف ما كانت معروفة سابقا في معظم أجزاء ذلك العالم ، أو كانت معروفة قليلا ما قبل فترة الاسلام . وقد كانت لعمليات الادخال النباتي تلك أهمية كبيرة في نقل المحاصيل النباتية الى آفاق جديدة . وهذه المحاصيل الجديدة كانت عبارة عن أشجار فاكهة وخضار ومحاصيل حبوب .

وتشير مراجع تلك الفترة التاريخية الى ظهور
اع جديدة استعملت كمصادر للألياف
ىرى للتوابل والمشروبات أو للأغراض الطبية
التخديرية أو التسميمية ، وأخرى للعطور
الدهان ، وغيرها للمحسنات (المكياج) ،
خرى كمطيبات لماء الشرب ، بالاضافة الى
اع المكسرات الجديدة والأعلاف الجديدة .
ا ظهر في نفس الفترة كثير من الأزهار ونباتات
زينة بالاضافة الى عديد من الأعشاب
لجديدة ، كما ربيت أيضا كثير من الأصناف
السلالات التي تعطي مذاقات أو طعوما
ختلفة . وقد حاول الكاتب اعطاء أمثلة عن
لك من كتابات الجاحظ في القرن التاسع والتي
كر فيها أن ٣٦٠ صنفا من البلح كان يوجد في
سواق البصرة ، ومن كتابات ابن وحشية في
القرن العاشر ، والذي ذكر أن أصناف التمر
والبلح في العراق لا تعد . وتبعا لابن
الرستة Rusta الذي عاش في أوائل القرن
العاشر ، فان حول صنعاء فقط كان هناك حوالى
(٧٨) صنفا من العنب . وكذلك كتب
الأنصاري عن قرية صغيرة في الشمال الافريقي
في ١٤٠٠ للميلاد ذاكرا أنها كانت تنتج (٦٥)
صنفا من العنب و (٣٦) صنفا من الكمثرى و
(٢٨) صنفا من التين و (١٦) صنفا من
المشمش ، الخ . . . كما ذكر البدري أن (٢١)
صنفا من المشمش و (٥٠) صنفا من أصناف
الزبيب وستة أصناف من الورد تزرع حول
دمشق . وقد كتب عبد اللطيف البغدادي في
أوائل القرن الثالث عشر واصفا الأصناف
المختلفة من الحمضيات الموجودة في مصر ،
ذاكرا أن هذه كانت (تهجن) مع بعضها لانتاج
ما لانهاية له من أصناف .

وقد أدخلت هذه الانواع والاصناف النباتية
الجديدة طرقا جديدة في الاستهلال واستغلال
الارض ، وطورت زراعة الحمضيات وقصب
السكر والقطن ، الخ . . .

وقد استعرض الكتاب آراء ولمحات عن نشأة
وانتقال وانتشار ثمانية عشر نوعا (١٧) منها
غذائي وواحد ليفي من مناطق مدارية أساسا الى
مناطق شرق أوسطية أو متوسطية . وقد جاءت
هذه الحقائق لتملأ فراغات علمية لم تشر اليها
دراسات مستشرقين آخرين بنفس الطريقة
النظامية العلمية من المعالجة . أي أن الكاتب قد
وضح الدور الكبير الذي قام به العرب في
عمليات الأقلمة النباتية ، وقد أشار الى أنه قد
طورت خلال الفترة الاسلامية مثلا أصناف
جديدة من الذرة Sorghum والحمضيات
كانت أكثر ملاءمة للظروف الشرق أوسطية .

كما أشار في مقدمته أيضا الى أهمية العرب
اليمنيين في نقل التقاليد الزراعية وتطوير
الزراعة في مناطق شاسعة بعد أن انتشروا عبر
العالم الاسلامي ، وسكنوا أسبانيا وأذربيجان
وسورية والعراق ومصر . كما تحدث عن أهمية

المؤلف والكتاب

يعتبر هذا الكتاب من الكتب المرجعية الحديثة الفريدة من نوعها والتي كتبت حتى الآن في موضوع دور الحضارة العربية في الثورة الزراعية التي تحققت في القرون الأولى للتحرير العربي . ومؤلف الكتاب هذا استاذ جامعي كندي ومؤرخ ومحقق واقتصادي تاريخي ، وقد استطاع الكاتب واطسون سبر أغوار كثير من الموسوعات والمراجع والمصادر العربية التراثية والتي تعتبر مجهولة بالنسبة لغالبية المثقفين الزراعيين والاقتصاديين اليوم ، وقد توصل الى نتائج علمية دقيقة تظهر عظمة الدور الحضاري الزراعي للعرب والمسلمين ، كما تظهر نتائج ادخال النباتات والأنواع الجديدة في النمو الاقتصادي للمنطقة ، كما تظهر نتائج الوحدة السياسية والأمن بالتفاعل مع مبادىء الاصلاح الزراعي وتحذير الانسان التي جاءت بها هذه الحضارة .

المغاربة في تطوير الزراعة في أسبانيا ، حيث كان لكل من العرب اليمنيين والمغاربة تقاليد زراعية متأصلة . كما أشار الى أهمية التفكير العربي في تطوير الزراعة . وقد وجه الانتباه الى ما كتبه ابن عبدون في أن الأمير يجب أن يوجه العناية الكاملة لزراعة الأرض والحفاظ على التربة والمعاملة الجيدة للفلاح . كما وأشار الى ما ذكره **Lambton** الذي استعرض التعليمات التي أعطيت الى مالك بن الأشتر من أجل توجيه العناية الى الأرض ومن بعد ذلك الى الخراج ، لأن الخراج لا يمكن أن ينمو إلا عن طريق تنمية الزراعة نفسها . وكذلك الى ما كتبه المسعودي عن الخليفة المعتصم الذي تكلم عن فوائد الزراعة ذاكرا أنها تغذي الحيوانات وتخفض من أسعار المواد الزراعية وتعدد المصادر التجارية وتساهم في رفاهية الناس .

وقد اقترحت في تقريري المتقدم الى معهد التراث العملي العربي بجامعة حلب ١٩٧٨ ، وفي لقاءات شخصية مع الكاتب أن يتوسع في :

- استعراض الأسس الفكرية للتطوير الزراعي ودوافعه عند العرب والمسلمين والتي أدت الى حركة المحاصيل تلك والى الامتداد الزراعي الأفقي والرأسي .

- استعراض دور العرب والمسلمين في نشأة المراكز الثانوية للتطور **Secondary Evolution Centers** وذلك للنباتات المزروعة وخاصة بالنسبة لمراكز اسبانيا وشرق أفريقيا وأفغانستان وتركيا والساحل المتوسطي .

المحاصيل الجديدة

وبعد المقدمة قام الكاتب في القسم الأول من الكتاب بدراسة التقويم الزمني أو الترتيب الزمني لانتشار وزراعة المحاصيل الجديدة وأصنافها الجديدة ، وقد قام بالقاء الأضواء حول انتشار محاصيل الذرة والأرز والقمح ، والذي يعود للعرب فضل نقله للشمال الأفريقي ، وقصب السكر وقطن العالم القديم والبرتقال الحامض والليمون واللومياء (ليمون البنزهير) والليم (اليوسفي) والأترج والموز وجوز الهند والبطيخ الأحمر والسبانخ والخرشوف (الأرضي شوكى) والقلقاس والاتب (الباذنجان) والأنبج (المانغو) . والفقرات المختصرة التالية تعطي لمحات حول انتقال هذه المحاصيل :

الذرة (الجاروس) :

لقد أعطى الكاتب لمحات واشارات هامة حول الحركة الانتقالية لهذا المحصول ما بين أفريقيا وآسيا (الهند) في التاريخ العربي ، ودور العرب والمسلمين في تطوير الاصناف الجديدة المقاومة للجفاف والتي لاءمت الظروف الزراعية البعلية في المناطق المتوسطية التي تنعدم فيها الأمطار الصيفية .

وأحب أن أبين أن عددا من الباحثين المختصين في الذرة يحاولون اليوم تطوير الاصناف الجديدة عن طريق جمع تراكيب وراثية هامة من طرز وأصناف شرق أفريقيا مع تلك الآسيوية .

ولكنني لا أتفق مع الدكتور واطسن في أن الذرة **(Sorghum)** لم تكن معروفة في جزيرة العرب قبل الاسلام وذلك لعدة أسباب :

ان الحركة التاريخية لانتقال المحاصيل ما بين اليمن وأثيوبية كانت حركة وثيقة ، وذلك منذ بدأت الهجرات العربية الى شرق أفريقيا لتكون الشعب الأثيوبي والشعب الأرتيري والشعب الصومالي عن طريق التزاوج مع شعوب شرق

أفريقيا ، ثم الهجرات المعاكسة أو عمليات الغزو اللاحقة .

ان السبئيين حكموا شطري الأرض على جانبي البحر الأحمر من مأرب . وزراعة مأرب والتي كانت أساسا تعتمد على الري الحياضي من سد مأرب التوزيعي ، كانت لا شك تعتمد على محصولي حبوب أساسيين مقاومين للجفاف هما الدخن والذرة .

هناك اشارات لاستعمال الذرة في الخبز عند العرب القدامى حيث كان يطلق على الذرة اسم الثم . وجذر الثم وكلمة الثمام والتي تعني **Panicum** هي من الجذور والكلمات القديمة في اللغة العربية .

كان العرب العدنانيون يقومون برحلات الشتاء الى اليمن ، كما كان القحطانيون يقومون برحلات مستمرة الى شرق أفريقيا للاتجار ، وكانوا لاشك يجلبون معهم الذرة التي مارسوا زراعتها كمحصول شتوى ما بين تهامة وتعز ، وصيفي في المرتفعات على أقل من ٢٢٠٠ م تقريبا .

القمح :

لقد درس الكاتب الحركة الانتشارية للقمح ودور العرب والمسلمين في انتقال أصنافه وتطوير أصناف جديدة منه ، وقد ذكر أن الشمال الأفريقي لم يعرف القمح الصلب الا بعد الفتح العربي ، وان الطبق المغربي الشهير (الكسكسى) كان نتاجا لزراعة القمح الصلب هناك . كما عرف العرب الخصائص التخزينية للقمح بشكل جيد وارتباط ذلك بالعوامل البيئية ، فالأقماح المخزنة في المناطق الساحلية تفقد حيويتها في وقت أقصر بالمقارنة مع الاقماح المخزنة في المدن الجافة .

كما ولم أتفق مع الكاتب الذي أشار الى أن العرب لم يميزوا ما بين الحنطة والبر ، فالحنطة ومن الفعل الذي اشتقت منه ، حنط ، ترتبط بالقمح الصلب **Triticum durum** في حين أن كلمة البر والتي ترتبط أساسا بالخبز تشير الى القمح الطري **Triticum aestivum** .

قصب السكر :

على قصب السكر قامت صناعة السكر في المشرق العربي ، ومن المشرق انتقل القصب عبر الشمال الافريقي الى الأندلس والى جزر البحر الابيض المتوسط . وقد سبى ملوك قبرص مزارعين عرب لضمان استزراعه هناك . ولو أن الكاتب لم يعلق على ما ذكره ابن وحشية حول زراعة قصب السكر في وادي دجلة في القرن العاشر الميلادي ، الا أن ذلك يدل دلالة قاطعة على انتاج العرب لاصناف من طرز تميزت بالتأقلم المسبق للبرودة النسبية في وادي دجلة . الا أنه قد يشك في بعض الكتابات التي أشارت الى زراعة القصب حول حلب ، لعدم توفر الظروف الحرارية التي تحافظ على بقائه في الشتاء ، الا اذا كان المقصود بعبارة حول حلب هو سهل العمق والشاطىء الممتد ما بين اسكندرية واللاذقية . واذا ثبتت زراعة القصب من قبل العرب حول حلب فان ذلك يعني قطعا حصول زراع حلب على صنف شديد المقاومة للبرودة ، ومثل هذه المقاومة لا تتوفر في كثير من أصناف قصب السكر المعروفة اليوم .

القطن :

ولقد وصل الكاتب الى نتيجة هامة في هذا الفصل وهي أنه نظرا لوجود كثير من الأسماء العربية للقطن في جزيرة العرب والتي تختلف عن الاسماء الهندية فان ذلك يعني قدم استعمال

القطن في جزيرة العرب . ولكن هل تعني تلك النتيجة أيضا أن العرب قد عرفوا نوعا ينتمي لغير القطن الشجري **Gossypium argorium** أو القطن العشبي **Her baceum** استطاعوا انتاجه من الطرز البرية للنوع البري الذي يشير بعض الباحثين في أنواع القطن الى وجوده في اليمن وجنوب الجزيرة وشرق أفرقيا ؟

الموز :

أميل الى دعم رأي حميد الله في أن اصطلاح الطلح ، وكما جاء في القرآن الكريم بالعبارة المزدوجة « وطلح منضود » هو أحد أصناف الموز الجيدة ، أما اصطلاح الطلح اليوم في جزيرة العرب والشمال الأفريقي فيدل على نوع أوكثر من أنواع الجنس **Acacia** .

من المحتمل أن الموز ينمو في بعض الوديان ذات الغطاء النباتي الكثيف في الشريط العماني - اليمني قبل ظهور الاسلام ، خاصة وأن هذا الشريط ما زال يوجد فيه أنواع أثرية **Relics** لأنواع قريبة تنمو في الحزام الهندي - الماليزي .

الأصول عربية

فى القسم الثاني قام الدكتور واطسون بدراسة طرق الانتشار الخاصة بتلك المحاصيل . وقد اشتمل هذا القسم على آراء حول طرق الانتشار تلك . ويؤكد الكاتب أن انتشار هذه النباتات قد تم مع انتشار الاسلام أو اكتسب حركة مع الاسلام ، على عكس الحركة الانتشارية المحدودة جدا خلال الفترة البيزنطية . وقد أشار الباحث الى أن كثيرا من النباتات الجديدة هذه لم تكن معروفة عند البيزنطين ، كما لا يوجد لهذه النباتات أسماء فى اللغة اليونانية حتى القرون الوسطى ، وكان الكتاب الزراعيون البيزنطيون يرددون الكتابات الزراعية القديمة للفترة (٢٥٩ - ٢٦٠) حتى القرن العاشر الميلادى . كما أكد أنه لم يكن للصليبيين دور فى انتشار المحاصيل الا على نطاق ضيق جدا . وقال الباحث أيضا أن من العوامل الهامة التى أدت الى ذلك الانتشار هو الوحدة السياسية لأقطار العالم الاسلامي تحت حكم واحد ولغة واحدة ودين واحد ونظام قانوني واحد . وفى **Glosario** الاسباني تم ذكر ٧٢٦ نوعا نباتيا أعطيت فيها أسماء لاتينية جديدة بعد أن نقلت عن اللغة العربية ولكن واحدا فقط منها كان من أصل لاتيني فى حين أن أصول كل الانواع الباقية عربية .

وفى القسم الثالث قام الكاتب بدراسة آليات الانتشار ، وقد تساءل فى هذا القسم عن الذين نقلوا هذه المحاصيل الى العالم الاسلامي وعن الذين نقلوها من جزء الى آخر . والواقع أن الذين قاموا بهذا الدور هم كثر . ولا أوافق على الرأى الذى طرح فى الصفحة ٢٦٨ فى أن الذين قاموا بالدور الأساسي في عمليات النقل هم الفلاحون أنفسهم أثناء هجراتهم ، وهذا الرأى يقلل لا شك من دور العلميين الزراعيين العرب والحكام الذين أحبوا الزراعة وحرصوا على ادارة الأراضي الخراجية (ملك الأمة) وزيادة انتاجها وتنويعه . كما أن هذا الرأى يناقض في بعض جوانبه ما ورد فى الصفحات ٣٩٠ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٣٩٣ من دور الخلفاء فى ارسال البعثات النباتية وانشاء الحدائق النباتية (وزير الخليفة المهدى ، عبد الله بن طاهر أمير مصر ، خمارويه ، عبد الرحمن الداخل ، الخليفة المأمون ، الخليفة القاهر ، ملوك الطوائف فى الأندلس ، السلطان المملوكي قلاوون ، سلاطنة اليمن ، المرابطين والموحدين فى المغرب) ، وكذلك يناقضه ما ذكره الكاتب بعد ذلك في قيام العلماء الزراعيين والنباتيين العرب بالجولات المختلفة (ابن بصل الاندلسى ، ابن البيطار) . ونتيجة لحركية العلميين العرب فقد وسعوا المعرفة النباتية للأعشاب الطبية المنتشرة عبر معظم أقطار ذلك العالم . **Le Clerc** مثلا

ذكر أن ابن البيطار وصف (٢٠٠) نبات جديد يستعمل طبيا لم يشر اليها ديسقوريدوس Dioscoridos *

البيئة والنبات

وقد أوضح الكاتب ما كان للاهتمام بالري ونشر الزراعة المروية من أهمية في تطور الزراعة في العالم الاسلامي . ولكن هناك أفكارا تحتاج الى مزيد من المناقشة والتوضيح وخاصة بالنسبة للرأي القائل بأن مساهمة المسلمين في ميدان الري ووسائله الجديدة كانت أقل من نشر الوسائل التي كانت قبل الاسلام ولكن على نطاق أوسع بعد أن كانت تلك الوسائل تستعمل على نطاق ضيق (ص ٣٣٢) . وحبذا لو تمت الاشارة في نفس الوقت الى الاكتشافات في ميدان الري والتي درسها الدكتور أحمد يوسف الحسن مثلا .

وقد أشار الباحث في نفس الوقت الى دور المسلمين في نشر نظام القنوات من بلاد فارس الى الشام فمصر والمغرب . وفي هذا الصدد يوجد تساؤل هام وهو عن مكتشف نظام الأفلاج الذي تطور في عمان وجنوب الجزيرة العربية والذي يختلف قليلا عن نظام القنوات ؟

وقد أدى الاهتمام المتزايد بالري والزراعة الى مد الزراعة المروية ما بين البصرة وبغداد حتى كان صياح الديكة في الصباح الباكر يسمع من بيت الى بيت ما بين هاتين المدينتين (الاصطخري) . كما أشار الكاتب الى بعض الدراسات الأخرى الخاصة بأراضي السواد مثل تلك الخاصة بـ (Susa) والتي ذكر أن مساحة أراضي السواد التي كانت خاضعة للخراج تساوي ١٢٥ ألف كيلو مترا مربع ، كما أدى ذلك الاهتمام الى نشأة كثير من المدن في أوائل العهد الاسلامي والى زيادة عدد سكان المدن .

ويستدل الكاتب من ذلك على مدى التطور الزراعي وزيادة الانتاجية الزراعية التي مكنت من دعم ذلك المجموع السكاني الكبير على عكس الوضع في أوروبا في القرون الوسطى حيث لم تكن هذه العوامل فعالة . كما ذكر الكاتب أن الري وانتشاره كان أساسيا في انتشار المحاصيل الجديدة ، وخاصة الأرز وقصب السكر ومحاصيل الخضار الجديدة .

ومن الافكار الهامة التي أشار اليها الكاتب وتحتاج الى أمثلة هي أن المسلمين قد استعملوا للري أنظمة متكاملة

الاصلاح الزراعي

ولم يتوسع الكاتب في موضوعات الأرض وحيازتها ، الا أنه أشار اشارات هامة الى الاصلاح الزراعي عندما طبق في عدد من الاقطار ، ذاكرا أن تقسيم الأرض الى حيازات صغيرة كان له دور في الابداع الزراعي وزراعة المحاصيل المنافسة الاقتصادية . كما أشار الكاتب الى انخفاض الضرائب الزراعية في العصور العربية بالمقارنة مع ما كان يدفع أيام الساسانيين أو الرومان أو البيزنطيين ، الأمر الذي أدى الى النمو الزراعي .

وذكر أن العشور أو أنصاف العشور لم تكن مفروضة على المحاصيل الصيفية أو أن القطن أو الذرة لم تكن من المحاصيل التي تؤخذ عليها العشور . خاصة وان هذا الموضوع كان مثار خلاف بين الفقهاء (يمكن مراجعة الدراسات التي نشرتها تحت عنوان مطالعات في الاقتصاد الزراعي عند العرب والمسلمين) .

ومن الافكار الهامة المشجعة للزراعة والتي أشار اليها الباحث أيضا ما يلي :

ـ ان تخفيض الضريبة الزراعية الى نصف العشر على المزروعات المروية (بالآلة) شجع على نشر الرى الزراعى (غير السيحي) .

ـ أن اعادة الاراضي التى تهمل زراعتها الى الدولة أدت الى تشجيع الزراعة .

ـ يذكر الكاتب أن الفاتحين العرب حرروا المناطق الزراعية من كثير من الطرائق التى كانت متخلفة اقتصاديا .

ـ يذكر الكاتب أن الأساليب الزراعية الجديدة أدت الى ادخال المزيد من الأراضي والعمل فى الزراعة ، كما جلبت مزيدا من الانتاج الى السوق ، وأطلقت قوى التنافس عن طريق القوانين التى تكافىء المجددين والمطورين للزراعة .

وقد ناقش الكاتب بعض الشبهات التى يوردها بعض المستشرقين وأظهر أن النظام الاسلامي لم يربط الفلاح بالارض على عكس النظام الروماني أو الساساني . كما بين الكاتب ظهور العمل الزراعي المأجور الذى لم يكن معروفا قبل الاسلام .

الا أنني لا أوافق الدكتور واطسون على الحاشية التى جاءت من حيث ان الملكية الجماعية للأرض المفتوحة نجمت عن أسباب خاصة بفشل ادارة أراضي السواد . ان الملكية الجماعية للأرض جاءت بناء على الافكار التى طرحها الخليفة عمر بن الخطاب فى حديثه الشهير والمعروف فى كل كتب الخراج والتى أمم بموجبها الارض المفتوحة لمنع تمركزها بأيدى قلة من الناس (تراجع الدراسة التى كتبتها عن ملكية الارض فى الاسلام) .

أما القسم الرابع فقد درس فيه الدكتور واطسون النباتات الجديدة فى الاقتصاد . وقد ناقش واطسون فى هذا القسم الثورة الزراعية فى العالم الاسلامى وأسبابها ورأى أن بعضامن هذه الاسباب هو :

ـ دخول الزراعات الصيفية الى شرق وجنوب البحر الابيض المتوسط بعد ان كانت غير معروفة فى المنطقة .

ـ الغاء التبوير أى زراعة الارض سنويا بدلا من التقليد الرومانى أو اليهودى القديم وهو زراعة الارض مرة كل سنتين . بل وحتى مصر البيزنطية ورغم طمى النيل كانت تزرع مرة كل عامين .

ـ ادخال المسلمين مبدأ التكثيف الزراعي بمعنى زراعة الارض المروية مرتين أو ثلاث مرات كل عام .

ـ استعمال الأسمدة العضوية من المصادر الحيوانية المختلفة واستعمال الدم أو البول أو العظام المسحوقة والقرون أو الرماد ، أو المخلفات النباتية ، أو مخلفات الزيتون كأسمدة (هل استعمال مخلفات الزيتون أو بعض مخلفات الاشجار المثمرة عند المسلمين يعنى معرفتهم ولو معرفة غامضة بموضوع الهرمونات النباتية (الحاثات) ؟ .

ـ مد الزراعة البعلية لبعض المحاصيل الصيفية كالبطيخ الأحمر والذرة .

ـ مد زراعة القمح الصلب الى مناطق أجف من التى كان يزرع فيها .

ـ احياء الموات وتجفيف البطائح وادخال حيوانات جديدة مثل الجاموس .

ـ الزراعة حتى في الارض السيئة والرى بالمياه المالحة .

ـ استعمال الدورات الزراعية التى دخلت فيها النباتات القرنية . وقد احتوت مخطوطة أبي الخير الأشبيلي على التسلسل التالى للمحاصيل الزراعية فى دورة زراعية : لفت ـ كتان ـ شعير ـ قمح . وأميل للاعتقاد أن ترجمة كتاب أبي الخير الاشبيلى الى اللاتينية جعل مبادئنا الزراعية تنتشر فى اوروبا حيث انتشرت الدورة الزراعية الرباعية فى شمال اوروبا المشتملة على زراعة : اللفت ـ الشعير ـ البرسيم ـ القمح ، وهذه الدورة انتقلت بعد ذلك الى أمريكا (سنكرى ، ١٩٧٥) .

تطوير الصناعات الزراعية

ويصل واطسون الى خلاصة هامة وهي أن الكتب الزراعية العربية تعطي الانطباع عن مجتمع يدفع بشكل قوى الى استغلال الحواف الزراعية متطلعا كي يضع الزراعة في أراضى كانت في اوقات مضت غير مزروعة (أي الانتقال الى زراعة الأراضى الهامشية وحواف البوادى) . كما أدت هذه الثورة الزراعية الى تطوير الصناعات التالية في المجتمعات العربية والاسلامية :

ـ صناعة السكر والحلويات .
ـ قشر الأرز .
ـ القطن وحلجه وغزله ونسجه وصبغه .
ـ صناعة الورق .
ـ صناعة الجلود .
ـ الأدوية .
ـ العطور (بما في ذلك الادهان العطرية والطبية المختلفة) .
ـ مواد التجميل .

كما تكلم واطسون عن وسائل نقل التكنولوجيا الزراعية الاسلامية الى الغرب ذاكرا منها :

ـ المستعبدون من المسلمين ، ومن الأمثلة على ذلك ما قام به قراصنة قبرص فى ١٤٠٠ ـ ١٤١٥ من أسر ١٥٠٠ من المسلمين من سفن سلطان مصر وقد جعلوهم عبيدا . ثم رفض حاكم قبرص تحريرهم على أساس أنهم ضروريون لزراعة قصب السكر .
ـ العمال المسلمون .
ـ المتحولون الى الدين المسيحي نتيجة الاضطهاد (في اسبانيا مثلا) .

ولكن لم يناقش واطسون امكانية الاستفادة التى تكون قد تمت على أيدى العلميين الزراعيين والنباتيين المسلمين والكتب الزراعة والنباتية الأندلسية التى ترجمت الى اللغة اللاتينية في العصور الوسطى .

ولكن ، نظرا لأن الغزاة الأوربيين ، كما يعتقد واطسون ، جاءوا من مناطق زراعية غير مكثفة فانهم لم يتعاطفوا مع الزراعة المكثفة التى عرفتها الأيام الاسلامية الأولى ، فعاد هؤلاء الغزاة الجدد يشجعون زراعة الحبوب والرعى .

وفى القسم الخامس ناقش واطسون الزراعة وتراجعها فى العالم الاسلامي ، وقد بين أن التدهور الزراعي الاسلامي قد صاحب التدهور الفكرى الاسلامي . ولذلك بعد أن وصلت الزراعة الى حدودها القصوى وتم استغلال الامكانيات المتوفرة ، بدأت بعض المشاكل الزراعية مثل نقص الخصوبة والتمليح أو انخفاض منسوب الماء الأرضى للرى ، كما وزادت الضرائب . ثم يذكر الباحث المذكور أن الامتداد الزراعي الاسلامي كان حرجا وقابلا للتحطم وكان يمكن المحافظة على انتاجيته لو أن عددا من العوامل تمت المحافظة عليها . ولكن كثيرا من المشاكل تراكمت فى نفس الوقت وقد لخصها فيما يلى :

الضغوط الصليبية على المزارعين واحباط انتفاضات الفلاحين المسلمين ، واستمرار

عمليات الغزو بعد ذلك ، ولقد كان العالم الاسلامي متكاملا ولكن مع التمزق لم يعد بالامكان الاستمرار في عمليات التخصص في الانتاج الزراعي . ونقص الأمن للمراكز السكنية الصغيرة وكذلك لطرق القوافل .

وافتقاد الحكم القوى الرحيم . وكذلك زيادة الضرائب التى لم تعد تشجع على الانفاق والانتاج . ثم نشأة الانظمة الفاسدة من الاقطاع والالتزام حيث منع الاقطاع من الابداع الزراعي . ونشأة الملكيات الكبيرة نتيجة الظلم وعدم قدرة السلطة على حماية الضعيف . ونقص الانتاجية العمالية ، كما أن الاوبئة التى كانت تأتي من اوروبا أدت الى القضاء على نسبة عالية من السكان وهذا أدى بالتالي الى نقص العمل الزراعي . واخيرا فان ادخال زراعة النباتات الصناعية مثل قصب السكر خارج العالم الاسلامي ، ثم فى العالم الجديد أثر على صناعة السكر والقطن في أقطار البحر الابيض المتوسط الشرقية والجنوبية . ولم يكن هذا التأثير مقصورا على قفل الأسواق الاوربية في وجه صناعات العالم الاسلامي بل الى فتح الأسواق الاسلامية أمام تلك المنتجات الواردة من خارجه . وفى القرن السابع عشر اختفت زراعة القصب السكرى والارز والموز والقطن الى حد كبير من أقطار الشرق الأوسط .

ولا أوافق الكاتب عندما تكلم عن موجات الغزاة التى اجتاحت العالم الاسلامي في دمجه غير الطبيعي عبر ذلك الاصطلاح للصليبيين والأيوبيين معا والسلاجقة والمماليك والتيمورلنكين والعثمانيين ودمج الاسبان والنورمانديين وبني هلال والمرابطين والموحدين فى المغرب ، فالايوبيون والمرابطون مثلا أقاموا أنظمة هامة فى المشرق والمغرب ، ويضاف الى ذلك ، وهو أمر معروف بشكل جيد لدى الباحث ، أن أنظمة الأيوبيين والسلاجقة والمرابطين والموحدين هي عبارة عن أنظمة حاكمة ضمن الحضارة العربية الاسلامية وليست أنظمة غازية .

وبصفة عامة فان هذه الدراسة يمكن أن تعتبر دراسة استقرائية تاريخية هامة لكثير من المراجع العربية في التراث الزراعي وهي تشكل قاعدة هامة لدراسات قادمة حول التاريخ الزراعي وتطوره في الوطن العربي والعالم الاسلامي ، ومن المهم نشرها باللغة العربية سريعاً . كما أن قراءة كتاب واطسون تحفز الى ضرورة نشر المخطوطات الزراعية العربية وذلك لاظهار الدور الكبير الذي كان للعرب والمسلمين في تطوير الزراعة وايصال مبادئها الخاصة بنقل الأصول الوراثية وتكوين حدائق الأصول الوراثية والتكثيف الزراعي الى درجة المباديء المعروفة اليوم . بل وأعتقد أن هناك بعض الحقائق العلمية التي تحتاج الى إعادة اكتشاف عبر المراجع ، والتي قد تساعد على تطوير الزراعة اليوم ، ثم ان هناك كثيراً من الأفكار التي تستحق اعادة التجربة والتي يمكن أن تكون برامج لأبحاث دكتوراه تراثية ـ علمية ـ تطبيقية . وهي في الوقت ذاته تدعو الى الحذر من استعمال اسلوب الاسم المحلي للنبات لمعرفة الموطن الذي جاء منه النوع أو الصنف . أضف إلى ذلك ضرورة التوسع في إظهار دور العلميين الزراعيين العرب والاشارة الى اساليبهم التجريبية وايراد الأمثلة عن الأصناف التي طورت ضمن المحاصيل الهامة ، وكذلك الى أهمية عمليات الاستيراد المختلفة للأصول الوراثية في نشأة المراكز الثانوية للتطور . كما نرى أنه من المفيد جدا عند كتابة الكلمات العربية بالأحرف اللاتينية عبر الكتاب أن يشار بالأحرف العربية أيضا .

إنها بعد ذلك دراسة هامة ويجب أن تنشر باللغة العربية ، علّها تكون حافزا لنشر التراث العربي في الزراعة والنبات . ○



الأسهم وتداولها في الشركات المساهمة

تأليف : د . يعقوب يوسف صرخوه .

الناشر : : دار النهضة العربية ـ القاهرة .

سنة النشر : ١٩٨٢ م .

○ شهدت نهاية عام ١٩٨٢ بروز أزمة في سوق الأوراق المالية في الكويت (أزمة سوق المناخ) عكست نفسها على جوانب معينة في الاقتصاد الكويتي .

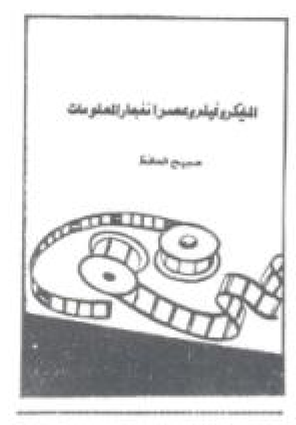
وقد درس المؤلف في كتابه الذي بين أيدينا طبيعة تكوين الشركات المساهمة في الكويت ، وألقى نظرة سريعة على المراحل التي مرت بها مسيرة انشاء الشركات المساهمة .

وسجل عدة ملحوظات على واقع الشركات المساهمة قبل حدوث الأزمة ومنها :

انحراف بعض الشركات عن أغراضها الاساسية التي أنشئت من أجلها والدخول في سوق الاسهم متعاملة فيها بيعا وشراء .

شيوع ظاهرة التعامل بكمبيالات المجاملة التي تحررها الاطراف لمصلحة بعضهم البعض دون ارتباطهم بمعاملات حقيقية . وقد عقد المؤلف مقارنة في فصول كتابه بين القوانين التي تضبط اسهم الشركات المساهمة في الكويت ومصر وفرنسا وانجلترا وتناول تفصيلات كثيرة تتعلق بتأسيس الشركات والاكتتاب والأسهم وأنواعها وزيادة رأس المال وتخفيضه والتداول والأحكام العامة التي تضبط ذلك .





المايكروفيلم وعصر (انفجار المعلومات)

تأليف : صبيح الحافظ

الناشر : وزارة الثقافة والاعلام ـ العراق .

سنة النشر : ١٩٨٢ م

○ من حقائق العصر التي تتأكد كل يوم أن هناك تضخما وكثرة في المعلومات لذلك فقد أصبح من الضروري ابتكار أدوات تكنولوجيا تستوعب وتحفظ . بحر المعلومات ـ فكان المايكروفيلم .

يقول المؤلف ان المايكروفيلم . يمكنه :

اختزال مكان حفظ وخزن المعلومات الى أقل مساحة ممكنة .

استرجاع أية معلومة مهما كان قدمها (قد تصل الى ٥٠٠ سنة)وقراءتها على شاشته وطبع نسخة ورقية منها .

وتعود فكرة المايكروفيلم حسب ما أورد المؤلف الى سنة ١٨٥٣ م حين تمكن السيرجون هيرجل من تصوير وثائق مهمة تخص حقوق قسم من الناس بأفلام وكاميرات اعتيادية واستخدام أجهزة التكبير في الطبع .

وشرح المؤلف في فصول كتابه السبعة أنواع وأشكال وصناعة المايكروفيلم والعناصر الكيماوية التي تدخل في معالجة تظهير وتثبيت الأفلام وأوعية الحفظ والخزن ، وانشاء مركز توثيق الافلام ، ومعلومات أخرى خاصة تتعلق بالاجهزة وكيفية عملها .

مقدمة في الوثائق الاسلامية

المؤلف : د . قاسم السامرائي .
الناشر : دار العلوم ـ الرياض
سنة النشر : ١٩٨٣ .

○« دراسة الوثائق والمخطوطات وانتقاء ما يخدم منها الحياة المعاصرة وفهمها وتقريبها الى الجيل المعاصر سيخفف من الانبهار الحضاري السطحي الذي أصاب أبناء هذا الجيل ويعيد الثقة من جديد بالنفس ويصلح الكثير من الانحرافات النفسية عند الشباب المنبهر بالغرب » .

هذا ما ذكره الدكتور يوسف عز الدين في مقدمته لهذا الكتاب .

أما المؤلف فانه ذكر بعض الشروط الخاصة بالوثائقي من حيث انه يجمع بين نباهة الأثاري ودقته وصبره ومثابرته وبين دقة المحقق وتتبعه ، لأنه يتعامل مع نص لاثاني له ، وهو بعد هذا يجب أن يكون على دراية واسعة بالتكوين التاريخي والعلم بالظروف التاريخية أو بالتاريخ العام الذي يقع فيه النص أو الوثيقة .

واذا كانت هذه الصفات صفات عامة ، فان دارس الوثائق الاسلامية يجب ألا يستغنى عن المعرفة الدقيقة بالشريعة الاسلامية ومذاهبها وأصول أحكامها وما يتبعها من مختلف الفروع كنظام القضاء والحسبة والشرطة والأوقاف فضلا عن اللغة والتاريخ .

وقد تتبع المؤلف ذكر الوثائق كما وردت في المؤلفات اعتبارا من أيام الجاهلية ـ المعلقات ـ مرورا بقيام الدولة الاسلامية زمن الرسول صلعم ، وما تلاها . ولم يغفل الاشارة الى النقائش والوثائق البردية والأوزان والمكاييل والأختام والأوراق النقدية كمصادر مهمة تضاف الى المصدر الأساسي .

جدلية العلاقة بين الفكر العربي والتراث

المؤلف : فرحان صالح .
الناشر : دار الحداثة ـ بيروت
سنة النشر : ١٩٨٣ م

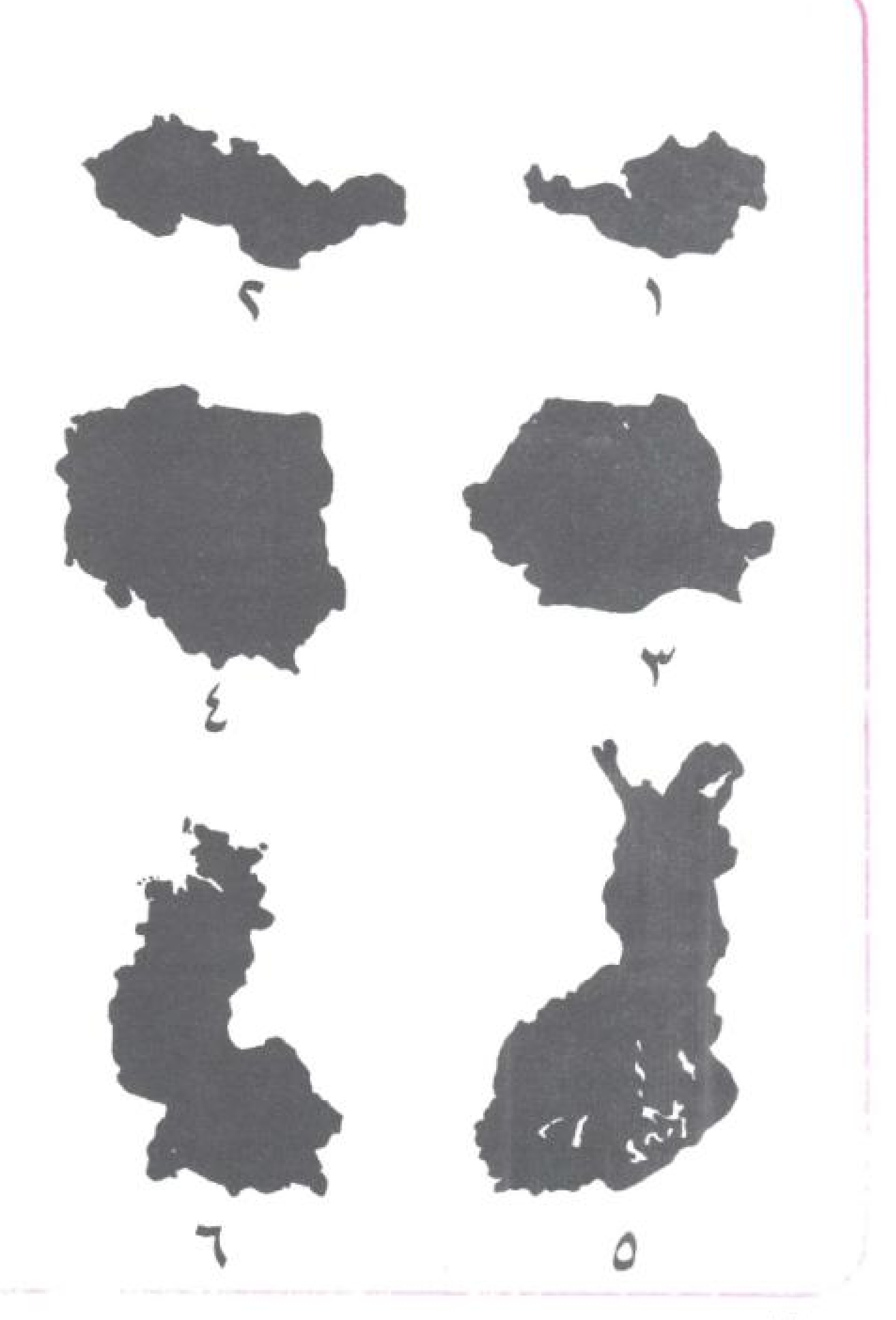
○ يقول المؤلف في مقدمة الكتاب ان « التراث العربي يحوي جميع التجارب الحضارية والفكرية المختلفة التي عرفتها اقطار الوطن العربي ، سواء على الصعيد الداخلي أو على صعيد العلاقات مع الاخرين » .

ويضيف « حين نقول التراث العربي فليس في ذلك الا تأكيد على ان للموروث العربي في السياسة والفعل الاسلاميين ، خصائص ومميزات حضارية عن تراث الاخرين ، وهذه المميزات والخصائص بعمقها الاجتماعي التاريخي الثقافي ، شكلت الزاد الذي يبلور شخصية هذه الأمة الممتدة في التاريخ وبعدها الراهن في الحاضر » .

أما من حيث علاقة التراث بالحاضر ، وعلاقة البشر في التراث فان المؤلف يؤكد على « ان قيمة فعلنا في الحاضر ، تأخذ عمقها التاريخي في التراث كذات ، وفي الاحداث التاريخية كفعل جماعي ليس كحدث مضى فقط ، بل كحدث مازالت له قيمته الفاعلة في الواقع .

ان قيمة هذا الفعل في ان نراه كما سبق ، ضمن منهجية جدلية نقدية ، وكحركة مستمرة في البحث عن الهوية التراثية والتاريخية للعرب ، وصولا للتأثير النقدي الفاعل في الفكر الاسطوري الخرافي الذي مازال سائدا ، وبهدف التحويل البطيء في تغيير هذا الفكر من خلال علاقة اكثر ديناميكية بالواقع ، ومن ثم في العمل الدؤوب للفعل القومي في هذا الواقع ، لدفع هذه الرؤية الجماهيرية الى حالة أرقى تتطابق مع رؤية جديدة للعالم ، رؤية مساواة ندية تستطيع ان تساهم في الصراع الحضاري بشكل أفضل » .




١
٢
٣
٤
٥
٦

٨ ٧

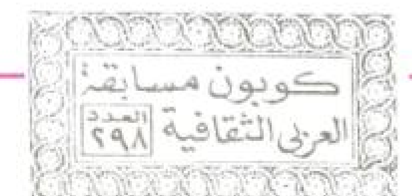
١٠ ٩

١٢ ١١

هذه خرائط (١٢) دولة اوروبية انتزعت من اطارها دون العبث بأوضاعها من حيث شمالها وجنوبها وشرقها وغربها ، ودون المساس بمقاييسها ونسبة مساحتها بعضها الى البعض الآخر .

والمطلوب منك التعرف الى (١٠) من الدول التي تمثلها هذه الخرائط فتذكر اسم كل دولة منها بجانب الرقم المتسلسل الذي تحمله خريطة تلك الدولة .

وفيما عدا ذلك فان شروط هذه المسابقة هي نفس شروط المسابقات السابقة ، سواء من حيث موعد وصول ردودها أو لصق كوبونها أو ذكر رقم المسابقة على الغلاف الخ . .



معركة بلا سلاح

« ليس من الحكمة مُبادلة او تكسير قطعة انتشرت مُقابل قطعة لم تنتشر لأن في ذلك خسارة لِوقت ثمين » .

هاري جولومبك *

الجامبيت

الجامبيت افتتاح يُضحّي فيه الأبيض ببيدق أو بيدقين لبناء هُجوم قويّ على جناح الملك الأسود ، ودفاع الأسود عن البيدق أو البيدقين اللذين كسبهما غالباً ما يُسيء إلى موقفه الدفاعي ويوقعه في متاعب عديدة ... وتضحية الأبيض بالبيدق لا يُعدّ شيئاً اذا ما قورن بامكانات الهجوم العظيمة التي تُتيحها هذه التضحية على مركز ملك الخصم .. ولا مانع أن يقبل الأسود البيدق الأبيض المُضحّي ولكن عليه أن يُسارع في نشر قطعه ، وقد يجد نفسه مُضطراً لردّ القطعة التي ضحّى بها الخصم خشية ان يوقعه الدفاع عنها في متاعب لا قِبل له بها .

وأنواع الجامبيت كثيرة غير أنها جميعاً تهتم بتركيز الهجوم على مُربع ٧ ف م الضعيف .... واهم أنواع الجامبيت جامبيت الملك وجامبيت الوزير **King and Queen Gambits** والافتتاحية التالية مثال جيد على النّوع الأوّل :

جامبيت المَلِك

١ . ب - ٤ م ب - ٤ م

٢ . ب - ٤ ف م مُضحّياً بالبيدق

للسيطرة على الوسط ومهاجمة خانة ٢ ف م الضعيفة والتعجيل بانتشار قطعه الضاربة . وقد يجد الأبيض نفسه مُضطراً للتضحية بمزيد من البيادق لتحقيق الأهداف المُتوخاه

٢ . ... ب × ب كان بامكان الأسود رفض التضحية والردّ ٢ . ... ف - ٤ ف أو القيام بهجوم مُعاكس بأن يلعب ٢ . ... ب - ٤ و

٣ . ح - ٣ ف م نقلة انتشارية كما انها تمنع الأسود ان يلعب و - ٥ر + أما لو لعب الأبيض ٣ : ف - ٤ ف فبامكان الأسود ان يرُد عليها

٣ . ... ب - ٤ و

٣ . ... ب - ٤ ح م متمسكاً بالبيدق الذي ربحه وكان بامكانه أن يلعب أيضاً :

(أ) ٣ ...... ب - ٤ و ومما يضطر الأبيض أن يلعب ٤ : ب × ب

أو (ب) ٣ ...... ف - ٢ م والتي يرُدّ عليها الأبيض بـ ٤ . ف - ٤ ف

٤ . ب - ٤ر م لتحطيم خطوط دفاع الأسود المتقدّم وكان بامكانه ان يلعب أيضاً ٤ : ف - ٤ ف ، ب - ٥ ح ٥ : ت مُضحّياً بقطعة كاملة للاعداد لهجوم عنيف

٤ . ... ب - ٥ ح

٥ . ح - ٥ م للسيطرة على نقاط الضعف لدى الأسود (٢ ف م) و (٥ ح م)

٥ . ... ح - ٣ ف م وهو أفضل الرّدود ، اما لو لعب ٥ . ... ب - ٣ و ١

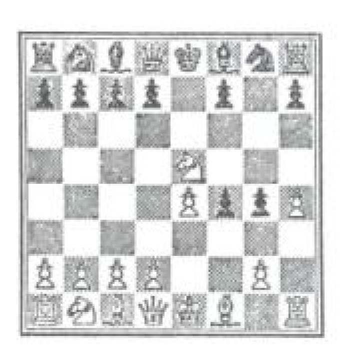
---

* لاعب ومؤلف بريطاني بارز لمع اسمه في الخمسينات والستينات من هذا القرن .

٦ : ح×ب ح أو ٥ . . . . . ب - ٤ و ؛

٦ : ب - ٤ و وهُما لصالح الأبيض

٦. ب - ٤ و ! (ممتازة) لأن من الأفضل للأبيض ان يستمر في نشر قطعه واحتلال الوسط بدلاً من ح×ب ح



٦. . . . . . . ب - ٣ و

٧. ح - ٣ و ح×ب

٨. ف×ب مع أن الأبيض لم يستعد البيدق الذي ضحى به في البداية إلا انه تمكن من نشر قطعه بشكل جيد ونجح في فتح الطريق لمهاجمة (٢ ف م)

٨. . . . . . . و - ٢ م نقلة دفاعية وهجومية في آن واحد مُهدداً بالفوز بالوزير بالكش بالكشف بنقل الحصان الى ٦ ف +

٩. و - ٢ م ف - ٢ ح

١٠. ب - ٣ ف ب - ٤ رم

١١. ح - ٢ و ومع أن هذه النقلة قد تؤدي الى تبادل الوزراء فان الأبيض يُحسن موقفه الهجومي

١١ . . . . . . ح×ح

١٢. ح×ح و×و + الأسود مضطر للمبادلة فان الأبيض سيلعب (و - ٢ ف) مهدداً بنقل الرخ الى (١ م)

١٣. ف×و ف - ٤ ف

١٤. رم - ١ ف م ح - ٣ ف

مسألة شطرنجية :

الأبيض يلعب ويكش مات بأربع نقلات



١٥. ف - ٥ ح ف - ٣ ح

١٦. ح - ٤ ف ومع أن الأسود لا يزال متقدماً ببيدق إلا أن موقفه أضعف من موقف الأبيض بكثير ، وهذا ينقلنا الى مناورات وتعبئات أواسط اللعب



لحل المسابقة اقلب الصفحة :



سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت

سبتمبر
١٩٨٣م

ظاهرة العلم الحديث

دراسة تحليلية وتاريخية

تأليف
الدكتور عبدالله العمر



الكتاب التاسع والستون

المراسلات :
توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص ب ٢٣٩٩٦ الكويت

هنالك مجموعة مصرفية واحدة فقط في العالم تساهم فيها الدول العربية جميعاً

منذ اثني عشر عاما نشأت فكرة تكوين مجموعة مصرفية فريدة من نوعها تشارك فيها كل دولة عربية ، ممثلة بواحدة أو اكثر من مؤسساتها المصرفية أو المالية ، ومن ثم ترتبط هذه المجموعة عن طريق المشاركة في رأس مالها مع كبريات المصارف العاملة في المراكز المالية الدولية ، التي تتواجد فيها بنوك المجموعة ، بحيث تهيء كافة الأسباب لتنشيط التجارة بين الدول العربية وبقية انحاء العالم .

وقد أصبحت هذه الأمنية ، اليوم ، حقيقة ناطقة فالدول العربية الاثنتان والعشرون ممثلة كلها في المجموعة عن طريق ٢٦ مؤسسة من مختلف هذه الدول . وبالاضافة الى ذلك فان ٢٣ من كبريات المؤسسات الدولية تساهم في بنوك المجموعة الى جانب المؤسسات العربية بغية تحقيق اهدافنا المشتركة .

وهذا كله يجعل مجموعة بنوك اليوباف AL UBAF BANKING GROUP متميزة عن كل ما عداها ، اذ ان اية مؤسسة تسعى الى القيام بعمل تجاري في اي جزء من العالم العربي ، ستكون على يقين بأن في امكانها ان تعتبر المجموعة بمثابة شريك لها بصورة أو أخرى فيما تستهدفه من مشاريع أو عمليات نظرا لتنوع أنشطة بنوك المجموعة وشمولها لمختلف القطاعات المصرفية .

فان أردت السوق النقدية ، وجدت ان رقم اعمالنا في عام ١٩٨٢ بلغ ٣٠٠ مليار دولار ، وان اجتذبتك عمليات تمويل التجارة الخارجية الفيتنا في الصف الأول برقم اعمال يتجاوز الـ ٦ مليار دولار ، كذلك فان مجموعتنا رائدة في مجال تنظيم وادارة القروض المشتركة SYNDICATED LOANS اذ بلغ اجمالي القروض التي شاركنا في ادارتها او تنظيمها ، في ذات العام ، ٦٢ مليار دولار .

وقد بلغ اجمالي اصول بنوك اليوباف ١٤ مليار دولار .



البحرين: بنك اليوباف العربي الدولي
هونج كونج: يوباف انترناشونال لميتد
لندن: يوباف بنك لميتد - يوباف المحدود للخدمات المالية
لوكسمبورج: يوباي البنك العربي الالماني - فرع في فرانكفورت ماين
نيويورك: البنك العربي الامريكي - يوباف - فرع في جزر كايمان
باريس: اتحاد المصارف العربية والفرنسية (يوباف)
فروع في البحرين - سيول - سنغافورة - طوكيو
روما: يوباي البنك العربي الايطالي مكتب تمثيل في ميلانو

بيروت: مكتب تمثيل
القاهرة: مكتب تمثيل

المجلة العربية للعلوم الإنسانية

مجلة فصلية محكمة ، تقدم البحوث الاصيلة والدراسات الميدانية والتطبيقية في شتى فروع العلوم الانسانية والاجتماعية باللغتين العربية والانجليزية .

تصدر عن جامعة الكويت

صدر العدد الأول في يناير ١٩٨١

رئيس التحرير د. عبدالله العتيبي

مدير التحرير عبدالعزيز السيد

- تتناول المجلة الجوانب المختلفة للعلوم الانسانية والاجتماعية بما يخدم القارىء والمثقف والمتخصص .
- تعالج موضوعات المجلة الميادين التالية :

اللغويات النظرية والتطبيقية – الآداب والآداب المقارنة – الدراسات الفلسفية الدراسات النفسية – الدراسات الاجتماعية المتصلة بالعلوم الانسانية – الدراسات التاريخية – الدراسات الجغرافية – الدراسات التربوية – الدراسات حول الفنون (الموسيقى – التراث الشعبي – الفنون التشكيلية – النحت ... الخ) – الدراسات الاثارية (الاركيولوجية) .

- تقدم المجلة معالجاتها من خلال نشر :

البحوث والدراسات – مراجعات الكتب – التقارير العلمية – المناقشات الفكرية .

- مواعيد صدور المجلة : كانون ثاني – نيسان – تموز – تشرين أول .
- تنشر المجلة ملخصات للبحوث العربية بالانجليزية ، وملخصات بالعربية للبحوث الانجليزية .

ثمن العدد : للأفراد ٤٠٠ فلس

للطلاب ٢٠٠ فلس

الاشتراكات السنوية

	داخل الكويت	في الخارج
– للمؤسسات	١٠ د.ك.	٤٠ دولاراً أمريكيا
– للأفراد	٢ د.ك.	١٥ دولاراً أمريكيا
– للاساتذة والطلاب	١ د.ك.	١٠ دولارات أمريكية

- تقبل الاشتراكات في المجلة لمدة سنة أو عدة سنوات .
- قواعد النشر تطلب من رئيس التحرير .
- جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير :

ص.ب : ٢٦٥٨٥ (الصفاة)

الكويت – الشويخ – ت : ٨٢١٦٣٩ – ٨١٧٦٨٩ – ٨٤٥٤٥٣

مجلة
دراسات الخليج والجزيرة العربية

تصدر عن جامعة الكويت

رئيس التحرير
الدكتور عبدالله الغنيم

صدر العدد الأول في كانون ثاني (يناير) ١٩٧٥

تصل أعدادها الى أيدي نحو ١٢٥٫٠٠٠ قارئ

يحتوي كل عدد على حوالى ٢٥٠ صفحة من القطع الكبير تشتمل على : -

- مجموعة من الأبحاث تعالج الشئون المختلفة للمنطقة بأقلام عدد من كبار الكتاب المتخصصين في هذه الشئون .
- عدد من المراجعات لطائفة من أهم الكتب التي تبحث في المناحي المختلفة للمنطقة .
- أبواب ثابتة : تقارير - وثائق - يوميات - بيبليوجرافيا .
- ملخصات للأبحاث باللغة الانجليزية .

ثمن العدد : ٥٠٠ فلس كويتي أو ما يعادلها في الخارج .

الاشتراكات : للافراد سنويا ديناران كويتيان في الكويت ، ١٥ دولارا أمريكيا في الخارج (بالبريد الجوي) .

للشركات والمؤسسات والدوائر الرسمية : ١٢ دينارا كويتيا في الكويت ، ٤٠ دولارا أمريكيا في الخارج (بالبريد الجوي) .

منشورات المجلة :

تصدر المجلة أيضا دراسات مستقلة متعلقة بشئون المنطقة صدر منها

١- كتاب **التكامل الاقتصادي في الخليج العربي (د . محمد هشام خواجكية) . ١٩٧٩ .**
٢- كتاب **آفاق التنمية الصناعية في دول الخليج العربي (د . عبد الاله أبو عياش) . ١٩٧٩ .**
٣- كتاب **حقوق الطفل في دولة الكويت (د . بدرية العوضي) . ١٩٧٩ .**
٤- كتاب **الاحصاءات الاقتصادية في المملكة العربية السعودية (بدوي خليل) ١٩٨٠ .**
٥- **دور جريدة فتاة الجزيرة في أحداث عام ١٩٤٨ بصنعاء (سلطان ناجي) ١٩٨٠ .**

سلسلة وثائق الخليج والجزيرة العربية لعام صدر منها :

الكتاب الأول وثائق الخليج والجزيرة العربية لعام ١٩٧٧ . ١٩٧٩ .

العنوان : جامعة الكويت - كلية الآداب والتربية - الشويخ - دولة الكويت .
ص . ب : ١٧٠٧٣ - الخالدية
الهاتف : ٨١٦٨٠٧ - ٨١٦٧٩٩ - ٨١٦٨٢

جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير .

من المسرح العالمي
سلسلة ثقافية
تصدرها في مطلع كل شهر
وزارة الإعلام في الكويت

أول سبتمبر ١٩٨٣

١٦٨

سافو

تأليف : فرانس جريلبارتسر
ترجمة وتقديم : د. باهر الجوهري
مراجعة : د. كمال صفوت الألفي

أفكار مفيدة من
توشيبا

إنّ الفكرة العامة التي تقوم عليها شركة توشيبا هي إستخدام الخبرة التقنيّة المبدعة لصناعة أفضل الأجهزة الكهربائية وأكثرها جدارة. فسواء أكنتم تستعملون مكنسة كهربائية، مروحة أو مكيّف هواء فإنكم تدركون إن هذه الأجهزة لم تصنع لكي تؤدي مهامها على أكمل وجه فقط بل لتقتصد في استهلاك الطاقة أيضاً ذلك لأن توشيبا تصنع كل محرّكات أجهزتها بنفسها. خبرة توشيبا الخلاّقة تعني الاعتمادية المتناهية والأداء المتفوق. جرّبوا أجهزة توشيبا المنزلية لتدركوا ما تستطيع خبراتنا الخلاّقة أن تقدّم لكم.



VH-3200
VC-777

فرن كهربائي — ماكينة للطعام — مكيّف هواء — مروحة مع مصباح ليلي — غسالة كهربائية — مكنسة كهربائية





توشيبا

TOKYO, JAPAN

CMX 7065RH

الآن ١٠ أنظمة لمشاهدة العالم

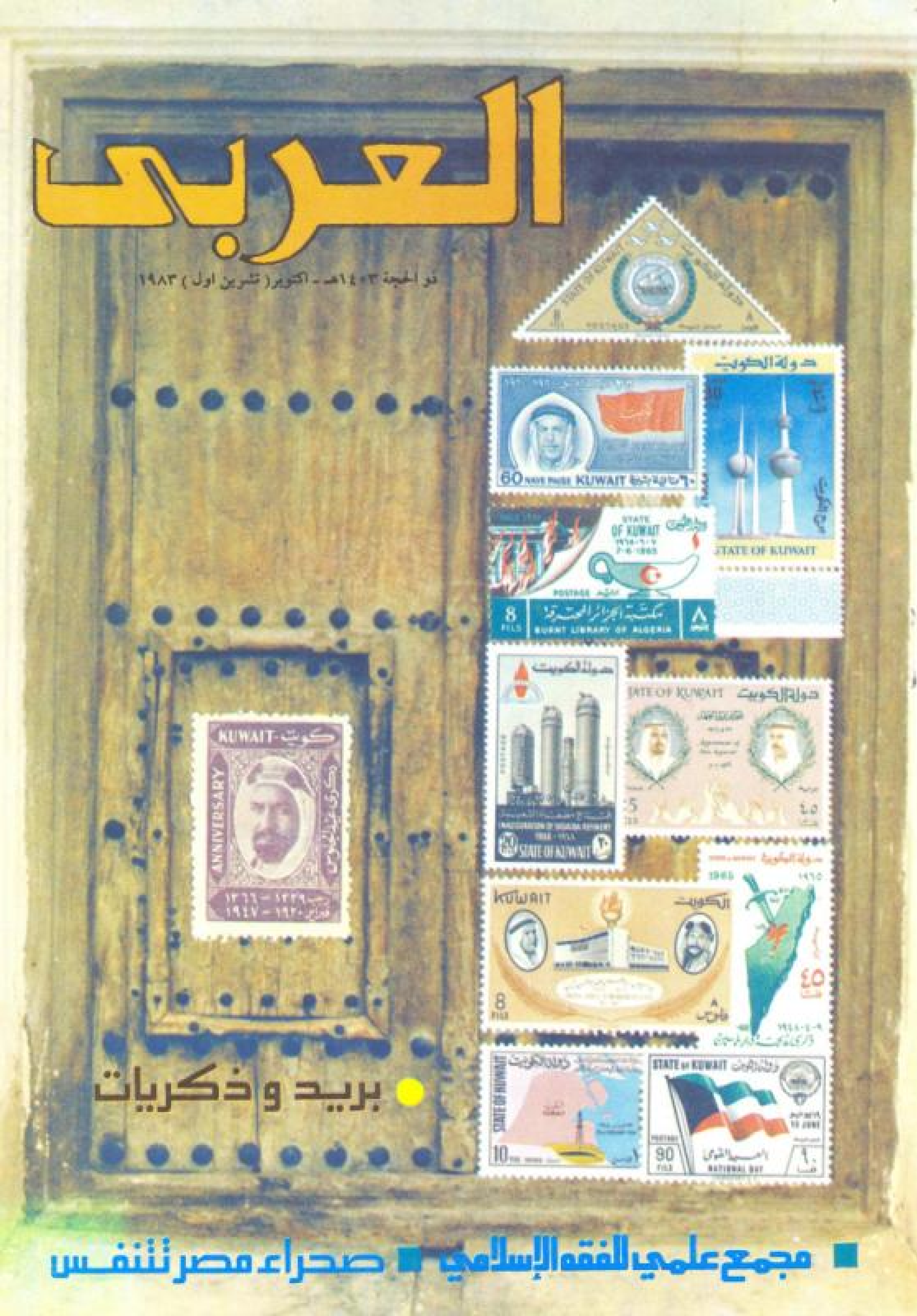
١٠ SYSTEM

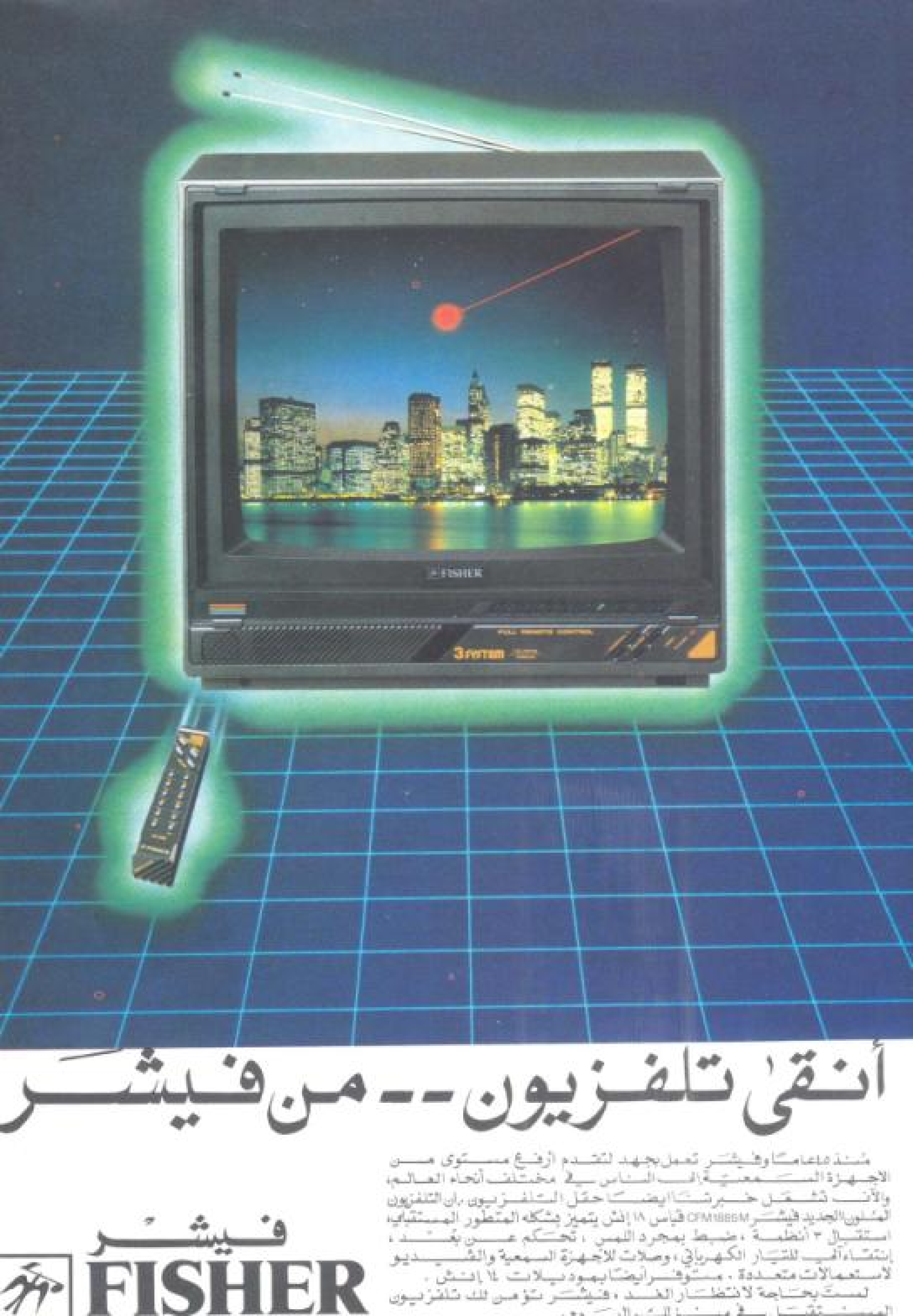
٦ أنظمة تلفزيونية و ٤ أنظمة للمشاهدة من مسجل الفيديو تضع عالم التسلية بين يديك .

CMX 7065RH تلفزيون ملون ١٠ أنظمة من سانيو قياس ٢٢ بوصة لاستقبال ٦ أنظمة تلفزيونية ملونة ومشاهدة ٤ أنظمة من مسجل الفيديو ليتيح لك مشاهدة الإذاعات التلفزيونية وأشرطة الفيديو من جميع بلدان العالم* تقريباً ، يمتاز بنظام التنغيم بالتردد المعياري للفولطية ، ١٢ قناة متكاملة الذاكرة ، لوحة عرض LED للقنوات ، نظام مكبر للصوت باتجاهين ، ٢٢ وظيفة للريموت كونترول بالأشعة دون الحمراء ، إنتقاء اوتوماتيكي للفولطية من ٨٠ ـ ٢٩٠ فولط ، نقاط توصيل لطاقة الدخل والإخراج السمعية والتلفزيونية .

* غير متناغم مع الأنظمة في البرازيل والأرجنتين والأرغواي والبراغواي وفرنسا .




العربي
ذو الحجة ١٤٠٣هـ - اكتوبر (تشرين اول) ١٩٨٣
بريد وذكريات
مجمع علمي للفقه الإسلامي
صحراء مصر تتنفس


FISHER
FULL REMOTE CONTROL
3 SYSTEM
أنقى تلفزيون -- من فيشر
منذ ٥٠ عاماً وفيشر تعمل بجهد لتقدم أرفع مستوى من
الأجهزة السمعية إلى الناس في مختلف أنحاء العالم،
والآن ننقل خبرتنا أيضاً حقل التلفزيون، إن التلفزيون
الملون الجديد فيشر CFM1886M قياس ١٨ إنش يتميز بشكله المتطور المستقبلي،
استقبال ٣ أنظمة، ضبط بمجرد اللمس، تحكم عن بعد،
إنتقاء آلي للتيار الكهربائي، وصلات للأجهزة السمعية والفيديو
لاستعمالات متعددة. متوفر أيضاً بموديلات ١٤ إنش.
لست بحاجة لانتظار الغد، فيشر تؤمن لك تلفزيون
المستقبل في منزلك اليوم.
فيشر
FISHER
The first name in high fidelity

عزيزي القارئ

ظاهرة قائمة تسود الحياة الثقافية العربية ، تتمثل في انتشار الكتابات والأعمال الفنية المختلفة التي تقطر مرارة وتشيع روح اليأس في حياتنا ، ولا تولد وراءها سوى العجز والشلل .

فما جدوى لطم الخدود وتعذيب الذات . !

ولعل هذه الظاهرة تعود الى مسيرة الأمة العربية على طريق مليء بالأحزان ، وتمضي على درب العجز أمام التحديات ، مع تنوع صور الفشل والاحباط التي واجهتها خلال العقدين الأخيرين . .

وعندما يتمكن اليأس من القلوب ينعكس على جميع المجالات الثقافية ، فيرتعش الحرف في أقلام الكتاب ، وترتجف الكلمات في أفواه الفنانين ، وتضطرب الريشة بين أنامل الرسامين . !

ونتساءل : هل من حق المثقف ان يستسلم لليأس ، وان يقف عاجزاً أمام التحديات . . ؟ ! أم أن واجبه يفرض عليه ان ينشب أظافره متشبثاً بأي بارقة أمل تزيح عن الأمة الكابوس الثقيل ، وأن يرعى في حنو نبت الأمل الأخضر ، واثقاً ان التاريخ لا يتوقف ، وأن الزمن يتسع للبناء . .

مدركاً طبيعة الموقف الذي يتركز فيه الأمل ، فهو مستودع ذاكرة الأمة وهو في ذات الوقت بصيرتها ، وهو لا يملك ترف السماح لليأس ان يتسلل الى نفسه ، ولا ان يصل الخوف الى قلبه ، فبقدر ما يقع عليه عبء البحث عن حلول واقعية للمشاكل القائمة ، عليه أيضاً الدفاع عن جذوة الحلم المشتعل ، فالحاح شواغل الحاضر لا ينبغي ان يحجب عن المثقف رؤية المستقبل .

فهو حارس الحلم العربي . .

وترسم بعض الكلمات المضيئة حدود دور المثقف : « بدل ان تلعن الظلام أشعل شمعة . . » ، « رحلة الألف ميل تبدأ بخطوة » ، وهذه كلمات جان جاك روسو يعبر من خلالها عن التزام المثقف : « اذا كانوا ألفاً فسأكون واحدا منهم ، واذا كانوا مائة فسأكون واحداً منهم ، واذا كانوا عشرة فسأكون واحدا منهم ، واذا كانوا واحدا ، فسأكون هذا الواحد . . »

وهذا هو جوهر الدور الذي تحرص عليه مجلة العربي . .

المحرر



العربي

العدد ٢٩٩ ـ اكتوبر ١٩٨٣

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

رئيس التحرير :

الدكتور محمد الرميحي

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت للوطن العربي وكل قارىء للعربية في العالم . الوزارة غير مسؤولة عما ينشر فيها من آراء . والمجلة غير ملتزمة باعادة أي مادة تتلقاها للنشر .

ثمن العدد . بالكويت ٢٠٠ فلس ، السعودية ٤ ريالات ، العراق ٢٠٠ فلس ، الأردن ٢٠٠ فلس ، سوريا ٢٠٠ قرش . لبنان ٢٠٠ قرش ، مصر ١٥٠ مليما ، السودان ١٥٠ مليما ، المغرب ٣ دراهم ، تونس ٣٥٠ مليما ، الجزائر ٣ دنانير ، البحرين ٣٠٠ فلس ، قطر ٤ ريالات ، الامارات العربية المتحدة ٤ دراهم ، سلطنة عمان ٢٥٠ بيسه (١/٤ ريال عماني) ، اليمن الشمالي ٣ ريالات ، اليمن الجنوبي ٢٥٠ فلسا ، ليبيا ٢٥٠ درهما .

الاعلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراسلات : باسم رئيس التحرير

عنوان المجلة بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤١ ٤٦٨٢٤٢

تلغرافيا « العربي »

الاشتراكات

ترسل الطلبات الى :

قسم الاشتراكات

المكتب الفني ـ وزارة الاعلام

ص . ب (١٩٣) ـ دولة الكويت

على طالب الاشتراك تحويل قيمة الاشتراك بموجب حوالة مصرفية أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الاعلام ، طبقا لما يلي :

البلاد العربية ٣٫٥٠٠ (ثلاثة دنانير ونصف)

بلاد غير عربية ٥٫٠٠٠ (خمسة دنانير)

AL - ARABI No299 October 1983

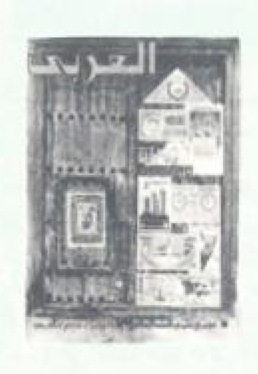
P.O.Box 748, KUWAIT .



محتويات العدد

قضايا عامة

عروبة واسلام



صورة الغلاف

عرفت الكويت البريد منذ نشأتها .. كانت اول اشارة للخدمات البريدية في الكويت في عام ١٧٧٥ ، هكذا تؤكد المصادر .. وفي هذا العام ايضا بدأت الخدمات البريدية في الكويت ثم تطورت .

(اقرأ قصة طوابع البريد في الكويت ص ٦٨)

طب وعلوم

آداب وفنون



البحرين .. المحطة الثانية

.. ومضت العربي في رحلتها عبر الطريق الذي يربط بين دول مجلس التعاون الخليجي وكانت المحطة الثانية التي توقفت عندها هي البحرين .. ومن تلك المجموعة من الجزر التي يتطلع فيها الانسان الى المستقبل كما هو حاله دائما ، عاشت العربي وسجلت بالكلمة والصورة لوحات من تلك الواحة القابعة وسط الصحراء المجدبة .

(اقرأ الاستطلاع ص ٨٠)

حوار لم ينشر !



هذا حوار لم ينشر مع محمود تيمور . الفنان الرقيق الذي رحل بعد ان ترك لنا صورا من الحياة أثرت المكتبة العربية . انها تجربة واحد من تلاميذه بعث بها الى العربي في ذكرى مرور عشر سنوات على ذهاب الرجل الذي فقدناه .

(اقرأ الحوار ص ٤٤)

منتدى العربي

تاريخ وشخصيات

استطلاعات مصورة



صحراء مصر تتنفس

مصر .. هذه اللوحة الجميلة التي كان يقف امامها المرء ويتأملها في اعجاب ، بدأت تختفي وراء الزحام الذي غطى معالمها .

ومن هنا بدأت المحاولة الجادة في السنوات الأخيرة الى بناء مدن جديدة في الصحراء الواسعة حول القاهرة وفي شمال الوادي وجنوبه وشرقه وغربه .. لقد بدأت صحراء مصر تتنفس .

(اقرأ الاستطلاع ص ١٣٢)

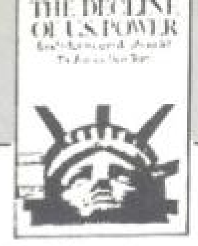


ضغط الدم

ارتفاع ضغط الدم مسئول عن وفاة نسبة كبيرة من المصابين به . ما هو ؟ وما أسبابه وكيف نقي أنفسنا من الاصابة به ؟

الدكتور سامي عزيز يشرح لنا بأسلوب علمي مبسط اسرار هذا المرض .

(اقرأ ص ١٥٤)



انحسار النفوذ الامريكي

ان الفشل الذي منيت به السياسات الامريكية خارج الولايات المتحدة وداخلها خلال العقد الماضي ، من شأنه ان يعيد تفجير الجدل حول قضية « الزبد أم البندقية » ولكن هذا الجدل يكتسب هذه المرة حدة وعنفا لم يسبق لهما مثيل .

(اقرأ كتاب الشهر ص ١٧١)

أبواب ثابتة

الحياد لأول مرة

متى بدأت فكرة عدم الانحياز ؟ كانت مصر أول دولة تقف على الحياد في الحرب الكورية عندما رفضت ان تسير في ركاب أي من الدولتين العظميين . حدث ذلك في عام ١٩٥٠ عندما أعلن رئيس حكومة مصر في ذلك الوقت مصطفى النحاس باشا أن مصر ستقف موقف الحياد من هذه الحرب بين كوريا بقسميها .

(اقرأ القصة الكاملة ص ٢٦)

حديث الشهر

الظاهـرة

في معظم أنحاء العالم في المنازل والشوارع وعلى الشواطىء في الصحراء وفي أعالي الجبال يغزو المنتج الصناعي الياباني حياة الانسان ، حتى بدأت بعض الدول تضيق ذرعا بهذا الزحف الاصفر الى درجة وضع العراقيل واستصدار القوانين لوقف هذا الغزو من المنتج الصناعي ، وفي الوقت الذي تخصص الدراسات لفهم الظاهرة تفرد مجلة التايمز الامريكية الاسبوعية ، والتي نادرا ما تخصص اعدادا خاصة لموضوعات بعينها ، تفرد في الشهر قبل الماضي (أغسطس) عددا خاصا عن اليابان تستعرض فيه التجربة من وجهة نظر أمريكية .

والاتحاد السوفيتي والصين كل يحاول الاستفادة من الخبرة اليابانية في بعض مجالات التصنيع والتعدين ،والادارة اليابانية تصنف حولها الكتب باحثة عن الحقيقة أو متصورة الخيال حول النجاح الاداري للمؤسسات اليابانية . الكل يبحث عن سر النجاح فما هو السر ؟

هل للظاهرة اليابانية شأن عربي ؟

اذا كان هناك سر أو أسرار للنجاح في الظاهرة اليابانية ، فحري بنا نحن العرب أن نبحث عنه ، لا لاننا أكثر احتياجا من كثير من الأمم لفهم واستيعاب عوامل النهضة والتقدم ولكن أيضا لأننا نشترك مع اليابانيين في خصائص تاريخية تكاد تكون متماثلة .

من الخصائص المشتركة ما تكرره الكتابات العربية حيث توضح لنا أن نهضة اليابان الحديثة تزامنت مع نهضة محمد علي في مصر،وبالتالي فان النهضة العربية واليابانية بدأتا في نفس الوقت والحقيقة التاريخية تؤكد أن النهضة اليابانية الحديثة بدأت حتما في وقت لاحق نسبيا لبدء محمد علي نهضته في مصر . والنهضة اليابانية لم

بقلم

الدكتور محمد الرميحي



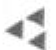
تكن بلا هزائم ، بل عانت أشد الهزائم المتكررة من جراء الاستعمار الغربي ، كما عانى الوطن العربي الهزائم نفسها واذا كان هناك فارق وحيد في الاختلاف بين التجربة اليابانية والتجربة العربية - أو هو أهم الفوارق ان صح التعبير - فهو فارق ملاقاة الهزائم والتحديات كجماعة واحدة في حالة اليابان ، في الوقت الذي فرض على العرب ملاقاة الهزائم والتحديات مفرقين شيعا ودويلات .

من الخصائص الأخرى التي نشارك فيها نحن العرب اليابانيين أن كلينا شعب له تراث حضاري وظف في الحالة الأولى بنجاح ، ودمج في الحضارة العلمية الغربية التكنولوجية الحديثة . في حين ربط التراث العربي في أذهان الكثيرين منا بالادب والتاريخ وعلوم الفقه . وأدى هذا الجهل أو التجهيل بجانب مهم من أساس الحضارة العربية وهو الحضارة العلمية والتكنولوجيا الى تقوية الشعور بالنقص في نفس المواطن العربي ، زادته الهزائم السياسية من جهة والتفوق التكنولوجي من جهة أخرى الى الانسحاب والتقوقع والتزمت والمغالاة .

المعجزة الاقتصادية

بعض الكتاب الغربيين يصف اليابان اليوم بعد ثمانية وثلاثين سنة فقط على انتهاء الحرب العالمية الثانية ، بأنها قد ربحت الحرب أخيرا وحققت أحلام السادة العسكريين . فقد تفوقت في صناعة الصلب والسيارات وهي رمز الصناعة الحديثة ، كما أنها فاقت المانيا في صناعة العدسات وآلات التصوير ، وفاقت سويسرا في صناعة الساعات ، لقد ضاعف اليابانيون دخلهم القومي في الستينات واستطاعوا أن يتحكموا بنجاح في نسب التضخم العالية التي اجتاحت الاقتصاد الرأسمالي الغربي في السبعينات .

وتتوجه اليابان اليوم لغزو التكنولوجيا المتقدمة ، فعندما زارت السيدة



مارجريت تاتشر رئيسة وزراء بريطانيا اليابان قدموا لها هدية وهي عبارة عن رجل آلي يؤمر فيطيع أما الرئيس ميتران رئيس جمهورية فرنسا فقد زوروه مصنعا يدار آليا بالكامل ولم يكن فيه من الرجال الا بضعة ملاحظين لمراقبة سير العمل .

هذه المعجزة الاقتصادية هي التي بصرخ الغرب اليوم خوفا من أن تقوم باجتياحه ، وتضخم هذه المخاوف الى درجة وضع كل شرور الركود الاقتصادي الذي تمر به دول الغرب على نجاح اليابان .

في الخريف الماضي قامت زوبعة سياسية في فرنسا ضد استيراد الفيديواليابانى الذي أغرق الأسواق الفرنسية واستخدم ككبش فداء لوضع شيء من حواجز الاستيراد ضد بعض الصناعات اليابانية ، وفي بريطانيا ظهرت اعلانات تقول « اشتر الصناعات البريطانية » على بعض البضائع في محاولة للفت نظرالمشترين بعيدا عن الصناعات المستوردة خاصة اليابانية من خلال استثارة الشعور الوطني ، أما في أمريكا فقد وجد في الربيع الماضي في احدى استفتاءات الرأي العام في الشاطيء الغربي (كاليفورنيا) أن ٦٨ ٪ من المستفتين يحبذون وضع حواجز جمركية على البضائع المستوردة من اليابان لحماية الصناعة الأمريكية ، بل لقد شكلت جمعيات شعبية في الولايات المتحدة تدعو لمقاطعة الصناعة اليابانية عن طريق اثارة الحماس بارسال بطاقات للمستهلكين تقول لمن يشتري سيارة يابانية مثلا . أنه وضع عشرة من الأمريكيين في خانة البطالة ، وأصبحت قضية مقاطعة المنتجات اليابانية قضية سياسية في الولايات المتحدة الى درجة أن مرشحي رئاسة الجمهورية لسنة ١٩٨٥ والذين بدأوا السباق في الصيف الفارط يضمنون براعجهم الانتخابية الدعوة بشكل أو بآخر لشكل من أشكال فرض الحواجز الجمركية على الصناعات اليابانية ، وآخر حلقات الصراع ما سمي بفضائح جواسيس العلم في شكل مجموعات يابانية صغيرة يقبض عليها في الولايات المتحدة بتهمة شراء أسرار علمية .

المفاهيم الخاطئة

بعض الأراء الغربية العامة السابقة هى مفاهيم خاطئة عن اليابان ، ووجهة نظر توظف لأغراض بعيدة عن خدمة الحقيقة العلمية ، فشعار الأرخص والأجود الذى استطاعت اليابان أن تغزو به السوق العالمى لم يكن بلا ثمن باهظ وبلا أساس فى المجتمع اليابانى .

فالسوق اليابانى المكون اليوم من ١١٩ مليون نسمة موزع فى أربع جزر أساسية كبرى وآلاف الجزر المتناثرة حولها ، هذا الشعب أو السوق المحلى هو قاعدة الصناعة اليابانية ليس من حيث الانتاج ولكن أيضا من حيث التسويق ، فاليابان لديها أكبر رقم فى مصانع السيارات متواجد على أرضها فهناك تسعة مصانع للسيارات ، فى الوقت الذى لا يوجد على أرض الولايات المتحدة مثلا الا أربعة

مصانع ، كما أن اليابان ليست مزدهرة بسبب التصدير الخارجي ، فاتساع السوق الداخلي يجعلها لا تصدر الا ١٣٪ من مجموع انتاجها المحلي ، بالمقارنة ببلد مثل بريطانيا التي تصدر ٢٠,٥٪ أو المانيا الغربية التي تصدر ٢٦,٧٪ أو كندا التي تفوق هذه وتلك وتصدر ٢٩٪ من مجمل انتاجها المحلي ، في الوقت الذي يكون فيه العامل الياباني اكثر عمال العالم عرقا فان متوسط عدد ساعات العمل للعامل الياباني تصل سنويا الى ٢١٤٦ ساعة عمل بينما تجد مثيله الامريكي لا يعمل أكثر من ١٩٣١ ساعة عمل في السنة في المتوسط ، أما العامل في المانيا الغربية فأقل من ذلك حيث يصل متوسط ساعات عمله الى ١٧٢٨ساعة عمل سنويا .

الا أن ذلك لا يعني أن العامل الياباني أقل أجرا من متوسط العامل الصناعي في الدول الغربية ، فتلك خرافة أخرى ، فأجور العامل الياباني اليوم فاقت في كثير من الصناعات أجور العمال في فرنسا وبريطانيا . كما أن النجاح الاقتصادي لا يتمثل في الصناعات الاستهلاكية محليا أو القابلة للتصدير بتقنية متقدمة وأسعار زهيدة فقط .

النجاح التجاري في اليابان يجب أن يثبت أولا في التسويق الداخلي والذي يتصف في اليابان بشدة المنافسة مما يجعل الجميع يتسابقون الى الجديد ، والأقل كلفة في كل أشكال الانتاج ارضاء لذوق المستهلك الياباني ومسايرة للقوانين الصارمة التي تفرضها الجهات المسئولة عن جودة الانتاج ، فالنجاح في الخارج هو محصلة طبيعية للتنافس في الداخل الذي ينتج عن صناعة أفضل وأرخص . ولكن هل كل هذا النجاح بدون ثمن غال دفعه الشعب الياباني ؟

يصف لنا أحد الكتاب حالة الفقر والمرض حول المدن الصناعية اليابانية في فترة ما بين الحربين العالميتين كالتالي : يقول :

« اتسعت رقعة المساكن الفقيرة في أوساكا وكوبي وطوكيو ، فقد كانت الأسر المكونة من خمسة أشخاص على الأقل ، تسكن في تلك المنازل الفقيرة في الأحياء الشعبية والتي تتكون من غرفة واحدة تبلغ في المتوسط من ثمان الى عشر أقدام مربعة ، ، وهي مساحة لا تزيد الا قليلا عن المساحة التي يشغلها سرير لشخصين ، وكان يسكن في مثل هذه المساكن آلاف من المتسولين والمتعطلين والمشبوهين والبغايا ، قريباً من فرص العمل ، يتفشى فيهم الوباء مرة كل عام وتزيد وفيات الأطفال عندهم أربع مرات عما هي عليه في بقية اليابان » .

الموت والحياة

من الأفكار السائدة في الكتابات العربية حول اليابان ، أنها استطاعت أن تحل اشكالية الأصالة والمعاصرة ، كما صاغها الفكر العربي المعاصر ، عن طريق التوفيق بين التقاليد اليابانية والعصرنة بمعناها العلمي والتكنولوجي ، وذلك بحد ذاته يشكل أملا كبيراً في حل اشكالية التقدم والنهضة العربية ، ولكن المتعمق في قراءة

التجربة اليابانية ـ يجد أن وضع الأمر بهذا الشكل فيه كثير من التبسيط .

فاليابان عندما أصيبت بالصدمة الحضارية في خمسينات القرن التاسع عشر عن طريق ما سمي لاحقاً في التاريخ الياباني (بالسفن السوداء ذات المظهر الشيطاني) وهي الأسطول الأمريكي الصغير الذي أجبر في سنوات ١٨٥٣ ـ ١٨٥٤ الحكام اليابانيين المحليين (الشواجنة) على الخضوع وفتح موانيء اليابان للتجارة الغربية واعطاء امتيازات للتجار الغربيين ، أي عندما أصيبوا بالشكل التقليدي من الاستعمار السائد في القرن التاسع عشر ، لم يكونوا في الحقيقة شعباً بلا تاريخ . صحيح أنه في القرنين السابقين لتلك الصدمة كانت اليابان قد عزلت نفسها عن العالم ـ ودخلت فترة انكفاء طَرَّت فيها خشونة السيافين أو المحاربين (الساموراي) وتفرقت الكلمة بين أمراء المقاطعات ، وضعف احتمال الشعب لمكاره الحروب ، ووجدت نفسها منزوعة السلاح بمعناه المادي والمعنوي ، وأصبح فيها الأمبراطور المقدس مجرد رمز لا أكثر ، الا أن اليابانيين فوق كل ذلك أطلقوا على الغزاة الأغراب اسم (البرابرة) ، حيث أن التراث التاريخي لليابانيين ما لبث ان انتعش وفي فترة وجيزة وخيالية ، فقد قامت فئات من الشعب الياباني نزلت عليها نازلة المذلة الأمريكية والأوربية الجديدة فأوقدت فيها حماساً كان خامداً ضد حكم الاقطاع المتمثل في (الشواجنة) فتنادت لتقوية حكم الأمبراطور واعادة صيغة الأمبراطورية العظيمة ، وهكذا دخلت اليابان ما سمي بعد ذلك عصر اصلاحات (الميجي) ١٨٦٨ ـ ١٩١٢ .

واصلاحات الميجي كانت مبسطة في توجهاتها فالاطار الذي يحكمها هو أن الوسيلة الوحيدة التي تستطيع بها اليابان أن تتجنب الهزائم المتكررة والخضوع الاقتصادي والذي كان يشبه ما تفرضه أوربا على الصينيين عندئذ وعلى أمم أخرى هي أن تتعلم اليابان بأسرع طريقة ممكنة أساليب الصناعة الغربية ، وفن الحرب الحديثة . بهذا التوجه كان لا بد من اجراء اصلاحات شاملة تغير في بناء المجتمع الياباني ، وعندما عاد الى البلاد مبعوثو الأمبراطور الى المدن الغربية كما فعل مبعوثو محمد علي قبل ذلك ـ كانت صدورهم يشتعل فيها الحماس في تحويل اليابان الى صورة أوربية فدعا الأمبراطور رجالاً من انجلترا للاشراف على بناء السكك الحديدية واقامة أسلاك البرق وانشاء الأسطول ، ودعا رجالاً من فرنسا ليعيدوا صياغة القوانين ويدربوا الجيش الأمبراطوري ، وكلف رجالا من الألمان بتنظيم شؤون الطب والصحة العامة واستخدم الأمريكان لوضع نظام التعليم الحديث وحتى استقدم فنانين من ايطاليا ليعلموا اليابانيين النحت والتصوير . كل هذه الاصلاحات لم تكن لتمر بسلام رغم ما يتمتع به الأمبراطور من قدسية لدى الشعب فكان لا بد من ازالة الاقطاع ، وتحويل حقوق الاقطاعيين للأمبراطور للصرف منها على الاصلاحات المبتغاة وكان لا بد من تسريح السيافين أو المحاربين (الساموراي) فلم تعد لهم حاجة بعد ان فرض قانون للتجنيد الاجباري تدخل فيه كل طبقات الشعب ومنعوا أيضاً من حمل السلاح ، ومع التجنيد الاجباري جاء التعليم الاجباري لأفراد الجيش الجديد .

كل هذه الاصلاحات دفعت القوى التقليدية ـ الاقطاع والمحاربين ـ الى أن تشكل معارضة ثم تصطدم بشكل دموي مع التوجه الجديد ، بل كانت الروح اليابانية كلها تثور آناً بعد آن على هذا التحول الذي رَجَّ أوضاع الحياة التقليدية كلها . الاصلاحات نفسها غيرت من المواقع الاجتماعية فرفعت طبقة جديدة من الناس الى منازل الثروة والقوة الاقتصادية وكانوا قبل الاصلاحات هذه يعتبرون من الطبقات الدنيا وهم التجار والصناع والفلاحون .

وفي سنة ١٨٨٩ تبنى الأمبراطور أول دستور ياباني حديث ـ صيغ على غرار دستور ألمانيا البسماركية ، الأمبراطور على قمة البناء التشريعي والسيادة له وهو رأس الحكومة الأعلى ، ومالك للأرض كلها ، ثم مجلسان مجلس معين مخصص للارستقراطية الجديدة ومجلس آخر محدود القاعدة الانتخابية ، فقط من تنطبق عليهم شروط معينة يحق لهم الانتخاب وفي البداية لم يكونوا يمثلون أكثر من ١٪ من الشعب الياباني ، أما الوزراء فهم مسئولون أمام الأمبراطور وليس أمام المجلس التشريعي .

الا أن هذه الاصلاحات فتحت للناس حقوقاً جديدة ، وفكت بعض القيود الاجتماعية عن فئات كانت منبوذة في المجتمع الياباني التقليدي . هذه الاصلاحات ما لبثت أن اثمرت فتقدم اليابانيون بسرعة فيما تعلموه من فنون جديدة أتاح لليابان في بضع سنوات أن تدفع للخبراء الأجانب آخر أجورهم وأن ترسلهم الى أوطانهم ، وما أن قرب القرن العشرون الى البزوغ حتى استطاعت اليابان اعادة التفاوض مع القوى الغربية وقد هضمت ثلاثة عصور في وقت واحد ؛ الأطوار الأخيرة من عصر النهضة الأوربية ، وعصر التنوير ، والثورة الصناعية .

لقد استوعبت اليابان معظم التكنولوجيا المتوفرة في العالم قبل الحرب العالمية الثانية واستخدمتها استخداماً ايجابياً في تقدمها الصناعي والعسكري ، ولم يكن ذلك بالمستطاع الا بأحداث تغييرات بنيوية في البناء الاقتصادي والاجتماعي والسياسي ، كما أن اليابان لم تكن ناقلة حتى في تلك الفترة بل أضافت مجموعة من الاختراعات والاكتشافات العلمية ، فأعمال « تاكامين » في استكشافه للادرنالين وفي دراسته للفيتامينات ، وما أداه (كيتوساتو) في مرض التتنوس وفقر الدم وفي تقدم التلقيح ضد الدفتريا ، ثم ما عمله أشهر الباحثين اليابانيين (نجوشي) في مرض الزهري ومرض الحمى الصفراء الا إشارات للاضافات العلمية وتحول اليابانيون من تلاميذ في العلم الحديث الى أساتذة .

الديمقراطية والتعليم

اذا كان العالم يلهو فاليابان تعمل ، هكذا يحب اليابانيون أن يصفوا أنفسهم . فبعد الصدمة الحضارية الأولى التي جاءت من الولايات المتحدة في منتصف القرن التاسع عشر جاءت الصدمة الأخرى منهم أيضاً هذه المرة . فأفاق اليابانيون على الخراب والدمار وأيضاً الاحتلال من جديد بعد الحرب العالمية الثانية ويوجد اليوم

على أرض اليابان ١١٩ قاعدة أمريكية ، و ٥٥٥٠ جندي أمريكي ، واليابان حجر زاوية أساسي للدفاع الأمريكي والغربي في المحيط الهادي .

ومن أول الاجراءات التي قام بها الاحتلال الأمريكي في اليابان ادخال مجموعة من المتغيرات في النظام السياسي انتفت بعدها السلطة المقدسة للامبراطور ووضع دستور جديد سمح فيه للأحزاب السياسية بالعمل ، وأصبح نظاماً ذا مدلول انتخابي السلطة فيه للناخبين .

وفي سنوات ما بعد الحرب كرر اليابانيون تجربتهم مع الاحتلال كما فعلوا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، مزيداً من استيعاب علوم العصر وطرائق معيشته ، هذه المرة النظام السياسي الديمقراطي تحت دستور حديث والذي وفر استقراراً سياسياً طويلاً لليابان كذلك تبنى التعليم الحديث .

بعد الاحتلال توجه اليابانيون الى التعليم فرفع سن التعليم الاجباري وأدخل نظام التعليم المختلط وتبنى النظام الأمريكي من حيث سنوات التعليم (١٦ سنة الى الجامعة) وبما أن العصر هو عصر التكنولوجيا والرياضيات ، فقد لاقى التعليم في اليابان نجاحاً الى درجة أن اليونسكو في نهاية الستينات قامت بمقارنة نتائج الطلبة اليابانيين في الرياضيات والعلوم فتبين أنها تفوق مثيلاتها لدى الطلبة والطالبات في بقية الدول الصناعية الغربية ، رغم صعوبة اللغة اليابانية والوقت الذي تحتاجه لتعلم حروفها الكثيرة .

وليس هناك شيء مركزي في المجتمع الياباني اليوم أو أكثر أساسية في نجاح التجربة اليابانية من النظام التعليمي هناك . فهو نظام يعتمد على المنافسة واستيعاب الحقائق الى درجة أن كثيرا من الكتب والمقالات التي صدرت في الولايات المتحدة تنسب نجاح التجربة اليابانية الى نظام التعليم ، ولقد نشرت « النيويورك تايمز » في أغسطس الماضي مجموعة مقالات حول التعليم في اليابان تحت عنوان : ماذا يمكن أن نستفيد من التعليم الياباني ؟ . وواحد من مفاتيح الاهتمام بالتعليم في اليابان هو اختيار المدرس الذي يتمتع بمرتب عال وبوضع اجتماعي محترم عدا عن أن وصوله الى وظيفته تلك دونها من الاختبارات والعوائق ما يحول بين غير الأكفاء وبين المهنة المحترمة الا وهي تربية الجيل الجديد وتعليمه .

مزج اليابانيون عناصر التقدم هذه ، الديمقراطية والاهتمام بالتعليم والتطور العلمي بما لديهم من تراث حضاري يشدد على الاهتمام بالجماعة أكثر من الفرد ويزاوج بين السلطة والولاء للمؤسسة والعائلة والوطن في اطار من الموافقة وليس الصراع .

●●●

الكتابة عن اليابان خاصة من وجهة نظرنا نحن العرب ، لا تخلو من الرومانسية فكثير من معالم التجربة اليابانية يمكن أن نجد له سنداً تاريخياً في مسيرة تطورنا ولكن السؤال ما زال يبحث عن إجابة علمية مقنعة ، لماذا تقدم اليابانيون (الشرقيون) وتخلف العرب (الشرقيون) أيضاً ؟ وماذا يمكن أن نستفيد من تلك التجربة الفذة ؟

الفكر العربي في القرن الثامن عشر

العلماء

بقلم الدكتور / نقولا زيادة

كان العلماء المشتغلون بالعلوم الدينية الاسلامية في القرن الثامن عشر في العالم العربي كثيرين . وظهر كثيرون من اولئك العلماء خارج ديار العرب .

وقد ذكرنا من قبل (في المقال السابق) اسماء بعض هؤلاء العلماء العرب ، ولنضف الآن بعض الاسماء من خارج ديار العرب . وفي مقدمتهم شاي ولي الله الدهلوي (الهند) وشيخ محمد على وشيخ احمد بي الاحسائي (ايران) واحمد بن لطف الله منجم باشي وابراهيم متفرقة وكانت المكتبات أو خزائن الكتب واسعة الانتشار سواء في ذلك العام منها والخاص . وكانت جميعها مشرعة الابواب امام قاصديها من طلاب العلم . وفي الواقع فاننا قلما نمر بمدينة من مدن العالم العربي الا ونعثر فيها على خزانة كتب ذات قيمة ، ينطبق هذا على كل مدينة من مراكش وفاس وتلمسان في المغرب الى الموصل وبغداد في المشرق مرورا بالجزائر وتونس وطرابلس والقاهرة ودمشق وحلب

وهذا ابو القاسم الزياني المغربي يحدثنا عن انه قرأ كتبا في خزانة مسجد محمد ابو الذهب واخرى في مسجد في خان الخليلي بالقاهرة . فكيف بمكتبة الازهر وغيرها من المكتبات ! وحتى في عكا كانت ثمة خزانة للكتب انشأها احمد باشا الجزار في جامعه (قد رأينا بقايا هذه المكتبة بانفسنا في العقود الاولى من القرن الحالي !) .

وكان التواصل والتراسل والتعارف المباشر أمرا مألوفا بين العلماء . وكانت القاهرة احد المراكز الكبرى لذلك . فكثير من العلماء كانوا يقصدونها بعد اداء فريضة الحج او في الطريق الى المدن المقدسة ومثل ذلك يقال عن القدس فكثيرون هم الذين كانوا يودون ان يتبركوا

بزيارة اولى القبلتين وثالث الحرمين ، المسجد الاقصى وقبة الصخرة اذ كان اليها الاسراء ومنها المعراج .

واول من نود ان نقف عنده من علماء القرن الثامن عشر هو عبد الغني النابلسي (١٠٥٠ ـ ١١٤٣ / ١٦٤١ ـ ١٧٣١) . وهو دمشقي المولد والنشأة والوفاة ، وان كان جده قد هجر نابلس في فلسطين الى دمشق .

تولى قضاء دمشق فترة وجيزة ، الا ان عمله الرئيسي كان التدريس في الجامع الاموي والمدرسة السلمية . وقد قام النابلسي برحلات اربع الى : الأستانة (استانبول) والبقاع وطرابلس (الشام) ، وبيت المقدس . والحجاز (بقصد اداء الفريضة) ومصر ، وهذه الرحلات مكنت له سبل الاتصال بعلماء المسلمين في هذه الاقطار ، وكان النابلسي ، على شاكلة الغالبية العظمى من العلماء المسلمين في تلك الفترة متصوفا ، لا علما فحسب بل عملا ايضا . وقد بلغت مؤلفاته المائتين ، بين كبير وصغير . ومع انها تناولت جميع الموضوعات الدينية الاسلامية ، فان اكثر ما وضعه كان في التصوف . وكان امامه في هذا الميدان هو محيي الدين بن عربي من أهل القرن السابع / الثالث عشر ، والمدفون في دمشق .

دون النابلسي اخبار رحلاته جميعها ، وفيها تظهر نزعته الصوفية بوضوح في زياراته لآثار المتصوفة ، وجلوسه في مجالس الصوفية والاثر المهم للنابلسي هو انه اعاد الى التصوف السني مكانته في ديار الشام . وبالاضافة الى كتبه في الدين والتصوف فقد خلف كتابا في علم الفلاحة ، لخص فيه ما وصلت اليه يده من كتب في هذا العلم ، وما خبره بنفسه وجربه عمليا . فقد كان له في ضواحي دمشق بستان كان يعنى به بنفسه .

ومن علماء دمشق محمد خليل المرادي (١٢٠٦ / ١٧٩١) . وهو مؤلف سلك الدرر في اعيان القرن الثامن عشر . والكتاب مجموعة فذة لتراجم اهل العلم والمعرفة ، اذ ترجم المرادي للآلاف منهم . ولم يقتصر على الكبار او المشهورين منهم ، إذ اراد ان يضع بين أيدي معاصريه ومن يأتي بعده ثبتا يشمل كل من اسهم في المعرفة درسا او تدريسا أو وظيفة أو تأليفا او ادبا وشعرا او تصوفا . كما انه لم يحصر نفسه لا في نطاق دمشق ولا حتى ببلاد الشام ، بل انه شرق وغرب بقدر ما تمكن .

وللمرادي اثر شخصي آخر . فهو الذي اقترح على الزبيدي ان يدون اخبار أهل العلم في مصر ، وهذا كلف الجبرتي بذلك . وكانت الفكرة الاصلية عند المرادي ان يكون ثمة تعاون وتنسيق بين الزبيدي والجبرتي وغيرهما وبينه كي تدون اخبار اهل العلم في المشرق والمغرب . ولكن الاحوال لم تسعف . واضطلع الجبرتي بذلك وضمنه كتابه عجائب الآثار .

وكان المرادي يدرس في مدارس دمشق ، وقد تولى منصب الافتاء في المدينة نفسها .

قاهرة الأزهر ..

كانت القاهرة ، على عادتها في امتداد تاريخها ، تستقطب العلماء المسلمين في القرن الثامن عشر ـ اما للزيارة او للاقامة اما الزوار فيعدون بالآلاف ، وكيف لا والازهر هناك والعلماء الذين يغترف من ينابيع علمهم ومعرفتهم كثر . والذين هبطوا مصر واستوطنوها كثيرون (من ايام ابن خلدون) . ومن الذين لمعوا من اولئك القادمين المقيمين سيد المرتضى الزبيدي (١١٤٥ ـ ١٢٠٥ / ١٧٣٢ ـ ١٧٩١) . وهو هندي المولد ، وقد هاجر الى اليمن واقام في زبيد (مدينة الكتب وخزائنها) ومن هنا نسبته . ثم في مكة ، واخيرا هبط القاهرة واستقر فيها . ويمثل الزبيدي القمة بين علماء المسلمين في القرن الثالث عشر / الثامن عشر . وكان بيته محجة للزوار من طلاب

العلم . كما كان هو المكان الذي يدرس فيه في غالب الاحيان .

والزبيدي خلف الكثير من المؤلفات ، ولكن عمليه العظيمين هما : « شرح احياء علوم الدين (للغزالي المتوفى ٥٠٥ / ١١١١) ، وتاج العروس ، المعجم العربي المشهور .

واذا كان النابلسي قد اعاد النشاط الفكري الى التصوف في بلاد الشام (التصوف هذا ، كما رأينا ، غزالي المنحى) فان الزبيدي اعاد احياء علوم الدين الى الصدارة . وبعد ان كان الكتاب يقرأ قراءة تقليدية (ولعله كثيرا ما كان يقرأ في احد التلاخيص) جعل منه الزبيدي عملا حيا . ذلك بانه تناول آراء الغزالي الرئيسية وفسرها وشرحها وذلك بمقارنتها مع الآراء المشابهة لها عند مؤلفين آخرين ، ثم انه كان يضيف آراءه الخاصة فهو بذلك لم يكن مقلدا ، بل كان مجتهدا ـ واحياء علوم الدين فيه من الشريعة الكثير الكثير . وهذا الموقف للزبيدي ينجر على ماهية العلم المطلق والمنطق والاخلاقيات والتصوف بالاضافة الى مواضيع اخرى وقضايا غيرها . ويمكن القول بأن الزبيدي ، في عمله هذا ، كان « اكبر رواد النزعة الاخلاقية التجديدية في الاسلام الحديث وهي نزعة تقصد الى اصلاح الامة من داخل ذوات ابنائها ، وتشدد على اهمية المثال السلفي في كل مشروع ينشد نفع الامة وفوزها » (فهمي جدعان) .

أما تاج العروس ، فهو اشهر من كتاب شرح الاحياء . فالناس الى المعجم اكبر حاجة عادة ، ومن ثم فسيره بين القراء ايسر ، وكانت اللغة العربية ، والكتّاب العرب ، بحاجة الى معجم من هذا النوع . انه ليس معجما عاديا . انه معلمة او دائرة معارف لغوية ادبية فقهية تاريخية . وقد وضعه الزبيدي وفي نفسه ـ على ما جاء في مقدمته للمعجم ـ ان المعرفة تتطور بتطور الاشخاص العلماء الذين يعيشون في زمن معين ، لا بمجرد مرور الزمن فحسب . والاتباع على غير هدى ـ في رأيه ـ ضار بالمعرفة لانه يجمدها ويقيدها ويمنعها من النمو ، وهو الامر الطبيعي لها .

وتاج العروس يمثل تفكير الزبيدي واجتهاده ومعرفته الواسعة ومقدرته على النقد ودقته في الاختيار ومقدرته على التعبير .

ونعمت القاهرة في تلك الفترة بالشيخ عبد الرحمن الجبرتي (١١٦٧ ـ ١٢٤١ / ١٧٥٤ ـ ١٨٢٥) صاحب المؤلف المهم : « عجائب الآثار في التراجم والأخبار » .

وكتابه نتيجة « حياة انضجها العلم ووسعتها استقامة السليقة ورجاحة العقل » .

وقد ارخ الجبرتي في كتابه هذا لعهود ثلاثة هي : اواخر حكم المماليك والحملة الفرنسية واوائل حكم محمد علي . والعهد الاول فضحه الجبرتي لانه كان عهدا حافلا بالدسائس والدماء » ، محفورة ذممه فاسدة ضمائره . وكان موقف الجبرتي من الحملة الفرنسية طبيعيا ، اذ انه لم يستسغ حملة اجنبية تحتل بلاده بقصد استغلالها ، فضلا عن الامور الكثيرة الشائنة من تصرف الفرنسيين ، التي لم يقبلها لا الجبرتي ولا غيره . ومع ذلك فقد اعترف للفرنسيين بعلمهم ونظامهم (وذلك بعد زيارة للمعهد الفرنسي الذي انشيء في القاهرة يومها) .

اما موقف الجبرتي من محمد علي ، وهو لم يشهد الا الفترة الاولى من حكمه ، فيعود الى امور كثيرة فرضها محمد علي ، ولم ير الجبرتي الصواب فيها ، فهو مسلم ابي النفس يمقت الظلم ويحب العدل . ولعله رأى من الظلم ما لم يعجبه ومالم يطقه ، فلم يوافق عليه .

وكتاب الجبرتي « عجائب الآثار » يمثل عناية صاحبه بالكبير والصغير من الشؤون ، وفي تراجمه الكثيرة جدا ، والمنشورة في كتابه ، لم يقتصر على اهل الشهرة الذين فضل اخبارهم بطبيعة الحال (وفي مقدمتهم شيخه الزبيدي) ، بل انه تناول الاشخاص العاديين . ولعل هذا ما يجعل هذا الكتاب اكبر مصدر لتاريخ مصر السياسي والاجتماعي والفكري في الفترة التي

عني بها الجبرتي . والكتاب ـ مع هذا كله ـ يمثل انحصار افق مؤلفه السياسي في حدود مصر وما فيها وبعلاقتها بتركية .

والجبرتي ، وهو متصوف على شاكلة زملائه واصحابه وخلّانه (وان كان تصوفه دون تصوف النابلسي) كان يرى ان العدل هو في اقامة الشريعة الغراء ، وان العلم هو علم الشريعة . ولعل الجبرتي هو بين القلة من معاصريه الذين كانوا يلمون بالعلوم الرياضية . وقد كان طلابه يقرءونها عليه .

الشوكاني في اليمن .

نود ـ بعد ان اخذنا نماذج من علماء بلاد الشام ومصر ـ ان ننتقل الى اليمن . وهنا نقع على اخبار محمد بن علي الشوكاني (١١٦٢ ـ ١٢٤٧ / ١٧٦٠ ـ ١٨٣٢) ، الذي يعتبر أحد كبار المجتهدين في القرن الثالث عشر / الثامن عشر .

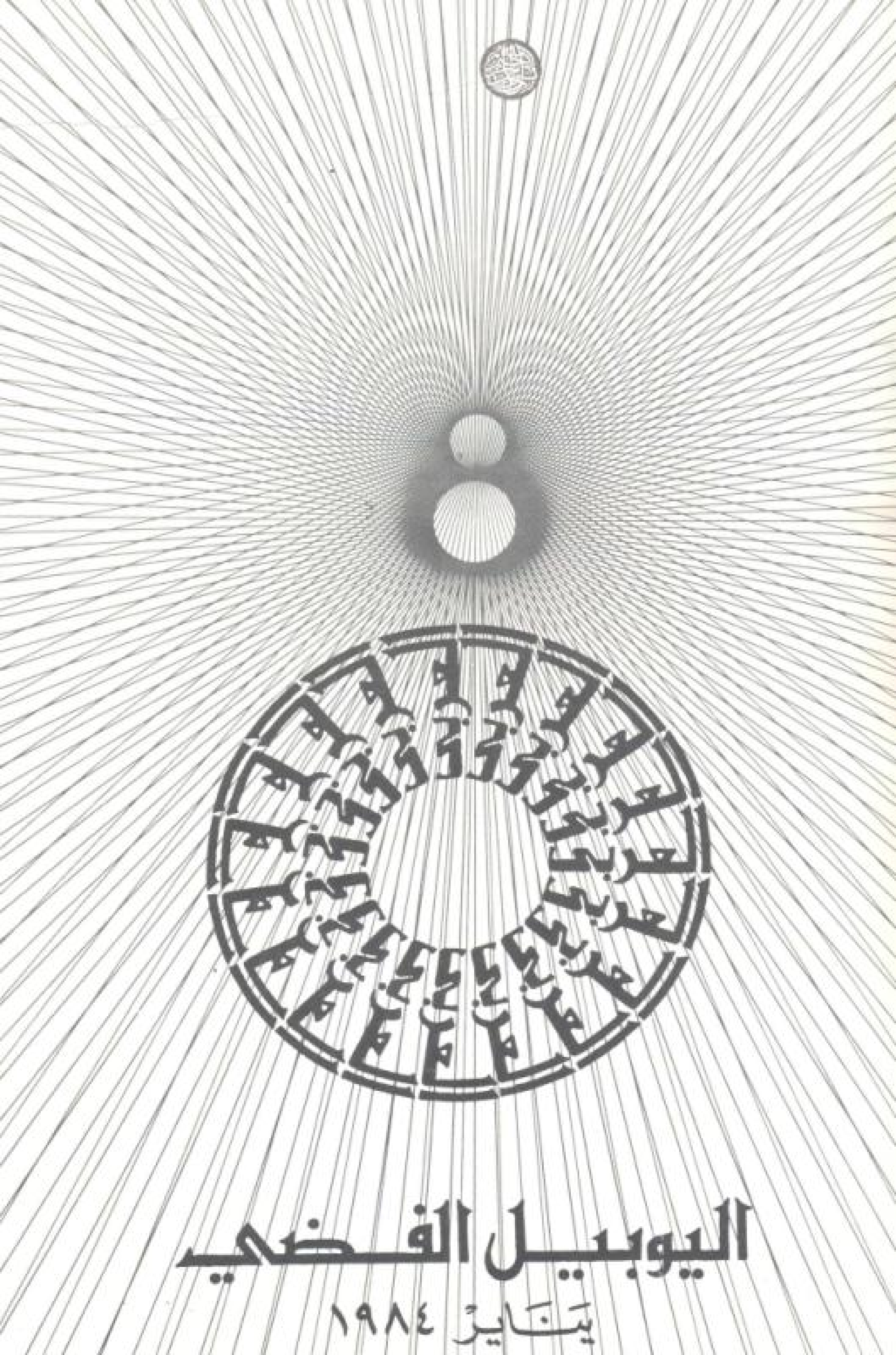
كان الشوكاني موظفا في الدولة ، لكنه مع ذلك كان ينظر في شؤون المسلمين ، وكان يؤلمه ما يقال من ان الاسلام فقد حيويته بعد ان تعرض للاخطار والضربات التي جاءت بعد عصره الذهبي . فوضع كتابه « البدر الطالع بما بعد القرن السابع » وهو على غرار عمل المرادي الدمشقي والجبرتي القاهري ، تراجم رمى المؤلف من وراء وضعها أنْ يَبِنْ أنَّ الاسلام كان له دوما من اهل العلم من يوضحه ويشرحه ويبين اسسه وفضائله . وفي ذلك يقول الشوكاني : « بل ربما كان في اهل العصور المتأخرة من العلماء والمحيطين بالمعارف العلمية على اختلاف انواعها من يقل نظيره من اهل العصور المتقدمة ، كما سيقف على ذلك من امعن النظر في هذا الكتاب ، وحل عن عنقه عرى التقليد » . وهنا نقع على التشابه بين رأي الزبيدي ورأي الشوكاني فيما يتعلق بتطور المعرفة ، اذا اتيح لها من يحرك مياه الفكر من العلماء .

ومن المغرب نستنطق عالما واحدا كنموذج لعلماء القرن ذاته هو ابو القاسم الزياني (١١٤٧ ـ ١٢٤٩ / ١٧٣٥ ـ ١٨٣٤) ، المولود في فاس ، والذي عاصر اربعة من ملوك المغرب العلويين ، وعمل في البلاط كما ولي امورا كثيرة في الدولة : فقد عُيِّن حاكما للمدن ومدربا للجنود البحرية ومشرفا على شؤون معينة انتدبه السلطان لها . ولكن بلاطات الملوك يرتفع فيها العاملون ويهبطون ، وقد اصاب الزياني من ذلك نصيبه (فنكب اربع مرات) . وللزياني رحلات إلى الحجاز والمشرق والى دار الخلافة استانبول (اذ سفر لدى عبد الحميد الاول سنة ١٢٠٠ / ١٧٨٦) . وكان طلعة في الرحلات وكبير الاهتمام بالاطلاع على خزائن الكتب . فترك ثروة تاريخية وادبا في الرحلات ثمينا (من ذلك : الترجمان المعرب عن دول المشرق والمغرب والبستان الظريف في دولة اولاد مولاي الشريف ، والترجمانة الكبرى في اخبار المعمور برا وبحرا) . (وله كتاب صغير في علم السيميا) .

والزياني تناول شؤون المسلمين وقضايا الاسلام ، تناول العالم الذي وعى المشكلات في واقعها . ودعا لذلك ، الى الوعي واليقظة ، وترك التقليد والعمل على احياء الشريعة وروح الاسلام .

دعاء النبي :

* من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم : « اللهم اني أعوذ بك من قلب لا يخشع ، وبطن لا يشبع ودعاء لا يسمع » .


اليوبيل الفضي
يناير ١٩٨٤

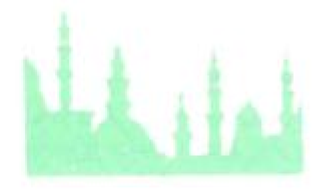
المجمع العلمي

شهد هذا القرن تطورات كبيرة فيما يتعلق بمسيرة الفقه الاسلامي ، وكان ظهور مجلة الأحكام العدلية ـ التي أصدرتها الارادة السلطانية العثمانية سنة ١٢٩٥ هجرية للعمل بموجبها ـ نقطة تحول في تاريخ هذا الفقه .

فالمجلة لم تكن مجرد تدوين للأحكام الفقهية ، وفق تقسيم وتبويب وترقيم ينسجم مع اسلوب المراجع القانونية والقضائية ، وانما هي نقطة تحول من أسلوب الى اسلوب ، ونقطة انتقال من سيطرة الروح المذهبية الى نظرة جديدة تنظر للفقه الاسلامي نظرة تكامل وشمول ، وهي نظرة اذا لم تكن مسلمة وواضحة عند بدء حركة التدوين القانوني ، فانها على وجه التأكيد قد اصبحت من الأمور المسلمة لدى أغلب الأوساط المهتمة بالدراسات الفقهية فيما بعد . . .

وهنا يجدر بي ان أناقش « فكرة التقنين الفقهي » التي لا زالت بعض الأوساط لا تتقبلها بنفس الارتياح والحماس التي تدعو لها أوساط إسلامية أخرى ، ويعود سبب ذلك ـ في اعتقادي ـ لا الى تناقض في المواقف ، وتباين في مدى الالتزام الاسلامي ، وانما يعود الى اختلاف الزاوية التي ينظر من خلالها كل من الطرفين لهذا الموضوع ، ونستطيع هنا أن نفرق بين مدلولين للتقنين الفقهي :

الأول : التقنين بمفهوم الأخذ بالقانون بدل الشريعة . او ترجيح بعض القواعد القانونية الوضعية على القواعد الشرعية ، وهذا المدلول موفوض من جميع الأطراف . فان أريد بالتقنين







بقلم : الدكتور محمد فاروق النبهان

هذا المعنى ، فان من المؤكد ان الجهود يجب ان تبذل لرفضه والانكار على كل ما يطالب به .

الثاني : التقنين بمفهوم التنظيم : اي اعادة صياغة الأحكام الفقهية بطريقة تنسجم مع اسلوب الصياغة القانونية ، ييسر عملية الرجوع الى الأحكام ، وفق الطرق المتبعة في القضاء . . .

ولا اعتقد ان مثل هذا التقنين يشتمل على أي خطر ، لأن كلمة التقنين هنا تفيد التنظيم وفق اسلوب المراجع القانونية ، باعتماد الترتيب والترقيم والتبويب والصياغة القانونية واختيار الحكم الذي يجري العمل به في القضاء دون ذكر الآراء الفقهية الأخرى ، وفي هذه الحالة ، فان الكتب الفقهية ستظل شاملة لكل الآراء المختلفة ، وتقوم اللجنة المكلفة بوضع القانون باختيار الرأي الفقهي الذي تراه محققا للمصلحة العامة أكثر من غيره ، واعتماده كرأي تعمل المحاكم بمقتضاه .

مهمة المجمع العلمي للفقه الاسلامي :

وهنا نتساءل :

ما مهمة المجمع العلمي للفقه الاسلامي ؟

والجواب على ذلك يكمن في ادراك الحقائق التالية :

أولاً : من المعروف أن الاجتهاد يعتبر مصدراً من مصادر التشريع الاسلامي ، وهو المصدر المتجدد القادر على امداد التشريع الاسلامي بالاحكام الشرعية المستنبطة من المصادر النقلية وفق طريق من طرق الاستنباط والالحاق والقياس ، المعبرة عن الحاجات المتجددة للمجتمع الاسلامي .

ثانياً : من المقرر لدى الفقهاء ان الاجتهاد يقبل الخطأ والصواب ، نظراً لنسبية الرؤية العقلية لدى المجتهد ، مهما توفرت له شروط النظر العقلي ، وبناء عليه فان الاجتهاد الجماعي أقرب الى الصواب من الاجتهاد الفردي ، وذلك

لأن احتمالات الخطأ فيه أقل من احتمالات الخطأ في الاجتهاد الفردي . . .

ثالثاً : التعصب المذهبي لا يمثل المنهج الاسلامي السليم ، وذلك لأن الفقيه مدعو الى النظر في النصوص الواردة ، والبحث عن مدى قطعية ثبوتها ، وقطعية دلالتها فاذا رأى الفقيه رأياً يتعارض مع منهج مذهبه فان من واجبه أن يأخذ بالرأي الذي تطمئن له نفسه ، ويترجح لديه . . . وفي مثل هذا المنهج لا مجال للتعصب المذهبي الذي لا يمكن أن يزدهر الا في ظل بيئة بعيدة عن المناخ العلمي السليم . . .

رابعاً : ان حاجات الناس متجددة بتجدد الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية ، وهذا التجدد يفرض أوضاعاً اجتماعية واقتصادية جديدة ، سواء في مجال التعامل التجاري أو في مجال الحياة الاجتماعية . .

هذه العوامل المختلفة توجب علينا طرح فكرة المجمع العلمي للفقه الاسلامي ، وهذا المجمع لم يعد مجرد تطلع تفرضه حالات طلب الكمال ، وانما هو ضرورة ولهذا تفرضه حياتنا القانونية وينعكس اثره على أوضاعنا الاجتماعية ، وبخاصة بعد ان يستشعر المواطن بان القانون الذي يحتكم اليه هو جزء من عقيدته ، يحتكم اليه بارادته واقتناعه ، ويقبل حكمه بكل الارتياح والاحترام . .

نشأة الاتجاه نحو القوانين الأجنبية :

من المؤسف ان معظم التشريعات العربية قد اتجهت خلال هذا القرن ، الى اعتماد القوانين الأجنبية ، بعد التخلي عن مجلة الأحكام العدلية ، وكانت تلك المجلة تمثل القانون المدني الذي اعتمدته الدولة العثمانية ثم اعتمدته بعض الأقطار العربية . . .

والغريب في الأمر أن التشريعات العربية وضعت نفسها أمام خيارين قاسيين : أما الاستمرار في العمل بمقتضى أحكام مجلة الأحكام العدلية ، او الغاء تلك المجلة والأخذ بقانون مستمد من القانون الفرنسي . .

ولا ادري السبب الحقيقي الذي جعل المشرعين يضعون انفسهم أمام هذين الاختيارين ولماذا نفترض ان مجلة الأحكام العدلية هي الخيار الوحيد في حال الرغبة في العمل بمقتضى الفقه الاسلامي في مجال القضاء ، مع اننا نعرف جيداً ان مجلة الأحكام العدلية ، نظراً للفترة التاريخية التي ظهرت فيها ، ونظراً لسيطرة العقلية المذهبية لدى الدولة العثمانية ، ونظراً لتطور المعاملات المدنية تطوراً كبيراً خلال هذا القرن - لم تعد تمثل الطموح الكبير لعلماء الشريعة الذين سجلوا كثيراً من ملاحظاتهم حول عدم صلاحية المجلة لاستمرار العمل بمقتضى أحكامها في مجال القضاء . . .

ان مجلة الأحكام العدلية تمثل مرحلة متقدمة من مراحل مسيرة الفقه الاسلامي ، لأنها استطاعت ان تفرق - لأول مرة - في بيان الأحكام الفقهية بين أسلوب المصادر العلمية وأسلوب المراجع القضائية من حيث الترتيب والترقيم وتسهيل العبارة ، والأخذ برأي من آراء الفقهاء ، واستخدام أسلوب الصياغة القانونية . . .

الا ان هذه المزايا لا تلغي ما لوحظ على « المجلة » من ملاحظات متعددة ، سواء فيما يتعلق بأسلوب الصياغة او فيما يتعلق بمحاولة الالتزام باحكام الفقه الحقيقي دون غيره في معظم الحالات ، وعلى هذا فان أحكام المجلة اذا كانت تستجيب لحاجات المجتمع الذي عايش الفترة الأخيرة من حياة الدولة العثمانية ، فان من المؤكد ان المجتمعات اللاحقة لتلك الفترة التاريخية قد تجاوزت في امكاناتها العلمية ، وفي حاجاتها اليومية ما وقفت عنده مجلة الأحكام العدلية . .

وهنا نجد انفسنا أمام الاختيار الخاطيء الذي دفع مجتمعنا العربي المسلم ثمنه غالياً وذلك عندما اتجهت الأنظار نحو الاستفادة من القوانين الأجنبية واستيرادها كما تستورد السلع اليومية ، وكان لذلك الاختيار أكبر الاخطار في حياتنا الاجتماعية ، لأنه أدى الى اشعار المواطن بان القوانين التي يحتكم اليها غريبة عنه ، لا تلبي طموحه ، ولا تعبر عن حاجاتنا ، ولا يجد لها احتراماً في ذاته ، فحدث الانفصام بين المجتمع والقانون ، واصبح القانون عبئاً على المواطن لا يجد فيه ما يجب ان يجد فيه من احترام وقداسة .

المؤتمرات الحقوقية تطالب بالعودة لقانون الاسلام :

اكتشف علماء الحقوق وهم الذين يقومون بوضع القانون وشرح أحكامه ، وبيان ايجابياته من سلبياته ، ان الفجوة تزداد اتساعاً وعمقاً بين المواطن والقانون وان القانون الذي تفرضه السلطة لا يجد له مكاناً في القلوب ، ويفتقد كل المهابة والاحترام من المواطن ، فضلاً عن كثير مما يحمله القانون الأجنبي من أحكام تتناقض كلياً مع النظرة الاجتماعية السائدة ، وبخاصة فيما يتعلق بالقوانين الجنائية ، التي تنظر للجريمة نظرة تختلف كلياً عن النظرة التي يراها المواطن المسلم ، أو ينظر من خلالها . .

وهكذا فقد تضمنت التوصيات التي صدرت عن الندوة الأولى لعمداء كليات الحقوق بالجامعات العربية التي انعقدت في بيروت عام ١٩٧٣ وجوب تدريس الشريعة الاسلامية في كليات الحقوق باعتبارها مصدراً رسمياً للقانون في معظم البلاد العربية ، ومصدراً تاريخياً للقانون في جميع هذه البلاد ، كما انه يجب على المشرع العربي في معظم البلاد العربية ان يجعل من الشريعة الاسلامية مصدراً رئيسياً للقوانين الوضعية . . .

ثم جاءت الندوة الثانية التي انعقدت في بغداد سنة ١٩٧٤ تؤكد على وجوب العناية بدراسة الفقه الاسلامي ، لان استكمال الشخصية العربية يقتضي الرجوع الى هذه الشريعة والاعتماد عليها كمصدر أساسي للقانون العربي الموحد . . ودعت هذه الندوة الى انشاء مجمع للشريعة والقانون على مستوى العالم العربي ، ويختص هذا المجمع باعداد دراسات شرعية وقانونية يفيد منها المشرع الوضعي ، وابداء الرأي فيما تطلبه الحكومات العربية والهيئات الرسمية وتقديم المشورة اليها ، والتنسيق بين عمل المجمع والهيئات المعنية بالشريعة في البلاد العربية . .

الفرق بين الموسوعة الفقهية والمجمع الفقهي :

تختلف مهمة الموسوعة الفقهية عن مهمة المجمع الفقهي ، وذلك لأن مهمة الموسوعة بشكل عام تقتصر ـ في الظروف العادية ـ على جمع الآراء الفقهية ، من المذاهب المختلفة الموزعة في كثير من أمهات الكتب الفقهية ، وتقوم الموسوعة بتقسيم الابحاث الفقهية بحسب الطريقة المعجمية ، بحيث يعرض البحث من خلال كلمته العنوانية ، مثل : بيع ، اجارة ، زواج ، طلاق ، ارث ، كفالة ، ثم توضع في اطار الكلمة العنوانية الرئيسية عناوين فرعية للمباحث التي تتعلق بتلك الكلمة ، وهكذا تتعدد العناوين بحسب اهميتها ضمن العنوان الرئيسي ، الى أن يصل الباحث الى الأحكام الفرعية . . .

أما المجمع العلمي للفقه الاسلامي فان مهمته لا تقتصر على مجرد الجمع للأحكام من أمهات الكتب الفقهية ، وانما غايته الأساسية ، هي التطلع الى (نمو الفقه الاسلامي) واثرائه بالرأي

المتجدد القادر على توليد البدائل الشرعية للمشكلات المطروحة في الساحة المعاصرة ، سواء في مجالات الحياة الاجتماعية والاقتصادية أو في مجالات القضاء والقانون . .

ولا يجوز ان تقتصر مهمة « المجمع العلمي للفقه الاسلامي » على مجرد إعادة وتأكيد الأحكام الفقهية المدونة ، وانما يجب ان يقوم بدور الاثراء المتجدد ، وتوليد الأحكام الفقهية ، وهي « البدائل الاسلامية » للمشاكل المطروحة على الساحة المعاصرة . .

منهج المجمع في استنباط الأحكام :

اذا سلمنا بأن منهج التقليد الذي فرضته ظروف التخلف الاجتماعي والفكري التي عاشها مجتمعنا الاسلامي ، ليس هو المنهج السليم المحقق لأهداف امتنا في النهوض بالحركة الفقهية لكي تكون مواكبة للتطورات الاجتماعية المعاصرة . . فان من المؤكد ان منهج التوليد والاثراء للأحكام عن طريق الاجتهاد الجماعي هو الطريق الوحيد الذي يحقق نهضة فقهية حقيقية . .

ويجب ان تراعى في مجال الاجتهاد القواعد التالية :

١ ـ فهم النصوص في اطار المصالح الجماعية : وهذه القاعدة مسلمة في الشريعة الاسلامية ومعبرة عن المقاصد الشرعية المستهدفة لتلبية الحاجات والمصالح الاجتماعية ، وان من أهم المبادىء المقررة في الشريعة ، تقييد الحقوق الفردية بالمصالح الاجتماعية ، وهذا المبدأ يعطي للمصالح الاجتماعية أهمية خاصة تجب مراعاتها . .

٢ ـ فهم النصوص في اطار التطورات الزمنية المعاصرة : وهذا المبدأ يوجب مراعاة التطورات الزمنية المعاصرة ، وفهم النصوص في اطار ذلك ، بما ينسجم مع الدلالات اللغوية والشرعية للنصوص الشرعية . .

واعتقد ان علماءنا الاقدمين قد راعوا ذلك ، زماناً ومكاناً ، ولعل هذا من أهم أسباب الاختلاف بين الفقهاء . . ومن الطبيعي أن يكون ذلك في اطار دلالة النصوص . . .

٣ ـ الربط بين النص وروحه والغاية منه : وهذه القاعدة توجب على المجتهد ان يفهم النص اللغوي في اطار الغاية منه ، ولهذا فان علماء التفسير قد حرصوا ـ عند تفسيرهم للنصوص القرآنية ـ على ان يذكروا أسباب نزول الآية قبل شرح دلالاتها الشرعية ، وذلك حرصاً منهم على أن يكون الاستنباط معبراً عن روح النص والغاية منه . .

وان مراعاة هذه المبادىء سوف تمكن المجمع العلمي للفقه الاسلامي بهيئته العلمية من ان يؤدي الدور المطلوب منه والمتطلع اليه من قرار فكرة « المجمع » وفي هذه الحالة سيتمكن « المجمع » من ان يحقق انجازاً عظيم الأهمية في تاريخ الفقه الاسلامي ، ومنعطفاً شديد الأهمية في مسيرته الطويلة . .

أما اذا اكتفى « المجمع » بدور التكرار واعادة صياغة الأحكام الفقهية ، دون اثراء لها ، فان من المؤكد ان المجمع لن يؤدي الغرض من انشائه ، وسيكون ما ينجزه خالياً من الاضافة الحقيقية التي تتطلع اليها ، للنهوض بالفقه الاسلامي . .

منهج عمل المجمع الفقهي :

اعتقد مبدئياً ان المجمع مطالب بان يفتح باب الحوار والنقاش العلمي ، في الموضوعات العلمية المطروحة ، بين اعضاء المجمع ، بعد استيعاب جميع النصوص الواردة في الموضوع واستعراض اراء الفقهاء المختلفة . .

وان الحوار في هذا الاطار ، سواء كانت الآراء متباعدة او متقاربة ، سوف يسهم في عملية الاثراء ، لا سيما وان الحوار سيكون بين

علماء متخصصين متمكنين من الرؤية الفقهية السليمة .. وليس من الضروري ان يتم التلاقي بين الآراء ، فمثل هذا الأمل عسير التحقيق ، لاختلاف الرؤية البشرية ، واختلاف الطاقات العقلية ، فضلا عن قدرة النصوص على اعطاء دلالات متعددة ..

ومن الواجب ان تستعين الهيئة العلمية في المجمع بلجان فرعية متخصصة تمد الهيئة العلمية بالتقارير العلمية في القضية المطروحة ، وبخاصة فيما يتعلق بالأحكام التي تحتاج الى رأي العلم فيها ، كمسائل الحمل ، ومدى مكوث الجنين في بطن أمه ، وان تقرير المختصين سوف يسهم على وجه التأكيد في ان تكون آراء المجمع واجتهاداته ذات قيمة علمية ، مستمدة من حقائق ثابتة ...

صياغة قانون عربي موحد :

بعد استكمال دراسة الأبحاث الفقهية المعروضة يستطيع المجمع ان يقدم رأيه الشرعي في المشكلة المطروحة ، أو يسهم في صياغة مشروع قانون عربي موحد ، سواء في مجال الأحكام المدنية ، أو في مجال الأحوال الشخصية ، أو مجال القانون الجنائي ..

وليس هناك أي مانع ان تتعدد القوانين في البلاد العربية ، شريطة ان تكون أحكامها مستمدة من الفقه الاسلامي ، ويحق لأية دولة عربية أن تختار من الآراء الفقهية ما تراه منسجماً مع تقاليدها الاجتماعية ... وهذا أمر طبيعي ، ولا يدعو للقلق ، وذلك لأن القوانين في هذه الحالة ولو اختلفت أحكامها ، فانها تستمد أحكامها من منبع واحد ، وهو الشريعة الاسلامية ...

من المؤكد ان المجمع مهما تكاملت هيئاته العلمية ، فان من الضروري ان يستعين بالمختصين ممن يباشرون فعلياً تدريس مواد الفقه الاسلامي في الكليات الجامعية وذلك لأن المؤلفات الفقهية الحديثة قد اسهمت بشكل جيد في النهضة الفقهية المعاصرة وقد نجد فيها الكثير مما نحتاج اليه من آراء وقد تشتمل على اضافات فقهية أو مناقشات علمية ذات قيمة ..

وبالاضافة الى هذا ، فانني لا أرى أي مانع من ان يستعين « المجمع » بالمناهج القانونية المعاصرة ، من حيث اسلوب الصياغة والتبويب والترقيم .. وبخاصة وان تطور المناهج والأساليب جهد حضاري اسهم المجتمع البشري في ازدهاره ..

ضرورة الاستعانة بالقضاء :

يعتبر جهاز القضاء من أهم الأجهزة التي تعايش الأحداث اليومية ، وتطلع على ما لا يطلع عليه الفقهاء الذين يمارسون دورهم العلمي داخل مكاتب مغلقة .

واعتقد ان من الضروري ان يستفاد من تجربة القضاء اليومية ، لكي لا يكون عمل المجمع مجرد عمل أكاديمي ذي طبيعة نظرية ، وانما يجب ان يكون معبراً عن حاجات الناس ، ومسهماً في دراسة المشاكل اليومية المطروحة .

واني على يقين في ان « المجمع العلمي للفقه الاسلامي » الذي قرر إنشاءه مؤتمر الفقه الاسلامي الذي انعقد في الطائف ، يعتبر من أهم المشروعات الاسلامية التي نتطلع اليها ، ليس فقط على صعيد خدمة الفقه الاسلامي ، وانما على صعيد الوحدة القانونية للعالم العربي ، عن طريق توحيد القوانين المعمول بها في البلدان العربية ، وهذا سيؤدي الى ايجاد بنية قانونية موحدة ، ذات طبيعة متكاملة مستمدة من تشريع واحد ، تؤمن أمتنا بعدالته ، وترتاح للاحتكام اليه ، لأنه جزء من عقيدة هذه الأمة ، ويحظى بكل احترامها وحبها ، وعندئذ ستحتكم اليه راضية به مطمئنة لحكمه وعدله ... ○



من الأمم المتحدة :
قضية وشخصية

من هنا بدأت

كانت مصر أول دولة تتخذ موقفا محايدا في الأمم المتحدة في مشكلة دولية أشعلت حربا خطيرة وقسمت العالم كتلتين كبيرتين ، وكان صوت ممثل مصر ، محمود فوزي ، أول صوت يرتفع في الأمم المتحدة معلنا موقف الحياد ، ومعبرا عن هذا الاتجاه السياسي الجديد .

حدث هذا قبل أن يظهر على المسرح الدولي في منتصف الخمسينات ما كان يسمى بسياسة « الحياد الايجابي » وهي السياسة التي نبتت منها وقامت عليها منذ بداية الستينات « حركة عدم الانحياز » . كان هذا عندما نشبت الحرب فوق أرض كوريا ، وكانت الولايات المتحدة طرفا محاربا فيها بطائراتها وأسطولها وجيشها ، وكان الاتحاد السوفيتي طرفا فيها دون أن يشترك في الحرب بجنوده وانما بأسلحته وذخيرته ومستشاريه . وكان على الدول الأخرى أن تحدد موقفها من هذا النزاع الخطير الذي تحول فجأة الى حرب أشد خطورة . . فكان على كل دولة أن تحدد ما اذا كانت تؤيد أمريكا فتضع نفسها تلقائيا في المعسكر الغربي ، أم هل تعارض أمريكا فتضع نفسها تلقائيا في المعسكر الشرقي .

وكانت مصر حين نشب النزاع وقامت الحرب عضوا في مجلس الأمن . . وهي عضوية تسعى اليها الدول جاهدة ، ابرازا لمكانتها في

حركة عدم الإنحياز

بقلم : عبد الحميد الكاتب

المجتمع الدولي ، ولكنها في الوقت ذاته تفرض على الدولة أن تحدد موقفها تحديدا واضحا اذا قامت مشكلة دولية خطيرة ، وعرضت على مجلس الأمن .. فهناك لا بد للدولة أن تدلي بصوتها ، ولا بد أن تفسر موقفها وتبرره ، ولا تستطيع أن تتهرب خلف ستار من الصمت والسكوت .

وقد صحا الناس يوم ٢٥ يونيو سنة ١٩٥٠ واذا بأجهزة الاذاعة تذيع أن حربا قد قامت في الشرق الأقصى ، وأن جيش كوريا الشمالية ، اخترق الحدود وضربت طائراته ومدافعه كوريا الجنوبية .. وأن الولايات المتحدة أرسلت اسطولا جويا ، وسيرت سفنا حربية ، واشتركت في الحرب التي اندلعت منذ ساعاتها الأولى .. وأرادت أمريكا أن تعطي تدخلها في الحرب الناشبة على بعد آلاف وآلاف من الأميال صفة الشرعية ، فطلبت الى تريجفي لي ، الأمين العام للأمم المتحدة ، أن يعقد مجلس الأمن في اجتماع طارىء عاجل .. ليبحث هذا الموقف الخطير ... وليدعو الدول الأعضاء الى أن تسارع فيرسل من يريد منها قوة مسلحة تشارك في رد المعتدي ، وهو كوريا الشمالية ، وتساعد المعتدى عليه وهو كوريا الجنوبية .

وكان هذا في صبيحة يوم أحد ظن فيه أعضاء مجلس الأمن ، وظن العاملون في الأمم المتحدة ، انهم سيمضونه في راحة وهدوء ،



وتأهب بعضنا للذهاب الى شواطىء البحر القريبة . فقد كنا في شهر يونيو بحره ورطوبته في مدينة نيويورك .

وكانت الفرصة مهيأة للولايات المتحدة لعقد المجلس فورا دون أي ابطاء وتعقيد . . ومهيأة لاصدار القرار المطلوب دون أن يوقفه « الفيتو » السوفيتي . . .

فقد حدث أن الاتحاد السوفيتي كان مقاطعا مجلس الأمن منذ عدة أسابيع ، احتجاجا على تصرفات لا يرضاها قام بها تريجفي لي . . وان كان هناك من قال بعد هذا بأن الاتحاد السوفيتي قاطع مجلس الأمن عمدا ، لكي يورط أمريكا في الحرب الكورية . . وقد تورطت فيها فعلا عدة سنوات ، مثلما تورطت فيما بعد في حرب فيتنام ، ولم تخرج من ورطتها الأولى الا بخروج تورمان ومجيء أيزنهاور ، ولم تخرج من ورطتها الثانية الا بسقوط جونسون ، ومجيء نيكسون . .

عاصفة أمريكية

انعقد مجلس الأمن . . والقى ممثل أمريكا خطابا عاصفا قرر فيه أن كوريا الشمالية ارتكبت اعتداء خطيرا يهدد السلام والأمن الدولي . . وأن جيشها اجتاح خط العرض الفاصل بينها وبين جارتها في الجنوب . . وأن من واجب المجلس أن يصدر فورا قرارا يهيب بالدول المحبة للسلام أن تدين الدولة المعتدية ، وأن تمد معونتها الى الدولة المعتدى عليها . . وأعلن أن أمريكا قد تأهبت لهذا ، وتريد أن يذهب جيشها حاملا علم الأمم المتحدة . . وأن كل من يرسل جيشا أو فرقة من جيش فليكن تحت علم الأمم المتحدة . لأننا لا نحارب في سبيل مصلحة خاصة بنا ، وانما في سبيل الأمم المتحدة وميثاقها ، وفي سبيل أمن العالم وسلامه . .

وتتابعت الخطب يلقيها ممثلو بريطانيا ، وفرنسا ، وتايوان التي تحتل مقعد الصين ولكن تردد ما تقوله أمريكا ، وثلاثة أو أربعة من الأعضاء الآخرين . . وطلب رئيس المجلس التصويت على مشروع القرار المقدم من أمريكا ، فصوتت معه سبع دول . . . وهذا العدد يكفي لأن المجلس يتكون من أحد عشر عضوا في ذلك الوقت .

ولكن دولتين لم تصوتا : مصر والهند . . وقال ممثلاها ان الاجتماع عقد فجأة هذا الصباح ، وليست عند أي منهما تعليمات من حكومته تحدد موقفها ، وأنه يطلب عقد مجلس الأمن مرة أخرى عندما تصله تعليمات حكومته . . وبعد بضعة أيام دعي المجلس الى الانعقاد ، ليسجل موقف الهند وموقف مصر من هذا النزاع الدولي الخطير . وقال ممثل الهند أن حكومته درست الموقف وقررت تأييد قرار مجلس الأمن الذي يدين كوريا الشمالية لاعتدائها ، والذي يطلب مساعدة كوريا الجنوبية المعتدى عليها . . وقال ممثل مصر ، محمود فوزي ، ان حكومته درست الموقف . . ووجدت أنها لاتستطيع الموافقة على القرار الذي أصدره المجلس . . وأنه لهذا يسجل في محاضر المجلس امتناع مصر عن تأييد القرار . . واستولت الدهشة على أعضاء مجلس الأمم ، وامتقع وجه تريجفي لي وحدث هرج ومرج في صفوف الصحفيين الكثيرين الذين يملأون صفوفا من المقاعد في مجلس الأمن . . لا لأن صوت مصر سيبطل قرار مجلس الأمن ، وانما لأن دولة صغيرة مثل مصر قد تجرأت في هذا الموقف الخطير فخرجت عن الخط المرسوم . . الخط الذي ترسمه أمريكا فتسير فيه خمس وخمسون دولة ، ويوازيه خط آخر يرسمه الاتحاد السوفيتي فتسير فيه دول خمس من أوربا الشرقية .

حتى دولة مثل الهند ، بزعامة نهرو ، لم تستطع حتى ذلك الوقت إلا أن تسير في الطريق الذي يتفق مع سياسة أمريكا .

ولم تتخذ مصر هذا الموقف أرضاء للاتحاد السوفيتي ، فلم تكن لها علاقة بالسوفيت في ذلك



الوقت أكثر من علاقة دبلوماسية عادية ، لم تبلغ حتى درجة التمثيل على مستوى السفراء ، بل مستوى الوزراء المفوضين . . ولم تكن بين البلدين علاقات تجارية ، ولا أية علاقات أخرى .

فكيف وقفت مصر هذا الموقف الذي أثار سير جلادوين جيب ممثل بريطانيا في مجلس الأمن ، وكان رجلا متعجرفا يمثل ما كان باقيا من روح السيطرة البريطانية . . لقد القى خطابا سيئا قال فيه : ان الموقف الذي اتخذته مصر موقف معيب ولكنه هو الموقف اللائق بحكومتها !. . فقد وضعت مصر نفسها في مصاف الاشرار !

كانت عبارات نابية ، استفزت محمود فوزي الذي عهده الناس هادئا متمالكا أعصابه ، فاذا بصوته الهادىء الرزين ينطلق بخطاب غاضب ومؤثر : « كان من الواجب على ممثل بريطانيا أن يوجه كلامه هذا الى حكومته . . فان سياسة بريطانيا التي تحتل بجنودها مصر ، وتحتل السودان بجنودها وادارتها ، والتي خلقت بسياستها الاستعمارية المغرضة مشكلة فلسطين . . والتي استغلت انتدابها على فلسطين لتفتح أبوابها لهجرة اليهود وتشتيت العرب . . . بريطانيا هذه التي خذلت مصر ، وخذلت العرب ، في كل موقف . . هي السبب الأول في أن مصر لا تستطيع أن تقف اليوم في نفس الموقف ، وفي نفس الصف ، الذي تقف فيه بريطانيا » .

ومضى الدكتور فوزي يقول : « لو أن مجلس الأمن وقف مع مصر في قضية الاحتلال البريطاني ، ووقف مع حق العرب في قضية فلسطين ، لكانت مصر اليوم أول الدول التي تعمل على تدعيم سلطة مجلس الأمن ، وتأييد أي قرار يدين العدوان ، ويدعو الى مساندة المعتدى عليه . . أما أن يكيل مجلس الأمن بكيلين . . أما أن يأتي المجلس اليوم رافعا راية العدل والحق ، وكانت أغلبيه أعضائه بالأمس تنظر راضية أو ساكتة الى بريطانيا وهي رافعة راية الاعتداء والقهر فوق مصر وفوق فلسطين . فهذا ما تستنكره مصر . . وهذا ما يوضح موقف مصر » .

أول وقفة حيادية

كيف قررت الحكومة المصرية موقفها المحايد في تلك المشكلة الكبرى التي انفجرت حربا في واقع الأمر بين الولايات المتحدة وبين الاتحاد السوفيتي . وفي حين لم تكن مواقف الحياد شيئا مألوفا ، ولا مقبولا ؟ بل أن دولا مثل تركيا ، والحبشة ، وكندا ، ودولا لاتينية خضعت لأوامر أمريكا وأرسلت فرقا من جيشها تحارب في كوريا تحت علم الأمم المتحدة في ساعات الصباح الباكر التي أذيع فيها أن مجلس الأمن سيعقد اجتماعا طارئا لبحث الموقف . . .

جلس محمود فوزي ـ رحمه الله ـ فكتب برقية مطولة الى وزارة الخارجية المصرية يقول فيها : « ان المشكلة التي ستعرض الآن على مجلس الأمن هي التي ستحدد موقف كل دولة ، لا في الأمم المتحدة فحسب ، بل في الساحة الدولية . فاما أن تقف الدولة مع الولايات المتحدة ، واما أن تقف مع الاتحاد السوفيتي وأما أن تعلن حيادها بين الدولتين العظيمتين ، أو بين المعسكرين الشرقي والغربي واذن فعلى كل حكومة على أعلى مستوى تراه ، أن تقرر أين ستقف » لأن الموقف الذي ستعلنه الآن في مجلس الأمن ، هو

الذي سيحدد اتجاه الدولة ، ومسارها لفترة طويلة . » وعلى الحكومة أيضا أن تبحث موضوعا أساسيا : « ما هو الثمن الذي تأخذه مقابل أي موقف تحدده . اذا وقفنا مع الولايات المتحدة فماهو الثمن السياسي ، وغير السياسي الذي نتقاضاه ؟ واذا وقفنا ضدها وبهذا نكون قد انحزنا الى موقف الاتحاد السوفيتي فما هو المكسب السياسي وغير السياسي الذي نناله ! » ويبدو أن أمور السياسة لم تكن تأخذ في ذلك الوقت ببساطة ، وأن القرارات الخطيرة لم تكن تصدر ارتجالا واعتباطا .. فقد سألت الدكتور محمد صلاح الدين ، وزير خارجية مصر في تلك الأيام ، كيف صدر هذا القرار الذي وقفت به مصر أول وقفة حيادية في الأمم المتحدة ..

فقال : ان الأمر كان كبيرا وخطيرا فقد عقد مجلس الوزراء اجتماعا طويلا انقسم فيه الوزراء فريقين : فريق يرى أن نؤيد قرار مجلس الأمن وفي الوقت نفسه نعيد عرض قضيتنا على المجلس ، ونطالب أعضاءه ، وبالذات أمريكا وبريطانيا ـ أن تطبق مبادىء الأمم المتحدة مثلما تطبقها في مشكلة كوريا ، وأن يصدر المجلس قرارا حاسما يطالب فيه بالجلاء البريطاني عن مصر ، وفريق آخر يقول لقد خذلتنا أمريكا في قضية الاحتلال البريطاني وسار في ركابها معظم اعضاء مجلس الامن .. وقد خذلتنا امريكا ، ومعها الاتحاد السوفيتي ، في قضية فلسطين وسار في ركابها نصف أعضاء الأمم المتحدة .. فلماذا نؤيد أمريكا ؟ ولماذا نعارضها ؟ فنبدو وكأننا نساند السوفيت .. ان الموقف السليم هو موقف الحياد . وكان رئيس الحكومة حينذاك هو مصطفى النحاس باشا ، وقال انه لن يأخذ جانبا ضد جانب ، ولكنه سيضيف صوته الى صوت الأغلبية من الوزراء .. وهذا مثل طيب لتطبيق الديمقراطية حتى داخل مجلس الوزراء . وطالت المناقشات ، وعاد مجلس الوزراء الى الاجتماع مرتين ، واستمر الاجتماع الثالث حتى ساعة متأخرة من الليل ، فقد كنا في شهر رمضان وفيه يحب الناس أن يسهروا طويلا حتى موعد السحور .. واتخذت الحكومة قرارا بامتناع مصر عن الموافقة على قرار مجلس الأمن ، وتلقى محمود فوزي قرار حكومته ، وشعرنا نحن معاونوه بأنه كان مرتاحا الى هذا الموقف ، وأن التقرير الذي بعث به منذ الساعات الأولى كان له أثره . وذهب الى مجلس الأمن وأعلن في الأمم المتحدة أول موقف حيادي تتخذه دولة صغيرة ، ومحتلة بجيوش أجنبية ، ومهزومة في أول معركة تخوضها في فلسطين .. ولكنها مع هذا تعلن حيادها تجاه الدول الكبرى ، وتشق لنفسها ولغيرها من الدول بعد هذا طريق الحياد ، وطريق عدم الانحياز .

نقيض هذا حدث لاسرائيل

أرادت اسرائيل ان تقف اول الأمر من هذه المشكلة الكورية موقف الحياد ، وكانت لها ف ذلك الوقت علاقة متوازية بكل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي . فقد وقفت كل من الدولتين الكبيرتين موقف التأييد الكامل ، بل موقف التحمس المندفع ، تجاه قيام دولة يهودية على أرض فلسطين .. وعندما أعلنت الوكالة اليهودية قيام دولتهم التى اطلقوا عليها فى آخر لحظة اسم اسرائيل ، كانت واشنطون وموسكو اسرع العواصم اعترافا بها ، فاعترفت بها واشنطون بعد قيامها بعشر دقائق اعترافا واقعيا **De Facto** واعترفت بها موسكو بعد قيامها بعشرة أيام اعترافا قانونيا **De Jury** .. والقانون الدولى يقرر ان الاعتراف القانونى اقوى واشمل من الاعتراف الواقعى .

وكانت اول سفارتين فتحتا فى تل ابيب التى اتخذتها اسرائيل عاصمة لها هى السفارة الامريكية والسفارة السوفيتية ، وكانت السفارتان تقيمان فى فندق واحد ، ارتفع فوقه العلم الامريكي والعلم السوفيتي .. جنبا الى

جنب !

وكان أول سفيرين لاسرائيل فى العالم هما : أبا ايبان سفيرها فى واشنطون ، وجولدامايير سفيرتها فى موسكو ! وكان يبدو أن اسرائيل فى بداية الأمر تريد أن تسير على خط محايد بين المعسكرين الكبيرين .. لتستفيد من هذا وذاك ، وتبتزهما على السواء .. وساعدها على هذا أن كيان اسرائيل الداخلى كان له طابع الحياد ، فأكثر المعونات الأولى لاسرائيل جاءت من امريكا ودول أوربا الغربية ، وعندما أمدتها تشيكوسلوفاكيا باول طائرات عسكرية فى أثناء حرب ١٩٤٨ ، لم تكن قد انتقلت نهائيا الى المعسكر السوفيتى .. ولكن من ناحية اخرى كان من المظاهر الاساسية فى الكيان الاسرائيلى قيام نظام المزارع الجماعية ، الكوبتز ، وانتشارها فى ذلك الوقت وكانت تعطى المجتمع الاسرائيلى طابعا اشتراكيا جماعيا قريب الشبه بالطابع السوفيتى .

بل أن حكومة اسرائيل فكرت فى خطوة عملية تمكنها من اتباع سياسة الحياد فأرادت أن تكون عضوا فى مجموعة الدول الاسيوية التى قامت فى الأمم المتحدة وكانت اغلبية اعضائها عند قيامها دولا عربية ، ودولا اسلامية .. وقد سئل موسى شاريت ، وزير خارجية اسرائيل الأول وأحد مؤسسيها ، فى مؤتمر صحفى عقده فى الأمم المتحدة : هل تفكر اسرائيل فى ان تنضم الى احدى المجموعات الاقليمية ، مثل مجموعة دول اوربا الغربية ؟ .. فاجاب شاريت مستنكرا : اوربا الغربية ؟ ! .. ان اسرائيل دولة اسيوية .. ومكانها الطبيعى ان تكون عضوا فى المجموعة الاسيوية .. ونعتقد أن كثيرا من الدول الصديقة فى اسيا سترحب بنا !

ورغم ان هذا لم يكن صحيحا ولا ممكنا ، فالى جانب ست دول عربية فى المجموعة الأسيوية ، فان الدول الاخرى ، وعلى الاخص الهند وباكستان واندونيسيا ، تضم مئات الملايين من المسلمين .. ولكن اسرائيل ظهرت او تظاهرت فى البداية وكأنها تريد أن تنهج نهجا حياديا .. ثم جاءت حرب كوريا ، وارادت ان تلتزم الصمت والسكوت ، وان تحتفظ بما انشأته من علاقات وثيقة ومتوازنة بالولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ، وأن تقف موقفا وسطا بين الدولتين المشتبكتين فى حرب فوق أرض كوريا .. وعندئذ هب يهود امريكا ، وطالبوا اسرائيل بان تحدد موقفها تحديدا كاملا .. فاما أن تقف مع أمريكا فى الأمم المتحدة وفى كل مجال ، واما أن يوقف اليهود فى أمريكا امداد اسرائيل بتبرعاتهم المالية ، وأهم من هذا أن يوقفوا مساعدات الحكومة الامريكية التى يقرها الكونجرس .. ولليهود على الكونجرس سلطان أى سلطان ! وتغير موقف اسرائيل فورا .. وخرج موسى شاريت من وزارة الخارجية ولم يعد الى حكومة اسرائيل ابدا .. وصارت اسرائيل منذ ذلك الوقت جزءا لا يتجزأ من المعسكر الغربى ، سياسيا واستراتيجيا ، ووجدت ، حتى الآن ، أن هذه هى السياسة الرابحة ، فقد صارت الابن المدلل فى البيت الأبيض ، والكونجرس الأمريكى .

قيام العالم الجديد

اما فيما يتعلق بمصر فقد كان موقف الحياد الذى اتخذته وأعلنته فى سنة ١٩٥٠ هو نقطة البداية فى طريق الحياد الذى سارت فيه الدول العربية والأسيوية والافريقية فيما بعد .. وكان مقدرا أن يكون محمود فوزى - رحمه الله - الذى رفع فى الأمم المتحدة اول صوت حيادى ، هو وزير خارجية مصر بعد هذا بسنتين وفى مطلع عهد جديد بدأته ثورة يوليو ١٩٥٢ ، فشارك مشاركة فعالة فى سياسة الحياد .. فى رسم خطوطها ، وتحديد اهدافها ، وفى تطبيقها على

مطالبنا العربية . . وبفكره ، وبخط يده أسهم كل الاسهام في وضع قراراتها وصياغة بياناتها . وشيئا فشيئا اخذت حركة الحياد تتبلور ، حتى اخذت صورا واضحة في مؤتمر باندونج سنة ١٩٥٥ . فهناك بدأت تظهر شخصية الدول الجديدة ، آسيوية وعربية وأفريقية وهي التي سموها فيما بعد « دول العالم الثالث » . . واراد محمود فوزي ان يعلن في الأمم المتحدة قيام هذا العالم الجديد . . واغتنم فرصة اجتماع كبير تعقده الأمم المتحدة في تلك السنة ، في مدينة سان فرنسيسكو التي وضع فيها ميثاق الأمم المتحدة بمناسبة انقضاء عشر سنوات على توقيعه واعلانه . . ورأى وزير خارجية مصر أن يربط بين قرارات مؤتمر باندونج وبين الأمم المتحدة . . فلم يلق خطابا على غرار الخطب التي تحيي الأمم المتحدة وتشيد بانجازاتها . . ولا على غرار الخطب التي تأسف لما عجزت الأمم المتحدة عن انجازه . . وانما في ذلك الاحتفال الكبير الذي افتتحه الرئيس أيزنهاور ، وحضره مؤسسو الأمم المتحدة وزعماؤها الأول ، امثال الرئيس السابق هاري ترومان ومولوتوف وجون فوستر دالاس ، رأى محمود فوزي أن « يتلو » على المجتمعين نص قرار مؤتمر باندونج ، ويسجلها وثيقة من وثائق الأمم المتحدة ، ويقول ان هذه هي خطوط السياسة التي قررت دول آسيا وافريقيا ان تتبعها ، تدعيما للأمم المتحدة ، لأنها تفسر مبادىء الميثاق واهدافه التفسير الصحيح الذي يتفق مع حقوق شعوب العالم في الحرية السياسية ، وفي بناء كيانها الاقتصادي والاجتماعي ، وفي تطلعها الى المساهمة الفعالة في بناء عالم جديد يسوده الأمن والسلام . ثم تطورت سياسة الحياد الايجابي التي انبثقت من المؤتمر الاسيوي والافريقي في باندونج ، الى حركة عدم الانحياز التي بدأت باجتماعها التمهيدي في القاهرة ثم بمؤتمرها الأول في بلجراد سنة ١٩٦٢ ، واتسع نطاقها فشملت دولا في القارات الاربع . . وكان محمود فوزي هناك جالسا الى يمين جمال عبد الناصر أحد الزعماء الثلاثة الذين انشأوا حركة عدم الانحياز . . كان هناك مثلما كان في باندونج من قبل ، العقل المفكر والدبلوماسي الذي وهب مقدرة فذة في التفاوض من ناحية ، وفي التعبير عن المواقف كتابة او حديثا ، تعبيرا ذكيا بارعا يترك الابواب مفتوحة لتفسيرات مختلفة . . . .

السياسي الفيلسوف

وكان الدكتور فوزي « يفلسف » حركة عدم الانحياز فيقول : اننا لا نُكَوِّن كتلة جديدة من الدول . فحسب العالم ما فيه من « كتل » تتنازع السيطرة السياسية والعسكرية والاقتصادية على العالم . . انما نريد ان نخلق تيارا جديدا يسري في السياسة الدولية . . فاذا تدفق وتشربته الدول في انحاء العالم ، فانه يخلق مساحة كبيرة وهامة ، مساحة سياسية واقتصادية وفكرية ، تفصل بين الكتلتين الكبيرتين . . انهما تتصارعان كثيرا حتى تكاد تصطدم احداهما بالأخرى ، وهذا خطر داهم علينا . . ثم انهما تحاولان أحيانا أن تتفاهما من أجل مصالحهما واطماعهما ، وهذا أيضا خطر داهم علينا . . اختلافهما يعرضنا ويعرض العالم للدمار ، واتفاقهما يعرضنا ويعرض العالم للضياع . . فلابد ان نباعد بين الكتلتين فلا تصطدمان فوق رءوسنا ، وان نباعد بينهما فلا تتفقان على حسابنا . . ولا سبيل الى هذا الا أن تكون هناك مساحة كبيرة جدا . . مساحة سياسية وفكرية اكثر منها مساحة جغرافية . . من شعوب العالم الآسيوي والافريقي والعربي واللاتيني والاوربي ، وألا تنحاز هذه المساحة الى أي من الكتلتين المتصارعتين وانما تنحاز بعضها الى بعض . متعاونة متساندة في سبيل أهدافها الصحيحة ، وهي الحياة ، والأمن ، والنمو ، والتقدم ، تلك كلمات كان يكررها كثيرا السياسي الفيلسوف محمود فوزي . . ○

● قصيدة ●

يوميات درويش

شعر : أحمد مشاري العدواني



أ ـ أغنية

على أفانين المنى
طفلان : أنت وأنا
قد لعبا على السنا
فامتزجا مع السنا
وأصبحا أغنية
زاد بها الحب غنى

ب ـ رسالة

رسالتي اليكِ برقيةْ
تبعث فيها نبضاتُ قلبي
.. اشارةً ضوئيةْ
ترمزُ للحبِ
رسالتي اليكِ صمتٌ مطْبقْ
يكادُ من ثورتهِ يحترقْ
لكنه يكتم نيرانَهْ
وتمسحُ الأذكارُ أحزانَه
يامنْ تسلّلتِ الى هيكل قُدسي
وكعبةِ الشعورِ في نفسي :
همَسْتِ لي بِصَبَواتٍ
نديةِ المرحْ
سحرتني بلفتات
تُوعِدُ بالفرح



وصرت في أعماقي
منبعَ أشواقي
لكنني حائر :
مَنْ أنا : ما قدري
في عالم السر
وسحُب العطرِ
تنفثُ بالسحرِ
أتلك ممن أمري
أم لستُ بالأمر ؟

ج ـ حيرة

أينَ رفاقي ؟ أينَ صاروا ؟
رِيشَتْ لهمْ أجنحةً فطاروا
وملكوا السحابْ
أما أنا فشاءت الأقدارُ
أنْ أسكنَ التراب
ومعي اليراعُ والكتابْ

د ـ

إشارة غرستُها على باب السماءْ
فأنشأتْ لي فَلَكاً نورياً
مِلْءِ الفضاءْ
تسبحُ فيهِ دُرةً بيضاءْ
أواهمٌ أنا فيما أرى ؟؟
أم كُشِفَ الغطاءْ ؟

هـ ـ

أقفُ فوقَ ذِروةِ الهواءْ
وفي يَدي سرائر الأشياءْ
فتتوارى دونيَ الأضواءْ
خجْلى مِن النداء

و ـ

كم سبَّحت على فمي
كلمةُ للنور
فرتْ الى دمي
فردَّها الديجورْ

ز ـ

المخُ خلفَ الحُجُبِ الكثيفه
بُروقكِ اللطيفه
مثلَ القناديل
لكنها ،
قدسيةَ التراتيل
اذا بكثبان الرمال والحصَى
تحورُ شُهُبا
وأستحيل في سناها كوكبا
وفجأةً
تُطفىءِ ريحُ الليلِ مصباحي
وتختفي في حُجُب الاظلامِ أفراحي
أتلك أوهام الكرى
أم أنا صاحي ؟



مخاطر التعليم الأجنبي في البلاد العربية

بقلم : دكتور عمر السباخي

يتعرض هذا المقال لبعض مخاطر التعليم الأجنبي في البلاد العربية بوجه عام وان كان سيركز على الوضع في مصر بالذات كحالة تطبيقية وذلك لسببين : أولهما التاريخ الطويل للتعليم الأجنبي بمصر ، وثانيهما خبرة الكاتب بذلك الوضع بحكم نشأته . وينتهي المقال باقتراح لملافاة تلك المخاطر .

تاريخ التعليم الأجنبي

ارتبط التعليم الأجنبي في مصر ارتباطا مباشرا بالارساليات الأجنبية . وقد عرفت مصر العديد من تلك الارساليات خلال القرن التاسع عشر . جاءت أولاها من انجلترا بعد سقوط نابليون ، ولما لم توفق في مهمتها غادرت مصر ثم عادت اليها عند مجيء الاحتلال الانجليزي . أما الثانية فكانت أمريكية جاءت عام ١٨٥٤ من بلاد الشام التي غادرتها في ذلك الوقت حين كانت تعاني اضطرابات طائفية وسياسية .

وما ان وقعت البلاد العربية تحت نير الاستعمار الأوروبي حتى انتشرت مدارس التعليم الأجنبي لتخدم غرضين أساسيين : الأول نشر الدين المسيحي بطريقة تضمن تبعية الجماعات التي تنصرت للمستعمر تبعية مستمرة (ويلاحظ في هذا الشأن ندرة من تدرجوا من أهل البلاد في السلك الكهنوتي لدين الارساليات الأجنبية) . أما الغرض الثاني فكان نشر ثقافة الدولة المستعمرة وخلق أجيال ـ حتى وان لم تتبع دين الدولة المستعمرة ـ إلا أنها تابعة ثقافيا لها مما يشكل نظرة تلك الأجيال سياسيا واجتماعيا واقتصاديا بالطريقة التي تفيد مصالح الاستعمار . وبذلك يضمن المستعمر ـ حتى وان خرجت جيوشه الغازية ـ تخلف المجتمع وتبعيته والأمثلة على ذلك ظاهرة للعيان فهناك اليوم ما يسمى بـ « أفريقيا الفرنسية » وجميع دولها « مستقلة » اسما ولكنها تابعة واقعا . ذلك أن استسلام مجتمع لثقافة غازية يفقده الثقة والاعتزاز بثقافته القومية وهو شرط أولي لقيام أي نهضة أو صحوة .

والناظر في تاريخ التعليم الأجنبي في البلاد العربية يجد الأمثلة العديدة على أهدافه الاستراتيجية . فدعاية الارساليات ـ في مصر مثلا ـ شملت بل ركزت على الاقباط المصريين وهم ممن يشاركون تلك الارساليات دينها المسيحي فلم يكن الأمر مسألة دين وانما في المقام الأول مسألة تبعية ثقافية وانتماء حضاري . فالانسان ـ في نهاية الأمر ـ ليس سوى ثقافته . كذلك فليس مصادفة أن يكون تشارلز واطسون ـ أول رئيس للجامعة الأمريكية في القاهرة ـ مبشرا سابقا في مصر ، كما كان والده واين اندرو واطسن من أوائل المبشرين الامريكيين في مصر . ولا ننسى أيضا ان الجامعة الامريكية في بيروت بدأت تحت اسم المدرسة السورية الانجيلية وكان قد أسسها مبشران أمريكيان . وقد لعب خريجوها دورا بارزا على المسرح السياسي والثقافي في بلاد الشام ومصر .

ولقد تنبهت القيادات الوطنية في مصر ـ أثناء الاحتلال الانجليزي ـ الى مخاطر التعليم الاجنبي على مستقبل الأمة فدعت الى اشراف الدولة على المدارس واقامة جامعة وطنية (وهي التي عرفت فيما بعد بجامعة القاهرة) ليتشرب أبناء الوطن ـ على اختلاف طبقاتهم وبيئاتهم ـ من نفس المنهل الثقافي فيتكون بينهم التوحد في الشعور والانتماء القومي . نقول اذا كانت مصر قد فعلت ذلك في

بدايات نهضتها الحديثة فان دولا أخرى في العالم العربي ـ كلبنان مثلا ـ لم تنتبه الى تلك الخطورة . فترسخت من جراء ذلك الانقسامات الطائفية التي ما زالت تعاني منها .

ولا زال التعليم الأجنبي هناك يغذي الانقسام حول الهوية القومية والانتماء الحضاري بانحيازه الى الثقافات الأجنبية . بل وبلغ الأمر الى أن تصبغ كل طائفة تاريخ لبنان بصبغتها بحيث يدور ويقتصر على تاريخها وبيئتها الخاصة كما لو أن الطوائف أو المناطق الأخرى غير موجودة .

باختصار إذن فلم يكن الهدف من نشر المدارس الأجنبية نشر الدين المسيحي أو الثقافة وانما كانت تلك وسائل لهدف أبعد وأعمق وهو تغيير الانتماء القومي ضمانا للتبعية الدائمة سياسيا واقتصاديا واجتماعيا . وظلت تلك الأهداف هي الاستراتيجية البعيدة لتلك المدارس كما كانت تؤدي في نفس الوقت مهمة تعليم أبناء الجاليات الاجنبية ـ التي ازدحمت بهم مدن وموانيء العالم العربي بعد أن أصبحت واقعة تحت السيطرة الأجنبية ـ ليقوموا بخدمة جيوش الاحتلال أو السيطرة على مقدرات البلاد الاقتصادية .

الوضع الحالي في مدارس التعليم الأجنبي

اذا كانت أخطار التعليم الأجنبي سالفة الذكر قد تضاءلت لتغير كثير من الأوضاع السياسية فانها لم تنعدم تماما . فللتعليم الأجنبي بصورته الحالية مخاطر من الناحية القومية والتربوية نود أن نلفت الأنظار اليها . ففي مدارس التعليم الأجنبي يتلقى الطالب تعليمه باللغة الأجنبية فيما عدا مواد الدين ، واللغة العربية والتربية الوطنية (التاريخ والجغرافيا) أي أنه يدرس مواد الفيزياء والرياضيات والكيمياء وعلوم الحياة باللغة الأجنبية رغم أن هذه المواد ـ على مستوى ما قبل الدراسة الجامعية على الأقل ـ سهلة التدريس باللغة العربية بل ان معظم المصطلحات العلمية المستخدمة فيها ذات أصول عربية لا يرقى الشك اليها لاسهامات العرب في تلك العلوم وافرة . وقد استقر أمر تدريس تلك العلوم باللغة العربية لسنين طويلة . ولذا فان من المؤكد ـ نتيجة هذا الوضع ـ أن يتكون لدى الطالب احساس بقصور لغته عن تدريس العلوم الحديثة وبأن التفكير العلمي لا ينتمي الى ثقافته العربية وتراثه بل هو وقف على الثقافة الأوربية فقط . وهو ترسيخ لمقولة ان العلم أساسا اغريقي أوربي وان اللغة العربية غير مرنة وغير قادرة على التعبير عن المعاني العلمية الدقيقة بعكس اللغات الأوربية (الآرية) . وان ما أنجزته الحضارة الاسلامية العربية في مجال العلم لا يعدو أن يكون صورة منعكسة عن اليونان وبلاد فارس والهند . وكلها مقولات ثبت خطؤها ويكفي أن نشير الى أعمال الخوارزمي والكارجي في علوم الجبر والهندسة والى أعمال البيروني والمهاني والخيام والطوسي في دراسة المنحنيات والسطوح والمجسمات والمعادلات الجبرية . أما في مجال العلوم التجريبية فهناك الحسن بن الهيثم والفارسي في علم البصريات والرازي في الكيمياء ..... الخ . وقد حدا ذلك ببعض المؤرخين والفلاسفة الى أن ينسبوا بدايات النهضة الأوربية الى تأثير الفترة العربية .

وبالاضافة الى ذلك فهذا الوضع يؤدي الى تدهور في استعمال اللغة العربية وهي المكون الأساسي من المكونات غير المادية للثقافة الوطنية . وهي ليست فقط وسيلة للتخاطب بل عميقة التأثير في سلوكيات الشخصية . كما يؤدي الى التذبذب في الانتماء الثقافي والحضاري والى احتقار الهوية القومية والثقافة الوطنية والتطلع الى قيم بديلة وأنماط مختلفة مما يوقع الافراد والجماعات في مشاكل نفسية واجتماعية عديدة .

ومما يزيد الأمر خطورة أن تدريس تلك العلوم باللغة الأجنبية يبدد جزءا كبيرا من قدرات الطالب الذهنية في ترجمة ما يقرؤه في تلك العلوم الى لغته ، وفيها الكثير من المصطلحات العلمية الدقيقة التي لا يعرف مرادفها العربي . ومما يزيد الأمر مشقة أن تلك الترجمة تتم هي الأخرى على مرحلتين لاختلاف اللغة المحلية (العامية) التي نتعامل بها عن اللغة الفصحى لغة الكتاب والثقافة . وحتى تدرك ما يعانيه الطالب العربي في المدارس الأجنبية فلنقارنه بزميله الانجليزي مثلا الذي يتلقى المادة بلغته الأصلية فيحصر اهتمامه في فهمها .

الحل المقترح



اننا لا ننكر أهمية اللغة الأجنبية والفائدة التي نجنيها



الطالب في الدراسة المبكرة لها من نطق سليم وفتح لآفاق جديدة في الثقافة بل الحياة ومفاهيم مختلفة عما تعود عليه .

لكن ذلك يتأتى بقراءة النصوص الأدبية من رواية وشعر ومسرح في لغتها الأصلية والالمام بشيء من تاريخ بلاد تلك اللغة ليتكون للطالب احساس شامل ببيئة تلك اللغة وتراثها . لكن لتدريس العلوم والرياضيات فائدة أخرى ألا وهي اعمال المنطق ودقة الاستدلال ، والربط بين المشاهدات المختلفة ومحاولة تفسيرها .. الخ وباختصار اكتساب النظرة العلمية وتشرب روحها لينعكس ذلك على سلوك الانسان ونظرته الى الأشياء وحكمه على الأمور وتقبله للآراء والمبادىء . وهي شيء عزيز نحن في أشد الحاجة اليه خصوصا في ظروف التخلف التي يمر بها مجتمعنا والتي ما يكاد أن يفيق منها حتى يقع من جديد أسيرا للتفكير غير العلمي .

لذا فاننا نقترح أن يكون تدريس جميع المواد باللغة العربية في المرحلة الابتدائية والاعدادية على الأقل . فهي مرحلة التأسيس الثقافي وفيها يتعرف الطالب على ثقافته الوطنية من خلال دراسته لشتى فروع المعارف . وحين يتم ذلك فما من شك في أن المجال سيفسح أمام الطالب للفهم والاستيعاب بدلا من حفظ المصطلحات والتعبيرات الأجنبية مما يحد من قدراته الذهنية ويكبلها . كما أن ثقته في ثقافته الوطنية واحترامه لها سيزيد هو الآخر بل سيتوفر له بعض الوقت لتحسين مستواه في اللغة الأجنبية ذاتها واكتساب مهارات في ميادين أخرى - تهملها مدارسنا على اختلافها - أجنبية أو وطنية مثل تدريس الموسيقى والتربية الرياضية والفنية . ولا بأس من تدريس اللغة الأجنبية للاستفادة من ميزة سهولة تعلم الصغير لها وحسن نطقه بها وحفظ مفرداتها . ويمكنه زيادة تحصيله في تلك اللغة في مرحلة الدراسة الثانوية ، ومن المؤكد أن حسن معرفته للغته العربية ولثقافته القومية سيدفعه الى الاستزادة من الثقافة الأجنبية والتعمق فيها . فثقافة الانسان القومية لم تقف يوما حجر عثرة في تملكه ناصية العلوم والفنون والآداب العالمية ، فأعلام النهضة الثقافية في مصر مثلا كانوا ممن تشربوا الثقافة العربية فكان ذلك دافعا لبعضهم على دراسة اللغات الأجنبية وفهم دقائقها .

يسّروا النحو للمعربين

بقلم الدكتور أحمد خطاب العمر

جامعة الموصل

عندما يهوى الانسان فنا ، أو يميل الى مسألة . فانه يندفع في الوصول الى ذلك بكل امكاناته . ويبذل في سبيل غايته كل ما يستطيعه . وكثير من مثقفينا وعلمائنا اليوم يريدون أن يكتبوا بعربية سليمة سهلة ، معبرة عن أفكارهم وتجاربهم . ولكن تنقصهم آلة التعبير ، ويحول دون ذلك خوفهم من الوقوع في الخطأ ، وعدم قدرتهم على ضبط تركيب الكلام ، وهذا ما يتحسسه الكثيرون ، ويعانون منه كثيرا ، لأنهم في مراحل دراساتهم الأولى لم يعنوا بقواعد اللغة وأحكامها ، فمدرسو النحو قد قدموه بقوالب جامدة وأمثلة معقدة غير مفهومة ، وعرضوها على رأيين أو قل أكثر من ذلك : البصري والكوفي والبغدادي والقليل والشاذ والضعيف مما يزيدهم تخبطا ، ويضيف الى تعقيداته تعقيدات ، ولهذا كان كثير من

الدارسين ، يتهيبون من متابعة دراسته ، واستكناه مفصله ، فيدفعهم هذا الى تركه كله ، فتظل تلك القواعد والأحكام مضللة في أذهانهم ، مهما بذل الميسرون لافهامها دارسيها ، لهذا كانوا يتركون أجوبة أسئلته ويعتمدون على المواد الأخرى ليحصلوا على درجة النجاح بمادة اللغة العربية .

ومن هنا كثرت دعوات التيسير ، وانقسم دعاتها في وسائله : فمنهم من يدعو الى ذلك بدافع حب اللغة العربية وعلومها والغيرة عليها ، فهي قد وضعت للحياة وللتعبير عن الحضارة وحرام أن تظل هذه الأداة معطلة ، مركونة في زوايا الاهمال منسية في حالكات الظلمات ، مع أن لهذه اللغة تاريخا طويلا ، اذ لم يعرف عن لغة ظلت تصاول الحياة قرونا طويلة كما عرف عن اللغة العربية ، فأكسبها هذا صفات لم تكتسبها لغة أخرى ، وظلت عوامل نموها تسير مع عمرها الطويل هذا . ومنهم من يخلط السم بالعسل ـ كما يقولون ـ فيدعو الى الاستغناء عن القوالب القديمة في التعبير ، وقد يدعو الى كتابتها بالحروف اللاتينية أو الى كتابتها بالعامية ، لأن الغاية هي افهام السامع ، فاذا تم فذلك قصد اللغة ، ولهذا كانوا يقولون « سكن تسلم » وذهب عن بالهم أن العرب انما اختاروا العلامات لتدل على المعاني التي يريدونها ، فالفاعل لرفعته وعلوه لأنه الذي يقوم بالحدث ، فاختاروا له الرفع ، فكانت علامته الضمة والواو لأن الجهد بهما أكثر ، وهكذا كان المجرور علامته الكسرة والياء ، والمنصوب علامته الفتحة والألف .

فتيسير قواعد هذا العلم وأحكامه مطلوب في مسيرتنا اليوم ، لأننا أحوج ما نكون اليوم الى اللغة ، الا أنه يجب ألا تخرج تلك القواعد والأحكام على الأسس التي وضعها علماؤنا الأوائل ، وأن يعنى بالطرق التي تقدم هذا العلم للدارسين ، ويستغنى عن كل ما أثقله ، فانما هو يسير عندما وضعوه أول مرة ، ولكنهم عقدوه فيما بعد ، فالتغيير يجب ألا يمس الأصول وانما يتعلق بالتخلص من القليل والضعيف والشاذ ، وبطريقة عرض هذا العلم للدارسين . وبغير ذلك ينسف التراث وتضيع جهود الأئمة السابقين ، والناس الذين يعنيهم هذا العلم صنفان : متخصص بالعربية ، وغير متخصص .

أما المتخصص فهو قليل ، فهذا الذي يجب ألا نفكر فيه ، وألا يتساهل معه ، لأن المفروض فيه أن يكون مطلعا على كل القواعد والأحكام ، المجمع عليها والمختلف فيها ، الضعيف والشاذ منها ، الآراء المفردة وعلل كل منها والقياس عليها ، ومعرفة شواهدها ، وأن يكون مطلعا على كل دعوات التيسير ، وما يوجه اليها من مآخذ أو ما تحمل معها من مبررات ، لأنه سيكون القيم على شؤون هذه اللغة . ومشرفا على ايصال هذا العلم الى تلامذته والمستفيدين منه ، ولا يكون ذلك هينا الا بالغوص في تفاصيل هذا العلم ، ومعرفة دقائقه وتفاصيله .

وأما غير المتخصص فهو الأكثر ، اذ منه الطبيب والمهندس والفلكي والعالم والفيزياوي والكيمياوي والقانوني والمؤرخ والمدرس والعامل والفلاح والعسكري ، وكل أولئك ينبغي أن تكون أساليبهم صحيحة سليمة عند ارادتهم الحديث أو الكتابة ، ليستفاد من تجاربهم وتخصصاتهم وهم لا يحتاجون الا الى الأسس العامة والقواعد الرئيسة ، المجمع عليها ، التي



تصون سلامة الأسلوب ، ويحتاجون فقط الى القواعد التي ترشدهم الى معرفة أثر العوامل وتعيين المرفوع والمنصوب والمجرور وملاحظة ذلك في كلامهم .

اذن كيف يكون التيسير ؟ جوابنا عن هذا أن المتقدمين قد فكروا في التيسير ، ووضعوا عددا من الكتب التي تدعو اليه ، ولكن لكل طريقته ، ولكل أسلوبه ، لهذا نجد كثيرا من النحويين المتقدمين قد خلفوا رسائل صغيرة فيه ، فكانت مقدمات في النحو ، أو تلخيصات لكتب أخرى ، ومن بين هذه الرسائل رسالة في العوامل لمحمد علي بن بير البركوي وهو عالم تركي وضع رسالته على معرفة مئة شيء في النحو ليتقن النحو كله : ستون بالعوامل ، وثلاثون بالمعمولات ، وعشرة بالعمل ، الأول : أدوات الرفع والنصب والجر والجزم ، والثاني : مرفوعات الأسماء ومنصوباتها ومجروراتها ، ومرفوع الفعل ومنصوبه ومجزومه ، والثالث : يتعلق بالعلامات : الفتحة والضمة والكسرة ، والألف والواو والياء وثبوت النون وحذف الحرف والحركة والآخر .

فهذا توزيع منطقي رياضي ، يشتمل على كل تقسيمات النحو ، يستطيع المتتبع أن يتقن كل الأحكام ، فلو وضعنا لغير المتخصصين كتبا على أساسها ، ليسرنا الرجوع اليها بأيسر الطرق وأسهلها ، لتمكن أولئك العلماء من تقديم بحوثهم وتجاربهم ومحاضراتهم بلغة سليمة .

فالمعربون اليوم لا يحتاجون الى المصطلحات العلمية المعربة فحسب ، وانما يحتاجون الى اللغة الميسرة التي يضبطون القول على أساسها ويحسنون تركيب الكلام على قواعدها .

أوراق البحر الميت وكتاب المخطوطات للعابدي

بقلم : عبد العزيز محمد بوريني

ما زالت مخطوطات البحر الميت ـ التي عثر عليها مؤخرا تكشف العديد من الحقائق التاريخية الضاربة في اعماق الماضي ، وظهرت العديد من الكتب والدراسات الاجنبية التي تتناول بالتدقيق والتعليق هذا الكشف التاريخي الهام ، والتي لم تكن من بينها دراسة عربية ، ولكن السيد عبد العزيز بوريني له تعليق آخر على ما كتبه الاستاذ عبد الرزاق البصير ، يقول فيه :

صدر الكتاب عام ١٩٦٧ ، ويقع في أربعمائة صفحة من الحجم الكبير . ويتضمن عشرات الصور لمخطوطات تم اكتشافها في الاردن ، وعدد من الصور الأخرى والخرائط الأثرية .

راجع الكتاب كل من الاساتذة(امين ابو الشعر ، وعبد الرحمن بشناق ، وهنري مطر) .

ذكر العابدي في مقدمة كتابه اسباب تأليفه الكتاب التي تتلخص فيما يلي : ـ

انه منذ عام ١٩٥٣ ، اخذ يكب على دراسة ما كتب من مخطوطات البحر الميت . وكان في طليعتها كتاب(مخطوطات البحر الميت ـ للاستاذ ميللر بروز) الذي قدم فيه مجموعة من المعلومات عن المكتشفات الخطيرة التي وصفها الاستاذ(ادموند ويلسون) .

وبعد الاستئذان من المؤلف قام العابدي بتعريب هذا الكتاب بعد ارشاده للاطلاع على كتاب آخر وهو(اضواء على مخطوطات البحر الميت الذي ظهر عام ١٩٥٨) فقرأة العابدي وزاد عليه بما يقرب الكتاب من ذهن القاريء .

وقد أتبع ذلك فصلا خاصا عن وجهة نظره في المخطوطات ، وما دار بشأن ملكيتها والتعرف بها ، وتزويده بالتقارير التي كانت بين يديه بحكم عمله في دائرة الآثار الاردنية طوال ثماني سنوات . وهو يرجو أن يجد القاريء تعويضا عما ينقصه في علم المخطوطات .

ولكي يضفي على كتابه قيمة علمية فقد قام الأستاذ العابدي بتلخيص ستة كتب أخرى باللغة الانجليزية [١] .

أما الدافع لتأليف الكتاب كما يقول المؤلف نفسه في ذلك :

« في أواخر عام ١٩٦٥ كتب الأستاذ أنيس منصور في جريدة « أخبار اليوم » القاهرية مقالا عن اوراق البحر الميت التي « يتفرج » عليها الانجليز جاء فيه قوله : ـ ومن الغريب ان أكثر من ثلاثة آلاف كتاب قد ظهرت في أوروبا وأمريكا لدراسة وترجمة ومناقشة هذه المخطوطات التي يملكها الأردن ، والتي عرضتها في أمريكا وكندا . ولكن كتابا واحد لم يظهر باللغة العربية يتعرض لها أو يناقشها ، أو يدلي فيها برأي » فيرد العابدي على المقال فورا ويقول :

(وفي الحال كتبت اليه ذاكرا أن كتابين صدرا في بيروت وهما : « مخطوطات البحر الميت وجماعة قمران » للقس جيمس ويلبي ، وابراهيم مطر ، سنة ١٩٥٧ في ست وثمانين صفحة صغيرة . أما الكتاب الثاني في هذا المجال لمؤلفه أسد رستم سنة ١٩٥٩ م ، ويقع في ثمان وسبعين صفحة من الحجم المتوسط ، كما ذكرت له شروعي في طبع هذا الكتاب) .

وتصدّر الكتاب ثلاثة تقارير لأساتذة اردنيين من ذوي الاختصاص والخبرة في الترجمة . ولم يلبث ان وافاه اولئك الثلاثة بالردود والآراء حول قيمة الكتاب الأدبية .

وتتألف مادة الكتاب من تسعة عشر فصلا ، وكشاف للأعلام ، وعشرات الصور لأهم المخطوطات المكتشفة ، والمغارات التي وجدت فيها تلك المخطوطات .

خصص المؤلف الفصل الأول من كتابه هذا للحديث عن تاريخ اليهود منذ النشأة والسبي البابلي ، والتوراة والأقوال الواردة في ذلك ، وتناول في الباب الثاني الحديث عن فرقهم ومؤرخيهم . أما الفصل الثالث ، فقد تحدث عن كيفية اكتشاف هذه المخطوطات عن طريق رعاة من عرب التعامرة كانوا يرعون بجوار المغارة ، فعثروا عليها في جرار فخارية ، وكانت عبارة عن لفائف من ورق مطوي وملفوفة بالجلد . (اثنان منها يؤلفان جزأين للف واحد اطلق عليه اسم كتاب النظام) ، اما المؤلفات الثلاثة الأخرى فكانت تؤلف بمجموعها سفر (اشعيا العظيم) بالاضافة الى سفر « دانيال » وغيره من الاصحاحات ، وتحدث في الفصل الخامس منه عن اكتشافات أخرى بعد ان عرف عرب التعامرة قيمة هذه الاكتشافات ، فعثروا عام ١٩٥٢ على ١٨٧ جذاذة من أسفار التوراة ، وملف نحاسي في كهف ثالث فيه رقوق جلدية متآكلة . وفي ربيع العام نفسه تم اكتشاف الكهف الرابع والذي اشتمل على اكبر كمية من تلك المخطوطات .

وفي عام ١٩٥٦ تم اكتشاف الكهف الحادي عشر في أقصى الشمال . ووجدت في « دير قمران » بقايا مكاتب ومحابر من النحاس والفخار وأواني الاغتسال والطبخ ، وصهاريج مستديرة وقطع نقود مختلفة . وعلى قطعة جلد منفردة ، وجدت كتابات لصلاة كان يؤديها القمرانيون قبل تناول الطعام .

ولهذا الكتاب على وجه العموم قيمة كبرى ، فهو يبرز جهود دائرة الآثار الأردنية لتضافرها لاخراج المخطوطات الى حيز الوجود . ومن جهة أخرى فهو يعرف القاريء العربي بخلاصة هذه الدراسات ليستطيع تقدير قيمة هذا التراث الذي بقي قسم يسير منه في متاحف الأردن ، والذي أخذ يجذب اليه انظار السياح ، وعلماء الآثار لدراسة تاريخ بلادنا .

هذا بالاضافة الى حرص الأردن وحفاظه على هذا التراث الثمين .

(١) انظر أسماء هذه الكتب ص ٨ من كتاب مخطوطات البحر الميت للعابدي .

والجدير بالذكر أن هذه المخطوطات عرضت في أماكن مختلفة من العالم منها : واشنطن ، ولوس انجلوس ، وولاية بالتيمور في ماريلاند ، وفي كندا ثم تورنتو ، وبريطانيا ، وادنبرة ، ومانشستر ، . وعرض كذلك في (ويلز) حضره عدد كبير من رجال الصحافة والاعلام ، وعدد من كبار العلماء والأدباء ورجال الآثار ، وكانت كلمة الافتتاح من قبل رئيس كنيسة ويلز ، ثم تلاه اللويد بليموث .

واجمالا فقد بلغ المعرض درجة كبيرة من النجاح ، ثم عادت المخطوطات الى الأردن ، واستقرت في المتحف الأثري بالقدس ، والذي جرى تأميمه ، وأصبح تابعاً لدائرة الآثار الرسمية .

وقد اطلعت على الكتاب المذكور في مكتبة المرحوم العابدي ، في منزله بالاضافة الى نسخ منه في مكتبة الجامعة الأردنية وغيرها .

الأزمة الإقتصاديّة في الثمانينات لماذا تأخذ شكل التضخم ؟

بقلم : حافظ أحمد أمين

قام العالم الروسي نيكولاي كوندراتيف بعمل دراسة مستفيضة على طول الدورات الاقتصادية التي تعرض لها الغرب خلال ١٥٠ عاما (من ١٧٩٠ الى ١٩٤٠) فلاحظ أن أوروبا الغربية مرت بثلاث دورات اقتصادية كبيرة ، كل دورة كان يتذبذب فيها الاقتصاد من فترات يتسم معظمها بالانتعاش الى فترات يتسم معظمها بالانكماش ، وأن تاريخ الدورات تقع بين :

عام ١٧٩٢ وعام ١٨٥٠ (أي أن طول الدورة ٥٨ عاما)

ومن عام ١٨٥٠ الى عام ١٨٩٦ (أي أن طول الدورة ٤٦ عاما)

ومن عام ١٨٩٦ الى عام ١٩٤٠ (أي أن طول الدورة ٤٤ عاما)

واستنتج من هذا أن متوسط طول الدورة الاقتصادية يساوي خمسين عاما .

ونجد نفس الملاحظة في كتاب (اغاثة الأمة بكشف الغمة) للعالم المصري الكبير تقي الدن أحمد بن علي المقريزي الذي وصف المحن الاقتصادية التي تعرضت لها مصر بين القرن الرابع الهجري الى القرن الثامن الهجري ، وحدد بدايات هذه المحن ونهاياتها ، فهو يحكي مثلا عن محنة بدأت عام ٣٣٨هـ (والأمير يومئذ أبو القاسم أنوجور بن الاخشيد) واستمرت حتى دخلت سنة ٣٦١هـ ، فانحل (انخفض) السعر فيها ، وحصل الرخاء .

وبعملية حسابية بسيطة نرى أن الفترة ما بين بداية المحنة وبداية الرخاء هي ٢٣ عاما ، وهي تقريبا نصف الخمسين .

ثم يحكي المقريزي عن المحنة التالية ، فيقول انها حدثت عام ٣٨٧هـ أيام الحاكم بأمر الله ، فاذا قمنا بعملية حسابية اخرى (٣٨٧ ـ ٣٣٨ = ٤٩ عاما) كان ذلك ممثلا لطول تلك الدورة .

ثم يحكي عن المحنة التالية ، فيقول انها وقعت في خلافة المستنصر عام ٤٤٤هـ ، وبعملية حسابية ثالثة (٤٤٤ ـ ٣٨٧ = ٥٧ عاما) كان ذلك ممثلا لطول تلك الدورة .

ويستمر المقريزي في وصف الأزمات الاقتصادية حتى وقت كتابه (اغاثة الأمة) عام ٨٠٦هـ .

فاذا انتقلنا الى العصر الحديث وجدنا أن أزمة الثلاثينيات قد بدأت في أواخر عشرينيات هذا القرن ، وأن ما نحن فيه الآن من ازمة اقتصادية قد بدأ في السبعينيات (أي أن طول الدورة مازال خمسين عاما تقريبا) .

وهنا يثار السؤال الهام :
لماذا ظهرت أزمة الثلاثينيات على شكل صراع حاد بين العمال وأصحاب رؤوس الأموال ، مما أدى الى بطالة عنيفة ، وانخفاض شديد في كل من الانتاج والأسعار ، انتهى الى قيام حرب عالمية بين دول الشمال ، بينما تظهر أزمة الثمانينيات على شكل ارتفاع عنيف في الأسعار ، مع قيام حروب بين دول الجنوب ؟

السبب في رأيي أن من طبيعة الحياة ، أن يأتي كل جزء من الدورة ليحل مشكلات الجزء الذي يسبقه ، وقد كانت أهم مشاكل الستينيات : الفجوة الرهيبة بين الشمال والجنوب ، والاستنزاف المخيف لموارد الطبيعة .

ولما كانت مشكلات الستينيات مختلفة عن مشكلات العقد الأول من القرن ، فان شكل الأزمة في الثمانينيات غير شكلها في الثلاثينيات .

لقد انحصرت أسباب الازدهار في العقد الأول من القرن في التوسع الكبير في الانتاج الصناعي ، وقد ذهبت معظم ثمار تلك الازدهار الى أيدي طبقة رأسمالية صغيرة الحجم ، بينما ظل العمال الصناعيون ـ وهم السبب الحقيقي للازدهار ـ في فقر شديد .

لهذا كان من الطبيعي أن تأتي أزمة الثلاثينيات على شكل صراع عنيف بين العمال وأصحاب رؤوس الأموال ، والى بطالة عنيفة ، وانخفاض في الانتاج والأسعار .

أما الستينيات ، فقد انحصرت أسباب الازدهار فيها في استنزاف الموارد الطبيعية ، وقد ذهبت معظم ثمار الازدهار الى أهل الشمال ، بينما ظل أهل الجنوب ـ وهم أصحاب معظم الموارد الطبيعية ـ في فقر مدقع .

لهذا كان من الطبيعي أن تأتي أزمة الثمانينيات على شكل صراع عنيف بين أهل الجنوب وأهل الشمال (أو ممثلي الشمال في الجنوب) ، كما كان من الطبيعي أن تأخذ الأزمة شكل التضخم : ارتفاع في الأسعار مع الانخفاض في الانتاج .

أما انخفاض الانتاج مع ارتفاع الأسعار ، فسببه الانتباه المفاجيء الى أن سعر الخامات لا ينحصر فقط في تكاليف استخراجها ونقلها ، وانما أيضا في معدل تناقصها في باطن الأرض وعلى سطحها .

أما الصراع بين أهل الشمال وأهل الجنوب فقد أخذ أشكالا متعددة ، لعل أهمها تزايد أعمال العنف بين أهل الجنوب وممثلي أهل الشمال في الجنوب .

والعجيب في الأمر أن بلاد الشمال ـ بكل ما فيها من علم وعلماء ـ لم تنتبه الى أن أزمتها الحالية يرجع سببها الأول الى استغلال الشمال للجنوب ، وأن التخفف من شدتها يكون بالتخفف من هذا الاستغلال وليس بمضاعفته ، ولكن من أين تأتيهم الحكمة وقد ظلوا سنوات طويلة غافلين عن الحقيقة ، حتى أدركوا أن شدة الأزمة في الثلاثينيات كانت بسبب شدة استغلال اصحاب رؤوس الأموال للعمال .

كذلك كان من مظاهر ضعف الحكمة عند أهل الشمال ، اعتقادهم ـ خلال الخمسينيات والستينيات ـ أن الرخاء الذي كانوا يتمتعون به رخاء دائم ، بسبب تقدمهم التكنولوجي ، وهو اعتقاد ينم عن جهل بطبيعة الدورة الاقتصادية .

ونحن لا ننكر أن التقدم التكنولوجي كان له أثر كبير في زيادة شدة الرخاء في تلك الفترة ، لكن الرخاء نفسه لم يكن إلا جزءا من دورة تفرضها الطبيعة ، ولا يستطيع الانسان ـ بكل علومه وتكنولوجياته ـ أن يوقفها أو يغير من طولها .

لهذا بالغوا في الانفاق والاستهلاك ، وأسرفوا في استنزاف موارد الطبيعة ، وغالوا في اغراق أنفسهم في المتع والملذات ، وفي استغلال الدول الفقيرة ، حتى قسموا المعمورة قسمين متباينين أشد التباين ، عالم الشمال ، شديد الثراء ، شديد الزهو والغرور ، وعالم الجنوب ، الغارق في فقر مدقع ، وفي حروب يخططها ويستفيد منها عالم الشمال ، حتى وقعوا في أزمتهم الأخيرة ـ أزمة التضخم ـ التي لم يفهموا ـ ربما حتى الآن ـ سبب حدوثها ، ولا كيفية التخفف من شدتها .

حوار لم ينشر.. مع محمود تيمور

بقلم : رستم كيلاني

في شهر أغسطس « آب » الذي مضى كانت الذكرى العاشرة لرحيل محمود تيمور . ذهب الفنان الرقيق ولكنه ترك لنا صورا من الحياة أثرت المكتبة العربية . هذه تجربة واحد من تلاميذه مع الرجل الذي امتلأ قلبه بحب الناس والحياة .

●● قرأت الكثير من أعمال راحلنا الكريم « محمود تيمور » الأدبية ، والمجلدة في مكتبة خالي الشاعر المرحوم « قاسم مظهر » الذي حدثني كثيراً عن صديقه وحبيبه « تيمور بك » ووصفه بأنه مثال الفنان الصادق الذي يخدم فنه بصدق وإخلاص ، والانسان النادر الذي يعز عليه أن يجرح حتى الذين يجرحونه ..

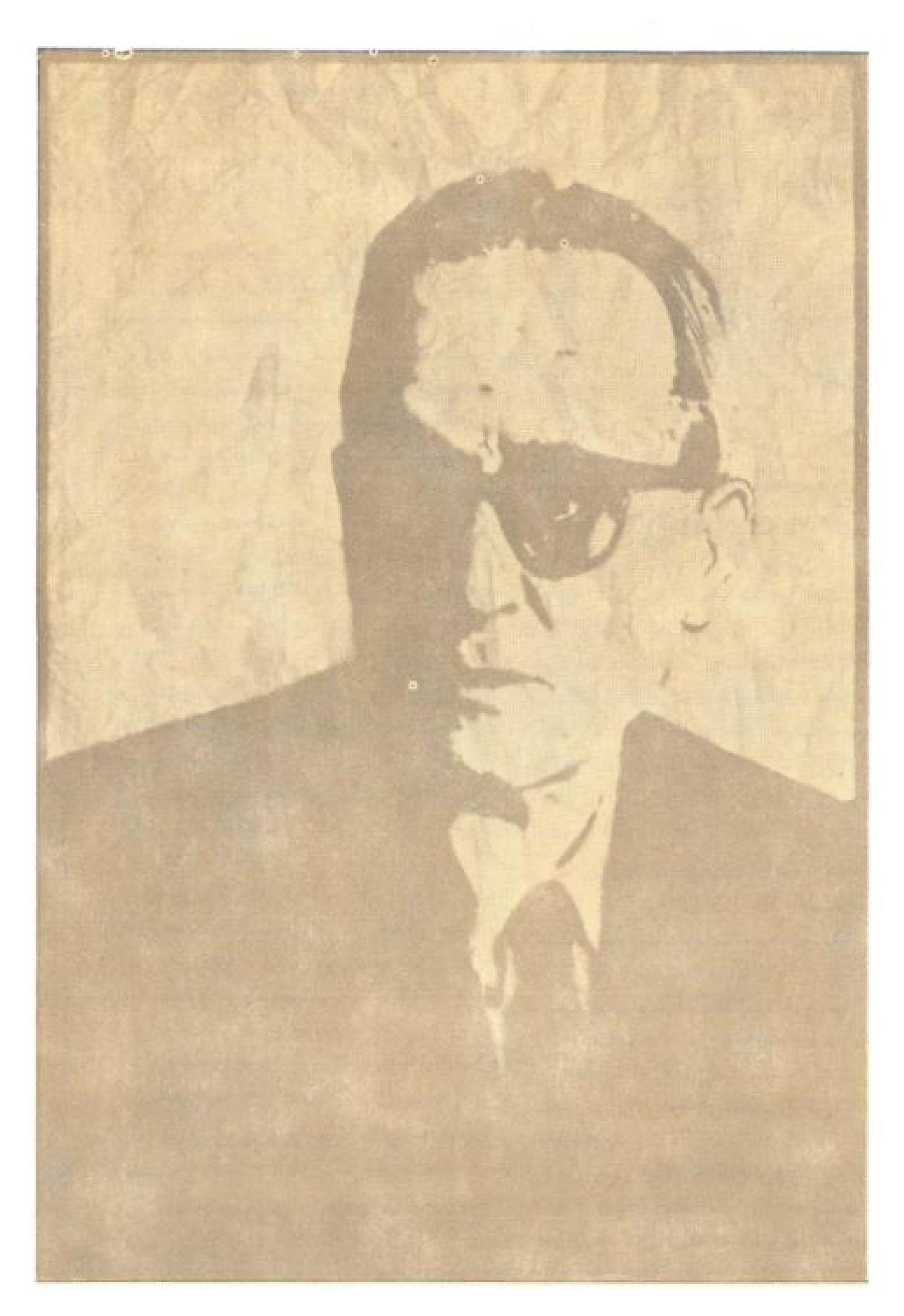
ومن حديث خالي ، ومن حبي وشغفي لقراءة أعمال « محمود تيمور » من القصص الواقعي الانساني المملوء محبة للانسان ، رجوته التعرف عليه ، فوعدني بذلك ..

وفي أحد صالونات (نادي القصة) الذي أسهم في انشائه تم اللقاء الأول بيني وبين تيمور ووقفت قبالته مشدوهاً أنظر اليه ملياً ، واذا سألني سائل وتنند عما اعتراني ، قلت له : على الفور : لقد صدق محمود تيمور حين قال : « ان حياة الكاتب لا تنفصل أبداً عن انتاجه ، فالكاتب هو انتاجه » ..

فكانت بالفعل شخصية أستاذنا « محمود تيمور » تنعكس على كل ما كتب من أمثلة انسانية ترمي الى أهداف رفيعة ..

ولما قرأ رائدنا العظيم محاولاتي القصصية بدأ يوجهني ، ووضع لي برنامجاً دراسياً منظماً للدراسة والاطلاع على الأدب وفنونه ، ميسراً لي أمهات القصص العالمية التي كان يهديها اليّ من حين الى آخر ، وكان يتابع خطواتي ، ويدفعني على الدوام الى القراءة والكتابة ، الى أن جاء اليوم الذي أخذ فيه بعض قصصي وقام - رحمه الله - بتقديمها الى المجلات والصحف لنشرها .

وبمرور الأعوام بدأ يقدمني لأصحاب دور النشر مزكياً ، ومؤيداً عملي القصصي بمقولته : (رستم كيلاني .. كاتب يملي على قلمه ما في قلبه الخفاق ، قصصه تمتاز بعاطفتها الانسانية الأخاذة) ..



ومنذ تاريخ أول لقاء بأستاذي « محمود تيمور » الى أن لبى نداء ربه وودعته ذلك الوداع المحترم ... فإن صلتي به لم تنقطع ... ولن تنقطع ، فستظل ذكراه العطرة باقية بقاء الروح في الجسد الى أن يحين اللقاء ..

محمود تيمور .. الانسان :

كان « محمود تيمور » مثال الانسان النادر الوديع عف اللسان الذي يعز عليه أن يجرح حتى الذين يجرحونه ، صاحب البسمة الحانية التي تدفيء القلوب ، والروح الوديعة الفياضة بالحنان والرفق ..

ويحضرني في هذا المقام أنموذجاً من انسانيته ، وعطفه ، وحنانه ، ووفائه النادر ..

عندما مات كلبه المدلل (بمبو) الذي كان يعتز به ، رثاه بقوله :

« .. نحن نحيا في متاهة من حجب ورموز ولا نعي لها تفسيراً .. الذي نعلمه علم اليقين هو أننا فقدناك .. تلك هي الحقيقة الناصعة وسواها سراب ..

« علينا أن نقبل مصيرنا كما هو مخطط في لوح القدر ، مستسلمين لما لا يمكن رده ..

« هذا ما قالوه .. وهذا ما نردده دائماً ، ولكنه قول لا يطفيء لهيب النار المشبوبة بين جوانحنا .. وان عمل على اخمادها على مهل .. على مهل جداً .. نعم على مهل .. فذكراك ياصغيري الحبيب ستبقى في قلبي ما حييت وسأحملها معي في قبري ..

« طيفك الحبيب سيتراءى لي دائماً يذكرني بأيامك الحلوة معي ... » .

حول قضايا الأدب والحياة في سؤال وجواب .

س : ما التجربة التي علمتك درساً لن تنساه ؟

تيمور : في كل يوم يمر تجربة ، بل تجارب ، والمرء يحاول دائماً الافادة من تجارب الأيام ، ولعل خير هذه التجارب هي التجربة التي يفيد المرء منها وينسى أصلها ومبعث تأثره بها ..

س : ما الكلمة التي تعجبك ؟

تيمور : تعجبني هذه الكلمة الحكيمة ..

العبقرية تسعة أعشارها كد وعمل ، وعشرها موهبة واستعداد ..

س : ما أطول دقيقة في حياتك ؟

تيمور : تلك التي أبدأ فيها موضوعاً للكتابة ... مقالاً كان أو قصة ..

س : أي الفضائل أحب اليك ؟

تيمور : الصبر على مواجهة الخطوب ..

س : ما رأيك في أن يكون للقصة هدف سياسي أو اجتماعي ؟

تيمور : الهدف في العمل القصصي عنصر لاغنى عنه ، ولكن افتعاله هو آفة الفن ، وهو جناية على الهدف نفسه .. وإنك لتستطيع ـ اذا كنت قاصاً فناناً ـ أن تعالج أية فكرة سياسية أو اجتماعية ، وأن تطويها على هدف مقصود ، بشرط أساسي ، هو صدق الاحساس ، وصدق التأثر ، وعمق التغلغل في الفكرة ، ومدى استجابة المجتمع لها ..

س : ما المهنة التي تفضلها ؟

تيمور : أن أكون كما أنا ، حامل قلم ..

نصيحـــــة :

وحين سألته : بماذا تنصحون الناشيء من أدباء القصة ؟

قال : إني أوجه نصائحي لزميلي الناشيء قصاص الغد فأقول :

المثابرة في الكتابة . فرجائي إليك أن تواصل عملك فيها مهما يصادفك من صعاب ، ومهما تلق من تعنت الغير معك ؛ ثابر على الكتابة ولا

تلق بالقلم جانباً ، اتخذ من أقلامك أحبه ، ومن صحائفك عشيقات ، وعش في صحبتهم هانئاً قرير العين ، وعليك بالتأني في عملك ، والصبر في انتظار النتيجة فلا تتعجل اقتطاف الثمرة قبل نضوجها ، واذا انتهيت من كتابة شيء فراجعه وأصلحه ، وأعد كتابته اذا اقتضى الأمر ، وضع نصب عينيك أيها الزميل الكريم انك مهما أوتيت من براعة وتفوق فلن تصل الى الغاية المرجوة من الاجادة التامة ، الكمال غير موجود . انه سراب يلوح أمامنا ، نسعى اليه دائماً مجدّين فرحين ، ولكننا لا نبلغه أبداً .

فالغاية القصوى لن تنال أبداً . فلنعترف كلنا بقصورنا وعجزنا ومن ثم لا ندع للغرور أن يطرق بابنا . حذار منه ياصديقي ، انه جلاد عتي يطيح بالرءوس المحلاة بأكاليل الغار في قسوة وعنف . .

س : ما رأيك في اللغة التي يجدر بأدبائنا أن يكتبوا بها القصة ؟

تيمور : الكتابة بالفصحى ، لسان العروبة ، ورابطة القومية ، وأداة التعبير عن حضارة العرب خلال قرون متطاولة استطاعت فيها أن تكون ذات أثر عالمي في الشرق والغرب على السواء . .

* * *

وعندما سألته : من هم أعظم خمس شخصيات عالمية ، وما خصائص عظمتهم ؟

قال : (محمد) رمز الانسانية الكاملة . .

(عيسى) رمز الرحمة الشاملة . .

(موسى) رمز الصراع المرير . .

(ابراهيم) رمز الايمان العميق . .

(أيوب) رمز الصبر الجميل . .

* * *

وحول الرأي الخاص لأستاذنا « محمود تيمور » عن إعادة صياغة القصص التي سبق أن ألفها . . فإنه يسعدني أن أوضح بالضبط وجهة نظر فقيدنا الكبير في هذه القضية . .

لقد كان ـ رحمه الله ـ يجلس الى محتوى ما كتبه في العهد الباكر من حياته يعيد النظر فيه من جديد فما رضي عن صياغته أبقاه ، وما لم يرضه يلمسه لمسات صقل وتنقيح حتى يضحى في ذلك الثوب القشيب الذي عرف به مع الاحتفاظ الكامل بجوهر الموضوعات ، وكيان الشخصيات ، وما في ذلك من معاني تلك الأعمال القصصية وعناصرها الأصيلة فقد يبقى على حاله موفور المعالم والسمات . .

وكان يرى ـ رحمه الله ـ أن من حق الكاتب عندما يطلب منه إعادة طبع أعماله ، أن يعيد النظر فيها من ناحية الصياغة والتعبير ، لتخرج الطبعة الجديدة منقحة في تشذيب وتهذيب ، ويكفي أنها سجلت باسمه في الصحف في الطبعة الأولى ، ولم تعد هذه الصحف أو الكتب ملكاً لكاتبها ، وإنما أصبحت ملكاً للتاريخ وما في مستطاع أي كاتب أن يمحوها حتى باعادة طبعها منقحة . .

هذه هي وجهة نظر رائدنا الذي فقدناه « محمود تيمور » والتي سبق أن شرحها في أحاديثه الصحفية ، والاذاعية المسموعة ، والمرئية ، أردت أن أوضحها للقراء عامة ، وللأساتذة الكتاب خاصة لعلي بهذا أكون قد أوفيت . . وهذا حسبي . .

وبعد . .

فهذا هو « محمود تيمور » الرائد ، والمعلم ، والفنان الصادق ، والانسان الذي ظل ينير لنا بمشاعله سبل الانسانية الى أن ذهب راضياً مرضياً منذ عشر سنوات (١٩٧٣/٨/٢٥ ـ ١٩٨٣/٨/٢٥) . .

لذكراه العطرة تحية وسلام . .

الكتابة بالحروف العربية لدى غير العرب

بقلم الدكتور : محمد موفاكو

في اطار النشاط الاستشراقي الجديد في البوسنة ، الذي تطور بشكل خاص في السبعينيات ، صدرت في الفترة الاخيرة عدة كتب على جانب كبير من الاهمية . ويتميز هذا الاستشراق الجديد بكونه يقوم على جهود مستشرقين مسلمين ، لا يحملون بالضرورة كل العقد المعروفة ، ويركز بشكل خاص على ما خلفته الحضارة العربية الاسلامية في جمهورية واحدة من جمهوريات يوغسلافيا ، الا وهي جمهورية البوسنه والهرسك .

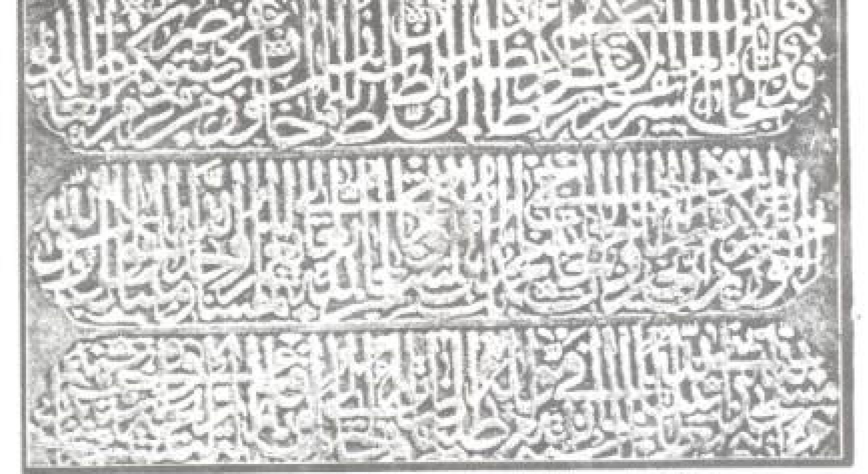
ومن هذه الكتب التي صدرت في السنتين الاخيرتين اخترنا للقارىء العربي كتابين يتناولان موضوعا واحدا ومهما ، الا وهو انتشار الحروف العربية لدى غير العرب .

صدر الكتاب الأول في اللغة الصربوكراوتية عن معهد الاستشراق في سراييفو في نهاية ١٩٨٢ ، وهو بعنوان « الخط العربي » للدكتور توفيق مفتيتش[1] .

معجم عربي ـ صربوكراوتي

ولهذا المؤلف فضل كبير على المستشرقين في يوغسلافيا بعمله الموسوعي الجليل « معجم عربي ـ صربوكراوتي » الذي نشر سنة ١٩٧٣ في جزأين يصل عدد صفحاتها الى حوالى أربعة آلاف صفحة .

(١) Dr . Teufik Muftic , Arapsko pismo , Orijentalni Institut ,Sarajevo 1982



● نموذج نادر من الخط العربي المنقوش في الصخر في لوحة جامع بمدينة هوستار البوسنوية ، وتاريخ هذه الكتابة يعود الى سنة ١٥٦٦

الكتاب الأخير لهذا المؤلف يشتمل على (٢٩٥) صفحة من القطع الكبير ، وقد وزعه المؤلف على مقدمة وفصول كثيرة وقصيرة تتناول أهم الأمور التي تتعلق بالابجدية العربية (جذورها وتطور كتابتها عبر التاريخ ، اشكال كتابة الحروف بالتفصيل ، وانواع الكتابة كالكوفي ، والثلث الخ) . وهذا القسم له أهميته بالطبع لليوغسلافيين ، وبشكل خاص للمهتمين بهذه اللغة وتراثها وما يهمنا هنا ، أو ما قد يهم القارىء العربي ، وهو القسم من الكتاب الذي يتعرض لأنتشار الحروف العربية لدى غير العرب .

وهذا الموضوع يتوزع أيضا الى قسمين ، قسم يتعرض بشكل عام الى انتشار الحروف العربية لدى غير العرب في آسيا وأفريقيا (ص ٢١٠ ـ ٢٢٨) ، والآخر يتناول بالتحديد انتشار هذه الحروف في يوغسلافيا . وفي الواقع ، ان القسم الثاني أكثر أهمية للقارىء العربي بما يطرحه من معطيات جديدة ، بينما يقدم القسم الاول معلومات عامة اعتمدت بشكل أساسي على ما كتبه بعض الباحثين العرب وغيرهم (وبشكل خاص : عبد الفتاح عباده ، انتشار الخط العربي في العالم الشرقي والعالم الغربي ، القاهرة ١٩١٥) .

في هذا القسم ، الذي يتعرض فيه المؤلف لتراث الخط العربي في يوغسلافيا ، يتحدث عن موضوعين مختلفين ، عن انتشار الخط العربي بين العلماء والمثقفين المسلمين في المناطق التي تتشكل منها يوغسلافيا الحالية ، الذين كانوا يؤلفون أو ينسخون المؤلفات في اللغة العربية ، وعن اعتماد الحروف العربية لكتابة اللغة المحلية .

انتشار الخط العربي مع انتشار الاسلام

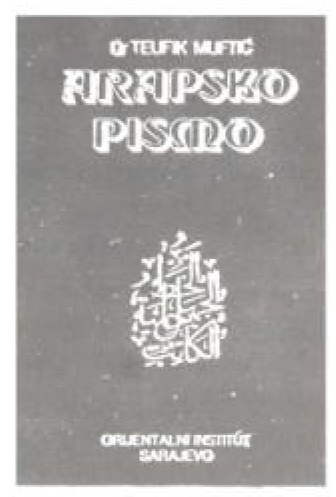
والموضوع الأول يرتبط طبعا بانتشار الاسلام في بعض المناطق ، التي تتكون منها حاليا يوغسلافيا ، كما في مكدونيا وكوسوفا والبوسنه ، منذ بداية القرن الخامس عشر . ففي ذلك الوقت ، مع عدم توفر الطباعة بالحروف العربية ، كان العلماء والمثقفون المحليون الذين أتقنوا اللغة العربية يعتمدون على خط يدهم في كتابة مؤلفاتهم ، أو في نسخ ما يحتاجون اليه من مؤلفات مخطوطة . وهكذا ، مع انتشار الاسلام ، برز في هذه المناطق متخصصون بالنسخ والخط العربي . وقد ازداد عدد هؤلاء الخطاطين بصفة خاصة من جراء الاهتمام بالقرآن الكريم ، وتلبية حاجات الناس الى نسخ منه . وفي الفصل الخاص المتعلق بهؤلاء النساخ والخطاطين (ص ١٤٠ وما بعدها) يقول المؤلف ان هذه المهنة الجديدة تعود الى نهاية القرن

الخامس عشر ، ويستعرض فى الصفحات اللاحقة أهم الخطاطين الذين أبدعوا فى هذا الميدان ، ونود أن نذكر هنا ، على سبيل المثال ، الخطاط ابراهيم شيخوفيتش Ibrahim sehovic، الذي يعتبر دون شك من ابرز المبدعين فى هذا المجال . وقد عاش هذا الخطاط فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر وفى النصف الاول للقرن التاسع عشر فى سراييفو ، حيث كان يعمل اماما لأحد الجوامع فيها . وقد اهتم هذا الامام ـ الخطاط بشكل خاص بنسخ القرآن الكريم ، وكانت النسخ التى يكتبها تتمتع بقيمة كبيرة . وكان من عادة هذا الامام أن يكتب فى كل نسخة يكتبها من القرآن رقم تلك النسخة مع اسمه الكامل « ابراهيم ابن الحاج محمد السرائى » . وقد بقيت نسخة من القرآن الكريم ، مما كتبه هذا الخطاط ، وهى تحمل الرقم (٦٦) وتعود الى سنة ١٢٢٦ هجرية (١٨١١ ميلادية) ، وهذا يعنى أن الامام ابراهيم قد أبدع بخط يده (٦٦) نسخة على الأقل من القرآن الكريم .

اعتماد الحروف العربية للغات الاخرى

والموضوع الثانى الأهم ، اعتماد الحروف العربية لكتابة اللغات غير العربية . يتناوله المؤلف خلال عدة فصول قصيرة ، ولكن مركزة . ففى فصل « الكتابة العربية للغات الاجنبية » (ص ٢١٠ ـ ٢١٤) يتحدث بشكل عام عن هذه الظاهرة ، ويلاحظ بشكل خاص ان عدة آلاف من المفردات العربية قد دخلت الى بعض اللغات غير العربية (الفارسية ، التركية الخ) ، التى اعتمدت الحروف العربية ، وفى فصل آخر ، انتشار الكتابة العربية فى آسيا ، يركز بشكل خاص على اللغة الفارسية ، وعلى التطورات التى طرأت عليها مع استعمالها لهذه اللغة . وفى فصل « انتشار الكتابة العربية فى أفريقيا » (ص ٢٢١ ـ ٢٢٤) يتحدث عن استعمال الحروف العربية لعدة لغات محلية فى قارة افريقيا ، بينما يخصص فصل « انتشار الكتابة العربية فى الشمال » (ص ٢٢٥ ـ ٢٢٨) للحديث عن تجربة اللغة العثمانية فى هذا المجال . وبعد هذا يتوسع المؤلف فى فصل « الكتابة العربية فى بلادنا » (ص ٢٢٩ ـ ٢٣٨) ، ثم يخصص فصلا آخر (ص ٢٣٩ ـ ٢٤٥) للحديث عن استعمال الحروف العربية للغة الصربوكرواتية وحول هذا يعترف المؤلف منذ البداية (ص ٢٢٩) بأن فتح الأتراك للبلقان خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر ، وما لحقه من انتشار للدين الاسلامي فى بعض المناطق لدى الشعوب السلافية ، وغير السلافية ، أدى الى امتصاص المسلمين الجدد لبعض عناصر الثقافة العربية الاسلامية ، ومنها الخط العربي . ويتحدث فى الفصل الاول عن العوامل التى ساهمت فى نشر الخط العربي كالادارة والتعليم الخ . ثم ينتقل فى الفصل الثانى الى الحديث فقط عن استعمال الحروف العربية لكتابة اللغة الصربوكرواتية . وقد يكون من المفيد أن نوضح هنا ان استعمال الحروف العربية قد اقتصر فقط على المسلمين فى البوسنه ، الذين أصروا على تمييز اللهجة السلافية الجنوبية ، التى يتكلمونها ويكتبونها بالحروف العربية ، وعلى تسميتها « اللغة البوسنوية » ، التى تتميز بوفرة المفردات العربية فيها (٢) . وفى هذا الفصل يتعرض المؤلف الى كيفية اعتماد المسلمين فى البوسنة على الحروف العربية لكتابة لغتهم ، والى محاولاتهم لتطويع

(٢) بعد الحرب العالمية الثانية ، وبالتحديد بعد التوقف والنشر فى الحروف العربية ، تلاشى تعبير « اللغة البوسنوية » وعلى الرغم من أن المسلمين فى البوسنه قد أصبحوا الآن حسب الدستور اليوغسلافى « شعبا » مستقلا ، الا أن لغتهم تعتبر « اللغة الصربوكرواتيه » مع أنهم لا يعتبرون أنفسهم من الصربيين أو من الكرواتيين .



● غلاف الكتاب الاول

هذه الحروف لكي تناسب لغتهم ، ومن ثم الى بداية النشر فى هذه اللغة بالحروف العربية ، الذى استمر حتى سنة ١٩٤١ . وكما يشير المؤلف (ص ٢٤٠) ، فقد نشر فى سرايفو خلال سنوات ١٩٠٧ - ١٩٤١ حوالى أربعين كتابا فى هذه اللغة بالحروف العربية ، وذلك فى أكثر من نصف مليون نسخة . وحول هذا الموضوع ، عن تجربة المسلمين في البوسنة فى كتابة لغتهم بالحروف العربية ، لدينا معطيات أوفى فى الكتاب الثانى الذى سنتعرض له لاحقا .

انتشار الحروف العربية بين غير العرب

دون شك ، أن كتاب الدكتور توفيق مفتيش يتمتع بأهمية كبيرة ، وخاصة فى الاطار اليوغسلافى . ومع هذا ، ففى هذا الكتاب فقرة كبيرة قد يصعب تفسيرها . فالمؤلف كما مر معنا ، قد اهتم كثيرا بظاهرة انتشار الحروف العربية لدي غير العرب ، ولاحق هذه الظاهرة فى أرجاء آسيا وافريقيا ، بينما أغفل البلقان

تماما ! ففى هذا الكتاب لا يشير المؤلف أبدا الى انتشار الحروف العربية فى اليونان وبلغاريا الخ . والاغرب من هذا أن المؤلف لا يتعرض الى هذه الظاهرة حتى في بقية ارجاء يوغسلافيا ، بل اكتفى فقط بمحيطه البوسنوي وهذا في الواقع ، يعبر عن ظاهرة تمركز الذات ، كما تبدو لدى بعض الكتاب والمثقفين المسلمين في البوسنة ، الذين لا يرون الاسلام والمسلمين الا في البوسنة . ومن المؤسف ان هذا الموقف قد تسرب ، بتأثير اولئك الكتاب والمثقفين الذين اهتموا بموضوع الاسلام وتراثه الحضاري في يوغسلافيا ، مما تشكل مع الزمن انطباع بربط بين الاسلام والبوسنة في يوغسلافيا ، وكأن بقية يوغسلافيا جرداء من الاسلام ومن معالم الحضارة العربية الاسلامية[٣] ، مع ان عدد المسلمين في الجنوب يفوق عددهم في البوسنة ، بالاضافة الى ان القاعدة الحضارية الاسلامية (الجوامع والمدارس الخ) بدأت في جنوب يوغسلافيا باعتراف الدكتور مفتيش نفسه (ص٢٣٢ - ٢٣٣) . فالمؤلف قد تناسى في كتابه اهم تجربة لاستعمال الحروف العربية في البلقان ، الا وهي التجربة الالبانية ، التي استمرت طيلة النصف الأول للقرن العشرين في جنوب يوغسلافيا ، مما يثير فعلا دهشة قاريء هذا الكتاب في يوغسلافيا .

كتاب مختارات من الادب البوسنوي

الكتاب الثاني الذي نتعرض له هنا هو لباحث مسلم آخر من البوسنة الدكتور عبد الرحمن ناميتاك . وقد صدر كتابه « مختارات من الأدب البوسنوى العجمي »[٤] في اللغة

(٣) حول هذا لدينا فى اللغة العربية عينه مماثلة من هذه الرؤية الاحادية : غانم سلطان أمان - يوسف محمد الغانم ، المسلمون فى يوغسلافيا ، الكويت ١٩٧٢ .

(٤) Dr . Abdurahman Nametak , Hrestomatja bosansko alhamijado knjizevnosti ,Svjetlost , sarajevo 1981

الصربوكرواتية أيضا في سرايفو سنة ١٩٨١ ، أي قبل سنة من صدور الكتاب الأول . وربما يبدو هذا العنوان مثيرا للقارىء طالما أن الكتاب يعرض لأدب المسلمين في البوسنة ، وبالتحديد الأدب الذي كتب بالحروف العربية . وفي الواقع ان تعبير **alhamijado** الوارد في عنوان هذا الكتاب برز أولا عند اسبانيين **al-jamiado** (العجمي) للدلالة على أدب الاسبانيين المسلمين الذين كانوا يكتبونه بالحروف العربية ، ومن ثم انتشر هذا التعبير في الاستشراق الأوربي للاشارة الى الادب غير العربي الذي كان يكتب بالحروف العربية .

كتاب الدكتور عبد الرحمن يحتوى على (٣٥٠) صفحة ، ويتألف من مقدمة طويلة (ص ٧ ـ ١٤) ومن مختارات شعرية ونثرية من التراث الادبي للمسلمين في البوسنة ، الذي كتب في اللغة المحلية وبالحروف . وفي مقدمة هذا الكتاب يتعرض المؤلف الى أهم المسائل التي تثار أو تثير في تجربة البوسنويين في كتابة لغتهم وأدبهم في الحروف العربية . وفيما يلي سنستعرض لأهم هذه المسائل كما وردت في هذه المقدمة .

ينطلق المؤلف من بداية هذه التجربة في اسبانيا ، ثم انتقالها وانتشارها في اوربا الجنوبية الشرقية ، وفي اليونان والبانيا وبولونيا وروسيا البيضاء ، وفي البوسنة بطبيعة الحال ، حيث بدأت هذه التجربة منذ نهاية القرن السادس عشر على الأقل . فأقدم نص في اللغة الصربوكرواتيه بالحروف العربية يعود الى سنة ١٥٨٨ ـ ١٥٨٩ . وهو عبارة عن قصيدة لشاعر يسمى محمد الأرديلي . وبعد عدة قرون من تطور هذه التجربة حصلت مطبعة سرايفو في بداية هذا القرن على الحروف العربية اللازمة ، ودخلت هذه التجربة في طور آخر مهم . ويذكر المؤلف أنه قد صدر عن هذه المطبعة حوالي خمسين كتابا ، بينما كان الدكتور مفتيش في الكتاب السابق قد خفض هذا الرقم الى حوالي أربعين كتابا . وحول هذا يضيف المؤلف أن آخر كتاب قد صدر في سرايفو بالحروف العربية كان « فقه العبادات » لمحمد سعيد سردار فيتش **Muhamed Serdarevic** بينما أعيد طباعة المولد البوسنوى للحافظ صالح غاشيفتش **Salih Gasevic** في السنة اللاحقة (١٩٤٢) . وخلال هذه القرون (من القرن السادس عشر الى منتصف القرن العشرين) . نشأ وتطور الأدب البوسنوى في الحروف العربية ، التي كانت أبجدية غالبية البوسنويين المسلمين حتى مطلع هذا القرن ، حتى أن ٩٠٪ من هؤلاء كانوا لا يعرفون أية أبجدية أخرى باستثناء العربية (ص ٤٠) .

هل هذا ادب هجين ؟

ومن أهم المسائل التي يتعرض لها المؤلف مسألة الموقف من هذا الادب الذي يزدريه البعض على اعتبار أنه « أدب هجين » ، أي غير أصيل ، ولا يتضمن أعمالا ابداعية . والمؤلف يرفض محاكمة هذا الادب على اعتبار أنه « أدب هجين » وذلك لكونه قد كتب بـ « أبجدية غريبه » لان الابجدية اللاتينية هي « غريبه » أيضا على السلاف الجنوبيين (ص ٩) . وفي الواقع ، ان مسألة الابجدية قد ارتبطت بشكل رقيق بالدين فالسلاف الجنوبيون ، وبالتحديد الصربيون والكرواتيون ، لم تكن لهم أبجدية خاصة بهم حين قدومهم الى البلقان خلال القرنين السادس والسابع وفيما بعد توزعت اللغة الصربوكرواتيه الى عدة أبجديات ، حسب الانقسام الديني فالصربيون الارذودكس أخذوا وحافظوا الى الآن على أبجدية متطورة عن اليونانية بينما تعصب الكراوتيون الكاثوليك للابجدية اللاتينية وفي هذه الحالة لجأ المسلمون ، وهم خليط من الصربيين والكراوتيين ، الى الابجدية العربية لتميز انفسهم عن الآخرين .

ومن ناحية أخرى ، يدافع المؤلف عن هذا الادب البوسنوى بالحروف العربية فى وجه من يتهمه بافتقاره الى الابداع . وعلى العكس من هذا يرى المؤلف أن ما تم جمعه من نصوص أدبية بوسنوية فى الحروف العربية تدل بوضوح ، بل وتفاجىء المرء بغناها وتنوعها سواء من ناحية الموضوع أو من ناحية الشكل . فمن ناحية الموضوع تكشف هذه النصوص عن تنوع مثير فى موضوعاتها (التغنى بالحب ، والتعبير عن الهموم الذاتية والاجتماعية والسياسية الخ . بالاضافة الى الموضوعات الدينية) . ومن ناحية الشكل تتميز هذه النصوص بتنوعها الفنى كاستعمال الحوار فى الشعر ، وتنويع البحور الشعرية فى القصائد بالاضافة الى ابداع القصائد الطويلة ومن هذا يخلص المؤلف الى أن هذا الادب البوسنوى فى الحروف العربية لا يمكن اعتباره أدبا فقيرا ، كما يزعم الذين يزدرونه ، بل انه أدب غنى يشتمل على كل الموضوعات التى تثير الأدب (ص ٩ - ١٠) .

فى الصفحات اللاحقة من المقدمة (ص ٩ - ٢٠) يتوسع المؤلف فى الحديث عن الموضوعات العاطفية والواقعية لهذا الأدب ، وخاصة فى الشعر ، ويبدو بوضوح أن المؤلف قد توسع فى الحديث حول هذا ليصل الى نفى تهمة أخرى وأساسية ضد هذا الأدب المكتوب فى الحروف العربية ، الذى يتهمه بأنه لا يخرج عن اطار الاسلام . ويرى المؤلف (ص ٣٣) أنه من الخطأ استثناء قصائد الحب من هذا الادب واعتبار كل الشعر البوسنوى تحت تأثير الدين الاسلامى الذى لم يستطع أن يتخلص منه هذا الشعر . وفى الواقع ان المؤلف لا ينفى تأثير الاسلام فى هذا الشعر ولم يتجاهل فى عرضه الاشعار الدينية ، بل يرفض ازدراء هذا الشعر بحجة أنه تحت تأثير الدين مما يجعله بالتالى يفتقد الى الابداعات الفنية .

الأدب البوسنوى والوجود العثمانى

وفى نهاية المقدمة (ص ٤٠) يتناول المؤلف مسألة أخرى على جانب كبير من الأهمية ، الا وهى العلاقة بين هذا الأدب والوجود العثمانى فى البوسنة وهى مسألة حساسة يثيرها البعض ضد هذا الادب على اعتباره « حصيلة » لـ « الاستعمار العثمانى » فى البوسنة . ويرى المؤلف هنا أن هذا الادب لم يتلاش مع تخلى العثمانيين عن البوسنة سنة ١٨٧٨ ، بل أنه قد تطور اكثر فى عهد الادارة النمساوية للبوسنة ١٨٧٨ - ١٩١٨ . ويعود هذا التطور فى رأى المؤلف الى تجذر الحروف العربية لدى مسلمى البوسنة ، بما أدخل عليها من تعديلات تناسب لغة المسلمين فيها ، والى دور المطابع التى أخذت تنشر الكتب والمجلات فى الحروف العربية . وقد استمر هذا الوضع كما رأينا سابقا ، حتى بداية الحرب العالمية الثانية ، وبالتحديد حتى سنوات ١٩٤١ - ١٩٤٢ ، حين طبع آخر كتابين فى الحروف العربية .

بعد هذه المقدمة تأتى النصوص الادبية الشعرية والنثرية ، التى تحتل معظم صفحات هذا الكتاب (٤٩ - ٣٣٧) . وهذه النصوص تؤكد فى الواقع ما ذهب اليه المؤلف فى المقدمة ، اذ انها تكشف فعلا عن أصالة هذا الادب البوسنوى فى الحروف العربية ، عن تنوع موضوعاته وتنوع مستواه الفنى بطبيعة الحال ، اذ انه فى نهاية الامر نتاج شعب عبر عدة قرون ، ويجب أن يعامل على هذا الاساس دون ازدراء ضده أو دون تعصب له . وفى الحقيقة ان أهمية هذه النصوص تكمن أيضا فى أنها تقدم مادة غنية للبحث سواء للباحثين فى الادب المقارن بشكل عام ، أو فى الادب الاسلامى وذلك بمعناه الحضارى . O

من صحافة الغرب



زوجة اوسكار وايلد ماتت مرتين !

لندن :

لم يكن اوسكار وايلد وحده الذي تحطم من جراء الحكم الذي صدر ضده عام ١٨٩٥ باسم المجتمع الثائر ، فكل الذين ارتبطوا بالكاتب الانجليزي الكبير أصابهم جرح لايندمل .. ولداه سيريل وفيفان اضطرا الى ازالة اسم وايلد عن القميص الذي يرتديه كل منهما عندما يذهبان لممارسة رياضة الكريكت .. ولكن سيريل كان اكثر قوة وعنادا من شقيقه وقرر ان يفعل شيئا بنفسه ، ووجد في الجيش المجال الذي يبحث عنه فالتحق به وأصبح جنديا وحارب وقتل في الحرب الاولى العالمية .. أما فيفان فكان خجولا رغم ذكائه وحساسيته المفرطة ، فبقي حيث هو يعاني من الصعوبات التي تواجهه في اقامة صداقات جديدة مع الناس .

ولكن اكثرهم حزنا وألما هي كونستانس ، زوجة اوسكار وايلد ، التي وقفت في حيرة تتأمل الكارثة الاجتماعية التي حلت بها ، عاجزة تماما عن مواجهة الآثار التي ترتبت عليها !

هكذا صورها الكتابان اللذان صدرا أخيرا في بريطانيا واختارت لها المؤلفتان عنوانا متشابها .. الاول « مسز اوسكار وايلد » لآن كلارك ، والثاني « شخصية كونستانس » لجويس بنتلي .

والكتابان معا يتحدثان طويلا عن كونستانس .. عن حياتها مع زوجها وعن المجلة التي كانت تشارك في تحريرها .. عن ميولها الليبرالية ، وكيف دفعت بزوجها دفعا في أحد الايام للخروج معها والسير في المظاهرة التي نظمها عمال المواني .

كانت امرأة طيبة القلب تؤمن بالفضيلة ، وترى في السلوك السيء شيئا منفرا وكانت سيدة شاعرية رومانسية ، ولكنها تفتقر الى روح المرح .. كان من الممكن ان تكون كونستانس زوجة مثالية لشاعر مهما كان صغيرا ومغمورا ، ولكن سوء حظها أوقعها في الزواج بهذا العملاق ، اوسكار وايلد ، الذي لم يخجل من المجاهرة بشذوذه الجنسي !

كانت تنتمي لأسرة طيبة ، تلقت قسطا كبيرا من التعليم ، وكانت تجيد الفرنسية والايطالية ، حلوة رقيقة ، وكانت بعد هذا تحب زوجها وتعجب به .. قبل الزواج كانت تكتب له رسائلها مستهلة كل رسالة بكلمتين : « حبيبي أوسكار » ، وبعد الزواج ، قال هو لواحد من اصدقائه انه سعيد بزواجه .. ولمدة خمس سنوات ظل هذا الزواج سعيدا ..

ومع مولد الطفل الثاني فيفان ، انتهت كل علاقة تربط بين الزوجين السعيدين .

والكتابان بعد ذلك مليئان بتفاصيل الحياة الخاصة بينهما الى ان تركت الزوجة الحزينة بريطانيا كلها ، وذهبت في النهاية لتعيش في ايطاليا هربا من مجمع ثائر .. ولقد كتبت تقول « لقد انتهت حياتي بعد كارثة محاكمة زوجي » .. أما حياتها على الارض كلها فقد انتهت اثر عملية جراحية في ايطاليا حيث دفنت هناك باسم آخر هو « كونستانس هولاند ! »





اكبر صحيفة في فرنسا بين الأرقام والحقائق !

باريس :

صحيفة ليموند أوسع الصحف الفرنسية انتشارا واقواها نفوذا بدأت تعيد النظر في اسلوب تحريرها لاستعادة ثقة قرائها بعد ان هبط توزيعها بصورة خطيرة ، لم يسبق لها مثيل في تاريخها .

وفي الرسالة التي وجهها المدير المالي الى المحررين والموظفين العاملين منذ بضعة أشهر ، كتب يقول ان العجز في ميزانية الصحيفة الكبرى بلغ ١٨ مليون فرنك فرنسي في عام ١٩٨٢ (حوالي مليونين و ٣٠٠ الف دولار امريكي) ، وأن الصحيفة فقدت أربعين الف قارىء . .

واقترح في رسالته عدة اجراءات من بينها تخفيض النفقات حتى يمكن تعويض جزء من العجز الذي عانت منه ميزانية أهم صحيفة في فرنسا .

ولكن هل تأثرت « ليموند » بالمشاكل التي صادفتها خلال السنوات الأخيرة ؟ . . . . يقول الباريسيون انها مازالت تحتفظ بمكانتها في الحياة اليومية . . حتى هؤلاء الذين تحولوا عنها الى صحف أخرى يؤكدون ان ليموند سوف تبقى مرجعا لمعظم هؤلاء الذين يريدون ان يروا شخصية فرنسا الاقتصادية والسياسية والثقافية .

ولكن هل كانت ارقام التوزيع وحدها هي مقياس نجاح الصحيفة أو فشلها ؟ يجب ألا ننسى أن فرنسا تمر بأزمة اقتصادية تركت بصماتها على كل شيء . . ولأول مرة رأينا الفرنسيين يستعيرون الصحيفة لقراءتها حتى أصبح عدد قراء النسخة الواحدة يتراوح بين ثلاثة وخمسة . . ولم يكن هذا مألوفا ، فقد كان لكل نسخة قارىء واحدة قبل ان يهبط سعر الفرنك وترتفع قيمته في جيب صاحبه على الاقل !

ثم ماهي الصحيفة في النهاية ؟ انها سلعة ضرورية ولكنها في الوقت نفسه مرآة الحالة الاقتصادية والسياسية للبلد الذي تصدر فيه !

ربما تكون ليموند قد خسرت ماديا ، ولكنها لم تفقد قراءها !

. . واكتشف الجد أن اللص القتيل حفيده الوحيد !

* نابولي :

كانت عقارب الساعة تشير الى الرابعة صباحا ، عندما صحا تيوديسيو كوفو من نومه على اصوات غير عادية قادمة من الدور الارضى فى البيت الأنيق الذى يملكه بمدينة ساليرنو القريبة من نابولى .

وحمل الرجل بندقيته ، التى اصبحت شيئا لازما فى كل بيت فى ايطاليا فى السنوات الاخيرة وسط موجة القتل والنهب التى تسود البلاد ، ثم راح يهبط الدرج فى هدوء حتى لا يشعر به أحد . . وفجأة رأى ثلاثة رجال يحملون جهاز التلفزيون وأشياء أخرى ثمينة ويهمون بالخروج بها . وصاح تيوديسيو العجوز الذى جاوز الرابعة والستين : قفوا فى اماكنكم والا اطلقت النار ! »

من صحافة الغرب

ولم يتوقف اللصوص .. لقد راحوا يقذفون صاحب البيت بكل شيء تقع عليه أيديهم بالقرب منهم .. واطلق الرجل النار .. اطلق رصاصتين من بندقيته وسقط احد اللصوص قتيلا على الفور ، بينما اصابت الرصاصة الثانية لصا آخر اصابة خطيرة ، وهرب الثالث .

واضاء تيوديسيو النور ، ولكنه ما لبث أن سقط على الارض مغشيا عليه ، فقد كان اللص الذى قتله برصاصته الأولى هو حفيده جيسيبي الذى لم يتجاوز عامه الثامن عشر .. وعندما حاولوا ان يسعفوا الجد العجوز وجدوه قد فارق الحياة فقد كانت الصدمة أقوى من أن يتحملها قلبه المتعب الرقيق !

صورة من قريب للملك « الشاب » !

* أوسلو (النرويج) :

فى اليوم الثانى من شهر يوليو الماضى ، احتفل أولاف الخامس ، ملك النرويج بعيد ميلاده الثمانين . كتب أحد الصحفيين من مواطنيه ويدعى هارتمان جنسن يقول : « لا شك ان الحظ قد حالفنا بوجود هذا الرجل فى القمة . انه صديق الجميع ، رجل لكل المواسم ، مهندس صفقات والاتفاقات الرسمية ، رجل متواضع يبتعد دائما عن الاضواء ومع هذا فهو موجود بيننا وجودا ملكيا يستحقه بجدارة » .

أى صورة له اكثر قربا الى قلوب النرويجيين ؟ ضابط الجيش بملابسه العسكرية أم الرجل الذى يعشق الرياضة ويعمل من أجل السلام أم صورة المواطن الذى يمد يده ليصافح كل من تقع عليه عيناه من الرجال والنساء والأطفال خلال رحلاته داخل بلاده والتى عرف من خلالها كل ركن فيها ؟

عندما أنهى تعليمه الجامعى التحق بالاكاديمية العسكرية فى النرويج وتخرج منها عام ١٩٢٤ ضابطا فى الجيش ، ولكنه قرر أن يدرس القانون والاقتصاد فسافر الى انجلترا



○ الملك اولاف

وتخرج فى جامعة اكسفورد ، وما زال من بقى من زملائه على قيد الحياة يذكرون صديقهم أولاف ويأتون لزيارته فى بلاده .

وفى دورة الألعاب الاوليمبية عام ١٩٢٨ ، أسرع يمثل بلاده فى رياضة التزلج على الجليد وسباق القوارب الشراعية ، وفاز بالميدالية الذهبية .

وكان وليا للعهد فى ذلك الوقت من عام ١٩٢٩ ، عندما التقى بالأميرة مارثا وتزوجها .. عاش هزيمة بلاده أمام قوات المحور في الحرب العالمية الثانية ، ثم شارك في اعادة بناء الجيش النرويجي بعد الحرب .

كان والده الملك هاكون من أعظم الرجال الذين مروا عبر تاريخ النرويج ونجح الابن أولاف فى الابقاء على الصورة التى رسمها الشعب لأبيه حية دائما فى اذهانهم .. حتى بين هؤلاء الشباب الذين قرأوا عنه ولم يشاهدوه .

ولعل اعظم صفات هذا الرجل هي معرفته الحقيقية بكل شيء يتصل ببلاده ، حتى اسموه دائرة المعارف النرويجية المتنقلة .

كانت أكبر صدمة فى حياته عندما رحلت عنه زوجته الجميلة فى عام ١٩٥٤ ، يومها : قال « لقد كنا دائما معا .. انى اشعر برغبة قوية فى اللحاق بها ! »

ثم ما لبث ان استعاد قوته ، وثقته فى شعبه وايمانه بالله ، ولكنه بقى وفيا لحبه لها رافضا ان يرى أى امرأة أخرى تحتل مكانها !



حضارة العصر بين الجذور والثمار

بقلم : الدكتور محمد جابر الانصاري .

هناك منطق استشراقي لئيم يطرح العلاقة بين الحضارة الحديثة والامم الشرقية (ومن بينها العرب والمسلمون) على نحو من الاستعصاء والاستحالة .

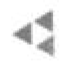
تقول هذه المدرسة الاستشراقية : « الحضارة الحديثة حضارة أوربية غربية مسيحية . وفي نسيج حضاري تندمج العلوم والمخترعات والتقنيات بالافكار والقيم والايدولوجيا التي مهدت لنموها واختراعها ، بحيث يترابط الجانبان في تزواج عضوي لايقبل الفصل والتجزئة . لذلك فاذا ارادت الامم الشرقية أو أية امم واقعة خارج المنظومة الحضارية الغربية ان تقتبس التقنيات والمخترعات الغربية ، فليس لها من خيار غير ان تقتبس ايضا القيم والافكار الاوربية التي ارتبطت بتلك التقنيات تاريخيا واجتماعيا ، وعليه فان محاولة اخذ التكنولوجيا منفصلة تماما عن اطارها الحضاري الأوربي الغربي هي محاولة مستحيلة ومحكوم عليها بالفشل » .

هكذا القوا بهذه الفكرة ـ اللغم كقنبلة موقوتة في العقل الشرقي عامة والعقل العربي الاسلامي بصفة خاصة ، وتركوها تزرع البلبلة والاضطراب في تفكير الكثير من العقول المفكرة الحائرة التي تبحث عن حل فلا تجد غير الاستحالة التي زرعوها . تجاه هذه الفكرة ـ اللغم انقسم العقل العربي الى شطرين في عملية انفصام مؤسف تعمده اصحاب تلك الفكرة ومتعهدوها . . .

فقد انجر فريق الى الاستسلام أمام منطقها وطالب بالتغريب ، أي تقليد الغرب ، في القيم والسلوك والافكار من أجل ان تستطيع استيعاب المخترعات والتقنيات والتكنولوجيا الحديثة بصفة عامة ، حيث ان عدم استيعابها يعني فناءنا أمام القوى المتقدمة ، كما تنذر به تراجعاتنا أمامها في اكثر من ميدان .

وفريق آخر صدمته الفكرة المستفزة ، وعنصر الاستفزاز فيها مقصود أيضا ومتعمد ، فقرر رفض الجانبين معا التكنولوجيا مع قيمها وحضارتها الأوربية . واذا كانت التكنولوجيا ستفرض علينا ان نتخلى عن قيمنا وتقاليدنا فلتذهب هذه التكنولوجيا الى الجحيم . . وليكن مايكون . . !

وحدثت المعركة ، أو بالاحرى الحرب الفكرية بين اصحاب النظرتين والموقفين . وتعمق الخلاف والانفصام في عقل الامة وبنيانها بين أولئك وهؤلاء . . والذين زرعوا الفكرة وصدروها الينا ـ فيما صدروا من استهلاكيات مضرة ـ يفركون ايديهم ويتطايرون فرحا لأن



فكرتهم الملغومة حققت بعض أهدافها . فهم ماطرحوها لوجه العلم والحقيقة والتاريخ ، كما سنوضح بعد قليل .. من وجهة تاريخية ، ولكنهم طرحوها لانهم في حقيقتهم دعاة ثقافيون للمستعمر يدركون تماما ان أهل الشرق عندما يواجههم جدار المستحيل الموهوم هذا سينقسمون هذا الانقسام بين « مستغرب » لايجد من يستمع اليه من عامة الامة المتمسكة بجذورها ، وبين محافظ متشدد يقاوم كل انواع التحديث ولايميز بين الغث والسمين ، وبين البرىء المفيد والمدسوس الضار . والنتيجة واحدة في الحالتين وهي ان الامة منشغلة بالنزاع الداخلي عن النمو الحضاري .. وذلك جوهر مايبتغون .

والآن بعد ان مررنا بكل هذه التجارب ، ورأينا تجارب غيرنا من الامم الشرقية وكيف تحضرت ، علينا ان نغير في استجابتنا لهذه الفكرة ... وأن ننظر للمسألة بعين جديدة ... وعقل متحرر من ردّ الفعل الآلي أمام منطقها .. القائم على إمّا .. وإمّا !

من أجل تفكيك هذه الفكرة ـ اللغم .. نطرح في وجهها التساؤلات التالية .

الجذور عندنا

واذا كان صحيحا ان العلوم والمخترعات لاتؤخذ الا ومعها عقائد اصحابها ، فكيف أخذتم ايها الاوربيون علوم المسلمين ومعارفهم ، في مطلع نهضتكم الاوربية دون ان تأخذوا عقائدهم وقيمهم وسلوكهم .. فبقيتم أوربيين وغربيين ومسيحيين رغم دراستكم وتطبيقكم لطب ابن سينا وعقلانية ابن رشد ، واقتباسكم لأساليب الري والزراعة العربية الاندلسية ، واقبالكم على منهجية جابر بن حيان وابن الهيثم في البحث العلمي ، وانبهاركم بالفن الروائي في حكايات الف ليلة ، وبالذوق الرفيع في « طوق الحمامة » لابن حزم .. الى آخر تلك الاستعارات التي يشهد بها تاريخ العلم والحضارة ..

غريب أمر هذا الاقتباس الواسع الذي قمتم به لمعارف الحضارة العربية الاسلامية .. كيف استطعتم ، أيها الماكرون الخبثاء ، ان تهضموا ذلك كله وتبقوا أوربيين وغربيين ومسيحيين ؟ ... ثم تأتون ـ ببضاعتنا وقد ردت الينا ـ فتقولون لنا دون ان يرف لكم جفن ! « الحذار .. الحذار ... فالحضارة جسم واحد لايتجزأ .. خذوها كلها .. أو دعوها .. وهذه ـ كما ترون ـ حضارة أوربية غربية فليس أمامكم الا التغرب والتغريب ... !! »

ليس أمامنا حقا إلا الاستغراب من هذا المنطق اللئيم .. والمتهافت ، كما يدل عليه واقع استعارتكم الكثيفة لحضارتنا .. دون ان تفقدوا هويتكم ... !

صحيح ان معظم المخترعات الحديثة هي من صنع العقول والأيدي الاوربية الغربية .. في شكلها النهائي ومظهرها الخارجي الذي نراها به ... ولكن هل الحديد الخام الذي يمثل عمودها الفقري هو اختراع أوربي محض ؟ وهل النار والطاقة التي تسير بها اكتشاف أوربي خالص ؟ وهل العجلات التي تتحرك بها من ابداع التكنولوجيا الغربية ؟

الاصول والفروع

ان هذه المخترعات قد انصب في صنعها ـ اذا تتبعناها من الجذور ـ جهد الذي اكتشف النار ، واكتشف الحديد والمعادن الصلبة ، واخترع العجلة المستديرة كوسيلة تحريك للعربات والاجسام الثقيلة .. مع عشرات ومئات الاكتشافات والاختراعات المتدرجة الاخرى التي أوصلت اليوم الى صنع الطائرة أو الصاروخ أو التلفاز .

ولنتأمل فقط في الكتاب المطبوع . . صحيح ان الطباعة هي اختراع أوربي ، ولكن الورق الذي يمثل المادة الخام التي لاغنى عنها لأي كتاب . . هذا الورق هو اختراع صيني أخذه العرب وطوروه وهذبوه ثم أوصلوه الى أوربا . .

من ناحية أخرى فان اي كتاب لايمكن ان يتجسد الا من خلال أبجدية معينة للغة من اللغات . . فمن مخترعو الابجدية في العالم ؟ ليسوا هم الأوربيّن على أية حال .

فالمعروف تاريخيا ، ان الفينيقيين الساميين المتفرعين من الارومة العربية بمعناها الشامل ، هم مخترعو أول أبجدية في العالم كرموز صوتية مكتوبة تتخذ شكل الاحرف . . فهل يصح ، والحالة هذه ، ان يأتي الاوربي بكتابه المطبوع الصقيل المتقن . . ويقول لنا : انظروا ! . . هذا الكتاب المطبوع صناعة أوربية خذوها بأفكارها . . أو لا شأن لكم بها !

ولكن هذه الاخلاقية الاوربية لن تحجب الحقيقة . حقيقة ان الحضارة الحديثة . . الحضارة الانسانية الشاملة التي اصطادها الأوروبي الغربي ووضع عليها قناعه وسحنته ولكنته ، لن تظل سجينة في أوربا الى الابد . . وسيعود الى اصحابها دون تمييز بين شرقي وغربي . . . مع الاعتراف لكل صاحب فضل بفضله ، ولكل صاحب عطاء حضاري بعطائه . . غربيا كان أو شرقيا .

تكنولوجيا الشرق

واليوم عندما يأتينا الكمبيوتر الياباني ، والجهاز الالكتروني الياباني المتفوق بذكاء اليابان الشرقي وابداعه وجهده ـ على كل اختراع أوربي . . هل هذا الجهاز تكنولوجيا أوربية خالصة ؟ واذا كان كذلك فكيف نفسر ان التكنولوجيا اليابانية صارت تطارد المصنوعات الاوربية والامريكية في عقر دارها بعد ان تقدمت عليها ؟ وكيف نفسر ان أمريكا طلبت رسميا من اليابان ان تزودها باسرار التكنولوجيا العسكرية في بعض المجالات الحساسة المتقدمة ؟

اذن ، بعد هذا التفكيك للفكرة ـ اللغم المشئومة ، يتضح ان التخيير بين القبول المطلق أو الرفض المطلق لايقوم على أساس علمي تاريخي من تجارب الحضارة والتطور البشري .

ان عالمنا اليوم يشهد حضارة حديثة انسانية شاملة تمت بصلة نسب الى كل الحضارات التي سبقتها من صينية وهندية وعربية اسلامية واغريقية واوربية .

وانه باستطاعة مختلف الامم ان تقبل على هذه الحضارة الانسانية الشاملة لتنهل وتقتبس ، خصوصا مايتعلق منها بالتقنيات الحديثة ، ومناهج البحث والتحليل ، دون ان تتخلى عن جذورها وعقائدها وشخصيتها ، كما فعلت اليابان والهند مثلا .

ولأن هذه الحضارة الانسانية الحديثة مرت بالبيئة الاوربية لقرون وتأثرت بألوانها المحلية بعض الشيء ، فعلينا ان نمتلك نحن ـ كعرب ومسلمين وشرقيين ـ حاسة استشعار وتمييز حاد للفصل بين ماهو حضاري انساني فيها ، وبين ماهو أوربي غربي محض . . وحتى هذا قابل للغربلة والتمييز . . كذلك .

ان الثقافات القومية والدينية هي أشياء خاصة بالامم المختلفة المتباينة وهذه نطلع عليها ولانقتبسها ، بل نرفضها لأن لدينا ثقافتنا الدينية والقومية الخاصة بنا كعرب ومسلمين . أما الحضارة فهي ارث انساني مشترك أخذنا منها عندما أنشأنا حضارتنا . . ثم اعطينا لغيرنا عندما أثمرت تلك الحضارة . . واليوم نأخذ من جديد . . بكل حرية واستقلال في الاختيار والغربلة . . ولكن قبل كل شيء علينا ان نتحرر من منطق : خذوها كلها . . والا . . فلا !! ◯

محاولة لفهم واقع الترجمة من منظور تراثي

بقلم الدكتور/ محمد عيسى صالحية

لا أدري ما سبب الضغط النفساني الذي أعانيه كلما حاولت ان اقلب دليل الجامعات والمعاهد العليا في وطننا العربي ، اذ أشعر وكأن اللغة العربية محكوم عليها سلفا بالقصور والعجز ، والا مامعنى ان لغة التدريس ليست هي العربية في كثير من العلوم والفنون التي تدرسها جامعاتنا ، والأدهى والامرّ ان الحكم بعدم قدرة العربية على استيعاب مصطلحات وانجازات وتقنيات العصر يصدرها أولئك الذين يتصدرون لقيادة النهضة العلمية في الوطن العربي ، واذا ما أثرت المسألة تتهم بأنك متعصب للعربية ، والتعصب نوع من الجمود وعدم الانفتاح على حضارات الأمم المتقدمة ! ويقيني أن القضية تصيب الفكر العربي الاسلامي ومكوناته الاساسية ، وبالتالي تنسحب على تراث الامة الثقافي والحضاري وحتى كيانها المستقل ، انها تتعلق بقدرة اللغة العربية على استيعاب منجزات العصر ، ودعني أقرب السؤال ، هل هناك من أمة ذات جذور حضارية وعريقة ولا تدرس العلوم بما فيها من الطب والهندسة والفيزياء والرياضيات بلغتها الرسمية خلا أمة العرب !؟

ويتراءى لي أن من حكموا على العربية بالتخلف والعجز لم يسلكوا الطريق الامثل في استجلاء كنه اللغة بطريقة عملية ، ولو تأملوا الامر بدقة وروية لعرفوا ان اللغة العربية استوعبت التراث الفكري اليوناني والسرياني والفارسي والرومي والعبري والقبطي والكلداني والنبطي والآرامي والهندي والصيني ، ولم يقتصر الاستيعاب على علم من العلوم أو فن من الفنون . وهل لنا ان نستغرب اذا جعل روجير النورماندي سنة ١١٠٩م العربية لغة العلم في مدرسته الطبية في سالرنو ، ولنقدر مقولة « ولز » حين قرر « ان العلم كان يثب على قدميه وثبا في كل موضع وطئته قدم الفاتح العربي »[1] .

ان الجهود التي بذلها العلماء العرب كانت هي الاساس في تحقيق المكانة المرموقة التي حظيت بها العربية عند الامم والشعوب الاخرى ، ومما لا شك فيه أن هذا العمل ، وهو النقل والترجمة من اللغات الاخرى ، لم يكن دائما سهلا وميسورا فقد واجهتهم صعوبات ومشاكل عديدة واجهوها بوعي ودراية ، ووضعوا لها الحلول المناسبة وبذلك تفوقوا علينا في عصرنا هذا ،

(١) ولز : موجز تاريخ العالم .

وأبل مشاكل حركة الترجمة وكيفية حلها هي قصدنا من هذه المقالة . ونسجل هنا أن اللغة العربية قد استجابت لرغبات المترجمين واصبحت طيعة في أيديهم ، وكانت الفاظها الكثيرة من الوسائل التي أعانت على أداء المعاني ، وبالتالي ابرازها بكل دقة ، فالبيروني يرى ان العلوم قد نقلت الى لسان العرب من اقطار العالم « فدانت وحلت في الافئدة وسرت محاسن اللغة منها في الشرايين والاوردة . ولابن سنان الخفاجي تقييم للعلم المسجل بالسرياني مقارنا به اذا ما دون نفس العلم بالعربية فهو يرى أنّ اللغة العربية مع السعة والكثرة أخصر اللغات في ايصال المعاني وفي النقل اليها ، فما من كلام ينقل الى لغة العرب الا ويجيء الثاني أقصر من الاول مع سلامة المعاني وبقائها على حالها ، وهذه بلاشك فضيلة مشهورة وميزة كبيرة ، لان الغرض في الكلام ، وضع اللغات وبيان المعارف وكشفها ، وقد أخبرني أبو داود المطران ، وهو عارف باللغتين العربية والسريانية أنه اذا نقلت الالفاظ الحسنة الى السرياني قبحت وخسئت ، واذا نقل الكلام المختار من السرياني الى العربي ازداد طلاوة وحسنا . وهذا الذي ذكره صحيح » .

لقد كانت الخطوة الاولى التي جرى الاعداد لها بدقة هي البحث عن الكتب النادرة من مراكز الحضارة التي عرفها العالم آنذاك ، فسيّرت البعثات للتنقيب عنها في آسيا الصغرى والهند وايران وقبرص وغيرها ، فالمأمون قد طلب الى ملك الروم ان ينفذ اليه ما يختاره من العلوم القديمة المخزونة في بلاد الروم ، ومن ثم أخرج المأمون الحجاج بن مطر وابن البطريق وسلما صاحب بيت الحكمة ويوحنا بن ماسويه الى هناك فاختاروا غرائب الكتب وحملوها الى بغداد . وقد روى حنين بن اسحق في العشر مقالات « كيف طوف البلاد والامصار وهو يبحث عن كتاب البرهان لجالينوس ، فبحث عنه بحثا دقيقا ، وجاب في طلبه العراق وسورية وفلسطين ومصر الى أن وصل الاسكندرية » . ولقد اخبرنا ابن النديم عن رؤيته لأكثر من أربعين كتابا في خزانة أبي الفضل بن العميد باصفهان وقد أعدت للترجمة . ومن ناحية أخرى فان المراجع العربية تزخر باسماء المؤلفات التي ترجمت من الهندية مثل كتاب السند هند ، وارياهيت وشاناق وروسا وبيدبا واسرار المسائل وغيرها ، ومن الفارسية مثل خداي نامة والتاج والتبر المسبوك والائين ، وعن اليونانية حدث ولا حرج ، ومن المترجمين تبرز أسماء اعلام مثل حنين بن اسحق وابنه اسحق ، وابن اخته حبيش بن الاعسم الاغسري ، وجورجيس بن بختيشوع وابنه بختيشوع وجبرائيل وعبدالله ، ويعقوب الكندي وثابت بن قرة ، وعمر بن فرخان الطبري ويوحنا بن ماسويه وقسطا بن لوقا ، وابن برمك وسهل بن ربن ، وأبي الريحان البيروني وابي بكر الرازي وغيرهم .

وكيفما كان الحال ، فان صعوبات عديدة واجهت العلماء المشتغلين بحركة الترجمة ولكنهم أدركوها ووضعوا الحلول المناسبة لها ، ولعل ادراك الجاحظ لصعوبة الترجمة هي التي جعلته ان يلمس الشرائط الواجب توفرها فيمن يتصدى للترجمة فقد أورد في كتابه الحيوان « لابد للترجمان من ان يكون بيانه في نفس الترجمة في وزن علمه في نفس المعرفة ، وينبغي ان يكون اعلم الناس باللغة المنقولة والمنقول اليها حتى يكون فيهما سواء وغاية ، ومتى وجدناه أيضا قد تكلم بلسانين علمنا أنه أدخل الضيم عليهما . وكلما كان الباب من العلم أعسر واضيق - والعلماء به أقل - كان أشد على المترجم ، وأجدر ان يخطيء فيه » .

وفي موضع آخر يقرر الجاحظ ان من يعمل بالترجمة عليه « ان يكون في العلم بمعانيها واستعمال تصاريف الفاظها وتأويلات مخارجها مثل مؤلف الكتاب وواضعه »[٢] .

أما الطرق التي اتبعت في الترجمة فقد أشار اليها الصفدي في كتابه « الغيث المنسجم في شرح لامية العجم ١/٤٦ » حيث أورد « وكان للتراجمة طريقان : أحدهما طريق يوحنا بن البطريق وابن الناعمة الحمصي ، وهي ان ينظر الى كل كلمة مفردة من الكلمات اليونانية وما تدل عليه من المعنى ، فيأتي بلفظة مفردة من الكلمات العربية ترادفها في الدلالة على ذلك المعنى فيثبتها وينتقل الى الاخرى وكذلك حتى يأتي على مايريد تعريبه ، والطريق الثاني في التعريب ، هو طريق حنين بن اسحق والجوهري وغيرهما وهي « ان يأتي الى الجملة فيحصل معناها في ذهنه ويعبر عنها من اللغة الاخرى بجملة تطابقها سواء ساوت الالفاظ أو خالفتها ، وهذه الطريقة أجود » وبمفهومنا الحديث ان طرق الترجمة هي الترجمة الحرفية والترجمة بالمعنى ، ونضيف اليها طريقة الترجمة بالتلخيص والاختصار والتي تظهر فيها قوة الملخص وقدرته على استيعاب الاصل والتعبير عنه بيسر وسهولة . ومع اتقان العلماء العرب لطبيعة الطريقتين ، فانهم اشاروا الى المشاكل التي قابلوها من خلال عملهم في الترجمة ووضعوا الحلول لها .

ونستطيع أن نجملها بأنه قد لا يوجد في الكلمات العربية كلمات تقابل جميع الكلمات اليونانية أو غيرها فعندما تعترض المترجين قطع صعبة في الاصل لا نظير لها في العربية ، فانهم يعمدون الى الترجمة الحرفية وينقلون اللفظ اليوناني أو السرياني بحروفه مع ادخال شيء من التحوير ومن ثم البحث عن طريقة لصقلها بالعربية ، وقد ارتقى البيروني بحل هذه المشكلة فوصف أفعال التراجمة هذه بالخيانة فعنده « ان للتراجمة خيانة أخرى وهي ترك بعض ما يوجد في أرضنا من العقاقير وفي لغة العرب اسم لها على حاله باليونانية حتى يحتاج بعد التفسير الى تفسير ، كالكرفس الجبلي والجزر البري ولحية التيس » . ولذا فان البيروني يرى مثلا عند ترجمة اسماء الادوية ضرورة احاطة الطبيب باسم الدواء الواحد بصنوف اللغات وروى حكاية الامير الخوارزمي الذي « اعتل وانفذ اليه من نيسابور نسخة دواء لعلته وعرضت على الصيادلة ، فلم يهتد لعقار واحد فيها إلا واحد فيهم ، ذكر انه عنده فاشترى منه بخمسمائة درهم ، واخرج اليهم اصل السوس فاستنكروه فقال لهم : ما بعتكم الا ما حملتموه من الاسم دون الجسم » هذا بالاضافة الى نقصان حروف اللغة العربية عن حروف غيرها ، ففي الفارسية نجد حروفا مثل پ ،چ ،ڤ، گ وليس لها مثيل في العربية فلابد من تدبر الامر ، وكان ان وصف الرازي الحل لمثل هذا الامر في كتابه الحاوي ٢٢/٦٣ قال : « فلما أجلت الفكر في ذلك لم أجد منه وجها أبلغ من أن أعمل لذلك جداول فيها سعة وأجمع فيها جميع اختلافات الاسم الواحد مما وقع الى هذه الغاية ، ويكون فيها مع ذلك سعة لما يقع بعد هذا ، فانه على هذه الجهة يكاد ان لا يفوت الناظر في هذا الكتاب استخراج اسم من اجل اختلاف كتابته ، وينبغي ان يستعان مع هذا على فعل الدواء

---

(٢) الجاحظ : الحيوان ١/٧٦ ، ط القاهرة .

وطبعه ، فان ذلك نعم العون على تحقيق ما يوجد من تفسيره » والمشكلة الثانية التي أشار اليها العلماء أن تكون لغة الترجمة غير دقيقة وركيكة فاذا كتب بالعربية لم يفصح ، فالقويري الذي فسر قاطيغورياس أي « المقالات » وكتاب باريرفيياس وكتاب أنا لوطيقا أي « تحليل القياس » ، ذلك أن كتبه تعد مطروحة مجفوة لان عباراته عفطية غلقة[3] ولاجين كان جيد المعرفة بالسريانية عفطي الالفاظ بالعربية . .

وهناك نوع من المشاكل قد لا نواجهها في زماننا ومنها على سبيل المثال لا الحصر ، تشابه صور الحروف المزدوجة واهمال التصحيح بالمعارضة والتغاير بالنسخ واستصعاب نسخ الكتاب ، وفقدان بعض المراجع الاساسية التي تعين على ضبط الكلمات ، وغيرها من المشاكل التي ما فتئوا يعالجونها ، فاسحق بن حنين مثلا يقول « نقلت كتاب النفس لارسطو من نسخة رديئة ، فلما كان بعد ثلاثين سنة وجدت نسخة في نهاية الجودة فقابلت بها النقل الاول » . ولحل الاشكالات التي اعترضت ترجمة كتاب ديسقوريدس قصة تستحق ان يشار اليها باعتبارها مثلا - فابن جلجل فسر الادوية المفردة من الكتاب ، وأفصح عن مكنون الادوية وأوضح مستغلق مضمونها ، فمع أن الكتاب ترجم في بغداد أيام المتوكل بعناية اصطفن بن بسيل ومن ثم صححه حنين بن اسحق الا ان بعض الاسماء بقيت باليونانية حتى اذا تسلمه نقولا وحداي ومحمد المعروف بالشجار وابوعثمان الجزار ومحمد بن سعيد الطبيب وعبدالرحمن بن اسحق بن هيثم وابوعبدالله الصقلي ، عمل كل واحد من هؤلاء على حل مغلق قضاياه حتى ظهر الكتابُ بصورته الحالية .

ان الاعتماد على المعاجم اللغوية المتخصصة كانت مسألة ذات أهمية بالنسبة للعلماء المترجمين العرب ، فالبيروني يوصي الذين يتصدرون لترجمة الكتب الطبية ان يعتمدوا كتاب « يشاق سماهي » أي تفسير الاسماء » وكذا كتاب « جهارتام » كما يوصي باقتناء ومطالعة كتب الكيفونات وهي تشتمل على تفسير غرائب اللغات وتوضيح الشكل منها وكأنها المعاجم ، وقد كان عنده لكيفون لزيج بطليموس ، مكتوب ما فيه بالخط السرياني والعربي ، واليه يرجع البيروني في مطالبه . كما وجد كتابا في الحشائش وهو يضع كتابه « الصيدنة في الطب » بتصاويره مكتوب باليونانية وعليه تفسيره بالعربية .

تلك ومضات من التراث العربي توضح جهود العلماء العرب في ترسيخ قاعدة الثقافة العربية لتكون لغة العلم والادب ، والفرق بيننا وبينهم انهم يؤسسون ويقيمون صرح حضارة عربية اسلامية مما جعلهم قادة الدنيا بلا منازع ، ونحن مازالت أزمتنا الاساسية ان نثق بذاتنا ونقدر قدرات هذه الأمة ولا نستطيب ملذات العيش نلتحف الفراء الوثير في ليل بارد قارس وقد غلب السبات والوسن أجفاننا وافواهنا مشدوخة ونتغنى بأنه كان لنا ماض . . . كان لنا ماض . . . ثم نَغُطُّ .....

انها دعوة للمشرفين والمؤولين عن جامعاتنا ، هلا أعدنا الثقة لطلابنا وربيناهم على احترام لغتنا والثقة بها ولكن بطريقة عملية ؟

(٣) ابن النديم : الفهرست ، ٣٢١ ط تجدد ، الكلام العفط « اذا تكلم بالعربية لم يفصح » .

حل مسابقة العدد

● رقم ٢٩٦ ●

الاجوبة الصحيحة وأسماء الفائزين

(١) الجواب الصحيح هو قولنا « بالرفاء والبنين » لأن الرفاء هو الالتئام والموافقة بين الزوجين .

(٢) الاقمار الصناعية أسرع فى دورانها حول الارض من القمر الطبيعى .

(٣) الملك العربى الذى انعم عليه الامبراطور الرومانى جاليان (اوغاليانوس) هو الملك اذينة .

(٤) الآبار الارتوازية هى الآبار التى يخرج منها الماء تلقائياً .

(٥) شركة الهند الشرقية هى ثلاث شركات بريطانية وهولندية وفرنسية .

(٦) الكونجرس فى الولايات المتحدة هو المجلس التشريعى ككل والسانت هو مجلس الشيوخ .

(٧) متوسط سرعة القطار ذهابا وايابا هى ٢٤ ميلا فى الساعة .

(٨) زعيم عصابة الارجون هو مناحيم بيجن ، وزعيم عصابة شتيرن هو اسحاق شامير .

(٩) قوة الحصان الطبيعى ٢/٣ قوة الحصان الاصطلاحى .

(١٠) العالم الفلكى الذى اثبت ان الشمس ثابتة ، والارض تدور حولها هو الفلكى البولندى نيقولا كوبر نيكوس .

(١١) ربح الرجل أولا عشرة جنيهات ، وثانيا عشرة ، مجمل ربحه ٢٠ جنيها .

(١٢) صنوان (بكسر فسكون مع تنوين النون الاخيرة رفعا ونصبا وجرا) جمع تكسير مفرده صنو (بكسر فسكون) ومعناه الاخ ، أو الابن أو الشبيه أو النظير ، والمثنى صنوان (أو صنوين) بكسر النون الاخيرة دون تنوين .

الفائزون بالجوائز

الجائزة الاولى :(٣٠) دينارا نادية خليل التلاوى / المدينة الرياضية / عمان / الاردن .

الجائزة الثانية :(٢٠) دينارا / ميخائيل أمين خلة ٥ شارع الجمهورية ـ أسيوط ـ جمهورية مصر العربية

الجائزة الثالثة :(١٠) دنانير / أحمد دعبس الفياض ـ تدمر ـ الحى الشمالى خلف الخزان ـ سوريا .

٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها خمسة دنانير فاز بها كل من :

(١) امينة عبدالله ابراهيم
منامة ٣٠٥ / البحرين

(٢) فزانى عبد الله / ايت بو على / بنى دوالة / تيزى وزو / الجزائر .

(٣) م . حسين تينة / كلية الهندسة الميكانيكية والكهربية / جامعة دمشق الجمهورية العربية السورية .

(٤) محمد السالمى / قيم عام خارجى / باجه / تونس .

(٥) زكية محجوبة / وادى ز أ / المغرب .
(٦) باسمة أحمد سالم طرابلس / لبنان
(٧) سلمان محمد السادة / الظهران ـ مطار الظهران الدولى . ص ب : ١٤٤ المملكة العربية السعودية .
(٨) حسين محمد عقبة ـ أحور ـ محافظة ابين ص ب : ٣٠٤ ـ اليمن الديمقراطى



الصَّحراء تزيد والهواء يفسد والماء يجرف كُل شيء ..

بقلم : محمود المراغي

كثيراً ما ينظر الانسان لبعض ما يحيط به كأنه ثابت لا يتغير . وكثيراً ما يتساءل وهل يمكن ان يتغير الهواء ، أو تتغير المحيطات والبحار والأرض التي نسير عليها ؟

ومع ذلك فان تقريراً دولياً هاماً ونادراً يقول : « نعم كل شيء يتغير » وفي محاولة لاثبات القول يذهب التقرير لقياس شيء لم يتم قياسه قبل ذلك وهو « وضع البيئة العالمي في عشر سنوات » .

وقد يكون من الأرقام التي عنى بها التقرير رقم يقول ان مائة دولة قد اهتمت بقضية البيئة ووضعت خلال هذه السنوات (١٩٧٢ - ١٩٨٢) نظماً وطنية لحماية البيئة .. كذلك خلال السبعينيات تم سن ٥٦ تشريعاً لهذا الغرض في دول مختلفة ، وهو ضعف ما تم اصداره من تشريعات مماثلة في الستينيات .

القضية اذن موضع اهتمام دولي ولأن برنامج الأمم المتحدة للبيئة ، وهو صاحب التقرير - يعتبر نفسه الضمير وجهاز الانذار فهو ينبه لما حدث ويقول : انه خلال السنوات العشر - موضع الدراسة - ازدادت البحار فساداً وازداد الهواء تلوثاً ، وازدادت الأرض جدباً واتسعت مساحات الصحراء ، وتعقدت مشكلة الغذاء ، وتحولت المحيطات وطبقات الجو العليا والفضاء الى مراكز مسلحة وخلال نفس الفترة جاع الناس الى حد الموت ، ومرضوا الى حد العجز .. ولكن وفي نفس الوقت اختفت أمراض كانت معروفة ، وانتشرت انشطة لم تكن مألوفة باتساع و .. من هذه الأنشطة السياحية التي امتعت الانسان أكثر وافسدت الطبيعة بشكل أكبر .

وربما يكون مفيداً ان نتتبع ماذا حدث في بعض المجالات الرئيسية ، الجو أو الهواء . الأرض والبحار والمحيطات .

ويبدو ان تغيرات هامة تحدث في الهواء أو الغلاف الجوي .. بل فيما نسميه الطقس أيضاً وحالة الجو . انتشر الطيران الأسرع من الصوت وانتشرت أجهزة أخرى تقلل ما يسميه العلميون « الاوزون » من طبقات الجو العليا ، فزاد ذلك الأشعة فوق البنفسجية التي تصل الى الأرض ، وكان التأثير : أن قلّت بعض العضويات وتحطمت خلايا حيوانية ونباتية ، وأصبح هذا الأمر أحد أسباب سرطان الجلد !

وتغير آخر يحدث في الجو . لقد زاد استخدام الفحم وزاد في الهواء أكسيد الكبريت والنيتروجين وأثر ذلك بدوره على الأمطار التي أصبحت حمضية أكثر وحملت حموضتها لمياه الأنهار فتلف الزرع وتهددت الحياة !

تغير ثالث ما زال تحت البحث . لقد أصبحت بعض المناطق في العالم أكثر دفئاً . صحيح ان التغير لم يكن كبيراً وصحيح اننا نحتاج - وفقاً لما يقول التقرير الى عقد أو اثنين ليتحول الأمر الى ظاهرة نتحدث عنها ، ومع ذلك فالتفسير جاهز عند برنامج الأمم المتحدة للبيئة : إن الدفء نتيجة زيادة

استخدام أشجار الغابات و « الوقود الحفري » والذي يزيد تركيز ثاني أكسيد الكربون في الغلاف الجوي . . فيزداد الدفء !

وقد يتعلق تلوث الهواء بموضوع الطاقة النووية ويفاجئنا التقرير بأن استخدام الطاقة النووية لم يعرض الانسان لأكثر من ربع في المائة من الاشعاعات الذرية التي يتعرض لها . . ذلك رغم ان ٤٦٩ جهازاً نووياً قد تم تفجيرها بين عامي ١٩٧٠ ، ١٩٨٠ . . وكان من بينها ٤١ تفجيراً في الجو .

لكن الجو لم يكن وحده الذي تلوث أو تغير . شهدت البحار أيضاً نفس الظاهرة تحت تأثير مياه المجاري والمواد الكيمائية المستخدمة في الزراعة والنفط المنساب الى البحار ، وكانت النتيجة : قتل آلاف الطيور والأسماك البحرية وتلوث بعض الشواطيء وتأثر السياحة . . و . . في اتجاه آخر كان بحث الانسان مستمراً عن ماء أكثر فتحكم بقدر أكبر في مياه الأنهار بينها تصدى لمياه الفيضانات التي جرفت كل شيء والأهم انه قد بدأ محاولة لزيادة مصادر المياه عن طريق تعديلات في الطقس والحماد للتبخر وتحلية لمياه البحر !

في نفس الوقت ، ومع تغير الماء والهواء كانت الأرض تشهد تغيراً سالباً فتعرضت للأملاح والفساد الكيماوي وشمل ذلك نصف الأراضي المروية في وادي الفرات ـ على سبيل المثال ـ و ٣٠٪ من الأراضي المصرية في أماكن أخرى زادت فيها مساحة الصحراء ، حتى انه خلال ذلك العقد كان ستون الفاً من الكيلومترات المربعة يتم تدميرها وفسادها كل عام بسبب الجفاف الشديد وسوء الاستعمال ، وخلال ذلك عرفت بلاد كالسودان وأثيوبيا والصومال والسنغال وايران ما تم تسميته بظاهرة « التصحر » وهو ما أصبح يهدد من (٦٠٠ ـ ٧٠٠) مليون نسمة في العالم !

أيضاً وعلى الأرض استمر اختفاء أنواع من النبات والحيوان وبرزت الدعوة لوضع استراتيجية للصيانة العالمية في مواجهة ذلك . وفي مجال السكان : قل معدل التزايد ، واختلفت اتجاهات الهجرة ، وبعد ان كان الاتجاه من أوربا الى أمريكا واستراليا أصبح من الدول النامية للدول المتقدمة والنفطية .

ولم تقف التغيرات عند هذا الحد فرغم تزايد الغذاء تزايدت مشكلته لأن تزايد السكان كان أكبر وأسرع . . وبينها يأتي نقص الغذاء كسبب للوفاة والمرض فان التقدم العلمي يأتي كسبب للقضاء على الأمراض . . اختفى الجدري . . واقترب الانسان من معرفة أسباب السرطان . . واختفت الملاريا في الستينات بسبب مبيد الـ « د. د. ت » وان كانت قد عادت بعنف في السبعينيات بعد ان تحصن البعوض ضد المبيد !

وفي كل ذلك أتت سلسلة الأرقام المثيرة حول ما جرى في عقد من الزمان .

* فقد عانى (٤٥٠) مليون نسمة من حالة جوع وسوء تغذية .

* ومات في الدول النامية ٥ ملايين طفل سنوياً بسبب أمراض ستة هي الدفتريا والسعال الديكي والكزاز والحصبة والشلل والسل . ومات مليون آخرون كل عام في أفريقيا بسبب الملاريا .

* واثبتت الأرقام أن النفط ليس سيد أنواع الطاقة فالفحم يتقدم ثانية وعمل الانسان والحيوان يسبق الاثنين حيث يعتمد (٢٫٥) مليار نسمة من سكان العالم على ما يسمى طاقة غير تجارية . . . وهي عضلات الانسان والحيوان اللازمة في الزراعة أو غيرها من أغراض .

* أيضاً ، تقول الأرقام ان الحرب والتهديد بالحرب كانا من سمات العقد الماضي ، وان كل ثلاثة أيام كان هناك قمر صناعي حربي جديد !

ولا يبقى غير السؤال : العالم الى أين ؟ ولا نجد غير الجواب : لننتبه . البيئة تتغير في اتجاه لا يمكن العودة الى الوراء . . ولكن الممكن الوحيد : وقف التدهور . . فهل يعي العالم ؟

موضوع الغلاف

طوابع البريد في الكويت .. ما قصتها .. ومتى بدأت ؟



أحـد طـوابـع المجموعة التي صـدرت بمناسبة اعلان دستـور دولـة الـكـويـت عـام ١٩٦٣

بقلم : محمد عبد الهادي جمال

عرف الانسان البريد منذ العصور القديمة حيث كان يتم تسليم المراسلات عن طريق الدواب كالخيل والبغال وكذلك الحمام الزاجل . وقد استمرت هذه الوسيلة طوال قرون عديدة دون أي تطور او تغيير يذكر بسبب عدم وجود وسائل بديلة وكذلك بسبب انعدام وجود قيمة حقيقية للوقت .

تطورت عملية نقل البريد في القرون الأربعة الأخيرة فتم في كثير من الدول الأوروبية انشاء دوائر ومراكز مسئولة عن نقل وتوصيل البريد ، كما تم تخصيص وسائل خاصة للقيام بهذه العملية . بالاضافة الى ادخال وسائل النقل الحديثة والمتطورة باستمرار للقيام بهذه المهمة كالقطارات والسفن ووسائل النقل البرية المتطورة الأخرى كلما استجدت مثل هذه الوسائل . وكان للطائرات ـ فيما بعد ومع بداية هذا القرن ـ الدور الكبير في الاسراع في توصيل البريد من أقصى الغرب الى أقصى الشرق وبالعكس وخلال فترات وجيزة .



يشاهد في أعلى الصفحة الى اليمين الطوابع التي صدرت في السنوات ١٩٤٧ و ١٩٥٠ بمناسبة الاحتفال بعيد الجلوس وتحمل صورة المغفور له الشيخ أحمد الجابر الصباح ،

الى اليمين صورة لاحدى الرسائل التي تحمل طابعا هنديا مستعملا بالكويت أثناء فترة الحرب العالمية الثانية ويتبين من الصورة أن الرسالة فتحت من قبل الرقابة .

البدء في استعمال الطوابع :

كانت بريطانيا أول دول العالم التي استعملت الطوابع البريدية وذلك عام ١٨٤٠ في عهد الملكة فيكتوريا .

وبنيت فكرة استعمال الطوابع على أساس دفع التكلفة قبل استعمال خدمة التوصيل من جانب المرسل وذلك بسبب التكاليف الباهظة التي كانت تتحملها ادارة البريد حيث ان النظام كان مبنياً على أساس تحصيل التكلفة من متسلم الرسالة ، وحيث أن كثيراً من متسلمي الرسائل كانوا إما يرفضون تسلمها أو يدعون عدم معرفتهم بالمرسل ، فقد تسبب ذلك في تحمل خسائر كبيرة للدولة مما جعلها تخترع طريقة « الدفع المقدم » . وقد استغرقت عملية التنظيم ومتابعة الفكرة وقتاً طويلاً ودراسات مستمرة الى ان تم اصدار وبيع أول طابعين في مكاتب البريد في بريطانيا في أول مايو سنة ١٨٤٠ . وكانت قيمة الأول « بنسا » واحدا وكان لونه أسود وقيمة الثاني « بنسان » ولونه أزرق ، وكانا يحملان صورة الملكة فيكتوريا .

وكانت ثاني دولة تستعمل الطوابع هي البرازيل حيث أصدرت ٣ طوابع ذات فئات مختلفة سنة ١٨٤٣ ، وقد حملت هذه الطوابع القيمة المطلوبة للطابع . وصدرت في نفس السنة طوابع لولايتين في سويسرا هما زيورخ وجنيف . أما في الولايات المتحدة فقد بدأت بعض مكاتب البريد باصدار طوابع مختلفة في كل ولاية الى ان صدرت أول طوابع رسمية سنة ١٨٤٧ من فئة ٥ سنتات و ١٠ سنتات ، وكان الأول يحمل صورة الرئيس فرانكلين والثاني صورة جورج واشنطن . *

تاريخ البريد في الكويت :

عرفت الكويت البريد منذ نشأتها تقريباً حيث كان يتم نقل الرسائل من والى الكويت عن طريق السفن الى الهند وايران وبلاد الخليج وعن طريق البر الى الجزيرة العربية والعراق والشام .

وتقول المصادر المهتمة بتاريخ البريد في منطقة الخليج العربي ان أول إشارة أو ذكر للخدمات البريدية في الكويت كانت حوالي سنة ١٧٧٥م عندما تأسست أول علاقة مباشرة بين الكويت





« وشركة الهند الشرقية » . وقد بدأت الخدمات البريدية في الكويت من تلك السنة واستمرت أربع سنوات حتى سنة ١٧٧٩ حيث تم نقل البريد من بلدان الخليج العربي الى حلب عن طريق الكويت بدلاً من الزبير وذلك بسبب الأوضاع السياسية بالبصرة . وقد زودت الكويت من جانبها سعاة البريد لنقله وتوصيله من الكويت الى مقر شركة « الهند الشرقية » في البصرة وبالعكس في طريقه الى حلب.
وكان ذلك أثناء فترة حكم الشيخ عبد الله بن صباح الأول .

وكان الهجانة يقومون بمهمة توصيل البريد السريع الى حلب حيث كانت تستغرق الرحلة من الكويت الى حلب من ١٤ الى ٢٠ يوماً . وكانت الخدمة البريدية هذه تسمى خدمة الصحراء السريعة.

وتعتبر أول رحلة بريدية معروفة ومسجلة من الكويت الى حلب بتاريخ ١٥ يوليو سنة ١٧٧٥م . وقد عرف هذا التاريخ عن طريق تاريخ أحدى الرسائل المرسلة من ممثل « شركة الهند الشرقية » في مدينة بوشهر بايران الى مجلس ادارة الشركة بلندن .

وازدادت كميات الرسائل والخدمات البريدية المنقولة عن طريق الكويت فيما بعد عندما انتقلت مكاتب شركة الهند الشرقية من البصرة الى الكويت في ابريل عام ١٧٩٣ بعد أن ازدادت متاعب الشركة مع ممثلي الدولة العثمانية في البصرة .

ومن الطريف أن هناك بعض الأدلة منذ ذلك التاريخ تبين استقلال الكويت وعدم تبعيتها لأحد في تسيير أمورها . اذ ان انتقال مكاتب شركة الهند الشرقية من البصرة الى الكويت بسبب المضايقات العثمانية للشركة المذكورة يبين عدم تبعية الكويت أو خضوعها لأي من الدول الأخرى . كذلك فان هناك رسالة بريدية من احد الرحالة الانجليز كتبت سنة ١٨١٦ يقول فيها ما يلي « يبدو ان الكويت . وقد حافظت على استقلالها على الدوام .... وهي مازالت تتميز بأنها أكثر حرية من غيرها ويعرف أهلها بأنهم أكثر الشعوب شجاعة في منطقة الخليج قاطبة ».

هذا وقد استمرت مكاتب شركة الهند الشرقية في الكويت الى سنة ١٧٩٥ حيث تم نقل المركز مرة أخرى الى البصرة بعد التفاوض مع

الى اليمين نجد بعض الأخطاء التي تحدث في بعض الأحيان على الطوابع ويتسابق الهواة في جمع هذه الطوابع لندرتها ، كما يشاهد أحد طوابع المجموعة الأولى التي صدرت عام ١٩٢٣ والتي كتبت عليها كلمة الكويت بالفرنسية « **Koweit**»
والتي تم سحبها فورا بسبب عدم موافقة ادارة البريد البريطانية في ذلك الوقت عليها . والى اليسار نرى طابعا بريطانيا تذكاريا صدر بمناسبة أولمبياد عام ١٩٤٨ وقد كتبت عليه كلمة الكويت باللغة الانجليزية كما كتبت عليه القيمة وهي روبية واحدة .



العثمانيين والتوصل معهم الى اتفاقية لنقل المكاتب الى البصرة مرة أخرى . وتم انتقال موظفي الشركة الى هناك في سبتمبر سنة ١٧٩٥ . وخلال المائة سنة التي أعقبت عودة مكاتب الشركة للبصرة لم تسجل أية خدمات بريدية في الكويت .

في بداية القرن الحالي :

كانت الكويت في مطلع هذا القرن تعتمد اعتماداً شبه كلي على التجارة وصيد اللؤلؤ وصناعة السفن . وكانت السفن الكويتية تنقل التمور العراقية الى الهند في الخريف وتحمل من هناك المواد المختلفة الى جزر موريشوس وجنوب الجزيرة العربية وزنجبار وغيرها ثم ترجع من هناك حاملة معها الأخشاب من أفريقيا .

وكانت فكرة انشاء خدمات بريدية منتظمة في الكويت موضع دراسة من قبل حكومة الهند الانجليزية منذ سنة ١٩٠٢ بسبب ازدياد دور





صورة لطوابع هندية استعملت في الكويت بتاريخ ٢٢ أكتوبر ١٩٢٢ كما يرى من الختم . وصورة لطابع بريطاني صدر بمناسبة اليوبيل الفضي لزواج الملك جورج السادس وقد طبعت عليه كلمة الكويت بالانجليزية والقيمة وهي ١٥ روبية . أما الصورة السفلى فهي لطوابع بريطانية اعتيادية استعملت في الكويت .





الكويت في التجارة الدولية وموقعها الجغرافي وأهميتها كمركز اتصال بين الهند وبلدان الشرق الأوسط . ولكن تم تأجيل التنفيذ الى ما بعد انشاء خط بحري منتظم ما بين الهند والكويت .

وقد وافقت الحكومة البريطانية على انشاء مكتب بريد في الكويت في فبراير سنة ١٩٠٤ ولكن بقيت الفكرة قيد الدرس الى أن تم تنفيذها بفتح أول مكتب بريد سنة ١٩١٥ . وقد الحق هذا المكتب بمقر المعتمد السياسي البريطاني بالكويت . وتعهدت حكومة الكويت آنذاك وفي عهد الشيخ مبارك الصباح بعدم فتح أية مكاتب بريدية تابعة لدول اخرى في الكويت .



بدأت الخدمات البريدية في الكويت في يناير سنة ١٩١٥ . وقد كانت منذ ذلك التاريخ الى نوفمبر سنة ١٩٤٧ تحت إشراف ادارة البريد الهندية وقد انتقلت الادارة الى باكستان عند تأسيس الأخيرة . واستمرت كذلك من نوفمبر ١٩٤٧ الى مارس سنة ١٩٤٨ . وتولت بريطانيا مهمة ادارة الخدمة البريدية في الكويت ابتداء من أول ابريل عام ١٩٤٨ الى ان تم تحويل الخدمات البريدية الى ادارة البريد في الكويت في أول فبراير سنة ١٩٥٩ .

بداية استعمال الطوابع في الكويت :



● فترة استعمال الطوابع الهندية :

ومع بداية فتح أول مكتب للبريد في الكويت بدأ استعمال الطوابع لأول مرة . وقد استعملت في البداية الطوابع الهندية والتي لم يطبع عليها اسم الكويت . ولا يمكن تمييز هذه الطوابع الا اذا كانت مستعملة فعلاً وذلك من خلال ختم الاستعمال والذي كتبت عليه كلمة « الكويت »



طوابع من أول مجموعة وطنية صدرت في الكويت عام ١٩٥٩ ، وكانت القيمة مكتوبة عليها بالعملة الهندية الجديدة (ناية بيزة) .

بالاضافة الى تاريخ الاستعمال . وكانت الطوابع الهندية المستعملة تحمل صورة الملك ادوار السابع وجورج الخامس .

● بداية تخصيص طوابع للاستعمال بالكويت :

تم تحضير مجموعتين الأولى للبريد والثانية للاستعمال الرسمي في أوائل سنة ١٩٢٣ وذلك بطبع كلمة « Koweit » على الطوابع الهندية وكانت كل مجموعة تتألف من ١٣ طابعاً أصغرها من فئة نصف آنة وأكبرها من فئة ١٥ روبية . وقد طبعت ١٢ مجموعة فقط من هذه الطوابع ولكن هذه المجموعات رفضت بسبب « الخطأ » بالطباعة ، حيث تمت طباعة كلمة الكويت باللغة الفرنسية . ولذلك فان هذه الطوابع لم تستعمل قط وسحبت بعد رفضها .

وتعد هذه المجموعة من أندر المجموعات الكويتية على الاطلاق ، ومن المعروف أن هناك أربع مجموعات منها موجودة ضمن المجموعة الملكية التابعة للعائلة المالكة في بريطانيا والتي تضم أندر المجموعات . اما المجموعات الثماني الأخرى فقد تفرقت بين بعض الهواة المتخصصين وتبعثر البعض الآخر حيث من المعروف أن هناك مجموعتين غير كاملتين ، أما الست مجموعات الباقية فيملكها هواة من بلدان متفرقة . ولا تعتبر هذه المجموعة من اندر المجموعات الكويتية فحسب ، بل من أندر مجموعات الطوابع في العالم حيث أن ثماني مجموعات تعتبر عددا قليلا جداً . وقد قدرت قيمة المجموعة سنة ١٩٨١ بحوالي ٢٠ ألف جنيه استرليني .

● فترة استعمال الطوابع الهندية المطبوع عليها كلمة Kuwait :

بدأت الكويت في استخدام طوابع مخصصة لها رسمياً في أول ابريل من سنة ١٩٢٣ حيث تم طبع كلمة الكويت Kuwait باللغة الانجليزية على الطوابع الهندية . وقد استمر استخدام هذه الطوابع الى الأول من ابريل سنة ١٩٤٨ . وقد صدرت خلال هذه الفترة ٧ مجموعات مختلفة من الطوابع الهندية المطبوع عليها كلمة Kuwait

وكانت قيمة الطابع تتراوح بين نصف آنة الى ١٥ روبية . وكانت هذه الطوابع تحمل صورة الملك جورج الخامس ملك بريطانيا وبعدها جورج السادس . كما ان كثيراً من هذه الطوابع كانت تحمل مناظر مختلفة من البيئة الهندية . وكان بين الاصدارات مجموعة جوية واحدة تتكون من أربعة طوابع تحمل صورة الملك جورج الخامس وطائرة من طراز « هيركيولز » فوق بحيرة . وكان عدد الطوابع التي صدرت خلال هذه الفترة ٦٥ طابعاً بريدياً . هذا وتعد هذه المجموعات من المجموعات الكويتية النادرة وخاصة منها المجموعة الثانية والتي تتكون من ١٥ طابعاً .

● فترة استعمال الطوابع البريطانية المطبوع عليها كلمة Kuwait :

توقف استعمال الكويت لطوابع البريد الهندية سنة ١٩٤٨ وبدأ من هذا التاريخ استعمال الطوابع البريطانية المطبوع عليها كلمة Kuwait وقد استمرت الكويت في استعمال هذه الطوابع الى سنة ١٩٥٩ . وقد صدرت خلال تلك الفترة ١٠ مجموعات . وكانت في البداية تحمل صورة الملك جورج السادس ثم حملت صورة الملكة اليزابيث الثانية ابتداء من عام ١٩٥٢ وكان عدد الطوابع التي صدرت خلال تلك الفترة ٦٧ طابعاً تراوحت فئاتها من نصف آنة الى ١٥ روبية هندية . وكانت القيمة بالروبية الهندية تطبع عليها بجانب اسم الكويت .

● الطوابع الصادرة في عهد المرحوم الشيخ احمد الجابر :

صدرت أول طوابع محلية في الكويت عام ١٩٤٧ . وقد قامت باصدارها سكرتارية حكومة الكويت وهي في الواقع بطاقات صغيرة شبيهة بالطوابع ـ تحمل صورة الشيخ احمد الجابر الصباح ولا تحمل أية قيمة . وصدرت هذه البطاقات بمناسبة الاحتفال بذكرى عيد الجلوس وصدرت في السنتين التاليتين طوابع شبيهة ولكن بألوان مختلفة . وتحمل الطوابع التي صدرت سنة

١٩٤٩ وسنة ١٩٤٧ تواريخ عام ١٣٣٩ هجرية و ١٩٢٠ ميلادية . أما الطابع الذي صدر سنة ١٩٤٨ فيحمل تواريخ ١٣٤٠ هجرية و ١٩٢١ ميلادية وهي التواريخ الصحيحة لتولي الشيخ احمد الجابر حكم البلاد . أما التواريخ المبينة على الطوابع الصادرة في عامي ١٩٤٧ و ١٩٤٩ فهي غير صحيحة .

وكانت ادارة البريد تلصق هذه البطاقات على الرسائل الصادرة والواردة بالرغم من عدم اعتبارها طوابع بريدية .

● البدء باستخدام الطوابع الوطنية :

صدرت أول مجموعة بريد وطنية في الأول من فبراير عام ١٩٥٨ ، وكانت تتكون من ٣ طوابع تحمل صورة المغفور له الشيخ عبد الله السالم الصباح وكانت للاستعمال المحلي فقط وهي من فئة ٥ ناية بيزة و ١٠ ناية بيزة و ٤٠ ناية بيزة . وبعد سنة واحدة من هذا التاريخ أي في أول فبراير عام ١٩٥٩ ومع تسلم ادارة البريد الكويتية مسئولية هذه الخدمة رسمياً ، صدرت مجموعة اخرى تتكون من ١٣ طابعاً أكبرها من فئة ١٠ روبيات لاستخدامها بدلاً من الطوابع البريطانية . وبهذا أصبحت الخدمات البريدية بما فيها مسئولية تصميم واصدار الطوابع تحت الاشراف الكلي لادارة البريد الكويتية .

ومنذ ذلك التاريخ الى الآن بدأت الكويت تعطي اهتماماً خاصاً لتصاميم الطوابع حيث روعي فيها أن تعكس جوانب من البيئة الكويتية . كما تم الاهتمام بالمناسبات الوطنية والقومية والعالمية بالاضافة الى المناسبات الدينية .

وقد صدرت ٢٣٨ مجموعة طوابع بريدية منذ بداية إصدار أول طابع بريد كويتي سنة ١٩٥٨ الى نهاية سنة ١٩٨٢ . ومن هذه المجموعات مجموعتان للبريد المستحق . وكانت أول مجموعة صدرت تحمل صورة المرحوم الشيخ عبد الله السالم الصباح مع بعض المناظر عن البيئة الكويتية . وكانت القيمة مكتوبة على الطابع



بالعملة الهندية . ثم صدرت مجموعة مشابهة سنة ١٩٦١ بنفس الصور ، ولكن غيرت قيمتها الى العملة المحلية الجديدة . وكانت قيمة أصغر طابع فلساً واحداً ، وأكبر طابع ثلاثة دنانير .

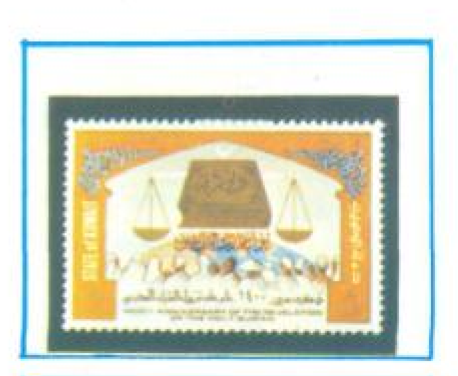
وخلال هذه الفترة صدرت مجموعات عديدة تحمل صور ومناظر مختلفة من الكويت وكذلك صور أمراء الكويت الشيخ عبد الله السالم ، وصباح السالم ، وجابر الأحمد . ومن المجموعات المميزة التي صدرت كانت أربع مجموعات كبيرة تحمل مناظر من بيئة الكويت . وهذه المجموعات هي :

١ ـ مجموعة طيور الكويت وأدوات صيدها وقد صدرت في أول ديسمبر سنة ١٩٧٣ وتتكون من ٣٢ طابعاً .

٢ ـ مجموعة الألعاب الشعبية وقد صدرت في ١٠ يناير ١٩٧٧ وتتكون من ٣٢ طابعاً تصور الألعاب المختلفة التي كانت سائدة في الكويت في الماضي .

٣ ـ مجموعة مصادر المياه بالكويت وتطورها وقد صدرت في ٢٥ يناير ١٩٧٨ وتتكون من ٣٢ طابعاً وتصور طرق نقل وتوزيع المياه بالكويت خلال الفترات المختلفة منذ ان كانت المياه تنقل من الآبار على ظهور البغال الى ان وصلت الى المرحلة الحالية .

وقد صدرت أخيراً في (يناير ١٩٨٣) مجموعة حشائش ونباتات الكويت وهي تتكون من ٥٠ طابعاً وفيها النباتات المختلفة التي تنمو في الكويت .



ولا يفوتنا هنا ان تذكر ان وزارة المواصلات أصدرت في مناسبات كثيرة كتيبات مختلفة تضم معلومات وصورا عن الاصدارات المختلفة في دولة الكويت . كما انها تزود الهواة بقوائم تضم تواريخ الاصدارات المقبلة وذلك مع بداية كل سنة . كما أن هناك مكتباً خاصاً بهواة الطوابع في بريد الصفاة الرئيسي يقوم ببيع الاصدارات الجديدة وأختام أول يوم للاصدار .



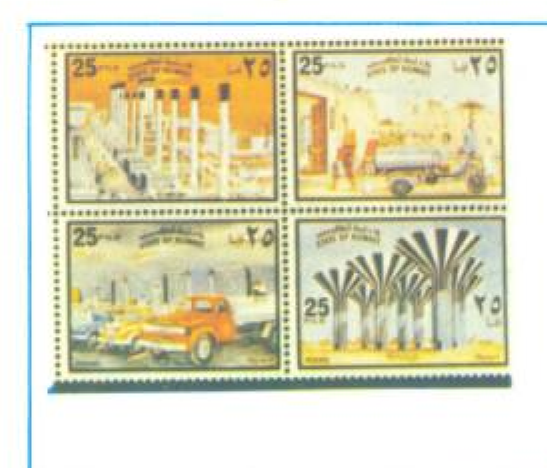
هواية جمع الطوابع :

يجدر بنا أخيراً وبعد سرد هذه النبذة السريعة عن البدء باستعمال الطوابع وتاريخ الخدمات البريدية والطوابع في الكويت أن نسلط الأضواء على هواية جمع الطوابع وبعض الجوانب الأخرى التي تتعلق بذلك .



بدأت هواية جمع الطوابع مع بداية اصدار أول طابع بريدي في بريطانيا عام ١٨٤٠م . وقد نفدت كل الكميات المطبوعة والتي أعدت للبيع في أول يوم للاصدار . وتقول المصادر التي كانت تتولى مسئولية الطبع والتوزيع ان دوائر البريد في ذلك الحين استمرت في طبع كميات هائلة ، وتم تشغيل « المطابع » والموظفين العاملين عليها ليلا ونهارا وبصورة لم تكن متوقعة وذلك للتمكن من تلبية طلبات الزبائن . ويبدو ان شكل وحجم الطابع الذي يحمل صورة الملكة فيكتوريا بالاضافة الى سعره الزهيد قد أغرى كثيراً من الناس للاحتفاظ به .

هذا وقد تطورت الهواية فيما بعد وازدادت اعداد الذين استهوتهم فانتشرت وبسرعة كبيرة في جميع انحاء العالم . وهناك بعض الجوانب التي تستحق التسجيل عندما يتطرق الحديث عن هذه الهواية .









بعض الطوابع التي صدرت بمناسبات وطنية وقومية مختلفة منها مرور مائتي عام على وفاة صباح الأول أول أمير للكويت ، وافتتاح جامعة الكويت ومبنى الجامعة العربية وذكرى مذبحة دير ياسين عام ١٩٤٨ ومرور ١٤٠٠ عام على نزول القرآن الكريم . كما تشاهد صور لمصادر المياه في الكويت قديما وحديثا .





نوعية الطوابع :

كان الهواة في السابق ـ ولاسيما الكلاسيكيون ـ يركزون على جمع الطوابع المستعملة ولكن ذلك ما لبث أن تحول الى جمع الطوابع التي لم يتم استعمالها وذلك لعدة أسباب منها منظر الطابع واحتفاظه بلونه الأصلي وعدم إتلافه بالاختام البريدية وكذلك آثار غسله بالماء عندما يكون مستعملاً ويراد نزعه من على الظرف المستعمل عليه ، بالاضافة الى ندرة الطوابع غير المستعملة لتلك الفترة .

جودة الطابع :

يهتم الهواة بجودة الطابع من حيث نظافته من أية أوساخ عالقة به وبوجود الصمغ الأصلي خلفه كما يهتمون باكتمال اضراس الشرشرة فيه حيث ان فقدان او تلف واحد من الأضراس يؤدي الى انخفاض قيمة الطابع بالنسبة للهاوي . ومن مميزات الطابع الجيد ان تكون طباعته في الوسط أو المركز . وهناك كثيراً من الهواة يهتم بجمع الطوابع المستعملة وهي لا تزال ملتصقة على المظروف الأصلي الذي استعملت عليه حيث ان هذا النوع من المظاريف ذات الطوابع القديمة تعتبر من الندرة بمكان وتقدر أثمانها بمبالغ مرتفعة .

طابع بريد بمليون دولار :

ليس من الضروري ان يكون الطابع قديماً ليرتفع سعره اذ ان تاريخ الاصدار هو أحد العوامل الرئيسية في ارتفاع سعر الطابع ولكنه ليس العامل الوحيد . فهناك مثلا طوابع صدرت في بريطانيا في عام ١٨٦٠ ولكن أسعارها لا تزال منخفضة جداً بالرغم من مرور أكثر من ١٢٠ عاماً على صدورها . والسبب في ذلك هو توفر اعداد كبيرة جداً منها حيث ان هذه الطوابع كانت تطبع بالملايين . لذلك فان ندرة الطابع هي الأساس في تحديد سعره . فهناك طوابع من عهد فيكتوريا ملكة بريطانيا ولا تزال تباع بأسعار لا تتعدى البنسات القليلة التي قد لا يصل سعرها أكثر من ربع دينار بينما هناك طوابع نادرة لم يمر على صدورها عشرون أو ثلاثون عاما بينما بيعت بأسعار خيالية بسبب ندرتها . ومثال ذلك طابع مستعمرة انتارتك البريطانية والذي صدر سنة ١٩٦٩ بقيمة جنيه واحد والذي بيع حديثاً بمبلغ ٢٤٠ جنيهاً مما يعني أن قيمته ارتفعت ٢٤٠ مرة في ظرف عشرين عاماً تقريباً .

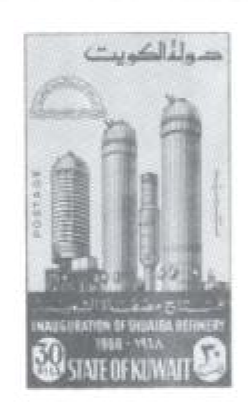
أما بالنسبة لطوابع الكويت فتعتبر المجموعة الهندية المطبوع عليها كلمة **Koweit** والتي تم سحبها من أندر المجموعات وقد قدرت قيمتها بحوالي ٢٠ ألف جنيه استرليني سنة ١٩٨١ . أما طوابع الدول العربية الأخرى فتعتبر مجموعة الملك فؤاد المصرية الصادرة عام ١٩٢٦ بمناسبة تدشين بور فؤاد من أندر وأغلى الطوابع المصرية ، كما ان مجموعة الملك فيصل الأول العراقية والتي صدرت عام ١٩٣١ تعتبر من النوادر . وهناك مجموعة سعودية صدرت بمناسبة تعيين الأمير سعود ولياً للعهد سنة ١٩٣٣ وهي من المجموعات النادرة أيضاً .

هذا ويعتبر أغلى طابع حتى الآن هو طابع مستعمرة غيانا البريطانية والذي بيع في منتصف السبعينيات بمبلغ ٩٣٠ ألف دولار . أما الآن فتقدر قيمته بأكثر من مليون دولار .

وتقوم معظم الدول بطباعة طوابعها على ورق معين به علامات مائية مميزة يصعب تقليدها منعاً







آثار جزيرة فيلكا ومصفاة الشعيبة وخريطة الكويت .

للتزييف . ويلاحظ ان كثيراً من الدول تضع شعاراتها بالعلامة المائية على ورق الطباعة . وهذا تقليد قديم لا زال متبعاً في كثير من الدول .

تجميع الأخطـــاء :

يهتم الهواة بجمع الطوابع ذات الأخطاء غير المقصودة وهي كثيرة ومتنوعة . فمنها مثلاً سقوط احد الألوان من الطابع أو اختفاء الأحرف أو الكلمات من بعض الطوابع أو طباعة المعلومات بالخطأ كالتاريخ مثلاً وما شابه . كما ان هناك أخطاء من نوع آخر وهي ظهور طوابع غير مشرشرة نتيجة لعدم قص الورقة أو (الفرخ) الذي تطبع عليه الطوابع في المكان المناسب وبالتالي ظهور الطوابع متلاصقة لا تفصلها الاسنان (الشرشرة) ، كذلك فانه في بعض الأحيان تتم عملية القص في غير المكان المطلوب أي في منتصف الصورة بالطابع مما يجعله في شكل غير طبيعي وبالتالي يكون عرضة لتصيد الهواة .

وتعتبر هذه الأخطاء في الأحوال الاعتيادية من النوادر التي يصعب الحصول عليها اذ ان دوائر البريد لا تلبث ان تسحب في الحال كل هذه الأنواع من الأخطاء ، وبالتالي فان توفرها عادة يكون في منتهى الصعوبة . لذلك فاننا نجد ان أسعار الطوابع ذات الأخطاء مرتفعة جداً اذ ان الهواة يتصيدونها ويدفعون مقابل ذلك أموالاً طائلة .

عمليات التزييف :

من المعروف ان هناك جهات تقوم بتزييف الطوابع النادرة حيث ان أسعار هذه الطوابع تغري من يبحث عن طرق ملتوية للكسب غير المشروع . لذلك يتحتم على من يريد اقتناء الطوابع النادرة ذات الأسعار المرتفعة التأكد منها قبل شرائها وذلك عن طريق شرائها من أماكن معروفة . وزيادة في التأكد فهناك جهات متخصصة تقوم بدراسة الطوابع المقدمة لها لفحصها والتأكد منها مقابل أتعاب تساوي نسبة معينة من قيمة الطابع . وتصدر هذه الجهة شهادة إثبات (Certificate) بأن الطابع أصلي وغير مزيف . ومن أشهر الجهات « الجمعية الملكية لهواية جمع الطوابع بلندن » . كما أن هناك جمعيات مشابهة في معظم دول أوربا وأمريكا . وتعتبر هذه الشهادة من الضرورات التي لا يمكن الاستغناء عنها عندما يتم شراء المجموعات النادرة . ◯



الحداثة والقدم في لقطة من الجو ، وجسر يربط بين المنامة العاصمة الجديدة والمحرق العاصمة القديمة . .

جسور البحرين



استطلاع : مصطفى نبيل

تصوير : أوسكار متري

مضينا على الطريق في الكويت الى مسقط ووصلنا الى البحرين ، محطتنا الثانية . . تملك البحرين ـ تلك الجزيرة الصغيرة ـ أهم الثروات ، تملك الانسان ، الذي تشغله هموم المستقبل ، ويبحث عن دور لبلاده حتى يستمر عطاؤه لها ولأمته العربية .

ولكي تبقى البحرين على الدوام واحة في الصحراء العربية المجدبة . . .

وصلنا الى البحرين عن طريق العبارة التي نقلتنا من المنطقة الشرقية في رحلة ممتعة ذات مذاق خاص ، وكان لابد لنا أن نصل مبكرين الى ميناء الخبر لكي نضمن مكانا على أول عبارة ، والعبّارة ليست مثل تلك التي تنقل الراكب وسيارته في يسر على ظهر باخرة حديثة ، بل هي إحدى المراكب الخشبية القديمة التي يطلق عليها « البوم » بعد أن يستبدل بالشراع القديم محرك حديث . .

ولكل عبارة صاحبها الذي يديرها بنفسه ، انه ينتظر حتى يكتمل عدد الركاب ، ثم ينتظر الركاب بدورهم الانتهاء من اجراءات الجوازات ، وعندما يظهر رجال الجوازات حاملين جوازات الركاب ، عندها تبدأ بشائر الاقلاع . .

تستغرق المسافة بين الخبر والمنامة مايزيد عن الساعتين ، وهذه المسافة ستقطعها السيارة في أقل من عشرين دقيقة بعد استكمال مشروع الجسر عام ١٩٨٦ ، وعندها ستصبح العبّارة جزءا من صور الماضي ، وستختفي مثل المراكب الشراعية التي كانت تقطع نفس الرحلة من العقير حتى البحرين ، ومثل قوافل الجمال التي كانت تعبر الصحراء واختفت اليوم أو كادت . !

تنفصل النساء عن الرجال داخل العبارة ، فقد أعدوا للنساء مكانا خاصا ، ويجلس بقية الركاب في مجموعات على أرض المركب حاملين معهم أدوات التسلية المختلفة ، البعض يحمل عدة القهوة المرة ، والبعض الآخر يحمل مسجله الذي يصدح بألحانه المفضلة ، ولا يطلب منك أحد أجرة العبور الا في وسط البحر . .

تلحظ أن العبّارة وسيلة محببة لدى الكثير من الأجانب الذين يبحثون عن كل قديم له طعم خاص ، وتتهادى العبّارة مبتعدة عن الشاطىء يصاحبها حفيف الهواء وهو يهمس في أذن الصباح ، وأخذنا نتطلع الى صيادي الأسماك لدى عودتهم وقد دُهشنا بلون الخليج وطبيعة الحياة على سواحله . .

تظهر الخبر في بانوراما تضم الميناء والمدينة الحديثة والمباني الضخمة ، وعندما نبتعد أكثر يرتفع الموج ويتطاير رذاذ مياه الخليج ويصل الى الركاب فينعشهم ، وقبل النهاية يختار كل راكب مكانه في هدوء ، وينصرف الى خياله وأحلامه وتأملاته ، ويخف الضجيج ويتحول الكلام الى همس ، ولا تكاد تسمع سوى خرير الماء . .

أستجمع في ذهني معلوماتي حول البحرين التي تتكون من ٣٣ جزيرة ، بعضها غير مسكونة وتقع في الوسط بين الساحل الشرقي للسعودية والساحل الغربي لقطر ، وكان اسمها يطلق قديما على منطقة تمتد من كاظمة حتى عمان ، ومع الأيام توارى الاسم واقتصر على جزر البحرين وحدها . .

يظهر شاطىء البحرين من بعيد ، وترى بساتين النخيل والعبّارة تسير محاذية للشاطىء الشمالي للجزيرة ، ونقترب منها فتظهر هادئة وادعة تتتابع مناظرها كشريط سينمائي ، ترى خلاله البيوت العتيقة والعمارات الجديدة . .



أحد مجالس النساء في قاعة بيت عربي قديم ، وتستمر عادة مجالس القهوة التي تعقدها النساء حتى اليوم .

كان يجلس بجواري عدد من أهل البحرين يتعرفون باعتزاز واضح على كل مبنى نمر عليه ، ويشتد احتفاؤهم بأحد المباني ، الذي عرفت أنه أقدم مدرسة ثانوية قامت في الجزيرة وقضى أحدهم أحلى أيام عمره طالبا فيها ، ومضى يحدثني عن هذه الأيام .

وأخيرا وصلنا الى البحرين التي كان يطلق عليها في الماضي اسم دلمون أي الجنة الخالدة .

بين المنامة والمحرق

قمت بجولة سريعة في شوارع المنامة وأسواقها وحدائقها ، التقيت بالأهالي في المجالس والمقاهي ، وأخذت أستمع الى آرائهم وأحلامهم ، أبحث عن سر البحرين ، وكأنني تحولت الى جهاز رصد أتابع ماحولي ، فما أضيق الجزيرة ومـاأوسع قلبها ، أقتفي أثر مذاقها الخاص ، وسبب ذلك الرصيد من المحبة والتقدير الذي يتمتع به أهلها .

أهم مايميزها تلك المقاهي التي يجتمع فيها البحارة والصيادون ، والى جوارهم مراكبهم الخشبية التي يتم تجديدها وصيانتها بين الحين والحين ، جذبتني البيوت العتيقة التي مازالت قائمة في العديد من أزقة المحرق ـ العاصمة القديمة ـ وزرت قصر الشيخ عيسى وبيت سيارى الذي تحول الى متحف كنموذج للبيت البحريني القديم ، تميزه السقوف المنقوشة ، والأبواب الخشبية المحفورة ، والتهوية التي تستمد من فتحات علوية ، كل ما فيه على ذوق فني رفيع ، ويعلن عن حالة الرخاء التي كانت تعيشها الجزيرة .



يربط مشروع جسر البحرين بين الساحل السعودي وجزيرة البحرين .

ولقطة للجزيرة الصناعية والأجزاء التي تم تنفيذها من المشروع .

ولابد لزائر البحرين أن يتوقف عند اللون الاخضر الذي تتوسطه العيون ، مثل عين عزارى التي أصبحت مكانا للترويح عن الاهالي المكدودين .

والبحرين هي « بلد الجسور » ويمكن ان نطلق عليها هذا الاسم ، حيث يرتبط العديد من جزرها بواسطة جسور بالجزيرة الام ، فتصل جزيرة المحرق شرقي المنامة عبر جسر يبلغ طوله ٢,٤ كيلومتر ، ويوجد بها أكبر تجمع سكاني كما تضم المطار الدولي والحوض الجاف ، ويفضل الكثيرون سكناها لطيب هوائها ، وحملتنا السيارة عبر جسر آخر الى جزيرتي حالة النعيم وحالة السلطة ، وكان يسكن الأولى تجار اللؤلؤ في عصرهم الذهبي ، وشاهدنا في جزيرة حالة السلطة مشروعا اسكانيا جديدا .

كما ترتبط جزيرة سترة الواقعة شرقي البحرين بجسر آخر الى الجزيرة الام ، وهي تضم مصفاة تكرير النفط وخزاناته الكبيرة ، وترتبط جزيرة سترة أيضا بجزيرة تقع شمالها هي جزيرة النبي صالح ، وتوجت جسورها العديدة ، بجسر البحرين - السعودية الذي سيربط البحرين بالجزيرة العربية ، كما يربط جزيرة أم النعسان بالجزيرة الأم .

انهم يردمون البحر

وتقوم أحياء السفارات والبنوك والفنادق الحديثة والناطقة بالثراء ، بردم شواطىء البحر الضحلة ويتجه التوسع نحو البحر والباعث على ذلك الرغبة في الحفاظ على الأحياء القديمة ، ففي شارع واحد تستطيع أن ترى تطورات العمارة ، أحد البيوت بطرازه القديم ، والى جواره البيوت التي شيدت بالأسمنت المسلح بعد الاستقلال ، ثم عمارات لها طابع أوربي ، بريطاني أو ايطالي ، وأخيرا البنايات الحديثة ذات الطابع الأمريكي والياباني طبقا لآخر صيحات العمارة وتكنولوجيتها الحديثة . . !

وفي العاصمة وحدها يعيش مايزيد عن نصف سكان البحرين ، ورغم ذلك لا تشعر بالزحام الذي تلحظه في أغلب العواصم العربية ، وأكثر المناطق جاذبية في العاصمة هي مكتب البريد الذي يتوسطها ، وتلتقي عنده الشوارع القادمة من الأسواق ، وأكثر هذه الاسواق تميزا هو سوق الصفافير - سوق المنامة القديمة - الذي يضم بعضا من حرفها القديمة ، ويعرضون منتجات صناعة الخوص والفخار التي مازالت قائمة في بعض القرى ، وفي الطريق اليه ترى ماتبقى من تجارة اللؤلؤ بأسعاره التي تحلق في السماء ، هنا بقايا « صناعة الواحة » عندما كانت البحرين واحة منطقة الخليج ، يقوم بها مجتمع زراعي مستقر ، يعمل أهلها بالزراعة أو الصيد أو التجارة . .

ويحتار الزائر . . . هل معالم العتاقة والقدم ، ومناظر البساتين والعيون هي التي تضفي على البحرين طابعها الخاص ، أم هي طبيعة أهلها في هذا المجتمع الزراعي الذي ورث أبناؤه مهاراتهم عن آبائهم الذين انطلقوا يتاجرون مع الجزيرة العربية ، يوم كانت بلادهم معبرا الى الاحساء ونجد ، ومع كل من الهند وايران . . ؟

ومما لا شك فيه أن عمق تاريخها هو الذي دفع أهلها للاعتزاز بالقديم والسعي للحفاظ عليه

عبقرية المكان

من الملفت ان المستقبل هو الشغل الشاغل لأهلها ، فكيف يمكن أن تحافظ البحرين على أمتها كدولة صغيرة تعيش في عالم من الحيتان ، وكيف تحافظ على دور مميز لها في عالم عاصف تتلاطم فيه الأمواج . . ؟!

يبدأ الجميع تفكيرهم من عبقرية موقعها واستراتيجية موضعها ، وكيف يبقى اضافة لأهلها وليس عبئا عليهم ، فالموقع مثل الوقت

معلومات أساسية

المساحة : ٦٦١ كيلو مترا مربعا ، وتشمل ٣٣ جزيرة .
الجزيرة الرئيسية طولها ٤٨ كيلو مترا وعرضها ١٦ كيلو مترا .

التعداد : آخر احصاء عام ١٩٨١ يبلغ ٣٥٨ ألفا و ٨٥٧ نسمة منهم ١٤٢ ألفا و ٧٧٦ أجنبيا .
الدخل : ما زال النفط المصدر الرئيسي للدخل ، واكتشف عام ١٩٣٢ .
أهم الصناعات : الالمنيوم .

محايد ان لم تقطعه قطعك ، ما لم تملأه هدده سواك ، وإن لم يعادله دور يحميه فهو في خطر . . !

والتاريخ ترجمة أمينة لأهمية الموقع . . . . كانت البحرين على الدوام مطمع الفاتحين ومر عليها غزاة كثيرون ، تتوالى الأسماء . . . . . الاسكندر الأكبر ، كسرى ، جنكيز خان ، تيمورلنك ، وفي العصر الحديث البرتغاليون ثم البريطانيون ، الذين اتخذوها رأس جسر لهم في المنطقة بأسرها ، ومن جانب آخر كانت محور العديد من الصراعات الاقليمية في المنطقة ، وهي اليوم تكاد تكون ترمومتر الاطماع ، تبدأ منها اتجاهات الريح . .

ولا غرابة فهي نقطة وسط في الخليج ، وهي نقطة وسط أيضا بين مراكز المال في أوربا والشرق الاقصى ، واشار الريحاني الى خصوصية موقعها بقوله : « ليس بين مسقط والبصره أجل من مركز هذه الجزيرة ، وليس أصلح منها للتجارة ، وللدفاع فهي تتوسط الخليج في زاوية حصينة . . »

وانعكست أهمية الموقع على جولاتي ومشاهداتي ، وجاءت أطراف منه على لسان كل من التقيت به . .

جسر البحرين

واحدى الصور التى تعتبر ترجمة كاملة لأهمية الموقع هى مشروع الجسر بين البحرين والسعودية ، وقد زرنا مشروع الجسر ، عن طريق البحر خلال رحلتنا من الخبر الى المنامة ، وعن طريق البر ، فقد كان على رأس برنامجنا ، وأخيرا من الجو فى جولتنا بالطائرة الهيلوكوبتر .

ان ذلك المشروع من النوع الذى سيكون له أبلغ الاثار على حياة البحرين ومستقبلها ، وهو من المشروعات التى يكثر حولها الجدل ، منذ أن كان فكرة وحتى بداية تنفيذه ، وهو مرة أخرى من المشروعات التى نحن فى مسيس الحاجة اليها فى المنطقة العربية ، لأنه سيحول البحرين من جزيرة معزولة يحيطها البحر ، الى أرض ترتبط رباطا ماديا وعضويا بدول مجلس التعاون الخليجى ، وهو المدخل الصحيح لوضع شعار الوحدة موضع التنفيذ . .

ظهرت فكرة المشروع الى النور فى عام ١٩٧٥ ، عندما قدم البنك الدولى دراسة اقتصادية وهندسية حوله ، استعرض خلالها عوامل الجغرافيا والبيئة والتيارات البحرية ، وبعدها تحول الى مناقصة عالمية اشتركت فيها الشركات العالمية .

ويكاد يكون من أضخم المشاريع فى المنطقة العربية ، فيبلغ طوله خمسة وعشرين كيلو مترا ، ويستفيد المشروع من الجزر التى فى مساره ، ومن ضحالة المياه فى الكثير من اجزائها .

وتقام الجسور فوق المناطق التى يصل عمق المياه فيها الى ١٣ مترا ، أما ما بينها فيكتفى بردمه ، فيتكون من خمسة جسور يبلغ طولها ١٢

جزر ثلاث يربطها طريق ، البحرين ، وحالة السلطة وحالة النعيم .



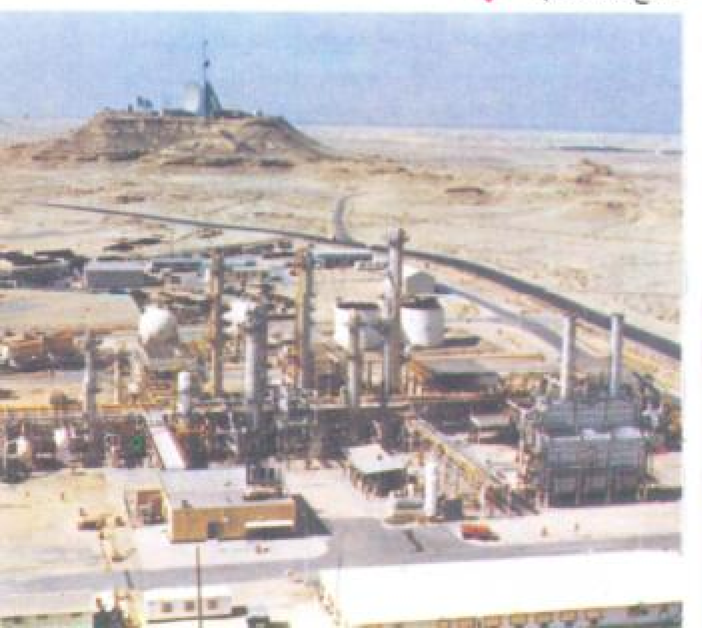


العبارة تنقل إحدى السيارات الى المنامة ، والتي ستحول الى ذكريات الماضي بعد اتمام الجسر ، ثم العبارة وهي تقترب من المنامة .

لقطة للحوض الجاف . (الى أسفل) .



مصنع ألبا للألمنيوم .



كيلومترا ، تصل بينها سبع ردميات يبلغ طولها عشرة كيلومترات ، ويمر على جزيرة أم النعسان ، ويبدأ من قرية الجسرة البحرانية حتى العزيزية السعودية التى تبعد حوالى ستة كيلومترات عن مدينة الخبر . .

وعند قرية الجسرة تلتقى بالمراحل الاولى للمشروع ، الطريق الذى يصل الى جزيرة أم النعسان ، وطوله ثلاثة كيلومترات حتى الجزيرة الصناعية التى اقيمت على حافة الجزيرة ، ولن تستمر كما كانت مخصصة لبعض مظاهر الحياة البرية ، والتى يأتى اليها هواة الصيد ، حيث تنتشر بها الظباء والارانب البرية والعديد من الحيوانات . .

فوق الجزيرة الصناعية معسكر عمل كامل ، له ميناء خاص ، ومعمل لتحلية المياه ومساكن ونوادٍ للعمال ، وتقوم الرافعات الضخمة ، والاوناش وقواعد للعمل وسط وتحت المياه ، يضع جميع العمال والفنيين غطاء الرأس الواقى ، وينظم العمل عقل الكترونى يتصل بالعديد من أجهزة الكمبيوتر . .

العمال من كافة الجنسيات ، ولا يوجد سوى القليل من ابناء البلاد ، مما يحرمهم من اكتساب خبرة هذا المشروع الكبير ، وكان من الممكن تجنب ذلك لو نصت العقود على نسبة من العمال المحليين والعرب ، وهو ما تحقق فى مصر عند بناء سد أسوان العالى . .

ويشمل مشروع الجسر محطة لطائرات الهيلوكبتر ، ومطاعم للمسافرين ، ومركزا للحدود والجمارك . .

ويفترض ان ينتهى العمل فيه يوم ٢٠ يناير عام ١٩٨٦ ، وتبلغ تكاليفه ٥٦٤ مليون دولار ، أما اذا اضفنا اليها تكاليف المشاريع المساعدة مثل الطرق وغيرها فسوف تصل فى مجموعها الى بليون و ٢٠٠ الف مليون دولار ، تقوم بتمويله السعودية . .

وبعد اتمامه يمكن ان تخرج بسيارتك من البحرين وتصل الى أى عاصمة أوربية .

تجارة الترانزيت

وهو مثل كل المشاريع الكبيرة تتعدد فيه الآراء ، يتفق الجميع على أنه سيدعم دور البحرين كمركز مالى ، ويزيد من قدرتها على القيام بتجارة الترانزيت بينها وبين دول مجلس التعاون ، وليس بعيدا ذلك اليوم الذى يبدأ فيه مشروع فى البحرين ويبنى بحديد أحد مصانع الكويت واسمنت من الامارات ونحاس من عمان وهكذا . .

وهو مثل الكثير من الاعمال المادية التى لها تأثير كبير على العادات الاجتماعية والقيم السائدة ، فكما كان للسيارة والقطار والطائرة ، أبلغ الاثر على عادات وسلوك البشر ، فما هو تأثير الجسر المتوقع على حياة أهل البحرين . . ؟ !

فمثلاً سبق ونوقش فى الصحف البريطانية مشروع اقامة نفق عبر المانش يربط الجزيرة البريطانية بأوربا ، وكان المعارضون يتخوفون على تميز الجزيرة البريطانية وتأثيرات الدول الاوروبية عليها ، رغم عضوية بريطانيا فى دول السوق الاوربية المشتركة . . !

ويتساءل البعض : كيف تصبح الحياة فى الجزيرة مع تزايد عدد السيارات التى يمكن ان تدخل الجزيرة عبر الجسر ، وأثر ذلك على العادات والتقاليد فوق الجزيرة ؟

ويرد أحد المسئولين بقوله : « لن نسمح بدخول السيارات الى الجزيرة فسيترك كل صاحب سيارة ، سيارته فى موقف خاص ، ويتجول بالمواصلات المحلية . . »

وتتوالى الآراء حول الجسر خلال جولاتنا . .

البحرين من الجو

والنظرة من أعلى تساعد على مشاهدة

الكليات ولكيلا نغرق فى التفاصيل ، وهى بداية التأمل ، لذا كانت آخر جولاتنا عندما حلقنا بطائرة هليوكوبتر من مطار فى وسط المنامة ، وكان قائدها أحد شباب البحرين وهو مهنا النعيمى الذى قدم لنا معونة وشرح لنا كل ما نريد معرفته ، الطائرة أمريكية الصنع ، صغيرة الحجم ، آمنة ومريحة ، يعرف قائدها كيف يتحكم فيها . .

حلقنا بها فوق مدن البحرين وجزرها وقراها .

وشاهدنا جزيرة جدة على يمين الجسر ، التى يقوم فيها سجن البحرين ، وأخذنا نتنقل بين الحوض الجاف ومدينة عوالى ، مدينة النفط التى أقيمت على الطراز الاوروبى وتشبه الظهران فى السعودية والأحمدى فى الكويت وشاهدنا مرفأ سلمان بمعداته الحديثة ، ومدينة عيسى ، ومصنع الالمنيوم ، وأخذنا نتابع المآذن والبساتين التى تتركز شمال الجزيرة ، وبعد انتهاء الجولة شعرنا أننا مؤهلون لنظرة عامة على دور البحرين ومستقبلها . .

مكان تحت الشمس

يهتم أهل البحرين بالمستقبل ، ويبحثون عن صيغة تتوافق مع تطلعاتهم ووجدنا عدة مدارس لكل منها تصور خاص للمستقبل ، تقوم تصوراتهم على الانسان والمكان ، أى التاريخ والجغرافيا ، وأيها أبقى . . ؟

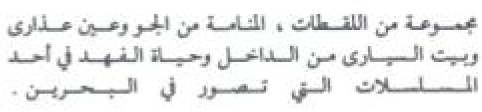
كانت البحرين من أوائل الدول التى تم فيها اكتشاف النفط ، ولكن الاحتياطات ضئيلة ، والانتاج لايزيد عن خمسة آلاف برميل يوميا ، وعليها ان تعود من جديد وتعتمد على قدرات أهلها كمجتمع زراعى مستقر عمل أهله بالتجارة وصيد اللؤلؤ ، وتلجأ من جديد لعبقرية مكانها ، وتستغل ميزاتها التاريخية ، عندما كانت سباقة الى التعليم الحديث ، وكانت مدرسة الهداية أول مدرسة عصرية تفتح فى دول الخليج ، وكان أول مدير لها الشيخ حافظ وهبة المصرى الذى طرده الانجليز ، وأحدث التعليم المبكر آثاره فى البحرين ، وفتحت مدارس الفتيات وتنامى دور المرأة فى الحياة الاجتماعية للبلاد . .

كما تمتعت البحرين على الدوام بحركة وطنية نشيطة ، تجاوبت مع الأحداث العربية ، فتشكلت قوة رمزية من أبناء البحرين لتشارك فى حرب فلسطين وصد الغزو الصهيونى فى عام ١٩٤٨ ، وهب شعب البحرين خلال العدوان الثلاثى وقام بمظاهرات تندد بالمعتدين ، ولاقت الثورة الجزائرية التأييد بصور عديدة بين عامى ١٩٥٤ و ١٩٦٨ . . وكانت دائما فى قلب الأحداث العربية . .

وعكست صحفها التى صدرت فى الثلاثينات حيوية شعبها ، وتقليب صفحات صوت البحرين التي أصدرها السيد عبد الرحمن الباكر عام ١٩٤٩ يكشف ذلك ، وأثر تأثيرا كبيرا فى حياة البحرين ، وكانت الصحيفة ملتقى الافكار العربية ، تردد على صفحاتها صيحات التجديد ، وافكار العروبة وآمالها .

بلد النخيل

وتعالت الصيحات تطالب بالعودة للاهتمام بالزراعة ، ولكن يبدو أنه ليست « العبارة » وحدها التي ستتحول الى جزء من الماضي ، وليس صيد اللؤلؤ أيضا الذي أصبح جزءا من الماضي ، وانما أيضا ينابيع المياه والعيون بعد ارتفاع استهلاك المياه خلال العامين الماضيين من ٥ ملايين جالون في اليوم الى ٢٠ مليون جالون بالاضافة الى زيادة الآبار الارتوازية ، مما أصبح



مجموعة من اللقطات ، المنامة من الجو وعين عذارى وبيت السيارى من الداخل وحياة الفهد في أحد المسلسلات التي تصور في البحرين .







يهدد تلك العيون بارتفاع نسبة الملوحة فيها . .

وظهرت مشكلة قطع أشجار النخيل رغم كل محاولات الحكومة للحفاظ عليها وتقديم الدعم لأصحاب البساتين ، فأخذ الكثيرون يهجرون المزارع ويتجهون الى العمل في الأعمال التجارية . .

وللدكتور يوسف الشيراوي وزير التنمية والصناعة رأي واضح ، فهو يقرر أنه لا مستقبل للبحرين في الزراعة ، وعليها الحفاظ على اللون الأخضر كجزء من الحفاظ على البيئة .

اذن فلتعمل البحرين على أن تتحول الى أحد المراكز الصناعية ، وبالفعل شاهدنا أهم حوض جاف لبناء السفن في المنطقة وكان قد بدأ بمحطة صغيرة لاصلاح السفن عام ١٩٥٤ ، وشاهدنا أحد أكبر مصانع الالمنيوم وقد أقامته شركة ألبا في الستينات . . . وبدأ مجمع الالمنيوم يستخدم الغاز الطبيعي .

ووصل الانتاج عام ١٩٧٧ الى ٢٠ ألف طن ، وساهمت فيه السعودية بنسبة ٢٪ من رأس المال ، وتساهم الحكومة بنسبة ٥٧,٩٪ من رأس المال .

وشهدت البحرين مصنع البتروكيماويات ومعامل تكرير النفط الذي يصله النفط الخام عن طريق خط الأنابيب من الشاطيء السعودي في محاذاة مشروع الجسر . .

ورغم كل ذلك تواجه الصناعة في البحرين مشاكل نقل التكنولوجيا وندرة المواد الخام ، كما تواجه مشكلة النقل ، ويكفي أن تعرف أن تكاليف النقل البحري بين البحرين والخبر تصل الى مستوى أعلى من النقل بين البحرين واليابان بسبب استمرار استخدام البواخر القديمة والصغيرة ، والذي يمكن لها أن تختفي بعد استكمال الجسر .

المركز المالي

وبقي للبحرين دور ينتظرها هو استمرار لدورها القديم ، كأحد مراكز اعادة التصدير ، خاصة بعد أن أصبحت منطقة الخليج أحد أهم المراكز المالية ، وأمام البحرين نماذج هنج كنج ، وسنغافورة كمراكز مالية رغم نقص مصادرها الطبيعية ، وبالفعل سعت البحرين لكي تكون مركزا ماليا منذ عام ١٩٧٥ وقام العديد من البنوك العالمية بفتح فروع لها ، وصاحب ذلك قيام أحدث شبكة اتصالات خارجية عن طريق الأقمار الصناعية ، ولتطويرها تم رصد مبلغ ٣٤٠ مليون دولار بين عامي ١٩٨٠ و ١٩٨٥ . وقد ساهم نجاحها في أن تكون مركزا ماليا .

وهكذا أصبحت البحرين أهم القنوات على العالم الخارجي ، بعد أن انتقل العديد من فروع البنوك والشركات من بيروت اليها بعد أحداث لبنان الدامية . . .

وفي اطار دعم اتصالاتها بالعالم ، قامت ٢٧ شركة طيران بمد خطوطها اليها ، ووجدت البنوك في عبقرية المكان نقطة جذب هامة لأعمالها ، وأصبحت البنوك التي لديها فروع في البحرين تتمتع بامتياز العمل يومي السبت والاحد ، وأضاف اليها اختلاف التوقيت عدة ساعات قبل سنغافورة ، وعدة ساعات أخرى بعد لندن ، وعلق بعض الاقتصاديين على تأثير انخفاض انتاج وأسعار النفط ، وعلى أزمة سوق المناخ في الكويت والذي امتد تأثيرها الى البحرين بالقول : « ساعدت قوة اقتصاد البحرين على التغلب على المصاعب ، فلدى فروع البنوك أصول تبلغ ٦٠ بليون دولار ، وهي أكبر مما لدى سنغافورة ويساوى تقريبا مع هنج كنج ، وجاءت المصاعب بعد عشر سنوات من الوفرة ، وحان الوقت لرفع كفاءة الأوضاع الاقتصادية واعادة تخطيط المشروعات على أسس



يقول الدكتور علي فخرو وزير التربية والتعليم :
« تخلت دول الخليج للبحرين لتحتل دورها كمركز مالي في المنطقة بأسرها »

سليمة ، والعودة الى معدلات الربح الطبيعية ، انها نقلة ضرورية جاءت في الوقت المناسب . .

وبدأت محاولات لرفع مستوى مهارة الاهالي ، عن طريق التدريب ، ولعل قطاع البنوك يقدم صورة عن الجهود المبذولة في هذا المجال . .

يبلغ عدد العاملين في البنوك ثلاثة آلاف وستمائة عامل ، يصل عدد أبناء البلاد منهم الى ١٩٠٠ عامل نصفهم من النساء ، وهذه النسبة تمثل ٢٪ من القوى العاملة في البحرين .

دور بلا مزاحمة

وفي جلسة طويلة مع الدكتور علي فخرو أحدى الشخصيات العامة ووزير التعليم (ومن أوائل الأطباء) في البحرين ، قال : تحيط بالبحرين دول غنية ، وحصلت البحرين على دورها في اطار المؤسسات المشتركة ، وتخلت دول الخليج عن طيب خاطر للبحرين لتقوم بدورها بلا مزاحمة كمركز مالي . .

ولكني أرى أن البحرين يجب أن تصبح بلدا للخدمات ذات المستوى الرفيع فالخدمات أنواع ، والخدمات التي أنشدها هي تلك التي يقوم بها العلماء والفنيون والمهندسون ، مما يتطلب الاهتمام بالتعليم ، وعندها يتحول هذا البلد الصغير ليلعب دورا كبيرا ، ولا أتفق مع المطالبين بجعل البحرين بلدا سياحيا ، الا اذا كانت السياحة الثقافية ، أما ذلك النوع من السياحة الذي كان أحد أسباب تدمير لبنان فهذا علينا أن نتجنبه ، وهنا أؤكد على الجوانب الايجابية لجسر البحرين ، فهو يؤكد الهوية العربية والارتباط بالوطن العربي ، عندما يرتبط اقتصاد البحرين بالمنطقة الشرقية ، ويبقى علينا معالجة السلبيات . .

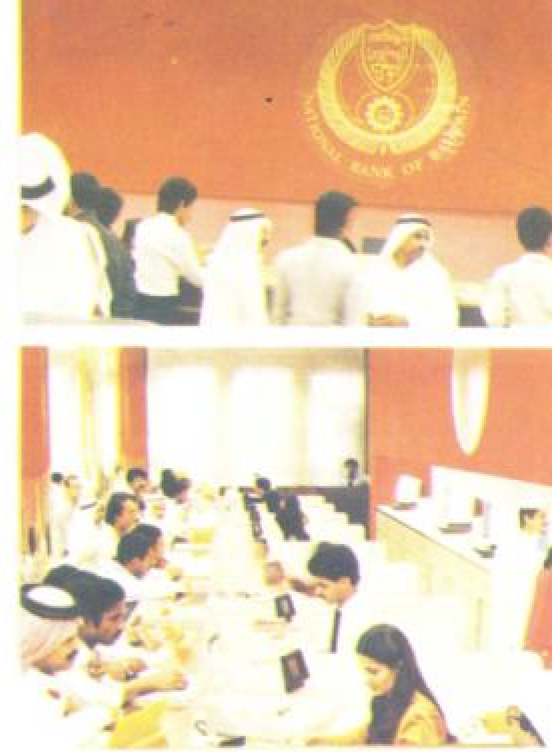
الى أن يقول :



« أهل البحرين يعتزون بمحبة أبناء الخليج »
هذا ما يردده طارق المؤيد وزير الاعلام .



من مركز لصيد اللؤلؤ
وتسويقه الى مركز مالي .





جانب من السوق الذي يقود الى مكتب البريد . (الى أعلى) .

العيون والبساتين جعلت من البحرين واحة الخليج . (الى اليمين) .

« وتحويل البحرين كمجتمع خدمات ، ليس بزيادة الأموال ، وانما بدورها الحضاري الثقافي الفعال ، ولا يمكن لهذا الدور أن يظهر الا اذا قاده المثقفون ، ولدينا الأمثلة فالسويد التي يصل تعداد أهلها ٨ ملايين لها دور رئيسي في أوروبا ، وسنغافورة ذلك البلد الصغير تلعب دورا أساسيا في آسيا . .

« وهذا ما تهدف اليه خطة التعليم » . . .

١ ـ نتجه في نظام التعليم الابتدائي الى تغيير جذري ، ينقلنا من التلقين الى صقل شخصية الطفل وتنمية ملكاته ، وسيكتمل برنامجنا خلال سبع سنوات ، وخصصنا له ٥٠ مليون دولار .

٢ ـ الزمنا أنفسنا بالقضاء على الأمية خلال نهاية هذا القرن كحد أقصى .

٣ ـ يرتبط التعليم الثانوي بحاجات المجتمع ، فأصبح ٦٠٪ من الطلبة يتجهون الى تخصصات فنية ، و ٤٠٪ يلتحقون بالدراسات الأكاديمية العامة .

وهذه هي خطواتنا على طريق طويل . . . »

مجلس التعاون

وقدم مجلس التعاون الخليجي الفرصة كاملة لكي تقوم البحرين بدورها ، عندما قدمت لأبنائها فرصة العمل في دول المجلس ، وتمتد أعمال البنوك وشركات التأمين في البحرين الى كل دول المجلس ، كما اتخذ المجلس قرارا بأن تقوم مشروعاته المشتركة في كل من البحرين وعمان . ومن ناحية أخرى يقوم مجلس التعاون بمنع الازدواجية في المشروعات الرئيسية والانتقال بها من التنافس الذي كان عليه الحال في السبعينات الى التكامل ، ولم تعد البحرين الدولة الصغيرة بل قويت بكل دول مجلس التعاون .

وقال لي السيد طارق المؤيد وزير الاعلام عندما ذهبت للقائه في مكتبه « أهل البحرين يعتزون بمحبة أبناء الخليج لهم أكثر من اعتزازهم بالنفط أو بالتعليم فالمعروف أن كلا من السعودية والكويت تفضل التعامل مع البنوك والشركات التي لها فروع في البحرين أكثر من تعاملها مع مراكزها الرئيسية ، وأغلب مشاريعنا الاقتصادية ما هي الا مشاريع خليجية مشتركة ، قامت لأسباب وجدانية أكثر مما هي اقتصادية ، وأردد مع الشاعر غازي القصيبي قوله :

درب من العشق لا درب من الحجر
هذا الذي أوصل الواحات للجزر

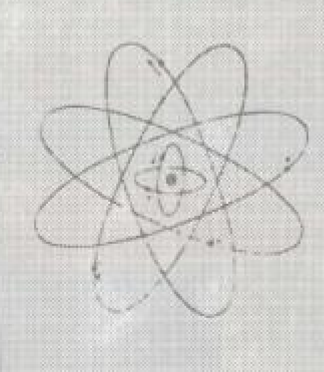
وأضاف ، تستفيد البحرين من كونها مركزا ماليا من ثلاثة عناصر ، تعطى المصارف والشركات في بلادنا سمعة دولية ، كما تستأجر هذه المؤسسات أماكن لها ، وأخيرا توظف الشباب المثقف بمرتبات مجزية . .

وسيكون لجسر البحرين أثر بالغ الأهمية بقيام السوق العربية الواحدة ، التي لا تتم الا بحركة نقل عظيمة ومتطورة ، والجسر بهذا المعنى مفتاح لحركة اقتصادية واسعة ، يرجع عائدها على الجميع ، أما التخوف من السياحة فذلك عندما تأتي مجموعات لها عادات وتقاليد مختلفة ، ولكن السياحة التي نسعى اليها بين دول المنطقة ذات التقاليد الواحدة ، ودعني أكرر أن البحرين لن تكون مكانا للهو ، ولكنها ستبقى دائما مكانا للعائلات الخليجية والعربية ، وهذا ما نستعد له . . . »

وبعد

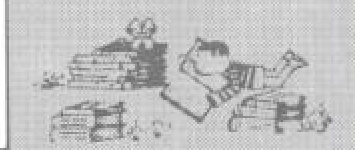
فهذا بعض ما شاهدت وسمعت وسجلت في البحرين ، يمكن تلخيصها في تفكير عميق وسعي حثيث نحو المستقبل ، وودعتها وأنا أحمل لها أصدق الذكريات ، وأغلى الصداقات ○

الجديد في العلم والطب



اعـداد :

يـوسف زعبلاوي





الضحك

كان الضحك موضع اهتمام علماء النفس منذ البدء .. وقد اجتمعوا على انه مفيد ، ولكنهم لم يضيفوا الى ذلك اية معلومات تذكر .. اذ غالبا ماكانت ابحاثهم تحليلية .. تقتل جوهر الضحك بقدر ماحرصت على تشريحه ..

ولكن اهتمام العلماء بالضحك اتجه اتجاها آخر في أواسط السبعينيات فقد نجح احد المحررين الصحفيين «كوزنز» (cousins) الذي كان يعاني من آفة انحلالية في عموده الفقري ، نجح في معالجة تلك الآفة بالضحك .. أو ان شئت شفى نفسه منها ضحكا .. كما كان يردد في المقالات التي نشرها في هذا الصدد .

وذهب اكثر الاطباء أنذاك الى التشكيك في كلام كوزنز ، الا ان بعضهم اخذ أقواله على محمل الجد وراح يولي - بيولوجيا - الضحك مزيدا من اهتمامه .

وجاءت السنة الماضية (١٩٨٢) فـعـقـدت ندوة الضحك فيها (في شهر سبتمبر منها) وذلك في العاصمة الامريكية واشنطن . وكانت حصيلة ابحاث تلك الندوة ومناقشاتها الكتاب المعد للنشر في هذه السنة (١٩٨٣) في جزأين .. وبعنوان :

Handbook of Humour Research اي (مختصر ابحاث الدعابة)

فقد بات العلماء يسلمون بأن الضحك ذو فوائد كثيرة .. تشبه كثيرا فوائد الرياضة البدنية . من ذلك أن عضلات البطن والصدر

والاكتاف وغيرها تتقلص لدى الضحك والتاءه ثم لا تلبث ان ترتخي لدى انتهائه . فهذا الارتخاء من بعد تقلص قد يشفى من بعض انواع الصداع . كذلك يرتفع ضغط دم الضاحك وتزداد نبضات قلبه حتى اذا فرغ من ضحكته ، هبط الضغط وتباطأ القلب دون المستوى العادي . . وفي ذلك دليل على أن حدة التوتر قد خفت بسبب الضحك . ومعنى هذا ان الضحك يمكن ان يسهم في اطالة العمر . . بقدر ما يستطيع التخفيف من حالات التوتر والعصاب . .

ويصف الدكتور وليم فراي (من جامعة ستانفورد) الضحك ويقول : « انه كالركض تماما ولكنه ركض على الواقف » . على أن للضحك آثارا كيماوية في غاية الاهمية . . فهو يرفع نسبة الادرنالين في الدم . . ويغمر المخ بمواد البتا ـ الاندروفين - Beta endrophines وهي التي يغمره بها الركض .

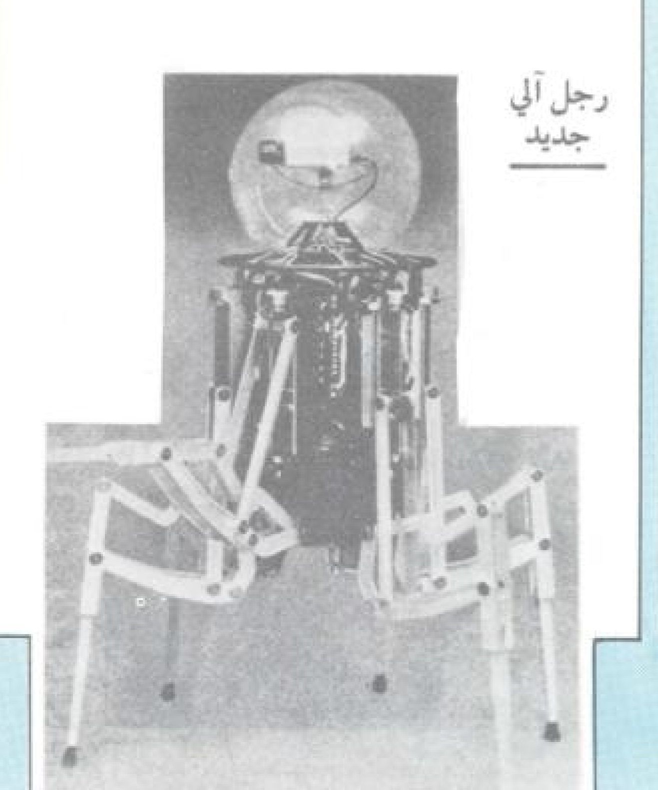
وهذه المواد مخدرات طبيعية وتعتبر المسؤولة عن ارتفاع المعنويات . ومن طريف ما يذكر ان النصف الايمن من المخ هو مركز الضحك . . وان الذين يتلف فيهم هذا النصف لسبب او لاخر يفقدون روح الدعابة . . فيعجزون عن مداعبة الاخرين ويعجزون ايضا عن تحسس الطرافة في دعابات الغير وعن الاستجابة لها . .

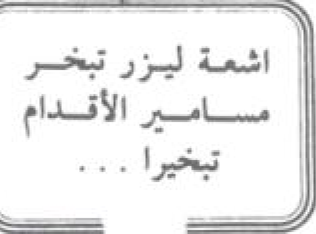


السينما والفيديو معا . . .

نجحت شركة سوني اليابانية المعروفة في تطوير جهاز يجمع بين الكاميرا والمسجل في آن معا . . ولا يزن هذا الجهاز سوى ٥،٥ أرطال ، ويستطيع تسجيل مشاهد حية لمدة ٣ ساعات . . ويستطيع كذلك عرض ما سجله على الكاست (١/٢ بوصة) على الفور . . وفي مقدور هذا الجهاز نفسه القيام بالتصوير السينمائي . . ولايحتاج للقيام بذلك الا للبطارية الخاصة (١،٥ رطل) التي توضع في مكانها من المقبض .

رجل آلي جديد





الأقدام ابحث على الاعجاب فسيولوجيا من الأيدي . . فالقدم عضو عجيب حقا من أعضاء جسم الانسان كما يقول الدكتور ف . وليم فاجنر ، مدير مستوصف الاقدام في جامعة لوس انجلوس . . « ذلك ان القدم تخضع الى أطنان وأطنان من الضغط كل يوم . . دون ان ينال ذلك من قدرتها على امتصاص الصدمات ولا على تجديد قواها . . ونشاطها . . فهي فريدة في ذلك بين أعضاء الجسم كلها . .

أضف الى ذلك أن القدم تحفة رائعة في نظر علم الجلد der-matology اذ ان سمك الجلد في أسفلها يبلغ ١٠ اضعاف ما يبلغه في أية جهة اخرى . . وهي تحفة رائعة في نظر علم التجبير . . فهي تحتوي على مجموعة كبيرة من العظام والمفاصل . . ولعل بعض هذه وتلك مازال مجهولا لم يكتشفه الطب حتى الآن .

والعناية بالأقدام هي من اختصاص « خبراء الأقدام » أي chiropodists وهم خبراء مأذونون لا أطباء وقد وقف فنهم في الماضي عند مسامير القدم واقتصر عملهم على ازالة هذه المسامير . . ولكن فنهم قفز قفزة كبيرة قبل حوالي ٢٥ سنة حين سمى نفسه باسم آخر هو (podiatry) ثم قفز قفزة اخرى أكبر من الاولى في السبعينيات حين انتشرت هواية الركض . . فقد اكتشف العداءون مع الايام أن خبراء القدم podiatrists يفوقون الاطباء معرفة بالقدم .

وكانت قفزة فن هؤلاء الخبراء الثالثة في الأجهزة الدقيقة التي اخترعوها لمعالجة القدم . . واحد هذه الاجهزة عبارة عن مخدات متصلة بكمبيوتر . . وتتحسس الضغط الذي يتعرض له أسفل القدم . . ويحدد موضع الألم . . ويحدد اسبابه ايضا . .

وثمة جهاز آخر يعتمد على اشعة ليزر في معالجة مسامير الاقدام . . فمن شأن هذا الجهاز ان يبخر المسمار في أقل من ثانية ويشفي القدم منه شفاء تاما . .

يمتاز هذا (الروبوت) بقدرته على المشي ، وتخطي العقبات التي قد تعترض سبيله . . ويمتاز أيضا بقدرته على التسلق . . والسر في ذلك انما يكمن في سيقانه المصنوعة من ألمنيوم . . . فهي كثيرة . . ستة . . وذات مقاطع ومفصلات كثيرة . (انظر الصورة)

أضف الى ذلك القوة والرشاقة اللتين يتمتع بهما الروبوت الجديد ـ واسمه أودكس الأول ـ فكل ساق من سيقانه قادرة على رفع ما قد تبلغ زنته ٤٥٠ رطلا . . . أما الآلة ككل فتستطيع حمل ١٨٠٠ رطل . . لقول « حمل » ولا نقول « نقل » . . فالنقل أشق من الحمل ، نظرا لأنه حمل وسير في آن معا . . وطاقة أودكس الأول على النقل لا تجاوز ١٠٠٠ رطل . ومما يذكر عن رشاقته أنه استطاع الصعود الى قاعدة مرتفعة والوقوف عليها بثبات ، بالرغم من صغر تلك القاعدة التي لم يزد قطرها على ٢٤ بوصة . .

هذا وأودكس الأول يصنع وفق المواصفات التي يحددها أصحاب العلاقة . . . وذلك لأداء المهمة التي يراد له القيام بها . . التعدين مثلا أو أعمال الجمارك . . أو المراقبة العسكرية أو أعمال الصيانة الى آخر ماهنالك . .



البطاقة الأخيرة

بقلم : فاطمة جمال الدين

انها البطاقة الاخيرة :

(السيدة آن فيشر ٧٥ فشاوده رود .. بروملي ـ كنت) .

قبل أن اطرق الباب لنقف سويا ، انت وأنا ، لكي احكي لك من اكون :

ساعي بريد .. أجل ... ساعي بريد ولكن ليس كما في بلدنا بالضبط .. انا ساعي بريد لمدة اسبوع واحد لا غير !! فقط في عيد الميلاد ورأس السنة .. في الاصل أنا طالب أدرس الهندسة المعمارية في مدينة صغيرة تدعى « بروملي » من مقاطعة (كنت) في انجلترا وكليتي يتعطل فيها الدوام لمدة خمسة عشر يوما بمناسبة عيد الميلاد ورأس السنة .

في بلاد الضباب كان الضجر يقتلني .. بلا كليتي أحس بأنني قد أضعت أشياء كثيرة ... أو بأنني شجرة عجوز مقطوعة الجذور ، لا تمت للأرض بصلة . فمن المسلي جدا ما كان يحدث لي كل سنة ، أن أكون ساعي بريد ولمدة أسبوع واحد لا غير .. كان الأجر مغريا .. مضاعفا لأنها أيام أعياد .

وها أنا انهي كل ما علي .. وزعت كل ما في جعبتي من أفراح .. ولم يبق في جعبتي سوى هذه البطاقة الأخيرة .. انها للسيدة آن فيشر ٧٥ فشاوده رود

معذرة نسيت أن اخبرك عن اسمي ، انني ادعى (سامي) وعمري خمسة وعشرون . طرقت الباب .. انتظرت طويلا .. وانا اهم بان اضع البطاقة في ثقب الباب الذي اعد لهذا الغرض .. اجل وانا اهم بذلك انفتح الباب .

هالو .. هالو ..

منزل السيدة آن فيشر ... اجل ... انه هو بالضبط .. هذه البطاقة لك ياسيدتي ...

وأشرق وجهها باشراقة كبيرة :

لا شك انها من ابني (جورج) انه يتذكرني .. انا دائما كنت اقول انه ولد طيب



للغاية .. وها هو يبعث لي هذه البطاقة الجميلة بعد ست سنوات .

وراحت عيناها تلتهم السطور

انه يسلم فيها علي .. ويخبرني انه قد تزوج وان لديه الآن ولدا وبنتا .. كم انت طيب ياجورج .. واغرورقت عيناها بالدموع :

« عفوا سيدي .. اتستطيع ان تشرب معي فنجانا من القهوة .. بضع دقائق ليس غير !! انا وحيدة مع شجرة عيد الميلاد .. اجل ياسيدي انك ستجدني وحيدة . يمكنك ان تكون كريما معي .. وانا اجزم انك لن تندم على ذلك ابدا .. أن تسعد الآخرين ... لا ندم في ذلك البتة .

كانت تتوسل بي في خوف كبير .. وكان من الوضوح انه لم يكن ثمة متسع لأن ارفض دعوتها .. وانت تنظر الى وجهها الحزين ... لم يكن بامكانك ان تفعل غير ما فعلت .

وبلا تردد كنت الج الباب الى الداخل .

وبعد ان اطمأننت الى انني جالس في مكاني كما ينبغي ذهبت لتعد القهوة .

وجلسنا نحتسي قهوتنا .. لذيذة كانت قهوتها .. كان الفنجان يرتجف بين اصابعها وراحت عيناها ترقباني من فوق حافة الفنجان .

يمكنك ان تتناول العشاء معي ، فقد عملت لعيد الميلاد (كمكه لذيذة) وهناك شريحة من اللحم يمكنني أن ادعك تقاسمني اياها ، وانا راضية تمام الرضا .. وثمة قطع من البطاطا المحمرة ... ثم انني قد اشتريت صباح الأمس زجاجة من الويسكي . يمكنك ان تقاسمني كل هذا عن طيب خاطر طبعا .. وليس من الانصاف ابدا أن تدعني أقضي عيد الميلاد وانا وحدي .. أؤكد لن يرضيك هذا البتة .. الوحدة قاسية ، ولكن هذا ما كان يجب أن يحدث ان عاجلا أو آجلا .

لك ما تشائين ياسيدة (آن) ..

ان زجاجة الويسكي وحدها تكفي ، فان الجو كما ترين بارد للغاية ، وهذه الثلوج اللعينة مافتئت تهطل على لندن منذ حوالي الاسبوعين ، لاشك أن زجاجة الويسكي ستمنحنا دفئا لذيذا .

افهم من هذا انك قد قبلت دعوتي .

اجل ياسيدة آن اجل ، نقضي عيد الميلاد انت وانا .. وسوف يكون هذا ممتعا حقا .

وانا احكي لها .. كنت المح اطياف سعادة ترفرف على وجهها البائس .. وكنت احس - وانا اراها هكذا - بانني سعيد ، وسعيد للغاية .. ثم احتواني شعور أكيد بانني املك اشياء كثيرة .. وانه يمكنني ان اعطي بعضها .

كانت آن سعيدة الى درجة جعلتني وانا انظر اليها بأنني انظر الى امرأة اخرى .. اجل اخرى غير تلك التي فتحت لي الباب .. لم تكن قبيحة ابدا .. كان لون خديها يضج بعافية لا تخفى على عين ، وان كان يعوز عينيها شيء من العمق .. أخذ كل شيء فيها يتسم بفرحة ساذجة الملامح .. طفلة بالرغم من انها كانت قد تعدت الخمسين !!

واعدت المائدة .. مائدة صغيرة بسيطة .. شريحة لحم واحدة .. ثم اصابع من البطاطا المحمرة ، صحن صغير به كمية لا بأس بها من السلطة ، وبضع قطع من الكيك .. ولم تنس آن أن تضع زجاجة الويسكي في صدر المائدة .

وأكلنا معا .. ما كنت اطمع قط أن آكل مثل هذا على مائدة آن .. وانتهينا من تناول الطعام .

هيا .. هيا لنرقص يا ....

اسمي : سامي ياسيدة آن .

لنرقص باسامي .. ورقصنا ... كانت خطواتها رشيقة .. وكانت تتحرك بسهولة ويسر واحسستها تنام على كتفي باستكانة بينما راح « البيك آب » يرسل الينا بانغام الفالس الحالمة .

لم اكن ارغب ان ازيحها عن كتفي ، خصوصا وانا استشعر اهتزازاتها المتتالية ، ولم يفتني قط ان اعرف أن (آن) كانت تبكي .. ساعتها أحسست بأني أمتلك كل حنان العالم وانني لا يمكنني ان ابخل على آن بحفنة منه ، احسست بانني استطيع معها أن اكون كريما لدرجة بعيدة فقد راحت أصابعي تمر على وجهها المغضون لتزيل عنه آثار الدموع .. ثم تروح ذات اليد تمر على الشعر الأبيض بحنان لا يعرف الزيف ابدا .

وراحت هي تقبل يدي بصمت .. ما كان يجب أن يحدث هذا .. أن تقبل آن يدي ... انه شيء كبير قد احس أمامه بأنني مذنب .. ولم استطع ساعتها فعل أي شيء فقد تركتها تقبل يدي ولم احس لهذا ضجرا .

ومن خلال دموعها كانت تهمس : سامي ، لاشك أنك ستعود ثانية من أجل (آن العزيزة) . ولا تنس قط أنك منحتني وقتا سعيدا رائعا ما كنت احلم به ابدا ، انا اشكرك ياسامي .. ولن انسى هذه الليلة ابدا .. سأقتات عليها ياسامي عمرا طويلا .. قل قل : انك ستعود ثانية ... وان لم يحدث هذا فسيقتل الألم (آن) العزيزة .. معك تنكرت للخوف ، لم أعد خائفة . صدق هذا .. لم اعد خائفة .. سأفكر فيك يوميا .. ليس معنى هذا أن اقلق

عليك . . ابدا . . انا اعرف ان هناك فرقا كبيرا بين ان نقلق وان نفكر . . سافكر فيك يوميا .

ثم راحت تهمس :

لقد عاش معي طويلا . . وطويلا جدا . . ثلاثين سنة ، ولكني لم اشعر ولو لساعة واحدة اني ضجرة معه ، ولكنه رحل . . مات . . ولم يحبني احد غيره ، لم اكن كما تراني الآن . . . كنت جميلة ، ويمكنك ان تضيف الى هذا انني كنت ذكية ومثقفة . . هذا ما كان يردده زوجي على مسمعي دائما . . وكنت اسعد لهذا كثيرا .

وأحسست أن صوتي تبعثر في حنجرتي وانا اقول لها :

انك ما زلت جميلة يا آن . . وأنا معك أحس بأنني سعيد الى درجة كبيرة .

انت ترى ان الجميع قد قذفوني بازدراء ، تماما كما يقذفون التراب عن اشيائهم الثمينة ، ولكنهم لم ينسوني تماما ، فها انت قد حملت لي بطاقة جورج . . ولدي جورج . . دائما كنت اقول انه لن ينساني ، انه ولد طيب ، وها هي بطاقته تقول انه قد تزوج ، وان لديه طفلا وطفلة . . . ولد طيب جورج للغاية . . فبعد ست سنوات لم ينس آن ، لم ينسها .

وان لدي ياسيدي ابنة . . انها جميلة مثلي تماما عندما كنت صغيرة ، ربما شبعت هي الأخرى بطاقة ما لتخبرني كيف هي الآن ، فانا لم اتسلم منها شيئا منذ رحلت . . كان ذلك قبل اربعة اعوام ، قبل أن تسافر معه الى (جامايكا) . . . كان لديها طفلان . . ولا أدري اذا ما كان قد تزوجها ام لا ؟ ان الأمر لا يعنيني شيئا البتة !! المهم أن تكون سعيدة تماما معه . . وهو قد وعدها بالزواج . . ان اولادها على درجة كبيرة من السواد مثل ابيهم تماما . . ولكنهم ودودون الى ابعد الحدود .

كم احلم ان تبعث لي بطاقة صغيرة . . لا تقول لي فيها اي شيء . . . مجرد بطاقة تجعلني احس بانني لست منبوذة الى هذه الدرجة . . وهنا . . هنا نحن لا نطمع باكثر من هذا ابدا . . مجرد بطاقة تعني لدينا الشيء الكثير .

ستكون انت بالذات من يحمل لي هذه البطاقة . . ستعود من اجل البطاقة ، وليس من اجل آن المسكينة .

ابدا ياسيدتي . . . ساعرف طريقي اليك من دون البطاقة . . استطيع ان اؤكد لك ذلك .

ورفعت الى طرفا كبيرا ، ولما وجدت الصدق في ملامحي . . فجأة وبسرعة اذهلتني ، كانت تطرح عن كاهلها عبء السنين ، وفجأة ايضا بدت امامي في ميعة الصبا ، وخيل الي آنذاك انها في منتهى الجمال والروعة !!

ورحت صادقا اقول لها : اواه لازلت جميلة يا آن .

شكرا ياسيدي شكرا .

في نهاية الاسبوع ستجدني اطرق بابك ثانية ، هكذا ثانية وبدون ان اكون (ساعي بريد) يا آن العزيزة .

وصمتت . . كفت فجأة عن الحديث ، وماجت في عينيها هموم كثيرة . . ولكن تلك الهموم كانت تلملم بعضها وترحل :

آواه ياسامي ، انني سعيدة . . لقد كنت مستاءة وتعسة . . حتى لقد خيل الي اشياء كثيرة : انني قبيحة مثلا ، عجوز في احيان كثيرة . . ولكنني استطيع الان ان أؤكد انني كنت على ضلال كبير . . لن انزوي بعد هذا ، ولن اشعر بالذلة ايضا . . لن اسمح لها ان تجللني كامرأة قبيحة . . وقبيحة منذ أمد طويل .

خائفة بعد رحيلك أنا . . ربما سأشعر ان ما حدث لم يكن سوى سراب في سراب وما انا الا واهمة كبيرة . . .

ورحت أشد على يدها مشجعا : ابدا ياآن ابدا .

الى اللقاء . . الى اللقاء .

كان وقتا مشرقا رغم دجى الليل

لم اشعر وانا اعدها بانني أخادع ، أو انني لا اعني ما أقول .

هبْ أن كل الناسْ إخوتك فعاملهم بالحسنى

بقلم : محمد خليفة التونسي

من أكثر العبارات ترددا على الألسنة خلال مناقشة المشكلات ، والبحث عن حلول لها ـ عبارة « هب أن الأمر كذا » فهذه العبارة يقولها المرء ، ليتجه هو ويوجه غيره الى الحلول الممكنة ، ومقدار الاحتمال في كل حال ونتيجته .

وربما كنا في هذا العصر أكثر ترديدا لهذه العبارة ونحوها ، لانتشار ضعف اليقين بيننا في أنفسنا وفيما حولنا . وكلما ضعف اليقين في شيء كثرت الشكوك والاحتمالات فيه ، واحتاج المرء الى استعراض الفروض والاحتمالات في ذهنه واحدا بعد واحد ، والمضي مع كل احتمال حتى نهايته لمعرفة نتائجه ، كي يستريح من شكوكه كلها أو بعضها .

وهنا نسأل عن صحة هذه العبارة « هب أن الأمر كذا » بعض اللغويين والنحاة ينكرون هذه العبارة ، ونحن لم نتتبع تاريخ انكارها ، وأقدم من عرفناه من منكريها هو ابن سيده (٤٥٨هـ) فيما نقل عنه صاحب لسان العرب (مادة « وهب » موافقا له في رأيه ، فهو يوجب في فعل الأمر « هب » ان يلحق الضمير المتصل به فيقال : « هبني فعلت ذلك » أي احسبني واعددني ، ويخطىء عبارة « هب اني فعلت ذلك » لأن هذا الفعل عنده لا يدخل على أنّ ومعموليها .

وبعد ابن سيده يأتي الحريري (٤٤٦ - ٥١٦هـ) فيوافقه على هذا الرأي ويعقب عليه ابن هشام اللخمي (٥٧٧هـ) في كتابه « المدخل الى تقويم اللسان »[1] ، ليقول : « يقولون : (هب اني فعلت) و (هب أنه فعل) والصواب الحاق الضمير المتصل به ، فيقال ، هبني فعلت ، وهبه فعل ، كما قال الشاعر :

هبيني يامعذبتي ـ أسأتُ
وبالهجران قبلكمُ بدأتُ
فأين الفضل منك ، فدتك نفسي
عليّ اذا أسأتُ كما أسأتُ

ومعنى هبني : عُدّني واحسبني ، فكأن فيه معنى الأمر من « وهب » كذا حكى الحريري في (درة الغواص) ويرد عليه بقول أبي العلاء المعري : وهو

فهب أني دعوتك للتصافي
على غير المعتقة الشمول

وأبو العلاء ، وان كان لا يحتج بشعره فانه يحتج

بعلمه ، لأنه كان اماما في اللغة نهاية في الثقة » هذا نص مايقوله اللخمي في كتابه »

وهذا رد كاف ، ولكن أقدم من المعري رحمه الله ـ مما يعزز صوابه ـ قول بعض العرب في زمان عمر بن الخطاب حين سألوه قسمة ميراث لهم ، وتسمى هذه المسألة « المشركة » أو « الحمارية » وخلاصتها كما رواها ابن قدامة الحنبلي وابن منظور[٢] ان امرأة توفيت عن زوج ، وأم ، واخوة لأم ، واخوة أشقاء (لأب ولأم) فحكم عمر للزوج بالنصف وللأم بالسدس ، وللاخوة لأم بالثلث ، ولم يعط الاشقاء شيئا لأنهم عصبة ، والعصبة تأخذ بقية الميراث ، ولا بقية هنا .

فقال الأشقاء « هب ان أبانا كان حمارا ، فأشركنا بقرابة أمنا » فأشرك بينهم في الثلث ، ومن هنا سميت « الفريضة المشرّكة » ، أو الحمارية وفي رواية القاموس وتاج العروس . . « هب أبانا حمارا » .

من هنا نعرف أن فعل الأمر « هب » يدخل على الضمير المتصل فيقال هبني ، وهبه ، وهبهم ، كما يدخل على أن ومعموليها فيقال « هب ان كل الناس اخوتك » ويدخل على مفعوليه مباشرة ، فيقال : « هب كل الناس اخوتك » .

ثم اننا نفترض اننا لم نقف على بيت المعري ولا على نص الفريضة المشرّكة ، أليس هناك وجه لتصويب عبارة « هب اني فعلت كذا »

هناك وجه لا شك فيه ، فان فعل الامر « هب » من اخوات ظن التي تنصب مفعولين . فاذا رجعنا الى هذه الافعال في كتب النحو المطولة وجدنا بعض هذه الافعال تسمى « قلبية » لأن معانيها تقوم بالقلب ، ومنها وجد ألفي ، رأى ، ظن ، حسب ، عدّ ، تعلم ، هب ، وكلها أفعال متصرفة : يأتي منها الماضي والمضارع والامر ، لتنصب مفعولين ، الا الفعلين الاخيرين : تعلمْ ، وهب فهما جامدان ! ولا يستعملان هكذا الا أن يكون كلاهما للأمر .

والمتصرف والجامد من هذه الافعال يدخل على المفعولين مباشرة سواء كان أولها ضميرا متصلا أو غيره ، فيقال مثلا : احسبني أخاك ، واحسب عليا أخاك ، وتسد أن ومعمولاها مسد المفعولين فيقال : احسب أن عليا أخوك

والفعل « هب » بمعنى « احسب » فهو يقاس عليه في كل استعمالاته ، وان كان (هب) لا يستعمل هكذا الا وهو فعل أمر ، وعلى ذلك يصح ادخاله على أن ومعموليها كما جاء في بيت المعري وكما جاء في المسألة المشرّكة في احدى رواياتها. أو تنصب المفعولين بالفعل مباشرة كما في قول عبدالله بن همام السَّلُوليّ (في العصر الاموي)

فقلت : أجرني أبا خالد
والا فهبني امرأ هالكا

ولا يحتج بأن « احسب » متصرف ، يأتي منه الماضي والمضارع (حسب ، يحسب) كما جاء منه الأمر ، على حين أن « هب » فعل أمر جامد ، فالجمود والتصرف هنا لا شأن لها في العمل ، وكلا الفعلين قلبي ينصب مفعولين أو يدخل على أن ومعموليها اللذين يسدان مسد المفعولين ، وقد علمنا مما تقدم ان هناك فعلا قلبيا آخر جامدا هو « تعلّم » بمعنى اعلم ، وهو مع ذلك يدخل على أن ومعموليها أيضا كقول زهير بن أبي سلمى :

فقلت : « تعلم أن للصيد غرة
والا تضيعها فانك قاتله »

---

(١) القسم الثالث المنشور في مجلة (المورد) العراقية ، المجلة ١١ العدد ١ سنة ١٩٨٢ « تحقيق الدكتور حاتم صالح الضامن كلية الآداب ـ بغداد » .

(٢) انظر كتاب « المغني » في الفقه الحنبلي ٢١/٧ ، ولسان العرب : مادة « شرك »

(٣) « القاموس » وشرحه « تاج العروس » : مادة (حمر)

(٤) أي أن للصيد غفلة فان انتهزتها تمكنت منه .

السمكة والصياد

بقلم : صفوت كمال

○ سعادة الانسان تكمن في وجوده مع غيره

○ الرزق يمكث بالعمل .

روى لنا الراوون - فيما - رووه من حكايات شعبية - أمورا عجيبة وأخبارا غريبة عن عالم البحر وكائناته .. منها ما يشبه بعض ما يعرفه الانسان من أشكال الحياة على أرضه - ومنها ما يفوق الخيال ..

وتروي الحكايات فيما ترويه . أحداثا يفيض بها عالم البحر . وتتعدد وتتنوع تلك الاحداث والاوصاف بتعدد وتنوع أشكال العمل الذي يمارسه الانسان في البحر .. سواء أكان ذلك في رحلاته الى بلاد بعيدة للتجارة .. أم في غوصه في الأعماق لجمع اللؤلؤ وحصاد المرجان .. الى غير ذلك من كنوز البحر ، التي لايعرفها غير من خبر خبرة الغواصين وعرف أسرار البحر ومكامن غموضه .

كما تصف الحكايات ما في البحر من أسماك عديدة ، وأنواع عجيبة ، ذوات أشكال تفوق الوصف . فمنها ما يطير كالطيور . ومنها ما هو في لون الزهور وأشكالها .. ومنها ما يبعث الرجفة في القلوب التي في الصدور .. مما يشبه الوحوش والغيلان .. ومنها ما يماثل الانسان بل قد يفوق جمال الانسان .. ومنها ما يتحدث بلغة الانسان .. وبكل لسان في أحسن بيان - بل ويدرك ما يدور في خلد الانسان دون كلام .. ومنها ما يجمع في خلقته بين عالم الانسان وعالم الجان أو الحيوان .. ولها من القدرة ما يفوق قدرة مارد من نار .. وسبحان الذي جعل من الماء كل شيء حي .. وفجر في البحر ينابيع الماء العذب بين طيات الماء الأجاج .. والعبرة بالعين التي تبصر ، والنفس التي تدرك سرّا من هذه الأسرار ..



حكاية الصياد

وتتنوع الحكايات ، تتناقلها ذاكرة الناس في أكثر من مكان عن عالم البحر وما فيه من أسرار .. فتروى حكاية صياد سمك ، ذهب الى البحر كعادته في كل يوم ليصطاد رزقه من البحر ويبيع ما يحصل عليه من سمك .. وبثمن السمك يشتري قوت يومه وحاجيات زوجه وعياله . وفي يوم من الأيام ، دون تحديد لزمان أو مكان ، يذهب الصياد الى البحر ، ويرمي شباكه عسى أن يرزقه الله برزقه ورزق عياله . ولكن ، ظل طوال يومه يرمي شباكه ويسحبها فلا يجد فيها شيئا ..

تعب الصياد وكاد أن يلملم شباكه ، فقد قاربت الشمس على المغيب ، وقد أنهكه التعب ، ودب اليأس في قلبه . ولكنه لم يهن ، وقال « لنفسه » : سأرمي الشباك في البحر هذه المرة وستكون الأخيرة .

ألقى الصياد بشبكته الى الماء ، وهو مصر على أن تكون هذه المرة ، آخر مرة ، ودعا الله أن يرزقه هذه المرة بقوت عياله .

وفعلا ، وجد الشبكة وهو يسحبها من الماء ثقيلة ، وحينما أخرجها من الماء وجد بها سمكة كبيرة جميلة الشكل متعددة الألوان .

فرح الصياد برؤية السمكة ، وفكر في أن يذهب الى السوق ويبيعها ، وبثمنها يشتري طعاما لأولاده . ولكنه خاف أن يذهب الى السوق ، والليل قد اقترب فلا يجد في السوق من يشتريها . فقرر أن يحملها الى بيته لتكون طعامه وطعام أولاده .

أمسك بالسمكة يخرجها من الشبكة ، فاذا بها تتكلم بصوت حسن ، وبلسان طليق . وتطلب منه أن يعيدها الى الماء . ووعدته بأنها سوف تحقق له ما يريد جزاء معروفه هذا لها .

ولكن الصياد ، ازاء دهشته وعجبه من تلك السمكة العجيبة ، بديعة الشكل ، جميلة اللون ، ظل صامتا . يتأمل جمالها ، ولا ينبس ببنت شفة . تتضارب في مخيلته الأفكار ، حائرا من أمر تلك السمكة التي تنطق مثلما ينطق أهل الأرض ، وصوتها عذب يبعث الطمأنينة في النفس ، ولا يثير الوجل في القلب .

نظر الصياد اليها ، وهو يتأمل جمال شكلها وحلو بريق عينيها ، غير مصدق لما يرى .. وغير موقن لما يسمع . فكم صادف في حياته من أسماك ولكنه لم ير سمكة في مثل هذا الجمال وبديع الألوان .

قطعت السمكة على الصياد تأملاته وصمته ، وكررت عليه القول بأن يتركها ، وسوف تحقق له ما يريد . فاذا به وهو مدهوش مشدوه بجمالها وحلو حديثها ، يحملها بين يديه في رقة وهدوء ويعيدها الى الماء .. ويقول لها ، اذهبي الى حال سبيلك ، فكم سمع من الجدات حكايات عن مثل هذا السمك العجيب ، وكأنه جان مسحور ، أو ملك من ملوك البحار الذي يتجسد في شكل الأسماك .. ولكنه لم يصدق أن مثل هذا السمك المسحور السابح في البحار له وجود في الحياة .

وتمضي الحكاية فتقول ، ان السمكة سبحت في الماء ، ثم اقتربت من الشاطىء ، ونادت على الصياد وطلبت منه أن يقترب من الماء .

خاف الصياد ، ولكنها شجعته على ذلك ، فاقترب من الماء فقالت له السمكة : اطلب ما تشاء !

وطلب ما يشاء

تعجب الصياد من أمر هذه السمكة ، أهي جان مسحور يسكن البحار ، أم ملك من ملوك البحر الذين يملكون كنوز البحر وما فيه من لؤلؤ ومرجان .

وأعادت السمكة عليه قولها : اطلب ما تشاء .

ومضت أيام وبدأ يتنبه الى أمره وحقيقة وجوده . ويفكر في أولاده وزوجته . أيكون في نعيم . وهم في قلق عليه بسبب غيابه عنهم ؟ !
وتبدلت ضحكاته أنات . . وبسماته تقطيب جبين . . وغرق في بحر من التفكير . .

زمن بلا زمان

وتمضي الحكاية في سرد أحداثها ، فتروى كيف أن الصياد بينما هو مستغرق في همه وتفكيره . . وماذا يفعل بوجوده هذا ؟ . . اذ حضرت السمكة ولاحظت صمته . فلم يعد يضحك كما كان . . ولا يأكل بنهم مثلما كان يفعل ، ولا يطلب شيئا بعد أن كان كثير الطلبات . . فسألته السمكة عن سبب همه وشرود ذهنه . . فأخبرها بأنه يفكر في أمر أولاده وزوجته . ماذا يفعلون ، ماذا يأكلون ؟ . . لابد أنهم في قلق وضيق لغيابه ، بل ربما يظنون أنه قد غرق في البحر، وحمله الموج بعيدا عن أرضه ، فقالت له السمكة : إذن ماذا تريد ؟! . . فأجابها بأنه يريد أن يعود الى أهله وأصدقائه . فقالت له : وتترك هذا النعيم، وهذا القصر العظيم ؟ !

فقال لها : ما فائدة ذلك ، وأنا محروم من الأهل والاصدقاء ما أصبح فيه أمسي فيه ، لا شاغل لي إلا الأكل والنوم ، حتى الخدم لا يتحدثون .
فقالت له السمكة : إذن ماذا تريد ؟ !
فقال لها : أن أعود الى أهلي وأولادي . . فطلبت منه السمكة أن يغمض عينيه ويفتحهما ، فاذا به على شاطىء البحر حيث كان . ووجد شباكه موجودة ، وكأنه لم يفارق المكان الا منذ لحظات . أو كأن ما كان ، لم يكن . . وكأنها لحظة حلم طويل . .

تشجع الصياد ، وقال لها : لا أريد شيئا ، اذهبي الى حال سبيلك ، وعسى أن يرزقني الله برزق يعوضني عنك .
فقالت له : ماذا تريد ! ؟
ضحك الصياد ، وقد اطمأن قلبه بعض الشيء ، وذهب عنه الخوف ، وان لم يبارحه الشك في ماهية هذه السمكة : فقال لها : أريد أن أعيش في قصر كبير ، به خدم وحشم وطعام كثير ، وفراش وثير . . وأن أعيش في نعيم .
قالت له السمكة : أهذا كل ما تريد ؟ !
قال لها : نعم ، بل هذا كثير . . . وضحك من نفسه ومن السمكة ، ولكن السمكة طلبت منه أن يغمض عينيه ويفتحهما . . ففعل الصياد ذلك . فاذا به في قصر عظيم ، كما كان يتصوره في خياله . دهش الصياد من نفسه . وظن أنه يحلم . ولكن السمكة ظهرت له ، وقالت له : ها أنت في قصرك العظيم . .
عاش الصياد في القصر ، وكأنه في حلم ، لايعرف أهو حقيقة أم وهم . . كل ما يريده يجده . وكل ما تشتهيه نفسه يناله . وكل ما يأمل فيه يتحقق .

حمل الصياد شباكه وهم أن يعود الى داره ، ولكن خطر له خاطر ، بأن يلقي شبكته في الماء مرة أخرى ، عسى أن يصيد السمكة مرة ثانية فيطلب منها أن تحضر له بعض المال الذي يعينه على حياته .

رمى الشبكة في الماء .. وانتظر برهة فاذا بالشبكة ثقيلة . بذل جهدا أكبر ، وسحبها الى الشاطىء .. فاذا بالشبكة ، سمك كثير وكبير ، ولكن ليس بينه تلك السمكة العجيبة .

أخذ السمك الى السوق وباعه بثمن غال . وعاد الى أهله وأولاده الذين فرحوا بعودته .

وظل كل يوم يذهب الى البحر فاذا بصيد وافر يناله . ورزق كبير يجنيه من عمله . وعاش في سعادة وهناء مع أولاده ، كل يوم يرزقه الله برزق حلال طيب .. وكل مجهود يبذله في يومه يعود عليه بنفع كبير ومال كثير .

ارادة الحياة

وهكذا تحمل لنا الحكاية ببساطة وتلقائية ، مقولة اجتماعية هامة تتحدد في أن سعادة الانسان لا تتحقق الا بعمله وبوجوده بين أهله وأصدقائه ..

فليست السعادة في الأكل والنوم ، ولكن في وجود مع يحبهم ويحبونه .. فالحكايات الشعبية عامة تهدف الى تقديم مقولات اجتماعية وفكرية ينشأ عليها السامعون من أطفال أو كبار ..

وتتنوع تلك المقولات بتنوع موضوعات تلك الحكايات ، وما تتضمنه عن عناصر تكوّن أحداثها .. ومن الحكايات ما هو بسيط محدود العناصر .. ومنها ما هو مركب . حيث تتداخل في الحكاية الواحدة أكثر من حكاية ، في تتابع واستطراد ، لتشكل في النهاية حكاية طويلة تتناول أكثر من موقف يواجه الانسان في الحياة .

حينا تحمل موعظة حسنة ، وحينا تحذر من سلوك غير سوي .. لتعبر في النهاية عن فكر ووجدان المجتمع ، في اطار يجمع بين أنماط السلوك الانساني ، والمقولات الاجتماعية والقيم الاخلاقية والفكرية التي تنظم سلوك الانسان .. ولتعبر معا عن أن الوجود الانساني الحق .. لا يتحقق الا من خلال ارادة الانسان ومثابرته على تحقيق مايريد ، لامن أجل ذاته فحسب ، ولكن من أجل غيره من الناس .. أو كما يقول المثل الكويتي « الناس بالناس والكل على الله » . ○

الطب في العصر العباسي :

● قال ابن ماسويه رئيس بيت الحكمة الذي أنشأه الخليفة المأمون :

ـ الحقيقة في الطب غاية لا تدرك ، والعلاج بما تنص عليه الكتب دون اعمال الحكيم الماهر رأيه ، خطر .

ـ ينبغي للطبيب أن يوهم المريض أبدا بالصحة ، ويرجيه بها ، وان كان غير واثق بذلك ، فمزاج الجسم تابع لأخلاق النفس .

ـ ان استطاع الطبيب أن يعالج بالأغذية دون الأدوية فقد وافق السعادة .



في أثر المتنبي

بين اليمامة والدهناء

بقلم عبد الرزاق البصير

تبرهن هذه الرسائل التي وجهها **عبد العزيز التويجري** الى أبي الطيب المتنبي على خطأ الذين يقولون بأن الأمة العربية تشهد عقما في التفكير في عصرنا الحالي ، فان من يتعمق في قراءة هذه الرسائل يتبين له بكل وضوح أن كاتبها استوعب الفلسفة الاغريقية والفلسفة الاسلامية والفلسفة الحديثة وتفهمها تفهما دقيقا ، وبعد أن تمثلها أخرجها مشرقة الأسلوب نابضة بالحيوية تقطر عمقا كما يقطر الندى والعنبر .

ولكيلا يكون حديثي عن هذه الرسائل رداء نسيجه المدح والثناء ، أقف عند بعض القضايا التي أثارها لتتبين مستوى تفكيره وأسلوبه لكي يتضح أن ما قلته عنه حقيقة لا مراء فيها ، ولا بد لي أن أشير الى أن القضايا التي أثارها المؤلف كثيرة ، لو أردت أن ألم بها كلها لخرجت عن القصد ولا سيما إذا أردت أن أحاوره فيما أبداه من آراء . لهذا أكتفي بالوقوف عند بعضها كما يطيب لي أن أجري معه حوارا أود أن أنتفع به .

والحق أني لا أرى بأسا من أن أعترف بأني وجدت نفسي في حيرة شديدة عندما أردت أن أختار ما أحاوره به لأن معظم القضايا التي طرحها مفكرنا مهمة تقتضي مزيدا من التأمل لعمقها ولأنها مستمدة من صميم الحياة ، ولكن مالا يدرك كله لا يترك جله كما يقال ، فلنستمع اليه في هذه الفقرة التي تقول :

« لا أتصور أن الجثث التي رثيتها يا أبا الطيب ومشت الى القبر هي الجثث التي أفرغتها الحياة من الروح ، اذ ما أكثر الجثث التي تمشي على أقدامها إلى القبر دون وعي ودون فهم لمعنى الحياة ، وما أكثر الجثث التي لا تدري ما الحياة وما الموت وما المعنى الكريم لرسالة الانسان ودوره على هذه الأرض ؟

« ان رائحة جثث القبور أزكى وأطيب من بعض الجثث التي لم تهتد في حياتها الى مصلىً أو إلى فعل جميل » .

الحصان والكتاب !

أليست هذه الفقرة تصور بقوة وصدق



صفات عديد من الذين يقال عنهم بأنهم يقودون الفكر ويهيمنون على كثير من الأمور ؟ ما أظن أحدا يجادل في أن الكاتب قد عبر عن الواقع الذي نعيش فيه ولا سيما حين قال : « فالحصان العربي والكتاب العربي متى عهدك بهما ؟ يخاطب في ذلك أبا الطيب » ماذا تظن ؟ أتتصور دورهما في حياتنا نحن العرب اليوم ؟الحصان أعزل ظهره من الفارس . والكتاب على الرف لم يجد من يقرؤه ، ومن حاول أن يقرأه ربما لا يفهمه ؟ نحن اليوم لا حصان لنا ولا كتاب ، فالحصان العربي والكتاب العربي والعز العربي ، مشوا في اليوم البعيد ، ثم عادوا من قرطبة وتركوا كل شيء خرائب هناك . . . . وإذا كان حالنا على مثل ما صوره الكاتب وهو كذلك ، فهل يمكننا أو قل كيف يمكننا مواجهة التحديات التي ترفعنا وتضعنا كما ترفع الرياح الهوج سفينة في وسط محيط هائج . وفي تصوري أن الظروف لو سمحت لأديبنا لأوضح أسباب هذه الحالة المقيتة ، لكن عقبات أعلى من جبال أبي قبيس تحول بينه وبين الافصاح عنها . ولندع هذه الفقرة للذين يقولون ان كثيرين تحدثوا عن مرارتها وأطالوا الحديث مما يجعلها مطروقة ليس فيها جديد . أقول لندع هذه الفقرة الى غيرها من الفقرات التي تؤكد ما ذكرته في أول هذا الحديث من أن أديبنا وقف على جانب كبير من الفلسفات القديمة والحديثة وقوف المتأمل المتعمق فتأثر بها ، وها هو الآن يبرز لنا تأثيره فيها ، فتجده يشير الى أن مقاييس الزمن أو العصور مختلفة . فلا يجوز أن نقيس هذا الزمن بعصر ما قبله لأن المسافات كانت تقطع بخطى الجمل والحصان . أما الآن فإنها تقطع بأدوات جعلت العالم كله صغيرا ، يمكن للانسان أن يقطعه في أيام معدودة حتى أن المقاييس الضوئية قد تغدو مستقبلا كخطى الجمل والحصان بالنسبة لما هو آت ، ومن المحقق عندي أن المؤلف لا يعني بفقرته هذه اختلاف المقاييس في المسافات فقط وإنما يعني اختلافها في كل شيء . فالأسرار أصبحت مفضوحة مما جعل الرقيب يمكن أن يكون في أزرار الثياب وثنايا الجيوب وفيما فوق القمر . ولكن وأسفاه ما يزال الكثيرون منا يقيسون الأمور الفكرية والتاريخية والمادية والقانونية بمقاييس الحصان والجمل ، والذي يزيد الأسف والحزن حقا ان هؤلاء الناس هم الذين يطفون فوق السطح ، فصوتهم هو الصوت المسموع لأن الطريق مهد لهم لكي يرتفع صوتهم الأجش فوق الأصوات الرخيمة المفيدة ، فترى الكلمات الخبيثة تعلو على الكلمات الطيبة .

لحظة نفاق !

لهذا نجد أديبنا يتحسر قائلا : فالقبور والمدافن التي فتحت فاها لاستقبال كل حياة ظنت أنها جلست للعزاء في بيت أمير أو كبير أو صغير تستمع لشاعرة أو خطيبة أو معزية أو الداعي له بالبركات وطول العمر فأحيا بها الحياء والشفقة عليه ، فأغمضت عينيها عنه لحظة من لحظات التزوير أو الكرم الحاتمي ، ؟ فقانون الحياة والموت ليس له فقيه تجذبه علل وحيل وإنما هو قانون محكم يساوي بين غنيهم وفقيرهم وضعيفهم وقويهم ، لكن الناس أو قل معظم الناس لا يريدون أن يسلكوا في حياتهم ما يعنيه هذا القانون بدليل ما نراه من صراع على كنز المال بشتى أشكاله ، وهنا نجد أديبنا يناجي أبا الطيب مبينا له أو قل مبينا لقرائه أن المال كان فيما مضى من العصور لا يخلو جمعه وحتى أشكاله من بساطة وإن كان المال سببا لمعظم الأحداث في هذه الدنيا ، أما في هذا العصر فان المال لم يعد وسيلة لعيشنا واستقرارنا واطعام جياعنا وفقرائنا ، وإنما صار مثار حرب شرسة بين الانسان والانسان ، بين فلسفة وفلسفة بين غني وفقير ، أصبح غاية لا وسيلة ، اختل ميزان المال في يد الانسان فاختلت وتصدعت نفسه . وصل أديبنا الى هذا الحوار حول هذه القضية عندما

أخذ يفكر ويتأمل قول أبي الطيب :

فلا يتحلل في المجد مالك كله
فينحل مجد كان بالمال عقده

فلا مجد في الدنيا لمن قل ماله
ولا مال في الدنيا لمن قل مجده

ومن المحقق أن المؤلف لم يتوصل الى هذه الفكرة عن المال الا بعد أن وقف على ما صنعه من انقسام بين البشر في فلسفتهم ، ولكنني أجد نفسي هنا تخالف أبا الطيب في هذه النظرة ، فان المجد في رأيي قد يحصل لمن لا مال له ، بل انه حصل فعلا لفئة كبيرة لا تملك الا النزر اليسير من المال ، وهم مع ذلك كواكب ساطعة استضاءت البشرية وما تزال تستضيء بأنوار أفكارهم ، وأعني بهم الفلاسفة والعلماء والمكتشفين ، بل ان المال كثيرا ما يظفر به أناس لا يساوون ملء آذانهم ترابا ، وهذا أمر لا يخفى على المؤلف فلماذا لم يحاكم أبا الطيب ويبين خطأه في هذه النظرة عندما قال المتنبي :

فلا مجد في الدنيا لمن قل ماله
ولا مال في الدنيا لمن قل مجده

بضاعة من الصحراء

وفي هذه الرسالة تعبير لا أدري أفهمته على حقيقته أم لا ، هذا التعبير جاء في فقرته التي تقول : « ما نويت في رسائلي أن أحمل فأسي وأحتطب من واديك الفكري والعقلي والنفسي وقودا لأحد أطرحه على طريقه لابتاعه بضاعة من الصحراء . أبدأ فكرتي في هذه اللقاءات معك : تحويل لشعبة من شعاب واديك في نفسي لعلها تسقي أرضي العطشى فتنبت فيها ولو شجرة استظل بظلها » فالذي فهمته من هذه الفقرة هو أن الذين درسوا المتنبي لم يفعلوا شيئا أكثر من تعليق مستمد من فلسفته ، وكأنهم جعلوا المتنبي منجما يأخذون منه وقودا ، ينتفعون منه انتفاعا ماديا أو معنويا ، أما أديبنا فانه يعلن بأنه كالطالب الذي يقف منصتا لما يلقيه عليه معلمه من دروس في مختلف فنون المعرفة لكي يغذي عقله وفكره ولكي يصقل ذهنه وذوقه ، لا أدري هل ما فهمته من هذه العبارة هو الذي قصده المؤلف منها أم لا .

ومهما يكن من شيء فان المؤلف امتلأت نفسه بالأسئلة وهي حالة وإن كانت ثقيلة على من يحملها الا أنها تعتري كل مفكر وقف على مختلف التيارات الفلسفية والأدبية وتأثر بها ، وفي تصوري أن كل انسان يحس بأن نفسه تعيش في عالم جليدي يسعى الى تدفئتها ، والسعي هنا مختلف فان بعضهم يظن أنه يجد الدفء بالمال ، فهو يبذل ما في وسعه لجمعه ، وبعضهم يعتقد أن دفء النفس بالتثقيف . فتراه يركض وراءه أو قل يلتهم ما يجده منها فهو دائما ظمآن الى المعرفة ، وهناك من يرى أن دفء النفس يكمن في الانغماس في المتع المادية ، وأبو الطيب يرى دفء نفسه حسبما يقول بعض الباحثين في أن يتحمل مسؤولية الحكم ، وقد شاءت الأقدار أن يتربع على عرش الشعر فيصور ما يجيش في نفوس المثقفين من سخط ومن رضا ، وقد وجد أديبنا عند هذا الشاعر المتعمق في الحياة منابع كثيرة ، لذا وجه اليه هذه الرسائل يسأله فيها عن أمور مختلفة منها السياسة والفلسفة ، فلنصغ اليه بآذان واعية لنسمعه يتساءل مع أبي الطيب ويجيب على سؤاله في قوله :

ما بال هذه النجوم حائرة
كأنها العُمْيُ مالها قائد

حيرة وضلال

واذا بالمؤلف يطلقها أنة عميقة تصدع القلب حيث يقول : قومي وقومك في هذه الأرض ، أهل ديني ودينك ، لا يحتملون من يعترض طريقهم : ويقول لهم غيّروا مسيرة القافلة ، لعل تغييرا يدنيكم من المكان الذي به كنتم وبه تكونون ، هم اليوم ، في الكثير منهم ، هجروا مساجدهم وهجروا قلوبهم ، وراحوا في

متاهات الرغبات ، هم اليوم في جدل على التبعية ولمن يا أبا الطيب ؟ هنا يتساقط دمعي على الكلمات فتمحى حياء وخجلا من واقع أليم . واذا كان يراني أحد بأنني قد بالغت فيما وصفت به المؤلف فليتأمل وقفته أو قل تأمله العميق حول رائية المتنبي التي مطلعها :

أطاعن خيلا من فوارسها الدهر
وحيدا وما قولي كذا ومعي الصبر

ان من يفعل ذلك يجد أديبنا محلقا في سماء الفكر يقتطف من ثمار أشجاره ما ينبئك بسعة اطلاعه وعمق نظرته ونفاذها فيما أصاب حقوق العرب من عقبات وانتهاكات . فالمتنبي يدعو الى أن تأخذ النفس وسعها قبل أن تموت ولكن هل يستطيع العربي في العصر الرمادي أن يفجر طاقاته ومواهبه ؟ انه لا يستطيع أن يفعل شيئا من ذلك ، لأن الفضاء مسدود ، فلو منحناها السعة كما يريد لها أبو الطيب فان هناك قطاع الطرق والحاملين بنادقهم لا يريدون لنفس أن تتمدد على أكثر من مفحص قطاة ؟ وظني أن النفس التي نريد لها السعة لو أثارها الانسان من مناخها وأطلقها فالى أي مكان تسير ؟ قد تنيخها رغبة من الرغبات في مبرك النياق الجرب فتصيبها العدوى ، ذلك بعض ما قاله أديبنا المؤلف حول هذه القصيدة ولو طاوعت نفسي لأردت كل ماقاله لما فيه من انطلاق للفكر وجرأة أدبية حتى ص ١٥٢ فهو يرى ومعه الصواب فيما رأى أن في مجتمعاتنا ظاهرة أليمة برزت لتعبر عن الأفكار الحبيسة بالدم والاغتيال ! اذا سألتهم ما هذا ؟ قالوا اننا نحرس الأفكار ممن لا يقبل بها ! وأفكار من يا أبا لطيب ؟ لا أدري ،

الأمم الحية

والحق أن أديبنا يتمتع بنفس شاعرية عربية ، إذ تراه يجلس على حافة الروض المزدهر يرقب الحركة في النبات والطير وفي قطع الغيوم . . فيشعر كأن قبلات حانية تنجذب من فم الغيوم الى فم النبات الى فم الطير . فتأخذه الحسرة على وقوف أهله وقومه في أماكنهم ، ولو قال تقهقروا لكان محقا فيما قال ، في حين أن الأمم الحية تسير طائرة الى القمر والمريخ وهي لا تسير سيرا ماديا فقط وانما تسير بأفكارها منطلقة الى الأمام . يجد المفكرون بينها مجالا فسيحا خاليا . من المعوقات ، لذلك تصبح آثارهم ربيعا ترتع فيه النفوس بأطيب الثمار ، أما نحن فان المدعين عندنا كثيرون يثقلون عقل الانسان وروحه بالوهم والخرافة .

ولكن التطور الذي يتمناه المؤلف لقومه لم ينسه تعلقه بالاصالة العربية فتراه يتغزل بنجد ووديانها وفتياتها ويرى أن الاشتراكية من فطرة العربي ، فقارون يهودي لهذا نجده يحبس المال على نفسه ولذائذه ، وعروة بن الورد عربي يوزع جسمه في جسوم كثيرة وتنوء مفاتيح كنوز قارون « بالعصبة أولي القوة » . . . . ومعنى ذلك أن قارون رمز للجشع اليهودي وأن عروة بن الورد رمز لفطرة العربي«الاشتراكية»فهذا حاتم الطائي يقول على ما أذكر :

« فحسبك داء أن تبيت ببطنة
وحولك أكباد تحن الى القدّ
اذا ما صنعت الزاد فالتمسي له
أكيلا فاني لست آكله وحدي

لهذا نجد أديبنا يعاتب أبا الطيب على بيته التالي :

تركت دخان الرمث في أوطانها
طلبا لقوم يوقدون العنبرا

فان من المفروض أن يكون دخان الرمث أحب الى العربي وأقرب الى نفسه ، أو قل ان موطن الرمث ينبغي أن يكون أحب الى قلب العربي وأقرب الى نفسه من أولئك الذين يوقدون المسك والعنبر .

لا ينسى الحر أمته

قالوا مرضت فما يشفيك ؟ قلت لهم
دخان رمث من التسرير يشفيني ،

فلا يجوز للانسان أن يتنكر لأهله لشقائهم وفقرهم وانما عليه أن ينير لهم الطريق حين يجدهم قد تنكبوا الطريق المستنير ، ولقد كان أديبنا محقا حين قال عن المتزلفين لذوي النفوذ الذين كثيرا ما خربوا العامر وزلزلوا العروش وضاقوا بالمخلصين من الرجال والنابهين أمثالك . كانت هي علة أمتك في دمشق الأموية وفي بغداد الرشيد وفي قاهرة المعز وفي قرطبة والحمراء وفي . . وفي . .

فان في هذه الفقرة التفاتة ممتازة نتمنى لو جعلناها واقعا نعيش فيه ، فليس متحضرا من تبذل وتحللت أخلاقه وجاهر بالرذيلة . ليس متحضرا من خافه أخوه ، وليس متحضرا من هبط على القمر ولم يهبط داخل نفسه ، ليقهر شرورها واعتداءها ونزوعها الى الفساد .

وليتفهم أن الجمود هو دفن الذات في الرمال والاصرار على عدم رؤية الأشياء ، والاعتقاد أن كل شيء ينبغي أن يؤخذ من الماضي لأن فيه كل ما حدث وما يحدث في المستقبل .

ومن نظرات المؤلف العميقة هذه الفقرة التي جاءت في معارضة المتنبي في قوله :

أما في هذه الدنيا كريم
تزول به عن القلب الهموم

يقول المؤلف : (فما أنت يا أبا الطيب الا بشر ترقد في داخلك الصخور العاتية والرمال المتحركة والمياه العذبة والمياه التي لا يطاق شرابها ، فان نفس الانسان تحمل هذه المتناقضات الغريبة .

وما أجمل سؤال المؤلف لابي الطيب عن النفوس التي عناها في بيته

واذا كانت النفوس كبارا
تعبت في مرادها الأجسام

ما هو مقياس كبر النفوس فانها فيما يبدو ضائعة أو قل بأنها غير معروفة . قد لا يخطىء الصواب ذلك الذي يتصور أن نيرون كان يعتقد بأن نفسه كبيرة في تلك اللحظات التي وقف فيها على جدار روما وهي تحترق ثم انه ليس وحيدا في التاريخ اذ لا يوجد فرق بين نيرون وبين ذلك الذي أحرق هيروشيما ، فليس بمستبعد أن الذي أمر بالقاء تلك القنبلة على المدينة اليابانية أخذ يهتز طربا حين جاءته صور سكان تلك المدينة وهم يموتون ميتة فريدة ، وما أكثر الذين طربوا ورقصوا على أشلاء قتلاهم . وهل نستطيع أن نعد الذين مشوا على سطح القمر تنطوي جوانحهم على نفوس كبيرة ، أم أنهم يعدون أنفسهم جنودا يؤمرون فيأتمرون ، معتقدين بأن الفخر يعود الى المخترعين ، أو يعود الى رؤساء دولهم . وعلى كل حال فان مقاييسنا لكبر النفوس أصبحت تائهة في أمواج متلاطمة من المقاييس المختلفة التي اصطلحت عليها علوم هذا العصر ومفاهيمه الغربية .

لأن مقاييسنا مستوحاة من السماء تبصر الانسان في نفسه ، ولكن أهل هذا العصر ابتعدوا عنها فابتعدت عنهم ؛ وبذلك أصبحوا هائمين على وجوههم ، لا يرون الا القوة مرتكزا يعتمدون عليه ، وهذا أمر من شأنه اشاعة القلق والاضطراب في النفوس ، والحياة تصبح جحيما اذا كان القلق طعامها ولباسها وشرابها وهذا واقع حاليا في هذا العصر .

أو ان شئت الدقة فقل هذه حالة الانسان منذ دخل ما يسمى عصر الحضارة .

ولكن يخيل الي أن حالة أمة العرب أسوأ حالة ، لأنهم أصبحوا عالة على الأمم ، بل انهم لم يكتفوا بهذا وانما اشتغلوا بتمزيق أنفسهم ، فخشية بعضهم من بعض تكاد تساوي خشيتهم من عدوهم أو تزيد ، وهل يوجد حال أسوأ من هذه الحال ؟ لهذا كان المؤلف محقا حين قال لأبي الطيب « سأغلق دونك اليوم باب بيتي العربي حتى لا ترى ما بداخله فأفتضح أمامك » .

وبعد فان هذه الماحة قصيرة تشبه حسو الطير لم أجد بأسا في نشرها بين الناس فلعلها تغري البعض بالتنزه في هذا الكتاب . ○



الجيوب الأنفية

لقد أصبت بآلام في الرأس وانسداد في الأنف مع التهاب في الحلق مما دفعني الى طبيب الأنف والأذن المختص الذي أفادني بعد الفحص والتصوير الشعاعي بأني مصاب بالتهاب الجيوب الأنفية .

لقد أثار الأمر فضولي في معرفة حقيقة الجيوب الأنفية ودورها وأهميتها ، فهل لكم أن تجيبوني ، ولكم وافر شكري وتقديري .

ن . أ . ـ حمص

الجيوب الأنفية
Nasal Sinuses

هي فراغات هوائية في عظام الجمجمة تقع حول الأنف ، وتشبه الكهوف . وهي ثمانية جيوب ، كل أربعة منها تقع في جانب ، أو بالأصح هي أربعة أزواج من الفراغات ، لم يصل الطب بعد الى تحديد وظيفتها على وجه الدقة ، وان كان هناك بعض الاجتهادات ، نذكر منها :

أولا : ان الفراغات الهوائية في عظام الجمجمة تعطيها (أي الجمجمة) خفة وزن ، فلا يثقل وزن الرأس فيعجز البدن عن حمله ، وبالتالي يصعب تحريكه .

ثانيا : الجيوب الأنفية تعطي صوت الانسان صدى وذبذبة فتضفي عليه نغمة موسيقية ، والا كان الصوت البشري نشازا منفرا .

ثالثا : الجيوب الأنفية وسيلة حماية ضد الصدمات ، تحمي الجمجمة عامة ، والمخ خاصة ، من احتمالات الاصابة أثناء حوادث الاصطدام .

ومع كل هذا فقد نجد أناسا ليس لديهم جيوب أنفية متكاملة ، ولا يعانون من مشاكل يعود عليهم بها فقدان هذه الجيوب ، أو تظهر عليهم أعراض خاصة تميزهم عن الآخرين ممن تكتمل عندهم الجيوب الأنفية ، بل وتجعلهم في مأمن من مشاكل التهاب الجيوب وأمراضها .

والمجموعات الأربع ، للجيوب موزعة على النحو التالي :

أولا : الجيوب الجبهية **Frontal Sinuses** وهي فراغات في العظم تقع فوق

وخلف قاعدة الأنف ، على مستوى الحاجبين وتختلف شكلا وحجما من انسان لآخر . أو هي تختلف فيما بينها عند ذات الانسان ، ولكنها في المتوسط تقارب حجم ملعقة كبيرة تفتح من أسفلها الى مجرى الأنف . .

ثانيا : الجيوب المتخلية Ethmoid Sinuses وهذه تشبه خلية النحل ، وقد يسمونها العظم المتخلي لأنها عظم ذو فراغات صغيرة تعد ما بين ثلاثة الى ثمانية عشر فراغا ، تقع خلف الأنف على مستوى أدنى قليلا من الجيوب الجبهية ، وتخترقها أعصاب الشم .

ثالثا : الجيوب الوتدية Sphenoid Sinuse تقع خلف العظم المتخلي وأدنى منه بقليل عظمتان طويلتان نسبيا ، كأنها الوتد أو الأسفين ، يشبهان جناحي فراشة ، وجسم هذه الفراشة هو المسمى بالجيوب الوتدية نظرا لما يتخللها من فراغات هوائية .

رابعا : الجيوب الوجنية Maxillary Sinuses هذه هي أكبر الجيوب الأنفية وتقع خلف الوجنتين على جانبي الأنف ، وقد تسمى الجيوب الفكية لأنها تحتل حيزا كبيرا من الفك .

الحصبة الألمانية . . ليست ألمانية
German Measles

أصيبت ابنتي بالحصبة بصورة خفيفة فقيل لي بعد الكشف عند الأطباء انها الحصبة الألمانية . فأي فرق يا ترى بين هذه والحصبة العادية ؟ وهل حقا ان مصدرها الماني ؟

خ . خ
حلب ـ سوريا

ـ ليس هناك من خطأ أكثر شيوعا بين الأطباء والعامة على السواء من اقتران الحصبة بالصفة الألمانية . والألمان من هذا براء ، وكان الأقرب للمنطق لو قيل انها الحصبة الفرنسية وان كانت الحقيقة العلمية أبعد من هذا وذاك .

في زمان مضى كانوا يظنون ان الحصبة تداهم صاحبها على درجتين . . . فاما أن تكون خفيفة أو تكون شديدة ، هذا استعملوا في التعبير عن الأولى (الخفيفة) .

أما عند الفرنسيين فقد سمي المرض « بالمرض الشبيه بالحصبة » ، خاصة بعد أن بدأ التفريق في القرن التاسع عشر بين الصورتين على أنها مرضان مختلفان ، ولكنها متشابهان فاستعملوا في الفرنسية لقب جيرمين ميزلز Germane Measles وكلمة جيرمين Germane مشتقة من كلمة فرنسية قديمة هي Germain جاءت من أصل لاتيني هو جيرمانوس Germa-nus وتعني الشبيه ، وبهذا أصبح اسم المرض هو « المرض الشبيه بالحصبة » .

ولكن القراءات أخطأت على ما يبدو وظنوا أنه German أي الماني وكذا أخطأوا في الترجمة العربية وذهبت مع الأيام خطأ شائعا .

واذا كان للألمان دور في الأمر فما هو الا الاكتشاف عام ١٩٣٨ ، ان مرض الحصبة الألمانية يسببه فيروس مستقل عن الحصبة المعتادة .

لقد جرى الاعتقاد على مدى القرون في العرف الطبي ان الحصبة الألمانية هي أخف الأمراض وطأة وأكثر سلاما وأمنا على مريضها وان كانت أوسعها انتشارا حتى كان عام ١٩٤١ حين لاحظ طبيب استرالي اخصائي في العيون هو الدكتور جريج Mc. Alister Gregg تواتر اصابة الأطفال الحديثي الولادة من مراجعيه بمرض الساد ، أو

بياض عدسة العين المعروف بالكاتاراكتا **Cataract** مما أثار فيه غريزة الفضول العلمي فتقصى الأمر فوجد أن ٧٨ طفلا من هؤلاء ـ أمهات ٦٨ منهم أصبن أثناء شهور الحمل الاولى بالحصبة الالمانية .

كانت هذه بداية الاهتمام بالمرض الذي تخفى وراء قناع من البراءة .

وعندما عم الولايات المتحدة الاميركية عام ١٩٦٤ وباء عام للحصبة الالمانية خلف وراءه ما بين عشرين الى ثلاثين ألفا من الأطفال المتشوهي الخلقة وقد تراوح تشوههم بين العمى والصمم وتشوهات القلب .

حقا ان مرض الحصبة يعطي مناعة أبدية اذا أصاب الطفل ، ولكن اصابة الحامل في المائة يوم الاولى من الحمل قد يؤدي الى كوارث تصيب ٢٠ ـ ٢٥٪ من الأجنة ، ومن هنا جاء التفكير في التطعيم وخاصة للفتيات قبل سن الزواج وعليه جرت بريطانيا على تطعيم طالبات المدارس في سن الثانية عشرة بحقنة واحدة من طعم الحصبة الالمانية ، وقد ثبت أنها تعطي مناعة طويلة تغطي فترة الانجاب .

أما لو قدر للمرأة الحامل أن تصاب في شهورها الثلاث الأولى فلا مناص من الاجهاض حيطة وحذرا من ولادة طفل معوق .

فرط التبول

لم يفرط المرء في تبوله أحيانا . . .

ح . س . عدن

سلس البول وفرط التبول (البوال)

polyuria and urinary incontinence

هناك فرق واضح في المعنى والمضمون بين سلس البول وفرط التبول أو البوال . وان كان كلاهما يرتبط بادرار البول وطرحه .

من الطبيعي ان تفرز الكلى كمية من البول على مدار الساعة حيث ينساب هذا الافراز الكلوى باستمرار الى الحالبين ليصل الى المثانة وهي الكيس الذى يتجمع فيه البول ليطرحه الانسان عند امتلاء المثانة ، وذلك حين يشعر الانسان برغبته للتبول نتيجة رد فعل عصبي من عنق المثانة عند امتلائها وتسرب نقطة من السائل عبر مجرى البول تثير فيه هذه الرغبة .

ان ما تطرحه الكلى في يومها يقدر بالمتوسط ١٥٠٠ سنتيمتر مكعب من السائل ، ولكن سعة المثانة قد لا يتعدى ٥٠٠ سم مكعب مما يفرض افراغها عدة مرات في اليوم .

غير أن هناك أسبابا عديدة تؤدى الى طرح كمية كبيرة من البول عبر الكلى كمرض البول السكرى مثلا او عند تعاطى الاقراص المدرة للبول أو ربما شرب فائض من الماء مما يزيد العبء على المثانة فيضطر معها الانسان الى زيادة عدد مرات التبول أكثر من المعتاد ، كما تزداد كمية البول .

ومن جانب آخر ربما ضاق حجم المثانة لسبب أو لآخر كوجود حصاة كبيرة أو نشوء ورم ما داخلها أو ربما التهابها وتليفها وبالتالى لا بد من افراغها أكثر من المعتاد .

وتجدر الاشارة هنا الى ما يسميه الاطباء سلس البول ، أو تسرب البول دون ارادة صاحبه ، وذلك لعجز العضلة الخانقة أو الضامة في عنق المثانة ، وارتخائها ، الأمر الذى يسمح لبعض قطرات بالتسرب بين حين وآخر . ولا قدرة أو حيلة للمصاب في أن يحجبها او يوقفها على هواه . وهذا أمر مألوف لدى كبار السن ، وكثيرا ما يحدث عند اصابة عنق المثانة أو تعرض عضلاتها للاصابة بشلل .

الحاكمية والديمقراطية في فكر المودودي

بقلم الدكتور : محمد عمارة

على امتداد ربع القرن الأخير ، أصبح الأستاذ أبو الأعلى المودودي (١٩٠٣ - ١٩٧٩) من أكثر المفكرين الاسلاميين جاذبية وتأثيرا في الحركة الاسلامية المعاصرة وفي أطروحاتها الفكرية . . ومنذ غياب الامام الشهيد حسن البنا (١٩٤٩م) بعد اغتياله (١٣٦٨ هـ ١٩٤٩م) تعدى تأثير المودودي نطاق الهند وباكستان ، وامتد الى ربوع الوطن العربي . . وأصبح مصدر توجيه للحركات الاسلامية التي اجتذبت جماهير الشباب على وجه الخصوص . . .

وعلى الرغم من أن الكثير من أعمال المودودي الفكرية قد ترجم الى العربية الا أن الفكر السياسي للرجل ، عند استلهامه ، قد تم عزله تماما عن الملابسات التي كتب فيها ، وعزلت الكثير من نصوصه عن نصوص له أخرى كانت كفيلة بعرض آرائه في تكاملها الواجب والضروري والمطلوب . . . الامر الذي أدى الى تشوهات فكرية ظلمت الرجل أولا . . ثم دفعت كثيرين الى فهم وسلوك لم يخطر للرجل على بال ؟! .

ولقد كانت نظرية « الحاكمية » من أبرز القضايا التي أثارها فكر المودودي ، ولايزال حولها الكثير من الجدل واللبس والغموض . . كما كانت ، ولاتزال ، من أكثر الاطروحات الفكرية التي تفعل فعلها في صفوف الاسلاميين ، دونما دراسة واعية تضع نصوص الرجل في الاطار الذي كتبت فيه والملابسات السياسية التي دعته الى صياغتها . . .

والامر الذي زاد من خطر هذه القضية هو ارتباطها بالموقف من الديمقراطية » ومن طبيعة السلطة في الفكر الاسلامي والدولة الاسلامية التي يسعى لاقامتها الاسلاميون . . .

فلقد قيل . . وهذا حق . . أن المودودي قد ارتاد الدعوة الى نظرية « الحاكمية » في عصرنا الحديث . . اذ لم يسبقه اليها أحد من أعلام الصحوة الاسلامية الحديثة ، من جمال الدين الافغاني ومحمد عبده وعبد الرحمن الكواكبي وابن باديس الى حسن البنا . . فأحيا هذه الدعوة التي بدأها « الخوارج » في صدر الاسلام عندما أعلنوا أنه (لاحكم الا بالله ! . . وقيل ان الرجل قد شدد على اختصاص الحاكمية بالله . . « الحاكمية القانونية » أي حاكمية التشريع . . و « الحاكمية السياسية » أي حاكمية التنفيذ . . ونفى أن يكون لبشر ، فردا كان أوحزبا أوطبقة أوشعبا ، أي حق ، ولو جزئيا ، في هذه « الحاكمية الالهية » . . . ولما كانت



« الديمقراطية » . . كما هي في الغرب . . وكما تحدث عنها الرجل . . هي « حاكمية الجماهير » فلقد رفضها الرجل كل الرفض ، وعاداها كل العداء ! . .

قيل هذا ، وسيقت عليه شواهد من نصوص الرجل . . من مثل قوله : « ان وجهة نظر العقيدةالاسلامية تقول : ان الحق تعالى وحده هو الحاكم بذاته وأصله ، وان حكم سواه موهوب وممنوح . . [١] وان أي شخص أو جماعة يدعى لنفسه أو لغيره حاكمية كلية أو جزئية ، في ظل هذا النظام ، هو ولاريب سادر في الافك والزور والبهتان المبين . . . فالله معبود بالمعاني الدينية ، وسلطان حاكم بالمعاني السياسية والاجتماعية . . . وهو لم يهب أحدا حق تنفيذ حكمه في خلقه . . . وان الانسان لاحظ له من الحاكمية اطلاقا . . . [٢] . .

الخصائص الأولية للدولة الاسلامية

وان الاساس الذي ارتكزت عليه دعامة النظرية السياسية في الاسلام أن تنزع جميع سلطات (Powers) الامر والتشريع من أيدي البشر ، منفردين ومجتمعين ، ولايؤذن لواحد منهم أن ينفذ أمره في بشر مثله فيطيعوه ، او ليس قانونا لهم فينقادوا له ويتبعوه ، فان ذلك أمر مختص بالله وحده ، لايشاركه فيه أحد غيره ، كما قال هو في كتابه (إن الحكم الا لله أمر ألا تعبدوا الا إياه . ذلك الدين القيم) [٣] . . فالخصائص الاولية للدولة الاسلامية ثلاث :

١ ـ ليس لفرد أو أسرة أوطبقة أو حزب أو لسائر القاطنين في الدولة نصيب من الحاكمية فان الحاكم الحقيقي هو الله ، والسلطة الحقيقية مختصة بذاته تعالى وحده . . . والذين من دونه في هذه المعمورة انما هم رعايا في سلطانه العظيم . .

٢ ـ ليس لأحد من دون الله شيء من أمر التشريع ، والمسلمون جميعا ، ولوكان بعضهم لبعض ظهيرا ، لا يستطيعون أن يشرعوا قانونا ، ولايقدرون أن يغيروا شيئا مما شرع الله لهم .

٣ ـ ان الدولة الاسلامية لايؤسس بنيانها الا على ذلك القانون المشرع الذي جاء به النبي من عند ربه ، مهما تغيرت الظروف والاحوال ، والحكومات **Government** التي بيدها زمام هذه الدولة **State** لاتستحق طاعة الناس الا من حيث أنها تحكم بما أنزل الله وتنفذ أمره تعالى في خلقه [٤] . . . . . .

وان وضعية الدولة الاسلامية : انها ليست ديمقراطية **Democracy** فان الديمقراطية عبارة عن منهاج للحكم تكون السلطة فيه للشعب جميعا . . وهي ليست من الاسلام في شيء ، فلايصح اطلاق كلمة الديمقراطية على نظام الدولة الاسلامية[٥] . . . .

نعم . . . لقد قال الاستاذ المودودي ذلك ومثله . . كثير ! . . ونحن نعترف ان كلمات هذه من الممكن أن يؤدي اجتزاؤها ، وغياب وضعها الى جوار غيرها من التي عرض فيها لذات القضية ، وأيضا غياب المعنى المحدد لما عناه الرجل من « الحاكمية » وماكتبه عن « الخلافة الانسانية » عن الله في الارض . . . ان غياب ذلك من الممكن أن يوهم . . وهو قد أوهم الكثيرين ان الرجل عدو للديمقراطية لأن الحاكمية تعني تجريد الانسان من كل سلطات التشريع والتنفيذ ! . . .

---

١ ـ الحكومة الاسلامية ص ٨١ ، ٨٢ .

٢ ـ المرجع السابق . ص . ٧٠ ، ٧٣ .

٣ ـ يوسف : ٤٠ .

٤ ـ (نظرية الاسلام السياسية) ص ٣١ ـ ٣٣ . (٥) المرجع السابق . ص ٣٣ ، ٣٤ .

معنى الحاكمية

لكن لنبدأ ، أولا بتحديد معنى المصطلحات عند الرجل : * ان معنى كلمة « الحاكمية » عنده هي : « السلطة العليا » .. والمطلقة .. فهي ليست السلطة العليا فقط .. بل و«المطلقة » أيضا .. انها لاتنطلق الى على الـ (فعال لما يريد) والذي (لايسأل عما يفعل) [٦] ....

* ومعنى كلمة « الديمقراطية » في الحضارة الغربية .. هي : « حاكمية الجماهير ... وسيادتها المطلقة من كل قيد ، سوى ماتصنعه الجماهير لنفسها [٧] .... أي أن للجماهير السلطة العليا ، والمطلقة ..

والان نكتفي بأن نسأل :

هل يدعي مسلم ، مهما بلغ ايمانه بالديمقراطية ، ان الجماهير يجب ان تكون في ديمقراطيتها ، مطلقة السلطة ، فلا تسأل عما تفعل ؟ وتفعل ماتريد ؟ حتى لو أحلت الحرام وحرمت الحلال ، الثابت دلالة وورودا عن الله سبحانه وتعالى ؟؟ ! .. ام أن سلطة الجماهير وسلطان الامة وسلطانها يجب أن تقيد بما قطع فيه الله بالتشريع ، فهي حرة داخل الاطار الالهي ؟؟ ..

وبعد هذا التساؤل .. لنواصل عرض الفكر المتكامل للاستاذ المودودي .. ان الرجل لم يقل بوجود تشريع الهي كامل لما هو قائم ومايستجد من القضايا والمشكلات ، حتى يمكن أن يتصور أنه يجرد الانسان من كل حق في التشريع والتقنين ، كما توهم بعض نصوصه المجتزأة ..

بل الرجل يقول : « ان مجالس الشورى أو البرلمانات لايباح لها أن تسن نظاما أو تصدر حكما فيما ورد فيه نص صريح واضح في شريعة الله ... أما مالم يرد فيه نص شرعي وهو المجال الاوسع - فلأهل الحل والعقد ان يجتهدوا في سن الانظمة التي تحقق مصلحة الامة بالمشورة المتبادلة .... على ان تكون منسجمة مع الاطار العام لأسس الشريعة [٨] ....

اذن فللبشر ان يسنوا القوانين والنظم فيما لانص فيه .. وهو المجال الاوسع ! بل ان المودودي يسمى هذه السلطة ، التي تمارسها مجالس الشورى والبرلمانات ، يسميها « حاكمية » ؟! .. وذلك عندما يذهب لابداع تعريفه للحكومة الاسلامية ، والتي يراها الهية ، أي « ثيقراطية » theo- cracy لأن صاحب السلطة المطلقة والعليا في التشريع لمجتمعها هو الله .. ولكنها ليست ثيقراطية الغرب الكنسية التي تتحكم فيها طبقة السدنة Priest Class .. لأنها في الاسلام أيضا ديمقراطية Democracy لأن الاسلام قد أقر « نيابة الشعب واستخلافه عن الله ، في ظل سيادة الله وحاكميته .. فالحكومة الاسلامية لذلك هي - عند المودودي - : « الثيقراطية - الديمقراطية » أو الحكومة الالهية الديمقراطية .. لانه « قد خول فيها للمسلمين « حاكمية شعبية مقيدة » [٩] Limited Popular Sovereignity اذن ففي الاسلام « حاكمية شعبية » وان تكن مقيدة ... مقيدة بالنصوص القطعية التي تناولت المجال الاقل من شئون المجتمع ، وتركت لأصحاب « الحاكمية الشعبية » المجال الاوسع » كما قال

(٦) (تدوين الدستور الاسلامي) ص ٢٥١ ، ٢٥٣ . ترجمة محمد عاصم الحداد طبعة بيروت ١٣٨٩ هـ ١٩٦٩ م ضمن مجموعة عنوانها نظرية الاسلام وهديه في السياسة والقانون .

(٧) (الاسم والمدنية الحديثة) ص ٣٦ ، ٣٧ .

(٨) المرجع السابق . ص ٤٠ .

(٩) (نظرية الاسلام السياسية) ص ٣٤ ، ٣٥ . و (الاسلام والمدنية الحديثة) ص ٣٦

المودودي ؟! . .

الحاكمية الشعبية

بل وحتى فيما وردت به النصوص الالهية نجد لأصحاب « الحاكمية » الشعبية مجالا كبيرا وبعبارات المودودي ، فان « المجال هناك مع هذا العنصر القطعي ، غير القابل للتغيير والتعديل ، عنصر آخر يوسع في القانون الاسلامي الى حيث لا نهاية ، ويجعله يرحب بالتغير والرقي في كل حالة من حالات الزمان المتطورة ، وهو يشتمل على عدة أنواع :

١ ـ تعبير الاحكام أو تأويلها أو تفسيرها . . . وهو باب واسع جدا في الفقة الاسلامي فالذين لهم عقول ثابتة . . يجدون أمامهم مجالا واسعا للتعبيرات المختلفة حتى في احكامها القطعية الصريحة ، فكل منهم يرجح ـ على حسب فهمه وبصيرته ـ تعبيرا من هذه التعبيرات على غيره ، محتجا بالدلائل والقرائن . وهذا الاختلاف في تعبير الاحكام مازال له وجود بين أصحاب الفقه والعلم من الامة من أول أمرها ، ولابد له أن يبقى مفتوحا في المستقبل أيضا .

٢ ـ القياس . . . وهو تطبيق حكم ثبت من الشارع في قضية على أخرى تماثلها ، أي بقياسها عليها . .

٣ ـ الاجتهاد . . وهو فهم قواعد الشريعة وأصولها العامة وتطبيقها في قضايا جديدة

٤ ـ الاستحسان . . وهو وضع ضوابط وقوانين جديدة فى دائرة المباحث غير المحدودة على حسب الحاجات ، بحيث تتفق الى أكبر درجة مع روح نظام الاسلام الشامل .

فهذه الأمور الاربعة اذا تدبرتم مافيها من الامكانات ، فان الشبهة لاتكاد تساوركم بأن القانون الاسلامي قد ضيق نطاقه فى حين من الاحيان عن تلبية حاجات التمدن الاسلامى المتزايدة المتجددة ، والوفاء بمطالب أحواله المتطورة [١٠]

فالاحكام القطعية القليلة . . من مثل :

١ ـ الاحكام الصريحة القطعية الواردة فى القرآن والاحاديث . . كالحدود . . والميراث .

٢ ـ والقواعد العامة الواردة فى القرآن والاحاديث ، كحرمة كل شيء مسكر ، وكل بيع لايتم فيه تبادل المنفعة بين الجانبين على تراض منهما . . .

٣ ـ والحدود المقررة فى القرآن والسنة لتحد بها حريتنا فى الاعمال ولانتجاوزها ، كحد أربع نساء لتعدد الزوجات ، وحد ثلاث مرات للطلاق ، وحد ثلث المال للوصية .

هذه الاحكام القطعية هى من « الثوابت » المحددة لصورة مدنية الاسلام المتميزة . . ولابد لكل مدنية من ثوابت « لاتقبل التزحزح والتغير ! . . [١١]

فاذا علمنا أن « القرآن ليس هو بكتاب الجزئيات ، بل هو كتاب المبادىء والقواعد الكلية ، ومهمته الحقيقية أن يعرض الأسس الفكرية والخلقية للنظام الاسلامى بوضوح ، ثم تثبيتها تثبيتا قويا بكلتا الطريقتين : التدليل العقلى ، والتحريض العاطفى . أما ما يتعلق بالصورة العملية للحياة الاسلامية فانه لايرشد الانسان اليها بوضع قوانين وأنظمة تفصيلية . . . بل انه حدد الحدود الاساسية . . . [١٢] فقط . .

اذا علمنا كل ذلك أدركنا ـ بمنطق المودودى ـ ومن خلال نصوصه كيف وسع الاسلام مجال « الحاكمية البشرية المقيدة » . . وماهو نطاق القيود الالهية على هذه الحاكمية البشرية . . .

---

(١٠) القانون الاسلامى وطرق تنفيذه فى باكستان ص ١٧٣ ـ ١٧٥

(١١) المرجع السابق ص ١٧١ ـ ١٧٢ .

(١٢) (المبادىء الاساسية لفهم القرآن) ص ٦٢ ، تعريب : خليل أحمد الحامدى . طبعة الكويت ١٣٩١ هـ ـ ١٩٧١ م .

والاستاذ المودودى ، بعد أن نفى أن تكون « الحاكمية البشرية » ، فى الاسلام ، لفرد أوطبقة ، أوكهنة سدنة ، تحدث عن خلافة الانسان ونيابته عن الله .. فالأمة نائبة عن الله ، وهى تنتخب حاكمها ، ونوابها ، وأهل الحل والعقد فيها ، بطريقة ديمقراطية ، الامر الذى يجعل الخلافة الاسلامية « ديمقراطية » على العكس من القيصرية أو البابوية أو الثيقراطية على حسب مايعرفها الغرب ورجاله ...

الديمقراطية فى الاسلام

ويستطرد المودودى فيقول ان « ديمقراطيتنا الاسلامية .. هى كديمقراطية الغرب ـ لاتتألف الحكومة فيها ولاتتغير الابالرأى العام . ولكن الفرق بيننا وبينهم أنهم يحسبون ديمقراطيتهم حرة مطلقة العنان ، ونحن نعتقد الخلافة الديمقراطية متقيدة بقانون الله عز وجل .. » [١٣]

وفى مكان آخر يفصل فى الطابع الديمقراطى للنظام السياسى الاسلامى ، فيقول : « اننا نعارض سيادة فرد أو أفراد أو طبقة سيادة مطلقة تستأثر بالسلطة ، أكثر من معارضة المتحمسين للديمقراطية الغربية ، ونؤكد المساواة فى الحقوق وتكافؤ الفرص أكثر من تأكيد أنصارها ونحارب كل نظام يكبت الحريات ، فلا يبيح حرية التعبير ، أو التجمع أو العمل ، أويضع العراقيل فى سبيل بعض الافراد لاختلافهم فى الجنس أو الطبقه أو أصل الولادة ، بينما يعطى الآخرين حقوقا وامتيازات خاصة فاذا كانت الديمقراطية الغربية تعتبر هذه الامور جوهرها (Essence) وروحها فانه لاخلاف بينها وبين ديمقراطيتنا الاسلامية .... نحن نؤمن بحاكمية الله تعالى ، ونقيم نظام حكمنا على فكرة الاستخلاف أو النيابة ، وهى نيابة ديمقراطية فى جوهرها وروحها ، يتم فيها انتخاب الخليفة أو الرئيس أو الامير وفق رأى الجماهير وبارادتهم كما يتم فيها انتخاب أهل الحل والعقد والشورى كذلك ، وهم الذين لهم الحق المطلق فى نقد تصرفات الحكام ، ومحاسبتهم .. [١٤]

واذا كان المودودى قد مال في كتابه (نظرية الاسلام السياسية) . الذى كتبه ١٩٣٩ م الى « أن للامير الحق فى أن يوافق الاقلية أو الاغلبية من أعضاء مجلس الشورى فى رأيها ، كما أن له أن يخالف أعضاء المجلس كلهم ، ويقضى برأيه .. [١٥] أى مال الى عدم الزام الشورى للحاكم .. فلقد عاد وعدل عن هذا الرأى فى كتابه (تدوين الدستور الاسلامى) .. الذى كتبه سنة ١٩٥٢م وقال : ! » إنه لا مندوحة لنا من أن نجعل الهيئة التنفيذية تابعة لأراء أغلبية أعضاء المجلس التشريعي! [١٦]

فهل بقيت ثمة شبهة ، أوبقى أى غبار على فكر الرجل ، يبرر الظن بعدائه للديمقراطية ، بدعوى أن مفهومه للحاكمية الالهية ينافيها ؟ ! ..

لانعتقد .. ولانظن ! ...

الديمقراطية فى ظل الاغلبية والاقلية الثابتة

واخيرا .. فان هناك حقيقة هامة قامت وراء نقد المودودى للديمقراطية الغربية ، التى كانت أساسا من أسس الدولة القومية الواحدة التى سعى (حزب المؤتمر) لاقامتها فى الهند الموحدة .. وهذه الحقيقة تقول : ان عداء المودودى هذا قد نبع من عدائه لفكرة القومية الهندية الواحدة ، فكلاهما كان يعنى ـ فى ظروف

---

(١٣) (تدوين الدستور الاسلامى) ص ٢٥٩ ، ٢٦٠ .

(١٤) الاسلام والمدنية الحديثة ص ٣٦ ، ٣٨

(١٥) (نظرية الاسلام السياسية) ص ٥٩

(١٦) (تدوين الدستور الاسلامى) ص ٢٧٦

الاقلية المسلمة والأغلبية الهندوكية ـ سحق الشخصية الحضارية والقومية الثقافية للمسلمين . . . والمودودى ، فى نصوص كثيرة له ، يميز بين الديمقراطية بمعنى النيابة عن الامة وحكم الاغلبية ـ وبين تطبيقها فى ظل أغلبية ثابتة ، على أقلية ثابتة لاختلافها فى الاصول والحضارة . . فهى فى رأيه ، هنا ستكون « بربرية » ولن تكون « ديمقراطية » ! يقول فى نص هام جدا من نصوصه هذه ـ موضحا فكره ، وحاسما موقفه : « انه لايمكن لأى عاقل أن يعارض الديمقراطية ، ولا يمكنه القول بأنه يجب أن يكون هناك حاكم ملكى أو أرستقراطى ، أوأى نوع آخر من أنواع الحكم . ان القضية التى تقلقنا منذ فترة طويلة ، وتزيدنا قلقا يوما بعد يوم ، هى أن نظام الحكم فى الهند يسير منذ حوالى ثمانين سنة مضت على أساس المؤسسات الديمقراطية ، على افتراض وجود قومية واحدة ، وذلك بسبب القيادة الخاطئة والحكم الخاطىء من جانب الانجليز من ناحية ، وحسن حظ وانانية الهنادكة من ناحية أخرى ، ولايجب أن نخلط هنا بين الديمقراطية نفسها والمؤسسة ذات النوع الجمهورى ، على افتراض وجود القومية الواحدة فبينهما فرق السماء والارض ، ولا يعنى الاختلاف مع واحدة اننا نختلف مع الأخرى . فحقيقة الأمر أنه لايوجد فى الهند قومية واحدة ، ولاتوجد بالهند الأسس التى يمكن ان تقوم عليها القومية الواحدة . ولكن لنفترض ان الهنادكة والمسلمين والمنبوذين والسيخ والمسيحيين وغيرهم يمثلون امة واحدة . . فان من الممكن تطبيق قاعدة الجمهورية (الديمقراطية) هذه بينهم على اساس ان يسير الحكم طبقا لما ترتضيه الجماعة التى تمثل الأغلبية بين هذه الأمم . . . انه حين يتم تطبيق اصول الحكومة المنبثقة عن الأغلبية (اى حكومة الاغلبية) فى النظام الديمقراطى ، فان هذا يعنى ان المجموعة كثيرة العدد تتولى الحكم ، وتنال اغراضها ورغباتها بقوة الحكومة ، كما ان المجموعة قليلة العدد تصبح مستبعدة وتضحي برغباتها ومصالحها فى سبيل رغبات ومصالح الأغلبية وهذا هو ما يطلق عليه : استبداد الاغلبية . . وهو اعمق حرج واسوأ علامة على وجه ديمقراطيات هذا الزمان . . ويمكن لمبادىء حكومة الأغلبية ان تكون فى مكانها الصحيح حين يتم الاتفاق اصلا على الأمور الأساسية للمواطنين ، وان يكون الاختلاف بينهم اختلافا فى الآراء فقط ، وليس فى المصالح ، ومن الممكن فى مثل هذا النظام ان تصبح أقلية اليوم هى أغلبية الغد ، وأن تصبح أكثرية اليوم اقلية الغد . . . . . ولكن اختلاف الأهداف . . او الأصول الدينية او العواطف القومية ، او الاختلاف فى اسلوب الحياة وغيرها من مثل هذه الأمور لايمكن ان تنتهى عن طريق الدلائل او الاستنتاجات ومن هنا فان المجموعة التى تشكل الاغلبية سوف تظل دائما هكذا . . . فمن الخطأ اذن ان نطلق على هذا الشىء اسم : الديمقراطية ، ويجب أن نطلق اسم : البربرية ان عزيمتنا القومية لاتزداد ولا تنضج فى ظل هذا النظام ، بل هى تختنق وتعتصر للنهاية ، وتقتلع جذورها ، ففى هذا النظام نحن قلة فى العدد ، وهذا النظام يعطى ما عنده لمن هم كثرة فى العدد ، ان القوة جميعها سوف تتحرك لتستقر فى ايدى الآخرين . . . وهم سوف يسحقون وجودنا بقوة وبشدة ؟

المودودى لم يكن عدوا للقومية ولا للديمقراطية

هكذا وضحت مواقف الرجل الفكرية كل الوضوح . . وظهر جليا ، من خلال هذه النصوص ، التى تعمدنا الافاضة فى ايرادها لكيلا تكون هناك حجة لمن يجتزئون النصوص ؟ ! . . ظهر جليا ان الرجل لم يكن عدوا « للقومية » ولا « للديمقراطية » . . ○

الضرب في المدارس

يعجب المرء لمدى تمسك الانجليز بعاداتهم وتقاليدهم وحرصهم على مادرجوا عليه من نظم وأساليب .. ويعجب أكثر ما يعجب لتمسكهم بأسلوب ضرب الطلاب أو جلدهم في المدارس ، بالرغم من أن هذا الضرب بات محرما بحكم القانون في أكثر الدول الاخرى ... فقد حظرته فرنسا سنة ١٨٨٢ .. والنرويج سنة ١٩٣٦ .. وأسبانيا سنة ١٩٦٧ وتأخرت ارلنده حتى جاء حظره فيها في السنة الماضية ، سنة ١٩٨٢ .. ونذكر هذه الدول على سبيل المثال لا الحصر .. اذ يمكن القول أن أكثر الدول المتقدمة في العالم أقدمت على حظر الضرب في المدارس .. وحسبك أن لجنة حقوق الانسان التابعة للمنظمة الدولية لا تقف من هذا الضرب عند الحظر فحسب ، بل انها تعتبره لونا من الوان التعذيب .. وقل مثل ذلك في اتفاقية حقوق الانسان التي أصدرتها والتزمت بها دول المجموعة الاوروبية منذ سنة ١٩٥٠ ... فقد حرمت المادة (٣) من هذه الاتفاقية « التعذيب والمعاملة المحطة بالكرامة ... » وتشمل هذه المعاملة ـ كما لا يخفى ـ عقوبة الضرب في المدارس .. ومضت محكمة حقوق الانسان الاوروبية (في استراسبورغ) في تطبيق هذه المادة بحزم وصرامة وراحت تتخذ الاجراء المناسب بحق الدول (الاوروبية) التي لا تلتزم بها .. بل قل بحق بريطانيا فحسب ، نظرا لكونها الدولة الأوروبية الوحيدة التي ما زالت تتمسك بعقوبة الضرب وترفض حظرها أسوة بشقيقاتها في المجموعة الاوروبية .



ولا ريب أن قدم عهد هذه العقوبة هو الباعث الأول على تمسك بريطانيا بالمحافظة عليها .. فهي تعود الى عهد فكتوريا ، بل قل الى بدء ظهور المدارس العامة (Public Schools) في بريطانيا بالتحديد ..

وهي وان لم تكن عشوائية ينزلها المدرس في طلابه متى شاء وكيفما شاء .. فهي في الغالب مؤلمة جدا وقد تكون مؤذية .. ويذكر ونستون تشرشل كيف ضربوا الطلاب غير الأسوياء من زملائه حتى سالت الدماء من أجسامهم .. لا عجب اذن ان لفتت هذه العقوبة نظر سائر الاوروبيين حتى سموها الرذيلة البريطانية ..

والغريب ان الحكومة البريطانية نفسها ، لا السلطات التعليمية أو المدارس ، هي التي

تتشبث بها الرذيلة .. وتدفع الغرامات التي تفرضها عليها المحكمة الاوروبية بسببها .. وقد بلغت هذه الغرامة في احدى القضايا التي فصلت فيها تلك المحكمة في السنة الماضية (١٩٨٢) ما يعادل ١٥٠,٠٠٠ دولار . ومن طريف ما يذكر هنا أن احدى تلك القضايا رفعها ولي أمر احد طلاب المدارس البريطانية .. فقد رفض هذا الطالب ان تنزل به عقوبة الضرب فطردته المدرسة لذلك وحرمته مواصلة الدراسة فيها .. وحكمت المحكمة الاوروبية بغرامة قدرها ٤,٦٠٠ دولار تدفعها الحكومة البريطانية للطالب تعويضا عما لحقه من ضرر .. وأمرت بعودة الطالب الى الدراسة ..

فالحكومة البريطانية المحافظة اذن هي التي تتمسك بعقوبة الضرب . فوزير المدارس فيها ، وهو ناظر مدرسة سابقا ، يصر على التثبت بالعقوبة وبانزالها بالطالب اذا ما أخل بالنظام .. وقد بلغ من تمسك حكومة تاتشر بهذه العقوبة أن رفضت (سنة ١٩٨١) التماسا باستثناء الطلاب المعوقين منها ، وكأن قدر الله سبحانه وتعالى عليهم بالتخلف غير كاف .. أو ان الرأفة والاعتبارات الانسانية لا قيمة لها ، ولا تبرر اعفاء المعذبين من مزيد من عذاب ...

ومما يذكر هنا ان الحكومة البريطانية حظرت قبل حين الجلد في السجون وحظرته ايضا قبل ذلك في الجيش ... ولكنها ابقت عليه بعناد في المدارس .. ترى ما الحكمة في الاصرار على معاقبة المخلين بالنظام اذا كانوا من طلاب المدارس وصغار السن نسبيا ، والعدول عن معاقبتهم اذا كانوا رجالا من افراد الجيش أو المساجين .. وهل يعزى ذلك الى عداوة مستحكمة بيم حزب المحافظين وجمهور طلاب المدارس .. ذلك أن هذا الحزب هو الحزب البريطاني الوحيد الذي يؤيد عقوبة الضرب ... وقد لا يجاريه في ذلك الا نفر من نظار المدارس .. وهم محافظون ورجعيون في طباعهم وأمزجتهم ، ان لم يكونوا كذلك ايضا في ميولهم السياسية ومشاربهم ، أما أولياء الأمور ، والمدرسون الملتحقون باتحاد المدرسين الوطني ، فينادون بضرورة تحريم عقوبة الضرب .

نقول « عقوبة » لأن ضرب الطلاب في بريطانيا يخضع لشروط وقواعد دقيقة ولا يلجأون اليه الا بعد التحقيق في المخالفة والتأكد من وقوعها .. فهو ضرب نظامي تربوي هادف .. ويختلف اختلافا كبيرا عن الضرب العشوائي ... الذي سبقت الاشارة اليه ، فهذا تصرف فردي يقدم عليه المدرس بمحض ارادته ... وقد لا يكون الباعث عليه سوى اعتقاد المدرس بان التربية والضرب صنوان أو مترادفان .. واعتقاده بأن التربية تكون صالحة بقدر ما يكون الضرب مبرحا .. وقد يكون الدافع عليه نشأة المدرس نفسه واعتماد أهله ومدرسيه على الضرب في تربيته اعتمادا كبيرا .. وقد يعزى الضرب العشوائي الى مشاعر الضعة ومضاعفات النقص التي يعاني منها المدرس ... والتي تحمله على ضرب الطلاب لأتفه الاسباب ... ان لم تقل بدون اسباب موجبة على الاطلاق ... ذلك أنه يجد في الضرب تنفيسا عن مضاعفاته النفسية .. وتغطية لضعف شخصيته ... وغني عن البيان أن هذا الضرب العشوائي كثيرا ما يلحق الأذى بالطالب ... ان لم يتعمد الحاقه به تعمدا ... ولعله اقرب الى البطش أو الضرب الانتقامي منه الى الضرب التربوي الانضباطي الذي مازال



معمولا به في بريطانيا . . .

على أن الانجليز ليسوا كلهم مؤيدين للضرب في المدارس . فاتحاد المعلمين الوطني الذي ذكرنا ـ وهو أكبر هيئة تعليمية في بريطانيا ـ لا يقر هذا الضرب بل يبذل الجهود في سبيل الغائه . وقل مثل ذلك في الكثير من الهيئات الطبية والعلمية . . ونخص بالذكر من هذه الاتحاد السيكولوجي البريطاني . فهذا الاتحاد لم يعثر على أي دليل يثبت جدوى الضرب . . . وقد عثر على أدلة كثيرة تثبت أضراره . .

ونذكر من أضرار الضرب ما قد يغفل الكثيرون عنه . فقد وجد الدكتور مايكل ليبرمان ، اخصائي الاطفال المعروف في لندن ، أن من شأن ضرب الطلاب أن يضعف أجهزة الدفاع في أجسامهم . هذا الى جانب كونه يريد الأطفال المعقدين تعقيدا . . ويزيد بالتالي فرص الاخلال بالنظام ، نظرا لأن المعقدين هم الذين يخلون بالنظام أكثر من غيرهم .

مذبحة دير ياسين

كشف النقاب مؤخرا أحد الصحفيين الاسرائيليين عن وثائق هامة بقيت طي الكتمان طيلة السنوات الخمس والثلاثين الماضية أما الوثائق فتتضمن شهادات واعترافات متصلة بمذبحة دير ياسين . . واما الصحفي الذي سلط الضوء عليها فيعمل مراسلا في مجلة كوتيرت راشيت Koteret Rashit الأسبوعية واسمه يزرائيل سيجال . .

وتدل هذه الوثائق على ان الهجوم على دير ياسين انما وقع وفق خطة مبيتة ، مفصلة ، استهدفت ارتكاب الفظائع والمجازر وتعمدت ذبح النساء والشيوخ والاطفال بلا هوادة . .

وتجدر الاشارة الى ان مذبحة دير ياسين وقعت ـ كما هو معروف ـ في التاسع من شهر ابريل سنة ١٩٤٨ ، أي قبل ٣٥ عاما . . وكانت قرية صغيرة تقع في منطقة القدس ، ويبلغ عدد سكانها ٨٠٠ نسمة او يزيد قليلا . . وقد اتفق أهلها وأهل المستعمرات اليهودية المجاورة على حسن الجوار . . فشعر رجالها بالاطمئنان وراحوا يواصلون اعمالهم في الحقول كالمعتاد . .

وفي اليوم المشؤوم الذي ذكرنا ، انطلق رجال القرية الى اعمالهم وتركوا وراءهم في القرية

النساء والأطفال والشيوخ ، وعددا من الرجال الذين لم تسمح لهم صحتهم المعتلة بمرافقة زملائهم الى الحقل . .

اما المهاجمون فكانوا ١٢٠ ارهابيا او يزيد من رجال العصابتين الارهابيتين المعروفتين آنذاك ، عصابة الأرجون وكان زعيمها مناحيم بيجن ، وعصابة شتيرن وكان اسحق شامير وزير الخارجية ، أحد زعمائها . . وانقض الارهابيون في اللحظة التي تأكدوا فيها ان رجال القرية اصبحوا بعيدين عنها ، وقاموا بهجومهم الغادر عليها من جهتين مختلفتين وذلك دون أي انذار او دعوة للاستسلام . وانتهت المجزرة وبلغ عدد الضحايا فيها ٢٥٠ ذبيحا أو أكثر . . وقد وضعت جثثهم في إحدى آبار القرية ، بقصد التستر عليها ولو الى حين وعاد الرجال الى قريتهم وقد تحولت الى قرية اشباح . .

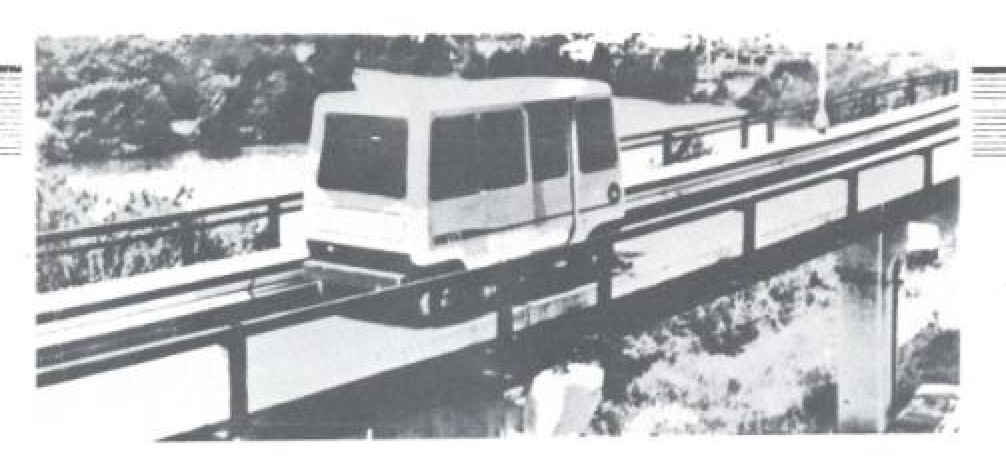
وتدل الوثائق الجديدة على ان الهجوم الغادر قد اصطدم بمقاومة عنيفة . . فهي تتضمن شهادة لأحد ضباط عصابة الأرجون (يهوشا جورو دنشك) يقول فيها : « فوجئنا بمقاومة عنيفة أوقعت في صفوفنا اصابات عديدة وحملتنا على تعجل الانسحاب . . » .

ويكشف الضابط المذكور عن مدى البشاعة التي بلغتها مذبحة دير ياسين ، ويقول : « وكان لدينا اسرى فقررنا القضاء عليهم قبل الانسحاب . فذبحناهم جميعا ، كما ذبحنا الجرحى . اذ لا فائدة من الابقاء عليهم بدون اسعاف . . وذبحنا ايضا النساء . . ذلك لأننا عثرنا على رجل قد تخفى بزي النساء . . وهكذا اصبحنا لا نستطيع التمييز بين المرأة الحقيقية وبين رجل في ثوب امرأة . . فقطعنا الشك باليقين وذبحنا النساء جميعا » .



ياخبر . . حمامات السلام ثانياً . . علينا التحرك سريعا وتفويت الفرصة عليها والا هبطت علينا وافسدت علينا مكاسبنا !

ولم يكتف المهاجمون بذلك بل انهم ساقوا من بقي على قيد الحياة من اهل القرية ، ساقوهم الى القدس . . والى الاحياء اليهودية فيها بالذات . . وراحوا يعرضون النماذج البشرية على اقرانهم ليشاركوهم الفرحة بذبح العرب . . ثم تركوا الأسرى وهم ينزفون دما في أحد شوارع القدس القديمة . .



صورة للقطار الأوتوماتيكي .. الامريكي وهو يختلف عن الفرنسي بعض الاختلاف .

قطار أرضي (مترو) بدون سائق

فرنسا هي السباقة في تسيير قطار ارضي (مترو) بدون سائق .. فقد افتتحت في مطلع شهر مايو ١٩٨٣ خطا تجريبيا لهذا القطار ، يصل بين قرية فيلينوف ومدينة ليل في شمال فرنسا ، ويبلغ طوله ١٣,٣كم .. والنية متجهة الى مد هذا الخط في اتجاه الجنوب الغربي عما قريب وتعميمه بعد ذلك في طول البلاد وعرضها .

وشركة مترا **Matra** الشهيرة بصناعة الاسلحة والالكترونيات هي التي ابتكرت هذا القطار .. وذلك بعد جهود متواصلة استغرقت ١٠ سنوات ، وبتكاليف بلغت حوالي ٣٣٠ مليون دولار ..

وميزة القطار المذوت هذا انه يستطيع القيام برحلات عديدة بفارق ١ ـ ٥ دقائق فقط بين رحلة واخرى .. وذلك طيلة ٢٠ ساعة من ساعات اليوم .. وهو امر متعذر على القطارات العادية غير الاتوماتيكية ، كما لا يخفى . من هنا كان الدور الهام الذي يمكن للقطارات الاوتوماتيكية ان تلعبه في حل ازمة السير .



الدولار

هو العملة التي كانت متداولة في احد اقاليم بوهيميا في القرن السادس عشر وكانت تعرف باسم (جواكيم شالر) ، او ثالر اختصارا .. وما لبثت هذه اللفظة ان اصبحت دولار ...

اما علامة الدولار الفارقة فمستمدة من شعار ملك اسبانيا فيليب الخامس . وكان هذا الشعار عبارة عن عمودين (١١) يلفهما شريط . ويرمز العمودان الى الجبلين المشرفين على مضيق جبل طارق . اى جبل سبته وجبل طارق .. علما بان الاسم الذى اطلقوه على هذا المضيق آنذاك وهو : اعمدة هرقل : كان المقصود به هذين الجبلين بالذات . وأصبح الدولار العملة الرسمية في الولايات المتحدة منذ ١٧٩٢


كنت
KENT

صحراء مصر .. تتنفس

استطلاع : منير نصيف

تصوير : طالب الحسيني



(الى اليمين) ميدان باب الحديد ، واحد من أكبر ميادين القاهرة اختفت معالمه وراء الزحام . . . هنا قام تمثال رمسيس (الصورة قبل بناء كوبري أكتوبر) (والى اليسار) جانب من المجتمعات الجديدة في الصحراء (مدينة ١٥ مايو) .

في أحد الميادين الرئيسية الكبيرة الذي تقع على جانب منه المحطة الأم للقطارات الذاهبة الى الوجهين القبلي والبحري والعائدة منها .. في هذا الميدان الذي يزدحم بالجسور والكباري والناس والسيارات ، يقف تمثال ضخم للملك رمسيس الثاني ، أحد ملوك مصر القديمة أمام نافورة تتدفق منها المياه طوال الاربع والعشرين ساعة في حوض صغير ثم لا تلبث أن تعود لتتدفق من جديد .. نفس الصورة للحياة المتدفقة من حوله في الميدان الذي كان فسيحا ، ثم حوله الزحام الى مجرد طرق صغيرة متلاحمة متقاطعة .. طرق علوية واخرى سفلية حتى ضاعت ملامحه ، بعد أن أصبح نقطة التقاء لاتعرف كيف تصل اليها ولا تخرج منها .

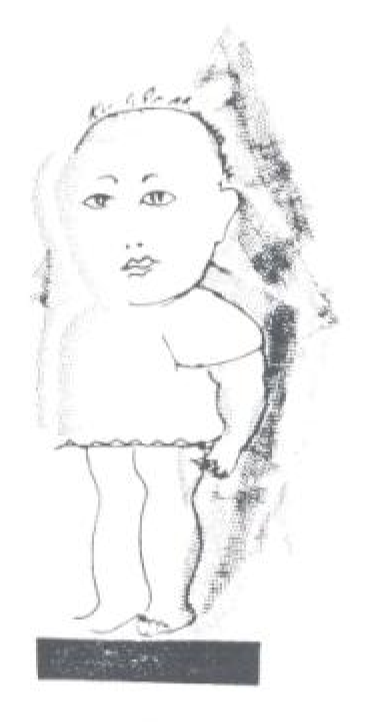
المهم ان التمثال الكبير الذي يزن ٦٥ طناً ، والذي طالما وقف شامخا برأسه على مر السنوات الطويلة منذ أن جاءوا به ووضعوه في هذا الميدان مكان التمثال الذي يمثل نهضة مصر ، كان في هذه المرة يشكو ويئن .. لقد أحاطت به السقالات التي يقف عليها بين الحين والحين خبراء الآثار ومهندسو صيانتها في محاولة لانقاذه من موت محقق .. فقد بدأ تمثال رمسيس الثاني يتحلل ، وهو الذي عاش آلاف السنين ملقى فوق رمال الصحراء دون أن يشكو علة ولا مرضاً قبل ان ينقلوه في اوائل الستينيات ويضعوه فوق قاعدته وسط الميدان الكبير !.

الاختناق !

لقد احتمل رمسيس الأمطار والعواصف وعوامل التعرية في الصحراء ولكنه لم يحتمل التلوث الذي امتلأ به الهواء نتيجة انتشار الغازات الناجمة عن احتراق وقود السيارات التي تسير وكأنها تسبح وسط الاعداد الهائلة من سكان القاهرة الذين ارتفع عددهم من مليونين ونصف مليون نسمة في اوائل الخمسينيات الى ١٢ مليون نسمة في العاصمة الكبرى !

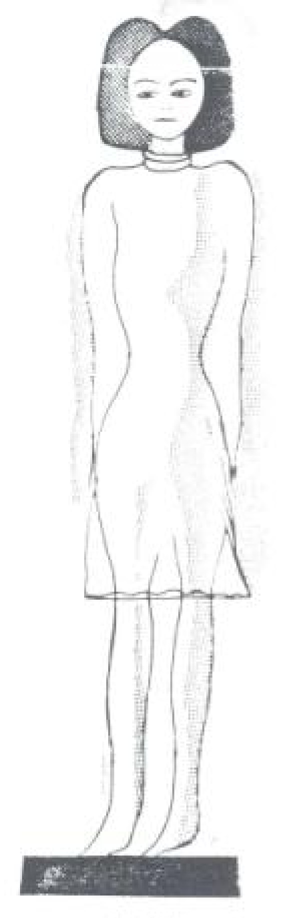
والسبب هو الزيادة في عدد المواليد حيث تقول الاحصائيات ان سكان مصر يتزايدون بمعدل مليون نسمة كل عشرة شهور ، ثم الهجرة المستمرة من الريف الى العاصمة .. فقد بدأ الفلاح يهجر أرضه ويسعى الى الكسب السريع .. لقد قضى حياته كلها ينتظر .. يحرث الأرض وينتظر .. وينثر الحب وينتظر .. ويجني المحصول وينتظر .. ثم يبسط يده ليحسب ماجمع .. بالكاد يستطيع ان يسدد الديون التي تراكمت عليه ثمنا للماء والتقاوي والأسمدة .. لماذا لا يجرب العمل في العاصمة أو في المدن الكبيرة حيث يقبض ثمن عرقه في نهاية يومه .. معظم الذين هجروا أرضهم وهاجروا أصبحوا أحسن حالا منه بكثير .. وسنة بعد أخرى ، راح الرقم يتضاعف ويتضاعف .. المواليد يتزايدون والهجرة مستمرة ، ر لمدينة الكبيرة تضيق وتضيق بسكانها ..

إن أكبر عاصمة في الشرق الأوسط والعالم العربي كله تختنق .. لقد كانت القاهرة على مدى ألف عام أو يزيد قلب العروبة ومركز العلم والعمل وقبلة السائحين من جميع أركان الأرض .. وهي مازالت كل هذا ، ولكن اللوحة الجميلة التي كان يقف أمامها المرء ويتأملها ، بدأت تختفي وراء الزحام الذي غطى



الصورة الحالية لمصر

● نسبة الرأس الى الجسم كبيرة





الصورة المطلوبة لمصر

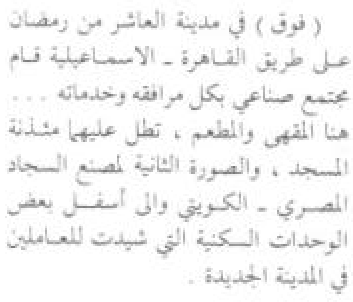
● نسبة الرأس الى الجسم متناسبة

معالمها .

ليس هذا موضوعنا على أية حال .. ولكن لم يكن هناك مفر من ان نعرض صورة سريعة للأسباب التي أدت الى النتائج التي جئنا الى مصر خصيصا لتسجيلها ثم الجهود التي بذلتها الدولة ، ومازالت ماضية فيها لانقاذ القاهرة من الاختناق .. أو الخروج الى الصحراء وبناء مجتمعات جديدة في الأرض الشاسعة التي بقيت قرونا طويلة جدباء مهجورة قاحلة ، فهي كما قال عالم الفضاء العربي الامريكي فاروق الباز « الحل الوحيد لاعادة توزيع سكان مصر على أسس علمية تخرج بالكثافة السكانية من هذا الشريط الضيق الممتد بمحاذاة نهر النيل من الجنوب الى الشمال ! » .

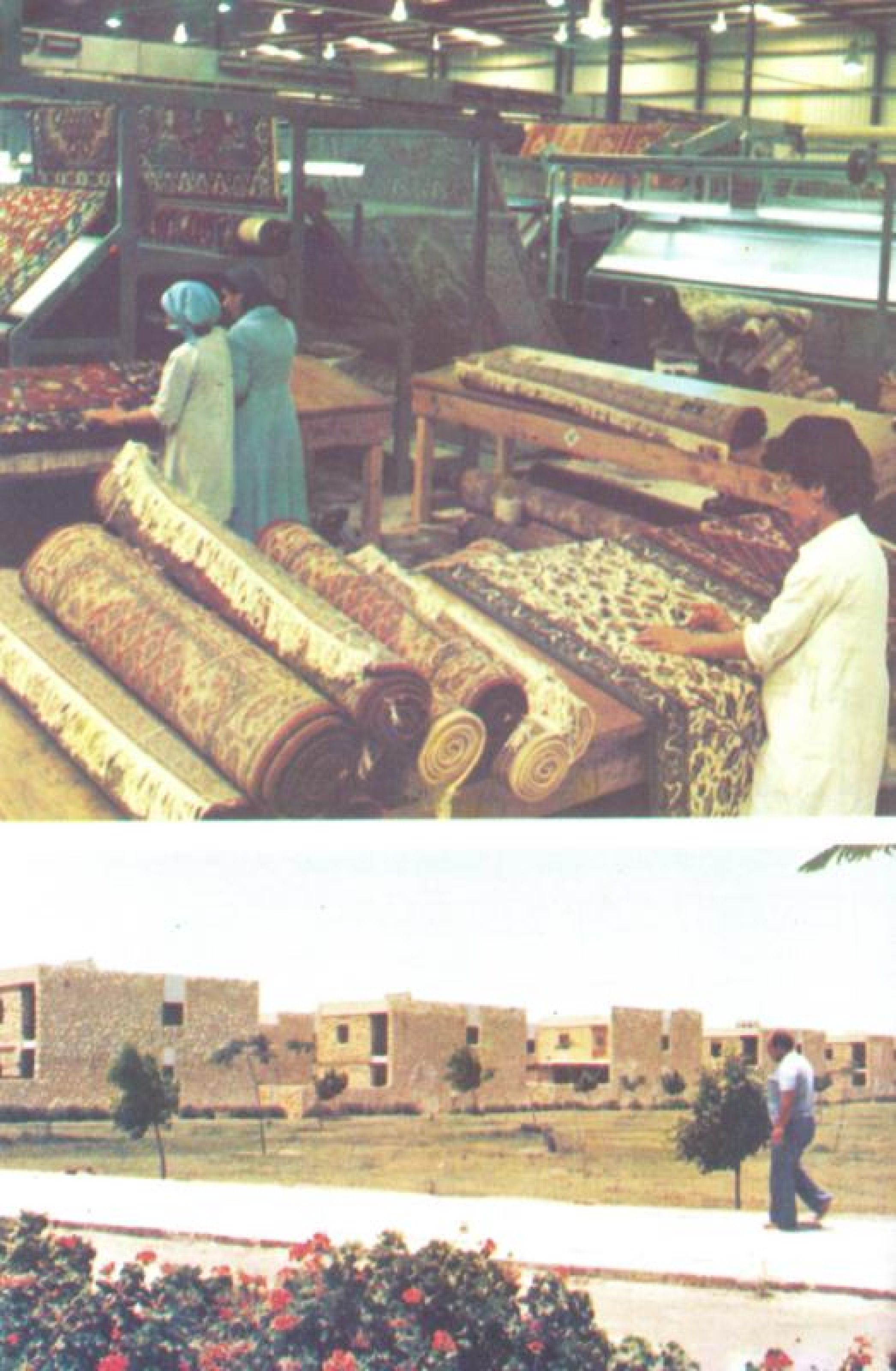
وكما يقول المهندس حسين كفافي أحد كبار الخبراء المصريين في الدراسة العلمية التي اجراها وقدمها للمسؤولين في صورة « ورقة عمل » : « تظهر مصر في الصورة التي تسجلها الاقمار الصناعية ، مساحة صفراء كبيرة ، أي صحراء واسعة (حوالي مليون كيلو متر مربع) .. في قلبها شريط طويل وضيق باللون الاخضر يحيط بشريان النيل ، قادماً من الجنوب ومتجها الى الشمال ، تتوجه في النهاية دلتا النيل الشهيرة التي تطل على البحر المتوسط .





(فوق) في مدينة العاشر من رمضان على طريق القاهرة ـ الاسماعيلية قام مجتمع صناعي بكل مرافقه وخدماته . . . هنا المقهى والمطعم ، تطل عليهما مئذنة المسجد ، والصورة الثانية لمصنع السجاد المصري ـ الكويتي والى أسفل بعض الوحدات السكنية التي شيدت للعاملين في المدينة الجديدة .







المكينة الزراعية وسط الحقول التي كانت أرضا صفراء جدباء لا حياة فيها ولا ماء . .

« أما الوادي الضيق فيصل تعداد سكانه الى مايزيد على الأربعين مليون نسمة ، بينما لايبلغ تعداد سكان الصحراء التي تشكل ٩٦٪ من مساحة مصر كلها أقل من مليون نسمة . . هذه هي الظاهرة الاولى . « أما الظاهرة الثانية فهي ان دلتا النيل والقاهرة حتى حدود مدينة بني سويف والفيوم جنوبا وحدود الاسكندرية غربا ومدن قناة السويس شرقا ، فتضم حوالي ٣٥ مليون نسمة أي أكثر من ٨٥٪ من سكان مصر . . وهذه الأرض لا تزيد مساحتها على اكثر من ٤٪ من مساحة مصر » .

الرأس والجسم !

ويقول خبير التخطيط في دراسته : « مصر في مجموعها هي الأرض وما عليها من بشر ، فأرض مصر هي وعاء الشعب المصري الموزع بصورة عفوية طبقا لمصادر المياه منذ ان شق وادي نهر النيل هذه الصحراء . . ونستطيع أن نشبه مصر وشعبها بكائن حي مكون من خلايا عديدة . . ملايين الخلايا ، كل خلية منها تمثل وحدة من أفراد الشعب . . والشعب بدوره كائن له رأس وجسم . . الرأس هو العاصمة بما فيها من خلايا العقل والحواس والرؤية والادارة والتخطيط . . والجسم ، بما فيه من الخلايا العضلية والتنفيذية والانتاجية .

« وعندما ننظر الى مصر بهذا التصور ، نجد أن الرأس وحده ، وهو العاصمة ، يحتوي على ١٢ مليون خلية . . والخلية هنا هي الانسان . . والجسم بعد ذلك يحتوي على ٣٠ مليون خلية ، أي ان نسبة تعداد سكان القاهرة (العاصمة) الى تعداد سكان مصر كلها يزيد على ٢٥٪ .

« فاذا قارنا هذا الوضع بغيرنا من بلاد العالم استطعنا ان نكتشف الخلل في الصورة التي تمثل مصر » .

وهو يورد الجدول التالي في دراسته :

البلد	تعداد السكان	العاصمة	تعدادها	نسبة سكان العاصمة الى التعداد
الصين	١٠٠٠ مليون	بكين	٨ مليون	اقل من ١ ٪
الاتحاد السوفيتي	٢٥٠ مليون	موسكو	٨ مليون	اقل من ٣ ٪
أمريكا	٢٢٠ مليون	واشنطون	١ مليون	اقل من ٥, ٪
المانيا الغربية	٦٥ مليون	بون	٣ مليون	اقل من ٢ ٪
فرنسا	٥٥ مليون	باريس	٣ مليون	اقل من ٥ ٪
ايطاليا	٥٥ مليون	روما	٣ مليون	اقل من ٥ ٪
انجلترا	٦٠ مليون	لندن	٨ مليون	اقل من ١٣٪

ثم يقول حسين كفافي : « اذا نقلنا هذه النسب الى كائن حي لوجدنا ان نسبة حجم الرأس الى الجسم في الدول الاخرى ، نسبة معتدلة ومنسجمة ، فالرأس (العاصمة) صغير وجميل يعلو جسا كبيرا قويا (البلد كله) وهو قادر على أن يحمل هذا الرأس في اتزان .. والرأس بدوره يحتوي على عقل متزن ومفكر ، يستطيع ان يخطط ويصدر التوجيهات لباقي أجزاء الجسم فتعمل كلها في تنسيق الى أقصى ماتحمله هذه الأجزاء والأطراف من امكانيات وقوة .

« أما اذا ألقينا نظرة على حجم الرأس بالنسبة الى الجسم في مصر لوجدنا أن الشعب المصري إنسان غير متناسق له رأس كبير متضخم لايتناسب إطلاقا مع الجسم الصغير الضعيف ، ولا يستطيع أن يفي باحتياجاته عموما ولا حتى حمل هذا الرأس الكبير فنراه يعمل بكفاءة أقل وبيط أكثر » .

النزوح الى العاصمة

الى أن يقول : « عاصمة كبيرة جدا مزدحمة جدا .. هي عقل مصر ، ولكن من فرط زحامها ومعاناتها توقف عقلها عن التفكير وحدث به مايشبه بالشلل .. شلل في مياه الشرب ، وفي المجاري وفي الطرق والكهرباء والمواصلات الخ ... »

« وباقي أرض مصر ومن عليها من سكان في أقاليم مصر المختلفة يعيشون غير مرتبطين بالعاصمة (أي العقل) ، انهم موزعون في كثافات غير منتظمة .. دائما في نزوح مستمر من القرى والأرياف والنجوع الى العاصمة الأم .. الى القاهرة »

ثم يصل المهندس كفافي في دراسته الى الصورة المرجوة لمصر .. شعب قوي يعيش في أقاليم موزعة توزيعاً سليما مرتبطا ارتباطا عضويا قويا وتتوسط هذه الأقاليم عاصمة تضم نخبة هذا الشعب في نظام وظيفي متكامل لا مجرد اعداد كبيرة بلا وظائف فعلية .

وقد كان هذا هو الهدف الذى بدأ المسؤولون في مصر يسعون الى تحقيقه منذ سنوات بعيدة مضت .. لم تكن الحلول خافية ، ولكن اللجوء اليها والمضي فيها والاسراع بتنفيذها هو الذى تأخر .. ثم بدأ العمل أخيرا منذ خمس أو ست سنوات مضت .. بدأ سريعا جادا وعلى نطاق واسع من أجل بناء مجموعة من المجتمعات الجديدة فى الصحراء المهجورة .. او كما شاء احد المسئولين ان يسميها « الاقمار الصناعية » التى تبتعد بها عن العاصمة بقدر الامكان ، ولكن تبقى بعد ذلك تدور حولها وفى فلكها« لاسباب نفسية » . كما قال وزير الدولة للزراعة والأمن الغذائى الدكتور المهندس يوسف والى .. الرجل الذى امضى حياته مع الزرع والأرض والماء والانسان المصرى .

الوادى دائما

قال لى الوزير عندما ذهبت للقائه فى مكتبه : « هذا الانسان الذى ولد وعاش فى مصر ، ينتمى الى مجتمعات وادى النيل .. لو تأملنا هذا الوادى لوجدناه محاطا بخضرة من حولها صحراء .. نحن نستطيع ان نتوغل فى هذه الصحراء فتتسع رقعة الخضرة ، ولكن لا بد لها فى النهاية ان تكون مرتبطة بوادى النيل .. والعمران فى مصر أيضا مرتبط بالوادى .. وأى عمران لا يرتبط بوادى النيل سيكون مصيره الفشل . »

وتذكرت دموع الأخوة من أبناء السودان الشقيق عندما غمرت مياه بحيرة السد العالى مدينة حلفا ونقلتهم الدولة الى المساكن الجديدة فى المدينة الجديدة التى بنوها لهم فى قلب الصحراء واسموها« خشم القربة » أو « فم القربة » وكنا قد ذهبنا اليهم لزيارتهم فى بيوتهم



الأسواق في مدينة ١٥ مايو . . . فالهدف هو توفير كل الخدمات التي يحتاج اليها ساكنو المدن الجديدة .

جانب من العمارات السكنية الجديدة التي سينتقل اليها العاملون في مصانع حلوان . . . والعمل يجري على قدم وساق لاستكمال مباني المدينة الجديدة في قلب صحراء القاهرة . . . . هنا يعيش شباب المستقبل .



إحدى المهندسات العاملات في المدينة السكنية الجديدة (١٥ مايو) . . . وحدها في الطريق المقفر عائدة إلى شقتها الجديدة بعد انتهاء عملها . . . غدا ستدب الحياة في المجتمع الجديد ، بعيدا عن صخب القاهرة وزحامها .

وفى مدينتهم التى تبعد عدة مئات من الكيلومترات عن مدينتهم القديمة الغارقة وكانت تشرف على نهر النيل مباشرة .. وكانوا يبكون .. لماذا ؟ « لأننا افترقنا عن النيل حبيبنا » وما حدث لأهل حلفا حدث لسكان النوبة .. وقد بدأ هؤلاء وهؤلاء يعودون الى أرضهم القديمة بعد أن انحسرت عنها مياه السد .

وقال الوزير : « وقد بدأنا كما تعلمون بمديرية التحرير .. وهى أيضا مرتبطة بالوادى فهى لا تبعد كثيراً عنه . وكذلك مشروع الصالحية مرتبط بوادى النيل ، حقيقة انه يقع على أطراف الصحراء الشرقية ولكنه قريب من ترعة الاسماعيلية » .

وشيئا فشيئا بدأت المجتمعات الجديدة تخرج الى النور . مدن زراعية .... ومدن صناعية .. ومدن زراعية صناعية فى آن واحد ، مدينة العاشر من رمضان ، الصالحية ، مدينة السادات ، مدينة ١٥مايو ، العامرية ، ٦اكتوبر ، العبور ، الأمل ، بدر وأخيرا مدينة وميناء دمياط .

وحرنا من أين نبدأ .. امامنا عشرة ايام والمطلوب منا أن نقدم خلال هذه الفترة القصيرة صورة سريعة للانجازات التى تحققت من أجل انقاذ القاهرة وسكانها من الاختناق الذى تعانى منه ثانى اكبر عاصمة فى العالم من حيث الكثافة السكانية ـ بل ربما كانت الأولى .

ماذا فعلت الدول الأخرى ؟

وفى الكثير من الدول التى مرت عواصمها بما تمر به القاهرة الآن من زحام واختناق وضوضاء وتلوث للبيئة فى الماء والهواء .. حدثت هجرة الى مدن جديدة اتخذت منها الحكومات مقعدا لها ، وتغيرت عواصمها .. تركت العواصم القديمة ونزحت الى الجديد البعيد .. الى المستقبل .. حدث هذا فى البرازيل وفى الهند وفى المانيا وغيرها ولم تعد العاصمة بالضرورة هى اكبر مدن الدولة ، بل هى فى كثير من الاحيان اصغرها اطلاقا ..

قال لى احد المسؤولين عن التخطيط فى مصر : « من يدرى فقد تصبح إحدى هذه المدن الجديدة فى مصر عاصمة لها فى المستقبل .. »

ولم تطل وقفتنا طويلا .. بدأنا بمدينة العاشر من رمضان التى تقع على مسافة خمسة وخمسين كيلو مترا من قلب القاهرة ، وعلى طريق القاهرة الاسماعيلية الصحراوى .. هناك بدأت هيئة المجتمعات العمرانية فى فتح آفاق جديدة لتوطين السكان من الشباب الأعزب والمتزوج .. هؤلاء الذين يتطلعون الى حياة افضل تقوم على اساس من التجانس فى المعيشة والتآلف والتعاون والتضامن فى ظل مجموعة من القيم الأصيلة التى تهدف الى هجر المدن القديمة والتطلع الى الأراضى الفسيحة بعيدا عن الزحام ، حيث النقاء والجمال والحرية والفضيلة .

وفى العاشر من رمضان التقينا بالشبان الذين يعيشون المستقبل .. والذين تركوا الماضى فى العاصمة المكتظة بكل مساوئه ومشاكله المتراكمة .. هناك وجدنا مجتمعا جديدا متكاملا .. مجتمعا عمرانيا يتيح فرص عمل جديدة لآلاف الشباب من الجنسين ..

مجتمع صناعى جديد

يقول المهندس محمد ابو الفتوح رئيس جهاز مدينة العاشر من رمضان : « لقد كانت هذه اول منطقة وقع عليها الاختيار لاقامة مجتمع جديد فى الصحراء فى السنوات الأخيرة حقيقة كانت البداية فى مديرية التحرير بقطاعيها الجنوبى أولا ثم الشمالى ، ولكنها كانت مجتمعا زراعيا . وكذلك الوادى الجديد فى منطقة الواحات بالصحراء الغربية اما مدينة العاشر من رمضان فقد كانت اول مجتمع صناعى جديد ..

وقد بدأ العمل فى بنائها فى عام ١٩٧٧ ، وما



التوسع المقترح في العمران في مصر

زال جاريا لاتمام المرحلة الاولى من أربع مراحل عندما تكتمل كلها ستصبح المدينة قادرة على استيعاب مليون نسمة بعد خمسة عشر عاما او أقل او اكثر . .

« حقيقة ان المدينة يسكنها اليوم اكثر من عشرة آلاف نسمة . ولكن عندما تكتمل المرحلة الاولى بعد عامين سوف يصل عدد سكانها الى مائة وخمسين الف نسمة وكل سكان المدينة يعملون في المصانع التي أقيمت فيها ومن حولها . . اكثر من خمسة وثلاثين مصنعا لمواد البناء وهياكل الصلب والسجاد الآلي . وهو مشروع مصري - كويتي . ومصانع أخرى للمنسوجات والأخشاب والثلاجات والمواد الغذائية . . إن استثمار رؤوس الأموال العربية والأجنبية يلقى تشجيعا كبيرا في مصر فالاراضي تباع للمستثمرين باسعار مدعمة والمشروعات الصناعية التي تقام عليها معفاة من الضرائب لمدة عشر سنوات . وكذلك المعدات والآلات المستوردة معفاة هي الأخرى من الرسوم الجمركية » .

استقلال ذاتي

من هم الذين يعملون في هذه المدن ومن اين يجيئون ؟ - انهم خريجو الكليات العلمية والمعاهد الحرفية من سكان القاهرة . فهذه المجتمعات الجديدة قامت أساسا من أجل التخفيف من حدة الضغط على العاصمة . انهم يأتون للعمل هنا . ويتملكون الشقق التي يسكنونها باسعار التكلفة ويدفعون ثمنها على آجال طويلة . . الهدف هو توفير العمل المنتج والسكن الصحي لعشرات الألوف من الشباب الذين ضاعوا وسط زحام العاصمة ثم هم بعد ذلك ليسوا في حاجة الى الخدمات التي تقدمها العاصمة لسكانها . . ففي



دور الحضانة اهتم القائمون على العمل في بناء المدينة
الجديدة بإقامتها لرعاية أطفال العاملات في المصانع

(فوق) جانب آخر من المدينة السكنية التي لم تكتمل بعد . . . عشرات الألوف من الشقق الخالية التي تنتظر ساكنيها
بعيدا عن العاصمة التي ضاقت بما فيها وما عليها . . . (إلى اليسار) .



هذه المدينة وغيرها من المدن الاخرى الجديدة ، مدارس ومستشفيات ومحال تجارية ودور للعبادة « مسجد وكنيسة » وسط كل تجمع سكاني جديد . . نواة لمدينة كبيرة يمكن ان تتسع وتكبر اذا استطعنا ان نحقق لها الاستقلال عن العاصمة .

ويقول المهندس حسب الله الكفراوي وزير التعمير ووزير الدولة للاسكان واستصلاح الأراضى ، الرجل الذى أشرف على تعمير مدن قناة السويس واعادة بنائها منذ عشر سنوات تقريبا ، يقول ان المشروع الذى تهتم الدولة الأن بدراسته وتنفيذه يقوم اساسا على توزيع ثلاثة ملايين مواطن على الأقل من القاهرة فى الامتداد الصحراوى للقاهرة الكبرى ، على أن يتحقق هذا خلال اربع سنوات من الآن على الاكثر . .

والامتداد الصحراوى الذى عناه الوزير هو المدن او المجتمعات الجديدة التى قامت وتقوم فى الأرض الصحراوية التى تحيط بالقاهرة .

بدأت عملية الانقاذ

ويقول الوزير : ان اقتراحات وزارية تتضمن أيضا استصدار قانون يمنع اقامة أية انشطة اقتصادية من شأنها ان تجذب السكان داخل الكتلة العمرانية الاساسية للقاهرة ، ونقل هذه الانشطة الى المجتمعات العمرانية الجديدة ، كما تتضمن هذه الاقتراحات ايضا الاسراع فى اعداد الدراسات التنفيذية للطريق الدائرى الخارجى حول القاهرة الكبرى ، لحل مشكلة المرور .

« كذلك الاسراع بنقل الأنشطة التى تتسبب فى تلوث البيئة الى مناطق بعيدة جديدة فى الاراضى الصحراوية ، وكذلك نقل بعض الوزارات والأنشطة المتصلة بها الى مناطق حضارية جديدة للتخفيف من المركزية وعدم التوسع فى اقامة منشآت جديدة لبعض الكليات الجامعية فى مدينتى القاهرة والجيزة . . اننا نستطيع ان ننقل هذه الكليات، ونتوسع فى اقامتها فى المجتمعات الجديدة بعد ان تتوافر الخدمات والمساكن اللازمة لسكن الاساتذة والطلبة واسرهم » .

وفى مدينة ١٥ مايو رأينا عملا اكبر واكثر اكتمالا ، فقد ظهرت معالم المدينة الجديدة ، ربما لأن العمل فيها كان أسرع والاهتمام بها نابع من حاجة ملحة . . فهناك ألوف العمال الذين يعملون بالمصانع القريبة منها ، والذين يأتون من اعمالهم قاطعين المسافة الطويلة من القاهرة بالقطار كل يوم . . فهى تقع جنوب شرقى مدينة حلوان الصناعية التى قامت فيها صناعة الحديد والصلب وصناعة السيارات وغيرها ، ومن هذا الواقع خرجت فكرة بناء مدينة لسكنى العاملين فى هذه المصانع لتوفير الوقت والجهد الذى يبذلونه فى رحلة الذهاب الى اعمالهم والعودة منها الى بيوتهم فى القاهرة . . وما سوف ينتج عن ذلك من تخفيف الضغط على العاصمة التى ناءت بحملها الثقيل .

والمدينة الجديدة عندما تكتمل بمراحلها الثلاث ، سوف تشغل مساحة تزيد على سبعة وعشرين كيلو مترا مربعا ، تشكل الحدائق والطرق اكثر من ستين في المائة من مجموع مسطحها ، وقد اوشكت المرحلة الأولى التي بدأ العمل في بنائها عام ١٩٧٨ ، على الانتهاء ، وهي تضم حوالى اثنى عشر الفاً من الوحدات السكنية يمكن أن تستوعب في المتوسط ستين الف نسمة ، وهي مقسمة إلى عدد من الأحياء ، في كل حي منها سوق تجاري ومدارس لمختلف مراحل التعليم ابتداء من الحضانة حتى التعليم الابتدائي ، ثم دور العبادة (مسجد وكنيسة) ، ومستشفيات ونواد رياضية واجتماعية . . وكل ما يمكن ان يحتاج اليه ساكن المدينة الجديدة بحيث يستطيع أن يستغني تماما عن اللجوء الى العاصمة التي سيظل يرتبط بها عاطفيا لفترة من



ثوران من ثيران الأنابيب ... كانت تجربة رائدة في الصالحية ، ونجحت .

الزمن قد تطول وقد تتكرر زيارته لها خلالها ، ثم لا يلبث بعد ذلك ان يعتاد على حياته الجديدة في هذا المجتمع الجديد الذي سيتطور مع الأيام ويجد فيه كل ما افتقده من مظاهر الحياة في العاصمة ، بعيدا عن الزحام والضوضاء .

أصحاب المساكن الجديدة

يقول المهندس محمود حسان مدير عام التنفيذ بمدينة ١٥ مايو : « العاملون في حلوان هم الذين سيمتلكون الوحدات السكنية في المدينة الجديدة ، بانواعها الثلاثة الاقتصادية والمتوسطة والفاخرة ، والنوع الأول هو الغالب ، وهو الذي يشكل اكبر نسبة من هذه المساكن حتى يمكن ان تكون في متناول يد العامل الذي لن يدفع اكثر من عشرة في المائة من قيمتها مقدما وباقي الثمن على أجل طويل . هناك نسبة من هذه المساكن خصصت ايضا للمتزوجين حديثا ونسبة اخرى لحالات الاخلاء الاداري بسبب الهدم او اية اسباب اخرى ، ولكن الاولوية للعاملين في حلوان ، فهذا هو الهدف الاساسي من بناء المدينة الجديدة » .

نموذجان للمدن الجديدة التي قامت وتقوم لحل مشكلة الاختناق في العاصمة ولكن كان التخطيط لها هو افضل ما توصل اليه الخبراء ؟

يقول البعض ان هذه المدن الجديدة ستصبح ضواحي للقاهرة ومدناً تدور في فلك العاصمة .. ومع مرور الأيام ستشكل عبئا جديداً عليها ، واننا اذا نظرنا الى الخريطة التي تبين موقع كل منها ، وجدنا انها ـ أي هذه المدن ـ سوف تزيد من الكثافة السكانية في منطقة الدلتا ، التي تضم الآن ما يقرب من نصف سكان مصر او اكثر .

خط الدفاع الأول

ويرى فريق من الخبراء ان بعض هذه المدن قد قام فعلا في مكانه السليم على اطراف الصحراء الشرقية ، أما بقية المدن ، كالعامرية و ٦ اكتوبر ومدينة السادات فقد قامت في الجانب الغربي عند ابواب الصحراء الغربية ، وكان الأولى والأجدى أن يوجه الاهتمام كله الى الصحراء الشرقية على طول وادي النيل جنوبا في الأرض الممتدة حتى شواطىء البحر الأحمر .. لماذا ؟

لأن الصحراء الشرقية هي خط الدفاع الأول لوادي النيل ، وهي العمود الفقري لمصر كلها ، واذن فلا بد من تقويته ، ولن يتحقق ذلك الا بتعمير الصحراء ، بحيث تكون هناك مدن في الخط الاول على ساحل البحر الأحمر .. ثم مدن أخرى قريبة من الوادي على بعد يتراوح بين عشرين وثلاثين كيلو مترا .. وهكذا .

ثم ان المسافة بين وادي النيل وساحل البحر الأحمر ليست كبيرة فهي مثلا بين ميناء سفاجة على البحر ونجع حمادي حيث يقوم مصنع الألومنيوم لا تزيد على مائة وعشرين كيلو مترا ، حتى أن بعض الخبراء كانوا يفكرون في شق قناة تصل بين المدينتين بدلا من مد مواسير المياه . وكذلك لا تزيد المسافة بين أبعد نقطتين من الوادي الى شاطىء البحر على مائتين وخمسين

مشروع الصالحية من أنجح المشروعات التي شهدتها صحراء مصر في السنوات الأخيرة .. فقد تحولت رمال الصحراء
إلى حقول غنية خضراء بفضل المياه .. وقامت مساكن حديثة لإيواء العاملين في هذا المجتمع الزراعي الصناعي الجديد

تربية الحيوانات [illegible] على جانب [illegible] الأبحاث [illegible] على الطريق الصحراوي ، وحلب الأبقار

[illegible] حديثة [illegible] في [illegible] ، تعطي ٣٥ كيلو جرام من الحليب يومياً ▼

كيلو مترا

ويقول المهندس حسن كفافي في دراسته التي خرج منها بأن الصحراء الشرقية وليست الصحراء الغربية هي التي يجب ان تتجه اليها مصر من أجل توسيع الرقعة الزراعية فيها وإقامة مناطق جذب جديدة للأعداد المتزايدة من سكانها ، لأن الأولى قريبة من الوادي بينما تبعد الثانية عن وادي النيل ، ثم القول بوجود خزان جوفي هائل للمياه تحت رمالها ، لا يغنيها عن الارتباط بالوادي .

ثم بعد هذا مشكلة الرمال الزاحفة ، والصحراء الشرقية خالية منها تماما ، بينما هي تمثل مشكلة أساسية في الصحراء الغربية . . حديثا دفعت الرياح الشديدة الكثبان الرملية أمامها فغطت قرى بكاملها . . ولم يكن ما حدث مفاجأة فقد كانوا يحسبون لهذه الظاهرة حسابها واقاموا مصدات الرياح عند انشاء هذه القرى في عام ١٩٦٠ .

ولكن الرمال كانت اقوى فقد اجتاحت امامها كل شيء حتى وصلت الى المنازل فغطتها واتلفت النخيل والمحاصيل الزراعية .

زحف الرمال قديما وحديثا

وقديما اختفى جيش قمبيز ، ملك الفرس باكمله ، وكان يضم خمسين الف فارس ، اثناء زحفهم لغزو واحة سيوة . . ولكن الرمال كانت أسرع منهم ، فقد زحفت بدورها بقوة وعنف وقضت على الجيش كله . .

حدث هذا في عام ٥٢٥ قبل الميلاد . . والغريب انه لم يفلت من هذه المقبرة جندي واحد ليروي ما حدث ولكن التاريخ سجل الحادث عندما تحركت الرمال مرة أخرى بعد خمسة وعشرين قرنا وكشفت عن بعض الهياكل العظمية لفرسان هذا الجيش .

وأهل واحة سيوة يشكون من الرمال التي تتلف زراعتهم . . وسكان الوادي الجديد - احد المشروعات الرائدة التي قامت بها الثورة في مصر ، والذي يعد أكثر اهمية من بناء السد العالي ، للاقتصاد المصري - ، أيضا يعانون من زحف الرمال على بيوتهم وزراعتهم رغم مصدات الرياح التي تشكل حزاما كثيفا عاليا حول الوادي كله .

وقبل الوادي الجديد كانت هناك مديرية التحرير بقطاعيها الجنوبي اولا ثم الشمالي . . وتعثر القطاع الثاني ، بينما بلغت نفقات القطاع الأول رقما فاق كل ماكان مقدرا له .

ولكن الصحراء الغربية ما زالت أمل مصر في التوسع الزراعي . يقول الدكتور المهندس يوسف والى وزير الزراعة : « هناك مجال جديد في الوادي الجديد وفي منطقة شرق العوينات في الصحراء الغربية . اما بالنسبة للمنطقة الثانية فهناك الآن مشروع تعمل فيه وزارة البترول حاليا باجراء الدراسات لاستصلاح هذه الأراضي .

ثم يقول الوزير : « ان هذا المشروع يعتمد على اقامة طرق برية ، وقد وصلت هذه الطرق بالفعل الى منطقة شرق العوينات وتم تنفيذ مايزيد على سبعمائة كيلو متر ويجري العمل الآن لتنفيذ تسعمائة كيلو متر أخرى . . وهذه الطرق سوف تؤدي بطبيعة الحال الى ايجاد عمران في منطقة الوادي الجديد وشرق العوينات . وفي الوقت نفسه تقوم وزراة البترول بالتعاون مع وزارة الزراعة والري بحصر مياه الخزان الجوفي في منطقة الصحراء الغربية . .

« وقد امكننا التعرف على مصدر هذه المياه الجوفية ، انها قادمة من تشاد ومن السودان ، وهي مياه متجددة وليست مخزونة من آلاف السنين ، وتقوم وزارة الزراعة حاليا بدراسة نوع المحاصيل التي يمكن زراعتها في الوادي الجديد وشرق العوينات . هناك اقتراح بزراعة المنطقة قمحاً . والوزارة من ناحيتها تقوم بدراسة اقتصاديات المشروع ، نحن اليوم امام

ابواب ثورة زراعية ، ولا بد لنا أن نطرقها جميعا لكي نصل الى تحقيقها » .

فاذا علمنا ان الرقعة المزروعة في مصر لا تشكل اكثر من ستة ملايين فدان تنتج رقعة محصولية تتراوح بين عشرة وأحد عشر مليونا من الفدادين كل عام ، وأن هذه الرقعة الزراعية لم تتسع أفقيا خلال نصف القرن الأخير الا بمقدار ٩٤٠ ألف فدان (بعد بناء السد العالي) . ادركنا على الفور ان هذا الاتساع لا يتفق اطلاقا مع الزيادة المستمرة في تعداد سكان مصر الذين تضاعف عددهم خلال ربع القرن الأخير .

الأرض ، الأرض صيحة العصر

هناك أسباب أخرى كثيرة ادت الى تقلص الرقعة الزراعية بدلا من زيادتها ولكن ليس هذا مجال الحديث عنها . المهم ، كما قال وزير الزراعة ان الصيحة الآن في مصر هي الأرض . . . الأرض . . كيف نستصلحها . . وكيف ننميها وكيف نحافظ عليها ، لأن ما تستورده مصر من الغذاء الآن يبلغ ثلاثة أضعاف ما تنتجه أرضها . . اننا نقول للمواطنين : « من يستصلح ارضا فهي ملك له » .

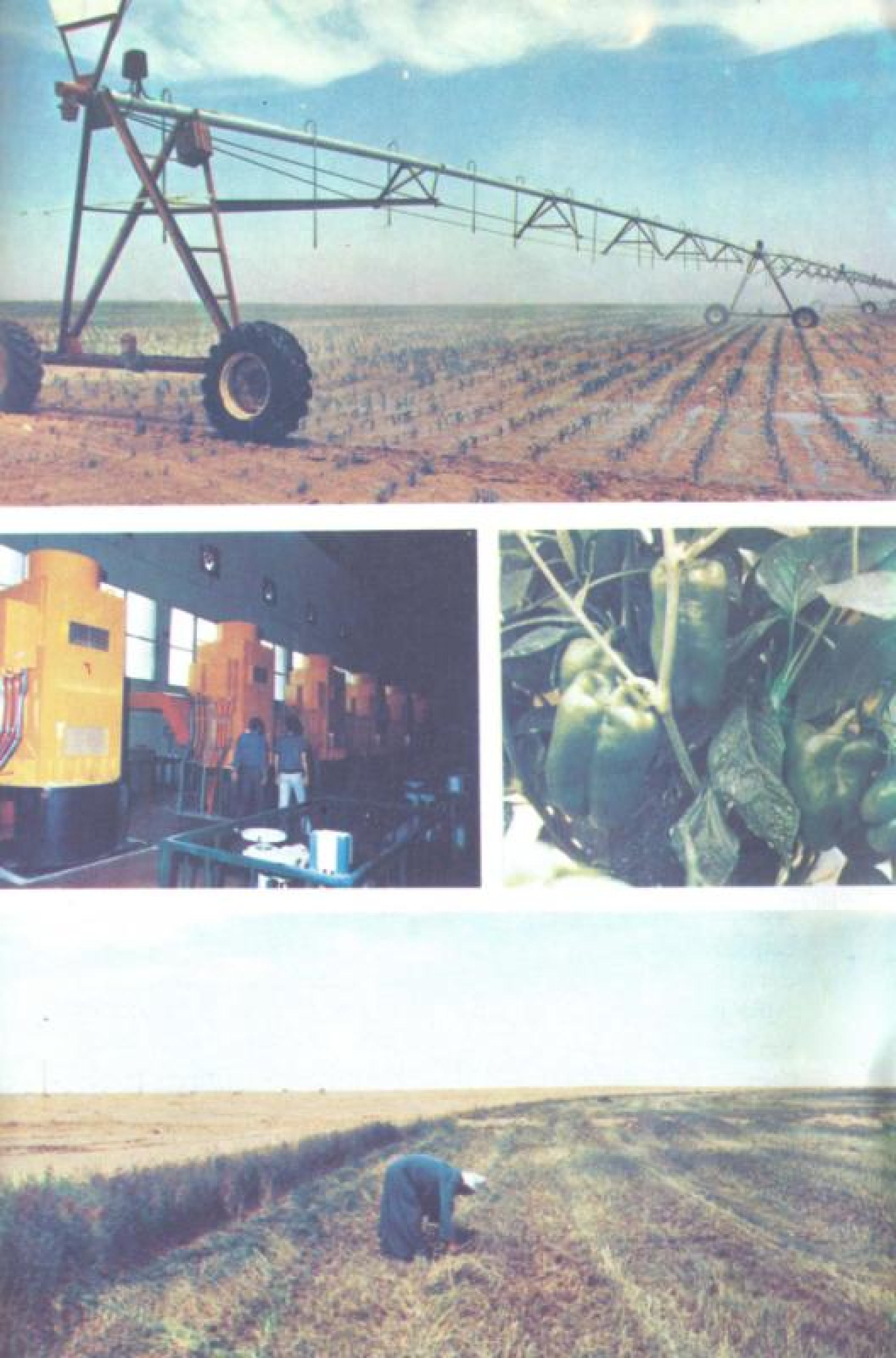
بذلك وحده يمكن للقطاع الخاص ان يسهم مساهمة فعالة مع القطاع العام في استصلاح الأراضي .

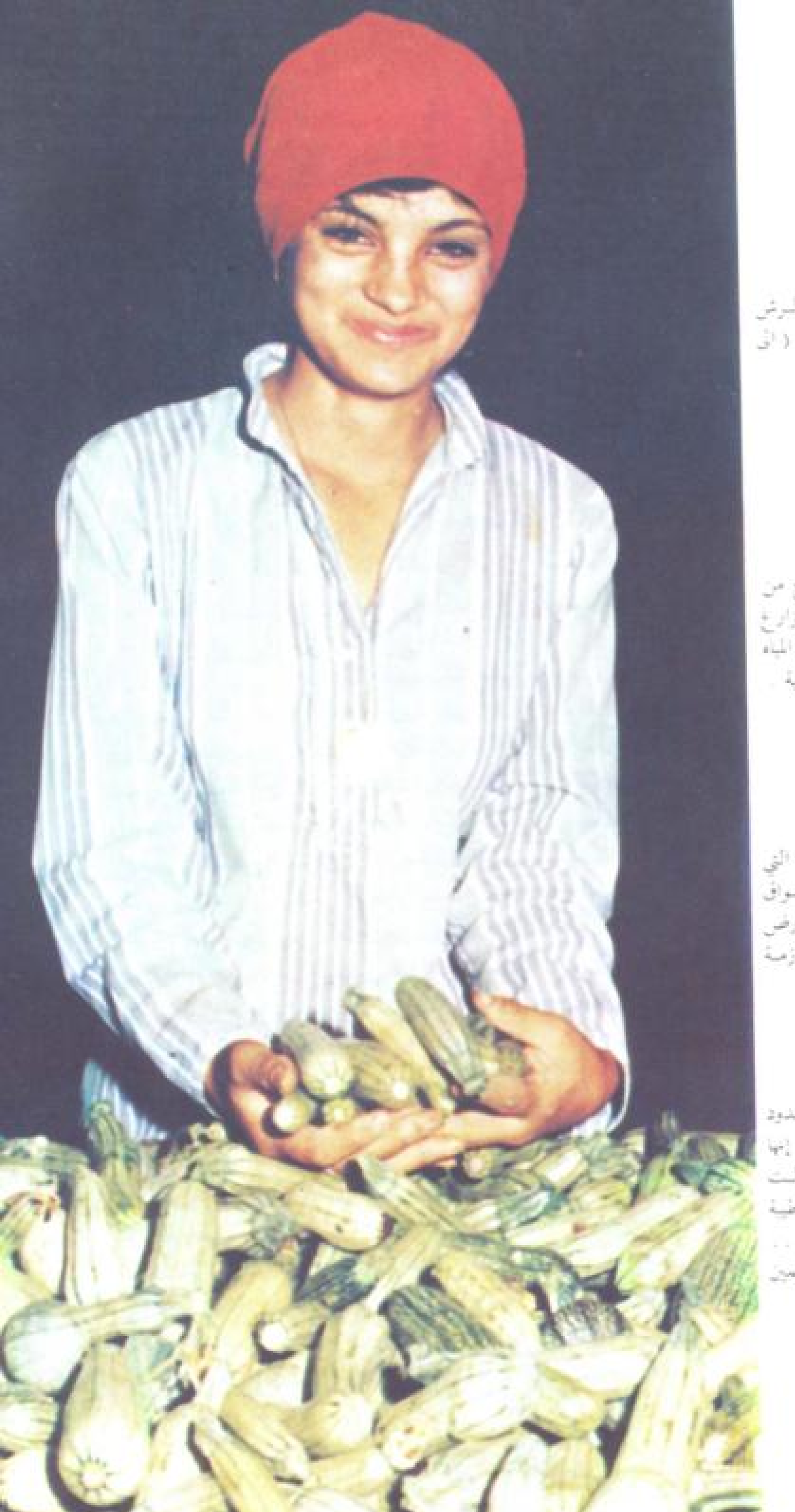
وفي الصالحية على الطريق الممتد بين القاهرة والاسماعيلية وعلى بعد مائة كيلو متر من قلب العاصمة عند أطراف الصحراء الشرقية بالقرب من ترعة الاسماعيلية ، شاهدنا نموذجا لواحد من أكبر المشروعات التي اسهمت وسوف تسهم عند اكتمالها في حل أزمة الغذاء واقامة مجتمعات جديدة في قلب الصحراء .

ربما كانت ثقة القائمين على هذا العمل في أنفسهم وفي المشروع الكبير الذي اخذوا على عاتقهم مهمة النهوض به هي السبب في أن احدا منهم لم يكلف نفسه عناء لقاء هؤلاء « الفضوليين » الذين جاءوا خصيصا قاطعين آلاف الكيلو مترات من بلد عربي شقيق لتسجيل جانب من الجهود التي تبذل من اجل مصر ومستقبل مصر .

لقد ذهبنا اليها على اية حال فنحن في بلدنا . . بلد كل عربي . . نحن في مصر ، وعرفنا طريقنا بلا مجهود ، وفوق أرض الصالحية التقينا بالشباب الذي يعيش المستقبل بكل ما يحمله لهم . . كل شيء هناك يعمل وفق احدث ما توصل اليه العلم في الزراعة والري وتربية الحيوانات والدواجن . . ستة وخمسون الف وخمسمائة فدان تم استصلاحها واستزراعها في قلب الصحراء خلال فترة زمنية قصيرة لا يمكن مقارنتها بحجم العمل الذي شارك فيه الألوف من الشباب الذين يعملون في هذه الشركة التي تعد واحدة من اكبر شركات القطاع الخاص للبناء والتعمير في مصر . حتى المدينة السكنية سجلوا رقما قياسيا في سرعة انجازها ، فقد تمت المرحلة الاولى ببناء ما يقرب من ٢٣٠٠ وحدة سكنية في اقل من سبعة اشهر . . في هذه المدينة الصغيرة سوف يقيم العاملون في الصالحية مع أسرهم بعد ان توفرت لهم كل المرافق والخدمات .

هنا رأينا الصورة التي تتكرر في العالم العربي . . في كل ركن خرج اليه الانسان يبحث عن الخير في باطن الأرض . . ولكن ربما كانت في مصر اكثر وضوحا واكثر مدعاة الى التأمل ، لأن فيها نهرا عظيما . . صورة الصحراء بلونها الاصفر جنبا إلى جنب مع لون الزرع الأخضر . . خيط رفيع هو نفسه الذي يفصل بين الموت والحياة . . وقد أراد الانسان الحياة فقهر صمت الصحراء وظلامها وجدبها ، وتحولت من حوله الى أرض طيبة تحمل اليه رحيق الحياة . ○





أحدث وسائل الري بالرش المحوري في الصالحية . . . (الى اليمين) .

(الى أقصى اليمين) نموذج من انتاج الخضروات في مزارع الصالحية . ثم ماكينات ضخ المياه الرئيسية من ترعة الاسماعيلية .

(الى اليسار) الخضروات التي تنقل من الصالحية الى أسواق القاهرة لقد ساهم انتاج الأرض الجديدة في التخفيض من أزمة الخضر والألبان واللحوم .

خيط رفيع يمتد على طول حدود الأرض التي تنبض بالحياة . . . إنها الارادة القوية التي حولت الصحراء وظلامها الى أرض طيبة تحمل للانسان رحيق الحياة . . . هذه هي الصالحية . (الى اليمين أسفل) .



ضغط الدم وما لا نعرفه عنه

بقلم : دكتور سامي عزيز

يرجع ارتفاع ضغط الدم الى العديد من الأسباب ، ولكن ما هي أنواع ارتفاع ضغط الدم وما هي المضاعفات التي قد تنجم عن اهمال علاج ضغط الدم ؟ وكيف نقي أنفسنا شر هذا المرض اللعين ؟ وما هو الجديد الذي قدمه لنا الطب في هذا المجال ؟

يعتبر ارتفاع ضغط الدم مسؤولا عن ١٠ - ٢٠٪ من أسباب الوفاة وذلك بطريقة مباشرة أو غير مباشرة عن طريق تأثيره الضار ، والمضاعفات التي تنجم عنه ، على أعضاء الجسم المهمة كالقلب والشرايين التاجية والكليتين وشرايين المخ . ويقاس ضغط الدم عادة في الذراع بلف كيس من المطاط حول (الذراع) ثم نفخ الهواء بالقدر الذي يرفع من الضغط حول الذراع بحيث يوقف سريان الدم في الشريان العضوي ويضع الطبيب سماعة أسفل الكيس فوق الشريان العضوي ويبدأ في تفريغ الهواء من حول الذراع تدريجيا . وحين يبدأ في سماع صوت النبض في الشريان فان ذلك هو مقدار ضغط الدم الانقباضي . ويستمر في تفريغ الهواء حول الذراع ويقاس الضغط الانبساطي عندما يتغير صوت النبض فجأة أو يتلاشى .

لا يمكن اعتبار ارتفاع ضغط الدم الانقباضي بمفرده ارتفاعا حقيقيا في ضغط الدم . حيث ان ارتفاع ضغط الدم الانقباضي في هذه الحالات لايصاحبه ارتفاع في ضغط الدم الانبساطي . بل في أغلب الأحيان يكون ضغط الدم الانبساطي في هذه الحالات أقل من المعدل الطبيعي ، وبالتالي يكون الفرق بين الضغط الانقباضي والضغط الانبساطي - وهو ما يعرف باسم PULSE PRESSURE - ذا قيمة عالية ويعرف اكلينكيا باسم WATER HAM-MER PULSE .

أما أسباب ارتفاع الضغط الانقباضي فهي :

١ - ارتجاع الدم في الصمام الأورطي وفي بعض حالات الارتجاع الميترالي الشديدة .

٢ - بعض التشوهات الخلقية في القلب مثل استمرار وجود القناة التي تربط بين الأورطي والشريان الرئوي .

٣ - بعض الحالات التي تكون مصحوبة بسرعة جريان الدم في الدورة وهي ما تعرف باسم HYPERDYNAMIC CIR-CULATORY STATES كما في :

زيادة افراز الغدة الدرقية ، الأنيميا الشديدة ، ومرض البري بري ، وفي أثناء الحمل ، وفي الحالات التي تصاحبها زيادة في افراز الادرينالين في الدم .

٤ ـ حصار القلب الكامل (بطء النبض) حيث ينقبض القلب نتيجة الانقباضات التلقائية من البطين بمعدل ٣٠ ـ ٤٠ مرة في الدقيقة .

٥ ـ تصلب الشرايين وفقدان المرونة فيها ـ ولذلك فالشرايين المتصلبة لا تنبسط مع انقباض القلب مما يؤدي الى ارتفاع شديد في ضغط الدم الانقباضي ولا تنقبض مع انبساط القلب مما يؤدي الى هبوط في ضغط الدم الانبساطي وهذا يؤدي الى زيادة في **PULSE PRESSURE** (الفرق بين ضغط الدم الانقباضي وضغط الدم الانبساطي) .

أسباب ارتفاع ضغط الدم :

ارتفاع ضغط الدم الانبساطي أو الارتفاع الحقيقي لضغط الدم غالبا ما يكون بدون سبب معروف وهذا ما يعرف بارتفاع ضغط الدم الأولي أو الارتفاع الأساسي لضغط الدم ، أما الحالات الباقية وتقدر بحوالي ١٠٪ فهي المعروفة بارتفاع ضغط الدم الثانوي ذلك أن ارتفاع الضغط يكون نتيجة لسبب معروف طبيا مثل ضيق في أحد الشرايين الكلوية أو الاصابة بمرض في الكليتين أو بعض أمراض الغدد الصماء مثل زيادة افراز أو وجود ورم في الغدة الكظرية .

أولا : ارتفاع ضغط الدم الأولي (الأساسي) :

وهو مسؤول كما قلنا سابقا عن حوالي ٨٠ ـ ٩٠٪ من حالات ارتفاع ضغط الدم الانبساطي ولكن سببه ما زال غير معروف وقد وضعت بعض النظريات لتفسير ارتفاع ضغط الدم في هذه الحالات كمحاولة لمعرفة السبب منها :

النظرية الأولى : تفترض أن هناك نقصا في كمية الدم التي تصل الى الكليتين مما يترتب عليه زيادة افراز مادة الرنين وهذه يتبعها زيادة في مادة انجيوتينسن I ثم مادة انجيوتينسن II **ANGIOTENSIN II** التي تؤدي الى انقباض الأوعية الدموية وبالتالي ارتفاع ضغط الدم .

أما النظرية الثانية : فهي تفترض أن سبب ارتفاع ضغط الدم هو زيادة في نشاط مركز تنظيم قطر الأوعية الدموية . وهذا المركز موجود في المخ . وزيادة نشاط هذا المركز تتبعها زيادة في الاشارات التي يرسلها هذا المركز عبر الأعصاب الى الأوعية الدموية وبالتالي انقباض هذه الأوعية وارتفاع ضغط الدم .

والنظرية الثالثة : ترجع ارتفاع ضغط الدم الى زيادة افراز الغدة الكظرية (القشرة الخارجية لهذه الغدة) وبالتالي زيادة افراز مادة الالدوستيرون **ALDOSTERON** في الدم مما يترتب عليه زيادة في كمية الصوديوم المحتجز في الدم وبالتالي ارتفاع في ضغط الدم .

والنظرية الرابعة : ترجع ارتفاع ضغط الدم الى عوامل وراثية .

والنظرية الخامسة : ترجع ارتفاع ضغط الدم الى وجود أكثر من عامل من العوامل السابق ذكرها .

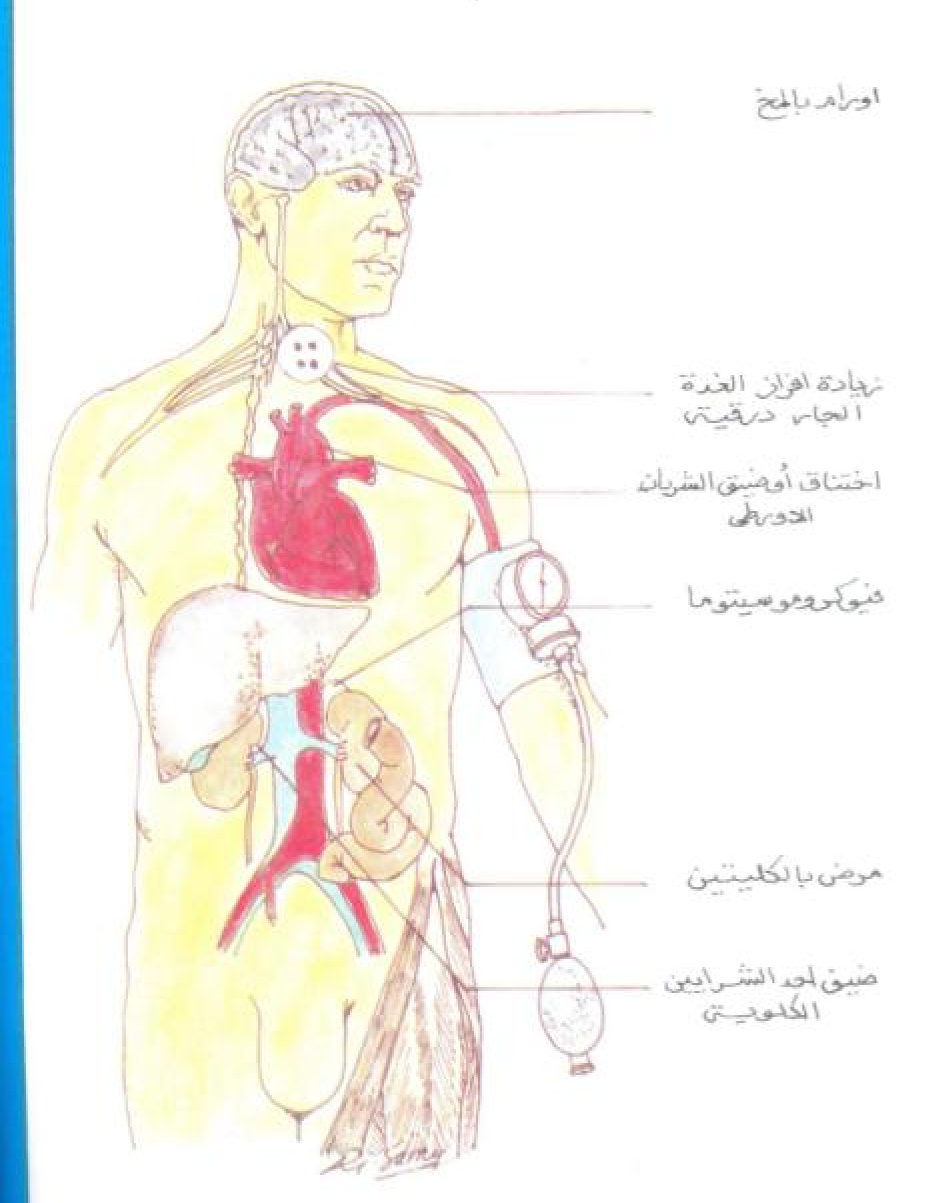
وهكذا فان ارتفاع ضغط الدم الاولي (الأساسي) مازال غير معروف السبب وكل ما كتب عنه هو مجرد نظريات كمحاولة لتفسير أسباب ارتفاع ضغط الدم .

ثانيا : ارتفاع ضغط الدم الثانوى :

وهو مسئول عن حوالي ١٠٪ من حالات ارتفاع ضغط الدم .

١ ـ ارتفاع ضغط الدم نتيجة مرض

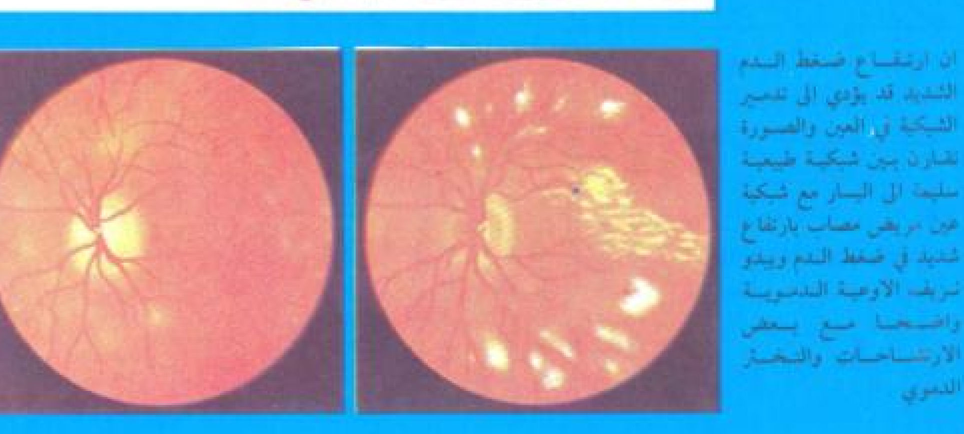
بعض أسباب ارتفاع ضغط الدم الثانوي



تغذية عضلة القلب بشبكة من الشرايين التاجية .



قطاع عرضي لشريان صغير في العين عند مصاب بمرض ضغط الدم الخبيث ويبدو فيه جدار الشريان وقد اصبح سميكا جدا .



ان ارتفاع ضغط الدم الشديد قد يؤدي الى تدمير الشبكية في العين والصورة تقارن بين شبكية طبيعية سليمة الى اليسار مع شبكية عين مريض مصاب بارتفاع شديد في ضغط الدم ويبدو نزيف الاوعية الدموية واضحا مع بعض الارتشاحات والنخاز الدموي

بالكليتين : وقد يكون السبب هنا ضيقا في أحد الشرايين الكلوية أو مرضا في الكليتين مثل الالتهابات المزمنة أو وجود أحد الأورام بالكلية أو نتيجة لبعض الأمراض الخاصة « بالايض » مثل مرض البول السكري .

٢ ـ ارتفاع ضغط الدم نتيجة لاضطراب بعض الغدد الصماء : مثل زيادة افراز الغدة الكظرية مثل مرض كوشينج أو زيادة افراز الغدة النخامية أو نقص افراز الغدة الدرقية أو فيوكروموسيتوما PHEOCHRO-MOCYTOMA وهو زيادة افراز مادة النورادرينالين أو الادرينالين لوجود ورم في المنطقة الداخلية للغدة الكظرية .

٣ ـ ارتفاع ضغط الدم نتيجة بعض أمراض الدورة الدموية والقلب : مثل وجود اختناق أو ضيق بالشريان الأورطي أو مرض يكوّن العقد حول الشرايين الملتهبة .

٤ ـ ارتفاع ضغط الدم نتيجة بعض أمراض الجهاز العصبي : مثل وجود أورام بالمخ مما يؤدي الى زيادة الضغط داخل الدماغ .

٥ ـ أسباب أخرى مثل تسمم الحمل والتسمم المزمن بمادة الرصاص . . . . الخ .

الصورة الاكلينيكية لارتفاع ضغط الدم :

مما يؤسف له أن ارتفاع ضغط الدم ليست له أعراض محددة وعادة ما تكون أعراضه بطيئة في ظهورها وربما يرتفع ضغط الدم بدون أي أعراض تلفت نظر المريض لعدة سنوات . وكثيرا ما يكتشف الضغط المرتفع بعد حدوث أحد المضاعفات والصداع الذي يشكو منه الكثير من المصابين بارتفاع ضغط الدم وقد لايشعر به المريض الا بعد أن يعرف أن ضغطه مرتفع .

وعموما تعتمد الأعراض على نوع ارتفاع ضغط الدم ويمكن تقسيم ذلك الى :

أولا : الارتفاع الحميد لضغط الدم :

هذا النوع الحميد يتميز بأنه بطيء في نموه حتى تكتمل صورته النهائية لذلك فغالبا ما يكون غير مصحوب بأعراض وقد تم تقسيم هذا النوع الى أربع مراحل ، والمرحلة الأولى هي أولى مراحله وأقلها خطورة وأما المرحلة الرابعة فهي المرحلة الأخيرة حيث تبدأ المضاعفات في الظهور .

ثانيا ـ الارتفاع الخبيث لضغط الدم :

وهو عادة ما يحدث عند الأشخاص البالغين (حوالي ٣٠ عاما) وهو كما يبدو من اسمه (خبيث) حيث انه يؤدي الى الوفاة في خلال عامين اذا لم يعالج المريض بطريقة مرضية . وقد ينتج هذا الارتفاع الخبيث أثناء المرحلة الرابعة لارتفاع ضغط الدم الحميد ولكن نادرا ما يحدث هذا . أما سبب الوفاة في هذه الحالات فهو دائما الفشل الكلوي أو النزيف من أحد شرايين المخ .

وذلك لأن هذا النوع من ارتفاع ضغط الدم يؤثر أساسا على الشرايين الصغيرة ويحدث بها تغيرات باثولوجية من شأنها تضييق القطر الداخلي لهذه الشرايين الصغيرة الموجودة في بعض الاعضاء الهامة بالجسم مثل الكليتين وشبكة العين والمخ .

وأهم أعراض الارتفاع الخبيث لضغط الدم : الصداع ، الشعور بالدوخة ، زغللة في العينين أو الشعور بالدوار الشديد ، هبوط القلب ، الهبوط الكلوي ، النزيف من الأنف والفم . . . . الخ .

الصداع : وهو غالبا ما يحدث في الصباح الباكر وأكثر مكان له المنطقة الأمامية للجبهة وقد يكون مصحوبا بالشعور بالغثيان « دوار أو دوخة » .

الزغللة في العين : ربما نتيجة لحدوث نزيف

في الشبكة .

صعوبة في التنفس وشعور بالهزال والتعب من أقل مجهود .

زيادة في كمية البول والميل الى كثرة التبول بالليل مما قد يقلق المريض أثناء نومه من كثرة ميله الى التبول وشعوره بالصعوبة في التنفس عند النوم .

نزيف من الأنف أو من الفم الخ

تشخيص ارتفاع ضغط الدم :

لا تقتصر مهمة الطبيب في معرفة مستوى ضغط الدم الانقباضي والانبساطي ولكن المقصود بالتشخيص يعني: أولا : معرفة مستوى ضغط الدم الانقباض والانبساطي .

ثانيا ـ معرفة نوع ارتفاع ضغط الدم : هل هو ارتفاع في ضغط الدم الاولى أم ارتفاع ثانوي ، وينبغي معرفة السبب (اذا ما كان ارتفاعا ثانويا) وعلاجه ان أمكن .

اكتشاف أية مضاعفات ناتجة من ارتفاع ضغط الدم والعمل على علاجها مثل الفشل الكلوي وهبوط القلب الخ .

ثالثا : العلاج المبكر لارتفاع ضغط الدم قبل حدوث أية مضاعفات .

رابعا : تتبع المرض في العائلة لمعرفة هل هو وراثي أم لا ؟

لذلك يلجأ الطبيب الى معرفة تاريخ المرض بسؤال المريض العديد من الأسئلة ، وهذه الأسئلة من شأنها أن تساعد الطبيب أثناء الفحص في التركيز على أعضاء معينة كل ذلك من أجل معرفة السبب والاكتشاف المبكر لأية مضاعفات ناتجة عن ارتفاع ضغط الدم .

كذلك غالباً ما يحتاج الأمر الى بعض الفحوص المعملية مثل تحليل البول وتصوير الجهاز البولي بالأشعة وبالصبغة ومعرفة مستوى اليوريا في الدم . واختبارات وظائف الكليتين الى جانب فحص قاع العين وعمل رسم للقلب واشعة عادية لمنطقة الصدر بالاضافة الى العديد من الفحوص المعملية الأخرى وبالطبع فان هذه التفاصيل هي خارج نطاق حديثنا هذا .

مضاعفات ارتفاع ضغط الدم :

١ ـ تأثير ارتفاع ضغط الدم على القلب :

* قصور الدورة التاجية هو أهم مضاعفات ارتفاع ضغط الدم ـ وقد يؤدي ذلك الى الذبحة الصدرية نتيجة لنقص كمية الدم التي تحملها الشرايين التاجية لقطاع معين من عضلة القلب مما يؤدي الى عدم كفاية او قصور الدورة التاجية لهذا القطاع من القلب . وعند ذلك يشعر المريض بضيق في الصدر او ألم شديد في منتصف الصدر غالباً ما ينتشر الى الكتفين او الذراعين ويزداد مع المجهود مما يضطر المريض الى التوقف عن المجهود ، ويزول بعدها الألم بعد زمن وجيز من الراحة . وهذا الألم هو ما يسمى بالذبحة الصدرية ، وفي بعض الأحيان ينتج عن قصور الدورة التاجية اضطراب في نظم القلب ARRHYTHMIAS .

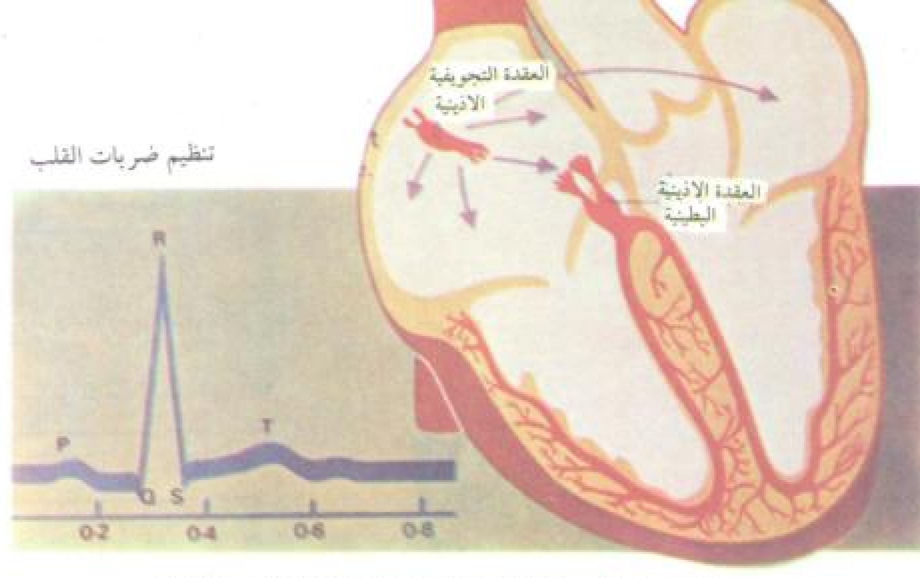
* هبوط في القلب :

* ارتجاع الصمام الاورطي .

٢ ـ تأثير ارتفاع ضغط الدم على المخ :

* تصلب الشرايين وخاصة الشريان السباتي وهو الشريان الرئيسي الذي يغذي المخ ويشترك معه بصفة أقل الشريان الفقري . وينتج عن ترسيب الصدأ البيولوجي وتصلب الشريان السباتي الداخلي ان يضيق مجرى هذا الشريان وتنقص كمية الدم التي يحملها للمخ وبذلك تتأثر وظائف المخ نتيجة لعدم كفاية وقصور الدورة الدموية لهذا الجزء البالغ الحساسية .

وخلايا المخ لا تستطيع ان تصبر على نقص الأكسجين وعدم وصول الدم لها أكثر من أربع أو خمس دقائق لأن ذلك يؤدي الى فقد هذه الخلايا لوظيفتها .



تنقبض عضلة القلب وترتخي نتيجة خاصية ذاتية فيها بالاضافة الى وجود عقد عصبية خاصة تطلق اشارات عصبية كهربائية يمكن رسمها برسام القلب الكهربائي .

---

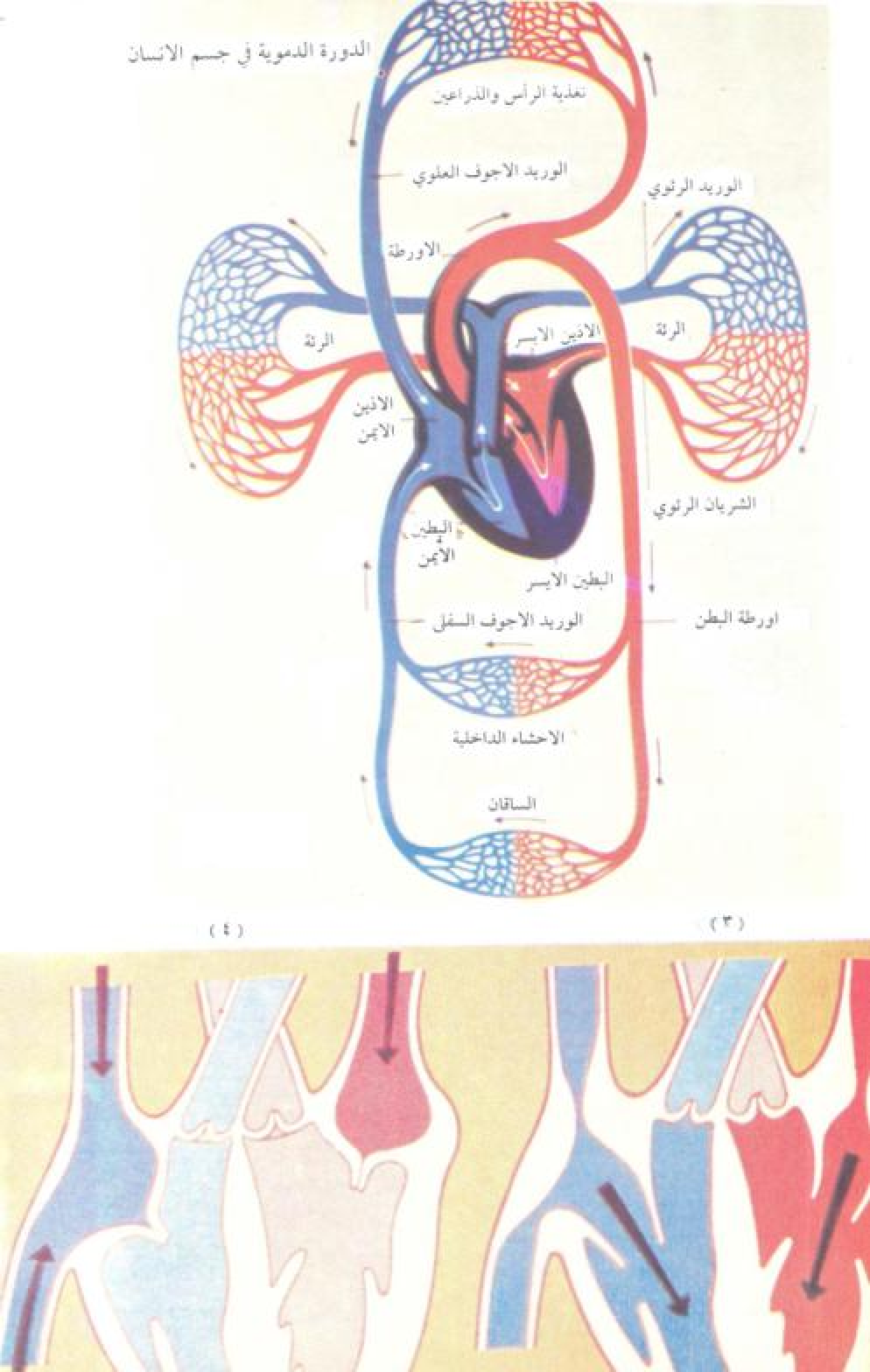
(١) عودة القلب الى الارتخاء بعد افراغ مافيه من الدم لاستقبال الدم العائد اليه سواء من الجسم او الرئتين .

(٢) انقباض البطينين مع انقباض الأذينين يتدفق خارجا في أوعية الدم .

(٣) انقباض الاذينين والدم يتدفق نحو البطينين .

(٤) القلب في حالة ارتخاء الأذينين والبطينين مشعين .

(٢) (١)


الدورة الدموية في جسم الانسان
تغذية الرأس والذراعين
الوريد الاجوف العلوي
الوريد الرئوي
الاورطة
الرئة
الأذين الايسر
الرئة
الأذين
الأيمن
الشريان الرئوي
البطين
الأيمن
البطين الايسر
الوريد الاجوف السفلى
اورطة البطن
الاحشاء الداخلية
الساقان
(٤)
(٣)

* حدوث جلطة او انسداد في مجرى أحد الشرايين الداخلية للمخ مما يؤدي الى حدوث خذل او شلل نصفي .
* انسداد الوريد الرئيسي لشبكية العين .

٣ ـ تأثير ارتفاع ضغط الدم على الكليتين :
* احرار البول نتيجة ظهور دم به .
* الفشل الكلوري المزمن .

٤ ـ نزيف من فتحتي الأنف او من الرحم او من الفم ...... الخ .

لماذا يجب علاج ارتفاع ضغط الدم مبكرا ؟

* اثبتت الدراسات الحديثة أن ارتفاع ضغط الدم يخفض من معدل العمر بعد الخامسة والخمسين بست سنوات . اما عند سن الخامسة والأربعين فان معدل العمر ينخفض بمقدار ١٢ سنة عند ذوي الضغط المرتفع أما في الخامسة والثلاثين فان ارتفاع ضغط الدم يخفض معدل العمر بحوالي خمس وعشرين سنة .

* أيضاً فانه نظرا لوجود وسائل العلاج المتاحة لدينا حالياً وبفضل التقدم الملحوظ الذي حدث في الطب وامكانية التحكم في ضغط الدم المرتفع في معظم الحالات تقريبا ادى الى نقص المضاعفات التي كانت تنتج عن الضغط مثل الذبحة الصدرية والشلل ونزيف المخ والفشل الكلوي المزمن .

علاج ارتفاع ضغط الدم :

١ ـ الراحة : الراحة في السرير مطلوبة في حالات ارتفاع ضغط الدم الخبيث وفي الحالات التي تحدث فيها مضاعفات من ارتفاع ضغط الدم . اما بالنسبة لباقي المرضى فيجب الاعتدال في الحياة ، ويجب نصح المريض بان ينام لمدة عشر ساعات يوميا وأن يستريح يوما كاملا كل اسبوع هذا بالاضافة الى شهر راحة من كل عام . وعليه ان يتجنب بقدر الامكان اي اسراف في العمل او في الطعام وان يبدأ في مزاولة رياضة المشي او التمارين البدنية المعتدلة الخفيفة . وقد يساعده تناول مهديء خفيف باستشارة الطبيب .

٢ ـ الطعام :

أ ـ انقاص الوزن باتباع نظام غذائي معين وباستشارة الطبيب وتحت اشرافه اذا ما كان المريض مصاباً بداء السمنة . مع مزاولة الرياضة كالمشي وبعض التمرينات الخفيفة .

ب ـ تقليل الملح في الطعام . ويعتبر ذلك العلاج ناجحا وفعالا اذا لم يضف ملح الطعام الى الغذاء ، وبهذه الوسيلة يجب ان يقل ما يتناوله الانسان عن ١٫٥ جرام في اليوم وهذه الكمية موجودة طبعاً في اللحوم والخضروات والفواكه وحتى اللبن . ولكن الآن وبعد استخدام مدرات البول التي تؤدي الى افراز عنصر الملح (الصوديوم) في البول قل اللجوء الى هذه الطريقة .

ج ـ يجب على المريض أن يتجنب الوجبات الثقيلة التي تؤدي الى انتفاخ المعدة واضطراب عملها أيضاً مما قد يؤدي الى حدوث تصلب الشرايين .

د ـ الاقلاع عن المشروبات الكحولية .

هـ ـ الامتناع عن التدخين وخاصة في الحالات المصحوبة بمضاعفات مثل الذبحة الصدرية وتصلب وانسداد شرايين المخ .

٣ ـ مدرات البول : غالباً ما يبدأ الطبيب بوصف احد مدرات البول وقد يكون ذلك كافيا في كثير من الحالات ، وهذه المدرات من شأنها زيادة افراز عنصر الصوديوم في البول .

بعض هذه المدرات يصاحب استخدامها نقص عنصر البوتاسيوم في الدم لذلك يقوم الطبيب بوصف شراب البوتاسيوم للمريض أو

ينصحه بالاكثار من تناول البرتقال والليمون لان هذه كلها غنية بعنصر البوتاسيوم .

٤ ـ العقاقير : هناك العديد من العقاقير التي تستخدم الآن لعلاج ارتفاع ضغط الدم .

وقد ينصح الطبيب باستخدام احد مضادات البيتا مثل (الاندرال) وغيرها بالاضافة الى مدرات البول ـ هذا اذا لم يستجب ضغط الدم المرتفع لمدرات البول بمفردها . ولدينا الآن العديد من الأنواع الحديثة لمضادات البيتا ، كما امكن باحد هذه العقاقير التحكم في الضغط عن طريق حبة واحدة تؤخذ كل ٢٤ ساعة ، ولكن استخدام هذه العقاقير يجب ان يكون بارشاد الطبيب خاصة وان هناك موانع معينة يجب ان يطمئن الطبيب بفحص المريض الى عدم وجودها قبل وصف أي من مضادات البيتا لمريضه .

واذا استمر الضغط مرتفعاً فقد يجمع الطبيب بين مدرات البول ومضادات البيتا ويضيف احد العقاقير المبسطة لشرايين الأطراف .

٥ ـ الجراحة : بعض حالات ارتفاع ضغط الدم لا يتم الشفاء منها الا بالجراحة . ولذلك فاجراء الجراحة مبكراً قبل حدوث اية مضاعفات هو شيء ضروري في هذه الحالات . فمثلاً في الحالات التي يكون ارتفاع ضغط الدم ناتجاً عن مرض في احدى الكليتين فيجب ازالة هذه الكلية . والحالات التي قد تكون ناتجة عن ضيق في احد الشرايين الكلوية يمكن لها ان تتحسن باجراء جراحة وازالة الجزء الضيق . والحالات التي تنجم من وجود ورم في القشرة الخارجية للغدة الكظرية (كما في مرض CUSHING) فانه يمكن علاجها بازالة هذا الورم . . . وهكذا فالجراحة مطلوبة في بعض الحالات ولكن يجب التأكد وعمل الفحوص المعملية اللازمة قبل تقرير الجراحة .

٦ ـ علاج مضاعفات ارتفاع ضغط الدم : مثل علاج قصور الدورة الدموية التاجية وعلاج الفشل الكلوي المزمن وعلاج هبوط القلب وقصور كفاية القلب وعلاج نزيف المخ . . .

المحافظة على ضغط الدم معتدلاً :

أولاً : بالكشف الدوري للتأكد من أن ضغط الدم عاد الى الوضع المعتدل او الطبيعي .

ثانياً : بالمبادرة باستشارة الطبيب عند اكتشاف ارتفاع ضغط الدم . وعلى المريض ان يلتزم أيضاً بتنفيذ كل تعليمات الطبيب له وتناول الأدوية والعقاقير الموصوفة في مواعيدها .

ثالثاً : يمكن استشارة الطبيب لتعديل نظام الجرعات اذا ما عاد الضغط الى الوضع الطبيعي او قرب الطبيعي ولكن يجب عدم الانقطاع عن تناول الدواء لان انقطاع العلاج المفاجيء لا بد وان يصاحبه عودة مرة اخرى الى ارتفاع ضغط الدم .

رابعاً : توجد الآن أجهزة لقياس الضغط الكترونياً ويمكن شراء احد هذه الأجهزة حيث ان استخدامها سهل ويمكن لأي مريض استخدامها وقياس ضغط دمه بنفسه والمواظبة على ذلك واستشارة الطبيب من وقت الى آخر عندما يحتاج الأمر .

الجديد في ارتفاع ضغط الدم :

لا شك انه ومع التقدم في العلم امكن تقديم العديد من الطرق الحديثة والدقيقة في التشخيص ومعرفة السبب وراء ارتفاع ضغط الدم ، وامكن تقديم العديد من العقاقير لمعالجة كافة انواع ارتفاع ضغط الدم . واحدث هذه العقاقير هي « الكابتوبريل » و « السرالزين » وهي من الأدوية التي يمكن استخدامها في علاج ارتفاع الضغط الناجم عن امراض الكلية . أيضاً كما ان التقدم في الجراحة امكن تقديم نتائج عظيمة في الحالات التي تحتاج الى جراحة دقيقة واهمها جراحات الأوعية الدموية . ولا شك فان العلم كل يوم يقدم الجديد من أجل المريض ومن أجل وقاية الشخص السليم . ○

الروايـة الصهيونيـة

بدأت تظهر اتجاهات جديدة في القصة والرواية الصهيونيتين بعد إنشاء الكيان الصهيوني . ما هي هذه الاتجاهات وإلى أي هدف تسير ؟

* « سميلانسكي » يهجس بثعبان يكونه الطفل المنفي .

* « يهـو شـواع » يكتشف ان أسـاسـات المشـروع الصهيوني مبنية على أنقاض القرى العربية .

إن واقعاً جديداً وعلاقات وتفصيلات حياة جديدة بدأت تلح وتفرض وجودها على انتاج الأديب في الكيان الصهيوني اثر انشائه في فلسطين سنة ١٩٤٨م .

إن صورة البطل التوراتي ـ السوبرمان ـ المالك لقوى خفية ، تذلل له الصعاب ، وتحل له المشاكل ، وتجعله متفوقاً على غيره ، هي الصورة التي أكدها أدب ما قبل انشاء الكيان الصهيوني وظلت هذه الصورة مستمرة لفترة في نتاج بعض الأدباء حتى بعد فرض الكيان .

ومع تقدم الزمن فان ميلاً تدريجياً أوضح في التعامل مع الواقع ، ورسم بشراً أسوياء يتعاملون معه حسب شروطه ، لا حسب صورة النموذج المرسومة مسبقاً أخذت تبرز وتتضح عند بعض الكتاب ، خاصة من عاش منهم في فلسطين قبل عام ١٩٤٨ ، واختبر حياتها ، وعاش وتعايش مع أناسها . ووقف عن قرب على الواقع كما هو موجود ، لا كما هو مطروح إعلامياً في أوربا وأمريكا .

بل أن رصدا للذات الداخلية حسب انعكاس الواقع الجديد عليها ، بدأ يتغلغل في بعض النتاج الأدبي .

وحتى الضمير النقدي ، فانه بدأ يعلن عن نفسه ، ويفصح عن ضيقه بالنسبة للعديد من الممارسات ، ووصلت المواقف النقدية ، « الأخلاقية » ببعض الأدباء الى استهجان نفي شعب وإحلال آخر مكانه !



بقلم : سليمان الشيخ

إن أديباً مثل يزهار سميلانسكي بدأ بحفر طريق جديد في الأدب الصهيوني اعتباراً من سنة ١٩٤٩ ، أي في السنة التالية على انشاء « الدولة » .

• وقد تمثل هذا الطريق في إعلان حقيقة الكيان ، بكونه اغتصب حقاً ، ونسف وجوداً وأقام على أنقاضها وجوداً جديداً نقيضاً .

إلا أن الاعلان والادراك لم يتجاوزا حالة من حالات النقد الأخلاقي وصحوة من صحوات الضمير الذي بدأ وكأنه أمسك - بخيط - الحقيقة . الا أنه لم يكن يمضي أبعد من ذلك !

* خربة خزعة

في رواية « خربة خزعة » التي صدرت سنة ١٩٤٩ في فلسطين المحتلة والتي ترجمها توفيق فياض وصدرت عن دار الكلمة في بيروت سنة ١٩٨١ ، يرد هذا الحوار الذاتي كما سجله الكاتب على لسان إحدى شخصيات الرواية :

لم أكن في المهجر مرة - حدثت نفسي - لم أعرف ولو مرة كيف يكون . . . ولكنهم حدثوني ، قصُّوا عليَّ ، علموني ، ثم عادوا ولقنوني في كل زاوية ، في الكتاب ، في الصحيفة ، وفي كل مكان : المنفى .

عزفوا على كل أوتاري . سخط شعبنا على العالم :

المنفى ! لقد كان فيَّ - كما يبدو - ومع حليب أمي [١] .

ويتساءل تعليقاً على طردهم لسكان القرية الفلسطينية [٢] .

ما الذي فعلناه هنا اليوم ؟

وانتقل مباشرة الى الجواب :

« ليس لنا يا موبشي أي حق في إخراجهم من هنا ! » [٣] الا ان صحوة الضمير هذه بقيت موجا يتكسر أمام صلابة الأوامر القاضية بتدمير القرية .

« وأما موبشي فقد قال لي : ثانية أتبدأ ثانية ؟ فعرفت أن لا فائدة فيما أقول . وأسفت أسفاً حتى الاختناق » [٤] .

● بل ان سميلانسكي حَدَسَ في نفس الرواية وفي وقت مبكر جداً ، بأن الأطفال الفلسطينيين لن يألوا جهداً في صنع ردهم المشروع على الكيان الصهيوني .

« وفي خلد الطفل رأينا كذلك ذلك الشيء الذي كان يدور ، والذي لا يمكن أن يكون

---

١ - رواية - خربة خزعة - ص ١١٩ - ١٢٠ . ٣ - المصدر السابق ص ١٢٤ .

٢ - نفس المصدر ص ١٢٠ ٤ - المصدر السابق ص ١٢٤

حين يكبر الا حية سامة ، ذلكم هو الذي ـ الآن ـ بكاء طفل قاصر » [٥] .

● اذا كان هذا الأديب قد التقط وجسد مجموعة من الاشارات الهامة والمبكرة في مشروع بناء الكيان الصهيوني ، وفي نقيضه الذي كان يترتب عليه بالحتم والضرورة . فهل كان سميلانسكي هو الطائر المغرد خارج سربه بين الأدباء ، أم ان غيره من الأدباء ، وصلوا الى نفس النتائج التي وصل اليها ؟

● في دراسة تم نشرها في عدد شهر نيسان ـ ابريل سنة ١٩٧٩ من مجلة « لوموند دبلوماتيك » الفرنسية وترجمتها مجلة شؤون فلسطينية ـ عدد حزيران ـ يونيو من نفس العام ، كتب الدكتور نوريت غيرتز الاستاذ في جامعة تل أبيب ما يلي :

« حين وصلت القوة الاسرائيلية الى ذروتها ، كان الأدب يصر على الوقوف طويلا عند آلام « اليهودي المضطهد » الذي لم يجد بعد مأوى له ، حتى ولا في أرض فلسطين التي يعتبرها « وطنه التاريخي » وهذا إما لأن ماضي الدمار والكارثة لا يمكن له الا ان يتكرر (كما في كتابات أهارون ابلفد) واما لأن الماضي الحقيقي ـ واستطراداً ـ المستقبل الحقيقي في هذه المنطقة يرتبطان بالعربي وليس باليهودي (كما في كتابات أ. ب. يهوشواع) ، وأما لأن هذه الأرض اللعينة وسكانها من العرب وبنات آوى ، معادون لنا (كما يقول عاموس أوز) .

وأما أخيراً لأن الحرب « كجبرية قائمة معلقة فوق رؤوسنا » تشكل تهديداً دائماً (كما تشير الموضوعية الخفية في كتاب أماليا كاهانا كارمون « أنت أيها القمر ، فوق وادي أيالون ») [٦] .

إن ما توصل اليه الدكتور غيرتز مجموعة من الخطوط العريضة لمجموعة من الاتجاهات في أدب كتاب يحتسب معظمهم على يسار الحركة الصهيونية .

فهل يمكن نقل فقرات ، أو اختصار إحدى القصص التي تؤكد ما ذهب اليه الكاتب ؟

في مواجهة الغابة

من كتاب « أضواء على الأدب الصهيوني المعاصر » للدكتور ابراهيم البحراوي المنشور ضمن سلسلة كتاب الهلال في القاهرة سنة ١٩٧٢ . انقل اختصاراً لقصة « في مواجهة الغابة » للكاتب افراهام بن يهوشواع ، وعنوان القصة المشار اليه حملته مجموعة قصص صدرت للكاتب في كتاب سنة ١٩٦٨م .

وتروي القصة سيرة رجل يفتقد الى الجذور التي تربطه ببيئته وبواقع الجماعة التي يعيش بينها ، وفي محاولته لاعتزال البيئة والجماعة فانه يقبل وظيفة مراقب في إحدى الغابات المملوكة للصندوق القومي اليهودي ، وهو يأمل في عزلته تلك تجديد محاولاته لاعادة اللحمة بينه وبين الناس .

تتراءى له الخيالات في الغابة ، فيعتقد انه مدعو الى مقابلة على حافة الغابة في الناحية الأخرى ، وعندما كان يذهب الى المكان الموعود فانه كان لا يجد أحداً .

ومع انه هو الذي سعى الى العزلة بنفسه مع ان له وظيفته ومركزه في المدينة ، الا انه

---

٥ ـ المصدر السابق ص ١١٩ .

٦ ـ مجلة شؤون فلسطينية العدد رقم ٩١ ـ يونيو ـ حزيران ١٩٧٩ . مقال مترجم تحت عنوان « الروائيون الاسرائيليون شهود على المعاناة » ترجمة ابراهيم العريس .

يمل « العدم » الذي يعيشه ، والعزلة التي ارهقته جدّيا وروحيا .

الا انه ـ ويا للمفاجأة ـ يكتشف شيخاً يعيش مع حفيدته في الغابة ، وأن الغابة نفسها قامت على اطلال قرية عربية دمرها الجيش الاسرائيلي .

ومن ثم فان الشيخ يقوم باحراق الغابة كلها ليعود الرجل وهو أكثر غربة عن أناس مدينته ، وعن مدينته نفسها .

ومع ان ناقداً صهيونياً مثل ي. عاموس يذهب في تحليله لقصص يهوشواع الى « أن الهرب من الواقع من ناحية ، والغوص الى داخل النفس والتقوقع المستمر فيها من ناحية أخرى يمثلان القطبين اللذين تتحرك بينهما شخصيات الكاتب .

ان الانفصال عن الواقع يميز نشاط الشخصيات وهو الذي يحوطها الى ما يسمى بلغة عصرنا « أضواء الأبطال » أولئك الذين يكتسبون خصائصهم قسراً ورغم ارادتهم في البداية ، وطواعية وبالرضا في النهاية ، انهم ضالون كالأجانب والغرباء في طرق الحياة ، وهم مدفوعون للفشل والضياع نصيبهم ومصيرهم ، ان سقوطهم ليس بمثابة فعل يقع مرة واحدة ، بل هو مجرى مستمر ومتدفق وسائر يضعهم موضع الغرق البطيء المستمر »[7] .

اذا كان عاموس يذهب في تحليله هذا المذهب فما هو سبب الغربة العميقة التي يتميز بها أبطال يهوشواع ؟ وألا يمثل اكتشاف الشيخ وحفيدته في الغابة . ثم الكشف عن مشروع الغابة ـ الذي يملكه الصندوق القومي اليهودي في كونه قد قام على انقاض قرية عربية ، جوابا على تلك الغربة المثقلة بعذاب الضمير ؟

وألا تمثل النار التي أشعلها الشيخ بالمشروع ـ رداً ونتيجة حتمية ؟

الصبي والشيخ والحفيدة

إن لقاء واضحاً ، يمكن الاشارة اليه دون تعسف يجمع بين الشيخ وحفيدته ـ الماضي والمستقبل ـ في قصة « في مواجهة الغابة » ليهوشواع وبين المرأة الصلبة وابنها في رواية « خربة خزعة » لسميلانسكي .

واذا كان سميلانسكي قد هجس بالحية وسمها الذي سيكون « عليه الطفل الفلسطيني مستقبلا ، فان يهوشواع كما أشرت ربط بين الشيخ وحفيدته من جهة وبين النار التي أشعلاها في الغابة .

أفلا يحق لنا القول بأن يهوشواع كان يحاكم المشروع الصهيوني برمته ؟

ان اشارة التوكيد الخاصة بأدب يهوشواع وردت في مقال الدكتور غيرتز « إن الماضي الحقيقي ـ واستطراداً ـ المستقبل الحقيقي في هذه المنطقة يرتبطان بالعربي وليس باليهودي »[8] .

إن أمثلة روائية وقصصية تقترب من هذا الاتجاه أو تحوم حوله ، أخذت تبرز بين الحين والآخر في الأدب الذي أخذ يكتبه الأدباء الذين عاشوا في فلسطين ، وعايشوا المشروع الصهيوني على الطبيعة ، وكما هو حقيقة ، وليس كما هو مكتوب على الورق ، أو كما تضفي عليه أجهزة الاعلام الأخرى ما شاء لها الخيال والمصالح أن تضفي وتلون وتخترع .

---

٧ ـ من كتاب « أضواء على الأدب الصهيوني المعاصر » تأليف د. ابراهيم البحراوي ص ٩٢ ـ ٩٣ .

٨ ـ المصدر السابق رقم (٦) .

حوار القراء

ظفر الله خان .. والقاديانية

● تناول الاستاذ عبد الحميد الكاتب ، في مقالته المنشورة بالعدد (٢٩٥) من مجلة العربي ، دور (ظفر الله خان) فيما يتعلق بقضية فلسطين حين طرحها على الأمم المتحدة ، وقد توقفت عند نقطة وردت في المقال حيث يقول الأستاذ الكاتب ، ان هذا الزعيم الباكستاني كان « قدياني المذهب » ولكنني اعتقد أنه كان يدين بالاسلام على وجه صحيح . ولست في حاجة الى استعراض ما كتب عن القاديانية باقلام صفوة علماء المسلمين وساكتفي بما كتبه (ظفر الله خان) ذاته في الباب الثامن من كتابه (الاسلام ـ معناه للانسان الحديث) يقول هذا الزعيم ـ ان جميع ابعاد الحياة الانسانية قد تغيرت ولذلك يشعر جميع أهل العلم والفكر بضرورة وحي جديد .. انه يمكن السؤال : ما الذي يقترحه القرآن لمعالجة هذا الوضع الذي يعانيه الانسان الآن والذي سيزيد على مر الزمن ، ان القرآن يعالج هذا الوضع قائلاً ان النبي ﷺ ، لم يبعث لهذا الجيل فقط ، وهذا يعني ظهوراً روحانياً ثانياً للنبي في هذا العصر الحديث لمواصلة واستمرار الهداية القرآنية ولتفسير القيم طبقاً للأوضاع التي يواجهها الانسان .

السيد الطنوبي ـ الاسكندرية ـ مقر العربية

العربي

يتفي القاريء صبغة « القاديانية » عن ظفر الله خان ، بينما يقول في آخر رسالته وفي سياق رده على عبد الحميد الكاتب ، مستعيناً بما كتبه ظفر الله خان ذاته كقوله (يشعر جميع أهل العلم والفكر بضرورة وحي جديد ..)

وقوله (وهذا يعني ظهوراً روحانياً ثانياً للنبي في هذا العصر الحديث ..)

وما استعان به القاريء السيد الطنوبي ، من خلال ما ذكره عن ـ ظفر الله خان ـ هو من مباديء القاديانية وأهدافها ....

الزراعة .. وتربية الحيوانات

● لما كانت مجلة العربي ، لكل قاريء عربي ، ولما كان هناك الكثير من القراء هم بأمس الحاجة لقراءة ما تحويه من مواد علمية وادبية وغيرها ، لذا فانني أرجو منكم أن تتفضلوا بنشر مواضيع تتناول جانب الزراعة في كل عدد لما للزراعة من دور كبير في وطننا العربي ، ونظراً للثقافة الزراعية التي يحتاجها الفلاح العربي ، كما وأطالبكم بنشر مواضيع عن تربية الحيوانات والدواجن ، وبذلك فان المجلة تكون قد اضافت خدمة جديدة للقاريء العربي .

سعيد علوان الفحل
المقداديه ـ العراق

العربي

لا يخفى على القاريء أننا بين حين وآخر تتناول جانباً من جوانب الزراعة وتربية الحيوانات سواء بالكلمة أو الصورة الملونة ، أما عن تناول هذه الجوانب بشكل شهري فاننا نأمل أن نحقق هذه الأمنية مستقبلا باذن الله ....

اقتراحات .. من مصــــر

● اكتب لكم ، وللمرة الأولى ولن تكون الأخيرة باذن الله ، وما دفعني للكتابة اليكم هي بعض الاقتراحات التي اود طرحها عليكم وأرجو ان تنال موافقتكم فتأخذوا بها ـ والاقتراحات هي : ـ

أولاً : تخصيص باب للحكم والأمثال والأقوال المأثورة .

ثانياً : زيادة عدد صفحات باب حوار القراء وذلك نظراً لضيق المساحة وكثرة الرسائل التي ترد اليكم من قراء المجلة في انحاء الوطن العربي ، وحتى يأخذ كل قاريء مكانه في هذا الباب .

ثالثاً : تخصيص باب لأصدقاء العربي ، تنشر فيه اسماء أصدقاء المجلة وعناوينهم وهواياتهم وأعمارهم ، وكذلك أي مقال ينشر بالمجلة ارجو ذكر اسم كاتبه بالكامل وعنوانه حتى يستطيع أي قاريء أن يرسل اليه حتى تزداد الصداقة بين كتاب العربي وقرائها ..

عاطف سالم اسماعيل
فاقوس الشرقية
مصر العربية

تترى .. وتواترت

● قرأت مقال الدكتور عباس أحمد في العدد (٢٩٢) الصادر في مارس ١٩٨٣ وبالصفحة (٧٧) تحت عنوان .. التراث الشعبي سجل لمواقف أم حوار بين مواقف ؟ ومما لفت نظري في مقدمة المقال وضمن الاطار الأبيض ورود كلمتي « تترى » و « تقييم » مستعملتان على غير الوجه اللغوي الصحيح . فقد استعمل الكاتب كلمة (تترى) على أنها فعل وهي خلاف ذلك ، اذ ان كلمة (تترى) اسم يدل على الحال لا على الفعلية ، فقد جاء في أساس البلاغة ، للزمخشري ، في مادة (و ت ر) قوله ، تواترت كتبه وواترها ، وتواتر القطا والابل ، وجئن متواترات وتترى أي متتابعات وتْراً بعد وتر .. وجاء في القاموس المحيط في مادة الوتر بالكسر ويفتح : الفرد او ما لم يتشفع من العدد ، ولا تكون المواترة بين الأشياء ، الا اذا وقعت بينها فترة والا فهي مداركة ومواصلة وكذلك مواترة الكتب ، وجاؤوا تترى ، وقد ينون وأصلها وتْرى أي متواترين . وجاء في كتاب (المفردات في غريب القرآن) للراغب الاصفهاني (تترى) على وزن فَعْلى من المواترة أي المتابعة وتراً وتراً .. وأصلها وَترى ، فابدلت الواو تاه نحو : تراث وتجاه .. فمن صرفه جعل الألف زائدة لا للتأنيث ، ومن لم يصرفه جعل ألفه للتأنيث ، قال تعالى (ثم أرسلنا رسلنا تترى) أي متواترين .

أما فيما يخص مادة (تقييم) فالأرجح ان تكون (تقويم) قال صاحب القاموس المحيط في مادة (قوم) والقيمة بالكسر واحدة القيم ، وما له قيمة ، اذا لم يدم على شيء ، وقومت السلعة واستقمتها أي ثمنتها ، وقال صاحب مختار الصحاح ، قومت السلعة تقويماً ، وهي من القيمة ـ كما أورد الراغب الاصفهاني في كتابه (مفردات غريب القرآن) ص ٤١٨ في بيان قوله تعالى (لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم) وتقويم السلعة بيان قيمتها ـ وشكراً لكم ...

محمد علي الزركان
جامعة حلب ـ سوريا

حوار القراء

« العربي » . . كنز علمي ثقافي

● ليست « العربي » كالمجلات الأخرى التي يتصفحها القاريء على عجل ثم يلقيها ، ولكنها كنز علمي ثقافي يحتفظ به القراء حين الانتهاء من القراءة حتى يعود القاريء الى هذا الكنز حين يشده الحنين الى ما يحويه من مواد علمية مختلفة ـ وأقول لكم انني من هواة صحافة الحائط بالمدرسة ، وأقوم في كثير من الأحيان مع الزملاء باقتباس ما تنشره العربي لتقدمه على صحيفتنا الحائطية فنرى اقبالاً كبيراً عليها لشوقهم إلى قراءة ما نقتبسه من مقالات ، وأخيراً أود ان أقدم لكم بعض الاقتراحات ، الأول : ادخال باب للرياضة مزود بالأخبار والصور ـ والثاني : يدور حول ضرورة متابعة الأحداث السياسية التي لا تولونها اهتماماً كبيراً على صفحات العربي . . . .

احمد ناصر علوي ـ البيضاء
الجمهورية اليمنية

العربي

شكراً لقارئنا العزيز على ثقته بالعربي ، وأما بخصوص اقتراحك حول ادخال باب للرياضة فان ذلك لا يتناسب مع المجلة ، وفيما يتعلق بالمتابعة للأحداث السياسية فلعلك تعرف ان المجلة شهرية والأحداث السياسية متلاحقة بشكل يومي بل وبالساعات ، ولذا فلا يمكن متابعتها الا تلك التي لا ترتبط بعنصر الوقت . . . .

اعجاب . . بالعربي

● لست الوحيد من القراء الذين يبدون اعجابهم في هذه المجلة ، بل هناك كثيرون غيري على امتداد الوطن العربي الكبير معجبون بالدور الكبير الذي تلعبه مجلة العربي في نشر الثقافة والعلم على أنحاء أوطان العروبة .

هذا الاهتمام والاعجاب من القاريء يدل على ما تبذله اسرة التحرير من جهد وعطاء في سبيل توفير طبق شهي للقاريء مع مطلع كل شهر ليجد فيه زادا لعقله ليوسع مداركه في هذا الزاد العلمي الواسع ـ وأخيراً أدعو الله لكم جميعا بالصحة والعافية ويعينكم على اداء هذا الدور الكبير لخدمة ابناء العروبة . .

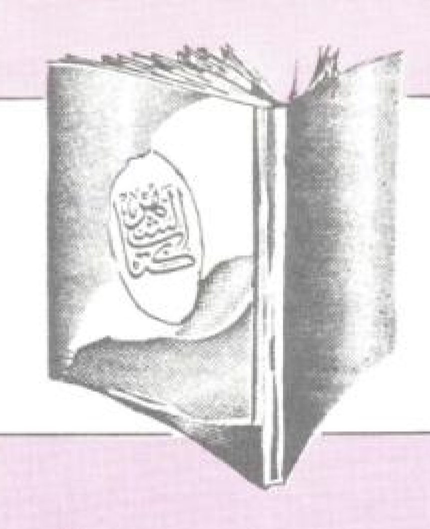
مرزة الفضيل
ولاية معسكر ـ الجزائر

العربي

شكراً لقارئنا العزيز على مشاعره تجاه العربي ، وما نقوم به هو جزء من دور هذه المجلة لخدمة كل قاريء عربي . .

من العربي . . الى القراء

يحمل الينا بريد المجلة يومياً مئات من الرسائل التي تعبر عن مدى ارتباط القراء بالمجلة وعلى امتداد الوطن العربي والاسلامي ـ وهذه ثقة كبيرة نجد أنفسنا ملزمين ببذل الجهد أمامها . وقد يلاحظ البعض من القراء أن بعض الرسائل لا تأخذ طريقها للنشر ، وهذا يعود الى صغر مساحة هذا الباب او الى عدم صلاحية الرسالة وان كنا نحاول قدر المستطاع بذل كل جهد في سبيل نشر معظم الرسائل . . هذه ملاحظة ، أما الثانية ، فان بعض القراء يطالبوننا باصدار شهادات عدم ممانعة لهم لدخول البلاد ، أو للتوسط لدى حكوماتهم من أجل الافراج عن أحد اقاربهم المعتقل او للتبرع المادي للعلاج او الدراسة . . او غير ذلك من المطالب التي لا تدخل ضمن شؤون المجلة . وان كنا نود خدمة كل قاريء لكن الأمر صعب . . فالعذر إلى كل قاريء عن عدم تحقيق مثل هذه الرغبات لأن المطالب فوق طاقتنا بل هي ليست من اختصاصنا . . . وشكراً . .





إنحسار النفوذ الأمريكي

تأليف فريق « بيزنيس ويك »

بروس ناسبوم - ادوارد ميرفوش - جاك كرامر - ليني جلين - لويس بيمان - وليام وولمانولويس بانج

عرض وتلخيص بيومي علي قنديل

يستحوذ التماثل الشديد بين انحسار نفوذ الولايات المتحدة وتدهور الدولار في السبعينيات وأفول نجم بريطانيا وتدهور الاسترليني في الثلاثينيات على دهشة المراقبين الاقتصاديين . فعلى نفس النحو الذي تآكلت به القوة الصناعية لبريطانيا العظمى في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، الى الحد الذي لم تستطع معه أن تواصل الحفاظ على الاسترليني كأكبر احتياطي نقدي عالمي ، فان التفوق الاقتصادي الذي ظلت الولايات المتحدة تحتفظ به طويلا شرع في الضمور مع تدهور قيمة الدولار في العالم الخارجي . لقد أطيح بالاسترليني عن قاعدة الذهب في عام ١٩٣١ ، وبعد أربعين عاما ،انفصمت الصلة بين الدولار



والذهب . ولقد شهدت العشرينيات والثلاثينيات عملية « تعويم » شاملة بين سائر العملات ، كل ازاء الأخرى ، كما شهدت حربا اقتصادية تمثلت في التنافس على تخفيض أسعار صرفها ، واليوم ها هي المانيا واليابان والولايات المتحدة تتهم كل منها الاخرى ، مثلما حدث بين القوى الاقتصادية العظمى في أوائل القرن بتعويم عملاتها ، بصورة مدبرة ، بغية احراز مكاسب اقتصادية غير عادلة .

ومثلما قفزت معدلات البطالة خلال فترة الكساد الكبير ، مع تضاؤل معدلات النمو ، وهو الأمر الذي دفع سائر الحكومات الغربية الى انتهاج سياسات تجارية (نيومر كانتيلية) ،تقوم على تدخل الدولة عوضا عن قوانين السوق في المجال التجاري ، فان نفس الضغوط تعود اليوم ، تحت تأثير ما يسمى بأزمة الطاقة ، هذه المرة ، كي تهدد باشعال حرب تجارية جديدة (نيومر كانتيلية) في المجال التجاري . وفي هذا الصدد يقول « جان تنبرجن » الحائز على جائزة نوبل في الاقتصاديات ـ وهو هولندي الجنسية ـ ان الاتجاه الى بعث الاتجارية لم ينجم الا عن فشل الحكومات الغربية في التصدي بشكل فعال لانخفاض معدلات النمو الاقتصادي ، ويضيف ان هناك ميلا بين الدول التي تنتج بصفة أساسية ، للتصدير وخاصة المانيا واليابان لأن تحقق فائضا ضخما في ميزانها التجاري باعتباره هدفا سياسيا منشودا .

واشنطون وأوبيك وكبش الفداء

ولعله من الثابت أن الفشل الذي منيت به السياسات الأمريكية ، سواء خارج الولايات المتحدة أو داخلها ، خلال العقد الماضي ، من شأنه أن يعيد تفجير الجدل في قضية « الزبد أم البندقية » ولكن الجدل ، هذه المرة ، سيكتسب حدة وعنفا لم يسبق له مثيل . ولعله من الثابت أيضا أن مقتضيات السياسة تقف وراء المحاولة الدامية الى القاء اللوم في الركود والبطالة والتضخم الذي يعاني منها الاقتصاد الامريكي على منظمة الدول المصدرة للبترول « أوبيك » وحدها !!

لقد أدى رفع أسعار البترول الخام الى أن تتحمل الولايات المتحدة حوالي اثنين في المائة زيادة في معدل التضخم مع نهاية عام ١٩٨٠ وحوالي اثنين في المائة نقصا في معدل النمو وفقدان ما لا يقل عن ثمانمائة ألف فرصة عمل . ولكن قبل أن تقصم القشة ظهر البعير ، كان سوء التغذية قد أوهن ظهره لسنوات عديدة . ولقد قادت المحاولتان الفاشلتان اللتان حاولتهما حكومتا جون كنيدي وليندون جونسون على التوالي ـ بخوض حرب فيتنام واعادة توزيع الدخل القومي لصالح الأقليات المحرومة في نفس الوقت ـ الى انتهاج سياسات تضخمية في المجال الاقتصادي لا تزال تعاني منها الولايات المتحدة حتى الآن ، ففي اطار الجدل الذي احتدم في الستينيات حول قضية « الزبد أم البندقية » وأي الفريقين يستحق أن يأخذ الشطر الأكبر من الفطيرة الأمريكية : هل هم العسكريون لمواصلة حربهم في غابات فيتنام أم الأقليات التي تتطلع الى الاستفادة من برنامج « المجتمع العظيم » لجأت الحكومتان المتعاقبتان الى محاولة ارضاء الطرفين في نفس الوقت . ولم يكن هناك حل آخر سوى طبع المزيد من الأوراق النقدية حتى اختل التوازن بينها وبين اجمالي السلع والخدمات المتاحة في المجتمع . وتشير الاحصائيات الى أن معدل الزيادة السنوية في أسعار المواد الاستهلاكية لم يكن يتجاوز ٣ في المائة خلال الخمسينيات وأوائل الستينيات . وبحلول عام ١٩٧٦ ، ارتفع هذا المعدل السنوي الى ٤,٨ في المائة ووصل في عام ١٩٧٧ الى ٦,٨ في المائة وبلغ في العام التالي ٩ في المائة ، ولكن هذا المعدل قفز الى ١٣ في المائة في

١٩٧٩ .

ويتوقع المراقبون الاقتصاديون أن يرتفع هذا المعدل في منتصف الثمانينيات الى ٢٠ في المائة ما لم يطرأ تغير جذري على السياسات الاقتصادية ، ولكن الحاجة الى العثور على كبش فداء لفشل السياسات الداخلية اتضحت ـ على نحو مثير ـ في المذكرة التي رفعها « ستوارت ايزنشات » كبير مستشاري البيت الابيض للشؤون الداخلية الى الرئيس السابق جيمي كارتر عقب عودته مباشرة من مؤتمر القمة الاقتصادي الذي انعقد في العاصمة اليابانية طوكيو في يوليو عام ١٩٧٩ فلقد أشار فيها « ايزينشات » الى أزمة البنزين بقوله : لا أراني بحاجة الى أن أوضح لكم مدى الخسائر السياسية التي تلحق بنا نتيجة لذلك كله ومضى « ايزنشات » قائلا : أمام الحكومة الأمريكية فرصة لم تسنح من قبل للسيطرة على مشكلة تبدو مستعصية على الحل : ان تعلق السبب وراء مشاكل التضخم والطاقة في رقبة « أوبيك » وبذلك تكتسب جدارة الصدق في نظر الشعب الأمريكي وتبعث الأمل في امكانية التوصل الى حل نهائي ، وتعوض الخسائر السياسية التي حاقت بنا وخلص « ايزينشات» الى القول : بخطا راسخة نستطيع أن نعبىء الأمة حول أزمة حقيقية وضد عدو واضح هو « أوبيك » !

بين الأزمة والبراعة

ولكن الأزمات الحقيقية تتطلب حلولا أكثر عمقا ، والأزمة التي تعانيها الولايات المتحدة ليست سطحية حتى تقضي عليها ببراعة تكتيكية ، فعلى مدى قرابة ربع قرن منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وحتى أواخر الستينيات خلقت الولايات المتحدة وتزعمت نظاما اقتصاديا عالميا بارزا أنتج ثروة هائلة على نطاق لم يعرف من قبل والأزمة الحالية تأخذ بخناق هذا النظام . غير أن هذا النظام الذي وقفت الولايات المتحدة على رأسه لم يكن وحدة اقتصادية مغلقة مثلما كان الحال مع الامبراطوريات السابقة ، بل كان اقتصادا مفتوحا ، قائما على مبدأ التدفق الحر لرأس المال والسلع بين مختلف حلقات النظام عبر قوانين السوق رغم الاتجاهات الاتجارية الجديدة ، وبخاصة الحماية الجمركية التي تحوم في الآفاق .

لقد جاهدت الولايات المتحدة في سبيل رفع الحواجز الجمركية داخل السوق الرأسمالي العالمي وساعدت على اقامة السوق الاوروبية المشتركة كسوق حر ضخم كما أعادت بناء الاقتصاديات الأوروبية التي حطمتها الحرب العالمية الأخيرة خلال مشروع « مارشال » وعاونت اليابان أيضا في هذا السبيل . واذا أضفنا الى كل ذلك ان الولايات المتحدة احتفظت بمظلة نووية هائلة ، فسوف يتضح لنا انها قامت بدور الشرطي والممول لضمان الاقتصاد الرأسمالي العالمي عقب الحرب .

ورغم أن هذا النظام أفاد سائر حلقاته القوية الا أن الولايات المتحدة استفادت منه فوائد خاصة ، ففي ظل احتلال الدولار لمركز الاحتياطي النقدي العالمي وتحديده لسعر صرف سائر العملات الأخرى ، تمكنت من تحمل عجز دائم في ميزان مدفوعاتها دون أن تضطر ، مثلما تفعل كافة الدول الأخرى ، الى سياسات التقشف والتضييق في الداخل .

وفي غضون ذلك أبدت سائر الدول استعدادا كبيرا للاحتفاظ بالدولار لمدة طويلة ، طالما احتفظ بقدرته على أداء وظيفة الذهب ، وهو الأمر الذي سمح للولايات المتحدة ، في الحقيقة ، أن تصدر ما تعانيه من تضخم في الداخل الى سائر دول العالم الخارجي . غير أن النظام النقدي الذي انبثق عن مؤتمر « بريتون وودز » في عام ١٩٤٤ أدى الى تقييم الدولار



بأعلى من قيمته الحقيقية ، ونتج عن ذلك انخفاض قيمة الواردات الأجنبية داخل الولايات المتحدة ،
واليوم ها هي الأرباح الناتجة عن العمليات الخارجية تصل الى ثلث أو ما يزيد قليلا عن ثلث اجمالي الأرباح التي يغلها أكبر مائة مصرف ومؤسسة متعددة الجنسيات في البلاد .

الرأسمالية في ظل واشنطن

وينبغي علينا ألا ننسى في هذا الصدد أن سائر الحلقات الأقوى في منظومة الاقتصاد الرأسمالي بعد الحرب العالمية الثانية استفادت ، هي الأخرى ، من السيطرة الأمريكية على المصادر الحيوية للطاقة على نطاق العالم ، فمن بين شركات البترول العملاقة السبع التي استقرت لها السيطرة على بترول الشرق الأوسط ، كانت خمس فقط منها قائمة في الأراضي الأمريكية . وغني عن البيان ان السيطرة على هذه الثروة البترولية تعني توفير مصدر طاقة رخيص بصورة لا يكاد يصدقها العقل للدول الأوروبية بصفة خاصة طوال عشرين عاما ، وهي الأعوام التي كانت أوروبا تعيد بناء اقتصادها الذي مزقته الحرب . ولعله من المؤسف حقا أن شركات البترول التي تنتج هذا الخام داخل الولايات المتحدة قد استطاعت بالتعاون مع سائر الحكومات الديمقراطية والجمهورية في البيت الابيض أن تقلص بشكل حاد واردات البترول الأجنبي الرخيص الى البلاد خلال هذين العقدين في الوقت الذي أخذت تضخ فيه خام البترول المحلي ذي السعر العالي .

ولقد تحملت الولايات المتحدة مسؤولية ثقيلة في سبيل صون هذا النظام الاقتصادي المفتوح ، فالنفقات العسكرية الضخمة جاءت من دافعي الضرائب ، بينما لم يتكلف الأوروبيون أو اليابانيون شيئا ذا بال ، وفضلا عن ذلك فان الولايات المتحدة هي التي خاضت منفردة تقريبا تلك الحروب التي تفجرت ضد السيطرة الرأسمالية ، ومع ذلك فلقد عادت الفوائد الناتجة عن السوق الرأسمالي العالمي على الولايات المتحدة مثلما عادت أيضا على سائر الحلقات الأقوى في النظام الرأسمالي الغربي . ولكن السياسات التي وضعت موضع التنفيذ خلال سنوات الحرب الفيتنامية تحولت الآن الى مخاطر تكتنف أسلوب الحياة الذي تبلور منذ الحرب العالمية الأخيرة . فالتقهقر العسكري الذي بدأ مع الهزيمة التي حاقت بالولايات المتحدة في ذلك البلد الآسيوي الذي يفتقر الى الموارد الخام والأسواق هدد بتقويض مقدرة واشنطن على حماية واردات البترول الحيوية وقاعدة الطاقة التي يستند اليها الاقتصاد العالمي . وقد يرى كثيرون ان الولايات المتحدة خاضت الحرب في فيتنام دفاعا عن الكرامة الأمريكية والالتزامات الأمريكية . ولكن الشرق الاوسط ينطوي - بلا جدال - على أهمية جوهرية للأمن الاقتصادي لأوروبا واليابان والولايات المتحدة ،

وفي هذا الاطار اتجهت بعض الدول الاوروبية الغربية والشرقية على السواء ، الى الاتفاق مع بعض الدول العربية على ضرورة تقليص حجم اعتمادهم على الولايات المتحدة بصفة عامة والشركات الأمريكية التي تعمل في حقل البترول بصفة خاصة . وكان الأوروبيون يرون منذ وقت طويل ان المشاكل الاقتصادية التي تعانيها الدول الصناعية المتقدمة في نطاق النظام الرأسمالي ، وبصفة خاصة مشاكل التضخم تعود أساسا الى أخطاء السياسة الأمريكية وافتقارها الى سياسة واضحة في مجال الطاقة .

ومضى الأوروبيون في محاولة لاجتذاب عائدات البترول العربي عن طريق نظام النقد الأوروبي الجديد ، وأصبح هذا النظام الذي يسيطر عليه المارك الألماني ويدعمه الذهب بصفة جزئية ، بمثابة وسيلة استثمارية بديلة لتشغيل السيولة النقدية الضخمة التي تحوزها دول

أوبيك وأخذت هذه المنظمة تتحدث بين الحين والآخر عن ضرورة ربط أسعار البترول بما يسمى « سلة من العملات » .

وحقيقة الأمر أن تحول الأوروبيين من موقف « التعاون » الى موقف « التنافس » مع الولايات المتحدة في المجالين الاقتصادي والسياسي لم يتبد أكثر مما تبدى على الصعيد المالي . وأصبح تدهور الدولار أهم وأبرز قضية من قضايا الخلاف بين الولايات المتحدة وحلفائها ، وفضلا عن ذلك فان تدهور سعر صرف الدولار غدا بمثابة رمز وسبب في آن واحد لزعزعة النظام الاقتصادي العالمي الذي تسيطر عليه الولايات المتحدة . فلقد أدى ارتفاع معدلات التضخم بصورة جنونية والعجز الدائم في ميزان المدفوعات على امتداد سنوات وسنوات الى أزمة ثقة مزمنة في الدولار . وأخذ الأفراد والبنوك المركزية والمؤسسات الذين كانوا يحرصون خلال الخمسينيات والستينيات على الاحتفاظ بالدولار كأرصدة مأمونة لعشرين عاما ، يتخلصون منه . كما أدى الانهيار الذي حدث عام ١٩٧٣ لنظام الفائدة المحددة الذي أقره مؤتمر بريتون ودز عندما فصلت الولايات المتحدة الدولار عن قاعدة الذهب الى نشوء نظام نقدي عالمي كثير التقلب يستند الى تعويم شامل لسائر العملات كل ازاء الأخرى . وفي نفس الوقت أدت الرغبة الواضحة التي أبدتها ادارة الرئيس جيمي كارتر في عام ١٩٧٧ في احداث تخفيض للدولار ازاء سائر العملات الأخرى في محاولة ساذجة لمساعدة السلع الأمريكية في المجال التنافسي الى أزمة ثقة في الدولار كعملة للاحتياطي النقدي العالمي .

ولقد أصبح التهوين من قيمة الدولار بمثابة الحديث الأثير . الذي يزجيه عدد من كبار المسؤولين بوزارة الخزانة على سبيل التسلية وشغل أوقات الفراغ . ولكن هؤلاء المسؤولين لم يتنبأوا في ذلك الحين بالانهيار الذي سيحدق بالدولار عندما يحمل « الأجانب » كلماتهم محمل الجد . فمنذ ١٩٧٠ ضعف مركز الدولار

وانخفض سعر صرفه بنسبة تصل الى حوالي خمسين بالمائة أمام المارك الألماني والفرنك السويسري والين الياباني . وهكذا تدفقت مليارات النقود السائلة من الدولار الى هذه العملات ، وأحيانا الى الذهب وأحيانا أخرى الى السلع ، في محاولات وقائية ضد احتمالات انخفاض الدولار بصورة تقصم الظهر .

أصبح تدهور الدولار مزمنا الى الحد الذي تغير معه موضع الولايات المتحدة بصورة كاملة داخل نطاق الاقتصاد العالمي . فلأول مرة اضطرت الولايات المتحدة بصورة علنية الى تعديل سياستها المالية الداخلية بسبب موقف الدولار في العالم الخارجي . وسار التدهور بمعدل أسرع في عام ١٩٧٨ حتى أن احتمالات الانهيار الوشيك للنظام المالي العالمي دفعت مجلس الاحتياطي الفيدرالي الى رفع أسعار الفائدة يوم ١ نوفمبر ١٩٧٨ لحماية الدولار . وكانت هذه الخطوة بمثابة واحدة من أهم الأحداث في التاريخ الحديث للولايات المتحدة ، فلقد أصبح الموقف العالمي للدولار - فجأة - بمثابة عبء على السياسة الداخلية بعد أن استمر يحقق لها المزايا تلو المزايا ، ورغم الركود ، ظلت أسعار الفائدة مرتفعة بصورة مغاليا فيها لنفس السبب ، ألا وهو ضعف موقف الدولار في الخارج . وجدير بالذكر أن أسعار الفائدة كانت تنخفض بصورة حادة في الماضي حتى تستطيع مقاومة الركود واعادة الاقتصاد الى طريق الانتعاش .

على أن آثار تدهور الدولار تجاوز النظام المالي العالمي في حد ذاته ، فمثل هذا التدهور ارتبط - مثلما هي العادة دائما - بعوامل سياسية وعسكرية على نطاق العالم . فالجنود الأمريكيون الذين يتمركزون في ألمانيا أو اليابان والذين يعجزون عن أن يوفروا لأنفسهم كساء أو غذاء معقولين لا يستطيعون أن يستشعروا أمانا في « الأصدقاء » الذين قدموا للدفاع عنهم أو ريبة في « الأعداء » الذين جاءوا لرصد حركاتهم وسكناتهم . يقول رايموند كيث النائب الأول لرئيس سيتي بانك في

اليابان :«يرجع السبب الأول في فقداننا لنشاطنا الى تدهور الدولار » ويضيف : لقد ضيعنا أنفسنا في فيتنام ، والآن أصبح لنا كثير من الدولارات في الخارج ولسوف نضطر - ان عاجلا وان آجلا - الى استرداد هذه الدولارات ولن يكون بامكاننا عندئذ أن نحتفظ بوجود عسكري في الخارج في الوقت الذي يرفض فيه أناس كثيرون عملتنا « الدولار » .

وفي غضون ذلك أصبح الذهب - بطبيعة الحال - أول مستفيد من عادة التبذير الأمريكي في مجال الانفاق . فخلال السنوات الثلاث الأولى من حكم الرئيس جيمي كارتر ، ارتفع سعر الذهب بما يزيد على الضعف حيث وصل في يناير ١٩٨٠ الى ٥٧٥ دولارا للأوقية وهو رقم يثير الذهول . وأخذ الأمريكيون العاديون الذين ظلوا عازفين لعقود طويلة قبل ١٩٧٤ ، عن وضع نقودهم في الذهب ، يندفعون لشراء هذا المعدن الأصفر لحماية أنفسهم من التضخم ، وتخفيض قيمة عملتهم . ومنذئذ أصبحت الولايات المتحدة أكبر مركز لتجارة الذهب في العالم حتى زاد حجم الذهب الذي تبودل في أسواق التعامل في شيكاغو ونيويورك عن حجمه في كل من لندن وزيورخ !

دور الذهب

ورغم كافة الجهود التي بذلتها الحكومة الأمريكية في سبيل تحويل الذهب عن دوره التاريخي كمخزون للقيمة الى مجرد كتل من المعدن الأصفر ، الا أنه اكتسب أهمية متزايدة بالنسبة للنظام النقدي العالمي . وبينما أخذت الولايات المتحدة تطرح كميات كبيرة من الذهب من الخزانة الأمريكية في الأسواق لزيادة العرض ، وبالتالي ينخفض سعر الذهب إزاء الدولار ، استمر المستثمرون في شراء الذهب ودفع أسعاره الى أعلى ، وشرعت البنوك المركزية خارج الولايات المتحدة في شراء المزيد والمزيد من الذهب . وفي أوروبا حيث ظل الذهب مستودعا للقيمة في زمن التضخم ، عادت الحكومات الى سك عملات ذهبية حتى أصبح يشكل (٢٠) في المائة من اجمالي احتياطيات النظام النقدي الأوروبي . ويعتقد كثير من المراقبين أن وحدة النقد الأوروبية ECU قد تتحول الى عملة تستند الى غطاء الذهب في المستقبل ، وخصوصا اذا واصل الدولار انخفاضه واتجه العالم نحو نظام متعدد الاحتياطيات النقدية .

وبدأت هذه الاختناقات الحادة فى تقسيم الاقتصاد العالمى الى كتل اقليمية متنافسة كأوروبا واليابان التى تحاول حماية نفسها ضد الآثار السلبية الناجمة عما يعتبرونه ضعفا متزايدا للولايات المتحدة . وأخذت التكتلات النقدية التى تستند الى المارك الألمانى والين اليابانى فى التعاظم فى الوقت الذى يستمر فيه تآكل قيمة الدولار . كما شرعت اجراءات الحماية الجمركية فى العودة من جديد ليس فى الخارج فحسب بل وداخل الولايات المتحدة أيضا . وهاهى التجارة العالمية تواجه مأزقا صعبا . فلقد انخفضت معدلات زيادتها السنوية التى كانت تتراوح مابين ٩ ، ١٠ ٪ فى الستينات الى ٥ ٪ فقط خلال عام ١٩٧٨ بل والى ٤ ٪ فى العام السابق عليه . ولعله من الواضح ان تشوه النظام النقدى الأوروبى الذى يستند بصفة أساسية الى المارك الألمانى يعتبر رد فعل دفاعى يستهدف اقامة منطقة استقرار نقدى فى وجه الدولار المتذبذب .

وواقع الأمر ان حكومة الرئيس جيمي كارتر - مثل سائر الحكومات السابقة عليها - لم تبد كثيرا من التقدير للأهمية السياسية لاحتفاظ الدولار بمركز قوي ولا يبدو أن هناك في الادارة الأمريكية من يرى أن القاعدة الاقتصادية للقوة العسكرية الأمريكية لا تقل في أهميتها عن عدد الصواريخ التي تصوبها الولايات المتحدة نحو الاتحاد السوفيتي . !!!! ○



الاسكان ومفهوم التخطيط الاسكانى

تأليف : د . عبد الرسول علي الموسى

الناشر : مكتبة الانجلو المصرية ـ القاهرة

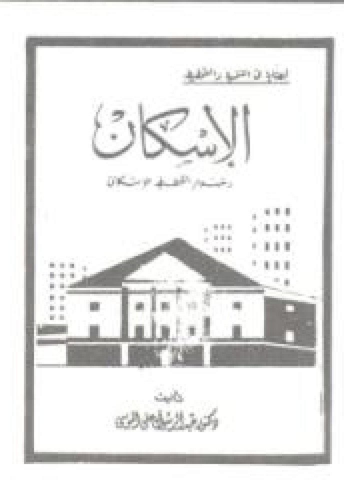
سنة النشر : ١٩٨٢م

● لا شك أن الاسكان أصبح « مشكلة » على الصعيد العالمى ، فالكم البشرى في ازدياد وطاقات الاستيعاب والاستجابة الى توفير مساكن لائقة أصبحت تضيق وتواجه بعدة عقبات .

والكتاب الذى نعرض له يعالج هذا الامر ، ويركز بحثه على واقع الأمر في الكويت .

يقول المؤلف : ان الاسكان اليوم يعني حياة اجتماعية تعكس مدى الاهتمام بالانسان وكرامته وحريته وحقه في العيش في اطار موارده ونشاطاته الاقتصادية . فالمسكن عضو في بيئة واسعة تتكون من المرافق والخدمات بأنواعها الى علاقته بالقطاعات الأخرى مثل العمل والترفيه وغيرها . ويضيف : ان التخطيط للاسكان ، عملية واسعة ومتشابكة ، لجميع التخصصات دور مهم فيها ، فالاسكان ليس توفير المسكن فقط ، بل هو قطاع متكامل له توجه اجتماعى بالدرجة الأولى ، ويجب أن يكون على علاقة تناسق مع البيئة لا يشذ عنها اجتماعيا وطبيعيا واقتصاديا ، والجانب الانسانى فيه جانب مهم جدا .

أما فيما يتعلق بالبحث الميدانى الذى أجراه المؤلف عن الاسكان في الكويت فانه سجل الملحوظات التالية على نتائج البحث :



ان متوسط عمر المسكن الكويتى عشرون سنة وهذا عمر قصير جدا ، كما أن القاء مهمة الاسكان على الدولة وضعه في ردهات الروتين وسياسة تلبية الطلبات بالأقدمية .

ملحوظة : استعمل المؤلف تعبيرات مثل الخطط « القومية » ، « والقدرة الاقتصادية » ، « القومية » وغيرها وهو يقصد خطط وقدرات دول . . صحيح أن لها كياناتها المعروفة والمعترف بها دوليا الا أنها جزء من الدولة القومية . كما ان خطة دولة الكويت الاسكانية على سبيل المثال هى خطة تتعلق بأرض وحدود وسكان القطر الكويتى وليست خطة للاسكان على الصعيد العربى القومى !

الأندلسيون المواركة

تأليف : عادل سعيد بشتاوى

سنة النشر : ١٩٨٣

● الأندلسيون المواركة هو تعبير أطلق على العرب والمسلمين الذين بقوا في الممالك الاسبانية مثل قشتالة وغرناطة وغيرهما اثر صدور مرسوم التنصير ١٥٠٢ .

وكلمة « المواركة » تعريب لكلمة **Moriscos** القشتالة التي تعني « النصارى الجدد » أو « النصارى الصغار » ، وسبب اختيار كلمة « المواركة » جاء للتفريق بينهم وبين الاندلسيين الذين سكنوا شبه جزيرة ايبرية .



وقبل أن يصل الكاتب الى الكشف عن المحنة التي أصابت « الموارِكة » وثوراتهم التي قاموا بها اثر سقوط غرناطة والتي تحدث عنها بالتفصيل ثم صدور مرسوم التنصير ، وقيام محاكم التفتيش ، ثم نفي من تبقى منهم الى بلاد المغرب في أوائل القرن السابع عشر .

فانه درس قيام المملكة القوطية في طليطلة ، وتطور الممالك الشمالية ، وتأثير العوامل الخارجية والداخلية في سقوط الأندلس .

ودرس في الفصل الأخير التأثيرات الأندلسية في اسبانيا وأوروبا .

ساعات الصفر

تأليف : أحمد عودة
الناشر : دار الوحدة ـ بيروت ـ
ورابطة الكتاب الأردنيين
سنة النشر ١٩٨٣

● للكاتب أحمد عودة عدة مجموعات قصصية صدرت في عمان وبغداد ، وقد أصدر مؤخرا روايته الأولى « ساعات الصفر » في حوالي ٢٥٠ صفحة من القطع المتوسط .

واذا كانت الرواية تسجل من خلال الاسترجاعات التي تمر بذهن الشخصية الأساسية فيها ـ متروك ـ وضبطها مع حركة الواقع الى ساعات الصفر العديدة في حياة شخصياتها ، الا أن التركيز تم على استبطان ورصد التحولات التي أخذت تتراكم تدريجيا في حياة الشخصية الرئيسية فيها ، وذلك من خلال اصطدامها بالواقع ، وصولا الى ساعة الصفر الحاسمة التي جعلتها تنفض عن ترددها واستكانتها وخنوعها .



وأجد أن ما سجله الكاتب على لسان ـ متروك ـ في صفحتي ٢١٥ ، ٢١٦ اختزال جيد لسيرة حياة تلك الشخصية ، أكثر من فرحة عادت الي ، لو ابتهلتها لكان على هذا السرير الآن انسان آخر ، لا يجتر الذكريات والأحداث اجترارا ، بل يصنعها أو يشارك في صنعها .

صلاح وهدان ، رحيل أبي الفاجيء أو المدروس ، رحيلي أنا الى بيروت ، منعطفات آل حوري الخطرة ، نهاية شريف على مائدة القمار ، وقبل هذا كله سرحان وحياته الزاخرة بالتضحيات الخطرة ، حتى لحظة استشهاده ووضعي الوسادة تحت رأسه في التابوت . كلها ساعات صفر هزتني عنيفا ، حركتني بعيدا عن الشواطىء الضحلة .

هذه المنعطفات والأحداث والمراوحة بينها ، أي المراوحة بين الفداء والخيانة ، بين البطر والشبع والجوع ، بين النقاء والتلوث ، بين المظهر والجوهر ، بين الواقع المر والذكريات الجميلة ، بين الماضي واحتمالات العيش كمواطن في وطن حر وبين واقع الغربة والنفي والتشريد ومعايشة القمع .

هذه .. وغيرها من احتمالات ونوزعات جعلت « موقف » المراوحة والتردد والحيادية بين تلك الحدود الفاصلة « موقفا » لا يمكن المراهنة عليه الى ما لا نهاية . وبالفعل فان الانحياز في النهاية الى النقاء والفداء والجوهر الأصيل .

الاتجاه العقلي في التفسير

تأليف : د . نصر حامد أبو زيد
الناشر : دار التنوير ـ بيروت
سنة النشر : ١٩٨٢

● يدرس الكاتب في كتابه ، قضية المجاز في القرآن عند المعتزلة ، ويمهد الى ذلك بدراسة نشأة الفكر الاعتزالي على ضوء الظروف الاجتماعية للمجتمع في أواخر القرن الأول وأوائل القرن الثاني الهجري .

ثم ينتقل الى دراسة التطور التاريخي لمفهوم الانتقال في



الدلالة وذلك منذ المراحل الأولى لنشأة علم التفسير ، وبيان العلاقة بين نضج المفاهيم البلاغية عامة ، وبين تأويل النص القرآني .

ثم يقارن المؤلف بين المعتزلة والاشاعرة للكشف عن خصوصية الفكر الاعتزالي .

ويؤكد الكاتب على أن فكر المعتزلة مثل جسرا لبحث العلاقة بين الخطاب الالهي والخطاب الانساني في اطار الفكر الاسلامي . من خلال مفاهيم لغوية ـ فكرية كالتمثيل والتشبيه والمجاز والتأويل . والتي بمثابة اداة للعقل الانساني في تواصله وسجاله مع الخطاب الالهي ، وهي اداة فرضها التطور التاريخي والابتعاد زمانيا عن فترة صدور الوحي . وكانت محاولة لتلبية الحاجات الجديدة الناشئة بفعل التغيرات والمراحل التي مر بها المجتمع الاسلامى ، واجابة على التساؤلات الناجمة عن علاقة الوحي بالواقع المستجد .

عروبة الجزائر عبر التاريخ

المؤلف : عثمان السعدى
الناشر : الشركة الوطنية للنشر ـ الجزائر
سنة النشر : ١٩٨٣

● بين فترة وأخرى يثور لغط حول « البربر » في المغرب العربي ، وتثور أسئلة حول أصولهم مثل : هل هي سامية وتمتُّ بصلة الى العرب أم أنهم آريون ؟ . . . . وهم أقرب الى الأوروبيين منهم الى العرب .

حول هذا السؤال وغيره كتب المؤلف كتابه هذا مثبتا من خلال تفصيلات تتعلق بالتاريخ وأحداثه ، واللغة ومفرداتها وغيرها ، بأن أصول البربر تعود الى الجزيرة العربية واليمن .

يقول المؤلف في هذا المجال : « عروبة الجزائر أصيلة منذ فجر التاريخ ، فسكانه ينتمون الى السلالة السامية ، كما ينتمون حضاريا وثقافيا الى المنطقة الممتدة من ساحل عمان شرقا ، الى شواطىء المحيط الاطلسي غربا .

وهذا الذى يفسر لنا لماذا فشل الرومان والوندال والبيزنطيون ، في دمج المغرب بالمجموعة الأوروبية ، وبالثقافة اللاتينية ، بالرغم من استمرار حكمهم في السيطرة على المغرب أكثر من ثمانية قرون .

وهو الذى يفسر لماذا اعتنق البربر الاسلام ، واندمجوا في الثقافة العربية في نصف القرن الأول من الفتح الاسلامي للمغرب .

ويوضح المؤلف نقطة تخصه فيقول : « أنا من الذين يقال عنهم بربر ، أنا من الشاوية ، من منطقة الكاهنة ، وكسيلة وبوخورطا وتاكفار بناس وغيرها من منطقتي أى من جبال أوراس ـ اللمامشة .

لكن الفرق بيني وبين بعض المنتمين الى البربر من دعاة النزعة البربرية هو أنني درست اللغة العربية وتتلمذت على يد اساتذة عرب وقبائل (بربر) ، مسلمين ووطنيين ، فتحوا عيني على حقيقة أصول البربر العربية . بينما تتلمذ ذوو النزعة البربرية على اساتذة مستعمرين وعلى يد « الآباء البيض » الذين لم يكونوا يحملون تحت جلابيبهم البيضاء الدعوة المسيحية ، وانما كانوا يحملون الأفكار الاستعمارية التي تعمل على غرس الوجود الفرنسي الاستعمارى بالجزائر » . ○



مسابقة العربي الثقافية

رقم ٢٩٩

تستهدف هذه المسابقة امتحان معلوماتك وسرعة خاطرك وتهدف بخاصة الى تشجيعك على البحث عن الردود الصحيحة بالرجوع الى المعاجم وسائر المصادر الرصينة .. فأملنا كبير في ألا ترد على الاسئلة ارتجالا ، حتى في الحالات التي تشعر فيها باليقين أنك تعرف الرد الصحيح .

والمطلوب منك ان تجيب على عشرة أسئلة اجابة صحيحة لكي تكون في عداد المرشحين للفوز بجائزة ..

الجائزة الأولى قيمتها ٣٠ دينارا

الجائزة الثانية قيمتها ٢٠ دينارا

الجائزة الثالثة قيمتها ١٠ دنانير

ترسل الاجابات على العنوان التالى : مجلة العربي ـ صندوق بريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العربي الثقافية » العدد ٢٩٩ ـ وآخر موعد لوصول الاجابات الينا هو أول ديسمبر ١٩٨٣ .

١ ـ العهدة العمرية هى وثيقة الأمان التى حصل عليها أهل بيت المقدس من الخليفة عمر بن الخطاب قبل تسليم مدينتهم لثانى الخلفاء الراشدين ..

ترى هل حملت تلك الوثيقة تواقيع شهود بالاضافة الى توقيع الخليفة ... ؟

٢ ـ تفحص حقائب المسافرين فى أكثر المطارات بواسطة الأشعة وذلك بقصد استشفاف محتوياتها والتأكد من أنها لاتحتوى أسلحة أو متفجرات أو ما الى ذلك ..

ما هى الأشعة المستعملة فى هذه الفحوص . ؟

- اشعة اكس أو الأشعة السينية
- الأشعة فوق البنفسجية
- الأشعة تحت الحمراء

٣ ـ من كان أول من استعمل الأشعة الشمسية سلاحا فتاكا فى الحروب وقضى بها على أسطول رومانى أراد الهجوم على بلده ؟

- ارسطوطاليس
- افلاطون
- ارخميدس

٤ ـ درج الناس فى العالم كله على اطلاق اسم (أطلس) على أية مجموعة من الخرائط الجغرافية .. من كان صاحب الفضل فى ابتداع هذه التسمية . ؟

* بطليموس
* مركاتور
* الادريسى

٥ ـ ابن بطوطة رحال عربى معروف اشتهر برحلاته الكثيرة وبمذكراته التى سجلت احداث تلك الرحلات . .

ما اسم الكتاب الذى تضمن تلك المذكرات . . ؟

٦ ـ جائزة نوبل المعروفة تعود على الفائزين بها بمكافأة مالية مجزية تبلغ نحو (١٠٠,٠٠٠) دولار أو تزيد . . فكم تبلغ المكافأة المالية التى يحصل عليها الفائز بجائزة أوسكار ، الخاصة بالفنون السينمائية . . ؟

٧ ـ أى العبارتين التاليتين تفيد معنى الاختفاء والتوارى . ؟

خفا البرق (خَفْوًا وخُفُوًّا)

خفى البرق (خَفْيًا وخُفِيًّا)

٨ ـ يعود الفضل فى اختراع السيارة الى عالمين المانيين : اسم أحدهما ديملر فما اسم العالم الآخر ؟ . .

٩ ـ الرئة المائية هى الجهاز الذى يحمله الغواص على ظهره ويعتمد عليه فى تنفسه وهو فى الاعماق . ومبزة الرئة المائية هى فى أنها وحدة قائمة بذاتها ولا تربطها بالسفينة حبال وأنابيب تزودها بالأكسجين الذى لاغنى للغواص عنه لتنفسه . .

من هو مخترع هذه الرئة المائية . ؟

* كوستو ، العالم الفرنسى الشهير برحلاته وأبحاثه المتصلة بالبحار والأحياء المائية . . وهو مازال على قيد الحياة . . .
* شوبنهاور
* برنارد شو

١٠ ـ دانلوب . . اسم شهير فى عالم اطارات السيارات وذلك نظرا الى أن دانلوب هو الذى اخترع اطارات المطاط المنفوخة بالهواء . .

صح أم خطأ ؟

---

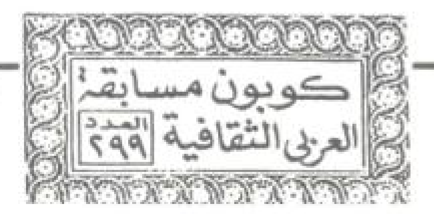
١١ ـ ايلياء هو الاسم الذى عرفت به احدى المدن العربية أيام السلف الصالح . . .

فما الاسم الذى تعرف به تلك المدينة فى هذه الأيام ؟

١٢ ـ بريل مخترع طريقة بريل لقراءة المكفوفين . . كان كفيف البصر كما هو معروف . .

ترى كيف فقد بصره . ؟

* ولد مكفوفا
* فقد احدى عينيه فى حادث
* فقد احدى عينيه فى حادث ثم مالبث أن فقد الثانية بسبب المضاعفات التى نشأت عن فقدان الأولى .





« يجب أن تكون لاعبا ممتازا فلا
ترم رقعة الشطرنج عندما تخسر »

رومان رولان

أهمية التبييت

تحدثنا في عدد سابق عن التبييت وشروطه بشيء من التفصيل

والدور التالي يبرز أهمية التبييت وضرورة اختيار الوقت المناسب لذلك والا غدا وبالا على صاحبه . وهذا الدور أحد أهم أدوار بطولة العالم لعام ١٩٦٩ بين بطل العالم الروسي « تيجران بتروسيان » ومواطنه « بوريس سباسكي » (أبيض) الذي انتزع منه اللقب .. وقد علق « مايكل تال » بطل العالم لعام ١٩٦٠ على هذا الدور بقوله :

« ان أسلوب سباسكي لتحقيق الفوز يجل عن الوصف »

ويجري الدور كما يلي :

١ - ب - ٤ م   ب - ٤ ف و

ويعرف هذا الافتتاح . بالدفاع الصقلي **Sicilian Defense** وهو من أنواع اللعب الضيق ويهدف الأسود به الى منع الخصم من جمع بيادقة في الوسط .

٢ : ح-٣ف م   ب-٣و
٣ : ب-٤و   ب×ب
٤ : ح×ب   ح-٣ف م
٥ : ح-٣ف و   ب-٣ر و
٦ : ف-٥ح   ح و-٢و

النقلة المعتادة هنا هي ٦ : . . . ب-٣م

٧ : ف-٤ف و   و-٤ر
٨ : و-٢و   ب-٣ر

النقلة ب-٣م أفضل

٩ : ف×ح   الأبيض يتنازل عن فيل الوزير الذي يحتاجه لحماية المربعات السوداء في سبيل زيادة تفوقه في التعبئة والانتشار

٩ ...   ح×ف
١٠ : ت ت   ب-٣م
١١ : ر م-١م   ف-٢م

يهدف التبييت في جناح الملك ، ولكن التبييت هنا غير آمن وكان من الأفضل لو بقي الملك في الوسط ، ويرى « مايكل تال » أن التبييت في جناح الوزير كان أفضل .

١٢ : ب-٤ف   ت
١٣ : ف-٣ح   ر-١م الأسود يلعب ببطء

وتراخ غير محمود ، وكان من الأفضل له أن يلعب « ف-٢و » ليربط بين الرخين

١٤ : م-١ح   ف-١ف
١٥ : ب-٤ح !

رائعة لأن الأسود ان لم يقبل هذه التضحية فان ١٦ : ب-٥ح تغدو شديدة الخطورة .

١٥ : ... ح×ب ح

١٦ : و-٢ح ... ح-٣ف

١٧ : ر-١ح ... ف-٢و

١٨ : ب-٥ف ... م-١ر

لو ١٨ : ... ب-٤م

يرجع الأبيض بالحصان الذى يحتل «٤و» مهددا «ر×ب»

١٩ : رو-١ف م ... و-١و

أمـا لـو لـعـب الاسـود «ب-٤م»

٢٠ : ح م-٢م ... ر-٢م

٢١ : ح-٥و ... ح×ح

٢٢ : ب-٦ف ... ح×ب

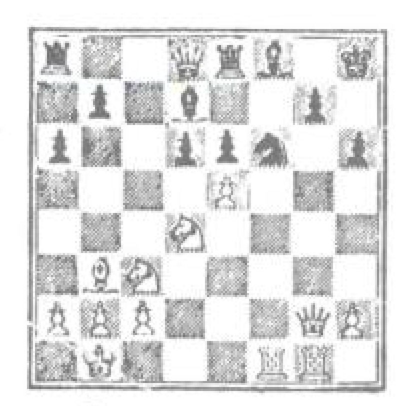
٢٣ : ر×ح ويـفـوز الأبيض بالدور .

٢٠ : ب×ب ... ب×ب ... لـو

٢٠ : ... ق×ب

٢١ : ح×ف ... ب×ح ... الخ .

٢١ : ب-٥م ! (رائعة) مضحيا بالبيدق لافساح الطريق أمام حصان الوزير للهجوم على جناح الملك



٢١ : ...... ب×ب

٢٢ : ح-٤م ! (ممتازة) ح-٤ر وهى أفضل الموجود

٢٣ : و-٦ح ! ... ب×ح ... لو لعب الأسود

٢٣ : .... ح-٥ف ... ٢٤ : ر×ح ... ب×ر

مسألة شطرنجية

الأبيض يلعب ويضرب مات بنقلتين

٢٥ : ح-٣ف م ... والهزيمة بعد ذلك مؤكدة لأن الرد

٢٥ : .... و-٣ح سيقابله الأبيض بالنقلة

٢٦ : ح-٥م ... ف-٣ف ... ٢٧ : و×ب ر+ثم ≠

٢٤ : ح-٥ ح !! رائعة جدا ولا يجد الأسود عليها ردا سوى التسليم

لمعرفة الحل اقلب الصفحة :

من الفكر اليوناني والروماني

■ قال سوفوكليس : « الزمن وحده يظهر الرجل الخير ، أما الشرير فان يوما واحدا يكشف القناع عنه »

■ سئل سياقيدس عن العالم فكتب : « سفارة سرمدية،كلية الموجودات » وسئل عن الله تعالى فكتب : « معقول مجهول لا نظير له ، مطلوب غير مدرك »

■ قال سيروس : « لم لا يوجد بعد ، الرجل الفاضل الذي اغتنى فجأة ! »

■ استشار شيشيرون آلهة دلفي مستفسرا عن خير منهج دراسي يتبعه فقيل له : « اتبع الطبيعة إذ لو فعل الناس هكذا ، لزالت الكلفة بينهم تقريبا » .

■ قال شيلون : « أصعب الأشياء ثلاثة : كتم السر ، وتحمل المسبة ، وحسن صرف الزمن » .

■ قال صولون : « أعظم الأسباب لدفع إساءة المسيء أن تنسى اساءته اليك » .

■ سئل طاليس : « ما هو أسهل شيء ؟ » فقال : « ان ينصح الانسان غيره ! »

■ قال فايدروس : « من يشته مال غيره ، يفقد ماله » .

■ قال فرجيل : « رأت عيناي كل أفعال المصائب ، ولم يكن دوري فيها بسيطا » .

■ قال فيثاغورس : « لا تجعلوا الحكمة الحية في الجلود الميتة » .

■ وقال فيثاغورس لابنه : « أوصيك بعشرة أشياء فاحفظها تسلم : لا تلاح حديدا ، ولا تشارب غيورا ، ولا تساكن حسودا ، ولا تجاور جاهلا ، ولا تناهض من هو أقوى منك ، ولا تؤاخ مرائيا ، ولا تعامل كاذبا ، ولا تكثر مجالسة النساء ، ولا تصاحب بخيلا ، ولا تستودع سرك أحدا » .

■ قال فيلوستراتوس : « امدح الشرير ، يزددّ سوءا » .

■ سئل فيلون : لم لا تطلب الولد ؟ فقال : لشدة محبتي للأولاد !

■ بينما كان فيليب ملك مقدونيا يتصارع في المباريات الأولمبية سقط فوق الرمال : فلما نهض ولاحظ الأثر الذي تركه جسده قال : « واحسرتاه ! يالها من رقعة صغيرة ستطوينا يوم أن نموت ، في حين أننا نحاول الآن في طموح زائد أن نسيطر على العالم كله ! » .





بنك الكويت الوطني، اقدم واكبر بنك في الكويت، افتتح فرعه الثاني في قلب الوست اند من لندن. هذا الفرع الجديد الذي يقع بمحاذاة شارع اكسفورد على مقربة من الماربل آرش افتتح خصيصاً ليساعد الزائرين الكويتيين ويجعل اقامتهم في لندن كاملة، وذلك بتقديم النصح لهم وبتوفير مجموعة شاملة من الخدمات المصرفية الشخصية.

خدمات الفرع تشمل: الحسابات الجارية وحسابات الايداع، منح القروض، أوامر الدفع الثابتة لتسديد الفواتير، خدمة تحويل العملات، شراء وبيع الأوراق النقدية والشيكات السياحية.

كما تستطيع صرف شيكات على حسابك بالدينار الكويتي أو استعمال بطاقة الدينار كويت لسحب ما تحتاجه من النقد من حسابك في الكويت.
أوقات الدوام كالآتي: من الاثنين الى الجمعة ٩٫٣٠ إلى ٣٫٣٠ بعد الظهر، أيام السبت من ٩٫٣٠ حتى ١٢٫٣٠ بعد الظهر.

لتكن زيارتك للندن كاملة وذلك باتصالك بمدير فرعنا فور وصولك وكن على ثقة بأنك ستكون موضع عنايتنا وخدمتنا المميزة.

فرع وست اند: ١٨٠ أوكسفورد ستريت، لندن ١٧٦، مقابل محلات سيلفردجز، تلفون ٦٨١١ ٩٣٥ (٠١)
لندن - فرع السيتي: ٩١ بيشوبس جايت، لندن EC2، تلفون ٢٦٢٠-٩٢٠ (٠١)، تلكس ٨٩٢٣٤٨



بنك الكويت الوطني ش.م.ك
The National Bank of Kuwait SAK

مكتب الكويت الرئيسي: ص.ب ٩٥ الصفاة، الكويت، تلفون ٤٢٢٠١١، ٤١٣٣٣٤، تلكس ٢٢٠٤٣، غرفة تداول العملات: تلفون ٤١٢٠٤٦، تلكس ٢٢٣٢٤٧

Let Me Teach YOU English!



Full Training Available in Written and Spoken English!

A GOOD COMMAND OF ENGLISH CAN ENSURE YOUR SUCCESS! It can improve your chances of promotion – get you a better job – increase your earning power and enhance your social life. You can acquire it quickly and easily.

To help you be successful we offer you a *specialist,* home-study Diploma training in *Business English* – as well as tuition for Pitmans, LCCI and RSA exams.

You learn how to write business letters, reports, memos, telex, telegrams, conduct meetings and lots more about business, including extensive vocabulary development – and of course how to use the English language in your job – both written and spoken.

Your training is conducted entirely in English. It has been written in a particularly easy-to-understand way for people whose mother tongue is not English. If you understand this announcement, you will also understand our Prospectus – sent FREE on request – giving you fuller details of this unique opportunity. So, don't miss your chance! Write NOW for your copy, giving your name and address in BLOCK CAPITALS. To Dept. B/AAB 23, Business Training Ltd, 7 Dale Street, Manchester, M1 1JB, England.

BUSINESS TRAINING LIMITED

Dept. B/AAB 23,
Sevendale House,
7 Dale Street,
Manchester,
M1 1JB,
England.

C.A.C.C. Accredited

Please send me free details by air of your specialist home-study course in Business English and how I can qualify for my Business Training Diploma.

NAME AND ADDRESS IN BLOCK CAPITALS PLEASE

Surname ....

Other names ....

Address ....

....

....

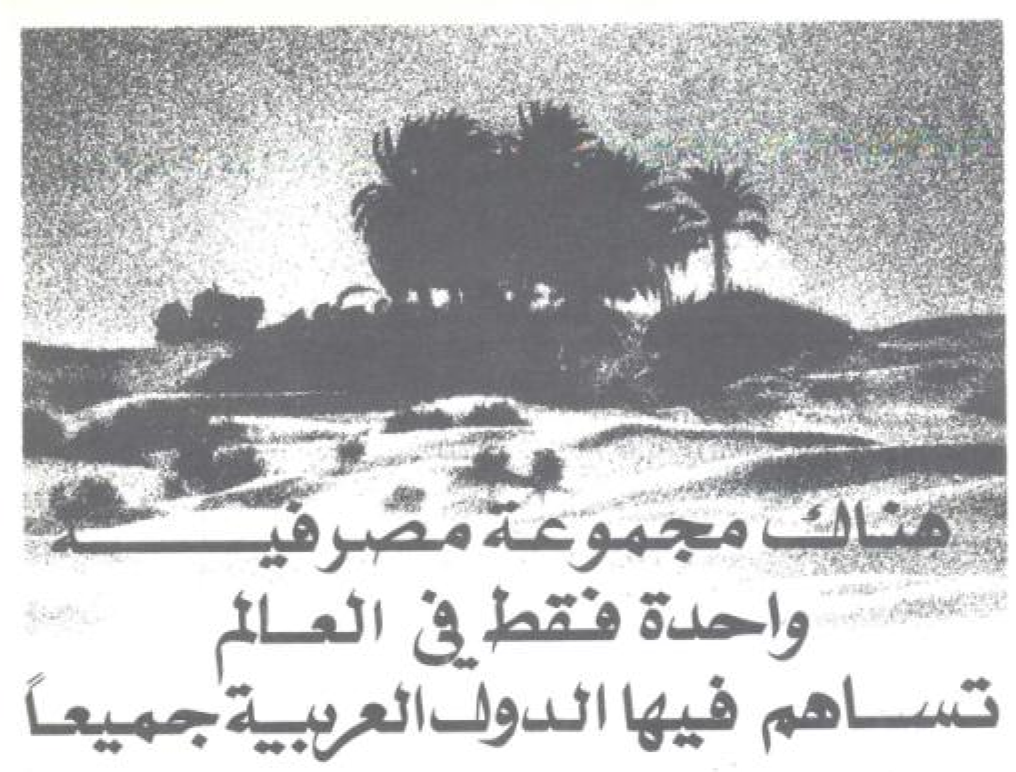
ALBA

لكلّ زمن ساعة

البا تقدم لك ما تبحث عنه... ساعات كوارتز ذات دقة متناهية
في أشكال جذابة ومتنوعة تناسب جميع الأذواق ... منها الساعات الرقمية
والعادية ذات العقارب ومنها ما يجمع بين الاثنين وبأسعار في متناول الجميع
البا تؤمن بأن لكل زمن ساعة.



البا من اليابان حيث تتوحد التقنية بالجمال.



هنالك مجموعة مصرفية واحدة فقط في العالم تساهم فيها الدول العربية جميعاً

منذ اثني عشر عاما نشأت فكرة تكوين مجموعة مصرفية فريدة من نوعها تشارك فيها كل دولة عربية ، ممثلة بواحدة أو اكثر من مؤسساتها المصرفية أو المالية ، ومن ثم ترتبط هذه المجموعة عن طريق المشاركة في رأس مالها مع كبريات المصارف العاملة في المراكز المالية الدولية ، التي تتواجد فيها بنوك المجموعة ، بحيث تهيء كافة الأسباب لتنشيط التجارة بين الدول العربية وبقية انحاء العالم .

وقد أصبحت هذه الأمنية ، اليوم ، حقيقة ناطقة فالدول العربية الاثنتان والعشرون ممثلة كلها في المجموعة عن طريق ٢٦ مؤسسة من مختلف هذه الدول . وبالاضافة الى ذلك فان ٢٣ من كبريات المؤسسات الدولية تساهم في بنوك المجموعة الى جانب المؤسسات العربية بغية تحقيق اهدافنا المشتركة .

وهذا كله يجعل مجموعة بنوك اليوباف AL UBAF BANKING GROUP متميزة عن كل ما عداها . اذ أن أية مؤسسة تسعى الى القيام بعمل تجاري في أي جزء من العالم العربي ، ستكون على يقين بأن في امكانها ان تعتبر المجموعة بمثابة شريك لها بصورة أو أخرى فيما تستهدفه من مشاريع أو عمليات نظرا لتنوع أنشطة بنوك المجموعة وشمولها لمختلف القطاعات المصرفية .

فان أردت السوق النقدية ، وجدت ان رقم اعمالنا في عام ١٩٨٢ بلغ ٣٠٠ مليار دولار ، وان اجتذبتك عمليات تمويل التجارة الخارجية الفيتنا في الصف الأول برقم اعمال يتجاوز الـ ٦ مليار دولار ، كذلك فان مجموعتنا رائدة في مجال تنظيم وادارة القروض المشتركة SYNDICATED LOANS اذ بلغ اجمالي القروض التي شاركنا في ادارتها او تنظيمها ، في ذات العام ، ٦٢ مليار دولار .

وقد بلغ اجمالي اصول بنوك اليوباف ١٤ مليار دولار .

اليوباف

AL UBAF
BANKING GROUP

البحرين : بنك اليوباف العربي الدولي
هونج كونج : يوباف انترناشونال ليمتد
لندن : يوباف بنك ليمتد . يوباف المحدود للخدمات المالية
لوكسمبورج : يوباي البنك العربي الالماني . فرع في فرانكفورت ماين
نيويورك : البنك العربي الامريكي ـ يوباف . فرع في جزر كايمان
باريس : اتحاد المصارف العربية والفرنسية (يوباف)
فروع في البحرين ـ سيول ـ سنغافورة ـ طوكيو
روما : يوباي البنك العربي الايطالي مكتب تمثيل في ميلانو

بيروت : مكتب تمثيل
القاهرة : مكتب تمثيل

لاصوت آخر يصف ساعة رولكس بمثل هذا الجمال

أحيت "كيري في كاناوا" أولى حفلاتها الغنائية، وهي في الخامسة عشرة، أمام جمهور من السيدات ينتمين إلى جمعية نسائية محلية في أوكلاند، نيوزلندا.

ولربما لامس صوت "كيري" وتراً حساساً في نفوس هذا الجمع من السيدات، إلا أن أياً منهن لم يخطر لها ببال ان الفتاة سوف يلمع نجمها لتصبح من أشهر مغنيات سوبرانو الأوبرا في العالم.

وكان ما تقاضته مقابل ظهورها على خشبة المسرح آنذاك مبلغاً سخياً مقداره جنيهان استرلينيان.

واليوم، وبعد قيامها بدور "دونا الڤيرا" من مسرحية "دون جيوڤاني" في باريس، أو دور الكونتس في مسرحية "عرس فيغارو" في كوفنت غاردن، بلغ التأثر منتهاه بكثير من النقاد حتى وصفوا صوتها بأنه لا يقدر بثمن.

وحينما غنت هذه النجمة العالمية، إن في نيويورك، لندن، باريس أو ميلانو، تلاقي تجاوباً رائعاً وحماساً منقطع النظير. يضاف إلى ذلك النجاح الخارق لفيلم "دون جيوڤاني" - إخراج جوزيف لوسي - الذي تألقت فيه كيري بدور "الڤيرا".

تقول كيري، "إني مدينة بالكثير للتدريب والتكنيك الفني الذي اعتمدته أساساً حيث أصبح صوتي مكيفاً للغناء، متخطياً كل المصاعب". واختيار "كيري في كاناوا" ساعة لمعصمها لأمر يغمرنا بالسرور، حيث تقول: "بكل بساطة، رولكس اويستر ليدي - ديت جست الذهبية هي ساعة رائعة. وطوال سنوات، وأنا أستعملها، لم يحدث أبداً أن زلت أو أخلت... وأنا أعلم كم من الصعب أن تبلغ الأمور مرحلة المئة بالمئة.

وكل يوم، وحيثما كنت، أمضي ساعة على الأقل في غناء دور مسرحي لأحافظ على صوتي نقياً رخيماً. لذا، أقدر الوقت حق تقدير، وكذلك المهارة والمجهود الذي يبذل لابداع شيء في منتهى الجمال والدقة، كهذه الساعة."

"كيري في كاناوا" وساعتها رولكس ليدي - ديت جست.

لم يصدر عن أي صوت آخر تعبير بمثل هذا الجمال.

ROLEX
رولكس



ساعة رولكس ليدي - داي جست مرصعة بالماس ومتوفرة بالذهب عيار ١٨ قيراطاً أو بالبلاتين.



سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ دولة الكويت

اكتوبر ١٩٨٣م



تأليف : جورج أم غازدا

ترجمة : د. علي حجاج



الكتاب السبعون

المراسلات :
توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص ب ٢٣٩٩٦ الكويت

من المسرح العالمي
سلسلة ثقافية
تصدرها في مطلع كل شهر
وزارة الإعلام في الكويت

أول اكتوبر ١٩٨٣

١٦٩

أصوات الأعماق

تأليف : ادواردو دي فيليبو
ترجمة وتقديم : د. سلامة محمد سليمان
مراجعة : د. محمد سعيد الباجوري

المجلة العربية للعلوم الإنسانية

مجلة فصلية مُحكمة ، تقدم البحوث الاصيلة والدراسات الميدانية والتطبيقية في شتى فروع العلوم الانسانية والاجتماعية باللغتين العربية والانجليزية .

تصدر عن جامعة الكويت

صدر العدد الأول في يناير ١٩٨١

رئيس التحرير د. عبدالله العتيبي

مدير التحرير عبدالعزيز السيد

- تتناول المجلة الجوانب المختلفة للعلوم الانسانية والاجتماعية بما يخدم القاريء والمثقف والمتخصص .
- تعالج موضوعات المجلة الميادين التالية :

اللغويات النظرية والتطبيقية - الآداب والآداب المقارنة - الدراسات الفلسفية الدراسات الفنية - الدراسات الاجتماعية المتصلة بالعلوم الانسانية - الدراسات التاريخية - الدراسات الجغرافية - الدراسات التربوية - الدراسات حول الفنون (الموسيقى - التراث الشعبي - الفنون التشكيلية - النحت ... الخ) - الدراسات الاثارية (الاركيولوجية) .

- تقدم المجلة معالجاتها من خلال نشر :

البحوث والدراسات - مراجعات الكتب - التقارير العلمية - المناقشات الفكرية .

- مواعيد صدور المجلة : كانون ثاني - نيسان - تموز - تشرين أول .
- تنشر المجلة ملخصات للبحوث العربية بالانجليزية ، وملخصات بالعربية للبحوث الانجليزية .

ثمن العدد : للأفراد ٤٠٠ فلس
للطلاب ٢٠٠ فلس

الاشتراكات السنوية

	داخل الكويت	في الخارج
- للمؤسسات	١٠ د.ك.	٤٠ دولاراً أمريكيا
- للأفراد	٢ د.ك.	١٥ دولاراً أمريكيا
- للاساتذة والطلاب	١ د.ك.	١٠ دولارات أمريكية

- تقبل الاشتراكات في المجلة لمدة سنة أو عدة سنوات .
- قواعد النشر تطلب من رئيس التحرير .
- جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير :-

ص.ب : ٢٦٥٨٥ (الصفاة)

الكويت - الشويخ - ت : ٨٢١٦٣٩ - ٨١٧٦٨٩ - ٨١٥٤٥٣



مجلة العلوم الاجتماعية

تصدر عن جامعة الكويت

فصلية اكاديمية علمية مختصة بالشؤون النظرية والتطبيقية في مختلف حقول العلوم الاجتماعية

رئيس التحرير د. أسعد عبد الرحمن

سكرتير التحرير عبد الرحمن فايز

يحوي العدد حوالي ٢٠٠ صفحة تشتمل على :

- ابحاث بالعربية تعالج مختلف حقول العلوم الاجتماعية.
- مراجعات لكتب حديثة تبحث الموضوعات التي تعالجها المجلة.
- ملخصات .
- ابواب ثابتة : تقارير علمية، دليل الجامعات والمؤسسات التعليمية العليا .
- ندوة العدد .

الاشتراكات :

للمؤسسات والدوائر الحكومية : في الكويت ١٢ دينارا ، في الخارج ٤٥ دولارا أو ما يعادلها.

للأفراد : في الكويت ديناران كويتيان ، دينار للطلاب .

في الوطن العربي : ديناران ونصف كويتيان أو ما يعادلها ، ديناران للطلاب.

في الدول الاخرى : ١٥ دولارا أمريكيا أو ما يعادلها .

توجه جميع المراسلات والابحاث باسم رئيس التحرير على العنوان التالي :
مجلة العلوم الاجتماعية - جامعة الكويت - ص. ب : ٥٤٨٦ الكويت
هاتف : ٥١٠١٨٨ / ٢٧٣ / ٢٥٠



تصدر عن جامعة الكويت

رئيس التحرير
الدكتور عبد الله الغنيم

صدر العدد الأول في كانون ثاني (يناير) ١٩٧٥

تصل أعدادها الى أيدي نحو ١٢٥٫٠٠٠ قارئ

يحتوي كل عدد على حوالى ٢٥٠ صفحة من القطع الكبير تشتمل على : –

- مجموعة من الأبحاث تعالج الشئون المختلفة للمنطقة بأقلام عدد من كبار الكتاب المتخصصين في هذه الشئون .
- عدد من المراجعات لطائفة من أهم الكتب التي تبحث في المناحي المختلفة للمنطقة .
- أبواب ثابتة : تقارير – وثائق – يوميات – ببليوجرافيا .
- ملخصات للأبحاث باللغة الانجليزية .

ثمن العدد : ٥٠٠ فلس كويتي أو ما يعادلها في الخارج .

الاشتراكات : للأفراد سنويا ديناران كويتيان في الكويت . ١٥ دولارا أمريكيا في الخارج (بالبريد الجوي) .

للشركات والمؤسسات والدوائر الرسمية : ١٢ دينارا كويتيا في الكويت . ٤٠ دولارا أمريكيا في الخارج (بالبريد الجوي) ؛

منشورات المجلة :

تصدر المجلة أيضا دراسات مستقلة متعلقة بشئون المنطقة صدر منها

١ – كتاب التكامل الاقتصادي في الخليج العربي (د . محمد هشام خواجكية) . ١٩٧٩ .
٢ – كتاب آفاق التنمية الصناعية في دول الخليج العربي (د . عبد الاله أبو عياش) . ١٩٧٩ .
٣ – كتاب حقوق الطفل في دولة الكويت (د . بدرية العوضي) . ١٩٧٩ .
٤ – كتاب الاحصاءات الاقتصادية في المملكة العربية السعودية (بدوي خليل) ١٩٨٠ .
٥ – دور جريدة فتاة الجزيرة في أحداث عام ١٩٤٨ بصنعاء (سلطان ناجي) ١٩٨٠ .

سلسلة وثائق الخليج والجزيرة العربية لعام صدر منها :

الكتاب الأول – وثائق الخليج والجزيرة العربية لعام ١٩٧٧ . ١٩٧٩ .

العنوان : جامعة الكويت – كلية الآداب والتربية – الشويخ – دولة الكويت .
ص . ب : ١٧٠٧٣ – الخالدية
الهاتف : ٨١٦٨٠٧ – ٨١٦٧٩٩ – ٨١٦٨٢

جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير .

توشيبا تسهّل الطريق إلى عالم من التسلية الممتعة

خطوات توشيبا التقنية تجعل أجهزة التسلية المنزلية أسهل استعمالاً وأكثر متعة. الخطوة الأولى - التلفزيون توشيبا الملوّن ذو الأنظمة الأربعة الذي يحتوي إضافة إلى كافة مميزاته أنبوب الصورة الفريد "بلاك سترايب ٢" ليؤمن لكم ألواناً زاهية تفيض بالحياة. الخطوة الثانية - جهاز الفيديو توشيبا الذي يحتوي منظّماً آلياً للفلطية إضافة الى امكانية تحويله ليعمل وفق أنظمة بال، سيكام وان تي اس سي. الخطوة الثالثة - مسجّلات راديو كاسيت ستيريو توشيبا كانت الأولى التي أتاحت لكم فرصة التسجيل والأداء المتواصل دون توقف مع فكرة الإنعكاس الآلي "أوتو ريفرس" الرائدة. الخطوة الرابعة - تفضلوا بزيارة أقرب وكيل لأجهزة توشيبا للتسلية المنزلية حيث ستشركم مشاهدة كم هو سهل الحصول على المتعة الحقيقية مع توشيبا.

C-2057QB

V-9680

BomBeat 170

BomBeat 953

BomBeat 170
AUTO REVERSE

- قوّة الخرج ٢٠ واط
- أربع موجات (أف. أم / متوسطة/ قصيرة ١ و ٢)
- نظام ستيريو
- أربعة مكبّرات صوت بإتجاهين

BomBeat 953
AUTO REVERSE

- قوّة الخرج ٣٢ واط
- أربع موجات (أف. أم / متوسطة/ قصيرة ١ و ٢)
- نظام ستيريو
- نظام مكبّرات الصوت قابلة للفصل

Beta V-9680

- واجهة أمامية سهلة التشغيل
- بال / سيكام / إن - تي - إس - سي ٤٫٤٣
- مؤقّت ساعة رقمية يتيح تسجيل ٨ برامج في مدى اسبوعين أوتوماتيكياً
- آلية للتحكم عن بُعد
- سُرعات مختلفة للبحث عن الصورة
- سُرعات مختلفة لإبطاء وتجميد الصورة
- منظّم آلي للفلطية ٩٠ - ٢٥٠ فلط
- "روتاري" لولبي بأربع رؤوس للبحث عن الصورة

C-2057QB

- شاشة أنيقة بقياس ٢٠ إنش (٥١٠ مم)
- أنبوب الصورة "بلاك سترايب ٢" لصورة أزهى وأدق
- نظام مكبّر الصوت يعمل بإتجاهين
- أربعة أنظمة (بال / سيكام / إن - تي إس - سي ٣٫٥٨ و ٤٫٤٣)
- منظّم آلي للفلطية
- نظام موالفة الكتروني وآلة للتحكم عن بُعد



CMX 7065RH

الآن ١٠ أنظمة لمشاهدة العالم!

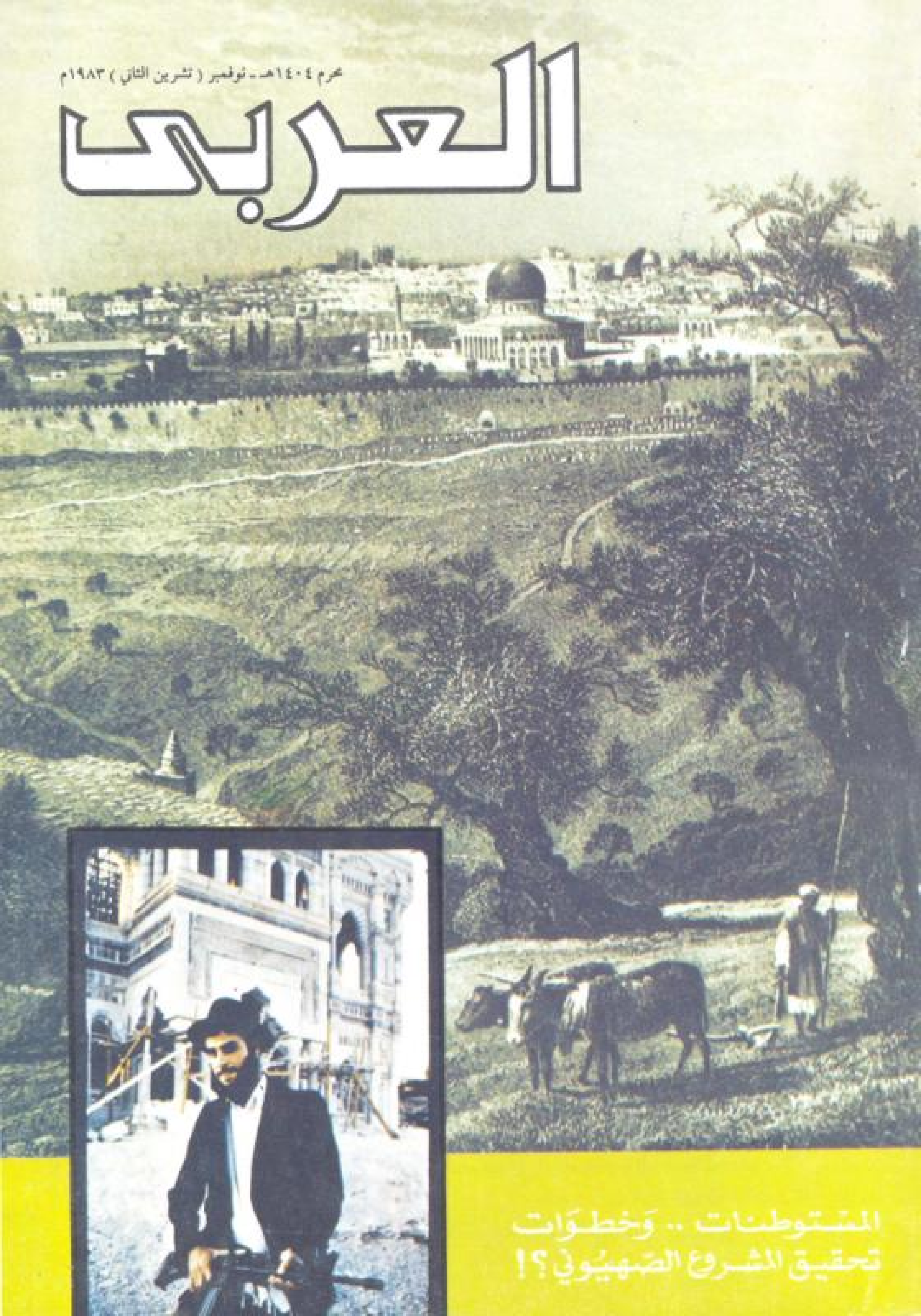
10 SYSTEM

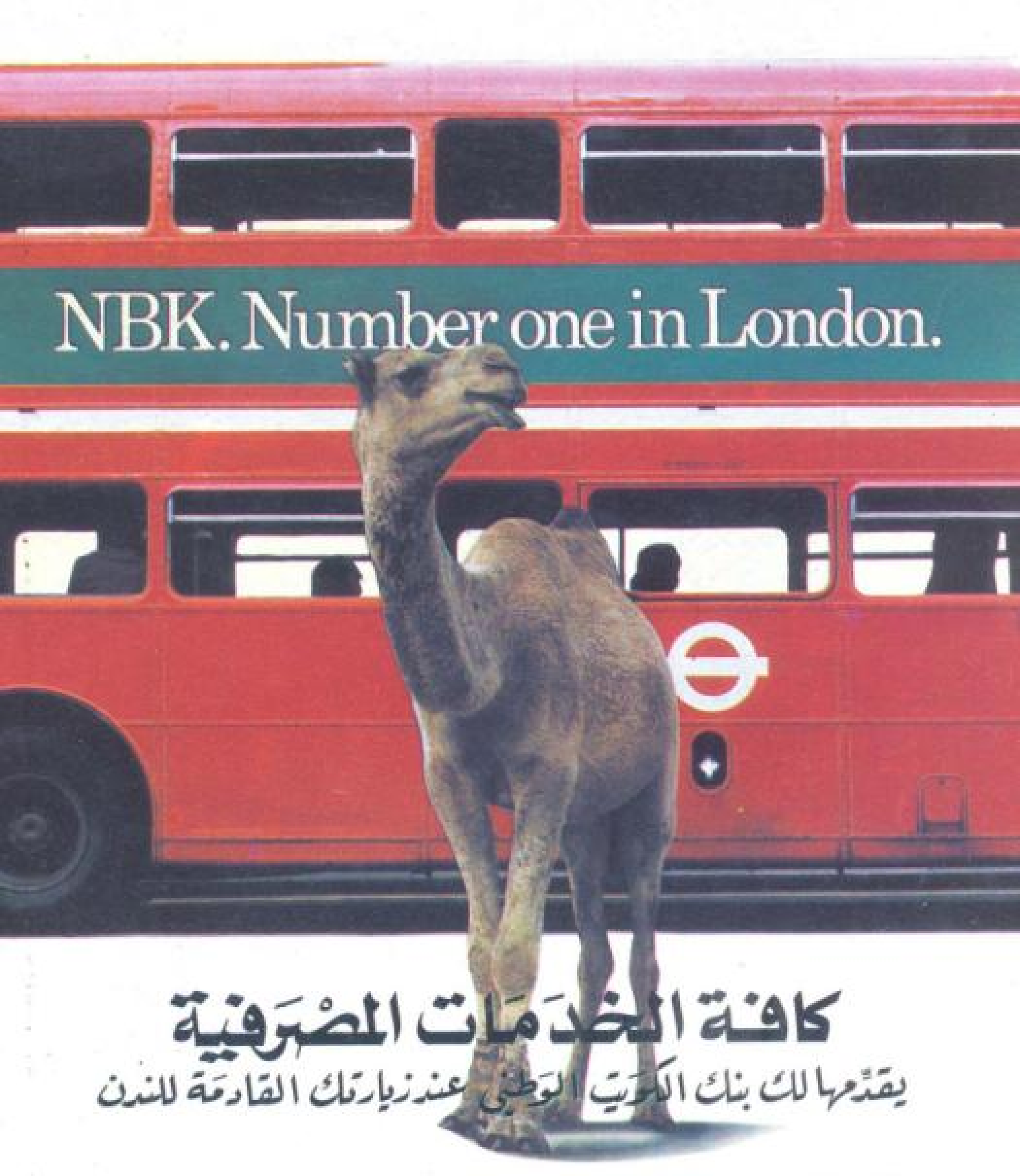
٦ أنظمة تلفزيونية و ٤ أنظمة للمشاهدة من مسجّل الفيديو تضع عالم التسلية بين يديك.

CMX 7065RH تلفزيون ملوّن ١٠ أنظمة من سانيو قياس ٢٢ بوصة لاستقبال ٦ أنظمة تلفزيونية ملوّنة ومشاهدة ٤ أنظمة من مسجل الفيديو ليتيح لك مشاهدة الإذاعات التلفزيونية وأشرطة الفيديو من جميع بلدان العالم* تقريباً. يمتاز بنظام التنغيم بالتردد المعياري للفولطية، ١٢ قناة متكاملة للذاكرة مع لوحة عرض LED للقنوات، نظام مكبر للصوت باتجاهين، ٢٢ وظيفة للريموت كونترول بالأشعة دون الحمراء، إنتقاء اوتوماتيكي للفولطية من ٨٠ - ٢٩٠ فولط، نقاط توصيل لطاقة الدخل والإخراج السمعية والتلفزيونية.

* غير متناغم مع الأنظمة في البرازيل والأرجنتين والاورغواي والباراغواي وفرنسا.




محرم ١٤٠٤هـ - نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٣م
العربي
المستوطنات .. وخطوات
تحقيق المشروع الصهيوني ؟!



يسر بنك الكويت الوطني، رائد البنوك الكويتية، ان يعلن عن افتتاح فرع ثالث له في لندن متابعاً بذلك وجوده على الساحة العالمية الذي يشتمل أيضاً على فرع تمثيل في سنغافورة وشبكة عالمية تشمل أكثر من ٧٥٠ بنكاً مراسلاً.

فرعنا في بيشوبس جايت تأسس لمساعدة الشركات في تطوير عملياتها الخارجية. وبالإضافة الى الخدمات المصرفية الشخصية يقدم فرعنا خدمات عالمية شاملة كالقروض المشتركة، تمويل الشركات، تبديل العملات، إيداعات بالعملات الأوروبية، وتمويل العمليات التجارية كفتح الاعتمادات واصدار الكفالات المصرفية. هذا بالإضافة الى خدمات إدارة الاستثمارات والمشاريع العقارية المتوفرة من بنك الكويت الوطني لما وراء البحار (لندن) على العنوان نفسه.

فرعنا في الوست اند من لندن تأسس خصيصاً لمساعدة الزوار الكويتيين في جعل زيارتهم للندن كاملة وذلك بتقديم النصح لهم وتوفير مجموعة شاملة من الخدمات المصرفية الشخصية.

خدمات الفرع تشمل الحسابات الجارية وحسابات الايداع، منح القروض، أوامر الدفع الثابتة لتسديد الفواتير، خدمة تبديل العملات لشراء وبيع الأوراق النقدية والشيكات السياحية.

كما تستطيع صرف شيكات على حسابك بالدينار الكويتي أو استعمال بطاقة الداينرز كلوب لسحب ما تحتاجه من النقد من حسابك في الكويت.
أوقات الدوام كالآتي: من الاثنين الى الجمعة ٩,٣٠ إلى ٣,٣٠ بعد الظهر، أيام السبت من ٩,٣٠ حتى ١٢,٣٠ بعد الظهر.

تكون زيارتك للندن كاملة وذلك باتصالك بمدير فرعنا فور وصولك وكن على ثقة بأنك ستكون موضع عنايتنا وخدمتنا المميزة.

بنك الكويت الوطني ش.م.ك
The National Bank of Kuwait SAK

لندن - الفرع الرئيسي: [illegible] بيشوبس جايت، لندن [illegible] تلفون [illegible] تلكس [illegible] فرع وست اند: [illegible] أوركسارد ستريت، لندن [illegible] مقابل محلات سيلفريدج، تلفون [illegible]
مكتب الكويت الرئيسي: ص.ب ٩٥ الصفاة، الكويت، تلفون [illegible] تلكس [illegible] غرفة تداول العملات: تلفون [illegible] تلكس [illegible]

عزيزي القارئ

لم تتعود العربي أن تتحدث عن نفسها ، تاركة هذه المهمة لصفحاتها تتحدث عنها ، وليسمح لنا القارىء ـ هذه المرة ـ أن نخرج عن هذه القاعدة ، بعد أن وصلت العربي بهذا العدد الى نهاية عامها الخامس والعشرين ، وأصبحت احدى القلاع الثقافية الشامخة . .

ومنذ مولدها بدأت العربي صفحة جديدة في عالم المجلات الثقافية والشهرية فمن السهل أن يقام بناء مادي ضخم ، ولكن من الصعب بناء مشروع ثقافي مستمر في وجدان القراء . .

وقامت العربي بدور بالغ الأهمية كملتقى للعرب من المحيط الى الخليج ، فاذا كانت السياسة قد أفسدت الكثير من جوانب الحياة العربية فما تزال الثقافة مجالا يمكن أن تلتقي عنده الأمة العربية ، وتنسى منازعاتها وصراعاتها . .

ويكفي أن كل طالب معرفة وكل مثقف عربي يبحث عن العربي في مطلع كل شهر ، بعد أن استيقظت لدى القارىء روح المعرفة وحب الاستطلاع ، وتزايدت لديه الحاجة الى فهم العالم من حوله ، وأصبح يقرأ الانفع والاعمق عندما يقدم اليه في شكل جذاب ـ يحترم عقله ووجدانه . .

ولن نتحدث طويلا عن العدد الذي بين يديك ، فصفحاته تنطق بما بذل فيه من جهد ليخرج في المستوى الذي نريد ، وهو جهد واضح في التجديد والاضافة ، ولاننا نبحث عن الكمال فنحن آخر من نرضى ، ولعل القارىء يلمس الانطلاقة الجديدة في التحرير والطباعة . . والاخراج . .

ونعتبر هذا العدد رسالة الى القارىء العربي نقول له فيها أنه طرف في الاحتفال بمرور ٢٥ عاما على اصدار مجلته ، وأنه شريك أصيل في هذه المناسبة ونتعهد أن نقدم له خدمة ثقافية أفضل ، تربطه بتراثه وحضارته وتمد بصره الى عالم المستقبل المتسارع الخطى .

المحـــرر



العربي

العدد ٣٠٠ نوفمبر ١٩٨٣

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

رئيس التحرير : الدكتور محمد الرميحي

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت للوطن العربي وكل قارىء للعربية في العالم . الوزارة غير مسؤولة عما ينشر فيها من آراء . والمجلة غير ملتزمة باعادة أي مادة تتلقاها للنشر .

ثمن العدد . بالكويت ٢٠٠ فلس ، السعودية ٤ ريالات ، العراق ٢٠٠ فلس ، الأردن ٢٠٠ فلس ، سوريا ٢٠٠ قرش ، لبنان ٢٠٠ قرش ، مصر ١٥٠ مليما ، السودان ١٥٠ مليما ، المغرب ٣ دراهم ، تونس ٣٥٠ مليما ، الجزائر ٣ دنانير ، البحرين ٣٠٠ فلس ، قطر ٤ ريالات ، الامارات العربية المتحدة ٤ دراهم ، سلطنة عمان ٢٥٠ بيسه « ١/٢ ريال عماني » ، اليمن الشمالي ٣ ريالات ، اليمن الجنوبي ٢٥٠ فلسا ، ليبيا ٢٥٠ درهما .

الاعلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراسلات : باسم رئيس التحرير

عنوان المجلة بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤١ ـ ٤٦٨٣٤٣

تلغرافيا « العربي »

الاشتراكات

ترسل الطلبات الى :

قسم الاشتراكات

المكتب الفني ـ وزارة الاعلام

ص . ب (١٩٣) ـ دولة الكويت

على طالب الاشتراك تحويل قيمة الاشتراك بموجب حوالة مصرفية أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الاعلام ، طبقا لما يلي :

البلاد العربية ٣٫٥٠٠ د (ثلاثة دنانير ونصف)

بلاد غير عربية ٥٫٠٠٠ (خمسة دنانير)

AL-ARABI. No. 300, Nofember 1983,

P. O. Box 748 - KUWAIT

محتويات العدد

قضايا عامة

عروبة واسلام :

صورة الغلاف



المستوطنات الاسرائيلية

● المستوطنات الاسرائيلية أسنة رماح غرزت في جسم الأرض العربية .. كيف تمضي مسيرة المؤامرة الصهيونية في احتلال وقضم أرض العرب ، أي قوة تلك التي يملكها الصهاينة للمضي في اغتصاب المزيد من الأرض أمام أعين العالم كله .. أي عدوان .. أي همجية تلك التي يمارسونها دون رادع ..

(إقرأ التحقيق ص ٧٢)

طب وعلوم

آداب وفنون :

التراث والحضارة

● خيط حريري غير منظور يربط العالم الاسلامي .. انه التراث بعد القرآن .. أما الحضارة فهي ثمرة سلسلة طويلة من التحدي والاستجابة في تاريخ الانسان فرداً في شعب، وشعباً في وطن، أو هي ثمرة كل جهد يقوم به الانسان لتحسين ظروف حياته.

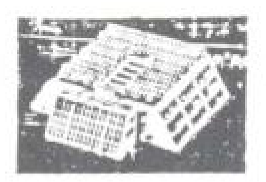
(إقرأ مقال الدكتورة نعمات فؤاد ص ٩٢)

العلاقات العربية الألمانية

● كتاب جديد في العلاقات العربية - الألمانية يقدمه لنا كاتب يعيش في بون، وهو أول مؤلف شامل يتناول الكثير من المواضيع الجادة الجديدة بمزيد من البحث مثل آفاق المستقبل، وقضية فلسطين، والنفط وغيرها ..

انه عدة بحوث في كتاب واحد .. ترى ماذا قدم لنا ؟

(إقرأ كتاب الشهر ص ١٧٣)



بدائل الطاقة

● الطاقة وبدائلها هي الشغل الشاغل لعالم اليوم والغد .. فقصة الوقود التقليدي هي قصة تطور الانسان نفسه .. بدأ الانسان يجمع ما حوله من حطب ليجعل منها نارا تدفئه ويطهو عليها طعامه وتبعد عنه الوحوش .. وبقيت النار هي الطاقة كلها حتى جاءت الثورة الصناعية ومعها تحول الانسان الى باطن الأرض يستخرج منها الفحم ثم البترول ..

(إقرأ قصة الطاقة ص ١٠٦)

منتدى العربي :

علم نفس واجتماع :

تاريخ وشخصيات :



الشيخوخة المبكرة

● هل يمكن للانسان ان يوقف تأثير الزمن ؟ ترى كيف نحتفظ بشبابنا مدة أطول ؟ وكيف نستطيع ان نحافظ على صحتنا لسنوات أكثر ؟ الشيخوخة كما يقول العلماء تحول طبيعي لا يمكن تجنبه ولكن الذي يستطيع كل منا أن يؤجل مجيئها .. كيف ؟

(إقرأ المقال ص ١١٥)

فان جوخ .. مات مسموماً

● فان جوخ الفنان الرقيق التعس الذي روى لنا حياته في « شهوة الحياة » كيف وضع نهاية لأحزانه على الأرض .. هل قتل نفسه رميا بالرصاص ؟

هكذا يؤكد التاريخ .. ولكن الدكتورة فينا سيلر تقول في دراسة جديدة لحياة جوخ انه مات مسموماً .. وهي تستمد هذه النتيجة التي توصلت اليها من خلال أعماله .. كيف ؟

(إقرأ ص ١٥٢)



نحن وثورة الكومبيوتر

● نحن نعيش اليوم ثورة علمية جديدة .. انها ثورة الكومبيوتر الذي دخل البيت والمدرسة وكل مكان يعمل فيه الانسان .. ترى كيف يرى العلماء الغد مع هذه الآلة الجديدة .. انه عالم جديد لا بد لنا ان نستعد ونعد أبناؤنا لاستقباله والعيش فيه .. انه عالم الكومبيوتر .

(إقرأ ص ١٦٠)

استطلاعات مصورة :

أبواب ثابتة :

قطر .. واقع وأمل

● الرحلة عبر دول مجلس التعاون الخليجي لم تنته بعد .. في هذا الاستطلاع الجديد ينتقل العربي الى « الدوحة » حيث تغيرت صورة الحياة التقليدية من الاعتماد على البحر وثرواته الى الزراعة أصل الحياة ثم الصناعة حتى لا يكون اعتمادهم على النفط وحده كمصدر للدخل القومي ، اعتماداً ابدياً .. تنويع مصادر هذا الدخل هو هدفهم .. وهو هدف تشاركهم فيه كل دول الخليج النفطية .

(إقرأ الاستطلاع ص ١٣٢)



حديث الشهر

العقل

امتزجت الأساطير بالخرافات والمعتقدات الخاطئة عندما تمثل العرب شخصية العدو الاسرائيلي على أنها شكل أسطوري قادر على كسب المعارك العسكرية والسياسية على حد سواء ، وكسب الأرض فوق ذلك وبعده ، أو على أنها شكل هش عاجز ذو شخصية مشوهة ، ولم يخرج تصور الشخصية الصهيونية لدى معظم العرب عن الاتجاهين السابقين . وعند قراءة الأدب العربي السياسي أو الاجتماعي أو التاريخي الحديث الذي تناول ظاهرة الصهيونية تجده في الأغلب يتناول قوة اسرائيل بالتهويل او التهوين . قليلة هي تلك الدراسات الجادة والعلمية لفهم الصورة الحقيقية للعدو الصهيوني .

وحتى لا تبدو مساهمتنا هنا محاولة للسير في تيار ذاك التهويل أو هذا التهوين لابد بادىء ذي بدء من القول أن هناك شيئا من التفسير واجبا علينا عندما نقرن « العقل » كما اتفق عليه في المفاهيم العلمية الحديثة ـ وهو عادة ما يكون شخصيا وفرديا ـ بجماعة عرقية او سياسية او ايديولوجية . فعقل الفرد وتفكير اي انسان بمفرده يختلف تماما عن تفكيره وسلوكه في جماعة فكيف يستقيم قولنا « العقل الصهيوني » ؟

لابد ان نقول هنا اننا نريد الحديث عن العناصر العقلية المشتركة او عن الشخصية الصهيونية ، رغم ما يعتري ذلك من تحفظ علمي .

وكما هو معروف فان الشخصية النمطية ليست حقيقية لها قانون علمي قائم بذاته ، وانما هي اداة تحليل ، تهدف الى عزل بعض جوانب الواقع بهدف ابرازها حتى يتسنى ادراكها

بقلم
الدكتور محمد الرميحي

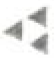
الصهيوني

بوضوح ثم معرفة اثرها على الواقع ، ومن هنا نتعرف على العناصر العامة والجوهرية والمشتركة لشخصية جماعة ما .

ولم تعد دراسة شخصية الجماعة محاولة متعسفة للجمع بين اضداد كما تبدو لأول وهلة ، وانما اصبحت شكلا من أشكال الوعي الاجتماعي الذي يمثل نسقا متطورا للمعرفة . لذلك أصبحت دراسات الطابع القومي أو الشخصية القومية دراسات مفيدة في فهم الذات وفهم الآخرين ، ولقد انجز كثير من الدراسات ابان وبعد الحرب العالمية الثانية ، والتي اهتمت بدراسة الدور الذي يلعبه السلوك ذو المنشأ القومي في الحرب وفي السلم ، واستخدمت هذه الدراسات لتكشف ردود الفعل المحتملة عند الشعوب على مؤثرات خارجية للأعداء والأصدقاء ، كما انها استخدمت بايجابية فعالة في الدعاية والدعاية المضادة .

والآن نعود الى متابعة سؤالنا الأول وهو : هل هناك عقل صهيوني له خصائص مستمرة ومتميزة ، عامة ومشتركة ، تمكننا دراسته من التنبؤ بنشاطه في المستقبل . . ؟

من التسرع القول بأن هناك عقلاً جماعياً يتسم بالاتساق داخليا وخارجيا للجماعة الصهيونية ، كذلك من التسرع نفى وجود هذا العقل جملة وتفصيلا ، فهناك من يريد تأكيد الفكرة لتضخيمها ووضعها في حجم اكبر منها ، وهناك من يريد تجاهلها البتة ، وكلا الاتجاهين يؤدي الى نفس النتيجة فاما الى العجز والاستسلام أو الى الجهل والتجاهل في الوقت الذي يتسع فيه نفوذ الدولة الصهيونية على الأرض العربية .



الاشكاليات المعرفية الأربعة

يلوح لي ان هناك اشكاليات معرفية اربعة ـ ان توخينا الايجاز ـ تقف حائلا بين فهم بعضنا للعدو فهما علميا وهي ليست بعيدة عن سمة مزج الخرافات بالاساطير ، وهي أيضا نتاج طبيعي لميل الانسان بدرجة او بأخرى لتصنيف سلوك الآخرين وتبسيطه ووضعه في قوالب وأطر جاهزة دون النظرة العلمية الثاقبة لتفسير عناصره . والاشكاليات المعرفية هي على التوالي :

الاشكالية الأولى : ـ هل الصهيونية قديمة أم حديثة ؟ بمعنى هل الفكرة الصهيونية التي انتجت اسرائيل اليوم ووضعتها بين ظهرانينا هي فكرة قديمة قدم الدين اليهودي وقدم وجود اليهود على الأرض أم هي فكرة حديثة لها ملابساتها الموضوعية والتاريخية والاجتماعية . ؟

يزعم الفكر الصهيوني أن الفكرة قديمة قدم اليهودية ذاتها ، وأن محورها هو عودة شعب الله المختار الى أرض الميعاد ، وتروج هذه الفكرة بهذه البساطة على ملايين البشر اليوم ، ويقبلونها أيضاً ببساطة ، في الوقت الذي تشترط فيه التعاليم الدينية اليهودية من أجل تحول اليهود من أمة دينية الى أمة قومية قدوم « الماشيح » الذي يعود بالمنفيين كما جاء في العهد القديم الى أرض الميعاد .

وبناء عليه أصبح من الواجب على اليهود ـ حسب هذا التفسير ـ انتظار عودة « الماشيح » في صبر وأناة فمشيئة الله وحدها هي التي ستبعث به ، وبالتالي يصبح من الكفر أن تحاول جماعة ما تحقيق الارادة الالهية بنفسها ، ومن هنا تصبح عودة اليهود الى فلسطين كما تحققت في الثلاثين عاماً الماضية متناقضة جذرياً مع التصور الديني اليهودي وبالتالي فان الصهيونية تتناقض مع اليهودية الدينية .

ومن المفارقات التاريخية أن فكرة عودة اليهود الى « أرض الميعاد » تبناها المصلحون المسيحيون مع ظهور حركة الاصلاح الديني في القرنين السادس عشر والسابع عشر لتحقيق النبوءة الانجيلية هذه المرة ـ حتى يتسنى الاسراع في هدايتهم وتحويلهم إلى المسيحية وبالتالي ترى هذه الفكرة أن هذه العودة مؤقتة لاصلاح اليهود وهدايتهم ! ، وما زالت هذه الأفكار عالقة لدى البعض وأفضل من عبر عنها رئيس جمهورية الولايات المتحدة السابق جيمي كارتر الذي كثيراً ما تحدث عن الاستيطان الصهيوني في فلسطين بعبارات دينية سياسية .

على الرغم من أن هناك دلائل تشير الى استغلال الفكرة الدينية بوجهيها اليهودي والمسيحي كجسر لتحقيق الأهداف الصهيونية في فلسطين رغم ما يعتريها من تضاد شديد كما بينت .

الا ان محور ارتكاز الصهيونية كدعوة ايديولوجية كان يقوم على الفكر القومي الذي انتشر في أوربا ابان القرن التاسع عشر مواكبا للمرحلة الثانية من الاستعمار المرتبط بالرأسمالية الصناعية المصرفية ، ويذكر لنا عبد الوهاب المسيري في كتابه القيم عن الايديولجية الصهيونية ان هرتزل مؤسس الحركة الصهيونية الحديثة أجاب الملك أمانويل الثالث ملك ايطاليا ، عندما سأله الأخير عما اذا كان لا يزال يتوقع عودة « الماشيح » ، أجاب انهم (في الأوساط الدينية) لا يزالون يؤمنون بهذه الفكرة ، أما في دوائرنا الأكاديمية المستنيرة فليس لمثل هذه الفكرة وجود .

اليهودية والصهيونية

والشواهد على ارتباط الحركة الصهيونية ـ التي أسست فيما بعد اسرائيل وأمدتها بالاستيطان ـ والفكر القومي الغربي كثيرة ، كما أن المؤسسات التي قامت في الدولة الاسرائيلية في فلسطين بعد ذلك تؤكد دون جدال هذا التوجه .

ومن هنا يمكننا القول بثقة علمية أن الفكرة الصهيونية والايديولوجية التي تحكم اسرائيل هي فكرة حديثة نابعة من صميم تاريخ التطور الاقتصادي والاجتماعي الغربي .

فالصهيونية حديثة حداثة الفكر القومي الأوربي ، لبست مسوح الدين اليهودي لتلائم بعض أطروحاته وليس العكس . !

وتقودنا النقطة الأولى الى الاشكالية الثانية وهي تدور حول علاقة اليهود بالصهيونية .

فما علاقة اليهودية بالصهيونية . . ؟

نجد في كتاباتنا العربية أيضاً أن هناك اتجاهين لا ثالث لهما ، الأول اعتبار كل اليهود صهاينة والثاني اعتبار اليهود شيئا والصهيونية شيئا آخر ، فأين الحقيقة . . ؟

يوجد اليوم في العالم حوالي أربعة عشر مليون يهودي ، يعيش منهم في فلسطين المحتلة ثلاثة ملايين فقط ، والباقي في انحاء العالم . ويرى بعض الصهاينة على أرض فلسطين ان التجمع الاسرائيلي في فلسطين والتجمع اليهودي خارجها هما شيء واحد ، وأن مجرد محاولة التفرقة بين الصهيونية وبين الشعب الاسرائيلي (محاولة اجرامية للتضليل) أما صاحب فكرة القومية الصهيونية أو قومية الشتات فهو المؤرخ الروسي سمبون دوفنوف (الثلث الأخير من القرن التاسع عشر والأول من القرن العشرين) الذي أوجد حلا توفيقياً لتبرير هذه « القومية » عن طريق قوله بالنماذج الثلاثة للقومية ، الأول النموذج القبلي واللصيق بالطبيعة والأرض ، والثاني النموذج الاقليمي السياسي ، وهو أقل ارتباطا بالأرض وأكثر ارتباطاً بالدولة الحديثة ، أما النموذج الثالث فهو النموذج الروحي أي المستند على الوعي بالذات التاريخية ، وهذه هي القومية الصهيونية وهذا النموذج لا ينطبق الا عليها . . !

وهذا هو المنطلق النظري الذي استند عليه قانون العودة الاسرائيلي والقائل بأن أي يهودي في العالم يعود الى فلسطين المحتلة يصبح مواطناً متى وطأت قدماه أرض فلسطين ، ويستفيد الساسة الاسرائيليون لأسباب سياسية من هذا الطرح من أجل ممارسة الضغوط المختلفة على اليهود خارج اسرائيل ، وتعتبر الحكومات الاسرائيلية المتعاقبة ـ العمالية أو المحافظة ـ أن من واجب سفاراتها في العالم رعاية اليهود أينما كانوا وهو اعتبار خارق للقانون الدولي ، في الوقت الذي يجب أن يقدم هؤلاء في المقابل ضريبة مفروضة لاعانة إسرائيل بأشكال مختلفة ، كما يعتبر هذا التوجه أن مجرد اقامة هؤلاء اليهود خارج إسرائيل في بلاد « الرخاء » ـ حسب التعبير الشائع في المؤتمرات الصهيونية ـ يجعل من هؤلاء محط احتقار دائم ، الأمر الذي يجعلهم أكثر تعصباً لقضايا الدولة الاسرائيلية لتعويض النقص الذي يشعرون به ، وردم الهوة بين صهيونيتهم وتواجدهم خارج أرض فلسطين .

هذا التعاضد المصلحي بين فكرة دفع كل اليهود في العالم للعيش في فلسطين وبين الاستفادة منهم في مواقعهم اينما كانوا يجعل من فك الارتباط بين اليهودي والصهيوني ، عملية شبه مستحيلة ، فاليهودي خارج إسرائيل يشعر ان جزءاً من قوته وامتيازاته يعود الفضل فيه الى إسرائيل التي يحتمي بها ولو نظرياً عند اختلاف الظروف ، وكذلك الصهيوني داخل إسرائيل يشعر بأن له علاقة بفئات واسعة من اليهود تستطيع أن تشد أزره من خلال فكرة القومية الروحية ، فهناك مجموعات الضغط الصهيونية في أوربا الغربية والولايات المتحدة وتتمثل في الأخيرة تجمعات تؤثر على إصدار القرارات في أعلى المستويات ، كما نجد لها أشكالاً أخرى في دول أوربا الشرقية والاتحاد السوفيتي ، وفي الأخيرة نجد أن لليهود مقاطعة هي « بيرويدجان » وتشكل جمهورية خاصة ذات حكم ذاتي لليهود ، رغم حقيقة أن اليهود لا يشكلون أغلبية فيها .

الصهيونية المسيحية

ومن الملاحظ أن العديد من الدراسات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي يقدمها كتاب غربيون عن إسرائيل يكتبها يهود ، تتداخل لديهم العاطفة لتجسيم « التجربة الاسرائيلية » كانجاز انساني عظيم ، ومعظم هؤلاء ان لم يكن كلهم يحاولون إخفاء ولائهم بغلاف علمي ، وهي ميكانيكية دفاعية بشرية لتعويض النقص وتقديم شيء للتجربة الصهيونية « من بعيد » حتى لو كان هذا الشيء غير واقعي أو علمي .

واذا كان من نافلة القول أن الأيديولوجية الصهيونية تعتبر كل يهودي صهيونياً لأسباب شتى حتى يثبت العكس ، فمن المهم أيضاً القول أن ليس بالضرورة اعتبار كل صهيوني يهوديا ، فقد مررنا على ذكر « الصهيونية المسيحية » في إطارها الديني ، الا أن هناك فئات كثيرة يشدها التعصب الصهيوني في المجتمعات الغربية وتشترك فيما يمكن أن يسمى



هكذا يتم وضع الأيدي على أراضي الفلسطينيين !! .

« صهيونية الأغيار » ـ غير اليهود ـ وهم أولئك الذين تدفعهم أسباب شتى لتعضيد فكرة الدولة الصهيونية في فلسطين اما كحل للمشكلة اليهودية في أوربا أو كموقع قدم استعماري يمكن الاستفادة منه في الحاضر والمستقبل ، أو هي جزء من التبرير النفسي لتعويض ما وقع على بعض اليهود من غبن في تاريخ أوربا الحديث والوسيط ، فقد كان الحرمان من الدخول الى بعض البلاد أو الطرد منها أو الاجبار على القيام بأنواع معينة من العمل ، أو العيش في أماكن محددة من سمات التفرقة ضد اليهود في أوربا العصور الوسطى ، أما بعد عصور التنوير والديمقراطيات الحديثة فقد أدمج اليهود في هذه المجتمعات بعد مخاضات عسيرة ومقاومة سواء منهم أو من هذه المجتمعات ، لذلك فان تشجيعهم على البقاء في أرض بعيدة هو تصدير المشكلة للآخرين ، ويبقى من المتعصبين للصهيونية فوق تلك الفئات كارهون ومتعصبون ضد العرب والاسلام يجدون في انحيازهم للصهيونية شيئاً من التعبير عن ذلك التعصب تحت مظلة سياسية . !

كما أن هذا الموقف له شكل آخر يمكن أن يسمى « بالثنائية » التي تظهر في الغرب اليوم بين مثقفيه وساسته تجاه القضية العربية ، في الوقت الذي يقومون فيه بمساعدة اسرائيل وهم في مناصبهم الرسمية وفي التصريحات السياسية والكتابات المنشورة نجدهم على



هرتزل

العكس من ذلك عند خروجهم من العمل الرسمي أو في منديانهم الخاصة . من هنا يمكن الافتراض بشيء كبير من الدقة أن الصهيونية واليهودية فكرتان متداخلتان .

هل الصهيونية عنصرية ؟

تقودنا الاشكالية المعرفية الثالثة الى سؤال حيوي ، هو هل الصهيونية عنصرية ؟
قد تكون القضية بالنسبة لنا نحن العرب هي تحصيل حاصل ، فعنصرية الصهيونية بادية للعيان لكل من يريد أن يرى ، فهي ظاهرة في القرى والمدن الفلسطينية ، في بيروت وفي الجولان ، في الضفة الغربية وفي غزة ، ومع كل فلسطيني طرد من بيته وقتل أهله . ولكن القضية من وجهة النظر الأخرى تحتاج الى نقاش .
جون لافين في كتابه المشهور الذي صدر في أواخر السبعينيات وسماه « العقل الصهيوني » ـ يتساءل باستغراب شديد كيف يمكن اعتبار الصهيونية أيديولوجية عنصرية ، والصهاينة هم اما أمريكان يهود ، أو روس يهود أو انجليز أو هولنديون و حتى مغاربة ويمنيون (عرب) أو اسبان أو بولنديون ، كيف يمكن أن تجمع هذه الأقوام والعناصر المتعددة في صف عنصري واحد ضد الآخرين ، وهم مجاميع مختلفة العنصر ؟
اذا أخذنا بهذا التحليل فقد يبدو للوهلة الأولى أن هناك تناقضا غير منسجم بين تواجد عناصر من أقوام عديدة وبين وصفهم بالعنصرية الا أن هذه الحجة لا تلبث أن تتلاشى عندما نختبر موقف الصهاينة من العرب سواء كانوا فلسطينيين أو غيرهم ، فمن أولويات الشواهد على العنصرية الصهيونية في اسرائيل قانون العودة ، فان عاد اليهودي الى « أرض


مناحيم بيجين


جيمي كارتر

الميعاد » فذاك هو العلو ، أما العربي صاحب الأرض التي احتلتها اسرائيل بعد عام ١٩٤٨ فيمر بسلسلة طويلة من الاستقصاءات حتى يصبح مواطنا من الدرجة الثالثة ، واذا سافر الى الخارج وبقي أكثر من عام ولو يوما واحدا سقط حقه في العودة الى بلده وأهله وأرضه ، كما أن استطلاعات الرأي العام الاسرائيلي لا تخفي موقف الاسرائيليين من العرب المتواجدين بين ظهرانيهم ، فالتعصب العنصري ضد العرب يعتبر سياسة عميقة الجذور في اسرائيل ، وليس موقفا لجماعات معينة ، فاحكام الرقابة العسكرية على العرب ، وحملهم تصاريح المرور ما هي الا أشكال أولى للتفرقة . وفي ظل القوانين الاسرائيلية يعتبر الاستيلاء على الأرض العربية شرعيا بمقتضى قوانين صدرت في بداية قيام الدولة الاسرائيلية ، كما أن تأجير الارض الزراعية « للعدو العربي » هو وباء يجب استئصاله على حد تعبير أحد التقارير الاسرائيلية .

والتفرقة العنصرية مظهر آخر من مظاهر الحياة فالتعذيب الاسرائيلي للعرب لا يقتصر على نسف المنازل والسجن بالاشتباه ، ولكن في تعدد أساليب التعذيب كاطلاق الكلاب البوليسية على المساجين العرب وأيديهم مغلولة وراء ظهورهم ، وتصف لنا تقارير لجنة العفو الدولية وهي لجنة محايدة وموثوق بها أشكال التعذيب التي تتضاءل أمامها الأساليب النازية . فبين الوسائل الشديدة الفعالية العقاب الجماعي والمذابح التي لا تبقى ولا تذر ولا تفرق بين الرجال والنساء والأطفال ، لارغام الآخرين على ترك الأرض ، ومن المفارقات أن المقاومة العربية للاحتلال الصهيوني تصفها الكتابات المؤيدة للصهيونية بأنها معادية للسامية . !

أما أشكال التمييز اليومية الاخرى في مجالات خدمات الاسكان والتطبيب والتعليم فيجري التمييز ليس بين اليهود والعرب فحسب ولكن بين اليهود أنفسهم الى درجة تحطم

المقولة التي يروج لها الفكر الصهيوني والتي تزعم أن الصهاينة في اسرائيل بصرف النظر عن خلفيتهم العنصرية هم مواطنون لهم نفس الحقوق وعليهم نفس الواجبات ، حقيقة الأمر تبدو في كثير من كتابات القادة الاسرائيليين وهي أن اليهود الشرقيين « اليهود السود » غير مرحب بهم فهم عبء على الكيان الصهيوني المعد لخدمة فئة معينة من اليهود الغربيين ، انها هجرة يصفها بن جوريون نفسه « بالهجرة غير المقصودة » الى اسرائيل .

الشخصية الاسرائيلية

أما الاشكالية المعرفية الرابعة فهي الشخصية الاسرائيلية ، ما هي وممّ تتكون . . ؟

كانت التحولات الاجتماعية التي خاضتها المجتمعات الغربية منذ عصر النهضة حتى الحرب العالمية الأولى هي المسؤولة عن ظهور ما سمي في التاريخ الحديث بالمسألة اليهودية ، وهذه التطورات طرحت عدة أفكار لحل هذه المسألة منها الاندماج في المجتمعات الغربية واعادة صياغة اليهودية ، والحل الثاني يدعو الى حركة تنوير ضمن الديانة اليهودية . أما الحل الثالث فهو الدعوة الصهيونية القومية والتي تختلط فيها الاسطوري بالعلمي وتمتزج مع الأطماع الاستعمارية ، والواقع اليهودي الاسرائيلي في أيامنا يثبت بما لا يقبل الشك هذه التصورات الطوباوية ، والمرتبطة بطقوس وطموحات لا يمكن أن تعيش الا في أجواء الأزمة ، فالشخصية الاسرائيلية اليوم متعددة الاهداف لا يربطها الا واقع الاستفادة من الارض العربية الفلسطينية لا غير .

فالأيديولوجية القومية التي بنيت عليها الدولة الصهيونية والقائلة أن ليهود العالم تاريخا قوميا موحدا لا ينقصهم سوى المكان الواحد ، قد اهتزت من أساسها بعد أن انهالت موجات المهاجرين من شتى بقاع العالم على اسرائيل في الخمسينيات والستينيات ، فالثنائية واضحة المعالم في المجتمع الاسرائيلي ، فهناك الاسرائيلي الابيض في مقابل الاسرائيلي الاسود ، وهناك الاسرائيلي الاشتراكي في مقابل الاسرائيلي الرأسمالي ، وهناك الاسرائيلي المتدين في مقابل الاسرائيلي العلماني ، وهناك الاشكناز في مقابل السفارد ، وهناك أيضا السابرا . وكل هذه التصنيفات ليست ثابتة ومطلقة ، جوهر العقيدة الصهيونية هو الغاء الزمن والظروف الاجتماعية والخلافات الثقافية وخلع صفة الاطلاق على الشخصية اليهودية (الاسرائيلية) وفي كل كتاب أو منشور صهيوني نجد محاولة لتكريس هذا المفهوم غير العلمي . جون لافين في صدر كتابه الذي أشرنا اليه من قبل يسوق لنا قولا مفاده « عندما حاولت أن أزور حائط المبكى (قبل ١٩٦٧) وكان وقتها بيد العرب كان دليلي رجل اسرائيلي ذو لهجة بولندية ثقيلة فقلت له مازحا : هل أنت بولندي ؟ أجاب الرجل باعتزاز : لا أنا اسرائيلي . فقلت له : اذن أنت سابرا (جيل اليهود المولودين في فلسطين) قال : لا أنا اسرائيلي قدمت منذ يومين لاسرائيل » .

هذه القصة وأمثالها لتأكيد سقوط الزمن واختلاف الثقافة وتلاشي الغربة لدى القادم اليهودي لاسرائيل ، فهو يذوب مباشرة في المجتمع الجديد .

ولكن هل هو كذلك ؟

والجواب : « لا » فالشخصية الاسرائيلية ليست موحدة فهي متنوعة تظهر تنوعاتها بوضوح اما من خلال التجمعات الاجتماعية أو العرقية ، كما أنها ليست واحدة عبر الزمن ، كما يريد لنا الفكر الصهيوني أن نعرف .

الاشكناز والسفارد

ومن المجموعات الاجتماعية والسياسية والعرقية المميزة في اسرائيل اليوم مجموعتان هما الاشكناز والسفارد وأيضا المفهوم التاريخي لهاتين المجموعتين غير دقيق .

يشار الى الاشكناز عموما في الكتابات العربية على أنهم اليهود الغربيون والسفارد على أنهم اليهود الشرقيون ، وذاك في مجمله صحيح في الوقت الحاضر بكل ما يعنيه من مضامين الانفتاح والعقلانية لدى الغربيين والمحافظة لدى الشرقيين ، ولكن هذه المفاهيم تاريخيا مختلفة ، فالاشكناز الذين ينتمون الى التشكيل الحضاري الجرماني يوصفون في أوربا في عصر التنوير بمصلحي الشباب القديم ، وقد كانوا غالبا فقراء منعزلين يعيشون في مناطق هامشية ويقومون بأعمال هامشية ، في الوقت الذي ينتمي السفارد الى أصل لاتيني اسباني برتغالي ويتسع المفهوم ليستوعب يهود البحر الابيض المتوسط ، وكانوا من الأثرياء الذين يعملون في تجارة الجملة والتجارة الدولية والاعمال المصرفية . وفي ابان المائة والخمسين سنة السابقة لبزوغ القرن العشرين حصل تغيير تدريجي في المفهومين أدى الى اختلاف جذري ، فالاشكناز الذين رفضوا الاندماج في القوميات الاوربية البازغة في القرنين الثامن والتاسع عشر وجدوا ضالتهم في الفكرة الصهيونية التي تتبنى الأفكار القومية الخاصة بهم ، وأصبح مفهوم الاشكنار يطلق على اليهود الغربيين ذوي الفكر الصهيوني والذين أسسوا الكيبوتز (تجمعات العمل) على الارض الفلسطينية ، في حين تحول مفهوم السفارد الى اليهود الشرقيين ، وفي الوقت الذي نظر فيه السفارد الى الاشكناز في فرنسا قبل الثورة الفرنسية باحتقار وأكدوا أصولهم العرقية التي ادعوا أنها تختلف عن الاشكناز انقلبت الآية في اسرائيل الى درجة أن بعض المفكرين الصهيونيين يطلقون لفظ (يهودي) ليقتصر على الاشكناز اليهود البيض وحدهم الذين يعتبرون أنفسهم قد اجتازوا صراعا مريرا مع الحياة في أوروبا ، وهو صراع لا يستطيع البقاء فيه سوى الاكثر ذكاء . والأكثر قوة .

واذا كان الأصل في التفرقة بين الاشكناز والسفارد هو الانتماء لمذهب يهودي والاختلاف في طقوس دينية وانتماء عرقي ، فان الاختلاف اليوم في الواقع الاسرائيلي اقتصادي اجتماعي وجغرافي . فاليهودي الايطالي أو الفرنسي الذي يعتبر سفارديا من حيث المذهب الديني لا يعتبر كذلك من الناحية الاجتماعية .

فالشخصية الاسرائيلية اليوم مبنية على تركيب عرقي طائفي اقتصادي تحاول الايديولجية الصهيونية تخطيه بطرح مفهوم السابرا ، والسابرا هو مصطلح يعني الجيل اليهودي الذي ولد على أرض فلسطين ، هذا المصطلح أيضا مر بتحولات فهو لفظ يعني (التين الشوكي) وقد ظهر أول ما ظهر في مدرسة هرزليا الثانوية في تل أبيب في أعقاب الحرب العالمية الاولى مباشرة ابان فترة الانتداب البريطاني على فلسطين . وكانت المدرسة تضم آنذاك شبانا يهودا من مواليد فلسطين الى جانب آخرين نزحوا مع آبائهم من أوربا ، وكثيرا ما كان أولئك الأوربيون الذين قدموا من حضارة أكثر تعقيدا ونشأوا في ظروف أكثر يسرا يتفوقون في الدراسة على زملائهم من ابناء اليهود من مواليد فلسطين ، وكان الآخرون يلجئون لتعويض شعورهم بالنقص الى تحدي أولئك الاقران بنوع من النشاط الخشن يرد لهم اعتبارهم وكان ذلك بتقشير ثمرات التين الشوكي بالأيدي العارية . ومن هنا سموا بالسابرا .

الا أن المصطلح نفسه تغير ليعني الشباب من أبناء الصفوة الاسرائيلية الغربية أبناء الاشكناز مواليد الكيبوتز ، وهي الشخصية الأساسية المخططة في اسرائيل التي تواجهها نحن العرب اليوم ، وهم نتاج الثقافة والفكر الغربي . وعلى الرغم من أن سكان الكيبوتز في اسرائيل لا يتجاوزون أربعة في المائة من السكان فان نسبة الجنود والضباط بينهم حوالي ١٦٪ حتى أنه في حرب يونية ١٩٦٧ كان ربع القتلى والجرحى من سكان الكيبوتز . ومن المهم القول ان تجمعات العمل في اسرائيل ليست ذات مواصفات اجتماعية أو فلسفات سياسية موحدة بل مختلفة المشارب السياسية والاجتهادات الدينية لكن يجمعها خيط واحد هو احتلال الارض ، وحتى الاشتراكية الصهيونية نجد لها اعتذاريات كثيرة في الادب الصهيوني السياسي والاجتماعي ـ فاشتراكية حزب العمل هي اشتراكية ديمقراطية من أجل ربط السوق الاسرائيلية بالسوق العالمية كما يؤكد جون لافين في كتابه السابق الاشارة اليه .

كما يحدثنا التاريخ الحديث أن الصهيونية لم تتورع من التعاون مع النازية ، ولم يعد سرا أن نشاطا منسقا بين النازية والصهيونية قد بدأ مباشرة قبل الحرب العالمية الثانية لنقل اليهود خارج المانيا وتهجيرهم الى فلسطين .

* * *

وبعد

فان الاشكاليات المعرفية الأربعة التي تواجهنا لفهم العدو الاسرائيلي الصهيوني اشكاليات معقدة لا يجوز فيها التبسيط ، واذا كان لا بد من الاستشهاد بفكر العدو نفسه لفهم موقفه فان مقولة مناحيم بيجين لها دلالة بالغة في هذا الصدد .

لقد قال : « انني أؤمن بالتوراة وأضع ثقتي في الفانتوم » ذلك هو عقل عدونا الأساسي والحضاري ، مزيج من الايمان الخرافي ، وتعلق شديد بنتاج التكنولوجيا الغربية الحديثة . يهدف الى تمزيق العرب الى دويلات عرقية وطائفية . .

فماذا أعددنا له . . . ؟ ! وماذا نحن فاعلون . . ؟





- السلسلة الثقافية الجديدة لمجلة العربي تصدر مؤقتاً فصلياً، ثم شهرية.
- جمع مقالات كاتب واحد، أو عدة مقالات في موضوع واحد.
- مرآة العقل العربي خلال ربع قرن.







د. أحمد زكي



الكتاب الأول   يناير ١٩٨٤

الجديد في أدب الجزيرة العربية

الدمعة والإبتسامة في أدب القصيبي

بقلم : الدكتور محمد جابر الأنصاري

طرح الشاعر الدكتور غازي القصيبي مسألة غياب المسرح من شعره على النحو التالي في سيرته الشعرية : -

* يقول : لقد اشار بعض الذين تناولوا أشعاراً من جزائر اللؤلؤ الى ما يملأ الديوان من روح الكآبة والحرمان واليأس واستغربوا ذلك في ضوء ما يعرفونه عني شخصياً من روح التفاؤل والمرح » .

* ثم يمضي قائلا : « كان السؤال يطرح على النحو التالي :

هل لك شخصيتان متميزتان احداهما مرحة متفائلة ، وهي التي نراها بيننا ، والثانية متشائمة كئيبة ، وهي التي نقرؤها في شعرك ؟



* رداً على هذا السؤال ، يتقدم الشاعر باجابة تحليلية نفسية ، نؤجلها الى حين ، ونسمح لأنفسنا بالتدخل لمحاولة إعطاء إجابة نقدية أمكننا الآن التوصل اليها في ضوء تطور أدب القصيبي ، شعراً ونثراً ، وأشدد على كلمة نثر ، وهي إجابة قد لاتتناقض مع إجابة الشاعر الذاتية في سيرته ، لكنها تحاول الاشارة الى بعد جديد في المسألة ، وهو البعد النثري الساخر ، وما اذا كان يتناقض هو أيضاً مع حزن الشاعر أم يتكامل معه على نحو ما ، أم يتعايشان ، مجرد تعايش ، كما أشار اولئك الذين طرحوا الاشكالية على الشاعر لحيرتهم بين مرحه الشخصي وحزنه الشعري .

وبادىء ذي بدء ، أود ان انبه الى أن الدارسين والناقدين قد التفتوا كلهم تقريباً الى اشعار غازي ، ولم ألحظ ان أحداً قد اهتم بنثره ، وهو ليس بالقليل وان تنامى زمنياً بعد توالي أشعاره .

وما أقصده بنثره هنا ، ليس محتواه الموضوعي او الفكري ، فهذه مسألة تقع خارج اختصاص النقد الفني الذي أحاوله في هذه المقالة ، وترتبط بقضايا الفكر ، وقد تناولت بعض أفكاره تلك في مواضع أخرى .

ما أقصده هنا هو الأسلوب الفني في النثر وما يعكسه من خصائص فنية وشعورية وما يشي به من براعة الكاتب كفنان وليس كمحاضر أو باحث او صاحب رأي في التنمية او الثقافة او ما الى ذلك .

وما سأهتم به على وجه التحديد هو اسلوبه الساخر في النثر ثم علاقته بنزعة الحزن في شعره ، وكيف تلتقي السخرية الباسمة بالحزن والكآبة في نفس واحدة ، ولماذا اختص النثر لدى غازي ، بالصفة الأولى الباسمة الضاحكة ، واختص الشعر لديه بالمشاعر الأكثر جدية ، على عكس الشاعر عبد الرحمن رفيع ، مثلاً ، الذي اختص الشعر لديه في الأغلب بالمعالجة الساخرة والتصوير الفكه ؟

* عندما تقرأ بعض مقالات غازي في كتابه النثري « عن هذا وذاك » كمقالة الرشوقراطية أو « كحكاية بيروقراطية خيالية جداً » تجد نفسك أمام مستوى غير عادي من النثر الساخر اللاذع والواخز .

وكذلك عندما تستمع الى بعض محاضراته ، حتى في الموضوعات الجدية ، تحس ان الفن الساخر نابع من أعماق الرجل ، وليس مجرد حلية من حلى المحاضرة او المحادثة وهذا ما ادهشني حقاً عندما كنت استمع اليه في محاضرة جامعية إغنائية جادة ، ضمن ندوة البحرين الجامعية قبل زمن غير بعيد ، فوجدت ان سخرية الفنان تتجاذب جدية المفكر ، وتكاد تغلقها ، حتى اقتنعت أخيراً ، في سياق استماعي للمحاضرة ، بضرورة الالتفات الى ذلك النثر الساخر ، والاهتمام به كعطاء أصيل في نتاج الشاعر ، وليس كخطرات متفرقة ،

ويكتسب هذا النثر الساخر أهمية أكبر ، في دراسة الأديب الشاعر ، عندما يتقابل في علاقة تضاد ، أو تكامل ، أو تميز مع نزعة الحزن في شعره .

واذا كان هذا التقابل قد تم طرحه على الشاعر من قبل من زاوية شخصية أكثر مما هي نقدية ، من حيث التمايز الظاهر الذي لاحظه عارفوه بين مرحه الشخصي وحزنه الشعري ، فان تنامي عطائه النثري الساخر في السنوات الأخيرة ، يعيد طرح هذه الاشكالية في أدبه ككل ، شعراً ونثراً ، ويجعل منها قضية أدبية نقدية خالصة ، عمادها نتاجه الشعري والنثري معاً ، وبالمقارنة بينهما ، أكثر مما هي ملحظ ذاتي أو شخصي بينه وبين عارفيه . أعني انه بدخول البعد النثري الساخر أصبحت المسألة ملكاً للنقد الأدبي المجرد ولم تعد مقتصرة على سيرة الشاعر الذاتية ، على ما بينهما من علاقة لا تنكر ، وذلك ما أحاول التمهيد له هنا بالتنبيه الى نثره كفن متميز في نتاجه الأدبي ، أولاً ، وكظاهرة جديدة تلقي الضوء على اشكالية مطروحة في شعره منذ البداية .

وخز بلا دماء

* ويجب ان اعترف للقاريء هنا أني أكثر ميلاً للأدب الساخر ، بكل أنواعه مني الى أنواع الأدب والشعر الأخرى . وربما لهذا السبب فاني أكثر استمتاعاً بنثر الدكتور طه حسين ، في طبقته الساخرة الرفيعة ، مني بنثر العقاد الغليظ ، رغم تقديري له . وأكثر احتفالاً بنثر المازني اللاذع مني ببكائيات المنفلوطي العاطفية . وعلى صعيد الكتابات الصحفية ، فقد كنت أفضل أسلوب المرحوم سعيد فريحه صاحب « الجعبة » الشائعة على أسلوب إحسان عبد القدوس ، مثلاً ، التبسيطي المسطح . .

ولعل أدق وصف قيل في النثر الساخر المثالي . . بأنه ذلك الأسلوب اللاذع الذي يوخز دون أن يسيل الدماء . وذلك ما أرى بداياته القوية في نثر الدكتور غازي الذي تقتضي الأمانة أن اعترف له هنا بأني بدأت أفضل بعض كتاباته النثرية الساخرة على بعض قصائده ـ للسبب ذاته الذي أفضل لأجله أسلوب طه حسين على أسلوب العقاد ، ونثر المازني على نثر المنفلوطي ـ لا لأي اعتبار تقييمي آخر ، ودون ان يعني ذلك انحيازاً منهجياً لجديد نثره على حساب أصيل شعره .

ولكن لا بد من ايضاح ذلك لتبيان سبب اهتمامي بالبعد النثري الساخر في أدب الدكتور القصيبي ، وهو بعد أرى أنه يساعدنا على فهم شعره وتفسيره بشكل أفضل كما يعطينا صورة أكثر تكاملا لموهبته الأدبية كلها ولتكوينه النفسي كانسان وفنان .

ولاهتمامي بالأدب الساخر ، فقد قمت بدراسة نقدية نفسية ، قبل سنوات قليلة ، أمكنني التوصل بعدها الى الاستنتاج بأن كل أديب ساخر كبير ، لابد وأن ينطوي في أعماقه الباطنية على شخصية حزينة مكلومة .

ولكن الفارق بين الأديب الساخر والأديب الباكي ، هو أن الأول انتصر على أحزانه في معركة الحياة فاستطاع أن يبتسم لها ويسخر منها ، بينما الثاني ظل أسيرا لها طوال الحياة ، فلم يجد غير البكاء والتفجع ، لأن واقع الحزن ظل مسيطرا عليه للنهاية .

ولعل أفضل تأكيد لذلك سيرة الدكتور طه حسين الذي فجعته الحياة في البداية بالعاهة والفقر والأحزان العائلية الكثيرة ، ولكنه انتصر على ذلك كله وصار ذلك الأديب الكبير والمصلح الاجتماعي المرموق ، ومن هنا هذا التحول في أسلوبه مع مرور السن من الجدية شبه العدوانية الى السخرية الرفيعة اللاذعة في شئون الحياة وقضايا المجتمع .

فالسخرية ـ اذن ـ تخرج من صميم الحزن ، والابتسام الساخر يأتي من صميم المعاناة

الكثيبة ، كما يخرج النهار من الليل ، والحي من الميت ـ كما ترشدنا لذلك الآية القرآنية الجليلة .

الفلسفة الجدلية

ففي الصميم من واقع الحياة تتولد الاضداد من الأضداد والنقائض من النقائض بشكل لا نتنبه اليه دائما ونحن ننظر الى الظواهر من أمور الحياة والأشياء . وهذا هو المعنى العميق للفلسفة الديالكتيكية أو الجدلية ، القائلة بتولد الاضداد من أضدادها وباندماج هذه الأضداد ، بعد الصراع فيما بينها ، في مكونات جديدة منسجمة واحدة ، كما يتولد الكائن الجديد ، انسانا كان أو حيوانا ، من تقابل الضدين الذكر والأنثى .

وأعني بالفلسفة الديالكتيكية هنا فلسفة هيغل الروحية قبل أن يحصرها الماديون في نطاقهم المادى الضيق .

بعد هذا الالماح لفلسفة السخرية وعلاقتها الجدلية بالحزن ، نعود لتقابل النثر الساخر والشعر الحزين في نتاج الدكتور غازي ، وقد امتلكنا منهجا لتفسير العلاقة بينهما ، دون أن نضطر لطرح السؤال الاشكالي الذي طرحه عارفوه عليه عندما قالوا له ، كما ورد في سيرته الشعرية : ـ

« هل أنت انسان مرح متفائل ، وبالتالي نستطيع أن نعتبر شعرك الحزين نوعا من الخداع ؟ أم أنك انسان حزين متشائم ، وبالتالي نستطيع أن نعتبر مسلكك بيننا نوعا من الخداع ؟ » .

هذا السؤال لا يعود واردا ، بل ان طرحه بهذا التبسيط القائم على ثنائية الفرح ـ الحزن ، بنظرة تفصل كليا بين الاثنين ، يصبح مسألة لاغية لاغفالها العلاقة الجدلية بين الجانبين .

والتبرير الوحيد لطرحه ـ في المرحلة الشعرية الأولى ـ هو عدم اتضاح ملامح النزعة الساخرة لدى الشاعر التي هي توأم حزنه الشعري (كما يتضح أيضا من أمثلة كثيرة في سير غيره من الأدباء والشعراء)

وفي سيرة الدكتور غازي الشعرية ما يثبت أولا أن شخصية الشاعر تنطوي على حزن كبير ، وما يدل على أنه بعد أن امتص هذا الحزن في العمق ، قد تخطاه وانتصر عليه ، وأمكنه أن يرسل نظرة ساخرة للحياة والأشياء من خلاله . . وهذا ما يفسر لماذا ظهر نثره الساخر بعد شعره الحزين بوقت غير قصير .

يقول في تأكيد الحزن : « الجو المأساوي الذي أحاط بولادتي وبنشأتي الأولى قد ترك بصمات لا تنمحي في أعماقي من الكآبة . . »

ولكنا نكتشف أن الشاعر ، حتى على صعيد الشعر ، له قصائد ومقطوعات تدخل فيما يسميه بشعر : « الاخوانيات والمداعبات » رأى أن النزعة الساخرة كانت تعتمل في أعماقه مع النزعة الحزينة في تجاذب جدلي . . لكن المؤسف أن شاعرنا أعتبر هذا النوع من الشعر « من قبيل العبث الذي لاينبثق من تجربة حقيقية ولا يستحق الحياة » ـ لذلك فلم يهتم بحفظه وجمعه .

وأيا كانت نوعية هذا الشعر ، فان الذي ترسخ في تجربة غازي الأدبية كون الشعر وعاء التجربة الجدية الأقرب الى الحزن ، وكون النثر وسيلة التعبير الساخر المبتسم ؟ .

وبغض النظر عن هذا التقسيم ، فان إجادة الأديب لفني الشعر والنثر بالشكل الذي يحققه غازي ليس بظاهرة عادية لأن أغلب الأدباء يجيدون فنا واحدا ولا يجيدون الآخر في أكثر الأحوال . وعلينا أن ننتظر المزيد من نتاجه لنرى توازنهما لديه

وذلك ما يحتاج من الشاعر أيضا سيرة أدبية جامعة جديدة . . تتخطى اطار سيرته الشعرية المبكرة الأولى . . ○

الموسيقى العربية
بين "اللهجات المحلية" والفصحى

بقلم : الدكتورة سمحة الخولي

اذا كانت مقامات الموسيقى العربية التقليدية تمثل فى هيكلها العام اللغة الموسيقية الفصحى للعالم العربي والاسلامي ، فان مقامات الموسيقى الشعبية تمثل اللهجات العامية .

في مقال سابق * تناول الحديث أول حصر شامل لمقامات الموسيقى العربية السائدة الاستعمال في العالم العربي الاسلامي ، ذلك الحصر الذي قام به المؤتمر الدولي الأول للموسيقى العربية ، المنعقد بالقاهرة سنة ١٩٣٢ ، وهو الذي تعد أعماله مرجعا بالغ الأهمية لقيمتها التاريخية كتسجيل دقيق وشامل لقضايا الموسيقى العربية الاسلامية السائدة في تلك الفترة . وقد أشرنا في ذلك المقال الى ما كشف عنه الحصر من وجود اختلافات بين المقامات الشائعة الاستخدام في مصر بالمقارنة للمقامات الشائعة في العراق أو تركيا أو ايران ، أو بلاد المغرب العربي . وقد اتضح لنا انها ليست اختلافات في المسميات بل ان هناك مقامات تنفرد بها بعض بلاد المغرب العربي ولا تعرف في مصر أو سوريا ..

ويهمنا ـ بعد ما يزيد على نصف قرن على مؤتمر ١٩٣٢ ، ونحن نراجع تناولنا للقضايا الجوهرية لموسيقانا اليوم ـ أن نتوقف قليلا عن قضية الاختلافات الموسيقية المحلية في المقامات في أنحاء العالم العربي وما يحيط بذلك من أمور فنية وعلمية تتطلب منا موقفا علميا وتحليليا تجاهها رغم الاختلافات في المسميات في المقامات فان هناك اتفاقا علميا على ان هناك سمة محددة ومميزة لمقامات الموسيقى العربية هي « نوعية » أبعادها التي تنفرد بها موسيقانا عن غيرها من الموسيقات ، اذ أن مقاماتنا تتألف ـ بجانب بعدي « الصوت الكامل » و « نصف الصوت » اللذين

* العربي (فبراير ١٩٨٣)



تتألف منها مقامات الموسيقى الغربية - تتألف مقاماتنا من بعد ثالث متوسط بينها وهو البعد الذي يسمى تجاوزا « بثلاثة أرباع الصوت » « وهذا البعد الوسيط » من أهم مشخصات المقامات العربية ، لأنه هو الذي يضفي على ألحانها طابعها ومذاقها وشجاها الخاص . وهذا البعد المميز هو الذي يعبر عنه الموسيقيون بتسمية : « السيكاه » وهو الاسم الفارسي للدرجة الثالثة" في السلم الأساسي للموسيقى العربية ، أي سلم مقام « الراست » ، ويجدر بنا في هذا الصدد ، أن نشير الى بعد « الثانية الزائدة » ، والذي نعرفه في مقام الحجاز والمقامات المشتقة عنه أو القريبة له ، (وهو يتألف من صوت ونصف صوت معا) ، ولكن بعد الثانية الزائدة ليس وقفا على المقامات العربية وحدها ، فله نظائر قريبة الشبه ، في بعض الموسيقات الشعبية في أواسط أوربا ومنطقة البلقان .

[القاسم المشترك !]

فالبعد الذي يميز الموسيقى العربية وتنفرد به مقاماتها أو تكاد ، هو « ثلاثة أرباع الصوت » وهو سائد في كثير من المقامات المحبوبة الواسعة الانتشار في التلحين قديما وحديثا مثل مقامات : الراست ، البياتي ، السيكاه ، والهزام ، الجهاركاه والصبا والشوري .. والأمثلة كثيرة . ويختلف موقع بعد السيكاه (وهو اسم درجة وفي نفس الوقت اسم المقام الذي يبدأ بهذه الدرجة أو النغمة) ضمن تسلسل نغمات هذه المقامات بطبيعة الحال . (فهو يقع في الدرجة الثالثة في الراست ، والثانية في البياتي والصبا والشوري ، والأولى في مقام السيكاه ، والسابعة في الجهاركاه الخ) الا أنه قاسم مشترك فيها جميعا ، وهو الذي يجعل لهذه المقامات نكهتها المميزة التي تفرق بينها وبين مقامات سائر الموسيقات الأخرى .

واذا نحن فحصنا ما جاء بكتاب مؤتمر سنة ١٩٣٢ فاننا نكتشف من السطور الأولى لعمل « لجنة السلم الموسيقي » ان هذا « البعد الوسيط » -على أهميته المحورية- لم يكن موضع اتفاق بين أعضاء المؤتمر أو أنه كان مصدر مناقشات ومساجلات وتجارب ودراسات عديدة إذ برز تحديده كمشكلة من المشاكل الرئيسية التي تحولت مع السنوات (فيما بعد ذلك المؤتمر) الى مشكلة « تقليدية » تتكسر عليها نصال كل مؤتمر أو تجمع أو ندوة موسيقية ، تريد أن تحدد مقادير هذا البعد في الموسيقى العربية . ورغم مرور نصف قرن كامل على بدء التعرض لمشكلة التحديد الواضح لقياس هذا البعد بالذات ، فلم يتم التوصل الى حل علمي متفق عليه ومعترف به حتى الآن .

وقد أدى الوعي بأهمية تحديد مقادير الأبعاد الموسيقية الى تخصيص واحدة من لجان المؤتمر الرئيسية في عام ١٩٣٢ للسلم الموسيقي وكانت



مهمتها : « إثبات مقادير الأبعاد السبعة للسلم الاساسي » للموسيقى العربية التي يمارسها العالم العربي والجزء الأكبر من العالم الاسلامي .
ورغم تصدي تلك اللجنة وكل ماجاء بعدها من لجان في المؤتمرات والملتقيات الخاصة بالموسيقى العربية سنة ١٩٦٤ ، ١٩٦٩ ، ١٩٧١ وغيرها لهذه القضية ، فمازلنا نفتقر الى تحديد ثابت (وواقعي) لمقادير هذا البعد الوسيط تحديدا لا خلاف عليه . فما هو مصدر الخلاف حول تحديد مقدار بعد السيكاه ؟ ، وما هو الحل الذي توصل اليه مؤتمر ١٩٣٢ بشأنه ؟ وهل تغيرت المعطيات التي تعامل بها ذلك المؤتمر الأول مع هذه المشكلة اليوم تغيرا جوهريا يلزمنا بالمراجعة ؟ وما أثر هذا كله على التعليم الموسيقي المنظم في العالم العربي اليوم في معاهد تسير على النهج الغربي في التدوين والتنظير ؟

[البعد الوسيط]

نظرة سريعة على تشكيل لجنة السلم الموسيقي سنة ١٩٣٢ تدلنا على أنها كانت مشكلة تشكيلا وفق بين العقليات البحاثة الغربية التي اشتهرت باهتمامها الأصيل بقضايا الموسيقى العربية من أمثال : فون هورنبوستل (ألمانيا) وهنري فارمر (المستشرق الموسيقي البريطاني) والأب كولانجيت والبارون كارادي ڤو (فرنسا) ود . ڤولف ، وبين مجموعة من قمم الفكر والفن الموسيقي من العرب والشرقيين من امثال مسعود جميل بك (تركيا) ومصطفى رضا بك واميل عريان ومحمود فضلي ومحمد فتحي وأحمد أمين الديك (مصر) ، ووديع صبرا (لبنان) ، فلنا إذن أن نطمئن الى تعادل تشكيل اللجنة وعمق نظرتها من الجانبين العلمي والفني . وقد حددت مهمتها في البداية بالاجابة على أربعة أسئلة نكتفي منها باثنين نوردهما هنا لارتباطهما المباشر بقضية « البعد الوسيط » وأولهما هو :
بحث التجارب التي أجريت « لاثبات مقادير » الأبعاد السبعة للسلم الأساسي[1] (وهي مماثلة غالبا للسلالم الغربية فيما عدا البعد الوسيط والذي يتغير موقعه كما ذكرنا من مقام لآخر) لاثبات قيمة الأربعة والعشرين صوتا (ربعا) التي يتكون منها السلم العام للموسيقى العربية ؟
وثانيهما هو : « إذا قسم الديوان لأربعة وعشرين بعدا متساويا لوجود علاقة ثابتة بينها فهل تتغير أصوات المقامات لدرجة تفقدها صفتها المميزة لها ؟ »

ويورد كتاب المؤتمر (ص ٣٣١ وماتلاها) ان أعضاء اللجنة قد أدلوا بآرائهم من الناحية النظرية ، ثم أجريت تجارب عدة لقياس بعض أبعاد السلم فكانت النتيجة من الناحية « العلمية » لا تبعث على الرضاء » وقد استمعت اللجنة (أي انها اتخذت معيارا ذوقيا وتحكميا هو السمع) لبعض الدواوين ، وبعض مقطوعات السلم المصري من فريق من الموسيقيين استدعتهم لهذا الغرض ، فوافقوا على انطباقها على المقامات الشائعة في الموسيقى المصرية في تلك الفترة . ثم أجريت نفس التجربة فيما يختص بالسلم الموسيقي عند الموسيقيين السوريين والأتراك ، فكانت اجابة الموسيقيين المصريين « انها لا ترتاح اليها آراؤهم » .

[آلة القانون]

واذا استطردنا قليلا في متابعة هذا البحث

(١) السلم الأساسي هو سلم الراست المؤلف من سبع نغمات تضم بينها ستة أصوات كاملة ، وفي الموسيقى العربية تسميات خاصة لكل ربع صوت من أرباع هذه الأصوات الستة (ومجموعها في الديوان ٢٤ ربعا) وعلى الطالب أن يحفظ هذه الأسماء عن ظهر قلب .

الشيق وكيفية تناول اللجنه لتحديد البعد المسئول عن شخصية الموسيقى العربية ، فاننا نجد أن اللجنة قد اعتمدت في بحثها على آلة القانون « التي ضبطها مصطفى رضا بك طبقا لأبعاد السلم الأساسي وعلى جهاز الصونومتر (بوتر طوله متر) بعد ضبطه بشكل مطابق لنغمات القانون بمعونة الموسيقيين الحاضرين . « وقد أجرت اللجنة تجربة قياس بعض الأبعاد على الصونومتر ، وكررتها عدة مرات للتثبت من صحة النتائج آخذة في الاعتبار عناصر التعب والعوامل الشخصية مثل التفاوت في دقة الاحساس السمعي وفي ملكة التقدير ما يعبر عنه بالمعادلة الشخصية » . . .

وبعد تقليب للأمر من كل نواحيه انتهت اللجنة الى أن البعد الوسيط ، أو السيكاه ، في المقامات السائدة في مصر أخفض قليلا عن بعد السيكاه في السلم السائد في المقامات العراقية أو السورية أو التركية ، بفارق ضئيل ، ولكنه ملحوظ للأذن الموسيقية الحساسة . وانتهت اللجنة الى أنه لا مناص من ترك الأمور على ماهي عليه وبقاء السلم (الأساسي) التركي والعراقي والسوري على حالها : بسيكاها وأويجها[٢] المرتفعين .

وهذا في حقيقته ليس الا اعترافا وتأكيدا لأن هناك اختلافات محلية في الممارسة الموسيقية لبعض البلاد العربية وانها مركزة أساسا في بعد السيكاه أو البعد الوسيط في المقامات بصفة عامة .

وفي ضوء أساليب البحث المتطورة في علوم الموسيقى يبدو أن مشكلة إثبات المقادير الدقيقة لهذه الأبعاد الموسيقية لم يعد يشكل صعوبة الآن بعد ابتكار الأجهزة العلمية المتعددة لقياس الذبذبات وتحديدها بشكل مرئي مثل « الأوسِلِلوسكوب » أو أحدثها وهو « الميلوجرام » (وهو جهاز الكتروني مهمته ترجمة مسار اللحن الى رسم بياني مرئي على شاشة أمام الباحث موضحا الطبقة الصوتية : **Pitch** وشدة الصوت **Loudness** في مسار زمني . وهذا الجهاز يفيد في دراسة أبعاد السلالم غير المألوفة في الموسيقى الغربية بأبعادها الصغيرة وطرق الأداء المختلفة مثل الزحلقة **Glissando** غير المحددة الطبقة وما اليها) . ولا تزال التكنولوجيا الحديثة تطالعنا كل عام بجديد في هذا المجال ، بحيث أصبح قياس الأبعاد وتحديدها علميا أمرا ميسورا وفي متناول الباحثين بسهولة اليوم .

اذن فان المشكلة بالنسبة للبعد المميز لطابع المقامات العربية لم تعد مشكلة قياس ذبذباته وتحديد مقاديره ، بل هي كيفية التعامل معه ، اذ يبدو من قراءة لجنة السلم في المؤتمر انها تقبّلت على مضض وجود هذه الاختلافات المحلية بين بعد السيكاه المصري وبعد السيكاه العراقي أو التركي ، ولم تجد اللجنة وسيلة للتوحيد (إن كان التفكير في توحيد الابعاد واردا أو مطلوبا) ، فقررت تركها على ما هي عليه ، وبذلك سلّمت لجنة السلم بان الممارسة الموسيقية لكل شعب هي المرجع الحقيقي أو ان العرف الموسيقي الذي تبلور على مر العصور في مناطق خاصة عرف له احترامه وقيمته ويجب تقبله والتعامل معه كما هو .

[المقامات . . لهجات محلية !]

وهذه الأبعاد المميزة للمقامات ، باختلافاتها التي حيرت اللجنة إنما ابتكرها الموسيقيون في ممارستهم الموسيقية فأنامل العازفين في عزفهم على العود أو الكمان ، أو حناجر المغنين هي في النهاية مصدر الابداع المميز لمزاج كل شعب ،

(٢) الأويج هو اسم الدرجة السابعة الأساسي (المقام الراست) اذا كانت من النوع الوسيط أي ثلاثة أرباع .

وهي التي بلورت النكهة الخاصة للمقامات في كل بلد ، بما يشبه اللهجات المحلية في اللغة العربية . فلغتنا العربية ، التي يعتبر القرآن الكريم مصدرها ومرجعها ، تتعرض مع ذلك لاختلاف في جَرْس النطق ومخارج الحروف من بلد عربي لآخر في اللغة الفصحى ، فما بالنا باختلاف اللهجات العامية بين البلاد العربية ؟ واذا كانت مقامات الموسيقى العربية التقليدية (الفنية) تمثل في هيكلها العام « اللغة الموسيقية الفصحى » للعالم العربي والاسلامي ، فإن اللهجات العامية في الموسيقى تجدها في مقامات الموسيقى الشعبية لكل بلد عربي ، حيث تتنوع وتتعدد متأثرة بعوامل عديدة لا مجال للخوض في تفاصيلها هنا .

وقد توصل مؤتمر سنة ١٩٣٢ لما يثبت ان هناك خلافات محلية في أبعاد مقامات الموسيقى العربية ، وهي التي تشبهها باللهجات المحلية ، ولكن تلك اللجنة توصلت الى هذه الحقيقة باسلوب يعتمد على الذوق أكثر من اعتماده على حقائق علمية تقدر وتقاس . فقد كان الحكم لديها في المقارنة بين ما عزفه القانون وما حسبه الصونومتر هو الأذن ورغم ان أسلوب اللجنة لم يكن علميا الا أنه حل « فني » يعتمد على تقدير لقيمة التقاليد السمعية الموروثة ويعترف بسلطان « عرف موسيقي » عميق الجذور لم ينشأ من فراغ ، فاذا كان هذا العرف قد رسخ الى هذا الحد عبر الأجيال وثبت حينئذ أن الاختلافات في تقدير السيكاه هي اختلافات في اللهجة الموسيقية تشبه اختلاف اللهجات اللغوية ، وان قياسها واثبات مقاديرها لم يعد صعبا اليوم فالمهم الآن هو ماذا نحن صانعون بنتيجة هذا البحث هل نحرص على هذه الاختلافات المحلية مادامت حقيقة فرضت نفسها أم هل نسعى للتوحيد وتزييل الفوارق المحلية كما ورد ضمن مناقشات لجنة السلم منذ نصف قرن ؟ أم هل نحرص على هذه الاختلافات في مقادير الأبعاد والسيكاه بالذات ونستنبط الوسائل لنقلها للأجيال التالية في معاهد التعليم الموسيقي أم نتركها تتوارى أمام زحف « التقسيم المعدل » للسلم الأساسي (الى أربعة وعشرين ربعا متساوية) ؟ وهل مازال مجال الاختيار في هذا التقسيم المعدل مفتوحا أمامنا حتى الآن أم فات الأوان لذلك فعلا ؟ وهذه بعض التساؤلات التي سنتناولها في مقال آخر .

[جوهر موسيقانا وقيمتها]

بقيت كلمة أخيرة أراها ضرورية في هذا المجال وهي أنه يجدر بنا ونحن نتطلع لاستخدام الأجهزة والوسائل العلمية في بحوث الموسيقى العربية أن تتناول هذه الدراسات بكثير من الحساسية الفنية وفي ضوء رؤية عميقة وفهم سوسيولوجي ناضج لجوهر هذه الموسيقى وقيمتها بالنسبة للحضارة العربية فالتطبيق الحرفي للمعايير والأساليب العلمية قد يحمل في طياته خطر القضاء على عناصر تمس جوهر الموسيقى او خطر تسطيح بعض مميزاتها ، والمثل الحي لذلك هو قضية اثبات مقدار بعد السيكاه الذي دل القياس العلمي المبدئي له ، منذ نصف قرن ، على وجود ظلال مختلفة له ، ذات دلالات نفسية وبيئية خاصة . فالبحث (الذي ورد في أعمال لجنة السلم) في احتمال « توحيد » مقداره ، حتى على فرض امكان تطبيق مثل هذا التوحيد ، له مخاطره الكبيرة . ولذلك أرى أن من واجبنا ، نحن الذين نسعى لنشر بحوث الموزيكولوجيا (أو علوم الموسيقى) في دراسة موسيقانا ، ان من واجبنا أن نفكر مليا في « الأهداف » قبل الوسائل . فأحد الأهداف الهامة هو بلا شك الحفاظ على ابداع الفنان بمزاجه الخاص وطبيعته المميزة . والهدف الأكبر للدراسات العلمية الموسيقية انما هو فهم طبيعة هذا الابداع وعناصره الجوهرية المميزة وتسجيله بالوسائل التي تكفل بقاءه وتيسر نقله للأجيال التالية . ○





« تبوتب » (بورتريه)

"تبوتب"

الرجل الطيف حارس السلم ..

بقلم : جمال محمد أحمد

« هذه هي الروح التي كانت تحوم فوق سماء الاغريق ، تبشر باليقظة اليونانية الكبرى على يد بركليس ، وعادت روح هومر ، تحمل دعوته لنموذج عقل جديد ، يدير الحياة بذكاء وحس يتفق وتراثها القديم ، وحاجاتها الجديدة ، واذا كان علم هومر ارستقراطي النشأة الا أنه يملك تربية الصغار ويعين على تجارب الحكم والقيادة ، ولا يحول عن تلقى العقل ذي الحس في أية طبقة . التي مقصدها الأول الاجود لا الاكثر ، الكفاح وليس مجرد النجاح »

هـ . د . ف . كتو الاغريقي

هذه قصة من أروع صفحات التاريخ الافريقي ، والتاريخ العربي في أفريقيا ، وليس بعيدا أن يتفرغ لها يوما من الايام ، طلاب هذا أو ذاك من شباب العرب ، فيقتفوا آثار هذا الاندلس الافريقي ، قبل أن تعفي عليه رمال الأيام أو تدخل هذه الكتب والمذكرات والرسائل العديدة التي كتبها الرحالة والمبشرون والقناصل الأوربيون ، ضمير العالم كله على أنها وحدها هي سجل الحوادث هناك وما هي - حتما - كذلك . كتبت كلها بأيديهم وكان صعبا عليها أن ترى حسنه في العرب ، فقد التقوا هناك في زمان جاهر فيه كل جانب أخاه بالعداء ، بعد أن عجزت المخاتلة بينهما والمداورة أن تحفظ السلم ، وما ندري أي جهة سيتجه هذا الشباب ليكتب هذا التاريخ بعين العرب أيضا فقد كانت الاندلس الافريقية - فيما نعرف الآن - أمة لا

تكتب ، عاش فيها رجال أخطروا أنفسهم اخطارا ، أفراد من العرب اقتحموا هذه المجاهل من « يوقندا » في الوسط الشمالي الى نياسا في الشرق الجنوبي وأذاعوا الذعر « من نياسا هذه في الجنوب الى سواكن في الشمال الشرقي » لا تسندهم جماعة ولا تعضدهم حكومة : سعيد بن جمعة ، سالم بن محمود ، خميس بن بهلول وعشرات غيرهم من أهل التجارة والسياسة في اقليم « يوقندا » الحديث ومحمد بن خلفان ، وبوانا عمر ، والشريف ماجد ، وعشرات غيرهم من أهل المال والحذق في نياسا الحديثة « وتنقانيقا » ، وسليمان ابن الزبير رسول السلطان برغش في زنجبار ، يقطع القارة من شرقها في زنجبار لغربها في أنغولا ، للتجارة حينا ولاشاعة نفوذ السلطان حينا آخر . امامهم حامد بن محمد بن جمعة المرجبي ، تبوتب كما تسميه مصادر الفرنجة يجبون جرس الكلمة التي وصف بها الأفارقة حامد المرجبي . صفة صدى لحسهم الخليط عنه .

كان في ذهنهم أنه الرجل الذي أذاق ملك البلجيك ، ليوبولد ، مر العذاب ، حين فسدت بينهما الحال . الداهية البصير بكل شبر في الجبال والغابات والبحيرات ، تلوح لك منه صور غريبة مثيرة ، كأنها ابداع فنان ، تود لو لمستها بيدك لتعرف . لكنها تتأرجح كالسراب عن بعد فتخطفها الحواس . ظل من الظلال خلال الكتب ، كان يعرف مواهبه ويدرك وهو في غياهبه تلك مصادر القوة ، أي تنبع وأي مسار تسير ، توالت عليه الفتوق آخر أيامه في الكنغو الاعلى ونكأه ما كان بينه وبين تجار العرب من عصبية يدميها الشقاق . خشي أن ينتفع ليوبولد فخرج يقصد زنجبار حيث أهله وماله . لقيه في الطريق الوعرة اليها عند بحيرة « تنقانيكا » سنة ١٨٩٠ مبعوث جمعية من جماعات التبشير وما نظن الا أنه لمح الشماتة في عينيه ، قال له وهو يحاوره ، الانسان الأبيض أكثر قوة ودعوة مني ، سيبتلع كل الذي اقتنيت كما ابتلعت أنا ما كان يملك عباد الطبيعة في الاقليم حين جئته . أرى سحبا في الافق قاتمة ، ورعودا تنبئني أن شيئا في الطريق قادم ، أنا ذاهب . « تأويل هذا بعد قليل ، ومعنى اللقب كذلك » .

أفريقيا تحت الأضواء

لو كنت أكتب هذا الذي قرأت الآن ، أعني ربيع سنة ١٩٨٢ ، لا قبل عشرين سنة وأكثر ، شتاء سنة ١٩٦١ ، وأنا أقدم لتعريبي كتاب بازل دافدسن « أفريقيا تحت أضواء جديدة » لما كتبت غير هذا الذي جاء في خاطري آنذاك في أدبس حيث كنت أعمل شيئا واحدا لو أعرفه ذلك الزمان . اذن لكتبته بدقة أكثر ، عن أسباب عودة صاحبي لزنجبار « حيث أهله وماله » كما قلت آنذاك . كانت أسباب دعوته أعقد مما كنت أعرف ، والقس الذي حاوره وهو في الطريق . ما كنت أعرفه معرفتي به الآن ، ولا أعرف القربى القريبة بينه وبين حامد . هذه حقائق كانت على خافية ، وما هي كذلك الآن . حتى أن الحديث الذي دار بينهما بأكملة بين يدي ، مترجما من السواحلية للانجليزية . أريد لك أن تطمئن فلن تختلف الصورة التي طافت بذهني آنذاك عن الصورة التي سترى حين أفرغ من حديثي اليك ، وستعرف حين يمضي بنا الحديث ، أني لست معنيا بتاريخ الرجل ، أين ولد ، متى ، من أمه ، من أبوه ، ماذا فعل ، متى ؟ الى آخر ما يعني به المؤرخ راصد الاحداث والحوادث أنها في بالي كل حين ، لكنها هناك لتعينني على صورة الرجل أراه خلال الذي كان من أمره صانع تاريخ ، وأمر الرجال حوله والنساء . صورة صانع تاريخ . فحديثي هذا الذي أسوق عن الرجل الذي بدأ لي طيفا من الأطياف ، « سرابا » كما قلت آنذاك لا يحيد عن الحقائق التي أملك الآن . لا يختار بعض تجاريب ، تقف ازاء بعضها البعض ، تصور



لفنقستون

هذه الحياة العريضة لصاحبي ، وهي غير مقيدة بتسلسل أزمان التجاريب وامكنتها واحسبني اخترت التجاريب على النحو الذي خلص اليه الناقد المسرحي أرك بنتلي وهو يكتب عن مسرحيين وعن أحداث بعينها في التاريخ قال يوجز تجربته وهو يقرأ للمسرحيين أنهم « كتبوا رواياتهم وعينهم تحدق في حاضرهم الذي يعيشون . شيء من الماضي بدأ لهم بعضا من الحاضر المحيط بهم ، أقرب اليه مما يحسب الناس ، أكثر الأحيان بعيد الصلة بالماضي قريب الصلة بالحاضر » . أنقل لك هذا الناقد المسرحي ، وأزعم لك أن حياة صاحبي كانت أقرب أن تكون حياة صاغها روائي أو مسرحي ، ولو عاش زمان الملاحم الكبرى لكانت جديرة بواحد من كتابها في القديم أو الحديث .

مغامرون من كل لون . .

أرجوك لا تأخذ على أن أطلت حديث تجربتي مع صاحبي حامد ، فأنا أكتب ، لاشركك بواحدة من تجارب فريدة . ما كنت أعرف وأنا مسحور على أيامي تلك بالفردوس المفقود في أفريقيا ، اني سألقي صاحبي الذي أوحى الي ، اني اتجهت بعد ذاك . لقيته في الذي قرأت من كتب عن أفريقيا المعاصرة ، حين أتاها الأوربيون من كل ضرب علماء وصف الانسان ، تجار عاج ورقيق ، مغامرون من كل لون ، رحالة يكتشفون رسل بناة الامبراطوريات ، اداريون وقناصل ، وقبل هؤلاء وبعد مبشرون كلهم خبائث منكورة ، لا كغيرهم من الناس مزيج من الطيب والقبيح . ما كان في بالي أني سأقرأ له وأقرأ عنه بعد عشرين سنة ، وأجدني آسيا علينا وعلى الذي كان من أمرنا في القارة الافريقية عرف عنها العالم في الذي قال قس واحد من الأشياخ التقاه بين المؤرخين من العرب ، وكان من الصادقين كما تعرف الآن مائة سنة بعد كتابه عن أفول روما يبدو لي وأنا أعيد قراءة الذي كتبت قبل عشرين سنة أن حسي بالرجل وأزمانه ما أملته على معرفة محيطة به وبأزمانه ، مقدار ما أملاه حس بدقائق حياتنا العاصفة آنذاك والآن ، والحس نافذة للعلم غير منكورة الا عندهم أولئك الذين يريدون أن يروا ربهم جهرة ، كما قلت مرات .

أشرت لحياة صاحبي قلت كانت « عريضة » وما قلت هذا تزيدا ، قلته لانه كان في حياة كل الذين أتوا القارة في البدء . وما دخلها فضولا أو مستترا بليل . دخلها مدعوا في كل الذي يتصل بالأوربيين ومقتحما في الذي يتصل بالعرب أو الافريقيين ، ستلقاه حين تقرأ عن غردون وهو يسعى يعالج الثورة المهدية في السودان ويعالج شئون حكام مصر أخريات قرننا الفائت ، وستلقاه حين تقرأ عن أمين باشا مطوقاً في الاستوائية ، خفت لنجدته أوروبا جميعاً ، كيلا يلقى مصير سيده غردون وستلقاه حين تقرأ عن « لفنقستون » في الوسط الجنوبي من القارة ، حين جاء وذهل حين عرف ان العرب عبروا القارة في ذلك الاقليم على أقدامهم ومراكبهم ودوابهم من الشرق كينيا المعاصرة للغرب في « انقولا » ، بواخره تئن في الأنهار ، وستقرأ عنه حين يلقاه ستانلي يرجوه ان يعينه في البحث عن « لفنقستون » وكان قد تاه . سيرته بضع من سيرة هؤلاء ، لا سيرة رجل فرد يملك من المنة الجسدية أكثر ما يملكون . ما وقف كثيرون عند

هذا ، ولا عند الذي رأوا من نفاذ بصره ، وسخائه بهذه الموهبة ، يزجي النصح للذي منهم يجيبه ، ويعمل الذي يستطيع كي يعينه ، وكان في طوقه ان يعمل كثيراً بيده هو وبد رجاله . من العرب الخلص اعمامه والافارقة الخلص ، والمزيج منهما اشباهه .

ما كتبوا عنه بارجحية كاريجيته في عونهم ، تكاد بعض الأحايين تحس بانهم منه مغيظون ، ودوا لو عثروا على منقصة فيه ، اذن لجمعوا يلوكونها كالذي فعلوا بغيره من صناع التاريخ العربي في القارة ، منقصة الآن نحو ثمانين سنة بعد وفاته تجارته الرقيق ، وما كان في وسع أهل زمانه من الأوربيين ان يرموه بهذه القبيحة وهم يلغون فيها كما ولغ . حتى السيدة التي كتبت أعدل الكتب عنه بعد ان قرأت سيرته التي أملاها على هنرك برود سنة ١٩٠٢ وقرأت اوراق اسرته في زنجبار كتب ناشر كتابها « تبوتب وتجارة الرقيق » سنة ١٩٧١ يقدم الكتاب يعرف أنه يغرى به القارىء الأوربي على أيامنا هذه المحقورة « لا يعد الناس تبوتب هذه الأيام واحداً من الأبطال في زمانه ، فقد قام صيته الذائع على آلام البشرية وذلها ، ولكنا نعده مع ذلك مغامراً جسوراً وادارياً قادراً وزعيماً يعرف كيف يقود الرجال » .

أكبر ظني ان السيدة ليدا كرهت هذا فما في كتابها ما يشير الى انها كانت تكتب وفي خاطرها ذاك الأوربي الكاره العرب والمسلمين هذه الأيام أكثر حدة من أمس . كتبت ليدا أوثق الكتب عنه وقالت أعدل الكلام عن تبوتب فهي ايطالية المولد ، ما بين قومها والعرب الآن او أمس باحثة عن حقائق حياة الرجل . ما يحملها على البحث عن سقطات رجل ما عاش للسقطات . تروي لك الذي كان بينه وبين ستانلي آخر ايامه في القارة وتقف عاطفة عند قولته التي نقلت لك « أرى سحبها . . انا ذاهب » . ما أبطأت النذر جاءت ستتان اثنتان بعد قولته هذه ، استعرت الحرب بين العرب والأوربيين في « الكنغو » سنة ١٨٩٢ ، وكان الرجل الطيف قد ذهب وذهبت معه مواهبه في حراسة السلم ولنمض مع المرجبي نعرف عنه منه .

حامد و ستانلي . .

كان الخصام بين حامد وستانلي خصام العتاة . أحب لك وقد رأيت هذا الخصام بعين أوروبا في الذي كتبوا عنه ، أن تراه أيضا بعين صاحبي حامد . رواه للقس سوان في مشهد من تلك المشاهد التي لا يمكن لك أن تنسى وأنت تراه بعين بصيرتك . كان اللقاء في يوجوجي على الجانب الشرقي الجنوبي من بحيرة « تنقانيقا » ، في بيت من بيوت أصدقائه العرب وأصدقائه الأفارقة ، وفيهم من أخواله كثيرون يصف مشهد اللقاء هذا صديقه القس سوان الذي قدم يسمع منه ما كان من أمره وأمر الرحالة الغر قوي الشكيمة ستانلي ، وقد سمع الكثير مما قاله الأوربيون ، يحمدون له عوارفه ، كارهين . ما كان من هؤلاء القس . كان يحمل لتبوتب ودا واكبارا لا يكره أن يقول بها ، لا يغبطه . كان قد حماه وحمى جماعته من المبشرين حين قدم بهم في الاقليم أول مرة . أبى عليهم المسلمون وأهل الوثنية من أفريقيا ، أن يقيموا بينهم يبشرون بدين البيض اذ هكذا بدت لهم النصرانية تلك السنين . جاء بها الأوربي وهو أبيض البشرة . كان حامد لا يرى رأي أخوته وأعمامه العرب ولا رأي أخواله الأفارقة أي دين سماوي خير للافريقي من أديانه الطبيعية . في الاقليم أرض عريضة وخلق كثيرون لتتنافس أديان السماء على وجدان الافريقي ، لاتحترب .

ما كانت هذه العارفة غائبة عن القس الفرد سوان ، حين دعاه تبوتب ليلقاه بشكو لذي مروءة . خف اليه مشوقا القس يريد لقاء الرجل المسلم الذي حماه وحمى نصرانيته أتاح لها أن تشيع في الاقليم . لايؤتى هذه الحكمة غير ذي حظ عظيم . ○

منافذ الشعراء

بقلم : عبد الله زكريا الأنصاري

للشعراء منافذ يبصرون منها بعقولهم وأفكارهم ، ويرون الحاضر والماضي والمستقبل ، لكن ما هو شأن المستقبل وكيف يبصره الشعراء ؟ والمستقبل أحداث مكتوبة على صفحات الغيب ، والغيب لا يعلمه الا الله وحده ! ! إذن ففي الأمر سر ، فما هو هذا السر الذي يجعل الشاعر يخوض في عالم المستقبل ، أو يحلق برؤاه بين طيوفه وأحداثه التي يتخيلها .

إن رؤى الشاعر للمستقبل إن هي إلا تصورات ، وتنبؤات يبصرها من خلال النافذة التي وهبها الله إياه ، وقد تكون على شكل صور مجسمة ، وقد تكون مجرد أحداث يتنبأ بها الشاعر ، ويحس بها قبل حدوثها ، ذلك أن الشاعر له منافذ يطل منها ، ليست لغيره ، فهو وحده الذي يتعامل مع الخيال ، ويتعامل أيضاً مع الفكر ، ويتعامل مع العقل بقدر ، أي بالقدر الذي يجنبه السقوط في بؤرة المحسوسات ، أو بالقدر الذي لا يتركه الجنوح إلى عالم اللامعقول .

إذا قلنا ان الشاعر يتعامل مع العاطفة ، ويمارس الخيال بعيداً عن المحسوسات العقلية فليس معنى ذلك أن الشاعر يحارب العقل أو يعاديه ، وانما هو في تعامله مع الشعر يغرق في الخيال ، ويمعن في الرؤى ، ويبتعد عن العقل شيئاً ، ومع ذلك تظل بينه وبين العقل خيوط رفيعة رقيقة تدفعه إلى المضي قدماً في رؤاه المجنحة ، وتصوراته الزاهية ، واذا انقطعت تاه في عالم اللاانهائي ، وضل طريقه الذي ينير للشعر مسالكه ودروبه .

إن الشاعر لا يتعامل مع العقل تعاملاً مباشراً ، ولا يبتعد عن العاطفة والخيال أبداً ، والا جاء شعره قوالب من الكلمات الجامدة ، لا تحرك القاريء ، ولا تهز السامع ، فالخيال والعاطفة هما ملح الشعر ولذته .

أجل هناك شعراء يخلو شعرهم من عاطفة ، ويخلو من خيال ، وأولئك هم الذين يبنون الشعر بكلمات مركبة ، وأشطر مصفوفة بالكلمات ، وبيوت منحوتة نحتاً ، ليست فيها حياة ، وتجاوزاً نسميهم شعراء ، وإنما هم نظامون ، وشعرهم ليس شعراً وانما هو نظم جامد لا يخاطب مشاعر الناس وأحاسيسهم ، وانما يخاطب عقولهم ، والشعر الذي لا يخاطب عواطف الناس ولا يحرك مشاعرهم وأحاسيسهم ليس شعراً .

شاعر .. وشاعر

هؤلاء الشعراء ، أو هؤلاء النظامون على الأصح ليست لهم منافذ يبصرون من خلالها

أحداث الحاضر ، وصور الماضي ، ورؤى المستقبل ، وانما هم نظامون للبيوت أو الجمل أو العبارات ، دون أن ينفخوا فيها من روحهم ، واذا كان هذا شأنهم فكيف نريد لهم منافذ مثل تلك التي يتمتع بها الشعراء الذين يحلقون بخيالاتهم ، ويطيرون بأفكارهم المجنحة ، ويستشفون ببصائرهم ويجوبون الماضي والحاضر والمستقبل ، ويتخلصون من قيود العقل ، ويمتطون صهوات الحرية ، ويجولون بها فوق التلال وعلى الجبال وفي وديان الأحداث ، يصورون ويرصدون ، ويترجمون ويلونون المشاهد بريشتهم الشعرية الخالدة ، أجسامهم في الأرض ، وأفكارهم في السماء . عقولهم في أجسادهم وخيالاتهم تسبح في الفضاء ، حتى تنتهي ساعة الالهام ، وتنقضي حالة الوحي ، ويعود الوعي العقلي إلى حالته الطبيعية . يقول أحدهم واصفاً الحالة التي يكون عليها وقت المخاض الشعري : ـ

تدينُ ليَ الدنيا بل السَّبعةُ العُلى
بل الأفق الأعلى إذا جاش خاطري

أي أنه في حالة يتسامى فيها عن العالم الأرضي ، وينطلق من قيود الحرية إلى صميم الحرية ، ويشعر بأن الدنيا قد دانت له وأسلمت عنانها ، إنه شاعر ملاك في هذه اللحظات ، لكنه ما يكاد يعود مرة أخرى من ملكوت السماء حتى يقول : ـ

كُنَّا فصرنا قطرةً في عُباب
عشنا وعُدنا ذرةً في التُّراب
جئنا إلى الأرض ورحنا كما
دبَّ عليها النملُ حيناً وغاب

ثم يمضي ، ويرسم تصوراته شعراً منغماً ليس منحوتاً ، لكنه شعر ملهم ، نابع من عاطفة مشبوبة ، وإحساس ملتهب ، وشعور متأجج ، لا يفسِّده العقل بقيوده ، ولا الحقيقة بواقعها المر ، ولا العيش الملتصق بالتراب : ـ

معاقرو الكأسَ وهم سادرون
وقائمو الليلَ وهم ساجدون
غرقى حيارَى في بحار النهى
والله صاحٍ والورَى غافلون

الشعر أنغام

وهكذا يمضي الشاعر ، وهكذا يتعامل مع الشعر .

والشعراء ضروب شتى من الناس ، ضرب يتلاعب في تبر المعاني ويقلِّب درها وجوهرها ، وضرب يعبث في ترابها ويقلِّب حصاها ، وبينهما ضروب مختلفة من الشعراء منهم من يسمو على هؤلاء ، ومنهم من يلهث ويعجز عن الوصول إلى أولئك .

بجانب أولئك الذين تتفتح لهم أبواب المعاني فيبدعون في سموات الخيال ، ويلمسون بعمق أفكارهم ، وامتداد خيالهم ما قد يتراءى لهم في المستقبل ، هناك شعراء ينطوي لهم الزمان ، ويعودون بأفكارهم إلى الوراء وتمتطَّ أخيلتهم حتى تصل إلى الماضي السحيق فترسم وتصور وتقول ، كما حدث للشاعر أحمد شوقي وهو يصف أحد مكتشفي الآثار في مصر ، وهو يزيح التراب عن مخلفات الفراعنة منذ ألوف السنين ، يقول عن هذا المكتشف : ـ

أفضى إلى ختم الزمانِ ففَضَّه
وحبَا إلى التاريخ في محرابه
وطَوَى القرونَ القهقرَى حتى أتى
فرعونَ بين طعامِه وشرابه

إنه يصف بهذين البيتين مكتشف الآثار ، ويصوره وقد أتى إلى شيء مختوم ، وهو الزمان ، فعالجه حتى فض ختمه ، أي فتحه بعد جهد جهيد ، ولما فض ختم الزمان ، دخل من فتحته

وحبا منها إلى التاريخ المُغرق في قدمه حتى وصل إلى محرابه ، فانطوت له القرون القهقري ، إلى أن وصل إلى فرعون ، فكانت لحظة وصوله ، لحظة جلوس فرعون إلى طعامه وشرابه فهذان البيتان هبطا على الشاعر وهويعالج في قصيدته وصف المكتشف ، فجاءا بيتين رائعين تتمثل فيها قمة البلاغة والافصاح ، وهما ضربان من الابداع .

رحلة في الكون

وهناك ضرب من الشعراء من جابوا بأخيلتهم ، وطاروا بأفكارهم إلى الكواكب الأخرى ، وبعضهم من تمادى في وصف سكان هذه الكواكب إما مدحاً أو هجاء ، مثل ذلك الشاعر الذي حط بخياله فوق سطح المريخ ، وراح يشاهد الخلق هناك ، ولما عاد إلى الأرض ، هجا أحدهم وشبهه كأحد سكان المريخ الذين لم تعجبه أشكالهم وألوانهم وقصر قاماتهم ، حيث تخيّلهم قصار القامة أقزاماً ، ألوانهم شقراء تميل إلى البرص .

ومن الشعراء من تلمس بفكره وعميق خياله أحداثاً حدثت ، أو لمّا يأتِ أوانها ، ولو تصفحنا دواوين الشعراء القدامى لوجدنا كثيراً من تنبؤاتهم صدقت وتحققت فعلاً ، أو كانت أقرب إلى الواقع ، ولهذا نقول ان الشعر ضرب من الوحي ، بل إنه إلهام يأتي الشاعر في وقته وساعته ، من خلال معاناته الشعرية .

لذلك نقول إن للشعراء منافذ يبصرون منها أحداث الحاضر ، ويرون منها الماضي بتفاصيله ودقائقه ، ويطلون على المستقبل ويستشفون منه ما قد يحدث لهم أو لجيلهم ، ويدقون ناقوس الخطر ، ويُنبهون للأحداث والعواصف ، والزوابع التي قد تقع وتودي بالجيل ، أو تحطمه تحطيماً .

إن لبعض الشعراء خيالات واسعة ، ونظرات نافذة ، وآراء صائبة ، يبدعون فيها أي إبداع ، وهؤلاء هم الذين يصارعون ويكافحون وينفعلون بالأحداث ، ويحتكون بمصائبها ويتحملون مآسيها ، ويذوقون مرها ، ويستمدون من كل ذلك أمثالاً وعبرا يضربونها للناس ، وتظل الأجيال ترددها ، وتبقى خالدة ما بقيت الحياة ، لأنها خلاصتها ، وعصارتها ، لعل أبا الطيب المتنبي وهو الشاعر الموهوب على رأس هؤلاء الشعراء المبدعين الذين سارت حكمهم على ألسنة الناس ، وستظل سائرة حتى يرث الله الأرض ومن عليها . فَمَنْ غير المتنبي قال مثل هذا القول البليغ : -

ومن يكُ ذا فمٍ مُرٍ مريض
يجد مُراً به الماءَ الزلالا

ومَن غيره قال : -

ومن العداوة ما ينالك نفعُه
ومن الصداقة ما يضرُّ ويؤلِم

أو : -

ومن صحبَ الدنيا طويلاً تقلبت
على عينه حتى يرى صدقها كذبا

أو : -

ولم أر في عيوب الناسِ شيئاً
كنقص القادرينَ على التمام

أو : -

كذا قضتِ الأيامُ ما بين أهلِها
مصائبُ قومٍ عندَ قومٍ فوائد

ولو تتبعنا حكم هذا الشاعر الملهم لطال بنا المقال ، فهو شاعر قمة قمم الشعراء ، ومع ذلك فهناك الكثير الكثير من الحكم الخالدة ، والأقوال الصادقة ، والأمثال العظيمة في شعرنا العربي ، لشعراء لهم منافذ يبصرون منها ويطلون ، ويأتون بالعجب العجاب . ○

منتدى العربي

تقدم منتدى العربي وجهتي نظر متعارضتين في موضوع واحد ، هو « الخيال العلمي » ، احداهما يقدمها عالم ، والأخرى يقدمها فنان . .

والحوار وطرح وجهات النظر المختلفة ، هو الطريق الوحيد الى الحقيقة ، وهو المخرج من الغموض لكي تستمر العربي منبرا مفتوحا ، وحقا لكل صاحب رأي فعندما تلتقي الأفكار تبدأ المعرفة الحقة . .

الخيال العلمي

هل له مكان في مجال الفكر والبحث ؟

بقلم : الدكتور عز الدين فراج

الخيال العلمى ، اصطلاح فى حقيقته خطأ ووهم ، بعيد عن الحقيقة ، ولا مكان له فى مجال الفكر العلمى والبحث التجريبى ، على عكس الخيال فى الادب والفن .

فخيال الادباء متعة للكتاب والقارىء على السواء . فكاتب قصة يستطيع بخياله أن يسبح مع أبطالها كما يشاء ، ويستطيع الشاعر أن يسبح مع محبوبته فى بحار مشاعره كما يريد ، وهو راض وهى راضية . ويستطيع كاتب المسرحية أن يصور النفس البشرية ويحللها كما يشاء . تمتزج الحقيقة والخيال فى نفس الاديب ، فيجد هذا الامتزاج صداه فى نفس الكاتب والقارىء ، كل ذلك لان طبيعة الانسان فيها العقل وفيها العاطفة ممتزجين .

فاذا جنح كاتب الى العاطفة ومزجها بالخيال فهناك بشر يفضلون هذا المزج ويرون أن الخيال فى الادب كالملح فى الطعام ، ولكن كثيره يفسد .

وهناك أدباء يجنحون الى دقة التعبير ، ومن القراء من يحب هذه الدقة ، مع قدر قليل من توابل

الخيال .

العلم والحقيقة المجردة

أما العلم فلا خيال فيه ، فهو على نقيض الادب والفن تماما ، لانه لا يعرف الا الحقيقة المجردة والثابتة والمؤيدة بالتجربة والبرهان .

حقائق الكون وقوانينه ونواميسه وأسراره كلها من صنع الله سبحانه وتعالى ، فهى ثابتة غير متغيرة . وكل ما هنالك أن هذه القوانين وأسرار الكون ، اهتدى اليها العلماء فى قرون متعاقبة بقوة الملاحظة والبحث والتجريب ، مع اقامة الدليل على صحتها وتأييدها ممن حوله من العلماء .

لم تبدأ الحقائق العلمية من فراغ . ها هو البخار لم يكن خيالا علميا . . انما بدأ عندما لاحظ « جيمس وات » وهو صغير أن غطاء ابريق الشاى أو غطاء القدر ، يعلو ويرتفع ويهتز ويتحرك ، عندما يغلى الماء ، فيدفع بخار الماء هذا الغطاء .

هذه الملاحظة كانت بداية عصر البخار ، إذ بدأ « جيمس وات » يتابع قوة البخار ، ويبحث حتى اخترع عدة أجهزة تعمل بقوة دفع البخار . اذن قوة البخار لم تبدأ من خيال ، بل بدأت بقوة الملاحظة ، ثم بمواصلة البحث والتجريب . . حتى وصلت فيما بعد الى اختراع قطار السكة الحديدية .

وما يقال عن البخار يقال أيضا عن « ادوارد جنر » فقد وجد أن الاصابة بمرض الجدرى فى منطقته ولكن بمشاهداته العديدة وتدوينها انتهى الى حقيقة هى « لا خوف على الحلابات من هذا المرض » لأنهن يتعرضن لجدرى الابقار . وراح يسأل ألا يكون هناك ارتباط بينهما ؟ وللاجابة على هذا السؤال لا بد من تجارب . . ولكن من يقبل أن يجرب فيه ما يريد ؟ لا أحد طبعا .

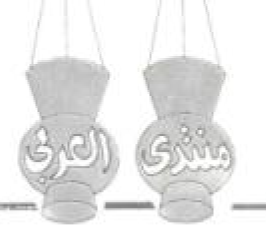
عندئذ لم يجد « ادوارد جنر » مفرا من أن يجرب هذه الحقيقة فى ولده الوحيد ، بالرغم مما عرف عنه من قوة العاطفة والأبوة .

الحائر بين العاطفة والواجب

وقف « ادوارد جنر » مشتت الفكر ، حائرا بين عاطفة أب يضحى بولده وبين واجب يملى عليه أن ينقذ البشر كلهم من هذا المرض .

حمل ولده بين يديه ، ووضعه على ركبتيه ، واحدث بذراعه خدشا وضع عليه بعض القيح الذى أتى به من ضرع الابقار المريضة بالجدرى ، فظهر على ولده أعراض مرض جدرى الابقار وشفى منه .

وأراد « ادوارد جنر » أن يستكمل بحثه فنقل الى ولده بعد ذلك مادة الجدرى البشرى من طفل مريض به ، ليتحقق من هذه الحقيقة التى لاحظها ومن فعل المادة التى كشفها فى الوقاية من هذا الداء . وكان من حظ ولده وحظ البشرية كلها أن توصل الى الوقاية من مرض الجدرى . هل كان ذلك خيالا أم كان ثمرة لقوة الملاحظة والتجربة والبحث والتضحية بأعز ما يملكه هذا العالم .



لا .. للخيال العلمى

من هنا نرى أنه ليس فى العلم خيال ولا خيال علمى .. فالعلماء لا يعرفون الا الحقيقة الثابتة ويجمعون عليها .

وهاهو « اديسون » يدخل على صديقيه « فارمر » و « ولاس » فوجدهما يشعلان مصباح القوس الكهربى ، وهو مصباح شديد التوهج ، ينتج ضوءا ساطعا لا تحتمله العين .

صاح فارمر قائلا :

ان اضواء القوس الكهربي ، كما تراه يااديسون لاتصلح الا لاضاءة الميادين والفنارات ، ولا يصلح لاضاءة المنازل اطلاقا .

فقاطعه اديسون قائلا :

سأصنع لكما مصباحا يضيء بالسلك الحرارى . فقالوا له التجربة خير برهان .

راح أديسون يجرب فى معمله أسلاكا حرارية تشتعل وقتا ثم تحترق وتتفتت ، ولكن اديسون أصر على مواصلة البحث عن سلك يشتعل ويسطع ولا يتفتت ، فعاش ليلا ونهارا ، هو ومساعدوه فى معمله ، يجربون سلكا بعد سلك ومادة بعد مادة .. واخيرا راح يجرب فتيلا من الكربون فى كرة زجاجية مفرغة الهواء فتوهج الفتيل ، وتعلقت انظار الجميع بهذا المصباح الساطع ومضت ساعات والكل يترقب هذا المصباح المضيء . وبعد ستة وثلاثين ساعة ، اهتز السلك وانطفأ .

وراح « اديسون » يبحث عن فتيل أفضل ، حتى استطاع أن يجعل مصباحه ساطعا أكثر من مائة ساعة . ومضت الأيام .. وتطور المصباح الكهربى حتى صار فى وضعه الذى نراه الآن .

هل كان هذا المصباح خيالا ؟ هل بدأ من خيال ؟ هل بدأ من فراغ .. أم كان له من قبل تطور علمى كبير فى عالم الكهرباء وظل يتابع المسيرة بعمل متصل ، حتى أصبحنا ننعم بهذا الضوء الكهربائى .

لقد جنت السينما على الأجيال الحالية والقادمة بأفلام قائمة على الخيال العلمى للمتعة والكسب ، خلطوا فيها الخيال ببعض العلم ، مما ادى الى تلوث الثقافة العلمية عند الشباب ، واصبح الشاب غير قادر على أن يستنبط الحقائق العلمية السليمة الدقيقة من هذا المزيج المزيف .

لا تشوهوا العلم

يا كتاب الخيال العلمى .. اتركوا العلم ولا تشوهوه بخيالكم من أجل الكسب والمتعة .. فان كنتم اصحاب خيال فعليكم بعالم الآداب والفنون .. عليكم بالشعر والقصة والمسرحية التى تصور حياة الانسان فى شتى حالاتها وازماتها ، لتفرغوا فيها خيالكم .. ومع الأدب لا تسرفوا فى الخيال الا بقدر .. فالخيال فى الأدب كالتوابل فى الطعام ان زاد عن حده فسد .

اتركوا القصص العلمى للعلماء الذين وصلوا الى قمة العلم ولديهم مواهب أدبية ممتازة ـ علماء أدباء ـ ، فهم أقدر على تقديم علم دقيق غير مشوه ، وأقدر على تقديم علم فى اسلوب سهل ميسر ، دون أن ينحرفوا به عن الواقع والحقيقة الكاملة ، ولهم من فيتامينات الأدب وتوابله ما يقرب الحقيقة الى كل قارىء أو كل مشاهد .

« أدب الخيال العلمي » . كلمة لها وقع جذاب على الاذن .

الخيال العلمي
أكثر نماذج الأدب إثارة !

بقلم : نهاد شريف

وقد سمعناها تتردد كثيرا في الآونة الأخيرة عبر الاذاعة والتليفزيون والسينما .. ثم سرعان ما اكتشفنا أن هناك عديدا من مؤلفات الخيال العلمي وجد أغلبنا متعة في قراءتها والتعرف على ما تطرحه من أفكار وتنبؤات وتحذيرات .. ان أدب الخيال العلمي ، هو الاسم الذي يطلق على نوعية جديدة من الأدب .. تم مولدها في فرنسا وانجلترا (حيث بدأت) منذ ١٦٠ عاما .. وبعدئذ في أمريكا وروسيا منذ نحو ٨٠ عاما .. أما في مصر (وقبل غيرها من دول المنطقة) فلم يكتب أدب الخيال العلمي الا منذ ٢٥ عاما فحسب .. وبعبارة أخرى فمع منتصف القرن الـ ١٩ الميلادي وفي أعقاب النهضة التي شهدها العلم والصناعة في كافة المجالات برز الى الوجود أدب جديد هو أدب الخيال العلمي .. والذي لم تمتد آثاره الينا الا منذ منتصف الخمسينات ....



ومن الأسم الذي يطلق على نوعية الأدب الجديد .. الخيال العلمي .. نستطيع أن نعرف أن الأصل في كتابته يرجع الى الخيال .. تلك الكلمة القديمة قدم وجود الانسان على ظهر الأرض ... فالخيال هو القوة الساحرة التي رافقت تطور البشرية .. دافعة .. ومفسرة .. وملهمة .. انه النسمة المحركة لأحاسيس الشعراء والكتاب .. انه روح الفنون ووقود ملكة الابداع والابتكار والاختراع ... ومن الخيال نشأت الأساطير ...

الجذور الأولى

ان الجذور الأولى لقصص الخيال العلمي ـ أو لو قلنا أنماطها المبكرة ـ انما كانت نوعا من الأساطير .. على أن « الأساطير » لم تكن مجرد خيالات وأوهام قصصية .. وانما عدت محاولات جادة من المجتمعات الانسانية القديمة تفسر بها وتقيس عليها .. ظواهر الحياة والطبيعة والكون .. أي أن الأسطورة كانت نمطا من التفكير العلمي لدى الانسان القديم .. ادت اليه عوامل الرهبة من المجهول الى جانب النزعة الملحة الى المعرفة ...

وكل الشعوب لديها كم هائل من أساطيرها القديمة .. قدماء المصريين والاغريق والرومان وغيرهم لديهم اغرب الاساطير ومعظمها ذات فكر وطابع ديني ... ونحن العرب لدينا اساطير الجاهلية ... وأساطير صدر الاسلام والعصور الاسلامية التالية .. مثل المقامات وألف ليلة وليلة وكليلة ودمنة .. ومثل قصص عنترة وسيف بن ذي يزن والأميرة ذات الهمة .. وكرسالة الغفران للمعرى ورسالة حي بن يقظان لابن طفيل الى آخره ... وتتميز الأساطير بخيالها الجامح أو ما يسمى « بالفانتازيا » .. والتي تتمثل في حلم الانسان أن يتخطى الحواجز الزمانية والمكانية دون أن يستند هذا الحلم على أسس علمية رياضية كانت أو تجريبية .. كما تتمثل في مخاوفه من تدخل قوى غيبية في حياته كالسحر والأشباح ولعنات الآلهة وكافة ما وراء الطبيعة من أسرار ومسميات ...

ان أدب الخيال العلمي ـ منذ بداياته الأولى وحتى يومنا الحالي ـ انما هو تعبير عن أحلام البشرية ومخاوفها من المجهول .. وبعدئذ عن التقدم العلمي وسطوته في شتى صوره ... وفي كتاب « ألف ليلة وليلة » عديد من الأمثلة لهذه الأحلام والمخاوف .. في حكايات الجن والعفاريت والحصان الطائر والبساط السحري وبلورة الرؤيا وطاقية الاخفاء ومصباح علاء الدين وما يشتمل عليه ذلك كله من خوارق وتحد للمألوف في الطبيعة .. وأيضا كوصف للكثير من التراكيب شبه الكيميائية لمحاليل تجلب الحب وأخرى تؤدى الى الموت الظاهري وثالثة تقلب الانسان حيوانا ورابعة تمنح قوى خارقة جبارة وهكذا ... وفي قصة « عبد الله البري وعبدالله البحري » وهي من قصص ألف ليلة وليلة وصف أخاذ لملكة البحار وما يزخر به قاع البحر من عجائب ومن خيرات .. فيها اقتراب لا بأس به من حقائق علمية عرفناها مؤخرا لما كان مجهولا آنذاك عن قاع البحر وعن أعماقه الحافلة بالاسرار ...

أول الرواد

فاذا تخطينا مرحلة الجذور أو البدايات الأولى

نأتي الى مرحلة « المحاولات المبكرة لكتابة ما يشبه قصص الخيال العلمي » .. حيث نجد كثيرين قد سجلوا محاولاتهم المبكرة والتي تعتبر سابقة لزمانها فكرا وفنا .. ولعل من أبرز هذه المحاولات ما كتبه لوسيان السوري .. وهو رجل عاش في روما في ق ٢ م محامياً وخطيباً متجولا .. وقد ألف باليونانية القديمة كتابا أسماه « قصة حقيقية » ويعتبر أول محاولة قصصية معروفة للسفر الى القمر .

رائد عربي آخر هو أبو نصر محمد الملقب بالفارابي .. والذي كتب في ق ١١ م مؤلفه العظيم « آراء أهل المدينة الفاضلة » .. وهو فلسفة رفيعة صور بها دولة مثلى تحقق السعادة والرفاهية لشعبها وتمحو الشرور بينهم .. والمؤلف يقوم أساسا على علم ومنطق سليمين .. كذلك يعتبر الفيلسوف والطبيب والفلكي والأديب الشاعر والمفكر الموسوعي أبو بكر محمد ابن الطفيل رائدا عربيا في مجال الخيال العلمي .. فقد ألف في ق ١٢ م في مراكش الأندلسية كتابه « رسالة حي بن يقظان » .. وهو قصة فلسفية لحياة غلام أرضعته ظبية وعاش وحيدا في جزيرة نائية .. وظل يتنقل في تدرج عبر سلم المعرفة حتى اهتدى بذكائه وفطرته ودقة ملاحظته الى الايمان بالله خالق الخلق ومصدر الوجود ....

لكن سرعان ما ينسى فضل الفارابي خلال القرون الأربعة التالية لنجد الأضواء تسلط على الانجليزي السير توماس مور في ق ١٦ م حينما ألف كتابه المشهور « يوتوبيا » والذي لم يزد عن مدينة مثلى كتبت على نسق المدينة الفاضلة التي ألفها الفارابي ....

أما القرن ١٧ م فقد شهد مؤلفين رائدين للخيال العلمي هما الفلكي الالماني يوهانس كيبلر الذي ألف كتابه « سومنيون » وهو قصة رحلة أخرى الى القمر تعد أكثر ذكاء في كيفية وصف القمر والطريق اليه .. بينما كتب الفيلسوف الانجليزي فرانسيس بيكون قصته « اطلانتس الجديدة » وتحدث فيها عن مجتمع يماثل مجتمع قارة اطلانتس الغارقة ....

وكما حدث من قبل مع الفيلسوف العربي الفارابي مؤلف « آراء أهل المدينة الفاضلة » فقد نسيت كذلك قصة العلامة العربي ابن طفيل والمسماة « رسالة حي ابن يقظان » .. وذاعت بدلا منها قصص غربية كتبت في قرون لاحقة على نمط القصة العربية الأم سالفة الذكر .. وذلك أمثال قصة « روبنسن كروزو » التي كتبها القاص الانجليزي دانيال ديفو في ق ١٨ م .. و « رحلات جلفر » للانجليزي جوناثان سويفت وأيضا « طرزان » للامريكي ادجار رايس بوروز ....

على أن أبوي القصص الخيالي العلمي بمفهومه المعاصر هما معجزة قصاصي القرن الـ ١٩ م بلا منازع : الفرنسي جول فيرن (١٨٢٨ - ١٩٠٥ / ٧٧ عاما) والانجليزي هربرت جورج ويلز (١٨٦٦ - ١٩٤٦ / ٨٠ عاما) .... وقد قاد الروائي جول فيرن أبطال رواياته في رحلات بالغة الغرابة الى أسفل سطح البحر بـ ٢٠ ألف فرسخ - وحول العالم في ٨٠ يوما - ثم قادهم الى سطح القمر وهبط بهم الى باطن الأرض وتسلل بهم متنقلا غواصته نيوتيليس الى أعماق البحار - كما ابتكر لهم أول سيارة برمائية وطائرة وتغوص كالغواصة في نفس الوقت .. أما القصاص المؤرخ الانجليزي هـ . ج . ويلز فقد كتب لنا « يوتوبيا جديدة » واخترع « آلة الزمن » وجعل الانسان « خفيا » .. كما ذهب بدوره الى القمر ومشى



على ثراه .. ثم خاض حربا مريرة ضد غزاة من كوكب المريخ .. وتصور نجاة أرضنا بمعجزة من الارتطام بجرم سماوي شارد ....

وجملة القول فان جول فيرن وويلز .. وأيضا كما يحلو لبعض باحثي الخيال العلمي أن يضيفوا ماري شيلي مؤلفة « فرانكنشتاين » وادجار الآن بو مؤلف قصص الرعب المعروف وادجار رايس بوروز مؤلف « طرزان ابن الغابة » .. يكونون معا بداية الطريق المحددة الى فن قصص الخيال العلمي وكما هو معروف لدينا اليوم

مفهوم الأدب الجديد

ترى ما هو المقصود بأدب الخيال العلمي ؟ ان حضارتنا في هذا العصر الذي نعيشه حضارة علمية قبل كل شيء .. وقد قفز الانسان قفزات مهولة في مجالات التكنولوجيا .. وان ما تحقق من تقدم خلال الاعوام الخمسين الأخيرة لا يمكن حصره .. كما أن الفنان .. والاديب بالذات .. لا يمكنه تجاهله .... وفي مقدورنا أن نقول بلا مغالاة أن البشرية اصبحت تمتلك الآن الأدوات والوسائل العلمية اللازمة لتغيير العالم .. وخلال مراحل التغيير هذه وتحت ظلال أفكار جديدة كل الجدة تكمن أجمل الرؤى وأروعها ...

وهكذا فان مفهوم أدب الخيال العلمي هو « تناول التقدم العلمي ومنجزات التكنولوجيا وتطورها الصالح منها والضار من خلال احداث درامية » .. وبالتالي فان « أدب الخيال العلمي هو نوع من المزج أو المصالحة بين الأدب وبين العلم » .. فالأول قائم على الخيال والثاني قائم على التجربة واستقراء الواقع والانتهاء الى قوانين محددة .. ومن ثم فأدب الخيال العلمي هو نوع من التوفيق بين النشاط الخيالي والنشاط العلمي للانسان ...

- انه أدب تصور المستقبل من وجهات نظر مختلفة واجتهادات منطقية متطورة ورؤية فلسفية متحررة .
- انه الأدب الذي يحلم باللحظة التي ينتصر فيها الانسان على الشيخوخة مثلا . ومتى يقهر الأمراض ويتحكم في التعب ويمحو الألم .. وكيف يتغلب على معوقات الحياة كاضاعة الوقت في النوم أو الجلوس الى مائدة الطعام أو الذهاب الى دورة المياه الخ .
- وهو الأدب الذي يخترق باطن الأرض .. ويغوص في أعماق البحار .. ويهزم المسافات بين الكواكب والنجوم في أنحاء الكون اللانهائية .. ثم في النهاية يعدنا ـ عقليا ونفسيا ـ لاستقبال كائنات أكثر رقيا تفد الينا من عوالم قصية أو كائنات أقل رقيا ننطلق نحن اليها في توقيت محتوم بعد أو قرب ؟
- بينما يصل أدب الخيال العلمي الفرد بماضيه وحاضره ومستقبله .. بل ويطلعه في تحد على ما يحيطه من غيبيات وظواهر غامضة مثل ما يسمى بالخوارق وألغاز الوجود وخفايا الكون وما أشبه ...

ان السؤال الذي يطرح نفسه في البداية هو : هل يمكن بضربة واحدة أن يقضي سيف الفناء البتار على البشرية كلها .. أو معظمها .. وذلك بقيام حرب نووية بمحض الصدفة ؟ والاجابة للاسف : نعم ...

وهكذا نرى أنه يمكن عن طريق « قصص الخيال العلمي » وباسلوبها الفعال الشيق ...

- أن نكشف القناع عن اخطار التقدم العلمي والتكنولوجي في مجالات الفتك ومجالات الدمار والافناء .
- ومن ناحية أخرى فان التقدم العلمي والتكنولوجي لاتقتصر اخطاره على زمن الحرب فحسب وانما له أخطاره في زمن السلم كذلك .. مثل رعب التلوث والقضاء على عنصر الطبيعة وانتشار الآلة وازدياد البطالة والضوضاء والزحام واخطار المفاعلات الذرية وتكدس الاسلحة وغير ذلك .
- ومن أهداف قصص الخيال العلمي مناقشة موضوعات حيوية مثل : الجديد في الطب والعلاج وتعمير الصحارى الرملية والجليدية .. واستغلال ثروات البحار والمحيطات .. ومشاكل الطاقة والطعام والأوبئة

الخ .
- ومناقشة أفكار مستقبلية كالتي تتساءل حول .. كيف سيتحور ويتغير التكوين الجسدي لانسان القرن ٢٥ وما بعده .. وكيف سيكون ملبسه ومسكنه واداة تحركه أو انطلاقه على سطح كوكبه وفي نطاقه الحيوي وبعدئذ نأيا الى حيث كواكب واجرام سماوية متعددة ... وأيضا كيف تكون حرب الغد والتعليم والعلاج والتسلية في الغد الخ .
- وأيضا يحلو لقصص الخيال العلمي أن تثير قضايا بالغة الطرافة مثل : هل توجد مخلوقات غيرنا بأنحاء الكون أكثر أو أقل رقيا منا ؟ هل بمقدورنا تجميد البشر ؟ هل الانسان الكرولوفيلي الأخضر ممكن ؟ هل يسيطر النظير الآلي على صانعه البشري ؟ ما حقيقة الاطباق الطائرة ومثلث برمودة وسر الهرم الأكبر ؟ الخ الخ .

- وهدف بالغ الأهمية لدول العالم الثالث الأقل تقدما في مجالات السبق العلمي والتطبيق التكنولوجي ومصر من مجموعة هذه الدول .. فمنذ البداية عالجت قصص الخيال العلمي موضوعات جادة ومبتكرة ومتقدمة ومن هنا نجد الاطفال والشباب قبل الكبار في مسيس الحاجة لهذه النوعية من القصص التي تثير مشاعرهم وتبلور أحلامهم ومن ثم تفجر - مبكرا - ابداعاتهم وطاقاتهم الخيالية .. وهذه في حد ذاتها ركيزة مستهدفة وبالحاح لبناء العلماء .

العطاء المصري

أما العطاء المصري - ويظل وحيدا متفردا في المنطقة كما هو الحال حتى الآن - فللأسف يعتبر خلال ربع قرن من الزمان جد قليل .. فان عدد كتابه الحقيقيين هم أقل من أصابع اليد الواحدة .. في حين يكاد عطاؤهم الفني يشح ويندر على مدى هذا الزمن المتسع .. فالاستاذ توفيق الحكيم وهو أول الرواد لم يكتب غير مسرحية واحدة وقصة قصيرة وثلاث تمثيليات .. أما الدكتور يوسف عز الدين عيسى فقد اكتفى بالكتابة للاذاعة دون غيرها حيث سجل ما يزيد على ثلاثين تمثيلية اذاعية .. بينما انصرف الدكتور مصطفى محمود بعد كتابة روايتيه من الخيال العلمي الى مؤلفاته الدينية .. في حين قلت مؤلفات كاتب هذه السطور في مجال الخيال العلمي والذي خصص له قلمه وحياته فلم يرد عطاءه عن أربع روايات وخمس مجاميع قصصية وعشر تمثيليات اذاعية الى جانب دراسة مطولة .. ويبقى الأمل في بزوغ أقلام جديدة شابة .

من رباعيات التونسي



١ - الطيف الحيّ

أنـاجـيـكِ فى وَحْـدتى وَالِهَـا اذا مـرَّ طـيـفُـك فى خَـاطِـرى
كـأنـكِ عـنـدى تـنـاجـيـنَـنِى ووجهُـك قـد شَـعَّ فى نـاظـرى
وأرْصُـدُ خَـطْوَك فى عـشّـنـا خيـالا ، ومـا ثَـمَّ من عـابِـر
فـلو كـان يُغْنِى الخيـالُ غَنِيتُ ولـكـنـه سَـلْوَةُ الـذّاكـر

٢ - مطبوع على الحب

قالت : «أتزهد فى حبّى؟» فقلت لها : « وكيف أزهدُ فى سمعى وفى بصرى ؟
قد كنتُ قبْلكِ فى تيهٍ ، فَمُذْ علِقتْ روحى بحبكِ ضاءَ الكونُ بالعِبَر
إنى على الحبِّ مطبوعٌ ، فان ظفرتْ رُوحى بِهِ أمرعَتْ بـالزُّهـر والثمر
وان يَفُتْها غَدت صحـراءَ موحِشةً شُعْثًا شياطينُها ، مشنوءةَ الصور

٣ - فى العثرات .

لا تَـلُمـنى اذا عـثـرتُ ، وأنهضْـ ـنى ، والا ضَـاعَفْت همِّى ضيـاعـا
حاجةُ العاثِرِ النهوضُ ، وليس اللَّـ ـومُ إلا حـمـاقـةً أو خِـداعَـا
وإذا عـزَّ أن تُـعـيـن فـتـهـويـ ـنُك خَطبى قـد يُبرِئُ الأوجاعا
من يَلُمْ عـاثـرًا لـدى عثرةٍ فَهْـ ـوَ عـدوٌّ ، يبدى الإخاءَ قناعـا

٤ ـ لك عقلٌ ، وللأنِام عقول

لستَ يا صاحِبى ـ وصيًا على النا   س ، فكلٌ عن نفسه مسئولُ
فأعِنهمْ ما استطعْتَ حيثُ استعانُو   كَ ، وإلاَّ فكلُّ عونٍ فُضول
ولْتعش ، ولتدَعْ سواكَ يعيشو   ن ، وقلْ أنتَ ما ترى ، ولْيقولوا .
ما احْتكَرتَ السدّادَ بالعقلِ ، لكنْ   لك عقلٌ ، وللأنام عقولُ

٥ ـ دولة السيف

يا دوْلة السّيفِ دُولى ، دونَ ما أسَفٍ   عليكِ ، اذ أنتِ دومًا أشنعُ الدُّوَل
مـا قمتِ فى معشرٍ الا هَبَطتِ بهمْ   للفقر والذلّ ، فى كبْر ، وفى خطَل
وكيف يُفلحُ قومٌ لا يـدَبِّرهم   قلبٌ حكيم ، ولكنْ قوةُ العضَل
لا غرو ، إن عزَّ فيهم كل طاغيةٍ   وبعده مثلُه بالعنف والدَّجَل

٦ ـ مع الأولاد .

ليس للمرء غبطةٌ دون أوْلا   دٍ ، ولا راحةً مع الأولاد
هم جمالُ الدّنيا ، وزينتها الكُبْـ   ـرى ، ونُعْمَى القلوبِ والأكباد
وهُمُ مصدرُ الهُمُوم لأمٍّ   وأبٍ ، فى تَيقُّظ ورُقاد
فاذا استرسَلَتْ ذراريُهم زا   دَتْ هموم الجدَّين بالأحفاد

٧ ـ مع الأحفاد

حفيدى ، وحفيداق الثـ ـلاثُ ، إلىَّ ، لـنلعب
لنلعبْ كيفما شئنا فكلُّ الخير فى اللّعِب
صلاحُ العقلِ والأخلا قِ والأبدانِ فى اللّعب
وأشقى الخَلْقِ من تشغـ ـلُهُ الدنيا عن اللعب

٨ ـ استهداء صورة

صورة منك أجتليها اذا ما جاشَ بى الشّوق ، ثم عزَّ اللقاءُ
أتسلَّى بها اذا كنتُ وحدى كالمصلِّ يشفى جَواه الدُّعاءُ
سأناجى أسرارها ، وتناجيـ ـنى ، وان ظُنَّ أنها خرساءُ
كلُّ ما فى الوجود ينطق للشا عر أسراره ، فيحلُو النَّجاءُ

٩ ـ من أحب الله أحب خلْقه

أسلمتُ وجهى الى ربِّ فحبّبَ لى شتّى الخلائق : أجناسًا وألوانا
أليس ربُّهمُ ربى ، وَنَهْجُهمْ نهجى ؟ ألسنا معا فى الكون اخوانا ؟
والكون موطننا ، والله كافلنا طرًّا ، فوحّدتنا فى الكون مأوانا
من شاقه اللهُ شاقته خلائقُهُ وبرَّهمْ كلَّهُمْ عدلا واحسانا .

١٠ ـ أين ولدى

أين وُلدى ، وملْءُ حِضْنَىَّ كانوا ثمَّ أضحى حِضْناىَ منْهمْ هواءَ
عَمّرُوا دورَهم ، ولكنَّ دارى بعدهم أوحشت ، فصارتْ خواء
كلُّهمْ هانِئٌ بما هُوَ فيه وهْو حَسْبى ، لو كان يَشفى ، دواء
غير انّ حُرِمْتُ أنْسَهُمُ الحىّ فأمسيت والشريدُ سواءَ





الأحجية التكنولوجية والحل الوطني القومي

بقلم : الدكتور عارف دليلة

لم يعد الاستيعاب الوطني للتكنولوجيا هدفا في حد ذاته . إنها التبعية العمياء التي لم تعد تصطدم « باعداء » وطنيين .. ترى كيف نواجه هذه الهجمة الشرسة ؟!

اذا كان الصراع القائم اليوم على الساحة العالمية يظهر كصراع بين دول غنية ودول فقيرة لا تستحي فيه الاولى ان ترى « واجبها » الاول في نهب واستعباد الاخرى ، إن لم يكن لتحقيق مكاسب ملموسة ، فلتصريف نزعة الهيمنة لديها ، فهل يتحدد جوهر الصراع هذا بظاهرة الغني والفقر ، أم ان له وجها آخر يكمن وراء الظاهرة نفسها ؟

لندخل المشكلة من أوسع أبوابها ـ الباب التكنولوجي ، فالتصنيع الحديث أصبح أهم السمات المميزة بين الغني والفقير ، وبين القدرة والهيمنة ، من جهة ، والضعف والتبعية من جهة أخرى . ولم يعد هنالك جدال على أن التصنيع الحديث أصبح أهم مقومات النهوض والتقدم وأبرز عناصر القوة في هذا العصر . لكن التصنيع بصفته هذه ليس مجرد شراء أو

امتلاك الآلات والمصانع الحديثة ، حتى ولا تشغيلها على الأرض الوطنية فحسب ، إنما هو بالدرجة الاولى الارتقاء بالقدرة الوطنية الى مستوى استيعاب طرق الانتاج المتطورة ، وامتلاك القدرات العلمية والخبرات العملية اللازمة لتطويعها والتجديد فيها ، بحيث ينتج عن الاندماج والتفاعل بين الانسان والآلة والطبيعة تطوير الانسان (المجتمع) والآلة (التكنولوجيا) والطبيعة (البيئة) في وقت واحد .

أما الصناعة التي لا تتطور بقوى المجتمع الذي تقوم في وسطه ، ولا تؤثر على هذا المجتمع وعلى بيئته ، إلا في تحميلها آثارها السلبية ، دون افادتها بقدراتها الايجابية ، فانها تبقى عملية هامشية ، وبؤرة أجنبية معزولة ، وضارة أكثر مما هي نافعة .

وهذه هي بالتحديد صورة الصناعة التي تحرص الدول الغربية وشركاتها الاحتكارية الدولية على فرضها على دول العالم الثالث . ويختلف تقبل هذه الدول لهذا الشكل من التصنيع حسب درجة تطور مجتمعاتها واقتصادياتها المحلية ، وبناتها السياسية . فكلما كانت هذه أكثر تخلفا كانت أكثر تقبلا وأقل مجادلة في تبني هذا الشكل من التصنيع المظهري الذى تمليه الاحتكارات الدولية ودولها الامبريالية على العالم الثالث ، تلك التي تحرص كل الحرص على إقامة العزل الكامل بينه وبين حركة تطور المجتمعات المحلية ، أوبينه وبين السوق الوطنية الا بقدر ما يلزم لنهب خيراتها من ميزات طبيعية ومواد أولية وقوة عاملة رخيصة ولتحويلها الى « الامبراطوريات الأم » .

اقوياء وضعفاء !

ان الصراع بين الاغنياء والفقراء في العالم ليس في جوهره الا صراعا بين أقوياء يعملون على اساس من « التعصب للذات » ، بمفهوم رأس المال الاحتكاري وبين ضعفاء يتعاملون معهم على أساس من الانفتاح اللاوطني ، ليس بدافع الفقر بقدر ماهو بارادة التخلف .

ولهذا ، فان الدول الامبريالية واحتكاراتها الدولية لا ترى خطرا من تحول الفقراء الى اغنياء ، بينما تحرص وبكل يقظة ومراقبة دقيقة على منعهم من النهوض من حالة التخلف أو اختراقها من أي جانب . وليس نادرا ان يتحول الغنى الى قوة لتكريس التخلف والتبعية و « تطوير » قواها المحلية وتقوية التحامها بالخارج . ويظهر ذلك على أوضح ما يكون في التعامل مع « المشكلة التكنولوجية » ، التي جعلوها نوعا من السحر والاحاجي في الدول المتخلفة .

وتبذل بعض المنظمات الدولية المتخصصة ، مثل منظمة الامم المتحدة للتنمية الصناعية ـ اليونيدو ـ التي يخدم فيها الكثيرون من « عقلاء » العالم الثالث ، جهودا مكثفة « لتنوير » دول العالم الثالث بكيفيات « نقل التكنولوجيا » الى اوطانها من الغرب « لالغاء فجوة التخلف » وتقيم هذه المنظمات الكثير من المؤتمرات والندوات في دول العالم الثالث والتي توزع فيها الكثير من مطبوعاتها المغربة وبجميع اللغات العالمية . لكن المتمعن في محتويات هذه المطبوعات سرعان ما يكتشف ان مهمتها تتركز في « تطوير الامكانيات الفنية في الدول المتخلفة لا لامتلاك ناصية التكنولوجيا ، وانما لاتقان حرفة شرائها من الغرب ! » .

في احدى هذه الندوات « المتخصصة » كان الهدف الذي تركزت حوله الندوة هو « كيف تساوم الشركات الدولية النشاطِ ؟ » ، وأجريت التدريبات على اتقان هذه المساومة . هذا بالاضافة الى توزيع العديد من النشرات

الاعلامية عن اسواق التكنولوجيا الدولية ، مع تجاهل تام لكون مشكلة التصنيع والتكنولوجيا في الدول المتخلفة مشكلة سياسية وطنية قبل ان تكون مشكلة فنية تعاقدية .

وبالطبع ، فإن المنظمات الدولية ليست المكان المناسب لرعاية المصالح الوطنية للدول المتخلفة . فهي ليست أكثر من وكالات للدول الامبريالية التي تدفع مخصصاتها وتربي أجيال البيروقراطيين الذين يخدمونها بمغريات كبيرة ، وتحرص على ان يكون الكثيرون منهم من « أصول نامية » لأنهم أدرى بأصولهم وبكيفية التعامل معها ، وتحرص كذلك على فهمها تسهيلا لاختراقها وتطويعها .

تكنولوجيا الشيكولاتة

ان الطريقة السائدة اليوم لنقل التكنولوجيا من الدول الامبريالية وشركاتها الدولية الى الدول المتخلفة ، وبالأخص كلما كانت هذه الدول أكثر تخلفا (أي اقل وطنية) ، تشبه الى حد كبير طريقة بيع « الشيكولاتة » فعلبة « الشيكولاتة » تعرض مغلفة باطار ملون أنيق ، وتترك فيها فتحة صغيرة للنظر فقط الى « شكل الحبة » المصونة من الداخل ، دون اتاحة الفرصة للزبون ، هذا إذا وجدت لديه الرغبة ، لاجراء اي اختبار ملموس ، بل تعتمد على إسالة لعابه وايقاعه في الشباك ، حيث يسارع مغمض العينين الى دفع الثمن بالشروط المطلوبة وحمل « الهدية » الى الاطفال في البيت .

هكذا تشترى التكنولوجيا في العالم الثالث ، فسواء كان المشتري دولة ، أو صاحب مال (وليس صاحب المال دائما رأسماليا !) أو شركة أو مؤسسة ، فان المشتري في الكثير من دول العالم الثالث يقتله الجهل بأبسط مبادىء التكنولوجيا التي تقدم له حتى يكاد يقف مشدوها أمام المبراة التي تخرج له رصاصة القلم من بطنه . ولذلك فهو غالبا لا يملك مطالب محددة مسبقا وشروطا خاصة تجاه البائع بخصوص الآلات أو طرق الانتاج المعروضة عليه .

تحاول بعض الدول المتخلفة التي خطت خطوات ملموسة على طريق التطور العلمي التكنولوجي ـ وذلك بمقدار ما تكون دولا وطنية ـ تحديد حاجتها الى التكنولوجيا الاجنبية بدقة ، مع الحرص مسبقا على عدم شراء ما يمكنها انتاجه بطاقاتها الوطنية ، ولو كان بتكاليف أعلى وبجودة أقل أحيانا . ولذلك فهي تناضل وتكافح في مواجهة الدول الامبريالية وشركاتها الدولية لشراء التكنولوجيا مجزأة وبمواصفات وشروط واضحة محددة من قبلها وليس من قبل البائع ، وتخوض من أجل ذلك مفاوضات صعبة ودقيقة حول جميع الشروط الهندسية والانتاجية والمالية . والأهم من ذلك ، ان المشتري الواعي ، والوطني ، للتكنولوجيا يفكر أثناء الصفقة بكيفية السيطرة على ما يشتريه أكثر مما يفكر بكيفية النجاح في شرائه فالشراء أسهل مهمة يقوم بها الانسان في جميع العصور ، ولا يتطلب من العقل الا قليلا .

وتنتشر طريقة تسويق التكنولوجيا « الشيكولاته » انتشارا واسعا في الدول العربية فربما كان المشتري العربي هو الأول من بين القلائل في العالم الذين يشترون المصنع الغربي أو الآلات بناء على عرض وحيد غير قابل للمناقشة أو المقارنة ، وغير خاضع لمفاوضات حقيقية جادة ، ولا يحتوي في الكثير من الاحيان على أكثر من صور ظليلة ، وربما ملونة ، للآلات المعروضة . وغالبا ما تظهر فكرة المشروع ـ الصفقة عند البائع وليس عند المشتري العربي ، دولة كان أو شركة أو صاحب مال ، لتقدم من خلال وسيط (سمسار) لبيع المعدات الغربية والتي ينجم عنها ارتباط دائم أيضا بمصدر واحد لقطع التبديل والمواد الخام ، وربما بموزع واحد

للمنتجات النهائية ، وبشروط يحددونها هم وحدهم وفي الكثير من الاحيان تكون المعدات المعروضة هي مما عفا عليه الزمن ويبحث صاحبها عن طريقة للتخلص منها بدون مقابل ، تماما مثلما يعرضون الاغذية الفاسدة ! .

ويمكن اختصار شروط بيع التكنولوجيا التي تحرص الدول الامبريالية وشركاتها الدولية على إملائها على المشتري في الدول المتخلفة بكلمتين هما :

« ممنوع اللمس » . وغالبا ما يثبت في شروط العقد بأن المشتري لا يملك الحق في مد يده الى الآلات ، فاذا ما أصابها مكروه فما عليه الا استدعاء « جهابذة » البائع الذين يملكون الأسرار الخفية لاعادة الحياة الى هذه الآلات الحُرُن . وتكلف هذه « المعونة الاخوية » مبالغ غير معقولة بأي منطق ذلك أن كلفة « الجهبذ » الذي ترسله الشركة الأم لبعث الروح في الركام الميت خلال ساعات تزيد عن كلفة تشغيل فني مؤهل كفء من أبناء الوطن الذين لم يستحقوا ثقة دولتهم او اصحاب المال فيها لاعوام عديدة !

ولايندر أن يعاقب ، بدلا من أن يكافأ ، ذلك العنصر الوطني الغيور الذي يتطوع لحل الاشكال محليا دون الاستعانة بالخارج !

واذا كان ليس خافيا على احد ان التكنولوجيا هي نتاج تاريخي معقد ليس من السهل التعامل معه في البداية بدون معونة من أسياده ، الا ان الاصدق من ذلك هو أنها ليست سحرا ، وانما هي نتاج بشري ، ولا يستعصي على البشر أن يتعلموا أسراره . وانما الفرق بين « المتقدمين » و « المتخلفين » على سطح هذا الكوكب ان أولئك يضعون على رأس قائمة الاهتمامات التي « يتجسسون » من أجلها - سرقة الاكتشافات والتجديدات العلمية التكنولوجية ، بينما يحل محل هذا الاهتمام وعلى رأس قائمة الاولويات في الدول المتخلفة التجسس من أجل « سرقة الاسرار الشخصية » للمواطن - الانسان في حياته اليومية الخاصة ، وفي طريقة تفكيره ! .

من المسؤول ؟

ان مسؤولية شيوع هذه الطريقة لنقل التكنولوجيا المهيمنة في وطننا العربي لا تقع فقط على المشتري « صاحب المال » والذي غالبا ما يكون من ورثة الثروة أو المتطلعين إلى الجاه المفتقرين الى أبسط المعارف العلمية - التكنولوجية والاقتصادية ، ونادرا ما يكون ، كما كان في الغرب ، من طلائع المنتجين والمبادرين المبدعين . ولهذا فان صاحب المال العربي « يترفع » عن الاستعانة أو وضع الثقة بأي مواطن من أبناء جلدته ، اذ أنه يقيسهم الى نفسه دائما .

لكن مسؤولية التمسك بالتخلف التكنولوجي تقع بالدرجة الاولى على عاتق الدولة - البيروقراطية الحكومية ، ثم على عاتق « اصحاب الخبرة والدراية العرب » .

فبينما ظهر توجه ايجابي وطني في الخمسينات والستينات في بعض الأقطار العربية لتحسين القدرات الوطنية للاعتماد على الذات ، بما في ذلك تطوير الخبرات التكنولوجية التي لو استمرت بالتطور وطنيا لشكلت قدرة متكاملة لعملية تصنيع وطني ، نجد انه في السبعينات والثمانينات تضافرت العوامل الخارجية والداخلية للتفريط بهذه القدرة وتحطيمها !

لقد عادت الى البيروقراطيات العربية في السبعينات من جديد الكتل والاتجاهات المتخلفة والكسولة والمرتشية غالبا ، والتي لم تعد ترى في بيئتها المحلية من المكاسب ما يقارن بحصيلة

العمل في الوساطة للمصالح الاجنبية . فبعد ان عادت القوى الخارجية الى ممارسة نهب الداخل بشكل مباشر ومكشوف أصبح جزءاه بعض الاوساط البيروقراطية هو جزء من حاصل هذه العملية الوفيرة ، وهو يدفع لها كأنه « مكسب وطني من الخارج ! » وهكذا فقد ارتفعت اثمان جميع الواردات الاجنبية أضعافا كثيرة في السبعينات ، دون أن تجد مقاومة تذكر ، بل ربما كانت البيروقراطيات المحلية قد أسهمت في رفع هذه الاثمان ، لرفع نصيبها منها ! ولم يعد من مصلحة هذه البيروقراطيات التدقيق فيما تشتريه البلاد من الخارج ، لا من حيث النوع ولا من حيث السعر ولا المصدر ، بقدر ما أصبح همها زيادة كمية وقيمة ما تشتريه البلاد وارتفاع ربحية الخارج منه ، لأن عليه تتوقف زيادة نصيبها من « الكعكة » المنهوبة ، وهذا ما يفسر انتشار طريقة شراء المصانع على اساس « المفتاح باليد » أي دون الاهتمام لا بكيفية بنائها وانشائها ولا بامكانية تشغيلها ولا بتطوير القدرات الوطنية لاستيعابها ، الامر الذي يمكن الاعتماد فيه على « المعونات » الابدية المتزايدة من قبل البائع والتي تكاد تكاليفها تزيد عن قيمة الآلات وجميع تكاليف التشغيل الاخرى .

دور المفكرين

فماذا كان دور العقول العربية من « اصحاب الخبرة والدراية » في هذا التحول ؟ لعلنا لا نبالغ اذا قلنا ان التحول بدأ في الكثير من « العقول » اولا لينتشر في سائر الجسد الاجتماعي بعد ذلك . فقد كان الكثير من اصحاب الخبرة والدراية العرب أسرع ، واول الميادين « انفتاحا » في السبعينات ، وانتقالا من تمثيل مجتمعاتهم في التعامل مع الغير ، الى تمثيل الغير في التعامل مع مجتمعاتهم . لقد كان « ذكاؤهم » بالغا في التكيف الاوتوماتيكي السريع مع مقتضيات الوفرة المالية والاسواق الدولية والعربية الطافحة بالدولارات الخضراء . فالكثير من المهندسين تحولوا الى سماسرة للآلات وتحول بعض الاقتصاديين الى دراسة خرائط الاقتصاديات الوطنية للارشاد الى الاحتكارات والى كيفية التوغل فيها ، وكذلك تحول بعض السياسيين وكبار البيروقراطيين والمفكرين الى فلسفة العمل في خدمة « التعاون الدولي » ، وهي عمليا خدمة الاحتكارات الدولية في نهب مقدرات شعوبهم المستضعفة !

وبالنتيجة ، وخلال سنوات قليلة ، تحول العرب من مصدرين وبائعين الى مستوردين لكل شيء ، منقطعين حتى عن انتاج اشد ضرورياتهم .

وبالنتيجة مرة أخرى ، لم يعد الاستيعاب الوطني للتكنولوجيا هدفا بحد ذاته ، لا بالنسبة لصاحب المال ، ولا للبيروقراطية الحكومية ، ولا اصحاب الخبرة والدراية العرب . فمصالح هؤلاء جميعا اصبحت جزءا من مصالح دول الغرب وشركاته في أوطانهم ، بدلا من أن تكون جزءا من مصالح أوطانهم في التعامل مع الغرب !

انها التبعية الجديدة ، التبعية العمياء التي لم تعد تصطدم بأعداء وطنيين ـ سواء رأسمال وطني ، أو بيروقراطيات وطنية ، أو « عقول » وطنية ـ وهي تجتاح المصالح الحيوية للشعوب المتخلفة كما لم يفعل اشرس غزو من قبل .

ان التصنيع البديل لا يقوم الا بالحل الوطني للاحجية التكنولوجية ، هذا الحل الذي لا يكون الا باضفاء الطابع الوطني على الفائض الاقتصادي العربي وعلى رأس المال العربي ، وبعودة « العقل » العربي من غربته الى دوره الوطني الاصيل ، مهما كان أقل كسبا ، وبعودة البيروقراطيات العربية من تمثيل الخارج في التعامل مع مجتمعاتها الى تمثيل أوطانها في التعامل مع الخارج . ○

حل مسابقة العدد

« ٢٩٧ »

١ ـ جاء في لسان العرب (باب تأم) ، يقال توأم للذكر ، وتوأمة للأنثى . . فاذا جمعوهما قالوا هما توأمان وهما تؤم . .

ويقال أتأمت المرأة (وكل حامل) اذا ولدت اثنين في بطن واحد . . . . فهي اذن متئم . . . فاذا كان لها عادة فهي متآم .

ويقال أيضا تامم أخاه ، ولد معه ، وهو تِئْمُهُ وتُؤْمُه وتِئْيمه . . فهما توأمان (أو توأم واحد) ، وأحدهما توأم الآخر ، والجمع توائم .

٢ ـ أطلق العرب اسم قهوة على الخمرة أولا ، ثم أطلقوه على مشروب البن لأن مشروب البن يقهي عن الطعام ، أي يحد من شهوة المرء له ، شأنه في ذلك شأن الخمرة . . .

يقول المعجم الوسيط (ج ٢ ص ٧٧٠) : قَهِيَ ، قهيا لم يشته الطعام . . . ويقال قهي عن الطعام والشراب . . . وقهى الشيء فلانا عن الطعام : صدّه عنه .

٣ ـ عاصمة التبت ، لهاسا ، هي الأكثر ارتفاعا . . اذ يبلغ ارتفاعها فوق سطح البحر ١٢٠٠٠ قدم ولا يزيد ارتفاع كابل وبيرن على ٥٩٠٠ و ١٨٠٠ قدم على التوالي .

٤ ـ الأنيميا هو المرض الذي يصيب الانسان اذا نقصت محتويات الحديد في دمه

٥ ـ سموا ميزان فهرنهيت لقياس الحرارة بهذا الاسم نسبة الى مخترع هذا الميزان وهو العالم الالماني جبريل دانيل فهرنهيت .

ومما يذكر أن فهرنهيت هذا كان عالم فيزياء ، ولد في مدينة دانزيج سنة ١٦٨٦ وعاش ٥٠ عاما . وقد حسن في وضع موازين الحرارة . . . واستعمل الزئبق في صنعها بدلا من الكحول .

٦ ـ أنزيم البيبسين Pepsin هو أحد انزيمات المعدة . . يهضم البروتينات واللحم أو غير ذلك . . وهو يحول البروتينات الى مواد أبسط تركيبا .

٧ ـ يبسترون الحليب بتسخينه حتى تبلغ حرارته حوالي ٦٠ درجة (بالضبط ٦١,٧ درجة مئوية) على ألا يطول بقاؤه على هذه الدرجة سوى نصف ساعة .

وتستهدف البسترة القضاء على ما في الحليب ، وغيره من المشروبات . . . من جراثيم ميكروبية ضارة . . . وكذلك إطالة أمد تلك المشروبات . . . فالبسترة اذن طريقة تعالج بها مشروبات عديدة ، نذكر منها النبيذ والبيرة وليست خاصة بالحليب فحسب . وغني عن البيان أن لويس باستور هو مبتكر البسترة . . . ومن ثم التسمية . .

٨ ـ الكابتول هو مقر الكونجرس الأمريكي . انه الاسم الذي يطلق على مبنى

الكونجرس وهو الاسم الذي يعرف به التل الذي يقوم عليه المبنى ، ويبلغ ارتفاع تل الكابتول Capitol Hill ٨٨ قدما ويشرف على نهر بوتوماك .

أما مصمم الكابتول ، وهو نفسه مصمم البيت الأبيض ، فهو وليم ثورنتون . . . وكان طبيبا من أهالي جزر الهند الغربية أصلا .

٩ ـ (الكتاب) هو ما يقصده الشاعر بهذين البيتين .

١٠ ـ المعاء الدقيق هو الأطول . . اذ يبلغ طوله نحو (٢٠) قدما ولا يزيد طول المعاء الغليظ في الغالب على (٥) أقدام .

١١ !

١١ ـ كلا القولين صحيح في اللغة . .

يقول قاموس المحيط : ضعف الشيء مثله وضعفاه مثلاه . . . والضِّعف غير الضَّعف والضُّعف كما لا يخفى . . . فهذان الأخيران خلاف القوة . . . وقيل الضعف (بالضم) في الجسد والضعف (بالفتح) في الرأي والعقل . . . وقيل هما جائزان معا في كل وجه . . . (عن لسان العرب) . .

١٢ ـ الترليون أكبر من البليون سواء في عرف بريطانيا والمانيا أو في عرف الولايات المتحدة وفرنسا . . . كما يوضح الجدول التالي :

	في الولايات وفرنسا	في بريطانيا والمانيا
الترليون	مليون × مليون	مليون × مليون × مليون
البليون	ألف × مليون	مليون × مليون

الفائزون في المسابقة

(١) الجائزة الأولى : عبدالله أحمد محمد العلي ـ مدرسة التويثير الابتدائية ـ الاحساء ـ السعودية

(٢) الجائزة الثانية : محمد شفيق محمود مرعي ـ ص ب ٨٠٧ ـ جامعة بشاور ـ بشاور ـ الباكستان

(٣) الجائزة الثالثة : حسن محمد أبو نعسة ـ بواسطة السيد أمين مرتضى ـ بعلبك ـ لبنان .

٨ جوائز تشجيعية بقيمة (٥) دنانير لكل من :

(١) حسن عبد الرحمن رابح ـ كلية الهندسة ـ جامعة الخرطوم ـ السودان

(٢) حمود يحيى أحمد مجلى ـ ص ب ١٠٧٦٦ ـ باب شعوب ـ صنعاء ـ الجمهورية اليمنية

(٣) هديل مروان موسى ـ الشارقة ـ الامارات العربية المتحدة

(٤) عبد الرحمن جاسم علي ـ طريق رقم ١٢٠٤ ـ منزل ٤٠٤٢ ـ البحرين

(٥) رلا معين فهد الصادق ـ الاحدي ـ الكويت

(٦) عصام عبد العزيز فؤاد عفيفي ـ مؤسسة بن دايل ص ب ٨٥١٢ ـ الرياض ـ السعودية

(٧) أحرزي عبدالله بن الحسن ـ شارع ايطاليا رقم ١٥ ـ طنجة ـ المملكة المغربية

(٨) أحمد محمد السوادحة ـ كلية الاقتصاد والعلوم الادارية ـ الجامعة الأردنية ـ عمان

في ذكرى مرور مائة عام على وفاة جيمس جويس .

الايرلندي المبدع الذي صوّر واقع البشر

بقلم انطوني بيرجيس

إعداد الدكتور صفاء خلوصي

○ دعني ابدأ بافتراض ، أو بمجرد تظاهر ، بأنك لا تعرف أي شيء عن جيمس جويس ، فاذا كنت تعرف عنه مسبقا بعض الشيء ، فلك أن تقرأ المعلومات التالية بتثاؤب .

كان جيمس جويس ايرلنديا ولد في دبلن في الثاني من فبراير (شباط) ١٨٨٢ ، وقد ولد كتاب عظماء آخرون في العاصمة الايرلندية ، بينهم أوسكار وايلد وبرنارد شو وصامويل بيكيت samuel becket فضلا عن الشاعر العظيم بتلر وليم بيتس william Butler yeats * غير أن المعتاد في كاتب ايرلندي عظيم أن يكون بروتستانتيا ، على حين أن جيمس جويس كان كاثوليكيا .

ومع أن دبلن عاصمة قطر كاثوليكي ، فقد كانت عاصمة مستوطنة بريطانية لفترة طويلة بحيث أن دين الكنيسة الانكليزية كان دين المثقفين والحكام والطبقة العليا والادارة الايرلندية ، ولكن جويس لم يكن من الطبقة



جيمس جويس

العليا ، وهذا بمثابة القول انه كان كاثوليكيا .

وقد تلقى تعليمه على يد الآباء اليسوعيين الذين قاموا دوما بتزويد أشمل النظم التعليمية وأشدها صرامة بين جميع الهيئات التعليمية الكاثوليكية ، وكان مقررا أن يصبح قسا كاثوليكيا ، غير انه في أواخر فترة بلوغه قرر أن يتمرد على كل ما كان قد ألقى في روعه بأنه مقدس ـ الكنيسة الكاثوليكية ، وأرض ايرلندة المقدسة ، واللغة الايرلندية ، والصراع من أجل استقلال ايرلندة عن الامبراطورية البريطانية ، وحتى الروابط العائلية الوثيقة ، فعندما كانت أمه تحتضر رفض أن يجثو على ركبتيه ويصلي من أجلها .

وبعد أن فقد ايمانه بالوطن والأسرة والدين ، راح يبحث عن إيمان جديد ـ إيمان بالفن ، فاصبح من اوائل كتاب الانكليزية الذين يعتبرون صناعة الأدب نشاطا دينيا ، فالشاعر والروائي كلاهما ضرب من القسس مهمته أن يتناول التجربة اليومية الاعتيادية ويحولها الى مادة متألقة هي « الفن » ، وهذا يضارع ما يفعله القس حين يتناول الخبز والنبيذ ويحولها الى لحم السيد المسيح ودمه ، وهو العمل المحوري للاحتفال بالقداس الكاثوليكي .

رحلة العمل والموت

لقد غادر جيمس جويس ايرلندة سنة ١٩٠٤ بصحبة فتاة أمية كانت تعمل خادمة في فندق بمدينة بدبلن وذهب ليدرس الانكليزية في تريست ، الميناء الادرياتيكي الذي كان جزءا من الامبراطورية النمساوية ـ المجرية يومذاك ، ولكنه اليوم جزء من ايطاليا ، وهناك أصبحت الايطالية لغة بيته واللغة الأولي لطفليه ، وكان هذان الطفلان جورجيو ولوتشيا غير شرعيين ، ذلك لأن جويس رفض أن يتزوج ، وعندما شبت نار حرب ١٩١٤ ـ١٩١٨ نقل اسرته الي زيورخ في سويسرة المحايدة وفي نهاية تلك الحرب ذهب بهما الي باريس حتى قضى بقية حياته العملية الفعالة .

وفي سنة ١٩٤٠ ، بعد أن أتم وضع كتبه كلها وشبت نيران حرب جديدة لجأ الي زيورخ ثانية ، ومات في السنة التالية ، وأصبح في هذه الآونة أشد الكتاب التجريبيين في العالم اليوم وبعد مضي إحدى واربعين سنة علي وفاته يعد واحدا من اعاظم الكتاب الكلاسيكيين ـ كدانتي وشكسبير وغوته . لماذا ؟

لقد وضع جويس عددا ضئيلا من الكتب ، فقد أصدر مجلدين صغيرين من شعر لا يتصف بميزة خاصة ، ومسرحية متوسطة القيمة وثلاث روايات ، تعرف أولاها بـ (صورة الفنان شابا)

وتدور حول نشأة المؤلف ذاته في دبلن الكاثوليكية ، وتمتاز بألمعية كتابتها والصراحة التي يستعرض بها جويس نمو عقل شاب وجسده ، بكل المشكلات الجنسية والأخلاقية التي قد يتوقع أن يعاني منها شاب ايرلندي كاثوليكي حساس ، وقد وجد جويس صعوبة بالغة في تقبل هذه الرواية لدي أي ناشر ، إذ لم يكن ثمة ناشر يستطيع أن يتفهم هذه الطريقة الجديدة فى الكتابة ، وكانت الصراحة فى الافصاح عنها أكثر من أن يتحملها ذلك العصر غير المتسامح خلال فترة الحرب العالمية الأولى ، وفى سنة ١٩٢٢ أصدر جيمس رائعته العظمى « يولسيس » **Ulyssis** ـ وهذا السفر بعينه هو الذي ضمن له تقبله كأعظم روائى فى القرن العشرين .

ينبغى لنا أن نلاحظ حقيقة غريبة واحدة ، وهى أن جويس حين غادر ايرلندة سنة ١٩٠٤ صمم على ألا يعود اليها مطلقا . والواقع انه لم يفعل ذلك قط ، اللهم الا فى زيارتين قصيرتين جدا لدبلن ، فقد عاش طوال حياته منفيا عن بلده الأصلى ، ولكنه مع ذلك لم يكتب الا عن سكان ذلك البلد .

يوم فى كتاب

ان كتاب « يولسيس » مطول جدا ، مع ذلك فهو يتقيد بفعاليات يوم واحد فى دبلن ـ ١٦ حزيران (يوليه) ١٩٠٤ بالذات ـ وبطله ليوبولد بلوم نصف يهودى يقوم بمهمة مندوب اعلانات لاحدى الصحف التى لاتزال تصدر وتعرف باسم « صحيفة الرجل الحر » **The Freeman , journal** ومندوب الاعلانات هذا يقنع أصحاب الحوانيت وتجار المشاريع بنشر اعلانات فى الصحف وهو متزوج من سيدة أيرلندية نشأت فى جبل طارق اسمها « مولى » وهى مغنية مشهورة فى دبلن . . . وغير مخلصة لزوجها ، ففى الساعة الرابعة بعد الظهر تخون زوجها مع بليزز بويلان الرجل المسؤول عن جولتها المقبلة بايرلندة فى سلسلة من الحفلات الغنائية ، فتعيش مع بلوم ، ولكن شيئا ما فى زواجهما لا يسير على ما يرام ، فقد كان لها ابن صغير اسمه رودى أورودلف ، وقد أسمته بهذا الاسم تيمنا باسم والد بلوم ولكنه توفى بعد مولده ببضعة أيام ، فيشعر الزوجان بالاثم من جراء ذلك ، وان لم يكن لأى منهما ذنب فى الأمر ، وكلاهما خجل من الجنس ، ولكن لبلوم رغبة شديدة فى أن يصبح أبا لابن ، والذى حدث فى ١٦ حزيران (يونية) ١٩٠٤ أنه يجد ابنا له ، وهذا الابن هو جيمس جويس نفسه فى الثانية والعشرين من عمره متنكرا بهيئة شاعر شاب اسمه ستيفان ديدالاس .

يقضى ستيفان أمسيته محتسيا الخمر فى حارة المواخير بدبلن ، فيقلق بلوم من جراء ذلك ويحاول أن ينقذه من عراك مع جنديين بريطانيين ، متخذا ـ بعبارة اخرى ـ موقفا أبويا ازاءه ، فيصطحبه الى البيت ويقدم له كوبا من الكاكاو ويقترح عليه أن يسكن مع أسرة بلوم ويصبح واحدا منها ، ولا ندرى ما اذا كان ستيفان فعل ذلك أم لا ، اذ أن الكتاب ينتهى قبل أن يتقرر شيء ، وكل ما نعرفه هو أن اتصالا حصل بين رجل دبلى اعتيادى يشعر ـ لكونه نصف يهودى ـ بأنه غريب فى مدينة كاثوليكية ، وشاب مثقف ايرلندى وتحلم « مولى بلوم » ـ بطبيعة الحال ـ بأن تتخذ من ستيفان عشيقا لها ، فيتكون نمط جديد من العلاقات فى حياة ثلاثة اشخاص . . . وهذا هو محور الكتاب .

ليس في الكتاب من سمات الرواية الشيء الكثير . هذا ما سنقوله ، وليست فيه احداث كثيرة ، اذ ليس من روايات الجاسوسية المذهلة ولا هو حكاية حب ، لكن ما هو مؤكد انه يمثل الحياة البشرية كما يحياها الانسان في الحقيقة والواقع .

الكتاب الممنوع

لقد اخترع(جويس) تقنية جديدة تعرف« بالحوار الداخلي » الذي يسمح لنا بالنفوذ في أغوار شخوص الرواية فتنصت الي أعمق افكارها ورغباتها ، ولما كان بعض هذه الرغبات جنسيا ومعبرا عنها بصراحة فائقة فقد اصطدمت (يوليسيس) بالرقابة في مختلف الأقطار ، ولا تزال ثمة بلاد لا تستطيع فيها الحصول علي نسخة من الكتاب لأنه قد منع الدخول اليها ، فليس هناك تكتم أو تستر علي نوع اللغة التي يستخدمها شخوص الرواية في تفكيرهم وشعورهم ، ولا تزال هذه الصراحة تفزع القراء المعتادين علي الرويات والقصص المثيرة أكثر من اعتيادهم علي الأدب الواقعي ، ومهما كان الأمر فان واجب الأدب التصريح بالحقيقة عن الحياة ، وقد التزم جويس بهذا الواجب بمنتهى الجدية ، رغم انف العرف والتقاليد .

ولكن رواية « يوليسيس »اكثر من ان تكون سردا صادقا لأعمق خفايا الافكار والرغبات لجماعة من أهالي دبلن ، فالعنوان يشير الي بطل ملحمة شعرية للشاعر اليوناني القديم(هوميروس) وهي ملحمة الأوديسا التي تتحدث عن مغامرات اوديسياس كما يسمية اليونانيون ، أو« يوليسيس »كما يسميه سائر الناس من أمثالنا ، في محاولته العودة الي جزيرته الأصلية اثياكا بعد حروب طروادة ، ويجابه يوليسيس عمالقة وجنيات(١) وزوابع وسحرا وتعاويذ ، ولكنه يفلت منها جميعا ظافرا دون أن يناله أذي أو ضرر ، وذلك بطريق الارادة القوية والحيلة .

يحاول جويس أن يوضح أن بوسع الرجل الاعتيادى ان يكون بطلا وأن الحياة المعاصرة غريبةوخطرة كالحياة المصورة فى الملاحم القديمة ، ولكنه يرينا ذلك كله بشكل مضحك جدا ، « فيوليسيس » كتاب يحملنا على الضحك ، فاذا كان لبلوم ، يوليسيس الجديد مخاطرات كوميدية ، فان اللغة التى دون بها الكتاب مجموعة مخاطرات ومغامرات كوميدية ، فالألفاظ تتصرف تصرفا غريبا اذ تحاكى الكتب الاخرى ، أو تقلدها بشكل مضحك ، فثمة فصل طويل جدا يعرض بشكل مسرحية خيالية (فانتازيا **Fantasy**) وفصل آخر هو حوار ذاتى فردى **Monologue** من دون تنقيط (أى من غير فوارز وفواصل) وهناك فصل ثالث يحاول أن يحاكي قطعة موسيقية ، وقد يبدو هذا صعبا ولكنه مضحك حقا ومشدد للعزم وذو حيوية . لقد قام جويس بمغامرات ضخمة ، على نحو ما ينبغى أن يقوم به مؤلف عظيم ، فخرج من ذلك بنجاح كبير ، فكانت « يوليسيس » اكثر روايات العصر أصالة وجدة وابتكارا .

الموت والبعث في كتاب

وفى سنة ١٩٣٩ وذلك قبيل اندلاع الحرب العالمية الثانية تماما ، أصدر جويس كتابه الأخير الذى أمضى فيه سبعة عشر عاما من العمل الشاق الذى أمسى أشق معازدياد ضعف بصره ، فقد كانت عيناه مصابتين بمرض ربما كان نتيجة الحرمان فى أيامه الأولى ، ويعرف الكتاب « باستيقاظ فينيغان » **Finnegans Wake** وهو عنوان يتحدى الترجمة ، فكلمة **Wake** تعنى الاستيقاظ من النوم ، ولكنها تعنى كذلك العادة الايرلندية المعروفة باقامة وليمة شراب حول جثمان ميت من أفراد العائلة قضى نحبه مؤخرا ، « وفينيغان » اسم لعملاق ايرلندى

(١)اثرنا ترجمة **Ny,mphs**ب جنيات وهن فى الواقع حوريات ساحرات يعشن المروج والمياه ويقمن فى الجبال والغابات

اسطورى ، وهو فى الوقت ذاته اسم لبطل اغنية ايرلندية نيويوركيه ، نسبة إلى مدينة نيويورك ، هو « تيم فينيغان الذى يسقط من السلم مخمورا ويبدو ميتا وتقام مأدبة شراب الموتى عند جثمانه ، غير أنه يثب الى الحياة مرة أخرى عندما يصب غالون من الويسكى عليه ، فما يفعله « جويس » هنا هو أنه يقدم لنا حكاية موت وبعث ولكن بصورة حلم !

لقد استنفذ « جويس » فى « يوليسيس » الامكانيات الأدبية لعرض « نهار يوم بشرى » وفى يقظة فينيغان يلتفت الى « الليل البشرى » وبطله المسمى « ايرويكر » وهو صاحب فندق بدبلن يأوى الى مخدعه بعد ليلة سبت متعب مثقل بالأعمال يقدم خلاله الجعة والويسكى لزبائنه ، وفى حلمه يعيد تمثيل كل التاريخ البشرى الذى هو دوما عن الخطيئة البشرية ، ولكن الخطيئة البشرية تفترض الطاقة البشرية ، وقد كان كبار الخاطئين من البشر ، من آدم وحواء الى أودلف هتلر مهتمين جميعا ببناء مجتمعات بشرية جديدة ، والانسان يسقط ، ولكن سقوط الانسان دورى ، وان شئت فقل دائرى ، فالسقوط فى دائرة يفضى الى النهوض ثانية ، والتاريخ البشرى دائرى لأن ما يحدث فيه يتكرر مرة بعد أخرى ، وحلم « ايرويكر » الذى يتقمص فيه ادوار جميع شخصيات التاريخ العظيمة والشخوص الأسطورية لا بداية له ولا نهاية .

أربعون سنة قراءة

وما يجعل « يقظة فينيغان » كتابا صعبا بصورة استثنائية هو اللغة التى دون بها ، فقد اعتقد جويس ان لغة الحلم يجب ان تكون عامة شاملة ، لأن الانسان الحالم يسمو فوق العنصريات والقوميات واللغات المحلية التى اعتاد أن يتكلم بها ، وعلى ذلك فان جويس اصطنع « رواسم » أو تعابير اصطلاحية ملائمة لحلمه الشامل ، بأخذه جميع اللغات الاوربية وخلطها معا ؟ فلغته ملائمة لضرب من « اليونيكو المجنونة » اذ تجد فيها الالمانية والفرنسية والايطالية والأسبانية مصطرعة مع اللغات السلافية والاسكندنافية ، ولكنها جميعا متحدة تحت مظلة النحو الانكليزى ، فليس عجيبا إذن ألا يكون الكتاب مترجما بصورة كاملة الى أية لغة ، اذ كيف يمكنك ان تترجم لغة شاملة تتضمن مسبقا ترجمة المؤلف الذاتية ، بيد أن ما يبدو صعبا بصورة مستحيلة هو فى الحقيقة مضحك جدا وغالبا ما يكون مثيرا جدا ، ولكن عليك ان تقضى شطرا كبيرا من حياتك فى دراسة الكتاب ، فانا أقرؤه منذ ثلاث وأربعين سنة ، ولا أزال فى حيرة إزاء القدر الكبير منه ، فلعلنى أفهمه كله اذا امتد الأجل لفترة كافية .

وقد تتأفف من الكتاب ، ولكننا لا نستطيع أن ننكر أنه كتب بقلم كاتب المعى حاذق بارع مغرم باللغة ، ومغرم بالبشرية على حد سواء .

انها أصالة « جويس » وجرأته التى احتفلنا بها فى العام المئوى لميلاده . أما هو فقد احتفل بالناس الاعتياديين والمتألمين والفكهين من مواطنى مدينة عصرية ، وقد أغدق عليهم جميعا الثروة التاريخية واللغوية معا ، فهو أعظم كاتب كوميدى فى هذا العصر ، والروائى الوحيد الذى قرب « فن الألفاظ » من « فن الموسيقا » إطلاقا ، ومع أنه كان ضعيف البصر ، فقد كانت له اذن مرهفة وكان له ـ وأقولها استطرادا ـ صوت رخيم صادح ، وليس بوسع أى محب للكتب أن يتجاهله .

اما بالنسبة لنا ، أولئك الذين يؤلفون الكتب من أمثالى . . . فنعتبره أستاذنا . انه ذلك الايرلندى المجنون الذى علمنا ان نأخذ فننا مأخذ الجد ، وهو نفس الايرلندى الذى كشف لنا ما يمكن أن يكون عليه البشر فى الحقيقة والواقع ! . . . ○



العدسات اللاصقة
Contact lenses

سيدى الطبيب .

منذ مدة وأنا أستعمل النظارات لعلاج قصر نظر شديد ، وقد قيل لى مؤخرا ان العدسات اللاصقة هى حل افضل لمشكلتى من النظارات العادية بينما نصحنى آخرون عكس هذا الرأى ، لهذا رأيت أن أستفتيكم فى أمر هذه العدسات اللاصقة ، ولكم شكرى وتقديرى .

س . ف

بنغازى ـ الجماهيرية الليبية

العين ـ على ما هو معروف ـ تعمل على مبدأ انكسار الضوء وهو يمر عبر حواجز وطبقات العين المختلفة بحيث يقع تجمع الضوء فيما يسمى البؤرة **focus** على الشبكية **Retina** وهى الطبقة العصبية الحساسة للضوء لتنقل صورة ما تراه عبر العصب البصرى الى المخ .

والقرنية **Cornia** بتحدبها المعروف هى العامل الأهم فى عملية انكسار الضوء . اما العدسة فهى تقوم بعملية تأقلم هذا الانكسار مع المسافات .

والنظارات الطبية بعدساتها المحدبة والمقعرة هى الحل المتفق عليه حاليا لحل مشاكل الانكسار ، وقصور القرنية أو العدسة فى أداء مهمتها . غير أن العدسات لها عيوبها التى تشكل عبئا على لابسى النظارات أو أنها قد تعجز احيانا عن حل مشكلة العين لسبب أو لآخر ، لهذا ابتكروا بديلا هو العدسات اللاصقة .

والعدسة اللاصقة ما هى الا عدسة صغيرة محدّبة أقرب شبها بزجاجة الساعة توضع مباشرة على سطح القرنية فتلغى دورها ، ومن ثم تقوم هذه العدسة اللاصقة بدور انكسار الضوء بالقدر اللازم المطلوب الذى فشلت فيه القرنية بسبب عيب فيها .

من هذه العدسات اللاصقة أشكال وأنواع ، منها الكبير الذى يغطى بياض العين كله ، ومنها الصغير الذى يغطى قرنية العين فقط ، أى الجزء الشفاف من غلاف العين أمام منطقة البؤبؤ . وهذا هو النوع الأكثر شيوعا فى العدسات اللاصقة .

كما أن من العدسات اللاصقة ما هو صلب صنع من زجاج ، ومنها ما هو لين صنع من مادة البلاستيك أو مواد شبيهة بها .

ان استعمال العدسة اللاصقة لا يحتاج من صاحبها الى تدريب طويل وانما هى تحتاج الى سائل مرطب حتى لا يجرح القرنية . بل

ان دموع العين نفسها قد تكون مرطبا يقوم بالغرض .

ان العدسات اللاصقة ليست هى الحل الامثل لجميع حالات العين الانكسارية نظرا لارتفاع ثمنها ولحدوث بعض المشاكل التى لا يصادفها مستعملو النظارات العادية كالحساسية مثلا . لكنها فى احيان اخرى قد تكون هى الحل الوحيد الذى لا غنى عنه ، وهذه الأحوال يمكن ايجازها على الوجه التالى :

أولا : حماية القرنية المكشوفة الحساسة من عوادى البيئة .

ثانيا : عقب عمليات ترقيع القرنية .

ثالثا : فى اصول عيوب الانكسار الشديد حيث لا تصلح النظارات العادية فى تعويضها ، وتكون النظارات ثقيلة تشكل عبئا على حاملها .

رابعا : عقب عمليات ازالة عدسة العين فى أمراض مثل عتامة العدسة المسماه بالكتاركتا أو الساد .

خامسا : دواعي تجميلية أو مهنية تكون فيها النظارة العادية حائلا دون سلامة العمل مثل الالعاب الرياضية أو التمثيل أو العمل فى المطر .

لقد تطورت العدسات اللاصقة وأصبح استعمالها شائعا ، كما طالت مدة بقائها فى العين وقلت مشاكل الحساسية التى كان يعانى منها البعض وقلت الأخطار التى كان يتعرض لها مستعملوها .

وعلى أي حال تبقى النصيحة الأفضل لاستعمال العدسة اللاصقة هى لطبيب العيون المختص .

الطحال
Spleen

● قال لى أحد الاطباء ان ازالة الطحال قد تكون حلا لمشكلتى بعد ان تضخمت ولكنى متردد فما هو الطحال يا ترى ؟ وما هى وظيفته ؟ وما هو الخطر من ازالته ؟ .

ض . ى
جدة ـ السعودية

الطحال هو عضو من اعضاء الجسم يقع خلف المعدة فى أعلى البطن من ناحية الشمال وبحجم قبضة اليد أو قد تزيد قليلا اذ تصل طول الطحال الى ما يقارب ١٥ سنتيمترا ووزنها حوالى ١٧٠ جراما فقط .

لقد اختلف العلماء فى الدور الذى تؤديه الطحال للجسم ، وربما ما زالوا على خلاف لأن دورها لم يتضح تماما وتفصيلا . انما ما اتفق عليه الأطباء من وظائف الطحال هو :

أولا : انتاج كريات الدم الحمراء **R.B.C.** عند الجنين اثناء فترة الحمل . ولكنها تتوقف عن هذه المهمة بعد الولادة ليتولى الوظيفة نخاع العظام ، ولكنها مع هذا تبقى كعضو احتياطى لانتاج الدم عند عجز نخاع العظام .

ثانيا : تكسير خلايا الدم التى تشيخ وتحليلها لدرجة انها سميت بمقبرة الخلايا ، علما بأن كرات الدم الحمراء يقدر عمرها بمائة يوم ثم تموت بعدها ليولد غيرها من جديد . وأما عمر خلايا كرات الدم البيضاء فيقدرونه ببضعة أيام ربما تصل الى عشرة .

ثالثا : خزن الدم ، اذ أن الطحال تعمل على خزن قدر كبير من الدم ربما تصل الى ربع حجم الدم أو ثلثه لتدفعه عند الطوارىء الى تيار الدم .

رابعا : انتاج الخلايا الدموية البيضاء **W.B.C.** العاملة فى ميدان مقاومة الأمراض لأن الطحال أساس تكوينها نسيج لمفاوى وهو أحد مواقع انتاج الخلايا الدموية البيضاء .

ان الطحال عضو كأي عضو آخر من الجسم قد يمرض ، وما أكثر ما يتضخم فيصل وزنه ثمانية أو تسعة كيلوجرامات مما يضطر الأطباء معه الى عملية جراحية تزيله من الجسم ودون ان يكون هناك عائد من الضرر على الجسم كبير بل ربما كان هناك فائدة من ازالة الطحال أكثر من بقائه .

غير ان ازالة الطحال لا بد لها من مبرر ، لا أن تزال عشوائيا دون سبب ، وأهم هذه الاسباب هي تمزق الطحال اثر حادث مما يؤدي الى نزيف شديد قد يؤدي بحياة صاحبه أو بسبب أوراما تصيب الطحال سواء منها الخبيث أو الحميد كما تزال الطحال ايضا لمعالجة بعض انواع فقر الدم وخاصة الوراثية منها .

مرض الفولية
Favism

السيد الطبيب

ما هو مرض الفولية ... فقد سمعت البعض يتحدث عنه وخجلت أن استوضح منهم عن المقصود بالمرض .. ل . ك . طرابلس

ـ مرض الفولية **Favism** أو ما يعرف باسم فقر الدم التحليلي الوراثي **Hereditary Hemolytic Anemia**

استرعى انتباه الأطباء عام ١٩٢٦ عندما لاحظوا أن بعض العقاقير المستعملة في علاج الملاريا كانت تؤدي لدى البعض الى شكل من أشكال فقر الدم وذلك نتيجة تكسر كرات الدم الحمراء . وقد تحتوه حساسية خاصة في المصاب لهذه العقاقير ... ولكن عام ١٩٥٤ حل معه اكتشاف الأطباء السبب المباشر للقضية وهو نقص في الخمائر والانزيمات التي تستخدمها كرة الدم الحمراء في تغذيتها ، وخاصة تلك المسماة جلوكوز ـ ٦ ـ فوسفات المؤكسدة **Glucose -6- Phosphate -Dehydprogese (G -6- P-D)** هذه الخميرة تدخل في التمثيل الغذائي لسكر الجلوكوز الذي تحتاجه الكرات الدموية الحمراء لأداء وظائفها المختلفة .

ان نقص هذه الخميرة وسوء تغذية الكرة الحمراء يؤدي الى تقصير عمرها دون المائة يوم المعهودة ، وبالتالي الى أحد أشكال فقر الدم . وهذا عيب وراثي ينتقل عبر الكروموزوم (×) . لهذا نجد أن هذا المرض منتشر في الذكور أكثر منه في الاناث بعشرة أضعاف تقريبا .

والمرض واسع الانتشار في بلدان العالم لدرجة أنه يقدر عدد المصابين به بمائة مليون نسمة ... ومع هذا فهو يغلب في أقوام معينة بسبب الوراثة اذ كثيرا ما نجده بين الاكراد واليهود وسكان اليونان وتركيا ... أو هم سكان البحر الأبيض المتوسط بصفة عامة .

في الأحوال العادية قد لا يشعر المصاب بأي أعراض نظرا لنقصان طفيف في عمر كرة الدم الحمراء لا يتجاوز نسبة ٢٠٪ ولكن تعرض هذا الانسان لظروف معينة قد تؤدي الى اختزال عمر كرة الدم الى نصف عمرها المعتاد وهنا تتبلور الأعراض المميزة كصفرة الوجه والشحوب والضعف .

لقد اكتشف الأطباء مؤخرا ان هناك ما يزيد على خمسين مادة قد تؤدي الى تفاقم هذه الحالة ... وأشهر ما وجدوه هو الفول **Fava** ومن هنا اكتسب المرض اسم الفولية **Favism** غير أن كثيرا من العقاقير والكيماويات تسهم في أحداثه وفي طليعتها الاسبرين **Aspirin** والسلفا **Sulpha** والكلوردمايسين **Chloromycitine** والفيناستين **Phenacitin** ومضادات الملاريا **Anti Malaria Drugs** .

لم يصل الطب الى علاج حاسم شاف لهذا المرض نظرا لأنه وراثي . غير أن الوقاية هي السلاح الذي يملكه المرء بالابتعاد والحذر من المواد المسببة للنوبة .

قد يحتاج بعض المرضى الى عمليات نقل دم يعوضهم عن كرات الدم ولكن هذا الطارىء نادر الحدوث والحمد لله .

من صحافة العالم



اسرائيل . . «الراهبة» القاتلة ! !

● تل أبيب :

« أنا لم أقل الا الحق » قالها في غضب عندما ابلغوه ان القائمين على التلفزيون الاسرائيلي قرروا حظر اذاعة برنامجه الاسبوعي .

أما صاحب الصيحة فهو الكاتب الانجليزي « روالد دال » الذي اتهموه بالعداء ضد السامية بعد المقال الذي نشرته المجلة البريطانية « ليتراري ريفيو » وعرض فيه « دال » الذي ينتمي الى مقاطعة ويلز البريطانية ، ملخصاً لكتاب عن الغزو الاسرائيلي للبنان . ما أن انتهى منه حتى أضاف اليه من عنده هذا التعليق الذي قامت له قيامة اسرائيل . قال الكاتب : « لم يحدث في تاريخ البشرية ان تحولت صورة شعب بمثل هذه السرعة الهائلة . . صورة الضحية التي تثير العطف الشديد الى صورة المجرم الذي يقتل بغدر ووحشية . . ما أكثر الشبه بين هذا الشعب وبين مجموعة من الراهبات اللواتي أحببهن الجميع ، فقد كن يرعين الأيتام في الملجأ الصغير ، وفجأة تحولن الى وحوش تفترس كل الأطفال الذين كانوا يعيشون في الملجأ . »

ويعتبر « روالد دال » الرجل الثالث الذي تفرض اسرائيل حظراً على أعماله في .... . أما الأول فهو الموسيقار الألماني ريتشارد واجنر ثم زميله ريتشارد شتراوس .

« هيرالد تربيون »

أشياء . . . لا تتغير

ضوء الشمس فوق المياه الجارية . . . بريق النجوم وهي تسطع في السماء . . . براءة الصباح . . . ورقة الشجر . . . الزهرة المتفتحة . . . الريح وهي تصرخ ثم تنام لتصحو من جديد . . الأشجار عندما ترتجف أذرعها وترتعد في الظلام . . . كلها أشياء لا تتغير ولن تتغير ، لأنها في الأرض ومن الأرض . . والأرض لا تتغير أبدا .

روميو وجولييت في روسيا

● موسكو :

هو . . فلاح قوقازي ، أحب الزرع والأرض والحياة . . وهي مدرسة شابة وجميلة ، لم تكن تدري وهي تستقل القطار في طريقها الى هذه البقعة النائية وسط سهول جبال القوقاز ، انها ستكون آخر رحلة لها في الأفق المجهول .

والتقيا . . رآها يوماً وهي تتجه مسرعة الى المدرسة في الصباح . . ولكنه لم يتوقف لينظر وراءه . . فقد كان هو أيضاً مشغولاً عنها بعمله في الأرض . . في المزرعة التي



دروس الحياة

كم كنت أتمنى لو أن كل انسان أصيب بالعمى والصمم لمدة أيام قليلة في بداية حياته بعد النضوج . فالظلام الذي سيجد نفسه يعيش فيه سيجعله يدرك قيمة نعمة البصر ... والصمت الذي سيخيم حوله سيعلمه متعة الاستماع الى الصوت . فما أكثر الناس الذين يحتاجون في حياتهم الى هذه الدروس .

« هيلين كيلر »

تملكها الدولة في بقعة مواجهة للمدرسة تماماً ..

ثم رآها بعد ذلك كثيراً وهي تخرج بصحبة الأطفال الصغار الذين وهبت حياتها لتعليمهم وتمضي معهم بعض الوقت وسط دفء الشمس ، عندما تشرق الشمس في هذه المنطقة الباردة التي تكسوها الثلوج .. وتقدم اليها .. واقترب منها ، وأحس بقلبه يكاد يقفز من ضلوعه .. لقد أحبها .. أحب صوتها وحديثها الرقيق ونظراتها البريئة ..

وفي صباح اليوم التالي ، كان يقف في انتظارها أمام باب المدرسة ، ورآها وهي تقترب منه .. وحيّاها ، وردت تحيته في أدب ، وكادت تمضي في طريقها الى الداخل .. ولكنه استوقفها .. وقال : « أرجو أن تصفحي لي جرأتي .. ولكنني في حيرة شديدة لن يخرجني منها غير هذا اللقاء .. انني أحبك .. لقد أحببتك منذ أول مرة وقعت عيناي فيها عليك .. هل تقبليني زوجاً لك ؟ أنا فلاح أمي .. لا أعرف القراءة ولا الكتابة .. ولكنني على استعداد لأن اتعلم .. ثم انني لا أستطيع أن أقدم لك شيئاً كثيراً لأنني لا أكسب كثيراً .. ولكنني سأعطيك قلبي وحبي » وخفق قلبها .. أحست أنها أيضاً تحب هذا الشاب الريفي الطيب .

وتكررت لقاءاتهما .. ثم كانت الصدمة ، عندما قالت له يوماً : « لقد كتبت لهم عنك ، ورفض المجتمع أن تكون لي زوجاً » .

ولم يعد يراها .. وانقضى العام الدراسي .. وفي مياه نهر الفولجا وفي يوم دافيء من أيام الصيف .. عثر الصيادون على جثتي شاب وفتاة طافيتان على سطح الماء .. وفي جيب كل منهما ورقة صغيرة .. وعلى الورقة كلمات تحكي خاتمة القصة : لم يكن أمامنا الا أن نغرق حبنا في مياه النهر الذي احببناه » .

هي طلبت الصفح من تلاميذها الصغار ! .

أما هو فقد انهى رسالته باعتذار للأرض التي لن يستطيع ان يعود اليها .. هناك في سهول القوقاز ! وكانت الرسالتان بخط يد الفتاة ! .



موريلي كالاهان

همنجواي دفعني الى ملاكمته فصرعته ! !

● تورنتو (كندا) :

موريلي كالاهان الكاتب الكندي الذي قضى أكثر من نصف قرن يكتب للملايين ، احتفل منذ شهور قليلة مضت بعيد ميلاده الثمانين . كان احتفالاً هادئاً شاركته فيه زوجته لوريتا وكلبه الصغير وكتابه الجديد الذي لم ينته منه بعد عن الحياة في الوحدة .. والوحدة التي جلس يتحدث عنها للصحفي الفضولي الذي أراد أن يقتحمها ، هي طعم الحياة وهو يجد نفسه سائراً وحده في الطريق الذي كان يمتليء بعشرات الكتاب والمؤلفين الذين تركوه وذهبوا !

قال كالاهان يحدث ضيفه : « لقد رحل آخر اصدقائي في العام الماضي .. جيمس فاريل ووليام سارويان ! »

قالها في أسى وأطرق برأسه الى الأرض ! ثم عاد يكمل حديثه : « عشت حياة مليئة بالعمل ووضعت عدة كتب بعضها في القصة القصيرة ، وبعضها في تجاربي مع الحياة ،

من صحافة العالم



هيمنجواي

ولكنني اعتقد ان أحسن أعمالي كان كتابي الذي اخترت له عنواناً من واقع تجربة عاشت معي في ذاكرتي أعواماً طويلة . . « ذلك الصيف في باريس » !

ويمضي كالاهان مع كتابه ومع الذكريات : « كان ارنست هيمنجواي صديقي . . لقد التقيت به هنا في تورنتو في عام ١٩٢٠ وكنت وقتها طالباً في الجامعة لم أكمل تعليمي بعد ، وأعمل بعض الوقت في صحيفة « تورنتو ستار » التي كان هيمنجواي مندوبا لها . . واصبحنا صديقين . . ربما كان طموحي الأدبي هو الذي أثار اعجابه بي . لا أدري ، ولكن السنوات مرت بعد ذلك الى أن تخرجت ، ثم افترقنا ، وعدنا نلتقي مرة أخرى في باريس بعد ذلك بتسع سنوات في عام ١٩٢٩ .

« هناك تحداني هيمنجواي لمنازلته على حلبة الملاكمة . . ولم أكن راغباً في قبول تحديه ، ولكنه دفعني اليه دفعاً . . كان أضخم مني ، وكان ملاكماً محترفاً ، ولكنني كنت أصغر منه سناً وأكثر احتمالاً واسرع حركة . . واستطعت أن أهزم الكاتب الملاكم العملاق . . وجهت اليه لكمة قوية أدمت فكه واسقطته على ظهره فوق الحلبة ! ولكنني لم أكن سعيداً أبداً بهذا النصر الدامي !

ويبتسم الكاتب العجوز ، ويقول لضيفه قبل أن يمد اليه يده مصافحاً مودعاً « لم تكن نتيجة المباراة هزيمة لهيمنجواي على الحلبة بقدر ما كانت انتصاراً ، أدبياً لي » . . فقد عرفني القراء بعد « صيف باريس » بالكاتب المسالم الذي كره العنف ، بنفس القوة التي أحب بها الحياة في قصته « الزوجة الوفية » . . أول قصة قصيرة يكتبها قبل أكثر من نصف قرن !

(جسور أمريكا مهددة بالانهيار)

● واشنطون :

صحا الامريكيون بعد حادث انهيار جسر في احدى الولايات الامريكية منذ بضعة أشهر مضت على حقيقة خطيرة كانوا غافلين عنها وهي أن الألوف من الجسور في جميع أنحاء الولايات المتحدة في حاجة الى اصلاح سريع . وقد تم بالفعل اغلاق العديد منها أمام حركة المرور ، لأنها لم تعد آمنة ، وتجري الآن عمليات تفتيش وصيانة واسعة النطاق .

ولكن الجسور ليست سوى جزء صغير من مشكلة أكبر بكثير أمام الأمريكيين ، فقد اتضح ان جميع المرافق الحيوية من السجون الى المجاري العامة في حاجة الى اصلاح وترميم .

وقد أكدت دراسة قامت بها وزارة المواصلات أخيرا بأن هناك ما يزيد على المائتي وخمسين ألف جسر منتشرة في جميع أنحاء أمريكا ، لم تعد صالحة للاستعمال وهذا العدد الهائل لا يشكل أكثر من ٤٥٪ من مجموع عدد الجسور المقامة في الولايات المتحدة ، والتي يبلغ عدد السيارات التي تمر على البعض منها يوميا أكثر من مائة ألف سيارة .

وتبلغ الأزمة مداها في منطقة نيويورك ونيوجرسي وكونكتيكت ، حيث يقول المسؤولون في مدينة نيويورك أكثر مدن أمريكا ازدحاما بالسكان أن إصلاح الجسور في هذه المنطقة سوف يستغرق مدة تزيد على عشر سنوات ويتكلف مبلغا لا يقل عن مائة مليون دولار حتى يمكن أن تصبح صالحة للاستعمال لمدة تتراوح بين خمسين ومائة سنة أخرى .

الاحباط . . . متى نشعر به

لم يكن العمل يوما هو السبب في هذا الشعور الذي ينتاب الانسان بالتعب . انه الاحباط الذي يحس به المرء نتيجة لعدم قيامه بأي عمل نافع ، أو الافتقار الى تحقيق انجاز هام . والاحباط الحقيقي ينشأ عندما يعجز المرء عن أن يجد عملا مثمرا يقوم به .

« ريتشارد هيكرت »

قصـة :





بقعة زيت

بقلم : سليمان الشطي

بعد صلاة العصر .

أسند الشيخ ظهره على العمود الاسطواني الكبير ، أدار عينيه في الجموع التي تحلقت حوله . مد رجله ، كشف ساقه وتحسسه ، وعلى غير العادة لم ير الحاضرون قطعة القماش الخضراء التي كانت تغطي هذا الجزء من الساق ، وانكشفت بقعة سوداء قاتمة ، عليها بقايا غبرة في أطرافها . .

اشار الى ساقه ، وتحسس البقعة ، ثم قال :-

- هذه ذكرى باقية من الحكاية التي سأرويها لكم اليوم . لم ينتظر ليستمع الى الاستفسارات المعهودة . كانت الحكاية تملؤه مندفعة الى الشفتين :-

(. . . أوائل صفر من عام اثنين واربعمائة للهجرة ، كنا على مشارف مدينة (. . .) ، وقد عانينا اياما عاصفة مغبرة تلاها جراد أكل الحياة . لاقتنا ارضها ، سبخة يعلوها نشع اسود ، ولكننا مع هذا احسسنا بأنها بلدة آمنة . انخنا مطايانا تحت السور .

سور طين ممتد ، بوابة كبيرة مرتفعة يمتد فوقها برجان صغيران ، قضينا ليلتنا متكئين على متاعنا الليل كله . ومع الفجر فتح الباب الكبير ، دبت حركة الحياة فينا ، واندفعنا لنجتاز البوابة ، وفي وسط الهياج والجلبة صاح صائح :

- ايها القوم ، لا يتحرك احد منكم ! . . رسول الوالي يحدثكم .

وتقدم الرسول ، توسط بحصانه جموعنا ، قلّب نظره فينا ، وصاح :-

- أيها القوم هل بينكم طبيب او عراف او حكيم

وسكت برهة ثم واصل :

- ان كان بينكم واحد من هؤلاء فليجب الوالي

جلبة وهمهمة اعقبها صمت حذر ، بعض الانظار اتجهت اليّ وصاحبي ، احسست بانهم يأملون منا شيئا ، كانوا تجارا مشفقين على قافلتهم ، ولعلهم يكسبون خيرا من تقرب الحاكم لنا . اصبح الصمت مقلقا ، امسكت بيد صاحبي وهمست له : توكلنا على الله ، وصحت

- سأذهب معكم .



وانفجر صوت الفرح بين افراد القافلة .

***

تغلبت على حرج الموقف وقلت مبادرا :

ـ يا مولانا . لسنا من الحكماء أو الاطباء أو العرافين ، ولكننا نجوب الديار فنأخذ من حكمة الشعوب ونحفظها لنستفيد منها عند الحاجة ، فهي ليست حكمتنا ولا طبنا ، ولكنها التجربة التي نختزنها ونضعها في مكانها بتوفيق الله . وها نحن بين يديك ونضع انفسنا في خدمتك ان وجدت لدينا أي نفع . .

ورفعت عيني باستحياء ناظرا اليه ، فاحسست بانه ليس معي ، مطرقا مفكرا ، وحوّل اصبعه باتجاه الوزير فتكلم هذا :

ـ لعل قد وصلتكم اخبار الرياح العاتية التي هبت علينا منذ ايام .

قلت :ـ

ـ بل لاقينا منها عنتاً ، ونحن في طريقنا اليكم ، ولولا عناية الله لتفرقنا شذر مذر . . .

وواصل حديثه كأن ملاحظتي لم تمس اذنه :

ـ حاقت بنا منها مصيبة عظيمة ، كما ترون ، نحن نعيش على هذا الساحل ، حياتنا معلقة في البحر ، نحن نعرف حقيقته ولكن لا بد مما لابد منه ، وعندما هبت العاصفة كانت سفننا كلها في البحر ، وقد كلأت العناية الالهية العاملين في الصيد والتجارة وانقذتهم جميعا ولكن . .

ـ الحمد لله . . الحمد لله .

ـ ولكن المصيبة الكبرى !

وازور بنظره نحو الوالي الذي انتفضت اطرافه :

ـ . . . ابن مولانا مع اثنين من مرافقيه ، كانوا في رحلة صيد بحرية وقد هبت العاصفة عليهم وهم هناك ، وقد بحثنا ، بعد ان قذف البحر بمن فيه الا ابن مولانا ومن معه ، يئسنا ، وكلت العيون ولم تطرف بأي امل ، لم يبق اثر او وهم اثر الا وقد تابعناه .

وامس فقط ، بعد أن انقشع الجراد ، قذفت الامواج باحد مرافقي ابن مولانا ، وهو بين الحياة والموت ، لا يعي شيئا ، وقد طلي جسمه بقار اسود ، غطاه كله ولم يبق من بياضه الا بقعة صغيرة من بياض العين . قار رهيب بذلنا كل جهدنا كي نزيله فلم ننجح الا قليلا .

صمت برهة . أزاح طرف كمه فبان ساعده .

ـ انظر . هكذا !

كان القار الاسود يغطي الساعد بكثافة واضحة .

ـ حاولنا . احضرنا كل ما لدينا لازالة هذا السواد ففشلنا . كنا نحاول معه ، في الوقت نفسه ، لمعرفة اي شيء يهدينا الى مكان ابن مولانا . استجوبناه وبذلنا معه ما استطعنا ، امس مساء تحركت شفتاه ، نشط نشاطا غريبا حاولنا أن نسمع منه ، ولكنه كان يتحدث كلاما غير مترابط أو غير واضح ، حار حكماؤنا وسُقط في ايديهم واعلنوا عجزهم . فأرسل سيدي رسائل كثيرة يستنجد بها ويستدعي اشهر الحكماء ، ولكننا نخشى فوات الأوان ، لذلك نحن نبحث عن أية معونة . لعل عجزنا يُزال بكم . نريد أن نفهم لنصنع شيئا .

انحنى رجل دخل لتوه ، للوزير وهمس له بشيء ، وهو يهز رأسه ، ثم قال :ـ

ـ ان هذا الرجل يخبرني بان كلمات الغريق بدأت واضحة ، ولكن المعاني قد غمت عليهم .

التفت الى الوالي :

ـ هل يسمح مولاي باصطحابهم اليه .

وأومأ بالموافقة !

***

قال الشيخ :ـ

ـ لم يكن لدى أكثر مما أعطيته ، بقية من اعشاب تثير النشاط في الانسان ، وهبني اياها تاجر يماني ، راعني نشاطه وخفة حركته ، سألته . فأعطاني حزمة منها ، فاحتفظت بها . .

كنت انتظر استجابته بعد ان تجرع السائل الذي أعددته ، خامرني احساس بالنجاح حينما بدأت بشائر اليقظة تغزوه ، بريق الحيوية لا تخطئه نظرة من تابع هذا الجسد المسجى الأسود بما عليه من قار راكن . اردنا أن نحد من



تمتماته غير المركزة بالسؤال ، امسكت بيده اللزجة ، بلعت ريقي :-
- هيا .. اخبرني .. ماذا جرى لكم ، أين ابن مولانا . تحدث . هل تذكر شيئا ! ..

برقت عيناه ، تهلّلت اساريره كأنه يرى شيئا او تذكر رؤيا جميلة في أول الصباح ، كان بريق عينه وسط سواده الكثيف يكشف انه اصبح بعيدا عنا ، كان هناك من حيث أتى ، ما في صدره من قول يرتفع ليطغى ويستحوذ ، تقاربت بعد ذلك خطوط جبهته ، وبدأ يروي ، احسسنا بالفهم ، المبهمات والكلمات الخاطفة بدأت تستقر وتترابط .

***

وبدأ يحكي :
« .. كنا بين امرين : هذه الجزيرة الجرداء التي تحمل توقع الموت فقط ، وهذا البحر الذي قذفنا اماما ، لا نعرف ما وراءه . لقد حكمنا خوف مرعب بعد مواجهتنا للعاصفة ، لقد كشفتنا فاصبحنا عراة امامها . خائفين ، وجلين مسلوبي الارادة . لم تعد سواعدنا تقوى على شيء ، ننتظر وتستسلم للقدر يفعل بنا ارادته . ما زالت ذكرى اللحظات التي عشناها في البحر مستسلمين للجنون الغاضب الذي احاط بنا ، لم نجرؤ وقتها حتى على مد أيدينا الى بعض او نحتضن بعضنا خوفا او بحثا عن أمن . اعيننا الزائغة تهرب من حولنا ، كأن قاربنا خلا من نفس بشري ، كنا الاستسلام مجسداً حتى انتفضنا معا على ضربة قوية في قاع القارب » .

الارض مرة أخرى ، قفزنا بلا شعور ، والقينا ، وسط العتمة ، بانفسنا في الماء ، جرينا نشق الماء بصوت واضح . وعندما وصلنا واستلقينا مدة تذكرنا القارب ، عدت وزميلي اليه ، بينما استلقي ابن مولانا على الرمل ..

من هدوء ما حولنا ادركنا حصارنا الذي نحن فيه ، ومع ان احساسنا بالعجز باق ، فانه ما دامت لنا قدمان فلنتحرك ، اصبح الاستطلاع ضرورة ملحة ، تسويغنا العقلي لا مبرر له ، ادركنا اننا وسط رمل اجرد ممتد وسط ماء بحر ... محاولتنا في البحث محكوم عليها بالفشل . بدأت ارجلنا تحس مرة أخرى برودة الماء الذي سنعود اليه حتما ، لذلك كانت اعيننا تمتد اليه ، ولكننا نكسر الطرف بحدة لنعود مرة أخرى الى الاحساس بذرات الرمل التي تباعدت وتجمعت لتشكل عالما متصلا ومنفصلا ..

باطن اصابعنا تغوص لتنتفض بحركة عصبية فالرمل متحجر ، وهمُ الخوف يهز داخلنا بقوة ، هل نحكم على أنفسنا بالعودة مرة أخرى ، نظرت الى ابن مولانا المطروح ارضا ، كنا نريد قرارا ، عينا الجسد المسجى تقول انه لا يقوى على التفوه بحرف ، ليته يأمر ، اننا الآن فقط سنقبل برضا اي امر يصدره ، ولكن كل استطاعته توارت خلف جفاف العينين . لا قرار .. لو نطق صدى صوت لقبلنا دون مناقشة . ها نحن وسط كون خال تلفه اوليات العتمة ، كل واحد عاجز عن التفكير المنفرد ، وغير قادرين على أن نجتمع . ورأيناه ! ..

***

خطف ابصارنا المشتتة فتركزت فيه ، قوة جذبه كانت طاغية بشكل واضح ، وقد لاقى الجذب عجزنا فاستلبنا .
لمع مرة أخرى ، ثم ثالثة ، وأضحى ينعكس بقوة مع الشمس الغاربة ، لم يقل احد منا : انظروا ! . ولكن اعيننا شدت الى زاوية واحدة ، نقطة اللمعان ، شيء جديد يحيط بنا .. انتفخت صدورنا بهواء كثير ، لقد جاء المنقذ ، واحسسنا لاول مرة ، بأن اقدامنا العارية لم تعد تقوى على احتمال ذرات الرمل الصلبة التي تندس بين شقوق أكعبنا ، فاشتاقت الى انسياب الماء من جديد . حالة جذب بثت في خلايانا نحو هذا اللامع ، رأيناه وسط محنتنا طوق نجاة حبيب ، وجها مألوفا ينبعث بين موجة واخرى ، يتكاثر ، يملأ اعيننا فلا نرى الا اياه .

نظرنا الى بعضنا ، كأن الخاطر قد نزل علينا بصيغة واحدة ، أو سمعناه من فم واحد ، يحكمنا قرار واحد واضح ، ومع ذلك تناقشنا وقتها لنؤكد هذا القرار ، وكانت مرة يتيمة :-
- أنبقى في هذه الجزيرة الجرداء ام نعود الى البحر مرة ثانية ؟
قلت لهما :
- ولكن ! .. هل نعود الى قلب العاصفة ؟
قال زميلي :
- البحر هلاك .. الارض أكثر صلابة وامناً .
- ولكن البحر أوسع املاً
- هل نبيع صلابة الارض بأمل سائل .
- خير من حكم العدم
- قد ننجو
- قد نهلك

غريب هذا الامر نتناقش دون أن ينظر أحدنا الى الآخر ، شدت اعيننا الى ذلك الشق اللامع ، نتحدث بعد ايام من جفاف الحلوق . بل لقد ندت نكتة من صاحبي كعادته ، وبدلا من أن أستحضر القصائد القديمة ، كما كنت افعل ، احسست بأنني امتلىء بقصيدة جديدة ، سرحت معها . ننجو ؟

لحظتئذ تكسرت ذرات الخوف ، وهيمن الامل والفرحة والممكن والمحتمل . كل هذه دخلت في حيز الحقائق ، رأيتني اشد قصبتي على مرأى من اناس جدد ، ملابسهم مطرزة ، عيونهم مفتوحة بنشاط بعد نوم طويل .

قررنا ! . . وشق قاربنا طريقه بصدره نحو اللمعان الذي بدأ يتلاشى قليلا قليلا بتناسب واضح مع ميلان قرص الشمس نحو المغيب . . .

وساد الظلام ! .

• • •

تلاشت تدريجيا اصوات حبيبات الماء التي كانت تضرب جوانب القارب . احسسنا بلزوجة تدريجية . واصلنا التجديف ورددنا ثقل المجاديف الى التعب الذي ران علينا . لم نعد نتحدث أو نتشاور ، كل واحد يفعل ما يشاء ، ابن مولانا ينام ويستيقظ ، صديقي يتذكر نكتة ، يرويها ، ثم يصمت ، يجدف ، يلقي المجداف . اصبح التجديف متعذرا ، لقد تمكن التعب منا . فنمنا . .

احسست بالنهار على جلدي ، لهيب يشفقه ، ولم اقو على الحركة ، لكزني احدهما

ـ انظر ! .

اعتدلت ، مددت يدي الى جانب القارب لأزيل بقايا نوم تعب ، لزوجة ، نظرت ، كانت يدي تحمل طبقة كثيفة من زيت اسود كالقار .

ـ اترى ما أرى ؟ .

مهما امتد البصر لا يقع الا على هذه الطبقة السوداء . وعلى الاطراف البعيدة تكسر اشعة الشمس لتعكس اضواء متفاوتة الالوان . قلت :

ـ ارى ؟ .

سؤال صاحبي وردي يحمل هلعا واضحا ، قال :

ـ هل هذا الأسود هو النور الذي رأيناه امس ، أم ذلك شيء آخر ، ترى أضللنا طريقنا في الليل ؟

قال ابن مولانا وهو يشخص بعيدا :

ـ ليس هناك من شيء الا هذا .

ـ لعل هذا هو بحر الظلمات يزحف علينا

ماذا نعمل ؟ . سؤال يظل ولم نصرح به . لا فائدة من الحديث ، ولكن :

ـ نعود ؟ .

ـ الى أين ؟ .

ـ الى الجزيرة مرة أخرى ! .

ـ نسينا اننا كنا سنموت فيها حتما .

ـ المشكلة كيف نعود اليها مرة أخرى ؟ .

الشمس تلهبنا ، الأطراف التي طالها الزيت يشتد أوارها ، لابد من الحركة فالسكون موت محقق ، وجدفنا لعلنا نجتاز هذه البقعة .

قلت :

ـ اتجاهنا عكس الجزيرة ، يعني نحو بلادنا ، لعلنا نتجاوز هذا ونصل .

قال ابن مولانا :

ـ ونتشل ، حتما الهام والدي الدنيا واقعدها .

ـ آه . نسينا يامولاي ان معنا ابن الوالي ! .

• • •

لم تعد تملك استطاعة نسيان هذا اللاهب الذي يفجر فينا الحمم من كل جانب ، جلودنا تكاد تشتعل مع حرارة الشمس ، قوانا خائرة وجفون عيوننا مثقلة كانت حبالا تشدها الى بعضها كي تنطبق ، لم نعد نرى الا خطا تختلط فيه الرؤى . نسمة عابرة تأتينا مع العصر ، كررنا محاولة النظر ، واستطاعت اعيننا أن تتحرك لتشمل البقعة دائريا لتحتوي اقطارها الاربعة .

سكون مريب وسط مقدمات العتمة ، كأننا قد بدأنا نألف اللون الاسود ، اعيننا تدور ، ففقدان الأمل لا يلغي الدوران . .

وفي وقت واحد توقفنا عند الشمال ! .

. . . ست عيون تتوقف عند ملتقى واحد ، نقطة تتشابك حولها النظر . . ساحرة ، خلابة ، وفي خطفة سماوية انسل التعب ، وكأن خراجا يثقلنا قذف ما فيه ! . . . استرخى كل واحد منا في بقعته ، وانظارنا متخشبة تتأمل وتسبح في هذا العالم الجديد الذي انفتح امامنا .

لا ادري بعد كم من الزمن قلت :

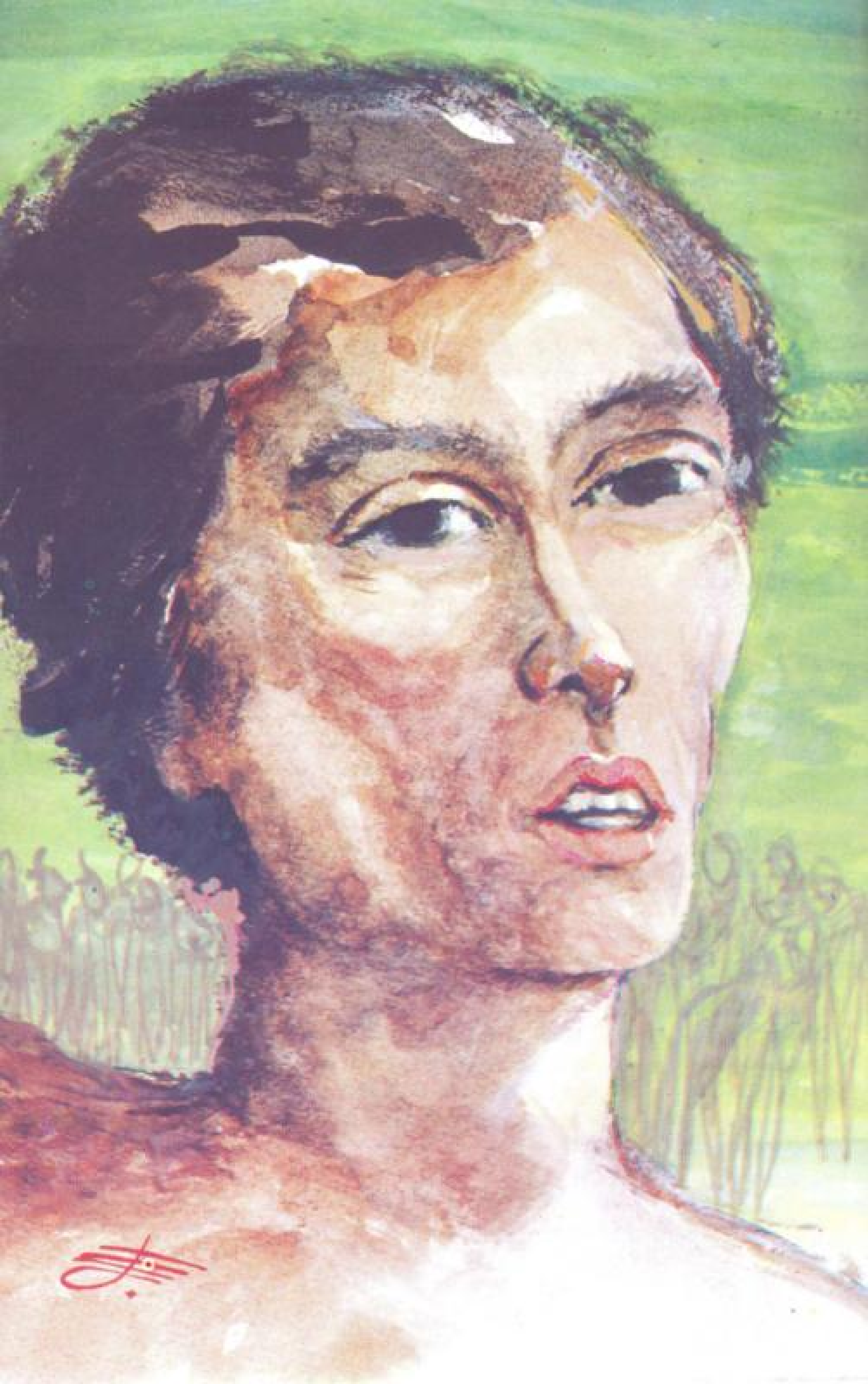
ـ اترون ما ارى ؟ . .

لم اسمع شيئا ، كانا في عالمها لا يستجيبان لاية حركة خارجية .

ـ امر عجيب ! . هل ترون ما أرى أم انا وحدي في حلمي ؟ .

وضعت يدي على جبهتي دلكت عيني . مددت يدي الى الماء الزيتي ونضحته على وجهي لأتأكد . لقد اردت الرؤية وضوحا ، ما اراه صحيح ساطع . نظرت الى راحة يدي ، سوداء لا شك فيها ، اما الافق فهو باق واضح لا مجال للشك :

« . . . في اللجة ، وسطها تماما تتدرج بقعة الزيت صعودا ، ترتفع مع سير النظر ، مثل تل بارز في صحراء



مستوية ، والألوان تتدرج فيها من السواد القاتم فالاقل سواداً فالأخضر القاتم ، وتمر عليك الألوان زاهية حتى تصل الى الشفافية المنيرة ، والاشكال تتمايز مع كل مرحلة لونية ، تقدم عالما خاصا ، هذا الافق ارض ربت فنز ماؤها فانبعثت الوان النبات ندية تحس طراوتها وليونتها بين اصابعك .

استولى هذا التل على بؤرة التركيز ، خالجني خاطر : ـ هل هذا ممكن ؟ « القبر روض من رياض الجنة » ، فهل انا هناك حقا ؟ . ولكني اعرف نفسي جيدا ، ولو دخلت الجنة فلن يكون هذا مبكراً ، لعلي صنعت خيرا في دنياي ، ولكن : متى وأين ؟ وتذكرتها .. صحيح كنت ارعى اولادها ، وقد احتضنتني هي واعادت ثقتي بعد يأس ، ولكن اين ذهبت شهوتي التي لم استطع ان ادفعها كلما جلست معها ، كانت تقطر بحدة ، هل تفصل الاعمال عن النيات ! .

ولكن هذا عالم حقيقي ، انني اكاد المسه لمسا ، لقد اعادتني قمة التل اليها مرة أخرى ، الفت ما حولها ، فكلما ارتفع النظر الى أعلى الفى سابقه حتى توقفت عند القمة مشدودا الى شفافيتها الكاشفة لكل ما وراءها :

طوابق من غرف زجاجية واسعة ، بعضها يفضي الى الآخر ، يتملكك شعور باتساعها الذي لا يحد ، وكأنها ، مع هذا الاتساع ، قد خلت من أي شيء ، ولكنها ، مع ذلك ، مملوءة باشياء لا تحصر عدا ولا تحدها او تعرفها الاسماء ، جديدة ، خارقة الجمال في الوانها واشكالها ، وزخارفها التي لم تر مثلها .. كل مافيها يتحرك بذاته ولكنها تنطق بمصادرها البعيدة : الهند ، والسند والصين وبلاد الافرنج والغال .. من عالم بعيد غريب وضع فيها كل فنه ، تحيط بهذه عيون جارية ، تسمع تناغم الماء والحصى ، وفي الداخل ترى الأرائك المرتفعة ، والزرابي المبثوثة ، والنمارق المصفوفة .

وازدردت ريقي المتخشب حين رأيت زجاجات تشف عما فيها ، ليس بين أية واحدة واخرى شبه في الشكل أو الحجم او اللون ، شعرت بلذعاتها في لساني فترطب فمي ، ومع ذلك فإن ما فيها محفوظ لا يغادرها ، ولكنه في الوقت نفسه يسيل متحدرا الى أعماقك .

وفي وسط هذه الغرف الفسيحة ، تبرز بوضوح قاعة رئيسية هي القلادة المتوسطة وقد اصطف على جانبيها رجال متكئون على النمارق ، لحى بيضاء صافية كرمل صحراوي ، ملابسهم خالية من أية زركشة ، ولكن انسيابها يدل على غلائها ، من بين الاصابع تنحدر مسابح صندلية تفوح منها رائحة يكاد يخنقك عطرها .. خواتم زرقاء وبيضاء لا تستطيع النظر اليها ، تخطفك لألائها ، عالم آخر جديد لم آلفه ، ولكن الوجوه اعرفها جيدا .

جلسة دائرية يسودها وقار ، قرآن يتلى ، لم أر قارئا ولا مصحفا ولكن الصوت السماوي يضرب في انحاء القاعة الضخمة فتزداد شفافيتها ، فتكاد تطير بنا وبهم .

قلت في نفسي :

ـ هذا عالم روحي ، لا شك في هذا .

وانتابتني نشوة أنستني كل شيء كنت مشدودا للعالم الذي أمامي :

.. تحرك احد الجالسين ، جذب نظري معه ، وبدأ الصوت القرآني يتلاشى ، توسط القاعة ثم اخذ ينزل من سلم وعيني معه . غاب جزؤه الاسفل ليظهر في الغرفة السفلى ..

آه .. ما هذا ؟ ....

كلما نزل بان جسده ، بدأت أرى عُرْيَه ، ثيابه كما هي باقية ولكنها تشف كزجاجة بيضاء ، فلا حاجب يحجب . الساق . الحوض . العورة ، والوجه اكتسى بلون زيتي لامع . الساقان تحملانه ولكنها يتحركان بارتعاش منتش .

القاعة السفلية تداخلت اشياؤها ، عالم مختلط ، الزجاجات تقذف ما فيها ، وظهرت جموع من نساء ، كل ما عليهن يلمع ، يجعلك مدهوشا ذاهلا ، مستلقيات باوضاع لا حصر لها ، لماذا قفز ذهني الى الرقم خمس وخمسين وثلاثمائة سنة ، مختصرة في اوضاع جنسية . نعم ، لقد اصبحت رائحة النشوة الجنسية تعلو على اي احساس آخر . النساء لابسات ، ولكن لا شيء مغطى ، واضحة كل المعالم ، رغم الملابس الفخمة المنسابة اللامعة ، وضوح تحت الشمس ، لمعان يعري الزوايا القائمة فتشع لامعة لكل ناظر .

شكل خارجي محتشم مستور ، ولكن به داخل واضح مبتذل .

واختلطت الغرفتان : العلوية والسفلية ، رأيت الرجال المحتشمين في الغرفة العلوية ينحدرون واحدا تلو الآخر ، وعندما يتجاوزون البرزخ الفاصل بين الغرفتين تبدأ الملابس تشف عما تحتها ، بدأ الصوت القرآني يخفت ثم اختلط بغناء اعرفه جيدا ، احققه فطالما سمعته عندما كان الليل والخمر قد اخذا حقهما مني كاملا . ولكن ها هو الآن الصوت يصرخ به جهارا .. لولا خبرة سابقة لما استطعت ان اميز شيئا بعد ان اختلطت السوق وتداخلت واتطرحت الاجساد كاغنام مسلوخة ، واحتوتهم لحظات التمرغ فوق السجادة الخضراء وتشبع الجو باللذة ، عالم يغريك مرة بالتفرج عليه ، ويدفعك دافع قوي لأن تدخل فيه . ولا تدري ايها تختار .

لم أعد أميز فقد تلاشت الفروق بين الغرفتين ، وتحطم البرزخ الفاصل ، من فوق كمن هو تحت ، الكل عار

كاس ، رأيت اجتماعا يُعقد ، وأوراقا مبسوطة وفجأة تتغطى بجسد امرأة .

وانتزعني صوتا صاحبيّ ، فقد نطقا معا :

قال ابن مولانا :

ـ هذا ما اريده بالضبط . هذا عالمي . اعرفه جيدا !

والقى بنفسه في الماء الزيتي ، بينما كان صاحبي يقول :

ـ هذا العالم احبه ، هناك بغيتي . .

وتبعه . .

لحظات خاطفة واذا هما هناك ، صعدا التل ، تدرجا في الصعود بينما كان السواد يلطخ ثيابهما المبلولة ، مدا ايديهما فاذا هما وسط الغرفة ، قد شف جسداهما من وراء الثياب ، عاريان تماما ، سوادهما الزيتي باق ، واختلطا بذلك العالم .

تملكني خوف رهيب ، اردت أن استيقظ ، لولا ان شدتني حركة في غرفة علوية ، تخللت الخياشيم من عطر يتقدم فيملأ الغرفة . . هبط قلبي برفق كأنه كان يتوقع مايرى ، رأيتها : همست كأني أحدث احداً حولي :

ـ هي لا غيرها . . ميمونة ، وجدتها اخيرا ، هل يمكن أن يستيقظ الماضي ، هل يعود بعيدا عن لحظات الحزن التي أسلمتني للضياع . لايمكن أن يكون هذا خيالا ، وجهها القمري خلا من أي عيب ، لن تستطيع أن تعلق على حالة السحر ، أو تسجل حالة الجذب الكامن هناك ، لن انساها ابدا ، اطياف ذلك الوجه حينما يعلوني الوهن في ايام الخيال الاولى ، عندما كانت شفتاها وبريق عينيها عالمي الذي اهيم فيه ، لحظات السكون القديمة التي كنت أتأملها . .

هاهي أمامي ، بعد زمن طويل فصل بيننا منذ أن حملها زوجها معه بعيدا ، ثم جاءت اخبار جسدها الذي تواري وغطاه تراب قاس . لقد غصت بعدها في وحل الحياة الذي اكتشفته ومعه العالم الآخر الذي همت فيه . . ولكن هاهي ! . .

عندها تملكني ارتعاش ، جسدي الخامل يرتعش بقوة ، تبطط عرقا كثيفا ، رأيتها بوضوح ، أحس بملمسها ، مادي بارز ، امد رأسي أمامي ، أراها تشف امامي ، ان عصر هذا الجسد وحده يمثل امتلاكا لروح تذوب مكوناتها في الشرايين . امد رقبتي فيزداد الانكشاف فالالتصاق فالتداخل . كلي يندفع ويدفع ، خفة وارتفاع الى الاعلى ، اختفى كل ما كان امام العين ، لا مناظر ، لا تدرج ، لاشيء ، فقط تلك البقعة الزجاجية .

هاهو حرمان دهور يتلاشى بعيدا ، أملك الآن شيئا كثيرا ، عندما استولى عليها اكون قد ملكت ما اريد من الدنيا . . هآنذا . .

وقذفت بنفسي في بقعة الزيت ، انزلقت به ، دخل بين الجفن والعين ، فانزلقت الدنيا من حولي . . وحجبت عتمة الزيت كل الرؤى .

* * *

قال الشيخ :

كان المسجى يلهث ، أعضاؤه تتحرك بقوة ، يداه تضغطان على جسده ، كأنه يريد أن يخرج ما بداخله ، تداخل سواد اليد بسواد الجسد ، ارتعش ثم سكن ، نفس ضعيف يكشفه سواد يرتفع وينخفض مع الصدر . .

اردت ان اقول شيئا ، أي شيء :

ـ هل ذاك آخر عهدك بابن مولانا ؟

اراد ان يتغلب على ضعفه ، كأن حرارة الرؤية السابقة تلهبه ، رفع اصبعه محذرا :

ـ لا تبخسوا بقعة الزيت حقها . .

ـ ماذا ستفعلون الآن ؟

كان هذا هو السؤال الذي قذفته في حلقة القوم التي اتسعت ، وكأن عدوى السؤال تملكتهم ، لم يعودوا ينظرون الى الشاطىء الممتد الذي تقاذفت عليه قطع متضخمة من الزيت ، وكانت كعوب وسيقان بعضهم قد تلطخت به . يتطلعون الى بعض ويهمهمون ، صاح صوت متحمس :

ـ لابد من انقاذ ابن مولانا .

وتخرج صوت هامس

ـ نحاول أن نحمي شواطئنا :

ـ بل ننتظر نجدة طلبها الوالي ، اطمئنوا ولا تشغلوا بالكم ، ولا ترعبوا الناس ، فكل شيء على ما يرام ، فقط اقلقوا على ابن مولانا . هو وحده في خطر حقيقي لا وهمي .

احدهم همس في اذني :

ـ هل يمكن أن تدبر رحلتي مع قافلتكم .

نظرت اليه ، ووعدته خيرا .

مع انبلاج الصباح ، كانت قافلتنا تتحرك طلائعها خارج المدينة ، بقايا سواد الليل لا يزال يلفها ـ اوليات النور تكشف قطع القار الزاحف . . وفي خارجها ، أنخنا رواحلنا ، كل فرد من القافلة امسك بخرقة خشنة يزيل ما علق به من زيت .

نظرت من بعيد الى الغمامة السوداء التي تحيط بها ، كعمامة مفصلة على الرأس .

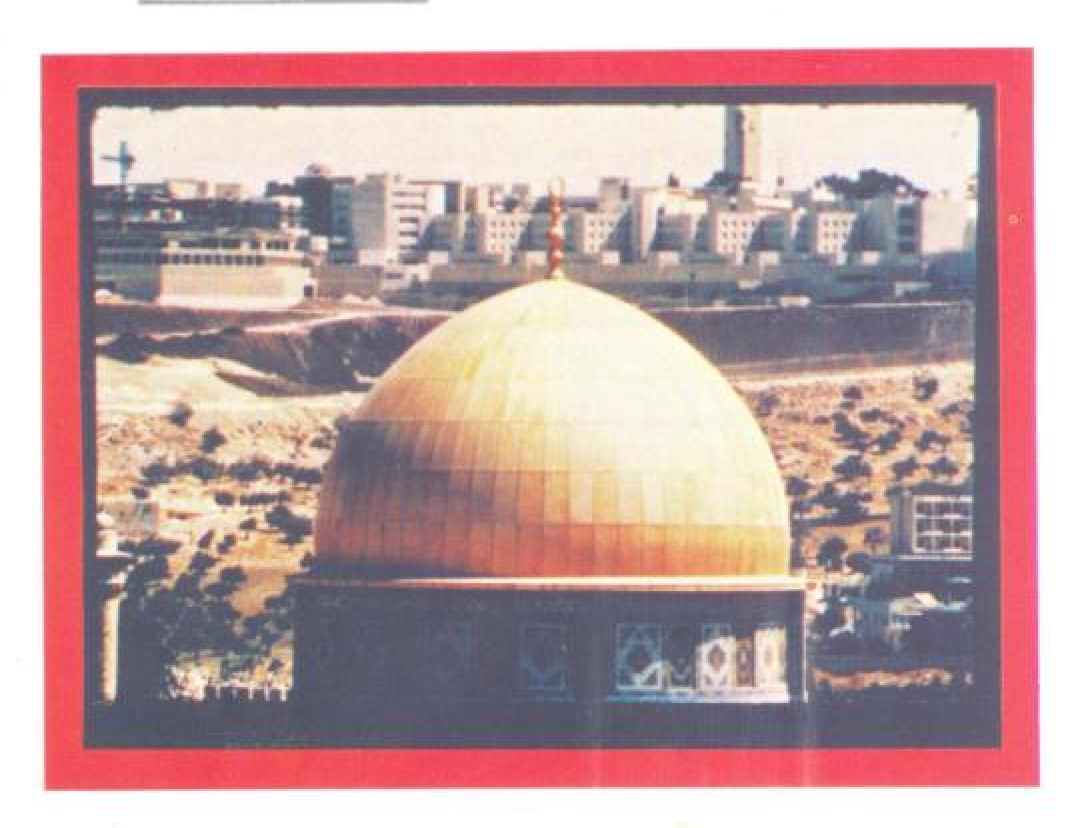
تساءلت :

ـ ماذا سأجد لو عدت بعد عشرين عاما ؟

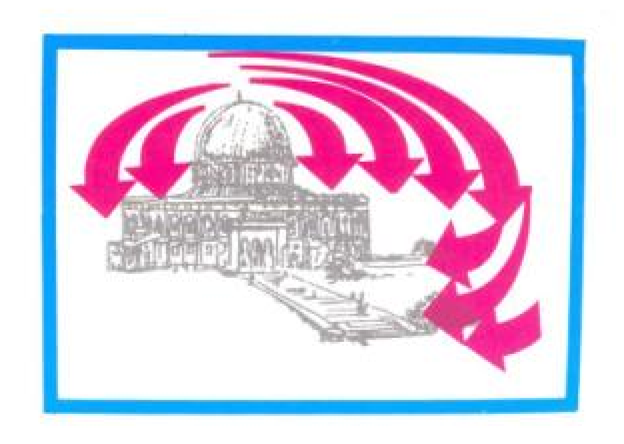
ولم اعد اليها ، ولكن ذكراها بقيت تمثلها هذه البقعة السوداء الباقية ، واشار الى ساقه . . ○

المستوطنات الإسرائيلية

إعداد : سليمان الشيخ



ـ ابنية الحصار .. حول قبة الصخرة





المستوطنات الاسرائيلية فى الأراضى المحتلة سرطان يتمدد وينتشر ويصادر حق الحياة والوجود للعرب وأراضيهم .

هى أسنة الرماح التى غرزت فى جسد الارض العربية فحولتها الى مزق وشظايا . .

فما الفلسفة الكامنة وراء انتشار المستوطنات ؟ وما المراحل والاطوار التاريخية التى مرت بها ؟

وما آخر الخطوات التنفيذية التى يتم تطبيقها فى المدن والقرى والأراضى المحتلة قبل وبعد عام ١٩٦٧م ؟

عن هذه الأسئلة وغيرها . . يجيب تحقيقنا هذا ، ويقدم الحقائق والوثائق والأرقام .



اثر اعلان قيام دولة« اسرائيل » سنة ١٩٤٨ .. ألقى مناحيم بيغن رئيس الوزراء الاسرائيلي الذى استقال في نهاية شهرآب - اغسطس من هذا العام خطابا جاء فيه : « ان دولة » « اسرائيل » قد قامت ، ولكن يجب ان تعلم بأن دولتنا لم تتحرر بعد ، ان المعركة مستمرة ، والسواعد اليهودية هى التى ستحدد حدود دولتنا »

هكذا يطرح بيغن مشروع الدولة الصهيونية بكل وضوح منذ اللحظات الأولى لقيامها .. وبعد حوالى ٢٠ سنة على هذا القول .. فان السواعد اليهودية اكتسحت كل حواجز القوانين والأعراف الدولية ، والحدود المعلنة فاحتلت الضفة الغربية وغزة والجولان وسيناء .

وهى وان اضطرت الى الانسحاب من سيناء نتيجة توقيع معاهدة سلام مع أكبر دولة عربية ثم « تحييدها » . فان بقية الاراضى مازالت مرتهنة لسلطة الاحتلال ، فما الذى فعله الاحتلال بالناس والأراضى ؟

صحيفة هآرتس الاسرائيلية ذكرت بتاريخ ٢٠/٩/١٩٨٢

« لم يعد هناك وجود لأسلوب قطعة من الارض هنا وقطعة من الارض هناك ، ولا مجال الآن للحديث عن المستوطنات المؤقتة أو السرية ، بل هناك تخطيط أساسى يرمى الى خلق مناطق يهودية واسعة وضمان الارض بين أياد اسرائيلية » .

وأعلن متتياهو دروبلس رئيس قسم الاستيطان فى الوكالة اليهودية فى العام الماضى بأن السلطات قد أقامت ٢٠٥ مستوطنات داخل وخارج الخط الاخضر (الخط الذى كان يفصل بين حدود الضفة وغزة عن الكيان الصهيونى قبل عام ١٩٦٧) خلال السنوات الخمس الأخيرة ، منها ٧٩ مستوطنة فى الضفة الغربية وغور الاردن ، و١٤ فى الجولان ، و١٠ فى قطاع غزة ، و١٠٢ داخل الأرض التى تم احتلالها عام ١٩٤٨ ، وخاصة فى منطقة الجليل حيث بلغ عدد المستوطنات التى أقيمت فى هذه المنطقة ٦٤ مستوطنة خلال هذه الفترة .

أما بالنسبة لعدد المستوطنين فقد ذكرت صحيفة هآرتس بتاريخ ٢٩/٩/١٩٨٢ بأن قسم الاستيطان فى الوكالة اليهودية« يقوم بدراسة مخطط واسع لزيادة عدد المستوطنين فى المناطق العربية ، يتضمن توطين ١٣٠ ألف مستوطن فيها خلال الفترة ١٩٨٣ - ١٩٨٧ » منهم مائة الف فى الضفة الغربية و ٢٠ ألفا فى الجولان ، وعشرة آلاف فى قطاع غزة » .

وقبل المضى فى ايراد الحقائق وتبيان القوانين والوقائع التى يتم فرضها على المواطنين العرب ، وتتم بموجبها مصادرة الأراضى العربية ، فانه يجدر بنا عزيزى القارىء .. توضيح بعض الخلفيات التاريخية لمشروع اقامة الكيان الصهيونى فى فلسطين وغيرها من الأراضى العربية .. وتقديم كشف بالمسار والمحطات التى واكبت قيام أول مستوطنة يهودية فى فلسطين وما تلاها من مستوطنات حتى أيامنا هذه .

البدايات

لا بد لنا من ايراد موجز يغطى بدايات الاتجاه نحو اقامة« وطن قومى يهودى » فى فلسطين ، وكيفية نقل أهداف الحركة الصهيونية التى تم الاتفاق عليها فى المؤتمر الصهيونى الاول الذى عقد فى مدينة بال السويسرية سنة ١٨٩٧ الى حيز التطبيق والتنفيذ .

ونشير الى اهم قرارات المؤتمر التى أخذت حيزها فى المتابعة والتنفيذ .

- الهدف الرئيسى هو« اقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين » .

ويتحقق هذا الهدف من خلال :

- تشجيع استيطان العمال الزراعيين والصناعيين اليهود فى فلسطين وفقا لخطط مناسبة .
- تنظيم اليهود وربطهم جميعا عبر مؤسسات مناسبة ، محلية وعالمية تبعا للقوانين المتبعة فى البلدان المختلفة .
- تقوية الجيش« القومى » اليهودى وتعزيزه .
- اتخاذ خطوات تمهيدية للحصول على موافقة الدول ، حيث يكون ضروريا لتحقيق الهدف الصهيونى » .

تحقيقا لتلك الاهداف ، فان مسيرة الصهيونية فى احتلال وقضم الأراضى العربية توالت وتتابعت .

- بل وحتى قبل انعقاد مؤتمر بال الأول ، فان فلسطين شهدت موجة الهجمة الاستيطانية الأولى .

فقد اندفعت السلطات الروسية الى توقيع عقوبات معينة على يهود روسيا نتيجة لمشاركة بعضهم فى اغتيال القيصر سنة ١٨٨١ . مما دفع بعضهم للهجرة الى اوروبا الغربية وأمريكا - واتجه قسم منهم الى فلسطين ، وبدأوا بشراء الاراضى واقامة المستعمرات عليها .

ولتوضيح هذه النقطة فانى أنقل ما كتبه موردخاى شتاين قائد احدى التكتلات العمالية فى الهستدروت :

« لقد تم شراء الأراضى التى اقيمت عليها مستعمرات « كيبوتزات » الهستدروت (اتحاد العمال الصهيونى فى فلسطين) من الاقطاعيين غير المقيمين ، وجرى ابعاد الفلاحين العرب الذين كانوا يعملون عليها لقاء تعويضات ضئيلة أو بدون تعويضات على الاطلاق ، وكثيرا ما تعرض الفلاح العربى وعائلته الى الاجلاء القسرى لرفضه النزوح عن الأرض » .



● يختلفون على الهوامش ويتفقون على انتزاع الأراضي العربية !

أما موجة الهجرة الاستيطانية الثانية ١٩٠٣ ـ ١٩١٣م فقد كان أغلب المهاجرين فيها من العمال ، فأقاموا مستعمرات يهوديةمنعوا العمال العرب من العمل فيها ثم توالت الجهود الصهيونية لتوفير غطاء رسمي « شرعي » « لاقامة » « الوطن القومي » .

ونتيجة للقاء المصالح بين بعض القيادات الصهيونية والحكومة البريطانية خاصة اثناء الحرب العالمية الاولى ومساعدة اليهود لبريطانيا خلالها ، واختمار فكرة اقامة حاجز بشرى يخدم المصالح البريطانية بفصل بين شطرى الوطن العربي الافريقي والآسيوي .

فقد صدر وعد بلفور (وزير خارجية بريطانيا آنذاك) سنة ١٩١٧ ـ الذى تص على ما يلى (ان حكومة جلالته تنظر بعين العطف الى تأسيس وطن قومى للشعب اليهودى فى فلسطين ، وستبذل قصارى جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية على ان يفهم جليا انه لن يؤتى بعمل من شأنه ان يضر بالحقوق المدنية والدينية التى يتمتع بها السكان غير اليهود فى البلاد) .

والتوراة أيضا

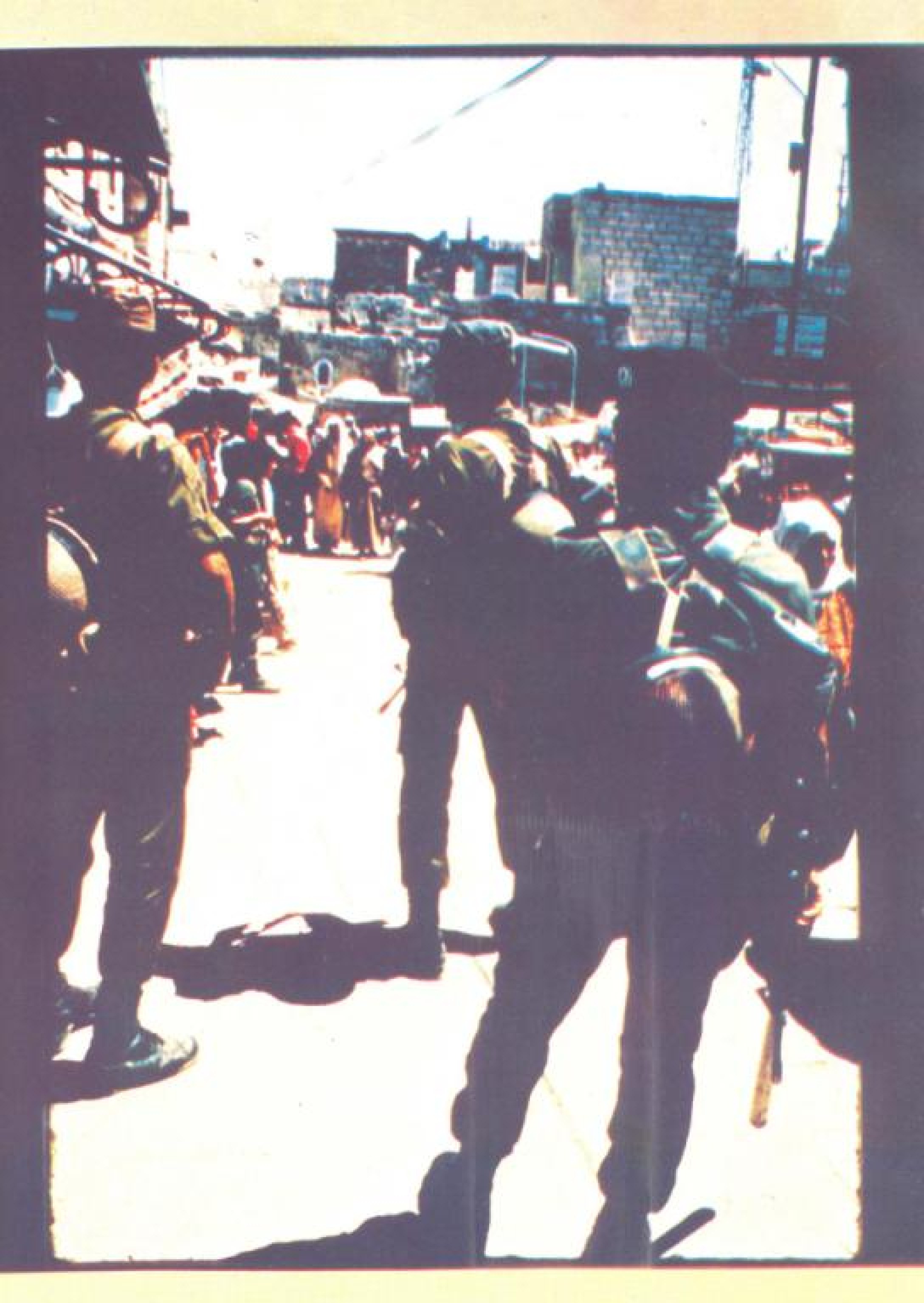
اضافة الى هذا الغطاء « الشرعى الرسمى » واستنادا الى قرارات المؤتمر الصهيونى الاول ، فان التوجه الصهيونى نحو فلسطين والاستيطان فيها استندا الى عاملين آخرين ايضا . . هما :

الاول : توراتى اسطورى يتعلق بالمعتقدات اليهودية حسبما جاءت فى سفر التكوين ، خاصة النص الذى يقول « لذريتك سأعطى هذه البلاد من نهر مصر حتى النهر الكبير ـ نهر الفرات » سفر التكوين ١٥ ـ ١٨

الثاني : تاريخي يستند على ان اليهود قامت لهم ممالك في فلسطين قبل ميلاد السيد المسيح عليه السلام ، وان يهود الشتات هم احفادهم ، لذا فانهم يملكون حق « العودة » الى أرض الآباء والأجداد ، متناسين ان ممالك أخرى كانت تشاركهم الحكم في الارض الفلسطينية في نفس فترة اقامة ممالكهم . ومتناسين ان ممالكهم سادت ثم بادت في فترة قصيرة جدا من عمر الزمن ولم تترك تلك التأثيرات المهمة التي تركتها غيرها من الشعوب .

ومتناسين أيضا أن أصول معظم اليهود الذين انتشروا في أوروبا وأميركا تعود الى سكان مملكة الخزر الذين تهودوا بعد سقوط الممالك اليهودية بقرون عديدة ، أي ان الكثير منهم ينتمون الى أجناس غير الجنس الذي استوطن فلسطين .

وهكذا توالت هجرات اليهود الى فلسطين تحت سمع وبصر سلطات الانتداب البريطاني ، بل بتشجيع منها ،



- مخارز . . . وعيون عرض للقوة في مدينة محتلة



- أي مصير؟؟

وازدادت اعدادها بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى واثناء وبعد الحرب العالمية الثانية ، خاصة وان النظام النازي في المانيا ارتكب مجازر عدة ضد اليهود مما دفع الكثيرين منهم للهجرة الى فلسطين .

الا ان هجرة اليهود واقامتهم للمستوطنات ولدت ردود فعل لدى الفلسطينيين الذين أدركوا بوضوح معنى اقامة وطن « قومي » لليهود في فلسطين .

لذلك فان هبابهم وثوراتهم واصطداماتهم باليهود وبالسلطات البريطانية التي كانت تحميهم لم تتوقف ، اعتبارا من عشرينات هذا القرن ، وحتى حدوث النكبة عام ١٩٤٨م خاصة الثورة العارمة التي شملت كل فلسطين عام ١٩٣٦ .

ومع أن تسهيل شراء الاراضي والاستيلاء عليها ومنح بعض الاراضي الاميرية التي تملكها الدولة ـ لليهود قد استمر وازداد بعد وعد بلفور ، ومع ذلك فان المساحة التي امتلكها الصهاينة منذ عام ١٩٢٠ وحتى طرد العرب خارج ديارهم سنة ١٩٤٨ بلغت أقل من ٤٪ من مجموع مساحة اراضي فلسطين حسب الاحصاءات التي نشرتها سلطات الانتداب البريطاني .

فما ماهية المستعمرات التي اقامتها التنظيمات الصهيونية ، وما الادوار التي لعبتها ؟

المستوطنات

● لقد اقيمت عدة انماط من المستعمرات أو المستوطنات في الاراضي الفلسطينية . . . اهمها وأشهرها :

● الكيبوتز : كلمة عبرية تعني « لم الشمل » وهي قرية جماعية ، أرضها ومبانيها وادواتها كلها ملك جماعي لأهل القرية ، والحياة فيها مشتركة ، وقد برز هذا النوع من المستعمرات الى حيز الوجود خلال موجة الهجرة اليهودية الثالثة الى فلسطين في اعقاب الحرب العالمية الاولى ، أي في الفترة من ١٩١٨ الى ١٩٢١ .

● الموشاف : هو النظام الثاني من المستعمرات اليهودية في فلسطين ، والموشاف مستعمرة لملاك أراض صغار ، نشأت في الاصل عن الموشافا (أي المستعمرة بالعبرية) وهي قرية عمل ، أي قرية عادية تقوم على ملكية الارض الخاصة والمجهود الفردي . وقد بدأت بالظهور في فترة الهجرة اليهودية الاولى الى فلسطين ١٨٨٢ ـ ١٩٠٤م .

● وهناك أنواع اخرى من المستعمرات أقل شيوعا من الكيبوتزات والموشافات . كالهيتحزوت : التي تعني نقطة استيطان في العبرية وهي المرحلة التي تسبق الاستيطان الدائم .

● كما أن منظمة « الناحال » التي تربي الشبان تربية عسكرية ، فانها تقيم المستعمرات لتدريبهم تدريبا زراعيا مؤهلا ايضا خاصة في المستوطنات التي تقام على خط التماسّ عادة ، وفي الاماكن التي تصعب فيها السكنى العادية .

وقد شرح موشي كريم أحد رواد هذه المنظمة الدور الذي قامت به . . فقال : « بعد تلقي التدريب العسكري الاساسي ترسل جماعات الشبان والشابات الى احدى الكيبوتزات ـ ضمن مدة الخدمة العسكرية ـ للتدرب على جميع نواحي الحياة في الكيبوتز لينتقلوا بعد ذلك الى كيبوتز جديدة تشكل في الواقع حامية عسكرية يحددها الجيش على نقاط الحدود الاستراتيجية . وهناك تتسلم جماعة « الناحال » مسؤولية الحامية ـ الكيبوتز بما في ذلك « اعمال الزراعة » .

ويقول الدكتور أنيس صايغ في كتاب « المستعمرات الاسرائيلية الجديدة منذ عدوان سنة ١٩٦٧ » : يمكن التشديد على ثلاثة عوامل رئيسية في انشاء المستعمرات



● مستوطن . . .
بكامل العدد !!



* مستوطنان ... وسلاح ضد من !!

اليهودية في فلسطين ، قبل احتلالها وبعده ، سواء كان الاحتلال في سنة ١٩٤٨ أو سنة ١٩٦٧ . وهي عوامل أمنية وسياسية واقتصادية » .

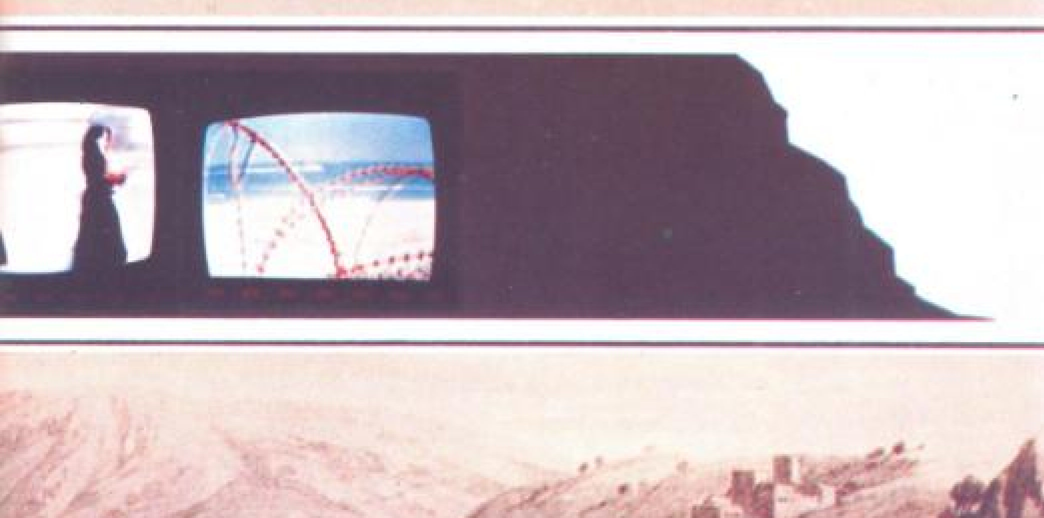
ويضيف : « ان من يراجع تاريخ المستعمرات اليهودية يلاحظ انها كانت مرتبطة بالخطط الصهيونية العسكرية : سواء في تعيين مواقع اقامتها ، أو في تحديد عددها ، أو في نوعيتها وتركيبها وطريقة بنائها . فهي حصون عسكرية مثلما هي مستوطنات مسكن وعمل ، وسكانها جنود محاربون مدربون مسلحون مثلما هم عمال ومزارعون ورعاة ، الغرض الاول والأهم منها هو حماية الحدود والمناطق الاستراتيجية من أي هجوم أو ثورة أو حرب نظامية أو نشاط فدائي . ويلاحظ الذي يدرس المستعمرات الاسرائيلية الجديدة التي أقيمت مؤخرا ، ان اغلبيتها الساحقة ، ان لم نقل كلها ، بنيت في مواقع استراتيجية تسيطر على طرق مواصلات هامة أو على منافذ يمكن عبورها في عمليات الفدائيين » .

ويقول اليوزباشي سيد فرج أحد ضباط الجيش المصري الذين اشتركوا في الحرب ودرسوا المستعمرات

« ومما ينبىء بدقة الاستعدادات الصهيونية في المستعمرات ذلك النظام المعيشي الدقيق الذي يجعل كل مستعمرة قادرة على الصمود مدة طويلة من غير معونة أو تموين من مستعمرة أخرى ، ففي كل حصن احتياط كاف من المؤن والذخيرة والمياه تصل بواسطة مضخات ومواسير بعيدة المنال .

وتقع المستعمرة على ربوة عالية تشرف على جميع الاراضي التي حولها وتتحكم في طرق التقدم وتكشف القوات المهاجمة لها على مسافة بعيدة وحولها أرض زراعية وحدائق وفاكهة ، وقد نظمت دفاعات المستعمرة بحيث تضمن المقاومة من جميع الجهات » .

ونظرا الى أهمية المستعمرات في نظام بناء الدولة فان برنامج السنوات الاربع للحكومة الاسرائيلية الذي قدمته ـ الحكومة ـ للكنيست في ٨ آذار ـ مارس سنة ١٩٤٩ نص





ـ الخليل كما رسمها الفنان روبرتس سنة ١٨٣٩م ولقطات حديثة تبين ما فعلته قوات الاحتلال بالارض والناس ومواشيهم . فهل صحيح انها الارض التي لم يكن فيها شعب ؟

على ما يلي « ان الحكومة ستعمل على توسيع كل « انواع المستعمرات » وتعاونيات العمال » .

فما طبيعة توسيع كل « انواع المستعمرات » . . ؟ وماذا حل بالفلسطينيين الذين بقوا في الأراضي العربية التي تم احتلالها ؟

ان العقيدة الصهيونية التي انطبعت بالعنصرية وتغذت بمقولات التفوق العرقي وتميزت بالعنف والارهاب . . ونزعة التوسع لا يمكن لتطبيقاتها الا ان تأتي مستجيبة « لجنس » الفكر الذي غذاها ، ومن تلك التطبيقات :

- اقامة ما يسمى بادارة أملاك الغائبين - أي الفلسطينيين الذين طردتهم بالقوة - وأخذت تتصرف بأراضيهم ودورهم حسبما يحلو لها وحسب المخططات التي تستجيب الى مصالح المهاجرين الذين أخذت اعدادهم تتزايد وتتكاثر .

• **فلسطينيو الداخل** : أما البقية الباقية من الفلسطينيين فقد أطلق على المناطق التي يقطنونها « بمناطق الأمن » وهي تخضع للاحكام العرفية ويديرها ضباط عسكريون يعملون في أجهزة وزارة الدفاع ، وقراراتهم مبرمة ويمكنهم تطبيق عقوبة النفي أو الاقامة الاجبارية فيها ، أو فرض نظام منع التجول والانتقال على من يشاءون دون العودة الى أية سلطة قضائية ، ودون ان يكون من حق المواطن الفلسطيني اللجوء الى المحاكم ، ومع ان السلطات الصهيونية تظاهرت بالغاء الحكم العسكري عام ١٩٦٦م ، الا ان هذا الالغاء كان شكليا ومازالت قوانين الطوارىء تطبق على الفلسطينيين حتى الآن ، كما ان الفرص الثقافية محدودة أمام الفلسطينيين ، فكلما ارتفعت المرحلة التعليمية ازداد التمييز وضاقت مجالات القبول أمامهم .

- أما من الناحية الاقتصادية فان المواطن الفلسطيني يواجه بقلة مجالات العمل مما يؤدي الى بطالة واسعة أو العمل بأحقر المهن وأدناها أجرا .

كما ان الأراضي الزراعية والبيوت التي يملكها العرب فانها تصادر وتحجز نتيجة لمراسيم ادارية تم سنها من قبل الحكومات المتعاقبة في الكيان الصهيوني ، وبعضها تم سنه زمن الاحتلال البريطاني أو بحجة الحاجة اليها للأغراض الأمنية .

واذا كانت الدولة الصهيونية قد دمرت ٣٥٠ قرية عربية وأزالتها من الوجود بعد تشريد سكانها والاستيلاء على ٣٢,٥ مليون دونم من أراضيها الزراعية حال قيامها سنة ١٩٤٨ .

فانها نتيجة للقوانين التي استنتها اثر قيامها فقد استولت على أراضي ٦٢ قرية عربية أخرى بعد عام ١٩٤٨ وشردت سكانها منها اما خارج البلاد أو الى بعض القرى المجاورة .

وتم طرد آلاف البدو من صحراء النقب الى الضفة الغربية والى شرقي الأردن والاستيلاء على أكثر من مليوني دونم من أراضيهم ، وصودرت كذلك آلاف الدونمات من أراضي الوقف الاسلامي التي تشكل واحدا على عشرة من مجموع الأراضي الزراعية في البلاد ، كذلك تم ما بين عامي ١٩٤٨ و ١٩٧٢ مصادرة مليون دونم من أصل مليون ونصف دونم هي مجموع ما تملكه القرى العربية في الجليل والمثلث .

وفي نطاق خطة تهويد منطقة الجليل التي تستهدف ٦٠٪ من مجموع العرب الذين يقطنون في المناطق المحتلة عام ١٩٤٨ ، فقد تجددت منذ عام ١٩٧٦ عملية مصادرة الأراضي العربية .

وفي مطلع عام ١٩٧٦ صادرت السلطات الصهيونية ٢٠ ألف دونم من أراضي قرى سخنين ودير حنا وعرب السواعد في الجليل الأوسط لصالح المستوطنات اليهودية في تلك المنطقة ، وكان هذا الاجراء السبب المباشر لأحداث « يوم الأرض » في الثلاثين من آذار سنة ١٩٧٦ .

وهكذا فان سياسات مصادرة الأراضي والتمييز العنصري والتضييق الاقتصادي على العرب الفلسطينيين أدت الى استفحال أزمة السكن في القرى العربية وفي الأحياء التي يسكنها العرب في المدن المختلفة ، وازدادت أزمة السكن تفجرا بسبب الزيادة السريعة في عدد السكان العرب في الوقت الذي أدت فيه مصادرة الأراضي الى حرمان القرى والبلديات العربية من الأراضي اللازمة لتوسيع رقعة مسطحاتها .

شهادات حية

وقد لفتت ظاهرة الأحياء المزرية التي يعيش فيها العرب بعض الكتاب الاسرائيليين فكتبوا :

« لو كنت رئيس بلدية تل أبيب لخجلت من الوضع في يافا ، ففي ذات يوم سكن العرب واليهود معا فيها ، أما اليوم فتتفاقم مشكلة التمييز فاذا ما تم هدم البيوت فان اليهود يرسلون الى منازل أخرى ، بينما يرسل العرب للبحث عن خرابات أخرى . لقد تجاهلوهم على مدى ثلاثة عقود من السيطرة على يافا ، وهناك تخلف يقدر بسنة ضوئية بين العرب واليهود .

تسفي يبلع من معهد شيلواح للدراسات الآسيوية الافريقية بجامعة تل أبيب .

وكتبت الكاتبة دنكا هرنيش « الحياة لا تطاق تقريبا في الحي الواقع ما بين شارع يافا وساحل البحر ومنطقة العجمي (حي في يافا) فالكثير من المنازل التي شيدت منذ ثمانين عاما ونيف متصدعة ويحظر على السكان حتى ترميم المساكن (وجهت انذارات وتهديدات لشيخ جامع حسن بك الذي تساقط بفعل القدم أو بفعل فاعل تنهاه عن اعادة ترميم الجامع) لأنها ستهدم ، والمجاري متفجرة والقمامة لا ترفع الا مرة في الأسبوع ، ومعظم سكان المنطقة يعيشون في ضائقة اقتصادية » .

أما ايلان شحوري .... فقد كتب يقول :

« الحيان اللذان يسكنها العرب في يافا وهما العجمي والجبالة ، يشركان انطباعا بأنها مخيم لاجئين مهمل ، فآلاف السكان الذين هم في الظاهر متساوون في الحقوق ضمن دولة « اسرائيل » يعيشون هناك في ظروف أدنى من الظروف الانسانية وفي مبان أشبه بالاسطبلات أو أشبه بالأماكن الأثرية في أفضل الأحوال ، ففي يافا (العربية) توقف الزمن عن السير منذ ٣٣ سنة » .

اذا كان الأمر كذلك بالنسبة لمواطني وأراضي المناطق التي تم احتلالها عام ١٩٤٨ ... فما حال مواطني وأراضي المناطق التي تم احتلالها عام ١٩٦٧ ؟؟

بعد الاحتلال الثاني

ما ان انجلت حرب الخامس من حزيران سنة ١٩٦٧ عن هزيمة جديدة للعرب ، الا وشهدت مدن وقرى الضفة الغربية وغزة والجولان وسيناء مجموعات من المستوطنين اليهود ، الذين أخذوا بابراز خرائطهم الخاصة والاستيلاء على الأراضي والبيوت .... وطرد المواطنين العرب منها .

● فما الذي فعله المستوطنون وحكومات الليكود ، والمعراخ تفصيليا بالأراضي التي تم احتلالها ؟

تبدأ بالقدس .. فهي المدينة المقدسة عند المسلمين والمسيحيين واليهود .

فما أبرز الخطوات التي اتخذتها السلطات اليهودية

● بوابة جامعة الخليل .. التي شهدت المجزرة الأخيرة .



▲ ـ اي سلام .. اي تعايش ؟؟

▼ ـ اعزل بين مستوطنين



ـ نابلس .. وداعة الماضي !! ومستقبل مجهول !!

بالنسبة لها ؟
- المعروف ان حوالي ٨٠٪ من اجمالي مساحة مدينة القدس تم الاستيلاء عليها اثر حرب سنة ١٩٤٨ . وتم طرد حوالي ٦٠ ألفا من سكانها المسلمين والمسيحيين وصودرت أملاكهم وبيوتهم وأراضيهم .
- وفي ٩ يونيو - حزيران سنة ١٩٦٧ هدمت السلطات الصهيونية الحي الغربي داخل سور المدينة ، مما جعل سكانه دون مأوى .

- وفي ٢٨ يونيو - حزيران من سنة الهزيمة أعلنت السلطات الاسرائيلية ان القدس أصبحت موحدة وتم ضمها اداريا وسياسيا الى الدولة ، وتم استبدال قوانين وأنظمة المدينة بالقوانين والأنظمة الاسرائيلية ، وقامت السلطات بحل المجلس البلدي للمدينة وصادرت سجلاته وأملاكه .
وصادرت ٥٩٥ شقة و ٤٣٧ محلا تجاريا في أربعة أحياء عربية داخل أسوار المدينة .
وأتبعت ذلك ببدء الحفريات حول الأسوار الغربية والجنوبية للمسجد الأقصى بحجة البحث عن هيكل سليمان .

- وفي ٢١ من أغسطس - آب - سنة ١٩٦٩ أشعل بعض غلاة الصهاينة النار بالمسجد الأقصى .
ثم بدأت السلطات بتنفيذ خطة اعادة تنظيم المدينة وضواحيها ، فأزالت أجزاء كثيرة من الاحياء العربية ، واعادت تسمية الطرق والاماكن العامة باسماء اسرائيلية ، وضمت تسع بلديات والعديد من القرى العربية الى القدس بحجة اقامة مشروع القدس الكبرى .

ثم صرحت باقامة ١٨ حيا اسرائيليا جديدا داخل وخارج أسوار المدينة مما رفع من نسبة الملكية الاسرائيلية الى ٨٤٪ من مساحة المدينة وأبقت ١٤٪ للعرب و ٢٪ للاجانب .
في حين ان نسبة الملكية قبل الاحتلال كانت ٩٤ بالمائة للعرب و ٤ بالمائة لليهود ، و ٢ بالمائة للاجانب .
- وفي شهر يناير - كانون الاول من سنة ١٩٧٦ صدر أمر قضائي سمح لليهود باداء الصلاة داخل الاماكن المقدسة في المسجد الاقصى نفسه .
- وفي ٣٠ يوليو - تموز سنة ١٩٨٠ وافق الكنيست الاسرائيلي - مجلس النواب - على قانون نص على ان تصبح القدس عاصمة موحدة - أبدية - « لاسرائيل » وان تصبح مقرا للوزارات والادارات ومكاتب رئيس الدولة والبرلمان والمحكمة العليا . وقد ضربت « اسرائيل » عرض الحائط بكل القرارات الدولية التي نصت على أنه لا يجوز تصرف المحتل بأراض استولى عليها بالقوة .

أما بالنسبة لبقية المناطق ، فان حمى الاستيطان والاستيلاء على الاراضي فيها لم يتوقفا بالرغم من وجود اتفاقية كمب ديفيد التي نصت على اقامة حكم ذاتي للفلسطينيين .
وقد ذكرت صحيفة هارتس بتاريخ ٢٠/٩/١٩٨٢ « ان حوالي ٥٥ - ٦٠ بالمائة من أراضي الضفة الغربية اصبحت تحمل الآن اسم « أراضي دولة » وتستطيع السلطات المسؤولة وضع يدها عليها ، وهذا يعني ان ٣,٢ « مليون دونم » من أصل ٥,٨ « مليون دونم » مجموع اراضي الضفة أصبحت بيد السلطات » .
وجاء في تقرير لوزارة الاسكان نشرته صحيفة يديعوت احرونوت بتاريخ ٧ / ٢ / ١٩٨٣ « لقد تم انفاق مبلغ ٤٥ مليار شيكل أي ما يعادل مليارا و ٣٠٠ ألف دولار على مشروعات الاستيطان في (الضفة الغربية وقطاع غزة والجولان) وذلك منذ حرب عام ١٩٦٧ م ، بما في ذلك موازنة الاستيطان للعام المالي الحالي » .

معاملة السكان

اذا كان الامر بالنسبة للأراضي المحتلة هو كما صورته الصحافة الاسرائيلية نفسها ، فكيف يكون حال السكان ؟ وكيف يتم التصرف معهم ؟ وما الاجراءات الجديدة التي خضعوا لها ؟؟
لقد اعطت الحكومات الصهيونية المتعاقبة صلاحيات واسعة الى الحكام العسكريين في المناطق العربية المحتلة . فالحاكم العسكري هو المرجع الاول والاخير لكل ما يتعلق بها ، مما الغى المحاكم التي كانت قائمة من قبل . وتم اصدار ما يزيد على ألف أمر عسكري منذ سنة الاحتلال حتى الآن ، وكلها تستهدف التدخل في حياة المواطنين والتضييق عليهم وحرمانهم من أبسط حقوقهم واحتياجاتهم .
فالمستوطنون الذين استوطنوا الضفة العربية (حوالي ٣٠ ألفا حتى الآن) يحصلون على ٣٧ مليون متر مكعب من المياه الجوفية ، بينما يحصل أكثر من ٧٥٠ ألف مواطن فلسطيني على ٢٦ مليون متر مكعب من المياه الجوفية ويمنعون من تطوير أراضيهم وانتاجهم أو حفر آبار جديدة .
وفي اطار محاولات سلطات الاحتلال طمس معالم الثقافة العربية في المناطق المحتلة فقد تم حتى الآن منع أكثر من ثلاثة آلاف كتاب في مختلف مجالات العلوم والفنون والآداب من التداول في الضفة الغربية وقطاع غزة ، واخذت سلطات الاحتلال تضيق شيئا فشيئا على

مؤسسات التعليم وخاصة الجامعات والمعاهد العليا ، فبمقتضى الأمر العسكري رقم ٨٥٤ الصادر في تموز ـ يوليو من عام ١٩٨٠ ، تم تجريد ادارة الجامعات والاساتذة والطلاب من أية حريات اكاديمية ، ومنح الحكم العسكري الصلاحيات التامة في مسائل تقع ضمن صميم تخصص الجامعات ، ابتداء من الترخيص بتشكيل المؤسسات التعليمية واعطاء تراخيص بالدراسة والتدريس (فرض الحاكم العسكري على كل استاذ جامعي توقيع اقرار بعدم مساعدة منظمة التحرير الفلسطينية أو تدريس ما يمكن ان يساعدها أو يمس بقوانين الاحتلال مما اضطر الكثير من الأساتذة الى عدم التوقيع) وانتهاء بالغاء الكتب والمناهج التعليمية واستبدالها بما يتوافق مع اهداف سلطة الاحتلال .

بل وفرضت السلطات على الجامعات الحصول سنويا على تصريح سنوي قبل بدء الدراسة ، وعلى تصاريح مسبقة للقيام بالنشاطات الثقافية أو الاجتماعية أو اصدار النشرات الثقافية العلمية ، كما ان عليها الحصول على موافقة الحاكم العسكري على تشغيل الأساتذة وغيرها ، كما تم اقفال المصارف المحلية وتم تقييد حركة التعاونيات ، وحركة السفر وفرضت عقوبات جماعية على المدن احيانا اذا ما تمت عملية فدائية بالقرب منها ، بل ان بيوتا كثيرة نسفت لمجرد ان اطفالها قذفوا الحجارة بوجه قوات الاحتلال أو على سياراتهم .

شهادات حية أخرى

وقد علق الصحافي الاسرائيلي « أمنون كابليوك » على ما تقدم .. فكتب في صحيفة على هامشمار ٥/ ٦/ ١٩٨١ ما يلي :

« لقد حرم الفلسطينيون من حقوق المواطنة العادية بسبب سيطرة الحكم العسكري التي لا حدود لها ، وقامت وقائع وحقائق شبيهة بتلك التي تطبق في جنوب أفريقيا ، اذ يعيش تحت سيطرة حكومة واحدة نوعان من السكان احدهما يعطى ويتمتع بكامل الحقوق ، والثاني تمنع عنه هذه الحقوق ، ويوميا هناك وقائع وحقائق خطيرة تجري على الطبيعة من قمع وتمييز وتحقير ومصادرة اراض وانتهاك للمواثيق الدولية »

ـ ونشرت صحيفة هآرتس بتاريخ ٨/ ٩/ ١٩٨١ هذا الكلام على لسان المجندة في الجيش الاسرائيلي أرناريتت :

« في نظر المسؤولين عن الحواجز التي وضعت على الطرقات في الضفة الغربية لأغراض أمنية ، ليس هناك عرب من بني البشر ، بل مجرد مخلوقات تافهة لا حقوق حقيقية لهم . ويجوز لك ان تتصرف معهم كما يخطر على بالك ، فليس هناك من قانون ، ومعاملتهم اليومية تقوم على السباب والشتائم ويجري توقيفهم ساعات طويلة تحت الشمس الحارقة » .

ـ ونشرت صحيفة يديعوت احرونوت بتاريخ ١٨/ ٤/ ١٩٨٢ ما يلي على لسان الملازم أول شوكي كوهين :

« ان المستوطنين اليهود يتصرفون بطريقة حقيرة مع العرب ، ويستخدمون القانون حسب اهوائهم ويفرضون النظام الذي يحلو لهم تحت تهديد السلاح » .

وقد قامت المنظمات المتطرفة الدينية للمستوطنين الاسرائيليين ربما بتشجيع من السلطات الرسمية ـ بالاعتداء على مواطنين فلسطينيين يتولون مناصب بلدية .

فقد وضعوا عبوات ناسفة في سيارات رؤساء بلديات نابلس (بسام الشكعة بترت قدماه) ورام الله (كريم خلف الذي أصيب في قدمه) والبيرة (ابراهيم الطويل) سنة ١٩٨١ .

ويبدو ان اقامة المستوطنات في الأراضي العربية المحتلة القريبة من المدن والقرى العربية لم يعد يلبي طموح المستوطنين وطموح المخططات الصهيونية ، فشرعوا بغزو المدن العربية الكبيرة ، كما حدث ويحدث في مدينة الخليل على سبيل المثال .

فما الذي جرى ويجري في مدينة الخليل ؟؟

الخليل .. التاريخ والحاضر

تعتبر مدينة الخليل من أقدم مدن العالم ، تقع الى الجنوب من القدس . وكان اسمها « حبرون » من قبل ، ثم اطلق عليها العرب اسم « الخليل » لأن قبر سيدنا ابراهيم الخليل (خليل الرحمن) يوجد فيها ، وقد بنوا حول القبر مسجدا جامعا .

وبما ان سيدنا ابراهيم يعتبر جداً للعرب ورأسا لسلالة العبرانيين ، وبما ان اليهود يدعون انهم من سلالة العبرانيين ، لذلك وبناء على هذا الادعاء فانهم يعتبرون ان لهم حقا في منطقة الحرم الابراهيمي يفوق غيرهم من الطوائف الدينية .

الا ان تصاعد الهجمة الاستيطانية حول الخليل وفي داخلها لا يعود الى الاسباب السابقة فقط .

بل هناك أسباب أخرى تتعلق بالتاريخ الحديث يجمل بنا ذكرها :


HEBRON UNIVERSITY
جامعة الخليل



ـ كنيسة المهد في بيت لحم كما رسمها الفنان روبرتس سنة ١٨٤٠ . وبوابة جامعة الخليل . ومستوطنون . . ومستعمرات ـ دمامل تدمي وجه الحضارة في القدس

فبعد كل مجزرة أو اعتداء أو مصادرة للبيوت داخل الخليل فان المنظمات الصهيونية المتطرفة تذكر بأنها مجرد ثمن بسيط لما حدث في المدينة عام ١٩٢٩ .. فما الذي حدث في ذلك العام ؟

● في التقرير الذي نشرته الحكومة البريطانية عن احداث ذلك العام جاء ما يلي :

« الحالة مساء الأحد الواقع في ٢٥ آيار اغسطس سنة ١٩٢٩ ، هي كما يلي : في الخليل على وجه التقريب : وقع أمس صباحا هجوم شديد على محلة اليهود نجم عنه خسارة كبيرة في الأرواح . وتدل الانباء على أن عدد القتلى يزيد على خمسة وأربعين شخصا من اليهود ، وثمانية من المسلمين ، وأن عدد الجرحى يزيد على تسعة وخمسين من اليهود وعشرة من المسلمين ، وقد اخلى الاهالي اليهود الاحياء اليهودية ، وهم يقيمون الآن في « قشلاق » أي مبنى تابع لمركز البوليس تحت المحافظة » .

والسؤال الذي يثور في الذهن من هنا : لماذا حدثت هذه الواقعة ؟؟

أميل الغوري أحد القياديين الفلسطينيين الذين عملوا في « الهيئة العربية العليا » التي كان يرأسها الحاج أمين الحسيني ، أورد في مذكراته ما يلي : « خرجت جماهير المسلمين بعد صلاة الجمعة في المسجد الاقصى المبارك في القدس يوم ٢٣ آب ـ يوليو ١٩٢٩ ، بمظاهرة ضخمة انطلقت الى ساحة البراق الشريف ، والاحياء المجاورة له ، وأذكر ان عددا من الخطباء العرب ، كان بينهم المرحوم الشيخ حسن أبو السعود ، القوا كلمات في المتظاهرين حثوهم فيها على الهدوء وضبط النفس ، وفيما كانت هذه الخطب تكاد تؤتي أكلها ، وتحقق الغرض منها ، بلغ العرب ان مظاهرة يهودية كبيرة مسلحة انطلقت نحو المدينة القديمة ـ للقدس ـ في طريقها الى ساحة البراق ، فهب شبابهم ـ أي العرب ـ لصد العدوان اليهودي .

فوقع اصطدام عنيف بين العرب واليهود ، وقف خلاله الانكليز الى جانبهم أي الى جانب اليهود ـ ولكن العرب استطاعوا ان يتغلبوا على المعتدين وأن يردوهم على اعقابهم خاسرين .

وعلى أثر هذا العدوان اندلع لهيب ثورة فلسطينية عظيمة (كانت خامس ثورة في فلسطين) ضد الانكليز واليهود على السواء ولم تلبث ان امتدت الى سائر فلسطين وبصورة خاصة الى الخليل وصفد ومنطقة طولكرم واستمرت اسبوعا كاملا ، سقط خلالها اكثر من ٢٠٠ شهيد عربي وجرح ضعف هذا العدد ، وهلك من الانكليز واليهود وجرح عدد كبير منهم . وكانت معظم الاصابات التي نزلت بالعرب برصاص القوات البريطانية .

ولما وصلت انباء اضطرابات القدس الى الخليل ونابلس ، قامت الجماهير العربية الفلسطينية هناك ، بتظاهرات صاخبة في المدينتين ، وفي هجوم على احدى المدارس اليهودية في مدينة الخليل ، قتل يهودي واحد ، وفي اليوم التالي هجم المواطنون العرب على الحي اليهودي ، وعلى المنازل اليهودية »

هكذا .. فان ما حصل سنة ١٩٢٩ كان مجرد رد فعل على مظاهرة مسلحة يهودية كانت تخطط للاعتداء على الاماكن المقدسة الاسلامية ، وعلى المسلمين انفسهم . فحدث ما حدث ..

الخليل بعد الاحتلال

فما الذي حدث لمدينة الخليل اثر احتلالها من قبل القوات الصهيونية سنة ١٩٦٧ م . ؟

شهدت المدينة مجموعة من المستوطنين جاءوا بعد اسابيع من انتهاء الحرب واحتلوا احد الفنادق بقيادة الحاخام موشيه ليفنغر .. ثم انتقلوا الى السكن في نقطة البوليس ، ثم استولوا على بيوت داخل المدينة نفسها بحجة انها كانت مملوكة لليهود من قبل .

وأقيمت سنة ١٩٦٨ مستوطنة « كريات أربع » بجوار المدينة ، ضمن نطاق خطة أستهدفت تطويق المدينة من جميع الجهات بسلسلة أخرى من المستوطنات والضواحي اليهودية ، على غرار ما جرى لمدينة القدس .

وقد جعل المستوطنون ـ وأيدتهم الحكومة فيما بعد ـ مستوطنة كريات أربع نواة لمدينة يهودية يمكن أن تستوعب حوالي ٥٠ ألفا من المستوطنين واستمرت بعدها محاولات توسيع المستوطنات على حساب أراضي مدينة الخليل والقرى القريبة منها .

وحتى عام ١٩٨٠ فان ثلاثة آلاف دونم من أراضي الخليل والقرى المجاورة لها كانت قد تمت مصادرتها لحساب المستوطنات .

وفي السنتين اللاحقتين تمت مصادرة أكثر من عشرة آلاف أخرى وأقيمت عليها مستوطنات جديدة بهدف تطويق المدينة تطويقا كاملا .

وتحولت مستوطنة « كريات أربع » الى رأس جسر للاستيطان الصهيوني داخل مدينة الخليل ذاتها بهدف تمزيقها والسيطرة عليها .

وكانت الخطوة الأولى في هذا المجال السماح للمستوطنين بالاستيلاء على قسم من الحرم الابراهيمي .

وشهدت الخليل في نيسان ـ ابريل وآيار ـ مايو من سنة

١٩٧٩ سلسلة من الاعتداءات قام بها المستوطنون على سكان بعض البيوت في قلب المدينة وطالبوهم باخلائها .

وأثر مقتل أحد المستوطنين سنة ١٩٨٠ في سوق الخليل ، فان الحكومة الاسرائيلية سمحت للمستوطنين بالاستيطان داخل المدينة وأنشأت مدرستين يهوديتين فيها .

ثم تذرعت الحكومة بالعملية الفدائية التي تم تنفيذها في أوائل شهر آيار - مايو من سنة ١٩٨١ وقتل فيها ستة مستوطنين وجرح ١٧ آخرين ، فقررت ترميم ما يسمى بالحي اليهودي في المدينة .

وأبعدت رئيس بلدية المدينة فهد القواسمة ، ورئيس بلدية مدينة حلحول القريبة من الخليل السيد محمد ملحم ، وقاضي الخليل الشرعي الشيخ رجب التميمي خارج الضفة الغربية بحجة أنهم مسؤولون عن « التحريض والقتل والأرهاب » ! وبحجة الرد على أعمال قذف الحجارة على سيارات المستوطنين في المدينة فان المستوطنين زادوا من اعتداءاتهم على المواطنين العرب ، وصادرت السلطات الصهيونية مدرسة أسامة بن منقذ للبنات التي تقع في قلب المدينة .

واثر مقتل أحد المستوطنين في سوق الخليل المركزي بتاريخ ٦/٧/١٩٨٣ قررت السلطات توسيع مساحة الاستيطان داخل المدينة ، وعزلت المجلس البلدي المنتخب فيها ، واحرقت مجموعات المستوطنين عشرات المحلات التجارية العربية في السوق . وطالبوا الحكومة بضم السوق ومحطة الباصات المركزية الى الممتلكات الصهيونية .

ولم يكتف المستوطنون بذلك ، بل دبروا مجزرة في جامعة الخليل بتاريخ ٢٦ / ٧ / ١٩٨٣ ذهب ضحيتها ثلاثة من الطلبة وجرح أكثر من ثلاثين غيرهم .

وهكذا . . . فان المدن والقرى العربية الاخرى المحتلة شهدت وتشهد نفس ما حصل ويحصل في القدس والخليل . « أما بالنسبة للجولان فقد تم اعلان ضمها رسميا الى الكيان الصهيوني بتاريخ ١٤ / ١٢ / ١٩٨١ .

أما بالنسبة الى شبه جزيرة سيناء فقد استعادتها الحكومة المصرية حسب اتفاقية كمب ديفيد مع بقاء القوات الاسرائيلية في منطقة « طابا » التي رفضت اعادتها الى الحكومة المصرية .

فهل ستتوقف « السواعد » اليهودية حسب تعبير بيغن عند هذه الحدود ؟ وهل الاطماع الصهيونية لها حدود أساسا ؟؟

عزيزي القاريء : ان الوحش الكاسر يطبق على الضحايا . . وسلاح الزمن وقوة البطش يفتكان بالبشر والارض . .

صحيح أن المقاومة لم تهدأ يوما . . بالكلمة والعريضة والمظاهرة والاضراب والحجارة . . وبالسلاح وأيضا ، وبكل ما تستطيع الايادي الوصول اليه . .

حتى العيون أصبحت تشرع أسلحتها بوجه « المخارز » لكن سلطات الاحتلال تسد منافذ الحياة بوجوه البشر منفذا منفذا .

وتطبق عليهم قوانين القوة والجبروت ، وسلاح القتل والاعتقال وقطع مصادر الرزق والتشريد والنفي والاقامات الجبرية . . ومصادرة الاراضي والبيوت ونسفها أيضا . انهم خط الدفاع الأول عن الأمة . . فهل تلتفت لهم الأمة ؟ وهل يلتفت اليهم العالم ؟

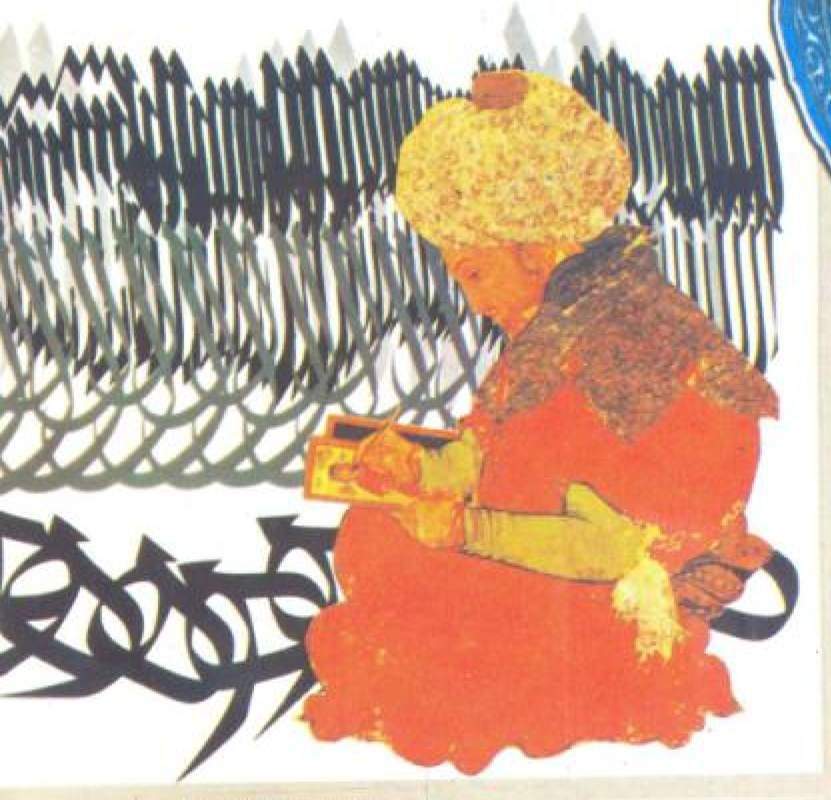
انها استغاثات من على رقبته السكين . . فهل توجد ردود الفعل والاستجابة عند من تعنيهم الاستغاثات ؟؟

وهل تقول بعد حين . . سلام على القدس . . نابلس . . الخليل . . . جنين . . بيت لحم . . . . غزة . . . الخ بعد أن قلناها من قبل على مدن وأراض أخرى ؟؟

قالوا في حب الوطن :

* لولا حب الوطن لخرب بلد السوء . (عمر بن الخطاب)
* الوطن قبل الروح لأنه مقر راحتك . (مثل حبشي)
* يتروح العليل بنسيم أرضه ، كما تتروح الأرض الجدبة ببل المطر (جالينوس)

التراث والحضارة



من التراث

ما تزال مشكلة الاتصال والانقطاع في التراث العربي الاسلامي مثار اهتمام دائم فهي مشكلة قديمة جديدة .

لوحة للفنان العربي أحمد مصطفى تضع حرفي الألف والهاء في تكوين خطي نغمي .


بقلم :
الدكتوره نعمات احمد فؤاد

- ما هو التراث على التحديد ؟
- ما هي الحضارة ؟
- ما دوره الحضاري ؟
- ما هي مصادر التراث ؟
- كيف نتعامل مع التراث ؟
- ما أسباب دراسته ؟
- عل للتراث قضية ؟
- ما هو التقييم الحضاري للتراث ؟



حين يستيقظ الاهتمام بالتراث ، ويدور الحديث عنه ، ترتسم علامات استفهام كبيرة وكثيرة .. طرحتها في بداية حديثي .

الآية ١٩ من سورة الفجر (وتأكلون التراث أكلاً لمّاً) هنا التراث ارث مادي .

والآيتان الخامسة والسادسة من سورة مريم (.... فهب لي من لدنك وليّاً ـ يرثني ويرث من آل يعقوب ، واجعله ربّ رضيّاً) .

والنبي زكريا في هاتين الآيتين الكريمتين انما قصد بدعائه ورجائه الفضل ، لا المال ... فتوارث المال ليس همّ الأنبياء .. إن ما يعنيهم إنما هو ، الفضل والقيم ... وورثتهم فيها العلماء .. (العلماء ورثة الأنبياء) ... ويؤكد هذا قول النبي عليه الصلاة والسلام : (إنا معشر الأنبياء لا نورث ، ما تركناه صدقة) .

أحد تعريفات التراث الوافية أنه (تجارب السلف المنعكسة على الآثار التي تركوها في : المتاحف ، أو المقابر ، أو المنشآت ، أو المخطوطات ، وما زال لها تأثيرها حتى عصرنا الحاضر . إن التراث يعني أيضاً الملاحظات الزاخرة التي أدركها الموهوبون في الفن عبر العصور ، وتركوا بصماتهم معبرة عن هذا الادراك السخي الذي تنحني أمامه الرءوس تقديراً ... والتراث يعني ما وصلت اليه البشرية من قيم فنية حققتها عبر العصور ، أي منذ أن استطاع الانسان أن يخطط في الكهف حتى العصر الحديث .

وهذا التعريف ينسحب على العصور التاريخية البعيدة بل الموغلة في أعراق القدم مع أن كثيرين منا حين نقول التراث ، ينصرف ذهنهم الى العصر الاسلامي دون سواه من العصور الأخرى . وهم معذورون فنحن أصحاب هذا التراث ، التراث الاسلامي .

إن الاسلام أكثر من رابطة تجمعنا ، فهو لم يوحد بيننا بذاته ، فحسب ، ديناً .. عقيدة وشريعة ، بل وحّد بيننا لغة في منطقة الشرق العربي على الأقل ... ووحد بيننا في الفكر النابع منه على الساحة الكبيرة .. أي العالم الاسلامي .

ويجتهد المحللون في النفاذ الى سره كما حدث في مؤتمر الفن الاسلامي الذي عقد بلندن عام ١٩٧٦ فقالوا إن وحدة الفن الاسلامي تعزى الى الخط العربي ... ونسوا أن وحدة الفن الاسلامي جاءت من وحدة الفكر الاسلامي .

وتتمثل وحدة اللغة في الكتب الجامعة مثل كتاب : (المخصص لابن سيده) في القرن الخامس الهجري الذي اعتمد على مصادر كثيرة ينتمي أصحابها الى بلاد مختلفة من دولة الاسلام في ذلك الوقت .. ولكن لسانهم واحد وبالتالي تراثهم جامع ومشترك .

ويعدو الأمر ، المعاجم ، إلى كتب البلاغة ، فيستعين السبكي في شرحه بمئات من كتب سبقه أصحابها الى علوم البلاغة ، وفنونها .

وبعد البلاغة يأتي الشعر ... الذي يمثل كتاب الذخيرة لابن بسام وحدته ، فيعارض الشاعر في الغرب الأندلسي ، الشاعر في الشرق . وكم هفا الأندلسيون الى الشرق وتعلقوه .. وعلى رأسهم عبد الرحمن الداخل . بحنينه الدافيء وحديثه الشجي الشهي الى نخلة الرصافة .

وحين أخذت دولة الاسلام بالترجمة في حركتها العلمية ، تنقل العلماء بسهولة بين أنحاء هذه الدولة ، لوحدة اللغة ووحدة الهدف فالتقت جهودهم وعقولهم في العلم ، كما التقت قلوبهم في الدين ... ويتبادلون الرسائل ويتجاذبون الحوار .. ويرحل ابن بطلان طبيب بغداد الى القاهرة ليلتقي بطبيبها علي بن رضوان عام ٤٤١هـ بل هاجر ابن الهيثم من البصرة الى القاهرة ولزمها حتى آخر يوم من عمره كما هاجر الى القاهرة ابن البيطار

حتى التراث الشعبي على ذاتية له وخاصية فيه ، كانت تربطه في أوطان الاسلام ، خطوط عامة وان درجت تحتها تفاصيل تختلف من بلد الى بلد بما يضفيه عليه أصحابه ، ويضيفه اليه مبدعوه ، من خصائص مميزة تحمل طابع بيئتهم وبصمتها ...

وحدة التراث

حتى السياسة ، ، وهي شائكة ، جاء اخوان الصفا برسائلهم يجعلون منها تراثاً موحداً بما أخذوا من كل رأي ومذهب في موضوعية وعقلانية فهم يصرحون (أننا لا نعادي علماً من العلوم ، ولا نتعصب لمذهب من المذاهب ، ولا نهجر كتاباً من كتب الحكماء والفلاسفة مما وضعوه وألفوه في فنون العلم ، وما استخرجوه بعقولهم وتفحصهم من لطيف المعاني) .[١]

وحدة التراث تمثلها الموسوعات التي لم تقتصر على بلد بل امتدت اطلالتها فضمت العالم الاسلامي على اتساع الرقعة وتعدد الأسماء .

---

(١) اقرأ للدكتور عز الدين فوده (التراث السياسي في رسائل اخوان الصفا) مجلة (فصول) المجلد الأول ـ العدد الأول ، اكتوبر ١٩٨٠ .

ان الأسلوب الخاص للتاريخ الاسلامي ومؤرخيه سواء ما كان منه تأريخاً بالسنة ، أو تأريخاً لبلد من البلاد ، يقول بوحدة التراث . . . .

فالطريقة الأولى تغطي بطبيعتها ، العالم الاسلامي . أما الطريقة الثانية فمع تحديدها مصراً بعينه ، مثل النجوم الزاهرة ، إلا أنها لم تلبث أن طافت وطوفت بالأقطار الأخرى .

خيط حريري غير منظور يربط العالم الاسلامي ، هو : التراث بعد القرآن الكريم .

فاذا دعونا الى استبيانه واستلهامه ، فلأنه وجودنا النفيس . انه نحن . . . والشيء لايكون إلا نفسه كما يقول المناطقة .

التحدي والاستجابة

أما الحضارة فهي ثمرة سلسلة طويلة من التحدي والاستجابة في تاريخ الانسان فرداً في شعب . . وشعباً في وطن . . . . وأوطاناً على الساحة الكبيرة مع تفاوت بين البلاد والشعوب . . . أو هي كما عرفها الدكتور حسين مؤنس في كتابه : « الحضارة » ـ في مفهومها العام ـ ثمرة كل جهد يقوم به الانسان لتحسين ظروف حياته سواء أكان المجهود المبذول للوصول الى تلك الثمرة مقصوداً أم غير مقصود ، وسواء أكانت الثمرة مادية أو معنوية .

وهكذا ترى المفهومين أو التعريفين متداخلين .

في الواقع ، التراث حضارة بما هو عطاؤها الباقي .

والحضارة تراث بما هي ذخر أمة وميراث أجيال .

والحديث عن التراث ليس للزهو به فيا يفيد الزهو الجيل الحاضر أو يغني عنه ، أويعفيه من اضافة جديد الى تليد شاهد بحضوره على أصحابه . . بل لعل الحديث عن التراث نداء للحاضر وايذان بالمسئولية .

وإكبار التراث لا يعني تقليده فان في هذا ، تجميدا للمواهب الخلاقة وحجرا عليها ولكن يعني تجديده في امتداد له ، واستمداد منه . . . حتى تتواصل الخطا على طريق يجمع فيه الخالف بالسالف ، وحدة العرق وعز الانتماء .

وليس معنى التراث ، التصديق على المقولة (التاريخ يعيد نفسه) لأن التاريخ أو الحضارة مجموعة اشراقات أو فيوض إبداع كتب بها أصحابها التاريخ . والابداع لا يتكرر بالقدر نفسه والمقدار . . وإلا فقد جوهر الابتكار وهو الخلق على غير مثال .

وليس معنى التراث تحصيل حاصل ولكن استكشاف جديد فيه ، أو تنقية قديم من شائبة قد تخرج به عن معناه .

والابداع كثيراً ما يكون رؤية جديدة لقديم مستقر . . حين يكون الابتكار ، موهبة خلاقة فيها عنصر الميلاد والمفاجأة حتى لصاحبها نفسه . وقد كان أناتول فرانس عندما يقرأ حوار أبطاله يقول : أي شيطان أجرى على لسانهم هذا الشعر .

والتراث هو الذي يصنع البطولات باستيعابه والانتماء الحميم اليه . فالبطولة ـ كما يقول الدكتور عفت الشرقاوي (لا تنشأ من فراغ وإنما هي تجسيد لآمال الشعب . فالبطل رمز أمته وذروة فاعليتها التأريخية ـ وليس هناك على الحقيقة بطولة خارج اطارها الشعبي . . بل إن البطولة لا تكون كذلك إلا اذا انبثقت عن تراث هذا الشعب التاريخي وارتبطت به أشد الارتباط . . . فاذا لم تكن كذلك سقطت قبل أن تقوم)[٢] .

كما لا يعني اكبار التراث ، التسليم بكل ما فيه فأصحابه ـ وإن عزوا ـ بشر ، يجوز عليهم الخطأ والقصور في غير تقصير .

ولا يعني إكبار التراث التخلف عن مواكبة العصر السريع التغير والتقدم ولكن الخير في الجمع بين التراث والمعاصرة وهنا يكون التراث ركيزة للحاضر ، وانطلاقة نحو المستقبل في ثبات اليقين . . . كالدوحة الفينانة لا تنال منها العواصف لأن جذورها ضاربة في أعماق الأرض . . . أو كشجرة أصلها ثابت في الأرض وفرعها في السماء شأن كل طيب أصيل .

وهكذا يعني التراث في وقت واحد ، الاستلهام والخلق واللمح والطموح . . . الاعتزاز والابتكار . ولا غنى عنها جميعاً مجتمعة ومفردة .

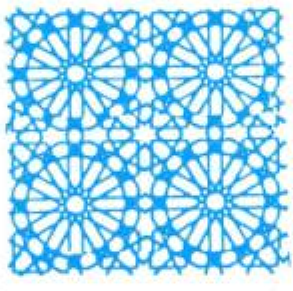
ومن هذا ولع الشعراء في بداياتهم بالمعارضة الشعرية ثم التحليق في آفاق جديدة يحققون فيها ذاتهم على غير مثال بقدر ما يسع التأثر والتأثير .

ومثل هذا يحدث في مجالات الفن الأخرى ، فقد بدأ مايكل انجلو بتقليد نماذج الفن الاغريقي الذي كان يحلو لأوربا الانتهاء اليه . وأتقن هذا التقليد الى حد يصعب معه التمييز بين الأصل والمقلد ولكنه أضاف فيها بعد الى منحوتاته قوة البناء الجسمي بمفهوم فني للتشريح كما أضاف ايقاع الحركة .

ورمبرانت أضاف عامل الضوء كعنصر من عناصر التشكيل الفني للتعبير الدقيق عن بصمات الزمن ممثلة في

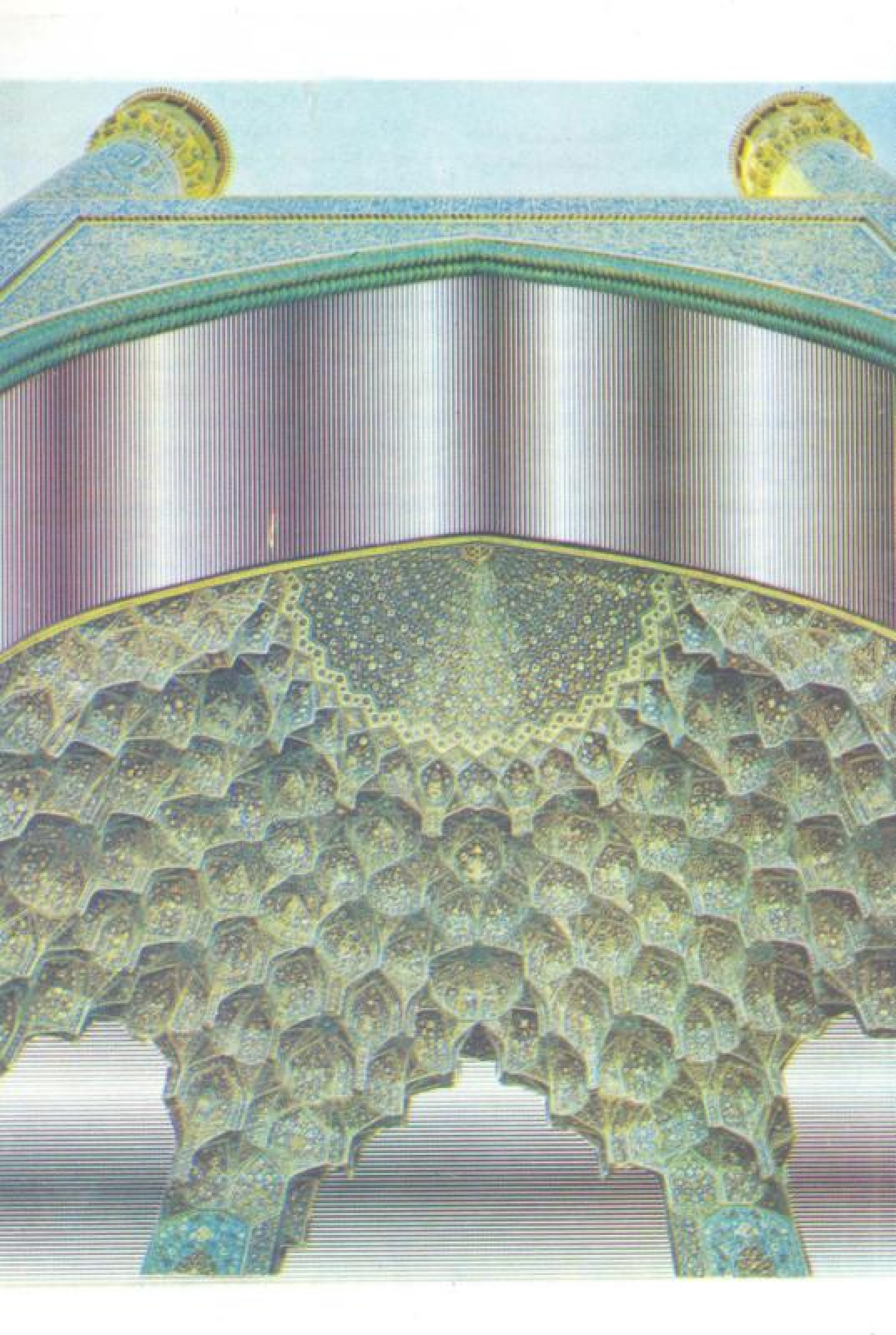
(٢) مجلة « فصول » المجلد الأول ـ العدد الأول اكتوبر ١٩٨٠ ، بحث (التراث التاريخي عند العرب) ص ١٥٣ .

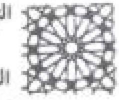




خطوط محدثة فيها حركية تستلهم بعض المذاهب (كالمستقبلية ، وتجريدات « الأوب آرت » الفن البصري ، والفن الصفائي) وما بين نغمية الفنون الاسلامية .

في اللوحة (الى اليسار .) تنفتح مساحة جانبية وسط الزخارف الاسلامية لتريبنا تفصيلا من مشهد لأولائك الأجداد المهرة ، الذين صاغوا بأدواتهم ومساطرهم وكتبهم وأفكارهم وتكوينات بديعة لا تجارى .





التجاعيد .

والتراث الاسلامي ، على اهتمامنا العلمي وارتباطنا العاطفي به كثير منه مبدد .. غير مصون .... مفرق ... غير مجموع .

عن تسرب التراث يقول الأستاذ أحمد كرد علي في كتابه (خطط الشام) ، (من المصائب التي أصيبت بها كتب الشام ، أن بعض دول أوربا ومنها فرنسا وبريطانيا وهولندا وروسيا ، أخذت تجمع منذ القرن السابع عشر كتباً من تراثنا تبتاعها من الشام بواسطة وكلائها وقناصلها والأساقفة والمبشرين من رجال الدين . وكان قومنا ولا سيما من اتسموا بشعار الدين ومن كان يرجع اليهم أمر المدارس والجوامع ، بلغ بهم الجهل والزهد في الفضائل أن يفضلوا درهما على أنفس كتاب ، فخانوا الأمانة واستحلوا بيع ما تحت أيديهم أو سرقة ما عند غيرهم والتصرف به كأنه ملكهم .

وحدثني الثقة أن أحد سماسرة الكتب في القرن الماضي ، كان يغشى منازل بعض أرباب العمائم في دمشق ويختلف الى متولي خزائن الكتب في المدارس والجوامع فيبتاع ما طاب له من الكتب المخطوطة بأثمان زهيدة . وبقي هذا سنين يبتاع الأشعار المخطوطة من أطراف الشام ، ثم رحل بها الى بلاده فأخذتها حكومته وكافأته عليها) ص ٤٠ .

إن النمسا تقتني أكبر وأغنى مجموعة من البردى في العالم كله . وقد بدىء في جمعه منذ ١٨٢٤ ، إن مجموعات الارشيدوق « راينر » تبلغ وحدها نحو سبعين ألف بردية !

وهذه البرديات مصرية قديمة وعربية منذ الفتح العربي لمصر حتى عصر المماليك . وتأتي بعد النمسا ، ألمانيا وبريطانيا وفرنسا حيث يضم متحف اللوفر بباريس ٣٠٦ برديات عربية لم ينشر منها شيء حتى الآن . ولم تتخلف ايطاليا وتشيكوسلوفاكيا وروسيا بل بولندا وسويسرا وبالطبع أمريكا .

هذا حين لا تملك البلاد العربية شيئاً من كنوز البردى اذا استثنينا مصر التي تملك مجموعتين :

مجموعة دار الكتب وتضم ألف بردية .

ومجموعة المتحف المصري .

ماذا عندنا ؟

فهرس المخطوطات المصورة [٣] الذي أصدره معهد المخطوطات العربية يشير الى أن في معهد المخطوطات الربية ٨٤٤ مخطوطاً في فن الطب وحده (كلها من النفائس القيمة النادرة التي انتقاها المعهد وجمعها من مختلف انحاء العالم عن طريق بعثاته . أو حصل عليها عن طريق التبادل أو طلبها من مكتبات العالم) .

أما كتاب « مخطوطات عربية » الذي أصدره المجمع العلمي العراقي فيقول : (ان في مكتبة صوفية المركزية ما يزيد على ثلاثة آلاف مخطوطة في جميع فروع المعرفة ... وأكثرها في الفقه والفتاوى الشرعية وأصول الفقه والنحو والصرف والبديع والبيان والفلسفة الاسلامية وعلم الكلام وآداب البحث والمناظرة .

ويوجد نحو مائتي مخطوطة في الطب والفلك والرياضيات . [٤]

هذه أمثلة فحسب .

أسباب دراسة التراث

* جمع المفرق منه .
* تحقيق الموجود بين أيدينا .
* الاحاطة العلمية به في محاولة معرفة أنفسنا .
* تمزق الانسان بين حضارته وحضارة الآخرين .

طبيعة الصراع بين الحضارات الغالبة والمغلوبة وتمزق انسان الدول النامية بين قيمه الموروثة والمحببة وبين مقتضيات ومتطلبات الحضارة الصناعية .

والنتيجة ليست في صالحه إذ (لا يمكن تفادي وقوع التغيير الحضاري في هذا العصر الذي اتسعت فيه المواصلات الفكرية والمادية ، وصارت نطاقا يلف العالم كله)[٥] .

مشكلة العصر ـ لا في العالم العربي وحده بل في الشرق خاصة ـ هي زحف الغرب أو الحضارة الصناعية على انسان الحضارات الانسانية .

انها مشكلة الاختيار .

وهنا يكون التمسك بالتراث ، تماسكا في وجه الحضارة الصناعية .

---

(٣) الجزء الثالث ـ العلوم ـ القسم الثاني الطب .

(٤) الدكتور يوسف عز الدين « مخطوطات عربية » .

(٥) كتاب (التغيير الحضاري وتنمية المجتمع) للدكتور محي الدين صابر ، ص ٣٠٩ ـ ٣١٠ .

● فتراثنا نهب من حيث الكم والكيف . لقد تركنا دراسته للمستشرقين وهؤلاء معظمهم غير مبرأ من الغرض أو الهوى . كما تركنا إباحة انتحاله ، بغير رد أو حد .

ان اليهود يشنون حملة ضارية في امريكا وكندا تستهدف انتحال كل انجاز حضاري لشعوب الحضارة القديمة وخاصة مصر في عملية تأثير مرسوم ، على الرأي العام هناك .

أما المستشرقون الذين كتبوا عن تراثنا فكتبهم وكتاباتهم تمثل وجهة النظر الغربية .. وفيها اجحاف شديد .

أسوق المثال من كتاب يعد من أهم وأكبر ما كتبوه وهو كتاب من ثلاثة أجزاء كبيرة تحمل اسم (تراث الاسلام)[٦] . ومما جاء في هذا الكتاب :

المعرفة الاسلامية تتسم (بالتمييز الصارم بين الخاصة والعامة ، وهذا يفسر الصفة الارستقراطية والحضرية لمعظمهم ان لم نقل لكل الأدب والمعرفة)[٧] .

● كما يفسر التميز بين اللغة الادبية واللغة العامية .

● وهذا أدى فيما بعد الى المبالغة في تبجيل العلماء الذين يعتبرون الحجة في جميع فروع المعرفة .

● إن الاكتشاف الهام للدورة الدموية الصغرى من قبل ابن النفيس لم يؤثر على معاصريه وعلى من جاءوا بعده وأن الافكار الأصيلة التي جاء بها ابن خلدون نالت من المديح لفصاحة لغتها اكثر مما نالته بسبب محتواها[٨] .

وهذا كله مردود ومرفوض من الانسان العربي بل من الانسان المنصف ولو لم يك عربيا أو مسلما .

فالاسلام الذي أعلى من المساواة ، والمعرفة الاسلامية التي نشأ في كنف الاسلام ... رويت من روحه التي لا تعرف الطبقية .

والمسلمون في تبجيل العلماء انما يستجيبون لدعوة كتابهم ، الموصلة الى التعلم والتأمل واقتران العلم بالعبادة وتفضيل العلماء على الشهداء .

ان « شاخت » يحصر اهتمام العرب في اللغة !! وهو قول يكفي في دحضه المثل الذي جاءوا به وأعني ابن النفيس الذي اهتم بالبحث العلمي وكرس جهده له دون سواه .

وهنا يحضرنا قول الدكتور عبدالحليم منتصر[٩] (الذين درسوا التراث أغلبهم من الغربيين ، ولا تخلو كتاباتهم من تميز ضد الحضارات السامية) .

وهو سبب قال به الاستاذ العقاد في تعليل التهوين من دور العرب في الحضارة الانسانية اذ يقول (إن البدعة الحديثة التي نشأت حول الآرية والسامية قد جنحت بالاوربيين منذ ظهرت فيهم الى اختصاص الحضارة العربية بالنقل دون الابداع ، وحببت اليهم أن يميزوا عليها حضارات الأمم الآرية - ولو كانت شرقية - بملكة الابداع والتفكير الحر ولا سيما في المباحث النظرية التي يراد بها العلم للعلم ولا يراد بها العلم للتطبيق أو للانتفاع به في مرافق المعيشة .. لأن تمييز الشرقيين الآريين ينتهي الى تمييز العنصر الاوربي في اصوله الاولى ، وهي الدعوى التي يسوغ بها سيادته على أمم العالمين[١٠]

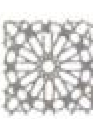
وتقتضي الأمانة العلمية أن نذكر في الجانب الآخر منصفين أشادوا بالحضارة الاسلامية . يقول الاستاذ سنجر **Charles Singer** إن الحضارات تكونت معتمدة كل منها على الأخرى بصورة ما ، وهي في الحقيقة ليست إلا أدوارا حضارية في حركة واحدة في تطور البشرية . وأنه ينبغي لنا اذا أردت أن تفهم الدور الاوربي من أدوار الحضارة أن ترجع الى أصوله . وهذا أمر لا تستطيع تحقيقه إلا من خلال القرون الوسطى فقط[١١] .

ومن هؤلاء « لالاند » الذي عد الفلكي العربي « البتاني » من العشرين فلكيا المشهورين في العالم ، كما عد « كاردانو » الكندي من الاثنى عشر عبقريا الذين ظهروا في التاريخ . ويقول المستشرق « سخاو » عن « البيروني » إنه أعظم عقلية في التاريخ كما يقول « سارتون » عن « ابن الهيثم » انه أعظم عالم طبيعي مسلم في التاريخ - وقد لقب الشيخ الرئيس « ابن سينا » بالعالم الثالث بعد الفارابي وارسطو[١٢] .

ودخول اوربا عصر العلم ، أدى الى ضرورة معرفة جغرافية العالم الاسلامي . وهذا بدوره أدى الى البحث التاريخي في الاتجاه نفسه .. يعزز هذا الدافع الاقتصادي

---

(٦) تراث الاسلام تصنيف شاخت وبوزورث . ترجمة الدكتور محمد زهير المهوري ، جـ ١ .
(٧) المصدر السابق ، ص ٢٢ .
(٨) اقرأ مدخل « تراث الاسلام » الذي كتبه « شاخت » ص ١٨ - ٢٦ .
(٩) كتاب تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه .
(١٠) اثر العرب في الحضارة الاوربية ، للاستاذ عباس محمود العقاد ص ٢٨ .
(١١) كتاب الحضارة الاسلامية اساس التقدم العلمي الحديث للاستاذ جلال مظهر ص ٧ .
(١٢) اقرأ كتاب (تاريخ العلم) للدكتور عبدالحليم منتصر .



فقد كان العالم الاسلامي بثرواته منطقة جذب لعدد غفير من التجار الاوربيين .

إن الاهتمام بالكتابة عن التراث الاسلامي .. وهذا الاهتمام فرع من الاستشراق ، ظهر أو اشتد في اعقاب الحروب الصليبية التي (أوجدت حاجة كبيرة وملحة للحصول على صورة كاملة ومسلية ومرضية لايديولوجية الخصوم .. كان الشخص العادي يريد صورة لأبرز السمات الغريبة التي أدهشت الصليبيين في تعاملهم مع المسلمين)(١٣) .

ومن الطريف أنه لما جاء دور المسلمين في الانتصار ، واستردوا بيت المقدس ، أراد الأوربيون ان يتخلصوا من عقدة صلاح الدين فانتحلوه !! فظهرت في القرن الرابع عشر قصيدة طويلة ، *أطلقوا عليها اسم « صلاح الدين »* أعيدت فيها صياغة حوادث الاساطير القديمة السابقة .. فلا يجوز في عرف أوربا أن يكون فارسا ، قمة ، مثل صلاح الدين إلا مسيحيا فلم تلبث أن زعمت أن أمه هي الكونتيسه بونثيو **Countess of Ponthiey** وأن سفينتها تحطمت على الساحل المصري بل مضت في الاغراب والاغراق الى أن الرجل اعتنق المسيحية وهو على فراش الموت !!

بل بلغ العداء للمسلمين أن نقموا على الامبراطور فردريك الثاني (النورماندي) لتعاطفه مع الاسلام واهتمامه بالعربية ومودته للمسلمين فقام البابا جريجوري التاسع **Greogory IV** بطرده من الكنيسة عام ١٢٣٩ بتهمة الود للاسلام والمسلمين .

لم تصحح نظرة اوربا ونظرتها إلا بداية عصر النهضة واكتشافها ما عند المسلمين من ثروة علمية مما أذكى فيها بالتالي حب الاستطلاع عن الاسلام .

وحين بدأ اهتمام اوربا بالفلسفة وبأرسطو خاصة وجدت طلبتها عند المسلمين في الاندلس فقد ذهب جيرارد دي كريمونا **Gerrard of Cremona** (١١١٤ ـ ١١٨٧ تقريبا) الى طليطلة بحثا عن ترجمات عربية للنصوص اليونانية التي كان يرغب في ترجمتها وبذلك يضيفها الى حصيلة الفلسفة الغربية . وفي الوقت نفسه كانت قد بدأت في ترجمة « كتاب الشفاء » لابن سينا . وتلتها ترجمات لسائر كتبه فذاعت شهرته في أوربا وكان لها تأثير عميق . وتبع هذا ترجمات فلاسفة المسلمين الآخرين .

« وهكذا أخذت تتشكل في أذهان المفكرين الغربيين صورة أخرى للعالم الاسلامي بوصفه مهد الفلاسفة العظام » .

وهكذا رد علم المسلمين ونصرهم ، اوربا ، الى الصواب . يقول « مكسيم رودنسون » (صحيح أن محاربة الاسلام ظلت أمرا واجبا ! لكن معرفة عميقة به كان من شأنها أن تؤدي الى المزيد من الموضوعية ، بل أن تؤدي في المدى البعيد الى المزيد من النسبية . ففي بداية القرن الرابع عشر أخرج دانتي من النار ، كلا من ابن سينا وابن رشد وصلاح الدين ووضعهم في المطهر ، وهؤلاء هم المحدثون الوحيدون الذين انضموا الى حكماء العالم القديم وأبطاله . وفي عام ١٣١٢ صادق مجلس فيينا على أفكار بيكون وليل بخصوص تعلم اللغات وخصوصا *اللغة العربية*)(١٤) .

أضف الى هذه الأسباب اتساع حركة التبشير والاستشراق حتى انتشرت كراسي الدراسات الشرقية في الجامعات الاوربية .

وأضف اليه ظهور العثمانيين على مسرح الأحداث ونمو امبراطوريتهم على حساب البلقان المسيحي وخاصة اليونان وله دالة على أوربا .

أما أسبابنا نحن التي تدفعنا دفعا الى دراسة التراث فهي اليقظة الفكرية التي لن تتأتى لنا ما لم نتدارك كما يقول الدكتور طه حسين ، ما نسينا من التراث القديم وما فاتنا من العلم الحديث(١٥) .

لابد لنا من إحياء التراث ، ونلاحظ أن أعلام الاحياء والبعث في تاريخنا خصوا التراث باهتمام بعيد المدى فالشيخ رفاعة الطهطاوي أنفق جهدا كبيرا في جمع ما استطاع من مخطوطات تراثنا الى جانب ما نقله عن الغرب من علوم حديثة .. وهو مؤشر لا يخطىء الى ايمانه بأن الاصلاح له شقان :

* معاصرة علمية ....
* دراسة للتراث .

وكذلك فعل احمد زكي شيخ العروبة .. وكذلك فعل احمد تيمور باشا والشيخ محمد عبده في محاولة تجديد الفكر الاسلامي ، والبارودي في محاولة احياء الشعر العربي .

وكان الاستاذ الخولي يشترط على طالب الماجستير والدكتوراة أن يزود رسالته بنص محقق لمخطوط من التراث في موضوع رسالته .

ولكن إحياء التراث يستوجب تنقية التراث . يقول

---

(١٣) اقرأ (تراث الاسلام) ص ٣٤ .
(١٤) كتاب تراث الاسلام .
(١٥) اقرأ (مرآة الاسلام) ص ٣٠٨ .

الاستاذ جورجي زيدان في كتابه (بناة النهضة العربية) عند الحديث عن الامام محمد عبده .

(وأما تنقية الدين الاسلامي من الشوائب الطارئة عليه فأساس سعيه فيها أنه أطلق لفكره ، الحرية في تفسير القرآن . ولم يتقيد بما قاله القدماء أو وضعوه من القواعد التي يحرم الائمة تبديل شيء منها . فرأى أن يحل نفسه من هذه القيود ويفسر القرآن على ما يوافق روح هذا العصر فيجعل أقواله وآراءه فيه موافقة لقواعد العلم الصحيح المبني على المشاهدة والاختبار لنواميس العمران على ما بلغ اليه هذا العلم الى الآن مع مطابقة لأحكام العقل وأصول الدين)(١٦) .

وممن أخذوا بتنقية التراث الدكتور أحمد امين في إسلامياته الجامعة : فجر الاسلام ـ ضحى الاسلام ـ ظهر الاسلام . وممن أسهموا في تنقية التراث الاستاذ عبدالحميد العبادي .

وقد أشار ابن خلدون في (المقدمة) الى الخلط والوضع في الروايات التاريخية .

(التاريخ لا يزيد في ظاهره عن الايام والدول والسوابق من القرن الأول . . وفي باطنه نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق . . وعلم بكيفيات الوقائع واسبابها عميق) .

ويقول :

(ان فحول المؤرخين في الاسلام قد استوعبوا اخبار الايام وجمعوها . . وخلطها المتطفلون بدسائس من الباطل وهموا فيها وابتدعوها ، وزخارف من الروايات المضعفة لفقوها ووضعوها واقتفى تلك الآثار الكثير ممن بعدهم واتبعوها . . . فالتحقيق قليل . . والغلط والوهم نسيب للاخبار وخليل) .

وعنده أن : « الناقد البصير قسطاس نفسه في تزييفهم فيما ينقلون . فللعمران طبائع في أحواله ترجع اليها الاخبار وتحمل عليها الروايات والآثار »(١٧) .

واسباب الوضع في التراث

● الصراع بين الفرق الاسلامية .

● السخائم القبلية التي انتقلت معهم في الاسلام .

● الشعوبية وهنا رتع حماد الرواية وخلف الأحمر .

● نزعات الدول الاسلامية خاصة الأموية والعباسية .

● القصاص والاخباريون ورغبتهم في الاطراف بالتزيد والمبالغة ووشي الخيال .

ويضيف الدكتور طه حسين عاملا آخر وهو :

(فساد الذمم والخلق مما جعل الاخباريين يزيفون الحقائق مقابل الأموال والرشاوى)

ويقول في كتابه « الفتنة الكبرى » :

(القدماء أنفسهم وضعوا قواعد التعديل والتجريح والتصديق والتكذيب وترجيح ما يمكن ترجيحه واسقاط ما يمكن اسقاطه والشك فيما يجب الشك فيه . فليس علينا بأس أن نسلك الطريق التي سلكوها ، وأن نضيف الى القواعد التي عرفوها ، ما عرف المحدثون من القواعد الجديدة التي يستعينون بها على تحقيق النصوص وتحليلها وفقهها)(١٩)

وعاد الى الموضوع نفسه في كتابه : (الشيخان) .

ويقول الدكتور زكي نجيب محمود بعد ان وقف وقفة ليست بالقصيرة عند خطبة الحجاج المتفردة الباغية التي تتنافى مع قيم الاسلام وشمائل الانسان وطبائع الحي . . . (إننا في موقفنا من التراث ما ينبغي أن نتبين الخيط الأسود من الخيط الأبيض فندرسهما معا ، ولكن ندرس الأبيض ليحيا في سلوكنا وندرس الأسود ليموت في ظلمته)(٢٠) .

ومن أهم موضوعات تنقية التراث بل أخطرها جميعا :

الاسرائيليات

وقد تنبه أسلافنا اليها في القرن السابع الهجري حين شغلت المحافل بالرد على الشكوك التي أثارها الفيلسوف اليهودي « ابن كمونه » فكتب « الشيرازي » رسالة في تفنيدها . . وتجمع السخط على ابن كمونه في كتب منها :

(الدر المنضود في رد فيلسوف اليهود)

لمظفر الدين البغدادي المعروف بابن الساعاتي .

ومنها كتاب « الماردينى » الذي كتبه سنة ٧٥٣هـ (ومنه نسخة في روما) والأمثلة كثيرة

وبعد : فهذه وقفة حميمة عند التراث ورؤية له ، تتبعها وقفات عند قضاياه من حقها أن يفرد لها الحديث

---

(١٦) ص ٨٥ .

(١٧) مقدمة ابن خلدون .

(١٨) كتاب (الفتنة الكبرى) للدكتور طه حسين ، ص ٩٢ ـ ٩٣ .

(١٩) المصدر نفسه جـ ١ : ط ٨ ص ١٧٢

(٢٠) مقال (إحياء التراث وكيف أفهمه) مجلة العربي عدد ديسمبر ١٩٨٠ .

اقرأ كتاب (تراثنا الفلسفي ، حاجته الى النقد والتمحيص) للاستاذ محمد رضا الشبيبي .

لغة الصحف.. وحظها من الفصاحة!

بقلم الدكتور/ ابراهيم السامرائي

وردت« الصحف » في لغة التنزيل ويراد بها كل شيء مكتوب على رقوق أو عسب أو لخاف ، كما كان الأمر في« الصحف » التي احتفظ بها بعد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في بيت حفصة ، وهي التي اتخذها عثمان ـ رضي الله عنه ـ أصولا للمصاحف في« جمعه » المعروف المشهور الذى اضطلع به جلة من الصحابة فى كتاب الوحي وغيرهم فانتهوا الى ما انتهوا اليه في استقرائهم واختيارهم واستحسانهم وجمعهم .

« وللصحف » في التنزيل العزيز حضور واف ، فقد جاء فيه « واذا الصحف نشرت » « صحف ابراهيم وموسى » .

و« الصحيفة » و« الصحف » شيء عرفه العرب قبل الاسلام ، وصحيفة« المتلمس » الشاعر الجاهلي وخبره مع الشاعر طرفة بن العبد والقصة مشهورة معروفة في أدبنا القديم« الجاهلي » .

وجاء الأسلام وأقبل المسلمون على لغة التنزيل يدرسونها ويقفون على معانيها وما أخذوا به من أسرارها فكان علم ، وكان منهج في الدرس والتلقي ، وكان من ذلك أن هرع أهل العناية باللغة الى الأعراب يستفتونهم ويأخذون عنهم ، حتى اذا عادوا بذخائر لغوية وأدبية تتصل بالعربية والعرب وأيامهم وأخبارهم ، تصدروا لهذا الدرس الذي شقي به طلاب العلم ،فكان مما يحمد عليه طلاب العلم أن يكون علمهم مأخوذا عن شيخ من اولئك المشايخ النحارير يسمعون عنهم فيروون ما سمعوا ، فكان درس وكانت« أمال » « يمليها »« الجهابذة » الاعلام ، وكانت رواية وقراءة .

ثم جاء عصرنا فكانت« صحف » جديدة ، وقد غير« الكتب »القديمة ، ولكنها مظان جديدة فيها« الخبر » و« الرأى » ، وما يعرض في البلد من شئون اجتماعية واقتصادية وسياسية وعلمية ، وهي ليست خاصة بالبلد الذى تحرر فيه وانما تنفتح على بلاد فسيحة الأرجاء في أقاليم الدنيا . انك تجد ما يتصل ببلدك كما تجد فيها ما يتصل ببلدان العالم المعمور .

وقد كان لنانحن العرب« صحف » منذ أوائل هذا القرن ، ولما كنا في أعقاب القرن المنصرم وأوائل هذا القرن من الأمم المغلوبة على أمرها ، المتأخرة في سيرتها عن غيرها من الأمم المتقدمة ، ولما كنا أيضا قد انقطعنا عن تاريخنا الثقافي



وحضارتنا العريقة ، أقول : لما كنا بتلك الأحوال من التأخر والتخلف ، صرنا نتطلع الى العالم المتقدم ، وكان من جراء ذلك ان كانت صحفنا في تلك الأحقاب معتمدة على ما ترفده بها صحف العالم المتقدم ولا سيما ما كان من حضارة الغرب .

أقول : وكما أفادت لغتنا في أعقاب القرن الماضي وأوائل هذا القرن مما حفلت به اللغات الغربية استعانة بذلك الوافد الدخيل ، وعلى التقرب من متطلبات العصر ، كان ذلك الدخيل في الوقت نفسه مما حمل الضيم على العربية .

وقد يكون هذا سبب ليس معتمدا على العربية ، والعربية منه براء ، ولكنه متأت من أن العرب أنفسهم لم يكونوا في ذلك الوقت على علم بلغتهم ، فهم أقرب الى العجمة منهم الى الفصاحة .

وقد كنت وقفت على لغة الصحف وقفة طويلة فى اساليب الصحفيين التى جنحت بالعربية المعاصرة الى لغة خاصة ذات سمات خاصة هى« لغة الصحف » ولا يعنينى هنا أن أشير الى انها لغة لم تتصف بسلامة المبنى والمعنى ، وانما تجاوزت فى طرائقها المشهور من قواعد العربية نحوا وصرفا .

لم أرد الى شىء من هذا على انه موجود فيها ولكنى أقول : انها نمط خاص فى« التطور التاريخى » لهذه اللغة .

وقد حفزنى الى ان اعود الى هذه اللغة عودة أخرى وذلك لأنى ، وقد وجدت نفسى فى بلاد المغرب الاقصى ، وفى حاضرته الرباط ، وأنا أقرأ الصحف المغربية مضطرا أن أقف على هذه اللغة التى استغربت من أمرها مسائل ، وها أنا أعرض هذه الغرائب النوادر :

- قرأت فى صحيفة الاتحاد الاشتراكي المؤرخة في اليوم الثالث من تموز(جويلية كذا) ما يأتى :

عقب انسحابه المفاجىء من مؤتمر القمة الافريقى التاسع عشر الذى انعقد فى أديس أبابا عاصمة اثيوبيا ، وعودته من جولة فى بعض بلدان المشرق العربى ، صرح الرئيس معمر القذافى « بأن ليبيا قامت بواجبها تجاه الصحراء العربية ، وانه لم يعد هناك أى مشكل أو خلاف بين المغرب وليبيا ، وانما المشكل هو المشكل القومى العربى أى مواجهة الخطر الصهيونى » .

أقول : فى هذا الذى ذكرته من كلام« المحرر » فى الصحيفة المشار اليها شىء يجانب المشهور فى القاعدة النحوية ، وهو« عود الضمير على متأخر عنه » ليس الى توجيهه أو تأويله من سبيل ، وتلك قاعدة ادركناها ونحن صبية شداة . « وأنت ترى ان الضمير فى« انسحابه » وهى الكلمة الثانية ،ثم الضمير الاخر فى« عودته » يعود على« الرئيس » فى قوله :« صرح الرئيس معمر القذافى » رغم ان كلمة الرئيس هنا متأخرة عن ضميرها وهذه عربية ملحونة ، وذلك لأن بناء الجملة على هذه

الصفة الأعجمية شيء لا نعرفه في عربيتنا الفصيحة ، وربما صعب عليك ان تجده في الالسن الدارجة .

ـ وقرأت في هذه الصحيفة أيضا قول المحرر نفسه :

فعلى مدى خمسة أيام حلل دارسو اللغات بمعناها الواسع لغة التواصل الادبي والسينمائي والمسرحي والاذاعي والتلفزي ولغة الاشهار . . .

أقول : وقوله : « التلفزي » نسبة الى « التلفزة » ، و « التلفزة » في لغة المغاربة تعريب للتلفزيون . واللجوء الى تعريب الاسماء الاعجمية بأخذها من صورتها الاعجمية مع شيء من التغيير في الاصوات حينا ، وفي الابنية أو في كليهما حينا آخر .

أقول : ان التعريب على هذا النحو شيء حسن ، وقديما درج الاوائل على هذا السنن الواضح . غير اني أقول : ان « التلفزة » على هذا الوزن توحي بالمصدر وليس بالآله والأداة أي ما يسمى « الجهاز » (في عربيتنا المعاصرة) ولعل الذي جنح الى استعمال « التلفاز » كان ألصق باللسان العربي ، وذلك لان « تلفاز » نظير التمثال و « التجفاف » في كلام العرب .

هذه مسألة يسيرة مفيدة يكون فيها العود الى الاصول أكثر فائدة وأجل عائدة وفي هذه العبارة التي أثبتها في الصحيفة شيء آخر وهو « لغة الاشهار » .

أقول : وقد يقف المشارقة أمام هذه الكلمة ولا يتجه منها لهم شيء في القراءة الاولى حتى اذا أطالوا وعرفوا من سياقها شيئا أدركوا ان لغة « الاشهار » هي لغة الاعلام ، وهي عندهم تقابل الكلمة الفرنسية **'Publicite'** وترجمة الكلمة الأجنبية هذه تطابق « الاشهار » أكثر من كلمة « الاعلام » .

وهذه من سمات هذه العربية الصحفية في أقاليم البلاد العربية الافريقية ، ومثل هذه السمات اللغوية الخاصة بهذه الاقاليم الشيء الكثير .

ـ وقرأت في هذه الصحيفة أيضا :

. . . . وانحصر « تدخل » البروفيسور « كالفان » حول تطبيقات السيميولوجيا المتعددة . أقول : والكلام على محاضرة علمية في « السيميولوجيا » وهو شيء من مواد علوم اللغة في هذا العصر ويراد بها العلم الذي يعني الاتصال بوسائل مختلفة منها الكلمة ومنها الاشارة ومنها الحركة وأشياء أخرى .

وليس من وكدي ان اعرض لهذا الذي يشقى به الغربيون مما يتصل باللغة كالسيميولوجية والبنيوية وغير ذلك ، ولكني أريد ان اقف القارىء على شيء من الدخيل الجديد في العربية المعاصرة ولا سيما في اقاليم الشمال الافريقي ، تلك العربية التي ينظر الناطقون بها الى لسان اخر هو الفرنسية يستوحونها ويقلدونها وينقلون عنها شعروا أو لم يشعروا ، فكان لهم من ذلك مسائل كثيرة لا تخلو من طرافة على ايلامها ، وعلى انها تحمل الضيم على العربية المعاصرة .

ومن هذا ما جاء في العبارة التي اقتطعتها في « الصحيفة » في خبر « المحاضرة » التي كانت في « السيميولوجيا » وهو قوله :

و « انحصر تدخل البروفيسور . . . . »

أقول : قد يقرأ أهل المشرق مثلا هذا فلا يهتدون الى « التدخل » وما المراد به وقد يمر به احدهم فلا يصل منه الى شيء . غير ان العارفين باللغة الفرنسية أو ممن اتصلوا بالفرنسيين يدركون ان « التدخل » هو « خطاب » أو « تعليق » أو نحو هذا يشارك به محاضر في مؤتمر أو ندوة أو ملتقى ، وقد يكون « التدخل » شيئا غير موجز بل يكون خطابا أو بحثا .

وقد تسأل : وكيف أخذ اخواننا المغاربة والجزائريون هذا ، والجواب : انهم ترجموا به الكلمة الفرنسية **intervention** وهذه الكلمة في الفرنسية من الفعل **intervenir** ويفيد التدخل أو الدخول ، فقد يتدخل الرجل بين جماعة ويشاركهم ، ويتدخل الشيء في شيء

آخر .

أقول ان الترجمة دقيقة ، ولكنها ولدت غرابة واستغلاقا ، وذلك لان « التدخل » في العربية لم يؤلف استعماله على هذا النحو ، وان كان من الجائز ان يقول الرجل : وقد « تدخلت » في مناقشة الرأي الذي ابداه المحاضر . وعلى ذلك لا يمكن لقارىء في المشرق ان يفهم التدخل » في الصحيفة على أي وجه ان لم يكن يدرك ما للكلمة الفرنسية من أثر .

وقد ترجموا الكلمة الفرنسية المذكورة أيضا بـ « التداخل » وربما قرأت « المداخلة » فقد تقرأ في اسلوب اخواننا اهل الشمال الافريقي تنبيه عريف الندوة الى الحاضرين قائلا : ينبغي أن تكون « المداخلات » موجزة .

وليس أمر هذا الجديد المولد الدخيل غريبا في هذه العربية الاقليمية فهو كثير قد يتجاوز الحصر .

وفي هذه العربية شيء آخر ، فاذا كنا في المشرق العربي نلتزم بمصطلح « العمل » لما يقوم به العامل في المصنع والموظف في الوظيفة وغيرهما ، فان اخواننا في الشمال الافريقي قد اتخذ « الشغل » مصطلحا لهم فيقال عندهم مثلا : الاتحاد العام للشغل . واقرأ مثل هذا في الصحيفة نفسها .

ـ انتشار الكونفدرالية الديمقراطية للشغل .

و « الشغل » هنا هو « العمل » والامر متصل بـ « العمال » . ولا أريد أن أقف على « الكونفدرالية » التي تعني الاتحاد على نظام يعرفه أهل هذا الفن في السياسة والاجتماع ، ولكني أقول :

ان أهل الحاجة من أصحاب الاختصاصات قد عربوا المصطلح الاجنبي بيسر وخفة دون ضجة أو جعجعة أو السؤال من المجامع اللغوية فأخذ المصطلح الاجنبي وكسعوه بالياء المشددة مع التاء على طريقة المصدر الصناعي كالمادية والمثالية والشوعية والكمية وغيرها ، فقالوا الديمقراطية والارستقراطية والفدرالية والكونفدرالية وغير ذلك ، ولم ينتظروا رأي أهل الصنعة من اعضاء مجامع اللغة ، وحسنا فعلوا .

أقول هذا لأني أحس ان اصحابنا اعضاء المجامع قد يتجاوزون الحدود فيكثرون المناقشة ويظلون في خلاف طويل في أمر مصطلحات سلاح الطيران مثلا ، وقد اصطلح عليها أهل الاختصاص من الضباط العاملين في هذا الميدان ليقابلوا بها المصطلح في اللغة الانكليزية ، وهم أعرف بها وبحقائقها ، ولكننا في المجامع لا نقرهم على صنيعهم بيسر فيبدأ مع خبرائهم العسكريين جدل طويل لم يكن الا عبثا لا طائل وراءه .

وقد يحسن اعضاء المجامع صنعا لو انهم اقتصروا على التنبيه ان كان في شيء من هذا المصطلح تجاوز على قواعد اللغة في أبنيتها واشتقاقها . مع علمنا ان هذه المصطلحات موافقة أو قريبة احيانا مما سمي المصطلح « الموحد » في « المعجم الموحد » الذي قام به الخبراء العسكريون في الجامعة العربية منذ سنين .

لو أن اصحابنا أدركوا صنيع اليهود في أرضنا المحتلة في المصطلح الجديد لعلموا أنهم اهتدوا الى الطريق أمام هذه المئات من الآلاف من المصطلحات العلمية في العلم الجديد .

لقد أدخل اليهود المصطلح الجديد من اللغات الغربية ولا سيما الانكليزية ولم يغيروا منه شيئا وذلك لانهم مدركون ان لغتهم قديمة ناقصة لا تحوي الا القدر القليل من الكلم القديم فلو اطالوا الوقوف ازاء الاخذ فترددوا وناقشوا على نحو ما نفعل نحن لم يتأت لهم ان يحرزوا ما أحرزوه من التقدم العلمي .

ان تلكؤ المجمعيين في الاتفاق على المصطلح الجديد دفع أهل الاختصاصات الى ان يتخذ كل فريق منهم مصطلحا له ، فكان من ذلك ان وقعوا في خطأ لم يكونوا على علم به ، ذلك ان العربية على سعتها وسماحتها لا تقبل ما خولف فيها وجوه القياس في أبنيتها .

بدائل الطاقة حاضراً ومستقبلاً

بقلم : الدكتور عبد الاله مصلح التكريتي*

ساد العالم في بداية حقبة السبعينيات من هذا القرن ازمة عرفت بأزمة الطاقة التي تمثلت في ارتفاع حاد في اسعار النفط الخام عن اسعاره في الستينيات ، فارتفع سعر البرميل الواحد من النفط العربي الخفيف تسليم رأس تنوره من ١,٨٠ دولارا في عام ١٩٧٠ الى ١١,٦٥ دولارا في عام ١٩٧٤ ليصل الى ٣٤,- دولارا في عام ١٩٨٠ .

ورافق هذه الزيادة في الاسعار تزايد في الطلب على النفط حتى وصل استهلاك العالم ذروته في عام ١٩٧٩ فبلغ (٦٤) مليون برميل في اليوم بينما لم يكن يتجاوز (٥١) مليون برميل في بداية السبعينيات ، فالأزمة في حقيقتها كانت تتعلق بامداد النفط واحتمالات نضوبه .[١]

وكان ما استهلكه العالم في عام ١٩٨٢ من الطاقة من مصادرها المعروفة حاليا كما يلي :[٢]

٣٠٦٠ مليون طن من الفحم

٢٨١٨ مليون طن من النفط

١٤٥٨ بليون متر مكعب من الغاز

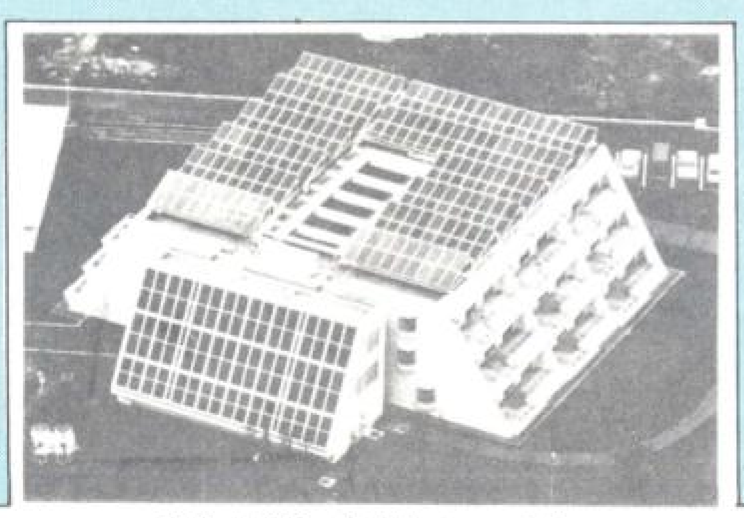
٧٩٥٠ بليون كيلوواط ساعة من الكهرباء (من مصادر مائية ونووية) .

لقد اعتمد الانسان بصورة رئيسية طوال فترة وجوده على سطح هذه الارض على مصدر واحد من الوقود ألا وهو الوقود التقليدي ، **Fossil Fuels** المتمثل بالفحم والنفط والغاز وهو وقود لا بد من نضوبه مهما بلغت احتياطياته .

وقصة الوقود التقليدي هي قصة تطور الانسان ذاته ، فقد بدأ الانسان يجمع ما حوله من حطب واخشاب ليجعل منها نارا تدفئه من برد ويطهو عليها طعامه وتبعد عنه الوحوش

* خبير بمنظمة الاقطار العربية المصدرة للبترول .

(١) تقرير الامين العام السنوي التاسع ١٩٨٢ . منظمة الاقطار العربية المصدرة للبترول .
(٢) Bp statistical Review of world Energy, 1982 .



ـ هذا البيت يستخدم الطاقة الشمسية لاغراض التدفئة

المفترسة . كانت النار للانسان هي الطاقة كلها ، فاستعمل لها اشجار الغابات وقودا ، وكان الخشب اما بحالته الطبيعية او على شكل فحم نباتي كافيا لتلبية كل متطلبات الانسان من الطاقة .

وبقي الحال على هذا المنوال حتى جاءت الثورة الصناعية فاتجه الانسان الى باطن الارض يستخرج منها فحما حجريا هو بقايا نباتات نمت بكثافة في المستنقعات قبل اكثر من ثلاثمائة مليون سنة وتحولت الى فحم صلب بفعل الضغط والحرارة . وقد عرف الانسان الفحم الحجري منذ العصور الوسطى ، وكان عاملا رئيسا في قيام الثورة الصناعية ، وهو يساهم الآن بنحو ٢٩ ٪ من حاجة العالم من الطاقة

النفط الخام والغاز

استمر بحث الانسان عن الطاقة في جوف الارض ، الا أنه كان في هذه المرة يبحث عن سائل أسود هو النفط الذي كان يوجد على سطح الارض على هيئة قار في بحيرات قيرية ، او متسربا من بعض الشقوق الارضية في مناطق عديدة من العالم كالعراق ومقاطعة بنسلفانيا الامريكية التي عرف فيها النفط بكميات كبيرة منذ عام ١٨٤٨ . وفي عام ١٨٥٠ تمكن الكيماوي جيمس يونغ « James Young » من تقطير النفط ليحصل على مادة خفيفة ملائمة لمصابيح الاضاءة أطلق عليها اسم زيت الاضاءة (Illuminating oil) في ذلك الحين ، وتدعى حاليا بالنفط الأبيض او الكيروسين (Kerosene) . وبذلك حل النفط محل زيت الحوت ومقطرات الفحم التي كانت تستعمل

كاتب المقال

ـ أنهى دراسته الجامعية في جامعة لندن في الهندسة الكيماوية عام ١٩٦١ .

ـ حصل على شهادتي الماجستير والدكتوراه في الهندسة الكيماوية من جامعة ستانفورد في انكلترا .

ـ يعمل حاليا خبيرا في منظمة الاقطار العربية المصدرة للبترول في الكويت .

لهذه الاغراض .

الا ان الاكتشاف الحقيقي للنفط الخام لم يتم الا عام ١٨٦٠ حين قام الكولونيل دريك (Colonel Drake) بحفر البئر الاولى والتي كانت بداية لصناعة عظيمة لم يشهد لها العالم من قبل مثيلا . وفي عام ١٨٦١ بدأ تصدير اول شحنة من النفط المعبأ في براميل من امريكا الى انكلترا . وفي عام ١٨٨٦ تم تدشين اول ناقلة نفط وهي الناقلة « Gluckauf» وحمولتها ٢٣٠٧ طن . ومنذ ذلك الحين فإن ناقلات النفط تنقل النفط الخام من مصادر الانتاج الى مراكز الاستهلاك في شتى ارجاء العالم واخذت سعات الناقلات بالتزايد حتى اصبح معظمها من حمولة ٢٠٠ ألف طن وأكثر .

ورافق اكتشاف النفط تحرر كميات هائلة من الغاز المصاحب له والذي كان لا بد من عزله ليمكن خزن ونقل النفط بأمان . وكان هذا الغاز في اول الامر عبئا ومشكلة للباحثين والمستثمرين كانوا يعمدون الى حرقه طلبا للسلامة وبقي الوضع كذلك الى أن أمكن نقله لمسافات بعيدة بواسطة الانابيب وتوزيعه على المناطق الصناعية والتجارية والمنزلية . والغاز المستعمل اليوم لا يقتصر على الغاز المنتج من عمليات استخراج النفط فقط ، بل هناك الغاز الطبيعي الحر الذي ينتج من مكامن غازية في باطن الارض كما ينتج النفط الخام .

وبينما تصل حصة الغاز الى حوالي ١٩٪ من الاستهلاك العالمي للطاقة في الوقت الحاضر فان النفط لايزال هو المصدر الرئيسي للطاقة اذ انه يمد العالم بحوالي ٤٣ ٪ من حاجته للطاقة . ولا شك في أن حضارة اليوم قائمة على النفط بشكل أو بآخر .

ويبلغ الاحتياطي العالمي من النفط حسب تقديرات عام ١٩٨٢ نحو ٦٧٠ بليون برميل وهذا سينفذ في اقل من (٣٥) عاما اذا بقيت معدلات الاستهلاك على ما هي عليه الآن . لذا فان الابحاث تجري على قدم وساق لايجاد بدائل جديدة للنفط الخام .

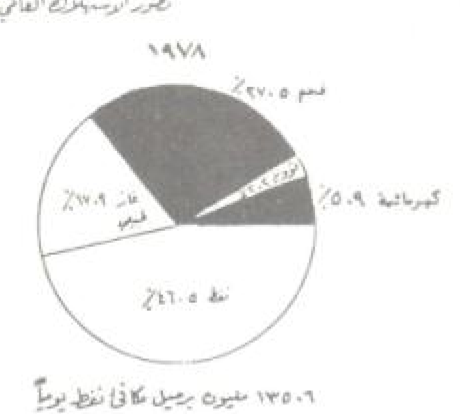
ان اول الاجراءات التي سوف تتخذ لمعالجة النقص في الطاقة هي تحسين الكفاية الاستخراجية للنفط حيث لا يتعدى ما يستخدم حاليا ٣٠٪ من النفط الموجود في المكمن ، فاذا امكن مضاعفة نسبة الاستخراج ، طبعا بزيادة في كلفة الانتاج ، فان هذا سيؤدي الى مضاعفة الاحتياطيات المعروفة ومد عمر الحقول المنتجة للنفط .

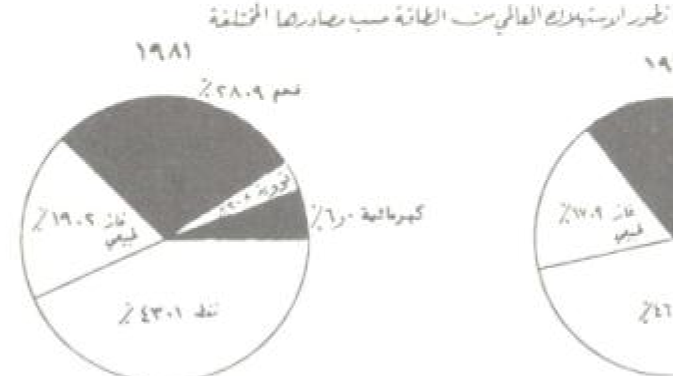
الفحم الحجري

اما الفحم فمن المعروف بأن احتياطياته المؤكدة تعادل اربعة اضعاف احتياطي النفط على الاقل من الناحية الحرارية ، ولكن الصعوبات الفنية في استخراجه واستهلاكه وكذلك المشاكل العمالية المستمرة في صناعة الفحم تجعل من المستبعد ان تزيد مساهمة الفحم بصورته الحالية على ما هي عليه الآن . انه من المؤكد ان يلجأ الى الفحم لتجهيز المزيد من الطاقة في المستقبل وذلك عند تحسين كفاية عمليات تحويل الفحم الى وقود سائل او غازي . وهناك مشاريع لتحويل الفحم الى غاز وهو في باطن مناجمه مما يمكن معه الاستفادة من كميات هائلة من الفحم لا يتسنى الوصول اليها بواسطة تكنولوجيا الوقت الحاضر ، وكذلك تحويله الى وقود سائل بمعاملته مع الهيدروجين لانتاج هيدروكربونات غازية وسائلة من المقطرات الوسيطة الشبيهة بالكيروسين وزيت الديزل اضافة الى مواد صلبة قليلة المحتوى الكبريتي وصالحة للاستعمال في محطات توليد الطاقة الكهربائية .

ومن مصادر الطاقة الحالية الطاقة النووية حيث يجري الحصول على طاقة كبيرة بواسطة عملية الانشطار Fission لمادة اليورانيوم ٢٣٥ . ويتم نقل حرارة التفاعل بواسطة استعمال الغازات او السوائل المبردة التي تستعمل بدورها في توليد البخار ذي الضغط العالي الذي

تطور الاستهلاك العالمي من الطاقة حسب مصادرها المختلفة





تقرير الامين العام السنوي التاسع ١٩٨٢ منظمة الاقطار العربية المصدرة للبترول .

يستعمل لتدوير التوربينات وانتاج الطاقة الكهربائية . وكان ما ينتج من الطاقة الكهربائية من هذا المصدر يعادل ٣,٨٢ مليون برميل مكافيء من النفط في اليوم في عام ١٩٨١ ، وهذا يمثل ٢,٧٥٪ من الاستهلاك العالمي للطاقة .

وكذلك يتم استخدام مساقط المياه الطبيعية (الشلالات) والاصطناعية (السدود) في انتاج الطاقة الكهربائية ويبلغ ما ينتج من هذا المصدر ٦٠٪ من اجمالي الاستهلاك العالمي او ما يعادل ٨,٣ مليون برميل مكافيء نفط يوميا .

المصادر الجديدة للطاقة

يجري البحث الآن عن مصادر جديدة للطاقة لتحل محل المصادر السابقة عند نضوبها او تناقصها ، وهذه المصادر الجديدة على نوعين :

١ ـ مصادر ناضبة : مثل الرمل القيري « Tar Sands » والزيت الصخري او السجيل « Shale oil » حيث يتم استخلاص النفط منها بالتسخين في اجهزة خاصة . وهذه المصادر تتوفر باحتياطيات كبيرة تفوق احتياطيات النفط الخام رغم تفاوت التقديرات .

٢ ـ مصادر متجددة : وهي اما محدودة الامكانية كطاقة الرياح والمد والجزر وحرارة المحيطات والحرارة الجوفية او مصادر تكاد تكون محدودة الامكانية كالطاقة الشمسية والهيدروجين والاندماج النووي « nuclear fusion »*.

الطاقة الشمسية

منذ اكثر من (٤) بلايين سنة والشمس تمد هذه الارض بفيض لاينضب من طاقة نظيفة رخيصة ومستمرة ، والشاهد على ذلك هو وجود الحياة على الارض . ان الشمس مصدر هائل للطاقة ويقدر ما تتلقاه الارض منها بما يعادل

* د . سعود يوسف عياش ، تكنولوجيا الطاقة البديلة ، سلسلة عالم المعرفة (٣٨) ، شباط ١٩٨١ ، الكويت .

انتاج العالم للطاقة من كافة المصادر الاخرى بمقدار ٢٥ ألف مرة ، الا أن ما يستفاد منها ليس الا جزءا صغيرا ** .

ولقد كثر الاهتمام بموضوع استغلال الطاقة الشمسية مؤخرا وتجرى التجارب والبحوث المستفيضة في شتى انحاء العالم لتحسين واكتشاف طرق اقتصادية للاستفادة من طاقة الاشعاع الشمسي . ويتم ذلك بواسطة اجهزة تسمى بالمجمعات الشمسية « Solar Collectors » وهي على انواع فمنها مجمعات مسطحة واخرى مقعرة ومنها ما يستعمل المرايا في تركيبها للحصول على درجات عالية . ويكثر استعمال المجمعات الشمسية في تسخين المياه والتدفئة المنزلية .

الا ان التقدم الكبير الذى حصل كان في امكانية التحويل المباشر للطاقة الشمسية الى طاقة كهربائية بواسطة الخلايا الشمسية (Photovoitaic or Solar cells) ، واذا امكن انتاج هذه الخلايا بأسعار زهيدة فستحدث انقلابا في موازين الطاقة .

الطاقة الحرارية الجوفية Geothermal Energy

مصادر الحرارة الجوفية موجودة في كل مكان ، وهي في الواقع طاقات حرارية دفينة في اعماق الارض وتكثر بصورة رئيسية في الاماكن التي تصل فيها المياه الى الصخور الساخنة او حيث يستطيع الانسان ان يوصل المياه الى تلك الصخور بطريقة مناسبة فيخرج بخارا يستخدم في توليد الكهرباء . وتنتشر الحقول الحرارية الجوفية في نيوزيلندة وايسلندة واليابان والولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي .

ومعظم الحقول المستخدمة في الوقت الحاضر هي لانتاج البخار الجاف الذى يمكن استخدامه لتحريك توربينات محطات الكهرباء مباشرة . اما غالبية الحقول فهي تنتج ماء ساخنا لا يحوى الا كميات قليلة من الطاقة ، والابحاث والتجارب مستمرة لتحسين كفاية استغلال هذا المصدر .

طاقة الرياح Wind Energy

الرياح احدى مظاهر الطاقة الشمسية وسببها عدم تسخين الشمس لسطح اليابسة والبحر بالتساوى . وقد عرف الانسان استخدام هذه الطاقة فبنى الطواحين الهوائية منذ مئات السنين لطحن الغلال ورفع المياه ، كما استعمل الرياح في تسيير السفن الشراعية التي بقيت تستعمل لآلاف السنين حتى حلت محلها السفن البخارية في منتصف القرن التاسع عشر .

ولقد شاع استعمال الطواحين الهوائية لتوليد الطاقة الكهربائية على نطاق محدود في الدانمارك منذ عام ١٨٩٠ . وقد تم في عام ١٩٧٩ تشغيل طاحونة هوائية بقدرة ٦٣٠ كليوواط . ويجرى الان في المانيا بناء طاحونة هوائية بقدرة (٣) ميكاواط .

الا ان هناك صعوبات جمة في استعمال هذا المصدر نظرا لتغير سرعة واتجاه الريح وعدم ثباتها ، كما ان من اللازم حل مسألة تخزين الطاقة عند توفر الرياح .

الطاقة من البحار

تؤلف البحار ثلثي مساحة الارض وتتعرض هذه المساحة الهائلة الى حرارة الشمس . وقد وجد ان حرارة سطح البحر في المنطقة المحصورة بين خطي عرض ٢٠° شمالا وجنوبا تبقى ثابتة

** Roy Meador, Future Energy Alternatives, An Arbor Science publishers Inc .1969 .

طوال العام وبمعدل ٢٥° مئوية بينما تنخفض درجة الحرارة كلما زاد عمق المياه حتى تصل الى درجة ٥ مئوية عند عمق ١٠٠٠ متر تحت سطح البحر . والفكرة تقوم على الاستفادة من هذا الفرق في درجات الحرارة لانشاء محطات حرارية لتوليد الطاقة الكهربائية . *

وهناك في البحار ظاهرة « المد والجزر » التي تتكرر أربع مرات في اليوم بسبب قوة جاذبية القمر للكتلة المائية ، وقد يبلغ الارتفاع في بعض المناطق (١٠) امتار . ويمكن الاستفادة من حركة المد والجزر بانشاء سدود على منافذ بعض الخلجان او الانهار تسمح بدخول الماء حين ارتفاع المد وتصريفه عند الجزر مارا عبر توربينات لتوليد الطاقة الكهربائية . وقد تم بناء محطة من هذا النوع في فرنسا على نهر الرانس « la rance » وكذلك في منطقة كسلايا كوبا في الاتحاد السوفيتي .

وتجرى تجارب للاستفادة من حركة الامواج ومن التيارات البحرية وكذلك من تخمير الاعشاب البحرية لانتاج الميثان حيث من الممكن انتاج (٣٠٠) متر مكعب من غاز الميثان من الطن الواحد من هذه الاعشاب .

مصادر اخرى للطاقة

يمكن الحصول على الطاقة من مصادر اخرى كالنفايات ومخلفات الحيوانات ومن الكتل الحيوية « Biomass » من بقايا الاشجار والنباتات التي يمكن حرقها او تحويلها الى وقود سائل او غاز بعملية التخمير .

كما ان عملية الانصهار النووى « nuclear fusion » يمكن ان تجهز العالم بحاجته من الطاقة لبلايين السنين لو أمكن حل المشاكل والصعوبات الفنية المتعلقة باحتواء هذا التفاعل الذى تصل فيه درجات الحرارة الى ١٠٠ مليون درجة مئوية .

الخاتمة

ليس للمصادر الجديدة للطاقة عموما ، سواء الناضبة منها او غير الناضبة تأثيرات مهمة في تجهيز الطاقة على نطاق تجارى حتى الآن ومازال الاعتماد مقتصرا على الوقود التقليدى ، ولا بد من الانتظار سنوات عديدة قبل ان يصبح للمصادر الجديدة دور ملموس في صناعة الطاقة العالمية .

وباستثناء بعض الاحتياطيات المهمة من الزيت الصخرى في كل من المغرب والاردن ، فليس في البلاد العربية احتياطيات اخرى غير نفطية من المصادر الناضبة . وتتوفر بعض المصادر الحرارية الجوفية في الصومال واليمن الشمالي كما توجد مصادر الكتل الحيوية في السودان والمغرب ومصر الا انها مصادر محدودة الامكانيات وغير مستغلة .

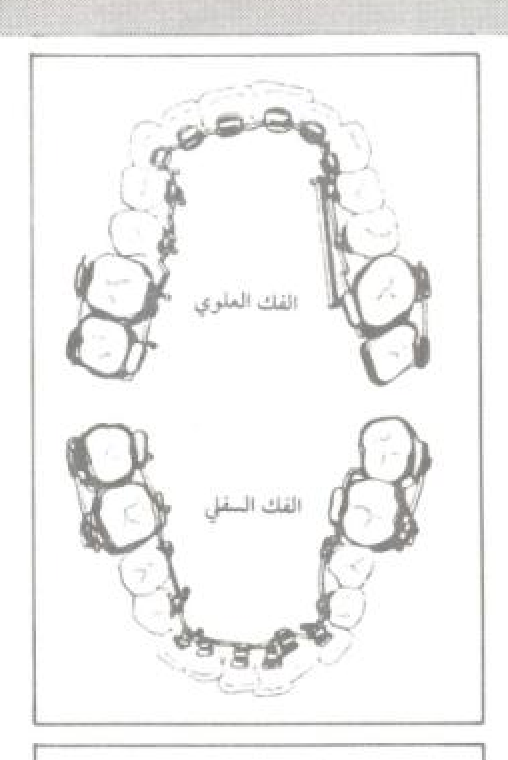
اما الطاقة الشمسية فما زالت محدودة الاستعمال في بعض الاقطار العربية كالعراق والاردن ومصر .

ان مصادر الطاقة الجديدة والمتجددة تكاد تحتكر من قبل الدول الصناعية ، سواء من حيث امتلاكها لمعظم احتياطياتها او للتقنيات التي يتطلبها تطوير هذه المصادر كما هو واضح في الطاقة النووية والوقود الصناعي والطاقة الشمسية وعلى البلاد العربية ان تزيد من اهتمامها بتطوير المصادر النفطية وتحسين نسبة الاستخراج والكشف عن مكامن هيدروكربونية جديدة واجراء الدراسات والمسوحات بحثا عن المصادر غير الهيدروكربونية استعدادا لعالم خال من النفط . ○

---

* Andre, brin, Energy and the oceans, westbury house England 1981 .

الجديد في العلم والطب

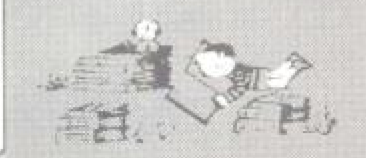


طريقة جديدة لتقويم الأسنان الناشزة

اعداد:
يوسف زعبلاوي

من المعروف ان العمليات التقليدية في تقويم الاسنان الناشزة بواسطة الاسلاك تستغرق وقتا طويلا ولا تصلح للكبار .. ثم انها تشوه الفم ، بقدر ما تلفّ اسلاكها الاسنان من الخارج .

من هنا كانت الطريقة الجديدة في تقويم الاسنان موضع ترحيب واقبال لدى الصغار والكبار على حد سواء . وفي ذلك يقول الاتحاد الامريكي لاطباء الاسنان بأن الذين راحوا يقومون اسنانهم من الكبار قد تكاثروا في الولايات المتحدة بنسبة تراوحت بين ٥٠ ـ ٧٥٪ وذلك منذ ظهور الطريقة الجديدة في السبعينات . لا عجب اذن أن يبلغ مجموع الذين يقومون اسنانهم في امريكا حاليا بالطريقة الجديدة اربعة ملايين نسمة وان كان عدد الكبار منهم « ١٨ سنة فما فوق » ٨٠٠,٠٠٠ نسمة .. أي بنسبة ٢٠٪ . وليس هنا مجال الحديث



المفصل عن طريقة التقويم الجديدة .. فحسبنا الاشارة الى أن مخترعها ، واسمه كرافن كورز (Craven Kurz) في التاسعة والثلاثين من عمره ويسكن بيفرلي هلز في كليفورنيا .. وهو طبيب اسنان طبعا ، وكان يدرّس طب الاسنان في مدرسة طب الاسنان المعروفة (U.C.L.A) وقد عالج بطريقته الجديدة عددا كبيرا من الممثلات والراقصات واحرز من النجاح ما شهر طريقته في شتى الاوساط ومختلف البلدان .

ومما يذكر ان ٣٠٠٠ من أصل ٧٤٠٠ طبيب اسنان في الولايات المتحدة قد تقدموا بطلب الالتحاق بالمعهد الذي اقامه كورز لتدريب الاطباء على تقويم الاسنان بطريقته الجديدة .

وتكاليف طريقة كورز الجديدة تفوق تكاليف الطريقة القديمة بنحو ٣٠٪ وهي تستغرق من الوقت أكثر مما تستغرقه القديمة بحوالي ٣٠٪ ايضا ... والمقصود هنا انما هو الوقت المطلوب لتركيب الأسلاك لا الوقت الذي تتطلبه الطريقة الجديدة لاستكمال التقويم . فالطريقة الجديدة لا تحتاج لاكثر من شهرين بالمتوسط لتقويم الاسنان وذلك مقابل ١٨ ـ ٢٤ شهرا وهو الوقت الذي تحتاجه الطريقة القديمة .





أحياء : في ظلمات المحيطات

مؤسسات البحث العلمي في الغرب كثيرة لا تعد ولا تحصى .. نراها تعمل ليل ونهار وتنفق الاموال بلا حساب بدافع تقصّي الحقيقة فحسب . حتى لو كانت تلك الحقيقة بدون مردود أو نفع مادي .. ولعل هذه النزعة الى معرفة الحقيقة ، وبذل الغالي والثمين من أجل معرفتها .. سواء كان ذلك في الفضاء أو الخلية أو الذرة أو في مجاهل الطبيعة .. لعل هذه النزعة هي الفارق الاساسي بينهم وبيننا .

وقد امتدت هذه النزعة مؤخرا الى منطقة نائية غامضة .. اعماق المحيطات المظلمة التي لا يصل اليها ضوء الشمس . فقد اتفق علماء الغواصة (ألفن) ان اكتشفوا اكتشافا مذهلا يتنافى وقوانين الحياة الأساسية المعروفة حتى الآن . اكتشفوا ان طائفة من المخلوقات الجديدة بالنسبة الى العلم تعيش في تلك الظلمات التي لا يصل اليها ضوء الشمس وتبلغ ابعادا كبيرة في نموها تفوق أبعاد امثالها من المخلوقات التي تعتمد على ضوء الشمس . أما



المكان الذي اكتشفت فيه تلك المخلوقات فكان في قاع المحيط الهادي غير بعيد عن جزر جلاباجوس ، وعلى عمق ٢٥٠٠ متر . .

وشملت تلك المخلوقات فيما شملت البطلنيوس العملاق وبلح البحر الاصفر . . وسرطان البحر والديدان . . وشملت أيضا سمكة عجيبة تشبه الانكليس . . عجيبة لا لأنها اختفت على العلم والعلماء حتى الآن . ولكن لانها من النقاريات وتعيش في منأى عن ضوء الشمس . . ولعلها الوحيدة التي خرجت على سنّة الحياة في هذا الصدد . . واضطر العلماء المكتشفون إلى أن يسموا السمكة المذكورة مؤقتا (سمكة ٢١ درجة شمال) ، وذلك نسبة الى المكان الذي اكتشفوها فيه ، وهو يقع على عمق (٨٥٠٠) قدم ، عند خط عرض ٢١ درجة شمال .

على ان اهم مايذكر عن تلك البيئات المظلمة شقوق القاع التي يتغلغل فيها ماء البحر ليسخن وترتفع حرارته الى ٧٠٠ درجة فهرنهيت . . لا عجب اذن ان امتص ماء البحر الساخن هذا طائفة من الاملاح المعدنية من الصخور المحيطة بالمكان واصبح مشبعا بمركبات غنية بالكبريت . . وتتحول هذه المركبات تحت تأثير الحرارة والضغط الى سلفايد الهيدروجين . ومع ان هذه المادة سامة جدا الا انها الغذاء الشهي لبعض صنوف البكتريا التي تعيش على الينابيع (Geysers) التي توجد في قاع المحيط . . ولكن هذه البكتريا التي تأكل تلك المادة السامة هي الغذاء الضروري الذي تعتمد عليه شتى المخلوقات في تلك الظلمات .

والذي يهمنا من هذه التفاصيل هو ان الحرارة الجوفية هي التي مكنت تلك المخلوقات من العيش والنمو ، وانها قامت في ذلك مقام ضوء الشمس . وفي ذلك يقول هولجر جناش Jan-nash عالم الميكروبيولوجيا في معهد وودزهول Woods Hall في ماساتشوستس . . يقول : « لو ماتت الشمس وتوقفت عن الاضاءة في مستقبل بعيد ، لما توقفت معها الحياة في ظلمات المحيطات ، بل لبقيت هذه المخلوقات تنبض بالحياة وتنمو معتمدة في ذلك على حرارة باطن الارض . . علما بان موت الشمس يعني فناءنا وفناء كافة النباتات الخضراء وغير ذلك . . » .

فما السر في ذلك كله . . وكيف تحل الحرارة الجوفية محل ضوء الشمس في تمكين المخلوقات من العيش في ظلمات المحيطات . . وبلوغ ابعاد عملاقة في النمو لم تكن في الحسبان . .

وما اسرع ما رصدت المخصصات (١,٧ مليون دولار) لتقوم الغواصة (ألفن) برحلة أخرى جديدة في منطقة باجاكليفورنيا الواقعة على بعد ١٥٠ ميلا الى الجنوب من كليفورنيا ، وذلك بقصد جمع مزيد من المعلومات عن ظلمات المحيطات ومخلوقاتها وبأمل الرد على الاسئلة التي مازالت تحير العلماء .



الشيخوخة المبكرة وأمراض العصر

بقلم : الدكتور ابراهيم الصياد

○ كيف نحتفظ بشبابنا مدة أطول ؟
وهل نستطيع أن نحافظ على صحتنا سنوات اكثر ؟

ان الشيخوخة تخضع لعوامل الوراثة ويتحكم فيها الجهاز العصبي ، اما الموت فسببه المرض ، وبما أن المرض يعالج بالدواء فان متوسط العمر البشري يزداد مع تقدم الطب .

فالهرم لاتحكمه الصبغيات الوراثية أو المخ أو اجزاء أخرى من الجهاز العصبي ولكنه يحدث في كل عضو وخلية . ففي متوسط العمر يبدأ تدهور تدريجي في الوظائف الحيوية للخلايا

والأعضاء .

ولكن بعض الأمراض لاتعالج بالدواء ! فتصلب الشرايين ، وتمدد الرئة والسرطان والسكري وأمراض المفاصل وتليف الكبد ، كلها امراض ليس لها علاج قاطع حتى الآن ، لذلك فان اتباع نظام وقائي في الحياة قد يكون أجدى لحفظ الصحة من مختلف الوسائل العلاجية . واذن فلا داعي لأن نشغل انفسنا بطول العمر ، بل بنوعية الحياة .

ان المرحلة الاخيرة بما فيها من ضعف القدرات الجسمية والعقلية،والمرض المزمن المستعصي ، وضرورة الاعتماد على الغير ، هي مايخشاه الناس اكثر من الموت فليكن هدفنا ليس طول الحياة ولكن طول فترة الحيوية خلال العمر .

اكسير الحياة ماهو ؟

منذ قديم الزمان يبحث العشابون والكيماويون عن اكسير الحياة ، الذي يجدد الشباب ، ويعطي الحيوية ، وزعم الكثير منهم انه موجود في بعض النباتات او الفيتامينات أو خلاصة بعض الأنسجة الحيوانية او اللبن المتخمر أو الامصال والاشربة أو سموم الثعابين أو الغذاء الملكي للنحل .

وحتى الآن مازالوا في فرنسا يعتقدون في خلاصة المشيمة ، وفي الاتحاد السوفيتي يعتقدون في نبات الصبار وفي الطين المشع الذي يقيمون له مصحات في جنوب البلاد مثل التي عولج فيها جمال عبد الناصر . ومنذ سنوات اعلنت أنا أصلان في رومانيا عن عقار هـ ٣ وأسموه (جير وفيتال) ، وتهافت عليه العالم من زعمائه الى بسطائه ومن أشهر من تعاطوه خرشوف وسوكارنو وهوشي منه ، فهل تجاوز من تعاطوه المائة عام ؟

اذن كيف كان يعيش المعمرون الذين تجاوزوا المائة عام ؟ فلنبدأ بالدول التي تحتفظ بسجلات دقيقة للمواليد وهي السويد وبريطانيا والولايات المتحدة وكندا واليابان . ومن واقع سجلاتهم نجد أنه ليس لديهم معمرون والذين تجاوزوا المائة عام حالات معدودة . فأطول عمر سجل في الدول الغربية كان لمواطن كندي مات عن ١١٣ سنة و١٢٤ يوما ، وفي اليابان مات شيجي شيو ايزومي عن ١١٤ عاما .

وماذا عن الفلاح القوقازي المسلم (شيرالي مسلموف) الذي أعلن في الاتحاد السوفيتي عام ١٩٧٣ أنه توفي عن ١٦٨ عاما ؟ لقد كان هذا النبأ دافعا للعلماء السوفيت والغربيين الى دراسة المناطق التي اشتهرت بالمعمرين وهي بالتحديد ثلاثة :

- مقاطعة انجازيا في جبال القوقاز ـ مقاطعة هونزا في جبال كراكورام في باكستان .
- قرية فلكابامبا المنعزلة في جبال انديز بالاكوادور .

وتبين من الدراسة ان هناك صفات مشتركة في هذه المناطق الثلاثة . فكلها بيئات ريفيه جبلية ترتفع كثيرا عن مستوى سطح البحر ويتميز سكانها بالفقر ، غذاؤهم قليل في السعرات الحرارية والدهون الحيوانية . والمثير هو انهم يتمتعون بدرجة عالية من النشاط الجسماني واللياقة البدنية ، البدانة نادرة جدا ، والخمر والتدخين غير شائعين فيهم ، ليس عندهم تقاعد بل يمضون في فلاحة الأرض في كهولتهم ، وليس فيهم من يشعر بانتهاء مهمته في الحياة .

لماذا نموت ؟

الطب يجيب على هذا السؤال من خلال جداول احصائية اعدتها منظمة الصحة العالمية عن أسماء الامراض واسباب الوفاة ولكل مرض

أو سبب رقم متعارف عليه دوليا ، ومن خلال هذه الجداول يتم تحديد اكثر اسباب الوفاة شيوعا في مختلف البلدان . تقول الدول المتقدمة انها تجاوزت مرحلة الوفاة من الأمراض الانتقالية التي كانت شائعة في الماضي ، ففي الولايات المتحدة اختفت تماما خمسة امراض من اربعة عشر مرضا ساريا وهي الجدري الذي اختفى من العالم كله لامن أمريكا وحدها ، ثم الدفتريا والتيتانوس وشلل الاطفال والتيفود . وقد انخفضت الوفيات من الدرن بنسبة ٩٩٪ ونتيجة لذلك فان الناس لايموتون مبكرا بهذه الامراض بل يعمرون ليموتوا بنوع آخر من الامراض ، فالنصف يموت بأمراض القلب والربع يموت بالسرطان والربع الباقي يموت بأسباب أخرى أهمها الحوادث . ولكن الحقيقة التي اتضحت للعلماء ، هو ان المرض العضوي ليس شرطا لحدوث الموت بل ان الشيخوخة وحدها كافية للموت دون أي امراض .

الرصيد الاحتياطي والشيخوخة

ان الشيخوخة ، أو الهرم ، هي تآكل الاحتياطي أو الرصيد الوظيفي لأعضاء الجسم الحيوية ، فالمعروف ان الجسم يحتفظ برصيد وظيفي من اربعة الى عشرة اضعاف مايلزمه في وضع الاسترخاء . والقلب ، في حالة المجهود ، يستطيع ان يزيد كمية الدم المندفع ستة أضعاف ، والكلي يمكنها اخراج الفضلات حتى لو لم يتبق منها الا مايوازي السدس ! وتجديد الهواء يمكن ان يتم بنصف رئة واحدة . . . والحياة يمكنها أن تستمر بربع الكبد . . . وبتقدم العمر يتآكل هذا الاحتياطي الوظيفي ، ولكننا نادرا مانلحظ ذلك الا في ظروف الاجهاد غير العادي . وهناك من يعرف الصحة بأنها تعني مقدرة الجسم على القيام بعملية التنظيم الداخلي بكفاءة تامة ، عند حدوث أي خلل في احدى وظائفه الحيوية . وهذه المقدرة تقل مع تآكل الرصيد الوظيفي ، لذا فان الموت يحدث عند فقدان المقدرة على هذا التنظيم . ومن هنا فان جسم الشاب يتحمل اصابة بالغة أو التهابا رئويا حادا بينما يموت المسن من كسر بسيط أو نوبة انفلونزا في الشتاء !

الشيخوخة والمرض

يتميز هذا العصر بمجموعة من الأمراض تسبب حوالى ٨٠٪ من الوفيات و ٩٠٪ من حالات العجز ، ولذا يطلقون عليها في الدول الصناعية اسم « امراض العصر » وتشمل تشحم وتصلب الشرايين ـ والسرطان ـ والبول السكري ـ والرئية (تآكل المفاصل وتمدد الحويصلات الهوائية والتليف الكبدي) . وتتولد هذه الامراض بطريقة تجعلنا نعتبرها حالات شاملة وليست أمراضا مزمنه . فهي تتميز بأنها عامة ويصحبها فقد في الاحتياطي الوظيفي للاعضاء ثم هي أيضا متزايدة ولها مرحلتان : ـ اولها كامنه بدون اعراض والثانية ظاهرة على شكل حالة مرضية . وتبدأ هذه الحالات بعد سن الثلاثين بتغيرات طفيفة في الخلايا . وبعد فترة يمكن رؤية هذه التغيرات بالمجهر . ثم تتطور لدرجة يمكن اكتشافها بالتحاليل المختبرية . واخيرا تظهر الاعراض ومن هنا تسمى الحالة مرضا ينتهي بالعجز أو الوفاة .

وأفضل مثال لذلك هو الحالة المعروفة بتصلب الشرايين أو التشحم الشرياني . فهذه الترسبات الدهنية تبدأ في بعض الناس في العقد الثالث على شكل بقع داخل الشريان ، يتلوها تليف في الجدار العضلي للشريان وبذلك يضيق الشريان ويتصلب جداره فيصعب مرور الدم فيه مما يستدعي زيادة ضغط الدم وهذه الزيادة

بدورها تزيد من الضرر الذي يصيب جدار الشريان . وقد تلتصق الصفائح الدموية بهذه الترسبات الدهنية الخشنة فتسبب جلطة تسد الشريان وقد تحدث الوفاة اذا كان هذا الشريان هو شريان الموت المفاجىء (الشريان التاجي الامامي الأيسر) أو احد شرايين المخ . اما اذا كان الضيق يصيب الشرايين كلها بدرجة واحدة فان الاعراض تنتج في تلك الحال من نقص الدورة الدموية في الاعضاء ، مثل آلام الذبحة الصدرية .

والمثال السابق يوضح مفهوم الحالة الشاملة . فالتغيرات تحدث قبل ظهور اعراض المرض بوقت طويل ، مصحوبة بتدهور في الرصيد الوظيفي الى ان نصل الى اللحظة التي تحدث فيها الاعراض فتصير الحالة مرضا مزمنا لارجعة فيه . وقد يحدث استعجال النهاية مؤثرات صلتها قوية بعوامل بيئية ، أو اسباب يحدثها الشخص لنفسه . وبالطبع يختلف معدل تطور الحالات من شخص الى آخر .

ومايطلق عليه امراض العصر تنطبق عليه مراحل التطور السابقة .

فالسرطان مثلا يبدأ بخلية واحدة تتكاثر الى خليتين وبسرعة تصير اربعة ولكن جهاز المناعة الليمفاوي يرسل دوريات تفتيش من خلايا خاصة فتلتهم خلايا السرطان في مهدها . وبتقدم العمر تقل مقدرة خلايا التفتيش على اداء وظيفتها فتتكاثر خلايا السرطان دون رقيب . ولقد اكتشف العلماء اخيرا هرمون **DHEA** الذي تفرزه الغدة الكظرية ويساعد على الوقاية من سرطان الثدي . وبتقدم العمر يقل انتاج هذا الهرمون .

نحن لانعرف على وجه التحديد ماهي العوامل التي تساعد على سرعة تطور هذه الحالات الشاملة . وما من شك في أن أهم وسائل التحكم في الشيخوخة المبكرة هي محاولة ابطاء مسيرة هذه الامراض . وحيث أنها هي أهم أسباب فقدان الرصيد الوظيفي للاعضاء لذا كانت الشيخوخة أخطر قضايا الصحة في هذا العصر . واذا عرفنا العوامل المساعدة على سرعة تطور هذه الحالات امكن وضع استراتيجية لصحة أفضل ، وذلك بتأجيل تحول الحالة الشاملة الى مرض واضح .

هناك مؤشرات على أن نصف حالات السرطان تنتج من عوامل بيئية مثل التدخين وتلوث البيئة وتعاطي الخمر والعقاقير ومركبات الكافيين . لذلك سنحاول استعراض العوامل المختلفة التي يمكنها التأثير في مسيرة هذه الامراض . وسوف يتبين ان انحرافنا عن الفطرة أو الحياة الطبيعية التي كان يعيشها أجدادنا كان عاملا مساعدا في تولد الحالات الشاملة وظهور امراض العصر التي تستهلك الرصيد الوظيفي للاعضاء . ولكن ماذا اذا تلافينا امراض العصر ؟

بالطبع ستبقى الشيخوخة الطبيعية التي لابد ان يواجهها كل منا . ولكنها تكون خالية من العجز والامراض .

الرياضة البدنية

اذا مارسناها في الهواء الطلق بصورة منتظمة بدون الم وبدون احداث اصابة أو ضرر فانها تكون من أفضل الوسائل ، لانها تزيد الرصيد الوظيفي للقلب والرئتين وتوسع الشرايين ، وتخفض معدل الكولسترول ، وتساعد في تخفيض الوزن ، وتنظم حركة الأمعاء ، وتقوي العظام والعضلات ، وتشد اربطة المفاصل ، وتحسن استهلاك الجلوكوز ، وتقلل حالات التوتر . أي أنها صمام أمان لكثير من عوامل الخطر . والجهاز العصبي عند الرياضيين نشيط سريع الاستجابة لدرجة ان الرياضي في سن الخمسين عنده سرعة استجابة توازي سرعة

استجابة شخص في الثلاثين من غير الرياضيين .

الامتناع عن التدخين

فالتدخين هو أخطر العادات التي يمارسها الانسان بارادته وتبدأ آثاره بعدد قليل من السجائر . وتشتد مع زيادة الكمية ، وطول مدة التدخين . وقد ترتد الحالة الى الوضع الطبيعي اذا اقلع المدخن في وقت مبكر . واثر التدخين في الاصابة بسرطان الرئة وتمدد الحويصلات الهوائية وامراض الدورة الدموية أثر معروف . لذا فهو أهم سبب لأكثر الأمراض المزمنة وأشدها خطورة . فحوالي ٣٠٪ من السرطان يصيب الرئة ، وحوالي ٩٠٪ من سرطان الرئة سببه التدخين ! ولا يزول احتمال الاصابة بالسرطان الرئوي الا بعد مرور عشر سنوات على الاقلاع عن التدخين وبذلك تتساوى احتمالات الاصابة بالسرطان في المدخن وغير المدخن .

لا للمشروبات الكحولية

فهي تعتبر السبب الرئيسي لتليف الكبد وتساعد على نزيف المعدة والأمعاء وتسبب كثيراً من حوادث السيارات وجرائم القتل والانتحار . ومتعاطي الخمر يمضي وقتاً في المستشفى يتراوح بين ثلاثة إلى خمسة اضعاف ما يقضيه الشخص العادي . كما أن عمره أقصر بصورة واضحة . ومن الآثار النفسية لإدمان الخمر الاكتئاب ونقص القدرات وتدهور الشخصية .

تجنب البدانة

لأنها تساعد على زيادة في ضغط الدم ومعدل الكولسترول والدهنيات الأخرى في الدم ، وتزيد من التعرض لأمراض البول السكري والحويصلة المرارية والنقرس كما ترتبط البدانة بقلة الحركة وما يتبع ذلك من آثار ضارة .

مراعاة الغذاء

يوجد الكولسترول في الدم على صورتين : ٧٥٪ منه على شكل بروتينات دهنية منخفضة الكثافة ، ٢٥٪ بروتينات دهنية عالية الكثافة . والنوع الأول هو الخطير الذي يترسب في الشرايين ، ويوجد في الأطعمة ذات الدهون الحيوانية المشبعة لذلك يفضل تعاطي الدهون النباتية المحتوية على احماض دهنية غير مشبعة مثل زيت الذره . وعادة تقترن امراض الشرايين بزيادة الكولسترول الخفيف والبدانة وارتفاع ضغط الدم وقلة النشاط الجسماني .

ولكن المؤكد ان المجهود العضلي يفيد في زيادة نسبة البروتينات الدهنية عالية الكثافة التي لا تترسب في الشرايين . وهذه من فوائد الرياضة البدنية . ومن الطريف ان اليابانيين الذين كانوا يعيشون حياة بدائية بالغذاء الياباني القديم ، ليس عندهم ارتفاع في الكولسترول ولا تصلب في الشرايين . أما الذين تركوا بيئتهم وعاشوا حياة عصرية فقد اصيبوا بتصلب الشرايين . والغذاء الطبيعي غنيّ بالألياف النباتية فقير في الدهون الحيوانية .

السموم البيئية

وتشتمل على كثير من الملوثات مثل غبار الاسبستوس والكروم والكيماويات الأخرى وكذلك التعرض للاشعاع الطبي وفيما عدا بعض الصناعات الخطرة ، فان السموم البيئية أقل خطراً من السموم التي تنتقل الينا من التدخين .

الاحباط

هناك حالات نفسية كثيرة تؤثر على الصحة البدنية أما مباشرة او بطريق غير مباشر . لقد رزقنا الله وسائل دفاعية تمكننا من التكيف مع مشاكل الحياة ، والاستعمال السليم الواعي لهذه الوسائل الدفاعية ، يقينا من كثير من الأمراض النفسية والبدنية . والأشخاص الذين رزقوا نعمة الايمان لتقبل المشاكل واستيعابها بالصبر والاحتساب أكثر حظاً من غيرهم في التمتع بصحة جيدة .

الاستسلام والكسل

وقد اجريت تجربة على مجموعتين من المسنين ، اعطيت المجموعة الأولى حرية الارادة وامكانية النشاط والحركة في ظروفهم المعيشية ، أما المجموعة الثانية فقد عاشوا حياة سلبية طبقاً لبرنامج مفروض عليهم في المواعيد واسلوب الحياة . وبعد عام ونصف تبين أن المجموعة الأولى أسعد وانشط وأصح من الثانية وكانت نسبة الوفيات فيها نصف نسبة المجموعة الثانية .
لذا فان تشجيع الاختيار الحر والنشاط الفردي يؤثر على تطور الشيخوخة . فالكهل يستطيع ان يتعلم ويتغير ، وهناك جوانب كثيرة من الشيخوخة تخضع لتحكمنا . وأفضل وسيلة للاحتفاظ بوظيفة حيوية معينة هو تدريب هذه الوظيفة . وهذا يحتاج الى قرار فردي ومجهود فردي . وبهذا المجهود يمارس الشخص نشاطه البدني ليحتفظ بالرصيد الوظيفي للقلب والرئتين والكليتين والمفاصل ، ويتجنب العقاقير والتدخين والخمر ويبذل مجهوداً ذهنياً لحل مشاكله فيحتفظ بالرصيد العقلي ، ويحرص على التفاعل الاجتماعي لتوفير الدافع لاستمرار الحياة والنمو .

مقاييس الشيخوخة

هناك مقاييس فسيولوجية مثل الاحتياط الوظيفي للقلب والسعة الحيوية للرئتين ومقدرة الكبد والكلى على التخلص من الفضلات والسموم وزمن التفاعل وسرعة انتقال الاشارات العصبية .

ـ وهناك مقاييس مرئية مثل شيب شعر الابطين وزوال مطاطية الجلد وعتامة عدسة العين وتصلب جدران الشرايين الكبيرة .

ـ وهناك مقاييس سيكولوجية مثل ضعف الذاكرة للأحداث القريبة وتبلور المعرفة وتغير السلوك الاجتماعي .

هل يمكن تحسين معدلات الاداء الوظيفي باتباع ما سلف ذكره من وسائل . . ؟ بالطبع نعم ـ ولكن هل هذا يعني اننا نستطيع ان نتجنب الشيخوخة ؟ ، بالطبع لا ـ فهناك تغيرات لا مفر من حدوثها ، سواء شئنا أو لم نشأ .

وصدق رسول الله ﷺ اذ يقول « لكل داء دواء الا الهرم » .

ـ وها نحن بعد ان استعرضنا نمط الحياة الطبيعية الذي يقودنا الى صحة أفضل وحيوية أطول نتبين أن كل هذه الوسائل وردت في ديننا الحنيف سواء باحلال الطيبات أو بتحريم الخبائث أو بالالتزام بالفطرة . ولنا عبرة في ليلة الاسراء والمعراج ، عندما عرض على رسول الله ﷺ خمر ولبن ، فاختار عليه الصلاة والسلام اللبن فغبطه موسى عليه السلام !

فهلا التزمنا بتعاليم ديننا الحنيف للفوز بسعادة الدنيا والآخرة .

« فطرة الله التي فطر الناس عليها . لا تبديل لخلق الله . ذلك الدين القيم . ولكن أكثر الناس لا يعلمون » .

« صدق الله العظيم »



أمل فى الخريف

بقلم : منير نصيف

انا نحس بمعنى الحياة حتى عندما تقسو . . ولكن متى ؟ عندما نشارك الآخرين حياتهم ونهتم بهم ونبقى معهم . . وعندما نعيش آمالهم وآلامهم فالحياة حب . . والحب لا بد وأن يجد له منفذا لانه لا يمكن ان يبقى حبيسا .

تركت فراشها فى ساعة مبكرة من الصباح وهى نصف نائمة . . كانت تعيش فى البيت الكبير الذى خلا من كل شىء الا الذكريات . . وكانت تشاركها فيه مربيتها العجوز الطيبة التى رفضت ان تتركها وحدها . أين ذهب هؤلاء الذين أحبتهم خلال تلك الرحلة القصيرة من الحياة التى تحولت الى خريف دائم ؟ الزوج قتلوه فى الحرب المجنونة التى لا تريد ان تنتهى . . اطفالها الثلاثة الصغار حملتهم جدتهم وذهبت لتعيش معهم فى مكان آمن بعيدا عن الموت والدمار ! وبقيت هى مع السيدة الطيبة التى لم تفترق عنها مع الألم فى هذه الدنيا المظلمة التى غربت عنها الشمس قبل أن يكتمل شروقها . .

كانت حائرة حزينة لا تدرى ماذا هى فاعلة بنفسها . . هل تترك البيت الذى قضت فيه أجمل سنى عمرها ؟ هنا عاش ابواها ، وبين جدرانه اطلقت صرختها الأولى . . ومع أشجار البستان الصغير الذى يحتضنه ، نشأت الطفلة وكبرت وتزوجت من الشاب الذى اختاره لها والدها وأصبح أبا لابنائها ثم فقدته الى الابد . . كل شىء فى بيت الاسرة القابع فى بطن الجبل يذكرها بالأيام الحلوة التى ما زالت تعيش فى رأسها والتى ولّت ولن تعود !

وسرحت ببصرها تتأمل الدمار وسحب الدخان التى ترتفع ثم لا تلبث أن تتلاشى . . كانت المدينة كلها تحترق من حولها . . أى ذنب

جنته هذه البراعم الصغيرة التى جفت قبل أن تتفتح تحت قدميها . . أى جريمة ارتكبتها الأشجار المسالمة المسكينة التى تحولت الى حطب محترق . . البيوت الصغيرة والكبيرة التى تحولت الى ركام وحطام ، ماذا صنعت لكى تلقى هذا المصير ؟

وفجأة عادت المدافع تدوى والقذائف تنطلق . . لقد تجدد القتال بين من . . . وضد من . . لا تدرى ؟ ورأت صديقتها ومربيتها قادمة الى حيث كانت تقف بين ما تبقى من أشجار بستانها ، وهى تصيح فى فزع : « الى المخبأ يا سيدتى . . عجّل ! »

وامسكت بيدها تجرها جرا . . وراحت تمشى فى تثاقل وهى تحدث نفسها ولماذا كل هذا الفزع ؟ هل بقى من الحياة شىء يستحق الحياة ؟ »

وانتهى القصف ليبدأ الفصل الثانى من المأساة . . البحث عن الضحايا ونقلهم ومحاولة انقاذهم من الموت .

هكذا كانت حياتها الجديدة فى بلدها وبيتها بعد الطوفان الذى جرف أمامه كل شىء فى الجبل والسهل والبحر . . يا له من عالم مجنون !

وقصدت الى غرفتها واستسلمت لآلامها . . ولكنها ما لبثت ان قفزت من مقعدها فجأة ونادت مربيتها : « لا . لن استطيع الاستمرار فى هذه الحياة مع الوحدة والالم . . غدا نحزم حقائبنا ونذهب الى حيث يعيش أبنائى . . أريد ان أكون معهم قريبة منهم ! »

لقد تغلب حنينها الى اطفالها على أحزانها . . وتركت البيت وحاولت أن تنفض تراب الذكريات عن رأسها المتعب . . وتحركت بها السيارة ، ولم تنظر وراءها . .

وهناك على بعد مئات الكيلومترات فى الضاحية الصغيرة الهادئة التى اختارتها الجدة لتكون ملجأ لاحفادها بعيدا عن الحرب والدمار ، وقفت أمام باب البيت تطرقه ، ولكن أحدا لم يجب !

أين ذهبوا ؟ قالت تسأل الجارة العجوز الطيبة التى كانت آخر من شاهد زوجها وهو يحمل سلاحه ليلحق بالرجال الذين وقفوا يصدون زحف المعتدين على الأرض التى أحبوها ورووها بدمائهم . ! ففى هذه الضاحية عاش الزوج الذى استشهد . . وفى هذا البيت الذى أصبح ملجأ لأطفاله وجدتهم ، قضى معظم سنى طفولته وشبابه قبل أن ينتقل الى المدينة قريبا من الجبل الذى التقى فيه بزوجته وأم اطفاله . .

وقالت الجارة وهى ترحب بها وتدعوها الى الدخول فى بيتها : « كيف حالك يا ابنتى . . اطفالك بخير والحمد لله . . وهم الآن عند « جدهم » الكبير . . هذا بيته » واشارت باصبعها الى بيت صغير يقع على الجانب الآخر من الشارع .

وقالت الأم فى دهشة : « جدهم . . أى جد . ؟ »

وابتسمت الجارة : « هكذا ينادونه . . اذهبي اليهم وسوف تجدينهم هناك مع جدهم »

وذهبت ، وفتحت لها أمها الباب . . وعلى بعد خطوات قصيرة رأتهم . . اطفالها الثلاثة الذين افتقدتهم وانتصرحنينها اليهم على الأحزان التى كادت تعصف بها خلال الأسابيع القصيرة التى أمضتها مع وحدتها فى بيتها فى الجبل . . كانوا يلتفون حول رجل عجوز يجلس على كرسي متحرك ، وقد تعلقت عيونهم به حتى أنهم لم يحسوا بقدومها فقد كان يروى لهم قصة من قصصه الكثيرة عن « الحياة الحلوة » التى تعودوا أن ينصتوا اليها كل يوم ، ويأتون خصيصا من أجل الاستماع اليها والاستمتاع بها .

ونادتهم ، وأقبلوا عليها يمطرونها بقبلاتهم . .



وأحس الرجل بالضيف الجديد الذى دخل بيته ، ولم يكن فى حاجة لأن يسأل عن شخصيته فقد سمع أصدقاءه الصغار وهم ينادون أمهم .. وابتسم فى سعادة ، فقد كانوا يحدثونه عنها كثيرا ، وكانوا يشكون له لأنها تأخرت ولم تعد اليهم كما وعدتهم !

وهمست الجدة في أذن ابنتها .. عندما سألتها : « من يكون هذا الرجل يا أمي ؟ » قالت : « انه كاتب كسيح ضرير ، كان من أشهر الكتاب المسرحيين في لبنان ، ثم أصيب في حادث انفجار قنبلة أمام بيته ، فحمل ما تبقى من جسده المشلول العجوز وجاء الى هذه القرية البعيدة الهادئة يقضي فيها ما تبقى له من عمر ! ان الأطفال يحبونه .. كل أطفال القرية ، ويأتون إليه كل يوم ليأكلوا الحلوى التي يوزعها عليهم ، ويستمعوا الى قصصه التي يرويها لهم .. إنه يجد في وجودهم حوله .. وفي صياحهم وصخبهم معنى جديداً للحياة التى افتقد حلاوتها

***

واتجهت الأم الى حيث كان يجلس « الجد العجوز » كما يناديه الأطفال ، رجل اقترب من العام الثمانين من عمره على الأقل .. فقد تركت السنون آثارها واضحة على وجهه الذي امتلأ بالتجاعيد .. وتحول شعر رأسه الى لون الثلج الأبيض الذي يغطي قمم الجبال في الشتاء .. وقد كان هو نفسه يبدو كما لو كان جبلا بعد الذي سمعته عنه وعن حكايته مع الزمن .

ودعاها الى الاقتراب منه ومد اليها يده مصافحا ، فأمسكت بها ، وراح يهزها في قوة ، ثم دعاها الى الجلوس ، وقال : « كنت أتوقع مجيئك قبل ذلك بكثير .. لقد افتقدك أطفالك ياسيدتي ! »

قالها وقد ارتسمت على وجهه المعبر ابتسامة رقيقة تنم عما كان يعتمل في صدره من فرحة بعودة الأم الى أطفالها .. ثم نادى أكبرهم سنا ، وكان قد جاوز السابعة بقليل وطلب اليه أن يحضر صندوق الحلوى الذي يوزع منه عليهم كل يوم . وقال : « هل نستطيع أن نشارككم فيها .. هذه المرة .. فقط هذه المرة احتفاء بقدوم والدتكم ! »

وضحك الأطفال ، وضحك معهم طويلا !

***

ثم ساد الصمت الغرفة ، وسالت من عيني الأم دمعة لم تستطع أن تحبسها .. لقد كانت

تتوقع أن ترى أي شيء في هذا « الجد العجوز » الا هذا الذي رأته ! . . شيخ يصاب بالعمى ويفقد القدرة على الحركة ومع هذا يحاول ان ينفذ من خلال هذه الغمامة السوداء ويرى الدنيا بعيون هؤلاء الصغار الذين أحبهم وأحب الحياة معهم ومن أجلهم !

وقطع صوته السكون . . . وتوقعت الأم أن تسمع منه شيئا عن رحلته مع الألم والشقاء . . فاذا به يسألها عن حياتها هي وماذا صنعت بها خلال المحنة التي تمر بها بلادهم ؟ .

وجلست تحكي له رحلتها بكل تفاصيلها . . كيف اختارت الحياة وسط جدران البيت الصماء لأنها لم تحتمل الافتراق عن هذا المكان الذي أصبح جزءا منها . . حتى صحت يوما من غفوتها لتسأل نفسها : « هل يمكن للانسان أن يعيش مع الماضي الى الأبد ؟ »

وعندما جاءها الجواب على تساؤلها ، حملت نفسها وجاءت تبحث عن المستقبل عند اطفالها الثلاثة الصغار الذين افتقدتهم .

***

كان « الجد » العجوز ينصت اليها باهتمام والابتسامة الرقيقة لا تفارق شفتيه لحظة واحدة ، حتى اذا ما انتهت من حكايتها قال : « أنا ـ كما ترين يا سيدتي الصغيرة ـ رجل حطمته الحياة بكل قسوة ، ومع هذا فما زلت أحب الحياة ، لأنني ما زلت آمل في غد أفضل أتمنى أن يمتد بي العمر كي أراه . قد تدهشين اذا قلت لك انني لم أشعر باليأس يتطرق الى قلبي لحظة واحدة ، حتى عندما حملوني من المستشفى الى هذا المكان البعيد الذي أعيش فيه الآن . . كنت أعلم أنني أصبحت رجلا كسيحا لن يقوى على الوقوف على قدميه مرة أخرى . كنت أعرف أن الحياة بالنسبة لي ستكون ظلاما في ظلام مستمر ، فقد صرت ضريرا . .

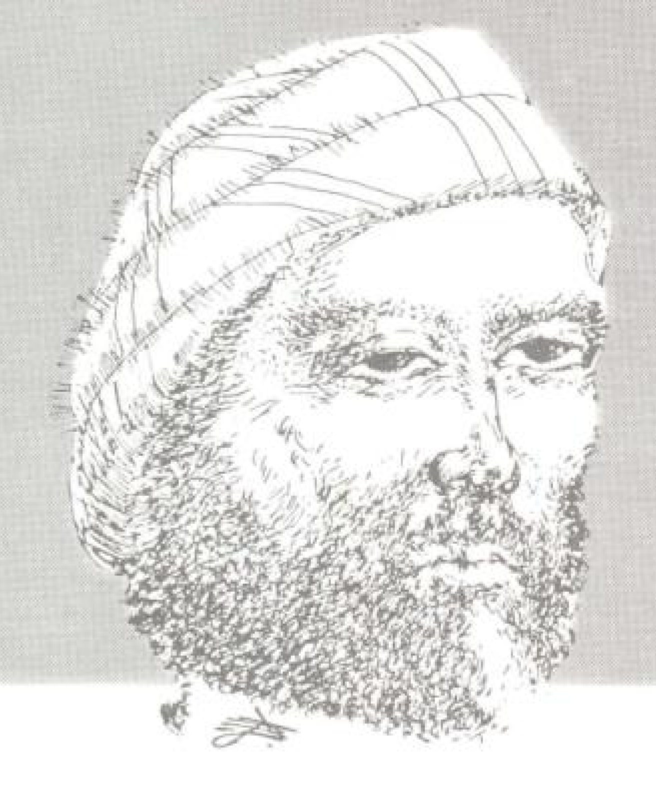
« واحسست بأنه لم يعد لي شيء أعيش من أجله بعد أن قتلت الحرب كل أسرتي الكبيرة . . أبنائي الثلاثة استشهدوا وهم يدافعون عن تراب بلادهم . . بقية أفراد العائلة دفنوا تحت حُطام البيت الذي دمرته القنابل . . ولكنني لم أيأس من رحمة الله . . انني ما زلت أتعلق بهذا الخيط الرفيع من الأمل في مستقبل أفضل لهذا البلد التعس من أجل هؤلاء الصغار ! »

وسكت « الجد » العجوز . . ولكن الأم راحت تستحثه : « ارجو أن تكمل حديثك . . لا بد أن عندك شيئا آخر تريد أن تقوله . ! »

قالتها دون أن تشعر ، فقد كان الاعياء باديا على وجهه الشاحب الضعيف ولكنها ـ وربما لأول مرة ـ خلال السحابة السوداء التي احتوت هذا البلد الصغير ، أحست بدفء لم تألفه . . انه ليس في المدفأة الموقدة بالقرب من فراشه الصغير . . ولكنه كان في كل شيء من حولها . . في كل كلمة كانت تخرج من شفتي هذا الرجل الذي كان يمتليء بالحياة وهو الكسيح الضرير الذي يعيش مع أحزانه !

وعاد الى حديثه يكمل قصته : « عرفت امرأة أحبت الأطفال ، ولكن شاء القدر أن يحرمها منهم ، فوهبت حياتها لكل طفل يتيم جاء يطرق باب البيت الصغير الذي شيدته هي وزوجها من أجل إسعادهم . ثم رحلت . . قتلها العدو برصاصه الغادر وقرأوا وصيتها . . فوجدوها قد أوصت بكل ما تملك لهؤلاء الأطفال . . قالت وهي تعدد الأسباب التي من أجلها قررت أن تهب لهم كل ثروتها : « لقد علموني معنى الحب . . وعلموني معنى الحياة . ! »

وعند هذا الحد كان الاعياء قد استبد بالجد العجوز المريض ، فطلب اليهم أن يساعدوه على الانتقال الى فراشه ليستريح ، ومدت الأم يدها تصافحه ، ثم انحنت تلثم بشفتيها رأسه الأبيض الذي حول خريف حياتها الى ربيع امتلأ بالزهور والأمل والحياة . ▢



الإمام الشوكاني مُصلحًا

بقلم الدكتور / حسين بن عبدالله العمري

□ «كانت افتتاحية عدد العربي - ٢٩٥ - - بقلم رئيس التحرير بعنوان «الحكمة يمانية»، تطرق فيها الى الحديث عن أفكار وآراء العلامة اليمني الكبير الامام الشوكاني، ويعلق الباحث اليمني الدكتور حسين العمري قائلا:

من الجوانب المتعددة التي تميزت بها معارف وشخصية العلامة اليمني الامام ، القاضي ، شيخ الاسلام محمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠/ ١٨٣٤) دوره الاصلاحي في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية اليمنية في عصره ، والتي تجاوزت اجتهاداته فيها ـ شأنها شأن اجتهاداته الفقهية والشرعية ـ حدود اليمن في النصف الثاني من القرن الماضي لتصل الى الهند على يد علماء أفاضل كان منهم العلامة المعمر عبد الحق الهندي (ت ١٢٨٦/ ١٨٦٩) ، الذي زار الامام الشوكاني وأخذ عنه في صنعاء ، وتلميذه المشهور أبو الطيب صديق بن حسن القنوجي (ت ١٣٠٧/ ١٨٩٠) الذي قام بتلخيص كثير من كتب الامام الشوكاني ونشر بعضها الآخر في امارته « باهوبال » بالهند وفي مطبعة « الجوائب » في القسطنطينية . وفي وقت لاحق اطلع الامام الاستاذ الشيخ محمد عبده وتلميذه العلامة السيد محمد رشيد رضا على بعض أعمال وكتابات الامام الشوكاني فكانت مما استأنسا واستشهدا به في كتاباتها التجديدية « نيل الأوطار » لمنتقى ابن تيمية ـ الجد ـ (ت ٦٥٢ هـ / ١٢٥٤ م) ، وتفسيره « فتح القدير » وكذلك كتابه « ارشاد الفحول » في أصول الفقه معتمدة في الأزهر وفي المدارس الشرعية العليا التي تم انشاؤها في العقد الثاني والثالث من هذا القرن ، وعمت فائدتها بعد أن تم طبعها في القاهرة والهند .

ـ اننا هنا لن نتطرق الا الى جانب واحد من حياة الأمام الشوكاني المؤثرة الخصبة ، وهو ما لمح الى أهميته الدكتور الباحث الأخ محمد الرميحي في افتتاحيته لعدد يونيو حزيران الماضي ، عندما اقتبس ما رواه الامام الشوكاني في كتابه المفيد المهم « أدب الطلب » عن ذلك الاجتماع الذي عقده في صنعاء امام عصره المنصور علي بن المهدي عباس (ت ١٢٢٤/ ١٨٠٩) :

« ... جمع فيه وزراءه وأكابر أولاده ، وكثيرا من خواصه ، وحضر هذا المجلس من أهل العلم ثلاثة أنا أحدهم ، وكان عقد هذا المجلس لطلب المشورة في فتنة حدثت بسبب « بعض الملوك » ، ووصول جيوشه الى بعض الاقطار الامامية ، وتخاذل كثير من الرعايا واضطرابهم ، وارتجاف اليمن بأسره بذلك السبب ، فأشرت الى الخليفة بأن أعظم ما يتوصل الى دفع هذه النازلة هو العدل في الرعية والاقتصار في المأخوذ منهم على ما ورد به الشرع وعدم مجاوزته في شيء أو اخلاص النية في ذلك ، واشعار الرعية في جميع الأقطار والعزم عليه على الاستمرار ، فان ذلك من الأسباب التي تدفع كل الدفع ، وتنجع أبلغ النجع ، فان اضطراب الرعايا ورفع رؤوسهم الى الواصلين ليس الا لما يلفهم من اقتصارهم على الحقوق الواجبة ، وليس ذلك لرغبة في شيء آخر » . [1]

ان ما لفت انتباه الدكتور الرميحي في هذا الكلام الذي كتبه الامام الشوكاني منذ ١٨٠ عاما هو : « اصابته لكبد الحقيقة عندما أشار الى اصلاح الواقع الاقتصادي الاجتماعي واشاعة روح العدل » ، وهذا بطبيعة الحال يقوي الجبهة الداخلية في مواجهة أعدائها ، وهو بعينه تشخيص سابق ينطبق على أوضاع الجبهة العربية التي تعيش محنتها وأزمتها أمتنا العربية اليوم باحياء حروب داحس والغبراء وتناحر القيادات ، واختفاء العدالة والحرية والشعور بالأمن والسلامة في الأوطان ، في حين تساقط الأقطار والمدن العربية في يد الصهاينة الذين لاحدود لدولتهم .

ـ ذلك هو الدرس والحكمة التي نستفيدها ـ لو كنا نستفيد ـ من حديث الامام الشوكاني ، ولكني هنا أحب أن أضيف أمرين تجاهلهما ناشر الكتاب ومحققه .

الأول تاريخي : متعلق بما ذكر الشوكاني عن « بعض الملوك » ، وهو يقصد الشريف بن حمود بن محمد بن أبي مسمار ، الحسني التهامي

(١) أدب الطلب : ص ٣٧

(ت ١٢٣٣/ ١٨١٨) الذي كان نائبا لامام صنعاء المنصور علي ـ المذكور ـ على منطقة أبي عريش والمخلاف السلماني (بلاد عسير) وقد انضم الى سلطان نجد سعود بن عبد العزيز بن سعود (ت ١٢٢٩/ ١٨١٤) في زحفه على تهامه وانتشار الحركة التوحيدية لشمال الجزيرة تحت لواء الحركة الوهابية الجديدة ، وقد تعارك الشريف حمود مع قائد ابن سعود « أبو نقطة » وخضع للدور الجديد لكنه لم يلبث أن قلب « للدرعية » ظهر المجن ، واستقل بتهامة اليمن بعد أن وسع سيطرته واستولى على « اللحية » و « الحديدة » و « زبيد » و « حيس » وبلغ خطره في السيطرة على صنعاء عظيما في سنة ١٢٢٢/ ١٨٠٧ وهي السنة التي كان المنصور علي يقدم عملا عسكريا ضد حمود ، لكن أوضاعه الداخلية كانت سيئة للغاية وكانت الضرائب على الشعب جائرة والفساد منتشرا والشكوى عامة والبلوى كاملة ، وهكذا دعى المنصور الى ذلك الاجتماع فكان رأي الامام الشوكاني ما تقدم ، لكنه اتبع بعمل اصلاحي عملي هو الأمر الثاني الذي لم يذكره المحقق الفاضل .

المساواة في الحقوق

أفلح الامام الشوكاني في اقناع المنصور في الغاء الضرائب الجائرة ـ غير الشرعية ـ وأقفلت مكاتب لها كانت قد فتحت في أبواب مدينة صنعاء وغيرها من المدن اليمنية الكبيرة ، كما أفلح في تكليف حكام المناطق وعمال الجهات في توضيح معالم الدين الحنيف تطبيقا وممارسة في أوساط القبائل الجاهلة البعيدة عن الحواضر والمدن ، وليكون الأمر شرعيا وله صبغة الالزام أو القانون فقد أصدر مرسوما كتب بخط ابن الامام الشوكاني القاضي أحمد بن محمد (ت ١٢٨١/ ١٨٦٤) دبجه الشوكاني ببراعة وكتب في أعلاه بقلمه « هذا ما رجحه النظر الشريف وجزم به رأي العالي المنيف ، وهو العدل الذي قامت به السموات والارض والشرع الذي أمر الله به عباده في بلاده والعرض » ثم مهره في أعلاه الامام المنصور بتوقيعه بقلمه « بأن هذا ما اقتضاه ترجيحنا الشريف أعلاه الله تعالى ، حسبما رقمه حاكمنا القاضي محمد بن علي الشوكاني حرسه الله فليعتمد بتاريخه » .

وثيقة جديدة . .

ان الأصل الوحيد لهذه الوثيقة المهمة سينشر قريبا [٢] لكننا نعود الى حديث الامام الشوكاني ـ نفسه ـ عنها في كتابه المذكور حيث نص : [٣]

« لم أزل منذ اتصلت بخليفة عصرنا ـ حفظه الله ـ مرغبا له في العدل في الرعية على الوجه الذي ورد الشرع به ، ورفع المظالم المخالفة لقطعيات الشريعة كالمكس ونحوه ، والاقتصار على ما ورد به الشرع وعدم مجاوزته في شيء فألهمه الله سبحانه الى الاجابة الى ذلك بعد طول مداراة وترغيب ، فجعلت مكتوبا محكيا عنه مضمونه أنه قد أمر عماله بالعدل في الرعية ، ورفع كل مظلمة والاقتصار على ما ورد به الشرع في كل شيء ، ومن لم يمتثل هذا الأمر كان على القاضي في ذلك القطر أن ينهي أمره الى حضرة الامام حتى يحل به من العقوبة ما يردعه ويردع أمثاله .

وفي هذا المكتوب التشديد في الربا والسياسة الشيطانية والأخذ على قضاة الأقطار أن يبعثوا من يعلم الناس أمر دينهم . .

(٢) في دراستنا المشار اليها .

(٣) أدب الطلب : ١٦٢ ـ ١٦٣

وقرر الامام ذلك وأظهره في الناس » - أي عممه ولكن ماذا حدث ؟ يضيف الشوكاني .

« فقامت شياطين المقلدة وفراعين البدوان (أي جهلة العلم) وخونة الوزراء في وجه هذا الأمر قياما يبكي له الاسلام ، ويموت كمدا عنده الاعلام - فجعلوا هذا المعروف منكرا . . . وأني أرشدت الى خطأ وأمرت بمنكر ! فاجتمع من جميع ما قدمت ذكره تشوش خاطر الامام - ومن له رغبة في شرائع الاسلام - فتوقف الأمر ولم ينفذه من يقدر على التنفيذ ممن له رغبة فيه . . . »

- ألا يشبه هذا حالنا اليوم في مختلف أرجاء وطننا العربي حيث ينشر ويذاع منذ سنوات طويلة عشرات البيانات والقرارات والتوصيات بل والدساتير والقوانين والأنظمة ، ولكن لنتابع الامام :

« ولكن للباطل صولة وللشيطان جولة ، حتى يقر الحق في قراره ويتم من العدل ورفع الظلم ما أمر الله به ، ومن رام أن ينتصر باطلا أو يدفع حقا فهو مركوس (أي منكوس) من غير فرق بين رئيس ومرؤوس ! . . . »

- ولما كان مثل هذا النقد البالغ والكلام الواضح الصريح في الدعوة الى الاصلاح وتوجيه الحكام قد كتبه الامام الشوكاني في كتاب وضعه أصلا لطالب العلم وبالتالي ربما لا يقع في يد السواد الأعظم أو حتى لكثيرين ممن لم يتمكنوا من استنساخ الكتاب فقد استخدم الشعر الأداة الأكثر تأثيرا وفاعلية وانتشاراً بين العرب منذ قديم الزمان ، فأنشد في نفس الفترة من قصيدة طويلة [٤] .

رعايا اليمن الميمو	ن أضحوا مالهم راع
فلا العدل يرجون	ولا الردع لطماع
ومال الناس قد وز	ع ظلما بين أوزاع

ان الامام الشوكاني في هذا وفي غيره لم يخرج في الواقع عن اطار المدرسة اليمنية الزيدية التي برز منها علماء كبار في عصر الانهيار والاضمحلال الفكري والعلمي العربي الاسلامي ، بل انه لم يخرج عن واجب العالم المسلم الذي عليه « أن يزيل المنكر بيده فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان - ولم يكن الشوكاني - في كل الأحوال - ضعيف الايمان رغم أن أعداءه وحساده اتهموه قاضيا بمجاراة الحكام لعمله بالقضاء وشبه كبير المستشارين لثلاثة أئمة هم من عاصرهم في حكم اليمن وذلك منذ عينه المنصور علي في هذا المنصب سنة ١٢٠٧ / ١٧٩٢ حتى وفاة الشوكاني سنة ١٢٥٠ / ١٨٣٤ قبل نحو عام من وفاة حفيد المنصور علي ، المهدي عبدالله قرابة ٤٣ عاما ، ولا يرى منصف في ذلك تهمة بل العكس هو الصحيح فلقد كان وجود الشوكاني في ذلك المنصب العالي الحساس عامل خير ودافع شر بقدر ما هو متاح لمن هو في مركزه وظروفه وطبيعة عصره .

- علينا أن نتذكر أن آراء واجتهادات الامام الشوكاني كانت في سلسلة المتنورين من المدرسة اليمنية قبل البونابرتية التي لحقتها كما يحب البعض أن يؤرخ لتيارات اليقظة الاسلامية الحديثة بزمن طويل ، وفي العودة للاستشهاد بشعره نجد الرجل بوضوح قد حدد أهدافه وآماله حين أنشد [٥]

أريد نشر السنن	في كل قطر اليمن
والعدل في الرعية	والحكم بالسوية
وبعد هذا الجنة	تفضلا ومنه

- وفي ديوانه [٦] الكثير من التوجيه والنصح ، والثورة والغضب ، والأمل واليأس من الاصلاح ونجد في بعض رسائله ما قد يكون أوضح وأوفى بالغرض في الموضوع فعسى أن يتيسر لنا استكمال ذلك .

---

(٤) انظر ديوانه بتحقيقنا (ص ٢٢٦ - ٢٢٨) ط / دار الفكر - دمشق ١٩٨٢

(٥) ديوان الشوكاني : ص ٣٥٠ (٦) ديوانه : ص ٣٤١ .

خريطة العالم بعد ٨ ملايين سنة



الجديد في هذه الخرائط الثلاث هو الخريطة السفلى .. فالخريطة الوسطى تظهر العالم كما هو في الوقت الحاضر .. والخريطة العليا تظهره كما كان قبل حوالي ٢٧٠ مليون سنة ، وذلك وفق نظرية زحزحة القارات المعروفة . ولكن الخريطة السفلى تظهر العالم كما سيكون بعد حوالي ٨,٥ مليون سنة .. وهي ليست من قبيل التكهن الخيالي العشوائي ، وانما حصيلة التصميم العلمي القائم على حسابات دقيقة مستخلصة من التغيرات التي طرأت على خريطة العالم عبر ملايين السنين .

اما المصمم فهو العالم الدكتور كارل ساغان من جامعة كورنيل في الولايات المتحدة ، وهو الذي صمم الرسوم والرموز الأخرى التي تراها هنا وهناك في الخرائط الثلاث ..

واما القصد من تصميمه هذا ومن الرسوم والرموز المرافقة فاتاحة الفرصة لسكان الفضاء الآخرين ، ان كان ثمة سكان ، للتعرف الى الكرة الأرضية وسكانها من بني البشر ..

وقد انطلق بهذه المعلومات وبغيرها القمر الصناعي (لاغوس) (Lagos) الذي اطلقوه مؤخرا من قاعدة فاندنبرغ في الولايات المتحدة الأمريكية ، والذي سيواصل دورانه حول الأرض طيلة ٨ ملايين من السنين ..

وتجدر الاشارة الى ان سفينة الفضاء (بايونير) التي بدأت تتخطى النظام الشمسي الى الفضاء الخارجي (في حوالي منتصف شهر يونية الماضي) ، تحمل هي الاخرى رسوما ومعلومات مختلفة عن ارضنا وجنسنا البشري ... وستبقى سفينة بايونير هذه تمخر اجواز الفضاء الخارجي طيلة ملايين السنين ... وان كانت اجهزتها الالكترونية العاملة حاليا ستتوقف عن العمل في مستقبل غير بعيد ..



تلوث البيئة .. أحد أسباب سقوط الامبراطورية الرومانية

تدل آخر الأبحاث على أن الامبراطورية الرومانية لم تسقط نتيجة العوامل المعروفة التي ترددها كتب التاريخ التقليدية فحسب .. وانما تبعا لاسباب اخرى لا تخطر ببال ... فقد ثبت ان البيئة ايام الرومان كانت ملوثة بالرصاص ... وأن هذا التلوث ، بل قل التسمم ، بالرصاص اصاب الكثيرين من اباطرتهم وقادتهم ونبلائهم فتسبب لهم بأمراض نفسية وجسدية خطيرة .

وكانت تلك الأمراض والافات باعثا على كثير من قراراتهم العشوائية وتصرفاتهم الحمقاء غير السوية ، وعاملا من عوامل تدهور الامبراطورية الرومانية وسقوطها . وهكذا تتجلى خطورة البيئة وحمايتها .. فاذا كانت الامبراطورية الرومانية بجبروتها وشموخها قد انهارت بسبب تلوث البيئة فلم لا نتوقع الانهيار لصرح الحضارة الانسانية الحالية تبعا لتلوث البيئة بالرصاص وغير الرصاص ..

ويعود الفضل في اكتشاف هذه الحقائق الي العالم الكندي جيروم نرياجو Nriagu احد علماء البيئة العاملين في المعهد الوطني لابحاث الماء في مدينة اونتاريو في كندا . فقد نشر هذا العالم حصيلة ابحاثه التاريخية وتحقيقاته البيئية في مجلة نيوانجلند الطبية ، وذلك في عدد لها صدر في شهر مارس الماضي .

وبدأت ابحاث نرياجو بملاحظات تسنى له جمعها لدي التعمق في دراسة تاريخ الرومان وآدابهم . فقد لاحظ انتشار داء النقرس بين نبلائهم .. اذ لا بد لهذا الداء أن يكون قد شاع كثيرا حتي اصبح مثار لتهكم أدباء الرومان وسخريتهم .

وثبت لنرياجو ايضا انتشار آفات اخري بين اهل رومة الى جانب داء النقرس .. نذكر منها الارق والخدران والامساك المزمن وآفات معوية مختلفة ..

ولم يكن صعبا على عالم البيئة الكندي أن يربط بين هذه الافات ، ومعها داء النقرس ، وبين التسمم بالرصاص .. فقد كشفت الابحاث البيئية المكثفة عن مخاطر التسمم بالرصاص .. وما يترتب عليه من موت مبكر وعاهات في الصغار وامراض وآفات خطيرة في الكبار .. تشمل فيما تشمل داء النقرس وسائر الافات التي انتشرت بين الرومان ولاحظها العالم الكندي .

أضف الى ذلك ما اشتهر به اباطرة الرومان كنيرون وكلوديوس وكاليجولا وغيرهم من تصرفات حمقاء ناشزة ، وقرارات خرقاء غير سوية .. جعلتهم في نظر الكثيرين أقرب الي المجانين .. فالامبراطور كلوديوس لم يقو على تذكر الاشياء .. وكان يتلعثم ويسيل لعابه اذا تكلم .. ويترنح ذات اليمين وذات اليسار اذا مشى والامبراطور كاليجولا اتخذ من شقيقاته خليلات وبلغ من هيامه باحداهن(دروسيلا) ان أمر بتأليهها بعد موتها ، بحيث أصبحت تسمى(ديفا دروسيلا) ! .. ولم يقف عند ذلك بل أدعى الالوهية لنفسه أيضا .. وقل مثل ذلك في الامبراطور نيرون وقد تعرضنا لتصرفاته الشاذة في عدد سابق من العربي(العدد ٢٩٥ يونيو صفحة ١١٧)

ويؤكد نرياجو أن هذه التصرفات التي طالما



عزاها المؤرخون للادمان على الخمر انما جاءت نتيجة مباشرة للتسمم بالرصاص . . وان كان هذا التسمم بدوره نتيجة للخمرة الرومانية بالذات وقد ثبت للعالم البيئي أن ١٩ امبراطور من أباطرة الرومان الثلاثين الذين حكموا رومه فيما بين سنة ٣٠ ق.م وسنة ٢٢٠م كانوا من المدمنين على الخمر وبالتالي من المصابين بالتسمم بالرصاص والمعروفين بتصرفاتهم وقراراتهم الشاذة غير السوية . .

فالتسمم بالرصاص يدمر الانابيب الصغيرة التي تزخر بها الكلى . . ويمنع بالتالي افراز حامض اليوريك . ويكبح كذلك الانزيم الذي يخلص الجسم من احد المركبات(Guanine) . . وهو مركب ذو صلة بالنقرس .

وركز نرياجو ابحاثه بعد ذلك على الجانب الاخر من موضوعه . . البيئة الرومانية ومدى تلوثها بالرصاص . وتبين له أن أواني الطبخ التي انتشرت في منازل الرومان كانت مصنوعة من رصاص أو من قصدير أو نحاس ولكنها مطلية بالرصاص . . فقد اعتقدوا أن الرصاص يحسن نكهة الطعام . .

أضف الى ذلك أن الخمرةالمفضلة لديهم كانت تلك التي أضافوا اليها عصير العنب المخمر او المغلي . . وقد حرصوا على تخمير ذلك العصير او غليه في أوعية من رصاص لأنها كفيلة بتحسين لون الخمور ومذاقها كما اعتقدوا ، ويمنع المزيد من تخميرها . فهذا العصير المخمر أو المغلي هو أصل البلاء . . فملعقة صغيرة منه كافية للاصابة بحالة مزمنة من التسمم بالرصاص . . وقد أقبل نبلاء الرومان على شربه بنهم . . بمعدل ٥ لترات في اليوم الواحد .

هذا الى جانب ما أكله الرومان من الرصاص أكلا . . ذلك أنهم كثيرا ما أضافوا الى الفلفل قدرا من الرصاص الاحمر وذلك بقصد زيادة وزنه . . ولا يخفى ان الفلفل كان شائع الاستعمال وقد أضافوه الى لحومهم بنسبة كبيرة وذلك لحمايتها من الفساد أو لتغيير طعمها في حال فسادها . .

وعمد نرياجو آخر الامر الى تحديد ما دخل جسم الرجل الروماني من الرصاص بالمتوسط في اليوم الواحد ، فتبين له أنه لا يقل عن(٢٥٠) مايكروجرام . ولو ذكرنا أن مقدار مايدخل جسم الفرد من الامريكيين والانجليز في الوقت الحاضر لا يزيد على ٣٠ ـ ٥٠ مايكروجرام بالمتوسط وفي اليوم الواحد . . وذكرنا ايضا أن هذه النسبة الاخيرة خطيرة جدا في نظر البيئيين ، لو ذكرنا هذا وذاك لادركنا خطورة الحقائق التي اكتشفها نرياجو . .

وادركنا ما يؤكده من أن تلوث البيئة كان سببا هاما من اسباب سقوط الدولة الرومانية .

قطر واقع وأمل

استطلاع : مصطفى نبيل

تصوير : أوسكار متري





لقطة لأحد شوارع الدوحة الذي يجمع بين الجديد والقديم . وتتعايش فيه الحياة العصرية والحياة القديمة (الى أعلى) . . أسر بكاملها تقف أمام السفينة « أم الخير » التي ترسو أمام متحف قطر الوطني . (الى اليسار)



وصلنا الى محطتنا الثالثة ، الى دوحة قطر التي تقع في منتصف الطريق بين الكويت ومسقط .. والتي تشهد خلال هذا الشهر اجتماع قادة مجلس التعاون الخليجي .

●

لم يعد البحر مصدر الرزق الوحيد ، يصطادون منه السمك ، ويغوصون في أعماقه بحثا عن اللؤلؤ ، بل ويعيش البعض فوق مياهه في قواربهم طوال العام ..

وتغير الحال وحقق أهالي قطر الاكتفاء الذاتي في الزراعة ، وبنوا صناعة ثقيلة لكي لا يعتمدوا على النفط كمصدر وحيد للدخل ..

وصلنا الى الدوحة رمز قطر الحديثة ، بعد رحلة طويلة بالسيارة أنها ليست زيارتنا الأولى لها ، فقد زرناها منذ عدة أعوام ، رأيناها عندما كانت مجرد مشروع طموح ، وكان الكثير من أرجائها خلاء عند بداية الشروع في مد شبكة حديثة للطرق البرية والجسور ، اليوم رأينا المشروع يكتمل ، رأينا الدوحة وقد امتدت وارتفعت مبانيها .. مدينة حديثة اقتحمت بسرعة أبواب القرن العشرين ..

لقد قطعت مثل غيرها من عواصم الخليج شوطا واسعا في بناء عاصمة عصرية ، ولم تكن الدوحة قديما سوى مدينة لصيد اللؤلؤ داخل سور من طين ، ويعيش ثمانية آلاف من أبنائها في البحر بصورة دائمة في مراكبهم ، ويصفها ناصر العثمان في كتابه « قصة النفط في قطر » بقوله : « لم تكن أكثر من قرية كبيرة ، منازلها بسيطة متلاصقة مبنية بالحجارة والطين ، شوارعها ضيقة وكثيرة الانحناءات وغير معبدة ، ولا يوجد بها سوى مدرسة واحدة شبه نظامية اضافة الى بعض الكتاتيب .. »

ويضيف : أما مطار الدوحة فكان مجرد مسطح من الأرض يصلح لهبوط طائرة صغيرة تأتي من البحرين ـ وكانت كثيرا ما تلقي بريدها بالمظلة ولا يكلف طيارها نفسه عناء الهبوط ـ وكان الأهالي يعانون كثيرا من قلة المياه الصالحة للشرب ، كما كانت البلاد عام ١٩٤٩ تعاني من ركود حاد في كافة النواحي الاقتصادية نتيجة لانحسار تجارة اللؤلؤ وآثار الحرب العالمية الثانية . »

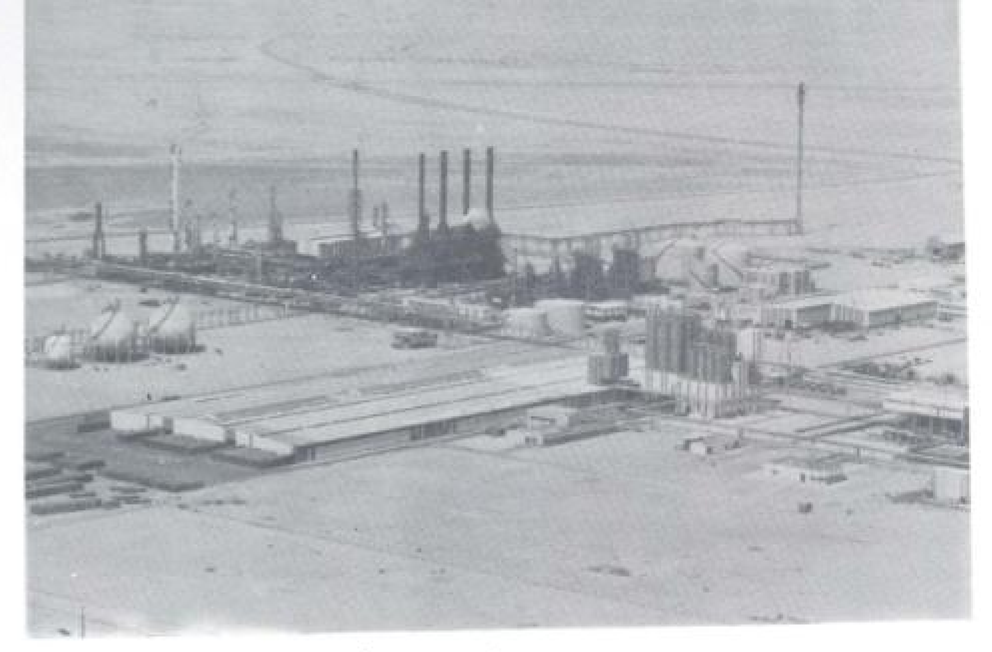
اليوم أصبحت الدوحة .. دوحة .. تتمتع بوقوعها على خليج جميل له رونق خاص ، وما زالت تحتفظ من الماضي بعدد من القلاع مثل قلعة الدوحة التي تقوم فوق أرض مرتفعة تعلو فوق سطح البحر بارتفاع يتراوح بين ٤٠ و ٥٠ قدما ، وعرفت باسم دوحة قطر تمييزا عن دوحات أخرى في الجزيرة العربية مثل دوحة الحصين ودوحة ابن رجال ..

معظم فنادق الدوحة تقع على الساحل ، ومن شرفة الفندق في الصباح الباكر ، أطللنا على المدينة حيث الحفارات الضخمة تشق طريقها حول حافة الميناء الذي يضم عددا من اليخوت ونادي بحري ، السفن تروح وتجيء ، والسيارات القلابة تجري على طول أرصفة الميناء ، فالعاصمة تشهد الموجة الثانية من التوسع والتجديد .

وتظهر الدوحة من شرفة الفندق بيضاء تتألق مع أشعة الشمس التي تنعكس على الشاطئ الرملي ، ومياه الخليج تحت سماء صافية شاحبة اللون ، ترى على النقطة المقابلة من الساحل عمليات تشييد مبان جديدة ، وترى عددا من المباني الحكومية التي يميزها الطراز العربي ، والكورنيش الذي تظلله الأشجار يحيط بها .. وتشاهد سفينة ضخمة متجهة الى الميناء الذي يقع في منتصف المسافة والهدوء يخيم على أرصفة الميناء ومظلاته ورافعاته ..

جولة في الدوحة .

تجولنا في أحياء وشوارع المدينة وأسواقها ، وشاهدنا



لقطة من الجو لبعض المنشآت الصناعية في أم سعيد .

أهم معالمها المسجد الكبير ومنارته المميزة والقصر وبرج الساعة في مركز المدينة ، والذي يقوم فوق ربوة عالية تصعد اليها مصاطب خضراء . .

وحول مدينة الدوحة سبع ملاعب رياضية كبيرة ، وفندق شيراتون أحدث مشروعاتها ، ويقوم على الشاطىء في شكل هرم مثل اهرامات صقارة ، وهو يموج بالحياة العصرية ، وكانت قاعاته تضم عند زيارته معرضا يقدم أحدث ما وصلت اليه تقنية صناعة السيارات ، والذي تم اختياره لاجتماع قادة مجلس التعاون الخليجي .

وأقيمت بنايات الأحياء الجديدة على نحو متناسق مع مراعاة علاقة كل مبنى بما يحيط به ، كما انتشرت في شوارعها حدائق تظللها الأشجار ، وأقيم عدد من المراكز التجارية الضخمة ، ومنها الاسواق القديمة وسط الدوحة ، أسواق مزدحمة في شوارع ضيقة تزخر بالبضائع المحلية والأجنبية ، تشبه الحميدية في دمشق والفحامين والنحاسين في القاهرة . .

هنا يقوم التعايش بين الحياة العصرية والتقاليد القديمة ، وتلمس الحرص والاعتزاز بالقديم ، وظهرت الدوحة كعاصمة متقدمة على طريقتها الناعسة الخاصة ، وبقي أبناء الدوحة يحتفظون بقدر كبير من تقاليدهم القديمة عندما يقابلون الحياة الجديدة في منتصف الطريق . .

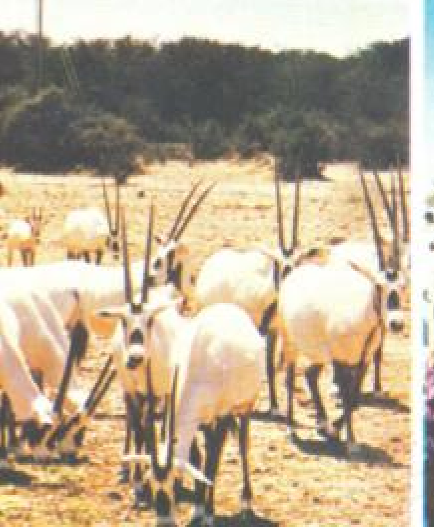
الوحدة والتنوع

واذا كنت من الذين يتنقلون بين عواصم الخليج المختلفة ، لن يفوتك ملاحظة التشابه الذي يصل الى حد التماثل في العديد من ملامح الحياة ، وترى احدى صور الوحدة والتنوع في الكثير من الظواهر ، الذي لا يتسع المقام لتعدادها ، ولا يكاد يقوم مشروع ناجح أو فكرة مبتكرة في احدى هذه العواصم الا وينتقل الى المدن الأخرى !

ولعل ما يميز قطر بشكل خاص ، العزلة التي فرضها عليها موقعها الجغرافي كشبه جزيرة معزولة نسبيا ، مما ساهم في قيام حالة من التوجس تجاه الأجانب ، ويرى السيد محمد أحمد المسلماني الذي يعمل في هيئة تسجيل وتوثيق الفنون الخليجية ذاكرا ملاحظة هامة ، أن الكثير من ملامح الحياة الاجتماعية قد تغير خلال العقدين الأخيرين ، والذي صاحب استقبال قطر للهجرات الاجنبية ، ويضرب مثلا بالرقص الشعبي في مناسبات معينة ، والذي كان رقصا مشتركا ، ولم تعد تظهر فيه المرأة بعد قدوم الغرباء . . !

وما زالت المجالس أو الدواوين قائمة حيث يلتقي المعارف والاصدقاء ، ويتسامرون ويتبادلون الرأي ،

صور من معالم الحياة في قطر ، عائلات خرجت للترويح عن نفسها ، والمداعة بطرازها الخاص في مقهى خاص ، والمها الذي كان متواجدا في الربع الخالي وعلى حدود عمان ، أصبح لا يتعدى المئات في العالم كله ، وتملك قطر أكبر





كمية منه ، وتنتشر هواية صيد الصقور في دول الخليج ، وأفضل الصقور الطويل النفس ، الأسود الجنس ، اذا صاد أشبع ، واذا أمات أوجع ، يصيد الكبير ولا يقرب الصغير .





ويحتسون القهوة المرة ، في بيو خاص منفصل عن البناء الرئيسي وهو ما تشاهده في دول الخليج الأخرى . .

درب الساعي

وقبل المضي في جولتنا في قطر . .

نعود قليلا الى نقطة البداية ، والتي بدأت من بلدة الهفوف بالسعودية ، وقطعنا ذات الطريق الذي كانت تقطعه القوافل ويطلق عليه « درب الساعي » والذي كان دربا للحجاج الى بيت الله الحرام ، ويمضي بنا الطريق حتى سلوى ، ومن سلوى الى أبو سمرة أول نقطة حدود قطرية ، ومنها وصلنا الى الدوحة . .

وخلال رحلتنا كان الوقت عصرا ، والشمس تلقي بأشعتها الذهبية على رمال الصحراء ووهادها ، يمضي بنا الطريق ويحدثنا حديثا عبثيا ، فها هي لوحة تحذير من خطر الرمال المتحركة ، وأخرى بعدها تعلن عن أضخم مشروع للميكروويف . وتحذيرات من الجمال التي لا تصادفك بعد أن كاد ينعدم ظهورها !

تقطع الطريق شاحنات ضخمة من سوريا والعراق والكويت ودبي ، وبعض الشاحنات قطعت آلاف الكيلومترات قادمة من بعض العواصم الأوربية ، بعضها يتكون من حاويات ضخمة وأخرى ثلاجات كبيرة .

الأجزاء المعمورة عبارة عن شريط متقطع بين البحر والصحراء ، وكان هذا الساحل قديما من أفقر مناطق الجزيرة العربية ، واليوم يشهد في أجزاء منه ثورة بناء حقيقية ، ووقعت عليه أكبر الانقلابات العمرانية ، ولم يعد مجموعة مخلخلة ضعيفة من المدن ، وانقلبت فيه الحياة من الرعي الى التعدين ، ومن الترحال الى الاستقرار بلا تدرج . .

وما زالت تنتشر على الطريق الشجيرات فوق التلال المحيطة ، نقترب من سلوى آخر الحدود السعودية ، وفيها شاهدنا أول « موتيل » أعد لاستقبال المسافرين . .

وسلوى عبارة عن مجموعة من الواحات الصغيرة ، بها عدد من أشجار النخيل أقيم فيها حديثا مجموعة من الشاليهات على البحر ، ويقوم مركز الحدود السعودي على ذات الطراز الذي شاهدناه في الخفجي . .

والمسافة بين سلوى وأبو سمرة القطرية ، أربعة كيلو مترات ، ثلاثة منها في الأراضي السعودية ، انتهينا بسرعة من اجراءات الدخول ، وقطر تشبه اللسان أو النتوء الذي يمتد داخل مياه الخليج ، وتحيط بها المياه من كل جانب سوى حدودها مع السعودية ودولة الامارات العربية ، وتقع وسط الساحل الذي يمتد من الكويت الى عمان ، وكانت مفصلا تاريخيا بين منطقتي النفوذ التركي والاستعمار البريطاني . .

وفي أبو سمرة انتقلنا من طريق مفرد الى طريق سريع مزدوج ، ما زلنا نقطع ذات الطريق الذي قطعه من قبل هيرمان بورهات **Burchardet** في يناير ١٩٠٤ ، وما زلت تجد العديد من صور الماضي متناثرة بين الرحالة الأوروبيين والجغرافيين العرب ، وكان أول رحالة أوروبي يزور قطر في القرن السادس عشر هو تكسيرا ، والذي قدم وصفا لأسطول صيد اللؤلؤ الذي كان يتكون من حوالي ٢٠٠ سفينة منها ١٠٠ من البحرين ، و ٥٠ من جلفار (رأس الخيمة) و ٥٠ من نيلة ، وهذه السفن كانت تتوجه عادة للصيد في مياه قطر على بعد عشرة فراسخ جنوبي جزيرة البحرين ، وفي مطلع القرن الحالي قدم لوريمر وصفا دقيقا للأحوال الجغرافية والسكانية والسياسية لكل منطقة الخليج ، في أربعة عشر جزءا ، وقامت قطر بعمل له قيمة ثقافية هامة عندما قررت ترجمته كاملا ، يقول لوريمر : « أحراش النخيل لا تكاد توجد ، وقد توجد بعض مجموعات من النخيل شبه البري في أماكن قليلة من شبه جزيرة قطر ، ولذا تستورد التمور لاستهلاك الأهالي المشتغلين بصيد اللؤلؤ من الحسا » .

كما ورد اسم قطر في القاموس المحيط للفيروزبادي ، وذكر أنها بلد بين القطيف وعمان ، وذكرها ابن جرداذبه عام ٨٤٩ هـ بقوله انها محطة على الطريق من البصرة الى عمان ، وذكرها الحمداني في عام ٩٤٥ هـ ضمن قائمة بأسماء المواقع في شبه الجزيرة العربية .

ويمكن استخلاص بعض جوانب حياة قطر في الماضي من الصور التي قدمها الجغرافيون والرحالة ، والتي تبدو حياة شاقة تعتمد على التجارة وصيد اللؤلؤ في المدن ، ويسكنها البدو الرحل في الصحراء ، ويتكون سكانها من موجات جاءت من نجد وأخرى جاءت من البحر . .

اللون الأخضر

وصادفنا في مدينة أبو سمرة مشروعا زراعيا قام على ما يزيد من مائة بئر ، وتعد الزراعة في مثل هذه البيئة المجدبة انتصارا للابداع والمثابرة البشرية ، والوصول الى الاكتفاء الذاتي في الزراعة يشكل أحد أهداف قطر ، وكانت مساحة الارض المزروعة في عام ١٩٦٠ لا تتعدى ٢٠٠ دونم ، وأقيم عام ١٩٦٣ محطة للتجارب الزراعية ومختبر لتحليل التربة وتحديد الزراعات الصالحة ، ووصلت المزارع في عام ١٩٧١ الى ٢٠ ألف دونم تتوزع على ٤٠٠ مزرعة أنتجت محاصيل مختلفة من خضار وفواكه

وحبوب ، وحققت بالفعل الاكتفاء الذاتي في انتاج الخضار .

وتقول الأرقام الحكومية ان المزارع اليوم تزيد على ٥٠٠ مزرعة ، وان قطر تصدر العديد من منتجاتها الزراعية .

وتعتمد الزراعة بعد نفاذ المياه الجوفية على محطات التحلية ، وأثبتت التجربة انه يمكن الزراعة في أصعب الظروف ويدور النقاش حول التكلفة والى أي حد تصبح اقتصادية .

مساحة لبنان تقريبا

تقطع الطريق بعد بلدة « أبو سمرة » في أرض صحراوية صخرية خالية مما يثير الاهتمام ، وتتمتع قطر بمساحة كبيرة ، فتبلغ مساحتها ١١ ألف و ٥٠٠ كيلو متر مربع ، أي تقترب من مساحة لبنان ، وتتكون من صحراء مستوية ومجدبة يحيطها ساحل متقطع تتخلله صخور مرجانية ، وآبارها الشحيحة تسقي واحات صغيرة من النخيل هي التي كانت في الماضي ملاجيء للسكان المتناثرين . .

ويتغير الحال كلما اقتربنا من الدوحة حتى تصل أخيرا الى مشارفها عندما تلوح المنطقة الصناعية ـ منطقة الورش والصناعات الصغيرة ـ والتي أقيمت خارج العاصمة لتحمي أهلها من الضجيج والتلوث .

ذاكرة قطر

لعل ذاكرة قطر قد تجمعت في متحفها الوطني ، وهناك تحلقت مجموعة بنايات حول البيت القديم الذي شهد طفولة وصبا الشيخ خليفة بن حمد ، حيث كان بيت والده الذي سكنه حتى عام ١٩٢٣ ، وحوله بيت المطوع الذي كان يجلس فيه الطلاب لتلقي المعرفة ، وترى في الجزء الحي من التاريخ ، أسلوب البناء القديم بلونه الأبيض وزخارفه الجصية وابوابه الخشبية وبساطة أثاثه كما تشاهد الجدران ذات الفتحات التي تطلق منها النيران على المهاجمين وحجرات الاستقبال المحلاة بالزخرفة



لقطة من الجو لبعض المنشآت النفطية على الساحل القطري .

يحتفظ أهل قطر رغم المظهر العصري بقدر كبير من عاداتهم القديمة ، ومازال الحنين قائما لحياة البداوة في الصحراء . .



فندق شيراتون الدوحة ، والعودة الى البحر مصدر الرزق القديم (الى أعلى) جزيرة حالول ومنشآتها النفطية (الى أسفل) .

والأرابيسك ، وبقيت الحجرات متقشفة على صورتها القديمة ، وحتى الأوتاد الخشبية التي كان يعلق عليها العباءات والأسلحة المختلفة ، بالاضافة الى الحلي . .

وفي حديقة المتحف أقيم بيت شعر فيه المواقد الخاصة بالقهوة وأواني الطهي والحصير والوسائد ، والى جواره أقيم مبنى حديث يضم متحفا علميا يروي قصة قطر ، ويضم معرضا للأحياء المائية ، ويقدم انجازات العلماء العرب في العلوم والتكنولوجيا في العصور الوسطى .

ويقبل الأهالي وحتى الأجانب على المتحف ، تزوره أسر بكاملها الجد والأم والأحفاد ، ويشرح الأب لأسرته صور الماضي ، ويستمعون اليه بانصات وهي صورة واعدة تفتح للأجيال آفاقاً واسعة ، وتربطهم بالماضي وتفتح أمامهم آفاق المستقبل . .

وترسو على الساحل السفينة « فتح الخير » التي نشبت بسبب نشاطها أزمة دولية بين فرنسا وبريطانيا عام ١٩١٠ ، عندما نقلت ألفي بندقية الى مسقط ، ولاحقتها أحد السفن البريطانية وأجبرتها على العودة الى مسقط ، باعتبار أن بريطانيا كانت تفرض حظرا أو احتكارا على تجارة السلاح في كل منطقة الخليج .

المتحف والجامعة

المتحف تعبير عن الماضي والجامعة تعبير عن المستقبل ، أقيمت جامعة قطر منذ عشرة أعوام ، وتقوم اليوم في مبنى حديث وطراز مميز ، تخرج منها ست دفعات كانت مثل دفع الدم في شرايين الحياة في قطر ، يقول د . ابراهيم كاظم مدير الجامعة « ان الجامعة تحرك فعال ، وروح وثابة ، وكل دفعة جديدة تتخرج هي دفع لجيل جديد سيساهم في دعم التقدم في بلاده ، فترتبط الجامعة بالمجتمع من حولها وتسعى الى المشاركة في حركة التغيير الاجتماعي ، وتسد الفجوة بين الأجيال ، فاننا لا نقتصر على منح الشهادة ، وانما تسعى الى الوصول الى الجامعة القادرة على المشاركة في بناء المجتمع بصورة فعالة . .

وترتبط الابحاث في الجامعة بمشاكل البيئة ، فتدور حول تحلية المياه والاستفادة من الطاقة الشمسية ، والكشف عن بعض الخامات في التربة مثل الرخام واكتشاف أنواع من التربة تصلح في مواد البناء ، ولدينا مشروع يقوم على حصر كامل لنباتات قطر ، والكشف عما تحويه من فوائد اقتصادية أو طبية أو لها أي ميزات أخرى ، فاقامة مراكز البحوث واعطاء الاهتمام للبحث العلمي هو أحد معايير التقدم الحضاري . .

الفجوة بين الاجيال

أصبح في قطر أجيال متمايزة ، جيل ما قبل النفط الذي عاش الحياة الشاقة ، ثم عاصر مرحلة النمو وتفجر الثورة ومظاهر الرفاهة ، أعقبه جيل جديد لم يتعرض للمعاناة ، وتولى الجامعة والمؤسسات الثقافية المختلفة الاهتمام بهذه الظاهرة ، والمساهمة في تأهيل هذا الجيل الذي سيتولى أقدار البلاد في المستقبل . .

أما أهم المصاعب التي تواجه الدوحة ، فهي التكدس الشديد وتقول الأرقام ، اذا كان عدد سكان قطر يبلغ ٢٠٠ ألف نسمة فان ٨٠٪ منهم يعيشون في الدوحة وحدها ، مما يهدد الدولة المتسعة الارجاء بأن تتحول الى مجرد الدولة المدينة المتضخمة . . !

من الجو

نحن على موعد مع الطائرة الهيلوكوبتر تطوف بنا فوق قطر ، الجو صحو رائق يناسب التصوير ، نرصد ملامح التغيير بالكلمة والصورة ، التقينا في مطار الدوحه الحربي بعدد من الطيارين في القاعدة الجوية ، ولمسنا الدور الذي تقوم به القوات الجوية عندما ترفع كفاءة الاداء لأولئك الذين يستخدمون أحدث أساليب التقنية في عالم لطيران الواسع ، أعدت لنا طائرة كوماندو بريطانية ، يقودها الرائد حمد أبوسمرة ويساعده حمد الدوسري . .

يمكن من خلال جولتنا تمييز العديد من المعالم الرئيسية ، يبدأ الخط على الساحل الشرقي بمدينة أم سعيد التي تحولت الى مدينة صناعية هامة ، بعد ان كانت مدينة صغيرة ينتهي عندها خط الانابيب كميناء لتصدير النفط ، وعلى مسافة متساوية البعد شمال الدوحة تقوم مدينة صغيرة أخرى هي الخور التي ما زالت تحافظ على طابعها القديم ، أما الساحل الغربي فيبدأ بالزبارة شمالا أهم المدن التاريخية قبل النفط ، والتي تخلت عن دورها التاريخي .

دخان المصانع

حلقت بنا الطائرة فوق أم سعيد طويلا ، فهي المدينة التي تختزن طموح قطر الى التنمية الصناعية ، وتصميمها على عدم تكرار تجربتها التاريخية عندما تعرضت لكارثة انهيار صناعة اللؤلؤ ، وترى قطر في الصناعة البديل المرتقب بعد نفاذ النفط أو تعرضه لأي هزة اقتصادية . .



يولع أهل قطر بسباق « النوق » في الصحراء

تبعد أم سعيد عن الدوحه ٤٠ كيلو متر فلم نكتفي بالتحليق فوقها بالطائرة ووصلناها بالسيارة فيما بعد ، ورأينا كيف يجري العمل على تحويلها الى مجمع صناعي تتنوع فيه مصادر الدخل القومي ، مع طموح عارم لكي تصبح قطباً صناعيا وترسانة لكل منطقة الخليج ، وأصبح دخان المصانع وصوت الآلات ينسجم مع ايقاع العصر وموسيقاه ، ومع النبض الحي الذي يمكن من خلاله ان يستعيد به العرب دورهم .

وتهدف المشاريع الصناعية في أم سعيد الى اقامة مركز صناعي يرتبط مع سلسلة من الصناعات الاخرى ، فلم يعد ممكنا تحقيق التنمية الصناعية في معزل عن التكامل الصناعي العربي ، والا خضعت المشاريع الصناعية الى مراكز السيطرة الغربية . .

يقف مصنع الحديد والصلب على رأس المشروعات الصناعية ، والذي بلغت تكاليفه ألف ومائة مليون ريال ويصل انتاجه الى ٤٠٠ ألف طن ، مما جعل قطر رابع دولة عربية في انتاج الصلب بعد كل من مصر وموريتانيا والجزائر ، وتستفيد صناعة الصلب من الغاز الطبيعي الذي يصل في خط انابيب من حقل دخان . ويقوم الغاز باختزال خام الحديد بدلا من الفحم ، ودول الخليج وعلى رأسها السعودية هي السوق الطبيعي لمنتجات الصلب . .

ويقوم الى جانب صناعة الصلب صناعة السماد ، التي تضم مصنعا لانتاج الأمونيا والتي تستخدم بدورها في عدة صناعات كيماوية ، وينتج هذا المصنع ٩٠٠ طن يوميا ، كما يضم مصنعا لانتاج اليوريا ، أي السماد الكيماوي الذي تتضاعف اهميته ، وينتج منه يوميا حوالي ألف طن ، ويتم تسويق الأسمدة في كل من تركيا وفيتنام وبنجلاديش والصين . .

وتحتل صناعة البتروكيماويات مكانا هاما ، والتي تتكرر في معظم دول الخليج وتقوم بالتعاون مع فرنسا ، وتضم مصنعا لتسييل الغاز ، وترتبط هذه الصناعة بدرجة نمو الاقتصاد عموما ، فانتاجها يدخل في العديد من الصناعات الخفيفة مثل صناعة النسيج والجلود والمطابع والورق . .

ويلاحظ ان اهتمام قطر بالصناعة بدأ منذ الاستقلال ، عندما عهدت عام ١٩٧٢ إلى مؤسسة بريطانية بوضع خطة مفصلة للتنمية الصناعية تغطي عشر سنوات أي حتى عام ١٩٨٢ ، وكان على رأس اهداف هذه الخطة تخفيف تبعية الاقتصاد للنفط كمصدر وحيد للدخل . .

وطرحت حركة التصنيع وآليتها والتي بدأتها قطر ، مسألة البحث عن الأسواق وهي ذاتها القضايا التي طرحتها الثورة الصناعية في أوربا والتي انتهت الى قيام الدولة القومية ، وتتمثل في قطر في صور البحث عن أشكال التكامل الاقتصادي المختلفة ومما جعل التجربة تتجاوز مشروع الاتحاد التساعي الذي انتهى بقيام دولة الامارات العربية والاندماج في كيان أشمل هو مجلس التعاون الخليجي . .

جزيرة حالول

ومن أم سعيد حلقت بنا الطائرة فوق جزيرة حالول ، التي رأيناها بوضوح وكأنها صورة طابع بريد يلتصق أمامنا ، وهي جزيرة مستطيلة ترتفع فوق سطح البحر بحوالى ٥٢ مترا ، وطولها سبعة كيلومترات وعرضها حوالى ثلاثة كيلومترات وهي أهم مركز لتخزين النفط وتصديره ، وعليها منارة لارشاد السفن ، وترى فوقها الطيور المائية المختلفة ، وتقع على طريق السفن المتنقلة بين قطر وساحل عمان ، وماكدنا نفرغ من التقاط الصور حتى هبت عاصفة مفاجأة أجبرتنا على الاسراع بالعودة الى الدوحة . .

وكل من يعمل في حقل النفط يذكر تلك العاصفة التي هبت في ديسمبر عام ١٩٥٦ ودمرت جزيرة صناعية عائمة في جون الدوحة بعد عمل عامين متواصلين . وبعد ما بلغ ما أنفق عليها الملايين من الدولارات ، قضت عليها العاصفة في لحظة واحدة . .

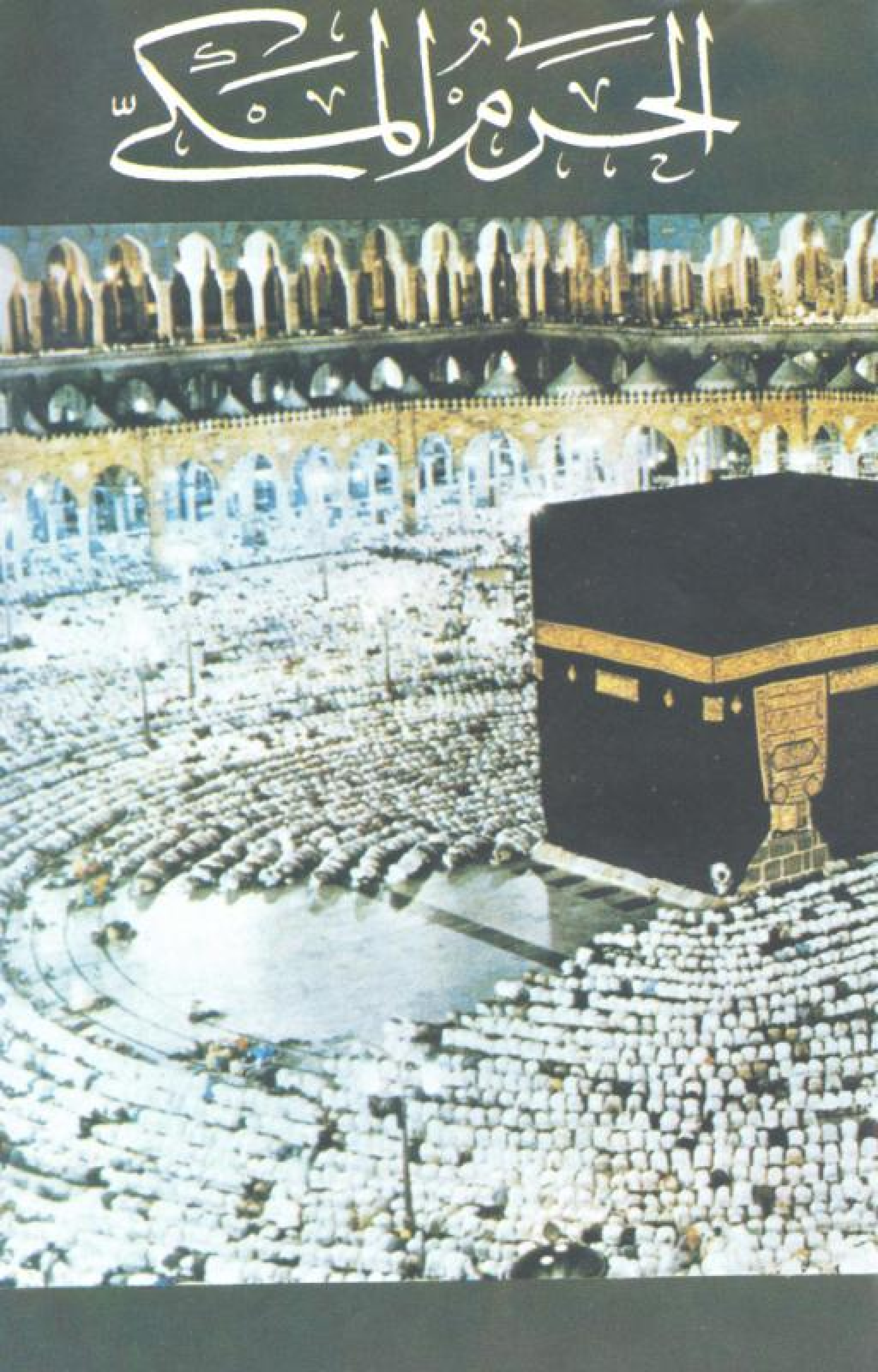
وأخيرا . .

نعرف أنه من العسير ان يضم استطلاع واحد كل ملامح التغير والتطور ، وخاصة ان جولتنا لم تقتصر على الدوحة ، بل تجاوزتها الى « الزبارة » المدينة التاريخية وأم سعيد المدينة الصناعية ، ولكن يكفينا اننا رسمنا بعض ملامح الصورة . . ○

أول تفاصيل تنشر عن التجديد العثماني

بقلم الدكتور محمد حرب




الحرم المكي

على كثرة ما كتب في المصادر العربية والتركية عن العلاقات العثمانية الحجازية الا ان احدا لم يشر بشكل واضح الى الدور الذي لعبه السلطان عبد الحميد الثاني في تغيير الكعبة . . . . وقد عثر الدكتور محمد حرب ـ الاستاذ المساعد للتاريخ بجامعة عين شمس في مكتبة السلطان عبد الحميد باسطنبول على نص التقرير الخاص بهذه العملية . . . . وكتب الى العربي هذا المقال .

تمتد العلاقات بين العثمانيين والحجازيين الى ماقبل الفتح العثماني للبلاد العربية . صحيح أن المصادر العثمانية والمملوكية لاتقدم لنا معلومات تفصيلية عن بداية هذه العلاقات . وصحيح أننا نفتقر الى المعلومات التى تهدينا الى تاريخ موسع لبدايات العلاقات العثمانية الحجازية . الا اننا نعلم ان الامير العثمانى مراد الاول (ثالث حاكم عثمانى ١٣٢٨ ـ ١٣٨٩ م) كان يهتم اهتماما ملحوظا برعاية السادة والاشراف الذين كانوا يفدون على الامارة العثمانية قبل ان تأخذ شكل الدولة والسلطنة ، ولم يكن هذا الامير يعهد لاحد باظهار هذه العناية وانما كان يبذلها بنفسه ، كما أن مجلة لجنة التاريخ العثمانى تورد فى سنتها الخامسة (ص ٢٤٤) صورة لبراءة اصدرها الامير مراد تؤكد اهتمامه فى هذا الخصوص .

اهتمام عثمانى متزايد

رصدت المصادر العثمانية تاريخ أول « صرة » أرسلها العثمانيون الى مكة والمدينة ، وكان ذلك فى عهد السلطان بايزيد الصاعقة (رابع حاكم عثمانى ١٣٦٠ ـ ١٤٠٣) وابنه محمد حلبى . ولما تولى السلطان مراد الثانى (سادس حاكم عثمانى ١٤٠٤ ـ ١٤٥١) الحكم ، اعتاد ان يوزع بنفسه الف « فيلورى » ذهبا سنويا الى كل من يوجد فى الديار العثمانية ممن يمت بنسب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم . كما اوقف هذا السلطان حاصلات قرى منطقة باليق حصار بانقرة فى الاناضول على مكة المكرمة . وادرج مراد الثانى ذلك فى وصيته المسجلة فى رجب ٨٥٠ هجرية (سبتمبر ١٤٤٦ ميلادية) تخصيصاته لجزء من ماله لفقراء مكة والمدينة .

تذكر المصادر العثمانية المبكرة ان محمد الثانى (سابع حاكم عثمانى ١٤٣٢ ـ ١٤٨١) الملقب بالسلطان محمد الفاتح كان يريد اصلاح وتعمير أحواض الماء التى كانت تقع فى طريق الحجاج العثمانيين . فلم يوافق المماليك وكانوا اصحاب السيطرة على اراضى الشام والحجاز ومصر وقتئذ على رغبة الفاتح،مما ولد عنده الحزن البالغ لحرمانه من هذا العمل . ومات الفاتح اثناء توجهه على رأس جيشه الى مكان لا أحد ـ غيره ـ يعلم الى اين كان يسير ، واختلف المؤرخون العثمانيون فى الجهة التى كان يقصدها الفاتح ، أهى دولة المماليك ليخضعها أم مدينة روما ليفتحها .

لكن الامر يختلف عندما تتناول المصادر العربية والتركية مسألة دور العثمانيين فى اصلاح وتعمير الكعبة . فهذه المصادر تقدم لنا تفصيلات دقيقة فى هذا الامر ، ابتداء من حادث السيل العظيم الذى اصاب مكة المكرمة عام تسعة وثلاثين والف هجرية (١٦٢٩ م) على عهد السلطان مراد الرابع (١٦١٢ ـ ١٦٤٠) حيث اقتحم السيل المسجد الحرام فملأ غالبه ودخل الكعبة من بابها ووصل الى نصف جدارها ، وما حدث من سقوط الجدار الشامى من الكعبة وجزء من الجدارين الشرقى

صورة من الوثيقة التي عثر عليها الباحث المؤرخ ، في الوثائق العثمانية ، وهي مكتوبة باللغة التركية .

والغرب ، وكذلك تفصيلات ماقام به السلطان مراد عام ١٠٤٠ هـ - ١٦٣٠ م من اصلاح وتعمير للكعبة .

تستمر تلك المصادر العربية والتركية فى تتبع احداث الكعبة بمكة المكرمة وماطرأ عليها من حوادث وما حصل لها من تعمير واصلاح حتى عهد السلطان عبد العزيز (١٨٣٠ - ١٨٧٦ م) الذى أرسل طوقا من الفضة لتحلية الحجر الاسود فى ١٥ رمضان ١٢١٨ هـ .

الا ان هذه المصادر على كثرتها ودقتها فى هذا الخصوص ، لاتقدم لنا عن تعمير واصلاح الكعبة عام ١٢٩٩ رومية فى عهد السلطان عبد الحميد الثانى ، الا اشارة عابرة .

وقد كتب حسين عبد الله باسلامه ، معبرا عن هذا النقص فى المعلومات الخاصة بتعمير واصلاح الكعبة فى عهد السلطان عبد الحميد ، فى كتابة تاريخ الكعبة المعظمة : عمارتها وكسوتها وسدانتها (طبع فى جدة عام ١٣٥٤) ، بقوله :

وجاء في الفتوحات الاسلامية للسيد احمد الدحلاق انه فى سنة ١٢٩٩ عمر السلطان عبد الحميد خان الثانى العثمانى بن السلطان عبد المجيد خان فى الكعبة المعظمة وفرش باطنها بالرخام ، ولم يبين الخراب الذى عمره السلطان عبد الحميد فى الكعبة مفصلا ، بل ذكره على سبيل الاجمال . . »

والسبب فى افتقار المصادر العربية والتركية الى المعلومات فى هذا الصدد هو عدم وجود الوثائق الاسلامية الخاصة بهذا الموضوع .

التقرير الرسمي لاصلاح الكعبة

وقد استطعت العثور على التقرير الرسمى الخاص بهذا الحدث والخريطة التفصيلية له وملحقاتها من رسوم لملحقات الحرم المكى فى مكتبة السلطان عبد الحميد الثانى . وهذا التقرير وخريطته وملحقاته كتبها ورسمها القائمقام اركان حرب السيد محمد صادق وهو ضابط عثمانى ومهندس . والتاريخ المدرج هو ١٣٠١ هجرية .

تحمل الوثيقة الاولى وهى التقرير تاريخ ١٧ ربيع الآخر عام ١٣٠١ من الهجرة الموافق الثالث من شهر كانون الثانى من عام ١٢٩٩ رومية ومساحة خط التقرير هى : ٥٥ × ٢٤ سم .

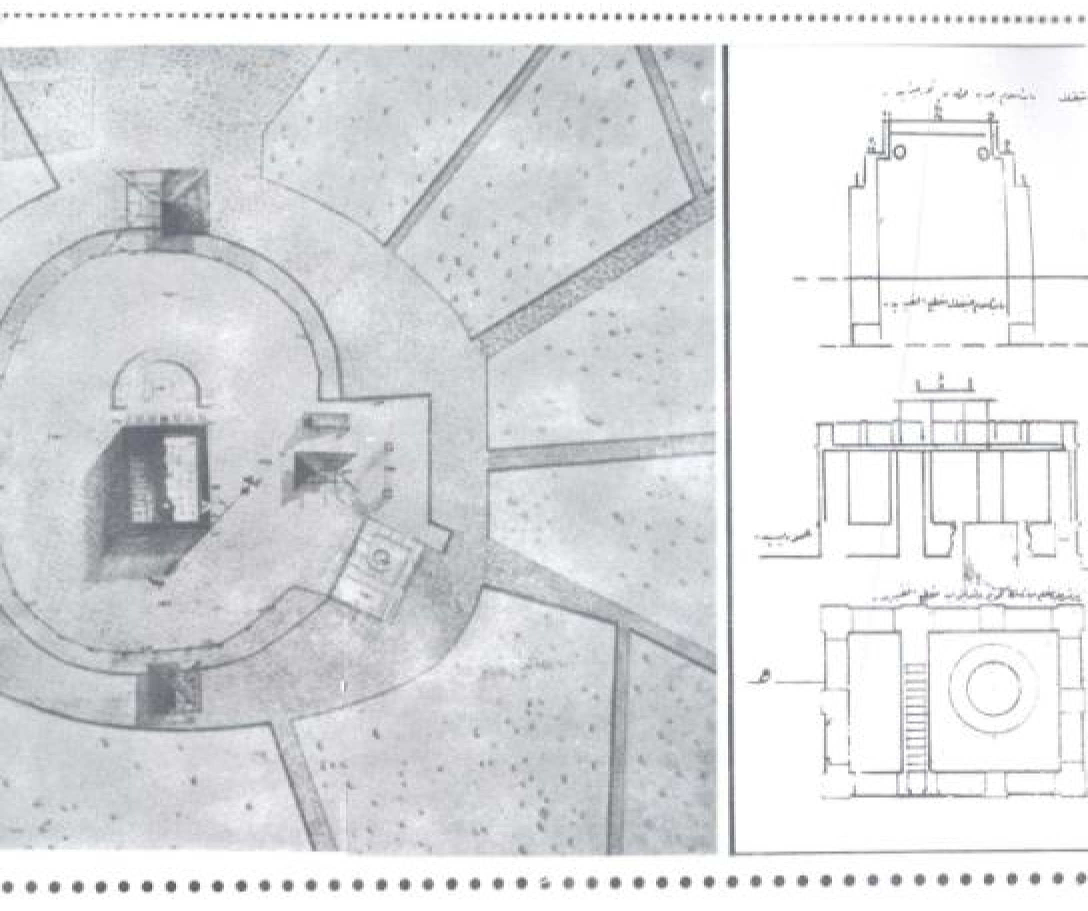
وتحمل الوثيقة الثانية وهى الخريطة توقيع نفس الضابط المهندس الا انها تحمل تاريخ أواخر شهر ربيع الاول من عام ١٣٠١ هـ مما يعنى ان دراسته على الواقع انتهت برسمه الخريطة . وتبلغ مساحة الخريطة فى الاصل : ٦٣ × ٩٠ سم ومقياس الرسم الذى استخدمه فى الخريطة هو ١ : ٢٠٠ متر .

اما الوثيقة الثالثة وهى ملحق الخريطة فانها تحتوى على خمسة رسومات لملحقات الحرم المكى ، وتبلغ مساحته ٥٨ × ٢٣ سم ويبلغ مقياس الرسم المستخدم فى هذه الرسوم فى هذه الوثيقة الثالثة ١ : ١٠٠ متر .





يقوم التجديد السعودي في الحرم المكي الشريف على المحافظة على العمارة العثمانية القديمة ، وأصبح الحرم المكي يجمع بين الطرازين العثماني والسعودي



يبدأ التقرير بابراز الحاجة الى تعمير واصلاح الحرم المكى الشريف لعدة امور ، منها تعذر قراءة اللوحات الخطية الموجودة فى الحرم المكى وهى عشر لوحات على مبنى زمزم وعلى باب السلام العتيق .

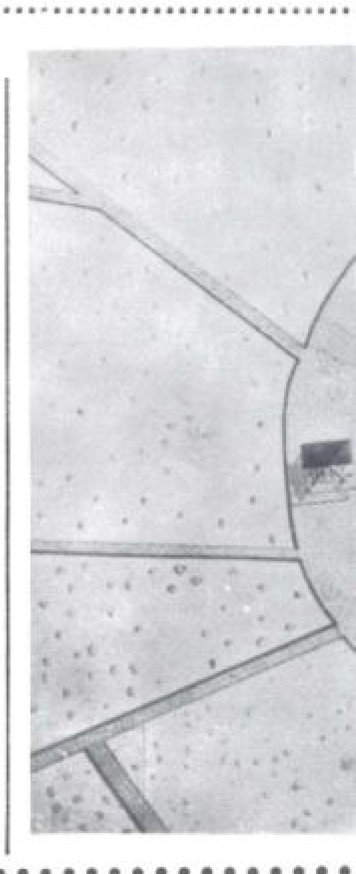
ويذكر التقرير ان الجدران فى الحرم المكى تآكلت نتيجة سقوط طلاء الجدران ، ويقول ان كل الحجارة المفروشة على ارض المطاف وعلى منطقة أسفل القباب قد تكسرت - أى الحجارة - كما يذكر التقرير تقلقل اكثر هذه الحجارة من اماكنها لدرجة أنها اصبحت تعوق حركة الحجيج . ويدعو كاتب التقرير الى ضرورة اعادة بناء بعض المبانى مما حول الكعبة .

لم ينس التقرير ذكر ضرورة تجديد الرخام المفروش فى المطاف نظرا لاصابته بالبلى والقدم ، وضرورة ايجاد وسيلة تمكن الحجاج فى منطقتى باب علي وباب العباس من رؤية البيت المعظم لتعذر الرؤية عليهم بسبب وجود المبانى داخل اطار الحرم .

ويرى كاتب التقرير ضرورة تغيير احجار البازلت المستطيلة السوداء فى منطقة ماتحت القباب باخرى من احجار تربستا .

التكاليف : ٢٨٤٨ ليرة عثمانية

وينتهى التقرير بادراج مايراه كاتبه القائمقام اركان حرب مهندس السيد محمد صادق ، ضروريا لمشروع اصلاح وتعمير الكعبة فيذكر ضرورة بناء باب السلام العتيق ، وبناء المقام الحنبلى - بعد ان هدم - على ان يكون موازيا للبيت المعظم بين الحجر الاسود - ويسميه كاتب



أقصى اليسار ترى بعض المساقط الرأسية والافقية لباب زمزم ، وباب السلام ، في الوسط صورة مصغرة للمسقط الافقي للحرم الشريف حيث تظهر الكعبة في الوسط كما رسمها المصمم المعماري التركي .
وتظهر في الرسم عند التكبير أرقام فيها موضع « المقامات المباركة » (من ١ : ٢٦) وهي : الكعبة المعظمة ـ باب التوبة باب الكعبة المعظمة ـ الحجر الإسود ـ الركن اليماني ـ الركن الشامي ـ حجر اسماعيل عليه السلام ـ المزراب الذهبي ـ الحطيم الشريف ـ الركن العراقي ـ المحل المبارك الذي أقامه بالطين ابراهيم عليه السلام ـ الملتزم الشريف ـ مخزن شموع وشمعدانات البيت المعظم ـ سبيل سيدنا عباس رضي الله عنه ـ المقام المالكي-المقام الحنفي ـ دار الندوة ـ المطاف الشريف ـ الرملية وهي مخصصة للنساء ـ حدود الحرم الشريف العتيق ـ المقام الشافعي (على الترتيب) .
ثم من (٢٦ : ٣٦) تتحدد مواضع لوحات خطية منها : لفظة الجلالة (الله) وتحتها « ماء زمزم شفاء من كل داء » و « لا يجتمع ماء زمزم ونار جهنم في جوف عبد » « ومحمد » « رب أدخلني . . . » وأيضا لوحات خطية باسماء الخلفاء الراشدين : ابي بكر ، عمر الفاروق ، عثمان ، علي رضي الله تعالى عنه » . .

التقرير الحجر الاسعد ـ وبين الركن اليمانى الذى لابد من تجديده هو ايضا كما يذكر الضابط المهندس .

يطالب التقرير بعد ذلك باعادة بناء بروزات غطاء الجدار الواقع فى جهة البيت المعظم ويقول بمراعاة اقامة بابين بشبكتين على الناحية الشرقية ، واقامة نوافذ بشبكات فى جهتى الشمال والغرب واقامة أسبلة لماء زمزم ومخزن بشبكة مخصص للاغوات فى الجهة الجنوبية ، وسلم سرى فى حائط الفاصل المشترك بحيث يؤدى الى محفل المؤذنين الشوافع .

يطلب التقرير أيضا تزيين اللوحات الخطية بالذهب المذاب وطلاء بعض الاحجار لتثبيت الوانها واستبدال الاحجار البازلت بأحجار تريستا ، واحضار عدد (٣١٠) اعمدة رخامية و (٣١) بابا بأطرها الخشبية واعمدتها ، وزيادة الرمل لأماكن الصلاة ، وانشاء بئر كبير ليصب فيه زمزم ، وتحديد اماكن الصلاة للنساء بشبكة حديدية ، ثم عمل ترتيبات مايسمى بالحجر الاساسى بحيث يحمل هذا الحجر تاريخ التعمير والترميم والطغراء السلطانية علامة الحكومة العثمانية واسم الخليفة السلطان عبد الحميد الثانى بن السلطان عبد المجيد الاول بن السلطان محمود الثانى .

وعن تكلفة هذا المشروع يقول كبير المهندسين القائمقام اركان حرب السيد محمد صادق ، انه يتكلف مبلغ الفين وثمانمائة وثمان واربعين ليرة عثمانية .

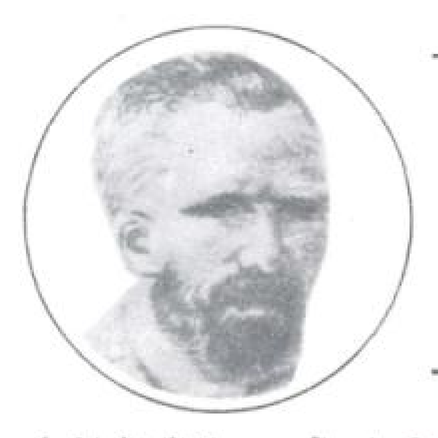


ـ ما تزال حياة وفن فان جوخ محل اهتمام النقاد والدارسين في العالم ، وتظهر اللوحة التي رسمها لطبيبه د . كوشيه ، وأمامه زهرة « كف الثعلب » السامة ، وهذه اللوحة تضمن قرينة حول الطريقة التي وضع بها نهاية حياته !

بقلم الدكتور سامي محمود على



هل مات فان جوخ منتحراً.. أو مسموماً؟!



مفاجأة مذهلة تلك التي كشفت عنها الدكتورة فينا سبلر ، عندما تؤكد أن فان جوخ لم ينتحر بطلق ناري كما هو شائع ، بل مات مسموما ، ودليلها لا تستمده من الطب الشرعي وحده ، بل من خلال رسوماته ذاتها . .

منذ فتره ثار جدل طويل حول السبب الحقيقي لوفاة نابليون بونابرت . . وكان الطبيب السويدي « ستين فورشوفرد » هو الذي اثار هذا الجدل عندما اعلن ان نابليون لم يمت بسبب سرطان المعدة كما هو شائع وانما مات بسبب تسممه بالزرنيخ تسمما بطيئا . . كان هذا الخبر بمثابة الصاعقة التي دوت في ارجاء المعمورة . . وبدأ الغبار يمسح عن صفحة الايام . . ترى هل مات نابليون حقا بالسم ؟ . . جاء تحليل شعر نابليون يقول ان به كميه كبيرة من سم الزرنيخ . . بل وبمراجعة الاوراق اتضح ان الطبيب الذي فتح التابوت الموجود به جثة نابليون وبعد تسعه عشر عاما من وفاته وجد ان جثته كما هي سليمه لم يطرأ عليها تغيير . . ومن المعروف ان الاشخاص الذين يموتون نتيجة تسممهم بالزرنيخ تبقى أجسامهم فترة طويلة دون تحلل او تعفن . . اذن اين الحقيقه ؟ . . ان القضية ما زالت حتى اليوم محل شك . .

واليوم تفتح ملفات جديدة وتثار قضية اخرى . . والضحية هذه المرة هو الرسام العالمي الشهير فنسان فان جوخ . . ونعود لنفس السؤال . . هل مات فان جوخ مسموما ؟ . . لقد طرح هذا السؤال في الاجتماع السنوي للاكاديمية الامريكية لعلوم الطب الشرعي . . كان ذلك في دراسة اعدتها الدكتورة « فينا سيلر » من كاليفورنيا اكدت فيها ان الرسام الشهير قد مات بالسم . . وان المادة السامة هذه المرة هي نبات اصبع العذراء (او ما يطلق عليه كف الثعلب) والمعروف علميا بالديجتاليس ويستخرج من هذه المادة عقارٌ يستخدم في معالجة حالات قصور القلب وكان نفس العقار يستخدم منذ العصور الوسطى كشربة مسهلة او كمقيء . . والجرعات الكبيرة من هذا العقار تسبب التسمم . . والواقع ان القصة مثيرة من خلال أحداثها الدرامية . أو فلنقل البوليسية وفيها يتطلع الينا وجه فنان غريب الأطوار . . شاذ الطباع . . حياته مأساة كاملة تحمل في طياتها أشجان نفس انغمست في اعماق الحزن والالم حتى الثمالة فراعها ما رأت من عفن الدنيا وهوانها . . فحلقت في آفاق من الخيال والابداع في لوحات قل ان يوجد مثلها . . ان حياة فان جوخ كمماته كهف علينا أن نسبر أغواره في حرص وأن نتأمل ما فيه في صمت وترقب . .

● ● شاب لا يصلح لشيء

في سنة ١٨٥٣ كان ميلاد فان جوخ في بيئة ريفيه متزمتة تقدس التقاليد وكان ابوه قرويا صلب البنان . . كان يغرس في ابنه التعاليم الدينية التي يبشر بها واعظ القرية . . وكان من الطبيعي أن يصطدم هذا التزمت بما لدى جوخ من خيال وطبيعة فنان تكمن في أعماق رحبة

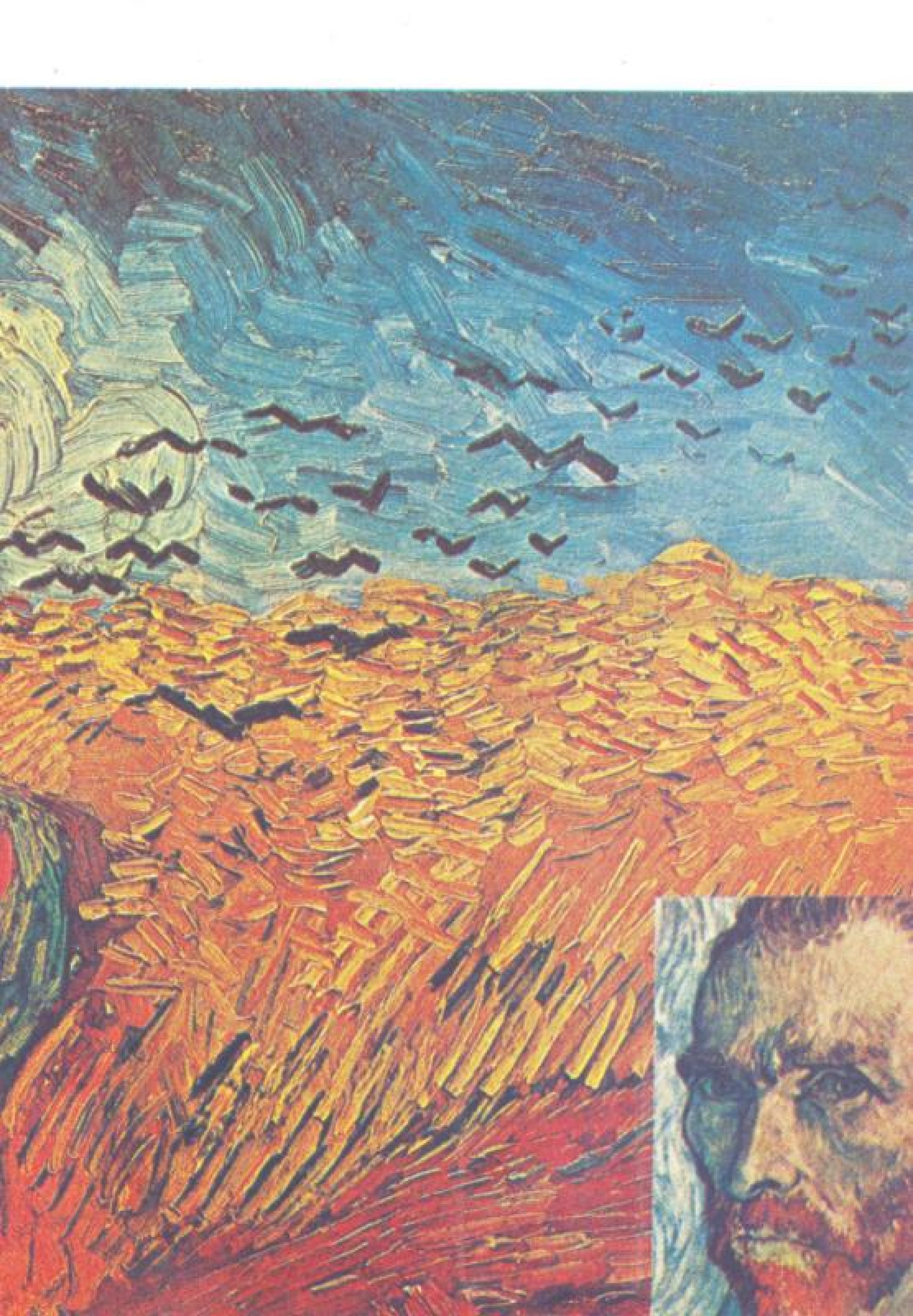
لضفاضة . . فكان الجدل لا ينقطع بين جوخ وابيه . . وكانت المناقشات الحادة تشتعل اذا ما اتى جوخ بتصرف يعتبر فيه الاب خروجا عن المألوف وتهورا . . كان هذا الصراع اثره على حياة جوخ . . حتى ان تصرفاته بالفعل كانت تخرج في احيان كثيره عن الطريق السوى . . مما دفع به لان يقضي سبعا وعشرين سنة منذ ميلاده وهو ينتقل من فشل الى فشل . . حتى بات كما لوكان لايصلح لشيء فنراه يعمل بائعا للصور ثم مدرسا وبائعا للكتب . . وفي كل هذه الاعمال كان لايكف عن النقاش والجدل واثارة المتاعب وانتقل الى بلجيكا ليعمل واعظا لعمال المناجم . . الا انه تحول وبسرعة غريبة الى ثوري من الطراز الاول وسعى الى تحريض العمال مما دفع الشركة الى طرده . . اذن هي معاناة مستمرة تستمد جذورها من تربة معقدة . . وهكذا كان فان جوخ دائما مطاردا بافكاره الشاذة وسلوكه الصاخب المشبوب . . وفي هذا الجو الصاخب الذي يحيطه والغيوم التي تشمله باستمرار نرى شعاعا من الضوء يتسلل اليه يحمل في ثناياه الامل والحنان والعطف معا . . كان هذا متمثلا في اخيه « تيو » الذي يعرف ان جوخ يحمل داخل طواياه بذور فنان مبدع اصيل فيشجعه ويساعده بالمال وعندما يحط جوخ رحاله في فرنسا حيث يقيم اخوه « تيو » يأخذ بيده الى محافل الفن في فرنسا ويعرفه بالفنان « جوجان » ومن هنا تبدأ مرحله اخرى من حياة فان جوخ . .

● ● انطلاق الفنان . .

كان جوخ قد ادرك ان نفسه تهفو الى شيء اخر يصرخ في اعماقه ويلح عليه . . ان ايقاعات الطبيعة تسرى في وجدانه مسري الدم في العروق . . والحياة من حوله تتحول الى امواج من الالوان . . فيها رقة المبدع الخالق في التشكيل والابداع . . ويبدأ جوخ البداية الحقيقية لاي فنان . . ان يعرف . . ليس فقط في الرسم وفي الفرشاة ولكنها المعرفة بكل شموليتها وكليتها . . معرفة الطبيعة من حوله . . فالفن كما عرفه « بيكون » هو الطبيعة مضافا اليها الانسان . . ومن هنا اخذ جوخ يقرأ لشكسبير وهوجو وديكنز ويطالع اعمال رمبرانت وجوجان . . وسعت به قدماه الى علوم التشريح وتناسق الاعضاء ودراسة المنظور . . ليس فقط بل ومضي في رحلاته يزور المتاحف والمعارض يطالع ماتجود به المدارس المختلفة في فن الرسم . . وهو في كل ذلك فاحص مدقق يقارن ويحلل يبحث وينقب . . ثم اذا ماعاد من جولاته ترك لخياله العنان ليندمج مع الطبيعة الأم يستوحي منها اعظم الاعمال في ايات من اللوحات الفنية الخالدة . . كانت الحقول والمزارع والبحار والسهول . . السماء والاشجار . . كلها المواد الخام التي يصنع منها لوحاته . . وكانت طريقته في الرسم جديدة وغريبة تقفز فوق الحواجز التي يتسم بها المذهب الكلاسيكي المحافظ وتتركه الى افاق ارحب واكثر سعة في مجال الفن التشكيلي . . ولعل المرء يقف مشدوها امام لوحة من لوحاته . . فإن الالوان تبدو وكأنما سكبت على اللوحة دون تنسيق او تهذيب ولكننا لاتملك الا ان نتأملها طويلا . . لنجد انفسنا في النهاية امام لوحة قد حققت اروع ما يصبو اليه فن الرسم من تناسق وانسجام مدهش .

● ● صداقة حميمة

كانت اواصر الصداقة قد توطدت بين جوجان وفان جوخ وصارا يناديان بمذهب واحد في فن الفرشاة . . وفي سنة ١٨٨٨ غادر فان جوخ باريس لكي يستقر في مدينة « ارلز » جنوب فرنسا . . ولم يكن سفر جوخ عن رغبة شخصية ولكنه تحت الحاح شديد من صديقه جوجان الذي سبقه الى « ارلز » . . كان السلوك الحاد الذي يميز شخصية جوخ رفيقه دائما اينما حل . . وفي ارلز كثرت المشاحنات والمناقشات





ـ فان جوخ بريشته ، وبعده أصبح رسم صورة الفنان لنفسه رمزا لرؤيته لعصره ، كما ترى واحدة من أهم لوحاته وحديث تظهر ألوانه القديمة ومشاعره الحادة التي يسقطها مع الطبيعة .

التي تصل الى حد العراك بينه وبين جوجان وكثيرا ما اراد جوجان الرحيل بعيدا عن ذلك الطفل الصاخب .. الا ان جوخ كان يتحول فجأة الى حمل وديع .. وتنقلب شخصيته الملتهبة الى رقة وعذوبة فتجده يسعى الى صديقة متوسلا راجيا اياه ان لايتركه وحيدا .. لقد كانت هذه هي ملامح الشخصية التركيبية التي كانت تغوص داخل فان جوخ .. ومن طرائف مايحكى عن جوخ انه قطع اذنه في مرة من المرات لكي يهديها تذكارا الى فتاة كان يحبها عندما قررت الفتاة الرحيل .. شيء غريب !.

● ● حياة بائسة ..

كان جوخ قد عانى خلال حياته من امراض عصبية عديدة ربما تكون تربيته المتزمتة وروح العنف والمجادلة التي يتسم به طبعه .. وراء هذه الامراض .. فقد كان جوخ يعاني من الصرع والهوس والهذيان وتقول الروايات انه انتحر عندما اطلق النار على نفسه في سنة ١٨٩٠ لينهي بذلك حياة شقية بائسة عاشها وهو يترنح من الم الى الم ومن حزن الى حزن .. ولكن الى أي مدى كانت هذه الروايات صحيحه ؟ .. او نتساءل بشكل اخر هل مات جوخ حقا بسم مادة الديجتاليس ؟ .. تقول الدراسة التي قدمتها الدكتورة / فينا سبيلر من كاليفورنيا الى اكاديمية علوم الطب الشرعي الامريكي .. نعم .. لقد مات مسموما .. كيف ؟ ..

● ● ادلة تؤكد موته بالسم .

يقول لنا الطب الشرعي .. ان الانسان الذي يتسمم بجرعات متزايدة من عقار الديجتاليس يعاني اضافة الى اضطرابات الجهاز الهضمي والدوري وعدم الانتظام في عمل القلب .. اضافة الى كل ذلك يعاني من جملة اعراض عصبية في آلام تعم اجزاء الجسم .. ايضا يعاني من اهتزاز في عضو الابصار (Blussed vision) واخيرا الازدواج البصري .. اى الرؤيه المزدوجه للاشياء (Diplobia .. هذا ما يقوله الطب الشرعي .. اذن ما هي ادلة الدكتورة فينا سبيلر على تسمم فان جوخ بالديجتاليس .. ؟ انها تقول ان آثار هذا التسمم قد ظهرت على جوخ خلال السنتين الاخيرتين من حياته .. ومن المعروف ان الديجتاليس يوزع نفسه على خلايا المخ وبالتالي يؤثر على عضو الابصار .. كما اسلفنا القول .. تستطرد الدكتورة فينا سبيلر فتقول ان ذلك يسفر عن رؤيه المريض للونين رئيسين متغلبين على بقيه الالوان هما الاخضر والاصفر . وقد لاحظت بدهشة شديدة - الكلام للدكتورة فينا - ان اللوحات التي رسمها جوخ خلال العامين الاخيرين من حياته اي بداية من سنه ١٨٨٨ قد اوضحت سيطرة اللون الاصفر بصورة تامة كما انه استعمل هذا اللون بشكل رمزي اكثر منه تصويريا .. ثم تلقي الدكتوره « فينا » مفاجأه تؤكد بها ما وصلت اليه فتقول بل ان جوخ نفسه اورد الدليل على تسممه فقد رسم عدة لوحات لطبيبه وكل لوحة منها تحتوي على رسم زهرة كف الثعلب .. وهي الزهرة التي يستخرج منها عقار الديجتاليس .. وكأنه اراد بذلك ان يعترف عن قاتله قبل ان يرحل ..

حقيقة ان الدهشة لتعقد لساننا وهناك بين صفحات التاريخ المطوية كثير جدا من الاشياء المستورة التي لا تزال مغلفة بغلاف رقيق ولامع لم يكشف عنه بعد فاين الحقيقة اذن ؟ ..

ان فنان فان جوخ الذي كانت حياته انشودة مأساوية عزفها على اوتار طبيعته المرهفة واحساسه الرقيق قد آلت الا ان تنتهي ايضا غامضة لم تخل من صخب يثير الحيرة حينا ويثير الحزن حينا آخر .. وعلينا ان نسجل كل يوم دليلا جديدا على عجز وعينا وعلى ادراك مشلول عاجز وان نعترف في وضوح ان الحقائق الكامنة في بواطن الاشياء تتزلق او تنفلت من بين ايدينا مولية بعيدا وهي تسخر من عقولنا ولسوف نظل ابدا نلهث وراء الحقيقة دون جدوي .. وهذا هو قدرنا .. □

هكذا تكلم فان جوخ

● «رهيب هو مشهد تلك المناجم السوداء الهابطة الى أعماق تبلغ الثلاثمائة متر حيث يعمل اناس جديرون بكل الاهتمام واللطف . عامل الفحم نوع خاص في بوريناج : لاوجود للنهار لديه ؛ ولايلتقي بالشمس سوى يوم الاحد . يعمل بمشقة على ضوء قنديل شاحب النور في نفق ضيق متكورا على نفسه وأحيانا مضطر الى الزحف ، ليخلع من رحم الارض هذه المادة التي نعرف جيدا مختلف وظائفها ، يعمل باختصار ، وسط ألف من المخاطر المحدقة . »

.... لهذا المنجم سمعة سيئة .. انه مكان كئيب وكل مايجاوره يبدو للنظرة الاولى شاحبا وجنائزيا . »

● «شاهدت في رحلتي قرى النساجين . ان عمال الفحم والنسيج فئة تمتاز عن بقية الكادحين والحرفيين وأنا أميل اليهم ، وسأكون سعيدا لو استطعت رسمهم يوما ما ، لأخرج أولئك المجهولين الى النور .. الفقر يمنع بزوغ الروح .. انتظر ، فقد تجد فيه فنانا جادا ..

... الطريق ضيقة ، الباب ضيق وقلة هم الذين يجدونه . »

● نقلت بتصرف قليل من كتاب «عزيزي ثيو» مختارات من رسائل فنسان فان جوخ الى شقيقه ثيو ترجمة عاصم الباشا .

● «ثيو : أنا لست رسام مناظر . عندما اصور منظرا أضع في داخله دوما أثرا لانسان .. »

فانسان يحجب أمرا لايستطيع اخراجه الى النور . » ...

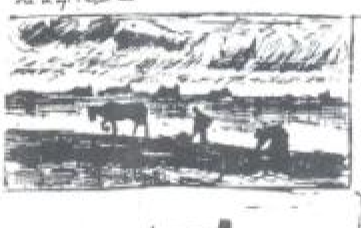
أود تنفيذ رسوم تصفع بعض الناس .. «غدت يداي بيضاء للغاية ولاتناسبان ذوقي . ولكن ، ماذا يمكنني أن أفعل ؟ سأعود الى الحقول ولايهمني اذا احترقت فيها » ... مرسم فني ، في غمرة النشاط . ليس ذلك المرسم الصوفي الغامض ، وانما مرسم يمد جذوره في قلب الحياة نفسها . «يجب الاصغاء الى الطبيعة وليس الى أفواه المصورين . »

● « .... ما أحسن شخصيات «ميليه» يبدو عنده القروي وكأنه صور بالتراب الذي يزرعه » ... «انني أسألك : هل تعرف في المدرسة الهولاندية القديمة رجلا واحدا يحمل منجلا ؟ مزارعا واحدا ؟

في اللوحات القديمة الرجال لايعملون .

● «اكرر ، ان تمثل الفلاح خلال عمله هو بخلاصته شكل حديث . انه جوهر الفن الحديث . وهذا مالم يفعله الأغريق ولا فنانو النهضة ولا قدماء الهولانديين » .

● «الناس يجدون أنفسهم اكثر الأحيان عاجزين عن القيام بشيء ، فهم سجناء قفص مروع . رهيب ، رهيب جدا .





● صفحة من الرسالة رقم ٣٣٩ التي كتبها فان جوخ الى شقيقه ثيو ١٨٨٣ .

● ... «اننا نحيا في الربع الاخير من قرن سينتهي بثورة عظيمة . ولكن ، حتى ولو افترضنا ان كلانا سيرى بوادرها في ايامنا الأخيرة ، الا اننا لن ندرك بالتأكيد اجمل ايامها ذات الهواء النقي والمجددة للمجتمع عموما بعد الأعاصير العارمة .

المهم هو ألا نجهل زيف عصرنا ... وأن نقول لانفسنا : اننا نحيا في قلب الألم لكن الاجيال القادمة ستتنفس بحرية أكبر .

● «زولا وآل غونكور .. تورغينيف ودوديه . إنهم جميعا ، وهم محقون ، يتجنبون التنبؤ بطوباويات ويميلون الى التشاؤم وذلك لأننا ، لو قمنا بتحليل ، لرأينا ماهو مروع : كيف يجهضون الثورات في قرننا هذا ، حتى تلك التي كانت نبيلة . »

لقطات من مركز الكمبيوتر في جامعة الكويت ، وهو الخطوة الأولى في طريق تعميم الكمبيوتر في المدارس ، وهناك لجنة خاصه لبحث المشروع ، وعندما يتم تنفيذه تصبح الكويت أول بلد عربي يدخل الكمبيوتر في العملية التعليمية .



نحن .. وثورة الكمبيوتر !

بقلم : الدكتور عبد اللطيف ابو السعود

أحدث الكمبيوتر ثورة من لون جديد ، ان هذا الجهاز الصغير دخل حياتنا فجأة وبلا مقدمات . كيف استطاع أن يؤثر فينا وعلينا ؟ ما هي النتائج التي سوف تترتب على هذه الثورة ؟

اذا صحت التوقعات الحالية . فانه ينتظر أن يكون في كل فصل من فصول المدرسة ـ أي مدرسة ـ في المستقبل القريب ، جهاز كمبيوتر صغير ، او ميكرو كمبيوتر .

وسوف تستخدم هذه الاجهزة كمناضد وسبورات ، وكذلك يستخدمها التلاميذ لاختبار قدراتهم على القراءة ، وحل المسائل الرياضية ، وصقل مهاراتهم الكتابية . وسوف يكون التعليم ، ومعالجة النصوص ، والاجهزة الحاسبة ، بواسطة الكمبيوتر ، كمقررات دراسية .

ان عدد اجهزة الميكروكمبيوتر التي توجد اليوم في حجرات الدراسة ، في المدارس الامريكية ، يدل على أن استخدام الميكروكمبيوتر في تلك المدارس قد ازداد بطريقة درامية .

وقد اجرت احدى الهيئات بولاية كونكتيكت دراسة حديثة ، يتبين منها أن عدد المدارس الامريكية التي تستخدم هذه الاجهزة قد ازداد بمقدار يزيد عن ستين في المائة في العام الماضي .

وفي نفس الوقت ، تزداد مبيعات أجهزة الكمبيوتر المنزلي ، بحيث ينتظر أن يكون الكمبيوتر متاحا لبعض التلاميذ في المدرسة وفي البيت .

المدرسون يتساءلون

أدى ادخال أجهزة الميكروكمبيوتر الى حجرات الدراسة ، الى عديد من الاستفسارات من جانب المدرسين منها ما يلي :

ـ ما هي مزايا وجود جهاز الكمبيوتر في حجرة الدراسة ؟

ـ هل تساعد اجهزة الكمبيوتر الصغار على التعلم ؟

ـ كيف يمكن للمدرسين أن يتعلموا المزيد عن أجهزة الكمبيوتر ؟

كل هذه الاسئلة ، وغيرها ، تعكس حاجة المدرسين الى معرفة المزيد عن أجهزة الكمبيوتر ، وطريقة استخدامها ، وما يمكن لهذه الاجهزة أن تقوم به ، وما هي التأثيرات التي يمكن ان يؤدي اليها وجود هذه الأجهزة في حجرة الدراسة على التلاميذ وعلى المدرسين .

وفي خلال الاعوام القليلة التي ظهرت فيها أجهزة الميكروكمبيوتر في الأسواق وأدخلت في المدارس ، ازداد الاهتمام الى درجة كبيرة ، بالمعدات الفيزيائية اللازمة لاستخدام الكمبيوتر (المكون الصلب) ، والبرامج والتعليمات التي تبين للكمبيوتر ما يجب عليه أن يعمله (المكون اللين) .

الا أن نشر المعلومات عن تركيب أجهزة الميكروكمبيوتر وقدراتها ، والتدريب على استخدام تلك الاجهزة ، والتمرين اللازم لاكتساب المهارات المطلوبة ، كل هذا قد تأخر عن تطوير الكمبيوتر وتسويقه .

ويمكن أن يكون الكمبيوتر مساعدا عظيم الفائدة في تقديم المعلومات الى التلاميذ عن موضوع معين ، واختبار فهم التلاميذ للدروس التي أعطيت لهم ، ومدهم بالخبرة في الفهم التحليلي ، وحل المسائل ، وتقديم البيانات للتلاميذ عما يبذلون من جهد ، أثناء تقدمهم في الدراسة .

هذه الخدمات تسمح للمدرسين باستخدام وقتهم بطرق أخرى ، وتمدهم بالمعلومات المفيدة عن مدى تقدم التلاميذ في الدراسة .

وبينما يفكر المدرسون في نوع الخبرات التعليمية التي يحتاج اليها التلاميذ سوف يكون في إمكانهم استخدام طرق التغذية الخلفية بواسطة الكمبيوتر في التشخيص وتوجيه الصغار الى



برامج الكمبيوتر التي تناسب مستوياتهم ، وتقدير الوقت المناسب للتحول الى نوع آخر من النشاط .

وسوف يعطى الكمبيوتر للمدرسين مؤشرا عن الدروس التي يجب اعادة تدريسها وعما يجب تدريسه للتلاميذ بعد ذلك .

التعليم بمساعدة الكمبيوتر

ان التعليم بمساعدة الكمبيوتر هو احدى الطرق التي يمكن بها استخدام أجهزة الميكروكمبيوتر في حجرة الدراسة ، اذ يمكن لهذه الاجهزة تقديم هذا النوع من التعليم ، في أي مادة دراسية ، تتوفر في المدرسة برامج الكمبيوتر الخاصة بها .

والكثير من برامج الكمبيوتر التي تستخدم اليوم في حجرات الدراسة ، تقع في ثلاث مجموعات : التمرين والتدريب ، والاسئلة ، واستخدام أساليب المحاكاة . وهناك أنواع أخرى تشمل البرامج الخاصة بحل المسائل ، وألعاب الكمبيوتر .

ويمكن تعريف الانواع الرئيسية الثلاثة كما يلي :

برامج التمرين والتدريب : وهي تمد التلميذ بفرصة لتحسين المهارات التي تعلمها ، مثل الجمع ، وبناء الكلمات .

برامج الاسئلة : وهي تقدم مجموعة من المعلومات ، ومعها أسئلة عنها .

برامج المحاكاة : وهي تصف وضعا او حادثة ، وتطلب من التلميذ أن يلعب دورا في الموضوع ، وأن يختار الطريق التي يجب ان تجري بها الاحداث .

وعن طريق اختيار برامج الكمبيوتر المناسبة ، يمكن للمدرس أن يقدم للتلاميذ المواد التي يجب عليهم ان يتعلموها ، أو يمهد لها ، أو يكرر لهم دروسها .

وبالرغم من ان برامج الكمبيوتر ليست متاحة ، بعد ، لكل مادة دراسية ، لاشباع حاجات التلاميذ ، في جميع مستويات الدراسة ، فانه يجري حاليا اعداد برامج عديدة للكمبيوتر ، بحيث يصبح متاحا في المستقبل القريب ، مدى واسع من الخيارات .

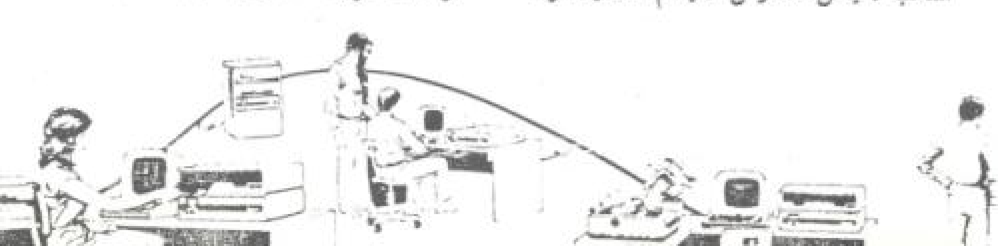
ومن المزايا التي يمكن جنى ثمارها عن طريق التعليم بمساعدة الكمبيوتر ، هي أنه يمكن للتلاميذ أن يتسابقوا أثناء تقدمهم في دراسة المواد الدراسية المختلفة ذلك أن الكمبيوتر يسمح للتلاميذ بالتقدم في التعليم حسب سرعتهم الخاصة ، وتكرار الاجزاء التي لم يفهموها ، وحذف الاجزاء التي يشعرون بمعرفتها جيدا .

وبمرور الوقت ، قد تؤدى نفس برامج الكمبيوتر الى ايجاد تكامل بين التعليم بمساعدة الكمبيوتر ، والتغذية الخلفية . هذا التكامل متاح اليوم بصورة محدودة ، ولكن من المحتمل ان يصبح اكثر شيوعا ، مع استمرار تطوير برامج الكمبيوتر اللازمة للتعليم بمساعدة الكمبيوتر ، وعندما تعبر المدارس عن احتياجاتها بطريقة أكثر وضوحا .

وفي مستقبل الأيام ، سوف يصبح التعليم الفردى أمراً ممكنا ، عندما يتمكن التلاميذ من التقدم في الدراسة حسب سرعتهم الخاصة ، عن طريق الدروس بمساعدة الكمبيوتر ، التي تناسب مستوياتهم ومقدراتهم .

استخدامات أخرى للكمبيوتر في المدرسة

وهناك طريقة أخرى يمكن للتلاميذ أن



يستخدموا بها الكمبيوتر ألا وهي عمل برامج الكمبيوتر بلغة من لغاته ، مثل لغة بيزيك ، ولغة باسكال ، ولغة لوجو .

واليوم نجد أن لغة بيزيك تدرس أكثر من غيرها في كثير من المدارس الا أن لغة باسكمال تستخدم في بعض الفصول الدراسية ، أما لغة لوجو ، فهي ليست لغة جديدة ، ولكن بدأ مؤخرا استخدامها على نطاق واسع .

قام بتطوير لغة لوجو الأستاذ (سيمور بابرت) الذي يعمل في معهد مساشوستس للتكنولوجيا بأمريكا وتسمح لغة لوجو للتلاميذ بتحريك أشكال معينة ، على شاشة الكمبيوتر استجابة لتوجيهات التلميذ . وباستخدام لغة لوجو ، يمكن للتلاميذ تخليق تصميمات وأشكال عديدة متقنة . ويرى بعض المتحمسين لهذه اللغة ، أن عمل برامج الكمبيوتر يمكن التلاميذ من الوصول الى مفاهيم لم يكن ينتظر منهم أن يصلوا اليها كما يبدو أنها تضيف الى تطور وتوسيع ادراك التلاميذ .

كما يمكن استخدام أجهزة الكمبيوتر ، في حجرات الدراسة ، لمعالجة النصوص ، وهناك برنامج يمكّن التلاميذ من كتابة موضوعاتهم ، ومراجعتها ، وادخال تحسينات عليها كما يمكن استخدام هذا البرنامج في عمل مذكرة لكل تلميذ ، يضيف فيها ما يشاء ، مثل موضوعات لمجلة المدرسة ، أو أشعار ، أو واجبات عليه أن يستذكرها .

وبالرغم من أن هذا لم يصبح ممكنا بعد ، فانه بمرور الوقت ، سوف يكون في امكان الاطفال الصغار الذين لا يستطيعون القراءة ، أن يتفاعلوا مع الكمبيوتر عن طريق الكلام ، ذلك أنه يجري حاليا تطوير التكنولوجيا التي سوف تمكن الناس من الاتصال بأجهزة الكمبيوتر ، عن طريق الكلام ، بدلا من الضرب على لوحة المفاتيح ، أو بطريقة أخرى .

واليوم نجد أن الاطفال الصغار يمكنهم الاستماع الى التعليمات المسجلة ، والتفاعل مع الكمبيوتر عن طريق اتباع هذه التعليمات ، وهو نوع من المهارات التي يقدرها المدرسون والآباء حق قدرها .

ومهما كانت الطريقة التي يستخدم بها الميكروكمبيوتر في حجرات الدراسة ، فان الهدف واحد ، ألا وهو مساعدة التلاميذ على التعليم بطريق أكثر فعالية وتأثيرا .

هل يساعد الكمبيوتر على التعلم ؟

لهذا السؤال أهمية خاصة عند المدرسين .

ولقد أجريت البحوث على تأثير استخدام نظم الكمبيوتر الكبيرة على التلاميذ ، الا أن أجهزة الميكروكمبيوتر ما زالت حديثة العهد بدرجة لم تسمح باتمام البحوث الجارية لدراسة مدى تأثيرها على تعليم التلاميذ .

وجدير بالذكر أن الدراسات التي أجريت على التلاميذ الذين يستخدمون نظم الكمبيوتر الكبيرة (مثل بلاتو ، وهو أحد النظم الاولى التي طورت في جامعة الينوى الامريكية) قد بينت أن تلاميذ المرحلة الابتدائية ، والتلاميذ في المراحل العليا قد تقدموا في الرياضيات ، عند استخدام طريقة التعليم بمساعدة الكمبيوتر .

إن مشروعات البحوث على تأثير الميكروكمبيوتر على التعليم ، ما زالت جارية في كثير من الجامعات ، وفي بعض المدارس ، في أنحاء الولايات المتحدة ، إلا أن البيانات ما زالت تتجمع ، كما بدأت التقارير الاولية في الظهور .

وقد قام بعض المهتمين بالموضوع ، بالتحدث مع بعض المدرسين الذين يستخدمون أجهزة الميكروكمبيوتر في فصولهم . كما قاموا بزيارات لبعض هذه الفصول ، ولمعامل الكمبيوتر .

وخرجوا من ذلك كله بمعلومات اضافية عن تأثير الكمبيوتر على التلاميذ .

ولعل الملاحظة التي جاءت في معظم التقارير المقدمة ، هي أن التلاميذ متحمسون لاستخدام



إحدى الفتيات العربيات تعمل في مركز الكمبيوتر .

أجهزة الكمبيوتر ، يستوى في ذلك محاولة حل التمارين البسيطة والتمارين التدريبية ، أو عمل طرق للمحاكاة أكثر تعقيدا ، أو تعلم عمل برامج للكمبيوتر .

وهناك دلائل على أن التلاميذ قد أصبحوا يتعلمون المواد الدراسية في وقت أقصر ، عند استخدام الميكروكمبيوتر .

وتدل التقارير غير الرسمية ، على أنه عندما تكون برامج الكمبيوتر مصممة بعناية ، لتعليم مادة معينة ، وعندما يكون المدرس على علم باستخدام الكمبيوتر فان استخدام التلاميذ للكمبيوتر يكمل عمل المدرس ، ويسهم في تقدم العملية التعليمية .

ويتيح الميكروكمبيوتر للتلاميذ فرصة التدرب على اكتساب المهارات ، والتسابق مع بعضهم البعض أثناء التعلم ، واعادة الدروس اذا ما احتاجوا الى ذلك ، والتقدم الى المستوى التالي من حيث الصعوبة ، اذا توفرت برامج الكمبيوتر المناسبة .

ويضيف المدرسون ان تعامل التلاميذ مع أجهزة الكمبيوتر يعطيهم شعورا بتحكمهم في عملية التعليم ، وقد يكون مفيدا في تقديرهم لذاتهم أثناء دراستهم لموضوع معين الى أن ينجحوا في الوصول الى الاجابات الصحيحة ، لتلك المسائل او الاسئلة التي يسعون للاجابة عنها .

واذا كان التلاميذ يقومون بعمل برامج للكمبيوتر ، فانه يمكنهم العمل بمثابرة ونشاط حتى تقوم هذه البرامج بعملها بنجاح .

ولم تتجمع جميع نتائج البحوث الجارية حتى اليوم .

ولكن يبدو أن الاجابة هي بالايجاب على التساؤل المطروح : هل يتعلم التلاميذ باستخدام الكمبيوتر ؟

اذا أردنا أن نستخدم أجهزة الكمبيوتر في حجرات الدراسة بطريقة فعالة ، فان الخطوة الاولى لتحقيق ذلك هي تدريب المدرسين على فهم الطريقة التي تعمل بها هذه الاجهزة ، وطريقة استخدام تلك الاجهزة .

كيف يمكن للمدرسين أن يتعلموا المزيد عن الكمبيوتر ؟

ان تعليم المدرسين تشغيل أجهزة الكمبيوتر واستخدامها ، وتهيئة الفرص لهم لاكتساب الخبرة في استخدام هذه الاجهزة ، كل ذلك قد تم اعتباره مؤخرا من الاحتياجات الاساسية اللازمة لتطبيق نظام التعليم بمساعدة

الكمبيوتر ، الا أن الكثير من المدرسين ينظرون الى أجهزة الكمبيوتر نظرة الشك في فائدتها في العملية التعليمية ، فتجدهم يتساءلون : أليس هذا صفحة من كتاب على شاشة جهاز ؟

وهم يخشون ان يكون الجهاز هشا ، سهل الكسر ، لذلك نسمع من يسأل : هل ينكسر الجهاز اذا ضغط شخص على زر آخر ، بدلاً من ذلك الذي يجب الضغط عليه ؟

وتراهم يخشون الا يتمكنوا من تعلم استخدام هذه الاجهزة .

لذلك نجدهم محاصرين بين الخشية من ألا يتمكن التلاميذ من تعلم استخدام أجهزة الكمبيوتر ، وبين شعورهم الشخصي بالقلق !

وهم قد يشاركون التلاميذ أو قد لا يشاركونهم الحماس والاهتمام باستخدام الكمبيوتر كما أنهم قد يكونون متخوفين من أن يكون التغيير بهدف التغيير فحسب ، وقد تبين الايام أن الاثارة التي ولدتها أجهزة الكمبيوتر لم تكن سوى تجربة علمية أخرى . ولكن يمكن للتدريب والخبرة العملية مساعدة المدرسين على الشعور براحة أكبر ، فيما يختص باستخدام أجهزة الكمبيوتر ، وبثقة أكبر في امكان اصدار أحكام سليمة فيما يتعلق بتجربة الاستعانة بالكمبيوتر في العملية التعليمية .

تدريب المدرسين على استخدام الكمبيوتر :

وفي أمريكا يجري تدريب المدرسين على استخدام الكمبيوتر بعدة طرق ، بعض المناطق المدرسية تقدم تدريبا رسميا خلال ايام العمل ، أو في دورات دراسية خاصة ، كما يمكن تنظيم برامج قصيرة للأفراد او الجماعات ، من خلال الكليات ، أو الوكالات التعليمية ، أو الاتحادات المهنية ، كما بدأت المؤتمرات التعليمية في تنظيم جلسات معلومات عن أجهزة الكمبيوتر .

والى أن يصبح التدريب على استخدام الكمبيوتر متاحا بصورة أوسع ، نجد أن كثيرا من المدرسين يلجأون الى وسائل غير رسمية للالمام بالكمبيوتر ، واستخدامه في التعليم .

كذلك يمكن للمدرسين أن يبدأوا برنامجهم التدريبي الخاص ، عن طريق قراءة الكتب المتخصصة ، وحضور الدورات التدريبية ، وزيادة محلات بيع أجهزة الكمبيوتر وزيادة الفصول المدرسية التي يستخدم فيها التلاميذ أجهزة الكمبيوتر .

ويبقى التحقق من قيمة أجهزة الكمبيوتر في حجرة الدراسة .

الا أن المدرسين ذوي النشاط الملحوظ في مهنة التدريس ، أمامهم اليوم فرصة فريدة للمساعدة في تشكيل الطريقة التي يمكن بها تكامل أجهزة الكمبيوتر في الخبرات التعليمية ، الا أن الصعاب التي تواجه هذا المشروع الرائد ، يجب ألا تقف حجر عثرة في سبيل استخدام الكمبيوتر في المساعدة على تعليم الصغار .

نحن وثورة الكمبيوتر

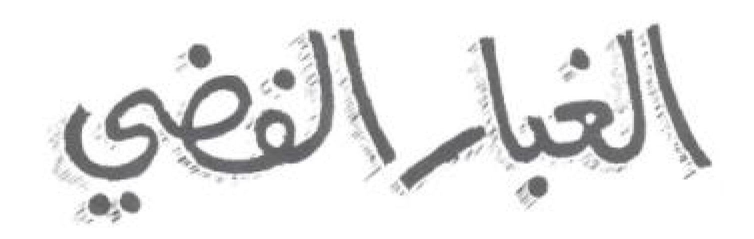
يجب علينا أن نستعد لاستقبال هذه الثورة القادمة ، يمكننا أن نبدأ فورا بالاستفادة من التعليم بمساعدة الكمبيوتر في تعليم اللغة الانجليزية مثلا باستخدام برامج مستوردة ، كما يجب على المدرسين دراسة طرق اعداد هذه البرامج ، حتى يتمكنوا من اعداد برامج خاصة ، تناسب مقرراتنا الخاصة ، في المواد الدراسية المختلفة .

ويمكننا في نفس الوقت أن نبدأ حملة واسعة للتدريب على لغة البيزيك (أسهل لغات الكمبيوتر) ، واستخدامها في اعداد برامج الكمبيوتر ، على أن تشارك في هذه الحملة المدارس والنوادي ووسائل الاعلام ، حتى نتمكن من اللحاق بعصر الكمبيوتر في المستقبل القريب . ○

في مقدمة قصيرة كتبها السيد ثانات خومان أحد وزراء الخارجية التايلاندية السابقين لمجموعة « حكايات وأساطير من تايلاند » ، وهو كتاب أصدرته السيدة كازيم سيبو نوانغ أستاذة الأدب الفرنسي في جامعة شولا لونكورن ، وفيه عتاب مر على إهمال الغرب الآداب الشرقية ، ويضرب على ذلك مثلا « رابندرانات طاغور » ، شاعر الهند الأكبر الذى ظل مجهولا في الغرب الى أن ظفر بجائزة نوبل للآداب في مطالع هذا القرن ، والى أن قررت اليونسكو مؤخرا طبع ترجمات أعماله . ومثل هذا الاهمال لقيه - قبل جائزة نوبل - الأديب اليابانى الكبير ياسونارى كاواباتا وغير هذين كثير .

لذلك فان الوزير أثنى فيما تبقى من مقدمته على السيدة سيبو نروانغ لما بذلته من جهد لتعريف القارىء الأوروبى ببعض جوانب الأدب التايلاندى . والكتاب جميعه قيم ، حسن الترجمة ، طلى الأسلوب . وقد حملنا ذلك كله على إشراك القارىء العربى فى الاستمتاع ببعض حكاياته .

وهذه هى الحكاية .



الغبار الفضي

ترجمة : حسيب كيالي

يحكى أن مزارعا كان يسكن غير بعيد من العاصمة ، ويعمل طوال ساعات مديدة ليكسب قليلا من المال يقيم أوده . لذلك لما جاء ابنه بعث به الى معبد من معابد العاصمة ليكون تلميذا لأحد الرهبان يعلمه القراءة والكتابة حتى تكون له حياة خيرا من حياته العسيرة .

وظهرت على الفتى أمارات النجابة والذكاء . وسر الراهب الشيخ منه سرورا عظيما ، وعلاوة على القراءة والكتابة ، علمه أشياء أخرى كان يعرفها ، من ضمنها السيمياء[1] ، التى كانت تلك الأيام لغزا كبيرا فى المناطق المتخلفة . فقد كان الراهب يهوى فى عزلته ، قلب النحاس الى ذهب ، ولما كانت ثقته بتلميذه الفتى وذكائه وكتمانه السر عظيمة ، فقد أشرك الراهب الشيخ تلميذه الفتى فى أبحاثه . ومرت السنون . . . وغدا الفتى متعلما ولكنه كان يرفض الرجوع الى البيت لمساعدة أبويه ، ولم يكن الراهب الشيخ مطمئن الفؤاد لذلك ، لأن على الابن أن يعين والديه ، ولا يألو جهدا فى أن يتيح لهما التمتع بشيخوخة وادعة ، يموتان بعدها قريرى العين حسنا ختامهما . وظل الراهب الشيخ يلح على الفتى أن يقفل راجعا إلى بيت والديه حتى أقنعه . ولكن الفتى لم يكد يصل الى القرية حتى أغلق على نفسه باب غرفته وعاد ينقطع الى بحوثه الخفية . وأحزن ذلك الأبوين اللذين كانا قد بلغا من الكبر عتيا ، ولم يتبق لهما غير عظم موهون لا يسعفهما فى زراعة أرضهما ، فبارت زراعتهما فازدادا حزنا ، وبما وجهيهما

(١) السيمياء غير الكيمياء لأن تلك تهتم بقلب المعادن الخسيسة الى ثمينة .

شطر الراهب الشيخ يستنصحانه . ولكن الفتى لم يثنه شيء عن متابعة أبحاثه . وليكون مطمئن البال بعض الاطمئنان ، قادرا على متابعة هذه الأبحاث الأثيرة على قلبه ، ارتضى الزواج من ابنة تاجر ثرى كان جار الأسرة ، ولكنه لم يكف عن حبس نفسه في غرفته والانكباب على أبحاثه السرية . وتقدمت السن بالأبوين ومع تقدمهما فيها ازداد قلقهما ، وطفقا يتهمان ابنهما بالتبطل والعقوق ، لأن عليه ان يعمل فى الزراعة حتى لايذهب هباء ما بدأه أبوه منذ زمن طويل بشق النفس وعرق الجبين . ورأى الراهب الشيخ تلميذه الفتى يزداد توحلا فى الدوامة التى ساقه اليها هو نفسه فأخذ يتندم على تعليمه . وتفكر طويلا فى السبل الكفيلة باعادة الفتى الى مواجهة الواقع الحى . وبعد ليال طوال من التفكير والتأمل ، خيل الى الراهب انه اهتدى الى الحل فدعا اليه الشاب وكلمه قائلا :

ـ يابنى ، أصغ الى جيدا فأنا أحمل لك فألا طيبا وهاك ما حدث لى : الليلة الماضية في الهزيع الأخير من الليل ، ظهر لي ناسك شيخ مجلل بالبياض من فرقه إلى قدمه وقال لى : « أنت فى حاجة الى رطل من الغبار الفضى » ولم أفهم تماما ما أراد ان يقوله لى ، فانحنيت على قدميه متوسلا إليه أن يوضح لى معنى قوله ذاك ، ولكنه لاذ بالصمت ، ومع ذلك ، قبل ان يختفى سدد اصبعه نحو هذه النافذة هناك ، ولما لملمت شعث نفسى نظرت من النافذة المفتوحة . كان الفجر قد تنفس فلم أر الا شجيرة موز تتأرجح تحت المطر ، ذهبت أتفحص هذه الشجيرة فلم أر فيها ماهو خارق ، كان الجذع مخرّما ولكن هذا أيضا لا يثير الاهتمام على نحو خاص . وفكرت طويلا بما حدث لى . ولم تمطر السماء هذا الصباح فذهبت أنظر تلك الشجيرة ، وقطعت الأوراق وتفحصتها عن كثب واذا أنا أرى على الوريقات الصغيرات التى لما يمسسها الندى طبقة ، رقيقة من الغبار الفضى . وهكذا فقد انزاح لنا السر واقتحمنا العقبة التى جعلت أبحاثنا حتى الآن عقيمة »

وتحاور المعلم والتلميذ فى ذلك ساعات طويله ، وقطعا أوراقا أخرى من شجيرة الموز فحصاها بصبر . وبعد أيام وأيام تلازما فيها ، انتهيا الى قرار عظيم : « أن يزرعا الموز ليحصلا على رطل من الغبار الفضى » . ولما عاد الفتى الى البيت أحاط الأمر بمنتهى السرية ، ولكنه أحاط زوجته علما بقراره إقامة مزرعة كبيرة للموز ، وأخذ رأيها فى ذلك فانبهرت للفكرة وأطالت تهنئته عليها ، وذهب الزوجان يعلنان على الأبوين رغبتهما ، فسر هذان سرورا كبيرا وأسهم كل واحد فى مد يد العون للزوجين الفتيين لغرس الموز . وسرعان ما بدأ العمل حاملا البهجة الى الجميع . وبدأ الفتى منجذبا الى العمل فى الأرض للمرة الأولى فى حياته ، فراح يساعد العمال فى غرس الشتلات الصغيرة وسقايتها أعظم سقاية ، والسهر على تنظيف ما حولها وازالة الأعشاب الضارة . كنت تراه كل يوم يزرع ويعنى بالغرس الوليد . ولم يمض شهر حتى ترعرعت الأغراس بقوة ، ولم تلبث الأوراق أن تكاثرت بغزارة ، فكان فتانا يقطعها مع الفجر ، وقبل أن يستيقظ أهل المنزل ، ويحملها الى غرفته حيث يجمع الغبار الفضى عنها بحرص وعناية ، من غير أن يبوح بسره لأحد . . . بيد أنه تبين له وهو قلق ، أنه لم يكن قادرا على أن يجمع غير كمية قليلة جدا من هذا الغبار فى كل حمل من هذه الأوراق الجميلة . اذن لم يكن أمامه الا أن يضاعف الغرس .

***

وفيما كان الزوج غارقا فى أبحاثه ، يجمع الغبار الفضى ويرمى أوراق الموز المتبقية ، لم تبق الزوجة الصبية دون عمل ، كانت تقطع الأوراق شرائح وتثنيها وتدرجها عصائب تبيعها للتجار . وأما الأوراق الطرية فللفّ التبغ ،



وأما الخضراء القاسية بعض الشيء فلتغليف البضائع . وكانت تبيع كذلك أعناق الموز ، ومالاتستطيع بيعه كانت تجعل منه موزا مجففا ، وكانت هناك الأزهار التى تبيعها أيضا لطبخ الحساء . فى أثناء النهار كانت تقطع الجذوع المخرمة قطعا رقاقا وتجففها فى الشمس لتصنع منها خيوطا تبيعها بسعر طيب . وتلاحق العمل على هذه الوتيرة زمنا . ولم يمض أكثر من شتائين حتى كان فى وسع المرأة الصبية أن تضع بين يدى زوجها ثروة صغيرة جمعتها من تجارة ورق الموز وزهره وجذوعه وثماره . وأسعد ذلك الزوج وأدهشه ، فقصد المعبد لتقديم الطعام الى الرهبان شكرا للسماء . ثم أنه ذهب يقابل معلمه ويحاوره فى أبحاثه المفضلة . ولم يقل الراهب شيئا ، ولكنه شجع تلميذه على جمع المزيد من الغبار الفضى ، لأنه على الرغم من جهوده الكبيرة ، كان بعيدا عن جمع رطل كامل منه . وأخذ الفتى يعمل الفكر ، وقد زاده تقدمه فى السن حكمة ورشادا ، ان أبحاثه قد لا تؤدى الى نتيجة ، وان الزراعة اذا أحسنت ادارتها ، حتى لو اقتصرت على هذه النبتة الصغيرة العادية التى هى الموز ، ربما درت أكثر من مائة مرة من السيمياء . ومن غير أن يقول شيئا لزوجه ، كف عن أبحاثه وانقطع الى غرس الموز فأصبح أغنى مزارع فى المنطقة ، بين سعادة أبويه الغامرة والراهب الشيخ معلمه . . ○

الساحل .. والسهل

● ورد في مقال الانسان والطقس المنشور في العدد (٢٩٦) يوليو ٨٣ ، عبارة « موجة الجفاف التي اجتاحت دول الساحل الافريقي الغربي . . . تشاد ، مالي ، فولتا العليا ، النيجر » وكلمة « الساحل » التي يستخدمها كثير من الكتاب العرب في هذا الوضع يترجمها عامة الناس عن الكلمة الانجليزية الفرنسية SAHEL وهذه الترجمة غير صحيحة لأن هذه الكلمة كما تكتب بالأجنبية منقولة حرفيا عن الكلمة العربية « سهل » ولا غرابة في هذا فأكثر من سبعين بالمائة من سكان تشاد مثلا يتكلمون العربية وهم ليسوا من أصل عربي ، وليس أدل على هذا من أن الدول التي ذكر الكاتب أنها من دول الساحل الافريقي الغربي الأنفة الذكر هي دول داخلية ليس لها موطىء قدم على شاطىء البحر . .

دكتور عادل بازرباشي
دمشق ـ سوريا

أنت تسأل .. والموسوعة

● كنت ولا أزال من قراء مجلتنا « العربي » كغيري من أبناء العروبة الذين ينتظرون صدورها مع مطلع كل شهر . . ولما كنت من المتابعين لمجلتنا الغراء فقد رأيت أن أكتب لكم عن أسباب اختفاء باب « أنت تسأل . . ونحن نجيب » الذي كان من الأبواب الثابتة في المجلة . ولما كان هذا الباب الكثير من الفوائد الثقافية والعلمية والأدبية للقراء . . فانني أقترح عليكم اعادة هذا الباب للفائدة العامة منه .

صالح عبدالله الحمصي
شبوه ـ اليمن الديمقراطي

العربي :

فيما يخص سؤالك عن باب أنت تسأل . . فاننا قد أعدنا صفحاته منذ يونيو الماضي لكنه جاء هذه المرة تحت باب « موسوعة العربي » وحين يطلع القارىء على محتوياته يرى أنه لا يختلف عن الباب الذي يسأل عنه . .

علمونا . . . الانجليزية والفرنسية

● عندما أتصفح مجلة العربي أشعر بالكثير من الشوق لقراءة مقالاتها المختلفة ، وهذا شعور يشاركني فيه قراء العربي في كافة أنحاء عالمنا العربي والاسلامي ، نظرا لما لهذه المجلة من دور كبير في ميدان الثقافة والعلم والأدب . .

ولما كان هذا الدور هو طريق العربي الذي وضعته لنفسها منذ صدور العدد الأول منها ، فاننا نقترح عليكم اضافة باب جديد ألا وهو تخصيص صفحات لتعلم اللغة الانجليزية وكذلك الفرنسية ، وذلك في نظري يدخل في اطار الدور الثقافي لمجلة كل العرب . .

رفعت زكي محفوظ
المحلة الكبرى ـ جمهورية مصر العربية .

العربي :

فيما يتعلق بصفحات خاصة لتعليم الانجليزية والفرنسية ، فان ذلك لا يدخل في اطار دور المجلة . ومكانه في المعاهد وبين صفحات كتب اللغات المختلفة ، وهناك من القواميس ما هو خاص بلغة واحدة ومنها ما هو خاص بأكثر من لغة . وهل

يتعلم الناس اللغة من القواميس ؟!

كمية العربي . . . وتوزيعها

● انني من المعجبين بمجلتنا « العربي » وانتظر كبقية القراء في عالمنا العربي صدورها وتوزيعها ، فما أن تنزل الى السوق حتى يتخاطفها القراء وبذلك لا يستطيع الآخرون الحصول عليها الا بالسوق السوداء حيث التلاعب بسعرها الرسمي ، ونظرا لأننا طلاب مدارس لا نستطيع التواجد بالسوق يوميا فاننا نطالبكم بزيادة الكمية التي تبعثونها الينا مع العمل على عدم تأخير وصولها الينا لأن ذلك يحرمنا من الاشتراك في المسابقة الثقافية على الأقل .

خالد ناجي

حضرموت ـ اليمن الجنوبي

العربي :

بخصوص زيادة الأعداد فاننا نأمل تحقيق هذه الأمنية حين الانتقال الى المطابع الجديدة بعون الله . أما فيما يتعلق بسرعة توزيعها فذلك يعود الى الموزع وظروف المواصلات . .

مستشفى . . العيون الطائر

كتبت الدكتورة سرى سبع العيش ، مقالا بعنوان « من أجل عيونك مستشفى طائر » في عدد يونيو ١٩٨٣ ، ولما كانت هناك بعض الملاحظات حول هذا المقال فانني أود ايضاحها للقارىء ، خاصة فئة الأطباء من ذوي الاختصاص . فالدكتورة كاتبة المقال لم تتناول الا جزءا بسيطا عن مستشفى العيون الطائر « أوربس » أما باقي المقال فقد اشتمل على أشياء أخرى مثل زرع العدسات داخل العين وجراحة المائع الزجاجي والجراحة الباردة وعيون جديدة ، وكلها بعيدة عن الموضوع الأساسي . . ففكرة المستشفى الطائر تعود الى البروفسور دافيد باتون ، الذي قضى وقتا طويلا في سبيل جمع المعلومات لهذا المشروع ، فالطائرة هدية من شركة أميركية ، والمعدات الطبية جاءت معونة من مزرعة كارل زايس بألمانيا الاتحادية ـ وأوربس ـ هي الطائرة التي تتم فيها عمليات العيون والتي تعقد فيها الاجتماعات العلمية أيضا . وتوجد بالطائرة دائرة تلفزيونية مغلقة لنقل ما يتم داخل حجرة العمليات لقاعة المؤتمرات . وأما الطريق الذي قطعته هذه الطائرة فقد كان من هيوستون الى تكساس عام ١٩٨٢ ، ومنذ ذلك الحين والطائرة تجوب مختلف دول العالم . والمطار الذي تهبط به يكون مقرا لعقد مؤتمر طبي في مجال طب وجراحة العيون .

ويتكون طاقم الطائرة « أوربس » من أخصائي في طب وجراحة العيون ، وطبيبين مساعدين وممرضتين وطبيب للتخدير وفني طبي ، وفني للأجهزة الالكترونية وذلك لتسهيل عمل الدوائر السمعية والبصرية التلفزيونية . وقد زارت الطائرة عدة دول مثل فنزويلا ، جامايكا ، بيرو وغيرها من الدول حيث أجريت ٢٠٠ عملية للعيون . .

دكتور سامي عزيز

القاهرة ـ جمهورية مصر العربية

العربي .. القديم والحديث

● تيسر لي عن طريق بعض الزملاء ، الاطلاع على بعض الأعداد القديمة من العربي ، فقارنت بينها وبين الأعداد الحديثة ، فتأسفت كثيرا لعدم استمرار بعض الأبواب القديمة مثل « طرائف غريبة » و « طرائف عربية » وصورة الصفحة الثانية ، لكنني ـ مع هذا ـ لا أنسى قيمة الأبواب الجديدة التي برزت في أعداد السنوات الأخيرة في « العربي » مثل أقوال معاصرة .. موسوعة العربي . وغيرها من الأبواب التي دخلت المجلة ، والذي أطلبه منكم اعادة الأبواب القديمة للعربي الى جانب الأبواب الحديثة حتى تحافظ مجلتنا على أصالتها وتصل الماضي بالحاضر ..

فؤاد بلحاج رحومة
تونس .. الجمهورية التونسية

العربي :

شكرا للقارىء على رسالته ، وما اقترح اعادته من الأبواب القديمة بعضها موجود مثل طرائف عربية .. أما بقية الاقتراحات فاننا ندرس امكانية اعادتها وسوف نأخذ بها اذا رأينا أنها تخدم القارىء ..

البروليتاريا

● قرأت مقال المهندس حافظ أمين ، تحت عنوان « يا مستهلكي السلاح .. اتحدوا » ، المنشور في العدد (٢٩٤) مايو ١٩٨٣ ، وقد استوقفتني العبارة التي صدر بها الكاتب مقاله ، وفيها يشير الى أن « كلمة بروليتاريا هي كلمة قديمة » كانت تعني عند الرومان « الأجانب او الأغراب عن المدينة » اذ كان الأجانب في تلك البلاد محرومين من كثير من الحقوق التي كان المواطنون يتمتعون بها ، ولدى مراجعة بعض أمهات المعاجم اللاتينية والأجنبية اتضح أن لفظة بروليتاريا مشتقة من (Pro-les) اللاتينية ، ان معناها النسل ، الذرية ، والأصل الأوربي القديم للفظة المذكورة هو al ، ونجده في كلتا اللغتين اليونانية واللاتينية ، على السواء ، وهو يفيد معنى التغذية والنمو وقد يفيد معنى الغيرية في بعض دلالاته .. ومن لفظ (Peoles) تم قديما نحت (Proletarius) للدلالة على المواطن الفقير الذي ينتمي الى الطبقة الدنيا في المجتمع الرومانى .

جوزيف كالوميتان
برج حمودة ـ لبنان

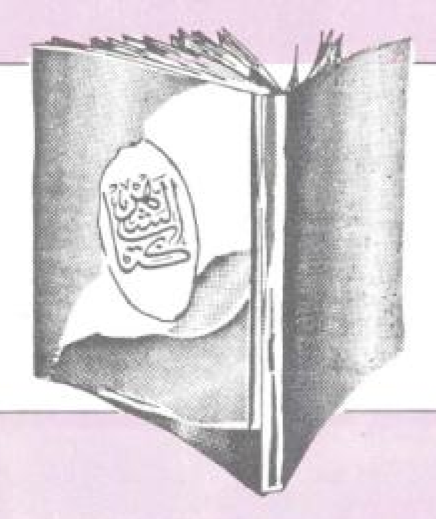
العربي

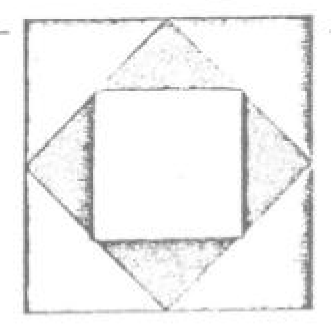
اطلق سان سيمون عام ١٨٢٨م تعبير « البروليتاريا » أيضاً على الذين لا يملكون أي نصيب من الثروة ، ثم اعطاها كارل ماركس مضموناً محدداً ـ ووصفها (بالطبقة العاملة الصناعية او الزراعية) التي لا تملك رأسمالاً او عقاراً ـ والتي تعيش من أجر عملها الذي تؤديه .

المسلمون الجدد

● مازال الاسلام ينتشر في العالم انتشارا واسعا ، وفي كل يوم نسمع ونقرأ عن اسلام الكثير من الناس الذين لا يدينون برسالة سيد الخلق عليه الصلاة والسلام ، بعد أن يفتح الله قلوبهم للايمان ويقتنعوا باصالة الرسالة المحمدية وطهارتها وسماحتها ، فهناك العالم والمفكر العربي الذي يعتنق الاسلام عن عقيدة وقناعة ، ومادام الاسلام يستقبل يوميا اعدادا بشرية تدين به وبتعاليمه التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم ، فاننا نقترح عليكم تسليط الضوء على هذه الشخصيات الأجنبية التي تعتنق الاسلام وتترك ما دونه بعد أن تتأكد من سمو هذه الرسالة . وتكونون بذلك قد قدمتم خدمة صحفية ثقافية الى القارىء العربي .

العلمي عبدالمجيد
مكناس ـ المغرب





العلاقات العربية الألمانية

عرض وتقديم : عبد المقصود حبيب

صدر باللغة الألمانية كتاب يقع في ٣٨٠ صفحة من القطع الكبير تحت عنوان (العلاقات العربية الألمانية) وضعه كل من الدكتور (كارل كايزر) مدير معهد البحوث التابع للجمعية الألمانية للسياسة الخارجية واستاذ العلوم السياسية في جامعة (كولونيا) ، الدكتور أودو شتاينباخ مدير معهد الشرق الألماني في هامبورج وذلك بالاشتراك مع عدد من الأساتذة والباحثين العرب المقيمين في ألمانيا الاتحادية من بينهم الدكتور فتحي عبد الهادي (مصري) والدكتور عزيز القزاز (عراقي) من معهد الشرق في هامبورج ، والدكتور بسام طيبي (سوري) من جامعة توبنجن ، الى جانب عدد من الأساتذة الألمان من جامعات برلين الغربية ومعهد الاستشراق في بيروت وجامعة كيل ومعهد الدراسات العليا في فلورنسا وجامعة فرانكفورت وفرايبورج وميونيخ وروما .

وجرى تقديم الكتاب الى الرأي العام الألماني في احتفال حضره مندوبون من الأحزاب السياسية الألمانية سواء في الحكم أو في المعارضة وعدد من السفراء العرب ولفيف من رجال الاعلام والثقافة والاقتصاد الذين يهتمون بصفة خاصة بالعلاقات العربية الأوروبية .



يعتبر هذا الكتاب في الواقع أول مؤلف شامل من نوعه في اللغة الألمانية يتناول كثيراً من المواضيع الجادة الجديرة بزيادة البحوث حولها في سبيل دعم الفهم الصحيح للعلاقات العربية الألمانية ، فقد حشدت له طاقات وخبرات ذات قدرة علمية كبيرة في مجالات البحوث عن الوطن العربي ، وهو يحتوي على مقدمة وأربعة أقسام رئيسية تضم مجتمعة واحداً وعشرين بحثاً .

أما القسم الأول فهو تحت عنوان (أطراف العلاقة الثنائية ـ ألمانيا والدول العربية)

والقسم الثاني حول (العلاقات السياسية بين الدول العربية وألمانيا الاتحادية وتطورها التاريخي وآفاقها المستقبلية ثم العلاقات الثقافية بين دول الرابطة الأوروبية والوطن العربي) .

وبحث القسم الثالث في المشاكل الرئيسية بالنسبة الى هذه العلاقات وعلى وجه الخصوص الصراع العربي الاسرائيلي ، وقضية النفط .

أما القسم الرابع فهو محاولة للالمام بالمشكلات التي تحيط بالتعاون الاقتصادي والتنموي على المدى الطويل بين ألمانيا والسوق الأوروبية المشتركة من ناحية والدول العربية من ناحية أخرى ، ومدى الامكانيات التي تيسر مسيرة هذا التعاون .

ومن بحوث القسم الأول بحث للدكتور (فريدمان بوتنر) الأستاذ بالجامعة الحرة في برلين الغربية يركز فيه على علاقة الدين الاسلامي بتطور الأفكار السياسية العربية ، ويلاحظ في بحثه أن هذه العلاقة أخذت في التبلور بعد دخول الاستعمار الأوروبي الى الوطن العربي في القرن التاسع عشر ، وبروز الدور السياسي للدين الاسلامي كرد فعل يواجه الاستعمار الأوروبي الزاحف ويقول ان هذه المرحلة شهدت نجاحاً طفيفاً للدعوات التي استهدفت ايقاظ الوعي لدى المسلمين بعظمة الدور التاريخي للاسلام في الحضارات الانسانية ، غير أن هذه الدعوات في ذلك الوقت لم تستطع تقديم نموذج عملي لحل مسألة المواءمة بين التحولات التقنية والاقتصادية والاجتماعية والمحافظة في الوقت نفسه على التراث الاسلامي ، ويبدو أن محاولة الاجابة على هذا السؤال الرئيسي قد بدأت من جديد مع التوجهات الاسلامية التي يعيشها الوطن العربي في الوقت الحاضر ، وقبل الوصول الى هذه المحاولة الجديدة مر الوطن العربي بمرحلتين رئيسيتين تم وضع ايديولوجيات معينة لها لحل مشاكلها المرحلية ويمكن وصف المرحلة الأولى بالثورة السياسية ، وكان هدفها الاول الحصول على الاستقلال السياسي وحق تقرير المصير وفيها سادت النظرية القومية بشكليها القطري والقومي .

وبعد الاستقلال بدأت الثورة الاجتماعية التي التفتت إلى حل مشاكل التخلف والتحولات الاقتصادية والاجتماعية وهنا اكتسبت نظريات الاشتراكية العربية أهمية متعاظمة ، وفي المرحلة الحالية تسود الثورة الثقافية التي تجد جذورها في خيبة أمل الجماهير في قدرة النماذج السابقة على تحقيق التطوير المطلوب الذي يهدف الى التأكيد على الوجه الاسلامي للعروبة والكفاح لتخطي التبعية الثقافية للغرب .

ويطرح الكاتب سؤالاً حول ما اذا كان الاسلام يستطيع أن يقدم نموذجاً كافياً وعملياً لحل مشاكل المجتمعات ويجيب على ذلك بقوله ان الاسلام كعامل فعال في الثقافة السياسية العربية هو عبارة عن ظاهرة متعددة الجوانب والاتجاهات ، الا أنه رغم هذا التعدد فانه بالتحليل النظري ليس هناك ما يمنع المسلمين من ايجاد أجوبة عقلانية على مشاكل المجتمع الصناعي المعاصر مع بقائهم على معتقداتهم الدينية وللوصول الى هذا الهدف فانه من الضروري القيام باصلاحات معينة تتمثل في النقد الذاتي الذي يستخدم أدوات علمية .

العلاقات السياسية

وهي موضوع البحث الذي وضعه الدكتور كارل كايزر ورأى فيه أن ألمانيا الاتحادية لم تكن سريعة الايقاع في تحركاتها في مجال العلاقات السياسية بينها وبين الوطن العربي ويرجع هذا الابطاء الى سببين .

الأول : أن السياسة الخارجية لألمانيا الاتحادية في العشرين سنة التي تلت تأسيسها عام ١٩٤٩ تركزت على علاقاتها مع الدول الأوروبية والولايات المتحدة الأمريكية ، وعلى دورها في صراع الشرق والغرب ، وكان التركيز على الغرب يناسب المنطق الداخلي لدولة ناشئة ذات امكانيات سياسية محدودة في استقلاليتها ، وكان همها الأول بناء نفسها وفي الوقت نفسه الحصول على اعتراف مشرف بها من قبل المجتمع الدولي ، أما علاقاتها مع بقية دول العالم في تلك الفترة فقد بقيت قائمة على أساس المصالح الاقتصادية والمبادلات التجارية .

والثاني : أن العلاقات بين الدول العربية وألمانيا الاتحادية في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية قد تميزت بمجموعة من العوائق والموانع والتي لا تزال في بعضها قائمة حتى يومنا هذا وتؤثر بدرجة متفاوتة على مدى انسجام هذه العلاقات ، ويتمثل أهم هذه العوائق في عقدة الذنب التاريخية للألمان تجاه اليهود وما حل بهؤلاء على أيدي النازيين ، ولقد جرى استخدام عقدة الذنب هذه من قبل « اسرائيل » بشكل ذكي ، بالاضافة الى ضغوط أمريكا على ألمانيا لعقد اتفاقية التعويضات للتكفير عن هذا الذنب والتي ساهمت الى حد كبير في تثبيت « اسرائيل » في فلسطين ، ثم ان الانتماء العضوي لألمانيا الاتحادية للمعسكر الغربي ـ المؤيد بشكل عام « لاسرائيل » ـ قد ساهم أيضاً في تلك الفترة في فتور العلاقات بين ألمانيا والدول العربية .

ويشير الدكتور كايزر الى أن أهم تطور في سياسة ألمانيا الاتحادية الخارجية حدث بعد أن تولى المستشارية في بون فيلي برانت زعيم حزب الاشتراكيين الديمقراطيين ، فقد وسع برانت دائرة السياسة الخارجية لتشمل دول أوروبا الشرقية (السياسة الشرقية أو الاوست بولتيك) وفي عهد المستشار هيلمون شميدت ووزير الخارجية هانز ديتريش جينشر (زعيم الأحرار الديمقراطيين) جرى استخدام الموارد الاقتصادية بشكل فعال لخدمة السياسة الخارجية لألمانيا الاتحادية ، وفي هذا العهد الذي استمر ثلاثة عشر عاماً تزايد اهتمام ألمانيا الغربية بالدول العربية نتيجة لبروز الدور الاقتصادي للدول العربية وعلى وجه الخصوص في مجال تزويد ألمانيا بالنفط اللازم للطاقة وكذلك نتيجة لزيادة أهمية دور ألمانيا داخل مجموعة الرابطة الأوروبية التي تتأثر بدورها تأثيراً كبيراً بالاوضاع السياسية والاقتصادية للدول العربية وخاصة المنتجة للنفط ، الا أن هذا الاهتمام ـ كما يقول الدكتور كايزر ـ لم يؤد الى أكثر من محاولة ألمانيا الامساك بالعصا من الوسط باصدار التصاريح التي ترضى كلا الجانبين العربي « والاسرائيلي » ، كما يرجع ذلك الى عوامل داخلية وخارجية ، فألمانيا من ناحية لا تستطيع أن تطالب بحق تقرير المصير للشعب الألماني وفي الوقت نفسه توافق على حجب هذا الحق بالنسبة الى الشعب الفلسطيني بيد أنها لا تستطيع أيضاً اتخاذ موقف لا يرضي « إسرائيل » سواء بسبب عقدة الذنب التاريخية أو بسبب الضغوط الداخلية التي يمارسها المساندون « لاسرائيل » ، أو بسبب الضغوط الأمريكية من هذه الناحية ، أضف الى ذلك صعوبة الوصول الى موقف يرضى مطالب الفئات الألمانية المساندة « لاسرائيل » والفئات الألمانية المتعاطفة مع الحقوق العربية ، بالاضافة الى عضوية ألمانيا في السوق الأوروبية المشتركة وحلف شمال الأطلسي والتي تضع عليها قيوداً ملزمة وتحد من تعاونها الثنائي مع الدول العربية .

آفاق المستقبل

وهي محور بحث الدكتور عزيز القزاز الباحث في معهد الشرق الألماني في هامبورج والذي يلاحظ فيه أن أساس هذه العلاقات يعتمد على أن كلا من اقتصاد هذه الدول يكمل الآخر اذ انه بينما ألمانيا عبارة عن دولة مصدرة للمنتجات الصناعية وتحتاج الى أسواق تستوعب صادراتها تلك ، وتملك أيضاً تقنية متقدمة وخبرة فنية عالية فان لدى الدول العربية المواد الخام التي تريد استخراجها وتصنيعها وبيعها داخلياً وخارجياً ولذلك يورد الباحث احصائيات تدل على زيادة الصادرات العربية الى ألمانيا والصادرات الألمانية الى الدول العربية حتى أصبحت هذه الصادرات الى المنطقة العربية تمثل ما يزيد على ثلث صادراتها الى كل دول العالم الثالث ، كما زادت الاستثمارات الألمانية المباشرة في المنطقة العربية من ١٧٥ مليون مارك عام ١٩٦٥ الى ١ر١ مليار مارك عام ١٩٧٩ حيث تركز معظم هذه الاستثمارات في قطاعات الغاز والنفط والبتروكيماويات .

ويعدد الدكتور عزيز القزاز امكانيات التعاون الاقتصادي سواء الثنائي أو الجماعي عن طريق الحوار العربي الأوروبي ومن امكانيات ذلك حماية وتطوير التبادل التجاري عن طريق فتح الأسواق الأوروبية للمنتجات وخاصة الصناعية منها وحماية الاستثمارات العربية في البلاد الأوروبية وتحسين أوضاع العمال العرب في ألمانيا ، الاجتماعية والسياسية ومساعدة الدول العربية في مجال التدريب المهني والتعليم التطبيقي ونقل التقنية المناسبة مقابل النفط والغاز ونقل بعض الصناعات ذات الفائدة المشتركة لكي تقوم بالانتاج في الدول العربية وزيادة التعاون الثلاثي مع الدول النامية وتوثيق التعاون بين الشباب في الجانبين .

وتتناول الدكتورة (روترود فيلاندت) من معهد التاريخ الألماني في روما موضوع العلاقات الثقافية بين الجانبين ، وتركز على مسألتين هامتين لتوثيق علاقات الشعبين العربي والألماني فتتساءل ما هي صورة الألماني لدى القارىء أو المثقف العربي وصورة العربي لدى القارىء أو المثقف الألماني ؟ وما هي الجهود المبذولة لتعميق الايجابيات وزيادة التفاهم الثقافي بين الجانبين ؟ وفيما يتعلق بالتساؤل الأول تشير الباحثة الى أن صورة الألماني لدى العربي يعتورها كثير من التضارب وذلك نظراً الى الخصائص المتعددة للشعب العربي وتبعاً لتجاربه الخاصة مع الشعب الألماني وأيضاً لعدم وجود وحدة سياسية ألمانية في الوقت الحاضر الذي لا تزال فيه ألمانيا مقسمة الى شرقية وغربية وكل منها يتبع نظاماً سياسياً وثقافياً مختلفا عن الآخر ، وتستدل الكاتبة على ذلك بأوصاف عن الألمان اوردتها من كتابات بعض الكتاب العرب وخاصة في الروايات والقصص والمسرحيات وكتب الرحلات ، وتحاول تفسير خلفياتها الاجتماعية والثقافية على ضوء التطورات والأحداث التاريخية والسياسية في كل من الوطن العربي وألمانيا ، وتلاحظ أن من التصورات السلبية التي يحملها العرب عن الألمان ضعف الروحانيات والتمسك بالمادية وحب النفس وضعف الشعور بروابط الأسرة وتدني الوازع الخلقي وخاصة في العلاقة بين الرجل والمرأة ، وتقول ان ذلك لا ينفي جانباً كبيراً من الايجابيات في هذه الصورة التي يرى العرب فيها أن الألمان محبون للعلم والعمل وعلى مقدرة كبيرة في المجالات الفنية والتقنية ، كما يتميزون بالنشاط وتقديس السلطة والنظام والتقيد بالمواعيد وحب الكمال الى جانب طبيعة تكاد تكون عسكرية صارمة .

أما صورة العربي لدى الألماني ، فترجعها الباحثة الى مرحلتين تاريخيتين ، بدأت الأولى مع محاولات الأدباء والشعراء الألمان ترجمة القرآن

الكريم والشعر العربي القديم والتراث الأدبي العربي والتي أظهرت لهم النقاء العربي الأصيل والأخلاق الحميدة ككرم الضيافة والاهتمام بالكرامة واحترام من هم أكبر سناً . . . الا أن انتشار الترجمات الضعيفة أو المتداخلة وخاصة لقصص ألف ليلة وليلة أدى الى طبع صورة الانسان العربي فى ذهن الالماني على أنه يميل الى الشهوات والحسيات والتجبر الكسل والجمود ، الى جانب أن فشل الكثيرين من الشعراء الغربيين فى فهم الشعر العربي الذى يمزج الشكل والمحتوى بشكل متقن أدى الى شيوع القصص الهزيلة الضحلة مثل قصص كارل ماي التى شوهت الروحانيات الشرقية وأعطت فى الغالب صورة ممزقة عن حياة الانسان العربي وقيمه .

وهنا ترى الباحثة أن الاتصال العلمي والثقافي بين الشعبين العربي والألماني لا يزال حتى الآن أضعف من المستوى المطلوب ، كما أن تطلعات الوطن العربي ومشاكله سواء السياسية أو الاجتماعية لا تجد صداها المناسب في الآداب الألمانية .

كما ترى الدكتورة (روترود فيلا ندت) أن وسائل الاعلام في ألمانيا تتحمل مسئولية مباشرة في تزوير صورة العربي لدى الفرد العادي في ألمانيا اذ تتناول الصحافة النهضة الاسلامية والمشاكل الاجتماعية والاقتصادية للشعوب العربية بشكل لا يخلو من التحامل ذى الجذور التاريخية والتي ساعدت الدراسات الشرقية على انتشارها بالذات ، وهي - الكاتبة - تضع ثلاث مراحل لتطور التصور الألماني للعربي :

١ - مرحلة عصر النهضة الأوروبية حيث بدأت الشعوب الأوروبية بتشكيل فلسفة لمجتمع أوروبي ناهض ، وهنا لم يكن الاهتمام بالشرق اهتماما لذاته وانما كقطب مناقض للمجتمع الأوروبي يقوم على التخلف والجمود والايمان بما وراء الطبيعة .

٢ - ومع بداية الكفاح في فلسطين بدأت أوصاف جديدة تغزو قاموس وسائل الاعلام في ألمانيا مثل رعاة الجمال وهواة رقصة هز البطن والكسل ، وبحلول هزيمة يونيو ١٩٦٧ أضيفت كلمات جديدة مثل الجبن والهيجان الجماهيري اللاعقلاني والارهاب وشيوخ النفط المبتزين اضافة الى ذلك فانه نادرا ما تبرز أجهزة الاعلام الالمانية الوجوه الايجابية للمجتمعات العربية بل يجرى التركيز فيها وباصرار على أوجه الخلاف وعدم التجانس بين دول الوطن العربي وعلى استمرار الخلافات بين قادتها وشعوبها .

٣ - وجاءت حرب ١٩٧٣ فبرز دور الدول العربية على الساحة الاقتصادية العالمية وقلب بعضا من موازين القوى حيث بدأت وسائل الاعلام الالمانية تفرد بعضا من صفحاتها وبرامجها لسماع الرأى العربي وتحليل الاوضاع فى المنطقة العربية بموضوعية أكبر عما قبل ورغم ذلك فان الصوت العربي لا يزال بعيدا عن الالماني ويحتاج الى جهود مكثفة من قبل كافة الجهات والهيئات المختصة فى كلا الجانبين .

وتقول الباحثة ان الفرصة مهيأة لقيام علاقات ثقافية واعلامية وثيقة وغير متحيزة بين المانيا الغربية والدول العربية ، وتساعدها الحقيقة المتمثلة بأن المانيا ليس لها ماض استعماري في المنطقة العربية .

قضية فلسطين

وقد تناولتها عدة بحوث فى هذا الكتاب تميزت بالسرد التاريخي لمحاولة التعرف على جذور هذه القضية وان كان قد غلب على هذه البحوث صياغة لغوية حرصت على ألا تغضب كلا من الدول العربية أو « اسرائيل » ، غير أن الدكتور أودوشتاينباخ مدير معهد الشرق الالمانى فى هامبورج أشار فى بحثه الى أن الاستعمار الاوروبى وانشاء « اسرائيل » أديا الى تفكك

الدول العربية وخيبة أملها وهذا ما أدى بدوره الى آثار تدميرية على الشعوب العربية وساعد على ايقاف التطور الاقتصادى والاجتماعي الطبيعى فى دول المنطقة ، ويدعو شتابنباخ الى ضرورة تطوير الحوار العربي الاوروبي والذى بدأت الدعوة اليه من كلا الجانبين العربي والاوروبي فى أواخر عام ١٩٧٣ لكى يساهم فى حل القضية الفلسطينية التى تعتبرها دول الرابطة الاوروبية النقطة الاساسية فى أزمة الشرق الاوسط والتى توافق بشكل مبدئى على اشتراك منظمة التحرير الفلسطينية فى مباحثات السلام فى الشرق الاوسط ، كما يدعو الحكومة الالمانية الى تحسين علاقاتها مع دول المنطقة ومع قوى التحديث الصاعدة فيها .

ولكن الدكتور توماس كونشينوفسكى - من نفس المعهد - يشير الى أهمية اشتراك منظمة التحرير الفلسطينية فى مباحثات السلام فى الشرق الاوسط وهى التى زادت تعقيدا بعد توقيع معاهدة السلام بين مصر « واسرائيل » .

وأخيرا .. النفط

جاء فى هذا الكتاب ثلاثة بحوث عن النفط أحدها للدكتور (ولفجانج هاجر) من معهد الدراسات العليا الاوروبي فى فلورنسا بايطاليا يركز فيه على الاهمية الاستراتيجية للنفط العربي واهميته بالنسبة الى الاقتصاد العالمى ومساعدة الدول النامية التى تقوم الدول العربية المنتجة والمصدرة للنفط بقسط كبير منها .

أما البحث الثانى فى مجال النفط بين دفتى هذا الكتاب فهو للدكتور (أرنست هوتز) من مؤسسة النفط الالمانية فى مدينة (أسن) فى منطقة الرور الصناعية ويورد فيه احصائيات حول النفط وانتاجه واستهلاكه ويثبت أنه مما لا يدعو الى الشك أن اعتماد الدول الغربية على النفط العربي في ازدياد حاليا وسيزيد مستقبلا مما يدعو الى تعاون أوثق بين ألمانيا الغربية والدول العربية المنتجة للنفط وخاصة فى مجال استخراجه وتصنيعه .

والبحث الثالث قدمه الدكتور (هانس ماول) من اذاعة بافاريا فى ميونيخ ويرى فيه أن النفط يشكل أداة من أدوات القوة وفى الوقت نفسه أداة صراع للدول المنتجة ، كما يذكر أن عملية التبادل فى سوق النفط العالمية لا تحكمها فقط الاعتبارات الاقتصادية انما تحكمها فى المقام الاول العلاقات السياسية وتطوراتها بين الدول المنتجة والدول المستهلكة ، وهنا تكمن قوة النفط نظرا لحاجة الدول الصناعية الماسة له ومن ناحية أخرى فى مقدرة الدول العربية المنتجة على تخفيض الانتاج ، ثم يقول - على أية حال فان لقوة النفط حدودا كسلاح سياسى واقتصادى تتمثل بشكل خاص فى عدم رغبة الدول العربية المنتجة للنفط فى الاضرار بالدول النامية والنظام الاقتصادى العالمى ككل وخاصة الدول الغربية التى تتأثر الدول المنتجة بأزماتها كالتضخم وهبوط أسعار العملات وارتفاع أسعار المنتجات الصناعية والتكنولوجية التى تحتاج اليها هذه الدول المنتجة للنفط لتطوير صناعاتها الاساسية ، أما مظاهر قوة النفط كأداة من أدوات الصراع فانها تظهر فى الآثار الاجتماعية لخطط التنمية التى تمولها عائدات النفط والتى قد تقود الى عدم استقرار داخلى فى الدول المعنية بالاضافة الى امكانية استخدامه سلاحا لاجبار الدول الصناعية على فتح أسواقها للمنتجات الصناعية الناشئة لدى الدول المنتجة للنفط .

وكلمة أخيرة .. هى أن الساسة والرأى العام فى ألمانيا الاتحادية لا يزالون فى حاجة الى مساعدات لصياغة علاقاتهم بالنسبة الى التطورات فى الوطن العربي سياسية أو اقتصادية كانت أو اجتماعية وعلمية وثقافية وهذا الكتاب فى حد ذاته ينطلق من واقع ازدياد أهمية الوطن العربي - كما يقول أحد الباحثين - بصورة يصعب

تخيلها بالنسبة الى ألمانيا الاتحادية في السنوات العشر الاخيرة بالذات ، فالاقتصاد الالماني يجعل ألمانيا في موقع قيادي في العالم على الصعيد الاقتصادي ومع ذلك فان اقتصادها مرتبط بمسألة الحصول على النفط وبانسجام علاقاتها التجارية والاقتصادية مع الدول العربية .

الا ان هذه الدراسة تذكر في احدى فقراتها ما مفاده بأنه رغم ذلك ، فهناك تناقض كبير جداً بين المعلومات الموجودة في ألمانيا حول الأهمية التي يلعبها الوطن العربي ، ولذلك ، هدف هذا الكتاب الذي مولته مبرة (فولكس فاجن) الى زيادة توسيع معلومات كل من يهتم بمنطقة الوطن العربي والى أن يكون ـ بالاضافة الى ذلك ـ دليلا يتصرف على أساسه السياسيون ، ومن الطبيعي أن تكون هناك أهمية خاصة لتنبوأت العلماء والباحثين وآرائهم في مجال التطورات في العلاقات بين أوروبا الغربية والوطن العربي وتحديد معالم سياسة المستقبل ، حيث ان هذه البحوث والآراء والتنبؤات قد انطلقت من الوضع الراهن ، فكما تقول مقدمة الكتاب (أن أكبر الأخطار التي تهدد أمن أوروبا الغربية موجودة اليوم في منطقة الشرق الأوسط ، ويرجع الباحثون أسباب ذلك الى الأزمة العربية الاسرائيلية التي لم تحل بعد ، وبالاضافة الى ذلك ، مشاكل جديدة يعود تاريخها جزئياً الى زمن أبعد وهي الخصومات بين الدول العربية .

وهنا ، ماذا يمكن عمله تحت وطأة هذه الظروف ؟ ينصح الباحثون المشتركون في وضع هذا الكتاب بالعمل على الحيلولة دون انهيار السلام الذي تم التوصل اليه بين مصر « واسرائيل » والعمل على مراعاة مطالب عربية مشروعة لا يمكن تحقيق سلام شامل في منطقة الشرق الأوسط دونها ، ويدعو الكتاب الى ذلك حرفياً (يجب أن نخص بالذكر هنا انسحاب « اسرائيل » من جميع المناطق التي احتلتها في عام ١٩٦٧ والاعتراف بحقوق الشعب الفلسطيني المشروعة) .

الا أن ألمانيا الاتحادية لا تستطيع اتباع سياسة تجاه الشرق الأوسط منفصلة عن سياسة حلفائها وهذا أمر يعلمه السياسيون العرب والأوروبيون منذ وقت طويل ، وهنا يؤكد هذا الكتاب على أن المساهمة في البحث عن توازن سياسي في الأزمات التي يواجهها الشرق الأوسط ـ في إطار الرابطة الأوروبية ـ تبقى مهمة من مهام بون ، وينبغي هنا وجود اتفاق مع الولايات المتحدة الأمريكية في الأمور الحيوية المتعلقة بسياسة الشرق الأوسط على المستويات الثنائية والعامة داخل الرابطة الأوروبية فالضرورة الى الاتفاق مع الولايات المتحدة الأمريكية من العوامل التي أدت الى سير السياسة الألمانية خطوة بالنسبة الى قضية الشرق الأوسط وراء بعض الحكومات الأوروبية الأخرى . ○

دعوة الى البحث

* كان بوذا يقول لتلاميذه : « كما أن الرجل الحصيف يمتحن الذهب بقطعه ووضعه على النار ، فكذلك أنتم لكي تقبلوا آرائي ، عليكم بامتحانها لا قبولها اعتبارا لي » .



ظاهرة العلم الحديث
دراسة تحليلية وتاريخية

تأليف : د . عبد الله العمر
الناشر : المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ الكويت .
سنة النشر : ١٩٨٣ .

● يعرض المؤلف في كتابه لأثر العوامل الفكرية والاجتماعية في نشأة العلم الحديث ، ويتوقف عند محطات تاريخية مهمة في هذه النشأة والتطورات التي دخلت عليها .

وبعد ان يستعرض اجتهادات ونظريات عدد من العلماء ، أدوا أدواراً مهمة في الكثير من نواحي العلم ، فانه يعرض لنظرية توماس كون التي أثارت منذ أوائل الستينيات ضجة كبرى في أوساط الفكر العلمي وفلسفته ، وملخصها هو : « ان العلم يتسم بديناميه باطنية وبثورة داخلية تتناول كافة جوانبه وتدفع به أبداً الى جديد ، وعملية إعادة التقييم لأسس العلم وقبول العلماء لتصورات جديدة ليست عملية سهلة ، فهي ليست صنيعة فرد واحد ولا تتم بين عشية وضحاها ، وقد جابهت



مؤرخي العلم صعوبات كثيرة في محاولاتهم تحديد زمن دقيق جداً لأية ثورة علمية وذلك يعود الى الأسباب السابق ذكرها .

وبموجب ذلك فان الدارسين لا يمكنهم ان ينظروا الى حدث هام في ميدان العلم كما لو كان معزولاً عن بقية الأحداث والمؤثرات التي تدور في ميدان العلم نفسه ، فالعملية دينامية ، والعلاقات بين الأحداث والنظريات والأفكار جميعاً علاقات عضوية متشابكة .



الصراع الأدبي مع الشعوبية
الجاحظ ـ الشاعر القروي

تأليف : محمد علي الخطيب .
الناشر : دار الحداثة ـ بيروت .
سنة النشر : ١٩٨٣ .

● ما الذي يجمع الجاحظ الناثر مع القروي الشاعر ؟

عن هذا السؤال وغيره من الأسئلة أجاب مؤلف الكتاب فقال : ليس الجمع بين الجاحظ والشاعر القروي ـ رشيد سليم الخوري ـ جمعاً بين متشابهين في الفن والأسلوب ، فالأول ناثر بارع من أعلام العصر العباسي ، والثاني شاعر بارع من أعلام القرن العشرين . أما المشترك بينها فهو الموقف العربي من أحداث الأمة قديماً وحديثاً . كلاهما عربي مدافع عن

العروبة وتراثها . مع الاختلاف في الموقف ، في الوضوح أو الغموض ، في الحذر أو الاقدام . وجمعهما موقفهما المعادي للشعوبية والمنافح عن الحضارة العربية . واذا كان ما كتبه الجاحظ تصويراً دقيقاً لأفعال الشعوبيين ومواقفهم المعادية للعرب قديماً . فان ما وصفهم به الشاعر القروي دليل على استمرار هؤلاء الشعوبيين في اتخاذ المواقف العدائية نفسها اليوم .

ويضيف المؤلف : لقد تناول الجاحظ الشعوبية في كثير من كتبه ، ولكنني وجدت في كتاب « البخلاء » الوجه الحقيقي لموقف الشعوبيين من العرب ، كما وجدت ملامح الصراع السياسي لذلك العصر واضحة في الكتاب ولا سيما في الرسائل الموجودة فيه ، فاتخذته مصدراً لموقف الجاحظ من الشعوبية ، واذا كانت القصص والنوادر في كتاب البخلاء أمثلة تسخر من الشعوبية وتحدد بعض طبائعها فان الرسائل ، فلسفة تحدد المواقف والضمائر .

واتخذت ما وجدته في ديوان الشاعر القروي وبعض كتاباته دليلاً على موقفه العربي . وفي ديوان هذا الشاعر وحياته العملية كثير من وضوح المبدأ واصالة الطبع والشجاعة .

الألوان نظرياً وعلمياً

- تأليف : ابراهيم دملخي .
- مكان الاصدار : حلب .

سنة الصدور : ١٩٨٣ .

● هل الألوان علم أم ذوق ؟

يجيب المؤلف : حتى فترة قريبة ، كان اختيار الألوان يعتبر ذوقاً ناجماً عن موهبة طبيعية ، أو خبرة مكتسبة من التعامل مع الألوان ، ولكن بحوث العديد من العلماء المتعاملين مع الألوان ، فتحت المجال رحباً للفنانين والباحثين .

فما الذي يقوله المؤلف عن هذا « العلم » ؟

« يقسم علم الألوان الى قسمين أساسيين : قسم فيزيائي يمكن قياسه ، وقسم نفسي تتحكم فيه النفس والشعور . وبين هذين القسمين يقع القسم الفيزيولوجي الذي يدرس أثر النور والألوان على حاسة الرؤية .

● وحول هذه الأقسام الثلاثة وغيرها طرح المؤلف معلوماته واجتهاداته ، في ثلاثة فصول ، أضاف اليها فصلين تناولا النظرة التاريخية للألوان ونظرة بعض الشعوب لها ، وموقعها بين الفنون الجميلة .

- ثم أتبع ذلك بتناول الألوان في الحياة العملية المعاصرة ودورها في الهندسة المعمارية والعيادات الطبية والمستشفيات والمعامل والمصانع والمسرح والسينما والتلفزيون ، والدعاية والاعلان وغيرها .



القات في حياة اليمن واليمانيين

إصدار : مركز الدراسات والبحوث اليمني - صنعاء : ومكتبة الجماهير - بيروت .

سنة الصدور : ١٩٨٢ .

● أثبتت الدراسات العلمية ان في القات مادة منبهة للجهاز العصبي تتجاوز في قوة مفعولها وتأثيرها ما هو موجود في الشاي أو القهوة .

ولذلك فان هيئة الصحة العالمية ادرجته ضمن المخدرات سنة ١٩٧٣ . الا ان بعض اليمنيين يعتبرون تعاطيه مجرد عادة اجتماعية .

ولأن هذه العادة تعتبر ظاهرة لها امتداداتها التاريخية وكتب عنها الكثير .

ذلك فان مركز الدراسات والبحوث اليمني ارتأى « تجميع الجهود المشتتة من دراسات وبحوث وقصائد وتحقيقات - وتبويبها في اطار واحد ، وزاد على ذلك ان دعا الى ندوة حول الموضوع شارك فيها عدد من المتخصصين وذوي الاهتمام من معتادي مضغ القات وأولئك الذين ينظرون الى اعتياده من زاوية سلبية .

مسابقة العربي الثقافية

عدد نوفمبر رقم ٣٠٠

تستهدف المسابقة الثقافية ، كما سبق أن ذكرنا ، لا امتحان معلوماتك وسرعةخاطرك فحسب ، ولكن تنمية ملكة البحث فيك . وتتطلب هذه الملكة الرجوع الى المعاجم والمصادر للتأكد من صحة معلوماتك ، أو للعثور على الردود الصحيحة على أسئلة المسابقة .. وتبقى شروط هذه المسابقة كشروط سابقاتها .

١ ـ ماذا تعرف عن مدينة (ألدورادو) . .

* مدينة خيالية لا وجود لها الا في خيال الكتاب والروائيين .
* مدينة واقعية ولا صلة لها بالخيال .

مدينة خيالية وواقعية في آن معا . . فقد أنشأوا بلدة أطلقوا عليها اسم (ألدورادو) وهو الاسم الذي طالما تردد ذكره في القصص الخيالية والروايات .

٢ ـ حدائق بابل المعلقة . . من بناها . . ؟

٣ ـ أي الأسماء التالية يدل على علم البيئة ؟

* ديمجرافيا .
* أكولوجيا .
* باليونتولوجيا .

٤ ـ لماذا يطلقون اسم (بولمان) على عربات النوم في القطارات ؟

* الاسم مكون من لفظين (بول) و (مان) ومعناهما الرجل المجرور . . فالرجل النائم في عربة النوم في القطارات هو بحكم الرجل المجرور ، كما لا يخفى ، ومن ثم كانت التسمية . .
* نسبة الى مخترع العربة المذكور واسمه جورج مورتيمر بولمان .

٥ ـ ثمة تيار من تيارات المحيطات ـ وهي كثيرة ـ يبدأ من خليج بناما ويتجه جنوبا بمحاذاة ساحل أمريكا الجنوبية ليصل الى جنوب البيرو . . وغالبا ما يصادف وصوله عيد الميلاد . . ومياه هذا التيار دافئة وبالغة الملوحة . . فما اسم هذا التيار ؟

* تيار سرقوسة .
* تيار الخليج الجنوبي .
* تيار آل نينو (الطفل) .

٦ ـ ما الاختراع الذى اشتهر به ماركوني ، العالم الايطالي الشهير . . ؟

* الراديو
* التلفون
* التلغراف اللاسلكي

٧ ـ من هو مخترع التليفون . . ؟

* الكسندر جراهام بل
* توماس اديسون
* ماركوني

٨ ـ من هما الاخوان الالمانيان اللذان اشتهرا بجمع واعادة كتابة الاساطير وقصص الأطفال الخيالية التى تناقلها الخلف عن السلف في المانيا منذ أيام القرون الوسطى . . . ؟

* الاخوان جْريمْ
* الاخوان رايت
* الاخوان مونتجولفر

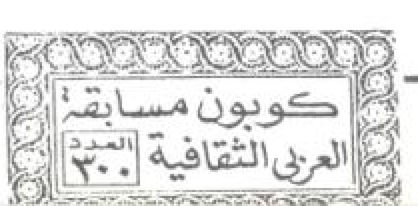
٩ ـ كريستينا ملكة السويد الفتاة . . نجحت فى حمل أحد مشاهير الفلاسفة الأروبيين على القدوم الى السويد سنة ١٦٤٥ لتدريسها الفلسفة . . فمن كان ذلك الفيلسوف . . ؟

١٠ ـ الدورة القادمة من الالعاب الاولمبية . . متى ستقام . . ؟ وأين . . ؟

١١ ـ لماذا يطلق أهل الغرب اسم بنانا على الموز . . ؟

* لأن الاسم الذى أطلقه الهنود الحمر على الموز هو (بنانا) . . فموطن الموز الأصلي هو أمريكا . . وقد عرفه الأروبيون بعد اكتشاف العالم الجديد وسموه بنفس الاسم الذى أطلقه عليه سكان ذلك العالم الأصليون . . أى الهنود الحمر .
* لأن الاسم الذى أطلقه العرب على الموز هو بنان الموز (ومفردها بنانة) . . أى أصابع الموز . . فموطن الموز الأصلي هو الهند والمناطق الاستوائية من آسيا. والعرب هم الذين جاءوا به الى حوض البحر المتوسط وأوروبا . وقد أخذه الأوروبيون عنهم وسموه بنفس الاسم الذى أطلقوه عليه . . بل النصف الأول من الاسم أى (بنانا) .

١٢ ـ أى المجلات العربية تحتفل بيوبيلها الفضى فى هذا العام . . . ؟



معركة بلا سلاح

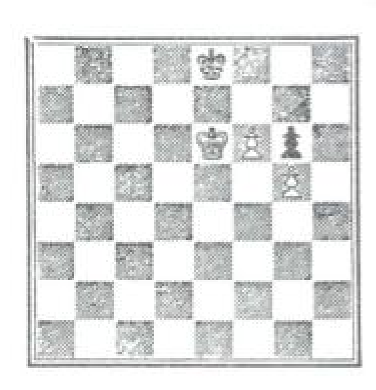
« إذا كان خصمك مُرْتبِكاً وقطعه متشابكة يَعوق بَعْضها بَعْضاً فامْتنِع عن المُبادَلة أو تَكْسير القطع » .

أبطال العالم في الشَّطرنج

الشطرنج من أقدم الألعاب المعروفة إن لم تكن أقدمها طرّاً ، ويرجع البعض تاريخها الى آلاف السنين ، غير أن الشطرنج لم يتخذ وضعه الحديث الا منذ منتصف القرن الماضي عندما ظهر اللاعب الأمريكي الفذ « بول تشارلز مورفي » الذي لمع نجمه في مدينة اورليانز الأمريكية عام ١٨٤٩ وأظهر من التفوق والنبوغ في هذه اللعبة ما لفت إليه جميع الأنظار وأخذت أنباء انتصاراته المتلاحقة تطير في جميع أرجاء الأرض . فاز « بول مورفي » فوزاً ساحقاً على ستة عشر لاعباً من كبار اللاعبين الأمريكيين في مسابقة نيويورك التي عقدت عام ١٨٥٧ ، ودعي بعدها لملاقاة اللاعبين الأوروبيين العظام فقهرهم جميعاً محققاً من النتائج الباهرة ما لم يسبقه إليها أحد . . . ومنذ ذلك الوقت ازدهرت لعبة الشطرنج وأخذت وضعها الحديث وبدأت دول العالم تتنافس في الحصول على مركز مرموق فيها . . . ويقوم الاتحاد العالمي للشطرنج حالياً بتنظيم المباريات ووضع القوانين لها ، ويقيم سلسلة من مباريات التصفية كل ثلاث سنوات لاختيار أفضل اللاعبين لمنازلة بطل العالم في الشطرنج .

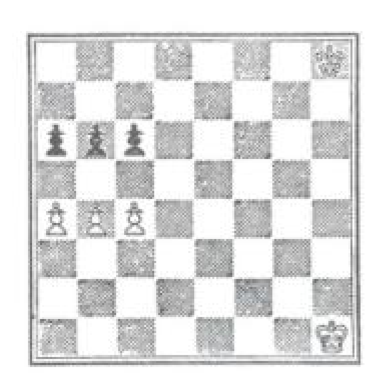
أما في الفترة السابقة لظهور بول مورفي فلم تكن تقام مباريات وتصفيات بالمعنى المتعارف عليه اليوم وكان أفضل اللاعبين في عصره يعتبر بطلاً للعالم في العصور التالية . . . ومن أشهر اللاعبين العالميين قبل « مورفي » اللاعب الفرنسي « فيليدور » (١٧٤٧ - ١٧٩٥) وتلاه مواطنه الفرنسي « ديشابل » الذي احتل بطولة العالم من عام ١٨١٥ حتى عام ١٨٢٠ إلى أن خلفه تلميذه « لابوردونيه » الذي تربع على عرش العالم في الشطرنج حتى عام ١٨٤٠ حين خرجت بطولة العالم في الشطرنج من أيدي الفرنسيين الى غير عودة واحتل بطولة العالم من بعده اللاعب البريطاني « ستانتون » الذي احتفظ باللقب حتى عام ١٨٥١ إلى أن انتزعه منه اللاعب الألماني « اندرسون » . ظل « أندرسون » متربعاً على عرش العالم في الشطرنج حتى عام ١٨٥٨ إلى ان انتزعه منه البطل الأمريكي الذائع الصيت « بول مورفي » الذي أرسى قواعد الشطرنج الحديث . . . وقد أعلن « مورفي » بعد ذلك أنه يستطيع ان يتغلب على أي لاعب في العالم بدون بيدق فيل الملك وبالتنازل عن حركة الابتداء ، وعندما رفض أبطال العالم هذا التحدي ولم يجد « مورفي » من يتصدى له أو يُنازعه على اللقب اعتزل اللعب قائلاً بانه قد تمم رسالته .

مسائل شطرنجية .



مسألة رقم (١)

الأبيض يلعب ويكسب بالرغم من تساوي القطع .



مسألة رقم (٢)

الأبيض يلعب ويكسب اذا أحسن اللعب .

لحل المسائل اقلب الصفحة :

حل المسألة رقم (١)

١) ب - ح ٥	ب ف × ب
٢) ب - ر ٥	ب × ر ب
٣) ب - ف ٥	ب - ر٥
٤) ب - ف ٦	ب - ر ٦
٥) ب - ف ٧	ب - ر ٧
٦) ب - ف ٨ = و +	

وينتهي الدور إلى نفس النتيجة لو أن الأسود أخذ ببيدق الرُّخ .

حل المسألة رقم (٢)

١) ب - ف ٧	م - ف ١
٢) م - و ٧	م × ب
٣) م - و ٦	م - ف ١
٤) م - م ٦	م - ح ٢
٥) م - م ٧	م - ر ١
٦) م - ف ٦	م - ر ٢
٧) م - ف ٧	م - ر ١
٨) م × ب	م - ح ١
٩) م - ر ٦	م - ر ١
١٠) ب - ح ٦	ولا يوجد اية قوة

الآن تحول دون ترقية البيدق إلى وزير .

طرائف عربية

خلق الاسلام

○ بينما كان أمير المؤمنين الامام علي بن أبي طالب مارا بسوق البصرة ، وكان معه غلامه (قنبر) وقف أمام غلام يبيع أثوابا ، فقال : يا غلام ...... عندك ثوبان بخمسة دراهم ؟ فقال : نعم ، فأعطى علي - كرم الله وجهه - غلامه قنبرا ثوبا بثلاثة دراهم ، وأخذ لنفسه الثوب ذا الدرهمين ، فقال له غلامه قنبر : خذ هذا أنت يا أمير المؤمنين ، فأنت تعلو المنبر وتخطب الناس . فقال له الامام علي : لا ياقنبر ، أنت شاب ولك تبرة الشباب ، وأنا - والله - أستحي من ربي ، أن أتفضل عليك ، وقد سمعت - رسول الله صلى الله عليه وسلم - يقول : « ألبسوهم مما تلبسون وأطعموهم مما تأكلون » .

حوار شعري

○ لقي عبيد بن الأبرص امْرَأ القيس يوما فقال له : كيف معرفتك بالأوابد ؟

فقال له امرؤ القيس : ألق ما شئت .... فقال عبيد

ما حبة ميتة أحيت بميتتها
درواء ما أنبتت سنًا وأضراسا

فقال امرؤ القيس :

تلك الشعيرة تسقى في سنابلها
فأخرجت بعد طول المكث أكداسا

فقال عبيد :

ما القاطعات لأرض الجو في طلق
قبل الصباح وما يسرين قرطاسا

فقال امرؤ القيس :

تلك الأماني يتركن الفتى ملكا
دون السماء ولم ترفع به راسا

فقال عبيد :

ما الحاكمون بلا سمع ولا بصر
ولا لسان فصيح يعجب النّاسا

فقال امرؤ القيس :

تلك الموازين والرحمن أنزلها
رب البرية بين الناس مقياسا

حق المودة وحق السلطان

○ قال سليمان بن وهب : لما نكبني الخليفة الواثق العباسي أمر محمد بن عبد الملك الزيات - وكان وزيرا للواثق وهو كاتب وعالم وشاعر - بأن يضيق علي ويطالبني بالأموال .

فألبسني ابن الزيات جبة صوف وقيدني ، وكان يحضرني دار الخليفة ويخاطبني أغلظ مخاطبة ويتهددني ، ويعاملني أقبح معاملة وأشنعها ، ويشب أصحاب الأخبار بالخبر الى الواثق فيعجبه ذلك .

واذا كان الليل ، يأمر ابن الزيات بنزع قيودي ويلبسني أفخر الثياب ، فنأكل ونشرب ونأنس ، وتخرج الينا خواص جواريه ، فتخدمنا ، كما يفضي الي بأسراره وأموره ، فاذا كان وقت انصرافنا ، ضرب بيده على يدي وقال : يا أبا أيوب ، هذا حق المودة ، وذاك حق السلطان ، فلا تنكر هذا ولا تنكر ذاك . فأشكره على فعله ، فاذا كان من غد عدنا الى ما كنا عليه كأنا ما تعارفنا .

ALBA

لكلّ زمن ساعة

ألبا تقدم لك ما تبحث عنه ... ساعات كوارتز ذات دقة متناهية
في أشكال جذابة ومتنوعة لتناسب جميع الأذواق ... منها الساعات الرقمية
والعادية ذات العقارب ومنها ما يجمع بين الاثنين وبأسعار في متناول الجميع
ألبا تؤمن بأن لكل زمن ساعة.



ألبا من اليابان حيث تتوحد التقنية بالجمال.

هنالك مجموعة مصرفية واحدة فقط في العالم تساهم فيها الدول العربية جميعاً

منذ اثني عشر عاما نشأت فكرة تكوين مجموعة مصرفية فريدة من نوعها تشارك فيها كل دولة عربية، ممثلة بواحدة أو أكثر من مؤسساتها المصرفية أو المالية، ومن ثم ترتبط هذه المجموعة عن طريق المشاركة في رأس مالها مع كبريات المصارف العاملة في المراكز المالية الدولية، التي تتواجد فيها بنوك المجموعة، بحيث تهيء كافة الأسباب لتنشيط التجارة بين الدول العربية وبقية انحاء العالم.

وقد أصبحت هذه الأمنية، اليوم، حقيقة ناطقة فالدول العربية الاثنتان والعشرون ممثلة كلها في المجموعة عن طريق ٢٦ مؤسسة من مختلف هذه الدول. وبالاضافة الى ذلك فان ٢٣ من كبريات المؤسسات الدولية تساهم في بنوك المجموعة الى جانب المؤسسات العربية بغية تحقيق اهدافنا المشتركة.

وهذا كله يجعل مجموعة بنوك اليوباف AL UBAF BANKING GROUP متميزة عن كل ما عداها، اذ أن أية مؤسسة تسعى الى القيام بعمل تجاري في أي جزء من العالم العربي، ستكون على يقين بأن في أمكانها ان تعتبر المجموعة بمثابة شريك لها بصورة أو أخرى فيما تستهدفه من مشاريع أو عمليات نظرا لتنوع أنشطة بنوك المجموعة وشمولها لمختلف القطاعات المصرفية.

فان أردت السوق النقدية، وجدت ان رقم اعمالنا في عام ١٩٨٢ بلغ ٣٠٠ مليار دولار، وان اجتذبتك عمليات تمويل التجارة الخارجية الفيتنا في الصف الأول برقم اعمال يتجاوز الـ ٦ مليار دولار، كذلك فان مجموعتنا رائدة في مجال تنظيم وادارة القروض المشتركة SYNDICATED LOANS اذ بلغ اجمالي القروض التي شاركنا في ادارتها او تنظيمها، في ذات العام، ٦٢ مليار دولار.

وقد بلغ اجمالي اصول بنوك اليوباف ١٤ مليار دولار.



البحرين	بنك اليوباف العربي الدولي
هونج كونج	يوباف انترناشونال ليمتد
لندن	يوباف بنك ليمتد - يوباف المحدود للخدمات المالية
لوكسمبورج	يوباي البنك العربي الالماني - فرع في فرانكفورت ماين
نيويورك	البنك العربي الامريكي - يوباف - فرع في جزر كايمان
باريس	اتحاد المصارف العربية والفرنسية (يوباف)
	فروع في البحرين - سيول - سنغافورة - طوكيو
روما	يوباي البنك العربي الايطالي مكتب تمثيل في ميلانو

بيروت	مكتب تمثيل
القاهرة	مكتب تمثيل



أول نوفمبر ١٩٨٣

١٧٠

أبو الهول الحي

تأليف : رجب تشوسيا

ترجمة وتقديم : د. محمد موفاكو



سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت

نوفمبر ١٩٨٣ م

الاستيطان الأجنبي في الوطن العربي

تأليف

د. عبدالمالك التميمي



الكتاب الواحد والسبعون

المراسلات :

توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص ب ٢٣٩٩٦ الكويت

رولكس "آرنولد پالمر" دائماً تدور ستين

في نادي غولف "بيركدايل" الملكي لوحة تحيي ذكرى أشهر ضربات اللاعب "آرنولد پالمر".

حدث ذلك أثناء المباراة التي أقيمت عام ١٩٦١ في بريطانيا للاعبين المؤهلين فنياً لدخول المباراة،

عندما انتهت رمية "پالمر" الخامسة عشرة - وكان "داي ريش" الويلزي يشتحثه ويحضره - بأن استقرت الكرة تحت شجيرة خفيضة.

وما أن أمسك "پالمر" بالمضرب "رقم ٥"، حتى أدرك جمهور النظارة أنه يحاول قذف الكرة الى المرج الأخضر على بعد ١٥٠ ياردة.

وفيما بعد، قال "پالمر" أنه لم يسبق له أن ضرب الكرة بهذه القوة، حيث انه قطع الشجيرة بمضربه وفصلها عن الأرض وانطلقت الكرة بعيداً نحو الهدف.

ضربات جريئة كهذه هي التي اكسبت "آرنولد پالمر" المقام الرفيع وجميع ألقاب البطولة في هذه اللعبة. والساعة التي يتقلدها شبيهة به من حيث القوة والدقة والشهرة.

إنها "رولكس داي-ديت" التي اكتسبت هي أيضاً أرفع مقام مستطاع ونالت لقب "الكرونومتر السويسري" الذي يصبو اليه كثيرون.

الواقع، وعلى الرغم من أن إنتاجها لا يشكل سوى جزء ضئيل من الإنتاج الإجمالي للساعات السويسرية، فقد حصلت رولكس على ما يقرب من نصف الشهادات التي منحت في أي وقت مضى لصانعي الساعات الكرونومتر.

عندما يقذف "پالمر" الكرة بمضربه تنطلق بسرعة ١٥٠ ميلاً في الساعة. ويساوي وزن قوة الصدمة الدافعة القصوى ما يزيد على الطن.

ومع ذلك، يستطيع "پالمر"، بضربة فنية دقيقة، أن يدخل الكرة في الحفرة ويحرز معها قصب السبق.

هذا الجمع بين القوة العارمة والدقة البالغة هو الذي جعل من "آرنولد پالمر" أشهر لاعب عرفه مضمار الغولف.

إحساس كهذا ليس غريباً عنا.

ROLEX
رولكس



ساعة رولكس «داي-ديت» كرونومتر مصنوعة من ذهب عيار ١٨ قيراطاً، مع سوار ملائم

المجلة العربية للعلوم الإنسانية

مجلة فصلية محكمة ، تقدم البحوث الاصيلة والدراسات الميدانية والتطبيقية في شتى فروع العلوم الانسانية والاجتماعية باللغتين العربية والانجليزيـة .

تصدر عن جامعـة الكويت

صدر العدد الأول في ينـاير ١٩٨١

رئيس التحرير د. عبدالله العتيبي

مدير التحرير عبدالعزيز السـيد

• تتناول المجلة الجوانب المختلفة للعلوم الانسانية والاجتماعية بما يخدم القارىء والمثقف والمتخصص .

• تعالج موضوعات المجلة الميادين التاليـة :
اللغويـات النظريـة والتطبيقية – الآداب والآداب المقارنـة – الدراسـات الفلسفية الدراسـات النفسية – الدراسـات الاجتماعية المتصلة بالعلوم الانسانيـة – الدراسـات التاريخيـة – الدراسـات الجغرافيـة – الدراسـات التربوية – الدراسـات حول الفنون (الموسيقى – التراث الشعبي – الفنون التشكيلية – النحت ... الخ) – الدراسـات الاثارية (الاركيولوجية) .

• تقدم المجلة معالجاتها من خـلال نشر :
البحوث والدراسـات – مراجعـات الكتب – التقارير العلميـة – المناقشات الفكرية .

• مواعيد صدور المجلـة : كانون ثاني – نيسان – تموز – تشرين أول .

• تنشر المجلـة ملخصات للبحوث العربيـة بالانجليزيـة ، وملخصات بالعربية للبحـوث الانجليزيـة .

ثمن العـدد : للأفراد ٤٠٠ فلس
للطلاب ٢٠٠ فلس

الاشتراكات السنوية

	داخل الكويت	في الخارج
– للمؤسسات	١٠ د.ك.	٤٠ دولاراً أمريكيا
– للأفـراد	٢ د.ك.	١٥ دولاراً أمريكيا
– للاساتذة والطلاب	١ د.ك.	١٠ دولارات أمريكية

• تقبل الاشتراكات في المجلة لمدة سنة أو عـدة سنوات .

• قواعد النشر تطلب من رئيس التحرير .

جميع المراسلات توجـه باسم رئيس التحرير :ـ
ص.ب : ٢٦٥٨٥ (الصفاة)
الكويت – الشويخ – ت : ٨٢١٦٣٩ – ٨١٧٦٨٩ – ٨١٥٤٥٣



مجلة العلوم الاجتماعية

تصدر عن جامعة الكويت

فصلية اكاديمية علمية مختصة بالشؤون النظرية والتطبيقية في مختلف حقول العلوم الاجتماعية

رئيس التحرير د. أسعد عبد الرحمن

سكرتير التحرير عبد الرحمن فايز

يحوي العدد حوالي ٢٠٠ صفحة تشتمل على :

- ابحاث بالعربية تعالج مختلف حقول العلوم الاجتماعية.
- مراجعات لكتب حديثة تبحث الموضوعات التي تعالجها المجلة.
- ملخصات .
- ابواب ثابتة : تقارير علمية ، دليل الجامعات والمؤسسات التعليمية العليا .
- ندوة العدد .

الاشتراكات :

للمؤسسات والدوائر الحكومية : في الكويت ١٢ ديناراً ، في الخارج ٤٥ دولاراً أوما يعادلها.

للأفراد : في الكويت ديناران كويتيان ، دينار للطلاب .

في الوطن العربي : ديناران ونصف كويتيان أوما يعادلها ، ديناران للطلاب.

في الدول الاخرى : ١٥ دولارا أمريكيا أوما يعادلها.

توجه جميع المراسلات والابحاث باسم رئيس التحرير على العنوان التالي :

مجلة العلوم الاجتماعية ـ جامعة الكويت ـ ص.ب : ٥٤٨٦ الكويت

هاتف : ٥١٠١٨٨ / ٣٧٢ / ٢٥٠

مجلة
دراسات الخليج والجزيرة العربية

تصدر عن جامعة الكويت

رئيس التحرير
الدكتور عبدالله الغنيم

صدر العدد الأول في كانون ثاني (يناير) ١٩٧٥

تصل أعدادها الى أيدي نحو ١٢٥٫٠٠٠ قارئ

يحتوي كل عدد على حوالي ٢٥٠ صفحة من القطع الكبير تشتمل على : -

- مجموعة من الأبحاث تعالج الشئون المختلفة للمنطقة بأقلام عدد من كبار الكتاب المتخصصين في هذه الشئون .
- عدد من المراجعات لطائفة من أهم الكتب التي تبحث في المناحي المختلفة للمنطقة .
- أبواب ثابتة : تقارير - وثائق - يوميات - بيبليوجرافيا .
- ملخصات للأبحاث باللغة الانجليزية .

ثمن العدد : ٠٠ فلس كويتي أو ما يعادلها في الخارج .

الاشتراكات : للافراد سنويا ديناران كويتيان في الكويت ، ١٥ دولارا أمريكيا في الخارج (بالبريد الجوي) .

للشركات والمؤسسات والدوائر الرسمية : ١٢ دينارا كويتيا في الكويت ، ٤٠ دولارا أمريكيا في الخارج (بالبريد الجوي) ؛

منشورات المجلة :

تصدر المجلة أيضا دراسات مستقلة متعلقة بشئون المنطقة صدر منها

١ - كتاب التكامل الاقتصادي في الخليج العربي (د . محمد هشام خواجكية) . ١٩٧٩ .
٢ - كتاب آفاق التنمية الصناعية في دول الخليج العربي (د . عبد الاله أبو عياش) . ١٩٧٩ .
٣ - كتاب حقوق الطفل في دولة الكويت (د . بدرية العوضي) . ١٩٧٩ .
٤ - كتاب الاحصاءات الاقتصادية في المملكة العربية السعودية (بدوي خليل) ١٩٨٠ .
٥ - دور جريدة فتاة الجزيرة في أحداث عام ١٩٤٨ بصنعاء (سلطان ناجي) ١٩٨٠ .

سلسلة وثائق الخليج والجزيرة العربية لعام صدر منها :

الكتاب الأول وثائق الخليج والجزيرة العربية لعام ١٩٧٧ . ١٩٧٩ .

العنوان : جامعة الكويت - كلية الآداب والتربية - الشويخ - دولة الكويت .
ص . ب : ١٧٠٧٣ - الخالدية
الهاتف : ٨١٦٨٠٧ - ٨١٦٧٩٩ - ٨١٦٨٢

جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير.

توشيبا تسهّل الطريق إلى عالم من التسلية المتعة

خطوات توشيبا التقنية تجعل أجهزة التسلية المنزلية أسهل استعمالاً وأكثر متعة. الخطوة الأولى - تلفزيون توشيبا الملون ذو الأنظمة الأربعة الذي يحتوي إضافة إلى كافة ميزاته أنبوب الصورة الفريد "بلاك سترايب ٢" ليؤمن لكم ألواناً زاهية تنبض بالحياة. الخطوة الثانية - جهاز فيديو توشيبا الذي يحتوي منظماً آلياً للفلطية إضافة إلى امكانية تحويله ليعمل وفق أنظمة بال، سيكام وإن تي اس سي. الخطوة الثالثة - مسجلات راديو كاسيت ستيريو توشيبا كانت الأولى التي أتاحت لكم فرصة التسجيل والأداء المتواصل دون توقف مع فكرة الإنعكاس الآلي "أوتو ريفرس" الرائدة. الخطوة الرابعة - تفضلوا بزيارة أقرب وكيل لأجهزة توشيبا للتسلية المنزلية حيث ستتسنى لكم مشاهدة كم هو سهل الحصول على المتعة الحقيقية مع توشيبا.

C-2057QB
V-9680
BomBeat 953
BomBeat 170

C-2057QB

- شاشة أنيقة بقياس ٢٠ إنش (٥١٠ مم)
- أنبوب الصورة "بلاك سترايب ٢" لصورة أزهى وأدق
- نظام مكبّر الصوت يعمل بإتجاهين
- أربعة أنظمة (بال/ سيكام/ إن - تي إس - سي ٣٫٥٨ و ٤٫٤٣)
- منظم آلي للفلطية
- نظام موالفة الكتروني وآلة للتحكم عن بعد

Beta V-9680

- واجهة أمامية سهلة التشغيل
- بال/ سيكام/ إن - تي - إس - سي ٤٫٤٣
- مؤقت ساعة رقمية يتيح تسجيل ٨ برامج في مدى اسبوعين أوتوماتيكياً
- آلية للتحكم عن بعد
- سرعات مختلفة للبحث عن الصورة
- سرعات مختلفة لابطاء وتجميد الصورة
- منظم آلي للفلطية ٩٠ - ٢٥٠ فلط
- "روتاري" لولبي بأربع رؤوس للبحث عن الصورة

BomBeat 953
AUTO REVERSE

- قوة الخرج ٣٢ واط
- أربع موجات (أف - أم / متوسطة/ قصيرة ١ و ٢)
- نظام ستيريو
- نظام مكبّرات الصوت قابلة للفصل

BomBeat 170
AUTO REVERSE

- قوة الخرج ٢٠ واط
- أربع موجات (أف - أم / متوسطة/ قصيرة ١ و ٢)
- نظام ستيريو
- أربعة مكبّرات صوت بإتجاهين



"I've had many fine experiences. But the Olympics was the best."

Muhammad Ali

محمد علي الحائز على الميدالية الذهبية للوزن الثقيل الخفيف خلال أولمبياد روما عام ١٩٦٠ يترقب مثلنا بشوق أحداث أولمبياد لوس أنجلوس لعام ١٩٨٤.

ويسعدنا أن نكون من المساعدين على إنجاح الألعاب الأولمبية، وفخورين بالنقل الحي للأحداث بواسطة منتجات سانيو الرائعة والعظيمة من تلفزيونات وفيديوهات وكلنا أمل بالعمل على نجاح الألعاب الأولمبية.

سانيو المنتجات المعتمدة خلال أولمبياد لوس انجلوس لعام ١٩٨٤.

CMM 5010

CMX 7065RH

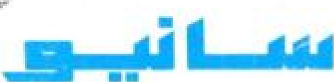
VTC R4ME



VTC 5550

فيديوهات سانيو المنتجات المعتمدة لعام ١٩٨٤ بأولمبياد لوس انجلوس.







نهر الزمن العربي

سوالف وحكايات البحر في الكويت

The first name in high fidelity

فيشر تضفي ألوانًا مُميزة إلى عالم الإستماع

أينما تذهب في انحاء العالم، ستجد اناسًا يستمتعون بأجهزة فيشر، حيث أننا اخترعنا الهاي فاي في عام ١٩٣٧ ومنذ ذلك السبق العظيم ونحن نتابع تقديم سلسلة طويلة من الإنجازات الرائدة في عالم السمعيات. وكان طبيعيًا أن تمكننا هذه التكنولوجيا السباقة من تقديم سلسلة مميزة أيضًا من أجهزة التلفزيون والفيديو.

لقد إبتدأت وتطورت فيشر في الولايات المتحدة لتصبح إسمًا مقرونًا بالجودة والوثوق والتجديد.

إن إسم فيشر المسلّم به في المقدمة هو أيضًا إسم أجهزة الستريو الأكثر مبيعًا في أمريكا.

لذلك أينما تذهب، إسأل عن الإسم الأول في الهاي فاي - فيشر - الشركة التي تضفي ألوانًا مميزة إلى عالم الإستماع.



عزيزي القارئ

في مثل هذا اليوم منذ ربع قرن من الزمان ـ وما أسرع ما تمر السنون في حياة الشعوب . فالمسافة الزمنية بين الأمس واليوم في حياة الكويت لا تعدو أن تزيد على مرمى حجر ـ في شهر ديسمبر (كانون الأول) من عام ١٩٥٨ ، كان مولد مجلة العربي ، وصدر العدد الأول من المجلة التي أرادتها دولة الكويت « هدية ثقافية » لكل عربي من الخليج الى المحيط .

ومضت العربي في مسيرتها تحمل الرسالة .. رسالة ثقافة وعلم وأدب .. مضت تواصل المسيرة بسرعة وثبات وثقة ، كانت البداية عملاقة بفضل مساندة وتشجيع القائمين عليها وجهد العاملين فيها .. عشرات من العمال والموظفين والكتاب والمحررين الذين بذلوا وما زالوا يبذلون جهودهم في سبيل استمرار صدور المجلة التي تحتفل اليوم بيوبيلها الفضي .

وفي حياة الشعوب .. كل الشعوب لحظات يقف عندها المرء ويتأمل .. ولا شك أن هذه احدى اللحظات التي تستحق منا وقفة مراجعة نتوجه فيها بالشكر والامتنان الى القارىء الذي أعطى مجلته كل حبه وثقته ، فمضت بفضله تؤدي رسالتها الثقافية ، فلولاه لما استطاعت أن تكمل المسيرة . وتحية للجنود المجهولين الذين كانوا دائما أعمدتها الراسخة .

ان العربي بناء نسعى جميعا بكل ما لدينا من جهد وعطاء الى تكامله لأننا كلنا نعمل معه ومن خلاله من أجل البناء الأكبر والأعظم .. من أجل الأمة العربية كلها .

ولقد واكبت العربي في مسيرتها أحداثا تركت بصماتها على صفحات تاريخ هذه الأمة ،على الأرض التي نبتت فيها ؛ شهدت العربي استقلال جزء من الوطن العربي .. وعاشت التجربة الديموقراطية منذ مولدها وما تبعها من تطورات في مختلف مجالات الحياة حتى قيام أول جامعة في الخليج على أرض الكويت .. ولا شك أن هذا الانجاز كان قمة التقدم الفكري والعلمي .. التقدم الذي صاحب انضمام الكويت الى هيئة الأمم المتحدة وجامعة الدول العربية وبقية المنظمات العالمية ، تلك التي انتقلت الكويت بها ومعها الى مشارف حضارة القرن الحادي والعشرين ، « وهديتها » العربي سائرة معها باذن الله على الطريق .

« المحـرر »

العربي

العدد ٣٠١ ـ ديسمبر ١٩٨٣

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

رئيس التحرير : الدكتور محمد الرميحي

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت للوطن العربي وكل قارىء للعربية في العالم . الوزارة غير مسؤولة عما ينشر فيها من آراء . والمجلة غير ملتزمة باعادة أي مادة تتلقاها للنشر .

ثمن العدد بالكويت ٢٠٠ فلس ، السعودية ٤ ريالات ، العراق ٢٠٠ فلس ، الأردن ٢٠٠ فلس ، سوريا ٢٠٠ قرش ، لبنان ٢٠٠ قرش ، مصر ١٥٠ مليما ، السودان ١٥٠ مليما ، المغرب ٣ دراهم ، تونس ٣٥٠ مليما ، الجزائر ٣ دنانير ، البحرين ٣٠٠ فلس ، قطر ٤ ريالات ، الامارات العربية المتحدة ٤ دراهم ، سلطنة عمان ٢٥٠ بيسه « ١/٤ ريال عماني » ، اليمن الشمالي ٣ ريالات ، اليمن الجنوبي ٢٥٠ فلسا ، ليبيا ٢٥٠ درهما

الاعلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات
المراسلات : باسم رئيس التحرير
عنوان المجلة بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٣٧١٤١ ٤٦٨٢٤٢

للقراء « العربي »

الاشتراكات

ترسل الطلبات الى :

قسم الاشتراكات
المكتب الفني ـ وزارة الاعلام
ص . ب (١٩٣) ـ دولة الكويت

على طالب الاشتراك تحويل قيمة الاشتراك بموجب حوالة مصرفية أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الاعلام ، طبقا لما يلي :
البلاد العربية ٥٠٠ر٣ (ثلاثة دنانير ونصف)
بلاد غير عربية ٥,٠٠٠ (خمسة دنانير)

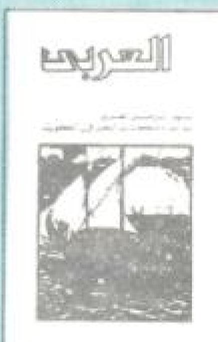
ALARABI - No 301 December 1983 ,
P. O. Box 748 KUWAIT

محتويات العدد

قضايا عامة

عروبة واسلام

صورة الغلاف



● بدأ الزمن العربي ببعض من الاسطورة ، ثم امواج من الرمل والانهار مطمورة . ثم موجات من الهجرات المتعاقبة ، . . ولكن حوادثهم الكبيرة وأيامهم المعروفة لم ترتبط بالقمر كما ارتبطت بظهور الماء ، ذلك العنصر الهام وسط الصحراء العطشى .

(اقرأ من أين ينبع نهر الزمن العربي ؟ ص ٦٤) .

منتدى العربي

طب وعلوم

آداب وفنون



المهرج الفيلسوف

● شارلي شابلن الذي أضحك العالم بصمته .. هل كان مهرجا ... هل كان صعلوكا .. هل كان انسانا .. كان كل هؤلاء .. ولكنه كان قبل هذا رجلا فلسف الحياة بأسلوب ساخر ، مازال يعيش معنا في أعماله حتى اليوم . تذكره بمناسبة مرور ست سنوات على رحيله .

(اقرأ المقال ص ٤٤) .

الوطنية والاسلام

● اذا كانت الوطنية هي حب الأرض وألفتها ، والحنين اليها ، والانعطاف نحوها ، فذلك أمر مركوز في فطر النفوس من جهة ، مأمور به في الاسلام من جهة أخرى . فقط يطلب منا الاسلام ألا نقف بحدودها عند حدود « الاقليم » الصغير الذي ولدنا فيه :

(الشيخ حسن البنا . أحد أئمة الدعوة الاسلامية الحديثة) .

(اقرأ المقال ص٢١) .



الثائر الشريد المفترى عليه

● الدكتور شاكر مصطفى يرد في هذا المقال على سلسلة المقالات التي كتبها الدكتور لويس عوض بعنوان « الايراني الغامض » .. انه يفند الكثير من الآراء التي ساقها الدكتور عوض ليدلل بها على أن الأفغاني لم يكن يستحق المكانة التي تبوّأها عن جدارة بما قدم من فكر وعلم وعمل .

(اقرأ المقال ص ١٥) .

تاريخ وشخصيات

اجتماع

استطلاعات مصورة



اليهود يذبحون الابرياء

● اني أكره القتل والارهاب واللاانسانية ، حين يرتكبها اليهود بنفس الدرجة التي أكرهها بها اذا صدرت من غيرهم . ولو أنهم هاجموا الزعماء النازيين لما كان من حق أحد أن يشجبهم ، ولكنهم اختاروا ضحاياهم من أناس أبرياء .. من العرب الذين شردهم اليهود وذبحوهم . « من رسالة أرملة يونام كارتر الى وايزمان »

(اقرأ ص ١٣٠)



المطرقة والدرع

● همرشولد الأمين العام الأسبق للامم المتحدة ، تحول من رجل عادي في نظر من يعرفونه من أهل بلاده ، الى رجل عظيم يبهر العالم كله وينال التقدير والتأييد ويصيبه أيضا السخط من جانب كثير من الحكومات والشعوب .. ترى ماذا كان دوره ؟ .

(اقرأ المقال ص ٨٠) .

أبواب ثابتة

المثقفون والحرية

● في المجتمع العربي تذبذب وضع المثقفين من قضايا التغيير ، فاتسمت مواقفهم بالجرأة أحيانا والصراحة والايجابية حينا ، وبالخوف والتردد والسلبية في أحيان كثيرة

(اقرأ المقال ص ٧٢) .



حديث الشهر

هل يخاف

هل يخاف الانسان العيش في ظلال شجرة الحرية الوارفة ؟ سؤال محير نطرحه بمناسبة احتفال العالم بذكرى اعلان حقوق الانسان . والقول بأن هناك من يخاف الحرية كالقول بأن هناك من يخاف العدل أو يخاف المساواة ! فرعان من أصل . .

الواقع يؤكد أن الخوف من الحرية ما زال قائما ، بدليل استمرار المطالبة بها من جانب قطاعات كبيرة من المجتمعات في عالم اليوم . وعدم تمتع هذه القطاعات بالحرية المبتغاة يعني أن هناك قطاعات أخرى في هذه المجتمعات ما زالت تتخوف من الحرية . . . . تخوفها من العدالة ومن المساواة ومن كل ما يتصل بها !

وما احتفال العالم سنويا في العاشر من ديسمبر . « الشهر الذي نحن فيه » بالاعلان العالمي لحقوق الانسان الا تعبير عن المطلب الأساسي الذي تعلق عليه البشرية كثيرا من الأماني بأن تسود حدود دنيا مشتركة من المعايير تضمن للانسان حقوقه وحريته .

ومشكلة الحرية الانسانية هي إحدى المشكلات التي خلفت وراءها تراثا ضخما من الأعمال والأفكار الأدبية والسياسية منذ أن بدأ الانسان كتابة التاريخ ، كما أنها من القضايا التي تظهر في كل عصر وفي كل جيل . ولقد عولجت طوال فترة الفكر الانساني المعروف .

ولا يعنينا هنا الحرية بمعناها الميتافيزيقي الطوباني المطلق ، فهي بهذا المعنى لا وجود لها على الاطلاق إلا في أذهان الحالمين المحلقين في الخيال ، ولكن الذي يعنينا هو الحرية النسبية أو الحدود الدنيا للحرية المتعارف عليها اليوم بعد مسيرة البشرية

بقلم
الدكتور محمد الرميحي

الإنسان الحرية ؟!

عبر هذه القرون الطويلة .
ومن خلال الزوايا المختلفة . . . أخلاقية وفلسفية واجتماعية وسياسية وقانونية ونفسية ، تبقى قضية الحرية الانسانية بمعناها الواقعي الملموس مشكلة تشغل بال الكثيرين من مفكرين ورجال سياسة ورجال تعليم ومصلحين اجتماعيين .

وعلى مر العصور كانت أسباب غياب الحرية الانسانية أو الخوف منها ، مختلفة ، فتارة هي أسباب عقائدية ، وأخرى اقتصادية ، وثالثة سياسية ، ورابعة عرقية . . الى آخر أسباب تغييب الحرية ! ولكن النتيجة في النهاية واحدة ، وهي معاناة الانسان ، أو فئة من المجتمع ، أو إقليم من الأقاليم أو طائفة من البشر ، معاناة جمة نتيجة لغياب الحرية .

بحث دائب

ولو نظرنا الى التاريخ الانساني لوجدنا نصوصا كثيرة في الشرق والغرب على حد سواء تدافع عن قضية الحرية والمساواة والعدل . ولكن لأنها قضية نسبية وليست مطلقة - كما ذكرت - فما زال مفهومها يتطور ويتغير بمرور الزمن ، وكلما حصل الانسان في زمان معين ، على قواعد ومعايير شبه ثابتة ، لقياس الحرية ، نجد أن التطور الاقتصادي والاجتماعي للانسان ما يلبث أن يتعداها ، فيجد الانسان نفسه

وقد بدأ يبحث من جديد عن معايير جديدة . من هنا نرى أن قاعدة الاطلاق والشمولية متناقضة مع قضية الحرية .

لنضرب لذلك مثلا ، فالانسان الذي كان يتمتع بالحرية في المجتمع الروماني ، القديم ، أو اليوناني القديم ، لو قارنا بين معايير حريته تلك ومعايير الحرية اليوم ، لوجدنا أن ذاك الانسان القديم كان ـ نسبيا ـ محروما من الحرية بالقياس لمعاييرها الحالية . وكذلك لو قسنا حرية العامل الزراعي في أوروبا القرون الوسطى بحرية العامل الزراعي أو العامل الصناعي اليوم ، لوجدنا الأخيرين يتمتعان بحرية أكثر . وكل ما حدث أن مفهومنا للحرية قد اتسع ومطالبنا منها تزايدت .

الحرية نسبية

البعض عندما يتحدث عن الحرية ، يتحدث عنها بشكلها المطلق وهذا التفكير في الواقع ، يؤدي الى مزيد من الاستبداد أكثر مما يؤدي الى مزيد من الحرية . فالحرية في معناها النسبي الذي توصل اليه الفكر الانساني ليست فقط في غياب شيء ما ولكنها أيضا وقبل ذلك هي في حضور شيء ما . فالحرية المطلقة عبء لا يستطيع أن يتحمله الانسان فردا كان أو جماعة .

هذا ما نراه في عالم اليوم ، فمعايير الحرية والعدالة في مجتمع ما أو في ظل عقيدة سياسية أيديولوجية معينة ، لا تعني بالضرورة أن هذه المعايير يمكن أن تطبق على مجتمع آخر بحذافيرها . كما انها لا تعني أن هذا المجتمع عندما يرضى بتطبيق هذه المعايير على أفراده ، يقبل عن طيب خاطر تطبيقها على مجتمع آخر . فالمصالح والرغبات قد تتدخل لتقديم معايير أخرى يجري فلسفتها بأشكال عدة .

هذا ما نلمسه اليوم في العلاقات الدولية ، فعلى الرغم من أن دولا في أوربا الغربية وكذلك الولايات المتحدة الأمريكية ، تؤمن حدا أدنى من حقوق الانسان لمواطنيها ، نجد أن هناك فئات ليست قليلة في هذه الأقطار ترفض تطبيق هذه المعايير على المجتمعات في العالم الثالث . وما النقاش الدائر اليوم في تلك الأوساط حول فكرة ربط المعونات الخارجية لدول في العالم الثالث ، بحد أدنى من توفر حقوق الانسان ، الا مثل واحد من بين أمثلة كثيرة ، منها تأييد بعض الحكومات التي لا تعترف بتلك الحقوق الانسانية تأييدا مطلقا ، لمجرد ان المصلحة القومية للدول التي تقدم هذه المعونات تقتضي هذا التأييد !

انسانية الانسان

الا أن حتمية الحرية بمعناها النسبي ، وهي التي تعني حدودا عامة ومشتركة تؤكد

انسانية الانسان وخيره وسعادته ، هي المحصلة التي نخرج بها من قراءة التاريخ ، فتاريخ الانسان هو تاريخ الحرية ، رغم النكسات الكثيرة ، والشواهد على ذلك جمة ، فالحيوان كلما كان أدنى في سلم التطور ازداد تكيفه مع الطبيعة ، في الوقت الذي يرتقي الانسان دوما درجات صاعدة من أجل تكييف الطبيعة لمتطلباته هو .

ان هذا الاختلاف الذي يميز الانسان بما حباه الله من دراية ، هو نزعته الى الحرية ، ثمرة العقل ، فقد تعلم الانسان أن يعتمد على نفسه ، ويتخذ قرارات مسؤولة لنفسه ولبني جنسه ، ويبتعد تدريجيا عن الخرافات والخزعبلات المضللة بفضل اختياره طريق الحرية في التساؤل والبحث والتحصيل . وبقدر ما يتوفر للانسان من المعرفة يكون حرا ، وهكذا تلازمت المعرفة بالحرية والحرية بالمعرفة .

الا أن نسبية الحرية تظهر أكثر ما تظهر في المنعطفات التاريخية الهامة التي مرت بها الانسانية ، فنحن نرى من خلال مسيرة التاريخ أنه كلما انهار نظام اقتصادي واجتماعي قديم ، وبدأ بزوغ نظام اقتصادي واجتماعي جديد برزت المناداة بالحرية وحقوق الانسان . ويمكن ملاحظة ذلك في تاريخ العالم الحديث في حدثين : الثورة الفرنسية (١٧٨٩ - ١٧٩٢) ، وفي أعقاب الحرب العالمية الثانية .

قبل هذين الحدثين وبعدهما كانت هناك عشرات المنعطفات الهامة في التاريخ الانساني تؤكد من جديد على المبادىء الأخلاقية العامة . الا أن الملاحظ أيضا أن محتوى هذه المبادىء واطار من تشملهم من الناس ، يتعمق ويزداد بمرور الزمن ، كما يتلون ويتغير وفقا لمتطلبات العصر . فحين قامت الثورة الفرنسية ، وأصدرت الجمعية الوطنية بيانها المشهور عن حقوق الانسان ، كانت مبادىء « الحرية والاخاء والمساواة » هي الصيحة العالية . ولكن جماهير العالم - بما فيها الجماهير الفرنسية التي كانت تتوق لبناء مجتمع فرنسي جديد - ما لبثت أن وجدت أن أصداء تلك الصيحة قد ضاعت تحت أصوات مدافع الطبقة الأوروبية الاستعمارية في القرن التاسع عشر ، حين تسابقت لاستعباد شعوب البلاد التي تتوافر لديها مصادر الثروة الخام ، لاشباع نهم الصناعة والصناعيين والنظام الاقتصادي والاجتماعي الجديد في ذلك الوقت .

هذه الظاهرة تكررت قبل ذلك مرات عديدة في مسيرة التاريخ الانساني ، وقد ظن العديدون أن الحرب العالمية الثانية قد تكون الصراع النهائي ، وأن انتهاءها يعني الانتصار النهائي للحرية . لقد وضح بعد الحرب أن الديمقراطيات القائمة التي دخلت حربا ضروسا ضد النازية في المانيا والفاشية في ايطاليا والطغمة العسكرية في اليابان ، قد اعتبرت أن انتصارها يعني الانتصار لحقوق الانسان في ثوب جديد .

الحدود العامة

وفي الاجتماع الذى حضرته الدول المنتصرة والدول القريبة منها في سان

فرانسسكو في سنة ١٩٤٥ ، وانتهى باعلان قيام الامم المتحدة ، طالبت مجموعة من الوفود بتضمين اعلان قيام الامم المتحدة مواد تضمن حقوق الانسان الاساسية ، ونجحت جزئيا في ذلك ، الا أن ما تضمنه ميثاق الامم المتحدة في هذا الخصوص كان غامضا ، لذا كان لا بد من تحليل واضح ، أفرزت له لجنة خاصة هي لجنة الامم المتحدة لحقوق الانسان ، اعدت بيانا مفصلا لذلك تبنته الجمعية العامة للامم المتحدة في اجتماعها بقصر شايو في باريس في العاشر من ديسمبر ١٩٤٨ - مع امتناع بعض الدول عن التصويت - والاعلان وصف من قبل الجمعية العامة على انه الحدود العامة التي لا يمكن التنازل عنها لكل الدول والشعوب لمصلحة كل الافراد الاعضاء في المجتمع .

بين الأماني والواقع

جاء هذا الاعلان الذي يحتفل العالم اليوم بمرور ثمانية وثلاثين عاما على اصداره محصلة صادقة لاماني عصر كامل ، هو عصر ما بعد الاستعمار ، وهو ليس الا مثلا آخر من امثلة الجهود المضنية التي بذلها الكثير من الشعوب في فترات مختلفة ومتباعدة من التاريخ ، لاقرار حقوق الفرد والمجتمع الاساسية في مواجهة المظالم التي يقترفها الانسان القوي في حق الانسان الضعيف ، سواء من خلال التفاوت الاجتماعي والاقتصادي ، أو الحرمان من الحقوق السياسية او الصراع بين الشعوب .

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه في هذا المجال : هل استطاع العالم بالفعل تحقيق رغبته في اعادة نفسه على اسس اكثر قوة وصلابة ؟ وتأكيد الافكار الجديدة التي لا تؤمن بفوارق جوهرية بين البشر تقر اغتصاب فئات من المجتمع حقوقا اقتصادية واجتماعية وسياسية على حساب فئات اخرى وترفض كذلك اغتصاب حقوق بعض الشعوب في الارض والمأوى والممتلكات لفائدة شعوب أخرى ؟ !

على الرغم من مرور هذه الفترة الزمنية ، وهي ليست بالقصيرة منذ الاعلان العالمي لحقوق الانسان ، وعلى الرغم من أن معظم الدول الاعضاء في الامم المتحدة قد وافقت عليه ، ورغم الاعلانات المتفرعة منه كالاعلان الاوروبي لحقوق الانسان ، واعلان حماية حقوق الانسان في المنظمة الامريكية والاعلان العالمي لحقوق الاطفال ، والاعلان العالمي لحماية الاشخاص من التعذيب والعقاب اللاانساني ، واعلانات مختلفة كثيرة : بالرغم من هذا كله مازالت الانسانية تعاني في مواقع عديدة من حرمانها من الحرية بمعناها الحقيقي والواقعي .

دبلوماسية البوارج

ومن منظور علاقات الشعوب بعضها ببعض ، ما زالت القوة ودبلوماسية

البوارج والتهديد بالحرب ، هى النغمة السائدة بدلا من الوفاق والمفاوضات وحل المشكلات سلميا . وعلى صعيد المجتمعات فعلى الرغم من التقدم الملحوظ فى بعض هذه المجتمعات الغربية لحماية الحقوق الأساسية للانسان نجد ان انتشار البطالة والبقاء تحت شبح الحرب النووية ليس الا بعضا من أمثلة كثيرة على امتهان كرامة وحقوق الانسان .

أما فى الكثير من مجتمعات العالم الثالث فان حقوق الانسان الاساسية مازالت أمانى ، وحتى الحقوق الاساسية الطبيعية ، كحق الحياة والعمل ، عدا حقوق التحرر من التمييز العنصرى والاجتماعى ، او حقوق الرأى والعمل السياسي ، مازالت معدومة . بل قد يتعدى الأمر ذلك الى واقع الحرمان من المحاكمة العادلة ، والى حد ممارسة العبودية المباشرة وغير المباشرة ، كأن يرهن انسان عمله الى وقت غير محدود سدادا لقرض حصل عليه من مراب أو استغلال عمل الاطفال القصر . وتقول لنا التقارير الأخيرة في هذا الصدد أن العالم الثالث به نحو خمس وعشرين مليون نسمة يقعون بين انياب هذا النوع من العبودية المباشرة وغير المباشرة .

لذلك فان الحد الاعلى المطالب به لحقوق الانسان فى العالم الثالث هو حد يقع بعيدا عن الحدود الدنيا التى يتمتع الانسان بها فى بعض البلاد المتقدمة . تلك حقيقة علمية حرى بنا أن نستوعبها ، كما أن حقوق الانسان هى فى الاصل سبيل لغاية أعم تقوده الى حياة أفضل على هذه الارض فى ظل سلام وطمأنينة .

فهى اذن ليست فى حد ذاتها غاية مبتغاة .

بين العام والخاص

معظم شعوب الارض المتحضرة اليوم تملك تراثا وتاريخا يحثان على تكريم الانسان وحفظ حقوقه الاساسية . بعض هذه الشعوب توصل الى ذلك خلال تعاليم الدين أو فى ظل نظام دينى دنيوى على حد سواء ، أما الوثائق ومنها « المجنا كارتا » أو الميثاق الاعظم الذى اعلن بعد حرب اهلية ضروس فى انجلترا ابان العصور الوسطى ، واعلان حقوق الانسان مباشرة بعد الثورة الفرنسية فى الربع الاخير من القرن الثامن عشر ووثيقة الحقوق الامريكية عشية الاستقلال الامريكى واعلان « حقوق الطبقة الكادحة والمستغلة » الذى أقره مؤتمر السوفييت عشية الثورة البلشفية وصولا الى الاعلان العالمى لحقوق الانسان بعد الحرب العالمية الثانية .

هذه كلها حلقات تصل التاريخ الماضى بالحاضر ، ولكنها تسير كلها فى اتجاه واحد وهو القول باحترام الانسان وتكريمه . واذا كانت معظم تلك الوثائق ظلت حبرا على ورق فان الملامة هنا تقع على الانسان نفسه . !

وحقوق الانسان ، مثلها مثل أى مبادىء انسانية عامة ، هى حقائق نسبية فلم

بعد غريبا فى الصراعات السياسية والايديولوجية فى عالمنا المعاصر أن تكون الحقائق نسبية ، واصبح من المألوف أن نجد جماعات فى هذا العالم تؤمن ـ وكل منها على اقتناع تام ـ بحقيقة مناقضة لحقيقة ما يؤمن به الآخرون . الا أن الحقيقة الاخرى فى سياق تطور تاريخ الانسانية العام أن خلف البشرية تعددية تاريخية صينية اوروبية هندية عربية . . الخ . ولكنها أيضا تتجه الى مستقبل تاريخى واحد .

حقوق الانسان العربي

من هنا فان طرح الحديث عن حقوق الانسان العربي أصبح من الاولويات الحضارية ، لارتباط الحرية كما اسلفنا بالتقدم والرفاهية .

وتعج اضابير الجامعة العربية بمحاولات عديدة من هذا النوع لم يقدر لاى منها أن يرى النور حتى وقتنا الحالى .

يحدث هذا فى الوقت الذى يحوطنا فيه تراث عربي اسلامى مشبع باحترام الانسان وتكريمه . لقد سبقناهم فى تأكيد المبادىء الاساسية ، فعادوا وسبقونا فى تأكيد العناية بالجانب الانسانى والاجتماعى والسياسي والثقافى . لقد انار العرب والمسلمون مصابيح على طريق حرية الانسان وابداعه وسقط على الدرب ضحايا كثيرون للحرية والفكر المستقل واعلاء كرامة الانسان . وحينما تتمتع بعض المجتمعات فى العالم اليوم بحرية الصحافة وعقد الاجتماعات وتكوين الجمعيات وحرية العمل والسكن والعبادة وحرية الرأى وحرية تقديم العرائض والشكاوى من الجور والحريات المدنية والسياسية ، يقف الانسان العربي متحسرا على تراثه الذى يتأصل فيه عشق الحرية واحترامها . .

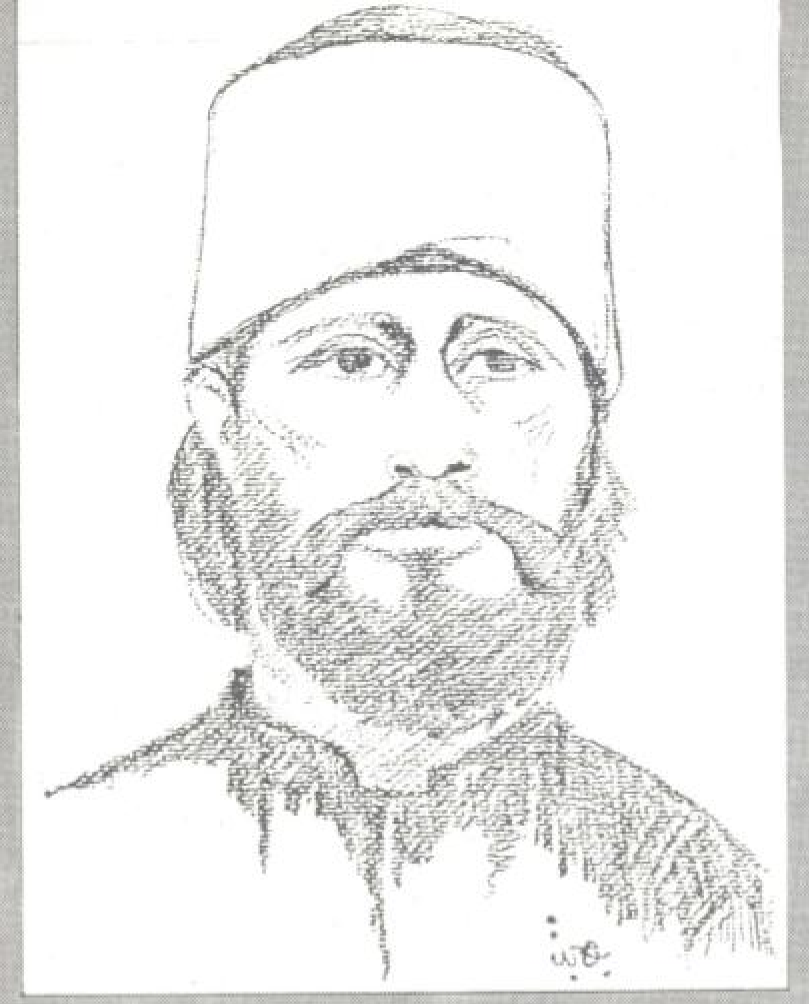
أين هو الآن ؟

واذا كان العام لا يغنى عن الخاص فان اعلانا عربيا لحقوق الانسان يعبر عن محصلة تاريخية ناضجة ومتلائمة مع هذا التراث الغنى ، هو من اهم اولويات الدعوة الجادة الى التقدم عن طريق العدل . ولا تعنى هذه الدعوة اضافة جمل وعبارات رنانة لها قيمة ادبية عالية اذا كانت تنقصها قوة الالزام والقانون والتطبيق ، لان ذلك لا جدوى منه ، ولكن نريد اعلانا له جدية التطبيق مهما تواضع فى صياغته ، بحيث يمكن أن يقوم بدفع انطلاقة الامة العربية الى الامام . .

اعلانا يعتمد على الحرية وكرامة الانسان . .

اعلانا مبنيا على العدل . .

فان انطلق لسان العدل ، اعتدلت الموازين ، وانطلق معه المخلصون الموهوبون من أبناء الامة يبنون بلادهم من أجل مستقبل أفضل وحياة أكثر رفاهية واشراقا .



جمال الدين الأفغاني

الثائر الشريد المفترى عليه

بقلم : الدكتور شاكر مصطفى

هل قرأت « الايراني الغامض في مصر »؟ ان لم تكن قرأت هذا البحث ففتش عنه واقرأه ، أو اقرأ بعضه ، أو اقل منه قليلا . . انه سبعة عشر مقالا بلى ! سبعة عشر ، كل منها في اربع صفحات كبيرة او تزيد وبالحرف الصغير ، تحمل عنوانا واحدا هو « الايراني الغامض » وهذا الايراني « الغامض » ليس الا محمد بن صفدر الحسيني المعروف « بجمال الدين الافغاني » ! اما صاحب هذا الفيض من الأبحاث فهو الدكتور لويس عوض .

والافغاني معروف السواد والملامح وله الظل الممدود في دنيا الفكر والسياسة لدينا في القرن الماضي . دخل حتى في كتبنا المدرسية منذ زمن ، فهو احد رموز النهضة في تاريخنا الحديث ، وهو احد آبائها الاولين . محمد عبده ورشيد رضا ليسا الا بعض تلاميذه . وعبد الله النديم وسليم عنحوري وسليم نقاش واديب اسحق بل وسعد زغلول والاخرون هم بعض من تأثروا به وحملوا افكاره . ولا يحتاج الرجل الى من يذكر بمكانته .

واما الدكتور لويس عوض فكاتب معروف المكانة ايضا . ولقد كنت دوما ـ وما أزال ـ أعجب بفكره ولفكره . وأقدر جرأته في الحق . انه « مقاتل » بصرف النظر عما يقاتل من اجله . فماذا أراد الدكتور أن يقول ؟

أظلم البحث الطويل لو شئت اختصاره . انه يتابع هذا المصلح الشريد في تطوافه مشرق الارض ومغربها :

كريشة في مهب الريح واقعة
لا تستقر على حال من القلق

رحلة الافغاني

إنه يتابع الرجل ويناقش احواله منذ مولده سنة ١٨٣٨ في اسدآباد (شمال غربي ايران) فلا يتركه حتى يصل ايران وروسيا واستامبول قبل وفاته بسنوات ! يذكر انه ايراني لا افغاني أولا ، وأنه شيعي لا سني ثانيا . هرب به ابوه الى قزوين وهو في العاشرة من عمره لسبب مجهول ، ثم الى طهران ، ثم قصد النجف ، ولم يلبث بها الا سنوات اذ دبرت ضده مؤامرة او ما يشبهها فأرسله أستاذه الى الهند ، وهو دون العشرين . وبعد اقامته حوالي السنتين ، أخرج منها فتجول خمس سنوات في ارض الله . « دار بين أمم مختلفة وأديان مختلفة . حاور علماءها ففجع في الجميع وخرج بأن هذا العالم ضلال » . حج . زار بغداد . تبريز . شروان . بخار . وربما زار استامبول ، وبعض الاجزاء من روسيا . قاسى من الايرانيين « الوحوش الضارية والشياطين الذين احرقوا جسده وروحه » وانتهى اخيرا الى افغانستان . ظهر هناك بجانب الامير أعظم خان الذي قاتل حتى وصل العرش سنة ١٨٦٦ ، فلما أزيح عنه سنة ١٨٦٨ لم يفلح الافغاني في البقاء بكابول فأخرج الى الهند ، ومنها الى السويس الى استامبول . اتصل هناك بجانب من الوسط الثقافي وما لبث بعد محاضرة اثارت الجماعات الرجعية أن نفي الى مصر سنة ١٨٧١ ايضا . هناك بقي ثماني سنوات وبعض السنة كانت سنوات مجده . لكنه أخرج من مصر إثر تولي الخديوي توفيق العرش فأرسل الى الهند كرة اخرى . وبعد اقامة قصيرة في كراتشي ثم بومباي ، بقي سنتين او اكثر في حيدر آباد نشر خلالها بين ما نشر كتابه : الرد على الدهريين .

سقراط الاسلام يدون عنه ولا يدون » « يقدسه الناس دون أن يقرأوا له شيئا . ويقرؤون عنه اكثر مما يقرؤون له . . . »

درس البهائية

بدايات الرجل في الثقافة كانت شيعية وقد درس مذهب الشيخية (الذي انشأه في ايران والعراق احمد الاحسائي ١٧٥٣ - ١٨٢٦) ونسخ بخطه فيما بعد بعض رسائله ، وكان هذا المذهب يؤمن بالقطب الرابع « في الدين » ، اي ان ثمة في الدنيا ، على الدوام ، شيعيا كامل الصفات ، معصوما عن الخطأ لهداية الناس . ودرس الافغاني البابية التي بدأت رسميا سنة ١٨٤٤ حين اعلن رجل شيرازي اسمه علي محمد انه الباب (المؤدي الى الامام الثاني عشر) ثم أعلن انه هو الامام الثاني عشر والمهدي المنتظر . . . ودرس كذلك البهائية التي اسسها بهاء الله والتي حاولت اغتيال شاه ايران الشاب ناصر الدين سنة ١٨٥٢ فطردت من ايران . . .

كان هذا في ايران والعراق . اما في الهند فالافغاني عاش التيارات المتلاطمة ما بين جماعة الشاه ولي الله حاكم دهلي الذي دعا في القرن الثامن عشر الى ضرورة تجديد الفكر الاسلامي والتشريع جيلا بعد جيل ، واعادة فتح باب الاجتهاد ، وتأسيس خلافة عربية قرشية ، تجدد مجد الاسلام ، كما عاش تيارات الشاه عبد العزيز (ابن ولي الله) الذي اعلن ان الهند البريطانية لم تعد « دار الاسلام » ، وقامت نتيجة لذلك ثورة احمد بريلوي في شمال غربي الهند على الشاه ، وعاصر حركة مولانا محمد اسحق الفاروقي حفيد الشاه عبد العزيز ، للالتزام بالمذهب الحنفي والتحالف مع السلطان العثماني ، وحركة التجديد الاسلامي الداعية للاخذ بمقومات الحضارة العصرية . وتعلم خلال ذلك كله شيئا آخر غير هذا كله لم يتعلمه فيما سبق له من العلم . تعلم شيئا عن المادية



ثم ذهب الى كلكلتا خمسة اشهر ! وبعد أن زار لندن فترة قصيرة استقر في باريس ثلاث سنوات ، وانشأ فيها مجلة « العروة الوثقى » مع تلميذه محمد عبده . في المقالات الاخيرة يتناول الدكتور لويس عوض خاصة العلاقات مع السلطان ومع ثورة المهدي في السودان . . . قبل ان ينصرف الافغاني الى ايران ثم روسيا . . . وتقف المقالات هنا لا تتابع المصلح الشريد في ايران ثم في بطرسبورغ حيث بقي اربع سنوات ، ولاقى ميونخ حيث التقى ثانية بشاه ايران ناصر الدين ، ورافقه الى بلاده . ولا تتحدث عن صنيعه هناك واعتكافه في احد المساجد سبعة اشهر يكتب ضد الشاه محرضا على خلعه ، ثم لا تتحدث عن اخراجه الى البصرة ثم شخوصه الى اوروبا ، ونزوله في لندن . ثم دعوة السلطان عبد الحميد له وذهابه الى استامبول سنة ١٨٩٢ حيث بقي حتى وفاته الوشيكة بالسرطان في الفك سنة ١٨٩٧ .

اهم من هذا التنقل ما تتناوله المقالات من فكر الافغاني . تحليل مكوناته من جهة وملاحقة مداه من جهة ثانية . وماذا اراد أن يقول ؟ والى اي افق دعا ؟ . . وهنا ايضا يجد الدكتور الباحث التشرد نفسه . . . ويجد عواصف القلق ولكن على نحو آخر . كان الافغاني « . . . اشبه شيء بكرة النار ، ما مست شيئا الا اشعلت فيه لهبا . . . » لقد « تكلم كثيرا وكتب قليلا كان

والمثالية والعقلانية والطبيعية والداروينية وما شاكلها من علوم الغرب . . . حتى جمع في نفس واحدة بين التحرر الديني حتى درجة التفرنج في الفكر والسلوك وبين استخدام الدين لتحقيق القومية على اساسه . . .

في اواخر الفترة التي تلت خروجه من الهند ، وبعد تنقله « بين امم مختلفة واديان مختلفة » كتب يقول سنة ١٨٦٦ : « ان هذا العالم ضلال في ضلال ، وأن كل ما فيه باطل زائف وان في كل لذة علقما او سما زعافا وفي كل كسب خسارة وانه قد اهتدى الى النور فاختار الرسول وصحابته رفقة وملاذا . . . . »

وقبل ان يصل الافغاني الثلاثين من العمر كانت مغامرته الافغانية اول اتصال جدي فاجع مع الحياة السياسية العملية فكتب (سنة ١٨٦٨) : الانجليز يعتقدون اني روسي ، والمسلمون يظنون اني مجوسي ، والسنة يحسبون اني رافضي : والشيعة يخالون اني ناصبي (والنواصب قوم يدينون ببغض علي) وبعض الصحابة الاربعة يعتقدون اني وهابي ، وبعض اتباع الائمة يتوهمون اني بابي . المؤمنون بالله يظنون اني مادي ، الاتقياء يظنون اني كافر ، ولكن لا الكافر يدعوني إليه ولا المسلم يعدني من جماعته . منفي انا من المسجد ، منبوذ من المعبد . انا حائر لا اعرف على من اعتمد ولا من احارب . ولو تنصلت من عقيدة اقررت الاخرى ، ولو اقررت عقيدة شددت ازر اصحابها على ما يناقضها . . . جالس أنا في كابول مكبل اليدين كسير الساقين انتظر ان ارى ستار الغيب يسفر لي فأرى أي قدر خبأه لي دوران الفلك الشرير . . . »

الجامعة الاسلامية

وتختلط لدى الافغاني كما نرى الهموم السياسية بالدينية فاذا كانت مرحلته التركية ـ العثمانية ، ثم المصرية ، ثم الهندية تبلور لديه خطه الفكري السياسي بوضوح تدريجي . انه كهل في الاربعينات . ومنهج حياته المقبل سيدور حول ثلاثة محاور :

ـ الجامعة الاسلامية تحت ظل السلطان العثماني ، يقودها المستبد العادل .

ـ ورفض الاجنبي ، والاجنبي هنا هو انكلترا في مصر او الهند او اي مكان .

ـ السير بالاسلام نحو الحداثة بزيادة التمسك به مع الاخذ بعلوم الغرب .

سيطرت هذه الافكار على الافغاني في مصر ثم في الهند وبلغت النضج الكامل في مرحلة « العروة الوثقى » في باريس .

على انه كان يعرض على سامعيه آراءه وافكاره ، بقدر ما يطيقون . فهو يتبسط في مناظرة الماديين حتى ليحسبه السامع من الملاحدة ، ويشدد في الدفاع عن المسلمين حتى اذا هو الاسلام كله . ويثبت ضرورة الدين بالحاجات والمنافع البشرية حتى لتظنه قد وضع الايمان الميتافيزيكي وراء ظهره ، وينادي بالاصلاح الديني في كل فج حتى لترى الاصلاح حياته كل الحياة . واذا « تدبر حالة الملة الاسلامية شق رداء الصبر وتملكته المخاوف والرؤى الجزعة من كل جانب » !

كان يرى ان الشرق انما قسمه الاجنبي بسبب تخلفه . ولهذا التخلف سببان . الاول هو التعصب والثاني هو الاستبداد . وهو يعلن الا طاعة للحاكم الا اذا قام بحماية شعبه وعمل بالقوانين العادلة . اما الحكام الجشعون الظالمون فلا تجب لهم الطاعة .

اهم افكار الافغاني الدينية ـ السياسية تبلورت في الهند ، بعد نفيه من مصر ، هناك كانت مرحلة الخصب الفكري . ألقى عددا من المحاضرات وكتب كتابه الوحيد (الرد على

الدهريين) يريد الماديين الطبيعيين . حمل في الكتاب على تجديد الفكر الاسلامي بالكفر العلمي والفلسفي ، لأنه اخصر الطرق الى الزندقة وزعزعة الايمان . رفض موقف المدرسة المادية في الفلسفة ، سواء كانت عضوية ام ميكانيكية ام جدلية ، كما رفض موقف المدرسة المثالية من رومانسية او عقلية ، وقرر ان الدهريين جميعا (اصحاب المذهب الطبيعي) ، تحت اي أسم عرفوا ، كانوا دوما سبب دمار المجتمع لانهم يلغون المعتقدات الدينية التي تمسك النظام الاجتماعي وتمنعه من الانهيار .

الايمان العظيم . .

وهكذا فالايمان هو افضل دافع الى المدنية ، والى استقرار النظام الاجتماعي ، واقوى منظم للعلاقات الدولية ، واسلم قاعدة للسلام . ان جناية الماديين على النظام الاجتماعي انهم يقوضون في كل مجتمع فضائل الاحساس بالعيب والامانة والصدق ، فيزلزلون بذلك ايمان الناس بيوم الحساب ، وينشرون مبدأ المساواة الضارة بين البشر مما يجعل الطبقات الدنيا تتبرم بالعمل اليدوي ، بالاضافة الى ان هذه الطائفة بنت



ايمانها على الاعتقاد بالاباحة ، وارتأت ان كل ما يشتهيه الانسان يجب ان يكون مشتركا بين الناس . واعتبرت الامتيازات والفوارق اشياء مغتصبة . وهدفها النهائي أن يشترك كل الناس في كل متعة ولذة ، وان كل الفوارق يجب ان تلغى . وهذا يوقف النفوس عن الحركة نحو السمو ، وينشر الانانية وحب الذات . ان انتشار الدهرية (النيشرية) في اوروبا ادى الى ظهور اوبئة ثلاثة هي : الاشتراكية والشيوعية والعدمية الفوضوية . انها كلها تؤسس مجتمع النمل والنحل . . ويهاجم الافغاني ، في الوقت نفسه ، الطبيعيين من دعاة الامتياز الطبيعي بين الافراد والطبقات ، ودعاة تنازع البقاء وبقاء الاصلح . وهكذا لا تبقى قوة تكبح شهوات الناس من العدوان والظلم الا الايمان بأن للعالم خالقا حكيما قادرا ، وبأن ثمة ثواب للخير وعقاب للشر . وهكذا فان الدين ، بجانب كونه عقيدة الهية ، فانه الى ذلك عقيدة ذات نفع للوجود الاجتماعي السياسي . ويتميز الدين الاسلامي عن غيره بثلاثة أمور : التوحيد ، والتجرد من العنصرية والطبقية ، ورفض كل معتقد لا يقوم عليه دليل . يضاف الى ذلك ثلاثة مباديء هي الاعتقاد بشرف الانسان ، وانه أكرم الكائنات ، وبأن أمة هذا الدين هي اشرف الامم ، والايمان بالعالم الاخر .

تهريب الافغاني وهربه

ونأتي اخيرا الى الناحية الثالثة في الافغاني ناحية الممارسات العملية . والابحاث تسلم له بالكثير : نجد اول ملامحها المجهولة في تهريب الافغاني ثم هربه مرة بعد مرة ، ثم اخراجه ونفيه من البلاد حين صار في مواقع الرجولة والاخذ والعطاء . ثم كان له مكانه الواضح في الجبهة الافغانية المناصرة للأمير اعظم خان والمناوئة لامتداد النفوذ الانكليزي الى افغانستان . وكان يعيش على نفقة الامير ويسدي

إليه المشورة ، ولعله حبب اليه الاتفاق مع روسيا (التي احتلت في تلك الفترة بعض التركستان) وأبان له مخاطر فتح ممر خيبر في وجه التجارة الهندية ـ الانكليزية .

ويبدو أن الافغاني حاول بعد سقوط أعظم خان أن يقوم بعملية كلفته الكثير من المال لمصلحة الخصم شير علي خان ، ولكنها فشلت . وطلب اليه شير علي أن ينزل عند بعض اصدقائه ، فلما طالت الاقامة شهرا كتب اليه « اني لست ترابا يوطأ ويبعثر » وطلب في النهاية « أن يستخدم أو يصرف » ـ وصرف الافغاني سنة ١٨٦٨ لا الى ايران ولكن الى بومباي في الهند ! وسرعان ما ابعد عنها فقصد استانبول . . .

اتصل هناك اولا بأهم رجال الاصلاح أيام السلطان عبد العزيز ، أمثال الباشوات عالي وفؤاد وشروان زادة ومنيف وصفوت ، وكانوا قد نجحوا في انشاء جامعة عصرية (دار الفنون) تدرس العلوم الحديثة . وألقى الافغاني فيها بين من القوا الخطابات وعين عضوا في مجلس التعليم . لكن سرعان ما انتصرت حركة شيخ الاسلام ضد الجامعة وصرف مديرها مع المجلس . وكان من بين ما أخذ عليها محاضرة القاها الافغاني فيها اعتبر بعضها من باب « التعبيرات البغيضة المنافية للشريعة الغراء » وصدر الامر السلطاني بابعاده ! . .

مصر للمصريين !

في القاهرة حيث انتهى به المطاف ، قضى السنوات الاولى في الاتصالات بالناس . عين مدرسا في الازهر ولكنه كان يعقد دروسه في بيته ، ويحمل علنا في حلقة المقهى شعار « مصر للمصريين » . وهكذا قام بدوره الكبير بين المثقفين والعامة . في خلع اسماعيل ، وفي التمهيد للثورة العرابية وفي حركة التحرير المصرية الى جانب دوره العام في حركات التحرير الاسلامية ضد الاستعمار البريطاني خاصة . . . هذا الى إعانته عددا من أهل القلم في الحصول على امتيازات الصحف واصدارها والتحرير فيها ، وإلى دخوله الماسونية الى ان اضحى بسرعة رئيس المحفل وخوضه المعركة السياسية حتى الاذقان حتى قاد بنفسه وفدا الى الامير توفيق لمبايعته وأبوه الخديوي اسماعيل ما يزال على العرش . وتأليفه كتلة من الاحرار وتفكيره حتى في الاغتيال السياسي . .

وفي ليلة مظلمة نفاه صديقه توفيق . . . بعد ان وصل العرش .

في حيدر آباد بالهند خالط الشباب التقدمي واحرار الفكر المعتدل ، المتزمتون انفضوا عنه والمتحررون الغربيون اصحاب احمد خان انفضوا عنه كذلك ، بقي له شباب الوسط الذين احاطوه بما يشبه العبادة ، وان كان اتباع الانكليز واصحاب التقارير يصفونه بالفلسفة وبالاشتراكية وبالثورية . . .

حين وصل الافغاني باريس بعد مصر والهند عمل على اصدار العروة الوثقى ، للدفاع عن الاسلام والتحرر . « ان الركن الاعظم للاسلام طرح ولاية الاجنبي وحماية الحوزة ومغالبة المعتدين وطلب المنفعة من كل سبيل » .

كانت المجلة تعيش على الاعانات من جمعية سرية للاخوة الاسلامية من جهة وترسل بالمقابل الى معظم الاقطار الاسلامية بالمجان من جهة اخرى ، ولقد منعها الانكليز من دخول مصر ودخول الهند ، وحاولوا مهادنة الافغاني فأوفد اليهم تلميذه محمد عبده الذي قال لوزير الدفاع البريطاني ، جوابا على المفاضلة بين الحكم الانكليزي والحكم التركي بمصر : « ان من المصريين من يحب وطنه حب الانكليزي لبلاده ، وان العلوم والمعارف قد اخذت تنتشر في مصر مؤخرا ، وان نفرة المصري من ولاية الاجنبي هي من طبائع البشر فوق انها من تعاليم الاسلام . . .



الوطنية والاسلام

بقلم : الدكتور محمد عمارة

○ في فكرنا السياسي مصطلحات مظلومة عند كثير من الاسلاميين ؟!.. فعندما تذكر : « الوطنية » أو « القومية » أو « العروبة » ، يذهب كثير من الاسلاميين الى انكارها واستنكارها باطلاق ، حاسبين أنها غريبة عن فكر الاسلام السياسي ، ووافدة ضمن ما استورده « المتغربون » من فكرية « التغريب » !..

لكن الذين ينظرون في فكر الشيخ حسن البنا (١٣٢٤ - ١٣٦٨هـ/ ١٩٠٦ - ١٩٤٩م) المرشد المؤسس لجماعة (الاخوان المسلمين) - وهو واحد من أئمة الصحوة الاسلامية الحديثة - يجدون الرجل داعية الى النصر ، أولا ، في مضامين المصطلحات ، فما وجدناه من مضامينها صالحا ، ومتسقا مع روح الاسلام السياسي والاجتماعي قبلناه ، بل وقبلنا معه ذات المصطلح والوعاء !.. وما ليس كذلك رفضناه .. وهو بذلك ينهج النهج الحكيم في معالجة هذه القضية ، حتى لقد تألق فكره فيها وأضاء ..

صحيح أن رابطة العقيدة - (عند الاسلاميين) - هي أقدس من رابطة الدم ورابطة الأرض[1] ... وأن فكرة القومية تذوب امام فكرة الأخوة الاسلامية التي يبثها القرآن في نفوس من يتبعونه جميعا[2] ... لكن « الوطنية » اذا كانت حبا للوطن الذي ولدنا فيه ، وحنينا اليه ، واختصاصا له بالخدمة الأكبر ، وتفضيلا له على غيره ، عند ترتيب الأولويات والامكانات .. واذا كانت طاقة تشحن الأمة بالانفة التي تعينها على قهر التحديات التي يفرضها عليها الأعداء ... اذا كانت « الوطنية » هذه هي المعاني والمضامين والمشاعر والمثل .. فان الاسلام يحتضنها ، بل ويعتبرها جزءا من منظومة فكره السياسي .. فقط يحذر أن تكون حدودها قاصرة على الاقليم الضيق الذي ولد فيه الانسان .. فالاسلام يسلكها في سلسلة من الحلقات ، منها الأخص ، ومنها الخاص ، ومنها العام ، ومنها الأعم ؟!..

فاذا كانت « الوطنية » هي : حب هذه الأرض وألفتها ، والحنين اليها ، والانعطاف ◄◄

(١) حسن البنا : (دعوتنا) مجموعة رسائل الامام الشهيد ص ٢٢ . طبعة دار الشهاب . القاهرة .
(٢) (الى أي شيء ندعو الناس) مجموعة الرسائل . ص ٤٩ .

نحوها ، فذلك امر مركوز في فطر النفوس من جهة ، مأمور به في الاسلام من جهة أخرى[٣] . . . » - كما يقول الشيخ حسن البنا - فقط يطلب منا الاسلام ألا يقف بحدودها عند حدود « الاقليم » الصغير الذي ولدنا فيه . . « فلقد وسع الاسلام حدود الوطن ليشمل : القطر الخاص أولا . . ثم يمتد الى الأقطار الاسلامية . . ثم يرتقي الى الامبراطورية الاسلامية الأولى ! . . ثم يسمو حتى يشمل الدنيا جميعا . . وبذلك يكون الاسلام قد وفق بين شعور الوطنية الخاصة وشعور الوطنية العامة بما فيه الخير كل الخير للانسانية جميعا[٤] . . »

ولقد ضرب الأستاذ البنا المثل التطبيقي لهذه الحلقات والدوائر » ، والتي تبدأ بـ « الوطن » - مصر أو بـ « المصرية » - (وكان يسميها في ثلاثينيات هذا القرن : « القومية ») - فالدائرة « العربية » . . فالدائرة « الاسلامية » . . ثم الدائرة « العالمية الانسانية » . . . ضرب المثل التطبيقي لهذه الدوائر ، المتوالية ، في ترابط وتفاعل واتساق ، دونما تعارض أو تناقض فقال : « ان مصر هي قطعة من أرض الاسلام ، وزعيمة أممه ![٥] . . . وفي المقدمة من دول الاسلام وشعوبه ![٦] . . . والمصرية - أو القومية - لها في دعوتنا مكانها ومنزلتها وحقها في الكفاح والنضال . . . » ثم تساءل مفكرا ومستنكرا : « كيف يقال ان الايمان بالمصرية لا يتفق مع ما يجب ان يدعو اليه رجل ينادي بالاسلام ويهتف بالاسلام ؟! . اننا نعتز بأننا مخلصون لهذا الوطن الحبيب ، عاملون له ، مجاهدون في سبيل خيره ، وسنظل كذلك ما حيينا ، معتقدين أن هذه هي الحلقة الأولى في سلسلة النهضة المنشودة ، وأنها جزء من الوطن العربي العام ، وأننا حين نعمل لمصر نعمل للعروبة والشرق والاسلام - والعروبة - (وهي الحلقة والدائرة الثانية والتالية) - لها في دعوتنا كذلك ، مكانها البارز ، وحظها الوافر . فالعرب هم أمة الاسلام الأولى وشعبه المتخير ، وبحق ما قاله صلى الله عليه وسلم : « اذا ذل العرب ذل الاسلام » ! . ولن ينهض الاسلام بغير اجتماع كلمة الشعوب العربية ونهضتها . . . ان هذه الشعوب الممتدة من الخليج الى المحيط كلها عربية ، تجمعها العقيدة ويوحد بينها اللسان ، وتؤلفها الوضعية المتناسقة في رقعة من الأرض متصلة متشابهة ، لا يحول بين أجزائها حائل ، ولا يفرق بين حدودها فارق[٧] . ونحن نعتقد أننا حين نعمل للعروبة نعمل للاسلام ، والخير العالم كله . . . والقرآن عربي ، وهو أساس هذا الدين ، وركن الصلاة أفضل القربات الى الله ، وتلك هي الوسيلة العملية الى وحدة اللسان ، بعد وحدة الايمان ! . . . دعوتنا ذات مراحل ، نرجو ان تتحقق تباعا ، وأن نقطعها جميعا ، وأن نصل بعدها الى الغاية . نرجو أن تقوم في مصر دولة مسلمة تحتضن الاسلام ، وتجمع كلمة العرب وتعمل لخيرهم ، وتحمي المسلمين في أكناف الأرض من عدوان كل ذي عدوان ، وتنشر كلمة الله وتبلغ رسالته . . . حتى لا تكون فتنة ، ويكون الدين كله لله[٨] ! . . . »

الوحدة القوية

وفي مكان آخر . يزيد الأستاذ البنا هذه

(٣) (دعوتنا) مجموعة الرسائل . ص ١٧ .

(٤) (نحو النور) مجموعة الرسائل . ص ٦٢ ، ٦٣ .

(٥) (الى الشباب) مجموعة الرسائل . ص ٨٨

(٦) (الأخوان المسلمين تحت راية القرآن) مجموعة الرسائل . ص ٩٩

(٧) لاحظ انه يعدد هنا خصائص القومية العربية وسماتها ! .

(٨) (دعوتنا في طور جديد) مجموعة الرسائل . ص ١١٢ - ١١٥ .



الملك ادريس السنوسي ، والى يساره الحاج أمين الحسيني وخلفهما حسن البنا .

المعاني ـ الخاصة « بالدوائر » المتتالية في ارتباط وتناسق ـ يزيدها تأكيدا ، فيقول : « ان الاخوان المسلمين يحبون وطنهم ، ويحرصون على وحدته القومية . . . ثم ان هذا الاسلام الحنيف نشأ عربيا ، ووصل الى الأمم عن طريق العرب ، وجاء كتاب الله الكريم بلسان عربي مبين ، وتوحدت الأمم باسمه على هذا اللسان . . . وقد جاء في الأثر : « اذا ذل العرب ذل الاسلام » ! . وقد تحقق هذا المعنى حين زال سلطان العرب السياسي ، وانتقل الأمر من أيديهم الى غيرهم من الأعاجم والديلم ومن اليهم ، فالعرب هم عصبة الاسلام وحراسه . . . ومن هنا كانت وحدة العرب أمرا لابد منه لاعادة مجد الاسلام واقامة دولته واعزاز سلطانه ، ومن هنا وجب على كل مسلم أن يعمل لاحياء الوحدة العربية وتأييدها ومناصرتها . . . ان الاخوان المسلمين يحترمون قوميتهم الخاصة ، باعتبارها الأساس الأول للنهوض المنشود ، ولا يرون بأسا أن يعمل كل انسان لوطنه ، وأن يقدمه في العمل على سواه . ثم هم بعد ذلك يؤيدون الوحدة العربية ، باعتبارها الحلقة الثانية في النهوض ، ثم هم يعملون للجامعة الاسلامية ، باعتبارها السياج الكامل للوطن الاسلامي العام . . ثم هم يريدون الخير للعالم كله . . . ولا تعارض بين هذه الوحدات ، بهذا الاعتبار ، فكل منها يشد أزر الأخرى ويحقق الغاية منها[9] ! . . . . »

فالاسلام الذي « يعتبر المسلمين جميعا امة واحدة ، ويعتبر الوطن الاسلامي وطنا واحدا[10] . . . » لا يتنكر للوطنية ولا للقومية . . بل يرى « الجامعة الاسلامية » ثمرة تلي الدائرة القومية ، التي تلي ، هي الأخرى ، دائرة الوطن الذي نشأ المسلم فيه ! . . فقط ينكر الاسلام ويستنكر القومية اذا عنت « العصبية الجنسية والفخر الكاذب . . . » اما اذا عنت « الاعتزاز بالمزايا والتاريخ » فهي مما تحتاج اليه « الأمم الناهضة[11] » عندما تواجه التحديات التي تحول بينها وبين النهوض ! . . هكذا فهم الأستاذ البنا « الاسلام السياسي » ووعي فكره ومرامي هذا الفكر ووظائفه في هذا الحقل الذي اختلف فيه الاسلاميون . . ولا يزالون مختلفين ؟! . .

العالمية

بل ان الاعجاب بفكر الرجل هذا ليزداد عندما نراه وقد تطلع الى « الفكرة العالمية » ، فرآها الهدف الأسمى والغاية العظمى . . . وفي ذات الوقت نظر في « القومية » فرآها « مرحلة » ضرورية ، في سلم الرقي البشري نحو هذه « العالمية » تنهض بدور مهم في تقدم الانسان على هذا الدرب الطويل . . . فما يشهده العالم من « بعث وطني » ، و « وحدات قومية » ، و « اتحادات اقليمية » ، و « تنظيمات دولية » ، هي خطوات على الطريق الى « العالمية » المنشودة . . . فهذه العالمية ، او الانسانية هي هدفنا الأسمى ، وغايتنا العظمى ، وختام الحلقات في سلسلة الاصلاح . والدنيا صائرة

(٩) (رسالة المؤتمر الخامس) مجموعة الرسائل . ص ١٧٦ ـ ١٧٨ .

(١٠) (رسالة المؤتمر الخامس) مجموعة الرسائل . ص ١٧٦

(١١) (نحو النور) مجموعة الرسائل . ص ٦١ ، ٦٢ .

الى ذلك لا محالة ، فهذا التجمع في الأمم ، والتكتل في الاجناس والشعوب ، وتداخل الضعفاء بعضهم في بعض ليكتسبوا بهذا التداخل قوة ، وانضمام المفترقين ليجدوا في هذا الانضمام أنس الوحدة ، كل ذلك ممهد لسيادة الفكرة العالمية وحلولها محل الفكرة الشعوبية .

القومية التي آمن بها الناس من قبل ، وكان لابد أن يؤمنوا هذا الايمان لتتجمع الخلايا الأصلية ، ثم كان لابد أن يتخلوا عنها لتتألف المجموعات الكبيرة ، ولتتحقق بهذا التآلف الوحدة الأخيرة . . وهي خطوات ان أبطأ بها الزمن فلابد أن تكون ، وحسبنا أن نتخذ منها هدفا ، وأن نضعها نصب أعيننا مثلا ، وأن نقيم في هذا البناء الانساني لبنة ، وليس علينا أن يتم البناء ، فلكل أجل كتاب[١٢] » .

ان الذين يعون هذا الفكر الذي تألق وأشرق بالاسلام ـ والذي وفق به الاستاذ البنا وجمع بين « الوطنية » و « القومية » و « الجامعة الاسلامية » و « الانسانية » . ثم يرون الخلاف والاختلاف الذي لا يزال قائما في صفوف الاسلاميين حول هذه القضية ، لا يملكون الا الاعجاب والاكبار للرجل . . والدعاء بالتوفيق والهدى للذين ينتسبون اليه ، دون أن يفقهوا ما خطت يمينه من صفحات في هذا الميدان ؟! . .

لقد أعاد جماعة من (الاخوان المسلمين) نشر (رسالة المؤتمر الخامس) للاستاذ البنا . . وعند الصفحات التي تحدث فيها عن « موقف الاخوان المسلمين من الوحدة القومية والعربية والاسلامية » ـ وهو الموقف الذي عرضناه هنا ـ عند هذه الصفحات ولما لم تبلغ بهم « الجرأة » حد « الحذف » أو « التشويه » لرأي الامام المرشد . . كتبوا في « الهامش » يقولون عن آراء امامهم المرشد ما نصه :

« تصور بعض دعاة الاسلام ابان ظهور الدعوات الوطنية والقومية امكان التقائهما مع الاسلام ، وهذا خطأ واضح ، أثبت التطبيق العملي أن الاسلام وهذه الدعوات لا يمكن أن يلتقيا بحال ، لأن الاسلام دين رباني انساني عالمي ، بينما هذه الدعوات بشرية أرضية عنصرية[١٣] » هذه كتب فريق من (الاخوان) . . . وهكذا نشر ناشر من (الاخوان) ؟

وفي مجلة (الدعوة) ـ لسان حال (الاخوان المسلمين) ـ كتب « كاتب » منهم ، فسوى ـ في العلاقة والرابطة والولاء ـ بين المسلم المصري وأخيه المصري ، وبين هذا المصري والمسلم في اندونيسيا أو نيجيريا أو تركستان . . . الخ . منكرا أي أثر « للوطنية » أو « القومية » في هذا المقام[١٤] ؟! . . الأمر الذي يجعلنا نترحم على فكر الاستاذ البنا عند هذا الفريق من المنتسبين اليه . . وندرك مدى الحاجة الى اعادة قراءته ، والتعمق في فهمه ، وادارة أوسع حوار حوله بين الاسلاميين وغير الاسلاميين ! . . .

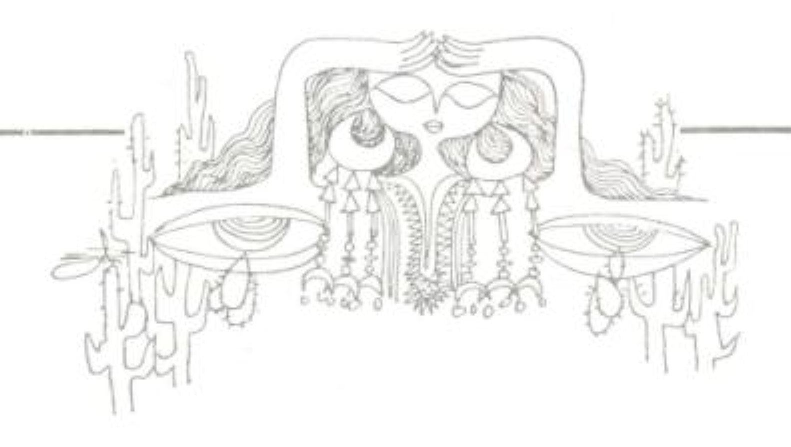
لقد كان حسن البنا ، وجماعة (الاخوان المسلمين) ، أبرز الاجابات الايجابية التي رفضت بها أمتنا « التحدي الحضاري » الذي فرضه عليها أعداؤها . . سواء منه : « الوافد العثماني الموروث » ؟ أو « الوافد الغربي الطارىء » ؟ . . . وكان « الاسلام الشامل » هو البديل الذي قدمته هذه الاجابة ، ورأت فيه « فكرة الأمة » ، المعبرة عن خصوصيتها الحضارية ، وشخصيتها القومية . . . كما رأت فيه حصنها التاريخي العريق والعتيد أمام كل المخاطر وجميع التحديات !

---

(١٢) (دعوتنا في طور جديد) مجموعة الرسائل . ص ١١٤ .

(١٣) انظر (رسالة المؤتمر الخامس) ص ٤٥ . طبعة دار الاعتصام . القاهرة ١٩٧٧ .

(١٤) د . محمد رشاد خليل (شخصية مصر التاريخية) مقال بمجلة (الدعوة) القاهرة في عدد ربيع الثاني سنة ١٣٩٨هـ . مارس ١٩٧٨ .



يا.. رفيقة العمر

شعر : مصطفى أحمد ـ الزرقاء

قضينا في الشباب النَّرَّ عُمراً ... وفي شيخوتي ازداد الولاء

***

بقيتُ وغبتِ ! ! بعدكِ ما البقاءُ ؟ ... فديتكِ لو يتاح لي الفداءُ
وددتُ لَوَ أنَّ يومي قبل يومٍ ... فقدتك فيه وانقطع الرجاء
شقيقةَ روحيَ استمعي وردِّي ... فما عهدي بشيمتك الجفاء
رثيتُ سواكِ يا فخر الغواني [1] ... فأما أنتِ فاستعصى الرثاء
ويسألني صديق كيف حالي ؟ ... فيخنقني ويغلبني البكاء ! !
كذاك الدمع يصبح خيرَ راثٍ ... إذا ما الرزْءُ ضاق به الوعاء
تلجلج بي لسانٌ لم يخنّي ... ولم يك قطّ يُعييه الأداء
ولكني بفقدك عدت طفلا ... أضاع البيتَ إذ حلّ المساء
فليس لديه غيرَ الدمعِ نطقٌ ... ولا صبرٌ لديه ولا اهتداء

(١) ـ الغانية المرأة المتزوجة (من الغنى) ، لا ستغنائها بزوجها . وكان اسم الفقيدة فخرية .

وبـاتِ الكون في عينيـه غـولاً وليس لـه سوى (ماما) نـداء
فقـدتُ الـوالـدين فكنت ثَبْتـاً أخـا جلَدٍ ، وفي عـزمي مَضـاء
ولكني فـقـدتـك حـين عـزمي تخـاذل ، واستبـدّ بي العَيـاء

* * *

حنانُك كـان إنعاشـاً لـروحي ومن كُـرَب الهموم هـو الشفاء
وكنتِ العقـل والأخـلاق زانـت لي النعمى ، وتـوّجهـا الـوفـاء
ونِعم المستشـارُ ، وكم هـداني لخيرِ مسالكي منـك الـذكـاء
وبيتي جَنّـة مـا كنـتِ فيـه ويلفحُني اذا غبتِ الشقـاء
وفي حُسن التعـاطف كـان منـا لنـا عن طـول غـربتنـا عـزاء
فـأنتِ الـرُكن في دنيـا حيـاتي وأنـت وأنـت مـائـي والغـذاءُ
وَفَـرْتِ رغـائبي حبـاً ورشـداً كـأنـك قـد خُلقتِ كـما أشاء
قضينـا في الشبـاب الـنَّرّ عُمْـراً وفي شيـخـوختي ازداد الـولاء

* * *

أَحَـبُّ اليّ بَعـدك مـن ضيـاء ظـلامٌ في الليـالي وانـزواء
ففي الـدّيجـور يمكننـا التنـاجي وفيـه عـلى الخيـال لنـا لقـاء
فيؤنسني خيـالـك في الـديـاجي ويـوحشني بفـرقتـه الضيـاء

* * *

إلهي ، قد وعدت ، وقد وَثِقْنا ، بـأن الصـابـرين لهم جـزاء
فجُد بالفضل منك ، وأنت بَرٌّ ، عـلى أمـةِ أطـاعـت مـا تشـاء
تحَكّم واستبـدّ بهـا عُضـالٌ مـن الأدواء لـيس لـه دواء
تغشّـاهـا السقـام بكـل لـونٍ مـن الآلام مـا شـاء البـلاء

وكــان رضــاك أعـظم مــا تمنى — وتـقــواك الـطريق المُـسـتـفــاء
فــآنسهــا بـقــربــك في جِــوارٍ — كــريـم فيــه من فــزَعٍ وِقــاء
وعــوّضهــا بمــا قــاست نـعيـماً — بــه وُعِـد الخيــارُ الأتـقـيـاء

***

طغى السَّرَطانُ واستشرى ونادى : — أنــا الجـبّــار مــا مِـني نـجــاء
فــلا تَبْغُنَّ من بـأسي فــراراً — فـهــارِبُكم وثـابتُكم ســواء
ومن أنشبتُ فيـه شَبــاةَ ظُفْـري — فـقـومـوا ودّعــوه ، ولا رجــاء
قهرتُ على العصور الطبَّ حتى — لَـتَـرهبُـني الملوك الأقـويــاء
فجـالينـوسُ والــرازيُّ قِـدْمـاً — ومن في الطبّ قد نبغوا وضاؤوا
ومن نـطحوا السحاب اليوم حتى — بسحرِ كُشوفهم غُـزي الفضـاء
أقـرّوا عجـزَهم عني وخــابــوا — وبــرّى عن مـداركهم خفـاء

***

تعــالى شــأنُ بــارئنــا ، وجلّتْ — لـه نعمٌ ، وقـلَّ لـه الثنــاء
تبــارك عــادلاً ، وسـماً حكيـماً — لـه حِكَمٌ بمــا خطَّ الـقـضــاء
فهـذا الحـاصـد الجبّـار فينــا — نـذير لـلألى ظَلَمـوا وســاؤوا
أذلَّ بــه جـبـابــرةً عُـتــاةً — همــو والـنــاس آســاد وشــاء
يصيـح مجلجـلاً فيهم أفيقـوا — فــإني هــهنــا ، يــا أغـبيــاء
فــلا تحميـكـمـو مـني دروع — وذلّت تحت بــأسي الكـبريــاء
ولكن في حـصيـد لـداء منــا ، — إلهـي ، صــالحـون وأبـريــاء
فيــا ربَّ الأنــام أغثْ عبــاداً — لهم بعـميم رحمتـك احتـماء
وأرشِـدْ علمَهم ، فلعـلَّ يـومـاً — بــه لـلعـلـم نـصـرٌ وازدهــاء
تـذاع بــه البشــائر والتهــاني — بــأنْ : عن سرّه كُشف الغـطاء

الملاحة البحرية

إعداد : الدكتور أمين الطيبي*

صدر في الأونة الأخيرة في لندن ، عن الجمعية الأسيوية الملكية ، كتاب قيم عن الملاحة العربية في المحيط الهندي ، قبل قدوم البرتغاليين في نهاية القرن الخامس عشر .

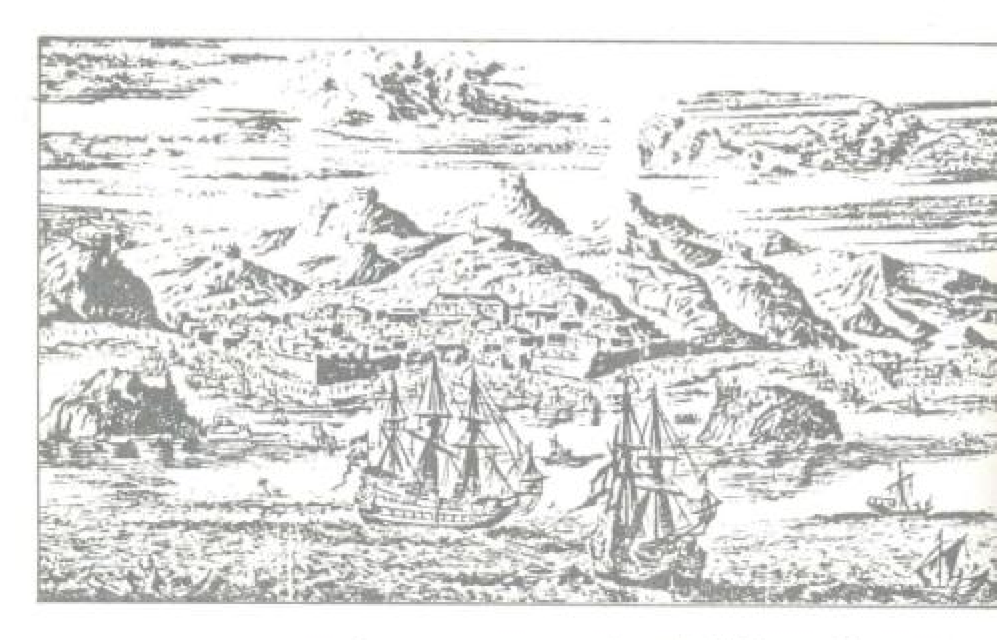
والكتاب أساساً ترجمة لكتاب (الفوائد في أصول البحر والقواعد) لأحمد بن ماجد النجدي ، مع مقدمة وافية عن تاريخ الملاحة العربية ، وملاحظات عن الأساليب الملاحية وطبغرافية سواحل المحيط الهندي ، كما يشتمل على جامع مفردات **glossary** للمصطلحات الملاحية العربية ، وخرائط بحرية للدكتور ج . ر. تيبتس ***G. R. Tibbetts*** .

يشتمل كتاب (الملاحة العربية) على أربعة أقسام ، يتناول القسم الأول منها الملاحة في المحيط الهندي قبل زمن ابن ماجد (القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي) . ويتناول القسم الثاني أحمد بن ماجد وأعماله . ينتسب أحمد بن ماجد الى قيس عيلان من نجد ، وقد هاجر آباؤه الى ساحل عمان ، وولد ابن ماجد في جلفار ـ على ساحل عمان ـ ما بين عامي ١٤٣٢ و ١٤٣٧م . كان أحمد بن ماجد معلماً بحرياً وكانت معظم رحلاته في البحر الأحمر وبحر العرب ، وكذلك كان جدّه محمد بن عمر ، ووالده ماجد بن محمد ، ويسمى والده « معلم البرين » أي العدوتين العربية والسودانية من البحر الأحمر . ولا يعرف تاريخ وفاة أحمد بن ماجد ، ولعل وفاته كانت بعيد سنة ٩٠٦هـ/ ١٥٠٠م .

تعود شهرة ابن ماجد لدى الباحثين الأوروبيين ، الى ورود اسمه في نص عربي على أنه الملاح الذي أرشد فاسكودي جاما البرتغالي الى طريق الهند من ساحل أفريقيا الشرقي . وقد ورد هذا النص في كتاب (*البرق اليماني في الفتح العثماني*) لمؤلفه قطب الدين النهروالي (المتوفى سنة ١٥٨٢م) ، وفيه يقول ان رجلا ماهراً من أهل البحر هو أحمد بن ماجد أشار على قائد الأسطول البرتغالي بأن الوصول الى الهند من ساحل كينيا يتحقق بالتوجه شرقاً عبر وسط المحيط لا بالسير بمحاذاة الساحل الأفريقي .

ان هذه التهمة المزعومة يدحضها الدكتور تيبتس بعدة حجج . فالكتّاب البرتغاليون يشيرون الى من أرشدهم باسم (مالبموكانكا

* أستاذ بقسم التاريخ ،جامعة الفاتح ـ طرابلس الغرب .



Malemo Gnaqua . أما (ماليمو) فهي في العربية (معلّم) أي رئيس البحارة ، وكانت شائعة الاستعمال في منطقة المحيط الهندي ، وأما (كانكا) فهي كلمة هندية بمعنى منجّم . كما أن البرتغاليين يشيرون الى من أرشدهم باسم (المسلم من كجرات) في حين أن ابن ماجد عربي من نجد ، علماً بان البرتغاليين كانوا يميّزون بين مسلمي الأقطار المختلفة . فلو كان المرشد عربياً لذكروا بأنه مسلم من الجزيرة العربية . أضف الى ذلك ان ابن ماجد في كتاباته يتأسف لظهور البرتغاليين في منطقة المحيط الهندي ، ولا يلقي اللوم على نفسه في ذلك .

أما قطب الدين النهروالي الذي ذكر ابن ماجد بالاسم في كتابه (البرق اليماني) ، فقد عاش بعد جيل من وفاة ابن ماجد ، ولا يستبعد أن تكون ثمة دوافع شخصية عائلية للتهمة التي ألصقها بابن ماجد ، أو لعلّ ما ذكره كان بدافع الحقد والضغينة .

ثم ان سيدي علي شلبي قائد الأسطول العثماني الذي أرسل الى الهند لطرد البرتغاليين - وكان معاصراً لقطب الدين النهروالي - يذكر ابن ماجد بكل اجلال ، ويعتمد عليه في ما كتبه ، ويصفه بمعلم المحيط الهندي ، وهو لا يذكر شيئاً اطلاقاً عن ارشاد ابن ماجد للبرتغاليين للوصول الى الهند .

فمن المرجح اذن أن المرشد المقصود كان هندياً مقيماً في ساحل أفريقيا الشرقي ، وأنه كان يأمل من وراء ذلك في تمكينه من العودة الى وطنه ، ولم يكن ذلك المرشد عربياً من طراز ابن ماجد ، الذي يدرك دون شك العواقب الوخيمة المترتبة على وصول البرتغاليين الى الهند ومنافستهم للتجار العرب .

وقد ظل اسم أحمد بن ماجد على ألسنة البحارة في المحيط الهندي قروناً عديدة بعد وفاته ، حتى ان سير رتشارد بيرتون Sir Richard Burton يذكر في كتابه (الخطوات الأولى في شرق أفريقيا First Footsteps in East Africa) انه لما أبحر في مركب من عدن في سنة ١٨٥٤م تلا البحارة

سورة الفاتحة قبل الاقلاع ترحما على روح الشيخ ماجد ، ولعل اسم ابن ماجد ما زال يتردد على السنة البحارة الى يومنا هذا .

ويتناول المؤلف في القسم الثالث من كتابه أسلوب ابن ماجد ، فيصفه بانه اسلوب هاو أدبي . ومع أن ابن ماجد لم يكن شاعراً من الطراز الأول ، الا أنه كان مثقفاً وملماً بالأدب العربي ، ويقتبس الكثير من أشعار امرىء القيس ، وعمرو بن كلثوم ، وعمر بن أبي ربيعة ، والطغرائي ، وأبي نواس ، وابن المعتز ، والمعرّي . كما أنه كان رجلا متديناً يورد آيات قرآنية كريمة مناسبة يوصي البحارة بتلاوتها عند المخاطر والأنواء .

وفي القسم الرابع يتحدث المؤلف عن كتابات ابن ماجد التي تجاوزت الأربعين ، معظمها قصائد منظومة حول الشئون الملاحية ، من بينها القصيدة المكيّة (عن الأبحار الى جدة) والسبعية (وهي بمثابة مرشد للملاحة في بحر العرب والبحر الأحمر) والسفالية (وهي أرجوزة من نيف وثمانمائة بيت عن الطريق الملاحي بين الهند وسفالة على ساحل موزمبيق) ، والسفالية من أهم قصائده ، اذ يتناول فيها وصول البرتغاليين الى الهند ، وعلاقاتهم بحكامها ، وأثر ذلك على التجارة العربية مع الهند .

أما كتاب (الفوائد في أصول البحر والقواعد) ، فيبدأ بمقدمة عن أهمية علم الملاحة ، ويذكر ابن ماجد أن هنالك اثنتى عشرة فائدة ، وقد أفرد لكل منها فصلاً في كتابه . ففي الفائدة الأولى يذكر اسمه الكامل ويورد مختصراً لتاريخ الملاحة قبل زمانه . ويورد في الفائدة الثانية الصفات التي ينبغي توفرها في المعلم أو رئيس المركب . وتتناول الفوائد الثلاث التالية منازل القمر والنجوم . وفي الفائدتين السادسة والسابعة ، يتناول ابن ماجد أنواع المسالك والقياس بالتفصيل ، ويتحدث في الفائدة الثامنة عن الاشارات والمعالم ، والسياسات الخاصة بتصرف المعلم تجاه ركاب المركب وسلامتهم . ويتحدث في الفائدتين التاسعة والعاشرة عن سواحل العالم ابتداء من رأس الحد (جنوب مسقط) بما في ذلك خليج عمان وخليج بربرة . وفي الفائدة الحادية عشرة يتحدث ابن ماجد عن مواسم الأسفار البحرية من الجزيرة العربية الى الهند ، ذهاباً واياباً . أما الفائدة الثانية عشرة والأخيرة فيكرّسها للحديث عن الجزر والشعاب في البحر الأحمر ، ما بين جدة وباب المندب .

ويفرد المؤلف الدكتور تيبتس فصلاً للحديث عن الملاحة في المحيط الهندي بعد زمن ابن ماجد ، ويشيد بمعلم بحري عربي آخر هو سليمان المهري من الشحر ، وهو صاحب (عمدة المهرية في ضبط العلوم البحرية) وفيه يقتبس من (الحاوية) لابن ماجد .

ويتحدث المؤلف في فصل من كتابه عن السفينة العربية ، وأسماء أجزائها كالدقل (الصارية) ، والسنبوق (قارب السفينة) . وسكان السفينة ، ورتب البحارة كالمعلم والمسكّن أو صاحب السكّان والربّان .

ويلي الترجمة الانجليزية لكتاب (الفوائد) فصل عن طبغرافية سواحل الجزيرة العربية ، والهند ، وشرق أفريقيا ، وجنوب شرق آسيا . ويختتم الكتاب بجامع مفردات للمصطلحات الملاحية مرتبة حسب حروف المعجم ، وهو يشتمل على نحو أربعمائة مصطلح ، وبثلاثة فهارس بأسماء النجوم بالعربية ، وأسماء الأماكن بالعربية ، وأسمائها بالانجليزية ، كما ألحقت بالكتاب سبع خرائط بحرية لسواحل البحر الأحمر ، وبحر العرب ، وشرق أفريقيا ، وجنوب الهند ، وخليج البنغال ، والمحيط الهندي .

في هذا العرض السريع ينقل الينا الكاتب صورة عما كانت عليه الحياة الاقتصادية في المشرق العربي، ومن خلالها يستطيع القارىء ان يتبين الهجمة الأوروبية ومدى تأثيرها على اقتصاد هذه المنطقة.

المشرق العربي والغزو الأوروبي

بقلم الدكتور نقولا زيادة

تمت للدولة العثمانية السيطرة على مصر وبلاد الشام اعتبارا من سنة ٩٢٢/ ١٥١٧ ، أما العراق فلم يتم لها احتلاله الا فى اواخر القرن السادس عشر . على ان هذه السيطرة كانت فى كثير من الحالات اسمية ، وخاصة فى القرنين السابع عشر والثامن عشر . فالدولة العثمانية لم تلبث ان تركت لكثير من الحكام والامراء المحليين تسيير الامور لقاء دفع الضريبة المترتبة على بلادهم . وكانت الدول السابقة لهم فى المنطقة كثيرا ما تعجز عن دفع رواتب الجند فلجأت الى اقطاع هؤلاء الأرضين ، التى لم يهتموا بها بل لزموها لمن يستغلها دون ان يحسنها . يضاف الى هذا ان الاجزاء الداخلية من بلاد الشام والاجزاء الجنوبية الغربية من العراق وقعت تحت سيطرة البدو ، وذلك بسبب ضعف الحكومة المركزية . ولنضف الى ذلك الحروب التى قامت بين الاتراك والفرس خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر ، والتى كان العراق مسرحها . هذه أدت الى تعطيل أقنية الرى التى لم يكن المغول قد اتلفوها من قبل . ومن ثم فقد تجمعت جميع العوامل التى يمكن ان تؤدى الى اضعاف الزراعة . أما التجارة فقد أصيبت بضربة قاصمة لما تمكن البرتغاليون من الوصول الى الهند رأسا عن طريق رأس الرجاء الصالح(١٤٩٨) ، فتحولت تجارة التوابل وسواها من سلع الشرق عن طريق البحر الاحمر والخليج العربى الى طريق حول أفريقية . واذ استولت البرتغال على بعض موانىء خليج عمان والخليج العربى ، واقامت لها امبراطورية تمتد من البرتغال الى الهند، فقد اصبحت التجارة حكرا على شعبها . وقد تضايق من ذلك تجار المدن الايطالية وغيرهم ، فحاولوا ، حتى فى القرن السابع عشر ، من العودة الى الطرق الشرقية القديمة عن طريق عقد المعاهدات مع الدول العثمانية .

وقد كان أبرز نواحى التأخر الاقتصادى فى

المشرق العربي نقص الانتاج الزراعى ، وذلك بسبب تقلص الاراضى المستغلة ، بسبب انعدام الامن وسيطرة البدو . وقد وصلت الاراضى المهملة فى الكثير من بلاد الشام الى ساحل البحر المتوسط . أما فى الصناعة فقد تناقص الانتاج وساء نوعه .

القاهرة ودمشق

ولم يبق من المدن التى كانت الصناعة مزدهرة فيها سوى القاهرة ودمشق . والموانىء التى كانت تعج بالتجار وتستقبل العشرات من السفن وتمتلىء اسواقها بالمتاجر مثل الاسكندرية وبيروت وطرابلس وانطاكية(عبر السويدية) أصبحت أشباحا لما كانت عليه . وهبط عدد سكان بلاد الشام الى نحو مليونين فى اواخر القرن الثامن عشر (وكان يقدر بنحو خمسة ملايين فى العصور الكلاسيكية) وكان سكان مصر يقدرون بنحو اربعة ملايين نسمة ونيف فى القرن الرابع عشر فاصبحوا نحو مليونين ونصف المليون سنة ١٨٠٠ .

ومع ان مصر احتفظت ببعض النظام بسبب المماليك ، ولو انهم كسروا امام العثمانيين (١٥١٧) وظل لهم فى مصر سيطرة كبيرة على مقدرات البلاد ، فالوالى العثمانى كانت سلطته محدودة ، وقد لا تعدو اسوار المدينة احيانا . لكن المماليك كانوا متنافرين متخاصمين متنافسين متحاربين ، الامر الذى حال دونهم ودون افادة مصر .

وقد تأثرت المدن فى خسارتها الصناعية والتجارية ، لكن السكان كانوا يقبعون فى الاحياء السكنية ، وينتظمون فى اصناف حرفية ، فلم يكن يصيبهم من اثر الفوضى الا القليل ، بالنسبة الى اهل الريف الذين كانوا يتعرضون لجميع اصناف السلب والنهب !

العراق والشام

واذا نحن القينا نظرة على العراق وبلاد الشام وجدنا ان الاعمال الزراعية الكبيرة فى العراق اقتصرت على جزء صغير من مجموع الاراضى الصالحة للاستغلال وقد انحصرت هذه فى ربوع البصرة وحوض نهر ديالى ، اذ ظلت بعض وسائل الرى من أقنية وما الى ذلك . أما شمال العراق ، فى مناطق أربيل وكركوك والموصل وديار بكر ، فقد كان ثمة حياة زراعية جيدة نسبيا ، وفى سواحل بلاد الشام فى فلسطين ولبنان وسورية ، وذلك ان هذه المناطق كانت تعتمد على مياه الامطار ، لا على أساليب الرى .

وتأخرت صناعة العراق كثيرا ، ولو ان بغداد احتفظت ببعض انتاجها الصناعى ، لكن الكمية نقصت والنوعية تدنت .

ونقص عدد السكان عما كان عليه قبلا . وفى القرن الثامن عشر قدر عدد سكان بغداد بما يتراوح بين ٥٠,٠٠٠ و ١٠٠,٠٠٠ نسمة ، فيما لم يزد سكان كل من البصرة والحلة والموصل عن ٥٠,٠٠٠ نسمة .

الا ان عودة الاوروبيين الى استخدام الطرق الشرقية (من البحر المتوسط الى الخليج العربى) ، حفظت لبغداد اهمية تجارية كمركز رئيسى للقوافل .لكن اضطراب حبل الامن فى البادية السورية (فى القرنين السابع عشر والثامن عشر) ادى الى تحول القوافل عن بغداد الى ارحزوم (أرززوم) .

وكانت هذه القوافل تحمل المنتوجات المحلية التى تجمع فى الأسواق القريبة مثل الحبوب والصوف والجلود والتمور (وهذه خاصة من منطقة البصرة) والأقمشة المصنوعة محليا . لكن السلع الرئيسية التى كانت هذه القوافل تنقلها هى تلك التى كانت تأتى اصلا من الاقطار الشرقية - توابل الهند ونيلها واقمشتها الانيقة وما الى ذلك من حرير ايران الخام وسجادها



وصوفها .

وقد كانت للحروب البحرية التى عرفها البحر المتوسط خلال القرون السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر ، والتى اشترك فيها الاسبان والفرنسيون والعثمانيون وحتى البريطانيون ، آثار كبيرة فى شل الحركة التجارية . ومع ذلك فان حاجة أوروبة الى متاجر الشرق ، ورغبة الكثيرين من التجار فى كسر طوق الاحتكار البرتغالى ، حمل الهيئات التجارية ، الخاصة والحكومة ، على انشاء بيوت تجارية فى بلاد الشام ومصر . ففى القرن الثامن عشر كان لفرنسة بيوت تجارية فى كل من حلب والاسكندرية واللاذقية وطرابلس وصيدا وعكا والرملة(بفلسطين) . كما انشأ البريطانيون بيوتا تجارية فى حلب وبغداد والبصرة . وهذه البيوت يعود انشاؤها الى شركة الهند (الانكليزية) التجارية (التى تعود الى مطلع القرن السادس عشر) .

وقد بلغ ما تعامل به التجار الفرنسيون ، عن طريق بيوتهم التجارية ، نحوا من ربع مليون جنيه استرليني سنويا(فى اواخر القرن الثامن عشر) .

مصر والسودان

وقد تأخرت الصناعة والزراعة فى بلاد العرب ومصر والسودان خلال هذه الفترة . والعوامل التى أدت الى ذلك تشبه ما ذكرناه قبلا ، وان كانت تختلف طبيعة . ولكن انتشار عادة شرب القهوة ، أدى الى الاهتمام بزيادة الارض المزروعة بنا فى اليمن . وقد كان هذا البن يعرف باليمنى على أساس الانتاج ، او بالعدنى أو بين مخا ، تبعا للميناء الذى كان يورده . وظل البن اليمنى هو المعتمد فى شرب القهوة فى أوربة الى اوائل القرن التاسع عشر ، اذ وصل البن البرازيلى الى أوروبة فانصرفت هذه الى استعماله ، واصاب البن اليمنى ضربة كبيرة .

أما السلع الرئيسية التى كان مصدرها الجزيرة

فهي الخيول والابل والصوف والجلود والتمور كما كان الناس يغوصون على اللؤلؤ في الخليج العربي ، ويصطادون المرجان في البحر الاحمر ، ويصدرونها الى الخارج . ولما كانت الجزيرة العربية بحاجة الى جميع انواع المواد الغذائية والآلات ومنتوجات الهند والاسلحة ، فقد كانت هذه تحمل اليها . وكانت الجزيرة العربية تقع تحت عجز في الميزان التجاري لولا اللؤلؤ من جهة ، وما كان الحجاج ينفقونه في موسم الحج من جهة ثانية واخيرا واردات اوقاف المدن المقدسة التي كانت خارج الجزيرة . وكان عرب الخليج يتقنون صناعة السفن (الاخشاب كانت تحمل من الهند وشرق أفريقية) وقد قدرت تجارة الخليج العربي مع الهند (حول سنة ١٨٠٠) بما قيمته ١,٦٠٠,٠٠٠ جنيه استرليني .

ومع ان تجارة البحر المتوسط الشرقية قد تأخرت ، فقد ظل لمصر مكانها الخاص ، وكانت الاسكندرية (وكان عدد سكانها في تلك الايام نحو عشرة آلاف نسمة) مركز الاتجار مع أوروبة وتركية وشمال أفريقية وسورية . وكانت التجارة فيها يسيطر عليها الاوروبيون المقيمون هناك . اما دمياط فكانت تتاجر مع بلاد الشام اصلا ، فيحمل من الارز خاصة الى مرافىء فلسطين ولبنان وسورية . وكانت السلع التي تحمل من هناك الى دمياط يدخل في عدادها الصابون والتبغ والاقمشة . وكانت رشيد(وسكانها كانوا نحو عشرة آلاف نسمة) فكانت تجارتها خاصة بتركية وسورية .

أما ما كانت تبعث به مصر الى أوروبة فيشمل المنتوجات النباتية والحيوانية والمعادن الخام والارز والصوف وخيوط القطن ومنتوجات افريقية الشرقية .

وكانت مصر تستورد المصنوعات المعدنية والاقمشة والورق والبضائع الاستهلاكية وبخاصة البضائع الترفيهية .

وكانت تجارة الترانزيت (العبور) مصدرا رئيسيا للتمويل بالنسبة الى الحكومة المصرية . اذ كانت هذه (عبر مصر الى أوروبة) تبلغ ٦٠٪ من قيمة التجارة المصرية ، وهذه التجارة يدخل في عدادها ارسال البن والتوابل ومنتوجات افريقية وقد استوردت مصر من فرنسة وحدها بما قيمته خمسة آلاف جنيه استرليني سنويا (في اواخر القرن الثامن عشر) .

اما تجارة مصر البرية مع بلاد الشام ، عن طريق القوافل ، فقدكانت تبلغ قيمة السلع المحمولة نحو ٥٠,٠٠٠ جنيه استرليني سنويا ، أما مع شمال افريقية فكانت تجارة مصر تبلغ نحو ١٠٠,٠٠٠جنيه استرليني . هذا عدا قوافل الحجاج التي قد تنتقل الى الحجاز عبر مصر ، اذا اضطرب حبل الامن على طريق الحج الشامي .

وكانت التجارة بين مصر والسودان برية ، تعتمد على القوافل . (كانت بعض السلع تنقل نهريا مع النيل) . اما تجارة السودان مع المغرب العربي فلم تكن تعتمد الا على القوافل . اما المراكز الكبرى لهذه التجارة فهي : سنار(سكانها يعدون بين ١٠,٠٠٠ و ١٥,٠٠٠ نسمة) وهي اكبر مدن السودان ، وشندي في جنوب البلاد(نحو ٦,٠٠٠ نسمة) ودارفور (نحو٦,٠٠٠ أيضا) . وكانت ثمة اسواق صغيرة تقوم على ضفاف النيل هي اصلا محطات للقوافل المصرية السودانية او حتى السودانية المغربية .

اما تجارة السودان في البحر الاحمر فقد كانت سواكن مركزها الرئيسي .

ولم يكن في السودان من الصناعات سوى الحرف التقليدية البسيطة . لذلك فان الصادرات الهامة كانت المواشي والعاج وريش النعام والذرة البيضاء والدخن وبعض التبغ والقمح والصمغ العربي والذهب والرقيق . وكانت الخيول السودانية مرغوبة ، خاصة في غرب الجزيرة العربية . اما الواردات السودانية فكانت تشمل المصنوعات المعدنية والاقمشة والصابون والبن والحبوب والتوابل والعطور . ○



اليوبيل الفضي لمجلة العربي

- السلسلة الثقافية الجديدة لمجلة العربي تصدر مؤقتاً فصلياً ، ثم شهرية .
- جمع مقالات كاتب واحد ، أو عدة مقالات في موضوع واحد .
- مرآة العقل العربي خلال ربع قرن .







د. أحمد زكي

الحرية

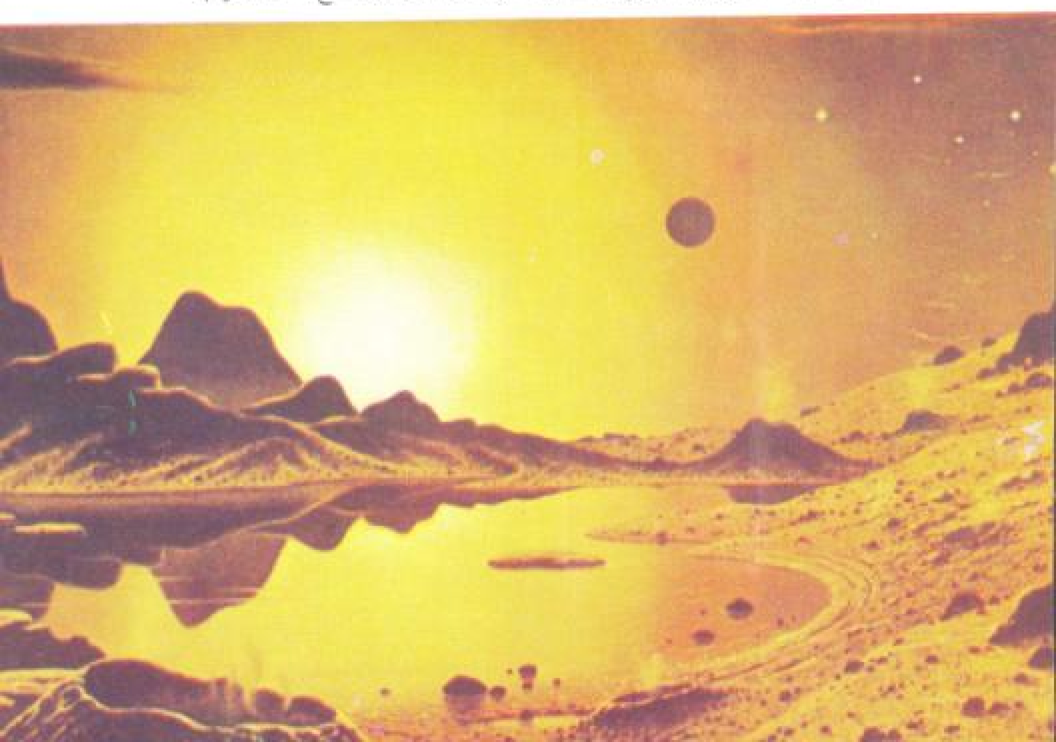
الكتاب الأول يناير ١٩٨٤

رسائل من .. العوالم الأخرى

لندن ـ بقلم : مجدي نصيف

لم تعد القضية أمام العلم الآن هي قضية وجود كائنات حية « عاقلة » في كواكب أخرى في الفضاء الفسيح . القضية الآن هي أين توجد هذه الكائنات الحية ، حتى يمكن الاتصال بها . ولقد بدأت بالفعل برامج عملية للاتصال بهذه الكائنات العاقلة .

يمثل هذا الرسم سطح كوكب سيار يدور حول نجم بروكسيما او الظلمان وهو أقرب النجوم إلى الأرض وذلك كما يتصور احد الفنانين سطح ذلك الكوكب .





رسم للصاروخ الفوتوني (حزم ضوئية) كما تصوره أحد الفنانين . . . وقد يصبح في مقدور هذا الصاروخ الانطلاق بسرعة قريبة من سرعة الضوء فيبعث على الأمل في قيام الانسان برحلات الى الكواكب البعيدة في الفضاء الخارجي . . ولكن الصاروخ نفسه ما زال املا بعيد التحقيق .

تمت أولى هذه المحاولات منذ ما يربو على ربع قرن الآن : فأولى هذه المشروعات تم عام ١٩٦٠ . اختار العلماء أقرب نجمين يشبهان شمسنا ، هما « ديو كاب باليه » و « ابسيلون أريدن » ، حيث يبعد كل نجم منهما عنا حوالي ١١ سنة ضوئية . وكان شبههما من نجمنا - الشمس - هو الذي بعث في العلماء الأمل في أن يكون لكل منهما مجموعة كوكبية ، عمرها قديم ، قد تحتوي احداهما على حضارة متقدمة ، قامت على اكتاف كائنات حية عاقلة متقدمة . وقد جعلنا قرب النجمين النسبي من الأرض ، نأمل في أن تستطيع مناظيرنا اللاسلكية الحديثة التقاط الاشارات اللاسلكية التي قد يبعث بها اخوتنا « العقلاء » . هكذا وجه المنظار اللاسلكي (الذي يصل قطر طاسته الى ٢٧ مترا) « بالمرصد الفلكي اللاسلكي الأمريكي » ناحية النجمين على مدى عدة أشهر . تمت التجربة باتقان ، كما كان مخططا . ولكن . .

. . . للأسف ظل الفضاء على صمته ، ولم يلتقط علماء الأرض اية اشارة لاسلكية على موجة طولها ٢١ سم . لكن هذا ليس معناه الحكم بعدم وجود حياة عاقلة في الكون ، وان كان ينبهنا الى القوانين التي يجب أن تحكم أي برنامج للاتصال بكائنات الحضارات الأخرى : -

فأولا : - ليس هناك ما يحملنا على الاعتقاد بأن

كل النجوم المماثلة لشمسنا ، لها كواكب .
وثانيا : - وحتى اذا كان لنجم ما مجموعة كوكبية ، فليس بالضرورة أن تكون مأهولة .
وثالثا : - وحتى اذا كانت هناك حياة على كوكب من هذه الكواكب ، فليس بالضرورة أن تكون مأهولة بالحضارات المتقدمة .

ورابعا : - وفي حالة وجود كواكب بها كائنات عاقلة لها حضارات ، فليس بالضرورة أن تتطور معنا في نفس الوقت ، قد تكون قد خلفت وراءها عصرها الذهبي في الماضي السحيق ، أو قد تكون حضارة لم تصل الى المستوى التكنيكي اللازم لانشاء شبكة اتصالات لاسلكية بين النجوم .
وخامسا : - وأخيرا ، ليس من المعقول أن نكون متواكلين الى هذا الحد . فنجمنا الصغير الأصفر المتواضع - شمسنا - لا يمكن بأي حال ان يكون مركز اهتمام سكان كواكب النجوم الأخرى . فلو كانت هناك حضارات متقدمة على كواكب النجمين « ديو كاب باليه » و « وابسيلون اريدان » ، فهذا لا يعني أنها توجه اهتمامها بنظامنا الكوكبي ، وأثناء فترة تنفيذ البرنامج بالذات ، وانما توجه اذاعتها لنا على الموجة التي طولها ٢١ سم التي اخترناها .
هذه هي النواقص الرئيسية في مشروع « أوزما » كما أسماه علماء الفلك الأمريكيين ، ولكنها ليست مع ذلك النواقص كلها . ولكن هذا الفشل الأول لم يفت في عضد العلماء المتحمسين ، بل لقد واصلوا برامجهم .

اذاعة موجهة الى الكون :

العلماء السوفييت من ناحيتهم عالجوا المسألة نفسها ، ولكن بمفاهيم مختلفة . وهنا يجب أن نذكر الأعمال البارزة للفلكي السوفييتي نيكولاي كارداشيف في هذا المجال وهو عالم فيزياء ورياضيات ، قام مؤخرا بنشر مقالاته حول آرائه .
فلنفترض أن أقرب الحضارات الينا ، تبعد عنا مائة سنة ضوئية . معنى ذلك أنه توجد داخل هذه الدائرة الضخمة - والتي يصل قطرها الى مائة سنة ضوئية - عشرات الآلاف من النجوم . ان البحث بينها عن النجم الذي يهمنا ، هو عمل معقد غاية التعقيد . فلو أننا عملنا على سبيل المثال - طبقا لمشروع « أوزما » ، لكان علينا فحص عشرات الآلاف من النجوم - عبثا - على أمل أن نجد حضارة تبعث الينا باشاراتها اللاسلكية في لحظة معينة بالذات ، وفي اتجاه الشمس بالضبط .
والحقيقة ان هذه الصعوبات الناشئة عن الاتصالات اللاسلكية الموجهة - يجب ان تكون واضحة ليس لنا فقط ، بل للكائنات العاقلة الأخرى . لذا كان في رأي كارداشيف أن الحضارة التي تريد أن تنبيء الكائنات العاقلة الأخرى بوجودها ، يجب أن تفعل هذا بجهاز لاسلكي يرسل اشاراته الى الكون في كل الاتجاهات وليس في اتجاه واحد !
« وطاسات » التلسكوبات الحديثة لا تستقبل الا الاشارات الصادرة من اتجاه واحد بعينه ، كما هو الحال مع الرادار . أما أجهزة الارسال اللاسلكية التي نتحدث عنها . فترسل الموجات اللاسلكية في كل الاتجاهات . وهذه الأجهزة قوية الى درجة ان إرسالها الذي يبث الى كل أنحاء الكون - الذي نعرفه - يمكن أن تلتقطه كل الحضارات الموجودة . . لا في مجرتنا فحسب ، بل وفي كل النظم النجمية الأخرى . هذا اذا كانت أجهزة الاستقبال التي تستخدمها الكائنات العاقلة على الكواكب الأخرى ، حساسة الى الدرجة التي يمكنها التقاط هذه الاشارات .
وبطبيعة الحال ، فلو كانت بعض الحضارات في الجزء الذي ندرسه من الكون الشاسع تمتلك أجهزة ارسال مثل هذه ، فقد نستقبل نحن اذاعاتها بدورنا .
هذا هو جوهر فكرة كارداشيف . وتتميز على « مشروع أوزما » بشكل واضح ، ذلك أن الاشارات اللاسلكية لن توجه الى نجم بعينه ،

بل الى كل النجوم في وقت واحد . وحتى ندرك أهمية الفكرة نقول ان كل مجرة تشبه مجرتنا تحتوي على عشرات الملايين من النجوم . وهناك في المنطقة التي نعرفها وندرسها من الكون ـ عشرات البلايين من هذه المجرات . ومعنى هذا أن جهاز الارسال اللاسلكي سيوجه اشاراته الى ٢٠١٠ نجما ، في وقت واحد !! وهو رقم خيالي ، لا يمكننا تصور ضخامته .

حتى اكثر الناس ارتيابا في وجود حضارات متقدمة ، لن يجرؤ بعد هذا على الزعم بأنه لا يوجد نجم واحد بين هذا العدد الهائل قد توجد عليه حضارة . لذا فلابد وأن تكلل مثل هذه المحاولة بالنجاح ، لأننا لو زودناه بالطاقة الكافية ، فلابد أن تصل الاشارات اللاسلكية التي يرسلها الى كوكب ما .

ثلاثة أنواع من الحضارات :

هل فكرة كارداشيف عملية ؟

وهل هندسة اللاسلكي متقدمة الى الدرجة التي يمكن معها تصميم مثل هذا الجهاز القوي ؟

ان التقدم السريع الذي حققته فيزياء اللاسلكي في السنوات الأخيرة على وجه الخصوص ، لا يترك أي مجال للشك في أننا سنتمكن في المستقبل القريب من تصميم أجهزة استقبال لاسلكية مثل هذه الأجهزة القوية . ويمكن التأكد من أن الارسال موجه الى كل الاتجاهات في الكون ، لو وضعنا عددا كبيرا من أجهزة الارسال على كل كواكب مجموعتنا الشمسية .

قدم كارداشيف في كتبه حسابات لتأكيد نظريته . قال ان البشرية تستهلك حاليا كمية من الطاقة تساوي ٤ , $١٠^{١٩}$ أرج / ثانية ، وتصل الزيادة السنوية في استهلاك الطاقة بين ٣ الى ٤٪ . من السهل اذن أن نقول ان الزيادة فيما تستهلكه البشرية من طاقة خلال ٣٢٠٠ عاما ستكون ٤ , $١٠^{٣٢}$ أرج / ثانية ، وهي كمية تشعها شمسنا في ثانية واحدة فحسب .

من أين ستحصل البشرية على كل هذه الكمية من الطاقة ؟ مشكلة تنتظر الحل حتى هذه اللحظة . ربما كان مصدرها التفاعلات النووية الحرارية ، أو الطاقة الشمسية ، أو مصادر طبيعية أخرى لا نعرفها الآن .

واستخدام الطاقة هو أهم ما يميز الحضارات العاقلة . لذلك فان كارداشيف يقسم الحضارات الكونية الى ثلاثة أنواع رئيسية : ـ

النوع الأول : ـ حضارات ذات مستوى تكنيكي مماثل لحضارة الأرض ، تستهلك ٤ , $١٠^{١٩}$ أرج / ثانية من الطاقة .

النوع الثاني : ـ حضارات ذات مستوى أرقى ، تستهلك طاقة تقدر بحوالي ٤ , $١٠^{٣٣}$ أرج / ثانية ومن المحتمل ان هذه الحضارات تستخدم كل ما يقدمه النجم من طاقة .

والنوع الثالث : ـ حضارات أرقى من ذلك ، وهي تلك التي تستخدم مصادر الطاقة المجرية بأكملها . . انها تستهلك طاقة تصل الى ٤ , $١٠^{٤٤}$ أرج / ثانية . الحضارات اذن من ناحية اتصالها بالحضارات الأخرى ، بحدها امكانياتها من الطاقة . فحضارات النوع الأول ومنها « الأرض » ، لا تستطيع الا « الانصات » الى الكون « باستكانة » . أما الحضارات المتقدمة ، فهي لابد قادرة على أن تفصح عن نفسها وعن المعرفة التي توصلت اليها ، لاخواتها من الحضارات الأخرى ، وخاصة الأقل تقدما . ان مثل هذه الحضارات الغنية بمصادر الطاقة يمكنها أن تصرف جزءا كبيرا من طاقتها على الاذاعات الموجهة الى كل أنحاء الكون !

وطبقا للحسابات التي أجريت ، فقد ظهر ان المستوى الحالي للفيزياء اللاسلكية يمكننا من استقبال الرسائل الآتية من حضارات النوع الثاني من على بعد عشرة ملايين سنة ضوئية . أما حضارات النوع الثالث فيمكننا استقبال ارسالها من حدود الكون المعروفة لنا .

ومعنى ذلك أنه لو كانت هناك في المجرات القريبة منا ، حضارة واحدة من النوع الثاني ،



مرقب راديوى مبني وفق المبادىء التي وضعها معهد ماتشوستس التكنولوجي وذلك للاتصال بالحضارات والعوالم التي قد تكون موجودة على كواكب متناثرة في الفضاء الخارجي .

أو لو كانت هناك في حدود الكون التي تصل اليها أرصادنا ، حضارة واحدة على الاقل من النوع الثالث ، *لأمكن للأرض أن تلتقط اشاراتها التي ترسلها في كل اتجاه من الكون .*

أحاديث كونية : -

هكذا يبدو أن أرضنا كانت منذ زمن سحيق هدفا للاشارات اللاسلكية الصادرة من الفضاء .

فكيف نستقبل هذه الاشارات ؟

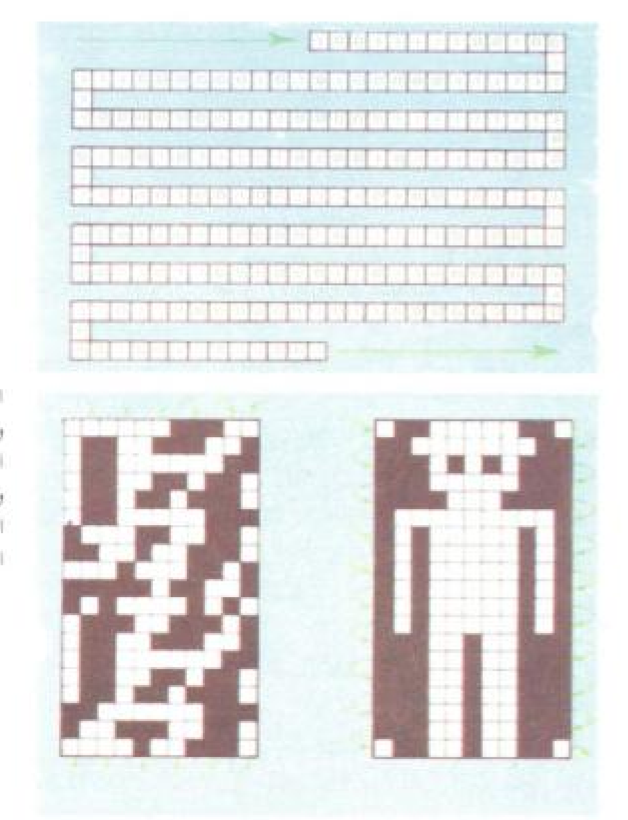
ثم كيف سنحل رموزها ؟

يعتمد استقبال الاشارات اللاسلكية من الفضاء على عدد من الظروف . فليست المسألة قوة جهاز الارسال فقط . بل هناك ايضا موجات لاسلكية صادرة من سحب الأيدروجين السابحة في الفضاء البينجمي ، وهي تتداخل مع الاشارات . وهناك أيضا الضوضاء من الجهاز نفسه ، الى جانب اضطرابات أخرى . وهذه

العقبـات لا يمكن التغلب عليهـا حتى الآن . وعندما قام العلماء بتحليل هـذه الصعوبات بالتفصيل ، توصلوا الى أنه من المفيد اذاعة الاشارات اللاسلكية على موجات سنتيمترية وديسمترية . فعلى هـذه الموجات تكـون الضوضاء أقل ما يمكن . ويمكن نقل الاذاعات بطبيعة الحال على موجات أوسع ، ولكن يجب في هذه الحالة استبعاد التداخل الجوي . وعلى أي الأحـوال .. هل يمكن اذاعة كمية كبيـرة من المعلومات عبر هذه المسافات الكونية الشاسعة ؟

تسمح نظرية نقل المعلومـات ، الجـزء الرئيـي من السيبرنـاطيقـا ـ بحسـاب كميـة المعلومات التي يمكن نقلها بالأساليب المختلفة ، ومن بينهـا تلك التي تنقل بـاللاسلكي . ومن خـلال ذلـك كله تـوصـل العلماء الى نتـائج مدهشة : ان المعرفة التي جمعتها البشرية جماء حتى العـام الحالي (١٩٨٣) يمكن أن تـطبـع في عشـرة آلاف مجلد . ولو نقلنـا هـذه المجلدات بالشفرة ذات النظام الثنائي على موجة طولها ١٠^٩ سم / ثـانية على سبيل المثـال ، لما استغـرقت اذاعتها أكثر من مائة ثانية !

ومن الطبيعي أن يكون لدى حضارات النوع الثـاني والثـالث ، معلومـات أكثر من تلك التي جمعتها البشرية على كـوكبنا . ورغم ذلـك لن يتطلب نقلها وقتاً طويـلا . من الممكن اذن أن تكون الحضارات الأخرى المتقدمة في الكون منهمكة الآن في اذاعة « برنامجها » وتكراره . وهـذا التكرار سيسهـل على حضـارات النـوع الأول استقبال الاذاعة الموجهة ، وستصـل من حين لآخر الى عدد من « المستمعين الجدد » ! !



ويمكـن الاتـصـال بـتـلك الحضارات بواسطة الرياضيات ورموزها ، كـالاصفار والآحاد التي تراها في الصورة العلوية .. والتي تتمخض عن الصـورتين السفليتين .. وتمثل احداهما الانسان .. (إلى اليمين)

وستكون الاتصالات اللاسلكية بين حضارات النوع الأول والحضارات الأرقى ، من جانب واحد فقط . لكن المعرفة التي ستستقبلها حضارات النوع الأول ستكون مذهلة ، وستساعدها على التقدم السريع ، وبالتالي على تبادل الاتصالات النشطة بدلاً من الاكتفاء بالتلقي فحسب .

لغة كونية

والحديث عن الاتصالات اللاسلكية « المتبادلة » عبر الفضاء ، يختلف عن الاتصالات اللاسلكية على كرتنا الأرضية . هناك عامل جديد يدخل في الاعتبار في الاتصالات الفضائية هو عامل المسافات الشاسعة . فخلال الاتصالات اللاسلكية « الأرضية » لا نضع في اعتبارنا السرعة التي تذاع عليها موجات اللاسلكي (٣٠٠ ألف كيلومتر في الثانية) . انها سريعة لدرجة يمكنها معها الدوران حول خط الاستواء تسع مرات في ثانية واحدة . فلو وجهنا سؤالا باللاسلكي الى شخص في نهاية الأرض من الناحية الأخرى ، فاننا نتلقى الاجابة عليه ، كما لو كنا نتحدث اليه وكأنه جالس معنا في نفس الحجرة .

لكن الأمر يختلف لو كان « الحديث المتبادل » مع عوالم أخرى . لو أسعدنا الحظ ، وكانت أقرب الحضارات الينا لا تبعد عنا بأكثر من مائة سنة ضوئية « فقط » ، فان الوقت الذي ينقضي بين القاء سؤال وتلقي إجابته لن يقل بأي حال عن مائتي عام . ولذا فان تبادل الاتصالات والمعلومات من المجرات وبعضها ، سيستغرق ملايين السنين . ولا يمكننا لسوء الحظ التغلب على هذه الصعوبات « الطبيعية » ، فلا توجد في الطبيعة أو لا يمكن أن توجد سرعات تزيد على سرعة الضوء . وهذا يزيد من أهمية استقبال الاتصالات الكونية من جانب واحد ، هذا لو كانت الحضارات الأرقى هي التي تذيع ، ونحن وأمثالنا من الحضارات نستقبل هذه الاذاعات .

وقد بدأ العلماء في ايجاد « لغة كونية » للاتصال بالكائنات العاقلة على الكواكب الأخرى ، أطلقوا عليها اسم « لينكوس » ، وهي لغة « تعتمد على المنطق الرياضي ، وتفهمها كل الكائنات العاقلة . وستساعد السيبرناطيقا الحديثة على حل شفرة اشارات الفضاء ، بعد أن أثبتت جدواها في حل شفرة كتابات الحضارات البشرية القديمة .

هل يمكننا أن نفرق بين الاشارات اللاسلكية « الطبيعية » وتلك « الصناعية » أي الصادرة من الكائنات العاقلة ؟

نعم . . . فللاشارات الصناعية ذبذبات معينة ، ولأن هذه الذبذبات قد تكون صغيرة للغاية ، فينبغي أن تكون أجهزة الاستقبال شديدة الحساسية .

في عام ١٩٦٣ ، اكتشف علماء الفلك الأمريكيون اشارات لاسلكية صغيرة ، لم يستطع أحدهم التعرف على مصدرها بعد الاستعانة بخرائط النجوم . وما أثار اهتمامهم هو أن طيفها اللاسلكي يشبه المصادر الصناعية الى درجة غريبة .

الدائرة العظمى

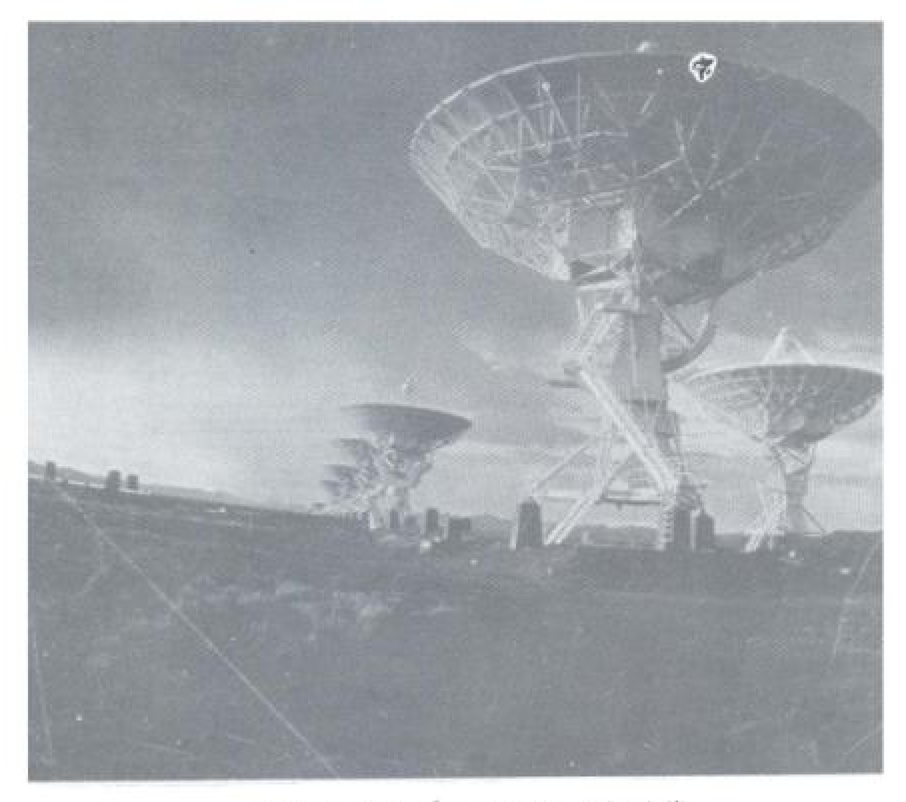
ويعرض العلماء المراحل الثلاث التي تمر بها عادة الانجازات العلمية ، فيلخصونها في ثلاث مراحل :

المرحلة الأولى : ـ هي رحلة الفكر والخيال .

المرحلة الثانية : ـ هي رحلة الحسابات العلمية المضبوطة التي تثبت صحة الفكرة .

والمرحلة الثالثة : ـ وهي مرحلة التنفيذ الذي يتوج الفكرة .

وبالنسبة لقضية الاتصال بالحضارات الكونية الأخرى المتواجدة في الفضاء ، فقد انتقلنا الآن من المرحلة الثانية الى المرحلة الثالثة . لكن الفكر يسبق الحسابات مرة أخرى ، ويحاول أن يدخل



طاسات المناظير اللاسلكية تستمع الى الأصوات القادمة من الفضاء . قد يكون أحدها رسالة من إحدى الحضارات !

« الأرض » في « الدائرة العظمى » للحضارات الكونية ، تلك الحقبة التي تحدث عنها العلماء والكتاب في قصص الخيال العلمي .

وانه لشيء يستحق بالفعل أن يوجه العلماء « مناظيرهم اللاسلكية » الى بقع بعينها في الفضاء ، حيث تتركز بلايين النجوم والكواكب ، مثل منطقة « كوكبة الراي » حيث يقع في اتجاهها نواة مجرتنا ، ذلك المركز العظيم للحضارات البعيدة . والحقيقة أن رصد « سديم أندروميدا » بالمناظير اللاسلكية يزودنا بآمال أعرض . . أليس من المحتمل أن توجد على بلايين الكواكب في هذه المجرة المجاورة حضارة واحدة من النوع الثالث ، أو حتى من النوع الأول ؟

لقد حان الوقت لأن تبدأ الأرض في البحث عن اشارات من العوالم الأخرى ، فما زالت البشرية حتى الآن معزولة عن جميع الحضارات الكونية الأخرى ، ولن تظل هكذا الى الأبد . ولو كانت نظرية كارداشيف مضبوطة من أن الأرض هدف مستمر للاذاعات الصادرة من الحضارات الكونية المتقدمة ، فاننا نضيع على البشرية ثروة مذهلة من المعرفة ، معرفة ستوفر على الفكر الانساني الذي يبذل جهده من أجل التقدم والرقي ، مئات السنين .

فهل نرفض ـ لجهلنا ـ هذه المساعدة الكريمة المنزهة عن الغرض ؟ ○



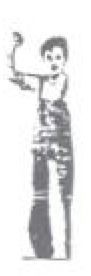


شارلي

"المُهَرِّج" الفيلسوف

بقلم : منير نصيف

في أحد شوارع المدينة الكبيرة الذي يزدحم بالناس والسيارات ، كان رجل البوليس يطارد الصعلوك الصغير ! ماذا صنع ، .. لا أحد يدري ؟ ويتوه الشاب المتشرد وسط الزحام وينجح في الافلات من رجل الشرطة بفضل السيارة الفارهة التي كانت تقف على أحد جانبي الشارع بجوار الرصيف في انتظار عودة صاحبها .



دخل الصعلوك من باب السيارة المطل على الشارع ، ونزل من الباب الاخر على الرصيف . وفجأة رآها امامه .. فتاة جميلة في عمر الزهور التي كانت تحملها في يدها وتبيعها للناس .. لقد سمعت صوت باب السيارة يغلق بعنف فمدت يدها بزهرة جميلة لتبيعها للمليونير الذي ارسلته اليها السماء .. ولكنه يصطدم باليد الممدودة وتسقط الزهرة على الارض ، وتضطرب الفتاة وتنحني تبحث عن زهرتها فلا تجدها .. ويكتشف المليونير الصعلوك ان بائعة الزهور عمياء لاترى !

ويعود اليها ، ويرفع قبعته تحية واحتراما ، ويتطلع الى وجهها الجميل في حزن شديد ، ثم يضع في يدها آخر قطعة نقود كان يحملها ، ويمضي في طريقه ..

ولكن صورة بائعة الزهور تظل تطارده وتعيش في مخيلته .. وفي اليوم التالي يجد نفسه عائدا اليها ليشتري زهرة .. ويدرك الصعلوك مايدور في رأس الفتاة الحلوة انها تعتقد انه مليونير ، ويسبب له هذا الاعتقاد قلقا ، ولكنه لايجد الشجاعة لكي يقول لها الحقيقة !

زهرة كل يوم

ويمضي في رحلته كل يوم الى المكان الذي تقف فيه فتاته الجميلة ويقف برهة يحدثها ويستمع اليها ثم يشتري زهرة ويتركها مودعا .. الى أن كان أحد الايام التي التقى فيها الصعلوك بأحد اصحاب الملايين .. وكان سكيرا عربيدا ، ويعجب المليونير بصديقه الصعلوك ويغدق عليه من ماله .. ويسرع الشاب الى الفتاة الصغيرة بائعة الزهور ، ويشتري منها ماتحمل في سلتها الصغيرة ثم يصطحبها الى بيتها في سيارة فاخرة استأجرها خصيصا لها ، انه لم يعد الان في حاجة الى أن يشرح لها شيئا .. لقد اقتنعت تماما بثرائه !

ولكن الفتاة تختفي في اليوم التالي ، انها لم تعد تقف في مكانها مع الزهور في هذا الركن من الشارع حيث تعود ان يلقاها كل يوم .. ماذا حدث لها ؟

ويشعر بالقلق يحتويه .. ويسرع الى البيت الذي حملها اليه بالامس .. ويحاول أن ينفذ بعينيه من خلال نافذة حجرة نومها .. ويراها راقدة فوق فراشها وقد وقف الطبيب الى جوارها يتحدث اليها .. وتصل كلماته الى اذنيه .. انها تعاني من ضعف شديد نتيجة لسوء التغذية .. وهي في حاجة الى غذاء جيد من نوع خاص .

ويبحث الشاب عن صديقه المليونير ، ويجده ، ولكن بعيدا عن زجاجات الخمر التي يعب منها ويتحول معها الى رجل كريم عندما تلعب الخمر برأسه ويرفض أن يعطيه شيئا ! لابأس .. اذا لم يستطع أن يجد عنده مايحتاج اليه من مال ، فسوف يعتمد على نفسه .. وفعل ! عمل في كل مكان ، وفي أي شيء .. راح يكنس الشوارع بعد مرور هذا القطيع الكبير من الفيلة التي تعمل في سيرك المدينة .. ويعمل مساعدا لملاكم كبير محترف ، وكاد يلقى حتفه .. وينجح في جمع مبلغ كاف من المال ، وأسرع يشتري لصديقته ماتحتاج اليه من غذاء ثم حمله اليها ..

وتجلس الفتاة في فراشها تأكل في خجل ، ويمسك هو بالصحيفة التي أحضرها معه يقرأ لها آخر الاخبار .. وفجأة يقف عند خبر هام جدا : « طبيب اكتشف علاجا للعيون التي تعيش في الظلام . انه قادر على اجراء جراحة تعيد حاسة البصر ! » وصاحت الفتاة : لو أن هذا حدث لي ، فسوف اتمكن اخيرا من رؤيتك ! »

وحده في الشارع

ويترك الصعلوك الصغير بيت صديقته ،

ويترك قلبه معها ، ويخرج الى الشارع مهرولا وكلماتها ترن في أذنيه .. ويقول لنفسه : « لابد لها من أن تستعيد بصرها .. ! » ولكنه لايلبث ان يشعر بالخوف يحتويه ، ويتجهم وجهه ، فقد مر في رأسه خاطر ثقيل ، أحس معه بأن قدميه غير قادرتين على حمل جسمه النحيل .. « ترى كيف سيكون شعورها عندما تراني .. ؟ »

.. ان القدر يسوق صديقه « المليونير » في طريقه ، وكان ليلتها مخمورا ، وما كاد يلقى صديقه الصعلوك الصغير ، حتى أخذه بين ذراعيه واصطحبه معه الى قصره الكبير .. وهناك حانت الفرصة فجلس الشاب الحائر يروي قصة الفتاة الضريرة للمليونير الذي تنتابه موجة الكرم كلما لعبت الخمر برأسه .. ولم يكد الصعلوك ينتهي من روايته حتى أسرع المليونير يقدم له مبلغا كبيرا من المال يكفي نفقات الجراحة ويزيد .. ولكن كل شيء لايلبث أن ينقلب رأسا على عقب .. لقد تمكن اللصوص من اقتحام بيت المليونير ، ووصلوا اليه واختفوا وراء الستائر .. وعندما ظهر المال انقضوا على المليونير وصديقه الصغير للاستيلاء عليه .. ولكن المتشرد الذكي كان اسرع منهم ، فقد هرب من البيت واطلق ساقيه للريح .. واللصوص وراءه في مطاردة لم تلبث أن انتهت عندما وقع الشاب في أيدي البوليس وقد أطبق بيده وبقوة على المبلغ الذي قدمه له صديقه المليونير .

- من اين جئت بكل هذا المال ؟

- قدمه لي المليونير صديقي !

في السجن

وسألوا المليونير .. ولكنه انكر انه اعطاه مالا .. وأكثر من هذا ، فقد أنكر انه قد رأى هذا الصعلوك أو عرفه في يوم من الايام ! فقد كان الرجل قد أفاق من سكرته .. وعندما يفيق ينسى كل شيء يحدث له مع الخمر وهي تلعب برأسه !

ولكنه الصعلوك الصغير يستميت في محاولته للاحتفاظ بالمال الذي اعطاه له المليونير ، فيصل الى مفتاح الضوء ويطفيء النور ، ويغرق المكان في الظلام ويحدث هرج ومرج .. ويهرب هو والمال في يده ، ويصل اخيرا الى بيت صديقته بائعة الزهور ، ويعطيها المبلغ ويوصيها باجراء العملية الجراحية في أقرب وقت ، ثم يؤكد لها أنه سوف يعود قد يستغرق هذا بعض الوقت ، ولكنه سيعود اليها حتما ، أما الآن فلابد له أن يذهب ..

ويخرج الى الشارع ويقع في أيدي البوليس .

وتمر الشهور .. ويأتي الخريف .. وتمتلىء الطرقات باوراق الشجر الجافة ويخرج الصعلوك من السجن بعد قضاء مدة العقوبة التي حكموا عليه بها .. انه يشعر بالبرد .. فقد أصبحت ملابسه خرقا بالية .. وأخذ يبحث عنها في المكان الذي لقيها فيه حيث كانت تقف بزهورها الجميلة تبيعها للناس .. ولكنه لايجدها .. ويذهب الى بيتها ويعلم أنها تركته منذ وقت طويل .. انه تعس لايعرف الى أين يذهب ، ولا ماذا هو فاعل ؟

ربما كانت على بعد خطوات منه ، وهو لايدري .. كان يحدث نفسه وقد كانت الفتاة الصغيرة بالفعل قريبة منه .. أقرب مما كان يتصور .. لقد عولجت .. استعادت نور عينيها ، والتحقت بالعمل في أحد المحلات الفخمة لبيع الزهور ، وكانت هي الاخرى تبحث عنه .. ولكن كيف لها ان تعرفه وهي لم تره مرة واحدة وسط الظلام الذي كانت تعيش فيه .. كل الذي كانت تفعله ، عندما يدخل شاب وسيم المحل لشراء باقة من الزهور ، أن تقف في مكان معين بحيث تتأكد أن عينيه لن



تخطئها .. فهو الذي يعرفها وهو الذي سيتقدم اليها ويقول لها « أنا هو .. أنا صديقك الذي وعدك بأن يعود اليك ! » وكانت تشعر بأن قلبها يقفز من بين ضلوعها امام نظرات البعض منهم .. ولكن سرعان مايتحولون عنها ويخيب أملها !

ويهيم الصعلوك على وجهه في شوارع المدينة .. وتقوده قدماه اخيرا الى محل الزهور الذي تعمل فيه صاحبته .. وتحدث مشادة بينه وبين صبي صغير يبيع الصحف ، فقد حاول أن يسخر منه ، ويثور الصعلوك ويصيح في وجه الصبي في محاولة لاسترداد كرامته .. ويصل صوته اليها ، فتقترب من نافذة المحل الزجاجية .. ترى مايحدث أمامها .. المهرج يحاول أن يلقن الصبي درسا في الأدب ، ولكنه يبدو أكثر تهريجا .. وتبتسم !

اللقاء

ويلمح المهرج الوجه الجميل ويشعر بقدميه تتسمران في الأرض .. وتهمس الفتاة في أذن احدى زميلاتها وكانت هي الأخرى قد جاءت ترقب المشهد الهزلي :

« لقد غزوت قلبه .. هل ترين نظراته الرقيقة ! » .. ولكنها تترك مكانها مسرعة وقد حملت بين اصابعها الرقيقة احدى الزهور الجميلة وتتجه اليه .. ويسرع الصعلوك

صورة المهرج الذي أضحك الناس ، ولكن كان له أيضا مواقف هزت مشاعرهم ودمعت معها قلوبهم ... هكذا كان شارلي في أفلامه !

المسكين محاولا الابتعاد عنها ، ولكنها تجري وراءه وتلحق به . . ويطرق برأسه الى الارض في حياء شديد . . بينما تنهمك هي في تثبيت الزهرة في عروة سترته وقد انشغلت يدها الاخرى في دس قطعة من النقود بين يديه . . ولكنها لاتكاد تفعل حتى ينتابها الفزع . . انها تعرف هذه اليد التي لمستها لتوها . . انه هو . ! انه صديقها الذي أعاد اليها الحياة ثم اختفى عنها . . وتسأل : « أنت ؟ » ويهز الصعلوك رأسه ويتمتم في صوت ضعيف : « انت تبصرين الآن . ! »

ـ نعم . . واستطيع أن أراك !

ـ وتضغط على يده . . اليد التي طالما امتدت اليها حاملة قطع النقود الفضية والمال الذي انقذها من الحياة في الظلام . . ويقفان في مكانهما بلا حراك وقد تعلقت نظرات كل منهما بالاخر . . ويرفع المهرج اصبعه ويضعه في فمه ثم يعود ويطرق برأسه الى الارض ، وهو مازال يبتسم والزهرة بين أصابع يده الاخرى التي أفلتها من بين يديها . . وتنتهي القصة . . وشيئا فشيئا يخبو المشهد وهو يبتسم لها في خوف وأمل !

شارلي !

واحد من أروع المشاهد التي قدمتها السينما الصامتة منذ أكثر من ستين عاما . . أما بطل القصة التي تابعها الملايين على الشاشة ، فقد كان وقتها أشهر شخصية في العالم . . . . انه شارلي شابلن وقد كان هو المؤلف والمنتج والمخرج الذي استطاع أن يثير مشاعر الناس في كل مكان في أروع أفلامه الصامتة . « أضواء المدينة » . . انه أيضا شارلينو وكارلوس وشارلوت وكارلينو وكارلوس وكارليستوس وعشرات من الأسماء الأخرى التي أطلقوها عليه في بلاد العالم الواسع الذي كان يفخر بانتمائه اليه ، فهو انجليزي الأصل ، ولد في لندن يوم ١٦ ابريل عام ١٨٨٩ ، ولكنه كان يقول دائما : « الصدفة وحدها هي التي حملتني الى هذه المدينة الكبيرة التي ولدت فيها وذقت بين أزقتها مرارة الفقر والحرمان ! » .

لقد نشأ شارلي وسط والدين لازمهما الفقر ، كانا دائما قريبين من المسرح،الأم تغني ، والأب يقبض أجرها عن أدوارها على المسرح الغنائي ، ولكن المبالغ الصغيرة التي كانوا يدفعونها لها لا تبقى في جيبه أبدا ، انه يسرع بها الى أقرب حانة ليشتري بها خمرا يملأ به جوفه !

وتعلم شارلي الرقص والغناء قبل أن يتعلم المشي ! كان في العام الثاني من عمره عندما بدأت أمه تتحدث بزهو عن قدرته على التمثيل . . . وفي الخامسة ، ولأول مرة ، كان لقاء شارلي بالجمهور . . . فقد حدث أن نقلت الأم فجأة الى المستشفى لعلاجها من مرض طارىء ألم بها ، ودفع الاب بابنه الصغير الى المسرح . . . وراح الطفل الصغير ينشد الأغنية الوحيدة التي تعلمها ، فلما انتهى منها ، أخذ يعيدها مرة ثانية وثالثة . . وضج الجمهور بالضحك والملل ، فحملوه بعيدا عن المسرح وهو يبكي . !

قسوة الحياة

وقسا القدر على شارلي وشقيقه الأكبر سيد ، أكثر وأكثر ، عندما مات الأب وحملوا الأم في هذه المرة الى المستشفى بعد أن اشتد عليها المرض . . . ودخل الطفلان أحد ملاجىء الأيتام . . . . ولكن الأم ما لبثت أن استعادت طفليها بعد أن شفيت من مرضها ، وراحت ترعاهما من المال الذي كانت تقبضه ثمنا لحياكة ملابس النساء . . . . وأدخلتهما أمهما المدرسة ، وقضى شارلي عامين في مدرسته . . . . وقد كانت هذه الفترة هي كل عهده بالمدرسة والدراسة على مدى حياته الطويلة التي امتدت لما يقرب من التسعين عاما ، فقد تعلم شارلي في

« مدرسة الحياة » .

وفي يوم بارد ، عاد شارلي من مدرسته كما تعود أن يفعل ، وكان وقتها في السابعة ، ولكنه فوجىء بالبيت قد خلا تماما من الحياة .... من الصوت الحنون العذب الذي كان يستقبله عند عودته يوميا .. وقالوا له : « لقد اشتدت وطأة المرض على أمك المسكينة وحملوها الى المستشفى » .

مع أطفال ديكنز

ومنذ هذا اليوم التعس ، بدأ الطفل يعتمد على نفسه .. ولكن كيف وأين ؟ في الشارع عاش مشردا كما يعيش اللقطاء ، واحد من أطفال تشارلز ديكنز في قصته « أوليفر تويست » وقد كان لهذه الفترة تأثير واضح على شخصيته .... ومن حياة الشارع التي ظلت تعيش معه وفي رأسه لسنوات طويلة بعد ذلك ، استوحى فكرة قصته « الصغير » التي قدمها للشاشة الصامتة بعد ذلك بعشرين عاما ... وفيها يصور شارلي الصداقة التي نشأت بين طفل شريد وصبي لقيط في شوارع لندن !

في عام ١٩١٣ كانت بداية رحلته الى العالم الجديد .... الى أمريكا ، وكان وقتها في الرابعة والعشرين من عمره ، ولم يذهب اليها وحده ، فقد رافقه شقيقه سيد الذي قرر أن يعتزل حياة البحر ويقوم بهذه المغامرة مع أخيه ، هناك ومع شركة « كيستوف » للانتاج السينمائي ، كان لقاء شارلي لأول مرة مع الشاشة ... وهناك أيضا ولدت الصورة التي اشتهرت في العالم كله .... صورة الصعلوك الصغير بسرواله الواسع وحذائه الكبير وسترته الضيقة وقبعته وعصاه الشهيرة ، وأخيرا ملامح وجهه الغريبة التي تختلف تماما عن وجهه الطبيعي .... وربما كان أبرزها شاربه الاسود الذي يشبه فرشاة الأسنان ! وقد بقيت هذه صورته التي عرفه بها الناس لمدة تزيد على ربع قرن .... صورة « الجنتلمان » الممزق أو الارستقراطي الذي سقط في قاع الفقر ... وهي الشخصية التي حرص شارلي أن يقدمها للملايين في أكثر من مائة فيلم صامت .

في الطريق الى القمة

كان نجاحه في العالم الجديد مذهلا ، فقد كان يقفز درجات السلم الى القمة بسرعة هائلة .... وبدأ بأجر لا يزيد على الخمسين دولارا في الأسبوع ... ثم قفز الى ١٢٥٠ دولارا ثم الى عشرة آلاف دولار في الاسبوع ، ولم يكن وقتها قد جاوز عامه السابع والعشرين .

ولكن هذه الثروة الهائلة المفاجئة لم تغير من شخصية الفنان الرقيق ، فقد بقي كما هو الصعلوك الذي يعتز بكرامته .... وكانت هناك لحظات تمر به في حياته وهو يمضي في طريقه الطويل نحو المجد الذي صنعه بكفاحه وحده ... لحظات كان يشعر فيها بالكراهية لكثير من مظاهر الحياة الزائفة من حوله ، أو بالزهو والفخر لما حققه من نجاح وأخيرا بالحب الذي افتقده !

تزوج لأول مرة من الممثلة الناشئة ميلدريد هاريس وشيد لها بيتا في هوليوود وصفه أحد الصحفيين بقوله : « لقد كان البيت سيمفونية من اللافندر » ! ولكن السيمفونية ما لبثت أن أصبحت نشازا ، فقد حملت ميلدريد ووضعت مولودا جميلا ، ولكنه لم يعش ... لقد مات « الفأر الصغير » بعد ولادته بثلاثة أيام ، ومات حب شارلي لزوجته مع المولود الجديد .

في عام ١٩٢١ ، قدرت ثروة شارلي بحوالي مليون دولار ، جمعها من فيلمه « الصغير » الذي يحكي مأساة حياته في الشارع وفي هذا العام قرر أن يزور لندن لأول مرة بعد رحيله عنها منذ

ثماني سنوات .... كانت زيارة عاطفية خرج فيها الالوف في كل بلد حطت فيها السفينة التي تقله ، لاستقباله وتحيته .... وأحس بالدفء يملأ قلبه اليتيم التعس .. وهو دفء لم تصنعه به ملايينه .... وقد روى تفاصيل هذه الرحلة في كتابه « رحلتي عبر البحار » .

كان يبحث عن نفسه ؟

وفي « البحث عن الذهب » وصل شارلي الى القمة وكانت أمريكا كلها مجنونة بالبحث عن المعدن الاصفر الثمين حيث قال هو عنه : « أريد أن يذكرني الجمهور دائما من خلال دوري في هذا الفيلم » ... وقد بلغ دخله منه أكثر من مليوني دولار .

وتزوج للمرة الثانية في عام ١٩٢٤ ، وكان زواجه « كارثة » وأنجب من زوجته التي اختارها وكانت أيضا ممثلة تدعى ليتا جراي في السادسة عشرة ، ولدين هما تشارلز وسيدني .... ولكن الزواج رغم هذا كان فاشلا قبل أن يبدأ ... وانتهى بالطلاق .

وعندما بدأ في تصوير مناظر فيلمه « أضواء المدينة » قال : « انني أحاول أن أجد نفسي وأن أجدها في هذا الفيلم ... » وقد وجد نفسه ولكنه لم يجدها ! فقد انتهت القصة دون أن يعرف الجمهور ماذا صنع البطلان ! وماتت أمه أثناء تصوير مناظر الفيلم ، وكان شارلي قد جاء بها من لندن لتعيش معه في عالمه الجديد .... وصدمته وفاتها صدمة قاسية وأصيب بحالة اكتئاب لازمته وقتا طويلا حتى خيل لأصدقائه انه لن يعود مرة أخرى الى الشاشة ... وحمل شارلي أمه ووضع جثمانها بجوار « فأره الصغير » .. ابنه الذي فقده بعد ثلاثة أيام من ولادته !

ثم تزوج للمرة الثالثة من آلهة الحب كما كانوا يسمونها في هوليوود وقتها ، الممثلة بوليت جودار .... ومرة أخرى فشل الزواج ..

رحلته مع « أونا »

وأخيرا وعندما بلغ شارلي القمة ، وربما أيضا بداية رحلة شيخوخته فقد كان قد جاوز عامه الرابع والخمسين ، أحس بأنه قد عثر على ضالته ، وكانت أيضا فتاة صغيرة في عمر أبنائه وربما أصغر ، وكان اسمها « أونا » وهي ابنة الكاتب المسرحي الكبير « يوجين اونيل » .

وعاشت أونا معه رحلة العمر ، أعطته خلالها ستة أطفال ، ولد معظمهم في سويسرا التي اتخذ منها موطنا جديدا له ... هناك في مدينة صغيرة جميلة اسمها « فيفي » تبعد عن مدينة جنيف بحوالي سبعين كيلو مترا عاش شارلي أجمل سني عمره مع أونا وأطفاله الستة منها ، ومع ذكريات سني حياته الأولى مع الفقر والحرمان تلك التي تركت في قلبه جرحا بقي ينزف في هدوء طوال حياته .... وربما كان هذا الجرح هو السبب في ميله الى الاشتراكية ، أو الى اليسار الذي يعرفونه باسم آخر في البلد الذي جاء منه هاربا ... وهو الشيوعية . !

وهو لم يحاول يوما أن ينكر اشتراكيته ... ولكنه أنكر أنه يعمل ضد أمريكا ... وأنكر أنه شيوعي وعندما قالوا له : « اذن لماذا ترفض أن تحمل الجنسية الامريكية ؟ » قال : « لأنني مواطن عالمي ... أنا رجل أنتمي الى العالم كله ! »

في « فيفي » يرقد الصعلوك الفيلسوف في هدوء منذ أن رحل عن هذا العالم في اليوم الخامس والعشرين من شهر ديسمبر عام ١٩٧٧ .... وفي كل عام تزدحم المدينة بالألوف الذين يأتون لزيارة قبر شارلي الذي قال له تشرشل يوما : « أتمنى أن أضع لك تمثالا فوق ساعة بج بن ! » .

فقال له شارلي : « لا أظن انني سأكون سعيدا لأن دقاتها سوف تزعجني ! » ○

سوالف وحكايات البحر

في الكويت

بقلم : صفوت كمال

☐ تموج سوالف او حكايات البحر بالمواقف الدرامية العنيفة ، كما تفيض بالمقولات الاجتماعية والقيم الأخلاقية . وسوالف البحر هي حكايات لها واقعها وتعبر عن إرادة الانسان في مواجهة الأخطار .

تتنوع الحكايات الشعبية الكويتية التي ترتبط بحياة البحر في الكويت ، بين ما هو سوالف لها وجودها الواقعي ، وبين ما هو « حزاوي » تخرج من اطار الواقع الى مجال الخيال . أو تنأى عما هو حادث بالفعل الى عالم المحسوسات ويلعب فيه الخيال دورا كبيرا .

وحينما تخرج أحداث الحكاية من اطار ما هو ممكن حدوثه الى مجال ما لا يمكن أن يكون له وجود في الواقع ، تتحول الحكاية من سالفة الى حزاية .

فالسالفة هي رواية ما سلف ، وحكاية ما كان له وجود حقيقي في عالم الانسان فهي أخبار مما سلف وتقدم من أمر وخبر . ورواية قصة واقعية وحادثة السالفة .

وقد يكون الراوي شاهدها ، ان لم يكن بطلها أو أحد المشاركين في أحداثها . والراوي لمثل هذه السوالف ، هو في الواقع ، يروي ما حدث ، أو يقص ما عرف دون اضافات من خياله . وانما يصوغ ذلك فنيا ، ليجذب انتباه السامعين . فاذا لم يوفق في ذلك ، أو لم يستطع اقناع سامعيه بما يرويه ، كان حديثه بلا سالفة وليس عنده سالفة . أي أن ما يقوله هو قول بلا معنى ، وحديث بلا منطق ، ورواية شيء من خيال ، أو أنه يقص حزاية من الحزاوي ، مما هو حديث عجائز ، أو حديث خرافة ليس له واقع في الحياة .

الحزاوي

ولفظ حزاية في اللهجة الكويتية يطلق على نوع من الحكايات الشعبية ذات الطابع الخيالي سواء في صوغ أحداثها أو تكوين شخصياتها . . .



وقد يكون لفظ حزاية مشتقا أصلا من اللفظ الفصيح ، الحزو . أي التكهن والتخمين . . فيقال حزا الشيء أي قدره تخمينا . أو من تحزى ، أي تكهن .

ويقال : كان لفرعون حاز . . أي كاهن . كما أن ما يروى عن الملك خوفو أنه كان يحب الاستماع الى رواة الحكايات في اثناء اشرافه على بناء الأهرام . . وفي اللغة أيضا يقال . . الحزاء أو الحازي . . أي من يحزر الأشياء ويقدرها ظنا . ويطلق لفظ الحزاية في البحرين على الغطاية أو الفزورة وليس على مجرد الحكاية الخيالية كما هو في اللهجة الكويتية . . وكلا المعنيين يتفقان مع التفسير اللغوي للفظ ، حزا . .

والحزاية وجمعها الحزاوي يطلق بصفة عامة في اللهجة الكويتية على حكايات الجان وما ترويه العجائز للأطفال أو الكبار من حكايات للتسلية ، أو للتوعية بأحداث الزمان . . لذا يغلب على الحزاوي ، بصفة عامة ، طابع الحكايات الوعظية . . بما تحمل تلك الحكايات من اثارة روح الأمل ، ودوافع الخير في نفوس السامعين لها وتحذر من مغبة الشر وفعله .

وعلى أية حال فان الحزاوي هي شكل من أشكال الحكايات الشعبية ، من حيث هي ابداع فني أدبي له وجوده المتميز في فنون الأدب الشعبي .

وتتميز الحزاوي بصوغها الفني ، وبما تتضمنه من عناصر الخيال والموروث الثقافي ، مع عناصر من الواقع . كما تحتوي على عناصر أسطورية وبقايا المعتقدات الخرافية . . وتتلاقى تلك العناصر كلها في بنية الحكايات الشعبية أو الحزاوي كما تجمع أيضا في بنائها الفني بين قدرة الانسان الفنان على تجريد الواقع والتفسير الذاتي لبعض مظاهر الحياة وظواهر الكون والطبيعة وبين ابداع شخصيات وأحداث خيالية . كما أن الزمن في الحزاوي هو زمن من الماضي . . ليس له تاريخ . . وأحداثها كانت فيما مضى من الأيام وسالف العصر والأوان . ودون تحديد مكان . . في حين أن السوالف تحمل معالم محددة . . وتواريخ مؤكدة . . وأماكن لها وجود ، بل وشهود على ما حدث .

سوالف البحر

وتحفل سوالف البحر برواية أحداث ومغامرات وغرائب، تجعل السامع لها ممن لم يعايش تجربة العمل في البحر يفترض أنها حزاوي وحكايات من ابداع الرواى . . وليست من واقع الحياة . .

فقد يسقط البحار من على ظهر السفينة في ليل حالك الظلمة ، قاسي البرودة ، شديد الرياح ، عنيف الموج . ويظل البحار يصارع الموج ، والموج يصرعه . . وقد يواجه الغواص في أعماق البحر الهادىء « الجرجور العنيد » من سمك القرش المفترس الذي يسعى الى قضم فخذه ، فيحاوره الغواص النبيه ، الى أن ينقذه زملاؤه ويصعد الى سطح السفينة سالما . . وقد يلحق به « القرش » فلا يتركه الا جثة هامدة أو بالادق نصف جثة ، بعد أن يلتهم نصف جسده في قضمة واحدة . . وقد ينجو البحار وآثار أسنان القرش الشرس على رجليه . . وكلها حكايات يرويها البحارة بأسماء أصحابها . . وأماكن حدوثها . . وزمان وقوعها . تحمل في بنائها الفني تصويرا دقيقا لموقف الانسان تجاه تجربة الحياة في البحر . . بما تحمل تلك التجربة من وصف لقدرة الانسان على مواجهة المجهول . . وبما في هذا المجهول من مجابهة درامية . . قد تتحول الى مأساة . . أو تنتصر فيها ارادة الانسان بقدرته على تحمل الصعاب أو بمهارته في معرفة أسرار البحر . . أو بذكائه التلقائي وخبرته المتوارثة أو بما عرفه وتعلمه من فنون الملاحة مع ما ترسب في وجدانه من قيم انسانية نبيلة . . أو بما يتميز به البحار من شجاعة وشهامة الرجال . .

الغواص وسمكة القرش

ومن سوالف البحر ما يحمل قصصا لأحداث واقعية ، تظهر فيها عزيمة الرجال وارادة الانسان وقدرته على تحمل الآلام .. وتكون ارادة الانسان وذكاؤه هما السبيل لانقاذ حياته ..

فتروى احدى السوالف ما حدث لأحد نواخذة السفن الكويتية « العدان » التي لا يزيد بحارتها عن سبعة أشخاص .. أن هذا النوخذا كان يغوص في موضع من مواضع الغوص يسمى « دوحة الرزق » ، ويبعد عن الكويت بحوالي سبعة وثلاثين ميلا بحريا الى جهة الجنوب . فشاهد هذا النوخذا وهو على سطح السفينة محارة بقاع البحر تلمع من خلال الماء الصافي .. فنزل الى الماء واقتلعها . ولكن .. حدث في أثناء عودته الى السفينة ، أن أحس بسمكة من نوع القرش قد ابتلعت نصفه الأسفل .. وقضمت عليه بأنيابها .. فتمالك ارادته وضبط أعصابه .. وسكن في مكانه لا يأتي بأي حركة ، وألقى اليه من السفينة بخشبة (مردي) طويلة يمسكها .. ففعل .. وأمسك بها جيدا ..

طلب من رفاقه على السفينة أن لا يسحبوه من الماء . وبعد فترة تخلت السمكة عنه .. وقد يكون سبب تركها له ، أنها شعرت ببقع الدم في الماء .. فظنت أن هناك شيئا يؤكل غيره .. فتركته بحثا عن ذلك .. وما كاد البحار يشعر بابتعاد السمكة عنه ، حتى طلب من رفاقه سحبه الى السفينة . فرفعوه الى السفينة وحملوه مسرعين الى الكويت .. وقد تبين أن السمكة قد مزقت لحم فخذيه ، وبقي تحت العلاج مدة تزيد على أربعة أشهر حتى شفي من جراحه . ولكن ظلت أسنان السمكة القرش الجرجور،ظاهرة في رجليه وتؤثر على حركته في المشي .

في أمريكا

هذه القصة الواقعة « السالفة » التي يرويها البحارة في الكويت ، وبما تحمل من موقف درامي يدور فيه الصراع بين الانسان وسمكة القرش .. هذه القصة نجدها تتكرر بشكل مماثل ، في عامنا هذا ١٩٨٣ ، لا بالقرب من شواطىء الكويت ولكن على مقربة من شاطىء « بيرل هاربر » في شمال كاليفورنيا .. فقد حملت وكالات الأنباء في صباح يوم الاثنين ٧ / ٣ / ١٩٨٣ ، فيما ترويه من أخبار قصة الغواص الأمريكي « مايكل هيردر » التي يروى فيها كيف أنه كان يغوص على عمق ١٥ قدما بالقرب من شاطىء بيرل هاربر ، فاذا به يشعر بشيء مريب يمسك به ... « وقفز قلبي من شدة الخوف .. وصرخ عقلي .. يا إلهي .. ماذا يحدث ؟! » ويكمل مايكل هيردر « حديثه قائلا : « ثم شعرت بأسنان حادة كالموس تعض فخذي اليسرى . وأدركت جيدا أنني وقعت بين فكي سمك القرش المفترس .. وأدركت بعد ثوان قليلة بأنه غير عادى . فأنا مختص بالأحياء البحرية . وقد درست القرش لعدة سنوات .. وأدركت من حجم فكه بأني في قبضة النوع الأبيض الذي يستطيع قضم الفولاذ بأسنانه .. وأخذ المخلوق الضخم يهزني كدمية من الخرق . وأدركت أن الموت صار قريبا مني .. لأن أسنانه تقطع اللحم والعظم بسرعة كمشرط الطبيب .. » ويصف مايكل هيردر مشاعره ودعاءه لربه .. قائلا : « وفجأة .. استجاب الله لدعائي .. وأطلقني الوحش من بين فكيه .. وابتعد عني .. ونظر الى على بعد بوصات قليلة من وجهي .. وكان بكل تأكيد من النوع الأبيض ، ويبلغ طوله أربعة عشر قدما ويزن حوالي ثمانمائة رطلا تقريبا .. وقد شعرت برعب قاتل .. وهو ينظر الي .. وكان الماء أحمر من لون دمي .. وببطء .. ابتعد عني .. وعلمت أنه قد يعيد الكرة الى . فجمعت كل طاقتي ، وخرجت الى سطح الماء .. وصرخت بأعلى صوتي ، فهب أصدقائي لنجدتي .. وأخرجوني من الماء ..

وهكذا عشت بعد هجوم أقوى الأسماك وأشدها افتراسا . وشكرت الله على هذه المعجزة » .

وهكذا ينتهي حديث ما يكل هيردر كما قدمناه في ايجاز . بما يحمل هذا الحديث من وصف واقعي لمجابهة الانسان للموت متمثلا في سمك القرش المفترس .. هذا الحديث الذي تناقلته وكالات الأنباء العالمية ، هو حديث لو ورد على لسان السندباد أو حكايات سيف بن ذي يزن أو مما يروى عن مغامرات البحارة العرب في سالف الزمان .. ما صدقناه .. وظننا أنه من نسج الخيال الذي يضفي على الأبطال خوارق ومعجزات .. ولكنه حدث له وجوده .. وهو واحد من أحداث وسوالف وقعت بالفعل ، لها وجودها فيما يردده البحارة من أبناء الكويت عن تجارب واقعية ، وأحداث درامية غفل عنها كتاب الدراما فيما قدموه من صور مسرحية أو روائية عن حياة البحر .

وما تتضمنه حياة البحر .. من مشقة وعناء . فاكتفوا بواقعها الاقتصادي أو تناقض علاقاتها الاجتماعية ، دون انتباه كبير الى موقف الانسان نفسه مع المجهول في أعماق البحر أو خارجه ، من عواصف تكشف عن معدن الرجال .. واصرار الانسان على أن يجتاز ما يواجهه من صعاب .. والتزامه بشرف الكلمة أو واجب الأخاء .. ومسؤولية الأمانة ..

مسؤولية الأمانة

سالفة أخرى من سوالف البحر .. وما أكثر سوالف البحر وحوادثه .. تروى هذه السالفة ما حدث منذ أكثر من خمسين عاما .. ففي عام ١٣٤٧ هـ تقريبا واجهت عددا من السفن الكويتية ، قبل بدء موسم « القفال » نهاية الغوص والعودة الى الكويت .. واجهت هذه السفن عاصفة هوجاء .. واستمرت تلك العاصفة ثلاثة ايام بلياليها .. ولجات السفن الى « قطعة بوعصية » يحتمون فيها .

وقطعة أبو عصية ، هي مكان لمغاص اللؤلؤ .. ويوجد به « قطعة » أي صخور تصد الأمواج ، وتحمى السفن الى حد ما من عنف وشدة الموج .. كما يطلق أيضا لفظ القطعة ، على الصخور الكامنة في قاع البحر ، والتي لا يوجد عليها من الماء ما يكفي لمرور السفن من فوقها ..

وتورى السالفة بواقعية أحداثها ، أن البحارة ظلوا يقاومون تدفق المياه بصبر وجلد طيلة سواد الليل ، حتى اذا أشرق الصباح انسلوا بسفنهم من وجه العاصفة .. غير أن واحدا منهم خاف على سفينته من العاصفة ، نظرا لأنها كانت سفينة صغيرة .. وخشي عليها من المخاطرة بالابحار وسط العاصفة .. وبخاصة أن موسم الغوص كاد أن ينتهي وسوف يعودون الى الكويت .

ولكن العاصفة لم تهدأ ، بل زادت حدتها .. فطلب من بحارة سفينته أن يتركوا السفينة ويسبحوا الى السفن القريبة ، ويبحروا معها فهي أكبر حجما ، وأشد جلدا على العاصفة .

فطلب منه البحارة أن يسبح معهم .. ولكنه رفض .. لأن معه على السفينة غلام صغير ، هو ابن أحد البحارة ولا يجيد السباحة .. وقال للبحارة ... لا أستطيع مغادرة السفينة . ان في أمانتي هذا الغلام ، وهو لا يجيد السباحة .. وقد صممت على أن أبقى معه .. حتى نموت معا .. أو ننجو معا ..

شجاعة ووفاء

استثار كلام هذا النوخذا مروءة وشهامة البحارة ، فاعتصموا هم أيضا في السفينة يبذلون كل ما يستطيعون من جهد في الحفاظ عليها .. ولكن بحارا واحدا عزت عليه حياته ، وهو يرى ما يواجه السفينة من صعاب .. فترك السفينة

وسبح الى احدى السفن القريبة وركب فيها ..
ظلت السفينة وحدها .. تجالد الأمواج وتقاوم العاصفة في هذه القطعة « قطعة بو عصية » .

وبعد أن هدأت العاصفة في ثالث يوم من أيامها .. خرجت سفن الغوص تبحث عن تلك السفينة .. فلم تقع لها على أثر في مكانها المعهود .. وبعد بحث - هنا وهناك - وجدوها غارقة محطمة . ووجدوا جثث بحارتها مع نوخذا السفينة طافية على الماء .. وكان عددهم تسعة لم ينج منهم أحد ، سوى البحار الذي سبح الى سفينة أخرى ..

وحينما يتذكر البحارة حادثة هذه السفينة ، وما كان يتصف به هذا النوخذا من شجاعة وكرم ، وأدب وحس شاعري .. تترى على الذاكرة أيضا ، قصة سفينة أخرى واجهت نفس العاصفة ، وكادت أن تواجه نفس المصير ..

فقد غرقت في نفس الوقت سفينة أخرى كبيرة من نوع « البوم » ، لا يقل عدد بحارتها عن خمسة وثمانين بحارا .

وقد ظل هؤلاء البحارة يسبحون حول سفينتهم الغارقة وسط الموج الثائر ، ويقاومون الريح العاصف .. الى أن مرت بالقرب منهم سفينة حاولت انقاذهم ، ولكنها لم تستطع الوقوف من شدة العاصفة ..

شجاعة ربان

ومضت تلك السفينة فأيقنوا الهلاك .. حتى أن واحدا منهم مات من شدة اليأس وخيبة الأمل في أن ينقذهم أحد من هذا الهلاك ..

وظل الباقون يكافحون بشدة .. ويصارعون الموج بثبات .. الى أن لمحتهم سفينة غوص .. وكان عليها ربان يشتهر بالجرأة والشجاعة .. وشاهدهم قبطان هذه السفينة عن بعد .. فخاطر بسفينته في سبيل انقاذهم .. وفعلا سعى اليهم .. وألقى المرساة في الماء .. وظلت سفينته تتمايل على وجه الماء ، يغمرها الماء من كل جانب .. وهو مصر ومجد في انقاذهم ..

وتتابع أحداث هذه السالفة ، فتروي كيف أن هذا الربان بشجاعته واصراره على مواجهة الصعاب ، حاول هو ومن معه من بحارة سفينته انقاذ السفينة الغارقة بعد أن أنقذ بحارتها .. اذ ألقى اليها مرساة كي تحفظ توازنها في مكانها الى أن يهدأ البحر ثم يستأنف انقاذها .. الا أن البحر الغاضب قطع حبل المرساة ، وحطم السفينة ... فحال ذلك بينه وبين انقاذ السفينة ..

وعلى الرغم من وفاة هذا « النوخذا » منذ أكثر من ثلاثين عاما الا أن ذكراه ما زالت حية ، ماثلة في مخيلة كل من عرفه .. وسوالف شجاعته هي حديث لذكريات الماضي ..

سوالف وذكريات

وهكذا تتناقل السوالف قصص ومغامرات البحارة بكل واقعية وصدق .. مع ما تحمل تلك السوالف من تصوير لمواقف درامية عايشها الانسان في رحلات السفر أو رحلات الغوص .. أليس ركوب البحر في حد ذاته .. هو موقف درامي ؟!

رؤى المستقبل

وكم من سوالف تروى .. وحكايات تقال .. لم تجد بعد ، أديبا أو فنانا عربيا ينقلها من عالم الذكريات .. الى عالم الفن برؤاه الرحبة .. وتفاعله مع رؤى المستقبل الواعي بقيمة الانسان .. دون محاكاة أو تقليد للابداع اللاعربي ، وسبحان الذي خلق الانسان .. وعلمه البيان . ○

حل مسابقة العدد

• ٢٩٨ •

الحل :

١ ـ النمسا	٢ ـ تشيكوسلوفاكيا	٣ ـ رومانيا
٤ ـ بولونيا	٥ ـ فنلنده	٦ ـ المانيا الغربية
٧ ـ السويد	٨ ـ يوغوسلافيا	٩ ـ البرتغال
١٠ ـ المجر	١١ ـ هولنده	١٢ ـ بلجيكا

الجوائز الثلاث الاولى

الاولى : السيد حداش أحمد / ٣٨شارع محمد بوروبه / الحراش/ الجزائر
الثانية : نهاد كامل هنداوي / الكويت
الثالثة : خالد فهد الشبلى / بدراسا/ باريناس/ فنزويلا .

الجوائز الثمانية التشجيعية

١ ـ المهندس / عزالدين بشرى محمد خير / محطة الاقمار الصناعية بأم حراز ـ الخرطوم/ السودان .
٢ ـ محسن الشيخ آل حسان / ٢٦٠١باركاي /فيلادلفيا / الولايات المتحدة .
٣ ـ عثمان محمد / حي بوجدود / الزنقة ٥/رقم ١٢ / الدار البيضاء٠٣/ المغرب
٤ ـ يونس عبد القادر حافي / ص ب . ٢٣١٣ بريد المهاجرين / عمان/ المملكة الاردنية الهاشمية
٥ ـ محمد مصطفى السمرى / طالب بكلية الطب / ٢٠ شارع سوهاج / الابراهيمية/ الاسكندرية / جمهورية مصر العربية .
٦ ـ د . عبد المجيد حسن البلوشي / طريق ٢٧١٩ مجمع ٢٢٧ / منزل ٧٧/ البتين المحرق/ البحرين .
٧ ـ أحمد محمد خير مساعدة / ص ب ١٠٥٢١ خورفكان / الامارات العربية المتحدة
٨ ـ منى وحيد مناع/ الكويت .



السّعادة

قصة قصيرة للكاتب الفرنسي : جي دي موباسان

ترجمها عن الفرنسية : الدكتورعلي حسن تقي

[باريس]

كانت الساعة ساعة تناول الشاي قبل إدخال المصابيح . الفيلا تطل على البحر ، والشمس الآفلة قد صبغت السماء بلون وردي مصقول بالذهب ، ومياه البحر المتوسط ، بلا تجاعيد وبلا رعشة ، ملساء ناعمة عند النهار المحتضر ، لقد بدا البحر وكأنه صفيحة من المعدن المصقول لا حد لها .

من بعيد ، تمتد الجبال بوجهها الأسود على أرجوان الأصيل الأصفر . كانوا يتحدثون عن الحب ، يناقشون هذا الموضوع القديم ، كانوا يعيدون قول أشياء قيلت فيها قبل مرارا . كآبة الشفق العذبة لطفت الأحاديث وجعلت النفوس تفيض بالحنان وكلمة « حب » التي ترددت بدون توقف مرة بصوت أجش لرجل ومرة بصوت امرأة ذي نبرة خفيفة ، بدت وكأنها تملأ القاعة متنقلة هنا وهناك كالطائر ، حائمة كالروح .

هل من الممكن أن يحب المرء لمدة سنوات عديدة مستمرة ؟

ـ نعم ، قال البعض .

ـ لا ، أكد الآخرون .

وهكذا بدأ الجميع في تبين الحالات وتقرير الحدود وإعطاء الأمثلة ، والكل ـ رجالا ونساء ، ـ طافحون بالذكريات البارزة والمقلقة والتي لا يستطيعون ذكرها بالرغم من أنها على الشفاه ، متأثرون ... تحدثوا عن هذا الشيء العادي ... عن هذا الوفاق الرقيق والخفي لشخصين ... تحدثوا بتأثر عميق وباهتمام حار .

ولكن فجأة صاح شخص ركز عينيه على شيء بدا له من بعيد ،

ـ آه ! انظروا ، هناك ، ما هذا ؟

في البحر على الأفق برزت كتلة رمادية كبيرة وعائمة .

قامت النساء وأخذن ينظرن دون أن يميزن هذا الشيء الغريب الذي لم يرينه من قبل .

شخص ما قال :

ـ هذه جزيرة كورسيكا ! من الممكن رؤيتها هكذا مرتين أو ثلاثا في السنة في ظروف جوية استثنائية ، عندما يكون الهواء صافيا تماما بحيث لا يخفيها ضباب البخار الذي يحجب دائما الأشياء البعيدة .

لقد ميز الجميع قمم الجبال واعتقدوا أنهم رأوا الجليد على هذه القمم . الكل بقي

مندهشا ، قلقا ، خائفا من بروز هذا العالم المفاجىء . . . هذا الشبح الخارج من البحر . ربما انتابتهم رؤى غريبة كتلك التي جعلت البعض يبحر ، ككريستوفر كولومبوس ، عبر المحيطات غير المعروفة .

عندها نطق رجل عجوز لم يتحدث حتى الآن :

- اسمعوا ، لقد عرفت في هذه الجزيرة البارزة أمامنا كأنها تريد أن تجيب بنفسها على ما قلناه ، عرفت مثالا جيدا للحب الدائم ، للحب السعيد .

واليكم القصة :

لقد قمت قبل خمس سنوات برحلة الى كورسيكا . هذه الجزيرة المتوحشة هي أبعد وأكثر جهلا لنا من أميركا بالرغم من أننا نستطيع أن نراها بعض المرات من شواطىء فرنسا كما هو الحال اليوم .

هل تتصورون عالما ما يزال يعيش في الفوضى ، عاصفة من الجبال تفصلها وديان ضيقة حيث تجري السيول الجارفة ، ليس هناك سهل واحد ولكن قفار من الصوان وتماوجات عملاقة من الأرض المغطاة بالادغال وبغابات البلوط والصنوبر . إنها أرض بكر ، بور ، قفر ، بالرغم من أنه من الممكن أحيانا رؤية قرية شبيهة بكومة من الأحجار معلقة على قمة جبل . ليست هناك أية زراعة أو أية صناعة أو أي فن . لا تجد مطلقا قطعة من الخشب عملت فيها يد الانسان أو قطعة من الصخر منحوتة ، ليس هناك أية ذكرى للذوق البريء المهذب للأجداد . انه بعينه الشيء الذي يلفت النظر ! عدم الاكتراث الوراثي لكل ما يمت الى الفن بصلة .

إن إيطاليا حيث كل قصر يمتلىء بالروائع الفنية ، نجدها تحفة رائعة فنية بنفسها ، حيث الرخام والخشب والبرونز ، والحديد ، والمعادن والاحجار تشهد على عبقرية الانسان ، وحيث الأشياء الصغيرة القديمة تنتشر في كل مكان وتشهد على الاهتمام الرباني بالجمال . إن إيطاليا هي لنا جميعا الوطن المقدس الذي نحبه لأنه يرينا ويثبت لنا قيمة الجهد والعظمة والقوة وظفر الذكاء الخلاق .

وأمامها ظلت كورسيكا كما كانت في أيامها الأولى . الفرد يعيش في بيته الفظ غير عابىء بكل ما لايمس وجوده أو خلافاته العائلية . لقد عاش بعيوب ومزايا الشعوب غير المثقفة ، فهو عنيف وحقود . ودموي بدون وعي ، ولكن بنفس القدر مضياف وكريم ووفي وساذج يفتح بابه لكل العابرين يمنحهم صداقته المخلصة لأقل علامة تعاطف .

خلال شهر واحد همت عبر هذه الجزيرة الساحرة باحساس من يقترب من نهاية العالم . ليست هناك أية فنادق أو مطاعم أو طرق . ومن خلال الدروب الضيقة التي تعبرها البغال يصل المرء الى الضياع المعلقة على حافة الجبال التي تطل على هاويات متعرجة حيث يسمع المرء في المساء صوت الوديان الأصم العميق . يطرق المرء باب أحد البيوت ويطلب مأوى لليلة وطعاما حتى الغداة ، حيث يجلس الى الطاولة الصغيرة وينام تحت السقف المتواضع ، وفي الصباح يصافح يد المضيف الذي يقوده حتى حدود القرية ويشكره ثم يمضي في طريقه . . .

في أمسية ما وبعد عشر ساعات من المسير وصلت الى مسكن صغير وحيد في نهاية واد ينتهي بعد فرسخ واحد في البحر . المنحدران



السريعان للجبل مكسوان بالأدغال وبصخور متهدمة وبأشجار ضخمة يحتجزان هذا الوادي الحزين كحائطين قائمين .

حول الكوخ هناك بعض الكروم وحديقة صغيرة وعلى البعد بعض أشجار الكستناء الضخمة وكل هذا يشكل ثروة في هذا البلد الفقير .

المرأة التي استقبلتني كانت عجوزا قاسية ونظيفة على غير العادة .

الرجل جالس على كرسي من القش ، وقف لتحيتي ثم عاد وجلس دون أن ينبس بكلمة . رفيقته العجوز قالت لي :

ـ انه أصم الآن . اذ له من العمر اثنين وثمانين عاما .

ـ ولكنك تحدثت الفرنسية بلهجة أبناء فرنسا .

وسألتها !

ـ ألست من كورسيكا ؟

أجابت

ـ نعم ، إننا من القارة . ولكن مضت علينا خمسون سنة ونحن نعيش هنا ،

لقد استولى علي إحساس بالقلق والخوف عندما فكرت في هذه الخمسين سنة التي مضت عليها في هذا الثقب المظلم بعيدا عن العمران حيث يعيش الناس . ويدخل راع مسن ونبدأ في أكل صحن العشاء الوحيد المكون من شوربة طبخت فيها معا بطاطا وشحوم وكرنب .

عندما انتهت الوجبة القصيرة ذهبت لأجلس أمام الباب وقلبي منقبض من كآبة المناظر الحزينة يحتضنني الضيق الذي يحتضن أحيانا المسافرين في بعض الأمسيات الحزينة وفي بعض الأمكنة القاحلة . يبدو للمرء أن كل شيء على وشك الانتهاء ، الحياة والكون وكل شيء . . . ويشعر فجأة ببؤس الحياة ويعزله الجميع وبوحدة القلب الذي يهدأ ويخدع نفسه بالأحلام حتى الموت .

انضمت الي المرأة العجوز يعذبها حب الاستطلاع الذي يعيش دائما في أعماق النفوس المستسلمة ، وقالت :

ـ اذن ، إنك آت من فرنسا ؟

ـ نعم ، إنني أسافر من أجل متعتي الشخصية .

ـ ربما تكون من باريس ؟

ـ لا ، إنني من نانسي .

لقد بدا لي أن شعورا خارقا للعادة قد تملكها . كيف رأيت ذلك أو بالأحرى كيف أحسست به لا أدري .

ردت بصوت بطيء !

ـ انك من نانسي ؟

وهنا ظهر الرجل عند الباب أخرس كما يكون الأصم .

عاودت المرأة :

ـ لا يهم . انه لا يسمع .

وبعدها بعدة ثوان :

ـ هل تعرف بعض الناس في نانسي ؟

ـ نعم ، كل الناس تقريبا .

ـ هل تعرف عائلة سانت ـ إليز ؟

ـ نعم ، جيدا ، انهم كانوا أصدقاء لأبي .

ـ ما هو اسمك ؟

ذكرت لها اسمي . حدقت في ثم قالت بذلك الصوت الخافت وهي تستعيد الذكريات :

ـ نعم ، نعم ، انني أتذكر جيدا . وعائلة البيزمار ، ماذا حدث لها ؟

ـ لقد توفي جميع أفرادها .

ـ آه ! وعائلة سيرمون ، هل تعرفها ؟

ـ نعم ، وآخرهم فريق في الجيش .

عندها قالت وهي ترتجف من التأثر أو من القلق لاأدري أية مشاعر انتابتها في تلك اللحظة وهي تعود الى تلك الذكريات التي احتفظت بها حتى هذا الوقت محبوسة في أعماق قلبها .

ـ نعم ، هنري دي سيرمون . انني أعرفه جيدا . انه أخي .

عندها رفعت عيني نحوها مذهولا ! وحالا عادت الي الذاكرة . إذن هذه هي . . . أخيرا أجدها تقف أمامي وجها لوجه . . .

لقد كانت قصتها فضيحة هزت اللورين . فتاة شابة جميلة وغنية ، سوزان دي سيرمون ، اختطفها صف ضابط من الفرقة التي يقودها

أبوها .

كان صف الضابط هذا شابا وسيما وابن فلاح لابسا الزي العسكري فتن ابنة العقيد . لقد رأته وأحبته عندما كانت تنظر الى استعراض السرايا بدون شك . ولكن كيف تحدثت اليه وكيف استطاع الاثنان اللقاء والاتفاق ؟ هذا ما لم يعرفه أحد قط حتى اليوم !

في احدى الأمسيات عندما انتهى الجندي من خدمته اختفى مع الفتاة . فتش عنهما الناس في كل مكان ولكن بدون نتيجة . حتى أن البعض عدّوهما من الموتى .

وهكذا أجدها من جديد في هذا الوادي المشؤوم . . . تقف أمامي وتحدثني .

عندها قلت لها بدوري !

ـ نعم اني أتذكر جيدا . إنك الآنسة سوزان . . . أنت سوزان أليس كذلك ؟

ردت بهزة من رأسها تعني بلى . ورأيت الدموع تسيل من عينيها .

عندئذ أشارت بنظرة الى الرجل العجوز الجامد على عتبة المسكن الحقير ، وقالت لي ! .

ـ بلى . . وهذا هو حبيبي !

ولم أكن في حاجة لأن أدرك أنها ما زالت تعيش قصة حبها القديم . . . ما زالت تنظر اليه بتلك العينين المفتونتين .

ـ هل كنت سعيدة معه ؟

أجابت بصوت قادم من القلب .

ـ أواه ! نعم ، جد سعيدة . لقد جعلني سعيدة جدا . لم أشعر بالأسف معه على شيء ما مطلقا .

تأملتها مذهولا معجبا بقوة هذا الحب ! هذه الفتاة الجميلة الغنية تبعت هذا الرجل هذا الفلاح الى آخر الدنيا . لقد أصبحت هي الأخرى فلاحة . عاشت معه حياته الخالية من المتعة ومن الترف ومن كل شيء . . . الا الحب . وهي مازالت تحبه . لقد أصبحت امرأة فظة تلبس قبعة الفلاحين وتنورة من الكتان . تأكل في صحن من الخزف على طاولة من الخشب جالسة على كرسي من القش تشرب حساء الكرنب والبطاطا والشحوم . وتنام أيضا على فراش من القش الى جانبه .

لم تفكر في شيء عداه ! لم تأسف على الحلي ، ولا على الأقمشة ولا على فخامة ورخاوة ودفء الغرف المغطاه بالمخمل ، ولا على نعومة الرياش حيث يغوص الجسد من أجل الراحة . لم تشعر بحاجة قط الى شيء من هذا كله ، ما دام هو هناك فانها لا ترغب في شيء مهما كان .

لقد تخلت وهي شابة ، عن الحياة ، عن العالم ، عن أولئك الذين ربوها وأحبوها وجاءت معه الى هذا الوادي الموحش . وكان هو كل شيء في حياتها ، كل شيء يمكن أن ترغب فيه امرأة .

لم تكن لتستطيع أن تكون أكثر سعادة .

وطوال الليلة جلست منصتا الى تنفس الجندي العجوز الخشن مستلقيا على سريره الحقير الى جانب تلك التي تبعته بعيدا ، أخذت أفكر في هذه المغامرة الغريبة ، وفي هذه السعادة التي ما زال قلب هذه المرأة ينبض بها !

وغادرت في صبيحة اليوم التالي بعد أن صافحت الزوجين العجوزين السعيدين .

* * *

وهناك ، في نهاية الأفق غاصت كورسيكا في الليل ودخلت في البحر وانحسر ظلها العظيم الذي ظهر كما لو أنه أراد أن يحكي بنفسه قصة الحبيبين المتواضعين . ○



لحظات من الزمن العربي

على رؤوسهم العمائم ، وفي خواصرهم الخناجر المقوسة .. خناجر عزيزة توارثوها عن الأجداد.

بقلم الدكتور محمد المنسي قنديل



من أين ينبع .. نهر الزمن العربي ؟

□ من جبال اليمن . أم من مفازات الربع الخالي . . من الأطلال التى بكيناها طويلا دون أن نفكر فى تعميرها . أم من الهجرات اللاهثة على وجه الصحراء بحثا عن الكلأة والامان . من آلاف الحروب القبلية الدامية بسبب ناقة ضالة أو بئر مالحة . . أم من ينابيع الحب عند العشاق العذريين . من تيه الصعاليك بحثا عن نسب ومضجع . أم من شطحات الصوفية وابتهالاتهم من أجل حلول لا يحل . من ترصد طالبي الثأر . . أم من سعي طالبي الخلافة .

كنت في زيارة قصيرة لليمن عندما دعاني مرافقي لزيارة مدينته . قال لي . . سوف تشاهد أغرب المدن الحميرية القديمة . وكان اليمن كله تجربة غريبة . . انه أقدم البيوت العربية ومع ذلك لا يتشابه في الأماكن مع أي مكان . ولا تفيد الكلمات في وصفه . كان الطريق شاقا وعرا . فالطريق الذى نصعد فوقه بشكل متحدرا قائما على الوادى السحيق . وأى عطل صغير بسبب السيارة التى تركبها يمكن أن يتسبب في سقوطها مهشمة . كنت أشعر بالخوف رغم محاولة مرافقي أن يطمئنني . فالسائقون في اليمن من أبرع السائقين في العالم . ولا بد أن حداة القوافل في الزمن القديم كانوا بنفس هذه البراعة . . وكان الطريق لا يكف عن الامتداد صاعدا كأنه يريد أن يصل الى قلب السماء . . أيُّ رغبة في السمو تلك التى دفعت بني حمير لارتقاء كل هذه القمم الوعرة ؟ . .

كانت المدينة شاهدا حجريا غريبا . . لا أدرى كيف لانت الصخور وتشكلت وأخذت هذا الطابع الانساني . كان سفح الجبل قد مهد وأصبح ناعما مكسوا بالحجر الأحمر . . وأوقف الدرب الضيق الذى يؤدى الى المدينة السيارة عن المرور . . كانت المدينة تريدنا بلا أى أداة اضافية . في بدايتها كانت هناك بوابة حجرية ضخمة ما زالت تؤدى وظيفتها منقوش عليها نقوش حميرية غامضة . وحين عبرنا هذه البوابة احتوانا عبق المدينة الخاص . . عدنا فجأة قرونا الى الزمن الماضي . كأن هذا الصعود الشاق الى قمة الجبل كان محاولة منا للتخلص من جاذبية الزمن المعاصر . والعودة الى خصوصية الزمن القديم عندما كانت السيادة للبشر والحجر . . دون وسيط .

هوس غريب بالنقش

تبدأ المدينة من دائرة صغيرة هي ساحة السوق . حيث تترامى حولها الحوانيت المعتمة رغم الشمس . . وأمامها يجلس التجار يبيعون المنسوجات والخناجر والتمر الجاف . . وتلتف البيوت في عدة دوائر حول هذه الساحة . كل دائرة تؤدى الى الأخرى . وكل دائرة تزداد ارتفاعا مع مدارج الجبل . تدفع داخلك احساسا غريبا بالألفة والتماسك . فالبيوت ترى بعضها البعض في ذات اللحظة ، والروح القبلية هنا استعانت بالأحجار لكي تصبح أكثر صلابة .

وتطويع الأحجار لم يتوقف عند حد البناء فقط . ولكن كان هناك هوس غريب بالنقش . فوق كل حجر . . وحول كل باب . . وفي اطار كل نافذة . . كأن المدينة كلها أيقونة حجرية كبيرة أخذت من عمرهم السنوات الطويلة لكي يتركوا هذه البصمات التى لا تزول . أحسست كأن المدينة تصرخ وسط هذا الصمت الجبلي الموحش . . تعلن عن الوجود البشرى بها . . كنا نطوف . . ونكتشف مع كل زقاق ندخله مفاجأة جديدة . . طاقة في جدار . . نافذة . . بابا خشبيا . . درجا . . كل منها مصنوع بعناية فائقة . كأنها متحف غريب رصت قطعه وتشابكت والتحمت مع الناس الذين يعيشون حياتهم اليومية التى يغلب عليها الفقر .

كانوا يمضون في صمت على رؤسهم العمائم الصغيرة . وفي خواصرهم الخناجر المقوسة . خناجر عزيزة توارثوها عن عشرات الأجداد حتى تحولت ألوان مقابضها من اللون الأسود الى اللون الكهرماني الأصفر . وبهذا ترتفع قيمة الخنجر المادية الى مئات الآف من الريالات وترتفع قيمته المعنوية الى مستوى « الرقية » التى تقى حاملها من لدغ العقارب والثعابين وأهوال الجبال . . ولعلها تقيه أيضا من تقلبات الزمان . .

لبن رائب وعسل

وعندما استضافونا ظل ذلك الجلال الحجرى يحيط بنا . وكان أهل البلدة بوجوههم الصغيرة . . وعيونهم المستديرة التى تشع بالذكاء يبالغون في الحفاوة . . كان بينهم ولا شك جد من اجدادي . وعندما أصروا على اطعامي أدركت في ذلك شفقة الجد على الحفيد المتعب . وكان الطعام بسيطا ـ لبن رائب وعسل ـ نفس الطعام الذى تعود « ذو يزن » على تناوله . وجاءت امرأة عجوز لتصنع الخبز . كان الفرن أيضا محفورا في الصخر . دائرة من الحجر مفرغة من الداخل حيث يوضع الحطب . . ثم يفرد العجين على السطح الحجرى المستوى ويقلب ليوضع أمامك مباشرة . . لم اكل خبزا طوال حياتي بهذه الطزاجة .

أشاروا الى آثار القنابل على البيوت العالية حيث تركت الحرب الأهلية بصماتها . . ثم ارتفع الأذان يدعو لصلاة الجمعة . .

سرنا . . وسار كل رجال المدينة تقريبا الى المسجد . وكان من الطبيعي أن أتوقع أن يكون المسجد تحفة أخرى . . وأن تصل النقوش فيه الى قمة جمالها وغزارتها . . وقد كانت كذلك بالفعل . ولكن الذى أصابني بالذهول هو مشهد الأطفال الجالسين وهم يقرأون في المصاحف . . مصاحف كبيرة الحجم . مكتوبة بخط اليد على ورق قديم . مزينة بماء الذهب ومعطرة بماء الزعفران الذى لم تخف رائحته . كل مصحف منها هو

مخطوط نادر يحلم أي متحف باقتنائه . كانوا يقرأون في نفس المصاحف التي توارثوها عن أجدادهم . . كما يحملون نفس الخناجر ويسكنون نفس البيوت . . ان الزمن العربي هنا قد تجمد في وجود نادر . فوجود مثل هذه الصورة التاريخية الحية أمر لا يكاد يصدق . . ولكنه حقيقة يمكنك لمسها . . مجمدة وصلدة كالحجر .

ان اليمن كما قلت هو أقدم البيوت العربية . . وزمن العربي هو أقدم الأزمنة . . ولكن تبقى نقطة البداية . . نقطة الخليقة وتكون الزمن . .

تاريخ الامم والملوك

بحسابات « ابن جرير الطبرى » فان الزمن العربي قد انتهى . ونحن نعيش الآن خارج الزمن . فالطبرى يرى أن عمر الكون كله منذ بدء الخليقة حتى قيام الساعة ليس أكثر من ستة آلاف عام . مرت منها حين بدأ يكتب كتابه العظيم « تاريخ الامم والملوك » حوالي خمسة آلاف ومائتين من الأعوام . أي أن كل ما كان باقيا هو حوالي ٨٠٠ عام . . تشبه لحظة مغيب الشمس في يوم بشرى طويل . .

واذا كانت حسابات الطبرى خاطئة في معناها العددى . فانها صحيحة على المستوى الرمزى . لقد كان ابن جرير شاهدا على لحظة مغيب الزمن العربي شاهدا على آخر الفتوح . وآخر العروش . . وآخر الانتفاضات . أما ما بقى بعد ذلك فهي غيبوبة عربية كاملة . غيبوبة تتشابه فيها الأيام والليالي والرؤى والكوابيس المتتابعة .

كان زمن الطبرى هو زمن الملوك . وعندما رأى هوانهم على الجند والناس جفف حبر ريشته . ونثر الرمل الناعم على صحائفه واستقبل القبلة وهو يسمع صراخ الحنابلة وهم يقذفون نوافذ بيته بالأحجار . وكان ابن الأثير الجرزى يعشق المدن والحواضر العظيمة فعاش ليرى بغداد أعظم حواضر الدنيا وهي تسقط تحت أقدام التتار وتتحول مؤلفاتها الى جسر يعبرونه من شاطىء العمار الى شاطىء الخراب . وكان لسان الدين بن الخطيب عاشقا للأندلس . ولكنه رآها تضيع مزقا بين ملوك الطوائف . كل واحد يطلق على نفسه لقبا فخما . ويحكم مدينة يسميها مملكة حتى تفتت الحلم الأندلسي والتهمته الفرنجة قطعة فقطعة . وكان ابن آياس يعشق « المماليك » في زهوهم وتألقهم ولكنه وجدهم كالجراد يأكلون كد الناس .

كل مؤرخ منهم عاش زمنا صعبا . . والزمن العربي لم يكن أبدا زمنا رخيا . ولم تكن مهمة أي مؤرخ فيه بالمهمة السهلة . كان عليه دائما أن يسجل عشرات الولادات وعشرات الاحباطات ولا يمل من الانتظار . .

يقول الطبرى . . ان خلق الزمان كان في اليوم الأخير من أيام الخليقة . فقد قرأ في سائر الحديث أن اليهود أتت النبي صلى الله عليه وسلم فسألته عن خلق السموات والأرض . . فقال . . خلق الله الأرض يوم الأحد والاثنين ، وخلق الجبال يوم الثلاثاء وما فيها من منافع وخلق يوم الأربعاء الشجر والماء والمدائن والعمران والخراب . وخلق يوم الخميس السماء . وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة الى ثلاث ساعات بقيت منه . فخلق في أول ساعة من هذه الساعات الثلاث الآجال . من يحيا ومن يموت . وفي الثانية ألقى الآفة على كل شيء مما ينتفع به الناس . وفي الثالثة خلق آدم وأسكنه الجنة وأمر ابليس بالسجود له وأخرجه منها في آخر ساعة . . ثم قالت اليهود . . ثم ماذا يا محمد . . قال . ثم استوى على العرش . . قالوا . . قد أصبت لو أتممت . قالوا . . ثم استراح . . فغضب النبي صلى الله عليه وسلم غضبا شديدا فنزلت الآية الكريمة :

« ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب فاصبر على ما يقولون » . .

كان الطبرى يرى أن الزمن هو ساعات الليل والنهار . وان الساعات هي قطع الشمس والقمر لدرجات الفلك . وعمر الكون هو عمر أيام الخلق . وكل يوم هو ألف سنة مما تعدون . فيكون المجموع ستة آلاف سنة . وتأتي النهاية كما قال الله عز وجل « اذا الشمس كورت » يعني بذلك أنها عميت فذهب ضوءها عند قيام الساعة ويتساءل الطبرى « من أين كان الابتداء . . بالليل أم بالنهار . . انه الليل بطبيعة الحال . . فالشمس اذا غابت وذهب ضوءها الذى هو النهار وهجم الليل بظلامه فكان معلوما بذلك أن الضياء هو الوارد على الليل . . وان الليل اذ لم يبطله هذا الضوء فهو الثابت . ودلالة ذلك أن الليل كان هو بداية خلق الزمن . . وأن الشمس كانت هي الآخر . .

كان الطبرى رجلا ذكيا - كما نرى - حاول دائما أن يوفق بين ما يؤمن به وبين ما يرى أنه الصواب . . وكانت مشكلته الصعبة أن يوفق بين الرواية الحقيقية للتاريخ وبين الصورة التي يريد بها الحاكم أن يكتب هذا التاريخ . لقد اختصر تصوره للكون من ثلاثين ألف ورقة كان ينوى كتاباتها الى ثلاثة آلاف فقط . . لا بسبب قصر العمر عن ادراك هذه الغاية فقط . ولكنه أدرك بعد أن انتهى من كتابة المرحلة القديمة أن قول الحقيقة من أشق الأمور . وكان الملوك الذين شغف بتتبع آثارهم هم أول من جاروا عليه . فالزمن العربي - مثل أي زمن آخر - كان دائما عرضة للتشكل وفقا للأهواء السياسية .

جـزء من الأسـطورة . .
وقـطرة من الماء . .

بدأ الزمن العربي اذن ببعض من الأسطورة . ثم أمواج من الرمل والأنهار المطمورة . ثم موجات من الهجرات المتعاقبة . ولأن الصحراء كانت قاسية فالشمس لم تؤخذ كمقياس أساسي للزمن . كانت صريحة ومعادية أكثر مما ينبغي . . كان القمر هو الذى أسرهم ببعده الرقيق ونوره الصافي . . كان فيه بضع من ضعفهم عندما يظهر كهلال ضائع فى السموات . وفيه صورة من حلمهم بالكمال عندما يتم دورته . . وبدءوا يقسمون شهورهم تبعا لظهور هذه الأهلة . . ولكن حوادثهم الضخمة وأيامهم المعروفة لم ترتبط بالقمر . . كما ارتبطت بظهور الماء . . ذلك العنصر الهام وسط الصحراء العطشى . فسد مأرب هو علامة العمران القديم الذى كان يمتد لمسيرة ثلاثة أشهر . وانهيار السد هو بداية الهجرة والشتات والبحث عن مستقر جديد . وتفجر ماء زمزم هو الاستقرار حول الكعبة وبداية الملحمة العربية وسط الصحراء . وماء كلاب هو الذى أشعل أكثر من حرب بين القبائل . وناقة البسوس أشعلت الحرب أربعين عاما حين شربت من ماء غير مائها . ورسول الله سعى للنصر حين وضع جيشه أمام بئر بدر . الماء . . الماء . . هو المعلم الحقيقي للزمن العربي وسط الصحراء . . وهو الذى يخرج هذا اليوم من عداد الأيام العادية ليصبح يوما من أيام العرب . . الماء القريب . . والهلال البعيد . . هذان هما المحوران العربيان .

ولأن الطبيعة كانت راسخة . مستعصية على التغيير . . وكانت الصخور فى الجزيرة العربية أكثر جفوة من الصخور اليمنية . فقد كان العربي هو الذى يداوم على الانتقال مستجيبا لعامل الزمن . فالصحراء تغير من وجهها تبعا لتغيرات الفصول . وتعطي فى كل فصل وعدا جديدا بالخصب والاستقرار . ومع الوقت تولد مع العربي نوع من الالتزامات الاقتصادية والدينية . لذا حاول أن يوفق دائما بين الاثنتين .

كانت العرب قد تعودت منذ أيام سيدنا ابراهيم عليه السلام أن تحج الى بيت الله الحرام في العاشر من ذى الحجة . . ولكن المشكلة التى واجهتهم أن موسم الحج بهذا التاريخ لم يكن يقع فى فصل واحد . . كان مرة يأتى فى الشتاء . . ومرة يأتي فى الصيف بسبب الاختلاف والفروق بين السنة الشمسية والسنة القمرية . ولكنهم أرادوا أن يقع حجهم فى وقت واحد محدد هو وقت اعتدال الجو وادراك الفاكهة والغلال . كانوا يريدون سفرا سهلا وتجارة مجزية . وحجا مقبولا فى الوقت نفسه . وكان تجار قريش بحسهم البارع فى التجارة هم الذين قرروا أن تخضع الاعتبارات الدينية للظروف الاقتصادية .

وعندما أقبلت العرب من كل مكان فى موسم الحج نهض فيهم أميرهم وخطيبهم وهو يقول : - اني أنشأت لكم في هذه السنة شهرا أزيده فتكون السنة ثلاثة عشر شهرا . . كذلك نفعل كل ثلاثة أعوام أو أقل حسبما يقتضيه الحال ليأتي حجكم وقت ادراك الفاكهة والغلال فتقصدوننا بما معكم . . ويبدأ الزمن فى التبدل . وأخذ موسم الحج يقفز الى صفر . . ثم الى محرم . . ثم الى شعبان . . وفى آخر كل موسم ينهض منهم خطيب ليحدد للحجيج الموعد التالى . . واذا تكرر فى نفس السنة الواحدة اسم الشهر الحرام . . نهض أيضا منهم خطيب ليحرم شهرا . . ويحل شهرا . . وظلت الأمور كما هي حتى حج النبي صلى الله عليه وسلم حجة الوداع فأعلن . .

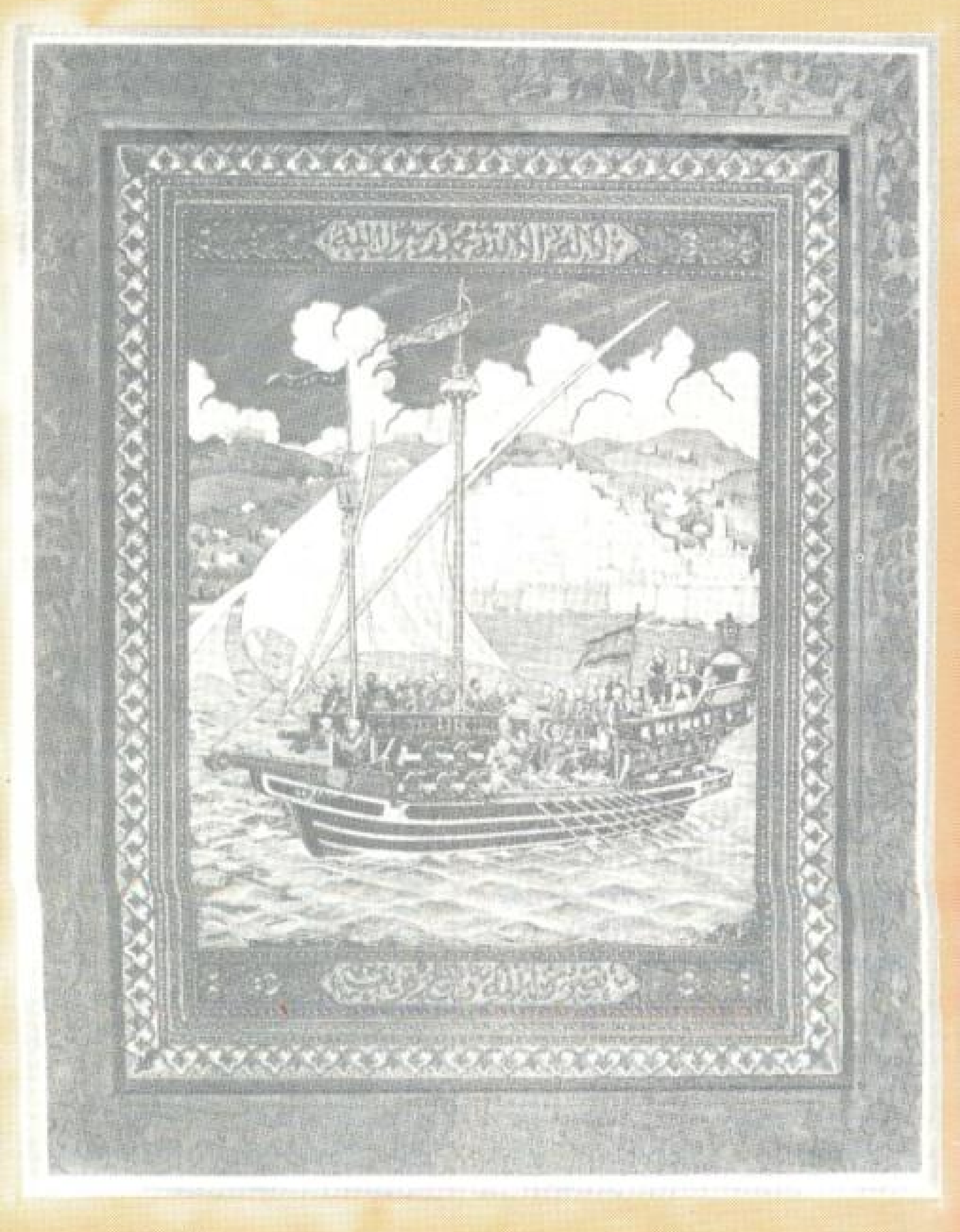
« الا ان الزمان قد استدار الى هيئته الأولى يوم خلق الله السماوات والأرض » . .

ورجع موسم الحج الى موعده الأول دون تغيير أو تبديل . .

ولم يأخذ الزمن العربي هذا البعد المجرد فقط . . فقد امتد ليتشكل حسب العناصر المحسوسة التى كان العربي يشعر بها وسط الصحراء . ان مراحل الكون - كما يراها جابر بن حيان - تتكون من أربعة عناصر أولية هي الحرارة والبرودة واليبوسة والرطوبة . وأطلق على هذه العناصر أوائل الأمهات البسائط . ومن امتزاجها ببعضها لا تتولد فقط مواد الكون ولكن تتولد أزمنته أيضا . فامتزاج الحار واليابس يولد النار . ومنها فصل الصيف . والحار والرطب يولد الهواء ويقابله فصل الربيع . . والبارد واليابس يكونان الأرض . . ويقابلها الخريف . . أما البارد والرطب فيكون الماء ولا يقابله غير فصل الشتاء بطبيعة الحال .

لقد آمن العربي بوحدة ما تمزج كل عناصر الكون . وادرك من خلال تجاربه أن كل زمان له بعد فى المكان . والعكس صحيح أيضا . وبقدر ما كان الزمن العربي ممتدا وشاسعا . . لم يكن أبدا كتلة صماء . . ولكنه أشبه بالنهر الحي ماء وطحالب وخصبا ودما وشهداء وقتلى وتاريخا وحضارة . . انه كم متصل . . لا ينقطع كما يبدو للعيان . . ولا يتفرق بتفرق البلدان . . كان منبعه واحدا . . وهو ما زال حائرا يبحث عن ذلك المصب الواحد . .

فهل يمكن أن نقرأ هذا الزمن العربي . . ؟ . .



نهر الزمن العربي لا يكف عن الجريان . يتدفق فيفيض .. ويرتعد فيفيض .. يحمل الطمي فيثمر بالخصب .. من أين تنبع أيها النهر الغريب .. ؟ ..

هل يمكن أن تقسم ذلك الكائن الخرافي المليء بالروعة والأسطورة والحلم . . ؟ . .

زمن الفرسان . . وزمن الملوك . .

في البدء كان الفرسان . . وكان زمنهم هو أقدم الأزمنة العربية . فالناس المتشابهون كالعشب لا يسافرون في مجرى الزمن المتدفق . انهم أشبه بلحظة سكونية عابرة تذروها العواصف أو تطمرها الرمال . أما الفرسان - لحاهم الله - فان مطالبهم وغاياتهم لا تقف عند حدود اللحظة الآنية . لقد أرادوا أن يحولوا هذه الصحراء الوعرة الى مكان صالح للحياة . فيه القليل من الزاد . والكثير من النبل . كانوا فرادى كحد السيف . لكن كل واحد منهم تسكنه قبيلته . يبذل كالغيث . ويغير كالمستميت . ويعطي حتى آخر حدود العطاء . . وتكون مأساته حين يطلب مالا يتوقع . . كانوا كلهم - بشكل أو بآخر - يسعون الى منازلة الزمان . . والانتصار على الموت . .

حين سئل لقمان بن عاد عما يطلب . طلب الخلود . كان قد رأى جبال اليمن راسخة فطلب رسوخا كرسوخها . ولكن الاجابة جاءت مخيبة لآماله . . أما الخلود فلا سبيل اليه ولكن طول البقاء . . وهكذا خسر لقمان النزال . وتحول العمر الطويل الى شيخوخة طويلة . والفارس الشيخ . كالسيف المثلوم سواء بسواء . نفس الاحساس أحس به لبيد . وهو يرثي نفسه حيا كلما امتد عمره . . انهم لا يقنعون حتى بالمهادنة المستكينة . ليس أقل من الانتصار أو الهزيمة المشرفة . حين سئل المهلهل بن ربيعة عن فدية أخيه كليب . . لم يطلب أقل من عودة كليب حيا . . وهبوا له النوق والأموال والأنفس . . ولكنه هتف . . أرجعوني كليبا . واشتعلت الحرب أربعين سنة كاملة لأن الموتى لا يعودون .

هذه الرغبة العارمة في مواجهة الزمن والانتصار على الموت تحققت مع الاسلام لقد جاء هذا الدين بكل ما فيه من نبل ليمد زمن الفرسان . . فقد أضافت الشهادة في سبيل الله الى هذه المواجهة عنصرا جديدا . كأنها حياة جديدة اضافية توافق النبل والتدين وأصبحت الحياة كلها معركة واحدة من أجل الجهاد ونشر دين الله . لقد تحقق لهم حلمهم في الانتصار على الموت حين وهب الخلود للشهداء واعطاهم هذا الأمل في الخلود الذي حرم منه لقمان بن عاد في الدار الآخرة . . وأصبحت الجنة هي دار الخلود التي ينشدونها . .

وعندما مد الفرسان الفتوحات الاسلامية الى أقصى بقاع العالم القديم . . كان هذا ايذانا ببداية زمن عربي جديد . . هو زمن الملوك . .

بدأ هذا الزمن بداية غريبة وسط صليل السيوف المتحاربة في الفتنة الكبرى عندما رفع علي بن أبي طالب سيفه يدعو معاوية للمبارزة حسما للخلاف بينهما وحقنا لدماء المسلمين . وكان علي رضي الله عنه هو آخر وأعظم طراز للفرسان القدامى وكان معاوية - رغم أنه لا يصغره في السن كثيرا - هو شاهد عصر جديد . كان يدرك أن زمن الفرسان قد ولى وأن عليه الا يخضع لتقاليده . ولكن عليه أن يلتف حولها . لقد رفض مبدأ المبارزة بدمائة وواصل الحرب بطريقته الخاصة من فوق عرشه بدمشق حتى كسب الجولة .

من لحظة الرفض هذه بدأ زمن الملوك الزاهي . . والدموي في الوقت نفسه فالجالسون على العرش والمطالبون بهذا العرش كانوا أكثر من أن تتسع لهم رقعة الأرض . ورغم أن الدولة لم تكف عن الاتساع فان الخارجين عليها لم يكفوا عن التزايد ولم يقف صراع الملوك حتى بعد أن سقطت الدولة الأموية وبزغت من أنقاضها الدولة العباسية . لقد برر الملوك في دهاليز القصور مالم يجرؤ على تبريره تحت شمس الصحراء الصريحة . ولم يكن من الممكن أن يثور الأخ ضد أخيه . أو يغدر الملك بأخلص قواده . . الا في مثل هذا الزمن . .

ولكن هذا لا ينقص من الصورة الرائعة التي كان عليها هذا الزمن . . يكفي أن هذا الاحساس لم يقف عند حد الملوك الذين اعتلوا العرش بالفعل . . ولكن كل عربي أحس فجأة أنه ملك في مملكة مترامية الأطراف . كان يحمل الرسالة والقوة والمعرفة ويعبر الأرض من حدود الهند حتى جبال البرانس . واستمر ذلك الاحساس حتى بعد أن قسمت الأرض بفعل مصالح الملوك المتضاربة . كان الاسلام هو الهوية التي تعبر كل الحدود . . تماما . . مثل هوية الملوك . .

وكان كل منهم ملكا بطريقته الخاصة . . بل وجد من يعرض عليه العرش والتاج بنفس الطريقة الخاصة أيضا . فعندما خرج ابن بطوطة في طريقه للحج من بلده بالمغرب عبر العالم الاسلامي المعروف في زمنه . . ولم يتوقف بعد موسم الحج . فقد دفعه نهمه للمعرفة الى مواصلة الرحيل . ووصل به السير الى احدى جزر اندونيسيا - وسواء كانت الرواية صحيحة أم لا - فقد أحاطه سكان هذه الجزيرة بالتبجيل . كانوا قد اعتنقوا الاسلام بعفوية وبنوع من الهوس الفطري . وحين أدركوا أن ابن بطوطة ليس مسلما وليس عربيا فقط . . . وانما زار أيضا قبر الرسول عليه الصلاة والسلام . . ارتفع

التبجيل الى مرتبة القداسة . ولم يكن هنا أفضل من العروض التي عرضوها عليه . . أن يقتلوه . ويدفنوه . ثم يبنوا فوقه مزارا يحج اليه كل أهل الجزر تبركا وتيمنا به . وعندما رفض ابن بطوطة عرضهم المغرى كانت دهشتهم كبيرة . فهو بشر سيموت على أى حال ولكنهم اذا قتلوه فسوف يتحول الى رمز لا يموت أبدا . . لقد رفض ابن بطوطة هذا العرض بل هرب منهم تحت جنح الظلام . . فقد كان يؤمن فى قرارة نفسه . . أنه متشرد حي . . خير من ملك ميت .

زمن الجلبان . . وزمن الخصيان . .

لم يكن زمن الملوك قصيرا . ولكنه كان زمن الكمال الذى يشوبه النقصان . .

لقد أكل الملوك الأرض ، وقسموها . وتصارعوا على الفتات . وهم أيضا الذين أدخلوا السوس الذى نخر فى عظام الزمان العربي الخالص . هم الذين ضيعوا زمنهم وفتحوا الباب لزمن جديد هو زمن « الجلبان » . لقد تسللوا مثل مرض غريب . . كمرتزقة . . وكمماليك . . وكعبيد . . أقبلوا بالأسطورة أحيانا . . وبالسيف احيانا . . أخذوا نصيبهم الذى لا يستحقونه من تركة الملوك الضائعة . وبعد ان كان في الأرض خليفة واحد اصبح هناك عشرات الخلفاء . ومئات المطالبين بالخلافة . وآلاف الطامعين . ولم يجلب الجلبان سوى مزيد من الجلبان .

ورغم أن كل موجة من موجات « الجلبان » كانت تمنح الدولة العربية عشرات السنين الاضافية من عمرها . . الا أن هذه الاضافات المؤقتة أحدثت اختلالا فى الزمن العربي . أجهضت تطوره . واغتالت راياته . واصابته بالمرض والانحلال وسرعان ما انتشر مرض الجلبان على وجه الأمة كالوباء الجلدى . وتحول الخليفة الذى كان يقف صائحا فى السحابة العابرة امطرى حيث شئت ، الى أسير فى قصره ووسط مدينته لا يملك من الخلافة الا اسمها ويتلقى من سلطان الجلبان راتبا شهريا هي اتاوة الخضوع والموافقة . .

هجمت على بغداد أمواج الترك والديلم والسلاجقة والبويهين . . فتملكوا وتصارعوا وأذلوا الرقاب حتى أسلموا بغداد طائعة للتتار . . وأعتقت مصر رقاب المماليك فلم يعتق لها رقبة . وملكوا مصر والشام وباعوها بلا ثمن للعثمانيين . . واقتحم الصقالبة والبربر الأندلس وفتتوا حلمه الزاهي حتى استرده الفرنجة . .

ولم يكتف سلطان الجلبان بالحكم فقط . . ولم يتملك الجنود والقلاع والسجون . . ولكنه هبط الى الأسواق والوكالات . واستغلوا مناصبهم فى الغش التجارى والتدليس وأكل مال التجار . وأصبح السلطان يجلس فى السوق لمحاسبة تجار القوافل بالدانق كما كان يفعل السلطان الغورى . ومنذ أن انتهت المعارك الضخمة ضد الصليبيين والتتار . . لم يعد أحد منهم ينظر الى أبعد من أرنبة انفه .

فى زمن الاشرف قايتباى سلطان مصر كانت مدينة غرناطة محاصرة وعلى وشك السقوط فى أيدى الفرنجة . وأرسل ملكها أبو عبد الله الصغير يستنجد بالسلطان حتى يرسل له جيشا ينقذه وينقذ شرف الاسلام . ولكن تصرف السلطان المملوكي كان غريبا . فقد اتجه الى الناحية الأخرى الى الشام وهجم على التجار النصارى فصادر أموالهم . وهاجم القساوسة . وطلب منهم أن يذهبوا جميعا لملك الفرنجة يساومونه على فك الحصار عن المدينة فى مقابل الافراج عن هذه الأموال . . تصرف جلباني بمعنى الكلمة . لأن التجار القساوسة الذين سافروا لم يفكروا حتى فى هذا العرض الغريب وسقطت غرناطة لأن أموال التجار مهما كبرت لا تشترى المدن . .

كان من الطبيعي اذن أن يأتى زمن الخصيان . أن تطفىء المنارات . وأن يمتلىء الجسد العربي بالثقوب . وأن يدخل سليم الأول القاهرة فيسلبها سبع عشرة صنعة وينقل صناعها الى الاستانة حتى تنقرض . . وأن يخيم ليل طويل فوق الأروقة والخانات والتكايا . . وأن تتشابه أيام هذا الزمن الخانق . . ويصبح الأمس واليوم والغد لحظة طويلة مرهقة ومملة . . وأن يدخل نابليون القاهرة بمدافعه التى لا ترحم ثم تدخل فلول المستعمرين كأنهم الجراد . . وعندما استدعى نابليون نخبة من علماء الأزهر وأخذ يريهم فى معمله عجائب الكيمياء لم يندهش أحد من الشيوخ . . لم يكن هناك أى قدر من التواصل بينهم وبين ما يرونه . . اكتفى أحد الشيوخ بالحديث عن أحد أقطاب الصوفية الذى يصلي الصبح فى مكة والظهر فى مصر والعصر فى المغرب . ولم يفهم نابليون مغزى الحكاية كما لم يفهم الشيخ مغزى التجارب . . وبدا واضحا أن الطبرى قد أصاب فى حساباته الى حد كبير . فالزمن العربي « محلك سر » والفعل العربي . . . هو رد فعل متواضع ان لم يكن عجزا عقيما .

لقد كان زمنا مليئا باليأس ولكنه لم يكن يخلو من الأمل . . كان هناك رجال حالمون . وكانت هناك انتفاضات ذبيحة . وكانت هناك رغبة تواقة للتغيير . وما زلنا فى انتظار زمن عربي جديد . مخاض جديد . . وولادة جديدة . ○



المثقفون والحرية

بقلم : الدكتور عبد الباسط محمد حسن

« إن مجموعة المثقفين يقفون من حياتنا ومشكلاتنا الكبرى موقف المتفرج ، كأنهم نظارة في مسرح يتابعون التمثيل ، فاذا أعجبهم موقف صفقوا له ، واذا لم يعجبهم أمسكوا عن التصفيق كأن الأمر لا يعنيهم » .

المثقفون في مختلف المجتمعات لهم دور رائد في عمليات التغيير . وتختلف طبيعة هذا الدور باختلاف الظروف الموضوعية التي يمر بها كل مجتمع ، والمرحلة التاريخية التي يجتازها .

ويستطيع المثقفون ـ بحكم معايشتهم للواقع ودراستهم له ـ أن يتعرفوا على مواطن الخلل وجوانب القصور في النظم والمؤسسات القائمة في المجتمع ، وأن يتجهوا الى التفكير في مثل جديدة للحياة ، تهدف الى اصلاح الأوضاع القائمة ، أو إعادة تشكيل الحياة على نحو أفضل ، ثم يأخذون على عاتقهم الدعوة الى أفكارهم الجديدة ، وتهيئة الأذهان لتقبل التغيير . . . وبمرور الوقت تنتقل أفكارهم الى حيز التطبيق العملي ، وتتحول المثل الى نماذج ، والأفكار الى وقائع ، والمجردات الى مشخصات .

واذا نظرنا الى دور المثقفين في مختلف الثقافات ، فاننا نجد أنهم كانوا رواد حركات التغيير ، وهم أصحاب الدعوة الى تغيير جوانب الحياة العقلية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية بما يتفق مع طبيعة المرحلة التاريخية التي ظهروا فيها .

وفي المجتمع العربي تذبذب وضع المثقفين من قضايا التغيير ، واتسمت مواقفهم بالجرأة والصراحة والايجابية حيناً ، وبالخوف والتردد والسلبية أحياناً .

هموم المثقفين

والظاهرة الملفتة للنظر في الوقت الحاضر أن المثقفين العرب يقفون من القضايا الكبرى موقف المتفرج وكأنها لا تعنيهم من قريب أو بعيد ، كما أنهم يتحدثون في أحاديثهم الخاصة غير ما يعلنونه في أحاديثهم العامة . ولقد تحدث الدكتور زكي نجيب محمود عن هذه الظاهرة في كتاب له صدر منذ عامين بعنوان « هموم المثقفين » ، فكتب يقول : « ان مجموعة المثقفين ـ ذوي القدرة الفكرية الايجابية الخلاقة ـ يقفون من حياتنا ومشكلاتنا الكبرى موقف المتفرج كأنهم نظارة في مسرح يتابعون التمثيل ، فاذا أعجبهم موقف صفقوا له ، واذا لم يعجبهم موقف آخر أمسكوا عن التصفيق ، كأنما الأمر لا يعنيهم هم بالدرجة الأولى » .

ولقد طرحت هذه القضية صحيفة عربية وتساءلت : « ما سر هذه العزلة التي يعيشها المثقفون العرب في الوقت الحاضر ؟ وما هي العوامل المؤدية الى هذه الازدواجية بين القول المعلن وبين الرأي الخاص ؟ وهل هذه الظاهرة جديدة على المثقفين العرب ، أم أنها تظهر في ظروف

● عميد كلية الدراسات الاسلامية (جامعة الأزهر) .



روسو

محمد عبده



الأفغاني

فولتير

تاريخية معينة ، وفي ظل أوضاع سياسية واجتماعية وثقافية بذاتها ؟ » .

والواقع أن الاجابة على هذه التساؤلات ليست بالأمر اليسير ، فالظاهرة المطروحة للمناقشة ـ كأية ظاهرة اجتماعية أو ثقافية ـ تتعدد أبعادها ، وتتشابك مكوناتها ، وتتفاعل عناصرها ، ولا يمكن إرجاعها الى عامل واحد بذاته مهما كانت درجة أهميته .

فمن العوامل ما يرجع الى طبيعة المثقفين ، وتكوينهم السيكلوجي ، واهتماماتهم الخاصة ، وظروفهم الاجتماعية والاقتصادية ، ومنها ما يرجع الى طبيعة الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي يمر بها المجتمع العربي ، ومنها ما يرجع الى ظروف تاريخية ترسبت في وجدان الأمة العربية وتراكمت عبر السنين .

العامل الحاسم !

وقد وصلتني رسائل من بعض الزملاء يؤكد فيها أصحابها على أن أزمة الحرية في العالم العربي هي العامل الحاسم في عزلة المثقفين ، وعدم اسهامهم في حركة النقد السياسي والاجتماعي بصورة أكثر فعالية ، ذلك لأن الحرية هي نقطة البداية الحقيقية لاطلاق مجالات الخلق والابداع ، والأمن الفكري هو الذي يجعل المثقف العربي يفكر بموضوعية ، ويعبر عن مشاعره بصدق ، وينقل أفكاره الى الناس بصراحة .

والواقع أن قضية الحرية في العالم العربي على درجة كبيرة من الأهمية والخطورة . فالعالم العربي ـ كغيره من المجتمعات النامية ـ يمر وفقاً لما كتبه « والت روستو » في كتابه « مراحل النمو الاقتصادي » من المرحلة التقليدية الى مرحلة التحول الى مرحلة الانطلاق ، وان شئنا اختصار هذه المراحل الثلاث في مرحلتين فاننا نقول ان مجتمعنا العربي يمر من مرحلة الشرعية التقليدية الى مرحلة الشرعية الدستورية .

وفي مرحلة الشرعية التقليدية تشتغل الغالبية العظمى من السكان بالصيد أو الرعي أو الزراعة . وتصبح القبيلة أو العشيرة أو العائلة الممتدة المحور الأساسي للحياة الاجتماعية ، وتتركز السلطة في يد شيخ القبيلة أو رب العائلة الذي يقوم بتدبير شئون الأفراد وفقاً للعرف والتقاليد ، فضلاً عن أن الحرية الفردية لا يكون لها كيانها المتميز ووجودها المستقل ، وإنما تذوب داخل الجماعة التي ينتمي اليها الفرد .

أما في مرحلة الشرعية الدستورية ، فيتجه الأفراد الى العمل بالصناعة ، وتحل العلاقات والضوابط الرسمية محل العلاقات والضوابط غير الرسمية ، وتصبح الهيئة الحاكمة مقيدة بقواعد دستورية ، ونصوص قانونية ، وتظهر الشخصية الفردية بكيانها المتميز ووجودها المستقل .

نحو الشرعية الدستورية

ومن الملاحظ أن أغلب المجتمعات النامية ما زالت تجاهد في سبيل الوصول الى مرحلة الشرعية الدستورية . فعلى الرغم من أن كثيراً من هذه المجتمعات تأخذ بالأسلوب الديمقراطي ـ من الناحية الرسمية أو الشكلية ـ إلا أن بناء القوة من الناحية الفعلية لا يقوم بشكل متوازن بين الحاكمين والمحكومين . فالأحزاب السياسية تنشأ بقرارات عليا ، ووسائل الاعلام تسيطر عليها الهيئة الحاكمة ، والمناصب الكبرى يتم شغلها عن طريق التعيين ، الى غير ذلك من وسائل التحكم في أرزاق الناس ومقدراتهم . ويعتمد بعض الحكام في هذه المجتمعات على بعض ما حققوه من انجازات سياسية أو اجتماعية ، فيحاولون أن يحيطوا أنفسهم بهالات البطولة ، ويجعلوا من أشخاصهم زعماء كاريزميين ، ويعملوا على أن تكون لهم صلاحيات تتفق مع قدراتهم التي يعتقدون أنها لا تتوافر لدى غيرهم من الناس . والنتيجة الحتمية المترتبة على ذلك هي حدوث خلل طبيعي في بناء القوة في تلك المجتمعات ، وشعور الأفراد بوجود هوة كبيرة تفصل بين الحرية في مضمونها النظري ، والحرية كما تمارس في اطار الواقع الفعلي .

وهنا تثور تساؤلات : ما موقف المثقفين ازاء هذا التحدي الذي يواجهونه ؟ وما نوع الاستجابة المتوقعة منهم ؟ وهل تشفع لهم أزمة الحرية في الوقوف من الأحداث الهامة والقضايا المصيرية موقفاً سلبياً إيثاراً للسلامة ، وضماناً للعيش في هدوء وأمان ؟ ؟

ويمكن الاجابة على هذه التساؤلات في النقاط التالية :
أولاً : ينبغي التفرقة بين نمطين من المثقفين هما : المثقف العادي ، والمثقف الثوري والفرق بين الاثنين كبير ،



فالمثقف العادي هو الذي يدرس الواقع ، ويحاول تفسيره دون أن يسعى الى تغييره بخلاف الحال في المثقف الثوري الذي لا يكف عن ترديد آرائه ، ونشر أفكاره حتى يتمكن من تكوين رأي عام مستنير يعمل على تغيير جانب أو أكثر من جوانب الحياة القائمة .

إبن تيمية والأفغاني

ومن الأمثلة التي نسوقها للمثقفين الثوريين في مجتمعنا الاسلامي ، الامام تقي الدين بن تيمية ، والسيد جمال الدين الأفغاني .

نهض ابن تيمية بوظائفه في التدريس والفتيا بمسجد دمشق ، ولم يحصر همه في مجرد العلم وانما اشترك في محاربة التتار ، وكان يسير في الأسواق أيام حملة التتار ليطهرها من الخمارات ، فيكسر أوانيها ، ويريق خمورها ، ويعاقب الخمارين قياماً بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو في رأيه خلاصة الدين وجوهره . وقد دخل في صراعات فكرية مع الفرق والمذاهب السائدة في عصره ، فضاق به خصومه ، وجعلوا يكيدون له عند السلاطين - الذين كان يؤرقهم فكر هذا الامام المجاهد - فطوفوا به في سجون القاهرة والاسكندرية ودمشق وهو صامد شجاع . وكان يقول وهو في سجنه :

« أنا حبسي خلوة وقتلي شهادة ، واخراجي من بلدي سياحة » .

وكذلك كان الحال مع السيد جمال الدين الأفغاني ، فقد دعا إلى توحيد العالم الاسلامي ، وتحريره من الجمود الفكري ، والتعصب المذهبي ، وحمل لواء المعارضة ضد الاستعمار الأوروبي وضد الملوك المستبدين ، فأبعد عن تركيا ، وأكره على الخروج من الهند ، وطرد من إيران ، وأجبر على ترك مصر ، ولم يكن هذا الاضطهاد ليثنيه عن عزمه ، وإنما كان يزيده قوة وإيماناً برسالته ، ويدفع الناس الى التمسك بمبادئه ومن قول جمال الدين في ذلك : « اني أعتقد أن السجن بطلب الحق من الظالمين العتاة رياضة ، والنفي في ذلك السبيل سياحة ، والقتل شهادة » .

ثانيا : تقوم الحضارة العربية على تعاليم الاسلام ومبادئه . وهذه التعاليم تطالب باعلاء كلمة الحق ، وتضع الرأي الحر في أعلى مقام . والله سبحانه وتعالى يقسم بالقلم فيقول (ن والقلم وما يسطرون) . ولقد خطب أبو بكر في المسلمين يوم أن تولى الخلافة وقال لهم (أيها الناس اني قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فان أحسنت فأعينوني ، وان أسأت فقوموني) .

ثالثاً : إن العلاقة بين أزمة الحرية والمطالبة بالتغيير علاقة جدلية ، كلاهما يؤثر في الآخر ويتأثر فيه . فكما أن الحرية تهيء للمثقف المناخ الفكري الملائم للخلق والابتكار فان أزمة الحرية تثير في المثقف تحديات تدفعه الى المطالبة بالتغيير .

خلق الانسان حراً

والتاريخ حافل بكثير من الأمثلة التي تشهد على ذلك . ففي الوقت الذي كانت فيه فرنسا ترزح تحت نير الحكم المطلق طوال فترة حكم لويس الرابع عشر - الذي كان يقول : « أنا الدولة والدولة أنا » ، وطوال فترتي حكم لويس الخامس عشر والسادس عشر ظهرت كتابات المفكرين من أمثال فولتير وجان جاك روسو ومونتسكيه ، وقال روسو عبارته المشهورة : خلق الانسان حراً ولكنه الآن مقيد بالسلاسل والأغلال ، وقد يعتقد انسان أنه سيد غيره ، وهو لو يدري أكثر منهم عبودية ! ! .

ولقد طالب الشيخ محمد عبده بالوقوف في وجه التدخل الأجنبي ، ومقاومة الحكم الاستبدادي على الرغم من الظروف القاسية التي كانت تمر بها مصر في ذلك الحين . ولقد كتب عن نفسه يقول :

« وهناك أمر كنت من دعاته والناس جميعاً في عمي عنه .. ذلك هو التمييز بين ما للحكومة من حق الطاعة على الشعب ، وما للشعب من حق العدالة على الحكومة . جهرنا بهذا القول والاستبداد في عنفوانه ، والظلم قابض على صولجانه ، ويد الظالم من حديد والناس كلهم له عبيد ... أي عبيد ! ! » .

رابعاً : ان استقراء الواقع التاريخي يشير الى أن أدب المقاومة يزدهر كلما تأزمت الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية . ولقد انبعث في أغلب البلاد العربية - منذ مطلع القرن العشرين - الدعوة الى الحرية السياسية على الرغم من الحصار الفكري الذي كان يفرضه الاستعمار ومن تعاونوا معه على المثقفين وأرباب الكلمة الحرة . وما لبثت الدعوة الى الحرية السياسية أن تحولت الى ثورة فكرية عامة شملت الحياة العربية بكافة جوانبها وأبعادها .

الواقع العربي والمسألة التاريخية

بقلم الدكتور عبد المالك التميمي

اذا جاز أن نطلق على التاريخ اسم « الزمن » حتى يشمل الماضي والحاضر ويمتد للمستقبل ، نستخلص من الماضي الخبرة المتراكمة ، يصبح الزمن العربي بهذا المعنى هو التجربة التاريخية العربية بكل ما تتضمنه من خصوصية .

وليس يسيرا مناقشة هذه التجربة بالكامل ، ونكتفى هنا بالتركيز على بعض قضاياها ، من أجل فهم أفضل للتجربة العربية المعاصرة .

فما أحوجنا الى غرس الوعى التاريخي ، وخاصة لاولئك الذين رضوا الحياة خارج الزمن العربي ، لا يؤثرون ولا يتأثرون بما يدور حولهم ، ويمضى بهم العمر دون أى عطاء لأمتهم . !

فهل هناك سبيل بتشلهم من هذه الحالة .. ؟ من المؤكد أن اقامة مؤسسات تجذبهم الى العمل العام ، ستساعد على زيادة مساهمتهم ، كما أن خلق المناخ العام فى المجتمع الذى يدفعهم الى التخلى عن السلبية والجمود ، على اعتبار أن العطاء الانسانى وحده هو الذى يثري التاريخ ويدفعه نحو التقدم ، فالزمن يمضى وعلينا أن نواكب مسيرته . وبمجرد التوقف عن الفعل يدفعنا خارج الزمن ! وننتقل من فاعلين الى معوقين !

ومن هنا تأتي أهمية رصد حركة التاريخ ، الذى لا نكتفى منه بدراسة الماضى وتحليله ، بل ونصله بالحاضر حتى يتحدد دور كل مواطن فى بناء المستقبل ، على أن لا تقتصر تلك الدراسة على بطولات الحكام والقادة والزعماء بل تمتد وتشمل تحليل التحولات الاجتماعية والاقتصادية ومدى مساهمة الانسان العربي فى تلك التحولات ..

ونتساءل : هل يعيد التاريخ نفسه .. ؟ ، نحن لا نتفق مع القائلين بهذه المقولة ، حتى اذا ظهر وكأن بعض أحداث التاريخ تتكرر ، فالحياة فى تبدل وتطور مستمر ، اذا تشابهت مراحلها فى بعض الوجوه تختلف وتتباين فى وجوه أخرى ..

وحركة التاريخ ليست تيارا واحدا بل هي

تيارات متعددة يستحيل أن تسير على نسق واحد ، والتاريخ هو علم المتغيرات حيث تؤكد قوانينه على أن ما جرى في الماضي لا يمكن له أن يتكرر بذات الصورة في المستقبل . فالعوامل الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية في تبدل مستمر ، كل حلقة منها هي جزء من سلسلة تقود الى ما بعدها . .

الواقع العربي والتاريخ

ويمر الواقع العربي في اللحظة التاريخية الراهنة بمرحلة حاسمة من الحركية والجدلية ، فهل لنا أن نتوقف من أجل مراجعة تجارب الماضي ، ونبحث أصل المشكلات والمصاعب التي تواجهنا ؟ . . فكل مؤشرات التحول والتغيير تكمن في هذا الواقع ، الذي يبدو أحيانا للبعض مأساويا ميؤوسا منه ، ولكن ما يقع أمام أنظارنا لا يعدو سوى صراع بين قوى التقدم والتخلف . .

وهنا يبرز دور المثقف الذي يقع عليه عبء اخضاع التجارب السابقة للنقد الموضوعي العقلاني ، بدلا من ادانة الماضي من منطلق الشعور باليأس مما ينتهي الى ظلام العزلة عن مجتمعه ، كما على المثقف أن يكف عن تصوير كل التجارب التاريخية بصورة زاهية مما يحول بينه وبين الاستفادة من هذه التجارب .

وأقول لهؤلاء وأولئك ، الى الذين ينظرون الى الماضي بمنظار يائس ، والى الذين ينظرون الى الماضي بمنظار متميز ، انهم لم يستوعبوا بعد المسألة التاريخية بأبعادها الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، فتاريخ الامم يمر بفترات من الصعود والهبوط ، عليهم أن يخضعوها للبحث حتى نفهم الحاضر ونعيشه ، ونستعد لمواجهة المستقبل .

فالواقع العربي يواجه العديد من السلبيات منها تلك الفجوة التي يعيشها بعض المثقفين بين ما يعتقدونه وما يمارسونه . !

كما أن هناك حالة تبسيط للعديد من القضايا يلجأ اليها المثقفون لتجنب مواجهة قضايا التحول الاجتماعي ، ومثل هذا الدور لا يتصدى له سوى أصحاب الوعي التاريخي والتفكير العلمي ، ولا تقدم عليه سوى المجتمعات التي تعيش حياة ثقافية جادة وخصبة ، والتي تقدر على خوض تجربة المعاناة بلا خوف أو وجل وبلا ترهل او كسل . .

ونتساءل : ما الذي يمنع النظرة النقدية للماضي . ؟ هل لانه مقدس الى درجة تحريم نقده . . ؟ ثم . . هل يقف فهم البعد التاريخي عند حدود الماضي . . ؟

ان اجابة هذه التساؤلات لا يمكن توفرها بدون الوعي التاريخي ، فالوعي التاريخي هو دليلنا لفهم اعمق لاحداث معاصرة مثل هزيمة عام ١٩٦٧ والحرب اللبنانية وكثير من المشكلات الظاهرة في حياتنا العربية . .

وليس المجال هنا يسمح بتقييم ونقد هذه الاحداث الجسام ، التي ما زالت تؤثر على الواقع العربي ، وسيمتد تأثيرها بعيدا في المستقبل .

ويمكن القول أن هزيمة عام ١٩٦٧ علمتنا أن عجز الامة العربية لم يكن عجزا عسكريا فحسب ، انما نتيجة العجز الشامل والازمة الحضارية الناتجة عن غياب الديمقراطية واستمرار التخلف والتبعية للاستعمار الجديد . .

وعلمتنا الحرب الاهلية اللبنانية والغزو الامبريالي للبنان أن التحالف الامبريالي الغربي مع الصهيونية تحالف عضوي ، وأن الصهيونية حركة توسعية تستهدف الاقطار العربية ، وأن المقاومة العربية يمكن أن تحرز النصر على

الاستعمار والصهيونية ان هى استفادت من قراءة التاريخ بمعناه الايجابي . .

ولكن قراءة التاريخ وحدها لاتكفى ، والمهم الاستفادة منه فى حاضر الامة ومستقبلها ، وهذا لا يتحقق الا بالوعى التاريخي ، والوعى التاريخي يعنى الاستفادة من تجارب الماضى لصالح الحاضر والمستقبل وليس على حساب الحاضر والمستقبل ، ويمكن توفر هذا الوعى بالنقد الذى يجب أن يشمل جميع نواحى الحياة فى مجتمعنا فهو الرئة التى يستطيع المجتمع أن يتنفس بواسطتها ليعرف مواطن الضعف فى حياته كى يتمكن من التطلع الى أمام بخطى ثابته وواعية .

أزمة المثقف العربي :

تلك الدروس لا يستطيع فهمها واستيعابها الا الانسان المثقف الملتزم بقضايا أمته وطنيا وقوميا ، وليس المطلوب من المثقف العربي أن يكون مؤرخا ولكن من المهم أن يكون لديه حس تاريخي حتى يستطيع تحليل الواقع واثراء التجربة العربية المعاصرة ووضع تصوره للمستقبل .

ان ازمة المثقف العربي تكمن فى تناقضات المجتمع الذى يعيش فيه ، فهو نتاج هذا المجتمع ، يتأثر به كما يؤثر فيه ، والمطلوب التوازن بين تأثيره وتأثره . والبعد عن الفن الهابط فى الادب والشعر والفلوكلور والفكر عموما ، وهذا الفن ناتج عن جهد لفكر مضاد يحاول شل قدرة المثقفين على العطاء الحقيقى . وسعى دؤوب لقوى التخلف لتحقيق أهداف سياسية من جراء التقليل من شأن دور المثقفين فى الحياة العامة .

ان المثقف وليد بيئته السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، وبما أن الواقع هذا قد عاش ولا يزال نكسات متتالية ، وتخريبا متواصلا ، فان الفكر التقليدى الذى لا يسمح بنقد الذات ، والفكر الانتقالى الذى لاتتوفر فيه الشموليه ، أو محاولة التغريب بحجة المعاصرة ، كل ذلك أدى الى استلاب فى الفكر على حساب المساهمة الثقافية الفعلية فى تطور الواقع العربي حضاريا ، وأدى الى تذبذب الثقافة وازدواجية المثقف العربي ، واذا كنا قد طالبنا بتوفر الحس التاريخي والوعى التاريخي فان ذلك يعنى أن التاريخ علم وثقافة ، العلم فيه شأن المتخصصين ، والثقافة فيه شأن المثقفين .

وبما أن التاريخ يشمل التجربة الانسانية بأحداثها وفكرها التى تشمل الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، وهذه القضايا من صميم اهتمامات الانسان المثقف فالنتيجة منطقية بعلاقة المثقف بالتاريخ أيا كانت اهتماماته وتوجيهاته .

يجب اذن أن ينصب اهتمام المثقف العربي اليوم على مسألة الحرية والديمقراطية فى الوطن العربي ، وليست مهمة المثقف تسجيل الاحاسيس الفنية والتغنى بمظاهر الجمال والتعبير عنها فحسب ، بل دوره الايجابي يتحدد بالمساهمة فى تكوين الرأى العام وتبنى قضايا الناس ، وخلق الوعى الجماعى حول قضايا المجتمع الاساسية .

ولا يستطيع المثقف العربي أن يؤدى دوره فى هذا الزمن العربي الا اذا توفر لديه الوعى التاريخي للمشكلات القائمة والقدرة على تحليلها علميا لرسم صورة المستقبل ، وهى بالفعل رسالة تاريخية لا بد من الاضطلاع بها لمواجهة الواقع العربي المتخلف واحداث النهضة المطلوبة .

من هنا تأتى أهمية ان نعيش الزمن العربي ونعنى بذلك ان نعيش أحداث هذا الزمن بوعى كامل وأن تبذل الجهد فى سبيل احداث النهضة فى كل جوانب الحياة فى مجتمعنا العربي

منتدى العربي

أزمة الفكر التنموي العربي

بقلم : حسنين توفيق ابراهيم

ماهي وظيفة الفكر ؟ ان لم تكن التعامل مع الواقع بقصد تغييره نحو الأفضل .. لقد تعلمنا من التاريخ ان اي حركة سياسية او استراتيجية لاترتكز على أسس فكرية قوية يكون مصيرها الاخفاق والفشل .

والملاحظ لتجارب التنمية في معظم الدول العربية يدرك جيدا ان هذه التجارب تعرضت وتتعرض لانتكاسات حادة وعنيفة . هذه الانتكاسات يمكن ردها الى مجموعة من الاسباب اهمها غياب الاطار الفكري الواضح للعملية التنموية في الوطن العربي .

فقراءة سريعة لانتاج العقل العربي في مجال التنمية والتخلف تكشف عن مجموعة من الظواهر السلبية التي يعاني منها الفكر التنموي العربي والتي تؤثر على فاعليته في مواجهة الواقع العربي بما فيه من تحديات ومشاكل . هذه الظواهر السلبية التي يعاني منها هذا الفكر تدفع الى القول بأن يعيش في أزمة حقيقية مظاهرها عديدة وأسبابها متداخلة

مظاهر ازمة الفكر التنموي العربي

الذي نعنيه بالفكر التنموي العربي هو « انتاج العقل العربي في مجال التنمية والتخلف » أي مجموعة الاطروحات الفكرية التي يقدمها المثقفون العرب ـ المتخصصون والمهتمون بقضايا التنمية والتخلف ـ بهدف كسر حلقة التخلف وتحقيق التنمية . ومن هذا المنطلق يمكن القول بأن مظاهر الأزمة ـ بالمعنى السابق ذكره ـ عديدة نذكر منها :ـ

١ ـ الفكر التنموي العربي ـ في معظمه مصبوغ بصبغة غربية . فهو اما اعادة صياغة باللغة العربية للأفكار التي طرحها مفكرون غربيون او ترجمة مبتورة لها .

واكثر من ذلك فان هذا الفكر يقدم الاطروحات الغربية التي ظهرت منذ الستينات واخضعت لعملية مراجعة من قبل مفكري الغرب أنفسهم ـ على أنها أحدث ماكتب في مجال التنمية والتخلف . فيكفي أن تفتح كتابا او رسالة جامعية في التنمية والتخلف لتقف على حقيقة المأساة .

وتغريب الفكر التنموي العربي له عدة دلالات :

أ ـ ترديد الاطروحات الغربية معناه غياب النظرة النقدية لأدب التنمية الغربي مع ملاحظة أن ادب التنمية الغربي يعكس ويعبر عن الخبرة الاوروبية في التنمية ويتضمن نوعا من الانحياز ، الايديولوجي للنموذج الغربي في التنمية . ومن ثم فصلاحية نموذج تنموي معين في مجتمع معين ليس معناه صلاحيته اتوماتيكيا في مجتمع آخر وذلك لاختلاف المجتمعات من حيث الخصائص الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية واختلاف الظروف التاريخية والدولية التي تعيش في ظلها هذه المجتمعات وبالتالي فالمفاهيم الواحدة تأخذ مضامين مختلفة في المجتمعات المختلفة طبقا لخصوصية كل مجتمع وهويته الذاتية .

ب ـ تغريب الفكر التنموي العربي معناه اغفال الخصوصية الحضارية للمنطقة العربية . وأي نموذج للتنمية لايأخذ خصوصية المجتمع في الاعتبار يكون مصيره الفشل .

ج ـ يأتي الانكسار النفسي والتبعية العلمية للمراجع الاجنبية بما يعنيه من عدم الثقة في الذات والتراث ليكمل هذه الدلالات .

٢ ـ الفكر التنموي العربي مقسم بالتجزئة . فالتركيز يكون على أحد جوانب العملية التنموية (سياسية ـ اقتصادية ـ اجتماعية ـ ادارية .. الخ) وهذا مطلوب لزيادة التعمق في فهم مشكلات التنمية ، ولكن يصبح قليل الاهمية عندما لايرتبط بنظرية عامة للتغيير المجتمعي وهذا هو حال الفكر التنموي العربي حيث عجز الى الآن عن تقديم نظرية واطار فكري متكامل لتطور المجتمع لذلك تخبطت التجارب التنموية في المنطقة العربية فظهرت حالات من النمو المشوه واللاتوازن تعكس الاختلالات داخل المجتمع وتعمقها .

٣ ـ يشهد الفكر التنموي العربي ظاهرة ندرة الاهتمام بالابحاث والدراسات الميدانية ومثل هذه الابحاث والدراسات تكون اكثر جدوى في فهم المشاكل التنموية

وتقديم حلول لها وتثار في هذا الصدد بعض المشاكل مثل : ـ

صعوبة المعلومات لانتشار الامية والتخوف التقليدي للمواطن من السلطة علاوة على الحساسية تجاه بعض الموضوعات التي تعتبرها النخب الحاكمة من اسرار الدولة لذلك يجب عدم دراستها وبحثها مثل موضوعات توزيع الدخل ـ التجنيد للمناصب السياسية ، عملية صنع القرار ودور المواطن فيها .. الخ .

٤ ـ وجود قطيعة بين الافكار التي يطرحها بعض المثقفين العرب وبين برامج وسياسات التنمية التي تتبناها النخب الحاكمة في المنطقة العربية ، وهذا يعكس بدوره التهتك بين النخبة الحاكمة والنخبة المثقفة في المنطقة العربية .

٥ ـ بعض ابحاث التنمية في بعض الدول العربية تمولها هيئات وحكومات اجنبية وتثار العديد من علامات الاستفهام حول نزاهة هذه الابحاث المشتركة .

والرأي السائد أن هذه الابحاث تهدف الى خدمة مصالح واهداف الجهات الممولة اكثر من خدمة الواقع العربي .

٦ ـ يأتي مجال التنمية السياسية ليكون بمثابة الجزء المشلول في دراسات التنمية . فباستثناء بعض المذكرات والرسائل الجامعية القليلة العدد ومجموعة المقالات المتفرقة في بعض الدوريات العلمية لاتوجد اجتهادات ذات شأن في هذا الموضوع .

أسباب ازمة الفكر التنموي العربي

يمكن ان نسوق مجموعة من الاسباب تتفاعل فيا بينها لتخلق ازمة الفكر التنموي العربي .

١ ـ معظم الدارسين لقضايا التنمية والتخلف في العالم العربي تلقوا تعليمهم في المعاهد والجامعات الغربية . ومن ثم جاء فكرهم معبرا عن انتماءاتهم العلمية اكثر من تعبيره عن تراث امتهم الحضاري وواقعها الاجتماعي . ومن هذا المنطلق لم يجد بعضهم غضاضة في طرح الافكار والنماذج التنموية الغربية لمواجهة مشاكل وتحديات التنمية في العالم العربي .

٢ ـ تدهو مكانة المثقفين (بمعنى رجال الفكر) الذين يستطيعون تقديم حلول لمشاكل مجتمعاتهم من منطلق الخبرة التاريخية والادراك الواعي لمتغيرات العصر .. فالمثقف في العالم العربي واحد من ثلاث : ـ

أ ـ مساند للسلطة حيث يصير بوقا لها . يبرر تصرفاتها ويدافع عن وجهة نظرها بمناسبة وبدون مناسبة وهذا لايمكن ان ينطبق عليه مفهوم « المثقف » .

ب ـ ملتزم الصمت حيث يسيطر عليه نوع من اليأس من جراء الاوضاع القائمة . ولديه مايقوله لكنه غير مستعد لدفع الثمن .

ج ـ مستعد لدفع الثمن اذا تعرض لما يمكن أن يمس نظام الحكم والسياسات المتبعة .

وتدهور مكانة المثقفين في العالم العربي تثير اشكالية العلاقة بين النخبة الحاكمة والنخبة المثقفة في المنطقة العربية . فالأولى لاتثق في الثانية وتنظر اليها بحذر وهذا يؤدي الى وجود نوع من التهتك والقطيعة بين القيادة السياسية والقيادة الثقافية في العالم العربي .

٣ ـ ضعف وعدم فاعلية الدور الذي تقوم به الجامعات في المنطقة العربية . حيث اصبحت عبارة عن اماكن لتفريخ أنصاف المتعلمين ، وهذه الجامعات في عزلة عن المجتمع ومشاكله ومن ثم لم تعد قادرة على القيام بوظيفتها المجتمعية التي تتبلور حول المساهمة في تقديم حلول لمشاكل المجتمع . ويثار في هذا الصدد العديد من التساؤلات حول نظم التعليم الجامعي في المنطقة العربية ، ودرجة التعاون بين الجامعات العربية ، وعلاقة هذه الجامعات بالمجتمعات الموجودة فيها الى آخر هذه المسائل التي يجب أن يعاد النظر فيها .

٤ ـ واكثر هذه العومل اهمية هو تشرذم الفكر التنموي العربي وغياب الاتفاق العام حول اسس التنمية ومبادئها . فهناك تيار يرى أن التنمية تعني العودة الى الاصول وتحقيق التنمية من منطلق القرآن والسنة . وتيار اخر يقف على النقيض ويرى ان التنمية معناها ترك التراث جانبا والعمل على استيراد النماذج الغربية للتنمية .

وتيار ثالث يركز على التوفيق بين « التراث والمعاصرة .. بين روحانية الشرق ومادية الغرب » ويدور الحوار بين هذه التيارات في حلقة مفرغة واي منها لايستطيع ان يفرض نفسه .

كافة العوامل السابقة قادت الفكر التنموي العربي الى طريق يبدو وكأنه مسدود . فهو تكرار للمفاهيم الغربية متشرذم ، بعيد عن الواقع العربي بارهاصاته وتحولاته . ومن ثم لم يعد قادرا على التأثير في هذا الواقع بقصد تغييره وتطويره .

والمطلوب هو مراجعة الذات واعادة الحسابات على مستوى القيادة السياسية والقيادة الثقافية ، والجامعات والمراكز الاكاديمية بقصد وضع الاسس التي تسمح بانطلاق فكر عربي اصيل يعكس الواقع العربي ويسعى لتغييره نحو الافضل . ○

المطرقة و الدرع

كان القوة السادسة في العالم الثالث

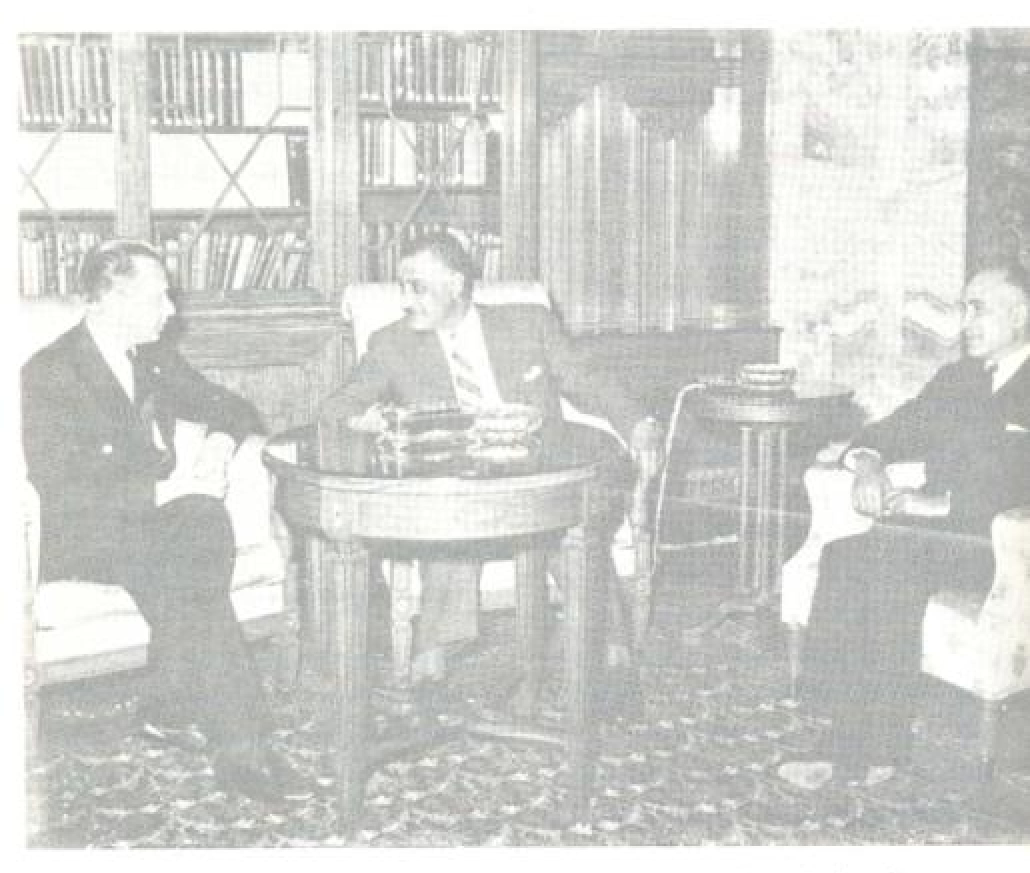
بقلم : عبد الحميد الكاتب

كلماظهرت شخصية فذة على مسرح الحكم أو في عالم السياسة ، ولعبت دورا كبيرا في مجال من المجالات المؤثرة في حياة الناس ، تردد بين الناس هذا التساؤل : هل المنصب هو الذي يخلق الرجل ، أم هل الرجل هو الذي يخلق المنصب ؟

من الناس من يقول ان المركز الكبير يخلق من أي شخص عادي رجلا مهما بارزا . فأيا كان الرجل الذي ينتخب رئيسا لأمريكا مثلا ، حتى لوكان محدود المقدرة قليل الكفاءة كما كان معظم الامريكيين يقولون عن هاري ترومان وعن جيمي كارتر ، فان منصبه الكبير يجعل منه شخصا كبيرا ، يحسب له داخل بلاده وخارجها كل حساب . بينما غيره من رؤساء الدول قد يفوقونه كفاءة وقدرة ، وذكاء وخبرة ولكنهم دونه جدوى بمدى بعيد لأنهم يرأسون بلادا صغيرة .

ومن الناس من يقول ان الرجل الفذ في مواهبه وفي اعداده وفي شخصيته هو الذي يجعل المنصب الذي يتولاه منصبا رفيعا وخطيرا ، له دوره المؤثر في شؤون الناس وفي توجيه مسيرتهم .. وقد ظهرت مثل هذه الشخصيات الفذة في بلاد وشعوب صغيرة ، فغيرت حياتها تغييرا جذريا .. كانت شعوبا نائمة فاستيقظت ، وكانت بلادا متخلفة فتقدمت ، وكانت متكفأة على نفسها فصار لها التأثير الكبير فيما حولها من أمم ومن آفاق ..

وقد تردد هذا السؤال حول منصب الامين العام للامم المتحدة ، وحول الشخصيات الخمسة التي تولته : تريجفي لى ، همر شولد ، يوثانت ، فالدهايم ، دي كويلار ..



في منزل الرئيس الراحل جمال عبد الناصر .. همر شولد يتحدث وعبد الناصر ومحمود فوزي يستمعان

وتردد السؤال حول همر شولد بالذات .. لأنه تحول من رجل عادي في نظر من يعرفونه من أهل بلاده وهم قليلون ، الى رجل عظيم يبهر العالم كله وينال التقدير والتأييد ، ويصيبه أيضا السخط والمعارضة من كثير من الحكومات والشعوب .

« القوة السادسة »

كان همر شولد موظفا في الحكومة السويدية ، يشغل وظيفة كبيرة ولكنها لم تصل الى مرتبة وزير أو شبه وزير .. وكان اهم مافيه انه من أسرة ارستوقراطية وعلى جانب كبير من الثراء ، فقد كان أبوه رئيس وزارة السويد ، وكان اجداده من المحاربين في جيوش السويد التي كانت تعيش في حروب مستمرة مع جيرانها قبل ان تتحول في تاريخها الحديث الى البلد المحايد الذي يعيش في سلام ويدعو الى السلام ! ..

ولم يكن احد قد سمع باسمه خارج بلاده .. أوربما سمع به بعض الناس مرة كل سنة .. فقد كان عضوا في اللجنة التي تبحث موضوع المرشحين لجائزة نوبل للسلام .

وعندما هبطت به الطائرة في مطار نيويورك عندما جاء ليتولى منصب الأمين العام للامم المتحدة ، كان أول سؤال وجهه له الصحفيون : كيف تنطق اسمك ؟ كيف تكتب اسمك ؟ . . وأراد أن يبسط هم اسمه المكون من اثنى عشر حرفا فقال انه مكون من كلمتين : هامر (المطرقة) وشيلد (الدرع) ! فهذا هو الاسم الذي اطلق منذ عدة قرون على جده المحارب : المطرقة والدرع !

ثم لم تمض ثلاث أو أربع سنوات على هذا الرجل الذي كانوا لايعرفون كيف ينطقون اسمه ، فاذا به قوة هائلة على المسرح الدولي . . قوة لها دورها الفعال المؤثر ، الموجه ، في الاحداث الدولية الكبرى . . دور يضاهي دور الدول الكبرى ، وان كانا دورين مختلفين ، وربما متناقضين متعارضين ، لأن دور الدول الكبرى قائم على قوتها السياسية والعسكرية والاقتصادية ، أما دور الامم المتحدة فقائم على التفاف الدول الصغرى حولها ، وعلى مساندة الرأي العام العالمي لها . .

وصار همر شولد أحد ثلاثة أو أربعة رجال في العالم هم أقوى زعمائه وقادته الموجهين . . وقبل زعماء الدول الكبرى ، أو بعضهم ، ان يشاركهم الأمين العام للامم المتحدة ، مالهم من قوة ونفوذ في العالم . . وعندما تأزمت الامور في احدى المراحل ، اقترح خروتشوف زعيم الاتحاد السوفيتي عقد مؤتمر قمة على أعلى مستوى تصل اليه القمة فاقتصر الاشتراك فيه على ستة رجال : رؤساء الدول الخمس الكبرى ، وسادسهم همر شولد . . الذي استطاع ان يجعل من منصبه ، ومن عمله ، القوة السادسة في العالم .

« العدوان الثلاثي »

كانت مواهب همر شولد مخبأة وراء وجه يبدو عليه الخجل والحياء ، ووراء قوام نحيل يبدو ان صاحبه منصرف الى الرياضة البدنية ، وقد عرف أنه من هواة تسلق الجبال . . ولم يكن بلغ الخمسين في وقت كان فيه معظم السياسيين شيوخا وكهولا .

فكيف تظهر مواهبه المختبئة الا اذا وقع حدث كبير ، فأخرج مافيه من ذكاء وبصيرة ، ومن شخصية قادرة على مواجهة المشاكل الكبرى . ؟

ووقع الحدث الكبير في منطقتنا هذه . . واين تقع الاحداث الكبرى في عصرنا هذا الا في المنطقة العربية التي كانت بلادا هادئة ، تسكنها شعوب راضية الى ان مسها مس من الشيطان ، فوفدت عليها جماعة من الدخلاء كونوا لأنفسهم دولة ، وكونوا للدولة جيشا ، وراحت تعتدي على ماحولها وتلتهمه كلما آنست في نفسها المقدرة على العدوان ، وكلما جاءها العون والدعم من الاقوياء الطامعين في أرض العرب !

وكان الطامعون الواضحون للعيان في ذلك الوقت هما بريطانيا وفرنسا وكانتا تحاولان التشبث بما كان لهما من السيطرة على المنطقة العربية طوال قرن من الزمان . . ولكن رياح الحركات القومية كانت قد هبت في ارجاء العالم واخذت تقصف بما تبقى من امبراطوريات أوربية انهكتها الحروب ، وكانت مصر تقود الحركة القومية في المشرق العربي حيث ماتزال بريطانيا رابضة بقواعدها ومحمياتها ، وتؤيد وتدعم الحركة القومية في المغرب العربي حيث قامت ثورة الجزائر على فرنسا تريد الاستقلال .

واقدمت مصر على تأميم قناة السويس فكانت الضربة التي لاتقبلها بريطانيا وفرنسا ، وكانت الفرصة التي تنتظرها اسرائيل . . فقررت الدول الثلاث القيام بعملية عسكرية رسموها وخططوها . . فتكون اسرائيل هي البادئة ، فتزحف بجيشها الى قناة السويس . . وعندما

تقترب منها تنزل بريطانيا وفرنسا قواتها العسكرية لحماية القناة .. وعندئذ يتم اخماد الصوت المنبعث من مصر ، ويتم اخماد الثورة المندلعة في الجزائر ، ويتم ارهاب العرب جميعا فتخرج من رؤوسهم اوهام التحرير والاستقلال !

دعوة مجلس الامن

وقرر همر شولد ان يدعو مجلس الامن الى الانعقاد ، لا لتلقي فيه الخطب وتصدر قرارات الادانة والاستنكار مثلما كان يفعل المجلس طوال السنين الاخيرة ولكن ليتخذ موقفا فعالا في وقف العدوان ، ثم رد القوات المعتدية الى حيث جاءت ثم وضع خطة لاعادة الهدوء الى المنطقة .. ثلاث خطوات الواحدة تلو الاخرى

وتهامست دوائر الامم المتحدة بان بريطانيا وفرنسا تنكران على الامين العام ان يقوم بهذه المهام بصفته نائبا عن الامم المتحدة .. فهو مجرد موظف دولي أو هو اكبر موظف في خدمة دول الاعضاء .. ولايجوز له ان يتخذ موقفا يعارض سياسات الدول وخاصة ما كان منها دولا كبيرة مثل بريطانيا وفرنسا .

وراي همر شولد ان يواجه هذا الموقف مواجهة حاسمة .. فألقي عند افتتاح المجلس كلمة وجيزة .. ولكنها دوت في الامم المتحدة ، ودوت في العالم كله .. فقد حدد مهمة الامين العام كما يراها حين قال في كلمته هذه العبارات :

« ان مبادىء ميثاق الامم المتحدة اهم بكثير من الاهداف السياسية لاى دولة .. الاهداف هي مرجعه الاول والاخير فيما يحق له ان يفعله .

« ومن اجل هذا يجب على ان اتقدم للعمل في هذا الظرف العصيب »

« وليس في امكان الامين العام ان يقوم بمهمته هذه الا اذا حافظت كل دولة من الدول الاعضاء على شرف تعهدها باحترام ميثاق الامم المتحدة ..

« ان معنى ماقلته الآن واضح جلي للجميع دون حاجة الى أي اسهاب وتفصيل ..

« اما اذا كان للدول الاعضاء وجهة نظر اخرى في واجبات الامين العام فمن حق هذه الدول كما ان من حق الامين العام ، ان يتصرفوا تصرفا آخر » .

وكانت الجملة الاخيرة التي تحمل تصميمه القاطع على الاستقالة« اذا كان للاعضاء وجهة نظر اخرى » اشارة منه الى الدول الاعضاء ان تعلن الآن موقفها :

هل تريد الامين العام ان يعمل على مواجهة الموقف الدولي الخطير مواجهة عملية ، أم تريد ان يكون مجرد موظف كبير يسجل ويذيع قرارا يصدره المجلس بالادانة او نداء يوجهه المجلس الى المتحاربين يناشدهم ضبط النفس مثلا !

وسارع ممثل امريكا ، وممثل الاتحاد السوفيتي ، وممثلو دول اخرى بالاعلان في كلمات واضحة ان حكوماتهم تأتمن الامين العام على مهمته الكبيرة ، وتطلب اليه ان يتقدم للعمل ..

وعندئذ وضع همر شولد امام الدول جميعا خطة عملية تحمل بريطانيا وفرنسا على وقف عدوانها الذي بدأ فعلا بضرب مدينة بورسعيد بحرا وجوا ، وبالزحف الى مدينة الاسماعيلية ، وباقي منطقة القناة .. ثم تحمل الدولتين على النزوح بجنودهما في اقصر وقت ممكن عائدين الى بلادهم دون تحقيق أي مكسب من وراء عدوانها .. وعندئذ تجد اسرائيل نفسها مرغمة على الانسحاب من الارض التي احتلتها .

ولم تكن هذه الخطة العملية وليدة الساعة .. فقد كان يفكر منذ تولى منصبه في ان ماينقص الامم المتحدة لكي تكون اداة فعالة للحفاظ على السلم والامن الدولي ان يكون لها جيش .. او شبه جيش .. ليست مهمته خوض المعارك ، وانما مهمته فض المعارك اذا نشبت .. وذلك بأن

يقف حائلا بين المتحاربين ، فيتيح لهم ان يتوقفوا عن القتال ، وان يتباعدوا ويرتدوا الى اماكنهم الأولى ، ثم يتيح لهم فسحة من الوقت تهدأ فيها نفوس المتخاصمين ، لبحث اسباب الصراع والخلاف ، بغية الوصول الى حلول وسط تقبلها اطراف النزاع .

العالم يستنكر

ورأي همر شولد ان هذا الموقف الخطير قد هيأ المناخ الدولي لتكوين قوة عسكرية للامم المتحدة اسماها « قوة الطوارىء الدولية » . . فقد كان الرأي العام في شتى ارجاء العالم ، بما فيه فريق كبير من الرأي العام في بريطانيا نفسها ، ثائرا غاضبا على هذا العدوان المثلث ، وعلى الطريقة الفجة التي وقع بها ، وباتت اكثر الحكومات والبرلمانات مستعدة للمشاركة في أي عمل يوقف هذا العدوان ويرده على أعقابه دون ان ينال القائمون به اي مكسب ، وبدأت بعض الحكومات استعدادا لتخصيص جزء من قواتها المسلحة للمشاركة في تكوين قوة مسلحة دولية تقوم بتلك المهام التي حددها الأمين العام للامم المتحدة ، وتعمل تحت قيادته السياسية ، وتحت قيادة من يعينه « جنرالا » على هذه القوة . .

ورتب همرشولد عملية اصدار القرار اللازم من الجمعية العامة للامم المتحدة وتقدم وزير خارجية كندا لستر بيرسون مقترحا انشاء قوة الطوارىء الدولية ، فتقوم بالمهمة التي قالت بريطانيا وفرنسا انهما جاءا من اجلها . . وهي الفصل بين اسرائيل ومصر . . ثم اعقبه على منبر الجمعية العامة جون فوستر دالاس ، وزير خارجية امريكا ، وهو يتألم جسديا ، وعاطفيا . . كان يعاني التهابا في الامعاء يقتضي اجراء عملية جراحية عاجلة ، فخرج من الاجتماع بعد منتصف الليل الى المستشفى مباشرة . . أما معاناته العاطفية فقد عبر عنها بهذه الكلمات : « ما من احد تكلم من هذا المنبر وهو يعاني مثل ما اعانيه الليلة من الانقباض والحسرة . . لقد عجزت بلادي عن الاتفاق مع ثلاث دول تربطنا بها روابط الصداقة المتينة ومنها دولتان هما اقدم حلفائنا واجدرهم بثقتنا .

عيونهم على سيناء

ثم قدم مشروع قرار يقضي بمطالبة جميع الاطراف بوقف اطلاق النار . . وبسحب القوات الاسرائيلية الى ماوراء خطوط الهدنة التي حددت في سنة ١٩٤٩ . . وتوقف القوات البريطانية والفرنسية عن عملياتها الحربية في مصر . . ثم تكليف الامين العام بمتابعة تنفيذ هذه الخطوات . . وكذلك المضي في تكوين « قوة الطوارىء الدولية » وارسالها الى منطقة القتال .

وانتهى الاجتماع بعد الساعة الرابعة صباحا وانصرف ممثلو الدول يلتمسون شيئا من الراحة والنوم بعد ان انهكتهم الايام والليالي السابقة . . أما همر شولد ومساعدوه فقد واصلوا الليل بالنهار يتصلون بالدول التي يمكن ان تساهم في تكوين قوة الطوارىء الدولية ، وراحوا يحددون الاماكن التي ستنزل فيها وحداتها ، ويبيتون وسائل نقلها وتموينها وسبل الاتصال بها ، دون ان تكون هناك سابقة يمكن الاهتداء بها ، ، وتم انجاز هذه العملية المعقدة في خلال ثلاثة أو أربعة ايام .

في خلال هذه الايام كانت ثورة الرأي العام في العالم كله قد بلغت اقصاها كانت الخطب في شتى البرلمانات ، وعلى الاخص في مجلس العموم البريطاني ، تدين هذا العدوان . . وكانت المظاهرات الشعبية لافي البلاد العربية وحدها ، بل البلاد الاسيوية والافريقة وحتى بلاد امريكا اللاتينية تهتف بسقوط الاستعمار . . واشاعت الصين ان عشرات الالاف من مواطنيها يطلبون

اليهود في امريكا .. والتبرعات معفاة من الضرائب في امريكا ، وهي لهذا السبب ضخمة جدا ، فكثيرون يفضلون التبرع بالمال بدلا من دفعه ضريبة للحكومة !

وعم السخط على هذا العدوان المدبر والسافر ارجاء العالم ، وبلغ الاستنكار اقصى درجاته فيما يلقي من خطب في الامم المتحدة ، وما يصدر من قرارات تطالب بوقف القتال فورا .

كل هذا لم يوقف العدوان ، واستمرت القوات البريطانية والفرنسية في عملياتها العسكرية .. ثم حدث شيء خطير خلال يوم الثلاثاء ٦ نوفمبر فقد اصدر الاتحاد السوفيتي انذارا صيغ في عبارات حازمة مثيرة الى بريطانيا وفرنسا « ماذا يكون الامر لو ضربت لندن وضربت باريس بالصواريخ السوفيتية ؟ »

بعد صدور هذا الانذار السوفيتي بعدة ساعات صدر بيان بريطاني فرنسي يعلن انه تقرروقف القتال وانهاء العمليات العسكرية في الساعة الثانية عشرة مساء بتوقيت جرينتش .

كان من الطبيعي اذن ان يربط الرأي العام المصري ، والعربي والدولي أيضا انتهاء العدوان الثلاثي بهذا الانذار السوفيتي الخطير .. ولكن حدث بعد ثلاث سنوات ان وقع خلاف شديد بين الرئيس جمال عبد الناصر وبين زعماء الاتحاد السوفيتي ، وكان مرجع الخلاف الى الضربات القوية التي وجهها عبد الناصر الى الفئات الشيوعية في سورية وفي مصر ، واستنكاره ما كان يجري في العراق ايام عبد الكريم قاسم .. فقال عبد الناصر وقتها في خطاب يهاجم فيه الاتحاد السوفيتي انه لافضل للسوفيت في مواجهة العدوان البريطاني والفرنسي .. فقد توقف القتال قبل ان يصدر الانذار السوفيتي .

ودهش الناس عندما سمعوا وقرأوا هذا .. بل ان صحيفة نيويورك تايمز قالت في افتتاحيتها ان عبد الناصر مخطىء في ترتيب الاحداث .. وان الانذار السوفيتي صدر قبل توقف القتال بعدة ساعات !

همرشولد

التطوع لمحاربة المعتدين الثلاثة .. عندئذ سارع الاتحاد السوفيتي فقدم اقتراحا الى مجلس الامن بان يدعو الدول الى ارسال محاربين متطوعين !!

وواصلت واشنطون ضغطها بكل الوسائل .. وانخفض الجنية الاسترليني انخفاضا كبيرا بات يهدد بريطانيا بخطر اقتصادي داهم .. وهددت الهند بالانسحاب من الكومنولث البريطاني .

ايزنهاور يهدد اسرائيل

وهدد ايزنهاور اسرائيل بما لا تستطيع احتماله .. وهو فرض ضرائب على « التبرعات » التي تتدفق عليها من اليهود وغير

ولكن الواقع ان تسلسل الاحداث يبين ان ماقاله عبد الناصر كان صحيحا وليأذن لي القارىء بأن اقول هذا وفقا لما اعلمه بحكم عملي مستشارا لوفد مصر الى الامم المتحدة في تلك الايام .. ففي فجر ذلك اليوم أبلغ همر شولد السفير عمر لطفي ، رئيس وفد مصر ان بريطانيا وفرنسا قد حددتا منتصف الليل بتوقيت جرينتش لوقف القتال .. وانهم ابلغوا واشنطون بهذا ، وان وزارة الخارجية الامريكية ابلغته بهذا منذ لحظة .

كان هذا عند الفجر في نيويورك .. وفي الصباح الباكر في مصر كان محمود فوزي ، وزير خارجية مصر ، قد تلقي من وفد مصر الخبر الكبير .. وفي لحظات كان عبد الناصر قد علم بالموعد المحدد لوقف القتال ، ولم يكن الانذار السوفيتي قد صدر حتى الان .

القائد همر شولد

من المحتمل ، بل من المرجع ، ان خبرا كبيرا مثل هذا جرى بين لندن وباريس وتل أبيب وواشنطون ونيويورك والقاهرة ، ومر في أيدي كثيرين من مواطني وزارات الخارجية في تلك العواصم ، قد عرف به الاتحاد السوفيتي فسارع قادة الكرملين الى اصدار انذارهم قبل الموعد المحدد ببضع ساعات .. فلما توقف القتال ، اعتقد الناس ، جميع الناس ، ان القتال توقف كنتيجة مباشرة للانذار السوفيتي .

المهم .. ان العدوان توقف .. وجاءت قوات الطوارىء الدولية التي كونها همر شولد في خلال بضعة ايام من ضباط وجنود خليط من عدة دول ، وعين الجنرال الكندي بيرنز قائدا لها ، يتلقي اوامره من الامين العام وحده .. وكان هذا اعترافا بدور كندا في اقتراحها رسميا انشاء قوة طوارىء للامم المتحدة .

وانتشرت قوات الامم المتحدة سريعا حول قناة السويس .. واضطرت بريطانيا وفرنسا الى سحب قواتها بعد تلك المجازفة الخائبة .. وخرجتا منها بعد ان تبينتا وتبين العالم انهما لاتستطيعان القيام بعمل خطيرا كهذا ، اذا تصدت لها الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي .. فنزلتا بهذا من مرتبة « الدول الاعظم » وصارتا دولتين كبيرتين فقط !

اما اسرائيل فتلكأت في الانسحاب عدة شهور ، ثم اضطرت الى العودة وراء خطوط الهدنة التي كان بن جوريون قد أعلن انها « ماتت وتم دفنها » ولكنها كانت عودة الى حين !

اما مصر فخرجت من المعركة منتصرة انتصارا سياسيا كبيرا ، وارتفعت قامتها في قيادة تيار القومية العربية ، وزادت حركة التحرر العربي والافريقي قوة وعزيمة وخرجت عشرات من الشعوب من قبضة الاستعمار الاوربي وصارت دولا مستقلة .

واسرع همر شولد الى عملية اخرى هي تطهير قناة السويس مما القي فيها من الغام ، ومن سفينة أو سفينتين اغرقتها مصر لتسد مدخل القناة .. وفتحت القناة وعادت شريانا للتجارة الدولية ، ولكنها عادت قناة مصرية يديرها مصريون ويعود خيرها على أهل مصر ، لاعلى حفنة من الاجانب .

اما اسرائيل فحاولت ان يكون لها حق الملاحة في القناة ، ووقفت مصر دون هذا في حزم ، فحقها المطلق ان تحمي القناة من بلد بينه وبين مصر « حالة حرب » أما خليج العقبة فكان مفتوحا لاسرائيل ، وعسكرت قوة الامم المتحدة على رأس الخليج في ايلات .

تلك كانت صفحة من اروع صفحات التاريخ الحديث ، ثار فيها الرأي العام العالمي سخطا على الاستعمار القديم ، وقاد همر شولد الامم المتحدة .. فلما انزاح من مكانه أطل الاستعمار الجديد في اماكن عديدة ، منها لبنان ومنها الكونغو .. واراد همر شولد ان يكون للامم المتحدة دور جديد .. فمات مقتولا ! ○



شهادات التطعيم الدولية

● لاحظت أن السلطات الصحية في كثير من الدول في المطارات أو على الحدود تتغاضى عن طلب شهادات التطعيم الدولية فهل هو اهمال منها قد يعرض حياة الناس للخطر أم أن هذه الشهادات قد الغيت ولم يعد للمسافر حاجة اليها ؟

تنظيما لاجراءات الحجر الصحي بين الدول لضمان عدم انتشار الأوبئة وحماية للافراد المسافرين فقد نصت قوانين منظمة الصحة العالمية على الزام جميع المسافرين على حمل شهادات تطعيم دولية موحده تنص على تحصينهم بالطعم الواقي ضد ثلاثة امراض وبائية هي الجدري Small pox والكوليرا Cholera والحمى الصفراء Yellow Fever

والشهادة الدولية سارية المفعول اذا جرى التطعيم مدة ثلاث سنوات ضد الجدري والكوليرا خلال ستة أشهر بينما الحمى الصفراء لمدة عشر سنوات وهي مدة فعالية التطعيمات الثلاث .

غير أن الدراسات المكثفة حول تطعيم الكوليرا اثبتت انه محدود الفعالية بما لايزيد عن ٢٥٪ وهذا مالايعتمد عليه ولهذا أقرت منظمة الصحة العالمية



اسقاط التطعيم ضد الكوليرا منذ عام ١٩٧٣ .

اما الجدري فان الحملة العالمية لاستئصاله قد نجحت نجاحا باهرا لدرجة انه لم تسجل حالة مرضية واحدة منذ عام ١٩٧٧ مما حدا بالدول الاعضاء عام ١٩٨٠ الى الطلب بالغاء التطعيم ضد الجدري وهذا ماتم تنفيذه عام ١٩٨٠ .

ولما كانت الحمى الصفراء مقصورة على مناطق معينة من اواسط افريقيا وامريكا الوسطى والبرازيل فقد بقي الطعم الوحيد المطلوب من المسافرين الى هذه المناطق فقط .

ومن هنا اصبح طلب شهادة التطعيم الدولية قصرا على المسافرين الى المناطق الموبوءة بالحمى الصفراء علما بأنه يؤخذ على شكل حقنه واحدة ذات فعالية لمدة عشر سنوات ابتداء من اليوم العاشر بعد عملية التطعيم .

ضغط الدم المنخفض

○ أعاني من انخفاض ضغط الدم حسب ما أفادني الطبيب عقب الكشف وقد أصابني القلق من احتمالات مجهولة بسبب هذا الانخفاض وخاصة أنني كثيرا ماأسمع عن مشاكل ارتفاع ضغط الدم فهل لي أن أعرف احتمالات الخطر من انخفاض ضغط الدم ؟

ضغط دم الانسان الطبيعي المعتدل الذي يمثل محصله القوى لكل من قوة ضربات القلب وحجم الدم وحالة جدران الاوعية الدموية هو في المتوسط ١٢٠/ ٨٠ قد يزيد أو يقل قليلا .

غير انه اذا تدني عن ٩٠/ ٦٠ يمكن أن يعتبر انخفاضا في ضغط الدم ولكن الامر على اية حال نسبي يختلف حسب العمر والجنس فهو أقرب الى الانخفاض عند الاطفال والنساء عنه عند الكبار والرجال .

في أغلب احوال انخفاض ضغط الدم يعتبر حالة لاخطر منها ولاضرر وليس بحاجة الى علاج جذري عاجل بل العكس هو الصحيح اذ وجد ان هناك توافقا كبيرا بين طول العمر واكتمال الصحة وبين انخفاض ضغط الدم وهذا ما اكدته دراسات شركات التأمين في هذا المجال .

قد يعزو بعض الناس أعراضا يشكون منها مثل التعب السريع أو الصداع أو شعور بالدوران او الامساك الى انخفاض ضغط دمهم غير ان الغريب أن مثل هذه الاعراض قد يشكو منها اصحاب ضغط الدم المرتفع ايضا لهذا ليس من فائدة تذكر لعلاج هذه الاعراض برفع ضغط الدم .

ومع ان انخفاض ضغط الدم لايعتبر ظاهرة مرضية خطيرة ولا هو دليل على مرض كامن في الجسم الا ان هناك احوالا مرضية قد يصاحبها انخفاض الضغط منها :

سوء التغذية والأنهاك الحراري مع فقدان الاملاح

والسوائل أو قد يعقب النزيف الشديد كما يصاحب فقر الدم او الصدمة العصبية أو انسداد الشريان التاجي أو ربما رد فعل للحساسية وخاصة من عقاقير معينة وهذه تدل عليها الأعراض الاخرى الاكثر خطورة ولعل من أشهر اعراض انخفاض ضغط الدم هو شعور المصاب بالدوران أو شبه الاغماء عند النهوض فجأة من السرير أو عند الاخراج ولكن هذا أمر يبقي هينا اذا ماقورن بمشاكل ارتفاع ضغط الدم .

الترياق

قرأت عن الترياق وسمعت به كثيرا على أنه البلسم الشافي من كل مرض فهل حقا ما أسمع ؟ ولماذا لا يستعمل في الطب ما دام كذلك أم أنه دجل وشعوذة ؟

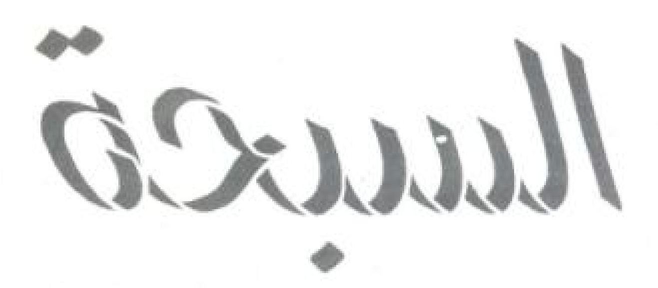
الترياق رمز لاسطورة سادت الفكر الطبي قرونا طويلة يعود في الاصل الى شاعر اغريقي قديم يدعونه نيكاتور Nikator (٢٠٤ - ١٣٥ ق . م) نظم قصيدة تتحدث عن الحيوانات السامة اطلق عليها اسم الترياكا Theriaca

لقد اثارت هذه القصيدة خيال ملك بونتاس Pontus في آسيا الصغرى وهو الملك ميتريداتوس السادس Mithridates VI (٦٣ - ١٣٢ ق . م) الذي كان يخشى مؤامرات اعدائه واغتياله بالسم فتعاون مع طبيبه في صناعة مزيج من العقاقير كان يعتقد انها مضادة لجميع السموم وجهز منها شرابا يحوي ٣٦ مادة سميت باسمه ميتريدات Mithridate ولقد انتقلت هذه الوصفة الى روما فتلقفها اندروماخوس Andromachus طبيب القيصر نيرون فعدل فيها وأضاف اليها ٦٤ مركبا اشهرها لحم الافاعي .

وقد اعجب الطبيب المشهور جالينوس بهذه الوصفة وسماها الترياق Theriac بعد هذا شاع امر الترياق واشتهر واصبح مع الايام رمزا للبلسم الشافي من كل سم بل أنه الدواء لكل داء وصار له طقوس وتقاليد وقواعد واسرار تناقلتها اجيال الأطباء القدامى وسجلتها دساتير الادوية حتى مطلع عصر النهضة الحديثة التى كشفت زيف الهالة التى احاطت بالترياق لدرجة أن أحد الاطباء كتب يقول فيه « ان الترياق لا يحوي سوى قمامة الدكاكين »

وهنا اسقط دستور الادوية الانجليزى عام ١٧٨٨ عقار الترياق من قائمة علاجاته ثم تبعه دستور الادوية الفرنسي عام ١٩٠٨ بعد ان وصل عدد عناصر الترياق ٧١ مادة .

وعليه فان الترياق لايجد مكانا في عصرنا الا في وصفات الدجالين أو عند اهل الطب الشعبي القديم .



السبحة

بقلم : جمال الغيطاني

وريشة : بهجت عثمان

« . . من أبهج المشاهد وأغناها التي احتفظ بها في خزائن ذاكرتي ، شارع المشهد الحسيني وأنا اجتازه قادماً من قصر الشوق حيث كنت أسكن ، وعلى طول جدار مسجد مولاي الحسين يصطف باعة السبح الملونة ، عناقيد الحبات الملونة تتدلى متداخلة متجاورة ، ويزدهر المشهد في الليالي الرمضانية ، وحول مسجد سيد الشهداء يطلع علينا فجأة واحد من أحبابه ودراويشه وقد تدلى من عنقه عدد من السبح حتى كاد يغطي صدره ، للأسف اختفى هذا بعد ان تم اجلاء هؤلاء الباعة مع سبحهم خلال حملة ادارية بيروقراطية منذ عامين ، ازالت فيما ازالت أحد المشاهد التي تمت للزمن الجميل المندثر ، ولكن بقيت السبح في خان الخليلي وفي الأيدي ، وأيضاً . . حول الأعناق . .

أصل السبحة

« . . تحفة أهل الفتوحات والأذواق ، في اتخاذ السبحة وجعلها في الأعناق » ، هذا عنوان كتاب قديم نادر ، كتبه الشيخ الامام القدوة الهمام مربي المريدين ومرشد السالكين ذو النور الخارق والفتح الخارق العارف الرباني سيدنا ومولانا فتح الله بن الشيخ سيد ابي بكر البناني . . » طبع هذا الكتاب في القاهرة منذ حوالي مائة عام ، ولم يتكرر طبعه ، والمؤلف ولد في مدينة الرباط في شهر رجب الغر سنة إحدى وثمانين ومائتين والف ، يقول في أصل السبحة ، انها مشتقة من التسبيح وهو تفعيل من السبح الذي هو المجيء والذهاب . لأن لها في اليد مجيئاً وذهاباً مأخوذ من قول الله تعالى : « ان لك في النهار سبحاً طويلاً » وكان الرسول عليه الصلاة والسلام يعقدها بيده ، قال الشريف المقدسي روى ابن ابي شيبة عن ابن عمر رضي الله عنهما انه رأى النبي يعقد السبحة بيده ، وروى الديلمي في مسند الفردوس ان النبي قال نعم المذكر السبحة ولكن قال البعض ان السبحة أمر دخيل على الاسلام ، وتعرضت السبحة للهجوم ، فتصدى الشيخ جلال السيوطي لذلك وكتب رسالة لطيفة تتعلق بالسبحة ، استنبط فيها أصلاً من السنة وذكر ان جماعة من الصحابة



منهم عائشة وأبو هريرة وأبو الدرداء كانت لهم السبحة .

وفي دائـرة المعارف الاسلاميـة ، كتب المستشرق فنسنك مقالة عن السبحة قال فيها :

« هي المسبحة المعروفة التي يستعملها في الوقت الحاضر جميع المسلمين الا الوهابية الذين ينكرونها ويعدونها بدعة ، وثمة شواهد على انها استعملت أول ما استعملت في أوساط

الصوفية . وبين الطبقات الدنيا للمجتمع ، وقد ارتفعت أصوات باستنكارها في القرن الخامس عشر الميلادي ، وهنا يشير فنسنك الى رسالة جلال السيوطي التي وضعها دفاعا عن السبحة ، وقد جرى الدراويش على حمل السبحة في أيامنا هذه ، ثم يصف السبحة فيقول انها مجموعات من الحبات المصنوعة من الخشب أو العظم أو الصدف ، أو غير ذلك ، ويفصل هذه المجموعات حبتان مستعرضتان أكبر حجماً ، ويتفاوت عدد الحبات في كل مجموعة ، مثلاً ٣٣ + ٣٣ + ٣٣ أو ٣٣ + ٣٣ + ٣١ . ويبلغ عدد حباتها مائة حبة تمشياً مع عدد أسماء الله الحسنى البالغة تسعة وتسعين اسماً ، وتستخدم السبحة في عد هذه الأسماء ، لكنها تستخدم أيضاً في عد الدعوات . أي في الذكر وفي الصيغة التي تختم بها الصلاة ، وقد ذكرت المسابح في عهد متقدم يرجع الى سنة ٨٠٠ ميلادية ، ويرى المستشرق المجري جولد تسيهر ان السبحة انتقلت من الهند الى غرب آسيا ، وفي الطبعة العربية من دائرة المعارف الاسلامية يعلق ابراهيم زكي خورشيد على ما كتبه المستشرق فنسنك فيقول ان هذه الاداة مستحدثة ، ولا أصل لها في الاسلام ، بل دخلت عليه من الصوفية ، أما عد الدعوات أو الأذكار على الأصابع فهو عمل طبيعي ، اذا أراد الداعي أو الذاكر أن يقرأ عدداً معيناً مما هو بصدده والا ماذا يفعل ؟ . ولكن بعض مشايخ الصوفية لهم وجهة نظر اخرى فيما قاله ابراهيم زكي خورشيد ، اذ انه من السهل للانسان المتعبد ان يعد على أصابعه أسماء الله الحسنى ، لكن الصوفية الذين يذكرون هذه الأسماء آلاف المرات لا بد لهم من السبحة خشية النسيان وعدم انتباه الذهن .

وفي صحيح مسلم حديث ثابت عن الرسول عليه الصلاة والسلام يقول :

« عن ابن عمر : ان رسول الله ﷺ كان اذا قعد في التشهد وضع يده اليسرى على ركبته اليسرى ، ووضع يده اليمنى على ركبته اليمنى ، وعقد ثلاثاً وخمسين وأشار بالسبابة » .

يقول ابراهيم زكي خورشيد ان معنى العقد واضح هنا ، وهو ما يفعله المصلون في جلوسهم للتشهد في الصلاة : يضم أصابعه الثلاثة الى كفه ويضع طرف الابهام على طرف الأصبع الوسطى ويشير بالسبابة . فتكون الدائرة الناتجة من طرف الابهام مع طرف الوسطى كمثل دائرة الخمسة ، وتكون الأصابع الثلاثة المضمومة الى الكف اشارة الى الثلاثة فيكون ذلك رسم ٥٣ . ومن ثم لا يجوز ان يؤول هذا المعنى ، ويحرف الحديث عن وجهه ـ الى معنى ربط عقد خيط أو نحوه ؟

أهل السبحـــة

يقول السيوطي في دفاعه عن السبحة ان جمعاً من الصحابة منهم عائشة وأبو هريرة وأبو الدرداء اتخذوا السبحة ، وكذلك جمع من الأولياء كالجنيد والجيلاني ومعروف الكرخي ، وللمحدثين مسلسل بمناولة السبحة ينتهي بالحسن البصري ، ومن أغرب السبح التي ورد ذكرها سبحة الشيخ الطالب بن الحاج رضي الله عنه ، يقول صاحب كتاب « تحفة أهل الفتوحات والأذواق » :

« لما حللت فاسا لزيارة مولانا ادريس ووالده والاخوان والأولياء ، الكائنين بها الأحياء والمنتقلين نفعنا الله بهم ورأيت فيها سبحته التي كان يذكر بها رضي الله عنه وتبركت بها وهي عظيمة جداً بحيث كان يعلقها في سقف الخلوة تعظيماً لها وتحفظاً عليها لكونها آلة يستعان بها في الجهاد الأكبر والسقف المعلقة فيه عال في الجملة وتصل الى الأرض ويستعملها على تلك الحالة وقد جعل لها جرارة ليسهل دورانها فيها » .

وقد قال بعض الشيوخ المتصوفين ، « لو امكننا التسبيح بالجبال لفعلنا أي بان يجعل حبة السبحة مقدار الجبل أو نفس الجبل لما في ذلك من الأسرار ، وقال بعضهم انه يجب تعليقها في العنق بعد الفراغ من التسبيح ذلك أفضل من بقائها في اليد لاسيما عند التوجه في الطرقات لأن العنق محل الطهارة بخلاف اليد .

وقد ورد في « لطائف المنن » للشيخ الشعراني لقد وقعت رجلي مرة على السبحة فكدت أهلك من ذلك ، « ويعتبر بعض الصوفية ان احاطة العنق بالسبحة اذا كان حجمها غليظاً نوع من مكابدة المشاق وترويض النفس ، وقال البعض ان وضعها في العنق يورث الفقر . ولكن صاحب « تحفة أهل الفتوحات والأذواق » يرد على ذلك رداً حاسماً :

« نعم قد يكون جعلها في العنق يورث الفقر في حق من جعلها رياء وسمعة وشبكة لنيل الدنيا ، وأخذ أموال الناس بالباطل » .

.. وعند قراءتي هذا تذكرت واحداً من نجوم عصر الانفتاح الاقتصادي لا يظهر في وسائل الاعلام المرئية والمقروءة الا والسبحة في يده ، مع ما عرف عن سيرته بالباطل ، ولهذا أدعو الله تعالى ان يحل به ما قاله الشيخ البناني صاحب الكتاب المشار اليه ، وقد صار تعليق السبحة في الأعناق أحد المظاهر المميزة لشعار الطائفة الشاذلية الدرقوية .

وقد ذكرت السبحة فى الشعر ، فمن ذلك ما قاله ابن عبد الظاهر :

وسبحه أناملي قد شغفت بحبها
مثل مناقير غدت ملتقطات حبها

وقيل فيها شعر على سبيل اللغز :

ومنظومة الشمل يخلو بها
اللبيب فتجمع فى همته
اذا ذكر الله جل اسمه
عليها تفرق من هيبته

وقد ذكر المستشرق الانجليزى ادوارد لين فى كتابه « المصريون المحدثون » بعض التفاصيل الخاصة بالسبحة ، ولكنها تتعلق هنا بالوفاة ، فالليلة الأولى بعد الوفاة تسمى « ليلة الوحشة » ، وفيها تؤدى بعض الشعائر التى أطلق عليها « السبحة » وتستمر ثلاث أو اربع ساعات ، حيث يجتمع ما يقرب من خمسين فقيها أحيانا بعد العشاء فى المنزل أو فنائه ، أو امام المنزل على حصر تمد لهم ان لم يكن بالمنزل غرف تسعهم ، ويحضر احدهم سبحة من الف خرزة بحجم بيض الحمام تقريبا ، فيبدأون بقراءة سورة الملك ثم يقولون ثلاثا « الله أحد » ويتلون بعد ذلك سورة الملك والفاتحة ، ثم يقولون ثلاثا « اللهم صل أفضل صلاة على أسعد مخلوقاتك سيدنا محمد وعلى اصحابه وسلم « ويضيفون » ان الذين يذكرونك هم التابهون ، والذين يغفلون ذكرك هم المقصرون » ويرددون بعد ذلك « لا اله الا الله » (ثلاثا) الف مرة ، ويحسب احدهم عدد ما قالوه بدفع خرزة من السبحة بين اصابعه فى كل مرة ، ويستريحون أحيانا بعد كل ألف ، ويتناولون القهوة ، وبعد اتمام الألف الاخيرة يستريحون ويتعشون ، ويقولون مائة مرة ، سبحان الله وبحمده ، ثم مائة مرة : استغفر الله العظيم ، ثم مائة مرة : استغفر الله العظيم ، ثم خمسين مرة : « سبحان الرب الدائم » ، « سبحان الله الدائم » ، ثم يتلون من سورة الصافات الآيات الثلاث الأخيرة وبعد ذلك يتلو فقيهان منهم أو أكثر « عشرا » أو آيتين من القرآن أو ثلاثا ، كل على انفراد ثم يسأل احدهم رفقاءه : « هل وهبتم ما قرأتم الى روح الميت ؟ » فيجيبون : « وهبناه » ويضيفون : « وسلام على المرسلين » ، ويختم بها شعار السبحة .

ويقول ادوارد لين ان المصلى يحصى دعاءه على السبحة ، وتتكون من تسع وتسعين خرزة ، يفصل بين كل ثلاث وثلاثين منها علامة ، وتصنع من العود أو غيره من الخشب المعطر

الثمين ، أو من المرجان ، أو من نوى بعض الثمار .

صناعة السبح

خان الخليلي ، هو مركز صناعة السبح ، ومنذ عشرات السنين تشتهر ثلاث عائلات بصناعتها ، المرحوم سيد خليل ، والمرحوم صالح كرم ، والقاضى ، وأشهر المواد التى تصنع منها السبح « الكهرمان » . وهو مادة تفرزها بعض الأشجار فى منطقة تقع بين المانيا والاتحاد السوفيتى ، تشبه الصمغ ، تجىء على هيئة اقراص ، ثم تخرط على شكل حبات ، وللكهرمان عدة أسماء منها الكهربا ، والكربة ، ويعرف الأصلى من الزائف بان تحك القطعة فى الصوف فاذا التقط ـ كالمغناطيس ـ يكون اصليا ، كذلك اذا دعك فى الصوف تنبعث منه رائحة طيبة . يقول محسن خليل احد أمهر صناع السبح فى الخان ان بعض أقراص الكهرمان تجىء وقد انغرست فيها حشرات أو فراشات صغيرة ، وتكون بهذا الوضع من القطع النادرة ، وهناك مصدر آخر للكهرمان وهو عقود الزينة الخاصة بالفلاحات فى الريف المصرى ، وحباتها صفراء كبيرة ، وكانوا حتى الأزمنة القريبة يقدمون هذه العقود كمهر للعروس ، منذ خمسة عشر عاما كان سعر الجرام من الكهرمان خمسة عشر قرشا وصل الآن الى حوالى عشرة جنيهات .

المادة الطبيعية الاخرى التى تصنع منها السبح مادة « اليُسر » بضم الياء ، وهى مادة تنبت فى البحر كالشعاب المرجانية ، لونها أسود ، وتطعم الحبات بالفضة أو الذهب ، واليسر الحقيقى تنبعث منه رائحة كرائحة السمك اذا فرك باليد ، ويتكون من طبقات ، وقديما كان البعض يظنون انه بلد ، وفى العراق يضعون سبحة من اليسر فى عنق الام عند الولادة لتسهيل خروج الجنين الى الدنيا ، ويتفاءل الناس به ، ويعتقدون ان حمل اليسر ييسر قضاء الأمور الصعبة ، والمواد الأخرى التى تصنع منها السبح صناعية ، ومنها الفاتوران ، والساندلوس ، والعنبرويت ، وكلها من مشتقات البترول ، ويقوم الصناع باجراء عملية لهذه المواد يسمونها « التعطيش » لاكساب الحبات تموجات لامعة تشبه النجوم ، وذلك بان يتم تسخين زيت الطعام الى درجة حرارة مرتفعة جدا ، ثم تلقى الحبات فيه ، ثم تنقل الى وعاء فيه كحول ولون الصبغة ، ومن هذه الحبات تصنع السبحة المنجمة ، وهناك نوع من السبح فى كل حبة عدسة صغيرة اذا نظرت من خلالها ترى صورة الكعبة ، واهل الخليج العربى يفضلون السبح المصنوعة من سن الفيل ، وتطعم احيانا بالذهب أو الفضة ، أما العراقيون فيفضلون السبح المصنوعة من اليسر والساندلوس ، أما السودانيون فيفضلون السبح المصنوعة من خشب الصندل على أن تكون الحبات على هيئة الترمس ، ومن أشهر السبح ، السبحة البرهمية ، نسبة الى سيدى ابراهيم الدسوقى وحباتها بنية اللون ، عددها ٩٩ حبة ، تنتهى بعشر حبات تسمى العداد ، ويوجد فى السبحة عدادان ، احدهما رأسى ، والآخر افقى ، والغرض منهما احصاء التسبيح الف مرة ، السبحة العادية تعداد حباتها ٣٣ ، على أساس ان عدد أسماء الله الحسنى تسعة وتسعون ، واسمها « الثلث » ويسهل وضعها فى الجيب ، وهناك سبح تتكون من ٦٦ حبة ، واخرى من ٥١ ، واخرى من ٤٥ حبة ، وبالطبع لكل منها طريقة خاصة فى التسبيح ، وتستخدم الآن الفضة فى تصنيع السبح ، ويتفنن صناع الخان فى أشكال الحبات الفضية ، يقول « فتحى » أحد الصناع الماهرين للفضة ، ان الاقبال يتزايد على السبح الفضية ، وهناك من يرسل الى طلب الشراء منها لتقديمها كهدايا ، وأوصى البعض على سبح من الذهب الخالص . .

وسبحان من له الدوام . ○

إنها ليست قوانين طبيعية

بقلم : الدكتور عارف دليلة

هل القوانين الاقتصادية الموضوعية ، كقانون العرض والطلب ، مثلا ، من « القوانين الطبيعية » ؟ .

قد يفاجأ البعض بهذا السؤال ، إلا أن المسألة مطروحة جديا ولها استخداماتها الكثيرة والخطيرة !

ان القوانين التى نتحدث عنها هنا ليست تلك القوانين المكتوبة التى تشرعها سلطة ما وتلزم الناس بتنفيذها . . فهذه تسمى بالقوانين الوضعية . . أما القوانين الموضوعية فهي تلك « القوى الخفية » التى توجه وتتحكم بالظواهر الطبيعية والاجتماعية . فظواهر مثل غليان الماء عند درجة حرارة معينة ، وسقوط المطر فى شروط جوية محددة وغير ذلك من الظواهر الطبيعية المتكررة جعلت الانسان يبحث عن العلاقة بين الأسباب والنتائج ويكتشف القوانين التى تتحكم بوقوع هذه الظواهر ، ثم يعمم المعرفة والتجربة المتراكمة لديه عنها ليتوقع حصولها مسبقا .

لكن المجتمع ظاهرة مختلفة عن الظواهر الطبيعية ، وأكثر تعقيدا منها بكثير . ويرجع ذلك الى أن مادة المجتمع هى الانسان ، وليست الأشياء . وميزة الانسان النوعية هى العقل . فهومادة وعقل بينما الطبيعة هى مادة غير عاقلة ، وفي الجزء الحيواني الأكثر تطورا فيها هي مادة وغريزة ، والغريزة ثابتة أما العقل فمتطور . والميزة النوعية الثانية للظاهرة الاجتماعية هى الدور الكبير الذى تلعبه العلاقات الاجتماعية فى تاريخ الانسان ـ فالمجتمع لايتكون من ذرات منعزلة ، وانما من « خلايا » مترابطة متفاعلة تتناقل عبر الزمان والمكان معارفها وتجاربها لتضيف اليها . ولذلك فبالرغم من أن قوانين

الحياة الاجتماعية تعمل ، مثل قوانين الطبيعة ، بصورة موضوعية أى بشكل مستقل عن إرادة ورغبات الانسان ، الا انها تختلف عن القوانين الطبيعية بأنها لاتعمل الا من خلال الانسان وبواسطته . فهى لاتلغى دوره بل تؤكده . وهكذا فان الانسان يقف بين « مسير » ، إذا كان مستسلما استسلاما سلبيا أعمى لما تصنعه به هذه القوانين ، وبين « مخير » ، اذا استطاع اكتشافها وفهم طريقة عملها وعدم انتظار ماتحمله له بل الاحتياط لما هو غير مرغوب من « أعمالها » والاستعداد مسبقا لما يمكن أن تأتى به فى غير صالحه ، من أجل تعديل عملها وتغيير نتائجها . وهنا بالذات تبرز وظيفة الميزتين النوعيتين للانسان ، كمخلوق عاقل وكخلية اجتماعية ، بالمقارنة بما يحصل فى العالم *الطبيعى ، بما فيه العالم الحيوانى* .

وبكلمة أخرى ، فان الطابع الموضوعى للقوانين الاجتماعية « مطعّم » بوعى الانسان وارادته وحركته الاجتماعية التاريخية المتطورة عبر الزمان والمكان ، بينما الطابع الموضوعى للقوانين الطبيعية ثابت وذو حتمية مطلقة بالنسبة لوعى الانسان وقدراته .

الانسان واكتشاف القوانين الموضوعية

تميز الاسلام من بين العقائد بايقاظ وعى الانسان على مكانته وقدراته الطبيعية والاجتماعية وبدعوته الى ممارسة دوره على الوجه الاكمل فى اعمار العالم ومايتطلبه ذلك من اعلاء لشأن العقل والعلم فى الحياة والاندفاع نحو اكتشاف أسرار الكون القريب منه والبعيد . وليس أبلغ على ذلك كله من اعتباره خليفة فى الأرض وما يتضمنه هذا الاستخلاف من مسؤوليات جسام فى إدارة شؤون الحياة على هذه الارض .

لقد تطور العقل الانسانى تطورا هائلا عبر العصور . فى البداية وعلى مدى احقاب طويلة كان الوعى الانسانى يتطور كانعكاس للتجربة والممارسة .

فمن خلال الاحتكاك بالطبيعة والحياة الاجتماعية كانت تستقر لدى الناس خبرات وتجارب معينة مايلبثون أن يصيغوها فى صياغات ثابتة قابلة للانتقال والتعميم . وكان ذلك فى كثير من الأحيان سببا للجمود والمحافظة ومقاومة الجديد .

فعندما تثبت التجربة خطأ المعارف والخبرات المتراكمة *أو ضرورة تعديلها* كان ذلك يصطدم على نطاق الوعى بروح المحافظة والتقديس والعادات والتقاليد التى تكاد تتحول الى مايشبه *الطبيعة الثابتة* .

وكان الصراع بين القديم والجديد يكلف البشرية الكثير ويضيع عليها الكثير . لكن الجديد ورغم الكثير من الخسائر كان ينتصر فى نهاية المطاف . فى هذا المستوى من التطور كانت التجربة والممارسة تسبق الوعى وتحدده وتتحكم بتطوره .

أما المرحلة الثانية والتى ازدهرت مع ازدهار الحضارة الاسلامية فقد تميزت بقفزة كبيرة للوعى جعلته يتقدم على التجربة والممارسة ليجرها وراءه .

وكان من نتيجة ذلك النهوض السريع فى التطور الاجتماعى والفسحة غير المحدودة التى أتيحت للانسان ليتعرف على أسرار الطبيعة وينظم حياته فيها والتى اتسمت بتطور واسع فى مختلف ميادين العلم والمعرفة . لكن القيود التى فرضتها التجربة والممارسة فى الواقع على نهضة العقل لاحقا أدت إلى محدودية الآفاق التطبيقية والاثار الواقعية لهذه النهضة ، وحصل الانفصال ثم التعارض بين التجربة والنظرية ، ثم أطبقت التجربة على الوعى حتى جعلته خادما لها ، ينحدر بدرجات متسارعة مع انحدارها .

فى ذلك الوقت كان الغرب قد بدأ يتفتح على الشرق وعلى علومه وتجاربه وفى الوقت الذى كان يتحطم فيه الشرق بفعل تناقضاته الداخلية وتحجره العقلى والضربات الخارجية ، استطاع الغرب أن يمسك بطرف الخيط ، وأن يستولى على الشعلة التى بقى قرونا يستضىء بنور ذؤابتها دون أن يتمكن من إغنائها بشىء . ثم بدأت التجربة تتفتح لديه .

وأخذ العقل الغربى الحديث يتطور مع تطور الممارسة ، ويلتصق التصاقا حميا بالمصلحة المباشرة للناس . وليس غريبا أن يطغى المذهب النفعى فى كل مجالات المعرفة والحياة فى الغرب ، وإن كان هذا المذهب النفعى لاينطلق من مصلحة الجماعة أو المجتمع ، وإنما من مصلحة الفرد المنعزل ، التى أصبحت محصورة بقلة من أفراد المجتمع ، هذه المصلحة التى يفترض ، تسليما ، أنها تتطابق مع مصلحة المجتمع بشكل عام ، وأن التعارض بينهما ليس الا استثنائيا ومؤقتا !

وراء المصلحة الخاصة

فى هذه المرحلة كان تطور الوعى والعلم يجرى من خلال علاقة متبادلة مباشرة مع تطور التجربة التى تحرضها المصلحة الخاصة ، وبشكل موازلها . وهذا مايفسر التطور غير المحدود فى الكشف عن القوانين الطبيعية ، مقابل محدودية الكشف العلمى عن القوانين الاجتماعية ، والاحجام المغرض عن التوجيه الصحيح للحياة الاجتماعية عندما يصطدم بالمصالح الخاصة السائدة ، وتوقف هذا الكشف عند خدمة هذه المصالح . فالعصر الحديث هو عصر ظهور وتطور الرأسمالية فى الغرب . والرأسمالية ، بعكس الانماط الاجتماعية السابقة لها ، هى النظام الذى تتحول فيه الثروة الجامدة الى رأسمال حي تتوسع دائرة استغلاله دون حدود ويكتسب فيه المال المكنوز الحياة ، فيتزايد دون توقف من خلال الاستغلال والتراكم . ولا يجرى ذلك الا عبر تنافس وتطاحن المصالح الخاصة . وهذا ما يتطلب التسابق على تطوير وسائل وفنون الانتاج والادارة الاقتصادية للموارد لتحقيق مبدأ « أقصى عائد بأقل تكلفة » من أجل الصمود فى المنافسة واخراج الاخرين من السوق واحتلال مكانهم ، هذا القانون اصبح له تطبيقاته الخطيرة على المستوى العالمي . وهكذا فقد أصبح العلم والوعى كله ، سواء مايتعلق منه بخدمة الممارسة مباشرة ، مثل الهندسة والفيزياء والكيمياء والرياضيات وغيرها ، أو مايتعلق منه بالفكر ، كالفلسفة وآلاداب والفنون والاخلاق والدين والاقتصاد والسياسة وغيرها ، كل ذلك أصبح مسخرا للهدف الأعلى والاسمى لهذا النظام ، وهو خدمة المصلحة الخاصة المجسدة أولا وأخيرا بالربح وتراكم الثروة وهما أساس السيطرة فى عالم من المصالح المتصارعة .

وكان من أبرز متطلبات هذا النظام ، بالاضافة الى تسخير الوعى للمصلحة مباشرة ، اضفاء الصفة الطبيعية الخالدة على القوانين الاجتماعية والاقتصادية السائدة ، بل واعتبارها « قوانين إلهية » مطلقة ، لاتقبل النقاش !

فقانون القيمة ، وقانون العرض والطلب اللذان يعتبران من أهم القوانين السائدة فى الحياة الاقتصادية الرأسمالية أصبحا يتمتعان بقدسية مطلقة ، حسب الأيديولوجيا السائدة ، وما يأتيان به هو العدالة الكاملة ، بل هو « العدالة الالهية » حسبما يزعمون !

بل يذهب الفكر الخادم للمصلحة السائدة الى البرهان على أن قوانين النظام هذا ، هى قوانين الحياة الانسانية منذ خلق الانسان على الأرض والى يوم يبعثون ! وليست قوانين لهذا النظام وحده ، ولدت مع ولادته ، وتزول بزواله .

قوانين مصالح متعارضة

بما أن الانسان ليس واحدا ، وانما هو مختلف حسب المصالح ، وهو مختلف ، لذلك ، فى الوعى والنظر الى الأمور ، فقد كان للمسألة وجهها الآخر . فعلى مستوى المجتمع الواحد أدى تطور النظام الرأسمالى الى « انشقاق » إنسانى واسع ، بين قلة تهيمن على كل المقدرات والمصائر ، وبين كثرة ساحقة لا تملك من شأن مصيرها شيئا ، ومايعطى لها فهو « نصيبها المقدر » بفعل هذه « القوانين الطبيعية » المزعومة التى لامرد لارادتها !

واذا شاءت هذه القوانين أن يموت الناس من الجوع ، فى الوقت الذى يحرق الأثرياء ثرواتهم المتراكمة من جهد هؤلاء الناس ، خوفا من إنخفاض الاسعار لو عرضت كل المنتجات فى الأسواق ، فانهم يصورون ارادة القلة على انها « ارادة الله » لأنها تطبيق « لقوانينه » الثابتة كما يزعمون !

وهكذا ، وبكل « بساطة وتواضع » يتنازل الاحتكاريون عن نسبة القوانين الى نظامهم ، وعن الدور المناط بهم لتنفيذ هذه القوانين وحمايتها من أى معارضة تهدف الى تعديلها أو الغائها ، لينسبوا هذه القوانين الى الله سبحانه وتعالى ، وليطابقوا بين مصلحتهم الحكمة الالهية !

واذا كانت قوانين تطور الاستعمار والعلاقات الدولية التى قامت عبر قرون طويلة على النهب بمختلف الوسائل والأساليب قد أدت الى إفقار ثلاثة أرباع شعوب العالم وابقائها فى حالة يائسة من التخلف والبؤس والجمود ، بينما تتحول ثرواتها المنهوبة فى أيدى ناهبيها الى إنتاج أسلحة التدمير الشامل ووسائل القهر والافساد التى تحقق أعلى الارباح لأرباب هذه المصالح فانهم يصدرون الينا أيضا الفكر الذى يفلسف ويبرر هذا الواقع « بقوانين طبيعيه » ، بل « إلهية » لايتحمل مسؤوليتها بشر ، ولادول ، ولاسبيل لتعديلها إلا بدفع المطالب والمظالم الى سلطانهم العالى !

وبكل وعى « جنتلمان رفيع » ، وبكل « وقار أكاديمى » يكرر قادة ومثقفو وأساتذة جامعات العالم الثالث النظريات والتفسيرات « الطبيعية ، الالهية » المزعومة التى يستوردونها مع البستهم الأنيقة ، وأدواتهم المنزلية ، وزينات بيوتهم ، وتكنولوجيا صناعتهم ، ووجبات طعامهم ، من الغرب والتى يفرضونها على شعوبهم وتلامذتهم ليؤكدوا لهم ، من حيث يدركون أو لا يدركون ، ان الانسان المستخلف فى الارض ، والذى أودع أسرارها ، ويعمل بمقتضى ماأودع لديه ، هو ذلك الانسان الغربى ، وهو المجتمع الغربى ، والدولة صاحبة السيادة !!!

ويمشون فى جنازته !

وهكذا فان الغرب الاستعمارى الذى دمر كل شروط الحياة الطبيعية المستقرة فى الشرق ، بدءا بصيد واهلاك سكانه (صيد الزنوج من افريقيا واستعبادهم فى أمريكا) ومرورا بنهب كل ثرواته ، ثم تخصيصه بانتاج مايحتاجه الغرب وباستهلاكماينتجه الغرب مما لايحتاجه ، وانتهاء بـ « اصطياد » خيرات أرضه وثمرات عمل شعوبه ، بوسائل « اقتصادية شرعية » جدا !! وعبر العلاقات « المتكافئة » بين دول وحكومات ذات سيادة ! ، وبما يتطابق كليا مع « قوانين العرض والطلب » السائدة ، التى تأبى إلا أن تجوع بعض الشعوب بينما تحرق دول أخرى ماتنهبه منها من ثروات ! ان هذا الغرب يفعل كل ذلك وهو مستريح الى نومة شعوب العالم الثالث المخدرة والغافلة عن أسباب ومصادر بلواها ، وكأنها « قدرها » المكتوب !

ويساهم فى حمل نعش القتيل قطاع « واع » فى العالم الثالث يتصدى بكل « أريحية » و « شهامة » للواجب !

فاذا مافتقدت الشعوب الغذاء نتيجة النهب المنظم من الخارج والداخل ، ونتيجة العمل المكثف والواعى لاقامة شروط اقتصادية واجتماعية تطرد الانسان بعيدا عن الارتباط بأرضه ووطنه ومجتمعه ، وبعيدا عن كل إنتاج ، ونتيجة تدمير الانظمة الانتاجية التى تؤمن له الكفاية ، تبرع « فاعلو الخير » من دول وشركات غربية بـ « التعويض » عن كل ذلك بمحفوظات الأغذية الفاسدة والمنهكة لقوى الانسان ، وبقروض ، « ميسرة » (هكذا !) تربط الشعوب بعقود عبودية أبدية لافكاك منها بأية وسائل « اقتصادية » !

أما « المرموقون » من أبناء العالم الثالث فان أعظم مايسجلونه لأنفسهم من انتصارات هو « نجاحاتهم » الباهرة فى الحصول على هذه الصدقات وقروض العبودية من « فاعلى الخير » دون النظر الى الاتجاهات الخطيرة المستمرة فى تطور مجتمعاتهم نحو مزيد من الافتقار والانصراف عن الانتاج والعمل وتخريب مايمكن أن يقدمه التعاون الاجتماعى المنظم والفعال من ثمرات نتيجة استغلال خيرات الطبيعة المحلية ، الاستغلال العلمى الصحيح ، والاستفادة من التجارب المتقدمة فى هذا المضمار وتعبئة الطاقات القومية كلها فى هذا المجال .

الشىء الأهم ، والشىء الأوحد ، الذى يشغل بال المتكاتفين على افقار الانسان ونهب الشعوب هو « النهب ، ثم المزيد من النهب » ، هكذا تقوم « القوانين » المزعومة !

لكن الانسان . . لكن الشعوب المتخلفة كلها ، لم تعد مقتنعة بذلك على أى حال . ونحن نعيش فى عصر عاد فيه الوعى الى قيادة التجربة والممارسة ولم يعد ذيلا لها . وفى ذلك يكمن الأمل ! ○



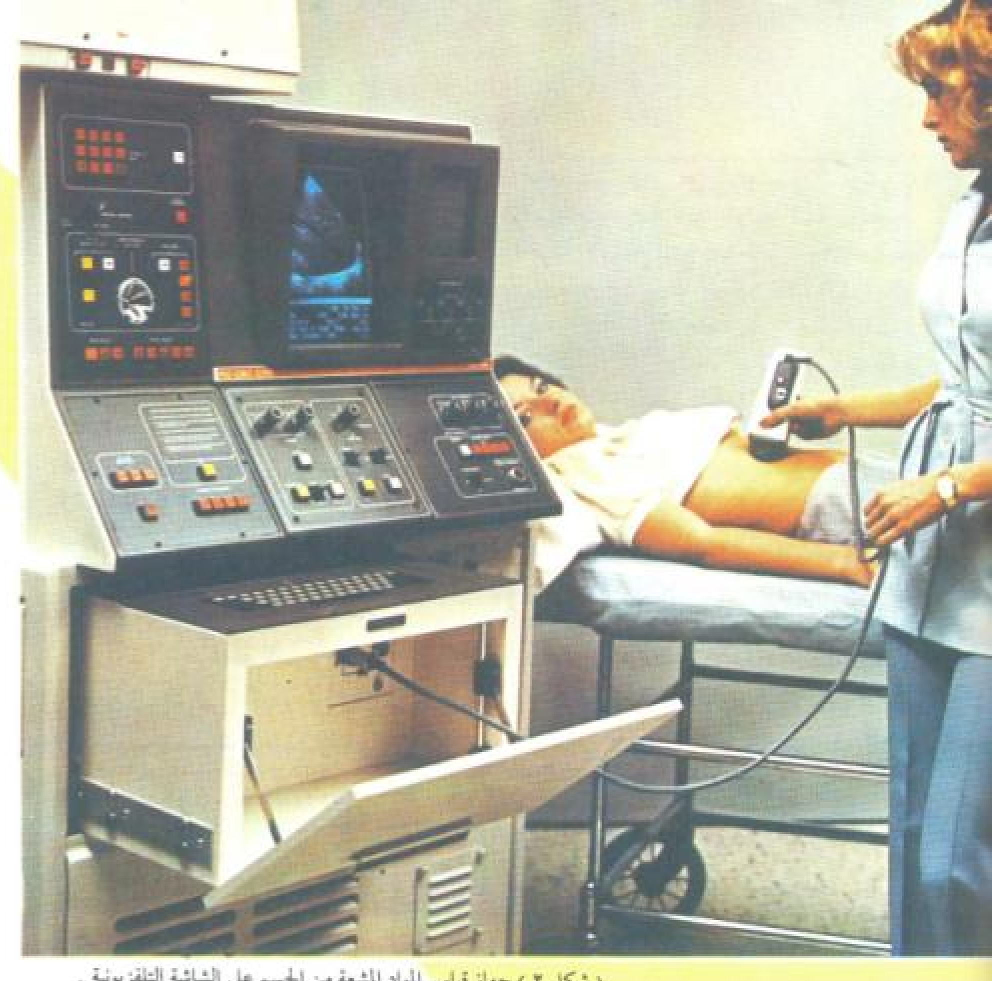
رحلة قرن :

مع الأشعة المجهولة

بقلم : الدكتورة فاطمة غرباوي

(شكل ١) جهاز السونار .





(شكل ٢) جهاز قياس المواد المشعة من الجسم على الشاشة التلفزيونية .

كان اكتشاف ويلهيلم رونتجن أستاذ الفيزياء بجامعة فيرنسبرج للأشعة السينية في ٨ نوفمبر عام ١٨٩٥ ، دليلا على بداية مرحلة جديدة في عالم الطب . فقد أمكن لأول مرة رؤية الجسم من « الداخل » دون جراحة ، بما في ذلك رؤية العظام والاعضاء الداخلية .

توالت التجديدات والطفرات السريعة في علم الاشعة تباعا ، خاصة وان بعد هذا الاكتشاف بمدة قصيرة كان لجهود بيكر بل الفضل في اكتشاف المواد المشعة وعنصر اليورانيوم ، فضلا عن اكتشاف ماري وبيير كوري لعنصر الراديوم . وهكذا ولد علم

الاشعة ، ذلك العلم الذي أثر تاثيرا ايجابيا على تقدم علم تشخيص الامراض ومعرفة ما يجري في الجسم الحي وتشريحه الداخلي ووظائف اعضائه واثر العلاج عليه والذي ساعد كثيرا في مجالات علمية بعيدة عن الممارسات الطبية .

وسمى رونتجن تلك الاشعة بالسينية (×) دلالة على جهله بكنهها . ولكن لم يمض وقت طويل حتى عرف الكثير من خواصها وفاعلياتها ، ونفعها ومضارها ، وفضل الكثيرون تسميتها أشعة رونتجن عرفانا بجميل مكتشفها واكبارا لذكراه .

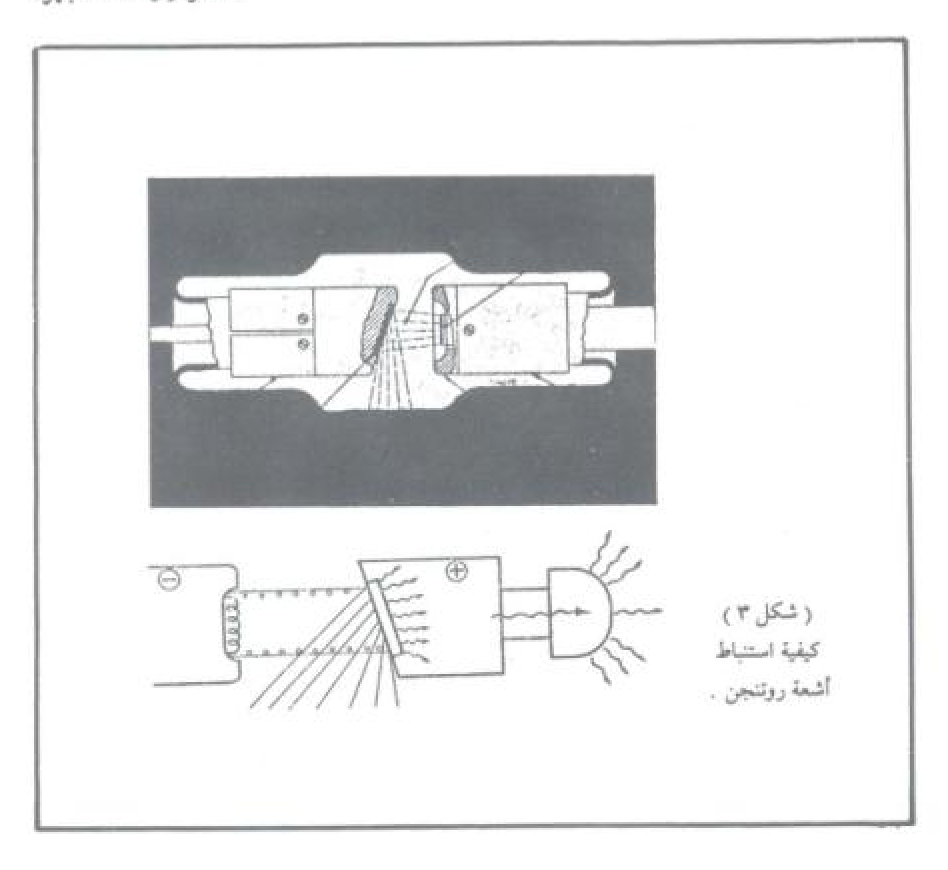
الأشعة السينية : ما هي وكيف تولد ؟

وأشعة رونتجن هذه طاقة موجات كهرومغناطيسية ذات طول غاية في القصر . فهي تبلغ من ٠,٥ الى ٠,٠٦ انجستروم او اقل . والانجستروم وحدة قياس طول تبلغ واحدا من مائة مليون جزء من السنتيمتر . وتبعا لامعان تلك الموجات في القصر كان لها خاصة اختراق المواد ، وهذه الخاصة هي التي تجعل الاشعة قابلة للاستعمال العلمي في الحياة .

وتوليد اشعة رونتجن عملية معقدة نسبيا . ولمعرفة القاعدة الاساسية فقط ، علينا ان نعرف انها تنتج عن ايصال تيار كهربائي بقوة ٣٥,٠٠٠ ـ ١٥٠,٠٠٠ فولت ، الى انبوب مفرغ خاص ، به طرفا سلك كهربائي ، احدهما موجب والآخر سالب (شكل ٣) . والسالب هو الذي يعتمد في نهايته على معدن التنجستين ، وذلك بمرور تيار قوى فيه يصل الى درجة حرارة عالية ويبلغ به حد الاحمرار . ثم يخرج منه عدد هائل من الالكترونات السالبة ، موجهة الى الطرف الموجب . وحيث ترتطم به ، تكون البؤرة الهامة . . . وهي من التنجستون . ويتم هذا الارتطام بسرعة فائقة تولد اشعة رونتجن . فحركة الارتطام تنتج عنها طاقة ، ٩٠٪ منها طاقة حرارية و ١٠٪ منها أشعة . تلك البؤرة تكون دقيقة الحجم ـ مساحتها من ٣ ملليمترات الى عدة ملليمترات ـ وتوجه حزمة الاشعة الناتجة الى خارج الانبوب عبر انحدار لتلك البؤرة حوالي ٢٠° . وتتحكم في قوة حزمة الاشعة وكميتها عوامل مختلفة ، اهمها قوة التيار الكهربائي المنطلق في الانبوب . فبينما نحتاج الى حوالي ١٥٠,٠٠٠ فولت في اجهزة التصوير بالأشعة نجد ان الأجهزة المستعملة في علاج الأورام تحتاج الى قوة ٢٠٠,٠٠٠ فولت . وقد تصل الى عدة ملايين فولت في الاجهزة الحديثة . كذلك كلما زادت حرارة فتيلة التنجستون في الانبوب زاد عدد الاليكترونات المنقولة الى القطب الموجب وبذلك تزيد كمية الاشعة الناتجة عنها

منافعها ومخاطرها

وللأشعة خواص يجب الالمام بها . منها القدرة على التأثير في افلام التصوير مثل الضوء العادي ، ومن هنا كان استعمالها في التصوير الطبي للجسم . ومنها ايضا القدرة على الآنارة الفسفورية اذا ما سلطت على بعض المواد مثل سلفات الزنك ، وتنجستات الكالسيوم وسيانيد الباريوم البلاتيني . اى ان الطاقة الناتجة عنها يمكن تحويلها الى ضوء . ولهذا يمكن رؤية الجسم خلال شاشة تلفزيونية بطريقة معينة . ثم ان الاشعة قادرة على الانتشار والبعثرة في كافة الاتجاهات ، وهذه هي خطورتها التي تستوجب الوقاية من الاشعة . . وذلك بالاقلال ما امكن من التعرض لها . فهذه ذات موجات طويلة وضعيفة ، ولذا فهي تمتص في الجسم الذي تعترضه ولا تقدر على اختراقه . اما خواصها الحيوية فاهمها انها تقتل الخلايا الحية النشطة



(شكل ٣)
كيفية استنباط
أشعة رونتجن .

الانقسام . ومن هنا كانت فاعليتها في علاج الاورام ، وكان الضرر الذي قد تلحقه بالجنين الذي ينمو بانقسام الخلايا كما هو معروف . ومن هنا كانت النصيحة الخالصة للسيدات اللواتي في سن الانجاب بضرورة عدم التعرض للتصوير الشعاعي الا في فترة العشرة ايام الاولى من الدورة الشهرية ، وذلك خوفا من احتمال وجود حمل واحتمال تعرض الجنين لتلك الطاقة القاتلة ، دون مبرر .

التلوين في التصوير بالأشعة

ولقد شهدت الأربعينيات من القرن العشرين تقدما ملحوظا في مجال الاشعة . اذ استحدثت طرق استخدام المواد الملونة للتشخيص ، وهي تعتمد اساسا على عنصر اليود . وامكن بذلك تلوين المرارة والقنوات المرارية وكذلك الكلى والحالب والمثانة والمخ والنخاع الشوكي والشعب الرئوية والجهاز التناسلي ، وكذلك الجهاز اللمفاوي والغدد اللعابية والدمعية والشرايين والاوردة والقلب . . وحققت تلك الفحوصات تقدما قيما زاد من فائدة ذلك الاختصاص ووسع نطاقه ، وقد كان مجاله حتى ذلك الحين قاصرا على كسور العظام وامراضها ـ وحصوات الكلى وفحوص المعدة والامعاء . .

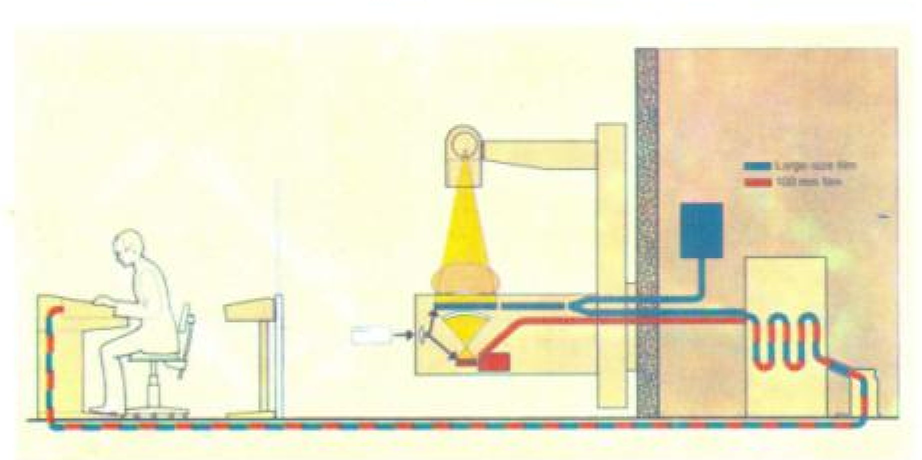
والصورة الشعاعية هي سجل لعدة ظلال

(شكل ٤) جهاز يصور الصدر اوتوماتيكياً . (الى اليمين)

(شكل ٥) جهاز يختار حجم الصورة ويحددها . . ثم يلتقطها ويرسلها الى الطبيب اوتوماتيكياً . (الى أسفل)

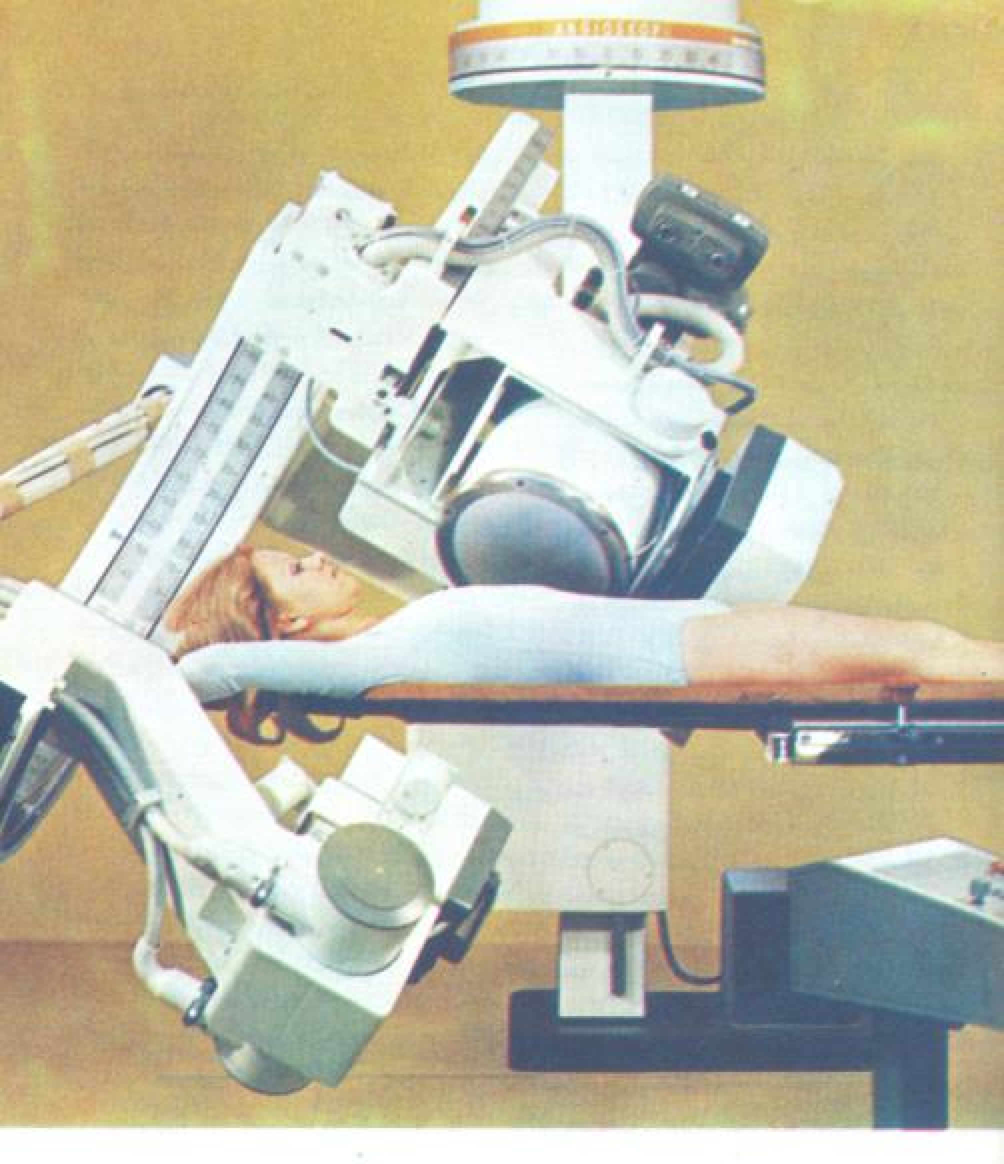
(شكل ٦) يبين جهاز تنظير وحقن الشرايين . (الى اليسار)





مختلفة للجزء الذي اخترقته من الجسم . اذن فالمعلومات التي تستخلص منها لا تختلف في شيء - عند تطبيقها - عن المعلومات التي تستخلص من فحص المريض بالاصابع واليدين والسماعة في الكشف عن المريض . فهناك ثلاث خطوات لتحليل المعلومات الناتجة عن فحص الاشعة . أولها معرفة المظهر الأصلي السوي لهذا الجزء من الجسم ، ثم معرفة السبب الذي نتج عنه التغيير ، وثالثا معرفة الاسباب المرضية في كل حالة . وبالرغم من كل الحرص ، فان هناك مظهرا شعاعيا واحدا لعدة احتمالات مرضية ، مما لا يمكن معه التفريق بين الواحد والآخر دون اللجوء الى واسطة تشخيصية اخرى .

من هنا كانت الحاجة لتطوير وسائل الاشعة التشخيصية لتتواكب مع العصر الذي نحن فيه حتى نصل عبر طرق اكثر سهولة للمريض واكثر تعقيدا من حيث التكنولوجيا الى التشخيص الصحيح .



السونار : جهاز الموجات فوق الصوتية

والسونار ببساطة هو طاقة ميكانيكية اهتزازية **Vibrational** ذات تردد اعلى من مستوى استيعاب الاذن الآدمية للصوت . اذ يبلغ ترددها فوق عشرين الف ذبذبة في الثانية . الهيرتز **Hertz** ، . ولقد بدأ استعمال السونار في الحرب العالمية الثانية عندما كان الرادار مستخدما في الكشف عن الغواصات في اعماق البحار ، كما امتد استعمال السونار حاليا لسبر اغوار البحار والمحيطات للكشف عن مواطن تكاثر الاسماك ومعرفة عمق ما قد غرق من سفن في سابق الايام . وكلمة السونار هي : تركيب للحروف اللاتينية ـ نسبة الى : **Echo Ranging** او **Sound Navigation & Ranging** ولقد طبقت نفس القاعدة العلمية في الطب لسبر اغوار الجسم ومحتوياته دون

اللجوء للعمليات الجراحية . وتستنبط الموجات فوق الصوتية اعتمادا على خاصية ضغط كهربائية (piezo-electric effect) لبعض البللورات ، اذا ما تعرضت لضغط عال . مثلا تيتانات الباريوم وتيتانات زيركات الرصاص . واذا تعرضت لضغط عال متردد ، اي شحنات كهربائية فانها تنضغط وتنبسط تباعا ، وتسمى تلك بالظاهرة المعاكسة : Reverse Piezo electric effect

توليد السونار : ويمكن الحصول على حزمة السونار عمليا بتعريض احدى رقائق هذه البللورات لتيار كهربائي متردد عالي الفولت ، فتتغير هيئته سريعا وتنتج عنه طاقة موجة السونار . والعكس صحيح ايضا ، فاذا ما تعرض هذا القرص لضغط عال ومتردد أنتج تيارا كهربائيا .

ولكل قرص من المواد الخاصة بالسونار قوة ترددية مميزة لنوع بللوراته . وهي تحدد قوة ونوعية الموجات الناتجة عنه . والقوة التي تستعمل عادة في مجال الطب هي ما بين ٢/١ الى ٢٠ مليون ذبذبة في الثانية او ميجاهيرتز . وكلما زادت الذبذبة ، تحسنت نوعية الصورة الناتجة مع ضعف مطرد في عمق النسيج الذي يمكن ان تخترقه الموجات . وعلينا ان نوفق بين درجة وضوح الصورة والقدرة على اختراق الجسم عند اختيار البللورة المستعملة عند الفحص .

وعندما توجه موجة من هذه الى جزء معين في الجسم فانها تضعف . مثلها في ذلك كمثل موجات الصوت العادي . . فهي تتفكك di-verts وتنتشر Scatters ، وتمتص absorbed وعندها تتحول طاقتها الى حرارة . ثم انها ايضا عرضة لأن تنكسر refracts ، أو تنعكس reflected ، او تتقدم دون انكسار او تغيير .

وكل هذه التغييرات تتحكم في نوعيتها خاصة النسيج الذي تخترقه حزمة الصوت .

وكلما زاد الفارق بين نسيجين متجاورين زادت الموجات المنعكسة الى الخلف . فبين العظام واللحم ، حيث لا فرق كبير ، يمر الصوت بسهولة ، ولكن أمره يختلف في حالة اللحم والغازات ، كالامعاء ـ على سبيل المثال فهنا ينعكس الصوت بنسبة ٩٠ ٪ ولا يمر الا ١٠ ٪ منه فقط !

لامضار ولا مخاطر

ولم تثبت الى وقتنا الحاضر اية مضار على الاحياء من استعمال السونار في الاغراض التشخيصية . ولذا استعمل السونار في حالات الحمل ، منذ الايام الاولى ، وهو الوسيلة الآمنة السريعة لتشخيص الحمل ، والتثبت من وجوده او عدمه ، او وجود اية بوادر للاجهاض ، والتأكد من اكتمال عملية الاجهاض ، وهل هناك عيوب خلقية في الجنين . . وكم عدد الأجنة في الرحم . . ؟ وتحديد مكان المشيمة في حالات النزيف ، ومدة الحمل . . ! وهل ثمة امراض اخرى متعلقة بالأم . . ! وهكذا . . وذلك دون اضرار ، كما اثبتت التجارب والفحوص حتى الآن .

التقاط الصدى : ويستقبل صدى الصوت من جسم المريض الذى يفحص بالسونار ـ جهاز معقد التركيب . وتأتي النتيجة النهائية لهذه الاجهزة الالكترونية صورة على شاشة تلفزيونية تكون على هيئة فحص شرائحي لمختلف الاعضاء الداخلية . فامراض الكبد ، من حيث التليف ، والانسداد المرارى وخراج الكبد والاورام يمكن رؤيتها فى ثوان (انظر شكل ١) . وكذلك يمكن رؤية حصوات المرارة لحجم « ٢ ملليمتر » . وربما كان فحص المرارة هو اكثر الفحوص التى تجرى بهذا الجهاز حاليا فى المستشفيات العامة المزدحمة بالمرضى . فهو يوفر الجهد والمال بقدر ما يغنى عن عمل الأشعة الملونة للمرارة الا فى حالة الضرورة القصوى . كذلك يمكن رؤية آثار أورام رأس البنكرياس . فهى تسبب عادة اتساعا بقنوات المرارة خارج الكبد

وداخله .

فوائد اخرى : ويستفاد ايضا من السونار فى تشخيص موضع وحجم الكلى ، وذلك فى حالات القصور الوظائفى للكلى ، حيث لا فائدة من عمل الاشعة الملونة . وفى مثل ذلك فى اورام واستسقاء الكلى . اذ يسهل رؤيتها بالسونار .

ويسهل ايضا تشخيص اورام المثانة والبروستاتا وتضخمها واورام المبيض وكذلك حالة الكلى المزروعة فى جنب المريض دون ازعاج يذكر . ولقد ظهرت الفائدة جلية فى استعمال السونار فى تشخيص امراض عديدة فى القلب والاوعية الدموية حيث يمكن توقع الاصابة بالشلل اذا ما عرفت وعينت الجلطة فى الشرايين المغذية للدماغ فى جانب الرقبة . وأصبح فى حكم الفحص الروتيني اكتشاف ضيق صمام القلب وكذلك ارتشاح غشائه بجهاز السونار دون ازعاج للمريض. هذا عدا استعمالات اخرى فى حوادث المرور ونزيف المخ وغيره من المجالات .

ماذا لو استعمل الانسان كل ذكائه فى سبيل اسعاد الانسانية بدلا من التسابق فى اختراع افتك السلاح ؟

اجهزة التصوير بالكمبيوتر

ولقد قفز التقدم العلمى فى اجهزة الاشعة قفزة كبرى بادخال الكمبيوتر فى مجال الطب واقسام الاشعة .

فهناك جهاز لتصوير الصدر ، له حافظة افلام بها ٧٥ ـ ١٠٠ فلم اشعة . فعندما يضبط وضع المريض امامه تنضبط ارقامه وفتحه وتشغيله اوتوماتيكيا ، ويخرج الفيلم وعليه بيانات المريض من اسم ورقم وتاريخ اوتوماتيكيا ، ويحمض ويظهر اوتوماتيكيا دون اي احتمال للخطأ او الخلط بين المرضى ـ ولا يخفى مدى ما يوفره ذلك من جهد ، سواء على المريض او المصور . . ومدى ما يوفره من التكاليف الفعلية على المدى الطويل (شكل ٤) .

وهناك جهاز عجيب حقا . . فهو يحدد اوتوماتيكيا حجم الصورة للجزء المراد تصويره ويعرضها بنفسه للاشعة ، ويحمضها ، ويظهرها ويرسلها لمكتب الطبيب لكتابة التقرير جاهزة جافة تحمل كل بيانات المريض (شكل ٥) .

ونأتي الى مجال تلوين الشرايين **arter-iography** ـ وهو مجال واسع لا ينحصر فى تلوين الشرايين فقط وانما يشمل تلوين الاوردة ايضا ، وكذلك القلب والرئتين وقنوات المرارة وسائر اعضاء الجسم . ويشمل هذا المجال ايضا المساعدة على توسيع الشرايين الضيقة للقلب والأطراف مثلا ، او العمل على ايقاف النزيف من المرىء او الامعاء بواسطة القسطرة التى تحوى مواد خاثرة ، او علاج الاورام الخبيثة وذلك بحقن شرايينها بالعقاقير الكيميائية القاتلة لخلايا السرطان مثل خلايا اورام الكبد والامعاء . وكل هذه الفحوص وتلك المناورات العلاجية تجرى بشكل روتينى دون تخدير عام للمريض او نقله من موضعه على جهاز الاشعة ودون الحاجة لغرفة عمليات جراحية بكل ما تتطلبه من باهظ التكاليف . فكل جزء من الجهاز يمكن تحريكه بحيث تنتج الصورة المطلوبة فى الوضع المطلوب بضغط ازرار خاصة فى محرك الجهاز (شكل ٦) .

وكثيرا ما يراد عمل صور اشعة للمرضى داخل غرفة العمليات اثناء اصلاح كسور العظام وتثبيتها بقضبان معدنية مثلا ، وذلك بقصد التأكد من ان قناة المرارة خالية من الحصوات . فلم يعد ثمة لزوم لنقل المريض للخارج ، او احضار جهاز اشعة للداخل ، وقد باتت غرف العمليات فى مستشفياتنا مجهزة مسبقا بجهاز اشعة خاص بها (شكل ٧) يغطى وقت استعماله باغطية معقمة حفاظا على جرح المريض .

جهاز المسح الالكتروني
Scanner

ولقد زودنا العلم الحديث بنوع آخر من نعم التقدم العلمي في مجال الاشعة ـ وهو كمبيوتر المسح التشريحي Computerised axial Tomography او Cat Scanner الماسح الالكترونى للجسم . وهو جهاز معقد ولكن فائدته عظيمة . وحسبنا القول بانه جهاز يعتمد على اشعة رونتجن اساسا اذ يوضع المريض داخل دائرة ، في مركزها ، وتمر حوله انبوبة الاشعة فى ٣٦٠° ، وامامها جهاز استقبال من الجهة الاخرى ليستقبل صورة شريحة الجسم التى تتعرض للاشعة لحظة بلحظة . ومن خلال عمليات كمبيوتر معقدة تصل صورة الجزء المراد على شاشة تلفزيونية خارج غرفة التصوير (شكل ٨) على شكل مقاطع عرضية عبر الجسم

(شكل ٧) غرفة العمليات الجراحية ذات جهاز الأشعة .





(شكل ٨) جهاز المسح الألكتروني بالكمبيوتر .

لتسجل على افلام خاصة بها بيانات المريض .. (شكل ٩).وفائدة هذه الطريقة الرائعة فى التصوير لا تخفى على احد ، فهى ترينا المخ الانساني واورامه والتهابات انسجته واى انسداد او نزيف فيه . وكذلك يمكن رؤية القلب والرئتين والعظام والبطن بجميع احشائها والاطراف والرقبة الى سمك يبلغ اجزاء من السنتيمتر .

وكما ترى فان استعماله للتشخيص الفورى لا يستدعى جراحة او عناء للمريض .

جهاز صدى النواة المغناطيسي NMR

اما الجهاز التشخيصى الجديد ، والذى يحظى بالاهتمام الفائق فى الاوساط الطبية عالميا ، فهو الذى لا يعتمد فى عمله على استعمال اشعة رونتجن او اى طاقة مؤذية للانسجة . انه جهاز : صدى النواة المغناطيسي **Nuclear Magnetic Resource** او بالاختصار **NMR** .

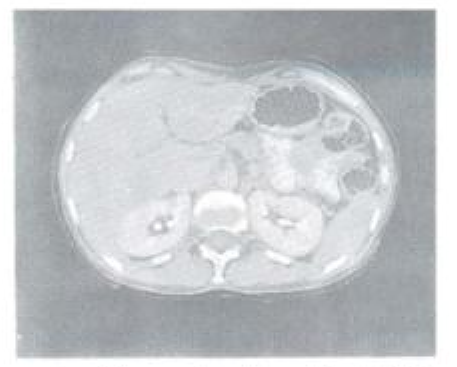
والاساس العلمي لهذا الجهاز معروف . فنواة الذرة ـ عندما توجد في مجال مغناطيسي وتثار بموجات راديو معينة تشع اشارات راديو من الممكن قياسها .
وتخص هذه الظاهرة كل نويات الخلايا الثابتة ، والتي تحتوي على عدد فردي من البروتونات والنيوترنات او كلا النوعين . وهذه الجسيمات لها خاصيتان : القدرة على الدوران على نفسها ولها كذلك عزم مغناطيسي . وذلك يشبه كثيرا حركة مغزل مغناطيسي دوار .

وتوجد قوة مغناطيسية دوارة لنويات حوالي ثلثي الذرات الثابتة . وذرة الهيدروجين ، او البروتون هي ابسط انواع تلك النويات ـ وهي التي يتكون منها اغلب جسم الانسان حيث ان ثلثي مكوناته من الماء .

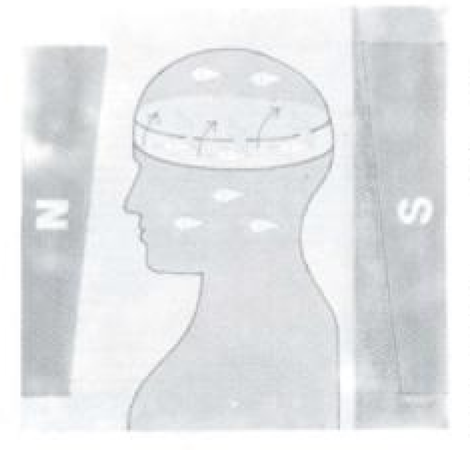
بدون مجال مغناطيسي تكون البروتونات على غير نظام ، اما في المجال المغناطيسي فانها تنتظم بشكل اما مع او ضد هذا المجال وليس هنال وضع وسط . واكثر البروتونات تصطف مع المجال وليس ضده لأن عزمها يكون اقوى هكذا .
تكون المغنطة اكثر قوة وظهورا في اتجاه المجال ، لأن عدد البروتونات الموافقة له عادة يكون اكثر من التي في مواجهته العكسية . وخلال عمليات فيزيائية معقدة يمكن قياس العزم الذي ينتج عن تعريض نويات الجسم لمجال مغناطيسي عند تحركها من الوضع الثابت ـ ودورانها في حركة مغزلية وعودتها للوضع الطبيعي . ويقاس هذا العزم بوحدة موجات الراديو .

الجهاز يعمل بالمغناطيس لا بالشعة السينية

ولقد ثبت ان لكل نسيج خاصية من حيث قوة لعزم والصدى وعملت الجداول الخاصة بحيث



(شكل ٩) مقطع من الجسم في مستوى الكلي بجهاز C. A. T



(شكل ١٠) يبين كيفية وضع المجال المغناطيسي حول رأس المريض بطريقة تشريحية

ان موجات الراديو المنبعثة من الأنسجة المختلفة قد غيرت ـ وقد امكن قياس الموجات المنبعثة من انسجة تختلف في سمكها وحجمها من عدة سنتيمترات الي حوالي ١٠٠ سنتيمتر مكعب ـ وتسجل اشارات الموجات المنبعثة من كل جزء من الجسم تباعا ـ ثم تركب هذه مع بعضها البعض الى ان تبنى الصورة النهائية للعضو المراد .
ويمكن تصوير اجزاء الجسم في قطاعات تشريحية(شكل ١٠) . وجهاز التصوير بالصدى المغناطيسي يشبه في خارجه جهاز الـ CAT الا انه لا يعمل بأشعة رونتجن . وله

ميزة انه يعطي ـ حسب طريقة استعماله ـ فكرة عن خاصية ووظيفة النسيج تحت الفحص ، كما يمكن تغيير محور التصوير في جسم المريض دون تحريكه .

ومنذ ١٩٧٠ والابحاث جارية علي أجهزة الـ NMR من حيث التحقق من وجود أي آثار جانبية ضارة لها دون جدوى . الا ان هذه الابحاث تعتبر حديثة نسبيا ولا يمكن الجزم بصحتها . فالجسم اثناء ذلك الفحص يتعرض لثلاثة أنواع من الطاقة التي قد تكون احداها او كلها ذات ضرر عليه ـ فهناك المجال المغناطيسي ، الثابت للمغناطيس ، والمجال المتغير له وموجات الراديو الكهرومغناطيسية وكل هذه القوى تخضع الآن لسلسلة رهيبة من الدراسات .

فالمجال المغناطيسي اذا تعدى حدا معينا في القوة أثر تأثيرا ظاهرا على عمليات التمثيل والانزيمات في الانابيب المخبرية ، ولكن لم تظهر مثل تلك التغيرات في الانسان الذي يعرض لمثل تلك القوى بعد .

كذلك يؤثر التغير المستمر في المجال المغناطيسي في اظهار تيارات كهربائية ضعيفة في جسم الانسان ولكن لم تؤثر هذه بشكل ضار على الجهاز العصبي على حد علم الباحثين .

أما موجات الراديو التي يتعرض لها الجسم اثناء الفحص بهذا الجهاز فانها تسبب ارتفاعا قليلا في درجة حرارته ـ ولكن في حدود لا تسبب أي أضرار له .

والبشائر للآن ومن خلال الابحاث الجارية تجعلنا نتفاءل خيرا بعدم وجود أي أضرار ذات جدوى علي الانسان .

ولكن يجب الا يفحص بها المرضى الذين يحملون جهازا منظما لضربات القلب pace maker لان تعبيرها قد يتغير بالتعرض لتلك القوى المغناطيسية .

وكذلك حشو الضروس المعدنية أو أية معادن في الجسم يلغي اباحة استعمالها .

المواد المشعّة وعلاقتها بالامراض

يسأل البعض عن الفحص التشخيصي بالمواد المشعة وهذا المجال يعتمد على استقصاء مواد مشعة كيميائية في جسم الانسان . وتؤخذ هذه المواد علي هيئة حقن وريدية أو كبسولات تمتص أو تسري في الدم الي أن تتجمع حسب نوعها وحجم جزيئاتها في العضو المراد فحصه .

ولكل عضو يراد فحصه نوع معين من المادة الكيميائية قد غيرت معالمها الوظيفيه وليست الشكلية أو الكيميائية بحيث تختزن في خلايا هذا العضو أو تفرز خلالها . وبعد فترة معينة من حقن المادة أو تناولها تسلط كاميرا خاصة ـ لها القدرة علي الاحساس بهذه المادة المشعة علي العضو المراد فحصه وترسل الاشارات الالكترونية لتلك الاشعاعات عبر اجهزة الكومبيوترلشاشة تلفزيونية فتظهر بعد تجميعها كصور للتسجيل أو تظهر كقوة طاقة تحرك محورا يصبغ افلاما معينة فتظهر صورته بظلال مختلفة أو الوان مختلفة وتسجل حسب قوة الاشعاع المنقول .

واخيرا . . .

وبالرغم من كل هذه الخطوات الواسعة في التقدم العلمي ، فما زال الانسان المسيطر علي كل الفحوصات وما زال هو المهيمن عليها بسعة المعرفة وطول المرات وغزارة الخبرة ، فهي العامل الاساسي في الاستفادة الناتجة عن استعمال تلك الانجازات الرائعة ، وفوق كل ذلك ، قدره الله سبحانه وتعالي علي الهامة وتفكيره في استنباط التشخيص الصحيح للمريض عند فحص النتائج المختلفة لما تقدم هذه الاجهزة العتيدة .



الصومال
ثروة
حيوانية
وحياة
رعوية

استطلاع : صادق يلي

تصوير : فهد الكوح



تمثل الثروة الحيوانية والتي تشمل الأبقار والجمال والضأن عماد الاقتصاد الوطني في الصومال اذ تمثل ٨٠٪ من الدخل القومي للبلاد .

قالوا لنا : اذهبوا الى الصومال . قلنا : مرحبا بالصومال البلد الذي تربطنا به وشائج القربى والدم والتاريخ والدين .. مرحبا ببلد امتد بحدود وطننا العربي الكبير الى وسط أفريقيا وغاباتها ، الى خط الاستواء الذي يقسم كرتنا الارضية الى شطرين .

وشددنا رحالنا وذهبنا ، واستقبلونا مرحبين .

قالوا : لقد سعدنا بمجيء « العربي » للصومال في زيارتين متباعدتين تحدثتم فيها عن جوانب متباينة من حياة الانسان الصومالي ، تحدثتم عن المرأة الصومالية وموز الصومال الشهير ، والاستقلال ، والتعليم ولكنكم نسيتم أن تتحدثوا عن أهم مورد من مواردنا الاقتصادية إنه ثروتنا الحيوانية التي يعمل بها أكثر من ٨٠٪ من الشعب الصومالي والتي تعد العمود الفقري لاقتصاد الصومال .

قلنا : حبا وكرامة .

« صومال » تعني باللغة الصومالية « أحلب » احلب الناقة أو احلب البقرة أو احلب النعجة ثم اصبحت هذه الكلمة علما لبلد في منطقة القرن الافريقي اسمها الصومال أو صوماليا . إذن كان شعب هذا البلد منذ القدم يزاول مهنة تربية الماشية والانتفاع بأوبارها وجلودها والبانها ، ثم الاتجار بهذه الثروة الكبيرة .

هذا ما تذكره لنا كتب التاريخ وما يؤكده أحمد نورالدين الاستاذ بالجامعة الوطنية في الصومال .

ثلاثون مليون رأس من الضأن والماشية هي عماد الاقتصاد الصومالي فنسبة الماشية الى عدد السكان تبلغ نحو ٦ : ١ وتعد هذه النسبة أعلى نسبة من نوعها في العالم . وهذا العدد الهائل من الماشية يصور لنا نمط الحياة في الصومال ، فالانسان هنا يعيش حياة رعوية متنقلة وراء الكلأ والمراعي والامطار ، قد تبخل السماء أحيانا فتصاب البلاد بالجفاف وقد تحدث فيضانات في أحيان أخرى ، وفي الحالتين تثور مشاكل كثيرة لتنفيذ البرامج الصحية للماشية ورسم حركة الحيوانات وتحصينها ضد الأمراض

برامج تحسين صحة الحيوان

امام هذه المشكلة شرعت الصومال بوضع برامج جديدة للعناية بصحة الحيوانات ، فبدأت بانشاء مراكز بيطرية في جميع أنحاء البلاد للتأكد من معالجة الحيوانات المريضة ، ولما كان معظم الرعاة من الاميين فقد تعين شن حملة جبارة لتعليمهم وتوعيتهم بأن الوقاية خير من العلاج .

ولكن سرعان ما اقتنع الرعاة بأهمية علاج حيواناتهم وتحصينها ، فضاقت المراكز البيطرية على سعتها وتعددها في مناطق تواجد الماشية حتى ان الرعاة كانوا يرحبون بنا أثناء تجوالنا للتصوير بين ماشيتهم معتقدين اننا نمثل إحدى الفرق البيطرية التي تعالج حيواناتهم . ولأول مرة ينعم الرعاة بمرافق قريبة المنال من مغاسل ومستوصفات وعيادات بيطرية تصرف لهم الأدوية بالمجان ، كما أن هناك فرقا بيطرية متحركة تزود الرعاة بهذه المنافع ، وتعلم القبائل الرحل أفضل الطرق العلمية لتربية حيواناتهم .

والحقيقة ان هذا الأمر ليس باليسير لأن هذه

الطاعون البقري

المعروف ان هناك مجموعة من الامراض التي تصيب الماشية والاغنام منتشرة في القارة الافريقية وهي مرض الطاعون البقري والبلاك كوورتر ومرض الجمرة والطفيليات ، لذلك وضعت وزارة الثروة الحيوانية في الصومال برنامجا متكاملا للقضاء على هذه الامراض بدأته سنة ١٩٧١ بانشاء مصلحة الطب البيطري التي قامت بانشاء ٢٤ مركزا ثابتا و ٣٢ مركزا متنقلا لمعالجة هذه الأمراض ، كما أقامت مركزين اقليميين كبيرين و ١١ مركزا للمناطق و ١٧ مركزا ريفيا ، صممت هذه المراكز لتحقيق أرفع مستوى من الكفاءة وبالاضافة الى ذلك هناك ١٤ مجموعة بيطرية متنقلة تطوف بانحاء الصومال بحثا عن ماشية يشتبه في اصابتها بمرض الطاعون البقري ، وبذا أمكن وقف انتشار هذا المرض ، واثبتت اختبارات المناعة التي أجريت عام ١٩٧٣ النجاح الفائق لطريقة مكافحة هذا المرض .

يقول الدكتور محمد علي نور وزير الثروة الحيوانية في الصومال :

« حقيقة ان بعض الاقطار الأفريقية قد أعلنت عن وجود هذا المرض كما ان بعض المجلات العلمية العالمية تحدثت عن وجود مرض الطاعون البقري في هذه الاقطار ولكن الصومال منذ عام ١٩٧٥ قضى على هذا المرض بموجب مشروع أفريقي ، فأبقارنا الآن ـ والحمد لله ـ سليمة مائة في المائة ، لقد بدأ مشروع مكافحة الطاعون البقري عام ١٩٦٩ واستمر حتى عام ١٩٧٥ وتم تطعيم ٨٨٪ من الابقار الصومالية ضد هذا المرض وهناك ١٠٪ من العجول الصغيرة التي لا تحتاج الى التطعيم خاصة اذا كانت اصغر من عشرة أشهر لأن هذه العجول الصغيرة عندها مناعة طبيعية ضد الطاعون . ومنذ عام ١٩٧٥ حتى الآن لم يظهر هذا المرض في



الدكتور محمد علي نور وزير الثروة الحيوانية : الصومال قضى على مرض الطاعون البقري منذ عام ١٩٧٥

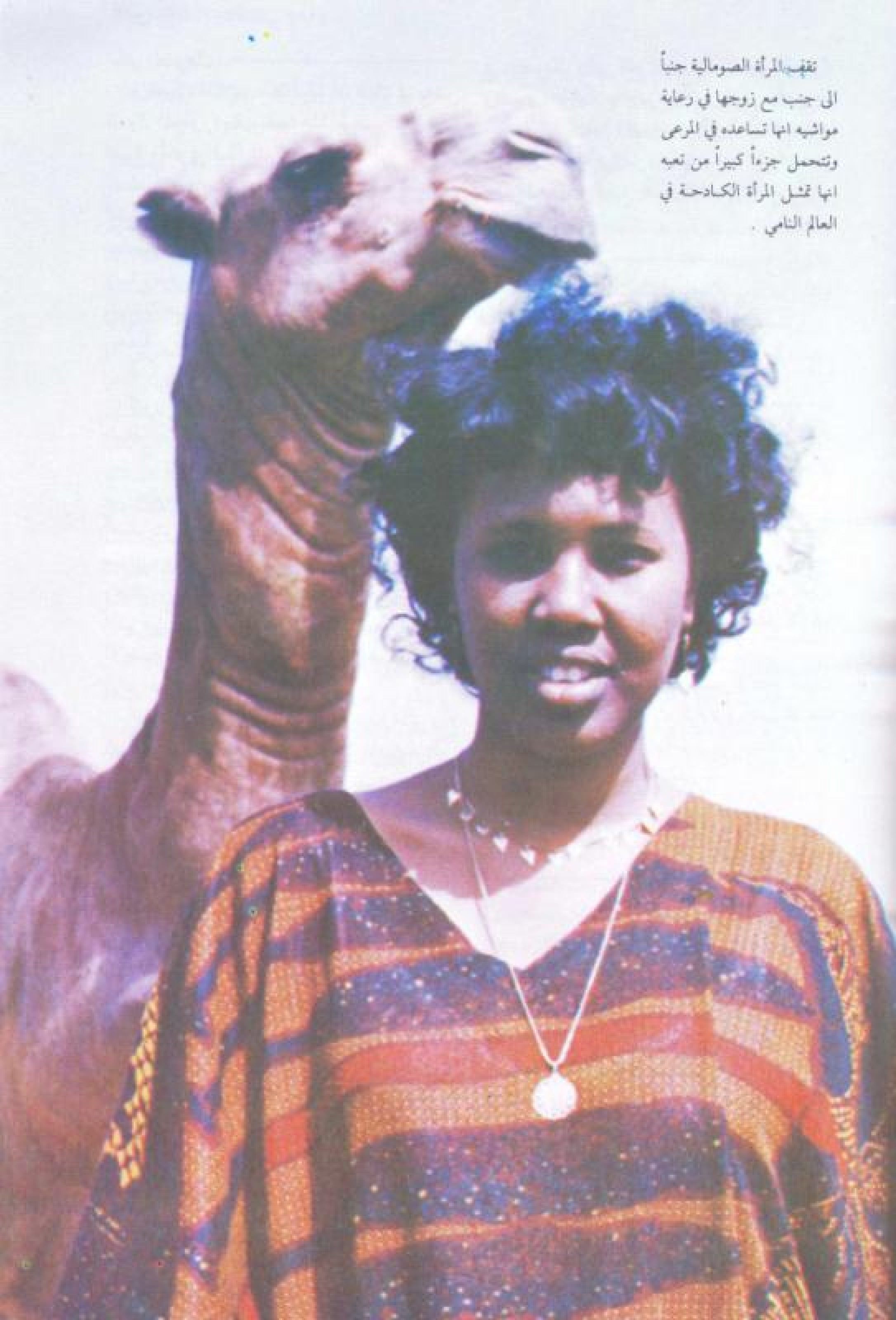
الفرق الجوالة يتعين عليها أن تكافح الكثير من الخرافات نظرا للأمية المتفشية بينهم ، الأمر الذي أدى الى صعوبة إقناعهم بالطرق العلمية لتربية الماشية والتخلي عن طرقهم التقليدية المتوارثة .

وقد انصب قدر كبير من العناية والاهتمام على الحيوانات المعدة للتصدير فأنشأت سلسلة من مراكز الحجر الصحي حول الميناءين الرئيسيين في الصومال وهما كسمايو وبربرة اللذان تصدر الحيوانات منها ، ففي هذه المراكز يفحص كل حيوان فحصا دقيقا كاملا واذا ثبتت إصابة أي حيوان منها بمرض فانه يعزل ويزود بالعلاج .

ونتيجة لهذه التسهيلات والتحصينات الصحية قلت نسبة الوفيات الى حد بعيد وارتفعت ايرادات الحيوانات ومنتجاتها الى أكثر من ثلث ايرادات الدولة وثبت ان الثروة الحيوانية تمثل العمود الفقري لحياة الصومال واقتصادها وأن قرار الحكومة بالاهتمام بها قبل كل شيء في برامجها التنموية كان قرارا حكيما زعزع المواقف العتيقة التي ظلت قرونا تعتبر الماشية (وخيراتها) قضية مسلما بها بلا مجهود !

في الطريق العام بين مدينة مقديشو ومدينة كسمايو يشاهد المسافر بائعات الحليب بأوانيهن الخشبية ، انها صورة فريدة لا تجدها الا في المجتمعات الرعوية . (الى اعلى)

مركز تجمع المواشي قرب مدينة كسمايو حيث يقوم الأطباء البيطريون بالكشف الدوري على المواشي المصدرة الى بلدان الخليج والجزيرة العربية . (الى اسفل)



تقف المرأة الصومالية جنباً
الى جنب مع زوجها في رعاية
مواشيه انها تساعده في المرعى
وتتحمل جزءاً كبيراً من تعبه
انها تمثل المرأة الكادحة في
العالم النامي .

أبقار الصومال .

ويضيف قائلا : « لا أنكر ان هناك في بعض الدول المجاورة يظهر فيها هذا المرض الوبيل بين فترة وأخرى لذلك نحن نشدد من حملات التطعيم وخاصة في المناطق الحدودية لسلامة أبقارنا ، لقد بدأنا في ١٩ يوليو حملة مكثفة لتطعيم جميع ابقارنا ضد مرض الطاعون البقري وما زالت هذه الحملة مستمرة وقد خصصت الدولة مبلغ ٦٨ مليون شلن صومالي لهذه الحملة .

أما بالنسبة للحيوانات المصدرة فيقول : الدكتور محمد علي نور « هناك فريق من الاطباء البيطريين يشرفون على جميع الحيوانات المصدرة بعد أن تأخذ فترة حجز تستمر ٢١ يوما للتأكد من خلوها وسلامتها من هذه الأمراض ، وقد أصدرت قرارا بعدم تصدير الأبقار الا من ثلاثة موانىء وهي ميناء مقديشو وكسمايو وبربرة وهناك رسائل دورية لجميع الاطباء البيطريين المشرفين على تصدير الابقار للتأكد من سلامة الابقار المصدرة بعد تحصينها ضد جميع الامراض .

أما الهدف الحقيقي من وراء هذا المشروع فهو تطعيم العجول مرة سنويا لمدة عامين متتالين وتطعيم كل رؤوس الماشية التي لم يسبق تطعيمها وتثقيب آذان الماشية المطعمة دليل على التطعيم ثم احاطة كل الاقطار المجاورة علما بظهور طاعون الماشية أو أية أمراض أخرى واتخاذ الاجراءات المناسبة لمنع نقل الامراض الى المناطق الخالية من المرض .

ولتنفيذ هذه الخطة باتقان هناك ٤٠ فريقا بيطريا مزودون بمختبرات وعيادات متنقلة تقوم بتطعيم الماشية ضد مرض سي بي بي الجمرة ومرض البلاك كوارتر ، ولا يمكن لهذا المشروع أن ينجح وحده مالم تنفذ خطة أخرى مكملة من بينها انشاء محطات الحجر الصحي للكشف والعلاج ، فقد شرع في بناء سبع محطات حجر في منطقة كسمايو التي تعتبر أغنى مناطق الابقار في الصومال والتي تقع قرب منطقة خط الاستواء وتقوم بمعالجة ما يقرب من مليوني رأس من الماشية كما تحتجز الحيوانات التي ثبتت اصابتها بأي من هذه الأمراض وتبلغ مساحة كل محطة من هذه المحطات السبع خمسة آلاف هكتار من أرض المراعي المكشوفة .

ذباب تسي تسي

ظل ذباب تسي تسي الآفة الحشرية الخطيرة لهلاك الماشية في حوض نهر شابيلي ومنذ سنة ١٩٧٤ الى سنة ١٩٧٨ وضعت خطة لاستئصال شأفة هذا المرض بتطهير الأجمات واحراق النباتات ورش الماشية بالمبيدات والتركيز على مواطن هذا الذباب ، وتأتي هذه الخطة مكملة لخطة بدأتها منظمة الوحدة الافريقية هدفها استئصال هذه الذبابة اللعينة من قارة أفريقيا ، وتقدر جملة الاموال المرصودة لها مبلغ ١٨١٤ مليون شلن .

كما بوشر بانشاء مختبر كبير لانتاج أدوية حيوانية تكفي احتياجات البلاد وباكتمال هذا المشروع يأمل الصوماليون ان يستغنوا عن استيراد هذه الأدوية من الخارج .

التلقيح الصناعي

وهناك مشروع حيوي آخر بالقرب من افجوى التي تبعد عن مقديشو العاصمة نحو ٣٠ كيلو مترا وهو مشروع التلقيح الصناعي ويهدف هذا المشروع الى تحسين نوعية الابقار المحلية ، وقد بدأ بجلب اللقاح من استراليا ومن كينيا .

يقول الاستاذ عبد الله فارح عجان لقد قمنا باستيراد مادة التلقيح من استراليا وكينيا لما لهاتين الدولتين من سبق في مضمار التلقيح الصناعي ، ولدينا الآن سلالة جيدة نأخذ منها مادة التلقيح ، وقد عادت علينا بفائدتين أولاهما قصر فترة بلوغ

البقر فبعد ان كانت البقرة تبلغ وهي في سن الرابعة ، أصبح سن بلوغها لا يتعدى ١٨ شهرا ، أما الفائدة الثانية فانه أصبح لدينا سلالة من الاناث القوية لانتاج الحليب وهذا بالطبع يؤدي الى وفرة الانتاج علما بأن هذه الابقار المنتجة للحليب مخصصة للمناطق السكنية والمزارع بينما الرعاة الرحل تخصص لهم الابقار والثيران ذات اللحم الكثير .

ويضيف السيد عجان قائلا اننا قد بلغنا مستوى رفيعا في وزن هذه الثيران وحجمها حيث يبلغ وزن الثور ٨٠٠ كجم ، ومن المعروف ان مادة التلقيح تبقى صالحة لاكثر من خمس عشرةسنة في مختبراتنا في هذا المركز ، كما ان هذا المركز يقوم بتدريب طلبة الطب البيطري وكلية الزراعة فعندنا الآن بنك لهذه المادة التي نقوم بتوزيعها على عدة مناطق في القطر الصومالي .

وبالقرب من هذا المشروع توجد مزرعة لتنمية الابقار ، فمن المعروف ان الابقار الصومالية قليلة الالبان واللحوم ايضا بوجه عام وقد ساهمت المانيا الغربية في هذا المشروع سنة ١٩٦٦ وحقق المشروع نتائج جيدة خاصة من حيث وفرة الالبان . ويقول الدكتور يوسف اسماعيل دول : لقد حقق هذا المشروع نجاحا كبيرا منذ البداية فقد كانت الابقار الصومالية لا يتعدى انتاجها من اللبن على أكثر تقدير من ١ الى ٤ لترات يوميا ، ولكن الآن وبعد حصولنا على سلالات جيدة من الابقار بواسطة التلقيح الصناعي وكذلك بعد ان اقيمت لها المراكز الصحية والمزارع واعطيت انواعا من الاعلاف الجيدة أصبح انتاجها من الالبان ١٤ لترا في الجيل الاول من هذه السلالات وقد يصل الى ١٨ لترا في الاجيال القادمة باذن الله . إن وزارة الثروة الحيوانية كانت في الفترة الاخيرة تبيع هذه الابقار المحسنة للمواطنين والهدف من هذا هو انتشار هذه السلالة في مختلف مناطق الجمهورية . .

الى كسمايو

وذهبنا إلى محافظة كسمايو وهي تبعد عن مدينة مقديشو العاصمة الصومالية نحو ٥٠٠ كيلومتر ، يربطها طريق أسفلتي جَديد وتنتشر الغابات الاستوائية على جانبيه . هذه المحافظة تقع في منطقة خط الاستواء وتعد محافظة كسمايو من اغنى محافظات الصومال بالثروة الحيوانية وأجمل منظر يشاهده المرء في هذا الطريق هو منظر مئات القطعان من المواشي والجمال والماعز التي يرعاها صبيان لا يتجاوز عمر بعضهم العاشرة ، وحدث ان تعطلت السيارة التي تقلنا الى محافظة كسمايو وبعد ان اوشكت الشمس على المغيب كانت السيارة لا تزال واقفة في مكانها ، وشعرنا بالخوف وقلنا تحدث انفسنا هل نبيت الليلة هنا بين حيوانات الغابة المفترسة وننتظر الفرج ؟ وكان الظلام الدامس قد حل فاقترب منا راع لم يتجاوز الخامسة عشرة من عمره يقود قطيعا من الابقار فسألته : « ألا تخاف يا هذا من حيوانات الغابة ؟ فتبسم عثمان عبدالله يوسف وكان هذا اسمه « أنتم الذين تخافون يا ابناء المدينة أما أنا فمعي عصاي هذه اذود بها عن نفسي وقطيعي فاذا ما تمادى أي حيوان مفترس في غيه عالجته بهذه المدية التي احملها في ازاري » . واعجبت بشجاعة الراعي الصغير وودعته وانا اردد بارك الله فيك يا بني !

ومع ان مدينة كسمايو تقع قرب خط الاستواء الا أن درجة الحرارة فيها لا تتجاوز ٢٥ درجة مئوية ، وقد سألت الدكتور محمد علي الفرا استاذ الجغرافيا بجامعة الكويت عن هذه الظاهرة فأجاب قائلا : « من المغالطات العلمية الشائعة عن المناطق الواقعة على خط الاستواء أنها أشد مناطق العالم حرارة . من الناحية النظرية البحتة هذا القول صحيح نظرا لتسامت اشعة الشمس العمودية على خط الاستواء طوال العام ، ولكن من الناحية الواقعية هناك عوامل

تقدر الثروة الحيوانية في الصومال بنحو ٣٥ مليون رأس من الأبقار والجمال والضأن ، انها ثروة ضخمة لو استغلت استغلالاً جيداً لحلت مشكلة أزمة اللحوم في وطننا العربي الكبير . (الى اعلى)

الرعاة وحيواناتهم في سوقْ المواشي بمدينة مقديشو ان حركة هذا السوق لا تتوقف منذ الصباح حتى منتصف النهار
حيث يباع أكثر من ثلاثة آلاف رأس من الأبقار والجمال والضأن . (الى اسفل)

أخرى تجعل الصورة مختلفة ، وأهم هذه العوامل هو القرب أو البعد عن البحر ، لأن التأثيرات البحرية تخفف من درجة الحرارة ، ثم الارتفاع عن سطح الأرض ، فالمعروف اننا كلما ارتفعنا ١٥٠ مترا عن سطح الارض تنخفض الحرارة درجة مئوية واحدة ، لذلك نجد ان بعض المواقع على خط الاستواء يكللها الثلج طوال العام مثل جبل (كلمنجارو) وكذلك فان سقوط الأمطار ووجود غطاء نباتي يخفضان من درجة الحرارة وذلك لأن وجود الغطاء النباتي يحمي سطح الارض من أشعة الشمس الحارقة ، وبما أن مناطق خط الاستواء تتميزبغزارة امطارها وكثرة نباتاتها فانها ليست اشد المناطق حرارة ، ولكن اشد المناطق حرارة هي المناطق الصحراوية المدارية نظرا لخلوها من الغطاء النباتي وندرة أمطارها واستواء سطحها ثم بعدها عن التأثيرات البحرية .

يقول الدكتور فارح راغي جامع مدير مختلف فروع وزارة الثروة الحيوانية في كسمايو :

« إن عملنا هنا ينحصر في البحث عن أمراض الحيوانات ثم تطعيمها وكذلك تقديم العلاج للحيوانات التي يظهر فيها بعض الامراض ، إن هناك اربع فرق بيطرية موزعة على أربع نواح تتكون منها المحافظة وهي ناحية كسمايو وناحية جمامة وناحية بطاطي وناحية افمد والناحيتان الاخريان يتواجد فيهما أكثر الحيوانات ، وهما محاذيتان للحدود الكينية . والحيوانات في هذه المنطقة تتبادل المراعي تبعا لظروف هطول الامطار .

ان عملية التطعيم لا تقتصر فقط على الحيوانات المصدرة ، لكنها تشمل كذلك الحيوانات التي يمتلكها المواطنون ، وبالاضافة الى ذلك هناك قسم للعلاج وهو من أكبر الاقسام ويضم اربعة مسئولين مختصين للنواحي الاربع التي تتبع المحافظة ، كما ان في كل ناحية اطباء ومساعدي اطباء للقرى التابعة للنواحي يتابعون الرعاة الرحل لعلاج مواشيهم .

وفي مدينة كسمايو مختبر كبير اقيم بالتعاون بين الصومال والمانيا الغربية بدأ العمل به في يونيو سنة ١٩٧٨ يضم ستة من الخبراء الالمان انتهت اعارتهم هذا العام وتسلمته الصومال ، يقوم هذا المختبر باكتشاف الامراض التي تصيب الحيوانات كما يقوم بتدريب اعداد كبيرة من الكوادر الصومالية المتخصصة للقيام بهذه المهمة وهو القضاء على جميع الامراض التي تصيب الحيوان . أما عن أهم الامراض التي تصيب الحيوانات في هذه المحافظة فهي امراض الجهاز الهضمي والديدان وقد قام المختبر بالتعاون مع الاطباء البيطريين بجهود كبيرة لعلاجها .

مصانع لتعليب اللحوم .

أمام هذه الثروة الحيوانية الهائلة كان من الطبيعي ان تقام مصانع لتعليب اللحوم في الصومال ، وبالفعل أقيم سنة ١٩٥٦ أول مصنع لتعليب اللحوم فى مدينة مقديشو وهو مصنع صومرال تتراوح طاقته الانتاجية بين عشرين الى ٢٥ طنا يوميا وفي سنة ١٩٧٨ اشتركت الحكومة الصومالية مع احدى الشركات الايطالية في ادارة المصنع وتوسعته ويصدر إنتاجه الآن الى ايطاليا .

أما أهم مصانع تعليب اللحوم فيتواجد في محافظة كسمايو ، وقد تأسس هذا المصنع سنة ١٩٦٤ بالتعاون مع الاتحاد السوفيتي ، ويقول مدير المصنع المهندس نور محمود جاسي : ان مصنع كسمايو يستوعب ثلاثمائة رأس من الابقار يوميا أي ما يقرب من ٢٠ الى ٢٥ طنا يوميا ، وله جهاز خاص للتبريد يستوعب نحو ٤٠٠ طن من اللحوم المجمدة وينتج هذا المصنع ثمانين الف علبة من مختلف الاحجام والانواع انه ينتج الكورن بيف وستوويف ستيك وبيف شلسي وأنواعا اخرى من المعلبات تتم تعبئتها بطريقة آلية .

ويضيف المهندس نور جاسي قائلا : وحينها كانت علاقاتنا طيبة مع الاتحاد السوفيتي كان معظم انتاجنا يصدر الى روسيا والقليل منه يصدر الى ايطاليا ولكن بعد أن تدهورت علاقتنا مع السوفيت في الآونة الاخيرة ، بدأنا نصدر انتاجنا الى ايطاليا والمانيا الغربية ، بعد أن تعذر الحصول على قطع الغيار من روسيا .

أما عن الأسواق الجديدة فيحدثنا المهندس نور جاسي قائلا : لقد قمت مؤخرا بجولة بهذا الخصوص في بعض الدول العربية ومنها دولة الكويت فاتصلت بعدة شركات حيث دارت بيننا محادثات لتسويق انتاجنا وما زالت الاتصالات جارية ونأمل في المستقبل القريب ان يغطى انتاج هذا المصنع بعض احتياجات الاقطار العربية .

مجتمع رعوى

المجتمع الصومالى مجتمع رعوى ، فالغالبية العظمى من الشعب يمتهن الرعى ، اننا لا نجافى الحقيقة اذا قلنا ان ٨٠٪ من سكان البلاد يرتبطون ارتباطا وثيقا بهذه الثروة الحيوانية الهائلة التى افاء الله بها على هذه البلاد لذلك ارتبطت حياة سكانها بالحيوان ، فالصومالى انسان رعوى يتنقل وراء العشب والكلأ والاماكن التى تهطل فيها الامطار ومنابع المياه ومجاريها وسكان البادية يفاخرون ويباهون بهذه الحرفة ويرونها احسن عمل يزاوله الانسان ، فهى حرفة رسول الله صلى الله عليه وسلم . التى زاولها في فترة من فترات حياته ، لذلك تأثرت حياته اليوميه بمهنة الرعى وانطبعت عاداته وتقاليده بتلك البيئة الرعوية البدوية البسيطة ، فهو يحب الحرية صبور على الشدائد والخطوب ، يتحمل المشاق والصعاب كريم يحب الغرباء ، منصهر مع الطبيعة يعشق الحرية حصيف الرأى .

أما صفاته الجسمية فهو طويل نحيف سريع التأثر حساس لون بشرته أسمر وشعر رأسه مجعد وانفه طويل رقيق وأسنانه بيضاء يحمل عصاه على كتفه أينما رحل .

يحدثنا الأستاذ احمد نور يوسف استاذ الادب الصومالى بالجامعة الوطنية في الصومال عن طريقة تقسيم الذبيحة يقول : يقسم الصومالى ذبيحته الى سبعة أجزاء يقدم الصدر ، واحدى الارجل الامامية الى العلماء أو النبلاء أو كل من يحترمه ، ويقدم الظهر لرب الاسرة ، أما الافخاذ فتقدم لفتيات العائلة والرقبة والحلقوم تقدم للنساء المتزوجات أما الكفل فيقدم للخدم ، والقسم الاوسط أو مايسمى « ببيت الكلاوى » فيقدم صدقة مَنْوِيَّة لفاطمة الزهراء بنت الرسول صلى الله عليه وسلم والذيل يقدم للعجائز ، أما الرأس والكبدة والكلاوى فلا تؤكل بل ترمى الى الحيوانات المفترسة .

ولما كان الانسان الصومالى مرتبطا بالحيوان في حياته كان لابد ان توجد هناك مجموعة من القصائد والاهازيج التى تصور لنا حب هذا الانسان لحيوانه وارتباطه الوثيق به في حياته ، فهو مصدر قوته ومصدر حياته لذا تراه يتغنى بها ويغني من أجلها غناء عذبا اينما حل وفي أي بقعة تواجد .

يترجم لنا الأستاذ احمد نور يوسف احدى هذه الاهازيج

ديلى العزيز

ديلى . . . ياثورى . . . ياكل أملى . . . واحلامى

ديلى ياذا الذيل الطويل . . . عند اهتزاز ذيلك يهتز قلبى فرحا وسرورا وبهجة وحبورا .

أنت تحب المياه . . . تحب الحياة . . . تحب البقاء تشرب من جميع السواقي

تأكل من العشب الاخضر فتزداد قوة وحيوية

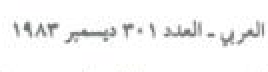
ديلى . . حينها تسير . . تسير بخطوات نشوى بالاناشيد والاغانى

انت بصفاتك الحميدة تختلف عن سائر فصيلك

حفظ مادة التلقيح من سلالات الأبقار الجيدة في أجهزة حديثة هو عمل مركز التلقيح الصناعي في قرية الجوى .

الكشف على الأمراض التي تصيب الحيوان هي المهمة المنوطة بالأطباء البيطريين في المراكز التي تهتم بصحة الحيوان

الأعلاف الغنية بمادة البروتين تقدم للأبقار التي تؤخذ منها مادة التلقيح لحفظها لمدة قد تصل الى خمسة عشر سنة . (الى اعلى)
مصنع اللحوم المعلبة في محافظة كسمايو من أكبر مصانع اللحوم في الصومال الا ان العمل به شبه متوقف (الى اسفل)



التعب . . . والخمول . . . والكسل ليست من
خصالك
تقطع المسافات الطويلة دون كلل
استطيع أن أقودك الى أى مكان الى آخر الدنيا
الى العشب والكلأ والنماء الى أى بقعة تهطل فيها
الأمطار .
وهذه قصيده أخرى تتحدث عن البقرة

يا رمز الحياة والرخاء

انت ياهبة السماء
انت يابقرتى . . . يا رمز الحياة والرخاء
يا سبب غذاء أطفالى وزوجى
تعلمين ان سنة الحياة الفقر والغنى . . .
والصحة والمرض
الحياة والموت سنة الكون
في الرخاء تمنحينى وطفلى اللبن الوفير
منه نستخرج السمن والزبد ومنه نشرب فينمو
طفلى ويقوى ساعدى
أتعلمين يا هبة السماء أننى فى سرى وعلانيتى
أدعو الله ان يحفظك
من الحساد ومن شر الشيطان

التصحير والمراعى

ان اهم مشكلة تصادف الصومال هى فترات الجفاف والتصحر وما يصاحبها من شح كبير في الامطار لذلك بوشر بوضع برنامج مواز لبرنامج تحسين صحة الحيوان بهدف اصلاح الاراضى المهددة بزحف الرمال وخاصة في الاقاليم الشمالية من البلاد .

ويقول الاستاذ عبد الله أحمد كرانى مدير عام وكالة المراعى في الصومال : لقد أعطت الحكومة أهمية خاصة لمشاريع تنمية المراعى فأنشأت وكالة خاصة تهتم بشؤون المراعى ولا يسعنى الا ان



السيد / حسن علي ديري :
بلدان الخليج والجزيرة العربية هي الأسواق التقليدية لثروتنا الحيوانية

أشكر حكومة الكويت التى قدمت مساعدات قيمة لتنمية بعض المراعي في بعض المحافظات الصومالية .

ويضيف قائلا : ومن أجل مواجهة الجفاف فقد قمنا بعمل ٢٥٠ مركزا احتياطيا للمراعى في حالة الجفاف فنستخدم هذا الاحتياطى لتغذية مواشينا وهناك دراسات جادة لاستنبات انواع جديدة من الاعلاف ذات القيمة الغذائية العالية لاستخدامها كأعلاف لحيواناتنا .

تجارة المواشي ومشاكلها .

كان لنا لقاء مع السيد حسن على ديرى وكيل وزارة التجارة فسألناه عن المشاكل التى تواجه تجارة الماشية فأجاب قائلا : اننا احدى الدول النامية ولنا مشاكل كثيرة نعجز عن ايجاد حل لها فنحن نعانى من صغر اسطولنا الذى ينقل مواشينا الى البلدان المجاورة وخاصة السعودية ودول الخليج العربي كما أن سفن نقل المواشي قد تقدمت بصورة جيدة في البلدان التى تصدر اللحوم والمواشي الى الاسواق فنحن تنقصنا هذه السفن المجهزة بكل احتياجات نقل الحيوان .

وسألناه عن سبب امتناع بعض دول الخليج عن شراء المواشي من الصومال في الآونه الاخيرة ، فأجابنا السيد ديرى قائلا : ليس هناك امتناع كلي عن شراء المواشي من الصومال ولكن هناك فقط اختلافا في الاسعار ، نحن نصدر حيواناتنا حية ، بينما الاقطار التي تعمل في هذا المجال تصدرها مذبوحة ومن هنا تأتي بعض العراقيل وسوء الفهم في الاسعار العالمية لان حيواناتنا حينما نصدرها حية تحتاج الى علف ومياه ورعاية خاصة ، كما تحتاج الى الادوية واشياء أخرى وفي بعض الاحيان خلال الرحلة يحدث أن يموت بعضها ، حقيقة ان بعض الدول العربية الشقيقة تستورد المواشى والاغنام من استراليا وهولندا ورومانيا ولكن ميزة المواشي الصومالية هى جودة لحمها ، قد يكون المستورد من تلك الاقطار اكثر لحما وأثقل وزنا لكن نوعية وطعم لحومنا الصومالية لها ميزة خاصة مثل الموز الصومالى المعروف بحلاوته . والواقع ان الحكومة الصومالية تفضل ان تبيع مواشيها للاقطار العربية الشقيقة ولأشقائنا امتيازات خاصة تختلف عن الامتيازات الممنوحة للدول الاخرى . اننا نستغرب كثيرا ان قطرا عربيا اسلاميا يفضل شراء المواشي من دول غير مسلمة أو غير عربية بينما يترك المواشي التي تولى رعيها رجل مسلم عربي شقيق ، ورغم جودتها .

وعن استثمار الرأسمال العربي في تنمية الثروة الحيوانية في الصومال اجابنا الاستاذ حسن على ديرى قائلا : ليست لدينا أى موانع من استثمار الرأسمال العربي في الصومال وخاصة في الثروة الحيوانية وقد أصدرت الحكومة الصومالية قرارات تشجع الرأسمال العربي واستثماره ، ولهم ضمانات وامتيازات خاصة . ان لدينا أراضى شاسعة خصبة وصالحة للزراعة والحكومة الصومالية على أتم الاستعداد لمنح الشركات العربية والمؤسسات الاستثمارية ورجال الاعمال الأرض لاستثمارها بدون مقابل .

احصائية بعدد المواشي المصدرة خلال ١٩٨١ - ١٩٨٢

السنة	ابقار	اغنام	جمال
١٩٨١	١٠٣٨٣٥	١٢٦٨١٠٢	١٢١٨٤
١٩٨٢	١٥٠٩٩٢	١٤٢٩١٦٦	١٢٠٨٢

وفي آخر المطاف كان لنا لقاء مع وزير الثروة الحيوانية في الصومال الدكتور محمد على نور سألناه هل يستعين الصومال بخبرة وتجربة البلدان المتقدمة في مجال الثروة الحيوانية مثل استراليا وهولندا فأجاب قائلا : ان استراليا فعلا هى دولة ذات خبرة واسعة في مجال تربية وتسمين المواشى وخاصة الخراف ، ولكن هولندا ليست لها خبرة في تربية الاغنام والخراف ، ربما يتفوقون في تربية المواشي ، والحقيقة ان علاقتنا باستراليا الان جيدة وقد بدأنا معهم محادثات أولية بخصوص التعاون والاستعانة بخبراتهم في مجال حجز الرمال وتثبيت العشب واستنبات بعض الاشجار السريعة النمو والتشابك لحجز الرمال عن بعض مراعينا .

أما بالنسبة لهولندا فلنا معها علاقات جيدة فنحن نتعاون معها في مجال تلقيح الابقار صناعيا فقد استوردنا منها سلالات جيدة للتلقيح ، كما اننا نستورد مادة التلقيح لاخراج سلالات جيدة من الابقار .

واستخدام الاعلاف الصناعية له تأثيرات جانبية على صحة الانسان وبالتالى فقد يصاب ببعض الامراض من جراء تناول مثل هذه المواد بطريق غير مباشر .

إن الصومال سوق رابحة للاستثمارات العربية فهي أرض بكر ، موارده الهائلة الكبيرة لم يستغلها أحد بعد ، انه ينتظرك ايها المواطن العربي لتأتي اليه بمالك أما هو فسوف يقدم لك كل الضمانات والمساعدات والتسهيلات ، حتى الأرض ، لتقيم عليها مشاريعك الخاصة أو المشتركة من أجل حياة أفضل . ○





« العربي »
العدد الأول
ديسمبر ١٩٥٨

القومية العربية

بقلم الدكتور محمد احمد خلف الله

ما البلدان التي يحتويها مضمون القومية العربية ؟ هل هي التي يدين أهلها بالاسلام ويتخذون منه دستورا وقانونا لهم ؟ أو هي البلدان التي يتحدث أهلها العربية ويتخذون منها لغة أصلية لهم : لغة حديث ، ولغة أدب ، ولغة فكر وثقافة ؟

وما الحدود التي تمتد اليها هذه البلدان ؟ هل هي الحدود التي يمتد اليها الاسلام وتنتهي عندها حدود الدول الاسلامية؟.. أو هي الحدود التي تمتد اليها اللغة العربية وتنتهي عندها حدود الدول العربية ؟

وما الدرجة التي تقاس بها قومية القومي في هذه البلدان ؟ هل هي أن يكون مسلما مخلصا في اسلامه سواء أكان عربيا أم غير عربي ، أو هي أن يكون عربيا أو مستعربا ، مؤمنا بعروبته ومعتزا بها سواء أكان مسلما أم غير مسلم ؟

هذه اسئلة لابد من التفكير فيها والاجابة عنها والا ظللنا نخلط بين القومية العربية والوحدة الاسلامية ، والا ظللنا نقيم أهدافنا القومية على أسس غير مسلم بها من الجميع ، وظلت مشكلة الاقليات الدينية في العالم العربي غير قابلة للحل .

والاجابة عن هذه الاسئلة يجب أن تكون مستمدة من واقع الأمة العربية ومن أحداثها القومية ، والا ظللنا نجري وراء فروض نظرية لا تقدم حلولا ولا تصف واقعا ، وفي ذلك من الاضرار بأهدافنا القومية ما فيه . يجب ألا نخلط بين فكرة وفكرة ، وبين عقيدة وعقيدة . يجب أن نميز بين الأهداف التي تنبعث من الدين والأهداف التي تنبعث من القومية . يجب أن نعرف في يقين هل نهدف في حركاتنا الثورية الى الدفاع عن العروبة من حيث هي قومية ، أو الى الدفاع عن الاسلام من حيث هو دين ؟

حدود اللغة

والاجابة عن هذه الاسئلة تكون سهلة يسيرة لو وقفنا من ذلك عند هذا المحتوى الذي يعلنه كل صباح ومساء القوميون من أبناء الأمة العربية . انهم يقولون لنا في كل وقت ، وفي غير لبس أو غموض ، ان هذه البلدان تمتد من المحيط الاطلسي الى الخليج العربي . ومعنى ذلك أنها تحد بحدود البلدان التي تتخذ من العربية لغة الفكر والثقافة ، ولا تحد بحدود البلدان التي تتخذ من الاسلام دينا . والا لامتدت حتى تشمل دول حلف بغداد وغيرها من البلدان الاسلامية مثل الأفغان والهند واندونيسيا وما أشبه .

ظاهرتان أساسيتان

ونبدأ مع أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين فنجد القومية العربية حركة سرية تؤلف من أجلها الخلايا في عاصمة الدولة العثمانية ... ونجدها

حركة علنية في جمعيات أدبية تتكون وتتخذ من دمشق وبيروت مقرا لها . . . ونجدها حركة سياسية واضحة المعالم لها أهداف قومية في المؤتمر العربي الاول الذي عقد في باريس عام ١٩١٣م . وفي كل هذا نلحظ ظاهرتين لا سبيل الى انكارهما :

الظاهرة الأولى : ان هذه الحركة لم تتخذ من الاسلام خاصة ومن الدين عامة أساسا لها وانما مضت على أساس عربي خالص . فلقد كانت حركة ضد التتريك ، ثم أصبحت حركة انفصالية يريد بها العرب التخلص من نفوذ الأتراك وسيطرتهم . وفي كل من هذين الهدفين اشترك النصارى مع المسلمين . اشتركوا على أنهم عرب يؤمنون بعروبتهم ويعتزون بها .

الظاهرة الثانية : ان مضمون القومية العربية في ذلك الوقت لم يشمل القسم الأفريقي من العالم العربي وانما شمل القسم الآسيوي فقط . كان هذا المضمون يحتوي بلاد الجزيرة ، وبلاد الشام والعراق . أما مصر والسودان وليبيا وتونس والجزائر والمغرب الأقصى فلم تكن ضمن هذا المحتوى . والسر في ذلك واضح ولكنه دقيق . انه الذي يكشف لنا عن أسباب هذا الصراع الذي لا يزال قائما بين الفكرتين الاسلامية والعربية ، ولماذا ظل مفهوم القومية العربية في أذهان الكثيرين من أبناء القسم العربي الافريقي مبهما غامضا .

لقد كان القسم الافريقي من العالم العربي يخضع قبل الحرب العالمية الأولى لنفوذ الاستعمار الغربي . الاستعمار الانجليزي ، والاستعمار الايطالي ، والاستعمار الفرنسي ، وليس يخفى أن هؤلاء ليسوا من المسلمين . بل انهم يكرهون الاسلام . ومن هنا قامت الحركات الوطنية في هذا القسم على أساس ديني ، واتخذ الدين في هذا القسم أساسا لكراهية المستعمر والعمل على طرده واخراجه .

أما القسم الآسيوي فكان يخضع للنفوذ التركي ، وليس يخفى ان الاتراك مسلمون . وليس من المعقول أن يؤسس النضال في هذا القسم على أساس ديني اسلامي . اذ الكل مسلمون . ومن هنا كانت العروبة هي الأساس في النضال ، واشترك النصارى مع المسلمين .

ثم ان دول القسم الافريقي اتخذت من صلتها بخليفة المسلمين أساسا لهذا النضال . ان الخليفة هو صاحب الحق الاول في هذه الدول . انها تتبعه . وان تبعيتها هذه تبعية دينية . وان واجب الخليفة أن يحميها وأن يساعدها في طرد المستعمر . ومن هنا كان استمساكها بالعلاقة الدينية التي تربطها بدار الخلافة . أما القسم الآسيوي فلم يكن بحاجة الى الاستمساك بهذه العلاقة لأنه انما يثور على الخليفة نفسه ، ويسعى للتخلص من نفوذه .

الوطنية والقومية

ثم هناك أمر آخر جعل القسم الافريقي يؤمن بالوطنية أكثر من ايمانه بالقومية ، هو أن دول هذا القسم كانت لها شخصيات مستقلة ، وكان الولاة فيها أشبه بالملوك في الدول المستقلة . هكذا كان الحال في مصر . وكان الحال في تونس ، وكان الحال في المغرب الأقصى . ومن هنا كان الكفاح في سبيل الوطن وفي سبيل قومية محلية لا في سبيل العروبة . ومما ساعد على هذا الوضع أن كل دولة كانت تناضل دولة استعمارية غير التي تناضلها الأخرى . فمصر تكافح الانجليز ، وتونس تكافح الفرنسيين . لم تكن هناك وحدة في الأهداف حتى تكون وحدة في النضال .

أما في القسم الآسيوي فلم يكن الحال على هذا الأساس . لم تكن هناك دول لها شخصياتها المستقلة . ولم يكن الولاة من الاستقرار والثبات بحيث يشبهون ولاة القسم الأفريقي الذي كانت الولاية فيه مستقرة في أسر تتوارث الولاية . وكانت وحدة الهدف قائمة على أنهم جميعا يناضلون الخليفة . كل هذا جعل الأساس قوميا وجعله عربيا في القسم الآسيوي .

القومية العربية اقرب . .

كان هذا في البدء . أما اليوم فقد اتسع مضمون القومية العربية حتى شمل القسمين وان تكن الفكرة مختلطة بالاسلامية حتى اليوم . واعتقد أن الفكرة العربية هي التي ستسود وتسيطر . ودليلي آخذه من تاريخنا القريب وتاريخنا البعيد . ان الساسة اليوم ينادون بالقومية العربية . وتحقيق الوحدة العربية أقرب منالا من تحقيق الوحدة الاسلامية . ان مصلحتنا اليوم في تحقيق هذا الهدف القريب . ثم ان الفكرة العربية أكثر انتشارا وأوسع نفوذا من الفكرة الاسلامية . انها تشمل سكان العالم العربي جميعا أما الاسلام فلا يشمل هؤلاء السكان . لقد تعرب سكان هذه البلدان أجمعين ولم يسلموا أجمعين . انه لا يزال منهم النصارى ولا يزال منهم اليهود .

أعتقد أن المسائل قد وضحت الآن . وأعتقد أن العنصر الأول في بناء القومية العربية هو اللغة . انها التي تحدد البلدان التي تدخل ضمن نطاق هذه القومية وأنها التي تحدد الدرجة التي تقيس بها قومية القومي . فحيث تكون اللغة العربية لغة الفكر والثقافة تكون القومية العربية . ومن هنا آمن العرب في المهجر بعروبتهم . وليس يخفى أن أكثريتهم من النصارى .

يجب الا نخلط بين الفكرتين . ويجب أن نميز بين الفكرتين . ويجب أن نعلم جميعا أن هذا لصالح القومية

رسالة إلى وايزمان!

بقلم : نجدة فتحي صفوة

○ رأيت في ندوة أقامتها «الجمعية الآسيوية الملكية» في لندن قبل سنوات قلائل (وهي من أقدم الجمعيات البريطانية المعنية بالشؤون الآسيوية، بما فيها العربية) سيدة لعلها كانت في التسعين من عمرها «قصرت أخادعها وطال قذالها» ـ كما قال ابن الرومي ـ وكانت تتنقل من حلقة الى أخرى محنية الظهر متوكئة على عصا رفيعة، وأطرافها ترتجف، وقبعتها الأنيقة تكاد تسقط من على رأسها. وكان المشاركون في الندوة، ومعظمهم من المهتمين بالشؤون العربية، يحيونها بكثير من الاحترام. ولما استفسرت عن هذه السيدة من تكون؟ قيل لي انها «الليدي بونام ـ كارتر»، فزال عجبي.

لا أذكر أني رأيتها سابقا، ولكنني قابلت زوجها في أواخر الأربعينات في بعض حفلات السفارة العراقية في لندن، وكان يحرص على حضورها دائما. وليست بين يدي ساعة كتابة هذه السطور سيرته معززة بالتواريخ، ولكنه كان من أوائل البريطانيين المدنيين الذين قدموا الى العراق مع الحملة البريطانية خلال الحرب العالمية الأولى أو في أواخرها، ثم ظل يعمل فيه سنوات عديدة في عهد فيصل الأول، وربما بعده أيضا.

كان المستر (السير فيما بعد) ادغار بونام ـ كارتر قانونيا ضليعا، حصل على خبرة واسعة خلال خدمته الطويلة، الممتازة، في القضاء الهندي والسوداني والمصري، فوضع أسس النظام العدلي الجديد في العراق، بدلا من النظام التركي القديم. وقد عين في بداية وصوله الى



العراق في أواخر سنة ۱۹۱۷ « ضابطا عدليا أول » ثم أصبح « ناظرا للعدلية » في عهد الاحتلال ، ثم مستشارا لوزارة العدلية في عهدي الانتداب والاستقلال . وهو الذي وضع كثيرا من القوانين العراقية ، وان كانت في الغالب مستمدة من القوانين المعمول بها في الهند ، كما أنه ترأس لجنة عرفت باسمه ، لاقتراح صيغة دستور للعراق يرضي الحكومة البريطانية ، ويطمئن الشعب العراقي بنفس الوقت ، ولكن تقرير اللجنة لم يرض « اللورد كرزن » وتطلعاته الاستعمارية ، اذ وجده أكثر تحررا مما ينبغي ، فوضع على الرف بعد أخذ ورد طويلين . وكان السير ادغار بونام ـ كارتر من الموظفين البريطانيين القلائل الذين طبقوا منذ بداية تأسيس الدولة العراقية ، سياسة استخدام العراقيين في المناصب القضائية والوظائف الأخرى ، وعدم اجراء التغييرات في المؤسسات والقوانين التي يألفها الشعب الا في الحالات الضرورية الواضحة ، ولذلك يذكره رجال القضاء القدماء في العراق بكثير من الخير . ويبدو أنه كان أكبر الموظفين البريطانيين في العراق درجة ، لأنه ناب عن المندوب السامي « السير برسي كوكس » في بعض فترات غيابه عن العراق . وقد ترك بعد مغادرته العراق ـ على اثر تقاعده عن العمل ـ جائزة سنوية للخريج الأول في كلية الحقوق ، وواظب على ارسالها سنويا حتى وفاته .

وكنت قد سمعت أن زوجته كانت سيدة اجتماعية مثقفة لها في الأعمال الخيرية نشاط معروف ، وأنها كانت محبة للعرب ، ولكنني لم أكن أعلم أن لها اهتماما خاصا بقضية فلسطين أو معرفة شخصية بالزعيم الصهيوني وايزمان ، وها هي ذي أمامي ، بعد وفاة زوجها بسنوات طويلة ، عجوزا وحيدة متهدمة ، ولكنها لا تزال تحضر الندوات والحفلات ذات الصلة بالبلاد العربية . ولعل حضورها كان بمثابة غذاء روحي لها ، يذكرها بأيام شبابها وعزها ، وان لم يعد هنالك على قيد الحياة الا قلة من معاصريها في

البلاد العربية ، ان وجدوا .

ومع ذلك ، فلم تكن الغرابة في الأمر مشاهدتي هذه السيدة في تلك الندوة ، ولكن الغرابة كل الغرابة كانت في المصادفة العجيبة التالية : وهي أنني كنت قبل يومين أو ثلاثة أيام فقط أعمل في تحقيق مجموعة من الوثائق البريطانية التي تعود لسنة ١٩٤٩ ، وكان معظمها يتعلق بقضية فلسطين ، فعثرت بينها على رسالة شخصية كتبتها هذه السيدة الى « وايزمان » بعد أن أصبح أول رئيس للكيان الصهيوني ، فأجابها عنها وايزمان برسالة طويلة . ويظهر من التعليقات المدونة على هامش احدى الرسالتين في وزارة الخارجية البريطانية أن زوجها قدم صورة الكتاب والجواب الى أحد أصدقائه في تلك الوزارة ليطلع عليها المسؤولون فيها ، فحفظا في أضابيرها ، ثم ظهرا الآن ، بعد انتهاء مدة الحظر المفروضة على تلك الوثائق .

وهذه ترجمة حرفية لكتاب « الليدي بونام - كارتر »

: لندن في ٢٣ شباط ١٩٤٩ .

عزيزي مستر وايزمان ،

أعتقد أنك أدرى بعمق شعوري تجاه ما لقيه الشعب اليهودي وما عاناه من مآس . كما أنك تعلم أنني حاولت على الدوام أن أحارب من أجله في الحياة العامة والخاصة

ومع ذلك ، فانني اليوم - مع الأسف - لا أستطيع ان أشعر بأية صداقة نحو دولتكم الجديدة .

انني أكره القتل ، والارهاب ، واللاانسانية ، حين يرتكبها اليهود بنفس الدرجة التي أكرهها بها اذا صدرت عن غيرهم . وانهم لو هاجموا الزعماء النازيين الذين عانوا منهم الكثير ، لما كان من حق أحد أن يشجبهم . ولكنهم اختاروا ضحاياهم من أناس أبرياء كان كثيرون منهم ، مثل جنودنا أنفسهم ، قد خاطروا بحياتهم من أجل حماية اليهود .

إني لا أستطيع أن أنسى جريمة قتل العريفين البريطانيين التي ارتكبت بوحشية ، وجريمة قتل اللورد موين ، وجريمة قتل الكونت برنادوت ، ومذبحة دير ياسين ، وتشريد ٨٠٠,٠٠٠ عربي يكتسحهم الجوع والمرض والموت . . . (ان وصف المخيمات المنشور في جريدة « التايمس » الصادرة أمس ، ومجموع عدد الوفيات بين الأطفال الذين هم بين الثانية والخامسة من أعمارهم ، والذي نشر في مجلة « ايكونوميست » لهذا الأسبوع - لما يمزق نياط القلب) .

ولعلك ستجيب بأنه لا يمكن محاسبة أمة على جرائم ارتكبتها أقلية من أعضائها ، ولكن أول اجراء اتخذته دولة اسرائيل الجديدة ، برئاستك العظيمة ، كان اعلان عفو عام شمل ٤٠ عضوا من أعضاء عصابة « شتيرن » . ان رئيس هذه العصابة الذي كان قد حكم عليه بالسجن لمدة ثماني سنوات بسبب أعمال الارهاب ذات الصلة بمقتل الكونت برنادوت ، والذي رفض بصراحة أن يتعهد بالامتناع عن أعمال الارهاب في المستقبل ، قد أعفي مع الآخرين .

ان اسرائيل ستحصل بلا شك على اعتراف « واقعي » ثم « قانوني » ، ولكنها فقدت عطف أخلص أصدقائها في هذه البلاد جميعا (وكما قالت جريدة « مانجستر غارديان » : انها خيبت آمال أصدقائها) لأنها أعطت الدليل المؤسف بأن الايمان بالعدالة والتسامح والعطف الذي أوحى الينا بتأييد قضية شعبها ، كانت أمورا لا تعني شيئا بالنسبة لهم .

انني آسفة لأن أضطر الى كتابة هذه الرسالة اليك ، ولكنني اذ أتذكر صداقتنا القديمة ، وجميع الآمال التي كنا نشترك في حملها ، أرى من الصواب أن أعلمك بالخيبة التي يعيشها بعضنا اليوم .

المخلصة

فيوليت بونام - كارتر

وفي الاضبارة نفسها جواب بعث به وايزمان الى الليدي بونام - كارتر ، ولولا طوله ، وهو يبلغ ثلاثة أضعاف الرسالة الأصلية ، لقدمت للقراء ترجمته الكاملة ، خاصة وأنه - شأن الرسالة نفسها - لما ينشر لحد الآن ، حتى باللغة الانكليزية .

ولكن فحوى الجواب هي فحوى كل جواب صهيوني عن كل جريمة صهيونية ، منذ بدأت الصهيونية جرائمها على الارض العربية ، حتى يومنا هذا . وهو يبدأه قائلا :

« عزيزتي الليدي بونام - كارتر ،

تسلمت رسالتك المؤرخة في ٢٣ شباط ١٩٤٩ ، وانني لشديد الأسف لوقوعك ضحية لحملة التشهير التي تشن الآن على دولتنا الفتية . ان الشعب البريطاني يتمتع بسمعة جيدة في القدرة على رؤية الجانب الآخر من كل قضية حتى

في أوقات الأزمات والنزاعات . ولكن ذلك لا يظهر كثيرا فيما نحن فيه الآن . . . . . »

ويمضي وايزمان في سلسلة من المناقشات البيزنطية في حب الشعب اليهودي للسلام ، ويمن على بريطانية بما قدمه لها اليهود خلال الحرب ، اذ جندوا الفيلق اليهودي الذي ضمّ ۳۰,۰۰۰ من شبابهم . . . » في الوقت الذي كان الزعماء العرب فيه يتصلون بألمانيا « بعد أن دبروا انتفاضة معادية لبريطانية في بغداد » (يعني بذلك مفتي فلسطين ورشيد عالي الكيلاني) ، ويتحدث عن اليهود الذين قتلهم النازيون في المانيا ، متسائلا عن موقف بريطانية في حالة ابادة ثلث الشعب البريطاني ، الى آخر النغمة المعهودة ـ الممجوجة ـ التي تكررها الصهيونية منذ قيام الكيان الصهيوني .

أما النقطة الأخيرة التي يتعرض لها جواب وايزمان فهي قضية اللاجئين ومصيرهم . فهو يقول ان العدد الذي ذكرته ليدي بونام ـ كارتر ، أي ۸۰۰,۰۰۰ غير صحيح ، وانهم لا يتجاوزون نصف هذا العدد . فالمسألة بسيطة اذن والعدد صغير انه ٤۰۰,۰۰۰ فقط وهو يقول أن الدول العربية هي التي شجعت اللاجئين الفلسطينيين على مغادرة بلادهم (كذا) وان اليهود ليست لهم أية نوايا عدوانية في الاستحواذ بالقوة على الأراضي التي تركها العرب ، وانهم « سيعوضون عنها في الوقت المناسب » .

كتب هذا الجواب في آذار سنة ۱۹٤۹ بقلم زعيم الصهيونية ورئيسها الأول . والآن ، وبعد أربعة وثلاثين عاما ، نرى ماذا كانت نوايا الصهيونيين حقا ، وكم كانوا محبين للسلام ، وكيف عوضوا اللاجئين العرب عن ممتلكاتهم ، وكم من الأراضي احتلوا بالقوة ، وكم من المجازر ارتكبوا منذ دير ياسين ، وكم من أعمال العدوان ، والقتل ، والسلب ، صدرت عنهم ، وماذا صنعوا في الضفة الغربية ، ولبنان ، والعالم ينظر ، والأمم المتحدة تشجب ، والتاريخ يسجل .

* * *

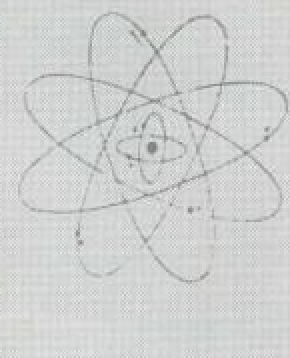
التمست من يعرفني على الليدي بونام ـ كارتر في تلك الندوة ، فلما علمت أني عراقي انبسطت أسارير وجهها ، وظهر على عينيها بريق غريب ، ثم شردت نظراتها وكأنها تنظر الى أفق بعيدٍ . ولعلها كانت تستعيد ذكريات تعود الى خمسين عاما أو تزيد . فقلت لها إن من غرائب المصادفات أن أراها اليوم بعد أن كنت قبل يومين أو ثلاثة أيام أقرأ في مركز حفظ الوثائق رسالتها الى وايزمان . ووجدتها تتذكر الرسالة ، وقالت ما معناه انها كانت ، مع الأسف ، صرخة في واد .

قد تكون تلك الرسالة صرخة في واد فعلا ، ولكنها أيضا دليل على أن الناس كلهم لا يؤيدون الباطل ، وأن هناك ، في كل مجتمع ، من يغضبون للحق ، ويستنكرون الاعتداء على الناس ، ويحاولون تغيير ما يرونه من منكر بيدهم ، وان لم يستطيعوا فبلسانهم أو قلبهم . وعلينا نحن أن نتذكر مواقف هؤلاء المنصفين ، لأننا اذا تجاهلناهم ، لما شجعنا غيرهم على مناصرتنا . واذا كان علينا أن نلتزم اليقظة والحذر من أعدائنا على الدوام ، وأن نفضح أعمالهم ونتصدى لها ، فلا بأس أيضا من أن نسجل بالشكر مواقف بعض الأناس الطيبين ، ومنهم هذه السيدة .

ان تلك الرسالة التي انبثقت أمامي فجأة بين ركام الوثائق وأكداسها ، كما تنبثق الزهرة اليانعة بين الخرائب الموحشة أحيانا ، هي الذكرى العطرة لتلك السيدة التي لم تكتبها للتظاهر ولا للتفاخر ، بل تعبيرا عن شعور حقيقي ، واستنكارا للبغي والعدوان ، ولم يخطر لها ببال أنها ستعيش حتى تجد من يعثر عليها بين الألوف من الوثائق البريطانية بعد دهر طويل .

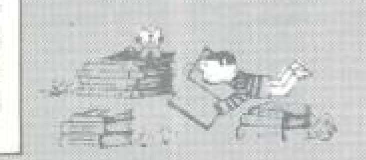
فتحية لتلك السيدة الجليلة ان كانت لا تزال حية ترزق ، والرحمة لها إن هي أصبحت في ذمة التاريخ . ○





اعـــداد :

يـوسـف زعـبلاوي



حذار من الحمامات الشمسية . !

حان الوقت لعشاق الحمامات الشمسية أن يدركوا مدى الخطر الذي يتهددهم تبعا لتعريض أجسامهم لاشعة الشمس .. فقد ثبت للأطباء والأخصائيين أن الاصابة بسرطان الجلد هي النتيجة الحتمية التي يؤدي اليها الادمان على الحمامات الشمسية .. وقد لايظهر سرطان الجلد الا بعد بلوغ الخمسين ... وكأنه الثمرة الاجلة لبذرة عاجلة .. بذرة التعرض لاشعة الشمس أيام الطفولة والشباب ..

ولعل أغرب ما يذكر هنا هو أن البشرة البرونزية وهي الباعث الأول على الحمام الشمسي كما لا يخفى لاتعدو كونها ناقوس خطر . فهذا اللون البرونزي ان هو الا المحاولة اليائسة التي يبذلها الجسم لحماية جلده من شر السرطان ...

هذه الحقائق وكثير غيرها كانت موضع بحث ونقاش في المؤتمر العالمي الأول لسرطان الجلد الذي ضم جمعا من أطباء الجلد والمختصين لا يقل عن ٣٠٠ والذي انعقد في منهاتان (بنيويورك) في أواخر شهر مايو الماضي (١٩٨٣) . ولو ذكرنا أن أمراض الجلد الخبيثة انتشرت وتفاقم أمرها في أوروبا والولايات المتحدة في المدة الأخيرة - لاسيما بين الشباب - وأن الميلانوما Melanoma أخبث تلك الأمراض ، قد تضاعف انتشاره عشرة اضعاف خلال العشرين سنة الماضية ... لو ذكرنا هذا وذلك لوجدنا المبرر لفزع اطباء الجلد في الغرب ومبادرتهم الى عقد ذلك المؤتمر الهام .

حقا لقد عرف الاطباء منذ زمن أن أشعة الشمس فوق البنفسجية تحدث أضرارا بالغة في جلد الانسان .. ولعلهم لم يعرفوا أن مثل هذه الاضرار قد تترتب على تعرض الجسم لاشعة الشمس يوما واحدا فحسب .. كما يقول أخصائي الجلد فرد أورباخ F. Urbach من جامعة تمبل Temple في فيلادلفيا .. (في الولايات المتحدة الأمريكية)

على أن أخطر الأشعة فوق البنفسجية التي تأتينا من الشمس هي U. V. B ، ذات الموجات القصيرة التي تتكاثر وتطغى فيما بين الساعة ١١ قبل الظهر والساعة ٣ بعده . وليس معنى هذا أن الاشعة فوق البنفسجية الأخرى ، ذات الموجات الطويلة (U V A) ، والتي ترسلها الشمس طول النهار ، ليست ضارة . فقد أثبتت الأبحاث والتجارب العلمية الأخيرة أن هذه الأشعة هي الأخرى تسبب السرطان . وذلك خلافا للاعتقاد

النجاح في زرع البنكرياس يبشر بالشفاء من مرض السكر

● عملية زرع البنكرياس ليست بحد ذاتها بالشيء الجديد .. فقد درج الجراحون على اجرائها منذ مطلع الستينات .. وذلك لا بتعد الوقاية من اذى مرض السكر قبل وقوع هذا الاذى .. وانما بقصد وقفه عند حد لدى ظهوره ، لو أمكن .. أى أنهم عمدوا الى عملية زرع البنكرياس باعتبارها السهم الاخير ...

ذلك أن الجسم لم يكن يتقبل البنكرياس المزروع في أكثر تلك الحالات ، أن لم تقل كلها .. وقد يعزى ذلك الى أنهم انتزعوا البنكرياس المزروع من جثث الموتى وتقدمت الجراحة مع الايام .. وتقدم الطب والعلم في شتى المجالات .. ثم كان المؤتمر السنوى الذى عقده اتحاد مرض السكرى الامريكى في بلدة سان انطونيو في حوالى منتصف شهر يونيه الماضى (سنة ١٩٨٣) .. والقيت شتى الابحاث العلمية في تلك الجلسة .. الا أن البحث الذى ألقاه الدكتور د . سوثر لاند Dr. David Sutherland طغى على كل ما سواه .. ولم يتناول الجراح المذكور في بحثه سوى موضوع واحد : موضوع زرع البنكرياس ... والعمليات التى اجراها مؤخرا والتى أحرز فيها من النجاح ما فاجأ به الكثيرين من زملائه .



الأشعة فوق البنفسجية تؤذى الجلد على نحو مباشر وعلى نحو غير مباشر ، لدى انعكاسها على سطح الأرض .. علما بأنها تفقد في هذه الحالة ٧٥٪ من قوتها .

الشائع في الماضي القريب .

ويأتى أذى هذه الأشعة وتلك على مراحل :

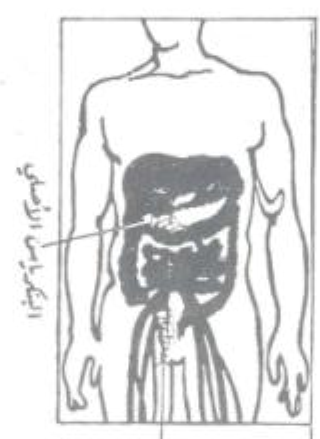
أولها سفعة الشمس أو لوحتها Sunburn ، ثانيها تجاعيد الجلد المبكرة ثم تظهر بقع تتتبع اذا استمر الادمان على الحمام الشمسي .. وتعقبها البقع

السوداء الكبيرة ثم تكون الاصابة بالسرطان .. ويؤكد الدكتور أورباخ .. الا مفر من الاصابة بسرطان الجلد للمدمنين على الحمام الشمسي جميعا .. أما اذا لم تظهر تلك الاصابة ابان حياتهم فما ذلك الا أن حياتهم لم تطل بالقدر الكافي

الجديد في العلم والطب

فقد اجرى ، حتى انعقاد المؤتمر ، ٥٧ عملية زرع بنكرياس .. كان النجاح في ٢٠ منها نجاحا كاملا .. وباهرا ... فقد امكن لهؤلاء العشرين العيش عيشة طبيعية دون حاجة الى حقن الانسولين اليومية ، التى عاشوا عليها قبل العملية .. وهم يأكلون حاليا ويشربون كل ما تشتهى أنفسهم ويعوضون عما عانوا منه من حرمان من السكريات والشويات فيما مضى من أيام .

ونخص بالذكر من هؤلاء فتاة من سكان مدينة بتسبورغ .. كانت تعمل موظفة رعاية اجتماعية في تلك المدينة .. فقد استفحل مرض السكر في مارى ألن باران (٣٥ عاما) حتى فقدت بصرها في احدى عينيها .. وبدأت تفقده في العين الأخرى .. ومالبثت كليتاها أن تلفت .. ولم تجد قتيلا الكلية التى زرعوها لها والتى تبرعت امها لها بها .. فقد استشرى مرض السكرى فيها واستفحل امره ولم يعد في الامكان السيطرة عليه .. أو كبح جماحه . وجاءت الفتاة الى مستشفى كلية الطب التابعة لجامعة مينوتا في الولايات المتحدة الامريكية .. فاجرى لها جراح المستشفى المختص ، وهو الدكتور دافيد سويرلاند نفسه ، عملية زرع البنكرياس .. ومضى على العملية خمس سنوات وشفيت الفتاة من السكرى فلا ارتفعت نسبته في دمها ولا شعرت بأعراضه ، وذلك حتى شهر يونيه الماضى ، حين تحدث عنها طبيبها الدكتور سوثر لاند أمام مؤتمر اتحاد مرض السكرى .



البنكرياس المزروع

ولعل حديث الدكتور سوثرلاند عن تكنولوجيا عملياته .. التى أجراها وما زال يجريها هو اكثر ما استحوذ على اهتمام زملائه الجراحين .. ويمكن ايجاز هذه التكنولوجيا المبتكرة في النقاط التالية :

١ ـ البنكرياس المزروع بنكرياس حى ، وينتزع من جسم احد اقارب المريض .. ففى ذلك مزيد من ضمان لتقبل جسم المصاب للبنكرياس المزروع .

٢ ـ على أن ما ينتزعه الدكتور من جسم القريب المتبرع ليس البنكرياس بكامله وانما نصفه الايسر فحسب . ذلك أن هذا النصف يفى بأغراض الزرع ويكفى لشفاء المريض من مرضه .. بينما النصف الذى يبقه يفى بحاجات جسم المتبرع ويقوم بوظائفه وكأنه بنكرياس كامل .

٣ ـ والغريب ، أن لم نقل الطريف ، هو أن الدكتور سوثرلاند لا يستأصل البنكرياس التالف من جسم المريض .. بل يتركه حيث هو ثم يعمد الى زرع نصف البنكرياس السليم .. في الحوض تحت السرة ..

٤ ـ ويكون زرع هذا النصف السليم أشبه بالتعليق .. اذ يكتفى الجراح بربط وريد هذا النصف وشريانه بالوريد والشريان الحرقفيين . وقد يربط هذا النصف بالمعاء الدقيق لكى لا يصب انزيماته الهاضمة في تجويف الحوض .. ويكون هذا الربط عند الجانب المفتوح من ذلك النصف .. حيث قطع البنكرياس الى نصفين .. وقد يعمد الجراح الى سد ذلك الجانب المفتوح بدلا من ربطه بالمعاء الدقيق ويكون ذلك بحقن **Silistic glue** في أقنية البنكرياس المزروع ...

وعلى المريض بعد ذلك أن يتناول العقاقير المناسبة التى تحول دون رفض الجسم للعضو المزروع ... وقد ظهر من هذه العقاقير مؤخرا ما لا يتسبب بنقصان الكريات البيضاء ويعرض المصاب للالتهابات . نذكر من هذه العقاقير ، على سبيل المثال ، السيكلوسبورين **Cyclosporiene**

ولعل من المؤكد ان السنوات القادمة ستشهد تقدما كبيرا في عمليات زرع البنكرياس .. كما حدث سابقا في عمليات زرع الكلى وسواها .

عندما يفقد العلماء اتزانهم

بقلم : الدكتور فخري الدباغ

ان تبادل النقد والحوار والنقاش هو الطاقة المحركة للتقدم في كافة معارف الحضارة من أدب وفن واجتماع وفلسفة ، . . . كما ان انعدام وضعف النقد يعد من علامات الركود والتخلف والانحدار . وقد ألفنا على صفحات المجلات والصحف ألوانا من اللهجات النقدية : بعضها الهادىء الرصين . . ، وبعضها اللاسع المتشنج ، وبعضها السفيه المؤذي . كما تعارفنا أن للنقاش والنقد والجدل حدودا من الاصول[1] والادب التي يجب ان لا يتجاوزها (المتحاورون) ، والا فقدت المساجلات جمالها وجدها ، واصبحت معارك حاقدة انتقامية أو طفلية باهتة .

ولا تخلو مهنة في أي حقبة من حوادث عابرة تتجاوز فيها المنافسة والمناقشة حدود الموضوعية الى الشتيمة والبغضاء والقطيعة . وقد لا ندهش اذا وجدنا بين ابواب الشعر المعروفة (والثابتة) بابا للهجاء يهدف ـ في الغالب ـ الى الانتقاص والسخرية ـ ونادرا ما ـ يتناول موضوعا فكريا أو مبدئيا ، بل ان بعض الشعراء لم يدخلوا الشهرة الا بأشعارهم الفتاكة ذات الكلمات المشحونة بكل ما يطعن ويجرح ويهين . وقصص معارك (جرير) و (الفرزدق) معروفة في تاريخ الشعر والادب ، ثم لا ننسى (ابن الرومى) الذي هجا كل ما ليس بجميل وغريب شكلا وخلقا . . وكثيرون غيرهم . أما هجاء (المتنبي) لكافور بعد مدحه له فقد عد في انتهازية الشاعر القدير . وقد ذهب مثلا ذلك البيت الشعري :

(١) قديما وضع اسلافنا المسلمون كتبا في هذه الأصول أسموها « آداب البحث والمناظرة » (العربي) .

لا تشتر العبد الا والعصا معه
ان العبيد لأنجاس مناكيد

وربما لا ابالغ اذا قلت ان الهجاء بين الشعراء أصبح (مقبولا) لدى الناس ، وان كان القبول لا يعني « استساغة » السلوك ولا يدل على الرضا والتأييد . .

لكن . . ، ماذا عن الادباء ؟ . . هنا نتمهل هنيهة ولا نقبل ان يتهافت الادباء فيفقدوا مكانتهم وحرمتهم بالاعتداء على غيرهم . غير أنه من السهولة ان نعثر في كتب التاريخ والادب على أمثلة من النقد القتال كما حدث (للجاحظ) ، وهو من أشهر من حذق الكتابة . عندما استخرج ما في جعبته من قابلية أدبية واستغلها لصياغة غليظ القول وجارحه وشائنه لينهال به على الافراد والجماعات ليسخر منهم . وأشهر فضائحه ما وصف به صديقه أو زميله كاتب الديوان (أحمد بن عبد الوهاب) اذ يؤلف فيه كتابا بأكمله هو (التربيع والتدوير) أما الشاعر الاديب (أبو العلاء المعري) ففي (رسالة الغفران) يأتي بمنوعات من السخرية من الشعراء والمؤمنين والزنادقة والحكماء . أما (ابن زيدون الاندلسي) الشاعر الرقيق عاشق (ولادة بنت المستكفي) فيكتب « الرسالة الهزلية » يهجو فيها غريمه الشاعر (ابن عبدوس) لتشبيبه وتقربه من ولادة . أما مساجلات ومحاورات طه حسين والعقاد والرافعي وزكي مبارك والمازني فكانت ـ على الرغم من حدتها ممتعة حيوية مؤدبة حافظت على وقار الادب وجذبت القراء وخلقت حركة فكرية زاهرة . .

الفلاسفة والعلماء

فاذا انتقلنا الى الفلاسفة والعلماء والفقهاء قديما وحديثا . . ، رأينا ان الوقار يطغى على المهاترات ، ويصبح الجدل موضوعيا وخاليا من النيل من الذات وبالشخص الذي يرمي الى دحض الحجة بالحجة وتفنيد الادعاء بالمنطق والبرهان .

وماذا عن الصحفيين والسياسيين ؟ . ان الامثلة التي اوردناها تبدو وكأنها مقتصرة على العالم العربي ، لكنها موجودة في كل المجتمعات والثقافات ولن نندهش اذ طالعتنا الصحف بانباء المساجلات والشجار والعراك ـ وحتى قذف الكراسي ـ (وما خف حمله) وتبادل الكلمات النابية في البرلمانات الغربية التي ننظر اليها وكأنها النخبة المصفاة من الجمهور وممثليه

وأوصاف القذف والهجو والتشنيع شهيرة بين الوزيرين البريطانيين دزرائيلي وجلادستون التي كانت تبدو مهذبة الظاهر ولكنها تفتت العظام !! . .

اذا شئنا التعميم فان الحضارة والمدنية اليوم قد أوجبت علينا ان يكون النقاش والجدل العلمي موضوعيا سليما من الاحقاد الشخصية ، لا تتخلله نزعات الايذاء أو المساس بقيمة الانسان واحترامه لذاته . وبهذه المناسبة يجب علينا التأكيد أن الحضارة العربية والمبادىء الاسلامية وضعت أسسا متينة وتقاليد واضحة لاحترام العلماء واجلال شأنهم كما فتحت لهم باب النقاش والسجال .

مهنة الطبابة : ولكن ، هل للطبابة خصوصية في هذا الباب ؟ . أقول نعم ، ليس من منطلق التحيز أو للتدليل على علو مرتبة الاطباء أو علو شأنهم ومركزهم الطبقي والاجتماعي ، بل لأن آداب السلوك المهني في الطب كثيرة ومحدودة وشديدة الى درجة التعليمات والتشريعات القانونية والنقابية ـ عدا التقليدية والعرفية فنقاش الاطباء يترتب عليه مصير ومصالح المرضى والناس من حولهم ونظرة المجتمع اليهم . . واقتداء المبتدئين وطلبة الطب والهيئات المساعدة الفنية بهم . لذلك فان حقوق

الزمالة في الطبابة شديدة الضبط والالزام بالمقارنة بغيرها . .

ابن رضوان وابن بطلان

لكننا لن نعدم أمثلة كثيرة من علماء ـ واطباء ـ فقدوا اتزانهم ، واضطرب توازنهم المنطقي وغلب طبعهم وتكوين شخصياتهم على تطبعهم ومبادىء صنعتهم التي تعلموها ، فاندفعوا الى الشتيمة وأضاعوا لذة بحث المسائل المختلف عليها بين الكلام الرذيل الذي انغمسوا فيه . ولا أريد بهذه القصة التاريخية الكشف عن عيب قد يكون واحدا من بين مئات الفضائل الاخرى للعلماء والحكماء عموما . . بل اريد ان اتطرق بهذه المناسبة الى بعض المسائل والنظريات التي جرى عليها الخلاف بين الطبيبين ابن رضوان وابن بطلان لتكون هي الفاصل والحكم لدى القارىء في تقييم مواقف الاثنين ، اضافة الى ما في الواقعة من طرافة وتسلية تاريخية . ولعل من الضروري ان نقدم هذين الطبيبين العربيين الشهيرين قبل ذلك معتمدين على رسائلهما التي حققها الدكتور (ماكس مايرهون) وعلى (ابن القفطي) (وابن ابي اصيبعة) .

ابن رضوان ـ ذاق مرارة الفقر

ابن رضوان المصري (ت ٤٥٣ هـ) هو الحسن علي بن رضوان بن علي بن جعفر المصري ، ولد ونشأ بالجيزة في مصر أواسط القرن الخامس الهجري ، وبها تعلم الطب منذ الخامسة عشر من عمره وكان ابوه فرانا . وقرأ كتب من سبقوه وعاصروه من حكماء وفلاسفة واطباء من الاغريق والعرب . ومارس الطبابة وحذقها والتف حوله الطلبة . ومارس التنجيم ، وكتب الرسائل والكتب التي بلغ عددها حوالي المائة ، ومن ابرزها وأقيمها كتابان هما (النافع في الطب) و (ترتيب كتب جالينوس) .

وكان فقيرا معدما ، ومن المعلقين لا المحققين . ولم يكن حسن المنظر ولا الهيئة . اشتهر بصراحته وجرأته ونقده اللاذع الجارح للرازي وحنين بن اسحق وبمساجلاته الفاضحة مع ابن بطلان ، وبوله واعجابه بجالينوس وابقراط . ويصف هو نفسه بأنه تكسب بالفضيلة عن طريق الطب والتنجيم والتعليم . . و « انه متواضع يغيث الملهوف ويكشف الكربة عن المكروب ويساعد المحتاج ، ويلزم الصمت ويكف اللسان عن معايب الناس » !! وقد وصل الى مرتبة رئيس الاطباء في عهد سلطان مصر آنذاك المستنصر بالله . وهو من الذين أضفوا طابعا عربيا اسلاميا على قسم ابقراط وخصال الطبيب المثالي . وقيل ان عقله تغير في آخر عمره . وذكر محمد المالقي الناسخ ان ابن رضوان كان قد أخذ فتاة يتيمة ورباها وكبرت عنده فلما كان في بعض الايام خلا لها الموضع فأخذت جميع ما ادخره من نقود وذهب وهربت ولم يظفر منها على خبر ! فتغيرت أحواله من حينئذ .

وكان كثير الرد على معاصريه .

ومن آرائه في الطب وتعلمه وممارسته نذكر :

١ ـ ان تحصيل صناعة الطب من الكتب أوفق من المعلمين (اذا لم يكونوا جيدين) واذا ما كان قبولها واحدا .

٢ ـ ان ما قاله الاسبقون هو الاحق بالاستدلال والامعان . .

٣ ـ ان الطبيب فيلسوف كامل (مثلما قال جالينوس) وانه من قصر عن ذلك فهو متطبب لا طبيب .

٤ ـ ومن لم تتكامل فيه صناعة الطب فهو متعلم لم يبلغ بعد ان يسمى بالمتطبب .

٥ ـ ان لمعلم الطب خصالا يجب ان تتوفر فيه . وعدد سبعة منها ، اضافة الى الفراسة

٦ ـ واذا دعى الطبيب الى مريض فيجب ان

يعطيه مما لا يضره الى ان يعرف علته فيعالجها عند ذلك (وهو مبدأ لا يزال يعمل به الى يومنا هذا) . .

(البغدادي)

أما ابن بطلان البغدادي (ت ٤٤٤ هـ) فهو أبو الحسن المختار بن الحسن بن سعدون بن عبدون الطبيب البغدادي المعروف (بابن بطلان) . نصراني من الكرخ ببغداد . كان مشوه الخلقة غير صبيحها كما شاء الله . خرج من بغداد الى الجزيرة فالموصل وديار بكر ودخل حلب واقام بها مدة ، ولم تعجبه . ثم رحل الى مصر قاصدا علي بن رضوان وجرت بينهما منافرة ومغالبة في المناظرات ، فخرج من مصر مغضبا متوجها الى انطاكية حيث آثر الاعتزال في أديرة انطاكية . وترهب وانقطع الى العبادة . تتلمذ فترة طويلة وعمل مع استاذه الحكيم الطبيب (ابي الفرج بن الطيب البغدادى) تم كتب الرسائل والكتب ـ وكانت قليلة .

وكانت سفرة ابن بطلان الى مصر لغرض اللقاء بعلي بن رضوان شخصيا بعد ان تبادلا الحجج والرسائل العنيفة كلما ألف وكتب احدهما رسالة او كتابا . وتوفي ابن بطلان ولم يتخذ امرأة ولا خلف ولدا ، وبذلك يقول .

ولا احد ان مت يبكي لميتتي
سوى مجلس في الطب والكتب باكيا

ـ ومن آرائه في صناعة الطب :

١ ـ ان طالب الطب الذي يتلقى علومه على يد الرجال افضل من الذي يدرس من الكتاب

٢ ـ ان الذي يتعلم من الكتب علما رديئا يكون مضطربا متشككا تعسر عليه المسائل .

٣ ـ ان اثبات الحق في عقل من لم يثبت فيه المحال أسهل من اثباته عند من ثبت في عقله المحال .

٤ ـ ان الفضلاء اذا قرأوا كتب القدماء لايقطعون بظن « ولا يتقبلونه على علاته » اذا رأوا في المطلب تباينا ، لكنهم يخلدون الى البحث وطلب المزيد من المعرفة .

مسائل الخلاف

. . ولعل من المفيد ان نجيب على تساؤل قد يراود الفكر وهو : من كان على صواب في تلك المساجلات الطبية والفلسفية ؟ ان ما اختلفا عليه من مسائل أشياء كثيرة قد يصل بعضها الى حد التفاهة في نظر العلم الحديث ، لكن مسألتين خطيرتين جلبتا انتباهي وانا اطالع الرسائل المتبادلة بينهما :

اولا : هي ادعاء ابن رضوان ان تحصيل صناعة الطب من الكتب اوفق من المعلمين اذا ما كان قبولهما واحدا . ويرد عليه ابن بطلان ـ بتفصيل وتنسيق ـ بقوله إن طالب الطب الذي يتلقى علومه على يد الاساتذه افضل من الذي يدرس من الكتاب وحدة . وفي رأيي ان ابن بطلان كان اصوب رأيا واكثر منهجية لأنه لا يمكن النجاح لأى تقدم علمي طبي مهني الا اذا قضى الطالب حياته في التدريب على يد اساتذته

والثانية : هي ادعاء ابن رضوان ان ما قاله الاسبقون هو الأحق بالاستدلال والامعان ، وهو بذلك يصر بعناد على الاكتفاء بما ورد في الكتب ، بينما يقول ابن بطلان انه لا يمكن التسلم قطعيا بما قاله الاسبقون على الدوام بل علينا المزيد من التحري والتنقيب لتشجيع التطور والتقويم . وهكذا تطورت كل العلوم والا لبقينا ندور في دوامة جالينوس وابن سينا . .

لقد وصف اهل السير والمؤرخون ابن بطلان بأنه كان أعذب ألفاظا واكثر ظرفا واخبر في الأدب وما يتعلق به ، وهذا ما يدل على انه كان اكثر منطقا واقناعا واقل عدوانية وحقدا وشراسة . الا ان تجشمه عناء السفر الى مصر واصراره على مقابلة ابن رضوان شخصيا والاستمرار في جداله تدل على عناد غريب

واصرار لامبرر له . أما ابن رضوان فكان أطب واعلم بالعلوم الحكمية وما يتعلق بها ، لكنه كان يقسو بشدة على معارضيه . ولا بد من القول ان لجوء الاثنين الى تبادل الهجو والاسفاف في الرد جعل منها حكاية تلوكها الالسن وتؤرخها الكتب .

ماذا دار بينها ؟

بما أن علي ابن رضوان كان اسود اللون قبيح المنظر فان ابن بطلان كان ينتهز الفرصة ـ وينسى قبحه هو بالذات ـ ليشير الى ذلك ، ومن ذلك ما جاء به في رسالته التي وسمها (بوقعة الاطباء) يصف فيها ابن رضوان بالابيات التالية :

فلما تبدى للقوابل وجهه
نكصن على اعقابهن من الندم
وقلن وأخفين الكلام تسترا
الا ليتنا كنا تركناه في الرحم

وكان يلقبه بـ (تمساح الجن) ، وبالكذاب ، وسخيف الرأي ، . . « وعن العلم معرض . . وعلى الجهل مقبل » . . ويصفه بالخزي للمستهزئين ، وجاموسى الوجه بقرى العينين ، قليل الانصاف ، وبالخبث وطيش الفكر وغلظ الخاطر و « تارة يخطىء وتارة لا يصيب . . ، ومنخرط في سلك الشيطان » .

أما ردود ابن رضوان فكانت تتخللها الكلمات والتعابير الآتية :

« . . في كلام ابن بطلان هذيان ودهشة واباطيل وسفسطة . . ، ووهم وظنون غير صحيحة . . ، والله اعلم بالصواب ! » . ووسمه بالكذب ، وانه لا معرفة له ولا فهم ، وعاجز عن علوم القول ، ولا خبرة له بالمنطق ، وبالغلط والهذر والحمق ووحشي الوجه . . . ، وبالغبي . . واستقباح الفعل ، وبالعربدة ومرض النفس الذي لا يرجى له شفاء وانه (عطلان) وليس (بطلان) ، وانه ذو رأي ردىء و « علينا ان نتوقاه كما نتوقى أوحى الحيات والافاعي قتلا بسمومها . . . ، ولا يستحق ان يرثى له ولا يرحم قط ـ وفي هذا كفاية ! » .

طبيب هجاء !.

وهذا طبيب آخر اشتهر بالهجاء كشهرته بالطبابة ، ولكن هجاءه لم يكن حول مواضيع طبية بل للتمتع بلذة الايذاء والتشفي والسخرية . فالطبيب ابو القاسم هبة الله ابن الفضل ، شاعر خبيث اللسان من منتصف القرن السادس الهجري . ويقال ان له ديوان شعر لم يعثر عليه لحد الآن . واشتهر بالطب والهجاء . فبعد جرير والفرزدق في العهد الاموى اشتهر النصف الاول من العهد العباسي بالمهاترة بين الشاعرين الطبيب (ابي القاسم بن الفضل) (والامير ابي الفوارس) سعد بن محمد الصيفي المشهور في كتب الادب والتاريخ باسم (حيص بيص) .

فالطبيب هبة الله هو الذي اطلق لقب (حيص بيص) على الامير ابي الفوارس فقد ذكروا ان العسكر في بغداد قد هموا بالخروج الى السلطان السلجوقي في عهد الخليفة العباسي (المقتفى لأمر الله) فبات الناس من ذلك في هرج ومرج وحديث وحركة زائدة فقال الامير ابو الفوارس في ذلك « مالي أرى الناس في حيص بيص ؟ » فأطلقها عليه طبيبنا (الشاعر) هبة الله بن الفضل فلصقت به ولم يستطع ان يتخلص منها في حياته وبعد مماته ، وصار الحيص بيص لقبه .

وكان هبة الله ماجنا خليعا عابثا ذا دعابة وقحة ومهاجاة فاحشة ، فلم يسلم من لسانه صغير ولا كبير ولا سوقة ولا أمير حتى زميله الطبيب الشاعر (ابن التلميذ) اذ قال فيه :

هذا تواضعك المشهور عن ضعة
قد صرت فيه بفضل اللؤم تتهم
قعدت عن أمل الراجي وقمت له
هذا وثوب على القصاد لا همم ○

التصغير بين الفصحى ولهجاتها الدارجة

بقلم : محمد خليفة التونسي

التصغير ظاهرة من الظواهر اللغوية في العربية الفصيحة ولهجاتها الدارجة ، بل في كثير من لغات العالم ، فالناس هم الناس في جملة أحوالهم النفسية ، وللتصغير في النفس دواعيه ، ولعل أهمها التحبب أو التلطف أو التدليل أو الاعزاز ، ومنها التقليل ، ومنها التحقير .

وصيغ التصغير المطردة في الفصيحة ثلاث كما في كتب الصرف :

الأولى : فُعَيْل للثلاثي مثل : نهر ، أذن ، نار ، يقال في تصغيرها : نهير ، أذينة ، نويرة ، ومن أجداد النبي عليه السلام / لؤي ، قصي ، وكان يلقب زوجته عائشة « الحميراء » ، ومن النجوم سهيل ، الثريا .

والصيغة الثانية : فُعَيْعِل للرباعي مثل : محسن ، شاعر ، درهم ، يقال في تصغيرها محيسن ، شويعر ، دريهم .

وثالثة الصيغ فعيعيل لما زاد على أربعة أحرف مثل : سلطان ، دينار ، ميزان ، يقال في تصغيرها ، سليطين ، دنينير[1] ، مويزين ، وعلى هذه الصيغ الثلاث تجري معظم الاسماء المصغرة في الفصيحة .

ويلاحظ أن التصغير لا يقع في كل أنواع الكلمات ، بل في الاسماء[2] ونحوها (الصفات) وهذا أشيع ما يكون في الأعلام من اسم ولقب ، وهو يجري على هذه الصيغ الثلاث المطردة ، وقد يجري على غيرها ، ومنه مثلا قول النبي عليه السلام (زناب) في ندائه « زينب » و (خناس) وهو يستزيد شاعرتنا « الخنساء » انشاد شعرها .

كما ينبغي أن نلاحظ أن العلم نوعان : منقول ومرتجل ، وكلاهما لا يجري على القواعد المألوفة ، أو كما يقول ابن منظور في معجمه « الاعلام تغير عن القياس »[3] فالمنقول لا يحتفظ بالصيغة التي نقل عنها ، والمرتجل ينطق كما يتراءى لصاحبه ، ولو شذ في صيغته ،

(١)لأن الاصل اللاتيني : دنار بتشديد النون **Dinner**

(٢)هناك أسماء تستعمل ظروفا ، ولكنها تصغر مراعاة لأصلها الاسمي ، مثل قبل بعد ، فوق ، تحت .

(٣) لسان العرب (مادة) وهب .

أو لم يكن له معنى معروف . وقد سئل بعض العرب البدو عن معنى اسمه أو كنيته « أبي الدقيش » فلم يعرف له معنى [4] ، وهذه عادة كثير من الناس في اطلاق الأسماء والكنى والألقاب ، ويتزايد هذا بين الدهماء ، ولم يزل سكان البادية يختارون الأسماء الجافية الغريبة .

ومن أقدم صيغ التصغير في الفصيحة ما جاء على وزن فعلون ، وأمثلتها كثيرة ، مثل : شيخون ، سعدون ، جلون ، خلدون ، بيضون ، شقبون ، فتحون ، حمدون ، زرقون ، فرحون ، سودون ، زيدون ، حسنون ، سحنون . وتشيع هذه الصيغة حتى اليوم في أقطار المغرب العربي .

ومن صيغ التصغير الحاق تاء التأنيث في آخر الاسم ، مثل : « مامة » للقطعة الصغيرة من الماء ، « ومفرشة » للمفرش الصغير ، و « بحرة » للقطعة الصغيرة من البحر ، « وجبلة » للجبل الصغير ، و « بوقة » للبوق الصغير[5] ، وطبلة للطبل الصغير ، و « تلة » للتل الصغير (ويلاحظ أن النساء يدعون صغارهن حتى الصبيان باسمائهم محرفة مع زيادة تاء التأنيث ويقلن في كامل « كمولة » ، وفي صالح « صلوحة » ، وفي محمد وأحمد وحامد « حمودة » أو « حمادة »)

ومن علامات التصغير الدخيلة من الفارسية الحاق كلمة « ويه » بالاسم ، وأول ما عرف ذلك في البصرة عقب تأسيسها ، مثل سيبويه (النحوى) ونفطويه (اللغوى) وحمدويه (الموكل بمراقبة الزنادقة في عهد المهدي العباسي والرشيد) ، وخارويه (ملك مصر بعد أبيه أحمد بن طولون) . . ودادويه ، وعمرويه ، وحستويه .

ومن الصيغ الشائعة ما جاء على وزن فعّول ، أو فعّولة ، مثل فطوم (فاطمة) ، حسون (حسن) عبود ، فتوح ، نعوش ، حبوب ، كنون ، ومثل فطومة ، شطورة ، عبوشة ، بنوتّه ، (بنت) ، زنوبة (زينب) ، نفوسة (نفيسة) أنوسة (ايناس) أمونة (أمينة او آمنة او ايمان) وكلها للاناث .

أما الذكور فمثل : صبوحة (صبحي) ، حكومة (عبد الحكيم) ، عبوسة (عباس) ، عدولة (عادل) وحسونة (حسن) ، وقد تصغر الأسماء على هيئة فعول أو فعولة (لاعلى وزنها) مثل : برهوم أو برهومة (ابراهيم) ، دندون أو دندونة (دينا) ، ونحو قطقوط أو قطقوطة ، كتكوت أو كتكوتة ، خلبوص أو خلبوصة ، تمنوع أو تمنوعة ، نغنوغ أو نغنوغة .

وتصغر الأسماء في العراق احيانا على وزن فعولى مثل : مهودي (مهدي) كرومي (كريم أو عبد الكريم) ، رحومي (رحيم أو عبد الرحيم) .

وتصغر الأسماء في مصر على وجوه كثيرة منها اقتطاع حرف أو حرفين من الاسم مع استعمال حرف مد ، فيقال في تصغير فتحية مثلا : فوفو ، فيفي أوتوتو ، توحة ، وفي تصغير زينب أو عزيزة ، زيزي أو زوزو ، ومثل ذلك : شوشو ، سوسو ، وكوكو ، ونونو ، وديدي ، ميمي ، نانا ، ططا .

وفي بعض أقطارنا العربية يزيدون واوا وشينا في التصغير مثل أحدوش ، حموش ، برهوش ، عدوش ، وعرموش ، علوش .

وقد تزاد واو وسين مثل : عرنوس ، عبدوس ، عمروس ، فرطوس ، فلحوس .

ومن صيغ التصغير ما هو على هيئة فعلول (مع تكرار الحرف الثالث الاخير) مثل شعرور (شاعر) بعرور (بعير) .

ومن الأسماء التي لازمت التصغير : بثينة ، سكينة ، رفيدة ، بهيئة .

وكل هذه الصور تقبل في الفصيحة ، لأنها أعلام ، والأعلام تقبل كما هي في كل اللغات بحسب أصواتها الخاصة ، ولكل لغة أصواتها .

---

(٤) أبو الدقيش من الاعراب الذى أخذ عنهم اللغة أئمتها ، كالخليل بن أحمد ، ويونس بن حبيب وأبي زيد الانصارى ، سأله يونس عن معنى « الدقيش » فقال لا أدرى ، انما هى أسماء نسمعها . فنسمى بها (مقاييس اللغة ٢/٢٨٩ ، المزهر ٢/٢١٨ .

(٥) قد تصغر بحرة فيقال « بحيرة » وجبلة فيقال « جبيلة » .

قصة

الأول

بقلم : فاضل السباعي

وقف « س » بين الواقفين في البهو ، عاقدا ذراعيه على صدره في صبر غير ملول .

كان يتأمل بعضهم وهم يراجعون ، باستغراق ، كتبا مفتوحة بين أيديهم . ومنهم من يرفع عينيه الى السقف ، متمتما بشفتيه استظهارا لما قرأ . وآخرون يتذاكرون في « أسئلة » يتوقعون أن تطرح عليهم في الامتحان . . حتى اذا لاحظ الجميع أن الباب قد انفرج عن وجه زميل لهم ، تركوا ما هم فيه وأقبلوا عليه ، مستفسرينه عما وجه اليه من أسئلة « الثقافة العامة » . وكان منهم من يخرج ثملا من نشوة الفرح و « يحضر » نجاحه في يمينه ، ومنهم من يكون عابس الوجه مكفهرا . . . فلا يزيدهم ذلك الا توجسا .

(٢)

أشار الممتحن الى كرسي أمام المكتب :

ـ اجلس . بطاقتك الشخصية ؟

قدم « س » بطاقته اليه . ثم أخذ يتفحص الوجه العريض . . . الذي سرعان ما طفت عليه الصرامة :

ـ هم م م ! . . . فأنت صاحب المعدل العام : ٩٩,٩٩٪ ؟

أجاب « س » ، بأدب جم :

ـ نعم ياسيدي .

ـ ولم يتخرج من كلية الطب ، ولا من الكليات الأخرى ، في جامعات الوطن كلها ، ماضيا وحاضرا ، والظن الا يتخرج مستقبلا ، من حصل أو يمكن أن يحصل على مثل هذا المعدل العالي !!

اعتصم « س » بالصمت ، تواضعا .

ـ وتريد أن تعين « معيدا » في احدى كليات الطب .

ـ اذا رأيتموني جديرا بهذا الشرف ، يا سيدي .

ـ طيب ، طيب ! قل لي : من هو « تشي غيفارا » ؟

ـ هو . . . أحد ثوار كوبا الاشتراكية ، لم يسمح لنفسه ، بعد نجاح الثورة ، أن يشترك في الحكم ، وآثر أن يناضل في أقطار أخرى في سبيل المبادىء التي آمن . . .

ـ ما ذا تعرف عن ميول « أبي العلاء المعري » المذهبية ؟

ـ في السنوات الأخيرة ، بدأنا نسمع أن له ميولا « شيعية » !

ـ و « أخناتون » ؟

اخناتون ؟ هو أحد الفراعنة المصريين . قضى شبابه منفيا في البلاد السورية ، قبل أن يعود الى وطنه ليتولى عرش آبائه ، معلنا ديانة جديدة تنادي بوحدانية الله .

ـ طيب ، و « بارزولسكي » ؟

ـ انه رجل موسكو القوي في بولونيا ، الذي قمع حركة نقابة التضامن « . . . هل أعرف لكم بخصمه « ليخ فاونسا » ؟

ـ قل من هو « لوركا » ؟

ـ شاعر اسباني ، عد من الثوار في الحرب الأهلية التي قامت في بلاده عام ١٩٣٦ ، فقتله نفر من خصومه السياسيين ، بعد أن حملوه على أن يحفر قبره بيديه !

ـ « اخوان الصفا » ؟

ـ انها . . . جمعية ذات طابع سياسي ديني ، ظهرت في القرن الرابع الهجري ، واتخذت مقرا لها مدينة البصرة

ـ « فانيسيا رد غريف » ؟

ـ هذه ممثلة بريطانية ، عرفت بمناصرتها للعرب وللقضية الفلسطينية . . .

ـ « عبد القادرالجزائري » ؟

ـ « الأمير عبد القادر » زعيم جزائري اسلامي كبير ، كان من المتصوفة ، حارب الـ . . .

ـ « الألوية الحمراء » ؟

ـ منظمة سرية في ايطاليا قامت بـ . . . .

ـ « ابن الراوندي » ؟

ـ أحد كبار الملاحدة في الفكر الـ . . .

ـ « غابرييل غارسيا ماركيز » ؟

ـ « غابرييل غارثية ماركيث روائي عالمي من كولومبـ . . .



- « أوديب » ؟
- مسرحية اغريقية - بطلها . . . .
- « المعتزلة » ؟
- حركة اسلامية . . . .
- « بشير الجميل » ؟
- الرئيس المنتخب . . . .
- « جيانغ تشنغ » ؟
- أرملة الـ « السياب » ؟
- شاعر . . . .
- « عدنان المالكي » ؟
- ضا . . . .

- تابع الممتحن ، بصوت نزق ، وهو يقرأ في لائحة طويلة :
- أجب بسرعة فائقة : « سوموزا » ؟ « حمدان قرمط » ؟ « بادن ما ينهوف » ؟ « أكسيون ديركت » ؟
- أ . . . . .
- « بابراك كارمال » ؟ « عروة ابن الورد » ؟ « خين روج » ؟
و . . . . .
- « عبد الرحمن بن ملجم » ؟ « أبري ناج » ؟
- ي . . . . .
- لم يعجز « س » عن الاجابة . ولكنه أحس بالعياء . كان

ما يكاد يفكر في السؤال ،مستجمعا في ذهنه عناصر الاجابة ، حتى يكون قد رمي بسؤال جديد . ولحظة وصلت أنفاسه الى حد الانهيار ، لاح له أن ممتحنه قد أدركه العياء ، هو الآخر . رآه ، فجأة ،يهوى بقبضتيه الغليظتين ، على المكتب الخشبي المفرغ ، صارخا بملء صوته :

ـ قف ! فانتصب « س » واقفا ، مجفلا .

ـ أنا لم أطلب منك أن تريني قوامك الفتان .

قصدت أن تتوقف عن تدفقك . اجلس . عشرة على عشرة !!

ـ بدا « س » أشبه بملاكم قد استنفدت المباراة المضنية خلاصة قواه غامت الدنيا في عينيه . فلما آن أن يفتحهما وجد رأسه منهارا . وأدرك أنه في قفص « المقابلة » لا يزال . رفع رأسه ، شيئا فشيئا ، عن المكتب . ومن عجب أنه رأى الممتحن منهارا ، هو أيضا ! لقد أعيا كل منهما الآخر .

ـ الوجه ، الذي يرشح صرامة ، يرتفع عن سطح المكتب . تلاقت الأعين . حدق كل منهما في عيني الآخر . سمح « س » لنفسه أن يبتسم . فابتسمت الصرامة . تشجع : مد يده نحوه ، مصافحا .

ـ لماذا ؟

ـ كي تهنئني !

ـ لم ينته الامتحان بعد . أمامك جولة ثانية . ما اللغة الأجنبية التي درست بها بعض مقررات الطب ؟

ـ الانجليزية . ولكن ، ياسيدي .. أنتم لا تمتحنون المرشحين . . . الا في « الثقافة العامة » !

ـ دونك هذا النص ، فانقله الى العربية ، خلال الدقائق العشر القادمة !

ـ عشر دقائق فقط ؟

ـ بدأ الوقت .

ـ نظر « س » الى ممتحنه ، وهو يعمل يده في جهاز على المكتب ، فتنبعث ، من ساعة ما ، دقات الثواني . . . بصوت أخذ يشوش عليه .

كان النص ، الذي يتحدث في شأن طبي خالص ، حافلا بالمصطلحات العلمية التي يعرفها حق المعرفة . انكفأ يعربه . ليس ثمة من صعوبة تواجهه الا ضيق الوقت ، والا دقات الثواني : تك ، تك ، تك . . . التي تزداد ارتفاعا كلما اقتربت المهلة المحددة من نهايتها . ولحظة ألقى القلم من يده ، متنفسا الصعداء ، كانت الساعة ، المخيفة تطلق رنينا موصولا .

ـ هات لأرى .

ـ تفضل .

ـ حسب « س » أن ممتحنه سيشرع في قراءة النص العربي ، معارضا اياه بأصله في الانجليزية . ولكنه رآه يدس الورقة في جانب من ذلك الجهاز العجيب ، وما هي الا لحظة وجيزة حتى أضاءت في أعلاه لوحة ، ألمت بها عينا الممتحن ، فصرخ ، وهو يهوي بقبضتيه على المكتب :

ـ عشرة على عشرة !

لم يجفل « س » ، هذه المرة ، ولا غامت الدنيا في عينيه . تبين له أنه قد اكتسب مناعة من نوع ما . ابتسم وهو يمد يده لممتحنه .

ـ لماذا ؟

ـ كي تهنئني !

ـ لم ينته الامتحان بعد .

ـ اني على أتم استعداد يا سيدي .

ـ امتحانك ، الآن ، في اللغة الـ . . . ـفرنسية !

ـ الفرنسية ؟ ! ولكن طالب الطب في بلادنا يدرس ، بعض مقرراته ، بالانجليزية أو الفرنسية ، وليس بكلتيهما .

ـ لسوف أمتحنك بالفرنسية !

ـ من حسن حظي يا سيدي ، أني أخذت ، من تلقاء نفسي ، في دراسة هذه اللغة العذبة ، من يوم أن اختارتها ، لغة أجنبية لها ، شقيقتي الصغرى ، لدى دخولها « الاعدادي » . وقد زاد اهتمامي بها منذ انتسبت الشقيقة الى الجامعة لدراسة آداب اللغة الفرنسية !

ـ أفراد اسرتك يعنون بالفرنسية وآدابها . . . فأنتم برجوازيون حقيقيون !

ـ ولكنا تعلمناها في مدارس الحكومة وجامعاتها ، وليس في « اللاييك » أو « الفرنسيسكان » ، يا سيدي !

ـ أحذرك من التمادي في المماحكة !دونك هذا النص الفرنسي ، فانقله خلال عشر دقائق .

ـ ومن جديد أخذت الساعة ترسل دقاتها . و « س » يتابع تعريب النص ، الطبي ، غير متعثر . ولحظة آن للساعة أن تطلق رنينها ايذانا بالانتهاء ، كان يضع الاجابة تحت نظر الممتحن .

دس الرجل الورقة في الجهاز . وما أن المت عيناه بما تسجل في اللوحة المضاءة ،حتى أهوى بقبضتيه على المكتب :

ـ عشرة على عشرة !

لم يخطر على بال « س » ، هذه المرة ، أن يمد يده طالبا للتهنئة .

ـ هل من امتحان . . . رابع ، يا سيدي ؟

ـ اللغة الالمانية !

ـ ما أنا على يقين منه أن اللغة الالمانية غير مطلوبة في مدارس الوطن على الاطلاق !

ـ وأنا سأمتحنك باللغة الالمانية !

ـ من حسن حظي أني أعرفها !
ـ إيه هل رضعتها من حليب السيدة الوالدة ، ؟
ـ أمي عربية الارومة مثل أبي ، يا سيدي ولكن . . . قبل عامين وضعت نصب عيني أن أسافر الى المانيا ، للعمل وللتخصص في جراحة القلب ، فشرعت في دراسة لغة البلد ، اختصارا للوقت . ووجدتها بادىء الأمر ، صعبة . ولكني تابعت وثابرت .
ـ دونك هذا النص فانقله الى العربية .
ـ الا تزيد لي في الدقائق العشر ، بسبب الصعوبة ، يا سيدي ؟
ـ أمنحك دقيقتين اضافيتين ، لترى كم نحن عادلون !
وفي ظل دقات الساعة ، التي ألفت أذنه سماعها ، أخذ « س » ينقل عن هذه اللغة ، التي لم يتعلمها بسوى أشرطة « الكاسيت » . كان النص أيضا حافلا بالمصطلحات الطبية . وحين دنت عقارب الساعة من نهاية الدقيقة الثانية عشرة ، كانت اليد ، القاسية ، تمتد الى الورقة لتمسك بطرفها ، ومع انطلاق الرنين انتزعتها . . . ولكن القلم ، السيال ، كان قد سطر فيها آخر الكلمات .
وهوت القبضتان :
ـ عشرة على عشرة !
انفرجت الاسارير المرهقة :
ـ لا أعتقد أن ثمة امتحانا خامسا
ـ بل هناك امتحان أخير ، باللغة الـ . . .
ـ ان جعبتي قد خلت من « اللغات » ، يا سيدي !

ـ انها لغتك ، لغتك القومية ، أيها الناجح الأول في الوطن !

ـ العربية ما أحب هذه اللغة الى النفس ! ولكن . . . هل المعقول أن تمتحنوا خريجي الجامعات بلغتهم القومية ؟ !

ـ « هل من المعقول » ؟! لسوف تقفون ، أنتم المعيدين عما قريب ، على منابر الجامعات ، محاضرين ! ان رطن أحدكم بلغته العربية ، غدا أضحوكة لطلابه ! فان نصبت المرفوع ، أنت يامن حصلت على ٩٩،٩٩ ، في كتابك الذي ستؤلفه لطلابك ، ورفعت المجرور ، أمسيت اضحوكة الجامعة بطلابها وأساتيذها ! هل تعلم أن بينكم من لم يعد يذكر شيئا عن « كان وأخواتها »
ـ هؤلاء أولى بهم أن . . . يستبعدوا ، يا سيدي !
ـ عدد لي « ان وأخواتها » !ان ، أن ، كأن ، لكن ، ليت ، لعل ، لا .
ـ ما عملها هذه الأسرة السعيدة » ؟
ـ يدخل كل منها على الجملة الاسمية فينصب الأول ويسمى اسمها ويرفع الثاني ويسمى خبرها .
ـ ما زلت تحفظها عن ظهر قلب !
ـ سيدي ! لقد كنت « الأول » في الشهادة الثانوية وحصلت ، في العربية ،على الدرجة التامة .
ـ طيب ، طيب ، أعرب لي رأيت المنايا خبط عشواء .
ـ « من تصب تمته ، ومن يخطىء يعمر فـ . . . . » .
ـ لم أطلب منك أن تسمعني بقية البيت !
ـ « رأيت » ، رأى : فعل ماض مبني على . . .
ـ اختصر . « فعل وفاعل » يكفي . . . « المنايا » ؟
ـ « المنايا » : مفعول به أول ، منصوب بالفتحة المقدرة على . . .
ـ « خبط » ؟ « خبط » ! انها . . . « بصوت خفيف » ليست مفعولا به ثانيا . لا ، ولا هي « حال » . . .
ـ فكر بصمت .
حتى يستقيم الاعراب يا سيدي ، أرى أن هناك فعلا محذوفا تقديره : رأيت المنايا تخبط خبط عشواء » . . . فـ « خبط » : مفعول مطلق لذلك الفعل المحذوف !
ـ كيف حالك في « العروض »؟
ـ العروض ؟ ! لقد نظمت الشعر موزونا ومقفى ، مذ كنت على مقاعد الدرس ،
ـ من قائل « اني وان كنت الأخير زمانه » ؟
ـ فيلسوف المعرة « أبو العلاء المعري » .
ـ قطع لي هذا الشطر ، وسم بحره .
ـ إني وإن/ مستفعلن كنتلْ أخي/ مستفْعلن/ زمانهو/ متفاعلن . . . إنه من « البحر الكامل » ، يا سيدي .
ـ ما الشطر الآخر ؟
ـ « لآت بما لم تستطعه الأوائل » .
ـ قطعه .
لآتن / فعولن ! بما لم تسـ / مفاعيلن ! تطعهل / فعولن ! أوائلو / مفاعلن !!! عجبا : شطره الثاني من « البحر الطويل »!!
ـ صرخت الصرامة :
ـ بين لي كيف يمكن أن يكون بيت من شعر ، شطره الأول من بحر وشطره الآخر من بحر سواه !!
ـ حقا ، هذا محير ، يا سيدي ! ولكن تقطيعي لهما كان صحيحا . إني / . . . . ./ وإن كنتل / مفاعيلن / أخير / فعول / زمانهو / مفاعلن . إن الشطر الأول هو ، أيضا ، من « الطويل » . لقد رويته لي منقوصا « حركة » ، هي « الواو » في أوله ، يا سيدي ! الصحيح : وإني / فعولن
هوت القبضتان على المكتب :
ـ عشرة على عشرة !
تنفس « س » الصعداء ، وعيناه لا تفارقان شفتي

الممتحن .
- ألا فلتعلم ، أيها الناجح الأول في الوطن ، أن فيك عيبا خطيرا !
- فيّ عيب خطير ؟! وما هو ، يا سيدي ؟
- « الولاء » !
- الولاء ! الولاء ! ما به « الولاء » ؟!
- الولاء هو ما ينقصك !
- الولاء لمن ؟
- الولاء للوطن !
- ولكني محب لوطني ، الذي أستظل سماءه ، متعلما آكلا نائما !! ومن ذا الذي لا يحب وطنه ، يا سيدي ؟!
- إن « تقارير الأمن الطلابية » ، التي وردتنا من جامعتك ، تشير كلها إلى أنك لم تشاهد يوما وأنت تشارك في « مسيرة » .
- لأني كنت ، على الدوام ، منصرفا إلى تحصيل العلم . ألم تر كيف أني حزت الدرجات التامة في الامتحانات الخمسة التي أجريتها لي ؟
- أنت تعترف ! . . . ولا شوهدت وأنت تهتف مع الهاتفين أو تصفق مع المصفقين !!
- من فضلك ، هل قالت لكم ، تلك التقارير ، إني لا أحب وطني ؟
- إن المواطن ، الذي لا يعبر بصورة علنية عن تأييده للنظام ، نصنفه في عداد المشكوك في وطنيتهم .
- اسمح لي ، يا سيدي ، أن أسألك عما إذا كنتم تريدون « رجالا » . . . أم « أتباعا » ؟
- نريدهم موالين مخلصين .
- وأنا محب لوطني ، مخلص لقيم الأمة التي أنجبتني . حسن ، ردوا عليّ « أوراقي » ، وأنا أسوح ، بمؤهلي ولغاتي ، في بلاد العالم ، أعمل وأتخصص ، قبل أن أعود إلى وطني ، بمحبتي العظيمة . . . التي ما أشك في أنها سوف تتضاعف . . .
- أوراقك ؟! (ضحكت الصرامة) أوراقك لم يعد لها من قيمة . لقد فقدت ، الآن ، مؤهلك الجامعي !
- أنا « الأول » في الوطن ، يا سيدي ، يا سيدي !!
- كان معدلك العام « يتآكل » ، في أثناء امتحانك ، الساعة !!
- ولكنك كنت تصرخ بي ، بعد كل امتحان من امتحاناتك الخمسة ، وأنت تهوي بقبضتيك : « عشرة على عشرة ! » .

كنت تفقد ، في كل امتحان منها ، درجات عشرا !!
- بالمقلوب ! ماذا يجري في هذا الكون ؟!!
- حتى أصبح معدلك العام ٤٩٫٩٩ . . . ففقدت بذلك مؤهلك الجامعي ، وامحى اسمك من قائمة المرشحين لشغل وظيفة معيد في جامعات الوطن !
- فامتحانكم هذا ، يؤدي الى أن يخسر المرء بين أيديكم كل شيء !
- بالنسبة إليك ، أجل !
- حتى الحياة ؟
- هذا ليس من شأني .

(٣)

خرج « س » ، من قاعة الامتحان ، عابس الوجه مكفهرا ، حتى إن أحدا من المرشحين ، في البهو ، لم يجرؤ على الاقتراب منه لاستفساره عما سئل .
أسرع إلى الجامعة ، ليتأكد من حقيقة مصير مؤهله الجامعي .
- لقد هبط ، في هذه الساعة ، معدلك العام إلى ٤٩٫٩٩ !
- بهذه السرعة ، وصلت إليكم خسارتي ، يا لها من تقنية قد استطعتم أن توظفوها لحسابكم ! هل يمكنني أن أدخل امتحانات السنة النهائية القادمة ، لأسترد نجاحي . . . المفقود ؟
- ولكنك خسرت نجاحك في السنوات السبع كلها !!
- وإني على استعداد لأن أقدم امتحاناتها دفعة واحدة ، محققا فيها كلها نجاحي الأول نفسه .
- في « اللوائح » ، أن من يجتاز امتحانه بنجاح يمتنع عليه إعادته .
- أنتسب طالبا مستجدا إلى كلية أخرى .
- ليس من العدل أن تشغل ، مرة ثانية ، مقعدا في الجامعة أولى به طالب لم يجرب حظه بعد .
- عجيبة هذه السدود ، التي تقيمونها في طريق من حصل على معدلي العالي !
- ٩٩٫٩٩ !!! كان عليك أن تفطن ، منذ البداية ، الى أن هذه « النسبة » . السامية ، لا يجوز لمواطن أن يحظى بها ، سوى . . . . . .
- ولكنكم أنتم الذين كنتم تمنحونني إياها ، سنة بعد أخرى .
- لأنك كنت تستحقها على الدوام .
- وماذا كان في وسعي أن أفعل ؟
- ألّا تستحقها !
- إن ما كان يدفعني إلى الاكباب على العلم وجني ثمرات العقول ، هو حبي العظيم لوطني ، ورغبتي في أن أخدم أبناءه على أحسن وجه .
- ضجت أصواتهم بالضحك :
- تخدمهم . . . في الجنة . . . بعد عمر طويل . . .
وظلت قهقهاتهم تتردد أصداؤها في سمعه . . . وهو يمضي ، بعيدا بعيدا ، في دروب الحياة .



حوار القراء

اعداد : يوسف الشهاب

حلول .. للمشاكل المطروحة

● منذ سنوات وانا اتابع قراءة « العربي » الكويتية ، نظرا لما تحويه صفحاتها من دراسات بالغة الأهمية متعلقة بالانسانية والطبيعة وغيرها .. والشيء الملاحظ في كتابات ومقالات المجلات العربية بصفة عامة وخاصة التي تتضمن صفحاتها مواضيع غير علمية ، هو نقد الظواهر والحوادث التي لها وزنها وعلاقتها في الحياة الانسانية ، تتم دون تقديم الحلول المناسبة للمشاكل المطروحة سواء كانت اجتماعية أو سياسية أو إقتصادية ، فيكون الكاتب في هذه الحالة كمن يهدم البناء القديم دون أن يبني أحسن منه . وما نريده في مثل هذه المقالات هو تقديم الحلول لمشاكلنا دون الاكتفاء بطرحها ..

عبد الغني موتقي ـ بشار الجديد ـ الجزائر

العربي .. والجانب النظري

● تابعت كالعادة أعداد مجلتنا « العربي » التي صدرت مؤخرا ، ولاحظت أن هذه قد تحولت « الى الجوانب النظرية » وهذه الجوانب تمت ترجمتها ووضعها في ابواب المجلة ، وهذا يجعل مجلتنا بعيدة عن قلوب القراء ـ والذي دفعني لكتابة ذلك والتنبيه عنه حرصي الشديد على مستوى المجلة ومادتها الثقافية الفنية المشرقة .

علي عبيد خضير ـ الصويرة ـ العراق

العربي :

شكرا للقاريء على ملاحظته ، لكننا كنا نود ان يبين لنا بعض هذه الأبواب التي قال انها مترجمة ، ومع أننا لا ننكر ان هناك بعض الاخبار العلمية كالاكتشافات الجديدة التي نقدمها للقاريء نقلا عن صحف أجنبية ، فاننا في الوقت ذاته ندرك ان الصحافة الأجنبية ليست في متناول كل قاريء عربي وناقل العلم لخدمة الناس ليس بكافر ، والعلم للجميع دون احد ..

البيدقين الأبيضين

● جاء في العدد (٢٩٥) في الصفحة (١٧١) ما يأتي : ـ بالنسبة للمسألة الأولى وكيف يحرك البيدقين الأبيضين فيكون قد انتهى الدور ، أرجو توضيح هذه المسألة كلاميا ..

محمد خليفة محمد ـ امبابة ـ مصر العربية



حوار القراء

العربي :

كما هو واضح أن القارىء يسأل عن ما جاء في صفحة الشطرنج .. والجواب .. ان البيدق الأول يتقدم الى « ف ٨ » مرتقيا الى رتبة حصان وبذلك يحمي الحصان الأبيض في « و ٦ » ولا يبقى أمام الاسود سوى ان يتحرك اما بحصانه واما بالملك الى المربع الوحيد المتاح له وفي كلتا الحالتين يقدم الأبيض بيدق الحصان الى « ح ٨ » مرقيا اياه الى رتبة حصان فينتهي بذلك الدور بكش مات . . .

الأقلام الناشئة

● لما كانت مجلتنا العربي ، واحة لكل قارىء ولكل كاتب تتوفر لديه القدرة على الكتابة ، فانني أقترح عليكم تخصيص باب للأقلام الناشئة لتأخذ دورها في موكب الأدب والعلوم وغيرها ، وحتى تساهموا في تنمية هذه المواهب الشابة التي تتطلع الى رؤية القارىء من خلال صفحات المجلة ، خاصة وان العربي تطوف كافة وطننا العربي .

كراتي محمد ـ سطات ـ المغرب

العربي :

من واجبنا تنمية كل المواهب الشابة وهذه رسالة كل مجلة ثقافية ، لكن هذه التنمية لها شروط يجب توفرها في كل كاتب ناشىء . اذ أننا حريصون أيضا على اختيار الأفضل مما يصلنا من الكتاب والقراء . . .

الأزهر .. الجانب الآخر

● حول ما جاء في استطلاع الأزهر المنشور في العدد (٢٩٥) رأيت أن هناك نقصا في بعض المعلومات أود توضيحها لكل قارىء ، فالجامع الأزهر من أكبر الجوامع اذ تبلغ مساحته ١٢,٠٠٠م٢ ، ولقد شرع في بنائه عام ٣٥٩ هجرية ، وأكمل في عام ٣٦١ وعمره الآن ألفا سنة .

وحينما نزل نابليون أرض مصر عام ١٧٩٨ ، لم يلبث أن تبين أن علماء الأزهر هم قادة الشعب وأنه لا يستقيم له أمر الا اذا استطاع أن يرضيهم فراح يتودد اليهم بمختلف الطرق حتى انه زعم باعتناق الاسلام ، ووسط الزوابع السياسية التي تلت عصر نابليون وسبقت ولاية محمد علي ، لعب الأزهر دوره بمهارة أيدت له هذه المكانة وتلك السلطة .

ولقد مرت بالأزهر أطوار مختلفة من الصحة والمرض والتقدم والتأخر والنهوض والتقاعد والانتاج والعقم ، حتى لقد اجتاز فترة من الزمن تجمعت عليه فيها على ماضي طويل وأخذت تعمل عملها في صدقة عن التفكير والانتاج وعن كل نافع من العلوم العقلية والكونية . . . كما لعب الأزهر دوره في كل من الثورتين ، العرابية ، وثورة ١٩١٩ وتمثلان التطلع الى التحرر من الاستعمار وسيطرة الحكم التي عاشتها مصر . .

أنور ناظر ـ حلب ـ سوريا

لوحة .. الصفحة الثانية

● لقد تعودنا منكم ان تضعوا على الصفحة الثانية صورة تمثل لوحة فنية ، أو أي عمل فني آخر من الحياة اليومية ، ولكن الذي نلاحظه ان هذه الصفحة قد أزيلت لتحل مكانها الاعلانات التجارية . وسؤالنا ما السبب في ذلك ؟ هل هو عدم وجود لوحات فنية تصلح لهذه الصفحة أم ان الاعلان صار أهم من الفن والثقافة . .

عامر عبد العال - اربد - الاردن .

العربي

لا شك أننا مع الفن الرفيع بكل أنواعه باعتباره جزء من حياتنا ، وغياب مثل هذه اللوحات على الصفحة الثانية جاء نتيجة التطوير الذي أدخل على المجلة والاعلان التجاري ليس مهما لدينا كأهمية الثقافة والفن في حياتنا والدليل سعر المجلة البخس الذي تباع فيه دون ان يأتي بتكلفة العدد - واعادة لوحة الصفحة الثانية لا تزال واردة وسوف نحققها بعون الله . .

الكيان الاسرائيلي .. لا اسرائيل

● اكتب لكم رسالتي هذه حاملا بين ثناياها دعوة لكم من أجل التخلي عن استخدام بعض العبارات الدخيلة علينا والتي تقصد بالفعل هدم عقولنا واستسلامنا للامر الواقع . واقصد بذلك كلمة (اسرائيل) اذ من غير المعقول منا ومنكم انتم حماة الثقافة والعقل العربي ان نطلق اسم دولة على تلك العصابات ، وادعوكم ان تتخلوا عن تلك الكلمة ، وأن توجهوا تلك الدعوة بلسانكم الى كل المثقفين العرب ، حتى لا تضيع الحقائق مع تعاقب الزمن . .

ان التسمية الحقيقية لذلك الكيان هو (الكيان الاسرائيلي) وليس دولة اسرائيل او الشعب الاسرائيلي ، فلا يوجد في حياتنا هذه شعب اسرائيل ، بل هناك عصابات شكلت كيانه العنصري وجب علينا ان نسميه « الكيان الصهيوني » .

المهندس محمد شريف احمد - اسيوط - مصر العربية

العربي :

رأي القارىء في مكانه ، فما الكيان الصهيوني سوى مجموعة عصابات تجمعت فوق ارض فلسطين العربية - وسوف يعود شعب فلسطين إلى أرضه باذن الله ، وأن طال الزمان . . وبعدها لن يبقى « الكيان الصهيوني » ولا اسرائيل .

ركن التعارف

انطلاقا من حرصنا نحن شباب تونس على ايجاد فرص التعارف بين الأشقاء في الوطن العربي ، فاننا نقترح عليكم تخصيص ركن للتعارف بين القراء حتى يستطيع الهواة أخذ فرصتهم في توسعة معارفهم وعلى اختلاف أقطار الوطن العربي . . والأمل كبير في تحقيق هذه الرغبة . .

مصطفى مختار - القيروان - تونس

العربي :

كان بودنا أن نلبي رغبة القارىء العزيز ، لكن هذا ليس من طبيعة دور المجلة ، وهناك مجلات أسبوعية تهتم في هذا الجانب . . . وشكرا .



الأيــام

○ قال يحيى بن خالد البرمكي الأيام أربعة :
يوم الريح للنوم ، ويوم الغيم للصيد ، ويوم المطر للشرب ، ويوم الشمس للحوائج .

العلم بالتعلم

○ سئل سفيان بن عيينة :
« من أحوج الناس الى طلب العلم ؟ » قال : « اعلمهم ، لأن الخطأ منه أقبح » .

وسئل عبدالله بن المبارك ، « الى متى تطلب العلم ؟ »
قال : « حتى المات ان شاء الله ، لعل الكلمة التي تنفعني لم أكتبها بعد » .

وحين انقطع أبو يوسف عن حضور مجلس أبي حنيفة واتخذ لنفسه مجلسا متفصلا ، كتب اليه أبو حنيفة بما أعجزه عن الجواب ، ثم علق على عجزه « من ظن أنه يستغني عن التعلم فليبك على نفسه » .

○ وقال عبدالله بن مسعود :
« ان الرجل لا يولد عالما ، وانما العلم بالتعلم » .

أطيب الطعام وألذ الشراب

○ قال أبو العنبس - وكان شاعرا وظريفا ونديما للمتوكل والمعتمد العباسيين دخلت على محمد بن ابراهيم بن مصعب وكان من ولاة المتوكل على الري فقال : يا أبا العنبس ، اني سائلك عن ستة أشياء فأعد لها جوابا ، أسألك عن أطيب الطعام وألذ الشراب ، وأزكى الرائحة ، وأمتع الغناء ، وأشهى النساء ، وأفره الخيل .

قلت : أيها الأمير ، ومتى عودتك اعداد الجواب ؟

فقال : « ما أطيب الطعام ؟ » قال : « طعام وافق الجوع بلون ووافق الشهوة بلون » قال : « صدقت ، فما ألذ الشراب ؟» قال : « كأس راح يعاطيكها خليل ، أو شربة ماء بارد ينقع بها غليلك » ، قال « : « صدقت ، فما أزكى الرائحة ؟ » قال : « رائحة بدن تحبه » قال : « صدقت فما أشهى النساء » ؟ قال : « التي تخرج من عندها كارها وتعود اليها والها » ، قال : « صدقت فما أفره الخيل ؟ قال : « الأسوق ، الأعنق (أي الطويل الساقين والطويل العنق) الذي اذا طلب لم يسبق ، واذا طلب لم يلحق ، واذا صهل أطربك ، واذا نظرت اليه أعجبك ، قال : « صدقت وأجدت يا غلام اعطه مائة دينار » قال : قلت : « أصلح الله الأمير ومائتي دينار تكفيني » ، قال : « وقد زدت نفسك مائة . ياغلام، اعطه مائتي دينار » .

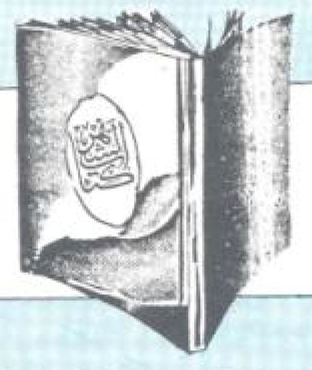
الحسنة بعشر أمثالها

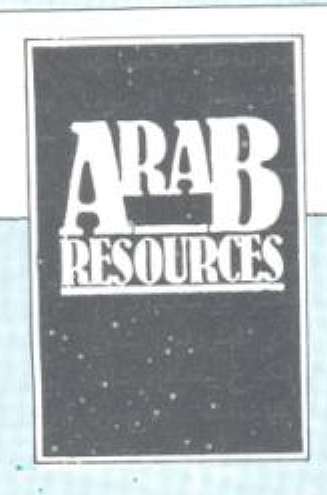
روى أن الامام علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان جالسا يوما في سوق المدينة ومعه ابنه الحسن ، فمر سائل فرق له الامام علي وقال للحسن : « اذهب الى أمك فقل لها تركت عندك ستة دراهم فهات درهما ، فذهب الحسن الى أمه ثم رجع الى أبيه وقال : أمي تقول لك انما تركت ستة دراهم للدقيق فقال الامام علي : لا يصدق ايمان عبد حتى يكون بما في يد الله أوثق منه بما في يده . قل لها ابعثي بالدراهم الستة جميعا ، فبعثت بها اليه فدفعها الامام علي للسائل .

وبعد لحظات مر به رجل معه جمل يبيعه ، فقال علي : « بكم الجمل ؟ » قال الرجل : « بمائة وأربعين درهما » فقال علي للرجل : أنه يشتري الجمل ، ولكنه سيدفع ثمنه بعد حين فوافق صاحب البعير ، وتركه لعلي ومضى .

ثم أقبل رجل آخر فقال : لمن هذا البعير ؟

قال علي : لي قال الرجل أتبيعه قال : بكم ؟ قال : بمائتي درهم ، فأخذ الرجل البعير وأعطى عليا المائتين ، فأعطى الامام علي صاحب الجمل حين عاد حقه وهو مائة وأربعون درهما ، وجاء بستين درهما الى فاطمة رضي الله عنها فقالت : ما هذا ؟ قال : هذا ما وعدنا الله على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها .





الموارد العربية .. وتحول المجتمع

عرض وتقديم : الدكتور عبد الوهاب الأمين

○ كتاب « الموارد العربية .. وتحول المجتمع .. يعتبر من أهم الكتب التي صدرت في السنوات الأخيرة ، وتتناول مستقبل الوطن العربي إذا أحسن استغلال موارده ، أعده إبراهيم إبراهيم ، ويتضمن مجموعة من الدراسات التي قدمت في ندوة عقدها مركز الدراسات العربية في جامعة جورج تاون الأمريكية ..

وتأتي أهمية هذا الكتاب مما يكشف عنه من احتمالات المستقبل ، اذا أحسن العرب استخدام مواردهم البشرية والطبيعية ، وعندما ينجحون في التنسيق والتعاون بين بلدانهم ، ثم هو يعالج أخيرا المصاعب والعقبات التي تصادفهم على هذا الطريق ..

ويكفي ما ذكرته إحدى الدراسات من أن عدد الحاصلين على شهادة الدكتوراه من العرب يصل الى نحو ٢٧ ألف ، وأن نصفهم غادروا العالم العربي رغم وجود ٦٠ جامعة في أشد الحاجة إلى علمهم وعطائهم .

إن التمدن ، والتطور والتحول الاجتماعي السياسي كانت وما زالت موضوعات حظيت بدراسة متعمقة من كتاب العلوم الاجتماعية والاقتصادية . وينطبق هذا بصورة خاصة على العالم العربي منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، ◄

حيث ازداد الاهتمام بهذه المنطقة مع ظهور ما يسمى « بالثورة النفطية » . ومن هنا تم اختيار عنوان الندوة لينسجم مع الحدث التاريخي الذي شهدته المنطقة العربية بصورة عامة والبلدان النفطية بصورة خاصة .

ويناقش الكتاب اربعة موضوعات رئيسة هي : (١) الموارد القطاعية ، (٢) الآليات المؤسسية من أجل تنمية الموارد ، (٣) الاقتصاد السياسي للتنمية ، (٤) مظاهر التحول العربي . وتشتمل هذه الموضوعات على ١٧ دراسة .

وعلى الرغم من أهمية وحيوية الموضوعات التي شملها هذا الكتاب الا ان القارىء يشعر بوجود بعض التداخل (وربما التكرار) بين بعض الدراسات التي يتضمنها .

وتشير الدراسة المتعلقة « بالموارد البشرية في العالم العربي : تأثير الهجرة » (للكتاب اسماعيل سراج الدين ، جيمس سوكنات وجون بيركس) الى ان البلدان العربية المصدرة للنفط وهي : الجزائر ، البحرين ، العراق ، الكويت ، ليبيا ، عمان ، قطر ، المملكة العربية السعودية والامارات العربية المتحدة ، قد استوردت ١,٦ مليون من العمال المهاجرين في عام ١٩٧٥ ، وتتوقع الدراسة ارتفاع نسبة العمال المهاجرين الى أربعة ملايين عامل في عام ١٩٨٥ من مجموع متطلبات العمالة المتوقع ان يرتفع من ٩,٧ مليون عامل في عام ١٩٧٥ الى ١٥,٣ مليون عامل في عام ١٩٨٥ .

وتجدر الاشارة الى أن التركيب القطاعي لمتطلبات العمالة متحيز إلى حد كبير لصالح قطاع المرافق العامة الذي يتوقع ان يزداد الطلب على العمالة فيه الى ٨٦٪ في عام ١٩٨٥ . اما بالنسبة لمتطلبات العمالة غير الماهرة ، فيتوقع ان تنخفض بصورة كبيرة من ٦٣٪ في عام ١٩٧٥ الى حوالي ٥٤٪ في اواخر عام ١٩٨٥ . وتتوقع هذه الدراسة ان تتحول احتياجات المنطقة نحو القوى العاملة الماهرة . وبعد ان اعتمدت المنطقة على العمال العرب بصورة كبيرة في الخمسينيات والستينيات ، الا أنه من المتوقع ان يتغير الوضع في الثمانينيات ، حيث يتوقع ان تنخفض نسبة العمال العرب من ٦٥٪ في عام ١٩٧٥ الى ٤٨٪ بحلول عام ١٩٨٥ ، يقابل هذا التحول ارتفاع نسبة العمال الأجانب لاسيما في الحقول المهنية والفنية من ٦٥٪ في عام ١٩٧٥ الى ٧١٪ في عام ١٩٨٥ (وقد تصل النسبة الى ٩٨٪ في الامارات العربية) .

وتجدر الاشارة هنا الى ان خطورة الاعتماد على العمالة الأجنبية لاسيما الأسيوية من غير البلدان الاسلامية قد حظيت باهتمام الأوساط الأكاديمية حيث عقدت العديد من الندوات بهدف دراسة هذه الظاهرة وتسليط الأضواء على المخاطر المحتملة واقتراح العديد من الحلول المناسبة لها . الا ان اغلب هذه المقترحات لم تجد طريقها بعد نحو التنفيذ .

الطاقة والتنمية

وفي دراسة اخرى عن « الطاقة والتنمية العربية » تقول الكاتبة (نازلي شكري) بأن القرارات التي تتخذ في المرحلة الحالية في مجال سياسة الطاقة العربية غالبا ما يكون لها تأثيرات على مجرى الأحداث في المستقبل . وتشمل سياسة الطاقة في المرحلة الحالية المسائل المتعلقة بسياسة تسعير وانتاج النفط وانفاق الموارد النفطية لاسيما في مشروعات التنمية وبرامج الاقراض والمساعدات للبلدان النامية . وتشير الكاتبة الى أن رأس المال في العالم العربي لا يقتصر على النفط ، حيث ان الموارد العربية تعتبر مكملة بعضها البعض بالنسبة للسكان ، والموارد الاقتصادية والتكنولوجيا .

أما سياسة الطاقة العربية في المستقبل فيقصد بها تنمية مصادر بديلة للطاقة ، واكتساب المهارات اللازمة لتوسيع قاعدة هذا المورد الاقتصادي ، والمحافظة على الطاقة ، وتنويع

استخداماتها وتوسيع التكنولوجيا اللازمة لسياسة التنويع الاقتصادي .

وتعتقد الكاتبة بأن العالم العربي لا بد ان يتحول في العقود القادمة نحو مصادر بديلة للطاقة مثل الغاز الطبيعي ، وتوليد الطاقة الكهربائية من القوة المائية ، والطاقة النووية والتكنولوجيا الشمسية . أما الفحم فانه لا يعتبر من الموارد الوفيرة في العالم العربي ، لذلك فان احتمالاته كمصدر بديل للطاقة تعتبر ضئيلة ، وبالنظر الى أن هذه المصادر الجديدة (باستثناء توليد الطاقة الكهربائية من القوة المائية) لا تزال غير قابلة للتطبيق من الناحية التجارية ، فان البلدان العربية ستبقى معتمدة على البترول للعقود الثلاثة القادمة . وتؤكد الكاتبة على نقطة في غاية الأهمية ألا وهي ان تنمية مصادر اخرى للطاقة خارج سيطرة الحكومات العربية طالما بقيت هذه الحكومات لا تمتلك التكنولوجيا او القدرة على تطوير البدائل بصورة منفردة . واذا أريد تحقيق هدف الأمن العربي في مجال الطاقة مستقبلا فلا بد من الوصول الى استقلالية القرار حول بدائل الطاقة . والقدرة على الاختيار والتنفيذ كما ان تنويع الاقتصاد العربي والتوسع في اكتساب المهارات التكنولوجية يعتبر العامل المحدد للتحرك العربي بالنسبة لمستقبل الطاقة في المنطقة .

الموارد المالية

وفي دراسة اخرى حول الموارد المالية العربية ، يشير الكاتب (جورج عبد) الى ان الموارد المالية في البلدان العربية تتركز بصورة رئيسة في البلدان المصدرة للنفط وعلى وجه الخصوص في ستة من البلدان التي تتصف « بالفوائض » وهي العراق ، الكويت ، ليبيا ، قطر ، السعودية والامارات العربية المتحدة .

وقد بلغ الانتاج النفطي لهذه البلدان عام ١٩٧٠ ، ١٢,٧ مليون برميل في اليوم أو ما يعادل ٥٦٪ من انتاج الأوبك وحوالى ٢٨٪ من الانتاج العالمي . وارتفع انتاج هذه البلدان الى ١٨,٢ مليون برميل في اليوم عام ١٩٨٠ ، أو ما يعادل ٣٠٪ من الانتاج العالمي . وارتفعت اسعار النفط خلال هذه الفترة الى اكثر من ١٥ ضعفا ، بحيث ارتفعت حصيلة الصادرات من ١٠ مليار دولار في عام ١٩٧٠ الى ١٩٥ مليار دولار في عام ١٩٨٠ .

لقد أدت هذه الزيادة الهائلة في الايرادات التصديرية ، مع محدودية الطاقة الاستيعابية لاقتصاد غالبية هذه البلدان ، الى تراكم « الفوائض المالية » التي بلغت حوالي ٣٢١ مليار دولار خلال الفترة ١٩٧٤ - ١٩٨٠ .

وقد وجدت هذه « الفوائض المالية » طريقها نحو الأسواق المالية في البلدان الغربية كما ان حوالي نصف هذه التدفقات المالية كانت على شكل ودائع مصرفية ، اما النصف الآخر فقد استثمر في حوالات قصيرة الأجل خاصة في الولايات المتحدة والمملكة المتحدة . وقد بلغت الاستثمارات المباشرة الطويلة الأجل لا سيما في البلدان الصناعية بين ١٠ - ١٥٪ من حجم الفوائض .

ونظرا للمخاطر الكبيرة التي يحتمل ان تتعرض لها الاستثمارات العربية في الغرب ، يقترح الكاتب ضرورة التفكير الجدى بالاستثمار في المنطقة العربية لأن من شأن ذلك زيادة الطاقة الانتاجية في اقتصاد المنطقة ككل .

والواقع ان سياسة الاستثمارات العربية في البلدان الغربية قد تعرضت منذ البداية الى انتقادات حادة لا سيما بعد ان ثبت عمليا مدى جدية هذه المخاطر على الصعيدين السياسي والاقتصادي ، كما ان العوائد المالية من هذه الاستثمارات (وكذلك المنافع السياسية) لم تكن مجزية بما يبرر استمرار هذه السياسة . بل ان الشواهد اليومية تدلل باستمرار الى ضرورة التحول (التدريجي) نحو اسواق أخرى أكثر

الظاهرة اليابانية

ويشمل كتاب الموارد العربية دراسة قدمت في الندوة ، حول الظاهرة اليابانية ؟ حيث يثير فيه الكاتب (شارلس ميساوى) عدة تساؤلات منها : لماذا استطاعت اليابان وحدها من بين بلدان آسيا ، وافريقيا وامريكا اللاتينية ان تنفض عن نفسها سمات التخلف وتنهض لبناء صرح التقدم الاقتصادي والتكنولوجي في القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين ؟ ولماذا لم يستطع العرب ذلك ؟ ولماذا لم يستطع ، مثلا ، العراق ، الذي كان ولا يزال يتمتع بامكانات كبيرة ؟ لقد قيل في الماضي بأن البرازيل هي ارض المستقبل ، وقد مضى على هذه المقولة ٣٠٠ سنة! كذلك الحال بالنسبة للعراق : حيث يستطيع المرء ان يقتبس مقولات كتبت خلال الـ ١٥٠ سنة الماضية حول ضخامة الامكانات الاقتصادية التي يمتاز بها العراق ، حيث يجمع بين التربة الخصبة ، والثروة المعدنية ، والأنهار الصالحة للملاحة ، والقرب من الهند وتركيا والمراكز الاقتصادية الأخرى .

ويثير الكاتب التساؤل نفسه بالنسبة لمصر ايضا . ويشير الى ان بعض المؤشرات هنا وهناك وفي اوقات مختلفة في القرن التاسع عشر ربما كانت توحي بأن مصر كانت في الواقع تنتهج سياسة افضل حتى من اليابان . لقد كان لليابان في القرن الثامن عشر مصلحة اعمق وتصور اوضح بالنسبة لاستيعاب العلوم والتكنولوجيا الأوروبية من العرب (أو الأتراك) ، ولكن الوضع تغير في ثلاثينات القرن التاسع عشر ، بفضل السياسة التعليمية التي انتهجها السلطان محمد علي . لقد كانت حصة الفرد في الناتج المحلي الاجمالي في مصر في عام ١٩١٣ أعلى بقليل من مثيلتها في اليابان ، كما كانت حصة الفرد من التجارة الخارجية (الاستيرادات زائد الصادرات) ضعف مثيلتها في اليابان ، كذلك كانت شبكة خطوط سكك الحديد في مصر اوسع (بالنسبة للمساحة والسكان) من مثيلتها في اليابان . ويشدد الكاتب بأن هذه المؤشرات لا بد ان تدلل على شيء .

ولغرض فهم ما اصطلح على تسميته في الأدب الاقتصادي التنموي « بالمعجزة اليابانية » لا بد ان نعرف أيا من متطلبات العصرنة وجدت في مصر في القرن التاسع عشر .

أولا ، تميزت مصر بالتجانس الاجتماعي غير الاعتيادي . فلم تكن هناك أقليات عرقية ، باستثناء اقلية دينية صغيرة تم استيعابها بصورة كلية . ثانيا ، كانت مصر لفترة ستة آلاف سنة تحت السيطرة الحكومية المركزية ، الا ان هذه السيطرة انهارت في القرن الثامن عشر ، ولكن سرعان ما اعيدت من قبل محمد علي واستمرت الى الوقت الحاضر ، ويتوصل الكاتب من هذه السمة بأن مصر من البلدان التي يمكن حكمها ، وان هذه بالتأكيد من الشروط التي لا غنى عنها لتحقيق « العصرية » .

ثالثا ، كانت مصر تتمتع بفائض زراعي كبير . فالانتاجية الزراعية في مصر عام ١٨٤٤ كانت توازي مثيلتها في فرنسا والمانيا ، وحوالي ضعف مثيلتها في بقية اجزاء العالم العربي . وأخيرا ، امتازت مصر بتقاليدها المالية العريقة ومساحاتها الزراعية عبر القرون ، التي مكنت جدوى في الأمد الطويل ، ولا شك ان في مقدمة هذه الأسواق هي البلدان الاسلامية وبقية البلدان الصديقة في العالم الثالث .

الزراعة

وفي دراسة اخرى (د . عاطف قبرصي) عن القطاع الزراعي العربي قال فيها ان هذا القطاع لم يحظ بالاستثمارات المناسبة لمعالجة مشاكله الحقيقية ، حيث أن أداء الزراعة في العالم العربي ليس بالمستوى المطلوب . فمعدل نمو الانتاج الزراعي لم يتمش مع معدل نمو السكان . فقد ازداد الانتاج الزراعي خلال الفترة ١٩٦١ و ١٩٧٦ بمعدلات سنوية عالية في كل من السودان (٤,٦٪) ولبنان (٤,١٪) ،

الحكومة المصرية من استقطاع نسبة كبيرة من الفائض الزراعي . فقد كانت الضرائب في القرن الثامن عشر مرتفعة على الدخول الزراعية والتجارية ، وازدادت هذه الضرائب بحدة تحت حكم محمد علي . والواقع ان الأساليب التي استخدمها محمد علي في هذا المجال كانت شبيهة الى حد كبير بتلك الأساليب التي استخدمها الاتحاد السوفيتي في الثلاثينيات من القرن الحالي : وتمثلت هذه الأساليب بالشراء الاجباري للمحاصيل الزراعية بأسعار منخفضة واعادة بيعها الى المستهلكين في المراكز الحضرية أو المستوردين الأجانب بأسعار مرتفعة ، بحيث تحصل الحكومة على فارق السعر . وكما فعل الاتحاد السوفيتي في عهد ستالين ، استخدم محمد علي معظم العوائد المالية لأغراض التسلح ، كما استثمر مبالغ كبيرة ايضا في مجالات النقل والصناعة والتعليم والنشاطات الاقتصادية الأخرى ، أي بعبارة اخرى ، ان نموذج محمد علي في التنمية له مايبرره .

والواقع ان من حق القارىء ان يتساءل ما الذي حال اذن دون تقدم مصر ؟ وللاجابة عن هذا التساؤل المحق يعتقد الكاتب انه لا بد من مناقشة العوامل الرئيسية التي انفردت فيها اليابان ، دون مصر ، والتي كانت وراء تفسير « المعجزة » التي حققتها اليابان في مجال التنمية والتقدم التكنولوجي . وهذه العوامل هي : الموقع المناسب الذي قلل من احتمال خطر التدخل الأجنبي ، والوئام الاجتماعي الذي لا نظير له في العالم ، و النظرة المسبقة للنمو الاقتصادي والميل نحو المعرفة وحب العمل ، والقيادة الحكيمة بصورة غير اعتيادية ، وأخيرا لعل من أبرز العوامل التي طالما يؤكد عليها في الأدب الاقتصادي التنموي هو دور الموارد البشرية المتطورة . ففي الوقت الذي كانت فيه نسبة المتعلمين من الاطفال في اليابان تبلغ ٩٧٪ في عام ١٩٠٧ ، كانت نسبة الأمية في مصر في تلك السنة تبلغ ٩٣٪ . ولحد الآن لم تبلغ البلدان العربية درجة التعليم الابتدائي الذي حققته اليابان قبل ثمانين عاما . كما ان التطور الكبير الذي حدث في الموارد الطبيعية في العالم العربي لم يصاحبه تطور مواز في تنمية الموارد البشرية التي أثبتت التجربة اليابانية بأنها السر الذي يكمن وراء تفسير « معجزة » التنمية التي أرست أسسها اليابان . وتجدر الاشارة هنا الى ان كاتب هذه السطور سبق له ان أثار التساؤل عن سر « المعجزة » اليابانية مع رئيس الوفد الاقتصادي الياباني الذي قام بزيارة لوزارة التخطيط في العراق في عام ١٩٧١ وكانت اجابته محددة وبسيطة وهي ان الفضل الأكبر يعزى الى اعادة النظر جذريا في النظام التعليمي بما يضمن التركيز على التعليم المهني والفني من أجل خلق الكوادر والتخصصات التي تخدم عملية التنمية الحقيقية . ومنذ ذلك الوقت وانا احاول ألا انسى تذكير طلبة الاقتصاد في الجامعة بهذه الاجابة البسيطة في صياغتها العميقة في مغزاها ، والحية في تشخيص ابرز المشاكل التي تعترض برامج التنمية الاقتصادية في البلدان النامية ومنها اقطار الوطن العربي .

ترى متى سنشمر عن سواعدنا ونأخذ من التجربة اليابانية درسا ونبدأ مسيرتنا الطويلة بخطى ثابتة على طريق التنمية الحقيقية ؟

بينما ازداد بمعدلات منخفضة في بلدان اخرى : ١,٧٪ في سوريا ، ١,٦٪ في المملكة العربية السعودية وانخفض بنسبة ٤,١٪ في الأردن (بعد احتلال الكيان الصهيوني للضفة الغربية في عام ١٩٦٧) .

وتعكس معدلات نمو الانتاجية خلال الفترة نفسها صورة اكثر قلقا ، فقد كانت معدلات النمو سالبة في كل من سوريا ، مصر والأردن ، بينما كانت معدلات النمو منخفضة في الجزائر ، العراق ، والمملكة العربية السعودية . أما لبنان والسودان فقد حققا معدلات نمو مرتفعة في الانتاجية الزراعية .

لقد كان من نتائج هذا الأداء السيء للانتاج الزراعي ، التدهور الخطير في الأمن الغذائي للعالم العربي ، لا سيما في عقد السبعينات . فقد انخفضت نسبة الاكتفاء الذاتي بالنسبة للحنطة

من ٦٩٪ في عام ١٩٧٠ الى ٣٩٪ في عام ١٩٧٧ ، أما بالنسبة للأرز فقد انخفضت من ٢٤٪ الى ١٥٪ للفترة نفسها . والواقع ان انخفاض نسبة الاكتفاء الذاتي بالنسبة لجميع المنتجات الزراعية الرئيسة يعزى الى ارتفاع معدل الاستهلاك لهذه المنتجات والى انخفاض القدرات الانتاجية المحلية . ولا تتجاوز قدرة البلدان العربية تلبية اكثر من نصف احتياجاتها الغذائية من المصادر المحلية . وتعكس ارقام الاستيراد خطورة استمرار هذه الوضع ، فقد ازدادت قيمة استيراد المواد الغذائية لتسعة من البلدان العربية المنتجة للنفط من ٨٥٠ مليون دولار الى ٥,٦ مليار دولار خلال الفترة ١٩٧٠ ـ ١٩٧٧ .

لقد حان الوقت لاعادة التفكير الجدي نحو الاهتمام بالتنمية الزراعية لتأخذ مكانها اللائق في خطط التنمية الاقتصادية بعد ان ركزت هذه الخطط جل اهتمامها على التنمية الصناعية وعلى مشروعات التنمية الحضرية التي أدت الى زيادة الهجرة من الريف الى المدن ، وبالتالي ، الى تعميق مشاكل القطاع الزراعي وخلق مشاكل جديدة للمراكز الحضرية .

صناديق التنمية

ويشتمل الكتاب على دراسة مقتضبة عن دور صناديق التنمية العربية الثمانية الرئيسة في التنمية الاقتصادية للعالم الثالث من خلال القروض والمساعدات الفنية التي تقدمها هذه الصناديق للبلدان النامية . ولا تقتصر برامج المعونات العربية على الصناديق العربية وحدها ، بل توجد كذلك التدفقات الرسمية من البلدان العربية الى البلدان المستفيدة بطرق عديدة : وفي مقدمة هذه الطرق الاتفاقات الثنائية بين البلدان المانحة للمساعدات والبلدان المستفيدة منها . وهناك الهيئات المتعددة مثل هيئة الخليج لتنمية مصر التي انشئت في عام ١٩٧٧ من قبل المملكة العربية السعودية ، الكويت ، قطر ، والامارات العربية المتحدة . فقد تم تحويل جميع رأسمالها البالغ ملياري دولار الى مصر في السنة نفسها حيث كانت تعاني من عجز خطير في ميزان مدفوعاتها ومشاكل اخطر لمواجهة تسديد الفوائد المترتبة على قروضها من الخارج ، حيث اضطرت مصر الى اللجوء للاقتراض من سوق رأس مال قصير الأجل بفوائد عالية تراوحت بين ١٨ ـ ٢٠٪ حتى تتمكن من سداد الفوائد المترتبة على قروضها السابقة . واستطاعت هيئة الخليج التخفيف من الأزمة المالية التي واجهتها مصر وتمكنها من التحول من الاقتراض القصير الأجل الى التمويل الطويل الأجل بمعدلات فائدة منخفضة . كما ويتم توفير نسبة من المعونات العربية من خلال المنظمات الاقليمية والدولية .

الفوائض المالية

ويقدر الكاتب (ابراهيم عويس) بأن الفوائض المالية المتحققة في الحسابات الجارية لستة من البلدان العربية النفطية : المملكة العربية السعودية ، الكويت ، العراق ، الامارات العربية المتحدة ، ليبيا ، وقطر قد بلغت حوالي مائة مليار دولار في عام ١٩٨٠ (اي حوالي ٥٣٪ من مجموع العوائد النفطية المتحققة) وان ٥٪ من هذا المبلغ قد خصص لأغراض المساعدات الانمائية للبلدان النامية وأن حوالى ٤٠٪ من هذه النسبة وجدت طريقها من خلال الصناديق العربية . أي بعبارة اخرى ، ان مجموع القروض والاعانات المقدمة الى بلدان العالم الثالث من قبل الصناديق العربية في عام ١٩٨٠ قد بلغ حوالي ملياري دولار ، وتمثل حوالي ٢٪ من مجموع ما يسمى « بالفوائض المالية » المتحققة للبلدان العربية الستة المشار اليها في تلك السنة .

وقد بلغ عدد البلدان المستفيدة من القروض والمنح الانمائية المقدمة من الصناديق العربية اكثر من ٥٠ بلدا من بينها ثلاثون بلدا في افريقيا . وإذا ما استثنينا الصندوق العربي للتنمية الاقتصادية والاجتماعية الذي ينفرد في تقديم القروض للبلدان العربية فقط ، فان التوزيع الجغرافي للقروض التي تمنحها الصناديق العربية الأخرى لا ينحصر في البلدان العربية فصندوق ابو ظبي للتنمية الاقتصادية العربية يغطي جميع البلدان النامية خارج امريكا اللاتينية ، بينما يغطي البنك العربي للتنمية الاقتصادية في افريقيا جميع البلدان النامية الافريقية غير العربية . اما بنك التنمية الاسلامي فيقدم القروض والمعونات الانمائية لجميع الدول الأعضاء فيه .

ولأجل تدعيم قدرة هذه الصناديق في تقديم مساعداتها لبلدان العالم الثالث ، يقترح الكاتب انشاء مراكز بحوث متقدمة تتولى القيام بدراسات الجدوى الاقتصادية للمشروعات الانمائية في هذه البلدان .

التعليم العالي

وفي دراسة مهمة اخرى حول « مؤسسات التعليم العالي في العالم العربي » ، يقدر الكاتب (سمير عنبتاوي) عدد الحاصلين على درجة الدكتوراه في العالم العربي في الوقت الحاضر بما يزيد عما كان لدى اليابان في اوائل نهضتها الحديثة . ويبلغ عدد حملة الدكتوراه اكثر من (٢٧) الف ، وحوالي ٥٠٪ منهم في التخصصات العلمية والهندسية وعددهم يزداد بنسبة ١٠٪ سنويا . كما ان اكثر من ٤٢٪ من خريجي الجامعات في العالم العربي متخصص في العلوم الطبيعية ، الطبية ، الزراعية والهندسية في السنين الأخيرة . وهذا الرقم يوازي ما كان لدى الولايات المتحدة والمانيا ، أو المملكة المتحدة خلال الفترة ١٩٣٩ ـ ١٩٤٥ .

وعلى الرغم من الارتفاع النسبي لهذه الارقام الا ان المؤسف حقا ان اكثر من ٥٠٪ من الحاصلين على درجة الدكتوراة في التخصصات العلمية والهندسية قد تركوا العالم العربي الى الخارج لأسباب عديدة لعل في مقدمتها الظروف السياسية السائدة في العالم العربي . وتشير هذه الدراسة انه اذا ما قسنا الانتاج العلمي العربي بالنسبة للفرد فانه لا يوازي أكثر من ١٪ بالمقارنة مع « اسرائيل » . كما يعاب على الجامعات العربية انها بعيدة عن حل مشاكل المجتمع العربي . ويقترح الكاتب جملة مقترحات بهدف رفع مستويات التعليم الجامعي وتخطيط القوى العاملة بما يتلاءم ومتطلبات التنمية الاقتصادية الحقيقية .

الاقتصاد والتكامل !

ولعل من أهم الدراسات التي يضمها هذا الكتاب الدراسة الموسومة « اطار جديد للتكامل بين الاقتصادات العربية » حيث يستعرض الكاتب (يوسف صايغ) مسيرة التكامل الاقتصادي منذ تأسيس جامعة الدول العربية . فقد شهدت الفترة الممتدة بين ١٩٤٤ و ١٩٨٠ ظهور العديد من المحاولات لتنمية التقارب الاقتصادي وتراوحت هذه المحاولات بين التعاون والوحدة الاقتصادية . ولما كانت الوحدة الاقتصادية تستلزم وجود اطار قانوني ملزم لجميع البلدان المعنية ، وهو كما يسميه د. صايغ « بسيادة اقتصادية واحدة » . . لهذا فان ضرورة توفر مثل هذه الظروف تفسر لماذا لم يوقع على اتفاقية الوحدة الاقتصادية العربية لسنة ١٩٥٧ سوى عدد محدود من البلدان ومثلها مجلس الوحدة الاقتصادية العربية الذي شكل في سنة ١٩٦٢ ويوجد بين « التعاون » و « الوحدة » الملزمة العديد من المسالك التي يمكن طرقها لتحقيق التنسيق الاقتصادي العربي ، وقد تأثرت الخيارات المتاحة لتحقيق

هذا الهدف بالأحداث والضغوط السياسية التي مرت على المنطقة العربية خلال العقود السابقة ، فبعد أن شهد عقد الخمسينات موجة عارمة نحو تحقيق الوحدة الاقتصادية الشاملة ، شهد عقد الستينيات تحولا نحو تركيز الاهتمام على تحقيق هدف أكثر تواضعا وهو زيادة التكامل الاقتصادي . أما عقد السبعينيات فقد اتسم باستمرار الاهتمام بهدف التكامل ولكن من خلال صيغة جديدة هي « العمل الاقتصادي العربي المشترك » . وقد شهدت فترة أوائل السبعينيات (لا سيما منذ تعديل أسعار النفط في أواخر ١٩٧٣ وأوائل ١٩٧٤) ظهور اطار جديد للتكامل بين الاقتصادات العربية . وبرز هذا الاطار بصيغته الرسمية على أعلى مستوى سياسي في مؤتمر القمة العربي الذي عقد في شهر تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٨٠ .

وتحول الاهتمام في أواخر عقد الستينيات وحتى أواخر عقد السبعينيات نحو اقامة المشروعات والشركات العربية المشتركة ، على أساس أن تكوين مثل هذه المشروعات والشركات من خلال مجهود مشترك بين بلدين أو أكثر من البلدان العربية من شأنه أن يؤدي الى تحقيق قدر أكبر من التكامل على صعيد الواقع الملموس بين الاقتصادات العربية . كما ان مثل هذه المشروعات ستسهم بلا شك في زيادة حجم التجارة الخارجية .

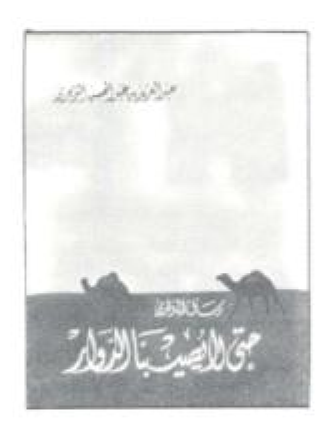
وقد بلغ عدد المشروعات الغربية المشتركة ٢٣٧ مشروعا اشتملت على الصناعة التحويلية والمشروعات الزراعية ، والصناعة الاستخراجية والنقل والمواصلات . وتبلغ رؤوس أموال هذه المشروعات بالاضافة الى الصندوق العربي للتنمية الاقتصادية والاجتماعية وصندوق النقد العربي والهيئة العربية للاستثمار والتنمية الزراعية حوالي ٢٢ مليار دولار . هذا بالاضافة الى صناديق التنمية القطرية التي تبلغ رؤوس أموالها حوالي ١٧ مليار دولار .

ومن التطورات الاخيرة الهامة في دعم مسيرة التكامل الاقتصادي تبني مؤتمر القمة العربي لاستراتيجية العمل الاقتصادي العربي المشترك واعتبار عقد الثمانينيات عقد التنمية . الا أن د . صايغ يعتقد أن قرارات مؤتمر القمة تكتنفها ثلاث سلبيات :

أولا : انه بدلا من الموافقة على تخصيص مبلغ ١٥ مليار دولار لمدة خمس سنوات . فقد تمت الموافقة على مبلغ ٥ مليارات دولار فقط ولمدة عشر سنوات ، أي بمعدل ٥٠٠ مليون دولار سنويا .

ثانيا : انه حتى هذا المبلغ الأقل لم يوجه نحو المشروعات المشتركة في اطار التكامل طبقا للأولويات التي حددتها الاستراتيجية (والتي تمت الموافقة عليها بالاجماع) وانما خصص لدعم البلدان العربية الستة الأقل تطورا . أما السلبية الثالثة فتتعلق بآلية تنفيذ القرارات ، فقد تم تخويل المجلس الاقتصادي والاجتماعي لوضع السياسات الخاصة بتنفيذ الاستراتيجية بدلا من مجلس رؤساء الوزراء المقترح في الوثائق المقدمة لمؤتمر القمة .

ويعتقد د . صايغ (بحق) بأن هذه السلبيات قد أسهمت في تقليل قيمة الاطار الجديد (الاستراتيجية) الى حد كبير . ويبدو أن التطورات الأخيرة قد وسعت من الأرضية التشاؤمية تجاه تحقيق هدف التكامل الاقتصادي بحيث ازداد صدى الأصوات التي تنادي بالابتعاد عن المثالية وبضرورة التعامل مع الأحداث من منظور واقعي . وقد كان من نتائج هذه « القناعات » الجديدة القديمة تعميق النهج القطري أو التجمعات الاقليمية المحدودة . ويبدو أن هذا الاتجاه هو نتيجة منطقية للشرخ العميق الذي أحدثه النفور السياسي في الجسم العربي بحيث بات الحد الأدنى في الأمس هو طموح اليوم وممكنات الأمس هي أحلام اليوم وعسى ألا تتحول أحلام اليوم الى سراب في المستقبل !! ○



رسائل الى ولدى

« حتى لا يصيبنا الدوار » و« منازل الاحلام الجميلة »
تأليف : ـ عبد العزيز بن عبد المحسن التويجرى
الناشر : ـ الدار العالمية للنشر ـ لندن
تاريخ النشر : ـ ١٩٨٣ .

● اذا كان « مدخل » الرسالة يوفر للكاتب مجالا لكشف الغطاء عن وجدان وحكمة وخبرة ومكنون الذات . فان الأمر يصبح أكثر خصوصية اذا ما توجه الكاتب فى رسائله الى ولده .

الا أن « الولد » هنا فى رسائل المؤلف لا ينحصر فى « ولد اللحم والدم » ، بل هو واسطة للوصول الى كل « ولد » يريد الاطلاع والاستفادة والاستزادة . لذلك فقد جاءت الرسائل ـ ٧٤ رسالة فى كتابين ـ تحمل هموم الذات المختلطة بهموم الأمة ، فى لغة أدبية سلسة مترعة بخبرات السنين وتجارب الذات وعراكها مع الحياة .

وقد استطاع المؤلف فى رسائله النفاذ من حصار ماتتطلبه نمطية الرسائل من وعظ وارشاد والدخول فى المحاورة والمجادلة التى تقوم بينه أى بين جيله ، وبين ابنه أى بين جيل ابنه ، فى رسائل تقوم على المكاشفة والمصارحة .

خاصة وأن مادة المكاشفة هي موقع وموقف الأمة من ذاتها وتوجهاتها ، وموقفها وموقعها مما يجرى فى عالمنا الواسع .

يقول المؤلف :

« فاذا دعوتك الى الحوار فهو من أجل أن نصحح المسار ونبني مع الزمن بحوارنا ما تهدم ، فخرائبنا الذاتية لا يبنيها من جديد غير الحوار المستمر ، اذا دخل الحوار فى كل بيت بين الأب وابنه ، وخاض معركة الحياة بسلاحه الفكرى والعقلي ، واستباح مناطق الخطر ، والذل ، ونفى الحوار الخرافي الماشي معه فى ميراث السنين الطويلة ، تصح لنا فكرة الوجود ، ونجلس فى مجالس المتحاورين على مقاعد كبرياء المعرفة والكرامة الانسانية » .



سبعون عاما من المسرح فى اليمن

الكاتب : ـ سعيد عولقي .
الناشر : ـ وزارة الثقافة والسياحة ـ جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية .
سنة النشر : ـ ١٩٨٣ .



● السبعون سنة المقصودة من عمر المسرح فى شطرى اليمن هي السنوات التى تمتد من ١٩١٠ الى ١٩٧٩ . حسب ما يشير مؤلف الكتاب .

واذا كانت بداية القرن هي بدايات وجود ظواهر مسرحية فى اليمن ، فان هذه البداية تتوافق مع بدايات بروز الظواهر المسرحية في الكثير من الاقطار العربية الاخرى بشكل عام .

وقد تتبع المؤلف فى كتابه بدايات قيام المسرح فى اليمن ، ثم رصد التطورات التى تتالت على تلك البداية وما جد فيها من جديد .

وتحدث عن محاولات الاقتباس والاعداد والمسرحة ثم التأليف فى شتى المراحل التى مرت على المسرح .

وعرج على تأثير التلفزيون على النشاطات المسرحية . . واخراج مسرحيات خاصة سميت بالمسرحيات لتلفزيونية . ثم تابع الدور الذى قامت به الاتحادات المسرحية ورعايتها لمواسم ومهرجانات كاملة ان كان فى العاصمة ، أو فى عواصم المحافظات .

ورصد ظاهرة نشوء المسرح السياسي ، ثم أورد أخيرا مجموعة من النصوص المسرحية التى استطاع الوصول اليها .

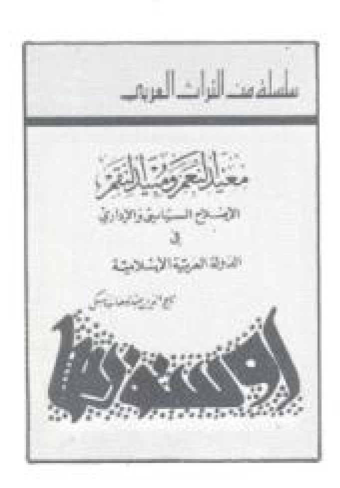
معيد النعم ومبيد النقم

الاصلاح السياسي والادارى فى الدولة العربية الاسلامية

للشيخ تاج الدين عبد الوهاب السبكي ـ المتوفي ٧٧١ هـ .

الناشر : ـ دار الحداثة ـ بيروت .

تاريخ النشر : ـ طبعة ١٩٨٣ .



● ماذا يهم المثقف فى كتاب مثل كتاب معيد النعم ومبيد النقم بعد أن مرت ما يزيد على القرون السبعة من السنين على وفاة صاحبه ؟

يقول الناشر فى تصديره :

« أن هناك شعورا عاما بأن للحضارة الاسلامية والتراث عبر القرون أبوابا لم تولج بعد ، ومعادن لم يجل ما يعلوها من غبار متراكم ولا يتردد العديدون في الاشارة الى أن سببا من أسباب القصور في تحقيق نهضة حقيقية ، شاملة وعميقة ، بين أوساط العرب والمسلمين يتمثل في الفشل في تحقيق الربط بين القديم والحديث » .

فما الذى فى الكتاب حتى يعيد الناشر نشره ؟ : ـ

جاء فى مقدمة الطبعة السابقة على هذه الطبعة : ـ

« الكتاب مرجع للمصلح الاجتماعي الذى يعنيه تقويم الشعوب وتثقيف اعوجاجهم . وهو مدد عظيم الشأن لساسة الشعوب الذين يرغبون فى سياسة شعوبهم سياسة رشيدة لا عنت فيها ولا حيف » .

فهو فى مثال السلطان يرسم باختصار مقاييس الامام العادل ، ويؤكد على الدور الاجتماعي للدين ، والواجبات المترتبة على الحق الالهي فى هذه المسئولية العلياء بحيث لا يحاول البعض التخفي وراء التعبد الفردي تهربا من مسؤوليات السلطة الاجتماعية ازاء الناس .

ويحدد فى ناحية أخرى من نواحي استعراضه مهمات السلطان « فمن وظائف السلطان تجنيد الجنود ، واقامة

فرض الجهاد لاعلاء كلمة الله تعالى ، فان الله لم يوله ليكون رئيسا آكلا شاربا مستريحا ، بل لينصر الدين ويعلي الكلمة » .

جهاز الدبلوماسية الاسرائيلية . . . وكيف يعمل ؟

تأليف : ـ نجدة فتحي صفوة .
الناشر : ـ جامعة بغداد ـ مركز الدراسات الفلسطينية .
سنة النشر : ـ ١٩٨٢ .

● يتناول هذا الكتاب جهاز الدبلوماسية الاسرائيلية ، طبيعته وتكوينه وأجهزته وكيفية عمله ، ونقاط الضعف والقوة فيه .

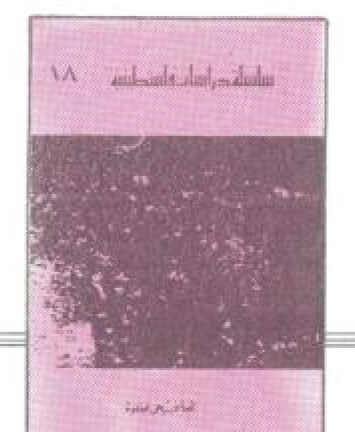
ويؤكد المؤلف : ـ

اذا كان الجهاز الدبلوماسي عظيم الأهمية لكل دولة من الدول ، فان له بالنسبة « لاسرائيل » أهمية خاصة . لأنه بالرغم من مرور مايزيد على ثلاثين سنة على قيامها ، فمشروعية وجودها محل خلاف عنيف ، ومع ذلك فانها لا تزال تحمل المزيد من النوايا العدوانية والتوسعية .

لذلك فان أول هدف من أهداف الدبلوماسية « الاسرائيلية » كان ولا زال السعي لتوكيد وجود الكيان كدولة ذات سيادة على أرض فلسطين وعلى ايجاد المناخ الدولي الذي يقبل بوجود هذا الجسم السياسي الأجتماعي الغريب وغير المنسجم في هذه المنطقة من العالم .

كما وأنها ـ أي الدبلوماسية الاسرائيلية ـ ركزت على تأمين العناصر الدولية اللازمة لضمان استمرار وجود الكيان الصهيوني المتجاوز على الحق العربي في فلسطين ، وعلى مقررات الأمم المتحدة .

لأجل ذلك ، فهناك أهمية خاصة للجهاز الدبلوماسي بالنسبة للكيان الصهيوني ، لأن هذا الجهاز ان كان في الداخل أو الخارج لا ينبع وجوده من حالة ترفية ، أو انه وسيلة من وسائل استكمال المقدمات السياسية للدولة العصرية ، انما هو أداة من أدوات العمل لأجل تثبيت كيان الدولة من جهة ، وانجاز المخططات العدوانية والتوسعية لهذا الكيان من جهة أخرى .



المؤثرات الثقافية الشرقية على الحضارة الغربية من خلال الحروب الصليبية

المؤلف : ميخائيل جميعان .
مكان الصدور : عمان ـ الأردن .
سنة الصدور : ١٩٨٣ .

● كتب الكثير عن الحروب الصليبية وأسباب قيامها وحملاتها ، والمناطق التي احتلتها ، الا ان المصادر التي كتبت بتوسع عن طبيعة العلاقات التي قامت إثر قيام ممالك صليبية في المشرق العربي لمدة زمنية طويلة ، وعوامل التأثير والتأثر التي تم تبادلها كانت قليلة . والكتاب واحد منها .

يقول المؤلف :

« بما أن ممالك أوروبا المسيحية التي اشتركت في الحروب الصليبية قد تأثرت تأثراً بالغاً بحضارة العرب وتراث الشرق الاسلامي ، لذلك رأيت أن اعرف الثقافة أولاً قبل البحث في أحوال الغرب الأوروبي وفي أسباب الحروب الصليبية ودوافعها وفي عوامل فشلها . ثم انتقل الى وصف طبيعة الحضارة العربية ومصادرها ، والحالة السياسية للشرق الاسلامي والحضارة البيزنطية وحضارة أوروبا قبل اندلاع الحروب الصليبية ثم أقدم المامة عن أحداث الحروب الصليبية وحضارة العرب ومدى تقدم الشرق وتفوقه في مضمار الحضارة وكيف ان الغرب كان يتخبط في دياجي العصور المظلمة في الوقت الذي كان الشرق ينعم بحضارة عريقة وثقافة غنية وتراث علمي زاخر » .

مسابقة العربي الثقافية

رقم ٣٠١

تستهدف هذه المسابقة امتحان معلوماتك وسرعة خاطرك وتهدف بخاصة الى تشجيعك على البحث عن الردود الصحيحة بالرجوع الى المعاجم وسائر المصادر الرصينة .. فأملنا كبير في ألا ترد على الاسئلة ارتجالا ، حتى في الحالات التي تشعر فيها باليقين أنك تعرف الرد الصحيح .

والمطلوب منك ان تجيب على عشرة اسئلة اجابة صحيحة لكي تكون في عداد المرشحين للفوز بجائزة . .

الجائزة الأولى قيمتها ٣٠ دينارا
الجائزة الثانية قيمتها ٢٠ دينارا
الجائزة الثالثة قيمتها ١٠ دنانير

تخضع هذه المسابقة لنفس الشروط التي خضعت لها المسابقات الثقافية السابقة . .

❶ - أيها الصحيح لغة قولنا صرح له السفر أم سرح له بالسفر ؟ علل . .

❷ - ما المقصود بقولنا : حجر من الماس يعادل ٢٠ قيراطا . . ؟

❸ - أي صغير ينمو على عجل — يعيش بالريح وهي تهلكه
يقلب أقوى جسم ويغلبه — أضعف جسم بحيث يدركه

ما الذي يقصده الشاعر بهذين البيتين . . . ؟

❹ - لفظ (أرابسك) لفظ أجنبي شائع في أكثر اللغات . وهو ذو صلة وثيقة بالعرب كما لا يخفى . . ترى ما المقصود بهذا اللفظ . . ؟

* كل شيء يمت للعرب بصلة
* أنماط معينة في الفنون عامة وفي فن الرسم والنحت بخاصة . . قوامها اشكال تزيينية منحنية ومتشابكة وتشبه أوراق الشجر واغصانه . . وهي مستوحاه من الفنون العربية . .

٥ ـ ما هو ميزان حرارة سلسيوس . ؟
* انه ميزان الستغراد نفسه ، وسلسيوس هو اسم مخترعه . .
* انه ميزان الحرارة المستعمل في الصين . .
* انه ميزان الحرارة المعد لقياس حرارة الجو لا حرارة جسم الانسان . .

٦ ـ بحر سرقوسه منطقة من المحيط الاطلسي . . اشتهرت بسكونها وعذوبة جوها ودفء مياهها وكثرة الطحالب والاعشاب البحرية على سطح مائها . . ترى أين تقع هذه المنطقة . . ؟
* بجوار مثلث برمودا ، قرب ساحل أمريكا الشرقي . .
* بعيدا عن مثلث برمودا ، في أواسط المحيط الهادي . .
* في المحيط الهندي قرب استراليا حيث الشعاب المرجانية . .

٧ ـ فرديناند مجلان : المكتشف البحار الشهير . . هل دار حول الكرة الأرضية أم لا . . ؟

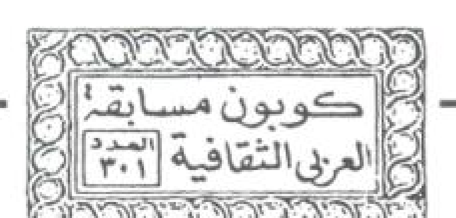
٨ ـ هل الطن وحدة وزن واحدة أم اثنتان أم ثلاث . . ؟
* الطن وحدة وزن واحدة ويعادل ٢٢٠٤,٦ باوند ،(١٠٠٠ كيلو جرام) .
* الطن وحدتان . . احداهما الطن المترى الذي ذكرنا والاخرى الطن الانجليزي ، أو الطويل ، ويعادل ٢٢٤٠ باوند (١٠١٦ كيلو جرام) .
* الطن ثلاث وحدات . . الطن المترى والطن الانجليزي الذي سبق ذكرهما والطن الذي يعرف باسم الطن القصير وهو يعادل ٢٠٠٠ باوند (٩٠٨ كيلو جرام) .

٩ ـ تقاس كمية الحرارة بالكالوري وكذلك بوحدة الحرارة البريطانية . . فأي الوحدتين أكبر من الاخرى . . ؟

١٠ ـ الجوافة والبرتقال • فاكهتان تحتوي احداهما نحو ثلاثة اضعاف ما تحتويه الاخرى من فيتامين جـ (c) . فأي الفاكهتين هي الاغنى بهذا الفيتامين . . ؟

١١ ـ المصران الاثنا عشرى . . لم سموه بهذا الاسم . . ؟

١٢ ـ الكونجرس الامريكي يضم ممثلين عن سكان الولايات المتحدة جميعا ما عدا سكان العاصمة ، واشنطن دي . سي . . صح أم خطأ . . ! ؟



معركة بلا سلاح

أبطال العالم في الشطرنج (٢)

ذكرنا في العدد الماضي أن الشطرنج رغم قدمه لم يتخذ وضعه الحديث إلا منذ منتصف القرن الماضي وعند ظهور اللاعب الأمريكي الفذ « بول مورفي » بالذات الذي أرسى قواعد الشطرنج الحديث . . . وبعد اعتزال « بول مورفي » اللعب عاد اللاعب الألماني « اندرسون » ليحتل بطولة العالم التي انتزعها منه « بول مورفي » من جديد عام (١٨٦٢ - ١٨٦٦) وظل محتفظاً باللقب الى ان هزمه اللاعب النمساوي « وهلم شتاينتز » والذي تربع على عرش العالم ما يقرب من ثمانية وعشرين عاماً (١٨٦٦ - ١٨٩٤) دافع خلالها عن لقبه بنجاح كبير أمام كبار أبطال العالم من أمثال بلاكبيرن ، زيكرتورت وتشيجورين واندرسون .

ويعتبر شتاينتز من اللاعبين الأفذاذ الذين أثروا الشطرنج بألعابهم وكتاباتهم الملهمة وخلف وراءه تراثاً ضخماً من الأدوار الرائعة التي تعد بالمئات وتزخر بها كتب الشطرنج الحديث .

اضطر « وهلم شتاينتز » أخيراً للتنحي عن عرش الشطرنج عندما هزم أمام اللاعب الألماني الشاب « عمانويل لاسكر » والذي تربع على عرش العالم بدوره مدة تضاهي خلافة سلفه الذي هزمه للمرة الثانية بعد عامين من لقائهما الأول في مباراة الثأر . دافع « عمانويل لاسكر » أيضاً عن لقبه بنجاح أمام كبار أبطال العالم من أمثال « مارشال » و « تاراش » و « دافيد جانوسكي » و « كارل شليختر » . وكان اللاعب الكوبي المشهور « راؤول كابابلانكا » يعتبر منافساً له على اللقب منذ عام ١٩١٤ ولكن الظروف حالت دون لقائهما حتى عام ١٩٢١ عندما وجد « لاسكر » نفسه مضطراً للاعتزال أمام الهزائم المتلاحقة التي مني بها أمام منافسه الأعجوبة (٤ - صفر) .

ظل البطل الكوبي محتفظاً ببطولة العالم في الشطرنج حتى عام ١٩٢٨ عندما هزم أمام اللاعب الروسي الفذ « الكسندر أليخين » الذي حمل اللقب حتى عام ١٩٣٥ وغلبه اللاعب الهولندي « ماكس يو » ولكن « إليخين » مالبث أن استعاد اللقب منه في لقائهما الثاني عام ١٩٣٧ وظل متربعاً على عرش الشطرنج حتى مات عام ١٩٤٦ .

واحتل بطولة العالم بعده اللاعب الروسي « مايكل - بوتفينيك » (١٩٤٦ - ١٩٥٧) إلى أن هزمه « فاسيلي سميسلوف » عام ١٩٥٧ ولكن « بوتفينيك » ما لبث أن استعاد اللقب عام ١٩٥٨ وعاد وفقده ثانية ضد مواطنه « مايكل تال » عام ١٩٦٠ ولكنه استطاع ان يسترده ثانية عام ١٩٦١ وظل محتفظاً به إلى أن انتزعه منه « تيجران بتروسيان » عام ١٩٦٣ . وفي عام ١٩٦٩ اضطر « بتروسيان » للتنازل عن عرش الشطرنج عندما تغلب عليه مواطنه الروسي « بوريس سباسكي » (١٢ ١/٢ نقطة مقابل ١٠ ١/٢) ، لم ينعم « سباسكي » ببطولة العالم طويلاً اذ لم يلبث ان هزم عام ١٩٧٢ أمام اللاعب الأمريكي « بوبي فيشر » (١٢ ١/٢ إلى ٨ ١/٢ نقطة) وهو أول أمريكي يفوز ببطولة العالم بعد أن كانت حكراً على الروس طيلة النصف الأخير من هذا القرن والذين ما لبثوا أن استعادوا اللقب عام ١٩٧٨ عند هزيمة فيشر أمام بطل العالم الحالي « أناتولي كاربوف » .

مسائل شطرنجية



الأبيض يلعب ويضرب مات في نقلتين .

لحل المسائل اقلب الصفحة :

مسألة سهلة ولكن معرفتها توفر كثيراً من الوقت خاصة في نهايات الأدوار .





١٩٨٣

من العدد ٢٩٠ إلى العدد ٣٠١

اعداد : صلاح صادق

حديث الشهر

بقلم : رئيس التحرير الدكتور محمد الرميحي

دين ورجال دين



العدد القادم

عدد ممتاز

سياسة واقتصاد

الموضوع	الكاتب	الرقم	السنة	العدد	الصفحة
من مجتمع مستهلك الى مجتمع منتج : التنمية الصناعية في الخليج	د . عبدالله أحمد المعجل	٧	٨٣	٢٩٦	١٩
رسالة أفريقيا : متاعب نيجيريا	عارف سعيد	٧	٨٣	٢٩٦	١٤٥
صمود الثقافة الفلسطينية (١) المعاناة الثقافية في الأرض المحتلة لوحة جديدة من عام ١٩٨٢	د . حسام الخطيب	٨	٨٣	٢٩٧	١٦
من يحكم الولايات المتحدة ؟	ابراهيم ابراهيم	٩	٨٣	٢٩٨	١٧
من الأمم المتحدة : قضية وشخصية : من هنا بدأت حركة عدم الانحياز	عبدالحميد الكاتب	١٠	٨٣	٢٩٩	٢٦
أرقم : الصحراء تزيد والهواء يفسد والماء يجرف كل شيء	محمود المراغي	١٠	٨٣	٢٩٩	٦٦
الأزمة الاقتصادية في الثمانينات لماذا تأخذ شكل التضخم ؟	حافظ أحمد أمين	١٠	٨٣	٢٩٩	٤٢
قضية وشخصية في الأمم المتحدة « المطرقة والدرع » كان القوة السادسة في العالم	عبد الحميد الكاتب	١٢	٨٣	٣٠١	٨٠

عروبة

الموضوع	الكاتب	الرقم	السنة	العدد	الصفحة
خمسة معوقات تهدد باغتيال المستقبل العربي	د . أحمد كمال أبو المجد	١	٨٣	٢٩٠	٢٣
المأزق الوحدوي : تحديد عام	د . نديم البيطار	٢	٨٣	٢٩٠	١٥
يهود على ظهور الخيل .. الفلسطينيون في الفكر الصهيوني	هاني الراهب	٢	٨٣	٢٩١	٣٦
المنظمة العربية للتنمية الزراعية	د . مجيد مسعود	٣	٨٣	٢٩٢	٩٠
التهويد والتهجير ، وضرورات المواجهة السريعة	بلال الحسن	٤	٨٣	٢٩٣	٣٨
المعهد العربي للتخطيط بالكويت	د . مجيد مسعود	٤	٨٣	٢٩٣	٦٢
نحو انتيليجنسيا وحدوية ثورية	د . نديم البيطار	٥	٨٣	٢٩٤	٣٢
بطاقة عربية : الصندوق العربي للانماء الاقتصادي والاجتماعي	د . مجيد مسعود	٥	٨٣	٢٩٤	٦٨
حول مستقبل البحث العلمي في وطننا العربي	د . عبداللطيف أبوالسعود	٥	٨٣	٢٩٤	٧٢
بين الاستشهاد والانتحار : المنتحرون العرب .. الى اتهم هذا المشبوه بقتلهم	د . محمد جابر الانصاري	٦	٨٣	٢٩٥	٢٠
الجامعة العربية والعمل الثقافي	د . شاكر مصطفى	٦	٨٣	٢٩٥	٣٦
دفن للاساطير أم خلق لاساطير جديدة	محمد فواز الحلو	٦	٨٣	٢٩٥	١١
على هامش الحديث عن البحث العلمي العربي	د . عارف أبو صفية	٧	٨٣	٢٩٦	٨٩
بطاقة عربية : المنظمة العربية للعلوم الادارية	د . مجيد مسعود	٧	٨٣	٢٩٦	١٣٣

الموضـــوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
الفكر الاقتصادي العربي وقضايا التحرر والتنمية والوحدة	تأليف محمود عبد الفضيل عرض : وليد خوري	٨	٨٣	٢٩٧	٦١
معارك كلامية أفسدت القضية العربية	حافظ أمين	٨	٨٣	٢٩٧	٨٢
تهجير الادمغة لا هجرتها	ممدوح محمد خسارة	٨	٨٣	٢٩٧	٨٤
١٥ مايو ١٩٤٨ يوم لن ينساه العرب .. الامين العام في خدمة الصهيونية	عبد الحميد الكاتب	٩	٨٣	٢٩٨	٤٤
من التراث : التوعية الصحية عند العرب	د . محمد عيسى صالحية	٩	٨٣	٢٩٨	١١٠
معركة التحرر الحضاري والتجربة السودانية	د . عون الشريف قاسم	١١	٨٣	٣٠٠	١٥
المستوطنات الاسرائيلية ومصير الارض العربية	سليمان الشيخ	١١	٨٣	٣٠٠	٧٢
المشرق العربي ... والغزو الأوروبي	د . نقولا زيادة	١٢	٨٣	٣٠١	٣١
منتدى العربي : المثقفون والحرية	د . عبد الباسط محمد	١٢	٨٣	٣٠١	٧٢
الواقع العربي والمسألة التاريخية	د. عبد الملك التميمي	١٢	٨٣	٣٠١	٧٥
أزمة الفكر التنموي العربي	حسنين توفيق ابراهيم	١٢	٨٣	٣٠١	٧٨
العربي منذ ربع قرن : القومية العربية	د . محمد أحمد خلف الله	١٢	٨٣	٣٠١	١٢٨

استطلاعات الكويت المصورة

الموضـــوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
الحركة التعاونية في الكويت	يوسف الشهاب تصوير : فهد الكوح	١	٨٣	٢٩٠	١٢٤
على طريق تنويع مصادر الدخل القومي : عشرون صناعة في الشعيبة	منير نصيف تصوير طالب الحسيني	٢	٨٣	٢٩١	٦٨
نبض التاريخ في دار الآثار الاسلامية بمتحف الكويت الوطني	هبة عنابت	٥	٨٣	٢٩٤	١٠٠
حماية المستهلك والدعم الحكومي للمواد الغذائية في الكويت	صادق بلي تصوير صلاح آدم	٦	٨٣	٢٩٥	١٤١
لقاء ثقافي حار بين الكويت واليمنين	صادق بلي تصوير فهد الكوح	٧	٨٣	٢٩٦	١٢٠
طوابع البريد في الكويت ما قصتها ومتى بدأت ؟	محمد عبد الهادي جمال	١٠	٨٣	٢٩٩	٦٨

الاستطلاعات العربية والخارجية

الموضـــوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
جبال الاطلس : حصن الغرب	مصطفى نبيل تصوير اوسكار متري	١	٨٣	٢٩٠	١٠٠
جامعات سبع في السعودية	يوسف الشهاب تصوير فهد الكوح	٢	٨٣	٢٩١	١١٦

الموضوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
هذا ما حدث في ذمار : الرواجف هزت كرسي الزيدية	فهمي هويدي تصوير اوسكار متري	٣	٨٣	٢٩٢	١٠٠
موريتانيا وصراع اللون واللسان	مصفى نبيل تصوير طالب الحسيني	٤	٨٣	٢٩٣	١٠٠
ذكر ما جرى للعلم الذي باض بمكة ونهض الى عمان	فهمي هويدي	٤	٨٣	٢٩٣	١٢٤
عين اوروبية في اليمن الجنوبي : ناطحات السحاب في شبام	هيلين كيزر ـ ترجمة عصام عـيران	٥	٨٣	٢٩٤	١١٦
في عيده الالفي : الأزهر العمارة والمنارة	فهمي هويدي تصوير شوقي مصطفى	٦	٨٣	٢٩٥	٦٨
رحلة وراء البانجاراز	منير نصيف تصوير علي حسين	٧	٨٣	٢٩٦	١٠٠
مدن على دروب الصحراء	مصطفى نبيل تصوير طالب الحسيني	٨	٨٣	٢٩٧	١٠٨
على الطريق من الكويت الى مسقط : المنطقة الشرقية ساحل النخيل والذهب	مصطفى نبيل تصوير اوسكار متري	٩	٨٣	٢٩٨	٦٨
في بيت نهرو	منير نصيف تصوير علي حسين	٩	٨٣	٢٩٨	١٣١
جسور البحرين والمستقبل	مصطفى نبيل تصوير اوسكار متري	١٠	٨٣	٢٩٩	٨٠
صحراء مصر تتنفس	منير نصيف تصوير طالب الحسيني	١٠	٨٣	٢٩٩	١٣٢
قطر .. واقع وأمل	مصطفى نبيل تصوير اوسكار متري	١١	٨٣	٣٠٠	١٣٢
الصومال ثروة حيوانية وحياة رعوية	صادق يلي تصوير فهد الكوح	١٢	٨٣	٣٠١	١١٢

أدب ولغة

الموضوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
جابرييل جارسيا ماركيز الفائز بجائزة نوبل للادب	محمود قاسم	١	٨٣	٢٩٠	٢٨
جواب الى صديق	فهد الدوسري	١	٨٣	٢٩٠	٨٨
على الدوعاجي أديب تونسي المجهول في بلده ووطنه	فاضل خلف	٢	٨٣	٢٩١	٨٦
مخطوطات البحر الميت	عبد الرزاق البصير	٢	٨٣	٢٩١	١١٤
الادب العربي في الصين	تشوكاي	٢	٨٣	٢٩١	١٣٧
على هامش الترجمة في عالم اليوم	د . صفاء خلوصي	٢	٨٣	٢٩١	١٤٧

الموضـــوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
حول معجم الجمهرة	ابراهيم القطان	٢	٨٣	٢٩١	١٤٩
قراءة في نص غربي : انسانية خاصة تنفي انسانية الآخر	محمد الأسعد	٣	٨٣	٢٩٢	٥٥
التراث الشعبي العربي سجل لمواقف : أم حوار بين مواقف ؟	د . عباس أحمد	٣	٨٣	٢٩٢	٧٧
ماري عجمي عبقرية شامية منسية	عبد الغني العطري	٣	٨٣	٢٩٢	١٦٠
ثقافة بلا أمن	د . فؤاد زكريا	٤	٨٣	٢٩٣	١٥
من دفتر الذكريات : المأساة	د . عبد السلام العجيلي	٤	٨٣	٢٩٣	٧٣
من اعلام الأدب الالماني المعاصر : هاينريش بل ، المانيا امرأة بكماء	محمود قاسم	٥	٨٣	٢٩٤	٥٥
المعتمد بن عباد والبياتي في طبعات أسبانية	حامد أبو أحمد	٥	٨٣	٢٩٤	٧٩
المعجم التاريخي للعربية ، قصة البداية والنهاية	د . محمد طه الحاجري	٥	٨٣	٢٩٤	٨٨
أزمة الترجمة الى العربية	د . عبد الوهاب عيسى المشماوي	٦	٨٣	٢٩٥	١٠٦
الزمن في حياة الانسان	عبد الرزاق البصير	٦	٨٣	٢٩٥	١٣٨
هكذا تكلم بشر الحافي	د . أديب نايف ذياب	٦	٨٣	٢٩٥	١٦٤
في ٧ يوليو تمر الذكرى الحادية عشرة لاستشهاد غسان كنفاني وقصصه التي لم تنشر في كتبه	سليمان الشيخ	٧	٨٣	٢٩٦	٦٤
الحرف العربي في أتون المعركة	ياسر صاري	٧	٨٣	٢٩٦	٨٥
ستيفن كنج : ادباء يملأون اقلامهم بدماء الخنازير	محمود قاسم	٨	٨٣	٢٩٧	٤٦
حتى لا يظلم أدب الرواد والتراجم عند العرب	محمد عبدالله عنان	٨	٨٣	٢٩٧	٥٤
ظاهرة التضخم اللفظي في حياتنا	يونس شتات	٨	٨٣	٢٩٧	٨٦
محمد عبد المولى وبدايات القصة القصيرة في اليمن	د . عبد العزيز المقالح	٩	٨٣	٢٩٨	٣٧
الف ليلة وليلة في بلاد الفرنجة	عباس خضر	٩	٨٣	٢٩٨	١٦٠
يسروا النحو للمعربين	د. أحمد خطاب العمر	١٠	٨٣	٢٩٩	٣٨
أوراق البحر الميت وكتاب المخطوطات	عبد العزيز محمد بوربيعي	١٠	٨٣	٢٩٩	٤٠
حوار لم ينشر مع محمود تيمور	رستم كيلاني	١٠	٨٣	٢٩٩	٤٤
كتابات من يوغوسلافيا : الكتابة بالحروف العربية لدى غير العرب	د . محمد موفاكو	١٠	٨٣	٢٩٩	٤٨
من التراث : محاولة لفهم واقع الترجمة من منظور تراثي	د . محمد عيسى صالحية	١٠	٨٣	٢٩٩	٥٠
في أثر المتنبي بين اليمامة والدهناء	عبد الرزاق البصير	١٠	٨٣	٢٩٩	١١٣
الرواية الصهيونية	سليمان الشيخ	١٠	٨٣	٢٩٩	١٦٤
من الفكر اليوناني والروماني	أمين سلامة	١٠	٨٣	٢٩٩	١٨٤
الجديد في أدب الجزيرة والخليج .. الدمعة والابتسامة في أدب القصيبي	د . محمد جابر الانصاري	١١	٨٣	٣٠٠	٢٠
الخيال العلمي هل له مكان في مجال الفكر والبحث ؟	د . عز الدين فراج	١١	٨٣	٣٠٠	٣٦
الخيال العلمي اكثر نماذج الأدب اثارة !	نهاد شريف	١١	٨٣	٣٠٠	٣٩
لغة الصحف .. وحظها من الفصاحة	د . ابراهيم السامرائي	١١	٨٣	٣٠٠	١٠٢

صفحة في اللغة

بقلم : محمد خليفة التونسي

الموضــوع	الرقم	السنة	العدد	الصفحة
شجب القوم الخطة	١	٨٣	٢٩٠	١٧٠
الانانية والاثرة	٢	٨٣	٢٩١	١٦٢
ها أناذا عمر ، أو ها أنا عمر	٣	٨٣	٢٩٢	١٧٣
يسير الصبي أثناء النوم	٤	٨٣	٢٩٣	١٧٦
بين التحرير والكتابة في الصحافة	٥	٨٣	٢٩٤	١٥٦
ذات ، وذوات ، وذاتي	٧	٨٣	٢٩٦	١٦٤
قد لا نلتقي غدا	٨	٨٣	٢٩٧	١٦٢
بين الخطبة والمحاضرة	٩	٨٣	٢٩٨	١٧٠
هب أن كل الناس إخوتك فعاملهم بالحسنى	١٠	٨٣	٢٩٩	١٠٦
التصغير بين الفصحى ولهجاتها الدارجة	١٢	٨٣	٣٠١	١٤٢

شعر وشعراء

الموضــوع	الكاتب	الرقم	السنة	العدد	الصفحة
بين السبت والاحد	د . حسان حتحوت	١	٨٣	٢٩٠	١٩
صوت من الماضي	عبد الله زكريا الانصاري	١	٨٣	٢٩٠	٢٠
هاك	يعقوب السبيعي	١	٨٣	٢٩٠	٨٧
تحولات الازمنة	خليفة الوقيان	٢	٨٣	٢٩١	٤٤
عن مدن الشعراء ـ مدينة سان جون بيرسي	أحمد عبد المعطي حجازي	٢	٨٣	٢٩١	٥٦
الى الله	عمر بهاء الدين الاميري	٣	٨٣	٢٩٢	٧٢
المدنية في شعر ابناء الريف	نبيلة الرزاز	٣	٨٣	٢٩٢	٩٣
مدن الشعراء ـ مدينة للنيل	أحمد عبد المعطي حجازي	٤	٨٣	٢٩٣	١٨
محمود حسن اسماعيل شاعر يغني	عبد الله زكريا الانصاري	٤	٨٣	٢٩٣	٦٨
ترجمتان لقصيدة البردة للبوصيري	د . محمد موفاكو	٤	٨٣	٢٩٣	٩٠
الحب المستحيل	د . عبده بدوي	٥	٨٣	٢٩٤	٣٠
هل سرق ايليا أبو ماضي قصيدة الطين ؟	توفيق أبو الرب	٥	٨٣	٢٩٤	٦٠
الشعر ووصف التجار في « الف ليلة وليلة »	عباس خضر	٥	٨٣	٢٩٤	١٤٢
محاولات لاستعادة الذاكرة	علي السبتي	٥	٨٣	٢٩٤	١٥٨
القمر العاشق	أحمد محمد آل خليفة	٥	٨٣	٢٩٤	١٨١
القتل العصري	د . عبده بدوي	٦	٨٣	٢٩٥	١١٩
نهج البردة من البوصيري الى شوقي	محمد خليفة التونسي	٦	٨٣	٢٩٥	١٦٦

قصص

الموضـوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
فرصة العمر	حمد لبيب البوهي	٩	٨٣	٢٩٨	٥٦
البطاقة الاخيرة	فاطمة جمال الدين	١٠	٨٣	٢٩٩	١٠٢
حكاية كويتية : السمكة والصياد	صفوت كمال	١٠	٨٣	٢٩٩	١٠٨
بقعة الزيت	سليمان الشطي	١١	٨٣	٣٠٠	٦٥
من الادب التايلندي : الغبار الفضي	حبيب كيالي	١١	٨٣	٣٠٠	١٦٧
سوالف وحكايات البحر في الكويت	صفوت كمال	١٢	٨٣	٣٠١	٥٢
السعادة (مترجمة)	جي دي موباسان				
	د . علي حسن تقي	١٢	٨٣	٣٠١	٥٩
الأول	فاضل السباعي	١٢	٨٣	١٠٣	١٤٤

علوم

الموضـوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
البحث عن اذكياء فيما وراء الارض	د . عبد المحسن صالح	١	٨٣	٢٩٠	٩٣
الاسماك الملائكية تزين حدائق البحار	يوسف زعبلاوي	١	٨٣	٢٩٠	١٤٤
رحلة مع الكمبيوتر	د . سعودي عياش	١	٨٣	٢٩١	٥٢
ويسألونك عن البيضة : المرحلة الازلية من بطن الدجاجة الى مائدة الانسان	د . محمد مروان السبع	٢	٨٣	٢٩١	٩٠
القلب الصناعي .. هل يعيد عزف لحن النبض الازلي ؟	وجدي رياض	٣	٨٣	٢٩٢	٢٥
هل أصبح التنبؤ بالزلازل حقيقة علمية ؟	د. عدنان عضيمة	٣	٨٣	٢٩٢	٨٤
القمر الصناعي العربي ، على موعد في الفضاء خلال مارس ١٩٨٤	مهندس سعد شعبان	٤	٨٣	٢٩٣	٣٠
نهضة الهند العلمية	يوسف زعبلاوي	٤	٨٣	٢٩٣	٨٤
لماذا تقصر قامة الطفل ؟	د . غسان حتاحت	٤	٨٣	٢٩٣	٩٢
٥٠ مليون جرثومة تحملها الذبابة	عبد النبي الجحمي	٤	٨٣	٢٩٣	١٤٤
الالكترونات وسيط ثورة المعلومات	د . سعود عياش	٥	٨٣	٢٩٤	٤٦
الحياة قبل الحياة : اكتشاف مثير في عالم الأجنة .. الجنين في بطن أمه يرى ويسمع ويشم وينام	عبد الرحمن حريتاني	٥	٨٣	٢٩٤	١٢٤
الخيال العلمي اثارة للانسان أم اقتحام لمستقبله ؟	محمود محمود	٥	٨٣	٢٩٤	١٣١
أسرار العقم والخصوبة	د . أحمد السيد طوبا	٥	٨٣	٢٩٤	١٣٤

الموضــوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
الطائرات الخفيفة جدا .. آخر صيحة لدى هواة الطيران	اسامة صادق	٥	٨٣	٢٩٤	١٦٠
على هامش الحياة الكونية : قل لي ما البيئة : أقل لك ما المخلوق	د . عبد المحسن صالح	٦	٨٣	٢٩٥	٣٠
مناخ العالم الى أين ؟	د . محمد على الفرا	٦	٨٣	٢٩٥	١٢٤
من أجل عيونك مستشفى طائر !	د . سري سبع العيش	٦	٨٣	٢٩٥	١٥٠
الكمبيوتر الشخصي بداية لثورة جديدة	عدنان عضيمة	٧	٨٣	٢٩٦	٣٢
الانسان والطقس	محمود عزو صقر	٧	٨٣	٢٩٦	٨٠
يسألونك عن الزلازل	د . أنور عبد العليم	٧	٨٣	٢٩٦	١٤٠
التفجيرات النووية أيضا في خدمة الانسان !	د. ممدوح عبدالغفور حسني	٨	٨٣	٢٩٧	٣٠
للطاقة أبعاد	د . عبد العزيز الوتاري	٩	٨٣	٢٩٨	٥٤
عمل وعسل في مملكة النحل	عبد النبي الجحمي	٩	٨٣	٢٩٨	١٤٠
ضغط الدم وما لا نعرفه عنه	د . سامي عزيز	١٠	٨٣	٢٩٩	١٥٤
بدائل الطاقة حاضرا ومستقبلا	د. عبدالاله مصلح التكريتي	١١	٨٣	٣٠٠	١٠٦
الشيخوخة المبكرة وأمراض العصر	د. ابراهيم الصياد	١١	٨٣	٣٠٠	١١٥
في البيت وفي المدرسة : نحن « وثورة الكمبيوتر »	د. عبداللطيف ابوالسعود	١١	٨٣	٣٠٠	١٦٠
رسائل من العوالم الأخرى	مجدي نصيف	١٢	٨٣	٣٠١	٣٦
رحلة قرن مع الأشعة المجهولة	د . فاطمة الغرباوي	١٢	٨٣	٣٠١	١٠٠

موسوعة العربي

الموضــوع	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
قصة ليبيريا ـ جائزة نوبل للسلام من أجل غد آمن ـ ابن الهيثم أكبر رياضي في عصره أراد بناء خزان أسوان قبل ألف سنة ـ العالم مجنون مجنون مجنون .	١	٨٣	٢٩٠	١٦٢
دي كويلار يكون أولا يكون ! ـ طابع بريد اتسع لصفحة كاملة من صحيفة التايمز اللندنية ـ جمهورية سان مارينو في قلب الجمهورية الايطالية ـ اقمار صناعية برسم البيع .	٢	٨٣	٢٩١	١٠٦
الجنرال جورج براون أصابت قنابله « قلب اسرائيل » ـ روبنسون كروزو العرب !	٣	٨٣	٢٩٢	١٤٦
المنبوذون في الهند يبحثون عن القرآن الكريم ـ الطماطم سامة ـ الشجرة التي تثمر خبزا ـ نحن والقطارات ـ كلمات شائعة بين معانيها الأصلية ، ومعانيها الحالية : كلمة كرنفال ، كلمة شوفير .	٤	٨٣	٢٩٣	١٤٠

أنباء الطب والعلم

اعداد : يوسف زعبلاوى

الصفحة	العدد	السنة	الشهر	الموضوع
١٠٥	٢٩٥	٨٣	٦	حقن جديدة لمنع الحمل . . آمنة وفعالة ـ حب الشباب لم يعد تلك الآفة المستعصية .
٩٧	٢٩٦	٨٣	٧	عقاقير قديمة اعادوا استحضارها بطريقة جديدة ـ تحليل فوري للدم ـ علاج للصلع أفضل بكثير من زرع الشعر ـ تلفزيون خاص بأبواب البيوت الخارجية .
٩٤	٢٩٧	٨٣	٨	معالجة العجز الجنسي الكترونيا ـ مشلولة ولكنها تمشي ـ وأخيرا تحقق الحلم (حلم الطاقة) النووية الرخيصة الآمنة .
٦٥	٢٩٨	٨٣	٩	مشلولة أخرى تمشي ـ هل ينجح العلم في تحديد جنس الجنين مسبقا ؟ ـ الرجل الآلي في ساحة القتال .
٩٩	٢٩٩	٨٣	١٠	الضحك ـ السينما والفيديو معا ـ رجل آلي جديد ـ أشعة ليزر تبخر مسامير الاقدام تبخيرا .
١١٢	٣٠٠	٨٣	١١	طريقة جديدة لتقويم الاسنان الناشزة ـ أحياء في ظلمات المحيطات
١٣٤	٣٠١	٨٣	١٢	حذار الحمامات الشمسية . النجاح في زرع البنكرياس يبشر بالشفاء من مرض السكر

طبيب الاسرة

الصفحة	العدد	السنة	الشهر	الموضوع
١٥٤	٢٩١	٨٣	٢	الاطفال والبول السكري ـ آخر الابحاث حول فيتامين C
١٥٥	٢٩٢	٨٣	٣	المضادات الحيوية ـ طفل الانابيب ـ ضغط الدم
١٦٣	٢٩٣	٨٣	٤	الانيميا الخبيثة ـ تضخم غدة البورستاتا ـ أشعة ليزر والعين
١٦٣	٢٩٤	٨٣	٥	الذبحة الصدرية ـ النبض ـ ارتفاع ضغط الدم والحمل
١٢٨	٢٩٥	٨٣	٦	ارتفاع ضغط الدم ـ التهابات الفم ـ الفواق (الزغطة)
١٥٨	٢٩٦	٨٣	٧	فتق الحجاب الحاجز ـ الثآليل
١٥١	٢٩٧	٨٣	٨	حامض البوليك ـ مرض الفينايل كيتونيوريا ـ قشرة الرأس هل هي معدية ؟
١٦٧	٢٩٨	٨٣	٩	تحديد جنس الجنين ـ فرط التبول
١١٨	٢٩٩	٨٣	١٠	الجيوب الانفية ـ الحصبة الالمانية ليست المانية ـ سلس البول وفرط التبول (البوال)
٥٩	٣٠٠	٨٣	١١	العدسات اللاصقة ـ الطحال ـ مرض الفولية .
٨٧	٣٠١	٨٣	١٢	شهادات التطعيم الدولية ـ ضغط الدم المنخفض ـ الترياق .

تاريخ

تاريخ أشخاص

الموضــوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
الامير عبدالقادر الجزائري .. البطولة بعين فرنسية	جمال الغيطاني	٨	٨٣	٢٩٧	٧١
فنان الكاريكاتير ناجي العلي	سليمان الشيخ	٨	٨٣	٢٩٧	١٣٨
ابن سينا والطب العربي في الصين	د . محمود التونجي	٨	٨٣	٢٩٧	١٥٤
في ذكرى خالد العدساني : العدساني					
وأثره على الحياة السياسية والثقافية	عبدالله زكريا الانصاري	٩	٨٣	٢٩٨	٣٢
الوزير الخطاط ابن مقلة	عبداللطيف هاشم	٩	٨٣	٢٩٨	٩١
أفارقة عرب : « تيوتب » رجل الطيف					
حارس السلم	جمال محمد احمد	١١	٨٣	٣٠٠	٢٩
في ذكرى مرور مائة عام على وفاة	د . صفاء خلوصي	١١	٨٣	٣٠٠	٥٤
جيمس جويس الايرلندي المبدع الذي صور واقع البشر					
الامام الشوكاني مصلحا	د . حسين بن عبدالله العمري	١١	٨٣	٣٠٠	١٢٥
جمال الدين الافغاني الثائر الشريد					
المفترى عليه	د . شاكر مصطفى	١٢	٨٣	٣٠١	١٥
شارلي المهرج الفيلسوف	منير نصيف	١٢	٨٣	٣٠١	٤٤
« المطرقة والدرع » .. كان القوة السادسة في العالم	عبد الحميد الكاتب	١٢	٨٣	٣٠١	٨٠

تربية وعلم نفس

الموضــوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
ايها التربويون العرب : لا أسكت الله					
لكم صوتا	د . محمود خير عثمان	٣	٨٣	٢٩٢	٢٠
دراما الطفل	د . نبيل سليم علي	٣	٨٣	٢٩٢	١٦٥
قدرتك على ضبط النفس	د . خليل فاضل	٤	٨٣	٢٩٣	٨٢
تنظيف العقل صار غسيل المخ	د . خليل فاضل	٥	٨٣	٢٩٤	١٣٨
حوار مع الموت : انتحار آرثر كيسلر	د . احمد ابو زيد	٧	٨٣	٢٩٦	٤١
عضو هيئة التدريس في الجامعات العربية	د . صفاء خلوصي	٩	٨٣	٢٩٨	٦٠
مخاطر التعليم الاجنبي في البلاد العربية	د . عمر السباخي	١٠	٨٣	٢٩٩	٣٦

مجتمع واجتماع

الموضــوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
المقهى البغدادي	جمال الغيطاني	١	٨٣	٢٩٠	١٣٦
كرة القدم كظاهرة اجتماعية ـ لماذا غزت كرة	عبد النبي الجحمي	٢	٨٣	٢٩١	١٦٤
القدم العالم ؟					

الموضـــوع	الكاتب	الرقم	السنة	العدد	الصفحة
الافكار المستوردة والاصالة	د . حيدر ابراهيم علي	٧	٨٣	٢٩٦	٢٨
الاحجية التكنولوجية والحل الوطني القومي	د . عارف دليلة	١١	٨٣	٣٠٠	٤٧
انها ليست « قوانين طبيعية » !	د . عارف دليلة	١٢	٨٣	٣٠١	٩٥

ركن الاسرة والمرأة

بقلم منير نصيف

الموضـــوع	الرقم	السنة	العدد	الصفحة
حكاية « أم »	٣	٨٣	٢٩٢	١٣٦
بالحب وحده	٤	٨٣	٢٩٣	١٣٦
« زهرة » قصة امرأة عظيمة من حيدر اباد	٥	٨٣	٢٩٤	١٤٨
من واقع الحياة : معا الى الابد	٦	٨٣	٢٩٥	١٢٠
وصية ام	٧	٨٣	٢٩٦	١٣٦
الآباء يزرعون الشوك	٨	٨٣	٢٩٧	١٣٤
رحلة الحياة . . متى تنتهي ؟	٩	٨٣	٢٩٨	١١٤
أمل في الخريف	١١	٨٣	٣٠٠	١٢١

كتب وكتاب الشهر

الموضـــوع	الكاتب	الرقم	السنة	العدد	الصفحة
كتاب الشهر : الكارثة الكاملة الفشل الامريكي في ايران	تأليف مايكل ليدين ووليام لويس عرض: د. امين العيوطي	١	٨٣	٢٩٠	١٧٢
كتاب الشهر : المأزق العربي ـ الفكر السياسي العربي وتطبيقه منذ ١٩٦٧	تأليف د . فؤاد عجمي عرض د . امين العيوطي	٢	٨٣	٢٩١	١٧٣
من مكتبة العربي		٢	٨٣	٢٩١	١٨٠
كتاب الشهر : كتاب من موسكو ، رسائل من لبنان	تأليف : اغافا نفل كريمسكي تقديم : هاشم حادي	٣	٨٣	٢٩٢	١٧٦

الفنون واللوحات الفنية

نذكر فيما يلى الابواب التى أغفلها هذا الفهرس العام لتعذر فهرستها
ونذكر الى جانبها اسماء محرريها

منتدى العربي . . . . مصطفى نبيل

من صحافة العالم . . . . منير نصيف

من مكتبة العربي . . . . سليمان الشيخ

طرائف عربية . . . . صادق يلى

مقالات فى كلمات . . . . منير نصيف، أمين سلامة

حوار القراء . . . . يوسف الشهاب

مسابقة العربي الثقافية وحلولها . . . . . . يوسف زعبلاوى

« الشطرنج » معركة بلا سلاح . . . . . . حسن التيق

العربي الصغير . . . . نجاح عمر

الفهرس العام من اعداد . . . . صلاح صادق



كافة الخدمات المصرفية

يقدمها لك بنك الكويت الوطني عند زيارتك القادمة للندن

بنك الكويت الوطني، اقدم وأكبر بنك في الكويت، افتتح فرعه الثاني في قلب الوست اند من لندن. هذا الفرع الجديد الذي يقع بمحاذاة شارع أكسفورد على مقربة من الماربل آرش افتتح خصيصاً ليساعد الزائرين الكويتيين ويجعل اقامتهم في لندن كاملة، وذلك بتقديم النصح لهم ويوفر مجموعة شاملة من الخدمات المصرفية الشخصية.

خدمات الفرع تشمل: الحسابات الجارية وحسابات الايداع، منح القروض، أوامر الدفع الثابتة لتسديد الفواتير، خدمة تبديل العملات لشراء وبيع الأوراق النقدية والشيكات السياحية.

كما تستطيع صرف شيكات على حسابك بالدينار الكويتي أو استعمال بطاقة الداينرز كلوب لسحب ما تحتاجه من النقد من حسابك في الكويت.
أوقات الدوام الآتي: من الاثنين الى الجمعة ٩٫٣٠ إلى ٣٫٣٠ بعد الظهر، أيام السبت من ٩٫٣٠ حتى ١٢٫٣٠ بعد الظهر.

لتكن زيارتك للندن كاملة وذلك باتصالك بمدير فرعنا فور وصولك وكن على ثقة بأنك ستكون موضع عنايتنا وخدمتنا المميزة.

فرع وست اند: ١٨١ أوكسفورد ستريت، لندن W1، مقابل محلات سيلفردجز تلفون ٦٨١١ ٩٣٥ (٠١)
لندن - فرع السيتي: ٩٩ بيشوبس جايت، لندن EC2، تلفون ٩٢٠٠٢٦٢ (٠١)، تلكس ٨٩٢٣٤٨



بنك الكويت الوطني ش.م.ك
The National Bank of Kuwait SAK

مكتب الكويت الرئيسي: ص.ب ٩٥ الصفاة، الكويت، تلفون ٤٢٢٠١١ - ٢٤٢٢٣٢٤، تلكس ٢٢٠٤٣ غرفة تداول العملات: تلفون ٤٦٢٠٤٦، تلكس ٢٢٣٢٤٧

ALBA

لكلّ زمن ساعة

البا تقدم لك ماتبحث عنه ... ساعات كوارتز ذات دقة متناهية
في اشكال جذابة ومتنوعة تناسب جميع الاذواق ... منها الساعات الرقمية
والعادية ذات العقارب ومنها مايجمع بين الاثنين وبأسعار في متناول الجميع
البا تؤمن بأن لكل زمن ساعة .

البا من اليابان حيث تتوحد التقنية بالجمال .





هنالك مجموعة مصرفية واحدة فقط في العالم تساهم فيها الدول العربية جميعاً

منذ اثني عشر عاما نشأت فكرة تكوين مجموعة مصرفية فريدة من نوعها تشارك فيها كل دولة عربية، ممثلة بواحدة أو أكثر من مؤسساتها المصرفية أو المالية، ومن ثم ترتبط هذه المجموعة عن طريق المشاركة في رأس مالها مع كبريات المصارف العاملة في المراكز المالية الدولية، التي تتواجد فيها بنوك المجموعة، بحيث تهيء كافة الأسباب لتنشيط التجارة بين الدول العربية وبقية انحاء العالم.

وقد أصبحت هذه الأمنية، اليوم، حقيقة ناطقة فالدول العربية الاثنتان والعشرون ممثلة كلها في المجموعة عن طريق ٢٦ مؤسسة من مختلف هذه الدول. وبالاضافة الى ذلك فان ٢٣ من كبريات المؤسسات الدولية تساهم في بنوك المجموعة الى جانب المؤسسات العربية بغية تحقيق اهدافنا المشتركة.

وهذا كله يجعل مجموعة بنوك اليوباف AL UBAF BANKING GROUP متميزة عن كل ما عداها، اذ أن أية مؤسسة تسعى الى القيام بعمل تجاري في أي جزء من العالم العربي، ستكون على يقين بأن في امكانها ان تعتبر المجموعة بمثابة شريك لها بصورة أو أخرى فيما تستهدفه من مشاريع أو عمليات نظرا لتنوع أنشطة بنوك المجموعة وشمولها لمختلف القطاعات المصرفية.

فان أردت السوق النقدية، وجدت ان رقم اعمالنا في عام ١٩٨٢ بلغ ٢٠٠ مليار دولار، وان اجتذبتك عمليات تمويل التجارة الخارجية الفيتنا في الصف الأول برقم اعمال يتجاوز الـ ٦ مليار دولار، كذلك فان مجموعتنا رائدة في مجال تنظيم وادارة القروض المشتركة SYNDICATED LOANS اذ بلغ اجمالي القروض التي شاركنا في ادارتها او تنظيمها، في ذات العام، ٦٢ مليار دولار.

وقد بلغ اجمالي اصول بنوك اليوباف ١٤ مليار دولار.

اليوباف

AL UBAF
BANKING GROUP

البحرين: بنك اليوباف العربي الدولي
هونج كونج: يوباف انترناشونال ليمتد
لندن: يوباف بنك ليمتد - يوباف المحدود للخدمات المالية
لوكسمبورج: يوباي البنك العربي الألماني - فرع في فرانكفورت ماين
نيويورك: البنك العربي الأمريكي - يوباف - فرع في جزر كايمان
باريس: اتحاد المصارف العربية والفرنسية (يوباف)
فروع في البحرين - سيول - سنغافورة - طوكيو
روما: يوباي البنك العربي الايطالي مكتب تمثيل في ميلانو
بيروت: مكتب تمثيل
القاهرة: مكتب تمثيل



سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب - دولة الكويت

ديسمبر ١٩٨٣ م

حكمة الغرب

الجزء الثاني

تأليف : برتراند راسل
ترجمة : د. فؤاد زكريا

٥٠٠ فلس

الكتاب الثاني والسبعون

المراسلات :
توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص ب ٢٣٩٩٦ الكويت

من المسرح العالمى

سلسلة ثقافية
تصدرها فى مطلع كل شهر
وزارة الإعلام فى الكويت

أول ديسمبر ١٩٨٣

١٧١

الريفية

تأليف : ايفان تورجنيف - ٤
ترجمة وتقديم : د. بهية عفيفى
مراجعة : د. فوزي عطية

أيّ رحّالة دوليّ حقّ يجد في ساعته رولكس ما لا يقدّر بثمن

في عام ١٩٣٧، راح يراود مخيّلة "ثور هيردال" حلم حول ما إذا كانت الحضارات القديمة لكل من المكسيك والبيرو وجزر الباسفيك ومصر ووادي ما بين النهرين تنبع من مصدر واحد، حلم أراد أن يثبت معه ان عبور المحيطات الثلاثة كان ممكنًا قبل إقدام الأوروبيين على تحقيق ذلك بأمد بعيد.

وبعد عشر سنوات، عام ١٩٤٧، أقلع هيردال من ساحل البيرو بطوف من خشب "البلزا" أطلق عليه إسم "كون - تيكي". ٨٧ يومًا ويوم رسا الطوف "كون - تيكي" بعدها على جزر الباسفيك.

وفي عام ١٩٧٠، غادرت أفريقيا "رع ٢"، سفينة "ثور هيردال" المصنوعة من قصب البردي، وبعد سبعة وخمسين يومًا، وصلت "رع ٢" الى "بربدوس" في الجانب الآخر من الأطلنطي.

وفي العراق، خلال ١٩٧٧ - ٧٨، قام "هيردال" ببناء السفينة "تايغرس"، أي دجلة، من القصب، وأبحر فيها مارًا بمحاذاة باكستان وسلطنة عمان حتى مدخل البحر الأحمر حيث حالت الحرب المحلية دون مواصلة الابحار. ورغم ذلك، أثبتت "تايغرس" انه كان من الممكن ان تتفاعل الحضارات القديمة لكل من سومر ووادي الأندوس ومصر بطريق البحر.

ويقول هيردال: "المحيطات لم تفصل بين الحضارات القديمة، بل انها ربطت فيما بينها."

Tigris

ويستند نجاح حملات "هيردال" الى التخطيط الواضح والدقة التامة في كل شاردة وواردة.

ويضيف هيردال: "لقد أنزلنا الى البحر نماذج مطابقة تمامًا للسفن الأولى التي بناها البحارة القدماء، واستخدمنا طرقهم في شد الحبال والأشرعة والصواري وفي التوجيه، واقتنا بما كانوا يقتاتون، واختبرنا أجهزة الملاحة البدائية التي استعملوها. ولكن، من أجل تحديد المسار بطريقة علمية دقيقة وبالاتصال اللاسلكي الاضطراري لدى دخولنا المواقع الحديثة والطرق الملاحية، كنا بحاجة الى ما كان باستطاعة الانسان القديم الاستغناء عنه: ساعة حديثة بالغة الدقة جديرة بالاعتماد."

إنه الاطراء في توجيه مجاملة كهذه الينا، خاصة وقد جاءت على لسان أشهر رحالة دولي في العالم.

الساعات التي كان يلبسها "ثور هيردال" وبحارته هي من صنع رولكس.

ROLEX

رولكس

OFFICIALLY CERTIFIED SWISS CHRONOMETER

رولكس "جي. إم. تي - ماستر" متوفرة بالذهب عيار ١٨ قيراطًا، أو فولاذ لا يصدأ، مع سوار ملائم.

المجلة العربية للعلوم الإنسانية

مجلة فصلية مُحكمة ، تقدم البحوث الاصيلة والدراسات الميدانية والتطبيقية في شتى فروع العلوم الانسانية والاجتماعية باللغتين العربية والانجليزية .

تصدر عن جامعة الكويت

صدر العدد الأول في يناير ١٩٨١

رئيس التحرير د. عبدالله العتيبي

مدير التحرير عبدالعزيز السيد

- تتناول المجلة الجوانب المختلفة للعلوم الانسانية والاجتماعية بما يخدم القارىء والمثقف والمتخصص .
- تعالج موضوعات المجلة الميادين التالية :

اللغويات النظرية والتطبيقية - الآداب والآداب المقارنة - الدراسات الفلسفية الدراسات الفنية - الدراسات الاجتماعية المتصلة بالعلوم الانسانية - الدراسات التاريخية - الدراسات الجغرافية - الدراسات التربوية - الدراسات حول الفنون (الموسيقى - التراث الشعبي - الفنون التشكيلية - النحت ... الخ) - الدراسات الاثارية (الاركيولوجية) .

- تقدم المجلة معالجاتها من خلال نشر :

البحوث والدراسات - مراجعات الكتب - التقارير العلمية - المناقشات الفكرية .

- مواعيد صدور المجلة : كانون ثاني - نيسان - تموز - تشرين أول .
- تنشر المجلة ملخصات للبحوث العربية بالانجليزية ، وملخصات بالعربية للبحوث الانجليزية .

ثمن العدد : للأفراد ٤٠٠ فلس
للطلاب ٢٠٠ فلس

الاشتراكات السنوية

	داخل الكويت	في الخارج
- للمؤسسات	١٠ د.ك.	٤٠ دولاراً أمريكيا
- للأفراد	٢ د.ك.	١٥ دولاراً أمريكيا
- للاساتذة والطلاب	١ د.ك.	١٠ دولارات أمريكية

- تقبل الاشتراكات في المجلة لمدة سنة أو عدة سنوات .
- قواعد النشر تطلب من رئيس التحرير .
- جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير :

ص.ب : ٢٦٥٨٥ (الصفاة)

الكويت - الشويخ - ت : ٨٢١٦٣٩ - ٨١٧٦٨٩ - ٨١٥٤٥٣



مجلة العلوم الاجتماعية

تصدر عن جامعة الكويت

فصلية اكاديمية علمية مختصة بالشؤون النظرية والتطبيقية في مختلف حقول العلوم الاجتماعية

يحوي العدد حوالي ٢٠٠ صفحة تشتمل على :

- ابحاث بالعربية تعالج مختلف حقول العلوم الاجتماعية.
- مراجعات لكتب حديثة تبحث الموضوعات التي تعالجها المجلة.
- ملخصات .
- ابواب ثابتة : تقارير علمية، دليل الجامعات والمؤسسات التعليمية العليا .
- ندوة العدد .

الاشتراكات :

للمؤسسات والدوائر الحكومية : في الكويت ١٢ دينارا ، في الخارج ٤٥ دولارا أو مايعادلها.

للأفراد : في الكويت ديناران كويتيان ، دينار للطلاب .

في الوطن العربي : ديناران ونصف كويتيان أو ما يعادلها ، ديناران للطلاب.

في الدول الاخرى : ١٥ دولارا أمريكيا أو مايعادلها .

توجه جميع المراسلات والابحاث باسم رئيس التحرير على العنوان التالي :

مجلة العلوم الاجتماعية ـ جامعة الكويت ـ ص. ب : ٥٤٨٦ الكويت

هاتف : ٥١٠١٨٨ / ٢٧٣ / ٢٥٠



تصدر عن جامعة الكويت

رئيس التحرير
الدكتور عبدالله الغنيم

صدر العدد الأول في كانون ثاني (يناير) ١٩٧٥

تصل أعدادها الى أيدي نحو ١٢٥٫٠٠٠ قارئ

يحتوي كل عدد على حوالي ٢٥٠ صفحة من القطع الكبير تشتمل على : –

- مجموعة من الأبحاث تعالج الشئون المختلفة للمنطقة بأقلام عدد من كبار الكتاب المتخصصين في هذه الشئون .
- عدد من المراجعات لطائفة من أهم الكتب التي تبحث في المناحي المختلفة للمنطقة .
- أبواب ثابتة : تقارير – وثائق – يوميات – ببليوجرافيا .
- ملخصات للأبحاث باللغة الانجليزية .

ثمن العدد : ٥٠٠ فلس كويتي أو ما يعادلها في الخارج .

الاشتراكات : للأفراد سنويا ديناران كويتيان في الكويت ، ١٥ دولارا أمريكيا في الخارج (بالبريد الجوي) .

للشركات والمؤسسات والدوائر الرسمية : ١٢ دينارا كويتيا في الكويت ، ٤٠ دولارا أمريكيا في الخارج (بالبريد الجوي) .

منشورات المجلة :

تصدر المجلة أيضا دراسات مستقلة متعلقة بشئون المنطقة صدر منها

١ – كتاب التكامل الاقتصادي في الخليج العربي (د . محمد هشام خواجكية) . ١٩٧٩ .
٢ – كتاب آفاق التنمية الصناعية في دول الخليج العربي (د . عبد الاله أبو عياش) . ١٩٧٩ .
٣ – كتاب حقوق الطفل في دولة الكويت (د . بدرية العوضي) . ١٩٧٩ .
٤ – كتاب الاحصاءات الاقتصادية في المملكة العربية السعودية (بدوي خليل) ١٩٨٠ .
٥ – دور جريدة فتاة الجزيرة في أحداث عام ١٩٤٨ بصنعاء (سلطان ناجي) ١٩٨٠ .

سلسلة وثائق الخليج والجزيرة العربية لعام صدر منها :

الكتاب الأول – وثائق الخليج والجزيرة العربية لعام ١٩٧٧ . ١٩٧٩ .

العنوان : جامعة الكويت – كلية الآداب والتربية – الشويخ – دولة الكويت .
ص . ب : ١٧٠٧٣ – الخالدية
الهاتف : ٨١٦٨٠٧ – ٨١٦٧٩٩ – ٨١٦٨٢

جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير .